قوله تعالى فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى
من قبل قالوا ساحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى
منهما اتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع
هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون
الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من
قبله مسلمين اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا

اعلم انه تعالى لما حكى عنهم ان عند الخوف قالوا هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع بين ايضا انه بعد الارسال
الى اهل مكة قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى فهو كانوا قبل البعثة متعلقون بشبهة وبعد البعث متعلقون
باخرى فظهر انه لا مقصود لهم سوى الدفع والعناد اما قوله تعالى فلما جاءهم الحق من عندنا اي جاءهم الرسول
المصدق بالكتاب المعجز مع ساير المعجزات قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن ساير
المعجزات كقلب العصا حية واليد البيضا وفلق البحر وتظليل الغمام وانفجار الحجر بالماء والمن والسلوى ومن اذا الله
تعالى كلمة وكتب له في الالواح من كل شيء موعظة وغيرها من الايات نجوا بالاقتراحات البينة على البعث والعناد
كما قالوا لولا القي اليه او جاء معه ملك وما اشبه ذلك واعلم ان الذين اقترحوه غير لازم لانه لا يجب مجيء
الانبياء ان يكون واحدا اذ الصلاح قد يكون في انزاله مجموعا كالتورية ومفرقا كالقران ثم انه تعالى اجاب عن هذه
الشبهة بقوله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل واختلفوا في ان الضمير في قوله تعالى اولم يكفروا الى من يعود و
ذكروا وجوها احدها ان اليهود امروا قريشا ان يسالوا محمدا مثل ما اوتي موسى عليه السلام فقال الله تعالى اولم يكفروا
بما اوتي موسى يعني اولم يكفروا هؤلاء اليهود الذين استخرجوا هذا السؤال بموسى عليه السلام مع تلك الايات الباهرة
وثانيها ان الذين اوردوا هذا الاقتراح كفار مكة والذين كفروا بموسى هم الذين كانوا في زمان موسى عليه السلام لانه تعالى
جعلهم كالشيء الواحد وثالثها قال الكلبي ان مشركي مكة بعثوا رهطا الى يهود المدينة يسالونهم عن محمد وشانه
فقالوا انا نجده في التورية بنعته وصفته فلما رجع الرهط اليهم اخبروهم بقول اليهود فقالوا انه كان ساحرا
كما ان محمدا ساحر فقال الله تعالى في حقهم اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل ورابعها قال الحسن قد كان للعرب اصل في ايام
موسى عليه السلام فمعناه على هذا اولم يكفر اباؤهم وقالوا موسى وهارون ساحران وخامسها قال قتادة
اولم يكفر اليهود في عصر محمد بما اوتي موسى من قبل من البشارة بعيسى ومحمد فقالوا ساحران وسادسها
وهو يظهر عندي ان كفار قريش ومكة كانوا منكرين لجميع النبوات ثم انهم لما طلبوا من الرسول معجزات موسى عليه السلام
قال الله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل بل بما اوتي جميع الانبياء من قبل يعني انه لا غرض لكم من هذا الاقتراح
الا التعنت ثم انه تعالى حكى كيفية كفرهم بما اوتي موسى عليه السلام من وجهين الاول قولهم ساحران تظاهرا قرا ابن
كثير وابو عمرو واهل المدينة ساحران بالالف وقرا اهل الكوفة سحران بغير الف وذكروا في تفسير الساحرين وجوها
احدها المراد هارون وموسى عليهما السلام تظاهرا اي تعاونا وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران
بمعنى ذوي سحر وجعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر وكثير من المفسرين فسروا قوله ساحران بان المراد
هو القران واختار ابو عبيدة القراءة بالالف لان المظاهرة بالناس وافعالهم اشبه منها بالكتب وجوابنا انا
بينا ان قوله ساحران يمكن حمله على الرجلين وبتقدير ان يكون المراد الكتابين لكن لما كان كل واحد من
الكتابين يقوي الاخر لم يبعد ان يقال على سبيل المجاز تظاهرت الاخبار وهذه التاويلات انما
يصح اذا حملنا قوله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى عليه السلام اما على كفار مكة او على الكفار الذين كانوا في
زمان موسى عليه السلام ولا شك ان ذلك اليق بمساق الاية الثاني قولهم وانا بكل كافرون اي بما انزل على
محمد وموسى وساير الانبياء عليهم السلام ومعلوم ان هذا الكلام لا يليق الا بالمشركين لا باليهود وذلك
مبالغة في انهم مع كثرة ايات موسى عليه السلام كذبوه فما الذي يمنع من مثله في محمد صلى الله عليه وسلم
وان ظهرت حجته ولما اجاب الله تعالى عن شبهتهم ذكر الحجة الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم

قال قل

فقال قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه وهذا منبه على عجزهم عن الاتيان بمثله قال الزجاج اتبعه
بالجزم على الشرط ومن قرا اتبعه بالرفع فالتقدير انا اتبعه ثم قال تعالى فان لم يستجيبوا لك قال ابن عباس رضي الله عنهما
يريد فان لم يؤمنوا بما جئت به من الحجج وقال مقاتل فان لم يمكنهم ان ياتوا بكتاب افضل منهما وهذه اشبه بالاية
فان قيل الاستجابة تقتضي دعا فاين الدعا ها هنا قلنا قوله تعالى فاتوا بكتاب والامر دعا الى الفعل ثم قال تعالى
فاعلم انما يتبعون اهواءهم يعني صاروا ملزمين ولم يبق منهم الا اتباع الهوى ثم زيف طريقهم بقوله تعالى
ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وهذا من اعظم الدلايل على فساد التقليد وانه لا بد من الحجة والاستدلال
ان الله لا يهدي القوم الظالمين وهو عام يتناول الكافر بقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم واحتج الاصحاب به
على ان هداية الله تعالى خاصة بالمؤمنين وقالت المعتزلة الالطاف منها ما يحسن فعلها مطلقا ومنها ما لا يحسن
الا بعد الايمان والدليل عليه قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم
الظالمين محمول على القسم الثاني ولا يجوز حمله على القسم الاول لانه تعالى لما بين في الاية المتقدمة ان عدم
بعثة الرسل جار مجرى العذر لهم فكان يكون عدم الهداية عذرا لهم اولى ولما بين تعالى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بهذه الدلالة قال تعالى ولقد وصلنا لهم القول وتوصيل القول هو اتيان بيان بعد بيان وهو من وصل
البعض بالبعض وهذا القول الموصول يحتمل ان يكون المراد منه انا انزلنا القران منجما مفرقا يتصل بعضه
ببعض ليكون ذلك اقرب الى التذكر والتنبيه فانهم في كل يوم يطلعون على حكمة اخرى وفايدة فيكونون
عند ذلك اقرب الى التذكر وعلى هذا التقدير يحتمل ان يكون هذا جوابا لقولهم هلا اوتي محمد كتابه دفعة
واحدة كما اوتي موسى كتابه كذلك ويحتمل ان يكون وصلنا اخبار الانبياء بعضهم ببعض واخبار الكفار في كيفية
هلاكهم تكثيرا من المواعظ للاتعاظ والزواجر ويحتمل ان يكون المراد بينا الدلالة على كون هذا القران
معجزا مرة بعد اخرى لعلهم يتذكرون ثم انه تعالى لما اقام النبوة اكد ذلك بان قال تعالى الذين اتيناهم الكتاب
اي من قبل القران اسلموا بمحمد عليه السلام ولا تعرف اكتبا ولهم اختلفوا في المراد بقوله تعالى الذين
اتيناهم الكتاب وذكروا وجوها احدها قال قتادة انها نزلت في اناس من اهل الكتاب كانوا على شريعة
حقة يتمسكون بها فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم امنوا به من جملتهم سلمان وعبد الله بن
سلام وثانيها قال مقاتل نزلت في اربعين رجلا من اهل الانجيل هم اصحاب السفينة جاؤا من الحبشة
مع جعفر وثالثها قال رفاعة نزلت في عشرة انا احدهم وقد عرفت ان المعتبر بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب فكل من حصل في حقه تلك الصفة كان داخلا في الاية ثم حكى عنهم ما يدل على تاكد ايمانهم وهو
قولهم امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين بيانا لقوله تعالى امنا به في كتب الانبياء
المتقدمين من البشارة بمقدمه ثم انه تعالى لما مدحهم بهذا المدح العظيم قال تعالى اولئك يؤتون اجرهم
مرتين بما صبروا وذكروا وجوها احدها انهم يؤتون اجرهم مرتين بايمانهم بمحمد عليه السلام قبل بعثته وبعد
بعثته [illegible]
[illegible]
ويدرؤن بالحسنة السيئة [illegible]
[illegible]
ثم قال تعالى ومما رزقناهم ينفقون [illegible]
[illegible]
[illegible]
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين [illegible]
[illegible]
الجاهلين [illegible]

مندوب وان كان القتال واجبا والله اعلم بالصواب **قوله تعالى** انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا وهو اعلم بالمهتدين وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شي رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون **اعلم** ان في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء فيه مسايل **المسئلة الاولى** هذه الاية دلالة في ظاهرها على كفر ابي طالب ثم قال الزجاج اجمع المسلمون على انها نزلت في ابي طالب وذلك ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بني عبد مناف اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال صلى الله عليه وسلم يا عم تامرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة فانك في اخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكن اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف **المسئلة الثانية** انه تعالى قال في هذه الاية انك لا تهدي من احببت وقال في اية اخرى وانك لتهدي الى صراط مستقيم ولا تنافي بينهما فان الذي اثبته واضافه اليه الدعوة والبيان والذي نفى عنه هداية التوفيق وشرح الصدر وهو نور يقذف في القلب فيحيى به القلب كما قال تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا **المسئلة الثالثة** احتج الاصحاب بهذه الاية في مسئلة الهدى والضلال فقالوا قوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء يقتضي ان يكون الهداية في الموضعين بمعنى واحد لانه لو كان المراد من الهداية في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وفي قوله ولكن الله يهدي من يشاء احد لا احتمل النظم ثم اما ان يكون المراد من الهداية بيان الادلة والدعوة الى الجنة او تعريف طريق الجنة او خلق المعرفة على سبيل الايجاد خلق الموفقة في القلوب على سبيل الايجاد لا جايز ان يكون المراد بيان الادلة لانه صلى الله عليه وسلم هدى الكل بهذا المعنى فهي غير الهداية التي نفى الله عنه عمومها وكذا القول في الهداية بمعنى الدعوة الى الجنة واما الهداية بمعنى تعريف طريق الجنة فهي ايضا غير مرادة من الاية لانه يقال هذه الهداية على المشيئة وتعريف طريق الجنة غير متعلق على المشيئة لانه واجب على الله تعالى والواجب لا يكون متعلقا على المشيئة ثم وجب عليه اذا عشر دنانير فقد اعطى عشرة دنانير ان شئت واما بحق الاخلاء والعرض غير جائز لان ذلك عندهم قبيح من الله تعالى في حق المكلف وفعل القبيح مستلزم للجهالة او الحاجة وهما محالان ومستلزم المحال محال فذلك محال من الله تعالى والمحال لا يجوز تعليقه على المشيئة ولما بطلت الاقسام لم يبق الا ان المراد انه تعالى يخص البعض بخلق الهداية والمعرفة ويمنع البعض منها لا يسئل عما يفعل ومتى اوردوا الكلام على هذا الوجه سقط كلما اوردوه القاضي عنه وعن ذلك اما قوله تعالى وهو اعلم بالمهتدين فالمعنى انه المختص بعلم الغيب فيعلم من يهتدي ومن لا يهتدي [illegible] **واجاب** عنها بالاجوبة الواضحة وبين ان صح الدلايل انه تعالى حكى عنهم شبهة اخرى متعلقة باحوال الدنيا وهي قولهم ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا قال المبرد الخطف الانتزاع بسرعة روي ان الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذي تقوله حق ولكنا منعنا من ذلك تخطف العرب ايانا من ارضنا اي يجتمعون على محاربتنا ويخرجوننا من ارضنا فقال الله سبحانه من وجوه احدها قوله تعالى اولم نمكن لهم حرما امنا اي اعطيناكم مسكنا لا خوف لكم فيه اما لان العرب كانوا محترمين الحرم وما كانوا يتعرضون البته لسكانه فانه يروى ان العرب خارج الحرم كانوا مشتغلين بالنهب والغارة وما كانوا يتعرضون البتة لسكانه ولقوله تعالى ومن دخله كان امنا اما قوله تعالى يجبى اليه ثمرات كل شي رزقا فهو تعالى كما بين كون ذلك الموضع خاليا عن المخاوف بين كثرة النعم فيه ومعنى يجبى يجمع من قولهم جبيت الما في الحوض اذا جمعته وقرا اهل المدينة تجبى بالتاء واهل الكوفة وابو عمرو بالياء وذلك ان تانيث الثمرات جمع وليس تانيث حقيقي فيجوز تانيثه على اللفظ وتذكيره على المعنى ومعنى الكلية الكثرة لقوله تعالى واوتيت من كل شي و حاصل الجواب انه تعالى لما جعل الحرم امنا واكثر فيه الرزق حال كونهم معرضين عن عبادة الله مقبلين على عبادة الاوثان فلو امنوا لكان بقاء هذه الحالة اولى فيا لا انقاض ولو ان الرسول قال لهم ان الذي ذكرتم من الخلاف لو كان حقا لم يكن عذرا لكم في ان لا تؤمنوا وقد ظهرت الحجة لا تنقطعوا ولو قال لهم ما ان تخطفهم بالقتل وغيره وقد امنتم كالشهادة لكم لو تقع عايد عليكم لا تنقطعوا ايضا ولو قال لهم ما قدروه من التخطف يوجب العقاب الدايم الذي اخوفكم منه ان تتمسكم على كفركم لا انقطعوا لكنه تعالى احتج بما هو اقوى من حيث بين كونهم في انهم يتخطفون من حيث عرفوا من حال السعه بالعادة ان ذلك لا يجرى وان امنوا مثله فكان اذا امكن بيانه لحسم تمويل الحجة من ساير ما ذكرنا فلذلك قدمه الله عز وجل والاية داله على صحة الحجاج الذي يتوصل به الى ازالة شبهة

المبطلين

المبطلين ففي ههنا بحثان **البحث الاول** قال صاحب الكشاف فيه انتصاب رزقا ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى يجبى اليه ثمرات كل شي ويرزق ثمرات كل شي واحد وان يكون مفعولا له وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما ينتصب عن النكرة المخصصة بالصفة **البحث الثاني** احتج الاصحاب بقوله رزقا من لدنا في ان فعل العبد خلق الله تعالى وبيانه ان تلك الارزاق انما كانت تصل اليهم لان الناس كانوا يحملونها اليهم فلو لم يكن فعل العبد خلقا لله تعالى لما صحت تلك الاضافة فان قيل سبب تلك الاضافة انه تعالى هو الذي القى تلك الدواعي في قلوب من ذهب بتلك الارزاق اليهم قلنا تلك الدواعي ان اقتضت الرجحان فقد بينا في غير موضع انه متى حصل الرجحان انقطعت الاضافة بالكلية **واعلم** انه تعالى انما بين ان تلك الارزاق ما وصلت اليهم الا من الله لاجل انهم متى علموا ذلك صاروا بحيث لا يخافون احدا سوى الله ولا يرجون احدا غير الله فيبقى نظرهم منقطعا عن الخلق متعلقا بالخالق وذلك يوجب كمال الايمان والاعراض بالكلية من غير الله والاقبال بالكلية على طاعة الله عز وجل والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب **قوله تعالى** وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلوا عليهم اياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون **اعلم** ان هذا هو الجواب الثاني عن تلك الشبهه وذلك لانه تعالى لما بين لاهل مكة ما خصوا به من النعم اتبعه بما انزله الله تعالى بالامم الماضية الذين كانوا في نعم الدنيا فلما كذبوا الرسل ازال الله تعالى عنهم تلك النعم والمقصود ان الكفار لما قالوا انا لا نؤمن خوفا من زوال نعمة الدنيا فالله تعالى بين لهم ان الاصرار على عدم قبول الايمان هو الذي يزيل هذه النعم لا الاقدام على الايمان قال صاحب الكشاف البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه وانتصب معيشتها اما بحذف الجار واتصال الفعل لقوله تعالى واختار موسى قومه او بتقدير حذف الزمان المضاف واصله بطرت ايام معيشتها فاما بتضمين بطرت معنى كفرت واما قوله تعالى فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا ففي هذا الاستثناء وجوه احدها قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يسكنها الا المسافر وما بالطريق يوما او ساعة وثانيها يحتمل ان شوم معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم وكل من سكنها من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين لها بعد هلاك اهلها واذا لم يبق للشي مالك معين قيل انه ميراث الله لانه الباقي بعد فناء خلقه ثم انه سبحانه وتعالى لما ذكر انه اهلك تلك القرى بسبب بطر اهلها فكان لسائل ان يورد السؤال من وجهين الاول لماذا اهلك الله تعالى الكفار قبل محمد عليه السلام مع انهم كانوا مستغرقين في الكفر والعناد الثاني ولماذا ما اهلكهم الله الكفار بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم مع تمادي القوم في الكفر بالله تعالى والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم فاجاب عن السؤال الاول بقوله تعالى وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلوا عليهم اياتنا وحاصل الجواب انه تعالى قدم بيان ان عدم البعثة يجري مجرى العذر للقوم فوجب ان لا يجوز اهلاكهم الا بعد البعثة ثم ذكر المفسرون وجهين **احدها** وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة والثاني وما كان ربك مهلك القرى التي في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبيا ومعنى يتلوا عليهم اياتنا اي يؤدي ويبلغ **واجاب** عن السؤال الثاني بقوله وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون انفسهم بالشرك واهل مكة ليسوا كذلك فان بعضهم قد امن وبعضهم علم الله منهم انهم سيؤمنون واخرون علم الله انهم وان لم يؤمنوا لكنه يخرج من نسلهم من يكون مؤمنا **قوله تعالى** وما اوتيتم من شي فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين **اعلم** ان هذا هو الجواب الثالث عن تلك الشبهة لان حاصل شبهتهم ان قالوا تركنا الدين لئلا تفوتنا الدنيا فبين تعالى ان ذلك خطا عليهم وثالثها انه خالصة عن الشوايب ومنافع الدنيا فبين تعالى مشوبة بالمضار والمضار فيها اكثر اما لانها ابقى فلانها دائمة غير منقطعة ومتى قوبل المتناهي بغير المتناهي كان عدما فكيف نسبت كل احد بالقياس الى منافع الدنيا كلها كالذرة بالقياس الى البحر فيظهر من هذا ان منافع الدنيا لا نسبة لها الى منافع الاخرة البتة فكان من الجهل العظيم بدل منافع الاخرة لاستيفاء منافع الدنيا على منافع الاخرة كيف يكون خارجا عن حد العقل ورحم الله الشافعي حيث قال من اوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله قال لان اعقل الناس من اعطى القليل واخذ الكثير وما هم الا المشتغلين بالطاعة فكانه انما رحمه الله انما اخذه من هذه الاية ثم انه تعالى اكد هذا الترجيح من وجه اخر وهو انا لو قدرنا ان نعم الدنيا كانت تنتهي الى الانقطاع والفنا وكانت تتصل بالعذاب الدايم لكان صريح العقل يقتضي ترجيح نعم الاخرة راجحة عليها وهذا هو المراد بقوله تعالى افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه فهو يكون لما اعطاه الله

تعالى قترًا قليلاً من متاع الدنيا ثم يكون يوم القيمة من المحضرين للعذاب والمقصود أنهم لما قالوا تركنا الدين للدنيا فقال الله تعالى لهم لو لم يحصل عقيب دنياكم مضرة العذاب لكان العقل يقتضي منافع الآخرة على منافع الدنيا فكيف وهذه الدنيا يحصل بعدها العقاب الدائم واورد لفظ المحضرين على لفظ الاستفهام لكونه ابلغ في الاعتراف بالترجيح وتخصيص لفظ المحضرين على لفظ الاستفهام بالذين احضروا العذاب امر عرف من القران قال تعالى لكنت من المحضرين فانهم لمحضرون وفي اللفظ اشعار به لان الاحضار مشعر بالتكليف والالزام وذلك لا يليق بمجالس اللذة وانما يليق بمجالس الضرر والمكاره

**قوله تعالى** ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت

عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون م

**اعلم** انه سبحانه وتعالى ذكر في هذه الاية انه يسال الكفار يوم القيامة عن ثلثة اشياء احدها قوله تعالى ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون لما ثبت ان الكفار يوم القيمة قد عرفوا بطلان ما كانوا عليه وعرفوا صحة التوحيد والنبوة بالضرورة فيقول لهم اين ما كنتم تعبدونه وتجعلونه شريكا في العبادة وتزعمون انها تشفع اين هو لينصركم ويخلصكم من هذا الذي نزل بكم ثم بين تعالى ما يقوله من حق عليه القول والمراد من القول هو قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ومعنى حق عليه القول اي حق عليه مقتضى ومتضمنه واختلفوا في ان الذي حق عليه القول من هو فقال بعضهم الرؤساء الدعاة الى الضلالة وقال بعضهم الشياطين قوله تعالى ربنا هؤلاء الذين اغوينا هؤلاء مبتدا والذين اغوينا صفته والراجع الى الموصول محذوف واغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر محذوف وتقديره اغويناهم فغووا اغيا مثل ما غوينا كما ان غيّنا باختيارنا وكذا غيهم باختيارهم يعني ان اغواءنا لهم ما الجاهم الى الغواية بل كانوا مختارين في الاقدام على تلك العقايد والاعمال وهذا معنى ما حكاه عن الشياطين بقوله تعالى ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم وقال تعالى لابليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين فقوله الا من اتبعك يدل على ان ذلك الا اتباع لهم من قبل انفسهم لا من قبل ايجاء الشيطان الى ذلك ثم قالوا تبرانا اليك منهم ومن عقايدهم واعمالهم ما كانوا ايانا يعبدون انما كانوا يعبدون اهواءهم والحاصل انهم يتبرؤن منهم كما قال تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وايضا فلا يمتنع من قوله تعالى اين شركاءي ان يريد به هؤلاء الرؤساء والشياطين فانه لما اطاعوهم فقد جعلوهم لمكان الطاعة منزلة الشريك لله تعالى واذا حمل الكلام على هذا الوجه كان جوابهم ان يقولوا الهنا هؤلاء ما عبدونا انما عبدوا اهواءهم الفاسدة وثانيها قوله تعالى وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم والاقرب ان هذا على سبيل التقريع لانهم يعلمون انه لا فايدة في دعائهم لهم فالمراد انهم لو دعوهم لم يوجد منهم اجابة في النصرة وان العذاب ثابت وكل ذلك على وجه التوبيخ وفي ذكر ردع وزجر في دار الدنيا فاما قوله تعالى لو انهم كانوا يهتدون فكثير من المفسرين زعموا ان جواب لو محذوف وذكروا فيه وجوها احدها قال الضحاك ومقاتل يعني المتبوع والتابع يرون العذاب ولو انهم كانوا يهتدون في الدنيا ما ابصروه في الاخرة وثانيها لو انهم كانوا يهتدون في الدنيا لعلموا ان العذاب حق وثالثها وراوا وحين راوا العذاب لو كانوا في الدنيا يهتدون ورابعها لو كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل لدفعوا به العذاب وخامسها قد ودوا حين راوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون اذا راوا العذاب ويؤكد ذلك قوله تعالى لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم وعندي ان الجواب غير محذوف وفي تقريره وجوه احدها ان الله تعالى اذا خاطبهم بقوله تعالى ادعوا شركاءكم فههنا يشتد الخوف عليهم ويلحقهم شيء ويصيرون بحيث لا يبصرون شيئا فقال تعالى وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون اما لو صاروا من شدة الخوف بحيث لا يبصرون شيئا لا جرم ما راوا العذاب وثانيها انه تعالى لما ذكر عن الشركاء وهي الاصنام انهم لا يجيبون الذين دعوهم قال في حقهم وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون اي هذه الاصنام كانوا يشاهدون العذاب لو كانوا من الاحياء يهتدون ولكنها ليست كذلك فلا جرم ما رات العذاب فان قيل قوله تعالى وراوا العذاب ضمير لا يليق الا بالعقلاء فكيف يصح عوده الى الاصنام قلنا هذا كقوله فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وانما ورد ذلك على حسب اعتقاد القوم فكذا ههنا وثالثها ان يكون المراد من الروية روية القلب اي والكفار علموا حقيقة هؤلاء العذاب في الدنيا لو كانوا يهتدون وهذه الوجوه عندي خير من الوجوه المبنية على ان جواب لو محذوف فان ذلك يقتضي تفكيك نظم الاية الامر الثالث من الامور التي يسال الكفار عنها قوله تعالى ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ثم قال تعالى فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا كما لا يتساءل الناس في المشكلات لانهم يتساوون جميعا في عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب قرى فعميت واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم يتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون الامر الى علم الله وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فما ظنك بهؤلاء الضلال قال القاضي هذه الاية تدل على بطلان قول الجبر لان فعلهم لو كان خلقا من الله تعالى ويجب وقوعه بالقدرة والارادة لما عميت عليهم الانباء ولقالوا انما اوتينا في تكذيب الرسل من جهة خلقك فينا تكذيبهم والقدرة الموجبة لذلك فكانت حجتهم على الله تعالى ظاهرة وكذلك القول فيما تقدم لان الشيطان كان يقول له انما اغويت بخلقك في الغواية وانما قبل من دعوته لمثل ذلك فيكون الحجة لهم في ذلك قوية والجواب

ظاهر



ظاهر **والجواب** ان القاضي لا يترك آية من الايات المشتملة على المدح والذم والثواب والعقاب الا ويعيد استدلاله بها وكما ان وجه الاستدلال في الكل هذا الحرف فكذا وجه جوابنا حرف واحد وهو ان الله تعالى علم بعدم الايمان مع وجود الايمان متنافيان لذاتيهما فمع العلم بعدم الايمان اذا امرنا بادخال الايمان الوجود فقد امرنا بجمع بين الضدين والذي اعتمد القاضي عليه في دفع هذا الحرف في كتبه الكلامية قوله خطأ قول من يقول انه يمكن وخطأ قول من يقول انه لا يمكن بل الواجب السكوت فلما اورد الكافر هذا السؤال على ربه لما كان عند ربه جواب الا السكوت فيكون حجة الكافر قوية وعذره ظاهرا فثبت ان الاشكال مشترك والله اعلم

**قوله تعالى** فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون

**اعلم** انه تعالى لما بين احوال المعذبين من الكفار وما يجري عليهم من التوبيخ اتبعه بذكر من يتوب منهم في الدنيا ترغيبا في التوبة وزجرا عن السيات فقال تعالى فاما من تاب وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وفي عسى وجوه احدها انه من الكرام تحقيق والله تعالى اكرم الاكرمين وثانيها قوله تعالى عسى ان يكونوا لذلك اذا داموا على التوبة والايمان لجواز ان يدوموا واعلم ان القوم كانوا يذكرون شبهة اخرى ويقولون لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم يعنون الوليد بن مغيرة وابا مسعود الثقفي فاجاب الله تعالى عنه بقوله وربك يخلق ما يشاء ويختار والمراد انه المالك المطلق وهو منزه عن النفع والضر فله ان يخص من شاء بما شاء لا اعتراض عليه البتة وعلى طريقة المعتزلة لما ثبت انه مطلق علم ان كل ما فعله كان حكمة وصوابا فليس لاحد ان يعترض عليه وقوله تعالى ما كان لهم الخيرة فالخيرة اسم من الاختيار فقام مقام المصدر والخيرة ايضا اسم الاختيار تقول محمد خيرة الله في خلقه اذا عرفت هذا فنقول في الاية وجهان احدهما وهو الاحسن ان يكون تمام الوقف على قوله ويختار فيكون ما نفيا والمعنى وربك يخلق ما يشاء ويختار ليس لهم الخيرة اذ ليس لهم ان يختاروا على الله تعالى ان يفعل والثاني ان يكون ما بمعنى الذي فيكون الوقف عند قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ثم تقول ويختار ما كان لهم الخيرة اي ويختار ما كان لهم فيه الخيرة قال ابو القاسم الانصاري وهذا متعلق المعتزلة في ايجاب الصلاح والاصلح عليه واي صلاح في تكليف من علم انه لا يؤمن ولو لم يكلفه لا يستحق الجنة والنعيم من فضل الله فان قيل انما استوجب على الله تعالى ما هو الافضل لان المستحق افضل من المتفضل به قلنا اذا علم قطعا انه لا يحصل ذلك الافضل فتورطه في العقاب الابدي لا يكون رعاية للمصلحة ثم قولهم المستحق خير من المتفضل به جهل لان ذلك التفاوت انما يحصل في حق من يستنكف من تفضله اما الذي ما حصل من الذات والصفات الا بخلقه وتفضله واحسانه فكيف يستنكف من تفضله ثم قال سبحان الله وتعالى عما يشركون والمقصود ان يعلم ان الخلق والاحياء والاعزاز والاذلال مفوض اليه ليس لاحد فيه شركة ولا منازعة ثم اكد ذلك بانه يعلم ما تكن صدورهم من عداوة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير غيره في النبوة ولما بين علمه بما هم عليه من الغل والحسد والسفاهة قال وهو الله لا اله الا هو وفيه تنبيه على كونه قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات منزها عن النقايص والافات مجازي المحسنين على طاعتهم ويعاقب العصاة على عصيانهم وفيه نهاية الزجر والردع للعصاة ونهاية تقوية القلب للمطيعين ويحتمل ايضا انه لما بين فساد طريقة المشركين من قوله تعالى ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي ختم الكلام في ذلك باظهار هذا التوحيد وبيان ان الحمد والثناء لا يليق الا به اما قوله تعالى وله الحمد في الاولى والاخرة فهو ظاهر على قولنا لان الثواب غير واجب عليه بل هو سبحانه يعطيه فضلا واحسانا فله الحمد في الاولى والاخرة ويؤكد ذلك قول اهل الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين اما المعتزلة فعندهم الثواب مستحق فلا يستحق الحمد بفعله من اهل الجنة واما اهل النار فما انعم عليهم حتى يستحق الحمد منهم فقال القاضي انه تعالى يستحق الحمد والشكر من اهل النار ايضا لما فعلته بهم في الدنيا من التمكين والتيسير والالطاف وساير النعم لانهم ما نالهم ما يخرج ما انعم الله عليهم من ان يستحق الشكر وهذا فيه نظر لان اهل الاخرة مضطرون الى معرفة الحق فاذا علموا بالضرورة ان التوبة على القبايح يجب على الله تعالى قبولها وعلموا بالضرورة ان الاشتغال بالذكر الواجب عليهم يوجب على الله الثواب وهم قادرون على ذلك وعالمون بان ذلك مما يخلصهم عن العذاب ويدخلهم في استحقاق الثواب فتر ان الانسان مع العلم بملك القدرة عليه يترك التوبة كلا بل وان يتوبوا وان يشتغلوا بالشكر ومتى فعلوا ذلك فقد بطل العقاب اما قوله تعالى وله الحكم فهو اما في الدنيا او في الاخرة واما في الدنيا فحكم كل واحد سواه انما نفذ بحكمه فلولا حكمه لما نفذ على العبد حكم سيده ولا على الزوجة حكم زوجها ولا على الابن حكم ابيه ولا على الرعية حكم السلطان ولا على الامة حكم الرسول فهو الحاكم في الحقيقة واما في الاخرة فلا شك هو الحاكم لانه الذي يتولى الحكم بين العباد في الاخرة فينتصف للمظلومين من الظالمين اما قوله تعالى واليه

ترجعون فالمعنى والى محل حكمه وقضائه ترجعون فان كلمة الى لانتهاء الغاية وهو تعالى منزه عن المكان والجهة
والله اعلم **قوله تعالى** قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم
بضياء افلا تسمعون قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل
تسكنون فيه افلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون **اعلم** انه تعالى لما بين من قبل بقوله تعالى وهو الله لا اله الا هو
له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون فصل عقيب ذلك بعض ما يجب ان يحمد عليه مما لا يقدر
عليه سواه فقال تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا فنبه على ان الوجه في كون الليل والنهار يتعاقبان
يتعاقبان على الزمان لان المرء في الدنيا في حال التكليف مدفوع الى ان يتعب لتحصيل ما يحتاج اليه ولا يتم
ذلك لولا الراحة والسكون بالليل فلا بد منهما والحال هذه فاما في الجنة فلا نصب ولا تعب فلا حاجة بهم الى
الليل فلذلك يدوم لهم الضياء واللذات فبين تعالى ان القادر على ذلك ليس الا الله تعالى وانما قال تعالى
افلا يسمعون افلا يبصرون لان الغرض من ذلك الانتفاع بما يسمعون ويبصرون من جهة التدبر فلما
لم ينتفعوا نزلوا منزلة من لا يسمع ولا يبصر قال الكلبي قوله تعالى افلا تسمعون معناه افلا تطيعون
من يفعل ذلك وقوله افلا تبصرون معناه افلا تبصرون ما انتم عليه من الخطاء والضلال قال صاحب الكشاف
السرمد الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلثة سرد وواحد فرد فان
قيل هلا قيل بنهار تسرحون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه قلنا ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع
التي يتعلق بها مكاسبهم ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة وانما قرن بالضياء
افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل افلا
تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه ومن رحمته زاوج بين الليل
والنهار لاغراض ثلثة لتسكنوا في احدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الاخر وهو النهار ولارادة
الشكر على المنفعتين معا **واعلم** انه وان كان السكون في النهار ممكنا وابتغاء فضل الله بالليل ممكن
الا ان الاليق بكل واحد منهما ما ذكره الله تعالى فلهذا خصه به والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى**
ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم
فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون **اعلم** انه سبحانه وتعالى لما هجن طريقة المشركين اولا ثم
ذكر التوحيد ودلائله ثانيا عاد الى تهجين طريقتهم مرة اخرى وشرح حالهم في الاخرة فقال ويوم
يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون والمعنى اين الذين ادعيتم الهيتهم لتخلصكم او ان قولكم
انها تقربنا الى الله زلفى وقد علموا ان لا اله الا الله فيكون ذلك زائدا في غمهم اذا خوطبوا بهذا القول
اما قوله تعالى ونزعنا من كل امة شهيدا فالمراد ميزنا واحدا ليشهد عليهم ثم قال بعضهم هم الانبياء
يشهدون بما فعلوا القوم من الدلائل وبلغوا في ايضاحها كل غاية ليعلم ان التقصير منهم فيكون ذلك زائدا
وقال آخرون بل هم الشهداء الذين يشهدون على الناس في كل زمان ويدخل في جملتهم الانبياء وهذا اقرب لانه تعالى
عم كل امة وكل جماعة بان ينزع منهم الشهيد فيدخل فيه الاحوال التي لم يوجد فيها النبي وهي ازمنة الفترات والازمنة
التي حصلت بعد محمد صلى الله عليه وسلم فعلموا حينئذ ان الحق لله تعالى ولرسوله وضل عنهم وغاب عنهم غيبة
الشيء الضائع ما كانوا يفترون من الباطل والكذب والله اعلم **قوله تعالى** ان قارون كان من قوم موسى
فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله
لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن
الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما اوتيته على علم عندي اولم يعلم ان
الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون **اعلم** ان ظاهر القرآن يدل
على ان قارون كان من قوم موسى فظاهر ذلك يدل على انه كان قد آمن ولا يبعد ايضا حمله على القرابة
قال الكلبي انه كان ابن عم موسى عليه السلام لانه كان قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي وموسى بن
عمران بن قاهث بن لاوي وقال محمد بن اسحق انه كان عم موسى بن عمران لانه موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث
وقارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي وعن ابن عباس انه كان ابن خالته ثم قيل كان يسمى المنور لحسن
صورته وكان اقرأ بني اسرائيل للتورية الا انه نافق كما نافق السامري اما قوله تعالى فبغى عليهم ففيه وجوها
احدها انه بغى بسبب ماله ونعمته انه استخف بالفقراء ولم يرع لهم حق الايمان ولا عظمهم مع كثرة امواله
وثانيها انه متمكن من الظلم قبل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم ثالثها قال القفال بغى عليهم اي طلب
الفضل عليهم وان يكونوا تحت يده رابعها قال الضحاك طغى عليهم واستطال عليهم فلم يوافقهم في امر خامسها
قال ابن عباس تجبر وتكبر عليهم وسخط عليهم سادسها قال شهر بن حوشب بغية عليهم انه زاد عليهم
في الثياب شبرا وهذا يعود الى التكبر سابعها قال الكلبي بغيه عليهم ان حسد هرون على الحبورة يروى

ان موسى عليه السلام



يروى ان موسى عليه السلام لما قطع البحر واغرق الله تعالى فرعون جعل الحبورة لهرون فحصلت له
النبوة والحبورة وكان القربان والذبح وكان لموسى الرسالة فوجد قارون في ذلك من نفسه فقال
يا موسى والله ما لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست في شيء لا اصبر انا على هذا فقال موسى والله
ما صنعت ذلك لهرون بل جعله الله تعالى فقال والله لا اصدقك ابدا حتى تاتيني باية تعرفها ان جعل
ذلك لهرون قال فامر موسى رؤساء بني اسرائيل ان يجيء كل رجل منهم بعصاه فحزمها فالقاها موسى عليه السلام
في قبة له وكان ذلك بامر الله ودعا موسى ربه ان يريهم بيان ذلك فباتوا يحرسون عصيهم فاصبحت
عصا موسى هارون تهتز لها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى عليه السلام يا قارون اما ترى
ما صنع الله لهرون فقال والله ما هذا باعجب مما تصنع السحرة فاعتزل قارون ومعه ناس كثير وولي هارون
الحبورة والمذبح والقربان فكانت بنو اسرائيل ياتون بهداياهم الى هارون فيضعها في المذبح وتنزل نار من السماء
فتاكلها واعتزل قارون باتباعه وكان كثير المال والتبع من بني اسرائيل فما كان ياتي موسى ولا يجالسه وروى ابو امامة
الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان قارون من السبعين المختارين الذين سمعوا كلام الله تعالى اما قوله تعالى
وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة ففيه ابحاث **البحث الاول** قال الكعبي انهم
يقولون ان الله تعالى لا يعطي الحرام فكيف اضاف الله تعالى مال قارون الى نفسه بقوله تعالى وآتيناه واجاب بانه
لا حجة في انه كان حراما لجواز ان من قدمه من الملوك جمعوا وكثروا فظفر قارون بذلك وكان بهذا الظفر طريق
التملك او وصل اليه بالارث من جهات ثم بالكسب من جهات المضاربات وغيرها وكان الكل محتملا **البحث الثاني**
المفاتح جمع مفتح بكسر الميم وهو ما يفتح به وقيل هي الخزائن وقياس واحدها مفتح بفتح الميم ويقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى
اماله والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها والعشيرة عصبة بدليل قوله تعالى في اخوة يوسف عليه السلام
ونحن عصبة وكانوا عشرة لان يوسف عليه السلام واخاه لم يكونا معهم اذا عرفت معاني الالفاظ ففيه
قولان احدهما ان المراد بالمفاتح المفاتيح وهي التي تفتح بها الابواب قالوا كانت مفاتيحه من جلود الابل وكل مفتاح
منها مثل الاصبع وكل خزانة مفتاح وكان اذا ركب قارون حملت المفاتيح على ستين بغلا ومن الناس من
طعن في هذا القول من وجهين الاول ان مال الرجل الواحد لا يبلغ هذا المبلغ ولو انا قدرنا بلدة مملوءة من الذهب
والجواهر لكانت لها اعداد قليلة من المفاتيح فاي حاجة الى تكثير هذه المفاتيح الثاني ان الكنوز هي الاموال المدخرة
في الارض فلا يجوز ان يكون لها مفاتيح والجواب عن الاول ان المال اذا كان من جنس العروض لا من جنس النقد جاز
ان يبلغ في الكثرة الى هذا الحد وايضا فهذا الذي يقال ان تلك المفاتيح بلغت ستين حملا ليس مذكورا في
القرآن فلا تقبل هذه الرواية وتفسير القرآن بان تلك المفاتيح كانت كثيرة وكان كل واحد منها معينا لشيء آخر
وكان يثقل على العصبة ضبطها ومعرفتها بسبب كثرتها وعلى هذا الوجه يزول الاستبعاد وعن الثاني ان
ظاهر الكنز وان كان من جهة العرف ما قالوا فقد يقع على المال المجموع في المواضع التي عليها اغلاق القول الثاني
وهو اختيار ابن عباس والحسن ان تحمل المفاتح على نفس المال وعلى هذا الوجه يكون هذا ابلغ وعن الشبهة ابعد قال ابن
عباس كانت خزائنه يحملها اربعون رجلا اقوياء وكانت خزائنه اربعمائة الف يحمل كل رجل عشرة آلاف
الثالث وهو اختيار ابي مسلم ان المراد من المفاتح العلم والاحاطة لقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب والمراد وآتيناه
من الكنوز ما ان حفظها والاطلاع عليها ليثقل على العصبة اولي القوة والهداية [illegible] هذه الكنوز [illegible]
[illegible] قوله تعالى لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين [illegible]
[illegible]
[illegible] وفيه وجوه احدها [illegible]
[illegible] قوله تعالى وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قال صلى الله عليه وسلم فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر
ومن الحياة قبل الموت فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة والنار

وثانيها قوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك لما امره بالاحسان بالمال امره بالاحسان مطلقا ويدخل
فيه الاعانة بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن اللقا وحسن الذكر وانما قال تعالى كما احسن الله
اليك تنبيها على قوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وخامسها قوله تعالى ولا تبغ الفساد في الارض والمراد ما كان
عليه من الظلم والبغي وقيل ان هذا القائل هو موسى عليه السلام وقال اخرون بل مومنوا قومه وكيف كان فقد
جمع في هذا الوعظ ما لو قبل لم يكن عليه مزيد لكنه ابى ان يقبل بل زاد عليه كفر النعمة قال انما اوتيته على علم عندي
وفيه وجوه احدها قال قتادة والكلبي كان قارون اقرا بني اسرايل للتورية فقال انما اوتيته لفضل واستحقاق
في ذلك وثانيها قال سعيد بن المسيب والضحاك كان موسى انزل عليه الكتاب من السما فعلم قارون ثلث العلم ويوشع
ثلثه وكالوب ثلثه فجعله ذهبا وثالثها اراد به علمه بوجوه المكاسب والتجارات ورابعها ان يكون قوله
تعالى انما اوتيته على علم اي الله تعالى اعطاني ذلك مع كونه عالما باحوالي فلو لم يكن ذلك مصلحة لما فعل
وقوله تعالى عندي اي عند ان الامر كذلك كما تقول المعنى عندي ان الامر كذلك اي مذهبي واعتقادي ذلك ثم
اجاب الله تعالى عن كلامه بقوله تعالى اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر
جمعا وفيه وجهان الاول يجوز ان يكون هذا اثباتا بعلمه بان الله قد اهلك قبله من القرون من هو اقوى منه واغنى
لانه قد قراه في التوراة واخبر به موسى عليه السلام وسمعه من حفاظ التواريخ كانه قيل له ام يعلم في جملة
ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته الثاني ويجوز ان يكون نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال تعالى
اوتيته على علم عندي فتصلف بالعلم ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين اما قوله تعالى
واكثر جمعا فاما اكثر جمعا للمال واكثر جماعة وعددا وحاصل الجواب ان اغتراره بماله وقوته وجموعه من الحظ العظيم
والله تعالى اذا اراد هلاكه لم ينفعه ولا ما يزيد عليه اضعافا فاما قوله تعالى ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون
فالمراد ان الله تعالى اذا عاقب المجرمين فلا حاجة به الى ان يسالهم عن كيفية ذنوبهم وكميتها لانه تعالى عالم بكل
المعلومات فلا حاجة الى السوال فان قيل كيف الجمع بينه وبين قوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين قلنا يحمل
ذلك على وقتين على ما قررناه وذكر ابو مسلم وجها اخر فقال السوال قد يكون للمحاسبة وقد يكون للتقرير والتبكيت
وقد يكون للاستعتاب واليق الوجوه بهذه الاية الاستعتاب لقوله تعالى ثم لا يوذن للذين كفروا
ولا هم يستعتبون هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون والله تعالى اعلم **قوله تعالى**
فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم
وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخسفنا به
وبداره الارض فما كان له من فية ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين
اما قوله تعالى فخرج على قومه في زينته فانه يدل على انه خرج باظهر زينته واكملها وليس في القران
الا هذا القدر الا ان الناس ذكروا وجوها مختلفة في كيفية تلك الزينة قال مقاتل خرج على بغلة شهبا
عليها سرج من ذهب ومعه اربعة الف فارس على الخيول وعليها الثياب الارجوانية ومعه ثلثماية
جارية بيض عليهن الحلي والثياب الحمر والبغال الشهب وقال بعضهم لا بل خرج في تسعين الفا هكذا وقال
اخرون بل على سبعماية والاولى ترك هذه المقدرات لانها متعارضة ثم ان الناس لما راوه على تلك الحالة
قال من كان منهم من يرغب في الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي من هذه الامور والاموال والراغبون يحتمل
ان يكونوا من الكفار وان يكونوا من المسلمين الذين يحبون الدنيا واما العلما واهل الدين فقالوا للذين
تمنوا ويلكم ثواب الله خير من هذه النعم لان الثواب منافع عظيمة وخالصة عن شوايب المضار ودايمة
وهذه النعم العاجلة على الضد في هذه الصفات الثلاثة قال صاحب الكشاف ويلك اصله الدعا بالهلاك
ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرضي اما قوله تعالى ولا يلقاها الا الصابرون قال المفسرون
لا يوفقها والضمير في يلقاها الى ماذا يعود فيه وجهان احدهما الى ما دل عليه قوله تعالى صالحا يعني
هذه الاعمال لا يوتيها الا الصابرون والثاني قال الزجاج ولا يلقاها هذه الكلمة وهي قولهم ثواب الله خير
الا الصابرون على اداء الطاعات والاحتراز عن المحرمات وعلى الرضا بقضاء الله تعالى في كل ما قسم من المنافع
والمضار اما قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض ففيه وجهان احدهما انه لما اسرف وبطر وعتا خسف
الله به وبداره الارض جزاء على عتوه وبطره والفا يدل على ذلك لان الفا يشعر بالعلية وثانيها قيل
ان قارون كان يوذي نبي الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت
الزكاة فصالحه عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم بحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرايل
وقال ان موسى يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا انت سيدنا وكبيرنا فمرنا بما شيت قال نبرطل فلانة البغي حتى
ترميه بنفسها فرفضه بنو اسرايل فجعل لها طستا من ذهب مملوا ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى فقال
يا بني اسرايل من سرق قطعناه ومن زنا وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال قارون فان كنت

انت قال

انت قال فان بني اسرايل يقولون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وانزل التورية ان تصدق
فتداركها الله تعالى فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى عليه السلام ساجدا يبكي وقال يارب
ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله تعالى اليه ان مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرايل ان الله تعالى
بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال
يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون الى موسى
عليه السلام ويناشدونه بالله والرحم لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاوحى الله
تعالى الى موسى عليه السلام ما افظعك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي لو اياي دعوا مرة واحدة لوجدوني
قريبا مجيبا فاصبحت بنو اسرايل يتناجون بينهم انما دعا موسى عليه السلام على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا
الله تعالى حتى خسف بداره وامواله ثم ان قارون يخسف به كل يوم قامة [illegible]
[illegible]
[illegible] **قوله**
تعالى واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و
يقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين
**اعلم** ان القوم الذين شاهدوا قارون [illegible]
[illegible]

عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون لكنه كرر ذلك لان في اسناد السيئة اليهم مكررا تهجين لحالهم وزيادة تبغيض
للسيئة الى قلوب السامعين وهذا من فضله العظيم انه لا يجزي بالسيئة الا مثلها ويجزي الحسنة بعشرة امثالها
وهاهنا سؤالان **السؤال الاول** قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها كرر ذكر الاحسان
واكتفى في ذكر الاساءة بمرة واحدة وفي هذه الاية كرر ذكر الاساءة واكتفى في ذكر الاحسان بمرة واحدة فما السبب
الجواب لان هذا المقام مقام الترغيب في الدار الاخرة فكانت المبالغة في الزجر عن المعصية مبالغة في الدعوة
الى الاخرة واما الاية الاخرى ففي شرح حالهم فكانت المبالغة في ذكر محاسنهم اولى **السؤال الثاني**
كيف قال لا تجزى السيئة الا مثلها مع ان المتكلم بكلمة الكفر اذا مات في الحال عذب ابد الاباد الجواب
لانه كان على عزم انه لو عاش ابدا لقال ذلك فعومل بمقتضى عزمه قال الجبائي وهذا يدل على بطلان مذهب
من يجوز على الله تعالى ان يعذب الاطفال عذابا دائما بغير جرم قلنا الاية تدل على انه لا يفعل فاما انه لا يجوز
ان يفعله فليس في الاية ما يدل عليه ثم انه سبحانه وتعالى لما شرح لرسوله امر القيمة واستقصى في
ذلك شرح له ما يتصل باحواله فقال تعالى ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد قال على الذي فرض
عليك احكامه وفرائضه لرادك بعد الموت الى معاد وتنكير المعاد لتعظيمه كانه قال اي معاد واي معاد
اي ليس لغيرك من البشر مثله وقيل المراد به مكة ووجهه ان يراد به يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في
ذلك اليوم معادا له شان عظيم لاستيلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها واظهار عز
الاسلام واذلال حزب الكفر والسورة مكية فكان الله تعالى وعده وهو بمكة في اذى وغلبة من اهلها
انه يهاجر منها ويعيده اليها وذكر مولده وقال مقاتل انه صلى الله عليه وسلم خرج من الغار وسار في غير
الطريق مخافة الطلب فلما رجع الى الطريق ونزل بالجحفة بين المدينة ومكة وعرف الطريق الى مكة واشتاق
اليها وذكر مولده ومولد ابيه فنزل جبريل وقال اتشتاق الى بلدك ومولدك فقال صلى الله عليه وسلم
نعم فقال جبريل عليه السلام ان الله تعالى يقول ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد يعني مكة ظاهرا
عليهم وهذا اقرب لان ظاهر المعاد انه كان فيه وفارقه وحصل العود وذلك لا يليق الا بمكة
وان كان سائر الوجوه محتملا لكن ذلك اقرب قال اهل التحقيق وهذا احد ما يدل على نبوته لانه اخبر عن الغيب
ووقع كما اخبر فيكون معجزا ثم قال تعالى قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين ووجه تعلقه بما قبله
ان الله تعالى لما وعد رسوله الرد الى المعاد قال قل للمشركين ربي اعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه
من الثواب في المعاد والاعزاز بالاعادة الى مكة ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقون من العذاب في معادهم
ثم قال لرسوله وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك ففي كلمة الا وجهان احدهما انها
للاستثناء ثم قال صاحب الكشاف هذا محمول على المعنى كانه قيل وما القي عليك الكتاب الا رحمة من ربك
ويمكن ايضا اجراؤه على ظاهره اي وما كنت ترجو الا ان يرحمك الله برحمة فينعم عليك بذلك اي
وما كنت ترجو الا على هذا الوجه والثاني ان الا بمعنى لكن للاستدراك ولكن رحمة من ربك القي اليك
ونظيره قوله تعالى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك ثم انه كلفه بامور احدها
كلفه بان لا يكون مظاهرا للكفار فقال تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين وثانيها ان قال تعالى ولا يصدنك
عن ايات الله بعد اذ انزلت اليك قال الضحاك وذلك حين دعوه الى دين ابائه ليزوجوه ويقاسموه شطرا من
مالهم اي لا يلتفت الى هؤلاء ولا تركن اليهم ثم الى قولهم فيصدك عن ايات الله وثالثها قوله تعالى وادع الى
ربك الى دين ربك واراد التشديد في دعاء الكفار والمشركين فلذلك قال تعالى ولا تكونن من المشركين
لان من رضي بطريقهم او مال اليهم كان منهم ورابعها قوله تعالى ولا تدع مع الله الها اخر وهذا وان كان
واجبا على الكل الا انه تعالى انه خاطبه به خصوصا لاجل التعظيم فان قيل الرسول كان معلوما انه لا يفعل
شيئا من ذلك البتة فما الفائدة في هذا النهي قلنا لعل الخطاب معه ولكن المراد غيره ويجوز ان يكون المعنى
لا تعتمد على غير الله ولا تتخذ غيره وكيلا في امورك فان من وثق بغير الله فكانه لم يكمل طريقه في التوحيد ثم
بين تعالى ان لا اله الا هو اي لا نافع ولا ضار ولا معطي ولا مانع الا هو كقوله تعالى رب المشرق والمغرب
لا اله الا هو فاتخذه وكيلا فلا يجوز اتخاذ اله سواه ثم قال تعالى كل شيء هالك الا وجهه وفيه مسائل
**المسألة الاولى** اختلفوا في قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فمن الناس من فسر الهلاك بالعدم والمعنى
ان الله تعالى يعدم كل شيء سواه ومنهم من فسر الهلاك باخراجه عن كونه منتفعا به اما بالاماتة او بتفريق
الاجزاء وان كانت اجزاؤه باقية فانه يقال هلك الثوب وهلك المتاع ولا يريدون به فناء اجزائه بل خروجه
عن كونه منتفعا به ومنهم من قال معنى كونه هالكا كونه قابلا للهلاك في ذاته فان كل ما عداه ممكن الوجود
لذاته وكل ما كان ممكن الوجود كان قابلا للعدم فكان قابلا للهلاك فاطلق عليه اسم الهالك نظرا الى هذا الوجه
**واعلم** ان المتكلمين لما ارادوا اقامة الدلالة على ان كل شيء سوى الله يقبل العدم والهلاك قالوا ثبت ان العالم



محدث وكل ما كان محدثا كان حقيقته قابلة للعدم والوجود وكل ذلك وجب ان يسمى في هذه الحالة ابدا لان الامكان
من لوازم الماهية لا يزول قط الا انا لما نظرنا في هذه الدلالة ما وجدناها وافية بهذا الغرض
لانهم انما اقاموا الدلالة على حدوث الاجسام والاعراض فلو قدروا على اقامة الدلالة على ان
ما سوى الله تعالى اما متحيز او قائم بالمتحيز لتم غرضهم الا ان الخصم اثبت موجودات لا متحيزة ولا
قائمة بالمتحيز فالدليل الذي يثبت حدوث المتحيز والقائم بالمتحيز لا يثبت حدوث كل ما سوى
الله الا بعد قيام الدلالة على ذلك **القسم الثالث** ولهم في نفي هذا الثالث طريقان احدهما قولهم
لا دليل عليه فوجب نفيه وهذه طريقة ركيكة بينا سقوطها في الكتب الكلامية والثاني قولهم
لو وجد موجود هكذا لكان مشاركا لله في نفي المكان والزمان والامكان ولو كان كذلك لكان مثلا
لله تعالى وهو ضعيف لاحتمال ان يقال انهما وان اشتركا في هذا السلب الا انه يتميز كل واحد
منهما من الاخر بماهيته وحقيقته فاذا كان كذلك ظهر ان دليلهم العقلي لا يفي باثبات ان كل
شيء هالك الا وجهه والذي يعتمد عليه في هذا الباب ان نقول ثبت ان الصانع العالم واجب
الوجود لذاته فيستحيل وجود موجود اخر واجب لذاته والا لاشتركا في الوجوب وامتاز كل واحد
منهما عن الاخر بخصوصية وما به المشاركة غير ما به الممايزة وكل مركب ممكن مفتقر الى جزئه ثم الجزآن
ان كانا مشتركين في الوجوب ومتمايزين بامتياز اخر فلزم تركب كل واحد منهما ايضا ويلزم التسلسل
وهو محال وان لم يكونا واجبين فالمفتقر اليهما اولى ان لا يكون واجبا فثبت ان واجب الوجود واحد وان كل ما عداه
فهو ممكن وكل ممكن فلا بد له من مرجح فان كان الاول ثبت انه محدث وان كان الثاني فافتقار الموجود الى المؤثر
اما حال حدوثه او حال بقائه والثاني باطل لانه يلزم ايجاد الموجود وهو محال فثبت ان الافتقار لا يحصل
الا حال الحدوث فثبت ان كل ما سوى الله تعالى محدث سواء كان متحيزا او قائما بالمتحيز او لا متحيزا او
لا قائما به فان صحت هذه الدلالة بذات الله تعالى وصفاته فاعلم ان كان هناك فرقا قويا واذا ثبت
حدوث كل ما سوى وثبت ان كل ما كان محدثا كان قابلا بالعدم ثبت بهذا البرهان الباهر ان كل شيء هالك
الا وجهه بمعنى كونه قابلا للهلاك والعدم ثم الذين ضبطوا الاية بذلك قالوا هذا اولى وذلك لانه
سبحانه حكم بكونها هالكة في الحال وعلى ما قلناه فهي هالكة في الحال اذا وجدت من حيث هي لم يكن مستحقا
للوجود ولا للعدم في ذاته فهذه الاستحقاقية مستحقة من ذاته واما الوجود فواجب عليه من الخارج
فالوجود له كالثوب المستعار له وهو من حيث هو هو كالانسان الفقير الذي استعار ثوبا من رجل غني
فالفقير لا يخرج بسبب ذلك عن كونه فقيرا كذا الممكنات عارية عن الوجود من حيث ما هي هي وانما
الموجود ثوب ما حصل لها بالعارية فصح انها ابدا هالكة من حيث هي هي واما الذين حملوه على انها
ستعدم فقد احتجوا بان يقال الهلاك في اللغة معنيان احدهما خروج الشيء عن كونه منتفعا به والثاني
الفنا والعدم لا جائز حمل اللفظ على الاول لان هلاكها بمعنى خروجها عن حد الانتفاع محال لانها وان تفرقت اجزاؤها
فهي منتفع بها لان النفع المطلوب كونه بحيث يمكن ان يستدل بها على وجود الصانع القديم وهذه المنفعة باقية سواء بقيت متفرقة
او مجتمعة وسواء بقيت موجودة او صارت معدومة واذا تعذر حمل الهلاك على هذا الوجه وجب حمله على الفنا اجاب من حمل
الهلاك على التفرق قال هلاك الشيء خروجه عن المنفعة التي يكون الشيء مطلوبا لاجلها فاذا مات الانسان قيل هلك لان الصفة
المطلوبة منه حياته وعقله واذا تمزق الثوب قيل هلك لان مقصود الثوب منه صلاحه للبس فاذا تفرقت اجزاء العالم
خرجت السماوات والكواكب والجبال والبحار عن صفاتها التي لاجلها كانت منتفعا بها انتفاعا خاصا فلا جرم صح اطلاق اسم
الهالك عليها فاما صحة الاستدلال بها على الصانع تعالى فهذه المنفعة ليست منفعة خاصة بالشمس من حيث هي شمس
وبالقمر من حيث هو قمر فلم يلزم من بقائها ان لا يطلق عليها اسم الهلاك ثم احتجوا على بقاء اجزاء العالم بقوله تعالى يوم تبدل الارض
غير الارض وهذا تصريح بان تلك الاجزاء باقية الا انها صارت متصفة بصفة اخرى فهذا ما في هذا الموضع **المسألة الثالثة**
احتج اهل التوحيد بهذه الاية على ان الله تعالى شيء قالوا لانه استثنى من قوله كل شيء والاستثناء يخرج ما لولاه لوجب
او لصح دخوله تحت اللفظ فوجب كونه شيئا ويؤكده ما ذكرنا في سورة الانعام وهو قوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله
واحتج جهم على انه ليس بشيء بقوله تعالى ليس كمثله شيء والكاف معناه المثل فتقدير الاية ليس مثل مثله شيء ومثل مثل الله
هو الله فوجب ان لا يكون الله شيئا جوابه ان الكاف صلة زائدة المسالة استدلت المجسمة بهذه الاية على انه تعالى
جسم من وجهين الاول قالوا الاية صريحة في اثبات الوجه وذلك يقتضي الجسمية والثاني قوله تعالى واليه ترجعون وكلمة
الى لانتهاء الغاية وذلك لا يعقل الا في الاجسام والجواب لو صح هذا الكلام فلزم ان يفنى جميع اجزائه وان لا يبقى منه
الا الوجه وقد التزم ذلك بعض المشبهة من الرافضة وهو بيان بن سمعان وذلك لا يقول به عاقل ثم من الناس
من قال الوجه هو الوجود والحقيقة فقال وجه هذا الامر كذا اي حقيقته ومنهم من قال الوجه صلة والمراد
كل شيء هالك الا هو واما كلمة الى فالمعنى والى موضع حكمه وقضائه ترجعون **المسألة الرابعة** استدلت المعتزلة

على ان الجنة والنار غير مخلوقتين لان الاية تقتضي فناء الكل فلو كانتا مخلوقتين لفنيتا فيلزم تناقض قوله تعالى في
صفة الجنة اعدت للمتقين وفي صفة النار وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين ثم اما ان نحمل قوله تعالى كل شيء هالك على الاكثر
كقوله تعالى واوتيت من كل شيء او نحمل قوله تعالى اكلها دايم على ان زمان فنايهما كان قليلا بالنسبة الى زمان بقايهما لاجرم
اطلق لفظ الدوام عليه المسالة الخامسة كل شيء هالك يدل على ان الذات ذات بالفعل لانه حكم بالشيء على الهالك
فدل على ان الشي في كونه شيئا قابل فوجب ان لا يكون المعدوم شيئا والله اعلم بالصواب تمت السورة بحمد الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم الم احسب الناس ان يتركوا في تفسير الاية وفيما يتعلق بالتفسير
مسايل **المسالة الاولى** في تفسير اول هذه السورة بما قبلها وفيه وجوه الاول لما قال الله تعالى قبل هذه السورة
ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد وكان المراد منه انه يرده الى مكة ظاهرا غالبا على الكفار ظافرا طالبا
للثار وكان فيه احتمال مشاق القتال صعب على البعض ذلك فقال تعالى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا
ولا يومرون بالجهاد الوجه الثاني هو انه تعالى لما قال في اخر السورة المتقدمة وادع الى ربك وكان في الدعا اليه الحراب والطعان
والضراب لان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا مامورين بالجهاد ان لم يومن الكافر بمجرد الدعا فشق على البعض ذلك
فقال تعالى احسب الناس ان يتركوا الوجه الثالث هو انه تعالى لما قال في اخر السورة المتقدمة كل شيء هالك الا وجهه
ذكر بعده ما يبطل قول المنكرين للحشر فقال تعالى له الحكم واليه ترجعون يعني ليس كل شيء هالكا من غير الرجوع بل هالك وله
رجوع الى الله تعالى اذا تبين هذا فاعلم ان منكري الحشر يقولون لا فايدة في التكاليف فانها مشاق في الحال ولا فايدة لها
في المال اذ لا مال ولا مرجع بعد الهلاك والزوال فلا فايدة فيها بين الله تعالى انهم اليه ترجعون بين ان الامر على ما حسبوه
بل حسن التكليف ليهذب السعيد ويعذب الكفور فقال تعالى احسب الناس ان يتركوا غير مكلفين من غير عمل
يرجعون به اليه **المسالة الثانية** في حكم افتتاح هذه السورة بحروف من التهجي ولتقدم على كلاما كليا
في افتتاح السورة بالحروف التي يشغل بها الاشتغال تقدم على الكلام المقصود شيئا غيره ليلتفت
المخاطب بسببه اليه ويقبل بقلبه عليه ثم يشرع في المقصود اذا ثبت هذا فنقول ذلك المقدم على المقصود
اما ان يكون كلاما له معنى مفهوم كقول القايل اسمع واجعل بالك الي وكن لي وقد يكون شيئا هو في معنى الكلام
المفهوم كقول القايل ازيد ويا زيد والا يا زيد وقد يكون ذلك المقدم على المقصود صوتا غير مفهوم كمن يصفر
خلف انسان ليلتفت اليه وقد يكون ذلك الصوت بغير الفم كما يصفق الانسان بيديه ليقبل السامع عليه
ثم ان توقع الغفلة كلما كان اتم والكلام المقصود كان اهم كان المقدم على المقصود اكثر ولهذا ينادي القريب بالهمزة
فيقال ازيد والبعيد بيا فيقال يا زيد والغافل اولا فيقال الا يا زيدا اذا ثبت هذا فنقول ان النبي صلى الله عليه وسلم
وان كان يقظان الجنان لكنه انسان يشغله شان عن شان فكان يحسن من الحكيم ان يقدم على الكلام المقصود حروفا
هي كالمنبهات ثم ان تلك الحروف اذا لم يكن بحيث يفهم معناها يكون اتم في افادة المقصود الذي هو التنبيه من تقديم
الحروف التي لها معنى لان تقديم الحروف اذا كان لاقبال السامع على المتكلم ما بعد ذلك فاذا كان المقدم كلاما منظوما وقولا
مفهوما فاذا سمعه السامع ربما يظن انه كل المقصود ولا كلام له بعد ذلك فيقطع الالتفات عنه اما اذا سمع منه
صوتا بلا معنى يقبل عليه ولا يقطع نظره عنه ما لم يسمع غيره لجزمه بان ما سمعه ليس هو المقصود فاذا تقدم الحروف التي
لا معنى لها في الوضع على الكلام المقصود فيه حكمة بالغة فان قال قايل فما الحكمة في الاختصاص بعد بعض السور بهذه
الحروف فنقول عقل البشر عن ادراك الاشيا الجزئية على تفاصيلها عاجز والله اعلم بجميع الاشيا لكن نذكر ما يوفقنا الله
له فنقول كل سورة صدر اولها حروف التهجي فان في اوايلها ذكر الكتاب او التنزيل او القران كقوله تعالى الم ذلك الكتاب
الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل الكتاب المص كتاب انزل اليك يس والقران الحكيم الم تنزيل الكتاب حم
تنزيل الكتاب الا ثلاث سور كهيعص الم احسب الناس الم غلبت الروم والحكمة في افتتاح السورة التي فيها
القران او التنزيل والكتاب بالحروف هي ان القران عظيم والحكمة في افتتاح السورة التي فيها القران او التنزيل
والكتاب بالحروف هي ان القران عظيم والانزال له ثقل والكتاب له عبء كما قال تعالى انا سنلقي عليك قولا
ثقيلا فكل سورة في اوايلها ذكر القران والكتاب والتنزيل قدم عليها منبه يوجب ثبات المخاطب لاستماعه
لا يقال كل سورة قران واستماعه استماع القران سواء كان فيها ذكر القران لفظا او لم يكن فكان الواجب ان يكون
في اوايل السور منبه وايضا فقد وردت سور فيها ذكر الانزال والكتاب ولم يذكر قبلها حروف كقوله تعالى الحمد لله
الذي انزل على عبده الكتاب وقوله تعالى سورة انزلناها وقوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان وقوله تعالى
انا انزلناه في ليلة القدر وقوله تعالى سورة انزلناها لانا نقول جوابا عن الاول لا ريب في ان كل سورة من القران
لكن السورة التي فيها ذكر القران والكتاب مع انها من القران تنبه على كل القران فان قوله تعالى طه ما انزلنا عليك

القران

القران لتشقى مع انها بعض القران فيها ذكر جميع القران فيصير مثاله مثال كتاب يرد من ملك على مملوكه فيه
شغل ما وكتاب اخر يرد منه عليه ان كتبت اليك كتبا فيها اوامر فامتثلها لا شك ان عبء الكتاب الاخر
اكثر من ثقل الاول وعن الثاني ان قوله تعالى الحمد لله وتبارك الذي تسبيحات مقصودة وتسبيح الله
تعالى لا يغفل عنه العبد فلا يحتاج الى منبه بخلاف الاوامر والنواهي واما ذكر الكتاب فيها فلبيان وصف
عظمة من له التسبيح وسورة انزلناها قد بينا انها بعض من القران فيها ذكر انزلناها وفي السورة التي ذكرناها
ذكر جميع القران فهو اعظم في النفس واثقل واما قوله تعالى انا انزلناه فقوله هذا ليس واردا على مشغول
القلب بشيء غيره بدليل انه ذكر الكتاب فيها وهل يرجع الى مذكور سابق او معلوم فقوله تعالى انا انزلناه
انها راجع الى المعلوم عند النبي صلى الله عليه وسلم فكان منبها قبله فاعلم ان الله قد جعل في القران
بعض الحروف التي لا يفهم معناها كما في قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم وقوله تعالى
يا ايها النبي اتق الله ويا ايها النبي لم تحرم لانها اشيا هايلة عظيمة فان تقوى الله حق تقاته امر عظيم فقدم
عليها النداء الذي يكون للبعيد الغافل عنها واما هذه السورة فافتتحت بالحروف وليس فيها الابتداء بالكتاب
والقران وذلك لان القران ثقله وعبؤه بما فيه من التكاليف والمعاني وهذه السورة فيها ذكر جميع التكاليف
حيث قال احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا يعني لا يتركون بمجرد ذلك بل يومرون بانواع من التكاليف
فوجد المعنى الذي في السورة التي فيها ذكر القران المشتمل على الاوامر والنواهي فان قيل مثل هذا الكلام وفي معناه
ورد في سورة التوبة وهو قوله تعالى ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يقدم عليه
حروف التهجي نقول الجواب عنه في غاية الظهور وهو ان هذا ابتدا كلام ولهذا وقع الاستفهام بالهمزة فقال
تعالى احسب وذلك وسط بدليل وقوع الاستفهام بام والتنبيه يكون في اول الكلام لا في اثنائه واما الم
غلبت الروم فسيجي في موضعه ان شاء الله تعالى هذا تمام الكلام في الحروف **المسالة الثالثة** في اعراب الم
وقد ذكر تمام ذلك في سورة البقرة مع الوجوه المنقولة في تفسيره ونزيدها هاهنا على ما ذكرنا ان الحروف
لا اعراب لها لانها جارية مجرى الاصوات المنبهة **المسالة الرابعة** في سبب نزول هذه الايات وفيه اقوال
الاول انها نزلت في عمار بن ياسر وعياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وكانوا يعذبون
بمكة الثاني انها نزلت باقوام بمكة هاجروا فتبعهم الكفار فاستشهد بعضهم ونجا الباقون الثالث انها نزلت
في مهجع بن عبد الله قتل يوم بدر **المسالة الخامسة** في التفسير احسب الناس ان يتركوا يعني اظنوا انهم يتركون
بمجرد قولهم امنا وهم لا يفتنون لا يبتلون بالفرايض البدنية والمالية واختلف ايمة النحو في قوله تعالى ان يقولوا
فقال بعضهم يتركوا بان يقولوا وقال بعضهم ان يتركوا يقولون امنا ومقتضى هذا انهم يمنعون من قولهم امنا
كما يفهم من قول القايل يظن انك تترك تضرب زيدا اي تمنع من ذلك وهذا بعيد فان الله تعالى لا يمنع احدا
من ان يقول امنت ولكن مراد هذا المفسر هو انهم لا يتركون يقولون امنا من غير ابتلا فيمنعون من هذا المجموع
بايجاب الفرايض **المسالة السادسة** في الفوايد المعنوية وهي ان المقصود الاقصى للعبادة والمقصد الاقصى في
العبادة حصول محبة الله تعالى كما ورد في الخبر لن يزال العبد يتقرب الي بالعبادة حتى احبه وكل من كان قلبه
اشد امتلاء من محبة الله تعالى فهو اعظم درجة عند الله تعالى لكن القلب ترجمان هو اللسان واللسان مصدقه
هي الاعضا وهذه المصدقات مزكيات فاذا قال الانسان امنت بالله ادعى محبة الله تعالى في الجنان فلا بد له
من شهود فاذا استعمل الاركان في الاتيان بما عليه بنيان الايمان حصل له على دعواه شهود مصدقات
فاذا بذل في سبيل الله تعالى نفسه وماله وزكى بترك ما سواه اعماله زكى شهوده الذين صدقوه فيما قاله
فيحرر في جرايد المحبين اسمه ويقرر في اقسام المقربين قسمه واليه الاشارة بقوله تعالى احسب الناس
ان يتركوا ان يقولوا امنا يعني اظنوا ان يقبل دعواهم بلا شهود وشهودهم بلا تزكية بل لا بد من ذلك جميعه
ليكونوا من المحبين فايدة ثانية وهي ان ادنى درجات العبد ان يكون مسلما فان ما دونه دركات الكفر فالاسلام
اول درجة يحصل للعبد فاذا حصل له هذه المرتبة كتب اسمه واثبت قسمه لكن المستخدمين عند الملوك
على اقسام منهم من يكون ناهضا في شغله ماضيا في فعله فيصل من خدمة الى خدمة اعلا منها مرتبة ومنهم من
يكون كسلا ملحقا فيصل من خدمة ادنى منها ومنهم من يترك على شغله من غير تغيير ومنهم من يقطع رسمه و
يمحى عن الجرايد اسمه فكذلك عباد الله قد يكون المسلم عابدا مقبلا على العبادة مقبولا للسعادة فيصل من مرتبة
المومنين الى درجة الموقنين وهي درجة المقربين ومنهم من يكون قليل الطاعة مشتغلا بالخلاعة فيصل من
مرتبته دونه وهي مرتبة العصاة ومنزل القساة وقد يستصغر العيوب ويستكثر الذنوب فيخرج من العباد محروما
ويلحق باهل العناد مرجوما ومنهم من سعى في اول درجته وهم البله فقال الله بشارة للمطيع الناهض احسب الناس
ان يتركوا يعني اظنوا انهم يتركون في اول المقامات لا بل ينقلون الى اعلى الدرجات فضل المجاهدين تعالى والذين
اوتوا العلم درجات فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة وقال نذارا للكسلان ان يقولوا امنا يعني اذا قال

امنت ويحلف بالعصيان يترك ويرضى منه لا سفل الى مقام ادنى وهو مقام المعاصي او الكافر **قوله تعالى** ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ذكر الله تعالى ما يوجب تسليهم فقال كذلك فعل الله بمن قبلكم لم يتركهم بمجرد قولهم امنا بل فرض عليهم العبادات وفي قوله تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا وجوه الاول قول مقاتل فليرين الله الثاني فليظهرن الله الثالث فليميزن الله والحاصل على هذا هو ان المفسرين ظنوا ان حمل الاية على ظاهرها فوجب تجدد علم الله والله تعالى عالم بالصادق والكاذب قبل الامتحان فنقول الاية محموله على ظاهرها وذلك ان علم الله تعالى صفة يظهر فيها كل ما هو واقع فقبل التكليف كان الله يعلم ان زيدا مثلا سيطيع وعمروا سيعصي ثم وقت التكليف والاتيان يعلم انه مطيع والاخر عاصي وبعد الاتيان يعلم انه اطاع والاخر انه عصى ولا يتغير علمه في شي من الاحوال وانما المتغير المعلوم ونبين هذا بمثال من الحسيات ولله المثل الاعلى وهو ان المراة الصافية اذا علقت من موضع وقوبلت بوجهها جهة ولم تحرك ثم عبر عليها زيد في لباس ثوبا ابيض فظهر فيها زيد في ثوب ابيض واذا عبر عليها عمرو في لباس اصفر فظهر فيها كذلك فهل يقع في ذهن احد ان المراة في كونها حديدا تغيرت او نقع لها في تدويرها تبدلت او يذهب وهمه الى انها في صفاتها اختلفت او تحركت عن انها عن مكانها استفلت لاحد شي من هذه الاشياء ونقطع بان المتغير الخارجات فافهم علم الله من هذا المثال اعلى من هذا المثال فان المراة ممكنة التغير وعلم الله غير ممكن عليه ذلك فقوله تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا يعني يقع من يعلم الله انه مطيع الطاعة فيعلم انه مطيع بذلك العلم وليعلمن الكاذبين يعني من قال انا مومن فكان صادقا عند الله تعالى فرض العبادات يظهر منه ذلك ويعلم من قال ذلك وكان منافقا لذلك يبين وفي قوله تعالى الذين صدقوا بصيغة الفعل وقوله الكاذبين باسم الفاعل يدل في كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضي لا يدل عليه كما يقال فلان شرب الخمر وفلان شارب الخمر وفلان نفذ امره وفلان نافذ الامر لا يفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ ومن اسم الفاعل يفهم ذلك اذا ثبت هذا فنقول وقت نزول الاية كانت الحكاية عن قوم قريبي العهد بالاسلام في اوايل ايام التكليف وعن قوم مستديمين للكفر مستمرين عليه فقال في حق المومنين الذين صدقوا بصيغة الفعل اي وجد منهم الصدق وفي حق الكافرين الكاذبين بالصيغة المنبية عن الثبات والدوام ولهذا قال تعالى يوم ينفع الصادقين صدقهم بلفظ اسم الفاعل وذلك لان في اليوم المذكور يكون الصدق قد رسخ في قلب المومن وهو اليوم الاخر ولم يكن كذلك في اوايل الاسلام والله اعلم بالصواب **قوله تعالى** ام حسب الذين يعملون السيات ان يسبقونا ساء ما يحكمون

لما بين حكم التكليف بقوله تعالى احسب الناس ان يتركوا بين ان من كلف بشي ولم يات به يعذب وان لم يعذب في الحال فسيعذب في الاستقبال ولا يفوت الله في الحال شيا ولا في المال وهذا ابطال المذهب من يقول التكاليف ارشادات ولا ايعاد عليه ترغيب وترهيب ولا يوجد من تعذيب ولو كان يعذب من كان عاجزا عن العذاب عاجلا فلم يكن يؤخر العقاب فقال تعالى ام حسب الذين يعملون السيات ان يسبقونا اي يعني ليس كما قالوا بل يعذب من يعذب ويثيب من يثيب بحكم الوعد والايعاد والله لا يخلف الميعاد واما الاهمال فلا يفضي الى الاهمال والتعجيل في جزا الاعمال شغل من يخاف الفوت لولا الاستعجال ثم قال تعالى ساء ما يحكمون يعني حكمهم بانهم يعصون ويخالفون امر الله ولا يعاقبون حكم شي فان الحكم الحسن لا يكون الا حكم العقل او حكم الشرع والعقل لا يحكم على الله بذلك فان الله تعالى له ان يفعل ما يريد والشرع حكمه بخلاف ما قالوه فحكمهم حكم في غاية السوء والرداءة والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب **قوله تعالى** من كان يرجوا لقاء الله فان اجل الله لات وهو السميع العليم

لما بين بقوله احسب الناس ان يتركوا ان العبد لا يترك في الدنيا سدى وبين في قوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيات ان من ترك ما كلف به يعذب عذابا مالكا ان من يعترف بالاخرة ويعمل لها لا يضيع عمله ولا يخيب امله وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** انا ذكرنا في مواضع ان الاصول الثلثة وهي الاول وهو الله ووحدانيته والاصل الاخر وهو اليوم الاخر والاصل المتوسط وهو النبي المرسل من الاول الموصل الى الاخر لا يكاد ينفصل في الذكر الالهي بعضها عن بعض فقوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا فيه اشارة الى الاصل الاول يعني ظنوا انه يكفي الاصل الاول وقوله تعالى وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم يعني بارسال الرسل وايضاح السبل فيه اشارة الى الاصل الثاني وقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيات مع قوله من كان يرجوا لقاء الله فيه اشارة الى الاصل الثالث وهو الاخر **المسئلة الثانية** ذكر بعض المفسرين في تفسير لقاء الله انه الروية وهو ضعيف فان اللقاء والملاقاة بمعنى وهي في اللغة بمعنى الوصول حتى ان كان بين اذا توصلا فقد تلاقا احدهما الاخر **المسئلة الثالثة** قال بعض المفسرين المراد من الرجا الخوف والمعنى من قوله من كان يرجوا لقاء الله من كان يخاف الله وهو ايضا ضعيف فان المشهور في الرجا هو توقع الخير لا غير ولانا اجمعنا على ان الرجا ورد بهذا المعنى يقال ارجوا فضل الله ولا يفهم منه اخاف فضل الله واذا كان واردا لهذا المعنى لا يكون لغيره دفعا للاشتراك **المسئلة الرابعة** يمكن ان يكون المراد باجل الله الموت ويمكن ان يكون هي الحياة الثانية بالحشر فان كان هو الموت فهذا يبنى على بقاء النفوس بعد الموت كما ورد في

الاخبار

الاحيار وذلك لان القايل اذا قال من كان يرجو الخير فان السلطان واصل منه نفهم منه ان مقصوده بوصول السلطان يكون الخير حتى انه لو وصل هو وتاخر الخير فيصح ان يقال لقايل اما قلت ما قلت ووصل السلطان ولم يظهر الخير فلو لم يحصل اللقا عند الموت لما حسن ذلك كما ذكرنا في المثال واذا ثبت هذا فلو لم يحصل اللقا لما حصل اللقا **المسئلة الخامسة** قوله تعالى من كان يرجوا شرط وجزاوه فان اجل الله لات والمعلق بالشرط عدم عند عدم الشرط فمن لا يرجو لقاء الله لا يكون اجل الله اتيا له هذا باطل **فالجواب** عنه فنقول المراد من ذكر اتيان الاجل وعدم المطيع بما بعده من الثواب يعني من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لات بثواب الله تعالى ثبات على طاعته عنده ولا شك ان من لا يرجوه لا يكون اجل الله تعالى اتيا على وجه يثاب هو **المسئلة السادسة** قال تعالى وهو السميع العليم ولم يذكر صفة غيرهما كالعزيز الحكيم وغيرهما وذلك لانه سبق القول في قوله تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا وسبق الفعل في قوله تعالى وهم لا يفتنون وبقوله فليعلمن الله الذين صدقوا وبقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيات ولا شك ان القول يدرك بالسمع والعمل منه ما يدرك بالبصر ومنه ما لا يدرك به كالمقصود والعلم يشملهما فقال تعالى وهو السميع يسمع ما قالوه وهو العليم يعلم من صدق فيما قال ممن كذب وايضا عليم يعلم فيثيب ويعاقب وهاهنا لطيفة وهي ان العبد له ثلثة امور هي اصناف حسناته احدها عمل قلبه وهو التصديق وهو لا يرى ولا يسمع وانما يعلم وعمل لسانه وهو يسمع وعمل اعضايه وجوارحه وهو يرى فاذا اتى بهذه الاشيا يجعل الله لمسموعه ما لا اذن سمعت ولمرييه ما لا عين رات ولعمل قلبه ما لا خطر على قلب احد كما وصف في الخبر ما وصف الجنه والله اعلم بالصواب **قوله تعالى** ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين

لما بين ان التكليف حسن واقع وان عليه وعدا وايعادا ليس لهما واقع بين ان طلب الله تعالى ذلك من المكلف ليس لنفع يعود اليه فانه غني مطلقا وليس شي غيره يتوقف كماله عليه ومثل هذا كثير في القران كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه وقوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** الاية السابقة مع هذه الاية يوجبان اكثار العبد من العمل الصالح واتقانه له وذلك لان من ينفع غيره فعله يطلب ملكا ويعلم ان يرده ويسره ويحسن العمل لنفسه ويسعيه واذا علم ان نفعه له ومقدر عمله يكثر منه فاذا قال الله تعالى انه سميع عليم فالعبد يحسن عمله ويخلصه له واذا قال بان جهاده يكثر منه **المسئلة الثانية** لقايل ان يقول هذا يدل على ان الاجر على العمل لان الله تعالى اذا قال من جاهد فانما يجاهد لنفسه فهم منه ان من جاهد ربح بجهاده ما لولاه لما ربح فنقول هو كذلك ولكن بحكم الوعد لا بالاستحقاق وبيانه هو ان الله تعالى لما بين ان المكلف اذا جاهد بنفسه فاذا هو اتى به هو يكون جهاده لا فعاله ولا نزاع فيه وانما النزاع في ان الله تعالى يثيب عليه على العمل لولا الوعد لا يجوز ان يحسن الى احد الا بالعمل ولا دلالة للاية عليه **المسئلة الثالثة** قوله فانما يجاهد لنفسه الحصر فينبغي ان يكون جهاد المرء لنفسه فحسب ولا ينتفع به غيره وليس كذلك فان من جاهد ينتفع به ومن يريد هو نفعه حتى ان الوالد والولد يبرد بركة المجاهد وجهاده ينتفعان فنقول ذلك نفع له فان انتفاع الولد انتفاع للاب والحصر هاهنا معناه ولا يصل الى الله منه ويدل عليه قوله تعالى ان الله لغني عن العالمين وفيه مسايل **المسئلة الاولى** يدل الاية على ان رعاية الاصلح لا تجب على الله لانه لا صلاح له لا يستفيد فايدة والا لكان مستكملا بتلك الفايدة وهي غيره فهي من العالم فيكون مستكملا بغيره فيكون محتاجا اليه وهو غني عن العالمين وايضا فافعاله غير معللة لما بينا الثانية يدل الاية على انه ليس في مكان وليس على العرش على الخصوص فانه من العالم والله غني عنه والمستغني عن المكان لا يمكن دخوله في مكان لان الداخل في المكان يشار اليه بانه هاهنا او هناك يستحيل ان لا يوجد لا هاهنا ولا هناك ويحكم العقل وادراك جسم لا في مكان وانه محال الثالثة لو قال قايل ليست قادريته محتاجا ولا عالميته بعلم ولا الكائن هو في قادريته محتاجا الى قدرة هي غيره فهو من العالم فيكون محتاجا وهو غني نقول لم قلتم ان قدرته اذ قدرته من العالم وهذا لان العالم كل موجود سوى الله بصفاته اي كل موجود سوى الله بصفاته اي كل موجود هي خارج عن مفهوم الاله الحي القادر المريد العالم السميع البصير المتكلم والقدرة ليست خارجة عن مفهوم القادر والعلم ليس خارجا عن مفهوم العالم الرابعة الاية فيها بشارة وفيها انذار لان الله تعالى اذا كان غنيا عن العالمين فلو اهلك عباده بجنايته فلا شي لعنايته عنهم وهذا يوجب الخوف العظيم واما البشارة فلانه اذا كان غنيا فلو اعطى جميع ما خلقه لعبد من عباده لا شي عليه لاستغنائه عنه وهذا يوجب الرجاء التام والله تعالى اعلم **قوله تعالى** والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سياتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون

لما بين اجمالا ان من عمل صالحا فلنفسه فبين مفصلا بعض التفصيل لان جزا المطيع الصالح عمله فقال تعالى والذين امنوا وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** انما تدل على ان الاعمال مغايرة للايمان لان العطف يوجب التغاير الباسه انما يدل على ان الاعمال داخلة فيما هو المقصود من الايمان لان تكفير السيات والجزا بالاحسن معلق عليها وهو ثمرة الايمان ومثال هذا شجرة مثمرة لا شك في ان فروعها واغصانها منها والماء الذي يجري عليها والتراب الذي حوالها غير داخل فيها لكن الثمرة لم تحصل الا بذلك الماء والتراب الذي حواليها فكذلك الاعمال الصالحة مع الايمان وايضا الشجرة لو اختلفت بها الحشيش يشوه المنظرة والاسوار الملصرة ينقص ثمرة الشجرة وان علاها عدمت الثمرة بالكلية وفسدت فكذلك الذنوب ينفعه بالايمان المسئلة الايمان هو التصديق كما قال وما انت بمصدق واختص في استعمال الشرع بالتصديق بجميع ما قال الله تعالى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التفصيل

انه قول الله او قول الرسول وعلى سبيل الاجمال فيما لم يعلم والعمل الصالح عندنا كل ما امر الله به صار صالحا بامره ولو نهى
عنه لما كان صالحا فليس الصلاح والفساد من لوازم الفعل في نفسه وبامر الله به وكذلك قصدنا الصلاح
والفساد والحسن والقبح يترتب على الامر والنهي وعندهم الامر والنهي يترتب على الحسن والقبح والمسئلة بطولها في
الاصول الرابعة العمل الصالح باق لان الصالح في مقابلة الفاسد والفاسد هو الهالك الذي لا يبقى يقال فسدت الزروع
اذا هلكت او خرجت عن درجة الانتفاع ويقال هي بعد صالحة اى باقية على ما ينبغي فاعلم هذا فنقول العمل الصالح
لا يبقى بنفسه لانه عرض ولا يبقى العامل لانه ايضا هالك كما قال تعالى كل شيء هالك فبقاؤه لابد من ان يكون
بشيء باق لكن الباقي هو وجه الله بقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فينبغي ان يكون العمل لوجه الله حتى يبقى
فيكون صالحا وما لا يكون لوجه الله لا يبقى بنفسه ولا بالعامل ولا بالمعمول له فلا يكون صالحا فالعمل الصالح
هو الذي اتى به المكلف مخلصا لله تعالى الخامسة هذا يقتضي ان يكون النية شرطا في الصالحات من الاعمال
وهذا قصد الانتفاع به وبه يندرج اليها النية في الصوم خلافا لزفر وفي الوضوء خلافا لابي حنيفة رحمه الله
السادسة العمل الصالح مرفوع لقوله تعالى والعمل الصالح يرفعه لكنه لا يرفع الا بالكلم الطيب فانه يرفع بنفسه
كما قال وهو يرفع العمل فالعمل من غير المؤمن لا يقبل ولهذا قدم الايمان على العمل وها هنا لطيفة وهي ان الاعمال الجلية
ثلاثة عمل قلبه وهو فكره واعتقاده وتصديقه وعمل لسانه وهو ذكره وشهادته وعمل جوارحه وهو طاعته وعبادته
فالعبادة البدنية لا ترفع بنفسه وانما يرفع بغيره والقول الصادق يرفع بنفسه كما تبين في الاية وعمل القلب هو الفكر
ينزل عليه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ينزل الى سماء الدنيا ويقول هل من تايب والتايب النادم بقلبه
وكذلك قوله انا عند المنكسرة قلوبهم يعني بالفكرة في عجزه وقدره في وحقارته وعظمتي ومن حيث العقل من تفكر في الاء الله
وحدانية الله وحصر في ذهنه فعلم ان عمل القلب نازل الى الله وعمل اللسان يذهب الى الله وعمل الاعضا يصل الى الله وهذا
تنبيه على فضل عمل القلب السابعة ذكر الله تعالى من اعمال العبد غير الايمان والعمل الصالح وذكر في مقابلتهما من فعل
الله تعالى امرين تكفير السيات والجزاء بالاحسن حيث قال تعالى ليكفرن عنهم سياتهم ولنجزينهم فتكفير السيات في مقابلة
الايمان والجزا بالاحسن في مقابلة العمل الصالح وهذا يقتضي امورا الاول المومن لا يخلد في النار لان بايمانه تكفر
السيات فلا يخلد في العذاب والثاني الجزاء الاحسن المذكور ها هنا غير الجنة وذلك الاحسن يكون غير الجنة
وهو ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا يبعد ان هو الرؤية الامر الثالث هو ان الايمان
يستر قبح الذنوب في الدنيا فيجزيه تعالى الجزاء الحسن في العقبى فالايمان اذا لا يبطله العصيان بل هو يغلب المعاصي
ويسترها ويحمل صاحبها على الندم الثامنة قوله تعالى لنكفرن عنهم سياتهم يستدعي وجود السيات حتى
يكفر والذين امنوا وعملوا الصالحات باسرها يكون لهم سيئة فنقول الجواب عنه من وجهين احدهما ان وعد الجميع
باشيا لا يستدعي وعد كل واحد من تلك الاشيا مثاله اذا قال الملك لاهل بلد اذا اطعتموني اكرم ابنا بكم
وانعم عليكم واحسن اليكم لا يقتضي هذا انه يكرم اما من لم يطع ابوه او يحترم ابن من لا ولد له ولا يلزم منه انه
يكرم من له ابا ويحترم من له ابن فكذلك يكفر سيئة من له سيئة الجواب الثاني ما من مكلف الا وله سيئة اما
غير الانبياء فظاهر واما الانبيا فلان ترك الافضل منهم كالسيئة من غيرهم ولهذا قال تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم
التاسعة قوله تعالى ولنجزينهم احسن يحتمل وجهين احدهما لنجزينهم باحسن اعمالهم وثانيهما لنجزينهم احسن من
اعمالهم وعلى الوجه الاول معناه نقدر باعمالهم احسن ما يكون ونجزيهم عليها الا انه يختار منها احسنها ونجزي عليه ونترك
الباقي وعلى الوجه الثاني معناه قريب من معنى قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وقوله تعالى فله خير
منها العاشرة ذكر حال المسيء مجملا بقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا اشارة الى التعذيب
مجملا وذكر حال المحسن بقوله تعالى ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ومفصلا بهذه الاية ليكون ذلك اشارة الى ان
رحمته اتم من غضبه وفضله اعم من عدله والله اعلم بالصواب **قوله تعالى** ووصينا الانسان بوالديه
حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون

وفي الاية مسائل **المسئلة الاولى** ما وجه تعلق الاية بما قبلها فنقول لما بين الله تعالى حسن التكاليف
ووقوعها وبين ثواب من حقق التكاليف اصولها وفروعها تحريضا للمكلف على الطاعة ذكر المانع ومنعه من
ان يختار اتباعه فقال الانسان اذا انقاد لاحد ينبغي ان ينقاد لابويه ومع هذا لو امراه بالمعصية لا يجوز اتباعهم
فضلا عن غيرهم فلا يمنعن احدكم شيء من طاعة الله تعالى ولا يتبعن احدا يامر بمعصية الله **المسئلة الثانية**
في القراة قرئ حسنا واحسانا وحسنا اظهرها ومن قرا احسانا فمن قوله تعالى وبالوالدين احسانا والتفسير على
القراة المشهورة هو ان الله تعالى وصى الانسان بان يفعل مع والديه حسنا الثاني في الفعل والقول وذكر حسنا
ليدل على الكمال كما يقال ان لزيد ما لا **المسئلة الثالثة** قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا يدل
على ان متابعتهم في الكفر لا يجوز وذلك لان الاحسان بالوالدين وجب بامر الله تعالى فلو ترك العبد عبادة الله بقول
الوالدين لترك طاعة الله تعالى فلا يبقى استحقاق ما وصاه به فلا يحسن الى الوالدين فاتباع العبد والديه لاجل الاحسان اليهما





يفضي الى ترك الاحسان اليهما وما يفضي وجوده الى عدمه باطل فالاتباع باطل واذا امتنع من الشرك بقي على الطاعة
والاحسان اليهما من الطاعة فياتي به بترك هذا الاحسان صورة يفضي الى الاحسان حقيقة الرابعة الاحسان
بالوالدين مامور به لانهما سبب وجود الولد وسبب بقايه بالتربية المعتادة وهما سبب مجازا والله تعالى
سبب له في الحقيقة بالارادة وسبب بقايه بالاعادة للسعادة فهو اولى بان يحسن العبد حاله معه ثم قال
تعالى وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم يعني التقليد في الايمان ليس بجيد فضلا عن التقليد في الكفر
فاذا امتنع الانسان فيه من التقليد ولا يطيع بغير العلم لا تطيعهما اصلا لان العلم بجهة قولهما محال
الحصول فاذا لم يشرك تقليدا ويستحيل الشرك مع العلم فالشرك لا يحصل منه قط اما قوله تعالى الى مرجعكم
فانبئكم بما كنتم تعملون يعني عاقبة عاقبتكم وما لكم الي وان كان اليوم مخالطتكم ومجالستكم مع الاباء والاولاد
والاقارب والعشاير ولا شك ان من يعلم ان مجالسته مع واحد حالية منقطعة وحضوره بين يدي
غيره دايم غير منقطع لا يترك مراضي من يدوم معه صحبته ويرضى من يتركه في زمان اخر ثم قوله تعالى
فانبئكم فيه لطيفة وهي ان الله تعالى يقول لا تطيعوا غايب عنكم فاباؤكم حاضرون فيما فتقولون
الحاضرين في الحال اعتمادا على غيبتي وعدم علمي بمخالفتكم اياي فاني حاضر معكم اعلم ما تفعلون ولا انسى
فانبئكم بجميعه والله تعالى اعلم **قوله تعالى** والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين
في الاية مسايل **المسئلة الاولى** ما الفايدة في اعادة الذين امنوا وعملوا الصالحات مرة اخرى فنقول
الله تعالى ذكر من المكلفين قسمين مهتديا وضالا بقوله تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن
الكاذبين وذكر حال الضال مجملا وحال المهتدي مفصلا بقوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات
لنكفرن ولما تم ذلك ذكر قسمين اخرين هاديا ومضلا فقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا
يقتضي ان يهديهما وقوله تعالى وان جاهداك لتشرك بيان اضلالهما وقوله تعالى الى مرجعكم فانبئكم
بطريق الاجمال تهديد المضل وقوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات على سبيل التفصيل وعد الهادي
فذكر الذين امنوا وعملوا الصالحات مرة لبيان حال المهتدي ومرة اخرى لبيان حال الهادي والذي يدل
عليه هو ان قوله تعالى ونكفرن عنهم سياتهم وقال ثانيا لندخلنهم في الصالحين والصالحين هم
الهداة لانها مرتبة الانبياء قال كثير من الانبياء الحقني بالصالحين الثانية قد ذكرنا ان الصالح باق
والصالحون باقون وبقاؤهم ليس بانفسهم بل باعمالهم وهذا على الباقية واعمالهم ماضية والمعمول هو وجه الله
تعالى والعاملون باقون ببقاء اعمالهم وهذا على خلاف الدنيوية فان في الدنيا بقاء الفعل بالفعل
بالفاعل وفي الاخرة بقاء الفاعل بالفعل الثالثة قيل في معنى قوله تعالى لندخلنهم في الصالحين
لندخلنهم في مقام الصالحين او في دار الصالحين والاولى ان يقال لا حاجة الى الاضمار بل يدخلهم في
الصالحين اى يجعلهم منهم ويدخلهم في عدادهم كما [illegible] الرابعة قال الحكماء عالم
العناصر عالم الكون والفساد وما فيه [illegible]
او عالم السموات لا كون فيه ولا فساد بل يوجد من عدم [illegible]
فانه يصير ترابا او شيا اخر [illegible] لندخلنهم
في الصالحين اى [illegible] والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى** ومن الناس
من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن
انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **المسئلة الاولى** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ولا يدري ما في قلبه فيلتبس الامر عليه واما الله تعالى فهو عليم بذات الصدور وهو اعلم بما في صدور الانسان من
الانسان فلا يلتبس عليه الامر وهذا اشارة الى ان الاعتبار بما في القلب والمنافق الذي يظهر الايمان ويضمر الكفر
والمومن المكره الذي يظهر الكفر ويضمر الايمان مومن والله اعلم بما في صدور العالمين ولما بين انه تعالى اعلم العالمين
بما في قلوب العالمين بين انه يعلم المومن المحق وان لم يتكلم والمنافق وان تكلم فقال تعالى وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن
المنافقين وقد سبق تفسيره لكن فيه مسئلة واحدة وهي ان الله تعالى قال فليعلمن الله الذين صدقوا وقال هاهنا
وليعلمن الله الذين امنوا فنقول لما كان الذكر هناك للمومن والكافر في قوله كاذب الله واحد ولم يكن هناك ذكر ما
يضمر خلاف ما يظهر فكان الحاصل هناك قسمين صادق وكاذب وكان هاهنا المنافق في قوله فانه كان يقول الله واحد
فاعتبر امر القلوب في المنافق فقال تعالى وليعلمن المنافقين واعتبر امر القلوب في المومن وهو التصديق فقال تعالى
وليعلمن الله الذين امنوا **قوله تعالى** وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
وما هم بحاملين من خطاياهم من شي انهم لكاذبون لما بين الله تعالى الفرق الثلاثة واحوالهم وذكر ان الكافر يدعوا
من يقول امنت الى الكفر بالفتنة وبين ان عذاب الله فوقها فكان الكافر يقول للمومن نصبر على الذل وعلى الايذا لاي شي
ولم لا يدفع عن نفسك الذل والعذاب بموافقتنا فكان جواب المومنين انه يقول خوفا من عذاب الله تعالى على خطيئة
مذهبكم فقالوا لا خطية وان كان فيه خطية فعلينا وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** ولنحمل صيغة امر والمامور
غير الامر فكيف يصح امر النفس من الشخص فنقول الصيغة امر والمعنى شرط وجزا اي ان اتبعتمونا حملنا خطاياكم
قال صاحب الكشاف هو في معنى قول من يقول ليرا(?) اجتماع الامرين في الوجود فيقول ليكن منك الخطاء
ولكن مني الدعا فقوله تعالى ولنحمل اي ليكن منا الحمل فليس في الحقيقة امر طلب الثانية قال تعالى وما هم بحاملين
من خطاياهم وقال بعدهم وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فهناك نفي الحمل وهاهنا اثبت الحمل فكيف الجمع
بينهما فنقول قول القايل حمل فلان على فلان يفيد ان حمل فلان قد خف وان لم يخف حمله فلا يكون قد حمل منه
شيا فلذلك هاهنا ما هم بحاملين من خطاياهم يعني لا يرفعون عنهم خطية وهم يحملون اوزارا بسبب
اضلالهم ويحملون اوزارا بسبب ضلالتهم كما قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فله وزرها
ووزر من عمل بها الى يوم القيمة من غير ان ينقص من وزره شي الثالثة الصيغة امر والامر لا يدخله
التصديق والتكذيب فكيف يفهم قوله انهم لكاذبون فنقول قد تبين ان معناه شرط وجزاء فكانهم
قالوا ان تتبعونا نحمل خطاياكم وهم كذبوا فيها فانهم لا يحملون شيا والله اعلم **قوله تعالى**
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسالن يوم القيمة عما كانوا يفترون يحتمل ثلثة اوجه احدها
كان قولهم ولنحمل خطاياكم صادرا لاعتقادهم ان لا خطية في الكفر ثم يوم القيمة يظهر لهم خلاف ذلك
فيسالون ويقال لهم اما قلتم الا خسر(?) وثالثها انهم لما قالوا ان تتبعونا نحمل خطاياكم فيقال لهم فاحملوا
خطاياهم فلا يحملون فيسالون ويقال لهم لم افتريتم والله تعالى اعلم **قوله تعالى** ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون وجه تعلق الاية
بما قبلها هو ان الله تعالى لما بين التكليف وذكر اقسام المكلفين ووعد المومن الصادق الثواب العظيم والمنافق
العذاب الاليم وكان قد ذكر ان هذا التكليف ليس مختصا بالنبي واصحابه وامته حتى صعب عليهم ذلك بل قبله
كان كذلك كما قال تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم ذكر من جملة من كلف جماعة منهم نوح عليه السلام
وقومه ومنهم ابرهيم عليه السلام وغيرهما اما قوله تعالى فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما وفي
الاية مسايل **المسئلة الاولى** ما الفايدة في ذكر مدة لبثه نقول كان النبي صلى الله عليه وسلم يضيق
صدره بسبب عدم دخول الكفار في الاسلام واصرارهم على الكفر فقال نوحا لبث الف سنة تقريبا في الدعا
ولم يومن من قومه الا قليل وصبر وما ضجر فانت اولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة عدد
امتك وايضا كان الكفار يغترون بتاخير العذاب عنهم اكثر ومع ذلك ما نجوا فبهذا المقدار من التاخير
لا ينبغي ان يغتروا فان العذاب يلحقهم **المسئلة الثانية** قال بعض العلما ان الاستثنا في العدد تكلم بالباقي
فاذا قال القايل لفلان علي عشرة الا ثلثة فكانه قال علي سبعة اذا علم هذا فقوله الف سنة الا خمسين
عاما تسع ماية وخمسين سنة فما الفايدة في العدول عن هذه العبارة الى غيرها فنقول قال الزمخشري فيه فايدتان
احدهما ان الاستثنا يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فان من قال عاش فلان الف سنة يمكن ان يتوهم انه
يقول الف سنة تقريبا لا تحقيقا فاذا قال الا شهرا او الا سنة يزول ذلك التوهم ويفهم منه التحقيق الثانية هو ان ذكر لبث
نوح عليه السلام في قومه كان لبيان انه صبر كثيرا والنبي صلى الله عليه وسلم اولى بالصبر مع قصر مدة دعايه واذا كان كذلك فذكر
العدد الذي في اعلا مراتب الاعداد التي لها اسم مفرد موضوع فان مراتب الاعداد هي الاحاد الى العشرة والعشرات الى الماية والمايات
الى الالف ثم بعد ذلك يكون التكثير بالتكرير فيقال عشرة الاف وبيانه الف والف الف **الثالثة** قال بعض الاطبا العمر
الانساني لا يزيد على ماية وعشرين والاية تدل على خلاف قولهم والعقل يوافقها لان البقا على التركيب الذي في الانسان ممكن لذاته

والالما



والالما بقي ودوام ما سبق الموثر فيه ممكن لان الموثر فيه ان كان واجب الوجود فظاهر الدوام وان كان غيره فله موثر
وينتهي الى الواجب وهو دايم فتاثيره يجوز ان يكون دايما فاذا الشي ممكن في ذاته فان لم يكن له معارض يكون العارض ممكن
العدم والالما بقي هذا المقدار لوجوب وجود العارض المانع فظهر ان كلامهم على خلاف العقل والنقل ثم نقول لا نزاع بيننا وبينهم
لانهم يقولون العمر الطبيعي لا يكون اكثر من ماية وعشرين سنة ونحن نقول هذا العمر ليس طبيعيا بل هو عطا الهي واما العمر الطبيعي
فلا يدوم عندنا ولا يحطه فضلا عن ماية او اكثر والله اعلم اما قوله تعالى فاخذهم الطوفان وهم ظالمون فيه اشارة الى
لطيفة وهو ان الله تعالى لا يعذب على مجرد وجود الظلم والا لعذب من ظلم وتاب وان الظلم وجد منه وانما يعذب على الاصرار
على الظلم فقوله تعالى وهم ظالمون يعني اهلكهم وهم على ظلمهم ولو كانوا تركوها لما اهلكهم **قوله تعالى** فانجيناه واصحاب
السفينة وجعلناها اية للعالمين وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون
في الراجع اليه الها في قوله جعلناها وجهان احدهما انه السفينة انها تحدث حين ظهور الما ولولا اعلام الله نوحا واياه
به لما اشتغل بها فلم تحصل لهم النجاة وثانيهما ان نوحا امر باخذ قوم معه ورفع قدر من القوت والبحر العظيم لا يتوقع
احد نضوبه ثم ان الما غيض قبل نفاد الزاد ولولا ذلك لما حصلت النجاة فهو بفضل الله تعالى لا بمجرد السفينة والثاني
ان الله تعالى كتب سلامة السفينة عن الرياح المزعجة والحيوانات الموذية ولولا ذلك لما حصلت النجاة والثاني
انها راجعة الى الواقعة او الى النجاة اي جعلنا الواقعة او النجاة اية للعالمين اما قوله تعالى وابرهيم اذ قال لقومه لما فرغ
من الاشارة الى حكاية نوح عليه السلام ذكر حكاية ابرهيم عليه السلام وفي ابرهيم وجهان من القراة احدهما النصب
وهو المشهور والثاني الرفع على معنى ومن المرسلين ابرهيم والاول فيه وجهان احدهما انه منصوب بفعل غير مذكور
وهو معنى اذكر اي اذكر ابرهيم والثاني انه منصوب بمذكور وهو قوله تعالى ولقد ارسلنا فيكون كانه قال وارسلنا ابرهيم
وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** اذ قال لقومه ظرف ارسلنا ابرهيم اذ قال لقومه لكن قوله لقومه اعبدوا الله
دعوة والارسال قبل الدعوة فكيف يفهم قوله وارسلنا ابرهيم حين قال لقومه مع انه يكون مرسلا قبله فنقول الجواب
عنه من وجهين احدهما ان الارسال امر ممتد فهو حال قوله لقومه اعبدوا الله كان مرسلا وهذا كما يقول
القايل وقفت للامير اذ خرج من الدار وقد يكون الوقوف قبل الخروج لكن لما كان الوقوف ممتدا الى ذلك
الوجه الثاني هو ان ابرهيم عليه السلام بمجرد هداية الله اياه كان يعلم فساد قول المشركين وكان يهديهم
الى الرشاد قبل الارسال ولما كان هو مشتغلا بالدعا الى الاسلام ارسله الله تعالى وقوله اعبدوا الله
واتقوه اشارة الى التوحيد لان اثبات الاله نفي غيره فقوله اعبدوا الله واتقوه اشارة الى الاثبات
وقوله واتقوه فيه اشارة الى نفي الغير لان من يشرك مع الملك غيره في ملكه يكون قد اتى باعظم الجرايم
ويمكن ان يقال اعبدوا الله واتقوه اشارة الى الاتيان بالواجبات وقوله تعالى واتقوه اشارة الى الامتناع
عن المحرمات ويدخل في الاول الاعتراف بالله وفي الثاني الامتناع من الشرك ثم قوله تعالى ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون
يعني عبادة الله وتقواه خير والامر كذلك لان خلاف عبادة الله تعالى تعطيل وخلاف تقواه تشريك
وكلاهما عقلا واعتبارا اما عقلا فلان الممكن لا بد له من موثر لا يكون ممكنا قطعا للتسلسل هو
واجب الوجود فلا تعطيل اذ لنا له واما التشريك فبطلانه عقلا وكون خلافه خيرا هو ان الشريك
الواجب ان لم يكن واجبا فكيف يكون شريكا وان كان واجبا لزم وجود واجبين فيشتركان في الوجوب
ويتباينان في الالهية واما به الاشتراك غير ما به الامتياز فيلزم التركيب فيهما فلا يكونان واجبين
لكونهما مركبين فيلزم التعطيل واما التعطيل فلان الشرف فيمن يكون ملكا او قرب ملك لكن الانسان
لا يكون ملكا للسموات والارضين فاعلا درجاته ان يكون قرب الملك لكن القرابة بالعبادة كما قال الله
تعالى فاسجد واقترب فالمعطل لا ملك ولا قرب ملك وقال لن يتقرب المتقربون الى بمثل اداء ما افترضت
عليهم وقال لا يزال العبد يتقرب بالعبادة الى فالمعطل لا ملك ولا قرب ملك بعدم اعتقاده بملك
فلا مرتبة له اصلا واما التشريك فلان من يكون سيده لا نظير له يكون اعلى رتبة ممن يكون سيده
له شركا خسيسة فاذا من يقول ان ربي لا يماثله شي اعلى مرتبة ممن يقول سيدي صنم منحوت عاجز
مثله فثبت ان عبادة الله تعالى وتقواه خير وهو خير لكم اي لكنا ليس ان كانوا يعلمون ما ذكرنا من الدلايل
والاعتبارات **قوله تعالى** انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون ذكر بطلان مذهبهم بابلغ الوجوه
وذلك ان المعبود اما يعبد لاجل امور اما لكونه مستحقا للعبادة لذاته كالعبد يخدم سيده الذي
اشتراه سوا اطعمه من الجوع او منعه من الجوع واما لكونه نافعا في الحال كمن يخدم غيره لخير متوقعا منه امرا
في المستقبل واما لكونه خايفا منه فقال ابرهيم عليه السلام انما تعبدون اوثانا اشارة الى انها لا يستحق
العبادة لذاتها لكونها اوثانا منحوتة لا شرف لها وقوله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون
لكم رزقا اشارة الى عدم المنفعة في الحال وفي المال وهذا لان النفع اما في الوجود او في البقا لكن ليس منهم

في الوجود نفع لان وجودهم منكم من حيث تخلقونها وتنحتونها ولا نفع في البقا لكن منهم لان ذلك بالرزق وليس
ذلك منهم ثم قال كل ذلك حاصل من الله فاعبدوه فقال تعالى فابتغوا عند الله الرزق فقوله الله اشارة الى
استحقاق عبوديته لذاته وقوله اشارة الى حصول النفع منه عاجلا واجلا وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى**
قال تعالى يملكون لكم رزقا فقال تعالى فابتغوا عند الله معرفا لما الفايدة فنقول قال الزمخشري قال تملكون في موضع
النفي اي لا رزق عندهم اصلا وقال معرفه عند الاثبات عند الله اي كل الرزق عنده فاطلبوا منه وفيه وجه اخر وهو
ان الرزق من عند الله معروف بقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والرزق من الاوثان غير معلوم فقال
تعالى لا يملكون لكم رزقا لعدم حصول العلم به قال تعالى فابتغوا عند الله الرزق الموعود به ثم قال تعالى فاعبدوه اي اعبدوه
لكونه مستحقا للعبادة ثم انه قال تعالى واشكروا له اولكونه سابقا النعم بالخلق واصلها بالرزق واليه ترجعون
اي اعبدوه لكونه مرجعا منه يتوقع الخير لا غيره والله اعلم بالصواب **قوله تعالى** وان تكذبوا فقد كذب امم
من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ **اعلم** انه لما فرغ من بيان التوحيد اتى بالتهديد فقال تعالى وان يكذبوك
وفي المخاطب بهذه الاية وجهان احدهما انه قوم ابرهيم عليه السلام والاية حكاية عن قوم ابرهيم عليه السلام
قال لقومه ان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وانا اديت ما علي من التبليغ فان الرسول ليس عليه الا البلاغ
والثاني انه خطاب مع قوم محمد صلى الله عليه وسلم ووجهه وهو ان الحكايات اكثرها انما تكون لمقاصد
لكونها تسلي لطلب الحكاية ولهذا كثيرا ما يقول الحاكي لاي شي حكيت هذه الحكاية فالنبي صلى الله عليه وسلم كان قصده تذكير
قومه بحال من مضى حتى يمتنعوا من التكذيب ويرتدعوا خوفا من التعذيب فقال في اثنا حكايتهم يا قوم ان تكذبوا فقد كذب
امم من قبلكم اقوام واهلكوا فان تكذبوا اخاف عليكم ما جا على غيركم وعلى الوجه الاول في الاية مسايل **المسئلة الاولى**
ان قوله فقد كذب امم كيف يفهم مع ان ابرهيم عليه السلام لم يسبقه الا قوم نوح عليه السلام وهم امة واحدة والجواب
عنه من وجهين احدهما ان قبل نوح عليه السلام كان اقوام يقومون ادريس وقوم شيث وادم عليهم السلام والثاني
ان نوحا عاش الفا واكثر وكان القرن يموت ويجي اولاده والابا يوصون الابنا بالامتناع عن الاتباع فكفى بقوم نوح عليه السلام
امما **المسئلة الثانية** ما البلاغ وما المبين فنقول البلاغ هو ذكر مسايل والابانة هو اقامة البرهان عليه
**المسئلة الثالثة** الاية تدل على ان تاخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز لان الرسول اذا بلغ شيئا ولم يبينه فهو ما اتى بالبلاغ
المبين والله اعلم بالصواب **قوله تعالى** اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله
لما بين الاصل وهو التوحيد واشار الى الاصل الثاني وهو الرسالة بقوله تعالى وما على الرسول الا البلاغ المبين شرع
في بيان الاصل الثالث وهو الحشر وقد ذكرنا مرارا ان الاصول الثلاثة لا يكاد ينفصل بعضها عن بعض في الذكر الالهي
فاين ما يذكر الله تعالى فيها اثنين يذكر الثالث وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** متى راى بدء الخلق حتى يقال اولم
يروا كيف يبدئ الله فنقول المراد العلم الواضح الذي كالروية والعاقل يعلم ان المبدئ من الله لان الخلق الاول
لا يكون من مخلوق والا لما كان الخلق الاول خلقا اول فقوله من الله هذا اذا قلنا ان المراد بيان نفس الخلق وان
قلنا ان المراد بالبدء خلق الادمي اولا وبالاعادة خلقه ثانيا فنقول العاقل لا يخفى عليه ان خالق نفسه ليس
الا قادرا حكيما يصور الاولاد في الارحام ويخلقه من نطفة في غاية الاتقان والاحكام فذلك الذي خلق الله اولا
معلوم ظاهر فاطلق على ذلك العلم لفظ الروية وقال تعالى اولم يروا اي الم يعلموا علما ظاهرا واضحا كيف يبدا الله الخلق
يخلقه من تراب ثم يجمعه فذلك يجمع اجزاءه من التراب وينفخ فيه روحه بل هو اسهل بالنسبة اليكم فان من نحت حجارا او روع
شيئا بحث شي ففرقه ثم ما فاته يقول صنعته شيئا من نحت شي في هذه التسوية اسهل علي لان الحجارات منحوتة ومعلوم
ان اية واحدة منها تصلح لان تكون تحت الاخرى وعلى هذا المخرج خرج كلام الله في قوله تعالى بل هو اهون عليه واليه
الاشارة بقوله تعالى ان ذلك على الله يسير **المسئلة الثانية** قال تعالى اولم يروا كيف يبدا الله الخلق ثم يعيده
على الروية بالكيفية لا بالخلق وما قال اولم يروا ان الله خلق او بدا الخلق والكيفية غير معلومة فنقول هذا
العقد من الكيفية معلوم وهو انه خلقه ولم يك شيئا مذكورا وانه خلقه من نطفة هي من غذا وهي من ماء
وتراب وهذا القدر كاف في حصول العلم بامكان الاعادة فان الاعادة مثله **المسئلة الثالثة** قال ثم يعيده
ان ذلك على الله يسير كما قال ثم يعيده ابرز اسمه مرة اخرى ولم يقل ان ذلك عليه يسير كما قال ثم يعيده من غير
ابراز فنقول مع اقامة البرهان على انه يسير اكده باظهار اسمه فانه يوجب المعرفة ايضا بكون ذلك
يسيرا فان الانسان اذا سمع لفظ الله وفهم معناه انه الحي القادر بقدرة كاملة لا يعجزه شي العالم بعلم محيط
بذوات كل جسم نافذ الارادة لا راد لما اراده يقطع بجواز الاعادة والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى**
قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الاخرة ان الله الاية المتقدمة كانت
الاشارة الى علم الحدسي وهو الحاصل من غير طلب فقال اولم يروا على سبيل الاستفهام بمعنى استبعاد عدمه
وقال في هذه الاية ان لم يحصل لكم هذا العلم فتفكروا في اقطار الارض لتعلموا بالعلم الفكري وهذا لان الانسان له مراتب
في الادراك بعضهم يدرك شيئا من غير تعليم واقامة برهان له وبعضهم لا يفهمه الا باياته وبعضهم لا يفهمه



المبين

يسير

على كل شي قدير

اصلا فقال ان كنتم لستم من القبيل الاول فسيروا فكركم في الارض واخلوا اذهانكم في الحوادث الخارجة عن انفسكم
لتعلموا بدا الخلق وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** فان في الاية باللفظ الروية وفي هذه بلفظ النظر
يفضي الى الروية يقال نظرت فرايت والمفضي الى الشي دون ذلك فقال في الاولى ما حصل لكم الروية فانظروا
في الارض ليحصل لكم الروية **المسئلة الثانية** ذكر هذه بصيغة الامر وفي الاية الاخرى بصيغة الاستفهام
لان العلم الحدسي حصل فالامر به تحصيل الحاصل وان لم يحصل فلا يحصل بالطلب لان بالطلب يكون الحاصل
فكريا فيكون الامر به تكليفا لا يطاق واما العلم الفكري فهو مقدور فورد الامر به **المسئلة الثالثة**
ابرز اسم الله في الاية الاولى عند البدا حيث قال كيف يبدا الله واضمر عند الاعادة وفي هذه الاية
اضمر عند البدا وابرزه عند الاعادة حيث قال تعالى ثم الله ينشئ لان في الاية الاولى لم يسبق ذكر الله
بفعل حتى يسند اليه البدا فقال تعالى كيف يبدئ الله الخلق ثم قال يعيده كما يقول القايل ضرب
زيدا عمرو ثم كيف خرج ولا يظهر اسم زيد وا ما اظهاره عند الاستثنا ثانيا حيث قال ثم الله ينشئ مع
انه كان يكفي ان يقول ثم ينشئ النشاة الاخرة فالحكمة بالغة وهي ما ذكرناه مع اقامة البرهان على امكان
الاعادة اظهر اسمه من يفهم المسمى به بصفات كماله ونعوت جلاله ويقطع بجواز الاعادة فقال الله تعالى
مظهرا مبرزا ليقع في ذهن الانسان من اسمه مع كمال قدرته وشمول علمه ونفوذ ارادته بوقوع بدايته و
جواز اعادته فان قيل فلم لم يقل ثم الله يعيده بعين ما ذكرت من الحكمة والفايدة فنقول لوجهين احدهما
ان الله كان مظهرا مبرزا بقرب منه وهو في قوله تعالى كيف يبدئ الله الخلق ثم لم يكن بينهما الا لفظ
الخلق واما هاهنا فلم يكن مذكورا عند البدا فاظهره وثانيهما ان الدليل هاهنا تم على جواز الاعادة لان الدليل
منحصر في الافاق وفي الانفس كما قال الله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وفي الاية الاولى اشارة الى
الدليل النفسي الحاصل كذا الانسان من نفسه وفي الاية الثانية اشارة الى الدليل الحاصل من الافاق بقوله تعالى فسيروا
في الارض وعندهما تم الدليلان فاكد باظهار اسمه واما الدليل الاول فاكده بالدليل الثاني فلم يقل ثم الله يعيده
الرابعة في الاية الاولى ذكر بلفظ المستقبل فقال تعالى اولم يروا كيف يبداها هنا قال بلفظ الماضي فقال فانظروا كيف
بدا ولم يقل كيف يبدا فنقول الدليل الاول هو الدليل النفسي الموجب للعلم الحدسي وهو في كل حال يوجب العلم بيدو
الخلق فقال ان كان ليس لكم علم بان الله في كل حال يبدا خلقا فانظروا الى الاستثنا المخلوق ليحصل لكم علم بان الله
يبدا الخلق ويحصل المطلوب من هذا القدر فانه ينشئ كما بدا ذلك **المسئلة الخامسة** قال في هذه الاية ان الله على كل شي
قدير وقال في الاية الاولى ان ذلك على الله يسير وفيه فايدتان احدهما ان الدليل الاول هو الدليل النفسي وهو وان كان
موجبه العلم الحدسي التام ولكن عند انضمام دليل الافاق اليه يحصل العلم العام بالنظر في نفسه علم نفسه وصاحبه
الى الله تعالى ووجوده منه بالنظر الى الافاق علم صاحبه غيره اليه ووجوده منه فتم عليه بان كل شي
من الله تعالى فقال عند تمام ذكر الدليلين ان الله على كل شي قدير وقال عند الدليل الوجداني ان ذلك على الله يسير وهو
اعادته على الله يسير الثانية هي ان هذا العلم الاول تم وان كان الثاني اعم وكون الامر يسيرا على الفاعل انزم من كونه
مقدورا له بدليل ان القايل يقول في حق من يحمل مايه من فانه قادر عليه ولا يقول انه سهل عليه فاذا سئل
عن حمله عشرة امنا يقول ان ذلك عليه سهل يسير فنقول قال الله تعالى اولم يحصل لكم العلم التام بان هذه الامور
عند الله تعالى سهل يسير فسيروا في الارض لتعلموا انه مقدور ونفس كونه مقدورا كاف في امكان الاعادة
والله اعلم **قوله تعالى** يعذب من يشاء ويرحم من يشا واليه تقلبون وما انتم بمعجزين في الارض
ولا في السما وما لكم من دون لما بين ذكر اية البشارة الاخرة ذكر ما يكون فيه وهو تعذيب اهل التكذيب
عدلا وحكمة واثابة اهل الانابة فضلا ورحمة وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** قدم التعذيب في الذكر
على الرحمة مع ان رحمته سابقة كما قال صلى الله عليه وسلم عنه سبقت رحمتي غضبي فنقول ذلك لوجهين احدهما
ان السابق ذكر الكافر فذكر العذاب ذكر مستحقه بحكم الايعاد وعقبه بالرحمة وكما ذكر بعدما بان الاصل الاول
وهو الرحمة والتهديد بقوله تعالى وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم واهلكوا بالتكذيب لذلك ذكر بعد اثبات
الاصل الاخر التهديد بذكر العذاب بعد اثبات الاصل وذكر الرحمة وقع تبعا لئلا يكون العذاب مذكورا وحده
وهذا يحقق قوله رحمتي سبقت غضبي وذلك ان الله حيث كان المقصود ذكر العذاب لم يخصه في الذكر بل ذكر الرحمة
معه **المسئلة الثانية** اذا كان ذكر هذا التخويف العاصي والتفريح المومن فلو قال يعذب الكافر ويرحم المومن لكان
ادخل في تحصيل المقصود وقوله تعالى يعذب من يشا لا يرجوا الكافر ويجوز ان يقال لعلي لا اكون ممن يشا
الله عذابي فنقول هذا ابلغ في التخويف وهذا لان الله تعالى اذا قال في هذا بعاد مشيته اذا اراد الله تعالى
تعذيب شخص فلا يمنعه منه مانع ثم كان من المعلوم للعباد بحكم الوعد والايعاد انه شا تعذيب اهل العناد
فلزم منه الخوف التام بخلاف ما لو قال يعذب العاصي فانه لا يدل على كمال مشيته لانه لا يفيد انه لو شا
عذب المومن لعذبه واتام بعد هذا فنقول الكافر اذا لم يحصل مراده في تلك الصورة يمكن ضرب كل من في بلاده

الله من ولي ولا نصير

وقال من خالفني اضربه يحصل الخوف التام لمن يخالفه واذا قيل انه قادر على ضرب المخالفين ولا يقدر على ضرب فلان المطيع فلا يفيد رايضا الا مثله وفي هذا فايدة اخرى وهو الخوف العام والرجا العام لان الامر الكلي من الله يوجب اكراه فيفضي الى ضرورة المطيع عاصيا المسلة الثالثة قال تعالى ثم اليه تقلبون مع ان هذه المسالة قد سبق اثباتها وتقريرها فلم اعاد فنقول لما ذكر الله تعالى التعذيب والرحمة وهما قد يكونان عاجلين فقال تعالى فان تاخر عنكم ذلك فلا تظنوا ان فات فان الله ايابكم وعليه حسابكم وعندكم مدخر ثوابكم وعقابكم ولهذا قال بعدها وما انتم بمعجزين يعني لا يعجزون الله بل لا تقلب اليه ولا يمكن الانفلات منه وفي تفسير هذه الاية لطايف احدها هي اي اعجاز المعذب عن التعذيب اما بالهرب منه او بالثبات له والمقاومة معه للدفع وذكر الله القسمين فقال تعالى وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السما لا تخرجوا من قبضة قدرة الله تعالى فلا تطمع في الاعجاز بالهرب او بالثبات فلذلك لان الاعجاز فاما ان يكون بالاستناد الى ركن شديد يسمع ولا يمكن للمعذب مخالفته فيعذبه المعذب ويعجز عنه اولا بانما تقوي تقوم معه بالرفع وكلاهما محال فانكم ما لكم من دون الله من ولي ولا شفيع ولا نصير يدفع فلا اعجاز بالهرب ولا بالثبات الثانية قال تعالى وما انتم بمعجزين ولم يقل لا تعجزون بصيغة الفعل وذلك لان مبنى الفعل لا يدل على نفي الصلاحية قال من قال ان فلانا لا يخيط لا يدل على ما يدل عليه قوله انه ليس بخايط الثالث قدم الارض على السما والولي على النصير لان هربهم الممكن في الارض فان كان يقع منهم هرب يكون في الولي ثم ان فرضنا لهم قدرة غير ذلك فيكون لهم صعود في السما واما الدفع فان العاقل ما امكنه الدفع بالجميل الطريق لا يرتقي الى غيره والشفاعة اجمل ولان ما من احد في الشاهد الا ويكون له شفيع في حقه عند ملك ولا يكون لكل احد له ناصر يعادي الملك لاجله والله اعلم بالصواب **قوله تعالى** والذين كفروا بايات الله ولقايه اوليك يئسوا من رحمتي واوليك لهم عذاب اليم **اعلم** انه تعالى لما بين الاصلين التوحيد والاعادة وقررهما بالبرهان وهدد من خالفه على سبيل التفصيل فقال تعالى والذين كفروا بايات الله ولقايه اشارة الى ان الكافر بالله فان في كل شي اية تدل على وحدانيته فاذا اشرك كفر بايات الله واشار الى المنكر للحشر فان من انكر كفر بلقاء الله تعالى فقال تعالى اوليك يئسوا من رحمتي واوليك لهم لما اشركوا اخرجوا انفسهم على محل الرحمة لان من يكون له جهة واحدة يدفع حاجته لا يعتبر برحم واذا كان له جهات متعددة لا يبقى محلا للرحمة فاذا جعلوا الهم الهة لا يتوصلوا بالحاج الى طريق مناسب بعد بهم تحقيقا للرحمة عليهم وهذا كما ان الملك اذا قال نعذب من يخالفني فانكره بعد عند وقال هولا يصل الى فاذا احضره الى بين يديه يحسن منه ان يعذبه ويفوذ دهل قدرت وهو يعذب امرلا فاذا تبين ان عدم الرحمة تناسب الاشراك والعذاب الاليم يناسب انكار الحشر ثم ان في الاية فوايد احداها قوله تعالى اولئك يئسوا حتى يكون نساعن حصر الناس فيهم وقال ايضا اوليك لهم عذاب اليم ايضا كذلك ولو قال تعالى والذين كفروا بايات الله ولقايه يئسوا من رحمتي ولهم عذاب اليم ما كان يحصل هذه الفايدة فان قيل فلو اكتفى بقوله فاوليك مرة واحدة كان يكفي في افادة ما ذكر قلنا لا وذلك لانه لو قال اوليك يئسوا ولهم عذاب كان كل واحد لا يوجد الا فيهم الثانية عندكم ذكر الرحمة اضافها الى نفسه فقال من رحمتي وعند العذاب لم يصفه بسبق رحمته واعلاما للعباد بعموم مالهم ولزومها له الثالثة اضاف الناس اليهم بقوله اوليك يئسوا لحرمها عليهم ولو طمعوا لا يخيبهم فلو قال قايل ما ذكرتم من مقابلة الامرين وهما الناس والعذاب بامرين وهو الكفر بالايات والكفر باللقا يقتضي ان لا يكون العذاب الاليم لمن كفر بالله واعترف بالحشر او لا يكون للناس لمن كفر بالحشر وامر بالله تعالى فنقول الاية انهم يئسوا ولهم عذاب اليم دايم زايد بسبب كفرهم بالحشر ولا اشتداد التعذيب بسبب الكفر بالحشر لا يكون الا للكافر بالحشر واما الاخر الكافر بالحشر لا يكون مومنا بالله لان الايمان به لا يصح اذا صدقه فيما قاله والحشر من جملة ذلك والله اعلم **قوله تعالى** فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات لقوم يومنون **اعلم** انه لما اتى ابرهيم عليه السلام ببيان الاصول الثلاثة واقام الامر عليه بقي الامر من جانبهم اما الاجابة او الاتيان بما يصلح ان يكون جوابه فلم ياتوا الا بقولهم اقتلوه او حرقوه وفي الاية مسايل **المسلة الاولى** كيف سمى قوله اقتلوه جوابا مع انه ليس بجواب فنقول الجواب عنه من وجهين احدهما انه خرج منهم مخرج كلام المتكبر كما يقول الملك لرسول خصمه جوابكم السيف مع ان السيف ليس بجواب وانما معناه لا اقابل بالجواب وانما اقابل بالسيف فلذلك قالوا الا تحتجوا عن براهينه واقتلوه واحرقوه والثاني وهو ان الله تعالى اراد بيان ضلالتهم وهو انهم ذكروا في معرض الجواب هذا مع انه ليس بجواب فبين انهم لم يكن له جواب اصلا وذلك لان من لا يجيب غيره وسكت لا يعلم انه لا يقدر على الجواب لجواز ان يكون سكوته لعدم الالتفات اما اذا اجاب بجواب فاسد علم انه قصد الجواب وما قدر عليه **المسلة الثانية** القايلون الذين قالوا اقتلوه هم قومه والمامورون بقوله اقتلوه ايضا هم فيكون الامر نفس المامور فنقول الجواب عنه من وجهين احدهما ان كل واحد منهم قال لمن عداهم اقتلوه فحصل الامر من كل واحد

لهم عذاب اليم



وصار المامور كل احد ولا اتحاد لان كلا احد امر غيره وثانيهما هو ان الجواب لا يكون الا من الاكابر والروسا فاذا قال اعيان البلد كلاما يقال اتفقوا اهل البلدة على هذا ولا يلتفت الى عدم قول العبيد والاراذل فكان جواب قومه وهم الروسا فان قالوا الا اتباعهم اقتلوه لان الجواب لا يباشره الا الاكابر والفعل لا يباشره الا الاتباع **المسلة الثالثة** او يذكر بين امرين الثاني منهما ينفك عن الاول كما قال زوج او فرد ويقال هذا انسان او حيوان يعني ان لم يكن انسانا فهو حيوان ولا يصح ان يقال هذا حيوان او انسان اذ يفهم منه انه يقول هو حيوان فان لم يكن حيوان فهو انسان فهو محال لكن التحريق مشتمل على القتل فقوله تعالى اقتلوه او حرقوه كقول القايل حيوان او انسان الجواب عنه من وجهين احدهما ان او استعمال على خلاف ما ذكر سايغ ويكون او مستعملا بمعنى بل كما تقول القايل اعطيه دينارا او دينارين وكما تقول اعطيه دينارا بل دينارين قال تعالى قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه فلذلك ههنا قالوا اقتلوه او زيدوا على القتل الجواب هو انا نسلم ما ذكرتم والامر ههنا كذلك لان التحريق فعل مفض الى القتل وقد يتخلف عنه القتل فان من القي غيره في النار حتى احرق جلده باسره واخرج منها حيا صح ان يقال احترق فلان واحرقه فلان وما مات فكذلك ههنا قالوا اقتلوه او حرقوه ولا تعجلوا قتله وعذبوه بالنار ان ترك مقابلته تخلوا سبيله وان اصر تخلوا في النار مقتله ثم قال تعالى فانجاه الله من النار اختلف العقلاء في كيفية الانجا بعضهم قال برد النار وهو الاصح الموافق لقوله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم وبعضهم قال خلق في ابرهيم عليه السلام كيفية استبرد معها النار وقال بعضهم ترك ابرهيم عليه السلام على ما هو عليه والنار على ما كانت عليها ومنع اذى النار عنه والكل ممكن فان الله عز وجل قادر عليه وانكر بعض الاطبا الكل اما سلب الحرارة عن النار وقالوا الحرارة في النار ذاتية كالزوجية في الاربعة لا يمكن ان يفارقها واما خلق كيفية يستبرد النار فان المزاج الانساني له طرفا تفريط وافراط ان خرج معهما لا يبقى انسانا او لا يعيش مثلا المزاج ان كان نادرا فيه عشرة اجزا يكون انسانا فان صار احدى عشر لا يكون انسانا وان صارت الاجزا الباردة خمسة يبقى انسانا فان صار اربعة لا يبقى انسانا لكن البرودة التي يستبرد بها النار مزاج السمند فلو حصل في الانسان لما مات او لكان ذلك فان النفس تابعة للمزاج واما الثالث فمحال ان يكون العطيه في النار والنار كما هي والعصبه كما هي ولا يحترق فنقول الاية رد عليهم والعقل موافق للنقل اما الاول فلوجهين احدهما ان الحرارة في النار بعض الاستعداد والضعف فان النار في الفحم اذا نفخ فيه نفخ مرة يشتد حتى يذهب الحديد وان لم ينفخ لم يشتد لكن النفخ هو عدم بعض الحرارة كانت في النار فاذا امكن عدم بعض اخر من ذلك وعلمها الى ان يبقى الجاحد لا يوذي الانسان ولا كذلك الزوجية فانها لا تشتد ولا تضعف والثاني هو ان اصول الطب ذكر ان النار بها كيفية حارة كما ان الماء كيفية باردة ويبقى نارا هو نور غير محترق واما الثاني فانها ممكن وقولهم مدفوع من وجهين احدهما منع اصلهم لكن النفس تابعة للمزاج بل الله قادر على ان يخلق النفس الانسانية في المزاج الذي مثل مزاج الجمد وثانيهما ان نقول على اصلهم لا يلزم المحال لان الكيفية التي ذكرها تكون في ظاهر الجلد كالاجزا الرييسية عليه ولا يتاذى الى القلب والاعضا الرييسة لا يجري ان الانسان اذا مس الجلد زمانا ثم مس جمره بنار لا يوثر فيه احراق بيده مثل ما قد يوثر في احراق من اخرج يده من جيبه ولهذا يحترق يده قبل بره فاذا جاز وجود كيفية في ظاهر جلد الانسان تمنع تاثير النار فيه بالاحراق زمانا يجوز ان يجدد تلك الكيفية ظاهر الحطه فلحظه حتى لا يحترق واما الثالث فمجرد استبعاد بانا نعلم الا عتبار ونحوه يبسه ان ذلك غير معتاد لانه معجز والمعجز ينبغي ان لا يكون خارجا للعادة ثم قال الله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يومنون في النجاة من النار لايات وههنا مسايل **المسلة الاولى** قال في انجا نوح عليه السلام واصحاب السفينة وجعلناها اية وههنا الايات بالجمع لان الانجا بالسفينة شي يتبع العقول فلم يكن في الاية الا بسبب علام الله تعالى اياه بالاتخاذ لوقت الحاجة فانه لولا ما اخذه لعدم حصول علمه بما في الغيب بسبب اعلام الله تعالى اياه بالايجاد وبسبب صون الله تعالى صار السفينة عن المهلكات كالرياح العاصفة واما الانجا من النار فعجيب فقال فيه ايات **المسلة الثانية** قال هناك اية للعالمين وههنا لقوم يومنون خص الايات بالمومنين لان السفينة بقيت اعواما حتى مر عليها الناس وراوها فحصل العلم بها لكل احد واما بين بد النار فلم يبق فلم يظهر لمن بعده الا بطريق الايمان به وهو التصديق وفيه لطيفة وهو ان الله تعالى لما برد النار على ابرهيم عليه السلام بسبب اهتدايه في نفسه وهدايته لابناء جنسه فقال الله تعالى للمومنين بان لهم اسوة في ابرهيم فحصل للمومن بشارة بان الله تعالى يبرد عليه النار يوم القيمة فقال ان في ذلك لايات لقوم يومنون الثالثة الطوفان لم يكن بفعل نوح عليه السلام بسببها والله تعالى جعل السفينة بعد وجودها اية واما تبريد النار ففي نفسه انه اذا وجدت لا يحتاج الى امر اخر يخلو الطوفان حتى يصير اية والله اعلم **قوله تعالى** وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وماويكم النار وما لكم من ناصرين **اعلم** انه تعالى لما خرج ابرهيم عليه السلام من النار عاد الى عذل الكفار وبيان فساد ما هم عليه وقال اذا ثبت لكم فساد مذهبكم وما كان لكم جواب ولا رجوع اليه فليس هذا الا تقليدا فان بين بعضهم

وبعض مودة فلا يريد احد يفارق صاحبه في السيرة والطريقة وبينكم وبين ابايكم مودة ووددتموهم فاخذتم مقالتهم ولزمتم
ضلالتهم وجادلتم فقوله تعالى انما اتخذتم مودة يعني ليس بدليل اصلا مودة بينكم اي مودة بين الاوثان وبين عبدتها
وتلك المودة هي ان الانسان مشتمل على جسم وعقل والجسم لذات جسمانيه والعقل لذات عقليه ثم ان من غلب فيه الجسميه لا يلتفت
الى اللذات العقلية ومن غلب عليه العقل لا يلتفت الى اللذات الجسميه كالحيوان اذا احتاج الى قضا حاجته من اكل او شرب او اراقه
وغيرهما ولا يلتفت الى اللذة العقلية من حسن السيرة وحمد الاوصاف ومكرمة الاخلاق والعاقل يحمل الالم الجسمانيه ويحصل
اللذة العقلية حتى لو غلبت قوته الدافعة قوته الماسكة وخرج منه ريح او قطرة ما يكاد يموت من الخجالة والالم العقلي اذا
ثبت هذا فنقول كانوا قليل العقل غلبت الجسمية عليهم فلم يسمع عقلهم المعبود لا يكون فوقهم ولا يحسهم ولا يمسهم ولا يسارهم
ولا قدامهم ولا وراهم ولا يكون جسما من الاجسام ولا شيا يدخل في الاوهام او را والاجسام المناسبة الغالب فيهم
مرتبة الجواهر فردوها بايجادهم الاوثان كان مودة بينهم وبين الاوثان اما قوله تعالى ثم يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم
بعضا وماويكم النار وما لكم من ناصرين يعني يوم تزول عمى القلوب وتنكشف الامور للذات والعقول يكفر بعضكم
بعضا ويعلم فساد ما كان عليه فيقول العابد ما هذا معبودي ويقول المعبود ما هولاء عبدي ويلعن بعضكم
بعضا هذا كذلك ان انت اوقعتني في العذاب حيث عبدتني ويقول ذلك هذا انت اوقعتني فيه حيث اضللتني بعبادتك
ويريد كل واحد منهم ان يبعد صاحبه بالتعزز ولا يتباعدون بل هم مجتمعون في النار كما كانوا مجتمعين في هذا
الدار كما قال الله تعالى وماويكم النار ثم قال تعالى وما لكم من ناصرين يعني ليس تلك الدار مثل ناركم هذه التي
انجى الله منها ابرهيم عليه السلام فانتم في النار ولا ناصر لكم وههنا مسايل **المسئلة الاولى** فان قيل هذا وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير على لفظ الواحد وقال ههنا على لفظ الجمع وما لكم من ناصرين والحكمة فيه انهم لما
ارادوا احراق ابرهيم عليه السلام قالوا نحن ننصر الهتنا كما قال تعالى عنهم حرقوه وانصروا الهتكم فقال انتم ادعيتم
ان هولا ناصرين ثم ما لكم كلكم اي الاوثان وعبدتها من ناصرين واما هناك ما سبق منهم دعوى الناصرين فنفى
الجنس بقوله ولا نصير **المسئلة الثانية** قال هناك ما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وما ذكر الولي
ههنا فنقول قد بينا ان المراد بالولي الشفيع يعني ليس لكم شافع ولا نصير دافع وههنا لما كان الخطاب مع الاوثان
فيه اي ما لكم كلكم لم يقل شفيع لانهم كانوا معترفين ان كلهم ليس لهم شافع لانهم كانوا يدعون ان الهتهم شفعا
كما قال تعالى عنهم هولاء شفعاونا عند الله والشفيع لا يكون له شفيع فما نفى عنهم الشفيع لعدم الحاجة الى نفيه
لاعترافهم به واما هناك كان الكلام معهم وهم كانوا يدعون لانفسهم شفعا فنفى الناصر ثم قال تعالى هناك
ما لكم من دون الله فذكر على معنى الاستثنا فنفهم ان لهم ناصر وولي هو الله وليس لهم غيره ولي ولا ناصر وقال هناك
ما لكم من غير استثنا فنقول لما كان ذلك واردا على انهم في الدنيا فقال لهم في الدنيا انكم لا تظنوا انكم تعجزون الله
فانكم احد ينصركم بل الله تعالى ينصركم ان شئتم فتونا ناصر معد متى اردتم استنصرتموه بالتوبة وهذا يوم القيمه كما
قال تعالى ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض وعدم الناصر عام لان التوبة في ذلك اليوم لا تقبل فتسوا ناصر الله تعالى ولا ناصر لهم غيره فلا ناصر لهم مطلقا والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى**
فامن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم **اعلم** انه لما راى لوط عليه السلام معجزته امن وقال
اني مهاجر الى ربي اي حيث امرني بالتوجه اليه انه هو العزيز الحكيم عزيز يمنع اعداي عن اذاي بعزته وحكيم
لا يامرني الا بما يوافق بكمال حكمته وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** قوله تعالى فامن له لوط اي امن بعدما راى
منه المعجز القاهر وذريته لوط كانت عالمه وبقاه الى هذا الوقت فما سعد من الدرجة الا بترك ان ابا بكر رضي الله
عنه لما قبل دين محمد صلى الله عليه وسلم وكان سر القلب قبله قبل الكل من غير سماع نحو الحصا والادوية انشقاق
القمر فنقول لوط عليه السلام لما راى معجزته امن برسالته واما بالوحدانية فامن حيث سمع حسن مقالته
واليه اشار بقوله فامن له لوط وما قال فامن لوط **المسئلة الثانية** ما تعلق قوله وقال اني مهاجر الى ربي
بما تقدم فنقول لما بلغ ابرهيم عليه السلام في الارشاد ولم يهتد قومه وحصل الياس الكلي حين راى القوم
بالاية الكبرى ولم يومنوا وجبت المهاجرة لان الهادي اذا اهدى قومه ولم ينتفعوا فبقاوه فيهم مفسدة لانهم
ان ردوا مواعظ الارشاد كان اشتغاله بما لا ينفع في علمه تضييع يقول للحر صدق وهو عبث ويسكت فالسكوت
دليل الرضا فيقال بانه صار منا ورضي بافعالنا واذا لم يبق للاقامة وجه وجبت المهاجرة **المسئلة الثالثة**
ان الرب يوم الجهة فنقول قوله تعالى فهاجر الى ربي حيث امرني ليس في الاخلاص لقوله تعالى في الجلال للملائكة اذا
صدر منها امر يوجب لرواح الاجساد الى الموضع الفلاني ثم ان واحدا منهم سافر اليه لغرض نفسه فقد هاجر
الى حيث امره الملك لكن لا مخلص لوجهه فقال مهاجر الى ربي يعني توجهي الى الجهة المامور بالهجرة اليه ليس طلبا
للجهة انما هو طلب لله تعالى والله اعلم **قوله تعالى** ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته
النبوة والكتاب واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين قد ذكرنا في تفسير قوله تعالى لنكفرن عنهم سياتهم
ولنجزينهم ان اثر رحمة الله في امرين في الاماد عن سوء العذاب والامتنان بحسن الثواب وهو واصل الى المومن

في دار الاخرة



في دار الاخرة قطعا بحكم الوعد لله تعالى بنفي العذاب عنهم بسبب الشرك واثبات الثواب لا بايته الواحد ولكن
هذا ليس بواجب الحصول في الدنيا فان كثيرا ما يكون الكافر في رغد والمومن جايع في يومه متفكرا في امر عدته
مطلوبان في الدنيا اما دفع العذاب العاجل فلانه ورد في دعا النبي صلى الله عليه وسلم وقنا عذاب الفقر والنار
نعذاب القبر اشارة الى دفع العذاب العاجل واما الثواب العاجل ففي قوله ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة
حسنة اذا علم فنقول ابرهيم عليه السلام لما اتى ببنيان التوحيد اولا دفع عنه عذاب الدنيا وهو عذاب النار
ولما اتى به مرة بعد مرة مع اصرار القوم على التكذيب واصرارهم به في التعذيب اعطاه الجزا وهو الثواب العاجل
وعدده عليه بقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب وفي الاية لطيفة وهي ان الله تعالى بدل جميع احوال
ابرهيم عليه السلام في الدنيا باضدادها لما اراد القوم تعذيبه بالنار كان وحيدا فريدا فبدل وحدته بالكثرة
حتى ملا الدنيا من ذريته ولما كان اولا قومه واقاربه العربية ضالين مضلين من جملتهم آزر بدل الله
اقاربه باقارب مهتدين هادين وهم ذريته الذي جعل فيهم النبوة والكتاب وكان اولا لا جاه له ولا مال
وهما غاية اللذة الدنيا وبه اخره الله من المال والجاه حتى كان له من المواشي ما علم الله عدده حتى قيل انه
كان له اثنى عشر الف كلب حارس باطواق ذهب واما الجاه فصار بحيث يقرون الصلوة عليه بالصلوة
على ساير الانبيا الى يوم القيمة فصار معروفا بشيخ المرسلين بعد ان كان خاملا حتى قال قايلهم سمعنا فتى
يذكرهم يقال له ابرهيم وهذا الكلام لا يقال الا في مجهول الناس والله اعلم بالصواب اما قوله تعالى وانه في الاخرة
لمن الصالحين يعني ليس له هذا في الدنيا فحسب كما يكون لمن قدم له ثواب حسناته واملى له استدراجا
لكن من تبيله بل هذا له عجالة وله في الاخرة ثواب الدلالة والرسالة وهو كونه من الصالحين فان كون
العبد صالحا اعلى مراتبه لما بينا ان الصالح هو الباقي على ما ينبغي يقال الطعام بعد صلاح اي هو باق على
ما ينبغي ومن بقي على ما ينبغي لا يكون في عذاب ويكون له كل ما يريد من حسن ثواب وفي الاية مسئلتان احدهما
ان اسمعيل كان من اولاده الصالحين وكان قد اسلم لامر الله تعالى بالذبح وانقاده لحكم الله فلم لم يذكره فيقال
هو مذكور في قوله تعالى وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ولكن لم يصرح باسمه لانه كان بين فعله عليه
لهذه الاولاد والاحفاد كما يقول القايل ان السلطان في خدمة الملوك والامرا الملك الفلاني والامير الفلاني
ولا يعد الكل لان ذكر ذلك الواحد بيان الجنس لا لخصوصه ولو ذكر غيره لزم منه التعديد واستيعاب
الكل بالذكر فيظن انه ليس معه غير المذكورين **الثانية** ان الله تعالى جعل النبوة اجابة لدعايه
والوالد يستحب منه ان يسوي بين ولديه فكيف صارت النبوة في اولاد اسحق اكثر من النبوة في اولاد اسمعيل
فنقول ان الله تعالى قسم الزمان من وقت ابرهيم عليه السلام الى القيمة قسمين والناس اجمعين فالقسم الاول
من الزمان بعث الله تعالى فيه انبيا فيهم فضايل خمسة وجاوا بترى واحد بعد واحد مجتمعين في عصر
واحد كلهم من ذرية اخيه اسحق عليه السلام وفي القسم الثاني من الزمان اخرج من ذريته ولده الاخر وهو اسمعيل
عليه السلام واحدا جمع فيه ما كان فيهم وارسله الى كافة الخلق وهو محمد صلى الله عليه وسلم وجعله خاتم النبيين
وقد دام الخلق على دين اولاد اسحق اكثر من اربعة الاف سنة ولا يبعد ان يبقى الخلق على دين ذرية اسمعيل
مثل ذلك المقدار والله اعلم **قوله تعالى** ولوطا اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين
الاعراب في لوط والتفسير كما ذكرنا في قوله تعالى اعبدوا الله وههنا مسايل **المسئلة الاولى** قال ابرهيم لقومه
اعبدوا الله وقال عن لوط ههنا انه قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة فنقول الله تعالى لما ذكر عن لوط ههنا
انه امر لقومه بالتوحيد مع ان الرسول لابد من ان يقول ذلك فنقول حكاية لوط وغيرها ههنا ذكرها الله
تعالى على سبيل الاختصار فاقتصر على ما اختص به لوط وهو المنع من الفاحشة ولم يذكر عنه الامر بالتوحيد
وان كان قاله في موضع اخر حيث قال اعبدوا الله ما لكم من اله غيره لان ذلك قد اتى به ابرهيم عليه السلام وسبقه
فصار كالمختص به ولوط مبلغ ذلك عن ابرهيم عليه السلام واما المنع من عمل قوم لوط كان مختصا بلوط فان
ابرهيم عليه السلام لم يظهر ذلك ولم يمنعهم منه فذكر كل واحد بما اختص به وسبق به غيره **الثانية**
لم سمى ذلك الفعل فاحشة فنقول الفاحشة هو القبيح الظاهر قبحه ثم ان الشهوة والغضب صفتان مع كونهما مقبلتين
مكان يخلقهما الله في الانسان ومصلحة الشهوة الزوجية هي بقا النوع بتوليد الشخص وهذه المصلحة لا تحصل
الا بوجود الولد وبقايه بعد الاب فانه لو وجد ثم مات قبل الاب كان نفي النوع بعد القرن الاول لكن
الزنا فيه شهوة فلا يقوم بمعنى الى بقا النوع لانا بينا ان البقا بالوجود وبقا الولد بعد الوالد وولده فلا يقوم
بتربيته والانفاق عليه فيضيع ويهلك فلا يحصل مصلحة البقا فاذا كان الزنا شهوة نتيجة خالية
عن المصلحة التي لاجلها خلق فهو قبيح ظاهر مفض الى وجود الولد ولكن لا يفضي الى بقايه فاللواطة التي لا تفضي
الى وجوده اولى ان تكون فاحشة ثم ان الاية دالة على وجوب الحد في اللواطة لانها مع الزنا اشتركت في
كونها فاحشة حيث قال الله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة يناسب الزجر عنه بما يشرع زاجرا هنا

وهذا وان كان قياسا الا ان جامعه مستفاد من الاية ووجه اخر وهو ان الله تعالى جعل عذاب من اتى بها امطار الحجارة عاجلا وهو الرجم اما قوله تعالى ما سبقكم بها من احد من العالمين يحتمل وجهين احدهما ان احدا قبلهم ما اتى بهذا القبيح وهذا ظاهر والثاني ان قبلهم اتى به واحد في العورة لكنهم بالغوا فيه فقال ما سبقكم بها من احد كما يقال ان فلانا سبق البخلاء في البخل وسبق اللئام في اللؤم اذا زاد عليهم ثم قال تعالى ائنكم لتاتون الفاحشة وتقطعون السبيل بينا بما ذكرنا يعني تقضون الشهوة بالرجال مع قطع السبيل المعتاد مع النساء المشتمل على المصلحة التي هي بقاء النوع حتى يظهر انه قبيح ثم لستر قبحه وحينئذ هذا كقوله تعالى انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء يعني اتيان النساء شهوة صحيحة مستورة بالمصلحة فلكم دافع بحاجتكم لا فاحشة فيه وبين كونه وما تاتون الرجال شهوة مع الفاحشة وقوله تعالى وتاتون في ناديكم المنكر يعني ما كفاكم قبح فعلكم حتى تضمون اليه قبح الاظهار **قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين قال رب انصرني على القوم المفسدين** لقوله في قصة ابرهيم عليه السلام وما كان جواب قومه وفي الاية **المسئلة الاولى** قال قوم ابرهيم عليه السلام اقتلوه او حرقوه وقال قوم لوط عليه السلام ائتنا بعذاب الله وما هددوه مع ان ابرهيم عليه السلام كان اعظم من لوط عليه السلام فان لوط عليه السلام كان من قومه فنقول ابرهيم عليه السلام كان يقدح في دينهم ويشتم الهتهم بتعديد صفات نقصهم بقوله لا يسمع ولا يبصر ولا يغني والقدح في الدين صعب فجعلوا جزاءه القتل والتحريق ولوط عليه السلام كان ينكر عليهم فعلهم وينسبهم الى ارتكاب المحرم وهم ما كانوا يقولون ان هذا واجب من الدين فلم يصعب عليهم مثل ما صعب على قوم ابرهيم عليه السلام فقالوا انك تقول ان هذا حرام فالله تعالى يعذب عليه ونحن لا نعذب فان كنت صادقا فائتنا بالعذاب فان قيل ان الله تعالى قال في موضع اخر فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا فكيف الجواب فنقول لوط عليه السلام كان ثابتا على الارشاد مكررا عليهم التغيير والنهي والوعيد فقالوا اولا ائتنا ثم لما كثر منه ذلك ولم يسكت عنهم قالوا اخرجوا ثم ان لوطا لما يئس منهم طلب النصرة من الله وذكرهم بما لا يحب الله فقال على القوم المفسدين فان الله لا يحب المفسدين حتى ينجز النصر واعلم ان نبيا من الانبياء ما طلب هلاك قومه الا اذا علم ان عدمهم خير من وجودهم كما قال نوح عليه السلام انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا يعني المصلحة اما فيهم حالا او فيمن ياتي منهم مالا ولا مصلحة فانهم يضلون في الحال ولا في المال فانهم يوصون الاولاد من صغرهم بالا يمتنع من الاتباع فكذلك لوط عليه السلام لما راى انهم يفسدون في الحال اذ اشتغلوا بما لا يرجى منهم ولد صالح يعبد الله فطلب المصلحة حالا او مالا فعدمهم صار خيرا فطلب العذاب والله تعالى اعلم **قوله تعالى ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين** لما دعا لوط عليه السلام على قومه بقوله رب انصرني استجاب الله دعاءه امر ملائكته باهلاكهم وارسلهم مبشرين ومنذرين فجاءوا ابرهيم عليه السلام وبشروه بذرية طيبة وقالوا انا مهلكو اهل هذه القرية يعني اهل سدوم وفي الاية لطائف احداها ان الله تعالى جعلهم مبشرين ومنذرين لكن البشارة اثر الرحمة والانذار بالاهلاك اثر الغضب ورحمته سبقت غضبه فقدم البشارة على الانذار وقال جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى ثم قال انا مهلكوا الثانية حين ذكروا البشرى ما عللوه وما قالوا انا نبشرك لانك رسول او لانك مؤمن او لانك عادل وحين ذكروا الاهلاك عللوا وقالوا ان اهلها كانوا ظالمين لان ذا الفضل لا يكون فضله بعوض والعادل لا يكون عذابه الا على جرم وفيه مسائل احداها لو قال قائل اي تعلق لهذه البشرى بهذا الانذار نقول لما اراد تعالى اهلاك قوم وكان فيه اخلاء الارض عن العادة قدم على ذلك اعلام ابرهيم عليه السلام بانه يملأ الارض من العباد الصالحين حتى لا يتاسف على اهلاك قوم وكان فيه اخلاء الارض عن العناد قدم على ذلك اعلام ابرهيم عليه السلام حتى لا يتاسف على اهلاك قوم من ابناء جنسه الثانية قال في قوم نوح عليه السلام فاخذهم الطوفان وقد قلت ان ذلك اشارة الى انهم كانوا على ظلمهم حين اخذهم ولم يقل فاخذهم الطوفان فكانوا ظالمين وههنا قال ان اهلها كانوا ظالمين ولم يقل وانهم ظالمون او وهم ظالمون فنقول لا فرق في الموضعين في كونهما مهلكين وهم مصرون على الظلم لكن الاخبار هناك عن الماضي حيث قال تعالى فاخذهم الطوفان وهم ظالمون فقال اخذهم وعند الوقوع في العذاب ظالمون وههنا الاخبار عن الملائكة عن المستقبل حيث قالوا انا مهلكوا فالملائكة ذكروا ما يحتاجون اليه في انابة حسن الامر من الله تعالى عند كل احد واما نحن فلا نخبر بما لا حاجة لنا اليه فان الكلام عن الملك بغير اذنه سوء ادب فنحن ما احتجنا الا الى هذا القدر وهو انهم كانوا ظالمين حيث امرنا هم باهلاكهم بيانا لحسن الامر واما انهم ظالمون في وقتنا هذا وسيكونون كذلك فلا حاجة لنا اليه ثم ان ابرهيم عليه السلام لما سمع قولهم قال لهم ان فيها لوطا اشفاقا عليه ليعلم حاله ولان الملائكة لما قالوا انا مهلكوا وكان ابرهيم عليه السلام ان الله لا يهلك قوما وفيهم رسولهم فقال تعجبا ان فيهم لوطا كيف يهلكون فقالت الملائكة فقالوا نحن اعلم بمن فيها يعني نعلم ان فيها لوطا فننجيه واهله ونهلك الباقين

وههنا



وههنا لطيفة وهي ان الجماعة كانوا اهل الخير عند ابرهيم عليه السلام وكلا منهم يزيد على صاحبه في كونه خيرا اما ابرهيم عليه السلام فلما سمع قول الملائكة انا مهلكوا ظهر الاشفاق على لوط عليه السلام ونسي نفسه وما بشروه ولم يطلها فرحا وقال ان فيها لوطا ثم ان الملائكة لما رأوا ذلك منه زادوا عليه وقالوا انا ذكرت لوطا وحده ونحن ننجيه وننجي معه اهله واستثنوا من اهله امرأته وقالوا الا امرأته كانت من الغابرين استعمال الغابر في الملك وذلك لان الغابر لفظ مشترك في الماضي وفي الباقي فيما مضى سبق في قوله انا مهلكوا اهل هذه القرية اذا اهلها كانوا ظالمين ثم جرى ذكر لوط عليه السلام وتركه ابرهيم عليه السلام وجواب الملائكة فقالت الملائكة الا امرأته كانت من الغابرين فنقول لما قضى ذكرهم لمن الذين نجاهم او بعد الملك يعني ومضى زمانه والناجي هو الباقي فقالوا انها من الغابرين اي من الماضين الهالكين لا من الباقين الناجين والوجه الثاني فنقول لما قضى على القوم الهالكين كان لوطا واهله الا امرأته **قوله تعالى ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون** اعلم انهم لما اتوا ابرهيم عليه السلام جاءوا على صورة البشر فظنهم بشرا فخاف عليهم من قومه لانهم كانوا على احسن صورة خلق الله والقوم كما عرفت حالهم فساء بهم وضاق بهم ذرعا كناية عن العجز عن تدبيرهم قال الزمخشري يقال ضاق ذرعه وذراعه القادر وضاق به ذرعا اذا لم يطق ذرعه كناية عن قلة الحيلة والاستعمال يحتمل وجها معقولا غير ذلك وهو ان الخوف والحزن يوجبان انقباض الروح ويتبعها اشتمال القلب عليه والقبض يطلق على الانسان وكان الانبساط نقيض الحزن والعصب كالفرح يوجبان انبساط الروح فينبسط مكانه وهو القلب ويتسع فيقال اتسع ذرعه ثم ان الملائكة لما رأوا خوفه اول الامر وحزنه بسبب تدبيرهم في ثاني الامر قالوا لا تخف علينا ولا تحزن بسبب التفكر في امرنا ثم ذكروا ما يوجب زوال خوفه وحزنه فان تحقق قول القائل لا تخف لا يوجب زوال الخوف فقال معترضا على الحالتهم انا منجوك واهلك وانا منزلون عليهم العذاب حتى يحسن انهم ملائكة فيطول ذرعه ويزول روعه وفي الاية مسائل **المسئلة الاولى** انه تعالى قال من قبل ولما جاءت رسلنا ابرهيم وقال ههنا ولما ان جاءت رسلنا فما الحكمة فيه فنقول حكمة وهي ان الواقع في وقت المجيء هناك قول الملائكة انا مهلكوا وهو لم يكن متصلا بمجيئهم لانهم بشروا اولا وبشرا ثم قالوا انا مهلكوا وايضا فالتاني والتلبث بعد المجيء ثم الاخبار عن الهلاك حسن فانا من جاء معه خير تقابل يحسن منه ان لا نعاجى به والواقع ههنا هو خوف لوط عليهم والمؤمن حين يشعر بمضرة تصل ترابا من الجماعة ينبغي ان يحذر ويخاف عليه من تاخير اذا علم هذا فقوله تعالى ههنا ولما ان جاءت رسلنا يفيد الاتصال يعني خاف حين المجيء فان قلت هذا باطل بما ان هذه الحكاية جاءت في هود وقال ولما جاءت رسلنا لوطا من غير ان فنقول هناك جاءت حكاية ابرهيم عليه السلام بصيغة اخرى قال هناك ولقد جاءت لا يدل على ان قولهم انا ارسلنا كان في وقت المجيء وقوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم دل على ان حزنه كان وقت المجيء اذا علم هذا فقوله هناك حصل ما ذكرنا من المقصود بقوله في حكاية ابرهيم عليه السلام ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى ثم اخرى امور من الكلام وتقديم الطعام ثم قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط فحصل تاخير الانذار وبقوله في حكاية لوط عليه السلام ولما جاءت رسلنا حصل بيان تعجيل الحزن واما ههنا لما قال في قصة ابرهيم عليه السلام ولما جاءهم قال حكاية لوط عليه السلام ولما ان جاءت لما ذكرنا من الفائدة **والمسئلة الثانية** قال تعالى انا منجوك وقال لابرهيم عليه السلام لننجينه بصيغة الفعل فهل فيه فائدة قلنا ما من حرف ولا حركة في القران الا وفيه فائدة ثم ان العقول البشرية تدرك بعضها ولا تصل الى اكثرها وما اوتي البشر من العلم الا قليلا والذي يظهر لعقلي الضعيف ان هناك لما قال لهم ابرهيم عليه السلام ان فيها لوطا وعدوه بالتنجية ووعد الكريم حتم فههنا لما قالوا للوط وكان ذلك بعد سبق الوعد مرة اخرى قالوا انا منجوك اي ذلك واقع لقوله تعالى انك ميت لضرورة وقوعه **المسئلة الثالثة** قولهم لا تخف ولا تحزن لا مناسبة له انا منجوك لا خوفه ما كان على نفسه فنقول بينهما مناسبة في غاية الحسن وهو ان لوطا لما خاف عليهم وحزن لاجلهم قالوا لا تخف علينا ولا تحزن لاجلنا فانا ملائكة ثم قالوا له يا لوط عليهم وعلينا وجزيت لاجلنا ففي مقابلة خوفك وقت الخوف نزيل خوفك وننجيك وفي مقابلة حزنك نزيل حزنك ولا نتركك تفجع في اهلك فقالوا انا منجوك واهلك **المسئلة الرابعة** القوم عذبوا بسبب ما صدر منهم من الفاحشة وامرأته لم يصدر منها ذلك فكيف كانت من الغابرين معهم فنقول الدال على الشر كفاعل الشر كما ان الدال على الخير كفاعله وهي كانت تدل القوم على ضيوف لوط حتى كانوا يقصدونهم فبالدلالة صارت واحدة منهم ثم انهم بعد بشارة لوط عليه السلام بالتنجية ذكروا انهم منزلون على اهل هذه القرية

العذاب فقالوا انا منزلون على اهل هذه القرية العذاب فقالوا انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا
من السما فاختلفوا في ذلك فقال بعضهم وصل نار وقيل خسف وعلى هذا فلا يكون عسه من السما وانما يكون
الامر بالخسف من السما والعصابه من السما ثم اعلم ان كلام الملايكة مع لوط عليه السلام جرى على نمط كلامهم
مع ابرهيم عليه السلام قدموا البشارة على الانذار حيث قالوا انا منجوك ثم قالوا انا منزلون على اهل هذه القرية
المذكورة ولم يعللوا التنجيه فما قالوا انا منجوك لانك نبي او عابد وعللوا الاهلاك بقولهم بما كانوا يفسقون
وقالوا انها كانوا كما قالوا هناك ان اهلها كانوا ظالمين ثم قال تعالى ولقد تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون اي
من القرية فان القرية معلومة وفيها الما الاسود وهي بين القدس والكرك وفيها مسايل **احداها** جعل الله
الاية في نوح وابرهيم عليهما السلام بالنجاة حيث قال تعالى فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها
اية للعالمين فقال تعالى فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات وجعلها هنا الهلاك اية فهل عندك فيه شي
نقول نعم اما في ابرهيم عليه السلام فلان الاية كانت في النجاة انه في ذلك الوقت لم يكن اهلاكا واما في نوح عليه السلام
فلان الانجا من الطوفان الذي علا الجبال باسرها امر عجيب الهي وما به النجاة وهو السفينة كانت باقيا والغرق
لم يبق بعده اثره فجعل الباقي اية واما هنا فنجاة لوط عليه السلام لم يكن بامر يبقى اثره للحس والهلاك اثره
محسوس في البلاد فجعل الاية الامر الباقي هنا البلاد وهناك السفينة وهنا لطيفة وهي ان الله تعالى
قدرته موجودة في الانجا والاهلاك فذكر من كل باب اية وقدم اية الانجا لانها اثر الرحمة واخر اية الاهلاك
لانها اثر الغضب ورحمته سابقة الثانيه قال في السفينة جعلناها اية ولم يقل بينه وقال هنا انه بينة
فنقول لان الانجا بالسفينة امر تقع له كل عقل وقد يقع في وهم جاهل ان الانجا بالسفينة لا تفتقر الى امر اخر
واما هنا الخسف وجعل دياره معمورة عاليها سافلها وهو ليس بمعتاد وانما ذلك بارادة قادر تخصصه
بمكان دون مكان وفي زمان دون زمان فهي بينة لا يمكن الجاهل ان يقول هذا امر يكون كذلك وكان له
في السفينة والنجاة بها امر يكون لذلك الى ان يقال فمن اين يعلم انه يحتاج اليها وبدوام الما حتى ينفد زادهم كيف كان يحصل
لهم النجاه ولو سلط عليهم الريح العاصفة كيف كان يكون احوالهم **المسئلة الثالثه** قال هناك للعالمين وقال
هنا لقوم يعقلون قلنا لان السفينة موجودة في جميع اقطار العالم فعند كل قوم مثال لسفينة نوح يذكرون بها
حاله فاذا ركبوها يطلبون من الله النجاة ولا يرجو احد بمجرد السفينة بل يكون واثقا من عنف القلب متضرعا الى الله تعالى
طالب للنجاة واما اثر الهلاك في بلاد لوط عليه السلام ففي موضع مخصوص لا يطلع عليها الا من يمر بها ويصل اليها ويكون له
عقل يعلم ان ذلك من الله المريد بسبب اختصاصه بمكان دون مكان ووجوده في زمان بعد زمان والله اعلم بالصواب

**قوله تعالى** والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر ولا تعثوا في
الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة لما تم الحكاية الثانية على وجه الاختصار في مدين فقال بعضهم انه اسم
رجل في الاصل وجعل له ذرية فاشتهر في نسله كتميم وقيس وغيرهما وقال بعضهم ما انتسب العقوم اليه فاشتهر في القوم
والاول كانه اصح وذلك لان الله تعالى اضاف الما الى مدين حيث قال تعالى ولما ورد ما مدين ولو كان اسما لهما
لكانت الاضافة غير صحيحة وحسنه والاصل في الالفاظ التغاير حقيقه وقوله اخاهم قبل هم مدين لان شعيبا
كان منهم نسبا وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** قال الله تعالى في نوح عليه السلام ولقد ارسلنا الى قومه
قدم نوح عليه السلام في الذكر وعرف القوم في الاضافه اليه وكذلك في ابرهيم ولوط عليهما السلام وههنا
ذكر القوم اولا واضافه اليهم اخاهم شعيبا فنقول الاصل في جميع المواضع ان يذكر القوم ثم يذكر رسولهم لان الرسول
لا يبعث رسولا الى غير معين وانما يحصل قوم او شخص يحتاجون الى انبا من المرسل فيرسل اليهم من يختاره ان قوم
قوم نوح وابرهيم ولوط عليهم السلام لم يكن لهم اسم خاص ولا نسبة مخصوص يعرفون بها فعرفوا بالنبي فقيل قوم
نوح وقوم لوط واما قوم شعيب وهود وصالح فكان لهم نسب معلوم استهزوا به عند الناس فجرى الكلام على اصله
قال الله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا والى عاد اخاهم هودا **المسئلة الثانيه** انه لم يذكر عن لوط عليه السلام انه امر
قومه بالعبادة والتوحيد وذكر عن شعيب ذلك قلنا قد ذكرنا ان لوطا كان لهم قوم وهو كان من قوم ابرهيم وفي زمانه
ابرهيم عليه السلام سبقه بذلك واجتهد فيه حتى اشتهر الامر بالتوحيد عند الخلق من ابرهيم عليه السلام فلم
يذكره عن لوط عليه السلام وانما ذكر عنه ما اختص به من المنع عن الفاحشة وغيرها وان كان هو ايضا يامر بالتوحيد
واما شعيب عليه السلام فكان بعد انقراض ذلك القوم فكان هو اصلا ايضا في التوحيد فبدا به وقال اعبدوا الله
**المسئلة الثالثه** الايمان لا يتم الا بالتوحيد والامر بالعبادة لا يفيده لان من يعبد الله تعالى ويعبد غيره
فهو مشرك فكيف اقتصر على قوله اعبدوا الله نقول هذا الامر يفيد التوحيد لان من يرى غيره يخدم زيدا وعمرو
وهناك وهو اكبر وهو يسل ذيكان لواحد دينارا واحدا وهو يريد يعطيه زيدا فاذا قيل له اعطيه عمرو ايفهم
منه لا يعطيه عمروا فنقول لهم كانوا مشتغلين بعبادة غير الله والله ما لك ذلك الغير فقال لهم شعيب اعبدوا
مفهوما منه ترك عبادة غيره او نقول لكل واحد نفس لا واحد واراده وصفها في عبادة غير الله فقال لهم شعيب ضعوها

فاصبحوا في دارهم جاثمين

في موضعها



في موضعها وهو عبادة الله فهم منه التوحيد اما قوله تعالى وارجوا اليوم الاخر قال الزمخشري معناه افعلوا فعل
من يكون غافلا او يقول القايل لغيره كن عاقلا ولكن معناه افعل فعل من يكون عاقلا وقوله تعالى وارجوا اليوم
الاخر وفيه مسايل **المسئلة الاولى** هذا يدل على صحة مذهبنا فان عندنا من يعبد الله طول عمره نكسه الله
تعالى بفضله ولا يجب عليه ذلك لان العابد قد وصل اليه من النعم ما لو زاد على ما اتى به لما خرج من عهدة الشكر
ومن الشكر المنعم على انعم سبقت لا يلزم المنعم ان يزيده وان زاد يكون احسانا منه اليه وانها ما عليه فقوله
قوله تعالى وارجوا اليوم الاخر بعد قوله اعبدوا الله يدل على التفضل لا على الوجوب فان التفضل يرجى
الواجب من العادل يقطع به **المسئلة الثانية** قال وارجوا اليوم ولم يقل وخافوا مع ان ذلك اليوم مخوف عند
الكل وغير مرجو عند كثير من الناس لفسقه وفجوره وحبه الدنيا ولا يرجوه الا قليل من عباده فنقول لما ذكر
التوحيد بطريق الاثبات وقال اعبدوا ولم يذكر بطريق النفي وما قال ولا تعبدوا غيره قال بلفظ الرجاء لان عبادة الله
تعالى يرجى منها الخير في الدارين وفيه وجه اخر وهو ان الله تعالى حكى في حكاية ابرهيم عليه السلام انه قال انما اتخذتم
الاوثان مودة بينكم في الحياة الدنيا واما الاخرة فتنكرون بها قال تكونوا كالذين سبق ذكرهم لا يرجو اليوم
الاخر فاقتصروا على مودة الحياة الدنيا وارجوا اليوم الاخر واعملوا له اما قوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين
يمكن ان يقال نصب مفسدين على المصدر كما يقال قم قايما ويكون قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين نقول القايل
اجلس قعودا لان العث والفسا بمعنى وجميع الاوامر والنواهي في قوله اعبدوا الله وقوله تعالى ولا تعثوا
ثم ان القوم كذبوه بعد ما بلغ وبين فحكى الله عنهم ذلك بقوله تعالى فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم
جاثمين وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** ما حكي عن شعيب عليه السلام امر ونهي والامر لا يكذب ولا يصدق
فان من قال لغيره قم ولا يصح ان يقول له كذبت فمعوله كان شعيب عليه السلام يقول الله واحد فاعبدوه وهو
يخبر كاين فارجوه والفساد محرم فلا تقربوه وهذه الاشيا فيها اخبارات فكذبوه فيما اخبره **المسئلة الثانية**
قال هنا وفي الاعراف فاخذتهم الرجفة وقال في هود فاخذتهم الصيحة والحكاية واحدة فيقال لا تعارض بينهما
فان الصيحة كانت سبب الرجفة اما الرجفة اذا قيل جبريل صاح فتزلزلت الارض من صيحته واما رجفة
الافئدة فان قلوبهم ارتجفت منها والاضافة الى السبب لا تنافي الاضافة الى سبب السبب ويصح ان يقال نصح دوي
صفوي وان يقال شرب صفوي في صورة واحدة **المسئلة الثالثه** حيث قال فاخذتهم الصيحة قال في ديارهم
وحيث قال فاخذتهم الرجفة قال في دارهم فنقول المراد من الدار هو الديار والاضافة الى الجمع يجوز ان يكون بلفظ
الجميع وان يكون بلفظ الواحد او لا من الالتباس وانما اختلف اللفظ للطيفه وهي ان الرجفة هايلة في نفسها
فلم يحتج الى تهويل واما الصيحة فغير هايلة في نفسها لكن تلك الصيحة لما كانت عظيمه حتى احدثت الزلزلة في
الارض ذكر الديار بلفظ الجمع حتى يعلم هدتها والرجفة بمعنى الزلزلة عظيمة عند كل واحد فلم يحتج الى معظم
لامرها وقيل ان الصيحة كانت عم حيث عمت الارض والجو والزلزلة لم يكن الا في الارض فذكر الديار هناك
غير ان هذا ضعيف لان الدار والديار موضع الجثوم لا موضع الصيحة والرجفة وهم ما اصبحوا جاثمين الا
في ديارهم او دارهم والله اعلم بالصواب **قوله تعالى** وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم وزين
لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم
موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين اي اهلكنا عادا وثمودا لان قوله تعالى
فاخذتهم الرجفة دل على الاهلاك وقد تبين لكم من مساكنهم الامر وما قصروا امنه ثم بين سبب
ما جرى الله عليهم فقال تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل يعني عبادة الله وكانوا
مستبصرين يعني بواسطة الرسل يعني لم يكن لهم في ذلك عذر فان الرسل اوضحوا السبل ثم قال
تعالى وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات كما قال تعالى في عاد وثمود وكانوا
مستبصرين اي بالرسل ثم قال تعالى فاستكبروا في الارض اي عن عبادة الله وقوله في الارض اشارة
الى ما يوضح قلة عقلهم في استكبارهم وذلك لان من في الارض اضعف اقسام المكلفين ومن في السما اقوالهم
ثم ان من في السما لا يستكبر على الله تعالى بالعبادة فكيف من في الارض ثم قال تعالى وما كانوا سابقين اي
ما كانوا يفتون الله لاياتين في قوله تعالى وما انتم بمعجزين في الارض المراد الخطار الارض في قبضة قدرة
الله تعالى **قوله تعالى** فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة
ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ذكر الله تعالى اربعة اشيا العذاب
بالحاصب قيل انه كان بحجارة محماة تقع على واحد منهم وتنفذ من الجانب الاخر وفيه اشارة الى النار والعذاب
بالصيحة وهو هوا متموج تقع على واحد منهم وتنفذ من الجانب الاخر فان الصوت قيل سببه تموج الهوا
ووصوله الى العصب الذي على منفذ الاذن وهو الصماخ فتزعجه فيحس والعذاب بالخسف وهو بالتراب والعذاب
بالاغراق وهو بالما فخص العذاب بالعناصر الاربعة والانسان منها وبها قوامه وسببه بقاوه ودوامه

ولكن كانوا انفسهم يظلمون

فاذا اراد الله تعالى اهلاك الانسان ما منه وجوده سببا لعدمه وما به بقاؤه سببا لفنائه ثم قال تعالى وما
كان الله ليظلمهم يعني لم يظلمهم بالهلاك وانما هم ظلموا انفسهم بالاشراك وفيه وجه اخر الطف وهو ان الله تعالى
ما كان يظلمهم اي ما كان يضعهم في غير موضعهم فان موضعهم الكرامة كما قال الله تعالى ولقد كرمنا بني ادم
لكنهم ظلموا انفسهم حيث وضعوها مع شرفهم في عبادة الاوثان مع خستها والله تعالى اعلم **قوله**
**تعالى** مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون
لما بين الله تعالى انه اهلك من اشرك عاجلا وعذب من كذب اجلا ولم ينفعه في الدارين معبوده
ولم يدفع عنه ذلك ركوعه وسجوده مثل اتخاذه ذلك معبودا كاتخاذ العنكبوت بيتا لا يجير ولا يريح اواويا وفي
الاية بذكرها وفي الاية مسائل **المسئلة الاولى** ما الحكمة في اختيار هذا المثل من بين ساير الامثال فنقول
فيه وجوه الاول ان البيت ينبغي ان يكون له امور حائط حائل وسقف مظل وباب يغلق وامور ينتفع بها
ويرتفق فان لم يكن كذلك فلا بد من احد امرين اما حائط حائل يمنع منه الستر وسقف مظل يمنع عنه الحر ان
لم يحصل منهما فهو كالبيد البسبس بيت لكن بيت العنكبوت لا يحويها ولا يكنها وكذلك المعبود ينبغي ان يكون منه
الخلق والرزق وجر المنافع وبه دفع المضار فان لم يجتمع الامور فلا اقل من دفع ضر او جر نفع فان من لم يكن
كذلك هو والمعدوم بالنسبة اليه سوا فاذا لم يحصل العنكبوت ما يجاد ذلك البيت من معاني البيت
شي كذلك الكافر لم يحصل له باتخاذ الاوثان اولياء من معاني الاولياء شي الثاني هو ان اقل درجات
البيت ان يكون للظل فان البيت من الحجر وبعد الاستظلال يدفع ايضا الهواء والماء والنار والتراب البيت من
الخشب بعد الاستظلال ويدفع الحر والبرد ولا يدفع الهواء القوي ولا الماء ولا النار والخوص التي هي من شعر
والخيمة التي من ثوب ان كان لا يدفع شيئا يظل ويدفع حر الشمس لكن بيت العنكبوت لا يظل فان الشمس مع عدمها
بعد منه فكذلك المعبود اعلى درجاته ان يكون نافذ الامر في العبد فان لم يكن كذلك فيكون نافذ الامر العابد
فان لم يكن فلا اقل من ان لا ينفذ فيما امر العابد به فيه لكن معبودهم تحت تسخيرهم ان ارادوا احلوه وان
احبوا اذلوه الثالث ادنى مراتب البيت انه لم يكن سبب ثبات وارتفاق لا يصير سبب شتات وافتراق لكن
بيت العنكبوت سببا لانزعاج العنكبوت فان العنكبوت لو دام في زاوية مدة لا يقصد ولا يخرج منها فاذا نسج على نفسه
واتخذ بيتا يتبعه صاحب الملك بتنظيف البيت منه وبالمسوح الخشنة المؤذية لجسم العنكبوت فكذلك العابد بسبب
العبادة ينبغي ان يستحق الثواب فان لم يستحقه فلا اقل ان لا يستحق بسببها العذاب والكافر يستحق بسبب العبادة العذاب
**المسئلة الثانية** مثل الله اتخاذهم الاوثان ما هو اعظم منها اولياء باتخاذ العنكبوت نسجه بيتا ومن تمثيله نسجه اصطياده
الذباب به من غير ان يعوقه ما هو اعظم منها وهو الدار الاخرة التي هي خير وابقى فليس اتخاذهم كنسج العنكبوت
**الوجه الثاني** وهو ان نسجه مفيد لكن اتخاذهم ذلك بيتا امر باطل فكذلك هم لو اتخذوا الاوثان دلايل على وجود
الله وصفات كماله وبراهين على نعوت اكرامه واوصاف جماله لكان حكمه لكنهم اتخذوهم اولياء كجعل العنكبوت
النسج باطلا بيتا وكلاهما باطل **الثالثة** كما ان هذا المبدا صحيح في الاول فهو صحيح في الاخر فان بيت العنكبوت
اذا هبت ريح لا يرى منه عين ولا اثر بل يصير هبا منثورا فكذلك اعمالهم للاوثان كما قال الله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل
فجعلناه هباء منثورا **الرابعة** قال تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء ولم يقل الهة اشارة الى ابطال الشرك الخفي
ايضا فان من عبد الله تعالى رياء لغيره فقد اتخذ وليا غيره فمثله مثل العنكبوت يتخذ نسجه بيتا ثم قال تعالى وان اوهن
البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون اشارة الى ما بينا ان كل بيت ففيه اما فائدة الاستظلال او غيره وذلك عنه اما دة
ذلك ولانه يخرب بادنى شي ولا يبقى منه عين ولا اثر فكذلك علمهم لو كانوا يعلمون اما قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون
من دونه من شي وهو العزيز الحكيم قال الزمخشري هي زيادة توكيد على التمثيل حيث انهم لا يدعون من دونه من شي يعني ما يدعون
ليس بشي وهو العزيز الحكيم فكيف يجوز للعاقل ان يترك القادر الحكيم ويشتغل بعبادة ما ليس بشي اصلا وهذا يفهم منه
انه جعل ما نافيه وهو صحيح والعلم متعلق بالجملة كما تقول يدعون من شي القايل انى اعلم الله واحد حق يعني اعلم هذه الجملة
وان كان يجعل ما خبريه ويكون معناه ما يدعون من شي فالله يعلمه وهو العزيز الحكيم قادر على اعلامه واعلانهم لكنه حكيم
يمهلهم ليكون الهلاك عن بينة والحياة عن بينة من هاهنا يكون الخطاب مع قوم محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا لو قال
قايل ما وجه تعلق هذه الاية بالتمثيل السابق فنقول لما قال تعالى ان مثلهم كمثل العنكبوت فكان الكافر كان يقول
انا لا اعبد هذه الاوثان التي اتخذها وهي تحت تسخيري وانما هي صورة كوكب انا تحت تسخيره ومنه نفعي وضري وخيري
وشري ووجودي ودوامي فله سجودي واعطائي فقال الله تعالى ان الله يعلم ما تعبدون من دون الله هو مثل
بيت العنكبوت لان الكوكب والملك وكل ما دون الله لا ينفع ولا يضر الا باذن الله تعالى فعبادتكم العابث
لعبادتكم الخاص ولا معبود الا الله تعالى ولا اله سواه والله اعلم **قوله تعالى** وتلك الامثال نضربها
للناس وما يعقلها الا العالمون خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية للمومنين اتل ما
اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون





كيف يضرب الله خالق السموات والارض مثلا بالهوام والحشرات والذباب والعنكبوت فقال الامثال نضربها للناس
ان لم تكونوا كالانعام يحصل لكم منه ادراك ما يوجب نفرتكم مما انتم فيه وذلك لان التشبيه يؤثر في النفس تاثيرا
لذيذا فاذا قال الحكيم لمن يغتاب بانك لما تغتبه كانك تاكل لحم ميت لانك وقعت في هذا الرجل وهو غائب
لا يفهم ما تقول ولا يسمع حيث يجيب كمن تقع في ميت ياكل منه وهو لا يعلم ما تفعله ولا يقدر على دفعه ان كان
يعلم فينفر طبعه منه كما ينفر اذا قال له انه يوجب العقاب ويورث العتاب ثم قال تعالى وما يعقلها الا العالمون يعني
حقيقتها ولولا ان الامر كذلك لا يعلمه الا من حصل له العلم ببطلان ما سوى الله عز وجل وفساد عبادة ما سواه
وفيه معنى حكمي وهو ان العلم الحدسي يعلمه العاقل والعلم الفكري الدقيق يعقله العالم وذلك لان العاقل اذا عرض
عليه امر ظاهر ادركه كما هو بكنهه لكون المدرك ظاهرا وكون المدرك عاقلا ولا يحتاج الى كونه عالما ناسيا
قبله واما الدقيق فيحتاج الى علم سابق فلا بد من عالم ثم انه قد يكون دقيقا في غاية الدقة فيدركه ولا يدركه
بتمامه فيعقله اذا كان عالما اذا علم هذا فقوله تعالى وما يعقلها الا العالمون يعني هو ضرب للناس مثلا وحقيقتها
وما فيها من الفوايد باسرها فلا يدركها الا العالمون ثم انه تعالى لما امر الخلق بالايمان واظهر الحق والبرهان ولم
يات الكفار بما امرهم به وقص عليهم قصصا فيها عبر وانذرهم على كفرهم باهلاك من غبر وبين ضعف دليلهم بالتمسك
ولم يهتدوا بذلك الى سواء السبيل حصل ياس الناس عنهم فسلى المومنين بقوله تعالى خلق الله السموات والارض
بالحق ان في ذلك لاية للمومنين يعني ان لم يومنوا هم لا يورث كفرهم شكا في صحة دينكم ولا يورث شكهم في نفسكم
فان خلق الله السموات والارض بالحق للمومنين بيان ظاهر وبرهان باهر وان لم يومنوا به على وجه الارض كافر
وفي الاية مسئلة يتبين بها تفسير الاية وهي ان الله تعالى كيف خص بها الاية في خلق السموات والارض
بالمومنين مع ان في خلقها اية لكل عاقل كما قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
وقال تعالى ان في خلق السموات والارض لاية لكل عاقل وخلقها بالحق اية للمومنين فحسب وبيانه من حيث
النقل والعقل فقوله تعالى ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون اخرج اكثر الناس عن العلم بكون خلقها
بالحق مع انه اثبت علم الكل بانا خلقها حيث قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله واما
العقل وهو ان العاقل اول ما ينظر الى خلق السموات والارض ويعلم ان لهما خالقا وهو الله ثم من يهديه الله لا ينقطع
النظر عنهما عند مجرد ذلك بل يقول انه خلقهما متيقنا محكما وهو المراد بقوله بالحق لان ما لا يكون على وجه الكلام يفسد
ويبطل فيكون فاسدا باطلا واذا علم انه خلقهما متيقنا يقول انه قادر كامل حيث خلق وعالم علمه شامل حيث اتقن فيقول
لا يعزب عن علمه اجزاء الموجودات في الارض ولا في السموات ولا يعجز عن جمعها كما جمع اجزاء الكائنات والمبتدعات فيجوز بعث من في القبور
وبعثه الرسول ويعلم وحدانية الله لانه لو كان اكثر من واحد لفسدتا وابطلتا وهما بالحق موجودان فيحصل له الايمان بتمامه من خلق
ما خلقه على احسن قطامه ثم ان الله تعالى لما سلى المومن بهذه الاية سلى رسوله بهذه الاية بقوله تعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب
يعني ان كنت تاسف على كفرهم فاتل ما اوحي اليك لتعلم ان نوحا ولوطا وغيرهما كانوا على ما انت عليه بلغوا الرسالة وبالغوا في اقامة
الدلايل ولم ينقذوا قومهم من الضلالة والجهالة فلهذا قال اتل وما عليهم لان التلاوة ما كانت بعد الياس منهم الا لتسلية
قلب نبيه صلى الله عليه وسلم وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** ان الرسول اذا كان معه كتاب وقرا كتابه مرة ولم يسمع لا يبقى
له فايدة في قراءته لنفسه فنقول الكتاب المنزل على النبي المرسل ليس كذلك فان الكتب المسيره مع الرسل على قسمين قسم يكون فيه
سلام وكلام مع واحد يحصل بقراءته مرة تمام المرام وقسم يكون فيه قانون كلي يحتاج اليه الرعية في جميع الاوقات كما اذا كتب
الملك فيه كتابا فيه انا رفعنا عنكم البدعة الفلانية ووضعنا عنكم السنة الفلانية وبعثنا اليكم هذا الكتاب فيه تجمع ذلك
فليكن ذلك المنوال يتبع عليه وان تعدود فمثل هذا الكتاب لا يقرا ويرد بل يعلق من مكان عال وكثيرا ما يكتب نسخه على لوح وينكت
فوق المحاريب ويكون نصب الاعين فكذلك كتاب الله مع رسوله محمد صلى الله عليه وسلم قانون كلي فيه شفاء للمومنين فوجب تلاوته مرة بعد مرة
ليبلغ الى حد التواتر وينقله قرن الى قرن وياخذه قوم من قوم ويكتب في الصدور وعلى مر الدهور **الوجه الثاني** هو ان الكتب
على ثلثة اقسام كتاب لا يكرر قراءته الا للغير كالقصص فان من قرا حكاية مرة لا يقراها مرة اخرى الا لغيره ثم اذا سمعه ذلك الغير لا يقراها
الا لاخر لم يسمعه ولو قراه عليه لسام ومل وكتاب لا يكرر عليه الا للنفس كالنحو والفقه وغيرهما وكتاب يتلى مرة بعد مرة
للغير كالمواعظ الحسنة فانها تكرر للغير وكلما سمعها يلتذ بها ويرق لها قلبه ويستعيدها وكلما يزيد حلاوة في السمع يخرج الوساوس
مع الدمع ويكرر ايضا للنفس المتكلم فان كثيرا ما يلتذ المتكلم بكلمة طيبة وكلما يعيدها كان اطيب والذ كما في الكتب وانفرد حتى
يبكي ويبكي من رضيه دما ولو اورثه البكا عمى اذا علم هذا فالقران من القبيل الثالث مع ان فيه القصص والفقه والنحو فكانت تلاوته
كل زمان فائدة **المسئلة الثانية** ثم خصص بالامر هذين الشيئين تلاوة الكتاب واقامة الصلوة ليعود لوجهين احدهما ان الله
تعالى لما اراد تسلية قلب محمد صلى الله عليه وسلم قال له الرسول واسطة بين طرفين من الله تعالى الى الخلق فاذا لم يتصل به الطرف
الواحد ولم يقبلوه فالطرف الاخر متصل به وان لم يقبلوا لا ترى ان الرسول اذا تعين رسالته يتوجه نحو مرسله فاذا يقبلوه كتابك ولم
يقبلوك فوجه وجهك الي في الصلوة توجهي الوجه الثاني هو ان العبادات المختصة بالعبد ثلثة قلبية وهي الاعتقاد الحق ولسانية
وهي الذكر الحسن وبدنية وهي العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر فان من اعتقد شيا لا يمكنه ان يعتقده مرة اخرى بل ذلك يدوم مستمرا
والنبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك حاصلا له عن عيان لحمل ما يحصل عن بيان فلم يومر به لعدم امكان تكراره لكن الذكر ممكن
التكرار والعبادة البدنية كذلك فامره بهما فقال اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة **المسئلة الثالثة** كيف تنهى الصلوة عن الفحشاء والمنكر
فنقول قال بعض المفسرين المراد من الصلوة القران وهو ينهى عنهما وهو بعيد لان ارادة القران من الصلاة في هذا الموضع

الذي قال قوله اقم الصلوة بعيد عن الفهم وقال بعضهم اراد به نفس الصلاة وهي تنهى عنهما ما دام العبد في الصلاة لانه لا يمكنه الاشتغال بشيء منهما فنقول هذا كذلك لكن المراد ليس هذا والا لا يكون مدحا كاملا للصلوة لان غيرها من الاشتغال كثيرا ما يكون كذلك كالنوم في وقته وغيره فنقول المراد ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر مطلقا وعلى هذا قال بعض المفسرين الصلاة هي التي تكون موضع الخضوع وهي تنهى حتى نقل عنه صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن المعاصي لم يزدد من الله الا بعدا ونحن نقول الصلوة الصحيحة شرعا تنهى عن الامرين مطلقا وهي التي اتى بها المكلف لله تعالى حتى لو قصد بها الرياء لا تصح صلاته شرعا وتجب عليه الاعادة وهذا ظاهر فان من نوى بوضوئه الصلاة البرد قيل لا تصح صلاته شرعا فكيف من نوى بصلاته الله وغيره اذا ثبت هذا فنقول هذه الصلوة تنهى عن وجوه الاول هو ان من كان يخدم ملكا عظيم الشان كثير الاحسان ويكون عنده منزلة ويرى عبدا من عبيده قد طرده طردا لا يتصور قبوله وفاته الخير بحيث لا يرجى حصوله يستحيل من ذلك المقرب عرفا ان يترك خدمة ذلك الملك ويدخل في طاعة ذلك المطرود فكذلك العبد اذا صلى لله صار عبدا له وحصل له منزلة المصلي يناجي ربه فيستحيل منه ان يترك عبادة الله ويدخل تحت طاعة الشيطان المطرود ولكن مرتكب الفحشاء والمنكر في طاعة الشيطان فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر الثاني هو ان من يباشر القاذورات كالكناس والزبال يكون له لباس نظيف اذا لبسه لا يباشر معه القاذورات وكلما كان ثوبه ارفع يكون امتناعه وهو لابسه عن القاذورات اكثر فاذا لبس واحد منهم ثوب ديباج مذهب يستحيل منه مباشرة تلك الاشياء عرفا فكذلك العبد اذا صلى لبس لباس التقوى لانه واقف بين يدي الله تعالى واضع يمينه على شماله على هيئة من يقف بمراى ذي هيبة ولباس التقوى خير لباس يكون نسبته الى القلب اعلى من نسبة الديباج المذهب الى الجسم فاذا من لبس هذا اللباس يستحيل منه مباشرة قاذورات الفحشاء والمنكر مكررة واحدة بعد واحدة فدوام هذا اللباس يدوم الامتناع الثالث من يكون امير نفسه يجلس حيث يريد فاذا دخل في خدمة ملك واعطاه منصبا له مقام خاص لا يجلس صاحب ذلك المنصب الا في ذلك الموضع فلو اراد ان يجلس في صف النعال لا يترك فكذلك العبد اذا صلى في طاعة الله تعالى لم يبق بحكم نفسه وصار له مقام معين اذا صار مثل اصحاب اليمين فلو اراد ان يقف في غير موضعه وهو موقف اصحاب الشمال لا يترك يكن مرتكبا الفحشاء والمنكر من اصحاب الشمال وهذا الوجه اشارة الى عصمة الله عز وجل يعني من صلى عصمه الله تعالى عن الفحشاء والمنكر الوجه الرابع وهو موافق لما ورد به الاخبار وهو ان من يكون بعيدا عن الملك كالسوقي المنادي والعيس لا يبالي بما يفعل الا فعال باكل في دكان الهراس والرواس ويجلس مع اجناس الناس فاذا صار له قربة يسيرة من الملك كما اذا صار واحدا من الحجاريه والقواد والسياس عند الملك لا تمنعه تلك القربة من تعاطي ما كان يفعله فاذا زادت قربته وارتفعت منزلته حتى صار اميرا حينئذ يمنعه هذه المنزلة عن الاكل في ذلك المكان والجلوس مع اولئك الخلان كذلك العبد اذا صلى وسجد ولا صار له قربة ما لقوله تعالى واسجد واقترب فان ذلك القدر من القربة لا تمنعه من المعاصي والملاهي فيكرر الصلوة والسجود مكانه حتى يرى على نفسه من اثار الكرامة ما يستقذر دمعه من نفسه الصغاير فضلا عن الكبائر وفي الاية وجه اخر معقول يؤكده المنقول وهو ان المراد من قوله الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر هو نهيها عن التعطيل والاشراك والتعطيل هو انكار وجود الله والاشراك اثبات الهية لغير الله تعالى فنقول التعطيل عقيدة فحشاء لان الفحشاء هو القبيح الظاهر لكن وجود الله اظهر من الشمس وما من شيء الا وفيه اية ان الله ظاهرة وانكار الظاهر ظاهر الانكار فالقول بانه لا اله فحش والاشراك منكر وذلك لان الله تعالى لما اطلق اسم المنكر على من نسب نفسا الى غير الوالد مع جواز ان يكون له ولد ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول فالمشرك الذي يقول للملائكة بنات الله ونسب الى من لم يلد ولا يجوز ان يكون له ولد ولا والد وكيف لا يكون قوله منكر فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وذلك ان العبد اول ما شرع في الصلوة يقول الله اكبر فيقول الله نفي التعطيل وقوله اكبر نفي التشريك لان الشريك لا يكون اكبر من الشريك الاخر فيما فيه الاشتراك فاذا قال بسم الله نفى التعطيل فاذا قال الرحمن الرحيم نفى الاشراك لان الرحمن من يعطي الوجود بالخلق بالرحمة والرحيم من يعطي البقا بالرزق بالرحمة فاذا قال الحمد لله رب العالمين خلاف الاشراك فاذا قال اياك نعبد بتقديم اياك نفى التعطيل والاشراك وكذا بقوله واياك نستعين فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم نفى التعطيل لان طالب الصراط مقصد والمعطل لا مقصد له وبقوله المستقيم نفى الاشراك لان المستقيم هو الاقرب والمشرك يعبد الاصنام حتى يعبد صورة صورها الاله العالمين ويشفعون لهم وعبادة الله تعالى من غير واسطة اقرب وعلى هذا الى غير الصلوة فيها اشهد ان لا اله الا الله فيه نفي الاشراك والتعطيل وهاهنا لطيفة وهي ان الصلوة اولها لفظة الله واخرها لفظة الله وفي قوله اشهد ان لا اله الا الله ليعلم المصلي انه من اول الصلاة الى اخرها مع الله فان قيل فقد بقي من الصلاة قوله واشهد ان محمدا رسول الله والصلوة على الرسول والتسليم فنقول هذه الاشياء في اخرها دخلت بمعنى خارج عن ذات الصلوة وذلك لان الصلوة ذكر الله تعالى لا غير لكن العبد اذا صلى بالصلاة الى الله وحصل مع الله لا يقع في قلبه انه استقل واستبد واستغنى عن الرسول لكي يقرب من السلطان فيصير بذلك ولا يلتفت الى النواب والحجاب فقال انت في هذه المنزلة الرفيعة بهداية محمد وغير مستغنى عنه فقل مع ذكري محمد رسول الله ثم اذا علمت ان هذا كله بترك هدايته فاذكر احسانه بالصلوة عليه ثم اذا رجعت من مراجعتك وانتهيت الى اخوانك فسلم عليهم وبلغهم سلامي كما هو ترتيب المسافرين **واعلم** ان هيئة الصلوة هيئة فيها هيبة حتى يعتنى بين يدي الله تعالى كما يحثوا بين يدي السلطان

من اكرمه



من اكرمه بالاخلاص كان العبد اذا وقف واسى كربه الله راجيا يحياه وفي الحثو لطيفة وهي ان من حثا في الدنيا بين يدي ربه هذا الحثو لا يكون له حثو في الاخرة ولا يكون من الذين قال الله في حقهم ونذر الظالمين فيها جثيا اما قوله تعالى ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون لما ذكر امرين وهما تلاوة الكتاب واقامة الصلوة بين ما يوجب ان يكون الاتيان بهما على ابلغ وجوه التعظيم فقال تعالى ولذكر الله اكبر وانتم اذا ذكرتم اماثلكم بما فيهم من الصفات الحسنة تمدحون بذلك وتكونون ملا افواهكم وقلوبكم لكن ذكر الله تعالى اكبر فينبغي ان يكون على ابلغ وجوه التعظيم واما الصلوة فكذلك لان الله تعالى يعلم ما تصنعون وهذا احسن صنعكم فينبغي ان يكون على وجه التعظيم وفي قوله تعالى ولذكر الله اكبر مع حذف بيان ما هو اكبر منه لطيفة وهي ان الله تعالى لم يقل اكبر من ذكر فلان لان ما نسب الى غيره بالكبر فله اليه نسبة اذ لا يقال ان الجبل اكبر من خردلة وانما يقال هذا الجبل اكبر من هذا الجبل فاسقط المنسوب كانه قال ولذكر الله اكبر لا لغيره وبهذا نقول في الصلوة الله اكبر اي له الكبر لا لغيره والله اعلم **قوله تعالى** ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما



**اعلم** انه تعالى لما بين طريقة ارشاد المشركين ونفع من انتفع وحصل الياس ممن امتنع بين طريقة ارشاد اهل الكتاب فقال تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالاحسن قال بعض المفسرين المراد منه لا تجادلوهم بالسيف وان لم يؤمنوا الا الذين ظلموا وحاربوا اي اذا ظلموا زائدا على كفرهم وفيه معنى الطف منه وهو ان المشرك جاء بالمنكر على ما بيناه فكان اللائق ان يجادل بالاحسن ويبالغ في تهجين مذهبه وتوهين سببه ولهذا قال تعالى في حقهم صم بكم وقال لهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها الى غير ذلك واما اهل الكتاب فجاءوا بكل حسن الا الاعتراف بالنبي صلى الله عليه وسلم فوحدوا وامنوا بانزال الكتاب وارسال الرسل والحشر فلمقابلة احسانهم يجادلوا اولا بالاحسن ولا يستحقروا ارائهم ولا ينسب الى الضلال اباؤهم بخلاف المشرك ثم على هذا فقوله تعالى الا الذين ظلموا تبين له حسن اخر وهو ان المراد ان يكون الا الذين اشركوا منهم باثبات الولد لله والقول بثالث ثلاثة فانهم ضاهوهم في القول المنكر فهم الظالمون لان الشرك ظلم عظيم فيجادلون بالاحسن من تهجين مقالهم وتبيين جهالتهم ثم انه تعالى بين ذلك الاحسن فقدم محاسنهم بقوله تعالى وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون فلو امنا اتباع ما قاله لكنه بين رسالته لكم وهو دليل مضى ثم بعد ذلك ذكر دليلا قياسيا فقال تعالى وكذلك انزلنا اليك الكتاب يعني كما انزلنا على من تقدمك انزلنا عليك وهذا قياس اما قوله تعالى فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء كذ **واختلف** المفسرون فقال بعضهم المراد بالذين اتيناهم الكتاب من امن بنبينا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وغيره وبقوله تعالى ومن هؤلاء اي من اهل مكة وقال بعضهم المراد بالذين اتيناهم الكتاب هم الذين سبقوا محمدا صلى الله عليه وسلم زمانا من اهل الكتاب ومن هؤلاء الذين هم في زمان محمد عليه السلام من اهل الكتاب وهذا اقرب فان قوله صرفه الى اهل الكتاب اولى لان الكتاب فيهم ولا ذكر للمشركين هنا اذ كان هذا الكلام بعد الفراغ من ذكرهم والاعراض عنهم لاصرارهم على كفرهم وهاهنا وجه اخر اولى واقرب الى العقل والنقل واقرب الى الاحسن من الجدل المامور به وهو ان نقول المراد فالذين اتيناهم الكتاب هم الانبياء وبقوله ومن اهل الكتاب اي من اهل الكتاب وهو الاقرب لان الذين اتاهم الكتاب في الحقيقة هم الانبياء فان الله تعالى ما اتى الكتاب الا للانبياء قال الله تعالى اولئك الذين اتيناهم الكتاب وقال تعالى واتينا داود زبورا وقال تعالى اتاني الكتاب واذا حملنا الكتاب على هذا لا يدخله التخصيص لان كل الانبياء امنوا بكل الانبياء واذا قلنا انما قالوا به يكون المراد من الذين اتيناهم الكتاب عبد الله بن سلام واناس قلائل معه او عدد قليل فيكون المراد بقوله تعالى ومن هؤلاء غير المذكورين وعلى ما ذكرنا يكون مخرج الكلام كانهم قسموا القوم قسمين احدهما المشركون وتكلم فيهم والثاني اهل الكتاب وهو بعيد في بيان امرهم والوقت وقت جريان ذكرهم فاذا قال هؤلاء يكون منصرفا الى اهل الكتاب الذين هم في وقتهم واذا قال اولئك منصرفا الى المشركين سبق ذكرهم وتحقق امرهم وعلى هذا التفسير يكون الجدال على احسن الوجوه وذلك لان الخلاف في الانبياء والائمة قريب من الخلاف في فضيلة الرؤساء والملوك فاذا اختلف جريان في فضيلة ملكين او رئيسين واذى الاختلاف الى الاقتتال يكون اقوى كلام يصلح بينهم ان يقال لهم هذا الملكان متوافقان متصادقان فلا معنى لنزاعكم فكذلك هاهنا قال صلى الله عليه وسلم نحن امنا بالانبياء وهم امنوا بي فلا معنى لتعصبكم لهم وكذلك اكابركم وعلماؤكم ثم قال تعالى وما يجحد باياتنا الا الكافرون تنفيرا لهم عما هم عليه يعني انكم امنتم بكل شيء وامتزتم عن المشركين بكل فضيلة الا هذه المسئلة الواحدة وبانكارها تلحقون بهم وتبطلون مزاياكم فان الجاحد بايه يكون كافرا والله تعالى اعلم **قوله تعالى** وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب



**اعلم** ان هذه درجة اخرى وبعدما تقدم على الترتيب وذلك لان المجادل اذا ذكر مسئلة مختلفا فيها كقول القايل الزكاة تجب في مال الصغير فاذا قيل له فمن قال انه تجب في ماله ولا يذكرا ولا الجامع بينهما فان نع

المطالب لمجرد التسلية ويدرك من نفسه الجامع فذاك وان لم يذكرا ولم نقنع سدالي مع قصور كلاهما مال فضل عن الحاجة
فيجب فكذلك هاهنا ذكرا ولا التمسك بقوله تعالى فلذلك انا انزلنا اليك ثم ذكر الجامع وهو المعجزة فقال ما علم كون تلك الكتب منزلة
الا بالمعجزة وهذا القران ممن تكتب ولم تقرا غير المعجزة فتعرف كونه منزلا اما قوله تعالى اذا لا رتاب المبطلون فيه معنى لطيف وهو ان
النبي اذا كان قاريا كاتبا كان يوجب كون هذا الكلام فان جميع كتبة الارض وقرائها لا يقدرون عليه لكن على ذلك التقدير يكون
للمبطل وجه ارتياب وعلى ما هو عليه لا وجه لارتيابه فهو داخل لبطلانه وهذا لقوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
فاتوا بسورة من مثله اي من مثل محمد صلى الله عليه وسلم وبقوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه والله اعلم **قوله تعالى**
بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد باياتنا الا الظالمون وقالوا لولا انزل عليه
ايات من ربه قل انما الايات **اعلم** انه اشار الى انه ليس من مخترعات الادميين لان من يكون له كلام مخترع نقول هذا
من قلبي وخاطري واذا حفظه من غيره يقول انه في قلبي وصدري فاذا قال في صدور الذين لا يكون من صدر احدهم منهم والجاهل يحمل
منه ذلك فلا ظهور له من الصدور وظهوره من الله اما قوله تعالى وما يجحد باياتنا الا الظالمون قال هاهنا الظالمون ومن قبل قال الكافرون مع
ان الكافر ظالم ولا تنافي بين الكلامين وفيه فايدة وهي انهم قبل بيان المعجزة قيل لهم ان لكم المرء فلا تبطلوها بانكار محمد فيكونوا كافرين
فلفظ الكافر هناك كان بليغا يمنعهم من ذلك لاستنكافهم من الكفر ثم بعد بيان المعجزة قال لهم ان جحدتم هذه الاية لزمكم انكار
ارسال الرسل فتلتحقون في اول الامر بالمشركين حكما وتلتحقون عند هذه الاية بالمشركين حقيقة فتكونوا ظالمين اي مشركين كما بيت
ان الشرك لظلم عظيم فهذا اللفظ هاهنا ابلغ وذلك اللفظ هناك ابلغ ثم قال تعالى وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه لما فرغ من ذكر الدليل
من جانب النبي صلى الله عليه وسلم ذكر شبهتهم وهي ذكر الفرق بين المقيس عليه والمقيس فقالوا انك تقول انه انزل اليك كتاب كما
انزل على موسى وعيسى عليهما السلام وليس كذلك لان موسى عليه السلام اوتي تسع ايات بينات علم بها كون الكتاب من عند الله وانت
ما اوتيت شيا منها ثم ان الله تعالى ارسل نبيه الى اخرته بهذه الشبهة منها قوله تعالى انما الايات عند الله ووجهه ان النبي صلى الله
عليه وسلم ادعى الرسالة وليس من شرط الرسالة الاية المعجزة لان الرسول من ارسل ولا ثم يدعوا الى الله ثم ان توقف الخلق في قبوله
او طلبوه منه دليلا فالله ان يرحمهم بين رسالته وان لم يرحمهم لا يبين فقال ان الساعة رسول واما الاية فان الله تعالى
ان اراد سرها وان لم يرد لم يسرها وهذا لان ما هو من ضرورات الشيء ان يفعل له معجزة وهذا علم وجود رسل كسعيب وذريته
وشعيب عليهم السلام ولم يفعل له معجزة فان قيل علم رسالتهم يقول من تكتب رسالته بالمعجزة فنقول نسلم كذلك لا حاجة له الى
المعجزة ان رسالته علمت بقول موسى وعيسى عليهما السلام فيتبين بطلان قولهم لولا نزل عليه اية وهذا لانهم طلبوا سبق اية
وليست شرطا حتى يسبقها بل ان كان لهم سؤال فطريقه ان يقولوا يا ايها المدعي نحن لا نكذبك ولا نصدقك لكن نريد ان تبين لنا
اية تخلصنا من تصديق النبي وتكذيب النبي فنعلم كونك نبيا ونؤمن بك فبعد ذلك ما كنت تبعد من رحمة الله تعالى ان ينزل
الله اما قوله تعالى وانما انا نذير مبين معناه ان الاية عند الله ينزلها ولا ينزلها لا تعلق لي بها ان انا الا نذير وليس
لي عليه حكم لشيء ثم انه بعد بيان فساد شبهتهم من وجه بين فسادها من وجه اخر وقال وهب ان انزال الاية شرطا
لكنه وجد وهو نفس الكتاب والله تعالى اعلم **قوله تعالى** او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى
عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يعني ان كان انزال الاية شرطا فلا يشترط الا انزال اية وقد انزل وهو
القران فانه معجزة ظاهرة باقية فقوله تعالى او لم يكفهم عبارة تنبي عن كون القران اية فوق الكفاية وذلك لان القايل
اذا قال اما يكفي للمسي ان لا يضرب حتى يتوقع الاكرام ينبي عن ان ترك الضرب في حقه كثير فلذلك قوله تعالى او لم يكفهم انا انزلنا
عليك وهذا لان القران معجزة اتم من كل معجزة تقدمها لوجوه احدها ان تلك المعجزات وجدت وما دامت فان قلب العصا
ثعبانا واحيا الميت لم يبق لنا منه اثر فلو ان يكون واحد يؤمن بكتاب الله تعالى ويكذب بوجود هذه الاشياء لا يمكن اثباتها
معه بدون الكتاب واما القران فهو باق لو انكره واحد فنقول له فات بانه من مثله الثاني هو ان قلب العصا ثعبانا كان
في مكان ومن لم يره لم يكن في ذلك المكان واما القران فقد وصل الى المشرق والمغرب وسمعه كل واحد وهاهنا لطيفة
وهي ان ايات النبي صلى الله عليه وسلم كانت اشياء لا تختص بمكان دون مكان لان من جملتها انشقاق القمر وهو يعم الارض لان
الخسوف اذا وقع عم ذلك لان بنوته كانت عامة لا تختص بقطر دون قطر ومجوسا وهم في قطر وسقط ايوان كسرى في قطر
وانهدت الكنيسة بالروم في قطر اخر علاما بانه يكون امرا عاما الثالث هو ان غير هذه المعجزة الكافر المعاند يقول
انه سحر عمل بدوا والقران لا يمكن هذا القول فيه ثم انه تعالى قال فيه ان في ذلك لرحمة وذكرى اشارة الى انا جعلنا معجزته
رحمة على العباد ليعلموا انه الصادق وهذا لانا بينا ان اظهار المعجزة على يد الصادق رحمة من الله وكان له ان لا يظهر
فيبقى الخلق في ورطة تكذيب الصادق او تكذيب الصادق لان النبي لا يتميز على المتنبي لولا المعجزة وكان الله له ذلك
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقوله وذكرى اشارة الى انه معجزة باقية يتذكر بها كل من يكون بعد الزمان ثم قال تعالى
لقوم يؤمنون يعني هذه الرحمة مختصة بالمؤمنين لان المعجزة كانت عصا على الكافرين لانها قطعت اعذارهم و
غلبت افكارهم والله تعالى اعلم **قوله تعالى** قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض
والذين امنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل **اعلم**

عند الله وانما انا نذير مبين

يؤمنون

مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون

انه لما ظهر



انه لما ظهرت رسالته وبهرت دلالته ولم يؤمن به المعاندون من اهل الكتاب قال كما يقول الصادق اذا كذب واتى
بكل ما يدل على صدقه ولم يصدق والله يعلم صدقي وتكذيبكم ايها المعاند وهو علي ما اقول شهيد يحكم بيني وبينكم
كل ذلك انذار وتهديد بعده تقريرا وتاكيدا ثم بين كونه كافيا بكونه عالما بجميع الاشيا فقال يعلم ما في السموات والارض
وهاهنا مسئلة وهي ان الله تعالى قال في اخر الرعد قالوا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم
الكتاب فاخر شهادة اهل الكتاب وفي هذه السورة قدم حيث قال تعالى فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن
هؤلاء من يؤمن به اي من اهل الكتاب فنقول الكلام هناك مع المشركين فاستدل عليهم بشهادة غيرهم ثم ان شهادة
الله اقوى في الزامهم من شهادة غير الله وهاهنا الكلام مع اهل الكتاب وشهادة المرء على نفسه وهو اقراره هو اقوى
الحجج فقدم ما هو الزم عليه ثم انه تعالى لما بين الطريقين في ارشاد الفريقين المشركين واهل الكتاب عاد الى الكلام الشامل
لهما والانذار العام اما قوله تعالى والذين امنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون اي الذين امنوا بما سوى الله
لان ما سوى الله تعالى باطل في امر لانه هالك بقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وكلما هلك فقد بطل وكل هالك
باطل وكل ما سوى الله باطل في امر بسوى الله فقد امن بالباطل وفيه مسائل المسئلة الاولى قوله تعالى اولئك
هم الخاسرون يقتضي الحصر اي من اتى بالايمان الباطل والكفر بالله تعالى فهو خاسر فمن ياتي باحدهما دون الاخر ينبغي
ان لا يكون خاسرا فنقول يستحيل ان يكون للاتي باحدهما لا يكون اتيا بالاخر ما الاتي بالايمان بما سوى الله لانه اشراك
بالله يجعل غير الله مثله يجعل مثل غيره لكن غيره عاجز جاهل ممكن باطل فيكون الله كذلك فيكون انكارا له وكفرا به
واما من كفر به لا يكره فيكون قايلا بان العالم ليس له اله موجود فوجود العالم من نفسه يكون قايلا بان العالم واجب والواجب
اله فيكون قايلا بان غير الله اله فيكون اثباتا لغيره وايمانا به المسئلة الثانية اذا كان الايمان بما سواه كفرا به فيكون
كل من امن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فايدة على غيرها وهو انه ذكر الثاني لبيان قبح الاول نقول يا لباطل وترك
الحق لبيان ان القول بالباطل قبيح المسئلة الثالثة هذه ندد هذا اهل الكتاب بانهم هم امنوا بالباطل وكفروا بالله فنقول
نعم لانهم لما صح عندهم ان معجزة النبي من عند الله وقطعوا بها وعاندوا وقالوا انها من عند غير الله يكون من راى شخصا يرمي حجارة
فقال اذا راى الحجارة زيد نقطع بانه قايل بان هذا الشخص وقد حتى لو سيل عن غير ذلك الشخص وقيل له من هذا الرجل
يقول زيد فكذلك هم لما قطعوا بان مظهره المعجزة هو الله تعالى وقالوا بان محمد مظهر هذا يلزمهم ان يقولوا محمد هو الله
تعالى فيكون ايمانا بالباطل واذا قالوا بان من اظهر المعجزة ليس باله فيكون كفرا وهذا يرد علينا فمن يقول فعل العبد مخلوق
الله تعالى او مخلوق العبد فانه انما يثبت نسبة فعل الله تعالى الى الغير كان المعجزة فعل الله تعالى وهم نسبوها الى غيره لان هذا القايل
جهل النسبة يكن يرمي حجارة رميت ولم ير عين رامها فيظن رامها فيقول ان رامها زيد فيقول زيد وهو رامي هذه الحجارة
ثم اذا راى رامها بعينه ويكون غير زيد لا يقطع بانه يقول هو زيد واما اذا راى بعينه ورميه الحجارة وقال رامي الحجارة زيد
يقطع بانه يقول هذا الرجل هو زيد وظهر الفرق من حيث انهم كانوا معاندين عالمين بان الله تعالى مظهر المعجزة ويقولون
بانها من عند غير الله ثم قوله تعالى هم الخاسرون كذلك بالتمام وجوه الخسران وهذا لان من خسر راس المال ولم يترك دونه يطالبه بها دون من
يخسر راس وترتب عليه ملك الديون فهم لما عبدوا غير الله افنوا العمر ولم يحصل لهم في مقابلته شيء ما اصلا من المنافع واجتمع
عليهم ديون بترك الواجبات يطالبون بها حيث لا طاقة لهم بها اما قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى
لجاءهم العذاب لما انذرهم الله تعالى بالخسران وهم اتم وجوه الانذار لان من خسر لا يحصل له في مقابلة قدر الخسران شيء من
المنافع والاملاكات للخسران ذلك القدر بلا دونه مثاله اذا خسر واحد من العشرة درهما لا ينبغي ان يكون حصل له في مقابلة
الدرهم ما سوى نصف درهم والا يكون الخسران درهما بل نصف درهم فاذا هم لما خسروا اعمالهم لا يحصل لهم منفعة كحصول
العذاب والا يكون كذلك العدد منهم اي من العمل له منفعة فيكون للخاسر عذاب اليم بقوله تعالى اولئك هم الخاسرون تهديد
عظيم لهم فقالوا ان كان علينا عذاب فاسائه اظهارا لقطعهم بعدم العذاب ثم انه اجاب بان العذاب لا ياتيكم بسؤالكم
ولا يعجل باستعجالكم لانه احله الله لحكمة ورحمة فلكونه حكيما لا يكون ما كان له رحمة وحكمة فيكون عصوبا فسابر
باستعجالكم وسعر من سوالكم فيعجل وليس لي ان فلان منكم بالعذاب وانتم تسالونه ولا يدفع عنكم العذاب حين
يستعيذون به منه كما قال تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها اما قوله تعالى وليأتينهم بغتة اختلف
المفسرون فيه فقال بعضهم ليأتينهم العذاب بغتة لان العذاب اقرب المذكورين ولمن سؤالهم كان العذاب فقال انه
ليأتينهم وقال بعضهم بغتة اي الاجل لان الاتي بغتة هو الاجل واما العذاب هذا الاجل يكون معاينة وقد ذكرنا
ان في كون العذاب والاجل اتيا بغتة حكمة وهي انه لو كان وقته معلوما لكان كل واحد يتكل على بعده ويعمر في
ويفسق ويفجر معتمدا على التوبة قبل التوبة وقوله تعالى وهم لا يشعرون يحتمل وجهين احدهما تاكيد معنى قوله بغتة
كما تقول اتيته على حين غفلة منه بحيث لم يدر فقوله بحيث لم يدر اكد معنى الغفلة والثاني وهو كلام يفيد فايدة
مستقلة وهي ان العذاب ياتيهم بغتة وهم لا يشعرون هذا الامر ويظنون ان العذاب لا ياتيهم اصلا والله تعالى اعلم
**قوله تعالى** يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن
تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم **اعلم** انه ذكر هذا للتعجب وهذا لان من توعد باغراق او احراق ونقطع بان الموعد

تعملون

قادر لا يخلف الميعاد لا يخطر ببال العاقل ان يقول له هات ما توعدني به فقال هاهنا يستعجلونك بالعذاب العذاب بنار
جهنم المحيطة بهم فقوله تعالى يستعجلونك اولا اخبارا عنهم وثانيا تعجب منهم ثم ذكر كيفية احاطة جهنم بهم اما قوله تعالى
يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وفيه مسئلتان احداهما اختص الجانبين بالذكر اليمين والشمال
وخلف وقدام مفهوم لان المقصود ذكر ما تتميز به نار جهنم عن نار الدنيا ونار الدنيا بالجوانب الاربعة قال من
دخلها يكون الشعلة خلفه وقدامه ويمينه ويساره واما النار من فوق لا تنزل وانما تصعد من اسفل في العادة
العاجلة وتحت الاقدام لا تبقى الشعلة بل تطفي الشعلة التي تحت القدم ونار جهنم ينزل من فوق ولا تطفى
بالدوس موضع القدم الثانية قال هي فوقهم ومن تحت ارجلهم ولم يقل من فوق رؤسهم ولا قال من فوقهم ومن
تحتهم بل ذكر المضاف اليه عند ذكر تحت ولم يذكر عند ذكر فوق فنقول لان نزول النار من فوق سواء كان من سمت
الرؤس وسواء كان من موضع اخر عجيب فلهذا لم يخصه بالرأس واما بقاء النار تحت القدم فحسب عجيب والا فمن جوانب القدم
في القدم يكون مشتعلة وهي تحت فذكر التحت وهو ما تحت الارجل حيث لم تنطفئ بالدوس وما فوق على الاطلاق وقوله
تعالى ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون لما بين عذاب اجسامهم من علاء بان ارواحهم وهو ان يقال لهم على سبيل التنكيل والاهانة
ذوقوا هذا ما كنتم تعملون وجعله عين ما كانوا يعملون للمبالغة بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب فان عملهم كان
سببا جعل الله اياه سببا لعذابهم وهذا كثير النظير في الاستعمال والله تعالى اعلم **قوله تعالى**

يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين
امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين
الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون

**اعلم** ان وجه التعلق هو ان الله تعالى لما ذكر حال المشركين على حدة وحال اهل الكتاب على حدة وجمعهما في الانذار
وجعلهما من اهل النار اشتد عنادهم وزاد فسادهم وسعوا في ايذاء المومنين ومنعهم من العبادة فقال مخاطبا
للمومنين يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة ان تعذرت العبادة عليكم في بعضها فهاجروا ولا تتركوا عبادتي
بحال وبهذا علم ان الجلوس في دار الحرب حرام والخروج منها واجب حتى لو حلف بالطلاق انه لا يخرج لزمه الخروج ووقع
حتى يقطع الطريق ثم في الاية مسائل المسئلة الاولى يا عبادي لم يرد الا مخاطبة المومنين مع ان الكافر داخل
في قوله تعالى يا عبادي نقول ليس داخلا فيه لوجوه احدها انه من قال في حقه عبادي ليس للشيطان عليهم
سلطان بدليل قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والكافر تحت سلطنة الشيطان فلا يكون داخلا
في قوله تعالى يا عبادي الثاني هو ان الخطاب بعبادي تشريف منال المكلف وذلك لان الله تعالى لما خلق ادم
اتاه اسما عظيما وهو اسم الخلافة كما قال تعالى اني جاعل في الارض خليفة والخليفة هو اعظم الناس مقدارا واعم
دون الناس اقدارا ثم ان ابليس لم يرهب من هذا الاسم ولم يهزم بل اقدم عليه بنسبه وعاداه وعليه كما قال
تعالى فازلهما ثم ان من اولاده الصالحين من سمي بعبادي فاحتبس عنهم الشيطان كما قال تعالى ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان وقال هو بلسانه لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فعلم ان المكلف اذا كان
عبد الله يكون اعلى درجة مما اذا كان خليفة لوجه الارض وجعل ادم لدا وداود قال في حقه انا جعلناك
خليفة في الارض لم يتخلص من يد الشيطان الا وقت قال الله تعالى في حقه عبدي عندما ناداه بقوله ربنا
ظلمنا انفسنا بهذا النداء كما قال في حق داود واذكر عبدنا داود ذا الايد اذا علم هذا فالكافر لا يصلح للخلافة
فكيف يصلح لما هو اعظم من الخلافة فلا يدخل في قوله يا عبادي الا المومن الثالث هو ان هذا الخطاب
حصل للمومن بسعيه بتوفيق الله تعالى وذلك لان الله تعالى قال ادعوني استجب لكم فالمومن دعا ربه بقوله
اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان فامنا فاجابه الله تعالى يا عبادي الذين امنوا وقوله تعالى يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فالاضافة بين الله والعبد بقول العبد الهي وقول الله عبدي
يا رب يا عبادي العبد لكن الكافر لم يدع فلم يجب فلم يثبت ولا يا عبادي غير المومن **المسئلة الثانية**
اذا كان عبادي لا يتناول الا المومنين فما الفائدة في قوله تعالى الذين امنوا مع ان الوصف انما يذكر لتمييز
الموصوف كما يقال يا ايها المكلفون المومنون ويا ايها الرجال العقلاء تمييزا عن الكافرين والجهال
فنقول الوصف لا للتمييز بل لمجرد بيان ان فيهم الوصف كما يقال الانبياء المكرمون والملائكة المطهرون
مع ان كل نبي مكرم وكل ملك مطهر وانما يقال لبيان ان فيهم الطهر ومع ان كل نبي مكرم وكل ملك مطهر
وانما يقال لبيان ان فيهم الاكرام والطهارة ومثل قولنا الله العظيم وزيد الطويل فههنا ذكر لبيان
انهم مومنون **المسئلة الثالثة** اذا قال يا عبادي فهم يكونون عابدين فما الفايدة في الامر بالعبادة
بقوله فاعبدون فنقول فيه فايدتان احداهما المداومة اي يا من عبدوني في الماضي اعبدوني في المستقبل
الثانية الاخلاص اي يا من عبدني اخلص العمل لي ولا تعبد غيري **المسئلة الرابعة** الفاء في قوله تعالى
فاياي يدل على انه جواب الشرط فما ذلك فنقول قوله تعالى ان ارضي واسعة اشارة الى عدم المانع من عبادته
فكانه قال اذا كان لا مانع من عبادتي فاعبدون واما الفاء في قوله تعالى فاعبدون فهو لترتب المقتضى





على المقتضى كما يقال هذا عالم فاكرموه فكذلك هاهنا لما علم نعمه بقوله تعالى فاياي وهو بنفسه
مستحق العبادة قال فاعبدون **المسئلة الخامسة** قال العبد مثل هذا في قوله اياك نعبد وقال عقيبه
واياك نستعين والله تعالى واقعه في قوله تعالى فاياي فاعبدون ولم يذكر الاعانة نقول بل هي مذكورة
في قوله يا عبادي لان المذكور بعبادي لما كان الشيطان مسدود السبيل عليه مصدود العمل عنه كان عانه
الاعانة **المسئلة السادسة** قدم الله الاعانة واخر العبد الاستعانة قلنا لان العبد فعله لغرض وكل فعل
لغرض فان الغرض سابق على الفعل في الادراك وذلك لان من بنى بيتا للسكنى يدخل في ذهنه اولا فائدة
السكنى فيحمله على البناء لكن الغرض في الوجود لا يكون الا بعد الفعل الواسطة فنقول الاستعانة من العبد
لغرض العبادة فهي سابقة في ادراكه واما الله تعالى فليس فعله لغرض فراعى ترتيب الوجود فان الاعانة
قبل العبادة اما قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون لما امر الله تعالى المومنين بالهجرة
صعب عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان فقال لهم ان ما تكرهون لا بد من وقوعه فان كل نفس
ذائقة الموت والموت مفرق الاحباب فالاولى ان يكون ذلك في سبيل الله تعالى فانه يجازيكم عليه
فان الى الله مرجعكم وفيه وجه اخر وادق وهو ان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت اذا كانت غير
متعلقة بغيرها فهي بالموت ثم الى الله تعالى ترجع الامور فلا تموت كما قال تعالى لا يذوقون فيها الموت
واذا ثبت هذا تبين بيان لا يذوق والموت لا يبقى مع نفسه فان النفس هي دائمة بل يتعلق بغيره
وذلك الغير ان كان بغير الله فهو ذائق الموت ومورد الهلاك بقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه
فان التعليق بالله تعالى يريح من الموت وقال تعالى اياي فاعبدون اي تعلقوا بي ولا تتبعوا النفس
فانها ذائقة الموت ثم الينا ترجعون اي اذا تعلقتم بي فرجوعكم رجوع الحي وليس بموت كما قال الله
تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء وقال عليه السلام المومنون لا يموتون بل ينقلون
من دار الى دار فعلى هذا الوجه ايضا يحسن وجه التعليق اما قوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات
لنبوئنهم من الجنة بين ما يكون للمومنين وقت الرجوع كما بين من قبل ما يكون للكافر بقوله تعالى وان جهنم
لمحيطة بالكافرين فبين ان للمومنين الجنان في مقابلة ما ان للكافرين النيران وبين ان ذلك اجر عملهم بقوله
تعالى نعم اجر العاملين في مقابلة ما بين ان ما تقدم جزاء عمل الكافرين بقوله تعالى ذوقوا ما كنتم تعملون
ثم ان بين اختلافات فيها لطايف منها انه تعالى ذكر في العذاب ان فوقهم عذابا اي نارا ولم يذكر هاهنا
فوقهم شيئا وانما ذكر ما فوق من غير اضافة وهو الغرف وذلك لان المذكور في الموضعين العذاب والثواب
الجسماني يكون الكافرين في الدرك الاسفل من النار ويكون فوقه طبقات من النار واما المومنين
فيكونون في اعلى عليين فلم يذكر فوقهم شيئا اشارة الى علو مرتبتهم وارتفاع منزلتهم واما قوله تعالى
لهم غرف لا ينافي لان الغرف فوق الغرف لا فوقهم والنار فوق النار وهي فوقهم ومنها ان هناك ذكر من
تحت ارجلهم النار وهاهنا من غرفهم الماء وذلك لان النار لا تولم اذا كانت تحت مطلقا ما لم تكن في
مسامته الاقدام ومتصلة بها اما اذا كانت لشعلة مائلة عن سمت القدم وان كانت تحتها
او تكون مسامته وتكون غيره ملاصق بل يكون اسفل في ركزه ولم تولم واما الماء اذا كان تحت
الغرفة في اي جهة كان تكون تلذذا به فقال في النار من تحت ارجلهم ليحصل الالم بها وقال هاهنا
من تحت الغرف لحصول اللذة بها كيف كان ومنها ان هناك قال ذوقوا الايلام قلوبهم بلفظ الامر
وهاهنا قال نعم اجر العاملين لتفريح قلوبهم لا بصيغة الامر وذلك لان لفظ الامر يدل على
انقطاع التعليق بعده فان قال لا حد خذ اجرك يفهم منه انه بذلك يقطع تعلقه عنه
واما اذا قال ما اتم اجرك عندي ونعم ما لك من الاجر يفهم ان ذلك عنده فلم يقل هاهنا خذوا
اجركم ايها العاملون وقال هناك ذوقوا ما كنتم تعملون فان قيل فذوقوا اذا كان يفهم على انه اعطاه
جزاءه وقطع ما بينه وبينهم لكن يبقى ذلك عليهم دائما ولا ينقص ولا يزداد واما اذا اعطاه
شيئا فلا يتركه مع ما اعطاه بل يزيده له كل يوم في النعم واليه الاشارة بقوله تعالى للذين احسنوا
الحسنى وزيادة اي الذي يصل الى الكافر يدوم من غير زيادة والذي يصل الى المومن يزداد دون النقص
اما قوله تعالى الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ذكر امرين الصبر والتوكل لان الزمان ماض وحاضر
ومستقبل لكن الماضي لا يتدارك وليس يوم العيد فيه بشيء لكن الحاضر والذي يليق به الصبر والمستقبل
واللايق به التوكل فيصبر على ما يصيبه من الاذى ويتوكل فيما يحتاج اليه واعلم ان الصبر والتوكل
صفتان لا يحصلان الا مع العلم بالله والعلم بما سوى الله فمن علم سواه علم انه زائل فهون عليه الصبر
اذ الصبر على الزائل هين واذا علم الله علم انه باق يأتيه بالرزاق فاذا فاته شيء فانه يتوكل على حي
باق وذكر الصبر والتوكل هاهنا مناسب فان قوله يا عبادي كان لبيان انه لا مانع من العبادة

ومن يودى في نفعه فليخرج منها لتحصل الناس على قسمين قادر على الخروج وهو متوكل على ربه بترك الاوطان ومفارقة الاخوان

والله تعالى اعلم **قوله تعالى** وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم

**اعلم** انه تعالى لما ذكر الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ذكر ما يعين على التوكل وهو بيان حال الدواب التي لا تدخر شيئا لغد وتاتيها كل يوم برزق رغد وفي الاية مسايل **الاولى** في كاين لغتان غير هذه كاين على وزن داع وكى على وزن رع ولم يقرا الا وكاين وكان قراءة ابن كثير اسلفه كاين كلمة مركبة من كان التشبيه واي التي تستعمل استعمال من وما نكسا وجعل المركب غير مركب كما تقول القايل رايت رجلا كاى رجل مركبا يكون وقد يحذف المضاف اليه ويقال رايت رجلا لا كاى يكون وحينئذ لا يكون كاى مركبا واذا كان كاين ههنا مركبا كتبت بالنون للتمييز كما تكتب معدى كرب وبعلبك موصولا للمزج وكما تكتب ثمه بالهاء تمييزا بينهما ومن المسلة الثالثة كاين بمعنى كم ولم يستعمل الاصح من الاسناد واو كما يستعمل كم من غير من تقول كم رجلا وكم من رجل وذلك لما بينا من التركيب كاين بمعنى كم وكاين التي ليست مركبة وذلك لان كاى اذا لم تكن مركبة لا يجوز ادخال من بعدها اذ لا يقال رايت رجلا كاين من رجل والمركبة بمعنى كم يجوز ذكر فيه فالتزم المزج قوله تعالى لا تحمل رزقها اصل لا تحمل لضعفها وهي كالنمل والبرغوث والدود وغيرها ومثل لا برجوا الله يرزقها واياكم بطريق القياس اى لا شك في ان رزق الدواب بل البيان في الصحرا مست والحيوان سعى ويرعى فيقول الدليل عليه من ثلثة اوجه نظرا الى الرزق والى المرتزق والى مجموع الرزق والمرتزق اما بالنظر الى الرزق فلان الله تعالى لو لم يخلق النبات لم يكن للحيوان رزق واما بالنظر الى المرتزق فلان الا عدا ليس بمجرد الابتلاع بل لا بد بسبب الغذاء وبالاعضاء حتى يصير الحشيش عظما ولحما وشحما وما ذلك الا لحكمة الله حيث خلق فيه جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة وغيرها من القوى او بمحض قدرة الله تعالى وارادته فهو الذي يرزقها واما بالنظر الى المرتزق والرزق فلان الله تعالى لو لم يهد الحيوان الى الغذاء لم يعرفه من السم ما كان يحصل له الاعتدا الا بعد ان من الحيوان ما لا يعرف نوعا من انواع الغذاء حتى يوضع في فمه بالشدة ليذوق فياكله بعد ذلك فان كثيرا ما تكون العرب لا يعرف الحمير ولا الشعير حتى يلم مرتين ثلاثة فيعرفه وياكله بعد ذلك فان كيف يصح قياس الانسان على الحيوان فيما يوجب التوكل والحيوان رزقه ولا يعرض اليه اذا اكل منه اليوم شيا وترك بقيه لم يجدها غدا اما مدا خل اليه بدا والانسان انه لم ياخذ اليوم لم يبق له غدا شيء وايضا حاجات الانسان كثيرة فانه يحتاج الى اجناس اللباس وانواع الاطعمة ولا كذلك الحيوان وايضا يوجب الحيوان يعيا وموت الانسان لا يحتاج الى كلفة كالزرع والحصاد والطحن والخبز فلو لم تجمعه قبل الحاجة ما كان يجده قبل الحاجة فيقول نحن لا نقول ان الجمع يقدح في التوكل بل قد يكون الزرع الحاصد متوكلا والرابع الساجد غير متوكل لا من يزرع ويكون اعتماده على الله واعتقاده في الله تعالى انه ان كان يريد رزقه من غير زرع وان كان لا يريد رزقه من ذلك الزرع فهل وقلبه مع الله فهو متوكل حق التوكل ومن نصب قلبه في يد زيد وعمرو وهو غير متوكل اما قوله حاجات الانسان كثيرة فنقول المكاسبة كثيرة ايضا فانه يكتسب بيده كالخياط والنساج وبرجله كالساعي بغيره فيتقوت بمكاسبة وبعينه كالناطور وبلسانه كالقارى والمنادى وبفهمه كالمهندس والتاجر وبعلمه كالفقيه والطبيب وبقوة كالنقال والحمال والحيوان لا مكاسب له فالضعيف الذي يحتاج الانسان اليه غدا او بعد غد يعيد ان لا يرزقه الله تعالى مع هذه المكاسب فهو اولى بالتوكل وايضا الله تعالى خلق الانسان بحيث يا تيه الرزق واسبابه فان الله تعالى ملك الانسان على الدنيا وجعلها بحيث يدخل في ملكه شيئا امرا حتى يباح الانعام وثمار الاشجار تدخل في الملك وان لم يرده مالك النعم والشجر واذا مات فرد تنتقل ذلك الملك الى اخرى فهوا سلما وامرا ابوا وليس كذلك الحيوان امرا ابوا وليس كذلك الحيوان اصلا فان الحيوان ان لم يات الرزق الى رزقه فاذا الانسان لم يتوكل كان اقرب الى العقل من توكل الحيوان ثم قال تعالى وهو السميع العليم ان طلبتم الرزق سمع وحب وبحث عليم ان منكم لا يخفى عليه حاجتكم ومقدار حاجتكم والله تعالى اعلم **قوله تعالى** ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يوفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له

نقول لما بين الله تعالى الامر المشرك مخاطب معه ولم ينتفع به واعرض عنه وخاطب المومنين بقوله تعالى يا عباد الذين امنوا وانى الكلام معه ذكر معه ما يكون ارشادا للمشركين بحيث يسمعه وهذه طريق في غاية الحسن فان السيد اذا كان له عبدان او الولد اذا كان له ولدان واحدهما رشيد والاخر مفسد ينصح اولا المفسد فان لم يسمع موقفا عنه ملتفتا الى الرشيد ان هذا لا يستحق الخطاب فاسمع انت ولا يكن مثل هذا المفسد فيتضمن هذا الكلام نصيحة المصلح وزجر المفسد فان قوله هذا لا يستحق الخطاب يوجب نكا به في قلبه ثم اذا ذكر مع المصلح في اثنا الكلام وو المفسد يسمعها ان هذا حال العجب منه انه يسمع قبح فعله ويعرف الفساد من الصلاح وسبيل الرشاد ويستعمل بعضه هذا الكلام ايضا داعيا له الى سبيل الرشاد ما نعاله من ذلك الفساد فلذلك الله تعالى قال مع المومنين التعجب منهم انهم ان سالتهم ومن خلق السموات والارض يقولون الله ثم لا يومنون وفي الاية لطايف احداها ذكر في السموات والارض الخلق وفي الشمس والقمر التسخير وذلك لان مجرد خلق الشمس والقمر ليس حكمة فان الشمس لو كانت مخلوقة بحيث تكون في ذلك في موضع واحد لا تتحرك ما حصل الليل والنهار ولا الصيف ولا الشتا فاذا الحكمة في تحريكهما وتسخيرهما الله في لفظ التسخير وذلك لان التسخير يدل على مجرد الحركة وليست

بمجرد الحركة



مجرد الحركة كافيه لانها لو كانت بتحريك من حركتين لما كانت تقطع الفلك بالوف من السنين فالحكمة بتسخيرها لتحركهما في قدر ما يسعى الانسان اللامام من الفراسخ ثم تحصل لها حركة واحدة بل حركات احدها حركتها من المشرق الى المغرب في كل يوم وليلة مرة اخرى حركتها من المغرب الى المشرق والدليل عليه ان الهلال يرى جانب المغرب على بعد مخصوص من الشمس ثم سعد منها الى جانب المشرق حتى يرى القمر في نصف الشهر في مقابلة الشمس والشمس على افق المغرب والقمر على افق المشرق وحركة اخرى حركة الاوج وحركة المايل والبدور في القمر قالوا والشمس في الفلك مربوطة والفلك يدورها بدورانه وانكر المعتبرون الظاهريون ونحن نقول لا بعد في ذلك ان لم يقولوا بالطبيعة فان الله تعالى فاعل مختار ان اراد ان يحركهما في الفلك والفلك ساكن ويجوز ان اراد ان يحركهما في الفلك وهما ساكنان يحول ولم يرد فيه نص قاطع او ظاهر وسنذكر تمام البحث في قوله تعالى وكل في فلك يسبحون الثانية ذكر امرين احدهما خلق السموات والارض والاخر تسخير الشمس والقمر لان الايجاد قد يكون للذوات وقد يكون للصفات فخلق السموات والارض اشارة الى الايجاد الذوات وتسخير الشمس والقمر اشارة الى ايجاد الصفات وهي الحركة وغيرها فكانه ذكر من القبيلين مثالين اما قوله تعالى فانى يوفكون يعني من هم يعتقدون هذا فكيف يصرفون عن عبادة الله تعالى مع ان مع علم عظمته وجبروت حضرته ولا عظمة فوق عظمة خالق السموات والارض ولا حقارة فوق حقارة الجماد لان الجماد دون الحيوان والحيوان دون الانسان دون مكان السموات فكيف يتركون عبادة اعظم الموجودات ويشتغلون لعبادة احسن الموجودات اما قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده لما بين ذكر الرزق لان كال اطلى بقامه وبقاء الانسان بالرزق فقال المعبود اما ان يعبد لاستحقاقه العبادة وهذه الاصنام ليست كذلك والله مستحقها واما لكونه على الانسان والله يرزق الخلق فله الطول والاحسان والفضل والانسان فله العبادة من هذا الوجه ايضا وقوله تعالى لمن يشاء اشارة الى كمال الاحسان وذلك لان الملك اذا امر الخازن باعطاء شخص شيئا فاذا اعطاه يكون له منه مباشرة حقيرة لان الاخذ يقول هذا ليس بارادته وانما هو بامر الملك اما ان كان مختارا بان قال له الملك ان شئت فاعطه وان شئت فلا تعطه وان اعطاه يكون له منه جليلة لا قليلة فقال الله تعالى الرزق منه وبمشيته فهو احسان تام يستوجب شكرا تاما وقوله تعالى ويقدر له اى يضيق له ان اراد ثم قال تعالى ان الله بكل شيء عليم اى يعلم مقادير الحاجات ومقادير الارزاق وفي ابيات العلم ها هنا لطايف احداها ان الرزق الذي هو كامل المسنه اذا راى عبده محتاجا وعلم جوعه لا يوخر عنه الرزق ولا يوخر الرازق الرزق الا لنقصان لعدم علمه بجوع العبد الثانية وهي ان الله تعالى باثبات العلم استوعب ذكر الصفات التي هي صفة الالهية ومن انكرها كفر وهي اربعة الحياة والقدرة والارادة والعلم واما السمع والبصر والكلام القايم به من ينكرها يكون مبتدعا لا كافرا وقد استوفى الاربعة لان قوله خلق السموات والارض اشارة الى كمال القدرة وقوله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء اشارة الى نفوذ مشيته وارادته فقوله تعالى ان الله بكل شيء عليم اشارة الى شمول علمه والقادر المريد العالم لا يتصور الا حيا ثم انه تعالى لما قال ان الله يبسط الرزق ذكرا عترافهم بذلك والله تعالى اعلم **قوله تعالى** ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة لهي الحيوان

لو كانوا يعلمون

**اعلم** ان هذا سبب الرزق وموجود المسبب فان الرزق من الله تعالى ثم قال الحمد لله يحتمل وجوها احدها ان يكون كلاما معترضا في اثناء هذا الكلام الحمد لذكر النعمة كما قال القايل ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان الثاني ان يكون المراد منه كلاما مستقلا وهو انهم يعرفون بان ذلك من الله تعالى ويعترفون ولا يعلمون بما يعملون وانت تعلم وتعمل وكذلك المومنون فقل الحمد لله واكثرهم لا يعقلون ان الحمد كله لله فيحمدون غير الله على نعمة هي من الله تعالى الثالث ان يكون المراد انهم يقولون انه من الله تعالى ويقولون بالهية غير الله تعالى فيظهر تناقض كلامهم وتهافت مذهبهم فقل الحمد لله على ظهور تناقضهم واكثرهم لا يعقلون هذا التناقض او فساد هذا التناقض اما قوله تعالى وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون لما بين انهم يعترفون بكون الله هو الخالق وكونه هو الرازق وانما يتركون عبادته ولا يتركونها الا لزينة الحياة الدنيا بين ان ما يميلون اليه ليس بشيء بقوله تعالى

وما هذه الحياة الدنيا وفي الآية مسائل **المسألة الأولى** ما الفرق بين اللعب واللهو حتى يصح عطف أحدهما على الآخر فنقول الفرق من وجهين أحدهما أن كل مشتغل بغرض فإن المكلف إذا أقبل عليه لزمه الإعراض عن غيره ومن لا يشغله شأن عن شأن هو الله تعالى فالذي يقبل على الباطل اللذة يستره زائلة فيه يلزمه الإعراض عن الحق والإقبال على الباطل والإعراض عن الحق هو والدنيا لعب أي إقبال على الباطل وإعراض عن الحق الثاني هو أن المشتغل بشيء يرجح ذلك على غيره لا محالة حتى يشتغل به فإما أن يكون ذلك الترجيح على وجه التقديم بأن يقول أقدم هذا وذلك الآخر آتي به بعده أو يكون على وجه الاستغراق فيه والإعراض عن غيره بالكلية فالأول لعب والثاني لهو والدليل عليه أن الشطرنج والحمام وغيرهما مما يتطرب منها لا يسمى آلات الملاهي في العرف والعود وغيره من الأوتار يسمى آلات الملاهي لأنها تلهي الإنسان عن غيرها لما فيها من اللذة الحالية فالدنيا للبعض لعب يشتغل به ويقول بعد هذا أشتغل بالعبادة والآخرة وللبعض لهو يشتغل به وينسى الآخرة بالكلية الثانية قال الله تعالى في سورة الأنعام وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وقال ههنا وما هذه الحياة الدنيا وقال ههنا وما هذه فنقول لأن المذكور ههنا من قبل أمر الدنيا حيث قال تعالى فأحيا به الأرض من بعد موتها فقال هذه والمذكور قبلها هناك الآخرة حيث قال تعالى يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ولم يكن الدنيا في ذلك الوقت بعد الاستغراق في الدنيا بل نفس الاستغراق بها في خاطرهم فقال تعالى وما الحياة الدنيا الثالثة قال هناك إلا لعب ولهو وقال ههنا إلا لهو ولعب فنقول لما كان المذكور هناك من قبل الآخرة وإظهارهم للحسرة ففي ذلك الوقت بعد الاستغراق في الدنيا بل نفس الاشتغال بها فأخر الأبعد وههنا لما كان المذكور من قبل الدنيا وهي خداعة تدعو النفوس إلى الإقبال عليها والاستغراق فيها اللهم إلا لمانع يمنعه من الاستغراق فيشتغل بها من غير استغراق فيها ولعاصم يعصمه فلا يشتغل بها أصلا فكان ههنا الاستغراق أقرب من عدمه فقدم اللهو الرابعة قال تعالى هناك وللدار الآخرة خير وقال ههنا وإن الدار الآخرة لهي الحيوان فنقول لما كان الحال هناك حال إظهار الحسرة ما كان المكلف يحتاج إلى وازع قوي فقال الآخرة خير ولما كان ههنا الحال حال الاشتغال بالدنيا احتاج إلى وازع قوي فقال لا حياة إلا حياة الآخرة وهذا كما أن العاقل إذا عرض عليه شيئان فقال في أحدهما هذا خير من ذلك يكون ذلك ترجيحا مع المبالغة فلذلك ههنا بالغ لكون المكلف متوغلا فيها الخامسة قال هناك خير للذين يتقون ولم يقل ههنا إنها هي الحيوان لقوم لأن الآخرة خير للمتقي فحسب أي المتقي عن الشرك وأما الكافر فالدنيا جنته فهي خير له من الآخرة وأما كون الآخرة باقية فيها الحياة الدائمة لا يختص بقوم دون قوم السادسة كيف أطلق الحيوان على الدار الآخرة مع أن الحيوان نام مدرك فنقول الحيوان مصدر كالحياة لكن فيها مبالغة ليس فيها الدنيا والمراد بالدار الآخرة هي الحياة الدنيا فكأنه قال الحياة الثانية هي الحياة المعتبرة أو نقول لما كانت الآخرة هي الحياة الدنيا فيها الزيادة والنمو كما قال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وكانت هي محل الإدراك التام الحق كما قال الله تعالى يوم تبلى السرائر أطلق عليها الاسم المستعمل في النامي المدرك السابعة قال في سورة الأنعام لو كانوا يعقلون وذلك لأن المثبت هناك كون الآخرة خيرا وأنه ظاهر لا يتوقف إلا على العقل والمثبت ههنا أن الحياة حياة الآخرة وهذا دقيق لا يعلم نافع إما قوله تعالى فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله إشارة إلى أن المانع من التوحيد هو الحياة الدنيا وبيان ذلك هو أنهم إذا انقطع رجاؤهم عن الدنيا رجعوا إلى الفطرة الشاهدة بالتوحيد ووحدوا وأخلصوا فإذا أنجاهم وأرجاهم عادوا إلى ما كانوا عليه من حب الدنيا وأشركوا ثم قال تعالى ليكفروا بما آتيناهم فيه وجهان أحدهما أن اللام لام كي أي يشركون ليكون شركهم كفرا بنعمة الإنجاء وليتمتعوا بسبب الشرك فسوف يعلمون وبال عملهم حين زوال أملهم والثاني أن تكون لام الأمر ويكون المعنى ليكفروا على التهديد كما قال تعالى اعملوا ما شئتم وكما قال تعالى اعملوا على مكانتكم

إني عامل



إني عامل فسوف تعلمون والله تعالى أعلم **قوله تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين**

**اعلم** أن التفسير ظاهر وإنما الدقيق وجه تعلق الآية بما قبلها فنقول الإنسان في البحر يكون على أخوف ما يكون وفي بيته يكون على آمن ما يكون لا سيما إذا كان بيته في بلد حصين فلما ذكر الله تعالى المشركين حالهم عند الخوف الشديد ورأوا أنفسهم في تلك الحالة راجعة إلى الله تعالى ذكرهم حالهم عند الأمن العظيم وهي كونهم في مكة فإنها مدينتهم وبلدهم وفيها سكنهم ومولدهم وهي حصن حصين بحصن الله تعالى حيث كل من حولها يمنع من قال من حصل فيها والحصول فيها يدفع الشرور عن النفس ويكفيها يعني أنكم في أخوف ما كنتم تدعون الله تعالى وفي آمن ما حصلتم عليه كفرتم بالله تعالى وهذا متناقض لأن دعاءكم في ذلك الوقت على سبيل الإخلاص ما كان إلا لقطعكم بأن النعمة من الله تعالى لا غير فهذه النعمة التي حصلت وقد اعترفتم بأنها لا تكون إلا من الله تعالى كيف تكفرون بالله تعالى والأصنام التي قطعتم في حال الخوف أن الأمر منها كيف آمنتم بها في حال الأمن أما قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين لما بين الله تعالى الأمور على الوجه المذكور ولم يؤمن به أحد هو بين أنهم أظلم من يكون لأن الظلم على ما بين وضع الشيء في غير موضعه فإذا وضع واحد شيئا في موضع ليس هو موضعه يكون ظالما فإذا وضعه في موضع لا يمكن أن يكون ذلك موضعه يكون أظلم لأن عدم الإمكان أقوى من عدم الحصول لأن كل ما لا يمكن لا يحصل وليس كل ما لا يحصل لا يمكن فالله تعالى لا يمكن أن يكون له شريك وجعلوا له شريكا ولو كان في حق ملك مستقل في الملك يكون ظلما يستحق من الملك العقاب الأليم فكيف إذا جعل الشريك لمن لا يمكن أن يكون له شريك وأيضا من كذب صادقا يجوز عليه الكذب كيف يكون حاله فإذا ليس أظلم ممن يكذب على الله تعالى بالشرك ويكذب بالله تعالى في تصديق نبيه والنبي عليه الصلاة والسلام في رسالة ربه والقرآن المنزل من الله تعالى إلى الرسول عليه السلام والعجب من المشركين أنهم قبلوا المتخذ من خشب منحوت بالإلهية ولم يقبلوا ذا حسب منعوت وموصوف بالرسالة والآية تحتمل وجها آخر وهو أن الله تعالى لما بين التوحيد والرسالة والحشر وقرره ووعظ وزجر قال لنبيه قل للناس ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أي إن جئت بالرسالة وقلت أنا نبي الله وهذا كلام الله تعالى وأنتم كذبتموني في الحال دائر بين أمرين إما أنا مفتر متنبئ إذا كان هذا من عند غير الله وأنتم تكذبوني بالحق إن كان من عنده لكني معترف بالعذاب عارف به فلا أقدم على الافتراء لأن جهنم مثوى الكافرين والمفتري كافر وأنتم كذبتموني فجهنم مثواكم أي مثوى الكافرين وحينئذ يكون كقوله تعالى وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين والله تعالى أعلم بالصواب **قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** لما فرغ من التقرير والتقريع ولم يؤمن الكفار سلى قلوب المؤمنين بقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا أي من جاهد بالطاعة هداه سبل الجنة وإن الله لمع المحسنين إشارة إلى ما قال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فقوله تعالى لنهدينهم إشارة إلى الحسنى وقوله تعالى وإن الله لمع المحسنين إشارة إلى المعية والقربة التي تكون للمحسنين وزيادة على إحسانه وفيه وجه آخر حكمي وهو أن يكون المعنى والذين جاهدوا فينا أي الذين نظروا في دلائلنا لنهدينهم سبلنا أي لنحصل فيهم العلم وليس هذا بفضل بيان فنقول أصحابنا المتكلمون قالوا إن النظر كالشرط للعلم الاستدلالي والله تعالى يخلق في الناظر علما عقيب نظره ووافقهم الفلاسفة على ذلك في المعنى وقالوا النظر معد للنفس في قبول الصورة المعقولة وإذا استعدت النفس حصل لها العلم من فيض واهب الصورة الجسمانية والعقلية

اعلم

وعلى هذا يكون الترتيب حسنا ايضا وذلك لان الله تعالى لما ذكر الدلايل ولم ينفعهم العلم والايمان قال انهم لم ينظروا فلم يهتدوا وانما هو هدى للمتقين الذين ينظرون بغير الغضب والعناد ينظرون فيهديهم وقوله تعالى وان الله لمع المحسنين اشارة الى اعلى درجة من الاستدلال كانه تعالى قال من الناس من يكون بعيدا لا يقرب وهم الكفار ومنهم من يقرب بالنظر والسلوك فيهديهم ويقربهم ومنهم من يكون قريبا منه يعلم الاشيا منه ولا يعلم من الاشيا من يكون مع الشي كيف يطلبه فقوله تعالى ومن اظلم اشارة الى

**قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون

تعلق اول هذه السورة بما قبلها يبين لمها سبب النزول فنقول لما قال الله تعالى في السورة المتقدمة ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وكان يجادل المشركين بنسبتهم الى عدم العقل كما في قوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون وكان اهل الكتاب يوافقون النبي صلى الله عليه وسلم في الالهية كما قال تعالى والهنا والهكم واحد وكانوا يومنون بكثير مما يقوله بل كثير منه كانوا يومنون به كما قال تعالى والذين آتيناهم الكتاب يومنون به ابغض المشركون اهل الكتاب وتركوا مراجعتهم وكانوا من قبل يراجعونهم في الامور فلما وقعت الكرة عليهم حين قاتلهم الفرس المجوس فرح المشركون بذلك فانزل الله تعالى بيان هذه الاية لبيان ان الغلبة لا تدل على الحق بل الله تعالى يريد في ثواب المحق فيبتليه ويسلط عليه الاعادي وقد يختار تعجيل العذاب الادنى دون العذاب الاكبر قبل يوم المعاد للمعادي وفي الاية مسايل

المسئلة الاولى ما الحكمة في افتتاح هذه السورة بحروف التهجي فنقول قد سبق منا ان كل سورة افتتحت بحروف التهجي فان في اوايلها ذكر الكتاب او التنزيل او القران كما في قوله تعالى الم ذلك الكتاب المص كتاب انزل اليك طه ما انزلنا عليك القران الم تنزيل الكتاب حم تنزيل من الرحمن الرحيم يس والقران الحكيم ص والقران الا هذه السورة وسورتين ذكرناهما في العنكبوت وقد ذكرنا الحكمة فيهما في موضعهما فنقول لما يتعلق بهذه السورة وهي ان السورة التي في اوايلها التنزيل والكتاب والقران ذكرنا ما هو معجزة وهو الاخبار فقدم عليها الحروف على ما تقدم بيانه في العنكبوت وهذه في اولها ذكر ما هو معجزة وهو الاخبار فقدمت عليها عن الغيب فقدمت الحروف التي لا يعلم معناها ليتنبه السامع فيقبل بقلبه على الاستماع المسئلة الثانية قوله تعالى في ادنى الارض اي ارض العرب لان الالف واللام للتعريف والمعهود عندهم ارضهم وقوله تعالى من بعد غلبهم اي فايدة في ذكرها مع ان قوله تعالى سيغلبون بعد قوله تعالى غلبت الروم لا يكون الا من بعد الغلبة فنقول الفايدة فيه اظهار القدرة وبيان ان ذلك بامر الله تعالى لان من غلب لا يكون الا ضعيفا فلو كان غلبتهم لشوكتهم لكان الواجب ان يغلبوا قبل غلبهم فلما غلبوا بعدما غلبوا دل على ان ذلك بامر الله فتذكر من بعد غلبهم ليتفكروا في ضعفهم ويتذكروا انه ليس بزحفهم وانما كان بامر الله تعالى وقوله تعالى في ادنى الارض لبيان شدة ضعفهم اي انتهى ضعفهم الى ان وصل عدوهم الى طريق الحجاز وكسروهم وهم في بلادهم ثم غلبوا حتى وصلوا الى المداين وبنوا هنالك الرومية لبيان ان هذه الغلبة العظيمة بعد ذلك الضعف العظيم باذن الله تعالى الثالثة قال في بضع سنين ابهم الوقت مع ان المعجزة في تعيين الوقت فنقول السنة والشهر واليوم والساعة كلها معلومة عند الله وتبينها لنبيه وما اذن له في اظهاره لان الكفار كانوا معاندين والامور التي تقع في البلاد النايية تكون معلومة الوقوع بحيث لا يمكن انكارها لكن وقتها يمكن الاختلاف فيه فالمعاند كان يمكنه من ان يرجف بوقوع الواقعة قبل الوقوع ليحصل الخلف في كلامه ولما وردت الاية ذكر ابو بكر رضي الله عنه ان الروم ستغلب وابي بن خلف وغيره وباحثوا ابو بكر رضي الله عنه اي خاطروه على عشر قلايص الى ثلث سنين فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر البضع ما بين الثلاثة والعشرة زايده في الابل ومادة الاجل فجعل القلايص مائة والاجل تسعا وهذا يدل على علم النبي صلى الله عليه وسلم بوقتها لعلمه والله اعلم **قوله تعالى** لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله ينصر من يشا وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون اي من قبل الغلبة ومن بعدها اي من قبل هذه المدة ومن بعدها يعني ان اراد لغلبهم قبل بضع سنين وان اراد غلبهم بعدها وما قدر بهذه المدة بعجزه وانما هو بارادة بافرده وبنيا على الضم لما قطعا عن الاضافة لان غير الضم من الفتحة والكسرة يشبه ما يدخل عليهما وهو النصب والجر اما النصب فقي قولك جيت قبله او بعده واما الجر ففي قولك من قبله ومن بعده فبنيا على الضمة لعدم دخول مثلها عليه في الاعراب وهو الرفع ويومئذ يفرح المومنون قيل يفرحون بغلبة الروم على الفرس كما فرح المشركون بغلبة الفرس على الروم كانت يومئذ غلبة المسلمين المشركين ببدر ولما كان المراد ما ذكروه لما صح لان في ذلك اليوم بعينه يحصل لهم خبر الكسر فلا يكون فرحهم يومئذ بل الفرح يحصل بعده ثم قال تعالى ينصر من يشا قدم المصدر على حيث قال بنصر الله ينصره وقدم الفعل على المصدر في قوله وايدكم بنصره وذلك لان المقصود ههنا بيان

ان النصرة



ان النصرة بيد الله ان اراد نصروا وان لم يرد لا ينصروا وليس المقصود النصرة ووقوعها والمقصود هناك اظهار النعمة بانه نصره فالمقصود هناك الفعل ووقوعه فقدمه هناك الفعل ثم بين ان ذلك الفعل مصدره عند الله لمن اراد فعل فقدم المصدر ثم قال تعالى وهو العزيز الرحيم ذكر من اسمايه هذين الاسمين لانه ان لم ينصر المحب بل سلط العدو عليه فذلك لعزته وعدم افتقاره وان نصر المحب فذلك لرحمته عليه او نقول ان نصر الله المحب فلعزته واستغنايه عن العدو ورحمته على المحب وان لم ينصر المحب فلعزته واستغنايه عن المحب ورحمته في الاخرة واصله اليه اما قوله تعالى وعد الله لا يخلف الله وعده يعني سيغلبون وعدهم الله وعدا ووعد الله لا خلف فيه وقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الله سيعلمون وعده وانه لا خلف في وعده ثم قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا يعني علمهم منحصر في الدنيا وايضا لا يعلمون الدنيا كما هي وانما يعلمون ظاهرها وهي ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهي مضارها ومتاعبها ويعلمون وجوه الظاهر ولا يعلمون فناها وهم عن الاخرة هم غافلون فالمعنى هم عن الاخرة غافلون وذكرت هم الثانية لتفيد ان الغفلة منهم والا فاسباب التذكر حاصلة وهذا كما يقول القايل لغيره غفلت عن امري فاذا قال هو شغلني فلان فيقول ما شغلك ولكن انت استغفلت اما قوله تعالى اولم يتفكروا في انفسهم لما صدر من الكفار الانكار بالله عند انكار وعد الله وعدم الخلف فيه كما قال تعالى وهم عن الاخرة هم غافلون بين الغفلة وعدم العلم منه بتقدير الله تعالى والا فاسباب التذكر حاصلة وهو انفسهم لو تفكروا فيها لعلموا وحدانية الله تعالى وصدقوا بالحشر اما الوحدانية فلان الله تعالى خلقهم على احسن تقويم ولم من احسن خلقهم جزا من الفا لفجر وهو ان الله تعالى خلق الانسان معدة فيها رصهم عداده لتسوى به اعضاوه ولها منفذان احدهما لدخول الطعام فيه والاخر لخروج الطعام منه فاذا دخل الطعام فيها انطبق المنفذ الاخر بعضه على بعض بحيث لا يخرج منه ذرة ولا بارتخ وتمسكه الماسكة الى ان يصح نضجا صالحا ثم يخرج من المنفذ ويحلو تحت المعدة عروقا رقاقا صفرا كالمصفاة التي يصفى بها الشي فينتزع منها الصافي الى الكبد ويصب الثفل الى معا مخلوقة تحت المعدة مستقيم متوجها الى الخروج وما يدخل في الكبد من العروق المذكورة تسمى الماساريقا بالعبرانية والعربية عربيته مفسورة في الاكثر يقول الموسى ميشا وللاوبه اسل الى غير ذلك فالماساريقا معناها ماساريق استعمل عليه التبديل والنضجه نضجا اخر ويكون معا الجزا المتوجه من المعدة الى الكبد وصل ما شرب ليرفق وينفذ في العروق الرقاق المذكورة في الكبد يستغني عن ذلك الما فيميز عن ذلك الما ويصب من جانب حدبة الكبد الى الكلية ومعه دم يسير يتغذى به الكلية وغيرها ويخرج الدم الخالص من الكبد في عروق كبيرة ثم يتشعب ذلك النهر الى جداول والجداول الى سواقي والسواقي الى الرواضع ويصل منها الى جميع البدن فهذه حكمة واحدة في خلق الانسان وهذه كافية في معرفة كون الله تعالى فاعلا مختارا قادرا كاملا عالما مدبرا ساملا علمه ومن يكون كذلك يكون واحدا والا كان عاجزا عن ارادة شريكه ضد ما اراده واما دلالة الانسان على الحشر وذلك انه اذا تفكر في نفسه يرى قوته صابرة صايرة الى الزوال واجزاءه مايلة الى الانحلال فله فنا ضروري فلو لم يكن له حياة اخرى كان خلقه على هذا الوجه للفنا عبثا واليه الاشارة بقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وهذا ظاهر لان من يفعل شيا للعب فهو بالغ في احكامه واثباته تضحك منه فاذا خلقه لذلك المعنى والافساد ون اللقا في الاخرة لا بد منها ثم انه تعالى ذكر بعد دليل الانفس دليل الافاق وقال تعالى ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق اشارة الى وجه دلالتها على الوحدانية وقد بينا ذلك في قوله تعالى خلق السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية للمومنين ونعيده فان التكرير على الذهن يفيد التقرير بالدرج في الذهن فنقول اذا كان بالحق لا يكون فيها بطلان وتزوير فيها فساد كما قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقوله تعالى واجل مسمى يذكر بالاصل الاخر الذي انكروه ثم قال تعالى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون يعني لا يعلمون انه لا بد بعد هذه من بقا ودوام اما في ارتقا او شقا وفي الاية مسايل المسئلة الاولى قدم ههنا دلايل الانفس على دلايل الافاق وقوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم قدم دلايل الافاق على دلايل الانفس وذلك لان المفيد اذا افاد فايدة يذكرها على وجه جيد الحبارة فان فهمه السامع المستفيد بذلك والا يذكرها على وجه ابين منه وينزل درجة فدرجة واما المستفيد فانه يفهم اولا الابين ثم يترقى الى فهم ذلك الاخفى الذي لم يكن له منهمة بعد فهم الابين المذكور اخرا فالمذكور من المفيد اخرا مفهوم عند السامع اولا اذا علم هذا فنقول ههنا الفعل كان منسوبا الى السامع حيث قال تعالى اولم يتفكروا فقال اولم يتفكروا في انفسهم يعني ما فهموه اولا ولم يرتقوا الى ما فهموه ثانيا واما في قوله سنريهم الامر منسوبا الى المفيد المسمع فذكرا اولا الافاق فان لم يفهموه بالانفس دلايل لان دلايل الانفس لا ذهول للانسان عنها ولا يمكن الذهول واما دلايل الافاق فيمكن الذهول عنها وهذا الترتيب مراعى في قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ان يعلمون الله تعالى بدلايل الانفس في ساير الاحوال ويتفكرون في خلق السموات والارض بدلايل الافاق المسئلة الثانية وجه دلايل الخلق بالحق على الوحدانية ظاهر واما وجه دلالته على الحشر فكيف هو فنقول وقوع تخريب السموات والارض وعدمها لا يعلم بابن العقل الا امكانه واما وقوعه فلا يعلم الا بالسمع لان الله تعالى قادر على ابقا الحادث ابدا كما انه يبقي الجنة والنار بعد احداثهما ابدا والخلق دليل على امكان العدم لان المخلوق لم يجب له العدم لجاز عليه العدم فاذا اخبر الصادق عن امر له امكان وجب على العاقل التصديق والاذعان لان العالم اذا كان خلقه بالحق ينبغي ان يكون بعد هذه الحياة حياة اخرى باقية لان هذه الحياة ليست الا لعبا ولهوا كما بين بقوله تعالى وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب والعبث ليس بحق وخلق السموات والارض بالحق فلا بد من حياة بعد هذه الثالثة قال ههنا كثيرا من الناس وقال من قبل ولكن اكثر الناس وذلك لان من قبل لم يذكر دليلا على الاصلين وههنا قد ذكر الدلايل الواضحة والزامية اللايحة

ولا شك في ان الايمان بعد الدليل اكثر من الايمان قبل الدليل فبعد الدليل لا بد من ان يؤمن من ذلك الاكثر جمع فلا يبقى الاكثر كما هو فقال
بعد اقامة الدليل وان كثيرا ومع ذلك اكثر بعد الدليل الذي لا محيص عنه وهو ما سألهم وحكاية اشكالهم فقال تعالى اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وقال ههنا ليلين المتقدمين اولم يسيروا ولم يقل اولم يسيروا في الارض فينظروا ذكرهم
بحال امثالهم ومال اشكالهم ثم ذكرهم بانهم اولى بالهلاك لان من تقدم من عاد وثمود كانوا اشد منهم قوة ولم ينفعهم قواهم وكانوا اكثر
مالا وعمارة ولم يمنع عنهم الهلاك اموالهم وحصونهم واعلم ان اعتماد الانسان على ثلاثة اشيا قوة جسمية او قوة اعوانه اذ بها الاتباع
وقوة مالية اذ بها الباعث للمباشرة وقوة ظهرية يستند اليها عند الضعف والفتور وهي الحصون والعماير فقال كانوا اشد منهم
قوة في الجسم واكثر منكم مالا لانهم اثاروا الارض اي حرثوها ومنه كان اكثر لان بنيانهم كانت رفيعة وحصونهم منيعة وعمارة
اهل مكة كانت يسيرة ثم هولاء جاءتهم رسلهم بالبينات وامروهم ونهوهم فلما كذبوا اهلكوا فكيف انتم وقوله تعالى فما كان
الله ليظلمهم يعني لم يظلمهم بالتكليف فان التكليف تشريف لا يوتى له الا محل شريف ولكن هم ظلموا انفسهم بوضعها في موضع خسيس
وهو عبادة الاصنام واتباع ابليس فكان الله تعالى بالتكليف وضعهم فيما خلقوا له وهو الربح قال خلقتكم لتربحوا علي
لا لاربح عليكم والوضع في موضع كان الخلق له ليس بظلم واما هم وضعوا انفسهم في موضع الخسران ولم يكن خلقهم الا للربح ثم كانوا
ظالمين وهذا الكلام وان كان في الظاهر يشبه كلام المعتزلة لكن العاقل يعلم كيف يقوله اهل السنة وهو ان هذا الوضع منهم كان بمشية الله
تعالى وارادته لكنه كان منهم ومضافا اليهم والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوأى ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزؤن الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركايهم شفعا وكانوا بشركايهم شفعا وكانوا بشركايهم كافرين ويوم تقوم الساعة يوميذ يتفرقون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون

اعلم ان في ذلك اليوم يبلس ابلاسهم ويتحقق ابلاسهم والابلاس
الياس من حيرة يعني يوم تقوم الساعة يكون المجرم يئس متحيرا لا ياس هو احد الراحتين وهذا لان الطمع اذا انقطع باليأس فان كان المرجو
امرا غير ضروري يستريح الطامع من الانتظار وان كان ضروريا لا بقاء له بدونه يتفطر فؤاده اشد انفطار ومثل من يكون هذا
الياس هو الابلاس ولنبين حال المجرم وابلاسه بمثال وهو ان نقول مثله مثل من يكون في بستان وحواليه الملاعب والملاهي ودرسه
ما يفتخر به ساهي يخبره صادق بمجي عدو لا يرده راد ولا يصده صاد اذا جاءه لا يبقيه حيا ولا يترك له الى الخلاص طريقا فيجب عليه
الاشتغال بطريق يسلكه طريق الخلاص فيقول له لطفة او مجنون ان هذه الشجرة التي تحتها من الخلاص ودفع الاعادي عمن يكون تحتها و
ويقبل ذلك الغافل على استيفاء ملاذه معتمدا على الشجرة فيفجأ ذلك الغافل العدو صحبة العدو وخطابه واول ما يريه من الاهوال قطع تلك
الشجرة فيبقى متحيرا ايسا مبلسا فلذلك المجرم في دار الدنيا اقبل على استيفاء ملاذه معتمدا على خبر النبي الصادق بان الله تعالى
يجزيه عذاب الخزي فقال له الشيطان او النفس الامارة بالسوء ان هذه الاخشاب التي هي الاوثان دافعة عنكم كل باس وشافعة
لكم عند حمود الحوادث فاشتغل بما هو فيه وسمر على غيه حتى اذا جاءته الطامة الكبرى واول ما رأت القا الاصنام في النار فلا يجد
الى الخلاص من طريق وحق عليه عذاب الحريق فيأس حينئذ اي ياس ويكون اشد ابلاس واليه اشار بقوله تعالى ولم يكن لهم من شركايهم شفعا
وكانوا بشركايهم كافرين يعني يكفرون بهم ذلك اليوم اما قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يوميذ يتفرقون ثم بين امرا يكون في ذلك اليوم وهو
الافتراق كما قال تعالى في اية اخرى وامتازوا اليوم ايها المجرمون وكان هذه الحالة مرتبة على الابلاس فكانه اولا يبلس ثم يتحقق فريق في
الجنة وفريق في السعير واعاد قوله تعالى ويوم تقوم الساعة لان قيام الساعة امر هايل فكرره تاكيدا للتخويف ومنه اعتاد الخطبا تكرير
يوم القيمة في الخطب ليذكروا هوله ثم بين كيفية التفريق اما قوله تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون اي يحبسه
يسرون بكل مسرة واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون يعني لا يغيب لهم عنه ولا يفتر لهم كما قال
تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا وقال لا يفتر عنهم العذاب والايتين فيها مسايل لطايف المسئلة الاولى بدا بذكر حال الذين
امنوا مع ان الموضع موضع ذكر المجرمين وذلك لان المؤمن يوصل اليه الثواب قبل ان يوصل الى الكافر العقاب حتى يرى ويتحقق ان المؤمن
وصل الى الثواب فيكون اشد ولو دخل الكافر النار اولا لكان يظن ان الكل في العذاب مشتركون فتقرر ذلك زيادة في ايلامهم المسئلة
الثانية ذكر في المؤمن العمل الصالح ولم يذكر في الكافر العمل السيء لان العمل الصالح معتبر مع الايمان فان الايمان المجرد مفيد للنجاة دون رفع
الدرجات ولا يبلغ المؤمن الدرجة العالية الا بايمانه وعمله الصالح واما الكافر فهو في الدركات بمجرد كفره فلو قال تعالى والذين
كفروا وعملوا السيئات فهم في العذاب محضرون لكان العذاب لمن يصدر منه المجموع فان قيل من يؤمن ويعمل السيئات غير مذكور
في القسمين فنقول له منزلة بين المنزلتين لا على ما تقوله المعتزلة بل هو في الاولى في العذاب ولكن ليس من المحضرين دوام الحضور
وفي الاخرة هو في الرياض ولكنه ليس من المحبورين غاية الحبور كل ذلك بحكم الوعد المسئلة الثالثة قال في الاولى في روضة على
التنكير وقال في الاخرة في العذاب على التعريف لتعظيم الروضة بالتنكير كما يقال لفلان مال وجاه اي كثير وعظيم المسئلة الرابعة
قال في الاول يحبرون بصيغة الفعل ولم يقل محبورون وقال في الاخر محضرون بصيغة الاسم ولم يقل يحضرون لان الفعل ينبي على التجدد والاسم
لا يدل عليه فقوله يحبرون يعني كل ساعة ياتيهم امر يسرون به واما الكفار فانهم اذا احلوا العذاب يبقون فيه محضرون والله تعالى اعلم
بالصواب

**قوله تعالى** فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض

وعشيا

وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون

اعلم انه لما بين ان الله تعالى عظمته في الابتدا وهو حين تقوم الساعة ويتفرق الناس فريقين ويحكم على البعض
ان هولاء الى الجنة ولا ابالي وهولاء الى النار ولا ابالي امر بتنزيهه عن كل سوء وبحمده على كل حال فقال فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
اي سبحوا الله سبحانا وفي الاية مسايل المسئلة الاولى في معنى قوله سبحان الله ولفظة اما فعلان اسم للمصدر الذي هو التسبيح فسبحان الله
وجعل علما له واما المعنى فقال بعض المفسرين المراد منه الصلوة وذكروا انه اشار الى الصلوة الخمس قال بعضهم اراد به التنزيه اي نزهوه
عن صفات النقص وصفوه بصفات الكمال وهذا اقوى والمصير اليه اولى لانه يتضمن الاول وذلك لان التنزيه المامور به يتناول
التنزيه بالقلب وهو الاعتقاد الجازم وباللسان مع ذلك وهو الذكر الحسن وبالاركان معهما جميعا وهو العمل الصالح والاول هو الاصل والثاني
ثمرة الاول والثالث ثمرة الثاني وذلك لان الانسان اذا اعتقد شيئا ظهر من قلبه على لسانه واذا قال ظهر صدقه في مقاله من احواله
افعاله فاللسان ترجمان الجنان والاركان برهان اللسان لكن الصلوة افضل الاعمال والاركان وهي مشتملة على الذكر باللسان
والقصد بالجنان فهو تنزيه في التحقيق فاذا قال نزهوني وهذا نوع من انواع التنزيه والامر المطلق لا يختص بنوع دون نوع فيجب
حمله على كل ما هو تنزيه فيكون هذا ايضا امرا بالصلوة ثم ان قولنا هذا يناسب ما تقدم وذلك لان الله تعالى لما بين
ان المقام الاعلى والجزاء الاوفى لمن امن وعمل الصالحات حيث قال تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون
قال اذا علمتم ذلك المقام لمن امن وعمل الصالحات والايمان تنزيه بالجنان وتوحيد باللسان والعمل الصالح استعمال الاركان قال
كل [illegible] تسبيحا ذو تحميدات فسبحان الله اي فاتوا بذلك الذي هو الموصل الى الحبور في الرياض والحضور على الجنان من الناس
خص بعض الاوقات بالامر بالتسبيح وذلك لان افضل الاعمال ادومها لكن الملايكة ملازمون للتسبيح على الدوام كما قال تعالى
يسبحون الليل والنهار لا يفترون والانسان ما دام في الدنيا لا يمكنه ان يصرف جميع اوقاته الى التسبيح لكونه محتاجا الى اكل وشرب
وتحصيل ماكول ومشروب وملبوس ومركوب فاشار الله تعالى الى اوقات اذا اتى العبد بتسبيح فيها يكون كانه لم يفتر وهي الاول
والاخر والوسط فاول النهار واخره ووسطه فالظهر واول الليل ووسطه ولم يامر بالتسبيح في اخره لان النوم فيه غالب والله
من على عباده بالاستراحة بالنوم كما قال تعالى ومن اياته منامكم بالليل فاذا صلى في اول النهار تسبيحتين وجعل الانسان حسب له صرف
ساعتين الى التسبيح ثم اذا صلى اربع ركعات وقت الظهر حسب له صرف اربع ساعات فاذا صلى اربعا في اواخر النهار وهو
في العصر حسب له اربع اخرى صارت عشر ساعات فاذا صلى المغرب والعشا سبع ركعات اخرجت له سبع ساعات اخرى صارت
له سبع عشر ساعات الى التسبيح وبقي من الليل والنهار سبع ساعات اخر وهي ما بين نصف الليل وثلثه لان ثلثه ثمان ساعات
ونصفه ست ساعات وما بينهما السبع وهذا القدر هو الذي لو نام الانسان فيه لكان كثيرا واليه اشار الله تعالى
في قوله قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه وزيادة القليل على النصف هي ساعة فيصير سبع ساعات
مصروفة الى النوم والنايم مرفوع عنه القلم فيقول الله عبدي صرف جميع اوقاته بتكليفي في تسبيحي فلم يسبق لكم ايها الملايكة
عليهم المزية الذي ادعيتم بقولكم نحن نسبح بحمدك ونقدس لك على سبيل الافتخار بل هو مثلكم مقامهم مثل مقامكم في اعلا
عليين واعلم ان وضع الصلوة في اوقاتها وعدد ركعاتها واختلاف هياتها حكمة بالغة اما في عدد الركعات فيما تقدم من كون
الانسان يقظان في سبعة عشر ساعة ففرض عليه سبع عشر ركعة واما على مذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى حيث قال بوجوب الوتر
ثلاث ركعات فنقول بالتقوى فنقول هو ماخوذ من ان الانسان ينبغي ان يقلل نومه فلا ينام الا ثلث الليل ماخوذا من قوله تعالى
ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وفهم من هذا ان القيام ثلثي الليل ونصفه وثلثه وفهم من هذا ان القيام ثلثي
الليل مستحسن مستحب موكد الاستحباب ولهذا قال عقيبه علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فذكر بلفظ التوبة واذا كان كذلك يكون الانسان
يقظان في عشرين ساعة فامر بعشرين ركعة واما النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان من شانه انه لا ينام اصلا كما قال تنام عيناي
ولا ينام قلبي جعل له كل الليل كالنهار وسن له التهجد وامر به والى هذا اشار تعالى في قوله تعالى ومن الليل فاسجد له وسبحه
ليلا طويلا اي كل الليل لك للتسبيح فصار هو في اربعة وعشرين ساعة مسبحا وصار مثل الذين لا يفترون طرفة عين
واما في اوقاتها فما تقدم ايضا ان الاول والاخر والاوسط هو المعتبر بشرع التسبيح في اول النهار واخره واما الليل فاعتبر
اوله ووسطه كما اعتبر اول النهار ووسطه وذلك لان الظهر وقته نصف النهار والعشا وقته نصف الليل لانا بينا
ان الليل المعتبر هو المقدار الذي يكون الانسان فيه يقظان وهو مقدار خمس ساعات فجعل وقته في نصف هذا المقدار
واما الثالث من الليل واما ابو حنيفة رحمه الله تعالى لما راى وجوب الوتر كان زمان النوم عنده اربع ساعات وزمان اليقظة
بالليل ثمان ساعات فاخر وقت العشا الاخرة الى الرابعة والخامسة لتكون في وسط الليل المعتبر كما ان الظهر في وسط النهار واما
النبي صلى الله عليه وسلم لما كان ليله نهارا ونومه انتباها قال لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك وتاخير العشا الى نصف
الليل ليكون الاربع في نصف الليل كما ان الاربع في نصف النهار واما التفاصيل فالذي سن الى ان النهار اثني عشر ساعة ثمانية في صلوة
المواداة فيها عشر ركعات فيبقى على المكلف ركعتان يودي بهما في اول الليل وتودى ركعة من صلوة الليل ليكون ابتدا الليل بالتسبيح

كما كان ابتدا النهار بالتسبيح ولما كان المودى من سبح النهار في اوله ركعتين نوديهما في اول كان المودى من تسبيح الليل في اول ركعة لان تسبيح
النهار طويل مثل ضعف تسبيح لان المودى في النهار عشرة والمودى في الليل من تسبيح الليل خمسة **المسئلة الثالثة** في فضل التسبيحة والتحليلة في المسا والصباح
ولنذكرها من حيث النقل والعقل اما النقل فاخبرني الشيخ الورع الحافظ الاستاد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بحلب مسندا عن النبي عليه السلام
انه قال لبعض اصحابه العجز من ياتي وقت النوم بالفحسه وسمعه يقول مسندا من قال خلف كل صلوة مكتوبة عشر مرات سبحان الله عشر مرات
والحمد لله عشر مرات الله اكبر دخل الجنة واما العقل فان الله تعالى له صفات لائقة كامن فعله وصفات ثابتة له من فعله اما الاولى فهي صفات كمال
وجلال خلافها نقص فاذا ادرك المطلق الله بانه لا يجوز ان يخفى عليه شي لكونه عالما بكل شي فقد نزهه عن الجهل ووصفه بضده او خلافه
فاذا اعترف بانه لا يعجز عن شي لكونه قادرا على كل شي فقد نزهه عن العجز واذا انه لا يكونه مزيدا لكل كان نزهه واذا بان انه لا يسعه
العدم لاتصافه بالعدم نزهه واذا لاح له انه لا يجوز ان يكون عرضا او جسما او في مكان لكونه واجبا مبريا عن جهات الامكان نزهه
لكن صفاته السلبية والاضافية لا يعدها عاد ولو اشتغل بها واحدا لا يفي فيها عمره ولا يدرك كنهها فاذا قال قايل سبحان الله بقلبه
سبحان الله بسحه لما يعوله من كونه منزها له عن كل نقص فاتى به بالتسبيح على هذا الوجه من الاجمال تقوم مقام اماتة على سبيل
التفصيل لكن لا ريب فيه ان من اتى بالتسبيح عن كل واحد واحد مما لا يجوز على الله يكون قد اتى بما لا نفي له ان من اتى بالتسبيح به اجمال
فتقال هذا العبد اني بتسبيحي طول عمره ومده معاملته فاذا اجازيه بان اطهره عن كل ذنب واوسمه بحلي الكرامة وانزله بدار المقامة مدة
لا انتهاء لها وكما ان العبد ينزه الله تعالى في اول النهار واخره ووسطه الله تعالى يطهره في اوله وهو دنياه وفي اخره وهو عقباه و
في وسطه وهو حاله كونه في قبره الذي اتى وان حرم هو معناه واما الثانية وهي صفات الفعل فالانسان اذا نظر الى خلق الله
السموات والارض يعلم انها نعمة فيقول الحمد لله على كل شي حمدا لا يفي عمره به فاذا استحضر في ذهنه النعم التي لا تعد كما قال تعالى وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها ويقول الحمد لله على ذلك فهذا الحمد على وجه الاجمال تقبل منه مقام الحمد على سبيل التفصيل ويقال عبدي
استغرق عمره في حمدي وانا وجدت الشاكر بالزيادة فله على حسنه التسبيح الحسنى وله على حمده الزيادة ثم ان الانسان اذا استغرق
في صفات الله وقد يدعوه عقله الى التفكر في الله بعد التفكر في الا الله فكل ما يقع في عقله من حصصه فينبغي ان يقول الله
اكبر مما ادركه لكن المدركات وجهات الادراكات لا نهاية لها فان اراد ان يقول على سبيل التفصيل الله اكبر من هذا الذي
ادركه من هذا الوجه واكبر مما ادركه من الوجه الاخر يفني عمره ولا يفي بادراك جميع الوجوه التي ظن الظان انه مدرك الله تعالى
بتلك الوجوه فاذا قال مع نفسه الله اكبر اعني عن كل ما تصوره من نعوت عقلي وطاقة ادراكي يكون مستغرقا في العرفان واليه الاشارة
بقوله العجز عن درك الادراك ادراك فيقول القايل المستغرق سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مفيد هذه الفوايد
لكن شرطه ان يكون ذلك كاملا معتبرا وهو الذي يكون من صميم القلب لا الذي يكون من طرف اللسان **المسئلة الرابعة**
قوله عشيا عطف على حين اي سبحوه حين تمسون وحين تصبحون وعشيا وله الحمد في السموات والارض كلام معترض بين المعطوف
والمعطوف عليه وفيه لطيفة وهو ان الله تعالى لما امر العباد بالتسبيح كانه بين لهم كان تسبيحهم الله لنفعهم لا لنفع يعود الى الله فعليهم
ان يحمدوا الله تعالى اذا سبحوه وهذا كما في قوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم
**المسئلة الخامسة** قدم الامسا على الاصباح هاهنا واخره في قوله تعالى وسبحوه بكرة واصيلا وذلك لان هاهنا اول الكلام ذكر الحشر
والاعادة من قوله تعالى الله يبدؤ الخلق ثم يعيده الى قوله تعالى فاولئك في العذاب محضرون واخر هذه الاية ايضا ذكر الحشر والاعادة
بقوله تعالى وكذلك تخرجون والامسا اخر فذكر الاخر لتذكر الاخرة السادسة في تعلق اخراج الحي من الميت والميت من الحي بما تقدم عليه هو
ان الاصباح يخرج الانسان من سنة النوم وهو النوم الحسنة الوجود وهو اليقظة وعند العشا يخرج الانسان من اليقظة الى النوم
واختلف المفسرون في قوله تعالى يخرج الحي من الميت فقال الاكثر يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وكذلك الحيوان
من النطفة والنطفة من الحيوان وقال بعضهم المومن من الكافر والكافر من المومن ويمكن ان يقال المراد يخرج الحي من الميت
اي اليقظان من النايم والنايم من اليقظان وهذا يكون قد ذكره للتمسك اعني احيا الميت عنده واما به الحي كمسه النايم وسمعه
المسه اما قوله تعالى ويحيي الارض بعد موتها ففي هذا معنى لطيف وهو ان بالموت تبطل حواسه واما نفسه الناطقة مفارقة
وتبقى بعده كما قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا لكن الحيوان ما لم يتحرك حساس لكن النايم لا يتحرك
ولا يحس والارض الميتة لا تكون فيها تمام النايم بالانتباه يتحرك ويحس والارض الميتة بعد موتها تنمو ابناتها فكمال تحركها في ذلك السكون
واما هذا الوقف سهل على الله كذلك احيا الميت سهل عليه والى هذا اشار بقوله تعالى وكذلك تخرجون اما قوله تعالى ومن اياته ان
خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون لما امر الله بالتسبيح عن الاسوا وذكر ان الحمد على خلق جميع الاسباب بين قدرته على الاماتة
والاحيا بقوله سبحان الله الى قوله تعالى وكذلك تخرجون ذكر ما هو حجة ظاهرة وانه باهر على ذلك ومن جملتها خلق الانسان
من تراب وتقريره وهو ان التراب ابعد الاشياء عن درجة الاحيا وذلك من حيث كيفيته فانه بارد يابس والحياة بالحرارة
والرطوبة ومن حيث كونه فانه كدر والروح نير ومن حيث فعله فانه ثقيل والارواح التي بها الحياة خفيفة ومن حيث السكون
فيه فانه بعيد عن الحركة والحيوان يتحرك يمنة ويسرة والى خلف والى قدام والى اسفل وفي الجملة فالتراب ابعد من قبول الحياة عن ساير
الاجسام لان العناصر ابعد من المركبات لان المركب بالتركيب قريب درجة من الحيوان والعناصر ابعدها التراب لان المائية الصفاء
والرطوبة والحركة وكلها على طبع الارواح والنار اقرب لانها كالحرارة الغريزية منضجة جامعة مفرقة ثم المركبات فاول مراتبها المعدن
فانه ممتزج وله مراتب اعلاها الذهب وهو قريب من ادنى مراتب النبات وهي مرتبة النبات في الارض ولا يبرز ولا يرتفع ثم النبات

اعلا



اعلا مراتبها وهي مرتبة الاشجار التي تقبل التطعيم ويكون لثمرتها حب منه مثل تلك الشجرة كالبيضة من الدجاجة والدجاجة
من البيضة وقريبة من ادنى مراتب الحيوانات وهي مرتبة الحشرات التي ليست لها دم سايل ولا هي الى المنافع الجليلة وسايل
كالنبات ثم الحيوان واعلى مراتبها مرتبة من مرتبة الانسان فان الانعام ولا سيما الفرس يشبه الفعال والجمال والساعي ثم الانسان
واعلا مراتب الانسان قريبة من مرتبة الملايكة المسبحين لله الحامدين له فالله الذي خلق من ابعد الاشيا عن مرتبة
الاحيا خلقا هو في اعلى المراتب لا يكون الا منزها عن العجز والجهل ويكون له كمال القدرة ونفوذ الارادة فيجوز منه الابدا والاعادة
وفي الاية لطيفتان احداهما قوله فاذا هي للمفاجاة تقول خرجت فاذا الاسد بالباب وهو اشارة الى ان الله تعالى خلقه من تراب
بكن فكان لانه صار معد بالم يا ما ثم حيوانا ثم انسانا وهذا اشارة الى مسئلة حكمية وهي ان الله تعالى يخلق اولا انسانا ناصيه
انه يجي حيوانا ونا ميا وغير ذلك الا انه يخلق اولا حيوانا ثم جعله انسانا يخلق الانواع هو المراد الاول ثم يكون الانواع
فيها الاجناس بتلك الارادة الاولى فالله تعالى جعل المرتبة الاخيرة في الشي البعيد عنها فانه من غير انتقال من مرتبة الى مرتبة من
المراتب التي ذكرناها اللطيفة الثانية قوله تنتشرون اشارة الى القوة المدركة لان البشر بشرته لا يحرك فان غيره من الحيوانات ايضا
كذلك وقوله تعالى تنتشرون الى القوة المحركة وكلاهما من التراب عجيبا اما الادراك فلكثافته وجموده واما الحركة فلثقله
وجموده وقوله تنتشرون ايضا الى ان الحجة غير مختص بخلق الانسان من تراب بل بخلق الحيوان المنتشر من التراب الساكن عجيب
فضلا عن البشر وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** وهي ان الله تعالى خلق آدم من تراب وخلقنا منه فكيف قال خلقكم من تراب
نقول الجواب عنه من وجهين احدهما ان المراد من قوله خلقكم انه خلق اصلكم والثاني ان نقول كل بشر مخلوق من التراب اما
آدم فظاهر واما نحن فلانا خلقنا من نطفة والنطفة من صالح الغذا الذي هو بالقوة بعض من الاعضاء والغذا اما من
لحوم الحيوانات والبانها واسمانها او من النبات او الحيوان والبانها واسمانها واما من التراب فان الحبة من الحنطة والنواة
من الثمرة لا تصير شجرة الا بالتراب وينضم اليها اجزاء ارضية ليصير ذلك النبات بحيث نعدوا او المسوه الناس قال تعالى في
موضع اخر وخلق من الما بشرا وقال تعالى من ماء مهين وقال هاهنا من تراب فكيف الجمع قلنا اما على الجواب الاول فالسوال
زايل فان المراد منه ادم واما على الثاني فنقول هاهنا قال ما هو اصل اول وفي ذلك الموضع قال ما هو اصل ثان لان ذلك التراب
الذي الذي صار غذا تصير منيا وهو المني ثم يتعقد ويكون يخلق الله منه انسانا او نقول الانسان له اصلان طاهران
الما والتراب فان التراب لا ينبت الا بالما فمعنى الانسان الذي هو اصلان طاهران الما ويجمع اجزاءه المسقية فالامر كذلك وان جعل
الاصل هو الما والتراب بمشاركة الرطبة عن السلوك فالامر كذلك فان قيل الله تعالى يعلم كل شي فنوبعهم ان الاصل ماذا هو
منهما واما الامر عندنا فيه يجوز هذا وذلك فان كان الاصل هو التراب فكيف كان من الما بشرا وان كان من الما فكيف خلقكم
من تراب وان كان هما اصلين فلم لم يكن خلقكم منهما فنقول فيه لطيفة وهي ان يكون التراب اصلا والما اصلا ليس لذاتيهما
وانما هو بجعل الله تعالى فان الله نظرا الى قدرته كان له ان يخلق اولا ما يخلق الانسان ثم بعضه ويحصل منه التراب ويدوم
ويحصل منه الما ولكن الحكمة اقتضت ان يكون الناقص وسيلة الى الكامل لا الكامل يكون وسيلة الى الناقص فخلق الما والتراب
اولا وجعلهما اصلين لمن هو اجمل منهما بل الذي هو اكمل من كل كاين وهو الانسان فاذا كان كونهما اصلين ليس امرا ذاتيا لهما
بل بجعل جاعل وزيادة جعل الاصل التراب وزيادة ليعلم انه بارادته واختياره وان شا جعل هذا اصلا وان شا جعل ذلك
اصلا وان شا جعلهما اصلين الثالثة قالت الحكما ان الانسان مركب من العناصر الاربعة وهي التراب والما والهوا والنار
وقالوا التراب فيه لتماسكه والما لاستمساكه بالهوا فان التراب سريع الزلة والهوا لا استقلال له كالزق المنفوخ
يقوم بالهوا ولولاه لما كان فيه استقلال وانصباب والنار للنضج والالتيام بين هذه الاشيا فهل هذا الحكم ام لا وان كان
صحيحا فكيف اعتبر الامرين التراب ولم يقل في موضع انه خلقه من نار ولا من ريح فنقول اما قولهم فلا بعد فيه من حيث
الشرع فلسنا نعلم فيه الا اذا قالوا بانها بالطبيعة كذلك واما ان قالوا ان الله بحكمته خلق الانسان من هذه الاربعة
فلسنا نعلم فيه واما الايات فنقول ما ذكرتم لا يخالف هذا لان جعلهم للاستقلال والنار للنضج فتكونان بعد امتزاج
الما بالتراب فالاصل الموجود اولا هما لا غير ولذلك خصهما ولان المحسوس من العناصر الغالب هو التراب والما ولا سيما كونهما
في الانسان ظاهر لكل احد يحصل الظاهر المحسوس بالذكر اما قوله تعالى ومن اياته ان خلق لكم لما بين الله تعالى الانسان بين انه
لما خلق الانسان ولم يكن من الاشيا التي تبقى وتدوم سنين متطاولة بين نوعه بالاشخاص وجعله بحيث يتوالد واذا مات الاب
يقوم الابن مقامه لئلا يوجب فقد الواحد ثلمه في العمارة ولا يفسد وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** قوله خلق لكم دليل
على ان الانسان خلقت لحلق الذوات والنبات وغير ذلك من المنافع كما قال تعالى خلق لكم ما في الارض وهذا ينبغي ان لا يكون
مخلوقه للعبادة والتكليف فنقول خلق الانسان من النعم علينا وخلق لنا وتكليفنا لاتمام النعمة علينا لا لتوجه تكليف
نحو هو مثل توجيهه الينا وذلك من حيث النقل والحكم والمعنى اما النقل فهذا وغيره واما الحكم فلان المراة لا تكلف بتكاليف
كثيرة كلف الرجال بها واما المعنى فلان المراة ضعيفة الخلق سخيفة فشابهت الصبي لكن الصبي لم يكلف وكان يناسب
ان لا تؤهل المراة للتكليف لكن النعمة علينا ما كانت تتم الا بتكليفهن لتخاف كل واحدة منهن العذاب فتنقاد للزوج وتمتنع
عن المحرم ولولا ذلك لظهر الفساد الثانية قوله من انفسكم قال بعضهم ان المراد منه ان حوا خلقت من جسم آدم والصحيح
ان المراد من جنسكم كما قال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم ويدل عليه قوله تعالى لتسكنوا اليها يعني ان الجنسين

المختلفين لا يسكن احدهما الى الاخر اى بحيث نفسه معه ولا يميل قلبه اليه الثالثة يقال سكن اليه للسكون القلبي و
يقال سكن عنده للسكون الجسماني لان كلمة عند جاءت لظرف المكان وذلك للاجسام والى للغاية وهي للقلوب الرابعة قوله تعالى
وجعل بينكم مودة ورحمة اقوال قال بعضهم مودة بالمجامعة ورحمة بالولد تمسكا بقوله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا
وقال بعضهم محبة حالة حاجة نفسه ورحمة حالة حاجة صاحبه اليه وهذا لان الانسان يحب ولده مثلا فاذا
راى عدوه في شدة من جوع والم قد ياخذه من ولده ويصلح به حال ذلك وما ذلك بسبب المحبة وانما هو بسبب الرحمة
ويمكن ان يقال ذكر من قبل امرين احدهما كون الزوج من جنسه والثاني ما يفضي اليه الجنسية وهو السكون
اليه فالجنسية توجب السكون وذكرها هنا امرين احدهما يفضي الى الاخر فالمودة تكون اولا ثم انها تفضي الى الرحمة
لهذا فان الزوج قد يخرج عن محل الشهوة لكبر او مرض ويبقى قيام الزوج بها وبالعكس وقوله تعالى ان في ذلك يحتمل ان يقال
المراد في خلق الازواج لايات ويحتمل ان يقال في جعل المودة بينهم ايات اما المودة فلا بد له من فكر لان خلق الانسان
من الوالدين يدل على كمال القدرة ونفوذ الارادة وشمول العلم لمن يتفكر ولو في خروج الولد من بطن الام فان دون ذلك
لو كان في غير الله لافضى الى هلاك الام وهلاك الولد ايضا لان الانسان يجد بين القريب من الرحم ما لا يجده بين
ذوي الارحام وليس كذلك بمجرد الشهوة فانها قد تبقى وتبقى الرحمة فهو من الله تعالى ولو كان سببهما مجرد الشهوة
والغضب كثير الوقوع وهو مبطل للشهوة والشهوة غير دائمة في نفسها لكان كل ساعة بينهما فراق وطلاق فالرحمة
التي بها يترك الانسان المكاره عن حرمة هي من الله وذلك لا يعلم الا بالفكر اما قوله تعالى ومن اياته خلق السموات
والارض واختلاف السنتكم والوانكم لما بين دلالة الانفس ذكر دلائل الافاق واظهر ما خلق الله السما والارض فان بعض
الكفار يقول ما خلق البشر وغيره من المركبات انه بسبب ما في العناصر من الكيفيات وما في السموات من الحركات وما
في السموات من الاتصالات فاذا قيل لهم فالسما والارض لم يكن كلا امتزاج العناصر واتصالات الكواكب فلا يجدوا مرادا
تقول ذلك بقدرة الله تعالى وارادته ثم لما اشار الى دلايل الانفس والافاق ذكر ما هو من صفات الانفس بالاختلاف والذي
بين الوان الانسان فان واحدا منهم مع كثرة عددهم وصغر حجمهم حدودهم وخدودهم لا يشبه لغيره من السموات مع كبرها
وقلة عددها مشبهات في الصورة والثاني اختلاف كلامهم فان عرسين هما اخوان اذا تكلما بلغة واحدة نعرف احدهما
من الاخر حتى ان يكون محجوبا عنها لا يبصرهما نقول هذا صوت فلان الاخر وفيه حكمة بالغة وذلك لان الانسان يحتاج
الى التمييز بين الاشخاص ليعرف صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق ليحترز قبل وصول العدو اليه وليقبل على الصديق
قبل ان تفوته الاقبال عليه وذلك قد يكون بالبصر بخلق اختلاف الصور وقد يكون بالسمع بخلق اختلاف الاصوات واما
اللمس والشم والذوق فلا يفيد فايدة في معرفة العدو والصديق فلا يقع بها التمييز ومن الناس من قال المراد اختلاف
اللغات كالعربية والفارسية والرومية وغيرها والاول اصح اما قوله تعالى ان في ذلك لايات للعالمين لما كان خلق
السما والارض لم يحمل الا احتمالات البعيدة التي يقولها اصحاب الطبايع واختلاف الاصوات كذلك قال للعالمين
لعموم العلم بذلك اما قوله تعالى ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله لما ذكر بعض العوارض اللازمة
وهو الاختلاف ذكر الاعراض المفارقة ومن جملتها النوم بالليل والحركة طلبا للرزق بالنهار فقد ذكر من اللوازم امرين
ومن المفارقة امرين وفي الاية مسايل المسئلة الاولى قوله منامكم بالليل والنهار قيل اراد به النوم بالليل والنهار
سعوله ثم قال تعالى وابتغاؤكم اي فيهما فان كثيرا ما يكسب الانسان بالليل وقيل اراد منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فكف
البعض بالبعض ويدل عليه امان احدهما قوله تعالى وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا وقوله تعالى وجعلنا الليل
لباسا وجعلنا النهار معاشا ويكون التقدير هكذا ومن اياته منامكم وابتغاؤكم بالليل والنهار من فضله فاخر الابتغاء
وقرنه في اللفظ بالفضل اشارة الى ان العبد ينبغي ان لا يرى الرزق من كسبه وجده بل يرى كل ذلك من فضل ربه ولهذا
اقترن الابتغاء بالفضل من كثير من المواضع منها قوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله
وقوله تعالى ولتبتغوا من فضله المسئلة الثانية قدم المنام بالليل على الابتغاء بالنهار في الذكر لان الاستراحة
مطلوبة لذاتها والطلب لا يكون الا لحاجة فلا يتعب الا محتاج في الحال وخايف من المال الثالثة قال ايات لقوم يسمعون وقال
من قبل لقوم يتفكرون وقال للعالمين جعل المنام بالليل والابتغاء من الجاهل والعاقل بهما يتصف الحيوان
فلا يظهر لكل واحد منهما كونهما من نعم الله تعالى فلم يقل ايات للعالمين ولان الامرين الاولين وهو اختلاف الالسنة
والالوان من اللوازم والمنام والابتغاء من الامور المفارقة بالنظر اليهما لا يدوم لزومهما في بعض الاوقات ولا كذلك
اختلاف الالسنة والالوان فانهما يدومان بدوام الانسان فجعلهما اية عامة واما قوله تعالى لقوم يتفكرون فاعلم
ان من الاشياء ما يعلم من غير تفكر ومنها ما يكتفى فيه بمجرد الفكرة ومنها ما لا يخرج بالفكر بل يحتاج الى موقف يقف
عليه ومرشد يرشد اليه فيفهمه اذا سمعه من ذلك المرشد ومنها ما يحتاج بعض الناس في تفهيمه الى مثله حسنه
كالاشكال الهندسية لكن خلق الازواج لا يقع لاحد انه بالطبع الا اذا كان جامد الفكر جامد الذكر فاذا تفكر
علم كون ذلك الخلق اية واما المنام والابتغاء فقد يقع لكثير انهما من افعال العباد وقد يحتاج الى
مرشد لغير فكر فقال لقوم يسمعون ويجعلون سالهم من كلام المرشد والله تعالى اعلم **قوله تعالى**

ومن





ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السما ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم
يعقلون ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون وله من
في السموات والارض كل له قانتون وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى
في السموات والارض وهو العزيز الحكيم اعلم انه تعالى لما ذكر العرضيات التي للانفس اللازمة والمفارقة ذكر العرضيات التي
للافاق وقال تعالى يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السما ماء وفي الاية مسايل المسئلة الاولى لما قدم دلايل الانفس هنا قدم
دلالة العرضيات التي للافاق كما اخر دلايل الافاق بقوله تعالى ومن اياته خلق السموات والارض المسئلة الثانية قدم
لوازم الانفس على العوارض المفارقة حيث ذكر اولا اختلاف الالسنة والالوان ثم المنام والابتغاء وقدم في الافاق العوارض
الانسان متغير الحال والعوارض له غير بعيد واما اللوازم فيه فغريبة واما السموات والارض فعلمه التغير فالعوارض فيها
اقرب من اللوازم فقدم ما هو اعجب لكونه ادخل في كونه اية وازيد ثباتا فنقول الانسان متغير احواله بالكبر والصغر والسقم والصحة
وله صوت يعرف به لا يتغير ولم يكون به يتميز عن غيره وهو متغير الاحوال وذلك لا يتغير وهو اية عجيبة والسما كانت والارض
ما سا ن لا يتغيران لذلك فهو اية دالة على فاعل مختار يديم امرا مع تغير المحل ويزيل امرا مع ثبات المحل المسئلة الثالثة
كما قدم السما على الارض قدم ما هو من السما وهو البرق والمطر على ما هو من الارض وهو الانبات والاحيا المسئلة الرابعة كما ان في
انزال المطر وانبات الشجر منافع لذلك في تقديم البرق والمطر على المطر منفعة وذلك لان البرق اذا لاح فالذي لا يكون تحت كن
يخاف الاستدلال فيستعد له والذي له صهريج او صنيع يحتاج الى الما او زرع يسوي مجاري الما وايضا العرب من اهل البوادي
فلا يعلمون البلاد المخصبة ان لم يكن قدرا والبرق اللايح من جانب دون جانب واعلم ان فوايد البرق وان لم يظهر للمقيمين
بالبلاد لكن ظاهرة للبادي فلهذا جعل تقديم البرق على تنزيل الما من السما نعمة واية واما كونه اية فظاهرة فلان في
السحاب ليس الا ما وهوا وخروج النار منهما بحيث تحرق الجبال في غاية البعد فلا بد له من خالق هو الله تعالى قالت
الفلاسفة السحاب فيه كثافة ولطافة بالنسبة الى الهوا الطف منه والما اكثف فاذا هبت ريح قوية تخرق السحاب بعنف
فيحدث صوت الرعد ويخرج منه النار كما يمس جسم جسما بعنف وهذا كما ان النار تخرج من وقع الحجر على الحديد فان قيل الحجر والحديد
جسمان صلبان والسحاب والريح جسمان رطبان فيقولون لكن حركة يد الانسان ضعيفة وحركة الريح قوية تقلع الاشجار
فنقول لهم البرق والرعد امران حادثان لا بد لهما من سبب وقد علم البرهان كون كل حادث من الله ثم نقول هب ان الامر كما تقولون
هبوب تلك الريح القوية من الصور الى دقة العجيبة لا بد له من سبب وهي تنتهي الى واجب الوجود فهو اية للعاقل على قدرة الله
تعالى كيفما فرض ذلك الى انه قال ههنا لقوم يعقلون لما كان حدوث الولد امرا عاديا مطردا قليل الاختراع كان يسبق
الى الهوام العامية ان ذلك بالطبيعة لان المطرد اقرب الى الطبيعة من المختلف ولكن البرق والمطر ليس امرا مطردا غير مختلف
بل يختلف اذ يقع بسلد دون بلد وفي وقت دون وقت وتارة تكون قوية وتارة ضعيفة فهو اظهر في العقل دلالة على الفاعل
المختار فقال هو اية لمن له عقل ان لم يتفكر بفكر تام اما قوله تعالى ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره لما ذكر من العوارض اية
هي السما والارض بعضها ذكر من لوازمها البعض وهي قيامها فان الارض لثقلها يتعجب الانسان من وقوفها وعدم لوازمها
وكون السما يتعجب من علوها وثباتها من غير عمد وهذا من اللوازم لا تخرج عن مكانها الذي هي فيه والسما كذلك لا تخرج عن
مكانها الذي هي فيه وان قيل بانها تتحرك في مكانها كالرحا ولكن اتفق العقلاء على انها في مكانها لا تخرج عنه وهذه اية ظاهرة
لان كونها في غير ذلك الموضع جايز فكان يمكن ان تخرج منه فلما لم تخرج كان ذلك ترجيحا للجايز على غيره وذلك لا يكون الا بفاعل
مختار والفلاسفة قالوا كون الارض في المكان الذي هي فيه طبيعي لها لانها اثقل الاشيا والثقيل يطلب المركز والخفيف يطلب
المحيط والسما كونها في مكانها ان كانت ذات مكان فما لها بعينها فيهما بطبعهما فنقول قد تقدم مرارا ان القول بالطبيعة
باطل والذي نريده ههنا انكم وافقتمونا بان ما جاز على احد المثلين جاز على المثل الاخر لكن مقعر الفلك لا يخالف محدبه فاذا
نقل اليه الزوال عن المكان ممكن لا سيما على الاسا فانها ليست محدودة للجهات على مذهبكم ايضا والارض كانت تجوز عليها الحركة
الدورية كما يقولون على السما فعدمها وسكونها ليس الا بفاعل مختار وفي الاية مسايل المسئلة الاولى ذكر الله من كل باب
امرين اما من الانفس فقوله خلقكم استدل بخلق الزوجين ومن الافاق السما والارض في قوله خلق السما والارض ومن لوازم
الانسان اختلاف الالسنة واختلاف الالوان ومن عوارضه المنام والابتغاء ومن عوارض الافاق البروق والامطار ومن
لوازمها قيام السما وقيام الارض لان الواحد يكفي للاقرار بالحق والثاني يفيد الاستقرار ومن هذا عبر بشاهدين شاهدين
فان قيل احدهما يفيد الظن وقول الاخر يفيد ما كده ولهذا قال ابرهيم عليه السلام بلى ولكن ليطمئن قلبي الثانية قوله
بامره اي بقوله قوما وبارادته قيامهما وذلك لان الامر عند المعتزلة موافق للارادة وعندنا ليس كذلك ولكن
النزاع في الامر الذي للتكليف لا في الامر الذي للتكوين فانا لا نزاع في ان قوله كن وكونوا ويا نار كوني بردا موافق
للارادة الثالثة قال ههنا ومن اياته ان تقوم وقال قبله ومن اياته يريكم ولم يقل ان يريكم وقال بعض المفسرين ان مضمر
هناك معناه من اياته ان يريكم فيصير كالمصدر بان وذلك لان القيام لما كان غير متغير اخرج الفعل بان وجعله
مصدرا لان المستقبل ينبي على التجدد وفي البرق لما كان ذلك من الامور التي تتجدد زمانا دون زمان ذكره بلفظ الفعل المستقبل
ولم يذكر معه الحروف المصدرية الرابعة ذكر ستة دلايل وذكر في اربعة منها ان في ذلك لايات ولم يذكر في الاولى وهو قوله تعالى

ومن اياته ان خلقكم من تراب وفي الاخر وهو قوله تعالى ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره اما الاول فلان قوله بعد ومن اياته ان خلق لكم اشارة دليل الانفس خلق الانفس وخلق الازواج من باب واحد على ما سبق ثم انه تعالى ذكر من كل باب امرين للتقرير بالتكرير فاذا قال ان في ذلك لايات كان عايدا اليها واما في قيام السما والارض فقوله في الايات السماوية ذكر انها ايات للعالمين ولقوم يعقلون لظهورها فلما كان في اول الامر ظاهرا وفي اخر الامر بعد سرد الدلايل يكون اظهر فلم يميز احدا عن احد في ذلك الامر وذكر ما هو مدلوله وهو قدرته على الاعادة وقال تعالى ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون وفيها مسايل **المسئلة الاولى** ما وجه العطف بثم وبم تعلق ثم ومعناه والله اعلم انه تعالى لما بين لكم كمال قدرته بهذه الايات بعد ذلك اخبركم وعلمكم انه قال للعظام الرميم اخرجوا احيا **المسئلة الثانية** قول القايل دعا فلان فلانا من الجبل يحتمل ان يكون الدعا من الجبل كما يقول القايل يا فلان اصعد الى الجبل فيقال دعاه من الجبل ولا يخفى على العاقل ان الدعا لا يكون من الارض اذا كان الداعي هو الله فالمدعو يدعى من الارض يعني انتم تكونون في الارض فيدعوكم منها فتخرجون **المسئلة الثالثة** قوله تعالى اذا انتم تخرجون اذا للمفاجاة يعني يكون ذلك بكن فيكون لا ابطا قال تعالى ههنا اذا انتم تخرجون وقال في خلق الانسان اولا ثم اذا انتم بشر تنتشرون فنقول هناك يكون خلق وتقدير وتدريج حتى يصير التراب قابلا للحياة فينفخ فيه روحه فاذا هو بشر واما في الاعادة لا يكون تدريج وتراخ بل يكون ندا وخروج فلم يقل ههنا اما قوله تعالى وله من في السموات والارض الاية لما ذكر الايات وكان مدلولها القدرة على الحشر التي هي الاصل الاخر والوحدانية التي هي الاصل الاول اشار اليها بقوله تعالى وله من في السموات والارض يعني لا شريك له اصلا لان كل من في السموات ومن في الارض ونفس السموات والارضين له وملكه فكل له منقادون قانتون والشريك يكون منازعا مماثلا فلا شريك له اصلا ثم ذكر المدلول الاخر فقال تعالى وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه اي في نظركم الاعادة اهون من الابتدا لان من يفعل فعلا اولا يصعب عليه ثم اذا فعل بعد ذلك مثله يكون اهون عليه وقيل المراد هو هين عليه كما قيل في قول القايل الله اكبر اي كبير وقيل المراد هو اهون عليه كلمات الاعادة اهون على الخلق من الابتدا لان في البد يكون علقة ثم مضغة ثم لحما ثم عظاما ثم يخلق بشرا ثم يخرج طفلا ثم يترعرع الى غير ذلك فيصعب عليه ذلك كله واما في الاعادة فيخرج بشرا سويا بكن فيكون فهو اهون عليه والوجه الاول اصح وعليه سؤال فنقول هو اهون يحتمل ان يكون ذلك لان البد خلق الاجزا وتاليفها والاعادة تاليف ولا شك ان امرين اهون من امر واحد ولا يلزم من هذا ان يكون عنده فيه صعوبة ولنبين هذا فنقول الهين هو ما لا يتعب فيه الفاعل والاهون ما لا يتعب فيه الفاعل بالطريق الاولى فاذا قال قايل ان الرجل القوي لا يتعب من نقل شعيرة من موضع الى موضع وسلم السامع له ذلك فان قال بانه لا يتعب من نقل خردلة يكون اولى ان يكون ذلك كلاما معقولا على حقيقته اما قوله تعالى وله المثل الاعلى يعني قولنا هو اهون عليه يفهم منه امران احدهما هو ما يكون في الاخر تعب كما يقال ان نقل الخفيف هو اهون عليه من نقل الثقيل والاخر هو كما ذكرنا من الاولوية من غير لزوم تعب في الاخر فقوله وله المثل الاعلى اشارة الى ان كونه اهون بالمعنى الثاني لا يفهم منه الاول وههنا فايدة ذكرها صاحب الكشاف وهي ان الله تعالى قال في موضع اخر هو علي هين وقال ههنا وهو اهون عليه فقدم هناك على واخره ههنا وذلك لان المعنى الذي قال هناك انه هين هو خلق الولد من العجوز انه صعب على غيره وليس بهين الا عليه فقال تعالى هو علي هين يعني لا على غيري واما ههنا المعنى الذي ذكر انه اهون هو الاعادة والاعادة على كل مبدي اهون فقال تعالى وهو اهون عليه لا بسبيل الحصر فالتقديم هناك كان للحصر وقوله تعالى في السموات والارض على الوجه الثاني الذي ذكرناه له معنى اما على الوجه الاول فلان قال تعالى وله المثل الاعلى فكان ذلك مثلا مضروبا لمن في الارض من الناس فعند ذلك ان له المثل الاعلى من امثلة الملايكة فقال تعالى وله المثل الاعلى في السموات والارض يعني هذا مثل مضروب لكم وله الاعلى من هذا المثل ومن كل مثل يضرب في السموات واما على الوجه الثاني فمعناه ان له المثل الاعلى اي فعله وان شبهه بفعلكم ومثل به لكن ذاته ليس كمثله شي فله المثل الاعلى وهو منقول عن ابن عباس وقيل المثل الاعلى اي الصفة العليا وهي لا اله الا الله وقوله تعالى وهو العزيز الحكيم اي كامل القدرة على الممكنات شامل العلم بجميع الموجودات فيعلم الاجزا في الامكنة ويقدر على جمعها وتاليفها والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركا فيما رزقناكم فانتم فيه سوا تخافونهم كخيفتكم انفسكم كذلك نفصل الايات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا اهواهم بغير علم فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون

اعلم انه تعالى لما بين الاعادة والقدرة عليها بالمثل بعد الدليل بين الوحدانية ايضا بالمثل بعد الدليل ومعناه ان من يكون له مملوك لا يكون شريكا له في ماله ولا يكون له حرمة مثل حرمة سيده فكيف يجوز ان يكون عباد الله شركا له وكيف يجوز ان يكون لهم عظمة مثل عظمة الله تعالى حتى يعبدوا وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** ينبغي ان يكون بين المثل والممثل به مشابهة ما ثم ان كان بينهما مخالفة فقد يكون مؤكدا لمعنى المثل وقد يكون موهنا له وههنا وجه المشابهة معلوم واما المخالفة فموجودة ايضا وهي مؤكدة وذلك من وجوه احدها قوله من انفسكم مع حقارتها ونقصانها وعجزها وقاس نفسه عليكم يعني ضرب لكم مثلا من انفسكم مع عظمها وكمالها وقدرتها وثانيها قوله تعالى مما ملكت ايمانكم يعني عبيدكم عليكم ملك اليد وهو طار قابل للنقل والزوال اما النقل بالبيع وغيره والزوال بالعتق ومملوك الله لا خروج له عن ملك الله بوجه من الوجوه فاذا لم يجز ان يكون مملوككم

شريكا لكم



شريكا لكم مع انه يجوز ان يصير مثلكم من جميع الوجوه بل هو في الحال مثلكم في الادمية حتى انكم ليس لكم تصرف في روحه وادميته بقرف وقطع وليس لكم منعهم من العبادة وقضا الحاجة فكيف يجوز ان يكون مملوك الله الذي هو مملوكه من جميع الوجوه شريكا له وثالثها قوله تعالى من شركا فيما رزقناكم يعني الذي لكم في الحقيقة ليس لكم بل هو لله ومن رزقه والذي لله فهو في الحقيقة له فاذا لم يجز ان يكون لكم شريك فيما لكم من حيث الاسم فكيف يجوز ان يكون له شريك فيما له من حيث الحقيقة اما قوله تعالى فانتم فيه سوا اي انتم ومماليككم في شي مما تملكون انتم سوا ليس كذلك فلا يكون لله شريك في شي مما يملكه لكن على كل شي فهو لله مما يعبدون الهه لا يملك شيا اصلا ولا مثقال ذرة من خردل فلا يعبد لعظمته ولا لمنفعة تصل اليكم منه واما قولكم هولا شفعاونا عند الله فليس كذلك لان المملوك هل له عندكم حرمة كحرمة الاحرار فاذا لم يكن لمملوككم مع مساواته اياكم في الحقيقة والصفة عندكم حرمة فكيف يجوز ان يكون لمماليك الله الذين لا مساواة بينهم وبين المالك بوجه من الوجوه والى هذا اشار بقوله تعالى تخافونهم كخيفتكم انفسكم الثانية هذا نفي حسن وجوه العبادة عن الغير لان الاغيار اذا لم تصلحوا للشركة فليس لهم ملك ولا اسلاك فلا عظمة لهم حتى تعبدوا لعظمتهم ولا ترجى منهم منفعة لعدم ملكهم حتى تعبدوا لنفع وليس لهم قوة ولا قدرة لانهم عبيد والعبد المملوك لا يقدر على شي فلا تخافوهم للخوف كما تخافون انفسكم فكيف تخافونهم خوفا لكن يخاف بعضكم من بعض حتى تعبدوهم للخوف ثم قال تعالى كذلك نفصل الايات اي نبينها اي نعني بالدلايل والبراهين القطعية والامثلة والمحاكات الاقناعية لقوم يعقلون يعني لا يخفى الامر بعد ذلك الا على من لا يكون له عقل اما قوله تعالى بل اتبع الذين ظلموا اهواهم بغير علم لما لم يجز ان يشرك بالمالك مملوكه ولكن الذين اشركوا اتبعوا اهواهم من غير علم وابتغوا شركا من غير دليل ثم بين ان ذلك بارادة الله بقوله تعالى فمن يهدي من اضل الله اي هولا اضلهم الله فلا هادي لهم فينبغي ان لا يحزنك قولهم وههنا لطيفة وهي ان قوله تعالى فمن يهدي من اضل الله مقول لما تقدم وذلك لانه لما قال ان الله تعالى لا شريك له بوجه ما ثم قال بل المشركون يشركون من غير علم فهل فيه انه ابتث لهم شركا على خلاف رضاه فقال ان ذلك ليس باستقلالهم بل بارادة الله تعالى وما لهم من ناصرين لما تركوا الله تركهم الله ومن احد ولا يغني عنهم شيا فلا ناصر لهم اما قوله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله اذا تبين الامر وظهرت الوحدانية ولم يهتد المشركون فلا تلتفت اليهم واقم وجهك للدين وقوله تعالى واقم وجهك للدين اي اقبل بكليتك على الدين عبر عن الذات بالوجه كما قال تعالى كل شي هالك الا وجهه اي ذاته بصفاته وقوله تعالى حنيفا اي مايلا عن كل ما عداه اي اقبل على الدين ومل عن كل شي لا يكون في قولك مسن اخر صعودا اليه وهذا قريب من معنى قوله تعالى ولا تكونوا من المشركين ثم قال تعالى فطرت الله اي الزم فطرة الله تعالى وهي التوحيد فان الله تعالى فطر الناس عليها حيث قال بعض المفسرين هي تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن الحزن حيث لم يومن قومه فقال لهم خلقوا للشقاوة من كتب شقيا لا يسعد وقيل لا تبديل لخلق الله اي الوحدانية مرسخة فيهم لا تغير لها حتى ان سالتهم من خلق السموات والارض يقولون الله تعالى لكن الايمان الفطري غير كاف ويحتمل ان يقال خلق الله الخلق لعبادته وهم كلهم عبيده لا تبديل لخلق الله اي ليس كونهم عبيدا مثل كون المملوك عبدا للانسان فانه ينتقل عنه الى غيره ويخرج عن ملكه بالعتق بل لا يخرج الخلق عن العبادة والعبودية وهذا لبيان فساد قول من يقول العبادة لتحصيل الكمال والعبد يكمل بالعبادة فلا يبقى عليه تكليف وقول المشركين ان الناقص لا يصلح لعبادة الله تعالى وانما الانسان عبد الكواكب وقول النصارى ان عيسى حل الله فيه وصار الها فقال تعالى لا تبديل لخلق الله بل كلهم عبيد لا خروج لهم عن ذلك ثم قال تعالى ذلك الدين القيم الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك هو الدين المستقيم اما قوله تعالى منيبين اليه واتقوه ما قال حنيفا اي مايلا اليه اي مقبلين عليه والخطاب في قوله تعالى فاقم وجهك مع النبي والمراد جميع المؤمنين وقوله تعالى واتقوه يعني اذا اقبلتم عليه وتركتم الدنيا فلا تامنوا فتتركوا عبادته بل خافوا وداوموا على العبادة واقيموا الصلوة وكونوا عابدين عند حصول القرب كما كنتم قبل ذلك ثم انه تعالى قال ولا تكونوا من المشركين قال المفسرون يعني ولا تشركوا بعد الايمان اي ولا تقصدوا بذلك غير الله تعالى وههنا وجه وهو ان الله تعالى لما قال منيبين اثبت التوحيد الذي هو مخرج عن الاشراك الظاهر وبقوله تعالى ولا تكونوا من المشركين قال المفسرون يعني ولا تشركوا بعد الايمان اي ولا تقصدوا بذلك غير الله وقوله تعالى ولا تكونوا من المشركين اراد به اخراج العبد عن الشرك الخفي اي لا تقصدوا بعملكم الا وجه الله تعالى ولا تطلبوا وعلى هذا قوله تعالى من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يعني بعضهم عبد الله للدنيا وبعضهم للجنة وبعضهم للخلاص من النار وكل واحد بما في مطلوبه فرح واما المخلص فلا يفرح بما يكون لديه وانما يكون فرحه بان يحصل عند الله ويقف بين يديه وذلك لان كل ما لدينا نافد لقوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فلا مطلوب لكم فيما لديهم حتى تفرحوا به وانما المطلوب ما لدى الله وبه الفرح كما قال تعالى بل احيا عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله جعلهم فرحين بكونهم عند الله ويكون ما اوتوا من فضله الذي لا نفاد له ولذلك قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا لا بما عندهم فان كل ما عند العبد فهو نافد واما الذي في الدنيا فظاهر واما في الاخرة فلان ما وصل الى العبد من الالتذاذ بالماكول والمشروب فهو نزول ولكن الله يجدد له مثله الا بمن فضله الذي لا نفاد له فالذي لا نفاد له هو فضله والله تعالى اعلم بالصواب

**قوله تعالى** واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يومنون

اعلم انه تعالى لما بين التوحيد بالدليل وبالمثل بين ان لهم حالة يعترفون بها وان كانوا ينكرونها في وقت وهي حالة الشدة

فان عند انقطاع رجايه من الكل يرجع الى الله ويحتاج نفسه محتاجة الى شي ليس هذه الاشيا طالبه به النجاة ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون يعني اذا خلصناهم يشركون بربهم ويقول تخلصت بسبب اتصال الكواكب الفلاني بفلان و لسبب الصنم الفلاني بل لا ينبغي ان يعتقد انه يخلص بسبب فلان اذا كان ظاهرا فانه شرك خفي مثاله نجوة بحادركه الغرق فهيا له لوحا لسوقه اليه ريح فيتعلق به وينجو فيقول خلصني زيد فهذا اذا كان عن اعتقاد فهو شرك خفي وان كان بمعنى ان الله خلصني على يد زيد فهو اخفى وفيه مسايل **المسألة الاولى** اذا اذاقهم فيه لطيفة وذلك لان الذوق يقال في القليل فان في العرف من اكل كثيرا لا يقول ذقت ويقول في النفي ما ذقت في بيته طعاما نفيا للقليل ليلزم نفي الكثير بالاولى ثم ان تلك الرحمة لما كانت حالة منقطعة ولم يكن مستمرة في الاخرة اذ لهم في الاخرة عذاب قال اذاقهم وهذا قال في العذاب ذوقوا مس سقر ذوقوا ما كنتم تعملون ذق انك انت العزيز الكريم لان عذاب الله تعالى الواصل الى العبد بالنسبة الى الرحمة الواصلة اليه عسى ان يكون في غاية القلة الثانية قوله تعالى منه اي من الضر حيث واما الضر المؤخر فلا يدعون منه رحمة الثالثة قال هاهنا اذا فريق منهم وقال في العنكبوت فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ولم يقل فريق وذلك لان المذكور هناك ضر معين وهو ما يكون من هول البحر والمخلص منه بالنسبة الى الخلق قليل والذي لا يشرك منهم بعد الخلاص فرقة منهم في غاية القلة فلم يجعل المشركين فريقا لقلة من خرج من الشرك واما المذكور هاهنا الضر مطلقا فيتناول ضر البر والبحر والامراض والاهوال والمخلص من انواع الضر خلق كثير بل جميع الناس يكونون قد وقعوا في ضر ما وتخلصوا منه بالنسبة والذي لا يبقى بعد الخلاص مشركا من جميع الانواع اذا جمع فهو خلق عظيم وهم جميع المسلمين فانهم تخلصوا من ضر ولا يبقوا مشركين واما المسلمين فلم يتخلصوا من ضر البحر باجمعهم فلما كان الناجي من الضر المؤمن جمعا كثيرا جعل الباقي فريقا اما قوله تعالى ليكفروا بما آتيناهم قد تقدم تفسيره في العنكبوت بيان فايدة الخطاب وهاهنا في قوله تعالى فتمتعوا وعدمه هناك في قوله تعالى وليتمتعوا فسوف يعلمون فنقول لما كان الضر المذكور هناك ضرا واحدا جاز ان لا يكون في ذلك الموضع من المخلصين من ذلك الضر احد فلم يخاطب ولما كان المذكور هاهنا مطلق الضر ولا يخلو موضع من المخلصين وعن الضر والخاص صح خطابه بانه منهم فخاطب اما قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا لما قوله تعالى بل اتبع الذين ظلموا اهواهم بغير علم اي المشركون يقولون ما لا علم لهم به بل هم عالمون بخلافه فانهم وقت الضر يرجعون الى الله حقيق ذكر بالاستفهام بمعنى الا هل انزلنا بما تقولون سلطانا وفيه مسايل **المسألة الاولى** ام للاستفهام ولا يقطع الا متوسطا كما قال قايلهم اما صه الوعشا بيع حلايل في من النساء ام نساء فما الاستفهام الذي قبله فنقول تقديره اذا ظهرت هذه الحجج على عبادتهم فما يقولون اهم يتبعون الاهوا من غير علم ام لهم دليل على ما يقولون وليس الثاني فيتعين الاول **المسألة الثانية** فهو يتكلم مجاز كما يقال الكتاب ينطق بكذا وفيه معنى لطيف وهو ان المتكلم من غير دليل كانه لا كلام له لان الكلام هو المسموع ولا يسمع مكانه لم يسمع مكان المتكلم لم يتكلم به وما لا دليل عليه لا يقبل واذا جاز سلب الكلام عن المتكلم عند عدم الدليل وحسن جاز اثبات المتكلم للدليل وحسن اما قوله تعالى واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها لما بين حال المشرك الظاهر شركه بين حال المشرك الذي دونه وهو من يكون عبادته الله للدنيا فاذا آتاه رضي واذا منعه سخط وقنط ولا ينبغي ان يكون العبد كذلك بل ان يعبد الله في الشدة والرخا فمن الناس من يعبده في الشدة كما قال تعالى واذا مس الناس ضر دعوا ربهم ومن الناس من يعبده اذا آتاه نعمة كما قال تعالى واذا اذقنا الناس منا رحمة فرحوا بها والاول كالذي يخدم بكرها لخافة العذاب والثاني كالذي يخدم اجيرا لتوقع الاجر وكلاهما لا يكون من المسلمين في الديوان المرسى في الجرايد الذين ياخذون رزقهم سوا كان شغل ام لم يكن فلذلك القسمان لا يكونون من المومنين الذين لهم رزق عند ربهم وفيه مسلة اما قوله تعالى فرحوا بها اشارة الى توهمهم وقصور نظرهم فانهم يكون بما وصل اليهم لا بمن وصل منه اليهم فان قيل الفرح بالرحمة مامور به في قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وهاهنا ذمهم على الفرح بالرحمة فكيف ذلك فنقول هناك فرحوا برحمة الله من حيث انها مضافة الى الله وهاهنا فرحوا بنفس الرحمة حتى لو كان المطر من غير الله كان فرحهم به مثل فرحهم به اذا كان من الله وهو كان الملك لو حط عند الامير بكلام ورغيفا عند السماط وامر الغلمان ان يحطوا عنده زنبيله طعام يفرح وذلك الامير ولو اعطى الملك فقيرا غير ملتفت اليه رغيفا او زنبيله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم لم يذكر عند النعمة سببا لها لتفضله بها وذكر عند العذاب سببا لان الاول يزيد في الاحسان والثاني يحقق العذاب اما قوله تعالى اذا هم يقنطون اذا للمفاجاة اي لا يصبرون على ذلك قليلا لعل الله يفرج عنهم وانه يذكرهم به اما قوله تعالى اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر اي انهم لم يعلموا ان الكل من الله تعالى فالمحقق ينبغي ان لا يكون نظره على ما يوجد ومن يوجد وهو الله فلا يكون له تبدل حال وانما يكون عنده الفرح الدايم ولكن ذلك مرتبه المومنين الموحد المحقق ولذلك قال تعالى ان في ذلك لآيات لقوم يومنون

**قوله تعالى فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون وما آتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون**

وجه تعلق الاية بما قبلها هو ان الله تعالى لما بين ان العبادة لا ينبغي ان يكون مقصورة على حالة الحسن من الدنيا كما هو عادة الغزو كالمبلس بعد الله اذا كان في الحوانيت والرباطات بالاكل والزرده واذا احل بنفسه لا يذكر الله تعالى بقوله واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وبين انه ينبغي ان يكون في حالة البسط الرزق له وعدمه عليه نظره على الله الخالق الرازق حصل الارشاد الى تعظيم الله والايمان قسمان تعظيم الله لامر الله والشفقة على خلق الله فقال بعد ذلك فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل وجه آخر وهو ان الله تعالى لما بين

ان الله

ان الله يبسط الرزق ويقدر فلا ينبغي ان يتوقف الانسان في الاحسان فان الله تعالى اذا بسط الرزق لا ينقص بالانفاق واذا قدر لا يزداد بالامساك وفيه مسايل **المسألة الاولى** تخصيص الاقسام الثلثة بالذكر دون غيرهم مع ان الله تعالى ذكر الاصناف الثمانية في الصدقات فنقول اراد هاهنا من يجب الاحسان اليهم وان لم يكن للمحسن مال زايد والقريب يجب نفقته وان كان لم يوجب عليه عقابا او مال لم يحل عليه الحول والمسكين كذلك فانه من لا شي له اذا بقي في ورطة الحاجة حتى بلغ الشدة يجب على من له مقدرة دفع حاجته وان لم يكن عليه زكاة وكذلك من انقطع في سفره ومع اخر دابته يمكنه بها الوصول الى مقصده يجب على من يلزمه ذلك وان لم يكن عليه زكاة والفقير داخل في المسكين لان من اوصى للمساكين شيا يصرف الى الفقير ايضا واذا نظرت الى الباقين من الاصناف وجدتهم لا يجب صرف المال اليهم الا على الذين وجبت الزكاة عليهم [illegible] **المسألة الثانية** [illegible] **المسألة الثالثة** [illegible] **المسألة الرابعة** قال تعالى فآت ذا القربى حقه [illegible] **المسألة الخامسة** [illegible] **المسألة السادسة** [illegible] **المسألة السابعة** [illegible] **المسألة الثامنة** [illegible] **المسألة التاسعة** قوله تعالى واولئك هم المفلحون [illegible] والله اعلم

**قوله تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون**

يصدعون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله
انه لا يحب الكافرين اعلم ان قوله سبحانه وتعالى اى سبحوه تسبيحا اى نزهوه ولا تصفوه بالاشراك وقوله تعالى
اى لا يجوز عليه ذلك وهذا لان من لا يعرف لشى قد يجوز عليه فاذا قال سبحوه اى لا تصفوه واذ قال تعالى فكانه قال
ولا يجوز عليه ذلك ثم ان قوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر وجه تعلق الاية بما قبلها هو ان الشرك سبب الفساد كما قال
تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا واذا كان الشرك سببه جعل الله اظهارهم الشرك مورثا لظهور الفساد ولو فعل
ما يقتضيه قولهم لفسدت السموات والارض كما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا
والى هذا اشار بقوله تعالى ليذيقهم بعض الذى عملوا واختلف الاقوال في قوله في البر والبحر فقال بعض المفسرين المراد خوف الطوفان
في البر والبحر وقال بعضهم عدم انبات بعض الاراضي وملوحة مياه البحار وقال اخرون المراد من البحر المدن فان العرب يسمون المداين بحورا
لكون مبني عمارتها على الماء ويمكن ان يقال ان ظهور الفساد في البر قلة مياه العيون فانها من البحار واعلم ان كل فساد يكون فهو
بسبب الشرك لكن الشرك قد يكون في العمل دون القول والاعتقاد يسمى فسقا وعصيانا وذلك لان المعصية فعل لا يكون لله بل يكون
في النفس فالفاسق مشرك بالله بفعله غاية ما في الباب ان الشرك بالفعل لا يوجب الخلود لان اصل المرء قلبه ولسانه فاذا لم يوجد
منهما الا التوحيد يزول الشرك البدني بسببهما وقوله تعالى ليذيقهم بعض الذى عملوا وقد ذكرنا ان ذلك ليس تمام جزايهم وكل موجب
اوابهم اما قوله تعالى لعلهم يرجعون يعنى كما يفعله المتوقع رجوعهم مع ان الله تعالى يعلم من اصله ولا يرجع لكن الناس يظنون
انه لو فعل لهم شى من ذلك كان يوجد منهم الرجوع كما ان السيد اذا علم من عبده انه لا يرتدع بالكلام فيقول القائل لم لا اياذنه
بالكلام فاذا قال لا ينفع ربما يقع في وهمه لانه لا يبعد عن نفع فاذا زجره ولم يرتدع فظهر له صدق كلام السيد وظهر قلبه
فيه اما قوله تعالى قل سيروا في الارض لما بين لهم حالهم فظهور الاحوال الفاسد في احوالهم بسبب فساد اقوالهم بين لهم هلاك امثالهم
واشكالهم الذين كانت افعالهم كافعالهم فقال تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كقوم نوح
وعاد وثمود وهذا ترتيب في غاية الحسن وذلك لانه تعالى في وقت الامساك والاحسان قال تعالى الذى خلقكم ثم رزقكم اى
اعطاكم الوجود ثم البقاء وفي وقت الخذلان بالطغيان قال تعالى ظهر الفساد في البر والبحر اى مثل رزقكم ثم قال تعالى سيروا في الارض اى هو عدمكم
كما هو اعدم من قبلكم فكانه قال اعطاكم الوجود بالاهلاك وعند الاعطا قدم الوجود على البقا لان الوجود اولا ثم البقا وليست تكم البقا
والوجود واما سلب الانتقا باظهار الفساد وسبب الوجود بالاهلاك وعند الاعطا قدم الوجود على البقا لان الوجود اولا ثم البقا وعند
السلب قدم البقا لان البقا يسلب وهو الاستمرار ثم الوجود اما قوله تعالى كان اكثرهم مشركين يحتمل وجوها ثلاثة احدها ان الهلاك
في الاكثر كان بسبب الشرك الظاهر وان كان بغيره ايضا كالهلاك بالفسق والمخالفة كما كان على اصحاب السبت الثاني ان كل
من اهلك لم يكن مشركا بل منهم معطلة ما لكنهم قليلون واكثر الكفار مشركون الثالث ان العذاب العاجل لم يختص بالمشركين
حتى اتى كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة بل كان على الصغار والمجانين ولكن اكثرهم كانوا مشركين اما
قوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم لما نهى الكافر على ما هو عليه امر المومن بما هو عليه وخاطب النبي عليه السلام ليعلم المومن
فضله بما هو مكلف به فان امره اشرف الانبيا والمومنين في التكليف مقام الانبيا كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى امر عباده المومنين بما امر به عباده المرسلين وقد ذكرنا معناه وقوله من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله
والثانى ان يكون المراد لا مرد له من الله اى لا يرده عنه عاجز عن رده فلا بد من وقوعه يومئذ يصدعون اى يتفرقون
ثم اشار الى التفريق بقوله تعالى من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا وفي الاية مسايل المسئلة الاولى قال تعالى من كفر
فعليه كفره ومن عمل صالحا ولم يقل من امن وذلك لان العمل الصالح به يكمل الايمان فذكره تحريضا للمكلف عليه واما
الكفر اذا جا فلا رب للعمل معه وجه اخر وهو ان الكفر قسمان احدهما فعل وهو الاشراك والقول به والثانى ترك وهو
عدم النظر والايمان فالعاقل البالغ اذا كان في مدينة الرسول ولم يات بالايمان فهو كافر سوا قال بالشرك او لم يقل لكن الايمان
لا بد له من العمل الصالح فان الاعتقاد الحق عمل القلب وقول لا اله الا الله عمل اللسان وشى منه لا بد منه المسئلة الثانية قال فعليه
وحد بكتابه وقال فلانفسهم جمعها اشارة الى ان الرحمة اعم من الغضب وتسميه واهله في دينه اما الغضب فمسبوق بالرحمة
لمن اسا المسئلة الثالثة قال تعالى فعليه كفره ولم يبين وقال في المومن فلانفسهم يمهدون تحقيقا لكمال الرحمة فانه عند
الخير بين وفصل بيانه وعند غيره اشارة اليه اشارة اما قوله تعالى ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات ذكر زيادة
تفصيل لما يمهد المومن بقوله تعالى فعله الخير وعمله الصالح وهو الجزا الذى جازيه هو الله تعالى والملك اذا كان كبيرا كريما
ووعد عبدا من عباده بان جا زبك تصل اليه منه اكبر مما يتوقعه ثم اكده بقوله تعالى من فضله يعنى انا تجاوزى وتخفيف
يكون الجزا الى لا الا جازيك العدل انما اجارى من الفضل ويزداد الرجا ثم قال تعالى انه لا يحب الكافرين اوعدهم بوعيد
ولم يفصله كما بينا واذا كان عند المحقق هذا الاجمال فيه كل تفصيل فان عدم المحبة من الله تعالى غاية العذاب وانهى ذلك
لمن يكون له معشوق فاذا اخبر العاشق بانه وعدك بالدراهم والدنانير كيف يكون سروره قال انى احب فلان كيف
يكون سروره وفيه لطيفة وهي ان الله تعالى عند ما اسند الكفر والايمان الى العبد قدم الكافر فقال تعالى من كفر فعليه كفره
وعند ما اسند الجزا الى نفسه قدم المومن فقال تعالى ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات ثم قال تعالى انه لا يحب الكافرين لان
قوله من كفر في الحقيقة منع الكافر عن الكفر بالوعيد ونهيه عن فعله بالتهديد وقوله من عمل صالحا تحريض المومن والنهي للانبيا

والتحريض



والتحريض للصبر والانقياد مقدم عند الحليم الرحيم وما عند ما ذكر الجزا بدا بالاحسان واظهارا للكرم والرحمة فان قيل هذا
انما يصح ان لو كان الذكر في كل موضع كذلك وليس كذلك فان الله في كثير من المواضع قدم ايمان المومن على كفر الكافر وقدم
التعذيب على الانابة فنقول ان كان الله تعالى يوفقنا لبيان ذلك سيرنا ما اصطفى بعد ربه ونحن نقول بان كل كلمة وردت في
القران ولسان فمعنى وكل ترتيب وجد فهو لحكمة لو ذكرت على خلافه لا يكون في درجة ما ورد به القران ولنبين من جملته مسالة
وهو قوله تعالى يومئذ يتفرقون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون قدم المومن على الكافر وههنا ذكر
مثل ذلك للعين في قوله تعالى يومئذ يصدعون اى يتفرقون وقدم الكافر على المومن فنقول ما لك انها قدم الكافر في الذكر
لانه قال من قبل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون فذكر الكافر وابلاسه وقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون
وكان ذكر المومن وحله لا يومنه تبيان نسبة التفريق مجموع وقوله يبلس المجرمون وقوله في حق المومن فهم في روضة يحبرون لكن الله
تعالى اعاد ذكر المجرمين مرة اخرى للتفصيل وقال تعالى واما الذين كفروا والله تعالى اعلم بالصواب قوله تعالى

ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا
علينا نصر المومنين اعلم انه تعالى لما ذكر ظهور الفساد بالهلاك بسبب الشرك ذكر ظهور الصلاح ولم يذكر انه بسبب العمل الصالح لما ذكرنا
غير مرة ان الكريم لا يذكر احسانه عوضا ويذكر اضراره سببا لا يتوجه به العلم فقال يرسل الرياح قبل المطر كما قال تعالى بين يدي رحمته
اى قبل المطر ويمكن ان يقال مبشرات بصلاح الاهوية والاحوال فان الرياح لو لم تهب ظهر الوبا والفساد ثم قال تعالى وليذيقكم
من رحمته عطف على ما ذكرنا اى ليبشركم بصلاح الهوا وصحة الابدان وليذيقكم من رحمته بالمطر وقد ذكرنا ان الاذاقة تقال في القليل ولما كان امر الدنيا
قليلا وراحتها يسيرا قال ليذيقكم واما في الاخرة فيرزقهم ويوسع عليهم ويديم لهم ولتجري الفلك لما اسند الفعل الى الفلك عقبه بقوله
بامره اى الفعل ظاهر عليه ولكنه بامر الله كذلك لما قال ولتبتغوا مسندا الى العباد ذكر بعده من فضله اى بالاستقلال
ليس بشيء وفي الاية مسايل المسئلة الاولى فنقول في الرياح فوايد منها اصلاح الهوا ومنها اثارة السحاب ومنها
جريان الفلك بها فقال مبشرات بالامطار بعده ثم جريان الفلك فانه موقوف على احسان من الادمي باصلاح
السفن لحاجتها على التحرير ابتغا الفضل بركوبها السابق قال في قوله تعالى ظهر الفساد ليذيقهم بعض الذى عملوا وقال
ههنا وليذيقكم مخاطبهم ههنا ويقال لان رحمته قريب من المحسنين فالمحسنين قريب فيخاطب واما المسي بعيد فلم يخاطبهم
ايضا قال هناك بعض الذى عملوا وقال ههنا من رحمته فاضاف ما اصابهم الى انفسهم واضاف ما اصاب المومن الى رحمته
وفيه معان احدها ما ذكرنا ان الكريم لا يذكر لرحمته واحسانه عوضا وان وجد فلا يقول اعطيتك لانك
فعلت كذا بل يقول هذا لك مني واما ما فعلت من الحسنة فجزاؤه بعد عندي وما تمم ان ما يكون بسبب فعل العبد
قليل فلو قال ارسلت الرياح بسبب فعلكم لا يكون بشارة عظيمة واما اذا قال من رحمته كان غاية البشارة ومعنى اخر
وهو انه لو قال بما فعلتم لكان ذلك موهما لنوابهم في الاخرة واما في حق الكفار فاذا قال بما فعلتم ينبي عن نقصان حظهم وهو
لذلك المسئلة الثالثة قال تعالى هناك لعلهم يرجعون وقال ههنا لعلكم تشكرون بالواو اشارة الى ان توفيقهم للشكر
في النعم معطوف على النعمة الرابعة انما اختار هذه الاية لان الايات قد سبقت ذكرها وقلنا انه قد ذكر من كل باب شيء
وذكر من المغيرات ثم البرق والحادث في الجو في اكثر الامر فارع فذكر الرياح ههنا تذكيرا وتقريرا للدلايل ولما
كانت الريح فيها فايدة غير المطر وليس في البرق فايدة ان لم يكن مطر ذكرها خوفا وطمعا اى قد يكون وقد لا يكون
وذكرها هنا مبشرات لان تعديل الهوا وتصفيه بالريح امر لازم وحكم به حكم جازم اما قوله تعالى ولقد ارسلنا من
قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات لما بين الله الاصلين ببراهين ذكر الاصل الثالث وهو النبوة فقال تعالى
ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم اى رسلنا لهم دليل رسالتك فانهم لم يكن لهم شغل غير شغلك ولم يطرا عليهم غير
ما طرا عليك وهو ان الله تعالى لما بين البراهين ولم ينتفع بها الكفار سلى قلب النبي صلى الله عليه وسلم وقال حال من
تقدمك كان كذلك وجاؤا ايضا بالبينات وكان في قومهم مومن وكافر كما في قومك وانتقمنا من الكافرين ونصرنا المومنين
وفي قوله تعالى وكان حقا وجهان احدهما فانتقمنا وكان الانتقام حقا واستانف وقال علينا نصر المومنين وعلى
هذا يكون بشارة للمومنين الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم اى علينا نصركم ايها المومنون والوجه الثانى وكان حقا
اى نصر المومنين كان حقا علينا وعلى الاول لطيفة وعلى الاخر اخرى اما ما على الاول فهو انه لما قال فانتقمنا بين انه
لم يكن ظلما فانما كان عدلا حقا وذلك لان الانتقام لم يكن الا بعد كون بقا لهم غير مفيد الا زيادة الاثم وولادة
الفاجر الكافر وكان عدمهم خيرا من وجودهم الخبث وعلى هذا الثانى تاكيد البشارة لان كلمة على يفيد معنى اللزوم يقال
على فلان كذا يبني على اللزوم فاذا قال حقا اكد ذلك المعنى وقد ذكرنا ان النصر هو الغلبة التي لا يكون عاقبتها
وخيمة فان احد المتطابقين اذا انهزم اولا ثم عاد اخرا لا يكون النصر الا للمنهزم وذلك موسى عليه السلام وقومه لما
انهزموا من فرعون ثم ادركه الغرق لم يكن انهزامهم الا نصرا فالكافر ان هزم المسلم في بعض الاوقات لا يكون ذلك نصرة
اذ لا عاقبة له والله تعالى اعلم بالصواب قوله تعالى الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه
في السما كيف يشا ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشا من عباده اذا هم

يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى اثار رحمة الله كيف يحيى الارض
بعد موتها ان ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شىء قدير ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون
فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا
فهم مسلمون على التفصيل الاول في ارسالها قدرة وحكمة اما القدرة فظاهرة فان الهواء اللطيف الذى يشقه البرق في ارسالها
يصير بحيث يقلع الشجر وهو ليس بذاته لذلك فهو بفاعل مختار واما الحكمة ففي نفس الهبوب فيما يفضى اليه من اثارة السحب ثم
ثم ذكر انواع السحب فمنه ما يكون متصلا ومنه ما يكون قطعا ثم المطر يخرج منه والماء في الهواء عجيب علامة القدرة وهذا المفضى
اليه من انبات الزرع وادرار الضرع حكمة بالغة ثم انه لا يعم بل يخص به قوم دون قوم وهو علامة المشيئة اما قوله تعالى وان
كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين اختلف المفسرون فيه فقال بعضهم هو تاكيد كما في قوله تعالى وقال بعضهم من قبل التنزيل
من قبل المطر والاولى ان يقال من قبل ان ينزل عليهم من قبله اى من قبل ارسال الريح وذلك لان بعد الارسال يعرف الخبير ان الريح فيها
مطر وليس قبل المطر اذ هبت الريح يكون مبلسا فلما قال من قبل ان ينزل عليهم لم يفد انهم كانوا مبلسين لان من قبل ما ذكرنا
من ارسال الريح وبسط السحاب ثم لما حصل قال تعالى فانظر الى اثر رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها ان ذلك لمحيى الموتى لما
ذكر الدلائل قال لمحيى باللام المؤكدة وباسم الفاعل فان الانسان اذا قال ان الملك يعطيك لا يفهم ما يفهم من قوله انه معطيك فان الثانى
يفيد انه اعطاك وكان هو معطيا متصفا بالعطاء والاول يفيد انه سيتصف به وحسن هذا قوله تعالى انك ميت فانه اكد
من قوله انك تموت وهو على كل شىء قدير تاكيد لما يفيد الاعتراف ثم قال تعالى ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا يعنى انهم عند توقف
الخير يكونون مبلسين يعنى ان تلك الحالة اصلا لا يدومون عليها بل لو اصابهم ريح غير مفيد لكفروا فهم متقلبون غير
ناظرين في الحال الا الى الحال وفي الاية مسائل المسألة الاولى يرسل الرياح على طريقة الاخبار وقال ههنا ولئن ارسلنا ريحا
لا على طريقة الاخبار عن الارسال لان الرياح من رحمته وهي متواترة والريح من عذابه وهو ان الله تعالى رؤوف بالعباد يمسك بها
لذلك ما يرى الرياح النافعة تهب في الليالى والبرارى والايام وريح السموم لا تهب الا في بعض الازمنة وفي بعض الامكنة المسألة الثانية
سمى النافعة رياحا والضارة ريحا لوجوه احدها ان الريح كثيرة الانواع كثيرة الافراد جمعها فان في كل يوم وليلة تهب نفحات من الرياح
النافعة ولا تهب الريح الضارة الا في اعوام بل الضارة في الغالب لا تهب في الدهور الثانى هو ان النافعة لا تكون الا رياحا فاما تهب
مرة واحدة لا تنفع الهواء ولا تنشئ السحاب ولا تجرى السفن واما الضارة فنفحة واحدة تقتل كريح السموم الثالث هو ان الريح المضرة
اما ان تضر بنفعها او بلمسها اما الكيفية فهي اذا كانت حارة او مسكنة بكيفية وهذا لا يكون الريح في هبوبها وانما يكون بسبب ان الهواء
الساكن في بقعة منها حتى يسخن ويهيج او في موضع عاير وهو حار جدا ويكون مسكونة في اول تكونها لذلك وكيف ما كان تكون واحدة لان
ذلك الهواء الراكد اذا تسخن ورد عليه ريح تحركه وتخرجه من ذلك المكان فيهب على مواضع كالشهب ثم ما يخرج بعد ذلك لا يكون حارا
ولا متكيفا لان المكث الطويل شرط التكيف الا ترى انك لو ادخلت اصبعك في نار واخرجتها بسرعة لا تتاثر والحديد اذا مكث فيها يذوب
فاذا تحرك ذلك الساكن وتفرق لا يحوز في ذلك الوقت غيره من جنسه واما المتولد لذلك فنادر وموضع تولدها واحد واما اللمسية
فالرياح اذا اجتمعت وصارت واحدة صارت كالخلجان ومياه العيون اذا اجتمع يصير نهرا عظيما لا يسد والسدود لا يرده الجلمود
ولا شك ان ذلك يكون واحدا مجتمعة من كثير فلهذا قال في المضرة ريح وفي النافعة رياح ثم انه تعالى لما علم رسوله انواع الادلة واصناف
الامثلة ووعد واوعد ولم يزدهم دعاؤه الا فرارا واساءة الا كفرا واصرارا قال له انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين
وفيه مسائل المسألة الاولى في الترتيب فنقول ارشاد الميت محال والمحال العدم ممكن ثم ارشاد الاصم صعب فانه لا يسمع الكلام
وانما يفهم ما يفهم منه بالارشاد صعب ثم ارشاد الاعمى ايضا صعب فانك اذا قلت له الطريق على يمينك يدور الى يمينه لكنه لا يبقى
عليه بل يحيد عن قريب وارشاد الاصم صعب فلهذا يكون المعاشرة مع الاعمى اسهل من المعاشرة مع الاصم الذى لا يسمع شيئا لان غاية الافهام
بالكلام يفهم بالاشارة فان المعدوم والغائب لا اشارة اليهما فقال اولا لا يسمع الموتى ثم قال ولا الاصم ولا يهدى الاعمى الذى دون الاصم
الثالثة قال في الاصم اذا ولوا مدبرين ليكون ادخل في الامتناع وذلك لان الاصم اذا كان يفهم فانه يفهم بالاشارة لكن اذا ولى لا يكون
نظره الى المشير فلا يسمعه ولا يفهمه الثالثة قال في الاصم لا يسمع الصم الدعاء ولم يقل في الموتى ذلك لان الاصم قد يسمع الصوت الهائل
كصوت الرعد القوى ولكن صوت الداعى لا يبلغ ذلك الحد فقال انك داع لست مبلغا الى الايمان والداعى لا يسمع الاصم دعاءه الرابعة قال
وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم اى ليس شغلك هداية العميان كما يقول القائل فلان ليس بشاعر وانما هو بشاعر اى ليس عمله
ذلك فقوله انك لا تسمع الموتى لم يكن عنه وقوله تعالى وما انت بهادى العمى يعنى ليس شغلك ذلك وما ارسلت له ثم قال تعالى ان تسمع الا من
يؤمن باياتنا لما نفى سماع الميت والاصم واثبت اسماع المؤمن باياته لزم ان يكون المؤمن حيا سميعا وهو كذلك لان المؤمن ينزل على قلبه
امطار البراهين فتثبت في قلبه العقائد الحقة ويسمع زواجر الوعظ فيظهر منه الفاعل الافعال الحسنة وهذا يدل على خلاف المعتزلة
فانهم قالوا الله يريد من الكل الايمان غير ان بعضهم يخالف ارادة الله تعالى وقوله تعالى ان تسمع الا من يؤمن فسمعه النبى صلى الله عليه
وسلم ما تحتاج لتفصيلهم فهم مسلمون مطيعون كما قال تعالى عنهم قالوا سمعنا واطعنا ثم قال تعالى الله الذى خلقكم من ضعف ثم اعاد من
الدلايل الذى سبقت دليلا من دلائل الافاق وهو قوله تعالى الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا وذكر احوال الريح من اوله الى اخره اعاد دليلا
من دلائل الانفس وهو خلق الادمى وذكر احواله فقال خلقكم من ضعف والله تعالى اعلم قوله تعالى الله الذى خلقكم من
ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ويوم تقوم

الساعة



الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله
الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون
اعلم انه تعالى اعاد من الدلائل التى سبقت دليلا من دلائل الافاق وهو قوله تعالى الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا وذكر احوال
الريح من اوله الى اخره اعاد دليلا من دلائل الانفس وهو خلق الادمى وذكر احواله فقال تعالى خلقكم من ضعف اى مبناكم على
الضعف كما قال تعالى خلق الانسان من عجل ومن ههنا كما يكون في قول القائل وفي فلان يا فلان من فقره وجمله عشيا اى من حال
فقره ثم جعل من بعد ضعف قوة فقوله من ضعف اشارة الى حالة كان فيها جنينا وطفلا مولودا ورضيعا ومفطوما فهذه احوال
غاية الضعف وقوله جعل من بعد ضعف قوة اشارة الى حالة بلوغه وانتقاله وشبابه واكتهاله وقوله تعالى جعل من بعد ضعف قوة اشارة
الى ما يكون بعد الكهولة من ظهور النقصان والشيبة حتى تمام الضعف ثم بين بقوله تعالى يخلق ما يشاء ان هذا ليس طبعا بل هو بمشيئة
الله تعالى كما قال في دلائل الافاق فيبسطه في السماء كيف يشاء وهو العليم القدير قدم العلم على القدرة وقال من قبل وهو العزيز
الحكيم فالعزة اشارة الى كمال القدرة والحكمة الى العلم فقدم القدرة على العلم وقدم العلم على القدرة ههنا فنقول هناك المذكور الاعادة
بقوله تعالى وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم لان الاعادة يكون فيه فيكون فالقدرة
هناك اظهر وههنا المذكور الابداء وهو اطوار واحوال والعلم بكل حال حال فالعلم ههنا اظهر ثم ان قوله تعالى وهو العليم
القدير تبشير وانذار لانه اذا كان عالما باحوال الخلق يكون عالما بافعال المخلوق فان عملوا خيرا علمه وان عملوا شرا
علمه ثم اذا كان قادرا فاذا علم الخير اثاب واذا علم الشر عاقب ولما كان العالم باحوال قبل الاثابة والعقاب في الدنيا كان العزة
قدم العلم واما في الاخرة فالعلم بتلك الاحوال مع ذكر العقاب فقال تعالى وهو العزيز الحكيم والى هذا اشار في قوله تعالى فتبارك
الله احسن الخالقين عقيب خلق الانسان فنقول احسن اشارة الى العلم بل لان احسن الخلق بالعلم والخلق المفهوم من قول
الخالقين اشارة الى القدرة ثم لما بين ذكر الابداء والاعادة كالابداء ذكره بذكر احوالها ووقتها وقال تعالى ويوم تقوم الساعة
يقسم المجرمون ما لبثوا في وقت ما الى وقت النشور كذلك كانوا يؤفكون يصرفون من الحق الى الباطل ومن الصدق الى الكذب وقال تعالى وقال
الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة وغيرهم لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث ونحن نبين ما هو المعنى اللطيف في هاتين الايتين فنقول
الموعود بوعد اذا ضرب له اجل يستكثر الاجل ويريد تعجيله والموعد بوعيد اذا ضرب له اجل يستقل المدة ويريد تاخيرها لكن المجرم اذا
حشر علم ان مصيره الى النار فيستقل مدة اللبث ويختار تاخير الحشر والابقاء في القبر والمؤمن اذا حشر علم ان مصيره الجنة فيستكثر المدة
ولا يريد التاخير فيختلف الفريقان ويقول احدهما الى مدة لبثنا قليل واليه الاشارة بقوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم والايمان
لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث يعنى كان في كتاب الله الى يوم البعث يعنى كان في كتاب الله الى يوم البعث ضرب الاجل الى يوم القيامة لبعث
ونحن صرنا الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون يعنى لا تعلمون ان طلبكم التاخير لانكم كنتم لا تعلمون البعث ولا تعترفون به فصار
مصيركم الى النار فتطلبون التاخير ثم قال تعالى فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون يعنى لا يطلب منهم الاعتاب
وهو ازالة العتب يعنى التوبة التى تزيل اثار الجريمة لا تطلب منهم لانها لا تقبل منهم والله تعالى اعلم بالصواب قوله تعالى ولقد ضربنا
للناس في هذا القران من كل مثل ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب
الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق
الكفاية من الانذار والى انه لم يبق من جانب الرسول تقصير فان طلبوا شيئا اخر فذلك عناد ومن هان عليه تكذيب دليل
لا يصعب عليه تكذيب الدلائل بل لا يجوز للمستدل ان يشرع في دليل اخر بعد ما ذكر دليلا صحيحا مستقيما ظاهرا لا غبار عليه
وعانده الخصم لانه اما ان يعرف نورد سؤال الخصم عليه او لا يعترف فان اعترف يكون انقطاعا وهو يقدح في الدليل والمستدل
الى ما بان الدليل فاسد واما بان المستدل جاهل بوجه الدلالة والاستدلال وكلاهما لا يجوز الاعتراف به من العالم فكيف من النبى
صلى الله عليه وسلم وان لم يعترف يكون المشروع في غير موضعه ان الخصم ليس معاندا فيكون اجراؤه على العادة وفي الثانى الترك لانه
يقول العنادا فان في الاول حب النوم ذكر دليلا اخر فان قيل فالانبياء عليهم السلام ذكروا انواعا من الدلائل نقول سرد وها سردا
ثم قرروا وقرر وصلى نقول الدليل عليه من وجوه الاول كذا والثانى كذا والثالث كذا ومثل هذا يوجب عدم الالتفات الى عناد المعاند
لانه يريد بمعانده تضييع الوقت فلا يمكن المستدل من الاتيان بجميع ما عد من الدلائل فيحبط درجته فاذا لكل مكان مقال
والى هذا وقعت الاشارة بقوله تعالى ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون وفي توحيد الخطاب بقوله تعالى
ولئن جئتهم والجمع في قوله ان انتم لطيفة وهى ان الله تعالى قال ولئن جئتهم باية جاءت بها الرسل ويمكن ان يجابه بقوله انتم كلكم
ايها المدعون للرسالة مبطلون ثم بين الله تعالى ان ذلك بطبع الله على قلوبهم بقوله تعالى كذلك يطبع الله على قلوب الذين
لا يعلمون فان قيل من لا يعلم شيئا انه فاسد في الاخبار عن الطبع على قلبه نقول لعل هو ان من لا يعلم الان فقد طبع الله على قلبه
من قبل ثم انه تعالى سبب قلب النبى صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق في النصر وما سبق وقوله تعالى ولا يستخفنك
الذين لا يوقنون اشارة الى وجوب النبى صلى الله عليه وسلم على الدعاء الى الايمان فانه لو سكت لقال الكافرون انه متقلب الراى
كانه تائه والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب
الاسس نزلتا وهما ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الا انه نزلت بالمدينة وهى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
لان الصلاة والزكاة نزلتا بالمدينة وهى ثلث وقيل اربع وثلثون اية بسم الله الرحمن الرحيم الم وجه ربنا

اول هذه السورة فاخر ما قبلها هو ان الله تعالى لما ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل اشارة الى كونه معجزة قال تعالى ولين جيتهم باية اشارة الى انهم يكفرون بالايات بين ذلك بقوله تعالى الم تلك ايات الكتاب الحكيم اى هذه ايات ولم يومنوا بها والى هذا اشار بقوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا ولى مستكبرا اى ساما وفرقانا واما التفسير فنقول تفسير قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى وكما قلنا هناك ان المعنى بذلك هذا كما قال تعالى كذلك قيل بان المراد بتلك هذه ويمكن ان يقال كما قلنا هناك ان تلك اشارة الى الغايب معناها ايات القران ايات الكتاب الحكيم وعند انزال هذه الايات التي نزلت مع الم تلك ايات الكتاب لم يكن جميع الايات نزلت فقال تعالى تلك اشارة الى الكل اى ايات القران تلك ايات وفيه مسايل المسالة الاولى قال في سورة البقرة ذلك الكتاب ولم يقل الحكيم وها هنا قال الحكيم فلما زاد ذكر وصفه في الكتاب بذكر امر في احواله فقال تعالى هدى ورحمة وقال تعالى هناك هدى للمتقين فقوله تعالى هدى في مقابلة قوله الكتاب وقوله رحمة في مقابلة قوله الحكيم ووصف الكتاب بالحكيم على معنى ذو الحكمة كقوله تعالى في عيشة راضية اى ذات رضى المسالة الثانية قال هناك هدى للمتقين وقال ها هنا للمحسنين لما ذكر انه هدى ولم يذكر شيا اخر قال للمتقين اى يهتدى به من يتقي الشرك والعناد وينظر فيه من غير عناد ولما اراد ها هنا رحمة قال للمحسنين اى المتقين الشرك والعناد الاتين بكلمة الاحسان فالاحسان هو الاتي بالايمان والمتقي هو التارك للكفر كما قال تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ومن جانب الكفر كان متقيا وله الجنة ومن اتى بحقيقة الايمان كان محسنا له الزيادة لقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولانه لما ذكر انه رحمة قال للمحسنين لان رحمة الله قريب من المحسنين المسالة الثالثة قال هناك الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة وقال ها هنا الذين يقيمون الصلاة ولم يقل يومنون لما بينا ان المتقي هو التارك للكفر ويلزمه ان يكون مومنا ولما كان المتقي دالا على الايمان بالمتقين لم يصرح بالايمان والله اعلم **قوله تعالى** الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة وهم بالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين قد ذكرنا ما في الصلوة واقامتها مرارا وما في الزكوة والصيام بها وذكرنا في الانفال في اوايلها ان الصلوة التشبه بالسيد فانها عبارة بصورة وحقيقة والله اعلم بحب له العباده ولا يجوز عليه العبادة وترك التشبه لازم على العبد في امور فلا يجلس عند جلوسه ولا يتكى عند اتكائه والزكاة تشبه بالسيد فانها دفع حاجة الغير والله دافع الحاجات والتشبه لازم على العبد ايضا في امور كما ان عبد العالم لا يلبس لباس الاحبار وعند الجندي لا يلبس لباس الزهاد وبها يتم العبودية ثم قال تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث لما بين ان القران كتاب حكيم يشتمل على ايات حكمية بين حال الكفار وانهم يتركون ذلك ويشتغلون بغيره ثم ان فيه لما بين سوء صنيعهم من وجوه الاول ان ترك الحكمة والاستغال بحديث اخر قبيح هو ان الحديث اذا كان لهوا لا فايدة فيه كان اقبح الثالث هو ان اللهو قد يقصد به الاحماض كما ينقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال احمضوا ونقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال روحوا ساعة فساعة والعوام يفهمون منه الامر بما يجوز من المطايبة والخواص يقولون هو امر بالنظر الى جانب الحق فان الترويح به لا غير فلما لم يكن قصدهم الا الاضلال يقولون ليضل عن سبيل الله فعله ادخل في القبح ثم قوله تعالى بغير علم عايد الى الشراء اى يشتري بغير علم ويتخذها اى يتخذ السبيل هزوا اولئك لهم عذاب مهين اشارة الى امر يفهم منه الدوام وذلك لان الملك اذا امر بتعذيب عبيد من عبيده فالجلاد ان علم انه ممن يعود الى خدمة الملك ولا يتركه الملك في الحبس يكرمه ويخفف من تعذيبه وان علم انه لا يعود الى ما كان عليه وامره قد انقضى فانه لا يكرمه فقوله عذاب مهين اشارة الى هذا وبه يفرق بين عذاب المومن وعذاب الكافر فان عذاب المومن ليطهر فهو غير مهين والله تعالى اعلم **قوله تعالى** واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم خلق السموات بغير عمد ترونها والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السما ما فانبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين اى يشتري الحديث الباطل والحق الصراح ياتيه مجانا يعرض عنه واذا نظرت فيه فهمت حسن هذا الكلام من حيث ان المشتري يطلب المشترى مع انه يطلبه ويبذل الثمن ومن ياتيه الشي لا يطلبه ولا يبذل الواجب يطلب العاقل الحكمة باي شي يجده ويشتريها وهم ما كانوا يطلبونها واذا جاءهم مجانا ما كانوا يسمعونها ثم ان فيه ايضا مراتب الاولى التولية عن الحكمة وهو قبيح والثاني الاستكبار ومن يشتري حكاية رستم واسفنديار ويحتاج اليه كيف يكون مستغنيا عن الحكمة حتى يستكبر عنها وانما يستكبر الشخص عن الكلام اذا كان يقول انا اقول مثله فمن لا يقدر بصنع مثل تلك الحكايات الباطلة كيف يستكبر على الحكمة البالغة التي من عند الله الثالث قوله تعالى كان لم يسمعها يستعمل الكبر الذي لا يلتفت الى الكلام نفسه ويجعل كانه غافل الرابع قوله تعالى كان في اذنيه وقرا ادخل في الاعراض ثم قال تعالى فبشره بعذاب اليم له عذاب مهين فبشره انت به واوعده اذ يقال اذا كان هذا حاله فبشره بعذاب وقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم لما بين حال من اذا تتلى عليه الايات ولى بين حال من يقبل على تلك الايات ويعملها وكما ان ذلك له مراتب من التولية والاستكبار فهذا له مراتب من الاقبال والقبول والعمل به فان من سمع شيا وقبله قد لا يعمل به فلا يكون درجته مثل درجة من يسمع ويطيع ثم ان هذا لهم جنات النعيم ولذلك عذاب مهين وفيه لطايف احداها توحيد العذاب وتنويع الجنة بالاضافة الى الجمع اشارة الى ان الرحمة واسعة ونوعها الصالح للرحمة الى العذاب ولا يسن النعم وانما ننبه عليها نبهنا الثالثة

قال عذاب



قال عذاب لهم صرح بانهم فيه خالدون وانما اشار الى الخلود بقوله مهين وصرح في الثواب بالخلود بقوله خالدين فيها الرابعة اكد ذلك بقوله تعالى وعد الله حقا ولم يذكر هناك الخامسة قال هناك لمن فبشره بعذاب وقال ها هنا بنفسه وعد الله حقا ثم لم يقل ابشركم به لان البشارة لا تكون الا باعظم ما يكون لكن الجنة دون ما يكون للمتقين بشارة من الله تعالى وانما يكون بشارتهم منه برحمته ورضوانه كما قال تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ولولا قوله منه لما عظمت البشارة ولما كانت منه مقرونة بامر الجنة التي كيم عدون نقول البشارة هناك لم تكن بالجنة وحدها بل بها وبما ذكر وبعدها الى قوله تعالى نزلا من غفور رحيم والنزول ما يهيا عند النزول والاكرام العظيم بعده وهو العزيز الحكيم كامل القدرة يعذب المعرض ويثيب المقبل كامل العلم يفعل الافعال كما ينبغي فلا يعذب من يومن ولا يثيب من يكفر ثم قال تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها وحكمته بقوله خلق السموات بغير عمد ترونها اختلف قول العلما في السموات والارض فمنهم من قال انها مبسوطة كصفحة مستوية وهو قول اكثر المفسرين ومنهم من قال انها مستديرة وهو قول جميع المهندسين والغزالي رحمه الله تعالى قال نحن نوافقهم في ذلك فان لهم علينا دليلا من المحسوسات ومخالفة الحس لا يجوز واذا كان في الباب خبر تاولناه بما يحتمله فضلا من ان ليس في القران والخبر ما يدل على ذلك صريحا بل فيه ما يدل على الاستدارة كما قال تعالى كل في فلك يسبحون والفلك اسم شي مستدير بل الواجب ان نعتقد ان السما سوا كانت مستديرة او مصفحة فهو مخلوقة بقدرة لا موجودة بايجاب وطبع واذا علم هذا فنقول في السما مكان وهو فضا والفضا لا نهاية له ولو ان السما في بعضه دون بعض ليس الا بقدرة مختار واليه الاشارة بقوله تعالى بغير عمد ترونها اى ليس على شي يمنعها النزول من موضعها وهي لا تزول بقدرة الله تعالى وقال بعضهم المعنى ان السموات باسرها ومجموعها لا مكان لها لان المكان ما يعتمد عليه ما فيه فيكون سعينا والحجر اسيرا له ما فيه لسببه تعالى ها هنا وهنا وعلى هذا قالوا بان من يقع من شاهق جبل فهو في الهوى كحجر ادبقال له هو ها هنا وساكن وليس في مكان اذ لا يعتمد على شي فاذا حصل على الارض حصل في مكان اذا علم هذا فالسموات ليست في مكان يعتمد عليه فلا عمد لها ويقول ترونها فيه وجهان احدهما انه راجع الى السموات اذ ليست هي بعمد وانتم ترونها كذلك بغير عمد والثاني انه راجع الى العمد اى بغير عمد مرئيه بل عمدها الله تعالى وارادته ثم قال تعالى والقى في الارض رواسي اى جبالا راسية ما تميد بكم اى كراهة ان تميد وقيل المعنى ان لا تميد واعلم ان الارض ثباتها بسبب ثقلها والا كانت تزول عن موضعها بسبب المياه والرياح ولو خلقها مثل الرمل لما كانت تثبت للزراعة كما ترى الاراضي الرملة ينتقل الرمل الذي فيها من موضع الى موضع ثم قال تعالى وبث فيها من كل دابة اى سكون الارض فيه مصلحة حركة الدواب فاسكنا الارض وحركنا الدواب ولو كانت الارض متزلزلة وبعض الاراضي يبس بعض الحيوان لكانت الدابة التي لا تعيش في موضع تقع في ذلك الموضع فيكون فيه هلاك الدواب اما اذا كانت الارض ساكنة والحيوانات متحركة تتحرى الموضع الذي يناسبها وترعى وتعيش فيها ثم قال تعالى وانزلنا من السما ما هذه نعمة اخرى انعمها الله تعالى على عباده بما بها سكون الارض ان لم ... لكي يحصل الزرع ولو كانت الارض متحركة كالرمل لما حصل النبات ولما كل النبات والعدل من الغاية الى ... فيه فصاحة وحكمة اما الفصاحة فمذكورة في باب الالتفات من ان السامع اذا سمع كلاما طويلا من نمط واحد ثم ورد عليه نمط اخر يستطيبه الا ترى انك اذا قلت زيد كذا وقال خالد كذا وقال عمرو كذا ثم انك بكر قال قولا حسنا لما تكرر القول مرارا واما الحكمة فمن وجهين احدهما ان خلق السموات والارض في غير الموضع قد يقع للجاهل انه بالطبع وبث الدواب يقع لبعضهم انه باحيا والدابة لان لها اختيارا فيقع الاول طبعي والاخر اختياري للحيوان ولكن احد في ان الما في الهوا من جهة فوق وليس طبعا فان الما لا يكون بطبعه فوق ولا اختيارا اذ الما لا اختيار له فهو بارادة الله تعالى فقال تعالى وانزلنا من السما الثاني هو ان انزال الما نعمة ظاهرة مكررة في كل زمان مكرر في كل مكان فاسند الى نفسه صريحا لينبه الانسان للشكر نعمته فيزيده سبحانه من رحمته وقوله تعالى فانبتنا فيها من كل زوج كريم اى من كل جنس فكل جنس منه نوعان لان النبات اما ان يكون شجرا واما ان يكون غير شجر والذي هو شجر اما ان يكون مثمرا واما ان يكون غير مثمر والمثمر كذلك ينقسم قسمين وقوله تعالى كريم اى ذى كرم لانه ياتي كبيرا غير حساب او مكرم مثل بعض للشعض ثم قال تعالى هذا خلق الله فاروني ماذا خلق يعني الله خالق وغيره ليس بخالق فكيف يتركون عبادة الخالق ويشتغلون بعبادة المخلوق ثم قال تعالى بل الظالمون في ضلال مبين اى بين ومبين للعاقل انه ضلال وهذا لان ترك الطريق والحيد عنه ضلال مبين ثم ان كان الحيد عمدا او سهوا فهو لا يبعد عن الطريق المستقيم مثل ما يكون القفا الى وراءه يكون غاية الضلال فالمقصود هو الله فمن يطلب ويلتفت الى غيره من الدنيا او غيرها فهو ضلال لكن وجهه الى الله وقد يصل الى المقصود لكن بعد تعب وطول مدة ومن يطلبه ولا يلتفت الى سواه يكون كالذي على الطريق المستقيم يصل عن قريب من غير تعب واما الذي ولى لا يصل الى المقصود اصلا وان دام في السفر والمراد بالظالمين المشركون الواضعون لعبادتهم في غير موضعها اى الواضعون انفسهم في عبادة غير الله تعالى **قوله تعالى** ولقد اتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن

وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الى المصير وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الي ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله ان الله لطيف خبير **اعلم** ان الله تعالى لما بين فساد اعتقادهم بسبب عبادتهم في انزالهم من لا يخلق شيا منزلة من قد خلق كل شي فقوله تعالى هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه وبين ان المشرك ظالم ضال ذكر ما يدل على ضلالهم وظلمهم ومقتضى الحكمة وان لم يكن هناك نبوة وهذا اشارة الى معنى وهو ان اتباع الذي لازم فيما لا يعقل معناه ظاهرا للعبد فكيف من لا يختص بالنبوة بل يدرك بالعقل معناه وما جا النبي مدرك بالحكمة وذكر حكاية لقمان وانه ادركه بالحكمة وقوله تعالى ولقد اتينا لقمان الحكمة عبارة عن توفيق العمل بالعلم فكل من اوتي توفيق العمل بالعلم فقد اوتي الحكمة وان اردنا تحديدها بما يدخل فيه حكمة الله تعالى فنقول حصول العمل على وفق المعلوم والذي يدل على ما ذكرنا ان من يعلم شيا ولا يعلم مصلحة ومفسدة لا يسمى حكيما وانما يكون مجنونا الا ترى ان من يلقي نفسه من مكان عال ووقع على موضع فانخسف به وظهر له كنز لا يقال انه حكيم وان ظهر لعمله وخلوا عن مفسدة لعدم علمه به اولا ومن يعلم ان الالقا فيه اهلاك النفس ويلقي نفسه من ذلك المكان وينكر اعتقاده لا يقال انه حكيم وان علم ما يكون في فعله ثم الذي يدل ما ذكرنا قوله تعالى ان اشكر فانه في مثل من ان يسمي المفسر فسر الله تعالى ايتا الحكمة بقوله تعالى ان اشكر لله لان من جملة ما يقال ان العمل موافق للعلم وكان حكمة وان اهل العلم كان مخالفا للعلم ولم يكن في حكمة في شي لكن شكر الله اهم الاشيا فالحكمة ما يقتضي ذلك ثم ان الله تعالى بين ان الشكر لا ينتفع الا الشاكر من بقوله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه وبين ان بالكفران لا يتضرر غير الكافر بقوله تعالى ومن كفر فان الله غني حميد اي الله غير محتاج الى شكر حتى يتضرر بكفران الكافر وهو في نفسه محمود سوا اشكره الناس او لم يشكروه وفي الاية مسايل ولطايف **المسئلة الاولى** الاولى في غرابة تعالى لما اتى الحكمة بالامر بالشكر يكن الكافر والجاهل مامورا بالشكر فينبغي ان يكون فداوسا الحكمة بالامر بالشكر اما قوله تعالى ان اشكر لله امر تكوين معناه اتيناه الحكمة بان جعلناه من الشاكرين وفي الكافر الامر بالشكر امر تكليف **المسئلة الثانية** قال في الشكر ومن يشكر فانما يشكر بصيغة في المستقبل وقال في الكفران ومن كفر فان الله غني وان كان الشرط يجعل الماضي والمستقبل في معنى واحد كقول القايل من دخل داري هو حر ومن يدخل داري فهو حر فنقول فيه اشارة الى معنى وارشاد الى امر وهو ان الشكر ينبغي ان يتكرر في كل وقت لتكرر النعمة عن شكر ينبغي ان يشكر ولكن ينبغي ان ينقطع عن كفر ينبغي ان يترك الكفران لان الشكر من الشاكرين لا يقع بكماله بل ابدا منه يكون شي في العدم يريد الشاكر ادخاله في الوجود كما قال تعالى اوزعني ان اشكر نعمتك كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فاشار اليه بصيغة المستقبل تنبيها على ان الشكر بكماله لم يوجد واما الكفران فكل جزو منه يقع تام فقال بصيغة الماضي الثانية قال تعالى ومن شكر فانما يشكر لنفسه من عمل صالحا فلانفسهم يمهدون فنقول ههنا كان الذكر للترهيب لقوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يوميذ يصدعون وهذا الذكر للترغيب لان وعظ الاب للابن يكون بطريق اللطف والوعد وقوله تعالى من عمل صالحا تحقيق ما ذكرنا اولا ان المذكور في سورة الروم لما كان بعد اليوم الذي لا مرد له من الله تكون الاعمال قد سبقت فقال بلفظ ومن عمل وههنا لما كان المذكور في الابتدا قال ومن يشكر بلفظ المستقبل وقوله تعالى ومن كفر فان الله غني حميد اي غني حميد اي عن حمد الحامدين حميد في ذاته من غير حمدهم واما الحامدين فينتفع مرتبته يكون حامدا لله ثم قال تعالى واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه عطف على معنى سبق وتقديره اتينا لقمان الحكمة حين جعلناه شاكرا في نفسه وحين جعلناه واعظا لغيره وهذا لان علو مرتبة الانسان بان يكون كاملا في نفسه ومكملا لغيره فقوله تعالى ان اشكر اشارة الى الكمال وقوله تعالى واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه اشارة الى التكميل وفي هذه اللطيفة وهي ان الله تعالى ذكر لقمان وشكر سعيه حيث ارشد ابنه ليعلم منه فضيلة النبي الذي ارشد الاجانب والاقارب فان ارشاد الولد امر معتاد وما تحمل المشقة في تعليم الغير ما لاهم انه في الوعظ بدا بالاهم وهو المنع من الشرك قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم اما انه ظلم فلانه وضع للنفس الشريفة المكرمة بقوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم في عبادة الخسيس ولانه وضع للعبادة في غير موضعها وهي غير وجه الله وسبيله واما انه عظيم فلانه وضع في موضع ليس موضعه ولا يجوز ان يكون موضعه وهذا لان ما اخذ مال زيد واعطي عمرا يكون ظالما من حيث انه وضع مال زيد في يد عمرو ولكن جايز ان يكون ذلك ملكا او يصير ملكه ببيع سابق او بتمليك لاحق واما الاشراك فموضع المعبودية في غير الله ولا يجوز ان يكون غيره معبودا اصلا ثم قال تعالى ووصينا الانسان بوالديه لما منعه من العبادة لغير الله والخدمة قريبة منها في الصورة بين انها غير ممتنعة بل هي واجبة لغير الله والخدمة قريبة منها في بعض الصور مثل خدمة الابوين ثم بين السبب وقال تعالى حملته يعني لله على العبد نعمة الايجاد ابتدا بالخلق ونعمة الابقا بالرزق وجعل بفضله للام ما له صورة ذلك وان لم يكن لها حقيقة فان الحمل به يظهر الوجود وبالرضاع يحصل التربية والبقا فقال تعالى حملته امه اي صارت بقدرة الله تعالى سبب وجوده وفصاله في عامين اي صارت بقدرته ايضا سبب بقايه فاذا كان منها ما له صورة الوجود والبقا وجب عليه ما له شبه العبادة من الخدمة فان الخدمة لها صورة العبادة فان قال قايل وصى الله بالوالدين وذكر السبب في حق الام فنقول خص الام بالذكر وفي الاب ما وجد من الام فان الاب حمله في صلبه سنين ورباه بلسنة سنين ثم ابلغ وقوله تعالى ان اشكر لي ولوالديك لما كان الله تعالى بفضله جعل من الوالدين صورة ما من الله فان الوجود في الحقيقة من الله وفي الصورة يظهر من الوالدين جعل الشكر بينهما

وقال اشكر



وقال اشكروا لوالديك ثم بين الفرق فقال الى المصير يعني نعمتهما مختصة بالدنيا ونعمتي في الدنيا والاخرة فان الى المصير ونقول لما امر بالشكر لنفسه وللوالدين قال الجزا على وقت المصير الي ثم قال تعالى وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك يعني ان خدمتهما واجبة وطاعتهما لازمة ما لم يكن فيها ترك طاعة الله اما اذا افضى اليه فلا تطعهما وقد ذكرنا تفسير الاية في العنكبوت وقوله ههنا واتبع سبيل من اناب الي يعني صاحبهما بجسمك فان حقهما على جسمك واتبع سبيل النبي بعقلك فانه مربي عقلك كما ان الوالدين مربي جسمك ثم قال تعالى يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل لما قال تعالى فانبئكم بما كنتم تعملون وقع لابنه ان ما يفعل في خفية يخفى فقال تعالى يا بني انها اي الحسنة والسية ان كانت في الصغر مثقال حبة من خردل ويكون مع ذلك الصغر في موضع حريز كالصخرة لا يخفى على الله وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قوله تعالى فتكن بالفا لافادة الاجتماع يعني ان كان صغيرة ومع صغرها يكون خفية في موضع حريز كالصخرة لا يخفى على الله لان الفا بالاتصال بالتعقيب الثانية لو قال الصخرة لابد من ان يكون في السموات ام في الارض فما الفايدة في ذكرها ولاي للقايل لو قال هذا رجل او امراة او ابن عمرو لا يصح هذا الكلام لكون ابن عمرو داخلا في احد القسمين فكيف يفهم هذا فنقول الجواب عنه من وجهين احدهما ما قال بعض المفسرين وهو ان المراد بالصخرة صخرة عليها الثور والبقرة وهي لا في الارض ولا في السما والثاني ما قاله الزمخشري وهو ان فيه اضمارا تقديره فتكن في صخرة او موضع اخر في السموات او في الارض والثالث ان نقول تقديم الخاص وتاخير العام في مثل هذا التقسيم جايز وتقديم العام وتاخير الخاص غير جايز اما الثاني فلانه لو ان من قال هذا في دار زيد او في غيرها او في دار عمرو لا يصح لكون دار عمرو داخلة في قولنا في غيرها واما الاولى فلان قول القايل هذا في دار زيد او في دار عمرو او في غيرها صحيح غير قبيح فكذلك ههنا قدم الاخص ونقول خفي الشي يكون بطرق منها ان يكون في غاية الصغر ومنها ان يكون بعيدا ومنها ان يكون في ظلمة ومنها ان يكون من ورا حجاب فان انتفت الامور باسرها يكون كرا قريبا في ضو من غير ان تكن مثقال حبة اشارة الى الصغر وقوله تعالى فتكن في صخرة اشارة الى الحجاب وقوله تعالى او في السموات اشارة الى البعد فانها ابعد الابعاد وقوله او في الارض اشارة الى الظلمات فان جوف الارض اظلم الاماكن وقوله تعالى يات بها الله ابلغ من قول القايل يعلمها الله لان من يظهر له الشي ولا يقدر على اظهاره لغيره يكون حاله في العلم دون حال من يظهر له الشي ويظهره لغيره فقوله تعالى يات بها الله اي يظهرها الله للارشاد وقوله تعالى ان الله لطيف خبير اي نافذ القدرة خبير اي عالم ببواطن الامور **قوله تعالى** يا بني اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير **اعلم** اعلم انه تعالى لما منعه من الشرك وخوفه بعلم الله وقدرته امره بما يلزم من التوحيد وهو الصلاة وهي العبادة لوجه الله تعالى مخلصا وبهذا يعلم ان الصلاة كانت في ساير الملل غير ان هيئاتها اختلفت ثم قال تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر اي اذا اكملت انت في نفسك بعبادة الله تعالى فكمل غيرك فان اشغل الانبيا وورثتهم من العلما هو ان يكملوا في انفسهم ويكملوا غيرهم فان قال قايل كيف قدم في وصيته لابنه الامر بالمعروف على النهي عن المنكر وهو قدم النهي عن المنكر على الامر بالمعروف فانه اول ما قال يا بني لا تشرك ثم قال تعالى يا بني اقم الصلوة فنقول هو كان يعلم من ابنه انه معترف بوجود الله تعالى فما امره بهذا المعروف ونهاه عن المنكر الذي يترتب على هذا المعروف فان الشرك بالله لا يكون الا ممن يثبت في الاعتقاد وان كان يلزم نفيه بالدليل فكان كل معروف في مقابلته منكر والمعروف في معرفة الله تعالى اعتقاد وجوده والمنكر اعتقاد وجود غيره معه فلم يامره بذلك المعروف ونهاه لحصوله ونهاه عن المنكر لانه ورد في التفسير ان ابنه كان مشركا فوعظه ولم يزل يعظه حتى اسلم واما ابنه فامره امرا مطلقا والمعروف مقدم على المنكر ثم قال تعالى واصبر على ما اصابك يعني من يامر بالمعروف وينهى عن المنكر يؤذى فامره بالصبر عليه وقوله تعالى ان ذلك من عزم الامور اي من الامور الواجبة المعروفة اي المقطوعة ويكون المصدر بمعنى المفعول كما يقول الاكل في النار رغيف خبز اي ماكول ثم قال تعالى ولا تصعر خدك للناس لما امره بان يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره وكان يخشى بعدهما من امرين احدهما التكبر على الغير بسبب كونه مكملا له والثاني التبختر في النفس بسبب كونه كاملا في نفسه فقال ولا تصعر خدك للناس تكبرا ولا تمش في الارض مرحا تبخترا ان الله لا يحب كل مختال فخور يعني من يكون به خيلا وهو الذي يرى الناس عظم نفسه وهو التكبر يعني من يكون مفتخرا بنفسه وهو الذي يرى عظمة لنفسه في عينه وفي الاية لطيفة وهي ان الله تعالى قدم الكمال على التكميل حيث قال تعالى اقم الصلاة ثم قال تعالى وامر بالمعروف وفي النهي قدم ما يؤدي اليه التكميل على ما يؤدي اليه الكمال حيث قال تعالى ولا تصعر خدك للناس ثم قال تعالى ولا تمش في الارض مرحا لان في طرف الاثبات من لا يكون كاملا لا يمكن ان يصير مكملا فقدم الكمال وفي طرف النهي من يكون متكبرا على غيره يكون متبخترا لانه لا يتكبر على الغير الا عند اعتقاده انه اكبر منه من وجه واما من يكون متبخترا في نفسه فقد لا يتكبر ويتوهم انه متواضع للناس فقدم نفي التكبر ثم نفي التبختر لانه لو قدم نفي التبختر للزم منه نفي التكبر فلا يحتاج الى النهي عنه ومثاله انه لا يجوز ان يقال لا تفطر ولا تاكل لان من لا يفطر لا ياكل ويجوز ان يقال لا تاكل ولا تفطر لان من لا ياكل قد يفطر فان قال قايل كلاما مثل هذا الكلام يكون للتفسير فيقول لا تفطر ولا تاكل اي لا تفطر باكل ولا بكذا

هي بل واحدا اما قوله تعالى واقصد في مشيك واغضض من صوتك لما قال تعالى ولا تمش في الارض مرحا وعدم ذلك قد يكون بضده
وهو الذي يخالف العام الاختلاف وهو مشي المسي ورا الذي يرا الطريقين المذمومين وفي الاية مسائل المسئلة الاولى هذا الامر بالغض
من الصوت مناسبة مع الامر بالقصد في المشي نقول نعم سواء علينا الحق ام لم نعلمها وفي كلام الله تعالى من الفوايد ما لا يحصيه احد ولا
يحصيه عدد ولا يعلمه الا الذي نظر وجوه الاول هو ان الانسان لما كان شريفا تكون مطالبه شريفة فيكون فواتها خطرا فاقدر الله
تعالى الانسان على تحصيلها بالمشي فان عجز عن ادراك مقصوده ساوى مطلوبه فيصف له او يا تيه مسرعا اليه فان عجز عن الابلاغ
كلامه يكل اليه وبعض الحيوانات تشارك الانسان في تحصيل المطلوب بالصوت كما ان الغنم تطلب السخلة والسخلة تطلب الحمل والناقة
الفصيل بالبغاء والخوار والرغاء ولكن لا يتعدى غيرها والانسان يعرف البعض عن البعض واذا كان المشي والصوت مفضيين الى
المقصود واحد بالجوارح يشاركه فيه غيره وعزم بالقلب وهو الاطلاع عليه الا الله وقد اشار اليه بقوله تعالى انها ان تك مثقال
حبة من خردل اي اصلح ضميرك فان الله تعالى خبير لطيف ثم قال تعالى واقصد في مشيك اشارة الى التوسط في الافعال الثالث هو
ان لقمان اراد ارشاد ابنه الى السداد في الاوصاف فهي الحيوان الذي هو ادنى مرتبة منه بقوله تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر اشارة
الى المكارم المختصة بالانسان فان الملك لا يأمر ملكا اخر بشيء ولا ينهاه عن شيء وقوله تعالى ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا
الذي هو اشارة الى عدم التكبر والتبختر اشارة الى المكارم الذي هي صفة الحيوان ثم قال تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير وفيه مسائل
المسئلة الاولى لم ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المشي نقول اما على قولنا ان المشي والصوت كلاهما موصلان الى
محض مطلوب ان ادركه بالمشي اليه فزال والا سمعه بالنداء نقول رفع الصوت يؤذي السامع ويقرع الصماخ بقوة وربما يخرق
الغشاء الذي داخل الاذن واما السرعة في المشي فلا يؤدي وان كانت تؤدي فلا تؤدي غير من في طريقه والصوت يبلغ من على اليمين واليسار
ولان المشي يؤدي الى الملل والصوت يؤدي الى السمع على باب القلب فان الكلام من السمع اسقاله من القلب ولا كذلك اللمس واما على قولنا
الاشارة بالمشي والصوت الى الافعال والاقوال فلان القول قبحه اقبح من قبح الفعل وحسنه احسن لان اللسان ترجمان القلب والاعتبار يصح الدعوى
الثانية كيف يفهم مع كونه اكران من اليسار بالمبرد وحب النحاس بالحديد اشد سفرا نقول الجواب عنه من وجهين احدهما المراد ان انكر
الاصوات لصوت الحيوانات صوت الحمير فلا يرد ما ذكرتم وما ذكرتم في اكثر الامور المصلحية وعمارة فلا ينكر بخلاف صوت الحمير وهذا هو
الجواب الثاني الثالثة انكر هو افعل التفضيل فمن اي باب هو نقول يحتمل ان يكون من باب اطوع من سابه بمعنى اشد طاعة فانه فعل
لا يجي منه افعل ولا منه مفعول ولا في باب العيوب الا ما شذ كقولهم اطوع من كذا للتفضيل على المطيع واشغل من ذات النحيين على المشغول
واحمق من فلان من باب العيوب وعلى هذا الوجه من باب مفعل كاشغل في باب مفعول فيكون للتفضيل على المنكر اذ نقول هو من باب اشغل
مأخوذ من نكر الشيء فهو منكور وهذا انكر منه وعلى هذا فله معنى لطيف وهو ان كل حيوان يفهم من صوته فانه يصيح من ثقل او تعب
كالبعير او غير ذلك والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح وفي بعض الاوقات عدم الحاجة يصيح وينهق فصوته منكور ويمكن
ان يقال هو من نكر كاحذر من حذر ثم قال تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه لما استدل
بقوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها على الوحدانية وبين بحكاية لقمان ان معرفة ذلك غير مختصة بالنبوة بل ذلك موافق للحكمة
وما جا به النبي من التوحيد والصلاة ومكارم الاخلاق كلها حكمة بالغة ولو كان تعبدا محضا للزم قبوله فضلا عن انه على وفق الحكمة استدل
على الوحدانية بالنعمة لانا بينا مرارا ان الملك يخدم لعظمته فان لم يعلم ويخدم لنعمته ايضا فلو بين انه المعبود لعظمته فان لم يسمع ويخدم
لنعمته ايضا فلا بين انه المعبود لعظمته بخلقه السموات بلا عمد والقاه في الارض الرواسي وذكر بعض النعم بقوله وانزلنا من السماء ماء ذكر بعده
عامة النعم فقال تعالى سخر لكم ما في السموات اي سخر لاجلكم ما في السموات فان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامر الله وفيها فوايد لعباده وسخر ما في الارض
لاجل عباده وقوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وما في الاعضاء من السلامة وباطنة وما في القوى فان العضو ظاهر وفيه قوة
باطنة والشم الانف ان العين والاذن سمع وعظم ظاهر واللسان والانف لحم وعظم ظاهر وفي كل واحد معنى باطن من الابصار
والسمع والذوق والذكر وكل عضو وقد يبطل القوة ويبقى العضو قائما وهذا احسن ما قيل فان على هذا الوجه يكون الاستدلال
بنعم الافاق وبنعم الانفس فقوله تعالى ما في السموات وما في الارض اشارة الى النعم الافاقية وقوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة يكون اشارة الى النعم الانفسية وفيهما اقوال كثيرة مذكورة في جميع كتب التفاسير ولا يبعد ان يكون ما ذكرنا سوقا وان
لم يكن فلا يخرج من ان يكون سائغا معقولا ثم قال تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير هذه امور
ثلاثة مرتبة العلم والهدى والكتاب والعلم اعلى من الهدى والهدى من الكتاب وبيانه هو ان العلم يدخل فيه الاشياء الواضحة
اللايقة التي تعلم من غير هداية هادي ثم الهدى يدخل فيه الذي يكون في كتاب والذي يكون من الهام ووحي فقال تعالى يجادل
ذلك الذي يجادل لا من علم واضح ولا من هدى اتاه من هاد ولا كتاب وكان الاول اشارة الى من اوتي من لدنه علما كما قال تعالى علمه شديد القوى
والثالث اشارة الى مرتبة من اهتدى بواسطتين ولهذا قال تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين وقال في هذه السورة
هدى ورحمة للمحسنين وقال في السجدة ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل فالكتاب هدى لقوم النبي
والنبي هدى من الله تعالى من غير واسطة وبواسطة الروح الامين فقال تعالى يجادل من لا علم اتيناه من لدنا كشفا ولا هدى
ارسلنا اليه روحا ولا كتاب يتلى عليه ثم فيه لطيفة اخرى وهو انه تعالى قال في الكتاب ولا كتاب منير لان المجادل منه من
كان يجادل عن كتاب ولكن محرف مثل التوراة بعد التحريف فلو قال تعالى ولا كتاب مبين فان ذلك الكتاب مظلم والم يحتمل في
المرتبة الاولى والثانية التحريف والتبديل علم نقل ولا علم ولا هدى مبين او حق او غير ذلك ثم قال تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله

قالوا



قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه يبين ان مجادلتهم مع كونها من غير علم هي في غاية القبح فان النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى كلام الله
تعالى وهم يأخذون بكلام ابائهم وبين كلام الله وكلام العلماء بون عظيم فكيف ما بين كلام الله وكلام الجهلاء ثم ههنا شيا اخر وهو
انهم قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا يعني نترك القول النازل من الله ونتبع الفعل والقول ادل من الدلالة فلو سمعنا قول
قائل افعل ورأينا فعله يدل على خلاف قوله لكان الواجب الاخذ بالقول فكيف والقول من الله والفعل من الجهال ثم قال تعالى
اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير استفهاما على سبيل التعجب في الانكار يعني الشيطان يدعوهم الى العذاب والله
يدعوهم الى دار السلام وهم مع هذا يتبعون الشيطان والله تعالى اعلم قوله تعالى ومن يسلم وجهه الى الله
وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم
فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله
هو الغني الحميد اعلم انه تعالى لما بين حال المشرك والمجادل في الله بين حال المسلم المستسلم لامر الله تعالى وقوله تعالى
ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن اشارة الى العمل الصالح فيكون الاية في معنى قوله تعالى من امن وعمل صالحا وقوله تعالى فقد
استمسك بالعروة الوثقى ان تمسك بحبل لا انقطاع له ويرتقي بسببه الى اعلى المقامات وفي الاية مسائل المسئلة الاولى
قال تعالى ههنا ومن يسلم وجهه الى الله وقال في سورة البقرة بلى من اسلم وجهه لله وعدى ههنا بالى وهناك باللام قال الزمخشري معنى
قوله اسلم لله اي جعل نفسه لله سالما اي خالصا والوجه بمعنى النفس والذات ومعنى قوله تعالى يسلم نفسه الى الله كما يسلم واحد متاعا
الى غيره ولم يزده على هاهنا ويمكن ان يزاد عليه ويقال من اسلم لله على اعلى درجة لمن يسلم الى الله لان الى للغاية واللام للاختصاص يقول
القائل اسلمت وجهي اليك اي توجهت نحوك وينبي هذا عن عدم الوصول لان التوجه الى الشيء قبل الوصول وقوله اسلمت وجهي لك يفيد الاختصاص
فلا ينبي عن الغاية التي تدل على المسافة وقطعها للوصول اذا علم هذا فنقول قال في سورة البقرة قالت اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى فقال الله ردا عليهم تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ثم بين فساد قولهم بقوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله اي انهم مع انهم
لم يكونوا لله الرسل ويبيعون عنه بالباطل ويشترون باياته ثمنا قليلا يدخلون الجنة ومن يكون بكليته لله لا يدخلها هذا الكلام باطل فاورد عليهم من اسلم
لله ولا شك ان النقض بالصورة التي هي الزم اولى فاورد عليهم المخلص الذي ليس له امر الا الله تعالى وقال انتم تدخلون الجنة وهذا لا يدخلها ثم بين كذبهم
وقال بلى وبين ان له فوق الجنة درجة وهي العندية بقوله تعالى فله اجره عند ربه واما هاهنا اراد وعد المحسن بالثواب والوصول الى
الدرجة العالية ووعد من هو دونه ليدخل فيه من هو فوقه بالطريق الاولى وتم الوعد وهذا من الفوائد الجليلة ثم قال تعالى فقد استمسك
بالعروة الوثقى اوثق العرى جانب الله لان كل ما عداه هالك منقطع وهو باق لا انقطاع له ثم قال تعالى والى الله عاقبة الامور يعني استمسك بعروة
توصله الى الله تعالى وكل شيء عاقبته اليه فاذا حصل في الحال ما اليه عاقبته يكون عاقبته في غاية الحسن وذلك لان من يعلم ان عاقبة الامور
الى واحد ثم يقدم اليه الهدايا قبل الوصول اليه يجد فائدته عند القدوم عليه والى هذا وقعت الاشارة بقوله تعالى وما تقدموا لانفسكم
من خير تجدوه عند الله ثم قال تعالى ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا لما بين حال المسلم رجع الى حال الكافر فقال تعالى
ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم اي لا تحزن اذا كفر كافر فان من يكذب وهو قاطع بان صدقه يبين عن قريب لا يحزن فقد رتب الكذب على
الريا دفع التكذيبا ذلم يكن من العداة ويكون المكذب من العداة للحاف غاية التخجيل واما اذا كان لا يرجو ظهور صدقه سالم من الكذب
فقال لا تحزن كفرهم فان المرجع الى فانبئهم بما عملوا فيخجلون وقوله تعالى ان الله عليم بذات الصدور اي لا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم
فانبئهم بما ضمرته صدورهم وكان الصدر هي للهلاك ثم ان الله تعالى فصل ما ذكرنا فقال تعالى نمتعهم قليلا اي تعاوم مدة قليلة ثم بين انهم
وبال تكذيبهم وكفرهم وقوله تعالى ثم نضطرهم الى عذاب اي نسلط عليهم اغلظ عذاب حتى يدخلوا بانفسهم عذابا غليظا فيضطرون الى عذاب
النار فرارا من الملائكة الغلاظ الشداد الذين يعذبونهم بمقامع من نار وفيه وجه اخر لطيف وهو انهم لما كذبوا الرسل ثم يسلبهم الامر ووقع
عليهم من الخجالة ما يدخلون النار ولا يختارون الوقوف بين يدي ربهم بمحضر الانبياء وهو يتحقق بقوله تعالى فلا يحزنك كفره الينا
مرجعهم فننبئهم بما عملوا ثم قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله الاية متعلقة بما قبلها من وجهين احدهما
ان الله تعالى لما استدل بخلق السموات بغير عمد وبنعمه الظاهرة والباطنة بين انهم معترفون بذلك غير منكرين له وهذا يقتضي
ان يكون الحمد كله لله لان خالق السموات والارض يحتاج اليه من في السموات والارض وكون الحمد لله يقتضي ان لا تعبد غيره ولكنهم
لا يعلمون هذا والثاني ان الله تعالى لما سلى قلب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا
اي لا تحزن على تكذيبهم فان صدقك وكذبهم سيبين عن قريب عند رجوعهم الينا ثم قال وليس ذلك الا ذلك اليوم بل هو بين قبل يوم القيامة
لانهم معترفون بان خالق السموات والارض هو الله وهذا يصدقك في دعوى الوحدانية ويبين كذبهم في الاشراك فقل الحمد لله على
ظهور صدقك وكذبهم ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون اي ليس لهم علم يمنعهم من تكذيبك مع اعترافهم بما يوجب تصديقك وعلى هذا يكون
لا يعلمون استعمال الفعل مع القطع عن المفعول بالكلية كما يقول القائل فلان يعطي ويمنع ولا يكون في ضميره ما يعطي بل يريد ان له عطاء ومنعا
فكذلك هاهنا قال لا يعلمون اي ليس لهم علم وعلى الاول يكون لا يعلمون له مفعول مفهوم وهو انهم لا يعلمون ان الحمد لله والثاني ابلغ لان قول القائل
فلان لا علم له وكذا قوله فلان لا ينفع زيدا ولا يضره دون قوله فلان لا ينفع ولا يضر ثم قال تعالى لله ما في السموات والارض ذكر ما يلزم منه
وهو ان يكون له ما فيهما والا من كان كذلك عقلا وشرعا اما عقلا فلان ما في السموات المخلوقة مخلوقة واضافة خلقه الى من فيه خلق السموات
لانهم عقلا لانها ممكنة والممكن لا يقع ولا يوجد الا بواجب من غير واسطة كما هو مذهب اهل السنة او بواسطة كما يقوله غيرهم وكيفما فرض

ثا لكل من الله لان سبب السبب سبب واما شرعا فلان من يملك ارضا وجعل فيها ما يشا يكون ذلك المالك الارض فكذلك
كل ما في السموات والارض حاصلة فيها ومنها فهو لمالك السموات والارض فاذا كان الامر كذلك تحقق ان الحمد لله ثم ان قوله
ان الله هو الغني الحميد وفيه معنيان لطيفتان احدهما ان الكل لله وهو غير محتاج اليه غير منتفع به وفيها منافع فلنفعكم
خلقها فهو غني لعدم حاجته حمد مشكور لدفعه حوايجكم بها وثانيهما ان بعد ذكر الدلايل على ان الحمد كله لله ولا يصلح العبادة
الا لله افترق المكلفون فريقين مومن وكافر والكافر لم يحمد الله تعالى والمومن حمده فقال انه غني عن حمد الحامدين فلا نتعب
هو ان السموات والارض وما فيها اذا كانت لله ومخلوقة له فالكل يحتاجون فلا غني الا الله فهو الغني المطلق وكل محتاج
فهو حامد لاحتياجه الى من يرفع حاجته فلا يكون الحمد المطلق الا للغني المطلق فهو الحميد وعلى هذا الحميد بمعنى المحمود
والله اذا مثله حامد يحمد ذلك المعنى ويحملونه عبدا شكرا له **قوله تعالى** ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم
الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر
الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق وان ما
يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلي الكبير **اعلم** انه لما قال الله تعالى لله ما في السموات والارض
كان ذلك موهما لتناهي ملكه لانحصار ما في السموات وما في الارض فيهما وحكم العقل الصريح بتناهيهما بين ان في
قدرته وعلمه عجايب لا نهاية لها وقال ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وتكتب بها والابحر مداد لا تفنى عجايب صنع الله
وعلى هذا فالكلمة مفسرة بالعجيبة ووجهها هو ان العجايب بقوله كن فيكون كلمة واطلاق السبب على المسبب جايز
يقول الشارع لمن تبارزه انا موتك ويقال للدوا في حق المريض هذا شفاؤك ودليل صحة هذا قول الله تعالى سمي المسيح
كلمة لانه كان امرا عجيبا وصنعا غريبا لوجوده من غير اب فان قال قايل الاية واردة في اليهود حيث قالوا الله ذكر كل شي في
التورية ولم يبق شي لم يذكره فقال الذي في التورية بالنسبة الى كلام الله تعالى ليس الا قطرة من بحار وانزل هذه الاية
وقيل ايضا انها نزلت في واحد قال للنبي صلى الله عليه وسلم انك تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا وتقول ومن يوت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فنزلت الاية دالة على ان الخير كثير بالنسبة الى العباد وبالنسبة الى الله تعالى وعلومه قليل
وقيل ايضا بانها نزلت ردا على الكفار حيث قالوا بان ما يرد به محمد صلى الله عليه وسلم فقال انه كلام الله وهو لا يسمى
وما ذكرنا من اسباب النزول لنا في وما ذكرتم من التفسير لانها تدل على ان المراد الكلام فنقول ما ذكرتم من اختلاف الاقوال فيه
يدل على جواز ما ذكرنا لانه اذا اصلح جوابا لهذه الاشيا التي ذكرتموها وهي متباينة علم انها عامة وما ذكرنا لا ينافي هذا
لان كلام الله تعالى عجيب معجز لا يقدر احد على الاتيان بمثله واذا قلنا بان عجايب الله لا نهاية لها دخل فيها كلام الله لا يقال
بانك جعلت الكلام مخلوقا لانا نقول المخلوق هو الحرف والتركيب وهو عجيب واما الكلمات فهي من صفات الله تعالى واعلم
ان الاية وان كانت نازلة على ترتيب غير الذي هو مكتوب ولكن التركيب المكتوب عليه القران بامر الله فانه بامر الرسول
كتب كذلك وامر الرسول من امر الله وذلك لتحقق معنى من حسن الترتيب الذي فيه ثم ان الاية فيها لطايف الاولى قال ولو ان ما في
الارض من شجرة اقلام وحد الشجرة وجمع الاقلام ولم يقل ولو ان ما في الارض من الاشجار اقلام ولا قال ولو ان ما في الارض من شجرة قلم
اشار الى التكثير يعني ولو ان بعدد كل شجرة اقلاما الثانية قوله تعالى والبحر يمده تعريف البحر باللام لاستغراق الجنس وكل بحر مداد ثم قوله
تعالى يمده من بعده سبعة ابحر اشارة الى بحار غير موجودة يعني لو مدت البحار الموجودة بسبعة ابحر اخر وقوله تعالى سبعة
لا لانحصارها في سبعة انما الاشارة الى المدد والكثرة ولو بالف بحر والسبعة خصصت بالذكر من بين الاعداد لانها عدد
كثير يحصر المعدودات في العادة والذي يدل عليه وجوه الاول هو ان ما هو معلوم عند كل احد لحاجته اليه هو الزمان والمكان
لان المكان فيه الاجسام والزمان فيه الافعال لكن المكان منحصر في سبعة اقاليم والزمان في سبعة ايام ولان الكواكب السيارة
سبعة وكان المنجمون ينسبون اليها امورا وصارت السبعة بالعدد الحاصر للكثرات الواقعة في العدد فاستعملت في كل
كثير الثاني هو الاحاد الى العشرة وهي العقد الاول وما بعدها يسري من الاحاد مرة اخرى فيقال احد عشر واثنى عشر ثم المات
من العشرات والالوف من المات اذا علم هذا فنقول اقل ما يلتئم منه اكثر المعدودات هو الثلثة لا يحتاج الى طرفين هما
مبدا ومنتهى ووسط ولهذا اقل ما يكون الاسم والفعل منه هو ثلثة احرف فاذا كانت الثلاثة هو القسم الاول من العشرة
الى ما هو عدد الاصل بقي السبعة القسم الاكثر فاذا اريد بيان الكثرة ذكر السبعة ولهذا قال المعدودات في العادات من التسبيحات
في الانتقالات في الصلوة ثلاثة والمراد في الوضو ثلاثة تيسيرا للامر على المكلف لنفي بالقسم الاقل اذا ثبت هذا فنقول قوله صلى الله
عليه وسلم المومن ياكل في معا واحد والكافر ياكل في سبعة امعا اشارة الى قلة الاكل وكثرته من غير ارادة السبعة بخصوصها ويحتمل
ان يقول لجهنم سبعة ابواب بهذا التفسير ثم على هذا فقولنا الجنة ثمانية ابواب اشارة الى زيادتها فان فيها الحسنى والزيادة
عليها فلها ابواب كثيرة وزايدة على كثرة غيرها والذي يدل على ما ذكرنا في السبعة ان العرب عند الثامن يزيدون واوا يقول
الغوها واو الثمانية وليس لذلك الا استيناف لان عدد السبعة عرفتم بالثامن استينافا جديدا اللطيفة الثانية لم يقل
في الاقلام المداد لوجهين احدهما هو ان قوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام بينا ان المراد منه هو ان يكون بعدد كل شجرة
موجودة اقلام فيكون الاقلام اكثر من الاشجار الموجودة وقوله في البحر والبحر يمده من بعده سبعة ابحر اشارة الى ان البحر لو كان اكثر





من الموجود فاستوى القلم والبحر في المعنى والثاني هو ان النقصان بالكتابة يلحق المداد اكثر فانه هو الفاني والقلم الواحد يمكن
ان يكتب به كتب كثيرة فذكر المدد الذي في البحر الذي هو كالمداد ثم قال تعالى ان الله عزيز حكيم لما ذكر ان ملكوته كثير اشار الى ما
يحقق ذلك فقال انه عزيز اي كامل القدرة فيكون له مقدورات لا نهاية لها والا لانتهت القدرة الى حيث لا يصلح للايجاد
وهو حكيم كامل العلم ففي علمه ما لا نهاية له فتحقق ان البحر لو كان مدادا لما نفد ما في علمه وقدرته ثم قال تعالى ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة لما بين كمال قدرته وعلمه ذكر ما يبطل استبعادهم للحشر وقال خلقكم وبعثكم كنفس واحدة
ومن لا نفاد لكلماته يقول للموتى كونوا فيكونوا ثم قال تعالى ان الله سميع بما يقولون بصير بما يعملون فاذا كان قادرا
على البعث محيطا بالاقوال والافعال يوجب ذلك الاجتناب التام والاحتراز الكامل ثم قال تعالى الم تر ان الله يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل يحتمل ان يقال بان وجه الترتيب هو ان الله تعالى لما قال الم تر ان الله سخر لكم ما في السموات
والارض على وجه العموم ذكر منها بعض ما هو فيها على الوجه المخصوص بقوله تعالى يولج الليل في النهار وقوله سخر الشمس و
القمر اشارة الى ما في بعض الاصوات وقوله بعد هذا الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله اشارة الى ما في الارض ويحتمل ان يقال
بان وجهه هو ان الله تعالى لما ذكر البعث وكان من الناس من يقول وما يهلكنا الا الدهر والدهر هو الليالي والايام قال الله تعالى
هذه الايام والليالي التي ينسبون اليها الموت والحياة هي بقدرة الله تعالى فقال تعالى الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل ثم ان قايلا لو قال ان ذلك باختلاف مسير الشمس بان تكون القوس التي هي فوق الارض اكثر من التي تحت فيكون
الليل اقصر والنهار اطول زيادة وتارة يكون بالعكس وتارة يتساويان فقال الله تعالى وسخر الشمس والقمر يعني ان كنتم قاطعون
بان هذه الاشيا كلها في اوايلها من الله فلا بد من الاعتراف بانها باسرها عايدة الى الله تعالى فالاجال ان كانت بالمدد فالمدد
سير الكواكب ليس الا بالله وقدرته وفي الاية مسايل احداها ايلاج الليل في النهار يحتمل وجهين احدهما ان يقال المراد ايلاج
الليل في زمان النهار اي يحصل في الزمان الذي كان فيه النهار الليل وذلك لان الليل اذا كان مثلا اثنى عشر ساعة ثم يطول حتى يصير
الليل موجودا في زمان كان فيه النهار وثانيهما ان يقول المراد ايلاج زمان الليل في النهار اي يجعل زمان الليل في النهار ولا يمكن غير
هذا لان الليل والنهار افعال والافعال في الازمنة لان الزمان ظرف فقولنا الليل في زمان النهار اقرب من قولنا زمان الليل في
النهار لان الثاني يجعل الظرف مظروفا اذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى يولج الليل في النهار اي يوجده في وقت كان فيه النهار وانه
تعالى قدم ايجاد الليل على ايجاد النهار في كثير من المواضع كما في قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار ايتين وقوله تعالى وجعل الظلمات
والنور وقوله تعالى واختلاف الليل والنهار ومن حسنه قوله تعالى خلق الموت والحياة ليبلوكم اشارة الى مسالة حكمية وهي
ان الظلمة قد يظن انها عدم النور والليل عدم النهار والحياة عدم الموت وليس كذلك اذ في الازل لم يكن نهار ولا نور ولا حياة
ولا يمكن ان يقال كان فيه موت او ظلمة او ليل فهذه الامور كالعمى والصمم ليس بمجرد عدم البصر وعدم السمع اذ الحجر والشجر لا بصر لهما
ولا سمع ولا يقال لشي منهما انه اصم او اعمى اذا علم هذا فنقول لما تحقق فيه العمى والصمم لا بد من ان يكون فيه اقتضا شي ويترتب عليه
مقتضاه لا يطلب النفس له شيا كمن يرى ملكا في السوق ويقول لم دخل السوق فاذا سبب العمى والصمم يطلب كل احد فيقول لم صار
فلان اعمى ولا يقول لم صار فلان بصيرا واذا كان كذلك قدم الله ما يطلب النفس سببه وهو الليل الذي هو على وزان العمى والوزان
والظلمة والموت يكون كل احد طالبا لسببه ثم ذكر بعد هذا الامر المسالة الثانية قال يولج بصيغة المستقبل وقال في الشمس
والقمر سخر بصيغة الماضي لان ايلاج الليل في النهار يتجدد كل فصل بل كل يوم وتسخير الشمس والقمر امر مستمر كما قال تعالى حتى عاد ك
العرجون القديم المسالة الثالثة قدم الشمس على القمر مع تقدم الليل الذي فيه سلطان القمر على النهار والذي فيه سلطان الشمس لما بينا
ان تقديم الليل كان لان النفس تطلب سببه اكثر مما تطلب سبب النهار وههنا كذلك لان الشمس لما كانت اكثر واعظم كان اعجب
والنفس تطلب سبب الامر العجيب اكثر مما تطلب سبب الامر الذي لا يكون عجيبا الرابعة ما تعلق قوله تعالى وان الله بما تعملون خبير فنقول
لما كان الليل والنهار محل الافعال بين ان ما يقع في هذين الزمانين اللذين هما بتصرف الله لا يخفى على الله الخامسة قوله تعالى الم تر
يحتمل وجهين احدهما ان يكون الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه الاكثرون وكانه ترك الخطاب مع غيره لان من هو غيره من
الكفار لا فايدة للخطاب مع اصرارهم ومن هو غيره من المومنين فهم مومنون مامورون بامر النبي صلى الله عليه وسلم ناظرون اليه و
الوجه الثاني ان يقال المراد منه الوعظ والواعظ يخاطب ولا يعين احدا فيقول يا مسكين الى الله مصيرك
فبين تصرفك ولماذا تقصيرك فقوله تعالى الم تر يكون خطابا مع ذلك العاقل اي ايها العاقل الم تر هذا الامر الواضح
قال تعالى ذلك بان الله هو الحق ولما ذكر تعالى باوصاف الكمال بقوله تعالى ان الله هو الغني الحميد وقوله تعالى ان الله
عزيز حكيم وقوله تعالى ان الله سميع بصير واشار الى الارادة والكلام بقوله تعالى ما نفدت كلمات الله وبقوله تعالى
يولج الليل في النهار وعلى الجملة بقوله تعالى هو الغني اشارة الى الصفة السلبية فاذا كان غنيا لا يكون عرضا محتاجا الى
الجوهر القوام ولا جسما محتاجا الى الحيز في الدوام ولا شيا من الممكنات المحتاجة الى الموجد وذكر بعده جميع الاوصاف
الثبوتية وتضمنا فان الحياة في ضمن العلم والقدرة قال تعالى ذلك بان الله هو الثابت المطلق الذي لا زوال له وهو
الثبوت فان المذهب الصحيح ان وجوده غير حقيقته وكل ما عداه فله زوال نظرا اليه والله له الثبوت والوجود نظرا اليه فهو الحق وما
عداه الباطل لان الباطل هو الزايل فقال بطل ظله اذا زال واذا كان له الثبوت من كل وجه يكون تاما لا نقص فيه ثم اعلم ان الحكما
قالوا الله تعالى تام وفوق التمام فان الناقص ما ليس له ما ينبغي ان يكون كالصبي والمريض والاعمى والتام هو الذي اعطي ما لا بد منه به

حاجته في وقته كالانسان والحيوان الذي له مال لان ما يندفع به حاجته في وقته لكنها في المحل والزوال والتام ما حصل له كلما
جاز له وان لم يحتج به كالملائكة المقربين لهم درجات لا يزداد ولا ينقص الله لهم منها شيئا كما قال جبريل لو دنوت انملة لاحترقت وقوله
تعالى وما منا الا له مقام معلوم وفوق التمام هو الذي حصل له ما جاز له واحتاج اليه لكن الله حاصل له كل ما يجوز اليه من صفات
الكمال ونعوت الجلال فهو تام وحصل لغيره كل ما جاز له واحتاج اليه فهو فوق التمام اذا علم هذا فقوله هو الحق اشارة الى التمام
وقوله تعالى وان الله هو العلي الكبير اي فوق التمام فقوله وهو العلي اي في صفاته وقوله الكبير اي في ذاته وقوله ينافي ان يكون جسما في
مكان لانه يكون حينئذ مقدار يعقد ويمكن فرض ما هو اكبر منه فيكون صغيرا بالنسبة الى المفروض لكنه كبير مطلقا اكبر من كل ما
يتصور ثم قال تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله **اعلم** انه لما ذكر آيات سموية بقوله تعالى الم تر ان الله يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر اشار الى السبب والمسبب في كراية ارضية واشار الى السبب والمسبب
فقوله الفلك تجري اشارة الى المسبب وقوله بنعمة الله اي الريح التي هي بامر الله ليريكم من اياته يعني يريكم باجرائها باسمه
من اياته بعض اياته ثم قال تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور في الشدة شكور في الرخاء وذلك لان المؤمن متذكر عند
السوء والبلاء حتى النعم والالاء صبيرا اذا اصابته نقمة وشكرا اذا اصابته نعمة وورد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم الايمان
نصفان صبر ونصف شكر اشارة الى ان التكاليف افعال وتروك والتروك صبر عن المالوف كما قال صلى الله عليه وسلم
الصوم صبر والافعال شكر على المعروف والله اعلم بالصواب **قوله تعالى** واذا غشيهم موج كالظلل
دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد باياتنا الا كل ختار
كفور يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز
عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور
**اعلم** ان الكل معترفون غير ان البصير يدركه اولا ومن في بصيرته ضعف لا يدركه اولا فاذا غشيه موج وقع في
شدة اعترف بان الكل من الله ودعاه مخلصا اي ترك كل من عداه ونسي جميع من سواه فاذا نجاه من تلك الشدة قد
يبقى على تلك الحالة وهو المراد بقوله تعالى فمنهم مقتصد وقد يعود الى الشرك وهو المراد بقوله تعالى وما يجحد باياتنا الا كل
ختار كفور وفي الاية مسايل **المسألة الاولى** قوله تعالى موج كالظلل وحد الموج وجمع الظلل وقيل في معناه كالجبال وقيل كالسحاب
اشارة الى عظم الموج ويمكن ان يقال الموج الواحد العظيم يرى فيه طلوع ونزول واذا نظرت في الجرية الواحدة من النهر العظيم تبين لك
ذلك فيكون ذلك كالجبال الملاصقة **المسألة الثانية** قال في العنكبوت فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم
يشركون وقال هاهنا فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد فنقول لما ذكر هنا امرا عظيما وهو الموج الذي كالجبال بقي اثر ذلك في قلوبهم فخرج
منه مقتصد اي في الكفر وهو الذي انزجر بعض الانزجار او مقتصد في الاخلاص فبقي معه شيء منه ولم يبق على ما كان عليه من الاخلاص
وهنا كما لم يذكر مع ركوب البحر معاينة مثل ذلك الامر فذكر اشراكهم حيث لم يبق عندهم اثر **المسألة الثالثة** قوله تعالى وما يجحد باياتنا في مقابلة قوله تعالى
ان في ذلك لايات يعني يعترف بها الصبار الشكور ويجحدها الختار الكفور والصبار في موازنة الختار لفظا ومعنى والكفور في موازنة
الشكور اما لفظا فظاهر واما معنى فلان الختار هو الغدار الكثير الغدر او الشديد الغدر والغدر لا يكون الا من قلة الصبر لان الصبور ان لم يعهد
مع احد لا يعهد منه الاضرار فانه يصبر ويفوض الامر الى الله واما الغدار فيعهد ولا يصبر على العهد فينقضه واما ان الكفور في مقابلة الشكور
معنى ظاهر ثم قال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد لما ذكر الدلايل من اول السورة الى اخرها وعظ بالتقوى لانه تعالى
لما كان واحدا اوجب التقوى البالغة فان من يعلم ان الامر بيد اثنين لا يخاف احدهما مثل ما يخاف لو كان الامر بيد احدهما لا غير ثم
اكد الخوف بذكر اليوم الذي يحكم فيه بين العباد وذلك لان الملك اذا كان واحدا ويعهد منه انه لا يهمل شيئا ولا يسترعي عبادة
لا يخاف منه مثل ما يخاف منه اذا علم انه ليس له من يغني عنه ما لخرج عليه ثم ذكر ما يكون في غاية الشفقة والمحبة وهما الوالد والولد
ليستدل بالادنى على الاعلى وذكر الوالد والولد جميعا فيه لطيفة وهي ان من الامور ما يبادر الاب الى التحمل عن الولد كدفع الالم
والولد لا يبادر الى تحمله عن الوالد مثل ما يبادر الوالد الى تحمله عن الولد ومنها ما يبادر الولد الى تحمله عن الوالد والوالد لا يبادر الى
تحمله عن الولد مثل ما يبادر الولد كالاهانة فان من يريد احضار والد احد عند وال او قاض يهون على الابن ان يدفع الالم عن ابيه ويحمله
هو بنفسه فقوله تعالى لا يجزي والد عن ولده في دفع الالم ولا مولود هو جاز عن والده شيئا في دفع الاهانة قوله تعالى لا يجزي وقوله
ولا هو جاز لطيفة اخرى وهي انا ذكرنا ان الفعل يسال عن كان مما لا ينبغي ان يكون من شانه لان الملك اذا كان يخيط شيئا يقال انه
يخيط ولا يقال هو خياط ولكن لمن يحمل شيئا ولا يكون ذلك صنعته يقال هو يحمل ولا يقال هو حمال اذا علمت هذا فنقول الابن
من شانه ان يكون جازيا عن والده لما له عليه من الحقوق والوالد يجزي لما فيه من الشفقة وليس بواجب عليه ذلك فقال
في الوالد لا يجزي وقال في الولد ولا هو جاز ثم قال تعالى ان وعد الله حق وهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون تحقيقا لليوم يعني اخشوا
يوما هذا شانه وهو كائن لوعد الله به ووعده حق والثاني يكون تحقيقا لعدم الجزاء يعني لا يجزي والد عن ولده لان الله
تعالى وعد بان لا تزر وازرة وزر اخرى ووعد الله حق فلا يجزي فالاول احسن واظهر ثم قال تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور يعني الدنيا لا ينبغي ان تغركم بنفسها ولا ينبغي ان تغتروا لو ان حملكم على محبتها غار من نفس امارة او شيطان
وكان الناس على اقسام منهم من يدعوه الدنيا الى نفسها فيميل اليها ومنهم من يوسوس في صدره الشيطان وتزين في عينه الدنيا ويؤمله
ويقول انك تحصل بها الاخرة او تلتذ بها ثم تتوب فتجمع لك الدنيا والاخرة فنهاهم عن الامرين قال كونوا قسما بالنادرهم الذي لا يلتفتون



الى الدنيا ولا الى من يحسن الدنيا في الاعين ثم قال تعالى **قوله تعالى** ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم
ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير
يقول بعض المفسرين ان الله تعالى نفى علم امور خمسة بهذه الاية عن غيره وهو كذلك لان المقصود ليس ذلك لان الله تعالى يعلم الجوهر
الفرد الذي كان في قلب رجل في زمان طوفان ونقله الريح الى الشرق من الغرب كم مرة ويعلم انه اين هو ولا يعلم غيره ولانه يعلم انه توجد
بعد هذا السنين ذرة في برية لا يملكها احد فلا يعلم غيره فلا وجه لاختصاص هذه الاشياء بالذكر وانما الحق فيه ان
نقول لما قال تعالى اخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده وذكر انه كائن بقوله تعالى ان وعد الله حق كان قايل قال
متى يكون هذا اليوم فاجيب ان هذا العلم مما لم يحصل لغير الله ولكن هو كائن ثم ذكر الدليلين الذين ذكرهما مرارا
على البعث احدهما احياء الارض بعد موتها كما قال تعالى وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى اثر
رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وقال تعالى ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون فقال هاهنا ايها
السايل انك لا تعلم وقتها ولكنها كائنة والله قادر عليها كما هو قادر على احياء الارض حيث قال تعالى هو الذي ينزل الغيث
ويحيي الارض وثانيهما الخلق ابتداء كما قال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وقال تعالى قل سيروا في الارض فانظروا
كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرة الى غير ذلك فقال هاهنا ويعلم ما في الارحام اشارة الى ان الساعة وان لم

الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من
نذير من قبلك لعلهم يهتدون الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على
العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون لما ذكر الله تعالى في السورة المتقدمة دلايل الوحدانية وذكر الاصل
الاخر وهو الحشر وختم السورة بهما بدأ بيان الرسالة في هذه السورة فقال تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وقد علم ما في قوله لا ريب فيه
الم وفي قوله لا ريب فيه في سورة البقرة وغيرها غير انه هاهنا قال من رب العالمين وقال من قبل هدى ورحمة للمحسنين وقال في
البقرة هدى للمتقين وذلك لان من يرى كتابا عند غيره فاول ما يصير النفس طالبة لطالب ما في الكتاب فيقول ما هذا الكتاب
فاذا قيل هذا فقه او تفسير يقول بعد ذلك تصنيف من هو ولا يقول اولا هذا الكتاب تصنيف من ثم يقول فماذا
هو اذا علم هذا فقال هذا الكتاب هدى ورحمة ثم قال هاهنا هو كتاب الله تعالى وذكره بلفظ رب العالمين لان كتاب من يكون
رب العالمين فيه عجايب العالمين فيدعو النفس الى مطالعته ثم قال تعالى ام يقولون افتراه يعني ام يقولون ان محمدا افتراه
ثم اجاب بين انه الحق انه حق من ربه ثم بين فايدة التنزيل وهو الانذار وفيها مسايل **المسألة الاولى** كيف قال تعالى لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير مع ان النذر سبقوه لكن من وجهين احدهما منقول والاخر معقول اما المنقول فهو ان قريشا كانت امة لم ياتهم نذير
قبل محمد صلى الله عليه وسلم وهو بعيد فانهم كانوا من اولاد ابرهيم وجميع انبياء بني اسرايل من اولاد اعمامهم وكيف كان يترك
قوما من وقت ادم الى زمان محمد صلى الله عليه وسلم بلا دين ولا شرع وان كانت تقول بانهم ما جاءهم رسول بخصوصهم
يعني ذلك القول فلم يكن ذلك مختصا بالعرب بل اهل الكتاب لم يكن ذلك القرن قد اتاهم رسول وانما اتى الرسل اباهم
ولذلك العرب اتى اباهم كيف والذي عليه الاكثرون ان اباء محمد صلى الله عليه وسلم كانوا كفارا ولولا ان الذي اوعدهم و
اوعد اباهم بالعذاب قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا واما المعقول وهو ان الله تعالى اجرى عادته على
ان اهل عصر اذا ضلوا بالكلية ولم يبق فيهم من يهديهم يلطف بعباده ويرسل اليهم رسولا ثم انه اذا اراد طهرهم
بازالة الشرك والكفر من قلوبهم وان اراد طهر وجه الارض باهلاكهم ثم اهل العصر ضلوا بعد الرسل حتى لم يبق عالم
يهدي وجه الارض عالم هاد ينتفع بهدايته قوم وبقوا على ذلك سنين متطاولة فلم ياتهم رسول قبل محمد صلى الله
عليه وسلم فقال تعالى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير اي بعد الضلال الذي كان بعد الهدى لم ياتهم نذير **المسألة الثانية**
لو قال قايل التخصيص بالذكر يدل على نفي ما عداه فقوله تعالى لتنذر قوما ما اتاهم يوجب ان يكون انذاره مختصا بمن لم ياته
نذير لكن اهل الكتاب قد اتاهم نذير فلا يكون الكتاب منزلا الى الرسول لينذر اهل الكتاب فلا يكون رسولا اليهم
نقول هذا فاسد من وجوه احدها ان التخصيص لا يوجب نفي ما عداه والثاني انه وان قال قايل لكنه وافق غيره في ان التخصيص

ان كان له سبب غير نفي ما عداه لا يوجب نفي ما عداه وههنا وجد ذلك لان انذارهم كان اولى الا ترى انه تعالى قال وانذر عشيرتك
الاقربين ولم يفهم منه الا انه لا ينذر غيرهم او لم يومر بانذار غيرهم وانذار المشركين كان اولى لان انذارهم كان بالتوحيد والحشر واهل
الكتاب لم ينذروا الا بسبب انكار الرسالة فكانوا اولى بالذكر فوقع التخصيص لاجل ذلك الثالث هو ان على ما ذكرنا المراد ما ذكره
اصلا لان اهل الكتاب كانوا قد ضلوا ولم ياتهم نذير من قبل محمد صلى الله عليه وسلم بعد ضلالتهم فلزم ان يكون مرسلا الى الكل على
درجة سوا وبهذا تبين حسن ما ذكرناه واجريناه لقوله تعالى لعلهم يهتدون يعني تنذرهم راجيا انت اهتداهم ثم قال تعالى
الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما ذكر الرسالة بين ما على الرسول من الدعا الى التوحيد
واقامة الدليل فقال تعالى خلق السموات والارض والله مبتدا وخبره الذي خلق يعني الله هو الذي خلق السموات
والارض ولم يخلقها الا واحد فلا اله الا واحد وقد ذكرنا ان قوله تعالى في ستة ايام اشارة الى ستة احوال في نظر الناظرين وذلك ان السما
والارض وما بينهما ثلثة اشيا ولكل واحد منها ذات وصفة فنظرا الى خلقة ذات السما حالة ونظرا الى خلقة صفاتها اخرى ونظرا الى ذات الارض والى
صفاتها كذلك ونظرا الى ذوات ما بينهما والى صفاتها اخرى فهي ستة اشيا في ستة احوال وانما ذكر الايام لان الانسان اذا نظر الى المخلوقات فعلم
والفصل ظرفه الزمان والايام اشهر الازمنة والا فقبل السموات لم يكن لا ليل ولا نهار وهذا مثل ما يقول القايل لغيره ان يوما ولدت فيه
كان يوما مباركا وقد يجوز ان يكون ذلك قد ولد بالليل ولا يخرج عن مراده لان المراد الزمان الذي هو ظرف ولادته قال تعالى ثم استوى
على العرش اعلم ان مذهب العلماء في هذه الاية وامثالها على وجهين احدهما ترك التعرض الى بيان المراد وثانيهما التعرض اليه والاول اسلم
الى الحكمة اما انه اسلم وذلك لان من قال انا لا اتعرض الى بيان هذا ولا اعرف المراد من هذا لا يكون حاله الا حال من لا يتكلم عند
عدم وجوب الكلام او لا يعلم شيا لم يجب عليه ان يعلمه وذلك لان الاصول ثلثة التوحيد والقول بالحشر والاعتراف بالرسل ثم الحشر اجمالا
والقطع ان العلم به واجب وههنا تفصيله انه متى يكون غير واجب ولهذا قال تعالى في اخر السورة المتقدمة ان الله تعالى عنده
علم الساعة فكذلك الله يجب معرفة وجوده ووحدانيته واتصافه بصفات الجلال ونعوت الكمال على سبيل الاجمال وتعاليه
عن صفات الامكان وصفات النقص ولا يجب ان يعلم جميع صفاته كما هي ووصف الاستوى مما لا يجب العلم به فمن ترك التعرض اليه
لم يترك واجبا واما من تعرض اليه فقد يخطى فيعتقد على خلاف ما هو عليه فالاول غاية ما يلزمه انه لا يعلم والثاني يكاد ان يقع
في ان يكون جاهلا وعدم العلم والجهل المركب كالسكوت والكذب ولا شك احدا ان السكوت خير من الكذب واما انه اقرب الى الحكمة
وذلك لان من يطالع كتابا صنفه انسان وكتب له شرحا والشارح دون المصنف فالظاهر انه لا ياتي على جميع ما اتى عليه
المصنف ولهذا كثيرا ما يرى ان الانسان يورد الاشكالات على المصنف المتقدم ثم يجي من ينصر كلامه ويقول لم يرد المصنف
هذا وانما اراد كذا وكذا وان كان حال الكتب الحادثة التي يكتب عن علم قاصر كذلك فما ظنك بالكتاب العزيز الذي فيه كل حكمة
يجوز ان يدعي جاهل اني علمت كل سر في هذا الكتاب وكيف ولو ادعى عالم اني علمت كل سر وكل فايدة يشتمل عليه الكتاب العادي
سيقبح منه ذلك فكيف من يدعي انه علم كل ما في كتاب الله تعالى ثم ليس لقايل ان يقول بان الله تعالى بين كل ما انزله لان تاخير
البيان الى وقت الحاجة جايز ولعل في القران ما لا يحتاج اليه احد غير نبيه فبينه له لا لغيره فاذا ثبت هذا علمنا ان في القران ما لا
وهذا اقرب الى ذلك الذي لا يعلم للتشابه الباين الذي فيه لكن هذا المذهب له شرط وهو ان ينفى بعض ما يعلم قطعا انه ليس
بمراد وهذا لان قايلا اذا قال هذه الايام ايام فلانة نعلم انه لا يريد ان هذه الايام ايام موت فلانة ولا يريد ان هذه
الايام ايام سفر فلانة وانما المراد منحصر في الطهر والحيض فكذلك ههنا نعلم المراد ليس ما يوجب نقصا في ذاته كالتخالة
ذلك والجلوس والاستقرار المكاني بل ذلك الباب فيجب القطع بنفي ذلك والتوقف فيما بعده والمذهب الثاني فيه خطر ومن يذهب
اليه فريقان احدهما من يقول المراد ظاهره وهو القيام والانتصاب والاستقرار المكاني وثانيهما من يقول المراد الاستيلا والاول
جهل محض والثاني يجوز ان يكون جهلا والاول مع كونه جهلا هو بدعة وكاد يكون كفرا والثاني ان كان جهلا فليس بجهل يورث
بدعة وهذا كما ان واحدا اذا اعتقد ان الله تعالى يرحم الكفار ولا يعاقب احدا منهم يكون جهلا وبدعة وكفرا واذا اعتقد
انه يرحم زيدا الذي هو مستور الحال لا يكون بدعة غاية ما يكون اعتقادا غير مطابق ومما قيل فيه ان المراد منه استوى على ملكه
والعرش يعبر به عن الملك يقال الملك قعد على سرير المملكة بالبلدة الفلانية وان لم يدخلها وهذا مثل قوله تعالى وقالت اليهود
يد الله مغلولة غلت ايديهم اشارة الى البخل مع انهم لم يقولوا بان على يد الله على طريق الحقيقة ولو كان مراد الله ذلك لكان
كذبا جل كلام الله عنه ثم لهذا فضل تقرير وهو ان الملوك على درجات من ملك مدينة صغيرة او بلاد يسيرة ما جرت العادة بان
يجلس اولا على سرير ومن يكون سلطانا ملك البلاد الشاسعة والديار الواسعة ويكون الملوك في خدمته يكون
له سرير يجلس عليه وقدامه كرسي يجلس عليه وزيره والعرش والكرسي في العادة لا يكون الا عند عظمة المملكة فلما كان ملك
السموات والارض في غاية العظمة عبر بما في العرب يكنى عن العظمة ومما يثبت هذا قوله تعالى انا كلفنا واباردنا ونحن اقرب
ونحن نزلنا الذكر او نسك مثله هذا المراد ظاهر من التجريد وهل يجد له محلا غير ان العظيم في العرف لا يكون واحدا
وانما يكون معه غيره فكذلك الملك العظيم في العرف لا يكون الا ذا سرير ومستقر فاستعمل ذلك مزيدا للعظمة ومما يويد هذا
ان المقهور المغلوب المهزوم يقال له ضاقت به الارض حتى لم يبق له مكان ارض انهم يريدون به انه صار لا مكان له وكيف يتصور الجسم
بلا مكان ولا سيما من يقول بان الهمي مكان كيف يخرج الانسان عن المكان فكما يقال للمقهور الهارب لم يبق له مكان مع ان المكان واجب
له يقال للقادر القاهر هو متمكن وله عرش وان كان التنزه عن المكان واجبا وعلى هذا الكلمة ثم معناها خلق السموات والارض





ثم العظمة انه استوى على الملك وهذا كما يقول القايل فلان اكرمني وانعم علي مرارا ويحكي عنه اشيا ويقول ثم انه هو ما كان يعرفني وما
لست فعلت معه ما ادى بهذا فصول ثم الحكاية لا للحكي الوجه الاخر قيل المراد استوى على العرش واستوا جا بمعنى استولى نقلا واستعمالا
اما النقل فكثير مذكور في كتب اللغة منها ديوان الادب وغيره فلا نعتبر النقل عنه واما الاستعمال فكقول القايل قد استوى بشر على
العراق من غير سيف ودم مهراق وعلى هذا فكلمة ثم كلفنا ها ما ذكرنا كانه قال خلق السموات والارض ثم ههنا ما هو اعظم منه
استوى على العرش فانه اعظم من الكرسي والكرسي وسع السموات والارض الوجه الثالث قيل ان المراد الاستقرار وهذا القول ظاهر ولا يفيد
انه في مكان وذلك لان الانسان يقول استقر راي فلان على الخروج ولا يشك احد انه لا يريد ان الراي في مكان اذا علم هذا فنقول نعم التمكن
عند استعمال كلمة الاستقرار مشروط بجواز التمكين حتى اذا قال قايل استقر زيد على الفلك او على التخت نفهم منه التمكن وكونه في مكان واذا قال
قايل استقر الملك على فلان لا نفهم ان الملك في فلان فقول القايل الله استقر على العرش لا ينبغي ان نفهم كونه في مكان ما لا نعلم انه مما يجوز عليه ان يكون
في مكان او لا يجوز فاذا فهم كونه في مكان من هذه اللفظة يلزم يهدم البنى على نفسه وهو محال ثم الذي يدل على انه لا يجوز ان يكون على العرش
بمعنى كون العرش مكانا له وجوه من القران احدها قوله تعالى وان الله هو الغني الحميد وهذا يقتضي ان يكون غنيا على الاطلاق فكل ما هو في مكان فهو
في بقايه محتاج الى مكان لان بديهة العقل حاكمة بان الحيز ان لم يكن لا يكون المتحيز باقيا فالمتحيز يبقى عند بقا الحيز وكل ما يبقى عند بقا
غيره فهو محتاج اليه في استمراره فالقول باستقراره يوجب احتياجه في استمراره وهو غني بالنص الثاني قوله تعالى كل شي هالك الا وجهه
فالعرش يهلك وكذلك كل مكان فلو يبقى وهو يبقى فاذا لا يكون في ذلك الوقت في مكان فجاز عليه ان لا يكون في مكان وما جاز له من
الصفات وجب له فوجب ان لا يكون في مكان الثالث قوله تعالى وهو معكم وجه التمسك به وهو ان على اذا استعمل في المكان نفهم كونه
عليه بالذات كقولنا فلان على السطح وكلمة مع اذا استعملت في ممكن يفهم منها اقترانهما بالذات كقولنا زيد مع عمرو واذا استعمل هذا
فان كان الله في مكان ونحن متمكنون بقوله تعالى ان الله معنا وقوله تعالى وهو معكم ان يكون للاقتران وليس كذلك فان قيل كلمة مع
يستعمل يكون معه الله وعلمه مع او نصرته يقال الملك الفلاني مع الملك الفلاني اي بالاعانة والنصر فنقول كلمة على يستعمل يكون
حكمه على الغير لقول القايل لولا فلان كان سرق في الاملاك والاشرف على الهلاك وكذلك يقال لولا فلان على املاك فلان او على ارضه لما حصل
له شي منها وكان كل حاصلها بمعنى الاسراف والنفقة فكيف لا يقول في استوى على العرش انه استوى عليه بحكمه كما نقول هو معنى الرابع قوله تعالى
لا يدركه الابصار ولو كان في مكان لاحاط به المكان وحينئذ فاما ان يرى واما ان لا يرى فان رئي في مكان احاط به فيدركه الابصار واما
اذا لم يكن في مكان فسوا يرى او لا يرى ولا يلزم يدركه الابصار واما اذا لم يرفقا هرا واما اذا راى فلان النهر لا يحيط به فلا يدركه وانما
قلنا ان النهر لا يحيط به لان كل ما احاط به النهر له مكان يكون فيه وقد فرضنا عدم المكان ولو تدبر الانسان القران لوجده مملوا
من عدم جواز كونه في مكان كيف وهذا الذي يتمسك به هذا القايل يدل على انه ليس على العرش بمعنى كونه في المكان وذلك لان كلمة ثم
للتراخي فلو كان على العرش بمعنى المكان لكان قد حصل عليه بعد ما لم يكن عليه فقبله اما ان يكون في مكان او لا يكون فان كان يلزم محالا ان احدهما
كون المكان ازليا ثم ان هذا القايل يدعي مضادة الفلسفي فيصير فلسفيا لقوله بقدم شي من السموات والثاني جواز الحركة والانتقال
على الله وهو يفضي الى حدوث الباري او يبطل دليل حدوث الاجسام وان لم يكن مكان وما حصل في مكان يجعل العقل وجوده
بلا مكان ولو جاز لما امكن ان يقال بان الجسم لو كان ازليا فاما ان يكون في الازل ساكنا او متحركا لانهما فرعا الحصول في مكان
واذا كان كذلك فيلزم القول بحدوث الباري تعالى وان لم يسلم يجوز ان يكون في الازل لم يكن في مكان ثم حصل في مكان فلا يتم دليله
في حدوث العالم فيلزمه ان القول بحدوثه ثم ان هذا القايل يقول انك نسبه الله بالمعدوم فانه ليس بمكان ولا يعلم انه جعله
معدوما حيث احوجه الى مكان وكل محتاج يحتاج الى عدم ما يحتاج اليه معدوم ولو كتبنا ما فيه لطال الكلام ثم قال تعالى ما لكم من دونه
ولا شفيع افلا تتذكرون لما ذكر ان الله تعالى خالق السموات والارض قال بعضهم نحن معترفون بان خالق السموات والارض واحد
هو اله السموات والارض وهذه الاصنام صور كواكب منها نصرنا وقوتنا وقال اخرون هذه صور ملايكة عند الله منهم شفاعتنا
فقال تعالى لا اله غير الله ولا نصر من غير الله ولا شفاعة الا باذن الله تعالى فعبادتكم لهذه الاصنام باطلة صانعه لا هو
خالقكم ولا ناصركم ولا شفعاؤكم قال تعالى افلا تتذكرون ما علمتموه من انه خالق السموات والارض وخالق هذه الاصنام
العظام لا تقدر عليه مثل هذه الاصنام حتى ينصركم ولا يكون عند هذا الملك العظيم لهذه الاشيا الحقيرة احترام وعظمة حتى
لا يكون لها شفاعة ثم قال تعالى يدبر الامر من السما الى الارض لما بين ان الله تعالى الخلق بين الامر كما قال تعالى الا له الخلق والامر والعظمة
ليس بهما فان من يملك مماليك كثيرين عظاما يكون له عظمة ثم اذا كان امره نافذا ثم يزداد في اعلى الخلق وان لم يكن له
نفاذ امر ينقص من عظمته والله اعلم **قوله تعالى** يدبر الامر من السما الى الارض ثم يعرج اليه في يوم
كان مقداره الف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي احسن كل شي خلقه وبدا خلق
الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ما مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع
والابصار والافيدة قليلا ما تشكرون وقالوا ايذا ضللنا في الارض اينا لفي خلق جديد بل هم بلقا ربهم
كافرون **اعلم** انه تعالى لما بين ان امره ينزل من السما على عباده ويعرج اليه اعمالهم الصالحة الصادرة على موافقة
ذلك الامر فان العمل اثر الامر وقوله تعالى في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون فيه وجوه **احدها** ان نزول الامر
وعروج العمل في مسافة الف سنة مما تعدون وهو في يوم فان بين السما والارض مسيرة خمسماية سنة فينزل في مسيرة
خمسماية سنة ويعرج في مسيرة فهو مقدار الف سنة وثانيها وهو ان ذلك اشارة الى امتداد نفاذ الامر وذلك ان من يعد

امره غاية النفاذ في يوم او يومين وانقطع لا يكون مثل من سعدامره في مكن سطاولة فقوله تعالى في يوم كان مقداره الف سنة
يعني في يوم الامر في زمان يوم ماية الف سنة فكم يكون شهرا منه وكم يكون سنة منه وكم يكون دهرا منه وعلى هذا لا فرق بين هذا وبين
قوله مقدار خمسين الف سنة لان ذلك اذا كان اشارة الى نفاذ الامر فسوا العبر بالالف او بالخمسين ايضا لا يتفاوت الا ان المبالغة تكون
في الخمسين اكثر وسنبين فايدتها في موضعها ان شا الله تعالى وفي هذه اللطيفة وهو ان الله تعالى ذكر في الاية المتقدمة عالم الاجسام والخلق واشار
الى عظمة الملك وذكر في هذه الاية عالم الارواح والامر بقوله تعالى يدبر الامر والروح من عالم الامر كما قال تعالى ويسلونك عن الروح قل الروح
من امر ربي واشار الى دوامه بلفظ يوهم الزمان والمراد دوام النفاذ كما تقال في العرف طال زمان فلان والزمان لا يطول وانما الواقع في الزمان
عمل فيوجد في ازمنة كثيرة فيطول ذلك فيا حرازمنة كثيرة فاشار هناك الى عظمة الملك بالمكان واشار الى دوامه هاهنا بالزمان
والمكان من ملكه وخلقه والزمان بحكمه وامره واعلم ان ظاهر قوله تعالى يدبر الامر في يوم يقتضي ان يكون امره في يوم واليوم له ابتدا وانتها
فيكون امره في زمان حادث فيكون حادثا وبعض من يقول بان الله تعالى على العرش استوى يقول بان امره قديم مع الحروف وكلامه كن بحيث
فهم من كلمة على كونه في مكان ولم يفهم من كلمة في كون امره في زمان ثم نبين ان هذا الملك العظيم النافذ الامر غير غافل لان الملك اذا كان امرا
ناهيا لا يطاع في امره ونهيه ولكن يكون عاقلا لا يكون مهيبا عظيما كما يكون خبيرا بتقطانا لا يخفى عليه امور الممالك فالممالك فقال تعالى
ذلك عالم الغيب والشهادة ولما ذكر من قبل عالم الاشباح بقوله خلق السموات وعالم الامر بقوله تعالى يدبر الامر من السما الى الارض
قال تعالى عالم الغيب يعني ما في الارواح والشهادة يعلم ما في الاجسام او نقول قال عالم الغيب اشارة الى ما لم يكن بعد والشهادة اشارة
الى ما وجد وكان قدم العلم بالغيب لانه اقوى واشد اساعن كمال العلم ثم قال العزيز الرحيم لما بين انه عالم ذكر انه عزيز قادر على الانتقام من
الكفرة رحيم واسع الرحمة على البررة ثم قال تعالى الذي احسن كل شي خلقه وبدا خلق الانسان لما بين الدليل الدال على الوحدانية من
الافاق بقوله خلق السموات والارض وما بينهما وارد فه بتوابعه وتكملته ذكر الدليل الدال عليها من الانفس فقوله تعالى الذي احسن
كل شي خلقه وهو كذلك لاندا اذا نظرنا الى الاشيا رايناها على ما ينبغي صلابتها الارض للنبات والسات وسلاسة الهوا للاستنشاق وقبول
الانشقاق بسهولة الاستطراق وسيلان الما لنقدر عليه في كل موضع وحركة النار الى فوق لانها لو كانت مثل الما تتحرك يمنة ويسرة ولاحترق
العالم لحلقت طالبة جهة فوق حيث لا شي هناك يقبل الاحتراق وقوله تعالى وبدا خلق الانسان من طين قيل المراد ادم فانه خلق من طين
ويمكن ان يقال بان الطين ما وتراب مجتمعان والادمي اصله مني والمني اصله غذا والاغذية اما حيوانية او نباتية والحيوانية بالاخرة
يرجع الى النباتية والنبات وجوده بالما والتراب الذي هو الطين وقوله تعالى ثم جعل نسله من سلالة من ما مهين هو النطفة وعلى
التفسير الثاني هو ان اصله من الطين ثم يوجد من ذلك الاصل سلالة هي من ما مهين فان قال قايل التفسير الثاني غير صحيح لان قوله تعالى
وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله دليلا على ان جعل النسل بعد خلق الانسان من طين فنقول لا بل التفسير الثاني اقرب الى الترتيب
المعني لانه تعالى بدا بذكر الامر في الابتدا لخلق الانسان فقال بداه من طين ثم جعل نسله ثم سواه ونفخ فيه من روحه عايدا الى ادم
ايضا لان كلمة ثم للتراخي فتكون التسوية بعد جعل النسل من سلالة وذلك بعد خلق ادم واعلم ان دلايل الافاق ادل على كمال القدرة
كما قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ودلايل الانفس ادل على نفاذ الامر فان النعم اني فيها كثيرة واليه الاشارة بقوله
تعالى ثم جعل نسله ثم سواه اي كان طينا فجعله منيا ثم جعله بشرا سويا وقوله تعالى ونفخ فيه من روحه اضافة الروح الى نفسه كاضافة
البيت اليه للتشريف واعلم ان النصارى يفترون على الله الكذب ويقولون بان عيسى كان روح الله فلهذا ابن ولا يعلمون ان كل احد بان
روحه روح بقوله تعالى ونفخ فيه من روحه اي الروح التي هي ملكه كما يقول القايل داري وعبدي ولم يقل اعطاه من جسمه لان التشرف
بالروح فاضاف الروح دون الجسم ثم ذكر ما يترتب على نفخ الروح من السمع والبصر والعلم فقال تعالى وجعل لكم مخاطبا ولم يخاطب من قبل وذلك لان
الخطاب يكون مع الحي فلما قال تعالى ونفخ فيه من روحه خاطبه من بعده وقال تعالى وجعل لكم فان قيل الخطاب واقع قبل ذلك كما في قوله
تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب فنقول لما لم يذكر الامور المرتبة وانما اشار الى تمام الخلق وهاهنا ذكر الامور المرتبة وهي كون
الانسان طينا ثم ما مهينا ثم خلقا مسوى بانواع القوى مقوى فخاطب في بعض المراتب دون البعض **المسله الثانية**
الترتيب في السمع والابصار والافيدة على مقتضى الحكمة وذلك ان الانسان يسمع اولا من الابوين والناس امورا فيفهمها ثم يحصل له بسبب
ذلك بصيرة فيبصر الامور ويجربها ثم يحصل له بسبب ذلك ادراك تام وذهن قابل فيستخرج الاشيا من قلبه ومثاله شخص يسمع من استاد
شيا ثم يصير قلبيه كسا فكذلك الانسان يسمع ثم يطالع صحايف الموجودات ثم يعلم الامور الخفية الثالثة ذكر في السمع المصدر وفي البصر
والفواد الاسم ولهذا جمع الابصار والافيدة ولم يجمع السمع لان المصدر لا يجمع وذلك لحكمة وهي ان السمع قوة واحدة ولها فعل واحد فان الانسان
لا يضبط في زمان واحد كلامين والاذن محله ولا اختيار لها فيه فان الصوت من اي جانب كان يصل اليه ولا قدرة بها على التوة
بادراك البعض دون البعض والابصار فمحله العين ولها فيه شبه اختيار فانها تتحرك الى جانب مري دون آخر وكذلك الفواد
محل الادراك وله نوع اختيار يلتفت الى ما يريد دون غيره واذا كان كذلك فلم يكن للمحل في السمع تاثير والقوة مستبدة فذكر القوة في العين
والفواد وللمحل نوع اختيار فذكر المحل لان الفعل يستند الى المختار اما ترى انك تقول سمع زيد وراى عمرو لا تقول سمع اذن زيد ولا راى عين
عمرو الا نادرا لان المختار هو الاصل وغيره آلة فالسمع اصل دون محله لعدم الاختيار له والعين كالاصل وقوة الابصار آلتها والفواد
كذلك وقوى الفهم اليه فذكر في السمع المصدر الذي هو القوة وفي الابصار والافيدة الاسم الذي هو محل القوة لان السمع قوة واحدة
لها فعل واحد فلهذا لا يسمع الانسان في زمان واحد كلامين على وجه نضبطهما ويدرك في زمان واحد صورتين واكثر ويستبينها الرابعة
قدم السمع هاهنا وفي القلب قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم فنقول ذلك يحقق ما ذكرنا وذلك لان عند

الاعطاك



الاعطا ذكر الادنى وارتقى الى الاعلى فقال اعطاكم السمع ثم اعطاكم ما هو اشرف منه وهو القلب وعند السلب قال ليس لهم
قلب يدركون به ولا ما هو دونه وهو السمع الذي يسمعون به ممن له قلب يفهم الحقايق ويستخرجها وقد ذكرنا هناك
ما هو السبب في تاخير الابصار مع انها في الوسط فيما ذكرنا من الترتيب وهو ان القلب والسمع سبب قوتهما بالطبع
فجمع بينهما وسلب قوة البصر بجعل الغشاوة عليه فذكرها باحيه ثم قال تعالى وقالوا ايذا ضللنا في الارض لما قال
قليلا ما تشكرون بين عدم شكرهم باتيانهم بضده وهو الكفر وان كان قد رده على احيا الموتى وقد ذكرنا ان الله
تعالى في كلامه القديم كما ذكر اطليين من الاصول الثلاثة لم يذكر الاصل الثالث وهاهنا كذلك لما ذكر الرسالة
بقوله تعالى تنزيل الكتاب الى قوله تعالى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وذكر الوحدانية الله الذي خلق الى
قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافيدة ذكر الاصل الثالث وهو الحشر بقوله تعالى ايذا ضللنا في الارض وفيه مسايل
**المسله الاولى** الواو للعطف على ما سبق منهم فانهم قالوا محمد ليس برسول الله والله ليس بواحد وقالوا الحشر ليس بممكن **المسله
الثانية** ان الله تعالى قال في تكذيبهم الرسول في الرسالة ام يقولون بلفظة المستقبل وقال في تكذيبهم اياه في الحشر وقالوا
بلفظ الماضي وذلك لان تكذيبهم اياه في الرسالة لم يكن قبل وجوده وانما كان ذلك حالة وجوده يقولون يعني هم فيه واما كان
هم للحشر كان سابقا صادرا منهم ومن ابايهم فقال وقالوا **المسله الثالثه** انه تعالى صرح بذكر قولهم في الرسالة حيث قال تعالى ام يقولون
في الحشر حيث قال قالوا ايذا ولم يصرح بذكر قولهم في الوحدانية وذلك لانهم كانوا مصرين في جميع الاحوال على انكار الحشر والرسول واما
الوحدانية فكانوا يعترفون بها في المعنى الا ترى ان الله تعالى قال ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلم يقل قالوا
ان الله ليس بواحد الرسالة ذكر من قبل دليلها وهو التنزيل الذي لا ريب فيه ولما ذكر الوحدانية ذكر دليلها وهو خلق السموات والارض وخلق
الانسان من طين ولما ذكر انكارهم للحشر ذكر الدليل نقول في الجواب ذكر دليله ايضا وذلك لان خلق الانسان ابتدا دليل على قدرته على اعادته ولهذا
استدل الله على امكان الحشر بالخلق الاول كما قال تعالى ثم يعيده وهو اهون عليه وقوله تعالى قل يحييها الذي انشاها اول مرة وكذلك خلق السموات
والارض كما قال تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وقوله تعالى انا لفي خلق جديد انما كانوا في خلق جديد
ويعودون فيه بل هم بلقا ربهم كافرون اضراب عن الاول يعني ليس انكارهم بمجرد الخلق ثانيا بل يكفرون بجميع احوال الاخرة حتى لو صدقوا بالخلق
الثاني لما اعترفوا بالعذاب والثواب او نقول معناه لم يذكروا البعث لنفسه بل لكفرهم بلقاء الله تعالى فانهم كرهوه فانكروا المفضي اليه
ثم بين لهم ما يكون من الموت الى العذاب والله اعلم **قوله تعالى** قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون
ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو شينا
لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فذوقوا بما نسيتم لقا يومكم
هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون انما يومن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا
بحمد ربهم وهم لا يستكبرون قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الى العذاب فقال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الى العذاب يعني لا بد من الموت
ثم من الحيوة بعده واليه الاشارة بقوله تعالى ثم الى ربكم ترجعون وقوله تعالى الذي وكل بكم اشارة انه لا يغفل عنكم واذا جا اجلكم
لا يوخركم اذ لا شغل له الا هذا وقوله تعالى يتوفاكم ملك الموت يعني عن بقا الارواح فان المتوفي الاستيفا والقبض وهو الاخذ
والاعلام المحض ليس باحد ثم ان الروح الزكي الطاهر يسلم الى ملايكة من السجين بين اهله المناسبين له والخبيث الفاجر يسلم الى ...
بين قوم لا يعرفهم ولا يعرفونه فيسا نهم والاول يسمو ويزيد ويزداد سعادة ومونة والاخر يردي ويضعف ويزداد شقاوة وكدورته والحكمة
نقولون بان الارواح الطاهرة متعلقة بحكم سماوي حين يدينها وبكل به والارواح الفاجرة لا كمال لها بعد **التعلق الثاني**
فان ارادوا ما ذكرنا فعدوا فقد وافقوا وان قصدوا النفي ذلك بحسب ارادتهم قد يكون حقا قولهم وقد يكون غير حق فان قيل لم ذكر
الاحيا والله تعالى ذكر الموت وبينهما مباينة نقول فيه وجهان **احدهما** انه ذكر دليل الاحيا ودفع استبعاد ذلك انهم
قالوا ما عدم بالكلية كيف يكون الموجود عين ذلك فقال الملك يقبض الروح والاجزا يتفرق فجمع الاجزا لا يبعد ضم واما الملك
برد ما قبضه لا صعوبة فيه فقوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت اما الارواح معلومة فيرد الى اجسادها ثم قال تعالى
ولو ترى اذ المجرمون لما ذكر انهم يرجعون الى ربهم بين ما يكون عند الرجوع على سبيل الاجمال بقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون
ناكسوا رؤسهم عند ربهم لو يرى حالهم وشاهد استحيا لهم لترى عجيبا وقوله تعالى ترى يحتمل ان يكون خطابا مع الرسول
صلى الله عليه وسلم تسلية لصدره فانهم كانوا يوذونه بالتكذيب ويحتمل ان يكون عاما مع كل احد حتى يقول القايل
ان فلانا كبير ان احرمته ولو لحظة يحسن اليك طول عمره ولا يريد به خاصا وقوله تعالى عند ربهم بيان لشدة
الخجالة لان الرب اذا اتى اليه المربوب ثم وقف بين يديه يكون في غاية الخجالة ثم قال تعالى ربنا ابصرنا وسمعنا
يعني يقولون او قايلين ربنا ابصرنا وحذف يقولون اشارة الى غاية خجالتهم لان الخجل العظيم الخجالة لا يتكلم
وقوله تعالى ابصرنا وسمعنا اي ابصرنا الحشر وسمعنا قول الرسل فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا وقولهم انا موقنون
معناه انا في الحال امنا ولكن النافع الايمان والعمل الصالح لا يكون الا عند التكليف به رجعة الدنيا فارجعنا نعمل
وهذا باطل منهم فان الايمان لا يقبل في الاخرة كالعمل الصالح او نقول المراد منهم انهم ينكرون الشرك كما قالوا وما كنا مشركين
فقالوا ان هذا الراي جرى علينا ما جرى الا بسبب ترك العمل الصالح والايمان فانا موقنون وما اشركنا ثم قال تعالى ولو
شينا لاتينا كل نفس هداها جوابا عن قولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا وبيانه انه تعالى قال لو رجعناكم الى الايمان هديناكم في الدنيا

وما اراد هدكم سبق اى ما اردت وما شيت ايمانكم فلا اردكم وقوله تعالى ولو شينا لاتينا صريح فى ان مذهبنا صحيح حيث نقول ان الله
تعالى ما اراد الايمان من الكافر وما شا منه الا الكفر ثم قال تعالى ولكن حق القول منى وقع القول وهو قوله تعالى لابليس لاملان جهنم
منك وممن تبعك منهم اجمعين هذا من حيث النقل وله وجه فى العقل وهو ان الله تعالى لم يفعل فعلا خاليا عن حكمة وهذا متفق عليه
وهو الخلاف فى انه هل قصد الفعل للحكمة او فعل الفعل ولزمته الحكمة لا بحث بحمله ذلك الفعل واذا علم ان فعله لا يخلو عن الحكمة
فقال الحكما علة افعاله باسرها لا يدرك على سبيل التفصيل لكن ندركه على سبيل الاجمال وكل ضرب وقع فى العالم وفساد فحكمته عرج من ثم
عقلى وهو ان الفعل اما ان يكون خيرا محضا او شرا محضا او خيرا مستويا بشر وهذا القسم على ثلثة اقسام قسم خيره غالب وقسم شره
غالب وقسم خيره وشره متلازمان اذا علم هذا فخلق عالما فيه الخير المحض وهو عالم الملايكة وهو العالم العلوى وخلق عالما فيه خير وشر وهو
عالمنا وهو عالم السفلى ولم يخلق عالما فيه شر محض ثم ان العالم السفلى الذى هو عالمنا وان كان الخير والشر موجودين فيه لكنه من القسم الاول
الذى خيره غالب فانك اذا قابلت الخير بالشر تجد الخير اكثر بكيفية فالمومن يقابله لكن المومن قد يمكن وجوده بحيث لا يكون فيه شر
اصلا من اول عمره الى آخره كالانبيا والاوليا والكافر لا يمكن وجوده بحيث لا يكون فيه خير اصلا غاية ما فى الباب ان الكفر يحبط خيره ولا
ينفعه انما يستحيل نظرا الى العادة ان يوجد كافر لا يسقى العطشان شربة ما ولا يطعم الجيعان لقمة خبز ولا يذكر به فى عمره وكيف لا
وهو فى زمان صباه كان مخلوقا على الفطرة المستفضية للخيرات اذا ثبت هذا قالوا لولا الشر فى هذا العالم لكان مخلوقات الله تعالى
منحصرا فى الخير المحض ولا يكون قد خلق القسم الذى فيه الخير الغالب والشر القليل ثم ان تركه خلق هذا القسم اذ كان لما فيه من الشر
فقد الخير الكثير ولاجل الشر القليل لا يناسب الحكمة الا ترى ان التاجر اذا طلب منه درهم بدينار فلو امتنع وتقول فى هذا شر وهو
زوال الدرهم عن ملكى فيقال له لكن فى مقابلته خير كثير وهو حصول الدينار فى ملك الانسان لو ترك الحركة الكثيرة لما فيها من المشقة
مع علمه بانها يحصل له راحة كثيرة ينسب الى مخالفة الحكمة فاذا نظر الى الحكمة كان وقوع الخير الكثير المشوب بالشر القليل من اللطف
خلق العالم الذى يقع فيه الشر والى هذا اشار بقوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال الله تعالى فى جوابهم انى اعلم ما لا تعلمون اى علم ان هذا قسم يناسب الحكمة لان الخير فيه كثير
ثم بين لهم خيره بالتعليم كما قال تعالى وعلم آدم الاسما كلها يعنى انها الملايكة خلق الشر المحض والشر الغالب والشر المساوى لا يناسب الحكمة
واما خلق الخير الكثير المشوب بالشر القليل مناسب قوله تعالى اتجعل فيها من يفسد فيها اشارة الى الشر واجابهم الله بما فيه من الخير
بقوله تعالى وعلم آدم الاسما كلها فان قال قايل فالله قادر على تخليص هذا القسم من الشر بحيث لا يوجد فيه شر فيقال له قال الله
تعالى ولو شينا لاتينا كل نفس هداها يعنى لو شينا لخلصنا الخير من الشر لكن حينئذ لا يكون الله تعالى خلق الخير الكثير المشوب بالشر
القليل وهو قسم معقول لكن كان تركه للشر القليل وهو لا يناسب الحكمة لان ترك الخير الكثير للشر القليل غير مناسب للحكمة وان كان ذكره
فلا مانع من خلقه مخلصه لما فيه من الخير الكثير وهذا الكلام نعبر عنه من نقول رعاية المصالح ان الخير فى القضا والشر فى القدر
فالله تعالى قضى بالخير ووقع الشر فى القدر بفصله المرء عن الصبح والجهل وقوله تعالى من الجنة والناس اجمعين لانه تعالى قال
لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك وهذا اشارة الى النار لمن فى العالم السفلى والذين فى العالم العلوى مبرون عن دخول النار
وهم الملايكة وهذا يقتضى ان لا يكون ابليس من الملايكة وهو الصحيح وقوله تعالى اجمعين يحتمل وجهين احدهما ان يكون تاكيدا
وهو الظاهر والثانى ان يكون حالا اى مجموعين فان قيل كيف جعل جمع الانس والجن مما يملا بهم النار تدل هذا ان الجنس
اى جهنم ملا من الجن والانس لا غيرا منا الملايكة ولا تقتضى ذلك دخول الكل كما يقول القايل ملات الكيس من الدراهم لا يلزم
ان لا يبقى درهم خارج الكيس فان قيل فهذا تقتضى ان يكون جميع صفته عتلى ببعض الخلق يقول هو كذلك وانما الواقع
الجنة التى هى من الرحمة الواسعة لما بين الله تعالى بقوله تعالى ولو شينا لاتينا انهم لا رجوع لهم قال لهم انما علمتم انكم
لا رجوع لكم وقوله تعالى فذوقوا بما نسيتم وفى تفسير الاية مسايل **المسئلة الاولى** قوله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقا يومكم هذا
يحتمل ان يكون منصوبا بذوقوا اى ذوقوا لقا يومكم بما كسبتم وعلى هذا يحتمل ان يكون المنسى هو الميثاق الذى اخذ منهم بقوله تعالى
الست بربكم قالوا بلى او بما فى الفطر من الوحدانية فنسى بالاقبال على الدنيا والاشتغال بها ويحتمل ان يكون منصوبا بقوله نسيتم
اى بما نسيتم لقا يومكم هذا اليوم ذوقوا وعلى هذا قال اهل البيان لا يكون الا بعد العلوم والا اذا جهل الامر يقول لما ظهر له انه
كان ظاهر وعلم ولما تركه بعد الظهور ذكر بلفظ النسيان اشارة الى كونهم منكرين لامر ظاهر المحق منكرا امرا كان قد علمه **المسئلة الثانية**
قوله تعالى هذا يحتمل ثلثه اوجه احدها ان يكون اشارة الى اليوم اى فذوقوا بما نسيتم لقا هذا اليوم وثانيها ان يكون اشارة الى لقا
اليوم اى فذوقوا بما نسيتم لقا هذا اللقا وثالثها ان يكون اشارة الى العذاب اى فذوقوا هذا العذاب بما نسيتم لقا يومكم ثم قال انا نسيناكم
اى تركناكم بالكلية غير ملتفتا اليكم كما تفعله الناسى قطعا لرجاكم ثم ذكر ما يلزم من تركه اياهم كما تترك الناسى وهو خلود العذاب
لان من لا يخلصه الله تعالى فلا خلاص له فقال تعالى ذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ثم قال تعالى انما يومن باياتنا الذين
اذا ذكروا بها خروا سجدا اشارة الى ان الايمان كالحاصل وانما يشاه البعض فاذا ذكرتها خروا سجدا له يعنى انقادت
له وسبح بحمده يعنى وتحرك لسانه بتنزيهه عن الشرك وهم لا يستكبرون يعنى وكان قلبه خاشعا لا يستكبر
ولا يستكبر عن عبادته فهو المومن حقا والله تعالى اعلم **قوله تعالى** تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون
ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزا بما كانوا يعملون افمن كان
مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى نزلا بما كانوا يعملون



واما الذين فسقوا فماواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم
به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ومن اظلم ممن ذكر بايات
ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون يعنى بالليل قليلا ما يهجعون وقوله تعالى يدعون ربهم اى يصلون فان
الصلوة والدعا من باب واحد فى المعنى ويطلبونه وهذا لا ينافى الاول لان الطلب قد يكون بالصلوة والحمل على الاول اولى لانه
قال بعده ومما رزقناهم ينفقون وفى اكثر المواضع التى ذكر فيها الزكوة ذكر الصلوة قبلها كقوله تعالى ومما رزقناهم
ينفقون وقوله تعالى خوفا وطمعا يحتمل ان يكون مفعولا ويحتمل ان يكون حالا اى خايفين طامعين حالين زوا اى زايرين
وكان فى الاية الاولى اشار الى المرتبة العبادة وهى العبادة لوجه الله مع الذهول عن الخوف والطمع بدليل قوله اذا ذكروا
بها خروا فانه يدل على ان عند مجرد الذكر يوجد منهم السجود وان لم يكن خوف ولا طمع وفى الاية الثانية اشار الى المرتبة
الاخرى وهى العبادة خوفا ممن يخدم الملك الجبار مخافة سطوته او يخدم الملك الجواد طمعا فى بره ثم بين لهم ما يكون لهم
جزا فعلهم وقال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين يعنى مما تقر العين عنده ولا يلتفت الى غيره فقال ان هذا
لا يدخل فى عينى يعنى عينى مستطلع لغيره فاذا لم يبق تطلع العين الى شى اخر لم يبق للعين مسرح الى غيره فصرحوا بحكم الوعد
وهذا فيه لطيفة وهى ان من العبد شى وهو العمل الصالح ومن الله اشيا سابقة من الخلق والرزق وغيرهما من الاشيا
واشيا لاحقة من الثواب والاكرام لله تعالى ان يقول جزا الاحسان احسان وان احسنت اولا والعبد احسن فى مقابلته
فالثواب تفضل وسمح من غير عوض وله ان يقول جعلت الاول تفضلا لا اطلب عليه جزا فاذا اتا العبد بالعمل الصالح فليس عليه شى
لانى ابراتهما عليه من النعم فكان هو ابيا بالحسنة ابتدا وجزا الاحسان احسان فاجعل الثواب جزا كلاهما جايز لكن غاية الكرم ان يجعل الاول
وهبه ويجعل الثانى مقابلا وعوضا لان العبد ضعيف لو قيل له بان فعلك جزا فلا يستحق جزا وانما الله يتفضل به ولكن لا يطمئن قلبه فى
اذا قيل له الاول غير محسوب عليك والذى اتيت به انت به بادى وله عليه استحقاق ثواب سق وطمع ثم اذا عرفت هذا من فضل الله تعالى
فالواجب من جانب العبد ان يقول فصلى جرائم الله تعالى السابقة ولا استحق به جزا فاذا اثابه الله تعالى يقول الذى اتيت به كان جزا
وهذا ابتدا احسان من الله يستحق خيرا وشكرا فياتى بحسنه فيقول الله تعالى انى احسنت اليه جزا فعله الاول وما فعلت اولا لا اطلب
فيجزيه ثالثا فيشكر العبد بالثالث فيجزيه رابعا وعلى هذا لا ينقطع المعاملة بين المولى والعبد ومثله فى الشاهد اثنان تحابا فاهدى
احدهما الى الاخر هدية ونسيها والمهدى اليه يتذكرها فاهدى الى المهدى عوضا فراه المهدى الاول استد النسيان انه ما اهداه اليه مجازاة
هدية فقال المجازى الاخر هذا هديته كان جزا الهدية السابقة وهذه هدية مخصوصة بالعوض وتعوض عنه المجازى الاخر وتسلسل
الامر بينهما ولا ينقطع التهادى والتحابب بخلاف من ارسل الى واحد هدية وهو يتذكرها فاذا بعث اليه المهدى عوضا يقول هذا
عوض ما اهديت اليه فسكت ويترك الاهدا فينقطع **واعلم** ان التكاليف يوم القيمة وان ارتفعت لكن الذكر
والشكر والعبادة لا يرتفع بل العبد يعبد ربه فى الجنة اكثر مما يعبده فى الدنيا وكيف لا وصار حاله مثل حال الملايكة
الذين قال فى حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وغاية ما فى الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هى مثل مقتضى
الطبع ومن جملة الاسباب الموصية لدوام نعيم الجنة هذا وكيف لا وخدمة الملوك لذة وشرف فلا يترك وان قرب العبد منه بل
يزداد لذتها ثم قال تعالى افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون لما بين حال المجرم والمومن قال للعاقل هل يستوى الفريقان
ثم بين انهما لا يستويان ثم بين عدم الاستوا على سبيل التفصيل فقال تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اشارة
الى ما ذكرنا ان الله احسن ابتدا لا عوضا ولا غرض فلما امن العبد وعمل صالحا قبله منه كانه ابتداه مجازاه بان اعطاه الجنة
ثم قال نزلا اشارة الى ان بعدها اشيا لان النزل ما يعطى الملك النازل وقت نزوله قبل ان يجعل له راتبا ويكتب له خيرا
وقوله بما كنتم تعملون لتحقيق ما ذكرنا وقوله تعالى واما الذين فسقوا فماواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اشارة الى حال الكافر
وقد ذكرنا مرارا ان العمل الصالح له مع الايمان تاثير اما الكفر اذا جا فلا التفات الى الاعمال فلم يقل واما الذين فسقوا وعملوا السيئات
لان المراد من فسقوا كفروا ولو جعل العقاب فى مقابلة الكفر والعمل لظن ان مجرد الكفر لا عقاب عليه وقوله فى حق المومنين لهم بلام
التمليك زيادة اكرام لان من قال لغيره اسكن هذه الدار يكون ذلك محمولا على نسبة الملكية اليه وليس له استرداده بحكم
قوله فكذلك فى قوله لهم جنات الا ترى انه تعالى لما اسكن ادم الجنة وكان فى علمه انه يخرجه منها قال اسكن انت وزوجك الجنة
وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ولم يقل لكما الجنة وفى الاخرة لما لم يكن للمومنين خروج منها قال لكم الجنة ولهم
جنات وقوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا اشارة الى معنى حكمى وهو ان الالم اذا تمكن والالم
اذا استمر لم يبق به شعور تام ولهذا قال الاطبا ان حرارة حمى الدق بالنسبة الى حرارة حمى لاسمه كنسبة النار الى الماء المسخن
ثم ان المدقوق لا يحس من الحرارة ما يحس به محموم حمى البلغمية ولذلك الانسان اذا وضع يده فى ما بارد سالم من البرد فان
صبر زمانا طويلا يثلج يده ويبطل عنه ذلك الالم الشديد مع فساد مزاجه اذا علمت هذا قوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا
منها اعيدوا فيها اشارة الى حالة الالم يسكن عنهم بل يرد عليهم فى كل حال الم موجع مستجد وقوله تعالى ذوقوا عذاب النار الذى
كنتم به تكذبون تقرير ما ذكرنا ومعناه انهم فى الدنيا كانوا يكذبون بعذاب النار فلما ذاقوه كان اشد ايلاما لان من لا يتوقع
شيا فصدمه يكون اشد تاثيرا ثم انهم فى الاخرة كما هم فى الدنيا يحرمون ان لا عذاب الا وقد وصل اليهم ولا يتوقعون شيا
آخر من العذاب فيرد عليهم عذاب اشد من الاول وكانوا يكذبون به بقوله لهم عذاب فوق ما لقى فيه نادى معنى قوله ذوقوا عذاب النار

الذي كنتم به تكذبون ليس مقتصرا على تكذيبهم الدين كان في الدنيا بل كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذابا
كذبتم به من قبل اما في الدنيا بقولكم لا عذاب في الاخرة واما في الاخرة فقولكم لا عذاب فوق ما نحن فيه ثم لما هددهم قال تعالى ولنذيقنهم
من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر يعني قبل عذاب الاخرة نذيقهم عذاب الدنيا فان عذاب الدنيا لا نسبة له الى عذاب الاخرة لان عذاب الدنيا
لا يكون شديدا ولا يكون مديدا فان العذاب لشديد في الدنيا يهلك فيموت المعذب ويستريح منه فلا يمتد وان اراد المعذب
ان يمتد عذاب المعذب لا يعذبه بعذاب في غاية الشدة اما عذاب الاخرة فشديد ومديد وفيها مسايل احداهما
قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى في مقابلة العذاب الا... او العذاب الاكبر في مقابلة العذاب الاصغر فما الحكمة
في مقابلة الادنى بالاكبر فنقول حصل في عذاب الدنيا امران احدهما انه قليل والاخر انه قليل صغير وحصل في
عذاب الاخرة ايضا امران احدهما انه بعيد والاخر انه عظيم كثير لكن القرب في عذاب الدنيا هو الذي يصلح للتخويف
به فان العذاب العاجل وان كان قليلا قد يحترز منه بعض الناس اكثر مما يحترز من العذاب الشديد اذا كان اجله
وكذا الثواب العاجل قد يرغب فيه بعض الناس ويستبعد الثواب العظيم الاجل واما في عذاب الاخرة فالذي يصلح للتخويف
به هو العظيم والكبير لا البعيد لما بينا فقال في عذاب الدنيا العذاب الادنى ليحترز العاقل منه ولو قال ولنذيقنهم من العذاب
الاصغر لما كان يحترز عنه لصغره وعدم ثم كونه عاجلا وقال في عذاب الاخرة اكبر المعنى ولو قال من العذاب الابعد الاقصى
لما حصل التخويف به مثل ما يحصل بوصفه بالكبر وبالجملة فقد اختار الله تعالى في العذابين الوصف الذي هو اصلح للتخويف
من الوصفين اللذين فيهما كلمة بالغة المسئلة الثانية قوله تعالى لعلهم يرجعون هل للترجي وذلك على الله تعالى محال
فما الحكمة فيه فنقول فيه وجهان احدهما معناه لنذيقنهم اذاقة الراجي لقوله تعالى انا نسيناكم يعني تركناكم كما ترك الناس
حيث لا يلتفت اليهم اصلا كذلك هاهنا نذيقهم على الوجه الذي يفعل الراجي من التدريج وثانيهما معناه نطلقهم العذاب اذاقة
لقول القايل لعلهم يرجعون ولنزيد وجها اخر من عندنا وهو ان كل فعل يتلوه امر مطلوب من ذلك الفعل فصح تعليل ذلك الامر
كما يقال فلان اربح الحزم هذا التعليل اذا كان في موضع لا يحصل الجزم بحصول الامر من الفعل نظرا الى نفس الفعل وان حصل الجزم والفعل
بناء على امر من خارج فانه يصح ان يقال يفعل دا رحا كذا كما يقال يتجر رجاء ان يربح وان حصل للتاجر جزم بالربح لا يقدح ذلك في صحة
قولنا يرجو لما ان الجزم غير حاصل نظرا الى التجارة وان كان الجزم حاصلا نظرا الى الفعل لا يصح ان يقال يرجو وان كان ذلك الجزم يحل
خلافه كقول القايل فلان جرح رقبته عدوه رجاء ان يموت لا يصح لحصول الجزم بالموت عقيب الجرح نظرا اليه وان امكن ان لا يموت
نظرا الى قدرة الله تعالى وصح قولنا قوله تعالى في حق ابرهيم في قوله تعالى والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين مع انه كان عالما
بالمغفرة لكن لما لم يكن الجزم حاصلا من نفس الفعل اطلق عليه الطمع وكذلك قوله تعالى وارجو اليوم الاخر مع ان الجزم لازم به
اذا علم ما ذكرنا فنقول في كل صورة قال الله تعالى لعلهم فانا نظرنا الى الفعل لا يلزم الجزم فان من العذاب لا يلزم الرجوع لزوما
بينا فصح قولنا يرجوا وان علم حاصلا بما يكون غاية ما في الباب ان الرجا في اكثر الامر استعمل فيما لا يكون الامر معلوما فاذا علم انه لا
يجوز الاطلاق في حق الله تعالى وليس كذلك بل للترجي يكون في حق الله ولا يلزم منه عدم العلم وانما يلزم عدم الجزم بناء على ذلك الفعل
وعلم الله ليس مستفادا من الفعل فيصح حقيقة الترجي في حقه على ما ذكرمن المعنى ثم قال تعالى ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه يعني
لنذيقهم ولا يرجعون فيكونون قد ذكروا بايات الله من النعم اولا والنقم ثانيا ولم يومنوا فلا اظلم منهم احدا لان من يكفر بالله ظالم
فان الله تعالى لذوي البصاير ظاهر لا يحتاج المستبين الناظر الى شاهد يشهد عليه بل هو شهيد على كل شي كما قال تعالى اولم يكف بربك
انه على كل شي شهيد وكذلك الله لا يحتاج تاسيس الباطن الى دليل على الله ولهذا قال بعض العارفين رايت الله قبل كل شي ممن لم يكفه
الله فسائر الموجودات سواء كان يتفع فيها او غيرها كان في معرفة الله تعالى كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم فان لم
يكونهم غير ذلك فيسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة فالاول الذي لا يحتاج الى غير الله تعالى وهو عدل والثاني الذي يحتاج الى دليل
فهو متوسط والثالث الذي لم يلتفت الا في الافاق ظالم والرابع الذي لم يصدقه النعم اظلم من ذلك الظالم وقد يكون اظلم منه اخر وهو الذي
اذا اذاق العذاب لا يرجع عن ضلالته لان الكثير كان من صفتهم انه اذا مسهم ضر دعوا ربهم منيبين اليه فهذا لما عذب ولم يرجع
فلا اظلم منه اصلا فقال تعالى ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها ثم قال تعالى انا من المجرمين منتقمون اي لما نذيقهم العذاب
الادنى فانا ننتقم منهم بالعذاب بالاكبر والله اعلم **قوله تعالى** ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية
من لقايه وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون
ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون
يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات افلا يسمعون اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به
زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح
لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون **اعلم** انه تعالى لما قرر الاصول
الثلاثة على ما بينا عاد الى الاصل الذي بدا به وهو الرسالة المذكورة في قوله تعالى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير وقال لست بدعا من الرسل
بل كان قبلك رسل واختار من بينهم موسى عليه السلام لقربه من النبي صلى الله عليه وسلم وجوده من كان على دينه الزاما لهم وانما لم يختر
عيسى عليه السلام للذكر والاستدلال لان اليهود ما كانوا يوافقون على نبوته واما النصارى كانوا يعترفون بنبوة موسى عليه السلام فتمسك
بالمجمع عليه وقوله تعالى فلا تكن في مرية من لقايه وقيل معناه ولا تكن في شك من لقا موسى فانك تراه وتلقاه وقيل بانه راه ليلة





المراج وقيل معناه فلا تكن في شك من لقا الكتاب فانك تلقاه كما لقي موسى الكتاب ويحتمل ان يكون الاية واردة لا للموسى بل للتسلية
النبي صلى الله عليه وسلم فانه لما اتى ذكر اية وذكرها واعرض عنها قومه حزن عليه فقيل له تذكر حال موسى ولا تحزن فانه
لقي ما لقيت واوذي كما اوذيت وعلى هذا فاختار موسى عليه السلام لحكمة وهي احدا من الانبياء لم يوذه قومه الا الذين لم
يومنوا به واما الذين امنوا به فلم يخالفوه غير قوم موسى فان من لم يومن اذاه مثل فرعون وغيره ومن امن به من بني
اسرائيل ايضا اذاه بالمخالفة وطلبا شيا منه مثل طلب روية الله تعالى جهرة ومثل قولهم اذهب انت وربك فقاتلا ثم بين له ان
اهديه غير حاله عن المنفعة كما انه لم يخل هداية موسى عليه السلام حيث جعل الله تعالى كتاب موسى هدى وجعل منهم
ائمة يهدون وكذلك يجعل كتابك هدى ويجعل من امتك صحابة يهتدون كما قال صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم
اهتديتم ثم بين ان ذلك يحصل بالصبر وقال لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون فكذلك اصبروا وامنوا فان وعد الله حق ثم قال تعالى
ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون هذا يصلح جوابا لسوال وهو انه لما قال تعالى وجعلنا منهم ائمة
يهدون كان لقايل ان يقول كيف كانوا يهدون وهم اختلفوا وصاروا فرقا وسبيل الحق واحد فقال فيهم هداة والله يبين المبتدع
من المتبع كما بين المومن من الكافر يوم القيمة وفيه وجه اخر وهو ان الله تعالى بين انه يفصل بين المختلفين من امة
محمد كما يفصل بين المختلفين من الامم حتى لا يومن من امره ولم يجتهد فان المبتدع معذب كالكافر وغاية ما في الباب
ان عذاب الكافر اشد واما دوم ثم قال تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فذكرنا ان قوله تعالى
ولقد اتينا موسى الكتاب تقرير الرسالة محمد صلى الله عليه وسلم واعاده لبيان ما سبق في قوله تعالى لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير ولما اعاد ذكر الرسالة اعاد ذكر التوحيد فقال تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم وقوله يمشون في مساكنهم
زيادة اياته اي مساكن المهلكين دلالة على حالهم انهم يمشون فيها ويبصرونها وقوله تعالى ان في ذلك لايات افلا يسمعون
اعتبر فيه السمع لانهم ما كان لهم قوة الادراك بانفسهم والاستنباط بعقولهم فقال تعالى افلا يسمعون يعني ليس لهم درجة المتعلم
الذي يسمع الشي ويفهمه ثم قال تعالى اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز لما بين الاهلاك وهو الاماتة بين الاحيا ليكون
اشارة الى الضر والنفع بيد الله والجرز اليابسة الذي لا نبات بها والجرز هو القطع وكانها المقطوع عنها الماء والنبات ثم قال تعالى
فنخرج زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم قدم الانعام على الانفس في الاكل لوجوه احدها ان الزرع اول ما ينبت يصلح للدواب
ولا يصلح للانسان والثاني وهو ان الزرع هذا الدواب لا بد منه واما غذا الانسان فقد يحصل من الحيوان وكان الحيوان
ياكل الزرع ثم ان الانسان ياكل من الحيوان والثالث اشارة الى ان الاكل من ذوات الدواب والانسان ياكل بحواسه واما ما فيه
من القوة العقلية فكماله بالعبادة ثم قال تعالى افلا يبصرون لان الامر مرئي بخلاف حال الماضين فانها كانت مسموعة
ثم لما بين الرسالة والتوحيد بين الحشر بقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فاخر السورة فصار ترتيب
اول السورة كاخرها حيث ذكر الرسالة في اولها بقوله تعالى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير وفي اخرها بقوله تعالى ولقد اتينا
موسى الكتاب وذكر التوحيد بقوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض وقوله تعالى الذي احسن كل شي خلقه وبدا خلق
الانسان من طين وفي اخر السورة ذكره بقوله تعالى اولم يهد لهم وقوله تعالى اولم يروا انا نسوق وذكر الحشر في اولها بقوله تعالى وقالوا
اءذا ضللنا في الارض وفي اخرها بقوله تعالى ويقولون متى هذا الفتح وقوله تعالى قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم
ينظرون اي لا يقبل منهم ايمانهم في تلك الحالة لان الايمان المقبول هو الذي يكون في دار الدنيا ولا هم ينظرون اي لا يمهلون بالاعادة
الى الدنيا ليومنوا فيقبل ايمانهم ثم لما بين المسايل واظهر الدلايل ولم يسمعهم قال تعالى فاعرض عنهم اي لا تناظرهم بعد ذلك واما الطريق
بعد هذا القتال وقوله تعالى وانتظر انهم منتظرون يحتمل وجوها احدها وانتظر هلاكهم بانهم منتظرون هلاككم وعلى هذا
فرق بين الانتظارين لان انتظار النبي صلى الله عليه وسلم بامر الله تعالى بعد وعده وانتظارهم بتسويل انفسهم والتعويل
على الشيطان وثانيها وانتظر النصر من الله فانهم ينتظرون النصر من الهتهم وفرق بين الانتظارين وثالثها وانتظر عذابهم
بنفسك فانهم ينتظرون بتعظيم اشهر كما قال تعالى فاتنا بما تعدنا وقالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين الى غير ذلك

يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله
كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا في تفسير الاية مسايل **المسئلة الاولى** في الفرق بين النداء المنادى
بقوله يا رجل ويا ايها الرجل وقد قيل فيه ما قيل ونحن نقول قول القايل يا رجل يدل على النداء وقوله يا ايها الرجل يدل على ذلك
ايضا وينبي على خطر خطب المنادى له او غفلة المنادى اما الثاني فمذكور واما الاول فلان قوله يا اي جعل المنادى غير معلوم
او لا فيكون كل سامع متطلعا الى المنادى فاذا حضر واحد كان في ذلك انباء الكل لتطلعهم اليه فاذا قال يا زيد او رجل التفت
الى جانب المنادى المذكور واذا علم هذا فنقول بانها لا يجوز حمله على غفلة النبي لان قوله النبي ينافي الغفلة لان النبي خبير فلا يكون
غافلا فيجب حمله على خطر الخطب **المسئلة الثانية** الامر بالشي لا يكون الا عند اشتغال المامور بالمامور به اذ لا يصح ان يقال
للجالس اجلس وللساكت اسكت والنبي كان متقيا فما الوجه فيه فنقول فيه وجهان احدهما منقول وهو انه امر بالمداومة

فانه لصح ان نقول للقايل اجلس هاهنا الى ان احد ونقول القايل للساكت قد اصبت فاسكت يكسها اى دم على ما انت عليه والثانى وهو معقول لطيف وهو ان الملك يتقى منه عباده على ثلثة اوجه بعضهم يخاف من عقابه وبعضهم يخاف من قطع ثوابه وباليه يخاف من احتجابه فالنبى لم يومر بالتقوى الاول ولا الثانى واما الثالث فالمخلص لا يامنه ما دام فى الدنيا وكيف والامور الدنيوية شاغلة فالادمى فى الدنيا تارة مع الله واخرى مقبل على ما لابد منه وان كان معه الله والى هذا اشار بقوله انما انا بشر مثلكم يوحى الى يعنى رفع الحجاب عنى وقت الوحى ثم اعود اليكم كانى منكم فامر بتقوى يوجب استدامة الحضور الوجه الثانى هو ان النبى صلى الله عليه وسلم كل لحظة كان يزداد علمه ومرتبته حتى كان حاله فيما مضى بالنسبة الى ما هو فيه تركا للافضل وكان له فى كل ساعة تقوى متجدد فقوله تعالى اتق الله على هذا امر بما ليس فيه والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم بقوله من استوى يوماه فهو مغبون وانه طلب من ربه بامر الله تعالى اياه به زيادة العلم حيث قال تعالى وقل رب زدنى علما واشار الى هذا وقعت الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى فاستغفر الله تعالى فى اليوم سبعين مرة يعنى يتجدد له مقام يقول الذى اتيت به من الشكر والعبادة لم يكن شيا اذا علم هذا فالنبى صلى الله عليه وسلم بحكم انما انا بشر مثلكم كان قد وقع خوف ما يسير من جهة الناس الكفار والمنافقين ومن ايديهم بدليل قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فامره الله بتقوى احرجون ما يسيه بحيث لسيه الخلق ولا يرى الا الحق وزاده الله تعالى به درجته وكان ذلك بشارة له اى يا ايها النبى انت ما نقص فى الدرجة التى تقع منك تقوى الاحاد وتقوى الا وما دنى الا فيمنع منك الا تقوى بنفسك نفسك الا ترى ان الانسان اذا كان يخاف فوت مال ان هجم عليه غاشم بعضد قلبه يذهب عن المال ويتركه فلذلك النبى صلى الله عليه وسلم امر بمثل هذا التقوى كلا ينتفا الخوف من احد غير الله وخرج هذا مخرج قول القايل لمن يخاف زيدا وعمرا احق عمرا فان زيدا لا يقدر عليك اذا كان عمرو معك فلا يكون ذلك امرا بالخوف من عمرو فانه يخافه وانما يكون ذلك نهيا عن الخوف من زيد فى ضمن الامر بزيادة الخوف من عمرو حتى تنسيه زيدا ثم قوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين تقرر قولنا اى اتق تقوى تمنعك من طاعتهم المسئلة الثالثة لم خص الكافر والمنافق بالذكر مع ان النبى صلى الله عليه وسلم ينبغى ان لا يطع احدا غير الله تعالى نقول لوجهين احدهما ان ذكر الغير لا حاجة اليه لان غيرهما لا يطلب من النبى الا ساع ولا يتوقع ان يصير النبى مطيعا له بل يقصد اتباعه ولا يكون عنده الا مطاعا والثانى وهو انه تعالى لما قال ولا تطع الكافرين والمنافقين منعه من طاعة الكل لان كل من طلب من النبى صلى الله عليه وسلم طاعته فهو كافر او منافق لان من امر النبى بامر امرا يخاف معتقدا على انه لو لم يفعله يعاقبه يحق يكون كافرا ثم قال تعالى ان الله كان عليما حكيما اشارة الى ان التقوى ينبغى ان يكون عن صميم قلبك لا تخفى فى نفسك تقوى غير الله كما يفعله الذى يرى من نفسه الشجاعة حيث يخاف فى نفسه ويتجلد فان التقوى من الله تعالى وهو عليم وقوله حكيما اشارة الى دفع وهم متوهم وهو ان متوهما لو قال اذا قال الله شيئا وقال جمع الكافرين والمنافقين مع انهم اقارب النبى صلى الله عليه وسلم شيئا اخر ورأوا المصلحة فيه وذكروا وجها اخر معقولا فاتباعهم لا يكون الا مصلحة فقال الله تعالى انه حكيم ولا يكون المصلحة الا فى قول الحكيم فاذا امر صلى الله عليه وسلم بشىء فاتبعه ولو منعك اهل العالم عنه وقوله تعالى واتبع ما يوحى اليك من ربك يقرر ما ذكرنا من انه حكيم فاتباعه هو الواجب ثم قال تعالى ان الله كان بما تعملون خبيرا لما قال انه عليم بما فى قلوب العباد بين انه عالم خبير باعمالكم فسووا قلوبكم واصلحوا اعمالكم ثم قال تعالى وتوكل على الله يعنى اتق الله وان توهمت من احد فتوكل على الله فانه كفى به دافعا ينفع ولا يضر معه شىء وان اضرك لا ينفع منه شىء ثم قال تعالى

ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما

يعنى اتق الله وان توهمت من احد فتوكل على الله قال بعض المفسرين الاية نزلت فى ابى معمر كان يقول لى قلبان اعلم وافهم باحدهما اكثر مما يفهم به محمد فرد الله عليه بقوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وقال الزمخشرى قوله وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم اى ما جعل لرجل من قلبين كما لم يجعل لرجل امين ولا لابن ابوين وكلاهما ضعيف بل الحق انه لما قال الله تعالى لما امر النبى صلى الله عليه وسلم بالاتقاء بقوله تعالى يا ايها النبى اتق الله فكان ذلك امرا له بتقوى لا يكون فوقه تقوى ومن يتقى شيئا ويخاف شيئا خوفا شديدا لا يدخل فى قلبه شىء اخر الا ترى ان الخائف الشديد الخوف ينسى مهابة حالة الخوف فكان الله تعالى قال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ومن قبلهما ان لا يكون فى قلبك تقوى غير الله فان المرء ليس له قلبان حتى يتقى باحدهما الله وبالاخر غيره فان اتقى غيره فلا يكون ذلك الا بصرف القلب عن جهة الله تعالى الى غيره وذلك لا يليق بالمتقى الذى يدعى انه يتقى الله حق تقاته ثم ذكر النبى صلى الله عليه وسلم انه لا ينبغى ان يتقى احدا ولا امثل مما اتفقت فى حكاية زينب زوجة حيث قال الله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه يعنى مثل ذلك التقوى لا ينبغى ان يدخل فى قلبك ثم لما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم تلك الحالة ذكر ما يدفع عنه السوء وقال تعالى ما جعل الله حتى المراسه ثم قدم عليه ما هو دليل قوى على اندفاع القبح وهو قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم اى انكم اذا قلتم لازواجكم انت على كظهر امى لا تصير هى اما بالجعل والاسلام فلا تتم ظهارا لا يحرم الوطئ واما فى الجاهلية فلانه كان طلاقا حتى كان يجوز للزوج ان يتزوج بها من جديد فاذا كان قول القايل لزوجته انت امى او كظهر امى لا يوجب صيرورة الزوجة اما كذلك قول القايل للدعى انت ابنى لا يوجب كونه ابنا فلا يصير زوجته زوجة الابن فلم يكن لاحد ان يقول فى ذلك شيئا فلم يكن خوفك من الناس له وجه وكيف ولو كان امرا مخوفا ما كان يجوز ان تخاف غير الله اذ ليس

كذلك



كذلك قلبان وقلبك مشغول بتقوى الله فما كان ينبغى ان تخاف احدا ثم قوله تعالى ذلكم قولكم بافواهكم فيه لطيفة وهو ان الكلام المعتبر على قسمين احدهما كلام يكون عن شىء كان فيقال والثانى كلام يقال فيكون كما قيل والاول كلام الحكماء والثانى يتقولون ما يكون والاخر كلام الصديقين الذين قالوا اشياء جعلها الله كما قالوه وكلاهما صادر عن قلب والكلام الذى يكون بالفم مجرد هو مثل نهيق الحمار وصياح الكلب لان الكلام المعتبر هو الذى يعتمد عليه فالذى لا يكون عن قلب وروية لا اعتماد عليه والله تعالى لما كرم بنى آدم وفضله على ساير الحيوان ينبغى ان يحترز عن التخلق الا بما فيقول القايل هذا ابن فلان مع انه ليس ابنه ليس كلاما فان الكلام فى الفواد وهذا فى الفم لا غير واللطيفة هى ان الله تعالى قال هاهنا ذلكم قولكم بافواهكم وقال فى قوله تعالى وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يعنى لتشبيه الشخص بغير الاب قول لا حقيقة له ولا يخرج من قلب ولا يدخل ايضا فى قلب فهو قول بالفم مثل اصوات البهايم ثم قال تعالى والله يقول الحق اشارة الى معنى لطيف وهو ان العاقل ينبغى ان يكون قوله اما عن قول او عن شرع فاذا قال فلان ابن فلان ينبغى ان يكون عن حقيقة او يكون عن شرع بان يكون ابنه شرعا وان لم يعلم الحقيقة كمن تزوج بامراة فولدت لستة اشهر ولد وكانت الزوجة من قبل زوجة شخص اخر يحتمل ان يكون الولد منه فانا نلحقه بالزوج الثانى لقيام الفراش ونقول انه ابنه وفى الدعى لم يوجد الحقيقة ولا ورد فى الشرع به لانه لا يقول الا الحق وهذا خلاف الحق لان اباه مشهور ظاهر ووجه اخر فيه وهو انهم قالوا هذه زوجة الابن فتحرم وقال الله هى لك حلال وقولهم لا اعتبار به فانه بافواههم كصوت البهايم وقول الله حق فيجب اتباعه وهو يهدى السبيل يوكد قوله تعالى وقول الله تعالى حق يعنى يجب اتباعه لكونه حقا ولكونه هاديا وقوله تعالى ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق فيه لطيفة وهو ان الكلام الذى بالقلب قد يكون حقا وقد يكون باطلا لان الذين يقولون شيئا عن اعتقاد قد يكون مطابقا فيكون حقا وقد لا يكون فيكون باطلا فالقول الذى بالقلب هو المعتبر من قولكم قد يكون حقا وقد يكون باطلا لانه يتبع الوجود وقول الله حق لانه يتبعه الوجود فانه يقول فيكون فاذا قول الله خير من اقوالكم التى عن قلوبكم فكيف يكون نسبته الى قولكم التى بافواهكم فاذا لا يجوز ان ياخذوا بقولكم الكاذب اللاغى وتتركوا قول الله الحق فمن يقول بان تزوج النبى صلى الله عليه وسلم بزينب لم يكن حسنا يكون قد ترك قول الله الحق واخذ بقول خرج عن الفم ثم قال تعالى وهو يهدى السبيل اشارة الى ان اتباع ما انزل الله حرى من الاخذ بقول الغير ثم بين الهداية بقوله تعالى قال ادعوهم لابائهم ارشادا وقال هو اقسط اى اعدله فانه وضع الشىء فى موضعه وهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون ترك الاضافة الى الله تعالى للعموم اى اعدل كل كلام كقول القايل الله اكبر وثانيهما ان يكون متقدما مسويا كانه قال ذلك اقسط من قولكم هو ابن فلان ثم تمم الارشاد وقال تعالى فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم فى الدين يعنى قولوا لهم اخواننا واخو فلان فان كانوا محررين قولوا مولى فلان ثم قال وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به يعنى قول القايل لغيره يا بنى بطريق الشفقة وقول القايل لغيره يا ابى بطريق التعظيم فانه مثل الخطا الا ترى ان اللغو فى اليمين مثل الخطا وسبق اللسان فكذلك سبق اللسان فى قول القايل يا ابى والسهو وقوله ابنى من غير قصد الى اثبات النسب سوا تعالى ولكن ما تعمدت قلوبكم مبتدا خبره محذوف يدل عليه ما سبق وهو الجناح يعنى ما تعمدت قلوبكم فيه جناح وكان الله غفورا رحيما يغفر الذنوب ويرحم المذنب وقد ذكرنا كلاما شافيا فى المغفرة والرحمة فى مواضع ونعيد بعضها ونقول المغفرة هو ان يستر القادح الفضيح الصادر ممن تحت قدرته حتى ان العبد اذا ستر عيب سيده مخافة عقابه لا يقال له غفر له والرحمة هو ان يميل اليه بالاحسان لعجز المرحوم اليه لا لعوض فان من مال الى انسان قادر فالسلطان لا يقال رحمه ولذلك من احسن الى غيره ورجا فى خير او عوضا عما صدر منه انعاما من الاحسان لا يقال رحمه اذا علم هذا فالمغفرة اذا ذكرت قبل الرحمة يكون معناها انه يستر عيبه ثم يراه مفلسا عاجزا فيرحمه ويعطيه ما كفاه واذا ذكرت المغفرة بعد الرحمة وهو قليل يكون معناه انه مال اليه لعجزه فترك عقابه ولم يقتصر عليه بل ستر ذنوبه والله تعالى اعلم بالصواب

**قوله تعالى** النبى اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله من المومنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطورا واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسال الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين عذابا اليما يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا

**اعلم** ان تقرير الصحة ما صدر منه صلى الله عليه وسلم من التزوج بزينب وكان هذا جواب عن سوال وهو ان قايلا لو قال هب ان الادعياء ليسوا ابناء كما قلت لكن من سماه غيره ابنا اذا كان لدعيه شىء حسن لا يليق بمروته ان ياخذ منه ويطعن فيه عرفا فقال الله تعالى النبى اولى بالمومنين جوابا عن ذلك السوال وتقريره هو ان دفع الحاجات على مراتب دفع حاجة الاجانب ثم دفع حاجة الاقارب الذين على حواشى النسب ثم دفع حاجة الاصول والفروع ثم دفع حاجة النفس والاول عرفا دون الثانى وكذلك شرعا فان العاقلة تحمل الدية عنهم ولا تحملها عن الاجانب والثانى دون الثالث ايضا وهو ظاهر بدليل النفقة والثالث دون الرابع فان النفس مقدم الى الغير واليه اشار النبى صلى الله عليه وسلم ابدا بنفسك ثم بمن تعول اذا علمت هذا فالانسان اذا كان معه ما يغطى به احد الرجلين او يدفع به حاجة من احد يتعين بدنه فلو احد الغطا من احدهما وغطى به الاخرى لا يكون الاحداث له ولم يعد

فضلا من ان تقول ليس ما فعلت الام الان يكون احد العضوين اشرف من الاخر مثل ما اذا وقى الانسان عنه بيده ويدفع البرد عن راسه
الذي هو معدن حواسه ويترك رجله فيبرد فانه الواجب عقلا حتى لو عكس الامر يقال له لم فعلت واذا تمهد هذا فالنبي اولى
بالمومنين من انفسهم فلو دفع المومن حاجة لنفسه دون حاجة نبيه يكون مثله مثل من يدفع عن شعره ويكشف راسه في برد مفرط قاتل
به بزينة شعره ولم يعلم انه يوذي به راسه الذي لا نبات لشعره فلو دفع الانسان حاجته لا للعبادة لم يكن ليس دفعا للحاجة
فان دفع الحاجة ما هو فوق تحصيل المصلحة وهذا ليس فيه مصلحة فضلا من ان يكون حاجة فان كان للعبادة فترك النبي الذي منه
يتعلم كيفيه العبادة في الحاجة ودفع حاجة النفس مثل تربية الشعر مع اهمال امر الراس ... ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد شيا
حرم على الامة التعرض اليه في الحكمة الواضحة ثم قال تعالى وازواجه امهاتهم تقريرا اخر ولذلك كان زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ما احلها
الله تعالى في حكم الام الا لقطع نظر الامة عما تعلق به غرض النبي صلى الله عليه وسلم فاذا تعلق خاطره بامراة شاركت الزوجات في
التعلق فحرمت مثل ما حرمت الزوجة على غيره فلو قال قايل كيف قال وازواجه امهاتهم وقال تعالى من قبل وما جعل ازواجكم اللائي
تظاهرون منهن امهاتكم اشارة الى الدعي ولدتهم فنقول قوله تعالى في الاية المتقدمة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل جواب عن
هذا معناه ان الشرع مثل الحقيقة ولهذا يرجع العاقل عند تعذر اعتبار الحقيقة الى الشريعة كما ان امراتين اذا ادعت
كل واحدة ولدا بعينه ولم يكن لهما بينة وحلفت احداهما دون الاخرى حكم لها بالولد وان تبين ان التي حلفت دون البلوغ
او بكر لا يحكم لها بالولد فيعلم ان عند عدم الوصول الى الحقيقة يرجع الى الشرع لا بل في بعض المواضع على الندور تغلب الشريعة الحقيقة فان الزاني
لا يجعل بالولد الزنا اذا اثبت هذا فالشارع له الحكم فنقول القايل بل هذه التي تقول انها لا حقيقة ولا يترتب عليها حقيقة واما قول
الشارع حق والذي نويده هو ان الشارع به الحقايق حقايق فلهذا لو تصرف فيها ... صارت اما الا ان يخلق الله الولد في رحمها
ولو جعله في جوف غيرها لكانت الام غيرها فاذا كان هو الذي يجعل الام الحقيقي اما فله ان يسمي امراة اما ويعطيها حكم الامومة والمعقود
في جعل ازواجه امهاتنا هو ان الله تعالى جعل زوجة الاب محرمة على الولد لان الزوجة محل الغيرة والتنازع فيها فان تزوج الابن
بمن كانت تحت الاب يفضي ذلك الى قطع الرحم والعقوق لكن النبي صلى الله عليه وسلم اشرف واعلى درجة من الاب واولى
بالارضا فان الاب تولية في الدنيا فحسب والنبي صلى الله عليه وسلم تولية في الدنيا والاخرى فوجب ان يكون زوجاته مثل زوجات
الاب فان قال قايل فلم لم يقل ان النبي ابوكم ليحصل هذا المعنى ولم نقل بان ازواجه ازواج ابيكم فنقول لحكمة وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما بينا انه اذا اراد زوجة واحد من الامة وجب عليه تركها ليتزوج بها النبي صلى الله عليه وسلم فلو قال انت ابوهم لحرم عليهم زوجات
المومنين على التابيد ولانه لما جعله اولى بهم من انفسهم والنفس مقدمة على الاب لقوله ابدا بنفسك ثم بمن تعول ولذلك فان المحتاج
الى ... لا يجب عليه صرفه الى الاب ويجب عليه صرفها الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان ازواجه لهن حكم زوجات الاب حتى لا يحرم اولادهن
على المومنين ولا اخواتهن ولا امهاتهن وان كان الكل يحرمن في الام الحقيقية والرضاعة ثم قال تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
اشارة الى الميراث وقوله تعالى الا ان تفعلوا الى اوليايكم معروفا اشارة الى الوصية يعني ان اوصيتم فالوالدين اولى وان لم توصوا
فالوارث اولى بميراثكم وبما تركتم فان قيل فعلى هذا اي تعلق للميراث والوصية بما ذكر نقول تعلق قوي خفي لا يتبين الا
لمن هداه الله تعالى بنوره وهو ان عن النبي في حياته لا يصير له مال الغير بعد وفاته لا يصير ماله لغيره ورثته بعد وفاته
كان الله تعالى عوض النبي من قطع ميراثه بقدرته على تملك مال الغير وعوض المومنين فانه ما يتركه يرجع اليهم حتى لا يكون حرج
على المومنين في ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد شيا يصير اليه ثم يموت ويبقى لورثته فيفوت عليهم ولا يرجع عليهم
فقال تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض يعني بحكم التوارث فيصير مال احدكم لغيره بالارث والنبي لا يورث بينه
وبين اقاربه فينبغي ان يكون له بدل هذا انه اولى في حياته بما في ايديكم الثاني هو ان الله تعالى ذكر دليله على ان النبي صلى الله
عليه وسلم اولى بالمومنين وهو ان اولي الارحام بعضهم اولى ببعض ثم ان اراد واحد برا مع صديق فيوصي له بشي فيصير اولى من
قرابته وكانه بالوصية قطع الارث وقال هذا مالي لا يسقط الا الى من اريده فكذلك الله جعل لصديقه من الدنيا ما اراده ثم
ما يفضل عنه يكون لغيره وقوله تعالى كان ذلك في الكتاب مسطورا فيه وجهان **احدهما** في القران وهو المواريث والوصية
**والثاني** في اللوح المحفوظ ثم قال تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك وجه تعلق الاية بما قبلها هو ان الله تعالى لما امر
النبي صلى الله عليه وسلم بالاتقا بقوله تعالى يا ايها النبي اتق الله واكده بالحكاية التي خشي فيها الناس لكي لا يخشى فيها احدا غيره وبين انه
لم يرتكب ما يوجب الخشية بقوله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم اكده بوجه اخر فقال تعالى واذ اخذنا من النبيين فانه قال اتق الله تعالى
ولا تخف احدا واذكر ان الله تعالى اخذ من النبيين في انهم يبلغون رسالات الله ولا يمنعهم من ذلك خوف ولا طمع وفيها مسايل المسئلة الاولى
المراد بين الميثاق الماخوذ من النبيين ارسالهم وامرهم بالتبليغ المسئلة الثانية خص بالذكر اربعة من الانبيا وهم نوح وابرهيم وموسى
وعيسى عليهم السلام كان لهما في زمان نبينا قوم وامه فذكرهما احتجاجا الى قومهما وابرهيم كان بالعرب يقولون بفضله وكانوا يتبعونه في
الشعاير بعضها ونوحا لانه كان اصلا ثانيا للناس حيث وجد الخلق منه بعد الطوفان وعلى هذا لو قال فادم كان اولى بالذكر من نوح
فنقول خلق ادم كان للعمارة ونبوته كانت مثل الارشاد للاولاد ولهذا لم يكن في زمانه اهلاك قوم ولا تعذيب واما نوح كان مخلوقا
للنبوة وارسل للانذار ولهذا اهلك قومه واغرقوا المسئلة الثالثة في كثير من المواضع يقول الله عيسى بن مريم والمسيح بن مريم
اشارة الى انه لا اب له اذ لو كان لوقع التعريف به واخذنا منهم ميثاقا غليظا الميثاق هو سوالهم عما فعلوا في الارسال كما قال تعالى و
لنسالن المرسلين وهذا لان الملك اذا ارسل رسولا فامره بشي وقبله فهو ميثاق فاذا اعلمه فانه يسال عن حاله في افعاله واقواله

يكون ذلك



يكون ذلك تغليظا للميثاق عليه حتى لا يزيد ولا ينقص في الرسالة وعلى هذا يمكن ان يقال بان المراد من قوله تعالى وكيف تاخذونه
وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا هو الاخبار بانهم مسولون عنها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كلكم راع
وكلكم مسول عن رعيته وكما ان الله تعالى جعل الرجال قوامين على النسا جعل الانبيا قايمين بامور امتهم وارشادهم الى سبيل
الرشاد ثم قال تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين عذابا يعني ارسل الرسل وعاقبة المكلفين اما حساب
واما عذاب لان الصادق محاسب والكافر معذب وهذا كما قال عليه السلام الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب وهذا
كما يوجب الخوف العام فيتاكد قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ثم قال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم تحقيقا
لما سبق من الامر بتقوى الله بحيث لا يبقى معه خوفا من احد وذلك في واقعة اجتماع الاحزاب واشتداد الامر على الاصحاب
حيث اجتمع المشركون باسرهم واليهود باجمعهم ونزلوا على المدينة وعمل النبي صلى الله عليه وسلم الخندق فكان الامر في غاية
الشدة والخوف بالغا الى الغاية والله دفع القوم عنهم من غير قتال وامنهم من الخوف فينبغي ان لا يخاف العبد غير ربه
فانه كاف امره ولا يامن مكره وهو قادر على كل ممكن فكان قادرا على ان يهلك المسلمين بالكفار مع انهم كانوا ضعفا كما نصر
الكافرين بالمومنين مع قوتهم وشوكتهم وقوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها اشارة الى ما فعل الله بهم
من ارسال ريح باردة عليهم في ليلة شاتية وارسال الملايكة وقذف الرعب في قلوبهم حتى كان البعض يلتزق بالبعض
من خوف الخيل في جوف الليل والحكاية مشهورة وقوله تعالى وكان الله بما تعملون بصيرا اشارة الى ان الله تعالى عالم
التحاكم اليه ونجاكم من فضله فنصركم على الاعدا عند الاستعدا فهذا تقرير لوجوب الخوف وعدم الخوف من غير
الله فان قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها اي الله يقضي حاجتكم وانتم لا ترون فان كان لا حظ لكم
وجه الامن فلا يلتفتوا الى عدم ظهوره لكم لانكم لا ترون الاشيا فلا تخافون غير الله والله بصير بما تعملون فلا تقولوا
بانا نفعل شيا وهم لا يسمعوه فانه بكل شي بصير والله تعالى اعلم **قوله تعالى** اذ جاوكم من فوقكم ومن اسفل
منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا
زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا واذ قالت طايفة
يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون
الا فرارا ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سيلوا الفتنة لاتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ولقد كانوا ما
عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسولا اما قوله تعالى اذ جاوكم من فوقكم ومن اسفل
منكم من جانب الغرب وهم اهل مكة وزاغت الابصار اي مالت عن سننها ولم يلتفت الا الى العدو وكثرته وبلغت القلوب
الحناجر كناية عن غاية الشدة وذلك لان القلب عند الغضب يندفع وعند الخوف يجتمع فيتقلص فيلتصق بالحنجرة وقد يفضي
الى ان يسد مخرج النفس فلا يقدر المرء يتنفس ويموت من الخوف ومثله قوله تعالى حتى اذا بلغت الحلقوم وقوله تعالى وتظنون بالله
الظنونا الالف واللام يمكن ان يكون بمعنى الاستغراق مبالغة يعني تظنون كل ظن لان عند الامر العظيم كل احد يظن شيا
ويمكن ان يكون المراد ظنونهم المعهودة لان المعهود من المومن ظن الخير بالله كما قال صلى الله عليه وسلم ظنوا بالله خيرا ومن
الكافر الظن السوء كما قال تعالى ذلك ظن الذين كفروا وقوله تعالى ان يتبعون الا الظن فان قال قايل المصدر لا يجمع فما الفايدة
في جمع الظنون فنقول لا شك في انه منعوت على المصدر لكن الاسم قد يجعل مصدرا كما يقال ضربته سياطا وادبته مرارا
فكانه قال ظننتم ظنا بعد ظن اي ما تمم على ظن والفايدة هي ان الله تعالى لو قال تظنون ظنا جاز ان يكونوا مصيبين فاذا قال
ظنونا تبين ان فيهم من كان ظنه كاذبا لان الظنون قد يكذب كلها وقد يكذب بعضها اذا كانت في امر واحد مثاله اذا راى جمع
من بعيد جسما وظنه بعضهم انه زيد واخرون انه عمرو وقوم ثالث انه بكر وعليها ثم ظهر لهم الحق قد يكون الكل مخطين والمرئي
حجرا او شجرا وقد يكون احدهم ولا يمكن ان يكون الكل مصيبين فقوله الظنونا افادنا ان فيهم من اخطا الظن ولو قال يظنون
بالله ظنا ما كان يفيدها ثم قال تعالى هنالك ابتلي اي عند ذلك امتحن الله المومنين هو ليصاد فع المنافق والامتحان
من الله ليس ليلا فاده الامر له بل الحكمة اخرى وهي ان الله تعالى عالم بما هو عليه لكنه اراد اظهار الامر لغيره من الملايكة والانبيا
كما ان السيد اذا علم من عبده المخالفة وعزم على معاقبته على مخالفته وعنده غيره من العبيد او غيرهم فامره بامر عالما
بانه مخالف فبين الامر على يد الغير فيقع المعاقبة على احسن الوجوه حيث لا يقع لاحد انه ظلم او من قبله حكم وقوله تعالى
وزلزلوا زلزالا شديدا اي ان تحركوا وحركوا فمن ثبت منهم كان من الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ويذكر الله ليطهر
مرة اخرى وهم المومنون حقا ثم قال تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض فسر الظنون وبينها وظن
المنافقون ان ما قال الله ورسوله كان زورا ووعدهما كان غرورا حيث يعلموا بان العلة واقعة ثم قال تعالى
واذ قالت طايفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم اي لا وجه لاقامتكم عند محمد صلى الله عليه وسلم كما لا اقامة مع الذل والهوان
اي لا وجه لها ويثرب اسم للبقعة اي فيها المدينة فارجعوا اي عن محمد واتفقوا مع الاحزاب ثم جوامع الاحزاب
ثم السامعون عزموا على الرجوع واستاذنوه وتعللوا بان بيوتنا عورة اي فيها خلل لا يامن صاحبها السارق على متاعه
والعدو على اتباعه ثم كذبهم الله تعالى بقوله وما هي بعورة وبين حصدهم وما يكن صدورهم وهو الفرار وزوال القرار
بسبب الخوف ثم قال تعالى ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سيلوا الفتنة لاتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا اشارة الى ذلك

الفرار والرجوع ليس بحفظ البيوت لانها تحفظ بغير الحرس فاذا ظفر بها العدو لا يحفظها من يترك المال ويكاد يوجد منه فاذا اخذ منه البيت لا ينفعه فقال الله تعالى هم قالوا ان رجوعنا عند لحفظ بيوتنا ولو دخلها الاحزاب واخذوها منهم لرجعوا ايضا وليس رجوعهم عنك الا بسبب كفرهم وحبهم الفتنة وقوله تعالى ولو دخلت عليهم من اقطارها احتمل ان يكون المراد المدينة اى ما تلبثوا بالفتنة الا يسيرا فانها تزول ويكون العاقبة للمتقين ويحتمل ان يكون المراد المدينة او البيوت اى ما تلبثوا بالمدينة الا يسيرا فان المومنين يخرجونهم ثم قال تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل بالفساد ... لنقضهم العهود فانهم قبل ذلك تخلفوا واظهروا عذرا وندموا وذكروا ان القتال لو تركهم لقرروا وندموا ثم هددهم بقوله تعالى وكان عهد الله مسئولا والله تعالى اعلم **قوله تعالى** قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون الباس الا قليلا اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير اولئك لم يومنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يات الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسالون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا ولما راى المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما اما قوله تعالى قل لن ينفعكم الفرار اى ما قدر عليه لا يرد وما قدره الله تعالى كاين فمن امر بشي اذا خالفه سعى في ورطة العقاب اجلا ولا ينفع بالمخالفة عاجلا ثم قال تعالى واذا لا تمتعون الا قليلا فانه يقول ولو فررتم منه في يومكم مع انه غير ممكن لما دمتم بل لا تمتعون الا قليلا فالعاقل لا يرغب في شي قليل مع انه يفوت عليه شيئا كثيرا فلا فراركم ينفعكم ولو كان لما منعهم من الفرار الا قليلا ثم قال تعالى قل من ذا الذي يعصمكم من الله بيانا لما تقدم من قوله ينفعكم الفرار بكم ولن ينفع لمحبته اياكم ولا نصيرا ينصركم ويدفع عنكم السوء يثبطون المسلمين ويقولون تعالوا الينا ولا تقاتلوا مع محمد صلى الله عليه وسلم وفيه وجهان **احدهما** ان المنافقون الذين كانوا يقولون للانصار لا تقاتلوا وسلموا محمدا الى قريش **وثانيهما** اليهود الذين كانوا يقولون لاهل المدينة تعالوا الينا وكونوا معنا وهلم بمعنى تعالوا او احضر ولا يجمع في لغة الحجاز ويجمع في غيرها ويقال للجماعة هلموا وللنساء هلممن وقوله تعالى ولا ياتون الباس الا قليلا يريد الوجه الاول وهو ان المراد منهم المنافقون وهو يحتمل وجهين **احدهما** لا ياتون الناس بمعنى يتخلفون عنكم ولا يخرجون معكم وحينئذ قوله تعالى اشحة عليكم اى بخلاء حيث لا ينفقون في سبيل الله شيئا **وثانيهما** لا ياتون الناس بمعنى لا يقاتلون معكم ويتعللون عن الاشتغال عن القتال وقت الحضور معكم وقوله اشحة عليكم اى بانفسهم وابدانهم ثم قال تعالى فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت اشارة الى غاية جبنهم ونهاية ذعرهم **واعلم** ان البخيل لما ذكر البخل بين سببه وهو الجبن والذي يدل عليه هو ان الجبان يبخل بماله ولا ينفقه في سبيل الله لانه لا يتوقع الظفر فلا يرجو الغنيمة فيقول هذا انفاق لا بدل له فيتوقف فيه واما الشجاع فيتيقن الظفر والغنيمة فيهون عليه اخراج المال في القتال طمعا فيما هو اضعاف ذلك واما في النفس والبدن فكذلك لان الجبان يخاف قرنه ويتصور الفعل فيحين ويترك الاقدام واما الشجاع فيحكم بالغلبة والنصر فيقدم وقوله تعالى فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اى عابوكم بالسنتهم واذوكم بكلامهم يقولون نحن الذين قاتلنا وبنا انهزم وكسر العدو وقهر وبطا يبوتكم بالقسم الاوفر من الغنيمة وكانوا من قبل راضين من الغنيمة بالاياب وقوله تعالى اشحة عليكم على الخير قيل الخير المال ويمكن ان يقال معناه انهم قاتلوا الخير في الحاليين كهاروا الشر في الوقتين في الاول ويتخلفون وفي الاخر يتخلفون لذلك ثم قال تعالى اولئك لم يومنوا فاحبط الله اعمالهم يعني لم يومنوا حقيقة وان اظهروا الايمان لفظا فاحبط الله اعمالهم التي كانوا ياتون بها مع المسلمين وقوله تعالى وكان ذلك على الله يسيرا مع ان كل شي على الله يسير اشارة الى ما يكون في نظر الناظر كما في قوله تعالى وهو اهون عليه وذلك لان الاحباط اعدام واهدار واعدام الاجسام اذا نظر الناظر يقول الجسم اعدامه يسير بتفريق اجزائه فاذا احرق شيئا يبقى منه رماد وذلك لان الرماد ان فرقه الريح يبقى منه ذرات وهذا مذهب الناس والحق هو ان الله تعالى يعدم الاجسام ويعيدها متى شاء منها واما العمل فنوع العين معدوم وان كان يبقى حكمه واثاره فاذا لم يكن له فائدة واعتبار فهو معدوم حقيقة وحكما فالعمل اذا لم يعتبر فهو معدوم في الحقيقة بخلاف الجسم ثم قال تعالى يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اى من غاية الجبن عندها بهم كانوا يخوفهم ورعب محبتهم كانوا يودون لو كانوا في البوادي لا يكونون بين المقاتلين مع انهم عند حضورهم فانهم عاسون حيث لا يقاتلون كما قال تعالى ولو كانوا فيكم ما قاتلوا ثم قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ثم قال تعالى ولما راى المومنون لما بين حال المنافقين ذكر حال المومنين وهو انهم قالوا هذا ما وعدنا الله من الابتلاء ثم قالوا وصدق الله ورسوله فما قاله فولهم ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقولهم وصدق الله ليس اشارة الى ما وقع فانهم كانوا يعرفون صدق الله تعالى قبل الوقوع وانما هو اشارة الى بشارة وهو انهم قالوا هذا ما وعدنا الله وقد وقع وصدق الله تعالى في جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وقوله تعالى وما زادهم الا ايمانا بوقوعه وتسليما عند وجوده والله تعالى اعلم **قوله تعالى**

من المؤمنين

من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتاسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطئوها وكان الله على كل شي قديرا **اعلم** انه تعالى اشار الى وفاهم بعهدهم الذي عاهدوا الله انهم لا يفارقون نبيه الا بالموت فمنهم من قضى نحبه ومنهم اى قاتل حتى قتل ... والنحب النذر ومنهم من هو بعد في القتال ينتظر الشهادة وفاء بالعهد وما بدلوا تبديلا بخلاف المنافقين فانهم قالوا لا يولون الادبار وبدلوا قولهم وولوا ادبارهم قوله تعالى ليجزي الله الصادقين بصدقهم اى بصدق ما وعدهم في الدنيا والاخرة كما صدقوا مواعيدهم ويعذب المنافقين الذين كذبوا واحلفوا وقوله ان شاء ذلك بمنعهم من الايمان او يتوب عليهم ان ادوا اما قال ذلك حيث لم يكن قد حصل ياس النبي صلى الله عليه وسلم عن ايمانهم وامن بعد ذلك منهم ناس قوله تعالى وكان الله غفورا حيث ستر ذنبهم ورحيما حيث كان غفورا رحيما لكرمه ... وقوة حرمهم ولو كان دون ذلك لعفرلهم ثم بين بعض ما هو جزاوهم على صدقهم فقال تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم اى مع غيظهم لم يشفوا صدرا ولم يحققوا امرا وكفى الله المومنين القتال اى لم يحوجهم الى قتال وكان الله قويا غير محتاج الى قتالهم عزيزا قادرا الى استيصال الكفار واذلالهم ثم قال تعالى وانزل الذين ظاهروهم اى عاونوهم من اهل الكتاب وهم بنو قريظة من صياصيهم من قلاعهم وقذف في قلوبهم الرعب حتى سلموا انفسهم للقتل واولادهم ونساءهم للسبي فريقا تقتلون وهم الرجال وتاسرون فريقا وهم النسوان والصبيان فان قيل هل في تقديم المفعول حيث قال فريقا تقتلون وتاخيره حيث قال تعالى وتاسرون فريقا فايدة قلت قد اجبنا ان ما من شي من القران الا وله فوايد منها ما يظهر ومنها ما لا يظهر والذي يظهر من هذا والله اعلم ان القايل يبدا بالاهم فالاهم والاقرب فالاقرب والرجال كانوا مشهورين وكان القتل واردا عليهم والاسرى كانوا هم النساء والصغار ولم يكونوا مشهورين والسبي والاسر اشهر من القتل لانه يبقى فيظهر لكل احد انه اسير فقدم من المحلين ما هو اشهر على الفعل القايم به ومن الفعلين ما هو اشهر قدمه على المحل الاخفى وان شئت تقول بعبارة المسايل النحوية فنقول قوله فريقا تقتلون فعل ومفعول والاصل في الفعلية تقديم الفعل على المفعول والفاعل اما انها جملة فعلية فلانها لو كانت اسمية لكان الواجب في فريق الرفع كانه يقول فريق منهم تقتلونهم فلما نصب كان ذلك بفعل مضمر يفسره الظاهر بعده تقتلون فريقا والحامل على مثل هذا الكلام شدة الاهتمام وبيان المفعول وههنا لانه تعالى لما ذكر حال الذين ظاهروهم وانه قذف في قلوبهم الرعب فلو قال تقتلون الى ان يسمع السامع مفعول تقتلون زمان وقد يمنعه مانع من سماعه فلا يعلم انهم هم المقتولون واما اذا قال فريقا سبق في فهمهم يسمع الى تمام الكلام واذا كان الاول فعلا ومفعولا قدم المفعول لفايدة عطف الجملة الثانية عليها على الاصل تقديم الفعل لزوال موجب التقديم اذا عرف حالهم وما يجري بعدهم يكون مصروفا اليهم ولو قال بعد ذلك وفريقا تاسرون يمكن ان يسمع فريقا وربما يظن انه يقال فيهم يطلقون او لا يقدرون عليهم فكان تقديم الفعل ههنا اولى وكذلك الكلام في قوله تعالى وانزل الذين وقوله وقذف بان قذف الرعب قبل الانزال لان الرعب صار سببا للانزال ولكن لما كان الفرح في انزالهم اكثر قدم الانزال على قذف الرعب والله اعلم ثم قال تعالى واورثكم ارضهم وديارهم فيه ترتيب على ما كان فان المومنين اولا تملكوا ارضهم بالنزول فيها والاستيلاء عليها ثم تملكوا ديارهم بالدخول عليهم واحرقلاعهم ثم اموالهم التي كانت في بيوتهم وقوله تعالى وارضا لم تطئوها قيل المراد القلاع وقيل المراد الروم وارض فارس وقيل كل ما يوجد الى يوم القيمة وكان الله على كل شي قديرا هذا يوصل قول من قال ان المراد من قوله تعالى وارضا لم تطئوها هو ما سيوجد بعد بني قريظة ووجهه هو ان الله تعالى لما ملكهم تلك البلاد ووعدهم بغيرها رفعا لاستبعاد من لا يكون قوي الاتكال على الله وقال الذي قدر على ما ملككم هو قادر على كل شي قدير يملككم غيرها والله تعالى اعلم **قوله تعالى** يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نوتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلوة واتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا **اعلم** ان وجه التعلق هو ان مكارم الاخلاق منحصرة في شيئين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله تعالى والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم بقوله الصلوة وما ملكت ايمانكم ثم ان الله تعالى لما ارشد نبيه الى ما يتعلق بجانب التعظيم لله بقوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ذكر ما يتعلق بجانب الشفقة وبدا بالزوجات فانهن اولى الناس بالشفقة ولهذا قدمهن في النفقة وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** فقهية منها ان التخيير هل كان واجبا على النبي ام لا فنقول التخيير قولا كان واجبا من غير شك لانه ابلاغ الرسالة لان الله تعالى لما قال له قل لهم صار من الرسالة واما التخيير معنى فمبني على ان الامر للوجوب ام لا والظاهر انه للوجوب ومنها ان واحدة منهن لو اختارت الفراق هل كان يصير اختيارها فراقا والظاهر انه

لا تصير فراقا وانما يعلق الحكم بعينها اما انه من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا
جميلا وفيها ان واحدة منهن ان اختارت نفسها وقلنا بانها لا تبين الا بابانة من النبي صلى الله عليه وسلم لم كان يجب على النبي صلى
الله عليه وسلم الطلاق الظاهر لا والظاهر نظرا الى منصب النبي انه كان يجب لان الخلف في الوعد من النبي غير جايز بخلاف واحد منا فانه
لا يلزمه شرعا الوفا ومنها ان المختارة بعد البينونة هل كانت تحرم على غيره ام لا والظاهر انها لا تحرم والا يكون محكوما له وتحت
طاعته وصارت زوجة الغير بالنسبة الى زوجة النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها الظاهر الحرمة نظرا الى منصب الرسول صلى الله
عليه وسلم على معنى ان النبي لا يباشره اصلا بمعنى انه لو اتى به لعوقب او عوتب وفيها لطايف لطيفة منها تقديم اختيار الدنيا اشارة
الى ان النبي صلى الله عليه وسلم غير ملتفت الى جانبهن غاية الالتفات وكيف وهو مشغول بالعبادة دايما ومنها قوله واسرحكن
سراحا جميلا اشارة الى ما ذكرنا فان السراح الجميل مع البارى القوي لا يجتمع في العادة فعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يباشر
من اختار زوجات فراقه بدليل ان السراح الجميل منه ومنها قوله تعالى وان كنتن تردن الله اعلاما لهن لان في النبي احسانا الله ورسوله
والدار الاخرة وهذه الثلاثة هي الدين وقوله تعالى اعد للمحسنات منكن اي لمن عمل صالحا منكن وقوله تردن الله ورسوله والدار
الاخرة وهذه الثلاثة هي الدين وقوله تعالى واعد للمحسنات منكن اي لمن عمل صالحا منكن وقوله تعالى تردن الله ورسوله والدار
الاخرة وفيه معنى الايمان وقوله للمحسنات بيان الاحسان حتى يكون الاية في المعنى كقوله تعالى ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن
وقوله تعالى من امن وعمل صالحا وقوله تعالى الذين امنوا وعملوا الصالحات والاجر العظيم الكبير في الذات الحسن في الصفات الباقي في
الاوقات وذلك لان التعظيم في الاجسام لا يطلق الا على الزايد في الطول يقال له طويل ولو كان زايدا في العرض يقال له عريض وكذلك
العميق فاذا وجدت الامور الثلاثة قيل عظيم فيقال جبل عظيم اذا كان عاليا ممتدا في الجهات وان كان مرتفعا فحسب يقال جبل
عال اذا عرفت هذا فاجر الدنيا في ذاته قليل وفي صفاته غير خال عن جهة قبح لما في ما كوله من الضرر والثقل وكذلك في مشروبه
وغيره من اللذات وغيره والم واجر الاخرة كبير خال عن جهات القبح دايم فهو عظيم ثم قال تعالى يا نساء النبي من يات منكن
بفاحشة مبينة لما خيرهن النبي صلى الله عليه وسلم واخترن الله ورسوله هن الله وهددهن للتوقي عما يسوء النبي ونهى
بهن من الفاحشة التي هي اصعب على الزوج من كل ما يا تي به زوجته واوعدهن بتضعيف العذاب وفيه حكمة احدها ان زوجة الغير
تعذب على الزنا بسبب ما في الزنا من المفاسد وزوجة النبي تعذب ان اتت به كذلك والا بدا فيه والا درا لمحمه وعلى هذا
بنات النبي صلى الله عليه وسلم كذلك ولان امراة لو كانت تحت النبي واتت بفاحشة تكون قد اختارت غير النبي على النبي ويكون
ذلك الغير خيرا عندها من النبي واولى والنبي اولى من النفس التي هي اولى من الغير فقد تركت منصب النبي صلى الله عليه وسلم من بين
فتعذب من العذاب ضعفين وثانيهما ان هذا اشارة الى شرفهن لان الحرة عذابها ضعف عذاب الامة اظهارا لشرفها ونسبة النبي
الى غيره من الرجال كنسبة السادات الى العبيد لكونه اولى بهم من انفسهم فكذلك زوجاته وقرابته اللاتي هن امهات المومنين
وام الشخص امراة حاكمة عليه واجبة الطاعة وزوجه مامورة له واعلم ان قول القايل من يفعل كذا في صورة قوله تعالى
لين اشركت ليحبطن عملك من حيث ان ذلك يمكن الوقوع في اول النظر ولا يقع في بعض الصور جزما وفي بعض يقع جزما من مات فقد
استراح وفي البعض يتردد السامع في الامر فقوله تعالى من يات منكن بفاحشة عندنا من القسم الاول فان الانبيا عليهم السلام
صان الله زوجاتهم من الفاحشة وقوله تعالى وكان ذلك على الله يسيرا اي ليس كونهن تحت النبي صلى الله عليه وسلم ولو كن
مراعيات حلفات مما يرفع العذاب عنكم وليس امر الله كامر الخلق حيث يتعذر عليهم تعذيب الاحر بسبب كثرة اولياءهم كما يسن
زيادة عقابهن بقوله تعالى نوتها اجرها مرتين في مقابلة قوله تعالى يضاعف لها العذاب ضعفين مع لطيفة وهي عند ذكر
الاجر ذكر المونى وهو الله تعالى وعند العذاب لم يصرح بالمعذب فقال تعالى يضاعف اشارة الى معنى لطيف وهو ان الرزق في الدنيا
مقدر على ايدي الناس التاجر يسترزق من السوقة والمعاملين والصباغ من المستعملين والملوك من الرعية والرعية منهم فالرزق
في الدنيا لا ياتي بنفسه وانما هو مسخر للغير يمكنه ويرسله الى الاعيان واما في الاخرة فلا يكون له مرسل وممسك في الظاهر فهو الذي
ياتي بنفسه فلاجل هذا لا يوصف في الدنيا بالكريم الا الرازق وفي الاخرة يوصف بالكريم نفس الرزق ثم قال تعالى يا نساء النبي لستن
كاحد من النساء لما ذكر ان عذابهن ضعف عذاب غيرهن واجرهن مثل اجرهن صرن كالحراير بالنسبة الى الاما فقال لستن كاحد من النساء
ومعنى قول القايل ليس فلان كاحاد الناس يعني ليس فيه مجرد كونه انسانا بل وصفا اخص موجود فيه وهو كونه عالما او
عاملا او نسيبا او حسيبا فان الوصف الاخص اذا لا يوجد في الشخص الموصوف بالاعم فان من عرف رجلا لم يعرف منه غير كونه رجلا بعول
رجلا فان عرف علمه يقول رايت زيدا او عمرا فكذلك قوله تعالى لستن كاحد من النساء لكن غير ذلك اي لا يوجد في غيركن وهو
امهات جميع المومنين وزوجات المرسلين وكما ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس كاحد من الرجال كما قال صلى الله عليه وسلم لست
كاحدكم كذلك زوجاته اللاتي يشرفن به وبين الزوجين نوع من الكفاة ثم قوله تعالى ان اتقيتن فان الاكرم عند الله تعالى هو
الاتقى وثانيهما ان يكون متعلقا بما بعده على معنى ان اتقيتن فلا تخضعن والله لما منعهن من الفاحشة وهي الفعل القبيح
منعهن من مقدماتها وهي المحادثة مع الرجال والانقياد في الكلام للعاشق فيطمع الذي في قلبه مرض اي فسق وقوله تعالى
وقلن قولا معروفا اي ذكر الله تعالى وما يحتجن اليه من الكلام والله تعالى لما قال فلا تخضعن بالقول ذكر بعده وقلن اشارة
الى ان ذلك ليس امرا بالايذا والمنكر بل القول المعروف عند الحاجة هو المامور به لا غير ثم قال تعالى وقرن في بيوتكن من الوقار
واسقاط احد حرفي التضعيف كما قال تعالى فظلتم تفكهون وقيل بانه من الوقار كما يقال من وعد عدة وقوله تعالى

ولا تبرجن



ولا تبرجن تبرج الجاهلية قيل معناه لا تكسرن ولا تسعين ويحتمل ان يكون المراد ولا تظهرن زينتهن وقوله الجاهلية الاولى فيه
وجهان احدهما ان المراد من كان في زمن نوح عليه السلام والجاهلية الاخرى من كان بعده وثانيهما ان هذه ليست اولى ثم قال تعالى
واقمن الصلوة ليس التكليف فيه في النهي حتى يحصل بقوله تعالى فلا تخضعن ولا تبرجن بل فيه وفي الاوامر فاقمن الصلوة التي هي ترك
التشبه بالجبار المتكبر وآتين الزكاة التي هي النسبة بالكريم الرحيم واطعن الله تعالى اي ليس التكليف منحصرا في المذكور بل كل ما امر الله
به فاتين به وكل ما نهى الله عنه فانتهين عنه ثم قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس فيه لطيفة وهي ان الرجس قد يزول
عيانا ولا يطهر المحل فقوله تعالى ليذهب عنكم الرجس اي يزيل عنكم الذنوب ويطهركم اي يلبسكم خلع الكرامة ثم ان الله تعالى ترك خطاب
المونثات وخاطب بخطاب المذكرين فقوله تعالى ليذهب عنكم الرجس ليدخل فيه نساء اهل بيته ورجالهم واختلف الاقوال في اهل
البيت والاولى ان يقال هم ازواجه واولاده والحسن والحسين منهم وعلي منهم لانه كان من اهل بيته بسبب معاشرته بنت النبي صلى الله
عليه وسلم وملازمة النبي ثم قال تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله اي القران والحكمة اي كلمات النبي اشارة الى ما ذكرنا من
ان التكاليف غير منحصرة في الصلوة والزكاة وما ذكر الله تعالى في هذه الايات فقال تعالى واذكرن ما يتلى ليعلمن الواجبات كلها فياتين
بها والمحرمات فانتهين عنها ان الله كان لطيفا خبيرا اشارة الى انه خبير بالبواطن لطيف يعلمه يصل الى كل شيء ومنه اللطيف الذي يدخل
في المسام اللطيفة ويخرج من المسالك المسدودة والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى** ان المسلمين والمسلمات
والمومنين والمومنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات و
الخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصايمين والصايمات والحافظين فروجهم
والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما **اعلم** انه تعالى لما
امرهن ونهاهن بين ما يكون لهن عشر مراتب الاولى الاسلام والانقياد لامر الله والثانية الايمان بما يريد به امر الله
فان المكلف اولا يقول لما يقبله ويحفظ الاسلام فاذا قال له شيا وعلم صدق مقالته وصح اعتقاده فهو ايمان ثم اعتقاده
يدعوه الى الفعل الحسن والعمل الصالح فيقنت ويعبد وهي المرتبة الثالثة المذكورة بقوله تعالى والقانتين والقانتات
ثم اذا امن وعمل صالحا يكمل فيكمل غيره ويامر بالمعروف وينهى اخاه فيصدق في كلامه عند النصيحة وهو المراد بقوله تعالى
والصابرين والصابرات ثم اذا كمل انه قد يفتخر بنفسه ويعجب بعبادته فيمنعه منه بقوله تعالى والخاشعين والخاشعات
او يقول لما ذكر هذه الحسنات اشار الى ما يمنعهن وهو اما حب المال او حب الجاه من الامور الخارجية او الشهوة من الامور
الداخلة في العصب منهما يكون لانه يكون بسبب نقص جاه او فوت مال او المنع من امر مشتهى فقوله والخاشعين والخاشعات اي
المتواضعين الذين لا يمنعهم عن العبادة ثم قال تعالى والمتصدقين والمتصدقات اي الباذلين من الاموال الذين لا يكثرون به
لشدة محبتهم اياه ثم قال تعالى والصايمين والصايمات اشارة الى الذين لا يمنعهم الشهوة البطنية من عبادة الله ثم قال تعالى
والحافظين فروجهم والحافظات اي الذين لا يمنعهم الشهوة الفرجية ثم قال تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يعني هم في جميع هذه
الاحوال يذكرون الله تعالى ويكون اسلامهم وايمانهم وقنوتهم وصدقهم وصبرهم بنية صادقة لله تعالى واعلم ان الله
تعالى في اكثر المواضع حيث ذكر الذكر قرنه بالكثرة هاهنا وفي قوله بعد هذا يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال من قبل
لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا لان الاكثار من الافعال البدنية غير ممكن او عسير فان الانسان اكله وشربه وتحصيل
ماكوله ومشروبه يمنعه من ان يشتغل دايما بالصلوة ولكن لا مانع له من ان يذكر الله تعالى وهو اكله ويذكره وهو شارب او
ماش بايع او ساير والى هذا اشار بقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولان جميع الاعمال صحتها بذكر الله
تعالى وهي النية ثم قال تعالى اعد الله لهم مغفرة تمحو ذنوبهم واجرا عظيما ذكرناه فيما تقدم ثم قال تعالى وما كان لمومن ولا مومنة
اذا قضى الله ورسوله امرا قيل ان الاية نزلت في زينب حيث اراد النبي صلى الله عليه وسلم تزويجها من زيد بن حارثة فكرهت الا النبي صلى الله
عليه وسلم وكذلك اخوها امتنع فنزلت الاية فرضيا به والوجه ان يقال ان الله تعالى لما امر نبيه بان يقول لزوجاته انهن مخيرات فهم منه
ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يريد ضرر الغير فمن كان ميله الى شيء يمكنه النبي من ذلك ويترك النبي حق نفسه لحظ غيره فقال في هذه
الاية لا ينبغي ان يظن ظان ان هوى نفسه متبع وان زمام الاختيار بيد الانسان كما في الزوجات بل ليس لمومن ولا مومنة
ان يكون له اختيار عند حكم الله ورسوله فما امر الله تعالى هو المتبع وما اراد النبي هو الحق ومن خالفهما في شيء فقد ضل ضلالا
مبينا لان الله تعالى هو المقصد والنبي هو الهادي الموصل فمن ترك المقصد ولم يسمع قول الهادي فهو ضال قطعا والله تعالى
اعلم بالصواب **قوله تعالى** وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة
من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك
عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى
زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم اذا قضوا منهن وطرا وكان
امر الله مفعولا ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا
مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد
ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما يا ايها الذين امنوا اذكروا
الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا هو الذي يصلي عليكم وملايكته ليخرجكم من الظلمات الى النور

وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريما وهو زيد انعم الله عليه بالاسلام وانعمت عليه بالتحرير والاعتاق
امسك عليك زوجك هم زيد بطلاق زينب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم امسك اى لا تطلقها واتق الله تعالى قبل الطلاق
وصل في الشكوى من زينب فان زيدا قال فيها انها تتكبر علي بالنسب وعدم الكفاءة وتخفي في نفسك ما الله مبديه من انك تريد
التزوج بزينب وتخشى الناس من ان يقولوا اخذ زوجة الغير والابن والله احق ان تخشاه ليس اشارة الى ان النبي صلى الله عليه وسلم
خشي الناس ولم يخش الله تعالى بل المعنى الله احق ان تخشاه وحده ولا تخشى احدا معه وانت تخشاه وتخشى الناس ايضا فاجعل
الخشية واحدة كما قال تعالى الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله ثم قال تعالى فلما قضى زيد منها
وطرا زوجناكها اى طلقها زيد وانقضت عدتها وذلك لان الزوجة ما دامت في نكاح الزوج فهي تدفع حاجته وهو محتاج
اليها فلم يقض منها الوطر بالكلية ولم يستغن وكذلك اذا كانت في العدة له بها تعلق لامكان شغل الرحم فلم يقض منها بعد وطره
واما اذا طلق وانقضت عدتها استغنى عنها ولم يبق له معها تعلق فيقضي منها الوطر وهذا موافق لما في الشرع لان التزوج
بزوجة الغير او بمعتدته لا يجوز فلهذا قال تعالى فلما قضى زيد وقوله لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن
وطرا اذا طلقوهن وانقضت عدتهن وفيه اشارة الى ان التزوج من النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن لقضاء شهوة بل لبيان الشريعة بقوله
فان الشرع يستفاد من فعل النبي وقوله تعالى وكان امر الله مفعولا اى مقضيا ما قضاه كائن ثم بين ان تزوجه
بها مع انه كان مبينا للشرع مسبقا كان مشتملا على فائدة كان خاليا عن المفاسد فقال تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله
له سنة الله في الذين خلوا من قبل يعني كان شرع من تقدمه كذلك كان يتزوج الانبيا بنسوة كثيرة ابكار ومطلقات الغير وكان
امر الله قدرا مقدورا اى كل شي بقضا وقدر والقدر التقدير وبين المفعول وللقدر فرق معقول بين القضا والقدر فالقضا
ما كان مقصودا في الاصل والقدر ما يكون تابعا له مثاله من كان يقصد مدرسة فنزل في طريق تلك المدينة بخان او قرية يصح
منه في العرف ان يقول في جواب من يقول لم جئت الى هذه القرية اني ما جئت الى هذه القرية وانما قصدي المدينة الفلانية وهذه وقعت
في طريقي وان كان قد جاها ودخلها اذا عرفت هذا فالخير كله بقضا وقدر وما في العالم من الضر بقدر فان الله تعالى خلق
المكلف بحيث يشتهي ويتغضب ليكون اجتهاده في تغلب العقل والدين عليهما مثابا عليه بابلغ وجه فافضى ذلك الى ان بعض الى
ان زنا وقتل فالله تعالى لم يخلقهما فيه مقصودا منه القتل والزنا وان كان بتقدير الله تعالى اذا علمت هذا ففي قوله تعالى
وكان امر الله مفعولا اى بتزويجنا زينب اياك كان مقصودا متبوعا مرضيا مراعى ولما قال تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل
اشارة داود حيث افتتن بامراة اوريا قال تعالى وكان امر الله قدرا مقدورا اى كان ذلك حكما تبعا فلو قال قائل هذا قول
المعتزلة بالتولد والفلاسفة لوجود الاشيا على وجه مثل كون النار تحرق فحيث قالوا الله تعالى اراد ان يخلق ما يصلح للاحيا
وهو لا يكون الا محرقا بالطبع فخلق النار للنفع فوقع اتفاقا اسباب اوجب احتراق دار زيد او دار عمرو فنقول معاذ الله ان نقول
بان الله غير مختار في افعاله او يقع شي لا باختياره ولكن اهل السنة يقولون اجرا الله عادته بمعنى اى له ان يخلق النار
بحيث عند حاجة الصالح تسخن وعند مساس ثياب العجوز لا تحرق الا ترى انها لا تحرق ابرهيم عليه السلام مع قوتها وكثرتها
لكن خلقها على غير ذلك الوجه بمحض ارادته او لحكمة خفية لا يسال عما يفعل فقوله ما كان في مجرى عادته تعالى على وجه
يدركه العقول البشرية نقول بقضا وما يكون على وجه يقع لفعل فاعل نقول بقدر ولما ذلم يكن على خلافه فقوله بقدر ثم الذين
فقوله تعالى الذين يبلغون رسالات الله يعني هم كانوا ايضا مثلك رسلا ثم ذكر من حالهم انهم جردوا الخشية ووحدوها
فقوله تعالى ولا يخشون احدا الا الله فصار لقوله تعالى فبهداهم اقتده وقوله تعالى وكفى بالله حسيبا اى محاسبا فلا تخش
غيره او محاسبا فلا يلتفت الى غيره ولا يجعله في حسابك ثم قال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم اعلم انه تعالى لما بين
الله ما في تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب من الفوايد بين انه كان خاليا من وجوه المفاسد وذلك لان ما كان يتوهم من المفسدة
كان منحصرا في التزوج بزوجة الابن فانه غير جايز فقال الله تعالى ان زيدا لم يكن ابنا لا بل احد من الرجال ولم يكن ابن محمد
فانه تعالى قابل النبي كان ابا احد من الرجال لان الرجل اسم الذكر من اولاد آدم قال تعالى فان كن نساء فوق اثنتين رجالا ونساء
والصبي داخل فيه فنقول الجواب عنه من وجهين احدهما ان الرجل في الاستعمال يدخل في مفهومه الكبر والبلوغ ولم يكن
للنبي صلى الله عليه وسلم ابن كبير يقال انه رجل والثاني هو انه تعالى قال من رجالكم وقت الخطاب لم يكن له ولد ذكر ثم انه تعالى
لما نفى كونه ابا عقبه بما يدل على ثبوت ما هو في حكم الابوة من بعض الوجوه فقال تعالى ولكن رسول الله كالاب للامة في المنفعة
من جانبه وفي التعظيم في طرفهم بل اقوى فان النبي اولى بالمومنين من انفسهم والاب ليس كذلك ثم بين ما يفيد زيادة
الشفقة من جانبه من جهتهم بقوله تعالى وخاتم النبيين وذلك لان النبي الذي يكون بعده نبي ان ترك شيا من النصيحة
والبيان يستدركه من ياتي بعده واما من لا نبي بعده يكون اشفق على امته واهدى لهم واجدى اذ هو كوالد لولده الذي ليس له
غيره من احد وقوله تعالى وكان الله بكل شي عليما يعني علمه بكل شي دخل فيه ان لا نبي بعده فعلم ان من الحكمة اكمال شرع
محمد صلى الله عليه وسلم ووجه دعمه تكملة للشرع وذلك من حيث ان قول النبي صلى الله عليه وسلم بعينه شرعا لكن اذا امتنع
هو عنه بقي في بعض النفوس نفرة الا ترى انه ذكر بقوله ما فهم منه حل اكل الضب ثم لما لم ياكله بقي في النفوس شي ولما اكل لحم الجمل
طاب كله مع انه في بعض الملل لا يوكل وكذلك لانه ثم قال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وجه تعلق الاية
بما قبلها هو ان السورة اصلها ومساها على تاديب النبي عليه السلام وقد ذكرنا ان الله تعالى بدا بذكر ما ينبغي ان يكون عليه صلى الله عليه وسلم

مع اهله



مع اهله واقاربه بقوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك والله تعالى يامر عباده المومنين بما يامر به انبياءه المرسلين فارشد
عباده كما ادب نبيه بما يتعلق بجانبه من التعظيم فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا كما قال لنبيه يا ايها النبي
اتق الله ثم هاهنا لطيفة وهي ان المومن قد ينسى ذكر الله فامر بدوام الذكر اما النبي لكونه من المقربين لا ينسى ولكن قد يغتر
المقرب من الملك بقربه منه فيقل خوفه فقال اتق الله فان المخلص على خطر عظيم وحسنة الاوليا سيئة الاوليا وقوله ذكرا كثيرا
قد ذكرنا ان الله تعالى في كثير من المواضع لما ذكر الذكر وصفه بالكثرة اذ لا مانع من الذكر على ما بينا وقوله تعالى وسبحوه بكرة واصيلا اى اذا
ذكرتموه فينبغي ان يكون ذكركم اياه على وجه التعظيم والتنزيه عن كل سوء وهو المراد بالتسبيح وقيل المراد منه الصلوة وقيل
تصلوا لتسبيح بكرة واصيلا اشارة الى المداومة وذلك لان مريد العموم قد يذكر الطرفين ويفهم منهما الوسط لقوله صلى الله عليه
وسلم ولو ان اولكم وآخركم ولم يذكر وسطكم وفهم منه المبالغة في العموم ثم قال تعالى هو الذي يصلي عليكم يعني هو الذي يصلي عليكم ويرحمكم
وانتم لا تذكرونه فذكر صلاته تحريضا للمومنين على الذكر والتسبيح ليخرجكم من الظلمات الى النور يعني يهديكم برحمته والصلوة من
الله رحمة ومن الملايكة استغفار وفيه بان اللفظ المشترك يجوز استعماله في معنييه معا وكذلك الجمع بين الحقيقة والمجاز
في لفظ واحد وينسب هذا القول الى الشافعي رضي الله عنه وهو غير بعيد وان اراد غيره نقول [illegible] في غاية القوت يقول الرحمة
والاستغفار يشتركان في العناية بحال المرحوم والمستغفر له والمراد هو القدر المشترك فيكون الكلام تضمنه لكون الرحمة
جزا منها وكان بالمومنين رحيما بشارة لجميع المومنين واشارة الى ان قوله تعالى يصلي عليكم وملايكته غير مختص بالسامعين
وقت الوحي ثم قال تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام لما بين عناية الله تعالى في الاولى بين عنايته تعالى في الاخرة وذكر السلام
لانه هو الدليل على الخيرات فان من لقي غيره وسلم دل على المصافاه بينهما وان لم يسلم دل على المنافاة وقوله تعالى يوم يلقونه
سلام اى يوم القيمة وذلك لان الانسان في دنياه غير مقبل بكليته على الله تعالى فكيف وهو حالة نومه غافل عنه وفي اكثر اوقاته مشغول
بتحصيل رزقه واما في الاخرة فلا شغل لاحد يلهيه عن ذكر الله تعالى فهو حقيقة اللقا ثم قال تعالى واعد لهم اجرا كريما لو قال قايل الاعداد
انما يكون ممن لا يقدر عند الحاجة الى الشي عليه واما الله تعالى فلا حاجة ولا عجز فحيث يلقاه يوتيه ما يرضى به وزيادة فما معنى
الاعداد من قبل فنقول الاعداد للاكرام لا للحاجة وهذا كما ان الملك اذا قيل له فلان واصل فان اراد اكرامه يهيي له بيتا وانواعا
من الاكرام ولا يقول بانه اذا وصل نفتح باب الخزانة ونوتيه ما يرضى به فكذلك اعد الله للذاكرين اجرا عظيما والكريم قد ذكرناه
في الرزق اى اعد له اجرا ياتيه من غير طلبه بخلاف الدنيا فانه يطلب الرزق الوفرة فلا ياتيه الا بقدر وقوله تحيتهم يوم يلقونه
مناسب لحالهم لانهم لما ذكروا الله تعالى في دنياهم حصل لهم معرفة ولما سبحوه تاكدت المعرفة حيث عرفوه كما ينبغي بصفات الجلال
ونعوت الكمال والله تعالى يعلم حالهم في الدنيا فاحسن اليهم بالرحمة كما قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وقال تعالى وكان بالمومنين رحيما
والمتعارفان اذا التقيا وكان احدهما مشفقا بالاخر والاخر معظما له غاية التعظيم ولا يتحقق بينهما الا السلام
وانواع الاكرام والله اعلم

**قوله تعالى** يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
باذنه وسراجا منيرا وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع
اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل
ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا يا ايها النبي انا احللنا
لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افا الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك
وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد
النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المومنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم
لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما

**اعلم** انه تعالى ذكر ان السورة فيها تاديب للنبي صلى الله عليه وسلم
من ربه فقوله في ابتدايها يا ايها النبي اتق الله اشارة الى ما ينبغي ان يكون عليه من ربه وقوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك
اشارة الى ما ينبغي ان يكون عليه مع عامة الخلق وقوله تعالى شاهدا يحتمل وجوها احدها انه شاهد على الخلق يوم القيمة
كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا وعلى هذا فالنبي بعث شاهدا اى متحملا للشهادة ويكون في الاخرة شهيدا
اى موديا لما تحمله وثانيها انه شاهد على الوحدانية والشاهد لا يكون مدعيا والله تعالى لم يجعل النبي في مسالة الوحدانية اظهر من الشمس
والنبي صلى الله عليه وسلم كان ادعى النبوة فجعل الله نفسه شاهدا له في مجازاة كونه شاهدا لله تعالى والله يشهد انك لرسوله وثالثها
انه شاهد في الدنيا باحوال الاخرة من الجنة والنار والميزان والصراط وشاهد في الاخرة باحوال الدنيا بالطاعة والمعصية والصلاح والفساد
وقوله تعالى ومبشرا ونذيرا وداعيا وذلك فيه ترتيب حسن من حيث ان النبي صلى الله عليه وسلم ارسل شاهدا بقول لا اله الا الله ويرغب
في ذلك بالبشارة فلم يكن يكف ذلك ويرهب بالانذار ثم لا يكتفي بقولهم لا اله الا الله بل يدعوهم الى سبيل الله كما قال تعالى
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وفيه لطايف احدها قوله تعالى وداعيا الى الله باذنه لم يقل وشاهدا
باذنه ولا مبشرا باذنه وعند الدعا قال وداعيا باذنه وذلك لان من يقول عن ملك انه ملك الدنيا لا يحتاج
فيها الى اذن منه فانه واصفه بما فيه وكذلك اذا قال من يطيعه يسعد ومن يعصيه يشقى يكون مبشرا ونذيرا
ولا يحتاج الى اذن من الملك في ذلك واما اذا قال تعالوا الى سماطه واحضروا الى جوابه يحتاج فيه الى اذنه فقال تعالى
وداعيا الى الله باذنه ووجه آخر وهو ان النبي يقول انا ادعو الى الله والولي يدعو الى الله والاول لا اذن له فيه من احد والثاني

ما ذون من جهة النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة ومن اتبعني وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا سمع مقالتي فاداها كما سمعها والنبي صلى الله عليه وسلم هو ما ذون من الله في الدعا اليه من غير واسطة اللطيفة الثانية قال في حق النبي صلى الله عليه وسلم سراجا ولم يقل انه شمس مع انه اشد اضاءة من السراج لفوايد منها ان الشمس نورها لا يوخذ منه شي والسراج يوخذ انوار كثيرة اذا انطفى الاول يبقى الذي اخذ منه وكذلك ان غاب والنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك كل صحابي كان سراجا اخذ منه نور الهداية كما قال صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وفي الخبر لطيفة وان كانت ليست من التفسير ولكن الكلام يجر الكلام وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل اصحابه كالسراج وجعلهم كالنجوم ولان النجم لا يوخذ منه نور بل له في نفسه نور اذا غرب هو لا يبقى نور مستفاد منه وكذلك الصحابي اذا مات فالتابعي يستنير بنور النبي صلى الله عليه وسلم ولا ياخذ منه الا قول النبي صلى الله عليه وسلم فانوار المجتهدين كلهم من النبي ولو جعلهم كالسراج والنبي صلى الله عليه وسلم ايضا سراجا كان للمجتهد ان يستنير بمن اراد منهم وياخذ النور ممن اخذه وليس كذلك فان مع نص النبي صلى الله عليه وسلم لا يعمل بقول الصحابي فيوخذ من النبي النور ولا يوخذ من الصحابي فلم يجعله سراجا وهذا يوجب ضعفا في حديث سراج الامة والمحدثون ذكروه وفي تفسير السراج وجه اخر وهو ان المراد منه القران وتقديره انا ارسلناك وسراجا منيرا عطفا على محل الكاف اي وارسلنا سراجا منيرا وعلى قولنا انه عطف على مبشرا ونذيرا يكون معناه وذا سراج لان الحال لا يكون وصفا الا للفاعل او المفعول والسراج ليس له وصف فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن سراجا حقيقة او يكون كقول القايل رايته اسدا شجاعا فقوله سراجا اي هاديا مبينا كالسراج يرى الطريق ويبين الامر وقوله تعالى وبشر المومنين عطف على مفهوم تقديره انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا فاشهد وبشر ولم يذكر فاشهد للاستغنا عنه واما الانذار فذكرت اياته للكرم ولانها غير واجبة لولا الامر وقوله تعالى بان لهم من الله فضلا كبيرا هو مثل قوله تعالى واعد لهم اجرا كريما والعظيم والكبير متقاربان وكونه من الله كبير فكيف اذا كان مع ذلك فتامة او قوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين اشارة الى الانذار يعني خالفهم وردعليهم وعلى هذا فقوله تعالى ودع اذاهم اي دعه الى الله تعالى فانه يعذبهم بايديكم وبالنار وبين هذا بقوله تعالى وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا الله كاف عبده قال بعض المعتزلة لا يجوز تسمية الله تعالى بالوكيل لان الوكيل ادون من الموكل وقوله تعالى وكفى بالله وكيلا حجة عليه وشبهة واهية من حيث ان الموكل قد يوكل للترفع وقد يوكل للعجز والله تعالى وكيل عباده لعجزهم عن التصرف وقوله تعالى وكفى بالله وكيلا فيه اذا التطرفي الامور لك لا جالها لا يبقى الوكيل منها الا ان يكون قويا قادرا على العمل كثير الاشتغال يحتاج الى وكلا لعجز الواحد عن القيام بجميع اشغاله ومنها ان لا يكون عالما بما فيه التوكل ومنها ان لا يكون امينا والله عالم قادر غير محتاج حكيم وكيل ثم قال تعالى يايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن وجه تعلق الاية بما قبلها هو ان الله تعالى في السورة ذكر مكارم الاخلاق وادب نبيه على ما ذكرناه لكن الله تعالى امر عباده المومنين بما امر نبيه المرسل فكلما ذكر للنبي مكرمة وعلمه ادبا ذكر للمومنين ما يناسبه فكما بدا الله تعالى في تاديب النبي بذكر ما يتعلق بجانب الله بقوله يايها النبي اتق الله وثنى بما يتعلق بجانب من تحت يده من ازواجه بقوله بعده يايها النبي قل لازواجك وبناتك وثلث بما يتعلق بجانب العامة بقوله تعالى يايها النبي انا ارسلناك شاهدا كذلك بدا في ارشاد المومنين بما يتعلق بجانب الله تعالى فقال تعالى يايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ثم ثنى بما يتعلق بجانب من تحت ايديهم بقوله تعالى يايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم كما ثلث في تاديب النبي بجانب الامة ثلث في حق المومنين بما يتعلق بجانب نبيهم فقال بعد هذا يايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي وبقوله تعالى يايها الذين امنوا صلوا عليه وفي الاية مسايل **المسلة الاولى** اذا كان الامر على ما ذكرناه من ان هذا ارشاد الى ما يتعلق بجانب من هو من خواص المرء فلم خص المطلقات اللاتي طلقن قبل المسيس بالذكر فنقول هذا ارشاد الى اعلى درجات المكرمات ليعلم منها ما دونها وبيانه ان المراة اذا طلقت قبل المسيس لم يحصل بينهما تاكد العهد ولهذا قال الله تعالى في حق الممسوسة وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا واذا امر الله تعالى بالتمتع والاحسان مع من لا مودة بينه وبينها فما ظنك بمن حصلت المودة بالنسبة اليها بالافضا او حصل تاكدها بحصول الولد منها والقران في الحجم صغير ولكن لو استنبط معانيه لا تفي بها الاقلام ولا تسعها الاوراق وهذا مثل قوله تعالى ولا تقل لهما اف لو قال لا تضربهما ولا تشتمهما ظن انه حرام لمعنى مختص بالضرب او الشتم اما اذا قال لا تقل لهما اف علم منه معان كثيرة وكذلك هاهنا لما امر بالاحسان مع من لا مودة معها علم منه الاحسان مع الممسوسة ومن لم يطلق بعد ومن ولدت عنده منه وقوله تعالى اذا نكحتم المومنات التخصيص بالذكر اشارة الى ان المومن ينبغي ان ينكح المومنة فانها اشد تحصينا لدينه وقوله تعالى ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن يفهم منه ان تعليق الطلاق بالنكاح لا يقع لان التطليق حينئذ لا يكون بعد النكاح والله تعالى ذكره بكلمة ثم وهي للتراخي وقوله تعالى فما لكم عليهن من عدة تعتدونها اي تستوفونها تم عددها المخصوص من قبل انه مختص بالمتعة التي لا تسمى لها اذا طلقت قبل المسيس وحينئذ المتعة وقيل بانه عام وعلى هذا فالامر للوجوب او الندب **اختلف العلماء** فيه فمنهم من قال للوجوب فيجب مع نصف المهر المتعة ايضا ومنهم من قال للاستحباب فيستحب ان يمتعها مع الصداق بشي وقوله تعالى وسرحوهن سراحا جميلا الجمال في التسريح ان لا يطالبها بما اتاها ثم قال تعالى يايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افا الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم ما هو الاولى فان الزوجة التي اوتيت مهرها اطيب قلبا من التي لم توت والمملوكة التي سباها الرجل بنفسه اطهر من التي اشتراها الرجل لانها لا يدرى كيف حالها ومن هاجرن معك من اقارب النبي صلى الله عليه وسلم معه اشرف ممن لم يهاجر **ومن الناس** من قال بان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجب عليه اعطاء المهر اولا وذلك لان المراة لها الامتناع

الى ان



الى ان تاخذ مهرها والنبي صلى الله عليه وسلم ما كان يستوفي ما لا يجب له والوطى قبل ايتان الصداق غير مستحق وان كان حلالا لنا وكيف والنبي صلى الله عليه وسلم اذا طلب شيا حرم الامتناع على المطلوب والظاهر ان الطالبة في المرة الواحدة الاولى انما يكون هو الرجل لحيا المراة فلو طلب النبي صلى الله عليه وسلم من المراة التمكين قبل المهر يلزم ان يجب وان لا يجب وهو محال ولكن لاحد ان يقول يوكدها قوله تعالى وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي يعني حينئذ لا يبقى لها صداق فتصير كالمستوفية مهرها وقوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المومنين قال الشافعي رضي الله عنه معناه اباحة الوطى بالهبة وحصول التزوج بلفظها من خواصك وقال ابو حنيفة رضي الله عنه ان المراة صارت خالصة لك زوجة ومن امهات المومنين لا تحل لغيرك ابدا والترجيح يمكن ان يقال بان على هذا فالتخصيص بالواهبة لا فايدة فيه فان ازواجه كلهن خالصة له على ما ذكرنا فيبقى للتخصيص فايدة وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم معناه ان ما ذكرنا في حقك حكمك مع نسائك واما حكم امتك فعندنا علمه ونبينه لهم وانما ذكر هذا لئلا يحمل واحد من المومنين نفسه على ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم فان له في النكاح خصايص ليست لغيره وكذلك في السراري قوله تعالى لكيلا يكون على المومنين حرج اي يكون في فسحة من الامر فلا يبقى لك شغل قلب فينزل الروح الامين بالايات على قلبك الفارغ وتبلغ رسالات ربك بجدك واجتهادك وقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما يغفر الذنوب جميعا ويرحم العبيد والله تعالى اعلم بالصواب

**قوله تعالى** ترجي من تشاء منهن وتووي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما لا يحل لك النسا من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن وكان الله على كل شي رقيبا

**اعلم** انه تعالى لما بين انه احل له ما ذكر من الازواج بين انه احل له وجوه المعاشرة بهن حتى يجمع كيف يشا ولا يجب عليه القسم وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة اليه فاذاهن كالمملوكات له ولا يجب القسم بين المملوكات والارجا التاخير والايوا الضم ومن ابتغيت ممن عزلت يعني اذا طلبت من كنت تركتها فلا جناح عليك في شي من ذلك ومن قال بان القسم كان واجبا مع انه كان ضعيفا بالنسبة الى المفهوم من الاية قال المراد ترجي من تشا اي توخرهن اذا شيت او لا يجب القسم في الاول وللزوج ان لا يقيم عند احدهن وان ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك في ذلك فابدا بمن شيت وتمم الدور والاول اقرب واقوى ثم قال تعالى ذلك ادنى ان تقر اعينهن يعني اذا سويت بينهن ولا تجد بخلاف ما لو وجب عليك ذلك فلعله يكون عند احداهن فيقول ما جاء في هوى قلبه وانما جاء لامر الله تعالى وايجابه عليه ويرضين بما اتيتهن من الارجاء والايواء اذ ليس لهن عليك شي حتى لا يرضين ثم قال تعالى والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما اي ان اضمرت بخلاف ما اظهرت فالله يعلم ضماير القلوب فانه عليم وان لم يعاتبهن في الحال فلا يغترون فانه حليم لا يعجل ثم قال تعالى لا يحل لك النسا من بعد لما اوجب الله تعالى على نبيه القسم وامره بتخييرهن فاخترن الله ورسوله ذكر لهن ما جزاهن تحريم غيرهن على النبي صلى الله عليه وسلم ومنعه من طلاقهن بقوله تعالى ولا ان تبدل بهن وفيه مسايل **المسلة الاولى** قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما يوتيهن من الوصل والهجران والنقص والحرمان **المسلة الثانية** قوله تعالى ولا ان تبدل بهن من ازواج تفيد حرمة طلاقهن لو كان جايزا لجاز ان يطلق الكل وبعدهن اما ان يتزوج لغيرهن او لا يتزوج فان لم يتزوج يدخل في حمله العزاب والنكاح فضيلة لا يتركها النبي وكيف وهو يقول النكاح سنتي وان تزوج لغيرهن يكون قد بدلهن وهو ممنوع من التبدل **المسلة الثالثة** من المفسرين من قال ان الاية ليست فيها تحريم غيرهن ولا المنع من طلاقهن بل المعنى ان لا يحل النسا غير اللاتي ذكرنا من المومنات المهاجرات من بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك واما غيرهن من الكتابيات فلا يحل التزوج بهن وقوله تعالى ولا ان تبدل بهن من ازواج يمنع من فعل الجاهلية فانهم كانوا يبادلون زوجة بزوجة فينزل احدهم عن زوجته وياخذ زوجة صديقه ويعطيه زوجته وعلى التفسير يقع خلاف في مسلتين احداهما حرمة طلاق زوجاته والثاني حرمة تزوجه بالكتابيات فمن قال بالاول حرم التزوج بالكتابيات **المسلة الرابعة** قوله تعالى ولو اعجبك حسنهن اي حسن النسا قال الزمخشري قوله ولو اعجبك في معنى الحال ولا يجوز ان يكون ذا الحال قوله من ازواج لغاية التنكير فيه ويكون ذا الحال الكاف تحسن ان يكون نكرة فاذا هو النبي صلى الله عليه وسلم يعني لا يحل لك النسا ولا ان تبدل بهن من ازواج وانت معجب بحسنهن **المسلة الخامسة** ظاهرها ناسخ لما كان قد ثبت له صلى الله عليه وسلم من انه اذا راى واحدة فوقعت في قلبه موقعا كانت تحرم على الزوج ويجب عليه طلاقها وهذه المسلة حكمة وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا في اول النبوة تشتد عليهم برحا الوحي [illegible] مع اصحابهم لا يمنعهم من ذلك مانع فتيا او لا امر حل الله من وقع في قلبه بين ما يفعله [illegible] لئلا يكون مشغول القلب بغير الله تعالى ثم لما استانس بالوحي وجرى على لسانه الوحي نسخ ذلك اما لقوته صلى الله عليه وسلم بجمع بين الامرين واما انه بدوام الانزال لم يبق له مالوف من امور الدنيا فلم يبق له التفات الى غير الله تعالى فلم يبق له حاجة الى احلال التزوج بمن وقع بصره عليها **المسلة السادسة** اختلف العلما في ان تحريم النسا عليه هل نسخ ام لا فقال الشافعي نسخ وقد قالت عايشة رضي الله عنها ما مات النبي صلى الله عليه وسلم الا واحل له النسا وعلى هذا فالناسخ قوله تعالى يايها النبي انا احللنا لك ازواجك الى ان قال وبنات عمك وبنات عماتك وقال تعالى وامراة مومنة على قول من يقول لا يجوز نسخ الكتاب بخبر الواحد لان الناسخ غير متواتر لكان خبرا

ثم قال تعالى الا ما ملكت يمينك يا تحرم عليه المملوكات لان الابدال لا يحصل بالمملوكة ولهذا لم يحرم للرجال ان يجمع بين ضرتين في سن الحصول
التسوية بينهما ولكان الخصومة ويجوز ان يجمع بين الزوجة وجمع من المملوكات لعدم التساوي بينهن وهذا لا يقبض على احد ثم قال
تعالى وكان الله على كل شي رقيبا اي حافظا عالما بكل شي قادرا عليه لان الحفظ لا يحصل الا بهما والله تعالى اعلم **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا
طعمتم فانتشروا ولا مستانسين لحديث ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق واذا
سالتموهن متاعا فاسئلوهن من ورآء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان توذوا رسول الله
ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان تبدوا شيا او تخفوه فان الله كان بكل شي عليما
**اعلم** انه لما ذكر الله تعالى في النداء الثالث يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ما يا الحاله مع امته فان لكل منبه في هذا النداء الا تدخلوا ارشاد
لهم في شان الحال لكم مع النبي صلى الله عليه وسلم من الاحترام ثم ان للامة حاله مع النبي صلى الله عليه وسلم على وجهين **احدهما**
في حال الخلوة والواجب هناك عدم ازعاجه وبين ذلك بقوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي **وثانيهما** في الملا والواجب هناك
اظهار التعظيم كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقوله تعالى الى طعام غير ناظرين اناه اي لا تدخلوا بيوت النبي الى
طعام الا ان يوذن لكم ثم قال تعالى ولكن اذا دعيتم فادخلوا كما بين في حال النبي انه داع الى الله بقوله تعالى وداعيا الى الله قال ههنا
لا تدخلوا الا اذا دعيتم يعني كانكم ما دخلتم الدين الا بدعائه فكذلك لا تدخلوا عليه الا بعد دعايه وقوله غير ناظرين اناه منصوب
على الحال والعامل فيه على ما قال الزمخشري لا تدخلوا بيوت النبي الا ما دخلن غير ناظرين وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى**
قوله تعالى الا ان يوذن لكم فلا يكون منعا من الدخول في غير وقت الطعام بغير الاذن واما ان لا يكون فيه التقديم والتاخير فيكون
معناه ولا تدخلوا الا ان يوذن لكم الى طعام فيكون الاذن مشروطا بكونه الى الطعام فان لم يوذن الى طعام فلا يجوز الدخول فلو اذن لواحد في الدخول
لاستماع كلام لا لاجل طعام لا يجوز نقول المراد هو انه في بيعهم النهي عن الدخول واما قوله تعالى فلا يجوز الا بالاذن الذي الى الطعام نقول قال
الزمخشري الخطاب مع قوم كانوا يتحينون الطعام ويدخلون من غير اذن فمنعوا من الدخول في وقته بغير اذن والاولى ان يقال المراد هو انه في
لان التقديم والتاخير خلاف الاصل وقوله الى طعام من باب التخصيص بالذكر فلا يدل على نفي ما عداه لاسيما اذا علم ان غيره مثله فان
من جاز دخول بيته باذنه الى طعامه جاز دخوله الى غير طعامه فان غير الطعام يمكن وجوده مع الطعام وان من الجايز ان يتكلم معه وقتا
يدعوه الى الطعام ليستفتيه في حوايجه ويعلمه ما عنده من العلوم مع زيادة الاطعام فاذا رضي في الكل مرضيا بالبعض اقرب الى العقل فيصير
من باب لا يقل لهما اف وقوله تعالى غير ناظرين اناه يعني انتم لا تنتظروا وقت الطعام فانه ربما لا يتهيا **المسئلة الثانية**
قوله تعالى ولكن اذا دعيتم فادخلوا فيه لطيفة وهي ان في العادة اذا قيل لمن يعتاد دخول دار من غير اذن لا يدخلها الا باذن
يتادى وينقطع بحيث لا يدخلها اصلا ولا بالدعاء فقال لا تفعلوا مثل ما يفعله المستكفون بل كونوا طايعين اذا قيل لكم لا تدخلوا
فلا تدخلوا واذا قيل لكم ادخلوا فادخلوا واناه قيل وقته وقيل استواه وقوله تعالى الا ان يوذن لكم يفيد الجواز فقوله تعالى ولكن اذا
دعيتم فادخلوا يفيد الوجوب فقوله تعالى ولكن اذا دعيتم فادخلوا يفيد الوجوب فقوله تعالى ولكن اذا دعيتم ليس تاكيدا بل هو
مفيد فايدة جديدة **المسئلة الثالثة** لا يشترط في الاذن التصريح به بل اذا حصل العلم بالرضا جاز الدخول ولهذا قال تعالى
الا ان يوذن لكم من غير بيان فاعل فالاذن ان كان من الله او النبي او العقل المويد بالدليل جاز والنقل دال عليه حيث قال تعالى او صديقكم
وحد الصداقة ما ذكرنا فلو جا ابو بكر رضي الله عنه وعلم ان لا مانع في بيت عايشة من بيوت النبي صلى الله عليه وسلم من تكشف او حضور غير
محرم عندها او علم خلو الدار من الاهل وهي محتاج الى اطفا حريق فيها او غير ذلك جاز الدخول **المسئلة الرابعة** قوله تعالى فاذا طعمتم
فانتشروا ولا مستانسين كان بعض الصحابة اطال المكث يوم وليمة النبي صلى الله عليه وسلم في عرس زينب والنبي لم يقل له شيئا
فوردت الاية جامعة لاداب منها المنع من اطالة المكث في بيوت الناس وفي معنى البيت موضع مباح اختاره شخص لعبادة او اشتغاله
مستعمل ما سواه احد وتطويل المكث عنده وقوله تعالى ولا مستانسين لحديث قال الزمخشري هو معطوف على غير ناظرين مجرور ويحتمل
ان يكون منصوبا عطفا على المعنى فان معنى قوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم لا تدخلوها هاجمين فعطف عليه
ولا مستانسين ثم ان الله تعالى بين كون ذلك اذى وكون النبي حليما بقوله تعالى ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحي منكم
والله لا يستحي من الحق اشارة الى ان ذلك حق وادب قوله تعالى كان يوذي النبي اشارة الى تحمل النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذكر الله
ادبا اخر وهو قوله تعالى واذا سالتموهن متاعا فاسئلوهن من ورآء حجاب لما منع الله الناس من دخول بيت النبي صلى الله عليه
وسلم وكان ذلك في تعذر الوصول الحال الماعون بين ان ذلك غير ممنوع منه فليسال وليطلب من ورآء حجاب وقوله تعالى ذلكم اطهر
لقلوبكم وقلوبهن يعني العين روية القلب فاذا لم تر العين لا يشتهي القلب واما ان رات العين فقد يشتهي القلب وقد لا يشتهي فالقلب
عند عدم الروية اطهر وعدم الفتنة حينئذ اظهر ثم ان الله تعالى لما علم المومنين الادب بلكره بما حملهم على محافظة فقال تعالى
ما كان لكم ان توذوا رسول الله فكل ما منعتم عنه موذ فامتنعوا عنه وقوله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا قيل
سبب نزوله ان بعض الناس قال لئن عشت بعد محمد صلى الله عليه وسلم لانكحن عايشة وقد ذكرنا ان اللفظ العام لا يتغير معناه
بسبب النزول فالمراد ان ايذاء الرسول حرام والتعرض لنسايه في حياته ايذاء فلا يجوز ثم قال لا بل ذلك غير جايز ثم اكده بقوله
تعالى ان ذلكم كان عند الله عظيما اي ايذاء الرسول ثم قال تعالى ان تبدوا شيا او تخفوه يعني ان كنتم لا توذونه في الحال وتعزمون
على ايذايه او نكاح ازواجه بعده فالله عليم بذات الصدور ثم انه تعالى لما ذكر الحجاب استثنى المحارم والله تعالى اعلم

قوله تعالى



**قوله تعالى** لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن و
ابناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شي شهيدا
ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وفي الاية مسايل
**المسئلة الاولى** [illegible]
قوله تعالى فاسئلوهن من ورآء حجاب [illegible]
[illegible]
الرجال بالسوال من ورآء حجاب [illegible] قال تعالى لا جناح عليهن في
ابائهن [illegible] **المسئلة الثانية** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **المسئلة الثالثة** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **المسئلة الرابعة** [illegible]
[illegible] **المسئلة الخامسة** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **المسئلة الاولى** الصلوة الدعا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **المسئلة الثانية** [illegible]
[illegible]
**المسئلة الثالثة** سئل النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك يا رسول الله فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد
كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد
**المسئلة الرابعة** اذا صلى الله وملايكته عليه فاي حاجة الى صلوتنا نقول الصلوة عليه ليس لحاجة اليها
والا فلا حاجة الى صلوة الملايكة مع صلوة الله عليه وانما هو لاظهار تعظيمه كما ان الله تعالى اوجب علينا ذكر نفسه
ولا حاجة له اليه وانما هو لاظهار تعظيمه منا شفقة علينا ليثيبنا عليه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة
صلى الله عليه [illegible] **المسئلة الخامسة** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
على النبي والسلام **قوله تعالى** ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
والاخرة واعد لهم عذابا مهينا والذين يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا فقد
احتملوا بهتانا واثما مبينا يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن
من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يوذين وكان الله غفورا رحيما **اعلم** ان الله تعالى

فضل الاشيا بعض اضدادها فبين حال مؤذي النبي لسان المسلم عليه واللعن اشد المحذورات لان البعد من الله تعالى
لا يرجى معه خير بخلاف التعذيب في النار وغيره الا ترى ان السيد على مملوكه ان كان يادبه عن قوي يزجره ولا يطرده ولو حين
الجرم ان يضرب ويطرد عند ما يكون الملك في غاية العظمة والكرم يختار الضرب على الطرد لا سيما اذا لم يكن في الدنيا ملك غير سيده
وقوله في الدنيا والاخرة اشارة الى بعده عن الحق لان البعيد في الدنيا يرجوا القرب في الاخرة فاذا جاب في الاخرة فقد
خاب وخسر ثم انه تعالى لم يحصر جزاءه في الابعاد بل اوعده بالعذاب بقوله تعالى واعد لهم عذابا مهينا وفيه مسايل **المسئلة الاولى**
ذكر ايذاء الله وايذاء الرسول وذكر عقيبه امرين اللعن والتعذيب فاللعن جزاء ايذاء الله وايذاء الرسول لان من اذى الملك
ابعده من بابه ان كان لا يامر بعذابه والتعذيب جزاء ايذاء الرسول لان الملك اذا اذى بعض عبيده كبيرا يستوفي منه قصاصه
لا يقال ففي هذا من يؤذي الله ولا يؤذي الرسول لا يعذب لانا نقول انفصال احدهما على هذا الوجه عن الاخر محال لان
من اذى الله تعالى فقد اذى الرسول واما على الوجه الاخر وهو ان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم ولا يؤذي الله تعالى لمن
عصى من غير اشتراك لمن فسق او فجر من غير ان ارتد وكفر فقد اذى النبي غير ان الله تعالى صبور غفور فيجزيه بالعذاب
ولا يلعنه ولا يبعده عن الباب **المسئلة الثانية** اكد العذاب بكونه مهينا لان ما نادى من عبده واذن بحبسه وضربه
فان امر بحبسه في موضع حسن او امر ان يضربه رجلا كبيرا يدل على ان الامر هين وان امر بضربه على ملا وحبسه
بين المفسدين ينبي عن شدة الامر فمن اذى الله تعالى ورسوله من المخلدين في النار معذب عذابا مهينا وقوله تعالى
اعد لهم للتاكيد لان السيد اذا عذب عبده حالة الغضب من غير اعداد يكون ما اعد له صدا وعلا فان الاول يمكن ان يقال
هذا اثر الغضب فاذا سكت الغضب يزول ولا كذلك الثاني ثم قال تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا
لما كان الله تعالى مصطفيا على نبيه لم ينفك ايذاء الله عن ايذائه فان من اذى الله تعالى فقد اذى الرسول فبين الله للمؤمنين
انكم ان اتيتم بما امرتكم به وصليتم على النبي كما صليت عليه لا ينفك ايذاؤكم عن ايذاء الرسول فياثم من يؤذيكم لان ايذاءكم
ايذاء الرسول كما ان ايذاءه ايذاؤه وبالجملة لما حصلت الصلوة من الله تعالى والملائكة والرسول والمؤمنين صار كان
لا ينفك ايذاء احد منهم عن ايذاء الاخر كما يكون حال الاصدقاء الصادقين في الصداقة وقوله تعالى بغير ما اكتسبوا
احتراز عن الامر بالمعروف من غير عنف زايد فان من جلد مائة على شرب الخمر او حد اربعين على العبد المرتدي بغير ما اكتسبوا
ايضا ومن جلد على الزنا او على حد الشرب لم يؤذ بغير ما اكتسب ويمكن ان يقال لم يؤذ اصلا لان ذا اصلاح حال المضروب وقوله
تعالى فقد احتملوا بهتانا البهتان هو الزور وهو لا يكون الا في القول والايذاء قد يكون بغير القول من اذى مؤمنا بالضرب
واخذ ماله لا يكون الله تعالى اراد اظهار شرف المؤمن فلما ذكر ان من اذى الله ورسوله لعن وايذاء الله انكار وجود الله
تعالى بعد معرفته دلائل وجوده او شرك به من لا يبصر ولا يسمع او من لا يقدر ولا يعلم او من هو محتاج في وجوده الى موجد
وهو فعل ذكر ايذاء المؤمن بالقول وعلى هذا اخص الايذاء القولي بالذكر لانه اعم واتم وذلك لان الانسان لا يقدر يؤذي الله
بما يولمه من ضرب او اخذ ما يحتاج اليه ويؤذيه بالقول لان الفقير الغايب لا يمكن ايذاؤه بالفعل ويمكن ايذاؤه
بالقول بان يقول فيه ما يصل اليه فيتاذى والوجه الثاني في الجواب هو ان نقول بعد قوله ولد واثما مبينا استدرك
فكانه قال احتملوا بهتانا ان كان بالقول واثما مبينا كيف ما كان الايذاء وكيف ما كان فان الله تعالى خص الايذاء القولي
بالذكر لما بينا انه اعم ولانه اتم لانه يصل الى القلب فان الكلام يخرج من القلب واللسان دليله ويدخل في القلب
والاذان سبيله ثم قال عز وجل يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك
ادنى ان يعرفن لما ذكر ان من يؤذي المؤمنين يحتمل بهتانا وكان فيه منع المكلف عن ايذاء المؤمن امر المؤمن باجتناب
المواضع التي فيها التهم الموجبة للتمادي لئلا يحصل الايذاء الممنوع منه ولما كان الايذاء القولي مختصا بالذكر اختص
بالذكر ما هو سبب الايذاء القولي وهو النساء فان ذكرهن بالسوء يؤذي الرجال والنساء بخلاف ذكر الرجال فان من ذكر
امراة تاذت وتاذى اقاربها اكثر من تاذيها ومن ذكر رجلا بالسوء تاذى وقد لا تتاذى نساؤه وكان في الجاهلية
تخرج الحرة والامة مكشوفات يتبعهن الزناة ويقع التهم فامر الله تعالى الحراير بالتجلبب وقوله تعالى ذلك ادنى
ان يعرفن فلا يؤذين قيل يعرفن انهن حراير فلا يتبعن ويمكن ان يقال المراد يعرفن انهن لا يزنين لان من تستر
وجهها مع انها ليست بعورة لا يطمع فيها انها تكشف عورتها فيعرفن انهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن
وقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما يغفر لكم ما قد سلف برحمته ويثيبكم على ما تاتون به راحما عليكم والله اعلم
**قوله تعالى** لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم
لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا
من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا يسالك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك
لعل الساعة تكون قريبا ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون
وليا ولا نصيرا اعلم انه تعالى لما ذكر حال المشرك الذي يؤذي الله ورسوله والمجاهر الذي يؤذي المؤمنين ذكر
حال المسر الذي يظهر الحق ويضمر الباطل وهو المنافق ولما كان المذكور من قبل اقواما ثلثة نظرا الى اعتبار امور ثلثة
احدها المنافق الذي يؤذي الله سرا والثاني الذي في قلبه مرض الذي يؤذي المؤمن باتباع نسائه والثالث المرجف

الذي يرجف



الذي يرجف النبي صلى الله عليه وسلم بالارجاف بقوله غلب محمد وسيخرج من المدينة وسيؤخذ وهؤلاء وان كانوا قوما واحدا الا ان لهم
ثلث اعتبارات وهذا في مقابلة قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات حيث ذكر اصنافا عشرة وكلهم يوجد في واحد
بالشخص كثير بالاعتبار وقوله تعالى لنغرينك بهم اي لنسلطنك عليهم لتخرجنهم من المدينة ثم لا يجاورونك ويخلو المدينة منهم بالموت
والاخراج ويحتمل ان يكون المراد لنغرينك بهم واذا اغريناك لا يجاورونك الاول كقول القائل يخرج فلان ويدخل السوق وفي الاول يقرا وان
لم يخرج وفي الثاني لا يدخل الا اذا خرج فيه والاستثناء فيه لطيفة وهي ان الله وعد النبي صلى الله عليه وسلم ان يخرج اعداءه ويسلمه على مدة
اظهار الشوكة ولو كان النفي بارادة الله تعالى من غير واسطة النبي لاخلا المدينة عنهم في لحظة ان يكون فكان ولكن لما اراد الله
تعالى ان يكون على يد النبي لا يقع ذلك الا بزمان وان لطف ثم قال تعالى لا يجاورونك فيها الا قليلا اي ريثما يتاهبوا ويتاهبوا للخروج
ثم قال تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا اي ذلك القليل الذي يجاورونك ملعونين مطرودين من باب الله تعالى
وبابك واذا اخرجوا لا ينفكون عن الذلة ولا يجدون ملجا بل اينما يكونون يطلبون ويؤخذون ويقتلون ثم قال تعالى سنة الله
في الذين خلوا من قبل يعني هذا ليس بدعا بل هو سنة جارية وعادة مستمرة تفعل بالمكذبين ولن تجد لسنة الله تبديلا اي
ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يتبدل وينسخ فان النسخ يكون في الاحكام اما الافعال والاخبار لا تنسخ ثم قال تعالى يسالك الناس
عن الساعة قل انما علمها عند الله لما بين الله تعالى حالهم في الدنيا انهم ملعونين ويهانون ويقتلون اراد ان يبين حالهم في الاخرة
فذكرهم بالقيمة وذكر ما يكون لهم فيها فقال تعالى يسالك الناس عن الساعة اي عن وقت القيمة قل علمها عند الله لا يتبين لكم فان الله
تعالى اخفاها لحكمة هي امتناع المكلف عن الاجتراء وخوفهم منها في كل وقت ثم قال تعالى وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا اشارة
الى التخويف وذلك لان قول القائل الله يعلم متى يكون الامر الفلاني يفهم منه البعد اترى ان من يطالب مديونا بحقه فان استمهله
شهرا او شهرين ربما يصبر ذلك وان قال له اصبر الى ان يقوم فلان من شغله يقول الله اعلم متى يجيء فلان ويمكن ان يصبر ويكون
يجيء فلان قبل انقضاء تلك المدة فقال ههنا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا يعني هي في علم الله تعالى ولا يستطيعون قربا يقع عن
قريب والقريب يستوي فيه المذكر والمؤنث قال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين فلهذا لم يقل لعل الساعة تكون قريبة ثم قال تعالى
ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا يعني كما انهم ملعونين في الدنيا عندكم فكذلك هم ملعونين عند الله تعالى واعد لهم سعيرا كما قال
تعالى لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا خالدين فيها ابدا مطيلين المكث فيها مستمرين لا امد لخروجهم وقوله تعالى لا يجدون
وليا ولا نصيرا لما ذكر خلودهم بين تحقيقه وذلك لان المعذب لا يخلصه من العذاب الا صديق يشفع له او ناصر يدفع عنه ولا ولي
لهم يشفع ولا نصير يدفع والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى** يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا
اطعنا الله واطعنا الرسول وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا اتهم ضعفين
من العذاب والعنهم لعنا كبيرا يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا وكان عند الله
وجيها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله
ورسوله فقد فاز فوزا عظيما **اعلم انه تعالى** لما بين انه لا شفيع لهم يدفع عنهم العذاب بين ان بعض اعضائهم
ايضا لا يدفع العذاب ايضا عن بعض بخلاف عذاب الدنيا فان الانسان يدفع عن وجهه الضربة اتقاء بيده فان من يقصد راسه
ووجهه يجعل يده جنة او يطاطي راسه لا ينصب وجهه وفي الاخرة تقلب وجوههم في النار فما ظنك بساير
اعضائهم التي يجعل جنة للوجه ووقاية له يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول يتحسرون ويندمون
حيث لا ينفعهم الندامة والحسرة لحصول علمهم بان الخلاص ليس الا للمطيع ثم يقولون انا اطعنا سادتنا وكبراءنا بدلا عن طاعة
الله اطعنا السادة وبدل طاعة الرسول اطعنا الكبراء وتركنا طاعة سيد السادات واكبر الاكابر فبدلنا الخير بالشر لا جرم فاتنا
خير الحال او ساقنا الى النيران ثم انهم يطلبون بعض التشفي بتعذيب المضلين ويقولون ربنا اتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا
كبيرا معنى لطيف وهي ان الدعاء لا يكون الا عند حصول الامر المدعو به والعذاب كان حاصلا لهم واللعن كذلك وطلبوا ما ليس بحاصل
وهو زيادة العذاب بقولهم ضعفين وزيادة اللعن بقولهم لعنا كبيرا ثم قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى
لما بين الله تعالى ان من يؤذي الله ورسوله يعذب وكان ذلك اشارة الى ايذاء هو كفر ارشد المؤمنين الى الامتناع من
ايذاء هو دونه وهو لا يورث كفرا وذلك مثل من لم يرض بقسمة النبي صلى الله عليه وسلم وبحكمه بالفيء وغير
ذلك فقال فيه قال بعضهم هو ايذاؤهم اياه بالنسبة الى عيب في بدنه وقال بعضهم هارون وقد دس امراة حتى تقول عند
بني اسرائيل ان موسى زاني فلما جمع ادوان القوم والمراة حاضرة الهم الله تعالى في قلبها انها صدقت ولم تقل ما لقنت وفي
الجملة الايذاء المذكور في القران كاف وهو انهم قالوا اذهب انت وربك فقاتلا وقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا وقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد الى غير ذلك فقال للمؤمنين لا تكونوا
امثالهم اذا طلبكم الرسول للقتال لا تقولوا اذهب انت وربك فقاتلا ولا تسالوا ما لم يؤذن لكم فيه واذا امركم
الرسول بشيء فاتوا منه ما استطعتم وقوله تعالى فبراه الله مما قالوا على الاول ظاهر لانه ابرز جسمه لقومه فراوه
وعلموا فساد اعتقادهم ونطقت المراة بالحق وامر ملائكته حتى عبروا لهم وهو ميت عليهم فراوه غير مجروح فعلموا براءة موسى
عليه السلام عن سلبه الذي رموه به وعلى ما ذكرنا فبراه الله مما قالوا اي اخرجه عن عهدة ما طلبوا باعطائه
البعض اياهم واظهاره عند عدم جواز البعض وبالجملة قطع الله حججهم ثم ضرب عليهم الذلة والمسكنة وغضب عليهم

وقوله تعالى وكان عند الله وجيها اى ذا وجاهة ومعرفة والوجيه هو الرجل الذى لا يكون له وجه اى يكون معروفا بالخير وكل واحد وان كان عند الله تعالى معروفا لكن المعرفة المجردة لا تكفى فى الوجاهة فان من عرف غيره لكونه خادما له او اجيرا عنده لا يقال هو وجيه عند فلان واما الوجيه من يكون فيه خصال حميدة يجعل من شانه ان يعرف ولا ينكر وكان كذلك ثم قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ارشدهم الى ما ينبغى ان يصدر منهم من الافعال والاقوال بالخير والاحوال فالحق لمن الى بالخير وترك الشر فقد اتقى الله تعالى ومن قال الصدق قال قولا سديدا ثم وعدهم على الامرين على الخيرات باصلاح الاعمال فان بتقوى الله تعالى يصلح العمل والعمل الصالح يرفع ويبقى فيبقى فاعله خالدا فى الجنة وعلى القول السديد بمغفرة الذنوب ثم قال تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما فطاعة الله تعالى هى طاعة الرسول ولكن جمع بينهما بيانا لشرف فعل المطيع فانه يفعله الواحد بالاجر عند الله تعالى عهدا وعند الرسول يدا وقوله تعالى فقد فاز فوزا عظيما جعله من وجهين احدهما انه من عذاب عظيم والنجاة من العذاب بعظم العذاب حتى من اراد ان يضرب غيره سوطا ثم نجا منه لا يقال فاز فوزا عظيما لان العذاب الذى نجا منه لو وقع ما كان يتفاوت الامر فيه تفاوتا كبيرا والثانى انه وصل الى الثواب كبيره وهو الثواب الدايم الابدى والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى** انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المومنين والمومنات وكان الله غفورا رحيما **اعلم** انه تعالى لما ارشد المومنين الى مكارم الاخلاق وادب النبى صلى الله عليه وسلم باحسن الادب بين ان التكليف الذى وجهه الله الى الانسان امر عظيم فقال تعالى انا عرضنا الامانة اى التكليف وهو امر يخالف ما فى الطبيعة **واعلم** ان هذا النوع من التكليف ليس فى السموات ولا فى الارض لان فى الارض والجبل والسما كلها على ما خلقت عليه لا تطلب منه السير والارض لا تطلب منها الصعود ولا من السما الهبوط ولا فى الملكة لان الملايكة وان كانوا مامورين منهيين عن اشيا لكن ذلك لهم كالاكل والشرب لنا فيسبحون الليل والنهار لا يفترون كما يشتغل الانسان بامر موافق لطبعه وفى الاية مسايل المسئلة الاولى فى الامانة وجوه كثيرة منهم من قال هو التكليف وسمى امانة لان من قصر فيه فعليه الغرامة ومن وفى فله الكرامة ومنهم من قال هو قول لا اله الا الله وحده لا شريك له لا اله الا الله وهو بعيد فان السموات والارض والجبال بالسنتها ناطقة بان الله واحد لا اله غيره ومنهم من قال هو الاعضا فالعين امانة ينبغى ان يحفظها والاذن كذلك واليد كذلك والرجل كذلك والفرج واللسان ومنهم من قال معرفة الله تعالى بما فيها والله اعلم المسئلة الثانية فى العرض وجوه منهم من قال المراد العرض ومنهم من قال التخيير ومنهم من قال المقابلة وهو الذى اى قابلنا الامانة مع السموات فرجحت الامانة وهى الدين المسئلة الثالثة فى السموات اضمار تقديره انا عرضنا الامانة على اهل السموات والارض المسئلة الرابعة قوله تعالى فابين ان يحملنها لكن ابا هن كابا ابليس فى قوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين من وجهين **احدهما** ان هناك السجود كان فرضا وههنا الامانة كانت عرضا **وثانيهما** ان الابا كان هناك استكبارا وههنا استصغارا اذا استصغرن انفسهن بدليل قوله تعالى واشفقن منها المسئلة الخامسة ما سبب الاشفاق فقوله تعالى الامانة لا تقبل لوجوه احدها ان يكون عزيزا صعب الحفظ كالاوانى من الجواهر التى يكون عزيزة سريعة الانكسار فان العاقل يمتنع عن قبولها ولو كانت من الذهب والفضة لقبلها ولو كانت من الزجاج لقبلها لان الاول لا مانع من هلاكها وفى الثانى غير عزيزة الوجود والتكليف كذلك والثانى ان يكون الوقت زمان نهب وغارة فلا يقبل العاقل فى ذلك الوقت الودايع والامر كذلك لان الشيطان وجنوده كانوا فى قصد المكلفين اذ الغرض كان بعد خروج ادم من الجنة الثالث مراعاة الامانة والاتيان بما يجب كايداع الحيوانات التى تحتاج الى العلف والسقى وموضع مخصوص يكون موضعها فان العاقل يمتنع من قبولها بخلاف متاع يوضع فى صندوق او فى زاوية والتكليف كذلك فانه يحتاج الى درسه وتعهده المسئلة السادسة كيف حملها الانسان ولم يحملها هذه الاشيا فيه جوابات احدها بسبب جهله بما فيها وعلمهن ولهذا قال تعالى انه كان ظلوما جهولا والثانى ان الاشيا نظرت الى انفسهن فاستصغرن من الانسان نظر الى جانب المكلف وقال المودع ناظر قادر عالم لا يعرض الامانة الا على اهلها واذا اودع لا يتركها بل يحفظها بعينه ويعونه فقبلها وقال اياك نعبد واياك نستعين المسئلة السابعة قوله تعالى انه كان ظلوما جهولا فيه وجوه احدها ان المراد منه ادم ظلم نفسه بالمخالفة ولم يعلم ما يعاقب عليه من الاخراج من الجنة وثانيها المراد الانسان يظلم بالعصيان ويجهل ما عليه من العقاب وثالثها انه كان ظلوما جهولا اى كان من شانه الظلم والجهل يقال فرس شموس ودابة جموح والما طهور اى من شانه ذلك فكذلك الانسان كان من شانه الظلم والجهل فلما اودى الامانة بقى بعضهم على ما كان عليه وبعضهم ترك الظلم كما قال تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وترك الجهل كما قال تعالى فى حق ادم وعلم ادم الاسما كلها وقال فى حق المومنين عامة والراسخون فى العلم يقولون امنا به وقال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلما ورابعها انه كان ظلوما جهولا فى ظن الملايكة حيث قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وبين علمه عندهم حيث قال تعالى انبيونى باسما هولاء ان كنتم صادقين وفى تفسير الاية ان المخلوق على قسمين مدرك وغير مدرك والمدرك منه من يدرك الكلى والجزئى مثل الادمى ومنه من يدرك الجزئى كالبهايم تدرك الشعير الذى ياكله ولا تتفكر فى عواقب الامور ولا تنظر فى الدلايل والبراهين ومنهم من يدرك الكلى ولا يدرك الجزئى كالملك يدرك الكليات ولا يدرك لذة الجماع والاكل قالوا والى هذا اشار الله تعالى بقوله





ثم عرضهم على الملايكة فقال انبيونى باسما هولاء فاعترفوا بتقدم علمهم بتلك الجزئيات والتكليف لم يكن الا على مدرك الامرين اوله لذات ما مو جزئية فمنع منها لتحصيل لذات حقيقية هى مثل لذة الملايكة بعبادة الله تعالى ومعرفته واما غيره فان كان مكلفا لا بمعنى الامر بما فيه عليهم كلفة ومشقة بل بمعنى الخطاب فان المخاطب يسمى مكلفا لان المكلف مخاطب فيسمى المخاطب مكلفا وفى الاية لطايف الاولى الامانة عرضها على ادم فقبلها فكان امينا عليها والعقود قول الامين فهو فارق اولاده اخذوا الامانة والاخذ من الامين ليس بموتمن ولهذا وارث المودع لا يكون القول قوله فلم يكن له بد من تجديد عهد وايمان فالمومن اخذ عند الله عهدا فصار امينا من الله تعالى فصار القول قوله فكان له ما كان لادم من الفوز ولهذا قال تعالى ويتوب الله على المومنين والمومنات اى كما تاب على ادم فى قوله تعالى فتاب عليه والكافر صار اخذا للامانة من المومن فيبقى فى ضمانه ثم ان المومن اذا اضاع الامانة فى يده شى يغيبها الله تعالى وقدره وكان ذلك من غير تقصير منه والامين لا يضمن ما فات وان لم يكن بتقصير اللطيفة الثانية خص الاشيا الثلاثة بالذكر لانها اشد الامور واحملها للاثقال اما السموات فلقوله تعالى وخلقنا فوقكم سبعا شدادا والارض والجبال لا تخفى شدتها وصلابتها ثم ان هذه الاشيا لما كانت لها شدة وصلابة عرض الله الامانة عليها والتى لشدتهن وقوتهن فامتنعن وان كن اقويا لان امانة الله تعالى فوق قوتهن وحملها الانسان مع ضعفه الذى قال تعالى فيه وخلق الانسان ضعيفا ولكن وعده بالاعانة على حفظ الامانة بقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فان قيل فالذى يعينه الله تعالى كيف يعذب فلم يعذب الكافر ونقول قال الله تعالى انا اعين من يستعين ويتوكل والكافر لم يرجع الى الله تعالى فتركه مع نفسه فبقى فى عهدة الامانة اللطيفة الثالثة قوله تعالى فابين ان يحملنها وقوله تعالى وحملها الانسان اشارة الى ان فيه مشقة بخلاف ما لو قال فابين ان يقبلنها وقبلها الانسان ومن قال لغيره افعل هذا الفعل فان لم يكن فى الفعل مشقة تقابل باجرة فاذا فعله لا يستحق اجرة فقال تعالى وحملها اشارة الى انه ما يستحق الاجر عليها اى على محمود حمل الامانة واما على رعايتها حق الرعاية فيستحق الزيادة فان قيل فالكل حملوها غاية ما فى الباب ان الكافر لم يات بشى زايد على الحمل فينبغى ان يستحق الاجر على الحمل فنقول العقلا اذا كان على وفق الاول من المالك الامر يستحق الفاعل على الاجر الا ترى انه لو قال له احمل هذا الى الصفة التى على السمال فحملها الى الصفة التى على الجنوب لا يستحق الاجرة ويلزمه ردها الى الموضع الذى كان فيه كذلك الكافر حملها على غير الا دد صعوم وزالت حسناته التى عملها ابدها ثم قال تعالى ليعذب الله المنافقين والمنافقات اى حملها الانسان ليقع تعذيب المنافق والمشرك فان قال قايل لم قدم التعذيب على التوبة نقول لما سمى التكليف امانة والامانة من حكمها اللازم ان الخاين يضمن وليس من حكمها اللازم ان الامين الباذل جهده يستحق اجرة فكان التعذيب على الخيانة كاللازم والاجر على الحفظ احسان والعدل قبل الاحسان وفيه مسئلتان المسئلة الاولى عطف المشرك على المنافق ولم يعد اسم الله تعالى فلم يقل ويعذب الله المشركين والمشركات وعند التوبة اعاد اسمه وقال تعالى ويتوب الله ولو قال تعالى ويتوب على المومنين كان المعنى حاصلا نقول لما اراد بفعل المومن على المنافق فجعله كالكلام المستانف وجب هناك ذكر الفاعل فقال تعالى ويتوب الله ويحقق هذا قراة من قرا ويتوب الله بالرفع المسئلة الثانية ذكر الله تعالى فى الانسان وصفين الظلوم والجهول وذكر من اوصافه وصفين فقال تعالى وكان الله غفورا رحيما اى كان غفورا للظلوم رحيما على الجهول وذلك لان الله تعالى وعد عباده بانه يغفر الظلم جميعا الا الظلم العظيم الذى هو الشرك كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم واما الموعد فقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا واما الرحمة على الجهل محل الرحمة وكذلك يعتذر المسى بقوله ما علمت وههنا لطيفة وهو ان الله تعالى اعلم عبده بانه غفور رحيم ونصره بنفسه فراه ظلوما جهولا ثم عرض عليه الامانة فقبلها مع ظلمه وجهله لعلمه فيما يخرجها من العدل الى الرحمة

الحمد لله الذى له ما فى السموات والارض وله الحمد فى الاخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور اعلم ان المفتتحة بالحمد خمس سور سورتان منها فى النصف الاول وهما الانعام والكهف وسورتان فى الاخير وهما هذه السورة وسورة الملايكة والخامسة هى فاتحة الكتاب تقرا مع النصف الاول والنصف الاخير والحكمة فيها ان نعم الله تعالى مع كثرتها وعدم قدرتنا على احصارها منحصرة فى قسمين نعمة الايجاد ونعمة الابقا فان الله تعالى خلقنا اولا برحمته وخلق لنا ما نقوم به وهذه النعمة توجد مرة اخرى بالاعادة فانه يخلقنا مرة اخرى ويخلق لنا ما يدوم فلنا حالتان الابدا والاعادة وفى كل حالة له تعالى علينا نعمتان نعمة الايجاد ونعمة الابقا فقال فى النصف الاول الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور اشارة الى الشكر على نعمة الايجاد ويدل عليه قوله تعالى هو الذى خلقكم من طين اشارة الى الايجاد الاول وقال فى السورة الثانية وهى الكهف الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل

له عوجا قيما لتنذر باسا شديدا اشارة الى الشكر على نعمة الابقا فان الشرايع بها البقا ولولا الشرع لتناولها الخلق لاتبع كل احد هواه ولوقعت المنازعات في المهمات وادت الى التقاتل والتفاني ثم قال في هذه السورة الحمد لله اشارة الى نعمة الايجاد الثاني ويدل عليه قوله تعالى وله الحمد في الاخرة وقال في الملايكة الحمد لله اشارة الى نعمة الابقا ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملايكة رسلا والملايكة باجمعهم لا يكونون رسلا الا يوم القيمة يرسلهم الله تعالى مسلمين على المسلمين كما قال تعالى وتتلقاهم الملايكة وقال تعالى عنهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وفاتحة الكتاب لما اشتملت على ذكر النعمتين فقوله تعالى الحمد لله رب العالمين اشارة الى النعمة العاجلة وقوله مالك يوم الدين اشارة الى النعمة الاجلة ورتب في الافتتاح وفي الاختتام ثم في التفسير مسايل المسلة الاولى الحمد لله شكر والشكر على النعمة والله تعالى جعل ما في السموات والارض لنفسه بقوله له ما في السموات ولم يبين انه لنا حتى يجب الشكر نقول جوابا عنه يفارق الشكر في معنى وهو ان الحمد اعم يحمد من فيه صفات حميدة وان لم يصل الى الحامد اصلا فان الانسان يحسن منه ان يقول في عالم يجتمع به اصلا انه عالم عامل بارع كامل فيقال له انه يحمد ولا يقال انه يشكره الا اذا ذكر نعمة او ذكره على نعمه فالله تعالى محمود في الازل لاتصافه باوصاف الكمال ونعوت الجلال ومشكور لا يزال على ما ابدى من الكرم واسدى من النعم فلا يلزم ذكر النعم للحمد بل يكفي ذكر العظمة وفي كونه مالك السموات والارض يوجب شكرا تم ما يوجبه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض وذلك لان ما في السموات والارض اذا كان لله ونحن منتفعون به لا هو يوجب شكرا ذلك لا يوجب كون ذلك لنا المسلة الثانية قد ذكرتم ان الحمد ههنا اشارة الى النعمة التي في الاخرة فلما ذا ذكر السموات والارض ونعم الاخرة غير مرتبة فذكر الله النعم المرتبة وهي ما في السموات وما في الارض ثم قال تعالى وله الحمد في الاخرة ليقاس نعم الاخرة بنعم الدنيا ويعلم فضلها بدوام العاجلة ولهذا قال تعالى وهو الحكيم الخبير اشارة الى ان خلق هذه الاشيا بالحكمة والحكمة صفة ثابتة لله تعالى لا يمكن زوالها فيمكن منه ايجاد امثالها وهذه مرة اخرى في الاخرة المسلة الثالثة الحكمة هي العلم الذي يتصل به الفعل فان من يعلم امرا ولا يتاتى له عمله لا يقال له حكيم بالفاعل الذي فعله على وفق العلم وهو الحكيم والخبير هو الذي يعلم عواقب الامور وبواطنها بقوله حكيم اي في الابتدا يخلق كما ينبغي وخبير اي بالانتها يعلم ما ذا يصدر من المخلوق والا ما يصدر ولي ماذا يكون بصيرا بكل احد فهو حكيم في الابتدا خبير في الانتها ثم بين الله تعالى كمال خبره بقوله تعالى يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها ما يلج الحبة من الحبة والاموات ويخرج منها من المسايل والاحيا وينزل من السما من انواع رحمته منها المطر ومنها الملايكة ومنها القران وما يعرج فيها الكلام الطيب لقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب ومنها الارواح ومنها الاعمال الصالحة من قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه وفيه مسايل المسلة الاولى قدم ما يلج في الارض على ما ينزل من السما لان الحبة تبذر اولا ثم تسقى ثانيا قال تعالى وما يعرج فيها ولم يقل يعرج اليها اشارة الى قبول الاعمال الصالحة ومرتبة النفوس الزكية وهذا لان كلمة الى للغاية فلو قال وما يعرج اليها لفهم الوقوف عند السموات فقال تعالى وما يعرج فيها ليفهم نفوذها فيها وصعودها منها ولهذا قال في الكلم الطيب اليه يصعد الكلم الطيب لان الله تعالى هو المنتهى ولا مرتبة فوق الوصول اليه واما السما فهي دنيا وفوقها المنتهى المسلة الثالثة قال تعالى وهو الغفور الرحيم رحيم بالانزال حيث ينزل الرزق من السما غفور عند ما يعرج اليه الارواح والاعمال فرحم اولا بالانزال وغفر ثانيا عند العروج ثم بين ان هذه النعمة التي يستحق الله تعالى بها الحمد وهي نعم الاخرة انكرها قوم والله اعلم قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلى وربي لتاتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في اياتنا معاجزين اوليك لهم عذاب من رجز اليم اعلم انه تعالى قال وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة ثم رد عليهم وقال قل بلى وربي لتاتينكم عالم الغيب احرى بابها واكده باليمين قال الزمخشري رحمه الله لو قال قايل كيف يصح التاكيد باليمين مع انهم يقولون لا رما وان كانوا يقولون به لكن المسلة الاصولية لا تثبت باليمين واجاب عنه بانه لم يقتصر على اليمين بل ذكر الدليل وهو قوله تعالى ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات وبيان كونه دليلا هو ان المسي قد يبقى في الدنيا مدة مديدة في اللذات العاجلة ويموت عليها والمحسن يدوم في دار الدنيا في الالام الشديدة مدة ويموت فيها فلولا دار يكون الجزا فيها لكان الامر على خلاف الحكمة والذي قوله انا هو ان الدليل المذكور في قوله تعالى علم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة اظهر في ذلك لانه اذا كان عالما بجميع المسايل بعم اجزا الاحيا وبعدها جمعها فالساعة ممكنة القيام وقد اخبر عنه الصادق فيكون واقعة وعلى هذا قوله تعالى في السموات ولا في الارض فيه لطيفة وهي ان الانسان له جسم وروح والاجسام اجزاوها في الارض والارواح في السما فقوله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات اشارة الى علمه بالارواح وقوله ولا في الارض اشارة الى علمه بالاجسام فاذا علم الارواح والاجسام وقدر على جمعها لا يبقى استبعاد في المعاد وقوله تعالى ولا اصغر من ذلك اشارة الى ان ذكر مثقال الذرة ليس للتحديد بل الاصغر منه لا يعزب وعلى هذا فلو قال قايل فاي حاجة الى ذكر الاكبر فان من علم الاصغر من الذرة لا بد من ان يعلم الاكبر فنقول لما كان الله تعالى اراد بيان اثبات الامور في الكتاب فلو اقتصر على الاصغر لتوهم متوهم انه يثبت الصغاير لكونها محل النسيان اما الاكبر فلا ينسى فلا حاجة الى اثباته فقال الاثبات في الكتاب ليس كذلك وان الاكبر فيه ايضا مكتوب ثم لما بين علمه بالصغاير

والكباير



والكباير وذكر ان جميع ذلك واثباته للجزا فقال تعالى ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ذكر فيهم امرين الايمان والعمل الصالح وذكر لهم امرين المغفرة والرزق الكريم فالمغفرة جزا الايمان فكل مومن مغفور له ويدل عليه قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقوله صلى الله عليه وسلم فيما اخبرنا تاج الدين عيسى بن احمد بن الحاكم السدهي قال والذي عن جدي عن محيي السنة عن عبد الواحد المليحي عن احمد بن نعيم عن ابن النعيمي عن محمد بن يوسف الفربري عن محمد بن اسمعيل البخاري يخرج من النار من يقول لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من ايمان والرزق الكريم على العمل الصالح وهو مناسب فان من عمل لسيد كريم عملا فعند فراغه من العمل لا بد ان ينعم عليه ويطعمه طعاما ووصف الرزق بالكريم قد ذكرنا انه بمعنى ذا كرم او مكرم او لانه ياتي من غير طلب بخلاف رزق الدنيا فانه يطلب في التفسير مسايل المسلة الاولى قوله تعالى اوليك لهم مغفرة ورزق كريم يحتمل وجهين احدهما ان يكون ذلك لهم والله يجزيهم بشي اخر لان قوله تعالى اوليك لهم جملة تامة اسمية وقوله تعالى ليجزي الذين جملة فعلية مستقبلة وهذا ابلغ من البشارة من قول القايل ليجزي الذين امنوا رزقا المسلة الثانية اللام في ليجزي الذين للتعليل معناه الاجرة للجزا فان قال قايل فما وجه المناسبة فنقول ان الله تعالى اراد ان لا ينقطع ثوابه فجعل المكلف دارا باقية ليكون ثوابه واصلا اليه دايما ابدا وجعل قبلها دارا فيها الالام والاسقام وفيها الموت ليعلم المكلف مقدار ما يكون فيه في الاخرة اذا نسبه الى ما قبله واذا نظر اليه في نفسه المسلة الثالثة نكر الرزق بالوصف بقوله كريم ولم يصف المغفرة لان المغفرة واحدة وهي للمومنين والرزق منه شجرة الزقوم والحميم ومنه الفواكه والشراب الطهور فميز الرزق لحصول الانقسام فيه ولم يميز المغفرة لعدم الانقسام فيها ثم قال تعالى والذين سعوا في اياتنا معاجزين اوليك لهم عذاب من رجز اليم لما بين حال المومنين يوم القيمة بين حال الكافرين وقوله تعالى والذين سعوا في اياتنا اي بالابطال ويكون معناه الذين كذبوا باياتنا وحينيذ يكون هذا في مقابلة ما تقدم لان قوله تعالى امنوا معناه صدقوا وهذا معنا كذبوا فان قيل من اين علم كون سعيهم في الابطال مع ان المذكور مطلق السعي فنقول فهم من قوله تعالى معاجزين وذلك لانه حال معناه سعوا فيها وهم يريدون التعجيز بالسعي في التوهم او التبليغ لا يكون الساعي معجزا لان القران وايات الله تعالى معجزة في نفسها لا حاجة لها الى احد واما الكذب فهو ات باخفا ايات بينات يحتاج الى السعي العظيم والجد البليغ ليروج كذبه لعله يعجز المتمسك به وقيل بان المراد بقوله معجزين اي ظانون انهم يعجزون الله تعالى وعلى هذا يكون كون الساعي ساعيا بالباطل في غاية الظهور ولهم عذاب في مقابلة لهم رزق وفي الاية لطايف الاولى قال ههنا لهم عذاب ولم يقل يجزيهم الله تعالى وقد تقدم القول منا ان قوله تعالى ليجزي الذين امنوا يحتمل ان يكون الله يجزيهم بشي اخر اوليك لهم مغفرة اخبار عن مستحقهم المعد لهم على الجملة فاحتمال الزيادة هناك ثم نظرا الى قوله تعالى ليجزي الذين وههنا لم يقل ليجازيهم فلم يوجد ذلك الثانية زادهم مغفرة هناك ثم قال ورزق كريم ولم يعلله عن السعي فلم يقل لهم نصيب من رزق ولا رزق من جنس كريم وقال ههنا لهم عذاب من رجز اليم بلفظة صالحة للتبعيض كل ذلك اشارة الى سعة الرحمة وقلة الغضب بالنسبة اليها والرجز قيل سو العذاب وعلى هذا من لبيان الجنس كقول القايل خاتم من فضة وفي الاليم قراتان الجر والرفع فالرفع على انه وصف للرجز والرفع اقرب نظرا الى المعنى والجر نظرا الى اللفظ فان قيل فلم ينحصر الانقسام في المومن الصالح عمله والمكذب الساعي المعجز بجواز ان يكون احد مومنا ليس له عمل صالح او كافر متوقف فنقول اذا علم حال الفريقين المذكورين يعلم ان المومن قريب الدرجة ممن تقدم امره والكافر قريب الدركة فمن سبق ذكره وللمومن مغفرة ورزق كريم وان لم يكن في الكرامة مثل رزق الذي عمل صالحا وللكافر الغير المعاند عذاب وان لم يكن من اسو الانواع التي للمكذبين المعاندين والله تعالى اعلم قوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبيكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد افترى على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يومنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السما والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السما ان في ذلك لاية لكل عبد منيب اعلم انه تعالى لما بين حال من يسعى في التكذيب في الاخرة بين حاله في الدنيا وهو ان سعيه باطل فان من اوتي علما لا يغتر بتكذيبه ويعلم ان ما انزل الى محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق وقوله هو الحق يفيد الحصر اي ليس الحق الا ذلك واما قول المكذب فباطل بخلاف ما اذا تنازع خصمان والنزاع لفظي فيكون قول كل واحد حقا في المعنى وقوله تعالى ويهدي الى صراط العزيز الحميد يحتمل ان يكون سابقا لكونه هو الحق فانه هادي الى هذا الصراط وقوله يصل عنه فهو باطل ويحتمل ان يكون لفايدة اخرى وهي انه مع كونه حقا هاد والحق واجب القبول فكيف اذا كان فيه فايدة في الاستقبال وهي الوصول الى الله تعالى وقوله العزيز الحميد يصدر عنه رهبة فاذا كان عزيزا يكون ذا انتقام ينتقم من الذي يسعى في التكذيب واذا كان حميدا شكر سعي من يسعى في التصديق بعمل صالح فان قيل كيف اقدم الصفة التي للهيبة على الصفة التي للرحمة مع انه ابدا السعي في بيان تقديم جانب الرحمة نقول كونه عزيزا تام الهيبة شديد الانتقام يقوي جانب الرغبة لان رضى الجبار العزيز اعز واكرم من رضى من لا يكون كذلك فالعزة كما تخاف وترجى فضا وكما ترهب عن التكذيب ترغب في التصديق ليحصل القرب من العزيز ثم قال تعالى وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل وجه الربط هو ان الله تعالى لما بين انهم انكروا الساعة ورد عليهم بقوله تعالى قل بلى وربي لتاتينكم فقال المومن الذي انزل اليك الحق وهو يهدي قال الكافر الذي يقوله باطل ومن غاية اعتقادهم

في ابطال ذلك قالوا على سبيل التعجب هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد هذا كقول القايل في الاستبعاد جا رجل يقول ان الشمس تطلع من المغرب والى غير ذلك من المحالات ثم قال تعالى بعده افترى على الله كذبا هذا يحتمل وجهين احدهما ان يكون تمام قول الذين كفروا اولا اعني هو من كلام من قال هل ندلكم ويحتمل ان يكون من كلام السامع المجيب لمن قال هل ندلكم كان السامع لما سمع قول القايل هل ندلكم على رجل قال له هو يفتري على الله كذبا ان كان يعتقد خلافه او به جنون فجنون ان كان يعتقد خلافه وفي هذا لطيفة وهي ان الكافر لا يرضى بان يظهر كونه ولهذا قسم ولم يجزم بانه مفتر بل قال امفتري او مجنون احترازا من ان يقول قايل كيف تقول بانه مفتر مع انه جازم بان يظن ان الحق ذلك وظن الصدق يمنع تسمية القايل مفتريا وكاذبا في بعض المواضع الا ترى ان من يقول جا زيد فاذا تبين انه لم يجي وقيل له لم كذبت يقول ما كذبت وانما سمعت من فلان انه جا فظننت انه صادق فدفع الكذب عن نفسه بالظن فهم احترزوا عن تبين كذبهم فكل عاقل ينبغي ان يحترز عن ظهور كذبه عند الناس ولا يكون العاقل ادنى درجة من الكافر ثم انه تعالى جابهم مرة اخرى وقال بل الذين كفروا في العذاب في مقابلة قولهم به جنة. وكلاهما مناسب اما العذاب كنسبة الكاذب الى الصادق فهو دلالة بشهادة عليه بانه يستحق العذاب فجعل العذاب عليهم حيث قولهم افترى على الله كذبا وقوله والضلال البعيد في مقابلة قولهم افترى على الله كذبا وقوله والضلال البعيد في مقابلة قولهم به جنة وكلاهما مناسب واما الجنون فلانه نسبه الجنون الى العاقل دونه في الا بد لانه لا يشهد عليه بانه يعذب ويكون بنسبته الى عدم الهداية فبين انهم الضالون ثم وصف ضلالهم بالبعد لان من سمى المهتدي ضالا لا يكون اضل والنبي صلى الله عليه وسلم هادي كل مهتد ثم قال تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السما والارض لما ذكر الدلايل بكونه عالم الغيب وكونه على السيات والحسنات ذكر دليلا اخر وذكر فيه تهديدا اما الدليل فقوله السما والارض فانهما يدلان على الوحدانية كما بينا مرارا كما قال تعالى ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ويدلان على الحشر لانهما يدلان على كمال قدرته ومنها الاعادة وقد ذكرناه مرارا وقال تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم واما التهديد فقوله تعالى ان نشا نخسف بهم الارض يعني نجعل عين ما معهم صادهم بالخسف والكسف ثم قال تعالى ان في ذلك لاية لكل عبد منيب اي كل ما يرجع الى الله ويزيل التعصب ثم ان الله تعالى لما ذكر من ينيب من عباده ذكر منهم من اناب واصابه من جملتهم داود عليه السلام كما قال الله تعالى عنه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فبين ما اتاه الله على انابته والله تعالى اعلم

## قوله تعالى ولقد اتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير والناله الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير

وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** قوله تعالى منا اشارة الى بيان فضيلة داود عليه السلام وتقريره هو ان قوله تعالى ولقد اتينا داود منا فضلا مستقل المفهوم وتام كما يقول القايل اتى زيدا حلمه فاذا قال القايل اتاه منه حلمه يفيد انه كان من خاص ما يكون له فلذلك اتانا الله الفضل العام لكن النبوة من عنده خاص بالبعض ومثل هذا قوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان فان رحمة الله واسعة تصل الى كل احد في الدنيا لكن رحمته في الاخرة على المومنين رحمة من عنده لخواصه فقال تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه **المسئلة الثانية** في قوله تعالى يا جبال اوبي معه قال الزمخشري يا جبال بدل من قوله فضلا معناه اتينا فضلا قولنا يا جبال او من اتينا معناه قلنا يا جبال **المسئلة الثالثة** قرئ اوبي بتشديد اللام ومن التاويب وسكونها وضم الهمزة اولا من الاوب وهو الرجوع والاول الرجع وقيل بان معناه سيري معه وفي قوله سبحي هو من السباحة وهي الحركة المخصوصة **المسئلة الرابعة** قرئ والطير حملا على محل المنادى والطير بالرفع حملا على لفظه **الخامسة** لم يكن الموافقين له في التاويب منحصرا في الجبال والطير ولكن ذكر الجبال لانها الحجر والطير والطيور تستبعد منها الموافقة واذا وافقه هذه الاشيا حصرها اولى ثم ان من الناس من لم يوافقه وهم القاسية قلوبهم التي هي اشد قسوة **السادسة** قوله تعالى والناله الحديد معطوف والمعطوف عليه يحتمل ان يكون ملنا المقدر في قوله تعالى يا جبال تقديره قلنا يا جبال اوبي معه والنا ويحتمل ان يكون عطفا على اتينا تقديره فضلا والناله **السابعة** الان الله له الحديد حتى كان في يده كالشمع وهو في قدرة الله تعالى يسير فكانه يلين النار ويتحول حتى يصير كالمداد الذي يكتب به فاي عاقل يستبعد ذلك من قدرة الله تعالى وقيل انه طلب من الله ان يغنيه عن اكل بيت المال فالان له الحديد وعلمه صنعة اللبوس وهو الدروع وانما اختار الله ذلك لانه وقاية للروح التي هي من امره ويبقى في حفظ الادمي المكرم عند الله تعالى من القتل فالدروع حرز من الغواش والسياف وغيرهما ثم قال تعالى ان اعمل سابغات وهو تفسير لنا وتحقيقه لان يحمل الناله الحديد يعمل سابغات ويمكن ان يقال الهمناه ان اعمل وان مع الفعل المستقبل للمصدر فيكون معناه الناله الحديد والهمناه عمل سابغات وهي الدروع الواسعة ذكر الصفة ويعلم منه الموصوف وقدر في السرد قال المفسرون اي لا تغلظ المسامير فيصور النقب ولا تضيق النقب فيتصل المسمار بها ويحتمل ان يقال السرد هو عمل الزرد فقوله تعالى وقدر في السرد اشارة الى انه غير مامور به امر ايجاب انما هو لسياق والكسب يكون بقدر الحاجة وباقي الايام والليالي للعبادة فقدر في ذلك العمل ولا تشغل جميع اوقاتك بالكسب بل حصل به القوت فحسب ويدل عليه قوله تعالى واعملوا صالحا اي لستم مخلوقين الا للعمل الصالح فاعملوا ذلك واكثروا منه والكسب فقدروا فيه ثم اكد طلب الفعل الصالح بقوله تعالى اني بما تعملون بصير وقد ذكرنا مرارا ان من يعمل للملك سمعا ويعلم انه بمراى من الملك يحسن العمل ويتقنه ويجتهد فيه ثم ذكر المنيب الواحد كرمنا اخر وهو سليمان عليه السلم كما قال تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب وذكر ما استفيد هو بالانابة والله تعالى اعلم

## قوله تعالى ولسليمان الريح غدوها





شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور اعلم ان في الاية مسايل **المسئلة الاولى** قرئ ولسليمان الريح بالرفع والنصب وجه الرفع ولسليمان الريح مسخرة او سخرت لسليمان الريح ووجه اخر وهو ان يقال ولسليمان الريح كما تقال لزيد الدار وذلك لان الريح كان له كالمملوك المختص به يامرها بما يريد حيث يريد ان يسير الواو للعطف فعلى قراة الرفع تصير عطفا لجملة اسمية على جملة فعلية وهو لا يجوز او لا يحسن فكيف هذا فصول لما بين حال داود فكانه تعالى قال لما ذكرنا لداود ولسليمان الريح واما النصب فعلى قولنا والناله الحديد فكانه قال والنا لداود الحديد وسخرنا لسليمان الريح **الثالثة** المسخر لسليمان كانت ريحا مخصوصة لا هذه الرياح لانها المنافع عامة في اوقات الحاجات ويدل عليه انه لم يقرا الا على التوحيد فما قرا احد الرياح **الرابعة** قال بعض الناس المراد التسخير الجبال وتسبيحها مع داود وانها كانت تسبح كل شي بحمده وكان هو عليه السلام يفقه تسبيحهم فسبح ومن تسخير الريح انه راض الخيل وهو كالريح وقوله غدوها شهر تلتود فرسخا لان من يخرج للصبوح في اكثر الامر لا يسير اكثر من فرسخ ويرجع لذلك وقوله تعالى والناله الحديد وفي حق سليمان واسلنا له عين القطر انهم استخرجوا ذروب الحديد والنحاس بالنار واستعمال الالات منهما والسياطين اي ناسا اقويا وهذا كله فاسد وحمله على هذا ضعف اعتقاده وعدم اعتماده على قدرة الله تعالى والله قادر على كل شي وهذه كلمة **الخامسة** قال الامام فخر الدين الرازي في تفسير قوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال وقوله تعالى لسليمان الريح عاصفة ولو قال قايل ما الحكمة في ان الله تعالى قال في الجبال مع داود في الانبيا وفي هذه السورة حيث قال تعالى يا جبال اوبي معه وقال في الريح هناك وهاهنا لسليمان نقول الجبال لما سبحت مع داود جعلها الله تعالى في تبعيتها لداود بلام الملك بل جعلها معه كالمصاحب والريح لم يذكر فيها انها سبحت فجعلها كالمملوكة وهذا حسن وفيه امر اخر معقول يظهر لي وهو ان على قولنا اولى معناه سيري فالجبل في السير ليس اصلا بل هو يتحرك معه تبعا والريح لا يتحرك مع سليمان بل يحرك سليمان مع نفسها فلم يقل الريح مع سليمان بل سليمان كان مع الريح واسلنا له عين القطر اي النحاس ومن الشياطين اي سخرنا له من الشيطان وهذا يدل على ان جميعهم كانوا تحت امره وهو الظاهر

**واعلم** ان الله تعالى ذكر ثلثة اشيا في حق داود عليه السلام وثلثة في حق سليمان عليه السلام فالجبال المسخرة لداود عليه السلام من جنس الريح لسليمان وذلك لان الثقل مع ما هو اخف منه اذا تحرك يسبق الخفيف الثقل ويبقى الثقيل مكانه لكن الجبال كانت اثقل من الادمي والادمي اثقل من الريح فقدر الله ان سار الخفيف الثقيل مع الخفيف الجبال مع داود عليه السلام على قولنا اولى اي سيري وسليمان عليه السلام وجنوده مع الريح الثقيل مع الخفيف ايضا والطير من جنس تسخير الجن لانهما يجتمعان مع الانسان الطير لنفوره من الانس والانس لنفوره من الجن فان الانسان يتقي مواضع الجن والجن يطلبا ابدا اصطيادا الانسان والانسان يطلب اصطياد الطير فقدر الله تعالى ان صار الطير لا ينفر من داود عليه السلام بل يستانس به ويطلبه وسليمان عليه السلام لا يفر من الجن بل مسخرة له ويخدمه واما القطر والحديد فمجانستهما غير خفي وهاهنا لطيفة وهي ان الادمي ينبغي ان يتقي الجن ويجتنبه والاجتماع يفضي الى المفسدة ولهذا قال تعالى اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون فكيف طلب سليمان عليه السلام الاجتماع بهم فنقول قوله تعالى بين يديه باذن ربه اشارة الى ان ذلك المحذور لم يكن فيه مفسدة ولطيفة اخرى وهي ان الله تعالى قال هاهنا باذن ربه بلفظ الرب ثم قال تعالى ومن يزغ منهم عن امرنا ولم يقل عن امر ربه وذلك لان الرب لفظ ينبي عن الرحمة فعند ما كانت الاشارة الى حفظ سليمان عليه السلام قال ربه وعندما كانت الاشارة الى تعذيبهم قال امرنا بلفظ التعظيم الموجب لزيادة الخوف وقوله تعالى نذقه من عذاب السعير فيه وجهان احدهما ان الملايكة كانوا موكلين بهم وبايديهم مقامع من نار فالاشارة اليه وثانيهما ان السعير هي ما يكون في الاخرة فاوعدهم بما في الاخرة من العذاب ثم قال تعالى يعملون له ما يشا من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب المحاريب اشارة الى الابنية الرفيعة ولهذا قال تعالى اذ تسوروا المحراب وتماثيل ما يكون من النقوش ثم لما ذكر البنا الذي هو المسكن بين ما يكون في المسكن من ماعون الاكل فقال تعالى وجفان كالجواب جمع جابية وهي الحوض الكبير الذي يجبى الما اي يجمعه وقيل كان يجمع على جفنة واحدة الف نفس وقدور راسيات ثابتات لا تنقل لكبرها وانما نعرف بذلك الجفان وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قدم المحاريب على التماثيل لان النقوش تكون في الابنية وقدم الجفان في الذكر على القدور مع ان القدور الة الطبخ والجفان الة الاكل والطبخ قبل الاكل فنقول لما بين الابنية الملكية اراد بيان عظمة السماط الذي يمد فيها واشار الى الجفان لانها تكون فيه واما القدور فلا تكون فيه ولا تحضر هناك ولهذا قال راسيات اي غير منقولات ثم لما بين حال الجفان العظيمة كان يقع في النفس ان الطعام الذي يكون فيها في اي شي يطبخ فاشار الى القدور المناسبة للجفان **المسئلة الثانية** ذكر في حق داود عليه السلام استعماله بالة الحرب وعن سليمان عليه السلام بحالة السلم وهي المساكن والماكل وذلك لان سليمان عليه السلام كان ولد داود عليه السلام وصل جالوت والملوك الجبابرة واستوى الملك على داود عليه السلام فكان سليمان عليه السلام ولد ملك يكون ابوه قد سوى على ولده الملك وجمع له فهو يفرقه ولا يحتاجه ولان سليمان عليه السلام لم يتعدد احد عليه على ظنه فتركوا الحراب معه وان حارب احد كان زمان الحرب يسيرا لادراكه اياه الريح وكان في زمانه العظمة بالاطعام والانعام **المسئلة الثالثة** كما قال تعالى عقيب قوله ان اعمل سابغات اعملوا صالحا قال عقيب ما يعمله الجن اعملوا آل داود شكرا اشارة الى ما ذكرنا ان هذه الاشيا خالية لا ينبغي ان يجعل الانسان نفسه مستغرقة فيها وانما الواجب

الذي ينبغي ان يكثر منه هو العمل الصالح الذي يكون شكرا وفيه اشارة الى عدم الالتفات الى هذه الاشيا وعدم الاشتغال به
الرابعة انتصاب شكرا في العمل ثلثة اوجه احدها ان يكون مفعولا له كقول القايل جيتك طمعا وعبدت الله تعالى رجا غفرانه ثانيها
ان يكون مصدرا ان يكون لقول القايل شكرت الله شكرا ويكون المصدر من غير لفظ الفعل كقول القايل جلست قعودا وذلك
لان العمل شكر فقوله اعملوا يقوم مقام قوله اشكروا وثالثها ان يكون مفعولا به كقولك ضربت زيدا كما قال تعالى واعملوا
صالحا لان الشكر صالح الخامسة قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور اشارة الى ان الله تعالى حصر الاجر على عباده وذكر حيث
لما قال تعالى اعملوا ال داود شكرا فهم منه ان الشكر واجب لكن شكر نعمه كما ينبغي لا يمكن لان الشكر بالتوفيق هو نعمة تحتاج الى شكر
اخر وانما يكون نعمة بعد الشكر خاليا من الشكر فقال تعالى ان كنتم لا تقدروا على الشكر التام فليس في ذلك حرج فان
عبادي قليل منهم الشكور ويقوي قولنا انه تعالى ادخل الكل في قوله عبادي مع الاضافة الى نفسه وعبادي بلفظ الاضافة
الى نفس المتكلم لم يرد في القران الا في حق الناصر لقوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وقوله تعالى ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان فان قيل على ما ذكرتم شكر الله تعالى بتمامه لا يمكن وقوله قليل يدل على ان في عباده من هو شاكر لانعمه نقول الشكر بقدر الطاقة
البشرية هو الواجب وقليل فاعله والشكر الذي يناسب نعم الله تعالى فلا قدرة عليه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ويقول الشاكر التام ليس الا من رضي الله
عنه وقال يا عبدي ما اتيت به الشكر القليل فسلمه منك وقلت لك انك شاكر لا نعمايي باسرها وهذا القول نعمة عظيمة لا كلفت شكرها والله
تعالى اعلم **قوله تعالى** فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته فلما خر
تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين لقد كان لسبا في مساكنهم اية جنتان
عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور **اعلم** انه تعالى لما بين عظمة سليمان
عليه السلام وتسخير الريح والروح له بين انه لم ينج من الموت وانه قضى عليه الموت تنبيها للخلق من ان الموت لا بد منه ولو نجا احد
منهم لكان سليمان عليه السلام اولى بالنجاة منه وفيه مسايل المسئلة الاولى كان سليمان عليه السلام يقف في عبادة الله تعالى ليلة
كاملة ويوما تاما وفي بعض الاوقات يزيد عليه وكان له عصا يتكي عليها واقفا بين يدي ربه ثم في بعض الاوقات كان واقفا على عادته في عبادته
اذ توفي وظن جنوده انه في العبادة وبقي كذلك اياما وتمادى شهورا ثم اراد الله تعالى اظهار الامر لهم فقدر ان اكلت دابة الارض عصاه فوقع وعلم
حاله وقوله تعالى فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين كانت الجن تعلم ما لا يعلمه الانس فظن ان ذلك القدر
علم الغيب وليس لذلك بل الانسان لم يوت من العلم الا قليلا فهو اكثر الاشيا الى منه لا يعلمه والحق لا يعلم الا الاشيا الظاهرة وان كانت
خفية بالنسبة الى الانسان وبين لهم الامر بانهم لا يعلمون الغيب اذ لو كانوا يعلمونه لما لبثوا في الاعمال الشاقة ظانين ان سليمان عليه السلام
حي وقوله ما لبثوا في العذاب المهين دليل على ان المومنين من الجن لم يكونوا في التسخير لان المومن لا يكون في زمان النبي في العذاب
المهين ثم قال تعالى لقد كان لسبا في مساكنهم اية جنتان عن يمين وشمال اعلم انه تعالى لما بين حال الشاكرين منهم وذكر داود
وسليمان عليهما السلام بين حال الكافرين منهم بحكاية اهل سبا وفي سبا قراتان بالفتح على انه اسم بقعة وبالجر مع التنوين
على انه اسم قبيلة وهو الاظهر لان الله تعالى جعل الاية لسبا والقايم هو اهلها فلو كان اسم المكان فلا يحتاج الى اضمار الاهل وقوله تعالى اية
اي من فضل ربهم ثم بعدها بذكر بدله بقوله تعالى جنتان عن يمين وشمال قال الزمخشري انه في جنتين مع ان بعض بلاد العراق فيه الاف
من الجنان واجاب بان المراد لكل واحد جنتان او عن يمين بلدهم وشمالها جماعة من الجنة لاتصال بعضها ببعض جعلها جنة
واحدة وقوله تعالى كلوا من رزق ربكم واشكروا له اشارة الى تكميل النعم عليهم حيث لم يمنعهم من اكل ثمارها خوف ولا مرض وقوله
تعالى واشكروا له بيان ايضا لكمال النعمة فان الشكر لا يطلب الا عند النعمة المعتبرة لما بين حالهم في مساكنهم وبيتهم
والكلام ثم بيان كمال النعمة بين ان لا غايلة عليه ولا سعة في المال في الدنيا فقال تعالى بلدة طيبة اي عن
الموذيات طاهرة لا حية فيها ولا عقرب ولا وخم ولا وبا وقال تعالى ورب غفور اي لا عقاب ولا عذاب في الاخرة فعند
هذا بان كمال النعمة حيث كان لهم خاليتهم عن المفاسد المالية والله تعالى اعلم **قوله تعالى** فاعرضوا
فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشي من سدر قليل ذلك
جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة
وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما امنين فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم
احاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لايات لكل صبار شكور اعلم انه تعالى لما بين ما كان من جانبه
ذكر ما كان من جانبهم فقال فاعرضوا عليهم بين كمال ظلمهم بالاعراض بعد ابانة الاية كما قال تعالى ومن اظلم ممن ذكر
بايات ربه ثم اعرض عنها ثم بين كيفية الانتقام منهم فقال تعالى انا من المجرمين منتقمون وكيفيته انه تعالى
ارسل عليهم سيل العرم واغرق اموالهم وخرب دورهم وفي العرم وجوه احدها انه الجرذ الذي كان سبب خراب السكر وذلك
حيث ان بلقيس كانت قد عمدت الى الجبال وسدت الشعب حتى كانت مياه الامطار تجتمع فيها وتصير
كالبحر وجعلت لها ابوابا ثلثة مرتبة بعضها فوق بعض وكانت الابواب تفتح بعضها فوق بعض فنقب الجرذ السكر
وخرب السكر بسببه وانقلب البحر عليهم وثانيها ان العرم اسم للسكر وهي جمع العرمة وهي الحجارة وثالثها اسم للوادي
الذي يخرج فيه الما وقوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط بين بدده وام الخراب وذكر لان
البساتين الذي فيها الناس يكون فيها الفواكه الطيبة بسبب العمارة فاذا ترك سنين تصير كالغيضة والاجمة تلتف

الاشجار



الاشجار والخمط كل شجرة شوك او كل شجرة مرة ثمرها او شجرة ثمرها لا يوكل والاثل نوع من الطرفا ولا يكون عليه ثمرة الا في بعض
الاوقات يكون عليه شي كالعفص او اصغر منه في طعمه وطبعه والسدر معروف وقال فيه قليل لانه كان احسن اشجاره فقلله
الله تعالى ثم بين الله تعالى ان ذلك كان مجازاة لهم على كفرانهم فقال تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي يدل على ان
نجزي يستعمل في النعمة ولعل من قال ذلك اخذه من المجازاة مفاعلة وهي في اكثر الامور يكون بين اثنين يوجد
من كل واحد جزء وفي حق الاخر وفي النعمة لا يكون مجازاة لان الله تعالى مبتدي بالنعم قال تعالى وجعلنا بينهم
وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة اي بينهم وبين الشام فانها هي البقعة المباركة وقرى ظاهرة اي تظهر
بعضها لبعضها نرى سواد القرية من القرية الاخرى فان قال قايل هذا من النعم والله تعالى قد شرع في بيان تبديل
نعمهم بقوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم فكيف عاد مرة اخرى الى بيان النعمة بعد النقمة فنقول ذكر
حال نفس بلدهم وبين تبديله بذلك بالاثل والخمط ثم ذكر حال خارج بلدهم وذكر عمارتهم بكثرة القرى ثم ذكر تبديله
ذلك بالمفاوز والبوادي والبراري بقوله ربنا باعد بين اسفارنا وقد فعل ويدل عليه قراءة من
قرا ربنا بعد على المبتدا والخبر وقوله فيها السير اي الاماكن المعروفة يكون منازلها معلومة مقدرة لا يتجاوز فلما
كان بين كل قرية مسيرة نصف نهار وكانوا يغدون الى قرية ويروحون الى اخرى وما كان في الوقف تجاوزها
ثم المراد بالمعبر والمفاوز لا يقدر السير فيهما بل يسير السايرين فيها بقدر الطاقة حادا متى يقطعها وقوله
تعالى سيروا فيها ليالي واياما اي كان بينهم ليالي واياما معلومة وقوله امنين اشارة الى كثرة العمارة فان خوف
قطاع الطريق والانقطاع عن الرفيق لا يكون الا في مثل هذه الاماكن وقيل بان معنى قوله ليالي واياما تسيرون فيه
ان شيتم وان شيتم اياما لعدم الخوف بخلاف المواضع المخوفة فان بعضها يسلك ليلا لئلا يعلم بسيرهم وبعضهم نهارا لئلا
يقصدهم العدو اذا كان العدو غير مجاهد بالقصد والعداوة وقوله تعالى قالوا ربنا بعد بين اسفارنا قيل بانهم طلبوا
ذلك وهو يحتمل وجهين احدهما انهم سيموا مطرا كما طلبت اليهود الثوم والبصل ويحتمل ان يكون لفساد اعتقادهم وشدة
اعتمادهم على ان ذلك لا يعدم كما يقول القايل لغيره اضربني اشارة الى انه لا يقدر عليه ويمكن ان يقال قالوا ربنا باعد بلسان
الحال اي كفروا فقد طلبوا ان يبعد بين اسفارهم ويخرب المعمور من ديارهم وقوله تعالى وظلموا انفسهم بيانا لذلك فجعلناهم
احاديث اي جعلناهم ما جعلناهم مثلا يقال تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق بيان لجعلهم احاديث وقوله تعالى
ان في ذلك لايات لكل صبار شكور اي فيما ذكرناه من حال الشاكرين وحال الكافرين **قوله تعالى** ولقد صدق عليهم
ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المومنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يومن بالاخرة ممن هو
منها في شك وربك على كل شي حفيظ اي ظنه انه يغويهم كما قال تعالى فبعزتك لاغوينهم فاتبعوه بيانا انه
لذلك اي اغواهم فاتبعوه الا فريقا من المومنين وهم الذين قال الله تعالى في حقهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ويمكن ان يقال
صدق عليهم ظنه في انه خير منه كما قال تعالى عنه انا خير منه وتحقيق ذلك في قوله فاتبعوه لان المتبوع خير من التابع والا
لا يتبعه العاقل والذي يدل على ان ابليس خير من الكافر هو ان ابليس امتنع من عبادة غير الله تعالى لكن لما كان امتناعه
ترك عبادة الله عنادا كفر والمشرك يعبد غير الله فهو كفر مما قرب الى التوحيد وهم كفروا بما هو الاشراك ويويد الذي
اخترناه هو الاستثنا وبيانه هو انه لم يظن انه يغوي الكل بدليل انه تعالى قال الا عبادك منهم المخلصين فما ظن انه يغوي
المومنين فما ظنه صدقه ولا حاجة الى الاستثنا واما في قوله تعالى انا خير منه اعتقد الخيرية بالنسبة الى جميع الناس
بدليل تعليله بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين وقد كذب في ظنه في حق المومنين ولكن الجواب عن هذا الوجه
الاول وهو انه وان لم يظن اغوا الكل وعلم ان البعض ناج لكن ظن في كل واحد انه ليس هو ذلك البعض الناجي فلبس
له وظن انه يغويه فكذب في ظنه في حق البعض ثم قال تعالى وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم قد ذكرنا تفسير قوله
تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ان علم الله تعالى من الازل الى الابد محيط بكل معلوم وعلمه لا يتغير
وهو في كونه عالما لا يتغير ولكن يتغير تعلق علمه فان العلم صفة كاشفة يظهر فيها كل ما في نفس الامر فعلم الله تعالى في الازل
ان العالم سيوجد فاذا وجد علمه موجودا بذلك العلم واذا عدم يعلمه معدوما بذلك مثاله المراة المصقولة فيها الصفا
ويظهر فيها صورته والمراة لم تتغير في ذاتها ولا تبدلت في صفاتها انما التغير في الخارجات فكذلك هاهنا قوله تعالى الا لنعلم
من يومن اي ليقع في العلم صدور الكفر من الكافر والايمان من المومن وكان قبله فيه انه سيكفر زيد ويومن عمرو وقوله تعالى
وما كان له عليهم من سلطان اشارة الى انه ليس بالجي وانما هو اية وعلامة خلقها الله ليتميز ما هو في علمه السابق وقوله
تعالى وربك على كل شي حفيظ تحقيق ذلك لان الله تعالى قادر على منع ابليس منهم عالم بما سيقع والحفيظ لا يحصل الا بالعلم
والقدرة اذ الجاهل بالشي لا يمكنه حفظه ولا العاجز ثم قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لما بين الله تعالى حال
الشاكرين وحال الكافرين وذكرهم بمن مضى عاد الى خطابهم وقال لرسوله صلى الله عليه وسلم قل للمشركين ادعوا الذين
زعمتم من دون الله ليكشفوا عنكم الضر على سبيل التهكم ثم بين انهم لا يملكون شيا بقوله لا يملكون مثقال ذرة في
السموات ولا في الارض **اعلم** ان المذاهب المفضية الى الشرك اربعة احدها قول من يقول الله تعالى خالق
السموات وجاعل الارض والارضيات في حكمهم ونحن من جملة الارضيات فنعبد الملايكة والكواكب التي هي في السماء

الى قوله وهو العلي الكبير

وهم الهنا والله الهتهم فقال تعالى في ابطال قولهم انهم لا يملكون في السموات شيا كما اعترفتم ثم قال ولا في الارض على خلاف ما زعمتم وثانيها قول من يقول السموات من الله تعالى على سبيل الاستبداد والارضيات منه ولكن بواسطة الكواكب فان الله تعالى خلق العناصر والتركيبات التي فيها باتصالات وحركات وطوالع فجعلوا لغير الله مع الله شركا في الارض والاولون جعلوا الارض لغيره والسما له فقال في ابطال قولهم وما لهم فيهما من شرك اي الارض كالسما لله تعالى لا لغيره ولا لغيره منها نصيب وثالثها قول من قال التركيبات والحوادث كلها من الله تعالى لكن فوض ذلك الى الكواكب وفعل الماذون ينسب الى الاذن ويسلب عن الماذون فيه مثاله اذا قال الملك لمملوكه اضرب فلانا فضربه يقال في العرف الملك ضربه ويصح عرفا قول القايل ما ضرب فلان فلانا انما الملك امر بضربه فضرب فهولا جعلوا السموات معينا لله فقال الله تعالى في ابطال قولهم وما له منهم من ظهير ما فوض الى شي شيا بل هو على كل شي حفيظ ورقيب ورابعها قول من قال انا نعبد الاصنام التي هي صور الملايكة ليشفعوا لنا فقال تعالى في ابطال قولهم ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له فلا فايدة لعبادتكم غير الله تعالى فان الله تعالى لا ياذن في الشفاعة لمن يعبد غيره فبطلب الشفاعة تفوتون على انفسكم الشفاعة وقوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم اي ازيل الفزع منهم فقال رد العبد اي احد منه المراد ويقال لهذا التدبير السبب وفي قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم وجوه **احدها** الفزع الذي عند الوحي فان الله تعالى عند ما يوحي اليه يفزع من في السموات ثم يزيل عنهم الفزع فيقولون لجبريل عليه السلام ماذا قال الله فيقول قال الحق اي الوحي وثانيها الفزع الذي من الساعة وذلك لان الله تعالى لما اوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم فزع من في السموات من القيمة لان ارسال محمد عليه الصلاة والسلام من اشراط الساعة فلما زال عنهم ذلك الفزع قالوا ماذا قال الله قال جبريل الحق اي الوحي والثالث هو ان الله تعالى يزيل الفزع وقت الموت عن القلوب فعند ذلك كل احد يقول ان الله تعالى هو الحق فيقع ذلك ممن سبق منه ثم يقبض روحه على الايمان المستحق عليه بعده وبين الله تعالى ويصير ذلك القول ممن سبق منه خلافه فيقبض روحه على الكفر المستحق بعده وبين الله تعالى اذا علمت هذا فنقول على القولين الاولين قوله حتى غاية متعلقة بقوله تعالى قل لانه بعثه بالوحي لان قول القايل قل لفلان للامر حتى يسمع المخاطب ما تقوله ثم تقول بعد الكلام ما يحب فقوله قل انما قال قل فزع من في السموات ثم ازيل عنهم الفزع وعلى الثالث متعلقة بقوله تعالى زعمتم اي زعمتم الكفر الى غاية التفزيع ثم تركتم ما زعمتم وقلتم قال الحق وعلى القولين الاولين فاعل قوله تعالى قالوا ماذا هو الملايكة السايلون من جبريل وعلى الثالث الملايكة السايلون الكفار والفاعل في قوله الحق على القولين الاولين هم الملايكة وفي الثالث هم المشركين **واعلم** ان الحق هو الموجود ثم ان الله تعالى لما كان وجوده لا يرد عليه عدم كان حقا مطلقا لا يرتفع بالباطل الذي هو العدم والكلام الذي يكون صدقا يكون حقا لان الكلام له متعلق في الخارج بواسطة انه يتعلق بما في ذهن القايل وذهن القايل يتعلق بما في الخارج لكن الصدق يتعلق في الخارج وحينيذ اما ان لا يكون له متعلق في الذهن فيكون كالمعدوم من الاول وهو الالفاظ التي يكون صادرة عن معاند كاذب واما ان يكون له تعلق في الذهن على خلاف ما في الخارج فيكون اعتقاده باطلا جهلا او ظنا لكن لما لم يكن لمتعلقه متعلق يزول ذلك فيزول ذلك الكلام ويبطله وكلام الله تعالى لا يبطله الى اول الامر كما يكون الكلام الكاذب المعاند ولا ياتيه الباطل كما يكون كلام الظان وقوله تعالى وهو العلي الكبير قد ذكرنا في تفسير قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلي الكبير ان الحق اشارة الى انه الكامل الذي لا قدرة فيه فبطل بسبب العدم وفوق الكاملين لان كل كامل فوقه كامل فقوله تعالى وهو العلي الكبير اشارة الى انه فوق الكامل في ذاته وصفاته وهذا يبطل القول بكونه جسما وفي حيز لان كل من كان في حيز فان العقل يحكم بانه مشار اليه لكان المشار اليه هو واذا وقعت الاشارة اليه فقدرنا هنت الاشارة عنده وفي كل موضع تقف الاشارة يقدر العقل على ان يفرض البعد اكثر من ذلك فيقول لو كان مبدا خذ الاشارة والمشار اليه اكثر من هذا البعد لكان هذا المشار اليه اعلى فيصير عليا بالاضافة لا مطلقا وهو علي مطلقا ولو قال حسما لكان له مقدار وكل مقدار يمكن ان يفرض اكثر منه فيكون كبيرا بالنسبة الى غيره لا مطلقا وهو كبير مطلق والله اعلم

**قوله تعالى** قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين قل لا تسالون عما اجرمنا ولا نسل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل اروني الذين الحقتم به شركا كلا بل هو الله العزيز الحكيم

**اعلم** انا قد ذكرنا مرارا ان العامة يعبدون الله لا لكونه الها وانما يطلبون به شيا اما دفع ضرر او جر نفع فنبه الله تعالى العامة بقوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم على انه لا يدفع الضر احد الا الله هو كما قال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وقال بعد اتمام بيان ذلك قل من يرزقكم من السموات والارض اشارة الى ان جر النفع ليس الا به ومنه فاذا ان كنتم من الخواص فاعبدوه لعلوه وكبريايه سوا دفع عنكم ضرا او لم يدفع وسواء نفعكم بخير او لم ينفع فان لم تكونوا كذلك فاعبدوه لجر النفع ودفع الضر ثم قال الله يعني انهم لا يقولون ذلك فقل انت الله يرزق من يشا وهنا لطيفة وهي ان الله تعالى عند الضر ذكر انهم يقولون الله ويعترفون بالحق حيث قال قالوا الحق وعند النفع نقل انهم لا يقولون ذلك وذلك لانهم لهم حالة يعترفون بان كاشف الضر هو الله حيث يقعون في الضر كما قال تعالى واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه واما عند الراحة فلا تنبيه لهم لذلك فلذلك قال قل الله اي هم حالة الراحة غافلون



عن الله تعالى ثم قال تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وفيه مسايل **المسلة الاولى** هذا ارشاد من الله ورسوله الى المناظرات الجارية في العلوم وغيرها وذلك لان احد المتناظرين اذا قال للاخر هذا الذي تقوله خطا وانت فيه مخطي يغضبه وعند الغضب لا يبقى سداد الفكر وعند اختلاله لا مطمع في الفهم فيفوت الغرض واما اذا قال له بان احدنا لا يشك في انه مخطي والتمادي في الباطل قبيح والرجوع الى الحق احسن الاخلاق فنجتهد ونبصر ايما على الخطا ليحترز ونجتهد في ذلك الخصم في النظر وترك التعصب وذلك لا يوجب نقصا في المنزلة اذ اوهم بانه في قوله شاك ويدل عليه قول الله تعالى لنبيه قل انا او اياكم مع انه لا شك في انه هو الهادي وهو المهتدي وهم الضالون والمضلون **المسلة الثانية** في قوله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ذكر في الهدى على وفي الضلال كلمة في لان المهتدي كانه مرتفع مطلع ينظره بكلمة العلو والضال منغمس في الظلمة غريق فيها فذكره بكلمة في **المسلة الثالثة** وصف الضلال بالمبين ولم يصف الهدى لان الهدى هو الصراط المستقيم الموصل الى الحق والضلال خلافه لكن المستقيم واحد وما هو غيره كله ضلال وبعضها احسن من بعض فميز البعض عن البعض بالوصف **المسلة الرابعة** قدم الهدى على الضلال لانه كان وصف المومنين المذكورين بقوله انا وهو مقدم في الذكر ثم قال تعالى لا تسلون عما اجرمنا ولا نسل عما تعملون اضاف الاجرام الى النفس وقال في حقهم ولا نسل عما تعملون ذكر بلفظ العمل لئلا يحصل الاغضاب المانع من الفهم وقوله لا تسالون ولا نسل زيادة حث على النظر وذلك لان كل احد اذا كان مواخذا بجرمه فاذا احترز نجا ولو كان البري يواخذ بالجرم لما نجح النظر ثم قال تعالى قل اروني الذين الحقتم به شركا كلا بل هو الله العزيز الحكيم قد ذكرنا ان العبود يعبد قوم لدفع الضرر وجمع لتوقع المنفعة وقليل من الاشراف الاعزة يعبدونه لانه مستحق للعبادة لذاته فلما بين الله تعالى انه لا يعبد غير الله لدفع الضرر اذ لا دافع للضرر غيره فقوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله وبين انه لا يعبد غير الله لتوقع المنفعة بقوله تعالى قل من يرزقكم من السموات والارض بين ها هنا انه لا يعبد احد لاستحقاقه العبادة غير الله فقال تعالى قل اروني الذين الحقتم به شركا كلا بل هو الله العزيز الحكيم اي هو المعبود لذاته واتصافه بالعزة وهي القدرة الكاملة والحكمة وهي العلم التام الذي عمله موافق له والله اعلم

**قوله تعالى** وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون وقال الذين كفروا لن نومن بهذا القران ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مومنين

**اعلم** ان قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا فيه وجهان احدهما كافة عامة تجمع الناس وتمنعهم من الخروج عن الانقياد لها والثاني كافة اي ارسلناك كافة تكف الناس انت من الكفر والها للمبالغة على هذا الوجه بشيرا تحثهم بالوعد ونذيرا تزجرهم بالوعيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك لا لخفايه ولكن لغفلتهم ثم قال تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لما ذكر الرسالة بين الحشر وقال قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون فذكرنا في سورة الاعراف ان قوله تعالى لا يستاخرون يوجب الانذار لان معناه عدم المهلة عن الاجل لكن لا استقدام ما وجهه وذكر هناك وجهه ولنذكرها هنا انهم لما طلبوا الاستعجال بين انه لا استعجال فيه كما لا امهال وهذا يفيد عظم الامر وخطر الخطب وذلك لان الامر الحقير اذا طلبه طالب من غيره لا يوخره ولا يوقفه على وقت بخلاف الامر الخطير وفي قوله تعالى قل لكم ميعاد يوم قراات احدها رفعهما مع التنوين ميعاد يوم وعلى هذا يوم بدل وثانيها نصب يوم مع رفع ميعاد والتنوين فيهما ميعاد يوما قال الزمخشري ووجهه انه منصوب بفعل محذوف كانه قال ميعاد يوم وذلك يفيد التعظيم والتهويل ويحتمل ان يقال نصب على الظرف تقديره لكم ميعاد يوما كما يقول القايل انا حاسب يوما وعلى هذا يكون فيه الابهام كانه يقول لكم ميعاد تعلمونه يوما وقوله معلوم يدل عليه كقول القايل انه مقبول يوما الثالثة الاضافة لكم ميعاد يوم كما في قول القايل سحق ثوب للبس واسناد الفعل اليهم بقوله لا تستاخرون عنه بدلا من قوله لا يوخر عنكم زيادة تاكيد لوقوع اليوم ثم قال تعالى وقال الذين كفروا لن نومن بهذا القران بين الامور الثلاثة من التوحيد والرسالة والحشر وكانوا بالكل كافرين بين كفرهم العام بقوله تعالى وقال الذين كفروا لن نومن بهذا القران وذلك لان القران مشتمل على الكل وقوله تعالى ولا بالذي بين يديه المشهور انه التوراة والانجيل وعلى هذا فالذين كفروا المراد منهم المشركون المنكرون للنبوات والحشر ويحتمل ان يقال ان المعنى هو انا لا نومن بالقران انه من الله ولا بالذي بين يديه اي ولا بما فيه من الاخبارات والمسايل والايات والدلايل وعلى هذا فالذين كفروا يكون المراد العموم لان اهل الكتب لم يومنوا بالقران انه من الله ولا بالذي بين يديه من الرسالة وتفاصيل الحشر فان قيل اليس هم المومنون بالوحدانية والحشر فيقولون اذا لم نصدق واحدا في الكتب من الامور المختصة به تفارقه انهم لا يومنون بشي منه وان امن ببعض ما فيه لكونه في غيره فيكون ايمانه مما صح مثاله ان من يكون رجلا فما يقوله فاذا اخبره بان النار حارة لا نقول به صدقه ولكن لا نقول بانه صدقه لانه انما صدق نفسه ما كان عالما به من قبل وعلى هذا فقوله بين يديه اي الذي هو مشتمل عليه من حيث انه حاد وقوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون موقوفون لما وقع الناس من ايمانهم في هذه الدار بقوله تعالى لن نومن فانه بيان حال النبي وعد يسهه صلى الله عليه وسلم بانه يراهم على اذل حال موقوفين للسوال يرجع بعضهم الى بعض القول كما يكون عليه حال جماعة اخطاوا في امر يقول بعضهم لبعض كان ذلك بسببك ويرد عليه الاخر مثل ذلك وجواب لو محذوف تقديره ولو ترى اذ الظالمون موقوفون لرايت عجبا ثم بدا بالاتباع لان المضل اولى بالتوبيخ فقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مومنين

اشارة الى ان كفرهم كان لمانع لا لعدم المقتضي لانه لا يمكنهم ان يقولوا ما جاءنا رسول ولا ان يقولوا قصر الرسول وهذا اشارة
الى اتيان الرسول بما عليه لان الرسول لو اهمل شيا لما كانوا مؤمنين ولولا المستكبرون **قوله تعالى** قال الذين استكبروا
للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا
بل مكر الليل والنهار اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما راوا العذاب وجعلنا الاغلال
في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم
به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
ولكن اكثر الناس لا يعلمون وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا فاولئك
لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات امنون والذين يسعون في اياتنا معاجزين اولئك في العذاب
محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شي فهو يخلفه
وهو خير الرازقين **اعلم** ان قوله تعالى قال الذين استكبروا للذين استضعفوا ردا لما قالوا ان كوننا كان لمانع اعني
صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم يعني المانع ينبغي ان يكون راجحا على المقتضي حتى يعمل عمله والذي جاء به من الهدى والذي صدر من المستكبرين
لم يكن شيا يوجب الامتناع من قبول ما جاء به فلم يصح تمسككم بالمانع ثم بين ان كفرهم كان اجراما من حيث ان المعذور لا يكون معذورا الا لعدم
المقتضي او لقيام المانع ولم يوجد شي منهما ثم قال تعالى وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تامروننا اي ما ذكر المستكبرون
ايانا صددناكم وما صدر منا ما يصلح مانعا وصاروا اعترفوا المستضعفون به وقالوا بل مكر الليل والنهار منعنا ثم قالوا لهم انكم وان كنتم
ما اتيتم بالصارف القوي والمانع القوي ولكن انضم امركم ايانا بالكفر الى طول الامد وامتداد المدد فكفرنا فكان قولكم جزء السبب
ويحتمل وجها اخر وهو ان يكون المراد بل مكر الليل والنهار بحذف المضاف اليه وقوله تعالى اذ تامروننا ان نكفر بالله اي نكره
ونجعل له اندادا هذا بين ان المشرك بالله مع انه في الضرورة مثبت لكنه في الحقيقة منكر لوجود الله تعالى لان من ساويه
المخلوق المنحوت لا يكون الها وقوله في الاول يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استكبروا وقال الذين استضعفوا بصيغة
الماضي مع ان السؤال والراجع في القول انفع لم يقع اشارة الى ان ذلك لا بد ان يقع فان الامر الواجب الوقوع يوجد كانه وقع
الا ترى الى قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم قال تعالى واسروا الندامة لما راوا العذاب معناه انهم يتراجعون القول في الاول
ثم اذا جاءهم العذاب والشاغل يسرون ذلك التراجع الدال على الندامة وقيل معنى الاسرار الاظهار اي اظهروا الندامة
ويحتمل ان يقال بانهم لما تراجعوا في القول رجعوا الى الله تعالى ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا ثم حسبوا
فاخبروا الامر ذلكم ثم فاسروا ذلك القول وقوله تعالى وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اشارة الى كيفية العذاب
قطعوا بانهم واقعون فيه فتركوا الندم ووقعوا فيه فجعل الاغلال في اعناقهم وقوله تعالى هل يجزون الا ما كانوا يعملون اشارة
الى ان ذلك حقهم عدلا ثم قال تعالى وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم
وبيان ان ابتلا الكفار الانبيا الاخيار ليس بدعا بل ذلك عادة جرت من قبل وانما سبب القول الى المترفين مع ان غيرهم
ايضا قالوا انا بما ارسلتم به كافرون لان الاغنيا المترفين هم الاصل في ذلك القول الا ترى ان الله تعالى قال عن الذين استضعفوا
انهم قالوا للمستكبرين لولا انتم لكنا مؤمنين ثم استدلوا على كونهم مصيبين في ذلك بكثرة الاموال والاولاد فقالوا نحن اكثر
اموالا واولادا بسبب التزامنا لديننا وقوله تعالى وما نحن بمعذبين اي في الاخرة كانهم قالوا حالنا عاجلا خير من اجله
فلا نترك العز بما انكارا منهم للعذاب راسا واعتقادا لحسن حالهم في الاخرة ايضا قياسا ثم ان الله تعالى بين خطاهم
بقوله قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني ان الرزق في الدنيا لا يدل لسعته وضيقه على حال المحق والمبطل
فكم من موسر شقي ومعسر تقي ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان قلة الرزق وضيق العيش وكثرة المال وخفض العيش من غير اختصاص
بالمشية والصلاح ثم من فساد استدلالهم بقوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من امن يعني قولكم
نحن اكثر اموالا واولادا فنحن احسن عند الله حالا ليس استدلالا صحيحا فان المال لا يقرب الى الله والاعتبار بالقربة وانما المفيد
العمل الصالح بعد الايمان والذي يدل عليه هو ان المال والولد يشغل عن الله فيبعد عنه فكيف يقرب منه والعمل الصالح اقبال
على الله تعالى واشتغال بالله تعالى ومن توجه الى الله وصل ومن طلب من الله تعالى شيا حصل وقوله فلهم جزاء الضعف اي
الحسنة فان الضعف لا يكون الا في الحسنة وفي السيئة لا يكون الا المثل ثم زاد وقال تعالى وهم في الغرفات امنون اشارة الى دوام
النعيم وتاسيده فان من ينقطع عنه النعمة لا يكون امنا ثم بين حال المسيء بقوله تعالى والذين يسعون في اياتنا معاجزين اولئك
في العذاب محضرون اشارة الى الدوام ايضا كما قال تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وكما قال تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا
منها اعيدوا فيها وقال تعالى وما هم عنها بغائبين قال تعالى مرة اخرى قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له اشارة
الى ان نعيم الاخرة لا ينافي نعمة الدنيا بل الصالحون قد يحصل لهم في الدنيا النعم مع القطع لحصول النعيم لهم في العقبى بناء على
الوعد قطعا لقول من يقول اذا كانت العاجلة لنا والاجلة لهم فالنقد اولى فقال هذا النقد غير مختص بكم فان كثيرا من الاشقيا
مدعون وكثير من الاتقيا ممنعون وفيه مسائل **المسألة الاولى** ذكر هذا المعنى مرتين مرة لبيان ان كثرة اموالهم و
اولادهم غير دالة على حسن احوالهم واعتقادهم ومرة لبيان انه غير مختص بهم كانه قال وجود الترفه لا يدل على الشرف
ثم ان سلمنا انه كذلك لكن المؤمنين سيحصل لهم ذلك فان الله تعالى علكم دياركم واموالكم والذي يدل عليه هو ان الله تعالى



لم يذكر اولا لمن يشاء من عباده بل قال لمن يشاء وثانيا قال لمن يشاء من عباده والعباد المضافة يراد بها المؤمن ثم وعد
المؤمن بخلاف ما للكافر فان الكافر دابره مقطوع وماله الى الزوال وماله الى الوبال فما ينفقه يخلفه الله تعالى ويخلف
الله خير فان ما في يد الانسان في معرض البوار والتلف وهم لا ينظرون الى ما عند الله تعالى من الخلف ثم اكد ذلك وهو خير الرازقين
وخير الرزق في امور احدها ان لا يؤخر عن وقت الحاجة والثاني ان لا ينقص من قدر الحاجة والثالث ان لا يبلوه بالحساب
الرابع ان لا يكدره بطلب الثواب والله تعالى كذلك اما الاول فلانه عالم وقادر والثاني فلانه غني واسع والثالث فلانه كريم وقد
ذكر بقوله تعالى يرزق من يشاء بغير حساب وما ذكرنا هو المراد اي يرزقه حلالا لا يحاسبه عليه والرابع فلانه علي كبير والثواب
يطلبه الادنى من الاعلى لا الاعلى من الادنى ان هبة الاعلى من الادنى لا تقتضي ثوابا **المسألة الثانية** قوله تعالى وما انفقتم من شي فهو
يخلفه وهو خير الرازقين يحقق معنى قوله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد الا ملكان ينزلان يقول احدهما
اللهم اعط كل منفق خلفا ويقول الاخر اللهم اعط كل ممسك تلفا وذلك لان الله تعالى ملك علي وهو غني ملي فاذا قال
انفق وعلي بدله بحكم الوعد يلزمه كما اذا قال قايل الق متاعك في البحر وعلي ضمانه فمن انفق فقد اتى بما هو شرط حصول البدل
فيحصل البدل ومن لم ينفق فالزوال لازم للمال ولم يات بما يستحق عليه من البدل فيفوت من غير خلف وهو التلف ثم ان من
العجب ان التاجر اذا علم ان مالا من امواله في معرض الهلاك يبيعه نسيئة وان كان من الفقرا ويقول ان ذلك اولى من الاهمال الى الهلاك
فان لم يبع حتى يهلك ينسب الى الخطأ ثم ان حصل به كفيل ملي ولا يبيع ينسب الى قلة العقل فان حصل به رهن وكتب به وثيقة
ولا يبيعه ينسب الى الجنون ثم ان كل احد يفعل هذا ولا يعلم ان ذلك قريب من الجنون فان اموالنا كلها في معرض الزوال المحقق
والانفاق على الاهل والولد اقراض وقد حصل ايضا من الملي وهو الله العلي وقال وما انفقتم من شي فهو يخلفه ثم رهن عند
كل احد اما ارضا او بستانا او طاحونة او حماما او منفعة فان الانسان لا بد له من ان يكون له صنعة او جهة يحصل له منها
ماله وكل ذلك ملك الله تعالى وفي يد الانسان بحكم العارية فكانه مرهون لا يبقى عند الله تعالى من رزقه ليحصل له الوثوق التام
ومع هذا لا ينفق ويترك ماله لمن يتلف لا ماجورا ولا مشكورا **المسألة الثالثة** قوله تعالى وهو خير الرازقين ينبئ عن
كثرة في الرازقين ولا رازق الا الله تعالى فما الجواب عنه فنقول عنه جوابان احدهما ان يقال الله خير الرازقين الذين تظنونهم
رازقين والدليل في قوله تعالى وهو احسن الخالقين وثانيهما ان من الصفات منها ما يحصل لله وللعبد حقيقة ومنها ما يقال
لله تعالى بطريق الحقيقة ولا يقال للعبد لا بطريق الحقيقة ولا بطريق المجاز لعدم حصوله للعبد حقيقة وصورة مثال الاول
العلم فان الله تعالى يعلم انه واحد والعبد يعلم انه واحد بطريق الحقيقة وكذلك العلم يكون للباري غاية ما في الباب ان علمه قديم
وعلمنا حادث مثال الثاني الرازق والخالق فان العبد اذا اعطى غيره شيا فالله تعالى هو المعطي ولكن لاجل صورة العطا
منه سمي معطيا كما يقال للصورة المنقوشة على الحائط فرس وانسان مثال الثالث الازلي والله وغيرهما وقد يقال في اشيا
في الاطلاق على العبد حقيقة وعلى الله تعالى مجازا كالاستوا والنزول والسمع ويد الله ووجه الله والله تعالى اعلم
**قوله تعالى** ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملايكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا
من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول
للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون **اعلم** انه لما بين ان حال النبي صلى الله عليه وسلم
كحال من تقدمه من الانبيا وحال قومه كحال من تقدم من الكفار وبين بطلان استدلالهم بكثرة اموالهم
واولادهم بين ما يكون عاقبة حالهم فقال تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملايكة يعني المكذبين بمن
تقدم ثم يقول لمن يدعون انهم يعبدونه وهم الملايكة فان غاية ما يرتقي اليه مرامهم انهم يقولون نحن نعبد
الملايكة والكواكب فيسال الملايكة انهم كانوا يعبدونكم اهانة لهم فيقول كل منهم سبحانك ننزهك عن ان
يكون غيرك معبودا انت معبودنا ومعبود كل خلق وقولهم انت ولينا من دونهم اشارة الى معنى لطيف وهو ان
مذاهب الناس مختلفة بعضهم لا يريد البلاد الصغيرة لعدم اجتماعه فيها بالناس وقلة وصوله فيها الى الاكابر ثم
ان الفريقين جميعا اذا عرض عليهم خدمة السلطان واستخدام الاراذل الذين لا التفات اليهما صلاحهما بالعاقل
خدمة السلطان واستخدام الاراذل الذين لا التفات لاصلا من لا ابوه به ولو ان رجلا سكن جبلا ووضع
بين يديه شيا من المأكولات واجتمع عليه الذباب والديدان وهو يقول هؤلاء اتباعي واشياعي ولا
ادخل المدينة مخافة ان احتاج الى خدمة الملك والعظم والتردد اليه ينسب الى جنون فكذلك من رضي بان يترك
خدمة الله تعالى وعبادته ورضي باستتباع الهمج الذين اضل من البهايم واقل من الهوام يكون مجنونا فقالوا انت
ولينا من دونهم يعني كونك ولينا بالمعبودية اولى واحب الينا من كونهم اولياء بالعبادة لنا وقالوا بل كانوا يعبدون الجن اي
كانوا ينقادون لامر الجن فهم في الحقيقة كانوا يعبدون ونحن كنا كالصلة بهم لان العبادة هي الطاعة وقوله تعالى
اكثرهم بهم مؤمنون لو قال قايل جميعهم كانوا تابعين للشيطان فما وجه قوله اكثرهم بهم فانه ينبئ ان بعضهم لا يؤمن بهم
ولم يطع لهم نقول الجواب عنه من وجهين احدهما ان الملايكة احترزوا عن دعوى الاحاطة بهم فقالوا اكثرهم لان الذين راوهم
واطلعوا على احوالهم كانوا الجن ويؤمنون بهم ولعل في الوجود من لم يطلع الله الملايكة عليه من الكفار الثاني هو ان العبادة عمل
ظاهر والايمان عمل باطن فقالوا بل كانوا يعبدون الجن لاطلاعهم على اعمالهم وقالوا اكثرهم بهم مؤمنون عند عمل القلب لكونهم

مع علمه اطلاعهم على ما في قلوبهم فان اسند الله عليه الاطلاع كما قال تعالى انه عليم بذات الصدور ثم بين ان ما كانوا يعبدونه
لا ينفعهم فقال فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا وفيه مسايل المسلة الاولى الخطاب مع من بقوله
بعضكم يحتمل ان يقول مع الملايكة لسبق قوله تعالى اهولاء اياكم كانوا يعبدون وعلى هذا يكون تنكادا للكافرين حيث
بين لهم ان معبودهم لا ينفع ولا يضر ويصحح هذا قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا لمن ارتضى ولانه قال بعده
ونقول للذين ظلموا ذوقوا فانه لو كان المخاطب هو الكفار لقال تعالى فذوقوا وعلى هذا يكون الكفار داخلين في
الخطاب حتى يصح معنى قوله تعالى بعضكم لبعض اي الملايكة للكفار والى هذا الوجه اشار الزمخشري حيث جعل ذلك في كلام ايهم
قلتم انت قلت وهم قالوا ويحتمل ان يكون معهم الجن اي لا يملك بعضكم لبعض ايها الملايكة والجن واذا لم يملكوها
لانفسهم فلا يملكوها لغيرهم ويحتمل ان يكون المخاطب هو الكفار لان ذكر اليوم يدل على حضورهم وعلى هذا فقوله
تعالى ونقول للذين ظلموا انما ذكرناه تاكيدا لبيان حالهم في الظلم وسبب نكالهم من الاثم ولو قال تعالى فذوقوا عذاب
النار لكان كافيا للتسلية لكن لحصل ما ذكرنا من الفايدة فانهم كانوا كما يستمعون ما كانوا عليه من الظلم والعناد والاثم
والفساد يحزنون ويندمون المسلة الثانية قوله تعالى نفعا مفيد للحسرة اما الضر فما الفايدة فيه مع انهم لو كانوا
يملكون الضر لما نفع الكافرين ذلك فنقول لما كانت العبادة تقع لدفع ضر المعبود كما يعبد الجبار ويخدم مخافة شره
بين انهم ليس فيه ذلك الوجه الذي يحسن لاجله عبادتهم المسلة الثالثة قال هاهنا عذاب النار التي كنتم بها
تكذبون وقال في السجدة النار التي كنتم به جعل المكذب هنالك العذاب وجعل المكذب هاهنا النار وهم تكذبون بالكل
والفايدة فيها ان هناك لم يكن اول ما رووا النار بل كانوا فيها من زمان بدليل قوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها
اعيدوا فيها وقيل لهم ظلموا ذوقوا عذابا لنار كنتم به تكذبون اي العذاب المؤبد الذي انكرتموه بقولكم لن تمسنا
النار الا اياما معدودة اي قلتم ان العذاب ان وقع فلا يدوم فذوقوا الدايم وهاهنا اول ما راوا النار لانه مذكور
عقيب الحشر فقيل لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون **قوله تعالى** وإذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما
هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين
كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما اتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم
قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما اتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير قل انما
اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب
شديد قل ما سالتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله وهو على كل شي شهيد اظهار الفساد اعتقادهم واشتداد عنادهم
حيث بين ان اعلى من يعبدونه وهم الملايكة لا يتاهلون للعبادة ولا لدراهم كما قالوا سبحانك انت ولينا اي لا اهلية
لنا الا العبادتك من دونهم اي لا اهلية لنا ان نكون معبودين لهم ولا سفيع وحش كما قال تعالى فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا
ولا ضرا ثم مع هذا كله اذا قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم كلاما من التوحيد وتلا عليهم ايات الله الدالة عليه فان لله في كل شي
ايات دالة على وحدانيته انكروها وقالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم يعني يعارضون البرهان
بالتقليد وقالوا ما هذا الا افك مفترى وهو يحتمل وجوها احدها ان يكون المراد ان المراد بالقول الوحدانية افك مفترى وعدل
عليه ان الوحد كما يقول في حق المشرك انه ما قيل كما قال تعالى في حقهم ايفكا الهة دون الله تريدون وكما قالوا الرسول اجعلتنا ممكنا
عما وجدنا عليه اباءنا وثانيها ان يكون المراد ما هذا الا افك مفترى اي القران افك وعلى الاول يكون قوله تعالى وقال الذين كفروا
للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين اشارة الى القران وعلى الثاني اشارة الى ما اتوا به من المعجزات وعلى الوجهين في قوله تعالى وقال الذين
كفروا لله الاعراب نقول وقال الحق هو ان انكار التوحيد كان مختصا بالمشركين واما انكار القران والمعجزة كان متفقا بين المشركين
واهل الكتاب فقال تعالى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم على وجه العموم ثم قال تعالى وما اتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا
اليهم قبلك من نذير تاكيد البيان تقليدهم يقولون عندما تتلى عليهم الايات البينات هذا رجل كاذب وقوله تعالى افك مفترى
من غير برهان ولا كتاب انزل عليه ولا رسول ارسل اليه فالايات البينات لا تعارض الا بالبراهين العقلية ولم ياتوا بها ولا بالنقلية
وما عندهم كتاب ولا رسول غيرك والنقل المعتبر اما الكتاب بالله تعالى او من خبر الرسول ثم بين انهم كالذين من قبلهم
كذبوا مثل عاد وثمود وقوله تعالى وما بلغوا معشار ما اتيناهم المتقدمين من القوة والسعة وطول العمر ثم ان الله تعالى
اخذهم وما نفعهم قوتهم فكيف حال هولاء الضعفاء وعدي يحتمل ذلك وجها اخر وهو ان يقال المراد وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار
ما اتينا قوم محمد صلى الله عليه وسلم اكمل من سابق واوضح ومحمد صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الرسل واوضح وبرهانه اوفى
وبيانه اشفى ثم ان المتقدمين لما كذبوا بما جاءهم من الكتب وعن اباهم من الرسل واوضح السبل ويؤيد ما ذكرنا من المعنى قوله
تعالى وما اتيناهم من كتب يدرسونها يعني غير القران ما اتيناهم كتابا وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير فلما كان المؤتى في الاية
الاولى هو الكتب يحمل الايتاء في الاية الثانية على ما ساف الباب اولى ثم قال تعالى قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله ذكر الاصول الثلاثة
في هذه الاية بعد ما سبق منه تقريرها بالدليل فقوله تعالى ان تقوموا لله اشارة الى التوحيد ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير
لكم اشارة الى الرسالة وقوله بين يدي عذاب شديد اشارة الى اليوم الاخر وفي الاية مسايل المسلة الاولى قوله تعالى انما
اعظكم بواحدة يقتضي ان لا يكون الا بالتوحيد والايمان لا هم الاعتراف بالرسالة والحشر فكيف يصح الحصر المذكور بقوله تعالى انما اعظكم





بواحدة فنقول التوحيد هو المقصود ومن وحد الله تعالى حق التوحيد شرح الله صدره ويرفع في الاخرة قدره فالنبي صلى
الله عليه وسلم امرهم بما يفتح عليهم ابواب العبادات وهي لهم اسباب السعادات وجواب اخر وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم ما قال
اني لا امركم في جميع عمري الا بشي واحد وانما قال اعظكم اولا بالتوحيد ولا امركم في اول الامر بغيره لانه سابق على الكل ويدل عليه قوله تعالى
ثم تتفكروا فان التفكر ايضا صار ما مورا به وموعوظا المسالة الثانية قوله بواحدة قال المفسرون انها على انها صفة خصلة اي اعظكم
بخصلة واحدة ويحتمل ان يقال المراد حسنة واحدة لان التوحيد حسنة واحسان وقد ذكرنا في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل
والاحسان ان الاحسان سفي الالهية عن غير الله والاحسان اثبات الالهية له وقيل في تفسير قوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان
المراد هل جزاء الايمان الا الجنان وذلك يدل عليه قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الثانية قوله تعالى مثنى وفرادى
اشارة الى جميع الاحوال فان الانسان اما ان يكون مع غيره او يكون وحده فان كان مع غيره دخل في قوله تعالى مثنى واذا كان وحده
دخل في قوله فرادى فكانه قال تقوموا لله مجتمعين ومنفردين لا تمنعكم الجمعية من ذكر الله ولا يحوجكم الانفراد الى معين يعينكم
على ذكر الله تعالى المسلة الثالثة قوله ثم تتفكروا يعني اعترفوا بما هو الاصل والتوحيد فلا حاجة فيه الى تفكر ونظر بعد ما بان
وظهر ثم تتفكروا فيما اقول بعده من رسالتي والحشر فانه يحتاج الى التفكر وكلمة ثم تفيد ما ذكرنا فانه قال ان تقوموا لله ثم تتفكروا
ثم بين ما تتفكرون فيه وهو امر النبي صلى الله عليه فقال تعالى ما بصاحبكم من جنة اما قوله تعالى ما بصاحبكم من جنة تفيد كونه رسولا
وان كان لا يلزم في كل من لا يكون به جنة ان يكون رسولا وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظهر منه اشيا لا تكون مقدورا
للبشر وغير البشر من يظهر منه العجايب اما الجن او الملك فاذا لم يكن الصادر من النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الجن يكون
بواسطة او بقدرة الله تعالى من غير واسطة وعلى التقديرين فهو رسول وهذا من احسن الطرق وهو ان يثبت الصفة
التي هي من اشرف الصفات في البشر بنفي اخس الصفات فانه لو قال اولا هو رسول كانوا يقولون فيه النزاع فاذا قال ما هو بمجنون
لم يسعهم انكار ذلك لعلمهم بعلو شانه وحاله وقوة لسانه وباله فاذا ساعدوا على ذلك لزمهم المسلة الرابعة
قال بعده ان هو الا نذير يعني اما هو به جنة او هو رسول لكن تبين انه ليس به جنة فهو نذير قوله تعالى بين يدي عذاب
شديد اشارة الى قرب العذاب كانه قال ينذركم الى حاضر يمسكم عن قريب بين يدي العذاب بعده ثم قال تعالى قل ما سالتكم
عليه من اجر فهو لكم لما ذكر ان ما به جنة لا يلزم كونه نبيا ذكر وجها اخر يلزم منه اذا لم يكن مجنونا الا من يرتكب العنا
الشديد لا لغرض عاجل اذا لم يكن ذلك فيه ثوابا اخرويا يكون مجنونا فالنبي صلى الله عليه وسلم بدعواه النبوة يجعل نفسه
عرضة للهلاك عاجلا فان كان احد يقصده ويعاديه ولا يطلب اجرا في الدنيا فهو للاخرة والكاذب في الاخرة معذب
لا مثاب فلو كان كاذبا لكان مجنونا لكنه ليس بمجنون فليس بكاذب فهو نبي صادق وقوله تعالى وهو على كل شي شهيد
تقريرا اخر للرسالة وذلك لان الرسالة لا تثبت الا بالدعوى والبينة يدعي شخص النبوة ويظهر الله تعالى المعجزة فهي بينته
شاهدة والتصديق بالفعل يقوم مقام التصديق بالقول في افادة العلم بدليل انا نظر ثم قال للملك ايها الملك ان كنت انا رسولك
اليهم قل لهم انا رسولك فاذا قال انه رسولي اليكم لا يبقى فيه شك لذلك اذا قال يا ايها الملك ان كنت انا رسولك اليهم فالبس
قال ملك السما في عقيب كلامه يجزم الناس بانه رسوله كذلك حال الرسل ثم قال الانبيا هذا الميت بفعله يحصل
الجزم بانه صدقه ثم قال تعالى قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب وفيه وجهان احدهما يقذف الحق في قلوب المحقين
وعلى هذا الوجه الاية بما قبلها تعلق وذلك من حيث ان الله تعالى لما بين رسالة النبي صلى الله عليه وسلم
فقوله ان هو الا نذير لكم والده بقوله تعالى قل ما سالتكم من اجر فهو لكم وكان من عادة المشركين استبعاد تخصيص
واحد من بينهم بانزال الذكر من بيننا ذكر ما يصلح جوابا لهم **قوله تعالى** قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب
قل جا الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي
انه سميع قريب ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وانى لهم التناوش من مكان بعيد
وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد اعلم ان قوله تعالى قل ان ربي يقذف بالغيب اشارة الى
ان الانبيا يفعل ما يريد ويعطي ما يشا ثم قال تعالى علام الغيوب اي جواب سوالهم ما سد بذكر علمه وهو ان من
يفعل شيا كما يريد من غير اختصاص محل الفعل بشي لا يوجد في غيره لا يكون عالما وانما يقع ذلك اتفاقا كما اذا اصاب
السهم موضعا دون غيره مع تسوية المواضع في المحاذات فقال يقذف بالحق كيف يشا وهو عالم بعواقب ما يفعله
لا يفعله ما بين يديه كما يفعله الهاجم الغافل عن العواقب اذ هو علام الغيوب الوجه الثاني هو ان المراد منه انه
يقذف بالحق على الباطل فيدمغه وعلى هذا تعلق الاية بما قبلها ايضا ظاهر وذلك من حيث ان براهين التوحيد لما
ظهرت وشبههم دحضت قال ان ربي يقذف بالحق اي على باطلكم وقوله تعالى علام الغيوب على هذا الوجه معنى لطيف
وهو ان البرهان الزاهر المعقول الظاهر لم يقم الا على التوحيد والرسالة واما الحشر فعلى وقوعه لا برهان غير اخبار
الله تعالى عنه وعن احواله واهواله ولولا بيان الله بالقول لما بان لا بخلاف التوحيد والنبوة قال تعالى علام الغيوب اي
ما اخبره عن الغيب وهو قيام الساعة واحوالها لا خلف فيه فانه تعالى علام الغيوب والاية يحتمل تفسيرا اخر وهو
ان يقال ربي يقذف بالحق اي ما يقذفه بالحق لا بمعروف وعلى الوجهين الاولين وعلى هذا الباء كالباء في قوله تعالى
وقضى بينهم بالحق وفي قوله تعالى فاحكم بين الناس بالحق والمعنى على هذا الوجه هو ان الله تعالى قذف ما قذفه في قلب الرسل

وهو علام الغيوب يعلم ما في قلوبهم كما اما قوله تعالى قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد لما ذكر الله تعالى انه يقذف بالحق فكان ذلك بصيغة الاستقبال ذكر ان ذلك الحق قد جاء وفيه وجوه احدها انه القران الثاني انه بيان التوحيد والحشر وكل ما ظهر على لسان النبي صلى الله عليه وسلم الثالث المعجزات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون المراد منه جاء الحق ظهر الحق لان كل ما جاء فقد ظهر والباطل خلاف الحق وقد بينا ان الحق هو الموجود ولما كان ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكن انتفاؤه كالتوحيد والرسالة والحشر كان حقا لا ينتفي ولما كان ما يأتون به من الاشراك والتكذيب لا يمكن وجوده كان باطلا لا يثبت وهذا المعنى يفهم من قوله وما يبدئ الباطل لا يفيد شيئا في الاول ولا في الاخر فلا امكان لوجوده اصلا والحق الماتي به لا عدم له اصلا وقيل المراد لا يبدي الشيطان ولا يعيد وفيه معنى لطيف وهو ان قوله تعالى يقذف بالحق على الباطل فيدمغه كان يقع لمتوهم ان الباطل كان تورد على الحق ما يبطله ويرفعه فقال ههنا ليس للباطل تحقق اولا واخرا وانما المراد من قوله تعالى فيدمغه اي يظهر بطلانه للذي لم يدرك ذلك واليه اشار بقوله تعالى وزهق الباطل اي بطلان الباطل كان زهوقا يعني ليس امرا تجدد زهوق الباطل فقوله تعالى وما يبدئ الباطل اي لا يثبت في الاول شيئا خلاف الحق ولا يعيد اي لا يعيد في الاخر شيئا خلاف الحق ثم قال تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي هذا فيه تقرير الرسالة ايضا وذلك لان الله تعالى قال على سبيل العموم من اهتدى فلنفسه وقال في حق النبي صلى الله عليه وسلم وان اهتديت فبما يوحي يعني ضلالي على نفسي اصلا لكم واما اهتدائي فليس بالنظر والاستدلال كاهتدائكم وانما هو بالوحي المبين وقوله انه سميع قريب اي سميع اذا ما دعيته واسمع بين به عليكم قريب يأتيكم من غير تأخير ليس كمن يسمع عن بعيد ولا يلحق عن الداعي ثم قال تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب قال وهو قريب فانه لم يعذب عاجلا ولا يسعى صاحب الحق في الحال فيوم الفزع ات لا يفوت وانما يستعجل من يخاف الفوت وقوله تعالى ترى جوابه محذوف اي ترى عجبا واخذوا من مكان لا يبعدون وانما الاخذ قبل عكسهم من القرب ثم قال تعالى وقالوا امنا به بعد ظهور الامر حيث لا ينفع ايمان لان الدنيا والدنيا من الاخرة بعيدة فان قيل فكيف قال ليس من المواضع ان الاخرة من الدنيا قريبة ولهذا سماها الله تعالى الساعة وقال تعالى لعل الساعة قريب نقول الماضي كالامس الدابر بعد ما يكون اذ لا وصل اليه والمستقبل وان كان بينه وبين الحاضر سنين فهو ات فيوم القيمة قريب لا سماه والسنا وشهوا لسنا ولعن قريب وقيل عن بعد ولما جعل الله تعالى الفعل ماخوذ كالجسم جعل طرف الفعل وهو الزمان كطرف الجسم وهو المكان فقال تعالى من مكان بعيد والمراد ما مضى من الدنيا ثم بين الله تعالى ان ايمانهم لا ينفع فيه بسبب انهم كفروا به من قبل والاشارة في قوله تعالى امنا به وقوله كفروا به الى شيء واحد اما محمد صلى الله عليه وسلم واما القران واما الحق الذي اتى به محمد صلى الله عليه وسلم وهو اقرب واقوى وقوله تعالى ويقذفون بالغيب مد يومنون بالغيب لان الغيب ينزل من الله على شان الرسول فيقذفه الله في القلوب ويقبله المومن واما الكافر فهو يقذف بالغيب اي يقول ما لا يعلمه وقوله من مكان بعيد يحتمل ان يكون المراد منه ان ماخذهم بعد ان اخذوا التشريك من انهم لا يقدرون على اعمال كثيرة الا اذا كانوا اشخاصا كثيرة فكذلك المخلوقات الكثيرة واخذوا البعد للاعادة من حالهم وعجزهم عن الاحيا فان المريض يداوى فاذا مات لا يمكنهم اعادة الروح عليه وقاسوا الله على المخلوق بعيد الماخذ ويحتمل انهم كانوا يقولون بان الساعة اذا كانت قايمة فالثواب والنعيم لنا لقوله ما لهم ولين رجعنا الى ربي ان لي عنده للحسنى فكانوا يقولون ذلك لا من قول الرسول وما كان ذلك عندهم ان يقولوا من احساس فان ما لا يجب عقلا لا يعلم الا بالاحساس او بقول الصادق فهم كانوا يقولون عن غيب من مكان بعيد فان قيل قد ذكرتم ان الاخرة قريبة فكيف قال من مكان بعيد نقول الجواب عنه من وجهين احدهما ان ذلك قريبة اذا امنا بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن لم يؤمن لا يمكنه التصديق به فيكون بعيدا عنده الثاني ان الحكاية يوم القيمة فكانه قال كانوا يقذفون من مكان بعيد وهو الدنيا ويحتمل وجها اخر وهو انهم في الاخرة كانوا يقولون ربنا ارجعنا نعمل صالحا وهو قذف بالغيب من مكان وهو الدنيا والله تعالى اعلم **قوله تعالى** وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب من العود الى الدنيا وبين لذات الدنيا فان قيل كيف يقع قولك ما يشتهون من العود مع انه تعالى قال كما فعل باشياعهم من قبل وما حيل بينهم وبين العود قلنا لم قلتم انه ما حيل بينهم قيل كل من حال الملك طلب التاخير ولم يعط واراد ان يومن عند ظهور الباس ولم يقبل وقوله مريب يحتمل وجهين احدهما ذي ريب والثاني موقع في الريب وسنذكره في موضع اخر ان شاء الله تعالى والله تعالى اعلم بالصواب

**قوله تعالى** الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملايكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير قد ذكرنا فيما قبل ان الحمد يكون على النعمة في اكثر الامر ونعم الله تعالى قسمان عاجلة واجلة والعاجلة وجود وبقا والاجلة كذلك ايجاد مرة اخرى وابقا وقوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور اشارة الى النعمة العاجلة التي هي الايجاد واستدللنا عليه بقوله تعالى الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا وقوله في الكهف الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب اشارة الى النعمة العاجلة التي هي الابقا فان البقا

والصلاح



والصلاح بالشرع والكتاب ولولاه لوقعت المنازعة والمخاصمة بين الناس ولا نفصل بينهم وكان مفضي ذلك الى التقاتل والتفاني فانزال الكتاب نعمة يتعلق بها البقا العاجل وفي قوله في سورة سبا الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة اشارة الى الايجاد الثاني بالحشر واستدللنا عليه بقوله تعالى يعلم ما يلج في الارض من الاجسام وما يخرج منها وما ينزل من السما من الارواح منها قوله عن الكافرين وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلى وربي ههنا الحمد اشارة الى نعمة البقا في الاخرة ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملايكة رسلا اي يجعلهم رسلا يتلقون عباد الله كما قال تعالى وتتلقاهم الملايكة وعلى هذا فقوله تعالى فاطر السموات والارض يحتمل وجهين الاول معناه مبدعها كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما والثاني فاطر السموات والارض اي شاقهما لنزول الارواح من السما وخروج الاجساد من الارض ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملايكة رسلا وعلى هذا فاول السورة متصل باخر ما مضى لان قوله تعالى كما فعل باشياعهم بيان لانقطاع رجا من كان في شك مريب وتيقنه بان لا قبول لتوبته ولا فايدة في قوله امنت كما قال تعالى عنهم وقالوا امنا به وانى لهم التناوش فذكر حال المؤمن وبشره بارسال الملايكة مبشرين وبين انه يفتح لهم ابواب الرحمة وقوله تعالى اولي اجنحة مثنى اقل ما يكون لذي الجناح ان يكون له جناحان وما بعدهما زيادة وقال قوم فيه ان الجناح اشارة الى الجهة وبيانه هو ان الله تعالى ليس فوقه شيء وكل شيء تحت قدرته ونعمته والملايكة لهم وجه الى الله ياخذون منه نعمه ويعطون من دونهم مما اخذوا باذن الله كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقوله تعالى علمه شديد القوى وقال الله تعالى في حقهم فالمدبرات امرا فهما جناحان ومنهم من يفعل ما يفعل من الخير بواسطة ومنهم من يفعل لا بواسطة فالفاعل بواسطة فيه ثلاث جهات ومنهم من له اربع جهات واكثر والظاهر ما ذكرناه اولا وهو الذي عليه اطلاق المفسرين وقوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء من المفسرين من خصصه وقال المراد الوجه الحسن ومنهم من قال الصوت الحسن ومنهم من قال كل وصف محمود والاولى ان يعم ويقال الله تعالى قادر كامل يفعل ما يشا ويزيد ما يشا وينقص ما يشا وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير يقرر قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء والله تعالى اعلم **قوله تعالى** ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير **اعلم** انه تعالى لما بين كمال القدرة ذكر بيان نفوذ المشية ونفاذ الامر وقال تعالى ما يفتح الله يعني ان رحم فلا مانع له وان لم يرحم فلا باعث له عليها وفي الاية دليل على سبق رحمته غضبه من وجوه احدها التقديم حيث قدم بيان فتح ابواب الرحمة في الذكر وهو وان كان ضعيفا لكنه وجه من وجوه التفضيل وثانيها وهو ان الكناية في الاول فقال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وجاز من حيث العربية ان يقال له عايدا الى ما ولكن قال تعالى ليعلم ان المفتوح ابواب الرحمة ولا ممسك لرحمته فهي واصلة الى من رحمه وقال تعالى عند الامساك وما يمسك فلا مرسل له بالتذكير ولم يقل لها فما صرح بانه لا مرسل للرحمة بل ذكره بلفظ يحتمل ان يكون الذي لا مرسل هو غير الرحمة فان قوله تعالى وما يمسك عام من غير بيان وتخصيص بخلاف قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فانه مخصص مبين وثالثها قوله تعالى من بعده وهو العزيز الحكيم اي من بعد الله فاستثنى ههنا وقال لا مرسل الا الله فنزل مرسلا وعند الامساك قال لا ممسك لها ولم يقل غير الله تعالى لان الرحمة اذا جاءت لا ترتفع فان من رحمة الله في الاخرة لا يعذبه بعدها ولا غيره ومن يعذبه فلرحمة الله بعد العذاب كالفساق من اهل الايمان ثم قال تعالى وهو العزيز اي كامل القدرة الحكيم كامل العلم ثم قال تعالى يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم لما بين ان الحمد لله وبين وجوه النعمة التي يستوجب الحمد على سبيل التفصيل بين نعمة على سبيل الاجمال فقال اذكروا نعمة الله وهي مع كثرتها ثم انه لا اله الا هو نظرا الى الابتدا وقال اشارة الى نعمة الابقا بالرزق الى الانتهاء ثم بين انه لا اله الا هو نظرا الى عظمته حيث هو عزيز حكيم قادر على كل شيء نافذ الارادة في كل شيء ولا مثل له ولا ند فلا معبود لذاته غيره ونظرا الى نعمته حيث لا خالق غيره ولا رازق الا هو ثم قال تعالى فانى تؤفكون اي كيف تصرفون عن هذا الظاهر فكيف يشركون المحمود عن له المكتوب ثم لما بين الاصل الاول وهو التوحيد ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة فقال تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ثم بين من حيث الاجمال ان المكذب في العذاب والمكذب له الثواب بقوله تعالى والى الله ترجع الامور ثم بين الاصل الثالث وهو الحشر فقال تعالى يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور اي الشيطان فقد ذكرنا ما فيه من المعنى اللطيف في تفسير سورة لقمان ونعيده ههنا فنقول المكلف قد يكون ضعيف الذهن قليل العقل سخيف الراي فيغتر بادنى شيء وقد يكون فوق ذلك فلا يغتر به ولكن اذا جاء غار وزين له ذلك الشيء وهون عليه مفاسده وبين له منافع نعم لما فيه من اللذة مع ما يفضي اليه من دعاء ذلك الغار اليه وقد يكون اقوى الحواس عزيز العقل فلا يغتر ولا يغتر فقال الله تعالى لا يغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور اشارة الى الثانية ليكون وافيا في الدرجة الثالثة وهي العليا فلا يغتر ولا يغتر ثم قال تعالى **قوله تعالى** افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فان الله يضل من يشا ويهدي من يشا فلا تذهب نفسك عليهم

حرت ان الله عليم بما تصنعون واللّه الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض
بعد موتها كذلك النشور من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم
جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك
على الله يسير **اعلم انه تعالى** قال افمن زين اشارة الى الناس سكون واتقا فى الدرجة الثالثة وهى العليا فلا نعز
ثم قال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا ليس من سيا كالذى عمل صالحا كما قال بعد هذه بايات وما يستوى الاعمى والبصير
ولا الظلمات ولا النور وله تعلق بما قبله وذلك من حيث انه تعالى لما بين حال المسيء الكافر والمحسن المومن وما من احد يعترف بانه
يعمل سيا الا قليل فكان الكافر يقول لهم العذاب الشديد هو يتبع الشيطان وهو قوله تعالى الذين اسوهم الجن فاسعو
والذى له الاجر العظيم نحن الذين دمنا على ما كان عليه اباونا فقال تعالى لستم اهم فان المحسن غيرو من زين له العمل السى
فراه حسنا غير بل الذى زين له السى دون من اسى وعلم انه مسى فان الجاهل الذى يعلم جهله والمسى الذى يعلم سوء عمله يرجع
ويتوب والذى يعلم بصر على الذنوب والمسى العالم له صفة ذم بالاشارة وصفة مدح بالعلم والمسى الذى يرى الاساة احسنا له
صفات ذم الاساة وذم الجهل ثم بين ان الكل بمشية الله تعالى وقال تعالى فان الله يضل من يشا ويهدى من يشا وذلك لان
الاشيا اسماحها متساوية فى الحقيقة والاساة والاحسان والسيئة والحسنة بمتاز بعضها عن بعض فاذا عرفها
البعض دون البعض لا تكون ذلك بالاستقلال منهم فلابد من الاسناد الى ارادة الله تعالى ثم تسلى رسوله صلى الله عليه وسلم
حيث حزن من اصرارهم بعد اتيانه بكل اية ظاهرة وحجة قاهرة قال تعالى فلا تذهب نفسك كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك
على اثارهم ثم بين ان حزنهم كان الهم من اضلال فالله تعالى عليم بما يصنعون لو اراد ايمانهم واحسانهم لصدهم عن
الضلال وردهم عن الاضلال وان كان لما به منهم من الايذا فالله تعالى عالم بفعلهم يجازيهم على ما يصنعون ثم عاد الى البيان
فقال تعالى والله الذى ارسل الرياح هبوب الرياح دليل ظاهر على الفاعل المختار وذلك لان الهوى قد يسكن وقد يتحرك
وعند حركته قد يتحرك الى اليمين وقد يتحرك الى اليسار وفى حركاته المختلفة قد ينشى السحاب وقد لا ينشئ فهذه الاختلافات
دليل على مسخر مدبر ومدبر وفى الاية مسايل **المسئلة الاولى** قال الله تعالى الذى ارسل بلفظ الماضى وقال تعالى فتثير
سحابا بصيغة المستقبل وذلك لانه لما اسند فعل الارسال الى الله تعالى وما فعل الله يكون بقوله كن فلا يبقى فى العدم
لا زمانا ولا جزءا من الزمان فلم يقل بلفظ المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة كونه كانه كان ولانه فرغ من كل شى فهو قدر
الارسال فى الاوقات المعلومة والى هذه المواضع المعينة والتقدير بالارسال ولما اسند فعل الاثارة الى الريح وهى
تولد فى زمان فقال يثير اى على هيئتها **المسئلة الثانية** قال ارسل باسناد الفعل الى الغايب وقال سقناه باسناد الفعل
الى المتكلم وكذلك فى قوله تعالى فاحيينا وذلك لانه فى الاول عرف نفسه بفعل من الافعال وهو الارسال ثم لما عرف قال انا الذى عرفتنى
سقت السحاب واحييت الارض ففى الاول كان تعريفا بالفعل العجيب وفى الثانى كان تذكير النعمة فان كمال نعمة الرياح والسحب بالسوق والاحيا
وقوله سقناه واحيينا بصيغة الماضى يويد ما ذكرناه من الفرق بين قوله ارسل وبين قوله تثير **المسئلة الثالثة** ما وجه التشبيه بقوله
كذلك النشور فيقول له فيه وجوه احدها ان الارض الميتة لما قبلت الحيوة اللايقة بها كذلك الاعضا تقبل الحيوة كما ان الريح يجمع القطع
السحابية كذلك يجمع اجزاء الاعضاء وابعاض الاشيا وثالثها كما انا نسوق الريح والسحاب الى البلد الميت نسوق الروح والحياة الى البدن الميت الرابعة
ما الحكمة فى اختيار هذه الاية من بين الايات مع ان الله تعالى له فى كل شى اية يدل على انه واحد فنقول لما ذكر الله انه فاطر السموات والارض
وذكر من الامور السماوية الارواح وارسالها بقوله تعالى والله الذى ارسل الرياح ثم قال تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ما بين
برهان الايمان الى ما كان يمنع الكفار منه وهو العزة الظاهرة التى كانوا يتوهمونها من حيث انهم ما كانوا يقولون ان هذه الهتنا انهم كانوا يطيعونها
مع انفسهم وانه عزة فوق المعبود ثم كانوا يطلبون العزة وهى عدم الانقياد للرسول وترك الاتباع فقال ان كنتم تطلبون بهذا الانكار
العزة الحقيقية فهى كلها لله ومن يتركه له فهو العزيز ومن يعزز عليه فهو الذليل وفى الاية مسايل **المسئلة الاولى** قال الله تعالى فى هذه
الاية فلله العزة جميعا وقال فى اية اخرى ولله العزة ولرسوله وللمومنين وقوله جميعا يدل على ان العزة لغيره فنقول قوله
تعالى فلله العزة اى فى الحقيقة وبالذات وقوله تعالى ولرسوله اى بواسطة القرب من العزيز وهو الله تعالى وللمومنين بواسطة قربهم
من العزيز الاترى الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله **الثانية** قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب تقرير لبيان العزة هو
ذلك لان الكفار كانوا يقولون نحن لا نعبد من لا نراه ولا نحضر عنده لان البعد عن الملك مذلة فقال تعالى ان كنتم لا تصلون اليه
فهو يسمع كلامكم ويقبل الطيب فمن قبل كلامه وصعد اليه فهو عزيز ومن رد كلامه فى وجهه فهو ذليل واما هذه الاصنام لا تحس عندها الدليل
من العزيز اذ لا علم لها فكل احد عندها ولذلك يرى عملكم فمن عمل صالحا رفعه اليه ومن عمل سيئا رده عليه فالعزيز من رفع الذى عمله لوجهه والدليل
من يرفع من عمله فى وجهه واما هذه الاصنام فلا تعلم سيئا فلا عزيز عندها ولا دليل فلا عزة لها بل كلها ذله وذلك لان ذله السيد ذله للعبد
ومن كان معبوده وربه والهه حجارة او خشبة ماذا يكون هو **المسئلة الثالثة** فى قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب وجوه احدها لا اله الا الله
هى الطيب ثانيها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر طيب ثالثها هذه الكلمات الاربعة وخامسه وهى تبارك الله والمجد
ان كل كلام هو ذكر الله او هو لله كالنصيحة والعلم فهو اليه يصعد **المسئلة الرابعة** قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه فيها وجهان احدهما
هى عايد الى الكلم الطيب اى العمل الصالح هو الذى يرفع الكلم الطيب وورد فى الخبر لا يقبل الله قولا بلا عمل وثانيهما هى عايدة الى العمل الصالح

وعلى هذا



وعلى هذا فى الفاعل الرابع وجهان احدهما هو الكلم الطيب اى الكلم الطيب يرفع العمل الصالح وهذا يويده قوله تعالى
من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن وثانيهما الرافع هو الله تعالى الخامسة ما وجه ترجيح الذكر على العمل الصالح على الوجه
الثانى حيث تصعد الكلم بنفسه ويرفع العمل بغيره فنقول الكلام شريف فان امتياز الانسان عن كل حيوان بالنطق ولهذا
قال تعالى ولقد كرمنا بنى آدم اى بالنفس الناطقة والعمل حركة وسكون يشترك فيه الانسان وغيره والشريف اذا
وصل الى باب الملك لا يمنع ومن دونه لا يجد الطريق الا عند الطلب ويدل على هذا ان الكافر اذا تكلم بكلمة الشهادة ان كان
عن صدق امن عذاب الدنيا والاخرة وان كان ظاهرا امن فى نفسه ودمه واهله وحرمه فى الدنيا ولا كذلك العمل بالجوارح
وقد ذكرنا فى تفسير قوله تعالى الذين امنوا وعملوا الصالحات وجه اخر القلب هو الاصل وقد تقدم ما يدل عليه وقال
النبى صلى الله عليه وسلم الا ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب ومالى القلب
لا نظهر بالاشيا وما فى اللسان لا يستبين صدقه الا بالعمل والقول اقرب الى القلب من الفعل الا ترى ان الانسان لا يتكلم بكلام
الا عن القلب واما الفعل فقد لا يكون عن قلب كالعبث باللحية والانسان النايم لا يخلو عن فعل من حركة وتقلب ولا تكلم
السادسة قال الزمخشرى المكر لا يتعدى فهم السيئات وقال بان معناه الذين يمكرون المكرات السيئات فهو وصف
مصدر محذوف ويحتمل ان يقال استعمل المكر استعمال العمل فعداه تعديته كما قال تعالى الذين يعملون السيئات وفى قوله
يعملون السيئات يحتمل ما ذكره ان يكون السيئات وصف المصدر وتقديره الذين يعملون العملات السيئات وعلى هذا فيكون
فى مقابلة قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه اشارة الى بيانه ثم قال تعالى والله خلقكم من تراب قد ذكرنا ان الدلايل مع كثرتها
وعدم دخولها فى عدد محصور محصورة فى قسمين دلايل الافاق ودلايل الانفس كما قال تعالى سنريهم اياتنا فى الافاق
وفى انفسهم فلما ذكر دلايل الافاق من السموات وما يرسل منها من الملايكة والارض وما يرسل منها من الرياح شرع
فى دلايل الانفس وقد ذكر تفسيره مرارا وذكرنا قبل من ان قوله تعالى من تراب اشارة الى خلق آدم من نطفة اشارة
الى خلق اولاده وسيان الكلام غير محتاج الى هذا التاويل بل خلقكم خطاب مع الناس وهم اولاد آدم وكلهم من تراب
ومن نطفة لان كلهم من نطفة والنطفة من غذاء والغذا بالاخرة ينتهى الى الماء والتراب فهو من تراب صار نطفة وقوله تعالى
وما تحمل من انثى ولا تضع اشارة الى كمال العلم فان ما فى الارحام قبل الانخلاق بل بعده ما دام فى البطن لا يعلم حاله
احد كيف والام الحاملة لا تعلم منه شيا فلما ذكر بقوله تعالى خلقكم من تراب كمال قدرته بين بقوله تعالى
وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه كمال علمه ثم بين نفوذ ارادته بقوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا
فى كتاب فبين ان الله تعالى هو القادر العالم المريد والاصنام لا قدرة لها ولا علم ولا ارادة فكيف يستحق شى منها العبادة وقوله
تعالى ان ذلك على الله يسير اى الخلق من التراب يحتمل ان يكون المراد ان العمر بما جعلها لا شى يسير والكل على الله تعالى يسير والاول اشبه
فان السر استعماله فى الفعل اليق والله تعالى اعلم **قوله تعالى** وما يستوى البحران هذا عذب فرات سايغ شرابه وهذا
ملح اجاج ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
قال المفسرون اكثرهم ان المراد من الاية ضرب المثل فى حق الكفر والايمان او الكافر والمومن فالايمان لا يشتبه بالكفر فى الحسن والنفع كما لا
يشتبه البحران العذب الفرات والملح الاجاج ثم على هذا فقوله تعالى ومن كل تاكلون لحما طريا لبيان ان حال الكافر والمومن او الكفر والايمان
دون حال البحرين لان الاجاج يشارك الفرات فى خير ونفع اذ اللحم الطرى يوجد فيهما والحلية توجد منهما والفلك تجرى فيهما ولا نفع فى الكفر
والكافر وهذا نسق قوله تعالى ان هم الا كالانعام بل هم اضل وقوله تعالى كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار والاظهر ان
المراد منه دليل اخر على قدرة الله تعالى وذلك من حيث ان البحرين يستويان فى الصورة ويختلفان فى الما فان احدهما عذب فرات والاخر
ملح اجاج ولو كان ذلك بايجاب بالما اختلف المتساويات ثم انهما بعد اختلافهما يوجد منهما النوع المتساوية فان اللحم الطرى يوجد فيهما
والحلية توجد منهما ومن توجد فى المتشابهين اختلافات من المختلفين اشتباها لا يكون الا قادرا مختارا وقوله تعالى وما يستوى
البحران اشارة ان استواهما دليل على كمال قدرته ونفوذ ارادته وفى الاية مسايل **المسئلة الاولى** قال اهل اللغة لا يقال فى ما البحر
اذا كان فيه ملوحة مالح وانما يقال له ملح وقد يذكر فى بعض كتب الفقه تصير به ما البحر مالحا ولو احد مالحة به وهو مما يذهب
اليه الوهم وذلك لان الما العذب اذا القى فيه ملح حتى ملح لا يقال له الا مالح وما ملح يقال لما الذى صار من اصل خلقته كذلك لان المالح شى
فيه ملح ظاهر فى الذوق والما الملح ليس مما فيه ملح بخلاف الطعام المالح فالما العذب الملقى فيه الملح وما فيه ملح ظاهر فى الذوق بخلاف ماهو من اصل
خلقته كذلك فلما قال الفقيه الملح اجزا ارضه تسحه تصير بها ما البحر مالحا راعى فيه الاصل فانه جعله ما جاوره ملح واهل اللغة
حيث قالوا فى البحر ماوه ملح جعلوه كذلك من اصل خلقته والاجاج المر وقوله تعالى ومن كل تاكلون لحما طريا من الطير والسمك وتستخرجون
حلية تلبسونها من اللولو والمرجان وترى الفلك فيه مواخر اى موخرات تجرى البحر بالجريان اى تسق وقوله تعالى لتبتغوا من فضله
ولعلكم تشكرون يدل على ما ذكرنا من ان المراد من الاية الاستدلال بالبحر وما فيهما على وجود الله تعالى ووحدانيته وكمال قدرته
والله تعالى اعلم **قوله تعالى** يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى
لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو
سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير **اعلم** ان هذا استدلال اخر باختلاف الازمنة
وقد ذكرناه مرارا وذكرنا ان قوله تعالى بعده وسخر الشمس الى اخره جواب لسوال يذكره المشركون وهو انهم قالوا اختلاف الليل والنهار بسبب

اختلاف الشئ الواقعة فوق الارض وتحتها فان في الصيف عر السمس على سمت الروس في بعض البلاد المائلة الآفاق وحركة الشمس هناك
حمايله سع تحت الارض اقل من نصف دائرة سقل زمان مائله تحت الارض فيصغر الليل وفي الشتا بالعكس فيصغر النهار فقال الله تعالى
وسخر الشمس والقمر يعني بسبب اختلافه وان كان ما ذكرتم لكن تصيير الشمس والقمر بارادة الله تعالى وقدرته فهو الذي فعل ذلك ثم قال تعالى ذلكم الله ربكم له
الملك اي ذلكم الذي فعل هذه الاشيا من فطر السموات والارض وارسال الارواح وارسال الرياح وخلق الانسان من التراب وغير ذلك له
الملك كله فلا معبود الا هو لذاته الكامل ولكونه ملكا والملك يخدم بفقد ملكه فاذا كان له الملك كله فله العبادة كلها ثم بين
ثانيا صفة الالهية وهو قوله تعالى والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير وههنا لطيفة وهي انه تعالى ذكر لنفسه نوعين من
الاوصاف احدهما الخلق بالقدرة والارادة والثاني الملك واستدل بهما على انه لا معبود له كما قال تعالى قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله
الناس ذكر الرب والملك ورتب عليهما كونه الها اي معبودا ذكر في الذين اشركوا ولم يذكر سلب الوصف الاخر لوجهين احدهما ان كلهم كانوا معترفين
بان لا خلق لهم وانما كانوا يقولون بان الله تعالى فوض امر الارض والارضيات الى الكواكب التي الاصنام على صورها وطوالعها فقال
لا ملك لهم ولا يملكهم الله شيا وملكوا اشيا ثانيهما انه يلزم من عدم الملك عدم الخلق لانه لو خلق شيا لملكه فاذا لم يملك
قطميرا ما خلق قليلا ولا كثيرا ثم قال تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاكم ابطالا لما كانوا يقولون ان في عبادة الاصنام عزة
من حيث التقرب منها والنظر اليها وعرض الحوائج عليها والله تعالى لا يرى ولا يصل اليه احد فقال هولاء لا يسمعوا دعاكم
والله يصعد اليه الكلم الطيب فيسمع ويصل ثم نزل عن تلك الدرجة وقال هب انهم يسمعون كما يظنون فانهم كانوا يقولون
بان الاصنام يسمع ويعلم ولكن ما كان يمكنهم ان يقولوا انهم يحسبون لان ذلك انكار المحسوس وعدم سماعهم انكار المعقول والنزاع وان
كان يقع في العقول فلا يمكن وقوعه في المحسوس به ثم انه تعالى قال ويوم القيمة يكفرون بشرككم اي باشراككم بالله شيا كما قال تعالى
ان الشرك لظلم عظيم اي الاشراك وقوله تعالى ولا ينبئك مثل خبير يحتمل وجهين احدهما ان يكون ذلك خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم
ووجهه هو ان الله تعالى لما اخبر بان الخشب والحجر يوم القيمة ينطق ويكذب عابديه وذلك امر لا يعلم بالعقل المجرد لولا اخبار الله
تعالى عنه قال الله تعالى انهم يكفرون بهم يوم القيمة وهذا القول مع كون المخبر عنه امرا عجيبا هو كما قال تعالى لان المخبر عنه
خبير وثانيهما هو ان يكون ذلك خطابا غير مختص باحد اي هذا الذي ذكر هو كما ذكر ولا ينبئك ايها السامع كاينا من كنت مثل خبير
والله تعالى اعلم **قوله تعالى** يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله والله هو الغني الحميد ان يشا يذهبكم
ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شي ولو كان
ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير لما ذكر الدلا
من النبي صلى الله عليه وسلم والاصرار من الكفار وقالوا ان الله لعله يحتاج الى العباد حتى يامرهم بها امرا بالغا ويهددنا على تركها
مبالغا فقال الله تعالى انتم الفقرا الى الله والله الغني فلا بالعبادة لا احتياجه اليكم وانما هو لاشفاقه عليكم وفي الاية مسايل
المسئلة الاولى التعريف في الخبر والاتزال ان يكون الخبر نكرة والمبتدا يكون معرفة وهو معقول وذلك لان المخبر لا يخبر الا كثرا لا
بامر لا يكون عند المخبر منه علم ان في ظن المتكلم ان السامع لا علم له به ثم ان المبتدا لا بد من ان يكون معلوما عند السامع حتى يقول
لذاته السامع الامر الذي يعرفه اثبت فيه المعنى الفلاني كقول القايل زيد قايم او قام اي زيد الذي نعرفه ثبت له قيام لم تعرفه
به فان كان الخبر معلوما عند السامع والمبتدا كذلك وقع الخبر بعينها لا نهما حسن تعريف الخبر غاية الحسن كقول القايل الله ربنا
ومحمد نبينا حيث عرف كون الله ربا وكون محمد نبيا وههنا لما كان كون الانسان فقيرا امرا ظاهرا لا يخفى على احد قال انتم الفقرا
الثانية قوله الى الله اعلام انه لا افتقار الا اليه ولا اتكال الا عليه وهذا يوجب عبادته لكونه مفتقرا اليه وعدم عبادة غيره
لعدم الافتقار الى غيره ثم قال تعالى والله هو الغني اي هو مع استغنايه يدعوكم كل الدعا وانتم مع احتياجكم لا تجيبونه ولا تدعونه
فيحسبكم المسئلة الثالثة في قوله الحميد لما زاد في الخبر الاول وهو قوله تعالى انتم الفقرا زيادة افاده الوجوب حصر العبادة في
عبادته زاد في وصفه بالمعنى زيادة وهو كونه حميدا اشارة الى كونكم فقرا وفي مقابله الله غني وفقركم اليه في مقابلته نعمة عليكم
لكونه حميدا واجب الشكر فلستم انتم فقرا والله مثلكم في الفقر بل هو غني على الاطلاق ولستم انتم لما افتقرتم اليه بوكم غير مقضي الحاجات
بل مقضي في الدنيا حوايجكم وان امنتم تقضى في الاخرة حوايجكم فهو حميد ثم قال تعالى ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد بيانا
لعبادة وفيه بلاغة كاملة وبيانه انه تعالى قال ان يشا يذهبكم اي ليس اذهابكم موقوفا الا على مشيته بخلاف الشي
المحتاج اليه فان المحتاج اليه لا يقول قايل فيه ان شا فلان هدم داره واعدم عقاره وانما يقول لولا حاجة السكنى
الى الدار لهدمها ولولا افتقاره الى العقار لتركها ثم انه تعالى يريد بيان الاستغنا بقوله تعالى ويات بخلق جديد يعني ان كان يتوهم متوهم
منهم ان هذا الملك كمال وعظمة فلو اذهبه لزال ملكه وعظمته فهو قادر على ان يخلق خلقا جديدا احسن من هذا
واتم واكمل ثم قال تعالى وما ذلك على الله بعزيز اي كلا الاذهاب والاتيان وههنا مسئلة وهي ان لفظ العزيز استعمله الله
تعالى تارة في القايم بنفسه حيث قال في حق نفسه وكان الله قويا عزيزا وقال في هذه السورة ان الله عزيز غفور وقد
استعمل في القايم بغيره حيث قال تعالى وما ذلك على الله بعزيز وقال تعالى عزيز عليه ما عنتم فهل هما بمعنى واحد
ام بمعنيين فنقول العزيز هو الغالب في اللغة من عز يعز اي غلب فالله تعالى عزيز اي غالب والفعل اذا كان لا يصعب على فاعله يقال
لقال هو مغلوب بالنسبة الى ذلك الفعل فقوله تعالى وما ذلك على الله بعزيز اي لا يغلب الله ذلك الفعل بل هو هين على الله تعالى
وقوله تعالى عزيز عليه ما عنتم اي يحزنه ويوذيه كالشي الغالب ثم قال تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى متعلق بما قبله وذلك

من حيث



من حيث انه تعالى لما بين الحق بالدلايل الظاهرة والبراهين الباهرة ذكر ما يدعوهم الى السلوك فيه فقال تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى اي
لا يحمل نفس ذنب نفس قال النبي صلى الله عليه وسلم لو كان كاذبا في دعايه لكان مذنبا وهو معتقد بان ذنبه لا تحملونه انهم لم يسعوا في
ويحترز والله تعالى عن نفع الى العباد تكم فتفكروا واعلموا انكم ان ضللتم فلا يحمل احد عنكم وزركم وليس كما يقولون لكابركم اتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطاياكم وفي الاية مسايل المسئلة الاولى قوله تعالى وازرة اي نفس وازرة ولم يقل ولا تزر نفس وزر اخرى ولا يجمع بين
الموصوف والصفة فلم يقل ولا تزر نفس وازرة وزر اخرى ولا جمع بين الموصوف لفايدة اما الاول فلانه لو قال ولا تزر نفس
وزر اخرى لما علم ان كل نفس وازرة مهمومة بهم وزرها منحصرة في امرها ووجه اخر وهو ان قول القايل لا تزر نفس وزر اخرى
يحتمل معناه ان لا تزر وزرا اصلا كالمعصوم لا تزر وزر غيره ومع ذلك لا تزر وازرة فقوله تعالى ولا تزر وازرة يبين انها
تزر وزرا ولا تزر وزر الغير واما ترك ذكر الموصوف لظهور الصفة ولزومها للموصوف ثم قال تعالى وان تدع مثقلة اشارة
الى ان احدا لا يحمل عن احد شيا مبتديا ولا بعد السوال فان المحتاج قد يصبر ويقضي حاجته من غير سواله فاذا انتهى
الافتقار الى احد الكمال يحرجه السوال المسئلة الثالثة زاد في ذلك بقوله تعالى ولو كان ذا قربى الى المدعو ولو كان ذا قربى لا يحمل
وفي الاول كان يمكن ان يقال لا يحمل لعدم تعلقه به كالعدو والذي يرى عدوه تحت ثقل والوحشي يرى احدا تحت حمل لا يحمل
عنه فقال تعالى ولو كان ذا قربى اذ تحصل جميع المعاني الداعية الى الحمل من كون النفس وازرة فوقه تحمل وكونها الاخرى مثقلة
لا يقال انها اخوية قادرة ليس عليها حمل وكونها سايلة داعية فان السوال مظنة الرحمة ولو كان المسوول قريبا داليا يكون
التخلف الا لمانع وهو كون نفسه تحت حمل ثقيل ثم قال تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم اشارة الى ان الارشاد فوقنا انت
به ولم ينفعهم فلا تسترد انذارا مقيدا الا الذين على قلوبهم خشية ويتحلى ظواهرهم بالعبادة لقوله تعالى الذين امنوا
اشارة الى عمل القلب وعملوا الصالحات اشارة الى عمل الظاهر فقوله تعالى الذين يخشون ربهم واقاموا الصلوة في ذلك
المعنى ثم لما بين ان لا تزر وازرة وزر اخرى بين ان الحسنة سعي المحسنين ومن تزكى فتزكيته لنفسه ثم قال تعالى والى الله
المصير اي ان تزكيكم يظهر فايدته عاجلا فالمصير الى الله تعالى يظهر عنده في يوم اللقا في دار البقا والوازر ان لم يظهر
سعه وزره في الدنيا فهي يظهر في الاخرة او المصير الى الله تعالى ثم لما بين الهدى والضلالة ولم يهتد الكافر من هدى الله تعالى
المومن ضرب لهم مثلا بالبصير والاعمى فالمومن بصير حيث ابصر الطريق الواضح والكافر اعمى وفي تفسير الاية مسايل المسئلة الاولى
ما الفايدة في تكثير الامثلة ههنا حيث ذكر الاعمى والبصير والمومن بصير والكافر اعمى ثم ان البصير وان كان حديد البصر ولكن لا يبصر
شيا ان لم يكن في ضو فذكر للايمان والكافر اعمى فله ضو وهو صادم ثم ذكر لما لهما ومن جعلهما مثلا وهو الظل والحرور
كالايمان بايمانه في ظل داوحة والكافر بكفره في حر وتعب والله تعالى اعلم **قوله تعالى** وما يستوي الاعمى
والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحيا ولا الاموات ان الله يسمع من يشا وما انت
بمسمع من في القبور ان انت الا نذير **اعلم ان قوله تعالى** وما يستوي الاحيا ولا الاموات مثلا اخر في حق المومن
والكافر بكفره كانه قال تعالى المومن والكافر فوق حال الاعمى والبصير فان الاعمى يشارك في ادراك ما والكافر غير مدرك ادراكا
نافعا فهو كالميت ويدل على ما ذكرنا انه تعالى اعاد الفعل حيث قال اولا وما يستوي الاعمى والبصير وعطف الظلمات والنور
والحرور ثم اعاد الفعل وقال تعالى وما يستوي الاحيا ولا الاموات كان هذا جعله مقام ذلك المسئلة الثانية كرر كلمة
النفي بين الظلمة والنور والظل والحرور والاحيا ولا الاموات ولم يكرر بين الاعمى والبصير وذلك التكرير للتاكيد والمنافاة
بين الظلمة والنور والظل والحرور مضادة فان الظلمة ما في النور ومضادة والعمى والبصر كذلك اما الاعمى والبصير ليس
كذلك بل الشخص الواحد قد يكون بصيرا والظل والحرور المنافاة بينهما ذاتية لان المراد من الظل عدم الحر والبرد فلما كانت
المنافاة هناك اتم اكد بالتكرار واما الاحيا والاموات وان كانوا كالاعمى والبصير من حيث ان الجسم الواحد يكون حيا محلا
للحيوة فيصير ميتا محلا للموت ولكن المنافاة بين الحي والميت اتم من المنافاة بين الاعمى والبصير كما بينا ان الاعمى والبصير كان
في ادراك اشيا ولا كذلك الحي والميت كيف والميت يخالف الحي في الحقيقة لا في الوصف على ما تبين في الحكمة الالهية المسئلة
الثالثة قدم الاشرف في مثلين وهو الظل والحر واخره في مثلين وهو البصر والنور وفي مثل هذا يقول المفسرون انه تبرا حي
او اخر لا اي راجع الى السمع ومعجزة القران في المعنى لان مجرد اللفظ لشاعر يعدم ونوحا المسمع فيكون اللفظ حاصلا
له على نقل المعنى واما القران فحكمة بالغة المعنى فيه صحيح واللفظ فصيح فلا يعدم ونوحا اللفظ بلا معنى فقول الكفار
قبل النبي صلى الله عليه وسلم كانوا في ضلالة فكانوا كالعمي وطريقهم كالظلمة ثم جا النبي صلى الله عليه وسلم وبين الحق
واهتدى به منهم قوم فصاروا بصيرين وطريقهم كالنور فقال تعالى وما يستوي من كان من قبل البعث على الكفر
واهتدى بعده على الايمان فلما كان الكفر قبل الايمان في زمان محمد صلى الله عليه وسلم والكافر قبل المومن قدم المقدم ثم لما ذكر المال
والمرجع قدم ما يتعلق بالرحمة على ما يتعلق بالغضب لقوله سبقت رحمتي غضبي ثم ان الكافر المصر بعد البعثة
صار اضل من الاعمى وشابه الاموات في عدم ادراك الحق من الوجوه فقال تعالى وما يستوي الاحيا اي المومنون الذين امنوا
بما انزل الله والاموات الذين تليت عليهم الايات البينات ولم ينتفعوا بها وهولاء كانوا بعد ايمان من امن فاخرهم
عن المومنين لوجود حياة المومنين قبل مماة الكافرين المعاندين وقدم الاعمى على البصير لوجود الكافرين الضالين قبل البعثة
على المومنين المهتدين بعدها المسئلة الرابعة قابل الاعمى بالبصير بلفظ الجمع وقابل الظلمات والنور بلفظ الجمع في احدهما والواحد

في الاخر فهل يعرف فيه حكمة قلت نعم بفضل الله وهدايته اما في الاعمى والبصير والظل والحرور فلانه قابل الجنس بالجنس ولم يذكر الافراد
لان في العميان واولي الابصار قد يوجد فرد من احد الجنسين يساوي فردا من الجنس الاخر كالبصير الغريب في موضع والاعمى
الذي هو مرتبة ذلك المكان فقد يقدر الاعمى على الوصول الى المقصد ولا يقدر البصير عليه او يكون الاعمى عنده من الذكا
ما يساوي به البلد البصير والتفاوت بينهما في الجنسين مقطوع به فان جنس البصير خير من جنس الاعمى واما الاحيا والموتى
فالتفاوت بينهما اكثر اذ ما من ميت يساوي في الادراك حيا من الاحيا فذكران الاحيا لا يساوون الاموات سوا
قابلت الجنس بالجنس او قابلت الفرد بالفرد واما الظلمات والنور فالحق واحد وهو التوحيد والباطل كثير وهو طرف
الاشتراك على ما بينا ان بعضهم يعبدون الكواكب وبعضهم النار وبعضهم الاصنام التي هي على صور الملايكة
والى غير ذلك والتفاوت بين كل فرد من الافراد وبين هذا الواحد بين فقال الظلمات كلها اعسر منها لا يجد فيها
ما يساوي النور وقد ذكرنا في تفسير قوله تعالى وجعل الظلمات والنور السبب في توحيد النور وجمع الظلمات ومن جملة ذلك ان النور
لا يكون الا بوجود منور ومحل قابل للاستنارة وعدم الحايل بين النور والمستنير مثاله الشمس اذا طلعت كان هناك
موضع قابل للاستنارة وهو الذي يمسك الشعاع فانه البيت الذي فيه كوة يدخل منها الشعاع اذا كان في مقابله
الكوة منفذ يخرج منه الشعاع ويدخل بيتا اخر ويبسط الشعاع على ارضه نرى البيت الثاني مضيا والاول
مظلما ولم يكن هناك حايل كالبيت الذي لا كوة له فانه لا يضي فاذا حصلت الامور الثلاثة يستنير البيت والا فلا
تتحقق الظلمة بفقدان امر كان من الامور الثلاثة ثم قال الله تعالى ان الله يسمع من يشا وما انت بمسمع من في القبور
وفيه احتمال معنيين الاول ان يكون المراد بيان كون الكفار بالنسبة الى سماعهم كلام النبي والوحي النازل عليه دون حال
الموتى فان الله يسمع الموتى والنبي لا يسمع من مات واقر فالموتى سامعين من الله والكفار كالموتى لا يسمعونه من النبي والثاني
ان يكون المراد تسلية النبي صلى الله عليه وسلم فانه لما بين انه لا ينفعهم ولا يسمعهم قال له هولا لا يسمعهم الا الله فانه يسمع
من يشا ولو كانت صخرة صما واما انت فلا تسمع من في القبور فما عليك من حسابهم من شي ثم قال تعالى ان انت الا نذير
بيانا للتسلية والله تعالى اعلم **قوله تعالى** انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة
الا خلا فيها نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاتهم رسلهم بالبينات وبالزبر و
بالكتاب المنير ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير **اعلم** انه تعالى لما قال ان انت الا نذير بين انه ليس
نذيرا من تلقا نفسه انما هو نذير باذن الله تعالى وارساله ثم قال بالحق بشيرا ونذيرا لما قال ان انت الا نذيرا من وان من امة الا خلا
فيها نذير تقرير الامرين احدهما تسلية قلبه حيث يعلم ان غيره كان مثله محمدا لنادى القوم وثانيهما الزام القول بقوله فانه ليس بدعا
من الرسل وانما هو مثل غيره يدعي ما ادعاه الرسل ويقرره قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاتهم رسلهم بالبينات يعني
اتت جنتهم بالبينة والكتاب كذبوك واذوك وغيرك ايضا اتاهم بمثل ذلك وفعلوا بهم ما فعلوا بك وصبروا على ما كذبوا وكذلك
عليهم بان تعدم من الرسل مالم تعلم نوبهم رسلا الا بالمعجزات البينات وقد اتيناها محمدا صلى الله عليه وسلم وبالزبر وبالكتاب
المنير والكل اتينا محمدا فهو رسول مثل الرسل يلزمكم قبوله كما لزم قبول موسى وعيسى عليهم السلام اجمعين وهذا يكون تقريرا مع
مع اهل الكتاب **واعلم** انه تعالى ذكر امورا ثلاثة اولها البينات وذلك لان كل رسول فلا بد له من معجزة وهي ادنى الدرجات ثم قد يعلى عليه كتاب
يكون فيه مواعظ وبينات وان لم يكن فيها نسخ واحكام شرعية وشرعا ناسخا ومن فعول علته مثله اعلى مرتبة ممن لا يترك عليه ذلك وقد ينسخ
شريعة الشرايع ويترك على الرسل سوى رسالتهم بالبينات وان كانوا على مرتبة فالزبر وان كانوا على حال كابر والنبي اتيناه فهو رسول
الشرعي الكل لكون كتابه اتم واكمل من كل كتاب ثم قال تعالى ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي من كذب بالكتاب المنزل من قبل وبالرسول
الرسل اخذه الله تعالى فلذلك يعني من يكذب بالنبي وقوله تعالى فكيف كان نكير سوال للمقدر فانهم علموا اشدة انكار الله عليهم وابانه بلا هلاك
المكذبين لا استقبال والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى** الم تر ان الله انزل من السما ما فاخرجنا به ثمرات
مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف
الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلما ان الله عزيز غفور اعلم ان هذا استدلال اخر على وحدانية الله تعالى
وقدرته وفي تفسيرها مسايل **المسئلة الاولى** ذكر هذا الدليل على طريق الاستخبار فقال تعالى الم تر ان الله انزل من السما اي ما ذكر
الدليل المتقدم على طريقة الاخبار وقال تعالى والله الذي ارسل الرياح وفيه وجهان الاول ان انزال الما اقرب الى النفع والمنفعة فيه اظهر
فانه لا يخفى على احد الرؤية والروية ان الما منه حياة الارض معظم دلالته بالاستفهام لان الاستفهام الذي للتقرير لا يقال الا في
الشي الظاهر جدا كما ان من ابصر الهلال وهو خفي جدا فقال لغيره ان هو فانه يقول له في الموضع الفلاني فان لم يره يقول له الحق معك
انه خفي وانت معذور وان كان بارزا يقول له اما تراه هذا هو ظاهر والثاني وهو انه ذكره بعد ما قرر المسئلة بدلايل اخر وظهر
بما تقدم للمدعو بصارهم بوجوه الدلالات فقال له انت بصير اعادكرناه ولم يبق لك عذر لا نظر الى هذه الاية الثانية المخاطب
من هو يحتمل وجهين احدهما النبي صلى الله عليه وسلم وفيه حكمة وهي ان الله تعالى لما ذكر الدلايل وما نفعهم قطع الكلام معهم والتفت
الى غيرهم كما ان السيد اذا نصح بعض العباد ومنعهم من الفساد ولا سمعهم الارشاد يقول لغيره اسمع ولا يمكن مثل هذا ويكرر
معه ما ذكره مع الاول ويكون ذلك اشعارا بان الاول فيه نقصه لا يستاهل الخطاب فينبه له ويدفع عن نفسه تلك
النقيصة والاخران لا يخرج الى الكلام احسن من الاول بل يمانا مع ما يعارضه لئلا يسمع الاول كلاما اخر فيتركه النفكر لما كان فيه



من النصيحة الثالثة هذا الاستدلال على قدرة الله تعالى واختياره حيث اخرج من الما الواحد ثمرات مختلفة وفيه لطايف الاولى
قال انزل وقال اخرجنا وقد ذكرنا فايدته ونعيدها فنقول ههنا قال الله تعالى الم تر ان الله انزل فكان جاهلا يقول ولم لا الى الطبع
لعله فيقال له فالاخراج لا يمكنك ان تقول فيه انه بالطبع فهو بارادة الله فكل ما كان اظهر اسنده الى المتكلم وجه اخر هو ان الله تعالى
لما قال ان الله انزل من السما علم الله بدليل وقرب المتفكر فيه الى الله تعالى فصار من الحاضرين فقال له اخرجنا لقربه وجه بصيغة المتكلم وما الت
الاخراج اتم نعمة من الانزال لان الانزال لفايدة الاخراج فاسند الاتم الى نفسه بصيغة المتكلم وما دونه بصيغة الغايب اللطيفة الثانية
قال تعالى ومن الجبال جدد بيض كان فايدة قال اختلاف الثمرات لا لاختلاف البقاع الا ترى ان بعض النباتات لا تنبت ببعض البلاد كالزعفران وغيره
فقال تعالى اختلاف البقاع ليس الا بارادة الله تعالى والا فلم صار بعض الجبال فيه مواضع حمر ومواضع بيض والجدد جمع جدة وهي الخطة الى الطرق فان
قيل الواو في ومن الجبال ما تقديرها نقول هي تحتمل وجهين احدهما ان يكون للاستيناف كانه قال تعالى اخرجنا بالما ثمرات مختلفة الالوان وفي
العاسات من الجبال جدد بيض دالة على القدرة على من سكر الارادة في اختلاف الوان الما وثانيهما ان يكون للعطف تقديرها وخلق من الجبال ولم
يذكر الايه في الارض كما قال في موضع اخر وفي الارض قطع متجاورات مع ان هذا الدليل مثل ذلك وذلك لان الله تعالى لما ذكر في الاول اخرجنا به ثمرات
كان نفس اخراج الما دليلا على القدرة ثم زاد عليه بيانا وقال مختلفا كذلك في الجبال في نفسها دليل القدرة والارادة لان كون الجبل في بعض نواحي
الارض دون بعضها والاختلاف الذي في هيئة الجبال فان بعضها يكون اخفض وبعضها ارفع دليل القدرة والاختيار ثم زاده بيانا وقال جدد بيض
اي مع دلالتها بنفسها هي دالة باختلاف الوانها كما ان اخراج الثمرات في نفسها دليل وباختلاف الوانها دليل الرابعة مختلف الوانها الظاهر
ان الاختلاف راجع الى كل لون اي بيض مختلف الوانها وحمر مختلف الوانها لكان مجرد التاكيد والاولى وعلى هذا نقول لم يذكر مختلف الوانها بعد البيض
والحمر والسود بل ذكره بعد البيض والحمر واخر السود الغرابيب لان الاسود لما ذكره مع المؤكد وهو الغرابيب مؤكد يكون بالغا غاية السواد فلا يكون
فيه اختلاف الخامسة قيل ان الغرابيب مؤكد للاسود يقال اسود غربيب والمؤكد لا يجي الا متاخرا فكيف جا غرابيب سود نقول قال
الزمخشري مؤكد لذي لون مقدر في الكلام كانه تعالى قال اسود غربيب ثم اعاد السوال مرة اخرى وفيه فايدة وهي زيادة التاكيد لانه تعالى
ذكره مضمرا وظاهرا ومنهم من قال على التقديم والتاخير ثم قال تعالى ومن الناس والدواب استدلالا اخر على قدرته وارادته وكان الله تعالى
قسم دلايل الخلق في العالم الذي نحن فيه وهو عالم المركبات فنبهين حيوان وغير حيوان اما نبات واما معدن والنبات اشرف واشار اليه بقوله
تعالى فاخرجنا به ثمرات ثم ذكر المعدن بقوله تعالى ومن الجبال ثم ذكر الحيوان وبدا بالاشرف وهو الانسان فقال تعالى ومن الناس ثم ذكر الدواب
لان منافعها في حياتها والانعام من غيره وقوله مختلف الوانه العول فيه كما انها دلايل كذلك باختلافها دلايل واما قوله تعالى مختلف الوانه
ذكر لكون الاناث من جملة المذكورين وكون التذكير اعلى واولى ثم قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلما الخشية بقدر معرفة المخشي والعالم
يعرف الله تعالى فيخافه ويرجوه وهذا دليل على ان العالم اعلى درجة من العابد لان الله تعالى قال ان اكرمكم عند الله اتقاكم فبين ان الكرامة
بقدر التقوى والتقوى بقدر العلم فالكرامة بقدر العلم لا بقدر العمل نعم العالم اذا ترك العمل قدح ذلك في علمه فان من يراه يقول لو علم العمل
ثم قال تعالى ان الله عزيز غفور ذكر ما يوجب الخوف والرجا بكونه عزيزا ذا انتقام يوجب الخوف التام وكونه غفورا لما دون ذلك يوجب
الرجا البالغ وقراه من قرا بنصب العلما ورفع الله معناه انما يعظم ويجل والله اعلم **قوله تعالى** ان الذين يتلون كتاب
الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله
انه غفور شكور والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير ثم
اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله
ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب ولولوا ولباسهم فيها حرير
**اعلم** انه لما بين العلما بالله وخشيتهم وكرامتهم بسبب خشيتهم ذكر العالمين بكتاب الله العاملين بما فيه وقوله تعالى يتلون
كتاب الله اشارة الى الذكر وقوله تعالى واقاموا الصلوة اشارة الى العمل البدني وقوله تعالى وانفقوا مما رزقناهم اشارة الى العمل
المالي وفي الايتين حكمة بالغة فقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما اشارة الى عمل القلب وقوله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله
اشارة الى عمل اللسان وقوله تعالى واقاموا الصلوة اشارة الى الجوارح ثم ان هذه الاشيا الثلاثة متعلقة بجانب تعظيم الله تعالى والشفقة
على خلقه لان من اراد ان يعظم ملكا اذا راى عبدا من عبيده في حاجة يلزمه قضا حاجته وان تهاون فيه يخل بالتعظيم والى هذا
اشار بقوله عبدي مرضت فما عدتني فيقول العبد كيف تمرض وانت رب العالمين فيقول الله مرض عبدي فلان وما زرته ولو زرته
لوجدتني عنده يعني التعظيم متعلق بالشفقة بحيث لا شفقة على خلق الله لا تعظيم لجانب الله وقوله تعالى سرا وعلانية حث
على الانفاق كيفما تهيا فان تهيا سرا فذاك ونعم والا فعلانية ولا يمنعه ظنه انه كان ربما ان ترك الحسن مخافة ان يقول فيه
انه مراي فان الريا ويحتمل ان يكون المراد بقوله سرا اي صدقة وعلانية اي زكاة فان الاعلان بالزكاة فالاعلان بالفرض وهو
مستحب وقوله تعالى يرجون تجارة لن تبور اشارة الى الاخلاص اي ينفقون لا ليقال انه كريم ولا لشي من الاشيا غير وجه الله
تعالى فان غير الله ما يرى التاجر تجارته بامره وقوله تعالى ليوفيهم اجورهم اي ما يتوقعه ولو كان امرا بالغ الغاية ويزيدهم
من فضله اي يعطيهم ما لم يخطر ببالهم عند العمل ويحتمل ان يكون يزيدهم النظر اليه كما جا في تفسير الزيادة انه غفور شكور عند اعطا
الاجور وشكور عند اعطا الزيادة ثم قال تعالى والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق لما بين الاصل الاول وهو وجود الله تعالى
الواحد بانواع الدلايل من قوله تعالى الله الذي ارسل الرياح وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى الم تر ان الله انزل ذكر الاصل الثاني وهو
الرسالة وقال تعالى والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق وقد بين ان الذين يتلون كتاب الله لهم من الله تعالى اجورهم فقال تعالى والذي اوحينا اليك

من الكتاب هو الحق لتقريرا لما بين من الاجر والثواب في تلاوة كتاب الله تعالى فانه حق وصدق فالله محق ومحقق وفي تفسيرها مسايل المسألة
الاولى قوله تعالى من الكتاب يحتمل ان تكون لابتداء الغاية كما يقال ارسل الي كتاب من الامير او الوالي وعلى هذا فالكتاب يمكن ان يكون المراد منه
اللوح المحفوظ يعني الذي اوحينا اليك من اللوح المحفوظ اليك حق ويمكن ان يقال المراد هو القران يعني الارشاد والتبيين الذي اوحينا اليك
من القران ويحتمل ان يكون للبيان كما يقال ارسل الي من الثياب والعاشر جملة المسألة الثانية قوله هو الحق اكد من قول القايل الذي اوحينا حق من وجهين
احدهما ان تعريف الخبر يدل على ان الامر في غاية الظهور لان الخبر في الاكثر يكون نكرة لان الاخبار في الغالب يكون اعلاما بثبوت امر لا معرفة للسامع به لامر لا يعرفه
السامع كقولنا زيد قام فان السامع ينبغي ان يكون عارفا بزيد ولا يعلم قيامه فيخبر به فاذا كان الخبر ايضا معلوما فيكون الاخبار للتنبيه فيعرفون باللام
كقولنا زيد العالم في هذه المدينة اذا كان علمه مشهورا المسألة الثالثة قوله تعالى مصدقا حال موكدة لكونه حقا لان الحق اذا كان لاحقا ل
بينه وبين كتب الله تعالى بكونه خاليا عن احتمال البطلان وفي قوله مصدقا تقرير لكونه وحيا لان النبي صلى الله عليه وسلم لما لم يكن قاريا كاتبا واتى
ببيان ما في كتب الله لا يكون ذلك الا من الله تعالى وجواب عن سوال الكفار وهو انهم كانوا يقولون بان التورية ورد فيها كذا والانجيل ذكر فيه كذا وكانوا يفترون
من السلت وغيره وكانوا يقولون بان القران ما ورد فيه خلاف ذلك فقال التورية والانجيل لم يبق بهما وثوق بسبب تغييركم فهذا القران ما ورد فيه ان كان
في التورية فهو حق وباق على ما انزل وان لم يكن فيه ويكون فيه خلافه فهو ليس من التورية فالقران مصدق للتورية وفيه وجه آخر وهو ان يقال ان
هذا الوحي مصدق لما تقدم لان الوحي لو لم يكن وجوده لكذب موسى وعيسى عليهما السلام في انزال التورية والانجيل فاذا وجد الوحي ونزل على محمد صلى الله
عليه وسلم على جوازه وصدق به ما تقدم وعلى هذا ففيه لطيفة وهي انه تعالى جعل القران مصدقا لما معني ايضا مصدق له لان الوحي اذا نزل على واحد
جاز ان ينزل على غيره وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولم يجعل ما تقدم مصدقا للقران لان القران كونه معجزة يكفي في تصديقه بانه وحي واما ما تقدم فلا بد
معه من معجزة تصدقه المسألة الرابعة قوله تعالى ان الله بعباده لخبير بصير فيه تعبير عالم بالبواطن فلا يكون باطلا في وجملة الباطل ولا في الظاهر
وما يشبهه ان يكون جوابا لما كانوا يقولون انه لو لم ينزل على رجل عظيم فقال تعالى ان الله بعباده لخبير يعلم بواطنهم وبصير يرى ظواهرهم فاختار محمدا ولم يختر
غيره فهو اصلح من الكل ثم قال تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا اتفق اكثر المفسرين على ان المراد من الكتاب القران وعلى هذا فالذين
اصطفينا هم الذين اخذوا بالكتاب وهم المومنون والظالم والمقتصد والسابق كلهم منهم ويدل عليه قوله تعالى جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من
اساور من ذهب اخبر بدخولهم الجنة وكلمة ايضا تدل عليه لان الايراث اذا كان بعد الاحيا ولا كتاب بعد القران فهو الموروث والايراث المراد منه الاعطاء
بعد ذهاب من كان بيده المعطى ويحتمل ان يقال المراد من الكتاب هو جنس الكتاب كما في قوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير والمعنى على
هذا انا اعطينا الكتاب الذين اصطفينا وهم الانبياء ويدل عليه ان لفظ المصطفى على الانبياء اطلاقه كثير وذلك على غيرهم ولان قوله تعالى من
عبادنا دل على ان العباد كانوا مكرمين بالاضافة اليه ثم المصطفين منهم اشرف منهم لا يليق عن يكون اشرف من الشرفا ان يكون ظالما مع ان لفظ الظالم
اطلقه الله تعالى في كثير من المواضع على الكافر وسمى الشرك ظلما وعلى الوجه الاول التفسير ظاهر معناه اتينا القران لمن امن بمحمد واخذوه منه وافرقوا
فمنهم ظالم وهو المسيء ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا واخر سيئا وسابق بالخيرات وهو الذي اخلص العمل لله وجرده عن السيئات فان قال
كيف قال في حق من ذكر في حقه انه من عباده وانه مصطفى انه ظالم مع ان الظلم مطلق على الكافر في كثير من المواضع فنقول المومن عند المعصية
يضع نفسه في غير موضعها فهو ظالم لنفسه حال المعصية واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني وهو حين يزني مومن
والصحيح هذا قول عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ظالمنا مغفور له وقال ادم مع كونه مصطفى ربنا ظلمنا انفسنا واما
الكافر فيضع قلبه الذي به اعتبار الجسد في غير موضعه فهو ظالم على الاطلاق واما قلب المومن فمطهر بالايمان لا يضعه في غير التفكر
في آلاء الله ولا يضع فيه غير محبة الله وفي المراتب الثلاثة اقوال كثيرة احدها الظالم هو الراجح السيئات والمقتصد هو الذي
تساوت سيئاته وحسناته والسابق هو الذي ترجحت حسناته ثانيها الظالم هو الذي ظاهره خير من باطنه والمقتصد من
ساوى ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير وثالثها الظالم هو الموحد بلسانه الذي تخالفه جوارحه والمقتصد هو الموحد
الذي يمنع جوارحه من المخالفة بالتكليف والسابق هو الموحد الذي ينسيه التوحيد غير التوحيد رابعها الظالم صاحب الكبيرة
والمقتصد صاحب الصغيرة والسابق المعصوم خامسها الظالم التالي للقران غير العالم به والعامل بموجبه والمقتصد التالي العالم
والسابق التالي العالم العامل سادسها الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم سابعها الظالم اصحاب المشأمة والمقتصد
اصحاب الميمنة والسابق السابقون المقربون ثامنها الظالم الذي يحاسب فيدخل النار والمقتصد الذي يحاسب فيدخل الجنة
والسابق يدخل الجنة من غير حساب تاسعها الظالم المصر على المعصية والمقتصد هو النادم والتايب والسابق هو المقبول التوبة
عاشرها الظالم الذي اخذ القران ولم يعمل به والمقتصد الذي عمل به والسابق الذي اخذه وبين للناس العمل به فعملوا به فقوله
بقوله فهو كامل ومكمل والمقتصد كامل والظالم ناقص والمختار هو ان الظالم من خالف فترك اوامر الله وارتكب مناهيه فانه واضع
الشيء في غير موضعه والمقتصد هو المجتهد في ترك المخالفة وان لم يوفق لذلك وندر منه ذنب وصدر عنه اثم فانه اقتصد
واجتهد وقصد الحق والسابق هو الذي لم يخالفه بتوفيق الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى باذن الله اي اجتهد ووفق لما
اجتهد فيه وفيما اجتهد فهو سابق بالخيرات باذن الله يقع في قلبه فيسبق اليه فهل يستويان النفس والمقتصد يقع في قلبه فتردده
النفس والظالم تغلبه النفس ونقول بعبارة اخرى من غلبته النفس الامارة وامرته فاطاعها ظالم ومن جاهد نفسه فغلب تارة وغلب
اخرى فهو المقتصد ومن قهر نفسه فهو السابق وقوله تعالى ذلك هو الفضل الكبير يحتمل وجوها احدها التوفيق المذكور عليه بقوله تعالى
باذن الله هو الفضل الكبير ثانيها السبق بالخيرات هو الفضل الكبير ثالثها الايراث فضل ليس هذا على الوجه المشهور من التفسير اما الوجه الاخر
وهو ان يقال ثم اورثنا الكتاب اي جنس الكتاب كما قال تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير يرد عليه اسولة احدها ثم للتراخي

واما الكتاب

واما الكتاب بعد الانبيا الى محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن فما المراد بكلمة ثم نقول معناه ان الله خبير بصير خبرهم وابصرهم ثم اورثهم الكتاب كانه قال تعالى انا علمنا
البواطن وابصرنا الظواهر فاصطفينا عبادنا ثم اورثناهم الكتاب ثانيها كيف يكون من الانبيا ظالم لنفسه نقول منهم راجع الى الانبيا المصطفين بل
المعنى ان الذي اوحينا هو الحق وانت المصطفى كما اصطفينا رسلنا واتيناهم كتبا ومنهم اي من قومك ظالم كفر بك وبما انزل اليك ومقتصد امن به ولم يات
بجميع ما امر به وسابق امن وعمل صالحا وثالثها قوله تعالى جنات عدن يدخلونها الداخلون هم المذكورين وعلى ما ذكرتم لا يكون الظالم داخلا نقول
الداخلون هم السابقون واما المقتصد فامره موقوف اذ هو يدخل النار اولا يدخل الجنة والسابق اولا الامر لما بعده ويدل عليه قوله تعالى يحلون
فيها من اساور من ذهب وقوله تعالى اذهب عنا الحزن ثم قال تعالى جنات عدن يدخلونها في الداخلين وجه احدها الاقسام الثلاثة وهو
على قولنا ان الظالم والمقتصد والسابق اقسام المومنين والثاني الذين يتلون كتاب الله والثالث هم السابقون وهو اقوى لقرب ذكرهم
ولانه ذكر اكرامهم بقوله تعالى يحلون والكريم هو السابق وعلى هذا ففيه ابحاث الاول تقدم الفاعل على الفعل وتاخير المفعول عنه موافق
لترتيب المعنى اذا كان المفعول حقيقيا كقولنا الله خلق السموات والارض وقول القايل زيد بنى الجدار فان الله موجود وفعل كل شي ثم له
فعل هو الخلق ثم حصل به المفعول حقيقيا كقولنا زيد دخل الدار وضرب عمروا فان الدار في الحقيقة ليست مفعولا للداخل وانما فعل من افعاله
تحقق بالنسبة الى الدار وكذلك عمرو فعل من افعال زيد تعلق به فسمي مفعولا لا يحصل هذا الترتيب ولكن الاصل تقديم الفعل على المفعول
ولهذا يعاد المفعول المقدم بالضمير يقال عمروا ضربه زيد فيوقعه بعد الفعل بالهاء العايدة اليه وحينيذ يطول الكلام فلا يختاره الحكيم
الا لفايدة فما الفايدة في تقديم الجنات على الفعل الذي هو الدخول واعاد ذكرها بالهاء في يدخلونها وما الفرق بين هذا وبين قول القايل
يدخلون جنات عدن نقول السامع اذا علم ان له مدخلا من المداخل وله دخولا ولم يعلم عين المدخل فاذا قيل له انت تدخل فالى ان
يسمع الدار او الى السوق وسبق متعلق القلب بانه في اي المداخل يكون فاذا قيل له الدار يدخلها فذكر الدار يعلم مدخله وما عنده من العلم
السابق بان له دخولا يعلم الداخل فلا يبقى له توقف ولا سيما الجنة والنار فان المدخلين تنوبا بعد السا في قوله تعالى يحلون فيها اشارة
الى سرعة الدخول فان التحلية لو وقعت خارجا لكان فيها تاخير الدخول فقال يدخلونها وفيه تقع تحليتهم الثالث قوله تعالى من اساور جمع
الجمع فانه جمع اسورة وهي جمع سوار وقوله تعالى ولباسهم فيها حرير ليس لذلك لان الاكثار من اللباس يدل عليه اي على حاجة من دفع برد
او غيره والاكثار من الزينة لا يدل الا على الغنى الرابع ذكر الاساور من بين ساير الحلي في كثير من المواضع منها قوله تعالى اساور من فضة
وذلك لان التحلي بعين احدهما اظهار كون المتحلي غير مستبدل في الاشغال لان التحلي لا يكون حالة الطبخ والغسل وثانيهما اظهار الاستغنا
عن الاشيا واظهار القدرة على الاشيا وذلك لان التحلي اما باللالي والجواهر واما بالذهب والفضة والتحلي بالجواهر واللالي يدل على المتحلي
لا يعجز عن الوصول الى الاشيا الكثيرة عند الحاجة حيث لم يعجز عن الوصول الى الاشيا الثلاثة الوجود لا للحاجة والتحلي بالذهب والفضة
يدل على انه غير محتاج حاجة اصلية والا لصرف الذهب والفضة الى دفع الحاجة اذا عرفت هذا فنقول الاساور محلها الايدي واكثر الاعمال
باليد فانها للبطش فاذا حليت بالاساور علم الفراغ والذهب واللولو اشارة الى النوعين اللذين منهما الحلي والله تعالى اعلم قوله
تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا
فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها
كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير اعلم ان في الحزن اقوال الاول ان يقال المراد اذهاب كل حزن والالف واللام للجنس
واستغراقه واذهاب الحزن لحصول كل ما ينبغي وبقاءه وانما كان سيا منه لو لم يحصل كان الحزن موجودا للشبه وان حصل ولم يدم لكان الحزن غير ذاهب
بعد بسبب زواله وخوف فواته وقوله تعالى ان ربنا لغفور شكور ذكر الله تعالى عنهم امورا كلها يفيد الكرامة من الله تعالى الاول الحمد
ما بالثاني قولهم ربنا فان الله تعالى لم يناد بهذا اللفظ الا واستجاب اللهم الا ان يكون المنادي قد ضيع الوقت وطلب ما لا يجوز كالرد
من الدنيا الى الاخرة الثالث قولهم غفور الرابع قولهم شكور والغفور اشارة الى ما غفر لهم في الاخرة بما وجد لهم من الحمد في الدنيا والشكور
اشارة الى ما يعطيهم ويزيدهم بسبب ما وجد لهم في الاخرة من الحمد ثم قال تعالى الذي احلنا دار المقامة اي دار الاقامة لما ذكر الله
تعالى سرورهم وكرامتهم بتحليتهم وادخالهم الجنات بين سرورهم ببقايهم فيها واعلمهم بدوامها حيث قالوا الذي احلنا
دار المقامة من فضله اي الاقامة والمفعول وربما يجي للمصدر من كل باب يقال له مفعول اي عقل وقال تعالى مدخل صدق
وقال تعالى ومزقناهم كل ممزق ولذلك المستخرج والاستخراج وذلك لان المصدر وهو المفعول في الحقيقة فانه هو الذي
فعل مجيء اقامة المفعول مقامه وفي قوله تعالى دار الاقامة اشارة الى ان الدنيا منزلة المكلف ويرتحل عنها الى منزل القبور
ومنها الى منزل العرصة التي فيها الجمع ومنها التفريق وقد يكون النار لبعضهم منزله اخرى والجنة دار البقا وكذا النار لاهلها
وقولهم من فضله اي بحكم وعده لا بايجاب من عنده وقوله تعالى لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب واللغوب الاعيا والنصب
هو السبب للاعيا فان قال قايل اذا بين انه لا يمسهم نصب علم انه لا يمسه لغوب ولا يحسن المتكلم الحكيم شيا ثم يبنى عليه تخوف
العطف فلا يقول القايل لا اكلت ولا شبعت ولا نمت ولا شبعت ولا مسيت والعكس كبيرهم فانه يقال لا شبعت ولا اكلت لما ان نفي
الشبع لا يلزمه انتفاء الاكل وسياء وما نعرفه نقول لا يمسنا فيها اعيا ولا مشقة فنقول ما قال الله تعالى في غاية الجلالة
وكلام اجل وبيانه احد ووجه اخر هو انه تعالى بين مخالفة الجنة لدار الدنيا فان الدنيا اماكنها على قسمين احدهما موضع يمس
فيه المشاق والمتاعب كالبراري والصحاري والطرقات والاراضي والاخر موضع يظهر منه الاعيا كالسوت والمنازل التي في الاسفار
من الخانات فان من يكون في مباشرة شغل لا يظهر عليه الاعيا الا بعد ما يستريح فقال تعالى لا يمسنا فيها نصب اي ليست الجنة كالموضع

النزهة الدنيا مظان المتاعب بل هي افضل من المواضع هي مواضع مرجع والمعنى ولا يمسنا فيها لغوب اى ولا نخرج منها الى موضع نتعب ونرجع اليها فيمسنا فيها الاعيا وقرى لغوب بفتح اللام والترتيب على هذه القراءة ظاهر كانه قال لا نتعب ولا يمسنا ما يصلح لذلك وهذا لان العوى السوى اذا قال ما تعبت اليوم لا يفهم من كلامه انه ما عمل شيئا لجواز انه عمل عملا لم يكن بالنسبة اليه متعبا لقوته فاذا قال ما مسنى ما يصلح ان يكون متعبا يفهم منه انه لم يعمل شيئا لان نفس العمل يصلح ان يكون متعبا لضعيف او متعبا بسبب لربه واللغوب هو التعب منه وقيل النصب التعب والمرض وعلى هذا يحسن الترتيب ظاهر لانه قال لا يمسنا مرض ولا دون ذلك وهو الذي نعانيه مباشرة ثم قال تعالى والذين كفروا لهم نار جهنم عطف على قوله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله على ما بينا وقوله تعالى جنات عدن يدخلونها قد ذكرنا انه على بعض الاقوال راجع الى الذين يتلون كتاب الله ثم قال تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا اى لا يستريحون بالموت بل العذاب دائم لا يخفف عنهم من عذابها اى النار وفيه لطايف اللطيفة الاولى ان العذاب في الدنيا ان دام كثيرا يقتل فان لم يقتل يعتاد البدن ويصير مزاجا فاسدا متمكنا لا يحس به المعذب فقال عذاب نار الآخرة ليس كعذاب الدنيا اما ان يقنى واما ان يالفه البدن بل هو في كل زمان شديد والمعذب فيه دايم الثانية راعى الترتيب على احسن وجه وذلك لان الترتيب ان لا ينقطع العذاب ولا يفتر فقال لا يقضى ولا اما نوى الاسباب وهو الموت حتى يتمنون الموت ولا يخافون كما قال تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك اى بالموت الثالثة في المعذب بين انه لا يخفف عذابهم ولم يقل يزيدهم عذابا وفي الناس ذكر الزيادة بقوله ويزيدهم من فضله ثم لما بين ان عذابهم لا يخفف فقال تعالى وهم يصطرخون فيها اى لا يخفف وان اصطرخوا واضطربوا لا يخفف الله من عذابهم وانما الانسان يطلبوه بل يطلبون ولا يجدون والاصطراخ من الصراخ صوت المعذب وقوله تعالى ربنا اخرجنا اى صراخهم بهذا اى يقولون ربنا اخرجنا لان صراخهم كلام وفيه اشارة الى ان الملامة بعد ذنب لا ما ذنب وذلك لان المعذب اذا قال للموذيه لا ارجع الى ما فعلت وبئس ما فعلت فيزله واما المعذب فلا وترتيبه حسن وذلك لانه لما بين انه لا يخفف عنه بالكلية ولا يعفوا عنهم بين انه لا يقبل منهم وعدا وهذا لان المحبوس يصبر لعله يخرج من غير سوال فاذا طال لبسه يطلب الاخراج من غير قطعه عن نفسه فان لم يعده يقطع على نفسه قطعه ويقول الاخراج اخرجني افعل كذا واعلم ان الله تعالى قد بين ان من يكون في الدنيا ضالا فهو في الآخرة ضال كما قال تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ثم انهم لم يعلموا ان العود الى الدنيا بعد محال بحكم الآخرة ومع هذا قالوا نعمل صالحا جازمين من غير استعانة بالله ولا مسونه منه ولم يقولوا ان الامر بيد الله فقال لهم اذا كان اعتمادكم على انفسكم فقد عمرتكم مقدار ما يمكن التذكير فيه والاتيان بالايمان والاقبال على الاعمال وقولهم غير الذي كنا نعمل اشارة الى ظهور فساد عملهم وكان الله تعالى كما لم يهدهم في الدنيا لم يهدهم في الآخرة مما قالوا ربنا ردت للمحسن حسنا تم بفضلك لا بعملهم ونحن احوج الى التخفيف للعذاب منهم الى تضعيف الثواب فافعل بنا ما انت اهله نظرا الى فضلك ولا تفعل بنا ما نحن اهله نظرا الى عدلك وانظر الى مغفرتك الى خطايانا ولا تنظر الى معذرتنا الباطلة وكما هدى الله المومن في الدنيا هداه في العقبى حتى دعاه باقرب دعا الى الاجابة واثنى عليه باطيب ثنا عند الانابة فقالوا الحمد لله وقالوا ربنا غفور اعترافا بتقصيرهم شكورا اقرارا بوصول ما لم يحصر بما لهم اليهم وقالوا احلنا دار المقامة من فضله اى لا بعمل لنا بالنسبة الى نعم الله وهم قالوا اخرجنا الحاصة في حق تعظيمه واعراضا عن الاعتراف بعجزهم عن الاتيان بما يناسب عظمته ثم انه تعالى بين انه اما هو ما يتعلق بقبول المحل من العمر الطويل وما يتعلق بالفاعل في المحل فان النبي صلى الله عليه وسلم كفاعل الخيرات فيهم ومظهر السعادات فقال تعالى وجاكم النذير فان المانع فيهم حيث لم يتمكنوا من النظر فيما انزلنا اما ان يكون في مرشدهم حيث لم يرسل عليهم ما يرشدهم ثم قال تعالى فذوقوا فما للظالمين من نصير وقوله تعالى فذوقوا اشارة الى الدوام وهو امر اهانة فما للظالمين الذين وضعوا اعمالهم واقوالهم في غير موضعها فاتوا بالمعذرة في غير وقتها من نصير في وقت الحاجة ينصرهم قال بعض الحكما قوله تعالى فما للظالمين من نصير وقوله تعالى وما للظالمين من انصار يحتمل ان يكون المراد من الظالم الجاهل جهلا مركبا وهو الذي يعتقد الباطل حقا في الدنيا وما له من نصير اى من علم في الآخرة ونفعه والذي يدل عليه هو ان الله تعالى سمى البرهان سلطانا كما قال تعالى فاتوا بسلطان والسلطان اقوى ناصر وهو القوة او الولاية كلاهما نصر والحق التقسيم لان الله تعالى لا ينصر وليس غيره نصير فما لهم من نصير اصلا ويمكن ان يقال ان الله تعالى قال في آل عمران وما للظالمين وقال تعالى فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين وقال هاهنا فما للظالمين من نصير او هذا وقت كونهم واقعين في النار فقد ايس كل منهم من بشر فانهم كانوا يتوقعون منهم النصرة ولم يبق الا توقعهم من الله تعالى فقال ما لكم من نصير اصلا وكان الامر محكيا في الدنيا اوقفا وايل الحشر متى ما كان يتوقعون منهم النصرة وهم الهتهم والله تعالى اعلم بالصواب

**قوله تعالى** ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور هو الذي جعلكم خلايف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ام اتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا

بعد ما الدوام مكث في العذاب وذلك من حيث ان الله تعالى لما قال ان جزاء السيئة سيئة مثلها ولا يزاد عليها فلو قال قايل الكافر ما كفر بالله تعالى الا اياما معدودة فكان ينبغي ان لا يعذب الا مثل تلك الايام فقال تعالى ان الله لا يخفى عليه غيب السموات فلا يخفى عليه ما في الصدور وكان يعلم من الكافر ان في قلبه تمكن الكفر بحيث لو دام الى الابد لما اطاع الله تعالى ولا عبد وفي قوله تعالى ذات الصدور مسئلة قد ذكرناها مرة ونعيدها اخرى وهي ان يقال ان نعود الصدور ذات اعتقادات يظنون فكيف سمى الله تعالى الاعتقادات بذات الصدور ونقرر السوال فنقول قولهم رضى ذات اشجار وذات انحرافكان فيها





ذلك وكذلك الصدور فيه اعتقادات فهو ذو اعتقاد فيقال له لما كان اعتقاد الصدر بما فيه كالساكن المالك حيث لا يقال الدار ذات زيد وذو دار وما لو ان كان هو فيها ثم قال تعالى هو الذي جعلكم خلايف في الارض تقرير لقطع حجتهم فانهم لما قالوا ربنا اخرجنا نعمل صالحا وقال تعالى اولم نعمركم ما يتذكر اشارة الى التمكين والامهال مدة يمكن فيها المعرفة وقد حصل وما امتن وزاد عليه بقوله تعالى وجاكم النذير اى اتاكم عقولا وارسلنا اليكم من يؤيد المعقول بالدليل المنقول زاد على ذلك بقوله تعالى هو الذي جعلكم خلايف في الارض اى نبهكم بمن مضى واحال من انقضى فانكم لو لم تحصل لكم علم بان من كذب الرسل اهلك لكان عنادكم احق وفسادكم اخف لكن امهلتم وعمرتم وامرتم على لسان الرسل بما امرت وجعلتم خلايف في الارض من خلفه بعد خلفه تعلمون حال الماضين وتصبحون بحالهم راضين فمن كفر بعد هذا كله فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا لان الكافر السابق كان ممقوتا كالعبد الذي لا يخدم سيده والاحق الذي ينذره الرسول ولم ينبه امقت كالعبد الذي ينصحه الناصح ويامره بخدمة سيده ويعده ويوعده ولا ينفعه النصح ولا يسعده والباقي هو الذي راى عذاب من تقدمه ولم يخش عذابه امقت الكل ثم قال تعالى ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا اى الكفر لا ينفع عند الله تعالى حيث لا يزيد الا المقت ولا ينفعهم في انفسهم حيث لا يفيدهم الا الخسار ثم قال تعالى قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله تقرير للتوحيد وابطال للاشراك وقوله تعالى ارايتم المراد منه اخبروني لان الاستفهام يستدعي بقول القايل ارايت ما دام فعل زيد فيقول السامع باع او اشترى ولولا تضمنه معنى اخبروني والا لما كان الجواب الا قوله لا او نعم وقوله شركاءكم انما اضافها اليهم من حيث ان الاصنام في الحقيقة لم يكن شركاء الله وانما هم جعلوها شركاء فقال شركاءكم اى الشركاء بجعلكم ويحتمل ان يقال شركاءكم في النار بقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهو غريب ويحتمل ان يقال هو بعيد لاتفاق المفسرين على الاول وقوله تعالى اروني بدل عن ارايتم لان كلاهما يفيد معنى اخبروني ويحتمل ان يقال قوله تعالى ارايتم استفهام حقيقي واروني امر تعجيز للسبين فلما قال ارايتم يعني اعلمتم هذه التي يدعونها كما هي وعلى ما هي عليهم من العجز او تتوهمون فيها قدرة فان كنتم تعلمونها عاجزة فكيف تعبدونها وان كان وقع لكم ان لها قدرة فاروني قدرتها في اي شي هي اهي في الارض كما قال تعالى بعضهم ان الله اله السما وهو لا الهة الارض وهم الذين قالوا امور الارض من الكواكب والاصنام صورها ام هي في السموات كما قال بعضهم ان السما خلقت باستعانة الملايكة والملايكة شركاء في خلق السموات وهذه الاصنام صورها ام قدرتها في الشفاعة لكم كما قال بعضهم ان ما خلقوا شيا ولكنهم مقربون عند الله فنعبدهم ليشفعوا لنا فهل معهم كتاب من الله فيه اذنه لهم بالشفاعة وقوله تعالى ام اتيناهم كتابا في العايد اليه الضمير وجهان احدهما انه عايد الى ما اى هل اتينا الشركاء كتابا وثانيهما انه عايد الى المشركين اى هل اتينا المشركين كتابا وعلى الاول معناه ما ذكرنا اى هل مع ما جعلتم شركاء كتاب من الله فيه ان لهم شفاعة عند الله فان احدا لا يشفع عنده الا باذنه وعلى الثاني معناه ان عبادة هولا اما بالعقل ولا عقل لمن يعبد من الخلق من الارض جزا من الاجزا ولا في السما شيا من الاشيا ونحن اتينا المشركين كتابا فيه امرنا بالسجود لهولا ولو امرنا كما امرنا بالسجود لادم والى الجهة الكعبة فهذه العبادة لا عقلية ولا نقلية فوعد بعضهم بعضا ليس الا غرورا غرهم الشيطان وزين لهم عبادة الاصنام ثم لما بين انه لا خلق للاصنام ولا قدرة لها ولا على جزء من الاجزاء بين ان الله تعالى قدير بقوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولين زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا واقسموا بالله جهد ايمانهم لين جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا في الارض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا

**اعلم** انه يحتمل ان يقال لما بين شركهم قال مقتضى شركهم زوال السموات والارض كما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ويدل على هذا قوله تعالى في آخر الآية انه كان حليما غفورا اما سلم بعد سهم الانهم وانما كانوا يستحقون اسقاط السما وانطباق الارض عليهم وانما اخر ازالة السموات بقيام الساعة حلما ويحتمل وجها ثالثا وهو ان يكون ذلك من باب التسليم وبيان المطلوب على تقرير التسليم ايضا كانه قال تعالى شركاؤكم ما خلقوا من الارض شيا ولا من السما جزا ولا قدروا على الشفاعة فلا عبادة لهم وهب انهم فعلوا شيا من الاشيا فهل يقدرون على امساك والارض ولا يمكنهم القول بانهم فعلوا شيا يقدرون لانهم ما كانوا يقولون به كما قال تعالى عنهم ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ويؤيد هذا قوله تعالى ولين زالتا ان امسكهما من احد من بعده فاذا تبين ان لا معبود الا الله من حيث ان غيره لم يخلق شيا من الاشيا وان قال كافر بان غيره خلق فما خلق مثل ما خلق فلا شريك له انه كان حليما غفورا حليما حيث لم يعجل في اهلاكم بلا اصرارهم على اشراكهم وغفورا لمن تاب ويرحمه وان استحق العقاب ثم قال تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لما بين انكارهم للتوحيد ذكر تكذيبهم للرسول ومبالغتهم فيه حيث كانوا يقسمون على انهم لا يكذبون الرسول اذا تبين لهم كونه رسولا وقالوا انما نكذب محمدا صلى الله عليه وسلم لكونه كاذبا ولو تبين لنا كونه رسولا لامنا كما قال تعالى عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لين جاءتهم اية ليومنن بها وهذا مبالغة منهم في التكذيب كان من ينكر دين انسان قد يقول والله لو علمت له سيا على لعصيته له وزدت له اظهارا لكونه مطالبا بالباطل فلذلك هاهنا عايدوا وقالوا لو جانا رسول لكنا اهدى منهم فلما جاءهم نذير اي محمد صلى الله عليه وسلم جاءهم اي صح مجيئه لهم بالبينة ما زادهم الا نفورا فانهم قبل الرسالة كانوا كافرين بالله وبعدها صاروا كافرين بالله وبرسوله ولانهم قبل الرسالة ما كانوا معذبين كما صاروا بعد الرسالة وقال بعض المفسرين ان اهل مكة كانوا يلعنون اليهود والنصارى على انهم كذبوا برسلهم لما جاءهم وقالوا لو جانا رسول لاطعناه واتبعناه وهذا فيه اشكال من حيث ان المشركين كانوا منكرين للرسالة

والخبر مطلقا فكيف كانوا يعترفون بالرسالة قلنا هذا عرفوا ان اليهود كذبوا وما جاءهم كتاب ولولا كتاب الله تعالى وبيان رسوله من اين كانوا يعلمون المشركون انهم حرفوا شيئا وكذبوا في نبي بل المراد ما ذكرنا انهم كانوا يقولون نحن لو جاءنا رسول لا ننكره وانما ننكر كون محمد رسولا من حيث انه كاذب ولو صح كونه رسولا لآمنا وقوله تعالى فلما جاءهم نذير اي فلما صح لهم مجيئه بالمعجزة وفي قوله تعالى اهدى وجهان احدهما ان يكون المراد اهدى مما نحن فيه وعلى هذا فقوله من احدى الامم للتبيين كما يقول القائل زيد من المسلمين ويدل على هذا قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا اي صاروا اضل مما كانوا يقولون نكون اهدى وثانيهما ان المراد لنكونن اهدى من احدى الامم كما يقول القائل زيد اولى من عمرو وفي الامم وجهان احدهما ان يكون المراد العموم اي اهدى من احدى الامم نفرض وثانيهما ان يكون المراد تعريف العهد اي امة محمد وعيسى وما كان في زمانهم ثم قال تعالى استكبارا في الارض وثانيها ان يكون مفعولا له اي للاستكبار وثالثها ان يكون بدلا عن النفور وقوله تعالى ومكر السيء اضافة الجنس الى نوعه كما يقال علم الفقه وحرفة الحدادة وتحقيقه ان يقال معناه ومكروا مكرا سيئا ثم عرف لظهور مكرهم ثم ترك التعريف باللام واضيف الى السيء لكون السوء فيه ابين الامور ويحتمل ان يقال بان المكر يستعمل استعمال العمل كما ذكرنا في قوله تعالى والذين يمكرون السيئات اي يعملون السيئات ومكرهم السيء وهو جميع ما كان يصدر منهم من القصد الى الايذاء ومنع الناس من الدخول في الايمان واظهار الانكار ثم قال تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله اي لا يحيط الا وباله عليه وفي قوله تعالى لا يحيق وقوله الا باهله فوايد اما في قوله تعالى يحيق فهي انها تنبئ عن الاحاطة التي هي فوق اللحوق وفيه من التحذير ما ليس في قوله ولا يلحق او لا يصل واما في قوله باهله ففيه ما ليس في قول القايل ولا يحيق المكر السيء الا بالماكر كيلا يامن المسيء فان من اساء ومكر مسيء قد يلحقه جزاء على سيئته واما اذا لم يكن مسيئا فلا يكن اهلا فامن من المكر السيء واما في النفي والاثبات ففايدة الحصر بخلاف ما يقول القايل المكر السيء يحيق باهله فلا ينبئ عن عدم الحيق بغير اهله فان قال قايل كثيرا ما نرى ان الماكر يمكر ويفيده المكر ويغلب الخصم بالمكر والآية تدل على عدم ذلك فنقول الجواب عنه من وجوه احدها ان المكر المذكور في الآية هو المكر الذي مكروه مع النبي صلى الله عليه وسلم من العزم على القتل والاخراج ولم يحق الا بهم حيث قتلوا يوم بدر وغيره وثانيها وهو ان نقول المكر السيء عام وهو الاصح فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المكر واخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيء الا باهله وعلى هذا فذلك الرجل الممكور به يكون اهلا فلا يرد نقضا وثالثها ان الامور بعواقبها ومن مكر غيره ونفذ فيه المكر عاجلا في الظاهر ففي الحقيقة هو الفايز والماكر هو الهالك وذلك راحة الكافر ومشقة المسلم في الدنيا ويبين هذا المعنى قوله تعالى فهل ينظرون الا سنة الاولين يعني اذا كان المكر في الحال رواج فالعاقبة للتقوى والامور بخواتيمها فيهلكون كما اهلك الاولون وقوله تعالى فهل ينظرون الا سنة الاولين اي ليس لهم بعد هذا الا انتظار الاهلاك وهو سنة الاولين وفيه مسايل

المسئلة الاولى الاهلاك ليس سنة الاولين انما هو سنة الله بالاولين فنقول الجواب عنه من وجهين احدهما ان المصدر الذي هو المفعول المطلق يضاف الى الفاعل والمفعول لتعلقه بهما من وجه دون وجه فيقال فيما اذا ضرب زيد عمرا عجبت من ضرب عمرو كيف ضرب مع ماله من العلو والقوة وعجبت من ضرب وكيف ضرب مع ماله من العلم والحكمة فكذلك سنة الله بهم اضافها اليهم لانها سنة سنت بهم واضافها الى نفسه بعدها بقوله تعالى فلن تجد لسنة الله لانها سنة من الله اذا علمت من افعل هذا فنقول اضافها في الاول اليهم حيث قال سنة الاولين لان سنة الله الاهلاك بالاشراك والاكرام على الاسلام فلا يعلم انهم ينتظرون ايهما فاذا قال سنة الاولين تميزت وفي الثاني اضافها الى الله تعالى لانها لما علمت فالاضافة الى الله تعظمها وتبين انها امر واقع ليس لها من دافع وثانيهما ان المراد من سنة الاولين استمرارهم على الانكار واستكبارهم عن الاقرار وسنة الله تعالى استيصالهم باصرارهم وكانه قال انتم تريدون الاتيان بسنة الاولين والله ياتي بسنته لا تبديل لها ولا تحويل عن مستحقها

المسئلة الثانيه التبديل تحويل فما الحكمة في التكرار فنقول بقوله تعالى فلن تجد لسنة الله تبديلا حصل العلم بان العذاب مع انه لا تبديل بالثواب لا تحويل عن مستحقه الى غيره فيتم تهديد المسيء

المسئلة الثالثة المخاطب بقوله تعالى فلن تجد لسنة الله يحتمل ان يكون مع محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فكانه قال سنة الله انه لا يهلك ما بقي في القوم من كتب الله ايمانه فاذا امن من في علم الله انه يؤمن اهلك الباقين كما قال نوح عليه السلام انك ان تذرهم اي تمهلهم لا مرجوا وقت هلكهم والله اعلم

قوله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا

اعلم انه تعالى لما ذكر ان للاولين سنة وهي الاهلاك نبههم بتذكير حال الاولين فانهم كانوا مارين على ديارهم رايين لآثارهم وامل من كان قبلهم كان فوق املهم وعملهم كان دون عملهم اما الاول فلطول اعمارهم وشدة اقتدارهم واما عملهم فلانهم لم يكذبوا محمدا ولا محمدا وانتم يا اهل مكة كذبتم محمدا ومن تقدمه وقوله تعالى وكانوا اشد منهم قوة قد ذكرناه في سورة الروم وبحثنا فيه ابحاث البحث الاول قال هناك وكانوا اشد منهم قوة وقال هاهنا وكانوا اشد منهم قوة فما الفرق فنقول قول القايل اما رايت زيدا كيف اكرمني وهو اعظم منك يفيد ان القايل يخبر بان زيدا اعظم اذا قال اما رايت كيف اكرمني وهو اعظم منك يفيد انه يعترف بمعنيين حاصل عند السامع كانه راه اكرمه وراه اكثر منه ولا شك في ان هذه العبارة الاخيرة تفيد كون الامر الثاني في الظهور مثل الاول بحيث لا يحتاج الى اعلام من المتكلم ولا اخبار اذا علمت هذا فنقول المذكور هاهنا كونهم اشد منهم قوة لا غير ولعل ذلك كان ظاهرا عندهم فقال بالواو اي نظرتم كما تقع على عاقبة امرهم تقع على قوتهم واما هناك المذكور اشياء كثيرة فانه قال كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها وفي موضع اخر قال اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض ولعل علمهم لم يحصل بآثارهم او اكثر منهم ولكن بنقل قوم وجمالهم فما علمهم كان معلوما عندهم فان كل طايفة تعتقد فيمن تقدمها انه اقوى منه ولا شك

فيه وقوله

فيه وقوله تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء يحتمل وجهين احدهما ان يكون بيانا لهم ان الاولين مع شدة قوتهم ما اعجزوا الله وما فاتوه فهم اولى بان لا يعجزوه والثاني ان يكون قطعا لاطماع الجهال فان قايلا لو قال بلسان الاولين كانوا اشد قوة واطول اعمارا لكان يستخرج لذلك لنا ما يزيد على قواهم وسعيهم بامور ارضية لها خواص او بكواكب سماوية لها آثار فقال تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما بافعالهم واقوالهم قديرا على اهلاكهم ثم قال تعالى ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة لما خوف الله تعالى المكذبين بمن مضى وكانوا من شدة عنادهم وفساد اعتقادهم يستعجلون بالعذاب ويقولون عجل لنا عذابنا فقال الله تعالى اجل والله لا يواخذ الناس بنفس الظلم فان الانسان ظلوم جهول وانما يواخذ بالاصرار وحصول تاثير الناس عن ايمانهم وحصول الايمان ممن كتب الله ايمانه فاذا لم يبق منهم من يؤمن من هلك المكذبين ولو اخذهم بنفس الظلم لكان كل يوم اهلاك وفيه مسايل

المسئلة الاولى اذا كان الله تعالى يواخذ الناس بما كسبوا فما بال الدواب لا هلكوا فنقول الجواب من وجوه احدها ان خلق الدواب نعمة فاذا كفر الناس يزيل الله تعالى النعم والدواب اقرب النعم لان المفرد اولا ثم المركب اما ان يكون معدنا واما ناميا والنامي اما ان يكون حيوانا واما ان يكون نباتا والحيوان اما انسان او غير انسان فالدواب اعلى درجات المخلوقات في عالم العناصر للانسان الثاني هو ان ذلك بيان لشدة العذاب وعمومه فان بقاء الاشياء بالانسان كما ان بقاء الانسان بالاشياء وذلك لان الانسان يدبر الاشياء ويصلحها فيبقى الاشياء ثم ينتفع بها الانسان فيبقى الانسان فاذا كان الهلاك عاما لا يبقى من الانسان اماما عن التلف والهلاك من نعم فلا يبقى الابنية والزروع فلا تبقى الحيوانات الاهلية لان بقاءها بحفظ الانسان اياها عن التلف والهلاك بالسقي والعلف الثالث هو ان انزال المطر هو انعام من الله تعالى في حق العباد فاذا لم يستحقوا العقاب وقطعت الامطار عنهم فيظهر الجفاف على وجه الارض فيموت جميع الحيوانات وقوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة يوجد الوجه الثالث لان بسبب انقطاع الامطار يموت حيوانات البر اما حيوان البحر فيعيش بماء البحار

المسئلة الثانية قوله على ظهرها كناية عن الارض وهي غير مذكورة فكيف علم نقول مما تقدم ومما تاخر اما ما تقدم فقوله تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض فهو اقرب المذكورات الصالحة لعودها اليها واما ما تاخر فمعقولة من دابة لان الدبيب على ظهر الارض فان قيل كيف يقال لما عليه الخلق من الارض وجه الارض وظهر الارض مع ان الوجه مقابل الظهر كالمضاد نقول من حيث ان الارض كالدابة الحاملة للاثقال والحمل يكون على الظهر في مقابلة البطن والظهر والظاهر من باب والباطن من باب فوجه الارض ظهر لانه هو الظاهر وغيره منها باطن وبطن الثالثة قوله تعالى يؤخرهم الى اجل مسمى وجوه احدها الى يوم القيامة وهو مسمى مذكور في كثير من المواضع باسمه يوم لا يوجد فيه الخلق من بقي على ما تقدم بانها لكل امة اجل ولكل امة كتاب واجل قوم محمد صلى الله عليه وسلم ايام القتل والاسر كيوم بدر وغيره الرابعة قوله تعالى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا تسلية للمؤمنين وذلك لانه تعالى لما قال ما ترك على ظهرها من دابة وقال تعالى لا تصيبن الذين ظلموا خاصة فقال فاذا جاء الهلاك فالله بالعباد بصير اما ان ينجيهم او يكون توفيهم تقربا من الله تعالى لا تعذيبا لا يقال قد ذكرت ان الله لا يواخذ بمجرد الظلم وانما يواخذ حين يجتمع على الضلال ويقول بانه تعالى عند الاهلاك يهلك المؤمن فكيف هذا نقول قد ذكرنا ان الاماتة والافناء ان كان للتعذيب فهو مواخذة بالذنب والاهلاك وان كان لايصال الثواب فليس باهلاك ولا مواخذة والله لا يواخذ الناس الا عند عموم الكفر وقوله بصيرا لفظ تم في التسلية من العلم وغيره لان البصير بالشيء الناظر اليه اولى بالايجاد من العالم بحاله دون ان يراه والله تعالى اعلم

يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون

اعلم انا قد ذكرنا كلاما كليا في حروف التهجي في سورة العنكبوت وذكرنا ان في كل سورة بدأ الله تعالى فيها بحروف التهجي كان في اوايلها الذكر او الكتاب او القرآن ولنذكر هاهنا ابحاثا البحث الاول هو ان في ذكر هذه الحروف في اوايل السور امورا تدل على انها غير خالية عن الحكمة ولكن علم الانسان لا يصل اليها بعينها فنقول ما هو الكلي من الحكمة فيها اما بيان ان فيها ما يدل على الحكمة هو ان الله تعالى ذكر من الحروف نصفها وهي اربعة عشر وهي نصف ثمانية وعشرين حرفا هي جميع الحروف التي في لسان العرب على قولنا الهمزة الف متحركة ثم انه تعالى قسم الحروف ثلاثة اقسام تسعة احرف من الالف الى الذال وتسعة احرف في اخر الحروف من الفاء الى الياء وعشرة من الوسط من الراء الى العين وذكر من القسم الاول حرفين هو الالف والحاء وترك سبعة وترك من القسم الاخر حرفين هما الفاء والواو وذكر سبعة ولم يترك من القسم الاول من حروف الحلق والصدر الا واحدا لم يذكره وهو الخاء ولم يذكر من القسم الاخر من حروف الشفة الا واحدا لم يتركه وهو الميم والعشرة الاوسط ذكرها حرفا وترك حرفا فذكر الراء وترك الزاي وذكر السين وترك الشين وذكر الصاد وترك الضاد وذكر الطاء وترك الظاء وذكر العين وترك الغين وليس هذا امرا يقع اتفاقا بل هو ترتيب مقصود فهو الحكمة واما ان عينها غير معلومة فظاهر وهب ان واحدا يدعي فيه شيئا مما نقول في بعض بعض كون السور مفتتحة بحرف كسورة ن وق وص وبعضها بحرفين وبعضها باربعة احرف كسورة حم وطس وطسم وبعضها بثلاثة احرف كسورة الم وطسم والف وبعضها باربعة احرف كسورة المر والمص وبعضها بخمسة احرف كسورتي حمعسق وكهيعص

وهيان فايده يقول ان هذه الاشارة الى ان الكلام اما حرف واما فعل واما اسم والحرف كثيرا اما ما جا على حرف واو العطف وفا التعقيب
وهمزة الاستفهام وكاف التشبيه وباء الالصاق وغيرها وجا على حرفين كمن للتبعيض وللتحسر وام الاستفهام المتوسطة وان الشرطية وغيرها
والاسم والفعل والحرف جا على اربعة احرف والاسم خاصة جا على ثلثة واربعة وخمسة كنخل وسحل وجردحل فما جا في القران اشارة
الى ان تركيب العربية من هذه الحروف على هذه الوجوه فما ذا يقول هذا القايل في تخصيص بعض السور بالحرف الواحد والبعض باكثر ثم نقول
اتمام الكلام الله تعالى ومن اعلمه الله تعالى به اذا علمت هذا فنقول اعلم ان العبادة منها قلبية ومنها لسانية ومنها جارحة
وكل واحدة منها قسمان قسم عقل معناه وحقيقته وقسم ما يعلم دليله عقلا وانما وجب الايمان والاعتقاد سمعا كاشتراط الذي
ادق من الشعرة واحد من السيف ويمر عليها المومن والموقن كالبرق الخاطف والميزان التي توزن به الاعمال التي لا ثقل بها في نظر الناظر
ونعمات الجنة والنار فان هذه الاشيا وجودها لم يعلم بدليل عقل وانما المعلوم بالنقل امكانها ووقوعها معلوم مقطوع به بالسمع ومنها
ما علم كالتوحيد والنبوة وقدرة الله تعالى وصدق الرسول وكذلك في العبادات الخارجية ما علم معناه وما لم يعلم كمقادير النصب وعدد الركعات
وقد ذكرنا الحكمة فيه وهي ان العبد اذا اتى بما امر به من غير ان يعلم ما فيه من الفايدة لا يكون اتيا الا لمحض العبادة بخلاف
ما لو علم الفايدة فربما ياتي به للفايدة وان لم يومر كما لو قال السيد هذه الحجارة من هاهنا ولم يعلم ما في النقل
فنقلها ولو قال انقلها فان تحتها كنزا هو لك ربما نقلها وان لم يومر اذا علم هذا فكذلك في العبادات اللسانية الذكرية وجب
ان يكون ما لا يفهم معناه حتى اذا تكلم به العبد علم منه انه لا يقصد غير الانقياد لامر المعبود الامر الناهي فاذا قال يس
طس حم علم انه لا يذكر ذلك لمعنى يفهمه او يفهمه فهو يتلفظ به اقامة لما امر به البحث الثاني قيل في خصوص
يس انه كلام هو ندا معناه يا انسان وتقريره هو ان تصغير انسان انيسين فكانه حذف الصدر منه واخذ العجز
وقال يس اي يا انيسين وعلى هذا يحتمل ان يكون الخطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى بعده انك لمن
المرسلين البحث الثالث قرئ يس اما بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف هو قوله هذه كانه قال هذه يس واما بالضم على النداء
او على انه مبني كحيث وقرئ يس اما بالنصب على معنى اتل يس واما بالفتح كاين وكيف واما بالكسر لحركة مكان اليا وكسرة ما قبلها
ولا يجوز ان يقال بالجر لان اضمار الجار غير جايز وليس فيه حرف قسم ظاهر وقوله تعالى والقران الحكيم اي ذي الحكمة كعيشة راضية
اي ذات رضى او على انه ناطق بالحكمة فهو كالحي المتكلم وقوله تعالى انك لمن المرسلين مقسم عليه وفيه مسايل المسلة الاولى
الكفار انكروا كون محمد رسولا والمطالب تثبت بالدليل لا بالقسم فما الحكمة في الاقسام فنقول فيه وجوه الاول هو ان العرب كانوا
يتوقون الايمان الفاجرة وكانوا يقولون بان اليمين الفاجرة توجب خراب العالم وصحح النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
بقوله اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع ثم انهم كانوا يقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم يصيبه عذاب بما كان يقول
من الهتهم عذابه من الكواكب وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحلف بامر الله وانزال كلامه عليه وباشيا مختلفة وما كان
يصيبه عذاب بل كان كل يوم ارفع شانا وامنع مكانا فكان ذلك يوجب اعتقاد انه ليس بكاذب الثاني هو ان المتناظرين اذا وقع
بينهما كلام وغلب احدهما الاخر بتمشية دليله واسكته يقول المغلوب انك قررت هذا بقوة جدالك وانت خبير في نفسك بضعف
مقالك وتعلم ان الامر ليس كذلك وان اقمت عليه صورة وعجزت انا عن القدح فيه وهذا كثير الوقوع بين المتناظرين فعند هذا
لا يجوز ان ياتي هو بدليل اخر لان الساكت المنقطع يقول في الدليل الاخر ما قاله في الاول فلا يجد امرا الا اليمين فيقول والله اني
مكابر وان الامر على ما ذكرت ولو علمت خلافه لرجعت اليه فهاهنا يتعين اليمين فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم اقام البراهين
وقالت الكفرة ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم وقالوا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر يعني التمسك بالايمان لعدم فايدة الدليل
الثالث هو ان هذا ليس مجرد الحلف وانما هو دليل في صورة اليمين لان القران معجزة ودليل كونه مرسلا هو المعجزة والقران كذلك فان قيل فلم ذكر
في صورة الدليل وما الحكمة في ذكر الدليل في صورة اليمين قلنا الدليل اذا ذكر لا في صورة اليمين قد لا يقبل عليه السامع فلا يقبله فواده فاذا
ابتدا به على صورة اليمين واليمين لا يقع لا سيما من العظيم الا على امر عظيم والامر العظيم تتوفر الدواعي على الاصغا اليه فلعظمه
اليمين يتراى للسامع اجادة كونه دليلا شافيا يتجرد له الفواد فيقع في السمع وينفع في القلب المسلة الثانية كون القران حكيما
عندهم لكون محمد رسولا فلم لم يقولوا انه ليس بقسم الجواب عنه من وجهين احدهما ان كون القران معجزة بين ان انكروه قيل لهم
فاتوا بسورة من مثله والثاني ان العاقل لا يسوي بين غيره الا اذا حلف بما يعتقد عظمته فالكافر ان حلف بمحمد يصدقه
كما يصدقه لو حلف بالصليب والصنم ولو حلف بربنا الحق لا يثق بمثل ما يثق لو حلف بدينه الباطل وكان من المعلوم
ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يعظمون القران فحلفه به هو الذي يوجب نفعهم به وقوله تعالى على صراط مستقيم
خبر بعد خبر اي انك على صراط مستقيم والمستقيم اقرب الطرق الموصلة الى المقصد والدين كذلك فانه توجه الى الله
تعالى وترك من غيره والمقصد هو الله تعالى والمتوجه الى المقصد اقرب منه من المولى عنه والمتحير فيه ولا نذهب
ثم احد الى ان قوله انك منهم على صراط مستقيم مميز له عن غيره كما يقال ان محمدا من الناس مجتبى لان جميع المرسلين
على صراط مستقيم والمقصود بيان كون النبي صلى الله عليه وسلم على الصراط المستقيم الذي يكون عليه المرسلون
وقوله على صراط مستقيم فيه معنى لطيف يعلم منه فساد قول المباحية الذين يقولون ان المكلف يصير واصلا الى الحق فلا يبقى
عليه تكليف وذلك من حيث ان الله تعالى بين ان المرسلين ما داموا في الدنيا ثم سالكون سايرون مهتدون و
منتهجون لسبيل المستقيم فكيف ذلك الجاهل المتعاجز وقوله تعالى تنزيل العزيز الرحيم قرئ بالجر على انه بدل من القران

كانه قال

كانه قال القران الحكيم تنزيل العزيز الرحيم انك من المرسلين لتنذر وقرئ بالنصب وفيه وجهان احدهما مصدر فعله منوي كانه قال نزل
تنزيل العزيز الرحيم لتنذر ويكون تقديره نزل القران او الكتاب والثاني انه مفعول منوي كانه قال هذا تنزيل العزيز الرحيم لتنذر ويحتمل وجها
اخر على هذه القراة وهو ان يكون مبتدا خبره لتنذر وكانه قال تنزيل العزيز للانذار وقوله العزيز الرحيم اشارة الى ان الملك اذا ارسل رسولا
فالمرسل اليهم اما ان يخالفوا المرسل ويهينوا المرسل وحينئذ لا يقدر الملك على اسقاطهم الا اذا كان عزيزا او يخافون المرسل و
يكرمون الرسل وحينئذ يرحمهم الملك ويقول المرسل يكون معه في رسالته منع اشيا واطلاق اشيا فالمنع لدليل العزة والاطلاق
بدليل على الوجه وقوله تعالى لتنذر قوما ما انذر وقيل المراد الاثبات وهو على وجهين احدهما قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر
اباؤهم فيكون ما مصدرية الثاني ان يكون ما موصولة معناه لتنذر قوما الذي انذر اباؤهم ثم غافلون على قولنا ما نافية
تفسيره ظاهر فان من لم ينذر اباؤه بعد الانذار عليه فهو يكون غافلا وعلى قولنا هي للاثبات كذلك لان معناه لتنذرهم
انذار اباهم فانهم غافلون وفيه مسايل المسلة الاولى كيف يفهم التفسيران احدهما يقتضي ان لا يكون اباؤهم منذرين والاخر
يقتضي ان يكونوا منذرين وبينهما تضاد نقول على قولنا ما نافية معناه ما انذر اباؤهم وانذر اباؤهم الاولين ولا ينافي ان
ان يكونوا المتقدمون من ابائهم منذرين والمتاخرون منهم غير منذرين المسلة الثانية قوله تعالى لتنذر قوما
ما انذر اباؤهم يقتضي ان لا يكون النبي صلى الله عليه وسلم مامورا بانذار اليهود لان اباهم انذروا نقول ليس كذلك اما على
قولنا ما للاثبات فلا للنفي فظاهر واما على قولنا هي نافية فلذلك وقد بينا في قوله تعالى بل هو الحق من ربك لتنذر قوما
ما اتاهم من نذير من قبلك وقلنا ان المراد ان اباهم قد انذروا بعد ضلالهم وبعد ارسال من تقدم فان الله تعالى اذا ارسل رسولا
فما دام في القوم من يبين دين ذلك النبي ويامر به ولا يرسل الرسول في اكثر الامر فاذا لم يبق فيهم من يبين ونسي الكل وتباعد
العهد وانسوا الكفر بعث رسولا اخر معيدا الدين من كان او واضعا شرعا اخر معنى قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر اباؤهم
اي ما انذروا بعدما ضلوا عن طريق المتقدم واليهود والنصارى [illegible] لانهم لم تنذر اباؤهم الادنون بعد ما ضلوا
فهذا يدل على كون النبي صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الخلق كافة المسلة الثالثة قوله تعالى فهم غافلون دليل على ان
البعثة لا يكون الا عند الغفلة اما ان حصل لهم العلم بما انزل الله تعالى بان يكون فيهم من يبلغهم شريعته ويخالفونه يحق عليهم الهلاك
ولا يكون ذلك بعذاب من قبل ان يبعث الله رسولا وكذلك من خالف الامور التي لا تفتقر الى بيان الرسل بعثه يستحق الهلاك
من غير وليس هذا قولا بمذهب المعتزلة من التحسين والتقبيح العقلي بل معناه ان الله تعالى لو خلق في قوم علما بوجوب الاشيا
لا يكونوا غافلين فلا يتوقف تعذيبهم على بعثة الرسل ثم قال تعالى لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يومنون لما بين ان الارسال او الانزال
للانذار اشارة الى ان النبي صلى الله عليه وسلم الهداية المستلزمة للاهتدا وانما عليه الانذار وقد لا يومنون المنذرين كثيرا وفي قوله
تعالى لقد حق القول وجوه المشهور ان المراد من القول هو قوله تعالى حق القول مني لاملان جهنم منك وممن تبعك الثاني هو ان معناه
لقد سبق في علمه ان هذا يومن وان هذا لا يومن فقال في حق البعض انه لا يومن وقال في حق غيره انه يومن فحق القول اي قضي وثبت بحيث
لا يبدل بغيره والثالث وهو ان يقال المراد منه لقد حق القول الذي قاله الله تعالى على لسان الرسل من التوحيد وغيره وبان برهانه
فاكثرهم لا يومنون بعد ذلك لان من يتوقف لاستماع الدليل في مهلة النظر يرجى منه الايمان اذا كان له البرهان فاذا تحقق واكثر
بالايمان ولم يومن اكثرهم فاكثرهم يبين انهم لا يومنون لمضي وقت رجا الايمان ولانهم لما لم يومنوا عند ما حق القول واستمروا
فان كانوا يريدون شيا اوضح من البرهان فهو العيان وعند العيان لا يفيد الايمان وقوله على اكثرهم على هذا الوجه معناه ان من
لم يبلغه الدعوة والبرهان قليلون يحق القول على اكثرهم من لم يوجد منه الايمان وعلى الاول والثاني ظاهر فان اكثر الكفار
ماتوا على الكفر ولم يومنوا وفيه وجه رابع وهو ان يقال لقد حقت كلمة العذاب العاجل على اكثرهم فهم لا يومنون وهو قريب
من الاول ثم قال تعالى انا جعلنا وفيه وجوه احدها ان المراد انا جعلناهم ممسكين لا ينفقون في سبيل الله كما قال تعالى
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك الثاني ان الاية نزلت في ابي جهل وصاحبيه المخزوميين حيث حلف ابو جهل انه يرضخ
راس محمد فراه ساجدا فاخذ صخرة ورفعها ليرسلها على راسه فالتزقت بيده ويده بعنقه والثالث هو الاقوى والاشد مناسبة
لما تقدم وهو ان ذلك كناية عن منع الله اياهم عن الاهتدا وفيه مسايل المسلة الاولى هل بين الوجهين الاولين مناسبة مع
ما تقدم من الكلام نقول الوجه الاول له مناسبة وهي ان قوله تعالى فهم لا يومنون يدخل فيه انهم لا يصلون كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وكما قال تعالى ليضيع ايمانكم اي صلاتكم عند بعض المفسرين والزكاة مناسبة الصلوة على ما بينا فكانه قال لا يصلون ولا يزكون
واما على الوجه الثاني فمناسبة خفية وهي انه تعالى لما قال لقد حق القول على اكثرهم وذكرنا ان المراد به البرهان قال بعد ذلك بل عاينوا
وابصروا ما يقرب من الضرورة حيث التزقت يده بعنقه ومنعه من ارسال الحجر وهو يضطر الى الايمان ومن لم يومن علم انه لا يومن اصلا
والتفسير هو الوجه الثاني المسلة الثانية فهي راجعة الى ماذا نقول فيه وجهان احدهما انها راجعة الى الايدي وان كانت غير
مذكورة ولكنها معلومة لان المغلول يكون يده مجموعة في الغل الى العنق وثانيهما وهو ما اختاره الزمخشري انها راجعة الى الاغلال
معناه انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ثقالا غلاظا بحيث تبلغ الى الاذقان فلم يتمكن المغلول معها من ان يطاطئ راسه المسلة الثالثة
كيف يفهم من الجعل في العنق المنع من الايمان حتى يجعل كناية نقول المغلول الذي بلغ الغل ذقنه وبقي مقمحا رافع الراس لا يبصر الطريق
الذي عند قدمه وذكر بعده وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فهو لا يقدر على انتهاج السبيل ورؤيته وقد ذكرنا ان الرسل
على صراط مستقيم فهذا الذي هديه النبي الى الصراط المستقيم الفعلي جعل ممنوعا كالمغلول الذي يجعل ممنوعا من ابصار الطريق الحسي

ويحتمل وجها آخر وهو ان يقال الاغلال في الاعناق عبارة عن عدم الانقياد فان المنقاد يقال فيه انه وضع راسه في الخط وخضع عنقه والذي في رقبته
الغل الثخين الى الذقن لا يطاطي راسه ولا يحركه تحريك المصدق ويصدق وهذا قوله مقمحون فان المقمح هو الرافع راسه قلنا كالمتني يقال
بمعنى قامح اذا رفع راسه فلم يشرب الماء ولم يطاطي للشرب والايمان كالماء الذلال الذي به الحياة وكانه تعالى قال انا جعلنا في اعناقهم اغلالا
فهم مقمحون لا يضعون الرقاب لامر الله تعالى وعلى هذا فقوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا يكون متمما
لمعنى جعل الله تعالى اياهم مغلولين لان قوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا اشارة الى انهم لا يهتدون سبيل الرشاد فكانه قال
لا يبصرون الحق فينقادون له لمكان السد ولا ينقادون لك فيبصرون الحق لمكان الغل والايمان المورث للانقياد اما باتباع الرسول
اولا فيلوح له الحقايق ثانيا واما بظهور الامور اولا واتباع الرسول ثانيا ولا يتبعون الرسول اولا لانهم مغلولون فلا تظهر لهم
الحق من الرسول ثانيا وفيه وجه آخر وهو ان يقال المانع اما ان يكون في النفس واما ان يكون خارجا عنها ولهم المانعان جميعا من الايمان
اما في النفس فالغل واما من الخارج فالسد لا يقع نظرهم على انفسهم فيرون الآيات التي في انفسهم كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق
وفي انفسهم وذلك لان المقمح لا يرى نفسه ولا يقع نظره على بدنه ولا يقع نظرهم على الآفاق لان من بين السدين لا يبصرون الآفاق
فلا تبين لهم الآيات التي في الآفاق وعلى هذا فقوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم وجعلنا من بين ايديهم اشارة الى عدم هدايتهم
لآيات الله في الانفس والآفاق وفي قوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا وفيه مسايل المسألة الاولى السد من بين الايدي
ذكره ظاهر الفايدة فانهم في الدنيا سالكون وينبغي ان يسلكوا الطريقة المستقيمة ومن بين ايديهم سدا فلا يقدرون على
السلوك واما السد من خلفهم فما فايدته فنقول الجواب عنه من وجوه الاول هو ان الانسان له هداية فطرية والكافر قد يتركها وهداية
نظرية والكافر ما ادركها فكانه تعالى يقول جعلنا من بين ايديهم سدا فلا يسلكون طريق الاهتداء التي هي نظرية وجعلنا من خلفهم
سدا فلا يرجعون الى الهداية الجبلية التي هي فطرية الثاني هو ان الانسان مبداه من الله ومصيره اليه فعمى الكافر لا يبصر ما بين يديه من المصير الى الله
تعالى ولا ما خلفه من الدخول في الوجود بخلق الله تعالى الثالث هو ان السالك اذا لم يكن له بد من سلوك طريق فان انسد الطريق الذي قدامه
يفوته المقصد واليه يرجع واذا انسد الطريق من خلفه ومن قدامه والموضع الذي هو فيه لا يكون موضع اقامة مهلك فقوله تعالى وجعلنا
من بين ايديهم سدا ومن خلفهم اشارة الى اهلاكهم المسألة الثانية قوله تعالى فاغشيناهم بحرف الفاء يقتضي ان يكون الاغشاء
بالسد له تعلق ويكون الاغشاء مترتبا على جعل فكيف ذلك فنقول ذلك من وجهين احدهما ان يكون ذلك بيانا لامور مترتبة يكون
بعضها سببا للبعض فكانه تعالى قال انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فلا يبصرون انفسهم وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم
سدا فلا يبصرون ما في الآفاق وحينئذ يمكن ان يروا السماء وما على يمينهم وشمالهم فقال بعد هذا كله وجعلنا على ابصارهم غشاوة
فلا يبصرون شيئا اصلا وثانيهما هو ان ذكر السد بيان لكون السد قريبا منهم بحيث يصير ذلك كالغشاوة على ابصارهم فان من جعل من خلفه
ومن قدامه سدين ملتزقين به بحيث يبقى بينهما ملتزقا بهما تبقى عينه على سطح السد فلا يبصر شيئا اما غير السد فللحجاب
واما عين السد فلكون شرط المرئي ان لا يكون قريبا من العين جدا المسألة الثالثة ذكر السد من بين الايدي ومن خلف ولم يذكر من اليمين والشمال
ما الحكمة فيه فنقول اما على قولنا انه اشارة الى الهداية الفطرية والنظرية فظاهر واما على غيره فلانه بما ذكر حصل العموم والمنع من انتهاج
المناهج المستقيمة لانهم ان قصدوا السلوك الى جانب اليمين او جانب الشمال صاروا متوجهين الى شيء ومولين عن شيء فصار الذي توجهوا اليه
ما بين ايديهم فيجعل الله تعالى السد هناك فيمنعه من السلوك فكيفما يتوجه الكافر يجعل الله بين يديه سدا ووجه آخر احسن
مما ذكرنا وهو انا لما بينا ان جعل الله تعالى صار سببا للاغشاء كان السد ملتزقا به وهو ملتزق بالسدين فلا قدرة له على الحركة يمنة
ولا يسرة فلا حاجة الى السد عن اليمين وعن الشمال وقوله تعالى فاغشيناهم فهم لا يبصرون يحقق ما ذكرنا انهم لا يبصرون شيئا ويحتمل ان يكون
المراد هو ان الكافر مصدود وسبيل الحق عليه مسدود وهو لا يبصر السد ولا يعلم الصد فيظن انه على الطريقة المستقيمة وغيره ضال ثم انه
تعالى بين ان الانذار لا ينفعهم مع ما فعل الله تعالى بهم من الغل والسد والاغشاء والاعماء بقوله تعالى وسواء عليهم والله اعلم قوله تعالى
وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن
نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين اعلم ان الانذار وعدمه سيان بالنسبة الى الايمان منهم
اذ لا وجود له منهم على التقديرين فان قيل اذا كان الانذار وعدمه سواء فلماذا الانذار نقول قد حصل في غير هذا الموضع انه قال سواء عليهم وما
قال سواء عليك فالانذار بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم ليس كعدم الانذار لان احدهما مخرج له عن العهدة وسبب في زيادة سيادته عاجلا
وسعادته آجلا واما بالنسبة اليهم على السواء فانذر النبي صلى الله عليه وسلم ليخرج عما عليه وبان فوات الانذار ولم ينتفعوا به لما كتب عليهم
من البوار في دار القرار ثم قال تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب والترتيب ظاهر وفي التفسير مسايل المسألة الاولى قال من قبل لتنذر
وذلك يقتضي الانذار العام على ما بينا وقال تعالى انما تنذر وهو يقتضي التخصيص فكيف الجمع بينهما نقول الجواب عنه من وجوه الاول هو ان قوله
تعالى لتنذر اي كيفما كان سواء كان مفيدا او لم يكن وقوله تعالى انما تنذر اي الانذار المفيد لا يكون الا بالنسبة الى من يتبع الذكر ويخشى الثاني
هو ان الله تعالى لما قال ان الارسال والانزال للانذار وذكر ان الانذار وعدمه سيان بالنسبة الى اهل العناد قال لنبيه ليس انذارك غير
مفيد من جميع الوجوه فانذر على سبيل العموم وانما تنذر بذلك الانذار العام من يتبع الذكر كانه يقول يا محمد انك بانذارك تهدي ولا تدري من تهدي
فانذر الاسود والاحمر ومقصودك من ينتبه بانذارك ويتبع بذكرك الثالث هو ان نقول قوله تعالى لتنذر بيان لما فاذا انذرت وبالغت
وبلغت واستهزأ البعض وتولى واستكبر وولى فاعرض بعد ذلك فانما تنذر بالنفع من ترك الزكاة والصلاة ومن اتبع الذكر ومن المسألة الثانية
قوله تعالى من اتبع الذكر يحتمل وجوها الاول وهو المشهور من اتبع القرآن الثاني من اتبع ما في القرآن من الآيات ويدل عليه قوله تعالى ص والقرآن

ذي الذكر



ذي الذكر فاجمل القرآن نفس الذكر الثالث من اتبع البرهان فانه ذكر بكل الفطرة وعلى كل وجه فمعناه انما تنذر العلماء الذين يخشون وهو قوله
تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكقوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقوله تعالى اتبع الذكر اي آمن وقوله تعالى وخشي
الرحمن اي عمل صالحا وهذا الوجه يناسبه قوله تعالى فبشره بمغفرة واجر كريم لما ذكرنا مرارا ان الغفران جزاء الايمان فكل مؤمن مغفور
والاجر الكريم جزاء العمل كما قال تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم وتفسير الذكر بالقرآن يتأيد بتعريف الذكر
بالالف واللام وقد تقدم ذكر القرآن في قوله تعالى والقرآن الحكيم وقوله تعالى وخشي الرحمن فيه لطيفة وهي ان الرحمة تورث الاتكال
والرجاء فقال انه مع رحمته رحيم فالعاقل لا ينبغي ان يترك الخشية فان كل من كانت نعمته بسبب رحمته اكثر فالخوف منه اتم مخافة
ان تنقطع عنه النعم المتواترة وبكلمة لطيفة هي ان من اسماء الله تعالى اسمان يختصان به هما الله تعالى والرحمن كما قال تعالى قل ادعوا الله
او ادعوا الرحمن قال بعض الايمة هما علمان اذا عرفت هذا فالله اسم ينبئ عن الهيبة والرحمن ينبئ عن العاطفة فقال في موضع اخشوا الله تعالى
وقال هنا وخشي الرحمن مع كونه ذا هيبة لا تقطعوا عنه رجاءكم ومع كونه ذا رحمة لا تأمنوه وقوله بالغيب يعني بالدليل وان لم ينته الى
درجة المرئي المشاهد فان عند الانتهاء الى تلك الدرجة لا يبقى للخشية فايدة والمشهور ان المراد بالغيب ما غاب عنا وهو
احوال القيامة وقيل بان الوحدانية يدخل فيه اما قوله تعالى فبشره فيه اشارة الى الامر الثاني من امر الرسالة فان النبي عليه الصلاة
والسلام بشير ونذير وقد ذكر انه ارسل لينذر وذكر ان الانذار النافع عند اتباع الذكر فقال بشر كما انذرت ووعظت
وقوله تعالى بمغفرة على التنكير اي بمغفرة واسعة تستر من جميع الجوانب حتى لا يرى عليه اثر من آثار النفس ويظهر عليه انوار
الروح الزكية واجر كريم اي ذا كرم وقد ذكرنا الكريم في قوله تعالى ورزق كريم وقوله تعالى ورزقا كريما ثم قال تعالى انا نحن
نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم في الترتيب وجوه احدها ان الله تعالى لما بين الرسالة وهو اصل من الاصول الثلاثة
التي بها يصير المكلف مؤمنا مسلما ذكر اصلا آخر وهو الحشر وثانيها وهو ان الله تعالى لما ذكر الانذار والبشارة بقوله تعالى
فبشره بمغفرة ولم يظهر ذلك بكماله في الدنيا فقال تعالى ان لم ير في الدنيا فالله تعالى يحيي الموتى ويجزي المنذرين ويجزي
المبشرين وثالثها انه تعالى لما ذكر خشية الرحمن بالغيب ذكر ما يؤكده وهو احياء الموتى وفي التفسير مسايل المسألة
الاولى انا نحن يحتمل وجهين احدهما ان يكون مبتدأ وخبره كقول القايل انا ابو النجم وشعري شعري ومثل هذا يقال عند الشهرة العظيمة
وذلك لان من لا يعرف يقال انا اي لا معرفة اظهر من نفسي فقال انا نحن معروفون باوصاف الكمال واذا عرفنا بانفسنا فلا تنكر
قدرتنا على احياء الموتى وثانيهما ان يكون الخبر نحيي كانه قال انا نحن نحيي الموتى ونحن تكون تاكيدا والاول اولى المسألة الثانية
انا نحن فيه اشارة الى التوحيد لان الاشتراك يوجب التمييز بغير النفس فان زيدا اذا شاركه غيره في الاسم فلو قال انا زيد
لم يحصل التعريف التام لان للسامع ان يقول ايما زيد فيقول ابن عمرو ولو كان هناك زيد آخر ابوه عمرو لا يكفي قوله ابن عمرو
علما قال الله تعالى انا اي ليس غيري احد يشاركني حتى تقولوا انا كذا فيتميز وحينئذ تصير الاصول الثلاثة مذكورة
الرسالة والتوحيد والحشر المسألة الثالثة ونكتب ما قدموا فيه وجوه احدها المراد ما قدموا واخروا فاكتفى من الاعمال
بذكر احدهما كما في قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر المراد والبرد ايضا وثانيها المعنى ما اسلفوا من الاعمال صالحة كانت او فاسدة
وهو كما قال تعالى بما قدمت ايديهم اي بما قدمت في الوجود على غيره واوجدته وثالثها نكتب نياتهم فانها قبل الاعمال وآثارهم اعمالهم
على هذا الوجه الرابعة قوله تعالى وآثارهم وفيه وجوه الاول آثارهم اي اقدامهم فان جماعة من الصحابة بعدت دورهم عن المساجد فارادوا النقلة فقال صلى
الله عليه وسلم ان الله يكتب خطواتكم ويثيبكم عليه فالزموا بيوتكم والثاني هي السنة الحسنة كالكتب المصنفة والقناطير المبنية والحبائس الدارة وليس
السيئة كالظلامات المستمرة التي وضعها ظالم والكتب المضلة وآلات الملاهي وادوات المناهي المعمولة الباقية وهو في معنى قوله صلى الله عليه وسلم
من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من غير ان ينتقص من اجر العامل شيء ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها فما
قدموا فنون افعالهم وآثارهم افعال الشاهدين فيبشرهم حيث يؤاخذون بها ويؤجرون عليها والثالث ما ذكرنا ان الآثار الاعمال وما
قدموا النية فان النية قبل العمل المسألة الخامسة الكتابة قبل الاحياء فكيف اخر في الذكر حيث قال نحيي ونكتب ولم يقل نكتب ما قدموا
ونحييهم نقول الكتابة معظمة لامر الاحياء لان الاحياء ان لم يكن للحساب لا يعظم والكتابة معظمة لامره فلهذا قدم الاحياء لان الاحياء
ان لم يكن للحساب لا يعظم والكتابة في نفسها ان لم يكن احياء واعادة لا يبقى لها اثر اصلا فالاحياء هو المعتبر والكتابة مؤكدة معظمة
لامره فلهذا قدم الاحياء ولانه تعالى لما قال انا نحن وذلك يفيد العظمة والجبروت والاحياء عظيم يختص به والكتابة دونه فقرن بالتعريف
الامر العظيم وذكر ما يعظم ذلك العظيم اما قوله تعالى وكل شيء احصيناه في امام مبين يحتمل وجوها احدها ان يكون ذلك بيانا لكون ما قدموا
وآثارهم امرا مكتوبا عليهم لا يبدل فان القلم جف بما هو كائن فلما قال نكتب ما قدموا بين ان قبل ذلك كتابة اخرى فان الله تعالى
كتب عليهم انهم سيفعلون كذا وكذا ثم اذا فعلوا كتب عليهم انهم فعلوه وثانيها ان يكون ذلك مؤكدا لمعنى قوله تعالى ونكتب
لان من يكتب شيئا في اوراق ويرميها قد لا يجدها فكانه لم يكتب فقال تعالى نكتب ونحفظ ذلك في امام مبين وهذا كقوله تعالى
قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وثالثها ان يكون ذلك تعميما بعد التخصيص كانه تعالى يكتب ما قدموا وآثارهم وليست
الكتابة مقتصرة عليه بل كل شيء محصى في امام مبين وهذا يفيد ان شيئا من الاقوال والافعال لا يعزب عن علم الله تعالى ولا يفوته
وهذا كقوله تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير يعني ليس ما في الزبر منحصرا فيما فعلوه بل كل شيء مكتوب وقوله احصيناه ابلغ
من كتبناه لان من كتب شيئا مفرقا يحتاج الى جمع عدده فقال تعالى هو محصى فيه وسمى الكتاب اماما لان الملايكة يتبعونه فما كتب فيه من اجل
ورزق واحياء واماتة اتبعوه وقيل هو اللوح المحفوظ وامام جمعه قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم اي بايمتهم وحينئذ فامام

اذا كان فردا فهو كتاب وحجاب واذا كان جمعا فهو لجبال وجمال والمس هو المطهر للامور لكونه مطهرا للملايكة ما يفعلون والثالث
ما يفعل بهم وهو الفارق يفرق بين احوال الخلق فيجعل فريقا في الجنة وفريقا في السعير والله اعلم **قوله تعالى**
واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث
فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا
اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين **اعلم** ان قوله تعالى واضرب لهم مثلا فيه وجهان والترتيب ظاهر على الوجهين
الوجه الاول هو ان يكون المعنى واضرب لاجلهم مثلا والثاني ان يكون المعنى واضرب لاجل نفسك اصحاب القرية لهم مثلا اي مثلهم عند
نفسك باصحاب القرية وعلى الاول نقول لما قال الله تعالى انك لمن المرسلين وقال تعالى لتنذر وقال قل ما كنت بدعا من الرسل بل مثل
جاء اصحاب القرية مرسلون وانذروهم بما انذرتكم وذكروا التوحيد وخوفوا بالقيامة وبشروا بنعيم دار الاقامة وعلى الثاني
نقول لما قال تعالى ان الانذار لا ينفع من اضله الله وكتب عليه انه لا يؤمن قال للنبي فلا باس واضرب لنفسك ولقومك مثلا
اي مثل لهم عند نفسك مثلا حيث جاءهم ثلاثة رسل ولم يؤمنوا وصبر الرسل على القتل والايذاء وانت جئتهم واحدا وقومك اكثر من
قوم الثلاثة فانهم جاءوا قرية وانت بعثت الى العالم وفي التفسير مسايل **المسئلة الاولى** ما معنى قول القايل ضرب مثلا وقوله
تعالى واضرب معان الضرب في المعنى اما الايساس كما نعرف واما السير اذا قرن به حرف في كقوله تعالى اذا ضربتم في الارض
نقول قوله ضرب مثلا معناه مثل مثلا وذلك لان الضرب اسم للنوع يقال هذه الاشياء من ضرب واحد اي جعل هذا وذلك من ضرب
واحد **المسئلة الثانية** قوله تعالى اصحاب القرية معناه واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية فترك المثل واقيم الاصحاب مقامه
في الاعراب لقوله تعالى واسأل القرية هذا قول الزمخشري في الكشاف ويحتمل ان يقال لا حاجة الى الاضمار بل المعنى اجعل اصحاب القرية لهم
مثلا ومثل اصحاب القرية **الثالثة** اذ جاءها المرسلون اذ منصوبة لانها بدل من اصحاب القرية كانه قال تعالى واضرب لهم مثلا وقت
مجيء المرسلين ومثل ذكر الوقت بوقت مجيئك وهذا ايضا قول الزمخشري وعلى قولنا ان هذا المثل مصروف لنفس محمد صلى
الله عليه وسلم تسلية فيحتمل ان يقال اذ ظرف منصوب بقوله تعالى واضرب اي اجعل الضرب كانه حين مجيئهم ووافق فيه والقرية
انطاكية والمرسلون من قوم عيسى عليه السلام وهم اقرب من ارسل الى قوم الى زمان محمد صلى الله عليه وسلم وهم ثلاثة كما بين الله
تعالى وقوله تعالى اذ ارسلنا يحتمل وجوها احدها ان يكون اذ ارسلنا بدلا عن اذ جاءها كانه قال اضرب لهم مثلا اذ ارسلنا
الى اصحاب القرية اثنين وثانيها وهو الاصح الاوضح ان يكون اذ ظرفا والفعل الواقع فيه جاءها التي جاءها المرسلون حين ارسلناهم
اليهم اي لم يكن مجيئهم من تلقاء انفسهم وانما جاءوهم حيث امروا وهذا فيه لطيفة وهي ان في الحكاية ان الرسل كانوا مبعوثين من
جهة عيسى عليه السلام ارسلهم الى انطاكية فقال ارسال عيسى عليه السلام هو ارسالنا ورسول رسول الله رسول الله باذن الله
رسول الله فلا يقع لك يا محمد ان اوليك كانوا رسل الرسول وانا رسول الله فان تكذيبهم كتكذيبك وتمم التسلية بقوله تعالى
اذ ارسلناه وهذا يوبد مسئله فقهيه وهي ان وكيل الوكيل بامر الموكل وكيل الموكل حتى لا ينعزل بعزل الوكيل اياه وينعزل اذا عزله
الموكل الاول وهذا على قولنا واضرب لهم مثلا ضرب لمثل لاجل محمد صلى الله عليه وسلم ظاهر وقوله تعالى اذ ارسلنا اليهم الاسي في بعث الاثنين حكمة
بالغة وهي انهما كانا مبعوثين من جهة عيسى عليه السلام باذن الله فكان عليهما انهاء الامر الى عيسى عليه السلام والاتيان بما امر الله تعالى به
والله تعالى عالم بكل شيء لا يحتاج الى شاهد يشهد عنده واما عيسى عليه السلام فهو بشر فامره الله تعالى بارسال اثنين ليكون قولهما
على قومهما عند عيسى عليه السلام حجة تامة اما قوله تعالى فعززنا بثالث اي قوينا وقرئ فعززنا بثالث مخففا من عز اذا غلب فكانه
قال فغلبنا نحن وقهرنا بثالث والاول اظهر واشهر وترك المفعول حيث لم يقل فعززناهما لمعنى لطيف وهو ان المقصود من بعثه
نصرة الحق لا نصرتهما والكل مقوون للدين المتين بالبرهان المبين وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** النبي صلى الله عليه وسلم بعث رسله
الى الاطراف واكتفى بواحد وعيسى عليه السلام بعث اثنين نقول النبي بعث لتقريب الفروع وهو دون الاصول فاكتفى بواحد فان خبر الواحد
في الفروع مقبول واما هما فبعثا وجعل لهما معجزة تصدق القبول والا لما كفى ارسال اثنين ايضا ولا ثلاثة **والثانية** قال الله تعالى لموسى
عليه السلام سنشد عضدك باخيك ذكر المفعول ولم يذكرها هنا مع ان المقصود هناك ايضا نصرة الحق نقول موسى عليه السلام كان
افضل من هارون وهارون بعث معه بطلبه حيث قال فارسله معي فكان هارون مبعوثا ليصدق موسى عليهما السلام فيما يقول ويقوم
بما يامره واما هما والثالث فكل واحد مستقل ناطق بالحق فكان هناك المقصود تقوية موسى عليه السلام وارسال من يؤنس معه وهو
هارون وههنا المقصود تقوية الحق فظهر الفرق ثم بين الله تعالى ما جرى بينهم وعليهم مثل ما جرى من محمد صلى الله عليه وسلم
وعليه فقالوا انا اليكم مرسلون كما قال تعالى انك لمن المرسلين وبين ما قال القوم بقوله تعالى ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن
من شيء جعلوا كونهم بشرا مثلهم دليلا على عدم الارسال وهذا عام من المشركين فقالوا في حق محمد اانزل عليه الذكر وانما ظنوه دليلا
على انهم لم يعتقدوا في الله الاختيار وانما قالوا فيه انه موجب بالذات وقد استووا في البشرية فلا يمكن الرجحان والله تعالى
رد عليهم قولهم بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته وبقوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء الى غير ذلك وقولهم وما انزل الرحمن من شيء يحتمل
وجهين احدهما ان يكون متمما لما ذكروه فيكون الكل شبهة واحدة ووجهه هو انهم قالوا انتم بشر فما نزلتم من الله وما انزل الله تعالى
اليكم احدا فكيف صرتم رسل الله وثانيهما ان يكون هذا شبهة اخرى مستقلة ووجهه هو انهم لما قالوا انتم بشر مثلنا فلا يجوز رجحانكم
علينا ذكروا الشبهة من حيث النظر الى المرسلين ثم قالوا شبهة اخرى من جهة المرسل وهي انه تعالى لم ينزل شيئا في هذا العالم فان تصرفه
في العالم العلوي وللعلويات التصرف في السفليات على مذهبهم فالله تعالى لم ينزل شيئا من الاشياء في الدنيا فكيف انزل اليكم وقوله تعالى

الرحمن



الرحمن اشارة الى الرد عليهم لان الله تعالى لما كان رحمن الدنيا والارسال رحمة فكيف لا ينزل رحمته وهو رحمن فقال انهم
قالوا ما انزل الرحمن شيئا وكيف لا ينزل الرحمن مع كونه رحمن شيئا هو الرحمة الكاملة ثم قال تعالى ان انتم الا تكذبون اي ما انتم
الا كاذبين قالوا ربنا يعلم اشارة الى انهم بمجرد التكذيب لم يسأموا ولم يتركوا بل اعادوا ذلك لهم وكرروا القول عليهم واكدوه
باليمين وقالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون واكده باللام لان يعلم الله يجري مجرى القسم لان من يقول يعلم الله فيما لا يكون
يكون فقد نسب الله تعالى الى الجهل وهو سبب العقاب كما ان الحنث سبب وفي قوله تعالى ربنا يعلم اشارة الى الرد عليهم حيث
قالوا ان انتم الا بشر مثلنا وذلك لان الله تعالى اذا كان يعلم انهم لمرسلون يكون كقوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته يعني
هو عالم بهم بالامور وقادر فاختارنا بعلمه لرسالته ثم قال تعالى وما علينا الا البلاغ المبين تسلية لانفسهم اي نحن خرجنا
عن عهدة ما علينا وحق على المطر فانهم لما قالوا ما علينا الا البلاغ كان ذلك يوجب تفكرهم في امرهم حيث لم يطلبوا منهم
اجرا ولا قصدوا رياسة وانما كان شغلهم التبليغ والذكر وذلك مما يحمل العاقل على النظر والمبين يحتمل امورا احدها
البلاغ المبين للحق عن الباطل اي الفارق بالمعجزة والبرهان ثانيها البلاغ المظهر لما ارسلنا اولا اي لا يكفي ان نبلغ الرسالة
الى شخص او شخصين ثالثها البلاغ المظهر للحق بكل ما يمكن فاذا تم ذلك ولم يصلوا الى الحق هنالك الهلاك ثم كان جوابهم
بعد هذا قولهم انا تطيرنا بكم وذلك على ما ظهر من الرسل البالغة في التبليغ ظهر منهم الغلو في التكذيب فلما قال المرسلون
انا اليكم مرسلون قالوا ان انتم الا تكذبون ولما ذكر الرسل قولهم باليمين حيث قالوا ربنا يعلم اكدوا قولهم بالتطير بهم فكانهم قالوا
في الاول كنتم كاذبين وفي الثاني صرتم مصرين على الكذب حالفين مقسمين عليه واليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع فنتشاءم
بكم ما اسا وفي الاول كما قالوا كنتم في الثاني كانه قال لا ميز لكم لكون الشئم مدركا بسببكم فقالوا تعالى لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم
منا عذاب اليم وقوله تعالى لنرجمنكم يحتمل وجهين احدهما لنشتمنكم من الرجم بالقول وعلى هذا قوله تعالى وليمسنكم كانهم قالوا
ولا نكتفي بالشتم بل يودي الى الضرب والايلام الحسي وثانيهما ان يكون المراد الرجم بالحجارة وحينئذ قوله الرجم بالحجارة و
حينئذ قوله تعالى وليمسنكم بيان للرجم يعني ولا يكون الرجم رجما قليلا نرجمكم بحجر وحجرين بل نديم عليكم ذلك الى الموت
وهو عذاب اليم ويكون المراد لنرجمنكم وليمسنكم بسبب الرجم منا عذاب اليم وقد ذكرنا في الاليم انه بمعنى المؤلم والفعيل
بمعنى مفعل قليل ويحتمل ان يقال هو من باب قوله تعالى عيشة راضية اي ذات رضا ان العذاب الاليم اي ذو الم وحينئذ
يكون فعيلا بمعنى فاعل وهو كثير ثم اجابهم المرسلون بقوله تعالى قالوا طايركم والله اعلم **قوله تعالى**
قالوا طايركم معكم اين ذكرتم بل انتم قوم مسرفون وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا
المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم اجرا وهم مهتدون وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون
ءاتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اني اذا لفي
ضلال مبين **اعلم** ان قوله تعالى قالوا طايركم معكم اي شومكم معكم وهو الكفر ثم قال تعالى اين ذكرتم جوابا عن قولهم
لنرجمنكم يعني افعلوا بنا ذلك وان ذكرتم اي بين لكم الامر بالمعجزة والبرهان بل انتم قوم مسرفون حيث تجعلون من يتبرك
به ممن يتشاءم به وتقصدون الايلام من يجب في حقه الاكرام او مسرفون حيث تكفرون ثم تصرون بعد ظهور الحق بالمعجز
والبرهان فان الكافر مسيء فاذا تم عليه الدليل واوضح لهم السبيل ويصر يكون مسرفا والمسرف هو المجاوز الحد بحيث يبلغ الضد وهم
كانوا كذلك في كثير من الاشياء اما في التبرك فلان التشاؤم مع علمهم بذلك في الاسلام والاكرام واما في الكفر فلان الواجب اتباع الدليل
فان قيل لم يوجد به فلا اقل من ان لا يجزم بضعفه وهو جزموا بالكفر بعد البرهان على الايمان فان صار الى الاضطراب في الامر
عنه يقول يحتمل ان يقال قوله تعالى اين ذكرتم وارد على تكذيبهم ونسبتهم الرسل الى الكذب بقولهم ان انتم الا تكذبون فكانهم قالوا
انحن كاذبون وان جيئنا بالبرهان لا بل انتم قوم مسرفون ويحتمل ان يقال انحن مشؤمون وان جيئنا ببيان صحة ما نحن عليه
لا بل انتم قوم مسرفون ويحتمل ان يقال انحن مستحقون الرجم والايلام وان بينا صحة ما اتينا به لا بل انتم قوم مسرفون واما الحكاية
فمشهورة وهي ان عيسى عليه السلام بعث رجلين الى انطاكيه فدعوا الى التوحيد واظهروا المعجزة من ابراء الاكمه والابرص واحياء
الموتى فحبسهما الملك فارسل بعدهما شمعون فاتى الملك ولم يدع الرسالة وقرب نفسه الى الملك بحسن التدبير ثم قال له اني اسمع
ان في الحبس رجلين يدعيان امرا بديعا فلا يحضران نسمع كلامهما قال الملك بلى فاحضرا وذكرا مقالتهما الحقة فقال لهما شمعون
وهل لكما بينة قالا نعم فابرا الاكمه والابرص واحيا الميت فقال شمعون ايها الملك ان شئت ان تغلبهم فقل للالهة التي تعبدونها
تفعل شيئا من ذلك قال الملك انت لا يخفى عليك انها لا تبصر ولا تسمع ولا تقدر ولا تعلم فقال شمعون فاذا ظهر الحق من جانبهم فامن الملك
وقوم وكفر اخرون وكانت الغلبة للمكذبين ثم قال تعالى وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين وتعلقه بما قبله من وجهين
احدهما انه بيان لكونهم اتوا بالبلاغ المبين حيث امن بهم الرجل والساعي وعلى هذا فقوله تعالى من اقصى المدينة
فيه بلاغة باهرة وذلك لانه لما جاء من اقصى المدينة رجل وهو قد امن دل على ان انذارهم واظهارهم بلغ الى اقصى المدينة
وثانيهما ان ضرب المثل لما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم تسلية لقلبه ذكر بعد الفراغ عن ذكر الرسل سعي المؤمنين في تصديقهم وصبرهم
على ما اوذوا ووصل الجزاء الاوفى اليهم ليكون ذلك تسلية لقلب اصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كما ان ذكر المرسلين تسليه لقلب
محمد صلى الله عليه وسلم وفي التفسير مسايل **المسئلة الاولى** قوله جاء رجل من اقصى المدينة في تنكير الرجل مع انه كان معروفا معلوما
عند الله فايدتان الاولى ان يكون تعظيما لشانه اي رجل كامل في الرجولية الثانية ان يكون مفيدا ظهور الحق من جانب

المرسلين حيث من رجل من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال انهم تواطؤوا والرجل هو حبيب النجار كان ينحت الاصنام وقد آمن بمحمد صلى الله عليه
وسلم قبل وجوده حيث صار من العلماء بكتاب الله تعالى ورأى فيه نعت محمد صلى الله عليه وسلم وبعثته الثانية قوله تعالى يسعى تبصير للمؤمنين
وهداية لهم ليكونوا في النصح باذلين جهدهم وقد ذكرنا فائدة قوله تعالى من اقصى المدينة وهي تبليغهم الرسالة بحيث انتهى الى من اقصى
المدينة والمدينة هي انطاكية وهي كانت كبيرة شاسعة والان دون ذلك ومع ذلك فهي كبيرة وقوله تعالى قال يا قوم اتبعوا المرسلين
فيه معان لطيفة الاولى في قوله تعالى قال يا قوم فانه ينبئ عن اشفاقه عليهم وشفقته فان اضافتهم الى نفسه بقوله تعالى يا قوم يفيد
انه لا يريد بهم الا خيرا وهو مثل قول مؤمن آل فرعون يا قوم اتبعوني فان قيل هذا الرجل جاء اتبعوا المرسلين وقال ذلك اتبعوني
فما الفرق نقول هذا الرجل جاءهم وفي اول مجيئه نصحهم وما رأى سيرتهم فقال اتبعوا هؤلاء الذين اظهروا لكم الدليل واوضحوا لكم السبيل ومؤمن آل
فرعون كان فيهم واتبع موسى ونصحهم مرارا فقال اتبعوني في الايمان بموسى وهرون عليهما السلام واعلموا انه لو لم يكن خيرا لما اخترته
لنفسي وانتم تعلمون اني اخترته ولم يكن الرجل الذي جاء من اقصى المدينة ان يقول انتم تعلمون اتباعي لهم الثاني جمع بين اظهار النصيحة
واظهار ايمانه فقوله اتبعوا نصيحة وقوله المرسلين اظهار انه آمن الثالث قدم اظهار النصيحة على اظهار الايمان لانه كان ساعيا في النصح
واما الايمان فكان قد آمن من قبل وقوله تعالى رجل يسعى يدل على كونه مريدا للنصح وما ذكر في حكايته انه كان يعمل ويعود الهم
اهدي قومي انه قال اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون وهذا في غاية الحسن وذلك من حيث انه قال اتبعوا المرسلين كانه منعهم
كونهم مرسلين فنزل درجة وقال لا شك ان الخلق في الدنيا سالكون طريقة طالبون للاستقامة والطريق اذا حصل فيه دليل يجب
اتباعه والامتناع من الاتباع لا يحسن الا عند احد امرين اما مغالاة الدليل في طلب الاجرة واما عدم الاعتماد على اهتدائه ومعرفة
الطريق لكن هؤلاء لا يطلبون اجرة وهم مهتدون عالمون بالطريقة المستقيمة الموصلة الى الحق فهب انهم ليسوا بمرسلين هادين اليسوا
بمهتدين فاتبعوهم قال تعالى ومالي لا اعبد الذي فطرني لما قال وهم مهتدون بين ظهور اهتدائهم بانهم يدعون من عبادة الجماد الى
عبادة الحي القيوم ومن عبادة ما لا ينفع الى عبادة من منه كل نفع وفيه لطائف اللطيفة الاولى قوله تعالى ومالي اي مانع من جانبي
اشارة الى ان الامر من جهة المعبود ظاهر لا خفاء فيه فمن يمنع من عبادته يكون من جانبه مانع ولا مانع في فلا جرم عبدته
وفي العدول من مخاطبة القوم الى حال نفسه حكمة اخرى ولطيفة ثانية وهي انه لو قال مالكم لا تعبدون الذي فطركم لم يكن في البيان
مثل قوله تعالى ومالي لانه لما قال ومالي واحد لا يخفى عليه حال نفسه علم كل احد انه لا يطلب العلة وبيانها من احد لانه اعلم بحال
نفسه فهو بين عدم المانع واما ومالكم فحال يتوهم منه انه يطلب بيان العلة لكون غيره اعلم بحال نفسه فان قيل قال الله تعالى
مالكم لا ترجون لله وقارا نقول القائل هناك غير مدعو وانما هو داع وهاهنا الرجل مدعو الى الايمان فقال تعالى ومالي
لا اعبد وقد طلب مني ذلك الثانية قوله تعالى الذي فطرني اشارة الى وجود المقتضي فان قوله تعالى ومالي اشارة الى المانع وعند
عدم المانع لا يوجد الفعل ما لم يوجد المقتضي فقوله تعالى الذي فطرني ينبئ عن الاقتضاء فان الخالق مالك والمالك يجب على المملوك اكرامه
وتعظيمه ومنعم بالايجاد والمنعم يجب على المنعم عليه شكر نعمته الثالثة قدم بيان عدم المانع على بيان وجود المقتضي مع ان المستحسن تقديم المقتضي
حيث وجد المقتضي ولا مانع فيوجد لان المقتضي لظهوره كان مستغنيا عن البيان حيث وجد المقتضي ولا مانع فيوجد كان المقتضي
لظهوره كان مستغنيا عن البيان راسا فلا اقل من تقديم ما هو اولى بالبيان لوجود الحاجة اليه الرابعة اختار من الآيات
فطرة نفسه لانه لما قال ومالي لا اعبد باسناد العبادة الى نفسه وبيان ذلك هو ان خالق عمرو يجب على زيد عبادته لان من خلق
عمرا لا يكون الا كامل القدرة شامل العلم واجب الوجود وهو مستحق العبادة بالنسبة الى كل مكلف لكن العبادة على زيد بخلق زيد
اظهر ايجابا واعلم ان المشهور في قوله تعالى فطرني خلقني اختراعا وابتداء والغريب فيه انه يقال فطرني اي جعلني على الفطرة
كما قال تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وعلى هذا فقوله تعالى ومالي لا اعبد اي لم يوجد في مانع فانا باق على ما فطرني ربي
والفطرة كافية في الشهادة والعبادة فان قيل فعلى هذا يختلف معنى الفطرة في قوله تعالى فاطر السموات والارض مفقود فقد قيل
ان فاطر السموات من الفطر الذي هو الشق فالمحذور لازم او يقول المعنى فيهما واحد كانه قال فطر المكلف على فطرته وفطر السموات على
فطرتها والاول من التفسير اظهر وقوله تعالى واليه ترجعون اشارة معه الى الخوف والرجاء كما قال تعالى ادعوه خوفا وطمعا وذلك لان
من يكون اليه المرجع يخاف منه ويرجى وفيه ايضا معنى لطيف وهو ان العابد على اقسام ثلاثة ذكرناها مرارا فالاول يعبد
الله لكونه الها لكونه سيدا انعم بعد ذلك او لم ينعم كالعبد الذي يجب عليه خدمة سيده سواء احسن اليه او اساء والثاني يعابد
يعبد الله للنعمة الواصلة اليه والثالث يعبد خوفا فمثال الاول من يخدم الجواد ومثال الثاني من يخدم الغاشم فجعل القائل
نفسه من القسم الاعلى وقال ومالي لا اعبد الذي فطرني اي هو مالكي اعبده لانه مالكي سواء يعطيني ولا انظر الى ان لا يعذبني وجعلهم دون
ذلك فقال تعالى واليه ترجعون اي خوفكم منه ورجاؤكم منه فكيف لا تعبدونه ولهذا لم يقل واليه ارجع كما قال تعالى فطرني لانه
صار عاملا من القسم الاول ثم جعلهم الى الله تعالى لا يكون الا للاكرام وليس بسبب عبادته ذلك بل غيره ثم قال تعالى أأتخذ من دونه
الهة لبيان التوحيد فان التوحيد بين التعطيل والاشراك وما لي لا اعبد اشارة الى وجود الاله وقال تعالى أأتخذ من دونه اشارة
الى نفي غيره فيتحقق معنى لا اله الا الله وفي الآية ايضا لطائف الاولى ذكره على طريق الاستفهام لان الاستفهام فيه معنى وضوح
الامر وذلك من اخبر عن شيء فقال تعالى مثلا لا اتخذ من يصح من السامع ان يقول له لا تتخذ فيسأله عن السبب فاذا قال أأتخذ يكون
كلامه انه مستغن عن بيان السبب الذي يطالب عند الاخبار كانه يقول استشرتك فدلني والمستشار يتفكر فكانه يقول في الامر
يفهم من غير اجبار مني الناس قوله تعالى من دونه وهي لطيفة عجيبة وبيانها هو ان الله لما بين انه يعبد الله بقوله تعالى الذي فطرني

بين ان من دونه لا يجوز عبادته فان عبد غير الله وجب عبادة كل شيء مشارك للمعبود الذي اتخذه غير الله لان الكل محتاج
ومفتقر حادث فلو قال لا اتخذ الهة لعل له ذلك بخلاف ان الحوادث لها غير فطرني ويلزم عقلا ان يتخذ الهة لا حصر لها وان كان
الهك ذلك وحال الهك فلا يجوز ان يتخذ الهة الثالث قوله تعالى من دونه اشارة الى ان غيره ليس باله لان المتخذ لا يكون الها ولهذا قال
تعالى ما اتخذ من دونه اي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وقال الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا لانه تعالى لا يكون له ولد حقيقة ولا يجوز وانما
النصارى قالوا تبنى الله عيسى وسماه ولدا فقال لم يتخذ ولدا ولا يقال الله تعالى ما تجده وكذلك في حق الله حيث قال تعالى
رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا يقول ذلك امر متجدد وذلك لان الانسان في اول الامر يكون قليل الصبر ضعيف
القوة فلا يجوز ان يترك اسباب الدنيا ويقول اني اتوكل فلا يحسن من الواحد منا ان لا يشتغل بامر اصلا ويترك اطفاله في ورطة
الحاجة ولا يوصل الى اهله نفقتهم ويجلس في مسجد وقلبه متعلق بعطاء زيد وعمرو فاذا قوي بالعبادة قلبه ونسي نفسه فقد عن غيره
واقبل على عبادة ربه بجميع قلبه وترك الدنيا واسبابها وفوض اموره الى الله تعالى حينئذ يكون من الابرار الاخيار فقال الله
تعالى لرسوله انك علمت ان الامور بيد الله تعالى وعرفت الله تعالى حق المعرفة وتيقنت ان المشرق والمغرب وما فيهما وما يقع
بينهما بامر الله تعالى ولا اله يطلب لقضاء الحوائج الا هو فاتخذه وكيلا وفوض جميع امورك الى الله تعالى فقد ارتقيت عن درجة
من يؤمر بالكسب وكنت من قبل تتحرى في الحلال ومعنى قوله تعالى فاتخذه وكيلا اي في جميع امورك وقوله تعالى لا تغن عني
يحتمل وجهين احدهما ان يكون كالوصف كانه قال أأتخذ الهة غير مغنية عند ارادة الرحمن في ضر وثانيهما ان يكون كلاما
مستانفا كانه قال لا اتخذ من دونه الهة ثم قال ان يردني الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم وفيه مسائل **المسئلة الاولى**
قال تعالى ان يردني الرحمن بضر ولم يقل ان يرد الرحمن في ضرا وكذلك قال تعالى ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره
ولم يقل ان اراد الله لي ضرا نقول الفعل اذا كان متعديا الى مفعول واحد تعدى الى المفعولين بحرف كاللازم يتعدى بحرف
في قولهم ذهب به وخرج به ثم ان المتكلم البليغ جعل المفعول بغير حرف ما هو اولى بوقوع الفعل عليه وجعل الاخر مفعولا بحرف فاذا
قال القائل مثلا كيف حال فلان تقول اختصه الملك بالكرامة والنعمة فاذا قال كيف كرامة الملك اختصها بزيد فيجعل السؤال
مفعولا بغير حرف لانه هو المقصود واذا علمت هذا فالمقصود فيما نحن فيه بيان كون العبد تحت تصرف الله تعالى يصرفه
كيف يشاء في البؤس والرخاء وليس الضر بمقصود وبيانه كيف والقائل مؤمن يرجو الرحمة والنعمة بناء على ايمانه بحكم وعد الله
تعالى ويؤيد هذا قوله تعالى من قبل الذي فطرني حيث جعل نفسه مفعول الفطرة فكذلك جعلها مفعول الارادة وذكر
الضر وقع تبعا وكذا القولة في قوله تعالى ان ارادني الله بضر المقصود بيان انه يكون كما يريده الله تعالى وليس الضر بخصوصه
مقصودا بالذكر ويؤيده ما تقدم حيث قال تعالى اليس الله بكاف عبده يعني تحت ارادته ويتأيد ما ذكرناه بالنظر في قوله تعالى قل
من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا حيث خالف هذا النظم وجعل المفعول من غير حرف السوء وهو كالضر والمفعول
بحرف هو المكلف وذلك لان المقصود ذكر الضر للتخويف وكونهم محلا له وكيف لا وهم كفرة استحقوا العذاب بكونهم فجعل الضر مقصودا
بالذكر لزجرهم فان قيل فقد ذكر الله تعالى الرحمة ايضا حيث قال تعالى او اراد بكم رحمة نقول المقصود ذلك ويدل قوله من بعد ولا
يجدون لهم وليا ولا نصيرا وانما ذكر الرحمة تنبيها للامر بالقسم الحاضر ولذلك اذا تأملت في قوله تعالى بالسنتهم ما ليس
في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا فان الكلام ايضا مع الكفار ودفع النفع وقع تبعا
لحصر الامر بالتقسيم ويدل عليه قوله تعالى بل كان الله بما تعملون خبيرا فانه للتخويف وهذا كقوله تعالى وانا او اياكم لعلى
هدى او في ضلال مبين والمقصود انكم على هدى وانتم في ضلال لو قال هكذا لامتنع مانع فقال بالتقسيم كذلك هاهنا المقصود
الضر واخرج بكم والاجل دفع المانع فقال الضر والنفع **المسئلة الثانية** قال هاهنا ان يردن الرحمن وقال في الزمر ان ارادني
الله فما الحكمة في اختيار صيغة الماضي هناك واختيار صيغة المضارع هنا وذكر المريد باسم الرحمن وذكر المريد باسم الله هناك
نقول اما الماضي والمستقبل مع ان في الشرط يصير الماضي مستقبلا وذلك لان المذكور هاهنا من قبل بصيغة الاستقبال
في قوله تعالى أأتخذ وقوله تعالى ومالي لا اعبد والمذكور هناك من قبل الماضي في قوله ارايتم تدعون وقوله تعالى وان يمسسك
الله بضر المتقدم مذكور بصيغة المستقبل وهو قوله تعالى من يصرف عنه وقوله تعالى اني اخاف ان عصيت والحكمة فيه هو
ان الكفار كانوا يخوفون النبي صلى الله عليه وسلم بضر يصيبه من الهتهم فكانه قال صدر منكم التخويف وهذا ما سبق منكم
وها هنا ابتدا صدر من المؤمن للتقرير وبجواب ما كان يمكن صدوره منهم فافترق الامران واما قوله هناك ان ارادني
الله بضر فنقول قد ذكرنا ان الاسمين المختصين بواجب الوجود هما الله والرحمن كما قال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن والله تعالى للهيبة والعظمة والرحمن للرأفة والرحمة وهنالك وصف الله بالعزة والانتقام في قوله تعالى اليس الله
بعزيز ذي انتقام وذكر ما يدل على العظمة بقوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض فذكر الاسم الدال على
العظمة وقال هاهنا ما يدل على الرحمة بقوله تعالى الذي فطرني فانه نعمة هي شرط سائر النعم فقال تعالى ان يردن الرحمن
بضر ثم قال تعالى لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون على ترتيب ما يقع من العقلاء وذلك لان من يريد دفع الضر
عن شخص ضربه شخص يدفع بالوجه الاحسن فيشفع اولا فان قبله والا يدفع فقال لا تغن عني شفاعتهم شيئا
ولا ينقذون اي لا يقدرون على التعادي بوجه من الوجوه وفي هذه الآية حصر بيان ان الله تعالى معبود من كل وجه
ان كان نظرا الى جانبه فهو فاطر ورب مالك يستحق العبادة سواء احسن بعد ذلك او لم يحسن وان كان نظرا الى احسانه فهو

[illegible]

هو الصحيح والله تعالى أعلم قوله تعالى إني آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون وإن كل لما جميع لدينا محضرون وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون اعلم

[illegible]

في قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك في وجه بل هو الفعل إلى فعله وفي وجه جعل الأرض بالغة ما وها وفي قوله تعالى بما غفر لي ربي وجوه أحدها أن ما استفهامية كأنه قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي حتى يستعلموا به وهو ضعيف وإلا لكان الأحسن أن يكون بما محذوفة الألف يقال بم وفيم ولم وثانيها خبرية كأنه قال يا ليت قومي يعلمون بالذي غفر لي ربي وثالثها ما مصدرية كأنه قال يا ليت قومي يعلمون بمغفرة ربي والوجهان الأخيران هما المختاران ثم وجعلني من المكرمين فذكرنا أن الإيمان والعمل الصالح يوجبان أمرين هما الغفران والإكرام كما في قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والرجل كان من المؤمنين الصالحين والكرم على ضد المهان والإهانة بالحاجة والإكرام بالاستغناء فيغنيه الله تعالى الصالح عن كل أحد ويدفع جميع حاجاته بنفسه ثم إنه تعالى لما بين حاله بين المحسنين والمخالفين له من قومه بقوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء إشارة إلى إهلاكهم بعده سريعا على أسهل وجه فإنه لم يحتج إلى إرسال جند يهلكهم وفيه مسائل المسألة الأولى قال ههنا وما أنزلنا بإسناد الفعل إلى النفس غير مذكور وذلك لأن العذاب من باب الهيبة فقال بلفظ التعظيم وما ادخل الجنة فقال قيل ليكون هو كالمهنى بقول الملائكة حيث تقول له كل ملك وكل صالح يراه ادخل الجنة خالدا فيها وكثيرا ما ورد في القرآن قوله تعالى قيل ادخلوا إشارة إلى أن الدخول يكون دخولا بإكرام كما يدخل العريس البيت المزين على رؤوس الأشهاد هنا كل أحد المسألة الثانية لما أضاف القوم إليه من أن الرسل أولى بكون الجمع قوما لهم فإن الواحد يكون له قوم [illegible] وأصحابه والرسول لكونه مرسلا يكون جميع الخلق أو جميع من أرسل إليهم قوما له نقول لوجهين أحدهما السبب من أسبق هما من قبله واحدة أكرم غاية الإكرام بسبب الإيمان وأهين الآخر غاية الإهانة بسبب الكفر وهذا من قوم [illegible] في السبب وثانيهما أن العذاب كان مختصا بأقارب ذلك لأن غيرهم من قوم الرسل آمنوا بهم فلم يصبهم العذاب والله أعلم المسألة الثالثة [illegible] عدم الإنزال بما بعده والله تعالى لم ينزل عليهم جندا قبله أيضا فما فائدة التخصيص نقول استحقاقهم العذاب كان بعده حيث أصروا واستكبروا فبين حال الهلاك أنه لم يكن بجند المسألة الرابعة قال من السماء وهو تعالى لم ينزل عليهم ولا أرسل إليهم جندا من الأرض فما فائدة التخصيص نقول الجواب عنه من وجهين أحدهما أن يكون المراد وما أنزلنا عليهم جندا بأمر من السماء فيكون للعموم وثانيهما أن العذاب نزل عليهم من السماء فبين أن النازل لم يكن جندهم عظمة وإنما كان ذلك بصيحة أخمدت نارهم وخربت ديارهم المسألة الخامسة وما كنا منزلين أي فائدة فيه مع أن قوله تعالى وما أنزلنا يستلزم أنه لا يكون من المنزلين نقول قوله تعالى وما كنا منزلين أي ما كان ينبغي لنا أن ننزل لأن الأمر كان يتم بدون ذلك فما أنزلنا وما كنا محتاجين إلى الإنزال أو نقول وما أنزلنا وما كنا منزلين في مثل تلك الواقعة جندا في غير تلك الواقعة فإن قيل فكيف أنزل الله جنودا في يوم بدر وفي غير ذلك حيث قال تعالى وأنزل جنودا لم تروها نقول ذلك تعظيما لمحمد صلى الله عليه وسلم وإلا كان تحريك ريشة من جناح ملك كافيا في استئصالهم وما كان رسل عيسى عليه السلام في درجة محمد صلى الله عليه وسلم

ثم بين الله تعالى ما كان بقوله إن كانت إلا صيحة واحدة قال الزمخشري أصله إن كان شيء إلا صيحة فكان الأصل أن يذكر لكنه تعالى أنث لما بعده من المفسر وهو الصيحة وقوله تعالى واحدة تأكيد لكونه أمرا هينا عند الله تعالى وقوله تعالى فإذا هم فيه إشارة إلى سرعة الهلاك فإن خمودهم كان مع الصيحة وفي وقتها لم يتأخر ووصفهم بالخمود في غاية الحسن وذلك لأن الحي فيه الحرارة الغريزية وكلما رأيت الحرارة أوفر كانت القوة الغضبية والشهوانية أتم وهم كانوا كذلك أما الغضب فإنهم قتلوا مؤمنا كان ينصحهم وأما الشهوة فلأنهم احتملوا العذاب الدائم بسبب استيفاء اللذات الحالية فإذا كانوا كالنار الموقدة ولأنهم كانوا جبارين مستكبرين كالنار ومن خلق منها فقال تعالى فإذا هم خامدون وفيه وجه آخر وهو أن العناصر الأربعة بعضها يخرج عن طبعه التي خلقها الله عليها ويصير العنصر الآخر بإرادة الله تعالى فالأحجار يصير مياها والمياه يصير أحجارا ولذلك الماء يصير ما عند الغليان والسخونة والهواء يصير ما البرد ويكون ذلك في العادة بزمان وأما الهواء فيصير نارا والنار يصير هواء بالاشتعال والخمود في أسرع زمان فقال تعالى خامدين لسرعها بخمود النار في السرعة كاطفاء سراج أو شعلة ثم قال تعالى يا حسرة على العباد أي هذا وقت الحسرة فاحضري يا حسرة والتنكير والتكثير وفيه مسائل المسألة الأولى الألف واللام في العباد يحتمل وجهين أحدهما للمعهود وهم الذين أخذتهم الصيحة فيا حسرة على أولئك وثانيهما لتعريف الجنس أي جنس الكفار المكذبين العامة من الجنسين يعود فيه وجوه الأول ولا يحسن [illegible] في الحقيقة إذ المقصود بيان أن ذلك وقت طلب الحسرة حيث تحققت الندامة عند تحقق العذاب وههنا بحث لغوي وهو أن المفعول قد يرفع رأسا إذا كان الغرض غير متعلق به فقال إن فلانا يعطي ويمنع ولا يكون هناك شيء معطى إذ المقصود أن له المنع والإعطاء ورفض المفعول كثير وما نحن فيه رفض الفاعل وهو قليل والوجه فيه ما ذكرنا أن ذكر المتحسر غير مقصود وإنما المقصود أن الحسرة متحققة في ذلك الوقت الثاني أن قائل يا حسرة هو الله تعالى على الاستعارة المقصود أن الحسرة تعظيما للأمر وهو لله وحينئذ يكون كالألفاظ التي وردت في حق الله تعالى كالضحك والنسيان والسخر والتعجب والتمني أو نقول ليس معنى قولنا يا حسرة ويا ندامة أن القائل متحسر أو نادم بل المعنى أنه مخبر عن وقوع الندامة ولا يحتاج إلى تجوز في بيان كونه تعالى يا حسرة بل يجريه على حقيقته إلا في النداء فإن النداء مجاز والمراد الإخبار الثالث المتلهفون من المسلمين والملائكة ألا ترى إلى ما حكي عن ابن حبيب أنه حين القتل كان يقول اللهم اهد قومي وبعد ما قتلوه وأدخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون فيجوز أن يتحسر المسلم للكافر ويندم له وعليه المسألة الثانية قرئ يا حسرة بالتنوين ويا حسرة العباد بالإضافة من غير كلمة على وقرئ يا حسرة على العباد بالهاء إجراء للوصل مجرى الوقف الرابعة من المراد بالعباد نقول فيه وجوه أحدها الرسل الثلاثة كأن الكافرين يقولون عند ظهور البأس يا حسرة عليهم يا ليتهم كانوا حاضرين [illegible] وثانيها هم قوم حبيب يا ليتها كل من كفر وأصروا استكبارا وعلى الأول فإطلاق العباد على المؤمنين كما في قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وقوله تعالى يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم وعلى الثاني فإطلاق العباد على الكفار وفرق بين العبد مطلقا وبين العبد المضاف إلى الله تعالى فإن الإضافة إلى الكريم تكسو المضاف شرفا تقول بيت الله فيكون فيه الشرف ما لا يكون في قولك البيت وعلى هذا فقوله تعالى وعباد الرحمن من قبيل قوله تعالى إن عبادي وكذلك عباد الله ثم بين الله تعالى سبب الحسرة بقوله تعالى ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون وهذا سبب الندامة وذلك لأن من جاء ملك في بابه وعرفه نفسه وطلب منه أمرا هينا فكذبه ولم يجبه إلى ما ادعاه ثم وقف بين يديه وهو على سرير ملكه معرفه أنه ذلك يكون عنده من الندامة ما لا مزيد عليه فكذلك الرسل هم ملوك وأعظم منهم فإن الله تعالى أيدهم وجعلهم نوابه كما قال تعالى إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وجاؤوا وعرفوا أنفسهم ولم يكن لهم عظمة ظاهرة في الحس ثم يوم القيامة أو عند ظهور البأس ظهرت عظمتهم عند الله لهم وكان ما يدعونه إليه أمرا هينا نفعه عائد إليهم من عبادة الله وما كانوا يسألون عليه أجرا فعند ذلك يكون الندامة الشديدة وكيف لم يصغوا [illegible] حتى آذوا واستهزؤوا واستخفوا واستهانوا وقوله تعالى ما يأتيهم الضمير يجوز أن يكون عائدا إلى قوم حبيب أي ما يأتيهم من رسول من الرسل الثلاثة إلا كانوا به يستهزئون على قولنا الحسرة عليهم ويجوز أن يكون عائدا إلى الكفار المصرين ثم إن الله تعالى لما بين حال الأولين قال للحاضرين ألم يروا كم أهلكنا أي الباقون لا يرون ما جرى على من تقدمهم ويحتمل أن يقال إن الذين قيل في حقهم يا حسرة هم الذين قال في حقهم ألم يروا ومعناه أن كل مهلك تقدمه قوم كذبوا وأهلكوا إلى قوم نوح وقبله وقوله تعالى أنهم إليهم لا يرجعون بدل في المعنى عن قوله تعالى كم أهلكنا وذلك لأن المعنى كم أهلكنا ألم يروا كثرة إهلاكنا وفيه معنى ألم يروا المهلكين الكثيرين أنهم إليهم لا يرجعون وحينئذ يكون كبدل الاشتمال لأن أنهم إليهم لا يرجعون حال من أحوال المهلكين أي هلكوا بحيث لا رجوع لهم إليهم فيصير كقولك ألا ترى زيدا أدبه وعلى هذا فقوله تعالى أنهم إليهم لا يرجعون فيه وجهان أحدهما أهلكوا إهلاكا لا رجوع لهم إلى من في الدنيا وثانيهما وهم لا يرجعون إليهم أي الباقون لا يرجعون إلى المهلكين بنسب ولا ولادة يعني أهلكناهم وقطعنا نسلهم ولا شك في أن الإهلاك الذي يكون مع قطع النسل أتم وأعم والوجه الأول أشهر نقلا والثاني أظهر عقلا ثم قال تعالى وإن كل لما جميع لدينا محضرون لما بين الإهلاك بين أنه ليس من أهلكه تركه بل بعده جمع وحساب وحبس وعقاب ولو أن من أهلك ترك لكان الموت راحة ونعم ما قال القائل ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي ولكنا إذا متنا بعثنا ونسأل بعدها عن كل شيء وقوله تعالى وإن كل لما فيه وجهان أحدهما أنها مخففة من الثقيلة واللام في لما فارقة بينها وبين النافية وما زائدة مؤكدة في المعنى والقراءة حينئذ بالتخفيف في لما وثانيهما أنها نافية ولما بمعنى إلا قال سيبويه يقال نشدتك الله لما فعلت بمعنى إلا فعلت والقراءة حينئذ بالتشديد في لما ويؤيد هذا ما روي أن أبيا قرأ وما كل إلا جميع وفي قول سيبويه لما بمعنى إلا وارد معنى مناسب وهو أن لما كأنها حرفا نفي جمعا وهما لم وما فتأكد النفي ولهذا يقال لما في جواب من قال قد فعل لم يفعل وفي جواب من قال فعل لم يفعل وإلا كأنها حرفا نفي إن ولا فاستعمل أحدهما مكان الآخر قال الزمخشري إذا قال قائل كل وجميع بمعنى واحد فكيف جعل جميعا خبرا لكل حيث دخلت اللام عليه إذ التقدير وإن كل لجميع نقول جميع بمعنى مجموع ومعنى كل فرد بحيث لا يخرج عن الحكم أحد فصار المعنى كل فرد مجموع

مع الاخر مضموم اليه ويمكن ان يقال محضرون يعني مما ذكروه وذلك لانه لو قال وان جميع لجميع لدينا محضرون لكان كلاما صحيحا ولم يوجد ما ذكروه
من الجواب بل الصحيح ان محضرون كالصفة لجميع فكانه قال جميع محضرون كما يقال الرجل رجل عالم والنبي نبي مرسل والواو في وان كل لعطف الحكاية على الحكاية
كانه يقول بينت لك ما ذكرت وابين ان كلا لدينا محضرون وكذلك الواو في قوله تعالى واية لهم الارض الميتة كانه يقول واقول ايضا
اية لهم الارض الميتة وفيه مسايل **المسئلة الاولى** ما وجه تعلق هذا بما قبله نقول مناسب لما قبله من وجهين احدهما انه لما قال و
ان كل لما جميع كان ذلك اشارة الى الحشر فذكر ما يدل على امكانه قطعا لانكارهم واستبعادهم واصرارهم وعنادهم فقال تعالى واية لهم الارض
الميتة احييناها كذلك نحيي الموتى وثانيهما انه لما ذكر حال المرسلين واهلاك المكذبين وكان شغلهم التوحيد ذكر ما يدل عليه وبدا بالارض لكونهم
مكانهم لا مفارقة لهم منها عند الحركة والسكون المسئلة الثانية الارض اية مطلقا فلم خصصها بهم حيث قال واية لهم نقول الاية تعدد وتسرد لمن لم يعرف
الشي بابلغ الوجوه واما من عرف الشي بطريق الرؤية لا يذكر له دليل فان عباد الله المخلصين عرفوا الله قبل الارض والسما فليست
الارض معرفة لهم وهذا كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم وقال تعالى اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد
يعني انت كفاك الله ربك معرفا انه عرفت كل شي فهو شهيد لك على كل شي واما هولا تبين لهم الحق بالافاق والانفس وكذلك ههنا
اية لهم المسئلة الثالثة ان قلنا ان الاية مذكورة للاستدلال على جواز احيا الموتى فيكفي قوله تعالى احييناها ولا حاجة الى قوله تعالى واخرجنا منها
حبا وغير ذلك وان قلنا انها للاستدلال على وجود الاله ووحدته فلا فايدة في قوله الارض الميتة احييناها لان نفس الارض دليل ظاهر و
برهان باهر ثم هنا انها غير كافية فقوله تعالى الميتة احييناها كاف في التوحيد فما فايدة قوله تعالى واخرجنا منها حبا نقول هي مذكورة للاستدلال
عليهما ولكل ما ذكره الله تعالى فايدة اما قوله تعالى واخرجنا منها حبا فايدته بالنسبة الى بيان احيا الموتى وذلك لانه لما احيا الارض واخرج
منها حبا كان ذلك احيا تاما لان الارض المخضرة التي لا تنبت الزرع ولا تخرج الحب دون ما تنبته في الحياة فكانه قال الذي احيا الارض احيا
كاملا منبتا للزرع يحيي الموتى احيا كاملا بحيث يدرك الامور واما بالنسبة الى التوحيد فلان فيه تعديد النعم كانه يقول اية لهم الارض فانها
مكانهم ومهدهم الذي فيه تحريكهم واسكانهم والامر الضروري الذي عنده وجودهم وامكانهم سوا كانت ميتة او لم تكن لكن مكانا لهم لا بد لهم منها
فهي نعمة ثم احياوها بحيث تخضر نعمة ثانية فانها تصير احسن وانزه ثم اخراج الحب منها نعمة ثالثة فان قوامهم يصير في مكانهم وكان يمكن ان يجعل الله
رزقهم في السما او في الهوا فلا يحصل لهم الوثوق ثم جعل الحياة فيها نعمة رابعة لان الارض تنبت الحب في كل سنة واما الاشجار بحيث يوجد منها
الثمار فيكون بعد الحب وجودها تجري فيها العيون فيحصل لهم الاعتماد بالحصول ولو كان ماوها من السما لحصل لهم ولكن لم يعلم انها تغوص واين
تقع المطر وينزل المطر وبالنسبة الى بيان احيا الموتى كل ذلك مفيد وذلك لان قوله تعالى واخرجنا منها حبا كان اشارة الى الامر الضروري الذي
لا بد منه وقوله تعالى وجعلنا فيها جنات كالامر المحتاج اليه الذي ان لم يكن لا يغني الانسان لكنه يبقى مختل الحال اما قوله تعالى وفجرنا فيها من
العيون اشارة الى الزينة التي ان لم تكن لا يغني الانسان ولا يبقى ورطة الحاجة لكنه لا يكون على احسن ما ينبغي وكان حال الانسان
بالحب كحال الفقير الذي له ما يسد خلته من بعض الوجوه ولا يدفع حاجته من كل الوجوه وبالثمار يصير حاله كحال المكتفي وبالعيون الجارية
التي يعول عليها الانسان ويقوى عليه كالمستغني الغني المدخر لقوت سنين فيقول الله عز وجل كما جعلنا في الاموات الارض ذلك نفعل
في الاموات في الارض فنحييهم ونعطيهم ما لا بد لهم منه في بقائهم ويوتيهم الاعضا المحتاج اليها وقواها كالعين والقوة الباصرة والاذن
والقوة السامعة وغيرها ويزيد ما هو زينة كالعقل الكامل والادراك الشامل فكانه قال يحيي الموتى احيا تاما كما احيينا الارض
احيا تاما **المسئلة الرابعة** قال عند ذكر الحب فمنه ياكلون وفي الاشجار والثمار قال لياكلوا من ثمره وذلك لان الحب قوت لا بد منه فقال
تعالى فمنه ياكلون اي هم اكلوه واما الثمار فليست كذلك فكانه قال تعالى ما اذ كنا اخرجناها كانوا يبقون من غير اكل فاخرجناها
لياكلوها الخامسة خصص النخل والاعناب بالذكر من ساير الفواكه لان الذ الطعام الحلاوة وهي فيهما اتم ولان التمر والعنب
قوت وفاكهة ولا كذلك غيرهما ولانهما اعم نفعا فانها تحمل من البلاد الى الاماكن البعيدة فان قيل فقد ذكر الله تعالى الرمان والزيتون
في الانعام والعنب والزيتون والتين في مواضع فنقول في الانعام وغيرها المقصود ذكر الفواكه والثمار الا ترى الى قوله تعالى انزل
من السما فاخرجنا به والى قوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه فاستوفى الانعام بالذكر وههنا المقصود ذكر صفات الارض فاختار
منها الاكمل الابقى وقد ذكرنا في سورة الانعام ما يستفاد منه الفوايد ويعلم منه فايدة قوله تعالى فيها فاكهة ونخل ورمان
السادسة في المواضع التي ذكرها الله تعالى للفواكه لم يذكر التمر بلفظ شجرته وهي النخلة ولم يذكر العنب بلفظ شجرته بل ذكره بلفظ
العنب والاعناب ولم يذكر الكرم وذلك لان العنب شجرته بالنسبة الى ثمرته حقيرة قليلة الفايدة والنخلة بالنسبة الى ثمرتها عظيمة
جليلة القدر كثيرة الجدوى فان كثيرا من الظروف منها يتخذ ولحائه ينسج ولها شبه بالحيوان فاختار منها ما هو الاعجب
منها وقوله تعالى وفجرنا فيها من العيون انه عظيمة لان الارض اجزاوها بحكم العادة لا تصعد ونحن نرى منابع الانهار والعيون
في المواضع المرتفعة وذلك دليل القدرة والاختيار وقالت القايلون بالطبايع ان الجبال كالقباب المبنية والابخرة ترتفع
اليها كما ترتفع الى سقوف الحمامات ويتكون هناك قطرات من الما ثم تجتمع فان لم يكن قوية تحصل المياه الراكدة كالابار وتجري في القنوات
وان كانت قوية تشق الارض وتخرج الانهار جارية تجتمع فتحصل الانهار العظيمة ويمدها مياه الامطار والثلوج فنقول اختصاص بعض
الجبال بالعيون دليل ظاهر على الاختيار وما عملته ايديهم افلا يشكرون والترتيب ظاهر وقد بيناه في التفسير وفيه مسايل
**المسئلة الاولى** لم اخر التنبيه على الانتفاع بقوله تعالى لياكلوا عن ذكر الثمار حتى قال تعالى وفجرنا فيها من العيون وقال في الحب فمنه ياكلون
عقيب ذكر الحب ولم يقل عقيب النخيل والاعناب لياكلوا نقول الحب قوت وهو يتم وجوده بما الامطار ولهذا نرى اكثر البلاد لا يكون
منها شي من الاشجار والزرع والحراثة لا يبطل هناك اعتمادا على ما السما وهذا لطف من الله تعالى حيث جعل ما يحتاج اليه





الانسان وجودا واما الثمار فلا يتم الا بالانهار فلا تصير الاشجار حاملة الثمار الا بعد وجود الانهار فلهذا اخر **المسئلة الثانية** الضمير
في قوله من ثمره عايد الى اي شي نقول المشهور انه عايد الى الله تعالى اي لياكلوا من ثمر الله تعالى وفيه لطيفة وهي ان الثمار بعد وجود
الاشجار وجريان الانهار لم توجد الا بالله تعالى ولولا خلق الله ذلك لم توجد فالثمر بعد جميع ما يظن الظان انه سبب وجوده ليس الا بالله
تعالى وارادته فهي ثمرة ويحتمل ان يقال هو راجع الى المذكور اي من ثمر ما ذكرنا وهذان الوجهان نقلهما الزمخشري ويحتمل وجها اغرب وهو ان يقال
المراد من الثمر الفوايد فقال ثمرة التجارة الربح ويقال ثمرة العبادة الثواب وحينئذ الضمير عايد الى التفجير المدلول عليه بقوله تعالى وفجرنا فيها من العيون
كانه قال تعالى وفجرنا فيها من العيون لياكلوا من فوايد ذلك التفجير وفوايده اكثر من الثمار بل يعضل فيه ما قال الله تعالى انا صببنا الما صبا
الى قوله تعالى فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدايق غلبا وفاكهة وابا والتفجير اقرب في الذكر من النخل ولو كان عايدا
الى الله تعالى لقال من ثمرنا كما قال تعالى وفجرنا وجعلنا **المسئلة الثالثة** ما في قوله تعالى وما عملته اي من اي الماءات هي نقول فيها
وجوه احدها نافية كانه قال وما عملت التفجير ايديهم بل الله تعالى فجر وثانيها موصولة بمعنى الذي كانه قال والذي عملته ايديهم من
الغراس بعد التفجير ياكلون منه ايضا وياكلون من ثمر الله الذي اخرجه من غير سعي من الناس فعطف الذي عملته الايدي على ما خلقه
الله تعالى من غير مدخل للانسان فيه وثالثها هي مصدرية على قراة من قرا وما عملت من غير ضمير عايد معناه لياكلوا من ثمره وعمل
ايديهم يعني يغرسون والله تعالى ينبتها ويخلق ثمرها فياكلون مجموع عمل ايديهم وخلق الله وهذا الوجه لا يمكن على قراة من قرا مع الضمير
الرابعة على قولنا موصولة ويحتمل ان يكون معنى وما عملته اي بالتجارة كانه ذكر نوعي ما ياكل الانسان به وهما الزراعة والتجارة و
من النبات ما يوكل من غير عمل الايدي كالعنب والتمر وغيرهما ومنه ما يعمل فيه عمل فيوكل كالاشيا التي لا توكل الا مطبوخة او كالزيتون الذي لا يوكل
الا بعد اصلاح ثم لما عدد النعم اشار الى الشكر بقوله تعالى افلا يشكرون وذكر بصيغة الاستفهام لما بينا من فوايد الاستفهام فيما تقدم والله سبحانه اعلم

**قوله تعالى** سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون واية لهم الليل نسلخ
منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون
القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون واية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون
وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين

**اعلم** انا قد ذكرنا ان لفظ سبحان علم دال على التسبيح وتقديره سبح تسبيح الذي خلق الازواج ومعنى سبح نزه ووجه تعلق الاية بما قبلها
هو انه تعالى لما قال افلا يشكرون وشكر الله تعالى بالعبادة وهم تركوها ولم يقتنعوا بالترك بل عبدوا غيره واتوا بالشرك فقال تعالى سبحان الذي
خلق الازواج وغيره لم يخلق شيا او نقول بين انهم انكروا الايات ولم يشكروا وبين ما ينبغي ان يكون عليه العاقل فقال تعالى سبحان الذي خلق الازواج
او نقول لما بين الايات عن احيا الموتى وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قوله تعالى كلها ما يدل على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى لان الزوج
هو الصنف وافعال العباد اصناف ولها اشباه وهي واقعة تحت اجناس الاعراض فيكون من الكل الذي قال الله فيه خلق الازواج كلها
لا يقال مما تنبت الارض يخرج الكلام عن العموم لان من قال اعطيت زيدا كل ما كان لي يكون للعموم فان اقتصر عليه فاذا قال بعده من البيان لا يبقى
الكلام على عمومه لانا نقول ذلك اذا كانت من لبيان التخصيص اما اذا كانت لتاكيد العموم فلا بدليل ان من قال اعطيته كل شي من الدواب والثياب
والعبيد والجواري يفهم منه انه يعد الاصناف لتاكيد العموم ويويد هذا قوله تعالى في حم الذي خلق الازواج كلها وجعل لكم
من الفلك والانعام ما تركبون من غير صلة **المسئلة الثانية** ذكر الله تعالى امورا ثلاثة تنحصر فيها المخلوقات فقوله تعالى مما تنبت
الارض يدخل فيها ما في الارض من الامور الظاهرة كالنبات والثمار وقوله ومن انفسهم يدخل فيها الدلايل النفسية وقوله تعالى ومما لا يعلمون
يدخل ما في اقطار السموات وتخوم الارضين وهذا دليل على انه لم يذكر ذلك للتخصيص بدليل ان الانعام مما خلقها الله تعالى ولم يذكرها
وانما ذكر الاشيا لتاكيد معنى العموم كما ذكرنا في المثال السابق قوله تعالى ومما لا يعلمون لان الخلق عام والمانع من الشركة الخلق فلو اشركوا
بالله شيا مما يعلمون فالحكم معلوم انه مخلوق ومما لا يعلمون فانما حصر الله تعالى كله مخلوق لكون كله ممكنا ثم قال تعالى واية لهم الليل
نسلخ منه النهار ولما استدل الله تعالى باحوال الخلق وهي المكان الكلي استدل بالليل والنهار وهو الزمان الكلي فان دلالة المكان
والزمان مناسبة لان المكان لا تستغني عنه الجواهر والزمان لا تستغني عنه الاعراض لان كل عرض فهو في زمان ومثله مذكور في قوله
تعالى ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ثم الحشر بدليل قوله تعالى ان الذي احياها لمحيي الموتى وههنا المقصود
اولا اثبات الحشر لان الحشر اكثر ما يدل عليه التعرض في السورة وهناك ذكر التوحيد اكثر بدليل قوله تعالى فيه قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض
الى غيره واخر السورة فيه معنى الامر وفيه مسايل **المسئلة الاولى** المكان يرتفع عند اهل السنة شبهة الفلاسفة والزمان يرتفع
عنهم شبهة المشبهة اما بيان الاول وذلك لان الفلسفي يقول لو كان عدم العالم قبل وجوده لكان عند فرض عدم العالم قبل لا يتحقق
الا بزمان فقبل العالم زمان والزمان من جملة العالم فيلزم وجود الشي عند عدمه وهو محال فنقول لهم قد وافقتمونا على ان الامكنة متناهية
لان الابعاد متناهية بالاتفاق فاذا فرضنا السطح الاعلى من العالم يكون عدما وهو موصوف بالفوقية وفوق وتحت لا يتحقق الا بالمكان
فوق العالم مكان والمكان من العالم فيلزم وجود الشي عند عدمه **فان اجابوا** بان فوق السطح الاعلى لا خلا ولا ملا نقول قبل
وجود العالم لا ان ولا زمان موجود واما بيان الثاني فلان المشبه يقول لا يمكن وجود موجود لا في مكان فالله تعالى في مكان
فنقول لا يلزمكم كما لا يمكنه ان يقول هو موجود ولا مكان لا يمكنه ان يقول هو كان موجودا ولا زمان وكل زمان فهو حادث وقد
اجمعنا على ان الله تعالى قديم **الثانية** لو قال قايل اذا كان المراد منه الاستدلال بالزمان فلم اختار الليل حيث قال تعالى
واية لهم الارض نقول لما استدل بالمكان الذي هو المظلم وهو الارض قال تعالى واية لهم الارض واستدل بالزمان الذي فيه الظلمة وهو

الليل ووجه آخر وهو ان الليل فيه سكون الناس وهو الاموات وفيه النوم وهو كالموت ويكون هذه طلوع الشمس كالنفخ في الصور فيتحرك
الناس فذكر الموت كما قال تعالى في الارض وآية لهم الارض الميتة احييناها فذكر من الزمانين اشبههما بالموت كما ذكر من المكانين
اشبههما بالموت **الثالثة** ما معنى سلخ النهار من الليل نقول معناه تميزه منه يقال سلخ النهار من الليل اذا اتى
آخر النهار ودخل اول الليل وسلخه الله منه فانسلخ هو منه واما اذا استعمل لغير كلمة من فقيل سلخنا النهار والشهر
بمعناه دخلت في آخره فان قيل فالليل في نفسه آية فاية حاجة الى قوله تعالى نسلخ منه النهار نقول الشي تتبين بضده
منافعه ومحاسنه ولهذا لم يجعل الله الليل وحده آية في موضع من الظلام والى المفاجاة اي لبس بعدهم بعد ذكر امر
ولا يلزم من الدخول فيه وقوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم يحتمل ان يكون الواو للعطف على الليل
تقديره وآية لهم الليل نسلخ والشمس تجري والقمر قدرناه فهي كلها آية وقوله تعالى والشمس تجري اشارة الى سبب سلخ النهار
فانها تجري لمستقر لها وهو وقت الغروب فينسلخ النهار وفايدة ذكر السبب هو ان الله تعالى لما قال نسلخ منه النهار كان يحتمل الجهال
ان يقول قايل منهم سلخ النهار ليس من الله تعالى انما ينسلخ بغروب الشمس فقال تعالى والشمس تجري لمستقر لها بامر الله
فغروب الشمس سالخ النهار فبذكر السبب يتبين صحة الدعوى ويحتمل ان يقال بان قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها الى نعمة النهار
بعد الليل كانه لما قال وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ذكر ان الشمس تجري فتطلع عند انقضا الليل فيعود النهار بمنافعه
وقوله تعالى لمستقر اللام يحتمل ان يكون للوقت كقوله تعالى اقم الصلوة لذكري وقوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس وقوله تعالى
فطلقوهن لعدتهن ووجه استعمال اللام للوقت هو ان اللام المكسورة في الاسما لتحقيق معنى الاضافة لكن اضافة الفعل
الى سببه احسن لان الاضافة لتعريف المضاف بالمضاف اليه كما في قوله دار زيد لكن الفعل يعرف بسببه فيقال اتجر للربح واشترى
للاكل واذا علم ان اللام يستعمل للتعليل فعمول وقت الشي يشبه سبب الشي لان الوقت ياتي بالامر الكاين فيه والامور متعلقة باوقاتها فيقال خرج لعشر كذا
واقم الصلوة لدلوك الشمس لان الوقت معرف كالسبب وعلى هذا فمعناه تجري الشمس وقت استقرارها اي كلما استقر زمانا امر بالجري ويحتمل ان يكون بمعنى
الى اي مستقرها وتقريره هو ان اللام يذكر للوقت وللوقت طرفان ابتدا وانتها فيقال سرت من يوم الجمعة الى يوم الخميس فجاز استعمال ما يستعمل فيه لاحد طرفيه
لما بينهما من الاتصال ويؤيد هذا قراة من قرا والشمس تجري الى مستقر لها وعلى هذا ففي ذلك المستقر وجوه **الاول** يوم القيمة وعنده تستقر
ولا يبقى لها حركة الثاني السنة الثالث الليل اي تجري الى الليل الرابع ان ذلك المستقر ليس بالنسبة الى الزمان بل هو للمكان وحينئذ ففيه وجوه
**الاول** هو غاية ارتفاعها في الصيف وغاية انحطاطها في الشتا اي تجري الى ان تبلغ الموضع فترجع الثاني هو غاية مشارقها فانها في كل يوم لها
مشرق الى ستة اشهر ثم يعود على تلك المقنطرات وهذا هو القول الذي تقدم في الارتفاع فان اختلاف المشارق بسبب اختلاف الارتفاع الثالث
هو وصولها الى بيتها في الابتدا الرابع هو الدايرة التي عليها حركتها حيث لا تميل عن منطقة البروج على مرور الشمس سفلها ويحتمل ان يقال المستقر لها
اي تجري مستقرها فان اصحاب الهيئة قالوا الشمس في فلك والفلك يدور فيدير الشمس فالشمس تجري مستقرها وقالت الفلاسفة تجري لمستقرها
اي الامر لو وجدها لا استقر وهو استخراج الاوضاع الممكنة وهو غاية السقوط واجاب الله عنه بقوله ذلك تقدير العزيز العليم اي لا اراداتها
وانما ذلك بارادة الله تعالى وتقديره وتسييره اياها وتدبيره **فان قيل** عددت الوجوه الكثيرة فما ذكرت المختار ولنا الوجه المختار
هو ان المراد من المستقر المكان اي تجري لبلوغ مستقرها وهو غاية الارتفاع والانخفاض فان ذلك يشمل المشارق والمغارب والميل الذي لا يختلف
والزمان وهو السنة والليل فهو اتم فايدة وقوله ذلك يحتمل ان يكون اشارة الى جري الشمس اي ذلك الجري تقدير الله تعالى ويحتمل ان يكون اشارة
الى المستقر اي لمستقرها وذلك المستقر تقدير الله تعالى والعزيز الغالب وهو بكمال القدرة تعلق والعليم كامل العلم اي قدر على اجرائها
على الوجه الانفع وعلم الانفع فاجراها على ذلك وبيانه من وجوه **الاول** وهو ان الشمس في ستة اشهر كل يوم تمر على مسامتة شي لم تكن تسامته
على تلك المسامتة ولو قدر الله تعالى مرورها على مسامتة واحدة لاحترقت الارض التي هي مسامتة لمرورها وبقي الجمود مستوليا
على الاماكن الاخر فقدر الله تعالى لها بعدا تجتمع الرطوبات في بطن الارض والاشجار في زمان الشتا ثم قدر قربها بعد ذلك لتخرج النبات والثمار والنجم
وينضج وتخضر وجه الارض واغصان الاشجار الثاني هو ان الله تعالى قدر لها كل يوم طلوعا وفي كل ليلة غروبا لئلا تكل القوى والابصار
بالسهر والتعب ولا يخرب العالم بترك العمارة بسبب الظلمة الدايمة الثالث جعل سيرها اوسط من سير القمر واسرع من سير زحل لانها كاملة
النور فلو كان بطي السير لدام زمانا كثيرا في مسامتة شي واحد فتحرقه ولو كان سريع السير لما حصل لها لبث تقدر ما يصلح الثمار في
بقعة واحدة ثم قال تعالى والقمر قدرناه منازل قال الزمخشري لا بد من تقدير يتعلق به معنى الكلام لان القمر لم يجعل نفسه منازل فالمعنى اذا
قدرنا مسيره منازل وعلى ما ذكره يحتمل ان يقال المراد منه والقمر قدرناه ذا منازل لان ذا الشي قريب من هذا الشي ولهذا جاز قول القايل
عيشة راضية لان ذا الشي كالقايم به الشي فاتوا بلفظ الوصف وقوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم اي رجع في الرقة الى حالته التي
كان عليها العرجون من الانعراج يقال لعود العذق عرجون والقديم المتقادم الزمان قيل ان ما مر عليه سنة فهو قديم والصحيح
ان القديم معناها لا يشترط في اطلاق جواز القديم عليها وانما تعتبر العادة حتى لا يقال لمدينة بنيت من سنة وساكنها اناس قديم
او هي مدينة قديمة ويقال لبعض الاشيا انه قديم وان لم يكن سنة ولهذا جاز ان يقال بيت قديم وبناء قديم ولم يجز ان يقال في
العالم انه قديم لان القدم في البيت والبنا يثبت بحكم تقادم العهد ومرور السنين عليه واطلاق القديم على العالم لا يعتبر الا
على من يعتقد انه لا اول له ولا سابق عليه ثم قال تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار اشارة الى ان كل
شي من الاشيا المذكورة خلقها على وفق الحكمة فالشمس لم تكن تصلح لها سرعة الحركة بحيث تدرك القمر والا لكان في شهر واحد صيف وشتا فلا تدرك
الثمار وقوله ولا الليل سابق النهار قيل في تفسيره ان سلطان الليل وهو القمر ليس يسبق الشمس وهي سلطان النهار وقيل معناه

ولا الليل



ولا الليل سابق النهار اي الليل لا يدخل وقت النهار والثاني بعيد لان ذلك يقع اسفا حالوا صح والاول صحيح ان اريد به ما بينه وهو
ان معنى قوله تعالى ولا الليل سابق النهار ان القمر اذا كان على افق المشرق ايام الاستقبال تكون الشمس في مقابلته على افق المغرب ثم ان عند غروب
الشمس يطلع القمر وعند طلوعها يغرب القمر كان لهما حركة واحدة مع ان الشمس متاخر عن القمر في كل ليلة مقدارا ظاهرا في الحس فلو كان للقمر حركة واحدة
بها يسبق الشمس ولا يدركها الشمس وللشمس حركة واحدة بها متاخر عن القمر ولا يدرك القمر لبقي القمر والشمس مقيمة في مكان واحد
لان حركة الشمس كل يوم درجة فخلق الله تعالى في جميع الكواكب حركة اخرى غير حركة الشهر والسنة وهي الدورة اليومية وبهذه الدورة
اليومية وبهذه الدورة لا يسبق كوكب اصلا لان كل كوكب من الكواكب اذا طلع غير مقابلة وكلما تقدم كوكبا الى الموضع الذي فيه الكوكب
الاخر بالنسبة الينا تقدم ذلك الكوكب فبهذه الحركة لا يسبق القمر الشمس فتبين ان سلطان الليل لا يسبق سلطان النهار فالمراد من الليل القمر
ومن النهار الشمس فقوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر اشارة الى حركتها البطيئة التي تتم الدور في سنة وقوله تعالى ولا
الليل سابق النهار اشارة الى حركتها اليومية التي تعود بها من المشرق الى المشرق مرة اخرى في يوم وليلة وعلى هذا فيه مسايل
**المسئلة الاولى** ما الحكمة في اطلاق الليل وارادة سلطانه وهو القمر وما يكون لو قال ولا القمر سابق الشمس نقول لو قال ولا القمر سابق
الشمس لكان يتوهم ان الاشارة الى الحركة اليومية فكان يتوهم الناظر فان الشمس اذا كان لا يدرك القمر والقمر اسرع ظاهرا واذا قال
ولا القمر سابق ظن ان القمر لا يسبق فليس باسرع فقال الليل والنهار ليعلم ان الاشارة الى الحركة التي بها تتم الدورة في مدة يوم وليلة
وليكون تجمع الكواكب اولا علمها طلوع وغروب في الليل والنهار **المسئلة الثانية** ما الفايدة في قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك
القمر بصيغة الفعل وقوله تعالى ولا الليل سابق النهار بصيغة اسم الفاعل ولم يقل ولا الليل يسبق ولا قال لا الشمس مدركة القمر نقول الحركة
الاولية التي للشمس لا يدرك بها القمر مختصة بالشمس فجعلها كالصادرة منها وذكر بصيغة الفعل لان صيغة الفعل لا تطلق
على من لا يصدر منه الفعل فلا يقال هو يخيط ولا يكون يصدر منه الخياطة والحركة الثانية ليست مختصة بكوكب من الكواكب
بل الكل فيها مشتركة بسبب حركة فلك ليس ذلك لكوكب من الكواكب بالحركة ليست كالصادرة منه فاطلق اسم الفاعل
لانه لا يستلزم صدور الفعل يقال فلان خياط وان لم يكن يخيط فان قيل قوله تعالى يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا يدل على خلاف
ما ذكرتم لان النهار اذا كان يطلب الليل فالليل سابقه وقلتم ان قوله تعالى ولا الليل سابق النهار معناه ما ذكرتم فلا يكون الليل سابقا ولا يكون
سابقا نقول قد ذكرنا ان المراد بالليل ها هنا سلطان الليل وهو القمر وهو لا يسبق الشمس بالحركة اليومية السريعة والمراد من الليل
هناك نفس الليل وكل واحد لما كان في عقب الاخر فكان طالبه نقول ذلك لما بينا من ان المراد في هذه السورة من الليل كواكب الليل وهي
في هذه الحركة كانها لا حركة لها فلا تسبق ولا من شانها انها سابقة والمراد هناك نفس الليل والنهار وهما زمانان والزمان لا قرار
له فهو يطلب حثيثا لصدور التقضي منه وقوله تعالى وكل في فلك يسبحون تحقق ما ذكرنا اي الكل طلوع وغروب في يوم وليلة
لا يسبق بعضها بعضا بالنسبة الى هذه الحركة ولكل حركة في فلك تخصه وفيه مسايل **المسئلة الاولى** التنوين في قوله
عوض عن الاضافة معناه وكل واحد واسقاط التنوين للاضافة حتى لا يجتمع التعريف والتنكير في شي واحد فلما اسقط
المضاف اليه لفظا رد التنوين عليه لفظا وفي المعنى معرف بالاضافة فان قيل هل يختلف الامر عند الاضافة لفظا وتركها فنقول
نعم وذلك لان قول القايل كل واحد من الناس كذا لا يذهب الفهم الى غيرهم فيفيد اقتصار الفهم عليه فاذا قال كل كذا يدخل في الفهم عموم اكثر
من العموم عند الاضافة وهذا كما في قبل وبعد اذا قلنا فعل قبل كذا فاذا حذفت المضاف وقلت افعل قبلا فانه يفهم الفعل قبل كل شي فان
قيل فهل بين قولنا كل منهم وبين كلهم وبين كل فرق نقول نعم عند قولك كلهم تثبت الامر للاقتصار عليهم وعند قولك كل منهم اولا
للعموم ثم استدركت بالتخصيص فقلت منهم وعند قولك كل تثبت على العموم وتركت عليه الثالثة اذا كان كل بمعنى كل واحد منهم
والمذكور الشمس والقمر فكيف قال يسبحون نقول الجواب عنه من وجوه احدها ما بينا ان قوله كل للعموم فكانه اخبر عن كل كوكب في السما التي
وثانيها ان لفظ كل يجوز نظرا الى كونه لفظا موحدا غير مثنى ولا مجموع ويجوز ان يكون الجمع لكون معناه جمعا واما التثنية فلا يدل عليها اللفظ
ولا المعنى فعلى هذا يحسن ان يقول القايل زيد وعمرو كل جا او كل جاوا ولا يقول كل جا بالتثنية ثالثها قال ولا الليل سابق والمراد من الليل
ما في الكواكب فقال يسبحون الثالثة الفلك ماذا نقول الجسم المستدير او السطح المستدير او الدايرة لان اهل اللغة اتفقوا على
ان فلكة المغزل سميت فلكة لاستدارتها وفلكة الخيمة هي الخشبة المسطحة المستديرة التي توضع على راس العمود لئلا يمزق العمود
الخيمة وهي صفحة مستديرة **فان قيل** فعلى هذا تكون السما مستديرة وقد اتفق اكثر المفسرين على ان السما مبسوطة لها
اطراف على جبال وهي كالسقف المستوي ويدل عليه قوله تعالى والسقف المرفوع نقول ليس في النصوص ما يدل دلالة
قاطعة على كون السما مبسوطة غير مستديرة ودل الدليل الحسي على كونها مستديرة فوجب المصير اليه اما الاول فظاهر لان السقف المحدب
لا يخرج عن كونه سقفا وكذلك كونها على جبال واما الدليل الحسي فوجوه **احدها** ان من امعن السير في جانب الجنوب يظهر له كواكب
مثل سهيل وغيره ظهورا ابديا حتى ان من يرصد يراه دايما ويخفى عليه بنات النعش وغيرها خفا ابديا ولو كان السما سطحا مستويا لكان الكل
بخلاف ما اذا كان مستديرة فان بعضه حينئذ يستتر باطراف الارض فلا يرى الثاني هو ان الشمس اذا كانت مقارنة للحمل مثلا فاذا غربت
ظهر لنا كوكب في منطقة البروج من الحمل الى الميزان ثم في كل ليلة يستتر الكواكب التي كان غروبه بعد غروب الشمس ويظهر الكوكب الذي كان طلوعه بعد طلوع
الشمس وبالعكس وهو دليل ظاهر وان بحث فيه يصير قطعيا الثالث هو ان الشمس قبل طلوعها وبعد غروبها يظهر ضوءها ويستتر الى بعض الاسفار ثم
تطلع ولولا ان بعض السما مستتر بالارض وهو محل الشمس فلا يرى جرمها وينتشر نورها في الاماكن لذا لكان عند اعادتها الى السما الظاهر
لكل احد جرمها ونورها معا لكون السما مستوية حينئذ مكشوفة كلها لكل احد الرابع القمر اذا انكسف في ساعة اخرى من الليلة في جانب المشرق

ثم سل اهل الغرب عن وقت الكسوف واخبروا عن الخسوف في ساعة اخرى قبل تلك الساعة التي راى اهل الشرق فيها الخسوف في وقت واحد في جميع نواحي العالم والليل مختلف فدل على ان الليل في جانب الشرق قبل الليل في جانب الغرب فالشمس غربت من عند اهل الشرق وهي في السما ظاهرة لاهل الغرب فعلم ان [illegible] بالغرب ولو كانت مستوية لما كان كذلك الخامس انها لو بالبنا وعندما يكون عند الافق العين منا لان العمود اصغر من القطر والوتر وكذلك في الشمس والكواكب وكان يجب ان نرى اكثر لان العين قربنا اكثر وليس كذلك فان قيل جاز ان يكون وهو على الافق على سطح السما وعندما يكون على سمت روسنا في محل السما عابرا فيها لان الخرق جايز في السما نقول لا مانع من جواز الخرق لكن القمر حينئذ يكون حركته في دايرة لا على خط مستقيم وهو عرضنا ولانا نقول لو كان كذلك لكان القمر عند اهل الشرق وهو في منتصف نهارهم اكبر مقدارا لكونهم قريبا من روسهم ضرورة قرصه على سطح السما وهو في منتصف نهارهم اكبر مقدارا لكونه قريبا من روسهم ضرورة قرصه على سطح السما الادنى وعندهما في لحق السما وبالجملة الدلايل كثيرة الاكادر منها ما يليق بكتب الهيئة التي الغرض منها بيان ذلك العلم وليس الغرض في التفسير بيان ذلك غير ان القدر الذي اوردناه ويكفي في بيان كونه فلكا مستديرا الرابعة هذا يدل على ان لكل كوكب فلكا فما قولك فيه نقول اما السبعة السيارة فلكل فلك واما الكواكب الاخر فقيل لكل فلك واحد ولنذكر كلاما مختصرا في هذا الباب من الهيئة حيث وجب الشروع بسبب تفسير الفلك فنقول قيل ان للقمر فلكا لان حركته اسرع من حركة الستة الباقية ولذلك لكل فلك كوكب لاختلاف سيرها بالسرعة والبطو والقمر فان بعضها يمر في دايرة بعضها وفي دايرة اخرى حتى في بعض الاوقات يمر بعضها ببعض ولا يكسفه وفي بعض الاوقات يكسفه فلكل فلك كوكب لا اختلاف ثم ان الهيئة قالوا اكل فلك هو جسم كذا وفي ذلك غير لازم بل اللازم ان نقول الكل هو كرة او صفحة او دايرة تفصل الكواكب حركته والله تعالى قادر على ان يخلق الكوكب في كرة يكون وجوده لوجود سما ومعرق في محل كرة مجوفة ويدير الكرة فيدور الكواكب بدوران الكوكب وعلى مذهب ارباب الهيئة حركة الكواكب السيارة على هذا الوجه ولذلك قادر على ان يخلق حلقة يحيط بها اربع سطوح متوازية بايامها اربع دواير متوازية لحجر الرحا اذا قورناه واخرجنا من وسطه طاحونه من طواحين البد وبقي منه حلقة يحيط بها سطوح ودواير كما ذكرنا ويكون الكوكب فيه وهو ملكه فتدير تلك الحلقه وتدير الكوكب والحركة على هذا الوجه وان كانت مقدورة لكن لم يذهب اليه احد ممن يعتبر ولذلك قادر على ان يجعل الكوكب بحيث يرى يشق السما فيجعل دايرة متموجة كما لو رقعت سمكة في الما على وجه ينزل من جانب ويصعد الى موضعه من الجانب الاخر على استدارة وهذا هو المفهوم من قوله تعالى وكل في فلك يسبحون والظاهر ان حركة الكوكب على هذا الوجه وارباب الهيئة انكروا ذلك وقالوا لا يجوز الحركة على هذا الوجه وان كانت مقدورة لان الكوكب له جرم فاذا يشق السما ويتحرك فاما ان يكون موضع ذواته ينشق ويلتئم كالما تحركه السمكة لا ينشق ولا يلتئم بل هناك خلا يدور والكواكب فيه لكن الخلا محال والسما لا يقبل الشق والالتيام هذا ما عندهم واعليه ونحن نقول كلاهما جايز اما الخلا فلا نحتاج اليه ها هنا لان قوله تعالى يسبحون يفهم منه انه يشق والتيام واما امتناع الشق والالتيام فلا دليل لهم عليه وشبهتهم في الجدد للجهات وهي هناك ضعيفة ثم انهم قالوا على ما بينا يخرج الحركات وبه علمنا الكسوفات ولو كان لها حركات مختلفة لما اوجب الكسوف في الوقت الذي يحكم فيه بالكسوف والخسوف وذلك لانا نقول الشمس فلكان احدهما مركزه مركز العالم وثانيهما مركزه فوق مركز العالم وهو مثل بياض البيض بين صفرته وبين البيض والشمس كرة في الفلك الخارج المركز يدور بدورانه في السنة دورة فاذا حصلت في الجانب الاعلى يكون بعيدة على الارض فيقال انها في الاوج واذا حصلت في الجانب الاسفل يكون قريبة من الارض فيكون في الحضيض واما القمر فله فلك شامل لجميع اجزايه وافلاكه وفلك آخر وهو بعض من الفلك الاول محيط به كالقشرة الفوقانية من البصلة وفلك ثالث في الفلك التحتاني كما ان الفلك الخارج المركز في فلك الشمس وفي الفلك الخارج المركز كرة مثل جرم الشمس وفي كرة القمر مثل جوز المسمار في دوره مفرق فيها ويسمى الفلك الفوقاني فلك الجوزهر والخارج المركز الفلك الحامل والفلك التحتاني الذي فيه الفلك الحامل الفلك المايل والكرة التي في الحامل يسمى فلك التدوير ولذلك قالوا في الكواكب الخمسة الباقية من السيارات غير ان الفلك الفوقاني الذي سموه فلك الجوزهر لم يسموها واثبتوا اربعة وعشرين فلكا الفلك الاعلى وفلك البروج ولزحل ثلثه افلاك الممثل والحامل وفلك التدوير وللمشتري ثلثه كالزحل والمريخ كذلك ثلاثه وللشمس فلكان الممثل والخارج المركز وللزهرة ثلثة افلاك كما للعلويات ولعطارد اربعة افلاك الثلاثة التي ذكرناها في العلويات وفلك آخر يسمونه المدير وللقمر اربعة افلاك والرابع يسمونه فلك الجوزهر والمدير ليس كالجوزهر لان المدير غير محيط [illegible] عطارد وفلك الجوزهر محيط ومنهم من زاد في الخمسة في كل فلك فلكين آخرين وجعل مداراتها مركبة من ثلاثة افلاك وقالوا بان بسبب هذه الاجرام يختلف حركات الكواكب يكون لها عروض ورجوع واستقامة وبطو وسرعة هذا كلامهم على سبيل الاقتصار والاعتقاد ونحن نقول لا بعد من قدرة الله تعالى خلق مثل ذلك واما على سبيل الوجوب فلا نسلم ورجوعها واستقامتها بارادة الله تعالى وكذلك عرضها وطولها وسرعتها وقربها وبعدها هذا تمام الكلام **الخامسة** قال المنجمون الكواكب احيا بدليل انه تعالى قال تعالى يسبحون وذلك لا يطلق الا على العاقل نقول ان اردتم القدر الذي يصح منه التسبيح فنقول به لانه ما من شي من هذه الاشيا الا هو يسبح بحمد الله تعالى وان اردتم شيا آخر فلم يثبت ذلك والاستعمال لا يدل كما في قوله تعالى في حق الاصنام ما لكم لا تنطقون وقوله تعالى الا تنطقون ثم قال تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وله مناسبة مع ما تقدم من وجهين احدهما انه تعالى لما من باحيا الارض وهي مكان الحيوانات بين انه لم يمنعهم بل جعل للآدمي بصارا طريقا يتخذ من البحر حيزا ويتوسطها ويسير فيها كما يسير في البر وحينئذ بقوله تعالى وحملناهم في البر والبحر ويويد هذا قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون اذا فسرناه بان المراد الابل فانها كسفن البراري وثانيهما هو انه تعالى لما بين سباحة الكواكب في الافلاك وذكر ما هو مثله وهو سباحة الفلك في البحار ولها وجه ثالث وهي ان الامور التي انعم الله بها على عباده منها ضرورية ومنها نافعة والاولى للحاجة والثاني للزينة فخلق الارض واحياها من القبيل الاول فانها المكان الذي لولاه لما وجد الانسان ولولا احياوها لما عاش والليل والنهار في قوله

تعالى



تعالى وآية لهم الليل ايضا من القبيل الاول لانه الزمان الذي لولاه لما حدث الانسان والشمس والقمر وحركتهما لو لم يكن لما عاش ثم انه تعالى لما ذكر من القبيل الاول اثنين ذكر من القبيل الثاني وهو الزينة اثنين احدهما الفلك التي يجري في البحر ما يتزين به كما قال تعالى ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه وثانيهما الدواب التي هي في البر كالفلك في البحر في قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فان الدواب زينة كما قال تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وقال تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون فيكون استدلالا عليهم بالضروري والنافع لا يقال بان النافع ذكر في قوله تعالى جنات من نخيل واعناب فانها الزينة لانا نقول اذ ذلك حصل بعد الضروري لان الله تعالى لما خلق الارض ميتة لدفع الضرورة وانزلنا الما عليها كذلك لزم ان يخرج من الجنة النخيل والاعناب بقدرة الله تعالى واما الفلك فمقصوده [illegible] ثم اذا علمت الترتيب ففي الايات ابحاث لغوية ومعنوية اما اللغوية قال المفسرون الذريات هم الآبا اي حملنا اباكم في الفلك والالف واللام للتعريف اي فلك نوح عليه السلام وهو مذكور في قوله تعالى واصنع الفلك ومعلوم عند العرب فقال الفلك هذا قول بعضهم واما الاكثرون فعلى الذرية لا يطلق الا على الولد وعلى هذا فلا بد من بيان المعنى فنقول الفلك المراد اما ان يكون الفلك المعين الذي كان لنوح واما ان يكون المراد الجنس كما قال تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون وقال تعالى وترى الفلك فيه مواخر وقال تعالى فاذا ركبوا في الفلك الى غير ذلك من استعمال لام التعريف في الفلك لبيان الجنس فان كان المراد سفينة نوح عليه السلام ففيه وجوه احدها ان المراد انا حملنا اولادكم الى يوم القيامة في ذلك الفلك ولولا ذلك لما بقي للآدمي نسل ولا عقب وعلى هذا لم يكن النعم مقتصرة عليهم بل متعدية الى اعقابهم الى يوم القيامة هذا ما قاله الزمخشري ويحتمل عندي ان يقال على هذا انه تعالى انما خص الذريات بالذكر لان الموجودين كانوا كفارا لا فايدة في وجودهم فقال تعالى حملنا ذريتهم اي لم يكن الحمل حملا لهم وانما كان حملا لما في اصلابهم من المومنين كان من حمل صندوقا لا قيمة له وفيه جواهر اذا قيل له لم تحمل هذا الصندوق وانما احمل ما فيه الثاني هو ان المراد بالذرية الجنس معناه حملنا اجناسهم وذكر لان زوج الحيوان من جنسه ونوعه والذرية يطلق على النسا نهى النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الذراري النساء ذلك لان المرأة وان كانت صنفا غير صنف الرجل لكنها من جنسه ونوعه فقال ذرارينا اي ما لنا فقوله تعالى انا حملنا ذريتهم اي امثالهم وآباؤهم حين يدخل فيهم الثالث هو ان الضمير في قوله تعالى وآية لهم عائد على العباد حيث قال تعالى يا حسرة على العباد وقال تعالى بعد ذلك وآية لهم الارض وقال تعالى وآية لهم الليل وقال تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم اذا علم هذا كانه تعالى قال وآية للعباد انا حملنا ذريات العباد ولا يلزم ان يكون المراد بالضمير في الموضعين اشخاصا معينين كما يقول لا تقتلوا انفسكم ويريد بعضكم بعضا وكذلك اذا تقابل قوم ومات الكل في القتال هولا القوم قتلوا انفسهم فهم في الموضعين يكون عايدا الى القوم ولا يكون المراد اشخاصا معينين بل المراد ان بعضهم قتل بعضا وكذلك قوله تعالى وآية لهم اي آية لكل بعض منهم انا حملنا ذريتهم كل بعض منهم او ذرية بعض منهم واما ان قلنا ان المراد جنس الفلك فانه ظاهر لان سفينة نوح عليه السلام لم يكن بحضرتهم ولم يعلموا من حمل فيها فاما جنس الفلك فانه ظاهرة لكل احد وقوله تعالى في سفينة نوح عليه السلام وجعلناها آية للعالمين اي بوجود جنسها ومثلها ويويده قوله تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور فنقول قوله تعالى اي حملنا ذريتهم اي ذريات العباد ولم يقل حملناهم لان سكون الارض عام لكل احد يسكنها فقال تعالى وآية لهم الارض الميتة الى ان قال فمنه ياكلون لان الاكل عام واما الحمل في السفينة فمن الناس من لا يركبها في عمره ولا يحمل فيها ولكن ذرية العباد لا بد من ان يكون بان فيهم من يحتاج اليها فيحمل فيها الثانية جعل الفلك تارة جمعا حيث قال تعالى وترى الفلك فيه مواخر جمع ماخرة واخرى مفردا حيث قال الفلك المشحون تقول فيه تدقيق مليح من علم اللغة وهو ان الكلمة قد يكون حركتها مثل حركة تلك الكلمة في الصورة والحركات [illegible] في المعنى مثالها قولك سجد يسجد سجودا للمصدر وهم قوم سجود في جمع ساجد يظن انها كلمة واحدة لمعنيين بل وليس كذلك بل السجود عند كونه مصدرا حركته اصلية اذا قلنا ان الفعل مشتق من المصدر وحركة السجود عند كونه جمع حركة متغيرة من حيث ان الجمع يشتق من الواحد وينبغي ان يلحق المشتق تغيير في حركة او حرف او في مجموعهما فساجد لما اردنا ان نشتق منه لفظ الجمع غيرناه وجينا بلفظ السجود فاذا السجود للمصدر والجمع ليس من قبيل الالفاظ المشتركة التي وضعت بحركة واحدة لمعنيين اذا عرفت هذا فنقول الفلك عند كونه واحدا مثل قفل وبرد وكونها جمعا مثل حشيا او مردا وغيرهما فان قلت فاذا جعلته جمعا ماذا يكون واحدها نقول جاز ان يكون واحدها فلكه او غيرها مما لم يستعمل كواحد النسا حيث لم يستعمل وكذا القول في امام مبين وفي قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم اي بائمتهم عند قوله تعالى امام مبين امام كرمام وعند قوله تعالى كل اناس بامامهم امام [illegible] وهذا من دقيق التصريف واما المعنوية فنذكرها في مسايل **المسألة الاولى** قال ها هنا حملنا ذرياتهم من عليهم وهنا من عليهم بحمل ذرياتهم وقال تعالى انا لما طغى الما حملناكم في الجارية من هناك عليهم بحمل انفسهم نقول لان من ينفع المتعلق بالغير يكون قد نفع ذلك الغير ومن يدفع الضرر عن المتعلق بالغير لا يكون قد دفع الضرر عن ذلك الغير بل يكون قد نفعه مثاله من احسن الى ولد انسان وفرحه فرح بفرحه ابوه فاذا دفع واحد الالم عن دفع انسان يكون قد فرح اباه ولا يكون في الحقيقة ازال الالم عن ابيه فعند طغيان الما كان الضرر يلحقهم فقال دفعت عنكم الضرر ولو قال دفعت عن اولادكم الضرر لما حصل بيان دفع الضرر عنهم وها هنا اراد بيان المنافع فقال حملنا ذرياتهم لان النفع حاصل فان امتلا الفلك من الاموال يحصل بركتهم بيان المنافع واما دفع المضرة فلولا الفلك لما كان التخلص به ابطا وهنالك السلامة فاختار هنالك ما يدل على الخلاص من الضرر وهو الجري وها هنا ما يدل على كمال المنفعة وهو الشحن فان قيل قال تعالى وحملناكم في البر والبحر ولم يقل وحملنا ذرياتكم مع ان المقصود في الموضعين بيان النعمة لا دفع النقمة نقول لما قال في البر والبحر عم الخلق لان ما من احد الا وحمل في البر او البحر واما الحمل في الاخر فلم يعم فقال ان كنا ما حملناكم بانفسكم فقد حملنا من يهمكم امره

من الاولاد والاقارب والاخوان والاصدقاء الثالثة قوله المشحون يفيد فائدة اخرى غير ما ذكرنا وهي ان الادمي يرسب في الما ويغرق فحمله
في الفلك واقع بقدرته تمكن من الطبيعيين من يقول الخفيف لا يرسب في الما لان الخفيف يطلب جهة فوق فيقال الفلك اثقل من الثقال
التي ترسب ومع هذا حمل الله تعالى الانسان فيه مع ثقله فان قالوا ذلك لامتناع الخلا نقول فقد ذكر الدلايل الدالة على جواز
الخلا في الكتب العقلية فاذا ليس حفظ الثقيل فوق الما الا بارادة الله تعالى الثالثة قال تعالى واية لهم الليل وقال تعالى واية
لهم الارض ولم يقل واية لهم الفلك جعلناها بل قال حملنا ذريتهم وذلك لان حملهم في الفلك هو العجب اما نفس الفلك فليس بعجب لانه كبيت مبني
من خشب واما نفس الارض فعجب لا قدرة عليها الا لله تعالى ثم قال تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وفيه مسايل
من حيث اللغة والمعنى اما اللغة فقوله لهم يحتمل ان يكون عايدا الى الذرية اي حملنا ذرياتهم وخلقنا للمحمولين ما يركبون ويحتمل ان يكون
عايدا الى العباد الذين عاد اليهم قوله تعالى واية لهم وهو الحق لان الظاهر عود الضمير الى شي واحد الثالثة من يحتمل وجهين احدهما
ان يكون صلة تقديره خلقنا لهم مثله وهذا على راي الاخفش وسيبويه يقول من لا تكون صلة الا عند النفي تقول ما جاني من احد كما في قوله
وما مسنا من لغوب ثانيهما مبينة كما في قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم كانه لما قال خلقنا لهم اشيا والمخلوق كان اشيا قال مثل الفلك للبيان الثالثة الضمير
في مثله عايد على قول الاكثرين الى الفلك فيكون هذا كقوله تعالى واخر من شكله ازواج وعلى هذا فالظاهر ان يكون المراد الفلك الاخر الموجودة في زمانهم
ويؤيد هذا هو انه تعالى قال وان نشا نغرقهم واذا كان المراد الابل على ما قاله بعض المفسرين كان قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فاصلا بين متصلين
ويحتمل ان يقال الضمير عايد الى معلوم غير مذكور وتقديره ان يقال وخلقنا لهم من مثل ما ذكرنا من المخلوقات قوله تعالى خلق الازواج كلها
مما تنبت الارض وهذا كما قال في قوله تعالى ليأكلوا من ثمره ان الها عايد الى ما ذكرنا اي من ثمر ما ذكرنا وعلى هذا فقوله تعالى خلقنا لهم فيه
لطيفة وهي انما هي احالة ولهم ركوب مركوب من الدواب وليس كل احد يركب الفلك فقال تعالى في الفلك حملنا ذرياتهم وان كنا ما حملناهم واما الخلق
فلهم عام وما يركبون فيه وجهان احدهما الفلك الذي مثل فلك نوح عليه السلام وثانيهما هو الابل التي هي سفن البر فان قيل اذا كان المراد سفينة نوح عليه السلام
فما وجه مناسبة الكلام نقول ذكرهم بحال قوم نوح عليه السلام وان المكذبين هلكوا والمومنين فازوا فكذلك هم ان امنوا يفوزوا وان كذبوا هلكوا ثم قال تعالى وان
نشا نغرقهم اشارة الى فايدتين احداهما ان في حال النعمة ينبغي ان لا يامنوا عذاب الله وثانيهما هي ان ذلك جواب سوال مقدر وهو ان الطبعي يقول السفينة
تحمل بمقتضى الطبيعة والمجوف لا يرسب فقال ليس كذلك بل لو شا الله تعالى اغرقهم وليس ذلك بمقتضى الطبيعة ولو صح كلامه الفاسد لكان لقايل
ان يقول الست توافق ان من السفن ما ينقلب وينكسر ومنها ما يثقبه ثاقب فيرسب وكل ذلك بمشية الله تعالى فان شا الله اغرقهم من غير شي
من هذه الاسباب كما هو مذهب اهل السنة او بشي من تلك الاسباب كما يسلم انت وقوله تعالى فلا صريخ لهم اي لا مغيث لهم يمنع عنهم الغرق ولا هم
ينقذون اذا ادركهم الغرق وذلك لان الخلاص من العذاب اما ان يكون بدفع العذاب من اصله او رفعه بعد وقوعه فقال لا صريخ لهم
يدفع ولا هم ينقذون بعد الوقوع فيه وهذا مثل قوله تعالى لا تغن عني شفاعتهم شيا ولا ينقذون وقوله ولا صريخ لهم ولا هم ينقذون
فيه فايدة اخرى غير الحصر وهي انه تعالى قال لا صريخ لهم ولم يقل ولا منقذ لهم لان من لا يكون من شانه ان ينصر لا يشرع في النصرة مخافة ان
يغلب ويذهب ماء وجهه وانما ينصر وينقذ من يكون من شانه ان يغيث فقال لا صريخ لهم واما من لا يكون من شانه ان ينقذ اذا راى من يعز عليه
من ضر يشرع في الانقاذ وان لم يثق بنفسه في الانقاذ ولا يغلب على ظنه وانما يبذل المجهود فقال تعالى ولا هم ينقذون ولا منقذ لهم ثم استثنى
وقال الا رحمة منا ومتاعا الى حين ثم هو يفيد امرين احدهما انقسام الانقاذ الى قسمين الرحمة والمتاع اي فيمن علم الله تعالى منه انه يومن
فينقذه الله رحمة وفيمن علم انه لا يومن فليتمتع زمانا ويزداد اثما وثانيهما انه بيان لكون الانقاذ غير مفيد للدوام بل الزوال
في الدنيا لا بد له فينقذه الله تعالى رحمة ويمتعه الى حين ثم يميته فالزوال لازم ان يقع ثم قال تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم
وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال
الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشا الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون وجه تعلق الاية بما قبلها وهو ان الله تعالى لما عدد الايات بقوله تعالى
واية لهم الارض الميتة احييناها وقوله تعالى واية لهم الليل واية لهم انا حملنا ذرياتهم فكانت الايات تفيد اليقين وتوجب القطع بما قال
تعالى ولم تفدهم اليقين قال فلا اقل من ان يحترزوا العذاب فان من اخبر بوقوع عذاب يتقيه وان لم يقطع بصدق قول المخبر احتياطا فقال
تعالى لعلكم ترحمون بحرف التمني اي في ظنكم فان من يخفى عليه البرهان لا يترك طريقة الاحتراز ولا الاحتياط قوله تعالى واذا قيل
لهم اتقوا محذوف معناه اذا قيل لهم ذلك لا يتقون او يعرضون وانما حذف لدلالة ما بعده عليه وهو قوله تعالى وما تاتيهم من
اية من ايات ربهم الا كانوا وفي قوله تعالى ما بين ايديكم وما خلفكم وجوه احدها ما بين الاخرة فانهم مستقبلون لها وما خلفكم
الدنيا فانهم تاركون لها ثانيها ما بين ايديكم من انواع العذاب مثل الغرق والحريق وغيرهما المدلول عليه بقوله تعالى وان نشا نغرقهم
فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون وما خلفكم من الموت الطالب لكم ان نجوتم من هذه الاشيا فلا نجاة لكم منه يدل عليه قوله تعالى ومتاعا الى حين
وثالثها ما بين ايديكم من امر محمد صلى الله عليه وسلم فانه حاضر عندكم وما خلفكم من امر الحشر فانكم اذا اتقيتم تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم
والتكذيب بالحشر يرحمكم الله وقوله تعالى لعلكم ترحمون مع ان الرحمة واجبة فيه وجوه ذكرناها مرارا ونزيدها هنا وجها اخر وهو انه
تعالى لما قال اتقوا بمعنى انكم ان لم تقطعوا بما على البراهين فاتقوا احتياطا قال تعالى لعلكم ترحمون يعني ارباب اليقين ترحمون
حتما وارباب الاحتياط ترجى ان يرحموا والحق ما ذكرنا من الوجهين احدهما انفوا الرحمة فان الله لا يجب عليه شي وثانيهما
هو ان الاتقا نظرا اليه امر يفيد الظن بالرحمة فان كان يقطع به احد لا لامر من خارج فذلك لا يمنع الرجا فان الملك اذا كان في نيته
انه تعالى من خدمه اكثر من اجرته اضعافا مضاعفة لكن الخدمة لا تعطي ذلك فيصح منه ان يقول افعل كذا ولا يبعد ان يصل اليك اجرتك اكثر

مما يستحق



مما يستحق ثم قال تعالى وما تاتيهم من اية من ايات ربهم وهذا يتعلق بما تقدم من قوله تعالى يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا
كانوا به يستهزءون وما ياتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين يعني اذا جاءتهم الرسل كذبوهم فاذا اتوا بالايات اعرضوا عنها
وما التفتوا اليها وقوله تعالى الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون الى قوله تعالى لعلكم ترحمون كلام بين كلامين متصلين ويحتمل ان يقال هو
متصل بما قبله من الاية وبيانه هو انه تعالى لما قال واذا قيل لهم اتقوا فكان فيه تقديره اعرضوا قال ليس اعراضهم مقتصرا على ذلك بل
هم عن كل اية معرضون او يقال اذا قيل لهم اتقوا اقترحوا ايات مثل انزال الملك وغيره فقال تعالى وما ياتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا
عنها معرضين وعلى هذا كانوا في المعنى يكون زايدا معناه الا يعرضون عنها اي لا ينفعهم الايات ومن كذب بالبعض هان عليه التكذيب
بالكل وقوله تعالى واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله اشارة الى القيام بحقوق مجموع ما على المكلف عليه التعظيم لجانب الله تعالى
والشفقة على خلق الله تعالى وتركوا التعظيم حيث قيل اتقوا فلم يتقوا وتركوا الشفقة على خلق الله حيث قيل لهم انفقوا
فلم ينفقوا وفيه لطايف الاولى خوطبوا بادنى الدرجات في التعظيم والشفقة فلم ياتوا بشي منه وعباد الله المخلصون خوطبوا
بالادنى فاتوا بالاعلى انما قلنا ذلك لانهم في التقوى امروا بان يتقوا ما بين ايديهم من العذاب او الاخرة وما خلفهم من الموت او العذاب
وهو ادنى ما يكون من الاتقا واما الخاص فيتقي تغير قلب الملك عليه وان لم يعاقبه ويتقي العذاب لا لكونه الا ليبعد
بهم لم يتقوا معصية الله ولم يتقوا عذاب الله تعالى والمخلصون اتقوا الله واختشوا مخالفته سوا كان يعاقبهم عليه او لا يعاقبهم
واما في الشفقة فقيل لهم انفقوا اي بعض ما هو لله في ايديكم فلم ينفقوا والمخلصون اثروا على انفسهم وبذلوا كل ما في ايديهم بل
انفسهم صرفوا الى نفع عباد الله ودفع الضر عنهم الثانية كما ان في جانب التعظيم ما كان فايدة التعظيم راجعة الا اليهم فان الله
تعالى مستغن عن تعظيمهم كذلك في جانب الشفقة ما كان فايدة الشفقة راجعة الا اليهم فان الله تعالى مستغن عن تعظيمهم كذلك
في جانب الشفقة راجعة الا اليهم فان من لا يموت فالمقتول لا يموت الا باجله ولا بد من وصول رزقه اليه لكن السعيد من قدر
الله ايصال الرزق على يده الى غيره الثالثة قوله تعالى مما رزقكم الله اشارة الى امرين احدهما ان البخل به في غاية القبح فان بخل
البخلا من يبخل بمال الغير وثانيهما انه لا ينبغي ان يمنعكم من ذلك مخافة الفقر فان الله تعالى رزقكم فاذا انفقتم فهو يخلفه ثانيا كما
رزقكم اولا وفيه مسايل ايضا المسالة الاولى عند قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا حذف الجواب وههنا اجاب واتى باكثر من الجواب
وذلك لانه تعالى لو قال واذا قيل لهم انفقوا قالوا انطعم من لو يشا الله اطعمه لكان كافيا فما الفايدة في قوله تعالى قال الذين كفروا
للذين امنوا نقول الكافر كانوا يقولون بان الاطعام من الصفات الحميدة وكانوا يفتخرون به وانما اوردوا ذلك ردا على المومنين
فقالوا نحن نطعم الضيوف معترفين بان افعالنا ثم ولولا اطعامنا لما اندفع حاجة الضيف وانتم تقولون ان الله يرزق
من يشا فلم تقولون لنا انفقوا فلما كان غرضهم الرد على المومنين لا الامتناع من الاطعام قال تعالى عنهم قال الذين كفروا للذين
امنوا اشارة الى الرد واما في قوله اتقوا ما بين ايديكم فلم يكن لهم رد على المومن فاعرضوا واعرض الله تعالى عن ذكر اعراضهم لحصول
العلم به المسالة الثانية ما الفايدة في تغيير اللفظ في جوابهم حيث لم يقولوا انفق على من يشا رزقه وذلك لانهم امروا بالانفاق
في قوله تعالى واذا قيل لهم انفقوا مكان جوابهم بان يقولوا انفق فلم قالوا انطعم نقول فيه بيان غاية مخالفتهم وذلك لانهم اذا
امروا بالانفاق والانفاق يدخل فيه الاطعام وغيره لم ياتوا بالانفاق ولا باقل منه وهو الاطعام وقالوا انطعم وهذا كما اذا قال القايل
لغيره اعط زيدا دينارا يقول لا اعطيه درهما مع ان المطابق هو ان يقول لا اعطيه دينارا ولكن المبالغة في هذا الوجه اتم فكذلك هاهنا
المسالة الثالثة كان كلامهم حقا فان الله تعالى لو شا اطعمه فلما ذكر في معرض الذم نقول لان مرادهم كان الانكار لقدرة الله تعالى
ولعدم جواز الامر بالانفاق مع قدرة الله تعالى وكلاهما فاسد بين الله ذلك في قوله تعالى مما رزقكم الله فانه يدل على قدرته وصح امره بالاعطا
لان من كان له في يد الغير مال وله في خزانته مال هو مخير ان اراد اعطى مما في خزاينه وان اراد امر من عنده المال بالاعطا ولا يجوز لمن بيده المال في خزاينه
مال الكنز ملك غيره ان يحتج اعطه منه وقوله تعالى ان انتم الا في ضلال مبين اشارة الى اعتقادهم انهم قطعوا المومنين بهذا الكلام وان امرهم بالانفاق مع قولهم
بقدرة الله تعالى ظاهر الفساد واعتقادهم الفاسد وفيه مباحث لغوية ومعنوية اما اللغوية فقولان وردت للنفي لكن كان الاصل فيها ان يكون
للشرط والاصل فيما ان يكون للنفي لكنهما اشتركا من بعض الوجوه فتعارضا واستعمل ما في الشرط واستعمل ان في النفي اما الوجه المشترك فهو ان كل واحد
منهما حرف مركب من حرفين متقاربين فان الهمزة تقرب من الالف والميم من النون ولا يراد يكون المعنى الذي يدخل عليه ما وان لا يكون ثابتا اما في ما
فظاهر واما في ان فلانك اذا قلت ان جاني زيد اكرمه يجب ان لا يكون له في الحال مجي فاستعمل ان مكان ما وقيل ان زيد قايم اي ما زيد بقايم
واستعمل ما في الشرط تقول ما تصنع اصنع والذي يدل على ما ذكرنا ان ما النافية تستعمل حيث لا تستعمل ان وذلك لانك تقول ما ان جلس زيد
فيجعل ان صلة ولا تقول ما جلس زيد بمعنى النفي وبمعنى الشرط تقول ما تزين تزين فيجعل ان اصلية وما صلة فقولنا هذا على ان في الشرط اصل وما داخل وما في النفي
بالعكس البحث الثاني قد ذكرنا ان قوله تعالى ان انتم الا في ضلال مبين يفيد ما لا يفيده غيره لانه يوجب الحصر وانهم ليسوا في غير الضلال البحث الثالث
وصف الضلال بالمبين قد ذكرنا معناه انه لظهوره مبين نفسه انه ضلال اي ضلال لا يخفى على احد انه ضلال البحث الرابع قد ذكرنا ان قوله
تعالى في ضلال يفيد كونهم مغمورين فيه غارقين وقوله في مواضع على هدى وعلى هذا اشارة الى كونهم والكيس بين الطريق المستقيم قادرين
عليه واما المعنوية فنبين ان ههنا وصفوا الذين امنوا بكونهم في ضلال مبين لكونهم ظانين ان المومن كلامه متناقض ومن تناقض كلامه
يكون في غاية الضلال انما قلنا ذلك لانهم قالوا انطعم من لو يشا الله اطعمه اشارة الى ان الله تعالى ان شا ان يطعمهم فهو يقدر
على اطعامهم لانه يكون تحصيلا للحاصل وان لم يشا اطعامهم لا يقدر احد على اطعامهم لامتناع وقوع ما لم يشا الله فلا قدرة لنا على الاطعام
فكيف تامروننا بالاطعام ووجه اخر وهو انهم قالوا ارادة الله تجويعهم فلو اطعمناهم يكون ذلك سعيا في ابطال فعل الله تعالى وانه لا يجوز وانتم

يقولون الطمهم فهو ضلال ولم يكن في الضلال الابهم حيث نظروا الى المراد ولم ينظروا الى الطلب والامر وذلك لان العبد اذا امره السيد بامر لا ينبغي
ان يكشف سبب الامر والاطلاع على المقصود الذي امره به لاجله مثاله الملك اذا اراد الركوب للهجوم على عدوه بحيث لا يطلع عليه احد وقال
لعبده احضر المركوب فلم يطلع واستكشف المقصود الذي لاجله الركوب لسبب انه يطلع عدوه على الحذر منه وكشف سره فلا ريب في الطاعة هو
اتباع الامر لا تتبع المراد فالله تعالى اذا قال انفقوا مما رزقكم الله لا يجوز ان يقولوا لو لم يطعمهم الله تعالى في خزائنه ثم قال تعالى ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وهو اشارة الى ما اعتقدوه وهو ان التقوى الماموربه في قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا والانفاق المذكور
في قوله تعالى واذا قيل لهم انفقوا لا فايدة فيه لان الوعد لا حقيقة له وقوله متى هذا الوعد اي متى يقع الموعود به وفيه مسايل
المسلة الاولى ان للشرط وهو يستدعي جزا ومتى استفهام لا يصلح جزا فما الجواب نقول في الصورة الاستفهام وفي المعنى انكار كانه
قال ان كنتم صادقين في وقوع الحشر فقولوا متى يكون الساسه مع من تقول لهم كنتم نقول الظاهر انه مع الانبيا لانهم لما انكروا
الرسالة ان كنتم يايها المدعون للرسالة صادقين فاخبرونا متى يكون الساعة ليس في هذا الموضع وعد فالاشارة بقوله
هذا الوعد الى اي وعد نقول هو ما في قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم من قيام الساعة او نقول هو
معلوم وان لم يكن مذكورا لكون الانبيا مقيمين على تذكيرهم بالساعة والحساب والثواب ثم قال تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة
اي لا ينظرون الا الصيحة المعلوم والتنكير للتكثير فان قيل هم ما كانوا ينتظرون بل كانوا يجزمون بعدمها فنقول الا انتظار فعل
لانهم كانوا يفعلون ما يستحق به فاعله الثواب وتعجيل العذاب وتقريب الساعة لولا حكم الله تعالى وقدرته وعلمه فانهم كانوا يحزنون
او نقول لما لم يكن قوله تعالى متى استفهاما حقيقيا قال ينتظرون انتظارا غير حقيقي لان القايل متى يفهم منه الانتظار نظرا
الى قوله وقد ذكر في الصيحة امورا تدل على هولها وعظمها احدها التنكير فقال الفلان مال اي كبير وله قلب اي جري ثانيها
واحدة اي لا يحتاج معها الى ثانية مالها ما خذهم اي تعمهم بالاخذ وتصل الى من في مشارق الارض ومغاربها ولاشك ان مثلها
لا يكون الا عظيما وقوله تعالى تاخذهم وهم يخصمون مما يعظم به الامر لان الصيحة المعتادة اذا وردت على غافل يرجف فان المقبل
عليهم اذا صاح به صايح يرجف فواده يخلو المنتظر للصيحة فاذا كانت حال الصيحة ما ذكرناه من الشدة والقوة ويرد
على الغافل الذي هو مع خصمه مشغول يكون الامر فيه قائم والا فخافا عظم ويحتمل ان يقال يخصمون في البعث ويقولون لا يكون ذلك
اصلا فيكونون غافلين عنه بخلاف من يعتقد انه يكون فيتهيا له وينتظر وقوعه فانه لا يرجف وهذا هو المراد بقوله تعالى
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله تعالى يعني اعتقدوا وقوعها فاستعدوا لها وقد مثلنا ذلك فيمن شا ومن لم
ان سيكون رعد ومن لم يشعر ولم يعلم ثم رعد الرعد ترى السامع العالم ثابتا والغافل الذاهل حتى عليه ثم بين شدة
الاوحد وهي بحيث لا يمهلهم الى ان يوصوا وفيه امور مبينة للشدة احدها عدم الاستطالة فان قول القايل فلان
في هذه الحالة لا يوصي دونه قوله لا يستطيع التوصية لان من لا يوصي قد يستطيعها الثانية التوصية وهي بالقول والقول
يوجد اسرع مما يوجد الفعل فقال لا يستطيعون كلمة فكيف فعلا يحتاج الى زمان طويل من ادا الواجبات ورد المظالم الثالثة
اختيار التوصية من بين سائر الكلمات يدل على انه لا قدرة له على اهم الكلمات فان وقت الموت الحاجة الى التوصية اهم الرابعة
النكرة في التوصية للتعميم اي لا يقدر على توصية ما ولو كانت بكلمة يسيرة ولان التوصية قد تحصل بالاشارة فالعاجز عنها عاجز عن
غيرها الخامسة قوله تعالى ولا الى اهلهم يرجعون بيان لشدة الحاجة الى التوصية لان من يرجو الوصول الى اهله قد يمسك عن الوصية
لعدم الحاجة اليها واما من يقطع بانه لا وصول له الى اهله فلا بد له من التوصية فاذا لم يستطع مع الحاجة دل على غاية الشدة وفي
قوله تعالى ولا الى اهلهم يرجعون وجهان ما ذكرنا انهم يقطعون بانهم لا يمهلون الى ان يجتمعوا باهاليهم وذلك يوجب الحاجة
الى التوصية وثانيها انهم الى اهليهم يرجعون يعني يموتون ولا يرجع الى الدنيا من مات [illegible]
السفر ولا اجتماعه باهله مرة اخرى ثم بين ما بعد الصيحة الاولى فقال ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم
ينسلون [illegible] المسلة الاولى [illegible]
اخر ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال تعالى فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون والقيام غير النسلان وقوله تعالى
[illegible] نقول الجواب عنه من وجهين احدهما [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الموضع ذكر [illegible]

اليق ام لا قلنا هذا اللفظ احسن ما يكون من المعنى فاضطر الى التوجه الى من احسن اليه تكون ذلك الما واسراعا والاكثر نسما
من غيره السادسة المسي اذا توجه الى المحسن تقدم رجلا وتوخر اخرى والنسلان هو سرعة المشي فكيف يوجد منهم ذلك فنقول ينسلون
من غير اختيارهم وقد ذكرنا في قوله تعالى اذا هم ينظرون انه اراد ان يبين كمال قدرته ونفوذ ارادته حيث ينفخ في الصور فيكون في
وقته جمع وتركيب واحيا وقيام وعدو في زمان واحد فقوله فاذا هم ينسلون يعني في زمان واحد ينتهون الى هذه الدرجة
وهي النسلان الذي لا يكون الا بعد مراتب ثم قال تعالى قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا يعني لما بعثوا قالوا وذلك لان قوله تعالى ونفخ
في الصور يدل على انهم بعثوا وفيه مسايل المسلة الاولى لو قال قايل لو قال الله تعالى فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون
يقولون يا ويلنا كان اليق نقول معاذ الله وذلك لان قوله تعالى اذا هم من الاجداث ينسلون على ما ذكرنا اشارة الى انه تعالى
في اسرع زمان يجمع اجزاءهم ويولفها ويحييها ويحركها بحيث يقع نسلانهم في وقت النفخ مع ان ذلك لا بد له من الجمع والتاليف
فلو قال يقولون لكان مثل ذلك الحال ينسلون اي ينسلون قايلين يا ويلنا وليس كذلك فان قولهم يا ويلنا قبل ان ينسلوا وانما
ذكر النسلان لما ذكرنا من الفايدة الثانية لو قال القايل قد عرفنا معنى النداء في مثل يا حسرة ويا حسرتا ويا ويلنا ولكن ما الفرق بين
قولهم وقول الله تعالى حيث قال تعالى يا حسرة على العباد من غير اضافة وقالوا يا حسرتنا ويا ويلنا نقول حيث كان القايل هو المكلف
لم يكن لاحد علم بالاستحالة والحال من يقرب منه فكان كل واحد مشغولا بنفسه فكان كل يقول يا حسرتنا ويا ويلنا فقوله قالوا يا ويلنا
اي كل واحد قال يا ويلي واما حيث قال الله تعالى على سبيل العموم يشمل علمه بحالهم الثالثة ما وجه تعلق من بعثنا من مرقدنا بقولهم
يا ويلنا نقول لما بعثوا تذكروا ما كانوا يسمعون من الرسل فقالوا يا ويلنا من بعثنا ابعثنا الله البعث الموعود به ام كنا نياما فنبهنا
وهذا كما اذا كان انسان موعودا بان ياتيه عدو ولا يطيقه ثم يرى رجلا هايلا يقبل عليه فيرتجف في نفسه ويقول هذا ذلك
ام لا ويدل على ما ذكرنا قولهم من مرقدنا حيث جعلوا القبور موضع الرقاد اشارة الى انهم شكوا انهم كانوا نياما فنبهوا او كانوا موتى
فبعثوا وكان الغالب على ظنهم كان هو البعث فجمعوا بين الامرين وقالوا بعثنا اشارة الى ظنهم انه بعثهم الموعود به وقالوا من مرقدنا
اشارة الى توهمهم احتمال الانتباه المسلة الرابعة هذا اشارة الى ماذا نقول فيه وجهان احدهما انها اشارة الى المرقد كانهم قالوا من
بعثنا من مرقدنا هذا فيكون صفة للمرقد يقال كلامي هذا صدق ثانيهما هذا اشارة الى البعث ما وعد به الرحمن وصدق فيه
المرسلون الخامسة اذا كان هذا صفة للمرقد فكيف يصح قوله تعالى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون نقول يكون ما وعد الرحمن
مبتدا خبره محذوف تقديره ما وعد الرحمن حق والمرسلون صدقوا او يقال ما وعد الرحمن وصدق فيه المرسلون حق والاول
اظهر لقلة الاضمار او يقال ما وعد الرحمن خبر مبتدا محذوف تقديره وهو ما وعد الرحمن من البعث ليس بتنبيه من النوم وصدق المرسلون
فيما اخبروكم به السادسة اذا قلنا هذا اشارة الى المرقد او الى البعث فجوابه الاستفهام بقوله من بعثنا اين يكون نقول الملائكة عرفوهم
من قولهم من بعثنا حصول العلم بانه بعث وبينه حصل الجواب بقوله هذا بعث وعد الرحمن به ليس تنبيها كالخائف اذا قال
لغيره ماذا تقول ايقتلني فلان فله ان يقول لا تخف ويسكت لعلمه ان غرضه ازالة الرعب منه وبه يحصل ثم قال تعالى ان كانت الا صيحة
واحدة يدل على النفخة قوله تعالى ونفخ في الصور يحتمل ان يقال ان كانت الواقعة وقرئت الصيحة مرفوعة على ان كان
هي التامة بمعنى ما وقعت الا صيحة قال الزمخشري لو كان كذلك لكان الاحسن ان يقال ان كان لان المعنى حينئذ ما وقع
شي الا صيحة لكن التانيث جاز احالة على الظاهر ويمكن ان يقال الذي قرأ بالرفع ان قوله اذا وقعت الواقعة يا ايها التهويل
ومبالغة يدل عليه قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة فانها للمبالغة فكذلك ههنا قال اذ كانت الامور بالتهويل ولهذا جاءت اسما
يوم الحشر كلها مؤنثة كالقيامة والقارعة والحاقة والطامة والصاخة الى غيرها والزمخشري يقول كاذبة بمعنى ليس لوقعتها
نفس كاذبة وتانيث اسما الحشر لكون الحشر مسمى بالقيامة وقوله محضرون دل على كونهم ينسلون اجبارا لا اختيارا ثم بين ما يكون
في ذلك اليوم بقوله تعالى فاليوم لا تظلم نفس شيا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون فقوله تعالى لا تظلم نفس لامن المومن ولا تجزون الا
ما كنتم تعملون لباس المجرم الكافر وفيه مسايل المسلة الاولى ما الفايدة في الخطاب عند الاشارة الى ياس المجرم بقوله تعالى ولا تجزون وترك
الخطاب في الاشارة الى امان المومن من العذاب بقوله تعالى لا تظلم فلم يقل ولا تظلمون ايها المومنون نقول لان قوله تعالى لا تظلم نفس شيا
يفيد العموم وهو كذلك لانها لا تظلم احدا واما لا تجزون فمختص بالكافر فان الله يجزي المومن وان لم يفعل فان الله فضله يختص بالمومن وعدله عام
وفيه بشارة الثانية ما المقتضي لذكر فاء التعقيب نقول لما قال محضرون مجموعون والجمع للفصل والحساب فقال تعالى اذا جمعوا للفصل بالعدل
فلا ظلم عند الجمع للعدل فصار عدم الظلم مترتبا على الاحضار للعدل ولهذا يقول القايل للوالي والقاضي جلست للعدل فلا تظلم اي ذلك مقتضى هذا
ويستعقبه الثالثة لا تجزون غير ما كانوا يعملون بل يجزون بما كانوا او على ما كانوا فقوله تعالى ولا تجزون الا ما كنتم تعملون يدل على ان الجزا بعين العمل
لا يقال جزاه يتعدى بنفسه وبالبا يقال جزيته خيرا وجزيته بخير لان ذلك ليس من هذا لان اذا قلت جزيته بخير يكون الخير مفعولك
بل يكون البا للمقابلة والسببية كانك تقول جزيته خيرا يكون الخير مفعولك بسبب ما فعل فنقول الجواب عنه من وجهين احدهما ان يكون ذلك
اشارة على وجه المبالغة الى عدم الزيادة وذلك لان الشي لا يزيد على عينه فيقول قوله تعالى تجزون بما كانوا في المساواة كانه عين ما عملوا
يقال فلان يجازيني حرفا بحرف اي لا يترك شيا وهذا يوجب الياس العظيم الثاني ما عملوا غير راجع الى الخصوص وانما هو للجنس فتقديره
لا تجزون الا جنس العمل اي ان كان حسنة فحسنة وان كان سيئة فسيئة فجزاء سيئة سيئة فيجزون بما يعملون من الحسنة والسيئة
وهذا حينئذ كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم بين حال المحسن وقال تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون وقوله تعالى
في شغل يحتمل وجوها احدها في شغل عن هول اليوم باخذ ما اتاهم الله من الثواب فما عندهم خبر من عذاب ولا حساب وقوله تعالى فاكهون

يكون متمما البيان سامتهم فالله تعالى لو قال في شغل جاز ان يقال هم في شغل اعظم من التفكر في اليوم واهواله فان من تصيبه فتنة عظيمة تعرض
عليه امرين اموره يحير بحران وقع في ماله يقول انا مشغول عن هذا بالهم منه فقال تعالى فاكهون اى شغلوا عنه باللذة والسرور لا بالويل والثبور
ما بها ان يكون ذلك ما بالهم ولا تربيتهم شغلوا عن شئ بل يكون معناه في عمل ثم بين عملهم بانه ليس بشاق بل ملذ محبوب بالثاني في شغل عما
توقعوه فانهم تصوروا في الدنيا امورا وقالوا نحن اذا دخلنا الجنة لا نطلب الا كذا وكذا قرأه واما الخطر ببالهم فاشتغلوا به وفيه وجوه
غير هذه ضعيفة احدها قيل افتضاض الابكار وهذا مما ذكرناه في الثالث ان الانسان قد يترجح في شغله عنها وثانيها قيل في ضرب الاوتار وهو من جنس ما ذكرناه
يوجه وثالثها في التزاور ورابعها في ضيافة الله تعالى وهو قربها وهو قريب مما قلنا لان ضيافة الله تعالى يكون بالترامي وحينئذ يشغله
ملك عما توجهه في دنياه وقوله تعالى فاكهون خبران وفي بيانهما وكانهم فيه يقال زيد على عمله مقبل وفي نفسه جالس فلا يكون
الجار والمجرور ولو نصب جالسا لكان الجار والمجرور خبرا وكذلك لو قال في شغل فاكهون لكان معناه اصحاب الجنة مشغولين فاكهين على الحال
وقرى بالنصب والفاكهة تلذذ المتنعم ومنه الفاكهة لانها لا يكون الا في السعة ولا توكل لدفع الم الجوع وفيه معنى لطيف وهو انه اشار بقوله
في شغل عدمهم الالم فلا الم عندهم ثم بين بقوله تعالى فاكهين عن وجدانهم اللذة وعادم الالم قد لا يكون واجد اللذة فبين
على انهم اتم حال ثم بين الكمال بقوله تعالى هم وازواجهم ذلك لان من يكون في لذة قد يتنغص عليه بسبب تفكره في حال من يهمه
امره فقال تعالى هم وازواجهم ايضا فلا يبقى لهم تعلق قلب واما من في النار من اقاربهم او اخوانهم فيكونون هم عنهم في شغل ولا يكون منهم
عندهم الم ولا يشعرون بحضورهم والازواج يحتمل وجهين احدهما اشكالهم في الاحسان وامثالهم في الايمان كما قال تعالى من شكله ازواج
ثانيهما الازواج هم المفهومون من زوج المراة وزوجة الرجل كما في قوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وقوله تعالى ويذرون
ازواجا فان المراد ليس هو الاشكال قوله في ظلل جمع ظلة وفي ظلال جمع ظل والمراد به الوقاية عن مظان الالم فان الجالس تحت كن لا يخشى
المطر ولا حر الشمس فيكون به مستعدا لدفع الالم فكذلك لهم في ظل الله ما لا يمسهم الا سوا كما قال تعالى لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب قال
تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اشارة الى عدم الالم ومنه لطيفة ايضا وهي ان حال المكلف اما ان يكون اشتغالها بسبب ما فيه
من الشغل وان كان في مكان عال كالقاعد في حر الشمس في بستان المنيرة او يكون بسبب المكان وان الشغل مطلوب كالعبة الكواكب
في المكان المكشوف واما ان يكون بسبب الماكل كالمتفرج في البستان اذا اعوزه الطعام واما بسبب فقد الحبيب والى هذا اشار اهل المغلب في شرائط
السماع بقولهم الزمان والمكان والاخوان فقال تعالى في شغل فاكهون اشارة الى انهم ليسوا في تعب وقال تعالى هم وازواجهم اشارة
الى عدم الوحدة الموحشة وقال تعالى في ظلال على الارائك اشارة الى المكان وقال تعالى لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون الى دفع
جميع حوائجهم وقوله متكئون اشارة الى ادل وضع على القدرة والفراغة فان القائم يقوم بشغل والقاعد قد يقعد لهم واما
المتكئ فلا يتكئ الا عند الفراغة والقدرة لان المريض لا يقدر على الاتكاء وانما يكون مضطجعا او مستلقيا والارائك جمع اريكة
وهي السرير الذي عليه الفرش وهو تحت الحجلان فيكون مرئيا هو وما فوقه وقوله تعالى لهم فيها فاكهة اشارة الى انه لا جوع هناك وليس
الاكل لدفع الم الجوع وانما لهم فاكهة ولو كان لحاجة لا لتفكه قال لهم فيها ما يشتهون لان لحم الطير في الدنيا يؤكل في حالتين احديهما حالة
السعة والثانية حالة ضعيف المعدة وحينئذ لا ياكل لحم طير يشتهيه وانما ياكل ما يوافقه ويامره به الطبيب واما انه يدل على التغاير
فنقول نسلم وذلك لان الخاص يخالف العام على ان ذلك لا يقدح غرضنا لانا نقول انما اختار من انواع الماكول الفاكهة في هذا الموضع لانه
ادل على التنعم والتلذذ وعدم الجوع والتنكير لبيان الكمال وقد ذكرناه مرارا وقوله تعالى لهم فيها ولم يقل ياكلون اشارة الى كون زمان
الاختيار بيدهم وكونهم مالكين وقادرين وقوله تعالى ولهم ما يدعون فيه وجوه احدها هم فيه لا بمعنى الفعل لا نفسهم اى دعاؤهم مستجاب
وحينئذ يكون هذا افتعالا بمعنى الفعل كالاجتماع بمعنى الجمع والارتحال بمعنى الرحل وعلى هذا فليس معناه انهم ما يدعون لانفسهم
دعاء فيستجاب دعوتهم بعد الطلب بل معناه ولهم ما يدعون لانفسهم اى ذلك لهم فلا حاجة لهم الى الدعاء والطلب كان الملك اذا طلب
منه مملوكه شيئا يقول لك فيفهم منه تارة ان طلبك مجاب وان هذا امر سهل بان تعطى ما طلبت وتفهم تارة منه الرد وبيان ان ذلك
لك حاصل فلم تطلبه فقال تعالى لهم ما يدعون ويطلبون فلا طلب لهم وتقريره هو ان يكون ما يدعون بمعنى ما يصح ان يطلب ويدعى يعني
كل ما يصح ان تطلب فهو حاصل لهم قبل الطلب او نقول المراد الطلب والاجابة وذلك لان الطلب من الله ايضا فيه لذة فلو قطع الله تعالى
الاسباب بينهم وبينه لما كان يطيبهم فاتى اشياء تعطيهم عند الطلب ليكون لهم عند الطلب لذة وعند العطا فان كون المملوك بحيث يمكن
من ان يخاطب الملك في حوائجه منصب عظيم والملك الجبار قد يدفع حوائج الملك باسرها قصدا منه الى ان لا يخاطبه الثاني ما يدعون ما تداعون
وحينئذ يكون افتعالا بمعنى التفاعل كالاقتتال بمعنى التقاتل ومعناه ما ذكرناه ان كل ما يصح ان يدعو احد صاحبه اليه او يطلبه احد
من صاحبه فهو حاصل لهم الثالث ما يتمنونه الرابع بمعنى الدعوى ومعناه حينئذ انهم كانوا يدعون في الدنيا ان لهم الله مولاهم وان
الكافرين لا مولى لهم فقال لهم في الجنة ما يدعونه في الدنيا فيكون الحكاية محكية في الدنيا كانه يقول في يومنا هذا لكم ايها المؤمنون وعد ما يدعون
اليوم لا يقال بان قوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال يدل على ان القول يوم القيمة لانا نقول
الجواب عنه من وجهين احدهما ان الموعود وازواجه في ظلال بعد وله ما يدعيه والجواب الثاني وهو اولى هو ان نقول معناه ما يدعون اى كانوا
يدعون لا يقال بانها اضمار حيث لا ضرورة وانه غير جائز لانا نقول على ما ذكرنا سوى الادعاء مستعمل فمعناه المشهور لا سوى الادعاء الاظهر بيانه
بالدعوى وانما قلنا ان هذا اولى لان قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم هو في دار الاخرة وهو كالتفسير لقوله ما يدعون ولان قوله
ما يدعون مذكور من حمل كلها في الاخرة مما يدعون ايضا ينبغي ان يكون في الاخرة وفي الاخرة لا يبقى دعوى وبينة لظهور الامور والفصل
بين اهل الثبور والحبور وقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم هو اكمل الاشياء وهو اخرها الذي لا شي فوقه ولنذكر فيه مسايل الاولى

مالرفع

ما الرفع كقوله سلام نقول يحتمل ذلك وجوها احدها وهو يدل مما يدعون كانه تعالى لما قال لهم ما يدعون بينه ببدله فقال
لهم سلام فيكون في المعنى كالمبتدا الذي خبره جار ومجرور كما يقال في الدار رجل ولزيد مال وان كان في النحو ليس كذلك بل هو بدل
وبدل النكرة من المعرفة جائز فيكون ما بمعنى الذي معرفة وسلام نكرة ويحتمل على هذا ان يقال ما في قوله تعالى ما يدعون لا موصوفة
ولا موصولة بل هي نكرة تقديره لهم شي يدعون ثم بين بذكر البدل فقال سلام والاول هو الصحيح ثانيها سلام خبر ما ولهم لبيان
الجهة تقديره ما يدعون سالم لهم اى خالص والسالم بمعنى السالم والتسليم عبد سلام اى سليم من العيوب كما يقول لزيد الشرف متوفر
فالجار والمجرور يكون لبيان من له ذلك والشرف هو المبتدا ومتوفر خبره ثالثها قوله تعالى سلام منقطع عما تقدم وسلام مبتدا وخبره محذوف
تقديره سلام عليهم فيكون ذلك اخبارا من الله تعالى في يومنا هذا كانه تعالى حكى لنا وقال ان اصحاب الجنة اليوم في شغل ثم لما
بين كمال حالهم قال سلام عليهم وهذا كما في قوله تعالى سلام على نوح وسلام على المرسلين فيكون الله تعالى احسن الى عباده المؤمنين كما
احسن الى عباده المرسلين وهذا وجه مبتكر جيد ما يدل عليه صفو لفظه او نقول تقديره سلام عليكم ويكون هذا نوعا من الالتفات
حيث قال لهم كذا وكذا ثم قال تعالى سلام عليكم **المسئلة الثانية** قوله منصوب بماذا نقول يحتمل وجوها احدها نصب على المصدر
تقديره على قولنا المراد لهم سلام هو ان يقال لهم سلام يقوله الله قولا او يقوله الملائكة قولا وعلى قولنا ما يدعون سالم
لهم تقديره قال الله ذلك قولا ووعدهم بان لهم ما يدعون سالم وعدا وعلى قولنا ما يدعون سلام عليهم من رب رحيم اقوله قولا
ويحتمل ان يقال على هذا انه تمييز لان السلام قد يكون قولا وقد يكون فعلا فان من يدخل على الملك فيطاطئ راسه يقول سلمت
على الملك وهو حينئذ كقول القائل البيع موجود حكما لا حسا وهذا وزيد ممنوع عنه قطعا لا ظنا الثالثة قال في السلام من رب رحيم وقال
في غيره من انواع الاكرام نزلا من غفور رحيم فهل بينهما فرق نقول نعم اما هنالك فلان النزل ما يرزق النزيل اولا وذلك وان كان يدل على ما بعده فان
النزيل اذا اكرم اولا يدل على انه مكرم واذا اخل باكرامه في الاول يدل على انه مهان دايم غير ان ذلك غير مقطوع به لجواز ان يكون الملك واسع
الرزق نزيله اولا ولا يمنعه منه الطعام والشراب وبينا يختصمه غيره فقال غفور رحيم اى السعد ولا نقول بان الاطعام قد يوجد ممن يعاقب بعده
والسلام يظهر مرتبة تعظيمه المسلم لا بمعرفته فقال رب غفور لان رب الشي مالكه الذي نظر الى علومه منه لا يرجحه الا لتفات اليه بالتعظيم
فاذا سلم عليه يعجب منه وقيل انظر هو سيده ويسلم عليه ثم قال تعالى وامتازوا اليوم ايها المجرمون وفيه وجوه منها بيان وجه الترتيب
ايضا الاول امتازوا في انفسكم وتفرقوا كما قال تعالى تكاد تميز من الغيظ اى يتميز بعضهم من بعض بما عرض لهم من الحسرة والندامة ووجه الترتيب حينئذ
ان المجرم يرى منزلة المؤمن ورفعته ويرى لذته وصعبه وحظهم فيقال لهم امتازوا اليوم اذ لا دواء لكم ولا اسفا يتسع لكم الثاني
امتازوا عن المؤمنين وذلك لانهم يكونون مشاهدين لما يصل الى المؤمن من الثواب والاكرام ثم يقال لهم تفرقوا وادخلوا مساكنكم من النار
فلم يبق لكم اجتماع بهم ابدا الثالث امتازوا بعضكم عن بعض على خلاف ما للمؤمن من الاجتماع بالاخوان الذي اشار اليه بقوله تعالى
هم وازواجهم فاهل النار يكون لهم العذاب الاليم وعذاب الفرقة ايضا ولا عذاب فوق الفرقة بل العقلا قالوا بان كل عذاب فهو بسبب تفرق اتصال
فان من قطع يده او حرق جسمه فانما يتالم بسبب تفرق المتصلات بعضها عن بعض لكن التفرق الجسمي دون التفرق العقلي الرابع امتازوا عن شفعائكم وقرنائكم
فالكم اليوم حميم ولا اولا شفيع الخامس امتازوا عما ترجون واعتزلوا عن كل خير والمجرم هو الذي ياتي بالجريمة ويحتمل ان يقال ان المراد منه ان الله تعالى
يقول امتازوا فيظهر عليهم سيما يعرفون به كما قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم وحينئذ يكون قوله تعالى امتازوا امر تكوين كما انه يقول
كن فيكون كذلك يقول لهم امتازوا فيتميزون بسيماهم ويظهر على جباههم او في وجوههم سواد ثم قال تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا
الشيطان لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين والمجرمين كان لقايل ان يقول ان الانسان كان ظلوما جهولا والجهل من الاعذار فقال الله
تعالى عند عدم الانذار وقد سبق انذار السبيل بايضاح الرسل وعهدنا اليكم وبلوغنا اليكم ما ينبغي ان تفعلوه وما لا ينبغي
وفي الاية مسائل **المسئلة الاولى** في اللغات التي في اعهد وهي كسر الهمزة اعهد وحروف الاستقبال كلها بكسر الاول الا الياء فيقال نعلم وتعلم الناسه
كسرها من باب ضرب يضرب الثالثة قليل العين جاء جهد وذلك في كل عين بعدها حا اى عهد معهما **المسئلة الثانية** في معنى
اعهد وجوه اقربها وافقها الم اوص اليكم **المسئلة الثالثة** في هذا العهد وجوه الاول انه هو العهد الذي كان مع ابينا آدم عليه السلام
بقوله تعالى وعهدنا الى آدم الثاني انه هو الذي كان مع ذرية آدم بقوله تعالى الست بربكم قالوا بلى فان ذلك يقتضي ان لا نعبد غير الله
الثالث وهو الاقوى ان ذلك كان مع كل قوم على لسان رسول ولذلك اتفق العقلاء على ان الشيطان يامر بالشر وان اختلفوا في حقيقته
او نفيه **المسئلة الرابعة** قوله تعالى لا تعبدوا معناه ولا تطيعوا بدليل ان المنهي ليس هو السجود له فحسب بل الانقياد لامره والطاعة له
فالطاعة عبادة لا تعالى فيكون نحن مامورين بعبادة الامراء وحيث امر بطاعتهم في قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم لانا نقول طاعتهم اذا كانت باذن الله لا تكون الا عبادة الله وطاعة له وكيف لا ونفس السجود والركوع للغير اذا كان
باذن الله لا يكون الا عبادة لله الا ترى ان الملائكة سجدوا لادم عليه السلام ولم يكن ذلك الا عبادة لله تعالى وانما عبادة الامراء
هو طاعتهم فيما لم ياذن الله تعالى فيه فان قيل بماذا يتميز طاعة الشيطان من طاعة الرحمن مع انا لا نسمع من الشيطان خبرا ولا نرى
اثرا نقول عبادة الشيطان في مخالفة امر الله تعالى فالاتيان بما امر الله تعالى لا لانه امر به وفي بعض الاوقات يكون الشيطان
يامرك وهو في غيرك وفي بعض الاوقات يامرك وهو فيك فاذا جاءك شخص يامرك بشيء فانظر ان ذلك موافق لامر الله تعالى
او ليس موافقا فان لم يكن موافقا فذلك الشخص معه الشيطان يامرك بما يامرك به فان اطعته فقد عبدت الشيطان
وان دعتك نفسك الى فعل فانظر انه ماذون فيه من جهة الشرع او ليس كذلك فان لم يكن ماذونا فيه فنفسك هي الشيطان
او معها الشيطان يدعوك فان اتبعته فقد عبدته ثم ان الشيطان يامر اولا بمخالفة الله تعالى ظاهرا فان اطيع فقد

عبد وان لم تطع لا ترجع عنه بل يقول له اعبد الله تعالى كيد تبيان ولم ترتفع عند الناس شانك وينتفع بك اخوانك واعوانك
فاذا مالت اليه فقد عبد لكن عبادة الشيطان على تفاوت وذلك لان الاعمال منها ما يقع والعامل موافق فيه بجنانه ولسانه واركانه ومنها
ما يقع والجنان واللسان يخالف الجوارح والاركان فمن الناس من يرتكب جريمة كارها لها بقلبه لما يقترف من ذنبه مستغفرا ربه يعترف
بسوء ما يعترف فهو عبادة الشيطان بالاعضاء الظاهرة ومنهم من يرتكبها وقلبه طيب ولسانه رطب كما انك تجد كثيرا من الناس يعرج
تكون مترددا الى ابواب الظلمة للسعاية ويعد من المحاسن كونه شاربا مع الملوك ويعمم بلسانه ويجدهم يفرحون بكونهم امر الملك
بالظلم والملك ينقاد لهم او يفرحون بكونه يامرهم بالظلم فيفرحون بالظلم بما ورد عليهم من الامر اذا عرفت هذا فالطاعة التي بالاعضا
الظاهرة والبواطن الطاهرة مكفرة بالاسقام والالام كما ورد في الاخبار ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم وقوله
صلى الله عليه وسلم السيف محاء للذنوب يدل على هذه الذنوب ويدل عليه ما قال صلى الله عليه وسلم في الحدود انها كفارات وما يكون بالقلوب
فلا خلاص عنه الا بالتوبة والندم واقبال القلب على الرب وما يكون باللسان فهو من قبيل ما يكون بالقلب في الظاهر والمثال يوضح الحال
فنقول اذا كان عند السلطان امير وله غلمان هم خواص الامير واتباع لهم من عوام الناس فاذا صدر من الامير مخالفة وشاور مع عدو
السلطان ومعادقه بينهما لا يعقل الملك ذلك الا اذا كان في غاية الصفا او يكون الامير عنده يدسا نفه او نوبة لاحقه
فان صدر من خواص الامير مخالفة وهو به عالم ولم يزجره عدت المخالفة موجودة منه وان كان كارها واظهر الانكار حسبت
معاتبة دون معاقبة لان الاقدام حو لصه على المخالفة دليل سوء الرتبة فان كان الصادر من الحواشي الاباعد وبلغ الامير ولم يزجره
عوتب الامير وان زجره استحق الامير بذلك الرجل الاكرام وحسن الملك ان يسرى الى المرجو الاحسان والانعام وان علم صدور
الجارحة اذا علمت هذا فالقلب امير واللسان خاصته والاعضا حدمته فما يصدر من القلب فهو العظيم من الكبائر فان
دل على محبة غير الله فهو ويل لعظيم والضلال المبين المستوجب للعقاب الاليم والعذاب المهين وما يصدر من اللسان فهو بحرب
القلوب ولا يعقل قوله ان لم يبل قوله وما يصدر من الاعضاء والقلب قد اطلع عليه لا انكار وحصل له الانزجار فهو الذنب الذي حكى النبي صلى الله عليه وسلم
عن ربه انه قال لو لم يذنبوا لخلق اقواما يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم وههنا لطيفة وهي ان الشيطان قد يرجع عبدا من عبادة غير الله فيجاد يطلب
قد حصل مقصوده من الاغوا حيث يرى ذلك العبد ارتكب الذنب ظاهرا ويكون ذلك رافعا الدرجة العبد فان بالذنب ينكسر قلب العبد
فيخلص عن الاعجاب بنفسه وعبادته ويصير اقرب من المقربين لان من لم يذنب مقرب عند الله تعالى كما قال الله تعالى لهم درجات عند ربهم والذنب التائب اذا
منكسر القلب فالله عنده كما قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه وانا عند المنكسرة قلوبهم وفرق بين من يكون عند الله وبين من يكون الله تعالى عنده
ولعل ما يحكى من الذنوب الصادرة عن الانبياء من هذا القبيل ليحصل لهم الفضيلة على الملائكة حيث مدحوا انفسهم بقوله تعالى ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك وقد يرجع الشيطان عن اخر يكون قدامه شيء فلم يفعله والشخص يظن الله على الشيطان وود صحاسا سد يحة في نفسه
وهو لا يعلم ان الشيطان رجع عنه لحصول المقصود مغبوطا غير مردود ومن هذا سر امر اصولي وهو ان الناس اختلفوا في ان المذنب هل يخرج
من الايمان ام لا وسبب النزاع وقوع نظر الخصمين على امر متباين والذنب الذي بالجنان لا بالقلب لا يخرج بل قد يزيد في الايمان والذي بالقلب
يخاف معه الخروج عن ربقة الايمان وكذلك اختلفوا في عصمة الانبياء من الذنوب والاشبه ان الجسدي جاير عليهم والقران دليل عليه
والقلبي لا يجوز عليهم ثم انه تعالى لما نهى عباده عن عبادة الشيطان ذكر ما يحملهم على قبول ما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه بقوله تعالى انه
لكم عدو مبين وفيه مسايل **المسألة الاولى** متى حصلت العداوة بين الشيطان والانسان فنقول ابتداؤها من الشيطان وسببه تكريم الله
بني آدم لما راى ابليس ربه اكرم آدم وبنيه عاداهم فعاداه الله تعالى والاول منه لوم والثاني من الله تعالى كرم اما الاول فلان الملك اذا
اكرم شخصا ولم ينقص من الاخر شيا اذ لا ضيق في الخزاين فعداوة من يعادي ذلك المكرم لا يكون الا لوما واما الثاني فلان الملك اذا
علم ان كلامه ليس الا منه وذلك الضعيف ما كان يقدر ان يصل الى بعض تلك المنزلة لولا اكرام الملك نعم لمن سعيه
شكر فعل الملك او نسب الحزا انه صعيها فكلاهما يحسن التعذيب فعاداه به انما ما للاكرام والكلا للاوصال ثم ان
كثيرا من الناس على مذهب ابليس اذا راوا واحدا عند ملك محترما يعصوه ويسعوا فيه اقامة لسنة ابليس فالملك ان لم يكن
متخلقا باخلاق الله تعالى لا يبعد الساعي ويسمع كلامه ويترك اكرامه لذلك الشخص واحترامه **المسألة الثانية**
ابن ابانة عداوته نقول لما اكرم الله تعالى آدم عاداه ابليس وظن انه يبقى في منزلته مثل متباعا عصيان عند ملك والله تعالى
كان عالما بالضمير فابعده واظهر امره فاظهر هو من نفسه ما كان تحصه لزوال ما كان تحمله على الاخفا فقال لاقعدن لهم صراطك المستقيم
وقال لاحتنكن ذريته **المسألة الثالثة** اذا كان الشيطان للانسان عدوا مبينا فما بال الانسان يميل الى مراضيه من الشرب
والزنا ويكره مساخطه من المجاهدة والعبادة نقول سبب ذلك استعانة الشيطان باعوان من عند الانسان وترك استعانة الانسان
بالله فيستعين بشهوته التي خلقها الله تعالى فيه لمصلح بقاية ونقا نوعه ويجعلها سببا لفساد حاله ويدعوا بها الى المسالك وكذلك
يستعين بغضبه الذي خلقه الله فيه لدفع المفاسد عنه ويجعله سببا لوباله وفساد احواله وميل الانسان الى المعاصي كميل المريض الى المضار
وذلك حيث ينحرف المزاج عن الاعتدال فترى المحموم يريد الماء البارد وهو يزيد في مرضه ومن به فساد المعدة فلا يهضم القليل من الغذاء
يميل الى الاكل الكثير ولا يشبع بشيء وهو يزيد معدته فسادا وصحيح المزاج لا يشتهي الا ما ينفعه فالدنيا كالهواء الردي لا يستغني الانسان
فيه من استنشاق الهوا وهو المفسد لمزاجه ولا طريق له عن اصلاح الهوا بالروائح الطيبة والاشيا المركبة والرش بالخل والما والورد من
جملة الصالحات فكذلك الانسان في الدنيا لا يستغني من امورها وهي المعينات للشيطان وطريقه ترك الهوى وتقليل التناول
وتحريض الهوا بالذكر الطيب والزهد فاذا صح مزاج عقله لا يميل الا الى الحق ولا يشق عليه في التكاليف كلفة ويحصل له مع الامور

الهيه

144

الهيئة اللغة وهذا كما اعتبر الشيطان بانه ليس له عليه سلطان ثم قال تعالى وان اعبدوني هذا صراط مستقيم لما منع من عبادة
الشيطان حث على عبادة الرحمن والشارع طبيب الارواح كما ان الطبيب طبيب الاشباح وكما ان الطبيب يقول للمريض لا تفعل كذا
ولا تاكل من ذا وهي الحمية التي راس الدوا ولا بد ان يامره بتناول الدوا النافع [illegible] كذلك الشارع
منع من المفسدة وهو اتباع الشيطان وحمل على المصلحة وهي عبادة الرحمن وفيه مسايل **المسألة الاولى** عند المنع من عبادة الشيطان
قال الله تعالى انه لكم عدو ولولا العداوة لما امتنع من الاتباع وعند الامر بعبادة الرحمن لم يقل انه لكم حبيب لان [illegible]
[illegible]
ما به لعداوة الشيطان والله تعالى اعلم

## قوله تعالى ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون

وفي الاية مسايل **المسألة الاولى** في الجبل ست لغات كسر الجيم والباء مع تشديد اللام وضمهما مع التشديد وكسرهما مع التخفيف وضمهما معه وتسكين
البا وتخفيف اللام مع ضم الجيم ومع كسره **المسألة الثانية** في معنى الجبل الجيم والبا واللام لا يخلو عن معنى الاجتماع فالجبل فيه اجتماع الاجسام الكبيرة
وجبل الطين فيه اجتماع اجزاء الماء والتراب وشاقحيا اذا كانت مجتمعة الجمع الكثير لا يقال الساحة تقصر على ما ذكرتم فانما سمي عن السوق
فان الاجلاج حلاف المقرون لانا نقول هي الاجتماع الاماكن الخالية التي تسع ممكنات فان الساحة والبلدة بمعنى والبلد سمي بلدا للاجتماع ولا
للسوق فالجبل الجمع العظيم حتى قيل دون العشرة الالف لا يكون جبلا ان لم يكن صحيحا **المسألة الثالثة** كيف اضل اضلال نقول الوجهان لان الضلال
على وجهين توليه على المقصد وحيد عنه فالشيطان يامر البعض بترك عبادة الله تعالى وبعبادة غيره فهو توليه فان لم يقدر يامره
بعبادة الله لامر غير الله من رياسة وجاه وغيرهما فهو حيد وهو يفضي الى التولية لان الضلال بقوله هذه جهنم التي كنتم توعدون
وحال الضال كحال شخص واحد خرج من وطنه مخافة عدوه فوقع في مسبعة ولو اقام في وطنه بعد ذلك العدو كان لا يظفر به او يرحمه
لكن ذلك حال من يترك طاعة ولا عصيانا وذلك لجانبين وحال من استعمل قلبه فاخطا الطريق فان المحمود من اهل النجاة وان لم يكن من اهل
الدرجات وقد قيل بان الثلاثة احدى الى الخلاص من وطانه ببرا وذلك ظاهر المحسوس فان من لم يعرف الطريق اذا اقام بمكانه لا يبعد عن
الطريق لسيرا ومن سار الى خلف المقصد بعد عنه كثيرا ثم بين انهم واصلون اليها حاصلون فيها بقوله تعالى اصلوها اليوم بما كنتم
تكفرون وفي هذا الكلام ما يوجب شدة ندامتهم وحسرتهم من ثلاثة اوجه احدها قوله تعالى اصلوها فانه امر تنكيد واهانة كقوله تعالى
ذق انك انت العزيز الكريم الثاني قوله اليوم يعني العذاب حاضر ولذاتك قد مضت وايامها قد انقضت وبقي اليوم العذاب الثالث قوله
تعالى بما كنتم تكفرون فان الكفر والكفران ينبي عن نعمة كانت فكفر بها وحيا الكفور من المنعم من اشد الالام وهذا كثيرا ما يقول العبد المجرم
افعلوا بي ما مرنه الشديد ولا تحضروني بين يديه والى هذا اشارة القايل الي بكاف لنرى سمة حيا المسي من المحسن ثم قال تعالى
اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون في الترتيب وجوه الاول انهم حين يسمعون قوله تعالى بما
كنتم تكفرون يريدون ينكرون كفرهم كما قال تعالى عنهم ما اشركنا وقالوا امنا به فيختم الله على افواههم فلا يقدرون على الانكار
وينطق الله تعالى غير لسانه من الجوارح فيعترف بذنوبهم الثاني لما قال الله تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم لم يكن لهم جواب فسكتوا وخرسوا
وتكلمت اعضاوهم غير اللسان وفي الختم على الافواه وجوه احدها ان الله تعالى لما اسكت السنتهم فلا ينطقون بها وينطق جوارحهم
فيشهد عليهم وانه في قدرة الله يسيرا اما الاسكات فلا خفا فيه واما الانطاق فلان اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة فكما جاز
تحركه بها جاز تحرك غيره مثلها والله تعالى قادر على الممكنات والوجه الاخر انهم لا يتكلمون بشيء لانقطاع اعذارهم وانهتاك
استارهم فيقفون ناكسوا الروس وقوف [illegible] لا يجد عذرا فيعتذر ولا مجال توبة فيستحق ويتكلم الايدي لظهور الامور
بحيث لا يسع معه الانكار حتى ينطق به الايدي والارجل كما يقول القايل الحيطان تبكي على صاحب الدار اشارة الى ظهور الحزن
والاول الصحيح وفيه لطايف لفظية ومعنوية اما اللفظية فالاولى منها هي ان الله تعالى اسند فعل الختم الى نفسه وقال نختم
واسند الكلام والشهادة الى الايدي والارجل لانه لو قال تعالى نختم على افواههم وننطق ايديهم يكون فيه احتمال ان ذلك منهم

كان جبرا وقهرا والاقرار بالاجبار غير مقبول فقال تعالى تكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم اى باختيارها بعدما نقدرها الله
تعالى على الكلام ليكون ادل على صدور الذنب منها ح ان الله تعالى قال تكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم الشهادة للارجل اى
باختيارها بعدما نقدرها الله تعالى على الكلام ليكون ادل على صدور الذنب منهم السادسة قال تعالى وما عملته ايديهم اى ما
عملوه وقال تعالى ولا تلقوا بايديكم اى ولا تلقوا بانفسكم فاذا الايدى كالعاملة والشاهد على العامل ينبغى ان يكون غيره
فجعل الارجل والجلود من جملة الشهود لبعد اضافة الافعال واما المعنوية فمنها ان يوم القيمة من يقبل شهادته من المقربين
والصديقين كلهم اعدا المجرمين وشهادة العدو على العدو غير مقبولة وان كان من الشهود العدول وغير الصديقين من الكفار
والفساق غير مقبولى الشهادة فجعل الله تعالى الشاهد عليهم منهم لا يقال الايدى والارجل ايضا صدرت الذنوب منها
فهى فسقة فينبغى ان لا يقبل شهادتها لانا نقول رد شهادتها دنها قبول الموت الحاجة الى التوصية امين الرابعة السكت فى الق
للتنعيم اى لا نقدر على توصية ما ولو كانت بكلمة يسيرة ولان التوصية قد تحصل بالاشارة فالعاجز عنها عاجز عن غيرها
الخامسة قوله تعالى ولا الى اهلهم يرجعون بيان لشدة الحاجة الى التوصية لان من يرجوا الوصول الى اهله قد يمسك
عن الوصية لعدم الحاجة اليها واما من يقطع بانه لا وصول له الى اهله فلا بد له من التوصية فاذا لم يستطع مع الحاجة دل على
غاية الشدة وفى قوله تعالى ولا الى اهلهم يرجعون وجهان ما ذكرنا انهم يقطعون بانهم لا يمهلون الى ان يجتمعوا باهاليهم و
ذلك يوجب الحاجة الى التوصية ماذكرنا انهم يقطعون بانهم لا يمهلون الى ان يجتمعوا باهاليهم وذلك يوجب الحاجة
الى التوصية وبانهم الى اهلهم لا يرجعون يعنى يموتون ولا رجوع لهم الى الدنيا ومن سافر سفرا ويعلم انه لا رجوع له من
ذلك السفر ولا اجتماع له باهله مرة اخرى ياتى بالوصية ثم ما بين ما هذه الصيحة الاولى فقال تعالى ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث
الى ربهم ينسلون اى نفخ فيه اخرى كما قال تعالى ونفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وفيه مسايل المسئلة الاولى قال تعالى فى موضع
اخرى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال تعالى فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون والقيام غير النسلان وقوله تعالى
فى الموضعين اذا هم يقتضى ان يكون معا نقول الجواب عنه من وجهين احدهما ان القيام لا ينافى المشى السريع لان الماشى قائم ولا ينافى
النظر وثانيهما ان سرعة الامور كان الكل فى زمان واحد كقول القائل مكر مفر مقبل مدبر معا الثانية كيف صارت النفختين مؤثرتين
فى امرين متضادين الاحيا والاماتة نقول لا مؤثر غير الله تعالى والنفخ علامة ثم ان الصوت الهائل يزلزل الاجسام فعند الحياة
كانت اجزاء الحى مجتمعة فزلزلها فحصل منها تفريق وحالة الموت كانت اجزاؤه متفرقة فزلزلها فحصل فيها اجتماع فالحاصل ان
النفختين يؤثران تزلزلا وانتقالا للاجرام فعند الاجتماع يتفرق وعند الافتراق يجتمع الثالثة ما التحقيق فى اذا التى للمفاجاة
نقول هى اذا التى للظرف معناه نفخ فى الصور فاذا نفخ فيه هم ينسلون لكن الشى قد يكون ظرفا للشى معلوما كونه ظرفا فعند
الكلام يعلم كونه ظرفا وعند المشاهدة لا يتجدد علم كقول القائل اذا طلعت الشمس اضاء الجو وغير ذلك فاذا رأى اضاءة الجو
عند الطلوع يتجدد علم زايد واما اذا قلت خرجت فاذا اسد بالباب كان ذلك الوقت ظرف كون الاسد بالباب لكنه لم يكن معلوما فاذا
رآه علمه فحصل العلم بكونه ظرفا له مفاجاة عند الاحساس فقيل اذا للمفاجاة الرابعة ان يكون فى ذلك الوقت احداث وقد زلزلت
الصيحة بالجبال نقول يجمع الله اجزاءه كل واحد فى الموضع الذى اتفق موته من ذلك الموضع وهو جدثه الخامسة الموضع موضع
ذكر الهيبة وتقدم ذكر الكافر ولفظ الرب يدل على الرحمة فلو قال بدل الرب المضاف اليهم لفظا دالا على الهيبة هل يكون التمام لا
قلنا هذا اللفظ احسن ما يكون من انتسى واضطر الى التوجه من احسن اليه يكون ذلك اشد الما واكثر ندما من غيره السادسة
المسى اذا توجه الى المحسن يقدم رجلا ويؤخر اخرى والنسلان هو سرعة المشى فكيف يوجد منهم ذلك نقول ينسلون من غير
اختيارهم وقد ذكرنا فى تفسير قوله تعالى فاذا هم ينظرون انه اراد ان بين كمال قدرته ونفوذ ارادته حيث ينفخ فى الصور فيكون
فى وقته جمع وتركيب واحيا وقيام وعدو فى زمان واحد وقوله تعالى فاذا هم ينسلون يعنى فى زمان واحد ينتهون الى هذه الدرجة
وهى النسلان الذى لا يكون الا بعد مراتب ثم قال تعالى قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا يعنى لما بعثوا قالوا ذلك لان قوله
تعالى ونفخ فى الصور يدل على انهم بعثوا وفيه مسايل الاولى لو قال قائل لو قال الله تعالى فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون
يقولون يا ويلنا كان اليق نقول معاذ الله وذلك لان قوله تعالى فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون على ما ذكرنا اشارة الى انه تعالى فى اسرع
زمان يجمع اجزاءهم ويؤلفها ويحييها ويحركها حيث يقع نسلانهم فى وقت النفخ مع ان ذلك لا بد له من الجمع والتاليف فلو قال قائل يقولون
لكان ذلك مثل الحال لينسلون اى ينسلون قائلين يا ويلنا وليس كذلك فان قولهم يا ويلنا قبل ان ينسلون وانما ذكر النسلان
لما ذكرنا من الفائدة الثانية لو قال القائل قد عرفت معنى النداء فى مثل يا حسرة ويا حسرتنا ويا ويلنا ولكن ما الفرق بين قولهم وقول الله
تعالى حيث قال تعالى يا حسرة على العباد من غير اضافة وقالوا يا حسرتنا ويا ويلنا نقول حيث كان القائل هو الله تعالى لم يكن لاحد
علم الا بحاله والحادث تقرب منه فكان كل واحد مشغولا بنفسه فكان كل يقول يا حسرتنا ويا ويلنا فقوله تعالى قالوا اى كل واحد
قال يا ويلى واما حيث قال الله تعالى على سبيل العموم لشمول علمه بحالهم الثالثة ما وجه قوله من بعثنا من مرقدنا نقول لم يا ويلنا
نقول لما بعثوا تذكروا ما كانوا يسمعون من الرسل فقالوا يا ويلنا من بعثنا ابعثنا الله تعالى البعث الموعود به ام كنا نياما فنبهنا
وهذا كما اذا كان انسان موعودا بان ياتيه شهادتها لانها ان كذبت فى مثل ذلك اليوم فقد صدر الذنب منها فى مثل ذلك اليوم والمذنب
فى ذلك اليوم مع ظهور الامور فلا بد من ان يكون من سابق الدنيا وان صدقت فى ذلك فقد صدر منه الذنب فى الدنيا وهذا من قال
لفاسق ان كذبت فى نهار هذا اليوم فعبدى حر فقال الفاسق كذبت فى نهار هذا اليوم عتق العبد لانه ان صدق فى قوله كذبت فقد



كذبت فى نهار ذلك اليوم فقد وجد الشرط وترك الجزاء وان كذب فى قوله كذبت فقد كذب فى نهار ذلك اليوم فوجد الشرط ايضا فكذلك فى
ما لو قال فى اليوم الثانى كذبت فى نهار اليوم علقت عتق عبدك على كذبك فيه الثانية الختم لازم الكفار فى الدنيا على قلوبهم وفى
الاخرة على افواههم فالوقت الذى كان الختم على قلوبهم كان قولهم بافواههم كما قال تعالى ذلك قولهم بافواههم فلما ختم على افواههم
ايضا لزم ان يكون قولهم باعضائهم لان الانسان لا يملك غير القلب واللسان والاعضا فاذا لم يبق القلب واللسان تعين الجوارح
والاركان ثم انه تعالى قال ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون قد ذكرنا مرارا ان الصراط المستقيم وهو
ما بين الجبر والقدر وهى الطريقة الوسطى والله تعالى فى كل موضع ذكر ما يتمسك به المجبر ذكر عقيبه ما يتمسك به القدرى
وبالعكس وههنا كذلك لما قال تعالى وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون وقال تعالى اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون وكان ذلك
متمسك القدرية حيث اسند الكفر والكسب اليهم واحال الخير والشر اليهم ذكر عقيبه ما يدل على ان كفرهم وكسبهم بمشيئة الله تعالى
وذلك لان الكفر عمى البصيرة وضعف القوة العقلية وعمى البصيرة بارادة الله تعالى ومشيته اذا شا اعمى البصاير كما انه لو شا
لطمس على اعينهم المبصرة وسلب القوة العقلية باختياره ومشيته كما ان سلب القوة الجسمية بمشيته حتى لو شا لمسخ المكلف
على مكانته واقامته بحيث لا يتحرك ولا يسرع ولا يقدر على المضى والرجوع فاعمى البصاير عقيبه كاعمى الابصار وسلب القوة العقلية
كسلب القوة الجسمانية فقال تعالى لو نشاء لطمسنا على اعينهم اشارة الى انه ان شا واراد اعمى بصايرهم وضلوا والله انه لو شا لطمس
اعينهم لما اهتدوا الى الطريق الظاهرة وشاء واختار سلب قوة عقولهم فزلوا والله انه لو شاء سلب قوة اجسامهم ومسخهم
لما قدروا على تقدم ولا تاخر وفى الاية مباحث لطيفة فى قوله تعالى فاستبقوا الصراط قال الزمخشرى فيه وجوه الاول ان يكون
فيه حذف حرف الجر واتصال الفعل من غير حرف واصله فاستبقوا الى الصراط الثانى ان يكون المراد من الاستباق الابتدار
فاعله الاستباق الثالث ان يجعل الصراط مستبقا لا مستبقا اليه يقال استبقنا مسبقهم وحينئذ يكون مبالغة فى
الاهتداء الى الطريق كانه يقول الصراط الذى هو معهم ليسوا طالبين له قاصدين اياه واعماهم عليه اذا طمس الله تعالى على
اعينهم لا يبصرونه فكيف ان لم يكونوا على الصراط البحث الثانى قدم الطمس والاعمى على المسخ والاعجاز يكون الكلام مندرجا كانه قال
ان اعماهم لم يروا الطريق الذى هم عليه وحينئذ لا يهتدون اليه فان قال قايل الاعمى قد يهتدى الى الطريق باشارات عقلية او حسية
غير حس البصر كالاصوات وكالمشى بحس اللمس فارتقى وقال فلو مسخهم وسلب قوتهم بالكلية لا يهتدون الى الصراط بوجه من الوجوه البحث
الثالث قدم المضى على الرجوع لان الرجوع اهون من المضى لان المضى لا ينبى عن سلوك الطريق من قبل واما الرجوع فينبى عنه ولا شك ان سلوك
طريق قد راى مرة اهون من سلوك طريق لم ير فقال لا يستطيعون مضيا ولا اقل من ذلك وهو الرجوع الذى اهون من المضى ثم قال تعالى ومن نعمره
ننكسه فى الخلق افلا تعقلون قد ذكرنا ان قوله تعالى الم اعهد اليكم قطع للاعذار بسبق الانذار ثم لما قرر ذلك واتمه شرع فى قطع عذر اخر
وهو ان الكافر يقول لم يكن لبثنا فى الدنيا الا يسيرا ولو عمرنا لما وجدت منا تقصيرا فقال الله تعالى افلا تعقلون انكم كلما دخلتم فى
السن ضعفتم وقد عمرناكم مقدار ما تتمكنون من البحث والادراك كما قال تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ثم انكم علمتم ان الزمان كلما
يعبر عليكم يزداد ضعفكم فضيعتم زمان الامكان فلو عمرناكم اكثر من ذلك لكان بعده زمان الازمان ومن لم يات بالواجب زمان الامكان
ما كان ياتى به زمان الازمان ثم قال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين فى الترتيب وجهان قد ذكرنا ان الله تعالى
فى كل موضع ذكر اصلين من الاصول الثلاثة وهى الوحدانية والرسالة والحشر ذكر الاصل الثالث منها وههنا ذكر الاصلين الوحدانية
والحشر اما الوحدانية ففى قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان الى قوله تعالى وان اعبدونى هذا صراط مستقيم
واما الحشر ففى قوله تعالى اصلوها اليوم وبقوله تعالى اليوم نختم على افواههم الى غير ذلك فلما ذكرهما وبينهما ذكر الاصل الثالث
وهو الرسالة فقال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين وقوله تعالى وما علمناه الشعر اشارة الى انه معلم
من عند الله تعالى فعلمه ما اراد ولم يعلمه ما لم يرد وفى تفسير الاية مباحث البحث الاول خص الشعر بنفى التعليم مع ان الكفرة كانوا
ينسبون الى النبى صلى الله عليه وسلم اشيا من جملتها السحر ولم يقل وما علمناه السحر وكذلك كانوا ينسبونه الى الكهانة ولم يقل وما علمناه
الكهانة فنقول اما الكهانة فكانوا ينسبون النبى صلى الله عليه وسلم اليها عند ما كان يخبر عن الغيوب ويكون كما يقول واما السحر فكانوا
ينسبونه اليه وعند ما كان يفعل ما لا يقدر عليه الغير كشق القمر والحصى والجذع وغير ذلك واما الشعر فكانوا ينسبونه اليه عند ما كان
يتلو القرآن عليهم لكنه صلى الله عليه وسلم ما كان يتحدى الا بالقرآن كما قال تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من
مثله الى غير ذلك ولم يقل ان كنتم فى شك من رسالتى فانطقوا الجذوع واشبعوا الخلق العظيم او اخبروا بالغيوب فلما كان تحديه
صلى الله عليه وسلم بالكلام وكانوا ينسبونه الى الشعر عند الكلام خص الشعر بنفى التعليم البحث الثانى ما معنى قوله تعالى وما ينبغى له قلنا
قال قوم ما كان يتاتى له وآخرون ما يتسهل له حتى انه ان تمثل ببيت شعر سمع منه مزحفا يروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول
ويأتيك بالاخبار من لم تزود بالاخبار وفيه وجه احسن من ذلك وهو ان يحمل ما ينبغى له على مفهومه الظاهر وهو ان الشعر يدعو الى
تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن فالشارع يكون اللفظ تبعا للمعنى والشاعر يكون المعنى منه تبعا للفظ لانه يقصد لفظا يصح به وزن
او قافيته فيحتاج الى التحيل لمعنى ياتى به لاجل ذلك اللفظ وعلى هذا نقول الشعر هو الكلام الموزون الذى قصد الى وزنه قصدا اوليا واما
من يقصد المعنى فيصدر موزونا مقفى لا يكون شاعرا الا ترى الى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ليس بشعر والشاعر اذا صدر
منه كلام فيه متحركات وساكنات بعدد ما فى الاية بتقطيعه تفاعلات فاعلات تفاعلات ويكون شعرا لانه قصد الاتيان بالفاظ حروفها
متحركة وساكنة كذلك والمعنى تبعه والحكيم قصد المعنى فجاء على تلك الالفاظ وعلى هذا يحصل الجواب على قولهم يقولون ان النبى صلى الله عليه وسلم

ذكر بيت شعر وهو قوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب او سين لانا نقول ذلك ليس بشعر لعدم قصده الى الوزن والقافية وعلى
هذا لو صدر من النبي صلى الله عليه وسلم كلام كثير موزون مقفى لا يكون شعرا لعدم قصده اللفظ قصدا اوليا ويؤيد ما ذكرنا انك
اذا سمعت كلام الناس في الاسواق تجد فيه ما يكون موزونا واقعا في بحر من بحور الشعر ولا يسمى المتكلم به شاعرا ولا الكلام شعرا لفقد
القصد الى اللفظ اولا ثم قال تعالى ان هو الا ذكر وقرآن مبين تحقيق ذلك المعنى اي هو ذكر وموعظة للقصد الى المعنى والشعر لفظ مزخرف
بالقافية والوزن وهاهنا لطيفة وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر لحكمة يعني قد يقصد الشاعر اللفظ فيوافقه معنى
حكمي كما ان الحكيم قد يقصد معنى فيوافقه وزن شعري لكن الحكيم بسبب ذلك الوزن لا يصير شاعرا والشاعر بسبب ذلك الذكر
يصير حكيما حيث سمى النبي صلى الله عليه وسلم شعره حكمة ونفى الله كون النبي عليه السلام شاعرا وذلك لان اللفظ قالب المعنى والمعنى قلب
اللفظ وروحه فاذا وجد القلب لا نظر الى القالب فيكون الحكيم الموزون كلامه حكيما ولا يخرجه عن الحكمة وزن كلامه والشاعر
الموعظ كلامه حكيما ثم قال تعالى لينذر من كان حيا لا يخرجه عن الحكمة وزن كلامه قرئ بالتاء والياء خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم
وبالياء على وجهين احدهما ان يكون المنذر هو النبي صلى الله عليه وسلم حيث سبق ذكره في قوله تعالى وما علمناه وقوله تعالى وما ينبغي
له وثانيهما ان يكون المراد القرآن سندروا الاول اقرب الى المعنى والثاني اقرب الى اللفظ اما الاول فلان المنذر صفة الرسل اكثر ورودا من
المنذر صفة الكتب واما ثانيا فلان القرآن اقرب المذكورين الى قوله تعالى لينذر وقوله تعالى من كان حيا اي من كان حي القلب يحتمل وجهين
احدهما ان يكون المراد من كان حيا في علم الله تعالى فينذره فيؤمن والثاني ان يكون المراد لينذر به من كان حيا في نفس الامر اي من
آمن فينذره بما على المعاصي من العقاب وبما على الطاعة من الثواب وقوله تعالى ويحق القول على الكافرين اما قول العذاب وكلمته كما قال
تعالى ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس وقوله تعالى حقت كلمة العذاب وذلك لان الله تعالى قال وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا فاذا جاء حق التعذيب على من وجد منه التكذيب واما القول المقول في الوحدانية والرسالة والحشر وساير الاصولية
الدينية فان القرآن فيه ذكر الدلائل التي تبطل الشبهة ثم انه تعالى اعاد الوحدانية والدلائل الدالة عليها وقال تعالى اولم يروا انا خلقنا
لهم مما عملت ايدينا انعاما اي من جملة ما عملت ايدينا اي ما عملناه من غير معين ولا ظهير بل عملناه بقدرتنا وارادتنا فقوله تعالى
فهم لها مالكون اشارة الى اتمام الانعام في خلق الانعام فانه تعالى لو خلقها وما ملكها الانسان ما كان ينتفع بها وقوله تعالى وذللناها
لهم زيادة الانعام فان المملوك اذا كان نافرا ممتنعا لا ينتفع فلو كان الانسان يملك الانعام وهي باقية شاردة لما تم الانعام الذي في الركوب
وان كان يحصل الاكل كما في الحيوانات الوحشية لا بل يكمل نعمة الاكل ايضا الا بالتعب الذي في الاصطياد ولعل ذلك لا سيما البعض
دون البعض وقوله تعالى فمنها ركوبهم ومنها يأكلون بيان لمنفعة التذليل اذ لولا التذليل لما وجد احدى المنفعتين
وكانت الاخرى قليلة الوجود ثم بين غير الركوب والاكل من الفوايد بقوله تعالى ولهم فيها منافع ومشارب وذلك لان من الحيوانات
ما لا يركب كالغنم فقال المنافع لتعمها والمشارب كذلك عام ان قلنا بان المراد جمع مشرب هو الآنية فان من الجلود ما يتخذ
اواني الشرب والادوات من المشرب والادوات وان قلنا ان المراد المشرب وهو الالبان والاسمان فهي مختصة بالاناث ولكن بسبب
الذكور فان ذلك متوقف على الحمل وهو بالذكور والاناث ثم قال تعالى افلا يشكرون هذه النعم فانها توجب على العباد شكرا ولو شكرتم
لزادكم من فضله وان كفرتم لسلبها منكم فلو لم افلا يشكرون استدامة لها واستزادة فيها ثم قال تعالى واتخذوا من دون
الله آلهة الى بيان زيادة ضلالتهم ونهايتها فانهم كان الواجب عليهم عبادة الله شكرا لانعمه فتركوها واقبلوا على عبادة
من لا يضر ولا ينفع وتوقعوا منها النصرة مع انهم هم الناصرون لهم كما قال عنهم قالوا حرقوه وانصروا الهتكم الحقيقة لا هم ناصرون
ولا منصورون **قوله تعالى** وهم لهم جند محضرون اشارة الى الحشر بعد تقرير التوحيد وهذا كقوله تعالى انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون وقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم
الى صراط الجحيم وقوله تعالى اولئك في العذاب محضرون ويحتمل معنيين احدهما ان يكون العابدون جندا لما اتخذوه آلهة كما
ذكرنا الثاني ان يكون الاصنام جندا للعابدين وعلى هذا ففي معنى لطيف وهو انه تعالى لما قال لا يستطيعون نصرهم اكدها بانهم
لا يستطيعون نصرهم حال ما يكونون جندا لهم ويحضرون لنصرهم فان ذلك دال على عدم الاستطاعة فان من حضر واجتمع ثم
عجز عن النصرة يكون في غاية الضعف بخلاف من لم يكن يتأهب ولم يجمع انصاره وقوله تعالى فلا يحزنك قولهم اشارة الى الرسالة
لان الخطاب معه بما يوجب تسلية قلبه وذلك احسانه واختياره اياه وقوله تعالى انا نعلم ما يسرون وما يعلنون يحتمل وجوها احدها
ان يكون ذلك تهديدا للمنافقين والكافرين فقوله ما يسرون من النفاق وما يعلنون من الشرك والثاني ما يسرون من العلم بك
ويعلنون من الكفر بك الثالث ما يسرون من العقايد الفاسدة وما يعلنون من الافعال القبيحة ثم انه تعالى لما ذكر دليلا من الافاق
على وجوب عبادته فقوله تعالى اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما ذكر دليلا من الانفس وقال تعالى اولم ير الانسان
انا خلقناه من نطفة قيل المراد بالانسان ابي بن خلف الآية وردت فيه حيث اخذ عظما باليا وان النبي صلى الله عليه وسلم قال انك
تعود الى الهك بعد هذا العظام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ونبعثك ويدخلك جهنم وقد ثبت في اصول الفقه ان الاعتبار
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لا ترى ان قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها نزلت في واحدة واراد الحكم في الكل كذلك كل انسان
ينكر الله والحشر هذه الآية رد عليه اذا علمت عمومها فنقول فيها لطايف اللطيفة الاولى قال تعالى اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا
انعاما معناه الكافرون المنكرون التاركون عبادة الله تعالى المتخذون من دونه آلهة الم يروا خلق الانعام لهم وعلى هذا فقوله تعالى
اولم ير الانسان كلام عام من قوله تعالى اولم يروا لانه مع جنس الانسان وهو جمع منهم فهو بسبب ذلك اذ دليل الانفس اتم واكمل واتم

والنم



والزم فان الانسان قد يغفل عن الانعام وخلقها عند غيبتها ولكنه هو مع نفسه متى يكون واين ما يكون فقال ان غاب عن الحيوان
وخلقه فهو لا يغيب عن نفسه فما باله لم يروا انا خلقناه من نطفة وهو تمام نعمة فان ساير النعم بعد وجوده وقوله تعالى من نطفة اشارة الى
وجه الدلالة وذلك لان خلقه لو كان من اشياء مختلفة الصورة كان يمكن ان يقال العظم خلق من جنس صلب واللحم من جنس رخو وكذلك الحال
في كل عضو فلما كان خلقه من نطفة متساوية الاجزاء وهو مختلف الصور دل على الاختيار والقدرة والى هذا اشار بقوله تعالى يسقى بماء واحد
وقوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فيه لطيفة غريبة وهي انه تعالى قال اختلاف صورة اعضائه ثم مع تساوي اجزاء ما خلق منه آية ظاهرة ومع هذا فهنالك
ما هو اظهر وهو لطيفة ونعمة وذلك لان النطفة جسم فهب ان جاهلا يقول انه استحال وتكون جسما آخر لكن القوة الناطقة والقوة الفاهمة
من اين تقتضيها النطفة فابداع النطق والفهم اعجب واغرب من ابداع الخلق والجسم وهو الى ادراك القدرة والاختيار منه اقرب فقوله خصيم
اي ناطق وانما ذكر الخصيم مكان الناطق لانه اعلى احوال الناطق فان الناطق مع نفسه لا يبين كلامه مثل ما يبينه وهو يتكلم مع غيره والمتكلم
مع غيره اذا لم يكن خصما لا يبين ولا يجتهد مثل ما يجتهد اذا كان كلامه مع خصمه وقوله مبين اشارة الى قوة عقله واختار الابانة لان العاقل
عند الافهام على درجة منه عدمية لان المبين بان عنده الشيء ثم ابانه فقوله تعالى من نطفة اشارة الى ادنى ما كان عليه وقوله خصيم
مبين اشارة الى اعلى ما حصل عليه وهذا مثل قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما
اشارة الى التغيرات في الجسم وقوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر اشارة الى ما اشار اليه بقوله تعالى فاذا هو خصيم مبين اي ناطق عاقل والله
تعالى اعلم **قوله تعالى** وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم
اعلم انه تعالى اشار الى بيان الحشر وفي هذه الآيات الى آخر السورة عجايب وغرايب نذكرها بقدر الامكان ان شاء الله تعالى فنقول المنكرون
للحشر منهم من لم يذكر فيه دليلا ولا شبهة فاكتفى بالاستبعاد وادعى الضرورة وهم الاكثرون ويدل عليه قوله تعالى حكاية عنهم في مواضع كثيرة
من القرآن بلفظ الاستبعاد كما قال تعالى وقالوا ائذا ضللنا في الارض ائنا لفي خلق جديد ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
ائنك لمن المصدقين ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون الى غير ذلك فكذلك من يحيي العظام وهي رميم على طريق الاستبعاد
فبدأ اولا بابطال استبعادهم بقوله تعالى ونسي خلقه اي نسي انا خلقناه من تراب ومن نطفة متشابهة الاجزاء ثم جعلنا لهم من النواصي
الى الاقدام اعضاء مختلفة الصور والقوام وما اكتفينا بذلك حتى اودعناهم ما ليس من قبيل هذه الاجرام وهو النطق والعقل الذي
بهما استحقوا الاكرام فان كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد فهلا يستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة قذرة لم تكن محل الحياة
اصلا ويستبعدون اعادة النطق والعقل الى محل كانا فيه ثم ان استبعادهم كان من جهة ما في المعاد من البعث والتفرق حيث
قالوا من يحيي العظام وهي رميم اختار العظم للذكر لانه ابعد عن الحيوة لعدم الاحساس فيه ووصفه بما يقوي جانب الاستبعاد
من البلى والتفتت والله تعالى دفع استبعادهم من جهة ما في المعيد من القدرة والعلم فقال تعالى وضرب لنا مثلا اي جعل قدرتنا كقدرتهم
ونسي خلقه العجيب وبدأه الغريب ومنهم من ذكر شبهة وان كان في آخرها يعود الى مجرد الاستبعاد وهي على وجهين احدهما انه بعد العدم
لم يبق شيئا فكيف يصح على العدم الحكم بالوجود واجاب عن هذه الشبهة بقوله تعالى الذي انشأها اول مرة يعني كما خلق
الانسان ولم يكن شيئا مذكورا كذلك يعيده وان لم يكن شيئا مذكورا وثانيهما ان من تفرق اجزاؤه في مشارق العالم ومغاربه
وصار بعضه في ابدان السباع وبعضه في جدران الرباع كيف يجمع وابعد من هذا هو ان انسانا اذا اكل انسانا وصار اجزاء الماكول
اما ان تعاد الى بدن الآكل فلا يبقى للماكول اجزاء تخلق منها اعضاؤه واما ان تعاد الى بدن الماكول منه فلا يبقى للآكل اجزاء فقال تعالى في ابطال هذه الشبهة
وهو بكل خلق عليم ووجهه ان في الآكل اجزاء اصلية واجزاء فضلية وفي الماكول كذلك فاذا اكل انسان انسانا صار الاصلي من اجزاء الماكول فضليا من اجزاء الآكل
الاجزاء الاصلية للآكل وينفخ فيها روحه ويجمع الاجزاء الاصلية للماكول وينفخ فيها روحه وكذلك يجمع الاجزاء المتفرقة في البقاع المتبددة في الاصقاع
بحكمته الشاملة وقدرته الكاملة ثم انه تعالى عاد الى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم وابطال انكارهم وعنادهم فقال تعالى الذي جعل لكم
من الشجر الاخضر نارا ووجهه هو ان الانسان مشتمل على جسم يحس به وحياة سارية فيه وهي كحرارة جارية فيه فان استبعدتم
وجود حرارة وحياة فيه فلا تستبعدوه فان النار في الشجر الاخضر الذي يقطر منه الماء اعجب واغرب وانتم تحضرون حيث
توقدون منه وان استبعدتم خلق جسمه فخلق السموات والارض اكبر من خلق انفسكم فلا تستبعدوه فان الله تعالى خلق
السموات والارض فبان لطف قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون وقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقدم ذكر النار في الشجر على ذكر الخلق الاكبر لان استبعادهم كان بالتصريح واقعا على الاحياء
حيث قالوا من يحيي العظام ولم يقولوا من يجمعها ويؤلفها والنار في الشجر مناسب للحياة وقوله تعالى هو الخلاق اشارة الى
انه في القدرة كامل وقوله العليم اشارة الى ان علمه شامل ثم اكد بيانه بقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له
كن فيكون هذا اظهار فساد تمثيلهم وتشبيههم وضرب مثلهم حيث ضربوا لله تعالى مثلا وقالوا لا يقدر احد على مثل هذا قياسا
للغايب على الشاهد فان في الشاهد الخلق يكون بالآلات البدنية والانتقالات المكانية لا يقع الا في الازمنة الممتدة
تخلق بكن فكيف تضربون المثل الادنى وله المثل الاعلى من ان يدرك وفي الآية مباحث الاول قالت المعتزلة هذه الآية دالة على ان
المعدوم شيء لانه يقول لما اراده كن فيكون فهو قبل القول له كن لا يكون وهو في تلك الحالة شيء حيث قال تعالى انما امره اذا اراد
شيئا والجواب ان هذا بيان لعدم تخلف الشيء حين تعلق ارادته به فقوله اذا مفهومه الحين والوقت والآية دالة على ان المراد
شيء حين تعلق الارادة ولا دلالة فيها انه شيء قبل ما اذا اراد وحينئذ لا يرد ما ذكروه حين تعلق الارادة به شيء موجود
لا نريده في زمان ويكون في زمان آخر بل يكون في زمان تعلق ارادة الشيء فاذا الشيء هو الموجود لا المعدوم لا يقال كيف يريد الموجود

وهو موجود فيكون ذلك ايجاد الموجود نقول هذا الاشكال من باب المعقولات ونبحث عنه في موضعه وانما غرضنا ابطال تمسكهم بالالفاظ وقد ظهر
ان المفهوم من هذا الكلام انه يريد ما هو شي اذا اراد وليس في الاية انه اذا اراد ما كان شيا قبل تعلق الارادة الثاني قالت الكرامية لله
ارادة محدثة بدليل قوله تعالى اذا اراد ووجه الدلالة من امرين احدهما من حيث انه جعل للارادة زمانا فان اذا ظرف زمان وكل ما هو زماني
فهو حادث وثانيهما هو انه تعالى جعل ارادته متصلة بقوله كن وقوله كن متصلة بكون الشيء ووقوعه لانه تعالى قال فيكون بفا التعقيب
لكن الكون حادث وما قبل الحادث متصل به حادث الفلاسفة وافقوهم في هذا الاشكال من وجه اخر فقالوا ارادته متصلة بامره
وامره متصل بالكون ارادته قديمة وجواب الفريقين من التمسك باللفظ هو ان المفهوم من قوله تعالى اذا اراد من حيث اللغة اذا تعلقت
ارادته بالشيء لان قوله تعالى اراد فعل ماض واذا دخلت كلمة اذا على الماضي يجعله في معنى المستقبل ونحن نقول
بان مفهوم قولنا اراد ويريد وعلم ويعلم يجوز ان يدخله الحدث وانما نقول لله تعالى صفة قديمة هي الارادة وتلك الصفة اذا تعلقت
بشيء نقول اراد ويريد وقبل التعلق لا نريد نقول اراد وانما نقول له ارادة وهو بها مريد ولنقرب مثالا للاوهام الضعيفة ليزول
ما يقع في الاوهام السخيفة فنقول قولنا فلان خياط يراد ان له صنعة الخياطة فلو لم يصح منا ان نقول انه خاط ثوب زيد لا يلزم
منه نفي صحة قولنا لم يصح منا ان نقول المعنى انه خياط بمعنى ان له صنعة بها نطلق عليه عند استعماله تلك الصنعة في ثوب زيد في
زمان ماض خاط ثوبه وبها نطلق عليه عند استعماله ذلك في ثوبه في زمان مستقبل يخيط ثوبه ولله المثل الاعلى ما ثم الا الارادة
امر ثابت ان تعلقت بوجود شيء نقول اراد وجوده اي يريد وجوده اذا علمت هذا فالمعنى من كلام اهل السنة تعلق الارادة
حادث وخرج بما ذكرنا جواب الفريقين البحث الثاني قالت المعتزلة والكرامية كلام الله تعالى حرف وصوت وحادث لان قوله كن كلام
من حرفين والحرف من الصوت ويلزم من هذا ان كلامه من الحروف والاصوات واما انه حادث فلما تقدم من وجهين احدهما انه
زماني والثاني انه متصل بالكون والكون حادث والجواب يعلم مما ذكرنا وذلك لان الكلام صفة اذا تعلقت بشيء نقول قال وتعلق الخطاب
حادث والكلام قديم فقوله تعالى انما امره اذا اراد شيا ان يقول له فيه تعلق واضافة لان قوله تعالى نقول له باللام والاضافة صريح الى التعلق
ونحن نقول بان قوله المسمى الحادث حادث لانه مع التعلق واما القديم قوله وكلامه لا مع التعلق وكل قديم وحادث اذا نظرنا الى مجموعهما لا نجدهما
في الاول وانما نجدهما جميعا لا يزال فله معنى الحدوث ولكن الاطلاق موهم فلم نجد ولا نقل المجموع حادث من غير بيان مراده فان ذلك يفهم منه
ان الجميع حادث من غير بيان مراده بل حقق الاشارة وجود العبارة وقل احد طرفي المجموع قديم والاخر حادث ولم يكن الاخر معه في الازل واما
قوله تعالى كن من الحروف نقول الكلام يطلق على معنيين احدهما اما عندكم اما بيان ما ذكرناه فلان الانسان اذا قال لغيره عندي كلام اريد ان اقوله
لك غدا ثم ان السامع اتاه غدا وساله عن الكلام الذي كان عنده امس فيقول له اني اريد ان يحضر عندي اليوم لهذا الكلام اطلق عليه انه تكلم
انه عنده امس ولم يكن عند السامع ثم حصل عند السامع بحرف وصوت ويطلق عليه انه هذا الذي سمعت هو الذي كان عندي ويعلم كل عاقل ان
الصوت لم يكن عند المتكلم امس ولا الحرف لان الكلام عنده جاز ان يذكره بالعربي فيكون له حروف وجاز ان يذكره بالفارسي فيكون له حروف
اخر والكلام الذي عنده وعد به واحد والحروف مختلفة كثيرة فاذا معنى قوله هذا ما كان عندي هو ان هذا يؤدي المعنى ما كان عندي وهذا
ايضا مجاز لان الذي عنده ما انتقل اليه وانما علم ذلك وحصل عنده به علم مستفاد من السمع والبصر في القراة والكتابة او الاشارة اذا علمت
هذا فالكلام الذي عند الله ومعه ليس بحرف ولا صوت ما بان والذي يحصل عند السامع حرف وصوت واحدهما الاخر مما ذكرنا من المعنى وتوسع
الاطلاق فاذا قال تعالى نقول له حصل قايل وسامع فاعتبرهما من جانب السامع تكون وجود الفعل من السامع بذلك القول فعبر عنه ثم قال
تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء لما تقرر الوحدانية والاعادة وانكروهما وقالوا بان غير الله الهة فقال تعالى وينزه عن الشرك
الذي بيده ملكوت كل شيء فكل شيء ملكه فكيف يكون المملوك للمالك شريكا وقالوا بان الاعادة لا تكون فقال تعالى واليه ترجعون رد عليهم في الامرين
وقد ذكرنا ما يتعلق بالنحو في قوله تعالى سبحان اي سبحوا المسبح الذي اذا سبح من في السموات والارض تسبيح الذي فسبحان علم للتسبيح والتسبيح
هو التنزيه والملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والرهبوت وهو فعلول او فعلوت فيه كلام ومن قال هو فعلول جعله ملحقا به ثم ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان لكل شيء قلبا وقلب القران يس فقال الغزالي فيه ان ذلك لان الايمان صحته الاعتراف بالحشر والحشر مقرر في هذه السورة
بابلغ وجه فجعله قلب القران لذلك واستحسنه فخر الدين الرازي رحمهما الله تعالى سمعته يترحم عليه بسبب هذا الكلام ويمكن ان
نقول بان هذه السورة ليس فيها الا تقرير الاصول الثلاثة باقوى البراهين وابتداوها بيان الرسالة بقوله انك لمن المرسلين
ودليلها ما قدمه عليها بقوله والقران الحكيم وما اخره عنها بقوله تعالى لتنذر قوما وانتهاها بيان الوحدانية والحشر فقوله تعالى
فسبحان الذي بيده ملكوت كل شي اشارة الى التوحيد وقوله تعالى واليه ترجعون اشارة الى الحشر وليس في هذه السورة الا هذه
الاصول الثلاثة ودلايله وثوابه ومن حصل من القران هذا القدر فقد حصل نصيب قلبه وهو التصديق الذي بالجنان
واما وظيفة اللسان التي هي القول فكما في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا وفي قوله تعالى ومن احسن قولا
وقوله تعالى بالقول الثابت والزمهم كلمة التقوى واليه يصعد الكلم الطيب وفي غير هذه السورة ووظيفة الاركان وهو العمل كله فقوله
تعالى اقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقوله تعالى ولا تقربوا الزنا ولا تقتلوا النفس وفي قوله تعالى واعملوا صالحا فانها في غير هذه السورة فلما
كان فيه اعمال القلب لا غير سماه قلبا ولهذا ورد في الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم ندب الى تلقين يس لمن دنى منه الموت وقراتها
عند راسه لانه في ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوة والاعضاء الظاهرة ساقطة البنية لكن القلب يكون قد اقبل على الله تعالى
ورجع عن كل ما سواه فيقرا عند راسه ما يزداد به قوة قلبه ويشتد تصديقه بالاصول الثلاثة وهو شغله واسرار كلام الله تعالى
وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم لا يعلمها الا الله تعالى ورسوله وما ذكرناه ظن لا نقطع به ونرجو الله تعالى ان يرحمنا وهو ارحم الراحمين والله تعالى اعلم بالصواب



والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق

وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** قرا ابو عمرو وحمزة والصافات صفا بادغام التا فيهما وكذلك في قوله تعالى فالزاجرات
زجرا فالتاليات ذكرا والباقون بالاظهار قال الواحدي رحمه الله تعالى ادغام التا في الصاد حسن لمقاربة الحرفين الا ترى انهما
من طرف اللسان واصول الثنايا يجتمعان في الهمس والمدغم يزيد بالاطباق والصفير وادغام الانقص في الازيد حسن ولا يجوز ان يدغم الازيد
صوتا في الانقص وايضا ادغام التا في الزا في قوله تعالى فالزاجرات زجرا حسن لان التا مهموسة والزا مجهورة وفيها زيادة صفير كما كان
في الصاد وايضا حسن ادغام التا في الذال في قوله تعالى فالتاليات ذكرا لاتفاقهما في انهما من طرف اللسان واصول الثنايا واما من قرا بالاظهار
وترك الادغام فذلك لاختلاف المخارج والله اعلم **المسئلة الثانية** في هذه الاشيا الثلاثة المذكورة المقسم بها يحتمل ان يكون
صفات ثلاثة لموصوف واحد ويحتمل ان يكون اشيا ثلثة متباينة اما على التقدير الاول ففيه وجوه الاول انها صفات الملايكة
يقفون صفوفا في السموات لادا العبادات كما اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا وانا لنحن الصافون وقيل انهم يصفون اجنحتهم
في الهوا ويقفون منتظرين فيه وصول امر الله اليهم ويحتمل ان الصافات يقال بمعنى كونهم صفوفا ان لكل واحد منهم مرتبة معينة ودرجة
معينة في الشرف والفضيلة او في الذات والعلية وتلك الدرجات المرتبة باقية غير متغيرة وذلك يشبه الصفوف واما قوله تعالى
فالزاجرات زجرا فقال الليث زجرت البعير فانا ازجره زجرا اذا حثثته ليمضي وزجرت فلانا عن سوء فانزجر اي نهيته فانتهى
فعلى هذا الزجر للبعير كالحث وللانسان كالنهي اذا عرفت هذا فنقول في وصف الملايكة بالزجر وجوه الاول قال ابن عباس يريد الملايكة
وكلوا بالسحاب يزجرونها بمعنى انهم ياتون بها من موضع الى موضع الثاني المراد منه ان الملايكة لهم تاثيرات في قلوب بني ادم على سبيل
الالهامات فهم يزجرونهم عن المعاصي زجرا الثالث لعل الملايكة ايضا يزجرون الشياطين عن التعرض لبني ادم بالشر والايذا واقول
قد ثبت في العلوم العقلية ان الموجودات على ثلثة اقسام موثر لا يقبل الاثر وهو الله سبحانه وتعالى وهو اشرف الموجودات ومتاثر لا يوثر
وهو عالم الاجسام وهو اخس الموجودات وموجود يوثر في شي اخر وهو عالم الارواح وذلك لانها تقبل الاثر عن عالم كبريا الله تعالى
ثم انها تؤثر في عالم الاجسام واعلم ان الجهة التي باعتبارها تقبل الاثر من عالم كبريا الله تعالى غير الجهة التي باعتبارها تستولي على عالم الاجسام
وتقدر على التصرف فيها وقوله تعالى فالتاليات ذكرا اشارة الى الاثر في الجهة التي باعتبارها تقوى على التاثير في عالم الاجسام
اذا عرفت هذا فقوله تعالى والصافات صفا اشارة الى وقوفها صفا صفا في مقام العبودية والطاعة والخضوع والخشوع وهو الجهة
التي باعتبارها تقبل تلك الجواهر القدسية اصناف الانوار الالهية والكمالات الصمدية وقوله تعالى فالزاجرات زجرا اشارة
الى تاثيرات الجواهر الملكية في تنوير الارواح القدسية البشرية واخراجها من القوة الى الفعل وذلك انه كالقطرة بالنسبة الى البحر
وكالشعلة بالنسبة الى الشمس وان هذه الارواح البشرية انما تنتقل من القوة الى الفعل في المعارف الالهية والكمالات الروحانية
بتاثيرات جواهر الملايكة ونظيره قوله تعالى ينزل الملايكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وقوله تعالى نزل به الروح الامين
على قلبك وقوله تعالى فالملقيات ذكرا اذا عرفت هذا فنقول في هذه الاية دقيقة اخرى وهي ان الكمال المطلق للشي انما يحصل اذا كان
تاما وفوق التام والمراد بكونه تاما ان يحصل جميع الكمالات اللايقة به حصولا بالفعل والمراد بكونه فوق التام ان يفيض منه
اصناف الكمالات والسعادات على غيره ومن المعلوم ان كونه كاملا في ذاته مقدم على كونه مكملا لغيره اذا عرفت هذا فقوله تعالى
والصافات صفا اشارة الى استكمال جواهر الملايكة في ذواتها وقت وقوفها في مواقف العبودية وصفوف الخدمة والطاعة وقوله
تعالى فالزاجرات زجرا اشارة الى كيفية تاثيراتها في ازالة ما لا ينبغي من جواهر الارواح البشرية وقوله تعالى فالتاليات ذكرا
اشارة الى كيفية تاثيراتها في افاضة الجلايا القدسية والانوار الالهية على الارواح البشرية الناطقة فهذه مناسبات عقلية
واعتبارات دقيقة تنطبق عليها هذه الالفاظ الثلاثة قال ابو مسلم الاصفهاني لا يجوز حمل هذه الالفاظ على الملايكة لانها
مشعرة بالتانيث والملايكة مبرؤون عن هذه الصفة والجواب من وجهين الاول ان الصافات جمع الجمع فانه يقال جماعة صافة
ثم يجمع صافات والثاني انهم مبرؤون عن التانيث المعنوي اما التانيث في اللفظ فلا وكيف وهم يسمون بالملايكة مع ان علامة
التانيث حاصلة في هذا الوجه الثاني ان يحمل هذه الصفات على النفوس البشرية الطاهرة المقدسة المقبلة على عبودية الله
تعالى في عالم الدنيا كانهم ملايكة الارض وبيانه من وجهين الاول ان قوله تعالى والصافات صفا المراد الصفوف الحاصلة عند ادا
الصلوات بالجماعة وقوله تعالى فالزاجرات زجرا اشارة الى قراة اعوذ بالله من الشيطان الرجيم كانهم بسبب قراة هذه الكلمة
يزجرون الشيطان عن القا الوسواس في قلوبهم في اثنا الصلوات وقوله تعالى فالتاليات ذكرا اشارة الى قراة القران في
الصلوة وقيل فالزاجرات زجرا الى رفع الصوت بالقراة كانه يزجر الشيطان بواسطة رفع الصوت روي انه صلى الله عليه
وسلم طاف على بيوت صحابه في الليالي يسمع ابا بكر يقرا بصوت منخفض وسمع عمر يقرا بصوت رفيع فسال ابا بكر لم تقرا هكذا
فقال المعبود سميع عليم وسال عمر لم تقرا هكذا فقال ايقظ الوسنان واطرد الشيطان الوجه الثاني في تفسير هذه الالفاظ
الثلاثة ان المراد من قوله تعالى والصافات صفا الصفوف الحاصلة من العلما المحققين الذين يدعون الى دين الله تعالى والمراد
من قوله تعالى فالزاجرات زجرا اشتغالهم بالزجر عن الشبهات والشهوات والمراد من قوله تعالى فالتاليات ذكرا اشتغالهم بالدعوة

الى دين والترغيب في العمل بشرايع الله الوجه الثالث في تفسير هذه الالفاظ حملها على احوال القراة والمجاهدين في سبيل الله تعالى فقوله تعالى والصافات صفا المراد منه صفوف القتال كقوله تعالى ان الله يحب التوابين وكقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا واما الزاجرات زجرا فالزجرة والصيحة سوا والمراد منه رفع الصوت بزجر الخيل والتاليات ذكرا فالمراد اشتغال القرا وقت شروعهم في محاربة العدو بقرا القران وذكر الله تعالى بالتهليل والتقديس الوجه الرابع في تفسير هذه الالفاظ الثلاثة ان نجعلها صفات لايات القران فقوله تعالى والصافات صفا المراد ايات القران فانها انواع مختلفة بعضها في دلايل التوحيد وبعضها في بيان التكاليف والاحكام وبعضها في تعليم الاخلاق الفاضلة وهذه الايات مرتبة ترتيبا لا يتغير ولا يتبدل فهذه الايات تشبه اشخاصا واقفين في صفوف معينة وقوله تعالى فالزاجرات زجرا المراد منه الايات الزاجرة عن الافعال المنكرة وقوله تعالى فالتاليات ذكرا المراد منه الدالة على وجوب الاقدام على اعمال البر والخير ووصف الايات بكونها تاليه على قانون ما يقال شعر شاعر وكلام قايل قال تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وقال تعالى يس والقران الحكيم فعيل الحلم بمعنى الحاكم فهذا جملة الوجوه المحتملة على تقدير ان نجعل هذه الالفاظ الثلاثة صفات لشي واحد واما الاحتمال الثاني وهو ان يكون المراد بهذه الثلاثة اشيا متغايرة فقيل المراد بقوله والصافات صفا الطير هو من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل ما يتلى من كتاب الله تعالى واقول فيه وجه اخر وهو ان مخلوقات الله تعالى اما جسمانية واما روحانية اما الجسمانية فانها مترتبة على طبقات ودرجات لا تتغير البتة فالارض وسط العالم وهي محفوفة بالما والما محفوف بالهوا والهوا محفوف بالنار ثم هذه الاربعة محفوفة بكرات الافلاك الى اخر العالم الجسماني فهذه الاجسام كانها صفوف واقفة على عتبة جلال الله تعالى واما الجواهر الروحانية الملكية فهي على اختلاف درجاتها وتباين مراتبها مشتركة في صفتين احدهما التاثير في عالم الاجسام بالتحريك والتصريف واليه الاشارة بقوله تعالى فالزاجرات زجرا فانا بينا ان المراد من هذا الزجر السوق والتحريك والثاني الادراك والمعرفة والاستغراق في معرفة الله تعالى والثنا عليه واليه الاشارة بقوله تعالى فالتاليات ذكرا ولما كان الجسم ادنى منزلة من الارواح المستقلة فالتصرف في الجسمانيات ادون منزلة من الارواح المستغرقة في معرفة جلال الله المقبلة على تسبيح الله كما قال تعالى ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته لا جرم في المرتبة الاولى بذكر الاجسام فقال تعالى والصافات صفا ثم ذكر المرتبة الثانية الارواح المدبرة لاجسام هذا العالم ثم ذكر في المرتبة الثالثة اعلى الدرجات وهي الارواح المقدسة المتوجهة بكليتها الى جلال معرفة الله تعالى والاستغراق في الثنا عليه فهذه احتمالات خطرت بالبال والعالم باسرار كلام الله تعالى ليس الا الله تعالى **المسالة الثانية** في هذا الموضع قولان الاول قول من يقول المقسم به هاهنا خالق هذه الاشيا لا اعيان هذه الاشيا واحتجوا عليه بوجوه الاول انه صلى الله عليه وسلم نهى عن الحلف بغير الله فكيف يليق بحكم الله ان يحلف بغيره والثاني ان الحلف بالشي في مثل هذا الموضع تعظيم للمحلوف به ومثل هذا التعظيم لا يليق الا بالله تعالى الثالث هو الذي ذكرناه يوكده انه تعالى صرح به في بعض السور وهو قوله تعالى والسما وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها والقول الثاني قول من يقول ان القسم واقع باعيان هذه الاشيا واحتجوا عليه بوجوه الاول ان القسم واقع بهذه الاشيا بحسب ظاهر اللفظ فالعدول عنه خلاف الدليل والثاني انه تعالى قال وما بناها فعلق لفظ القسم بالسما ثم عطف عليه القسم الثاني للسما ولو كان المراد من القسم بالسما القسم عن بني السما لزم التكرار في موضع واحد انه لا يجوز والثالث انه لا يبعد ان تكون الحكمة في قسم الله تعالى بهذه الاشيا التنبيه على شرف ذواتها وكمال حقايقها لا سيما اذا حملنا هذه الالفاظ على الملايكة فانه يكون الحكم من القسم بها التنبيه على جلالة درجاتها وكمال مراتبها والله اعلم فان قيل ذكر الحلف في هذا الموضع غير لايق وبيانه من وجوه الاول ان المقصود من هذا القسم اما اثبات هذا المطلوب عند المومن او عند الكافر والاول باطل لان المومن مقر به من غير هذا الحلف والثاني باطل لان الكافر لا يقر به سوا حصل الحلف او لم يحصل فهذا الحلف عديم الفايدة على كل التقديرات الثاني انه تعالى حلف في اول هذه السورة على ان الاله واحد وحلف في اول سورة والذاريات على ان البعث حق فقال تعالى والذاريات ذروا الى قوله تعالى انما توعدون لصادق وان الدين لواقع واثبات هذه المطالب العالية الشريفة على المخالفين من الدهرية وامثالهم بالحلف واليمين لا يليق بالعقلا والجواب من وجوه الاول انه تعالى قرر التوحيد وصحة البعث والقيمة في ساير السور بالدلايل اليقينية فلما تقدم ذكر تلك الدلايل لم يبعد تقريرها بذكر القسم تاكيدا لما تقدم لا سيما والقران انما انزل بلغة العرب واثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة مالوفة عند العرب والوجه الثاني في الجواب انه تعالى لما اقسم بهذه الاشيا على صحة قوله تعالى ان الهكم لواحد ذكر عقيبه ما هو الدليل اليقيني في كون الاله واحدا وهو قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق وذلك لانه تعالى بين في قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ان انتظام احوال السما والارض يدل على ان الاله واحد فهاهنا لما قال تعالى ان الهكم لواحد اردفه بقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق كانه قيل قد بينا ان النظر في انتظام هذا العالم يدل على كون الاله واحدا فتاملوا ليحصل لكم العلم بالتوحيد الوجه الثالث في الجواب ان المقصود من هذا الكلام الرد على عبدة الاصنام في قولهم بانها الهة فكانه قيل ان هذا المذهب قد بلغ في السقوط والركاكة الى حيث يكفي في ابطاله مثل هذه الحجة والله اعلم **المسالة الرابعة** اما دلالة احوال السموات والارض على وجود الاله القادر العالم الحكيم وعلى كونه واحدا منزها عن الشريك فقد سبق تقريرها في هذا الكتاب مرارا واطوارا بلا نهاية وسنعود مشرقا وكذلك المغارب فانه مطلع الشمس كل يوم من مشرق وتغرب كل يوم في مغرب ويحتمل ان يكون المراد مشارق الكواكب لان لكل كوكب مشرقا ومغربا فان قيل لم اكتفى بذكر المشارق كقوله تعالى تقيكم الحر قلنا فيه وجهان الاول انه اكتفى بذكر المشارق كقوله تعالى تقيكم الحر والثاني ان الشروق اقوى حالا من الغروب واكثر نفعا من الغروب فذكر الشرق تنبيها على كثرة احسان الله تعالى على عباده ولهذه الدقيقة استدل

ابرهيم عليه الصلوة والسلم

ابرهيم عليه الصلوة والسلام بالشرق فقال ان الله ياتي بالشمس من المشرق **الخامسة** احتج الاصحاب بقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما على كونه تعالى خالقا لاعمال العباد قالوا لان اعمال العباد موجودة فيما بين السموات والارض وهذه الاية دلت على ان كل ما حصل بين السموات والارض فالله تعالى ربه ومالكه فهذا يدل على ان فعل العبد حصل بخلق الله تعالى وان قالوا الاعراض لا يصح وصفها بانها حصلت بين السموات والارض لان هذا الوصف انما يليق بما يكون حاصلا في حيز وجهة والاعراض ليست كذلك قلنا انها لما كانت حاصلة في الاجسام الحاصلة بين السموات والارض فهي ايضا حاصلة بين السموات والارض قوله تعالى انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب في الاية مسايل **المسالة الاولى** قرا حمزة وحفص عن عاصم بزينة منونة الكواكب بالجر وهي قراة مسروق بن الاجدع قال الفرا وهو يريد معرفة على نكرة كما قال تعالى بالناصية ناصية فرد نكرة على معرفة وقال الزجاج الكواكب بدل من الزينة لانها هي كما تقول مررت بابي عبد الله زيد وقرا عاصم بالتنوين في الزينة ونصب الكواكب قال الفرا يريد زيناها الكواكب وقال الزجاج يجوز ان يكون الكواكب في النصب بدلا من قوله بزينة لان بزينة في موضع نصب وقرا الباقون بزينة الكواكب بالجر على الاضافة **المسالة الثانية** بين تعالى انه زين السما الدنيا وبين انه زينها لغرضين احدهما تحصيل الزينة والثانية الحفظ من الشيطان المارد فوجب ان نحقق الكلام في هذه المطالب الثلاثة وهو زين سما الدنيا بهذه الكواكب فلقايل ان يقول انه ثبت في علم الهيئة ان هذه الثوابت مركوزة في الكرة الثامنة وان السيارات السبعة المحيطة بسما الدنيا فكيف يصح قوله تعالى انا زينا بزينة الكواكب والجواب ان الناس الساكنين على سطح كرة الارض اذا نظروا الى السما فانهم يشاهدونها مرصعة بهذه الكواكب فصح قوله تعالى انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب وعلى انا قد بينا في علم الهيئة ان الفلاسفة لم يتم لهم دليل في بيان ان هذه الكواكب مركوزة في الفلك الثامن ولعلنا شرحنا هذا الكلام في سورة تبارك الذي بيده الملك في تفسير قوله تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح واما المطلوب الثاني وهو كون هذه الكواكب زينة السما الدنيا ففيه بحثان الاول ان الزينة مصدر كالنسبة واسم ما يزان به كالليقة اسم لما تلاق به الدواة قال صاحب الكشاف وقوله تعالى بزينة الكواكب يحتملهما فان اردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل اي بان زينتها الكواكب وعلى اضافته الى المفعول اي بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السما لحسنها في انفسها فان اردت الاسم فللاضافة وجهان ان تقع الكواكب بيانا للزينة وقد يحصل بالكواكب وبغيرها وان يراد ما زينت به الكواكب البحث الثاني في بيان كون الكواكب زينة السما وجوه الاول ان النور والضوء احسن الصفات واكملها فاذا حصلت هذه الكواكب في جرم الكواكب المشرقة المضية في سطح الفلك لاجرم بقي الضوء والنور في جرم الفلك بسبب حصول هذه الكواكب فيها قال ابن عباس رضي الله عنهما بزينة الكواكب اي بضوء الكواكب الوجه الثاني يجوز ان يكون اشكالها المناسبة المختلفة كشكل الجوزا وبنات نعش والثريا وغيرها الوجه الثالث يجوز ان يكون المراد هذه الزينة كيفية طلوعها وغروبها الوجه الرابع ان الانسان اذا نظر في الليلة الظلما الى سطح الفلك وراى هذه الجواهر الزواهر مشرقة لامعة متلالية على ذلك السطح الازرق فلا شك انها احسن الاشيا واكملها في التركيب والجوهر وكل ذلك يفيد كون هذه الكواكب زينة واما المطلوب الثالث وهو قوله تعالى وحفظا من كل شيطان مارد ففيه بحثان الاول فيما يتعلق باللغة فقوله تعالى وحفظا اي وحفظناها حفظا قال المبرد اذا ذكرت فعلا ثم عطفت عليه مصدر فعل اخر نصبت المصدر لانه قد دل على فعله مثل قولك افعل وكرامة قال ابن عباس يريد حفظنا السما لانه لما قال افعل علم ان الاسما لا تعطف على الافعال فكان المعنى افعل ذلك واكرمك كرامة قال ابن عباس يريد حفظ السما بالكواكب من كل شيطان مارد يريد الذي تمرد على الله قيل انه الذي لا يتمكن منه واصله من الملاسة ومنه قوله تعالى صرح ممرد ومنه الامرد وذكرنا تفسير المارد عند قوله تعالى مردوا على النفاق البحث الثاني ما يتعلق بالمباحث العقلية في هذا الموضع فنقول الاستقصا فيه مذكور في قوله تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين قال المفسرون الشياطين يصعدون الى قرب السما فربما سمعوا كلام الملايكة وعرفوا به ما سيكون من الغيوب وكانوا يخبرون به ويوهمون انهم يعلمون الغيب فمنعهم الله عن الصعود الى قرب السما بهذه الشهب فانه تعالى يرميهم بها فيحرقهم بها وبقي هاهنا سوالات الاول هذه الشهب هل هي من الكواكب التي زين الله السما بها ام لا والاول باطل لان هذه الشهب تبطل وتضمحل فلو كانت هذه الشهب تلك الكواكب الحقيقية لوجب ان يظهر نقصان كثير في اعداد كواكب السما ومعلوم ان هذا المعنى لم يوجد البتة فان اعداد كواكب السما باقية على حال واحدة من غير تغير البتة وايضا فجعلها رجوما للشياطين مما يوجب وقوع النقصان في زينة السما فكان الجمع بين هذين المقصودين كالمتناقض واما القسم الثاني وهو ان يقال ان هذه الشهب جنس اخر غير الكواكب المذكورة في الفلك فهذا ايضا مشكل لانه قال تعالى في سورة تبارك الذي بيده الملك ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فالضمير في قوله تعالى وجعلناها عايد الى المصابيح وهي الرجوم باعيانها من غير تفاوت والجواب ان هذه الشهب غير تلك الثواقب الباقية واما قوله تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فنقول كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض الا ان تلك المصابيح منها باقية على وجه الدهر امنة من التغير ومنها ما لا يكون كذلك وهي هذه الشهب التي يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين وبهذا التقرير فقد زال الاشكال والله اعلم السوال الثاني كيف يجوز ان يذهب الشياطين حيث يعلمون بالتجربة ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم البتة وهل يمكن ان يصدر مثل هذا الفعل من عاقل فكيف من الشياطين الذين لهم مزية في معرفة الحيل الدقيقة والجواب ان حصول هذه الحالة ليس له موضع معين والا لم يذهبوا اليه وانما يمنعون من المصير الى مواضع الملايكة ومواضعها مختلفة فربما صاروا الى موضع تصيبهم الشهب وربما صاروا الى غيره ولا يصادفون الملايكة فلا تصيبهم الشهب

فلما هلكوا في بعض الاوقات وسلموا في بعض الاوقات جاز ان تصير الى موضع يغلب على ظنونهم انه لا تصيبهم الشهب فيها كما يجوز فيمن يسلك
البحار ان يسلكه في موضع يغلب على ظنه حصول النجاة هذا ما ذكره ابو علي الجبائي والجواب عن هذا السؤال في تفسيره وتقابلان يقولوا انهم
اذا صعدوا فاما ان يصلوا الى مواضع الملايكة او الى غير ذلك الموضع فان وصلوا الى مواضع الملايكة احترقوا وان وصلوا الى غير موضع الملايكة
لم يفوزوا بالمقصود اصلا فعلى كلا التقديرين المقصود غير حاصل واذا حصلت هذه التجربة وثبت بالاستقرار ان الفوز بالمقصود
محال فوجب ان يمتنعوا عن هذا العمل وان لا يقدموا عليه اصلا بخلاف حال المسافر في البحر فان الغالب عليهم السلامة والفوز
بالمقصود اما هاهنا فالشيطان الذي يسلم عن الاحتراق فانما يسلم اذا لم يصل الى مواضع الملايكة واذا لم يصل الى ذلك الموضع لم يفز
بالمقصود فوجب ان لا يعودوا اليه اهل العقل والله اعلم والاقرب في الجواب ان يقول هذه الواقعة انما تتفق في الندرة فلعلها لا تشتهر بسبب
كونها نادرة فيما بين الشياطين والله اعلم السؤال الثالث قالوا دلت التواريخ المتواترة على ان حدوث الشهب كان حاصلا
قبل مجي النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك فان الحكما الذين كانوا موجودين قبل مجي النبي صلى الله عليه وسلم بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا
في سبب حدوثه واذا ثبت ان ذلك كان موجودا قبل مجي النبي صلى الله عليه وسلم امتنع حمله على مجي النبي صلى الله عليه وسلم اجاب القاضي
بان الاقرب ان هذه الحالة كانت موجودة قبل النبي صلى الله عليه وسلم لكنها كثرت في زمان النبي صلى الله عليه وسلم فصارت بسبب الكثرة معجزة
الرابع الشيطان مخلوق من النار قال تعالى حكاية عن ابليس خلقتني من نار وقال تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم ولهذا
السبب فانه يقدر على الصعود الى السموات واذا كان كذلك فكيف يعقل احراق النار بالنار والجواب يحتمل ان الشياطين وان كانوا من النيران
الا انها نيران ضعيفة فاذا نيران الشهب اليهم وتلك النيران اقوى حالا منهم لا جرم صارت القوى مبطلا للاضعف الا ترى ان السراج
الضعيف اذا وضع في النار القوية فانه ينطفي فكذلك هاهنا الخامس ان مقر الملايكة هو السطح الاعلى من الفلك مانعا من وصول
الشياطين لا يمكنهم الوصول الا الى القرب من السطح الاسفل من الفلك فسمك الفلك مانعا من وصول الشياطين الى القرب من الملايكة وعلى
عظم المقدار فمع حصول هذا المانع العظيم كيف يعقل ان يسمع الشيطان كلام الملايكة فان قلتم ان الله تعالى يقوي سمع الشيطان حتى
يسمع كلام الله تعالى فنقول فعلى هذا التقدير نقول ان الله تعالى يقوي سمع الشيطان حتى يسمع كلام الملايكة وجب
ان لا يقوي سمع الشيطان وان كان لا يريد منع الشيطان من العمل والفائدة في رميه بالرجوم فالجواب مذهبنا ان افعال الله
تعالى غير معللة فيفعل الله ما يشا ويحكم ما يريد ولا اعتراض لاحد عليه في شي من افعاله فهذا ما يتعلق بمباحث هذا الباب
واذا اضيف ما كتبناه هاهنا الى ما كتبناه في سورة الملك وفي سائر الايات المشتملة على هذه المسالة بلغت تمام الكتابة
في هذا الباب والله اعلم اما قوله تعالى لا يسمعون الى الملا الاعلى وفيه مسايل المسلة الاولى قرا حمزة والكسائي وحفص
عن عاصم لا يسمعون بتشديد السين والميم واصله يتسمعون فادغمت التاء في السين لاشتراكهما في الهمس والتسمع طلب السماع يقال تسمع
فسمع او لم يسمع والباقون بتخفيف السين واختار ابو عبيد التشديد في يسمعون قال لان العرب تقول تسمعت الى فلان ويقولون سمعت فلان ولا يكادون
يقولون وحجة القراءة الثانية قوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون وروى مجاهد عن ابن عباس ان الشياطين يسمعون الى الملا الاعلى ثم يمنعون
فلا يسمعون وللاولين ان يحتجوا فيقولوا التنصيص على كونهم معزولين عن السمع لا يمنع من كونهم معزولين ايضا عن التسمع بدلالة هذه الاية
اقوى في ردع الشياطين ومنعهم من استماع اخبار السما فان الذي منع من الاستماع بان يكون ممنوعا من السمع اولى المسلة الثانية الفرق
بين قولك سمعت حديث فلان وبين قولك سمعت الى حديثه بان يفيد الادراك وسمعت الى حديثه يفيد الاصغا مع الادراك المسلة الثالثة
في قوله تعالى لا يسمعون الى الملا الاعلى قولان الاول وهو المشهور ان تقدير الكلام لئلا يسمعوا فلما حذف الناصب ادى الفعل الى الحرف كما قال
الله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا وكما قال تعالى رواسي ان تميد بكم قال صاحب الكشاف انه كلام مبتدا منقطع عما هو حكاية حال المسترقة للسمع
وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملايكة ويتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك المقصود المسلة الرابعة
الملا الاعلى الملايكة لانهم يسكنون السموات واما الانس والجن فهم الملا الاسفل لانهم سكان الارض واعلم انه تعالى وصف اولئك الشياطين
بصفات ثلاثة الاولى انهم لا يسمعون والصفة الثانية انهم يقذفون من كل جانب دحورا وفيه ابحاث الاول قد ذكرنا معنى دحور في سورة
الاعراف عند قوله تعالى قال اخرج منها مذوما مدحورا قال المبرد الدحور اشد الصغار والذل وقال ابن قتيبة دحره دحورا اي دفعه
وطرده البحث الثاني في انتصاب قوله دحورا وجوه الاول انما انتصب بالمصدر على معنى يدحرون او دل على الفعل قوله تعالى ويقذفون لتقدير
ويقذفون الدحور ثم حذف اللام الثالث قال مجاهد دحورا مطرودين فعلى هذا هو حال سميت بالمصدر كالركوع والسجود والحضور البحث
الثالث قرا ابو عبد الرحمن السلمي دحورا بفتح الدال قال الفراء كانه قال يقذفون بداحر وبما يدحر ثم قال ولست اشتهي الفتح لانه لو وجه ذلك على صحة
لكان فيها الباء كما تقول يقذفون بالحجارة ولا تقول يقذفون الحجارة الا انه جائز في الجملة قال الشاعر تعالى اللحم للاضياف اي تعالى باللحم الصفة الثالثة
قوله تعالى ولهم عذاب واصب والمعنى انهم مرجومون بالشهب في هذا العذاب مسلط عليهم على سبيل الدوام وقد ذكر تفسير
الواصب في سورة النحل عند قوله تعالى وله الدين واصبا قالوا كلهم انه الدايم قال الواحدي ومن قرا الواصب بالتشديد والمرجع
لهو معنى وليس بتغيير ثم قال تعالى الا من خطف الخطفة ذكرنا معنى الخطف في سورة الحج قال الزجاج وهو اخذ الشي بسرعة واصل
خطف اختطف قال صاحب الكشاف من في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي خطف الخطفة اي اختلس
الكلمة على وجه المسارقة فاتبعه يعني لحقه واضافه يقال تبعه واتبعه اذا مضى في اثره فاتبعه اذا لحقه واصله من قوله تعالى
فاتبعه الشيطان وقد مر تفسيره وقوله تعالى شهاب ثاقب قال الحسن ثاقب اي مضي وقوله سمي ثاقبا لانه يثقب بنوره الهوا
قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى والنجم الثاقب قال انه زحل سمي بذلك لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات والله تعالى اعلم





قوله تعالى فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب بل عجبت ويسخرون واذا
ذكروا لا يذكرون واذا راوا اية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما
اانا لمبعوثون اوباؤنا الاولون قل نعم وانتم داخرون فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وقالوا
يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون في الاية مسايل المسلة الاولى في بيان النظم اعلم
انا قد ذكرنا ان المقصد الاقصى من هذا الكتاب الكريم اثبات الاصول الاربعة وهي الالهيات والمعاد واثبات القضاء والقدر فنقول انه
تعالى افتتح هذه السورة باثبات ما يدل على وجود الصانع ويدل على علمه وقدرته وحكمه ويدل على وحدانيته وهو خالق السموات والارض
وما بينهما وخالق المشارق والمغارب فلما احكم الكلام في هذا الباب فرع عليها اثبات القول بالحشر والنشر والقيمة واعلم ان الكلام
في هذه المسلة يتعلق بطرفين اولها اثبات الجواز العقلي وثانيهما اثبات الوقوع اما الكلام في المطلوب الاول فاعلم ان الاستدلال على الشي
يقع على وجهين احدهما ان يقال انه قدر على ما هو اصعب واشد واشق منه فوجب ايضا ان يقدر عليه والثاني ان يقال انه قدر عليه
في احدى الحالتين والفاعل والقابل باقيان كما كان فوجب ان يبقى القدرة عليه في الحالة الثانية والله تعالى ذكر هذين الطريقين في
بيان ان البعث والقيمة ان جاته ممكن اما الطريق الاول فهو المراد من قوله تعالى فاستفتهم اهم اشد خلقا والتقدير كانه تعالى
يقول استفت يا محمد هولاء المنكرين اهم اشد خلقا ام خلق السموات والارض وما بينهما وخلق المشارق وخلق الشياطين الذين
يصعدون الفلك ولا شك انهم يعترفون بان خلق هذا القسم اشق واشد في العرف من خلق القسم الاول فلما ثبت بالدلايل المذكورة في اثبات
التوحيد كونه تعالى قادرا على هذا القسم الذي هو اشد واصعب فان يكون قادرا على اعادة الحيوة في هذه الاجساد كان اولى ونظيره هذه الاية
قوله تعالى في اخر يس اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
واما الطريق الثاني فهو المراد من قوله تعالى انا خلقناهم من طين لازب والمعنى ان هذه الاجسام قابلة للحياة اذ لو لم يكن قابلة للحياة لما صارت
في المرة الاولى حية والاله قادر على خلق هذه الحياة في هذه الاجسام ولولا كونه تعالى قادرا على هذا المعنى والا لما حصلت ما فيه لان هذه القابلية
وهذه القادرية من الصفات الذاتية فامتنع زوالها فثبت بهذين الطريقين ان القول بالبعث والقيمة امر ممكن ولما بين تعالى امكان
هذا المعنى بهذين الطريقين وفرعه بقوله قل نعم وانتم داخرون وذلك لانه ثبت صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لاجل ظهور
المعجزات عليه والصادق اذا اخبر عن امر ممكن الوقوع وجب الاعتراف بقوله بوقوعه فهذا تقرير نظم هذه الاية وهي في غاية الحسن والله
اعلم المسلة الثانية في تفسير هذه الاية اما قوله تعالى فاستفتهم يعني انه لما ثبت بالدلايل القاطعة كونه تعالى قادرا خالقا
للسموات والارض وما بينهما فاستفت هولاء المنكرين وقل لهم اهم اشد خلقا ام هذه الاشيا التي بين كونه تعالى خالقا لها ولم يحك عنهم
انهم اقروا ان هذه الاشيا اصعب لاجل ان ظهور ذلك كالمعلوم بالضرورة فلا حاجة ان يحكى عنهم ان الامر كذلك ثم قال تعالى انا خلقناهم
من طين لازب يعني انا لما قدرناه على خلق الحياة في ذواتهم وجب ان يبقى قادرين على الحياة فيهم ثانيا لما بينا ان حال القابل في حال
البقا يمتنع التغير وفيه دقيقة اخرى وهي ان القوم قالوا كيف يعقل تولد الانسان لا من النطفة ولا من الابوين وكانه قال لهم
انكم لما اقررتم بحدوث العالم واعترفتم بان السموات والارض وما بينهما انما حصل بتخليق الله تعالى وتكوينه فلا بد وان تعترفوا بان الانسان
الاول انما حدث لا من الابوين فاذا عقلتم ذلك واعترفتم به فقد سقط قولكم ان الانسان كيف يحدث من غير النطفة ومن غير الابوين وايضا فقد
استقر عند الجمهور ان ادم مخلوق من الطين اللازب ومن قدر على خلق الحياة من الطين اللازب كيف يعجز عن اعادة الحياة الى هذه الذوات
واما كيفية خلق الانسان من الطين اللازب فهي مذكورة في السورة المتقدمة واعلم ان هذا الوجه انما يحسن اذا قلنا المراد من قوله
تعالى انا خلقناهم من طين لازب وفيه وجه اخر وهو ان يكون المراد انا خلقنا كل انسان من طين لازب وتقريره ان الحيوان انما يتولد
من المني ودم الطمث والمني انما يتولد من الدم فالحيوان انما يتولد من الدم والدم انما يتولد من الغذا والغذا اما حيواني واما نباتي اما
تولد الحيوان الذي صار غذا فالكلام في كيفية تولده كالكلام في تولد الانسان فثبت ان الاصل في الاغذية هو النبات والنبات انما تولد
من امتزاج الارض بالماء وهو الطين اللازب واذا كان الامر كذلك فقد ظهر ان كل الخلق يتولدون من الطين اللازب واذا ثبت هذا فنقول
ان هذه الاجزاء التي منها تركب هذا الطين اللازب قابلة للحياة والله تعالى قادر عليها وهذه القابلية والقادرية واجبة البقا
فوجب بقا هذه الصحة في كل الاوقات وهذه بيانات واضحة واما اللازب فمعناه الملتصق وقيل اللزج وقيل الحر واكثر اهل اللغة
على ان البا في اللازب بدل من الميم يدل على انها بدل من الميم يقال لازم ولازب ثم قال تعالى بل عجبت ويسخرون وفيه مسايل المسلة الاولى
تقرير الكلام ان الله تعالى ان هولاء المنكرين اقروا بانه تعالى قادر على تكوين اشيا اصعب من اعادة الحياة الى هذه الاجسام وقد تقرر
في صرايح العقول ان القادر على الاشق الاشد يكون قادرا على الاسهل الايسر مع قيام هذه الحجة البديهية فهولاء الاقوام
مصرين على انكار البعث والقيمة وهذا في موضع التعجب الشديد فانه مع ظهور هذه الحجة الجلية الظاهرة كيف يعقل بقا
القوم على الاصرار على الانكار وهم في طرف الانكار وصلوا الى حيث يسخرون من قولك في اثبات الحشر والنشر والبعث والقيمة فهذا
هو المراد من قوله تعالى بل عجبت ويسخرون المسلة الثانية قرا حمزة والكسائي عجبت بضم التاء والباقون بفتحها قال الواحدي و
الضم قراءة ابن عباس وابن مسعود وابرهيم ويحيى بن وثاب والاعمش وقراء الكوفة واختيار ابي عبيدة اما الذين قروا بالفتح فقد
احتجوا بوجوه الاول ان القراءة بالضم يدل على اسناد التعجب الى الله تعالى وذلك محال لان التعجب حالة تحصل عند الجهل بصفة الشي ومعلوم
ان الجهل على الله تعالى محال والثاني ان الله تعالى اضاف التعجب الى محمد صلى الله عليه وسلم في اية اخرى في هذه المسلة فقال تعالى وان تعجب فعجب
قولهم ايذا كنا ترابا والثالث انه تعالى قال بل عجبت ويسخرون والظاهر انهم انما سخروا لاجل التعجب فلما سخروا منه وجب ان يكون ذلك التعجب صادرا منه

واما الذين قرؤا بضم التا فقد اجابوا عن الحجة الاولى بوجوه الاول ان القراة بالضم لا نسلم انها تدل على اسناد التعجب الى الله تعالى
وبيانه انه يكون التقدير قل يا محمد بل عجبت ويسخرون ونظيره قوله تعالى اسمع بهم وابصر ومعناه ان هولا ما يقولون فيه انتم هذا
النحو من الكلام وكذلك قوله تعالى فما اصبرهم على النار الثاني سلمنا ان ذلك يقتضي اضافة التعجب الى الله تعالى فلم قلتم ان ذلك محال يروى
ان شريحا كان يختار القراة بالنصب ويقول العجب لا يليق الا بمن لا يعلم قال وذكرت ذلك لابرهيم فقال ان شريحا معجب بعلمه و
كان عبد الله اعلم وكان يقرا بالضم وتحقيق القول فيه ان نقول دل القران والخبر على جواز اضافة العجب الى الله تعالى اما القران فقوله
تعالى وان تعجب فعجب قولهم والمعنى وان تعجب يا محمد من قولهم فهو ايضا عجب عندي واجيب عنه انه لا يمتنع ان يكون المراد وان تعجب فعجب قولهم
عندكم واما الخبر فقوله صلى الله عليه وسلم عجب ربكم من الكم وقنوطكم وعجب ربكم من شاب ليست له صبوة واذا ثبت هذا فنقول
العجب من الله تعالى خلاف العجب من الادميين كما قال تعالى ويمكرون ويمكر الله وقال سخر الله منهم وقال تعالى هو خادعهم والمكر والخداع
والسخرية من الله تعالى بخلاف هذه الاحوال من العباد وقد ذكرنا ان القانون في هذا الباب ان هذه الالفاظ محمولة على نهايات الاعراض
لا على بدايات الاعراض فكذلك ها هنا من تعجب من شي فانه يستعظمه فالتعجب في حق الله تعالى محمول على انه تعالى عظم تلك الحالة ان كانت قبيحة
فيترتب العقاب العظيم عليه وان كانت حسنة فيترتب الثواب العظيم فهذا تمام الكلام في هذه المناظرة والاولى ان يقال القراة بالتواتر كانت
القراة بفتح التا اولى والله تعالى اعلم **ثم قال** تعالى واذا ذكروا لا يذكرون واذا راوا اية يستسخرون **واعلم** انه تعالى لما قرر الدليل القاطع
في اثبات امكان البعث والقيمة حكى عن المنكرين اشيا اولها ان النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يتعجب من اصرارهم على الانكار وهم يسخرون منه في
اصرارهم على الاثبات وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم مع اولئك الاقوام كانوا في غاية التباعد وفي طرفي التضاد وثانيها قوله تعالى واذا ذكروا لا يذكرون
وثالثها قوله تعالى واذا راوا اية يستسخرون ويجب ان يكون المراد من هذا الباقي والثالث غير الاول لان العطف يوجب التغاير ولان التكرير خلاف الاصل و
الذي عندي في هذا الباب ان يقال القوم كانوا يستبعدون الحشر والقيمة ويقولون من مات وصار ترابا وتفرقت اجزاوه في العالم كيف
يعقل عوده بعينه وبلغوا في هذا الاستبعاد الى حيث كانوا يسخرون ممن يذهب الى هذا المذهب واذا كان كذلك فالطريق الى ازالة
هذا الاستبعاد عنهم الا من وجهين احدهما ان يذكر لهم الدليل الدال على صحة الحشر والنشر مثل ان يقال لهم هل تعلمون ان القادر على
الاصعب الاشق يجب ان يكون قادرا على الاسهل الايسر فهذا الدليل وان كان دليلا قويا الا ان اولئك المنكرين اذا عرضوا على عقولهم
هذه المقدمات لا يفهمونها ولا يقفون عليها واذا ذكروا لم يذكروا لها لشدة بلادتهم وجهلهم فلا جرم لم ينتفعوا بهذا النوع
من البيان والطريق الثاني ان يثبت الرسول صلى الله عليه وسلم جهة رسالته بالمعجزات ثم يقول لما ثبت بالمعجز كوني رسولا صادقا
من عند الله تعالى فانا اخبركم بان البعث والقيمة حق ثم ان اولئك المنكرين لا ينتفعون بهذا الطريق ايضا لانهم اذا راوا
معجزة قاهرة واية باهرة حملوها على كونها سحرا وسخروا بها واستهزوا منها وهذا هو المراد من قوله تعالى واذا راوا اية
يستسخرون وظهر بالبيان الذي ذكرناه ان هذه الالفاظ الثلاثة مسها على هذه الفوايد الجليلة **واعلم** ان اكثر الناس لم يقفوا
على هذه الدقايق فقالوا انه تعالى قال بل عجبت ويسخرون ثم قال تعالى واذا راوا اية يستسخرون فوجب ان يكون المراد من قوله تعالى
ويسخرون اقدامهم على السخرية والمراد من قوله تعالى يستسخرون طلب كل واحد منهم من صاحبه ان يقدم على السخرية وهذا التكليف
انما لزمهم لعدم وقوفهم على الفوايد التي ذكرناها والله تعالى اعلم والرابع من الامور التي حكاها الله تعالى عنهم انهم قالوا ان
هذا الا سحر مبين يعني انهم اذا راوا اية ومعجزة سخروا منها والسبب في تلك السخرية واعتقادهم انها من باب السحر
وقوله مبين معناه ان كونه سحرا امر بين لا شبهة لاحد فيه ثم تعالى ان السبب الذي يحملهم على الاستهزا بالقول بالبعث
وعلى عدم الالتفات الى الدلايل الدالة على صحة القول وعلى الاستهزا بجميع الجزئيات وهو قولهم ان الذي مات وتفرقت اجزاوه في جهة
العالم بما فيه من الارضية اختلط بتراب الارض وما فيه من المائية والهوائية اختلط بسماوات العالم فهذا الانسان كيف
يعقل عوده بعينه حيا فاهما فهذا هو الكلام الذي يحملهم على تلك الاحوال الثلثة المتقدمة ثم انه تعالى لما حكى عنهم هذه
الشبهة قال قل يا محمد نعم وانتم داخرون وانما اكتفى بهذا القدر بالجواب لانه ذكر في الاية المتقدمة بالبرهان اليقيني
القطعي انه امر ممكن واذا ثبت الجواز القطعي فلا سبيل الى القطع بالوقوع الا باخبار المخبر الصادق فلما قامت المعجزات على
صدق محمد عليه الصلوة والسلام كان واجب الصدق فكان مجرد قوله تعالى قل نعم دليلا قاطعا على وقوعه ومن تامل
في هذه الايات علم انها وردت على احسن وجوه الترتيب وذلك لانه بين الامكان بالدليل القطعي وبين وقوع ذلك
الممكن بالدليل السمعي ومن المعلوم ان الزيادة على هذا البيان لامر الممتنع اما قوله تعالى او اباونا فالمعنى او تبعث اباونا
وهذه الف الاستفهام دخلت على حرف العطف وقرا نافع وابن عامر ها هنا وفي سورة الواقعة ساكنة الواو وذكرنا
الكلام في هذا في سورة الاعراف عند قوله تعالى او امن اهل القرى اما قوله تعالى قل نعم فنقول قرا الكسائي وحده نعم بكسر
العين اما قوله تعالى وانتم داخرون اي صاغرون قال ابو عبيدة الدخور اشد الصغار وذكرنا تفسير هذه اللفظة عند قوله
تعالى سجدا لله وهم داخرون اما قوله تعالى فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل
الذي كنتم به تكذبون والله اعلم **قوله تعالى** احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون
من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون **اعلم** انه تعالى لما بين في الاية المتقدمة ما يدل على امكان البعث والقيمة
ثم اردفه بما يدل على وقوع القيمة ذكر في هذه الايات بعض تفاصيل احوال القيمة وانه تعالى في هذه الاية انواعا

من تلك

من تلك الاحوال فالحالة الاولى قوله تعالى فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وفيه ابحاث **البحث الاول** ان قوله تعالى
فانما شرط المقدر والتقدير اذا كان كذلك فما هي الا زجرة واحدة [illegible] قوله فانما هي ضمير على شريطة التفسير والتقدير
وانما البعثة زجرة واحدة الثالث الزجرة في اللغة الفصيحة التي يزجرها كالزجرة بالنعم والابل عند الحث ثم كثر استعمالها
حتى صارت بمعنى الصيحة انما سميت زجرة لانها تزجر الموتى عن الرقود في القبور وتحثهم على القيام عن القبور والحضور في موقف
القيمة واذا عرفت هذا فنقول المراد من هذه الزجرة ما ذكره الله تعالى في قوله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وبالنفخة الثانية
يحيون ويقومون وها هنا سوالات **السوال الاول** ما الفايدة في هذه الصيحة فان القوم في تلك الساعة اموات لان النفخة
جارية مجرى السبب لحيوتهم فكونه متقدمة على حصول حياتهم فثبت ان هذه الصيحة انما حصلت حال كون الخلق امواتا فيكون
ذكر الصيحة عديمة الفايدة وهي عبث والعبث لا يجوز في فعل الله والجواب اما اصحابنا فيقولون يفعل الله ما يشا واما المعتزلة
فقال القاضي فيه وجهان الاول لتعتبر بها الملايكة الثاني ان يكون الفايدة التخويف والارهاب **السوال الثاني** هل لتلك
الصيحة تاثير في اعادة الحيوة الجواب لا بدليل ان الصيحة الاولى استعقب الموت والثانية الحيوة وذلك يدل على ان الصيحة لا اثر لها
في الموت ولا في الحيوة بل خالق الموت والحيوة هو الله تعالى كما قال تعالى الذي خلق الموت والحياة الثالث تلك الصيحة صيحة الملايكة ام الله
تعالى يخلقها ابتدا الجواب الكل جايز الا انه روي انه تعالى يامر اسرافيل حتى ينادي ايتها العظام النخرة والجلود البالية والاجزا المتفرقة
اجتمعي باذن الله تعالى **اللفظ الرابع** من الالفاظ المذكورة في هذه الاية قوله تعالى فاذا هم ينظرون الى البعث الذي كذبوا به الحالة
الثانية من وقايع القيمة ما اخبر الله تعالى عنهم انهم لما قاموا من القبور قالوا يا ويلنا هذا يوم الدين قال الزجاج الويل كلمة يقولها
القايل وقت الهلكة والمقصود انهم لما شاهدوا القيامة قالوا هذا يوم الدين يوم الجزا والمقصود ان الله تعالى ذكر في باب
كثيرة من القران انا نرى في الدنيا محسنا ومسيئا وعاصيا وصديقا وزنديقا وثانيا انه لم يصل اليهم في الدنيا ما يليق بهم
من الجزا فوجب القول باثبات القيمة ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وبالجملة فهذا يدل على دار الجزا انما
يحصل بعد الموت والكفار وان سمعوا هذا الدليل القوي لكنهم انكروا وتمردوا ثم انه تعالى اذا احياهم يوم القيامة فاذا شاهدوا
تذكروا ذلك وقالوا هذا اليوم هو يوم الدين اي يوم الجزا الذي ذكره الله تعالى الدلايل الكثيرة عليه في القران فكفروا بها ونظيره
من خوف السبع لم يلتفت اليه ثم عاينه بعد ذلك فقد يقول هذا يوم الواقعة العلانية فكذا ها هنا وفيه احتمال اخر وهو
انه تعالى قال في سورة الفاتحة مالك يوم الدين فبين انه لا مالك في ذلك اليوم الا الله فقولهم هذا يوم الدين اشارة الى ان هذا
هو اليوم الذي لا حكم فيه لاحد الا الله تعالى وانما ذكروه لما حصل في قلوبهم من الخوف الشديد اما قوله تعالى هذا يوم الفصل
الذي كنتم به تكذبون ففيه بحثان الاول اختلفوا في ان هذا هل هو من بقية كلام الكفار او فقد تم كلامهم عند قوله تعالى
هذا يوم الدين واما قوله تعالى هذا يوم الفصل فهو كلام غيرهم فبعضهم قال بالاول وزعم ان قوله تعالى هذا يوم الفصل ايضا من كلام
بعضهم لبعض والاكثرون على القول الثاني احتجوا بوجهين الاول ان قوله تعالى كنتم به تكذبون من كلام بعضهم لبعض خطاب
مع جميع الكفار فقائل هذا القول لا بد وان يكون غير الكفار الثاني ان قوله تعالى احشروا الذين ظلموا معطوف على قوله تعالى
هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون فيجب ان يكون كلام غير الكفار وعلى هذا التقدير فقوله تعالى هذا يوم الدين من كلام الكفار وقوله
تعالى هذا يوم الفصل من كلام الملايكة جوابا لهم والوجه في كونه جوابا لهم ان اولئك الكفار انما اعتقدوا في انفسهم كونهم محقين في
انكار دعوة الانبيا عليهم السلام وكونهم محقين في تلك الاديان الفاسدة فقالوا هذا يوم الدين هذا اليوم الذي يصل فيه الينا
جزا اعمالنا وخيراتنا فالملايكة يقولون انه لا اعتبار بظواهر الامور في هذا اليوم فان هذا اليوم يفصل فيه الجزا الحقيقي عن الجزا الظاهري ويميز فيه
الطاعات الحقيقية عن الطاعات المقرونة بالريا والسمعة فبهذا الطريق صار هذا الكلام من الملايكة جوابا لما ذكره الكفار ثم قال تعالى احشروا
الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وفي الاية ابحاث **البحث الاول** اعلم انه لا نزاع في هذا
من كلام الملايكة فان قيل ما معنى قوله تعالى احشروا مع انهم قد حشروا من قبل وحضروا في محفل القيمة قالوا هذا يوم الدين وقالت
الملايكة لهم بل هذا يوم الفصل اجاب القاضي عنه فقال المراد احشروهم الى دار الجزا وهي النار ولذلك قال بعده فاهدوهم الى صراط
الجحيم اي احشروهم الى ذلك الطريق ودلوهم عليه ثم سال نفسه فقال كيف يصح ذلك وقد قال بعد وقفوهم انهم مسئولون ومعلوم
ان حشرهم الى الجحيم انما يكون بعد المسالة واجاب انه ليس في العطف بحرف الواو ترتيب فلا يمتنع ان يقال احشروهم وقفوهم مع انا نعلم
ان الوقوف كان قبل الحشر الى النار هذا ما قاله القاضي وعندي فيه وجه اخر وهو ان يقال انهم اذا قاموا من قبورهم لم يبعد ان
يقفوا هناك متحيرين لحقهم بسبب معاينة اهوال القيمة ثم ان الله تعالى يقول للملايكة احشروا الذين ظلموا واهدوهم الى صراط الجحيم
اي سوقوهم الى طريق جهنم وقفوهم هناك ويحصل السوال هناك ثم من هناك يساقون الى النار وعلى هذا التقدير ظاهر
النظم موافق لما عليه الوجود **البحث الثاني** الامر في قوله تعالى احشروا الذين ظلموا هو لله تعالى فهو تعالى امر الملايكة ان يحشروا
الكفار الى موقف السوال والمراد من الحشر ان الملايكة يسوقونهم الى ذلك الموقف **البحث الثالث** انه تعالى امر الملايكة بحشر
ثلثة اشيا الظالمين وازواجهم والاشياء التي كانوا يعبدونها وفيه فوايد **الفايدة الاولى** انه تعالى قال احشروا الذين
ظلموا ثم ذكر من صفات الذين ظلموا كونهم عابدين لغير الله تعالى وهذا يدل على ان الظالم المطلق هو الكافر وذلك يدل على ان كل ما
ورد في حق الظالم فهو مصروف الى الكفار ومما يؤكد هذا قوله تعالى والكافرون هم الظالمون **الفايدة الثانية** اختلفوا في المراد
بازواجهم وفيه ثلثة اقوال الاول المراد بازواجهم واتباعهم امراهم ونظراوهم من الكفرة واليهودي مع اليهودي والنصراني مع النصراني والذي

يدل على جواز ان يكون المراد من الازواج الاشباه وجوه الاول قوله تعالى وكنتم ازواجا ثلثة اى اشكالا واشباها الثاني انك تقول عندى من هذا ازواج اى امثال وتقول زوجان من الخف يكون كل واحد منهما نظير الاخر وكذلك الرجل والمراة سميا زوجين لكونهما متشابهين في اكثر احكام النكاح وكذلك العدد الزوج سمى بهذا الاسم لكون كل واحد من قسميه مثلا للقسم الثاني في العدد الصحيح قال الواحدى فعلى هذا القول يجب ان يكون المراد بالذين ظلموا الرسالة لانه لو حمل الذين ظلموا عاما في كل من اشرك لم يكن للازواج معنى القول الثاني في تفسير الازواج ان المراد قرناوهم من الشياطين لقوله تعالى واخوانهم يمدونهم في الغى ثم لا يقصرون والقول الثالث ان المراد نساؤهم الموافقات على دينهم اما قوله تعالى وما كانوا يعبدون من دون الله من الاوثان والطواغيت في نظيره قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقوله تعالى فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة قيل المراد بالناس عبادة الاوثان والمراد بالحجارة الاصنام التي هي حجارة منحوتة فان قيل ان تلك الاحجار جمادات فما الفايدة في حشرها الى جهنم اجاب القاضي بانه ورد الخبر بانها تعاد وتحيى ليحصل المبالغة في توبيخ الكفار الذين كانوا يعبدونها ولقايل ان يقول هب ان الله تعالى يحيى تلك الاصنام الا انه لم يصدر عنها ذنب فكيف يجوز من الله تعالى تعذيبها والاقرب ان يقال ان الله تعالى لا يحيى تلك الاصنام بل يتركها على الجمادية ثم يلقيها في جهنم ان ذلك مما يزيد في تخجيل الكفار القول الثاني ان المراد من قوله تعالى وما كانوا يعبدون من دون الله الشياطين الذين دعوهم الى عبادة ما عبدوه ومحلوا اضلوا منهم ذلك الذي صاروا له عابدين لاولئك الشياطين وتاكد هذا بقوله تعالى الم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان والقول الاول اولى لان الشياطين عقلا وكلمة من لا تليق بالعقلا والله اعلم ثم قال فاهدوهم الى صراط الجحيم وقال ابن عباس دلوهم يقال هديت الرجل اذا دللته وانما استعملت الهداية هاهنا لانه جعل بدل الهداية الى الجنة كما قال تعالى فبشرهم بعذاب اليم فوضعت البشارة بالعذاب لهؤلاء بدل البشارة بالنعيم لاولئك وعن ابن عباس في قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقال الاصم قدموهم قال الواحدى هذا وهم لانه يقال هدى اذا تقدم ومنه الهادية والهوادى وهاديات الوحش ولا يقال هدى بمعنى قدم ثم قال تعالى وقفوهم يقال وقفت الدابة اقفها وقفا فوقفت هي وقوفا والمعنى احبسوهم وفي الاية قولان احدهما على التقديم والتاخير والمعنى قفوهم واهدوهم انه لا حاجة اليه بل كانه قيل فاهدوهم الى صراط الجحيم فانهم اذا انتهوا الى الصراط قيل وقفوهم فان السؤال يقع هناك وقوله انهم مسؤلون قيل عن اعمالهم في الدنيا واقوالهم وقيل المراد سؤال الخزنة الم ياتكم رسل منكم بالبينات قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ويجوز ان يكون هذا السؤال ما ذكر بعد ذلك قوله تعالى ما لكم لا تناصرون انهم يسألون توبيخا لهم فيقال ما لكم لا تناصرون وقال ابن عباس لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا وذلك لان ابا جهل قال يوم بدر نحن جميع منتصر فقيل لهم يوم القيامة ما لكم غير متناصرين وقيل يقال للكفار ما لشركائكم لا يمنعونكم من العذاب ثم قال تعالى بل هم اليوم مستسلمون يقال استسلم الشيء اذا انقاد له وخضع ومعناه في الاصل طلب السلامة بترك المنازعة والمعنى انهم صاروا منقادين لا حيلة لهم في دفع تلك المضار ولا المعبود ثم قال تعالى واقبل بعضهم على بعض قيل هم والشياطين وقيل الرؤسا والاتباع يتساءلون اى يسال بعضهم بعضا التساؤل عبارة عن التخاصم وهو سؤال التابعين يقولون غررتمونا وتقولوا ولكم [illegible] منا وبالجملة فليس ذلك سؤال المستفهمين بل هو سؤال التوبيخ واللوم والله اعلم **قوله تعالى** قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مومنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون **اعلم** انه تعالى لما حكى عنهم انه اقبل بعضهم على بعض يتساءلون شرح كيفية تلك المسالة فقال تعالى قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين وهذا قول الاتباع لمن دعاهم الى الضلالة وفي تفسير اليمين وجوه الاول لفظ اليمين هاهنا استعارة عن الخيرات والسعادات وبيان كيفية هذه الاستعارة ان الجانب الايمن افضل من الجانب الايسر لوجوه احدها اتفاق الكل على ان اشرف الجانبين هو اليمين والثاني انهم كانوا يباشرون الاعمال الشريفة باليمين مثل مصافحة الاصحاب والاكل والشرب وعلى العكس منه [illegible] باليسار والثالث انهم كانوا يتفاءلون بالجانب الايمن [illegible] والرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب التيامن في كل شيء [illegible] السادس ان الله تعالى وعد المحسن ان يعطى كتابه بيمينه والمسيء ان يكون كتابه بيساره [illegible] فثبت ان الجانب الايمن افضل من [illegible] واذا كان كذلك [illegible] الخيرات والحسنات والطاعات [illegible] قوله تعالى انكم كنتم تاتوننا عن اليمين [illegible] الصدق والوجه الثاني [illegible] المنزلة الحسنة فقال هولاء الكفار [illegible] الذين اضلوهم [illegible] الكفر انكم كنتم [illegible] بمنزلة اليمين [illegible] الوجه الثالث ان ائمة الكفار [illegible] عن اليمين [illegible] الوجه الرابع ان لفظ اليمين مستعار [illegible] القوة [illegible] القهر [illegible] البطش [illegible]

ومعبودنا

ومعبودنا عن السلطان والعامة يحملوها على الضلال ويقتدون باهليه ثم حكى الله تعالى عن الرؤسا انهم اجابوا الاتباع من وجوه الاول انهم قالوا لهم بل لم تكونوا مومنين يعنى انكم موصوفين بالايمان حتى يقال انا اشركناكم عنه الثاني قوله تعالى وما كان لنا عليكم من سلطان يعنى لا قدرة لنا عليكم حتى نقهركم ونجبركم الثالث قوله تعالى بل كنتم قوما طاغين في معصية الله الرابع قولهم فحق علينا قول ربنا انا لذائقون والمعنى ان الله تعالى لما اخبر عن وقوعنا في العذاب فلو لم نقع في العذاب لما كان خبر الله تعالى حقا بل كان باطلا ولما كان خبر الله تعالى امرا واجبا لا جرم كان الوقوع في العذاب لازما قال مقاتل قوله تعالى فحق علينا قول ربنا اشارة الى قول الله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى لما وجب علينا ان قول ربنا وجب ان يكون ذايقين لهذا العذاب الخامس قولهم فاغويناكم انا كنا غاوين والمعنى انا انما قدمنا على اغوائكم لانا كنا موصوفين في انفسنا بالغواية وفيه دقيقة اخرى كانهم قالوا ان اعتقدتم ان غوايتكم بسبب اغوائنا فغوايتنا ان كانت بسبب اغوا اخر لزم التسلسل وذلك محال فعلمنا ان حصول الغواية والرشاد ليس من قبلنا بل من قبل غيرنا وذلك الغير هو الذي ذكره فيما قبل وهو قوله تعالى فحق علينا قول ربنا ولما حكى الله تعالى كلام الاتباع للرؤسا وكلام الرؤسا للاتباع قال بعده فانهم يومئذ في العذاب مشتركون يعنى فالمتبوع والتابع والمخدوم والخادم مشتركون في الوقوع في العذاب كما كانوا في الدنيا مشتركون في الغواية ثم قال ايضا انا كذلك نفعل بالمجرمين وعنى بالمجرمين هاهنا الكفار بدليل انه تعالى قال بعد هذه الحكاية انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون والضمير في قولهم انهم عايد الى المذكور السابق وهو قوله بالمجرمين وهذا يدل على ان لفظ المجرم المطلق مختص في القرآن بالكافر ثم بين تعالى انهم انما وقعوا في ذلك العذاب لانهم كانوا مكذبين بالتوحيد والنبوة اما التكذيب بالتوحيد فهو قوله تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون يعنى يتكبرون ويتعصبون لاثبات الشرك ويستنكفون عن الاقرار بالتوحيد واما التكذيب بالنبوة فهو قولهم ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون ويعنون محمدا ثم انه تعالى كذبهم في ذلك الكلام فقال تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين وتقرير هذا الكلام انه جاء بالدين الحق لانه ثبت بالعقل انه تعالى منزه عن الضد والند والشريك فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم بتقرير هذه المعاني كان مجيئه بالدين الحق قرا ابن كثير ائنا لتاركوا الهتنا بهمزة وياء بعدها خفيفة ساكنة بلا مد وقرا نافع في رواية قالون وابو عمرو على هذا التفسير وهذا ان والباقون بهمزتين بلا مد وقوله تعالى وصدق المرسلين يعنى صدقهم في مجيئهم بالتوحيد ونفى الشرك وهذا تنبيه على ان القول بالتوحيد دين كل الانبيا ولما حكى الله تعالى عنهم تكذيبهم التوحيد بالنبوة نقل الكلام من الغيبة الى الحضور فقال تعالى انكم لذائقوا العذاب الاليم ثم انه قال كيف يليق بالرحيم الكريم المتعالي عن النفع والضرر ان يعذب عباده فاجاب عنه بقوله وما تجزون الا ما كنتم تعملون والمعنى ان الحكيم يقتضى الامر بالخير والطاعة والنهي عن القبيح والمعصية والامر والنهي لا يكمل المقصود منها الا بالترغيب في الثواب والترهيب بالعقاب واذا وقع الاخبار عنه وجب تحقيقه صونا للكلام عن الكذب فلهذا السبب وقعوا في العذاب ثم قال تعالى الا عباد الله المخلصين يعنى ولكن عباد الله في الاستثنا المنقطع والله اعلم **قوله تعالى** اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكاس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كانهن بيض مكنون فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون **اعلم** انه تعالى لما وصف احوال المنكرين في قبول التوحيد المصرين على انكار النبوة في العقاب اردفه بذكر احوال المخلصين في كيفية الثواب وفيه مسايل **المسألة الاولى** ذكرنا في فتح اللام وكسرها من المخلصين قراتان فالفتح ان الله تعالى اخلصهم بلطفه واصطفاهم بفضله والكسر هو انهم اخلصوا الطاعة لله تعالى **المسألة الثانية** اعلم انه تعالى وصف رزقهم بكونه معلوما ولم يبين ان اى الصفات منه هو المعلوم فلذلك اختلف الاقوال فقيل معناه ان ذلك الرزق معلوم الوقت وهو مقدار غدوه وعشية وان لم يكن ثم بكرة ولا عشية ثم قال تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقيل معناه ان ذلك الرزق معلوم الصفة لكونه مخصوصا بخصايص خلقها الله من طيب طعم ورايحة ولذة وحسن منظر وقيل معناه انهم يتيقنون دوامه لا كرزق الدنيا الذي لا يعلم متى يحصل ومتى ينقطع وقيل انه القدر الذي يستحقونه باعمالهم من ثواب الله وكرامته عليهم وغير ذلك تعالى انه يعطيهم غير ذلك على سبيل التفضيل ثم لما ذكر تعالى ان لهم رزقا بين ان ذلك الرزق ما هو فقال تعالى فواكه وفيه قولان الاول ان الفاكهة عبارة عما يوكل لاجل التلذذ لا لاجل الحاجة وارزاق اهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات فانهم اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما ياكلونه فهو على سبيل التلذذ والثاني ان المقصود من ذكر الفاكهة التنبيه بالادنى على الاعلى يعنى لما كانت الفاكهة حاضرة ابدا كان الادام اولى بالحضور والقول الاول اقرب الى التحقيق **واعلم** انه تعالى لما ذكر الاكل بين ان ذلك الاكل حاصل مع الاكرام والتعظيم فقال تعالى وهم مكرمون لان الاكل الخالي عن التعظيم يليق بالبهايم ولما ذكر تعالى ماكولهم وصف تعالى مساكنهم فقال في جنات النعيم على سرر متقابلين ومعناه انه لا كلفة عليهم في التلاقي والتخاطب وفي بعض الاخبار انهم اذا ارادوا القرب سار السرير بهم ولا يجوز ان يكونوا متقابلين الا مع حصول الحواجز والرابع ولن يكون لذلك الا مع الفسحة والسعة ولا يجوز ان يسمع بعضهم خطاب بعض ويراه على بعد الا بان يقوى الله تعالى ابصارهم واسماعهم واصواتهم ولما شرح صفة الماكل والمسكن ذكر بعده صفة المشرب فقال تعالى يطاف عليهم بكاس من معين يقال للزجاجة التي فيها الخمر كاس وتسمى الخمر نفسها كاسا قال وكاس شربت على لذة ومن الاخفش كل كاس في القرآن فهي الخمر وقوله تعالى من معين اى من شراب معين او من نهر معين العين الماخوذ من عين الماء اى يخرج من العيون كما يخرج الماء وسمى عينا لظهوره يقال عان الماء اذا ظهر جاريا قاله ثعلب فهو مفعول من العين نحو مبيع ومكيل وقيل سمى معينا لانه يجرى ظاهرا للعين ويجوز ان يكون فعيلا من المعن وهو الماء الشديد الجرى ومنه امعن في السير اذا استدفيه وقوله لذة فيه وجوه احدها انها وصفت باللذة كانها نفس اللذة وعينها كما يقال فلان جود وكرم اذا اراد

المبالغة في وصفه بهاتين الصفتين وثانيها قال الزجاج اي ذات لذة فعلى هذا حذف المضاف وثالثها قال الليث اللذ واللذيذ يجريان مجرى واحدا في النعت ويقال شراب لذ ولذيذ وقال تعالى بيضاء لذة للشاربين وقال تعالى من خمر لذة للشاربين وبملك سمي النوم الاستلذاذه وعلى هذا اللذة بمعنى اللذيذة والاقرب من هذه الوجوه الاول ثم قال تعالى لا فيها غول وفيها ابحاث البحث الاول قال اهل العرب تقول ليس فيها غيلة وغايلة وغول سواء وقال ابو عبيدة الغول ان تغتال عقولهم وانشد قول مطيع بن اياس وما زالت الكاس تغتالهم وتذهب بالاول الاول وقال الليث الغول الصداع والمعنى ليس فيها صداع كما في خمر الدنيا قال الواحدي رحمه الله تعالى وحقيقته الاهلاك يقال غاله غولا اي اهلكه والغول والغائل المهلك ثم سمي الوصف غولا لانه يؤدي الى الهلاك ثم قال تعالى ولا هم عنها ينزفون وقرئ بكسر الزاي قال الفراء من كسر الزاي فله معنيان يقال انزف الرجل اذا فنيت خمره وانزف اذا ذهب عقله من السكر ومن فتح الزاي فمعناه لا يذهب عقولهم اي لا يسكرون يقال نزف الرجل فهو منزوف ونزيف والمعنى ليس فيها نوع من انواع الفساد التي تكون في شرب الخمر ولما ذكر الله تعالى صفة مشروبهم ذكر عقيبه صفة منكوحهم من ثلاثة اوجه الاول قوله تعالى وعندهم قاصرات الطرف ومعنى القصر في اللغة الحبس ومنه قوله تعالى حور مقصورات في الخيام والمعنى انهن يحبسن نظرهن ولا ينظرن الى غير ازواجهن الصفة الثانية لهن قوله تعالى عين قال الزجاج كبار الاعين حسانها واحدها عيناء الصفة الثالثة قوله تعالى كانهن بيض مكنون المكنون في اللغة المستور فقال لبيت انسي واكنه ومعنى هذا التشبيه ان ظاهر البيض بياض مشوب قليلا من الصفرة فاذا كان مكنونا كان مصونا عن الغبرة فكان هذا اللون في غاية الحسن والعرب كانوا يسمون النساء بيضات الخدور ولما تمم الله تعالى صفات اهل الجنة قال فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قلنا على قوله يطاف عليهم ومعنى يشربون فيتحادثون على الشراب قال وما بعث من اللذات الا التحادث الكرام على الدوام والمعنى فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول اانك لمن المصدقين ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون قال هل انتم مطلعون فاطلع فراه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون

**واعلم** ان في الاية مسائل **المسألة الاولى** اعلم انه تعالى لما ذكر ان اهل الجنة انهم يتساءلون عند الاجتماع على شرب الجنة ان محادثة العقلاء بعضهم من بعض على الشرب من الامور اللذيذة فذكر تعالى في هذه الاية ان اهل الجنة اذا اجتمعوا على الشرب واخذوا في المكالمة والمسايلة كان من جملة تلك الكلمات انهم يتذاكرون انه كان قد حصل لهم في الدنيا ما يوجب لهم الوقوع في عذاب الله ثم انهم تخلصوا عنه وفازوا بالسعادة الابدية والمقصود من ذكر هذه الاشياء ان اهل الجنة يكمل سرورهم وبهجتهم اما قوله تعالى قال قائل منهم اني كان لي قرين اي قال قائل من اهل الجنة اني كان لي قرين في الدنيا يقول ائنك لمن المصدقين اي كان يوبخني على التصديق بالبعث والقيامة ويقول ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اي لمحاسبون ومجازون والمعنى ان ذلك القرين كان يقول هذه الكلمات على سبيل الاستنكار ثم ان ذلك الرجل الذي هو من اهل الجنة يقول لجلسائه يدعوهم الى كمال السرور بالاطلاع الى النار لمشاهدة ذلك القرين ومخاطبته هل انتم مطلعون فاطلع والاقرب انه يكلفهم امرا اطلع معه لانه لو كان مطلعا بلا تكلف لم يكن الى اطلاعه حاجة فلذلك قال بعضهم انه ذهب الى بعض اطراف الجنة فاطلع عندها الى النار فراه في سواء الجحيم اي في وسط الجحيم قال له موبخا تالله ان كدت لتردين اي لتهلكني بدعائك اياي الى انكار البعث والقيامة ولولا نعمة ربي بالارشاد الى الحق والعصمة عن الباطل لكنت من المحضرين في الدنيا مثل ولما تم ذلك الكلام مع الرجل الذي كان في الدنيا قرينا له وهو الان من اهل النار عاد الى مخاطبة جلسائه الذين هم من اهل الجنة وقال افما نحن بميتين وفيه قولان الاول ان اهل الجنة لا يعلمون في اول دخولهم الجنة انهم لا يموتون فاذا جيء بالموت على صورة كبش املح وذبح فعند ذلك يعلمون انهم لا يموتون فلعل هذا الكلام حصل قبل ذبح الموت والثاني ان الذي يكمل خيره وسعادته فاذا عظم تعجبه بها قد يقول اهدوم هذا الى اصلي هذا الى فاذا كان على يقين منه عند فراغهم من هذه المباحثات يقولون ان هذا لهو الفوز العظيم واما قوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون فصل انه من بقية كلامهم وقيل انه ابتداء كلام من الله تعالى اي لطلب مثل هذه السعادات يجب ان يعمل العاملون **المسألة الثانية** قال بعضهم المراد من هذا القائل ومن قرينه ما ذكره الله تعالى في سورة الكهف في قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين الى اخر الايات وروي ان رجلين كانا شريكين فحصل لهما ثمانية الاف دينار فقال احدهما للاخر اقاسمك فقاسمه واشترى دارا بالف دينار فاراها صاحبه وقال كيف ترى حسنها فقال ما احسنها فخرج وقال اللهم صاحبي هذا قد ابتاع هذه الدار بالف دينار واني اسالك دارا من دور الجنة فتصدق بالف دينار ثم ان صاحبه تزوج بامراة حسناء بالف دينار فتصدق بالف دينار لكي يزوجه الله تعالى من الحور العين ثم ان صاحبه اشترى بساتين بالفي دينار فتصدق هذا بالفي دينار ثم ان الله تعالى اعطاه في الجنة ما طلب فحدث انه كان لي قرين فاطلع فراه في سواء الجحيم **المسألة الثالثة** قوله تعالى اانك لمن المصدقين ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اختلف القراء في هذه الاستفهامات الثلاثة فقرا نافع الاولى والثانية بالاستفهام بهمزة غير ممدودة والثالثة بكسر الالف من غير استفهام ووافقه الكسائي الا انه يستفهم الثالثة بهمزتين وقرا ابن عامر الاولى والثالثة بالاستفهام بهمزتين والثانية بكسر الالف من غير استفهام وقرا الباقون بالاستفهام في جميعها ثم اختلفوا فابن كثير يستفهم بهمزة واحدة غير مطولة وبعدها ياء ساكنة خفيفة وابو عمرو مطولة وعاصم وحمزة بهمزتين واما قوله تعالى ان كدت لتردين فقرا نافع برواية ورش لترديني باثبات الياء في الوصل والباقون بحذفها **الرابعة** احتج اصحابنا على ان الهدى والضلال من الله تعالى بقوله

قوله



لولا نعمة ربي لكنت من المحضرين وقالوا مذهب الجنس الكل فعله الله تعالى من وجوه الانعام في حق المومن فقد فعله في حق الكافر واذا كان ذلك الانعام مشتركا فيه [illegible] النعمة المخصوصة [illegible] الخامسة [illegible] واحدة [illegible]

**قوله تعالى** اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رءوس الشياطين فانهم لاكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين **اعلم** انه تعالى لما ختم ذكر اهل الجنة ووصفها ومثل هذا فليعمل العاملون اتبعه بقوله تعالى اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم [illegible] والنزل الفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم لاهل الجنة اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم ومعلوم انه لا نسبة لاحد الحاصلين الى الاخر في الخيرية الا انه جاء هذا الكلام على سبيل السخرية بهم ولان المؤمنين اختاروا ما اوصلهم الى الرزق الكريم والكافرين اختاروا ما اوصلهم الى شجرة الزقوم فقيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم واما الزقوم فقال الواحدي رحمه الله تعالى لم يذكر المفسرون لشجرة الزقوم تفسيرا الا الكلبي فانه روى انه لما نزلت هذه الاية قال ابن الزبعرى اكثر الله في بيوتكم الزقوم فان اهل اليمن يسمون التمر والزبد بالزقوم [illegible] قال الواحدي [illegible] وقال ابن دريد [illegible] التزقم [illegible] الطعم [illegible] موصوفة بصفات [illegible] انا جعلناها فتنة للظالمين ففيه [illegible] للظالمين من حيث انهم لما سمعوا هذه الاية قالوا كيف يعقل ان تنبت الشجرة في جهنم مع ان النار تحرق الشجرة والجواب عنه ان خالق النار قادر على منع النار من احراق الشجرة لانه اذا جاز ان يخلق في النار زبانية تعالى يمنع النار عن احراقهم فلم لا يجوز مثله في هذه الشجرة اذا عرفت هذا السؤال والجواب فمعنى كون شجرة الزقوم فتنة للكافرين هو انهم لما سمعوا هذه الاية وقعت تلك الشبهة في قلوبهم وصارت تلك الشبهة سببا لتماديهم في الكفر فهذا هو المراد من كونها فتنة لهم والوجه الثاني في التفسير ان يكون المراد صيرورة هذه الشجرة فتنة لهم في النار لانهم اذا كلفوا تناولها وشق ذلك عليهم فحينئذ يصير ذلك فتنة في حقهم والوجه الثالث ان يكون المراد من الفتنة الامتحان والاختبار فان هذا شيء بعيد عن العرف والعادة مخالف للمالوف والمعروف فاذا ورد على سمع المومن فوض علمه الى الله واذا ورد على الزنديق توسل به الى الطعن في القران والنبوة ثم انه تعالى لما ذكر هذه الشجرة وصفها بصفات الصفة الاولى قوله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع دركاتها الصفة الثانية قوله تعالى طلعها كانه رءوس الشياطين قال صاحب الكشاف الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية او معنوية وقال ابن قتيبة سمي طلعا لطلوعه كل سنة ولذلك قيل طلع النخل لاول ما يخرج من ثمره واما تشبيه هذا الطلع برؤوس الشياطين ففيه سؤال لانه قيل انا ما راينا رؤوس الشياطين فكيف يمكن تشبيه شيء بها واجابوا عنه من وجوه الاول وهو الصحيح انهم لما اعتقدوا في الملائكة كمال الفضل في الصورة والسيرة واعتقدوا في الشياطين نهاية القبح والمناسبة في الصورة والسيرة فكان يحصل تشبيه بالملك عند ارادة تقرير الكمال والفضيلة في قوله تعالى ان هذا الا ملك كريم فكذلك وجب ان يحسن التشبيه برؤوس الشياطين في القبح وتشوية الخلقة والحاصل ان هذا من باب التشبيه لا بالمحسوس بل بالمتخيل فكانه قيل ان اقبح الاشياء في الوهم والخيال هو رؤوس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها في قبح النظر وتشوية الصورة والذي يؤكد هذا ان العقلاء اذا راوا شيئا شديد الاضطراب منكر الصورة قبيح الخلقة قالوا انه شيطان واذا راوا شيئا حسن الصورة والسيرة قالوا انه ملك وقال امرؤ القيس العلى والمسر في المضاجع ومسنونة زرق كانياب اغوال والقول الثاني ان الشياطين حيات لها رؤوس واعراف وهي من اقبح الحيات وبها يضرب المثل في القبح والعرب اذا رات منظرا قبيحا قالت كانه شيطان الحماطة والحماطة شجرة معينة والقول الثالث ان رؤوس الشياطين نبت معروف قبيح الراس والوجه الاول هو الجواب الحق واعلم ان قدامهم على ذلك الاكل يحتمل وجهين الاول انهم اكلوا منها لشدة الجوع فان قيل وكيف ياكلونها مع نهاية خشونتها ونتنها ومرارة طعمها قلنا ان الواقع في الضر العظيم ربما استراح الى ما يقاربه في الضرر فاذا جوعهم الله الجوع الشديد فزعوا في ازالة ذلك الجوع الى تناول هذا الشيء وان كان بالصفة التي ذكرتموها الوجه الثاني ان يقال الزبانية يكرهونهم على الاكل من تلك الشجرة تكميلا لعذابهم واعلم انهم اذا شبعوا فحينئذ يشتد عطشهم ويحتاجون الى الشراب

فعند هذا وصف الله تعالى شرابهم فقال تعالى ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم والشوب اسم عام في كل ما خلط لغيره والحميم الماء
الحار المتناهي في الحرارة والمعنى انه اذا غلبهم ذلك العطش الشديد سقوا من ذلك الحميم فحينئذ يشرب الزقوم بالحميم نعوذ بالله
منها واعلم انه تعالى وصف شرابهم في القران باشيا منها كونه غساقا ومنها قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم
ومنها ما ذكره في هذه الاية فان قيل ما الفايدة في كلمة ثم في قوله تعالى ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم قلنا فيه وجهان
الاول انهم يملون بطونهم من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم فيعظم عطشهم ثم انهم لا يسقون الا بعد مدة مديدة
والغرض تكميل العذاب والثاني انه تعالى ذكر الطعام بتلك البشاعة والكراهة ثم وصف الشراب بما هو ابشع منه فكان المقصود
من كلمة ثم بيان ان حال المشروب في البشاعة اعظم من حال الماكول ثم قال تعالى ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قال مقاتل اي بعد اكل الزقوم
وشرب الحميم وهذا يدل على انهم عند شرب الحميم لم يكونوا في الجحيم وذلك بان يكون الحميم في موضع خارج عن الجحيم فهم موردون
الحميم لاجل الشرب كما تورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم فهذا يدل على قول مقاتل واحتج على صحته بقوله تعالى هذه جهنم
التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن وذلك يدل على صحة ما ذكرناه ثم انه تعالى لما وصف عذابهم في اكلهم
وشربهم قال تعالى انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون قال الفرا الاهراع الاسراع يقال هرع واهرع اذا
استحث والمعنى انهم يتبعون اباءهم اتباعا في سرعة كانهم يزعجون الى اتباع اثارهم والمقصود من الاية انه تعالى علل استحقاقهم
للوقوع في تلك الشدايد كلها بتقليد الابا في الدين وترك اتباع الدليل ولو لم يوجد في القران اية غير هذه الاية في ذم
التقليد لكفى ثم انه تعالى ذكر لرسوله ما يوجب التسلية له في كفرهم وتكذيبهم فقال تعالى ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد
ارسلنا فيهم منذرين فبين تعالى ان ارساله للرسل قد تقدم والتكذيب لهم قد سلف ويجب ان يكون له صلى الله عليه وسلم اسوة بهم حتى
يصبر كما صبروا ويستمر على الدعا الى الله تعالى وان تمردوا فليس عليه الا البلاغ ثم قال تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
وهذا وان كان في الظاهر خطابا مع الرسول صلى الله عليه وسلم الا ان المقصود منه خطاب الكفار لانهم سمعوا باخبار ما جرى
من انواع العذاب على قوم نوح عليه السلام وعلى عاد وثمود وغيرهم فان لم يعلموا ذلك فلا اقل من ظن وخوف يحتمل ان يكون زاجرا لهم عن كفرهم ثم قوله
تعالى الا عباد الله المخلصين فيه قولان احدهما انه استثنا من قوله تعالى ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين والثاني انه
استثنا من قوله كيف كان عاقبة المنذرين فانها كانت اقبح العواقب وافظعها الا عاقبة عباد الله المخلصين فانها
كانت مقرونة بالخير والراحة والله تعالى اعلم **قوله تعالى** ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه
واهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين
انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الاخرين **اعلم** انه تعالى لما قال من قبل ولقد ضل قبلهم
اكثر الاولين وقال كيف كان عاقبة المنذرين اتبعه بشرح وقايع الانبياء عليهم السلام فالقصة الاولى حكاية نوح عليه السلام
في قوله تعالى ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون وفيه مباحث **البحث الاول** ان اللام في قوله تعالى فلنعم جواب قسم محذوف والمخصوص
بالمدح محذوف اي فلنعم المجيبون نحن **البحث الثاني** انه تعالى ذكر ان نوحا نادى ولم يذكر ان ذلك النداء في اي الوقايع كان لاجرم
حصل فيه قولان الاول وهو المشهور عند الجمهور انه نادى الرب تعالى في ان ينجيه من محنة الغرق وكرب تلك الواقعة والقول الثاني ان نوحا
عليه السلام لما اشتغل بدعوة قومه الى الدين الحق بالغوا في ايذايه وقصدوا قتله ثم انه عليه السلام لما اشتغل بالدعا اي بدعوة قومه
نادى ربه واستنصره على كفار قومه فاجابه الله تعالى ومنعهم من قتله وايذايه هذا القايل على صحة القول الاول بانه عليه السلام
انما دعا عليهم لاجل ان ينجيه الله تعالى واهله واجاب الله دعاه فيه فكان حصول تلك النجاة كالمعلوم المتيقن في دعايه وذلك يمنع
من ان يقال المطلوب من هذا الندا حصول هذه النجاة ثم انه تعالى لما حكى عن نوح عليه السلام انه ناداه قال بعده فلنعم المجيبون وهذه اللفظة تدل
على ان تلك الاجابة كانت من النعم العظيمة وبيانه من وجوه الاول انه تعالى عبر عن ذاته بصيغة الجمع فقال تعالى ولقد نادانا نوح والقادر العظيم
لا يليق به الا الاحسان العظيم والثاني انه اعاد صيغة الجمع في قوله تعالى فلنعم المجيبون وذلك ايضا يدل على تعظيم تلك النعمة لا سيما وقد وصف
تلك الاجابة بانها نعمت الاجابة والثالث ان الفا في قوله تعالى فلنعم المجيبون يدل على ان حصول هذه الاجابة مرتب على ذلك الندا والحكم المرتب على الوصف
المناسب يقتضي كونه معللا به وهذا يدل على ان الندا بالاخلاص سبب لحصول الاجابة ثم انه تعالى لما بين انه سبحانه نعم المجيب على سبيل الاجمال
بين ان الانعام حصل في تلك الاجابة من وجوه الاول قوله تعالى ونجيناه واهله من الكرب العظيم وهو على القول الاول الكرب الحاصل بسبب الخوف من الغرق
وعلى الثاني الكرب الحاصل من اذى قومه والثاني قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين يفيد الحصر وذلك يدل على ان كل من سواه وسوى ذريته
فقد فنوا قال ابن عباس ذريته بنوه الثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس وحام ابو السودان ويافث ابو الترك النعمة الثالثة
قوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح يعني يذكرون هذه الكلمة فان التسليم على نوح عليه السلام وادامه في الملايكة والثقلين
يسلمون عليه بكمالهم ثم انه تعالى لما شرح تفاصيل انعامه عليه قال انا كذلك نجزي المحسنين والمعنى انا خصصنا نوحا عليه السلام
بتلك التشريفات الرفيعة من جعل الدنيا خلوه من ذريته ومن تبقيه ذكره الحسن في السنة جميع العالمين لانه كان محسنا ثم علل
كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا والمقصود منه بيان اعظم الدرجات والله اعلم **قوله تعالى** وان من شيعته لابراهيم
اذ جا ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا الهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة
في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى الهتهم فقال الا تاكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين
فاقبلوا اليه يزفون في الاية مسايل **المسالة الاولى** الضمير في قوله من شيعته الى ماذا يعود فيه قولان الاول وهو الاظهر انه
عايد الى نوح عليه السلام اي من شيعة نوح عليه السلام اي من اهل بيته وعلى دينه ومنهاجه لابراهيم قالوا وما كان بين نوح وابراهيم

الا نبيان

الا نبيان هود وصالح عليهم السلام وروى صاحب الكشاف انه كان بين نوح وابراهيم عليهما السلام الفان وستماية واربعون
سنة الثاني قال الكلبي المراد من شيعة محمد لابراهيم بمعنى انه كان على دينه ومنهاجه فهو من شيعته وان كان سابقا له والاول
اظهر لانه تقدم ذكر نوح عليه السلام ولم يتقدم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فعود الضمير الى نوح عليه السلام اولى **المسالة الثانية**
العامل في اذ ما دل عليه قوله تعالى وان من شيعته من معنى المشايعة يعني وان من شايعه على دينه وتقواه حين جا ربه
بقلب سليم لابراهيم اما قوله تعالى اذ جا ربه بقلب سليم ففيه مسايل الاولى في قوله تعالى سليم قولان الاول قال مقاتل والكلبي يعني
خالص من الشرك والمعنى انه سلم من الشرك فلم يشرك بالله والثاني قال الاصوليون المراد انه عاش ومات على طهارة القلب من كل
دنس من المعاصي فيدخل فيه كونه سليما عن الشرك وعن الشك وعن الغل والغش والحقد والحسد وعن ابن عباس انه كان يحب
للناس ما يحبه لنفسه وسلم جميع الناس من غشه وظلمه واسلمه الله تعالى ولم يعدل به احدا واحتج الذاهبون الى القول
الاول بانه ذكر بعد هذه الكلمة انكاره على قومه الشرك بالله وهو قوله تعالى اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون واحتج الذاهبون
الى القول الثاني بان اللفظ مطلق فلا فايدة بتقييده دون صفة مما يوكد هذا قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من
قبل وكنا به عالمين مع انه تعالى قال الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقال تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض
وليكون من الموقنين فان قيل ما معنى المجي بقلبه ربه قلنا معناه انه اخلص لله تعالى قلبه فكانه الحم حضرة الله تعالى
بذلك القلب ورايت في التورية ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام يا موسى احب الهدى بكل قلبك واعلم انه تعالى لما ذكر
ان ابراهيم جا ربه بقلب سليم ذكر ان من جملة اثار تلك السلامة ان دعا اباه وقومه الى التوحيد فقال اذ قال لابيه وقومه
ماذا تعبدون والمقصود من هذا الكلام تهجين تلك الطريقة وتقبيحها ثم قال تعالى ائفكا الهة دون الله تريدون قال
صاحب الكشاف ائفكا مفعول له تقديره اتريدون الهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم
المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده اي تقرر عندهم بانهم على افك باطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به يعني
اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله تعالى الهة دون الله على انها افك في انفسها ويجوز ان يكون حالا بمعنى اتريدون الهة من دون الله
افكين ثم قال تعالى فما ظنكم برب العالمين وفيه وجوه احدها اتظنون برب العالمين انه يجوز جعل هذه الجمادات مشاركة له
في المعبودية وثانيها اتظنون برب العالمين انه من جنس هذه الاجسام حتى جعلتموها مساوية له في المعبودية فنبههم بذلك
على انه ليس كمثله شي ثم قال تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم عن ابن عباس انهم كانوا يتعاطون علم النجوم فعاملهم على مقتضى عادتهم
وذلك انه اراد ان يكايدهم في اصنامهم ليلزمهم الحجة في انها غير معبودة وكان لهم من الغد يوم عيد يخرجون اليه فاراد ان يتخلف
عنهم ليبقى خاليا في بيت الاصنام فيقدر على كسرها وهاهنا سوالان الاول ان النظر في علم النجوم غير جايز فكيف اقدم عليه ابراهيم عليه السلام
والثاني انه عليه السلام ما كان سقيما فلما قال اني سقيم كان ذلك كذبا واعلم ان العلما ذكروا في الجواب عنها وجوها كثيرة الاول انه نظر
نظرة له في النجوم في اوقات الليل والنهار وكانت تاتيه الحمى في بعض ساعات الليل والنهار فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة وقال اني سقيم
فجعله في تخلفه عن العيد الذي لهم وكان صادقا فيما قال لان السقم كان باسه في ذلك الوقت وانما تخلف لاجل ان يكسر اصنامهم الوجه
الثاني في الجواب ان قوم ابراهيم عليه السلام كانوا اصحاب النجوم يعظمونها ويقضون بها على غاية الامور فلذلك نظر ابراهيم عليه السلام في النجوم اي
في علوم النجوم وفي معنى الاية نظر بعضه اليها وهو كما يقال فلان نظر في الفقه وفي النجوم وانما اراد ان يوهمهم انه يعلم ما يعلمون ويعرف
ما يعرفون حتى اذا قال اني سقيم سكنوا الى قوله اني سقيم واما قوله اني سقيم فمعناه ساسقم كقوله تعالى انك ميت اي ستموت الوجه
الثالث ان قوله تعالى فنظر نظرة في النجوم هو قوله تعالى فلما جن عليه الليل راى كوكبا الى اخر الايات وكان ذلك النظر لاجل ان يعرف احوال هذه
الكواكب هل هي قديمة او محدثة وقوله تعالى اني سقيم القلب غير عارف بربي وكان ذلك قبل البلوغ الوجه الرابع قال ابن زيد كان له نجم مخصوص وكلما
طلع على صفة مخصوصة مرض ابراهيم فلاجل هذا الاستقرار لما راه في ذلك الوقت طالعا على تلك الصفة المخصوصة قال اني سقيم اي هذا
السقم واقع لا محالة الوجه الخامس ان قوله اني سقيم مريض القلب بسبب اطباق ذلك الجمع العظيم على الكفر والشرك قال تعالى لمحمد صلى الله عليه
وسلم لعلك باخع نفسك الوجه السادس في الجواب انا لا نسلم ان النظر في علم النجوم والاستدلال حرام لان من اعتقد ان الله تعالى
خص كل واحد من هذه الكواكب بخاصية لاجلها يظهر منه اثر مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه ليس بباطل واما الكذب فغير
لازم لانه ذكر قوله تعالى اني سقيم على سبيل التعريض بمعنى ان الانسان لا ينفك في اكثر احواله عن حصول حالة مكروهة اما
في بدنه واما في قلبه وكل ذلك سقم الوجه السابع قال بعضهم ذلك القول عن ابراهيم عليه السلام كذبة ورووا فيه حديثا
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما كذب ابراهيم الا ثلاث كذبات قلت لبعضهم هذا الحديث لا ينبغي ان يقبل لان نسبة
الكذب الى ابراهيم لا تجوز فقال ذلك الرجل فكيف نحكم بكذب الرواة العدول فقلت لما وقع التعارض بين نسبة الكذب الى ابراهيم
عليه السلام لا يجوز فقال ذلك الرجل لان نسبة الكذب الى الراوي وبين نسبته الى الخليل عليه السلام كان من المعلوم بالضرورة
ان نسبته الى الراوي اولى ثم نقول لم لا يجوز ان يكون المراد بكونه كذبا خبرا شبيها بالكذب والوجه الثامن ان المراد من قوله تعالى
نظر نظرة في النجوم اي نظر في نجوم كلامهم ومتفرقات اقوالهم فان الاشيا التي تحدث قطعة قطعة يقال انها منجمة اي متفرقة ومنه
نجوم الكتابة والمعنى انه لما سمع كلماتهم المتفرقة نظر فيها حتى يستخرج منها حيلة يقدر بها على اقامة عذر لنفسه في التخلف
عنهم فلم يجد عذرا احسن من قوله تعالى اني سقيم والمراد انه لا بد من ان يصير سقيما كما تقول لمن رايته على اوقات السفر انك
مسافر واعلم ان ابراهيم عليه السلام لما قال اني سقيم تولوا عنه معرضين فتركوه وعذروه في انه لا يخرج اليوم وكان ذلك مراده

فراغ الى الهتهم قال فراغ اليه مال اليه فى السر وعلى سبيل الخفية ومنه قرعان القلب قوله تعالى الا تاكلون يعنى الطعام الذى كان بين
ايديهم وانما قال ذلك استهزا بها وكذا قوله تعالى ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا فاقبل عليهم مستخفيا كانه قال فضربهم ضربا
لان راغ عليهم بمعنى ضربهم او فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا قوله باليمين قولان الاول معناه بالقوة والشدة لان اليمين اقوى الجارحتين
والثانى انه اتى بذلك الفعل بسبب الحلف وهو قوله تعالى تالله لاكيدن اصنامكم ثم قال تعالى فاقبلوا اليه يزفون قرا حمزة يزفون بضم اليا
والباقون بفتحها وهما لغتان قال ابن عرفة من قرا بالنصب فهو من زف يزف ومن قرا يزف فهو من ازف يزف وقال الزجاج يزفون اى يحملون غيرهم
على الزفيف قال الاصمعى يقال ازفت الابل اذا حملها على ان تزف قال وهو سرعة الخطو ومقاربة المشى فالمفعول محذوف على قرابة كانهم حملوا
دوابهم على الاسراع فى المشى فان قيل مقتضى هذه الاية ان ابرهيم عليه السلام لما كسرها عدوا اليه واخذوه وقال فى سورة اخرى فى غير هذه
القصة قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم وهذا يقتضى انهم فى اول الامر ما عرفوه فبين
هاتين الايتين تناقض قلنا لا يبعد ان يقال جماعة عرفوه فعدوا اليه مسرعين والاكثرون ما عرفوه فعرفوا ان ذلك الكاسر من هو والله
تعالى اعلم **قوله تعالى** قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم
فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم
فى الاية مسايل **المسئلة الاولى** اعلم ان القوم لما عاينوا ابرهيم على كسر الاصنام ثم ايضا ذكر لهم الدليل على فساد المصير الى عبادتها فقال
تعالى اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ووجه الاستدلال ظاهر وهو ان الخشب والحجر قبل النحت والاصلاح ما كان معبودا للانسان
البته فاذا نحته وشكله على الوجه المخصوص لم يحدث فيه الا اثار تصرفه فلو صار معبودا عند ذلك لكان معناه ان الشى الذى ما كان معبودا لما حصلت
اثار تصرفاته فيه صار معبودا الى فساد ذلك معلوما ببديهة العقل **المسئلة الثانية** احتج جمهور الاصحاب بقوله تعالى والله خلقكم وما تعملون
على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى فقالوا النحويون اتفقوا على ان لفظ ما مع ما بعده فى تقدير المصدر فقوله تعالى وما تعملون معناه وعملكم وعلى هذا التقدير صار
معنى الاية والله خلقكم وخلق عملكم فان قيل هذه الاية حجة عليكم من وجوه الاول انه تعالى قال اتعبدون ما تنحتون اضاف العبادة والنحت اليهم اضافة
الفعل الى الفاعل ولو كان ذلك واقعا بتخليق الله تعالى لاستحال كونه فعلا للعبد الثانى انه تعالى انما ذكر هذه الاية توبيخا لهم على عبادة الاصنام
لانه تعالى بين انه خالقهم وخالق لتلك الاصنام والخالق هو المستحق للعبادة دون المخلوق فلما تركوا عبادته سبحانه وهو خالقهم وعبدوا الاصنام لا جرم
انه سبحانه وتعالى وبخهم على هذا الخطا العظيم فقال تعالى اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ولو لم يكونوا فاعلين لافعالهم لما جاز توبيخهم
عليها سلمنا ان هذه الاية ليست حجة عليكم لكن لا نسلم انها حجة لكم قوله لفظ ما مع ما بعدها فى تقدير المصدر قلنا هذا ممنوع وبيانه ان سيبويه
والاخفش اختلفا فى انه هل يجوز ان يقال اعجبنى ما قمت اى قيامك فجوزه سيبويه ومنعه الاخفش وزعم انه لا يجوز الا مع الفعل المتعدى
وذلك يدل على ان ما بعدها فى تقدير المفعول عند الاخفش سلمنا ان ذلك قد يكون بمعنى المصدر لكنه ايضا قد يكون بمعنى المفعول ويدل عليه
وجوه الاول قوله تعالى اتعبدون ما تنحتون والمراد بقوله ما تنحتون المنحوت لا النحت لانهم ما عبدوا النحت وانما عبدوا المنحوت فوجب
ان يكون المراد بقوله تعالى ما تعملون المعمول لا العمل حتى يكون كل واحد من هذين اللفظين على وفق الاخر الثانى انه تعالى قال فاذا هى تلقف
ما يافكون وليس المراد انها تلقف نفس الافك بل اراد العصى والحبال التى هى متعلقات ذلك الافك فكذا هاهنا الثالث ان العرب تسمى محل العمل
عملا يقال فى الباب والخاتم هذا عمل فلان والمراد محل عمله فثبت بهذه الوجوه الثلاثة ان لفظ ما مع ما بعده كما يجى بمعنى المصدر فقد يجى ايضا بمعنى
المفعول فكان حمله هاهنا على المفعول اولى لان المقصود فى هذه الاية توبيخ مذهبهم فى عبادة الاصنام لا بيان انهم لا يوجدون افعال انفسهم
لان الذى جرى ذكره من اول الاية الى هذا الموضع هو مسئلة عبادة الاصنام وخلق الاعمال واعلم ان هذه السوالات قوية وفى الابنية نسرة فالاولى ترك
الاستدلال بهذه الاية والله اعلم واعلم ان ابرهيم عليه السلام لما اورد عليهم هذه الحجة القوية ولم يقدروا على الجواب عدلوا الى طريق الايذا فقالوا
ابنوا له بنيانا واعلم ان كيفية ذلك البنيان لا يدل عليها لفظ القران قال ابن عباس بنوا حايطا من حجر طوله فى السما ثلثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا
وملوه نارا وطرحوه فيها وذلك هو قوله تعالى فالقوه فى الجحيم وهى النار العظيمة قال الزجاج كل نار بعضها فوق بعض فهى جحيم والالف واللام فى الجحيم يدل على
الكناية والمعنى فى جحيمه اى فى جحيم ذلك البنيان ثم قال تعالى فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين والمعنى انه فى وقت الحاجة حصلت الغلبة له
وعندما القوه فى النار صرف الله تعالى عنه ضرر النار وصار هو الغالب عليهم واعلم انه لما انقضت هذه الواقعة قال ابرهيم انى ذاهب الى ربى سيهدين
ونظير هذه الاية قوله تعالى وقال انى مهاجر الى ربى وفيه مسايل **المسئلة الاولى** دلت هذه الاية على ان الموضع الذى فيه الاعدا يجب مهاجرته
وذلك لان ابرهيم صلوات الله عليه مع ان الله سبحانه وتعالى خصه باعظم انواع النصرة لما احس منهم بالعداوة الشديدة هاجر من تلك
الديار فلان يجب ذلك على الغير اولى **الثانية** فى قوله تعالى انى ذاهب الى ربى قولان الاول المراد منه مفارقة تلك الديار والمعنى انى ذاهب
الى موضع دين ربى القول الثانى قال الكلبى ذاهب بعبادتى الى ربى فعلى القول الاول المراد بالذهاب الى الرب هو الهجرة عن الديار وبه اقتدى
موسى عليه السلام حيث قال كلا ان معى ربى سيهدين وعلى القول الثانى المراد رعاية احوال القلوب وهو ان لا ياتى بشى
من الاعمال الا لله تعالى كما قال تعالى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض وظاهر ان القول الاول اولى لان المقصود من هذه الاية
بيان مهاجرته الى ارض الشام وايضا يبعد حمله على الهداية فى الدين لانه كان على الدين فى ذلك الوقت الا ان يحمل ذلك على الثبات
عليه او يحمل ذلك على الاهتدا الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة فى امر الدين **المسئلة الثالثة** قوله تعالى سيهدين يدل
على ان الهداية لا تحصل الا من عند الله تعالى كما تقوله اصحابنا ولا يمكن حمل هذه الهداية على وضع الادلة وازاحة الاعذار لان كل ذلك
قد حصل فى الزمان الماضى وقوله تعالى سيهدين يدل على اختصاص تلك الهداية بالمستقبل فوجب حمل الهداية فى هذه الاية على تحصيل
العلم والمعرفة فى قلبه فان قيل ابرهيم عليه السلام فى هذه الاية انه تعالى سيهديه وان موسى عليه السلام جزم به قال عسى ربى ان





يهدينى سوا السبيل فالفرق قلنا العبودية اعلى المقامات فقد يحرم بحصول المقصود واذا تجلى له مقامات كونه عبدا [illegible]
تحقيقا يستحقر نفسه فلا جرم [illegible] الا بالترجى والطمع **المسئلة الرابعة** قوله تعالى انى ذاهب الى ربى يدل على ان تمسك
المشبهة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب [illegible] كلمة الى موجودة فى قوله تعالى [illegible] مع انه لا يلزم ان يكون الله موجودا فى ذلك
المكان فكذا هاهنا واعلم ان ابرهيم صلوات الله عليه لما هاجر الى الارض المقدسة اراد الولد فقال رب هب لى من
الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب فى الولد وان جاء فى الاخ قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا
وقال تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال على بن ابى طالب لابن عباس رضى الله عنهم [illegible]
على [illegible] شكرت الواهب وبورك لك فى الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله ووهب وموهب واعلم انه تعالى [illegible]
اشتمل على ثلثة اشيا على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما واى حلم اعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح قال تعالى
ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وايضا فان ابرهيم عليه السلام كان موصوفا بالحلم وانه قايم مقامه فى صفة الشرف والفضيلة واعلم
ان الصلاح افضل الصفات بدليل ان الخليل عليه السلام طلب الصلاح لنفسه فقال رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين وطلبه للولد فقال رب هب لى
من الصالحين وطلب سليمان بعد كمال درجته فى الدين والدنيا فقال وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وذلك يدل على ان الصلاح اشرف
مقامات العباد والله تعالى اعلم **قوله تعالى** فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا
ترى قال يا ابت افعل ما تومر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم
قد صدقت الرويا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الاخرين
سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المومنين وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين
وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين اعلم انه تعالى لما قال فبشرناه بغلام حليم
اتبعه بما يدل على حصول ما بشر به وبلوغه فقال تعالى فلما بلغ معه السعى ومعناه فلما ادرك الحد الذى يقدر فيه على السعى وقوله معه فى موضع
الحال والتقدير كاينا معه والفايدة فى اعتبار هذا المعنى ان الاب ارفق الناس بالولد وغيره ربما عنف به فى الاستسعا فلا يحتمله لانه
لم يستحكم قوته قال بعضهم كان فى ذلك ثلث عشرة سنة والمقصود من هذا الكلام انه تعالى وعده فى الاية الاولى بكون ذلك الغلام حليما وبين فى
هذه الاية ما يدل على كمال حلمه وذلك لانه كان به من كمال الحلم وفسحة الصدر ما قواه على احتمال تلك البلية العظيمة والاتيان بذلك
الجواب الحسن اما قوله تعالى انى ارى فى المنام انى اذبحك ففيه مسايل **المسئلة الاولى** فى تفسير هذا اللفظ وجهان الاول قال السدى كان
ابرهيم عليه السلام حين بشر باسحق قبل ان يولد له فقال هو اذا لله ذبيح فقيل لابرهيم عليه السلام قد نذرت نذرا فف بنذرك فلما اصبح قال
يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك وروى من طريق اخر انه راى ليلة التروية فى منامه كان قايلا يقول ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح
روى فى ذلك من الصباح الى الرواح امن الله ام من الشيطان فمن ثم سمى بيوم التروية فلما راى ايضا مثل ذلك عرف انه من الله تعالى فمن ثم سمى يوم
عرفة ثم راى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى يوم النحر فهذا هو قول اهل التفسير وهو يدل على انه راى فى المنام ما يوجب ان يذبحه [illegible]
وعلى هذا فتقدير اللفظ انى ارى فى المنام ما يوجب انى اذبحك والقول الثانى انه راى فى المنام انه يذبحه ورويا الانبيا عليهم السلام من باب الوحى وعلى هذا
التقدير فالمرئى فى المنام ليس الا انه يذبح فان قيل اما ان يقال انه ثبت بالدليل عند الانبيا عليهم السلام ان كل ما راوه فى المنام فهو حق وحجة او لم يثبت
ذلك بالدليل عندهم فان كان الاول فلم راجع الولد فى هذه الواقعة بل كان من الواجب عليه ان يشتغل بتحصيل ذلك المامور
وان لا يراجع الولد فيه وان لا يقال له فانظر ماذا ترى وان لا يتوقف العمل على ان يقول الولد افعل ما تومر وايضا فقد يعلم انه بقى
فى اليوم الاول متفكرا ولو ثبت عنده بالدليل ان كل ما راه فى النوم حق لم يكن الى هذا التروى والتفكر حاجة وان كان الثانى وهو
انه لم يثبت بالدليل عندهم ان ما يرونه فى المنام حق فكيف يجوز له ان يقدم على ذبح ذلك الطفل بمجرد رويا ما لم يدل الدليل على كونها
حجة والجواب لم لا يجوز ان يقال انه كان عند الرويا مترددا فيه ثم تاكد الرويا بالوحى الصريح والله اعلم **المسئلة الثانية** اختلفوا
فى ان هذا الذبيح من هو فقيل انه اسحق وقيل ان هذا قول عمر وعلى والعباس بن عبد المطلب وابن مسعود وكعب الاحبار وقتادة وسعيد
ابن جبير ومسروق وعكرمة والزهرى والسدى ومقاتل وقيل انه اسمعيل وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب
والحسن والشعبى ومجاهد والكلبى واحتج القايلون بانه اسمعيل من وجوه الاول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين
وقال له اعرابى يا ابن الذبيحين فتبسم فسيل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بير زمزم نذر ان سهل الله له امرها ليذبحن احد
ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له افد ابنك بماية من الابل والذبيح الثانى اسمعيل **الحجة الثانية** نقل عن الاصمعى انه
قال سالت ابا عمرو بن العلا عن الذبيح فقال يا اصمعى اين عقلك ومتى كان اسحاق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذى بنى البيت مع
ابيه والمنحر بمكة **الثالثة** ان الله تعالى وصف اسمعيل بالصبر دون اسحق فى قوله تعالى واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو
صبره على الذبح ووصفه ايضا بصدق الوعد فى قوله تعالى انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه
الصبر على الذبح فوفى به **الحجة الرابعة** قوله تعالى وبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فنقول لو كان الذبيح اسمعيل لكان الامر بذبحه
قبل ظهور يعقوب منه او بعد ذلك والاول باطل لانه تعالى لما بشرها باسحق وبشرها معه بان يحصل منه يعقوب فقبل ظهور يعقوب منه لم يجز الامر
بذبحه والا حصل الخلف فى قوله تعالى ومن وراء اسحق يعقوب والثانى باطل لان قوله تعالى فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى ارى فى المنام
انى اذبحك يدل على ان ذلك الابن لما قدر على السعى ووصل الى حد القدرة على الفعل امر الله تعالى ابرهيم عليه السلام بذبحه وهذا ينافى
وقوع هذه القصة فى زمان اخر فثبت انه لا يجوز ان يكون الذبيح هو اسحق **الحجة الخامسة** حكى الله تعالى عنه انه قال انى ذاهب الى ربى

سيهدين ثم طلب من الله تعالى ذلك فكذا البشارة به في عرسه قال تعالى رب هب لي من الصالحين وهذا السؤال انما يحصل قبل ان يحصل له الولد لانه لو حصل له ولد واحد لما طلب الولد الواحد لان طلب الحاصل محال وقوله هب لي من الصالحين لا يفيد الا طلب الولد الواحد وكلمة من للتبعيض واقل درجات البعضية الواحد فكان قوله من الصالحين لا يفيد الا طلب الولد الواحد فثبت ان هذا السؤال لا يحسن الا عند عدم كل الاولاد فثبت ان هذا السؤال وقع حال طلب الولد الاول واجمع الناس على ان اسماعيل متقدم في الوجود على اسحق فثبت ان المطلوب بهذا الدعاء هو اسماعيل ثم ان الله تعالى ذكر عقيبه قصة الذبح فوجب ان يكون الذبيح هو اسماعيل الحجة السادسة الاخبار كثيرة في تعليق قرن الكبش بالكعبة وكان الذبح بمكة ولو كان الذبيح اسحق لكان الذبح في الشام واحتج من قال بانه اسحق بان اول الاية واخرها يدل على ذلك اما اولها فانه تعالى حكى عن ابرهيم عليه السلام قبل هذه الاية انه قال اني ذاهب الى ربي سيهدين واجمعوا على ان المراد بها مهاجرته الى الشام ثم قال تعالى فبشرناه بغلام حليم فوجب ان يكون هذا الغلام الحليم قد حصل له في الشام وذلك الغلام ليس الا اسحق ثم قال فلما بلغ معه السعي وهو ذكر الغلام الذي حصل له في الشام فثبت ان مقدمة هذه الاية تدل على ان الذبيح هو اسحق واما مؤخرة الاية فهي ايضا يدل على ذلك لانه تعالى لما تمم قصة الذبيح قال بعده وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ومعناه انه بشره بكونه نبيا من الصالحين وذكر هذه البشارة عقيب حكاية تلك القصة يدل على انه تعالى انما بشره بالنبوة لاجل انه تحمل هذه الشدائد في قصة الذبح فثبت بما ذكرناه ان اول الاية واخرها يدل على ان الذبيح هو اسحق عليه السلام الحجة الثانية على صحة ذلك ما اشتهر من كتاب يعقوب عليه السلام من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله فهذا جملة الكلام في هذا الباب وكان الزجاج يقول الله اعلم ايهما الذبيح واعلم انه يتفرع على ما ذكرنا اصلان فيه في موضع الذبح فالذين قالوا الذبيح هو اسماعيل قالوا كان المذبح بمنى والذين قالوا انه اسحاق قالوا هو بالشام وقيل ببيت المقدس والله اعلم المسئلة الثالثة اختلف الناس في ان ابرهيم عليه السلام هل كان مامورا بهذا الذبح وهذا الاختلاف متفرع على مسئلة من مسائل اصول الفقه وهي انه هل يجوز نسخ الحكم قبل حضوره او قبل حضور مدة الامتثال فقال اكثر اصحابنا انه يجوز وقالت المعتزلة وكثير من فقهاء الشافعية والحنفية انه لا يجوز فعلى القول الاول انه تعالى امره بالذبح ثم انه تعالى نسخ هذا التكليف قبل حضور وقته وعلى القول الثاني ما امره بالذبح وانما امره بمقدمات الذبح وهذه مسئلة شريفة من مسائل باب النسخ واحتج اصحابنا على انه هل يجوز الامر قبل مجيء مدة الامتثال بان الله تعالى امر ابرهيم عليه السلام بذبح ولده ثم انه تعالى نسخه عنه قبل اقدامه على ذلك وذلك يفيد المطلوب انما قلنا انه تعالى امره بذبح الولد لوجهين الاول انه عليه السلام قال لولده اني ارى في المنام اني اذبحك فقال الولد افعل ما تؤمر وهذا يدل على انه عليه السلام كان مامورا بمقدمات الذبح لا بنفس الذبح ثم انه اتى بمقدمات الذبح وادخلها في الوجود فحينئذ يكون قد اتى بما امر به فلا يحتاج في هذا الموضع الى الفداء لكنه احتاج الى الفداء بدليل قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم فدل هذا على انه ما اتى بالمامور به وقد ثبت انه اتى بكل مقدمات الذبح وهذا يدل على انه تعالى كان قد امره بنفس الذبح فاذا ثبت هذا فنقول انه تعالى نسخ ذلك الحكم قبل اتيانه وذلك يدل على المقصود وقالت المعتزلة لا نسلم ان الله تعالى امره بذبح الولد بل امره بمقدمات الذبح ويدل عليه وجوه الاول انه ما اتى بالذبح وانما اتى بمقدمات الذبح ثم ان الله تعالى اخبر عنه بانه اتى بما امر به بدليل قوله تعالى وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا وذلك يدل على انه تعالى انما امره بمقدمات الذبح لا بنفس الذبح وتلك المقدمات عبارة عن اضجاعه ووضع السكين على حلقه والعزم الصحيح على الاتيان بذلك الفعل الثاني ورود الامر الثاني الذبح عبارة عن قطع الحلقوم فلعل ابرهيم عليه السلام قطع الحلقوم الا انه كلما قطع جزءا اعاده الله تعالى بعد ذلك الفعل فلهذا السبب لم يحصل الموت والوجه الثالث وهو الذي عليه تعويل القوم انه تعالى لو امر شخصا معينا بايقاع فعل معين في وقت معين فهذا يدل على ان ايقاع ذلك الفعل في ذلك الوقت فاذا نهى عنه فهذا النهي يدل على ان ايقاع ذلك الفعل في ذلك الوقت قبيح فلو حصل هذا النهي عقيب ذلك الامر لزم احد امرين لانه تعالى ان كان عالما بذلك الفعل لزم ان يقال انه امر بالقبيح او نهى عن الحسن وان لم يكن عالما به لزم جهل الله تعالى وانه محال فهذا تمام الكلام في هذا الباب والجواب عن الاول انا قد دللنا على انه تعالى امره بالذبح واما قوله تعالى قد صدقت الرؤيا فهذا يدل على انه اعترف بكون ذلك الرؤيا واجب العمل به ولا اجزاء اعاده الله التالف اليه فنقول هذا باطل لان ابرهيم عليه السلام لو اتى بكل ما امر به لما احتاج الى الفداء وحيث احتاج علمنا انه لم يات بما امر به واما قوله ثالثا انه يلزم اما الامر بالقبيح واما الجهل فنقول هذا بناء على ان الله تعالى لا يامر الا بما يكون حسنا في ذاته ولا ينهى عما يكون قبيحا في ذاته وذلك بناء على تحسين الفعل وتقبيحه وهو باطل وايضا فبتقدير انا نسلم ذلك الا انا نقول لم لا يجوز ان يقال الامر بالشيء تارة يحسن بكون المامور به حسنا وتارة لاجل ان ذلك الامر مصلحة من المصالح وان لم يكن المامور به حسنا الا ترى ان السيد اذا اراد ان يروض عبده فانه يقول له اذا جاء يوم الجمعة فافعل الفعل الفلاني ويكون ذلك من الافعال الشاقة ويكون مقصود السيد من ذلك الامر ليس انه يأتي ذلك العبد بذلك الفعل بل ان يعطل العبد نفسه على الانقياد والطاعة ثم ان السيد اذا علم منه انه وطن نفسه على الطاعة فقد يزيل عنه ذلك التكليف فكذا ههنا فلما لم يقم الدلالة على فساد هذا الاحتمال لم يتم كلامكم والله اعلم المسئلة الرابعة احتج اصحابنا بهذه الاية على ان الله تعالى قد يامر بما لا يريد وقوعه والدليل عليه انه امر بالذبح وما اراد وقوعه اما انه امر بالذبح فلما تقدم في المسئلة الاولى واما انه ما اراد وقوعه فلان عندنا ان كل ما اراد الله وقوعه فانه يقع وحيث لم يقع هذا الذبح علمنا ان الله تعالى ما اراد وقوعه واما عند المعتزلة فلان الله تعالى نهى عن ذلك الذبح والنهي عن الشيء لا يريد وقوعه عندهم فثبت انه تعالى امر بالذبح وثبت انه تعالى ما اراده وذلك يدل على ان الامر قد يوجد بدون الارادة وتمام الكلام في ان الله تعالى امر بالذبح ما تقدم في المسئلة المتقدمة والله اعلم المسئلة الخامسة في بيان الحكمة في ورود هذا التكليف في النوم لا في اليقظة وبيانه من وجوه الاول ان هذا التكليف كان في نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد اولا في النوم حتى يصير ذلك كالمنبه

لورود

لورود هذا التكليف الشاق تقريبا لكن حال النوم باحوال اليقظة فحينئذ لا يهجم هذا التكليف دفعة واحدة بل الثاني ان الله تعالى جعل رؤيا الانبياء عليهم الصلوة والسلام حقا قال تعالى في حق محمد صلى الله عليه وسلم لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام وقال في حق يوسف عليه السلام اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين وقال في حق ابرهيم عليه السلام اني ارى في المنام اني اذبحك والمقصود من ذلك تقوية الدلالة على كونهم صادقين لان الحال اما حال منام فاذا تطابقت الحالتين على الصدق كان ذلك على النهاية في بيان كونهم محقين صادقين في كل الاحوال والله تعالى اعلم ثم نقول منامات الانبياء عليهم السلام على ثلثة اقسام منها ما يقع على وفق الرؤيا كما في قوله تعالى في حق رسولنا صلى الله عليه وسلم لتدخلن المسجد الحرام ثم وقع ذلك الشيء بعينه ومنها ما يقع على الضد كما في حق ابرهيم عليه السلام فانه راى الذبح وكان الحاصل هو الفدا والنجاة ومنها ما يقع على ضرب من التاويل والمناسبة كما في رؤيا يوسف عليه السلام فلهذا السبب اطلق اهل التفسير على ان المقامات واقعة على هذه الوجوه الثلاثة المسئلة السادسة قرا حمزة والكسائي ترى بضم التاء وكسر الراء ما تريني من نفسك من الصبر والتسليم وقيل ما تشير والباقون بفتح التاء منهم من يميل ومنهم من لا يميل المسئلة السابعة الحكمة من مشاورة الابن في هذا الباب ان يطلع ابنه على هذه الواقعة ليظهر له صبره في طاعة الله فيكون فيه قرة عين لابرهيم عليه السلام حيث يراه قد بلغ في الحكمة الى هذا الحد العظيم في الاخرة والثناء الحسن في الدنيا ثم انه تعالى حكى عن ولد ابرهيم انه قال افعل ما تؤمر ومعناه افعل ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ثم قال تعالى ستجدني ان شاء الله من الصابرين وانما علق ذلك بمشية الله تعالى على سبيل التبرك والتيمن فانه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله تعالى الا بتوفيق الله تعالى ثم قال تعالى فلما اسلما يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا اذا انقاد له وخضع واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا اخلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان منه بالهمزة وحقيقة معناه اخلص نفسه لله وجعلها سالمة خالصة له وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه ثم قال تعالى وتله للجبين اي صرعه على شقه فوقع احد جنبيه على الارض وللوجه جانبان والجبهة بينهما قال ابن الاعرابي التليل والمتلول المصروع والمثل الذي تل به اي صرع فالمعنى انه صرعه على جنبه وقال مقاتل كبه على وجهه وهذا خطأ لان الاول الجبين غير الجبهة ثم قال تعالى وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا فيه قولان الاول ان هذا جواب فلما عند الفراء والكوفيين والواو زايدة والقول الثاني ان عند البصريين لا يجوز ذلك والجواب مقدر والتقدير فلما فعل ذلك وناداه الله تعالى ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا سعد سعادة عظيمة واتاه الله تعالى سرور ولده واجزل له الثواب قالوا وحذف الجواب ليس بخرق القرآن والفائدة فيه انه اذا كان محذوفا كان اعظم وافخم قال المفسرون لما اضجعه بالذبح نودي من الجبل يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا قال المحققون السبب في هذا التكليف كمال طاعة ابرهيم عليه السلام لتكاليف الله تعالى فلما كلفه الله تعالى بهذا التكليف الشاق الشديد وظهر منه كمال الطاعة وظهر من ولده كمال الطاعة والانقياد لا جرم قال الله تعالى قد صدقت الرؤيا وقوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين ابتداء اخبار من الله تعالى وليس متصلا بما تقدم من الكلام والمعنى ان ابرهيم عليه السلام وولده كانا محسنين في هذه الطاعة فكما جازينا هذين المحسنين فكذلك نجزي كل المحسنين ثم قال تعالى ان هذا لهو البلاء المبين اي الاختبار المبين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها وفديناه بذبح عظيم الذبح مصدر ذبحت والذبح ايضا ما يذبح وهو المراد في هذه الاية وههنا مباحث تتعلق بالحكايات فالاولى حكي في قصة الذبيح ان ابرهيم عليه السلام لما اراد ذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب اخبره بما امره فقال اشدد رباطي لئلا يصيبك شيء من دمي فتراه امي فتحزن واسرع امرار الشفرة على حلقي ليكون الموت اهون علي فان الموت شديد واقرأ على امي سلامي وان رأيت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسهل لها فقال ابرهيم نعم العون انت يا بني على امر الله ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فقال له كبني على وجهي فانك اذا نظرت الى وجهي رحمتني وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله تعالى ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا البحث الثاني اختلفوا في ذلك الكبش الذي قرب به هابيل بن آدم عليه السلام الى الله تعالى فقبله وكان في الجنة يرعى حتى فدى الله تعالى به اسماعيل وقال اخرون انزل الله تعالى كبشا من الجنة قد رعى اربعين خريفا وقال السدي نودي ابرهيم فالتفت فاذا هو بكبش املح انحط من الجبل فقام عنده ابرهيم فاخذه وذبحه وخلى ابنه ثم اعتنق ابنه قال يا بني وهبت لي واما قوله عظيم فقد سمي عظيما لعظمه وسمنه وقال سعيد بن جبير حق له ان يكون عظيما وقد رعى في الجنة اربعين خريفا وقيل سمي عظيما لعظم قدره حيث فدى الله تعالى به ولد ابرهيم عليه السلام ثم قال تعالى انه من عبادنا المؤمنين الضمير في قوله انه عايد الى ابرهيم عليه السلام ثم قال تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فقوله نبيا حال مقدرة اي بشرناه بوجود اسحق مقدرة نبوته ولمن يقول ان الذبيح هو اسماعيل ان يحتج بهذه الاية وذلك لان قوله نبيا حال ولا يجوز ان يكون المعنى وبشرناه باسحق حال كون اسحق نبيا لان البشارة متقدمة على صيرورته نبيا وبشرناه باسحق حال ما قدرناه نبيا وحال ما حكمنا عليه بكونه نبيا واذا كان الامر كذلك فحينئذ كانت هذه البشارة بوجود اسحق حاصلة بعد قصة الذبح فوجب ان يكون الذبيح غير اسحق اقصى ما في الباب ان يقال ان هذه الاية وان كانت متاخرة في التلاوة عن قصة الذبح الا انها كانت متقدمة عليه في الوقوع والوجود الا انا نقول الاصل رعاية الترتيب وعدم التصرف في النظم والله تعالى اعلم ثم قال تعالى وباركنا عليه وعلى اسحق

وفي تفسير هذه البركة قولان الاول انه تعالى اخرج انبيا بني اسرايل من صلب اسحق والثاني انه ابقى الثنا الحسن على
ابرهيم واسحاق الى قيام القيمة لان البركة عبارة عن الدوام والثبات ثم قال تعالى ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين
وفي ذلك تنبيه على انه لا يلزم من كثرة فضايل الاب فضيلة الابن لئلا يصير هذه الشبهة سببا لمفاخرة اليهود ودخلت
تحت قوله محسن والانبيا والمومنون وتحت قوله تعالى ظالم الكافر والفاسق والله تعالى اعلم **قوله تعالى**
ولقد مننا على موسى وهارون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين و
اتيناهما الكتاب المستبين وتركنا عليهما في الاخرين سلام على موسى وهارون انا كذلك نجزي المحسنين
انهما من عبادنا المومنين **اعلم** ان هذا هو القصة الثالثة من القصص المذكورة في هذه السورة **واعلم**
ان وجوه الانعام وان كانت كثيرة الا انها محصورة في نوعين ايصال المنافع اليه ودفع المضار عنه والله تعالى ذكر القسمين ها هنا فقوله
تعالى ولقد كرمنا بني آدم وقوله تعالى ولقد مننا على موسى وهارون اشارة الى ايصال المنافع اليهما وقوله تعالى ونجيناهما وقومهما من الكرب
العظيم اشارة الى دفع المضار عنهما اما القسم الاول وهو ايصال المنافع ولا شك ان المنافع على قسمين منافع الدنيا ومنافع الدين اما
منافع الدنيا فالوجود والحياة والعقل والتربية والصحة وتحصيل صفات الكمال في ذات كل واحد منهما واما منافع الدين فالعلم والطاعة
واعلى هذه الدرجات النبوة الرفيعة المقرونة بالمعجزات الباهرة القاهرة ولما ذكر الله تعالى هذه التفاصيل في ساير السور لا جرم
اكتفى ها هنا بهذا الرموز واما القسم الثالث هو دفع الضرر فهو المراد من قوله تعالى ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم وفيه قولان
قيل انه الغرق اغرق الله تعالى فرعون وقومه ونجى الله تعالى بني اسرايل وقيل المراد منه انه تعالى نجاهم من ايذاء فرعون حيث كان يذبح
ابناءهم ويستحيي نساءهم واعلم انه تعالى لما ذكر انه من على موسى وهارون فصل اقسام تلك المنة فاولها قوله تعالى ونصرناهم
اي نصرنا موسى وهارون وقومهما فكانوا هم الغالبين في كل احوال ظاهر الحجة وفي اخر الامر بالدولة والرفعة وثانيها قوله تعالى واتيناهما
الكتاب المستبين والمراد منه التورية وهو الكتاب المشتمل على جميع العلوم التي يحتاج في مصالح الدين والدنيا كما قال تعالى انا انزلنا
التورية وهو الكتاب المشتمل فيها هدى ونور وثالثها قوله تعالى وهديناهما الصراط المستقيم اي دللناهما على طريق الحق عقلا
وسمعا وامددناهما بالتوفيق والعصمة ولبسه الكلاكل الحقة بالطريق المستقيم واضح ورابعها قوله تعالى وتركنا عليهما في الاخرين
وفيه قولان الاول ان المراد وتركنا عليهما في الاخرين وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم قولهم سلام على موسى وهارون والثاني
ان المراد وتركنا عليهما في الاخرين امة محمد الثنا الحسن والذكر الجميل وعلى هذا التقدير فقوله بعد ذلك سلام على موسى وهارون هو
كلام الله تعالى ولما ذكر تعالى هذه الاقسام الاربعة من ابواب التعظيم والتفضيل قال تعالى انا كذلك نجزي المحسنين وقد سبق تفسيره
ثم قال تعالى انهما من عبادنا المومنين والمقصود التنبيه على ان الفاضلة الحاصلة بسبب الايمان اعلى واشرف واكمل من كل الفضايل
ولولا ذلك فضايل موسى وهارون لكونهما من المومنين والله تعالى اعلم **قوله تعالى** وان الياس لمن المرسلين
اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين الله ربكم ورب اباكم الاولين فكذبوه
فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه في الاخرين سلام على آل ياسين انا كذلك نجزي المحسنين
انه من عبادنا المومنين **اعلم** انه هذا هو القصة الرابعة من القصص المذكورة في هذه السورة وفيه مسايل **المسئلة**
**الاولى** قرا ابن عامر وان الياس بغير همز على وصل الالف والباقون بالهمزة وقطع الالف قال ابو بكر بن مهران من ذكر عنه وصلة الالف
فقد اخطا وكان اهل الشام ينكرونه ولا يعرفونه قال الواحدي وله وجهان احدهما انه حذف الهمزة من الياس حذفا كما حذفها ابن
كثير من قوله تعالى انها لاحدى الكبر ولقول الشاعر ويل امها وهو الحرط الله والاخر انه جعل الهمزة التي تصحب اللام التعريف كقوله تعالى
واليسع الثانية في الياس قولان روي عن ابن مسعود انه قرا وان ادريس وقال الياس هو ادريس وهذا قول عكرمة واما اكثر
المفسرين فهم متفقون على انه نبي من انبياء بني اسرايل هو الياس بن ياسين من ولد هارون اخي موسى عليهم السلام ثم قال تعالى
اذ قال لقومه الا تتقون والتقدير اذكر يا محمد لقومك اذ قال لقومه الا تتقون اي الا تخافون الله قال الكلبي الا تخافون الله
تعالى **واعلم** انه تعالى لما خوفهم اولا على سبيل الاجمال ذكر ما هو السبب لذلك الخوف فقال تعالى اتدعون بعلا وتذرون احسن
الخالقين وفيه ابحاث **الاول** في بعل قولان احدهما انه اسم علم لصنم كان لهم كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا
وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى عينوا له اربعماية سادن وجعلوهم انبياءه وكان الشيطان يدخل في جوف بعل
ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك
واعلم ان قولهم ان بعلبك اسم لصنم من اصنامهم لا باس به اما قوله ان الشيطان كان يدخل في جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة
فهذا مشكل لانا اذا جوزنا هذا كان ذلك قادحا في كثير من المعجزات لانه نقل في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم كلام الذئب
معه وكلام الجمل معه وحنين الجذع ولو جوزنا ان يدخل الشيطان في جوف جسم ويتكلم فحينئذ يكون هذا الاحتمال قايم في الذئب
والجمل والجذع وذلك يقدح في كون هذه الاشياء معجزات القول الثاني ان البعل هو الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار
اي من ربها وسمي الزوج بعلا لهذا المعنى قال تعالى وبعولتهن احق بردهن وقال تعالى وهذا بعلي شيخا ان هذا فعلى هذا
التقدير اتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله تعالى **البحث الثاني** المعتزلة احتجوا بهذه الاية على كون العبد
خالقا لافعاله فقالوا لو لم يكن غير الله خالقا لما جاز وصف الله تعالى بانه احسن الخالقين والكلام فيه قد تقدم في قوله تعالى
فتبارك الله احسن الخالقين **البحث الثالث** من القلب بالرشيد الكاتب يقول لو وصلنا اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين





اوهم انه احسن لانه كان تحصل فيه رعاية مع التجنيس وجوابه ان فصاحة القران ليست لاجل رعاية هذه التكاليف بل لاجل
قوة المعاني وجزالة الالفاظ **واعلم** انه تعالى لما عابهم على عبادة غير الله صرح بالتوحيد ونفي الشركا فقال الله ربكم ورب اباءكم
الاولين وفيه مباحث الاول انا ذكرنا في هذا الكتاب ان حدوث الاشخاص البشرية كيف يدل على وجود الصانع المختار
وكيف يدل على وحدته وبرائته عن الاضداد والانداد فلا فايدة في الاعادة البحث الثاني قرا حمزة والكسائي وحفص
عن عاصم الله ربكم ورب كلها بالنصب على البدل من قوله تعالى احسن الخالقين والباقون بالرفع على الاستيناف والاول
اختيار ابي حاتم وابي عبيد ونقل صاحب الكشاف ان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع ولما حكى الله تعالى عنه امر قومه
بالتوحيد قال تعالى فكذبوه فانهم لمحضرون اي لمحضرون النار غدا وقد ذكرنا الكلام فيه عند قوله تعالى لكنت من المحضرين
ثم قال تعالى الا عباد الله المخلصين وذلك لان من قومه ما كذبوه بكليتهم بل كان فيه من صدق التوحيد ولهذا قال تعالى
الا عباد الله المخلصين يعني الذين اتوا بالتوحيد الخالص فانهم لا يحضرون ثم قال تعالى وتركنا عليه في الاخرين
سلام على الياسين قرا نافع وابن عامر ويعقوب ال ياسين على اضافة لفظ ال الى لفظ ياسين والباقون بكسر الالف وجزم اللام
موصلة بياسين اما القراة الاولى ففيها وجوه الاول وهو الاقرب انا ذكرنا انه الياس بن ياسين فكان الياس ال ياسين والثاني ال ياسين
ال محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم والثالث ان ال ياسين اسم القران كانه قيل سلام على من امن بكتاب الله تعالى الذي هو يس والوجه
هو الاول لانه اليق بسياق الكلام واما القراة الثانية ففيها وجوه الاول قال الزجاج يقال ميكال وميكاين فكذا ها هنا الياس
والياسين والثاني قال الفرا هو جمع واراد به الياس واتباعه من المومنين كقولهم المهلبون والاشعرون قال انا ابن السعد اكرم السعد
انا ثم قال تعالى انا كذلك نجزي المحسنين انه من عباد المومنين وقد سبق تفسيره والله تعالى اعلم **قوله تعالى** وان لوطا
لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الاخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين و
بالليل افلا تعقلون **اعلم** ان هذا هو القصة الخامسة وانه تعالى انما ذكر هذه القصة ليعتبر بها مشركوا العرب
فان الذين كفروا من قومه هلكوا والذين امنوا نجوا وقد تقدم شرح هذه القصة فقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين
وبالليل يعني ذلك القوم كانوا يسافرون الى الشام والمسافر في اكثر الامر انما يمشي في الليل وفي اول النهار فلهذا السبب عين هذين
الوقتين ثم قال تعالى افلا تعقلون يعني اليس فيكم عقول تعتبرون بها والله تعالى اعلم **قوله تعالى** وان يونس لمن المرسلين
اذ ابق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث
في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى ماية الف او يزيدون
فامنوا فمتعناهم الى حين **اعلم** ان هذا هو القصة السادسة وهو اخر القصص المذكورة في هذه السورة وانما صارت هذه
القصة خاتمة القصص لاجل انه لم يصبر على اذى قومه وابق الى الفلك ووقع في تلك الشدايد فيصير هذا سببا لصبر النبي
صلى الله عليه وسلم على اذى قومه اما قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون ففيه مسايل **المسئلة الاولى**
قال صاحب الكشاف قرئ يونس بضم النون وكسرها الثانية دلت هذه الاية على ان هذه الواقعة انما وقعت ليونس عليه السلام
[illegible]

سبعث الى بني اسرائيل نبيا فاختار يونس عليه السلام لقوته وامانته قال يونس الله امرك بهذا قال لا ولكن امرت ان ابعث قويا امينا
وانت كذلك فقال يونس وفي بني اسرائيل من هو اقوى مني فلم لا تبعثه فالح الملك عليه فلما اشرف الى لجة البحر اشرفت على الغرق
فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل في السفينة ما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر قال التجار قد جربنا مثل هذا فاذا
رايناه نقرع فمن خرج سهمه نغرقه فلان نغرق واحد خير من تغرق الكل فخرج منهم يونس عليه السلام فقال يا هؤلاء انا
العاصي وتلفف في كساء ورمى بنفسه فابتلعته السمكة فاوحى الله الى الحوت لا تكسر منه عظما ولا تقطع له وصلا ثم ان السمكة
اخرجته الى نيل مصر ثم الى بحر فارس ثم الى البطائح ثم دجلة فصعدت به ورمته الى الارض سقيما بالعراء وهو كالفرخ المنتوف
لا شعر ولا لحم فانبت الله تعالى عليه شجرة من يقطين فكان يستظل بها وياكل من ثمرها حتى اشتد ثم ان الارضة
اكلتها فخرت من اصلها فحزن يونس لذلك حزنا شديدا فقال يا رب كنت استظل تحت هذه الشجرة من الشمس والريح وامص من
ثمرها فقد سقطت فقيل له يا يونس تحزن على شجرة انبتت في ساعة واستلعت في ساعة ولا تحزن على مائة الف او يزيدون
تركتهم انطلق اليهم واسمع انه بحقيقة الواقعة ثم قال تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم يقال التقمه والتهمه والكل بمعنى واحد
وقوله تعالى وهو مليم يقال الام اذا اتى بما يلام عليه فالمليم المستحق للوم الاتي بما يلام عليه قال تعالى فلولا انه كان من المسبحين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون وفي تفسير كونه من المسبحين قولان الاول ان المراد منه ما حكى الله تعالى عنه في اية اخرى انه كان يقول
في تلك الظلمات لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين الثاني لولا انه كان قبل ان التقمه الحوت من المسبحين يعني من المصلين وكان
في اكثر الاوقات مواظبا على ذكر الله تعالى وطاعته للبث في بطن ذلك الحوت وكان بطنه قبرا له الى يوم البعث قال بعضهم اذكروا الله
في الرخاء يذكركم في الشدة فان يونس كان عبدا صالحا ذاكرا لله تعالى فلما وقع في بطن الحوت قال تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث
في بطنه وان فرعون كان عبدا طاغيا فلما ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل قال الله تعالى الان
وقد عصيت قبل واختلفوا في انه كم لبث في بطن الحوت ولفظ القران لا يدل عليه قال الحسن لم يلبث الا قليلا واخرج من بطنه
بعد الوقت الذي التقمه وعن مقاتل بن حيان ثلاثة ايام وعن عطا سبعة ايام وعن الضحاك عشرين يوما وقيل شهرا ولا ادري
باي دليل عينوا هذه المقادير عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبح يونس في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه
فقالوا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة فقال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر فقالوا العبد الصالح
الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له فامر الحوت فقذفه في الساحل فذلك هو قوله تعالى
فنبذناه بالعراء وفيه مباحث الاول العراء المكان الخالي قال ابو عبيدة انما قيل له العراء لانه لا شجر فيه ولا شي يغطيه الثاني انه تعالى
قال فنبذناه بالعراء فاضاف ذلك النبذ الى نفسه مع ان ذلك النبذ انما حصل بفعل الحوت وهذا يدل على ان فعل العبد مخلوق لله
تعالى ثم قال عز وعلا وهو سقيم قيل المراد انه بلي لحمه وصار ضعيفا كالطفل المولود وكالفرخ الممعوط الذي ليس عليه ريش
وقال مجاهد سقيم اي سليب ثم قال تعالى وانبتنا عليه شجرة من يقطين ظاهر اللفظ يدل على ان الحوت لما نبذه في العراء فالله تعالى
انبت عليه شجرة من يقطين وذلك كالمعجزة له قال المبرد والزجاج كل شجرة لا تقوم على ساق وانما تمتد على وجه الارض فهو
يقطين نحو الدبا والحنظل والبطيخ وقال الزجاج احسب اشتقاقها من قطن بالمكان اذا اقام به وهذا الشجر ورقه كله على وجه
الارض فلذلك قيل يقطين وروى الفراء انه قيل عند ابن عباس هو ورق القرع من بين الشجر يقطينا كل ورقه اتسعت وسترت فهي يقطين
قال الواحدي والاية تقتضي شيئين لم يذكرهما المفسرون احدهما ان هذا اليقطين لم يكن قبل فانبته الله تعالى لاجله والاخر ان اليقطين
كان معروشا ليحصل له ظل لانه لو كان منبسطا على الارض لم يمكن ان يستظل به ثم قال تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون وفيه
مباحث الاول يحتمل ان يكون المراد به التقديم والواو معناها الجمع ويحتمل ان يكون المراد به الارسال بعد الاسقام عن ابن عباس انه قال
كان رسالة يونس عليه السلام بعد ما نبذه الحوت وعلى هذا التقدير يجوز انه ارسل الى قوم اخرين سوى القوم الاول ويجوز
ان يكون ارسل الى الاولين ثانيا بشريعة فامنوا بها البحث الثاني ظاهر قوله تعالى او يزيدون يوجب الشك وذلك على الله تعالى محال
وهو نظير قوله تعالى عذرا او نذرا وقوله تعالى لعله يتذكر او يخشى وقوله تعالى لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا فقوله تعالى وما
امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى واجابوا عنه من وجوه كثيرة والاصح منها وجهان احد
هما ان يكون المعنى او يزيدون في تقديركم يعني انه اذا راهم الرائي قال هؤلاء مائة الف او يزيدون على المائة وهذا هو الجواب عن كل ما يشبه
هذا ثم قال تعالى فامنوا فمتعناهم الى حين والمعنى ان اولئك الاقوام لما امنوا ازال الله تعالى الخوف عنهم وامنهم من العذاب ومتعهم الله تعالى
الى حين اي الى الوقت الذي جعله الله اجلا لكل واحد منهم والله تعالى اعلم **قوله تعالى** فاستفتهم الربك البنات ولهم
البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات
على البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة
نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وفيه مسائل **المسألة الاولى** اعلم انه تعالى لما ذكر اقاصيص
الانبياء عليهم السلام عاد الى تهجين مذاهب المشركين وبيان قبحها وسخافتها ومن جملة اقوالهم الباطلة انهم اثبتوا الاولاد لله ثم زعموا
انها من جنس الاناث لا من جنس الذكور فقال تعالى فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون وهذا معطوف على قوله تعالى في اول السورة
فاستفتهم اهم اشد خلقا وذلك لانه امر رسوله صلى الله عليه وسلم باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام
موصولا بعضه ببعض الى ان امره بان يستفتيهم في انهم لم اثبتوا لله سبحانه البنات ولهم البنين ونقل الواحدي عن المفسرين

انهم

انهم قالوا ان قريشا واجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح قالوا الملائكة بنات الله **واعلم** ان هذا الكلام
يشتمل على امرين احدهما اثبات البنات لله تعالى وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنت والشي الذي يستنكف
المخلوق منه كيف يمكن اثباته للخالق والثاني اثبات ان الملائكة اناث وهذا ايضا باطل لان طريق العلم اما الحس واما الخبر
واما النظر اما الحس فمفقود ههنا لانهم ما شهدوا كيف خلق الله الملائكة وهو المراد من قوله تعالى ام خلقنا الملائكة اناثا وهم
شاهدون واما الخبر فمفقود ايضا لان الخبر انما يفيد العلم اذا علم كونه صدقا قطعا وهؤلاء الذين يخبرون عن هذا الحكم كذابون افاكون
لم يدل على صدقهم لا دلالة ولا امارة وهو المراد من قوله تعالى الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون واما النظر فمفقود وبيانه
من وجهين الاول ان دليل العقل يقتضي فساد هذا المذهب لانه تعالى اكمل الموجودات والاكمل لا يليق به اصطفاء البنات على البنين ما لكم
كيف تحكمون يعني اسناد الافضل الى الافضل اقرب عند العقل من اسناد الاخس الى الافضل فاذا كان حكم العقل معتبرا في هذا الباب كان قولكم
باطلا والوجه الثاني ان نترك الاستدلال على فساد مذهبهم بل نطالبهم باثبات الدليل الدال على صحة مذهبهم فاذا لم يجدوا دليل
الدليل فعنده يظهر انه لم يوجد ما يدل على صحة قولهم وهذا هو المراد من قوله تعالى ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين
فثبت بما ذكرنا ان القول الذي ذهبوا اليه لم يدل على صحته لا الحس ولا الخبر ولا النظر فكان المصير اليه باطلا قطعا واعلم انه تعالى لما طالبهم
بما يدل على صحة مذهبهم دل ذلك على ان التقليد باطل وان الدين لا يصح الا بالدليل **المسألة الثانية** اصطفى البنات على البنين
قراءة العامة بفتح الهمزة وقطعها من اصطفى ثم حذف الف الوصل وهو استفهام توبيخ وتقريع لقوله تعالى ام اتخذ مما يخلق بنات
وقوله تعالى ام له البنات ولكم البنون وقوله تعالى الكم الذكر وله الانثى كما ان هذه المواضع كلها استفهام فكذلك في هذه الاية
وقرا نافع في بعض الروايات لكاذبون اصطفى موصولة بغير استفهام واذا ابتدا كسر الهمزة على وجه الخبر والتقدير اصطفى البنات
في زعمهم كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم في زعمه واعتقاده ثم قال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا **واختلفوا**
في المراد بالجنة على وجوه الاول قال مقاتل اثبتوا نسبا بين الله تعالى وبين الملائكة حتى زعموا انهم بنات الله وعلى هذا القول
عندي مشكل فالجنة هم الملائكة سموا جنا لاجتنانهم عن الابصار او لانهم خزان الجنة واقول هذا القول عندي مشكل لانه تعالى ابطل
قولهم الملائكة بنات الله ثم عطف عليه قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا والعطف يقتضي كون المعطوف مغايرا للمعطوف
عليه فوجب ان يكون المراد من هذه الاية غير ما تقدم الثاني قال مجاهد قالت كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم ابو بكر الصديق
فمن امهاتهم قالوا سروات الجن وعندي هذا ايضا بعيد لان المصاهرة لا تسمى نسبا والثالث روينا في تفسير قوله تعالى
وجعلوا لله شركاء الجن ان قوما من الزنادقة يقولون الله وابليس اخوان فالله تعالى هو الخير الكريم وابليس هو الاخ الشرير الخسيس
فقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا المراد منه هذا المذهب وعندي ان هذا القول اقرب الاقاويل وهو مذهب المجوس القائلين
بيزدان واهرمن ثم قال تعالى ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي قد علمت الجنة ان الذين قالوا هذا القول محضرون النار معذبون
وقيل المراد ولقد علمت الجنة انهم سيحضرون العذاب فعلى الاول الضمير عائد الى قائل هذا القول وعلى القول الثاني عائد الى الجنة انفسهم ثم
انه تعالى نزه نفسه عما قالوا من الكذب فقال سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين وفي هذا الاستثناء وجوه قيل استثناء
من المحضرين يعني انهم ناجون وقيل هو استثناء من قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقيل هو استثناء منقطع من المحضرين ولكن
المخلصون برآء من ان يصفوه والمخلص بكسر اللام من اخلص الاعتقاد والعبادة لله تعالى وبفتحها من اخلصه الله تعالى بلطفه والله تعالى اعلم
**قوله تعالى** فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم وما منا الا له مقام معلوم و
انا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله
المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون فيه مسائل **المسألة الاولى** اعلم انه تعالى لما ذكر الدلائل على فساد مذاهب الكفار
اتبعه بما نبه به على ان هؤلاء الكفار لا يقدرون على حمل احد على الضلال الا اذا كان قد سبق حكم الله في حقه بالعذاب
والوقوع في النار وذكر صاحب الكشاف في قوله تعالى فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين قولين الاول ان الضمير في عليه لله عز
وجل ومعناه فانكم ومعبوديكم ما انتم وهم جميعا بفاتنين الا اصحاب النار الذي سبق في علم الله تعالى كونهم من اهل النار فان قيل
كيف تفتنونهم على الله قلنا تفسدونهم عليه باغوائكم من قولك فتن فلان على فلان امراته كما تقول افسدها عليه والوجه الثاني
ان يكون الواو في قوله تعالى فانكم وما تعبدون بمعنى مع كما في قوله كل رجل وضيعته فكما جاز ان يسكت على قوله فانكم وما
تعبدون لسد مسد الخبر لان معناه فانكم وما تعبدون والمعنى فانكم مع الهتكم اي فانكم قرناؤهم واصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال تعالى ما انتم
اي على ما تعبدون بفاتنين ساعين او حاملين على طريق الفتنة والاضلال الا من هو صال الجحيم مثلكم وقرا الحسن صال الجحيم بضم اللام ووجهه
ان يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين فان قيل كيف يستقيم الجمع مع قوله من هو قلنا من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على اللفظ
والصالون على معناه **المسألة الثانية** احتج اصحابنا بهذه الاية على انه لا تاثير لايحاء الشيطان ووسوسته وانما المؤثر قضاء الله
وتقديره لان قوله تعالى فانكم وما تعبدون من دون الله ما انتم عليه بفاتنين تصريح بانه لا تاثير لاحوال معبودهم في وقوع الفتنة والضلال
وقوله تعالى الا من هو صال الجحيم يعني الا من كان كذلك في حكم الله تعالى وتقديره وذلك تصريح بان المقتضي لوقوع هذه الحوادث حكم
الله تعالى وكان عمر بن عبد العزيز يحتج بهذه الاية في اثبات هذا المطلوب قال الجبائي المراد ان الذين عبدوا الملائكة وزعموا انهم بنات الله لا يكفرون احدا
الا من سبق في معلوم الله انه سيكفر فدل بهذا على ان من وصل بدعاء الشيطان يصح بهذا ان كل من يعصي لم يكن ليصلح عند السعي الا فعال
والجواب حاصل هذا الكلام انه لا تاثير لاغواء شياطين الانس والجن وهذا لا نزاع فيه الا ان وجه الاستدلال انه تعالى بين انه لا تاثير

لكلامهم في وقوع الفتنة ثم استثنى عنه قوله تعالى الا من هو صال الجحيم فوجب ان يكون المراد من وقوع الفتنة هو كونه محكوما عليه بانه صال الجحيم وذلك تصريح بان حكم الله تعالى بالسعادة والشقاوة وهو الذي يوثر في حصول السعادة والشقاوة **واعلم** ان اصحابنا قرروا هذه الحجة بالحديث المشهور وهو ان حج آدم موسى قال القاضي هذا الحديث لم يقبله علما التوحيد لانه يوجب ان لا يلام احد على شيء من الذنوب لانه ان كان آدم لا يجوز لموسى ان يلومه على عمل كتبه الله تعالى عليه قبل ان خلقه فكذلك كل مذنب واقال فان صحت هذه الحجة لادم عليه السلام فلماذا قال موسى عليه السلام في الوكزة هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين وقال فلن اكون ظهيرا للمجرمين ولام فرعون وجنوده على كفره الله تعالى عليهم ومن عجيب امرهم انهم يكفرون القدرية وهذا الحديث يوجب ان موسى كان قدريا فلزمهم ان يكفروه وكيف يجوز مع قول آدم وحوا عليهما السلام ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ان تحتج على موسى بانه لا لوم عليه وقد كتب عليه ذلك قبل ان خلقه هذا جملة كلام القاضي فقال له هب انك لا تقبل ذلك الخبر فهل ترد هذه الاية ام لا فانا بينا ان صريح هذه الاية يدل عليه انه لا للوسواس في هذا الباب فان الكل يحصل بعلم الله تعالى والذي يدل عليه وجوه الاول ان الكافر ان ضل بسبب وسوسة الشيطان فضلال الشيطان ان كان بسبب وسوسة شيطان اخر لزم تسلسل الشياطين وهو محال وان انتهى الى ضلال له يحصل بسبب وسوسة مقدمة فهو المطلوب الثاني ان كل احد يريد ان يحصل لنفسه الاعتقاد الحق والدين الصدق فحصول ضده يدل على انه ذلك ليس به الثالث ان الافعال موقوفة على الدواعي وحصول الدواعي بخلق الله تعالى فيكون الكل من الله تعالى الرابع انه تعالى لما اقتضت حكمته سبق علمه وقوعه فلو لم يقع ذلك الشي لزم انقلاب ذلك الحكم كذبا وانقلاب ذلك العلم جهلا وهو محال واما الايات التي تمسك بها القاضي فهي معارضة بالايات الدالة على ان الكل من الله والقران كالبحر المملو من هذه الايات فسعى الدلايل العقلية التي ذكرناها سليمة والله تعالى اعلم ثم قال تعالى وما منا الا له مقام معلوم فالجمهور على انهم الملايكة وصفوا انفسهم بالمبالغة في العبودية فانهم يقطعون للصلوة والتسبيح والغرض منه التنبيه على فساد قول من يقول انهم اولاد الله تعالى وذلك ان مبالغتهم في العبودية **واعلم** ان هذه الايات تدل على ثلاثة انواع من صفات الملايكة فاولها قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وهذا يدل على ان لكل واحد منهم مرتبة لا يتجاوزها ودرجة لا يتعدى عنها وتلك الدرجات اشارة الى درجاتهم في التصرف في اجسام هذا العالم الى درجاتهم في معرفة الله تعالى اما درجاتهم في التصرف والافعال فهي قوله تعالى وانا لنحن الصافون والمراد كونهم صافين في ادا الطاعات ومنازل الخدمة والعبودية واما درجاتهم في المعارف فهي قوله تعالى وانا لنحن المسبحون والتسبيح تنزيه الله تعالى عما لا يليق به **واعلم** ان قوله تعالى وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون يفيد الحصر ومعناه انهم هم الصافون في مواقف العبودية لا غيرهم وذلك يدل على ان طاعات البشر ومعارفهم بالنسبة الى طاعات الملايكة والى معارفهم كالعدم كيف يصح هذه الحصر وبالجملة فهذه الالفاظ الثلثة تدل على اسرار عجيبة من صفات الملايكة فكيف يجوز مع هذا الحصر ان يقال البشر يقرب درجته من الملك فضلا عن ان يقال هذا هو افضل منه ام لا واما قوله تعالى وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين ان مشركي قريش وغيرهم كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التورية والانجيل لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ثم جاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتاب المهيمن على كل الكتب وهو القران فكفروا به ونظير هذه الاية قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا ثم قال تعالى فسوف تعلمون اي فسوف تعلمون عاقبة هذا الكفر والتكذيب والله تعالى اعلم **قوله تعالى**

ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين وابصرهم فسوف يبصرون افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

**اعلم** انه تعالى لما هدد الكفار بقوله تعالى فسوف تعلمون عاقبة كفرهم اردفه بما يقوي قلب الرسول عليه السلام فقال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وعده بنصرته قد تقدم والدليل عليه قوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي وايضا ان الخير مقتضي بالذات والشر مقتضي به بالعرض وما بالذات اقوى مما بالعرض واما النصرة والغلبة فكيف تكون بقوة الحجة وقد يكون بالدولة والاستيلاء وقد يكون بالدوام والثبات فالمومن وان صاروا مغلوبين في بعض الاوقات بسبب ضعف احوال الدنيا فهو الغالب فلا يلزم على هذه الاية ان يقال فقد قتل بعض الانبيا وقد هزم كثير من المومنين ثم قال تعالى لرسوله وقد اخبره بما تقدم فتول عنهم حتى حين والمراد ترك مقاتلتهم والصبر بما وعدناهم الى حين لمعمود ثم يحل بهم الحرم والندامة **واختلف** المفسرون فقيل المراد الى يوم بدر وقيل الى فتح مكة وقيل الى يوم القيمة ثم قال تعالى وابصرهم فسوف يبصرون والمعنى وابصرهم وما يقضى عليهم من القتل والاسر في الدنيا والعذاب في الاخرة فسوف يبصرونك مع ما قدرنا لك من النصرة والتاييد في الدنيا والثواب العظيم في الاخرة والمراد من الامر بابصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدالة على انها كانت واقعة لا محالة وان نهاية قربها كانها قدام ناظريك وقوله تعالى فسوف يبصرون للتهديد والوعيد ثم قال تعالى افبعذابنا يستعجلون والمعنى ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يهددهم بالعذاب وما راوا شيا فكانوا يستعجلون نزول ذلك العذاب على سبيل الاستهزا فبين تعالى ان ذلك الاستعجال جهل لان لكل شي من افعال الله تعالى وقتا معينا لا يتقدم ولا يتاخر فكان طلب حدوثه قبل مجي ذلك الوقت جهلا ثم قال تعالى في صفة العذاب



الذي يستعجلونه فاذا نزل بساحتهم اي هذا العذاب فساء صباح المنذرين وانما وقع التعبير عن هذه المعاني لانهم كانوا يقدمون على العادة في وقت الصباح فجعل ذكر ذلك الوقت كناية عن ذلك العمل ثم اعاد قوله تعالى وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون وقيل المراد من هذه الكلمة فيما تقدم من احوال الدنيا وفي هذه الكلمة احوال القيمة وعلى هذا التقدير فالتكرير زايل وقيل المراد من التكرير المبالغة في التهديد والتهويل ثم انه تعالى ختم السورة بخاتمة شريفة جامعة لكل المطالب العالية وذلك لان المهمات للعاقل معرفة احوال ثلثة فاولها معرفة اله العالم بقدر الطاقة البشرية واقصى ما يمكن عن ما به من صفات الله تعالى ثلثة اولها تنزيهه وتقديسه عن كل ما لا يليق بصفات الالهيه وهو قوله تعالى رب العزة فان الربوبية اشارة الى التربيه وهي دالة على كمال الحكمة والرحمة والعزة اشارة الى كمال القدرة وثالثها كونه منزها في الالهية عن الشريك والنظير وقوله رب العزة يدل على انه القادر على جميع الحوادث لان الالف واللام في قوله العزة تفيد الاستغراق واذا كان الكل ملكا له وملكا له لم يبق لغيره شي فثبت ان قوله تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون كلمة محتوية على اقصى الدرجات واكمل النهايات في معرفة العالم والمهم الثاني من مهمات العاقل ان يعرف انه كيف ينبغي ان يعامل نفسه ويعامل الخلق في هذه الحياة الدنيوية **واعلم** ان اكثر الخلق ناقصون ولا بد لهم من مكمل يكملهم ومرشد يرشدهم وهاد يهديهم وما ذاك الا الانبيا صلوات الله عليهم وسد تهذيب الفطرة شاهدة بانه يجب على الناقص الاقتدا بالكامل فنبه على هذا الحرف بقوله تعالى وسلام على المرسلين لان ذلك يدل على انهم في الكمال اللايق بالبشر فاقوا غيرهم فلا جرم يجب على كل من سواهم الاقتدا بهم والمهم الثالث من مهمات العاقل ان يعرف انه كيف يكون حاله بعد الموت **واعلم** ان معرفة هذه الحالة قبل الموت صعبة والاعتماد فيها على حرف واحد وهو ان اله العالم غني رحيم والغني الرحيم لا يعذب فنبه على هذا الحرف بقوله تعالى والحمد لله رب العالمين لان استحقاق الحمد لا يحصل الا بالانعام العظيم فبين هذا كونه منعما وظاهر كونه غنيا عن العالمين ومن في هذا الموضع كان الغالب منه هو الرحمة والفضل والكرم فكان هذا الحرف منبها على سلامة الحال بعد الموت وظهر بما ذكرنا ان هذه الخاتمة كالصدف المحتوية على درر اشرف من دراري الكواكب ونسال الله تعالى حسن الخاتمة والعاقبة في الدين والدنيا والاخرة والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

ص والقران ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص

فيه مسايل **المسئلة الاولى** الكلام المستقصى في امثال هذه الفواتح مذكور في اول سورة البقرة ولا باس باعادة بعض الوجوه فالاول انه مفتاح اسما الله تعالى التي اولها صاد كقولنا صادق الوعد صانع المصنوعات صمد والثاني معناه صدق محمد في كل ما اخبر عن الله تعالى الثالث معناه صد الكفار عن قبول هذا الدين قالوا قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم الرابع معناه ان القران مركب من الحروف وانتم قادرون عليها ولستم قادرين على معارضة القران فدل ذلك على ان القران معجز الخامس ان يكون صاد بكسر الدال من المصاداة وهي المعارضة ومنها الصدى وهو ما يعارض صوتك في الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه عارض القران بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه السادس انه اسم السورة والتقدير هذه صاد فان قيل هاهنا اشكالان احدهما ان قوله تعالى والقران ذي الذكر قسم واين المقسم عليه والثاني ان كلمة بل تقتضي رفع حكم ثبت قبلها واثبات حكم بعدها تناقض الحكم السابق فاين هذا المعنى هاهنا والجواب عن الاول من وجوه الاول ان يكون ص بمعنى صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيكون صاد هو المقسم عليه وقوله تعالى والقران ذي الذكر هو القسم الثاني ان يكون المقسم عليه محذوفا والتقدير سورة ص والقران ذي الذكر ان الكلام معجز لانا بينا ان قوله صاد والقران ذي الذكر ولما كان من المشهور ان محمدا صلى الله عليه وسلم يدعي في هذه السورة كونها معجزا كان قوله هذه صاد جاريا مجرى قوله هذه السورة المعجزة والحكم المذكور بعد كلمة بل هاهنا هو المنازعة والمشاقة في كونه كذلك فحصل المطلوب والله اعلم **المسئلة الثانية** قرا الحسن صاد بكسر الدال لاجل التقاء الساكنين وقرا عيسى بن عمر بنصب الدال بحذف حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلن واكثر القرا على الجزم لان الاسما العارية عن العوامل تذكر موقوفة الاواخر والله اعلم **الثالثة** في قوله ذي الذكر وجهان الاول المراد ذي الشرف قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقال تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وهذا مجاز من قولهم لفلان ذكر في الناس كما يقولون له صيت الثاني ذي البيان فيه قصص الاولين والاخرين وفيه بيان العلوم الاصلية والفرعية ونظيره من قوله تعالى ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر **الرابعة** قالت المعتزلة القران ذي الذكر والذكر محدث بيان الاول قوله تعالى لذكر لك وهذا ذكر مبارك والقران ذي الذكر وهو الذكر وبيان الثاني قوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث والجواب انا نصرف دليلكم الى الحروف والاصوات وهي محدثة اما قوله تعالى بل الذين كفروا والمراد منه الكفار من رؤسا قريش الذين يجوز عليهم الاجماع على الحسد والتكبر عن الانقياد الى الحق والعزة هاهنا التعظم وما يعتقده الانسان في نفسه من الاحوال التي تمنعه من متابعة الغير كقوله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم والشقاق هو اظهار المخالفة على جهة المساواة للمخالف او على جهة الفضيلة عليه وهو ماخوذ من الشق كانه يرتفع عن ان يلزمه الانقياد له بل يجعله نفسه في شق وخصمه في شق فيريد ان يكون في شق نفسه لا يجري عليه حكم خصمه ومثله المعاداة وهو ان يكون احدهما في عدوة والاخر في عدوة وهي جانب الوادي وكذلك المحاداة ان يكون هذا في حد غير حد الاخر ويقال انحرف فلان عن فلان وجانب فلان فلانا اذا صار منه على حرف وجانب غير جانبه والله تعالى اعلم ثم انه تعالى لما وصفهم بالعزة والشقاق خوفهم لما

فقال تعالى كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا والمعنى انهم نادوا عند نزول العذاب في الدنيا ولم يذكر باي شي نادوا وفيه وجوه الاول
هو الاظهر انهم نادوا بالاستغاثة لان نداء من نزل به العذاب ليس الا الاستغاثة الثاني نادوا بالايمان والتوبة عند معاينة
العذاب الثالث نادوا اي رفعوا اصواتهم يقال فلان اندى صوتا من فلان اي ارفع ثم قال تعالى ولات حين مناص يعني ولم يكن
ذلك الوقت وقت فرار من العذاب وهو كقوله تعالى فلما راوا باسنا قالوا امنا وقال تعالى حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجارون
الجار رفع الصوت بالتضرع والاستغاثة وهو كقوله تعالى الآن وقد عصيت قبل وقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا بقي
هاهنا ابحاث البحث الاول في تحقيق الكلام في لفظة لات زعم الخليل وسيبويه ان لات هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث
كما زيدت على رب وثم للتوكيد وبسبب هذه الزيادة حدثت احكام جديدة منها ان لا يدخل على الاحيان ومنها انه لا يبرز الا من جنسيها
اما الاسم والخبر ويمتنع بروزهما جميعا وقال الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وحين مناص منصوب
بها كانك قلت ولات حين مناص لهم ويرفع بالابتداء اي ولا حين مناص كاين لهم الثاني الجمهور يقفون على التاء من قوله
ولات واما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما تقف على الاسماء المونثة قال صاحب الكشاف واما قول ابي عبيد التاء داخلة على حين فلا وجه له
واستشهاده بان التاء ملتزقة بحين في مصحف عثمان فلم وقعت في المصحف اشياء خارجة عن قياس الخط البحث الثالث المناص المنجا
والغوث يقال ناصه ينوصه اذا اغاثه واستناص طلب المناص والله تعالى اعلم **قوله تعالى** وعجبوا ان جاءهم
منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشي عجاب وانطلق الملا
منهم ان امشوا واصبروا على الهتكم ان هذا لشي يراد ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق **اعلم**
انه تعالى لما حكى عن الكفار كونهم في عزة وشقاق اردفه بقوله كم اهلكنا ثم شرح كلماتهم الفاسدة فقال تعالى وعجبوا ان جاءهم منذر منهم
وفي قوله منهم وجهان الاول انهم قالوا ان محمدا مساو لنا في الخلقة الظاهرة والاخلاق الباطنة والنسب والشكل والصورة
فكيف يعقل ان يختص من بيننا بهذا المنصب العالي والدرجات الرفيعة والثاني الغرض من هذه الكلمة التنبيه على كمال جهالتهم وذلك
لانهم جاءهم رجل منهم يدعوهم الى التوحيد وتعظيم الملايكة والترغيب في الاخرة والتنفير عن الدنيا ثم ان هذا الرجل من اقاربهم
يعلمون انه كان بعيدا عن الكذب والتهمة وكل ذلك مما يوجب الاعتراف بتصديقه ثم ان هولاء الاقوام لحماقتهم يتعجبون من قوله و
نظيره قوله تعالى ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون فقال تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم ومعناه ان محمدا كان من رهطهم و
عشيرتهم وكان مساويا لهم في الاسباب الدنيوية فاستنكفوا من الدخول تحت طاعته ومن الانقياد لتكاليفه وعجبوا
ان يختص هو من بينهم برسالة الله تعالى وان يتميز عنهم بهذه الخاصية الشريفة وبالجملة فما كان لهذا التعجب سبب الا الحسد
ثم قال تعالى وقال الكافرون هذا ساحر كذاب والمعلم يقول بل قال وقال الكافرون اظهارا للغضب ودلالة على ان هذا القول لا يصدر
الا عن الكفر التام فان الساحر هو الذي يمنع من طاعة الله تعالى ويدعو الى طاعة الشيطان وهو عندهم بالعكس من ذلك و
الكذاب هو مخبر عن الشي لا على ما هو عليه وهو مخبر عن وجود الصانع القديم الحكيم وعن الحشر وساير الاشيا التي دلت بدلايل
العقول عليه **احدها** ما يتعلق بالالهيات **وثانيها** ما يتعلق بالنبوات **وثالثها** ما يتعلق بالمعاد
اما الشبهة المتعلقة بالالهيات فهي قولهم اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشي عجاب روي انه لما اسلم عمر فرح المسلمون
فرحا شديدا وشق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى ابي طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا
وقد علمت ما فعل هولاء السفهاء يعنون المسلمين فجينا لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر ابو طالب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال يا ابن اخي هولاء قومك يسالونك السوال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا يسالون
قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم اتعطوني
انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم العجم قالوا نعم قال فقولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل الالهة الها
واحدا ان هذا لشي عجاب اي بليغ في التعجب واقول منشا التعجب من وجهين الاول ان القوم ما كانوا اصحاب النظر والاستدلال
بل كانت اوهامهم تابعة للمحسوسات فلما وجدوا في الشاهد ان الفاعل الواحد لا تفي قدرته وعلمه بحفظ الخلق العظيم
قاسوا الغايب على الشاهد فقالوا لا بد في حفظ هذا العالم الكبير من الهة كثيرة يتكفل كل واحد منهم بحفظ نوع اخر
والوجه الثاني ان اسلافهم لكثرتهم وقوة عقولهم كانوا مطبقين على الشرك فقالوا من العجب العجاب ان يكون اولئك الاقوام على كثرتهم
وقوة عقولهم كانوا جاهلين مبطلين وهذا الانسان الواحد يكون محقا صادقا واقول لعمري لو سلمنا اجراء حكم الشاهد
على الغايب من غير دليل وحجة لكانت الشبهة الاولى لازمة ولما توافقنا على فسادها علمنا ان اجراء حكم الشاهد على الغايب
فاسد قطعا واذا بطلت هذه القاعدة فقد بطل اصل كلام المشبهة في الذات وكلام المشبهة في الافعال اما المشبهة في الذات
فهو انهم يقولون لما كان كل موجود في الشاهد يجب ان يكون جسما ومختصا بحيز وجب في الغايب ان يكون كذلك سبحان الله تعالى
فثبت بما ذكرنا انه ان صح كلام هولاء المشبهة في الذات وفي الافعال لزم القطع بصحة شبهة هولاء المشركين وحيث
تواضعنا على فسادها علمنا ان عمدة كلام المجسمة وكلام المعتزلة باطل فاسد واما الشبهة الثانية فلعمري لو كان التقليد
حقا لكانت هذه الشبهة لازمة وحيث كانت فاسدة علمنا ان التقليد باطل ثم هاهنا ابحاث **البحث الاول** العجاب
هو العجيب الا انه ابلغ من العجيب كقولهم طويل وطوال وعريض وعراض وكبير وكبار وقد يشدد للمبالغة فيقال كبار كقوله تعالى ومكروا مكرا
كبارا **الثاني** قال صاحب الكشاف قرى عجاب بالتخفيف والتشديد ابلغ من التخفيف كقوله تعالى مكرا كبارا ثم قال تعالى

وانطلق الملا منهم قد ذكرنا ان الملا عبارة عن قوم الذين اذا حضروا في المجالس فانه تملا القلوب والعيون من مهابتهم وعظمتهم
وقوله منهم اي من قريش انطلقوا عن مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم العقد قايلين بعضهم
لبعض امشوا واصبروا على الهتكم وفيه مباحث **البحث الاول** القراة المشهورة ان امشوا وقرا ابن ابي عبلة امشوا
بحذف ان قال صاحب الكشاف ان بمعنى اي لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما
جرى من المجلس المتقدم وكان انطلاقهم مضمنا معنى القول وعن ابن عباس وانطلق الملا منهم يمشون الثاني معنى ان قال
بعضهم لبعض امشوا واصبروا فلا حيلة لكم في دفع امر محمد ان هذا الشي يراد وفيه ثلاثة اوجه اولها ظهور دين محمد عليه
السلام ليس له سبب ظاهر فثبت ان تزايد ظهوره ليس الا لان الله تعالى يريده وما اراد الله تعالى كونه فلا دافع
له وثانيها ان هذا الامر شي من نوايب الدهر فلا انفكاك لنا منه وثالثها ان دينكم لشي يراد ان يطلب ليوخذ منكم قال
القفال رحمه الله تعالى هذه الكلمة تذكر للتهديد والتخويف وكان معناها انه ليس غرض محمد عليه السلام من هذا القول
تقرير الدين وانما غرضه ان يستولي علينا فيحكم في اموالنا واولادنا بما يريد ثم قال ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة الملة
الاخرة هي ملة النصارى فقالوا ان هذا التوحيد الذي اتى به محمد ما سمعناه في دين النصارى او يكون المراد بالملة الاخرة
ملة قريش التي ادركوا اباءهم عليها ثم قالوا ما هذا الا اختلاق اي افتعال وكذب وحاصل الكلام في هذا الوجه انهم
قالوا نحن ما سمعنا عن اسلافنا القول بالتوحيد فوجب ان يكون باطلا وعلمنا ان القول بالتقليد باطل والله تعالى اعلم
بالصواب **قوله تعالى** اانزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب ام عندهم
خزاين رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب جند ما هنالك
مهزوم من الاحزاب **اعلم** ان هذا هو الشبهة الثانية لاوليك الكفار وهي الشبهة المتعلقة بالنبوات وهي ان قولهم لما كان محمد
مساويا لغيره في الذات والصفات والخلقة الظاهرة والاخلاق الباطنة فكيف يعقل ان يختص هو بهذه الدرجة العالية والمرتبة الرفيعة
وهو المراد من قوله تعالى اانزل عليه الذكر من بيننا فانه استفهام على سبيل الانكار وحكى الله تعالى عن قوم صالح عليه السلام انهم قالوا مثل
هذا القول اؤلقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب اشر وحكى الله تعالى عن قوم محمد صلى الله عليه وسلم ايضا انهم قالوا لولا انزل هذا
القران على رجل من القريتين عظيم وتمام الكلام في تقرير هذه الشبهة ان قالوا النبوة اشرف المراتب فوجب ان لا يحصل الا لاشرف الناس فوجب ان لا يحصل
له النبوة والمقدمتان الاوليان حقتان لكن الثالثة كاذبة وسبب رواج هذا الغلط عليهم انهم ظنوا ان الشرف لا يحصل الا بالمال
والاعوان وذلك باطل فان مراتب السعادات ثلثة اعلاها وهي النفسانية واوسطها وهي البدنية وادونها وهي الخارجية
وهي المال والجاه عند غيره اكثر فظنوا ان غيره اشرف منه فحينئذ انعقد هذا القياس الفاسد في افكارهم ثم انه تعالى اجاب عن هذه الشبهة
من وجوه الاول قوله تعالى بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب وفيه وجهان احدهما ان قوله تعالى بل هم في شك من ذكري اي من الدلايل التي
لو نظروا فيها لزال هذا الشك عنهم وذلك لان كل ما ذكروه من الشبهات فهي كلمات ضعيفة واما الدلايل التي تدل على صحة نبوته
فهي دلايل قاطعة فلو تاملوا حق التامل في الكلام لوقفوا على ضعف الشبهات التي تمسكوا بها في ابطال النبوة ولعرفوا صحة
الدلايل الدالة على نبوته بحيث لم يعرفوا ذلك كان لاجل انهم تركوا النظر والاستدلال فاما قوله تعالى بل لما يذوقوا عذاب فموقعه
من هذا الكلام انه تعالى يقول ان هولاء انما تركوا النظر والاستدلال لانهم لم يذوقوا عذاب ولو ذاقوه لم يبق منهم الا الاقبال
على اداء المامورات والانتهاء عن المنهيات وثانيهما ان يكون المراد من قوله تعالى بل هم في شك من ذكري هو ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يخوفهم من عذاب الله تعالى لو اصروا على الكفر ثم انهم اصروا على الكفر وما نزل عليهم العذاب فصار ذلك سببا لشكهم في صدقه وقالوا
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة فقال تعالى بل هم في شك من ذكري معناه ما ذكرناه قوله تعالى بل لما يذوقوا
عذاب معناه ان ذلك الشك انما حصل بسبب عدم نزول العقاب والوجه الثاني من الوجوه التي ذكرها الله تعالى في الجواب على
تلك الشبهة قوله تعالى ام عندهم خزاين رحمة ربك العزيز الوهاب وتقرير هذا الجواب ان منصب النبوة منصب عظيم ودرجة عالية
والقادر على هبتها يجب ان يكون عزيزا اي كامل القدرة وهابا اي عظيم الجود وذلك هو الله سبحانه وتعالى واذا كان تعالى
كامل القدرة كامل الجود لم يتوقف كونه واهبا لهذه النعمة على كون الموهوب غنيا او فقيرا ولم يختلف ذلك ايضا بسبب ان اعداوه
يحبونه او يكرهونه والوجه الثالث في الجواب عن هذه الشبهة قوله تعالى ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا
في الاسباب **واعلم** انه يجب ان يكون المراد من هذا الكلام مغايرا للمراد من قوله تعالى ام عندهم خزاين رحمة ربك
والفرق ان خزاين الله تعالى غير متناهية كما قال تعالى وان من شي الا عندنا خزاينه ومن جملة تلك الخزاين هو هذه
السموات والارض فلما ذكر الخزاين اولا على عمومها اردفها بذكر ملك السموات والارض وما بينهما يعني ان هذه الاشيا
احد انواع خزاين الله فاذا كنتم عاجزين عن هذا القسم فان تكونوا عاجزين عن كل خزاين الله اولى فهذا ما امكن ذكره
في الفرق بين الكلامين اما قوله تعالى فليرتقوا في الاسباب فالمعنى انهم لما ادعوا ان لهم ملك السموات فعند هذا
يقال لهم ارتقوا في الاسباب واصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم
وملكوت الله تعالى وينزلوا الوحي على من يختارون **واعلم** ان حكما الاسلام استدلوا بقوله تعالى فليرتقوا في
الاسباب على ان الاجرام الفلكية وما اودع الله تعالى فيها من القوى والخواص اسباب لحوادث العالم السفلي لان الله تعالى
سمى الفلكيات اسبابا وذلك يدل على ما قلناه والله اعلم قوله تعالى جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب ففيه مقامات البحث

احدها تفسير هذه الالفاظ والثاني كيفية تعلقها بما قبلها اما المقام الاول فقوله تعالى جند مبتدا وما للابهام كقوله حيث لامرما وعندي طعام ما ومن الاحزاب صفة الجند ومهزوم خبر المبتدا واما قوله هنالك فيجوز ان يكون صفة الجند اي في ذلك الموضع الذين كانوا يذكرون هذه الكلمات الطاعنة في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واما المقام الثاني فهو انه تعالى لما قال ان كانوا يملكون السموات والارض فليرتقوا في الاسباب ذكر عقيبه انهم جند من الاحزاب مهزومون ضعيفون يكونون مالكين السموات والارض وما بينهما قال قتادة هنالك اشارة الى يوم بدر فاخبر الله تعالى بمكة انه سيهزم جند المشركين فجاء تاويلها يوم بدر وقيل يوم الخندق والاصوب عندي حمله على يوم فتح مكة وذلك لان المعنى انهم جند سيصيرون منهزمين في الموضع الذي ذكروا فيه هذه الكلمات وذلك الموضع هو مكة فوجب ان يكون المراد انهم سيصيرون منهزمين في مكة وما ذاك الا يوم الفتح والله تعالى اعلم **قوله تعالى** كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق **اعلم** انه تعالى لما ذكر الجواب عن الشبهة التي ذكروها في الاستدلال لاجل انهم لم ينزل بهم العقاب بين تعالى في هذه الاية ان اقوام سائر الانبياء هكذا كانوا ثم بالاخرة نزل بهم ذلك العقاب والمقصود منه تخويفا ولئك الكفار الذين كانوا يكذبون الرسول في اخباره عن نزول العقاب عليهم فذكر الله تعالى ستة اصناف اولهم قوم نوح ولما كذبوا نوحا اهلكهم الله تعالى بالغرق وبالطوفان والثاني عاد قوم هود لما كذبوا اهلكهم الله تعالى بالريح والثالث فرعون لما كذبوا موسى اهلكه الله تعالى مع قومه بالغرق والرابع قوم صالح لما كذبوه فاهلكوا بالصيحة والخامس قوم لوط كذبوه فاهلكوا بالخسف والسادس اصحاب الايكة وهم قوم شعيب كذبوه فاهلكوا بعذاب يوم الظلة وقالوا ثم وصف الله تعالى فرعون بكونه ذو الاوتاد وذكروا فيه وجوها الاول ان اصل هذه الكلمة من ثبات البيت المطنب باوتاده ثم استعير لاثبات العز والملك قال الشاعر ولقد عنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد قال القاضي حمل الكلام على هذا الوجه اولى لانه لما وصف بتكذيب الرسل فيجب فيما وصف به ان يكون تفخيما للامر المعذب والثاني انه كان ينصب الخشب في الهواء وكان يمد يدي المعذب ورجليه الى تلك الخشب الاربع ويضرب على كل واحد من هذه الاعضاء وتدا ويتركه معلقا في الهواء الى ان يموت والثالث انه كان يمد المعذب بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات والرابع قال قتادة كانت اوتادا وارسالا وملاعب يلعب بها عنده والخامس ان عساكره كانوا كثيرين وكانوا كثيري الاهبة عظيمي النعم وكانوا يكثرون من الاوتاد لاجل الخيام فعرف بها والسادس الاوتاد وردوا الجمع الجموع الكثيرة وسميت بالجموع اوتادا لانهم يقوون امره ويشدون مملكته كما يقوي الوتد واما الايكة فهي الغيضة الملتفة ثم قال تعالى اولئك الاحزاب وفيه اقوال الاول ان هؤلاء الذين ذكرناهم من الامم هم الذين تحزبوا على انبيائهم فاهلكناهم فلذلك قومك لانه تعالى بين بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب ان قوم محمد جند من الاحزاب اي من جنس الاحزاب المتقدمين فلما ذكر انه عامل الاحزاب المتقدمين بالاهلاك كان ذلك تخويفا شديدا لقوم محمد صلى الله عليه وسلم الثاني ان معنا قوله تعالى اولئك الاحزاب مع كمال قوتهم لما كان عاقبتهم هو الاهلاك والبوار فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين **واعلم** ان اولئك الاقوام ان صدقوا بهذه الاخبار فهو تحذير وان لم يصدقوا به فهو تحذير ايضا لان اثار هذه الوقائع باقية وفيه نفع البطن القوي فيحذر وبه ولان ذكر ذلك على سبيل التكرير يوجب الحذر ايضا ثم قال تعالى ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب اي كل هذه الطوايف لما كذبوا انبياءهم في الترغيب والترهيب لاجرم نزل العقاب عليهم وان كان ذلك بعد حين والمقصود منه زجر السامعين ثم بين تعالى ان هؤلاء المكذبين وان تاخر هلاكهم فكانه واقع فقال تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وفي تفسير هذه الصيحة قولان الاول ان يكون المراد عذابا يحلهم ويجيئهم دفعة واحدة كما يقال صاح الزمان بهم اذا هلكوا قال صاح الزمان بال برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان ونشبه ان يكون اصل ذلك من العادة اذا قصد القوم فوقعت الصيحة فيهم ونظيره قوله تعالى فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين والقول الثاني ان هذه الصيحة هي صيحة النفخة الاولى في الصور كما قال تعالى في سورة يس ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون والمعنى انهم وان لم يذوقوا عذابي في الدنيا فهو معد لهم يوم القيمة وكانهم بذلك العذاب قد جاءهم فجعلهم منتظرين لها على معنى قربها منهم كالرجل الذي ينتظر الشيء فهو ماد الطرف اليه يطمع كل ساعة في حضوره ثم انه سبحانه وتعالى وصف هذه الصيحة بقوله تعالى ما لها من فواق قرا حمزة والكسائي فواق بضم الفاء والباقون بفتحها قال الكسائي والفراء وابو عبيدة والاخفش هما لغتان من فواق الناقة وهو ما بين حلبتي الناقة واصله من الرجوع يقال افاق من مرضه اي رجع الى الصحة فالزمان الحاصل بين الحلبتين لعود اللبن الى الضرع سمي فواقا بالفتح وبالضم كقولك قصاص الشعر وقصاصه قال الواحدي والفواق اسمان من الافاقة والافاقة معناها الرجوع والسكون كافاقة المريض الا ان الفواق بالفتح يجوز ان يقام مقام المصدر والفواق بالضم اسم لذلك الزمان الذي يعود فيه اللبن وروى الواحدي في البسيط عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في هذه الاية يامر الله تعالى اسرافيل فينفخ نفخة الفزع قال فيمدها ويطولها وهي التي يقول ما لها من فواق ثم قال الواحدي وهذا يحتمل معنيين احدهما ما لها سكون والثاني ما لها رجوع والمعنى ما تسكن تلك الصيحة ولا ترجع الى السكون ويقال لكل من بقي على حالة واحدة بانه لا يفيق منه ولا يستفيق والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب **قوله تعالى** وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب

اصبر

اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب **اعلم** انا ذكرنا في تفسير قوله تعالى وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ان القوم انما تعجبوا من الشبهات ثلاثة اولها ما يتعلق بالالهيات وهو قوله تعالى اجعل الالهة الها واحدا والثانية ما يتعلق بالنبوات وهو قوله تعالى اانزل عليه الذكر من بيننا والثالث ما يتعلق بالمعاد وهو قوله تعالى وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وذلك لان القوم كانوا في نهاية الانكار للقول بالحشر والنشر فكانوا يستدلون بفساد القول بالحشر والنشر على فساد نبوته والقط القسط من الشيء لانه قطعة منه من قطعه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث وعد المؤمنين بالجنة قالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا من الجنة او عجل لنا صحيفة اعمالنا حتى ننظر فيها **واعلم** ان الكفار لما بالغوا في السفاهة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قالوا ساحر كذاب وقالوا له على سبيل الاستهزاء عجل لنا قطنا امره الله تعالى بالصبر على سفاهتهم فقال تعالى اصبر على ما يقولون فان قيل اي تعلق بين قوله اصبر على ما يقولون وبين قوله تعالى واذكر عبدنا داود قلنا بيان هذا التعلق من وجوه الاول كانه قيل ان كنت قد شاهدت من هؤلاء الجهال جراءتهم على الله تعالى وانكارهم الحشر والنشر فاذكر قصة داود حتى تعرف شدة خوفه من الله تعالى ومن يوم الحشر فان بقدر ما يزداد احد الضدين شرفا يزداد الاخر نقصانا والثاني كانه قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم لا تضيق صدرك بسبب انكارهم لقولك ودينك فانهم خالفوك فالاكابر من الانبياء وافقوك والثالث ان للناس في قصة داود قولين منهم من قال انها تدل على ذنبه ومنهم من قال انها لا تدل عليه فمن قال بالاول وجد المناسبة فيه كانه قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ان حزنك ليس الا لان الكفار يكذبونك واما حزن داود فكان بسبب وقوعه في ذلك الذنب ولا شك ان حزنه اشد فتامل في قصة داود وما كان فيه من الحزن العظيم حتى تخفف عليك ما انت فيه من الحزن ومن قال بالثاني الخصمان اللذان دخلا على داود عليه السلام كانا من البشر وانما دخلا عليه لقصد قتله فخاف منهما داود عليه السلام ومع ذلك فلم يتعرض لايذائهما ولا دعا عليهما بسوء بل استغفر لهما على ما سيجيء تقرير هذه الطريقة فلا جرم امر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقتدي به في حسن الخلق الخامس ان قريشا انما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم واستخفوا به لقولهم في السر والامر انه يتيم فقير انه تعالى قص على محمد صلى الله عليه وسلم كمال مملكة داود ثم بين انه مع ذلك ما سلم من الاحزان والغموم ليعلم ان الخلاص من الحزن لا سبيل اليه في الدنيا والسادس ان قوله تعالى اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود لم يذكر داود فقط بل ذكر عقيب قصة داود عليه السلام قصص سائر الانبياء فكانه تعالى قال فاصبر على ما يقولون واعتبر بحال سائر الانبياء ليعلم ان كل واحد منهم كان مشغولا بهم خاص وحزن خاص فيعلم حينئذ ان الدنيا لا ينفك عن الهموم والاحزان وان استحقاق الدرجات العالية عند الله تعالى لا يحصل الا بتحمل المشاق والمتاعب في الدنيا فهذه وجوه ذكرناها في هذا المقام وها هنا وجه اخر اقوى واحسن من كل ما تقدم وسيجيء ذكره ان شاء الله تعالى عند الانتهاء الى تفسير قوله تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته **واعلم** انه تعالى ذكر بعد ذلك حال الانبياء التسعة من الانبياء فذكر حال ثلاثة منهم على التفصيل وحال ستة اخرى على الاجمال فالقصة الاولى قصة داود عليه السلام واعلم ان مجامع ما ذكره الله تعالى في هذه القصة ثلاثة انواع من الكلام فالاول تفصيل ما اتى داود عليه السلام من الصفات التي توجب سعادة الاخرة والدنيا والثاني ذكر الواقعة له من امر الخصمين والثالث استخلاف الله اياه بعد وقوع تلك الواقعة اما النوع الاول وهو شرح الصفات التي اتاها الله تعالى داود عليه السلام من الصفات الموجبة لكمال السعادة فهي عشرة الاول قوله لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود فامر محمد صلى الله عليه وسلم على جلالة قدره بان يقتدي في الصبر على طاعة الله تعالى بداود عليه السلام وذلك تشريف عظيم واكرام تام لداود عليه السلام حيث امر افضل الخلق محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقتدي به في مكارم الاخلاق والثاني انه قال في حقه عبدنا داود فوصفه بكونه عبدا له وعبر عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على نهاية التعظيم وذلك غاية التشريف الا ترى انه سبحانه وتعالى لما اراد ان يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج قال سبحان الذي اسرى بعبده فها هنا يدل على التشريف لداود عليه السلام فكان ذلك دليلا على علو درجته وايضا فانه وصف الله تعالى الانبياء بعبوديته مشعر بانهم قد حققوا المعنى العبودية بسبب الاجتهاد في الطاعة والثالث قوله تعالى ذا الايد اي ذا القوة اذا الطاعة والاحتراز عن المعاصي وذلك لانه تعالى لما مدحه بالقوة وجب ان تكون تلك القوة موجبة للمدح والقوة التي توجب المدح العظيم ليست الا القوة على فعل ما امر به وترك ما نهي عنه والايد المذكور ههنا كالقوة المذكورة في قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وقوله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وامر قومك ياخذوا باحسنها اي باجتهاد في اداء الامانة وتشدد في القيام بالدعوة وترك الاظهار للوهن والضعف والايد والقوة سواء ومنه قوله تعالى هو الذي ايدك بنصره وقوله تعالى وايدناه بروح القدس وقال تعالى والسماء بنيناها بايد وعن قتادة اعطي قوة في العبادة وفقها في الدين وكان يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر الرابع قوله تعالى انه اواب اي رجاع داود وكان رجاعا في اموره كلها الى طاعتي والاواب فعال من اب يؤوب اذا رجع كما قال تعالى ان الينا ايابهم وفعال بناء المبالغة كما يقال قتال وضراب فانه ابلغ من قاتل وضارب الخامس قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ونظير هذه الاية قوله تعالى يا جبال اوبي معه والطير وفيه مباحث البحث الاول في كيفية تسبيح الجبال وجوه الاول ان الله سبحانه وتعالى خلق في جسم الجبل حيوة وعقلا وقدرة ونطقا وحينئذ صار الجبل مسبحا لله

سبحانه وتعالى ونظيره قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا فان معناه انه تعالى خلق في الجبل عقلا وفهما ثم خلق فيه رؤية
الله تعالى فكذا ههنا الوجه الثاني في التاويل ما رواه القفال في تفسيره انه يجوز ان يقال ان داود عليه السلام قد اوتي من شدة الصوت
وحسنه ما كان له في الجبال دوي حسن وما تصغي الطير اليه بحسنه فيكون دوي الجبال وتصويت الطير معه واصغاؤها اليه
تسبيحا وذكر محمد بن اسحق ان الله تعالى لم يعط احدا من خلقه مثل صوت داود عليه السلام حتى انه اذا كان قرا الزبور دنت
منه الوحوش حتى يوخذ باعناقها الوجه الثالث ان الله تعالى سخر الجبال حتى كانها كانت تسير الى حيث يريده داود عليه السلام وجعل
ذلك السير تسبيحا لانه كان يدل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته البحث الثاني قال صاحب الكشاف يسبحن في معنى مسبحات فان قالوا هل من
فرق بين يسبحن ومسبحات قلنا نعم فان صيغة الفعل تدل على الحدوث وصيغة الاسم على الدوام على ما بينه عبد القاهر النحوي في كتاب
دلايل الاعجاز اذا ثبت هذا فقوله يسبحن يدل على حدوث التسبيح من الجبال شيا بعد شيء وحالا بعد حال وكان السامع محاضر
تلك الجبال يسمعها تسبح البحث الثالث قال الزجاج يقال شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت وقيل هما بمعنى والاول اكثر تقول العرب
شرقت الشمس ولما تشرق البحث الرابع احتجوا على شرعية صلوة الضحى بهذه الاية عن ام هاني قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدعا بوضوء فتوضا ثم صلى صلوة الضحى وقال يا ام هاني هذه صلاة الاشراق وعن طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلوة الضحى
في القران قالوا لا فقرا انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وقال كانت صلوة يصليها داود عليه السلام لم يزل في نفسي
من صلوة الضحى شي حتى طلبتها فوجدتها في قوله تعالى يسبحن بالعشي والاشراق الصفة السادسة من صفات داود عليه السلام
قوله تعالى والطير محشورة كل له اواب وفيه مباحث البحث الاول قوله تعالى والطير معطوف على الجبال والتقدير وسخرنا الطير محشورة قال
ابن عباس كان داود عليه السلام اذا سبح جاوبته الجبال واجتمعت اليه الطير فسبحت معه واجتماعها اليه هو حشرها فيكون
على هذا التقدير حاشرها هو الله تعالى فان قيل كيف يصدر تسبيح الله تعالى عن الطير مع انه لا عقل لها قلنا لا يبعد ان يقال ان الله تعالى
كان يخلق لها عقولا حتى تعرف الله تعالى فتسبحه حينئذ وكان ذلك معجزة لداود عليه السلام الثاني قال صاحب الكشاف قوله محشورة
في مقابلة يسبحن الا انه لما لم يكن في الحشر مثل ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة على حدوث شيا بعد شيء فلا جرم جي به اسما لا فعلا
وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير محشورة تحشر على ان الحشر يوجد من حاشرها جملة واحدة دل على العد البحث الثالث قرئ والطير
محشورة بالرفع الصفة السابعة من صفات داود عليه السلام قوله تعالى كل له اواب ومعناه كل واحد من الطير والجبال اواب اي رجاع
اي كلما رجع داود عليه السلام الى التسبيح فهذه الاشيا ايضا كانت ترجع الى تسبيحاتها والفرق بين هذه الصفة وبين ما قبلها
ان فيما سبق علمنا ان الجبال والطير سبحت بتسبيحات داود عليه السلام وبهذا اللفظ فهمنا دوام تلك الموافقة وقيل الضمير
في قوله تعالى كل له اواب لله تعالى اي من كل من داود والطير والجبال لله اواب اي مسبح مرجع التسبيح الصفة الثامنة قوله تعالى وشددنا
ملكه اي قويناه وقال تعالى سنشد عضدك باخيك وقيل شددنا على المبالغة واما الاسباب الموجبة لحصول هذا الشد فكثيرة
وهي اما الاسباب الدنيوية او الدينية فذكروا فيه وجوها الاول روى الواحدي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه كان يحرس كل
ليلة ستة وثلثون الف رجل فاذا اصبح قيل ارجعوا فقد رضي عنكم نبي الله وزاد اخرون فذكروا اربعين الفا وكان اشد ملوك الارض
سلطانا وعن عكرمة عن ابن عباس ان رجلا استعدى داود على رجل اخذ منه بقره فانكر المدعى عليه قال داود وقال للمدعي
فاتاه الوحي بعد ذلك بان يقتله فاحضره وعلمه ان الله تعالى امره بقتله فقال المدعى عليه صدق الله اني كنت قد قتلت اب
هذا الرجل غيلة فقتله داود فهذه الواقعة شدت ملكه واما الاسباب الدينية الموجبة لهذا الشد فهي الصبر والتامل
التام والاحتياط الكامل الصفة التاسعة قوله تعالى واتيناه الحكمة واعلم انه تعالى قال ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
واعلم ان الفضايل على ثلاثة اقسام النفسانية والبدنية والخارجية والفضايل النفسانية محصورة في قسمين العلم
والعمل اما العلم فهو ان تصير النفس بالتصورات الحقيقية والتصديقات النفسانية بمقتضى الطاقة البشرية واما العمل
فهو ان يكون الانسان اتيا بالعمل الصالح الاصوب بمصالح الدنيا والاخرة فهذا هو الحكمة وانما سمي هذا بالحكمة لان اشتقاق الحكمة
من احكام الامور وتقويتها وبعدها عن اسباب الرخاوة والضعف والاعتقادات اليقينية الصحيحة لا تقبل النسخ والنقض
فكانت في غاية الاحكام واما الاعمال المطابقة لمصالح الدنيا والاخرة فانها واجبة الرعاية ولا تقبل النقض والنسخ فلهذا السبب سميت
تلك المعارف وهذه الاعمال بالحكمة الصفة العاشرة قوله تعالى وفصل الخطاب واعلم ان اجسام هذا العالم على ثلاثة اقسام
احدها ما يكون خالية عن الادراك والشعور وهي الجمادات والنبات وثانيها الذي يحصل له ادراك وشعور ولكنها لا يقدر على
تعريف غيره الاحوال التي عرفوها في الاكثر وهذا القسم جملة الحيوانات سوى الانسان وثالثها الذي يحصل له ادراك وشعور ويحصل
عنده قدرة على تعريف غيره الاحوال المعلومة عنده بالنطق والخطاب ثم ان الناس مختلفون في مراتب القدرة على التعبير عما في الضمير
فمنهم من يتعذر عليه ايراد الكلام المرتب المنتظم بل يكون مختلط الكلام مضطربه ومنهم من يقدر على الترتيب من بعض الوجوه
ومنهم من يكون قادرا على ضبط المعنى والتعبير عنه الى اقصى الغايات وكل من كانت هذه القدرة في حقه اكمل وكل من كانت تلك القدرة
في حقه اقل كانت تلك الاثار ضعيفة ولما بين الله تعالى كمال جوهر النفس النطقية التي لداود عليه السلام بقوله تعالى واتيناه
الحكمة اردفه ببيان كمال حاله في النطق واللفظ والعبارة فقال تعالى وفصل الخطاب وهذا الترتيب في غاية الجلالة ومن المفسرين من
فسر ذلك بان داود عليه السلام اول من قال في كلامه اما بعد واقول ان الذين يعبرون بامثال هذه الكلمات قد حرموا الوقوف
على معاني كلام الله تعالى حرمانا عظيما والله اعلم وقول من قال المراد منه معرفة الامور التي بها يفصل بين الخصوم وهو

طلب

طلب البينة واليمين فبعيد ايضا لان فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال ويحضر
في الخيال بحيث لا يختلط شي بشي وبحيث ينفصل كل مقام عن مقام وهذا معنى عام يتناول فصل الخصومات ويتناول الدعوة
الى الدين الحق ويتناول جميع الاقسام والله اعلم وههنا الكلام في الصفات العشر التي ذكرها الله تعالى في
مدح داود عليه السلام والله تعالى اعلم **قوله تعالى** وهل اتاك نبا الخصم اذ تسوروا المحراب
اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق
ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة
فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسوال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من
الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود
انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن ماب
**اعلم** انه تعالى لما مدحه واثنى عليه من الوجوه العشرة اردفه بذكر قصة يبين بها الاحوال الواقعة في هذه
القصة لا تنافي شيا منها كونه عليه السلام مستحقا للثنا والمدح والتعظيم اما قوله تعالى وهل اتاك نبا الخصم اذ
فهو نظير قوله تعالى هل اتاك حديث موسى وفايدة هذا الاستفهام التنبيه على جلالة القصة المستفهم عنها ليكون
داعيا الى الاصغا لها والاعتبار بها واقول للناس في هذه القصة ثلاثة اقوال احدها ذكر هذه القصة على وجه يدل على صدور
الكبيرة عنه وثانيها دلالتها على الصغيرة وثالثها ذكرها بحيث لا يدل على الكبيرة ولا على الصغيرة اما القول الاول فحاصل كلامهم فيه ان
داود عليه السلام عشق امراة اوريا فاحتال بالوجوه الكثيرة حتى قتل زوجها ثم تزوج بها فارسل الله تعالى ملكين في
صورة المتخاصمين في واقعة شبيهة بواقعته وعرضا تلك الواقعة عليه فحكم داود عليه السلام بحكم لزم منه اعترافه
بكونه مذنبا ثم تنبه لذلك فاشتغل بالتوبة والذي ادين به واذهب اليه ان ذلك باطل ويدل عليه وجوه احدها
ان هذه الحكاية لو نسبت الى افسق الناس واشدهم فجورا لاستنكف منها والرجل الحشوي الذي يقرر تلك القصة لو نسب
الى مثل هذا العمل لبالغ في تنزيه نفسه وربما لعن من نسبه اليها واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالعاقل
نسبة المعصوم اليه الثاني ان حاصل القصة يرجع الى امرين الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في زوجته
اما الاول فامر منكر قال صلى الله عليه وسلم من سعى في دم مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه
ايس من رحمة الله تعالى واما الثاني فمنكر عظيم قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه
ويده وان اوريا لم يسلم من داود عليه السلام لا في روحه ولا في منكوحه الثالث ان الله تعالى وصف داود
عليه السلام قبل ذكر هذه القصة بالصفات العشرة المذكورة ووصفه ايضا بصفات كثيرة بعد ذكر هذه القصة
وكل هذه الصفات ينافي كونه عليه السلام موصوفا بهذا الفعل المنكر والعمل القبيح ولا باس باعادة هذه الصفات
لاجل المبالغة في البيان فنقول اما الصفة الاولى فهي ان الله تعالى امر محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقتدي بداود عليه السلام
في الصبر مع المكاره ولو قلنا ان داود عليه السلام لم يصبر على المخالفة للنفس بل سعى في اراقة دم مسلم لغرض
شهوته فكيف يليق باحكم الحاكمين ان يامر محمدا صلى الله عليه وسلم افضل بان يقتدي بداود عليه السلام في الصبر
على طاعة الله تعالى واما الصفة الثانية وهو انه وصفه بكونه عبدا له وقد بينا ان المقصود من هذا الوصف
بيان كون ذلك الموصوف كاملا في موقف العبودية تاما في القيام باداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات ولو قلنا
ان داود عليه السلام اشتغل بتلك الاعمال الباطلة فحينئذ ما كان داود عليه السلام كاملا في عبوديته لله تعالى
بل كان كاملا في طاعة الهوى والشهوة واما الصفة الثالثة فهي قوله تعالى ذا الايد اي ذا القوة لا شك ان المراد منه
القوة في الدين لان القوة في غير الدين كانت موجودة في ملوك الكفار ولا معنى للقوة في الدين الا القوة الكاملة
في اداء الواجبات والاجتناب عن المحظورات واي قوة لمن لم يملك نفسه من القتل والرغبة في زوجة المسلم الصفة
الرابعة كونه اوابا كثير الرجوع الى الله تعالى فكيف يليق هذا بمن قلبه مشغوفا بالقتل والفجور الصفة الخامسة
قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه افترى انه سخرت له الجبال ليتخذه وسيلة الى القتل والفجور الصفة السادسة قوله
والطير محشورة وقيل انه كان محرما عليه صيد شي من الطير وكيف يعقل ان يكون الطير امنا منه ولا ينجو منه الرجل
المسلم على زوجه ومنكوحه الصفة السابعة قوله تعالى وشددنا ملكه ومحال ان يكون المراد انه تعالى شدد ملكه
باسباب الدنيا بل المراد انه تعالى شدد ملكه بما يقوى الدين واسباب سعادة الاخرة والمراد تشديد ملكه في الدين و
الدنيا ومن لا يملك نفسه عن القتل والفجور كيف يليق به ذلك الصفة الثامنة قوله تعالى واتيناه الحكمة
وفصل الخطاب والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علما وعملا فكيف يجوز ان يقال انا اتيناه الحكمة وفصل الخطاب مع اصراره
على ما يستنكف عنه الشيطان من مزاحمة اخص اصحابه في الروح والمنكوح فهذه الصفات المذكورة قبل شرح تلك
القصة وهي عشرة الاول قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن ماب وذكر هذا الكلام انما يناسب لو دلت القصة المتقدمة
على قوته في طاعة الله تعالى اما لو كانت القصة المتقدمة دالة على سعيه في القتل والفجور لم يكن قوله تعالى وان له عندنا
لزلفى وحسن ماب لايقا به الثاني قوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض وهذا يدل كذب تلك القصة من وجوه

احدها ان الملك الكبير اذا حكى عن بعض عبيده انه قصد دما الناس واموالهم وازواجهم فبعد فراغه عن شرح تلك القصة
علا ملا من الناس يقبح منه ان يقول انها العبد الذي وصفت اليك جلادتي وسياستي وذلك لان ذكر تلك القبايح والافعال
المنكرة يناسب الزجر والحجر فاجعله باننا وجعلته لنفسه فذلك السه مما لا يليق وثانيها انه ثبت في اصول الفقه القبيحه
ثم قال تعالى بعده انا جعلناك خليفة في الارض اشعر هذا بان الموجب لتفويض هذه الخلافة هو انه سلك الافعال المنكرة ومعلوم
ان هذا فاسد اما لو ذكرنا تلك القصة على وجه يدل على براءة ساحته عن المعاصي والذنوب وعلى شدة مصابرته على طاعة الله
تعالى مخلصا يناسب ان يذكر عقيبه انا جعلناك خليفة في الارض فثبت ان هذا الذي يحاده والثالث هو انه لما كانت مقدمة
الاية داله على شرح داود عليه السلام وتعظيمه وموخرته ايضا دالة على ذلك فلو كانت الواسطة داله على القبايح والمعايب
لجرى مجرى ان يقال فلان عظيم الدرجة على المرتبة في طاعة الله يقتل ويزني ويسرق وقد جعله الله تعالى خليفة له في ارضه وصوب
احكامه وكان هذا الكلام مما لا يليق بالعاقل فكذا هاهنا ومن المعلوم ان ذكر العشق والسعي في القتل من اعظم ابواب العيوب والرابع
وهو ان القايلين بهذا القول ذكروا في هذه الرواية ان داود عليه السلام تمنى ان يحصل له في الدين كما حصل للانبيا المتقدمين
من المنازل العالية مثل ما حصل للخليل عليه السلام من الالقا في النار وحصل للذبيح من الذبح وحصل ليعقوب عليه السلام
من الشدايد الموجبة لكثرة الثواب فاوحى الله تعالى اليه انهم انما وجدوا تلك الدرجات لانهم لما ابتلوا صبروا فعند ذلك سال
داود عليه السلام الابتلا فاوحى الله تعالى اليه انك مبتلى في يوم كذا فبالغ في الاحتراز ثم وقعت الواقعة فنقول اول حكايتهم يدل
على ان الله تعالى يبتليه بالبلا الذي يزيد في منقبته ويكمل مراتب اخلاصه فالسعي في قتل النفس بغير حق والافراط
في العشق كيف يليق بهذه الحالة ويحسان الحكاية التي ذكروها ينتقض اولها اخرها الخامس ان داود عليه السلام قال وان كثيرا
من الخلطا ليبغي بعضهم على بعض الا الذين امنوا استثنى الذين امنوا عن البغي فلو قلنا انه كان موصوفا بالبغي لزم انه تعالى انه حكم
بعدم الايمان على نفسه وذلك باطل السادس حضرت في بعض المجالس وحضر فيه بعض اكابر الملوك وكان يريد ان يتعصب لتقرير
ذلك القول الفاسد والقضية الخبيثة لسبب اقتضى ذلك فقلت له لا شك ان داود عليه السلام كان من اكابر الانبيا والرسل وقد
قال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته ومن مدحه الله تعالى بمثل هذا المدح العظيم لم يجز لنا ان نبالغ في الطعن فيه وايضا
فبتقدير انه ما كان نبيا فلا شك انه كان مسلما وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير ثم على تقدير ما لا يلتفت الى شي
من هذه الدلايل الا انا نقول من المعلوم بالضرورة ان بتقدير ان هذه القصة التي ذكرتموها حقة صحيحة فان روايتها
وذكرها لا توجب شيا من الثواب لان اشاعة الفاحشة ان لم توجب العقاب فلا اقل مما لا توجب الثواب واما بتقدير ان يكون هذه
القصة باطلة فاسدة فان ذكرها يستحق اعظم العقاب والواقعة التي هذا شانها وصفتها فان صريح العقل يوجب السكوت
عنها فثبت ان الحق ما ذهبنا اليه وان شرح تلك القصة محرم محظور فلما سمع ذلك الملك شرع هذا الكلام سكت ولم يذكر شيا
السابع ان ذكر هذه القصة وذكر قصة يوسف عليه السلام يقتضي اشاعة الفاحشة في الذين امنوا الثامن لو سعى داود
عليه السلام في قتل ذلك الرجل لدخل تحت قوله من سعى في دم مسلم ولو بشطر كلمة جا يوم القيمة مكتوب بين عينيه ايس
من رحمة الله تعالى وايضا لو فعل ذلك لكان ظالما وكان يدخل تحت قوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين التاسع عن سعيد بن المسيب
ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مايه وستين وهو حد الفرية على
الانبيا ومما يقوي هذا انهم لما قالوا ان المغيرة بن شعبة زنى وشهد ثلاثة من عدول الصحابة بذلك واما الرابع فانه لم يقل باني رايت ذلك
العمل بعيني فان عمر بن الخطاب كذب اوليك الثلاثة وجلد كل واحد منهم ثمانين جلدة لاجل انهم قذفوا فاذا كان الحال في واحد من احاد الصحابة
كذلك فكيف الحال مع داود عليه السلام مع انه من اكابر الانبيا عليهم السلام العاشر روي ان بعضهم ذكرت ثم انه تعالى لم يذكرها لستر
تلك الواقعة على داود عليه السلام فلا يجوز للعاقل ان يذكرها اخبرني احب الي مما طلعت عليه الشمس فثبت بهذه الوجوه التي ذكرناها ان القصة التي ذكروها
فاسدة باطلة فان قال قايل ان كثيرا من اكابر المحدثين والمفسرين ذكروا هذه القصة فكيف الحال فيها والجواب الحقيقي انه لما وقع التعارض
بين الدلايل القاطعة وبين خبر واحد من اخبار الاحاد كان الرجوع الى الدلايل القاطعة اولى وايضا فالاصل براءة الذمة وايضا فلما
تعارض ذكر التحريم والتحليل كان جانب التحريم اولى وايضا طريقة الاحتياط توجب ترجيح قولنا وايضا فنحن نعلم بالضرورة ان بتقدير
وقوع هذه الواقعة لا يقول الله لنا يوم القيمة لم لم تسعوا في تشهير هذه الواقعة اما بتقدير كونها باطلة قايمة فوجب ان لا يجوز
الشهادة بها وايضا كل المفسرين لم يتفقوا على هذا القول بل الاكثرون والمحققون يردونه ويحكمون عليه بالكذب والفساد
واذا تعارضت اقوال المفسرين والمحدثين فيه تساقطت وبقي الرجوع الى الدلايل التي ذكرناها فهذا تمام الكلام في هذه القصة
اما الاحتمال الثاني وهو انه يحمل هذه القصة على وجه يوجب حصول الصغيرة ولا يوجب حصول الكبيرة فنقول في كيفية
هذه القصة على هذا التقدير وجوه الاول هذه المراة خطبها اوريا فاجابوه ثم خطبها داود عليه السلام فاثر اهلها
وكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المومن مع كثرة نسايه الثاني قالوا انه وقع بصره عليها فمال قلبه اليها وليس له في
هذا ذنب البته اما وقوع بصره عليها من غير القصد فذاك ليس بذنب واما حصول الميل عقيب النظر فليس ايضا ذنب لان
هذا الميل ليس في وسعه فلا يكون مكلفا به لما اتفق ان قتل زوجها لم يتاذ بذلك كثيرا بسبب ميله لاجل انه طمع ان يتزوج
بتلك المراة فحصلت الزلة بسبب هذا المعنى وهو انه لم يشق عليه قتل ذلك الرجل والثالث انه كان اهل زمان داود عليه السلام يسال
بعضهم بعضا ان يطلق زوجته حتى يتزوجها وكانت عادتهم في هذا المعنى مالوفة معهودة دون ان الانصار كانوا ايسوون





المهاجرين بهذا المعنى فاتفق ان عين داود عليه السلام وقعت على تلك المراة فاحبها فسال النزول فاستحيا ان يرده ففعل
وهي ام سليمان عليه السلام فقيل له هذا وان كان جايزا في ظاهر الشريعة الا انه لا يليق بك فان حسنات الابرار سيات
المقربين فهذه وجوه ثلاثة لو حملنا ها على هذه القصة او على واحد منها لم يلزم في حق داود عليه السلام الا ترك الافضل والاولى
واما الاحتمال الثالث وهو ان يذكر هذه القصة على وجه لا يلزم ايجاب الكبيرة والصغيرة بل داود عليه السلام لم يوجب الحاق
اعظم انواع المدح والثنا به فنقول روي ان جماعة من الاعدا طمعوا في ان يقتلوا نبي الله تعالى داود عليه
السلام وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوروا المحراب فلما
دخلوا عليه وجد واعنده اقواما يمنعونه منهم فخافوا فوضعوا كذبا فقالوا خصمان بغى بعضنا على بعض الى اخر القصة وليس
في لفظ القران ما يمكن ان يحتج به في الحاق الذنب بداود عليه السلام الا الفاظ اربعة احدها قوله تعالى فظن داود انما
فتناه وثانيها قوله تعالى فاستغفر ربه وثالثها قوله تعالى واناب ورابعها قوله تعالى فغفرنا له ذلك ثم نقول وهذه الالفاظ
لا يدل على شي منها على ما ذكروه وتقريره من وجوه الاول انهم لما دخلوا عليه لطلب قتله بهذا الطريق وعلم داود عليه السلام
دعاه الغضب الى ان يشتغل بالانتقام منهم الا انه مال الى الصفح والتجاوز عنهم طلبا لمرضاة الله تعالى فكانت هذه الواقعة
هي التنبيه لانها جارية مجرى الابتلاء والامتحان ثم انه استغفر ربه مما هم به من الانتقام منهم وتاب عن ذلك الهم واناب فغفرله
ذلك القدر من الهم والعزم والثاني انه وان غلب على ظنه انهم دخلوا عليه ليقتلوه الا انه ندم على ذلك الظن وقال لما لم تقم
دلالة ولا امارة على ان الامر كذلك فبيس ما عملت حيث ظننت بهم هذا الظن الردي فكان هذا هو الظن من قوله تعالى وظن
داود انما فتناه ثم استغفر ربه واناب منه فغفرالله تعالى له ذلك الثالث ان دخولهم عليه كان فتنة لداود عليه السلام
الا انه عليه السلام استغفر لذلك العازم الداخل على قتله كما قال في حق محمد صلى الله عليه وسلم واستغفر لذنبك وللمومنين
والمومنات فداود عليه السلام استغفر لهم واناب اي رجع الى الله تعالى في طلب المغفرة وذلك الداخل القايل بالقتل وقوله تعالى
فغفرنا له ذلك اي فغفرنا لذلك الذنب لاجل احترام داود عليه السلام وتعظيمه كما قال بعض المفسرين في قوله تعالى ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك ان معناه ان الله يغفر لك ولاجلك ما تقدم من ذنب امتك الرابع هب انه تاب داود عليه السلام من زلة
صدرت منه لكن لا نسلم ان تلك الزلة وقعت بسبب المراة ولم لا يجوز ان يقال ان تلك الزلة صدرت منه لكن لا نسلم ان تلك الزلة
وقعت بسبب المراة ولم لا يجوز ان يقال تلك الزلة انما حصلت لاجل انه قضى لاحد الخصمين قبل ان يسمع كلام الخصم الثاني انه
لما قال لقد ظلمك بسوال نعجتك فحكم عليه بكونه ظالما بمجرد دعوى الخصم بسبب كون هذا الحكم مخالفا للصواب فعند هذا استغفر بالا
والتوبة الا ان هذا من باب ترك الافضل والاولى فثبت بهذه البيانات انا اذا حملنا هذه الايات على هذا الوجه فانه لا يلزم اسناد
شي من الذنوب الى داود عليه السلام بل ذلك يوجب اسناد اعظم الطاعات اليه ثم نقول وحمل الاية عليه اولى لوجوه الاول ان الاصل في حال
المسلم البعد عن المناهي لا سيما وهو رجل من اكابر الانبيا والرسل والثاني انه احوط والثالث انه تعالى قال في اول الاية لمحمد صلى الله
عليه وسلم اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود فان قوم محمد صلى الله عليه وسلم اظهروا السفاهة حيث قالوا انه ساحر كذاب
واستهزوا به حيث قالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فقال تعالى في اول الاية اصبر يا محمد على سفاهتهم وتحمل وتحلم ولا تظهروا
الغضب واذكر عبدنا داود فهذا الذكر انما يحسن اذا كان داود عليه السلام قد صبر على ايذايهم وتحمل سفاهتهم وتحلم ولم يظهر الطيش
والغضب وهذا المعنى انما يحصل اذا حملنا الاية على ما ذكرناه واما اذا حملناها على ما ذكروه صار الكلام متناقضا فاسدا والرابع ان تلك
الرواية انما تمشي اذا قلنا الخصمان كانا ملكين من الملايكة وما كان بينهما مخاصمة وما بغى احدهما على الاخر كان قولهما خصمان
بغى بعضنا على بعض كذب فهذه الرواية لا تتم الا بشيين احدهما اسناد الكذب الى الملايكة والثاني اسناد افحش القبايح الى رجل
كبير من اكابر الانبيا واما اذا حملنا الاية على ما ذكرناه استغنينا عن اسناد الكذب الى الملايكة وعن اسناد القبيح الى الانبياء
فكان قولنا اولى فهذا ما عندنا في هذا الباب والله اعلم باسرار كلامه ونرجع الان الى تفسير الايات اما قوله تعالى وهل اتاك
نبؤ الخصم قال الواحدي الخصم مصدر خصمته اخصمه ثم سمي به الاثنين والجمع يقال هما خصم وهم خصم كما يقال هما عدل وهم
عدل والمعنى ذو خصم واريد بالخصم هاهنا الشخصان اللذان دخلا على داود عليه السلام قوله تعالى اذ تسوروا المحراب يقال
تسورت السور تسورا اذا علوته ومعنى تسوروا المحراب اي اتوه من سوره وهو اعلاه يقال تسور فلان الدار اذا اتاها من قبل
سورها واما المحراب فالمراد منه البيت الذي كان داود عليه السلام يدخل فيه ويشتغل بطاعة ربه وسمي ذلك البيت بالمحراب لاشتماله
على المحراب كما يسمى الشي باشرف اجزايه وهاهنا مسالة من علم اصول الفقه وهي ان اقل الجمع اثنان عند بعض الناس وهولا تمسكوا بهذه
الاية وذلك لانه تعالى ذكر صيغة الجمع في هذه الايات في اربعة مواضع احدها قوله تعالى اذ تسوروا المحراب وثانيها قوله تعالى
اذ دخلوا وثالثها قوله منهم ورابعها قوله تعالى قالوا لا تخف فهذه الاية تدل على ان اقل الجمع اثنان والجواب لا يمتنع ان يكون كل واحد
من الخصمين جمعا كثيرين لانا بينا ان الخصم اذا جعل اسما فانه لا يثنى ولا يجمع ثم قال تعالى اذ دخلوا على داود والفايدة فيه انه
قد تسوروا الجدار وما دخلوا عليه فلما قال تعالى اذ دخلوا عليه دل على انهم بعد التسور دخلوا عليه قال الفرا وقد يكون معناهما كالواحد
كقولك ضربتك اذ دخلت علي اذا جرات مع انه يكون وقت الدخول في وقت الاجترا واحد ثم قال تعالى ففزع منهم والسبب ان داود عليه
السلام لما راهما قد دخلا عليه لا من الطريق المعتاد علم انهم انما دخلوا عليه للشر فلا جرم فزع منهم ثم قال الله تعالى قالوا لا تخف
خصمان بغى بعضنا على بعض وفيه مسايل المسالة الاولى خصمان خبر مبتدا محذوف اي نحن خصمان المسالة الثانية

هو صاحب ... لان الاول انهما كانا ملكين نزلا من السماء وارادا تنبيه داود عليه السلام على قبح العمل الذى اقدم عليه والثانى انهما كانا انسانين
دخلا عليه للشر واما المنكرون لكونهما ملكين فقد احتجوا عليه بانهما لو كانا ملكين لكانا كاذبين فى قولهما ان هذا اخى له تسع وتسعون
نعجة فثبت انهما لو كانا كاذبين والكذب على الملك غير جايز لقوله تعالى لا يسبقونه بالقول ولقوله تعالى ويفعلون ما يؤمرون اجاب
الذاهبون الى القول الاول عن هذا الكلام بان قالوا ان الملكين انما ذكرا هذا الكلام على سبيل ضرب المثل لا على سبيل التحقيق فلم يلزم
الكذب واجيب عن هذا الجواب بان ما ذكرتم يقتضى العدول عن ظاهر اللفظ ومعلوم انه على خلاف الاصل واما اذا حملنا الكلام على ان
الخصمين كانا رجلين دخلا عليه لغرض الشر ووضعا هذا الحديث الباطل فحينئذ لزم اسناد الكذب الى شخصين فاسقين وكان هذا
اولى من القول الاول واما القايلون بكونهما ملكين فقد احتجوا بوجوه الاول اتفاق اكثر المفسرين عليه والثانى انه ارفع منزلة
من ان يتسور عليه احاد الرعية فى حال تعبده فيجب ان يكون ذلك من الملايكة الثالث ان قوله تعالى لا تخف كالدلالة على كونهما ملكين
لان من هو من رعيته لا يكاد يقول له مثل ذلك مع رفعة منزلته الرابع ان قوله تعالى ولا تشطط كالدلالة على كونهما ملكين لان احدا
من رعيته لا يتجاسر ان يقول له لا تشطط ولا تتجاوز عن الحق **واعلم** ان ضعف هذه الدلايل ظاهر فلا حاجة الى الجواب
**المسئلة الثانية** بغى بعضنا على بعض اى تعدى وخرج عن الحد يقال بغى الجرح فاذا افرط وجعه وانتهى الى الغاية ويقال
بغت المراة اذا زنت لان الزنا كبيرة منكرة قال تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ثم قال تعالى فاحكم بيننا بالحق معنى الحكم احكام
الامر فى امضاء تكليف الله تعالى عليهما فى الواقعة ومنه حكمة الدابة لانها تمنع عن الجماح ومنه بناء محكم اذا كان قويا وقوله بالحق
اى بالحكم الحق وهو الذى حكم الله تعالى به ولا تشطط اى ولا تبعد عن الحق فقوله تعالى ولا تشطط اى ولا تبعد فى هذا الحكم
عن الحق ثم قال تعالى واهدنا الى سواء الصراط وسواء الصراط هو وسطه قال تعالى فاطلع فراه فى سواء الجحيم ووسط الشى
افضله واعدله قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا واقول انهم عبروا عن المقصود الواحد بثلاث عبارات اولها قوله
تعالى فاحكم بيننا بالحق وثانيها قوله ولا تشطط وهى نهى عن الباطل وثالثها قوله تعالى واهدنا الى سواء الصراط
يعنى يجب ان يكون سعيك فى ايجاد هذا الحق وفى الاحتراز عن هذا الباطل ان تردنا من الطريق الباطل الى الطريق الحق
وهذا مبالغة تامة فى تقرير المطلوب **واعلم** انهم لما اخبروا عن وقوع الخصومة على سبيل الاجمال اردفوه ببيان
تلك الخصومة على سبيل التفصيل وقال ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة وفيه مسايل **المسئلة الاولى**
قال صاحب الكشاف اخى بدل من هذا لقولنا ان والمراد اخوة الدين او اخوة الصداقة والالفة او اخوة الشركة والخلطة
لقوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء وكل واحد من هذه الاخوات توجب الامتناع من الظلم والاعتداء **المسئلة الثانية**
قال الليث النعجة الانثى من الضان والبقر الوحشى والشاة الجبلية والجمع النعاج والعرب جرت عادتهم بجعل النعجة
والظبية كناية عن المراة **المسئلة الثالثة** قرا عبد الله تسعة وتسعون نعجة انثى وهذا يكون لاجل التاكيد كما قال تعالى
وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد ثم قال تعالى اكفلنيها وعزنى فى الخطاب قال صاحب الكشاف اكفلنيها
حقيقته اجعلنى اكفلها كما اكفل ما تحت يدى وعزنى غلبنى يقال عزه يعزه والمعنى جاءنى بحجاج لم اقدر ان اورد عليه
ما ارده به ومن عادنى من المعاداة وهى المغالبة **واعلم** ان الذين قالوا ان هذين الخصمين كانا من الملايكة زعموا
ان المقصود من ذكر النعاج التمثيل لان داود عليه السلام كان تحته تسع وتسعون امراة ولم يكن لاوريا الا امراة واحدة
فذكرت الملايكة تلك الواقعة على سبيل الرمز والتمثيل لان داود عليه السلام كان تحته تسع وتسعون امراة ثم قال
تعالى قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وروى انه قال له ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا واشارة
يا داود انت احق ان يضرب منك هذا وانت فعلت كيت وكيت ثم نظر فلم ير احدا **فان قيل** كيف حكم داود عليه السلام
بقول الخصمين بمجرد قول خصمه قلنا ذكروا فيه وجوها **الاول** قال محمد بن اسحق لما فرغ الخصم الاول من كلامه نظر
داود عليه السلام الى الخصم الذى لم يتكلم وقال لئن صدق لقد ظلمته والحاصل ان هذا الحكم كان مشروطا بشرط كونه صادقا
فى دعواه والثانى قال ابن الانبارى ...
[illegible]

كثيرا فى القران قال تعالى وقليل من عبادى الشكور وقال داود عليه السلام فى هذا الموضع وقليل ما هم وحكى تعالى عن ابليس انه قال ولا تجد
اكثرهم شاكرين وسبب القلة ان الدواعى الى المعاصى كثيرة وهى الحواس الباطنة والظاهرة وهى عشرة والشهوة والغضب والقوى الطبيعية
تسعة عشر واقفوا على باب جهنم البدن وكلها يدعو الى الخلق والدنيا واللذة الحسية واما الدواعى الى الخالق والدين فليس الا العقل
واستيلاء القوة الحسية والطبيعية على الخلق اكثر من قوة القوة العقلية فيهم فلهذا السبب وقعت القلة فى جانب اهل الخير
والكثرة فى جانب اهل الشر قال صاحب الكشاف واما فى قوله تعالى وقليل ما هم للابهام وفيه تعجب من قلتهم قال وان اردت ان تتحقق
فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث ما على قصره وانظر هل بقى لها معنى قط ثم قال تعالى وظن داود انما فتناه
قالوا معناه وعلم داود انا ابتليناه اى امتحناه قالوا والسبب الذى اوجب حمل لفظ الظن على العلم ههنا ان داود عليه السلام لما قضى
بينهما نظر احدهما الى صاحبه فضحك ثم صعدا الى السماء حيال وجهه فعلم داود ان الله تعالى ابتلاه بذلك فثبت ان داود عليه السلام
علم ذلك وانما جاز حمل لفظ الظن على العلم لان العلم الاستدلالى يشبه الظن مشابهة عظيمة والمشابهة علة لجواز المجاز واقول هذا
الكلام انما يلزم اذا قلنا الخصمان كانا ملكين اما اذا لم نقل ذلك لا يلزمنا حمل الظن على العلم بل لقائل ان يقول انه لما غلب على ظنه حصول
الابتلاء من الله تعالى اشتغل بالاستغفار والانابة اما قوله تعالى فاستغفر ربه اشارة الى سؤال الغفران من ربه وههنا وجهان ان قلنا بانه
كان قد صدرت له منه حملنا هذا الاستغفار عليها وان لم نقل به قلنا فيه وجوه الاول ان القوم لما دخلوا عليه قاصدين قتله وانه كان سلطانا
شديد القهر عظيم القوة مع انه مع القدرة الشديدة على الانتقام ومع حصول الفزع فى قلبه عفى عنهم ولم ينقل لهم شيئا قرب الامر من ان يدخل على قلبه شى
من العجب فاستغفر ربه عن تلك الحالة واناب الى الله تعالى واعترف بان اقدامه على ذلك الخير ما كان الا بتوفيق الله تعالى فغفر الله تعالى وتجاوز
عنه بسبب ذلك الخاطر الثانى لعله هم بايذاء القوم ثم انه لم يعلم دليلا قاطعا على ان اولئك قصدوا الشر فعفا عنهم ثم استغفر عن ذلك الهم الثالث
لعل القوم تابوا الى الله تعالى وطلبوا منه ان يستغفر الله لهم ولاجل ان يقبل توبتهم فتضرع واستغفر الى الله تعالى فغفر الله تعالى ذنوبهم بسبب
شفاعته ودعايه وكل هذه الوجوه محتملة ظاهرة والقران مملوء من امثال هذه الوجوه واذا كان اللفظ محتملا لما ذكرناه ولم يقم دليل قاطع
ولا على التزام المنكرات التى يذكرونها فما الذى يحملنا على التزامها والقول بها والذى يؤكد ان الذى ذكرناه اقرب واقوى ان يقال ختم هذه القصة
بقوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ومثل هذه الخاتمة انما تحسن فى حق من صدر عنه عمل كثير فى الخدمة والطاعة وتحمل انواعا
من الشدايد فى الموافقة والانقياد اما اذا كان المذكور السابق هو الاقدام على الجرم والذنب فان مثل هذه الخاتمة لا يليق به قال مالك
ابن دينار اذا كان يوم القيمة اتى بمنبر رفيع ويوضع فى الجنة ويقال يا داود مجدنى بذلك الصوت الحسن الرخيم الذى كنت تمجدنى به فى الدنيا
والله اعلم بقى هاهنا مباحث الاول قرى فتناه على ان الالف ضمير للملكين الثانى المشهور ان الاستغفار انما كان بسبب قصة النعجة
والنعاج وقيل انما كان بسبب انه حكم لاحد الخصمين قبل ان سمع كلام الثانى وذلك غير جايز الثالث قوله تعالى وخر راكعا يدل على حصول
الركوع واما السجود فقد ثبت بالاخبار وذلك البكاء الشديد فى مدة اربعين يوما ثبت بالاخبار الرابع مذهب الشافعى ان هذا الموضع ليس
فيه سجدة التلاوة وقال لانه توبة نبى فلا يوجب سجدة التلاوة الخامس استشهد ابو حنيفة بهذه الاية فى سجود التلاوة على ان الركوع يقوم
مقام السجود والله تعالى اعلم **قوله تعالى** يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع
الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ام نجعل
الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام نجعل المتقين كالفجار كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا
اياته وليتذكر اولوا الالباب **اعلم** ان الله تعالى لما تمم الكلام فى شرح القصة اردفها ببيان ان الله تعالى فوض لداود
عليه السلام خلافة الارض وهذا من اقوى الدلايل على فساد القول المشهور فى تلك القصة لان من البعيد جدا ان يوصف الرجل
بكونه ساعيا فى سفك دماء المسلمين راغبا فى انتزاع ازواجهم منهم ثم يذكر عقيبه ان الله تعالى فوض خلافة الارض فى رعايته الى
الله تعالى وفى تفسير كونه خليفة فى الارض وجهان الاول جعلناك تخلف من تقدمك من الانبياء فى الدعاء الى الله تعالى وفى
سياسة الناس لان خليفة الرجل من يخلفه وذلك انما يعقل فى حق من يصح عليه الغيبة وذلك على الله تعالى محال الثانى
انا جعلناك ملكا للناس ونافذ الحكم فيهم فبهذا التاويل يسمى خليفة ومنه يقال خلفاء الله فى ارضه وحاصله ان خليفة
الرجل يكون نافذ الحكم فى رعيته وحقيقة الخلافة ممتنعة فى حق الله تعالى فلما امتنعت الحقيقة جعلت اللفظة مفيدة اللزوم
فى تلك الحقيقة وهو نفاذ الحكم ثم قال تعالى فاحكم بين الناس بالحق **واعلم** ان الانسان خلق مدنيا بالطبع لان الانسان الواحد
لا ينتظم مصالحه الا عند وجود مدينة تامة حتى ان هذا يحرث وذاك يطحن وذاك يخبز وذاك ينسج وذاك يخيط وبالجملة فيكون
كل واحد منهم مشغولا بمهم ويتم من اعمال الجميع مصالح الجميع فثبت ان الانسان مدنى بالطبع وعند اجتماعهم فى الموضع
الواحد يحصل بينهم منازعات ومخاصمات ولا بد من انسان قادر قاهر يقطع تلك الخصومات ويفصل تلك الحكومات وذلك هو السلطان
القاهر السايس ان كان حكمه وفق هواه ولطلب مصالح دنياه عظم ضرره على الخلق فانه يجعل الرعية فداء لنفسه ويتوسل الى
تحصيل مقاصد نفسه وذلك يفضى الى تخريب العالم ووقوع الهرج والمرج فى الخلق وذلك يفضى بالاخرة الى هلاك ذلك الملك اما اذا
كانت احكام ذلك الملك مطابقة للشريعة الحقة الالهية انتظمت مصالح العالم واتسعت ابواب الخيرات على احسن الوجوه وهذا هو المراد من
قوله تعالى فاحكم بين الناس بالحق يعنى لا بد من حاكم بين الناس بالحق فكن انت ذلك الحاكم ثم قال تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان
الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وتفسيره ان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله والضلال عن سبيل الله يوجب سوء العذاب

متبع ان متابعة الهوى يوجب سوء العذاب اما المقام الاول وهو ان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله فتقريره ان الهوى يدعوا الى الاستغراق في اللذات الجسمانية والاستغراق فيها يمنع من الاستغال بطلب السعادات الروحانية التي هي الباقيات الصالحات لانهما حالتان متضادتان فبقدر ما يزداد احدهما ينقص الاخر واما المقام الثاني وهو ان الضلال عن سبيل الله يوجب سوء العذاب فاذا مات فقد فارق المحبوب والمعشوق ودخل ديارا ليس له باهل تلك الديار الف وليس لعينه قوة مطالعة انوار تلك الديار فكانه فارق المحبوب ووصل الى المكروه وكان لا محالة في اعظم العنا والابتلا فثبت ان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله وثبت ان الضلال عن سبيل الله يوجب العذاب وهذا بيان في غاية الكمال ثم قال تعالى بما نسوا يوم الحساب يعني ان السبب الاول لحصول ذلك الضلال هو نسيان يوم الحساب لانه لو كان متذكرا ليوم الحساب لما اعرض عن اعداد الزاد ليوم المعاد ولما صار مستغرقا في طلب هذه اللذات الفاسدة روي عن بعض خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز هل سمعت ما بلغنا ان الخليفة لا يجري عليه القلم ولا يكتب عليه معصية فقال يا امير المومنين الخلفا افضل ام الانبيا ثم تلا هذه الاية ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ثم قال تعالى وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ونظيره قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا وقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وفيه مسايل **المسئلة الاولى** احتج الجبائي بهذه الاية على انه تعالى لا يجوز ان يكون خالقا لاعمال العباد قال لانها مشتملة على الكفر والفسق وكلها اباطيل فلما بين تعالى انه ما خلق السما والارض وما بينهما باطلا وعندهم خلق اعمال العباد وايضا قوله تعالى وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا وعند المجبرة انه خلق الكافر لكي يكفر والكفر باطل وقد خلق الباطل ثم اكد ذلك بان قال ذلك ظن الذين كفروا اي كل من قال بهذا القول فهو كافر فهذا تصريح بان مذهب المجبرة عين الكفر واحتج اصحابنا بان هذه الاية تدل على كونه تعالى خالقا لاعمال العباد فقالوا هذه الاية تدل على كونه تعالى خالقا لكل ما بين السما والارض فوجب ان يكون تعالى خالقا **المسئلة الثانية** هذه الاية دالة على صحة القول بالحشر والنشر والقيمة وذلك لانه تعالى خلق الخلق في هذا العالم فاما ان يقال انه خلقهم للاضرار او للانتفاع والاول باطل لانه لا يليق بالرحيم الكريم ايضا باطل لان هذه الحالة حاصلة حين كانوا معدومين فلم يبق الا ان يقال انه خلقهم للانتفاع فنقول ذلك الانتفاع اما ان يكون في حياة الدنيا او في حياة والاول باطل لان منافع الدنيا قليلة ومضارها كثيرة وتحمل الضرر الكثير لوجدان المنفعة القليلة لا يليق بالحكمة ولما بطل هذا القول ثبت القول بوجود حيوة اخرى بعد هذه الحيوة الدنيوية وذلك هو القول بالحشر والنشر والقيمة واعلم ان هذا الدليل يمكن تقريره من وجوه كثيرة وقد لخصناها في اول سورة يونس بالاستقصا فلا سبيل الى التكرار فثبت بما ذكرنا انه سبحانه وتعالى ما خلق السما والارض باطلا واذا لم يكن خلقهما باطلا كان القول بالحشر والنشر لازما وان كل من انكر القول بالحشر والنشر كان شاكا في حكمة الله في خلق السما والارض وهذا هو المراد من قوله تعالى ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ولما بين الله على سبيل الاجمال ان انكار الحشر والنشر يوجب الشك في حكمة الله على سبيل الاجمال بين ذلك على سبيل التفصيل فقال تعالى ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار وتقريره انا نرى في الدنيا من اطاع الله تعالى واحترز عن معصيته في الفقر والزمانة وانواع البلا ونرى الكفرة والفساق في الراحة والغبطة فلو لم يكن حشر ونشر ومعاد فحينئذ يكون حال المطيع ادون من حال العاصي وذلك لا يليق بحكمة الحكيم الرحيم واذا كان ذلك قادحا في الحكمة ثبت ان انكار الحشر والنشر يوجب انكار حكمة الله تعالى ثم قال تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قالت المعتزلة دلت الاية على انه تعالى انما انزل هذا القران لاجل الخير والرحمة والهداية وهذا يفيد امرين احدهما ان افعال الله تعالى معللة برعاية المصالح والثاني انه تعالى اراد الايمان والخير والطاعة من الكل [illegible] هذه الايات فنقول [illegible] فنقول انه تعالى حكى في اول السورة عن المستهزئين انهم بالغوا في انكار البعث والقيمة وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب ولما حكى الله عنهم ثم قال اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ومعلوم انه لا تعلق بذكر داود عليه السلام بان القول بالقيمة حق ثم ذكر قصة داود عليه السلام ثم اتبعه بقوله تعالى وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا ومعلوم انه لا تعلق لهذه المسئلة بقصة داود عليه السلام ثم لما ذكر اثبات حكمة الله تعالى وفرع عليها اثبات ان القول بالحشر والنشر حق ذكر بعده ان القران كتاب شريف فاضل كثير النفع والخير ولا تعلق لهذا الفصل بالكلمات المتقدمة واذا كان كذلك كانت الفصول فصولا متباينة لا تعلق للبعض بالبعض فكيف يليق بهذا الموضع وصف القران بكونه كتابا شريفا فاضلا فهذا تمام السؤال والجواب ان نقول ان العقلا قالوا من ابتلي بخصم جاهل مصر متعصب وراه قد خاض في التعصب والاصرار وجب عليه ان يقطع الكلام معه في تلك المسئلة لانه كلما كان خوضه في تقريره اكثر كانت نفرته عن القبول اشد فالطريق حينئذ ان يقطع الكلام ويخطب في ذلك الكلام الاجنبي بحيث ينسى ذلك المتعصب تلك المسئلة الاولى فحينئذ يدرج في اثنا الكلام في هذا الفصل الاجنبي مقدمة مناسبة لذلك المتعصب المطلوب الاول فان ذلك المتعصب يسلم هذه المقدمة فاذا سلمها فحينئذ يتمسك بها في اثبات المطلوب الاول وحينئذ يصير ذلك الخصم المصر المتعصب مفحما ملزما اذا عرفت هذا فنقول ان الكفار بالغوا في انكار الحشر والنشر والقيمه والنشر حق ذكر بعده ان القران كتاب شريف فاضل كثير النفع والخير ولا تعلق لهذا الفصل بالكلمات المتقدمة واذا كان كذلك كانت الفصول فصولا متباينة لا تعلق للبعض بالبعض فكيف يليق بهذا الموضع وصف القران بكونه كتابا شريفا فاضلا فهذا تمام السؤال والجواب ان نقول ان العقلا قالوا من ابتلي بخصم جاهل مصر متعصب وراه قد خاض في التعصب والاصرار وجب عليه ان يقطع الكلام معه في تلك المسئلة لانه كلما كان خوضه في تقريره اكثر كانت نفرته عن القبول اشد فالطريق حينئذ ان يقطع الكلام ويخطب في ذلك الكلام الاجنبي بحيث ينسى ذلك المتعصب تلك المسئلة الاولى فحينئذ يدرج في اثنا الكلام في هذا الفصل الاجنبي مقدمة مناسبة لذلك المتعصب للمطلوب الاول فان ذلك المتعصب يسلم هذه المقدمة فاذا سلمها فحينئذ يتمسك بها في اثبات المطلوب الاول

وحينئذ

وحينئذ يصير ذلك الخصم المصر المتعصب مفحما ملزما اذا عرفت هذا فنقول ان الكفار بالغوا في انكار الحشر والنشر والقيمة الى حيث قالوا على سبيل الاستهزا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فقال يا محمد اقطع الكلام معهم في هذه المسئلة واشرع في كلام اجنبي بالكلية عن هذه المسئلة وهي قصة داود عليه السلام فان من المعلوم انه لا تعلق لهذه القصة بمسئلة الحشر والنشر ثم انه تعالى اطنب في شرح تلك القصة ثم قال في اخر القصة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وكل من سمع هذا قال نعم ما فعل حيث امره بالحكم الحق ثم كانه تعالى قال وانا الامر بالحق فقط بل انا مع رب العالمين لا افعل الا الحق ولا اقضي بالباطل فها هنا الخصم يقول نعم ما فعل حيث لم يقض الا بالحق فعند هذا يقال لما سلمت ان حكم الله يجب ان يكون بالحق لا بالباطل لزمك ان تسلم صحة القول بالحشر والنشر لانه لو لم يحصل ذلك لزم ان يكون الكافر راجحا على المسلم في ايصال الخيرات اليه وذلك ضد الحكمة وعين الباطل فبهذا الطريق اللطيف اورد الله تعالى الالزام القاطع على منكري الحشر والنشر ايرادا لا يمكنهم الخلاص عنه فصار ذلك الخصم الذي بلغ في الانكار الى حد المعاندة والاستهزا مفحما ملزما بهذا الطريق ولما ذكر الله تعالى هذه الطريقة الدقيقة في الالزام في القران لا جرم وصف القران بالكمال والفضل فقال تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب فان لم يتدبر ولم يتامل ولم يساعده التوفيق الالهي لم يقف على هذه الاسرار العجيبة المذكورة في هذا القران العظيم حيث يراه في ظاهر الحال مفرد بانزال الترتيب وهو في الحقيقة مشتمل على كل جهات الترتيب فهذا ما حضرنا في تفسير هذه الايات وبالله التوفيق والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق

**اعلم** ان هذا هو القصة الثانية قوله تعالى نعم العبد فيه مباحث **الاول** المخصوص بالمدح في نعم العبد محذوف فقيل داود عليه السلام لان وصفه بهذا المعنى قد تقدم في الاية المتقدمة حيث قال داود ذا الايد انه اواب فلو قلنا نعم العبد الاول هنا ايضا صفة داود عليه السلام لزم التكرار ولو قلنا انه صفة لسليمان عليه السلام كون الابن مشبها لابيه في صفات الكمال والفضيلة وكان هذا اولى **البحث الثاني** انه قال اولا نعم العبد انه اواب وهذه للتعليل فهذا يدل على انه انما كان نعم العبد لانه كان اوابا فيلزم ان كل من كان كثير الرجوع الى الله تعالى في اكثر الاوقات وفي اكثر المهمات كان موصوفا بانه نعم العبد وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه لان كمال الانسان في ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به وراس المعارف ومنبعها معرفة الله تعالى وراس الطاعات ومنبعها الاعتراف بانه لا يتم شي من الخيرات الا باعانة الله تعالى ومن كان كذلك كان كثير الرجوع الى الله تعالى فكان اوابا فثبت ان كل من كان اوابا وجب ان يكون نعم العبد اما قوله تعالى اذ عرض عليه ففيه وجوه **الاول** التقدير نعم العبد هو اذ كان من اعماله انه فعل كذا الثاني انه ابتدا كلام والتقدير اذكر يا محمد اذ عرض عليه كذا والعشي هو من حين العصر الى اخر النهار عرض الخيل عليه ليسر اليها ويقف على كيفية احوالها والصافنات الجياد الخيل ووصف بوصفين اولها الصافنات قال صاحب الصحاح الصافن الذي يصف قدميه وفي الحديث كنا اذا صلينا خلفه فرفع راسه من الركوع قمنا صفوفا اي صافين واقول على كلا التقديرين فالصفون صفة دالة على فضيلة الفرس والصفة الثانية للخيل في هذه الايات بالجياد قال المبرد الجياد جمع جواد وهو الشديد الجري كما ان الجواد من الناس هو السريع البذل فالمقصود وصفها بالفضيلة والكمال حالتي وقوفها وحركتها اما حال وقوفها فوصفها بالصفون واما حال حركتها فوصفها بالجودة يعني انها اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواضعها على الاشكال وان جرت كانت سراعا في جريها فاذا طلبت لحقت وان طلبت لم تلحق ثم قال الله تعالى فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي والثاني اني احببت بمعنى لزمت والمعنى لزمت حب الخير عن ذكر ربي اي كتاب ربي وهو التورية لان ارتباط الخيل كما انه في القران ممدوح والثالث ان الانسان قد يحب شيا ولكنه يحب ان لا يحبه كالمريض الذي يشتهي ما يزيد في مرضه والاب الذي يحب لولده الردي اما من احب شيا واحب ان يحبه كان ذلك غاية المحبة فقوله تعالى اني احببت حب الخير يعني احببت حبي لهذه الخيل ثم قال تعالى عن ذكر ربي يعني ان هذه المحبة الشديدة انما حصلت عن ذكر الله تعالى وامره لا عن الشهوة والهوى فهذا الوجه اظهر الوجوه ثم قال تعالى حتى توارت قال الضمير في قوله تعالى حتى توارت وفي قوله ردوها يحتمل ان يكون لكل واحد منهما عايدا الى الصافنات الجياد والشمس لانه جرى ذكر ماله تعلق بها وهو العشي ويحتمل ان يكون كل واحد منهما عايدا الى الصافنات ويحتمل ان يكون الاول متعلقا بالشمس والثاني بالصافنات ويحتمل ان يكون بالعكس من ذلك فهذه احتمالات اربعة لا مزيد عليها فالاول ان يعود الضميران معا الى الصافنات كانه قيل حتى توارت الصافنات بالحجاب ردوا الصافنات علي والاحتمال الثاني ان يكون الضميران معا عايدان الى الشمس كانه قال حتى توارت الشمس بالحجاب ردوا الشمس روي انه صلى الله عليه وسلم لما اشتغل بالخيل فاتته صلاة العصر فسال الله تعالى ان يرد الشمس فقوله تعالى ردوها علي اشارة الى طلب رد الشمس وهذا الاحتمال عندي بعيد والذي يدل عليه وجوه الاول ان الصافنات مذكورة بصريح والشمس غير مذكورة وعود الضمير الى المذكور اولى من عوده الى المقدر الثاني انه قال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ظاهر هذا اللفظ يدل على ان سليمان عليه السلام كان يقول اني احببت حب الخير عن ذكر ربي بالحجاب كان معناه انه حين وقع بصره عليها حال جريها كان يقول هذه الكلمة الى ان غابت عن عينه وذلك مناسب ولو قلنا المراد حتى توارت الشمس بالحجاب كان معناه انه كان يعيد هذه الكلمة من وقت العصر الى وقت المغرب وهذا في غاية البعد الثالث انا لو حكمنا بعود الضمير في قوله حتى توارت الى الشمس وحملنا اللفظ على انه ترك صلوة العصر كان هذا منافيا لقوله تعالى اني احببت حب الخير عن ذكر ربي فان تلك المحبة لو كانت عن ذكر الله تعالى لما نسي الصلاة ولما ترك ذكر الله تعالى الرابع انه بتقدير انه عليه السلام بقي مشغولا بتلك الخيل حتى غربت الشمس وفاتت صلوة العصر

وكان ذلك ذنبا عظيما وجرما قويا فاطرتق لهذه الحالة التفزع والبكا والمبالغة في اظهار التوبة فاما ان يقول على سبيل الهدو والعظمة لا اله العالم ورب العالمين بمثل هذه الكلمة العارية عن كل جهات الادب عقيب ذلك الجرم العظيم لا يصدر عن ابعد الناس عن الخير فكيف يجوز اسناده الى الرسول المطهر المكرم الخامس ان القادر على تحريك الافلاك والكواكب هو الله تعالى فكان يجب ان يقول ردها علي ولا يقول ردوها فان قالوا انما ذكر هذا مشعرا بانواع الاهانة فكيف يليق بهذا اللفظ رعاية التعظيم والسادس ان الشمس لو رجعت بعد الغروب لصار ذلك مشاهدا لكل اهل الدنيا ولو كان الامر كذلك لتوفرت الدواعي على نقله واظهاره وحيث لم ينقل احد ذلك علمنا فساده السابع انه تعالى قال اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد ثم قال تعالى حتى توارت بالحجاب وعود الضمير الى اقرب المذكورين واجب وهو الصافنات الجياد ان عمل قوله ردوها على ان المراد منه طلب ان يرد الله تعالى الشمس بعد الغروب بعيد غاية البعد عن النظم ثم قال تعالى فطفق مسحا بالسوق والاعناق اى فجعل سليمان عليه السلام يمسح سوقها واعناقها قال الاكثرون معناه انه مسح السيف بسوقها واعناقها اى قطعها قالوا انه عليه السلام لما فاتته صلوة العصر بسبب اشتغاله بالنظر الى تلك الخيل استردها وعقر سوقها واعناقها تقربا الى الله تعالى ونحن نقول ايضا ان هذا بعيد ويدل عليه وجوه الاول انه لو كان مسح السوق والاعناق قطعها لكان معنى قوله تعالى وامسحوا برؤسكم وارجلكم قطعها وهذا لا يقوله عاقل بل لو قيل مسح راسه بالسيف فربما فهم منه ضرب العنق اما اذا لم يذكر لفظ السيف لم يفهم البتة من المسح العقر والذبح الثاني ان القائلين بهذا القول جمعوا على سليمان عليه السلام انواعا من الافعال المذمومة فاولها ترك الصلوة وثانيها انه استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا الى حيث نسي الصلوة وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة وثالثها انه بعد الاتيان بهذا الذنب العظيم لم يشتغل بالتوبة والانابة البتة ورابعها انه خاطب رب العالمين بقوله ردوها علي وهذه كلمة لا يذكرها الرجل الحصيف الا مع الخادم الخسيس وخامسها انه اتبع هذه المعاصي بعقر الخيل في سوقها واعناقها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن ذبح الحيوان الا لماكله فهذه انواع الكباير ينسبونها الى سليمان عليه السلام مع ان لفظ القران لم يدل على شيء منها وثالثها ان هذه القصص انما ذكرها الله تعالى عقيب قوله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وان الكفار لما بلغوا في السفاهة الى هذا الحد قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر يا محمد على سفاهتهم واذكر عبدنا داود ثم ذكر عقيبها سليمان فكان التقدير انه تعالى قال يا محمد اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا سليمان وهذا الكلام انما يكون لائقا لو قلنا ان سليمان عليه السلام اتى في هذه القصة بالاعمال الفاضلة والاخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله تعالى واعرض عن الشهوات واللذات فاما لو كان المقصود من قصة سليمان عليه السلام في هذا الموضع انه اقدم على الكبائر العظيمة والذنوب الجسيمة لم يكن ذكر هذه القصة لائقا بهذا الموضع فثبت ان كتاب الله تعالى ينادي على هذه الاقوال بالفساد والصواب ان نقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما انه كذلك في دين محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان سليمان عليه السلام احتاج الى الغزو فجلس وامر باحضار الخيل وامر باجرائها وذكر اني لا احبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما احبها لامر الله تعالى وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله تعالى عن ذكر ربي ثم انه عليه السلام امر باعدائها وتسييرها حتى توارت بالحجاب اى غابت عن بصره ثم امر الرائضين بان يردوا تلك الخيل اليه فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها والغرض من ذلك المسح امور الاول تشريفا لها وابانة لعزتها لكونها من اعظم الاعوان في دفع العدو والثاني انه اراد ان يظهر انه في ضبط السياسة والملك يتضع الى حيث انه يباشر اكثر الامور بنفسه الثالث انه كان اعلم باحوال الخيل وامراضها وعيوبها فكان يمتحنها ويمسح سوقها واعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القران انطباقا مطابقا موافقا ولا يلزمنا نسبة شيء من تلك المنكرات والمحظورات واقول انا شديد التعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة مع ان العقل والنقل يردها وليس لهم في اثباتها شبهة فضلا عن حجة فان قيل فالجمهور فسروا الاية بتلك الوجوه فما قولك فيه فنقول لنا ههنا مقامات المقام الاول ان ندعي ان لفظ الاية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي يذكرونها وقد ظهر والحمد لله ان الامر كما ذكرناه وظهوره لا يرتاب العاقل فيه والمقام الثاني ان يقال هب ان لفظ الاية لا يدل عليه الا انه كلام ذكره الناس فما قولك فيه وجوابنا ان الدلائل الكثيرة قامت على عصمة الانبياء عليهم السلام ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات ورواية الاحاد لا تصلح معارضة للدلائل القوية فكيف الحكايات عن اقوام لا يبالى بهم ولا يلتفت الى اقوالهم والله تعالى اعلم بالصواب

# قوله تعالى

ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب والشياطين كل بناء وغواص واخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن ماب

اعلم واختلفوا في المراد من قوله تعالى ولقد فتنا سليمان ولاهل الحشو والرواية ان هذه الاية شرح واقعة ما سمعه من واقعة سليمان عليه السلام فيه قول ولاهل العلم والتوحيد قول اخر له اما اهل الحشو فذكروا فيه حكايات الاول قالوا ان سليمان بلغه خبر مدينة في البحر فخرج اليها بجنوده تحمله الريح فاخذها وقتل ملكها وكان احد ما اخذ بنت الملك اسمها جرادة من احسن وجهها فاصطفاها لنفسه واسلمت فاحبها وبين ملكها وكانت تبكي على ابيها فامر سليمان الشيطان فمثل لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت تذهب الى تلك الصورة بكرة وعشيا مع جواريها يسجدون له فاخبر اصف سليمان عليه السلام بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش الرماد فجلس عليه تائبا الى الله تعالى وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما واتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وقال يا امينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان فاتى عليه الطير والجن والانس وتغيرت هيئة سليمان فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته وكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب

وسبوه ثم اخذ يخدم السماكين يحمل لهم السمك فيه فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على هذه الحالة اربعين يوما عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر اصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان وسال اصف نساء سليمان عليه السلام فقلن ما يدع امراة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء فرهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان عليه السلام فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا لله تعالى ورجع اليه ملكه واخذ ذلك الشيطان فنحت صخرة والقاها في البحر الرواية الثانية للحشوية ان تلك المراة لما اقدمت على عبادة تلك الصورة افتتن سليمان وكان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها فقال له اصف انك المفتون بذنبك فتب الى الله تعالى والرواية الثالثة لهم قالوا ان سليمان عليه السلام قال لبعض الشياطين كيف تفتنون الناس فقال ارني خاتمك اخبرك فلما اعطاه اياه نبذه في البحر فذهب ملكه وقعد هذا الشيطان على كرسيه ثم ذكر الحكاية الى اخرها اذا عرفت هذه الروايات فهؤلاء قالوا المراد من قوله تعالى ولقد فتنا ان الله تعالى ابتلاه وقوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا هو جلوس ذلك الشيطان على كرسيه عقوبة لسليمان واعلم ان اهل التحقيق استبعدوا هذا الكلام من وجوه الاول ان الشيطان لو قدر على ان يشبه في الصورة والخلقة بالانبياء فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من الشرائع فلعل هؤلاء الذين راهم الناس في صورة محمد وعيسى وموسى عليهم السلام ما كانوا اولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لاجل الاغواء والاضلال ومعلوم ان ذلك يبطل الدين بالكلية الثاني ان الشيطان لو قدر على ان يعامل نبي الله سليمان عليه السلام بمثل هذه المعاملة لوجب ان يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد وحينئذ وجب ان يقتلهم وان يمزق تصانيفهم وان يخرب ديارهم ولما بطل ذلك في حق احاد العلماء فلان يبطل مثله في حق اكابر الانبياء اولى الثالث كيف يليق بحكمة الله تعالى واحسانه ان يسلط الشيطان على ازواج سليمان عليه السلام ولا شك انه قبيح الرابع لو قلنا ان سليمان عليه السلام اذن لتلك المراة في عبادة تلك الصورة فهذا كفر وان لم ياذن فيه البتة فالذنب على تلك المراة فكيف يواخذ الله سليمان عليه السلام بفعل لم يصدر عنه فاما الوجوه التي ذكرها اهل التحقيق في هذه الاشياء فالاول ان فتنة سليمان عليه السلام انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش صار مسلطا علينا مثل ابيه فسبيلنا ان نقتله فعلم سليمان عليه السلام ذلك وكان يربيه في السحاب فما راعه الا ان القي ذلك الولد ميتا على كرسيه فتنبه على خطيئته في انه لم يتوكل فيه على الله فاستغفر ربه وتاب الثاني روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امراة كل واحدة تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله تعالى فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة فجاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون فذلك قوله تعالى ولقد فتنا سليمان الثالث ان الفتنة بسبب مرض شديد القاه الله عليه والقينا على كرسيه منه جسدا وذلك لشدة المرض والعرب تقول في الضعيف انه لحم على وضم وجسم بلا روح ثم اناب اي رجع الى حال الصحة فاللفظ محتمل لهذه الوجوه ولا حاجة البتة الى حمله على تلك الوجوه الركيكة الرابع اقول لا يبعد ايضا ان يقال انه ابتلاه الله تعالى بتسليط خوف او توقع بلاء من بعض الجهات عليه وصار بسبب قوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الملقى على ذلك الكرسي ثم ازال الله تعالى عنه ذلك الخوف واعاده الى ما كان عليه من القوة وطيب القلب اما قوله تعالى قال رب اغفر لي فاعلم ان الذين حملوا الكلام المتقدم على صدور الزلة منه تمسكوا بهذه الاية الاولى وحينئذ يحتاج الى طلب المغفرة لان حسنات الابرار سيئات المقربين ولانهم ابدا في مقام هضم النفس واظهار الذلة والخضوع كما قال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة فلا يبعد ان يكون المراد من هذه الكلمة هذا المعنى والله اعلم ثم قال تعالى وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي دلت هذه الاية على انه يجب تقديم مهم الدين على مهم الدنيا لان سليمان عليه السلام طلب المغفرة اولا ثم بعده طلب المملكة وايضا الاية تدل على ان طلب المغفرة من الله تعالى سبب لانفتاح ابواب الخيرات في الدنيا لان سليمان عليه السلام طلب المغفرة اولا ثم توسل به الى طلب المملكة ونوح عليه السلام هكذا فعل ايضا لانه تعالى حكى عنه انه قال فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك فان قيل قول سليمان عليه السلام ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي مشعر بالحسد والجواب عنه ان القائلين بان الشيطان استولى على مملكة قالوا معنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي هو ان يعطيه الله تعالى ملكا لا يقدر الشيطان على ان يقوم مقامه البتة واما المنكرون لذلك فقد اجابوا عنه من وجوه الاول ان الملك هو القدرة وكان المراد اقدرني على اشياء لا يقدر عليها غيري البتة ليصير اقتداري عليها معجزة تدل على صحة نبوتي ورسالتي والدليل على صحة هذا الكلام انه تعالى قال عقيبه فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب فكون الريح جاريا بامره قدرة عجيبة وملك عجيب ولا شك انه معجزة دالة على نبوته فكان قوله تعالى هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي يعني لا يقدر احد على معارضتها والوجه الثاني في الجواب انه عليه السلام لما مرض ثم عاد الى الصحة عرف ان خيرات الدنيا صائرة الى الغير بارث او بسبب اخر فسال ربه ملكا لا يمكن ان ينتقل عني الى غيري والجواب الثالث في الجواب ان الاحتراز عن طيبات الدنيا مع القدرة عليها اشق من الاحتراز عنها حال عدم القدرة عليها فكانه قال يا الهي اعطني مملكة فايقة على ممالك البشر بالكلية حتى احترز عنها مع القدرة عليها ليصير ثوابي اكثر وافضل الوجه الرابع من الناس من يقول الاحتراز عن لذات الدنيا غير صعب لان هذه اللذات حاضرة وسعادات الاخرة نسية والنفس تصير معه النسية فقال سليمان عليه السلام يا رب اعطني مملكة تكون اعظم الممالك الممكنة للبشر حتى اني مع تلك القدرة الكاملة في غاية الاحتراز عنها ليظهر للخلق حصول الدنيا لا يمنع من خدمة المولى الوجه الخامس انه لم يقدر على الدنيا بسبق ملتفتا اليها فطلب انها سعادات عقلية وخيرات تابعة فقال سليمان عليه السلام العزم اعطني يا رب اعظم الممالك حتى يعرف الناس على كمالها فحينئذ يظهر للعقل انه ليس فيها فائدة وحينئذ يعرض القلب ولا يلتفت اليها ويشتغل بالعبودية ساكن النفس غير مشغول القلب بعلائق الدنيا ثم قال تعالى فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب رخاء رخوة لينة من الرخاوة والريح اذا كانت لينة لا تزعزع ولا تمتنع عليه كانت طيبة فان قيل اليس انه تعالى قال في اية اخرى ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره قلنا الجواب عنه من وجهين الاول لا منافاة بين الايتين فان المراد ان تلك الريح كانت في قوة الرياح العاصفة الا انها لما جرت بامره مرطه

فكانت رخاء والوجه الثاني من الجل بان تلك الريح كانت لينة مرة عاصفة اخرى ولا منافاة بين الامرين فقوله تعالى حيث اصاب اي قصدها اراد وحكى الاصمعي عن العرب انهم يقولون اصاب الصواب فاخطا الجواب وعن روبة ان رجلين من اهل اللغة وقصداه ليسالاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال اين تصيبان فقالا هذا مطلوبنا وبالجملة فالمقصود انه تعالى جعل الريح مسخرة له حتى يجري على وفق ارادته ثم قال تعالى والشياطين واخرين عطف على قوله تعالى كل بناء وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون ما شاء من الابنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وقوله تعالى مقرنين في الاصفاد قرنهم في الجبال والسرد بالكسرة والاصفاد الاغلال واحدها صفد والصفد العطية ايضا قال النابغة ولم اعرض ابيت اللعن بالصفد فعلى هذا الصفد القيد وكل من شددته شدا وثيقا فقد صفدته وكل من اعطيته عطاء جزلا فقد اصفدته وهاهنا بحث وهو ان هذه الآيات دالة على ان الشياطين لها قوة عظيمة وبسبب تلك القوة قدروا على بناء الابنية القوية التي لا يقدر عليها البشر وقدروا على الغوص في البحار واحتاج سليمان عليه السلام الى قيدهم ولقائل ان يقول هذه الشياطين اما ان تكون اجسادهم كثيفة او لطيفة فان كان الاول وجب ان يراهم من كان صحيح الحاسة اذ لو جاز ان لا نراهم مع كثافة اجسادهم فليجز ان يكون بحضرتنا جبال عالية واصوات هائلة ولا نراها ولا نسمعها وذلك دخول في السفسطة وان كان الثاني وهو ان اجسادهم ليست كثيفة بل لطيفة رقيقة فمثل هذا يمتنع ان يكون موصوفا بالقوة الشديدة وايضا لزم ان تتفرق اجسادهم وان تتمزق بسبب الرياح القوية وان يموتوا في الحال وذلك يمنع وصفهم بالاقوية وايضا الجن والشياطين ان كانوا موصوفين بهذه القوة الشديدة فلم لا يقتلون العلماء والزهاد في زماننا ولم لا يخربون ديار الناس مع ان المسلمين مبالغون في اظهار لعنتهم وعداوتهم وحيث لم يحس شيء من ذلك علمنا ان القول باثبات الجن والشياطين ضعيف **واعلم** ان اصحابنا يجوزون ان يكون اجسامهم كثيفة مع انا لا نراها وايضا لا يبعد ان يقال اجسامهم لطيفة بمعنى عدم اللون ولكنها صلبة بمعنى انها لا تقبل التفرق واما الجبائي فقد سلم انها كانت كثيفة الاجسام وزعم ان الناس كانوا يشاهدونهم في زمان سليمان عليه السلام ثم انه لما توفي سليمان عليه السلام اماتهم الله تعالى وامات تلك الجن والشياطين وخلق نوعا اخر من الجن والشياطين تكون اجسامهم في غاية الرقة ولا يكون لهم شيء من القوة والموجود في زماننا من الجن والشياطين ليس الا من هذا الجنس والله اعلم ثم قال تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وفيه قولان الاول قال ابن عباس اعط من شئت بغير حساب اي ليس عليك حرج فيما اعطيت وفيما امسكت الثاني ان هذا في امر الشياطين خل عنه واحبس منهم من شئت في العمل بغير حساب ولما ذكر الله تعالى ما انعم به على سليمان عليه السلام في الدنيا اردفه بالانعام عليه في الاخرة فقال تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وقد سبق تفسيره والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب **اعلم** ان هذا هو القصة الثالثة في القصص المذكورة في هذه السورة **واعلم** ان داود عليه السلام كان ممن افاض الله عليه اصناف الآلاء والنعماء وايوب كان ممن خصه الله تعالى بانواع البلاء والمقصود من جميع هذه القصص الاعتبار كان الله تعالى قال يا محمد واصبر على سفاهتهم اي اصبر على سفاهة قومك فانه ما كان في الدنيا اكثر نعمة ومالا وجاها من داود وسليمان وما كان اكثر بلاء ولا محنة من ايوب فتامل في احوال هؤلاء لتعرف ان احوال الدنيا لا تنتظم لاحد وان العاقل لا بد له من الصبر على المكاره وفيه مسائل المسالة الاولى قال صاحب الكشاف ايوب عطف بيان واذ بدل اشتمال منه اي من بالي ومعنى حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بانه عاب وقرئ بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وضمهما فالنصب والنصب كالرشد والرشد والعدم والعدم والسقم والسقم والنصب على اصل المصدر والنصب تثقيل نصب والمعنى واحد وهو المشقة والعذاب الالم **واعلم** انه كان قد حصل عنده نوعان من المكروه والغم الشديد بسبب زوال الخيرات وحصول المكروهات والالم الشديد في الجسم ولما حصل هذان النوعان لا جرم ذكر الله تعالى لفظين وهما النصب والعذاب المسالة الثانية للناس في هذا الموضع قولان **احدهما** ان الالام والاسقام الحاصلة في جسمه انما حصلت بفعل الشيطان **والثاني** انها انما حصلت بفعل الله تعالى والعذاب المضاف في هذه الآية الى الشيطان هو عذاب الوسوسة والقاء الخواطر الفاسدة اما القول الاول فتقريره ما روي ان ابليس سال ربه فقال هل في عبيدك من لو سلطني عليه يمتنع مني فقال الله نعم عبدي ايوب فجعل ياتيه بوساوسه وهو يرى ابليس عيانا ولا يلتفت اليه فقال رب انه قد امتنع علي فسلطني على ماله وكان يجيئه ويقول له هلك من مالك كذا وكذا فيقول الله تعالى اعطى والله اخذ ثم يحمد الله تعالى فقال يا رب ان ايوب لا يبالي بماله فسلطني على ولده فجاء وزلزل الدار فهلك اولاده بالكلية فجاءه واخبره فلم يلتفت اليه فقال يا رب انه لا يبالي بماله وولده فسلطني على جسده فاذن فيه فنفخ في جلد ايوب وحدثت اسقام عظيمة والام شديدة فمكث في ذلك البلاء سنين حتى استقذره اهل بلده فخرج الى الصحراء وما كان يقرب منه احد فجاء الشيطان الى امراته وقال ان زوجك ان استغاث بي خلصته من هذا البلاء فذكرت المراة ذلك لزوجها فحلف بالله تعالى لئن عافاه الله ليجلدنها مائة جلدة وعند هذه الواقعة قال اني مسني الشيطان بنصب وعذاب فاجاب الله تعالى دعاءه واوحى اليه ان اركض برجلك فاظهر الله تعالى من تحت رجله عينا باردة طيبة فاغتسل منها فاذهب الله تعالى عنه كل داء في ظاهره وباطنه ورد عليه اهله وماله **والقول الثاني** ان الشيطان لا قدرة له البتة على ايقاع الناس في الامراض والاسقام والدليل عليه وجوه الاول انا لو جوزنا حصول الموت والحياة والصحة والمرض من الشيطان فلعل الواحد منا انما وجد الحياة بفعل الشيطان وحينئذ لا يكون لنا سبيل الى ان نعرف ان معطي الحياة والموت والصحة والسقم هو الله تعالى الثاني ان الشيطان لو قدر على ذلك فلم لا يسعى في قتل الانبياء والاولياء ولم لا يخرب دورهم ولم لا يقتل اولادهم الثالث ان الله تعالى حكى عن

الشيطان

عن الشيطان انه قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم فصرح بانه لا قدرة له في حق البشر الا على القاء الوساوس والخواطر الفاسدة وذلك يدل على قول من يقول ان الشيطان هو الذي القى الامراض والآفات فان قالوا لم لا يجوز ان يقال الفاعل لهذه الاحوال هو الله تعالى لكن على وفق التماس الشيطان قلنا فاذا كان لا بد من الاعتراف بان خالق تلك الآلام هو الله تعالى فاي فائدة في جعل الشيطان واسطة في ذلك بل الحق ان المراد من قوله تعالى اني مسني الشيطان بنصب وعذاب انه بسبب القاء الوساوس الفاسدة والخواطر الباطلة كان يلقيه في انواع العذاب والعناء ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في ان تلك الوساوس كيف كانت وذكروا فيه وجوها الاول ان علته كانت شديدة الالم ثم طالت مدة تلك العلة واستقذره الناس ونفروا عن مجاورته ولم يبق له شيء من الاموال البتة وامراته كانت تخدم الناس وتحصل له قدر القوت ثم بلغت نفرة الناس عنه الى ان منعوا امراته من الدخول عليهم ومن الاشتغال بخدمتهم والشيطان كان يذكره النعم التي كانت والآفات التي حصلت وكان يحتال في دفع تلك الوساوس فلما قويت تلك الوساوس في قلبه خاف وتضرع الى الله تعالى وقال اني مسني الشيطان بنصب وعذاب لانه كلما كانت تلك الخواطر اكثر كان الم قلبه منها اشد الثاني انها لما طالت مدة المرض جاءه الشيطان وكان يقنطه من ربه ويزين له ان يجزع فخاف من تقوية خاطر القنوط في قلبه فتضرع الى الله تعالى وقال اني مسني الشيطان [illegible] وطلب بعض النساء منها قطع احدى ذوائبها على ان تعطيها رغيفا ففعلت ثم في اليوم الثالث فعلت مثل ذلك ولم يبق لها ذؤابة وكان ايوب عليه السلام اذا اراد ان يتحرك على فراشه تعلق بتلك الذؤابة فلما لم يجد الذؤابة وقعت الخواطر المؤذية في قلبه واشتد غمه فعند ذلك قال مسني الشيطان بنصب وعذاب السادس قال في بعض الايام يا رب لقد علمت ما اجتمع علي امران الا آثرت طاعتك ولما اعطيتني المال كنت للارامل قيما ولابن السبيل معينا ولليتامى ابا فنودي من غمامة يا ايوب ممن كان ذلك التوفيق فاخذ ايوب التراب ووضعه على راسه وقال منك يا رب ثم خاف من الخاطر الاول فقال مسني الشيطان بنصب وعذاب وقد ذكروا اقوالا اخرى والله اعلم بحقيقة الحال وسمعت بعض اليهود يقول ان لموسى بن عمران صلى الله عليه وسلم معروفا في قصة ايوب وحاصل ذلك الكتاب ان ايوب كان رجلا كثير الطاعة لله تعالى مواظبا على العبادة مبالغا في التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله تعالى ثم انه وقع في البلاء الشديد والعناء العظيم فهل كان ذلك حكمة ولا فان كان ذلك حكمة فمن المعلوم انه ما اتى بجرم في الزمان السالف حتى يجعل ذلك العذاب مقابلة ذلك الجرم وان كان ذلك لكثرة الثواب فالاله الحكيم الرحيم قادر على ايصال كل خير ومنفعة اليه من غير توسط تلك الآلام الطويلة والاسقام الكريهة وحينئذ لا يبقى في تلك الامراض والآفات فائدة وهذه كلمة ظاهرة جلية وهي دالة على ان افعال ذي الجلال منزهة عن التعليل بالمصالح والمفاسد والحق الصريح انه لا يسال عما يفعل وهم يسالون المسالة الثالثة لفظ الآية يدل على ذلك النصب والعذاب انما حصل من الشيطان ثم ذلك العذاب على القول الاول عبارة عما حصل في بدنه من الامراض وعلى القول الثاني عبارة عن الاحزان الحاصلة في قلبه بسبب الوسوسة وعلى التقديرين فيلزم اثبات الفعل للشيطان **واجاب** اصحابنا بانا لا نسلم اثبات الفعل للشيطان لكنا نقول فعل العبد مخلوق لله تعالى على التفصيل المعلوم اما قوله تعالى اركض برجلك فالمعنى انه لما شكى من الشيطان فكانه سال ربه ان يزيل عنه تلك البلية فاجابه الله اليه بان قال اركض برجلك والركض هو الدفع القوي بالرجل ومنه ركض الفرس والتقدير قلنا له اركض برجلك قيل انه ضرب برجله تلك الارض فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اي هذا ما يغتسل به فيبرا باطنك وظاهر اللفظ يدل على انه نبعت له عين واحدة من الماء اغتسل فيه وشرب منه والمفسرون قالوا نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره ومن باطنه باذن الله تعالى وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها ثم قال تعالى ووهبنا له اهله فقد قيل هم عين اهله وزيادة مثلهم وقيل غيرهم مثلهم والاول اولى لانه هو الظاهر فلا يجوز العدول عنه من غير ضرورة ثم اختلفوا فقال بعضهم معناه ازلنا عنهم السقم فعادوا اصحاء وقال بعضهم بل حضروا عنده بعد ان غابوا عنه واجتمعوا بعد ان تفرقوا وقال بعضهم بل تمكن منهم وتمكنوا منه فيما يتصل بالعشرة والخدمة اما قوله تعالى ومثلهم معهم فالاقرب انه تعالى متعه بصحته وبماله وقواه حتى كثر نسله وصار اهله ضعف ما كان واضعافه وقال الحسن المراد به اهلك انه تعالى احياهم بعد ان هلكوا ثم قال تعالى رحمة منا اي انما فعلنا كل هذه الافعال على سبيل الفضل والرحمة لا على سبيل اللزوم ثم قال تعالى وذكرى لاولي الالباب يعني سلطنا البلاء عليه اولا فصبر ثم ازلنا عنه البلاء واوصلناه الى الآلاء والنعماء تنبيها لاولي الالباب على ان من صبر ظفر والمقصود منه التنبيه على ما وقع ابتداء الكلام وقوله لمحمد اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود وقالت المعتزلة قوله تعالى رحمة منا وذكرى لاولي الالباب يعني انما فعلنا لهذه الاغراض والمقاصد وذلك يدل على ان افعال الله تعالى واحكامه معللة بالاغراض والمصالح والكلام في هذا الباب قد مر غير مرة اما قوله تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث فالضغث الحزمة الصغيرة من حشيش او ريحان او غير ذلك **واعلم** ان هذا الكلام يدل على تقدم يمين منه وفي الخبر انه حلف على اهله ثم اختلفوا في السبب الذي لاجله حلف عليها ويبعد ما قيل انها رغبته في طاعة الشيطان ويبعد ايضا ما روي انها قطعت الذوائب

عن ذلك للأوسط أرباح له ذلك بل الأقرب أنها خالفته في بعض المهمات وذلك أنها ذهبت في بعض المهمات فأبطأت فحلف في مرضه ليضربنها مائة إذا برأ ولما كانت حسنة الخدمة له لا جرم حلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها وهذه الرخصة باقية وعن النبي عليه السلام أنه أتي بمخدج قد خبث بأمة فقال خذوا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ثم قال تعالى إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب فإن قيل كيف وجده صابرا وقد شكى إليه والجواب من وجوه الأول أنه شكا من الشيطان إليه وما شكى إلى أحد والثاني أن الألم حين كان على الجسد لم يذكر شيئا فلما عظمت الوساوس خاف على القلب والدين فتضرع والثالث أن الشيطان عدو والشكاية من العدو إلى الحبيب لا يقدح في الصبر ثم قال تعالى نعم العبد إنه أواب وهذا يدل على أن تشريف نعم العبد إنما حصل لكونه أوابا وسمعت بعضهم قال لما أنزل قوله سبحانه وتعالى نعم العبد في حق سليمان تارة وفي حق أيوب أخرى عظمت قلوب أمة محمد صلى الله عليه وسلم قالوا إن قوله نعم العبد تشريف عظيم فإن احتجنا إلى عمل بلاء مثل أيوب لم نقدر عليه فكيف السبيل إلى تحصيله فأنزل الله تعالى نعم المولى ونعم النصير والمراد أنك إن لم تكن نعم العبد فأنا نعم المولى فإن كان منك الفضول فمني الفضل وإن كان منك التقصير فمني الرحمة والتيسير والله تعالى أعلم

**قوله تعالى** واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار

فيه مسائل **المسألة الأولى** قرأ ابن كثير عبدنا على الواحد وهي قراءة ابن عباس ويقول إن قوله عبدنا تشريف عظيم فوجب أن يكون هذا التشريف مخصوصا بأعظم الناس المذكورين في هذه الآية وهو إبراهيم وقرأ الباقون عبادنا قالوا لأن غير إبراهيم عليه السلام من الأنبياء قد أجري عليه هذا الوصف فجاء في عيسى عليه السلام إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وفي أيوب نعم العبد وفي نوح عليه السلام إنه كان عبدا شكورا فمن قرأ عبدنا جعل إبراهيم عليه السلام وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهي إسحاق ويعقوب عليهما السلام ومن قرأ عبادنا جعل إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام بيانا لعبادنا **المسألة الثانية** تقرير الآية كأنه تعالى قال اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود إلى أن قال واذكر عبادنا إبراهيم أي واذكر يا محمد صبر إبراهيم حين ألقي في النار وصبر إسحاق للذبح وصبر يعقوب حين فقد ولده وذهب بصره ثم قال أولي الأيدي والأبصار **واعلم** أن اليد آلة لأكثر الأعمال والبصر آلة لأقوى الإدراكات فحسن التعبير عن العمل باليد وعن الإدراك بالبصر إذا عرفت هذا فنقول النفس الناطقة لها قوتان عاملة وعالمة أما القوة العاملة فأشرف ما يصدر عنها طاعة الله وأما القوة العالمة فأشرف ما يصدر عنها معرفة الله تعالى وما سوى هذين القسمين من الأعمال والمعارف كالعبث الباطل فقوله تعالى أولي الأيدي والأبصار إشارة إلى هاتين الحالتين ثم قال تعالى إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وفيه مسائل **المسألة الأولى** خالصة قرئ بالتنوين والإضافة فمن نون كان التقدير أخلصناهم أي جعلناهم خالصين لنا بسبب خصلة خالصة لا شوب فيها ثم فسر تلك الخالصة بقوله ذكرى الدار ومن قرئ بالإضافة فالمعنى ما خلص من ذكرى الدار يعني أن ذكرى الدار قد يكون لله وقد يكون لغير الله تعالى والمعنى إنا أخلصناهم بسبب ما خلص من هذا الذكر **المسألة الثانية** في كون ذكرى الدار وجوه الأول المراد أنهم الذكر الجليل الرفيع لهم في الآخرة الثاني أن لهم الذكر الجميل في الدنيا وقيل دعاه قوله تعالى واجعل لي لسان صدق في الآخرين ثم قال تعالى وإنهم عندنا لمن المصطفين المختارين من أبناء جنسهم والأخيار جمع خير أو خير على التخفيف كأموات في جمع ميت أو ميت واحتج العلماء بهذه الآية في إثبات عصمة الأنبياء عليهم السلام قالوا لأنه تعالى حكم عليهم بكونهم أخيارا على الإطلاق وهذا يعم حصول الخيرية في جميع الأفعال والصفات بدليل صحة الاستثناء بدليل رفع الإجمال ثم قال تعالى واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار وهم قوم آخرون من الأنبياء تحملوا الشدائد في دين الله تعالى وقد ذكرنا الكلام في شرح هذه الأسماء في صفات هؤلاء الأنبياء في سورة الأنعام فلا فائدة في الإعادة وههنا تم فصل الأنبياء في هذه السورة أما قوله تعالى هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الأبواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب إن هذا لرزقنا ما له من نفاد واعلم أن في قوله هذا ذكر وجهان الأول أنه تعالى إنما شرح ذكر أحوال هؤلاء الأنبياء عليهم السلام لأجل أن يصبر محمد صلى الله عليه وسلم على تحمل سفاهة قومه فلما تمم بيان هذا الطريق وأراد أن يذكر عقيبه طريقا آخر يوجب الصبر على سفاهة الجهال وأراد أن يميز أحد البابين عن الآخر لا جرم قال تعالى هذا ذكر ثم شرع في تقرير الباب الثاني فقال تعالى وإن للمتقين كما أن المصنف إذا تم كلاما قال هذا باب ثم شرع في باب آخر وإذا فرغ الكاتب من فصل كتابه وأراد أن يشرع في فصل آخر قال وقد كان كيت وكيت والدليل عليه أنه لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يردفه بذكر أهل النار قال هذا وإن للطاغين **الوجه الثاني** والتأويل أن المراد هذا شرف وذكر جميل لهؤلاء يذكرون به أبدا والأول هو الصحيح أما قوله تعالى وإن للمتقين لحسن مآب **فاعلم** أنه تعالى لما حكى عن كفار قريش سفاهتهم على النبي صلى الله عليه وسلم بأن وصفوه بأنه ساحر كذاب فقالوا له على سبيل الاستهزاء عجل لنا قطنا فعند هذا أمر محمدا بالصبر على تلك السفاهة وبين أن ذلك الصبر لازم من وجهين الأول أنه تعالى بين أن الأنبياء المتقدمين صبروا على المكاره والشدائد فيجب أن تقتدي بهم في هذا المعنى الثاني أنه تعالى بين في هذه الآية أن من أطاع الله تعالى كان له من الثواب كذا وكذا ومن خالفه كان له من العقاب كذا وكذا وكل ذلك يوجب الصبر على تكاليف الله تعالى وهذا نظم حسن وترتيب لطيف أما قوله تعالى وإن للمتقين لحسن مآب المآب المرجع واحتج القائلون بأن نعيم الأرواح في هذه الآية وذلك أنه يستعمل على لفظ الرجوع إنما يصدق لو كانت هذه الأرواح موجودة قبل الأجساد وكانت في حضرة جلال الله تعالى ثم تعلقت بالأبدان فعند انفصالها عن الأبدان يسمى ذلك رجوعا وجوابه أن هذا وإن دل على أن الأرواح كانت موجودة قبل الأبدان ولا يدل على قدم الأرواح ثم قال تعالى جنات عدن مفتحة لهم الأبواب والعرب تجعل الألف واللام خلفا من الإضافة تقول العرب مررت برجل حسن الوجه فالألف واللام في الوجه





بدل من الإضافة الثاني قال الزجاج معنى مفتحة الأبواب منها الثالث قال صاحب الكشاف الأبواب بدل من الضمير وتقديره مفتحة هي الأبواب كقولك ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال **المسألة الثانية** قرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على تقدير أن يكون قوله تعالى جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره وكلاهما مبتدأ محذوف أي هو جنات عدن هي مفتحة **المسألة الثالثة** اعلم أنه تعالى وصف أهل الجنة في هذه الآية بأشياء الأول أحوال مساكنهم فقوله تعالى جنات عدن يدل على أمرين أحدهما كونها جنات وبساتين والثاني كونها دائمة آمنة من الانقضاء وفي قوله تعالى مفتحة لهم الأبواب وجوه الأول أن يكون المعنى الملائكة الموكلين بالجنان إذا رأوا صاحب الجنة فتحوا له أبوابها وحيوه بالسلام فيدخل محفوفا بالملائكة من حال وأجل هيبة قال تعالى حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين الثاني أن تلك الأبواب كلما أرادوا انفتاحها انفتحت لهم وكلما أرادوا انغلاقها انغلقت لهم الثالث المراد من هذا الفتح وصف تلك المساكن بالسعة وقرة العيون ومشاهدة أحوال الله تعالى سره الطيبة ثم قال تعالى متكئين فيها يدعون وفيه مباحث **البحث الأول** أنه تعالى ذكر في هذه الآية كونهم متكئين في الجنة وذكر في سائر الآيات كيفية ذلك الاتكاء فقال في آية على الأرائك متكئين وقال في آية أخرى متكئين على رفرف خضر **البحث الثاني** قوله متكئين حال قدمت على العامل فيها وهو قوله تعالى يدعون فيها بفاكهة والمعنى يدعون في الجنان متكئين فيها ثم قال تعالى بفاكهة كثيرة وشراب المعنى بألوان الفاكهة وألوان الشراب والتقدير بفاكهة كثيرة وشراب كثيرة والسبب في ذكر هذا المعنى أن ديار العرب حارة قليلة الفواكه والأشربة فرغبهم الله تعالى فيه ولما بين الله تعالى أمر المسكن وأمر المأكول والمشروب ذكر عقيبه أمر المنكوح فقال تعالى وعندهم قاصرات الطرف وقد سبق تفسيره في سورة الصافات وبالجملة فالمعنى كونهن قاصرات الطرف عن غيرهم مقصورات القلب على محبتهم وقوله تعالى أتراب على سن واحد ويحتمل كونهن أترابا للأزواج قال القفال والسبب في اعتبار هذه الصفة أنهن لما تشابهن في الصفة والسن والحلية كان الميل إليهن على السوية وذلك يقتضي عدم الغيرة ثم قال تعالى هذا ما توعدون ليوم الحساب يعني أن الله تعالى وعد المتقين بالثواب الموصوف بهذه الصفة ثم إنه تعالى أخبر عن دوام هذا الثواب فقال تعالى إن هذا لرزقنا ما له من نفاد والله تعالى أعلم

**قوله تعالى** هذا وإن للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار إن ذلك لحق تخاصم أهل النار

**اعلم** أنه تعالى لما وصف ثواب المتقين وصف بعده عقاب الطاغين ليكون الوعيد مذكورا عقيب الوعد والترهيب عقيب الترغيب **واعلم** أنه تعالى ذكر من أحوال أهل النار أنواعا فالأول مرجعهم ومآبهم فقال تعالى هذا وإن للطاغين لشر مآب وهذا في مقابلة قوله وإن للمتقين لحسن مآب فبين تعالى أن حال الطاغين مضادة لحال المتقين **واختلفوا** في المراد بالطاغين فالأكثر المفسرين حملوه على الكفار وقال الجبائي إنه محمول على أصحاب الكبائر سواء كانوا كفارا أو لم يكونوا كذلك واحتج الأولون بوجوه **الأول** أنه تعالى حكى عنهم أنهم قالوا أتخذناهم سخريا وذلك لا يليق إلا بالكفار لأن الفاسق لا يتخذ المؤمن سخريا الثالث أنه اسم ذم والاسم المطلق يحمل على الكامل والكامل في الطغيان هو الكافر واحتج الجبائي على صحة قوله بقوله تعالى إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وهذا يدل على أن الوصف بالطغيان قد يحصل في حق صاحب الكبيرة لأن كل من تجاوز عن تكاليف الله وتعداها فقد طغى إذا عرفت هذا فنقول ابن عباس المعنى أن الذين طغوا علي وكذبوا رسلي لهم شر مآب أي شر مرجع ومصير ثم قال تعالى جهنم يصلونها والمعنى أنه تعالى لما حكم بأن للطاغين لهم شر مآب فسره بجهنم يصلونها ثم قال تعالى فبئس المهاد وهو كقوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه الله تعالى ما تحتهم من النار بالمهاد والذي يفرشه النائم ثم قال تعالى هذا فليذوقوه حميم وغساق وفيه مسائل **المسألة الأولى** فيه وجهان الأول أنه على التقديم والتأخير والتقدير هذا حميم وغساق فليذوقوه الثاني أن يكون التقدير جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه ثم يبتدئ فيقول حميم وغساق أي منه حميم وغساق **المسألة الثانية** الغساق بالتخفيف والتشديد فيه وجوه الأول أن الذي يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين إذا سال دمعها قال ابن عمر هو القيح الذي يسيل منهم يجمع فيسقونه الثاني قال الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده ذكر الأزهري أن الغاسق البارد ولهذا قيل الليل غاسق لأنه أبرد من النهار الثالث الغساق المنتن حكى الزجاج لو قطرت منه قطرة بالمغرب لأنتن أهل المشرق والرابع قال كعب الغساق عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة من عقرب وحية **المسألة الثالثة** قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم غساق بتشديد السين حيث كان والباقون بالتخفيف قال أبو علي الفارسي الاختيار التخفيف لأنه إذا شدد لم يخل من أن يكون اسما أو صفة فإن كان اسما لم يجئ على هذا الوزن إلا قليلا وإن كان صفة فقد أقيم مقام الموصوف والأصل لا يجوز ذلك ثم قال تعالى وآخر من شكله أزواج وفيه مسائل **المسألة الأولى** قرأ أبو عمرو وأخر بضم الألف على جمع أخرى أي أصناف أخر من العذاب وهو قراءة مجاهد والباقون آخر على وزن واحد أي عذاب آخر أما على القراءة الأولى فقوله تعالى وأخر من مذوقات أخر من شكل هذا المذوق أي من مثله في الشدة والفظاعة أزواج يعني أجناس وأما على القراءة الثانية فالتقدير وعذاب آخر أو مذوق آخر وأزواج صفة لأنه يجوز أن يكون أو صفة الثلاثة وهي حميم وغساق وآخر من شكله قال صاحب الكشاف وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة وأما الغنج فبالكسر لا غير والله أعلم **واعلم** أنه تعالى لما وصف مسكن الطاغين ومأكولهم حكى أحوالهم مع الذين كانوا أحبابا لهم في الدنيا أولا ثم مع الذين كانوا أعداء لهم في الدنيا ثانيا أما الأول فقوله تعالى هذا فوج مقتحم معكم **واعلم** أن هذا حكايات كلام رؤساء أهل النار يقول بعضهم لبعض بدليل ما حكى بعد هذا من قول الأتباع وهو قوله تعالى قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه وقيل إن قوله تعالى هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم وقوله تعالى لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار كلام الرؤساء وقوله تعالى هذا فوج مقتحم معكم أي هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار كما كان قد

اقتحموا معكم في الجهل والضلال ومعنى فتحتم معكم النار اي دخل النار في صحبتكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة
وقوله تعالى لا مرحبا بهم دعا منهم على اتباعهم تقول للرجل لمن يدعو له مرحبا اي اتيت رحبا من البلاد لا ضيقا او وجدت
بلادك رحبا ثم يدخل عليه كلمة لا في دعاء السوء وقوله بهم بيان للمدعو عليهم صالوا النار تعليل لاستيجاب الدعاء عليهم و
نظير هذه الاية قوله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم يريدون ان الدعاء الذي دعوتم به علينا ايها
الرؤسا انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا والضمير للعذاب او لصليهم فان قيل ما معنى تقديمهم العذاب لهم قلنا الذي اوجب
التقديم هو عمل السوء ثم قال تعالى وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم الا ان الرؤسا لما كانوا هم السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاؤهم عليه
قيل انتم قدمتموه كانه عن الطغيان ان الذي حل عليه قوله تعالى وان للطاغين لشر ماب وقوله تعالى فبئس القرار اي بئس المستقر
المسكن جهنم ثم قال الاتباع ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا اي مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونظيره قوله تعالى ربنا
هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا وكذلك قوله تعالى انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب
فان قيل كل مقدار يفرض من العذاب فان كان بقدر الاستحقاق لم يكن مضاعفا وان كان زايدا عليه كان ظلما وانه لا يجوز قلنا المراد
منه قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة والمعنى انه يكون احد القسمين
٣ عذاب الضلال والثاني عذاب الاضلال والله اعلم وهاهنا اخر شرح احوال الكفار مع الذين كانوا احبابا لهم في الدنيا واما شرح
احوالهم مع الذين كانوا اعداء لهم في الدنيا فهو قوله تعالى وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعني ان الكفار اذا نظروا في
١٠ جوانب جهنم حينئذ يقولون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين لا يوبه بهم وسموهم من الاشرار اما
بمعنى الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى او لانهم كانوا على خلاف دينهم وكانوا عندهم اشرارا ثم قال تعالى اتخذناهم سخريا وفيه
مسايل المسئلة الاولى قرا ابو عمرو وحمزة والكسائي من الاشرار اتخذناهم بوصل الالف والباقون بفتحها على الاستفهام وقال ابو عبيد
بالوصل لان الاستفهام متقدم في قوله تعالى ما لنا لا نرى رجالا ولان المشركين لا يشكون في اتخاذهم المومنين في الدنيا سخريا لان الاستفهام
متقدم في قوله ما لنا لا نرى رجالا لانه تعالى قد اخبر عنهم في ذلك بقوله تعالى فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري فكيف يحسن
ان يستفهموا عن شي علموه اجاب الفرا عنه بان قال هذا من الاستفهام الذي معناه التعجب والتوبيخ ومثل هذا الاستفهام
جايز عن الشي المعلوم اما وجه قول من الحق الهمزة للاستفهام انه لا بد من المصير اليه ليعادل قوله تعالى اتخذناهم قوله تعالى ام زاغت
عنهم الابصار فان قيل فما الجملة المعادلة له من قوله ام زاغت عن القراة الاولى قلنا انها محذوفة والمعنى المفقودون هم ام زاغت
عنهم الابصار الثانية قرا نافع بضم السين والباقون بكسرها وقيل هما بمعنى وقيل بالكسر هو الهزء وبالضم هو التذليل والتسخير
اختلفوا في نظم الاية على قولين بناء على القراتين المذكورتين اما القراة على سبيل الاخبار فالتقدير ما لنا لا نراهم حاضرين لاجل انهم
لحقارتهم تركوا او لاجل انهم زاغت عنهم الابصار ووقع التعبير عن حقارتهم بقولهم اتخذناهم سخريا واما القراة على سبيل الاستفهام
فالتقدير لاجل انا قد اتخذناهم سخريا وما كانوا كذلك فلم يدخلوا او لاجل انهم زاغت عنهم الابصار **واعلم**
انه تعالى لما حكى عنهم هذه المناظرات قال ان ذلك الذي حكينا عنهم لحق لا بد وان يتكلموا به ثم بين ان الذي حكاه عنهم ما هو فقال
تخاصم اهل النار وانما سمى الله تعالى تلك الكلمات تخاصما لان قول الرؤسا لا مرحبا بهم وقول الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة
والله تعالى اعلم **قوله تعالى** قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما
بينهما العزيز الغفار قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون ان يوحى
الي الا انما انا نذير مبين **اعلم** انه تعالى لما حكى في اول السورة ان محمدا صلى الله عليه وسلم لما دعى الناس الى ان الاله
واحد والى انه رسول حق من عند الله والى ان القيمة حق فان اولئك الكفار اظهروا السفاهة وقالوا انه ساحر كذاب واستهزوا بقوله ثم انه
ذكر قصص الانبيا لوجهين الاول ليصير ذلك حاملا لمحمد صلى الله عليه وسلم بالانبيا عليهم السلام في الصبر على سفاهة القوم والثاني ليصير
ذلك رادعا للكفار عن الاصرار والسفاهة وداعيا الى قبول الايمان ولما تمم الله تعالى ذلك الطريق اردفه بطريق اخر وهو شرح نعيم اهل
الثواب وشرح عقاب اهل العقاب فلما تمم الله تعالى هذه البيانات عاد الى تقرير المطالب المذكورة في اول السورة وهي تقرير التوحيد والنبوة
والبعث فقال قل يا محمد انما انت منذر ولا بد من الاقرار بانه ما من اله الا الله الواحد القهار قال الترتيب الصحيح ان يذكر شبهات
الخصوم اولا ويجاب عنها ثم يذكر عقيبه الدلايل الدالة على صحة المطلوب اجاب الله تعالى عن شبهتهم وسفه رايهم فيما قالوا ثم ذكر عقيبه ما يدل
على صحة المطالب لان ازالة ما لا ينبغي مقدمة على اثبات ما ينبغي وعلى اللوح من النقوش الفاسدة مقدم على ثبت النقوش الصحيحة فيه ومن تامل في هذا
الترتيب اعترف بان الكلام من اول السورة الى اخرها قد جا على احسن وجوه الترتيب والنظم اما قوله تعالى قل انما انا منذر وما من اله يعني ابلغ
اليه احوال العقاب من انكر التوحيد والنبوة والمعاد واحوال الثواب لمن اقر بها وكما بدا في اول السورة باول التوحيد حيث حكى عنهم انهم قالوا
اجعل الالهة الها واحدا فكذلك بدا هاهنا بتقرير التوحيد فقال تعالى وما من اله الا الله الواحد القهار وفي هذه الكلمة اشارة الى
الدليل على كونه منزها عن التجزي والتنظير وبيانه ان حصول احد المرادين اولى من الاخر فيفضي الى اندفاع كل واحد منهما بالاخر وحينئذ لا يكون
قادرا قهارا بل كان عاجزا ضعيفا والعاجز لا يصلح للالهية فقوله تعالى الا الله الواحد القهار اشارة الى ان كونه قهارا يدل على كونه
واحدا واما الثاني وهو ان يقال ان الذي جعل شريكا لا يقدر على شي البتة مثل هذه الاوثان فهذه ايضا فاسدة لان صريح العقل يحكم
بان عبادة الاله القادر القهار اولى من عبادة جماد لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنكم شيا فقوله تعالى وما من اله الا الله الواحد
القهار يدل على هذه الدلايل **واعلم** انه لما ذكر كونه سبحانه وتعالى قهارا مشعرا بالرهب والتخويف ولما ذكر ذلك اردفه بما يدل



على الرجا والترغيب فقال تعالى رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار فكونه ربا يشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه
غفارا يشعر بان العبد لو اقدم على المعاصي والذنوب فان رحمته يغفر ويرحم فثبت ان كونه قهارا مشعرا بالترهيب وان كونه غفارا مشعر
بالترغيب وهذا الموجود هو الذي يجب عبادته لانه هو الذي يخشى عقابه ويرجى فضله وثوابه ونذكر طريقة اخرى في تفسير هذه الايات
فنقول انه تعالى ذكر في صفاته في هذا الموضع خمسة الواحد والقهار والرب والعزيز والغفار اما كونه واحدا فهو الذي وقع الخلاف
فيه بين اهل الحق والمشركين واستدل تعالى على كونه بكونه قهارا وقد بينا وجه هذه الدلالة ان كونه قهارا وان دل على اثبات الوحدانية
الا انه يوجب الخوف الشديد فانه ردفه تعالى بذكر صفات ثلاثة دالة على الفضل والرحمة والكرم اولها كونه رب السموات والارض
وما بينهما وهذا انما يتم معرفته بالنظر في اثار حكمة الله تعالى في خلق السموات والارض والعناصر الاربعة والمواليد الثلاثة وذلك
بحر لا ساحل له فاذا تاملت في اثار حكمته ورحمته في خلق هذه الاشيا عرفت حينئذ تربيته للكل وذلك يفيد الرجا العظيم وثانيها
كونه عزيزا والفايدة في ذكره ان القايل ان يقول هب انه رب مربي الا انه غير قادر على كل المقدورات فاجاب عنه بانه عزيز اي
قادر على كل الممكنات فهو يغلب الكل ولا يغلبه شي وثالثها كونه غفارا والفايدة في ذكره ان القايل ان يقول هب انه رب ومحسن
ولكنه يكون كذلك في حق المطيعين المخلصين في العبادة فاجاب الله عنه بان من بقي على الكفر سبعين سنة فاذا تاب اراد الله اسمه
عن ديوان المذنبين واستر عليه بفضله ورحمته جميع ذنوبه واوصله الى درجات الابرار واعلم انه تعالى لما بين ذلك قال قل هو نبا عظيم
انتم عنه معرضون وهذا النبا العظيم يحتمل وجوها يمكن ان المراد ان القول بان الاله واحد نبا عظيم ويمكن ان يقال المراد ان القول بالنبوة
عظيم ويمكن ان يكون المراد القول باثبات الحشر والقيمة نبا عظيم وذلك لان هذه المطالب الثلاثة كانت مذكورة في اول السورة و
لاجلها انجر الكلام الى كل ما سبق ذكره ويمكن ايضا ان يكون المراد كون القران معجزا لان هذا ايضا قد تقدم ذكره في قوله تعالى كتاب انزلناه
اليك مبارك ليدبروا اياته وهولاء الاقوام اعرضوا عنه على ما قال قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون ترغيبا في النظر والاستدلال ومنع
التقليد لان هذه المطالب شريفة عالية فان سعد بان يكون الانسان فيها على الحق كان باعظم ابواب السعادة وكانت هذه المباحث
انباء عظيمة ومطالب هايلة مهيبة وصريح العقل يوجب على الانسان ان ياتي فيها بالاحتياط التام وان لا يكتفي بالمساهلة و
المسامحة اما قوله تعالى ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون فاعلم انه تعالى رغب المكلفين بالاحتياط في هذه المسايل الاربعة
وبالغ في ذلك الترغيب من وجوه الاول ان كل واحد منها نبا عظيم والنبا العظيم يجب الاحتياط فيه الثاني ان الملا الاعلى اختصموا واحسن
ما فيه ضده انه تعالى لما قال اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك
قال اني اعلم ما لا تعلمون والمعنى انهم قالوا اي فايدة في خلق البشر مع انهم يشتغلون بقضا الشهوة وهو المراد من قوله تعالى من يفسد فيها
وبامضا الغضب وهو المراد من قوله تعالى ويسفك الدما فقال الله سبحانه اني اعلم ما لا تعلمون وتقرير هذا الجواب والله اعلم انه تعالى
ان المخلوقات بحسب القسمة العقلية على اقسام اربعة احدها الذي حصل العقل والحكمة ولم يحصل لهم العلم والحكمة وهي البهايم وثالثها
الاشيا الخالية عن القسمين وهي الجمادات وبقي في التقسيم قسم رابع وهو الذي حصل فيه الامران وهو الانسان والمقصود من تخليق
الانسان هو الجهل والتقليد والتكبر والتمرد فان كل ذلك صفات البهايم والسباع بل المقصود من تخليقه ظهور العلم والحكمة والطاعة
فقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون يعني ان هذا النوع من المخلوق وان حصلت فيه الشهوة الداعية الى الفساد والغضب الحامل على سفك
الدما لكن حصل فيه العقل الذي يدعوه الى المعرفة والمحبة والطاعة والخدمة واذا ثبت انه تعالى انما اجاب الملايكة بهذا الجواب وجب
على الانسان ان يسعى في تحصيل هذه الصفات وان يجتهد في اكتسابها وان يحترز عن طريقة الجهل والتقليد والاصرار والتكبر واذا
كانت كذلك وكل من وقف كيفية هذه الواقعة صار وقوفه عليها داعيا له الى الجد والاجتهاد في اكتساب المعارف الحقة والاخلاق
الفاضلة زاجرا له عن اضدادها ومقابلاتها فلهذا السبب ذكر الله تعالى هذا الكلام في هذا المقام فان قيل الملايكة لا يجوز ان يقال
انهم اختصموا بسبب قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما فان المخاصمة مع الله تعالى كفر قلت لا شك انه جرى هناك سوال
وجواب وذلك يشابه المخاصمة والمناظرة والمشابهة علة لجواز المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه ولما امر الله
تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يذكر هذا الكلام على سبيل الرمز امره ان يقول ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين يعني انا ما عرفت
هذه المخاصمة الا بالوحي وانما اوحى الله تعالى الي هذه القصة لاكون منذرا لكم ويحصل هذه القصة حاملة لكم على الاخلاص في الطاعة والاحتراز
عن الجهل والتقليد والله تعالى اعلم **قوله تعالى** اذ قال ربك للملايكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين
قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار
وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم
يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
قال فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين **اعلم** ان المقصود من ذكر هذه القصة
المنع من الحسد والكبر وذلك لان ابليس انما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد والكبر والكفار انما نازعوا محمدا صلى الله عليه وسلم بسبب
الحسد والكبر فالله تعالى ذكر هذه القصة هاهنا ليصير سماعها زاجرا لهم عن هاتين الخصلتين المذمومتين والحاصل انه تعالى رغب المكلفين
في النظر والاستدلال ومنعهم عن الاصرار والتقليد وذكر في تقريره امورا اربعة اولها انه نبا عظيم والثاني ان قصة
سوال الملايكة عن الحكمة في تخليق البشر يدل على ان الحكمة الاصلية في تخليق آدم هو المعرفة والطاعة لا الجهل والتكبر الثالث ان ابليس انما خاصم

آدم لاجل الحسد والكبر فيجب الاحتياط منه والثاني ان قصة سؤال الملايكة لاجل الحسد والكبر فيجب على العاقل ان يحترز عنها فهذا هو وجه النظم
في هذه الآية واعلم ان هذه القصة تقدم شرحها في سور كثيرة فلا فايدة في الاعادة الا ما لا بد منه وفي الآية مسايل المسألة
الاولى في قوله تعالى اني خالق بشرا من طين فيه سؤالات السؤال الاول ان هذا النظم انما يصح لو امكن خلق البشر لا من الطين
كما اذا قيل انا سوارا فهذا انما يستقيم لو امكن اتخاذه من الفضة الثاني ذكرها هنا انه خلق البشر من الطين وساير الآيات دالة على انه
خلقه من ساير الاشيا لقوله تعالى في آدم خلقه من تراب ولقوله من صلصال من حما مسنون ولقوله تعالى خلق الانسان
من عجل والثالث ان هذه الآية تدل على انه تعالى اخبر الملايكة بانه يخلق بشرا من طين فلم يقولوا شيا وفي الآية الاخرى
وهي التي قال فيها اني جاعل في الارض خليفة بين انهم اوردوا السؤال وبينهما تناقض والجواب عن الاول ان السعد كانه سبحانه
وتعالى وصف لهم اولا ان البشر شخص جامع للقوة البهيمية والسبعية والشيطانية والملكية ولما قال تعالى اني خالق بشرا من طين فكانه قال
ذلك الشخص المستجمع لتلك الصفات انما خلقه من الطين والجواب عن الثاني ان المعاد البعيدة وهي التراب واقرب منه الطين الحما
المسنون واقرب منه الصلصال فثبت انه لا منافاة بين الكل والجواب عن الثالث انه في الآية المذكورة في سورة البقرة بين لهم انه
يخلق في الارض خليفة وفي الآية المذكورة هاهنا بين ان ذلك الخليفة اشرف مخلوق من الطين المسألة الثانية قال تعالى
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وهذا يدل على ان تخليق البشر لا يتم الا بامرين التسوية اولا ثم نفخ الروح ثانيا وهذا حق
لان الانسان مركب من جسد ونفس اما الجسد فانما يتولد من المني انما يتولد من دم الطمث وهو انما يتولد من الاخلاط الاربعة وهي
انما يتولد من الاركان الاربعة فلا بد في حصول هذه التسوية من رعاية المدة التي في مثلها يحصل ذلك المزاج الذي لاجله
يحصل الاستعداد لقبول النفس الناطقة واما النفس فاليها الاشارة بقوله تعالى ونفخت فيه من روحي ولما اضاف الروح الى
نفسه دل على انه جوهر شريف علوي قدسي وذهبت الحلولية الى ان كلمة من تدل على البعض وهذا يوهم ان الروح جزء من اجزاء الله
تعالى وهذا في غاية الفساد لان كل ما له جزء وكل ما هو مركب ممكن الوجود لذاته ومحدث اما كيفية نفخ الروح فاعلم ان الاقرب
ان جوهر النفس عبارة عن اجرام شفافة نورانية علوية العنصر قدسية الجواهر وهي تسري في هذا البدن سريان الضوء
في الهوا وسريان النار في الفحم فهذا القدر معلوم اما كيفية ذلك النفخ فمما لا يعلمه الا الله تعالى المسألة الثالثة
الفاء في قوله تعالى فقعوا له ساجدين يدل على انه كما تم نفخ الروح في الجسد توجه امر الله عليهم بالسجود واما المامور بذلك
السجود فملايكة الارض ودخل فيه ملايكة مثل جبرايل وميكايل والروح الاعظم المذكور في قوله تعالى يوم يقوم الروح
والملايكة صفا ففيه مباحث البحث الاول قال بعض الصوفية الملايكة الذين امروا بالسجود لآدم هو القوى [illegible]
والحيوانية الحسية والحركة فانها في بدن الانسان حول دم النفس الناطقة وابليس الذي لم يسجد هو القوة الوهمية
التي هي المنازعة لجوهر العقل والكلام فيه طويل واما بقية المسايل وهو كيفية سجود الملايكة امر لا وانه هل كان كافرا
اصليا ام لا فكما تقدم في سورة البقرة وغيرها الرابعة احتج من اثبت الاعضا فالجواب لله تعالى بقوله ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي اثبات يد لله تعالى بان قالوا ظاهر الآية يدل على انه تعالى خلق آدم بيديه والآيات الكثيرة
واردة على وفق هذه الآية فوجب القطع به واعلم ان الدلايل الدالة على انه يمتنع كونه تعالى جسما مركبا من الاجزا والاعضا
قد سبقت الا انا نذكرها هنا نكتا جارية مجرى الالزامات الظاهرة [illegible]
[illegible]

الحجة الثامنة

ان العالم

ان العالم كره فان كان فوق بالنسبة الى قوم كان تحت بالنسبة الى قوم آخرين وذلك باطل وان كان فوق بالنسبة الى الكل فحينئذ يكون جسما
محيطا بهذا العالم كل الجوانب فيكون اله العالم على هذا القول فلكا من الافلاك التاسعة لما كانت الارض كبيرة وكانت السموات كرات وكل ساعة
تفرض من الساعات فانها تكون تحت الليل في حق اقوام معينين من سكان كرة الارض فلو بقي اله العرش في ثلث الليل واجب ان يبقى ابدا
نازلا عن العرش وان لا يرجع الى العرش البتة العاشرة انا ذكرنا في الهية الشمس والقمر ان لثلاثة انواع من العيوب اولها كونه مولفا من الاجزا
والابعاض وثانيها كونه محدودا متناهيا وثالثها كونه موصوفا بالحركة والسكون والطلوع والغروب فاذا كان اله المشبهة
مولفا من الاعضا والاجزا كان مركبا واذا كان على العرش محدودا متناهيا واذا كان ينزل من العرش ويرجع اليه كان موصوفا بالحركة
والسكون فهذه الصفات الثلاثة ان كانت منافية للالهية وجب تنزيه الاله عنها باسرها وذلك يبطل قول المشبهة وان لم يكن منافية
للالهية فحينئذ لا يقدر على الطعن في الهية الشمس والقمر الحادي عشر قوله تعالى قل هو الله احد ولفظ الاحد مبالغة في الواحد وذلك
ينافي كونه مركبا من الاجزا والابعاض الثاني عشر قوله تعالى والله هو الغني وانتم الفقرا ولو كان مركبا من الاجزا والابعاض لكان محتاجا
اليها وذلك يمنع من كونه غنيا على الاطلاق فثبت بهذه الوجوه ان القول باثبات الاعضا [illegible] فنقول ذكر العلما في لفظ اليد وجوها
الاول ان اليد عبارة عن القدرة تقول العرب ما لي بهذا الامر يد اي قوة وطاقة قال تعالى او يعفو الذي بيده عقدة النكاح الثاني اليد
عبارة عن النعمة يقال ايادي فلان في حق فلان ظاهرة والمراد النعم والمراد باليدين النعم الظاهرة والباطنة او نعم الدين والدنيا الثالث
ان لفظ اليد قد يزاد للتاكيد كقول القايل لمن جنى باللسان هذا ما كسبت يداك وكقوله تعالى بشرا بين يدي رحمته ولقايل ان يقول حمل
القدرة هاهنا غير جايز ويدل عليه وجوه الاول ان ظاهر الآية يقتضي اثبات اليدين فلو كانت اليد عبارة عن القدرة لزم اثبات
قدرتين لله تعالى وهو باطل والثاني ان الآية تقتضي ان كون آدم مخلوقا باليدين يوجب فضله وكونه مسجودا للملايكة فلو كانت عبارة
عن القدرة لكان آدم مخلوقا بالقدرة لكن جميع الاشيا مخلوقة بقدرة الله تعالى فكما ان آدم مخلوق بيد الله فكذلك ابليس
مخلوق بيد الله على تقدير ان يكون اليد عبارة عن القدرة لم يكن هذه العلة علة لكون آدم مسجودا لابليس اولى من ان يكون ابليس
مسجودا وحينئذ يختل نظم الآية وبطل الثالث انه جاء في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال كلتا يديه يمين ومعلوم ان هذا الوصف
لا يليق بالقدرة واما التاويل الثاني وهو حمل اليدين على النعمة فهو ايضا باطل لوجوه الاول ان نعم الله تعالى كثيرة كما قال تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها وظاهر الآية يدل على ان اليد لا تزيد على الاثنين الثاني لو كانت اليد عبارة عن النعمة فنقول النعمة مخلوقة لله
تعالى بل يكون مخلوقا لبعض وذلك بان يكون سبب المزيد الكمال الثالث لو كانت اليد عبارة عن النعمة لكان قوله تعالى تبارك الذي بيده
الملك تبارك الذي بنعمته الملك ولكان قوله تعالى بيدك الخير معناه بنعمتك الخير ولكان قوله تعالى بل يداه مبسوطتان معناه نعمتاه
مبسوطتان ومعلوم ان كل ذلك فاسد واما التاويل الثالث وهو قوله ان لفظ اليد قد يذكر تارة لاجل التاكيد فنقول لفظ
اليد يستعمل في حق من يكون هذا العضو حاصلا له وفي حق من لا يكون هذا العضو حاصلا له اما الاول فكقولهم في حق من جنى بلسانه
هذا ما كسبت يداك والسبب فيه ان محل القدرة هو اليد فاطلق اسم اليد على القدرة وعلى هذا التقدير فيصير المراد من لفظ اليد القدرة
وقد تقدم ابطال هذا الوجه واما الثاني فكقوله تعالى بين يدي عذاب شديد وقوله بين يدي الساعة الا انا نقول هذا المجاز
لهذا اللفظ مذكور والمجاز لا يقاس عليه ولا يكون مطردا فلا جرم لا يجوز ان يقال ان هذا المعنى انما حصل بيد العذاب وبيد الساعة
ونحن لا نسلم ان قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله [illegible] قد يجوز ان يراد به التاكيد والصلة اما المذكور في هذه الآية قوله تعالى
خلقت بيدي واذا كان القياس في المجاز باطلا فقد سقط كلامهم بالكلية فهذا منتهى البحث في الباب والذي تخلص عندي في هذا الباب
ان السلطان العظيم لا يقدر على عمل شيء بيديه الا اذا كانت غاية عنايته مصروفة الى ذلك العمل فاذا كانت العناية الشديدة من لوازم العمل
باليد امكن جعله مجازا عنه عند قيام الدلايل القاهرة فهذا ما لخصناه في هذا الباب والله اعلم اما قوله تعالى استكبرت ام كنت من
العالين فالمعنى استكبرت الآن ام كنت ابدا من المتكبرين العالين فاجاب ابليس بقوله تعالى انا خير منه خلقتني من نار وخلقته
من طين والمعنى اني لو كنت مساويا له في الشرف لكان يقبح امري بسجودي له فكيف واني خير منه ثم بين كونه خيرا منه بان اصله
من النار والنار اشرف من الطين فصح ان اصله خير من اصل آدم ومن كان اصله خيرا من اصله فهو خير منه فهذه مقدمات ثلاثة
المقدمة الاولى ان ابليس مخلوق من النار ويدل عليه قوله تعالى خلقتني من نار وقوله تعالى والجان خلقناه من قبل من
نار السموم والمقدمة الثانية ان النار افضل من الطين ويدل عليه وجوه الاول ان الاجرام الفلكية اشرف من الاجرام العنصرية والنار
اقرب العناصر من الفلك والارض ابعدها عنه فوجب كون النار افضل من الارض الثاني ان النار خليفة الشمس والقمر في اضاءة هذا
العالم عند غيبتهما والشمس والقمر اشرف من الارض فخليفتهما في الاضاءة افضل من الارض الثالث ان الكيفية الفاعلة الاصلية اما الحرارة او
البرودة والحرارة افضل من البرودة لان الحرارة تناسب الحياة والبرودة تناسب الموت الرابع ان النار لطيفة والارض كثيفة واللطافة اشرف
من الكثافة الخامس ان النار مشرقة والارض مظلمة والنور خير من الظلمة السادس ان النار خفيفة تشبه الروح والارض ثقيلة تشبه
الجسم فالنار افضل من الارض وكذلك فان الاطبا اطبقوا على ان العنصر الناري اعون على تركيب الاجساد وان العنصر [illegible]
اعون على تولد الارواح السابع النار صاعدة والارض هابطة والصاعد افضل من الهابط الثامن ان اول روح العلقة هو القلب
لانه هو الذي [illegible] من نقطة الاستوا السماوي ثم ان القلب على طبيعة النار [illegible] الحيوان القلب والروح وهما على طبيعة النار [illegible]
اعضا الحيوان هو العظم وهو بارد يابس التاسع ان الاجسام الارضية كلما كانت اشد نورانية ومشابهة بالنار كانت اشرف وكلما
كانت اكثر غبرة وكدورة ومشابهة بالارض كانت اخس مثال الاجسام المشبهة بالنار الذهب والياقوت والجواهر والاحجار

الصافية النورانية ومثاله ايضا الثياب الابريسم وما يتخذ منه واما ان كل ما كان اكثر ارضية وغيره فهو احسن فالامر بالعكس العاشر ان القوة الباصرة في غاية الشرف والجلالة ولا جرم جعلها الله الشعاع وهو جسم شبيه بالنار الحادي عشر ان اشرف اجسام العالم الجسماني هو الشمس ولا شك انه شبيه بالنار في صورته وطبعه واثره الثاني عشر الهضم والطبخ والحياة ولا تتم الا بالحرارة ولولا قوة الحرارة لما تم المزاج وتولد المركبات الثالث عشر ان اقوى العناصر الاربعة في قوة الفعل هو النار واضعفها في قوة الانفعال هو الارض والفعل افضل من الانفعال فالنار افضل من الارض اما القايلون بفضل الارض على النار فذكروا ايضا وجوها الاول ان الارض امين مصلح فاذا اودعتها حبة ردتها اليك شجرة مثمرة والنار خاين تفسد كل ما سلمت اليه الثاني ان الحسد المصري ابى على النار فاشبع ما يقوله الحس اللمسي والناس ان الارض مستولية على النار بانها تطفي النار واما النار فلا تتهاون في الارض الخالصة واما المقدمة الثالثة فهي ان من كان اصله خيرا من اصله فهو خير منه واعلم ان هذه المقدمة كاذبة جدا وذلك لان اصل الرماد النار واصل البساتين الزهرة والاشجار المثمرة هو الطين ومعلوم بالضرورة ان الاشجار المثمرة خير من الرماد وايضا فهب ان اعتبار هذه الجهة توجب الفضيلة الا ان هذا يمكن ان يصير معارضا بجهة اخرى توجب الرجحان مثل انسان نسيب عاري عن كل الفضايل فان النسب توجب رجحانه الا ان الذي لا يكون نسيبا قد يكون كثير العلم والزهد فيكون هو افضل من ذلك النسيب بدرجات لا حد لها فالمقدمة الكاذبة في القياس الذي ذكره ابليس هي هذه المقدمة فان قال قايل هب ان ابليس اخطا في هذا القياس لكن كيف يلزمه الكفر من تلك المخالفة وبيان هذا السؤال من وجوه الاول قوله اسجدوا امر والامر لا يقتضي الوجوب بل الندب كالمخالفة الندب لا توجب العصيان فضلا عن الكفر وايضا فالذين يقولون ان الامر للوجوب فهم لا ينكرون كونه محتملا للندب احتمالا ظاهرا ومع قيام هذا الاحتمال الظاهر كيف يلزم العصيان فضلا عن الكفر الثاني هب انها للوجوب الا ان ابليس ما كان من الملايكة فامر الملايكة بسجود آدم عليه السلم لا يدخل فيه ابليس الثالث هب انه تناوله الا ان تخصيص العام بالقياس جائز اذ خصص نفسه عن ذلك الامر بالقياس الرابع هب انه تعمد مع علمه بانه كان مامورا به الا ان هذا القدر يوجب العصيان ولا يوجب الكفر فكيف لزمه الكفر والجواب هب ان صيغة الامر لا تدل على الوجوب ولكن يجوز ان ينضم اليها من القراين ما يدل على الجواز وههنا حصلت تلك القراين وهي قوله سبحانه وتعالى استكبرت ام كنت من العالين قال الى ابليس لقياسه الفاسد ودل على انه انما ذكر القياس ليتوسل به الى القدح في امر الله تعالى وتكليفه وذلك يوجب الكفر اذا عرفت هذا فنقول ان ابليس لما ذكر هذا القياس الفاسد قال تعالى اخرج منها فانك رجيم واعلم انه ثبت في اصول الفقه ان ذكر الحكم بكونه وصفا ورد عقيب ما حكي عنه انه خصص النص بالقياس فهذا يدل على ان تخصيص النص يوجب هذا الحكم وقوله منها اي من الجنة او من السموات والرجيم المرجوم وفيه قولان الاول انه مجاز عن الطرد لان من طرد فقد يرمى بالحجارة وهو الرجيم فلما كان الرجم من لوازم الطرد جعل الرجم كناية عن الطرد فان قالوا الطرد هو اللعن فلو حملنا قوله رجيم على الطرد لكان قوله بعد ذلك وان عليك لعنتي تكرارا والجواب من وجهين الاول ان نحمل الرجم على الطرد من الجنة ومن السموات ونحمل اللعن على الطرد من رحمة الله تعالى والثاني انا نحمل الرجم على الطرد ونحمل قوله تعالى وان عليك لعنتي الى يوم الدين على ان الطرد ممتد الى آخر القيمة فيكون هذا فايدة زايدة ولا يكون تكريرا والقول الثاني في تفسير الرجيم انا نحمله على الحقيقة وهو كون الشياطين مرجومين بالشهب والله اعلم فان قيل كلمة الى تفيد انتهاء الغاية فقوله تعالى الى يوم الدين يقتضي انقطاع تلك اللعنة عند ذلك اليوم قلنا انواع العذاب تصير اللعنة مع حصرها منسية واعلم ان ابليس لما صار مرجوما ملعونا قال فانظرني الى يوم يبعثون قيل انما طلب الانظار الى يوم البعث لاجل ان يتخلص من الموت لانه اذا انظر الى يوم البعث لم يمت قبل يوم البعث وعند مجيء يوم البعث لا يموت ايضا فحينئذ يتخلص من الموت فقال تعالى انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ومعناه انك من المنظرين الى يوم يعلمه الله تعالى ولا يعلمه احد سواه فقال ابليس فبعزتك وهو قسم بعزة الله تعالى وسلطانه لاغوينهم اجمعين فههنا اضاف الاغواء الى نفسه فهو على مذهب القدر وقال مرة اخرى رب بما اغويتني فههنا اضاف الاغواء الى الله تعالى على ما هو مذهب الجبر وهذا يدل على انه متحير في هذه المسألة واما قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين ففيه فوايد الفايدة الاولى قيل غرض ابليس من ذكر هذا الاستثناء ان لا يقع في كلامه الكذب لانه لو لم يذكر هذا الاستثناء وادعى انه يغوي الكل لكان يظهر كذبه حين يعجز عن اغواء عباد الله الصالحين وكان ابليس ذكر هذا الاستثناء لئلا يقع الكذب في هذا الكلام وعند هذا ان الكذب شيء يستنكف منه ابليس فكيف يليق بالمسلم الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته قلنا ان ابليس لم يقل اني لا اقصد اغواء عباد الله بل قال لاغوينهم فهو وان كان اغوى الا انه لا يغويهم الفايدة الثانية هذه الاية تدل على ان ابليس لا يغوي عباد الله المخلصين وقال تعالى في صفة يوسف عليه السلام انه من عبادنا المخلصين فتحصل من مجموع هاتين الايتين ان ابليس ما اغوى يوسف عليه السلام وذلك يدل على كذب الحشوية فيما نسبوا الى يوسف عليه السلام من القبايح واعلم ان ابليس لما ذكر هذا الكلام قال الله تعالى فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وفيه مسايل المسألة الاولى قرا عاصم وحمزة فالحق بالرفع والحق بالنصب والباقون بالنصب فيهما اما الرفع فتقديره فالحق قسمي واما النصب فعلى القسم اي فبالحق لاقولن والله لافعلن واما قوله والحق اقول انتصب بقوله اقول المسألة الثانية قوله منك اي من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية آدم فان قيل قوله اجمعين تاكيد لماذا قلنا يحتمل ان يؤكد به الضمير في منهم او الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين لا اترك منهم احدا المسألة الثالثة احتج اصحابنا بهذه الايات في مسألة ان الكل بقضاء الله تعالى من وجوه الاول انه تعالى قال في حق ابليس اخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين فهذا اخبار من الله تعالى بانه لا يؤمن فلو امن لانقلب خبر الله الصدق كذبا وهو محال فكان صدور الايمان منه محالا مع انه مامور به والثاني انه تعالى قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين قال الله تعالى علم منه انه يغويهم وسمع منه هذه الدعوى فكان قادرا على منعه من ذلك والقادر على المنع تخليص ابليس عن الاضلال والمخلص بني آدم عن الضلال وهذا عين المصلحة الثالث انه تعالى اخبر انه يملا جهنم من الكفرة فلو لم يكفروا لزم الكذب والجهل في حق الله تعالى الرابع اراد ان يكفر الكافر وان يسلط الانبيا والصالحين والشياطين وابليس حيث طلب الامهال علمنا انه فاسد الخامس ان كيف ولكن الكفار بالايمان بعض تكليفهم بالايمان بهذه الايات التي تدل على انهم لا يؤمنون

البتة

البتة وذلك تكليف ما لا يطاق والله اعلم **قوله تعالى** قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نباه بعد حين **اعلم** ان الله تعالى ختم السورة بهذه الخاتمة الشريفة وذلك لانه تعالى ذكر طرقا كثيرة دالة على وجوب الاحتياط في طلب الدين ثم قال عند الختم هذا الذي ادعو الناس اليه يجب ان ينظر في حال الداعي وفي حال الدعوة ليظهر انه حق او باطل اما الداعي فهو انا فانا لا اسالكم على هذه الدعوة اجرا ومالا ومن الظاهر ان الكذاب لا ينقطع طمعه عن طلب المال البتة وكان من الظاهر انه صلى الله عليه وسلم كان بعيدا عن الدنيا عديم الرغبة فيها واما كيفية الدعوة فقال تعالى وما انا من المتكلفين والمفسرون ذكروا فيه وجوها والذي يغلب على الظن ان المراد ان هذا الذي ادعوكم اليه ليس يحتاج في معرفة صحته الى التكليفات الكثيرة بل هو دين صحيح تشهد العقول بصحته فاني ادعوكم الى الاقرار بوجود الله اولا ثم ادعوكم الى تنزيهه وتقديسه عن كل ما لا يليق به بقوله ليس كمثله شيء وامثاله وادعوكم ثالثا الى الاقرار بكونه موصوفا بكمال العلم والقدرة والحكمة والرحمة ثم ادعوكم رابعا الى الاقرار بكونه منزها عن الشركاء والاضداد ثم ادعوكم خامسا الى الامتناع من عبادة هذه الاوثان التي هي جمادات خسيسة لا نفع في عبادتها ولا مضرة في الاعراض عنها ثم ادعوكم سادسا الى تعظيم الارواح الطاهرة المقدسة وهم الملايكة والانبيا ثم ادعوكم سابعا الى الاعراض عن الدنيا والاقبال على الاخرة ثم ادعوكم ثامنا الى الاقرار بالبعث والقيامة ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى فهذه الاصول الثمانية هي الاصول القوية المعتبرة في دين محمد صلى الله عليه وسلم وبداية العقول واوايل الافكار شاهدة بصحة هذه الاصول الثمانية فثبت اني لست من المتكلفين في الشريعة التي ادعو الخلق اليها بل كل عقل سليم وطبع مستقيم فانه يشهد بصحتها وجلالتها وبعدها عن الباطل والفساد وهو المراد من قوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين ولما بين هذه المقدمات قال ولتعلمن نباه بعد حين والمعنى انكم ان اصررتم على الجهل والتقليد وابيتم قبول هذه البيانات التي ذكرناها فستعلمون بعد حين انكم كنتم مصيبين في هذا الاعراض او مخطيين وذكر مثل هذه الكلمة بعد تلك البيانات المتقدمة مما لا مزيد عليه في التخويف والترهيب والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اوليا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشا سبحانه هو الله الواحد القهار

في الاية مسايل **المسألة الاولى** ذكر الفرا والزجاج في رفع تنزيل وجهين احدهما ان يكون قوله تنزيل الكتاب مبتدا وقوله من الله العزيز الحكيم خبر والثاني ان يكون التقدير هذا تنزيل الكتاب فيضمر المبتدا كقوله تعالى سورة انزلناها اي هذه سورة وقال بعضهم الوجه الاول اقوى لوجوه الاول ان الاضمار خلاف الاصل فلا يصار اليه الا لضرورة ولا ضرورة ههنا الثاني انا اذا قلنا تنزيل الكتاب من الله حصلت جملة تامة من المبتدا والخبر افاد فايدة شريفة وهي ان تنزيل الكتاب يكون من الله تعالى لا من غيره وهذا الحصر معنى معتبر اما اذا اضمرنا المبتدا لم يحصل بهذه الفايدة الثالث انا اذا اضمرنا المبتدا صار التقدير هذا تنزيل الكتاب وحينئذ يلزمنا مجاز آخر لان هذا اشارة الى السورة والسورة ليست نفس التنزيل بل السورة منزلة فحينئذ نحتاج الى ان نقول المراد من المصدر المفعول وهو مجاز تحملناه لا لضرورة **المسألة الثانية** القايلون بخلق القران احتجوا بان قالوا انه تعالى وصف القران بكونه تنزيلا ومنزلا وهذا الوصف لا يليق الا بالمحدث المخلوق وجوابنا انا نحمل هذه اللفظة على الصيغ والحروف **المسألة الثالثة** الايات الكثيرة تدل على وصف القران بكونه تنزيلا من حكيم حميد فقال تعالى حم تنزيل من الرحمن الرحيم واما الثاني فقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وقال تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وانت تعلم ان كونه منزلا اقرب الى الحقيقة من كونه تنزيلا فكونه منزلا مجازا ايضا لانه ان كان المراد من القران الصفة القايمة بذات الله تعالى فهو لا يقبل الانفصال والنزول نزول الملك الذي بلغها الى الرسول صلى الله عليه وسلم والله اعلم **المسألة الرابعة** قالت المعتزلة العزيز هو القادر الذي لا يغلب فهذا اللفظ يدل على كونه تعالى قادرا على ما لا نهاية والحكيم هو الذي يفعل لداعية الحكمة لا لداعية الشهوة وهذا انما يتم اذا ثبت انه تعالى عالم بجميع المعلومات وانه غني عن جميع الحاجات فثبت ان هذا يدل على كونه تعالى عزيزا حكيما يدل على هذه الصفات الثلاث العلم بجميع المعلومات والقدرة على الممكنات والاستغنا عن كل الحاجات فمن كان كذلك امتنع ان يفعل القبيح وان يحكم بالقبيح واذا كان كذلك كان كل ما يفعله يكون حكمة وصوابا اذا ثبت هذا فنقول الانتفاع بالقران يتوقف على اصلين **احدهما** ان نعلم ان القران كلام الله تعالى والدليل عليه انه ثبت بالمعجز كون الرسول صادقا وثبت بالتواتر انه كان يقول القران كلام الله تعالى فيحصل من مجموع هاتين المقدمتين ان القران كلام الله تعالى **الثاني** ان الله تعالى اراد بهذه الالفاظ المعاني التي هي موضوعها اما بحسب اللغة او بحسب القرينة العرفية او الشرعية لانه لو لم يرد بها ذلك لكان ذلك تلبيسا ولا يليق بالحكيم فثبت بما ذكرنا ان الانتفاع بالقران لا يحصل الا بعد تسليم هذين الاصلين وثبت انه لا سبيل الى هذين الاصلين الا باثبات كونه تعالى حكيما وثبت انه لا سبيل الى اثبات كونه حكيما اما قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ففيه سؤالات **السؤال الاول** لفظ تنزيل يشعر بانه تعالى انزله عليه نجما نجما على سبيل التدريج ولفظ الانزال يشعر بان الله تعالى انزله عليه دفعة واحدة فكيف الجمع بينهما والجواب ان صح الفرق بين التنزيل وبين الانزال من الوجه الذي ذكرتم فطريق الجمع ان يقال المعنى انا حكمنا حكما كليا جزما بان يوصل اليك هذا الكتاب وهذا هو الانزال ثم اوصلناه نجما نجما اليك وفق المصالح وهذا هو التنزيل **السؤال الثاني** ما المراد من قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق والجواب فيه وجهان الاول المراد انزلنا الكتاب ملتبسا بالحق والصدق والصواب ومعنى كل ما اودعناه فيه من اثبات التوحيد

والنبوة والمعاد وانواع التكاليف فهو حق وصدق يجب العمل به والمصير اليه الثاني ان يكون المراد انا انزلنا الكتاب اليك بناء على دليل حق دل على ان الكتاب نازل من عند الله وذلك الدليل هو ان الفصحاء عجزوا عن معارضته ولو لم يكن معجزا لما عجزوا عن معارضته ثم قال تعالى فاعبد الله مخلصا له الدين وفيه مسايل **المسئلة الاولى** انه تعالى لما بين في قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ان هذا الكتاب مشتمل على الحق والصدق والصواب اردفه بما يجب عمله على سبيل الحق والصدق وهو ان يشتغل الانسان بعبادة الله تعالى على سبيل الاخلاص فهو المراد من قوله تعالى فاعبد الله مخلصا واما براته عن عبادة غير الله فهو المراد من قوله تعالى الا لله الدين الخالص لان قوله تعالى الا لله يفيد الحصر ومعنى الحصر ان يثبت الحكم في المذكور وينفي عن غير المذكور **واعلم** ان العبادة مع الاخلاص لا تعرف حقيقتها الا اذا عرفنا ان العبادة ما هي وان الاخلاص ما هو وان الوجوه المنافية للاخلاص ما هي وان الوجوه المنافية للاخلاص كم هي فهذه امور ثلاثة لا بد من البحث عنها اما العبادة فهي فعل او قول او ترك فعل او ترك قول يوتى به لمجرد اعتقاد ان الامر به عظيم يجب قبوله **واما الاخلاص** فهو ان يكون الداعي له الى الاتيان بذلك الفعل او الترك مجرد هذا الانقياد والامتثال فان حصل معه داع اخر فاما ان يكون جانب الداعي الى الطاعة راجحا على الجانب الاخر او معادلا له او مرجوحا واجمعوا على ان المعادل والمرجوح ساقط واما اذا كان الداعي الى طاعة الله تعالى راجحا على الجانب الاخر فقد اختلفوا في انه هل يفيد اثرا ام لا وقد ذكرنا هذه المسئلة مرارا ولفظ القران يدل على وجوب الاتيان به على سبيل الخلوص لان قوله تعالى فاعبد الله مخلصا صريح في انه يجب الاتيان بالعبادة على سبيل الخلوص واكد هذا بقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين واما بيان الوجوه المنافية للاخلاص فهي الوجوه الداعية الى الشريك وهي اقسام **احدها** ان يكون للريا والسمعة فيه مدخل وثانيها ان يكون مقصوده من الاتيان بالطاعة الفوز بالجنة والخلاص من النار وثالثها ان ياتي بها ويعتقد ان لها تاثيرا في ايجاب الثواب ودفع العقاب ورابعها هو ان يخلص تلك الطاعات عن الكبائر حتى يصير مقبولة وهذا الوجه انما يعتبر على قول المعتزلة **المسئلة الثانية** من الناس من قال ان قوله تعالى فاعبد الله مخلصا له الدين المراد منه شهادة ان لا اله الا الله **واحتجوا** بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا اله الا الله حصني من دخل حصني امن عذابي وهذا قول من يقول لا تضر المعصية مع الايمان كما لا ينفع الطاعة مع الكفر واما الاكثرون فقالوا الاية متناولة لكل ما كلف الله تعالى به من الاوامر والنواهي وهذا هو الاولى لان قوله تعالى فاعبد الله عام روي ان امرأة الفرزدق لما قرب وفاتها اوصت ان يصلي الحسن البصري عليها فلما صلى عليها ودفنت قال الفرزدق يا ابا سعيد ما الذي اعددت لهذا الامر قال شهادة ان لا اله الا الله فقال الحسن هذا عمود الخيمة فاين الطنب فبين بهذا اللفظ الموجز ان عمود الخيمة لا ينتفع بها الا مع الطنب حتى يمكن الانتفاع بالخيمة قال القاضي فاما ما يروى انه صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ ولابي الدرداء وان زنى وان سرق على رغم انف ابي الدرداء فانه ان صح فانه يجب ان يحمل عليه بشرط التوبة والا لم يجز قبول هذا الخبر لانه يخالف القران ولانه يوجب ان لا يكون الانسان مزجورا عن الزنا والسرقة وان لا يكون متعديا بفعلها لانه مع شرة شهوته للقبيح يعلم انه لا يضره مع تمسكه بالشهادتين كان ذلك اغراء بالقبيح والكل ينافي حكمة الله تعالى ولا يلزم ان يقال فالقول بانه لا بد من التوبة يوجب ايضا اغراء بالقبيح لانا نقول انه من اعتقد ان ضرره يزول بالتوبة فقد اعتقد ان فعل القبيح يضره الا انه يزيل ذلك الضرر بفعل التوبة بخلاف قول من يقول ان فعل القبيح لا يضر مع التمسك بالشهادتين هذا تمام كلام القاضي فيقال اما قولك ان القول بالمغفرة مخالف للقران فليس كذلك بل القران يدل عليه قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم كما يقال رايت الامير على اكله وشربه اي حين كونه اكلا وشاربا وقال تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا واما قولك ان ذلك يوجب الاغراء بالقبيح فيقال له ان كان الامر كذلك وجب ان يقبح غفرانه عقلا وهذا مذهب البغداديين من المعتزلة وانت لا تقول به لان مذهب البصريين ان غفران الذنوب جائز عقلا وايضا فيلزم عليه ان يحصل الغفران بالتوبة لانه اذا علم انه اذا زنى ثم تاب غفر الله تعالى له لم ينزجر واما الفرق الذي ذكره القاضي فبعيد لانه اذا عزم على ان يتوب عنه في الحال علم انه لا يضره ذلك الذنب البتة ثم نقول مذهبنا انا نقطع بحصول العفو عن الكبائر في الجملة الا انه تعالى لم يقطع بهذا الغفران في حق كل احد بل في حق من يشاء واذا كان الامر كذلك كان الخوف حاصلا والله تعالى اعلم **المسئلة الثالثة** قال صاحب الكشاف وقرئ الدين بالرفع ثم قال وحق من رفعه ان يقرأ مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى واخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله تعالى الا لله الدين الخالص [illegible] **واعلم** [illegible] والذين اتخذوا من دونه اولياء [illegible] ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى [illegible]





ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى **واعلم** ان الله تعالى لما حكى مذاهبهم اجاب عنها من وجوه **الاول** انه اقتصر في الجواب على مجرد التهديد فقال تعالى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون **واعلم** ان الرجل المبطل اذا ذكر مذهبا باطلا وكان مصرا عليه فالطريق في علاجه ان يحتال بحيلة توجب زوال ذلك الاصرار عن قلبه فاذا زال الاصرار عن قلبه فبعد ذلك اسمعه الدليل الدال على بطلانه فيكون هذا الطريق افضى الى المقصود والاطباء يقولون لا بد من تقديم المنضج على سقي المسهل فان تناول المنضج يجعل المواد الفاسدة قابلة للزوال فاذا اسقيته المسهل بعد ذلك حصل الشفاء التام فكذلك ههنا اسماع التهديد والتخويف اولا يجري مجرى سقي المنضج اولا واسماع الدليل ثانيا يجري مجرى المسهل ثانيا فهذا هو الفايدة في تقديم هذا التهديد ثم قال تعالى ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار والمراد ان من اصر على الكذب والكفر بقي محروما عن الهداية والمراد بهذا الكذب وصفهم لهذه الاصنام بانها الهة ثم الكفر ويحتمل ان يكون المراد كفران النعمة والسبب فيه ان العبادة نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا يليق الا بمن يصدر منه غاية الانعام وذلك المنعم هو الله سبحانه وتعالى وهذه الاوثان لا مدخل لها في ذلك الانعام فالاشتغال بعبادة هذه الاوثان يوجب كفران النعمة ثم قال تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار والمراد من هذا الكلام اقامة الدلايل القاهرة على كونه منزها عن الولد وبيانه من وجوه **احدها** انه لو اتخذ ولدا لما رضي الا باكمل الاولاد وهو الابن فكيف نسبتم اليه البنت الثاني انه سبحانه وتعالى واحد حقيقي والواحد الحقيقي يمتنع ان يكون له ولد اما انه واحد حقيقي فلانه لو كان مركبا لاحتاج الى كل واحد من اجزايه وجزءه غيره فكان يحتاج الى الغير ممكن لذاته والممكن لذاته لا يكون واجب الوجود لذاته واما ان الواحد لا يكون له ولد فلوجوه **الاول** ان الولد عبارة عن جزء من اجزاء الشيء ينفصل عنه ثم يحصل له صورة مساوية لصورة الوالد ويكون مماثلا في تمام الماهية للوالد فيكون حقيقة ذلك الشيء حقيقة نوعية محمولة على شخصين وذلك محال لان تعين كل واحد منهما ان كان من لوازم تلك الماهية لزم ان لا يحصل من تلك الماهية الا الشخص الواحد وان لم يكن ذلك التعين من لوازم تلك الماهية كان ذلك التعين معلولا بسبب منفصل فلا يكون الها واجب الوجود لذاته فثبت ان كونه الها واجب الوجود لذاته يوجب كونه واحدا حقيقة وكونه واحدا في حقيقته يمنع من ثبوت الولد فثبت ان كونه واحدا يمنع من ثبوت الولد الثالث ان الولد لا يحصل الا من الزوج والزوجة والزوجان لا بد وان يكونا من جنس واحد فلو كان له ولد لما كان واحدا بل كانت زوجته من جنسه واما كونه قهارا [illegible] كان الولد في حقه محالا فثبت ان قوله تعالى هو الله الواحد القهار الفاظ مشتملة على دلايل قاطعة في نفي الولد عن الله تعالى والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور **واعلم** ان الاية المتقدمة دلت على انه تعالى بين كونه منزها عن الولد بكونه الها واحدا قهارا غالبا اي كامل القدرة فلما بنى تلك المسئلة على هذه الاصول ذكر عقيبها ما يدل على كمال القدرة وعلى كمال الاستغناء وايضا انه تعالى طعن في الهية الاصنام فذكر عقيبها الصفات التي باعتبارها تحصل الالهية واعلم انا بينا في مواضع من هذا الكتاب ان الدلايل التي ذكرها الله تعالى في اثبات الالهية اما ان يكون فلكية او عنصرية اما الفلكية فاقسام احدها خلق السموات والارض وهذا المعنى يدل على وجود الاله القادر من وجوه كثيرة شرحناها في تفسير قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات وثانيها اختلاف احوال الليل والنهار وهو المراد من قوله ههنا يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وذلك لان النور والظلمة عسكران مهيبان عظيمان وفي كل يوم يغلب هذا ذاك وذاك هذا وذلك يدل على ان كل واحد منهما مغلوبا مقهورا ولا بد من غالب قاهر لهما يكونان تحت تدبيره وقهره وهو الله سبحانه وتعالى والمراد من هذا التكرير انه يزيد في كل واحد منهما بعد ما ينقص عن الاخر والمراد من تكوير الليل والنهار ما ورد في الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من الادبار بعد الاقبال **واعلم** انه تعالى عبر عن هذا المعنى بقوله تعالى يكور الليل على النهار وبقوله تعالى يغشي الليل النهار وبقوله تعالى يولج الليل في النهار وبقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر والثالث اعتبار احوال الكواكب سيما الشمس والقمر فان الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل واكثر مصالح هذا العالم مربوطة بهما وقوله تعالى كل يجري لاجل مسمى يوم القيمة لا يزالان يجريان الى هذا اليوم فاذا كان يوم القيمة ذهبا ونظيره قوله تعالى وجمع الشمس والقمر والمراد من هذا التسخير ان هذه الافلاك تدور دوران المسحوق على حد واحد الى يوم القيمة وعنده تطوى السماء كطي السجل للكتاب ولما ذكر الله تعالى هذه الانواع الثلاثة من الدلايل الفلكية قال تعالى الا هو العزيز الغفار والمعنى ان خلق هذه الاجرام العظيمة وان دل على كونه عزيزا اي كامل القدرة الا انه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان فانه لما كان الاخبار عن كونه عظيم القدرة يوجب الخوف والرهبة فكونه غفارا كثير الرحمة يوجب الرجاء والرغبة ثم انه اتبع ذكر الدلايل الفلكية بذكر الدلايل الماخوذة من هذا العالم الاسفل فبدا بذكر الانسان فقال خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ودلالة تكون بدن الانسان على الاله المختار قد سبق بيانها مرارا كثيرة فان قيل كيف جاز ان يقول خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها والزوج مخلوق قبل خلقهم اجابوا عنه من وجوه الاول ان كلمة ثم كما تجيء لبيان كون احدى الواقعتين متاخرة عن الثانية فكذلك تجيء لبيان تاخر احدى الحكايتين عن الاخرى تقول القايل بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس اعجب ونقول

ايضا قد اعطيتك اليوم سمائم الذي اعطيتك امس اكثر الثاني ان يكون التقدير خلقكم من نفس خلقت وحدها ثم جعل منها زوجها الثالث اخرج الله تعالى ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حوا واعلم انه تعالى لما ذكر الاستدلال بخلقه الانسان على وجود الصانع وذكر عقيبه الاستدلال بوجود الحيوان عليه قال تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وهي الابل والبقر والضان والمعز وقد بينا كيفية دلالة هذه الحيوانات على وجود الصانع في قوله تعالى والانعام خلقها لكم فيها دفء وفي تفسير قوله تعالى وانزل لكم وجوه الاول ان قضا الله تعالى وتقديره وحكمه موصوف بالنزول من السما لاجل انه كتب في اللوح المحفوظ كل كاين يكون الثاني ان شيا من الحيوان لا يعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالما والما ينزل من السما فصار التقدير كانه انزلها الثالث انه تعالى خلقها في الجنة ثم انزلها الى الارض وقوله ثمانية ازواج اي ذكر وانثى من الابل والبقر والضان والمعز والزوج اسم لكل واحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد قال تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ثم قال تعالى يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق وفيه ابحاث الاول قرا حمزة بكسر الالف والميم والكسائي بكسر الهمزة وفتح الميم والباقون امهاتكم بضم الالف وفتح الميم البحث الثاني انه تعالى ذكر تخليق الناس من شخص واحد وهو آدم عليه السلام اردفه بتخليق الانعام وانما خصها لانها اشرف الحيوانات بعد الانسان ثم ذكر عقيبهما حالة مشتركة بين الانسان وبين الانعام وهي كونها مخلوقة في بطون الامهات وقوله خلقا من بعد خلق المراد منه ما ذكره الله تعالى في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الى آخر هذه الآيات وقوله في ظلمات ثلاث قيل الظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن ووجه الاستدلال بهذه الحالات قد ذكرناه في قوله تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء واعلم انه تعالى لما شرح هذه الدلايل ووصفها قال ذلكم الله ربكم اي ذلكم الشي الذي عرفتم عجايب افعاله هو الله ربكم وفي هذه الآية دلالة على كونه تعالى منزها عن الاجزا والاعضا وعلى كونه منزها عن الجهة والمكان وذلك انه تعالى عند ما اراد ان يعرف عباده ذاته المخصوصة لم يذكر الا كونه فاعلا لهذه الاشيا ولو كان جسما مركبا من الاعضا لكان تعريفه بتلك الاجزا والاعضا تعريفا للشي باجزا حقيقته واما تعريفه باحواله وآثاره فذلك تعريف بامور خارجة عن ذاته والتعريف الاول اكمل من الثاني ولو كان ذلك القسم ممكنا لكان الاكتفا بهذا القسم الثاني تقصيرا ونقصانا وذلك غير جايز فعلمنا ان الاكتفا بهذا القسم انما حسن لان الاول محال ممتنع الوجود وذلك يدل على كونه سبحانه وتعالى متعاليا عن الجسمية والاعضا والاجزا ثم قال له الملك وهذا يفيد الحصر اي له الملك لا لغيره ولما ثبت انه لا مالك الا الله وجب القول بانه لا اله الا هو لانه لو ثبت اله آخر فذلك الاله اما ان يكون له ملك او لا يكون له ملك فان كان له ملك فحينئذ يكون كل واحد منهما مالكا قادرا ويجري بينهما التمانع كما ثبت في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وذلك محال وان لم يكن للثاني شي من القدرة والملك فيكون ناقصا ولا يصلح للالهية فثبت انه لما دل الدليل على انه لا مالك الا الله وجب ان يقال لا اله للعالمين ولا معبود للخلايق اجمعين الا الله تعالى الاحد الحق الصمد ثم اعلم انه سبحانه وتعالى لما بين بهذه الدلايل كمال القدرة والحكمة والرحمة رتب عليه سخف طريقة المشركين من وجوه الاول قوله تعالى فانى تصرفون يحتج به اصحابنا ويحتج به المعتزلة اما اصحابنا فوجه الاستدلال لهم بهذه الآية انها صريحة في انهم لم يصرفوا بانفسهم عن هذه الآيات بل صرفها عنهم غيرهم وما ذلك الغير الا الله وايضا فدليل العقل يقوي ذلك لان كل واحد يريد لنفسه تحصيل الحق والصواب فلما لم يحصل ذلك وانما حصل الجهل والضلال علمنا انه من غيره لا منه واما المعتزلة فوجه الاستدلال لهم ان قوله تعالى فانى تصرفون تعجب من هذا الانصراف ولو كان الفاعل لذلك الصرف هو الله تعالى لم يبق لهذا التعجب معنى ثم قال تعالى ان تكفروا فان الله غني عنكم والمعنى انه تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه نفعا او ليدفع عن نفسه مضرة وذلك لان الله تعالى غني على الاطلاق فيمتنع في حقه جر المنفعة ودفع المضرة وانما قلنا انه غني لوجوه الاول انه واجب الوجود لذاته وواجب الوجود في جميع صفاته ومن كان كذلك كان غنيا على الاطلاق والثاني انه لو كان محتاجا لكانت تلك الحاجة اما قديمة واما حادثة والاول باطل والا لزم ان يحصل في الازل ما كان محتاجا اليه وذلك محال لان الخلق الازلي ممتنع والثاني باطل لان الحاجة نقصان والحكيم لا يدعوه الداعي الى تحصيل النقصان لنفسه الثالث هب ان سيء السلف في ايمانه في انه هل يصح الشهوة والنفرة والحاجة عليه ام لا اما من المعلوم بالضرورة ان الاله القادر على خلق السموات والارض والشمس والقمر والنجوم والعرش والكرسي والعناصر الاربعة والمواليد الثلاثة يمتنع ان ينتفع بصلاة زيد وصيام عمرو وان يستضر بعدم صلوة هذا وعدم صيام ذلك فثبت بما ذكرنا ان جميع العالمين لو كفروا واصروا على الجهل فان الله تعالى غني عنهم ثم قال تعالى بعده ولا يرضى لعباده الكفر يعني وان كان لا ينفعه ايمانهم ولا يضره كفرهم الا انه لا يرضى بالكفر واحتج الجبائي بهذه الآية من وجهين الاول ان المجبرة يعترفون ان الله تعالى خلق كفر العباد وانه من جهة ما خلقه حق وصواب قال ولو كان الامر كذلك لكان قد رضي الكفر من الوجه الذي خلقه وذلك ضد الآية الثاني لو كان الكفر بقضا الله تعالى لوجب علينا ان نرضى به لان الرضى بقضا الله تعالى واجب وحيث اجمعت الامة على ان الرضا بالكفر كفر ثبت انه ليس بقضا الله تعالى وليس ايضا برضا الله تعالى واجاب اصحابنا عن الاستدلال من وجوه الاول ان عادة القرآن جارية بتخصيص لفظ العباد بالمومنين قال الله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقال تعالى عينا يشرب بها عباد الله وقال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا التقدير قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر اي ولا يرضى للمومنين الكفر وذلك لا يضرنا الثاني انا نقول الكفر بارادة الله تعالى لقد رضي الله عن المومنين اي مدحهم واثنى عليهم الثالث كان الشيخ الوالد ضيا الدين عمر يقول الرضا عبارة عن اللوم

والاعتراض

والاعتراض وليس عبارة عن الارادة والدليل عليه قول ابن دريد رضيت قسرا وعلى القسر رضا من كان ذا سخط على صرف القضا اثبت الرضا مع القسر وذلك يدل على ما قلناه والرابع هب ان الرضا هو الارادة الا ان قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر عام تخصيصه بالآيات الدالة على انه تعالى يريد الكفر من الكافر كقوله تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله والله اعلم ثم قال تعالى وان تشكروا يرضه لكم والمراد انه لما بين انه لا يرضى الكفر بين انه يرضى الشكر وفيه مسايل المسئلة الاولى اختلف القراء في قوله يرضه على ثلاثة اوجه احدها قرا نافع وابو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة بضم الهاء مختلسة غير مشبعة وثانيها قرا ابو عمرو وحمزة وفي بعض الروايات يرضه ساكنة الهاء للتخفيف وثالثها قرا نافع في بعض الروايات وابن كثير وابن عامر والكسائي مضمومة الهاء مشبعة قال الواحدي رحمه الله من القراء من اشبع الهاء حتى الحق بها واوا لان ما قبل الهاء متحركة فصار بمنزلة ضربه وله فكان هذا مشبع على حجة كذلك يرضه ومنهم من حرك الهاء ولم يلحق الواو لان الاصل يرضاه والالف المحذوفة للجزم ليس يلزم حذفها وكانت كالباقية ومع بقا الالف لا يجوز اثبات الواو فكذا هاهنا والله اعلم المسئلة الثانية الشكر حالة مركبة من قول واعتقاد وعمل واما الاقرار فهو الاقرار بحصول النعمة واما الاعتقاد فهو اعتقاد لا يعذب احد على فعل غيره فلو فعل الله كفرهم لما جاز ان يعذبهم عليه وايضا لا يجوز ان يعذب الاولاد بذنوب الآبا بخلاف ما يقوله القوم واحتج ايضا من انكر وجوب ضرب الدية على العاقلة بهذه الآية ثم قال تعالى ثم الى ربكم مرجعكم واعلم انا ذكرنا كثيرا ان اهم المطالب للانسان ان يعرف خالقه بقدر الامكان وان يعرف ما ينفعه وما يضره في هذه الحياة الدنيوية وان يعرف احواله بعد الموت ففي هذه الآية ذكر الدلايل الدالة الكثيرة من العالم الاعلى والعالم الاسفل على كمال قدرة الصانع وعلمه وحكمته ثم اتبعه بان امره بالشكر ونهاه عن الكفر ثم بين احواله بعد الموت فقوله تعالى ثم الى ربكم مرجعكم وفيه مسايل المسئلة الاولى المشبهة تمسكوا بلفظ الى على انه اله العالم في جهة وقد اجبنا عنه مرارا المسئلة الثانية زعم القوم ان هذه الارواح كانت موجودة قبل الاجساد وتمسكوا بلفظ الرجوع الموجود في هذه الآية وفي ساير الآيات المسئلة الثالثة دلت هذه الآية على اثبات البعث والقيمة ثم قال تعالى فينبيكم بما كنتم تعملون وهذا تهديد للعاصي وبشارة للمطيع اما قوله تعالى انه عليم بذات الصدور فكالعلة لما سبق يعني انه انما يمكنه ان يجزي اعمالكم لانه عالم بجميع المعلومات فيعلم ما في قلوبكم من الدواعي والصوارف قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم والله تعالى اعلم بالصواب

## قوله تعالى

واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقايما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب

اعلم انه تعالى لما بين فساد القول بالشرك وبين ان الله تعالى هو الذي يجب ان يعبد بين في هذه الآية ان طريقة هؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام متناقضة وذلك لانهم اذا مسهم نوع من انواع الضرر يرجعوا في طلب دفعه الا الى الله تعالى واذا زال ذلك الضر عنهم رجعوا الى عبادة الاصنام ومعلوم انهم انما رجعوا الى الله تعالى عند حصول الضر لانه هو القادر على ايصال الخير ودفع الشر واذا عرفوا ان الامر كذلك في بعض الاحوال كان الواجب عليهم ان يعترفوا به في كل الاحوال وثبت ان طريقتهم في هذا الباب متناقضة اما قوله تعالى واذا مس الانسان فقيل المراد بالانسان اقوام معينين مثل عتبة بن ربيعة وغيره وقيل المراد به الكافر الذي تقدم ذكره لان الكلام خرج على مذمومه واما قوله ضر فهو يدخل فيه جميع المكاره سوا كان في جسمه او ماله او في اهله وولده لان اللفظ مطلق فلا معنى للتقييد ودعا ربه اي استجار ربه وناداه ولم يومل في كشف الضر سواه فلذلك قال تعالى منيبا اليه اي راجعا اليه وحده في ازالة ذلك الضر لان الانابة هي الرجوع ثم اذا خوله نعمة منه خوله اعطاه قال صاحب الكشاف وفي حقيقته وجهان احدهما جعله خايل مال من قولهم هو خايل مال وخال اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتخول اصحابه بالموعظة والثاني جعله من خال يخول اذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب ان الغني طويل الذيل مياس ثم قال تعالى نسي ما كان يدعوا اليه من قبل اي نسي ربه الذي كان يتضرع اليه ويبتهل اليه وما بمعنى من كقوله تعالى وما خلق الذكر والانثى قوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد وقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النسا وقيل نسي الضر الذي كان يدعوا الله الى كشفه والمراد من قوله نسي اي ترك دعاه كانه لم يتضرع الى ربه ولو اراد به النسيان الحقيقي لما ذمه عليه ويحتمل ان يكون المراد انه نسي ان لا مفزع ولا اله سواه فعاد الى اتخاذ الشركا مع الله ثم قال تعالى وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله وفيه مسايل المسئلة الاولى المراد انه تعالى يعجب العقلا من مناقضتهم عند هاتين الحالتين فعند الضر معتقدين انه لا مفزع الا سواه وعند النعمة يعودون الى اتخاذ الهة معه ومعلوم انه تعالى اذا كان انما يفزع اليه في حال الضر لاجل انه هو القادر على الخير والشر وهذا المعنى باق في حال الراحة والخير كان لو فعل بحالهم في هذين الوقتين ما يوجب المناقضة وقلة العقل الثالثة معنى قوله تعالى ليضل عن سبيله انه لا يقتصر في ذلك على ان يضل نفسه بل يدعوا غيره اما بفعله او بقوله الى ان يشاركه ذلك فيه فايتم واللام في قوله ليضل لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ولما ذكر الله تعالى عنهم هذا الفعل المناقض هددهم فقال تعالى قل تمتع بكفرك قليلا وليس المراد منه الامر بل الزجر وان يعرفه قلة تمتعه في الدنيا ثم يكون مصيره الى النار ولما شرح الله تعالى صفات المشركين والضالين ثم تمسكهم بغير الله تعالى اردفه بشرح احوال المحقين الذين لا رجوع لهم الا الى الله تعالى ولا اعتماد لهم الا على فضل الله تعالى فقال تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقايما وفيه مسايل المسئلة الاولى قرا نافع وابن كثير وحمزة امن مخففة الميم والباقون بالتشديد اما التخفيف ففيه وجهان الاول ان الالف الف الاستفهام دخلت على من والجواب محذوف على تقدير امن ... ليس كذلك وقيل كالذي جعل الله

المراد فاكتفى بما سبق ذكره والثاني ان يكون الف نداء كانه قيل يا من هو قانت انت من اهل الجنة واما التشديد فقال الفراء الاصل ام من فادغمت الميم في الميم وعلى هذا القول ام التي في قولك ازيد افضل ام عمرو والثانية القايم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصلوة صلاة القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت في الصبح لانه يدعو قائما عن ابن عمر انه قال لا اعلم القنوت الا قراءة القران وطول القيام وتلا امن هو قانت وعن ابن عباس القنوت طاعة لقوله تعالى كل له قانتون اي مطيعون وعن قتادة اناء الليل ساعات الليل اوله ووسطه واخره وفي هذا اللفظ تنبيه على فضل قيام الليل وانه ارجح من قيام النهار ويؤكده وجوه الاول ان عبادة الليل استر عن العيون فيكون ابعد عن الرياء الثاني ان الظلمة تمنع عن الابصار ونوم الخلق يمنع من السماع واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجة عاد الى المطلوب الاصلي وهو معرفة الله تعالى وخدمته الثالث ان الليل وقت النوم فتركه يكون اشق فيكون الثواب اكثر الرابع قوله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا وقوله ساجدا حال وقرئ ساجد وقائم انه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين **واعلم** ان هذه الاية دالة على اسرار عجيبة فاولها انه بدأ فيها بذكر العمل وختم فيها بذكر العلم اما العمل فكونه قانتا ساجدا قائما واما العلم فقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهذا يدل على ان كمال الانسان محصور في هذين المقصودين والعمل هو البداية والعلم والمكاشفة هو النهاية الفائدة الثانية انه تعالى نبه على ان الانتفاع بالعمل انما يحصل اذا كان الانسان مواظبا عليه فان القنوت عبارة عن كون الرجل قائما بما يجب عليه من الطاعة وذلك يدل على ان العمل انما يفيد اذا واظب عليه وقوله ساجدا وقائما اشارة الى ان الانسان عند المواظبة ينكشف له اولا مقام القهر وهو قوله تعالى يحذر الاخرة ثم بعده مقام الرحمة وهو قوله تعالى ويرجو رحمة ربه ثم يحصل انواع المكاشفات وهو المراد بقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون والفائدة الثالثة انه قال في مقام الخوف يحذر الاخرة فما اضاف الحذر الى نفسه وقال في مقام الرجاء ويرجو رحمة ربه فاضاف الرجاء الى نفسه وهذا يدل على ان جانب الرجاء اكمل واليق بحضرة الله الثالث قيل المراد من قوله تعالى امن هو قانت اناء الليل عثمان لانه كان يحيي الليل في ركعة واحدة يقرأ القران في ركعة واحدة والصحيح ان المراد منه كل من كان موصوفا بهذه الصفة فيدخل فيه عثمان لان الاية غير مقتصرة عليه الرابعة لا شبهة ان في الكلام حذفا والتقدير امن هو قانت كغيره وانما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه لانه تعالى ذكر قبل هذه الاية الكافر وذكر بعدها قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وتقدير الاية قل هل يستوي الذين يعلمون وهم الذين وصفهم انهم يقنتون اناء الليل ساجدا وقائما والذين لا يعلمون وهم الذين وصفهم انهم عند البلاء والخوف يوحدون وعند الراحة والفراغة يشركون فاذا قدرنا هذا التقدير ظهر المراد وانما وصف الله تعالى الكفار بانهم لا يعلمون لانهم وان اتاهم الله الة العلم الا انهم اعرضوا عن تحصيل العلم فجعلهم الله تعالى كانهم ليسوا اولي الالباب من حيث انهم لم ينتفعوا بعقولهم وقلوبهم واما قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فهو تنبيه عظيم على فضيلة العلم وبالغ في تقرير هذا المعنى في قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها قال صاحب الكشاف اراد بالذين يعلمون الذين سبق ذكرهم وهم القانتون وبالذين لا يعلمون الذين لا يأتون بهذا العمل كانه جعل القانتين هم العلماء وهو تنبيه على ان من لا يعمل فهو غير عالم ثم قال وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة ثم قال تعالى انما يتذكر اولوا الالباب يعني هذا التفاوت العظيم الذي حصل بين العلماء والجهال لا يعرفه ايضا الا اولوا الالباب قيل لبعض العلماء انكم تقولون العلم افضل من المال ثم نرى العلماء يجتمعون عند ابواب الملوك ولا نرى الملوك مجتمعين عند ابواب العلماء فاجاب العالم بان هذا ايضا يدل على فضيلة العلم لان العلماء علموا ما في المال من المنافع وطلبوه والجهال لم يعرفوا ما في العلم من المنافع فلا جرم تركوه والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** قل يا عباد الذين امنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون

**اعلم** انه تعالى لما بين نفي المساواة بين من يعلم ومن لا يعلم امر رسوله بان يخاطب المؤمنين بانواع من الكلام **النوع الاول** قوله تعالى قل يا عباد الذين امنوا اتقوا ربكم والمراد ان الله تعالى امر المؤمنين بان يضموا الى الايمان التقوى وهذا من ادل الدلايل على ان الايمان يبقى مع المعصية قال القاضي امرهم بالتقوى لكي لا يحبطوا ايمانهم لان عند الاتيان من الكباير يبطل ثواب الايمان بلا اقدام عليها لا يحبط فصار كله هذا بان يدل على ضد قوله اولى لانه لما امر المؤمن بالتقوى دل ذلك على انه يبقى مؤمنا مع عدم التقوى وذلك يبطل قوله ان الفسق يزيل الايمان **واعلم** انه تعالى لما امر المؤمنين بالتقوى بين لهم ما في التقوى من الفوايد فقال تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة [illegible]

بالعلم والعمل [illegible]

الى كثير ذلك الثواب قال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فكل ما من انواع الثواب وجدوه ازيد مما يتصورونه ويتوقعونه وما لا يتوقعه الانسان فقد يعد انه ليس في حسابه فقوله بغير حساب محمول على هذا المعنى والوجه الثالث في التاويل ان ثواب اهل البلاء لا يقدر بالميزان والمكيال روى صاحب الكشاف ان النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ينصب الله تعالى الموازين يوم القيمة فيؤتى باهل الصلوة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الصدقة فيوفون بالموازين ويؤتى باهل الحج فيوفون بالموازين ويؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض لما يذهب به اهل البلاء من الفضل **النوع الثاني** من الاشياء التي امر الله رسوله ان يذكرها قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين قال مقاتل ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما يحملك على هذا الدين الذي اتيتنا به الا تنظر الى ملة ابيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فانزل الله تعالى قل يا محمد اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين واقول ان التكاليف نوعان احدهما الامر بالاحتراز عما لا ينبغي والثاني الامر بتحصيل ما ينبغي والمرتبة الاولى مقدمة على المرتبة الثانية بحسب المرتبة اللازمة اذا ثبت هذا فنقول انه تعالى قدم الامر بازالة ما لا ينبغي فقال اتقوا ربكم لان التقوى هو الاحتراز عما لا ينبغي ثم ذكر عقيبه الامر بتحصيل ما ينبغي فقال تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وهذا يشتمل على قيدين احدهما الامر بعبادة الله تعالى والثاني كون تلك العبادة خالصة عن شوايب الشرك الجلي والشرك الخفي وانما خص الله تعالى الرسول بهذا الامر لينبه على ان غيره بذلك احق فهو كالترغيب للغير وقوله تعالى وامرت لان اكون اول المسلمين لا شبهة في ان المراد اول من تمسك بالعبادات التي ارسلت بها وفي هذه الاية فوايد **الفايدة الاولى** كانه يقول اني لست من الملوك الجبابرة الذين يامرون الناس باشياء وهم لا يعملون بها بل كل ما امرتكم به فانا اول الناس شروعا فيه **الفايدة الثانية** انه قال اني امرت ان اعبد الله والعبادة لها ركنان عمل القلب وعمل الجوارح وعمل القلب اشرف من عمل الجوارح فقدم ذكر الاشرف وهو قوله تعالى مخلصا له الدين ثم ذكر عقيبه الادون وهو عمل الجوارح وهو الاسلام قال النبي صلى الله عليه وسلم فسر الاسلام في خبر جبريل عليه السلام بالاعمال الظاهرة وهو المراد من قوله تعالى في هذه الاية وامرت لان اكون اول المسلمين وليس هذا بتكرار لانا نقول ما الفايدة في تكرير لفظ وامرت والاول عمل القلب والثاني عمل الجوارح فلا يكون هذا تكرير **الفايدة الثالثة** في قوله تعالى امرت لان اكون اول المسلمين في شرايع الله تعالى لا يمكن ان يكون الا رسول الله لان اول من يعرف تلك الشرايع والتكاليف هو الرسول المبلغ ولما بين انه امر بذلك الامر للوجوب قال قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وفيه فوايد الفايدة الاولى ان الله تعالى امر محمدا صلى الله عليه وسلم ان يجري هذا الكلام على نفسه والمقصود منه المبالغة في زجر الغير عن المعاصي لانه مع جلالة قدره وشرف نبوته اذا وجب ان يكون خايفا حذرا عن المعاصي فغيره بذلك اولى **الفايدة الثانية** دلت الاية على ان المرتب على المعصية ليس حصول العقاب بل الخوف من العقاب وهذا يطابق قولنا ان الله تعالى قد يعفو عن الذنب والكبيرة فيكون اللازم عند حصول المعصية هو الخوف من العقاب لا نفس حصول العقاب الثالثة دلت الاية على ان ظاهر الامر للوجوب وذلك لانه قال في اول الاية اني امرت ان اعبد الله ثم قال بعده قل اني اخاف ان عصيت ربي فيكون معنى هذا العصيان ترك الامر الذي تقدم ذكره وذلك يقتضي ان يكون تارك الامر عاصيا والعاصي يترتب عليه الخوف من العقاب ولا معنى للوجوب الا ذلك **النوع الثالث** من الاشياء التي امر رسوله ان يذكرها قوله تعالى قل الله اعبد مخلصا له ديني فان قيل ما معنى التكرير في قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله تعالى قل الله اعبد مخلصا له ديني قلنا هذا ليس بتكرير لان الاول اخبار بانه مامور من جهة الله تعالى بالايمان بالعبادة والثاني اخبار بانه امر بان لا يعبد احدا غيره وذلك لان قوله امرت ان اعبد الله لا يفيد الحصر وقوله تعالى قل الله اعبد يفيد الحصر يعني الله اعبد ولا اعبد احدا سواه والدليل عليه

انه لما قال قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه ولا شبهة في ان قوله تعالى فاعبدوا ما شئتم من دونه ليس امرا بل المراد منه الزجر كانه يقول لما بلغ البيان في رعاية التوحيد الى الغاية القصوى فبعد ذلك انتم اعرف بانفسكم ثم بين كمال الزجر بقوله تعالى قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم لوقوعها في هلاك لا يعقل هلاك اعظم منه وخسروا اهليهم ايضا لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا بلا رجوع بعده البتة وقال ابن عباس ان لكل رجل منزلا و ورثة غيره من المسلمين والخاسر المغبون ولما شرح الله تعالى خسرانهم وصف ذلك الخسران بالفظاعة فقال تعالى الا ذلك هو الخسران المبين وبيانه ان دلالة هذا اللفظ على غاية المبالغة من وجوه الاول انه تعالى لما وصفهم بالخسران اولا ثم اعاده ثانيا بقوله تعالى الا ذلك هو الخسران المبين كان التكرير لاجل التاكيد الثاني انه تعالى ذكر في اول هذه الكلمة حرف الا وهو للتنبيه وذكر التنبيه في هذا الموضع يدل على التعظيم كانه قيل انه بلغ في العظمة الى حيث لا تصل عقولكم فتنبهوا لها الثالث ان كلمة هو في قوله تعالى هو الخسران المبين تفيد الحصر كانه قيل كل خسران فانه في مقابلته ليس لا خسرانا الرابع وصفه بكونه مبينا يدل على التهويل واقول تقريبا ان لفظ الاية يدل على كونه خسرانا مبينا فلنبين بحسب المباحث العقلية كونه خسرانا مبينا واقول نفتقر الى بيان امرين الى بيان كونه خسرانا ثم الى بيان كونه خسرانا مبينا اما الاول فهو ان الله تعالى اعطى هذه الحياة واعطى العقل واعطى المكنة وكل ذلك راس المال اما هذه الحياة فالمقصود منها ان يكتسب فيها الحياة الطيبة في الاخرة واما العقل فانه عبارة عن العلوم البديهية المسماة بالعقل راس المال ورأسها وعلى الوجوه المخصوصة نسبته نسبة البذر في راس المال بالبيع والشرا وحصول العلم بها نسبته نسبة حصول الربح وايضا حصول القدرة على الاعمال بسببه راس المال واستعمال تلك القوة في تحصيل اعمال البر والخير تشبه تصرف التاجر في راس المال وحصول اعمال الخير والبر نسبته الربح اذا ثبت هذا فنقول ان من اعطاه الله تعالى العقل والحياة والتمكين ثم انه لم يستفد منها لا معرفة الحق ولا عمل الخير البتة كان محروما عن الربح بالكلية واذا مات فقد ضاع راس المال بالكلية وكل ذلك خسرانا فهذا بيان كونه خسرانا واما بيان كون ذلك الخسران مبينا فهو انه لم يربح الزيادة ولكنه مع ذلك سلم عن الافات والمضار فهذا كله لم يحصل من ربح ثم حصل له ايضا مزيد ضرر واما هؤلاء الكفار فقد استعملوا عقولهم التي هي راس المال في استخراج وجوه الشبهات وتقوية الجهالات والضلالات واستعملوا قواهم وقدرهم في افعال الشر والباطل والفساد ثم قد حصل بين امور في غاية الرداءة اولها انهم اتعبوا ابدانهم وعقولهم في طلب تلك العقايد الباطلة والاعمال الفاسدة وثانيها انهم عند الموت يضيع عنهم راس المال من غير فائدة وثالثها ان تلك المتاعب الشديدة التي كانت موجودة في الدنيا في نصرة تلك الضلالات تصير اسبابا للعقوبة الشديدة والبلاء العظيم بعد الموت وعند الوقوف على هذه المعاني يظهر انه لا يعقل خسران اقوى من خسرانهم ولا حرمان اعظم من حرمانهم نعوذ بالله منه ولما شرح الله تعالى احوال حرمانهم من الربح وهي كيفية خسرانهم بين انهم لم يقتصروا على الحرمان والخسران بل ضموا اليه استحقاق العذاب العظيم والعقاب الشديد فقال تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل [illegible]

قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد

اعلم [illegible] المسئلة الاولى [illegible]

المسئلة الثانية [illegible]

والقربانها

والقربانها وصفت بهذه الصفة اطلاقا لاسم المسبب على السبب بحسب الظاهر وقيل كل من يعبد ويطاع من دون الله فهو طاغوت ونقل في التواريخ ان الاصل في عبادة الاصنام ان القوم كانوا مشبهة واعتقدوا في الاله انه نور عظيم وفي الملائكة انها انوار مختلفة في الصغر والكبر فوضعوا تماثيل وصورا على وفق تلك الخيالات فكانوا يعبدون تلك التماثيل على اعتقاد انهم يعبدون الله والملائكة واقول حاصل الكلام في قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت اعرضوا عن عبودية كل ما سوى الله تعالى وفي قوله تعالى وانابوا الى الله اي رجعوا بالكلية الى الله وروى في السفر الخامس من التوراة ان الله تعالى قال لموسى يا موسى احب الهك بكل قلبك واقول ما دام يبقى في القلب التفات الى غير الله تعالى فهو ما اجاب الهه بكل قلبه وانما تحصل الاجابة بكل القلب عن كل ما سوى الله تعالى من باب الطاعات فكيف يعرض عنها مع انه بالحس نشاهد الاسباب المفضية الى المسببات في هذا العالم قلنا ليس المراد من اعراض القلب عنها ان نقضي عليها بالعدم فان ذلك باطل ودخول في السفسطة بل ان نعرف ان واجب الوجود لذاته واحد وان كل ما سواه فانه ممكن الوجود لذاته فكل ما كان كذلك فانه لا يوجد الا بتكوين الواجب وايجاده ثم انه سبحانه وتعالى جعل تكوينه للاشيا على قسمين منها ما يكون بغير واسطة وهي عالم السموات والروحانيات ومنها ما يكون بواسطة وهو عالم العناصر والعالم الاسفل فاذا عرفت الاشيا على هذا الوجه عرفت ان الكل لله ومن الله وبالله وانه لا مدبر الا هو وحينئذ ينقطع نظره عن هذه الممكنات ويبقى مشغول القلب بالموثر الاول والموجد الاول فانه ان كان قد وضع الاسباب الروحانية والجسمانية بحيث يتأدى الى هذا المطلوب فهذا الشي يحصل وان كان قد وضع بحيث لا يفضي الى حصول هذا الشي لم يحصل وبهذا الطريق ينقطع نظره عن الخلق ولا يبقى في قلبه التفات الى شي الا الى الموجد الاول ولقد كنت انهى بعض الصبيان في حفظ الزرع والمال فعارضني وقال لا يجوز الاعتماد على الجد والجهد بل يجب الاعتماد على قضا الله تعالى وقدره فقلت يا هذه كلمة حقة سمعتها ولكنك ما عرفت معناها وذلك لانه لا شبهة ان الكل من الله تعالى الا انه سبحانه وتعالى دبر الاشيا على قسمين منها ما جعل حدوثه معلقا باسباب معلومة ومنها ما يحدثه من غير واسطة هذه الاسباب اما القسم الاول فهو حوادث هذا العالم الاسفل واما القسم الثاني فهو حوادث هذا العالم الاعلى واذا ثبت هذا فمن طلب حوادث هذا العالم الاسفل لا من الاسباب التي عينها الله تعالى لها كان هذا الشخص منازعا لله تعالى في حكمه مخالفا في تدبيره فان الله تعالى حكم بحدوثها بناء على تلك الاسباب المعينة المعلومة وانت تريد تحصيلها لا من تلك الاسباب فهذا هو الكلام في تحقيق الاعراض عن غير الله تعالى والاقبال بالكلية على الله تعالى فقوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت اشارة الى الاعراض عن غير الله تعالى وقوله تعالى وانابوا الى الله اشارة الى الاقبال بالكلية على عبادة الله تعالى ثم انه تعالى وعد هؤلاء باشيا احدها قوله تعالى لهم البشرى واعلم ان هذه الكلمة يتعلق بها ابحاث احدها ان هذه البشارات متى تحصل فنقول انها تحصل عند القرب من الموت وعند الوضع في القبر وعند الخروج من القبر وعند الوقوف في عرصة القيمة وعند ما يصير فريق في الجنة وفريق في السعير وعند ما يدخل المومنون الجنة ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل البشارة بنوع من الخير والروح والراحة والريحان وثانيها ان هذه البشارة بماذا تحصل فنقول هذه البشارة تحصل بزوال المكروهات وبحصول المرادات اما زوال المكروهات فقوله تعالى ان لا تخافوا ولا تحزنوا اعني فيما لا تستقبلونه من احوال القيمة ولا تحزنوا بسبب ما فاتكم من خيرات الدنيا فلما ازال عنهم هذه المكروهات بشرهم بحصول الخيرات والسعادات فقال تعالى وابشروا بالجنة وقال ايضا في آية اخرى يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات وقال ايضا ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين والثالث ان المبشر من هو فنقول يحتمل ان يكون هم الملائكة اما عند الموت فقوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم واما بعد دخول الجنة فقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويحتمل ان يكون هو الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام اما قوله تعالى لهم البشرى ففيه انواع من العلم منها التاكيد ومنها انه يفيد الحصر فقوله تعالى لهم البشرى اعلم لا لغيرهم وهذا يفيد انه لا بشارة لاحد الا اذا اجتنب عن غير الله تعالى واقبل بالكلية على الله تعالى ومنها ان الالف واللام في لفظ البشرى يفيد الماهية فيفيد ان هذه الماهية بتمامها لهؤلاء ولم يبق منها نصيب لغيرهم والرابع انه فرق بين الاخبار والبشارة فالبشارة هو الخبر الاول بحصول الخيرات اذا عرفت هذا فنقول كل ما سمعوه في الدنيا من انواع الثواب والخير فلما سمعوه عند الموت وفي القبر فذلك لا يكون بشارة بل يكون اخبارا فثبت ان هذه البشارة لا يتحقق الا اذا حصل الاخبار بانواع اخر من السعادات فوق ما عرفوها وسمعوها في الدنيا نسأل الله تعالى الفوز بها ورابعها ان المخبر بقوله لهم البشرى هو الله تعالى وهو اعظم العظما واكمل الموجودات والشرط المعتبر في حصول هذه البشارة شرط عظيم الاجتناب عما سوى الله تعالى والاقبال بالكلية على الله والسلطان اذا ذكر شرطا عظيما ثم قال لمن اتى بذلك الشرط العظيم ابشر فهذه البشارة الصادرة من السلطان العظيم المرتبة على حصول ذلك الشرط العظيم تدل على ان الذي وقعت البشارة به قد بلغ في الكمال والرفعة الى حيث لا يصل الى شرحها العقول والافكار فثبت ان قوله تعالى لهم البشرى يدل على نهاية الكمال والسعادة من هذه الوجوه

واعلم انه تعالى لما قال لهم البشرى وكان هذا كالمجمل اردفه بكلام يجري مجرى التفسير والشرح له فقال تعالى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وهم الذين اجتنبوا وانابوا لا غيرهم وهذا يدل على ان راس السعادات ومركز الخيرات ومعدن الكرامات هو الاعراض عن غير الله تعالى والاقبال بالكلية على طاعة الله والمقصود من هذا اللفظ التنبيه على ان الذين اجتنبوا وانابوا هم الموصوفون بانهم يستمعون القول فيتبعون احسنه فوضع الظاهر موضع الضمير تنبيها على هذا الحرف ومنهم من قال انه تعالى لما بين ان الذين اجتنبوا وانابوا لهم البشرى وكان ذلك درجة عالية لا يصل اليها الا الاقلون وقد يقصر عن السعادة عليهم فيصير حرمان الاكثرين وذلك لا يليق بالرحمة التامة لا جرم جعل الحكم اعم فقال الذين يختارون الاحسن في كل باب في زمرة السعدا واعلم ان هذه الاية يدل على فوايد الفايدة الاولى وجوب النظر والاستدلال وذلك لانه تعالى بين ان الهداية والفلاح مرتبطان بما اذا سمع الانسان اشيا كثيرة فانه يختار منها ما هو الاحسن الاصوب ومن المعلوم ان تميز الاحسن الاصوب عما سواه لا يحصل بالسماع لان السماع صار قدرا مشتركا بين الكل لان قوله تعالى الذين يستمعون القول يدل على ان السماع قدر مشترك فيه فثبت ان تمييز الاحسن عما سواه لا يتاتى بالسماع وانما يتاتى بحجة العقل وهذا يدل على ان الموجب لاستحقاق المدح والثنا متابعة حجة العقل وبناء الامر على النظر والاستدلال الفايدة الثانية ان الطريق الى تصحيح المذاهب والاديان قسمان احدهما اقامة الحجة والبينة على صحته

على سبيل التحصيل وذلك امر لا يمكن تحصيله الا بالخوض في كل واحد من المسايل على التفصيل والثاني قبل البحث عن الدلايل وتقريرها والسهام
وتشريتها الغرض بيان المذاهب واضدادها على عقولنا فكل ما حكم به اول العقل بانه افضل واكمل كان اولى بالقبول مثاله ان صريح العقل شاهد
بان الاقرار باله العالم حي قيوم عالم قادر حليم رحيم حكيم اولى من انكار ذلك فكان تلك المذاهب اولى والاقرار بان الله تعالى لا يجري في
ملكه وسلطانه الا ما كان على وفق مشيته اولى من القول باكثر ما يجري في سلطان الله تعالى على خلاف ارادته وايضا الاقرار بان الله تعالى فرد
واحد صمد منزه عن التركيب الاعضا اولى من القول بكونه مستغنيا مولفا وايضا القول باستغنايه عن الحلول والزمان اولى من القول بانه
لا يعطوا عنه البتة فكل هذه الابواب يدخل تحت قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه فهذا ما يتعلق بابحاث الاصول في ابواب
الاعتقاد واما ما يتعلق بابواب التكاليف فهي على قسمين منها ما يكون من ابواب العبادات ومنها ما يكون من ابواب المعاملات اما العبادات
فمثل قولنا الصلوة التي يذكر فيه تحريمها اكبر ويكون النية فيها مقارنة التكبير ويقرا فيها السورة الفاتحة ويوتى بالطمانينة في المواقف
الخمسة ويقرا فيها التشهد ويخرج عنها بقوله السلام عليكم فلا شك انها احسن من الصلوة التي لا يراعى فيها شي من هذه الاحوال فوجب على العاقل
ان يختار هذه الصلوة وان يترك ما سواها وكذلك القول في جميع ابواب العبادات واما المعاملات فمثل انه تعالى شرع القصاص والدية
والعفو ولكنه ندب الى العفو فقال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وعن ابن عباس ان المراد منه الرجل يجلس مع القوم يسمع الحديث فيه محاسن ومساو
فيحدث باحسن ما سمع ويترك ما سواه **واعلم** انه تعالى حكم على الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه بان قال اولئك الذين هداهم الله
واولئك هم اولوا الالباب وفيه دقيقة عجيبة وهي ان حصول الهداية في العقل والروح حادث فلا بد له من فاعل وقابل اما الفاعل فهو الله سبحانه
وتعالى وهو المراد من قوله تعالى اولئك الذين هداهم الله واما القابل فاليه الاشارة بقوله تعالى واولئك هم اولوا الالباب فان الانسان ما لم يكن
عاقلا كامل الفهم امتنع حصول هذه المعارف الحقيقية في قلبه وانما قلنا ان الفاعل لهذه الهداية هو الله تعالى لان جوهر النفس مع ما فيها من نور العقل
قابل للاعتقاد الحق والاعتقاد الباطل واذا كان الشي قابلا للضدين كانت نسبة ذلك القابل اليهما على السوية ومتى كان الامر كذلك امتنع كون
ذلك القابل سببا لرجحان احد الطرفين على الاخر لان الجسم لما كان قابلا للحركة والسكون على السوية امتنع ان يصير ذات الجسم سببا لرجحان احد الطرفين
على الاخر فان قالوا لا نقول ان ذات النفس تقتضي العقل لوجب هذا الرجحان بل نقول انه يريد تحصيل احد الطرفين فيصير تلك الارادة سببا لذلك الرجحان
فنقول هذا باطل لان ذات النفس كما انها قابلة لهذه الارادة فكذلك قابلة للارادة متضادة لتلك الارادة فيمتنع كون جوهر النفس سببا لتلك
الارادة فثبت ان حصول الهداية لا بد لها من فاعل ومن قابل اما الفاعل فيمتنع ان يكون هو النفس بل الفاعل هو الله سبحانه وتعالى واما القابل فهو
جوهر النفس فلهذا السبب قال تعالى اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب وفيه مسايل **المسئلة الاولى** في لفظ الاية سوال وهو انه لا يصلح
في الكلام الواحد ادخال حرف الاستفهام على الاسم وعلى الخبر معا فلا يقال ازيد ايقبله بل ها هنا شي اخر وهو انه كما ادخل حرف الفا عليهما وهو قوله تعالى افمن
حق افانت ولاجل هذا السوال اختلف النحويون وذكروا فيه وجوها الاول قال الكسائي الاية جملتان والتقدير افمن حق عليه العذاب افانت تخلصه افانت
تنقذ من في النار الثاني قال صاحب الكشاف اصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه وهي جملة شرطية دخل عليها همزة الانكار والفا فالجزا ثم
دخلت الفا التي هي للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب والتقدير انت مالك امرهم فمن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه والهمزة الثانية
هي الاولى كررت لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير فالاية على ان هذا جملة واحدة الثالث لا يبعد ان يقال ادخل همزة الاستفهام
انما اوردها هنا لافادة معنى الانكار ولما كان استنكار هذا المعنى كاملا تاما لا جرم ذكر هذا الحرف في الشرط واعاده في الجزا تنبيها على المبالغة
التامة في ذلك الانكار **المسئلة الثانية** احتج الاصحاب بهذه الاية في مسئلة الهدى والضلال وذلك لانه تعالى قال افمن حق عليه
كلمة العذاب فاذا حقت كلمة العذاب عليه امتنع منه فعل الايمان والطاعة والا لزم انقلاب خبر الله الصدق كذبا وانقلاب علمه
جهلا وهو محال والوجه الثاني في الاستدلال بالاية انه تعالى حكم بان من حقت كلمة العذاب يوجب الاستنكار التام من صدور الايمان
والطاعة عنه ولو كان ذلك ممكنا ولم يكن حقت كلمة العذاب مانعة منه لم يبق لهذا الاستنكار والاستبعاد معنى **المسئلة
الثالثة** احتج القاضي بهذه الاية على ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يشفع لاهل الكباير قال لانه حق عليهم العذاب فتلك الشفاعة
يكون جارية مجرى انقاذهم عن النار ان الله تعالى حكم عليهم بالانكار والاستبعاد فقال الله لا نسلم ان اهل الكباير قد حق عليه
العذاب وكيف يحق العذاب عليهم مع ان الله تعالى قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا ومع قوله تعالى ان الله يغفر
الذنوب جميعا والله تعالى اعلم **النوع الثاني** من الاشياء التي وعدها الله هولاء الذين اجتنبوا وانابوا قوله تعالى لكن الذين اتقوا
ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية كالمقابلة لما ذكره في صفة الكفار لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل **فان قيل** ما معنى قوله مبنية
**قلنا** لان المنزل اذا بني على منزل آخر تحته كان الفوقاني اضعف بنا من التحتاني فقوله مبنية معناه انه وان كان فوق غيره لكنه
في القوة والشدة مساويا للمنزل الاسفل والحاصل ان المنزل الفوقاني والتحتاني حصل في كل واحد منهما حصوله وصفته اما الفوقاني
فحصل له العلو والارتفاع ونقصانه الرهاوة والسخافة واما التحتاني فبالضد منه اما منازل الجنة فانها يكون مزخرفة
لكل الفضائل فهي عالية مرتفعة وهي يكون في غاية القوة والشدة وقال حكماء الاسلام هذه الغرف المبنية بعضها فوق
البعض مثاله من الاحوال الانسانية كالعلوم الكسبية فان بعضها يكون مبنيا على البعض والنتايج الاخيرة التي هي عبارة
عن معرفة ذات الله تعالى وصفاته تكون في غاية القوة كالعلوم الاصلية البديهية ثم قال تعالى تجري من تحتها الانهار
وذلك معلوم ثم ختم الكلام فقال وعد الله لا يخلف الله الميعاد فقوله تعالى وعد الله مصدر موكد لان قوله تعالى لهم غرف
في معنى وعدهم الله ذلك وفي الاية دقيقة شريفة وهي انه تعالى في كثير من الايات وعد بصريح بان هذا وعد الله وانه
لا يخلف وعده ولم يذكر في ايات الوعيد البتة مثل هذا التاكيد والتقوية وذكر ذلك يدل على جانب الوعد راجح من جانب الوعيد





بخلاف ما يقوله المعتزلة فان قالوا اليس انه قال في جانب الوعيد ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد قلنا قوله ما يبدل القول
لدي ليس نصا في جانب الوعيد بل هو كلام عام يتناول القسمين اعني الوعد والوعيد فثبت ان الترجيح الذي ذكرناه
حق والله اعلم اما قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السما ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه
ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب اعلم انه تعالى لما وصف الاخرة بصفات توجب
الرغبة العظيمة فيها وصف الدنيا بصفة توجب اشتداد النفرة عنها وذلك انه تعالى بين انه انزل من السما ماء وهو
المطر وقيل كل ما في الارض فهو من السماء انه تعالى ينزله الى بعض المواضع ثم يقسمه فيسلكه ينابيع في الارض اي فادخله
ونظمه ينابيع في الارض عيونا ومسالك ومجاري كالعروق في الاجساد ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه من خضرة وحمرة
وصفرة وبياض وغير ذلك او مختلفا اصنافه من بر وشعير وسمسم ثم يهيج وذلك لانه اذا تم جفافه حان له
ان ينفصل عن منابته وان يتفرق اجزاؤه فتلك الاجزا كانها هاجت لان تنفر وتصير حطاما فاما ان في ذلك
لذكرى لاولي الالباب معناه ان من شاهد هذه الاحوال في النبات علم ان احوال الحيوان والانسان كذلك وانه وان طال عمره
فلا بد له من الانتها الى ان يصير مصفر اللون متحطم الاعضا والاجزا ثم يكون عاقبته الموت واذا كانت مشاهدة
هذه الاحوال في النبات مذكرة حصول مثل هذه الاحوال في نفسه وفي حياته فحينئذ تعظم نفرته من الدنيا وطيباتها والحاصل
انه تعالى في الايات المتقدمة ذكر ما يقوي الرغبة في الاخرة وذكر في هذه الاية ما يقوي النفرة عن الدنيا فشرح صفات
القيمة يقوي الرغبة في طاعة الله تعالى وشرح صفات الدنيا يقوي النفرة عن الدنيا وانما قدم الترغيب في الاخرة على
التنفير عن الدنيا لان الترغيب في الاخرة مقصود بالذات والتنفير عن الدنيا مقصود بالعرض والمقصود بالذات مقدم على
المقصود بالعرض فهذا تمام الكلام في تفسير الاية بقي ها هنا ما يتعلق بالبحث عن الالفاظ قال الواحدي والينابيع جمع
ينبوع وهو مفعول من نبع ينبع نبع الماء نبعا ونبع ينبع ثلاث لغات ذكرها الكسائي والفراء وقوله ينابيع نصب بحذف الخافض
لان التقدير فسلكه في ينابيع ثم يهيج اي يخضر والحطام ما تفتت وتكسر من النبت والله تعالى اعلم **قوله تعالى**
افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين
الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد افمن يتقي بوجهه
سوء العذاب يوم القيمة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من
حيث لا يشعرون فاذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا
للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون قرانا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون في الاية مسايل
**المسئلة الاولى اعلم انه تعالى** بالغ في تقرير البيانات الدالة على وجوب الاقبال على طاعة الله تعالى ووجوب الاعراض
عن الدنيا فذكر ان الانتفاع بهذه البيانات لا يكمل الا اذا شرح الله تعالى الصدور ونور القلوب فقال تعالى افمن شرح الله
صدره للاسلام فهو على نور من ربه واعلم انا في سورة الانعام في تفسير الهداية ولا باس باعادة كلام قليل ها هنا فنقول انه
تعالى خلق جواهر النفوس مختلفة بالماهية [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
عبارة عن الهداية والمعرفة [illegible]
[illegible]
[illegible] **المسئلة الثانية**
[illegible] من شرح الله صدره [illegible]
عليه وهو قوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين [illegible]
[illegible] ثم انشاناه خلقا اخر [illegible]
[illegible]
[illegible]

اذا عرفت هذا فان راس الادوية التي تفيد الصحة الروحانية ورئيسها هو ذكر الله تعالى فاذا اتفق لبعض النفوس ان صار ذكر الله تعالى
سببا لازدياد مرضها كان مرض تلك النفس مرضا لا يرجى زواله ولا يتوقع علاجه وكانت في نهاية الشر والرداءة فلهذا
المعنى قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين وهذا كلام كامل محقق ولما بين الله تعالى ذلك
اردفه بما يدل على ان القرآن سبب لحصول النور والشفاء والهداية لما كان موصوفا بهذه الصفات ثم انه في حق هذا الانسان
صار سببا لمزيد القسوة دل ذلك على ان جوهر تلك النفس قد بلغ في الرداءة والخساسة الى اقصى الغايات فنقول انه تعالى وصف
القرآن بانواع من الصفات الكمال الصفة الاولى قوله تعالى الله نزل احسن الحديث وفيه مسائل المسئلة الاولى القائلون بحدوث
القرآن احتجوا بهذه الاية من وجوه الاول انه تعالى وصفه بكونه حديثا في هذه الآيات وفي آيات اخرى منها قوله تعالى فليأتوا
بحديث مثله ومنها قوله تعالى افبهذا الحديث انتم مدهنون والحديث لا بد وان يكون حادثا قالوا بل الحديث اقوى في الدلالة
على الحدوث من الحادث لانه لا يصح ان يقال هذا حديث وليس بعتيق وهذا عتيق وليس بحديث ولا يصح ان يقال هذا عتيق وليس
بحادث فثبت ان الحديث هو الذي يكون قريب العهد بالحدوث وسمي الحديث حديثا لانه مؤلف من الحروف والكلمات وتلك الحروف
والكلمات تحدث حالا فحالا وساعة فساعة فهذا تمام تقريره واما وصفه بانه نزله فالمنزل يكون محل تصرف الغير وما يكون
كذلك فهو محدث وحادث واما الوجه الثالث في بيان استدلال القوم ان قالوا ان قوله احسن الحديث يقتضي ان يكون هو من جنس
سائر الاحاديث كما ان قوله زيد افضل الاخوة يقتضي ان يكون زيد مشاركا لاولئك الاقوام في صفة اخرى ويكون من جنسهم
فثبت ان القرآن من جنس سائر الاحاديث ولما كان سائر الاحاديث حادثة وجب ان يكون القرآن حادثا واما الوجه الرابع
في الاستدلال انهم قالوا انه تعالى وصفه بكونه كتابا والكتاب مشتق من الكتبة وهي الاجتماع وهذا يدل على انه مجموع جامع
ومحل تصرف ومتصرف فيه وذلك يدل على كونه محدثا والجواب ان نقول نحمل هذا الدليل على الكلام المؤلف من الحروف والاصوات والالفاظ
والعبارات وذلك الكلام عندنا محدث ومخلوق والله اعلم المسئلة الثانية كون القرآن احسن الحديث اما ان يكون
احسن الحديث بحسب لفظه وذلك من وجهين الاول ان يكون ذلك الحسن لاجل الفصاحة والجزالة الثاني ان يكون بحسب
النظم في الاسلوب وذلك لان القرآن ليس من جنس الشعر ولا من جنس الخطب ولا من جنس الرسائل بل هو نوع يخالف الكل مع ان كل طبع
سليم يستلذه ويستطيبه القسم الثاني ان يكون كونه احسن الحديث لاجل المعنى وفيه وجوه الاول انه كتاب منزه عن التناقض
قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ومثل هذا الكتاب اذا خلا عن التناقض كان ذلك
من المعجزات الوجه الثاني اشتماله على الغيوب الكثيرة في الماضي والمستقبل الوجه الثالث ان العلوم الموجودة فيه كثيرة جدا
ومختصر هذه العلوم ان يقال العلوم النافعة هي ما ذكره الله تعالى في قوله والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق
بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فهذا احسن ضبط يمكن ذكره للعلوم النافعة اما القسم الاول
وهو الايمان فاعلم انه يشتمل على خمسة اقسام معرفة الذات ومعرفة الصفات والافعال والاحكام والاسماء اما معرفة الذات فهي ان يعلم
وجود الله تعالى وقدمه وبقاءه واما معرفة الصفات فهي نوعان احدهما ما يجب تنزيهه عنه وهو كونه جسما جوهرا ومركبا من الاعضاء
وكونه مختصا بحيز وجهة ويجب ان يعلم ان الالفاظ الدالة على التنزيه اربعة ليس وما ولم ولا وهذه الاربعة مذكورة في كتاب
الله تعالى لبيان التنزيه اما كلمة ليس فقوله تعالى ليس كمثله شيء واما كلمة لم فقوله تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد واما كلمة ما فقوله تعالى
وما كان ربك نسيا وقوله تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد واما كلمة لا فقوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم وهو يطعم ولا يطعم
وهو يجير ولا يجار عليه وقوله في تسعة وثلاثين موضعا من القرآن لا اله الا الله واما النوع الثاني فهي الصفات التي يجب
كونه موصوفا بها فاولها العلم بالله والعلم بكونه محدثا خالقا قال تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وثانيها العلم بكونه
قادرا قال تعالى في اول سورة القيمة بلى قادرين على ان نسوي بنانه وقال في آخر هذه السورة اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى
وثالثها العلم بكونه تعالى عالما قال تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ورابعها العلم بكونه عالما بكل المعلومات قال تعالى
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقوله تعالى الله يعلم ما تحمل كل انثى وخامسها العلم بكونه حيا قال تعالى هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين
له الدين وسادسها العلم بكونه مريدا قال تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وسابعها كونه سميعا بصيرا
قال تعالى وهو السميع البصير وقال تعالى انني معكما اسمع وارى وثامنها كونه متكلما قال تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله وتاسعها كونه آمرا قال تعالى لله الامر من قبل ومن بعد وعاشرها كونه
رحيما رحمانا ملكا قال تعالى الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فهذا ما يتعلق بمعرفة الصفات التي يجب اتصافه بها واما
القسم الثالث وهو الافعال فاعلم ان الافعال اما ارواح واما اجسام اما الارواح فلا سبيل للوقوف عليها الا القليل كما قال تعالى
وما يعلم جنود ربك الا هو واما الاجسام فهي اما عالم الاعلى واما عالم الاسفل اما عالم الاعلى فالبحث فيها من وجوه احدها البحث
عن احوال السموات وثانيها البحث عن احوال الشمس والقمر كما قال تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره وثالثها البحث عن احوال الاضواء قال الله تعالى
الله نور السموات والارض وقال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا ورابعها البحث عن احوال الاظلال قال تعالى وهو الذي مد
الظل ولو شاء لجعله ساكنا وخامسها اختلاف الليل والنهار قال تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسادسها
منافع الكواكب قال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وسابعها صفات الجنة قال تعالى وجنة عرضها كعرض

السماء



السماء والارض وثامنها صفات النار قال تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وتاسعها صفة العرش قال تعالى
الذين يحملون العرش ومن حوله وعاشرها صفة الكرسي قال تعالى وسع كرسيه السموات والارض وحادي عشرها صفة اللوح والقلم
اما اللوح فقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ واما القلم فقوله تعالى ن والقلم واما شرح احوال العالم الاسفل فمنها الارض وقد وصفها
بصفات كثيرة احدها كونه مهدا قال تعالى الذي جعل لكم الارض مهادا وثانيها كونه ذلولا قال تعالى الذي جعل لكم الارض ذلولا وثالثها
كونه بساطا قال تعالى والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا والكلام فيه طويل ورابعها البحر قال تعالى وهو الذي سخر البحر
لتأكلوا منه لحما طريا وثالثها الهواء والرياح قال تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وقال تعالى وارسلنا الرياح لواقح
ورابعها الآثار العلوية كالرعد والبرق قال تعالى ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وقال تعالى فترى الودق يخرج من خلاله ومن هذا
الباب ذكر الصواعق والامطار وذكر السحاب وخامسها احوال الاشجار والاثمار وانواعها واصنافها وسادسها احوال الحيوانات قال تعالى وبث فيها
من كل دابة وقال تعالى والانعام خلقها لكم فيها دفء وسابعها عجائب تكوين الانسان في اول الخلقة قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين وثامنها العجائب الواصلة في سمعه وبصره ولسانه وعقله وفهمه وتاسعها تواريخ الانبياء والملوك واحوال الناس من اول خلق العالم
الى آخر القيامة وعاشرها ذكر احوال الناس عند الموت وبعد الموت وكيفية البعث والقيامة وشرح احوال السعداء والاشقياء فقد اشرنا الى عشرة
انواع من العلوم في عالم السموات والى عشرة اخرى في عالم العناصر والقرآن مشتمل على شرح هذه الانواع من العلوم العالية الرفيعة
واما القسم الرابع هو شرح احكام الله تعالى وتكاليفه فنقول هذه التكاليف اما ان تحصل في اعمال القلوب او في اعمال الجوارح
اما الاول فهو المسمى بعلم الاخلاق وبيان تمييز الاخلاق الفاضلة والاخلاق الفاسدة والقرآن مشتمل على كل ما لا بد منه في هذا
الباب قال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقال تعالى خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين واما الثاني فهو التكاليف الحاصلة في اعمال الجوارح وهو المسمى بعلم الفقه والقرآن مشتمل على اصول
هذا العلم على اكمل الوجوه واما القسم الخامس وهو معرفة اسماء الله تعالى وهو مذكور في قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها
فهذه كلها متعلق بمعرفة الله تعالى واما القسم الثاني من الاصول المعتبرة في الايمان والاقرار بالملائكة كما قال تعالى والمؤمنون كل آمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله والقرآن يشتمل على شرح صفاتهم تارة على سبيل الاجمال وتارة على التفصيل اما بالاجمال فقوله تعالى
وملائكته واما بالتفصيل فمنها ما يدل على كونهم رسل الله قال تعالى جاعل الملائكة رسلا ومنها انها مدبرات لهذا العالم قال
تعالى والمقسمات امرا والمدبرات امرا وقال تعالى والصافات صفا ومنها حملة العرش قال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية
ومنها الحافون حول العرش قال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش ومنها خزنة النار قال تعالى عليها ملائكة غلاظ
شداد ومنها الكرام الكاتبون قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين ومنها المعقبات قال تعالى له معقبات من بين
يديه ومن خلفه وقد يتصل باحوال الملائكة احوال الجن والشياطين واما القسم الثالث من الاصول المعتبرة في الايمان معرفة
الكتب والقرآن يشتمل على شرح احوال الكتاب آدم عليه السلام قال تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وفيها احوال صحف ابراهيم
عليه السلام قال تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات [illegible]
[illegible] لم نقصص عليك [illegible]
المراد من قوله تعالى [illegible]
[illegible] الربوبية [illegible] المكاشفات [illegible]
[illegible] القسم السادس [illegible] المعاد [illegible]
[illegible] المطالب [illegible]
[illegible] الصفة الثانية من صفات القرآن [illegible] كتابا متشابها [illegible]
[illegible]
[illegible] الصفة الثالثة من صفات القرآن كونه مثاني [illegible]

وبالجملة فالكثرة الاشيا المذكورة وتعدد روحاني روحاني مثل الامر والنهي والعام والخاص والمجمل والمفصل واحوال السموات والارض والجنة
والنار والصفو والظلمة واللوح والقلم والملايكة والشياطين والعرش والكرسي والوعد والوعيد والرجا والخوف والمقصود منه بيان ان
كل ما سوى الحق زوج مركب وان كل شي منقسم بضده ونقيضه وان الفرد الاحد هو الله سبحانه وتعالى الصفة الرابعة من صفات القران
قوله تعالى تقشعر منه جلودهم وعند سماع ايات الرحمة والاحسان تحصل لهم الفرح فتلين قلوبهم الى ذكر الله واقول ان المحققين من العارفين
بالله قالوا السايرون في مبدا جلال الله تعالى ان نظروا الى عالم الجلال طاشوا وان لاح لهم اثر من عالم الجمال عاشوا وبحث تنزيه الله تعالى عن
التحيز والجهة فهاهنا تقشعر جلوده لان اثبات موجود لا داخل العالم ولا خارج العالم ولا متصل بالعالم ولا منفصل عن العالم مما يصعب
تصوره فهاهنا تقشعر الجلد اما اذا تامل في الدلايل الدالة على انه يجب ان يكون فردا احدا وثبت ان كل متحيز منقسم فهاهنا تلين جلده وقلبه الى
ذكر الله تعالى وايضا اذا اراد ان يحصر بعقله معنى الازل فيقدر في ذهنه بمقدار الف سنة ثم يقدم اليها بحسب كل لحظة من لحظات تلك
المدة الف سنة ولا يزال يحتال ويقدم في الذهن فاذا بالغ وتوغل وظن انه استحضر معنى الازل قال العقل هذا ليس بشي لان كل ما استحضرته في عقلك
فهو متناهي والاول هو الموجود المتقدم على هذه المدة المتناهية فهاهنا يتحير العقل وتقشعر الجلد فاما اذا ترك هذا الاعتبار وقال هاهنا موجود والموجود
اما واجبا او ممكن فان كان واجبا فهو دايم منزه عن الاول والاخر وان كان ممكنا فهو محتاج الى الواجب فيكون ازليا ابديا فاذا اعتبر العقل لم معنى الازلية
فهاهنا تلين جلده وقلبه الى ذكر الله تعالى فثبت ان المقامين المذكورين في الاية لا يجب قصرهما على سماع اية العذاب واية الرحمة بل المراتب بعد مراتب لا حصر
لها ولا حصر لحصول الحالين للذاكرين المسئلة الثانية روى الواحدي في البسيط عن قتادة انه قال القران دل على ان اوليا الله تعالى
موصوفون بانهم عند المكاشفات والمشاهدات تارة تقشعر جلودهم واخرى تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وليس فيه ان عقولهم تزول
وان اعضاهم تضطرب فدل هذا على ان تلك الاحوال لو حصلت لكانت من الشياطين واقول هاهنا بحث اخر وهو ان الشيخ ابو حامد الغزالي اورد
مثله في كتاب احيا علوم الدين وهي انا نرى كثيرا من الناس يظهر عليه الوجد الشديد التام عند سماع الابيات ولا يظهر عليه شي من هذه الاحوال ثم انه
سلم هذا المعنى وذكر العذر فيه من وجوه كثيرة واقول اني خلقت محروما عن هذا المعنى فاني كلما تاملت في اسرار القران اقشعر جلدي ووقف
على شعري وحصلت في قلبي دهشة وكلما سمعت تلك الاشعار غلب الهزل علي وما وجدت البتة في نفسي منها اثرا واظن ان المنهج
القويم والصراط المستقيم هو هذا وبيانه من وجوه الاول انا بينا ان تلك الاشعار كلمات مشتملة على هجر ووصل وبعض وحب
يليق بالخلق فاثباتها في حق الله تعالى كفر واما الاشعار في تلك الاحوال الى معاني لا يليق بجلال الله تعالى ولا يصل اليها الا العلما الراسخون
واما المعاني التي كان عنده نور الايمان وجب ان يعظم اضطرابه عند سماع قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو الى اخر الاية
والثاني هو اني سمعت بعض المشايخ قال كما ان الكلام له اثر فلذلك صدور هذا الكلام من قايل المعنى له اثر لان قوة نفس القايل يعين
على نفاذ الكلام في الروح والقايل في القران هو الله تعالى بواسطة جبريل بتبليغ الرسول المعصوم والقايل هناك شاعر كذاب وهو من
الشهوة وداعية الفجور والثالث ان مدار القران على الدعوة الى الحق قال تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما
في الارض الا الى الله تصير الامور واما الشعر فمداره على الباطل قال تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون
فهذه الوجوه الثلاثة فروق ظاهرة واما ما يتعلق بالوجدان من النفس فكل احد انما يخبر عما يجده من نفسه والذي وجدته من النفس والعقل ما ذكرته
والله اعلم المسئلة الثالثة في بيان ما بقي من المشكلات في هذه الاية ونذكره في معرض السؤال والجواب السؤال الاول كيف تركيب لفظ تقشعر
الشعر به الجواب قال صاحب الكشاف تركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها حرف رابع وهو الرا ليكون رباعيا ودالا
على معنى زايد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف السؤال الثاني كيف تلين الى ذكر الله وما الوجه في تعديته بحرف
الى الجواب والتقدير ثم تلين جلودهم وقلوبهم حال وصولها الى حضرته وصولا بحسب الادراك السؤال الثالث لم قال الى ذكر الله ولم يقل
الى ذكر رحمة الله والجواب من احب الله تعالى لاجل رحمته فهو ما احب الله بل احب شيا غيره واما من احب الله تعالى لا لشي سواه فهذا هو المحب
الحق وهو الدرجة العالية فلهذا السبب لم يقل ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر رحمة وانما قال تلين قلوبهم الى ذكر الله وقد بين الله
تعالى هذا المعنى في قوله تعالى الا بذكر الله تطمين القلوب وايضا قال لامة محمد صلى الله عليه وسلم اذكروني اذكركم السؤال الرابع قال
في جانب الخوف تقشعر منه الجلود فقط وفي جانب الرجا لين الجلود والقلوب والجواب لان المكاشفة في مقام الرجا اكمل منها في مقام الخوف
لان الخير مطلوب بالذات والشر مطلوب بالعرض ومحل المكاشفات هو القلوب والارواح والله اعلم ثم انه تعالى لما وصف القران بهذه
الصفات قال ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ومن يضلل الله فما له من هاد فقوله ذلك اشارة الى الكتاب وهو هدى الله
يهدي به من يشاء وهو الذي شرح صدره اولا لقبول الهداية ومن يضلل الله اي من جعل قلبه قاسيا مظلما بليد الفهم منافيا
لقبول هذه الهداية فما له من هاد واستدلال اصحابنا بهذه الاية وسؤالات المعتزلة وجوابات اصحابنا عنها تقدم في قوله تعالى فمن
يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام والله تعالى اعلم **قوله تعالى** افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة
وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فاذاقهم الله الخزي في الحياة
الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون ضرب الله مثلا رجلا
فيه شركاء متشاكسون **اعلم** انه تعالى حكم على القاسية قلوبهم بحكم في الدنيا وبحكم في الاخرة اما حكمهم في الدنيا فهو الضلال التام
كما قال تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد واما حكمهم في الاخرة فهو العذاب الشديد وهو المراد من قوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب
يوم القيامة وتقريره ان اشرف الاعضا هو الوجه لانه محل الحسن والصباحة وهو ايضا صومعة الحواس وانما يمتاز بعض الناس عن بعض بسبب
الوجه واثر السعادة والشقاوة لا يظهر الا في الوجه قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها

قترة اولئك

قترة اولئك هم الكفرة الفجرة ويقال بعدم الوجه العرب ويقال للعلم الدال على كنه حال الشي ان وجه هذا هو كذا فثبت بما ذكرنا ان اشرف الاعضا
هو الوجه فاذا وقع الانسان في نوع من انواع العذاب فانه يجعل يده وقاية لوجهه ووقاية له واذا عرفت هذا فنقول اذا كان القادر على الاتقا يجعل
كل ما سوى الوجه فدا الوجه لا جرم حسن جعل الاتقا بالوجه كناية عن العجز عن الاتقا ونظيره قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من
قراع الكتايب اي لا عيب فيهم الا هذا وهو ليس بعيب فلا عيب فيهم بوجه من الوجوه فكذا هاهنا لا يقدرون على الاتقا بوجه من الوجوه الا بالوجه وهذا ليس
باتقا فلا قدرة لهم على الاتقا البتة ويقال ايضا ان الذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه ولا يتهيا له ان يتقي النار الا بوجهه اذا عرفت
هذا فنقول جوابه محذوف وتقديره افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن امن من العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظايره وسوء العذاب شدته ثم قال
تعالى وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون ولما بين الله تعالى كيف عذاب القاسية قلوبهم في الاخرة بين ايضا كيفية وقوعهم في العذاب في الدنيا
فقال تعالى كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وهذا تنبيه على حال الفجرة لان الفا في قوله تعالى فاتاهم العذاب يدل
على انه انما اتاهم العذاب بسبب التكذيب فاذا كانت التكذيب حاصلا هاهنا لزم حصول العذاب استدلالا بالعلة على المعلول
وقوله من حيث لا يشعرون اي من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها فبينما هم امنون رافهون اذ اتاهم العذاب
من الجهة التي توقعوا الامن منها ولما بين تعالى انه اتاهم العذاب في الدنيا بين ايضا انه اتاهم الخزي وهو الذل والصغار والهوان
والفايدة في ذكر هذا القيد ان العذاب التام هو ان يحصل فيه الالم مقرونا بالهوان والذل ثم قال تعالى ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون
يعني ان اولئك وان نزل عليهم العذاب والخزي كما تقدم ذكره فالعذاب المدخر لهم في يوم القيمة اكبر واعظم من ذلك الخزي والمقصود من كل
ذلك التخويف والترهيب ولما ذكر الله تعالى هذه الفوايد المتكاثرة والنفايس المتوافرة في هذه المطالب بين تعالى انه بلغت هذه البيانات
الى حد الكمال التام فقال تعالى ولقد ضربنا في هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون والمقصود ظاهر قالت المعتزلة دلت الاية
على ان افعال الله تعالى واحكامه معللة ودلت الاية ايضا على انه تعالى يريد الايمان والمعرفة من الكل لان قوله تعالى
ولقد ضربنا للناس مشعر بالتعليل وقوله في اخر الاية لعلهم يتذكرون مشعر بالتعليل ايضا ومشعر بان المقصود من ضرب الامثال ارادة حصول
التذكر والعلم ولما كانت هذه البيانات النافعة والبينات الباهرة موجودة في القران وفيه مسايل المسئلة الاولى احتج
القايلون بخلق القران بهذه الاية من وجوه الاول قوله تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل ليحصل لهم التذكر والشي الذي يوصف
به لغرض اخر يكون محدثا فان القديم هو الذي يكون موجودا في الازل وهذا يمتنع ان يقال انه انما اتى لغرض كذا وكذا والثاني انه وصفه بكونه
عربيا وانما كان عربيا لان هذه الالفاظ انما صارت دالة على هذه المعاني بوضع العرب وباصطلاحهم وما كان حصوله بسبب اوضاع العرب واصطلاحهم
كان مخلوقا محدثا الثالث انه وصفه بكونه قرانا والقران عبارة عن القراة والقراة مصدر والمصدر هو المفعول المطلق فكان فعلا
ومفعولا والجواب انا نحمل كل هذه الوجوه على الحروف والاصوات وهي حادثة والله اعلم المسئلة الثانية قال الزجاج قوله عربيا منصوب على الحال
والمعنى ضربنا للناس في هذا القران في حال عربيته وبيانه ويجوز ان ينتصب على المدح اثنا الله انه تعالى وصفه بصفات ثلاثة اولها
كونه قرانا عربيا والمراد كونه متلوا في المحاريب الى قيام القيمة كما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وثانيها كونه عربيا والمراد انه
اعجز الفصحا والبلغا عن معارضته كما قال تعالى قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وثالثها
كونه غير ذي عوج والمراد براته عن التناقض كما قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واما قوله تعالى لعلهم يتقون فالمعتزلة
يتمسكون به في تعليل احكام الله تعالى وفيه بحث اخر وهو انه قال في الاية الاولى لعلهم يتذكرون وقال في هذه الاية لعلهم يتقون والسبب فيه
ان التذكر متقدم على الاتقا لانه اذا تذكره وعرفه ووقف على فحواه واحاط بمعناه حصل الاتقا والاحتراز والله تعالى اعلم **قوله تعالى**
ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون انك ميت
وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس في
جهنم مثوى للكافرين وفيه ثم ذكر مثلا ما يدل على فساد مذهبهم وقبح طريقتهم فقال تعالى ضرب الله مثلا وفي الاية مسايل المسئلة الاولى
المتشاكسون المختلفون العسرون يقال شكس يشكس شكوسا وشكسا اذا عسر وهو رجل شكس اي عسر وشاكس اذا تعاسر قال الليث
التشاكس التنازع والاختلاف ويقال الليل والنهار يتشاكسان اي يتضادان اذا جا احدهما ذهب الاخر وقوله فيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا
فيه المسئلة الثانية تقدير الكلام اضرب لقومك قرا ابن كثير وابو عمرو سالما بالالف واللام على انه اسم الفاعل يقال سلم فهو سالم والباقون
سلما بفتح السين واللام بغير الف ويقال ايضا بفتح السين وكسرها مع سكون اللام اما من قرا سالما فهو اسم الفاعل تقديره سلم فهو سالم
واما ساير القران فهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة وقوله لرجل اي ذا خلوص له من شركه من قولهم سلمت له الضيعة وقرى بالرفع
على الابتدا اي وهناك رجل سالم لرجل والمعنى اضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد
اشترك فيه شركا بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه حوايجهم وهو متحير في امره فكلما ارضى احدهم
غضب الباقون واذا احتاج في مهم اليهم فكل واحد منهم يرده الى الاخر فهو بين متحير لا يعرف ايهم اولى بان يطلب رضاه وايهم يعينه في
حاجاته فهو بهذا السبب في عذاب دايم وتعب مقيم ورجل اخر له مخدوم واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك المخدوم يعينه على مهماته فاي
هذين العبدين احسن حالا واحمد شانا والمراد تمثيل حال من يثبت الهة شتى فان اولئك الالهة تكون متنازعة متغالبة كما قال تعالى لو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا وقال تعالى ولعلا بعضهم على بعض فيبقى ذلك المشرك متحيرا ضالا لا يدري اي هولاء الالهة يعبد وعلى ربوبية ايهم يعتمد وممن يطلب رزقه
وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه اوزاع اما من لم يثبت الا الها واحدا فهو قايم بما كلفه عارف بما ارضاه وما اسخطه فكان حال هذا اقرب الى الصلاح من حال
الاول وهذا مثال في غاية الحسن في ذم الشرك وتحسين التوحيد فان قيل هذا المثال لا ينطبق على عبادة الاصنام لانها جمادات فليس بينهم منازعة

ولا مساكسة قلنا ان عبدة الاصنام مختلفون منهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الكواكب السبعة لهم في الحقيقة انما تعبدون الكواكب السبعة ثم ان القوم يعتقدون بين هذه الكواكب منازعة ومساكسة الا ترى انهم يقولون زحل هو النحس الاعظم والمشتري هو السعد الاعظم ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الارواح الفلكية والقائلون بهذا القول زعموا ان كل نوع من انواع حوادث هذا العالم يتعلق بروح من الارواح السماوية وحينئذ يحصل بين تلك الارواح منازعة ومساكسة وحينئذ يكون المثل مطابقا ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الاشخاص من العلماء والزهاد مضوا فهم يعبدون هذه التماثيل ليصير اولئك الاشخاص من العلماء والزهاد شفعاء لهم عند الله تعالى والقائلون بهذا القول تزعم كل طائفة منهم ان المحق هو ذلك الرجل الذي على دينه وان من سواه فهو مبطل وعلى هذا التقرير ايضا ينطبق المثال فثبت ان هذا المثال مطابق للمقصود واما قوله هل يستويان مثلا فالتقدير هل يستويان صفة فقوله مثلا نصب على التمييز والمعنى هل يستوي صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين ثم قال تعالى الحمد لله والمعنى انه لما بطل القول باثبات الشركاء والاضداد وثبت انه لا اله الا الله الواحد الاحد الصمد ثبت ان الحمد له لا لغيره ثم قال تعالى بعده بل اكثرهم لا يعلمون ان الحمد لله لا لغيره وان المستحق للعبادة هو الله لا غيره وقيل المراد انه لما سبقت هذه الدلائل الظاهرة والبينات الباهرة قال الحمد لله على حصول هذه البيانات وظهور هذه البينات وان كان اكثر الخلق لا يعرفونها ولم يقفوا عليها ولما تمم الله تعالى هذه البينات قال تعالى انك ميت وانهم ميتون والمراد ان هؤلاء الاقوام وان لم يلتفتوا الى هذه الدلائل القاهرة بسبب استيلاء الحرص والحسد عليهم في الدنيا فلا تبال يا محمد بهذا فانك ستموت وهم ايضا يموتون ثم تحشرون يوم القيمة وتختصمون عند الله تعالى والعادل الحق يحكم بينكم فيوصل الى كل احد ما هو حقه وحينئذ يتميز المحق من المبطل والصديق من الزنديق فهذا هو المقصود من الاية وقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون اي انك واياهم وان كنتم احياء فانكم في عداد الموتى لان كل ما هو آت آت ثم بين تعالى نوعا آخر من قبائح افعالهم وهو انهم يكذبون ويضمون اليه انهم يكذبون القائل المحق اما انهم يكذبون فهو انهم اثبتوا لله ولدا وشركاء واما انهم مصرون على تكذيب الصادقين فلانهم يكذبون محمدا صلى الله عليه وسلم بعد قيام الدلائل القاطعة على كونه صادقا في ادعاء النبوة ثم اردفه بالوعيد فقال اليس في جهنم مثوى للكافرين ومن الناس من تمسك بهذه الاية في تكفير المخالف من اهل القبلة وذلك لان المخالف في المسائل كلها القطعية يكون كاذبا في قوله ويكون مكذبا للمذهب الذي هو الحق فوجب دخوله تحت هذا الوعيد والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اليس الله بعزيز ذي انتقام **اعلم** انه تعالى لما ذكر وعيد الكاذبين والمكذبين للصادقين ذكر عقيبه وعد الصادقين ووعد المصدقين ليكون الوعد مقرونا بالوعيد وفيه مسائل **المسألة الاولى** قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به قولان الاول ان المراد شخص واحد فالذي جاء بالصدق محمد والذي صدق به هو ابو بكر وهذا القول مروي عن علي بن ابي طالب عليه السلام وجماعة من المفسرين رضي الله عنهم والثاني ان المراد منه كل من جاء بالصدق والذي جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع واحتج القائلون بهذا القول بقوله تعالى اولئك هم المتقون ولو كان المراد بقوله تعالى والذي جاء بالصدق جماعة والامر كذلك لقال اولئك هم المتقون **المسألة الثانية** لا شك ان الاركان الاربعة المرسل والمرسل والرسالة والمرسل اليه والمقصود من الارسال اقدام المرسل اليه على القبول والتصديق فاول شخص اتى بالتصديق هو الذي يتم به الارسال وسمعت بعض العاصمين في الري يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال دعوا لي ابا بكر فانه من تتمة النبوة **واعلم** انا قلنا المراد بالصدق والذي صدق به شخص معين او قلنا المراد منه كل من كان موصوفا بهذه الصفات فان ابا بكر رضي الله عنه داخل فيه اما على التقدير الاول فدخول ابي بكر فيه ظاهر وذلك لان هذا اثبتنا ولا سبق الناس الى التصديق واجمعوا على ان الاسبق الافضل اما ابو بكر واما علي وحمل هذا اللفظ على ابي بكر اولى وذلك لان عليا عليه السلام كان في وقت البعثة صغيرا فكان كالولد الصغير الذي يكون في بيت محمد واما اقدامه على التصديق لا يفيد مزيد قوة وشوكة اما ابو بكر فانه كان رجلا كبيرا في المنصب فاقدامه على التصديق يفيد مزيد قوة وشوكة في الاسلام فكان حمل هذا اللفظ على ابي بكر اولى واما على التقدير الثاني فهو ان يكون المراد من كان موصوفا بهذه الصفة وعلى هذا التقدير يكون ابو بكر داخلا **المسألة الثالثة** قال صاحب الكشاف قرئ وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس ولم يكذبهم يعني اداه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل وصار صادقا به اي بسببه لان القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح فيصير المتحدي على الرسالة صادقا بسبب تلك المعجزة وقرئ وصدق به **واعلم** انه تعالى اثبت للذي جاء بالصدق وصدق به احكاما كثيرة فالحكم الاول قوله تعالى اولئك هم المتقون وتقريره ان التوحيد والشرك ضدان وكلما كان احد الضدين اشرف واكمل كان الضد الثاني اخس وارذل ولما كان التوحيد اشرف الاشياء كان الشرك اخس الاشياء والآتي باحد الضدين يكون تاركا للضد الثاني والآتي بالتوحيد الذي هو افضل الاشياء يكون تاركا للشرك الذي هو اخس الاشياء وارذلها فلهذا المعنى وصف المصدقين بكونهم متقين الحكم الثاني للمصدقين قوله تعالى لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين وهذا الوعد يدخل فيه كل ما يرغب المكلف فيه فان قيل لا شك ان الكمال محبوب لذاته مرغوب فيه لذاته واهل الجنة لا شك انهم عقلاء فاذا شاهدوا الدرجات العالية للانبياء والاكابر والاولياء عرفوا انها درجات عالية ودرجات كاملة والعلم بالشيء من حيث انه كمال وخير يوجب حصولها لهم بحكم هذه الاية وايضا فانه لم يحصل لهم تلك المراد وكانوا في الغصة ووحشة القلب اجيب عنه بان الله تعالى يزيل الحقد والحسد عن قلوب اهل الآخرة وذلك ان بعضهم ان احوالهم في الآخرة تخالف احوالهم في الدنيا ومن الناس من تمسك بهذه الاية في ان المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيمة قالوا لان الذين يعصون اهل الجنة يساوون ذلك قلنا هذا باطل لان الرؤية اعظم وجوه التجلي ودوام الحجاب ولا شك انها مطلوبة لكل احد يطلبها الاعتبار بلى لو ثبت بالدليل كون هذا المطلوب ممتنع الوجود لعينه فانه يترك طلبه لا لاجل عدم المقتضي للطلب بل لقيام المانع وهو كونه ممتنعا في نفسه فثبت ان هذه المسألة قاطعة والمعنى يقتضي حصول كل ما ارادوه وشاؤوه فوجب حصولها **واعلم** ان قوله عند ربهم لا يفيد العندية بمعنى الجهة والمكان بل بمعنى العبد والاخلاص كما في قوله تعالى عند مليك مقتدر **واعلم** ان المعتزلة تمسكوا بقوله تعالى ذلك جزاء المحسنين



على الذي هو مستحق لعلي احسانهم في العبادة **الحكم الثالث** قوله تعالى ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون وقوله تعالى لهم ما يشاؤون عند ربهم يدل على حصول الثواب على اكمل الوجوه وقوله تعالى ليكفر الله عنهم يدل على سقوط العقاب عنهم على اكمل الوجوه [illegible] **واعلم** [illegible] **الحكم الرابع** [illegible]

تعالى بين من عاداهم **واعلم** انه تعالى لما اطنب في شرح الوعيد والوعد والترهيب ختم الكلام بخاتمة هي الفصل الحق وهي ان من يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل يعني ان هذه الدلائل والبينات لا تنفع الا اذا خص الله تعالى العبد بالهداية والتوفيق وقوله تعالى اليس الله بعزيز ذي انتقام تهديد للكفار **واعلم** ان اصحابنا يتمسكون في مسألة خلق الاعمال وارادة الكائنات بقوله تعالى ومن يضلل الله فما له من مضل والمباحث فيه من الجانبين معلومة والمعتزلة يتمسكون على صحة مذهبهم في هاتين المسألتين بقوله تعالى اليس الله بعزيز ذي انتقام ولو كان الخالق للكفر فيهم هو الله تعالى لكان الانتقام والتهديد غير لائق به والله تعالى اعلم بالصواب

**قوله تعالى** ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم **اعلم** انه تعالى لما اطنب في وعيد المشركين وفي وعد الموحدين عاد الى اقامة الدليل على سقوط عبدة الاصنام وبنى هذا الدليل على اصلين الاصل الاول ان هؤلاء المشركين مقرون بوجود الاله القادر العالم الحكيم الرحيم وهو المراد من قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله **واعلم** ان من الناس من قال بوجود الاله القادر الحكيم الرحيم متفق عليه بين جمهور الخلائق لا نزاع بينهم فيه وفطرة العقل شاهدة بصحة هذا العلم فان من تامل في عجائب بدن الانسان وما فيه من انواع الحكم الغريبة والمصالح العجيبة علم انه لا بد من الاعتراف بالاله القادر الحكيم الرحيم والاصل الثاني ان هذه الاصنام لا قدرة لها على الخير والشر وهو المراد من قوله تعالى قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته فثبت انه لا بد من الاقرار بوجود الاله القادر الحكيم الرحيم وثبت ان هذه الاصنام لا قدرة لها على الخير والشر واذا كان الامر كذلك كانت عبادة الله تعالى كافية وكان الاعتماد عليه كافيا وهو المراد من قوله تعالى قل حسبي الله عليه توكلت وعليه يتوكل المتوكلون فاذا ثبتت هذه الاصول بلغت الغاية الى تخويف المشركين وكان المقصود من هذه الاية الجواب عما ذكره الله تعالى قبل هذه الاية وهو قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه وقرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل وبالاضافة للتخفيف فان قيل لم قيل كاشفات وممسكات على التانيث بعد قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه قلنا المقصود التنبيه على كمال ضعفها فان الانوثة مظنة الضعف ولانهم كانوا يصفونها بالتانيث ويقولون اللات والعزى ومناة ولما اورد الله تعالى عليهم هذه الحجة التي لا دافع لها قال بعده على وجه التهديد قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل اي انتم تعتقدون في انفسكم انكم في نهاية القوة والشدة فاجتهدوا في انواع مكركم وكيدكم فاني عامل ايضا في تقرير ديني فسوف تعلمون ان العذاب والخزي يصيبني او يصيبكم والمقصود منه التخويف والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون في الاية مسائل **المسألة الاولى** اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعظم عليه اصرارهم على الكفر كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم وقال تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فلما اطنب الله تعالى في هذه الايات في فساد مذاهب المشركين بالدلائل والبينات [illegible] بذكر الوعد والوعيد اردفه بكلام يزيل ذلك الخوف العظيم عن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال انا انزلنا عليك هذا الكتاب الكامل الشريف لنفع الناس ولاهتدائهم به وجعلنا انزاله مقرونا بالحق وهو المعجز الذي يدل على انه من عند الله فمن اهتدى فنفعه يعود اليه

ومن ضل فمن يهده له يعود اليه وما انت عليهم بوكيل والمعنى انك لست مامورا بان تحملهم على الايمان على سبيل القهر بل القبول وعدم
القبول مفوض اليهم وذلك لتسلية الرسول في اصرارهم على الكفر ثم بين الله تعالى ان الهداية والضلال لا يحصلان الا من الله تعالى
وذلك لان الهداية تشبه الحياة واليقظة والضلال يشبه الموت والنوم وكما ان الحياة واليقظة وكذلك الموت والنوم لا يحصلان
الا بتخليق الله تعالى وايجاده وكذلك الهداية والضلال لا يحصلان الا بامر الله تعالى ومن عرف هذه الدقيقة فقد عرف سر الله في القدر ومن
عرف سر الله في القدر هانت عليه المصايب فيصير العلم بهذه الدقيقة سببا لزوال الحزن عن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم
فهذا وجه النظم في الاية وحاصل نظم الاية انه تعالى ذكر حجة اخرى في اثبات ان الاله العالم يدل على انه بالعبادة احق من هذه الاصنام
المسئلة الثانية المقصود من الاية انه تعالى يتوفى الانفس عند الموت وعند النوم الا انه يمسك الانفس التي قضى عليها الموت ويرسل
الاخرى وهي النائمة الى اجل مسمى اي الى وقت ضرب لموتها فقوله تعالى يتوفى الانفس حين موتها معناه انه تعالى يتوفى الانفس
في وقت الموت وقوله تعالى والتي لم تمت في منامها معناه انه يتوفى الانفس التي ما ماتت عند منامها وقوله تعالى فيمسك
التي قضى عليها الموت يعني النفس التي يتوفاها عند النوم يردها عند البدن الى اليقظة وتبقى بهذه الحالة الى اجل مسمى وذلك
الاجل هو وقت الموت فهذا تفسير لفظ الاية وهي مطابقة للحقيقة ولكن لا بد فيه من مزيد بيان فنقول النفس الانسانية عبارة
عن جوهر مشرق روحاني اذا تعلق بالبدن حصل ضوءه في جميع الاعضاء وهو الحياة فنقول انه في وقت الموت ينقطع تعلقه عن ظاهر
هذا البدن وعن باطنه وذلك هو الموت واما في وقت النوم فانه ينقطع ضوءه عن باطن البدن وثبت ان الموت والنوم من جنس
واحد الا ان الموت انقطاع تام كامل والنوم انقطاع ناقص من بعض الوجوه واذا ثبت هذا ظهر ان القادر العالم الحكيم دبر
تعلق جوهر النفس بالنسبة على ثلثة اوجه احدها ان يقع ضوء الشمس على جميع اجزاء البدن ظاهره وباطنه وذلك هو اليقظة وثانيها
ان ينقطع ضوء النفس عن البدن بالكلية وهو الموت فثبت ان الموت والنوم يشتركان في كون كل واحد منهما توفيا للنفس ثم يمتاز كل واحد عن الاخر
بخواص معينة وصفات معينة ومثل هذا التدبير العجيب لا يمكن صدوره الا عن القادر العليم الحكيم وهو المراد من قوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
ويحتمل ان المراد ان هذا الدليل يدل على ان الواجب على العاقل ان يعبد الها موصوفا بهذه القدرة وبهذه الحكمة وان لا يعبد الاوثان التي هي جمادات
لا شعور لها ولا ادراك **واعلم** ان الكفار اوردوا على هذا الكلام سؤالا فقالوا نحن لا نعبد هذه الاصنام لاعتقاد انها آلهة تضر وتنفع
وانما نعبدها لاجل انها تماثيل لاشخاص كانوا عند الله من المقربين فنحن نعبدها لاجل ان يصير اولئك الاكابر شفعاء لنا عند الله تعالى
فاجاب الله تعالى عنه بان قال ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون وتقرير الجواب ان هؤلاء الكفار اما ان
يطمعوا تلك الشفاعة من هذه الاصنام تماثيلها والاول باطل لان في يوم القيمة لا يملك احد شيئا ولا يعقل واحد عن الشفاعة الا
باذن الله فيكون الشفيع في الحقيقة هو الذي ياذن في تلك الشفاعة فكان الاشتغال بعبادته اولى من الاشتغال بعبادة غيره وهذا
هو المراد من قوله تعالى قل لله الشفاعة جميعا ثم بين انه لا ملك لاحد غير الله بقوله له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون ومنهم من تمسك
في نفي الشفاعة مطلقا بقوله تعالى قل لله الشفاعة جميعا وهذا ضعيف لانا نسلم ان الله سبحانه وتعالى ما لم ياذن في الشفاعة لم يقدر
احد على الشفاعة فان قيل قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها فيه سؤال لان هذا يدل على ان المتوفي هو الله فقط وتاكد هذا
بقوله تعالى الذي خلق الموت والحياة وبقوله تعالى ربي الذي يحيي ويميت وبقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم
ثم انه تعالى قال في آية اخرى قل يتوفاكم ملك الموت وقال في اية ثالثة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وجوابه ان المتوفي
في الحقيقة هو الله الا انه تعالى فوض في عالم الاسباب كل نوع من انواع الاعمال الى ملك من الملائكة ففوض قبض الارواح الى ملك الموت
وهو رئيس وتحته اتباع وخدم فاضيف التوفي في اية الى الله وهو الاضافة الحقيقية وفي الاية الثانية الى ملك الموت لانه هو الرئيس
في هذا العمل والى سائر الملائكة لانهم الاتباع لملك الموت والله تعالى اعلم **قوله تعالى** واذا ذكر الله وحده اشمازت
قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون قل اللهم فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ولو ان للذين ظلموا ما في الارض
جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون **اعلم** ان هذا نوع آخر من الاعمال القبيحة للمشركين
انك اذا ذكرت الله وحده وقلت لا اله الا الله وحده لا شريك له ظهرت آثار النفرة من وجوههم وقلوبهم واذا ذكرت الاصنام والاوثان
ظهرت آثار الفرح والبشارة في قلوبهم وصدورهم وذلك يدل على الجهل والحماقة لان ذكر الله تعالى راس السعادات وعنوان
الخيرات واما ذكر الاصنام التي هي الجمادات الخسيسة فهو راس الجهالات والحماقات فنفرتهم عن ذكر الله تعالى وحده واستبشارهم
بذكر هذه الاصنام من اقوى الدلايل على الجهل الغليظ والحمق الشديد قال صاحب الكشاف ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل
واحد منهما غاية في بابه لان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى يظهر ذلك السرور في بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان
يمتلئ غما وغيظا فينقبض الروح الى داخل القلب فيبقى في اديم الوجه اثر الغبرة والظلمة والارضية ولما حكى الله تعالى عنهم هذا
الامر العجيب الذي يشهد فطرة العقل بفساده اردفه بامرين احدهما انه ذكر الدعاء العظيم فوصفه اولا بالقدرة التامة وهي قوله
تعالى اللهم فاطر السموات والارض وثانيا بالعلم الكامل وهو قوله تعالى عالم الغيب والشهادة وانما قدم ذكر القدرة على ذكر العلم
لان العلم بكونه تعالى قادرا متقدم على العلم بكونه عالما ولما ذكر هذا الدعاء قال انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون يعني
ان نفرتهم عن التوحيد وفرحهم عند سماع الشرك حكم معلوم الفساد ببديهة العقل ومع ذلك فالقوم قد اصروا عليه فلا يقدر

احدا



احدا على ازالتهم عن هذا الاعتقاد الفاسد والمذهب الباطل الا انت عن ابي سلمة قال سالت عايشة بم كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلاته بالليل قالت كان يقول اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت
تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم **واعلم**
انه تعالى لما حكى عنهم ذلك المذهب الباطل ذكر في وعيدهم اشياء اولها ان هؤلاء الكفار لو ملكوا كل ما في الارض من الاموال وملكوا
مثله معه لجعلوا الكل فدية لانفسهم من ذلك العذاب الشديد وثانيها قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
اي ظهرت لهم انواع من العقاب لم يكن في حسابهم وكما انه صلى الله عليه وسلم قال في صفة الثواب في الجنة فيها ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فكذلك في العقاب حصل مثله وهو قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
وثالثها قوله تعالى وبدا لهم سيئات ما كسبوا ومعناه ظهرت لهم آثار تلك السيئات التي اكتسبوها ثم قال تعالى وحاق
بهم اي احاط بهم من كل الجوانب جزاء ما كانوا يستهزءون به فنبه تعالى بهذه الوجوه على عظيم عقابهم قوله تعالى فاذا مس
الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون قد قالها الذين من
قبلهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا
وما هم بمعجزين اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون **اعلم** ان هذا حكاية طريقة اخرى
من طرايقهم الفاسدة وذلك لانهم عند الوقوع في الضر الذي هو الفقر والمرض يفزعون الى الله تعالى ويرون دفع ذلك لا يكون الا منه
ثم انه تعالى اذا خولهم النعمة وهي اما السعادة في المال او العافية في النفس زعم انه انما حصل ذلك بكسبه وبسبب جهده وجده
فان كان مالا قال انما حصل بكسبي وان كان صحة قال انما حصل بسبب العلاج الفلاني وهذا تناقض عظيم لانه لما كان في حال العجز والحاجة
اضاف الكل الى الله تعالى وفي حال السلامة والصحة قطعه عن الله واسنده الى الكسب وهذا تناقض قبيح فبين تعالى قبح طريقتهم
فيما هم عليه عند الشدة والرخاء بلفظ وجيز وكلمة فصيحة فقال بل هي فتنة يعني النعمة التي خولها هذا الكافر فتنة من حيث يعز عنده حال من حصل
النعمة كما قال فثبت المذهب الباطل رسوخا ثم قال تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون والمعنى ما قدمنا ان ذلك التخويل انما كان لاجل
الابتلاء روي في الاية بالفاء هاهنا وعطف مثلها في اول السورة بالواو والجواب انه تعالى حكى عنهم قبل هذه الاية انهم يشمئزون
من سماع التوحيد ويستبشرون بسماع ذكر الشرك ثم ذكر بفاء التعقيب انهم اذا وقعوا في الضر والبلاء التجوا الى الله تعالى وحده وكان الفعل
الاول مناقضا للفعل الثاني فذكر فاء التعقيب ليدل به على انهم واقعون في المناقضة الصريحة في الحال وانه ليس بين الاول والثاني
فاصلة مع ان كل واحد منهما مناقض للثاني فهذا هو الفايدة في ذكر فاء التعقيب هاهنا فاما الاية الاولى فليس المقصود منها
بيان وقوعهم في التناقض في الحال فلا جرم ذكره الله بحرف الواو ولا بحرف الفاء السؤال الثاني ما معنى التخويل الجواب هاهنا التخويل
هو التفضل يعني نحن نتفضل عليه وهو يظن انه انما وجده لاستحقاقه السؤال الثالث ما المراد من قوله تعالى قال انما اوتيته
على علم الجواب يحتمل ان يكون المراد اوتيته على علم الله بكوني مستحقا لذلك ويحتمل ان يكون المراد اوتيته على علم كوني مستحقا ويحتمل
ان يكون المراد انما اوتيته على علم لاجل ذلك العلم قدرت على اكتسابه مثل ان يكون مريضا فيعالج نفسه فيقول انما وجدت الصحة
لعلمي بكيفية العلاج وانما وجدت المال لعلمي بكيفية الكسب السؤال الرابع النعمة مونثة والضمير في قوله تعالى اوتيته عايد الى النعمة فضمير المذكر كيف
عاد الى المونث ثم قال تعالى بعده بل هي فتنة فجعل الضمير مونثا فما السبب فيه الجواب ان المعنى حتى اذا خولناه شيئا من النعم فلفظة النعمة
مونث ومعناه مذكر فلا جرم حسن الامران ثم قال تعالى قد قالها الذين من قبلهم فما اغنى عنهم الضمير في قالها راجع الى قوله تعالى انما اوتيته
على علم لانها كلمة او جملة من القول والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وقومه راضون به فكانهم
قالوها ويجوز ان يكون في الامم الخالية قايلون مثلها ثم قال تعالى فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون اي ما اغنى عنهم ذلك الاعتقاد الباطل
والقول الفاسد الذي اكتسبوه من عند الله شيئا بل اصابهم سيئات ما كسبوا وما ابين في اولئك المعتدين انهم لما اصابهم سيئات ما كسبوا
العذاب بعقائدهم الباطلة واقوالهم الفاسدة ثم قال تعالى وما هم بمعجزين اي لا يعجزونني في الدنيا والاخرة ثم قال تعالى اولم يعلموا ان الله
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اولم يعلموا ان الله تعالى هو الذي يبسط الرزق تارة ويقبضه اخرى قوله تعالى ويقدر اي ويضيق
والدليل عليه انا نرى الناس مختلفين في سعة الرزق وضيقه فلا بد له من سبب وذلك السبب ليس هو عقل الرجل وجهله لانا نرى
العاقل القادر في اشد الضيق ونرى الجاهل المريض الضعيف في اعظم السعة وليس ذلك ايضا لاجل الطبايع والانجم والافلاك لان في
الساعة التي ولد فيها ذلك الملك الكبير والسلطان القاهر قد ولد فيها ايضا عالم من الناس وعالم من الحيوانات وغير الانسان
وتولد ايضا في تلك الساعة عالم من النبات فلما شاهدنا حدوث هذه الاشياء الكثيرة في تلك الساعة الواحدة مع كونها مختلفة
في السعادة والشقاوة علمنا ان المعطي فيه هو الله سبحانه وتعالى وصح بهذا البرهان الحق القاطع صحة قوله تعالى الله
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقال الشاعر فلا السعد يقضي به المشتري ولا النحس يقضي علينا زحل ولكنه حكم رب السماء
قاضي القضاة تعالى وجل والله تعالى اعلم **قوله تعالى** قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم
لا تنصرون واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون ان تقول نفس
يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين او تقول
حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين **اعلم**

انه تعالى لما اطنب في الوعيد اردفه بشرح كمال رحمته وفضله واحسانه وفيه مسايل المسئلة الاولى احتج اصحابنا بهذه الاية على انه تعالى
يعفو عن الكباير فقالوا انا بينا في هذا الكتاب ان عرف القران جار بتخصيص اسم العباد بالمومنين قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون
على الارض هونا وقال تعالى عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها ولان لفظ العبد مذكور في معرض التعظيم فوجب ان لا يقع الا على المومنين اذا
ثبت هذا ظهر ان قوله تعالى يا عبادي يختص بالمومنين ولان المومن هو الذي يعترف بكونه عبدا لله تعالى واما المشركون فانهم يسمون انفسهم بعبد
اللات وعبد العزى وعبد المسيح فثبت ان قوله تعالى يا عبادي لا يليق الا بالمومنين اذا ثبت هذا فنقول انه قال تعالى ان الذين اسرفوا
على انفسهم وهذا عام في حق المسرفين ثم قال تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وهذا يقتضي كونه تعالى غافرا للذنوب جميعا الصادرة
عن المومنين وذلك هو المقصود فان قيل هذه الاية لا يمكن اجراوها على ظاهرها والا لزم القطع بكون الذنوب مغفورة وانتم لا تقولون
به فما هو مدلول هذه الاية لا تقولون به والذي تقولون به لا تدل عليه هذه الاية فسقط الاستدلال وايضا انه تعالى قال
عقيب هذه الاية وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون ثم قال وانتم لا تشعرون ولو كان المراد
اول الاية انه تعالى غفر جميع الذنوب قطعا لما امر عقيبه بالتوبة ولما خوفهم بنزول العذاب عليهم من حيث لا يشعرون وايضا
ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وايضا فلو كان المراد ما يدل عليه ظاهر الاية لكان ذلك اغراء بالمعاصي واطلاقا
في الاقدام عليها وذلك لا يليق بحكمة الله تعالى واذا ثبت هذا وجب ان يحمل على ان المراد منه التنبيه على انه لا يجوز ان يظن العاصي انه
لا مخلص له من العذاب البتة فان من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله تعالى اذ لا احد من العصاة المذنبين الا ومتى تاب
زال عقابه وصار من اهل المغفرة والرحمة فمعنى قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا اي بالتوبة والانابة والجواب قوله الاية تقتضي كون
كل الذنوب مغفورة قطعا وانتم لا تقولون به قلنا بل نحن نقول به ونذهب اليه وذلك لان صيغة يغفر صيغة المضارع وهي للاستقبال
وعندنا ان الله تعالى يخرج من النار من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى هذا التقدير فصاحب الكبيرة مغفورة له قطعا اما قبل الدخول
في نار جهنم واما بعد الدخول فيه فثبت ان ما يدل عليه ظاهر الاية فهو عين مذهبنا اما قوله صارت الذنوب باسرها مغفورة فلما
امر بالتوبة فالجواب انا عندنا التوبة واجبة وخوف العقاب قايم فاذا لا نقطع بازالة العقاب بالكلية بل نقول لعله يعفو مطلقا
ولعله يعذب بالنار مدة ثم يعفو بعد ذلك وبهذا الحرف يخرج الجواب عن بقية السوال والله اعلم المسئلة الثانية اعلم ان هذه الاية
تدل على رجاء الرحمة من وجوه الاول انه سمى المذنب بالعبد والعبودية تشعر بالحاجة والذلة والمسكنة واللايق بالكريم الرحيم افاضة
الخير والرحمة على المسكين المحتاج الثاني انه تعالى اضافهم الى نفسه بياء الاضافة فقال تعالى يا عبادي وشرف الاضافة اليه يفيد الامن من
العذاب الثالث انه تعالى قال اسرفوا على انفسهم ومعناه ان ضرر تلك الذنوب ما عاد اليه بل هو عايد اليهم فيكفيهم من تلك الذنوب عود
ضررها اليهم فلا حاجة الى الحاق ضرر اخر بهم الرابع انه تعالى قال لا تقنطوا من رحمة الله نهاهم عن القنوط فيكون هذا امرا بالرجا والكريم
اذا امر بالرجا فلا يليق به الا الكرم الخامس انه تعالى قال اولا يا عبادي وكان اللايق ان يقول لا تقنطوا من رحمتي لكنه ترك هذا اللفظ وقال لا تقنطوا
من رحمة الله لان قولنا الله اعظم اسماء الله تعالى واجلها فالرحمة المضافة اليه يجب ان يكون اعظم انواع الرحمة والفضل السادس انه لما قال لا تقنطوا
من رحمة الله كان الواجب ان يقول انه يغفر الذنوب ولكنه لم يقل ذلك بل اعاد اسم الله وقرن به لفظة ان المفيدة لاعظم وجوه التاكيد وكل ذلك
يدل على المبالغة في الوعد بالرحمة السابع انه لو كان يغفر الذنوب لكان المقصود به حاصلا لكنه اردفه باللفظ الدال على التاكيد فقال جميعا وهذا ايضا من الموكدات الثامن انه وصف نفسه بكونه غفورا ولفظ الغفور يفيد المبالغة التاسع انه وصف
نفسه بكونه رحيما والرحمة تفيد فايدة زايدة على المغفرة وكان قوله انه هو الغفور اشارة الى ازالة موجبات العقاب وقوله الرحيم اشارة
الى تحصيل موجبات الرحمة والثواب العاشر ان قوله الغفور الرحيم يفيد الحصر ومعناه انه لا غفور ولا رحيم الا هو وذلك يفيد الكمال في
وصفه سبحانه بالغفران والرحمة فهذه الوجوه العشرة في هذه الاية وهي باسرها دالة على كمال الرحمة والغفران ونسال الله تعالى الفوز بها
والنجاة من العذاب بفضله ورحمته المسئلة الثالثة ذكر في سبب النزول وجوها قيل انها نزلت في اهل مكة فانهم قالوا يزعم محمد ان
من عبد الاوثان وقتل النفس لم يغفر له وقد عبدنا وقتلنا فكيف نسلم وقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة لما اراد ان يسلم وخاف ان لا تقبل
توبته فلما نزلت الاية اسلم فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه له خاصة ام للمسلمين عامة فقال بل للمسلمين عامة وقيل نزلت
في عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين اسلموا ثم فتنوا فافتتنوا فكان المسلمون يقولون فيهم لا يقبل الله منهم توبتهم
فنزلت هذه الايات فكتبها عمر فبعث بها اليهم فاسلموا وهاجروا واعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فتعم هذه الايات لا تمنع
من عمومها والله تعالى اعلم المسئلة الرابعة قرا نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم يا عبادي بفتح الياء والباقون وعاصم في بعض الروايات
بغير فتح وكلهم يقفون عليها باثبات الياء لانها ثابتة في المصحف الا في بعض رواية ابي بكر عن عاصم انه يقف بغير ياء وقرا ابو عمرو
والكسائي تقنطوا بكسر النون والباقون بفتحها وهما لغتان قال صاحب الكشاف وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء ثم قال
تعالى وانيبوا الى ربكم قال صاحب الكشاف اي وتوبوا اليه واسلموا له والدلالة على انها شرط فيها لازم لا يحصل بدونه واقول هذا الكلام
ضعيف جدا لان عندنا التوبة على العاصي واجبة فلم يلزم من ورود الامر بها طعن في الوعد بالمغفرة فان قالوا لو كان الوعد بالمغفرة
حاصلا قطعا لما احتيج الى التوبة لان التوبة انما تراد لاسقاط العقاب فاذا عفا الله عنه فلا حاجة الى التوبة فنقول هذا ضعيف لان مذهبنا انه
تعالى ان كان يغفر الذنوب قطعا ويعفو عنه قطعا الا ان هذا العفو والغفران يقع على وجهين تارة يقع ابتداء وتارة يعذب مدة في
النار ثم يخرجه عن النار ويعفو عنه ففايدة التوبة ازالة هذا العقاب فثبت ان الذي قاله صاحب الكشاف ضعيف لا فايدة فيه ثم قال
تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم واعلم انه تعالى لما وعد بالمغفرة امر بعد هذا الوعد باشيا والاول امرنا الان وهو قوله تعالى

واتبعوا



وانيبوا الى ربكم والثاني امر بمتابعة الاحسن وفي المراد بهذا الاحسن وجوه الاول قال الحسن معناه والزموا طاعة الله تعالى واجتنبوا
معصيته فان الذي انزل على ثلثة اوجه ذكر القبيح ليجتنب عنه والادون لئلا يرغب فيه والاحسن ليوثر به ثم الثالث المراد بالاحسن
الناسخ دون المنسوخ لان الناسخ احسن من المنسوخ لقوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها ولان الله تعالى
لما نسخ حكما واثبت حكما كان اعتمادنا على الناسخ احسن لنا من اعتمادنا على المنسوخ ثم قال تعالى من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة
وانتم لا تشعرون والمراد منه التهديد والتخويف والمعنى انه يفجاكم العذاب وانتم غافلون عنه واعلم انه تعالى لما خوفهم
بالعذاب بين تعالى ان بتقدير نزول العذاب عليهم ماذا يقولون فحكى تعالى عليهم ثلثة انواع من الكلمات فالاول قوله تعالى
ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين وفيه مسايل المسئلة الاولى قوله ان تقول مفعول له اي كراهة
ان يقولوا واما تنكير لفظ النفس ففيه وجهان الاول يجوز ان يراد نفس ممتازة عن ساير النفوس لاجل اختصاصها بمزيد اضرار على ما
لا ينبغي ورغبة في المعاصي الثاني يجوز ان يراد به التكثير وذلك لانه ثبت في علم اصول الفقه ان الحكم المذكور عقيب وصف يناسبه يفيد
ظن ان ذلك الحكم معلل بذلك الوصف فقوله يا حسرتا يدل على غاية الاسف ونهاية الحزن وانه مذكور عقيب قوله تعالى على ما فرطت في
جنب الله والتفريط في طاعة الله تعالى يناسب شدة الحزن وهذا يقتضي حصول تلك الحسرة عند حصول هذا التفريط وذلك يفيد العموم
بهذا الطريق الثانية القايلون باثبات الاعضاء لله تعالى استدلوا على اثبات الجنب بهذه الاية واعلم ان دلايلنا على
نفي الاعضاء قد ذكرت فلا فايدة في الاعادة ونقول بتقدير ان يكون المراد من هذا الجنب عضوا مخصوصا لله تعالى فانه يمتنع وقوع
التفريط فيه فثبت انه لا بد من المصير الى التاويل وللمفسرين فيه عبارات قال ابن عباس يريد ضيعت من ثواب الله تعالى وقال مقاتل ضيعت
من ذكر الله تعالى وقال مجاهد في امر الله تعالى وقال الحسن في طاعة الله تعالى وقال سعيد بن جبير في حق الله تعالى واعلم ان الاكثار من
هذه العبارات لا يفيد شرح الصدور وشفاء الغليل فنقول الجنب سمي جنبا لانه جانب من جوانب ذلك الشيء والشيء الذي يكون من لوازم الشيء
ومن توابعه يكون كانه جند من جنوده وجانب من جوانبه فلما حصلت المشابهة بين الجنب الذي هو العضو وبين ما يكون لازما للشيء
وتابعا له لا جرم حسن اطلاق لفظ الجنب على الحق والامر والطاعة الثالثة قال صاحب الكشاف قرئ يا حسرتي على الاصل ويا حسرتاي على الجمع
بين العوض والمعوض منه واما قوله تعالى وان كنت لمن الساخرين انه ما كان يكتفي بذلك التقصير بل كان من المستهزئين بالدين قال قتادة لم يكفه
ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها وان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي فالنوع الثاني من الكلمات التي
حكاها الله تعالى عن اهل العذاب انهم يذكرونه بعد نزول العذاب عليهم او يقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين والنوع الثالث قوله
تعالى او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين وحاصل الكلام ان هذا المقصر اتى بثلثة اشيا اولها الحسرة على التفريط وثانيها
التعليل بفقد الهداية وثالثها تمني الرجعة ثم اجاب الله تعالى عن كلامهم بان قال التعليل بفقد الهداية باطل لان الهداية كانت حاضرة
والاعذار زايلة وهو المراد من قوله تعالى بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين وفيه مسايل المسئلة الاولى
قال الزجاج بلى جواب النفي وليس في الكلام لفظ النفي الا انه حصل فيه معنى النفي لان معنى قوله ان الله هداني انه ما هداني فلا جرم حسن
ذكر لفظة بلى بعده والله تعالى اعلم المسئلة الثانية قال الواحدي رحمه الله تعالى القراءة المشهورة واقعة على التذكير في قوله تعالى
[illegible]
قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اليس في جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون اعلم
ان هذا نوع اخر من تقرير الوعيد والوعد اما الوعيد فقوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وفيه مسايل

أحدهما أن هذا الكذب ما هو والثاني أن هذا السواد كيف هو أما الأول وهو البحث عن حقيقة هذا الكذب فقول المشهور أن الكذب هو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه ومنهم من قال هذا القدر لا يكون كذبا بل الشرط في كونه كذبا أن يقصد الإتيان بخبر يخالف المخبر عنه إذا عرفت هذا الأصل فنذكر أقوال الناس في هذه الآية قال الكعبي ورد الخبر بأن هذه الآية وردت في المجبرة ثم قال والدليل على أن الأمر كذلك أن هذه الآية قال الكعبي وردت عقيب قوله تعالى لو أن الله هداني يعني أنه ما هداني بل أضلني فلما حكى هذا عن الكفار ثم ذكر عقيبه ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وجب أن يكون هذا عائدا إلى ذلك الكلام المتقدم ثم روى عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما بال أقوام يصلون ويقرؤون القرآن يزعمون أن الله تعالى كتب الذنوب على العباد كذبة على الله والله تعالى مسود وجوههم **واعلم** أن أصحابنا قالوا آخر الآية يدل على فساد هذا التأويل لأنه تعالى قال في آخر الآية أليس في جهنم مثوى للمتكبرين فهذا يدل على أن أولئك الذين صارت وجوههم مسودة أقوام متكبرون والتكبر لا يليق بمن يقول أنا لا أقدر على الخلق والإيجاد وإنما القادر عليه هو الله سبحانه وتعالى أما الذين يقولون إن الله يريد شيئا وأنا أريد ضده فيحصل مرادي ولا يحصل مراد الله تعالى فهذا القائل لائق فثبت أن هذا التأويل الذي ذكره فاسد ومن الناس من قال إن هذا الوعيد مختص باليهود والنصارى ومنهم من قال إنه مختص بمشركي العرب قال القاضي يجب حمل الآية على الكل من المشبهة والمجبرة وكذلك كل من وصف الله تعالى بما لا يليق به نفيا وإثباتا فأضاف إليه ما يجب تنزيهه عنه أو نزهه عما يجب أن يضاف إليه فالكل منهم داخلون تحت هذه الآية لأن كلهم كذبوا على الله تعالى فتخصيص الآية بالمجبرة والمشبهة أو اليهود والنصارى لا يجوز **واعلم** أنا لو أجريناها على عمومها كما ذكره القاضي لزمه تكفير جمهور الأمة لأنك لا ترى فرقة من فرق الأمة إلا وقد حصل بينهم اختلاف في أي صفة شئت من مسائل كثيرة من صفات الله تعالى ويلزم على قول القاضي تكفير أحدهما فثبت أنه يجب حمل الكذب المذكور في الآية على ما إذا قصد الإخبار عن الشيء مع أنه يعلم أنه كاذب فيما يقول ومثال هذا كفار قريش فإنهم كانوا يصفون تلك الأصنام بالإلهية مع أنهم كانوا يعلمون بالضرورة كونها جمادات وكانوا يقولون إن الله حرم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام مع أنهم كانوا ينكرون القول بحرمة هذا وإن كان كذبا وكان قائله عالما بأنه كذب وإذا كان كذلك فالحق مثل الوعيد بهذا الجاهل الكذاب لوح الضال المضل مناسبا أما من لم يقصد إلا الحق والصدق لكنه أخطأ فهذا لا يلحقه هذا الوعيد به **البحث الثاني** الكلام في كيفية السواد الحاصل في وجوههم والأقرب أنه سواد مخالف لسائر أنواع السواد وهو سواد يدل على الجهل بالله والكذب على الله تعالى وأقول إن الجهل ظلمة والظلمة يتخيل كأنها سواد فسواد قلوبهم أوجب سواد وجوههم وتحت هذا الكلام أسرار عميقة من مباحث أحوال القيامة فلما ذكر الله تعالى هذا الوعيد أردفه بالوعد فقال تعالى وينجي الله الذين اتقوا قال القاضي المراد به من اتقى كل الكبائر لأنه لا يوصف بالاتقاء المطلق إلا من هذا حاله فيقال له أمرك عجيب جدا فإنك قلت لما تقدم قوله تعالى لو أن الله هداني لكنت من المتقين وجب أن يحمل قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة على الذين قالوا لو أن الله هداني فعلى هذا القانون لما تقدم قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ثم قال تعالى وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم وجب أن يكون المراد الذين اتقوا ذلك الكذب فهذا يقتضي أن كل من لم يصف بذلك الكذب أن يدخل تحت الوعد المذكور بقوله تعالى وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم وأن يكون قولك اتقوا المراد منه من اتقى كل الكبائر فاسدا فثبت أن التعصب يحمل الرجل العاقل على الكلمات المتناقضة أن يقول المتقي هو الآتي بالاتقاء والآتي بالاتقاء في صورة واحدة آتي بمسمى الاتقاء وبهذا الحرف قلنا الأمر المطلق لا يفيد التكرار ثم ذلك الاتقاء غير مذكور في هذه اللفظة فوجب حمله على الاتقاء عن الشيء الذي سبق ذكره وهو الكذب على الله تعالى فثبت أن ظاهر الآية يقتضي أن من اتقى عن تلك الصفة وجب دخوله تحت هذا الوعد الكريم ثم قال تعالى بمفازتهم وفيه مسائل **المسألة الأولى** قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بمفازاتهم على الجمع الباقون بمفازتهم على الواحد حكى الواحدي عن الفراء أنه قال كلاهما صواب تقول في الكلام قد تبين أمر القوم وأمور القوم قال أبو علي الفارسي الإفراد للمصدر ووجه الجمع أن المصادر قد تجمع إذا اختلفت أجناسها لقوله تعالى وتظنون بالله الظنونا ولا شك أن لكل متق نوعا آخر من المفازة **المسألة الثانية** مفعلة من الفوز وهو السعادة فكان المعنى أن النجاة في القيامة حصلت بسبب فوزهم في الدنيا بالطاعات والخيرات فعبر عن الفوز بأوقاتها ومواضعها ثم قال تعالى لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وهذه كلمة جامعة لأنه إذا علم أنه لا يمسه السوء كان فارغ البال بحسب الحال عما وقع في قلبه بسبب فوات الماضي فحينئذ يظهر أنه سلم عن كل الآفات ونسأل الله تعالى الفوز بهذه الدرجات بمنه وكرمه **المسألة الثالثة** دلت الآية على أن المؤمنين لا ينالهم الخوف والرعب في القيامة وتأكد هذا بقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الأكبر والله تعالى أعلم

**قوله تعالى** الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين **واعلم** أنه لما طال الكلام في شرح الوعد والوعيد عاد إلى دلائل الإلهية والتوحيد وفي الآية مسائل **المسألة الأولى** قد ذكرنا في سورة الأنعام أن أصحابنا تمسكوا بقوله تعالى الله خالق كل شيء على أن أعمال العباد مخلوقة لله تعالى وأطنبنا هناك في الأسولة والأجوبة فلا فائدة ههنا في الإعادة إلا أن الكعبي ذكر ههنا كلاما فنذكره ونجيب عنه قال إن الله تعالى مدح نفسه بقوله الله خالق كل شيء وليس من المدح أن يخلق الكفر والقبائح فلا يصح أن يتمدح الخالق به وأيضا فلم يكن في صدر هذه الآية خلاف في أعمال العباد بل كان الخلاف بينهم وبين الحرس والزنادقة في خلق الأعراض والسباع والهوام فأراد الله تعالى أن يبين أنه إله يخلق كل شيء وأيضا لو كانت أعمال العباد من خلق الله تعالى لما أضافها إليهم بقوله تعالى كفارا حسدا من عند أنفسهم ولما صح قوله تعالى ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ولما صح قوله تعالى وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا فهذه جملة ما ذكره الكعبي قال الجبائي الله خالق كل شيء سوى أفعال خلقه التي يصح فيها الأمر والنهي واستحقوا بها الثواب والعقاب ولو كانت أفعالهم خلقا لله تعالى ما جاز ذلك فيه كما لا يجوز مثله في ألوانهم وصورهم وقال أبو مسلم الخلق هو التقدير لا الإيجاد فإذا أخبر الله تعالى عن عباده أنهم يفعلون الفعل الفلاني فقد قدر ذلك الفعل فيصح أن يقال إنه تعالى

خلقه وإن لم يكن موجدا له **واعلم** أن الجواب عن هذه الوجوه قد ذكرناه بالاستقصاء في سورة الأنعام فمن أراد الوقوف عليه فليطالع هذا الموضع من هذا الكتاب والله أعلم أما قوله تعالى وهو على كل شيء وكيل فالمعنى أن الأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير منازع ولا مشارك وهذا أيضا يدل على أن فعل العبد مخلوقة لله تعالى لأن فعل العبد لو وقع بتخليق الله لكان ذلك الفعل غير موكول إلى الله تعالى فلم يكن الله وكيلا عليه وذلك ينافي عموم الآية ثم قوله تعالى له مقاليد السموات والأرض قريب من الكلام في قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو وقد سبق الاستقصاء هناك قيل سأل عثمان رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والأرض فقال يا عثمان ما سألني عنها أحد قبلك تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر سبحان الله وبحمده أستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير هكذا نقله صاحب الكشاف ثم قال تعالى والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون وفيه مسائل **المسألة الأولى** صريح الآية يدل على أنه لا خاسر إلا الكافر وهذا يدل على أن من لم يكن كافرا فإنه لا بد وأن يحصل له حظ من رحمة الله تعالى **المسألة الثانية** أورد صاحب الكشاف سؤالا وهو أنه بم اتصل قوله تعالى والذين كفروا وأجاب عنه بأنه اتصل بقوله تعالى وينجي الله الذين اتقوا أي ينجي الله تعالى المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض ما بينهما أنه خالق للأشياء كلها وأن له مقاليد السموات والأرض وأقول هذا عندي ضعيف من وجهين أن وقوع الفاصل الكثير بين المعطوف والمعطوف عليه بعيد الثاني أن قوله تعالى وينجي الله الذين اتقوا جملة فعلية وقوله تعالى والذين كفروا هم الخاسرون جملة اسمية وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية لا يجوز بل الأقرب عندي أن يقال إنه لما وصف الله نفسه بالصفات الإلهية والجلالة وهو كونه خالقا للأشياء كلها وكونه مالكا لمقاليد السموات والأرض بأسرها قال بعده والذين كفروا بهذه الآيات الظاهرة الباهرة هم الخاسرون ثم قال تعالى أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون وفيه مسألتان **المسألة الأولى** قرأ ابن عامر وحده تأمرونني بنونين ساكنة الياء وكذلك هي في مصاحف الشام قال الواحدي وهو الأصل وقرأ ابن كثير تأمروني بنون مشددة على إسكان الأولى وإدغامها في الثانية وقرأ نافع تأمروني بنون واحدة خفيفة على حذف إحدى النونين والباقون بنون واحدة مكسورة مشددة **المسألة الثانية** أفغير الله منصوب بأعبد وتأمروني اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا ونؤمن بإلهك ونظير هذه الآية قوله تعالى قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات وقد ذكرنا في تلك الآية وجه الحكمة في تقديم المفعول لأنه إنما وصفهم بالجهل لأنه تقدم وصف الإله بكونه خالقا للأشياء وبكونه مالكا لمقاليد السموات والأرض وظاهر كون هذه الأصنام جمادات لا تضر ولا تنفع ومن أعرض عن عبادة الإله الموصوف بتلك الصفات الشريفة المقدسة واشتغل بعبادة هذه الأجسام الخسيسة فقد بلغ في الجهل مبلغا لا مزيد عليه فلهذا السبب قال أيها الجاهلون ولا شك أن وصفهم بهذا الأمر لائق بهذا الموضع قال تعالى ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين **واعلم** أن الكلام التام مع الدلائل القوية والجواب عن الشبهات في مسألة الإحباط قد ذكرناه في سورة البقرة فلا نعيده قال صاحب الكشاف قرئ ليحبطن عملك أي ليحبطن على البناء للمفعول وليحبطن بالنون وبالياء أي ليحبطن الله أو الشرك وفي الآية سؤالات الأول كيف أوحي إليه وإلى من قبله حال شركه على التعيين والجواب تقدير الآية أوحي إليك لئن أشركت ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك مثله السؤال الثاني ما الفرق بين اللامين والجواب الأولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب السؤال الثالث كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم والجواب أن قوله لئن أشركت ليحبطن عملك قضية شرطية والقضية الشرطية لا يلزم من صدقها صدق جزأيها السؤال الرابع ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين والجواب كما أن طاعات الأنبياء والرسل أفضل من طاعات غيرهم فكذلك القبائح التي تصدر عنهم فإنها بتقدير الصدور تكون أقبح لقوله تعالى إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات **واعلم** أنه تعالى لما قدم هذه المقدمات ذكر ما هو المقصود فقال بل الله فاعبد وكن من الشاكرين والمقصود منه ما أمروه به من الاستلام ببعض آلهتهم كأنه قال إنكم تأمرونني بأن لا أعبد إلا غير الله فقال الله تعالى بل الله فاعبد وكن من الشاكرين على ما هداك إلى أنه لا يجوز إلا عبادة الإله القادر العليم الحكيم والله أعلم بالصواب **قوله تعالى** وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون **واعلم** أنه تعالى لما حكى عن الكفار أنهم أمروا الرسول صلى الله عليه وسلم بعبادة الأصنام ثم إنه تعالى أقام الدلائل على فساد قولهم وأمر الرسول بأن يعبد الله ولا يعبد شيئا غيره بين أنهم لو عرفوا الله حق معرفته لما جعلوا هذه الأشياء الخسيسة مشاركة له في المعبودية فقال تعالى وما قدروا الله حق قدره وفي الآية مسائل **المسألة الأولى** احتج بعضهم بهذه الآية على أن الخلق لا يعرفون حقيقة الله قالوا لأن قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره ... المعنى الأول أن ذكرنا أن هذه صفة الكفار ...

الثانية قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره اى ما عظموه حق تعظيمه وهذه الاية المذكورة في سورة ثلاثة في سورة الانعام وفي سورة الحج وفي هذه
السورة **اعلم** انه تعالى لما بين انهم ما عظموه تعظيما لا يليق به اردفه بما يدل على كمال عظمته ونهاية جلالته فقال والارض جميعا
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه قال القفال رحمه الله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته
يوم القيمة كقول القايل وما قدرتني حق قدري وانا الذي فعلت كذا وكذا اي لما عرفت ان حالي وصفتي هذا الذي ذكرت توجب
ان لا تحطني عن قدري ومنزلتي ونظيره قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم اي كيف تكفرون بمن هذا وصفه وحال
ملكه فكذا ههنا المعنى وما قدروا الله حق قدره اذ زعموا ان له شركا وانه لا يقدر على احياء الموتى مع ان الارض والسموات في قبضته
قدرته قال صاحب الكشاف والغرض من هذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب
بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة او جهة مجاز وكذلك ما روي ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا
ابا القاسم ان الله يمسك السموات يوم القيمة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع
وساير الخلق على اصبع الرحمن فيقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا بما قال قال صاحب الكشاف وانما ضحك
افصح العرب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شي من ذلك ولكن فهمه وقع اول شي واخره على الزبدة والخلاصة
التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وان الافعال العظام التي لا تتحير فيها الافهام ولا تكتنهها الاوهام هينة عليه قال ولا نرى بابا
في علم البيان ادق ولا الطف من هذا الباب فيقال له هل تسلم ان الاصل في الكلام حمله على حقيقته وانه انما يعدل عن الحقيقة الى
المجاز عند قيام الدليل الدالة على ان حمله على حقيقته ممتنع فحينئذ يجب حمله على المجاز فان انكر هذا الاصل فحينئذ يخرج القران
بالكلية عن ان يكون حجة فان لكل احد ان يقول المقصود من الاية الفلانية كذا وكذا فانا احمل الاية على ذلك المقصود ولا التفت
الى الظواهر مثاله من تمسك بالايات الواردة في ثواب اهل الجنة وعقاب اهل النار قال المقصود بيان سعادة المطيعين وشقاوة
المذنبين وانا احمل هذه الايات على هذا المقصود ولا اثبت الاكل ولا الشرب ولا ساير الاحوال الجسمانية ومن تمسك بالايات الواردة في ايجاب
وجوب الصلوة قال المقصود منه ايجاب تنوير القلب بذكر الله تعالى فانا اكتفي بهذا القدر ولا اوجب هذه الاعمال المخصوصة ولو فتح
الكلام في هذين المثالين فقس عليه ساير المسايل الاصولية والفروعية وحينئذ يخرج القران عن ان يكون حجة في المسايل الاصولية
والفروعية وذلك باطل قطعا واما ان سلم ان الاصل في علم القران ان يعتقد ان الاصل في الكلام حمله على حقيقته فان قام دليل
منفصل على انه لا يجوز حمله على حقيقته فحينئذ يتعين صرفه الى مجاز معين الا الدليل الذي يوجب ذلك التعيين صرفه الى مجاز معين
فنقول ههنا لفظ القبضة ولفظ اليمين حقيقة في الجارحة المخصوصة فلا يمكنك ان تصرف ظاهر الكلام عن هذا المعنى الا
اذا اقمت الدلالة على ان حمل هذه الالفاظ على ظواهرها ممتنع فحينئذ يجب حملها على المجازات ثم بين بالدليل ان المعنى الفلاني يصلح
جعله مجازا عن تلك الحقيقة ثم بين بالدليل ان هذا المجاز اولى من غيره واذا ثبت هذه المقدمات ومرتبها على هذا الوجه فهذا
هو الطريق الصحيح الذي عليه تعويل اهل التحقيق فاي شي اتيت في هذا الباب من طريقة جديدة وكلام غريب بل هو عين ما ذكره اهل
التحقيق فثبت ان ما اتيت في هذا الباب في ان الفرح الذي ظهر منه انه اهتدى الى الطريق الذي لم يعرفه غيره طريق فاسد ذلك
على قلة وقوفه على المعاني وارجع الى الطريق الحقيقي فنقول لا شك ان لفظ القبضة واليمين مشعرة بالاعضاء والجوارح الا ان
الدلايل العقلية قامت على امتناع ثبوت الاعضاء والجوارح لله تعالى فوجب حمل هذه الالفاظ على وجوه المجاز فنقول انه يقال
فلان في قبضة فلان اذا كان تحت تدبيره وتسخيره وقال تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم والمراد منه كونه مملوكا له
ويقال هذه الدار في يد فلان وفلان صاحب اليد والمراد بالكل القدرة والفقهاء يقولون في الشروط وقبض فلان كذا وصار في
قبضه ولا يريدون الا خلوص ملكه واذا ثبت تعذر حمل هذه الالفاظ على حقايقها وجب حملها على مجازاتها صونا لهذه النصوص
عن التعطيل فهذا هو الكلام الحقيقي في هذا الباب ولنا كتاب مفرد في اثبات تنزيه الله تعالى عن الجسمية والمكانية سميناه بتاسيس
التقديس ومن اراد الاطناب في هذا الباب فليرجع اليه والله تعالى اعلم **المسألة الثانية** في تفسير الفاظ الاية قوله تعالى والارض المراد
منه الارضون السبع ويدل عليه وجوه الاول قوله جميعا فان هذا التاكيد لا يحسن ادخاله الا على الجمع ونظيره قوله تعالى كل الطعام
وقوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا فان هذه الاحكام المسلمة باللفظ المفرد يدل على ان المراد منه الجمع فكذا ههنا والثاني
انه قال بعده والسموات فوجب ان يكون المراد بالارض الارضون الثالث ان الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتضي المبالغة واما القبضة فهو
المرة الواحدة من القبض قال تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال ايضا اعطني قبضة
من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر والمعنى والارضون جميعا قبضته اي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة من قبضاته
يعني ان الارضين مع ما لها من العظمة والبسطة لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته اما اذا اريد معنى القبضة فظاهر
لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة فان قيل ما وجه من قرا قبضته بالنصب قلنا جعل القبضة ظرفا وقوله تعالى
مطويات بيمينه من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب وعادة طاوي السجل ان يطويه بيمينه ثم قال
صاحب الكشاف وقيل قبضته ملكه ويمينه قدرته وقيل مطويات بيمينه اي مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها ولما ذكر هذه الوجوه عاد
الى قوله الاول بانها وجوه ركيكة وان حمل هذا الكلام على محض التخييل اولى وبالغ في تقرير هذا الكلام واطنب فاقول ان هذا الرجل قد اخذ
على حسب طريقته وتعسف طريقة القدما عجيبة جدا فانه لما كان مذهبه الجور ترك ظاهر اللفظ والمصير الى المجاز من غير دليل فهذا طعن
في القران واخراج له عن ان يكون حجة في شي وان كان مذهبه ان الاصل في الكلام الحقيقة وانه لا يجوز العدول عنه الا لدليل منفصل فهذا هو

الطريقة

220

الطريقة التي اطبق عليها جمهور المتقدمين [illegible]

[illegible] **واعلم** [illegible]

[illegible] **واختلفوا** [illegible]

[illegible] **المسألة الاولى** [illegible] **المسألة الثانية** [illegible]

واضاءت الدنيا بقسطك كما تقولون النور العدل فقط انه قال جيء بالنبيين والشهداء ومعلوم ان المجيء بالشهداء ليس الا لاظهار العدل بجورك وقال صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة واما بيان المراد هاهنا من الاظهار العدل وايضا قال في اخر الاية وهم لا يظلمون فدل هذا على ان المراد من ذلك النور الظلمة فكانه تعالى فتح هذه الاية باثبات العدل وختمها بنفي الظلم **والوجه الثاني** في الجواب عن الشبهة المذكورة ان قوله تعالى واشرقت الارض بنور ربها يدل على انه يحصل هناك نور مضاف الى الله تعالى ولا يلزم ذلك النور صفة ذات الله تعالى لانه يكفي في صدق الاضافة ادنى سبب فلما كان ذلك النور من خلق الله تعالى وشرفه باضافته الى نفسه كان ذلك النور نور الله كقوله بيت الله وناقة الله تعالى وهذا الجواب اقوى من الاول لان في هذا الجواب لا يحتاج الى ترك الحقيقة والذهاب الى المجاز والله اعلم **والوجه الثالث** انه قد يقال فلان رب هذه الدابة ورب هذه الارض ورب هذه الدار ورب الجارية فلا يبعد ان يكون رب تلك الارض ملكا من الملائكة وعلى هذا التقدير فلا يمتنع كونه نورا والله اعلم **المسئلة الثالثة** انه تعالى ذكر في هذه الاية من احوال ذلك اليوم اشياء اولها قوله تعالى واشرقت الارض بنور ربها وقد سبق الكلام فيه وثانيها قوله تعالى ووضع الكتاب وفي المراد بالكتاب وجوه الاول انه اللوح المحفوظ الذي جعل فيه شرح احوال عالم الدنيا الى وقت قيام القيمة الثاني المراد كتب الاعمال كما قال تعالى في سورة سبحان وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقال ايضا في اية اخرى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وثالثها قوله تعالى وجيء بالنبيين والشهداء والمراد ان يكونوا شهداء على الناس قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم ورابعها قوله تعالى والشهداء والمراد ما قاله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس واراد بالشهداء المؤمنين وقال مقاتل يعني الحفظة ويدل عليه قوله تعالى سائق وشهيد وقيل اراد بالشهداء المستشهدون في سبيل الله ولما بين تعالى انه يحضر في محفل القيمة جميع ما يحتاج اليه في فصل الحكومات وقطع الخصومات بين تعالى انه يوصل الى كل احد حقه وعبر تعالى عن هذا المعنى باربع عبارات اولها قوله تعالى وقضي بينهم بالحق وثانيها قوله تعالى وهم لا يظلمون وثالثها قوله تعالى ووفيت كل نفس ما عملت اي وفيت كل نفس جزاء ما عملت ورابعها قوله تعالى وهو اعلم بما يفعلون يعني انه اذا لم يكن عالما بكيفيات احوالهم فلعله لا يقضي بالحق لاجل عدم العلم اما اذا كان عالما بمقادير افعالهم وبكيفياتها امتنع دخول الخطا فثبت انه تعالى عبر عن هذا المقصود بهذه العبارات المختلفة والمقصود المبالغة في تقرير ان كل مكلف يصل الى حقه والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

**قوله تعالى** وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين

**واعلم** انه تعالى لما شرح احوال اهل القيمة على سبيل الاجمال قال تعالى ووفيت كل نفس ما عملت بين بعده كيفية احوال اهل العقاب ثم بين كيفية احوال اهل الثواب وختم السورة اما شرح احوال اهل العقاب فهو المذكور في هذه الاية وهو قوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا يساقون بالعنف والدفع والدليل عليه قوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون دفعا ونظيره قوله تعالى فذلك الذي يدع اليتيم اي يدفعه ويدل عليه ايضا قوله تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا واما الزمر فهي الافواج المتفرقة بعضها في اثر بعض فبين الله تعالى انهم يساقون الى جهنم فاذا جاؤها فتحت ابوابها وهذا يدل على ان ابواب جهنم انما تفتح عند وصول اولئك اليها واذا دخلوا جهنم قال لهم خزنة جهنم الم ياتكم رسل منكم اي من جنسكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا فان قيل فلم اضيف اليوم اليهم قلنا اراد لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيمة واستعمال لفظ اليوم والايام في اوقات الشدة مستفيض فعند هذا يقول الكفار بلى قد اتونا وتلوا علينا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وفي هذه الاية مسئلتان **المسئلة الاولى** تقرير الكلام انه حقت علينا كلمة العذاب فكيف يمكننا الخلوص من العذاب وهذا صريح في ان السعيد لا ينقلب شقيا والشقي لا ينقلب سعيدا وكلمات المعتزلة في دفع هذا الكلام معلومة واجوبتنا عنها معلومة **المسئلة الثانية** دلت الاية على انه لا وجوب قبل مجيء الشرع لان الملائكة بينوا انه ما بقي لهم عذر ولا علة بعد مجيء الانبياء عليهم السلام ولو لم يكن مجيء الانبياء شرطا في استحقاق العذاب لما بقي في هذا الكلام فائدة ثم ان الملائكة اذا سمعوا منهم هذا الكلام قالوا لهم ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين قالت المعتزلة لو كان دخولهم في النار لاجل انه حقت عليهم كلمة العذاب لم يبق لقول الملائكة فبئس مثوى المتكبرين فائدة بل هذا الكلام انما يبقى مفيدا اذا قلنا انهم انما دخلوا النار لانهم تكبروا على الانبياء ولم يقبلوا قولهم ولم يلتفتوا الى دلائلهم وذلك يدل على صحة قولنا والله اعلم بالصواب

**قوله تعالى** وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين

**اعلم** انه تعالى لما شرح احوال اهل العقاب في الاية المتقدمة شرح احوال اهل الثواب في هذه الاية فقال تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا فان قيل السوق في اهل النار معقول لانهم امروا بالذهاب الى موضع العذاب والخزي فلا بد وان يساقوا اليه واما اهل الثواب فاذا امروا بالذهاب الى موضع الراحة والسعادة فاي حاجة فيه الى السوق فالجواب من وجوه الاول ان المحبة والصداقة باقية بين المتقين يوم القيمة كما قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فاذا قيل لواحد منهم اذهب الى الجنة فيقول

لا ادخلها

لا ادخلها قبل احبائي واصدقائي فيتاخرون لهذا السبب فحينئذ يحتاجون الى ان يساقوا الى الجنة **والثاني** ان الذين اتقوا ربهم قد عبدوا الله تعالى لا للجنة ولا للنار فيصير شدة استغراقهم في مشاهدة مواقف الجلال والجمال مانعا لهم عن الرغبة في الجنة فلا جرم يحتاجون الى ان يساقوا الى الجنة **والثالث** ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اكثر اهل الجنة البله وعليون للابرار فلهذا السبب يساقون الى الجنة **والرابع** ان اهل النار واهل الجنة يساقون الا ان المراد بسوق اهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسير اذا سيق الى الحبس والقتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين والمراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على الملوك فشتان ما بين السوقين ثم قال تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين **واعلم** ان جملة هذا الكلام شرط واحد مركب من ثلثة قيود فالقيد الاول هو مجيئهم الى الجنة والقيد الثاني قوله تعالى وفتحت ابوابها فان قيل قال في اهل النار فتحت ابوابها بغير الواو وههنا زاد حرف الواو فما الفرق قلنا الفرق ان ابواب جهنم لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها فاما ابواب الجنة ففتحها يكون متقدما على وصولهم اليها بدليل قوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو وكانه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها القيد الثالث وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين فبين تعالى ان خزنة الجنة يذكرون لاهل الثواب هذه الكلمات الثلاثة فاولها قوله تعالى سلام عليكم وهذا يدل على انهم يبشرونهم بالسلامة من كل الافات وثانيها قولهم طبتم والمعنى طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا وثالثها قولهم فادخلوها خالدين والفاء في قوله فادخلوها يدل على كون ذلك الدخول معللا بالطيب والطهارة قالت المعتزلة هذا يدل على ان احدا لا يدخلها الا اذا كان طاهرا عن كل المعاصي قلنا هذا ضعيف لانه تعالى يبدل سيئاتهم حسنات وحينئذ يصيرون طاهرين طيبين بفضل الله تعالى **فان قيل** فهذا الذي تقدم ذكره هو الشرط فاين الجواب قلنا فيه وجهان الاول ان الجواب محذوف والمقصود من الحذف الدلالة على انه بلغ في الكمال الى حيث لا يمكن ذكره الثاني ان الجواب هو قوله تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم والواو محذوف والصحيح هو الاول ثم اخبر الله تعالى بان الملائكة اذا خاطبوا المتقين بهذه الكلمات قال المتقون عند ذلك الحمد لله الذي صدقنا وعده في قوله تعالى ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واورثنا الارض والمراد بالارض ارض الجنة وانما عبر عنه بالارث لوجوه الاول ان الجنة كانت في اول الامر لادم عليه السلام لانه تعالى قال فكلا منها رغدا حيث شئتما فلما عادت الجنة الى اولاد ادم كان ذلك سببا لتسميتها بالارث الثاني ان هذا اللفظ ماخوذ من قول القائل هذا اورث كذا وهذا العمل اورث كذا فلما كانت طاعاتهم قد افادتهم الجنة لا جرم قالوا واورثنا الارض والمعنى ان الله تعالى اورثنا الجنة بان وفقنا للاتيان باعمال اورثت الجنة الثالث ان الوارث يتصرف فيما يرثه كما يشاء من غير منازع ولا مدافع فكذلك المؤمنون المتقون يتصرفون في الجنة كيف شاؤوا وارادوا والمشابهة علة حسن المجاز **فان قيل** ما معنى قوله تعالى حيث نشاء وهل يتبوا احدهم مكان غيره قلنا يكون لكل احد جنة ولا يحتاج الى جنة غيره قال حكماء الاسلام الجنات نوعان الجنات الجسمانية والجنات الروحانية فالاحوال الجسمانية لا تحتمل المشاركة اما الروحانيات فحصولها لواحد لا يمنع من حصولها للاخرين ولما بين الله تعالى صفة اهل الجنة قال فنعم اجر العاملين قال مقاتل ليس هذا من كلام اهل الجنة بل من الله تعالى لما حكى ما جرى بين الملائكة وبين المتقين من صفة ثواب اهل الجنة قال تعالى بعده فنعم اجر العاملين ثم قال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش ذكر عقيبه ثواب الملائكة فقال كما ان دار ثواب المؤمنين المتقين هي الجنة فكذلك دار ثواب الملائكة جوانب العرش واطرافه فلهذا قال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش اي محدقين بالعرش قال الليث حف القوم بسيدهم يحفون حفا اذا اطافوا به اذا عرفت هذا فنقول بين تعالى ان دار ثوابهم هو عين ذلك التحميد والتسبيح وحينئذ يرجع حاصل الكلام الى ان اعظم درجات الثواب استغراق قلوب العباد في درجات التنزيه ومنازل التقديس ثم قال تعالى وقضي بينهم بالحق والمعنى انهم على درجات مختلفة ومراتب متفاوتة ولكل واحد منهم في درجات المعرفة والطاعة حد محدود لا يتجاوزه ولا يتعداه وهو المراد من قوله تعالى وقضي بينهم وقيل الحمد لله رب العالمين اي الملائكة لما قضي بينهم بالحق قالوا الحمد لله رب العالمين على قضائه بيننا بالحق وههنا دقيقة اعلى مما سبق وهي انه سبحانه وتعالى لما قضى بينهم بالحق فهم ما حمدوه لاجل ذلك القضاء بل حمدوه لصفته الواجبة وهي كونه ربا للعالمين فان من حمد المنعم لاجل انعامه وصل اليه فهو في الحقيقة ما حمد المنعم وانما حمد الانعام واما من حمد المنعم لانه المنعم لا لانه اوصل اليه النعمة فههنا قد وصل الى لجة بحر التوحيد هذا اذا قلنا ان قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش شرح احوال الملائكة في الثواب اما اذا قلنا انه من بقية شرح ثواب المؤمنين فتقديره انه تعالى ان المتقين لما قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء فقد ظهر منهم انهم في الجنة اشتغلوا بحمد الله وبذكره بالمدح والثناء فبين تعالى انه كما ان حرفة المتقين في الجنة الاشتغال بهذا التحميد والتهليل فكذلك حرفة الملائكة الذين هم حافون حول العرش الاشتغال بالتحميد والتسبيح ثم ان جوانب العرش ملاصقة لجوانب الجنة وحينئذ يظهر منه ان المؤمنين المتقين وان الملائكة المقربين يصيرون متوافقين على الاستغراق في تحميد الله وتسبيحه فكان ذلك سببا لمزيد التذاذهم بذلك التسبيح والتحميد ثم قال تعالى وقضي بينهم بالحق اي بين البشر ثم قال تعالى وقيل الحمد لله رب العالمين والمعنى انهم يقدمون التسبيح والمراد منه تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق بالالهية واما قوله تعالى وقيل الحمد لله رب العالمين المراد وصفه بصفات الالهية فالتسبيح عبارة عن الاعتراف بتنزيهه عن كل ما لا يليق به وهو صفات الجلال وقوله تعالى والحمد لله رب العالمين عبارة عن الاقرار بكونه موصوفا بصفات الالهية وهي صفات الاكرام وهو الذي كانت الملائكة يذكرونه منذ خلق العالم وهو قولهم نحن نسبح بحمدك وفي قوله تعالى وقيل الحمد لله رب العالمين دقيقة

الحمد لله على انه لو سئل ان ذلك القائل من هو، والمقصود من هذا الابهام التنبيه على ان خاتمة كلام العقلاء في الثناء على حضرة الجلال والكبرياء ليس الا ان يقولوا الحمد لله رب العالمين

**حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار** في الآية مسايل **المسلة الاولى**

قرا عاصم في رواية ابي بكر وحمزة والكسائي حم بكسر الحاء ونافع في بعض الروايات وابن عامر بين الفتح والكسر وهو ان لا تفخمها فتخا شديدا قال صاحب الكشاف قرئ بفتح الميم وتسكينها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وايثار اخف الحركات نحو اين وكيف والنصب باضمار اقرا ومنع الصرف اما للتانيث والتعريف من حيث انها اسم للسورة وللتعريف وانها على زنة اعجمي نحو قابيل وهابيل واما السكون فلما بينا ان الاسماء المجردة تذكر موقوفة الاواخر الثانية الكلام المستقصى في هذه الانواع مذكور في اول سورة البقرة والاقرب هاهنا ان يقال حم اسم السورة فقوله تعالى حم مبتدا وقوله تنزيل الكتاب من الله خبر والتقدير ان هذه السورة المسماة بحم تنزيل الكتاب وقوله تنزيل مصدر لكن المراد منه المنزل وقوله من الله فاعلم انه لما ذكر ان حم تنزيل الكتاب وجب بيان ان من هو فقال من الله ثم بين ان الله تعالى موصوف بصفات الجلال وسمات العظمة ليصير ذلك حاملا للسميع على ساق الجد عند الاستماع وزاجرا عن التهاون والتواني فيه فبين ان المنزل هو الله العزيز العليم **واعلم** ان الناس اختلفوا في ان اول العلم بالله ما هو فقال قوم عظيم انه العلم بكونه قادرا وبعده العلم بكونه عالما اذا عرفت هذا فنقول العزيز له تفسيران احدهما الغالب فيكون معناه القادر الذي لا يساويه احد في القدرة والثاني الذي لا مثل له ولا يجوز ان يكون المراد بالعزيز هاهنا القادر لان قوله تعالى الله يدل على كونه قادرا فوجب حمل العزيز على المعنى الثاني وهو الذي لا يوجد له مثل وما كان كذلك وجب ان لا يكون جسما والذي لا يكون جسما يكون منزها عن الشهوة والنفرة والذي يكون كذلك يكون منزها عن الحاجة واما العليم فهو المبالغة التامة انما تتحقق عند قوله تعالى عالما بكل المعلومات فقوله تعالى الله العزيز العليم يرجع معناه الى ان هذا الكتاب تنزيل من القادر المطلق الغني المطلق العالم المطلق ومن كان كذلك كان رحيما جوادا وكانت افعاله حكمة وصوابا منزهة عن القبيح والباطل فكانه سبحانه وتعالى انما ذكر عقيب قوله تنزيل هذه الاسماء الثلثة لكونها دالة على ان افعاله سبحانه حكمة وصواب ومتى كان الامر كذلك لزم ان يكون هذا التنزيل حقا وصوابا وقيل الفايدة في ذكر العزيز العليم امران احدهما انه بقدرته وعلمه انزل القران على هذا الحد الذي يتضمن المصالح والاعجاز ولولا كونه عزيزا عليما لما صح ذلك والثاني انه تكفل بحفظه وبعموم التكليف به فظهوره الى حين انقطاع التكليف وذلك لا يكون الا بكونه عزيزا لا يغلب وبكونه عليما لا يخفى عليه شيء ثم وصف نفسه بما يجمع الوعد والوعيد والترغيب والترهيب فقال تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير فهذه ستة انواع من الصفات **الصفة الاولى** قوله تعالى غافر الذنب قال الجبائي معناه انه غافر الذنب اذا استحق غفرانه اما بتوبة او طاعة اعظم منه ومراده منه ان فاعل المعصية اما ان يكون قد تاب عنها او ما تاب عنها فان كان الاول فان كانت تلك المعصية صغيرة صار عقابها محبطا وان كان الثاني كانت هذه المعصية كبيرة فلا يزول عقابها الا بالتوبة ومذهب اصحابنا ان الله تعالى قد يعفو عن الكباير بدون التوبة وهذه الاية تدل على ذلك وبيانه من وجوه الاول ان غفران الكبيرة بعد التوبة وغفران الصغيرة من الامور الواجبة على العبد وجميع الانبيا والاوليا والصالحين من اوساط الناس مشتركون في فعل الواجبات فلو حملنا كونه تعالى غافر الذنب على هذا المعنى لم يبق بينه وبين اقل الناس من زمرة المطيعين فرق في المعنى الموجب لهذا المدح وذلك باطل فثبت انه يجب ان يكون المراد منه كونه غافرا للكباير قبل التوبة وهو المطلوب الثاني ان الغفران عبارة عن الستر ومعنى الستر انما يعقل في الشيء الذي يكون باقيا موجودا فيستر والصغيرة تحبط بسبب كثرة ثواب فاعلها فمعنى الغفران فيها غير معقول ولا يمكن حمل قولنا غافر الذنب على الكبيرة بعد التوبة لان معنى كونه قابلا للتوب ليس الا ذلك فلو كان المراد بكونه غافر الذنب هذا المعنى لزم التكرار وانه باطل فثبت ان كونه غافر الذنب مذكور في موضع المدح العظيم فوجب حمله على ما يفيد اعظم انواع المدح وذلك هو كونه غافرا للكباير قبل التوبة وهو المطلوب **الصفة الثانية** قوله تعالى قابل التوب وفيه بحثان الاول في لفظ التوب قولان الاول انه مصدر وهو قول ابي عبيدة والثاني انه جماعة التوبة وهو قول الاخفش قال المبرد ويجوز ان يكون مصدرا يقال تاب توبة وتوبا مثل قال قولا وقولة ويجوز ان يكون جمعا لتوبة فيكون توبة وتوب مثل تمرة وتمر الا ان المصدر اقرب لان على هذا التقدير يكون تاويله انه يقبل هذا الفعل البحث الثاني مذهب اصحابنا ان قبول التوبة من الذنب يقع على سبيل الفضل والتكرم لا على سبيل الوجوب وقالت المعتزلة انه واجب على الله تعالى واحتج اصحابنا بانه تعالى ذكر كونه قابلا للتوب على سبيل المدح والثنا ولو كان ذلك من الواجبات لم يبق فيه من معنى المدح الا القليل وهو القدر الذي يحصل لجميع المسلمين عند اداء الواجبات والاحتراز عن المحظورات **الصفة الثالثة** قوله تعالى شديد العقاب وفيه مباحث البحث الاول في هذه الاية سؤال وهو ان قوله تعالى شديد العقاب يصلح ان يكون نعتا للنكرة ولا يصلح ان يكون نعتا للمعرفة تقول مررت برجل شديد البطش ولا تقول مررت بعبد الله شديد البطش وقوله الله اسم علم فيكون معرفة فكيف يجوز وصفه بقوله شديد العقاب مع انه لا يصح الا ان يجعل وصفا لنكرة قالوا وهذا بخلاف قولنا غافر الذنب قابل التوب لانه ليس المراد منهما حدوث هذين الفعلين وانه يغفر الذنب ويقبل التوب الان او غدا

وانما

وانما اريد ثبوت ذلك ودوامه وكان حكمهما حكم اله الحق ورب العرش واما شديد العقاب فمشكل لانه في تقدير شديد عقابه فيكون نكرة فلا يصح جعله صفة للمعرفة وهذا تقرير السؤال واجيب عنه من وجوه الاول ان هذه الصفة وان كانت نكرة الا انها لما ذكرت مع ساير الصفات التي هي معارف حسن ذكرها كما في قوله تعالى وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد والثاني قال الزجاج ان خفض شديد العقاب على البدل لان جعل النكرة بدلا من المعرفة وبالعكس امر جايز واعترضوا عليه بان جعله وحده بدلا بين الصفات سوء ظاهر الثالث انه لا نزاع في ان قوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب يحسن جعلهما صفة وانما كان كذلك لانهما مفيدان معنى الدوام والاستمرار فكذلك قوله شديد العقاب يفيد معنى الدوام والاستمرار لان صفات الله تعالى منزهة عن الحدوث والتجدد فكونه شديد العقاب معناه كونه بحيث يشتد عقابه وهذا المعنى حاصل ابدا وغير موصوف بانه حصل بعد ان لم يكن فهذا ما قيل في هذا الباب البحث الثاني هذه الاية مشعرة بترجيح جانب الرحمة والفضل لانه تعالى لما اراد ان يصف نفسه بانه شديد العقاب ذكر قبله امرين كل واحد منهما يقتضي زوال العقاب وهو كونه غافر الذنب قابل التوبة وذكر بعده ما يدل على حصول الرحمة العظيمة وهو قوله تعالى ذي الطول لا اله الا هو فكونه شديد العقاب لما كان مسبوقا بتلك الصفة وملحوقا بهذا الوصف دل ذلك على ان جانب الرحمة والكرم ارجح والله اعلم البحث الثالث لقايل ان يقول انه ذكر الواو في قوله غافر الذنب وقابل التوب ولم يذكرها في قوله شديد العقاب فما الفرق قلنا انه لو لم يذكر الواو في قوله غافر الذنب قابل التوب لاحتمل ان يقع في خاطر انسان انه لا معنى لكونه غافر الذنب الا كونه قابل التوب اما لما ذكر الواو ازال هذا الاحتمال لان عطف الشيء على نفسه محال اما كونه شديد العقاب فمعلوم ان ذي الطول انه ذي الفضل يقال طال عليه طولا اي تفضل علينا تفضل ومن كلامهم طل علي بفضلك ومنه قوله تعالى اولي الطول منهم ومضى تفسيره عند قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا **واعلم** انه تعالى لما وصف نفسه بكونه شديد العقاب لا بد وان يكون المراد كونه تعالى اسابا العقاب الشديد الذي لا يصح منه اسانه لا يجوز وصفه تعالى بكونه اسابا بفعل القبيح واذا ثبت هذا فنقول ذكر بعده كونه ذي الطول وهو كونه ذا الفضل فيجب ان يكون معناه كونه ذا الفضل بسبب ان يترك العقاب الذي له ان يفعله لانه ذكر كونه ذا الطول ولم يبين انه ذا الطول في ماذا فوجب صرفه الى كونه ذا الطول في الامر الذي سبق ذكره وهو فعل العقاب بالحسن دفعا للاجمال وهذا يدل على انه تعالى قد يترك العقاب الذي يحسن منه تعالى فعله وذلك يدل على ان العفو عن اصحاب الكباير جايز وهو المطلوب الصفة الخامسة التوحيد المطلق وهو قوله لا اله الا هو والمعنى انه وصف نفسه بصفات الرحمة والفضل فلو حصل معه اله آخر يشاركه ويساويه في صفة الرحمة والفضل لما كانت الحاجة الى عبوديته شديدة فكان الترغيب والترهيب الكاملين يحصلان بسبب هذا التوحيد الصفة السادسة قوله تعالى اليه المصير وهذه الصفة ايضا مما يقوي الرغبة في الاقرار بعبوديته لانه بتقدير ان يكون موصوفا بصفات الفضل والكرم وكان واحدا لا شريك له الا ان القول بالحشر والنشر كان باطلا لم يكن الخوف الشديد حاصلا من عصيانه اما لما كان القول بالحشر والنشر كان القول اشد والحذر اكمل فلهذا السبب ذكر الله تعالى هذه الصفات واحتج اهل السنة بلفظ الى بانها تفيد انها الغاية والجواب عنه مذكور في مواضع كثيرة من هذا الكتاب والله اعلم **واعلم** انه تعالى لما قرر ان القران كتاب انزله ليهتدي به في الدين ذكر احوال من يجادل لغرض ابطاله واخفاء امره فقال تعالى ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا وفيه مسايل **المسلة الاولى** ان الجدال نوعان جدال في تقرير الباطل وجدال في تقرير الحق اما الجدال في تقرير الحق فهو حرفة الانبيا عليهم السلام قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وجادلهم بالتي هي احسن وقال حكاية عن الكفار انهم قالوا لنوح عليه السلام قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا واما الجدال في تقرير الباطل فهو مذموم وهو المراد في هذه الاية حيث قال تعالى ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا وقال تعالى ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وقال ايضا وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقال صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القران كفر فقوله ان جدالا على لفظ التنكير يدل على التمييز بين جدال وجدال **واعلم** ان لفظ الجدال في آيات الله مشعر بالجدال الباطل ولفظ الجدال عن الشيء يشعر بالجدال لاجل تقريره والذب عنه قال صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القران كفر وقال ايضا لا تماروا في القران فان المراء فيه كفر **المسلة الثانية** الجدال في آيات الله هو ان يقال مرة انه سحر ومرة انه شعر ومرة انه قول الكهنة ومرة هو اساطير الاولين ومرة انما يعلمه بشر واشباه هذا كانوا يقولونه من الشبهات الباطلة فذكر تعالى انه لا يفعل هذا الا الذين كفروا واعرضوا عن الحق ثم قال تعالى فلا يغررك تقلبهم في البلاد اي لا ينبغي ان تغتر باني امهلتهم وتركتهم سالمين في ابدانهم واموالهم يتقلبون في البلاد اي يتصرفون فيها للتجارات وطلب المعاش فاني وان امهلتهم فاني ساخذهم وانتقم منهم كما فعلت باشكالهم من الامم الماضية وكانت قريش كذلك يتقلبون في البلاد الى بلاد الشام واليمن ولهم الاموال الكثيرة يتجرون فيها ويربحون ثم كشف عن هذا المعنى فقال تعالى كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الامم المصرة على الكفر كقوم عاد وثمود وغيرهم كما قال في سورة ص كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب قوله تعالى وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه اي عزمت كل امة من هؤلاء الاحزاب ان ياخذوا رسولهم ليقتلوه او يحبسوه او يعذبوه وجادلوا بالباطل اي وكل هؤلاء جادلوا رسلهم بالباطل اي بايراد الشبهات ليدحضوا به الحق اي ليزيلوا بسبب ايراد تلك الشبهات الحق والصدق فاخذتهم فكيف كان عقاب اي فارسلت عليهم من الهلاك ما هموا بانزاله من الرسل وارادوا ان ياخذوهم فاخذتهم انا فكيف كان عقابي اياهم اليس كان مهلكا مستاصلا مهيبا في الذكر والسماع فانا افعل بقومك ما فعلت بهؤلاء ان اصروا على الكفر والجدال في آيات الله ثم كشف عن هذا المعنى فقال تعالى وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار ومعناه كما حق على اولئك الامم السالفة من العقاب حقت كلمتي ايضا على هؤلاء الذين كفروا من قومك فهم على شرف نزول العقاب بهم قال صاحب الكشاف انهم اصحاب النار في محل الرفع بدل من قوله كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستاصل

كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الاخرة او في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل واحتج اصحابنا بهذه الاية على ان قضا
الله بالسعادة والشقاوة لازم لا يمكن تغييره فقالوا انه تعالى اخبر انه حقت كلمة العذاب عليهم وذلك يدل على انه لا قدرة لهم على الايمان
لانهم لو تمكنوا منه لتمكنوا من ابطال هذه الكلمة الحقة ولتمكنوا من ابطال علم الله تعالى وحكمه ضرورة ان الممكن لا يلزم من فرض وقوعه محال وكونه
متمكنا من كل ما هو من لوازمه ولانهم لو امنوا لوجب عليهم ان يومنوا بهذه الاية فحينئذ كانوا قد امنوا بانهم لا يومنون ابدا وذلك
تكليف ما لا يطاق وقرا نافع وابن عامر حقت كلمات ربك على الجمع والباقون على الواحد والله اعلم **قوله تعالى**
الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويومنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شي رحمة
وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح
من اباىهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم السيات ومن تق السيات يوميذ فقد رحمته
وذلك هو الفوز العظيم **اعلم** انه تعالى لما بين ان الكفار يبالغون في اظهار العداوة مع المومنين بين ان اشرف طبقات المخلوقات
هم الملايكة الذين هم حملة العرش والحافون حول العرش يبالغون في اظهار المحبة والنصرة للمومنين كانه تعالى يقول ان كان هولاء
الاراذل يبالغون في العداوة فلا تبال بهم ولا تلتفت اليهم ولا تقم لهم وزنا فان حملة العرش معك والحافون من حول العرش ينصرونك
وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** انه تعالى حكى عن نوعين من فرق الملايكة هذه الحكاية احدهما الذين يحملون العرش وقد حكى
تعالى ان حملة العرش يوم القيمة ثمانية فيمكن ان يقال الذين يحملونه في هذا الوقت هم اولئك الثمانية الذين يحملونه يوم القيمة ولا شك
ان حملة العرش اشراف الملايكة واكابرهم روى صاحب الكشاف ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى وروسهم قد خرقت العرش وهم خشوع
لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق من الملايكة فان خلقا من الملايكة يقال له اسرافيل زاوية
من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله تعالى حتى
يصير كانه الوضع قيل انه طاير صغير وروي ان الله تعالى امر جميع الملايكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم
على ساير الملايكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضرا وبين القايمتين من قوايمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام
وقيل حول العرش سبعون الف صف قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن وراىهم ماية الف
صف قد وضعوا الايمان على الشمايل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الاخر هذه الاثار نقلها من الكشاف واما النوع
الثاني من الملايكة الذين ذكرهم الله تعالى في هذه الاية فقوله تعالى ومن حوله والاظهر منهم ان المراد منهم ما ذكره في قوله تعالى وترى
الملايكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم واقول العقل يدل على ان حملة العرش والحافين حول العرش يجب ان يكونوا افضل الملايكة
وذلك لان نسبة الارواح الى الارواح كنسبة الاجساد الى الاجساد فلما كان العرش اشرف الاجسام وجب ان يكون الارواح المتعلقة بتدبير العرش افضل الارواح المدبرة
ارواح حاملة لجسم العرش ثم يتولد من تلك الارواح القاهرة المتعلقة المدبرة لجسم العرش ارواح اخر من جنسها وهي متعلقة باطراف العرش
واليهم الاشارة بقوله تعالى وترى الملايكة حافين من حول العرش وبالجملة فقد ظهر بالبراهين اليقينية وبالمكاشفات الصادقة
انه لا نسبة لعالم الاجساد الى عالم الارواح فكل ما شاهدته بعين البصر في اختلاف مراتب عالم الاجسام فيجب ان يشاهد بعين البصيرة
في اختلاف مراتب عالم الارواح والله تعالى اعلم بالصواب **المسئلة الثانية** دلت هذه الاية على انه سبحانه وتعالى منزه عن ان يكون
في العرش وذلك لانه تعالى قال في هذه الاية الذين يحملون العرش يكون حاملا لكل من في العرش فلو كان اله العالم في العرش لكان هولاء
الملايكة حاملين لاله العالم فحينيذ يكونون حافظين لاله العالم متسكين له والحافظ القادر بالالهية والمحمول المحفوظ اولى بالعبودية
فحينيذ ينقلب الاله عبدا والعبد الها وذلك فاسد فدل هذا على ان الله تعالى متعالي عن العرش وعن الاحيان **واعلم** انه تعالى حكى عن
حملة العرش وعن الحافين بالعرش ثلثة اشيا اولها قوله تعالى يسبحون بحمد ربهم ونظيره قوله تعالى عن الملايكة ونحن نسبح بحمدك
وقوله تعالى وترى الملايكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم والتسبيح عبارة عن تنزيه الله تعالى عما لا ينبغي والتحميد الاعتراف
بانه هو المنعم على الاطلاق فالتسبيح اشارة الى الاجلال والتحميد اشارة الى الاكرام فقوله تعالى يسبحون بحمد ربهم قريب من قوله تعالى تبارك
اسم ربك ذي الجلال والاكرام والنوع الثاني مما حكى الله تعالى عن هولاء الملايكة وهو قوله تعالى ويومنون به فان قيل فايدة في
قوله تعالى ويومنون فان الاشتغال بالتسبيح والتحميد لا يمكن الا وقد سبق الايمان بالله قلنا الفايدة فيه ما ذكره صاحب الكشاف وقد احسن
فيه جدا فقال ان المقصود منه التنبيه على ان الله تعالى لو كان حاضرا بالعرش لكان حملة العرش والحافون بالعرش يشاهدونه ويعاينونه
لما كان ايمانهم بوجود الله موجبا للمدح والثنا لان الاقرار بوجود شي حاضر مشاهد معاين لا يوجب المدح والثنا الا ترى ان الاقرار
بوجود الشمس كونها مضية لا يوجب المدح والثنا فلما ذكر الله تعالى ايمانهم بالله على سبيل الثنا والمدح والتعظيم علم انهم انما امنوا به بدليل
انهم ما شاهدوه حاضرا جالسا هناك ورحم الله صاحب الكشاف فلو لم يحصل في كتابه الا هذه النكتة لكفاه فخرا وشرفا **النوع الثالث**
مما حكى الله تعالى عن هولاء الملايكة قوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا **واعلم** انه قد ثبت ان كمال السعادة مربوط بامرين
التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله ويجب ان يكون التعظيم لامر الله مقدما على الشفقة على خلق الله فقوله تعالى يسبحون
بحمد ربهم ويومنون به مشعر بالتعظيم لامر الله وقوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا مشعر بالشفقة على خلق الله تعالى وفي
الاية مسايل **المسئلة الاولى** احتج كثير من العلما بهذه الاية في اثبات ان الملك افضل من البشر قالوا لان هذه الاية تدل على ان الملايكة
لما فرغوا من ذكر الله تعالى بالثنا والتقديس اشتغلوا بالاستغفار لغيرهم وهم المومنون وهذا يدل على انهم يستغنون لانفسهم اذ لو كانوا
محتاجين اليه لذكروا الاستغفار لانفسهم على الاستغفار لغيرهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ابدا بنفسك وايضا قال لمحمد صلى الله



عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات فامر محمدا ان يذكر اولا الاستغفار لنفسه ثم بعده يذكر الاستغفار
لغيره وحكى عن نوح انه عليه السلام انه قال رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مومنا وللمومنين والمومنات وهذا يدل على ان كل من كان
محتاجا الى الاستغفار فانه يقدم الاستغفار لنفسه على الاستغفار لغيره فالملايكة لو كانوا الى الاستغفار لكان اشتغالهم
بالاستغفار لانفسهم مقدما على اشتغالهم بالاستغفار لغيرهم ولما حكى الله تعالى عنهم استغفارهم لا لانفسهم علمنا ان ذلك انما كان
لانهم كانوا محتاجين الى الاستغفار واما الانبيا عليهم السلام فانهم كانوا محتاجين الى الاستغفار بدليل قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم
واستغفر لذنبك وللمومنين اذا ثبت هذا فقد ظهر ان الملك افضل من البشر والله اعلم **المسئلة الثانية** احتج الكعبي بهذه الاية في بيان ان اثر
الشفاعة في حصول زيادة الثواب للمومنين لا في اسقاط العقاب عن المذنبين قال وذلك لان الملايكة قالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك قال وليس المراد فاغفر للذين تابوا من الكفر سوا كان مصرا على الكفر او لم يكن كذلك لان من هذا حاله لا يوصف بكونه متبعا سبيل
ربه ولا يطلق ذلك فيه وايضا ان الملايكة يقولون وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وهذا لا يليق بالفاسقين لانهم ما دخلوا تحت الوعد على
ان الله تعالى وعدهم بالجنة وانما يجوزون ذلك فثبت ان شفاعة الملايكة لا تتناول الا اهل الطاعة فوجب ان يكون شفاعة الانبيا كذلك لانه
لا امرة لانه لا قايل بالفرق والجواب نقول هذه الاية تدل على حصول الشفاعة من الملايكة للمذنبين فنبين هذا ثم نجيب عما ذكره الكعبي
واما بيان دلالة هذه الاية عليها فلنا فيه وجوه الاول قوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا والاستغفار طلب المغفرة لا يذكر الا في اسقاط
العقاب اما طلب النفع الزايد فانه لا يسمى استغفارا الثاني قوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا وهذا يدل على انهم يستغفرون لكل
اهل الايمان فاذا دللنا على ان صاحب الكبيرة مومن وجب دخوله تحت هذه الشفاعة الثالث قوله تعالى فاغفر للذين تابوا طلب المغفرة
للذين تابوا ولا يجوز ان يكون المراد اسقاط عقوبة الكبيرة بعد التوبة لان ذلك واجب على الله تعالى عند الخصم وما كان فعله واجبا كان طلبه
بالدعا قبيحا ولا يجوز ايضا ان يكون المراد اسقاط عقوبة الصغاير لان ذلك ايضا واجب فلا يحسن طلبه بالدعا ولا يجوز ان يكون المراد طلب زيادة
منفعة على الثواب لان ذلك لا يسمى مغفرة فثبت انه لا يمكن حمل قوله تعالى فاغفر للذين تابوا الا على اسقاط عقاب الكبيرة قبل التوبة واذا ثبت هذا
في حق الملايكة فكذلك في حق الانبيا عليهم السلام لانعقاد الاجماع على انه لا فرق واما الذي تمسك به الكعبي وهو انهم طلبوا المغفرة
الذين تابوا فنقول يجب ان يكون المراد منه الذين تابوا عن الكفر واتبعوا سبيل الايمان وقوله ان التايب عن الكفر المصر على الفسق لا يسمى
تايبا ولا متبعا لسبيل الله في الدين والشريعة واذا ثبت انه تايب عن الكفر وجاز انه تايب عن الكفر كما انه تايب انه يكون في صدق
وصفه بكونه ضاربا وضاحكا صدور الضرب والضحك عنه مرة واحدة ولا يتوقف ذلك على كل انواع الضرب والضحك منه فكذا هاهنا والله اعلم
**المسئلة الثالثة** قال اهل التحقيق ان هذه الشفاعة الصادرة عن الملايكة في حق البشر يجري مجرى اعتذار عن زلة سبقت وذلك لانهم
قالوا في اول الامر اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما فلما سبق منهم هذا الكلام تداركوا في اخر الامر بان قالوا ربنا
فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم وهذا كالتنبيه على ان من اذى غيره فالاولى ان يجبر ذلك الايذا بايصال نفع
اليه **واعلم** انه تعالى لما حكى عن الملايكة انهم يستغفرون للذين امنوا بين كيفية ذلك الاستغفار فحكى عنهم انهم قالوا ربنا
وسعت كل شي رحمة وعلما وفيه مسايل **المسئلة الاولى** ان الدعا في اكثر الامر مذكور بلفظ ربنا ويدل عليه ان الملايكة عند الدعا قالوا
ربنا بدليل هذه الاية وقال ادم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا وقال نوح عليه السلام رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم وقال ايضا
رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا وقال ايضا رب اغفر لي ولوالدي وقال عن ابرهيم عليه السلام انه قال رب ارني كيف تحيي الموتى وقال تعالى ربنا
واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا وقال عن يوسف عليه السلام رب قد اتيتني من الملك وقال عن موسى عليه السلام رب ارني انظر اليك وقال في قصة
الوكز رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما انعمت علي وحكى تعالى عن داود عليه السلام انه استغفر ربه وخر راكعا
واناب وعن سليمان عليه السلام انه قال رب هب لي ملكا وعن زكريا عليه السلام انه نادى ربه نداء خفيا وعن عيسى عليه السلام انه قال ربنا
انزل علينا مايدة من السما وعن محمد صلى الله عليه وسلم انه تعالى قال له وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وحكى عن المومنين انهم
قالوا ربنا ما خلقت هذا باطلا واعادوا هذه اللفظة خمس مرات وحكى ايضا عنهم انهم قالوا غفرانك ربنا واليك المصير الى اخر
السورة فثبت بما ذكرنا ان مدار امر الدعا على ذكر العبد ربه بقوله يا رب وتمام الاشكال فيه ان يقال لفظ الله اعظم من لفظ الرب
فلم صار لفظ الرب مختصا بوقت الدعا والجواب كان العبد يقول كنت في العدم المحض والنفي الصرف واخرجتني الى الوجود وربيتني فاجعل
تربيتك لي شفيعا اليك في ان لا تخليني طرفة عين عن تربيتك واحسانك وفضلك **المسئلة الثانية** السنة في الدعا ان يبدا
فيه بالثنا على الله تعالى ثم يذكر الدعا عقيبه والدليل عليه هذه الاية فان الملايكة لما عزموا على الدعا والاستغفار للمومنين بدوا
بالثنا فقالوا ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما وايضا ان الخليل عليه السلام لما اراد ان يذكر الدعا ذكر الثنا اولا فقال الذي
خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم
الدين فكل هذا ثنا على الله تعالى ثم بعده ذكر الدعا فقال تعالى رب هب لي حكما والحقني بالصالحين **واعلم** ان العقل يدل ايضا على
رعاية هذا الترتيب وذلك لان ذكر الله تعالى بالثنا والتعظيم بالنسبة الى جوهر الروح كالاكسير الاعظم بالنسبة الى النحاس فكما
ان ذرة من الاكسير اذا وقعت على عالم من النحاس انقلب الكل ذهبا ابريزا فكذلك اذا وقعت ذرة من اكسير معرفة جلال الله تعالى
على جوهر الروح اللطيفة انقلب من نحو النحاسة الى صفا القدس وبقا عالم الطهارة فثبت انه عند اشراق نور معرفة الله تعالى في جوهر الروح
يصير الروح اقوى صفا واكمل اشراقا ومتى صار كذلك كانت قوته اقوى وتاثيره اكمل فكان حصول الشي المطلوب بالدعا اقرب واكمل فهذا هو
السبب في تقديم الثنا على الله تعالى على الدعا **المسئلة الثالثة** اعلم ان الملايكة وصفوا الله تعالى بسبعة انواع من صفات الربوبية والرحمة

والعلم اما الربوبية فهي اشارة الى الايجاد والابداع وفيه دقيقة اخرى وهي ان قولهم ربنا اشارة الى التربية وهي عبارة عن ابقاء الشي
وعلى اكمل احواله واحسن صفاته وهذا يدل على ان هذه الممكنات كما انها محتاجة حال حدوثها الى احداث الحق سبحانه وايجاده
فكذلك انها محتاجة حال بقائها الى ابقا الحق سبحانه وتعالى فلفظ الرب مشعر من بعض الوجوه بان هذه الممكنات محتاجة حال بقائها
الى ابقا الله تعالى واما الرحمة فهي اشارة الى جانب الخير والراحة والاحسان راجح على جانب الضرر وانه تعالى انما خلق الخلق للرحمة والخير
لا للاضرار والشر فان قيل قوله تعالى ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما فيه سوال لان العلم وسع كل شي اما الرحمة فما وصلت الى كل شي لان المضرور
حال وقوعه في الضرر لا يكون ذلك رحمة وهذا السوال ايضا مذكور في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شي قلنا كل موجود فقد نال من رحمة الله
تعالى نصيبا وذلك لان الموجود اما واجب واما ممكن اما الواجب فليس الا الله تعالى واما الممكن فوجوده من الله تعالى وبايجاده
وذلك رحمة فثبت انه لا موجود غير الله تعالى الا وقد وصل اليه نصيب من رحمة الله تعالى فلهذا قال تعالى ربنا وسعت كل شي رحمة
وعلما وفي هذه الاية دقيقة اخرى وهي ان الملايكة قدموا ذكر الرحمة على ذكر العلم فقالوا وسعت كل شي رحمة وعلما وذلك لان مطلوبهم
ايصال الرحمة وان يتجاوز عما علمه منهم من انواع الذنوب فالمطلوب بالذات مقدم على المطلوب بالعرض الا ترى انهما كما ان الصحة
مطلوبا بالذات وازالة المرض مطلوب بالعرض لا جرم لما ذكروا احد الطب قدموا فيه حفظ الصحة على ازالة المرض فقالوا
الطب علم تعرف منه احوال بدن الانسان من جهة ما يصح وتزول عن الصحة ليحفظ ويسترد زواله فكذا ههنا المطلوب بالذات هو
الرحمة على البتا وزعا علمه منهم من انواع الذنوب فهو مطلوب بالعرض لاجل ان حصول الرحمة على سبيل الكمال لا يحصل الا بالتجاوز
عن الذنوب فهذا السبب وقع ذكر الرحمة سابقا على ذكر العلم والله اعلم **المسألة الرابعة** دلت هذه الاية على ان المقصود
بالقصد الاول في الخلق والتكوين انما هو الرحمة والفضل والجود والكرم ودلت الدلايل اليقينية على ان كل ما دخل في الوجود من انواع
الخير والشر والسعادة والشقاوة فبقضاء الله تعالى وقدره والجمع بين هذين الاصلين في غاية الصعوبة فعند هذا قالت الحكماء الخير
مراد مرضي والشر مراد مكروه والخير مقضي به بالذات والشر مقضي بالعرض وفيه غور عظيم **المسألة الخامسة** قوله تعالى وسعت
كل شي رحمة وعلما يدل على كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع المعلومات التي لا نهاية لها من الكليات والجزييات وايضا فلولا ذلك لم يكن في الدعا
والتضرع فايدة لانه اذا جاز ان يخرج عن علمه بعض هذه الاشيا فعلى هذا التقدير لا يعرف هذا الداعي ان الله سبحانه وتعالى يعلمه
ويعلم دعاه وعلى هذا التقدير فلا يبقى في الدعا فايدة **واعلم** ان الله تعالى لما حكى عنهم كيفية ثنايهم على الله تعالى حكى عنهم
كيفية دعايهم وهو انهم قالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم **واعلم** ان الملايكة لما طلبوا بالدعا من الله
تعالى اشيا كثيرة من المومنين فالمطلوب الاول الغفران وقد سبق تفسير قوله تعالى الذين تابوا واتبعوا سبيلك فان قيل لا معنى
للغفران الا اسقاط العذاب وعلى هذا التقدير فلا فرق بين قوله فاغفر لهم وبين قوله تعالى وقهم عذاب الجحيم قلنا دلالة لفظ المغفرة
على اسقاط عذاب الجحيم دلالة حاصلة على سبيل الرمز والاشارة فلما ذكر هذا الدعا على سبيل الرمز اردفوه بذكره على سبيل التصريح لاجل
التاكيد والمبالغة **واعلم** انهم لما طلبوا من الله تعالى ازالة العقاب عنهم اردفوه بان طلبوا من الله تعالى ايصال الثواب اليهم
فقالوا ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم فان قيل انتم زعمتم ان هذه الشفاعة انما حصلت للمذنبين وهذه الاية تبطل ذلك
لانه تعالى ما وعد المذنبين بان يدخلهم في جنات قلنا لا نسلم انه ما وعدهم بذلك لانا بينا ان الدلايل الكثيرة في القران دلت على انه تعالى
لا يخلد اهل لا اله الا الله محمد رسول الله في النار واذا اخرجهم من النار وجب ان يدخلهم الجنة فكان هذا وعدا من الله تعالى بان يدخلهم
في جنات عدن اما من غير دخول النار واما من بعد ان يدخلهم النار قال تعالى ومن صلح من ابايهم وازواجهم وذرياتهم يعني وادخل معهم
في الجنة هولاء الطوايف الثلاثة وهم الصالحون من الابا والازواج والذريات وذلك لان الرجل اذا حضر معه في موضع عيشه وسروره
اهله وعشيرته كان ابتهاجه اكمل قال الفرا والزجاج من نصب من سبب ذريته على الضمير في قوله تعالى وادخلهم وان شئت
في وعدتهم والمراد بقوله تعالى ومن صلح اهل الايمان ثم قالوا انك انت العزيز الحكيم وانما ذكروا في دعايهم هذين الوصفين لانه لو لم
يكن عزيزا بل كان بحيث يغلب ويمنع لما صح وقوع المطلوب منه ولو لم يكن حكيما لما حصل هذا المطلوب على وفق الحكمة والمصلحة
ثم قالوا بعد ذلك وقهم السيات قال بعضهم المراد وقهم عذاب السيات فان قيل فعلى هذا التقدير لا فرق بين قوله تعالى وقهم
السيات وبين ما تقدم من قوله تعالى وقهم عذاب الجحيم وحينيذ يلزم التكرار الخالي عن الفايدة وانه لا يجوز قلنا بل التفاوت
حاصل من وجهين الاول ان يكون قوله تعالى وقهم عذاب الجحيم دعا مذكور للاصول وقهم عذاب الجحيم مقصورا على ازالة عذاب الجحيم وقوله
وقهم السيات يتناول عذاب الجحيم وعذاب موقف القيمة وعذاب الحساب والسوال والقول الثاني في تفسير قوله تعالى وقهم السيات
هو ان الملايكة طلبوا ازالة عذاب النار بقولهم وقهم عذاب الجحيم فطلبوا ايصال ثواب الجنة اليهم بقولهم وادخلهم جنات عدن ثم طلبوا
بعد ذلك ان يصونهم الله تعالى في الدنيا عن العقايد الفاسدة وهو المراد بقوله تعالى وقهم السيات ثم قالوا ومن تق السيات يومئذ
فقد رحمته يعني من تق السيات في الدنيا فقد رحمته في يوم القيمة قالوا وذلك الفوز العظيم حيث وجدوا باعمال منقطعة
فيما لا ينقطع وبافعال حقيرة ملكا لا تصل العقول الى كنه جلالته والله تعالى اعلم **قوله تعالى** ان الذين كفروا
ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا
اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تومنوا
فالحكم لله العلي الكبير **اعلم** انه تعالى عاد الى شرح احوال الكافرين المجادلين في ايات الله وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله
ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا وبين انهم في القيمة يعترفون بذنوبهم واستحقاقهم العذاب الذي ينزل بهم ويسالون الرجوع

الى الدنيا



الى الدنيا لاصلاح ما فاتهم فقال تعالى ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر وفي الاية مسايل **المسألة الاولى** في الاية
حذف وفيه ايضا تقديم وتاخير اما الحذف فالتقدير لمقت الله اياكم واما التقديم والتاخير فهو ان التقدير لمقت الله لكم حال
ما يدعونكم الى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم وفي تفسير مقتكم انفسكم وجوه الاول انهم اذا شاهدوا القيمة والجنة
والنار مقتوا انفسهم على اصرارهم على التكذيب بهذه الاشيا في الدنيا الثاني ان الاتباع يشتد مقتهم للروسا الذين دعوهم
الى الكفر في الدنيا والروسا ايضا يشتد مقتهم للاتباع فعبر عن مقت بعضهم بعضا بانهم مقتوا انفسهم كما انه تعالى قال فاقتلوا انفسكم
والمراد قتل بعضهم بعضا الثالث قال محمد بن كعب اذا خطبهم ابليس وهم في النار بقوله وما كان لي عليكم من سلطان الى
قوله تعالى ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم ففي هذه الحالة مقتوا انفسهم **واعلم** انه لا نزاع ان مقتهم انفسهم انما حصل
في القيمة واما مقت الله لهم ففيه وجهان الاول انه حاصل في الاخرة والمعنى لمقت الله لكم في هذا الوقت اشد من مقتكم انفسكم
في هذا الوقت الثاني وعليه الاكثرون ان التقدير لمقت الله لكم في الدنيا اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
اليها بالاعمال الصالحة وفي الاية مسايل **المسألة الاولى** احتج اكثر العلما بهذه الاية في اثبات عذاب القبر وتقرير الدليل
انهم اثبتوا لانفسهم موتتين حيث قالوا امتنا اثنتين فاحد الموتتين مشاهد في الدنيا فلا بد من اثبات حياة اخرى
في القبر حتى يصدق عليهم انهم ماتوا موتتين [illegible]
[illegible] الدنيا فلم لا يجوز ان يكون الامر
كذلك والذي يدل على ان الامر ما ذكرناه قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الحالة الحاصلة عند كونه نطفة وعلقة
وتحقيق الكلام ان الاماتة تستعمل بمعنيين احدهما ايجاد الشي ميتا والثاني تصيير الشي ميتا بعد ان كان حيا كقولك وسع الخياط ثوبي يحتمل انه
خاطه واسعا بعد ان كان ضيقا فلم لا يجوز في هذه الاية ان يكون المراد بالاماتة خلقها ميتة ولا يكون المراد تصييرها ميتة بعد ان كانت حية
السوال الثاني ان هذا كلام الكفار فلا يكون حجة السوال الثالث هذه الاية تدل على المنع من حصول الحياة في القبر وبيانه انه لو كان
الامر كذلك لكان قد حصلت الحياة ثلاث مرات اولها في الدنيا وثانيها في القبر وثالثها في القيمة والموت الحاصل بينهما هو الموت
المشاهد في الدنيا السوال الرابع انه ان دلت هذه الاية على حصول الحياة في القبر فهاهنا ما يدل على عدمه وذلك بالمنقول والمعقول
اما المنقول فمن وجوه قوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقايما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه فلم يذكر في هذه الاية الا الحذر
عن الاخرة ولو حصلت الحياة في القبر لكان الحذر عنها حاصلا ولو كان الامر كذلك لذكره ولما لم يذكره علمنا انه غير حاصل الثاني انه
تعالى حكى في سورة الصافات عن المومنين المحقين انهم يقولون بعد دخولهم في الجنة افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى ولا شك
ان كلام اهل الجنة حق وصدق ولو حصلت لهم حياة في القبر لكانوا قد ماتوا موتتين وذلك على خلاف قوله تعالى افما نحن بميتين الا
موتتنا الاولى قالوا والاستدلال بهذه الاية اولى من الاستدلال بالاية التي ذكرتموها لان الاية التي تمسكنا بها حكاية قول المومنين الذين
دخلوا الجنة والاية التي تمسكتم بها حكاية قول الكفار الذين دخلوا النار [illegible] اما المعقول فمن وجوه الاول ان الذي افترسه
السبع واكله لو اعيد حيا لكان اما ان يعاد حيا بمجموعه او باحاد اجزايه والاول باطل لان الحس يدل على انه لم يحصل بمجموعه والثاني
باطل لانه لما اكلته السباع فتلك الاجزا حصلت في معدة السباع فلو حصلت تلك الاجزا احيا لحصلت احيا في معدة السبع وفي
امعايها وذلك في غاية الاستبعاد الثاني ان الذي مات لو تركناه ظاهرا بحيث يراه كل احد فانهم يرونه باقيا قبل موته فلو جوزنا مع
هذه الحالة ان يقال انه صار حيا لكان هذا تشكيكا في المحسوسات وانه دخول في السفسطة والجواب قوله لم لا يجوز ان يكون الموتة
الاولى هي الموتة التي كانت حاصلة حال ما كان نطفة وعلقة فنقول هذا لا يجوز وبيانه ان المذكور في الاية ان الله تعالى اماتهم مرتين وبعد
الاماتة مشروط بسبق حصول الحياة اذ لو كان الموت حاصلا قبل هذه الاية امتنع كونها اماتة وانما لزم تحصيل الحاصل وهو محال
وهذا بخلاف قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا لان المذكور في هذه الاية انهم كانوا امواتا وليس فيها ان الله تعالى اماتهم
الاية التي نحن في تفسيرها لانها تدل على ان الله تعالى اماتهم موتتين وقد بينا ان لفظ الاماتة لا تصدق الا عند سبق الحياة فظهر
الفرق اما قوله ان هذا كلام الكفار فلا يكون حجة قلنا لما ذكروا لم يكذبهم الله ولو كانوا كاذبين لاظهر الله تعالى تكذيبهم الا ترى
انهم لما كذبوا في قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين كذبهم الله في ذلك فقال انظر كيف كذبوا على انفسهم واما قوله ظاهر هذه
الاية يمنع من اثبات حياة في القبر اذ لو حصلت هذه الحياة لكان عدد الحياة ثلاث مرات لا مرتين فنقول الجواب عنه من وجوه الاول
وهو ان مقصودهم تعديد اوقات البلا والمحنة وهي اربعة الموتة الاولى والحياة في القبر والموتة الثانية والحياة في القيمة فهذه
الاربعة اوقات البلا والمحنة فاما الحياة في الدنيا فليست من اقسام اوقات البلا والمحنة فلهذا السبب لم يذكرها [illegible]
الثالث لعلهم لما صاروا احيا في القبور لم يموتوا بل بقوا احيا اما في السعادة واما في الشقاوة واتصل بها حياة القيمة كانوا ممن [illegible]
تعالى باستثنائه في قوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله الرابع لو لم [illegible] الحياة في القبر [illegible]

فكان اثبات الموت كذبا وهو على خلاف لفظ القران اما الواسيا الحياة ثلاث مراتب والمذكور في القران مرتين اما المرة الثالثة فليس
في اللفظ ما يدل على ثبوتها او عدمها فثبت نفي حياة القبر يقتضي ما دل اللفظ عليه واما اثبات حيوة القبر فانه يقتضي اثبات شي زايد على
ما دل عليه اللفظ لا اشعار فيه بثبوته ولا بعدمه وكان اولى واما ما ذكروه في المعارضة الاولى فنقول قوله تعالى يحذر الاخرة يدخل فيه
الحياة الا الاخيرة سوا كانت في القبر او في القيمة واما الوجه الثاني للعلما ء فمدفوع لانا اذا قلنا الانسان ليس عبارة عن هذا الهيكل
بل هو عبارة عن جسم نوراني مشاب في هذا البدن كانت الاشكالات التي ذكرتموها غير واردة في هذا الباب والله اعلم المسئلة
الثالثة اعلم ان الماد السنا عذاب حيوة القبر فيكون الحاصل في حق بعضهم اربعة انواع من الحيوة وثلاثة انواع من الموت والدليل عليه قوله تعالى
في سورة البقرة الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم فهولا لهم اربعة مراتب في الحياة حياة
في الدنيا وحيوة في القبر وحياة رابعة في القيمة الثالثة قوله اسس نعت لمصدر محذوف والتقدير اماته من اسس حكى الله تعالى عنهم
انهم قالوا فاعترفنا بذنوبنا فان قيل الفا في قوله تعالى فاعترفنا تقتضي ان تكون الاماته مرتين والاحيا مرتين سببا لهذا الاعتراف
فسواهذه السببيه قلنا لانهم كانوا منكرين للبعث فلما شاهدوا الاحيا والاماته مرتين لم يبق لهم عذر في الاقرار اي هل الى نوع من الخروج
سريع او بطي من سبيل قط ام الياس واقع فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه الياس والقنوط واعلم ان الجواب
الصريح عنه ان يقال لا او نعم وهو تعالى لم يفعل ذلك بل ذكر كلاما يدل على انه لا سبيل لهم الى الخروج فقال تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده
كفرتم اي ذلكم الذي انتم فيه فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب الشديد وقوله العلي الكبير دلالة على الكبريا والعظمة وعلى ان عقابه لا يكون
الا كذلك والمشبه استدلوا بقوله تعالى العلي على العلو الاعلى في الجهة وبقوله الكبير على كبر الجثة والذات وكل ذلك باطل لما دللنا على ان
الجسمانية والمكان محال في حق الله تعالى فوجب ان يكون المراد من العلي الكبير العلو والكبريا بحسب القدرة الالهية والله تعالى اعلم
قوله تعالى هو الذي يريكم اياته وينزل لكم من السما رزقا وما يتذكر الا من ينيب فادعوا الله مخلصين
له الدين ولو كره الكافرون اعلم انه تعالى لما ذكر ما يوجب التهديد الشديد في حق المشركين اردفه بذكر ما يدل على كمال
قدرته وحكمته ليصير ذلك دليلا على انه لا يجوز جعل هذه الاحجار المنحوته والخشب المصورة شركا لله تعالى في العبودية فقال
تعالى هو الذي يريكم اياته واعلم ان اهم المهمات رعاية مصالح الاديان ومصالح الابدان فهو سبحانه وتعالى راعى مصالح الاديان
الصادر باظهار البينات والايات وراعى مصالح ابدانهم فانزال الرزق من السما فموقع الايات من الاديان كموقع الارزاق من الابدان
فالايات لحياة الاديان والارزاق لحياة الابدان وعند حصولها يحصل الانعام على اكمل الجهات واقوى الاعتبارات ثم قال تعالى وما
يتذكر الا من ينيب والمعنى الوقوف على دلايل توحيد الله تعالى كالامر المذكور في العقل الا ان القول بالشرك والاشتغال بعبادة غير الله
يصير كالمانع من تجلي تلك الانوار فاذا عرض العبد عنها واناب الى الله تعالى زال الغطا والعطا فظهر النور التام والماقرر هذا المعنى
صرح بالمطلوب وهو الاعراض عن غير الله تعالى والاقبال بالكلية على الله تعالى فقال فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك ومن
الالتفات الى غير الله تعالى ولو كره الكافرون قرا ابن كثير بلا جمعة والباقون بالتشديد والله تعالى اعلم قوله تعالى
رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشا من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون
لا يخفى على الله منهم شي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع
الحساب اعلم انه تعالى لما ذكر من صفات كبريايه واكرامه كونه مظهر الايات منزل الارزاق ذكر في هذه الاية ثلاثة اخرى
من صفات الجلال والعظمة وهو قوله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش قال صاحب الكشاف ثلاثة اخبار لقوله وهو مرتبة على قوله الذي
يريكم او اخبار مبتدا محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا وقرى رفيع الدرجات بالنصب على المدح واقول لا بد من تفسير هذه الصفات
الثلاثة فالصفة الاولى قوله تعالى رفيع الدرجات واعلم ان الرفيع يحتمل ان يكون المراد منه الرافع وان يكون المراد منه المرتفع اما ان
حملناه على الاول ففيه وجوه الاول انه تعالى يرفع درجات الانبيا والاوليا في الجنة والثاني رافع درجات الخلق في العلوم والاخلاق
الفاضلة فهو سبحانه عين لكل احد من الملايكة درجة معينة كما قال تعالى وما منا الا له مقام معلوم وعين لكل واحد من العلما
درجة معينة فقال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وعين لكل جسم درجة معينة فجعل بعضها
سفلية عنصرية وبعضها كوكبية وبعضها من جواهر العرش والكرسي فجعل بعضها درجة اعلى من درجة وايضا جعل لكل احد
مرتبة معينة في الخلق والخلق والرزق والاجل فقال تعالى وهو الذي جعلكم خلايف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات
وجعل لكل واحد من السعدا والاشقيا في الدنيا درجة معينة من موجبات السعادة والسعاوة وفي الاخرة في ظهور اثار تلك السعادة
والشقاوة فاذا حملنا الرفيع على الرافع كان معناه ما ذكرناه واما اذا حملنا الرافع على المرتفع فهو سبحانه ارفع الموجودات في جميع صفات الكمال
والجلال اما في اصل الوجود فهو ارفع الدرجات لانه واجب الوجود لذاته وما سواه ممكن محتاج اليه واما في دوام الوجود فهو ارفع
الموجودات لانه هو الازلي الابدي السرمدي الذي هو اول لكل ما سواه وليس له اول واخر لكل ما سواه وليس له اخر واما في العلم فلانه هو
العالم بجميع الذوات والصفات والكليات والجزييات كما قال تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو واما القدرة فهو اعلى القادرين وارفعهم لانه
في وجوده وجميع كمالات وجوده اليه واما في الوحدانية فهو الواحد الذي يمتنع ان يحصل له ضد وند وشريك ونظير واقول الحق سبحانه وتعالى
له صفتان احدهما استغناؤه في جميع صفاته وجوده عن كل ما سواه والثاني وجوده في صفاته وجوده فالرفيع ان فسرناه بالمرتفع
كان معناه ارفع الموجودات واعلاها في جميع صفات الجلال والاكرام وان فسرناه بالرافع كان معناه ان كل درجة وفضيلة ومنقبة حصلت
لشي سواه فانما حصلت بايجاده وتكوينه وفضله ورحمته الصفة الثانية قوله تعالى ذو العرش ومعناه انه مالك العرش ومدبره

وخالقه



وخالقه واحتج بعض الاغمار من المشبهة بقوله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش وحملوا على ان المراد بالدرجات السموات
وبقوله تعالى ذو العرش انه موجود في العرش فوق سبع سموات وفوا عظموا الفرية على الله تعالى فانا بينا بالدلايل القاهرة
العقلية والنقلية ان كونه تعالى جسما وفي جهة محال ايضا فظاهر اللفظ لا يدل على ما قالوه لان قوله ذو العرش
لا يفيد الا الاضافة الى العرش ويكفي فيه اضافته اليه بكونه مالكا له ومخرجا له من العدم الى الوجود فاي ضرورة يدعونا
الى الذهاب بالباطل والمذهب الفاسد والفايدة في تخصيص العرش بالذكر هو انه اعظم الاجسام والمقصود منه بيان
كمال الهيبة ونفاذ قدرته فكل ما كان محل التصرف والتدبير اعظم كانت دلالته على كمال القدرة اقوى الصفة الثالثة
قوله تعالى يلقي الروح من امره على من يشا من عباده ففيه مباحث البحث الاول اختلفوا في المراد بهذا الروح والصحيح
ان المراد هو الوحي وقد اطنبنا في بيان تسمية الوحي بالروح في اول سورة النحل في تفسير قوله تعالى ينزل الملايكة بالروح من امره
على من يشا من عباده وقال ايضا اومن كان ميتا فاحييناه وحاصل الكلام فيه ان حياة الروح بالمعارف الالهية والجلايل
القدسية فاذا كان الوحي سببا لحصول هذه الارواح سمي بالروح فان الروح سبب لحصول الحياة والوحي سبب لحصول هذه الحياة الروحانية
واعلم ان هذه الاية مشتملة على اسرار عجيبة من علوم المكاشفات وذلك لان كمال كبريا الله لا تصل اليه العقول والافهام فالطريق
الكامل في تعريفه بقدر الطاقة البشرية ان يذكر ذلك الكلام على الوجه الكلي والعقلي ثم يذكر عقيبه شي من المحسوسات المذكورة لذلك المعنى
العقلي ليصير الحس بهذا الطريق مقاصدا للعقل وهاهنا ايضا كذلك فقوله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش اما ان يكون بمعنى
كونه رافعا للدرجات وهو اشارة الى تاثير قدرة الله تعالى في ايجاد الممكنات على اختلاف درجاتها وساير منازلها وصفاتها
والى كونه تعالى مرتفعا في صفات الجلال في نعوت العلو عن كل الموجودات فهذا كلام عقلي برهاني ثم انه سبحانه وتعالى بين هذا الكلام
الكلي بمزيد تقرير وذلك لان كل ما سوى الله سبحانه وتعالى اما جسمانيات واما روحانيات فبين في هذه الاية ان كل الجسمانيات
مسخرة تحت تسخير الحق سبحانه وتعالى اما الجسمانيات فاعظمها العرش فقوله تعالى ذو العرش يدل على استيلايه على كلية عالم
الاجسام ولما كان العرش من جنس المحسوسات كان هذا المحسوس مؤكدا لذلك المعقول الذي عين قوله تعالى رفيع الدرجات واما
الروحانيات فكلها مسخرة للحق سبحانه وتعالى واليه الاشارة بقوله تعالى يلقي الروح من امره واعلم ان اشرف الاحوال
الظاهرة في روحانيات هذا العالم ظهور اثار الوحي وانما يتم باركان فاولها المرسل وهو الله سبحانه وتعالى فلهذا اضاف ما القى
الى نفسه فقال يلقي الروح والركن الثاني الارسال والوحي وهو الذي سماه الله تعالى بالروح والركن الثالث وصول الوحي من الله تعالى
الى الانبيا لا يمكن ان يكون الا بواسطة الملايكة وهو المشار اليه في هذه الاية بقوله تعالى من امره فالركن الروحاني يسمى امرا قال تعالى
واوحى في كل سما امرها وقال تعالى الا له الخلق والامر الركن الرابع الانبيا الذي يلقي الله تعالى الوحي اليهم وهو المشار اليه بقوله تعالى على من
يشا من عباده والركن الخامس تعيين الغرض والمقصود الاصلي من القا هذا الوحي اليهم وذلك هو ان الانبيا عليهم السلام يصرفون
الخلق من عالم الاخرة ويحملونهم على الاعراض عن هذه الجسمانيات والاقبال على الروحانيات واليه الاشارة بقوله تعالى لينذر يوم التلاق
فهذا ترتيب عجيب يدل على هذه الاسرار العالية من علوم المكاشفات الالهيه وبقي هاهنا ان يبين ان الله تعالى ما السبب في تسمية
يوم القيامة بيوم التلاق ولم الصفات التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة بيوم التلاق اما السبب في تسمية يوم التلاق ففيه
وجوه الاول ان الخلايق يلتقون فيه يلتقي بعضهم على حال البعض الثالث ان اهل السما ينزلون على اهل الارض فيلتقي فيه اهل السما
والارض قال تعالى ويوم تشقق السما بالغمام ونزل الملايكة تنزيلا الرابع ان كل احد يصل الى جزا عمله في ذلك اليوم فكان ذلك من
باب التلاق وهو ماخوذ من قولهم فلان لقي عمله الخامس يمكن ان يكون ذلك ماخوذ من قوله تعالى فمن كان يرجوا لقا ربه ومن قوله
تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام السادس يوم يلتقي العابدون والمعبودون السابع يوم يلتقي فيه ادم واخر ولد من الساين
قال ميمون بن مهران يوم يلتقي فيه الظالم والمظلوم فربما ظلم الرجل رجلا وانفصل عنه ولو اراد ان يجده لم يقدر عليه ولم يعرف
مكانه في يوم القيمة يحضران ويلتقي بعضهم بعضا قرا ابن كثير التلاقي والتنادي باثبات اليا في الوصل والوقف وهادي وواقي
باليا في الوقف وبالتنوين في الوصل واما بيان ان الله تعالى كم عدد من الصفات وصف يوم القيامة في هذه الاية فنقول الصفة
الاولى كونه يوم التلاق وقد ذكرنا تفسيره الصفة الثانية قوله تعالى يوم هم بارزون وفي تفسير هذا البروز وجوه الاول
انهم برزوا عن بواطن القبور والثاني بارزون اي ظاهرون لا يسترهم شي من جبل واكمة او بناء لان الارض بارزة قاعا
صفصفا وليس ايضا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جا في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا الثالث ان يجعل كونهم بارزين
كناية عن ظهور اعمالهم والكشاف اسرارهم كما قال تعالى يوم تبلى السراير الرابع ان هذه النفوس الناطقة البشرية كانها في الدنيا انغمست
في ظلمات اعماق الابدان فاذا جا يوم القيمة اعرضت عن الاشتغال بتدبير الجسمانيات وتوجهت بالكلية الى عالم القيامة
ومجمع الروحانيات فكانها برزت بعد ان كانت كامنه في الجسمانيات مستترة بها الصفة الثالثة قوله تعالى لا يخفى على الله منهم
شي والمراد لا يخفى على الله منهم شي والمقصود منه الوعيد فانه تعالى بين لهم انهم اذا برزوا من قبورهم واجتمعوا وتلاقوا فان الله
يعلم كل ما فعله كل واحد منهم فيجازيه كلا بحسبه ان خيرا فخير وان شرا فشر ثم وان لم يعلموا تفصيل ما فعلوه فالله تعالى عالم
بذلك ونظيره قوله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وقال تعالى يوم تبلى السراير فما له من قوة ولا ناصر وقال تعالى اذا بعثر
ما في القبور وحصل ما في الصدور وقال تعالى يومئذ تحدث اخبارها فان قيل الله تعالى لا يخفى عليه منهم شي في جميع الايام فما معنى تقييد
هذا العلم بذلك اليوم قلنا انهم كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم في ذلك اليوم صايرون

من البروز والانكشاف الى حالة لا ستر فيها مثل ما يستترون به في الدنيا قال تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله هو معنى قوله تعالى وبرزوا لله الواحد القهار الصفة الرابعة قوله تعالى لمن الملك اليوم والتقدير يوم ينادى فيه لمن الملك اليوم وهذا النداء في اي الاوقات يحصل فيه قولان الاول قال المفسرون اذا هلك كل من في السموات والارض فيقول الرب تعالى لمن الملك اليوم يعني يوم القيمة فلا يجيبه احد فهو تعالى يجيب عن نفسه فيقول لله الواحد القهار قال اهل الاصول هذا القول ضعيف وبيانه من وجوه الاول انه تعالى بين ان هذا النداء انما يحصل يوم التلاق ويوم البروز ويوم تجزى كل نفس بما كسبت والناس في ذلك الوقت احيا فبطل قولهم بان الله تعالى انما ينادي بهذا النداء حين هلك كل من في السموات والارض والثاني ان الكلام لا بد فيه من فايدة لان الكلام اما ان يذكر حال حضور الغير او حال ما يحضر الغير والاول باطل هنا لان الرجل انما يحسن تكلمه حال كونه وحده اما لانه يحفظ به شيئا كالذي يكرر على الدرس وذلك على الله تعالى محال او لاجل انه يحصل له سرور بما يقوله وذلك ايضا على الله محال او لاجل انه يعبد الله بذلك الذكر وذلك الذكر ايضا محال فثبت ان قولهم يقول الله تعالى ذكر هذا النداء حال كون جميع المخلوقات باطلا لا اصل له والقول الثاني ان في يوم التلاق اذا حضر الاولون والاخرون وبرزوا لله نادى مناد لمن الملك اليوم فيقول كل الحاضرين في محفل القيمة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا بهذا الكلام حيث نالوا بهذا الذكر المنزلة الرفيعة والكفار يقولونه على الذلة والصغارة على وجه التحسر والندامة على ان فاتهم هذا الذكر في الدنيا وقال القائلون بهذا القول الاول عن ابن عباس وغيره لم يمتنع ان يكون المراد ان هذا النداء يذكر بعد فناء البشر الا انه حضر هناك ملايكة يسمعون ذلك النداء وايضا على هذا القول لا يبعد ان يكون القائل والمجيب هو الله سبحانه تعالى ولا يبعد ايضا ان يكون السائل جمع من الملايكة والمجيب جمع اخرون والكل ممكن وليس على التعيين دليل فان قيل وما الفايدة في تخصيص هذا اليوم بهذا النداء فنقول الناس كانوا مغرورين في الدنيا بالاسباب الظاهرة وكان الشيخ الامام الوالد رضي الله عنه يقول لولا الاسباب لما ارتاب مرتاب وفي يوم القيمة زالت الاسباب وانعزلت الارباب ولم يبق الا حكم مسبب الاسباب فلهذا النداء اختص هذا النداء بيوم القيمة واعلم انه تعالى وان كان ظاهر اللفظ يدل على اختصاص ذلك النداء بذلك اليوم الا ان قوله لله الواحد القهار يفيد ان هذا النداء حاصل من جهة المعنى ابدا وذلك لان قولنا الله اسم للواجب الوجود لذاته والواجب الوجود لذاته واحد وكل ما سواه ممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته ومعنى الايجاد هو ترجيح جانب الوجود على جانب العدم وذلك الترجيح هو قهر للجانب المرجوح فثبت ان الاله القهار واحد ابدا وبدا لمن الملك اليوم انما ظهر من كونه واحدا قهارا فاذا كان كونه واحدا قهارا باقيا من الازل الى الابد لا جرم كان بدا لمن الملك اليوم باقيا من جانب المعنى من الازل الى الابد الصفة الخامسة من صفات ذلك اليوم قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت **واعلم** انه سبحانه وتعالى لما شرح صفات القهر في ذلك مسلتان الاولى هذا الكلام يشتمل على امور ثلثة اولها اثبات الكسب للانسان والثاني ان كسبه يوجب الجزا والثالث ان ذلك الجزا انما يحصل في ذلك اليوم فهذه الكلمة على اختصارها مشتملة على هذه الاصول الثلاثة وهي اصول عظيمة الوقع في الدين وقد سبق تقرير هذه الاصول اما الاول فهو اثبات الكسب للانسان فهو عبارة عن كون اعضايه سليمة صالحة للفعل والترك ثم ما دام يبقى على هذا الاستواء امتنع صدور الفعل والترك واما الثاني فهو بيان ترتب الجزا عليه **فاعلم** ان الافعال على قسمين منها ما يكون الداعي اليه طلب الخيرات الروحانية التي لا تظهر كمالها الا في عالم الاخرة وقد ثبت بالتجربة ان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات الراسخة فمن غلب عليه القسم الاول استحكمت رغبته في الدنيا وفي الجسمانيات فعند الموت يحصل الفراق بينه وبين مطلوبه على اعظم الوجوه فيعظم البلاء ومن غلب عليه القسم الثاني فعند الموت يفارق المبغوض ويصل بالمحبوب فيعظم الالاء والنعماء فهذا هو معنى الكسب ومعنى كون ذلك الكسب موجبا للجزا فظهر بهذا ان كمال الجزا لا يحصل الا يوم القيمة فهذا قانون كلي معقول والشريعة الحقة اتت بما يقوي هذا القانون الكلي من تفاصيل الاعمال والاقوال والله اعلم الثانية هذه الاية اصل عظيم في علم الفقه وذلك لانا نقول لو كان شي من انواع الضرر مشروعا اما ابتداء او مشروعا لكونه جزا والقسمان باطلان فبطل القول بكونه مشروعا اما بيان انه لا يجوز ان يكون مشروعا لكونه جزا على شي من الاعمال لان هذا النص يقتضي تاخير الاجزية الى القيمة فاثباته في الدنيا يكون على خلاف هذا النص واما بيان انه لا يجوز ان يكون مشروعا لا جزا فلقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولقوله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج ولقوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا اضرار في الاسلام عدلنا عن هذه العمومات فيما كانت المضارة ارجح وصار ورد نص في الاذن فيه كذبح الحيوان فوجب ان يبقى على اصل الحرمة فثبت بما ذكرنا ان الاصل في المضار هو الحرمة الا لاجل التحريم فان وجدنا نصا خاصا يدل على الشريعة قضينا به تقديما للخاص على العام والا قضينا على اصل التحريم وهذا اصل كل ما يتفرع به في الشريعة الصفة السادسة من صفات ذلك اليوم قوله لا ظلم اليوم والمقصود منه انه لما قال اليوم تجزى كل نفس بما كسبت اردفه بما يدل على انه لا يحصل في ذلك الجزا نوع من انواع الظلم قال المحققون وقوع الظلم في الجزا يقع على اربعة اقسام احدها ان يستحق الرجل ثوابا فيمنع منه وثانيها ان يعطى بعض حقه ولكنه لا يوصل اليه حقه بالتمام وثالثها ان يعذب من لا يستحق العقاب ورابعها ان يكون الرجل مستحقا للعذاب فيعذب ويزاد على قدر حقه قوله تعالى لا ظلم اليوم يفيد نفي هذه الاقسام الاربعة قال القاضي هذه الاية قوية في ابطال قول المجبرة لان على قولهم لا ظلم عاما وشاهدا الا من الله ولانه تعالى اذا خلق فيه الكفر ثم عذبه عليه فهذا هو عين الظلم والجواب عنه معلوم ثم قال تعالى ان الله سريع الحساب وذكر هذا الكلام في هذا الموضع لا بد

الا انه تعالى



الا انه تعالى لما بين انه لا ظلم بين انه سريع الحساب وذلك يدل على انه لا يبطل اليه ما يستحقونه في الحال والله تعالى اعلم بالصواب

**قوله تعالى** وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشي ان الله هو السميع البصير اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة واثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب

من هذه الاية وصف يوم القيمة بانواع اخرى من الصفات الهايلة المهيبة وفي الاية مسايل **المسلة الاولى** ذكروا في تفسير يوم الازفة وجوها الاول ان يوم الازفة هو يوم القيمة ازفت الازفة ليس لها من دون الله كاشفة وقال ازف الرحيل عران دكانيا والمقصود منه التنبيه على يوم القيمة قريب ونظيره قوله تعالى اقتربت الساعة قال الزجاج انما قيل لها ازفة لانها قريبة وان استبعد الناس مداها وما هو كاين فهو قريب **واعلم** ان الازفة نعت لمحذوف على تقدير يوم القيمة الازفة او يوم المجازات الازفة قال القفال واسما القيمة تجري على التانيث كالطامة والحاقة ونحوها كانها ترجع بمعناها الى الداهية والقول الثاني ان المراد بيوم الازفة وقت لحظة الازفة وهي مشارفتهم دخول النار فان عند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها من شدة الخوف القول الثالث قال ابو مسلم يوم الازفة يوم المنية وحضور الاجل والذي يدل على انه تعالى وصف يوم القيمة بانه يوم التلاق ويوم هم بارزون ثم قال بعده وانذرهم يوم الازفة فوجب ان يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم وايضا هذه الصفة مخصوصة في ساير الايات بيوم الموت قال تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وقال تعالى كلا اذا بلغت التراقي وايضا وصف يوم الموت بالقرب اولى من وصف يوم القيمة بالقرب وايضا الصفات المذكورة بعد قوله يوم الازفة لايقة بيوم حضور المنية لان الرجل عند معاينة ملايكة العذاب يعظم خوفه فكان قلوبهم تبلغ حناجرهم من شدة الخوف ويكونوا كاظمين ساكتين عن ذكر ما في قلوبهم من شدة الخوف ولا يكون لهم حميم ولا شفيع يدفع عنه ما به من انواع الخوف والقلق **المسلة الثانية** اختلفوا في قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين كناية عن شدة الخوف او هو محمول على ظاهره قيل المراد وصف ذلك اليوم لشدة الخوف والفزع ونظيره قوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا وقال تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينيذ تنظرون وقيل بل هو محمول على ظاهره قال الحسن انتزعت من الصدور بسبب شدة الخوف وبلغت القلوب الحناجر فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى موضعها فيتنفسوا ويستروحوا ولكنها تحوصوا وقال تعالى فلما راوه زلفة سييت وجوه الذين كفروا وقوله تعالى كاظمين اي مكروبين والكاظم الساكت حال امتلايه غما وغيظا فان قيل بم انتصب كاظمين قلنا هو حال عن اصحاب القلوب على المعنى لان المراد قلوبهم لدى الحناجر وانما حال كونهم كاظمين ويجوز ايضا ان يكون حالا عن القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظمة جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من افعال العقلاء كما قال رايتهم لي ساجدين وقال تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين ويعضده قوله من قوله تعالى كاظمين القلوب من الحناجر والثاني العجز عن الكلام هو المراد من قوله كاظمين فان الملهوف اذا قدر على الكلام حصلت له خفة وسكون اما اذا لم يقدر على الكلام لم يسلو عظم قلقه وقوي خوفه **المسلة الثالثة** احتج اكثر المعتزلة في نفي الشفاعة لاهل الكباير المذنبين بقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع قالوا نفي حصول شفيع لهم يطاع يوجب ان لا يحصل لهم هذا الشفيع اجاب اصحابنا عنه من وجوه الاول انه تعالى نفى ان يحصل لهم شفيع يطاع وهذا لا يدل على نفي الشفيع الا ترى انك اذا قلت ما عندي كتاب يباع فهذا يقتضي نفي كتاب يباع ولا يقتضي نفي الكتاب وقالت العرب ولا ترى الضب بها ينجحر ولفظ الطاعة يقتضي حصول المرتبة فهذا يدل على انه ليس في يوم القيمة شفيع يطيعه الله لانه ليس في الوجود احد اعلا حالا من الله تعالى حتى يقال ان الله تعالى يطيعه الوجه الثاني في الجواب ان المراد من الظالمين ها هنا الكفار والدليل عليه ان هذه الاية وردت في زجر الكفار الثالث ان لفظ الظالمين اما ان يفيد الاستغراق كان المراد من الظالمين مجموعهم وجملتهم ويدخل في هذا المجموع الكفار وعندنا انه ليس لهذا المجموع شفيع لان بعض هذا المجموع هم الكفار ليس لهم شفيع هم الكافرون اجاب المستدلون عن السوال الاول فقالوا الحمل كلام الله تعالى على محمل عند كل احد نعلم انه ليس في الوجود شي يطيعه الله تعالى لان المطيع ادون حالا من المطاع وليس في الوجود شي اعلا مرتبة من الله تعالى حتى يقال ان الله تعالى يطيعه واذا كان هذا المعنى معلوما بالضرورة كان حمل الاية عليه اخراجا لها عن الفايدة فوجب حمل الطاعة على الاجابة والذي يدل على ورود لفظ الطاعة بمعنى الاجابة قول الشاعر رب من انضجت غيظا صدره قد تمنى لي موتا لم يطع واما السوال الثاني فقد اجابوا عنه بلفظ الظالمين صيغة جمع دخل عليها حرف التعريف فيفيد العموم اقصى ما في الباب ان هذه الاية وردت لزجر الكفار الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب واما السوال الثالث فجوابه ان قوله تعالى ما للظالمين من حميم يفيد ان كل واحد من الظالمين محكوم عليه بانه ليس له حميم ولا شفيع يطاع فهذا تمام كلام القوم في تقرير ذلك الاستدلال والجواب لاصحابنا عن السوال الاول فقالوا ان القوم كانوا يقولون في الاصنام انها شفعاونا عند الله تعالى وكانوا يقولون انه تشفع لنا عند الله تعالى من غير حاجة فيه الى اذن ولهذا السبب رد الله تعالى ذلك عليهم بقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فهذا يدل على ان القوم اعتقدوا انه يجب على الله تعالى اجابة الاصنام في تلك الشفاعة وهذا نوع طاعة فالله تعالى نفى تلك الطاعة بقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع واجابوا عن الكلام الثاني بان قالوا الاصل في حرف التعريف ان ينصرف الى المعهود السابق فاذا دخل حرف التعريف على صيغة الجمع فان كان هناك معهود سابق انصرف اليه وقد حصل في هذه الاية معهود سابق وهو الكفار الذين يجادلون في ايات الله فوجب ان ينصرف

اليه واجابوا عن الكلام الثالث بان قالوا قوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يحتمل عموم السلب ويحتمل سلب العموم
اما الاول فعلى تقدير ان يكون المعنى ان كل واحد من الظالمين محكوم عليه بانه ليس له حميم ولا شفيع واما الثاني فعلى تقدير
ان يكون المعنى ان مجموع الظالمين ليس لهم حميم ولا شفيع ولا يلزم من نفي الحكم عن المجموع نفيه عن كل واحد احاد ذلك المجموع والذي
يوكد ما ذكرناه قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون وقوله تعالى ان الذين كفروا لا يومنون
ان حملناه على ان كل واحد واحد منهم محكوم عليه بانه لا يؤمن لزم وقوع الخلف في كلام الله تعالى لان كثيرا ممن كفر فقد
امن بعد ذلك اما لو حملناه على ان مجموع الذين كفروا لا يومنون سواء امن بعضهم او لم يومن صدق وتخلص عن الخلف فثبت انا
حملنا هذه الاية على سلب العموم لا على عموم السلب وحينئذ يسقط استدلال الاية فهذا غاية الكلام في هذا الباب **المسألة
الرابعة** في بيان نظم الاية فنقول انه تعالى ذكر في هذه الاية جميع الاسباب الموجبة للخوف فاولها انه سمى ذلك اليوم
ازفة اى يوم القرب من عذابه بمن اسلوا بالذنب العظيم لانه اذا قرب زمان عقوبته كان في اقصى غايات الخوف حتى
قيل ان تلك الهموم والغموم اعظم في الانكاس من عين تلك العقوبة والثاني قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر والمعنى
انه يبلغ ذلك الخوف الى ان ينقلع القلب من الصدر ويرتفع الى الحنجرة والتصق بها وصار مانعا من دخول النفس والثالثة
قوله تعالى كاظمين والمعنى انه لا يمكنهم ان ينطقوا وان يشرحوا ما عندهم من الحزن والخوف وذلك يوجب مزيد القلق
والاضطراب والرابعة قوله تعالى للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع فبين انه ليس لهم قريب ينفعهم ولا شفيع يطاع فيهم فيقبل شفاعته
والخامسة قوله تعالى يعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور والمعنى انه سبحانه وتعالى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات
والارض والحاكم اذا بلغ في العلم الى هذا الحد كان خوف المذنب منه شديدا جدا قال صاحب الكشاف الخاينة صفة النظرة او مصدر
بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما تفعل اهل الريب والمراد بقوله تعالى وما تخفي الصدور مضمرات القلوب
والحاصل ان الافعال قسمان افعال الجوارح وافعال القلوب اما افعال القلوب فهي معلومة لله تعالى لقوله تعالى وما تخفي الصدور فدل هذا
على كونه تعالى عالما بجميع افعال السادسة قوله علما بجميع افعال السادس قوله تعالى والله يقضي بالحق وهذا ايضا يوجب عظم الخوف لان الحاكم اذا
كان عالما بجميع الاحوال وثبت منه انه لا يقضي الا بالحق فكل ما دق وجل كان خوف المذنب منه في غاية القصوى السابعة ان الكفار انما عولوا
في دفع العقاب عن انفسهم على شفاعة هذه الاصنام وقد بين الله تعالى انه لا فايدة فيها البتة فقال تعالى والذين يدعون من دونه
لا يقضون بشيء التاسعة قوله تعالى ان الله هو السميع البصير اى يسمع من الكفار ثناءهم على الاصنام ولا يسمع ثناءهم على الله تعالى ويبصر
خضوعهم وسجودهم لهذه الاصنام ولا يبصر خضوعهم وتواضعهم لله فهذه الاحوال الثمانية اذا اجتمعت في حق المذنب الذي عظم ذنبه
كان بالغا في التخويف الى الحد الذي لا يعقل الزيادة عليه ثم انه تعالى لما بلغ في تخويف الكفار بعذاب الاخرة اردفه ببيان تخويفهم
في احوال الدنيا فقال تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم والمعنى ان العاقل من اعتبر بغيره
فان الذين مضوا من الكفار كانوا اشد قوة من هولاء الحاضرين من الكفار واثارا في الارض منهم والمراد حصونهم وقصورهم
وعساكرهم فلما كذبوا رسلهم اهلكهم الله بضروب الهلاك معجلا حتى ان هولاء الحاضرين من الكفار يشاهدون تلك الاثار فحذرهم
الله تعالى من مثل ذلك بهذا القول وبين بقوله تعالى وما لهم من الله من واق انه لما نزل العذاب بهم عند احد الله تعالى لهم
لم يجدوا من يخلصهم ثم بين ان ذلك نزل بهم لاجل انهم كفروا وكذبوا الرسل فحذر قوم الرسول من مثله وختم الكلام بانه
قوي شديد العقاب مبالغة في التحذير والتخويف والله اعلم وقرئ ابن عامر وحده كانوا هم اشد منكم بالكاف والباقون بالهاء
واما وجه قراءة ابن عامر فهو انصراف من الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى اياك بعد قوله تعالى الحمد لله والوجه في حسن هذا الخطاب
انه في شان اهل مكة فجعل الخطاب على لفظ المخاطب الحاضر لحضورهم وهذه الاية في المعنى كقوله تعالى مكناهم في الارض ما لم نمكن
لكم واما قراءة الباقين على لفظ الغيبة فلاجل موافقة ما قبله من الفاظ الغيبة والله تعالى اعلم **قوله تعالى**
ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من
عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال وقال فرعون ذروني
اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد وقال موسى اني عذت بربي وربكم
من كل متكبر لا يومن بيوم الحساب **واعلم** انه تعالى لما سلى رسوله بذكر الكفار الذين كذبوا الانبيا قبله وبمشاهدة
اثارهم سلاه ايضا بذكر قصة موسى عليه السلام فانه مع قوة معجزاته بعثه الى فرعون وهامان وقارون فكذبوه وكابروا
قالوا ساحر كذاب واعلم ان موسى عليه السلام لما جاءهم بتلك المعجزات الباهرة وبالنبوة وهي المراد بقوله تعالى فلما جاءهم بالحق من عندنا
حكى الله تعالى عنهم ما صدر عنهم من الجهالات فالاول انهم وصفوه بكونه ساحرا كذابا وهذا في غاية البعد لان تلك المعجزات كانت
قد بلغت في القوة والظهور الى حيث يشهد كل عقل سليم بانه ليس من السحر البتة الثاني انهم قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا
نساءهم والصحيح ان هذا القتل غير القتل الذي وقع في وقت ولادة موسى عليه السلام لان في ذلك الوقت اخبره المنجمون بولادة عدو له
يظهر عليه فامر بقتل الابنيا في ذلك الوقت واما في هذا الوقت فموسى عليه السلام قد جاءه وظهرت المعجزات الباهرة فعند
هذا امر بقتل ابناء الذين امنوا معه لئلا ينشئوا على دين موسى عليه السلام فيقوى بهم وهذه العلة مختصة بالبنين دون البنات
فلهذا السبب امر بقتل الابناء ثم قال تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال ومعناه ان جميع ما يسعون فيه من مكايدة موسى عليه السلام
ومكايدة من امن معه باطل لان ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها النوع الثالث من قبايح افعال اولئك الكفار مع موسى عليه السلام

وما حكاه



وما حكاه الله تعالى وقال فرعون ذروني اقتل موسى وهذا كالدلالة على انهم كانوا يمنعونه من قتله وفيه احتمالان الاول انهم منعوه
عن قتله لوجوه الاول انه كان فيهم من يعتقد بقلبه كون موسى عليه السلام صادقا فيأتي بوجوه الحيل في منع فرعون عن قتله الثاني
قال الحسن ان اصحابه قالوا له لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف ولا يمكنه ان يغلب سحرنا وان قتلته ادخلت الشبهة على الناس
وقالوا انه كان محقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه الثالث لعلهم كانوا يحتالون في منعه من قتله لاجل ان يبقى فرعون مشغول القلب
بموسى عليه السلام فلا يتفرغ لتاديب اولئك الاقوام فان من شان الامراء ان يشغلوا قلب ملكهم بخصم خارجي حتى يصيروا امنين من شر ذلك
الملك والاحتمال الثاني انهم ما منعوا فرعون من قتل موسى عليه السلام وانه كان يريد ان يقتله الا انه كان خايفا من انه لو حاول
ذلك لظهرت معجزات قاهرة تمنعه عن قتله فيفتضح الا انه لوقاحته قال ذروني اقتل موسى وغرضه منه اخفاء خوفه اما
قوله تعالى وليدع ربه فهذا ذكره على سبيل الاستهزاء يعني اني اقتله فليقل لربه حتى يخلصه مني واما قوله تعالى اني اخاف
ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد وفيه مسايل **المسألة الاولى** قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وان يظهر بالواو
والباقون او ان يظهر ومعنى الواو وقوع الامرين ومعنى او وقوع احدهما
الفساد والدين وردا مفصلة ...
على المفعولية وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم يظهر بفتح الياء والهاء الفساد بالرفع اما وجه القراءة الاولى فهو انه
اسند الفعل الى موسى في قوله يبدل فكذلك في يظهر ليكون الكلام على نسق واحد واما وجه القراءة الثانية فهو انه اذا بدل
الدين فقد ظهر الفساد الحاصل بسبب ذلك التبديل **المسألة الثانية** المقصود من هذا الكلام بيان السبب الموجب
لقتله وهو ان وجوده يوجب اما فساد الدين او فساد الدنيا اما فساد الدين فلان القوم اعتقدوا ان الدين الصحيح هو الذي كانوا عليه فلما كان
موسى عليه السلام ساعيا في افساده كان في اعتقادهم ساعيا في افساد الدين الحق واما فساد الدنيا فهو انه لا بد وان يجتمع عليه قوم ويصير
ذلك سببا لوقوع الخصومات واثارة الفتن ولما كان حب الناس لاديانهم فوق حبهم لاموالهم لاجرم بدأ فرعون بذكر الدين فقال اني
اخاف ان يبدل دينكم ثم اتبعه بذكر فساد الدنيا فقال وان يظهر في الارض الفساد **واعلم** انه تعالى لما حكى عن فرعون
هذا الكلام حكى بعده ما ذكره موسى عليه السلام فحكى عنه انه قال اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وفيه
مسايل **المسألة الاولى** قرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي عذت بادغام الذال في التاء والباقون بالاظهار **المسألة الثانية**
المعنى انه لم يات في دفع شره الا بان استعاذ بالله واعتمد على فضل الله تعالى فلا جرم صانه الله تعالى عن كل بلية واوصله الى كل
امنية واعلم ان هذه الكلمات التي ذكرها موسى عليه السلام تشتمل على فوايد **الفايدة الاولى** ان لفظة اني تدل على التاكيد فهذا
يدل على ان الطريق المؤكد المعتبر في دفع الشرور والافات عن النفس الاعتماد على الله تعالى والتوكل على عصمة الله تعالى **الفايدة الثانية**
انه قال عذت بربي وربكم فكما ان عند القراءة يقول المسلم اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فالله تعالى يصون دينه واخلاصه عن وساوس
شياطين الجن فكذلك عند توجه الافات من شياطين الانس اذا قال المسلم اعوذ بالله فالله تعالى يصونه عن كل الافات و
المخافات **الفايدة الثالثة** قوله تعالى بربي والمعنى كان العبد يقول ان الله سبحانه وتعالى هو الذي رباني والى درجات
الخير وفقني كل الافات الى حفظه الله تعالى **الفايدة الرابعة** ان قوله تعالى وربكم فيه بعث لقوم موسى عليه السلام على ان يقتدوا
به في الاستعاذة بالله والمعنى فيه ان الارواح الطاهرة القوية اذا تطابقت على واحد قوي ذلك التاثير جدا وهذا هو السبب
الاصلي في اداء الصلوات في الجماعات **الفايدة الخامسة** انه لم يذكر فرعون في هذا الدعاء لانه كان قد سبق له حق تربية على
موسى عليه السلام من بعض الوجوه فترك التعيين رعاية لذلك الحق **الفايدة السادسة** ان فرعون وان كان اظهر ذلك الفعل
الا انه لا فايدة في الدعاء على فرعون بعينه بل الاولى الاستعاذة بالله في دفع كل من كان موصوفا بتلك الصفة حتى يدخل فيه كل
من كان عدوا سواء كان مظهرا لتلك العداوة او كان مخفيا لها **الفايدة السابعة** ان الموجب للاقدام على ايذاء الناس امران
احدهما كون الانسان متكبرا قاسي القلب والثاني كونه منكرا للبعث في القيامة وذلك لان المتكبر القاسي قد يحمله طبعه على ايذاء الناس
الا انه اذا كان مقرا بالبعث والحساب صار خوفه من الحساب مانعا له عن الجري على موجب تكبره فاذا لم يحصل عنده الايمان
والقيامة كانت الطبيعة داعية له الى الايذاء والمانع وهو الخوف من السؤال والحساب زايلا فلاجرم يحصل القسوة والايذاء **الفايدة
الثامنة** ان فرعون لما قال ذروني اقتل موسى على سبيل الاستهزاء وليدع ربه قال موسى عليه السلام ان الذي ذكرته يا فرعون
بطريق الاستهزاء هو الدين المتين وانا ادعوا ربي واطلب منه ان يدفع شرك عني وستري ان ربي كيف يقهرك وكيف
يسلطني عليك واعلم ان من احاط عقله بهذه الفوايد علم انه لا طريق اصلح ولا اصوب في دفع كيد الاعدا وابطال مكرهم الا
الاستعاذة بالله تعالى والرجوع الى حفظ الله تعالى والله اعلم **قوله تعالى** وقال رجل مؤمن من ال فرعون
يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه
كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب **اعلم** انه تعالى
لما حكى عن موسى عليه السلام انه ما زاد في دفع مكر فرعون وشره على الاستعاذة بالله بين انه تعالى قيض انسانا اجنبيا غير موسى
عليه السلام حتى ذب عنه على احسن الوجوه وبالغ في تسكين تلك الفتنة واجتهد في ازالة ذلك الشر يقول مولانا مصنف الكتاب
رحمه الله تعالى ولقد جربت في احوال نفسي انه كلما قصدني شرير بشر فاذا لم اتعرض له واشتغلت بتفويض ذلك الامر الى الله فانه
سبحانه وتعالى يقيض اقواما لا اعرفهم البتة يبالغون في دفع ذلك الشر وفيه مسايل **المسألة الاولى** اختلفوا في ذلك الرجل

الرجل الذي كان من آل فرعون فقيل انه كان ابن عم له وكان جاريا مجرى ولي العهد له ومجرى صاحب الشرطة وقيل كان قبطيا من قوم فرعون وما كان من اقاربه وقيل انه كان من بني اسرائيل والاول اقرب لان لفظ الآل يقع على القرابة والعشيرة قال تعالى الا آل لوط نجيناهم بسحر وهو عندنا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصديقون ثلثة حبيب النجار مؤمن آل يس ومؤمن آل فرعون الذي قال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله والثالث علي بن ابي طالب وهو افضلهم وعن جعفر بن محمد انه قال كان ابو بكر خيرا من مؤمن آل فرعون لانه كان يكتم ايمانه وقال ابو بكر جهارا اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وكان ذلك سرا وهذا جهارا الثانية لفظ من في قوله من آل فرعون يجوز ان يكون متعلقا بقوله مؤمن وان كان ذلك المؤمن شخصا من آل فرعون ويجوز ان يكون متعلقا بقوله يكتم ايمانه والتقدير رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون وقيل ان هذا الاحتمال غير جائز لانه لا يقال كتمت من فلان كذا انما يقال كتمته كذا قال تعالى ولا يكتمون الله حديثا **المسئلة الثالثة** رجل مؤمن الاكثرون قرؤا بضم الجيم وقرئ رجل بكسر الجيم كما يقال عضد في عضد الرابعة قوله تعالى اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله استفهام على سبيل الانكار وقد ذكر في هذا الكلام ما يدل على حسن ذلك الاستنكار وذلك لانه ما زاد على ان قال ربي الله اشارة الى التوحيد وقوله تعالى وقد جاءكم بالبينات اشارة الى تقرير النبوة باظهار المعجزة الثاني ان قوله ربي الله اشارة الى التوحيد وقوله في سورة طه قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقوله في سورة الشعراء رب السموات والارض وما بينهما الى آخر الآيات ثم ذكر ذلك المؤمن حجة ثانية في ان الاقدام على قتله غير جائز وهي حجة مذكورة على طريقة التقسيم فقال ان كان هذا الرجل كاذبا فوبال كذبه عائد عليه فاتركوه وان كان صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فثبت ان على كلا التقديرين كان الاولى ابقاؤه حيا فان قيل السؤال على هذا الدليل من وجهين الاول ان قوله تعالى وان يك كاذبا فعليه كذبه معناه ان ضرر كذبه مقصور عليه وسعداه وهذا الكلام فاسد لوجوه احدها انا لا نسلم ان بتقدير كونه كاذبا كان ضرر كذبه مقصورا عليه لانه يدعو الناس الى ذلك الدين الباطل فيغتر به جماعة منهم ويقعون في المذهب الباطل والاعتقاد ثم يقع بينهم وبين غيرهم الخصومات الكثيرة فثبت ان بتقدير كونه كاذبا لم يكن ضرر كذبه مقصورا عليه بل كان متعديا الى الكل ولهذا السبب فان العلماء اجمعوا على ان الزنديق الذي يدعو الناس الى زندقته يجب قتله وثانيها انه ان كان هذا الكلام حجة له فلا كذاب الا ويمكنه ان يتمسك بهذه الطريقة فوجب ان يمكن جميع الزنادقة والمبطلين من تقرير اديانهم الباطلة وثالثها ان الكفار الذين انكروا نبوة موسى عليه السلام وجب ان لا يجوز الانكار عليهم لانه يقال ان كان ذلك المنكر كاذبا في ذلك الانكار فعليه كذبه وان يك صادقا انتفعتم بصدقه فثبت ان هذا التصديق يوجب تصويب ضرره وما افضى ثبوته الى عدمه كان باطلا السؤال الثاني كان من الواجب ان يقال وان يك صادقا يصبكم كل الذي يعدكم لان الذي يصيب بعض ما يعدون البعض هم اصحاب الكهانة والنجوم اما الرسول الصادق الذي لا يتكلم الا بالوحي فانه يجب ان يكون صادقا في كل ما يقول فكان قوله تعالى يصبكم بعض الذي يعدكم غير لائق بهذا المقام والجواب عن الاسولة الثلاثة بحرف واحد وهو ان تقدير الكلام انه لا حاجة بكم في دفع شره الى قتله بل يكفيكم ان تمنعوه عن اظهار هذه المقالة ثم تتركوا قتله فان كان كاذبا فحينئذ لا يعود ضرره الا اليه وان كان صادقا انتفعتم به والحاصل ان المقصود من ذكر ذلك التقسيم بيان انه لا حاجة الى قتله بل يكفيكم [illegible] واما السؤال الثاني وهو قوله كان الاولى [illegible] اظهار الانصاف وترك [illegible] من ان يصل اليكم بعض [illegible] او في ضلال مبين والوجه الثاني انه عليه السلام [illegible] بعض الذي وعدهم به الوجه الثالث حكي [illegible] اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها [illegible] تعالى اعلم ثم حكى تعالى عن هذا المؤمن حكاية [illegible] مسرف كذاب وتقرير الدليل ان يقال ان الله تعالى هدى موسى عليه السلام الى الاتيان بتلك المعجزات الباهرة ومن هداه الله الى الاتيان بالمعجزات لا يكون مسرفا كذابا فهذا يدل على ان موسى عليه السلام ليس من المسرفين الكذابين وقوله تعالى ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب اشارة الى علو شان موسى عليه السلام [illegible] ان فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى عليه السلام [illegible] ويهدم امره والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا قال فرعون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد **اعلم** ان مؤمن آل فرعون لما [illegible] ذلك العذاب فقال تعالى يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض [illegible] على انفسكم ولا تتعرضوا لباس الله تعالى وعذابه فانه لا [illegible] وانما قال [illegible] منهم وان الذي ينصحهم به هو مشارك لهم فيه ولما قال ذلك المؤمن هذا الكلام قال فرعون ما اريكم الا ما ارى [illegible] الى سوى ما ذكرته انه يجب قتله حسما





لمادة الفتنة وما اهديكم بهذا الراي الا سبيل الرشاد والصلاح ثم حكى تعالى ان ذلك المؤمن رد هذا الكلام على فرعون وقال اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب **واعلم** انه تعالى حكى عن ذلك المؤمن رد هذا الكلام على فرعون وقال تعالى اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب **واعلم** انه تعالى حكى عن ذلك المؤمن انه كان يكتم ايمانه كيف يكتمه اذ يمكنه احال ان مع فرعون فلهذا السبب حصل هاهنا قولان الاول ان فرعون لما قال ذروني اقتل موسى لم يصرح ذلك المؤمن بانه على دين موسى عليه السلام بل اوهم انه مع فرعون وعلى دينه الا انه زعم ان المصلحة يقتضي ترك قتل موسى عليه السلام لانه لم يصدر عنه الا الدعوة الى الله والاتيان بالمعجزات القاهرة وهذا لا يوجب القتل فالاقدام على قتله يوجب الوقوع في السنة الناس باقبح الكلمات بل الاولى ان يؤخر قتله وان يمنع من اظهار دينه لان على هذا التقدير ان كان كاذبا كان وبال كذبه عائدا اليه وان كان صادقا حصل الانتفاع به من بعض الوجوه ثم اكد ذلك بقوله تعالى ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يعني انه ان كان صادقا فيما يدعيه من اثبات الاله القادر الحكيم فهو لا يهدي المسرف الكذاب فاوهم فرعون انه اراد بقوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب انه يريد به موسى عليه السلام وهو انما كان يقصد به فرعون لان المسرف الكذاب هو فرعون والقول الثاني ان مؤمن آل فرعون كان يكتم ايمانه اولا فلما قال فرعون ذروني اقتل موسى ازال الكتمان واظهر كونه على دين موسى عليه السلام وشافه فرعون بالحق **واعلم** انه تعالى حكى عن هذا المؤمن انواعا من الكلمات ذكرها لفرعون فالاول قوله تعالى اني اخاف ان يبدل دينكم والثاني قوله تعالى يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب والتقدير مثل ايام الاحزاب الا انه لما اضاف اليوم الى الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود وحينئذ ظهر ان كل حزب كان له يوم معين في البلاء فاقتصر من الجمع على ذكر الواحد لعدم الالتباس ثم فسر قوله تعالى اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب بقوله تعالى مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود ودأب هؤلاء دؤوبهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائما لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم والحاصل انه خوفهم بهلاك معجل في الدنيا ثم خوفهم ايضا بهلاك الآخرة وهو قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد والمقصود التنبيه على عذاب الآخرة **النوع الثاني** من كلمات ذلك المؤمن قوله تعالى وما الله يريد ظلما للعباد يعني ان تدميرهم واهلاك الاحزاب كان عدلا لانهم انما استوجبوه بسبب تكذيبهم للانبياء عليهم السلام وتلك العلة قائمة هاهنا فوجب حصول الحكم هاهنا قالت المعتزلة وما الله يريد ظلما للعباد يدل على انه لا يريد ان يظلم العباد بعضا ويدل على انه لا يريد ظلم البتة فثبت انه غير خالق لافعال العباد لانه لو خلقها لارادها وثبت ايضا انه قادر على الظلم اذ لو لم يقدر عليه لما حصل المدح بترك الظلم وهذا الاستدلال قد ذكرنا مرارا في هذا الكتاب مع الجواب فلا فائدة في الاعادة **النوع الثالث** من كلمات ذلك المؤمن قوله تعالى ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد وفي الآية مسئلتان **المسئلة الاولى** التنادي تفاعل من النداء يقال تنادى القوم اي نادى بعضهم بعضا والاصل الياء وحذفها لحسن الفواصل وذكرنا ذلك في يوم التلاق واجمع المفسرون على ان يوم التناد يوم القيمة وفي تسمية ذلك اليوم بهذا الاسم وجوه الاول ان اهل النار كما ذكر الله تعالى عنهم في سورة الاعراف ونادى اصحاب النار ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار الثاني قال الزجاج لا يبعد ان يكون السبب فيه قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم الثالث انه ينادي بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور فيقولون يا ويلنا الرابع ينادون الى المحشر اي يدعون الخامس ينادي المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه والكافر يا ليتني لم اوت كتابيه السادس ينادى باللعنة على الظالمين السابع يجاء بالموت على صورة كبش املح ثم يذبح وينادى في القيمة لا موت فيزداد اهل الجنة فرحا واهل النار حزنا على حزنهم الثامن قال ابو علي التنادي مخففا من الند من قولهم ند فلان اذا هرب وهو قراءة ابن عباس وفسرها فقال يندون كما يند الابل ويدل على صحة هذه القراءة قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الآية وقوله تعالى بعد هذه الآية يوم تولون مدبرين لانهم اذا سمعوا زفير النار ندوا هاربين فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فيرجعون الى المكان الذي كان فيه **الثانية** انتصب قوله يوم التناد لوجهين احدهما الظرف للتخوف كانه خافه ذلك اليوم لما يلحقهم من العذاب ان لم يؤمنوا والآخر ان يكون التقدير اني اخاف عليكم عذاب يوم التناد واذا كان كذلك كان انتصاب يوم انتصاب المفعول به لا انتصاب الظرف لان اعرابه اعراب المضاف المحذوف ثم قال تعالى يوم تولون مدبرين وهو بدل من قوله يوم التناد عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب الى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين ثم اكد التهديد فقال تعالى ما لكم من الله من عاصم ثم نبه على قوة ضلالتهم وشدة جهالتهم فقال تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد والله تعالى اعلم بالصواب

**قوله تعالى** ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار **واعلم** ان مؤمن آل فرعون لما قال ومن يضلل الله فما له من هاد ذكر لهذا مثالا وهو ان يوسف جاءهم بالبينات الباهرة فاصروا على الشك والشبهة ولم ينتفعوا بتلك الدلائل وهذا يدل على ان من اضله الله فما له من هاد وفي الآية مسائل **المسئلة الاولى** قيل ان يوسف هذا هو يوسف بن يعقوب عليه السلام ونقل صاحب الكشاف انه قيل هو يوسف بن يعقوب اقام فيهم سعا وعشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف بقي حيا الى زمانه وقيل هو فرعون آخر والمقصود من الكل شيء واحد وهو ان يوسف جاء قومه بالبينات والمراد بها قولان الاول ان المراد بالبينات قوله ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار والثاني ان المراد بها المعجزات وهذا اولى ثم ذكر انهم بقوا في نبوته شاكين مرتابين ولم ينتفعوا البتة بتلك البينات فلما مات قالوا لن يبعث الله من بعده رسولا وانما حكموا بهذا الحكم على سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان بل انما ذكروا ذلك ليكون ذلك اساسا لهم في تكذيب الانبياء الذين ياتون بعد ذلك وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا لاجل تصديق رسالة يوسف عليه السلام

وكيف وقد شكوا فيها وكذبوا بها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموما الى تكذيب رسالته ثم قال تعالى كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب اى مثل هذا الضلال يضل الله كل مسرف كذاب في عصيانه مرتاب في دينه قال الكعبي هذه الاية حجة لاهل العدل لانه تعالى بين كونهم ثم بين انه تعالى انما اضلهم لكونهم مسرفين مرتابين وحينئذ العبد ما لم يحصل على الدين فانه تعالى لا يضله ثم بين تعالى ما لاجله بقوا في ذلك الشك والاسراف فقال تعالى الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اى بغير حجة بل اما بناء على التقليد المجرد واما بناء على شبهة خسيسة كبر مقتا عند الله والمقت هو ان يبلغ المرء في البغض مبلغا عظيما فيمقته الله تعالى ويبغضه ويظهر خزيه وفيه مسايل **المسئلة الاولى** ذمه تعالى بانهم يجادلون في ايات الله بغير سلطان دلالة على ان الجدال بالحجة حسن وحق وفيه ابطال التقليد الثانية قال القاضي مقت الله اياهم يدل على ان فعلهم ليس بخلق الله تعالى لان كونه فاعلا للفعل وما قاله محال **المسئلة الثالثة** تدل الاية على انه يجوز وصف الله تعالى بانه قد يمقت بعض عباده الا ان ذلك صفة واجبة التاويل في حق الله تعالى كالغضب والحياء والتعجب والله اعلم ثم بين ان هذا المقت كما حصل من عند الله فكذلك قد حصل عند الذين امنوا ثم قال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قرا ابن عامر وقتيبة عن الكسائي قلب منونا متكبر صفة القلب والباقون بغير تنوين على اضافة القلب الى المتكبر قال ابو عبيد الاختيار الاضافة لوجوه الاول ان عبد الله قرا على قلب كل متكبر وشاهد لهذه القراءة الثاني ان وصف الانسان بالتكبر والجبروت اولى من وصف القلب بهما واما الذين قرءوا بالتنوين فقالوا ان التكبر قد يضاف الى القلب لقوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم وقال تعالى فانه اثم قلبه وايضا يمكن ان يكون ذلك على حذف المضاف في كل قلب متكبر وايضا قال قوم الانسان الحقيقي هو القلب وهذا البحث طويل قد ذكرناه في تفسير قوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك قالوا ومن اضاف فلا بد من تقدير حذف في التقدير يطبع على كل قلب كل متكبر الثانية الكلام في الطبع والرين والقسوة والغشاوة وقد سبق في هذا الكتاب بالاستقصاء واصحابنا يقولون قوله تعالى كذلك يطبع الله على ان الكل من الله تعالى والمعتزلة يقولون ان قوله كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار على ان هذا الطبع انما حصل لانه كان في نفسه متكبرا جبارا وعند هذا تصير الاية حجة لكل واحد من هذين الفريقين من وجه وعليه من وجه اخر والقول الثاني يخرج عليه الوجهان ما ذهبنا اليه وهو انه تعالى لخلق دواعي الكبر والرياسة في القلب فيصير تلك الدواعي مانعة عن حصول ما يدعو الى الطاعة والانقياد لامر الله تعالى فيكون القول بالقضاء والقدر حقا ويكون تعليل الصفة الذي يكونه متكبرا جبارا باقيا فثبت ان هذا المذهب الذي اخترناه في القضاء والقدر هو الذي ينطبق لفظ القرآن من اوله الى اخره عليه **المسئلة الثالثة** لا بد من بيان الفرق بين المتكبر والجبار قال مقاتل متكبر عن قبول التوحيد جبار في غير حق واقول كمال السعادة في امرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فقوله متكبر كالمضاد للتعظيم لامر الله تعالى والجبروت كالمضاد للشفقة على خلق الله والله اعلم

**قوله تعالى** وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب

**اعلم** انه تعالى لما وصف فرعون بكونه متكبرا جبارا بين انه بلغ في البله والحماقة الى ان قصد الصعود الى السموات وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** احتج الجم الكثير من المشبهة بهذه الاية في اثبات ان الله في السماء وقرروا ذلك من وجوه الاول ان فرعون كان من المنكرين لوجود الله تعالى فكل ما يذكره في صفات الله تعالى فذلك انما يذكره لاجل انه سمع ان موسى عليه السلام يصف الله تعالى بذلك فهو ايضا يذكره كما سمعه فلولا انه سمع موسى يصف الله بانه موجود في السماء والا لما طلبه في السماء الوجه الثاني انه قال واني لاظنه كاذبا ولم يبين انه كاذب فيماذا والمذكور السابق متعين لصرف الكلام اليه فكان التقدير فاطلع الى الاله الذي يزعم موسى انه موجود في السماء ثم قال تعالى واني لاظنه كاذبا واني لاظن موسى كاذبا في ادعائه ان الاله موجود في السماء وذلك يدل على ان دين موسى هو ان الاله موجود في السماء الوجه الثالث العلم بانه لو وجد اله لكان موجودا في السماء علم بديهي متقرر في كل العقول ولذلك فان الصبيان اذا تضرعوا الى الله تعالى رفعوا وجوههم وايديهم الى السماء وان فرعون مع نهاية كفره لما طلب الاله فقد طلبه في السماء وهذا يدل على ان العلم بان الاله موجود في السماء علم متقرر في عقل الصديق والزنديق والملحد والموحد والعالم والجاهل فهذا جملة استدلال المشبهة بهذه الاية والجواب ان هولاء الجهال يكفيهم في كمال الخزي والضلال ان جعلوا كلام فرعون حجة لهم على صحة دينهم واما موسى عليه السلام فانه لم يزد في تعريف اله العالم على ذكر صفات الخلاقية فقال في سورة طه ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال في سورة الشعراء ربكم ورب ابائكم الاولين ورب المشرق والمغرب وما بينهما فظهر ان تعريف ذات الله تعالى بكونه في السماء دين فرعون وتعريفه بالخلاقية والموجودية دين موسى فمن قال بالاول كان على دين فرعون ومن قال بالثاني كان على دين موسى ثم نقول لا نسلم ان كلما يقوله فرعون في صفات الله تعالى فذلك قد سمعه من موسى عليه السلام بل لعله لما سمع موسى عليه السلام واما قوله تعالى واني لاظنه كاذبا فنقول لعله لما سمع موسى عليه السلام قال رب السموات والارض ظن انه رب السموات والارض كما يقال للواحد منا انه رب الدار يعني كونه ساكنا فيه فلما غلب على ظنه ذلك حكى عنه وهذا ليس بمستبعد فان الخصم نسبه هذا الخيال اليه كان ذلك لا لعلمهم لانهم لما كانوا على دين فرعون وجب عليهم تعظيمه واما قوله بان فطرة فرعون شهدت بان الاله لو كان موجودا لكان في السماء قلنا نحن لا ننكر ان فطرة اكثر الناس تحملهم صحة ذلك لا سيما من بلغ في الحماقة الى درجة فرعون فثبت ان هذا الكلام ساقط والله تعالى اعلم **المسئلة الثانية** اختلف الناس في ان فرعون هل قصد بناء الصرح ليصعد منه الى السموات ام لا اما الظاهريون من المفسرين فقد قطعوا بذلك وذكروا حكايات طويلة في كيفية بناء ذلك الصرح والذي عندي انه بعيد والدليل عليه ان فرعون لا يخلو اما ان يقال انه كان من المجانين او من العقلاء فان قلنا انه كان من المجانين لم يجز من الله تعالى ان يذكر حكاية كلامه في القرآن واما ان قلنا انه كان من العقلاء فنقول ان كل عاقل يعلم ببديهة عقله انه يتعذر في قدرة البشر وضع بناء يكون ارفع من الجبل وبين ان ينظر من اعلى الجبال واذا كان هذان العلمان بديهيان امتنع ان يعتقد العاقل وضع بناء يصعد منه الى السماء واذا كان فساد هذا معلوما بالضرورة امتنع اسناده الى فرعون والذي عندي في تفسير هذه الاية

ان فرعون

[illegible]

انه الشيطان فنقول ان كان المزين لفرعون هو الشيطان فالمزين للشيطان ان كان شيطانا اخر لزم اثبات التسلسل في الشياطين او الدور وهو محال ولما بطل ذلك وجب انتهاء الاسباب والمسببات في درجات الحاجات الى واجب الوجود وايضا فنقول تعالى زين على ان الشيء مما لم يكن في اعتقاد الفاعل موصوفا بانه خير وسعه وحسن فانه لا يقدم عليه الا ان ذلك الاعتقاد ان كان صوابا فهو العلم وان كان خطأ فهو الجهل نفسه وانه انما يقصد تحصيل الجهل لنفسه اذا عرف كونه جهلا ومتى عرف كونه جهلا امتنع بقاؤه جهلا فثبت ان فاعل ذلك الجهل ليس هو ذلك الانسان ولا يجوز ان يكون فاعله هو الشيطان لان البحث الاول عائد بعينه فلم يبق الا ان يكون فاعله هو الله تعالى والله اعلم ويقوي ما قلناه ان صاحب الكشاف نقل انه قرئ وزين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل ويدل عليه قوله الى اله موسى ثم قال تعالى وما كيد فرعون الا في تباب والتباب الخسران والهلاك ونظيره قوله تعالى وما زادوهم غير تتبيب وقوله تعالى تبت يدا ابي لهب والله تعالى اعلم بالصواب

**قوله تعالى** وقال الذي امن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد ويا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الاخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا

من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لا جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد **اعلم** ان هذا من بقية كلام الذي امن من آل فرعون وذكر انه يدعوهم الى الايمان بموسى عليه السلام والتمسك بطاعته **واعلم** انه نادى قومه ثلاث مرات في المرة الاولى دعاهم الى قبول ذلك الدين على سبيل الاجمال وفي المرتين الباقيتين على سبيل التفصيل اما الاجمال فهو قوله تعالى يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد وليس المراد بقوله اتبعون طريقة التقليد لانه قال بعده اهدكم والهدى هو الدلالة ومن بين الادلة للغير يوصف بانه هداه وسبيل الرشاد هو سبيل الثواب والخير وما يؤدي اليه لان الرشاد نقيض الغي وفيه تصريح بان ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي واما قوله يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع والمعنى انه يستمتع بهذه الحياة الدنيا اياما قليلة ثم تنقطع وتزول واما الاخرة فهي دار القرار والبقاء والدوام وحاصل الكلام ان الاخرة باقية دائمة والدنيا منقضية منقرضة والدائم خير من المنقضي وقال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والاخرة خزفا باقيا لكانت الاخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والاخرة ذهب باق **واعلم** ان الاخرة كما ان النعيم فيها دائم فكذلك العذاب فكان الترغيب في النعيم الدائم والترهيب ثم بين كيف تحصل المجازاة في الاخرة واشار فيه الى ان جانب الرحمة غالب على جانب العقاب فقال من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها والمراد بالمثل ما يقابلها في الاستحقاق فان قيل كيف يصح هذا الكلام مع ان كفر ساعة يوجب عقاب الابد قلنا ان الكافر يعتقد في كفره كونه طاعة وايمانا فلهذا السبب يكون الكافر على عزم ان يبقى على ذلك الاعتقاد ابدا فلا جرم كان عقابه مؤبدا بخلاف الفاسق فانه يعتقد فيه كونه خيانة ومعصية فيكون على عزم ان لا يبقى مصرا عليه فلا جرم قلنا ان عقاب الفاسق منقطع اما الذي تقوله المعتزلة من ان عقابه مؤبدا فهو باطل لان مدة تلك المعصية منقطعة والعزم على الاتيان بها ايضا ليس دائما بل منقطع فمقابلته بعقاب دائم يكون على خلاف قوله تعالى من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها **واعلم** ان هذه الاية اصل كبير في علوم الشريعة فيما يتعلق باحكام الجنايات فانها تقتضي ان يكون المثل مشروعا وان يكون الزائد على المثل غير مشروع ثم نقول لما بينت الاية ان تلك المماثلة معتبرة في الامور فلو حملناه على رعاية المماثلة في جميع الامور صارت الاية عاما مخصوصا وقد ثبت في اصول الفقه ان التعارض اذا وقع بين الاجمال والتخصيص كان دفع الاجمال اولى فثبت ان نحمل على رعاية المماثلة من كل الوجوه الا في مواضع التخصيص واذا ثبت هذا فالاحكام الكثيرة في باب الجنايات على النفوس وعلى الاعضاء وعلى الاموال يمكن تفريعها على هذه الاية ثم نقول انه تعالى بين ان جزاء السيئة مقصور على المثل وبين ان جزاء الحسنة غير مقصور على المثل بل هو خارج عن الحساب فقال تعالى ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب **واحتج اصحابنا** بهذه الاية فقالوا قوله تعالى ومن عمل صالحا نكرة في معرض الشرط في جانب الاثبات فيجري مجرى ان يقال من ذكر كلمة او خطا خطوة فله كذا فانه يدخل فيه من كان اتى بتلك الكلمة وتلك الخطوة مرة واحدة فكذا ها هنا وجب ان يقال كل من عمل صالحا واحدا من الصالحات فانه يدخل الجنة ويرزق فيها بغير حساب والذي اتى بالايمان والمواظبة على التوحيد والتقديس مدة مائتين سنة فقد اتى باعظم الصالحات وباحسن الطاعات فوجب ان يدخل الجنة والخصم يقول انه يبقى مخلدا في النار ابد الاباد فكان ذلك على خلاف هذا النص الصريح قالت المعتزلة انه تعالى شرط كونه مؤمنا وصاحب الكبيرة عندنا ليس بمؤمن فلا يدخل في هذا الوعد والجواب انا بينا في اول سورة البقرة في تفسير قوله تعالى يؤمنون بالغيب ان صاحب الكبيرة مؤمن فسقط هذا الكلام **واختلفوا** في تفسير قوله تعالى يرزقون فيها بغير حساب فقيل من مال ما كان لا نهاية له كذلك الثواب حصل بغير حساب وقال اخرون لانه تعالى يعطيهم ثواب اعمالهم ويضم اليه من التفضل ما يخرج عن الحساب وقوله تعالى بغير حساب واقع في مقابلة الا مثلها يعني ان جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والقلة واقول هذا يدل على ان جانب الرحمة والفضل راجح على جانب القهر والعقاب فاذا عارضنا عمومات الوعد بعمومات الوعيد وجب ان يكون الترجيح بجانب عمومات الوعد وذلك يهدم قواعد المعتزلة ثم استانف ذلك المؤمن ونادى في المرة الثالثة فقال ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار يعني انا ادعوكم الى الايمان الذي يوجب النجاة وتدعونني الى الكفر الذي يوجب النار فان قيل لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني قلنا اما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وايقاظ عن سنة الغفلة واظهار ان له بهذا المهم مزيد اهتمام وعلى اولئك الاقوام فرط شفقة واما المجيء بالواو العاطفة فلان الثاني لا يكون على الاول لان الثاني بيان الاول والبيان غير المبين واما الثالث فانه كلام مباين للاول والثاني فحسن ايراد الواو العاطفة فيه ولما ذكر هذا المؤمن انه يدعوهم الى النجاة وهم يدعونه الى النار فسر ذلك بانهم يدعونه الى الكفر بالله والى الشرك به اما الكفر بالله تعالى فلان الاكثرين من قوم فرعون كانوا ينكرون وجود الاله ومنهم من كان يقر بوجود الاله الا انه كان يثبت عبادة الاصنام وقوله تعالى واشرك به ما ليس لي به علم المراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال واشرك به ما ليس باله وما ليس باله كيف يعقل جعله شريكا للاله ولما بين انهم يدعونه الى الكفر والشرك بين انه يدعوهم الى الايمان بالعزيز الغفار فقوله العزيز الغفار اشارة الى كونه كامل القدرة اما فرعون فهو في غاية العجز فكيف يكون الها واما الاصنام فانها احجار منحوتة فكيف يعقل القول بكونها الهة وقوله تعالى الغفار اشارة الى انه لا يجب ان ييأسوا من رحمة الله تعالى بسبب اصرارهم على الكفر مدة مديدة فان الاله العالم وان كان عزيزا لا يغلب قادرا لا يعارض لكنه غفار يغفر كفر مدة سبعين سنة بايمان ساعة واحدة ثم ان ذلك المؤمن قال لا جرم والكلام في تفسير لا جرم مر في سورة هود فقال تعالى لا جرم وشانه على مذهب البصريين ان يجعل لا ردا لما دعاه اليه

قومه



قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله اي حق ووجب بطلان دعوته او بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى اي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته بمعنى انه حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز ان يقال لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكان معنى لا بد انك تفعل كذا بمعنى انه لا بد من فعله فكذلك لا جرم ان لهم النار اي لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام اي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا وروي عن بعض العرب لا جرم انه تفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بد وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وعدم وعدم هذا كله الفاظ صاحب الكشاف ثم قال تعالى انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة والمراد ان الاوثان التي يدعون الى عبادتها ليس لها دعوة في الدنيا ولا في الاخرة وفي تفسير هذه الدعوة احتمالان الاول المعنى ان ما يدعون الى عبادته ليس له دعوة الى نفسه لانها جمادات والجمادات لا تدعو احدا الى عبادة نفسه وقوله في الاخرة يعني انه تعالى اذا قلبها حيوانا في الاخرة فانها تتبرأ من هؤلاء العابدين والاحتمال الثاني ان يكون قوله تعالى ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة معناه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الاخرة سميت استجابة الدعوة دعوة اطلاقا لاسم احد المتضايفين على الاخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم قال تعالى وان مردنا الى الله فبين ان هذه الاصنام لا فائدة فيها البتة ومع ذلك فان مردنا الى الله تعالى العالم بكل المعلومات القادر على كل الممكنات الغني عن كل الحاجات الذي لا يبدل القول لديه وما هو بظلام للعبيد فاي عاقل يجوز له عقله ان يشتغل بعبادة تلك الاشياء الباطلة وان يعرض عن عبادة هذا الاله الذي لا بد وان يكون مرده اليه اما قوله تعالى وان المسرفين هم اصحاب النار فقال قتادة هم المشركون وقال مجاهد السفاكون للدماء والصحيح انهم اسرفوا في معصية الله تعالى بالكمية والكيفية اما الكمية فالدوام واما الكيفية فبالعود والاصرار ولما بالغ مؤمن آل فرعون في هذه البيانات ختم كلامه بخاتمة لطيفة فقال تعالى فستذكرون ما اقول لكم وهذا الكلام منهم يوجب التخويف ويحتمل ان يكون المراد ان هذا الذكر يحصل في الدنيا وهو وقت الموت وان يكون في القيمة وقت مشاهدة الاهوال وبالجملة فهو تحذير شديد ثم قال تعالى وافوض امري الى الله وهذا كلام من هدد بامر يخافه فكانهم خوفوه بالقتل وهو ايضا خوفهم بقوله تعالى فستذكرون ما اقول لكم ثم عول في دفع تخويفهم وكيدهم ومكرهم على فضل الله تعالى بقوله تعالى وافوض امري الى الله وهو انما تعلم هذه الطريقة من موسى عليه السلام فان فرعون لما خوفه بالقتل رجع موسى عليه السلام في دفع ذلك الشر الى الله حيث قال اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب فقرأ نافع وابو عمرو امري بفتح الياء والباقون بالاسكان ثم قال تعالى ان الله بصير بالعباد اي عالم باحوالهم وبمقادير حاجاتهم وتمسك اصحابنا بقوله تعالى وافوض امري الى الله على ان الكل من الله تعالى وقالوا ان المعتزلة الذين قالوا ان الخير والشر يحصل بقدرتهم فقد فوضوا امر انفسهم اليهم وما فوضوها الى الحق تعالى اما المعتزلة فتمسكوا بهذه الاية فقالوا ان قوله افوض اعتراف بكونه فاعلا مستقلا بالفعل والمباحث المذكورة في قوله تعالى اعوذ بالله عائدة بتمامها في هذا الموضع والله اعلم وها اخر كلام مؤمن آل فرعون والله تعالى اعلم **قوله تعالى** فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى وما دعاء الكافرين الا في ضلال **اعلم** انه تعالى بين ان ذلك الرجل لما صرح بتقرير الحق وبالغ في الذب عنه فالله تعالى رد عنه كيد الكافرين وقصد القاصدين وقوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا يدل على انه لما صرح بالحق فقد قصدوه بنوع من انواع السوء قال مقاتل لما ذكر هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم الى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه وقيل المراد بقوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا انهم قصدوا ادخاله في الكفر وصرفه عن الاسلام فوقاه الله تعالى عن ذلك الا ان الاول اولى لان قوله بعد ذلك وحاق بآل فرعون سوء العذاب لا يليق الا بالوجه الاول وقوله تعالى وحاق بآل فرعون اي غرقوا في البحر وقيل بل المراد منه النار المذكورة في قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا قال الزجاج بدل من قوله سوء العذاب وقال جائز ايضا ان يكون مرتفعا على اضمار تفسير سوء العذاب كان قائلا قال ما سوء العذاب فقيل النار يعرضون عليها قرأ حمزة بكسر الحاء وكذلك في كل القران والباقون بالفتح اما قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ففيه مسائل المسألة الاولى احتج اصحابنا بهذه الاية على اثبات عذاب القبر قالوا الاية تقتضي عرض النار عليهم غدوا وعشيا وليس المراد منه يوم القيامة لانه قال ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وليس المراد منه ايضا الدنيا لان عرض النار عليهم غدوا وعشيا ما كان حاصلا في الدنيا فثبت ان هذا العرض انما حصل بعد الموت وقبل يوم القيامة وذلك يدل على اثبات عذاب القبر في حق هؤلاء واذا ثبت في حقهم ثبت في حق غيرهم لانه لا قائل بالفرق فان قيل لم لا يجوز ان يكون المراد من عرض النار عليهم غدوا وعشيا عرض النصائح عليهم في الدنيا لان اهل الدين اذا ذكروا لهم الترغيب والترهيب وخوفوهم بعذاب الله فقد عرضوا عليهم النار ثم نقول في الاية ما يمنع من حمله على عذاب القبر وبيانه من وجهين الاول ان ذلك العذاب يجب ان يكون دائما غير منقطع وقوله تعالى يعرضون عليها غدوا وعشيا يقتضي ان لا يحصل ذلك العذاب الا في هذين الوقتين فثبت ان هذا لا يمكن حمله على عذاب القبر الثاني ان الغدوة والعشية انما يحصلان في الدنيا اما في القبر فلا وجود لهما فثبت بهذين الوجهين انه لا يمكن حمل هذه الاية على عذاب القبر والجواب عن السؤال الاول ان في الدنيا عرض عليهم كلمات تذكرهم امر النار لا انه يعرض عليهم نفس النار فعلى قولهم يصير معنى الاية الكلمات المذكرة لامر النار كانت تعرض عليهم وذلك يفضي الى ترك ظاهر اللفظ والعدول الى المجاز اما قوله الاية تدل على حصول هذا العذاب في هذين الوقتين وذلك غير جائز قلنا فلم لا يجوز ان يكتفي في القبر بايصال العذاب اليه في هذين الوقتين ثم عند قيام القيامة يلقى في النار فيدوم عذابه بعد ذلك وايضا لا يمتنع

ان يكون ذكر الغدوة والعشية كناية عن الدوام كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اما قوله انه ليس في القبر والقيمة غدوة وعشية قلنا لم لا يجوز ان يقال ان عند حصول هذين الوقتين لاهل الدنيا تعرض عليهم العذاب والله اعلم **المسئلة الثانية** قرا نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم ادخلوا آل فرعون اي تعالى لخزنة جهنم ادخلوهم في اشد العذاب والباقون ادخلوا الى عند واحتج عليها بقوله تعالى يعرضون فهذا الفعل بهم فكذلك ادخلوا واما وجه القراءة الثانية فقوله ادخلوا ابواب جهنم وههنا اخر الكلام في قصة مؤمن آل فرعون **واعلم** ان الكلام في تلك القصة لما انجر الى شرح احوال اهل النار فقال تعالى واذ يتحاجون والمعنى واذكر يا محمد لقومك اذ يتحاجون اي يحاج بعضهم بعضا ثم شرح خصومتهم وذلك ان الضعفا يقولون للروسا انا كنا لكم تبعا في الدنيا قال صاحب الكشاف تبعا تباعا لهم في جمع خادم او ذو تبع اي اتباع او وصفا بالمصدر فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار اي فهل تقدرون على ان تدفعوا عنا ايها الروسا نصيبا من العذاب **واعلم** ان اولئك الاتباع يعلمون ان اولئك الروسا لا قدرة لهم على ذلك التخفيف وانما مقصودهم من هذا الكلام المبالغة في تخجيل اولئك الروسا وايلام قلوبهم لانهم هم الذين سعوا في ايقاع هولاء الاتباع في انواع الضلالات فعند هذا يقول الروسا انا كل فيها يعني انا كلنا واقعون في هذا العذاب فلو قدرت على ازالة العقاب عنك لدفعته عن نفسي ثم يقولون ان الله قد حكم بين العباد يعني يوصل الى كل احد مقدار حقه من النعيم او من العذاب ثم عند هذا يحصل الناس للاتباع من المتبوعين فيرجعون الى خزنة جهنم ويقولون لهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فان قيل لم لم يقل وقال الذين في النار لخزنتها بل قال وقال الذين في النار لخزنة جهنم قلنا فيه وجهان الاول ان يكون مقصودا من ذكر جهنم التهويل والتفظيع والثاني ان يكون جهنم اسم لموضع هو اشد المواضع قعرا وبعدا في جهنم من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وفيها اعظم اقسام الكفار عقوبة وخزنة ذلك الموضع يكون اعظم خزنة جهنم عند الله درجة فاذا عرف الكفار ان الامر كذلك استغاثوا بهم فاولئك الملائكة يقولون لهم اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات والمقصود ان قبل ارسال الرسل كان للقوم ان يقولوا انه ما جاءنا من نذير اما بعد مجي الرسل فلم يبق عذر ولا علة قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهذه الاية تدل على ان الوجوب لا يتحقق الا بعد مجي الشرع ثم ان اولئك الملائكة يقولون للكفار ادعوا انتم فانا لا نجترئ على ذلك ولا نشفع الا بشرطين احدهما كون المشفوع له مؤمنا والثاني حصول الاذن في الشفاعة ولم يوجد واحد من هذين الشرطين فاقدامنا على هذه الشفاعة ممتنعة لكن ادعوا انتم وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة وان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاه فكيف يسمع دعاء الكافر ثم يصرحون لهم بانه لا اثر لدعائهم فيقولون وما دعاء الكافرين الا في ضلال فان قيل ان الحاجة على الله تعالى محال واذا كان كذلك امتنع ان يقال انه يتأذى عن هولاء المجرمين بسبب جرمهم واذا كان التأذي محالا عليه كان شهوة الانتقام ممتنعة في حقه اذا ثبت هذا فنقول ايصال هذه المضار العظيمة الى اولئك الكفار اضرار لا منفعة فيه لله تعالى ولا لاحد من العبد فهو اضرار خالي عن جميع جهات المنفعة فكيف يليق بالرحيم الكريم ان يبقى على الايلام ابد الاباد ودهر الداهرين من غير ان يرحم حاجتهم ومن غير ان يسمع دعاهم ومن غير ان يلتفت الى تضرعهم وانكسارهم ولو ان اشقى الناس فعل مثل هذا التعذيب ببعض عبيده لدعاه كرمه ورحمته الى العفو عنه ان هذا السيد في محل النفع والضر والحاجة فاكرم الاكرمين كيف يليق به هذا الاضرار قلنا افعال الله تعالى لا تعلل ولا يسال عما يفعل وهم يسألون فلما جاءكم الحق به في الكتاب بالحق وجب الاقرار به والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى** ولقد اتينا موسى الهدى انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ولقد اتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار **اعلم** ان في كيفية النظم وجوها الاول انه تعالى لما ذكر وقاه الله موسى صلوات الله تعالى عليه وذلك المؤمن من مكر فرعون بين في هذه الاية انه ينصر رسله والذين امنوا معه الثاني لما بين من قبل ما يقع بين اهل النار من التخاصم وانهم عند الفزع الى خزنة جهنم يقولون الم تك تاتيكم رسلكم بالبينات اتبع تعالى ذلك بذكر الرسل وانه ينصرهم في الدنيا والاخرة والثالث وهو الاقرب عندي ان الكلام في اول السورة انما وقع من قوله تعالى ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد وامتد الكلام في الرد على اولئك المجادلين وعلى المحقين ابدا كانوا مشغولين بدفع كيد المبطلين فكل ذلك انما ذكره الله تعالى تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتصبيرا له على تحمل اذى قومه ولما بلغ الكلام في تقرير هذا المطلوب الى الغاية القصوى وعد تعالى رسوله عليه الصلوة والسلام بان ينصره على اعدائه فقال تعالى انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا اما في الدنيا فهو المراد بقوله تعالى ويوم يقوم الاشهاد فحاصل الكلام انه تعالى وعدنا به بنصرة الانبيا والرسل وسائر المؤمنين بنصرهم نصرة في الدنيا وفي الاخرة **واعلم** ان نصرة الله تعالى المحقين تحصل من وجوه احدها النصر بالحجة وقد سمى الله تعالى الحجة سلطانا في غير موضع وهذه النصرة عامة للمحقين اجمع ونعما سمى الله تعالى هذه النصرة سلطانا لان السلطنة في الدنيا قد تبطل وقد تتبدل بالفقر والذلة والحاجة اما السلطنة الحاصلة بالحجة فانها تبقى ابد الاباد ويمتنع تطرق الخلل والفتور اليها وثانيها انهم منصورون بالمدح والتعظيم فان الظلمة وان قهروا شخصا من المحقين الا انهم لا يقدرون على اسقاط مدحه عن السنة الناس وثالثها انهم منصورون بسبب مواظبتهم بما هو من النور الحجة وقوة النفس فانهم انما سطوا الى الظلمة والجهال كما سطو ملائكة السموات الى احسن الاشيا ورابعها ان المبطلين وان كان يتفق لهم ان يحصل لهم استيلا على المحقين ففي الغالب ان ذلك لا يدوم بل ينكشف للناس انه لما كان امرا واقعا على خلاف الحق وخامسها ان المحق ان تفوت له ان وقع في نوع المحذور فذلك يكون سببا لمزيد ثوابه وتعظيم درجاته وسادسها ان الظلمة والمبطلين كما يموتون يموت ذكرهم معهم

ولاسيما



ولا سيما في الدنيا اثر ولا خبر واما المحقون فان اثارهم باقية على وجه الدهر والناس بهم يقتدون في اعمال البر والخير وبهم يتبركون فهذا كله انواع نصرة الله للمحقين في الدنيا وسابعها انه تعالى قد ينتقم للانبيا والاوليا بعد موتهم كما نصر يحيى بن زكريا عليهما السلام فانه لما قتل قتل به سبعون الفا واما النصرة تعالى اياهم في الاخرة فذلك باعلاء درجاتهم من مراتب الثواب وكونهم مصاحبين لانبيا الله كما قال تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وحسن اولئك رفيقا **واعلم** ان في قوله تعالى انا لننصر رسلنا الى يوم يقوم الاشهاد دقيقة معتبرة وهي ان السلطان العظيم اذا خص بعض خواصه بالاكرام العظيم والتشريف الكامل عند حضور الجمع من اهل المشرق والمغرب كان ذلك الذ وابهج فقوله تعالى انا لننصر رسلنا الى يوم يقوم الاشهاد المقصود منه هذه الدقيقة واختلفوا في المراد بالاشهاد والضابط هو ان المراد كل من يشهد باعمال العباد يوم القيمة من ملك ونبي ومؤمن اما الملائكة فهم الكرام الكاتبون يشهدون بما شاهدوا واما الانبيا فقال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال المبرد ويجوز ان يكون واحد الاشهاد شاهدا كاطيار وطاير واصحاب وصاحب ويجوز ان يكون واحد الاشهاد شهيدا كاشراف وشريف وايتام ويتيم قال تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر لا تنفع بتاء التانيث المحذوفة والباقون بالياء لان المراد الاعتذار **واعلم** ان المقصود ايضا من شرح تعظيم اهل الثواب وذلك لانه تعالى بين انه ينصرهم في يوم يجتمع فيه الاولون والاخرون فحالهم في علو الدرجة في ذلك اليوم ما ذكرناه واما حال اعدائهم فهو انه حصلت لهم امور ثلاثة احدها انه لا ينفعهم شي من المعاذير البتة وثانيها ان لهم اللعنة وهذا يفيد الحصر يعني اللعنة مقصورة عليهم وهي الاهانة والاذلال وثالثها سوء الدار وهو العقاب الشديد فهذا اليوم اذا كانت الاعدا واقعين في هذه المراتب الثلاثة من الوحشة والظلمة ثم انه تعالى خص الانبيا والاوليا بانواع التشريفات الحاصلة في المجمع الاعظم فهناك يظهر ان سرور المؤمنين يكون وان غموم الكافرين الى ابن يبلغ فان قيل قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم تدل على انهم يذكرون الاعذار الا ان تلك الاعذار لا تنفعهم فكيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلنا قولنا لا تنفع الظالمين معذرتهم لا تدل على انهم ذكروا الاعذار بل ليس فيه الا انه ليس عندهم عذر مقبول نافع وهذا القدر لا يدل على انهم ذكروه ام لا وايضا فيقال يوم القيمة يوم طويل فيعتذرون في وقت ولا يعتذرون في وقت اخر ولما بين الله تعالى انه ينصر الانبيا والمؤمنين في الدنيا والاخرة ذكر نوعا من انواع تلك النصرة في الدنيا فقال تعالى ولقد اتينا موسى الهدى ويجوز ان يكون المراد تلك الدلايل القاهرة التي اوردها على فرعون واتباعه وكادهم بها ويجوز ان يكون المراد هو النبوة التي هي اعظم المناصب الانسانية ويجوز ان يكون المراد انزال التوريه عليه ثم قال تعالى واورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب ويجوز ان يكون المراد منه انه تعالى لما انزل التوريه على موسى عليه السلام بقي ذلك فيهم وتوارثوه خلفا عن سلف ويجوز ان يكون المراد ساير الكتب التي انزلها الله تعالى عليهم وهي كتب انبيا بني اسرائيل التورية والزبور والانجيل والفرق بين الهدى والذكرى ان الهدى يكون دليلا على الشي وليس من شرطه ان يذكر شيا اخر كان معلوما ثم صار منسيا واما الذكرى فهو الذي يكون كذلك فكتب الانبيا مشتملة على هذين القسمين بعضها دلايل في انفسها وبعضها مذكرات لما ورد في الكتب المتقدمة ولما بين ان الله تعالى ينصر رسله وينصر المؤمنين في الدنيا والاخرة وضرب المثال في ذلك بحال موسى عليه السلام خاطب بعد ذلك محمدا صلى الله عليه وسلم فقال تعالى فاصبر ان وعد الله حق فالله تعالى ناصرك كما نصرهم ومنجز وعده في حقك كما كان كذلك في حقهم ثم امره بان يقبل على طاعة الله فان من كان لله كان الله تعالى له **واعلم** ان مجامع الطاعات محصورة في قسمين التوبة عما لا ينبغي والاشتغال بما ينبغي والاول مقدم على الثاني بحسب الرتبة الذاتية فوجب ان يكون مقدما عليه في الذكر اما التوبة عما لا ينبغي فهو قوله تعالى واستغفر لذنبك والطاعنون في عصمة الانبيا عليهم السلام يتمسكون به ونحن نحمله على التوبة عن ترك الاولى والافضل او على ما كان قد صدر عنهم قبل النبوة وقيل ايضا المقصود منه محض التعبد كما في قوله تعالى ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك فان ايتا ذلك الشي واجب ثم انه امرنا بطلبه وكقوله تعالى رب احكم بالحق مع انا نعلم انه لا يحكم الا بالحق وقيل اضافة المصدر الى الفاعل والمفعول فقوله تعالى واستغفر لذنبك من باب اضافة المصدر الى المفعول اي واستغفر لذنب امتك في حقك واما الاشتغال بما ينبغي فهو قوله تعالى وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار والتسبيح عبارة عن تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به والعشي والابكار قيل صلوة العصر وصلوة الفجر وقيل الابكار عبارة عن اول النهار الى النصف والعشي عبارة عن النصف الى اخر النهار فيدخل الاوقات وقيل المراد طرفي النهار كما قال تعالى اقم الصلوة طرفي النهار وبالجملة فالمراد منه الامر بالمواظبة على ذكر الله تعالى وان لا يفتر اللسان عنه وان لا يغفل القلب عنه حتى يصير الانسان بهذا السبب داخلا في زمرة الملايكة كما قال تعالى في صفتهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون والله تعالى اعلم **قوله تعالى** ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسي قليلا ما تتذكرون ان الساعة لاتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون **واعلم** انا بينا ان الكلام في اول هذه السورة انما ابتدا للرد على الذين يجادلون في ايات الله واتصل البعض بالبعض وامتد على الترتيب الذي لخصناه والنسق الذي كشفنا عنه الى هذا الموضع ثم انه تعالى نبه على الداعية التي تحمل اولئك الكفار على تلك المجادلة فقال تعالى ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وذلك هو الكبر وهو الذي

يحملهم على هذا الجدال الباطل وذلك الكبر هو انهم لو سلموا نبوتك لزمهم ان يكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة وفي صدورهم كبر لا يرضون ان يكونوا في خدمتك فهذا هو الذي يحملهم على هذه المجادلات الباطلة والمخاصمات الفاسدة ثم قال تعالى ما هم ببالغيه يعني انهم يريدون ان لا يكونوا تحت يدك ولا يصلون الى هذا المراد بل لا بد وان يصيروا تحت امرك ونهيك ثم قال تعالى فاستعذ بالله اي فالتجئ اليه من كيد من يحسدك انه هو السميع بما يقولون ويقول البصير بما تعمل وما يعملون فهو يحكم بينك وبينهم فيحكم عليهم ويصونك من مكرهم وكيدهم واعلم انه تعالى لما وصفهم بانهم يجادلون في ايات الله بغير سلطان ولا حجة ذكر لهذا مثالا فقال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس والقادر على الاكبر قادر على الاقل لا محالة وتقرير هذا الكلام ان الاستدلال بالشي على غيره على ثلثة اقسام احدها ان يقال لما قدر على الاضعف وجب ان يقدر على الاقوى وهذا فاسد وثانيها ان يقال لما قدر على مثله فيجب ان يقدر عليه وهذا الاستدلال حق لما ثبت في العقول ان حكم الشي حكم مثله وثالثها ان يقال لما قدر على الاقوى الاكمل فبان يقدر على الاقل الارذل كان اولى وهذا الاستدلال في غاية الصحة والقوة ولا يرتاب فيه عاقل البتة ثم ان هولا القوم يسلمون ان خالق السموات والارض هو الله سبحانه وتعالى ويعلمون بالضرورة ان خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فكان من حقهم ان يقروا بان القادر على خلق السموات والارض يكون قادرا على اعادة الانسان الذي خلقه اولا فهذا برهان جلي في افادة هذا المطلوب ثم ان هذا البرهان على قوته صار بحيث لا يعرفه اكثر الناس والمراد منه الذين ينكرون الحشر والنشر فهذا المثال ثم ان هولا الكفار يجادلون في ايات الله بغير سلطان ولا حجة بل بمجرد الحسد والكبر والغضب ثم لما بين الله تعالى ان الجدال المقرون بالكبر والحسد والجهل كيف يكون وان الجدال المقرون بالحجة والبرهان كيف يكون نبه تعالى على الفرق بين البابين بذكر المثال فقال تعالى وما يستوي الاعمى والبصير يعني وما يستوي المستدل والجاهل المقلد ثم قال تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسي فالمراد بالاول التفاوت بين العالم والجاهل والمراد بالثاني التفاوت بين الاتي بالاعمال الصالحة وبين الاتي بالاعمال الفاسدة الباطلة ثم قال تعالى قليلا ما يتذكرون يعني انهم وان كانوا يعلمون ان العلم خير من الجهل وان العمل الصالح خير من العمل الفاسد الا انه قليلا ما يتذكرون في النوع المعين من الاعتقاد انه علم او جهل والنوع المعين من العمل انه عمل صالح او فاسد فان الحسد يعمي قلوبهم فيعتقدون في الجهل والتقليد انه محض المعرفة وفي الحسد والحقد والكبر انه محض الطاعة فهذا هو المراد من قوله تعالى قليلا ما يتذكرون قرا حمزة وعاصم والكسائي يتذكرون بالتاء على الخطاب اي قل لهم قليلا ما يتذكرون والباقون بالياء على الغيبة ولما قرر الدليل الدال على امكان وجود يوم القيمة اردفه بان اخبر عن وقوعها ودخولها في الوجود فقال ان الساعة لاتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يومنون والمراد باكثر الناس الكفار الذين ينكرون البعث والقيمة والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى**

وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شي لا اله الا هو فانى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون

**اعلم** انه تعالى لما بين ان القول بالقيمة حق وصدق وكان من المعلوم بالضرورة ان الانسان لا ينتفع في يوم القيمة الا بطاعة الله تعالى والتضرع الى الله تعالى لا جرم كان الاشتغال بالطاعة من اهم المهمات ولما كان اشرف انواع الطاعات الدعا والتضرع لا جرم امر الله تعالى به في هذه الاية فقال تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم واختلف الناس في المراد بقوله تعالى ادعوني فقيل انه الامر بالدعا وقيل انه الامر بالعبادة بدليل انه قال بعده ان الذين يستكبرون عن عبادتي وايضا الدعا بمعنى العبادة كثير في القران لقوله تعالى ان يدعون من دونه الا اناثا واجيب عنه بان الدعا اعتراف بالعبودية والذلة والمسكنة فكانه قيل ان تارك الدعا انما تركه لاجل ان يستكبر عن اظهار العبودية واجيب عن قوله ان تارك الدعا انما تركه لاجل انه مستكبر عن اظهار العبودية واجيب عن قوله ان الدعا بمعنى العبادة كثير في القران بان ترك الظاهر يصار اليه الا لدليل منفصل فان قيل كيف قال تعالى ادعوني استجب لكم وقد يدعي كثيرا فلا يستجيب اجاب الكعبي عنه بان قال الدعا انما يصح على شرط ومن دعا كذلك استجيب له وذلك الشرط هو ان يكون المطلوب بالدعا مصلحة وحكمة ثم سال نفسه فقال فما هو اصلح يفعله بلا دعا فما الفايدة في الدعا واجاب عنه من وجهين الاول ان فيه الفزع والانقطاع الى الله تعالى والثاني ان هذا ايضا وارد على الكل لانه ان علم انه يفعله فلا بد وان يفعله فلا فايدة في الدعا وان علم انه لا يفعله فانه البته لا يفعله فلا فايدة في الدعا فكل ما يقولونه ههنا فهو جوابنا بعينه تمام ما ذكره وعندي فيه وجه اخر وهو انه قال ادعوني استجب لكم فكل من دعا الله وفي قلبه ذرة من الاعتماد على ماله وجاهه واقاربه واصدقايه وجده واجتهاده فهو في الحقيقة ما دعا الله تعالى الا باللسان اما القلب فانه معول في تحصيل ذلك المطلوب على غير الله تعالى فالظاهر انه ما حصل الاستجابة اذا عرفت هذا ففيه بشارة كاملة وهي ان انقطاع القلب بالكلية عما سوى الله تعالى لا يحصل الا عند القرب من الموت فان الانسان قاطع في ذلك الوقت بانه لا ينفعه شي سوى الله تعالى فعلى القانون الذي ذكرناه وجب ان يكون الدعا في ذلك الوقت مقبولا عند الله تعالى ونرجو من فضل الله تعالى واحسانه ان يوفقنا للدعا المقرون بالاخلاص والتضرع في ذلك الوقت **واعلم** ان الكلام المستقصى في الدعا قد سبق ذكره في سورة البقرة ثم قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين وهذا احسان عظيم من الله تعالى حيث ذكر الوعيد الشديد على ترك الدعا فان قيل روي انه صلى الله عليه وسلم قال حكاية عن رب العزة جل جلاله من شغله ذكري عن مسلتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين فهذا الخبر يقتضي ان ترك الدعا افضل وهذه الاية تدل على ان ترك الدعا يوجب الوعيد الشديد فكيف الجمع بينهما قلنا لا شك ان العقل اذا كان مستغرقا في الثنا كان ذلك افضل من الدعا لان الدعا طلب الرخصة والاستغراق في معرفة جلال الله تعالى افضل من طلب الحصة اما اذا لم يحصل ذلك الاستغراق كان الاشتغال بالدعا اولى لان الدعا يشتمل على معرفة عز الربوبية وذلة العبودية ثم قال تعالى الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه **واعلم** ان نعطف ما قبله من وجهين الاول كانه تعالى قال اني انعمت عليك قبل طلبك بهذه النعم الجليلة العظيمة وما انعم قبل السوال



بهذه النعم الجليلة العظيمة وما انعم قبل السوال بهذه النعمة العالية فكيف لا اسمح بالاشيا القليلة بعد السوال والثاني انه تعالى لما امر بالدعا فكانه قيل الاشتغال بالدعا لا بد وان يكون مسبوقا بحصول المعرفة فما الدليل على وجود الاله القادر وقد ذكر الله تعالى هذه الدلايل الدالة على وجوده وقدرته وحكمته **فاعلم** ان بينا ان دلايل وجود الله تعالى وقدرته وحكمته اما فلكية واما عنصرية اما الفلكيات فاقسام كثيرة احدها تعاقب الليل والنهار وكان اكثر مصالح العالم مربوطا بهما فذكرهما الله تعالى في هذا المقام وبين ان الحكمة في خلق الليل حصول الراحة بسبب النوم والسكون والحكمة في خلق النهار الابصار ليحصل ممكن من التصرف فيهما على الوجه الذي لا ينفع واما السكون في وقت النوم بسبب الراحة فبيانه من وجهين الاول ان الحركات توجب الاعيا من حيث ان الحركة توجب السخونة والجفاف وذلك العاء والثاني ان الاحساس بالاشيا انما يمكن باتصال الارواح الحاسة الى ظاهر الحس ثم ان تلك الارواح الحاسة في باطن البدن وبرد وضرب تحصلت عن الاعيا وايضا الليل بارد رطب فبرده ورطوبته يسدا وكان ما حصل في النهار من الحر والجفاف واذا نام الانسان عادت الارواح الحاسه بسبب كثرة الحركات فهذه المنافع المعلومة من قوله تعالى الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه واما قوله تعالى والنهار مبصرا **فاعلم** ان الانسان مدني بالطبع ومعناه انه ما لم يحصل مدينة تامة لم تتم مهمات الانسان في ماكوله ومشروبه وملبوسه ومنكحه وتلك المهمات لا تحصل الا باعمال كثيرة في امور وهذه التصرفات لا تمكن الا بالضوء في النور حتى يميز الانسان بسبب ذلك النور بين ما يوافقه وما لا يوافقه فهذا هو الحكمة في قوله تعالى والنهار مبصرا فان قيل كان الواجب بحسب رعاية النظم ان يقال هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار لتبصروا فيه او يقال جعل لكم الليل ساكنا والنهار مبصرا ولكنه لم يقل ذلك بل قال في الليل لتسكنوا فيه وقال في النهار مبصرا فما الفايدة فيه وايضا فما الحكمة في تقديم ذكر الليل قلنا اما الجواب عن الاول فهو ان الليل والنوم في الحقيقة طبيعة عدمية فهو غير مقصود بالذات اما اليقظة فامور وجودية وهي مقصودة بالذات وقد بين الشيخ عبد القاهر النحوي في دلايل الاعجاز ان دلالة صيغة الاسم على الكمال والتمام اقوى من دلالة صيغة الفعل عليهما فهذا هو السبب في هذا الفرق والله اعلم واما الجواب عن الثاني فهو ان الظلمة طبيعة عدمية والنور طبيعة وجودية والعدم في المحدثات مقدم على الوجود ولهذا السبب قال في اول سورة الانعام وجعل الظلمات والنور **واعلم** انه تعالى لما ذكر نعمة الليل والنهار من المصالح والحكمة البالغة قال تعالى ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون والمراد ان فضل الله على الخلق كثير جدا ولكنهم لا يشكرونه **واعلم** ان ترك الشكر لوجوه احدها ان يعتقد الرجل ان هذه النعم ليست من الله تعالى مثل ان يعتقد ان هذه الافلاك واجبة الوجود لذواتها واجبة الدوران لذواتها فحينيذ هذا الرجل لا يعتقد ان هذه النعمة العظيمة اعني نعمة تعاقب الليل والنهار وحالات السموات من الله والثاني ان الانسان فاذا ابتلي ان لا يعتقد ان شيا منها عرف قدرها مثل ان يسعى بعض الناس والعياذ بالله تعالى ان يحبسه بعض الظلمة في ابار عميقة مظلمة مدة مديدة حتى يخلص من ذلك الانسان قدر نعمة الهوا الصافي وقدر نعمة الضو ورايت بعض الملوك كان يعذب بعض خدمه بان امر اقواما حتى يمنعوه عن الاستناد الى الجدار والنوم وعظم دفع هذا التعذيب فالثالث ان الرجل وان كان عارفا بمواقع هذه النعم الا انه يكون حريصا على الدنيا محبا للمال والجاه فاذا فاته المال الكثير والجاه العريض وقع في كفران هذه النعم العظيمة ولما كان اكثر الخلق هالكين في احد هذه الاودية الثلاثة التي ذكرناها لا جرم قال تعالى ولكن اكثر الناس لا يشكرون ونظيره قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وقول ابليس ولا تجد اكثرهم شاكرين ولما بين الله تعالى بتلك الدلايل المذكورة وجود الاله القادر الرحيم الحكيم قال تعالى ذلكم الله ربكم خالق كل شي لا اله الا هو قال صاحب الكشاف ذلكم المعلوم المميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم خالق كل شي لا اله الا هو اخبار مترادفة اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شي وانه لا ثاني له فاني تؤفكون والمراد فاني تصرفون ولم تعدلون عن هذه الدلايل وتكذبون بها ثم قال تعالى كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون يعني ان كل من جحد بايات الله ولم يتاملها ولم يكن فيه طلب الحق وخوف العاقبة افك كما افكوا والله تعالى اعلم **قوله تعالى**

الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسما بنا وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم تعقلون

**اعلم** انا بينا ان دلايل وجود الله تعالى وقدرته اما ان تكون من باب دلايل الافاق فالمراد كل ما هو غير الانسان من كل هذا العالم وهي اقسام كثيرة والمذكور منه في هذه الاية اقسام منها احوال الليل والنهار وقد سبق ذكره وثانيها الارض والسما بنا اي قايما ثابتا والا لوقعت علينا واما دلايل النفس فالمراد منها دلالة احوال بدن الانسان ودلالة احوال نفسه على وجود الصانع القادر الحكيم والمذكور منها في هذه الاية مسايل احدها ما هو حاصل مشاهد حال كماله حال والثاني ما كان حاصلا في ابتدا خلقه وتكوينه واما القسم الاول فانواع كثيرة والمذكور منها في هذه الاية انواع ثلثة اولها حدوث صورته وهو المراد بقوله تعالى وصوركم وثانيها احسن صورته

وهو المراد من قوله تعالى فاحسن صوركم وثالثها انه ورزقه من الطيبات وهو المراد من قوله تعالى ورزقكم من الطيبات وقد اطنبنا
في تفسير هذه الاشيا في هذا الكتاب مرارا لا سيما في تفسير قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم ولما ذكر الله تعالى هذه الدلايل الخمسة اثنين
من دلايل الافاق والثلاثة من دلايل النفس قال تعالى ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فتفسير تبارك اما الدوام والثبات واما
كثرة الخيرات ثم قال تعالى هو الحي لا اله الا هو وهذا يفيد الحصر وان لا حي الا هو فوجب ان يحمل ذلك على الحي الذي يمتنع ان يموت امتناعا ذاتيا وحينئذ
لا حي الا هو فكانه اجرى الشي الذي يجوز زواله مجرى المعدوم واعلم ان الحي عبارة عن الدراك الفعال والدراك اشارة الى العلم
التام والفعال اشارة الى القدرة الكاملة ولما نبه على هاتين الصفتين من صفات الجلال نبه على الصفة الثالثة وهي الوحدانية
بقوله لا اله الا هو ولما وصفه بهذه الصفات امر العباد بشيين احدهما بالدعا والثاني بالاخلاص فيه فقال فادعوه مخلصين له الدين
ثم قال الحمد لله رب العالمين فيجوز ان يكون المراد قولوا الحمد لله رب العالمين ويجوز ان يكون المراد انه لما كان موصوفا بصفات الجلال
والعزة استحق لذاته ان يقال الحمد لله رب العالمين ولما بين صفات العظمة قال تعالى قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون
من دون الله فاورد ذلك على المشركين بالين قول ليصرفهم عن عبادة الاوثان وبين ان وجه النهي في ذلك ما جاءني البينات
وتلك البينات ان الاله قد ثبت كونه موصوفا بصفات الجلال والعظمة على ما تقدم ذكره وصريح العقل يشهد بان العبادة لا تليق الا له
الا لله وان جعل الاحجار المنحوتة والخشب المصورة شركا له في العبودية مستنكر في بديهة العقل ولما بين انه نهى عن عبادة غير الله بين انه امر
بعبادة الله تعالى فقال تعالى وامرت ان اسلم لرب العالمين وانما ذكر هذه الاحكام في حق نفسه لانهم كانوا يعتقدون فيه انه في غاية العقل
وكمال الجوهر ومن المعلوم بالضرورة ان كل احد فانه يريد لنفسه الا الافضل الاكمل فاذا ذكر ان مصلحته لا تتم الا بالاعراض عن غير الله تعالى والاقبال
بالكلية على طاعة الله تعالى ظهر به ان هذا الطريق اكمل من كل ما سواه ثم قال تعالى هو الذي خلقكم من تراب واعلم انا قد ذكرنا ان الدلايل
على قسمين دلايل الافاق ودلايل النفس ودلايل الافاق كثيرة والمذكور منها في هذه الاية اربعة الليل والنهار والارض والسماء واما
دلايل الانفس فقد ذكرنا انها على قسمين احدهما الاحوال الحاضرة حال كمال الصحة وهي اقسام كثيرة والمذكور هنا ثلثة انواع الصورة
وحسن الصورة ورزق الطيبات واما القسم الثاني وهو كيفية تكون هذا البدن من ابتدا كونه نطفة وجنينا الى آخر الشيخوخة والموت
فالمذكور في هذه الاية فقال تعالى هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة فقيل المراد آدم وعندي لا حاجة اليه لان كل انسان فهو مخلوق
مخلوق من المني ومن دم الطمث والمني مخلوق من الدم فالانسان مخلوق من الدم والدم انما يتولد من الاغذية اما حيوانية واما
نباتية فيكون ذلك الحيوان كالحال في تكون الانسان والاغذية باسرها منتهية الى النبات والنبات انما يكون من التراب والما
فثبت ان كل انسان متكون من التراب ثم ان ذلك التراب يصير نطفة ثم علقة ثم بعد كونه علقة مراتب كثيرة الى ان ينفصل
من بطن الام فالله تعالى ترك ذكرها ههنا لاجل مراتبها اولها ان كونه طفلا وثانيها ان يبلغ اشده وثالثها الشيخوخة وهذا ترتيب
صحيح مطابق للعقل وذلك لان الانسان في اول عمره يكون في التزايد والنشو والنما وهو المسمى بالطفولية والمرتبة الثانية ان يبلغ
الى الكمال من غير ان يكون قد حصل فيه نوع من انواع الضعف وهذه المرتبة هي المراد من قوله تعالى لتبلغوا اشدكم والمرتبة الثالثة
ان يتراجع ويظهر فيه اثر من اثار الضعف والنقص وهذه المرتبة هي المراد من قوله تعالى ثم لتكونوا شيوخا واذا عرفت هذا
التقسيم عرفت ان المراتب الثلث بحسب هذا التقسيم لا يزيد على هذه الثلاثة قال صاحب الكشاف قوله تعالى لتبلغوا اشدكم متعلق
بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا ثم قال تعالى ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل الشيخوخة او من قبل هذه الاحوال اذا
خرج سقطا ثم قال تعالى ولتبلغوا اجلا مسمى معناه ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت وقيل يوم القيمة ثم قال تعالى
ولعلكم تعقلون [illegible] قوله تعالى هو الذي يحيي ويميت
فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اعلم انه تعالى لما ذكر [illegible]
[illegible]

قوله تعالى الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين اعلم انه تعالى عاد الى ذم الذين يجادلون في آيات الله فقال الم تر الى الذين

يجادلون



يجادلون في آيات الله انى يصرفون وهذا ذم لهم على ان يجادلوا في انكار آيات الله ودفعها والتكذيب بها فعجب تعالى بهم بقوله تعالى الم تر الى الذين
يجادلون في آيات الله انى يصرفون كما يقول الرجل لمن لا يزال يذهب به تعجبا من غفلته ثم بين انهم هم الذين كذبوا بالكتاب اي بالقران
وبما ارسلنا به رسلنا من ساير الكتب فان قيل سوف للاستقبال واذ للماضي بقوله تعالى فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم
مثل قولك سوف اصوم امس قلنا المراد من قوله تعالى اذ هو اذا لان الامور المستقبلة لما كانت في اخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا
عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال هذا لفظ صاحب الكشاف ثم انه تعالى وصف كيفية عقابهم فقال تعالى اذ الاغلال
في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم والمعنى انه يكون في اعناقهم الاغلال والسلاسل ثم يسحبون في الحميم بتلك السلاسل اي في الما المسخن
بنار جهنم ثم في النار يسجرون السجر في اللغة الايقاد في التنور ومعناه انهم في النار فهي محيطة بهم ويقرب منه قوله تعالى نار الله الموقدة التي
تطلع على الافيدة ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا اي غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم ثم قالوا بل لم نكن ندعوا
من قبل شيا اي تبين لنا انهم لم يكونوا شيا وان ما كنا نعبد بعبادتهم شيا كما تقول حسبت ان فلانا شي فاذا هو ليس بشي اذا
جربته فلم تجد عنده خيرا ونحوه ايضا ان يقال انهم كذبوا وانكروا انهم عبدوا غير الله كما اخبر الله تعالى عنهم في سورة الانعام انهم قالوا
والله ربنا ما كنا مشركين ثم قال تعالى كذلك يضل الله الكافرين قال القاضي معناه انه يضلهم عن طريق الجنة اذ لا يجوز ان يقال يضلهم عن
الحجة اذ قد هداهم في الدنيا اليها وقال تعالى يضل الله اي مثل ضلال الهتهم عنهم يضلهم عن الهتهم حتى انهم لو طلبوا الالهة او طلبهم
الالهة لم يجد احدهما الاخر ثم قال تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض اي ذلكم الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك
وعبادة الاوثان ادخلوا ابواب جهنم السبعة المقسومة لكم قال تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم خالدين فيها
فبئس مثوى المتكبرين والمراد منه ما قال في الاية المتقدمة في صفة هولا المجادلين ان في صدورهم الا كبر والله تعالى اعلم بالصواب
قوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فاذا
جاء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون واعلم انه تعالى لما تكلم من اول السورة الى هذه المرضع في تزييف طريقة الذين يجادلون
في آيات الله امر في هذه الاية رسوله بان يصبر على ايذايهم وايحاشهم بسبب تلك المجادلات ثم قال ان وعد الله حق
وعنى به ما وعد الله من نصرته ومن انزال العذاب على اعدايه ثم قال تعالى فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك قبل انزال العذاب
عليهم فالينا يرجعون يوم القيمة فينتقم منهم اشد الانتقام ونظيره قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك
الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون ثم قال تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك
والمعنى انه قال لمحمد صلى الله عليه وسلم انت كالرسل من قبلك وقد ذكرنا حال بعضهم لك ولم يذكر حال الباقين وليس فيهم احد اعطاه
الله تعالى آيات ومعجزات الا وقد جادله قومه فيها وكذبوه فيها وجرى عليهم من الهم ما يقارب ما جرى عليك فصبروا وكانوا
ابدا يقترحون على الانبيا اظهار المعجزات الزايدة على قدر الحاجة على سبيل العناد والتعنت ثم ان الله تعالى علم الصلاح في اظهار ما اظهره
والحكم نظيره ولم يكن ذلك قادحا في نبوتهم فكذلك الحال في اقتراح قومك عليك المعجزات الزايدة لما لم يكن اظهارها صلاحا لا جرم ما اظهرناها
وهذا هو المراد من قوله تعالى وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله ثم قال تعالى فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون وهذا
وعيد ورد عقيب اقتراح الايات وامر الله القيمة والمبطلون هم المعاندون الذين يجادلون في آيات الله ويقترحون المعجزات الزايدة
على قدر الحاجة على سبيل التعنت والله تعالى اعلم قوله تعالى الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها
تاكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم آياته فاي آيات الله
تنكرون اعلم انه تعالى لما اطنب في تقرير الوعيد الى ذكر ما يدل على وجود الاله الحكيم الرحيم والى ذكر انعامه وفي الاية سؤالات الاول انه
دخل لام الغرض على قوله لتركبوا منها وعلى قوله لتبلغوا ولم يدخل على البواقي فما السبب فيه الجواب قال صاحب الكشاف الركوب في الحج والغزو
اما ان يكون واجبا او مندوبا فهذان القسمان اغراض دينية فلا جرم ادخل عليها حرف التعليل واما الاكل واصابة المنافع
فمن جنس المباحات فلا جرم ما ادخل عليها حرف التعليل نظيره قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة فادخل التعليل
على الركوب ولم يدخله على الزينة الثاني اذا عرفت هذا فقوله لم يقل وفي الفلك تحملون معناه عليها وعلى الفلك تحملون في البر والبحر
والجواب كلمة على للاستعلا فالشي الذي يوضع في الفلك كما صح ان يقال وضع فيه صح ان يقال وضع عليه ولما صح الوجهان كانت لفظة
على اولى حتى يتم المزاوجة في قوله تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون ولما ذكر الله تعالى هذه الدلايل الكثيرة قال تعالى ويريكم آياته فاي آيات الله
تنكرون تنبيها على انه ليس في شي من الدلايل التي تقدم ذكرها ما يمكن انكاره قال صاحب الكشاف قوله تعالى فاي آيات الله جاء على اللغة
المستفيضة وقوله فاية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسما غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي
في اي اغرب لابهامه والله تعالى اعلم بالصواب قوله تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به
مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون
اعلم ان الله تعالى رتب ترتيبا لطيفا في آخر سورة وذلك انه ذكر فصلا في دلايل الالهيات وكمال القدرة والرحمة والحكمة
ثم اردفه بفصل التهديد والوعيد وهذا الفصل الذي وقع عليه ختم السورة وهو الفصل المشتمل على الوعيد والمقصود

ان هولاء الكفار الذين يجادلون في ايات الله وحصل الكبر العظيم في صدورهم والسبب في كل ذلك طلب الرياسة والتقدم على الغير في المال
والجاه فمن ترك الانقياد للحق لاجل طلب هذه الاشيا فقد باع الاخرة بالدنيا فبين تعالى ان هذه الطريقة فاسدة لان الدنيا فانية
ذاهبة **واحتج** عليه بقوله تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم يعني لو ساروا في اطراف الارض
لعرفوا ان عاقبة المتكبرين المتمردين ليس الا الهلاك والبوار مع انهم كانوا اكثر عددا وعدة ومالا وجاها من هولاء المتاخرين
فلما لم يستفيدوا من تلك المكنة والعظمة والدولة القاهرة الا الحسرة والخسار والحرقة والثبور فكيف يكون حال هولاء الفقراء
المساكين اما بيان انهم كانوا اكثر عددا فانما يعرف في الاخبار واما انهم كانوا اشد قوة واثارا في الارض فلانه قد بقيت حصون
عظيمة بعدهم مثل الاهرام الموجودة بمصر ومثل هذه البلاد العظيمة التي بناها الملوك المتقدمون ومثل ما حكى الله تعالى عنهم
من انهم كانوا ينحتون الجبال بيوتا ثم قال الله تعالى فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما موصولة او مصدرية ومحلها الرفع يعني اي شيء
اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم ثم بين تعالى ان اولئك الكفار لما جاتهم رسلهم بالبينات والمعجزات فرحوا بما عندهم من العلم **واعلم**
ان الضمير في قوله فرحوا يحتمل ان يكون عايدا الى الكفار وان يكون عايدا الى الرسل اما اذا قلنا انه عايد الى الكفار ففي ذلك العلم الذي
فرحوا به اي علم كان وفيه وجوه الاول ان يكون المراد الاشيا التي كانوا يسمونها بالعلم وهي الشبهات التي حكاها الله تعالى عنهم في القران كقوله
تعالى وما يهلكنا الا الدهر وقولهم لو شاء الله ما اشركنا ولا اباونا وقوله تعالى من يحيي العظام وهي رميم ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها
منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به علوم الانبيا كما قال تعالى كل حزب بما لديهم فرحون الثاني يجوز ان يكون المراد علوم الفلاسفة فانهم كانوا
اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبيا الى علومهم وعن سقراط انه سمع بمجيء بعض الانبيا فقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم
مهديون فلا حاجة الى من يهدينا الثالث يجوز ان يكون المراد علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى ظاهرا من الحياة الدنيا
وهم عن الاخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاتهم الرسل بعلوم الديانات وهي معرفة الله تعالى ومعرفة المعاد وتطهير النفس عن الرذايل
لم يلتفتوا اليها واستهزوا بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوايد من علمهم ففرحوا به واما اذا قلنا الضمير عايد الى الانبيا
ففيه وجهان الاول ان يجعل الفرح للرسل ومعناه ان الرسل لما راوا من قومهم جهلا كاملا واعراضا عن الحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم
من العقوبة على جهلهم واعراضهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله تعالى عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم الثاني ان يكون
المراد فرحوا بما عند الرسول من العلم فرح ضحك منه واستهزا به كانه قال استهزوا بالبينات وبما جاوا به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله
وحاق بهم ما كانوا به يستهزون ثم قال تعالى فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين البأس شدة العذاب ومنه
قوله تعالى بعذاب بئيس فان قيل اي فرق بين قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم قلنا هو مثل قوله تعالى ما كان لله
ان يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم فان قيل اذا ضابطا في الوقت الذي لا ينفع الايمان
بالايمان قلنا انه الوقت الذي يعاين فيه نزول ملايكة الرحمة والعذاب لان في ذلك الوقت يصير المرء ملجا الى الايمان فذلك الايمان لا ينفع
انما ينفع مع القدرة على خلافه حتى يكون المرء مختارا اما اذا عاينوا علامات الاخرة ثم قال تعالى سنة الله قد خلت في عباده والمعنى ان عدم
قبول الايمان حال الياس سنة الله مطردة في كل الامم ثم قال تعالى وخسر هنالك الكافرون فقوله تعالى هنالك مكان مستعار للزمان اي وخسروا
وقت رؤية البأس والله تعالى اعلم بتفسير هذه السورة بحمد الله تعالى وتوفيقه والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون
وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون قل انما انا
بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكوة
وهم بالاخرة هم كافرون ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون **اعلم** ان في اول هذه
السورة احتمالات احدها وهو الاقوى ان يقال حم اسم للسورة وهو في موضع المبتدا وتنزيل رفع بالابتدا وخبره كتاب
فصلت اياته ووجه اي قوله تنزيل تخصص بالصفة وهو قوله من الرحمن الرحيم مجاز وقوعه مبتدا **واعلم** انه تعالى
حكى على السورة المسماة بحم باشياء اولها كونها تنزيلا والمراد المنزل والتعبير عن المفعول بالمصدر مجاز مشهور يقولك
هذا بناء الامير اي مبنيه وهذا الدرهم ضرب السلطان اي مضروبه والمراد من كونها منزلا ان الله تعالى كتبها في اللوح المحفوظ
وامر جبريل عليه السلام ان يحفظ تلك الكلمات ثم ينزل بها على محمد صلى الله عليه وسلم ويبلغها اليه فلما حصل تفهيم هذه الكلمات بواسطة
نزول جبريل عليه السلام سمي بذلك تنزيلا وثانيها كون ذلك التنزيل من الرحمن الرحيم وذلك يدل على كون ذلك التنزيل نعمة عظيمة
من الله تعالى لان الفعل المقرون بالصفة لا بد وان يكون مناسبا لتلك الصفة فكونه تعالى رحمانا رحيما صفتان دالتان على كمال الرحمة
فالتنزيل المضاف الى هاتين الصفتين لا بد وان يكون دالا على اعظم وجوه النعمة والامر في نفسه كذلك لان الخلق في هذا العالم
كالمرضى والزمنى والمحتاجين والقران مشتمل على كل ما يحتاج اليه المرضى من الادوية وعلى ما يحتاج اليه الاصحاء من الاغذية وكانت
اعظم النعم من الله تعالى على اهل هذا العالم انزال القران عليهم وثالثها كونه كتابا وقد بينا ان هذا الاسم مشتق من الجمع وانما سمي كتابا
لانه جمع فيه علوم الاولين والاخرين ورابعها قوله تعالى فصلت اياته والمراد انه ميزت اياته وجعلت تفاصيل في معاني مختلفة



فبعضها وصف ذات الله تعالى وشرح صفات التنزيه والتقديس وشرح كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته وعجايب احوال خلقه السموات
والكواكب وتعاقب الليل والنهار وعجايب احوال النبات والحيوان والانسان وبعضها في احوال التكاليف المتوجهة نحو القلوب ونحو
الجوارح وبعضها في الوعد والوعيد والثواب والعقاب ودرجات اهل الجنة ودركات اهل النار وبعضها في المواعظ والنصايح وبعضها في تهذيب الاخلاق ورياضة النفس وبعضها في قصص الاولين وتواريخ الماضين
وبالجملة لمن انصف علم انه ليس في يد الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة والمباحث المتباينة مثل ما في القران وخامسها قوله
تعالى قرانا والوجه في تسميته قرانا قد سبق وقوله قرانا نصب على الاختصاص والمدح اي اريد بهذا الكتاب المفصل قرانا من صفته كيت وكيت وقيل
هو نصب على الحال وسادسها قوله تعالى عربيا والمعنى هذا القران انما نزل بلغة العرب وتاكد هذا بقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه وسابعها قوله تعالى لقوم يعلمون والمعنى انا جعلناه عربيا لاجل انا انزلناه على قوم عرب فجعلناه بلغة العرب ليفهموا منه
المراد فان قيل قوله تعالى لقوم يعلمون متعلق بماذا قلنا يجوز ان يتعلق بقوله تنزيل وبقوله تعالى فصلت اي تنزيل من الله لاجلهم
او فصلت اياته لاجلهم والاجود ان يكون صفة مثل ما قبله وما بعده اي قرانا عربيا كاينا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات
وثامنها وتاسعها قوله بشيرا ونذيرا يعني بشيرا للمطيعين بالثواب ونذيرا للمجرمين بالعقاب والحق ان القران بشارة ونذارة
الا انه اطلق اسم الفاعل عليه للتنبيه على كونه كاملا في هذه الصفة كما يقال شعر شاعر وكلام قايل وعاشرها كونهم
معرضين عنه لا يسمعونه ولا يلتفتون اليه فهذه هي الصفات العشرة التي وصف الله القران بها ويتفرع عليها مسايل المسالة
الاولى القايلون بخلق القران احتجوا بهذه الاية من وجوه الاول انه وصف القران بكونه تنزيلا ومنزلا والتنزيل مشعر بالتنقل
من حال الى حال فوجب ان يكون مخلوقا الثاني ان التنزيل مصدر والمصدر هو المفعول المطلق او المكتوب الذي هو المفعول الرابع
ان قوله فصلت يدل على ان متصرفا يتصرف فيه بالتفصيل وذلك لا يليق بالقديم الخامس انه انما سمي قرانا لانه قرن بعض اجزايه بالبعض
وذلك يدل على كونه مفعول فاعل ومجعول جاعل السادس وصفه بكونه عربيا وانما صحت هذه النسبة لاجل ان هذه الالفاظ
انما دلت على هذه المعاني بحسب وضع العرب واصطلاحاتهم وما حصل بجعل جاعل وبفعل فاعل فلا بد وان يكون محدثا مخلوقا
والجواب ان كل هذه الوجوه التي ذكرتموها عايدة الى اللغات والى الحروف والكلمات وهي عندنا محدثة مخلوقة انما الذي ندعي قدمه
شيء اخر سوى هذه الالفاظ والله اعلم **المسالة الثانية** ذهب اكثر المتكلمين الى انه يجب على المكلف تنزيل الفاظ القران على
المعاني التي هي موضوعة لها بحسب اللغة العربية فاما حمله على معاني اخر لا بهذا الطريق فهذا باطل قطعا وذلك مثل الوجوه التي
يذكرها اهل الباطن مثل انهم تارة يحملون الحروف على حساب الجمل وتارة يحملون كل حرف على شيء اخر وللصوفية طرق كثيرة في هذا الباب
ويسمونها علم المكاشفات والذي يدل على فساد تلك الوجوه باسرها قوله تعالى قرانا عربيا وانما سماه عربيا لكونه دالا على
هذه المعاني المخصوصة بوضع العرب وباصطلاحاتهم وذلك يدل على ان دلالة هذه الالفاظ لم تحصل الا على تلك المعاني
المخصوصة وان ما سواه فهو باطل **المسالة الثالثة** ذهب قوم الى انه حصل في القران من ساير اللغات كقولنا استبرق
وسجيل فانهما فارسيان وقولنا مشكاة فانها من الحبشة وقولنا من قسطاس فانه من لغة الروم والذي يدل على فساد هذا
المذهب قوله تعالى قرانا عربيا وقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الرابعة قالت المعتزلة لفظ الايمان والكفر
والصلوة والزكاة والصوم والحج الفاظ شرعية لا لغوية والمعنى ان الشرع نقل هذه الالفاظ عن مسمياتها اللغوية الاصلية
الى مسميات اخرى وعندنا ان هذا باطل وليس للشرع تصرف في هذه الالفاظ الا من وجه واحد وهو انه خصص هذه الاسما
بنوع معين من التصديق والصلوة عبارة عن دعاء مخصوص بالشرع بنوع معين من الدعاء وكذا القول في البواقي ودليلنا
على صحة مذهبنا قوله تعالى قرانا عربيا في معرض المدح والتعظيم ولا يحصل هذا المطلوب الا اذا ثبت ان لغة العرب متى كانت
تلك الاوضاع حاصلة فيه لا في غيره فنقول لا شك ان الكلام مركب من الكلمات المفردة وهي مركبة من الحروف فالكلمة لها مادة
وهي الحروف المستعملة ولها صورة وهي تلك الهيئة المعينة الحاصلة عند التركيب فهذه الفضيلة انما حصلت اما بحسب مادتها واما
بحسب صورتها اما التي بحسب مادتها فهي احاد الحروف **واعلم** ان الحروف على قسمين بعضها بينة المخارج ظاهرة المقاطع وبعضها
خفية المخارج مشتبهة المقاطع وحروف العرب باسرها ظاهرة المخارج بينة المقاطع لا يشتبه بالاخر واما الحروف المستعملة في ساير
اللغات فليست كذلك بل قد يحصل فيها حروف يشتبه بعضها بالبعض وذلك يخل بكمال الفصاحة وايضا الحركات المستعملة في
لغة العرب حركات ظاهرة جلية وهي النصب والرفع والجر وكل واحد من هذه الثلاثة باعتبار غيره امتيازا ظاهرا جليا واما الاشمام
والروم فيقل حصولهما في لغات العرب وذلك ايضا من جنس ما يوجب الفصاحة فاما الكلمات الحاصلة بسبب التركيب فهي انواع
احدها ان الحروف على قسمين متقاربة المخرج ومتباعدة المخرج وايضا الحروف على قسمين منها صلبة ومنها رخوة فيحصل
من هذا التقسيم اقسام اربعة المصلبة والمتقاربة والرخوة المتقاربة والصلبة المتباعدة والرخوة المتباعدة
فاذا توالى في الحركات حرفان صلبان متقاربان صعب اللفظ به لان بسبب تقارب المخرج يصير التلفظ به جاريا مجرى ما اذا
كان الانسان مقيدا ثم يمشي وبسبب صلابة تلك الحروف يتوارد الاعمال الشاقة القوية على الموضع الواحد من المخرج وتوالي
الاعمال الشاقة يوجب الضعف والاعيا وقيل هذا التركيب في هذه اللغة العربية قليلة وربما سرا ان حسن بعض الحروف الذ
واطيب لثقلها الوزن فنقول الكلمة اما ان يكون ثلاثية او رباعية او خماسية واعدلها هو الثلاثي لان الصوت انما يتولد
بسبب الحركة والحركة لا بد لها من مبدا ووسط ومنتهى فهذه مراتب ثلاث فالكلمة لا بد وان يحصل فيها من هذه المراتب
الثلاثة حتى يكون تامة اما الثنائية فهي ناقصة واما الرباعية فهي زايدة والغالب في كلام العرب موضوعها في ساير اللغات ليس كذلك

المسألة السادسة قوله تعالى لقوم يعلمون يعني انا جعلناه عربيا لاجل ان يعلموا المراد منه القائلون بان افعال الله تعالى معللة بالمصالح والحكمة تمسكوا بهذه الاية فقالوا انها تدل على انه انما جعله عربيا لهذه الحكمة فهذا يدل على ان تعليل افعال الله تعالى واحكامه جائزة المسألة السابعة قال قوم القران كله غير معلوم بل فيه ما يعلم وفيه ما لا يعلم وقال المتكلمون لا يجوز ان يحصل فيه شي غير معلوم والدليل عليه قوله تعالى قرانا عربيا لقوم يعلمون يعني انما جعلناه عربيا ليصير معلوما والقول بانه غير معلوم يقدح فيه المسألة الثامنة قوله تعالى فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون يدل على ان الهادي من هداه الله تعالى وان الضال من اضله الله تعالى وتقريره ان الصفات السبعة المذكورة للقران يوجب قوة الاهتمام بمعرفته وبالوقوف على معانيه لانا بينا ان كونه نازلا من عند الله الرحمن الرحيم يدل على اشتماله افضل المنافع واجل المطالب وكونه قرانا عربيا مفصلا يدل على انه في غاية الكشف والبيان وكونه بشيرا ونذيرا يدل على ان الاحتياج الى ما فيه من اهم المهمات لان سعي الانسان في معرفة ما يوصل الى الثواب او الى العقاب من اهم المهمات فقد حصلت هذه الموجبات الثلاثة في فهم القران وفي سدة الميل الى الاحاطة بهم مع ذلك فقد اعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه وسدوه ورا ظهورهم وذلك يدل على انه لا يهتدي الا من هداه الله تعالى ولا يضل الا من اضله الله تعالى واعلم انه تعالى لما وصف القران بانهم اعرضوا عنه ولا يسمعون بين انهم صرحوا بهذه النفرة والمباعدة وذكروا ثلاثة اشيا احدها انهم قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه واكنة جمع كنان كاغطية جمع غطا والكنان هو الذي يجعل فيه السهام وثانيها قوله تعالى ومن بيننا وبينك حجاب والحجاب هو الذي يمنع من الروية والفايدة في كلمة من في قوله لكان المعنى ان الحجاب ابتدا منا وابتدا منك فالحاصل بيننا وبينك مستوعبة بالحجاب وما بقي جزء منها فارغا عن هذه الحجاب وكانت هذه اللفظة الدالة على قوة هذا الحجاب هكذا ذكره صاحب الكشاف وهو في غاية الحسن واعلم انه انما وقع الاقتصار على هذه الاعضاء الثلاثة وذلك لان القلب محل المعرفة وسلطان البدن والسمع والبصر هما الالتان المعينتان لتحصيل المعارف فلما بين ان هذه الثلاثة محجوبة كان ذلك اقصى ما يمكن في هذا الباب واعلم انه اذا تاكدت النفرة عن الشي صارت تلك النفرة في القلب فاذا سمع كلامه لم يفهم منه معناه كما ينبغي واذا راه لم يعجبه تلك الروية سيا والوقوف على دقايق احوال ذلك المرئي في ذلك لان المدرك والشعور هو النفس وشدة قوة النفس على الشي تمنعها من التدبير والوقوف على دقايق ذلك الشي فاذا كان الامر كذلك كان قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب استعارات كاملة في افادة المعنى المراد فان قيل انه تعالى حكى عن هذا المعنى عن الكفار في معرض الذم وذكر ايضا ما يقرب منه في معرض الذم فقال تعالى وقالوا قلوبنا في اكنة وقال تعالى وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم ثم انه تعالى ذكر هذه الاشيا الثلاثة بعينها في معرض التقرير والاثبات في سورة الانعام فقال تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا فكيف الجمع ههنا قلنا انه لم ينقل ههنا انهم كذبوا في ذلك انما الذي ذمهم عليه انهم قالوا اذا كنا كذلك لم يجز تكليفنا وتوجيه الامر والنهي علينا وهذا الكلام الثاني باطل اما الاول فليس في الاية ما يدل على انهم كذبوا فيه واعلم انهم لما وصفوا انفسهم بهذه الصفات الثلاثة قالوا فاعمل اننا عاملون والمراد فاعمل على دينك فاننا عاملون على ديننا ويجوز ان يكون المراد فاعمل في ابطال امرنا اننا عاملون في ابطال امرك والحاصل ان عند القوم ما كذبوا في قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب بل انما قالوا ما لعزو الكلام الباطلة في قلوبهم فاعمل اننا عاملون ثم حكى الله تعالى عنهم بهذه الشبهة امر محمدا صلى الله عليه وسلم ان يجيب عن هذه الشبهة بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي وبيان هذا الجواب كانه يقول لا اقدر ان احملكم على الايمان جبرا وقهرا فاني بشر مثلكم ولا امتياز بيني وبينكم الا بمجرد ان الله عز وجل اوحى الي وما اوحى اليكم فانا ابلغ هذا الوحي اليكم ثم من بعد ذلك ان شرفكم الله بالتوفيق قبلتموه وان خذلكم بالحرمان رددتموه وذلك لا يتعلق بنبوتي ورسالتي ثم بين ان خلاصة ذلك الوحي يرجع الى امرين العلم والعمل اما العلم فالراس والرئيس فيه معرفة التوحيد وذلك لان الحق هو ان الله واحد وهو المراد من قوله تعالى انما الهكم اله واحد واذا كان الحق في نفس الامر ذلك وجب علينا ان نعترف به وهو المراد من قوله تعالى فاستقيموا اليه ونظيره قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وفي قوله تعالى فاستقيموا اليه وجهان الاول فاستقيموا متوجهين اليه والثاني الذي يكون قوله تعالى فاستقيموا اليه معناه فاستقيموا له لان حروف الجر يقام بعضها مقام البعض واعلم ان التكليف له ركنان احدهما الاعتقاد والراس والرئيس فيه اعتقاد التوحيد فلما اشتغل الى وظيفة العمل والراس والرئيس الاستغفار قال تعالى واستغفروه فان قيل المقصود من الاستغفار التوبة ازالة ما لا ينبغي وذلك مقدم على فعل ما ينبغي فلم عكس هذا الترتيب ههنا وقدم فعل ما ينبغي على ازالة ما لا ينبغي قلنا ليس المراد من هذا الاستغفار الاستغفار عن الكفر بل المراد منه ان يعمل ثم يستغفر بعده لاجل الخوف من وقوع التقصير في العمل الذي اتى به كما قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله تعالى في اليوم والليلة سبعين مرة ولما رغب الله تعالى في الخير والطاعة امره بالتحذير عما لا ينبغي فقال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم كافرون وفي هذه الاية مسايل المسألة الاولى وجه النظم في هذه من وجوه الاول ان العقول والشرايع ناطقة بان خلاصة السعادات مربوطة بامرين التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله تعالى وذلك لان الموجود اما الخالق واما الخلق اما الخالق تعالى فكمال السعادة في المعاملة معه ان تقر بكونه موصوفا بصفات الجلال والعظمة ثم تاتي بافعال دالة على كونه في نهاية العظمة في اعتقادنا وهذا هو المراد من التعظيم لامر الله تعالى واما الخلق فكمال السعادة في المعاملة معهم ان تسعى في دفع الشر عنهم وفي ايصال الخير اليهم وذلك هو المراد من الشفقة على خلق الله فثبت ان اعظم الطاعات التعظيم لامر الله وافضل انواع التعظيم لامر الله الاقرار

يكونه

بكونه واحدا واذا كان هذا التوحيد اعلى المراتب واشرفها كان ضده وهو الشرك اخس المراتب وارذلها واردها ولما كان افضل المعاملة مع الخلق هو اظهار الشفقة عليهم كان الامتناع من الزكاة اخس الاعمال لانها ضد الشفقة على خلق الله تعالى اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى اثبت الويل لمن كان موصوفا بصفات ثلاثة اولها ان يكون مشركا وهو ضد التوحيد واليه الاشارة بقوله تعالى وويل للمشركين وثانيها كونه ممتنعا من الزكاة وهو ضد الشفقة على خلق الله تعالى واليه الاشارة بقوله تعالى الذين لا يؤتون الزكاة وثالثها كونه منكرا للقيامة مستغرقا في طلب الدنيا ولذاتها واليه الاشارة بقوله تعالى وهم بالاخرة هم كافرون وتمام الكلام في انه لا زيادة على هذه المراتب الثلاثة ان الانسان له ثلاثة ايام امس واليوم والغد اما معرفة انه كيف كانت الاحوال بالامس في الازل فهو معرفة الازلي الخالق لهذا العالم واما معرفة انه كيف ينبغي وقوع الاحوال في اليوم الحاضر فهو الاحسان الى اهل العلم بقدر الطاقة واما معرفة الاحوال في اليوم المستقبل فهو الاقرار بالبعث والقيامة واذا كان الانسان على ضد الحق في هذه المراتب الثلاثة كانت في نهاية الجهل والضلال فلهذا حكم الله تعالى عليه بالويل فقال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم كافرون وهذا مرتب في غاية اعلم ان الوجه الثاني في تقرير كيفية النظم ان يقال المراد بقوله تعالى الذين لا يؤتون الزكاة اي لا يزكون انفسهم من لوث الشرك بقولهم لا اله الا الله وهو ماخوذ من قوله تعالى ونفس وما سواها الثالث قال الفراء ان قريشا كانت تطعم الحاج فحرموا ذلك على من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم المسألة الثانية احتج اصحابنا في اثبات ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام بهذه الاية فقالوا انه تعالى الحق الوعيد الشديد بفاعل امرين احدهما كونه مشركا والثاني انه لا يؤتي الزكاة فوجب ان يكون لكل واحد من هذين الامرين اثر في حصول ذلك الوعيد وذلك يدل على ان لعدم ايتاء الزكاة من المشرك اثر عظيم في زيادة الوعيد وذلك هو المطلوب الثالثة احتج بعضهم على ان الامتناع من ايتاء الزكاة يوجب الكفر فقال انه تعالى لما ذكر هذه الصفة ذكر قبلها ما يوجب الكفر وهو قوله تعالى وهم بالاخرة هم كافرون فلو لم يكن عدم ايتاء الزكاة كفرا لكان ذكره فيما بين الوصفين الموجبين للكفر قبيحا لان الكلام انما يكون فصيحا اذا كانت المناسبة مرعية بين اجزايه ثم اكدوا ذلك بان ابا بكر الصديق رضي الله عنه حكم بكفر مانعي الزكاة والجواب لما ثبت بالدليل ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان وهما حاصلان عند عدم ايتاء الزكاة لم يلزم حصول الكفر بسبب عدم ايتاء الزكاة والله تعالى اعلم ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار اردفه بوعد المؤمنين فقال تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع من قولك مننت الحبل اي قطعته ومنه قولهم قد منته السفر اي قطعه وقيل لا يمن عليهم لانه تعالى لما سماه اجرا فاز الاجرة لا توجب المنة وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون والله تعالى اعلم

قوله تعالى قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسايلين ثم استوى الى السما وهي دخان فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سما امرها وزينا السما الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم

اعلم انه تعالى لما امر محمدا صلى الله عليه في الاية الاولى ان يقول انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه اردفه بما يدل على انه لا يجوز اثبات الشركة بينه وبين الله تعالى وبين هذه الاصنام في الالهية والعبودية وذلك بان بين كمال قدرته وحكمته في خلق السموات والارض في مدة قليلة فمن هذا صفته كيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة شركا له في الالهية والعبودية فهذا تقرير النظم وفي الاية مسايل المسألة الاولى قرا ابن كثير اينكم لتكفرون بهمزة وما بعدها خفيفة ساكنة بلا مد الثانية قوله تعالى اينكم استفهام بمعنى الانكار وذكر منهم شيين منكرين احدهما الكفر بالله تعالى وهو قوله تعالى اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وثانيها اثبات الشركا والانداد له ويجب ان يكون الكفر المذكور اولا مغايرا لاثبات الانداد له ضرورة انه عطف احدهما على الاخر فوجب التغاير والاظهر ان المراد من كفرهم وجوه الاول قولهم ان الله تعالى لا يقدر على نشر الموتى فلما نازعوا في ثبوت هذه القدرة فقد كفروا بالله تعالى والثاني انهم كانوا ينازعون في صحة التكليف وفي بعثة الانبيا وكل ذلك قدح في الصفات المعتبرة وهو كفر بالله تعالى والثالث انهم كانوا يضيفون اليه الاولاد وذلك ايضا قدح في الالهية وهو يوجب الكفر فالحاصل انهم كفروا بالله تعالى لاجل قولهم بهذه الاشيا واثبتوا الانداد ايضا لاجل الله لاجل قولهم بالهية تلك الاصنام واحتج تعالى على فساد قولهم بالمذكور فقال كيف يجوز الكفر بالله وكيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة اندادا لله تعالى مع انه تعالى هو الذي خلق الارض في يومين اخرين وتمم بقية مصالحها في يومين اخرين وخلق السموات باسرها في يومين اخرين فمن قدر على خلق هذه الاشيا العظيمة كيف يعقل الكفر به وانكار قدرته على الحشر والنشر وكيف يعقل انكار قدرته على التكليف وعلى بعثة الانبيا وكيف يعقل جعل هذه الاصنام الخسيسة اندادا له في العبودية والالهية فان قيل من استدل بشي على اثبات شي فذلك الشي المستدل به يجب ان يكون مسلما عند الخصم حتى يصح الاستدلال بكونه تعالى خالقا للارض في يومين امر لا يمكن اثباته بالعقل المحض وانما يمكن اثباته بالسمع ووحي الانبيا والكفار كانوا منازعين في الوحي والنبوة فلا تعترفون بهذه المقدمة عليهم وامتنع تقرير هذه المقدمة عليهم وامتنع تقريرها عليهم امتنع الاستدلال بها على فساد مذاهبهم قلنا اثبات كون السموات والارض مخلوقة بطريق العقل ممكن فلئن ثبت ذلك امكن الاستدلال به على وجود الاله القادر القاهر العظيم وحينئذ يقال للكفار فكيف يعقل التسوية بين الاله الموصوف بهذه القدرة القاهرة وبين الصنم الذي هو جماد لا يضر ولا ينفع في العبودية والالهية بقي ان يقال فحينئذ لا يبقى في هذا الاستدلال بكونه تعالى خالقا للارض في يومين اثر فنقول هذا السؤال انما يتوجه على الباب وذلك لان التوبة مسملة على هذا المعنى فكان ذكرا في غاية

الشهرة بين اهل الكتاب وكفار مكة يعتقدون في اهل الكتاب انهم اصحاب العلوم والحقايق الظاهرة انهم كانوا قد سمعوا من اهل الكتاب بهذه المعاني واعتقدوا في كونها حقه واذا كان الامر كذلك فحينئذ يحسن ان يقال لهم ان الاله الموصوف بالقدرة على خلق هذه الاشيا العظيمة في هذه المدة الصغيرة كيف يليق بالعقل جعل الخشب المنحوت والحجر المنحوت شريكا له في العبودية والالهية فظهر بما قررنا ان هذا الاستدلال قول حسن واما قوله تعالى ذلك رب العالمين اي ذلك الموجود علمت من صفته وقدرته انه خلق الارض في يومين هو رب العالمين وخالقهم وموجدهم فكيف اثبتم له اندادا من الخشب والحجر ثم انه تعالى لما اخبر عن كونه خالقا الارض في يومين اخبر انه اتى بثلثة انواع من الصنعة العجيبة والفعل البديع بعد ذلك فالاول قوله تعالى وجعل فيها رواسي من فوقها والمراد منها الجبال وقد تقدم تفسير كونها رواسي في سورة النحل فان قيل الفايدة في قوله تعالى من فوقها ولم يقتصر على قوله وجعل فيها رواسي شامخات وجعلنا في الارض رواسي وجعل رواسي قلنا انه تعالى لو قدرها رواسي من تحتها اوهم ذلك ان تلك الاساطين التحتانية هي التي سكت هذه الارض الثقيلة عن النزول ولكنه تعالى خلقت هذه الجبال الثقيلة فوق الارض ليرى الانسان بعينيه ان الارض والجبال اثقال على اثقال وكلها مفتقرة الى ممسك وحافظ وما ذاك الحافظ المدبر الا الله سبحانه وتعالى والنوع الثاني اخبر الله تعالى في هذه الاية قوله وبارك فيها والبركة الخير والخيرات الحاصلة من الارض اكثر مما يحيط به الشرح والبيان وقد ذكرناها بالاستقصا في سورة البقرة قال ابن عباس يريد شق الانهار وخلق الجبال وخلق الاشجار والثمار وخلق اصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه من الخيرات والنوع الثالث قوله تعالى وقدر فيها اقواتها وفيه اقوال الاول ان المعنى وقدر فيها اقوات اهلها ومعايشهم وما يصلحهم قال محمد بن كعب قدر اقوات الابدان قبل ان يخلق الابدان والقول الثاني قال مجاهد وقدر فيها اقواتها من المطر وعلى هذا القول فالاقوات للارض لا للسكان والمعنى ان الله تعالى قدر لكل ارض حظها من المطر والقول الثالث ان المراد من اضافة القوت الى الارض كونها متولدة في تلك الارض وحادثة فيها لان النحويين قالوا يكفي في حسن الاضافة ادنى سبب فالشي قد يضاف الى فاعله تارة والى محله الاخرى فقوله تعالى وقدر فيها اقواتها اي قدر الاقوات التي يختص حدوثها بها وذلك لانه تعالى جعل كل بلدة معدنا لنوع اخر من الاشيا المطلوبة حتى ان اهل هذه البلدة يحتاجون الى الاشيا المتولدة في تلك البلدة وبالعكس فصار هذا المعنى سببا لرغبة الناس في التجارات من اكتساب الاموال ورايت من كان يقول صنعة الزراعة والحياكة اكبر الحرف والصنايع بركة لان الله تعالى وضع الارزاق والاقوات في الارض قال فيها وقدر واذا كانت الاقوات موضوعة في الارض كان طلبها من الارض متعينا ولما ذكر الله تعالى هذه الانواع الثلثة من التدبير قال بعده في اربعة ايام سوا للسايلين وههنا سؤالات **السؤال الاول** انه تعالى ذكر انه خلق الارض في يومين وذكر انما صلح هذه الانواع الثلاثة في اربعة اخرى وذكر انه خلق السموات في يومين فيكون المجموع ثمانية ايام لكنه ذكر في ساير الايات انه خلق السموات والارض في ستة ايام فلزم التناقض واعلم ان العلما اجابوا عنه بان قالوا المراد من قوله تعالى وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام مع اليوم الاولين وهذا كقول القائل سرت من البصرة الى بغداد في عشرة ايام وسرت الى الكوفة في خمسة عشر يريد كل المسافتين ويقول الرجل للرجل اعطيتك الفا في شهر والوفا في شهرين فيدخل الالف في الالوف والشهر في الشهرين **السؤال الثاني** انه لما ذكر انه خلق الارض في يومين فلو ذكر انه خلق هذه الانواع الثلثة الباقية في يومين اخرين كان ابعد عن الشبهة وابعد عن الغلط فلم ترك هذا التصريح وذكر ذلك الكلام المجمل والجواب ان قوله في اربعة ايام سوا فيه فايدة على ما اذا قال خلقت هذه الثلاثة في يومين وذلك لانه لو قال خلقت هذه الاشيا في يومين لم يفد هذا الكلام كون اليومين مستغرقين بتلك الاعمال لانه قد يقال عملت هذا العمل في يومين مع ان اليوم ما كان مستغرقا في ذلك العمل اما لما ذكر خلق الارض وخلق هذه الاشيا ثم قال تعالى في اربعة ايام سوا دل ذلك على ان هذه الايام الاربعة صارت مستغرقة في تلك الاعمال من غير زيادة ونقصان **السؤال الثالث** كيف القراة في قوله سوا الجواب قال صاحب الكشاف قرئ سوا بالحركات الثلاثة الجر على الوصف والنصب على استوت سوا اي استوا والرفع على هي سوا **السؤال الرابع** ما المراد من كون تلك الايام الاربعة سوا فنقول ان الايام قد تكون متساوية المقادير كالايام الموجودة في مساكن خط الاستوا وقد يكون مختلفة كالايام الموجودة في ساير المساكن فبين تعالى ان تلك الايام الاربعة كانت متساوية غير مختلفة **السؤال الخامس** بم تعلق قوله تعالى للسايلين الجواب فيه وجهان الاول ان الزجاج قال قوله تعالى في اربعة ايام اي في تتمة اربعة ايام اذا عرفت هذا فالتقدير وقدر فيها اقواتها في تتمة اربعة ايام لاجل السايلين اي الطالبين للاقوات المحتاجين اليها والثاني انه متعلق بمحذوف والتقدير كانه قيل هذا الحصر والبيان لاجل من سال كم خلقت الارض وما فيها ولما شرح الله تعالى كيفية تخليق الارض وما فيها اتبعه بكيفية تخليق السموات والارض فقال تعالى ثم استوى الى السما وهي دخان وفيه مباحث **الاول** قوله تعالى ثم استوى الى السما من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلتفت معه الى اخر وهو من الاستوا الذي هو ضد الاعوجاج ونظيره قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السما بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك **البحث الثاني** ذكر صاحب الاثر انه كان عرش الله على الما قبل خلق السموات والارض فاحدث الله تعالى في ذلك الما سخونة فارتفع زبد ودخان اما الزبد فبقي على وجه الارض فخلق الله تعالى منه اليبوسة واحدث منه الارض واما الدخان فارتفع وعلا فخلق الله تعالى منه السموات واعلم ان هذه القصة غير موجودة في القران فان دل عليه دليل صحيح قبل والا فلا وهذه القصة مذكورة في اول الكتاب الذي يزعم اليهود انه التورية وفيه انه تعالى خلق السما من اجزا مظلمة وهذا هو المعقول

لانا

لانا قد دللنا في المعقولات ان الظلمة ليست كيفية وجودية بدليل انه لو جلس انسان في ضوء السراج وانسان آخر في الظلمة فان الذي جلس في الضوء لا يرى مكان الجالس في الظلمة ويرى ذلك الهواء مظلما واما الذي جلس في الظلمة فانه يرى ذلك الذي كان جالسا في الضوء ويرى ذلك الهواء مضيئا ولو كانت الظلمة صفة قائمة بالهواء لما اختلف الحال [illegible] فالله سبحانه وتعالى لما خلق الاجزاء [illegible] كيفية الضوء كانت مظلمة عديمة النور [illegible] سموات وكواكب وشمسا وقمرا واحدث صفة الضوء [illegible] والقمر كانت مظلمة فصح تسميتها بالدخان لانه لا معنى للدخان الا اجزاء متفرقة غير متواصلة عديمة النور [illegible] والله تعالى اعلم بحقيقة الحال **البحث الثالث** [illegible] ثم استوى الى السما وهي دخان [illegible] خلق الارض [illegible] والارض بعد ذلك دحاها [illegible] وذلك يوجب التناقض [illegible] المشهور [illegible] الطريق يزول التناقض واعلم ان هذا الجواب [illegible]

[illegible]

سائر الاشيا الموجودة في الارض في يومين اخرين وتخليق السموات في يومين اخرين كان المجموع ذلك ستة ايام فاذا حصل دحو الارض بعد ذلك فقد حصل هذا الدحو في زمان اخر بعد الايام الستة فحينئذ يقع تخليق السموات والارض في اكثر من ستة وذلك باطل الخامس انه لا نزاع ان قوله تعالى بعد هذه الاية ثم قال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها كناية عن ايجاد السما والارض فلو تقدم ايجاد الارض على ايجاد السما لكان قوله ائتيا طوعا او كرها يقتضي ايجاد الموجود وانه باطل فهذا تمام البحث عن هذا الجواب المشهور ونقل الواحدي في البسيط عن مقاتل انه قال خلق السما قبل الارض وتاول قوله تعالى ثم استوى الى السما ثم كان قد استوى الى السما وهي دخان قبل ان يخلق الارض فاضمر فيه كان كما قال تعالى قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل معناه ان يكن سرق وقال تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاها باسنا والمعنى فكان قد جاها هذا ما نقله الواحدي وهو عندي ضعيف لان تقدير الكلام ثم كان قد استوى الى السما يجمع بين الضدين لان كلمة ثم تقتضي التاخر وكلمة كان تقتضي التقدم والجمع بينهما يفيد التناقض دليل على انه لا يمكن اجراوه على ظاهره قد بينا ان قوله تعالى ائتيا طوعا او كرها انما حصل قبل وجودهما فاذا كان الامر كذلك امتنع حمل قوله ائتيا على الامر والتكليف فوجب حمله على ما ذكرناه وفي ظاهر لفظ الاية سؤالات **السؤال الاول** ما الفايدة في قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها الجواب المقصود منه اظهار كمال القدرة والتقدير ائتيا شئتما ذلك او ابيتما كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعين او مكرهين قالتا اتينا على الطوع لا على الاكراه وقيل انه تعالى ذكر السما والارض في ذكر الطوع والكره فوجب ان يصرف الطوع الى السما والكره الى الارض وتخصيص السما بالطوع لوجوه احدها ان السما دوام حركتها على نهج واحد لا تختلف فيه فكانها مطيعة لله تعالى بخلاف الارض فانها مختلفة الاحوال تارة في السكون واخرى في الحركة المضطربة وثانيها ان الموجود في السما ليس الا الطاعة قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون واما اهل الارض فليس الامر في حقهم كذلك وثالثها ان السما موصوفة بكمال الحال في جميع الامور قالوا انها افضل الالوان وهي مستديرة واشكالها افضل الاشكال وهي المستديرة ومكانها افضل الامكنة وهو الجو العالي وسكانها افضل الاجرام وهي الكواكب المتلالئة بخلاف الارض فانها مكان الظلمة والكثافة واختلاف الاحوال وتغير الذات والصفات فلا جرم وقع التعبير عن تكوين السما بالطوع وعن تكوين الارض بالكره واذا كان تخلق الارض على الكره كان اهلها موصوفين ابدا بما يوجب الكره والكرب والكد والغم **السؤال الثاني** ما المراد من قوله تعالى ائتيا ومن قوله اتينا الجواب ائتيا الى الوجود والحصول وهو كقوله تعالى كن فيكون وقيل المعنى ائتيا على ما ينبغي ان تاتيا عليه من الشكل والوصف اي يا ارض كوني مدحوة قرارا ومهادا ويا سما كوني مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع على وفق المراد كما تقول اتى عمله مرضيا وجا مقبولا ويجوز ان يكون المعنى اتيان كل واحدة منهما صاحبتها الاتيان الذي تقتضيه الحكمة والتدبير من كون الارض قرارا للسما وكون السما سقفا للارض **السؤال الثالث** هلا قيل طائعات على اللفظ او طايعات على المعنى لانها سموات وارضون الجواب لما جعلهن مخاطبات ومجيبات ووصفهن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طايعات نحو قوله ساجدين ومنهم من استدل به على كون السموات احيا وقال الارض في جوف السموات اقل من الذرة الصغيرة في جوف الجمل الكبير فلهذا السبب صارت اللفظة الدالة على العقل والحيا في العالية الا

باطل لاجماع المتكلمين على فساده ثم قال تعالى فقضاهن وقضى الشيء انما هو اتمامه والفراغ منه والضمير في قوله تعالى فقضاهن يجوز ان يرجع
الى السماء على المعنى كما قال تعالى طايعين اعجاز نخل خاوية ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصبين
ان احدهما على الحال والثاني على التمييز ذكر اهل الاثر انه تعالى خلق الارض في يوم الاحد والاثنين وخلق ساير ما في الارض من يوم
الثلث والاربعا وخلق السموات وما فيها من يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق ما فيها آدم وهي الساعة التي
تقوم فيها القيامة فان قيل اليوم عبارة عن النهار والليل وذلك انما يحصل بسبب طلوع الشمس وغروبها فقبل حدوث السموات والشمس
والقمر كيف يعقل حصول اليوم قلنا معناه انه مضى من المدة ما لو حصل هناك فلك وشمس لكان المقدار مقدرا بيوم ثم قال تعالى
واوحى في كل سماء امرها قال مقاتل امر في كل سماء بما اراد ان يحج اليه ويطوف به الملايكة خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وقال السدي خلق في كل سماء
خلقها من الملايكة كل واحد منها مقابل الكعبة ولو وقعت مستقطعة ما وقعت الا على الكعبة والاقرب ان يقال قد ثبت في علوم
النحو انه يكفي في حسن الاضافة ادنى سبب ولله تعالى على اهل كل سماء تكليف خاص من الملايكة من بقي في القيام ابدا ولا خلق
الى قيام القيامة ومنهم من ركوع لا ينتصبون ومنهم سجود لا يرفعون واذا كان ذلك الامر مختصا باهل ذلك السماء كان ذلك
الامر مختصا بتلك السماء اما قوله تعالى واوحى في كل سماء امرها اي وخص كل سماء بالامر المضاف اليه وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا
والمعنى فكان قد جاءها هذا ما قاله الواحدي وهو عندي ضعيف لان تقدير الكلام ثم كان قد استوى الى السماء وهذا جمع بين الضدين
لان كلمة ثم تقتضي التاخير وكلمة كان تقتضي التقدم فالجمع بينهما يفيد التناقض ونظيره ان يقول ضربت القوم زيدا ثم ضربت عمروا بالامس وكما انه
باطل فكذا ما ذكرتموه وانما يجوز تاويل كلام الله تعالى بما لا يؤدي الى وقوع التناقض والركاكة فيه والمختار عندي ان يقال خلق السماء
مقدم على خلق الارض بقي ان يقال كيف تاويل هذه الاية فنقول الخلق ليس عبارة عن التكوين والايجاد والدليل عليه قوله تعالى
ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وهذا محال لانه يلزم انه تعالى قد قال للشيء الذي وجد كن ثم انه يكون
وهذا محال فثبت ان الخلق ليس عبارة عن التكوين والايجاد بل عبارة عن التقدير والتقدير في حق الله تعالى هو حكمه بانه سيوجده
وقضاه بذلك واذا ثبت هذا فنقول قوله خلق الارض في يومين معناه انه قضى بحدوثه في يومين وقضاء الله انه سيحدث كذا
في مدة كذا لا يقتضي حدوث ذلك الشيء في الحال فقضاء الله تعالى بحدوث الارض في يومين قد تقدم على احداث السماء ولا يلزم
منه تقدم احداث الارض على احداث السماء وحينئذ يزول السؤال فهذا ما وصلت اليه في هذا الموضع المشكل ثم قال تعالى فقال
لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين **واعلم** ان ظاهر هذا الكلام يقتضي ان الله تعالى امر السماء والارض بالاتيان
فاطاعا وامتثلا وعند هذا حصل في هذه الاية قولان الاول ان نجري هذه الاية على ظاهرها ونقول ان الله تعالى امرهما بالاتيان فاطاعا
قال القايلون بهذا القول ليس بمستبعد الا ترى انه تعالى انطق الجبال مع داود عليه السلم فقال تعالى يا جبال اوبي معه والطير
والله تعالى تجلى للجبل قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا والله تعالى انطق الايدي والارجل فقال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون واذا كان كذلك فكيف يستبعد ان يخلق الله تعالى في ذات السماء والارض حياة وعقلا وفهما ثم توجه الامر التكليف
عليهما ويتاكد هذا الاحتمال بوجوه الاول ان الاصل حمل اللفظ على ظاهره الا اذا منع منه مانع وها هنا لا مانع فوجب اجراؤه على ظاهره
الثاني انه تعالى اخبر عنهما فقال تعالى قالتا اتينا طايعين وهذا الجمع جمع ما يعقل ويعلم والثالث قوله تعالى انا عرضنا الامانة على
السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها وهذا يدل على كونها عارفة بالله تعالى مخصوصة بتوجه تكاليف الله تعالى عليها والاشكال
عليه ان يقال المراد من قوله تعالى ايتيا طوعا او كرها الاتيان الى الوجود والحدوث والحصول وعلى هذا التقدير فحال توجه هذا الامر عليهما
فان قال قايل روى مجاهد عن ابن عباس انه قال الله سبحانه وتعالى للسموات اطلعي شمسك وقمرك ونجومك وقال للارض شقي انهارك واخرجي ثمارك
وكان الله تعالى اودع فيهما هذه الاشياء ثم امرهما بابرازها واظهارها فنقول فعلى هذا التقدير لا يكون المراد من قوله تعالى ايتيا طوعا
في ذاتيهما بل يصير المراد من هذا الامر ان يظهر ما كان مودعا فيهما الا ان هذا الكلام باطل لانه تعالى قال فقضاهن سبع سموات في يومين
والفا للتعقيب وذلك يدل على ان حدوث السموات انما حصل بعد قوله ايتيا طوعا او كرها فهذا جملة ما يمكن ذكره في هذا البحث القول
الثاني ان قوله تعالى قال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها ليس المراد منه توجيه الامر والتكليف على السموات والارض بل المراد انه اراد تكوينهما
فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما وكانتا في ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه امر الامر المطاع ونظيره قول القايل قال الجدار للوتد لم تشقني
قال الوتد اسال من يدقني الحجر الذي ورائي **واعلم** ان هذا خروج عن الظاهر وانما جاز العدول عن الظاهر اذا قام واعلم ان بيان
الامر فيها مشروط بحصول المامور فيها وهذا يدل على انه تعالى اسكن هذه السموات الملايكة وانه تعالى امرهم باشيا ونهاهم عن اشيا وليس
في الاية ما يدل على انه تعالى انما خلق الملايكة مع السموات او انه تعالى خلقهم قبل السموات ثم انه تعالى اسكنهم فيها وايضا ليس
في الاية بيان الشرايع التي امر الملايكة بها وهذه الاسرار لا يليق بعقول البشر بل هي اعلا من مصاعد افهامهم ومراقي اوهامهم ثم قال
تعالى وزينا السماء الدنيا بمصابيح وهي النيرات التي خلقها في السموات وخص كل واحد بضوء معين وسر معين وطبيعة معينة لا يعرفها
الا الله تعالى ثم قال تعالى وحفظا يعني وحفظناها حفظا يعني من الشياطين الذين يسترقون السمع فاعد لكل شيطان نجما يرميه به ولا يخطيه
فمنها ما يحرق ومنها ما يقتل ومنها ما يجعله مخبلا عن ابن عباس ان اليهود سالوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن خلق السموات والارض فقال خلق الله
تعالى الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال والشجر في يومين وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملايكة وخلق آدم عليه السلام
واسكنه الجنة ثم قالت اليهود ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا اصبت لو اتممت ثم استراح فغضب صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى وما مسنا من لغوب
واعلم انه تعالى لما ذكر هذه التفاصيل قال ذلك تقدير العزيز العليم والعزيز اشارة الى كمال القدرة والعليم اشارة الى كمال العلم وما احسن

هذه الخاتمة



هذه الخاتمة لان تلك الاعمال لا يمكن الا بقدرة كاملة وعلم محيط والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى**
فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن
خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملايكة فانا بما ارسلتم به كافرون فاما عاد
فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم
قوة وكانوا باياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة
الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى وهم لا ينصرون واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم
صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون **اعلم** ان الكلام انما ابتدا
من قوله تعالى انما الهكم اله واحد واحتج عليه بقوله تعالى قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وحاصله ان الاله
الموصوف بهذه القدرة القاهرة كيف يجوز الكفر به وكيف يجوز جعل هذه الاجسام الخسيسة شركا له في الالهية ولما تمت تلك الحجة قال
تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وذلك لان وظيفة الحجة قد تمت على اكمل الوجوه فان بقوا مصرين
على الجهل لم يبق حينئذ علاج في حقهم الا انزال العذاب عليهم فلهذا السبب قال تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود وذلك بمعنى ان اعرضوا عن قبول هذه الحجة القاهرة التي ذكرناها واصروا على الجهل والتقليد فقل انذرتكم والانذار
هو التخويف قال المبرد والصاعقة المبيرة المهلكة لاي شي كان وقرئ صاعقة مثل صعقة عاد وثمود قال صاحب الكشاف وهي المرة
من الصعق ثم قال تعالى اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم وفيه وجهان الاول المعنى ان الرسل المبعوثين اليهم اتوهم
من كل جانب واجتهدوا بهم واتوا بجميع وجوه الحيل فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان قوله تعالى
لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم يعني لآتينهم من كل جهة ولاعملن فيهم كل حيلة ويقول الرجل استدرت بفلان من كل جانب
فلم يكن لي فيه حيلة القول الثاني ان الرسل جاءتهم من قبل ومن بعدهم كيف يمكن وصفهم بانهم جاؤهم قلنا قد جاءهم هود وصالح
عليهما السلام داعيين الى الايمان بهما وبجميع الرسل ولهذا التقريب وكان جميع الرسل قد جاؤهم ثم قال تعالى ان لا تعبدوا الا الله
يعني ان الرسل الذين جاؤهم من بين ايديهم ومن خلفهم امروهم بالتوحيد ونفي الشرك قال صاحب الكشاف ان في قوله تعالى
ان لا تعبدوا الا الله بمعنى اي او مخففة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا اي بان الشان والحديث قولنا لكم لا تعبدوا الا الله ثم
حكى الله تعالى عن اولئك الكفار انهم قالوا لو شاء ربنا لانزل ملايكة يعني انهم كذبوا اولئك الرسل وقالوا الدليل على كونكم
كاذبين انه تعالى لو شاء ارسال الرسل الى البشر لجعل رسله من زمرة الملايكة لان ارسال الملايكة الى الخلق اكثر افضا
الى المقصود من البعثة والرسالة ولما ذكروا هذه الشبهة قالوا فانا بما ارسلتم به كافرون معناه فاذا انتم بشر ولستم بملايكة
فانتم لستم برسل واذا لم تكونوا من الرسل لم يلزمنا قبول قولكم وهو المراد من قوله تعالى فانا بما ارسلتم به كافرون **واعلم**
انا بالغنا في الجواب عن هذه الشبهة في سورة الانعام وقوله ارسلتم به ليس باقرار منهم بكون اولئك الانبياء رسلا فانما
ذكروه حكاية لكلام الرسل وعلى سبيل الاستهزا كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وروي ان ابا جهل
قال في ملا من قريش التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والسحر والكهانة فكلمه ثم اتانا ببيان
عن امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والسحر والكهانة وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال يا محمد
انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله لم تشتم الهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك
اللواء فكنت رئيسنا وان اردت الباه زوجناك عشر نسوة تختارهن اي بنات قريش وان كان بك المال جمعنا لك ما
تستغني به ورسول الله ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك
عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا لا نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا
اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبات فغضب واقسم لا يكلم محمدا ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشيء
ما هو الشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ولقد علمتم
ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب **واعلم** انه تعالى لما بين كفر قوم عاد وثمود على الاجمال بين
خاصية كل واحد من هاتين الطايفتين فقال تعالى فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وهذا الاستكبار
فيه وجهان الاول اظهار النخوة والكبر وعدم الالتفات الى الغير والثاني الاستعلاء على الغير واستخدامهم
ثم ذكر تعالى سبب ذلك الاستكبار وهو انهم قالوا من اشد منا قوة وكانوا مخصوصين بكبر الاجسام وشدة القوة
ثم انه تعالى ذكر ما يدل على انه لا يجوز لهم ان يغتروا بشدة قوتهم فقال تعالى اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم
قوة فان كانت الزيادة في القوة توجب كون الناقص في طاعة الكامل فهذه المعاملة توجب عليهم انقيادهم لله
تعالى وخضوعهم لاوامره ونواهيه واحتج اصحابنا بهذه الاية على اثبات القدرة لله تعالى فقالوا القوة
ههنا هي القدرة فقوله تعالى الذي خلقهم هو اشد منهم قوة يدل على اثبات القوة لله تعالى خاضعين لاوامره
ونواهيه واحتج اصحابنا بهذه الاية فقالوا القوة ههنا هي القدرة فقوله الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة يدل
على اثبات القوة لله تعالى ويتاكد هذا بقوله تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فان قيل صيغة
افعل التفضيل انما تجري بين شيئين لاحدهما الى الاخر نسبة لكن قدرة العبد متناهية وقدرة الله لا نهاية لها

الاول في قوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا زيادة بيان لقبح فعلهم وذلك لان الايمان له شرفان احدهما بالنسبة الى الله تعالى
من يجاسه تعالى عن الشرك ويوحده في العظمة وثانيهما بالنسبة الى المومن فانه ينزه النفس عن الجهل ويزينها بالحق
والصدق ثم لا يطلبون باسلامهم جانب الله ولا يطلبون شرف انفسهم بل منوا ولو علموا ان فيهم شرفهم لما منوا به بل شكروا
اللطيفة الثانية قال تعالى قل لا تمنوا علي اسلامكم اي الذي عندكم اسلام ولهذا قال تعالى ولكن قولوا اسلمنا ولم تقل لم
تومنوا ولكن اسلمتم لئلا يكون تصديقا لهم في الاسلام ايضا كما لم يصدقوا في الايمان فان قيل لم يكن تصدقوا في اسلامهم
والاسلام هو الانقياد وقد وجد منهم قولا وفعلا وان لم يوجد اعتقادا وعلما وذلك القدر كاف في صدقهم نقول التكذيب
يقع على وجهين احدهما ان لا يوجد نفس المخبر عنه وثانيهما لا يوجد كما اخبر في نفسك فعد بقوله ما جيننا لحاجات بل الحاجة
فالله تعالى كذبهم على قولهم امنا على الوجه الاول وعلى الوجه الثاني فانهم انقادوا للحاجة واخذ الصدقة الثالثة قال تعالى بل الله
يمن عليكم لا منة لكم ومع ذلك لا تسلمون راسا براس بحيث لكم علينا ولا علكم منه بل المنة عليكم وقوله تعالى بل الله يمن عليكم
احسن ادب حيث لم يقل لا تمنوا علي بل لي المنة عليكم حيث بينت لكم الطريق المستقيم ثم في مقابلة هذا الادب قال الله تعالى
والله يهدي الى صراط مستقيم الرابعة لم يقل عن عليكم ان اسلمتم بل قال ان هداكم للايمان لان اسلامهم كان ضلالة حيث كان
نفاقا فيما من به عليهم فان قيل كيف من عليهم بالهداية الى الايمان مع انه بين انهم لم يومنوا نقول الجواب عنه من ثلاثة اوجه
احدها انه تعالى لم يقل بل الله يمن عليكم ان رزقكم الايمان بل قال ان هداكم للايمان وارسال الرسل بالايات البينات هداية
ثانيها هو انه تعالى من عليهم بما زعموا فكانه قال انتم قلتم امنا فذلك نعمة في حقكم حيث تخلصتم من النار فقال هداكم في
زعمكم بالهدى وهو الاصح هو ان الله تعالى يعلم غيب السموات والارض اشارة الى انه بصير باعمال جوارحكم الظاهرة واخر السورة
مع السامة بما هو فيه تقريرا في اول السورة وهو قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله فانه
لا يخفى عليه سريرة فلا تتركوا في السر والله تعالى اعلم بالصواب

ق والقران المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ائذا متنا وكنا ترابا
ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم
في امر مريج وقيل التفسير نقول ما يتعلق بالسورة هي امور الاول ان هذه السورة تقرا في صلوة العيد لقوله تعالى
فيها ذلك يوم الخروج وقوله تعالى كذلك الخروج وقوله تعالى ذلك حشر علينا يسير فان العيد يوم الزينة فينبغي ان لا ينسى
الانسان خروجه الى عرصات الحساب ولا يكون في ذلك اليوم فرحا فخورا ولا يرتكب فسقا وفجورا ولما امر النبي صلى الله عليه وسلم
بالتذكير بقوله تعالى في اخر السورة فذكر بالقران من يخاف وعيد ذكرهم بما يناسب حالهم في يومهم بقوله تعالى ق والقران المجيد
الثاني هذه السورة وسورة ص يشتركان في افتتاح اولها بالحرف المعجم والقسم بالقران وقوله بل والقسم والتعجب ويشتركان
في شيء اخر وهو ان اول السورتين واخرهما متناسبان وذلك لان في ص قال تعالى في اولها والقران ذي الذكر وقال في اخرها
ان هو الا ذكر للعالمين وفي ق قال في اولها والقران المجيد وقال في اخرها فذكر بالقران من يخاف وعيد فافتتح بما اختتم به والثالث
وهو ان في تلك السورة صرف العناية الى تقرير الاصل الاول وهو التوحيد لقوله تعالى اجعل الالهة الها واحدا وقوله تعالى ائذا متنا
وكنا ترابا ذلك رجع بعيد ولما كان افتتاح السورة في صفة تقرير المبدا قال في اخرها اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من
طين وختمه بحكاية بدو ادم لانه دليل الوحدانية ولما كان افتتاح هذه لبيان الحشر والنشر قال في اخرها يوم تشقق الارض
عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير واما التفسير ففيه مسائل **المسئلة الاولى** قيل ق اسم جبل محيط بالعالم وقيل معناه
حكمة وهي قولنا قضي الامر لسفا السامع بسببها وفي ص صدق الله وقد ذكرنا ان الحروف منبهات قدمت على القران
لسفا السامع لسببها مقبل على استماع ما يرد عليه الاستماع فلا يفوته شيء من الكلام الرائق والمعنى الفائق وذكرنا
ايضا ان العبادة منها قلبية ومنها لسانية ومنها جارحية ظاهرة ووجد في الجارحية ما عقل معناه ووجد
فيها ما لم يعقل معناه فاعمال الحج من الرمي والسعي وغيرهما ووجد في القلبية ما عقل بالدليل كعلم التوحيد وامكان الحشر وصفات
الله تعالى وصدق الرسل ووجد فيها ما بعد عن كونها غير معقول المعنى امور لا يمكن التصديق والجزم بها ولا تسمع
كالصراط الممدود الاحد من السيف والادق من الشعر والميزان الذي توزن به الاعمال فكذلك كان ينبغي ان تكون الاذكار
التي هي العبادة اللسانية منها ما يعقل معناه كجميع القران الا قليلا منه وفيها ما لا يعقل ولا يفهم كحرف التهجي لكون التلفظ
به محض الانقياد للامر لا لما يكون في الكلام من طلب الحكاية والقصد الى غرض كقولنا وارحنا بل يكون النطق به تعبدا
محضا ويؤيد هذا وجها اخر وهو ان هذه الحروف مقسم بها وذلك لان الله تعالى لما اقسم بالتين والزيتون تشريفا لهما فلو
اقسم بالحروف التي هي اصل الكلام الشريف الذي هو دليل المعرفة واله التعريف كان اولى اذا عرفت هذا فنقول على هذا فيه مباحث
القسم الاول من الله وقع بامر واحد كما في قوله تعالى والعصر قوله تعالى والنجم وبحرف واحد كما في قوله تعالى ص و ق و ن وفي بامرين
كما في قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى وفي قوله تعالى والسماء والطارق وبحرفين كما في قوله تعالى طس ويس وحم وفي ثلاثة





احرف كما في الم وفي طسم وفي الر وباربعة امور كما في والذاريات وفي والسماء ذات البروج وفي والتين وفي اربعة احرف كما
في المص وفي خمسة امور كما في والطور وفي المرسلات وفي والنازعات وفي قوله تعالى والفجر وفي خمسة احرف كما في قوله تعالى كهيعص
[illegible]
القسم بالحروف وقع في الصفين جميعا بل في كل سبع وبالاشيا المعدودة لم يوجد الا في النصف الاخير بل لم يوجد الا في السبع
الاخير غير والصافات وذلك لانا بينا ان اسم الحروف لم ينفك عن ذكر القران او الكتاب او التنزيل بعده الا نادرا فقال تعالى يس والقران الحكيم
حم تنزيل الكتاب الم ذلك الكتاب ولما كان جميع القران معجزة مؤداة بالحروف وجد ذلك عاما في جميع المواضع ولا كذلك القسم بالاشيا المعدودة وقد ذكرنا
شيا من ذلك في سورة العنكبوت ولنذكر ما يختص بقاف قيل انه اسم جبل محيط بالارض عليه اطراف السماء وهو ضعيف لوجوه احدها ان
القراءة الكسرة بالوقف ولو كان اسم جبل لما جاز الوقف في الادراج لان من قال ذلك قال ان الله تعالى اقسم به وثانيها لو كان كذلك
لذكر بحرف القسم كما في قوله تعالى والطور وذلك لان حرف القسم يحذف حيث يكون المقسم به مستحقا لان يقسم به كقولنا الله لافعلن كذا
واستحقاقه له اغنى الدلالة عليه باللفظ ولا يحسن ان يقال زيد لافعلن وثالثها هو انه لو كان كما ذكر لكان يكتب قاف مع الالف
والفا كما يكتب عين جارية ويكتب اليسلبه بكاف وفي جميع المصاحف يكتب حرف ق ورابعها هو ان الظاهر ان الامر فيه كالامر
في ص ون وحم وهي حروف لا كلمات وكذلك في ق فان قيل هو منقول عن ابن عباس نقول المنقول عنه ان ق اسم جبل واما ان المراد في
هذا الموضع به ذلك فلا وقيل ان معناه قضي الامر وفي ص صدق الله وقيل هو اسم فاعل من قفا يقفو وصاد من المصادات وهي
المعارضة ومعناه هذا قاف جميع الاشيا بالكشف ومعنى حينئذ قوله تعالى ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين في هذا الموضع
يحتمل وجهين والظاهر انه مجرد القلب واما المنين فاذا جعلنا القران اسما للمفرد ويدل عليه قوله تعالى ولو ان قرانا سيرت
به الجبال والمجيد العظيم وقيل المجيد هو كثير الكرم وعلى الوجهين القران مجيدا اما على قولنا المجيد هو العظيم فلان القران
عظيم الفائدة ولانه ذكر الله العظيم وذكر العظيم عظيم ولانه لم نقدر عليه احد من الخلق وهو انه تعظيم تقال ملك عظيم
اذا لم يغلب ويدل عليه قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم اي الذي لا تقدر على مثله احد ليكون معجزة
دالة على نبوتك وقوله تعالى بل هو قران مجيد في لوح محفوظ بعد عليه اي محفوظ من ان يطلع عليه احد الا باطلاعه تعالى ليكون
معجزة دالة على نبوتك ولا يبدل ولا يغير ولا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو غير مقدور عليه فهو عظيم واما
على قولنا المجيد هو كثير الكرم فالقران كريم كل من يطلب منه مقصوده وجده وانه مغني لكل من لاذ به واغنى المحتاج غاية
الكرم ويدل عليه ان المجيد مقرون في قوله انه حميد مجيد والحميد هو المشكور والشكر على الانعام والمنعم كريم فالمجيد هو الكريم
البالغ في الكرم وفيه مباحث **الاول** القران مقسم به والمقسم عليه ماذا نقول فيه وجوه وضبطها بان نقول ما كان يفهم
بقرينة حالية او قرينة مقالية والمقالية اما ان يكون مقدمة على المقسم به او متاخرة فان قلنا انه مفهوم من
قرينة مقالية متقدمة فلا يتقدم هناك لفظا الا ق فيكون التقدير هذا قاف والقران او انزلها الله تعالى والقران
كما تقول هذا حاتم والله اي هو المشهور بالسخا وتقول الهلال والله اي رايته والله وان قلنا بانه مفهوم
من قرينة مقالية متاخرة فنقول ذلك امران احدهما المنذر والثاني الرجع فيكون التقدير والقران المجيد انك
لمنذر او والقران المجيد ان الرجع لكائن لان كلا الامرين ورد القسم عليهما ظاهرا اما الاول فيدل عليه قوله تعالى يس والقران
الحكيم انك لمن المرسلين الى قوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم واما الثاني فيدل عليه قوله تعالى والطور وكتاب مسطور
الى ان قال ان عذاب ربك لواقع وهذا الوجه يظهر عليه الظهور على قول من قال ق اسم جبل فان القسم يكون بالجبل
والقران وهناك القسم بالطور والكتاب المسطور وهو الجبل والقران فان قيل اي الوجهين منهما اظهر عندك قلت
الاول لان المنذر اقرب من الترجيح ولان الحروف راسها مع القران والقسم كونه مرسلا ومنذرا وما راينا الحروف ذكر وبعدها
الحشر والنشر واعتبر ذلك في سور منها قوله تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر
قوما ما اتاهم ولان القران معجزة دالة على كون محمد رسول الله فالقسم عليه يكون اشارة الى الدليل على طريقة القسم وليس هو بنفسه
دليلا على الحشر بل فيه امارات مفيدة للجزم بالحشر بعد معرفة صدق الرسول واما ان قلنا هو مفهوم بقرينة حالية اذا قلنا الكتاب هناك

عند الاقدام على الاعمال القبيحة لاستتارهم ما كان لاجل خوفهم من ان يشهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم وذلك لانهم
كانوا منكرين البعث والقيمة ولكن ذلك الاستتار لاجل انهم كانوا يظنون ان الله تعالى لا يعلم الاعمال التي يقدمون عليها
على سبيل الخفية والاستتار عن ابن مسعود قال كنت مستترا باستار الكعبة فدخل عليه نفر ثقفيان وقرشي فقال
احدهم اترون الله يسمع ما تقولون فقال الرجلان اذا سمعنا اصواتنا سمع والا لم يسمع فذكرت ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم
فنزل قوله تعالى وما كنتم تستترون ثم قال تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وهذا نص صريح
في ان من ظن بالله انه يخرج شي من المعلومات عن علمه تعالى فانه يكون من الهالكين الخاسرين قال اهل التحقيق الظن قسمان ظن حسن
بالله تعالى وظن فاسد اما الظن الحسن فهو ان يظن به الرحمة والفضل قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله عز وجل انا عند ظن
عبدي بي وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو حسن الظن بالله تعالى وظن قبيح فاسد وهو ان يظن به تعالى
ان يعزب عن علمه بعض هذه الاحوال وقال قتادة الظن نوعان منجي ومردي فالمنجي قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه وقوله
تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم واما الظن المردي فهو قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم قال صاحب الكشاف
وذلكم رفع بالابتدا وظنكم وارداكم خبران ويجوز ان يكون ظنكم بدلا من ذلكم وارداكم الخبر ثم قال تعالى فان يصبروا فالنار
مثوى لهم يعني ان امسكوا عن الاستغاثة لفرج ينتظرونه لم يجدوا ذلك ويكون النار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من
المعتبين قال صاحب الصحاح استعتبه فاعتبني اي استرضيته فارضاني فقوله تعالى فما هم من المعتبين اي لا يعطوا
المحسن ولم يجابوا اليها ونظيره قوله تعالى اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين
اي سلوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلين اي لا سبيل لهم الى ذلك والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى**

وقيضنا لهم قرنا فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم
كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين
كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوا الذي كانوا يعملون ذلك جزاء اعدا الله النار لهم فيها دار الخلد
جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما
تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين **اعلم** انه تعالى لما ذكر الوعيد الشديد في الدنيا والاخرة على اولئك
الكفار اردفه بذكر السبب الذي لاجله وقعوا في ذلك الكفر فقال تعالى وقيضنا لهم قرناء وفيه مسايل **المسئلة الاولى**
قال صاحب الصحاح يقال ما قيضت الرجل معاقضة اي عارضته بمتاع ومما قيضنا لكما تعالى سعادة وقيض الله فلانا لفلان اي
جاء به واتاحه ومنه قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء المسئلة الثانية احتج اصحابنا بهذه الاية على انه تعالى يريد الكفر من الكافر فقالوا
انه تعالى ذكر انه قيض لهم اولئك القرناء وكان عالما بانه متى قيض لهم اولئك القرناء فانهم يزينوا الباطل لهم وكل من فعل فعلا
وعلم ان ذلك الفعل يفضي الى اثر لا محالة فان فاعل ذلك الفعل لا بد وان يكون مريدا لذلك الاثر فثبت انه تعالى لما قيض لهم
قرناء فقد اراد منهم ذلك الكفر اجاب الجبائي عنه بان قالوا لو اراد المعاصي لكانوا بفعلها مطيعين اذ الفاعل لما
اراده منه غيره يجب ان يكون مطيعا له ولان قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون يدل على انه تعالى لم يرد
[illegible]
الكشاف قرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغي يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته **واعلم**
ان القوم علموا ان القرآن كلام كامل في المعنى وفي اللفظ وان كل من سمعه وقف على جزالة الفاظه واحاط عقله بمعانيه وقضى عقله
بانه كلام حق واجب القبول فدبروا تدبيرا في منع الناس عن استماعه فقال بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن اذا قرئ وتشاغلوا

عند قراته

عند قراته برفع الاصوات بالخرافات والاشعار الفاسدة والكلمات الباطلة حتى تخلطوا على القارى وتشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته
كانت قريش توصي بذلك بعضهم بعضا والمراد فعلوا لغوا وباطلا لتخرجوا قراءة القرآن عن ان تصير مفهومة للناس فبهذا
الطريق تغلبون محمدا وهذا جهل منهم لانهم في الحال اقروا بانهم مستغلين باللغو والباطل من العمل والله تعالى ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم
بفضله ولما ذكر الله تعالى ذلك يوعدهم بالعذاب الشديد فقال تعالى فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا وفيه تهديد شديد لان
لفظ القرآن انما تذكره في العدد القليل الذي يوتى به لاجل التحديد ثم انه تعالى ذكر ان ذكر الذوق عذاب شديد فاذا كان القدر منه
عذابا شديدا فكيف يكون حال الكثير منه ثم قال تعالى ولنجزينهم اسوا الذي كانوا يعملون واختلفوا فيه فقال الاكثرون جزا سوء
اعمالهم وقال الحسن بل المراد انه لا يجازيهم على محاسن اعمالهم لانهم احبطوها بالكفر فضاعت تلك الاعمال الحسنة عنهم ولم يبق
معهم الا الاعمال القبيحة الباطلة فلا جرم لم يحصلوا الا على جزا السيات ثم قال تعالى وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من
الجن والانس وقال تعالى ذلك جزا اعدا الله النار والمعنى انه تعالى لما قال في الاية المتقدمة ولنجزينهم اسوا الذي كانوا يعملون بين
ان ذلك الاسوا جزا اعدا الله هو النار ثم قال تعالى لهم فيها دار الخلد اي لهم في جملة النار دار معينة وهي دار العذاب المخلد جزا
بما كانوا باياتنا يجحدون اي جزا بما كانوا يلغون في القراة وانما سماه جحودا لانهم لما علموا ان القرآن ابلغ الى حد الاعجاز خافوا
من انه لو سمعه الناس لامنوا به فاستخرجوا تلك الطريقة الفاسدة وذلك يدل على انهم علموا كونه معجزا الا انهم جحدوا للحسد
**واعلم** انه تعالى لما بين ان الذي حملهم على الكفر الموجب للعقاب الشديد مجالسة قرنا السو بين ان الكفار عند الوقوع في العذاب
الشديد يقولون ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس والسبب في ذكر هذين القسمين ان الشيطان على ضربين جني وانسي
قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس
وقيل هما ابليس وقابيل لان الكفر سنه ابليس والقتل بغير حق سنه قابيل وقرئ ارنا بسكون الرا لثقل الكسرة كما قالوا
في فخذ فخذ وقيل معناه ارنا اللذين اضلانا اعطنا وحكوا عن الخليل انك اذا قلت ارني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا قلته
بالسكون فهو استعطا معناه اعطني ثوبك ثم قال تعالى نجعلهما تحت اقدامنا قال مقاتل يكونون اسفل منا في النار ليكونا
من الاسفلين وقال الزجاج ليكونا في الدرك الاسفل من النار وكان بعض تلامذتي ممن يميل الى الحكمة يقول المراد باللذين
يضلان الشهوة والغضب واليهما الاشارة في قصة الملايكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ثم قال والمراد
بقوله تعالى نجعلهما تحت اقدامنا يعني يا ربنا اعنا حتى نجعل الشهوة والغضبية تحت اقدام جوهر النفس القدسية والمراد
بكونهما مسخرين للنفس القدسية مطيعين لها وان لا يكونا مستولين عليها قاهرين لها والله تعالى اعلم **قوله تعالى**

ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملايكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي
كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون
نزلا من غفور رحيم **اعلم** انه تعالى لما اطنب في الوعيد اردفه بهذا الوعد الشريف وهذا ترتيب لطيف مدار كل القرآن
عليه وقد ذكرنا مرارا ان الكمالات على ثلثة اقسام النفسانية والبدنية والخارجية واشرف المراتب النفسانية واوسطها
البدنية وادونها الخارجية وقد ذكرنا مرارا ان الكمالات النفسانية محصورة في نوعين العلم اليقيني والعمل الصالح فان
اهل التحقيق قالوا كمال الانسان في ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به وراس المعارف اليقينية ورييسها معرفة الله تعالى
واليه الاشارة بقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وراس الاعمال الصالحة ورييسها ان يكون الانسان مستقيما في الوسط
غير مايل الى طرفي الافراط والتفريط كما قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقال تعالى ايضا اهدنا الصراط المستقيم واليه الاشارة في
هذه الاية بقوله تعالى ثم استقاموا وسمعنا ان القارئ قرا في مجلس العبادي المذكر هذه الاية فقال العبادي والقيامة
في العامة بقدر الاستقامة اذا عرفت هذا فنقول قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ليس المراد منه القول باللسان فقط
لان ذلك لا يفيد الاستقامة فلما ذكر عقيب ذلك القول الاستقامة علمنا ان ذلك القول كان مقرونا بالنصر التام والمعرفة الحقيقية
اذا عرفت هذا فنقول في الاستقامة قولان احدهما ان المراد منه الاستقامة في الدين والتوحيد والمعرفة الثاني المراد منه الاستقامة
في الاعمال الصالحة اما على الاول ففيه عبارات قال ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ثم استقاموا اي لم يلتفتوا الى غيره قال ابن
عباس في بعض الروايات ان هذه الاية نزلت في ابي بكر وذلك لان ابا بكر رضي الله عنه وقع في انواع شديدة من البلاء والمحنة فلم يتغير
البتة عن دينه وكان هو الذي قال ربنا الله وبقي مستقيما عليه لم يعرض بسبب من الاسباب واقول يحتمل فيه وجوها اخرى وذلك بان يكون
اقر بان خالق العالم اله واحد لا يرتاب ثم له مقامات اخرى فاولها ان لا يميل في جانب النفي الى حيث ينتهي الى التعطيل ولا يميل في
جانب الاثبات الى حيث ينتهي الى التشبيه بل يبقى على الخط المستقيم الفاصل بين التشبيه والتعطيل وايضا يجب ان يبقى على الخط
المستقيم فهذا هو المراد من قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا واما على القول الثاني فهو ان يحمل الاستقامة
على الاتيان بالاعمال الصالحة فهذا قول جماعة كثير من الصحابة والتابعين قالوا وهذا اولى حتى يكون قوله تعالى ان الذين قالوا
ربنا الله اشارة الى القول والاعتقاد ويكون قوله تعالى ثم استقاموا اشارة الى الاعمال الصالحة ثم قال تعالى
تتنزل عليهم الملايكة قيل عند الموت وقيل في مواقف ثلثة عند الموت وفي القبر وعند البعث الى يوم القيمة الا تخافوا اي بمعنى
ان المخففة من الثقيلة واصله بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان **واعلم** ان الغاية القصوى في رعاية المصالح دفع
المضار وجلب المنافع ومعلوم ان دفع المضرة اولى بالرعاية من جلب المصلحة والمضرة اما ان تكون حاصلة في المستقبل او في الحال

او في الماضي وههنا دقيقة عقلية وهي ان المستقبل متقدم على الحاضر والحاضر متقدم على الماضي فان الشيء الذي لم يوجد ويتوقع حدوثه يكون مستقبلا فاذا وجد يصير حاضرا فاذا عدم صار بعد ذلك ماضيا وايضا المستقبل في كل ساعة يصير اقرب حصولا والماضي في كل حالة ابعد حصولا ولهذا قال الشاعر فلا زال ما نهواه اقرب من غد ولا زال ما نخشاه ابعد من امس واذا ثبت هذا فالمضار التي يتوقع حصولها في المستقبل اولى بالدفع من المضار الماضية وايضا الخوف عبارة عن تألم القلب بسبب توقع حصول مضرة في المستقبل والغم عبارة عن تألم القلب بسبب فوت نفع كان موجودا في الماضي واذا كان كذلك فرفع الخوف اولى من دفع الحزن الحاصل بسبب الغم والحزن اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى اخبر عن الملائكة انهم اولا يخبرون بانه لا خوف عليكم بسبب ما تستقبلونه من احوال القيامة ثم يخبرون بانه لا خوف عليكم بسبب ما فاتكم من احوال الدنيا وعند حصول هذين الامرين فقد ثبت اي زالت المضار والمتاعب بالكلية ثم بعد الفراغ منه يبشرون بحصول المنافع وهو قوله تعالى وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون فان قيل البشارة عن الخبر الاول بحصول المنافع فاما اذا اخبر الرجل بحصول منفعة ثم اخبر ثانيا بحصولها كان اخبارا ثانيا والثاني اخبارا لا يكون بشارة للمؤمن قد سمع بشارات الخير فاذا سمع المؤمن هذا الخبر من الملائكة وجب ان لا يكون بشارة فما الشيء بتسمية هذا الخبر بالبشارة قلنا المؤمن سمع ان من كان مؤمنا تقيا كان له الجنة اما لم يسمع البتة انه من اهل الجنة فاذا سمع هذا الكلام من الملائكة فان هذا اخبار بنفع عظيم مع انه هو الخبر الاول وكان ذلك بشارة **واعلم** ان هذا الكلام يدل على ان المؤمن عند الموت وفي القبر وعند البعث يكون فارغا عن الاهوال والفزع الشديد بل يكون آمن القلب ساكن الصدر لان قوله تعالى ان لا تخافوا ولا تحزنوا يفيد نفي الخوف والحزن على الاطلاق ثم انه تعالى اخبر عن الملائكة انهم قالوا للمؤمنين نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة وهذا مقابلة ما ذكره في وعيد الكفار حيث قال وقيضنا لهم قرناء ومعنى كونهم اولياء للمؤمنين ان للملائكة تأثيرات في الارواح البشرية بالالهامات والمكاشفات اليقينية والمقامات الحقة كما ان للشياطين تأثيرات في الارواح بالقاء الوساوس فيها وتخييل الاباطيل اليها وبالجملة فكون الملائكة اولياء للارواح الطيبة الطاهرة حاصل من جهات كثيرة معلومة لارباب المكاشفات والمشاهدات ثم يقولون كما ان تلك الولاية كانت حاصلة في الدنيا فهي تكون باقية في الآخرة فان تلك العلائق ذاتية لازمة غير قابلة للزوال بل كانها تصير بعد الموت اقوى وابقى وذلك لان جوهر النفس من جنس الملائكة وهي كالشعلة بالنسبة الى الشمس والقطرة بالنسبة الى البحر والتعلقات الجسدانية هي التي تحول بينها وبين الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات فاذا زالت العلائق الجسمانية والتدبيرات البدنية فقد زال الغطاء والوطاء فيتصل الاثر بالمؤثر والقطرة بالبحر والشعلة بالشمس فهذا هو المراد من قوله تعالى نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم قال تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون قال ابن عباس قوله تعالى ولكم فيها ما تدعون اي ما تتمنون كقوله لهم فيها ما يدعون فان قيل فاي فرق بين قوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم وبين قوله تعالى ولكم فيها ما تدعون قلنا الاقرب عندي ان قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم اشارة الى الجنة الجسمانية وقوله تعالى ولكم فيها ما تدعون اشارة الى الجنة الروحانية المذكورة في قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ثم قال تعالى نزلا من غفور رحيم والنزل رزق النزيل وهو الضيف ونصب على الحال قال العارفون دلت هذه الآيات على ان كل هذه الاشياء المذكورة جارية مجرى النزل والكريم اذا اعطى النزيل فلا بد وان يبعث الخلع النفيسة بعدها وتلك الخلع النفيسة ليست الا السعادات الحاصلة عند الرؤية والتجلي والكشف التام نسأل الله تعالى ان يجعلنا اهلا لها بفضله انه جواد كريم **قوله تعالى** ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم الآية فيه مسائل **المسألة الاولى** انا ذكرنا ان الكلام من اول هذه السورة انما ابتدا حيث قالوا للرسول وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ومرادهم لا نقبل قولك ولا نلتفت الى دليلك ثم ذكر طريقة اخرى في السفاهة لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وانه سبحانه وتعالى ذكر الاجوبة الشافية والبيانات الكافية في دفع هذه الشبهات وازالة هذه الضلالات ثم انه سبحانه وتعالى بين ان القوم وان اتوا بهذه الكلمات الفاسدة الا انه يجب عليك سلوك المواظبة على التبليغ والدعوة فان الدعوة الى الدين الحق اكمل الطاعات ورأس العبادات وعبر عن هذا المعنى فقال تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين فهذا وجه شريف حسن في نظم آيات هذه السورة وفيه وجه آخر وهو ان مراتب السعادات اثنان التام وفوق التام واما التام فهو ان يكتسب من الصفات الفاضلة ما لاجله يصير كاملا في ذاته فاذا فرغ من هذه الدرجة اشتغل بعدها بتكميل الناقصين وهو فوق التام اذا عرفت هذا فنقول قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اشارة الى المرتبة الاولى وهي اكتساب الاحوال التي تفيد كمال النفس في جوهرها فاذا حصل الفراغ من هذه المرتبة وجب الانتقال الى المرتبة الثانية وهي الاشتغال بتكميل الناقصين وذلك انما يكون بدعوة الخلق الى الدين الحق وهو المراد من قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله فهذا ايضا وجه حسن في نظم هذه الآيات واعلم ان من اتاه الله تعالى فرجة من ترتيبات القرآن **المسألة الثانية** من الناس من قال المراد من احسن قولا ممن دعا هو الرسول صلى الله عليه وسلم

ومنهم

ومنهم من قال هو المؤذنون ولكن المقطوع به ان كل من دعا الى الله تعالى بطريق من الطرق فهو داخل فيه والدعوة الى الله تعالى مراتب فالمرتبة الاولى دعوة الانبياء عليهم السلام ودعوتهم راجحة على دعوة غيرهم من وجوه احدها انهم جمعوا بين الدعوة بالحجة اولا والدعوة بالسيف ثانيا فلا يتفق لغيرهم الجمع بين هذين الطريقين وثانيها انهم هم المبتدئون بهذه الدعوة واما العلماء فانهم يبنون دعوتهم على دعوة الانبياء والشارع في احداث الامر الشريف على طريق الابتداء افضل وثالثها ان نفوسهم اقوى قوة وارواحهم اصفى جوهرا فكانت تأثيراتها في احياء القلوب الميتة واشراق الارواح الكدرة اكمل فكانت دعوتهم افضل ورابعها ان النفوس على ثلاثة اقسام ناقصة وكاملة لا تقوى على تكميل الناقصين وكاملة تقوى على تكميل الناقصين فالقسم الاول هو العوام والقسم الثاني هم الاولياء والقسم الثالث هم الانبياء ولهذا السبب قال صلى الله عليه وسلم علماء امتي كانبياء بني اسرائيل اذا عرفت هذا فنقول ان نفوس الانبياء حصلت لها ترتيبات الكمال في الذات والتكميل للغير وكانت قوتهم على الدعوة اقوى فكانت درجاتهم اكمل وافضل اذا عرفت هذا فنقول الانبياء عليهم السلام صفتان العلم والقدرة اما العلماء فهم نواب الانبياء في العلم والملوك نواب الانبياء في القدرة والعلم يوجب الاستيلاء على الارواح والقدرة توجب الاستيلاء على الاجساد فالعلماء خلفاء الانبياء في عالم الارواح والملوك خلفاء الانبياء في عالم الاجساد واذا عرفت هذا ظهر ان اكمل الدرجات في الدعوة الى الله تعالى درجة العلماء وهي على ثلاثة اقسام العلماء بالله تعالى والعلماء بصفات الله تعالى والعلماء باحكام الله تعالى اما العلماء بالله تعالى فهم الحكماء الذين قال الله تعالى في حقهم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما العلماء بصفات الله تعالى فهم اصحاب الاصول واما العلماء باحكام الله تعالى فهم الفقهاء ولكل واحد من هذه المقامات الثلاثة درجات لا نهاية لها واما الملوك فهم ايضا يدعون الى دين الله تعالى بالسيف وذلك من وجهين اما بتحصيله عند عدمه مثل المحاربة مع الكفار واما بابقائه عند وجوده وذلك مثل قولنا المرتد يقتل واما المؤذنون فهم يدخلون في هذا الباب دخولا ضعيفا اما دخولهم فيه فلان ذكر كلمات الاذان الى الصلاة فكان ذلك داخلا تحت الدعاء الى الله تعالى واما كون هذه المرتبة ضعيفة فلان الظاهر من حال المؤذن انه لا يحيط بمعاني تلك الكلمات وبتقدير ان يكون محيطا بها الا انه لا يريد بذكرها تلك المعاني الشريفة فهذا هو الكلام في مراتب الدعوة الى الله تعالى **المسألة الثالثة** قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله يدل على ان الدعوة الى الله احسن من كل ما سواه اذا عرفت هذا فنقول كل ما كان احسن الاعمال واجبا الا ان كل ما لا يكون واجبا فالواجب احسن منه فثبت ان كل ما يكون احسن الاعمال فهو واجب اذا عرفت هذا فنقول الدعوة الى الله تعالى واجبة ويلزم ان الاذان واجب **واعلم** ان الاكثرين من الفقهاء زعموا ان الاذان غير واجب فلزمهم ان الاذان غير داخل في هذه الآية والدليل الفاعل عليه ان المراد بهذه الآية يجب ان يكون احسن الاقوال والاذان ليس احسن الاقوال لان الدعوة الى دين الله تعالى بالدلائل اليقينية احسن من الاذان فثبت ان الداخل تحت هذه الآية ليس هو الاذان **المسألة الرابعة** اختلف الناس في ان الاولى ان يقول الرجل انا مسلم والاولى ان تقول انا مسلم فان التقدير ومن احسن قولا ممن قال انني من المسلمين تحكم بان هذا احسن الاقوال ولو كان قولنا ان شاء الله معتبرا في كونه احسن الاقوال لبطل ما دل عليه ظاهر هذه الآية الآية نزلت على ان احسن الاقوال قول من جمع بين خصال ثلاثة اولها الدعوة الى الله تعالى وثانيها العمل الصالح وثالثها ان يكون من المسلمين اما الدعوة الى الله تعالى فقد شرحناها وهي عبارة عن الدعوة الى الله تعالى باقامة الدلائل اليقينية والبراهين القطعية واما قوله تعالى وعمل صالحا **فاعلم** ان العمل الصالح اما ان يكون عمل القلب وهو المعرفة او عمل الجوارح وهو سائر الطاعات واما قوله تعالى وقال انني من المسلمين فهو ان يضم الى عمل القلب والى عمل الجوارح الاقرار باللسان فيكون هذا الرجل موصوفا بخصال اربعة احدها الاقرار باللسان والثاني الاعمال الصالحة بالجوارح والثالث الاعتقاد الحق بالقلب والرابع الاشتغال باقامة الحجة على دين الله تعالى ولا شك ان الموصوف بهذه الخصال الاربعة اشرف الناس وافضلهم وكمال الدرجة في هذه المراتب الاربعة ليس الا لمحمد صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة **واعلم** انا بينا ان الكلام في اول السورة ابتدأ من ان الله تعالى حكى عنهم قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه فاظهروا من انفسهم الاصرار الشديد على اديانهم القديمة وعدم التأثر بدلائل محمد صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى اطنب في الجواب عنه وذكر الوجوه الكثيرة واردفها بالوعد والوعيد ثم حكى عنهم شبهة اخرى وهي قوله وقالوا بعد الاطناب في الجواب عن تلك الشبهات رغب محمدا صلى الله عليه وسلم في ان لا يترك الدعوة الى الله تعالى فابتدأ اولا بان قال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلهم الثواب من اعظم الدرجات فصار الكلام من اول السورة الى هذا الموضع واقعا على احسن وجوه الترتيب ثم كان سائلا سأل وقال ان الدعوة الى الله تعالى وان كانت طاعة عظيمة الا ان الصبر على سفاهة هؤلاء الكفار شديد لا طاقة لنا به فعند هذا ذكر الله تعالى ما يصلح لان يكون دافعا لهذا الاشكال فقال تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة والمراد بالحسنة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم الى الدين الحق والصبر على جهالة الكفار وترك الانتقام والالتفات اليهم والمراد بالسيئة ما اظهروه من الجلافة في قولهم قلوبنا في اكنة وما ذكروه في قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فكانه قيل يا محمد فعلك حسنة وفعلهم سيئة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة اي انك اذا اتيت بهذه الحسنة تكون مستوجبا للتعظيم في الدنيا والثواب في الآخرة وهم بالضد من ذلك فلا ينبغي ان يكون اقدامهم على تلك السيئة مانعا لك من الاشتغال بهذه الحسنة ثم قال تعالى ادفع بالتي هي احسن يعني ادفع سفاهتهم وجهالتهم بالطريق الذي هو احسن الطرق فانك اذا صبرت على سوء اخلاقهم مرة بعد اخرى ولم تقابل

سفاهتهم بالغضب ولا اضرارهم بالايذاء والايحاش استحيوا من تلك الاخلاق المذمومة وتركوا تلك الافعال القبيحة ثم قال تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم يعني اذا قابلت اسائتهم بالاحسان وافعالهم القبيحة بالافعال الحسنة تركوا افعالهم القبيحة بالافعال الحسنة تركوا افعالهم القبيحة وانقلبوا من العداوة الى المحبة ومن البغضة الى المودة ولما ارشد الله تعالى الى هذا الطريق النافع في الدين والدنيا عظمه قال تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم قال الزجاج اي وما يلقى هذه الفعلة الا الذين صبروا على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام ثم قال تعالى وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الفضائل النفسانية ودرجة عالية في القوة الروحانية فان الاشتغال بالانتقام والدفع لا يحصل الا بعد تاثر النفس وتاثر النفس من الواردات الخارجية وادا لم تتاثر منها لم تضطرب ولم تشتغل بالانتقام فثبت ان هذه السيرة التي شرحناها لا يلقاها الا ذو حظ عظيم من قوة النفس وصفاء الجوهر وطهارة الذات ويحتمل ان يكون المراد ولا يلقاها الا ذو حظ عظيم من ثواب الاخرة فعلى هذا الوجه قوله تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا مدح له بفعل الصبر وقوله تعالى وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وعد له بعظم الحظ من الثواب ولما ذكر هذا الطريق الحسن الكامل في دفع الغضب والانتقام وفي ترك الخصومة ذكر عقيبه طريقا اخر عظيم النفع ايضا في هذا الباب فقال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وهذه الاية مع ما فيها من الفوائد الجليلة مفسرة في اخر السورة الاعراف على الاستقصاء قال صاحب الكشاف النزغ والنسغ بمعنى واحد وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده اذا اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر وبالجملة فالمقصود من الاية وان صرفك الشيطان عما شرع من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله تعالى من شره وامض على شانك ولا تطعه والله تعالى اعلم بالصواب

**قوله تعالى** ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحي الموتى انه على كل شيء قدير

**اعلم** انه تعالى لما بين في الاية المتقدمة ان احسن الاعمال والاقوال هو الدعوة الى الله تعالى عبارة عن تقرير الدلايل الدالة على ذات الله تعالى وصفاته وهذه مقدمات شريفة مستفادة من ما سبق من هذه الايات فكان العلم بهذه اللطائف احسن علوم القران وقد عرفت ان الدلايل الدالة على هذه المطالب العالية هي العالم بجميع ما فيه من الاجزاء والابعاض فبدا ههنا بذكر الفلكيات وهي الليل والنهار وانما قدم ذكر الليل على ذكر النهار تنبيها على ان الظلمة عدم والنور وجود والعدم سابق على الوجود فهذا كالتنبيه على حدوث هذه الاشياء واما دلالة الشمس والقمر والافلاك وساير الكواكب على وجود الصانع فقد شرحناها في هذا الكتاب مرارا لاسيما في تفسير قوله تعالى الحمد لله رب العالمين وفي تفسير قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض ولما بين ان الشمس والقمر محدثان وهما دليلان على وجود الاله القادر قال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر يعني انهما عبدان ودليلان على وجود الاله والسجدة عبارة عن نهاية التعظيم فهي لا تليق الا بمن كان اشرف الموجودات فقال تعالى لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما عبدان مخلوقان واسجدوا لله الخالق القادر الحكيم والضمير في قوله تعالى خلقهن لليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى والاناث ... الاعلام ... وانما قال تعالى ومن اياته في معنى الايات فعل خلقهن وانما قال تعالى ان كنتم اياه تعبدون لان ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب يزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله تعالى فهو اعتبر هذه الواسطة وامروا ان لا يسجدوا الا لله تعالى الذي خلق هذه الاشياء فان قيل اذا كان لا بد من قبلة معينة فلو جعلنا الشمس قبلة عند السجود كان ذلك اولى قلنا الشمس جوهر مشرق عظيم الرفعة على الدرجة فلو اذن الشرع في جعل الشمس قبلة في الصلوات فعند اعتبار السجود الى جانب الشمس ربما غلب على الاوهام ان ذلك السجود للشمس لا لله فلاجل الخوف من هذا المحذور على الشارع الحكيم من جعل الشمس قبلة السجود بخلاف الحجر المعين فانه ليس فيما يوهم الالهية فكان المقصود من القبلة حاصلا والمحذور المذكور زايل فكان هذا اولى **واعلم** ان مذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى عنه ان موضع السجود هو قوله تعبدون لاجل ان قوله تعالى واسجدوا لله متصل به وعند الشافعي رضي الله عنه هو عند قوله تعالى وهم لا يسامون لان الكلام انما يتم عنده ثم انه تعالى لما امر بالسجود قال تعالى بعده فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون وفيه سؤالات **السؤال الاول** ان الذين يسجدون للشمس والقمر يقولون نحن اقل واذل من ان يحصل لنا اهلية عبودية الله تعالى ولكنا عبيد الشمس والقمر وهما عبدان لله تعالى واذا كان قولهم كذا فكيف يليق بهم انهم استكبروا عن السجود لله تعالى والجواب ليس المراد من لفظ الاستكبار ما ذكرتم بل المراد فان استكبروا عن قبول قولك يا محمد في النهي عن السجود للشمس والقمر **السؤال الثاني** ان المشبهة تمسكوا بقوله تعالى فالذين عند ربك في اثبات المكان والجهة لله تعالى والجواب انه يقال عند الملك من الجند كذا وكذا ولا يراد به قرب المكان فكذا ههنا ويدل عليه قوله انا عند ظن عبدي بي وانا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي وفي مقعد صدق عند مليك مقتدر ويقال عند الشافعي ان المسلم لا يقتل بالذمي **السؤال الثالث** هل تدل هذه الاية على ان الملك افضل من البشر الجواب نعم لانه انما يستدل بحال الاعلى على حال الادون فيقال ههنا ان هؤلاء الاقوام ان استكبروا عن طاعة فلان فالاكابر يخدمونه ويعترفون بتقدمه فثبت ان هذا النوع من الاستدلال انما يحسن بحال الاعلى على حال الادون **السؤال الرابع** قال ههنا في صفة الملائكة يسبحون له بالليل والنهار فهذا يدل على انهم مواظبون على التسبيح لا يفترون عنه لحظة واحدة واشتغالهم بهذا العمل على سبيل الدوام يمنعهم من الاشتغال بساير الاعمال لكنهم ينزلون الى الارض كما قال





نزل به الروح الامين على قلبك وقال تعالى ونبئهم عن ضيف ابراهيم وقال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد والجواب ان الذين ذكرهم الله ههنا بكونهم مواظبين على التسبيح اقوام مخصوصون من الملائكة وهم اشراف الاكابر منهم لانه تعالى وصفهم بكونهم عنده والمراد من هذه العندية كمال الشرف والمنصب وهذا لا ينافي كون طائفة اخرى من الملائكة مشتغلين بساير الاعمال فان قالوا هب ان الامر كذلك الا انهم لا بد وان يتنفسوا فاشتغالهم بذلك التنفس صدهم عن تلك الحالة من التسبيح كما ان التنفس سبب لصلاح الحياة بالنسبة الى البشر فذكر الله تعالى سبب صلاح حياتهم والا يجب على العاقل ان يقيس احوال الملائكة في صفاء جوهرها واشراف ذواتها واستغراقها في معارج معارف الله تعالى باحوال البشر فان بين الحالين بعد المشرقين والله اعلم ثم قال تعالى ومن اياته انك ترى الارض خاشعة **واعلم** انه تعالى لما ذكر الايات الاربعة الفلكية وهي الليل والنهار والشمس والقمر اتبعه بذكر اية ارضية فقال تعالى ومن اياته انك ترى الارض خاشعة الخشوع التذلل والتصاغر واستعير هذا اللفظ لحال الارض حال خلوها عن المطر والنبات فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت اي تحركت بالنبات وربت انتفخت لان النبت اذا قرب ان يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات ثم قال تعالى ان الذي احياها لمحي الموتى يعني ان القادر على احياء الارض بعد موتها هو القادر على احياء هذه الاجساد بعد موتها وقد ذكرنا تقرير هذا الدليل مرارا لا نحصيها ثم قال تعالى انه على كل شيء قدير وهذا هو الدليل الاصلي وتقريره ان عود التاليف والتركيب الى تلك الاجزاء المتفرقة ممكن لذاته وعود الحياة والعقل والقدرة الى تلك الاجزاء بعد اجتماعها ايضا امر ممكن لذاته والله تعالى قادر على الممكنات فوجب ان يكون قادرا على اعادة التاليف والتركيب والحياة والقدرة والعقل والفهم الى تلك الاجزاء وهذا يدل دلالة واضحة على ان حشر الاجساد ممكن لا امتناع فيه البتة والله تعالى اعلم بالصواب

**قوله تعالى** ان الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى في النار خير امن ياتي امنا يوم القيمة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

**اعلم** انه تعالى لما بين ان الدعوة الى دين الله تعالى اعظم المناصب واشرف المراتب ثم بين ان الدعوة الى دين الله انما يحصل بذكر دلايل التوحيد والعدل وصحة البعث والقيمة عاد الى تهديد من ينازع في تلك الايات ويحاول القاء الشبهات فيها فقال تعالى ان الذين يلحدون في اياتنا يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فالملحد هو المنحرف ثم بحكم العرف اختص بالمنحرف الى الباطل وقوله تعالى لا يخفون علينا تهديد كما اذا قال الملك المهيب ان الذين ينازعونني في ملكي اعرفهم فانه يكون ذلك التهديد ثم قال تعالى افمن يلقى في النار خير امن ياتي امنا يوم القيمة وهذا استفهام بمعنى التقرير والغرض التنبيه على ان الذين يلحدون في اياتنا يلقون في النار والذين يؤمنون باياتنا ياتون امنين يوم القيمة ثم قال تعالى اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير وهذا ايضا تهديد ثالث ونظيره ما يقوله الملك المهيب عند الغضب الشديد اذا اخذ يعاتب عبيده ثم يقول لهم اعملوا ما شئتم فان هذا مما يدل على الوعيد الشديد ثم قال تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وهذا ايضا تهديد وفي جوابه وجهان احدهما انه محذوف وكما ان الاجوبة المحذوفة في القران على تقدير ان الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم او ما اشبه هذا والثاني ان جوابه قوله تعالى اولئك ينادون من مكان بعيد والاول اصوب ولما بالغ في تهديد الذين يلحدون في ايات القران اتبعه ببيان تعظيم القران فقال تعالى وانه لكتاب عزيز والعزيز له معنيان احدهما الغالب القاهر والثاني الذي لا يوجد نظيره اما كون القران عزيزا بمعنى غالبا فالامر كذلك لانه بقوة حجته غلب كل ما سواه واما كونه عزيزا بمعنى عدم النظير فالامر كذلك لان الاولين والاخرين عجزوا عن معارضته ثم قال تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وفيه وجوه الاول لا يكذبه الكتب المتقدمة كالتورية والانجيل والزبور ولا يجيء كتاب من بعده يكذبه الثاني ما حكم القران بكونه حقا لا يصير باطلا وما حكم بكونه باطلا لا يصير حقا الثالث معناه انه محفوظ من ان ينقص منه فياتيه الباطل من بين يديه او يزاد فيه فياتيه الباطل من خلفه والدليل عليه قوله تعالى وانا له لحافظون فعلى هذا الباطل هو الزيادة والنقصان الرابع يحتمل ان يكون المراد انه لا يوجد في المستقبل كتاب يمكن معارضته ولم يوجد فيما تقدم كتاب يصلح جعله معارضا له قال صاحب الكشاف فهذا تمثيل والمقصود ان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يتصل اليه **واعلم** ان لابي مسلم الاصفهاني ان يحتج بهذه الاية على انه لم يوجد النسخ فيه لان النسخ ابطال فلو دخل النسخ فيه لكان قد اتاه الباطل من خلفه وانه على هذه الاية ثم قال تعالى تنزيل من حكيم حميد اي حكيم في جميع افعاله حميد الى جميع خلقه بسبب كثرة نعمه ولهذا السبب جعل الحمد لله رب العالمين فاتحة كلامه واخبر ان خاتمة كلام اهل الجنة هو قوله تعالى الحمد لله رب العالمين

**قوله تعالى** ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته ءاعجمي وعربي قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد

**اعلم** انه تعالى لما هدد الملحدين في ايات الله تعالى ثم بين شرف ايات الله تعالى وعلو درجة كتاب الله تعالى رجع الى امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يصبر على اذى قومه وان لا يضيق قلبه بسبب ما حكاه عنهم في اول السورة انهم قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه الى قوله تعالى فاعمل اننا عاملون وقال تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وفيه وجهان الاول وهو الاقرب ان المراد ما تقول لك كفار قومك الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب

المنزلة ان ربك لذو مغفرة للمحقين وذو عقاب اليم للمبطلين فوض هذا الامر الى الله تعالى واستغل بما امرت به وهو التبليغ والدعوة الى الله تعالى الثاني ان يكون المراد ما قال لك الا مثل ما قال لسائر الرسل وهو انه امرك وامر كل الانبيا بالصبر على سفاهة الاقوام فمن حقه ان يرجوه اهل طاعته ويخافه اهل المعصية وقد من كلامنا في تفسير هذه السورة هو ذكر الاجوبة عن قولهم وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون مبارة نعمه على فساد هذه الطريقة وتارة بذكر الوعد والوعيد لمن لم يومن بهذا القران ولمن اعرض عنه وامتد الكلام الى هذا الموضع على الترتيب الحسن والنظم الكامل ثم انه تعالى ذكر جوابا اخر عن قولهم وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر فقال تعالى ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته اعجمي وعربي وفيه مسايل **المسألة الاولى** قرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم اعجمي بهمزتين على الاستفهام والباقون بهمزة واحدة ومدة على اصلهم في امثاله لقوله تعالى ءانذرتهم ونحوها على الاستفهام وروي عن ابن عباس كلمة واحدة على الخبر واما القراة بهمزتين فالهمزة الاولى همزة الانكار والمراد لانكروا وقالوا قران اعجمي ورسول عربي او مرسل اليه عربي واما القراة بغير همزة الاستفهام فالمراد الاخبار بان القران اعجمي والمرسل والمرسل اليه عربي **المسألة الثانية** نقلوا في سبب نزول هذه الاية ان الكفار لاجل التعنت قالوا هلا نزل القران بلغة العجم فنزلت هذه الاية وعندي ان امثال هذه الكلمات فيها حيف عظيم على القران لانه يقتضي ورود ايات لا تعلق للبعض على البعض وانه يوجب اعظم انواع الطعن فكيف يتم مع التزام مثل هذا الطعن ادعا كونه كتابا منتظما فضلا عن ادعا كونه معجزا بل الحق عندي ان هذه السورة من اولها الى اخرها كلام واحد على ما حكى الله تعالى عنهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر وهذا الكلام ايضا متعلق به وجواب له والتقدير انا لو انزلنا هذا القران بلغة العجم لكان لهم ان يقولوا كيف ارسلت كلام العجم الى القوم العرب ويصح لهم ان يقولوا قلوبنا في اكنة من هذا الكلام وفي اذاننا وقر منه لانا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه اما لما انزلنا هذا الكتاب بلغة العرب وبالفاظهم وانتم من اهل هذه اللغة فكيف يمكنكم ادعا ان قلوبكم في اكنة منها وفي اذانكم وقر منها فظهر انا اذا جعلنا هذا الكلام جوابا عن تلك السورة منتظما الى اخرها على احسن الوجوه التي يذكره الناس فهو عجيب جدا ثم قال تعالى قل هو للذين امنوا هدى وشفا والذين لا يومنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد **واعلم** ان هذا متعلق بقولهم وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه الى اخر الاية كانه تعالى يقول ان هذا الكلام ارسلته اليكم بلغتكم لا بلغة اجنبية عنكم فلا يمكنكم ان تقولوا ان قلوبنا في اكنة بسبب جهلنا بهذه اللغة فبقي ان يقال ان كل من اتاه الله تعالى طبعا مايلا الى الحق وقلبا واعيا للصدق وهمة تدعوه الى بذل الجهد في طلب الدين فان هذا القران يكون في حقه هدى وشفا اما كونه هدى فلانه اذا امكنه الاهتدا فقد حصل الهدى وذلك الهدى شفا له من مرض الجهل والكفر واما من غرق في بحر الخذلان في معادن الحرمان وشغف بمتابعة الشيطان فكان هذا القران عليهم عمى كما قال تعالى ومن بيننا وبينك حجاب فاولئك ينادون من مكان بعيد بسبب ذلك الحجاب الذي حال بين الانتفاع ببيان القران وكل من انصف ولم يتعسف علم انا اذا فسرنا هذه الايات على الوجه الذي ذكرناه صارت السورة من اولها الى اخرها كلاما واحدا منتظما مسوقا نحو غرض واحد فيكون هذا التفسير اولى مما ذكروه وقرا الجمهور وهو عليهم عمى على المصدر وقرا ابن عباس عم على النعت قال ابو عبيد والاولى هو الوجه لقوله تعالى هدى وشفا فكذلك عمى مصدر مثلهما ولو كان المذكور انه هاد وشاف لكسر عم احود فيكون نعتا مثلهما وقوله تعالى اولئك ينادون من مكان بعيد قال ابن عباس يريد مثل البهيمة التي لا تفهم الا دعا ونداء وقيل من دعي من مكان بعيد لم يسمع وان سمع لم يفهم فكذلك حال هولاء ثم قال تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه والقول ايضا ان هذا متعلق بما قبله كانه قيل انا لما اتينا موسى الكتاب اختلفوا فيه فقبله بعضهم ورده اخرون فكذلك اتيناك هذا الكتاب فقبله بعضهم وهم اصحابك ورده اخرون وهم الذين يقولون قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم قال تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك يعني في تاخير العذاب عنهم الى اجل مسمى وهو يوم القيمة كما قال تعالى بل الساعة موعدهم لقضي بينهم يعني المصدق والمكذب بالعذاب الواقع بمن كذب وانهم لفي شك منه من صدقك وكتابك مريب فلا ينبغي ان يعظم استيحاشك من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم قال تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها يعني خفف على نفسك اعراضهم فانهم ان امنوا فنفع ايمانهم يعود اليهم وان كفروا فضرر كفرهم يعود اليهم والله سبحانه وتعالى يوصل الى كل احد ما يليق بعمله من الجزاء وما ربك بظلام للعبيد والله تعالى اعلم بالصواب

## قوله تعالى

إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرة من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم اين شركائي قالوا اذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص لا يسام الانسان من دعا الخير وان مسه الشر فيئوس قنوط ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضرا مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعا عريض قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شي محيط

**اعلم انه تعالى** لما هدد الكفار في الاية المتقدمة بقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها ومعناه انه جزا كل احد يصل اليه في يوم القيمة فكان سائلا قال ومتى يكون ذلك اليوم فقال تعالى انه لا سبيل للخلق الى معرفة وقت ذلك اليوم ولا يعلمه الا الله تعالى فقال تعالى اليه يرد علم الساعة وهذه الكلمة تفيد الحصر اي لا يعلم وقت الساعة بعينه الا الله تعالى وكان هذا العلم ليس





الا عند الله تعالى فكذلك العلم بحدوث الحوادث المستقبلة في اوقاتها المعينة ليس الا عند الله تعالى ثم ذكر من امثلة هذا الباب مثالين احدهما قوله تعالى وما تخرج من ثمرة من اكمامها والثاني قوله تعالى وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه والاكمام جمع كم اكمام ها اوعيتها وهي ما كانت فيه الثمرة واحدها كم وكمة قرا نافع وابن عامر وحفص عن عاصم من ثمرات بالالف على الجمع والباقون من ثمرة بغير الف على الواحد **واعلم** ان نظير هذه الاية قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الى اخر الاية فان قيل اليس المنجمون قد يعرفون من طوالع سنة العالم احوالا كثيرة من احوال العالم وكذلك قد يعرفون من طوالع الناس اشيا من احوالهم وهاهنا شي اخر يسمى علم الرمل وهو كثير الاصابة وايضا علم التعبير بالاتفاق قد يدل على احوال المغيبات فكيف الجمع بين هذه العلوم المشاهدة وبين هذه الاية قلنا ان اصحاب هذه العلوم لا يمكنهم القطع والجزم في شي من المطالب البتة وانما الغاية القصوى ادعا ظن ضعيف والمذكور في هذه الاية ان علمها ليس الا عند الله تعالى وهو العلم والجزم واليقين وبهذا الطريق زالت المنافاة والمعاندة والله تعالى اعلم ثم انه تعالى لما ذكر القيمة اردفه بشي من احوال يوم القيمة وهو هذا الذي ذكره هاهنا شديد التعليق ايضا بما وقع الابتدا به في اول السورة لانه تعالى انه نفرهم عن استماع القران انما حصلت لاجل محمد صلى الله عليه وسلم فكان يدعوهم الى التوحيد والى البراة عن الاصنام والاوثان بدليل انه قال في اول السورة قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فذكر في خاتمة السورة وعيد القائلين بالشركا والانداد فقال تعالى ويوم يناديهم اين شركائي بحسب زعمكم واعتقادكم قالوا اذناك قال ابن عباس اسمعناك لقوله تعالى واذنت لربها وحقت يعني سمعت وقال الكلبي اعلمناك وهذا بعيد لان اهل القيمة يعلمون الله ويعلمون انه يعلم الاشيا علما واجبا واعلامه في حقه محال ثم قال ما منا من شهيد وفيه وجوه **الاول** ليس احد منا يشهد بان لك شريكا والمقصود انهم في ذلك اليوم يتبرون من اثبات الشريك لله تعالى **الثاني** ما منا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم الهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ **الثالث** ان قوله تعالى ما منا من شهيد كلام الاصنام كان الله يحييها ثم انها تقول ما منا احد يشهد بصحة ما اضافوا الينا من الشركة وعلى هذا التقدير فمعنى ضلالهم عنهم انهم لا ينفعونهم وكانهم ضلوا عنهم ثم قال تعالى وظنوا ما لهم من محيص وهذا ابتدا كلام من الله تعالى يقول ان الكفار ظنوا ان لا محيص لهم عن النار ثم اعلموا ذلك بعده وهذا بعيد لان اهل النار يعلمون ان عقابهم دايم ولما بين تعالى من حال هولا الكفار انهم بعد ان كانوا مصرين على القول باثبات الشركا والاضداد لله تعالى في الدنيا تبروا عن تلك الشركا في الاخرة بين ان الانسان في جميع الاوقات متبدل الاحوال متغير المنهج فان احس بخير وقدرة انتفخ وتعظم وان احس بلا ومحنة ذبل كما قيل في المثل ان هذا كالفرح ان راى خيرا تدلل وان راى شرا تولى فقال تعالى لا يسام الانسان من دعا الخير وان مسه الشر فيئوس قنوط يعني انه في حال الاقبال لا ينتهي قط الى درجة الا ويطلب الزيادة عليها ويطمع بالفوز بها وفي حال الادبار والحرمان يصير ايسا قانطا والانتقال من ذلك الرجا الذي لا اخر له الى هذا الياس الكلي يدل على كونه متبدل الصفة متغير الحال وفي قوله يوس قنوط مبالغة من وجهين احدهما من طريق فعول والثاني من طريق التكرير واليأس من صفة القلب والقنوط ان يظهر اثار الياس في الوجه والاحوال الظاهرة والباطنة ثم بين تعالى ان الذي صار ايسا قانطا لو عاوده النعمة والدولة وهو تلك المراد من قوله تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضرا مسته فان الرجل ياتي بالكفر والبعد عن الله تعالى فاولها انه لا بد وان يقول هذا لي وفيه وجهان **احدهما** معناه ان هذا حقي وصل الي لاني استوجبته بما حصل عندي من انواع الفضايل واعمال البر والقربة من الله ولا يعلم المسكين ان احدا لا يستحق على الله شيا وان كان موصوفا بشي من الفضايل والصفات الحميدة فتلك بامرها انما حصلت له بفضل الله واحسانه واذا تفضل الله تعالى بشي على بعض عبيده امتنع ان يصير تفضله عليه سببا لان يستحق على الله شيا اخر فثبت بهذا فساد قوله انه انما حصلت هذه الخيرات بسبب استحقاق **والوجه الثاني** هذا لي اي لا يزول عني ويبقى علي وعلى اولادي **والنوع الثاني** من كلمات الفاسدة ان يقول وما اظن الساعة قائمة يعني انه يكون شديد الرغبة في الدنيا عظيم النفرة عن الاخرة فاذا ال الامر الى احوال الدنيا يقول انها لي واذا ال الامر الى الاخرة يقول وما اظن الساعة قائمة **والنوع الثالث** من كلماتهم الفاسدة ان يقولوا ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى يعني ان الغالب على الظن ان القول بالبعث والقيمة باطل وبتقدير ان يكون حقا فان لي عنده للحسنى وهذه الكلمة تدل على جزمهم بوصولهم الى الثواب من وجوه الاول ان كلمة ان تفيد التاكيد الثاني ان تقديم كلمة لي تدل على هذا التاكيد الثالث قوله يدل على ان تلك الخيرات حاضرة مهياة كما تقول لي عند فلان كذا من الدنانير فان هذا يفيد كونها حاضرة عنده فلو قلت ان لي عند فلان كذا من الدنانير لا يفيد التاكيد والرابع في قوله تعالى للحسنى يفيد التاكيد الخامس للحسنى يفيد الكمال في الحسنى ولما حكى الله تعالى عنهم هذه الاقوال الثلاثة الفاسدة قال تعالى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا اي نظهر لهم ان الامر على ضد ما اعتقدوه وعلى عكس ما تصوروه كما قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هبا منثورا ولنذيقنهم من عذاب غليظ في مقابلة قولهم ان لي عنده للحسنى ولما حكى الله تعالى عنهم اقوال الذين انعم عليهم بعد وقوعهم في الافات حكى افعالهم ايضا فقال تعالى واذا انعمنا على الانسان اعرض عن التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم ثم ان مسه الضر والفقر اقبل على دوام الدعا واخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لدوام الدعا ودوامه وهو من صفات الاجرام ويستعار له الطول ايضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب **واعلم** انه تعالى لما ذكر الوعيد العظيم على الشرك وبين ان المشركين يرجعون عن القول بالشرك في يوم القيمة ويظهرون من انفسهم الذلة والخضوع بسبب استيلا الخوف عليهم وبين ان الانسان جبل على التبدل فاذا وجد لنفسه قوة بالغ في التكبر

والتعظيم وان احسن بالفتور والتضعيف بالغ في اظهار الذلة والمسكنة ذكر عقيبه كلاما اخر يوجب على هولا الكفار ان لا يبالغوا في اظهار النفرة من قبول التوحيد وان لا يفرطوا في اظهار العداوة مع الرسول فقال قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد وتقرير هذا الكلام انكم كلما سمعتم هذا القران اعرضتم عنه وما تاملتم وبالغتم في النفرة عنه حتى قلتم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن المعلوم بالضرورة انه ليس العلم بكون القران باطلا علما بديهيا وليس العلم ببطلان القول بالتوحيد والنبوة علما بديهيا فقبل الدليل يحتمل ان يكون صحيحا وان يكون كاذبا فاسدا فبتقدير ان يكون صحيحا كان اصراركم على دفعه من اعظم موجبات العقاب فهذا الطريق يوجب عليكم ان تتركوا هذه النفرة وان ترجعوا الى النظر والاستدلال فان دل الدليل على صحته قبلتموه وان دل على فساده تركتموه فاما قبل الدليل فالاصرار على الدفع والاعراض بعيد عن العقل وقوله ممن هو في شقاق بعيد موضوع موضع بيانا لحالهم في صفتهم ولما ذكر هذه الوجوه الكثيرة في تقرير وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق قال الواحدي واحد الافاق افق وهو الناحية من نواحي الارض وكذلك افاق السما نواحيها واطرافها وفي تفسير قوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وجوه الاول ان المراد بايات الافاق الايات الفلكية الكوكبية وايات المواليد الثلاثة وقد اكثر الله منها في القران وقوله تعالى وفي انفسهم والمراد منها الدلايل الماخوذة من كيفية تكون الاجنة في ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء العجيبة والتركيبات العجيبة كما قال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون يعني نريهم هذه الدلايل مرة اخرى الى ان يزول الشبهات عن قلوبهم ويحصل فيها الجزم والقطع بوجود الاله القادر العليم الحكيم المنزه عن المثل والضد فان قيل هذا الوجه ضعيف لان قوله تعالى سنريهم يقتضي انه تعالى ما اطلعهم على تلك الايات الى الان وسيطلعهم عليها بعد ذلك والايات الموجودة في العالم الاعلى والاسفل قد كان الله اطلعهم عليها قبل ذلك فثبت انه تعذر حمل هذا اللفظ عليه اي على هذا الوجه قلنا ان القوم وان كانوا قد راوا هذه الاشيا الا ان العجايب التي اودعها الله تعالى في هذه الاشيا مما لا نهاية لها فهو تعالى يطلعهم على تلك العجايب زمانا فزمانا ومثاله كل احد راى بعينه بنية الانسان وشاهدها الا ان العجايب التي ابدعها الله تعالى في تركيب هذا البدن كثيرة واكثر الناس لا يعرفونها والذي وقف على شي منها فكلما ازداد وقوفا على تلك العجايب والغرايب فهذا الطريق قوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم والقول الثاني ان المراد بايات الافاق فتح البلاد المحيطة بمكة وبايات انفسهم فتح مكة والقايلون بهذا القول رجحوه على القول الاول لان بالوجه الاول كما قررناه فان قيل حمل الاية على هذا الوجه بعيد لان اقصى ما في الباب ان محمدا صلى الله عليه وسلم استولى على البلاد المحيطة بمكة ثم استولى على مكة الا ان الاستيلا على بعض البلاد لا يدل على كون المستولي محقا فانا نرى ان الكفار قد يحصل لهم الاستيلا على بعض البلاد لا يدل على كون المستولي وعلى ملوكهم وذلك لا يدل على كونهم محقين قلنا ولهذا السبب قلنا ان حمل الاية على الوجه الاول اولى ثم نقول انا اذا اردنا تصحيح هذا الوجه قلنا لا نستدل بمجرد الاستيلا محمد صلى الله عليه وسلم على تلك البلاد على كونه محقا في ادعا النبوة بل نستدل به من حيث انه صلى الله عليه وسلم اخبر عن انه سيستولي عليها ويقهر اهلها ويصير اصحابه قاهرين للاعدا فهذا اخبار عن الغيب وقد وقع مخبره مطابقا لخبره فيكون هذا اخبارا صادقا عن الغيب معجزا فبهذا الطريق نستدل بحصول هذا الاستيلا على كون هذا الدين حقا ثم قال تعالى اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد قوله بربك في موضع الرفع على انه فاعل كفى وانه على كل شي شهيد بدل منه تقديره اولم يكفهم ان ربك على كل شي شهيد ومعنى كونه تعالى شهيدا على الاشيا خلق الدلايل الدالة عليها وقد استقصينا ذكره في تفسير قوله تعالى قل اي شي اكبر شهادة قل الله والمعنى اولم تكفهم هذه الدلايل الكثيرة التي اوضحها الله تعالى وقررها في هذه السورة وفي كل سور القران الدالة على التوحيد والتنزيه والعدل والنبوة ثم ختم السورة بقوله تعالى الا انهم في مرية من لقاء ربهم اي ان القوم في شك عظيم وشبهة شديدة من البعث والقيمة وقرئ في مرية بالضم ثم قال تعالى الا انه بكل شي محيط اي عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها فيعلم بواطن هولاء الكفار وظواهرهم ويجازي كل احد على فعله بحسب ما يليق به ان خيرا فخير وان شرا فشر فان قيل قوله تعالى الا انه بكل شي محيط يقتضي ان تكون معلوماته متناهية قلنا ان قوله تعالى بكل شي محيط يقتضي ان يكون علمه محيطا بكل شي واحد من هذه الاشيا فهذا يقتضي كون كل واحد منها متناهيا لا كون مجموعها متناهية والله تعالى اعلم بالصواب

**قوله تعالى** حم عسق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملايكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه اوليا الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل

**اعلم** ان الكلام في امثال هذه الفواتح معلوم الا ان في هذا الموضع سوالات وابحاث **الاول** ان هذه السورة مصدرة بقوله حم فما السبب في اختصاص هذه السورة بمزيد عسق الثاني انهم اجمعوا على انه لا يفصل بين كهيعص وهاهنا يفصل بين حم وبين عسق فما السبب **واعلم** ان الكلام في امثال هذه المواضع يضيق وفتح باب المجازفات مما لا سبيل اليه فالاولى ان يفوض علمها الى الله تعالى وقرا ابن عباس وابن مسعود حم سق اما قوله تعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك وعند هذا حصل قولان الاول نقل عن ابن عباس انه قال لا نبي صاحب كتاب الا وقد اوحى الله اليه حم عسق وهذا عندي بعيد والثاني ان يكون المعنى مثل الكتاب المسمى بحم عسق يوحي الله اليك والى الذين من قبلك وهذه المماثلة المراد منها المماثلة في الدعوة الى التوحيد

والعدل



والعدل والنبوة والمعاد وتقبيح احوال الدنيا والترغيب في التوجه الى الاخرة والذي يؤكد هذا انا بينا في تفسير سورة سبح اسم ربك الاعلى ان اولها في تقرير التوحيد واوسطها في تقرير النبوة واخرها في تقرير المعاد ولما ختم الكلام في تقرير هذه المطالب الثلاثة قال تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى يعني ان المقصود من انزال جميع الكتب الالهية ليس الا هذه المطالب الثلاثة فكذلك هاهنا يعني مثل الكتاب المسمى بحم عسق يوحي الله اليك والى كل من قبلك من الانبيا والمراد بهذه المماثلة الدعوة الى هذه المطالب العالية والمباحث المقدسة الالهية قال صاحب الكشاف ولم يقل اوحى اليك ولكن قال يوحي اليك على لفظ المضارع ليدل على ان ايحا مثله عادته وقرا ابن كثير كذلك يوحى بفتح الحا على ما لم يسم فاعله وهي احدى الروايات عن ابي عمرو وعن بعضهم نوحي بالنون وقرا الباقون يوحي اليك والى الذين من قبلك الله بكسر الحا فان قيل فعلى القراءة الاولى ما رافع اسم الله تعالى قلنا ما دل عليه يوحي فان قيل من الموحي قيل الله ونظيره قراءة السلمي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم على البنا للمفعول ورفع شركاؤهم فان قيل فما رافعه فمن قرا نوحي بالنون قلنا يرتفع بالابتدا والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان والظرف خبر ولما ذكر تعالى ان هذا الكتاب حصل بالوحي بين ان الموحي من هو فقال تعالى انه هو العزيز الحكيم وقد بينا في اول سورة حم المومن ان كونه عزيزا يدل على كونه قادرا وعلى ما لا نهاية له وكونه حكيما كونه قادرا على جميع المقدورات عالما بجميع المعلومات غنيا عن جميع الحاجات ومن كان كذلك كانت افعاله واقواله كلها حكمة وصوابا وكانت مبراة عن العبث والعبث قال مولانا مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه في قصيدة

الحمد لله ذي الالا والنعم — والفضل والجود والاحسان والكرم
مقدس الملك عن عزل وعن عدم — منزه الفعل عن عبث وعن عنت

والصفة الثالثة قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض وهذا يدل على مطلق بين في غاية الجلال احدها كونه موصوفا بقدرة كاملة نافذة في جميع اجزا السموات والارض على عظمها وسعتها بالايجاد والاعدام والتكوين والابطال والثاني انه لما بين بقوله له ما في السموات وما في الارض ان كل ما في السموات وما في الارض فهو ملكه وملكه وجب ان يكون منزها عن كونه حاصلا في السموات وفي الارض والا لزم كونه ملكا لنفسه واذا ثبت انه ليس بشي من السموات امتنع ايضا من كونه في العرش لان كل ما سماك فهو سما فاذا كان العرش موجودا فوق السموات كان في الحقيقة سما فوجب ان يكون كلما كان حاصلا في العرش ان يكون ملكا لله وان يكون ملكا له فوجب ان يكون منزها عن كونه حاصلا وان قالوا انه تعالى قال له ما في السموات وكلمة ما لا يتناول من يعقل قلنا هذا مدفوع من وجهين الاول ان لفظ ما واردة في حق الله تعالى قال تعالى والسما وما بناها والارض وما طحاها وقال تعالى لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد والثاني ان صيغة من وردت في مثل هذه الصورة قال تعالى ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا وكلمة من لا شك انها واردة في حق من يعقل فدلت هذه الاية على ان كل من في السموات والارض فهو عبد الله فلو كان الله موجودا في السموات وفي العرش لكان هو من جملة من في السموات فوجب ان يكون عبد الله ولما ثبت بهذه الايات ان كل من كان موجودا في السموات وفي العرش فهو عبد الله وجب فيمن تقدست كبرياوه عن تهمة العبودية ان يكون منزها عن الكون في المكان والجهة والعرش والكرسي والصفة الرابعة قوله تعالى وهو العلي العظيم ولا يجوز ان يكون المراد بكونه عليا العلو في الجهة والمكان لما سبقت الدلالة على فساده ولا يجوز ان يكون المراد من التعظيم العظمة الحسية وكبر الجسم لان ذلك يقتضي كونه مولفا من الاجزا والابعاض وذلك ضد قوله الله احد فوجب ان يكون المراد من العلي المتعالي عن مشابهة الممكنات ومناسبة المحدثات ومن العظيم العظمة بالقدرة الكاملة والقهر والاستعلا وكمال الالهية ثم قال تعالى تكاد السموات يتفطرن من فوقهن وفيه مسايل قرا ابو عمرو وعاصم في رواية ابي بكر تكاد بالتا والنون وقرا الباقون ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم في رواية ابي بكر تكاد يتفطرن بالتا والتا وقرا نافع والكسائي يكاد باليا ويتفطرن ايضا باليا قال صاحب الكشاف وروى يونس عن ابي عمرو قراءة غريبة يتفطرن بالتاء والنون ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن الاعرابي الابل تتشمسن في غاية قوله تعالى من فوقهن وجوه الاول روى عكرمة عن ابن عباس انه قال تكاد السموات يتفطرن من فوقهن قال المعنى انها تكاد تتفطر من ثقل الله عليها واعلم ان هذا القول سخيف ويجب القطع ببراة ابن عباس عنه ويدل على فساده وجوه الاول ان قوله من فوقهن لا يفهم منه من فوقهن وثانيها انه لو حمل على ذلك لكن لم لا قلتم ان هذه الحالة انما حصلت من ثقل الملايكة عليها كما جا في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال اطت السما وحق لها ان تاط ما فيها موضع شبر الا وفيها ملك قايم او راكع او ساجد وثالثها لم لا يجوز ان يكون المراد تكاد السموات تنشق وتتفطر من هيبة من فوقها فوقية بالالهية والقهر والقدرة فثبت بهذه الوجوه ان القول الذي ذكروه في غاية الفساد والركاكة والوجه الثاني في تاويل الاية ما ذكره صاحب الكشاف وهو ان كلمة الكفر انما جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس ان يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التي جاءت منها الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت موثرة في جهة الفوق كانه قيل يكدن يتفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود فجعل موثرا في اجزايهم الباطنة الوجه الثالث في تاويل الاية ان يقال من فوقهن اي من فوق الارضين لانه تعالى قال قبل هذه الاية له ما في السموات وما في الارض ثم قال تعالى تكاد السموات يتفطرن من فوقهن اي من فوق الارضين والوجه الرابع في التاويل ان يقال معنى من فوقهن اي من الجهة حصلت هذه السموات فيها وتلك الجهة هي فوق فقوله من فوقهن اي من الجهة الفوقانية التي هن فيها اختلفوا في ان هذه الهيبة لم حصلت وفيه قولان الاول انه تعالى لما بين ان الموحي لهذا الكتاب هو الله العزيز الحكيم من وصف جلاله وكبريائه فقال تعالى تكاد السموات يتفطرن من هيبته وجلالته والقول الثاني ان السبب فيه اثباتهم الولد لله تعالى كقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه السبب هاهنا فيه اثباتهم الشركا لله لقوله تعالى بعد هذه الاية والذين اتخذوا من دونه اوليا والصحيح

هو الاول ثم قال تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض واعلم ان مخلوقات الله تعالى نوعان عالم الجسمانيات
واعظمها السموات وعالم الروحانيات واعظمها الملائكة والله سبحانه وتعالى يقرر كمال عظمته لاجل نفاذ قدرته وهيبته
في الجسمانيات ثم يردفه بنفاذ قدرته واستيلاء هيبته على الروحانيات والدليل عليه انه تعالى في سورة عم يتساءلون لما اراد
تقرير العظمة والكبرياء بدا بذكر الجسمانيات فقال رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا ثم انتقل الى
ذكر عالم الروحانيات فقال تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا فكذلك القول
في هذه الاية بين كمال عظيم عظمته باستيلاء كمال هيبته على الجسمانيات فقال تعالى تكاد السموات يتفطرن من فوقهن ثم
انتقل الى ذكر الروحانيات فقال تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم فهذا ترتيب شريف وبيان باهر **واعلم** ان الموجودات
على ثلثة اقسام مؤثر لا يقبل الاثر وهو الله سبحانه وتعالى وهو اشرف الاقسام ومتاثر لا يؤثر وهو العالم وهو الجسم
وهو اخس الاقسام وموجود يقبل الاثر من القسم الاول ويؤثر في القسم الثاني وهو الجوهر الروحاني المقدس وهو المرتبة
المتوسطة اذا عرفت هذا فنقول الجواهر الروحانية لها تعلقان تعلق بعالم الكبرياء والجلال وهو تعلق القبول فان الجلال
والاضواء الصمدية اذا اشرقت على الجواهر الروحانية استضاءت جواهرها واشرقت ماهياتها ثم ان الجواهر الروحانية اذا استضاءت
تلك القوى الروحانية قويت بها على الاستيلاء على عوالم الجسمانيات واذا كان كذلك فلها وجهان وجه الى جانب الكبرياء
وحضرة الجلال ووجه الى عالم الاجسام والوجه الاول اشرف من الثاني اذا عرفت هذا فقوله سبحانه وتعالى بحمد ربهم اشارة الى الوجه الذي
بهم الى عالم الاجسام فما احسن هذه اللطائف وما اشرفها وما اشد تاثيرها في جذب الارواح من حضيض الخلق الى اوج معرفة الحق اذا عرفت
هذا فنقول اما الجهة الاولى وهي الجهة العلوية المقدسة فقد اشتملت على امرين احدهما التسبيح وثانيهما التحميد لان قوله تعالى يسبحون
بحمد ربهم يفيد هذين الامرين والتسبيح مقدم على التحميد لان التسبيح عبارة عن تنزيه الله تعالى عما لا ينبغي والتحميد عبارة عن وصفه
بكونه معطيا لكل الخيرات وكونه تعالى منزها في ذاته عما لا ينبغي مقدم بالرتبة على كونه فياضا للخيرات والسعادات لان
وجود الشيء متقدم على وجوده وحصوله في نفسه متقدم على تاثيره في حصول غيره فلهذا السبب كان التسبيح مقدما على التحميد
فلهذا يسبحون بحمد ربهم واما الجهة الثانية وهي الجهة التي لتلك الارواح الى عالم الجسمانيات فالاشارة اليها بقوله تعالى
ويستغفرون لمن في الارض والمراد منه تاثيراتها في نظم احوال هذا العالم وحصول الطريق الاصوب الاصلح فيها فهذه ملاوح من المباحث
الالهية مدرجة في هذه الايات المقدسة ولنرجع الى ما يليق بعلم التفسير فان قيل كيف يصح ان يستغفروا لمن في الارض وفيهم
الكفار وقد قال تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يكونون لاعنين لهم ومستغفرين لهم قلنا والجواب من وجوه
الاول ان قوله تعالى لمن في الارض لا يفيد العموم لانه يصح ان يقال انهم استغفروا لكل من في الارض وان يقال انهم استغفروا لبعض
من في الارض دون البعض ولو كان قوله تعالى لمن في الارض صريحا في العموم لما صح ذلك التقسيم الثاني هب ان هذا النص يفيد
العموم الا انه تعالى حكى عن الملائكة في سورة حم المؤمن فقال تعالى ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما
فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الثالث يجوز ان يكون المراد من الاستغفار ان لا يعاجلهم بالعقاب كما في قوله تعالى
ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا الرابع يجوز ان يقال انهم يستغفرون لكل من
في الارض اما في حق الكفار فبطلب الايمان لهم واما في حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيئاتهم فانا نقول اللهم اهد
الكفار وزين قلوبهم بنور الايمان وازل عن خواطرهم وحشة الكفر وهذا في الحقيقة استغفار **واعلم** ان قوله تعالى
ويستغفرون لمن في الارض يدل على انهم لا يستغفرون لانفسهم ولو كانوا مقدمين على المعصية لكان استغفارهم لانفسهم
قبل استغفارهم لمن في الارض وحيث لم يذكر الله تعالى عنهم استغفارهم لانفسهم علمنا انهم مبرؤون عن كل الذنوب والانبياء
عليهم السلام لهم ذنوب والذين لا ذنب لهم البتة افضل ممن له ذنب وايضا فقوله تعالى ويستغفرون لمن في الارض
يدل على انهم يستغفرون للانبياء لان الانبياء من جملة من في الارض واذا كانوا مستغفرين للانبياء عليهم السلام كان الظاهر
انهم افضل منهم ولما حكى الله تعالى عن الملائكة التسبيح والتحميد والاستغفار قال الا ان الله هو الغفور الرحيم والمقصود
التنبيه على ان الملائكة وان كانوا يستغفرون للبشر الا ان المغفرة المطلقة والرحمة المطلقة للحق سبحانه وتعالى وبيانه
من وجوه الاول ان اقدام الملائكة على طلب المغفرة للبشر من الله انما كان لان الله تعالى خلق في قلوبهم تلك الدواعي والا ما
اقدموا على ذلك الطلب واذا كان كذلك كان الغفور المطلق والرحيم المطلق هو الله سبحانه وتعالى الثاني ان الملائكة
قالوا في اول الامر اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ثم قالوا في اخر الامر صاروا
يستغفرون لمن في الارض واما رحمة الحق واحسانه فقد كان موجودا في الاول والاخر فثبت ان الغفور المطلق والرحيم المطلق
هو الله تعالى الثالث انه تعالى حكى عنهم انهم يستغفرون لمن في الارض ولم يحك عنهم انهم يطلبون الرحمة لمن في الارض فقال
تعالى الا ان الله هو الغفور الرحيم يعني انه يعطي المغفرة التي طلبوها ويضم اليها الرحمة الكاملة التامة ثم قال تعالى والذين
اتخذوا من دونه اولياء اي جعلوا له شركاء وانداد الله حفيظ عليهم اي رقيب على احوالهم واعمالهم لا يفوته منها شيء
وهو محاسبهم عليها لا رقيب عليهم الا هو وحده وما انت يا محمد بمفوض اليك امرهم ولا قسرهم على الايمان انما انت منذر فحسب
والله تعالى اعلم **قوله تعالى** وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها
وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن





يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولي وهو يحيي
الموتى وهو على كل شيء قدير وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب
فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم **اعلم**
ان كلمة ذلك للاشارة الى شيء سبق ذكره فقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا يقتضي ان يكون قد اوحى الله بالقران شيء
سبق ذكره وليس هاهنا شيء سبق ذكره يمكن تشبيه وحي القران به الا قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم
بوكيل يعني كما اوحينا اليك انك لست حفيظا عليهم ولست وكيلا عليهم فكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا ليكون نذيرا لهم وقوله
تعالى لتنذر ام القرى ومن حولها اي اهل ام القرى لان البلد لا تعقل وهو كقوله تعالى واسال القرية التي كنا فيها وام القرى اصل القرى يعني مكة
وسميت بهذا الاسم اجلالا لها لان فيها البيت ومقام ابراهيم والعرب تسمي اصل كل شيء امه حتى يقال هذه القصيدة من امهات قصائد
فلان ومن حولها من اهل البدو والحضر واهل المدر والوبر والتحريف فان قيل فظاهر اللفظ يقتضي ان الله تعالى انما اوحى اليه
لينذر اهل مكة واهل القرى المحيطة بمكة وهذا يقتضي ان يكون رسولا اليهم فقط وان لا يكون رسولا الى كل العالمين
والجواب ان التخصيص بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما سواه فهذه الاية تدل على كونه رسولا الى اهل مكة وايضا لما ثبت
كونه رسولا الى اهل مكة وجب ان يكون رسولا الى كل العالمين لانه لما ثبت كونه رسولا الى اهل مكة وجب كونه صادقا
ثم انه نقل الينا بالتواتر انه كان يدعي انه رسول الى كل العالمين والصادق اذا اخبر عن شيء وجب تصديقه فيه فثبت
انه رسول الى كل العالمين ثم قال تعالى وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه الاصل ان يقال انذرت فلانا بكذا فكان الواجب
ان يقال لتنذر ام القرى بيوم الجمع وايضا فيه اضمار والتقدير لتنذر اهل ام القرى بعذاب يوم الجمع وفيه وجوه سمي بيوم الجمع
الاول ان الخلائق يجمعون فيه قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فيجتمع فيه اهل السموات مع اهل الارض الثاني
انه يجمع بين الارواح والاجساد الثالث يجمع بين كل عامل وعمله الرابع يجمع بين الظالم والمظلوم وقوله لا ريب فيه صفة ليوم الجمع والتقدير
ليوم الجمع الذي لا ريب فيه وقوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير والتقدير ليوم الجمع الذي من صفته انه يكون القوم فيه
فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير فان قيل قوله تعالى يوم الجمع يقتضي كون القوم مجتمعين وقوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير
يقتضي كونهم متفرقين والجمع بين الصفتين محال قلنا انهم يجتمعون اولا ثم يصيرون فريقين ثم قال تعالى ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة
المراد تقرير قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل اي لا يكون في قدرتك ان تحملهم على
الايمان فلو شاء الله ذلك لفعله لانه اقدر منك ولكنه جعل البعض مؤمنا والبعض كافرا فقوله تعالى يدخل من يشاء في رحمته
يدل على انه تعالى هو الذي ادخلهم في الايمان والطاعة وقوله تعالى والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير يعني انه تعالى ما ادخلهم
في رحمته وهذا يدل على ان الاولين والاخرين انما دخلوا في رحمته لانه كان لهم ولي ونصير ادخلهم في تلك الرحمة وهؤلاء ما كان لهم ولي
ونصير يدخلهم في رحمته ثم قال تعالى ام اتخذوا من دونه اولياء والمعنى انه تعالى حكى عنهم اولا انهم اتخذوا من دونه اولياء ثم
قال بعده لمحمد صلى الله عليه وسلم لست عليهم رقيبا ولا حافظا ولا يجب عليك ان تحملهم على الايمان شاؤوا ام ابوا فان هذا المعنى
لو كان واجبا لفعله الله لانه اقدر منك ثم انه تعالى اعاد بعده ذلك الكلام على سبيل الانكار فقال قوله تعالى ام اتخذوا
من دونه اولياء استفهام على سبيل الانكار ثم قال تعالى فالله هو الولي والفاء في قوله فالله هو الولي جواب شرط مقدر كانه
قيل ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي لانه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء
ثم قال تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله وفيه مسائل وجه النظم انه تعالى كما منع الرسول
صلى الله عليه وسلم ان يحمل الكفار على الايمان قهرا فكذلك منع المؤمنين ان يشرعوا معهم في الخصومات والمنازعات فقال تعالى
وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله وهو اثابة المحقين ومعاقبة المبطلين وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم فتحاكموا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته وقيل وما وقع بينكم فيه خلاف من الامور التي لا تصل
بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح فقال تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي
تقرير الاية كانه تعالى قال قل يا محمد وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله والدليل عليه قوله تعالى ذلكم الله ربي عليه توكلت
واليه انيب احتج نفاة القياس بقوله تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله اما ان يكون المراد
فحكمه مستفاد من نص الله عليه والمراد فحكمه مستفاد من القياس على ما نص الله عليه والثاني باطل لانه يقتضي كون كل الاحكام
مثبتة بالقياس وانه ضعيف والاول يوجب كون كل الاحكام مبنية بالنص وذلك ينفي العمل بالقياس ولقائل ان يقول
لا يجوز ان المراد فحكمه معروف من بيان الله تعالى سواء كان ذلك البيان بالنص او القياس واجيب عنه بان المقصود من التحاكم
الى الله تعالى قطع الاختلاف والرجوع الى القياس يقوي حكم الاختلاف ولا يزيله فوجب ان يكون الواجب هو الرجوع الى النصوص
ثم قال تعالى ذلكم الله ربي عليه توكلت اي ذلكم الحاكم بينكم ربي عليه توكلت في دفع كيد الاعداء وفي طلب كل خير واليه
انيب اي واليه ارجع في كل المهمات وقوله عليه توكلت يفيد الحصر يعني لا اتوكل الا عليه وهو اشارة الى تزييف طريقة من اتخذ
غير الله وليا ثم قال تعالى فاطر السموات والارض قرئ بالرفع والجر فالرفع على انه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدا محذوف والجر على تقدير ان
يكون الكلام هكذا وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله فاطر السموات والارض وقوله ذلكم الله ربي اعتراض وقع بين الصفة والموصوف

بجعل لكم من انفسكم من جنسكم من الناس ازواجا ومن الانعام ازواجا اى خلق من الانعام ازوجا ومعناه الفا للانعام من
انفسها ازواجا يذروكم يكثركم تعالى ذرا الله الخلق اى كثرهم وقوله فيه اى في هذا التدبير وهذا الجعل وهو ان جعل للناس
والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذروكم يرجع الى المخاطبين الا انه غلب فيه
جانب الناس من وجهين احدهما انه غلب عليه جانب العقلاء على غير العقلاء والثاني انه غلب جانب المخاطبين على
الغايبين فان قيل ما معنى يذروكم في هذا التدبير ولم لم يقل يذروكم به قلنا جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن لهذا الكثير الا ترى
انه تعالى للحيوان من خلق الازواج تكثر كما قال تعالى ولكم في القصاص حياة ثم قال تعالى ليس كمثله شي وهو السميع البصير في هذه
الاية فيها مسايل احتج علما التوحيد قديما وحديثا بهذه الاية في كونه تعالى جسما مركبا من الاعضا
والاجزا وحاصلا في المكان والجهة قالوا لو كان جسما لكان مثلا لساير الاجسام فيلزم حصول الامثال والاشباه
وذلك باطل بصريح قوله تعالى ليس كمثله شي ويمكن ايراد هذه الحجة على وجه اخر فقال اما ان يكون المراد ليس كمثله في
ماهية الذات واما ان يكون ليس كمثله في الصفات شي والثاني باطل لان العباد يوصفون بكونهم عالمين قادرين
كما ان الله تعالى يوصف بذلك وكذلك يوصفون بكونهم عالمين قادرين بكونهم معلومين مذكورين مع ان الله تعالى يوصف
بذلك فثبت ان المراد بالمماثلة المساواة في حقيقة الذات فيكون المعنى ان شيا من الذوات لا يساوي الله تعالى في الذاتية
فلو كان الله تعالى جسما لكان ذاته صفة فاذا كان ساير الاجسام مساوية له في الجسمية اعني في كونها متحيزة طويلة عريضة
عميقة فحينيذ يكون ساير الاجسام مماثلة لذات الله تعالى في كونه ذاتا والنص ينفي ذلك فوجب ان لا يكون جسما **واعلم**
ان محمد بن اسحاق بن خزيمة اورد استدلال اصحابنا بهذه الاية في الكتاب الذي سماه بالتوحيد وهو في الحقيقة كتاب الشرك واعترض عليه
وانا اذكر حاصل كلامه بعد حذف التطويلات لانه كان رجلا مضطرب الكلام قليل الفهم ناقص العقل فقال نحن نثبت لله وجها
ونقول ان لوجه ربنا من النور والضيا والبها ما لو كشف حجابه لاحرقت سبحات وجهه كل شي ادركه بصره ووجه ربنا منفي
عنه الهلاك والفنا ونقول ان لبني ادم وجوها كتب الله الهلاك والفنا ونفى عنها الجلال والاكرام غير موصوفة بالنور والضيا
والبها ولو كان مجرد اثبات الوجه يقتضي التشبيه لكان من قال ان لبني ادم وجوها وللخنازير والقردة والكلاب وجوها
لكان قد شبه وجوه بني ادم بوجوه الخنازير والقردة والكلاب ثم قال ولا شك ان اعتقاد الجهمية انه لو قيل لهم وجهك يشبه وجه الخنزير
والقرد والعصب ولسا فهه بالسوء فعلمنا انه لا يلزم من اثبات الوجه واليدين لله اثبات التشبيه بين الله تعالى وبين خلقه وذكر
في فصل اخر من هذا الكلام ان القران دل على وقوع التسوية بين ذات الله تعالى وبين خلقه في صفات كثيرة ولم يلزم ان يكون القايل بها
مشبها فكذا هاهنا والحق بعد الصور التي ذكرها على الاستقصا فالاول انه قال في هذه الاية وهو السميع البصير وقال في حق الانسان
فجعلناه سميعا بصيرا الثاني قال تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله وقال في حق المخلوقين الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء
الثالث قال تعالى واصنع الفلك باعيننا ووحينا وقال في حق المخلوقين ترى اعينهم تفيض من الدمع حزنا الرابع قال لابليس ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي وقال تعالى بل يداه مبسوطتان وقال في حق المخلوقين ذلك بما قدمت يداك ذلك بما قدمت ايديكم ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم الخامس قال تعالى الرحمن على العرش استوى وقال في الذين يركبون لتستووا على ظهوره وقال
في سفينة نوح عليه السلام واستوت على الجودي السادس سمى نفسه عزيزا فقال العزيز الجبار ثم ذكر هذا الاسم في حق المخلوقين
بقوله تعالى يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر السابع سمى نفسه بالملك وسمى بعض عبيده ايضا
بالملك فقال تعالى وقال الملك ايتوني به استخلصه وسمى نفسه بالعظيم ثم اوقع هذا الاسم بالمخلوقين فقال تعالى كذلك
يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ثم طول في ضرب الامثلة من هذا الجنس ومن وقف على الامثلة التي ذكرناها امكنه الحكاية لهذا ما اورد
هذا الرجل في الكتاب واقول هذا المسكين الجاهل انما وقع في امثال هذه الخرافات لانه لم يعرف حقيقة المثلين وعلما التوحيد حققوا
الكلام في المثلين ثم فرعوا عليه الاستدلال بهذه الاية فنقول المثلان هما الذاتان اللتان يقوم كل واحد منهما مقام الاخر في حقيقته وماهيته
وتحقيق الكلام فيه مسبوق بمقدمة اخرى فنقول المعتبر في كل شي اما تمام ماهيته واما جزء من اجزا ماهيته واما امر خارج عن
ماهيته ولكنه يكون من لوازم تلك الماهية هذا التقسيم مبني على الفرق بين ذات الشي وبين الصفات القايمة به وذلك معلوم
بالبديهة فانا نرى الحبة من الحصرم كانت في غاية الخضرة والحموضة ثم صارت في غاية السواد والحلاوة فالذات باقية
والصفات مختلفة والذات الباقية مغايرة للصفات المختلفة وايضا نرى الشعر كان في غاية السواد ثم صار في غاية البياض
فالذات باقية والصفات متبدلة والباقي غير المتبدل فظهر بما ذكرنا ان الذوات مغايرة للصفات اذا عرفت هذا فنقول اختلاف
الصفات لا يوجب اختلاف الذوات البتة لانا نرى الجسم الواحد كان ساكنا ثم يصير متحركا ثم يسكن بعد ذلك فالذات باقية في الاحوال
كلها على نهج واحد ونسق واحد والصفات متعاقبة متزايلة فثبت بهذا ان اختلاف الصفات والاعراض لا يوجب اختلاف
الذوات اذا عرفت هذا فنقول الاجسام التي منها تالف وجه الكلب والقرد مساوية للاجسام التي تالف منها وجه الانسان
والفرس وانما حصل الاختلاف بسبب الاعراض القايمة وهي الالوان والاشكال والخشونة والملاسة وحصول الشعور فيه وعدم
حصوله فيه فالاختلاف انما وقع بسبب الاختلاف في الصفات والاعراض فاما ذوات الاجسام فهي متماثلة الا ان العوام لا يعرفون
الفرق بين الذوات والصفات فلا جرم يقولون ان وجه الانسان يخالف وجه الحمار ولقد صدقوا بانه حصلت المخالفة بسبب
الشكل واللون وساير الصفات فاما الاجسام من حيث انها اجسام متماثلة متساوية فثبت ان الكلام الذي اورده انما ذكره لجهل





انه كان من العوام وما كان يعرف ان المعتبر في التماثل والاختلاف حقايق الاشيا وماهياتها لا الاعراض والصفات القايمة بها بقي
ان يقال هاهنا فما الدليل على ان الاجسام كلها متماثلة فنقول لنا هاهنا مقامان المقام الاول ان نقول هذه المقدمة اما ان يكون
مسلمة او لا يكون مسلمة فان كانت مسلمة فقد حصل المطلوب وان كانت ممنوعة فنقول فلم لا يجوز ان يقال اله العالم هو الشمس او القمر او
الفلك او العرش او الكرسي او يكون ذلك الجسم مخالفا في الماهية لماهيات ساير الاجسام فكان هو قديما ازليا واجب الوجود وساير الاجسام
بحدثه مخلوقة ولو ان الاولين والاخرين اجتمعوا على ان يسقطوا هذا الالزام عن المجسمة لا يقدرون عليه فان قالوا هذا باطل لان
القران دل على ان الشمس والقمر والافلاك كلها محدثة مخلوقة فنقول هذا من باب الحماقة المفرطة لان صحة القران وصحة نبوة الانبيا
مفرعة على معرفة الاله فاما معرفة الاله بالقران وقول النبي لا يقوله عاقل يفهم ما يتكلم به والقول الثاني ان علما الاصول
اقاموا البرهان القاطع على تماثل الاجسام في الذوات والحقيقة واذا ثبت هذا ظهر انه لو كان اله جسما لكانت ذاته مساوية
لذوات الاجسام الا ان هذا باطل بالعقل والنقل اما العقل فلان ذاته اذا كانت مساوية لذوات ساير الاجسام
وجب ان يصح عليه ما يصح على ساير الاجسام فيلزم كونه محدثا مخلوقا قابلا للعدم والفنا قابلا للتفرق والتمزق واما النقل
فقوله تعالى ليس كمثله شي فهذا تمام الكلام في تقرير هذا الدليل وعند هذا يظهر ما نقول بانه متى حصل الاستوا في الصفة
لزم حصول الاستوا في تمام الحقيقة الا انا نقول لما ثبت ان الاجسام متساوية في تمام الماهية وحينيذ يلزم ان يكون كل جسم
مثلا لما بينا ان المعتبر في حصول المماثلة اعتبار الحقايق من حيث هي هي لا اعتبار الصفات القايمة بها وظهر بالتقرير
الذي ذكرناه ان حجة اهل التوحيد في غاية القوة وان هذه الكلمات التي اوردها هذا الانسان انما اوردها لانه كان بعيدا
عن معرفة الحقايق يجري على منهج كلام العوام فاعتبر بتلك الكلمات التي ذكرناها ونسال الله تعالى حسن الخاتمة
في ظاهر هذه الاية اشكال فانه يقال المقصود منها نفي المثل عن الله تعالى وظاهرها يوجب
اثبات المثل له فانه يقتضي نفي المثل عن مثله لا عنه وذلك يوجب اثبات المثل لله تعالى واجاب العلما عنه بان قالوا العرب تقول
مثلك لا يبخل اي انت لا تبخل فيقولون البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عنه ويقول هذا الكلام لا يقال لمثلي اي لا يقال لي قال
وعلى كلي حدوبه البحل والمراد منه المبالغة فانه اذا كان ذلك الحكم منتفيا عمن كان مشابها بسبب كونه مشابها له فلان
يكون منتفيا عنه كان ذلك اولى ونظيرهم قولهم سلام على المجلس العالي والمقصود ان سلام الله اذا كان واقعا على مجلسه
وموضعه فلان يكون واقعا عليه كان ذلك اولى فكذا هاهنا قوله تعالى ليس كمثله المعنى ليس هو شي على سبيل المبالغة
من الوجه الذي ذكرناه وعلى هذا التقدير فلم يكن هذا اللفظ ساقطا عديم الاثر بل كان مفيدا للمبالغة من الوجه الذي
ذكرناه وزعم جهم بن صفوان ان المقصود من هذه الاية بيان ان الله تعالى ليس مسمى باسم الشي قال لان كل شي فانه يكون مثلا
لمثل نفسه فقوله ليس كمثله معناه ليس مثل مثله شي وذلك يقتضي ان لا يكون هو مسمى باسم الشي ويجري مجرى طريقه وهذا ان المقصود
من ذكر الجمع بين حرفي التشبيه الدليل الدال على كونه منزها عن المثل وتقريره ان تعالى لو كان له مثل لكان هو مثل نفسه فالامر فيه
ظاهر واما بيان ان هذا محال فانه لو كان هو مثل نفسه لكان مساويا لمثله في تلك الماهية ومباينا له في نفسه وما به
المشاركة غير ما به المباينة فيكون ذات كل واحد منهما مركبا وكل مركب ممكن فثبت انه لو حصل لواجب الوجود مثل لكان هو في
نفسه واجب الوجود اذا عرفت هذا فقوله ليس مثل مثله شي اشارة الى انه لو صدق عليه انه مثل مثل نفسه لما كان هو مساويا
على ما بينا انه لو حصل لواجب الوجود مثل لما كان واجب الوجود واجب الوجود فهذا ما يحتمله اللفظ **المسئلة الثالثة** هذه الادلة
على نفي المثل وقوله تعالى ولله المثل الاعلى يقتضي اثبات المثل ولا بد من الفرق بينهما فنقول المثل هو الذي يكون مساويا له
في بعض الصفات الخارجة عن الماهية وان كان مخالفا في تمام الماهية **المسئلة الرابعة** قوله تعالى وهو السميع البصير
يدل على كونه تعالى سامعا للمسموعات مبصرا للمرييات فان قيل يمتنع اجرا هذا اللفظ على ظاهره وذلك لانه اذا حصل
قرع او قلع انقلب الهوا من بين ذينك الجسمين انقلابا بعنف فيتموج الهوا بسبب ذلك ويتادى ذلك التموج الى سطح الصماخ
فهذا هو السماع واما الابصار فهو عبارة عن تاثير الحدقة بصورة المرئي فثبت ان السمع والبصر عبارة عن تاثير
الحاسة وذلك على الله تعالى محال فثبت ان اثبات السمع والبصر على علمه تعالى بالمسموعات والمبصرات والجواب الدليل
على ان السماع مغاير لتاثر الحاسة انا اذا سمعنا الصوت علمنا من اي الجوانب جا فعلمنا انا ادركنا الصوت حيث
وجد ذلك الصوت في نفسه وذلك يدل على ان ادراك الصوت حالة مغايرة لتاثر الصماخ عن تموج ذلك
الهوا واما في الروية فالدليل على انها حالة مغايرة لتاثر الحدقة وذلك لان نقطة الناظر جسم صغير فيستحيل
انطباع الصورة العظيمة فيه فنقول الصورة المنطبعة صغيرة والصغيرة والصورة المرئية في نصف العالم
عظيمة وهذا يدل على ان الروية حالة مغايرة لنفس ذلك الانطباع واذا ثبت هذا فنقول لا يلزم من امتناع التاثر
في حق الله تعالى امتناع السمع والبصر في حقه فان قالوا هب ان السمع والبصر حالتان مغايرتان لتاثر الحاسة الا ان
حصولهما مشروط بحصول ذلك التاثر فلما كان حصول ذلك التاثر في حق الله تعالى ممتنعا فنقول ظاهر قوله تعالى
وهو السميع البصير يدل على كونه تعالى سميعا بصيرا فلم يجز لنا ان نعدل عن هذا الظاهر الا اذا اقام الدليل على ان الحالة المسماة
بالسمع والبصر مشروطة بحصول التاثر والتاثر في حق الله تعالى ممتنع فكان حصول الحالة المسماة بالسمع والبصر ممتنع
واسم المدعون لهذا الاشتراط فعليكم الدلالة على حصوله وانا غير متمسكون بظاهره الى ان يذكروا ما يوجب العدول عنه

ثم قال تعالى وهو السميع البصير يفيد الحصر فما معنى هذا الحصر مع ان العباد ايضا موصوفون بكونهم سميعين بصيرين فنقول السميع
والبصير لفظان مشعران بحصول هاتين الصفتين على سبيل الكمال والكمال في كل الصفات ليس الا لله تعالى فهذا هو المراد من هذا
الحصر اما قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فاعلم ان المراد من الاية الاولى انه تعالى فاطر السموات والارض والاصنام ليست كذلك
وايضا هو خالق انفسنا وازواجنا وخالق ازواج من انعامنا ومن ازواجنا والاصنام ليست كذلك وايضا فله مقاليد السموات
والارض التي هي جمادات ليست مساوية له في المعبودية فقوله تعالى له مقاليد السموات والارض يريد مفاتيح الرزق في
السموات والارض فمقاليد السموات الامطار ومقاليد الارض النبات وذكرنا تفسير المقاليد في سورة الزمر يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر لان مفاتيح الارزاق بيده انه بكل شيء من البسط والرزق عليم **قوله تعالى** شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وما تفرقوا الا من
بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وان الذين اورثوا
الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل امنت بما
انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله
يجمع بيننا واليه المصير والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب
ولهم عذاب شديد الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها
الذين لا يؤمنون بها والذين امنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق الا ان الذين يمارون في الساعة
لفي ضلال بعيد الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز **اعلم** انه تعالى لما عظم وحيه الى
محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ذكر في هذه الاية تفصيل ذلك فقال تعالى
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ومحمد وابرهيم وموسى وعيسى هذا هو المقصود من لفظ الاية وانما خص هؤلاء الانبياء الخمسة
بالذكر لانهم اكابر الانبيا واصحاب الشرايع العظيمة والاتباع الكثيرة الا انه بقي في لفظ الاية اشكالات احدها انه قال تعالى في
اول الاية ما وصى به نوحا وفي اخرها وما وصينا به ابرهيم وفي الوسط والذي اوحينا اليك فما الفايدة في هذا التفاوت وثانيها
انه ذكر نوحا عليه السلام على سبيل الغيبة وقال وما وصينا به ابرهيم وثالثها انه بقي تقدير الاية شرع الله لكم من الدين الذي
اوحينا اليك فقوله شرع لكم خطاب الغيبة وقوله تعالى الذي اوحينا اليك خطاب الحضور فهذا يقتضي الجمع بين خطاب الغيبة وخطاب
الحضور في الكلام الواحد بلا اعتبار الواحد وهو مشكل فهذه مضايق يجب البحث عنها والقوم ما داروا حولها وبالجملة فالمقصود
من الاية انه يقال شرع لكم من الدين دينا تطابقت الانبيا على صحته واقول يجب ان يكون المراد من هذا الدين شيا مغايرا للتكاليف
والاحكام وذلك لانها مختلفة متفاوتة قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فيجب ان يكون المراد منه الامور التي لا تختلف باختلاف
الشرايع وهي الايمان بالله تعالى وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والايمان يوجب الاعراض عن الدنيا والاقبال على الاخرة
والايمان بالسعي في مكارم الاخلاق والاحتراز عن رذايل الاحوال ويجوز عندي ان يكون المراد من قوله تعالى ولا تتفرقوا اي ولا تتفرقوا
بالالهية الكثيرة كما قال يوسف عليه السلام أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا يوحى
اليه انه لا اله الا انا فاعبدون واحتج بعضهم بقوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا على ان النبي صلى الله عليه وسلم
في اول الامر كان متعبدا بالشريعة نوح عليه السلام والجواب ما ذكرناه انه عطف عليه ساير الانبيا وذلك يدل على ان المراد هو
الاخذ بالشريعة المتفق عليها بين الكل ومحل ان اقيموا الدين اما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوف عليه واما رفع
على الاستيناف كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما يدعوهم اليه من
اقامة دين الله تعالى على سبيل الاتفاق والاجماع بدليل ان الكفار قالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وهاهنا
مسايل **المسالة الاولى** احتج نفاة القياس بهذه الاية فقالوا انه تعالى اخبر ان اكابر الانبيا اطبقوا على انه يجب اقامة الدين
بحيث لا يفضي الى الخلاف والتنازع والله تعالى ذكر في معرض المنة على عباده انه ارشدهم الى الدين الخالي عن التفرق والمخالفة ومعلوم
ان فتح باب القياس يفضي الى اعظم انواع التفرق والمنازعة فان الحس شاهد بان هؤلاء الذين بنوا دينهم على الاخذ بالقياس تفرقوا تفرقا
لا رجاء في حصول الاتفاق بينهم الى اخر قيام القيمة فوجب ان يكون ذلك محرما ممنوعا عنه **المسالة الثانية** هذه الاية تدل
على ان الشرايع قسمين منها ما يمتنع دخول النسخ والتغيير فيه بل يكون واجب البقاء في جميع الشرايع والاديان كالقول بحسن الصدق
والعدل والاحسان والقول في جميع الشرايع والاديان ودلت هذه الاية على ان سعي الشرع في تقرير النوع الاول اقوى من سعيه في تقرير النوع
الثاني لان المواظبة على القسم الاول مهمة في تمسكنا بالاحوال المفيدة لحصول السعادة في الدار الاخرة **المسالة الثالثة**
قوله تعالى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا مشعر بان حصول الموافقة امر مطلوب في الشرع والعقل وبيانه من وجوه الاول ان للنفوس
تاثيرات واذا تطابقت النفوس وتوافقت على الشيء الواحد قوي التاثير الثاني انها اذا توافقت صار كل واحد منها معينا
للاخر في ذلك المقصود المعين وكثرة الاعوان توجب حصول المقصود واما اذا تخالفت تنازعت وتجادلت فضعفت فلا يحصل
المقصود الثالث ان حصول التنازع ضد مصالح العالم لانه يفضي الى الهرج والمرج والقتل والنهب فلهذا السبب امر الله تعالى
في هذه الاية باقامة الدين على وجه لا يفضي الى التفرق وقال في اية اخرى ولا تنازعوا فتفشلوا ثم قال تعالى الله يجتبي اليه من يشاء

ويهدي اليه



ويهدي اليه من ينيب وهو كما روي في الخبر من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة اي من اقبل الي بطاعته
اقبلت اليه بهدايتي وارشادي بان اشرح له صدره واسهل امره واعلم انه تعالى لما بين انه امر كل الانبياء والامم بالاخذ بالدين المتفق
عليه كان لقايل ان يقول فلما ذا نجدهم متفرقين فاجاب الله تعالى عنهم بقوله وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم
يعني انهم ما تفرقوا الا من بعد ان علموا ان الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وطلب الرياسة فحملتهم الحمية النفسانية
الطبيعية على ان ذهب كل طايفة الى مذهب ودعى الناس اليه وقبح ما سواه طلبا للذكر والرياسة فصار ذلك سببا لوقوع
الاختلاف ثم اخبر تعالى انهم استحقوا العذاب بسبب هذا الفعل الا انه تعالى اخر عنهم ذلك العذاب لان لكل عذاب عنده اجلا مسمى
اي وقتا معلوما اما لمحض المشية كما هو قولنا او لانه علم ان الصلاح يقتضيه كما عند المعتزلة وهو معنى قوله تعالى ولولا
كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم والاجل المسمى قد يكون في الدنيا وقد يكون في القيمة واختلفوا في الذين اريدوا
بهذه الصفة منهم فقال الاكثرون هم اليهود والنصارى والدليل عليه قوله تعالى في ال عمران وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقال في سورة لم يكن وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ولانه
قوله تعالى الا من بعد ما جاءهم العلم لايق باهل الكتاب وقال الاخرون انهم هم العرب وهذا باطل للوجوه المذكورة ولان
قوله تعالى بعد هذه الاية وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم اهل الكتاب الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم لفي شك منه اي من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان ثم قال تعالى فلذلك فادع واستقم كما امرت يعني فلاجل ذلك
التفرق ولاجل ما حدث من الاختلافات الكثيرة في الدين فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية واستقم عليها وعلى الدعوة
اليها كما امرك الله تعالى ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب اي باي كتاب صح ان الله
تعالى انزله يعني الايمان بجميع الكتاب لان المتفرقين امنوا ببعض وكفروا ببعض ونظيره قوله تعالى نؤمن ببعض ونكفر ببعض
الى قوله تعالى اولئك هم الكافرون ثم قال تعالى وامرت لاعدل بينكم اي في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي قال القفال معناه
ان ربي امرني ان لا افرق بين نفسي وانفسكم بان امركم بما لا اعمله او اخالفكم الى ما انهاكم عنه لكني اسوي بينكم وبين
نفسي وكذلك اسوي بين اكابركم واصاغركم فيما يتعلق بحكم الله ثم قال تعالى الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم
اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير والمعنى ان اله الكل واحد وكل واحد مخصوص بعمل نفسه فوجب ان يشتغل
كل واحد في الدنيا بنفسه فان الله يجمع بين الكل في القيمة ويجازيه ويحاسبه على عمله والمقصود منه المتاركة وتخلية
كل واحد منهم بنفسه فان قيل كيف يليق بهذه المتاركة ما فعل بهم من القتل وتخريب البيوت والنخل والاجلاء قلنا هذه
المتاركة كانت مشروطة بان يقبلوا الدين المتفق على صحته بين كل الانبيا ودخل فيه التوحيد وترك عبادة الاصنام
والاقرار بنبوة الانبيا وبصحة البعث والقيمة فلما لم يقبلوا هذا الدين فحينئذ فات الشرط فلا جرم فات المشروط واعلم
انه ليس المراد من قوله تعالى لا حجة بيننا وبينكم ما يجري مجرى محاجتهم ويدل عليه وجوه الاول ان هذا الكلام
مذكور في معرض المحاجة فلو كان المقصود من هذه الاية تحريم المحاجة لزم كونها محرمة لنفسها وهو متناقض والثاني انه لولا
الادلة لما توجه التكليف الثالث ان الدليل يفيد العلم وذلك لا يمكن تحريمه بل المراد ان القوم عرفوا بالحجة صدق محمد
صلى الله عليه وسلم وانما تركوا تصديقه بغيا وعنادا فبين تعالى انه قد حصل الاستغناء عن محاجتهم لانهم عرفوا الحجة فلا حاجة
منهم الى المحاجة البتة ومما يقوي قولنا انه لا يحضر تحريم المحاجة قوله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن وقوله تعالى ادع الى سبيل ربك
بالحكمة وقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وقوله تعالى يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا وقوله تعالى
وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه ثم قال تعالى والذين يحاجون في الله اي يخاصمون في دينه من بعد ما استجيب له اي من
بعد ما استجاب الناس لذلك الدين حجتهم داحضة اي باطلة وتلك المخاصمة هي ان اليهود قالوا ألستم تقولون ان
الاخذ بالمتفق اولى من الاخذ بالمختلف فنبوة موسى وحقية التورية معلومة بالاتفاق ونبوة محمد ليست
متفقا عليها فاذا بنيتم كلامكم في هذه الاية على ان الاخذ بالمتفق اولى وجب ان يكون الاخذ باليهودية اولى فبين
تعالى ان هذه الحجة داحضة اي باطلة فاسدة وذلك لان اليهود اطبقوا على انه انما وجب الايمان بموسى عليه السلام لاجل ظهور
المعجزات على وفق قوله وهاهنا ظهرت المعجزات على وفق قول محمد صلى الله عليه وسلم واليهود شاهدوا تلك المعجزات فان كان ظهور المعجز يدل على الصدق وجب في حق موسى عليه السلام
ان لا تقروا في حق نبوته واما ان ظهور المعجزات يكون متناقضا ولما قرر تعالى هذه الدلايل خوف المنكرين بعذاب القيمة فقال تعالى
الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب والمعنى انه تعالى انزل الكتاب المشتمل على انواع
الدلايل والبينات وانزل الميزان وهو العقل الذي هو القسطاس المستقيم وانهم لا يعلمون ان القيمة متى تفاجيهم
ومتى كان الامر كذلك وجب على العاقل ان يجد ويجتهد في النظر والاستدلال ويترك طريقة اهل الجهل والتقليد ولما كان
الرسول هددهم بنزول القيمة واكثر في ذلك وانهم ما راوا منه اثرا قالوا على سبيل السخرية فمتى تقوم الساعة وليتها
قامت حتى يظهر لنا ان الحق ما نحن عليه او الذي عليه محمد واصحابه فلدفع هذه الشبهة قال تعالى يستعجل بها الذين
لا يؤمنون بها والذين امنوا مشفقون منها والمعنى ظاهر وانما يشفقون ويخافون لعلمهم ان عندها تمتنع التوبة واما
منكر البعث فلانه لا يحصل له هذا الخوف ثم قال تعالى الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد المماراة الملاحاة قال
الزجاج الذين تدخلهم المرية والشك في وقوع الساعة فيمارون فيها ويجحدون لفي ضلال بعيد لان استيفاء حق المظلوم

من الظالم واجب في العدل فلو لا يحصل القيمة لزم اسناد الظلم الى الله تعالى وهذا من اجل المحالات فلا جرم كان انكار القيمة ضلالا بعيدا ثم قال تعالى الله لطيف بعباده يرزق من يشاء اي كثير الاحسان بهم وانما حسن ذكر هذا الكلام ههنا لانه انزل عليهم الكتاب المشتمل بهذه الدلايل اللطيفة فكان ذلك من لطف الله تعالى بالعباد وايضا المتفرقون استوجبوا العذاب الشديد ثم انه تعالى اخر عنهم ذلك العذاب فكان ذلك ايضا من لطف الله تعالى فلما سبق ذكر ايصال المنافع اليهم ودفع اعظم المضار عنهم لا جرم حسن ذكره ههنا ثم قال تعالى يرزق من يشاء يعني ان اصل الاحسان والانعام في حق كل العباد وذلك هو الاحسان بالعقل والحياة والفهم واعطاء ما لا بد منه من الرزق ودفع اكثر الافات والبليات عنهم فاما مراتب العطية والبهجة فتتفاوت وتختلفة ثم قال تعالى وهو القوي القادر على كل ما يشاء العزيز الذي لا يغالب ولا يمتنع والله اعلم **قوله تعالى** من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وما له في الاخرة من نصيب ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات قل لا اسلكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد **اعلم** انه تعالى لما بين كونه لطيفا بعباده كثير الاحسان اليهم بين انه يريد له في حرثه قال صاحب الكشاف انه تعالى سمى ما يعمله العامل مما يطلب به الفايدة حرثا على سبيل المجاز وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** انه اظهر الفرق في هذه الاية بين من اراد الاخرة وبين من اراد الدنيا من وجوه الاول انه قدم مريد حرث الاخرة على مريد حرث الدنيا في الذكر وذلك يدل على التفضيل لانه وصفه بكونه اخره ثم قدمه في الذكر تنبيها على قوله تعالى نحن الاخرون السابقون **الثاني** انه قال في مريد حرث الاخرة انه نزيد له في حرثه وقال في مريد حرث الدنيا انه نوتيه منها وكلمة من للتبعيض فالمعنى انه يعطيه بعض ما يطلبه ولا يوتيه كله وقال في سورة بني اسرائيل عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد واقول البرهان العقلي مساعد على الفرق وذلك يدل لان كل من كان من عمل الاخرة واظب على تلك الاعمال لحصول الملكات فكل ما كانت مواظبته على تلك الاعمال اكثر كانه ميله الى طلب الاخرة اكثر وكلما كان الامر كذلك كان الابتهاج اعظم والسعادات اكثر وذلك هو المراد بقوله تعالى نزد له في حرثه واما طالب الدنيا فكلما كانت مواظبته على اعمال ذلك الطلب اكثر كانت رغبته في الفوز بالدنيا اكثر وميله اليها اشد واذا كان الميل ابدا في التزايد وكان حصول المطلوب باقيا على حاله كان الحرمان لازما لا محالة **الثالث** انه تعالى قال في طلب الاخرة انه نزد له في حرثه ولم يذكر انه تعالى يعطيه الدنيا ام لا بل بقي الكلام ساكتا عنه نفيا واثباتا واما طالب حرث الدنيا فانه تعالى بين انه تعالى لا يعطيه شيا من نصيب الاخرة على التنصيص وهذا يدل على التفاوت العظيم كانه يقول الاخرة اصل والدنيا تبع فواجد الاصل يكون واجد التبع بقدر الحاجة الا انه لم يذكر ذلك تنبيها على ان الدنيا احسن من ان تفرد ذكرها بذكر الاخرة **الرابع** انه تعالى بين ان طالب الاخرة يزاد له في مطلوبه وبين ان طالب الدنيا يعطى بعض مطلوبه من الدنيا واما في الاخرة فانه لا يحصل منها نصيب البتة فبين بالكلام الاول ان طالب الاخرة يكون حاله ابدا في الترقي والتزايد وبين بالكلام الثاني ان طالب الدنيا يكون حاله في المقام الاول في النقصان وفي المقام الثاني في البطلان التام **الخامس** ان الاخرة نسية والدنيا نقد والنسية مرجوحة بالنسبة الى النقد لان الناس يقولون النقد خير من النسية فبين تعالى ان هذه القضية انعكست بالنسبة الى احوال الاخرة والدنيا فالاخرة وان كانت نسية الا انها متوجهة الى الزيادة والدوام فكانت افضل واكمل والدنيا وان كانت نقدا الا انها متوجهة الى النقصان ثم الى البطلان فكانت احسن وارذل فهذا يدل على ان حال الاخرة لا يناسب حال الدنيا البتة وانه ليس في الدنيا من احوال الاخرة الا مجرد الاسم كما هو مروي عن ابن عباس **السادس** الاية دالة على ان منافع الاخرة والدنيا ليست حاضرة بل لا بد في البابين من الحرث والحرث لا يتاتى الا بتحمل المشاق من البذر ثم السقية والتنمية ثم الحصد ثم التنقية فلما سمى الله تعالى كلا القسمين حرثا علمنا ان كل واحد منهم لا يحصل الا بتحمل المتاعب والمشاق ثم بين تعالى ان مصير الاخرة الى الزيادة والكمال وان مصير الدنيا الى النقصان ثم الفنا فكانه قيل اذا كان لا بد في القسمين جميعا من تحمل متاعب الحراثة والسقية والتنمية والحصد والتنقية فلان تصرف هذه المتاعب الى ما يكون في التزايد والبقا اولى من صرفها الى ما يكون في النقصان والانقضا **المسئلة الثانية** في تفسير قوله تعالى نزد له في حرثه قولان الاول ان المعنى انا نزيد في توفيقه واعانته ونسهل عليه سبيل الخيرات والطاعات عليه وقال مقاتل نزد له في حرثه نضعف له الثواب قال تعالى ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اصبح وهمه الدنيا شتت الله تعالى عليه همه وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله تعالى همه وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا راغمة لفظ تقريب يكون هذا معناه **المسئلة الثالثة** ظاهر اللفظ يدل على ان من صلى لاجل طلب الثواب او لاجل دفع العقاب فانه يصح صلاته واجمعوا على انها لا تصح والجواب انه

تعالى

تعالى قال من كان يريد حرث الاخرة والحرث لا يتاتى الا بالقاء البذر الصحيح في الارض والبذر الصحيح بجميع الخيرات والسعادات ليس الا عبودية الله تعالى **المسئلة الرابعة** قال اصحابنا اذا توضا بغير نية لم يصح قالوا لان هذا الانسان ما اراد حرث الاخرة فوجب ان لا يحصل في الوضوء التعاري من النية **واعلم** ان الله تعالى لما بين القانون الاعظم والقسطاس الاقوم في اعمال الاخرة والدنيا اردفه بالتنبيه على ما هو الاصل في باب الضلالة والشقاوة فقال تعالى ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله معنى الهمزة في ام للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها وقيل شركاؤهم اوثانهم وانما اضيفت اليهم لانهم هم الذين اتخذوها شركاء لله ولما كانت سببا لضلالتهم جعلت شارعة لدين الضلالة كما قال ابرهيم صلى الله عليه وسلم رب انهن اضللن كثيرا من الناس وقوله تعالى شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله يعني ان تلك الشرايع باسرها على ضد دين الله تعالى ثم قال تعالى ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتاخير الجزاء او يقال ولولا الوعد بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم اي بين الكافرين والمومنين او بين المشركين وشركائهم وقال بعضهم ان نصب المزة في عطفا له على كلمة الفصل يعني ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين في الاخرة لقضي بينهم في الدنيا ثم انه تعالى ذكر احوال اهل العقاب واحوال اهل الثواب اما الاول فهو قوله تعالى ترى الظالمين مشفقين خايفين خوفا شديدا مما كسبوا من السيات وهو واقع بهم يريد ان وباله واقع بهم سوا اشفقوا او لم يشفقوا واما الثاني فهو احوال اهل الثواب وهو قوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات كان روضة الجنة اطيب بقعة فيها وفيه تنبيه ان الفساق من اهل الصلوة كلهم في الجنة لانه خص الذين امنوا وعملوا الصالحات بروضات الجنات وهي البقاع الشريفة من الجنة فالبقاع التي تلك الروضات لا بد وان يكون مخصوصة بمن كانوا دون الذين امنوا وعملوا الصالحات ثم قال لهم ما يشاؤن عند ربهم وهذا يدل على ان تلك الاشيا حاضرة عنده مهياة ثم قال تعالى في تعظيم هذه الدرجة ذلك هو الفضل الكبير واصحابنا استدلوا بهذه الاية على ان الثواب غير واجب على الله تعالى وانما يحصل بطريق الفضل من الله لانه تعالى قال والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم فهذا يدل على ان روضات الجنات ووجدان كل ما يريدونه انما كان جزا على الايمان والاعمال الصالحة ثم قال تعالى ذلك هو الفضل الكبير وهذا تصريح بان الجزاء المرتب على العمل انما حصل بطريق الفضل لا بطريق الاستحقاق ثم قال تعالى ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات قال صاحب الكشاف قرئ يبشر من بشره ويبشر من ابشره ويبشر من بشره **واعلم** ان هذه الايات دالة على تعظيم حال الثواب من وجوه الاول ان الله سبحانه وتعالى رتب على الايمان وعمل الصالحات روضات الجنات والسلطان الذي هو اعظم الموجودات واكرمهم اذا رتب على اعمال شاقة جزاء دل ذلك على ان ذلك الجزاء قد بلغ الى حيث لا يعلمه الا الله **الثاني** انه تعالى قال لهم ما يشاؤن عند ربهم وقوله تعالى لهم ما يشاؤن يدخل في باب غير المتناهي لانه لا درجة الا والانسان يريد ما هو اعلى منها **الثالث** انه تعالى قال ذلك هو الفضل الكبير والذي يحكم بكونه كبيرا من له الكبرياء والعظمة على الاطلاق كان في غاية الكبريا **الرابع** انه تعالى اعاد البشارة على سبيل التعظيم فقال تعالى ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات وذلك يدل ايضا على غاية العظمة نسال الله تعالى الفوز بها والوصول اليها **واعلم** انه تعالى لما اوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب الشريف العالي واودع فيه ثلاثة اقسام الدلايل واصناف التكاليف ورتب على الطاعة الثواب وعلى المعصية العقاب بين انه لا اطلب منكم بسبب هذا التبليغ نفعا عاجلا ومطلوبا حاضرا لان لا يتخيل جاهل ان مقصود محمد صلى الله عليه وسلم من هذا التبليغ المال والجاه فقال تعالى قل لا اسلكم عليه اجرا الا المودة في القربى وفيه مسايل **المسئلة الاولى** ذكروا في هذه الاية اقوالا الاول وقال الشعبي اكثر الناس علينا في هذه الاية فكتبنا الى ابن عباس نساله عن ذلك فكتب ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اوسط الناس من قريش ليس بطن من بطونهم الا وقد ولده الله تعالى فقال الله تعالى قل لا اسلكم على ما ادعوكم اليه الا ان تودوني لقرابتي بينكم والمعنى انكم قومي واحق من اجابني واطاعني فاذا قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي والقول الثاني روى الكلبي عن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كانت تنوبه نوايب وحقوق وليس في يده سعة فقال الانصار ان هذا الرجل قد هداكم الله على يده وهو ابن اختكم وجاركم في بلدكم فاجمعوا له طايفة من اموالكم ففعلوا ثم اتوه به فرده عليهم ونزل قوله تعالى قل لا اسلكم عليه اجرا اي على الايمان الا ان تودوا اقاربي تحثهم على مودة اقاربه القول الثالث ما ذكره الحسن فقال الا ان تودوا الى الله تعالى فيما يقربكم اليه من العمل الصالح فالقربى على الاول القرابة التي هي بمعنى الرحم وعلى الثاني القرابة التي بمعنى الاقارب وعلى الثالث هي فعلى من القرب والتقرب فان قيل الاية مشكلة وذلك لان طلب الاجر على تبليغ الوحي لا يجوز ويدل عليه وجوه الاول انه تعالى حكى عن اكثر الانبيا عليهم السلام انهم صرحوا بنفي طلب الاجرة فذكر في قصة نوح عليه السلام وما اسلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين وكذا في قصة هود عليه السلام لا نطلب الاجرة على النبوة في الرسالة اولى والثاني انه صلى الله عليه وسلم صرح بنفي طلب الاجر في سائر الايات فقال تعالى قل ما اسلكم عليه اجرا وقال تعالى قل ما سالتكم من اجر فهو لكم وقال تعالى قل ما اسلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين والثالث ان العقل يدل عليه وذلك لان ذلك التبليغ كان واجبا عليه قال تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته وطلب الاجر على اداء الواجب لا يليق باقل الناس فضلا عن اعلم العلما والايمان النبوة افضل من الحكمة وقد قال تعالى في صفة الحكمة ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقال تعالى في صفة الدنيا قل متاع الدنيا قليل فكيف يحسن في العقل مقابلة اشرف الاشيا باخس الاشيا الخامس ان طلب الاجر كان يوجب التهمة وذلك ينافي القطع بصحة النبوة فثبت بهذه الوجوه انه لا يجوز من النبي صلى الله عليه وسلم ان يطلب اجرا البتة على التبليغ والرسالة وهو المودة في القربى هذا تقرير السؤال والجواب عنه من وجوه الاول ان هذا من باب قوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بها من قراع الدارعين فلول معناه انا لا اطلب منكم الا هذا وهذا في الحقيقة ليس اجرا لان حصول المودة بين المسلمين امر واجب قال تعالى والمومنون والمومنات بعضهم اوليا بعض وقال صلى الله عليه وسلم المومنون كالبنيان يشد بعضهم بعضا والايات والاخبار في هذا الباب كثيرة واذا كان حصول المودة بين جمهور المسلمين واجبا فحصولها في حق اشرف المسلمين واكابرهم اولى وقوله تعالى قل لا اسلكم عليه اجرا الا المودة في القربى تقديره والمودة في القربى ليست اجرا فرجع الحاصل انه لا اجر البتة والوجه الثاني في الجواب ان هذا استثنا منقطع وتم الكلام عند قوله تعالى قل لا اسلكم عليه اجرا ثم قال تعالى الا المودة في القربى اي اذكركم قرابتي منكم وكانه في اللفظ اجر وليس باجر **المسلة الثانية** نقل صاحب الكشاف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مات على حب ال محمد مات شهيدا الا ومن مات على حب ال محمد مات تايبا الا ومن مات على حب ال محمد مات مومنا مستكمل الايمان الا ومن مات على حب ال محمد يزف الى الجنة كما يزف العروس الى بيت زوجها الا ومن مات على حب ال محمد فتح الله له في قبره بابان الى الجنة الا ومن مات على حب ال محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض ال محمد جا يوم القيمة مكتوب بين عينيه ايس من رحمة الله الا ومن مات على بغض ال محمد مات كافرا الا ومن مات على بغض ال محمد لم يشم رايحة الجنة هذا الذي رواه صاحب الكشاف وانا اقول ال محمد هم الذين يوول امرهم اليه فكل من كان امرهم اليه اشد واكمل كانوا هم الال ولا شك ان فاطمه وعليا والحسن والحسين رضي الله عنهم كان التعلق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد التعلقات وهو كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب ان يكونوا هم الال وايضا اختلف الناس في الال فقيل هم الاقارب وقيل هم امته فان حملناه على القرابة فهم الال وان حملناه على الامة الذين قبلوا دعوته فهم ايضا ال واما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الال فمختلف فيه فثبت على جميع التقديرات انهم ال محمد صلى الله عليه وسلم وروى صاحب الكشاف انه لما نزلت هذه الاية قيل يا رسول الله من قرابتك هولا الذين وجب علينا مودتهم فقال علي وفاطمة وابناها فثبت ان هولا الاربعة اقارب النبي صلى الله عليه وسلم وكان يحب فاطمة قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني يوذيني ما يوذيها وثبت بالنقل المتواتر عن محمد صلى الله عليه وسلم انه كان يحب عليا والحسن والحسين واذا ثبت ذلك وجب على كل الامة مثله لقوله تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون ولقوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ولقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولقوله سبحانه لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة الثالث ان الدعا للال منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعا خاتمة التشهد في الصلوة وهو قوله اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وارحم محمدا وال محمد وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الال فكل ذلك يدل على ان حب ال محمد واجب وقال الشافعي رضي الله عنه يا راكبا قف بالمحصب من منى واهتف بساكن خيفها والناهض سحرا اذا فاض الحجيج الى منى فيضا كما نظم الفرات الفايض ان كان رفضا حب ال محمد فليشهد الثقلان اني رافضي **المسلة الثالثة** قوله الا المودة في القربى فيه منصب عظيم للصحابة لانه تعالى قال والسابقون السابقون اوليك المقربون فكل من اطاع الله كان مقربا عند الله تعالى فدخل تحت قوله تعالى الا المودة في القربى والحاصل ان هذه الاية تدل على وجوب حب ال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب اصحابه وهذا المنصب لا يسلم الا على قول اهل السنة والجماعة الذين جمعوا بين حب العترة والصحابة وسمعت بعض المذكرين قال انه صلى الله عليه وسلم قال مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا وقال صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ونحن الان في بحر التكليف وتضربنا امواج الشبهات والشهوات وراكب البحر يحتاج الى امرين احدهما السفينة الخالية عن العيوب والثاني الكواكب الطاهرة الطالعة النيرة فاذا ركب تلك السفينة ووضع نظره على تلك الكواكب الطاهرة كان رجا السلامة غالبا فلذلك ركب اصحاب اهل السنة سفينة حب ال محمد ووضعوا ابصارهم على نجوم الصحابة فرجوا من الله تعالى ان يفوزوا بالسلامة والسعادة في الدنيا والاخرة ولنرجع الى التفسير اورد صاحب الكشاف على نفسه سوالا فقال هلا قيل الا مودة القربى او الا المودة للقربى وما معنى قوله الا المودة في القربى واجاب عنه بان قال جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في ال فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد يريد احبهم وهم مكان حبي ومحله ثم قال تعالى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا قيل نزلت هذه الاية في ابي بكر رضي الله تعالى عنه والظاهر العموم في اي حسنة كانت الا انها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القربى دل ذلك على ان المقصود التاكيد في تلك المودة ثم قال تعالى ان الله غفور شكور والشكور في حق الله تعالى محال مجاز والمعنى انه تعالى يحسن الى المطيعين في ايصال الثواب اليهم وفي ان يزيد عليه انواعا كثيرة من التفضل وقال تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا واعلم ان الكلام في اول هذه السورة انما ابتدا في تقرير ان هذا الكتاب انما حصل بوحي الله تعالى وهو قوله تعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم واتصل الكلام في تقرير هذا المعنى وتعلق البعض حتى وصل الى ههنا ثم حكى ههنا شبهة القوم وهي قولهم ان هذا ليس وحيا من الله تعالى فقال تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا قال صاحب الكشاف ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل ايقع في قلوبهم ويجري في لسانهم ان ينسبوا مثله الى الافترا على الله تعالى الذي هو اقبح انواع الفرية وافحشها ثم اجاب عنه بان قال تعالى فان يشا الله يختم على قلبك وفيه وجوه الاول قال مجاهد يربط على قلبك بالصبر على اذاهم حتى لا يشق عليك قولهم انه مفتر كذاب الثاني يعني هذا الكلام انه ان شا الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذب فانه لا يجتري على افترا الكذب على الله تعالى الا من كان في مثل هذه الحالة والمقصود من ذكر هذا الكلام المبالغة في تقرير الاستبعاد ومثاله ان ينسب رجل بعض الامنا الى الخيانة فيقول الامين لعل الله تعالى خذلني لعل الله تعالى اعمى قلبي وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب لنفسه وانما يريد استبعاد صدور الخيانة عنه ثم قال تعالى ويمح الله الباطل ويحق الحق اي من عادة الله تعالى ابطال الباطل وتقرير الحق ولو كان محمد مبطلا كذابا لفضحه ولكشف عن باطله ولما ايده بالقوة والنصر



ولما لم يكن الامر كذلك علمنا انه ليس من الكاذبين المفترين على الله تعالى ويجوز ان يكون هذا وعدا من الله تعالى لرسوله بانه يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي كان محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى انه عليم بذات الصدور اي عليم بما في صدورك وصدورهم فيجري الامر على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القران ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل الله به ذلك واعلم انه تعالى لما قال ام يقولون افترى على الله كذبا ثم برا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما اضافوه اليه من هذا وكان من المعلوم انهم قد استحقوا بهذه الفرية عقابا عظيما لا جرم ندبهم الله تعالى الى التوبة وعرفهم انه يقبلها من كل مسي وان عظمت اساته فقال تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيات وفي هذه الاية مسايل **المسلة الاولى** قال صاحب الكشاف يقال قبلت منه الشي وقبلته عنه فمعنى قبلته منه اخذته منه وجعلته مبدا قبولي ومنشاه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وابنته عنه وقد سبق البحث المستقصى عن حقيقة التوبة في سورة البقرة واقل ما لا بد منه الندم على الماضي والترك في الحال والعزم على ان لا يعود اليه في المستقبل روي عن جابر ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له علي عليه السلام يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين فقال يا امير المومنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة اشيا على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرايض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكا بدل كل ضحك ضحكته **المسلة الثانية** قالت المعتزلة يجب على الله تعالى عقلا قبول التوبة وقال اصحابنا لا يجب على الله شي وكل ما يفعله فانما يفعله بالكرم والفضل واحتجوا على صحة مذهبهم بهذه الاية فقالوا انه تعالى تمدح بقبول التوبة ولو كان ذلك القبول واجبا لما حصل التمدح العظيم الا ترى ان من مدح نفسه بان لا يضرب الناس ظلما ولا يقتلهم غصبا كان ذلك مدحا قليلا اما اذا قال اني احسن اليهم مع ان ذلك لا يجب علي كان ذلك مدحا وثنا **المسلة الثالثة** قوله تعالى ويعفوا عن السيات اما ان يكون المراد منه ان يعفوا عن الكباير بعد الاتيان بالتوبة او المراد انه يعفوا عن الصغاير او المراد يعفوا عن الكباير قبل التوبة والاول باطل والا لصار قوله تعالى ويعفوا عن السيات عين قوله وهو الذي يقبل التوبة والتكرار خلاف الاصل والثاني ايضا باطل لان ذلك واجب واداء الواجب لا يتمدح به فبقي القسم الثالث فيكون المعنى انه تارة يعفوا بواسطة قبول التوبة وتارة يعفوا ابتدا من غير توبة ثم قال تعالى ويعلم ما تفعلون والمعنى انه تعالى يعلمه فيثيب على حسناته ويعاقب على سياته ثم قال تعالى ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وفيه قولان احدهما الذين امنوا رفع على انه فاعل تقديره ويجيب المومنين الله فيما دعاهم اليه والثاني محله نصب والفاعل مضمر وهو الله وتقديره ويستجيب الله للمومنين الا انه حذف اللام كما في قوله تعالى واذا كالوهم وهذا التاويل اولى لان الخبر فيما قبل وبعد عن الله لان ما قبل الاية قوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيات وما بعدها قوله ويزيدهم من فضله تريد عطف ويستجيب على الاول يجيب العبد ويزيد الله من فضله اما من قال ان الفعل للذين امنوا ففيه وجهان احدهما ويجيب المومنون ربهم فيما دعاهم اليه والثاني يطيعونه فيما امرهم به والاستجابة الطاعة واما من قال ان الفعل لله تعالى فقد اختلفوا فقيل يجيب الله دعا المومنين ويزيدهم من فضله فان قالوا فتخصيص المومنين باجابة الدعا هل يدل على انه تعالى لا يجيب دعا الكافر قلنا قال بعضهم لا يجوز لان اجابة الدعا تعظيم وذلك لا يليق بالكافر وقيل يجوز على بعض الوجوه وفايدة التخصيص ان اجابة دعا المومنين يكون على سبيل التشريف واجابة دعا الكافر يكون على سبيل الاستدراج ثم قال تعالى ويزيدهم من فضله اي يزيدهم على ما طلبوه بالدعا والكافرون لهم عذاب شديد والمقصود التهديد والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشا انه بعباده خبير بصير وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ومن اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشا قدير وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وما انتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير

في الاية مسايل **المسلة الاولى** اعلم انه تعالى لما قال في الاية الاولى انه يجيب دعا المومنين ورد عليه سوال وهو ان المومن قد يكون في شدة وبلية وفقر ثم يدعوا فلا يظهر اثر الاجابة فكيف الجمع بينه وبين ما تقدم من قوله تعالى ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات فاجاب الله تعالى عنه بقوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولاقدموا على المعاصي ولما كان ذلك محذورا وجب ان لا يعطيهم ما طلبوه قال الجبايي هذه الاية تدل على قول المجبرة من وجهين الاول ان حاصل الكلام انه تعالى لو بسط الرزق لبغوا في الارض والبغي في الارض غير مراد فاراده بسط الرزق غير حاصلة فهذا الكلام انما يتم اذا قلنا انه تعالى لا يريد البغي في الارض وذلك يوجب فساد قول المجبرة الثاني انه تعالى بين انه انما لم يرد بسط الرزق لانه يفضي الى المفسدة ولما بين تعالى انه لا يريد ما يفضي الى المفسدة فبان لا يكون مريدا للمفسدة كان اولى اجاب اصحابنا بان الميل الشديد الى البغي والقسوة والقهر صفة حدثت بعد ان لم تكن فلا بد لها من فاعل وفاعل هذه الاحوال اما العبد او الله تعالى والاول باطل لانه انما يفعل هذه الاشيا لو مال طبعه اليها فيعود السوال في انه من المحدث لذلك الميل الثاني ويلزم التسلسل وايضا فالعالم الشعور بالظلم والقسوة عيوب ونقصانات والعاقل لا يرضى بتحصيل موجبات النقصان لنفسه ولما بطل هذا ثبت ان محدث هذا الميل والرغبة هو الله تعالى ثم اورد الجبايي في تفسيره على نفسه سوالا قال فان قيل اليس قد بسط الله الرزق لبعض عباده مع انه بغى واجاب عنه بان الذي عنده الرزق بغى وكان المعلوم من حاله انه يبغي على كل حال سوا

اعطي ذلك الرزق وكل ما يفعله فانما يفعله بالكرم والفضل واحتجوا عليه اي على صحة مذهبهم بهذه الاية فقالوا انه تعالى مدح
بقبول التوبة ولو كان ذلك القبول واجبا لما حصل التمدح العظيم الا ترى ... واقول هذا الجواب فاسد ويدل عليه القران والعقل
اما القران فقوله تعالى ان الانسان ليطغى ان راه استغنى حكم مطلقا بان حصول الغنى سبب لحصول الطغيان واما العقل فهو ان النفس
اذا كانت مايلة الى الشر ... فثبت ان حصول المال يوجب الطغيان **المسئلة الثانية** في بيان الوجه الذي لاجله كان التوسع موجبا للطغيان
ذكروا فيه وجوها الاول ان الله تعالى لو سوى في الرزق بين الكل لامتنع كون البعض خادما للبعض ولو صار الامر كذلك لخرب العالم وتعطلت المصالح
الثاني ان هذه الاية مخصصة بالعرب فانه كلما اتسع رزقهم ووجدوا من ماء المطر ما يرويهم ومن الكلا والعشب ما يشبعهم اقدموا على النهب
والغارة الثالث ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة عاد الى مقتضى خلقته الاصلية وهو التكبر واذا وقع في شدة
وبلية ومكروه انكسر فعاد الى الطاعة والتواضع **المسئلة الثالثة** قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الاية وذلك انا نظرنا الى اموال
بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها وقيل نزلت في اهل الصفة تمنوا سعة والغنايم قال تعالى ولكن ينزل بقدر ما يشا
قرا ابن كثير وابو عمرو ينزل خفيفة والباقون بالتشديد ثم نقول بقدر يقال قدره قدرا وقدرا انه بعباده خبير بصير يعني انه عالم
باحوال الناس وبطباعهم وبعواقب امورهم فيقدر ارزاقهم على وفق مصالحهم ولما بين تعالى انه لا يعطيهم ما زاد على قدر حاجتهم لاجل انه
علم ان تلك الزيادة تضرهم في دينهم بين انهم اذا احتاجوا الى الرزق فانه لا يمنعهم منه فقال تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا
قرا نافع وابن عامر وعاصم ينزل مشددة والباقون مخففة قال صاحب الكشاف قرئ قنطوا بفتح النون وكسرها وانزال الغيث
بعد القنوط ادعى الى الشكر لان الفرح بحصول النعمة بعد البلية اتم فكان اقدام صاحبه على الشكر اكثر وينشر رحمته اي بركات الغيث
ومنافعه وما يحصل به من الخصب عن عمر رضي الله عنه انه قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال فاذن اراد هذه الاية ويجوز ان يريد
رحمته الواسعة في كل شي كانه قيل ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر ساير انواع الرحمة وهو الولي الحميد الذي يتولى عباده باحسانه الحميد
المحمود على ما يوصل الى الخلق من اقسام الرحمة ثم ذكر اية اخرى تدل على الهيته فقال تعالى ومن اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من
دابة فنقول اما دلالة خلق السموات والارض على وجود الحكيم فقد ذكرناها وكذلك دلالة وجود الحيوانات على وجود الاله الحكيم
فان قيل كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملايكة قلنا فيه وجوه الاول انه قد يضاف الفعل الى جماعة وان كان فاعله واحدا منهم يقال
بنوا فلان فعلوا كذا وانما فعله واحد منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الثاني ان الدبيب هو الحركة والملايكة لهم حركة
الثالث لا يبعد ان يقال انه تعالى خلق في السموات انواعا من الحيوانات يمشون مشي الاناسي على الارض ثم قال تعالى وهو على جمعهم اذا
يشا قدير قال صاحب الكشاف اذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي قال تعالى والليل اذا يغشى ومنه اذا يشا قدير والمقصود
انه تعالى خلقها متفرقة لا لعجز ولكن لمصلحة فلهذا قال تعالى وهو على جمعهم اذا يشا قدير يعني الجمع للحشر والمحاسبة وانما قال
تعالى على جمعهم ولم يقل على جمعها لاجل ان المقصود من هذا الجمع المحاسبة فكانه تعالى قال وهو على جمع العقلا اذا يشا
قدير **واحتج** الجبائي بقوله تعالى اذا يشا قدير على ان مشيته محدثة فان قال ان كلمة اذا تفيد ظرف الزمان وكلمة
يشاء صيغة المستقبل فلو كانت مشيته قديمة لم يكن لتخصيصها بذلك الوقت المعين من المستقبل فايدة ولما دل
قوله تعالى اذا يشا على هذا التخصيص علمنا ان مشيته محدثة والجواب ان هاتين الكلمتين كما دخلتا على المشية
علمنا ان مشيته تعالى محدثة فقد دخلتا ايضا على لفظ القدير فلزم على هذا ان يكون كونه قادرا صفة محدثة
ولما كان هذا باطلا فكذا القول فيما ذكرتم والله تعالى اعلم ثم قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم في الاية مسايل **المسئلة الاولى** قرا نافع وابن عامر بما كسبت ايديكم بغير فاء وكذلك هي في مصاحف الشام والمدينة
والباقون بالفاء وكذلك هي في مصاحفهم وتقدير الاول ان ما مبتدا بمعنى الذي وبما كسبت خبره والمعنى الذي اصابكم وقع بما كسبت
ايديكم وتقدير الثاني تضمين كلمة ما معنى الشرط الثانية المراد بهذه المصايب الاحوال المكروهة نحو الالام والاسقام والقحط
والغرق والصواعق واشباهها **واختلفوا** في انها هل هي عقوبات على ذنوب سلفت ام لا منهم من انكر ذلك لوجوه الاول
قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت بين تعالى ان الجزا انما يحصل في يوم القيمة وقال تعالى في سورة الفاتحة مالك يوم الدين
اي يوم الجزا واطبقوا على ان المراد منه يوم القيمة والثاني ان مصايب الدنيا يشترك فيها الزنديق والصديق وما يكون
كذلك امتنع جعله من باب العقوبة على الذنوب بل الاستقرا يدل على ان حصول هذه المصايب للصالحين والمتقين
اكثر منه للمذنبين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم خص البلا بالانبيا ثم الاوليا ثم الامثل فالامثل الثالث ان الدنيا دار التكليف
ودار الجزا معا وهو محال واما القايلون بان هذه المصايب قد تكون اجزية على الذنوب المتقدمة فقد تمسكوا بهذه الاية
وتمسكوا ايضا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يصيب ابن ادم خدش عود ولا غيره الا بذنب هذا معناه
وتمسكوا ايضا بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم وتمسكوا ايضا بقوله تعالى بعد هذه الاية
او يوبقهن بما كسبوا وذلك تصريح بان ذلك الاهلاك بسبب كسبهم واجاب الاولون عن التمسك بهذه الاية فقالوا
فقالوا ان حصول هذه المصايب يكون من باب الامتحان في التكليف لا من باب العقوبة كما في حق الانبيا والاوليا ويحمل
ويحمل قوله تعالى فبما كسبت ايديكم على ان الاصلح عند اتيانكم بذلك الكسب انزال هذه المصايب عليكم وكذا الجواب عن بقية
الدلايل والله اعلم **الثالثة** **احتج** اهل التناسخ بهذه الاية على ان حصول المصايب لا يكون الا بسابقة الجرم ثم
ان اهل التناسخ قالوا لكن هذه المصايب حاصلة للاطفال والبهايم فيستحيل ما قالوا وقد ثبت ان هذه الاطفال والبهايم

ما كانت



ما كانت موجودة في بدن آخر لفساد القول بالتناسخ فوجب القطع بانها لا يتالم اذا الم مصيبة والجواب ان قوله تعالى وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم خطاب مع من يفهم ويعقل فلا يدخل فيه البهايم والاطفال ولم يقل تعالى ان جميع ما تصيب الحيوان من المكاره
فانه بسبب ذنب سابق والله تعالى اعلم **الرابعة** قوله تعالى فبما كسبت ايديكم يقتضي اضافة الكسب الى اليد والكسب لا يكون
باليد بل بالقدرة القايمة باليد فهذا يقتضي من اضافة الكسب الى اليد والكسب لا يجوز الا باليد الا ان المراد من لفظ
اليد هاهنا القدرة واذا كان هذا المجاز مشهورا مستعملا كان لفظ اليد الوارد في حق الله تعالى يجب حمله على القدرة تنزيها
لله تعالى عن الاعضا والاجزا والله اعلم ثم قال تعالى ويعفوا عن كثير ومعناه انه تعالى قد يترك الكثير من هذه التشديدات
بفضله ورحمته وعن الحسن قال دخلنا على عمران بن الحصين في الوجع الشديد فقيل له انا لنغتم لك من بعض ما نرى
فقال لا تفعلوا فوالله ان احبه الى الله احبه الي وقد روى ابو سخيلة عن علي بن ابي طالب عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرا هذه الاية وقال ما عفا الله عنه فهو اعز واكرم من ان يعود اليه في الاخرة وما عاقب عليه في الدنيا فالله تعالى اكرم من ان
يعيد العذاب عليه في الاخرة رواه الواحدي في البسيط وقال اذا كان كذلك فهذه ارجى اية في كتاب الله لان الله تعالى جعل
ذنوب المؤمنين صنفين صنف كفره عنهم بالمصايب في الدنيا وصنف عفا عنه في الدنيا وهو كريم لا يرجع في عفوه وهذه
سنة الله مع المؤمنين واما الكافر فانه لا يعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيمة ثم قال تعالى وما انتم بمعجزين في
الارض اي لا تعجزونني حيثما كنتم فلا تسبقوني بسبب هربكم في الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والمراد به من
يعبد الاصنام بين انه لا فايدة فيها البتة والنصير هو الله تعالى فلا جرم هو الذي تحسن عبادته والله تعالى
اعلم بالصواب **قوله تعالى** ومن اياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشا يسكن الريح فيظللن
رواكد على ظهره ان في ذلك لايات لكل صبار شكور او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم
الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص فما اوتيتم من شي فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير
وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش واذا ما غضبوا
هم يغفرون والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون
والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون في الاية مسايل **المسئلة الاولى** قرا نافع وابو عمرو الجواري بالياء في الوصل
والوقف واما الباقون فبحذفها للتخفيف **المسئلة الثانية** اعلم انه تعالى ذكر من اياته ايضا هذه السفن العظيمة
التي تجري على وجه البحر عند هبوب الرياح **واعلم** ان المقصود من ذكره امران احدهما ان يستدل به على وجود القادر الحكيم
والثاني ان يعرف ما فيه من النعم العظيمة لله تعالى على العباد اما الوجه الاول فقد اتفقوا على ان المراد بالاعلام الجبال
قالت الخنسا في مرثية اخيها وان صخرا لتاتم الهداة به كانه علم في راسه نار نقل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما انشد
قصيدتها هذه فلما وصل الراوي الى هذا البيت قال قاتلها الله تعالى ما رضيت لتشبيهه بالجبل حتى جعلت على راسه
نارا اذا عرفت هذا فنقول هذه السفن العظيمة التي تكون كانها الجبال تجري على وجه البحر عند هبوب الرياح على اسرع
الوجوه وعند سكون هذه الرياح تقف وقد بينا في الدليل في سورة النحل ان محرك الرياح ومسكنها هو الله تعالى
اذ لا يقدر احد على تحريكها من البشر ولا على تسكينها وذلك يدل على وجود الاله القادر وايضا ان تلك السفينة
تكون في غاية الثقل ثم انها مع ثقلها بقيت على وجه الما وهو ايضا دلالة اخرى **والوجه الثاني** وهو ما فيها من المنافع فهو
انه تعالى خص كل جانب من جوانب الارض بنوع آخر من الامتعة واذا نقل متاع هذا الجانب الى ذلك الجانب في السفن وبالعكس حصلت
هذه المنافع العظيمة في التجارة فلهذه الاسباب ذكر الله تعالى حال هذه السفينة ثم قال تعالى ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد
على ظهره قرا ابو عمرو والجمهور الريح لان سكون ... علامة للجزم وعن ورش عن نافع بلا جزم وقرا نافع وحده سكن الرياح على الجمع والباقون
الريح على الواحد قال صاحب الكشاف قرئ يظللن بفتح اللام وكسرها من ظل يظل وظل يظل وقوله تعالى رواكد اي ثوابت لا تجري على ظهره
اي على ظهر البحر ان في ذلك لايات لكل صبار شكور لنعمايه والمقصود التنبيه على ان المؤمن
يجب ان لا يكون غافلا عن دلايل معرفة الله البتة لانه لا بد وان يكون في الافاق فان كان في البلا كان من الصابرين وان كان
في النعما كان من الشاكرين وعلى هذا التقدير فانه لا يكون البتة من الغافلين ثم قال تعالى او يوبقهن بما كسبوا يعني او يهلكهن
يقال اوبقه اي اهلكه ويقال للمجرم اوبقته ذنوبه اي اهلكته والمعنى انه تعالى ان شا ابتلى المسافرين في البحر باحدى البليتين اما ان يسكن
الريح فتركد الجواري على متن البحر وتوقف واما ان يرسل الريح عاصفة فيهلكن بسبب الاغراق وعلى هذا التقدير فقوله يوبقهن
معطوف على قوله يسكن لان التقدير ان يشا يسكن الريح فيركدن او يعصفها فيغرقن بعصفها وقوله تعالى ويعف عن كثير وقوله ان يشا
يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم فان قيل فما معنى ادخال العفو في حكم ... حيث جعل مجزوما مثله قلنا معناه ان يشا يهلك
ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم واما من قرا ويعفوا فقد استانف الكلام قال تعالى ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص قرا نافع
وابن عامر يعلم بالرفع على الاستيناف وقرا الباقون بالنصب بالقراة بالرفع على الاستيناف واما بالنصب فالعطف محذوف تقديره لينتقم
منهم ويعلم الذين يجادلون والعطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القران قوله تعالى خلق السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت
قال صاحب الكشاف ومن قرا على جزم ويعلم فكانه قال او ان يشا يجمع بين ثلاثة امور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين اذا عرفت هذا فنقول
معنى الاية ويعلم الذين يجادلون اي يجادلون على وجه التكذيب انه لا مخلص لهم اذا وقفت السفن واذا عصفت الرياح فيصير

ذكر سبب الاعتراض ثم بان الاله النافع الضار ليس الا الله تعالى واعلم انه تعالى لما ذكر دلايل التوحيد اردفها بالتنفير عن
الدنيا وتحقير شانها لان الذي يمنع من قبول الدليل انما هو الرغبة في الدنيا بسبب الرياسة وطلب الجاه فاذا صغرت الدنيا في عين
الرجل لم يلتفت اليها فحينيذ ينتفع بقبول الدلايل فقال تعالى فما اوتيتم من شي فمتاع الحياة الدنيا وسماه متاعا تنبيها
على قلته وحقارته ولان الحس شاهد بان كل ما يتعلق بالدنيا فانه يكون سريع الانقراض والانقضاض ثم قال تعالى وما عند الله خير
وابقى والمعنى ان مطالب الدنيا خسيسة منقرضة ونبه على خساستها بتسميتها بالمتاع ونبه على انقراضها بان جعلها من الدنيا
واما الاخرة فانها خير وابقى وصريح العقل يقتضي ترجيح الخير الباقي على الخسيس الفاني ثم بين ان هذه الخيرية انما تحصل لمن كان موصوفا
بصفات **الصفة الاولى** ان من المومنين بدليل قوله تعالى للذين امنوا **الصفة الثانية** ان يكون من المتوكلين
على فضل الله تعالى بدليل قوله تعالى وعلى ربهم يتوكلون فاما من زعم ان الطاعة توجب الثواب فهو متكل على عمل نفسه لا على
الله تعالى فلا يدخل تحت قوله تعالى **الصفة الثالثة** ان يكونوا مجتنبين لكباير الاثم والفواحش عن ابن عباس كباير الاثم هو
الشرك نقله صاحب الكشاف وهو عندي بعيد لان شرط الايمان مذكور اولا وهو يغني عن عدم الشرك وقيل المراد بكباير الاثم ما يتعلق بالبدع
واستخراج الشبهات وبالفواحش ما يتعلق بالقوة الشهوانية وبقوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون ما يتعلق بالقوة الغضبية وانما خص
الغضبية بلفظ الغفران لان الغضب على طبع النار واستيلاوه شديد ومقاومته صعبة فلهذا السبب خصه بهذا اللفظ والله
تعالى اعلم **الصفة الرابعة** قوله تعالى والذين استجابوا لربهم فالمراد منه تمام الانقياد فان قالوا اليس انه لما حصل
الايمان بشرايطه فقد دخل في الايمان اجابة الله قلنا الاقرب عندي ان يحمل هذا على الرضا بقضا الله تعالى من صميم القلب وان لا يكون في قلبه
منازعة في امر من الامور ولما ذكر هذا الشرط قال تعالى واقاموا الصلاة والمراد منه اقامة الصلوات الواجبة لان هذا هو الشرط في حصول
الثواب واما قوله تعالى وامرهم شورى بينهم فقيل كان اذا وقعت بينهم واقعة اجتمعوا وتشاوروا فاثنى الله عليهم اي لا ينفردون براي
بل يجتمعون عليه لا يقدمون عليه ما لم يتشاوروا وقوم الاهد ولا ينفرد امرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى قوله تعالى وامرهم
شورى **الصفة الخامسة** قوله تعالى والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون والمعنى ان ينتصروا في الانتصار على ما
جعله الله لهم فلا يتعدوا وعن النخعي انه كان اذا قراها قال كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجتري عليهم الفساق فان قيل هذه
الاية مشكلة لوجهين الاول انه لما ذكر قبله واذا ما غضبوا هم يغفرون فكيف يليق ان يذكر معه ما يجري مجرى الضد له و
هو قوله تعالى والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون الثاني وهو ان جميع الايات دالة على ان العفو احسن قال تعالى
وان تعفوا اقرب للتقوى قال تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
وقال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولين صبرتم لهو خير للصابرين فهذه الايات تناقض هذا والجواب ان العفو
على قسمين احدهما ان يصير العفو سببا لتسكين الفتنة وجناية الجاني ورجوعه عن جنايته والثاني ان يصير العفو سببا لمزيد
جراة الجاني ولقوة غيظه وغضبه والايات في العفو محمولة على القسم الاول وهذه الاية محمولة على القسم الثاني وحينيذ
يزول التناقض والله تعالى اعلم الا ترى ان العفو عن المصر يكون كالاغراء له ولغيره فلو ان رجلا وجد عبده فجر بجاريته وهو
مصر فلو عفا عنه كان مذموما وروي ان زينب اقبلت على عايشة رضي الله عنها تشتمها فنهاها النبي صلى الله عليه وسلم فلم تنته
فقال صلى الله عليه وسلم دونك فانتصري وايضا انه تعالى لم يرغب في الانتصار بل بين انه مشروع فقط ثم بين بعده
انه شرعه مشروطا برعاية المماثلة ثم بين ان العفو اولى بقوله تعالى فمن عفى واصلح فاجره على الله فزال السوال

**قوله تعالى** وجزا سيية سيية مثلها فمن عفى واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين
ولمن انتصر بعد ظلمه فاوليك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون
في الارض بغير الحق اوليك لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ومن يضلل الله
فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما راوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون
عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا
انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله
ومن يضلل الله فما له من سبيل **اعلم** انه تعالى لما قال والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون اردفه بما يدل على
ان ذلك الانتصار يجب ان يكون مقيدا بالمثل فان النقصان حيف والزيادة ظلم والمساوي هو العدل وبه قامت السموات
والارض فلهذا السبب قال تعالى وجزاء سيية سيية مثلها وفي الاية مسايل **المسلة الاولى** لقايل ان يقول جزاء
السيية مشروع ماذون فيه فكيف سمي بالسيية اجاب صاحب الكشاف عنه كلتا الفعلتين الاولى وجزاوها سيية
لانها تسوء من تنزل به قال تعالى وان تصبهم سيية يقولوا هذه من عندك فكل نزيدما يسوءهم من المصايب والبلايا واجاب
غيره بانه لما جعل في مقابلة الاولى اطلق اسم احدهما على الاخر على سبيل المجاز والحق ما ذكره صاحب الكشاف **المسلة الثانية**
هذه الاية اصل كبير في علم الفقه فان مقتضاها ان يقابل كل جناية بمثلها وذلك لان الاهدار يوجب فتح باب الشر والعدوان
لان في طبع كل احد الظلم والبغي والعدوان فاذا لم يزجر عنه اقدم عليه ولم يتركه واما الزيادة على قدر الذنب فهو ظلم والشرع
منزه عنه فلم يبق الا ان يقابل بالمثل ثم تاكد هذا النص بنصوص اخر كقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وقوله
تعالى من عمل سيية فلا يجزى الا مثلها وقوله عز وعلا كتب عليكم القصاص في القتلى عبارة عن المساواة والمماثلة وقوله





تعالى والجروح قصاص وقوله تعالى ولكم في القصاص حياة فهذه النصوص باسرها تقتضي مقابلة الشي بمثله ثم هاهنا
دقيقة وهي انه اذا لم يكن استيفا الحق الا باستيفا الزيادة فهاهنا وقع التعارض بين الحاق زيادة الضرر بالجاني
وبين منع المجني عليه من استيفا حقه فايهما اولى فهاهنا محل اجتهاد المجتهدين ويختلف ذلك باختلاف الصور ونفرع
على هذا الاصل بعض المسايل بينها على الباقي المثال الاول احتج الشافعي رضي الله عنه على ان المسلم لا يقتل بالذمي
وان الحر لا يقتل بالعبد بان المماثلة شرط لجريان القصاص وهي مفقودة في هاتين المسالتين فوجب ان لا يجري القصاص بينهما
اما بيان ان المماثلة شرط لجريان القصاص فهي النصوص المذكورة وكيفية الاستدلال بها فنقول لا محل المماثلة المذكورة في
هذه النصوص على المماثلة في كل الامور الا ما خصه الدليل او نحملها على المماثلة في امر معين والثاني مرجوح لان ذلك
الامر المعين غير مذكور في الاية فلو حملنا الاية عليها لزم الاجمال ولو حملنا النص على القسم الاول لزم تحمل رعاية المماثلة
في كل الامور الا ما خصه دليل العقل ودليله تعالى يعضل ثبت هذا فنقول رعاية المماثلة في قتل المسلم بالذمي وفي قتل
الحر بالعبد لان الاسلام اعتبره الشرع في ايجاب القتل لتحصيله عند عدمه كما في حق الكافر الاصلي ولا بقايه عند وجوده كما
في حق المرتد وايضا الحرية صفة اعتبرها الشرع في حق القضا والامامة والشهادة فثبت ان المماثلة شرط الجريان للقصاص
وهي مفقودة هاهنا فوجب المنع من القصاص المثال الثاني احتج الشافعي رضي الله عنه في ان الايدي تقطع باليد
الواحدة فقال لا شك انه صدر كل القطع او بعضه عن كل اولئك القاطعين او عن بعضهم فوجب ان يشرع في حق اولئك
القاطعين مثله لهذه النصوص وكل من قال بشرع القطع اما كله او بعضه في حق كلهم وهو ممنوع منه الا انا نقول لما
التعارض بين جانب الجاني وبين جانب المجني عليه كان جانب المجني عليه بالرعاية اولى المثال الثالث شريك الاب شرع في حقه القصاص
والدليل عليه انه صدر عنه الجرح فوجب ان يقابل بمثله لقوله تعالى والجروح قصاص واذا ثبت هذا ثبت تمام القصاص لانه لا قايل
بالفرق المثال الرابع قال الشافعي رضي الله عنه من غرق غرقناه ومن حرق حرقناه والدليل عليه هذه النصوص الدالة على مقابلة كل شي
بمثله المثال الخامس شهود القصاص اذا رجعوا وقالوا تعمدنا الكذب يلزمهم القصاص لانهم بتلك الشهادة اهدروا دمه فوجب
ان يصير دمهم مهدرا لقوله تعالى وجزاء سيية سيية مثلها المثال السادس قال الشافعي رضي الله عنه المكره يجب عليه القود لانه
صدر عنه القتل فوجب مثله اما انه صدر عنه القتل فالحس يدل عليه واما انه قتل ظلما فلان المسلمين اجمعوا على انه مكلف من قبل الله تعالى
بان لا يقتل واجمعوا على انه يستحق به الاثم العظيم والعقاب الشديد واذا ثبت هذا وجب ان يقابل بمثله لقوله تعالى وجزاء سيية سيية
مثلها المثال السابع الحر لا يقتل بالعبد قصاصا ونحوه وان ذكرنا هذه المسالة في المثال الاول الا انا نذكرها هاهنا على وجه اخر من البيان
فنقول ان القاتل اتلف على مالك العبد شيا يساوي عشرة دنانير مثلا فوجب ان يجب عليه اداء عشرة دنانير لقوله تعالى وجزاء سيية
سيية مثلها واذا وجب الضمان وجب ان لا يجب القصاص لانه لا قايل بالفرق المثال التاسع منافع الغصب عند الشافعي رضي الله عنه
والدليل عليه ان الغاصب فوت على المالك منافع تقابل في العرف وكل من اوجب تفويت هذا القدر على الغاصب قال بانه يجب اداوه
الى المغصوب منه المثال العاشر ان الحر لا يقتل بالعبد قصاصا لانه لو قتل بالعبد كان مساويا للحر في المعاني الموجبة للقصاص لقوله تعالى
من عمل سيية فوجب ان يكون عند غيره مساويا للعبد نفسه في المعاني الموجبة للقصاص ولو قتل بعبد غيره لقتل بعبد نفسه في البيان
الذي ذكرناه ولا يقتل بعبد نفسه فوجب ان لا يقتل بعبد غيره فقد ذكرنا هذه الامثلة العشرة في التفريع على هذه الاية ومن احب
الفطانة سهل عليه تفريع كثير من مسايل الشريعة على هذا الاصل والله اعلم ثم هاهنا بحث وهو ان ابا حنيفة رضي الله تعالى عنه
قال في قطع الايدي لا شك انه صدر كل القطع او بعضه عن كلهم او عن بعضهم الا انه لا يمكن استيفاء ذلك الحق الا باستيفاء الزيادة
لان تفويت عشرة من الايدي ازيد من تفويت يد واحدة فوجب ان يبقى على اصل الحرمة فقال الشافعي رضي الله تعالى عنه لو كان تفويت
عشرة من الايدي في مقابلة يد واحدة حراما لكان تفويت عشرة من النفوس في مقابلة نفس واحدة حراما لان تفويت النفس
يشتمل على تفويت اليد فتفويت عشرة من النفوس في مقابلة النفس الواحدة يوجب عشرة من الايدي في مقابلة اليد الواحدة فلو كان
عشرة من الايدي في مقابلة اليد الواحدة لكان تفويت عشرة من النفوس لاجل النفس الواحدة مشتملا على الحرام والمشتمل على
الحرام حرام فكان يجب ان يحرم قتل النفوس العشرة في مقابلة النفس الواحدة وحيث اجمعنا على انه لا يحرم علمنا ان الاقدام على استيفا
الزيادة غير ممنوع منه شرعا والله اعلم المسالة قد بينا ان قوله تعالى وجزاء سيية سيية مثلها يقتضي وجوب رعاية المماثلة
مطلقا في كل الاحوال الا فيما خصه الدليل والفقهاء قالوا ادخلوا التخصيص فيه في صور كثيرة تارة بناء على نص اخر
واخرى بناء على القياس ولا شك ان من ادعى التخصيص فعليه البيان والمكلف يكفيه ان يتمسك بهذا النص في جميع المطالب قال مجاهد
والسدي اذا قال اخزاه الله فليقل له اخزاه الله واذا قذفه قذفا يوجب الحد فليس له ذلك بل الحد الذي امره الله به
قال تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله بينه وبين خصمه بالعفو والاغضا كما قال تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم فاجره على الله وهو وعد منه لا يقاس امره في التعظيم ثم قال تعالى انه لا يحب الظالمين وفيه قولان الاول ان
المقصود منه التنبيه على ان المجني عليه لا يجوز له استيفاء الزيادة من الظالم لان الظلم فيما وراء ظلمه معصوم والثاني انه لا يكاد يومن فيه تجاوز السوية والتعدي خصوصا في حال الحرب والتهاب الحمية فربما صار المظلوم عند الاقدام على استيفا
القصاص ظالما وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم
خلق فيقال لهم ما اجركم على الله تعالى فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله تعالى

الثاني انه تعالى لما حث على العفو عن الظالم اخبر انه مع ذلك لا يحبه تنبيها على انه اذا كان لا يحبه ومع ذلك فانه يندب
الى عفوه فالمؤمن الذي هو حبيبه بسبب ايمانه اولى ان يعفو عنه ثم قال تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه اى ظلم الظالم اياه وهذا
من باب اضافة المصدر الى المفعول فاولئك يعني المنتصرين ما عليهم من سبيل لعقوبة ومؤاخذة لانهم اتوا بما ابيح لهم من الانتصار واحتج
الشافعي رضي الله عنه بهذه الاية في بيان سراية القود مهدرة فقال الشرع اما ان يقال انه اذن له في القطع الحرية فاذا كان تجويزه
معلقا بشرط السريان وكان هذا الشرط مجهولا وجب ان يبقى ذلك القطع على الحرمة لان الاصل فيها هو الحرمة والحل انما يحصل
معلقا على شرط مجهول فوجب ان يبقى على اصل الحرمة وحيث لم يكن كذلك علمنا ان الشرع اذن له في القطع كيف كان سواء سرى
او لم يسري واذا كان كذلك وجب ان لا يكون ذلك السريان مضمونا لانه قد انتصر من بعد ظلمه فوجب ان لا يحصل لاحد عليه سبيل
ثم قال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس اى يبدؤن بالظلم ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ثم قال تعالى
ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور والمعنى ولمن صبر بان لا يقتص وغفر وتجاوز فان ذلك الصبر والتجاوز لمن عزم الامور
يعني ان عزمه على ترك الانتصار لمن عزم الامور الجيدة وحذف الراجع لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى
ان رجلا سب رجلا في مجلس الحسن فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام وتلا هذه الاية فقال الحسن عقلها والله وفهمها لما
ضيعها الجاهلون ثم قال تعالى ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده اى فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه اى من بعد
اضلال الله اياه وهذا صريح في جواز الاضلال من الله تعالى وفي ان الهداية ليست في مقدور احد سوى الله تعالى
قال القاضي المراد ومن يضلل الله عن الجنة لجنايته فما له من ولي من بعده ينصره والجواب ان تقييد الاضلال بهذه الصورة
المعينة خلاف الدليل وايضا فالله تعالى ما اضله عن الجنة من قولكم بل هو ضل بنفسه عن الجنة ثم قال تعالى وترى
الظالمين لما راوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل والمراد انهم يطلبون الرجوع الى الدنيا لعظم ما يشاهدون
من العذاب ثم ذكر حالهم عند عرضهم على النار فقال وتراهم يعرضون عليها خاشعين حال كونهم خاشعين حقيرين مهانين بسبب ما لحقهم من الذل ثم قال تعالى ينظرون من
طرف خفي اى يبتدى نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى الذي يتيقن انه يقتل فانه ينظر الى السيف كانه لا يقدر
على ان يفتح اجفانه عليه ويملأ عينيه منه كما يفعل في نظره الى المحبوبات فان قيل اليس انه تعالى قال في صفة الكفار انهم يحشرون
عميا فكيف قال هاهنا انهم ينظرون من طرف خفي قلنا لعلهم يكونون في الابتداء هكذا ثم يجعلون عميا ولعل هذا في قوم وذاك
في قوم اخرين ولما وصف الله تعالى حال الكفار حكى ما يقوله المؤمنون فيهم فقال وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين
خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ان الظالمين في عذاب مقيم قال صاحب الكشاف يوم القيمة اما ان يتعلق بخسروا
ويكون قول المؤمنين واقعا في الدنيا واما ان يتعلق بقال اى يقولون يوم القيمة اذا راوهم على تلك الصفة ثم قال
تعالى الا ان الظالمين في عذاب مقيم اى دايم قال القاضي وهذا يدل على ان الكافر والفاسق يدوم عذابهما والجواب
ان لفظ الظالم المطلق في القران مخصوص بالكافر قال تعالى والكافرون هم الظالمون والذي يؤكد هذا انه قال بعد هذه الاية
وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله والمعنى ان الاصنام التي كانوا يعبدونها لاجل ان تشفع لهم عند الله تعالى
ما اتوا بتلك الشفاعة ومعلوم ان هذا لا يليق الا بالكفار ثم قال تعالى ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده سبيل وهذا
يدل على ان المضل والهادي هو الله تعالى على ما هو قولنا ومذهبنا والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى**
استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم من نكير فان اعرضوا فما
ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم
سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء
اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير **اعلم**
انه تعالى لما اطنب في الوعد والوعيد ذكر بعده ما هو المقصود فقال تعالى استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله
ما لكم وقوله من الله يجوز ان يكون صلة لقوله لا مرد له يعني لا يرده الله بعد ما حكم به ويجوز ان يكون صلة لقوله تعالى لا مرد له
من الله يعني لا يرده الله بعد ما حكم به ويجوز ان يكون صلة لقوله تعالى ياتي اى من قبل ان ياتي من الله يوم لا يقدر احد
على رده واختلفوا في المراد بذلك اليوم فقيل هو ورود الموت وقيل يوم القيمة ووصف ذلك اليوم بانه لا مرد له من
الله وهذا الوصف موجود في كلا اليومين ويحتمل ان يكون قوله تعالى لا مرد له من الله لا يقبل التقديم والتاخير وان يكون معناه
انه لا مرد فيه الى حال التكليف حتى يحصل فيه التلافي ثم قال تعالى في وصف ذلك اليوم ما لكم من ملجا ينفع به التخلص من العذاب
وما لكم من نكير ممن ينكر ذلك حتى يغيره والنكير بمعنى المنكر ويجوز ان يكون المراد من النكير الانكار اى لا تقدرون ان تنكروا
شيئا فيما اقترفوه من الاعمال فان اعرضوا هؤلاء الذين امرتهم بالاستجابة اى لم يقبلوا هذا الامر فما ارسلناك عليهم حفيظا
بان تحفظ اعمالهم وتحصيها ان عليك الا البلاغ ليس الا البلاغ وذلك تسلية من الله تعالى ثم انه تعالى بين السبب
في اصرارهم على مذهبهم الباطلة وذلك انهم وجدوا في الدنيا سعادة وكرامة ويكون الفوز بمطالب الدنيا يفيد الغرور والعجب
والتكبر وعدم الانقياد للحق فقال تعالى وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها ونعم الله تعالى في الدنيا وان كانت عظيمة
الا انها بالنسبة الى السعادات المعدة في الاخرة كالقطرة بالنسبة الى البحر فلذلك سماها ذوقا فبين تعالى ان الانسان اذا
فاز بهذا القدر الحقير الذي حصل في الدنيا فانه يفرح بها ويعظم غروره بسببها ويقع في العجب والكبر ويظن انه فاز بكل المنى ووصل

الى افضى



الى افضى السعادات وهذه طريقة من يضعف اعتقاده في سعادات الاخرة وهذه الطريقة مخالفة لطريق المؤمن
الذي لا يعد نعم الدنيا الا كالوصلة الى نعم الاخرة ثم بين انه متى اصابتهم سيئة اى شيء يسوءهم في الحال كالمرض
والفقر وغيرهما فانه يظهر منه الكفر وهو معنى قوله تعالى فان الانسان كفور والكفور الذي يكون مبالغا في الكفران
ولم يقل فانه كفور ليبين ان طبيعة الانسان تقتضي الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك بقوله لله ملك السموات والارض
والمقصود منه ان لا يغتر الانسان بما ملكه من المال والجاه بل اذا علم ان الكل ملك الله وملكه فانه انما ذكر القدر تحت
يده لان الله تعالى انعم عليه به فحينئذ يصير ذلك حاملا له على مزيد الطاعة والخدمة واما اذا اعتقد ان تلك النعم انما تحصل
بسبب عقله وجده واجتهاده بقي مغرورا بنفسه معرضا عن طاعة الله تعالى ثم ذكر من اقسام تصرف الله في العالم انه يخص
البعض بالاولاد الاناث والبعض بالذكور والبعض بهما والبعض بان يجعله محروما عن الكل وهو المراد من قوله تعالى و
يجعل من يشاء عقيما **واعلم** ان اهل الطبايع يقولون السبب في حدوث الولد صلاح حال النطفة والرحم وسبب الذكورة
استيلاء الحرارة وسبب الانوثة استيلاء البرودة وقد ذكرنا هذا الفصل بالاستقصاء التام في سورة النحل وابطلناه
بالدلايل اليقينية وظهر ان ذلك من الله تعالى لا من الطبايع والانجم والافلاك فان قيل في الاية سؤالات
**السؤال الاول** انه قدم الاناث في الذكر على الذكور فقال تعالى لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ثم في الاية الثانية قدم
الذكور على الاناث فقال تعالى او يزوجهم ذكرانا واناثا فما السبب في هذا التقديم والتاخير **السؤال الثاني** انه ذكر
الاناث على سبيل التنكير فقال تعالى يهب لمن يشاء اناثا وذكر الذكور بلفظ التعريف فقال تعالى ويهب لمن يشاء الذكور
فما السبب في هذا الفرق **السؤال الثالث** لم قال في اعطاء الاناث وحدهن وفي اعطاء الذكور وحدهم بلفظ الهبة
فقال تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وقال في اعطاء الصنفين معا او يزوجهم ذكرانا واناثا
**السؤال الرابع** لما كان حصول الولد هبة من الله فيكفي في عدم حصوله ان لا يهب فاي حاجة في عدم حصوله
الى ان يقول ويجعل من يشاء عقيما **السؤال الخامس** هل المراد من هذا الحكم جمع معينون او المراد الحكم على الانسان
المطلق **والجواب** عن السؤال الاول من وجوه الاول ان الكريم يسعى في ان يقع الختم على الخير والراحة والسرور
والبهجة فاذا وهب الولد الانثى اولا ثم اعطى الذكر بعده فكانه نقله من الغم الى الفرح وهذا غاية الكرم
اما اذا اعطى الولد الذكر اولا ثم اعطى الانثى ثانيا فكانه نقله من الفرح الى الغم فذكر تعالى هبة الولد الانثى اولا وثانيا
هبة الولد الذكر حتى يكون قد نقله من الغم الى الفرح فيكون ذلك اليق بالكرم الوجه الثاني انه اذا اعطى الولد
الانثى اولا علم انه لا اعتراض له على الله تعالى فيرضى بذلك فاذا اعطاه الولد الذكر بعد ذلك علم ان هذه الزيادة
فضل من الله تعالى واحسان اليه فيزداد شكره وطاعته ويعلم ان ذلك انما حصل بمحض الفضل والكرم
الوجه الثالث قال بعض المذكورين الانثى ضعيفة ناقصة عاجزة فقدم الله تعالى ذكرها تنبيها على انه
كلما كان العجز والحاجة اتم كانت عناية الله به اكثر الوجه الرابع كانه يقال ايها المراة الضعيفة العاجزة ان اباك وامك
يكرهان وجودك فان كانا قد كرها وجودك فانا قد قدمتك في الذكر ليعلم ان المحسن المكرم هو الله تعالى فاذا علمت المراة زيادة
في الطاعة والخدمة والبعد عن موجبات الطعن والذم فهذه المعاني هي التي لاجلها وقع ذكر الاناث مقدما على ذكر الذكور وانما
قدم ذكر الذكور بعد ذلك على ذكر الاناث لان الذكر اكمل وافضل من الانثى والاكمل الافضل مقدم على الاخس الارذل والحاصل ان النظر
الى كونه ذكرا وانثى يقتضي تقديم الذكر على ذكر الانثى اما العوارض الخارجية التي ذكرناها فقد اوجب تقديم ذكر الانثى على ذكر الذكر
فلما حصل المقتضي للتقديم في البابين لا جرم قدم هذا مرة وذاك مرة اخرى والله اعلم **واما السؤال الثاني** وهو قوله لم
عبر عن الاناث بلفظ التنكير وعن الذكور بلفظ التعريف فجوابه ان المقصود منه التنبيه على كون الذكر افضل من الانثى
واما السؤال الثالث وهو قوله لم قال في اعطاء الصنفين يزوجهم ذكرانا واناثا فجوابه ان كل شيئين يقرب احدهما من الاخر
فهما زوجان وكل واحد منهما يقال له زوج والكناية في يزوجهم عائدة على الاناث والذكور التي في الاية الاولى والمعنى يقرن
الاناث والذكور فيجعلهم ازواجا واما السؤال الرابع فجوابه ان العقيم هو الذي لا يولد له يقال رجل عقيم لا يولد له وامراة عقيم
لا تلد واصل العقم القطع ومنه قيل الملك عقيم لانه يقطع فيه الارحام بالقتل والعقوق واما السؤال الخامس فجوابه انه
قال ابن عباس يهب لمن يشاء اناثا يريد لوطا وشعيبا عليهما السلام لم يكن لهما الا البنات ويهب لمن يشاء الذكور يريد
ابرهيم عليه السلام لم يكن له الا الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم كان له من البنين اربعة القاسم
والطاهر وعبد الله وابرهيم ومن البنات اربعة زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة ويجعل من يشاء عقيما يريد عيسى
ويحيى عليهما السلام وقال الاكثرون من المفسرين هذا الحكم عام في حق كل الناس لان المقصود منه بيان نفاذ قدرة الله تعالى
في تكوين الاشياء كيف شاء واراد فلم يكن للتخصيص معنى والله تعالى اعلم ثم ختم الاية بقوله تعالى انه عليم قدير وقال ابن عباس
عليم بما خلق قدير على ما يشاء ان يخلقه والله اعلم **قوله تعالى** وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من
وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم
صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور **اعلم** انه تعالى لما بين حال قدرته

وعلمه وحكمته اسعه بتبيان انه كيف يخص انبياءه بوحيه وكلامه وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** وماكان لبشر وما
صح لاحد من البشر ان يكلمه الله الا على احد ثلثة اوجه اما على الوحي وهو الالهام والقذف او الهام كما اوحى الى موسى وابرهيم
عليهما السلام في ذبح ولده وعن مجاهد اوحى الله تعالى الزبور الى داود عليه السلام في صدره واما على ان يسمعه
كلامه من غير واسطة وهذا ايضا ممكن وهو بدليل انه تعالى اسمع موسى كلامه من غير واسطة انه سماه وحيا قال تعالى فاستمع
لما يوحى واما على ان يرسل اليه رسولا من الملايكة فيبلغ ذلك الملك ذلك الوحي الى الرسول البشري وطريق الحصر ان ايصال
وصول الوحي من الله الى البشر اما ان يكون من غير واسطة مبلغ او يكون بواسطة مبلغ فان كان الاول وهو ان يصل اليه
وحي الله تعالى لا بواسطة شخص اخر فها هنا اما ان يقال انه لم يسمع عين كلام الله تعالى او سمعه اما الاول وهو انه واصل اليه
الوحي لا بواسطة شخص اخر وما سمع عين كلام الله تعالى فهو المراد بقوله الا وحيا واما الثاني وهو انه وصل اليه الوحي لا بواسطة
شخص اخر ولكنه سمع عين كلام الله تعالى فهو المراد بقوله تعالى او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشا واعلم انه كل واحد من هذه
الاقسام الثلاثة وحي الا انه تعالى خصص القسم الاول باسم الوحي لان ما يقع في القلب على سبيل الالهام فهو يقع دفعة وكان تخصيص
لفظ الوحي به اولى فهذا هو الكلام في تمييز هذه الاقسام بعضها عن بعض **المسئلة الثانية** القايلون بان الله في مكان
احتجوا بقوله تعالى او من وراء حجاب وذلك لان التقدير وماكان لبشر ان يكلمه الله الا على ثلثة اوجه احدها ان يكون
الله تعالى من وراء حجاب وانما يصح ذلك لو كان تعالى مختصا بمكان معين وجهة معينة والجواب ان ظاهر اللفظ
وان اوهم ما ذكرتم الا انه دلت الدلايل العقلية والنقلية على انه يمتنع حصوله في المكان والجهة فوجب حمل هذا اللفظ
على التاويل والمعنى ان الرجل اذا سمع كلاما مع انه لا يرى ذلك المتكلم كان ذلك شبيها بما اذا تكلم من وراء حجاب والمشابهة
سبب لجواز المجاز **المسئلة الثالثة** قالت المعتزلة هذه الاية تدل على انه تعالى لا يرى وذلك لانه تعالى حصر اقسام
وحيه في هذه الثلاثة ولو صحت روية الله تعالى لصح من الله تعالى ان يتكلم مع العبد حال ما يراه العبد فحينئذ يكون ذلك
قسما رابعا زايدا على هذه الاقسام والله تعالى نفى القسم الرابع بقوله تعالى وماكان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية
احد هذه الاوجه الثلاثة والجواب نزيد في اللفظ فيكون التقدير وماكان لبشر ان يكلمه الله في الدنيا الا على احد هذه الاقسام
الثلاثة وحينيذ لا يلزم ما ذكرتموه وزيادة هذا القيد وان كانت على خلاف الظاهر لكن يجب المصير اليها للتوفيق بين هذه الاية وبين
الايات الدالة على حصول الروية في يوم القيمة والله تعالى اعلم **المسئلة الرابعة** اجمعت الامة على ان الله تعالى متكلم ومن سوى
الاشعري واتباعه اطبقوا على ان كلام الله تعالى صفة قديمة تعبر عنها بهذه الحروف والاصوات اما الفريق الاول وهم الذين قالوا
كلام الله تعالى هو هذه الحروف والكلمات فهم فريقان احدهما الحنابلة الذين قالوا بقدم هذه الحروف وهم الاخس من ان يذكروا لغرض
العقلا واتفق اني قلت يوما لبعضهم لو تكلم الله تعالى بهذه الحروف اما ان يتكلم بها دفعة واحدة او على التعاقب والتوالي والاول
باطل لان التكلم بجملة الحروف دفعة واحدة لا تفيد هذا النظم المركب على هذا التعاقب والتوالي فوجب ان لا يكون هذا النظم المرتب
من هذه الحروف المتوالية كلام الله تعالى والثاني باطل لانه تعالى اذا تكلم بها على التوالي والتعاقب كانت محدثة ولما سمع ذلك الرجل
هذا الكلام قال الواجب علينا ان نقر ونمر يعني نقر بان القران قديم ونمر هذا الكلام على وفق ما سمعناه فتعجبت من سلامة ذلك
القايل واما العقلاء من الناس فقد اطبقوا على ان هذه الحروف والاصوات كاينة بعد ان لم تكن حاصلة بعد ان كانت معدومة
ثم اختلفت عباراتهم فيها انها مخلوقة ولا يقال ذلك بل يقال انها حادثة او يعبر عنها بعبارة اخرى واختلفوا ايضا في ان هذه الحروف هل
هي قايمة بذات الله تعالى او يخلقها في جسم اخر فالاول هو قول الكرامية والثاني قول المعتزلة واما الاشعرية الذين زعموا ان كلام الله تعالى
صفة قديمة تدل عليها هذه الالفاظ والعبارات فقد اتفقوا على ان قوله تعالى او من وراء حجاب هو ان الملك والرسول يسمع ذلك
الكلام المنزه عن الحرف والصوت من وراء حجاب قالوا وكما لا يبعد ان يرى ذات الله تعالى مع انه ليس بجسم ولا في حيز فاي بعد في
ان يسمع كلام الله تعالى مع انه لا يكون لا حرفا ولا صوتا وزعم ابو منصور الماتريدي السمرقندي ان تلك الصفة يمتنع كونها
مسموعة وانما المسموع حروف واصوات يخلقها الله تعالى في الشجرة وهذا القول قريب من قول المعتزلة والله اعلم
**المسئلة الخامسة** قال القاضي تدل على حدوث كلام الله تعالى من وجوه الاول ان قوله تعالى ان يكلمه الله يدل عليه
لان كلمة ان مع المضارع تفيد الاستقبال الثاني انه وصف الكلام بانه وحي لان لفظ الوحي يفيد انه وقع على اسرع الوجوه
الثالث ان قوله تعالى او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشا يقتضي ان يكون الكلام الذي يبلغه الملك الى الرسول البشري
مثل الكلام الذي سمعه والذي يبلغه الى الرسول البشري حادث فلما كان الكلام الذي سمعه من الله حادثا الرابع ان قوله تعالى
او يرسل رسولا فيوحي يقتضي كون الوحي حاصلا بعد الارسال وماكان حصوله متاخرا عن حصول غيره كان محدثا والواجب
انا نصرف جملة هذه الوجوه التي ذكرتموها الى الحروف والاصوات ونعترف بانها حادثة كاينة بعد ان لم تكن وبديهة
العقل تحكم بظواهر القران والله اعلم **المسئلة السادسة** ثبت ان الوحي من الله تعالى اما ان لا يكون بواسطة شخص اخر
واما ان يكون بواسطة شخص اخر ويمتنع ان يكون كل وحي حاصلا بواسطة شخص اخر والا لزم التسلسل واما الدور وهما
محالان فلا بد من الاعتراف بحصول وحي يحصل لا بواسطة شخص اخر ثم ها هنا ابحاث **البحث الاول** ان الشخص الاول الذي سمع وحي الله
لا بواسطة شخص اخر كيف يعرف ان الكلام الذي سمعه كلام الله تعالى فان قلنا انه سمع تلك الصفة القديمة المنزهة
عن كونها حرفا وصوتا لم يبعد انه اذا سمعها علم بالضرورة كونها كلام الله تعالى ولم يبعد ان يقال انه يحتاج بعد ذلك الى دليل

زايد

زايد اما ان قلنا ان المسموع هو الحرف والصوت امتنع ان نقطع بكونه كلاما لله تعالى الا اذا ظهرت دلالة على ان ذلك
المسموع هو كلام الله تعالى **البحث الثاني** ان الرسول اذا سمعه من الملك كيف يعرف ان ذلك المبلغ ملك معصوم
لا شيطان مضل والحق انه لا يمكنه القطع بذلك الا بناء على معجزة تدل على ان ذلك المبلغ ملك معصوم لا شيطان خبيث وعلى
هذا التقدير فالوحي من الله تعالى لا يتم الا بثلث مراتب في ظهور المعجزات **المرتبة الاولى** ان الملك اذا سمع ذلك الكلام من الله
تعالى فلا بد له من معجزة **والمرتبة الثانية** ان ذلك الملك اذا وصل الى الرسول لا بد له من معجزة **والمرتبة الثالثة** ان ذلك الرسول
اذا وصله الى الامة فلا بد له ايضا من معجزة فثبت ان التكليف لا يتوجه على الخلق الا بعد وقوع ثلث مراتب في المعجزات
**البحث الثالث** انه لا شك ان ملكا من الملايكة قد سمع الوحي من الله تعالى ابتداء فذلك الملك هو جبريل عليه السلام
ويقال لعل جبريل عليه السلام سمعه من ملك اخر والكل محتمل ولو تالف بواسطة ولم يوجد ما يدل على القطع بواحد
من هذه الوجوه **البحث الرابع** هل في البشر من سمع وحي الله تعالى من غير واسطة المشهور ان موسى عليه السلام سمع كلام
الله من غير واسطة بدليل قوله تعالى فاستمع لما يوحى وقيل ايضا ان محمدا صلى الله عليه وسلم سمعه لقوله تعالى
فاوحى الى عبده ما اوحى **البحث الخامس** ان الملايكة يقدرون على ان يظهروا انفسهم على اشكال مختلفة فبتقدير
ان يراه الرسول صلى الله عليه وسلم في كل مرة وجب ان يحتاج الى المعجزة ليعرف ان هذا الذي رآه في هذه المرة غير ما رآه في
المرة الاولى وان كان لا يرى شخصه كانت الحاجة الى المعجزة اقوى لاحتمال انه حصل الاشتباه في الصوت الا ان الاشكال
في ان الحاجة الى اظهار المعجزة في كل مرة لم يقل به احد **المسئلة السابعة** دلت المناظرات المذكورة في القران بين
الله تعالى وبين ابليس انه تعالى كان يتكلم مع ابليس من غير واسطة فذلك هل يسمى وحيا من الله تعالى الى ابليس
ام لا الاظهر منعه ولا بد في هذا الموضع من بحث غامض كامل **الثامنة** قرا نافع او يرسل رسولا برفع اللام او يوحي
بسكون اليا ومحله رفع على تقدير او هو يرسل او يوحي والباقون بالنصب على تاويل المصدر كانه قيل ماكان لبشر ان يكلمه
الا وحيا او اسماعا او ارسالا وقوله او يرسل فعل وعطف الفعل على الاسم قبيح فاجيب عنه بان التقدير وماكان لبشر ان يكلمه الله
الا ان يوحي اليه وحيا او يسمع سماعا من وراء حجاب او يرسل رسولا **التاسعة** الصحيح عند اهل الحق ان عند ما يبلغ
الملك الوحي الى الرسول لا يقدر الشيطان على القاء الباطل في اثناء ذلك وقال بعضهم يجوز ذلك لقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته وقالوا الشيطان القى في اثناء سورة النجم تلك الغرانيق العلى منها
الشفاعة ترتجى وكان صديقنا الملك سام بن محمد رحمه الله وكان افضل من لقيته من ارباب السلطنة يقول هذا الكلام بعد الدلايل
القوية الباهرة باطل من وجهين **الاول** قال النبي صلى الله عليه وسلم من راني في المنام فقد راني فان الشيطان لا يتمثل بي فاذا لم
يقدر الشيطان ان يتمثل بصورة النبي صلى الله عليه وسلم فكيف قدر على التشبه بجبريل عليه السلام حال اشتغاله بوحي الله
تعالى **والثاني** ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما سلك عمر فجا الا وسلك الشيطان فجا اخر فاذا لم يقدر الشيطان ان يحضر مع عمر
في فج واحد فكيف يقدر على ان يحضر مع جبريل عليه السلام في موقف تبليغ وحي الله تعالى **المسئلة العاشرة**
قوله تعالى فيوحي باذنه ما يشا فيوحي ذلك الملك باذن الله ما يشاء الله وهذا يقتضي ان الحسن لا يحسن لوجه عايد اليه وان
القبيح لا يقبح لوجه عايد اليه بل الله ان يامر بما يشا من غير تخصيص وان ينهى عما يشا من غير تخصيص اذ لو لم يكن الامر كذلك
لما صح قوله تعالى ما يشا والله اعلم ثم قال تعالى في آخر الاية انه علي حكيم يعني انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يجري افعاله
على الحكمة فيتكلم تارة بغير واسطة على سبيل الالهام واخرى باسماع الكلام وثالثا بتوسط الملايكة الكرام ولما بين الله تعالى
كيفية اقسام الوحي الى الانبيا عليهم السلام قال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا والمراد به القران وسماه روحا لانه
يفيد الحيوة من موت الجهل او الكفر ثم قال تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان **واختلف العلماء** في هذه الاية
مع الاجماع على انه لا يجوز ان يقال الرسل كانوا قبل الوحي على الكفر وذكروا في الجواب وجوها الاول ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي القران
ولا الايمان اي الصلوة لقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلوتكم الثاني ان يحمل هذا على حذف المضاف اي ما كنت تدري
ما الكتاب ومن اهل الايمان يعني يؤمن ومن الذي لا يؤمن الثالث ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان كنت طفلا في المهد
الرابع الايمان عبارة عن الاقرار بجميع ما كلف الله تعالى به وانه قبل النبوة ما كان عارفا بجميع ما كلف الله تعالى بل انه كان عارفا
بالله تعالى وذلك لان صفات الله تعالى على قسمين منها ما يمكن معرفته بمحض دلايل العقل ومنها ما لا يمكن
معرفته الا بالدلايل السمعية فهذا القسم الثاني لم يكن معرفته حاصلة قبل النبوة ثم قال تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من
يشا من عبادنا اختلفوا في الضمير في قوله ولكن جعلناه منهم من قال انه راجع الى القران دون الايمان لانه هو الذي يعرف
به الاحكام فلا جرم شبه بالنور الذي يهتدى به ومنهم من قال انه راجع اليهما معا وحسن ذلك لان معناهما واحد لقوله
تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها ثم قال تعالى نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وهذا يدل على انه تعالى بعد ان جعل
القران في نفسه هدى كما قال هدى للمتقين فانه قد يهدي به البعض دون البعض وهذه الهداية ليست عبارة عن
الدعوة والبيان الادلة لانه تعالى قال في صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فيفيد العموم بالنسبة
الى الكل وقوله تعالى نهدي به من نشا من عبادنا يفيد الخصوص فثبت ان الهداية بمعنى الدعوة عامة والهداية في قوله تعالى
نهدي به من نشا من عبادنا خاصة والهداية الخاصة غير الهداية العامة في قوله تعالى نهدي به من نشاء من عبادنا خاصة

فوجب ان يكون المراد من قوله نهدي به من نشاء من عبادنا امرا مغايرا لاظهار الدلايل ولازالة الاعذار ولا يجوز ايضا ان يكون
عباده الى الهداية الى طريق الجنة لانه تعالى قال ولكن جعلناه نورا نهدي به من يشا من عبادنا اي جعلنا القران نورا نهدي به
من يشاء وهذا لا يليق الا بالهداية التي تحصل في الدنيا وايضا فالهداية الى الجنة عندكم في حق البعض واجب وفي حق الاخر
محظور وعلى هذا التقديرين فلا يبقى لقوله من يشا من عبادنا فايدة فثبت ان المراد انه تعالى يهدي من يشا ويضل
من يشاء ولا اعتراض فيه ثم قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وانك لتهدي الى صراط مستقيم وبين ان ذلك الصراط هو صراط
الله الذي له ما في السموات وما في الارض نبه بذلك على ان الذي تجوز عبادته هو الذي يملك السموات والارض
والغرض منه ابطال قول من يعبد غير الله ثم قال تعالى الا الى الله تصير الامور وذلك كالوعد والزجر فبين ان امر من لا يقبل
هذه التكاليف يرجع الى الله تعالى اي حيث لا حاكم سواه فيجازي كلا منهم بما يستحقه من ثواب وعقاب ثم قال المصنف
رحمه الله تم تفسير هذه السورة آخر يوم الجمعة الثامن من شهر ذي الحجة الحرام سنة ثلاث وستماية يا مدبر
الامور ويا مدهر الدهور ويا معطي كل وشرود ويا دافع البلاء والشرور اوصلنا الى منازل النور في ظلمات
القبور بفضلك ورحمتك يا اكرم الاكرمين والله تعالى اعلم بالصواب

حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم
افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا
كانوا به يستهزءون فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين **اعلم** ان قوله تعالى حم والكتاب
المبين يحتمل وجهين الاول ان يكون التقدير هذه حم والكتاب المبين فيكون القسم واقعا على ان هذه السورة هي سورة
حم ويكون قوله تعالى انا جعلناه قرانا عربيا المقسم عليه هو قوله تعالى انا جعلناه قرانا عربيا وفي المراد بالكتاب قولان احدهما
ان المراد به القران وعلى هذا التقدير فقد اقسم بالقران انه جعله عربيا الثاني ان المراد بالكتاب الكتابة والخط اقسم بالكتاب
لكثرة ما فيه من المنافع فان العلوم انما تكاملت بسبب الخط فان المتقدم اذا استنبط علما واثبته في كتاب وجاء المتاخر وقف
عليه امكنه ان يزيد في استنباط الفوايد فبهذا الطريق تكاثرت الفوايد وانتهت الى الغايات العظيمة وفي وصف الكتاب
بكونه مبينا وجوه الاول انه المبين للذين انزل اليهم لانه بلغتهم ولسانهم والثاني المبين هو الذي ابان طريق الهدى من
طريق الضلالة وابان كل باب عن سواه وجعلها مفصلة ملخصة واعلم ان وصفه بكونه مبينا مجاز لان المبين هو الله
تعالى وسمي القران بذلك توسعا من حيث انه حصل البيان عنده اما قوله تعالى انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون
ففيه مسايل **المسالة الاولى** القايلون بحدوث القران احتجوا بهذه الاية من وجوه الاول ان الاية تدل على ان القران
مجعول والمجعول هو المصنوع المخلوق فان قالوا لم لا يجوز ان يكون المراد انه سماه عربيا قلنا هذا مدفوع من وجهين الاول
انه لو كان المراد من الجعل هذا لوجب ان من سماه عجميا ان يصير عجميا وان كان بلغة العرب ومعلوم انه باطل
والثاني انه لو صرف الجعل الى التسمية لزم كون التسمية مجعولة والتسمية ايضا كلام الله تعالى وذلك انه يوجب بعض كلامه
واذا صح ذلك في البعض صح في الكل الثاني انه وصفه بكونه قرانا وهو انما سمي قرانا لانه جعل بعضه مقرونا بالبعض وما كان
كذلك كان مصنوعا معمولا الثالث انه وصفه بكونه عربيا وانما كان عربيا لان هذه الالفاظ انما اختصت بمسمياتها بوضع
العرب واصطلاحاتهم وذلك يدل على كونه معمولا مجعولا الرابع ان القسم بغير الله لا يجوز على ما هو معلوم فكان التقدير
حم ورب الكتاب المبين ويؤكد هذا بما روي انه صلى الله عليه وسلم يا رب طه ويس ويا رب القران العظيم والجواب ان
هذا الذي ذكرتموه حق وذلك لانكم انما استدللتم بهذه الوجوه على كون هذه الحروف المتوالية والكلمات المتعاقبة محدثة
مخلوقة وذلك معلوم بالضرورة ومن الذي ينازعكم فيه بل كان كلامكم يرجع حاصله الى اقامة الدليل على ما عرف ثبوته
بالضرورة **الثانية** كلمة لعل للتمني والترجي وهي لا تليق بمن كان عالما بعواقب الامور فكان المراد بها هاهنا كي اي انزلناه
قرانا عربيا لاجل ان تحيطوا بمعناه وهذا الامر احدهما ان افعال الله تعالى معللة بالاغراض والدواعي والثاني انه
تعالى انما انزل القران ليهتدي به الناس وذلك يدل على انه تعالى اراد من الكل الهداية والمعرفة خلاف قول من يقول
انه تعالى اراد من البعض الكفر والاعراض واعلم ان هذا النوع من استدلالات المعتزلة مشهور واجوبتنا عنه مشهورة
فلا فايدة في الاعادة والله تعالى اعلم **الثالثة** قوله تعالى لعلكم تعقلون يدل على ان القران معلوم وليس في شيء منه
مجهولا خلافا لمن يقول بعض القران معلوم وبعضه مجهول ثم قال تعالى وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وفيه مسايل
**المسالة الاولى** قرا حمزة والكسائي بكسر الالف والباقون بالضم **الثانيه** الضمير في قوله وانه عايد الى الكتاب الذي
تقدم ذكره في ام الكتاب لدينا واختلفوا في المراد بام الكتاب على قولين الاول انه اللوح المحفوظ لقوله تعالى بل هو قران
مجيد في لوح محفوظ واعلم ان هذا التقدير بالصفات المذكورة وهاهنا كانها صفات اللوح المحفوظ فالصفة الاولى
انه ام الكتاب والسبب فيه ان اصل كل شي امه والقران مثبت عند الله في اللوح المحفوظ ثم نقل الى سماء الدنيا ثم نزل حالا بعد حال

بحسب

بحسب المصلحة عن ابن عباس ان اول ما خلق الله القلم فامره ان يكتب ما يريد ان يخلق والكتاب عنده احكام فان قيل وما الحكمة في خلق هذا اللوح المحفوظ
مع انه تعالى علام الغيوب يستحيل عليه السهو والنسيان قلنا انه تعالى لما اثبت في ذلك حوادث المخلوقات ثم ان الملايكة يشاهدون ان جميع
الحوادث انما يحدث على موافقة ذلك المكتوب استدلوا بذلك على كمال حكمة الله تعالى وعلمه **الصفة الثانية** من صفات اللوح المحفوظ قوله
لدينا هكذا ذكره ابن عباس وانما خصه الله تعالى بهذا التشريف لكونه كتابا جامعا لاحوال جميع المحدثات فكانه الكتاب المشتمل على جميع ما يقع
في ملك الله تعالى وملكوته فلا جرم حصل له التشريف قال الواحدي ويحتمل ان يكون هذا صفة للقران والتقدير وانه في ام الكتاب لدينا
**الصفة الثالثة** كونه عليا والمعنى كونه عليا عن وجوه الفساد والبطلان وقيل المراد كونه عاليا على جميع الكتب بسبب كونه معجزا باقيا
على وجه الدهر **الصفة الرابعة** كونه حكيما اي محكما في ابواب البلاغة والفصاحة وقيل حكيم اي ذو حكمة بالغة وقيل ان هذه
الصفات كلها صفات القران على ما ذكرناه **والقول الثاني في التفسير** ام الكتاب انه الايات المحكمة لقوله هو الذي انزل عليك
الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب ومعناه ان سورة حم واقعة في الايات المحكمة التي هي الاصل والام قال تعالى افنضرب عنكم الذكر صفحا
ان كنتم قوما مسرفين وفي الاية مسايل **المسالة الاولى** قرا نافع وحمزة والكسائي ان كنتم بكسر الالف تقديره ان كنتم مسرفين لا نضرب عنكم
الذكر صفحا وقيل ان بمعنى اذ كقوله تعالى وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مومنين وبالجملة فالجزاء مقدم على الشرط والباقون بفتح الالف على
التعليل اي لان كنتم مسرفين **الثانية** قال الفرا والزجاج يقال ضربت عنه واضربت عنه اي تركته وامسكت عنه وقوله صفحا اي اعراضا
والاصل فيه انك توليه صفحة عنقك وعلى هذا فقوله افنضرب عنكم الذكر صفحا تقديره افنضرب عنكم اضرابا وتقديره افنصفح عنكم صفحا
**واختلفوا** في معنى الذكر فقيل افنرد عنكم النصايح والمواعظ وقيل افنرد عنكم القران وهذا استفهام على سبيل الانكار يعني انا لا نترك
هذه الاعذار والانذار بسبب كونكم مسرفين قال لو ان هذا القران حين رده اوايل هذه الامة هلكوا ولكن الله تعالى برحمته كرره عليهم
ودعاهم اليه عشرين سنة اذا عرفت هذا فنقول هذا الكلام يحتمل وجهين الاول الرحمة لا نترككم مع سوء اختياركم بل نذكركم ونعظكم
الى ان ترجعوا الى الطريق الحق والثاني المبالغة في التغليظ يعني اتظنون ان نترككم مع ما تريدون كلا بل نلزمكم العمل وندعوكم الى الدين و
نواخذكم متى اخللتم بالواجبات واقدمتم على القبايح **الثالثة** قال صاحب الكشاف الفا في قوله افنضرب عنكم الذكر صفحا للعطف على
محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر ثم قال تعالى وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون والمعنى ان عادة
الامم مع الانبيا الذين يدعونهم الى الدين الحق هو التكذيب والاستهزا فلا ينبغي ان يتاذى من قومك بسبب اقدامهم على التكذيب والاستهزا
لان المصيبة اذا عمت خفت ثم قال تعالى فاهلكنا اشد منهم بطشا يعني اولئك المتقدمين الذين ارسل الله عليهم الرسل كانوا اشد
بطشا من قريش يعني اكثر عددا وجلدا ثم قال تعالى ومضى مثل الاولين والمعنى ان كفار مكة سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك
من كان قبلهم فليحذروا ان ينزل بهم من الخزي مثل ما نزل بهم فقد ضربنا لهم مثلهم كما قال تعالى وكلا ضربنا له الامثال ولقوله تعالى
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم الى قوله تعالى وضربنا لكم الامثال والله تعالى اعلم **قوله تعالى** ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم
تهتدون والذي نزل من السما ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم
من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان
الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون **اعلم** انه تقدم ذكر المسرفين وهم المشركون وتقدم ايضا
ذكر الانبيا قبولهم ولئن سالتهم يحتمل ان يرجع الى الانبيا ويحتمل ان يرجع الى الكفار الا ان الاقرب رجوعه الى الكفار وبين تعالى انهم
مقرون بان خالق السموات والارض وما بينهما هو الله العزيز العليم والمقصود انهم مع كونهم مقرين بهذا المعنى يعبدون معه
غيره وينكرون قدرته على البعث وقد تم الاحتجاج عليهم ثم ابتدا تعالى دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال تعالى الذي جعل لكم الارض
مهادا ولو كان هذا من جملة كلام الكفار لوجب ان يقولوا الذي جعل لنا الارض مهادا الا ان قوله في اثنا الكلام وانشانا به بلدة
ميتا لا يليق الا بكلامه ونظيره من كلام الناس ان يسمع الرجل رجلا يقول الذي بنى هذا المسجد فلان العالم فيقول السامع لهذا الكلام
الزاهد الكريم كان ذلك السامع يقول انا اعرفه بصفات حميدة فوق ما تعرفه وازيد في وصفه فيكون النعتان جميعا من رجلين
لرجل واحد اذا عرفت تفسير النظم في الاية فنقول انها تدل على انواع من صفات الله سبحانه وتعالى **الصفة الاولى** كونه خالقا
للسموات والارض وانما المتكلمون اتفقوا ان اول العلم بالله العلم بكونه محدثا للعالم فاعلا له فلهذا السبب وقع الابتدا بذكر كونه
خالقا وهذا انما يتم اذا فسرنا الخلق بالاحداث والابداع **الصفة الثانية** العزيز وهو الغالب وما لاجله يحصل لكنه من
العلية وهو العليم القدرة فكان العزيز اشارة الى كمال القدرة **الصفة الثالثة** وهو اشارة الى كمال العلم والقدرة اذا حصل
كان الموصوف به قادرا على جميع الممكنات فلهذا المعنى اثبت تعالى كونه موصوفا بين صفتين ثم فرع عليه سايرا لتفاصيل
**الصفة الرابعة** قوله تعالى الذي جعل لكم الارض مهادا وقد ذكرنا في هذا الكتاب ان كون الارض مهادا انما حصل لاجل
كونها واقفة ساكنة ولاجل كونها موصوفة بصفات مخصوصة باعتبارها يمكن الانتفاع بها في الزراعة والابنية
وفي كونها سابرة بعيوب الاحيا والاموات ولما كان المهد موضع الراحة للصبي جعل هذا لكثرة ما فيها من الراحة **الصفة
الخامسة** قوله تعالى وجعل لكم فيها سبلا والمقصود انتفاع الناس بها فانه اذا قدر كل واحد على ان يذهب من بلد الى بلد
ومن اقليم الى اقليم ولولا ان الله تعالى هيا تلك السبل ووضع عليها علامات مخصوصات والا لما حصل هذا الانتفاع ثم قال تعالى
لعلكم تهتدون يعني المقصود من وضع السبل ان يحصل لكم المكنة من الاهتدا والثاني المعنى لتهتدوا الى الحق في الدين **الصفة السادسة**

قوله تعالى والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا وههنا مباحث **احدها** ان ظاهر هذه الاية يقتضي ان الماء ينزل من السماء
فهذا الامر كذلك او يقال انه ينزل من السحاب وسمي نازلا من السماء لان كل ما سماك فهو سماء فهذا البحث قد مر ذكره في الاستقصاء **وثانيها**
قوله تعالى بقدر اي بقدر ما يحتاج اليه اهل تلك البقعة من غير زيادة ولا نقصان لا كما انزل على قوم نوح بغير قدر حتى اغرقهم بل
بقدر حتى يكون معاشا لكم ولانعامكم **وثالثها** قوله تعالى فانشرنا به بلدة ميتا اي خالية من النبات فاحييناها وهو الانشار ثم قال تعالى
كذلك تخرجون يعني ان هذا الدليل كما يدل على قدرة الله تعالى وحكمته فكذلك يدل على قدرته على البعث والقيامة ووجه التشبيه انه جعلهم احياء بعد الاماتة
كهذه الارض التي انشرت بعدما كانت ميتة وقال بعضهم بل وجه التشبيه انه يعيدهم ويخرجهم من الارض بماء كالمني كما ينبت الارض بماء المطر وهذا الوجه
ضعيف لانه ليس في ظاهر اللفظ الا ثبات الاعادة فقط دون هذه الزيادة **الصفة السابعة** قوله تعالى والذي خلق الازواج
كلها قال ابن عباس الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وقال بعض المحققين كل ما سوى الله تعالى
فهو زوج كالفوق والتحت واليمين والشمال والقدام والخلف والماضي والمستقبل والذوات والصفات والصيف والشتاء والربيع والخريف وكونها  والربع
ازواجا يدل على كونها ممكنة الوجود في ذواتها محدثة مسبوقة بالعدم فاما الحق سبحانه وتعالى فهو الفرد المنزه عن الضد والند والمقابل والمعاضد
فلهذا قال سبحانه وتعالى والذي خلق الازواج كلها اي كل ما هو زوج فهو مخلوق فدل هذا على ان خالقها فرد مطلق منزه عن الزوجية واقول ايضا
علماء الحساب يثبتون ان الفرد افضل من الزوج من وجوه **الاول** ان اقل الازواج اثنان وهو لا يوجد الا عند حصول وحدتين والزوج يحتاج
الى الفرد والفرد هو الوحدة غنية عن الزوج والغني افضل من المحتاج **الثاني** ان الزوج يقبل القسمة انفعال وتاثير وعدم قبولها قوة
وشدة ومقاومة فكان الفرد افضل من الزوج **الثالث** ان العدد الفرد لابد وان يكون احد قسميه زوجا والثاني فردا فالعدد الفرد حصل فيه
الزوج والفرد معا واما العدد الزوج فلابد وان يكون كل واحد من قسميه زوجا والمشتمل على القسمين افضل من الذي لا يكون كذلك **الرابع**
ان الزوجية عبارة عن كون كل واحد من قسميه معادلا للقسم الاخر في الذات والصفات والمقدار واذا كان كل ما حصل له من الكمال فمثله
حاصل لغيره لم يكن هو كاملا على الاطلاق اما الفرد فهو الذي تكون كمالاته حاصلة له لا لغيره ولا لمثله فكان كماله حاصلا له لا لغيره فكان افضل
**الخامس** ان الزوج لابد وان يكون كل واحد من قسميه مشاركا للقسم الاخر في بعض الامور ومغايرا له في امور اخرى وما به المشاركة غير
ما به المخالفة فكل زوجين فهما ممكنا الوجود لذاتهما وكل ممكن فهو محتاج فثبت ان الزوجية منشأ الفقر والحاجة واما الفردية فهي
منشأ الاستغناء والاستقلال لان العدد محتاج الى كل واحد من تلك الوحدات فانه غني عن ذلك العدد فثبت ان الازواج ممكنات
ومحدثات ومخلوقات وان الفرد هو القائم بذاته المستقل بنفسه الغني عن كل ما سواه فلهذا قال سبحانه وتعالى والذي خلق
الازواج كلها **الصفة الثامنة** قوله تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون وذلك ان السفر اما سفر البحر واما سفر البر
فاما سفر البحر فالحامل هو السفينة واما سفر البر فالحامل هو الانعام وههنا سؤالات **السؤال الاول** لم قال على ظهوره والتقدير
ما تركبونه الثاني قال الفراء الظهور الى واحد فيه معنى الجمع بمنزلة الجيش والجند فلذلك ذكر وجمع الظهور الثالث ان هذا التانيث
ليس تانيثا حقيقيا فجاز ان يختلف اللفظ فيه كما يقال عندي من النساء من يوافقك **السؤال الثاني** يقال ركبوا الانعام وركبوا
في الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال تركبونه والجواب غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة ثم قال تعالى ثم
تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه ومعنى ذكر نعمة الله تعالى ان يذكروها في قلوبهم وذلك الذكر هو ان يعرفوا ان الله تعالى خلق وجه
البحر وخلق الرياح وخلق جرم السفينة على وجه يمكن الانسان من تصريف هذه السفينة الى اي جانب شاء واراد فاذا تذكروا ان خلق
البحر وخلق الازواج وخلق السفينة على هذه الوجوه القابلة لتصريف الانسان ولتحريكاته ليس من ذلك الانسان وانما هو
من الحكيم العليم القدير عرف ان ذلك نعمة عظيمة من الله تعالى فيحمله ذلك على الانقياد لطاعة الله تعالى وعلى الاشتغال بالشكر
لنعمه التي لا نهاية لها ثم قال تعالى وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين **واعلم** انه عين ذكرا معينا
لركوب السفينة وهو قوله تعالى بسم الله مجريها ومرساها وذكرا اخر لركوب الانعام وهو قوله تعالى سبحان الذي سخر لنا هذا
وما كنا له مقرنين وذكر عند دخول المنازل ذكرا اخر وهو قوله تعالى رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين وتحقيق القول
فيه ان الدابة التي يركبها الانسان لابد وان يكون اكثر قوة من الانسان بكثير وليس له عقل يهديه الى طاعة الانسان
ولكنه خلق تلك البهيمة على وجوه مخصوصة في خلقها الظاهر وخلقها الباطن يحصل منها هذا الانتفاع اما خلقها
الظاهر فلانها تمشي على اربع قوائم وكان ظهرها كالموضع الذي يجلس استقرار الانسان عليه واما خلقها الباطن فلان مع قوتها
الشديدة قد خلقها الله سبحانه وتعالى بحيث تصير منقادة للانسان ومسخرة له فاذا تامل الانسان في هذه العجايب وغاص
بعقله في عجايب هذه الاسرار عظم تعجبه من تلك القدرة والحكمة الغير متناهية فلابد وان يقول سبحان الذي سخر لنا هذا
وما كنا له مقرنين قال ابو عبيدة فلان مقرن لفلان اي طاق له قال الواحدي رحمه الله تعالى وكان اشتقاقه من قولك
صرت له قرنا ومعناه ان قرن لفلان اي مثله في الشدة وكان المعنى انه ليس عندنا من القوة والطاقة ان نقرن هذه الدابة والفلك
وان نضبطها فسبحان من سخرها لنا بعلمه وحكمته وكمال قدرته روى صاحب الكشاف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع
رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وانا الى ربنا لمنقلبون وروى القاضي في تفسيره عن ابي مجلز ان الحسين بن علي عليه السلام راى رجلا ركب دابة فقال
سبحان الذي سخر لنا هذا فقال له ما بهذا امرت امرت ان تقول الحمد لله الذي هدانا للاسلام والحمد لله الذي من علينا بمحمد
عليه الصلوة والسلام والحمد لله الذي جعلنا خير امة اخرجت للناس ثم تقول سبحان الذي سخر لنا هذا ثم نعوذ بالله ان نسلك

في سوى

في سوى هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا السفر واطو بعد الارض اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل
اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في اهلنا وكان اذا رجع الى اهله قال ايبون تايبون لربنا حامدون قال القاضي دلت هذه
الاية على خلاف قول المجبرة من وجوه **الاول** انه تعالى قال لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم فذكره بلام كي وهذا
يدل على انه تعالى اراد منا هذا الفعل وهذا يدل على بطلان قولهم انه تعالى اراد الكفر منه واراد الاصرار على الانكار الثاني
ان قوله تعالى لتستووا على ظهوره يدل على ان فعله معلل بالاغراض الثالث انه تعالى بين ان خلق الحيوانات على هذه الطبايع
انما كان لغرض ان يصدر الشكر عن العبد فلو كان فعل العبد فعلا لله تعالى لكان معنى الاية اني خلقت هذه الحيوانات لاجل
ان اخلق سبحان في لسان العبد وهذا باطل لانه تعالى قادر على ان يخلق هذا اللفظ في لسانه بدون هذه الوسايط **واعلم**
ان الكلام على هذه الوجوه معلوم فلا فايدة في الاعادة ثم قال تعالى وانا الى ربنا لمنقلبون فاعلم ان وجه اتصال الكلام بما قبله ان راكب
الفلك في خطر الهلاك فانه كثيرا ما تنكسر السفينة ويهلك الانسان وراكب الدابة كذلك لان الدابة قد يتفق لها اتفاقات توجب
هلاك الراكب واذا كان كذلك فركوب الدابة والفلك يوجب هلاك الراكب والدابة توجب تعريض النفس للهلاك فوجب على الراكب
ان يتذكر الموت وان يقطع انه هالك لا محالة وانه منقلب الى الله تعالى وغير منفلت من قضايه وقدره حتى لو اتفق له ذلك
المحذور كان قد وطن نفسه على الموت والله تعالى اعلم **قوله تعالى** وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان
لكفور مبين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا
ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين
هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسالون **اعلم** انه تعالى لما قال ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم بين انهم مع اقرارهم بذلك جعلوا له من عباده جزءا والمقصود منه التنبيه على قلة
عقولهم وسخافة محصولهم وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** قرا عاصم في رواية ابي بكر جزءا بضم الزاي والهمزة والباقون باسكان
الزاي في كل القران وهما لغتان واما حمزة فاذا وقف قال جزا بفتح الزاي بلا همزة **المسئلة الثانية** في المراد من قوله تعالى وجعلوا له من
عباده جزءا قولان الاول وهو المشهور ان المراد انهم اثبتوا له ولدا وتقرير الكلام ان ولد الرجل جزء منه قال النبي صلى الله عليه وسلم
فاطمة بضعة مني ولان المعقول من الولد ان ينفصل عنه جزء من اجزايه ثم يتربى ذلك الجزء ويتولد منه شخص مثل ذلك الاصل
واذا كان كذلك فولد الرجل جزء منه وبضع منه فقوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا معناه جعلوا حكموا واثبتوا وقالوا به والمعنى
انهم اثبتوا له جزءا وذلك الجزء هو عبد من عباده والحاصل انهم اثبتوا لله ولدا وذكروا في تقرير هذا القول وجها اخر
فقالوا الجزء هو الانثى في لغة العرب واحتجوا في اثبات هذه اللغة ببيتين فالاول
ان اجزات حرة يوما فلا عجب • قد تجزئ الحرة المذكار احيانا • وحتها من بنات الاوس مجزية • للعوسج اللدن في ابياتها زجل والثاني
وزعم الزجاج والازهري وصاحب الكشاف ان هذه اللغة وان هذه الابيات مصنوعة والقول الثاني في تفسير الاية ان المراد من
قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا اثبات الشركاء لله تعالى وذلك انهم لما اثبتوا الشركاء فقد زعموا ان كل العباد ليست لله بل بعضها
لله وبعضها لغير الله فهم ما جعلوا لله من عباده كلهم بل جعلوا له منهم بعضهم وجزءا منهم قالوا ويدل على ان هذا القول اولى من
الاول انا اذا حملنا هذه الاية على انكار الشركاء لله وحملنا الاية التي بعدها على انكار الولد لله كانت الاية جامعة للرد على جميع
المبطلين ثم قال تعالى ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين **واعلم** انه تعالى رتب هذه المناظرة على احسن الوجوه وذلك لانه
بين ان اثبات الولد لله تعالى محال وتقدير ان يثبت الولد فجعله بنتا ايضا محال اما بيان ان الولد لله تعالى محال فلان الولد لابد
وان يكون جزءا من الوالد وما كان له جزء كان مركبا وكل مركب ممكن وايضا ما كان كذلك فانه يقبل الاتصال والانفصال والاجتماع و
الافتراق وما كان كذلك فهو محدث عبد فلا يكون الها قديما ازليا **واما المقام الثاني** وهو ان بتقدير ثبوت الولد فانه يمتنع كونه
بنتا وذلك لان الابن افضل من البنت فلو قلنا انه اتخذ لنفسه البنات واعطى البنين لعباده لزم ان يكون حال العبد اكمل وافضل
من حال الله تعالى وذلك مدفوع في بديهة العقل يقال اصفيت فلانا بكذا اي اثرته به ايثارا حصل له على سبيل الصفا من غير ان يكون له فيه
مشارك وهو قوله تعالى واصفاكم بالبنين ثم بين نقصان البنات من وجوه الاول قوله تعالى واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل
وجهه مسودا وهو كظيم والمعنى ان الذي بلغ حاله في النقص الى هذا الحد كيف يجوز اثباته للعاقل لله وعن بعض العرب ان امراته وضعت
الانثى فهجر البيت الذي فيه المراة فقالت ما لابي حمزة لا ياتينا يظل في البيت الذي يلينا غضبان ان لا نلد البنينا ليس لنا من امرنا ما شينا
وانما ناخذ ما اعطينا وقوله تعالى ظل اي صار وهما يستعملان اكثر الافعال الناقصة قال صاحب الكشاف قرئ مسودا ومسواد والتقدير
هو مسود فيقع هذه الجملة موقع الخبر والثاني قوله تعالى او من ينشؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين وفيه مسايل **المسئلة الاولى**
قرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ينشؤا بضم اليا وفتح النون وتشديد الشين على ما لم يسم فاعله اي يربى والباقون بفتح
اليا وسكون النون وفتح الشين قال صاحب الكشاف وقرئ يناشا ونظيره المناشاة بمعنى الانشاء كالمغالاة بمعنى الاغلاء
**المسئلة الثانية** المراد من قوله تعالى او من ينشؤا في الحلية التنبيه على نقصانها وهو ان الذي يربى في الحلية يكون له
نقص في الذات لانه لولا نقصان في ذاتها لما احتاجت الى تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بطريق اخر وهو في الخصام
غير مبين وذلك لضعف شانها وقلة عقلها ورداءة طبعها ويقال قلما تكلمت امراة فارادت ان تتكلم بحجتها الا اذا تكلمت بما كان
حجة عليها فهذه الوجوه دالة على كمال نقصانها **المسئلة الثالثة** دلت هذه الاية على ان التحلي مباح للنساء وانه حرام للرجال لانه

تعالى جعل ذلك من المعايب والموجبات للنقصان فاقدام الرجل عليه يكون القا لنفسه في الذل وحرام لقوله صلى الله عليه وسلم ليس
للمؤمن ان يذل نفسه وانما زينة الرجل الصبر على طاعة الله تعالى والتزين بزينة التقوى قال الشافعي رضي الله عنه شعر
تدرعت ثوبا للقنوع حصينة ۰ اصون به عرضي واجعله ذخرا ۰ ولم احذر الدهر الخؤون وانما ۰ قصاراه ان يرمي الى الموت والفقرا ۰
فاعددت للموت الاله وعفوه ۰ واعددت للفقر التجلد والصبرا ۰ ثم قال تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وفيه
مسائل المسألة الاولى المراد بقوله تعالى وجعلوا اي حكموا به ثم قال تعالى اشهدوا خلقهم وهذا استفهام على سبيل الانكار يعني انه
لم يشهدوا خلقهم وهذا مما لا سبيل الى معرفته بالدلايل العقلية فاما الدلايل النقلية فكلها مفرعة على اثبات النبوة وهولاء الكفار
منكرون النبوة فلا سبيل لهم الى اثبات هذا المطلوب بالدلايل النقلية فثبت انهم ذكروا هذه الدعوى من غير ان عرفوه لا ضرورة ولا بدليل
ثم انه تعالى هددهم وقال ستكتب شهادتهم وهم يسالون وهذا يدل على ان القول بغير دليل منكر وان التقليد يوجب الذم العظيم والعقاب
الشديد قال اهل التحقيق هولاء الكفار كفروا في هذا القول من ثلاثة اوجه اولها اثبات الولد وثانيها ان ذلك الولد بنت وثالثها
الحكم على الملائكة بالانوثة المسألة الثانية قرا نافع وابن كثير وابن عامر عند الرحمن بالنون وهو اختيار ابي حاتم واحتج عليه
بوجوه الاول انه يوافق قوله تعالى ان الذين عند ربك وقوله تعالى ومن عنده والثاني ان كل الخلق عباده فلا مدح لهم فيه والثالث
ان التقدير ان الملائكة تكون عند الرحمن لا عند هولاء الكفار فكيف عرفوا انهم اناثا والباقون قرؤا عباد جمع عبد وقيل جمع عابد كنائم
وقيام وصائم وصيام ونائم ونيام وهي قراة ابن عباس واختيار ابي عبيدة قال لانه رد عليهم قولهم انهم بنات الله واخبر انهم
عبيده ويؤيد هذه القراة قوله تعالى بل عباد مكرمون المسألة الثالثة قرا نافع وحده اشهدوا بهمزة ومدة بعدها خفيفة لينة اي
احضروا خلقهم وعن نافع غير ممدود على ما لم يسم فاعله والباقون اشهدوا بفتح الالف من شهدت اي احضروا خلقهم وعن نافع
غير هذا الرابعة احتج من قال بتفضيل الملائكة على البشر بهذه الاية اما قراة عند بالنون فهذه العندية لا شك انها عندية
الفضل والقرب من الله تعالى بسبب الطاعة ولفظة هم توجب الحصر والمعنى انهم هم الموصوفون بهذه العندية لا غيرهم فوجب
كونهم افضل من غيرهم رعاية للفظ الدال على الحصر واما من قرا عباد جمع عبد فقد ذكرنا ان لفظ العباد مخصوص في القران بالمؤمنين
فقوله هم عباد الرحمن يفيد حصر العبودية فيهم فاذا كان اللفظ الدال على العبودية دالا على حصر الفضل والمنقبة والشرف فيهم وذلك
يوجب كونهم افضل منهم والله تعالى اعلم بالصواب قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك
من علم ان هم الا يخرصون ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا
على اثارهم مهتدون وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة
وانا على اثارهم مقتدون قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون
فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين اعلم انه تعالى حكا نوعا اخر من كفرهم وشبهاتهم وهو انهم قالوا
لو شاء الرحمن ما عبدناهم وفي الاية مسايل المسألة الاولى هذه الاية تدل على فساد قول المجبرة في ان كفر الكافر يقع
بارادة تعالى من وجهين الاول انه تعالى حكى عنهم انهم قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وهذا صريح قول المجبرة ثم انه
تعالى ابطله بقوله ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون فثبت انه حكى مذهب المجبرة ثم اردفه بالابطال والافساد فثبت
ان هذا المذهب باطل ونظيره قوله تعالى في سورة الانعام سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا الى قوله
تعالى قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون والوجه الثاني انه تعالى حكى عنهم قبل هذه الاية
انواع كفرهم فاولها قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا وثانيها قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وثالثها
قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلما حكى عنهم هذه الاقاويل بعضها على اثر بعض وثبت ان القولين الاولين كفر
محض فكذلك يجب ان يكون هذا القول الثالث كفرا واعلم ان الواحدي رحمه الله تعالى اجاب في البسيط من وجهين الاول
ما ذكره الزجاج وهو قوله تعالى ما لهم بذلك من علم عايد الى قولهم الملائكة بنات الله والثاني انهم ارادوا بقولهم لو شاء
الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم وانه رضي بذلك فقررنا عليه فانكر عليهم ذلك فهذا ما ذكره الواحدي في الجواب
وعندي هذان الوجهان ضعيفان اما الاول فلانه تعالى حكى عن القوم قولين باطلين وبين وجه بطلانهما ثم حكى بعده
مذهبا باطلا في مسألة اجنبية عن المسألتين الاوليين ثم حكم بالبطلان والوعيد فصرف هذا الابطال عن هذا الذي
ذكره عقيبه الى كلام متقدم اجنبي عنه في غاية البعد واما الوجه فهو ايضا ضعيف لان قوله تعالى لو شاء الرحمن ما عبدناهم
ليس فيه بيان متعلق بتلك المشية والاجمال خلاف الدليل فوجب ان يكون التقدير لو شاء الرحمن ان لا نعبد ما عبدناهم
وكلمة لو تفيد انتفا الشي لانتفاء غيره فهذا يدل على انه لم يوجد مشية الرحمن لعدم عبادتهم وهذا عين مذهب الجبر
والابطال والافساد يرجع الى هذا المعنى وممن اجاب عن هذا الاستدلال بان قال انهم انما ذكروا ذلك الكلام على سبيل
الاستهزا والسخرية فلهذا السبب استوجبوا الطعن والذم واجاب صاحب الكشاف عنه من وجهين الاول انه ليس في اللفظ ما يدل على
انهم قالوا مستهزئين وادعا ما لا دليل عليه باطل الثاني انه تعالى حكى عنهم ثلاثة اشيا وهي انهم جعلوا له من عباده
جزءا وانهم جعلوا الملائكة اناثا وانهم قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو قلنا بانه انما جا الذم على القول الثالث لانهم
قالوا على طريق الهزو لا على سبيل الجد وجب ان يكون الحال في حكاية القولين الاولين كذلك فيلزم انهم لو نطقوا بتلك الاشيا
على سبيل الجد وجب ان يكونوا محقين ومعلوم انه كفر واما القول بان الطعن في القولين الاولين انما توجه على نفس ذلك القول

وقالوا



وفي القول الثالث لا على نفسه بل على ايراده على سبيل الاستهزا فهذا يوجب تشويش النظم وانه لا يجوز في كلام الله تعالى واعلم
ان الجواب الحق عندي عن هذا الكلام ما ذكرناه في سورة الانعام وهو ان القوم انما ذكروا هذا الكلام استدلوا بمشية الله تعالى للكفر على
انه لا يجوز ورود الامر بالايمان فاعتقدوا ان الامر والارادة يجب كونهما متطابقين وعندنا ان هذا باطل فالقوم استحقوا الذم
بجرحهم لقولهم ان الله مريد للكفر من الكافر لاجل انهم قالوا لما اراد الكفر من الكافر وجب ان يقبح امر الكافر بالايمان فاذا فسرنا الذم والطعن
الى هذا المقام سقط استدلال المعتزلة بهذه الاية وتمام التقرير مذكور في سورة الانعام والله اعلم المسألة الثانية انه تعالى
لما حكى عنهم ذلك المذهب الباطل قال ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون وتقريره كانه قيل ان القوم يقولون لما اراد الله
الكفر من الكافر وخلق فيها ما اوجب الكفر وجب ان يقبح منه ان يامره بالايمان لان مثل هذا التكليف قبيح في الشاهد فيكون
قبيحا في الغايب فقال تعالى ما لهم بذلك من علم اي ما لهم بصحة هذا القياس من علم وذلك لان افعال الواحد منا واحكامه
مبنية على رعاية المصالح والمفاسد لان كل من سوى الله تعالى فانه ينتفع بحصول المصالح ويستضر بحصول المفاسد
فلا جرم ان صريح طبعه وعقله يحمله على بناء احكامه وافعاله على رعاية المصالح مع ظهور هذا الفارق العظيم فقوله تعالى
ما لهم بذلك من علم اي ما لهم بصحة قياس الغايب على الشاهد في هذا الباب علم ثم قال تعالى ان هم الا يخرصون اي كما لم يحصل لهم علم بصحة
ذلك القياس فقد ثبت بالبرهان القاطع كونهم كذابين خراصين في ذلك القياس لان المنزه عن النفع والضر من كل الوجوه على الحاجة
المستغني المتنزه فقياس باطل في بديهة العقل ثم قال تعالى ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون يعني القول الباطل الذي
حكاه الله تعالى عنهم عرفوا صحته بالعقل او بالنقل اما اثباته بالعقل فهو باطل لقوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون
واما اثباته بالنقل فهو ايضا باطل لقوله تعالى ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون والضمير في قوله من قبله للقران او
الرسول والمعنى انهم اوجدوا ذلك الباطل في كتاب منزل قبل القران حتى جاز لهم ان يعولوا عليه وان يتمسكوا به وهو المقصود
منه ذكره في معرض الانكار ولما بين انه لم يدل عليه لا دليل عقلي ولا دليل نقلي وجب ان يكون القول به باطلا ثم قال تعالى بل قالوا
انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون والمقصود انه تعالى لما بين انه لا دليل لهم على صحة ذلك البتة بين انه ليس لهم
حامل يحملهم عليه الا التقليد المحض ثم بين ان تمسك الجهال بطريقة التقليد امر كان حاصلا من قديم الزمان فقال تعالى وكذلك
ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون وفي الاية مسايل
المسألة الاولى قال صاحب الكشاف قرئ امة بالكسر كلتاهما من الام وهو القصد فالامة الطريقة التي تؤم اي تقصد كالرحلة
للمرحول اليه والامة الحالة يكون عليها الام وهو القاصد المسألة الثانية لو لم يكن في كتاب الله تعالى الا هذه الايات لكفت
في ابطال القول بالتقليد وذلك لانه تعالى بين ان هولاء الكفار لم يتمسكوا في اثبات ما ذهبوا اليه الا بمجرد تقليد الاباء والاسلاف
وانه تعالى ذكر هذه المعاني في معرض الذم وذلك يدل على ان القول بالتقليد امر مشترك فيه بين المبطل وبين المحق وذلك لانه
كما حصل لهذه الطايفة قوم من المقلدة فكذلك حصل لاضدادهم اقوام من المقلدة فلو كان التقليد طريقا الى الحق لوجب
كون الشي ونقيضه حقا ومعلوم ان ذلك باطل المسألة الثالثة انه تعالى بين ان الداعي الى القول بالتقليد والحامل عليه
انما هو حب التنعم في طيبات الدنيا وحب الكسل والبطالة وبغض تحمل مشاق النظر والاستدلال لان قوله تعالى الا قال مترفوها انا
وجدنا اباءنا على امة والمترف هو الذي اترفته النعمة اي ابطرته فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويبغضون تحمل المشاق
في طلب الحق اذا عرفت هذا علمت ان راس جميع الافات حب الدنيا واللذات الجسمانية وراس جميع الخيرات هو حب الله تعالى
والدار الاخرة فلهذا قال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة ثم قال تعالى لرسوله قل اولو جئتكم باهدى مما
وجدتم عليه اباءكم اي بدين اهدى من دين ابايكم فعند هذا حكى الله تعالى عنهم انهم قالوا انا ثابتون على دين ابائنا
لا ننفك عنه وان جئتنا بما هو اهدى منه فانا بما ارسلتم به كافرون وان كان اهدى مما كنا عليه فعند هذا لم يبق لهم
عذر ولا علة فلهذا قال تعالى فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين والمراد منه تهديد الكفار والله تعالى اعلم
قوله تعالى واذ قال ابرهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه
سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هولاء واباءهم حتى جاءهم
الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون اعلم انه تعالى لما بين في الاية
المتقدمة انه ليس لاولئك الكفار داع يدعوهم الى تلك الاقاويل الباطلة الا تقليد الاباء والاسلاف ثم بين انه
طريق باطل ومنهج فاسد وان الرجوع الى الدليل اولى من الاعتماد على التقليد اردفه بهذه الاية والمقصود منه ذكر وجه اخر
يدل على فساد القول بالتقليد وتقريره من وجهين الاول انه تعالى حكى عن ابرهيم عليه السلام انه تبرا عن دين ابايه على
الدليل فنقول اما ان يكون تقليد الاباء في الاديان محرما وجايزا او جايزا فان كان محرما فقد بطل القول بالتقليد وان كان
جايزا فمعلوم ان اشرف اباء العرب هو ابرهيم عليه السلام وذلك لانهم ليس لهم فخر ولا شرف الا بانهم من اولاده واذا كان
كذلك فتقليد هذا الاب الذي هو اشرف الاباء اولى من تقليد ساير الاباء واذا ثبت ان تقليده اولى من تقليد غيره
فنقول انه ترك دين الاباء وحكم بان اتباع الدليل اولى من متابعة الاباء واذا كان كذلك فوجب تقليده في ترك تقليد الاباء
ووجب تقليده في ترجيح الدليل على التقليد واذا ثبت هذا فنقول فقد ظهر ان القول يوجب المنع من التقليد وما افضى ثبوته
الى نفيه كان باطلا فوجب ان القول بالتقليد باطلا فهذا طريق دقيق في ابطال التقليد وهو المراد من هذه الاية الوجه الثاني

في بيان ان ترك التقليد والرجوع الى متابعة الدليل اولى في الدين وذلك انه تعالى بين ان ابرهيم لما عدل عن طريقة ابيه الى متابعة الدليل لاجرم جعل الله تعالى دينه ومذهبه باقيا في عقبه الى يوم القيمة واما اديان اباىه فقد اندرست وبطلت فثبت ان الرجوع الى متابعة الدليل يبقى محمود الاثر الى قيام الساعة وان التقليد والاصرار منقطع الاثر ولا استقامة في الدنيا حسن ولا اثر فثبت من هذين الوجهين ان متابعة الدليل وترك التقليد اولى فهذا بيان المقصود الاصلي من هذه الاية والنرجع الى تفسير هذه الاية اما قوله تعالى انني برا مما تعبدون فقال الكسائي والفرا والمبرد والزجاج برا مصدر لا يثنى ولا يجمع مثل عدل وهي تقول العرب انا البرا منك والخلا منك ونحن البرا منك والخلا ولا يقولون البراان ولا البراون ولا البراءات لان المعنى ذوا البرا فان قلت بري وجلي بسب وجمع ثم استثنى خالقه من البراة فقال تعالى الا الذي فطرني والمعنى انا برا مما تعبدون الا من الله عز وجل ويجوز ان يكون الاستثنا منقطعا والمعنى لكن الذي فطرني فانه سيهدين اى سيرشدني لدينه ويوفقني لطاعته **واعلم** انه تعالى حكى عن ابرهيم عليه السلام في اية اخرى انه قال الذي خلقني فهو يهدين وحكى عنه هاهنا انه قال سيهدين فاجمع بينهما وقدر كانه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال وجعلها اى وجعل ابرهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله لا اله الا الذي فطرني جاري مجرى قوله لا اله الا الله فكان مجموع قوله تعالى انني برا مما تعبدون الا الذي فطرني قايما مقام قوله لا اله الا الله ثم بين تعالى ان ابرهيم عليه السلام جعل هذه الكلمة باقية في عقبه اى في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعوا الى توحيده لعلهم يرجعون اى لعل من اشرك منهم يرجع بدعا من وحدهم وقيل وجعلها الله وقرى كلمة على التخفيف وفي عقبه ثم قال بل متعت هولا يعني اهل مكة وهم من عقب ابرهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين الرسالة واضح الدلالة بما معه من الايات والبينات فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا وكفروا به ووجه النظم انهم لما عولوا على تقليد الاباء واحتجوا بالحجة اعترفوا وابطلوا الاستدلال واشتغلوا بالتنعم باباهم سنم الدنيا فاعرضوا عن الحق قال صاحب الكشاف فان قيل ما وجه من قرا متعت بضم التاء قلنا كان الله سبحانه اعترض على ذاته في قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد واراد بذلك المبالغة في تعيرهم لانه اذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا فمثاله ان يشكو الرجل اساة من احسن اليه ثم يسل على نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك اليه وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسي لا تقبيح فعل نفسه والله تعالى اعلم **قوله تعالى** وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون **اعلم** ان هذا هو النوع الرابع من كفرياتهم التي حكاها الله تعالى عنهم في هذه السورة هولا المساكين قالوا منصب رسالة الله منصب شريف فلا يليق الا برجل شريف وقد صدقوا في ذلك لانهم ضموا اليه مقدمة فاسدة وهي ان الرجل الشريف هو الذي يكون كثير المال والجاه ومحمد ليس كذلك فلا يليق رسالة الله به وانما يليق هذا المنصب برجل عظيم الجاه كثير المال في احدى القريتين وهي مكة والطايف قال المفسرون والذي بمكة هو الوليد بن المغيرة والذي بالطايف هو عروة بن مسعود الثقفي ثم ابطل الله تعالى هذه الشبهة من وجوه الاول قوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك وتقرير هذا الجواب من وجوه احدها انا اوقعنا التفاوت في مناصب الدنيا ولم يقدر احد من الخلق على تغييره فالتفاوت الذي اوقعناه في مناصب الدين والنبوة بان لا يقدروا على التصرف فيه كان اولى وثانيها ان يكون المراد ان اختصاص ذلك المعني بذلك المثال انما كان لاجل حكمنا وفضلنا واحساننا فكيف يليق بالعقل ان يجعل احساننا اليه بكثرة المال حجة علينا في ان نحسن اليه ايضا بالنبوة وثالثها انا لما اوقعنا التفاوت في الاحسان بمنافع الدنيا لا بسبب سابق فلم لا يجوز ايضا ان نوقع التفاوت في الاحسان بمناصب الدين والنبوة لا بسبب سابق فهذا تقرير الكلام الجواب ونرجع الى تفسير الالفاظ فنقول الهمزة في قوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك للانكار الدال على التجهيل والتعجب من اعراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة ثم ضرب لهذا مثالا فقال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وفيه مسايل المسألة الاولى انا لما اوقعنا هذا التفاوت بين العباد في القوة والضعف والعلم والجهل والقدرة والحذاقة والبلاغة والشهرة والخمول وانا فعلنا ذلك وانا لو سوينا بينهم في كل هذه الاحوال لم يخدم احد احدا ولم يصر احد منهم مسخرا لغيره وحينيذ يفضي ذلك الى خراب العالم وفساد نظام الدنيا ثم ان احدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضاينا فاذا عجزوا عن الاعتراض على حكمنا مع احوال الدنيا مع قلتها وذلتها فكيف يمكنهم الاعتراض على حكمنا وقضاينا في تخصيص بعض العباد بمنصب النبوة والرسالة والله اعلم المسألة الثانية قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا يقتضي ان يكون كل معايشهم انما تحصل بحكم الله تعالى وتقديره وهذا يقتضي ان يكون الرزق الحرام والحلال كله من الله تعالى والوجه الثاني في الجواب ما هو المراد من قوله تعالى ورحمة ربك خير مما يجمعون وتقريره ان الله تعالى اذا خص بعض عباده بنوع من انواع فضله ورحمته في الدين فهذه الرحمة خير من الاموال التي يجمعونها في الدنيا على شرف الانقضا والانقراض وفضل الله تعالى ورحمته سببا ابد الاباد والله تعالى اعلم **قوله تعالى** ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا

والآخرة عند ربك للمتقين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون في الآية مسايل **المسألة الاولى** اعلم انه تعالى اجاب عن الشبهة التي ذكروها بتفضيل الغني على الفقير بوجه ثالث وهو انه تعالى بين ان منافع الدنيا وطيباتها حقيرة خسيسة عند الله تعالى وبين حقارتها بقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة والمعنى لولا ان يرغب الناس اذا راوا الكفار في سعة من الخير والرزق لاعطيتهم اكثر الاسباب المفيدة للتنعم فاولها ان يكون سقفهم من فضة وثانيها معارج ايضا من فضة عليها يظهرون وثالثها ان يجعل لبيوتهم ابوابا من فضة وسررا ايضا من فضة عليها يتكئون وخامسها وزخرفا وفيه قولان احدهما انه الذهب والثاني انه الزينة بدليل قوله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت فعلى التقدير الاول يكون المعنى ونجعل لهم مع ذلك ذهبا كثيرا وعلى الثاني انا نعطيهم زينة عظيمة في كل باب ثم بين تعالى ان كل ذلك انما هو متاع الحياة الدنيا وانه قليل ... والآخرة عند ربك للمتقين ... **المسألة الثانية** قرا ابو عمرو وابن كثير سقفا بفتح السين وسكون القاف على الواحد لارادة الجنس كما في قوله فخر عليهم السقف من فوقهم والباقون بضم السين والقاف على الجمع ... **المسألة الثالثة** قوله تعالى لبيوتهم بدل اشتمال من قوله تعالى لمن يكفر بالرحمن قال صاحب الكشاف قرئ ومعاريج والمعارج جمع معرج او اسم جمع لمعراج وهي المصاعد الى المساكن العالية كالدرج والسلالم عليها يظهرون اى على تلك المعارج يظهرون وفي نصب قوله وزخرفا قولان قيل لجعلنا لبيوتهم سقفا من فضة ولجعلنا لهم زخرفا وقيل من فضة وزخرفا فلما حذف الخافض انتصب واما قوله تعالى وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا قرا عاصم وحمزة لما بتشديد الميم والباقون بالتخفيف واما قرا حمزة بالتشديد فانه جعل لما في معنى الا وحكى سيبويه انشدتك بالله لما فعلت بمعنى الا ويقوي هذه القراة ان في حرف ما ذلك الا متاع الحياة الدنيا وهذا يدل على ان لما بمعنى الا واما القراة بالتخفيف فقال الواحدي رحمه الله تعالى لفظة ما لغو والتقدير لمتاع الدنيا وقال ابو الحسين الوجه التخفيف لان لما بمعنى الا لا يعرف وحكى عن الكسائي انه قال لا اعرف وجه التثقيل **المسألة الرابعة** قالت المعتزلة دلت الآية على انه تعالى انما لم يعط الناس من نعم الدنيا لاجل انه لو فعل بهم ذلك لدعاهم ذلك الى الكفر فهو تعالى لم يفعل بهم ذلك لاجل ان لا يدعوهم الى الكفر وهذا يدل على احكام احدها انه اذا لم يفعل بهم ما يدعوهم الى الكفر فلان لا يخلق فيهم الكفر اولى وثانيها انه ثبت ان فعل اللطف قايم مقام ازاحة العذر والعلة فلما بين تعالى انه لم يفعل ذلك ازاحة للعذر والعلة عنهم دل ذلك على انه يجب ان يفعل بهم كل ما كان لطفا داعيا لهم الى الايمان فصارت هذه الآية من هذا الوجه دالة على انه يجب على الله فعل اللطف وثالثها انه ثبت بهذه الآية ان الله تعالى يفعل ما يفعله ويترك ما يتركه لاجل حكمة ومصلحة وذلك يدل على تعليل احكام الله تعالى وافعاله بالمصالح والعدل فان قيل لما بين تعالى انه لو فتح على الكافرين ابواب النعيم لصار ذلك سببا لاجتماع الناس على الكفر فلم لم يفعل ذلك بالمسلمين حتى يصير ذلك سببا لاجتماع الناس على الاسلام قلنا لان الناس على هذا التقدير كانوا مجتمعين على الاسلام لطلب الدنيا وهذا الايمان ايمان المنافقين وكان الاصوب ان يضيق الامر على المسلمين حتى ان كل من دخل الاسلام فانما يدخل لمتابعة الدليل ولطلب رضوان الله تعالى فحينيذ يعظم ثوابه لهذا السبب ثم قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين والمقصود منه التنبيه على افات الدنيا وذلك ان من فاز بالمال والجاه صار كالاعشى عن ذكر الله ومن صار كذلك صار من جلساء الشياطين الضالين المضلين فهذا وجه تعلق هذا الكلام بما قبله قال صاحب الكشاف قرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما انه اذا حصلت الآفة في بصره قيل عشي ومن يعش بضم الشين واذا نظر نظر العشي لا لآفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة متى تاته تعشوا الى ضوء ناره اى ينظر اليها نظر العشي لما يضعف بصره من عظم الوقود واتساع الضوء وقرئ يعشوا على ان من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ ان يرفع نقيض ومعنى القراة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القران لقوله تعالى صم بكم عمي واما القراة بالضم فمعناه ومن يتعام عن ذكره اى يعرف انه الحق وهو يتجاهل ويتعامى كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم نقيض له شيطانا قال مقاتل يعني نضم اليه شيطانا فهو له قرين ثم قال تعالى وانهم ليصدونهم عن السبيل يعني ان الشياطين ليصدونهم عن سبيل الهدى والحق وذكر الكناية عن الانسان والشيطان بلفظ الجمع لان قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا يفيد الجمع وان كان اللفظ على الواحد ويحسبون انهم مهتدون ثم عاد الى لفظ الواحد فقال حتى اذا جاءنا يعني الكافر والشيطان روي ان الكافر اذا بعث يوم القيمة من قبره اخذ شيطان بيده فلم يفارقه حتى يصيرهما الله تعالى الى النار فذلك يقول يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين وذكروا فيه وجوها الاول قال الاكثرون المراد بعد المشرق والمغرب ومن عادة العرب تسمية الشيئين المتقابلين باسم احدهما قال الفرزدق لنا قمراها والنجوم الطوالع يريد الشمس والقمر ويقولون الكوفة والبصرة والبصرتان والغداة والعصر والعصران وابي بكر وعمر العمران والماء والتمر الاسودان الثاني ان اهل النجوم يقولون الحركة التي تكون من المشرق الى المغرب حركة الفلك

الاعظم والحركة التي من المغرب الى المشرق هي حركة الكواكب الثابتة وحركة الافلاك الممثلة التي للسيارات سوى القمر واذا كان كذلك فالمشرق والمغرب كل واحد منهما مشرق بالنسبة الى شيء ومغرب بالنسبة الى شيء اخر فثبت ان اطلاق لفظ المشرق على كل واحد من الجهتين حقيقة الثالث قالوا تحمل ذلك على مشرق الصيف ومشرق الشتا فهما بعد عظيم وهذا عندي بعيد لان المقصود من قوله تعالى يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين المبالغة في حصول البعد وهذه المبالغة انما تحصل عند ذكر بعد لا يمكن وجود بعد ازيد منه والبعد بين مشرق الصيف وبين مشرق الشتا ليس كذلك فبعد حمل اللفظ عليه الرابع وهو ان الحس يدل على ان الحركة اليومية انما تحصل بطلوع الشمس من المشرق الى المغرب واما القمر فانه يظهر في اول الشهر في جانب المغرب ثم لا يزال يتقدم الى جانب المشرق وذلك يدل على ان مشرق الحركة القمرية هو المغرب واذا ثبت هذا فالجانب المسمى بالشرق فانه مشرق الشمس ولكنه مغرب القمر واما الجانب المسمى بالمغرب فانه مشرق القمر ولكنه مغرب الشمس وبهذا التقدير يصح تسمية المشرق والمغرب بالمشرقين ولعل هذا الوجه اقرب الى مطابقة اللفظ ورعاية المقصود من ساير الوجوه والله تعالى اعلم ثم قال تعالى فبئس القرين اي الكافر يقول لذلك الشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين انت فهذا ما يتعلق بتفسير هذه الالفاظ والمقصود من هذا الكلام بيان تحقير الدنيا وبيان ما في المال والجاه من المضار العظيمة وذلك لان كثرة المال والجاه يجعل الانسان كالاعشى عن مطالعة ذكر الله تعالى ومن صار كذلك صار جليسا للشيطان ومن صار كذلك جليسا للشيطان ومن صار كذلك ضل عن سبيل الهدى والحق وبقي جليس الشيطان في الدنيا وفي القيمة ومجالسة الشيطان حالة توجب الضرر الشديد في القيمة بحيث يقول الكافر يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين فثبت بما ذكرنا ان كثرة المال والجاه توجب كمال النقصان والحرمان في الدين والدنيا فاذا ظهر هذا فقد ظهر ان الذين قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم قالوا كلاما فاسدا وشبهة باطلة والله تعالى اعلم ثم قال ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون فقوله انكم في محل الرفع على الفاعلية يعني ولن ينفعكم اليوم لو انكم مشتركون في العذاب والسبب فيه ان الناس يقولون ان المصيبة اذا عمت طابت وقالت هذا المعنى

ولولا كثرة الناس حولي * على اخوانهم لقتلت نفسي *
ولا يبكون مثل اخي ولكن * اعزي النفس عنه بالتاسي *

فبين تعالى ان حصول الشركة في العذاب لا يفيد التخفيف كما كان يفيده في الدنيا والسبب فيه وجوه **الاول** ان ذلك العذاب شديد فاشتغال كل احد بنفسه يذهله عن حال الاخر فلا جرم الشركة لا تفيد الخفة والثاني ان قوما اذا اشتركوا في العذاب اعان كل واحد صاحبه بما قدر عليه فيحصل بسببه بعض التخفيف وهذا المعنى متعذر في القيمة الثالث ان جلوس الانسان مع قرينه يفيده انواعا كثيرة من السلوة فبين تعالى ان الشيطان وان كان قرينا له الا ان مجالسته في القيمة لا توجب السلوة وخفة العقوبة وفي كتاب مجاهد ان ابن عامر قرا اذ ظلمتم انكم بكسر الالف والباقون انكم بفتح الالف والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسالون واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون

**اعلم** انه تعالى وصفهم في الاية المتقدمة بالعشى ووصفهم في هذه الاية بالصمم والعمى وما احسن هذا الترتيب وذلك ان الانسان في اول اشتغاله بطلب الدنيا يكون كمن حصل بعينه رمد ضعيف ثم كلما كان اشتغاله بتلك الاعمال اكثر كان ميله الى الجسمانيات اكثر واعراضه عن الروحانيات اكمل لما ثبت في علوم العقل ان كثرة الافعال توجب حصول الملكات الراسخة فينتقل الانسان من الرمد الى ان يصير اعشى فاذا واظب على تلك الحالة ايام اخر انتقل من كونه اعشى الى كونه اعمى فهذا ترتيب حسن موافق لما ثبت بالبراهين اليقينية روي انه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في دعا قومه وهم لا يزيدون الا تصميما على الكفر وتماديا في الغي فقال افانت تسمع الصم او تهدي العمي يعني انهم في النفرة عنك وعن دينك الى حيث اذا سمعتهم القران كانوا كالاصم واذا اريتهم المعجزات كانوا كالاعمى ثم بين تعالى ان صممهم وعماهم انما كان بسبب كونهم في ضلال مبين ولما بين تعالى ان دعوته لا تؤثر في قلوبهم قال فاما نذهبن بك يريد حصول الموت قبل نزول النقمة بهم فانا منهم منتقمون بعدك او نرينك في حياتك ما وعدناهم من الذل والقتل فانا مقتدرون على ذلك واعلم ان هذا الكلام يفيد كمال التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم لانه تعالى بين انه لا يخلو منهم دعوته والناس لحدى الراحتين ثم بين تعالى انه لابد وان ينتقم لاجله منهم اما حال حياته او بعد وفاته وذلك يوجب التسلية فبعد هذا امره بان يتمسك بما امره الله تعالى به فقال فاستمسك بالذي اوحي اليك بان تعتقد انه حق وبان تعمل بموجبه فانه الصراط المستقيم الذي لا يميل عنه الا ضال في الدين ولما بين تعالى تاثير التمسك بهذا الدين في منافع الدين بين ايضا تاثيره في منافع الدنيا فقال تعالى وانه لذكر لك ولقومك اي انه يوجب الشرف العظيم لك ولقومك حيث يقال ان هذا الكتاب العظيم انزله الله تعالى على رجل من قوم هؤلاء **واعلم** ان هذه الاية تدل على ان الانسان لا يبعد ان يكون عظيم الرغبة في الثنا الحسن والذكر الجميل اذ لو لم يكن الذكر الجميل امرا مرغوبا فيه لما امتن الله تعالى به على محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى وانه لذكر لك ولقومك ولما طلبه ابرهيم صلى الله عليه وسلم حيث قال واجعل لي لسان صدق في الاخرين ولان الذكر الجميل قائم مقام الحياة الشريفة بل الذكر افضل من الحياة لان اثر الحياة لا يحصل الا في مسكن ذلك الحي اما اثر الذكر الجميل فانه يحصل في كل مكان وفي كل زمان ثم قال تعالى وسوف تسالون وفيه وجوه **الاول** قال الكلبي تسالون هل اديتم شكر انعامنا عليكم بهذا الذكر الجميل الثاني قال مقاتل المراد ان من كذب به يسال لم كذب فيسال سؤال توبيخ الثالث



الثالث تسالون هل عملتم بما دل عليه القران من التكاليف **واعلم** ان السبب الاقوى في انكار الكفار لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولبغضهم له انه كان ينكر عبادة الاصنام فبين تعالى ان انكار عبادة الاصنام ليس من خواص دين محمد صلى الله عليه وسلم بل كل الانبيا والرسل كانوا مطبقين على انكاره فقال تعالى واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون وفيه اقوال الاول معناه مؤمني اهل الكتاب اي اهل التورية والانجيل فانهم سيخبرونك انه لم يرد في دين احد من الانبيا عبادة الاصنام واذا كان هذا كالامر المتفق عليه بين كل الانبيا والرسل وجب ان لا تجعلوه سببا لبغض محمد صلى الله عليه وسلم والقول الثاني قال عطا عن ابن عباس لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى بعث الله تعالى له ادم وجميع المرسلين من ولده فاذن جبريل ثم اقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلوة قال له جبريل سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية فقال صلى الله عليه وسلم لا اسال لاني لست شاكا فيه والقول الثالث ان ذكر السؤال في موضع لا يمكن السؤال فيه يكون المراد منه النظر والاستدلال كقول من قال سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فانها ان لم تجبك جوابا اجابتك اعتبارا فهاهنا سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن الانبيا الذين كانوا قبله ممتنع وكان المراد منه انظر في هذه المسئلة بعقلك وتدبر فيها بفهمك والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملايه فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون ونادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا القي عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملايكة مقترنين فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما اسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين في الاية مسايل

**المسئلة الاولى** اعلم ان المقصود من اعادة قصة موسى وفرعون في هذا المقام تقرير الكلام الذي تقدم وذلك لان كفار قريش طعنوا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب كونه فقيرا عادم المال والجاه فبين الله تعالى ان موسى عليه السلام بعد ان اورد المعجزات القاهرة الباهرة التي لا يشك في صحتها عاقل اورد فرعون عليه هذه الشبهة التي ذكرها كفار قريش فقال اني غني كثير المال والجاه الا ترون انه حصل لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي واما موسى فانه فقير مهين والرجل الفقير كيف يكون رسولا من عند الله الملك الكبير فثبت ان هذه الشبهة التي ذكرها كفار مكة وهي قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم قد اوردها بعينها فرعون على موسى فانتقمنا منهم فاغرقناهم والمقصود من ايراد هذه القصة امران **احدهما** ان الكفار والجهال ابدا يحتجون على الانبيا بهذه الشبهة الركيكة فلا تبال بها ولا تلتفت اليها **والثاني** ان فرعون على غاية كمال حاله في الدنيا صار مقهورا باطلا فيكون الامر في حق اعدايك هكذا فثبت انه ليس المقصود من اعادة هذه القصة عين هذه القصة بل المقصود تقرير الجواب عن الشبهة المذكورة وعلى هذا فلا يكون تكريرا للقصة البتة وهذا من نفايس الابحاث والله تعالى اعلم **المسئلة الثانية** في تفسير الالفاظ ذكر تعالى انه ارسل موسى باياته وهي المعجزات التي كانت مع موسى الى فرعون وملايه اي قومه فقال موسى اني رسول من رب العالمين فلما جاءهم بتلك الايات اذا هم منها يضحكون قيل انه لما القى عصاه فصار ثعبانا ثم اخذه فصار عصا كما كان ضحكوا ولما عرض عليهم اليد البيضا ثم عادت كما كانت ضحكوا فان قيل كيف جاز ان يجاب لما باذا التي تفيد المفاجاة قلنا لان فعل المفاجاة معها مقدر كانه قيل فلما جاءهم باياتنا فاجؤوا وقت ضحكهم ثم قال تعالى وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها فان قيل ظاهر هذا اللفظ يقتضي كون كل واحد منها افضل من الباقي وذلك محال قلنا اذا اريد المبالغة في كون كل واحد من تلك الاشيا بالغا الى اقصى الدرجات في الفضيلة فقد يذكر هذا الكلام انه لا يبعد في الناس ينظرون اليها فيقولون ان هذا افضل من الباقي وان يقول الثاني لا بل الثاني افضل وان يقول الثالث لا بل الثالث افضل وحينئذ يصير كل واحد من تلك الاشيا مقولا فيه انه افضل من غيره ثم قال تعالى واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون عن الكفر الى الايمان قالت المعتزلة هذا يدل على انه تعالى يريد الايمان من الكل وانما اظهر تلك المعجزات القاهرة لارادة ان يرجعوا من الكفر الى الايمان قال المفسرون معنى قوله تعالى واخذناهم بالعذاب الاشيا التي سلطها الله تعالى عليهم كالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس ثم قال تعالى وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فان قيل كيف سموه بالساحر مع قولهم اننا لمهتدون قلنا فيه وجوه الاول انهم كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لانهم كانوا يستعظمون السحر وكما يقال في زماننا في العامل العجيب الكامل انه اتى بالسحر الثاني بانه الساحر في زعم الناس ومتعارف قوم فرعون كقوله تعالى يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون اي نزل عليه الذكر في اعتقاده وزعمه الثالث ان قولهم اننا لمهتدون وعد كانوا عازمين على خلافه الا ترى الى قوله تعالى فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فتسميتهم اياه بالساحر لا ينافي قولهم اننا لمهتدون ثم انه تعالى لما كشف عنهم العذاب نكثوا ذلك العهد ولما حكى الله تعالى معاملة قوم فرعون مع موسى عليه السلام حكى معاملة فرعون معه فقال ونادى فرعون في قومه والمعنى انه اظهر هذا القول فقال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي يعني الانهار التي فصلوها من النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجري تحت قصره وحاصل الامر انه احتج بكثرة امواله وقوة جاهه على فضيلة نفسه ثم قال تعالى ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين يريد بكونه مهينا كونه فقيرا ضعيف الحال وبقوله ولا يكاد يبين حبسة كانت في لسانه **واختلفوا** في معنى ام هاهنا فقال ابو عبيدة مجازها بل انا خير وعلى هذا فقد تم الكلام عند قوله تعالى افلا تبصرون ثم ابتدا فقال ام انا خير من هذا بمعنى بل انا خير وقال الباقون ام هذه متصلة لان المعنى افلا تبصرون ام تبصرون الا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون

لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء وقال اخرون اما للكلام اي بل انا لا بحث بعضهم على كلمة ام اسارا الا اختصارا فكذا هاهنا فان قيل اليس ان موسى عليه السلام سال الله تعالى ان يزيل الرتة عن لسانه بقوله واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فاعطاه الله تعالى ذلك بقوله تعالى قد اوتيت سؤلك يا موسى فكيف عابه فرعون بتلك الرتة والجواب من وجهين الاول ان فرعون اراد بقوله تعالى ولا يكاد يبين حجته التي تدل على صدقه فيما يدعي ولم يرد انه لا قدرة له على الكلام والثاني انه عابه بما كان عليه اولا وذلك ان موسى عليه السلام كان عند فرعون زمانا طويلا وفي لسانه حبسة فنسبه فرعون الى ما عهده عليه من الرتة لانه لم يعلم ان الله تعالى ازال ذلك العيب عنه ثم قال تعالى فلولا القي عليه اساورة من ذهب والمراد ان عادة القوم جرت بانهم اذا جعلوا واحدا منهم رئيسا لهم سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب فطلب فرعون من موسى عليه السلام مثل هذه الحالة واختلف القراء في اسورة فبعضهم قرا اسورة وبعضهم اساورة واسورة جمع سوار لادنى العدد كقوله حمار واحمرة وغراب واغربة ومن قرا اساورة واسورة فذاك لان اساور جمع اسورة وهي السوار واساورة تكون الهاء عوضا من الياء نحو بطاريق وبطارقة وزناديق وزنادقة وفرازين وفرازنة فيكون اساورة جمع اسوار وحاصل الكلام يرجع الى حرف واحد وهو ان فرعون كان يقول انا اكثر مالا وجاها فوجب ان اكون افضل منه فيمتنع كونه من الله لان منصب النبوة يقتضي المخدومية والاخس لا يكون مخدوما للاشرف والفاسدة هي قوله ومن كان اكثر مالا وجاها فهو افضل وهي عين المقدمة التي تمسك بها كفار قريش في قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ثم قال تعالى او جاء معه الملائكة مقترنين يجوز ان يكون المراد مقترنين به من قولك قرنته به فاقترن به وان يكون من قولهم اقترنوا بمعنى تقارنوا قال الزجاج معناه يمشون به فيدلون على صحة نبوته ثم قال تعالى فاستخف قومه فاطاعوه اي طلب منهم الخفة في الاتيان بما كان يامرهم به فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين حيث اطاعوا ذلك الفاسق الجاهل فلما اسفونا اغضبونا حكي ان ابن جريج غضب في شيء فقال له الغضبان يا ابا خالد فقال قد غضب الذي خلق الاحلام ان الله تعالى يقول فلما اسفونا اي اغضبونا ثم قال تعالى انتقمنا منهم واعلم ان ذكر لفظ الاسف في حق الله تعالى وذكر لفظ الانتقام كل واحد منهما من المتشابهات التي يجب ان نصرفها الى التاويل ومعنى الغضب في حق الله تعالى ارادة العقاب ومعنى الانتقام ارادة العقاب بجرم سابق ثم قال تعالى فجعلناهم سلفا **السلف** كل شيء قدمته من عمل صالح او قرض فهو سلف والسلف ايضا من تقدم من ابائك واقاربك واحدهم سالف ومنه قول طفيل يرثي قومه

مضوا سلفا قصد السبيل عليهم ... وصرف المنايا بالرجال تقلب

فعلى هذا قال الفراء والزجاج يقول جعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الاخرون اي جعلناهم لكفار امة محمد صلى الله عليه وسلم واكثر القراء قرؤوا سلفا بالفتح وهو جمع سالف كما ذكرناه وقرا حمزة والكسائي سلفا بالضم وهو جمع سليف اي فرق وقوله تعالى ومثلا للاخرين يريد عظة لمن بقي بعدهم وانه وغيره قال ابو علي الفارسي المثل واحد يراد به الجمع ومن ثم عطف على سلف والدليل على وقوعه على اكثر من واحد قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا فادخل تحت المثل شيئين والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا االهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين

وفي الاية مسائل **المسألة الاولى اعلم** انه تعالى ذكر انواعا كثيرة من كفرياتهم في هذه السورة واجاب عنها بالوجوه الكثيرة فاولها قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا وثانيها قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وثالثها قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ورابعها قوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وخامسها الاية التي نحن في تفسيرها ولفظ الاية لا يدل الا على انه لما ضرب ابن مريم مثلا اخذ القوم يضجون ويرفعون اصواتهم فاما ان ذلك المثل كيف كان وفي اي شيء كان فاللفظ لا يدل عليه والمفسرون ذكروا فيه وجوها كلها محتملة فالاول ان الكفار لما سمعوا ان النصارى يعبدون عيسى قالوا اذا عبدوا عيسى فالهتنا خير من عيسى وانما قالوا ذلك لانهم كانوا يعبدون الملائكة الثاني روي انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون قال عبد الله بن الزبعرى هذا خاصة لنا ولالهتنا ام لجميع الامم فقال صلى الله عليه وسلم بل هو لجميع الامم فقال خصمتك ورب الكعبة الست تزعم ان عيسى بن مريم نبي وتثني عليه وعلى امه خيرا وقد علمت ان النصارى يعبدونهما وعزيرا يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن والهتنا معهم فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وفرح القوم وضحكوا وضجوا فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الاية ايضا والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه اذا قومك قريش منه اي من هذا المثل يصدون ترتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وضحكا وقالوا االهتنا خير ام هو يعنون ان الهتنا ليست خيرا من عيسى فاذا كان من حصب النار كان امر الهتنا هينا الثالث وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لما حكى ان النصارى عبدوا المسيح وجعلوه الها لانفسهم قالت كفار مكة ان محمدا يريد ان نجعله الها كما جعل النصارى المسيح الها لانفسهم ثم قالوا االهتنا خير ام هو يريدون ان الهتنا خير من محمد فاذا عبدنا الهتنا كان اولى ... كانوا منقطعين بقيت عليه ... بعبادة الاصنام اولى

وضجوا وضحكوا ... اسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم



بعبادة المسيح طريق حسن بل هو كلام باطل وان عيسى ليس الا عبدا انعمنا عليه واذا كان الامر كذلك فقد زالت شبهتهم في قولهم ان محمدا يريد ان يامرنا بعبادة نفسه فهذه الوجوه الثلاثة مما يحتمل كل واحد منها لفظ الاية **المسألة الثانية** قرا نافع وابن عامر والكسائي وابو بكر عن عاصم يصدون بضم الصاد وهي قراءة علي رضي الله عنه والباقون بكسر الصاد وهي قراءة ابن عباس **واختلفوا** فقال الكسائي هما لغتان بمعنى نحو يعرشون ويعرشون ويعكفون ويعكفون واما القراءة بالضم فمن الصدود اي من اجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه واما بالكسر فمعناه يضجون المسألة الثالثة قرا عاصم وحمزة والكسائي االهتنا بهمزتين الثانية مطولة والباقون باستفهام الهمزة ومدة ثم قال تعالى ما ضربوه لك الا جدلا الا لاجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب الفرق بين الحق والباطل بل انهم قوم خصمون مبالغون في الخصومة وذلك لان قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله لا يتناول الملائكة وعيسى وبيانه من وجوه الاول ان كلمة ما لا تتناول العقلاء البتة والثاني ان كلمة ما ليست صريحة في الاستغراق بدليل انه يصح ادخال لفظي الكل والبعض عليه فقال انكم وما تعبدون من دون الله خطاب مشافهة فلعله ما كان فيهم احد يعبد المسيح والملائكة الرابع ان قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عام الا ان النصوص الدالة على تعظيم الملائكة وعيسى اخص منه والخاص مقدم على العام **المسألة الرابعة** القائلون بذم الجدل تمسكوا بهذه الاية لانا قد ذكرنا في تفسير قوله تعالى ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا ان الايات الكثيرة دالة على ان الجدل موجب للمدح والثواب وطريق التوفيق ان نصرف تلك الايات الى الجدل الذي يفيد تقرير الحق وان نصرف هذه الاية الى الجدل الذي يوجب تقرير الباطل ثم قال تعالى ان هو الا عبد انعمنا عليه يعني ما عيسى عليه السلام الا عبد كسائر العبيد انعمنا عليه حيث جعلناه اية بان خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر ولو نشاء لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من غير اب لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعرفوا ان دخول التوليد في الملائكة امر ممكن وذات الله تعالى متعال عن ذلك وانه لعلم للساعة اي شرط من اشراطها تعلم به فسمي الشرط الدال على الشيء علما لحصول العلم به وقرا ابن عباس لعلم وهو العلامة وقرا للعلم وقرا لذكر وفي الحديث ان عيسى ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة وبها يقتل الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والامام يؤم بهم فيتاخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من امن به فلا تمترن بها من المرية وهو الشك واتبعون واتبعوا هداي وشرعي هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين قد بانت عداوته لكم لاجل انه هو الذي اخرج اباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور

**قوله تعالى** ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة وهم لا يشعرون

**اعلم انه تعالى** ذكر انه لما جاء عيسى عليه السلام بالمعجزات وبالشرائع البينات الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة وهي معرفة ذات الله تعالى وصفاته وافعاله ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه يعني ان قوم موسى عليه السلام كانوا قد اختلفوا في اشياء من احكام التكاليف واتفقوا على اشياء فجاء عيسى عليه السلام ليبين لهم الحق في تلك المسائل الخلافية وبالجملة فالحكمة معناها اصول الدين وبعض الذي يختلفون فيه معناه فروع الدين فان قيل لم لم يبين لهم كل الذي يختلفون فيه قلنا لان الناس قد يختلفون في اشياء لا حاجة بهم الى معرفتها فلا يجب على الرسول بيانها ولما بين الاصول والفروع قال فاتقوا الله في الكفر به والاعراض عن دينه واطيعون فيما ابلغه اليكم من التكاليف ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فالمعنى ظاهر واختلف الفرق المتحزبة بعد عيسى عليه السلام وهم الملكانية واليعقوبية والنسطورية وقيل اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم وهو وعيد بيوم الاحزاب فان قيل قوله من بينهم الضمير فيه الى من يرجع قلنا الى الذين خاطبهم في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه ثم قال تعالى هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة عن ما بعده وقوله تعالى وهم لا يشعرون فما الفائدة فيه قلنا يجوز ان تاتيهم بغتة وهم يعرفونه بسبب انهم يشاهدونه والله تعالى اعلم بالصواب

**قوله تعالى** الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون

**اعلم انه تعالى** لما قال هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة ذكر عقيبه بعض ما يتعلق باحوال القيامة فاولها قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو يعني ان الخلة اذا كانت على المعصية والكفر صارت عداوة يوم القيامة الا المتقين الموحدين الذين يخالل بعضهم بعضا على الايمان والتقوى فان خلتهم لا تصير عداوة وللحكماء في تفسير هذه الاية طريق حسن قالوا ان المحبة امر لا يحصل الا عند اعتقاد حصول خير او دفع ضرر فمتى حصل هذا الاعتقاد حصلت المحبة لا محالة ومتى اعتقد انه توجب ضررا فالمحبة اما ان تكون قابلة للتغير والتبديل او لا تكون كذلك فان كان الواقع هو القسم الاول وجبت تبدل تلك المحبة بالنفرة لان تلك المحبة انما حصلت لاعتقاد حصول الخير والراحة فاذا زال ذلك الاعتقاد وحصل عقيبه اعتقاد ان الحاصل هو الضرر والالم يوجب تبدل المعلول اما اذا كانت الخيرات الموجبة للمحبة خيرات باقية ابدية قابلة للتبدل والتغير كانت تلك المحبة ايضا محبة باقية امنة من التغير اذا عرفت هذا الاصل فنقول الذين حصلت بينهم مودة ومحبة في الدنيا ان كانت تلك المحبة صارت سببا لحصول الالم والافات في يوم

القيمة فلا جرم ينقلب هذه المحبة الدنيوية بغضة ونفرة في القيمة اما اذا كان الموجب لحصول المحبة في الدنيا الاشتراك في محبة الله
تعالى وفي خدمته وطاعته فهذا السبب غير قابل فلا جرم كانت هذه المحبة باقية في القيمة بل كان يصير اقوى واصفى واكمل وافضل
مما كانت في الدنيا فهذا هو السر المطابق لقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين الحكم الثاني من احكام يوم
القيمة قوله تعالى يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون وقد ذكرنا مرارا ان عادة القران جارية بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين
المطيعين المتقين فقوله تعالى يا عبادى لا خوف كلام الله تعالى وكان الحق يخاطبهم بنفسه ويقول لهم يا عبادى لا خوف عليكم اليوم
ولا انتم تحزنون وفيه انواع كثيرة مما يوجب الفرح اولها ان الحق سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة وثانيها انه
تعالى وصفهم بالعبودية وهذا تشريف عظيم بدليل انه لما اراد ان يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج بقوله سبحان
الذى اسرى بعبده وثالثها قوله تعالى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فنفى عنهم الحزن بسبب الدنيا الماضية ثم قال تعالى
الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين محل الذين امنوا مبتدا وخبره مضمر والتقدير يقال لهم ادخلوا الجنة ويحتمل ان يكون
المعنى اعني الذين امنوا قال مقاتل اذا وقع الخوف يوم القيمة نادى مناد يا عبادى لا خوف عليكم اليوم فاذا سمعوا النداء رفع
الخلائق رؤسهم فيقال الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فينكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم الحكم الثالث من وقايع
القيمة انه تعالى اذا امن المؤمنين من الخوف والحزن وجب ان يرحب بهم على اسهل الوجوه واحسنها ثم يقال لهم ادخلوا
الجنة انتم وازواجكم تحبرون الحبرة المبالغة يعني يكرمون اكراما على سبيل المبالغة وهذا مما سبق تفسيره في سورة الروم
ثم قال تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها وقال الفراء الكوب المستدير الراس الذى لا اذن له فقوله يطاف
عليهم بصحاف من ذهب اشارة الى المطعوم وقوله تعالى واكواب اشارة الى المشروب ثم انه تعالى ذكر التفصيل وذكر بيانا كليا فقال
تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون ثم قال تعالى وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقد ذكرنا
في وراثة الجنة وجهين في تفسير قوله تعالى اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس ولما ذكر الطعام والشراب فيما تقدم ذكرها
هنا حال الفاكهة فقال تعالى لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون واعلم انه تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى العرب والعجم
الى العالمين ... والعرب كانوا في ضيق بسبب المأكول والمشروب والفاكهة فلهذا السبب فصل الله تعالى هذه المعاني مرة بعد اخرى تكميلا
لرغباتهم وتقوية لدواعيهم والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى** ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون
لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا
ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون ام ابرموا امرا فانا مبرمون
ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون **اعلم انه تعالى** لما ذكر الوعد ردفه
بالوعيد على الترتيب المستمر في القران وفيه مسايل **المسئلة الاولى** احتج القاضي على القطع بوعيد الفساق بقوله ان المجرمين
في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون ولفظ المجرم يتناول الكافر والفاسق فوجب كون الكل في عذاب جهنم وقوله
خالدون يدل على الخلود وقوله ايضا لا يفتر عنهم يدل على الخلود والدوام ايضا **والجواب** انا بينا ان ما قبل الاية وما بعدها يدل
على ان المراد من لفظ المجرمين هاهنا الكفار اما قبل الاية فلانه تعالى قال يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين
امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فهذا يدل على ان كل من امن بالله وكانوا مسلمين فانهم يدخلون تحت قوله تعالى يا عبادى
لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين امنوا باياتنا وكانوا فاسقين والفاسق من اهل الصلوة امن بالله واياته واسلم
فوجب ان يكون داخلا تحت ذلك الوعد ووجب ان يكون خارجا عن هذا الوعيد واما بعد هذه الاية فلانه قوله تعالى لقد جئناكم
بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون والمراد بالحق هاهنا اما الاسلام واما القران والرجل المسلم لا يكره الاسلام ولا القران فثبت ان ما قبل
هذه الاية وما بعدها يدل على ان المراد من المجرمين الكفار والله اعلم **المسئلة الثانية** انه تعالى وصف عذاب جهنم في حق المجرمين
بصفات ثلاثة احدها الخلود وقد ذكرنا في مواضع كثيرة انه عبارة عن طول المكث ولا يفيد الدوام وثانيها قوله تعالى لا يفتر عنهم
اى لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت ونقص حرها وثالثها قوله تعالى وهم فيه مبلسون المبلس اليائس
الساكت سكوت يائس من فرج عن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يقفل عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى قال صاحب الكشاف
وقرئ فيها اى وهم في النار المسئلة الثالثة احتج القاضي بقوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين فقال ان كان خلق فيهم الكفر
ليدخلهم النار فما الذى نفاه بقوله وما ظلمناهم وما الذى نسبه اليهم مما نفاه عن نفسه اوليس لو اثبتناه ظلما لهم كان لا يزيد
على ما تقوله القوم فان قالوا ذلك الفعل لم يقع بقدرة الله عز وجل بل انما وقع بقدرة الله تعالى مع قدرة العبد معا فلم يكن
ذلك ظلما من الله تعالى قلنا عندكم القدرة على الظلم موجبة للظلم وخالق تلك القدرة هو الله تعالى فكانه تعالى لما فعل مع
خلق الكفر قدرة على الكفر خرج من ان يكون ظلما لهم وذلك محال لان من يكون ظالما في فعل فاذا فعل معه ما يوجب ذلك الفعل
يكون ذلك احق فيقال للقاضي قدرة العبد هل هي صالحة للطرفين او هي متعينة لاحد الطرفين فان كانت صالحة
للطرفين فالترجيح ان وقع لا لمرجح لزم نفي الصانع وان افتقر الى مرجح عاد التقسيم الاول فيه ولابد وان ينتهي الى داعية
مرجحة يخلقها الله تعالى في العبد وحينئذ يلزمك ما الزمته علينا وان كانت تلك القدرة متعينة لاحد الطرفين فحينئذ
ما اوردته علينا واعلم انه ليس رجل من سرى وجه استدلال ما ذكره الا الرجل الذى سطر ما قبل الكلام وفيما بعده فان راه
واراد على مذهبه نفسه لم يذكره والله اعلم الرابعة قرا ابن مسعود يا مال بحذف الكاف للترخيم فقيل لابن عباس ان ابن مسعود

قرأ

قرأ ونادوا يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم واحتج عنه بانه انما حسن الترخيم لانهم يردعلى انهم بلغوا في الضعف
والنحافة الى حيث لا يمكنهم ان يذكروا من الكلمة الا بعضها الخامسة اختلفوا في ان قولهم يا مالك ليقض علينا ربك على اى وجه
طلبوه فقال بعضهم على التمني وقال بعضهم على وجه الاستغاثة به والا فهم عالمون بانه لا خلاص لهم عن ذلك العقاب وقيل لا يبعد ان
تحملهم شدة ما هم عليه من العذاب على السؤال المسئلة فذكروا على وجه الطلب ثم انه تعالى بين ان مالكا يقول لهم انكم ماكثون وليس في القران
متى اجابهم هل اجابهم في الحال او بعد ذلك بمدة وان كان بعد ذلك فمهل حصل ذلك الجواب بعد ذلك السؤال بمدة طويلة فلا يمتنع ان يؤخر
الاجابة استخفافا بهم وزيادة في غمهم وعن عبد الله ابن عمر بعد اربعين سنة وعن غيره بعد ماية سنة وعن ابن عباس بعد الف
سنة والله اعلم بكيفية المقدار ثم بين تعالى ان مالكا اجابهم بقوله انكم ماكثون ذكر بعده ما هو كالعلة لذلك الجواب فقال لقد جئناكم
بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون والمراد نفرتهم عن محمد صلى الله عليه وسلم وعن القران وشدة بغضهم لقبول دين الحق فان قيل
كيف قال ونادوا يا مالك بعد ان وصفهم بالابلاس قلنا انه ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكنون
اوقاتا لغلبة الياس عليهم ويستغيثون اوقاتا لشدة ما بهم روى انه يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب
فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك ولما ذكر الله تعالى كيفية عذابهم في الاخرة ذكر بعده كيفية مكرهم
وفساد باطنهم في الدنيا فقال تعالى ام ابرموا امرا فانا مبرمون والمعنى ام ابرم مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول
الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم لقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وقال مقاتل
نزلت في تدبيرهم في المكر به في دار الندوة وما هو مما ذكره الله تعالى في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا وقد ذكرنا القصة
ثم قال تعالى ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم السر ما حدث الرجل به نفسه او غيره في المكان قال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم
بلى نسمعها ونطلع عليها ورسلنا يريد الحفظة يكتبون عليهم تلك الاحوال وعن يحيى ابن معاذ من ستر من الناس ذنوبه وابداها
للذى لا يخفى عليه شيء في السموات فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق والله تعالى اعلم **قوله تعالى**
قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون
فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون وهو الذى في السماء اله وفي الارض اله
وهو الحكيم العليم وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة
واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولئن
سالتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل
سلام فسوف يعلمون فيه مسايل **المسئلة الاولى** قرا حمزة والكسائى ولد بضم الواو وسكون اللام والباقون بفتحها فانا
اول العابدين قرا نافع فانا بفتحة طويلة والباقون بلا تطويل الثانية اعلم ان الناس ظنوا ان قوله تعالى قل ان كان للرحمن
ولد فانا اول العابدين لو اجريناه على ظاهره فانه يقتضي وقوع الشك في اثبات ولد لله تعالى وذلك محال فلا جرم افتقروا الى
تاويل الاية وعندى انه ليس الامر كذلك وليس في ظاهر اللفظ ما يوجب العدول عن الظاهر وتقريره ان قوله تعالى قل ان كان للرحمن
ولد فانا اول العابدين قضية شرطية والقضية الشرطية قضية مركبة من قضيتين احداهما دخل على احديهما حرف
الشرط وعلى الاخرى حرف الجزاء فحصل من مجموعهما قضية واحدة ومثاله هذه الاية فان قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد والثانية
قوله تعالى فانا اول العابدين ثم ادخل حرف الشرط وهو لفظة ان على القضية الاولى وحرف الجزاء وهو الفاء على القضية الثانية
فحصل من مجموعهما قضية واحدة وهي القضية الشرطية اذا عرفت هذا فنقول القضية الشرطية لا تفيد الا كون الشرط مستلزما
للجزاء وليس فيها ان الشرط حقا او باطلا او يكون الجزاء حقا او باطلا بل نقول القضية الشرطية قد يكون مركبة من قضيتين
حقيقيتين ومن قضيتين باطلتين ومن شرط باطل وجزاء حق فاما القسم الرابع وهو ان يكون القضية الشرطية الحقية
مركبة من شرط حق وجزاء باطل فهذا محال فمثال اصله هذه الاقسام الاربعة فاذا قلنا ان كان الانسان حيوانا فالانسان جسم
فهذه الشرطية حقية وهي مركبة من قضيتين حقيتين احداهما قوله الانسان حيوان والثانية قوله الانسان جسم
واذا قلنا اذا كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بمتساويين وهما باطلان وكونهما باطلين لا يمنع من ان يكون استلزام
احدهما للاخر حقا وقد ذكرنا ان القضية الشرطية لا تفيد الا مجرد الاستلزام فاذا قلنا ان كان الانسان حجرا فهو جسم ايضا حق لكنه
مركب من شرط باطل وهو قولنا الانسان حجر ومن جزاء حق وهو قولنا الانسان جسم وانما جاز هذا لان الباطل قد يكون بحيث
يلزم من فرض وقوعه وقوع حق فانا لو فرضنا كون الانسان حجرا وجب كونه جسما فهذا شرط باطل يستلزم جزاء حقا واما القسم
الرابع وهو تركيب قضية شرطية حقية من شرط حق وجزاء باطل فهذا محال لان هذا التركيب لزم كون الحق مستلزما للباطل
وذلك محال بخلاف القسم الثالث فانه يلزم منه كون الباطل مستلزما للحق وذلك ليس بمحال اذا عرفت هذا الاصل فلنرجع
الى الاية فنقول قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين قضية شرطية من شرط باطل ومن جزاء باطل لان قولنا
كان للرحمن ولد باطل وقولنا انا اول العابدين لذلك الولد باطل ايضا الا انا بينا ان كل واحد منهما باطل لا يمنع من ان يكون مستلزما
احدهما للاخر حقا كما ذكرنا في المثال في قولنا ان كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بمتساويين فثبت ان هذا الكلام لا امتناع في
اجرائه على ظاهره ويكون المراد منه انه ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين لذلك الولد فان السلطان اذا كان له ولد
فكما يجب على عبده ان يخدمه فكذلك يجب عليه ان يخدم ولده وقد بينا ان هذا التركيب لا يدل على اعتراف باثبات الولد ولدامرة ومما

دعما تقريب هذا الباب قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فهذا الكلام قضية شرطية والشرط هو قولنا فيهما آلهة والجزاء هو قولنا فسدتا والشرط في نفسه باطل والجزاء ايضا باطل لان الحق انه ليس فيهما آلهة وانهما ما فسدتا ثم ان كون الشرط باطلا او كون الجزاء باطلا كان استلزام ذلك الشرط لهذا الجزاء حقا فكذا هاهنا فان قالوا الفرق ان هاهنا ذكر الله تعالى هذه الشرطية بصيغة لو فقال لو كان فيهما آلهة وكلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره واما في الآية التي نحن في تفسيرها انما ذكر الله تعالى كلمة ان وهذه الكلمة لا تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره بل هذه الكلمة تفيد الشك في انه هل حصل الشرط ام لا وحصول هذا الشك للرسول صلى الله عليه وسلم غير ممكن قلنا الفرق الذي ذكرتم صحيح الا ان مقصودنا بيان انه لا يلزم من كون الشرطية صادقة كون جزءيها صادقين او كاذبين على ما قررناه اما قوله تعالى ان لفظة ان تفيد حصول الشك في ان الشرط هل حصل ام لا قلنا هذا ممنوع فان حرف ان حرف الشرط وحرف الشرط لا يفيد الا كون الشرط مستلزما للجزاء واما بيان ان ذلك الشرط معلوم الوقوع او مشكوك الوقوع فاللفظ لا دلالة فيه عليه البتة فظهر من المباحث التي لخصناها ان الكلام هاهنا يمكن اجراؤه على ظاهره من جميع الوجوه وانه لا حاجة فيه البتة الى التاويل والمعنى انه تعالى قال قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين لذلك الولد وانا اول الحامدين له والمقصود من هذا الكلام بيان اني لا انكر ولده لاجل العناد والمنازعة فان بتقدير ان يقوم الدليل على ثبوت هذا الولد كنت مقرا به معترفا بوجوب خدمته الا انه لم يوجد هذا الولد ولم يقم الدليل على ثبوته البتة فكيف اقول به بل الدليل القاطع قائم على عدمه فكيف اقول به وكيف اعترف بوجوده فهذا كلام ظاهر كامل لا حاجة فيه البتة الى التاويل والعدول عن الظاهر فهذا ما عندي في هذا الموضع ونقل عن السدي من المفسرين انه كان يقول حمل هذه الآية على ظاهرها ممكن ولا حاجة الى التاويل والتقرير الذي ذكرناه يدل على ان الذي قاله الحق اما القائلون بانه لا بد من التاويل فقد ذكروا فيه وجوها الاول قال الواحدي رحمه الله تعالى اكثرت الوجوه في تفسير هذه الآية والاقوى ان يقال ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين اي الموحدين لله تعالى المكذبين قولكم باضافة الولد اليه تعالى ام فانا اول المنكرين له والاول باطل لان ثبوت الشيء في نفسه لا يقتضي كون الرسول منكرا له لان قوله ان كان الشيء في نفسه ثابتا فانا اول المنكرين يقتضي اصراره على الكذب والجهل وذلك لا يليق بالرسول والثاني ايضا باطل لانهم سواء اثبتوا لله ولدا او لم يثبتوه له فالرسول منكر لذلك الولد فلم يصح جعل زعمهم اثبات الولد لله موثرا في كون الرسول منكرا للولد **والوجه الثاني** قالوا معناه ان كان للرحمن ولد فانا اول الانفين من ان يكون له ولد ومن عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد وقرا بعضهم عبدين **واعلم** ان السؤال المذكور دافع هاهنا لانه ان كان المراد ان كان للرحمن ولد في نفس الامر فانا اول الانفين من الاقرار به فهذا يقتضي الاصرار على الجحد والكذب وان كان المراد ان كان للرحمن ولد في زعمكم واعتقادكم فانا اول الانفين فهذا التعليق فاسد لان هذه الانفة حاصلة سواء حصل ذلك الزعم والاعتقاد او لم يحصل واذا كان الامر كذلك لم يكن هذا التعليق جائزا **والوجه الثالث** قال بعضهم ان كلمة ان هاهنا هي النافية والتقدير ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له **واعلم** ان التزام هذه الوجوه البعيدة انما يكون للضرورة وقد بينا انه لا ضرورة البتة فلم يجز المصير اليها والله اعلم ثم قال سبحانه وتعالى سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون والمعنى ان اله العالم يجب ان يكون واجب الوجود لذاته وكل ما كان كذلك فهو فرد مطلق لا يقبل التجزي بوجه من الوجوه والولد عبارة عن ان ينفصل عن الشيء جزء من اجزائه فيتولد عنه شخص مثله وهذا انما يعقل فيما يكون ذاته قابلة للتجزي والتبعيض واذا كان ذلك محالا في حق اله العالم امتنع اثبات الولد لله تعالى ولما ذكر هذا البرهان القاطع قال تعالى فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون والمقصود منه التهديد يعني قد ذكرت الحجة القاطعة على فساد ما ذكروا وهم لم يلتفتوا اليها لاجل كونهم مستغرقين في طلب المال والجاه والرياسة فاتركهم في ذلك الباطل واللعب حتى يصلوا الى ذلك اليوم الذي وعدوا فيه بما وعدوا والمقصود منه التهديد ثم قال تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وفيه ابحاث **الاول** قال ابو علي نظرت فيما يرتفع به اله فوجدت ارتفاعه يصح بان يكون خبر مبتدا محذوف والتقدير وهو الذي في السماء هو اله **البحث الثاني** هذه الاية من ادل الدلائل على انه تعالى غير مستقر في السماء لانه تعالى بين في هذه الاية انه غير مستقر فيها فان قيل واي تعلق لهذا الكلام بنفي الولد عن الله تعالى قلنا تعلقه به انه تعالى خلق عيسى بمحض كن فيكون من غير واسطة النطفة والاب فكانه قيل ان هذا القدر لا يوجب كون عيسى ولدا لله سبحانه وتعالى لان هذا المعنى حاصل في تخليق السموات والارض مع انتفاء حصول الولد به هناك ثم قال تعالى وهو الحكيم العليم وقد ذكرنا في سورة الانعام ان كونه تعالى حكيما عليما ينافي حصول الولد له ثم قال تعالى وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون **واعلم** ان قوله تعالى وتبارك اما ان يكون مشتقا من الثبات والبقا واما ان يكون مشتقا من كثرة الخير وعلى التقديرين فكل واحد من الوجهين ينافي كون عيسى عليه السلام لم يكن واجب البقا والدوام لانه حدث بعد ان لم يكن ثم عند النصارى انه صلب ومات ومن كان كذلك لم يكن بينه وبين الباقي الازلي الدائم مجانسة ومشابهة فامتنع كونه ولدا له وان كان الامر بالبركة كثرة الخيرات مثل كونه خالقا للسموات والارض وما بينهما فعيسى عليه السلام لم يكن كذلك بل كان محتاجا الى الطعام وعند النصارى انه كان خائفا من اليهود وبالآخرة اخذوه وقتلوه فالذي هذا صفته كيف يكون ولدا لمن كان خالق السموات والارض وما بينهما اما قوله تعالى وعنده علم الساعة فالمقصود منه انه لما شرح كمال قدرته كذلك شرح كمال علمه فالمقصود التنبيه على ان من كان كاملا في الذات والعلم والقدرة على الحد الذي شرحناه فامتنع ان يكون ولده في العجز والعدم على احوال العلا بالحد الذي وصفه النصارى به ولما اطنب الله تعالى في نفي الولد اردفه باثبات نفي الشركا فقال تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ذكر المفسرون في هذه الاية





قولين احدهما ان الذين يدعون من دونه الملايكة وعيسى وعزير والمعنى ان الملايكة وعيسى وعزير لا يشفعون الا لمن شهد بالحق روي ان النضر بن الحارث ونفرا معه قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن نتولى الملايكة فهم احق بالشفاعة من محمد فانزل الله تعالى هذه الاية فقوله لا يقدر هولاء ان يشفعوا لاحد ثم استثنى هولاء فقال الا من شهد بالحق فاصل اللام او يقال التقدير الا الشفاعة لمن شهد بالحق فحذف المضاف وهذا على لغة من يعدي الشفاعة بغير لام تقول شفعت فلانا بمعنى شفعت له كما تقول كلمته وكلمت له ونصحته ونصحت له والقول الثاني ان الذين يدعون من دونه كل معبود من دون الله وقوله تعالى الا من شهد بالحق الملايكة وعيسى وعزير والمعنى ان الاشيا التي عبدها هولاء الكفار لا يملكون الشفاعة الا من شهد بالحق وهم الملايكة وعيسى وعزير فان لهم شفاعة عند الله تعالى ومنزلة ومن شهد بالحق من شهد انه لا اله الا الله ثم قال تعالى وهم يعلمون وهذا القيد يدل على ان الشهادة باللسان فقط لا تفيد البتة واحتج القائلون بان ايمان المقلد لا ينفع البتة بهذه الاية فقالوا بين الله تعالى ان الشهادة لا تنفع الا اذا حصل معه العلم والعلم عبارة عن اليقين الذي لو شكك صاحبه فيه لم يتشكك وهذا لا يحصل الا عند الدليل فثبت ان ايمان المقلد لا ينفع البتة ثم قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون وفيه مسئلتان **المسئلة الاولى** ظن قوم ان هذه الاية وامثالها في القرآن تدل على ان القوم مضطرون الى الاعتراف بوجود الاله العالم قال الجبائي وهذا لا يصح لان قوم فرعون قالوا لا اله لهم غيره وقوم ابرهيم قالوا انا لفي شك مما تدعونا اليه فيقال لهم لا نسلم ان قوم فرعون كانوا منكرين لوجود الاله والدليل على قولنا قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقال موسى عليه السلام لفرعون لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض بصاير فالقراءة بفتح التاء في علمت يدل على ان فرعون كان عارفا بالله تعالى واما قوم ابرهيم حيث قالوا وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب فهو مصروف الى النبوة واثبات التكاليف واثبات النبوة **المسئلة الثانية** اعلم انه تعالى ذكر هذا الكلام في اول السورة وفي آخرها والمقصود التنبيه على انهم لما اعتقدوا ان خالق العالم وخالق الحيوانات هو الله تعالى فكيف اقدموا مع هذا الاعتقاد على عبادة اجسام خسيسة واصنام جمادية لا تضر ولا تنفع وهي جمادات محضة اما قوله تعالى فانى يؤفكون معناه لم يكذبون على الله فيقولون ان الله تعالى امرنا بعبادة الاصنام وقد احتج بعض اصحابنا به على ان افكهم ليس منهم بل من غيرهم فقوله انى يؤفكون واجاب القاضي بان من حصل في تيه الكلام او في الطريق يقال له اين تذهب بك والمراد اين تذهب واجاب الاصحاب بان قول القايل اين تذهب بك ظاهره يدل على ان ذاهبا آخر ذاهبا به فصرف الكلام عن حقيقته خلاف الاصل الظاهر وايضا فان الذي ذهب به هو الذي خلق تلك الداعية في قلبه وقد ثبت بالبرهان الباهر ان خالق تلك الداعية هو الله تعالى ثم قال تعالى وقيله يا رب ان هولاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وفيه مباحث **البحث الاول** قرا الاكثرون وقيله بفتح اللام وقرا عاصم وحمزة بكسر اللام قال الواحدي وقرا ناس من غير السبعة بالرفع اما الذين قرؤا بالنصب فقد ذكر الاخفش والفراء فيه قولين احدهما انه نصب على المصدر والتقدير وقال قيله وشكى شكواه الى ربه يعني النبي صلى الله عليه وسلم فانتصب قيله باضمار قال والثاني انه عطف على ما تقدم من قوله انا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله وذكر الزجاج فيه وجها ثالثا انه نصب على موضع الساعة لان قوله تعالى وعنده علم الساعة معناه انه علم الساعة وقيله ونظيره قولك عجبت من ضرب زيد وعمرا اما القراءة بالجر فقال الاخفش والفراء والزجاج انه معطوف على الساعة والعطف على منصوب حسن وان تباعد المعطوف من المعطوف عليه لانه يجوز الفصل بين المنصوب وعامله والمجرور يجوز ذلك فيه على قبح واما القراءة بالرفع ففيها وجهان الاول ان يكون وقيله مبتدا وخبره ما بعده الثاني ان يكون معطوفا على علم الساعة وعلم قيله قال صاحب الكشاف هذه الوجوه ليست قوية في المعنى لاسيما وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ثم ذكر وجها آخر وزعم انه اقوى مما سبق وهو ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم ايمن الله وامانة الله ويكون قوله تعالى ان هولاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كانه قيل واقسم بقيله يا رب او وقيله يا رب قسمي واقول هذا الذي ذكره صاحب الكشاف متكلف ايضا وهاهنا اضمار امتلا القرآن منه وهو اضمار اذكر والتقدير واذكر قيله يا رب واما القراءة بالجر فالتقدير واذكر وقت قيله يا رب واذا وجب التزام الاضمار فلا بد من اضمار جرت العادة في القرآن بالتزامه فالتزام اضماره اولى من غيره وعن ابن عباس انه قال في تفسير قوله وقيله يا رب والمراد وقيل يا رب والهاء زائدة **والبحث الثاني** القيل مصدر كالقول ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قيل وقال وقال الليث تقول العرب كثر عنه القيل والقال وروى شمر عن ابن زيد يقال ما احسن قيلك وقالك ومقالك ومقالتك اربعة اوجه **البحث الثالث** الضمير في وقيله لرسول الله صلى الله عليه وسلم **البحث الرابع** ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ضجر منهم وعرف اصرارهم اخبر عنهم انهم قوم لا يؤمنون وهذا قريب مما حكى الله عن نوح عليه السلام انه قال رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ثم انه تعالى قال فاصفح عنهم فامره بان يصفح عنهم وفي ضمنه منعه من ان يدعو عليهم بالعذاب والصفح هو الاعراض ثم قال تعالى وقل سلام قال سيبويه انما معناه المتاركة ونظيره قول ابرهيم عليه السلام لابيه سلام عليك ساستغفر لك ربي وقوله تعالى سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين فسوف يعلمون المقصود منه التهديد وفيه مسائل **المسئلة الاولى** قرا نافع وابن عامر تعلمون بالتاء على الخطاب والباقون بالياء كناية عن قوم لا يؤمنون **المسئلة الثانية** احتج قوم بهذه الاية على انه يجوز السلام على الكافر واقول هذا الاستدلال لا يوجب الاقتصار على مجرد قوله سلام عليكم والمقصود التنبيه على التحية الذي يذكر للمسلم والكافر **المسئلة الثالثة** قال ابن عباس في قوله تعالى فاصفح عنهم وقل سلام منسوخ بالسيف وعندي التزام النسخ في مثل هذه المواضع مشكل لان الامر لا يفيد الفعل الا مرة واحدة فاذا اتى به مرة واحدة فقد سقطت دلالة اللفظ فاي حاجة فيه الى التزام النسخ وايضا حمله على النسخ مشهورة عند الفقهاء وهي دالة على ان اللفظ المطلق قد يتقيد بحسب قرينة العرف واذا كان

الامر كذلك فلا حاجة فيه الى التزام النسخ والله تعالى اعلم بالصواب

حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب اباىكم الاولين بل هم في شك يلعبون

في الاية مسايل **المسألة الاولى** قوله تعالى حم والكتاب المبين وجوه من الاحتمالات اولها ان يكون التقدير هذه حم والكتاب المبين لقولك هذا زيد والله وثانيها ان يكون التقدير حم والكتاب المبين انا انزلناه فيكون ذلك في تقدير قسمين على شي واحد الثانية قالوا هذا يدل على حدوث القران لوجوه الاول ان قوله حم تقديره هذه حم يعني هذا شي مؤلف من هذه الحروف والمؤلف من الحروف المتعاقبة محدث الثاني انه ثبت ان الحلف لا يصح بهذه الاشيا بل ما لمحدث هذه الاشيا فيكون التقدير ورب حم ورب الكتاب المبين وكل ما كان مربوبا فهو محدث قوله انا انزلناه والمنزل محل تصرف الغير وما كان كذلك فهو محدث وقد ذكرنا مرارا ان جميع هذه الدلايل يدل على ان الشي المركب من الحروف المتعاقبة والاصوات المتوالية محدث والعلم بذلك ضروري بديهي لا منازع فيه الا من كان عديم العقل وكان غير عارف بمعنى القديم والمحدث واذا كان كذلك فكيف ينازع في صحة هذه الدلايل انما الذي نثبت قدمه شي اخر سوى ما تركيب من هذه الحروف والاصوات **المسألة الثالثة** يجوز ان يكون المراد بالكتاب ههنا الكتب المتقدمة التي انزلها الله تعالى على انبيايه كما قال تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ويجوز ان يكون المراد به اللوح المحفوظ كما قال تعالى يمحو الله ما يشا ويثبت وعنده ام الكتاب وقال تعالى وانه في ام الكتاب ويجوز ان يكون المراد به القران وهذا التقدير فقد اقسم بالقران على انه انزل القران في ليلة مباركة وهذا النوع من الكلام يدل على غاية تعظيم القران فقد يقول الرجل اذا اراد تعظيم رجل له اليه حاجة استشفع بك اليك واقسم بك عليك **المسألة الرابعة** المبين هو المشتمل على بيان ما بالناس حاجة اليه في دينهم ودنياهم فوصفه بكونه مبينا وان كانت حقيقة الابانة لله تعالى لاجل ان الابانة حصلت به كما قال تعالى ان هذا القران يقص على بني اسرايل وقال تعالى في اية اخرى نحن نقص عليك احسن القصص وقال تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون فوصفه بالتكلم اذا كان غاية في الابانة فكانه ذو لسان ينطق والمعنى فيه المبالغة في وصفه بهذا المعنى **المسألة الخامسة** اختلفوا في هذه الليلة المباركة فقال الاكثرون انها ليلة القدر وقال عكرمة وطايفة اخرون انها ليلة البراة وهي ليلة النصف من شعبان اما الاولون فقد احتجوا على صحة قولهم بوجوه الاول انه تعالى قال انا انزلناه في ليلة مباركة فوجب ان يكون هذه الليلة المباركة هي تلك المسماة بانها ليلة القدر لئلا يلزم التناقض وثانيها انه تعالى قال شهر رمضان الذي انزل فيه القران فبين ان انزال القران انما وقع في شهر رمضان وقال ههنا انا انزلناه في ليلة مباركة فوجب ان يكون هذه الليلة المباركة واقعة في رمضان قال انها ليلة القدر وثالثها انه تعالى قال في صفة ليلة القدر تنزل الملايكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقال ههنا رحمة من ربك وقال في تلك الاية سلام هي واذا تقاربت الاوصاف وجب القول بان احدى الليلتين هي الاخرى ورابعها روابعها محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة انه قال نزلت صحف ابرهيم في اول ليلة من رمضان والتورية لست ليال منه والزبور لستى عشرة مضت منه والانجيل لثمان عشرة مضت عنه والقران لاربع وعشرين مضت من رمضان والليلة المباركة هي ليلة القدر وخامسها ان ليلة القدر انما سميت بهذا الاسم لان قدرها وشرفها عند الله تعالى عظيم ومعلوم انه ليس قدرها وشرفها بسبب نفس ذلك الزمان لان الزمان شي واحد في الذات والصفات فيمتنع كون بعضه اشرف من بعض لذاته فثبت ان شرفه وقدره بسبب انه حصل فيها امور شريفة عالية لها قدر عظيم ومرتبة رفيعة ومعلوم ان منصب الدين اعلى واعظم من منصب الدنيا واعلى الاشيا واشرفها منصبا في الدين هو القران لاجل انه ثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبه ظهر الفرق بين الحق والباطل في ساير كتب الله تعالى المنزلة كما قال في صفته ومهيمنا عليه وبه ظهرت درجات ارباب السعادات ودركات ارباب الشقاوات فعلى هذا لا شي الا والقران اعظم قدرا واعلى ذكرا واعظم منصبا فلو كان نزوله انما وقع في ليلة اخرى سوى ليلة القدر لكانت ليلة القدر هي هذه الثانية الاولى وحيث اطبقوا على ان ليلة القدر هي التي وقعت في رمضان علمنا ان القران انما نزل في تلك الليلة واما القايلون بان المراد من الليلة المباركة المذكورة في هذه الاية هي ليلة النصف من شعبان فما رايت لهم فيه دليلا يعول عليه وانما قنعوا فيه بان نقلوه عن بعض الناس فان صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه كلام فلا مزيد عليه والا فالحق هو الاول ثم ان هولا القايلين بهذا القول زعموا ان ليلة النصف من شعبان لها اربعة اسما الليلة المباركة والليلة البراة والليلة الصك وليلة الرحمة وقيل انما سميت بليلة البركة وليلة الصك اذا استوفى الخراج من اهله كتب لهم البراة فكذلك الله عز وجل يكتب لعباده المومنين البراة في هذه الليلة وقيل هذه الليلة مختصة بخمس خصال الاول تفريق كل امر حكيم فيها قال تعالى فيها يفرق كل امر حكيم والثانية فضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله تعالى اليه ماية ملك ثلاثون يبشرونه

بالجنة



بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه افات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان الخصلة الثالثة نزول الرحمة قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يرحم في هذه الليلة بعدد شعر اغنام بني كلب الخصلة الرابعة حصول المغفرة قال صلى الله عليه وسلم ان يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا الكاهن او ساحرا او مشاحرا او مدمن خمر او عاق للوالدين او مصر على الزنا الخصلة الخامسة انه تعالى اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة تمام الشفاعة وذلك انه سال الليلة الثالث عشر في امته فاعطي الثلث منها ثم سال ليلة الرابع عشر فاعطي الثلثين ثم سال ليلة الخامس عشر فاعطي الجميع الا من شرد على الله شراد البعير هذا الفصل بقليه من الكشاف فان قيل لا شك ان الزمان عبارة عن المدة الممتدة التي يعدها حركات الافلاك والكواكب وانه في ذاته امر متشابه الاجزا فيمتنع كون بعضها افضل من بعض والمكان ايضا عبارة عن الفضا الممتد والخلا الخالي فيمتنع كون بعض اجزايه اشرف من البعض واذا كان كذلك كان تخصيص بعض اجزايه بمزيد الشرف دون الباقي ترجيحا لاحد طرفي الممكن على الاخر لا لمرجح وانه محال قلنا القول باثبات حدوث العالم واثبات ان فاعله فاعل مختار بنا على هذا الحرف وهو انه لا يبعد من الفاعل المختار تخصيص وقت معين باحداث العالم فيه دون ما قبله وما بعده فان بطل هذا الاصل فقد بطل حدوث العالم واثبات ان يصير الفاعل المختار وحينيذ لا يكون للخوض في تفسير القران فايدة وان صح هذا فقد زال ما ذكرتم من السوال فهذا هو الجواب المعتمد والناس قالوا لا يبعد ان يخص الله تعالى بعض الاوقات بمزيد تشريف حتى يصير ذلك داعيا للمكلف الى الاقدام على الطاعات في ذلك الوقت ولهذا السبب بينه الله تعالى واخفاه في الاوقات وما عينه لانه اذا لم يكن معينا جوز المكلف في كل وقت معين ان يكون هو ذلك الوقت الشريف فكان ذلك حاملا له على المواظبة على الطاعات في كل الاوقات واذا وقفت على هذه الحروف ظهر عندك ان الزمان والمكان انما قدرنا لشريفات الزايدة بعضها الشرف الانسان فهو الاصل وكل ما سواه تبع له والله تعالى اعلم **المسألة السادسة** روي ان عطية الحروري سال ابن عباس عن قوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة وقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر كيف يصح ذلك مع ان الله تعالى نزل القران في جميع الشهور فقال ابن عباس يا ابن الاسود لو هلكت انا ووقع هذا في نفسك ولم تجد جوابه لهلكت نزل القران جملة من اللوح المحفوظ الى البيت المعمور وهو في سما الدنيا ثم نزل بعد ذلك في انواع الوقايع حالا فحالا والله اعلم **المسألة السابعة** في بيان نظم هذه الايات اعلم ان المقصود بيان تعظيم القران من ثلاثة اوجه احدها بيان تعظيم القران بحسب ذاته والثاني بيان تعظيمه بسبب شرف الوقت الذي نزل فيه الثالث بيان تعظيمه من ثلاثة اوجه احدها انه تعالى اقسم به وذلك يدل على شرفه وثانيها انه تعالى اقسم به على كونه نازلا في ليلة مباركة وقد ذكرنا ان القسم بالشي على حاله من احواله نفسه يدل على كونه في غاية الشرف وثالثها انه تعالى وصفه بكونه مبينا وذلك ايضا يدل على شرفه في ذاته واما النوع الثاني فهو بيان شرفه لاجل شرف الوقت الذي نزل فيه فهو قوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة وهذا تنبيه على ان نزوله في ليلة مباركة يقتضي شرفه وجلالته ثم نقول ان قوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة يقتضي امرين احدهما انه تعالى انزله والثاني كون تلك الليلة مباركة فذكر عقيب هذه الكلمة ما يجري مجرى البيان لكل واحد منهما اما بيان انه تعالى لم انزله فقوله تعالى انا كنا منذرين يعني الحكمة في انزال هذه السورة ان الانذار لا يتم الا به واما بيان ان هذه الليلة ليلة مباركة فهو امران احدهما انه تعالى قال فيها يفرق كل امر حكيم والثاني ان ذلك الامر الحكيم مخصوص بشرف انه انما يظهر من عنده واليه الاشارة بقوله امرا من عندنا واما النوع الثالث فهو بيان شرف القران لشرف منزله وذلك هو قوله تعالى انا كنا مرسلين فبين ان ذلك الانذار والارسال انما حصل من الله تعالى ثم بين ان ذلك الارسال انما كان لاجل تكميل الرحمة فوقعت على وفق حاجات المحتاجين لانه يسمع تضرعاتهم ويعلم انواع حاجاتهم فلهذا قال تعالى انه هو السميع العليم فهذا ما خطر بالبال في كيفية تعلق بعض هذه الايات ببعض والله تعالى اعلم **المسألة الثامنة** في تفسير مفردات هذه الالفاظ اما قوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة فقد قيل فيه انه تعالى انزل كلية القران من اللوح المحفوظ في ليلة البراة ووقع الفراغ في ليلة القدر فدفع نسخة الارزاق الى ميكايل ونسخة الحروب الى جبرايل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسرافيل صاحب سما الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصايب الى ملك الموت اما قوله تعالى فيها يفرق اي في تلك الليلة المباركة يفرق اي يفصل ويبين من قولهم فرقت الشي افرقه فرقا وفرقانا قال صاحب الكشاف وقري يفرق بالتشديد ويفرق على اسناد الفعل الى الفاعل ونصب كل والفارق هو الله عز وجل وقرا زيد بن علي نفرق بالنون اما قوله تعالى كل امر حكيم معناه ذو الحكمة وذلك لان تخصيص الله تعالى كل احد بحالة معينة من العمر والرزق والاجل والسعادة والشقاوة يدل على حكمة بالغة لله تعالى فلما كانت تلك الافعال والاقضية دالة على حكمة فاعلها وصفت بكونها حكيمة وهذا من الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز ثم قال تعالى امرا من عندنا وفي انتصاب قوله امرا وجهان الاول انه نصب على اختصاص وذلك انه تعالى بين شرف تلك الاقضية والاحكام بسبب ان وصفها بكونها حكيمة ثم زاد في بيان شرفها بان قال اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا كاينا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا والثاني انه نصب على الحال وفيه ثلاثة اوجه الاول ان يكون حالا من احد الضميرين في انزلناه اما من ضمير الفاعل اي انا انزلناه امرين امرا او من ضمير المفعول اي انزلناه في حال كونه امرا من عندنا بما يجب ان نفعل والثالث ما حكاه ابو علي الفارسي عن ابي الحسن انه حمل قوله تعالى امرا على الحال وذو الحال كل امر حكيم وهو نكرة ثم قال تعالى انا كنا مرسلين انما فعلنا ذلك الانذار لاجل انا كنا مرسلين يعني الانبيا عليهم السلام ثم قال تعالى رحمة من ربك عال الرحمة في نصبه على ان يكون مفعولا له ثم قال تعالى انه هو السميع العليم يعني ان تلك الرحمة كانت رحمة في الحقيقة لان المحتاجين اما ان يذكروا باالسنتهم حاجاتهم واما ان لا يذكروها فان ذكروها فهو تعالى يسمع كلامهم فيعرف

حاجاتهم وان لم يذكروها فهو تعالى عالم بها فثبت ان كونه سميعا عليما يقتضي ان ينزل بركته عليهم ثم قال تعالى رب السموات والارض وما بينهما
ان كنتم موقنين وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قرا عاصم وحمزه والكسائي بكسر الباء من رب عطفا على قوله رحمة من ربك والباقون
بالرفع عطفا على قوله تعالى هو السميع العليم **المسئلة الثانية** المقصود من هذه الاية ان المنزل اذا كان موصوفا بهذه الجلالة والكبريا كان المنزل
الذي هو القران في غاية الشرف والرفعة **المسئلة الثالثة** الفايدة في قوله تعالى ان كنتم موقنين وفيه وجوه الاول قال ابو مسلم معناه ان كنتم تطلبون
اليقين وتريدونه فاعرفوا ان الامر كما قلناه لقولهم فلان منجد متهم اي يريد نجدا وتهامة الثاني قال صاحب الكشاف كانوا يقرون بان للسموات والارض
ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة منه ثم قيل ان الرب هو السميع العليم الذي انتم مقرون ومعترفون بانه رب السموات والارض
وما بينهما ان كان اقراركم على علم ويقين كما تقول هذا انعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه اي بلغك حديثه وسمعت قصته ثم انه تعالى
رد ان يكونوا موقنين بقوله تعالى بل هم في شك يلعبون وان اقرارهم غير صادر عن علم ويقين ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزو
ولعب والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى** فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا
عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه
وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عايدون يوم نبطش البطشة الكبرى انا
منتقمون **اعلم** ان المراد بقوله تعالى فارتقب اي انتظر ويقال ذلك في المكروه والمعنى انتظر يا محمد عذابهم فحذف مفعول الارتقاب
وقوله بدخان فيه قولان الاول ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قومه بمكة لما كذبوه فقال اللهم سنين كسني يوسف فارتفع القطر
واجدبت الارض واصابت قريشا شدة المجاعة حتى اكلوا العظام والكلاب والجيف وكان الرجل لما به من الجوع يرى بينه وبين السما كالدخان وهذا
قول ابن عباس في بعض الروايات ومقاتل ومجاهد واختيار الفرا والزجاج وهو قول ابن مسعود وكان ينكر ان يكون الدخان الا هذا الذي اصابهم
من شدة الجوع كالظلمة في ابصارهم حتى كانهم يرون دخانا فالحاصل ان هذا الدخان هو الظلمة التي في ابصارهم من شدة الجوع وذكر ابن قتيبة
في تفسير الدخان لهذه الحالة وجهين الاول ان في سنة القحط يعظم يبس الارض بسبب انقطاع المطر يرتفع الغبار الكثير ويظلم الهوا وذلك يشبه الدخان
فيقولون كان بيننا امر ارتفع له دخان ولهذا يقال لسنة المجاعة الغبرا الثاني ان العرب يسمون الشر الغالب بالدخان فهو
كالدخان والسبب فيه ان الانسان اذا اشتد خوفه او ضعفه اظلمت عيناه فيرى الدنيا كالمملوة من الدخان
القول الثاني في الدخان انه دخان يظهر في العالم وهو احدى علامات القيامة قالوا فاذا حصلت هذه الحالة حصل لاهل الايمان منه حالة تشبه
الزكام وحصل لاهل الكفر حالة يصير راسهم كراس الحنيذ وهذا القول هو المنقول عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهو قول مشهور لابن
عباس واحتج القائلون بهذا القول بوجوه الاول ان قوله تعالى يوم تاتي السما بدخان مبين يقتضي وجود دخان تاتي به السما وما ذكرتموه
من الظلمة الحاصلة في العين بسبب الجوع فذلك ليس بدخان اتت به السما فكان حمل اللفظ على هذا الوجه عدولا عن الظاهر لا لدليل منفصل
وانه لا يجوز الثاني انه وصف ذلك الدخان بكونه مبينا والحالة التي ذكرتموها ليست كذلك لانها عارضة تعرض لبعض الناس في ادمغتهم
ومثل هذا لا يوصف بكونه دخانا مبينا والثالث انه وصف ذلك الدخان بانه يغشى الناس وهذا انما يصدق اذا وصل ذلك الدخان
اليهم واتصل بهم اما الحالة التي ذكرتموها فانها لا توصف بانها تغشى الناس الا على سبيل المجاز وقد ذكرنا ان العدول الى المجاز لا يجوز
الا لدليل منفصل الرابع روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول الايات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن تسوق
الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما
وليلة اما المومن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره رواه صاحب الكشاف وروى
القاضي عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال باكروا بالاعمال ستا وذكر منها طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان والدابة واما
القايلون بالقول الاول فلا شك ان ذلك يقتضي صرف اللفظ عن الحقيقة الى المجاز وذلك لا يجوز الا عند قيام دليل يدل على ان حمله على حقيقته
ممتنع والقوم لم يذكروا ذلك الدليل فكان المصير الى ما ذكروه مشكل جدا فان قالوا الدليل على ان المراد ما ذكرناه انه تعالى حكى عنهم انهم يقولون
ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون وهذا اذا حملناه على القحط الذي وقع بمكة استقام فانه نقل لما اشتد بمكة مشى اليه ابو سفيان
وناشده الله والرحم واوعده ان دعا لهم وازال عنهم تلك البلية ان يومنوا به فلما ازالها الله تعالى عنهم رجعوا الى شركهم اما اذا حملناه على
ان المراد منه ظهور علامة من علامات القيامة لم يصح ذلك لان عند ظهور علامات القيامة لا يمكنهم ان يقولوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون
ولم يصح ايضا ان يقال لهم انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عايدون والجواب لم لا يجوز ان يكون ظهور هذه العلامات جارية مجرى ظهور ساير
العلامات في انه لا يوجب انقطاع التكليف فتحدث هذه الحالة ثم ان الناس يخافون جدا فيتضرعون فاذا زالت تلك الواقعة عادوا
الى الكفر والفسق واذا كان هذا محتملا فقد سقط ما قالوه والله اعلم ولنرجع الى التفسير فنقول قوله تعالى تاتي السما بدخان مبين اي
ظاهر الحال لا يشك احد انه دخان يغشى الناس اي يشملهم وهو في محل الجر صفة لقوله تعالى بدخان وفي قوله هذا عذاب اليم قولان الاول
انه منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون منصوب على الحال اي قايلين ذلك الثاني قال الجرجاني صاحب النظم هذا اشارة اليه واخبار
عن دنوه واقترابه كما يقال هذا العدو فاستقبله والغرض منه التنبيه على القرب ثم قال تعالى ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون فان قلنا
التقدير يقولون هولا ربنا اكشف عنا العذاب والمعنى ظاهر وان لم نضمر القول هناك اضمرناه هاهنا والعذاب على القول
الثاني الدخان المهلك انا مومنون اي بمحمد وبالقران والمراد منه الوعد بالايمان ان كشف عنهم العذاب ثم قال انى لهم الذكرى اي كيف يتعظون
لهذه الحالة وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل في وجوب الطاعة وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات القاهرة والبينات
الباهرة ثم تولوا عنه ولم يلتفتوا اليه وقالوا معلم مجنون وذلك لان كفار مكة كان لهم في ظهور القران على محمد صلى الله عليه وسلم قولان منهم من كان





يقول ان محمدا يتعلم هذه الكلمات من بعض الناس لقولهم انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ولقوله تعالى واعانه عليه قوم اخرون
ومنهم من كان يقول انه مجنون والجن يلقون اليه هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشي ثم قال تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم
عايدون اي انا نكشف العذاب عنكم تعودون في الحال الى ما كنتم عليه من الكفر والمقصود التنبيه على انهم لا يفون بعهدهم وانهم
في حال العجز يتضرعون الى الله تعالى فاذا زال الخوف عادوا الى الكفر والتقليد لمذاهب الاسلاف ثم قال تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى
انا منتقمون قال صاحب الكشاف قري نبطش بضم الطا وقرا الحسن نبطش بضم النون كانه تعالى يامر الملايكة ان يبطشوا بهم والبطش
الاخذ بشدة واكثر ما يكون بوقع الضرب المتتابع ثم صار بحيث يستعمل في ايصال الالام المتتابعة وفي المراد بهذا اليوم قولان الاول
انه يوم بدر وهو قول ابن مسعود وابن عباس ومجاهد ومقاتل وابي العالية ان كفار مكة لما ازال الله تعالى عنهم القحط
والجوع عادوا الى التكذيب فانتقم الله تعالى منهم يوم بدر والقول الثاني انه يوم القيمة وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال يا ابن مسعود
البطشة الكبرى يوم القيمة قال المصنف الداعي الى الله رضي الله عنه هي يوم القيمة وهذا القول اصح لان يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ الذي
يوصف بهذا الوصف العظيم ولان الانتقام التام انما يحصل يوم القيمة لقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ولان هذه
البطشة لما وصفت بكونها كبرى على الاطلاق وجب ان يكون اعظم انواع البطش وذلك ليس الا في القيمة ولفظ الانتقام في حق الله تعالى
من المتشابهات كالغضب والحيا والتعجب والمعنى معلوم والله تعالى اعلم **قوله تعالى** ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
وجاءهم رسول كريم ان ادوا الى عباد الله اني لكم رسول امين وان لا تعلوا على الله اني اتيكم بسلطان مبين
واني عذت بربي وربكم ان ترجمون وان لم تومنوا لي فاعتزلون فدعا ربه ان هولا قوم مجرمون فاسر
بعبادي ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع
ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما اخرين فما بكت عليهم السما والارض
وما كانوا منظرين **اعلم** انه تعالى لما بين ان كفار مكة يصرون على كفرهم بين ان كثيرا من المتقدمين ايضا كانوا
كذلك فبين حصول هذه الصفة في اكثر قوم فرعون قال صاحب الكشاف قري ولقد فتنا بالتشديد للتاكيد قال ابن عباس ابتلينا
قال الزجاج بلونا والمعنى عاملنا معاملة المختبر ببعث الرسول اليهم وجاءهم رسول كريم اي وهو موسى واختلفوا في معنى الكريم
قال الكلبي كريم على ربه يعني انه استحق على ربه انواعا كثيرة من الاكرام وقال مقاتل حسن الخلق وقال الفرا فلان كريم قومه
لانه قلما بعث رسول الا من اشراف قومه وكرامهم ثم قال تعالى ان ادوا الى عباد الله في ان قولان الاول انها ان المفسرة وذلك
لان مجي الرسول بعد اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله تعالى الثاني انها ان المخففة
من الثقيلة ومعناه وجاءهم بان الشان والحديث ادوا الى عباد الله مفعول به وهو بنو اسرايل يقول ادوهم الي وارسلوهم
معي وهو قوله تعالى فارسل معنا بني اسرايل ولا تعذبهم ويجوز ايضا ان يكون نداهم والتقدير ادوا الي يا عباد الله ما هو
واجب عليكم من الايمان وقبول دعوتي واتباع سبيلي وعلل بانه رسول امين قد ايتمنه الله تعالى على وحيه ورسالته وان لا تعلوا
ان هذه مثل الاولى اي لا تتكبروا على الله تعالى باهانة وحيه ورسوله اني اتيكم بسلطان مبين بحجة بينة يعترف بصحتها
كل عاقل واني عذت بربي وربكم ان ترجمون قيل المراد ان تقتلون وقيل ان ترجموني بالقول فتقولوا انه ساحر كذاب وان لم تومنوا
لي ان لم تصدقوني ولم تومنوا بالله لاجل ما اتيتكم به من الحجة فاللام في لي لام الاجل فاعتزلون اي خلوا سبيلي لا لي ولا علي
قال المصنف رحمه الله تعالى ان المعتزلة يسلفون ويقولون ان لفظ الاعتزال انما جاء في القران كان المراد منه الاعتزال
عن الباطل لا عن الحق فاتفق حضوري في بعض المحافل وذكر بعضهم هذا الكلام فاوردت عليهم هذه الاية وقال والمراد
من الاعتزال في هذه الاية اعتزال عن دين موسى وطريقته وذلك لا شك انه اعتزال عن الحق فانقطع الرجل ثم قال
تعالى فدعا ربه ان هولا قوم مجرمون قال القاضي والدعا يدل على انه متصل بمحذوف قبله والتقدير كانهم كفروا ولم يومنوا فدعا موسى ربه بان هولا
قوم مجرمون فان قالوا الكفر اعظم حالا من الجرم فما السبب في ان جعل صفة الكفار كونهم مجرمين حال ما اراد المبالغة في
ذمهم قلنا لان الكافر قد يكون عدلا في دينه وقد يكون مجرما في دينه وفاسقا في دينه فيكون اخس الناس قال صاحب الكشاف قري
ان هولا بالكسر على اضمار القول اي فدعا ربه فقال ان هولا فاسر بعبادي ليلا قرا نافع وابن كثير فاسر موصولة الالف
والباقون مقطوعة الالف سرى واسرى لغتان اي اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي ليلا انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وقومه ويكون
ذلك سببا لهلاككم واترك البحر رهوا وفي الرهو قولان احدهما انه الساكن يقال عيش راه اذا كان خافضا وادعا وافعل ذلك سهوا
رهوا اي ساكنا بغير شدة اراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق كما قال فامره الله تعالى
بان يتركه ساكنا على هيته قارا على حاله في انفلاق الما وبقا الطريق يبسا حتى يدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله
عليهم والثاني ان الرهو هو الفرجة الواسعة والمعنى ذا رهو اي ذا فرجة يعني الطريق الذي اظهره الله تعالى فيما بين البحر
انهم حينيذ يوقنون يعني اترك الطريق كما كان حتى يدخلوا فيغرقوا وانما اخبره الله تعالى بذلك حتى يبقى فارغ القلب
عن شرهم وايذايهم ثم قال تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم دلت هذه الاية على انهم تركوا هذه الاشيا
الخمسة وهي الجنات والعيون والزروع والمقام الكريم والمراد بالمقام ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر
التي كانوا يمدحون فرعون عليها ونعمة كانوا فيها فاكهين قال علماونا النعمة العيش بفتح النون حسنة ونضارته
ونعمة الله احسانه وعطاه قال صاحب الكشاف النعمة بالفتح من التنعم والنعمة بالكسر من الانعام وقري فاكهين وفكهين

علي تقدير ان الامر كذلك واورثناها قوما اخرين ليسوا منهم في شي من قرابة ولا دين ولا ولا وهم بنو اسرائيل كانوا مستعبدين
في ايديهم واهلكهم الله تعالى على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم ثم قال تعالى فما بكت عليهم السما والارض وما كانوا وفيه وجوه الاول
قال الواحدي في البسيط روى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد الا وله في السما بابان باب يخرج منه رزقه
وباب يدخل فيه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه الاية قال وذلك لانهم ما كانوا يعملون على الارض عملا صالحا تبكي عليه
ولم يصعد لهم الى السما كلام طيب ولا عمل صالح فيبكي عليهم وهذا قول اكثر المفسرين القول الثاني التقدير فما بكت عليهم اهل السما واهل
الارض فحذف المضاف والمعنى ما بكت عليهم الملايكة ولا المومنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين والقول الثالث ان عادة الناس جرت
بان يقولوا في هلاك الرجل العظيم الشان انه اظلمت له الدنيا وكسفت الشمس والقمر لاجله وبكت الريح والسما والارض ويريدون
المبالغة في تعظيم تلك المصيبة لا نفس هذا الكذب ونقل صاحب الكشاف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مومن مات
في غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السما والارض وقال جرير الشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا
وفيه ما يشبه السخرية بهم يعني انهم كانوا يستعظمون انفسهم وكانوا يعتقدون في انفسهم انهم لو ماتوا لبكت عليهم السما
والارض فما كانوا في هذا الحد بل كانوا دون ذلك وهذا انما يذكر على سبيل التهكم ثم قال تعالى وما كانوا منظرين اي لما جا
وقت هلاكهم لم ينظروا الى وقت اخر لتوبة وتدارك وتقصير والله تعالى اعلم بالصواب

**قوله تعالى** ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم على العالمين واتيناهم من الايات ما فيه بلاء مبين ان هولاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين فاتوا بابائنا ان كنتم صادقين اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون

**اعلم** انه تعالى لما بين كيفية اهلاك فرعون وقومه بين كيفية احسانه الى موسى عليه السلام وقومه واعلم ان دفع الضرر مقدم على ايصال النفع فبدا بقوله تعالى ولقد نجينا بني اسرائيل
من العذاب المهين من الاسار واستخدام النسا والاتعاب في الاعمال الشاقة ثم قال تعالى من فرعون وفيه وجهان الاول ان يكون بدلا
من العذاب المهين الصادر من فرعون الثاني ان يكون فرعون بدلا من العذاب المهين كانه في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في
تعذيبهم واهانتهم قال صاحب الكشاف وقري من العذاب المهين وعلى هذه القراة فالمهين هو فرعون لانه كان عظيم السعي في اهانة المحقين
وفي قراة ابن عباس من فرعون وهو بمعنى الاستفهام وقوله تعالى انه كان عاليا من المسرفين جوابه كان التقدير انه يقال هل تعرفونه من هو في
عتوه وسلطنته ثم عرف حاله بقوله انه كان عاليا من المسرفين اي كان عاليا في طبقة المسرفين ويجوز ان يكون المراد انه كان عاليا لقوله
تعالى ان فرعون علا في الارض وكان ايضا مسرفا ومن اسرافه انه كان على حقارته وخسته ادعى الالهية ولما بين الله تعالى انه كيف
دفع عن بني اسرائيل بين كيف اوصل اليهم الخيرات فقال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وفيه بحثان الاول ان قوله على علم
في موضع الحال ثم فيه وجهان احدهما اي عالمين بكونهم مستحقين لان يختاروا ويرجحوا على غيرهم والثاني ان يكون المعنى مع علمنا
بانهم قد يزيغون ويصدر عنهم الفرطات في بعض الاحوال البحث الثاني ظاهر قوله تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين
يقتضي كونهم افضل من كل العالمين فقيل المراد على عالمي زمانهم وقيل هذا عام دخله التخصيص كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت
للناس ثم قال تعالى واتيناهم من الايات مثل فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغيرها من الايات القاهرة التي ما
اظهر الله مثلها على احد سواهم ما فيه بلاء مبين اي نعمة ظاهرة لان الله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمحنة ولما ذكر هاهنا اخر الكلام في قصة موسى عليه السلام
ثم رجع الى ذكر كفار مكة وذلك لان الكلام فيهم حيث قال بل هم في شك يلعبون من البعث والقيمة ثم بين كيفية اصرارهم
على كفرهم ثم بين ان قوم فرعون كانوا في الاصرار على الكفر على هذه الصفة ثم بين انه كيف اهلكهم وكيف انعم على بني اسرائيل ثم رجع الى الحديث
الاول وهو كون كفار مكة منكرين للبعث ثم قال تعالى ان هولاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين فان قيل القوم كانوا
ينكرون الحياة الثانية فكان من حقهم ان يقولوا ان هي الا حياتنا الاولى وما نحن بمنشرين قلنا انه قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها
حياة كما انكم حال كونكم نطفا كنتم امواتا وقد تعقبها حياة وذلك قوله تعالى كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي
الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التي من شانها ان تعقبها حياة الا الموتة الاولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة
التي تصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها الا الموتة الاولى خاصة فلا فرق اذا بين هذا الكلام وبين قوله ان هي الا حياتنا الدنيا
وما ذكره صاحب الكشاف يمكن ان يذكر فيه وجه اخر فيقال قوله تعالى ان هي الا موتتنا الاولى يعني انه لا يأتينا شي من الاحوال الا الموتة
الاولى وهذا الكلام يدل على انهم لا تأتيهم الحياة الثانية البتة ثم صرحوا بهذا المذموم فقالوا وما نحن بمنشرين فلا حاجة الى التكلف الذي
ذكره صاحب الكشاف ثم قال تعالى وما نحن بمنشرين يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم ثم ان الكفار احتجوا على نفي الحشر والنشر بان قالوا
ان كان البعث والنشور ممكنا معقولا فعجلوا لنا احيا من مات من ابائنا بان تسالوا ربكم ذلك حتى يصير ذلك دليلا عندنا على صدق دعواكم
في النبوة والبعث في القيامة قيل طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله تعالى حتى ينشر قصي بن كلاب ليشاوروه في صحة نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وفي صحة البعث ولما حكى الله تعالى عنهم ذلك قال اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين
والمعنى ان كفار مكة لم يذكروا في نفي الحشر والنشر شبهة حتى يحتاج الى الجواب عنها ولكنهم اصروا على الجهل والتقليد في ذلك الانكار فلهذا
السبب اقتصر الله تعالى على الوعيد فقال ان سائر الكفار كانوا اقوى من هولاء ثم ان الله تعالى اهلكهم فكذلك هولاء فقوله تعالى اهم خير ام قوم
تبع استفهام على سبيل الانكار قال ابو عبيدة ملوك اليمن كل واحد منهم يسمى تبعا لانه اهل الدنيا كانوا يتبعونه وموضع تبع في الجاهلية



موضع الخليفة في الاسلام وهم الاعاظم من ملوك العرب قالت عايشة رضي الله عنها كان تبع رجلا صالحا وقالت ذم الله قومه ولم يذمه
قال الكلبي هو ابو كرب اسعد وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادري اكان تبع نبيا ام غير نبي فان قيل
ما معنى قوله تعالى اهم خير ام قوم تبع مع انه لا خير في الفريقين قلنا معناه اهم خير في القوة والشوكة كقوله تعالى اكفاركم خير من اوليكم ثم انه تعالى ذكر الدليل القاطع على صحة القول بالبعث والقيمة فقال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ولو لم يحصل البعث
لكان هذا الخلق لعبا وعبثا وقد مر تقرير هذه الطريقة بالاستقصا في اول سورة يونس وفي اخر سورة قد افلح حيث قال تعالى افحسبتم
انما خلقناكم عبثا وفي سورة ص حيث قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ثم قال تعالى وما خلقناهما الا بالحق ولكن
اكثرهم لا يعلمون والمراد اهل مكة واما استدلال المعتزلة بهذه الاية على انه تعالى لا يخلق الكفر والفسق ولا يريدهما فقد مر جوابه معلوم
والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يوم لا يغني مولى عن مولى شيا ولا هم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم ذق انك انت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون

**اعلم** ان قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين اثبات القول كونه
بالبعث والقيمة فلا جرم ذكر عقيبه قوله تعالى ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين وفي تسمية القيمة بيوم الفصل وجوه الاول
قال الحسن يفصل الله تعالى فيه عن اهل الجنة واهل النار الثاني يفصل في الحكم والقضا بين عباده الثالث انه في حق المومنين
وبين كل ما يريده الرابع انه يظهر حال كل احد كما هو فلا يبقى في الحقايق والبينات قال ابن عباس المعنى ان يوم الفصل بين عباده ميقاتهم
اجمعين البر والفاجر ثم وصف ذلك اليوم فقال تعالى يوم لا يغني مولى عن مولى شيا يريد قريب عن قريب ولا هم ينصرون اي ليس
لهم ناصر والمعنى ان الذي يتوقع منه النصر عليهم اما القريب في الدين او في النسب او في المعتق وكل هولاء يسمون بالموالي فلما لم يحصل النصرة
عنهم فان لا يحصل عن سواهم اولى وهذه الاية شبيهة بقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا الى قوله تعالى ولا هم
ينصرون قال الواحدي والمراد بقوله مولى عن مولى الكفار لان الاية في الكفار انه ذكر المومن فقال تعالى الا من رحم الله قال ابن عباس
يريد المومن فانه تشفع له الانبياء والملايكة واعلم انه تعالى لما اقام الدلالة على ان القول بالقيمة حق ثم اردفه بوصف
ذلك اليوم ذكر عقيبه وعيد الكفار ثم بعده وعيد الابرار اما وعيد الكفار فقوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وفيه مسايل
**المسألة الاولى** قال صاحب الكشاف قري ان شجرة الزقوم بكسر الشين ثم قال فيها ثلاث لغات شجرة بكسر الشين وفتحها **المسألة الثانية**
البحث عن اشتقاق لفظ الزقوم قد تقدم في سورة الصافات فلا فايدة في الاعادة والله اعلم **المسألة الثالثة** قالت المعتزلة
يدل على حصول هذه الوعيد الشديد للاثيم والاثيم هو الذي صدر عنه الاثم فيكون هذا الوعيد حاصلا للفساق والجواب انا بينا
في اصول الفقه ان اللفظ المفرد الذي دخل عليه حرف التعريف الاصل فيه ان ينصرف الى المذكور السابق ولا يفيد العموم وهاهنا
المذكور السابق هو الكفار فينصرف اليه والله تعالى اعلم **المسألة الرابعة** مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه ان قراءة القران بالمعنى جايز
واحتج عليه بانه نقل ان ابن مسعود كان يقري رجلا هذه الاية فكان يقول طعام اليتيم فقال طعام الفاجر وهذا الدليل في غاية الضعف
على ما بيناه في الفقه ثم قال كالمهل قري بضم الميم وفتحها وسبق تفسيره في سورة الكهف وقد شبه الله تعالى هذا الطعام بالمهل
وهو دردي الزيت وعكر القطران ومذاب النحاس وساير الفلزات وتم الكلام هاهنا ثم اخبر عن غليانه في بطون الكفار فقال
تعالى يغلي في البطون وقري بالتا فمن قرا بالتا فلانه نعت الشجرة ومن قرا بالياء حمله على الطعام في قوله طعام الاثيم لان
الطعام هو الشجرة في المعنى واختار ابو عبيد اليا لان الاسم المذكور يعني المهل هو الذي يلي الفعل فصار التذكير به اولى واعلم
انه لا يجوز ان يحمل الغلي على المهل لان المهل شبه به وانما يغلي ما شبه بالمهل كغلي الحميم الماء اذا اشتد غليانه ثم قال تعالى خذوه
اي خذوا الاثيم فاعتلوه وقري بكسر التا قال الليث العتل ان تاخذ بتلبيب الرجل فتعتله اي تجره اليك وتذهب به الى حبس او محنة
واخذ فلان بزمام الناقة يعتلها وذلك اذا قبض على اصل الزمام عند الراس وقادها قودا عنيفا وقال ابن السكيت عتلته
الى السجن وعتنته اذا دفعته دفعا عنيفا هذا قول جميع اهل اللغة في العتل وذكروا في العين ضم التا وكسرها وهما صحيحان
مثل يعكفون ويعكفون ويعرشون ويعرشون وقوله تعالى الى سواء الجحيم اي الى وسط الجحيم ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم
كقوله تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم الا ان هذه الاستعارة اكمل في المبالغة كانه يقول صبوا عليه عذاب ذلك الحميم ونظيره قوله
تعالى ربنا افرغ علينا صبرا ذق انك انت العزيز الكريم وذكروا فيه وجوها الاول انه يخاطب بذلك على سبيل الاستهزا والمراد انك
انت بالضد منه والثاني ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع
انت ولا ربك تفعلا بي شيا والثالث انك كنت تعتز لا بالله فانظر ما وقعت فيه وفيها انك بمعنى لانك ثم قال تعالى ان هذا
ما كنتم به تمترون اي تشكون والمراد منه ما ذكر في اول السورة حيث قال تعالى بل هم في شك والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة امنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون

**اعلم** انه تعالى لما ذكر الوعيد في الايات المتقدمة ذكر الوعد في هذه الايات فقال تعالى ان المتقين قال اصحابنا كل من اتقى الشرك
فقد صدق عليه اسم المتقي فوجب ان يدخل الفساق في هذا الوعد واعلم انه تعالى ذكر من اسباب تنعمهم اربعة اشيا اولها

مساكنهم فقال تعالى في مقام امين واعلم ان المسكن انما يطلب بشرطين احدهما ان يكون امنا عن جميع ما يخاف ويحذر وهو المراد من
قوله تعالى في مقام امين قرا الجمهور في مقام بفتح الميم وقرا نافع وابن عامر بضم الميم قال صاحب الكشاف المقام بفتح الميم هو موضع القيام
والمراد المكان وهو من الخاص الذي جعل مستعملا في المعنى العام وبالضم هو موضع الاقامة والامين من قولك امن الرجل امانة فهو امين وهو
ضد الخاين فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كانه يخون صاحبه والشرط الثاني ان يكون المكان طيبا قد حصل فيه اسباب
النزهة وهي الجنات والعيون فلما ذكر هذين الشرطين في مساكن اهل الجنة فقد وصفها بما لا يقبل الزيادة والقسم الثاني من سيما نتهم
الملبوسات فقال تعالى يلبسون من سندس واستبرق قيل السندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبرك
قالوا كيف جاز ورود الاعجمي في القران قلنا لما عربت فقد صارت عربيا واما القسم الثالث فهو جلوسهم على صفة التقابل والغرض
منه استيناس البعض بالبعض فان قالوا الجلوس على هذا الوجه موحش لانه يكون واحد مطلعا على فعل الاخر وايضا فالذي يقل ثوابه
اذا اطلع على حال من يكثر ثوابه يتنغص عيشه قلنا احوال الاخرة بخلاف احوال الدنيا والقسم الرابع ازواجهم فقال تعالى ولذلك
وزوجناهم بحور عين الكاف فيه وجهان احدهما ان يكون مرفوعة والتقدير الامر كذلك او منصوبة والتقدير اتيناهم مثل ذلك
قال ابو عبيدة جعلناهم ازواجا كما يزوج البعل بالبعل جعلناهم اثنين اثنين واختلفوا في ان هذا اللفظ هل يدل على حصول عقد التزويج اولا قال يونس
وذلك قوله تعالى وزوجناهم بحور عين اي قرناهم بهن وليس من عقد التزويج والعرب لا تقول تزوجت بها وانما تقول تزوجتها قال
الواحدي رحمه الله تعالى والتنزيل يدل على قول يونس وذلك قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ولو كان المراد تزوجت بها لقال
زوجناك بها ايضا فقول القايل زوجته به معناه انه كان فردا فزوجته باخر كما يقال شفعته باخر واما الحور فقال الواحدي اصل الحور
البياض والتحوير التبييض وقد ذكرنا ذلك في تفسير الحواريين وعين حوراء اذا اشتد بياض بياضها واشتد سواد سوادها ولا تسمى المراة
حوراء حتى يكون حور عينيها بيضاء في لون الجسد والدليل على ان المراد بالحور في هذه الاية البيض قراءة ابن مسعود بعيس والعيس البيض
واما العين فجمع عيناء وهي التي تكون عظيمة العينين من النساء قال الجبائي انه لا يعين اذا كان ضخم العين واسعها والانثى عيناء والجمع عين ثم اختلفوا
في هولاء الحور العين فقال الحسن هن عجايزكم الدرد وقال ابو هريرة انهن ليس من نساء الدنيا النوع الخامس من سيما نتهم اهل الجنة الماكول
فقال تعالى يدعون فيها بكل فاكهة امنين قالوا انهم ياكلون جميع انواع الفاكهة لاجل انهم امنون من التخم والامراض ولما وصف الله
تعالى انواع ما هم فيه من الراحات والخيرات بين ان حياتهم دايمة فقال تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وفيه سؤالان السؤال الاول
انهم ما ذاقوا الموتة الاولى في الجنة فكيف حسن هذا الاستثنا واجيب عنه من وجوه الاول قال صاحب الكشاف اريد ان
يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال في المستقبل فهو من باب التعليق
بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة الاولى يمكن ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها الثاني ان الا بمعنى لكن والتقدير لا يذوقون فيها
الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها والثالث ان الجنة حقيقتها ابتهاج النفس وفرحها بمعرفة الله تعالى وبطاعته ومحبته واذا
كان الامر كذلك فالانسان الذي فاز بهذه السعادة فقد وقعت الموتة الاولى حين كان الانسان في الجنة الحقيقية التي هي معرفة الله
والمحبة فذكر هذا الاستثنا كالتنبيه على قولنا ان الجنة الحقيقية هي حصول هذه الحالة لا الدار التي هي دار الاكل والشرب ولهذا
السبب قال صلى الله عليه وسلم انبيا الله تعالى لا يموتون ولكن ينقلون من دار الى دار والرابع ان من جرب شيا ووقف عليه صح
ان يقال انه ذاقه واذا صح ان يسمى ذلك العلم بالذوق صح ان يسمى تذكره ايضا بالذوق فقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة
الاولى يعني الا الذوق الحاصل بسبب تذكر الموتة الاولى السؤال الثاني اليس ان اهل النار لا يذوقون فلم بشر اهل الجنة بهذا
مع ان اهل النار يشاركونهم فيه والجواب ان البشارة ما وقعت بدوام الحياة بل بدوام الحياة مع سابقة حصول تلك
الخيرات والسعادات فظهر الفرق ثم قال تعالى ووقاهم عذاب الجحيم قرى ووقاهم بالتشديد فان قالوا مقتضى الدليل ان لا يكون ذكر
الوقاية عن عذاب الجحيم وقد يفوز بالجنة وقد لا يفوز فاذا ذكر بعده انه فاز بالجنة حصلت الفايدة اما الذي فاز بخيرات
الجنة فقد تخلص عن عقاب الله تعالى لا محالة فلم يكن ذكر الوزع عن عذاب جهنم بعد ذكر الفوز بثواب الجنة مفيدا واما التقرير
فكانه تعالى وقاهم اولا الامن عن عذاب الجحيم ثم قال تعالى فضلا من ربك يعني كل ما وصل اليه المتقين من الخلاص عن النار والفوز بالجنة
فانما يحصل بفضل الله تعالى واحتج اصحابنا رضي الله تعالى عنهم بهذه الاية على ان الثواب يحصل بفضل من الله تعالى على سبيل التفضل
والاحسان قال القاضي اكثر هذه الاشيا وان كانوا قد استحقوه بعملهم فهو بفضل الله تعالى لانه تعالى تفضل بالتكليف وغرضهم ان تصيرهم
الى هذه المنزلة فهو كمن اعطى غيره مالا ليصل به الى ملك ضيعة وانه تعالى في تلك الضيعة انما من تفضله قلنا مذهبك
ان هذا الثواب حق لازم على الله تعالى وانه تعالى لو احد به لصار سفيها ويخرج به عن الالهية وكيف يمكن وصف مثل هذا الشي
بانه فضل من الله تعالى ثم قال تعالى ذلك هو الفوز العظيم احتج اصحابنا بهذه الاية على ان التفضل على درجة من الثواب المستحق فانه
وصفه بكونه تعالى فضلا من الله تعالى ثم وصف الفضل من الله تعالى بكونه فوزا عظيما ويدل عليه ايضا ان الملك العظيم اذا اعطى
الحمال جرية ثم خلع على انسان اخر فان تلك الخلعة اعلى حالا من اعطا تلك الاجرة ولما بين الله تعالى الدلايل وشرح الوعد
والوعيد قال تعالى فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون والمعنى انه تعالى وصف القران في اول هذه السورة بكونه كتابا مبينا
اي كثير البيان والفايدة وذكر في خاتمتها ما يوكد ذلك فقال ان ذلك الكتاب المبين الكثير الفايدة انما يسرناه بلسانك اي انما انزلناه
عربيا بلغتك لعلهم يتذكرون قال القاضي هذا يدل على ان الله تعالى اراد من الكل الايمان والمعرفة وانه ما اراد من احد الكفر واجاب اصحابنا بان الضمير في قوله
تعالى لعلهم يتذكرون عايد الى قوم مخصوصين فنحن نحمل ذلك على المومنين ثم قال فارتقب اي فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون

ما يحل

ما يحل بك متربصون بك الدواير والله تعالى اعلم بالصواب

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لايات للمومنين وفي خلقكم وما
يبث من دابة ايات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السما من رزق
فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح ايات لقوم يعقلون تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق
فباي حديث بعد الله واياته يومنون وفي الاية مسايل المسئلة الاولى اعلم ان في قوله تعالى حم
تنزيل الكتاب وجوها الاول ان يكون حم مبتدا وتنزيل الكتاب خبره وعلى هذا التقدير فلا بد من حذف مضاف والتقدير تنزيل حم تنزيل الكتاب
من الله صلة التنزيل الثاني ان يكون قوله حم في التقدير هذه حم قسما وتنزيل الكتاب نعتا وجواب القسم ان في السموات والتقدير وحم الذي
هي
هو تنزيل الكتاب ان الامر كذا وكذا المسئلة الثانية قوله تعالى العزيز الحكيم يجوز جعلهما صفة لله تعالى كان ذلك حقيقة واذا جعلنا
صفة للكتاب كان ذلك مجازا والحقيقة اولى من المجاز الثاني ان زيادة القرب يوجب الرجحان الثالث انا اذا جعلنا العزيز الحكيم صفة
لله تعالى كان ذلك اشارة الى الدليل الدال على ان القران حق لان كونه عزيزا يدل على كونه قادرا على كل الممكنات وكونه حكيما يدل على كونه
عالما بجميع المعلومات غنيا عن كل الحاجات وكل من كان كذلك امتنع منه صدور العبث والباطل واذا كان كذلك كان ظهور المعجز دليلا على الصدق
فثبت انا اذا جعلنا كونه عزيزا حكيما صفتين لله تعالى يحصل منه هذه الفايدة اما اذا جعلناهما صفتين للكتاب لم يحصل منه
هذه الفايدة فكان الاول اولى والله اعلم ثم قال تعالى ان في السموات والارض لايات للمومنين وفيه مباحث البحث الاول ان في
تعالى
قوله ان في السموات والارض لايات يجوز اجراوه على ظاهره لانه حصل في ذوات السموات والارض احوال دالة على وجود الله
مثل مقاديرها وكيفياتها وحركاتها وايضا الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار موجودة في السموات والارض وهي ايات ويجوز ان يكون
المعنى ان في خلق السموات والارض كما صرح في سورة البقرة في قوله تعالى ان في خلق السموات والارض الثاني قد ذكرنا الوجوه الكثيرة
في دلايل السموات والارض ولا باس باعادة بعضها فنقول انها تدل على وجود الاله من وجوه الاول انها اجسام لا تخلو عن الحوادث وما
لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وهذه الاجسام حادثة وكل حادث فله محدث الثاني انها مركبة من الاجزا وتلك الاجزا متماثلة لما بينا ان
الاجسام متماثلة وتلك الاجزا وقع بعضها في العمق دون السطح وبعضها دون العمق فيكون وقوع كل جزء في الموضع الذي وقع فيه من الجايزات
وكل جايز لا بد له من مرجح ومخصص الثالث ان الافلاك والعناصر مع تماثلها في تمام الماهية الجسمية اختص كل واحد منهما بصفة
معينة كالحرارة والبرودة واللطافة والكثافة والفلكية والعنصرية فيكون ذلك لامر ولا بد لها من مرجح الرابع ان اجرام الكواكب
مختلفة في الالوان مثل كمودة زحل وبياض المشتري وحمرة المريخ والضوء الباهر للشمس ودرية الزهرة وصفرة عطارد وكمودة القمر
ايضا فبعضها سعيدة وبعضها نحسة وبعضها نهارية ذكرية وبعضها ليلية انثى وقد بينا ان الاجسام في ذواتها متماثلة
فوجب ان يكون اختلاف الصفات لاجل ان الاله القادر المختار خصص كل واحد منها بصفته المعينة الخامس ان كل فلك فانه
مختص بالحركة الى جهة معينة بمقدار واحد من السرعة والبطو وكل ذلك من الجايزات فلا بد من الفاعل المختار وتمام الوجوه مذكورة
في تفسير تلك الايات البحث الثاني قوله تعالى لايات للمومنين يقتضي كون هذه الاية مختصة بالمومنين وقالت المعتزلة انها ايات
للمومن والكافر الا انه لما انتفع به المومن دون الكافر اضيف كونها ايات للمومنين نظيره قوله تعالى هدى للمتقين فانه هدى
لكل الناس كما قال تعالى هدى للناس الا انه لما انتفع بها المومنون خاصة لاجرم قيل هدى للمتقين فكذا ههنا وقال الاصحاب
الدليل في الاية هو الذي يترتب على معرفته حصول العلم وذلك العلم انما يحصل بخلق الله تعالى لا لاجل ايجاب ذلك الدليل والله تعالى انما
انما خلق ذلك العلم للمومن لا للكافر وكان ذلك اية ودليلا في حق المومن لا في حق الكافر والله تعالى اعلم ثم قال تعالى وفي خلقكم وما يبث
من دابة ايات لقوم يوقنون وفيه ابحاث الاول قال صاحب الكشاف قوله وما يبث عطفا على الخلق المضاف لا على الضمير المضاف اليه
لان المضاف اليه ضمير متصل مجرور والعطف عليه مستقبح فلا تقال مررت بك وزيد ولهذا طعنوا في قراة حمزة يتساءلون به
والارحام بالجر في قوله والارحام وذكر ان الذين استقبحوا هذا العطف فلا يقولون مررت بك انت وزيد البحث الثالث
قرا حمزة والكساي ايات بكسر التا وكذلك الذي بعده وتصريف الرياح ايات والباقون بالرفع فيهما اما الرفع فمن وجهين ذكرهما المبرد
والزجاج وابو علي احدهما العطف على موضع ان وما عملت فيه لان موضعهما رفع بالابتدا فيحمل الرفع فيه على الموضع كما تقول
ان زيدا منطلق وعمرو ان الله بري من المشركين ورسوله والوجه الثاني يكون قوله تعالى وفي خلقكم مستانفا ويكون الكلام جملة
معطوفة على جملة اخرى كما تقول ان زيدا منطلق وعمرو كاتب وجعلت قولك عمرو كاتب كلاما اخر كما تقول زيد في الدار وخرج الى بكر كذا
فانما حدث بحديثين ووصلت احدهما بالاخر بالواو وهذا الوجه هو اختيار ابي الحسن والفرا واما وجه القراة بالنصب فهو العطف
على قوله تعالى ان في السموات على معنى وان في خلقكم ايات ويقولون هذه القراة في قراة ابي وعبد الله لايات ودخول اللام يدل
على ان الكلام محمول على ان البحث الثالث قوله تعالى وفي خلقكم معناه خلق الانسان قوله تعالى وما يبث من دابة اشارة الى خلق
ساير الحيوانات ووجه دلالتهما على وجود الاله القادر المختار ان الاجسام متساوية وكل واحد من الاعضا المعينة بكونه المعين وصفته
المعينة وشكله المعين لا بد وان يكون بتخصيص القادر المختار ويدخل في هذا الباب انتقاله من سن الى سن اخر ومن حال الى حال اخر

والاستقصاء في هذا الباب قد تقدم ثم قال تعالى واختلاف الليل والنهار وهذا الاختلاف يقع على وجوه **احدها** تبدل النهار بالليل وبالضد
منه وثانيها انها تارة يزداد وطول النهار على طول الليل وتارة بالعكس ومقدار ما يزداد في النهار الصيفي يزداد في الليل الشتوي وثالثها
مطالع الشمس في ايام السنة ثم قال الله تعالى وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وهو يدل على القول بالفاعل المختار
من وجوه **احدها** انشاء السحاب وانزال المطر منه وثانيها تولد النبات من تلك الحبة الواقعة في الارض وثالثها تولد الانواع المختلفة
وهي ساق الشجرة واغصانها واوراقها ثم تلك الثمرة منها ما يكون القشر محيطا باللب كالجوز واللوز ومنها ما يكون القشر كالمشمش والخوخ ومنها
ما يكون خاليا عن القشر فتولد اقسام النبات على كثرة اصنافها وتباين اقسامها يدل على صحة القول بالفاعل المختار الحكيم الرحيم ثم قال
تعالى وتصريف الرياح وهي ينقسم الى اقسام كثيرة بحسب تقسيمات مختلفة فمنها المشرقية والشمالية والجنوبية ومنها الحارة والباردة
ومنها الرياح الباردة الضارة ولما ذكر هذه الانواع الكثيرة من الدلايل قال انها ايات لقوم يعقلون **واعلم** ان الله تعالى جمع هذه الدلايل
في سورة البقرة فقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله
من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون
فذكر الله تعالى هذه الاقسام الثمانية من الدلايل والتفاوت بين الموضعين من وجوه الاول انه تعالى قال في سورة البقرة ان في خلق السموات وقال ههنا
ان في السموات والصحيح عند اصحابنا ان الخلق غير المخلوق والثاني انه ذكر هناك ثمانية انواع من الدلايل وذكرها هنا ستة انواع واهمل منها الفلك
والسحاب والسبب انه مدار حركة الفلك والسحاب على الرياح المختلفة فذكر الرياح الذي هو كالسبب يغني عن ذكرهما والتفاوت الثالث انه جمع الكل وذكر
لها مقطعا واحدا وها هنا رتبها على ثلاثة مقاطع والغرض التنبيه على انه لا بد من افراد كل واحد منها بنظر تام شاق
والتفاوت الرابع انه تعالى ذكر في هذا الموضع ثلاث مقاطع اولها يؤمنون وثانيها يوقنون وثالثها يعقلون واظن ان سبب
هذا الترتيب انه قيل ان كنتم من المؤمنين بل انتم من طلاب الجزم واليقين ما فهموا هذه الدلايل وان كنتم لستم من المؤمنين ولا من الموقنين
فلا اقل من ان يكون من زمرة العاقلين فاجتهدوا في معرفة هذه الدلايل **واعلم** ان كثيرا من الفقها يقولون انه ليس في القران
ان العلوم التي يبحث عنها المتكلمون بل ليس فيه الا ما يتعلق بالاحكام والفقه وذلك غفلة عظيمة لانه ليس في القران سورة طويلة
مفردة بذكر الاحكام وفيها سورة كثيرة خصوصا المكيات ليس فيها ذكر دلايل التوحيد والنبوة والبعث والقيمة وكل ذلك من علوم
الاصوليين ومن علم تامل انه لا يبقى في يد علماء الاصول الا تفصيل ما اشتمل القران عليه على سبيل الاجمال ثم قال تعالى تلك ايات الله نتلوها
عليك بالحق والمراد من قوله بالحق هو ان صحتها معلومة بالدلايل العقلية وذلك لان العلم بانها حقة صحيحة اما ان يكون
مستفادا من النقل والعقل والاول باطل لان صحة الدلايل النقلية موقوفة على سبق العلم باثبات الاله العالم القادر الحكيم واثبات
النبوة وكيفية دلالة المعجزات على صحتها فلو اثبتنا هذه الاصول بالدلايل النقلية لزم الدور وهو باطل ولما بطل هذا ثبت
ان العلم بحقية هذه الدلايل لا يمكن تحصيله الا بمحض العقل واذا كان كذلك كان قوله تعالى تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق
من اعظم الدلايل على الترغيب في علم الاصول وتقرير المباحث العقلية ثم قال تعالى فباي حديث بعد الله واياته يؤمنون يعني ان من لم ينتفع
بهذه الايات فلا شي بعده يجوز ان ينتفع به وابطل بهذا قول من يقول بزعمه ان التقليد كاف وبين انه يجب على المكلف التامل في دلايل
دين الله تعالى وقوله يؤمنون قرئ بالياء والتاء واختار ابو عبيدة الياء لان قبله غيبة وهو قوله تعالى لقوم يوقنون ولقوم
يعقلون فان قيل ان في اول الكلام خطابا وهو قوله تعالى وفي خلقكم قلنا قوله الغيبة الذي ذكرنا اقرب الى الحرف المختلف
فيه والاقرب اولى ووجه قول من قرا بالرفع على الخطاب ان قيل فيه مقدر على تاويل قولهم فباي حديث بعد ذلك يؤمنون **قوله**
**تعالى** ويل لكل افاك اثيم يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم
واذا علم من اياتنا شيا اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم
ما كسبوا شيا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بايات
ربهم لهم عذاب من رجز اليم **اعلم انه تعالى** لما بين الايات للكفار وبين انهم باي حديث بعدها يؤمنون اذا لم يؤمنوا بها مع ظهورها
اتبعه بوعيد عظيم لهم فقال تعالى ويل لكل افاك اثيم الافاك الكذاب والاثيم المبالغ في اقتراف الاثام واعلم ان هذا الاثيم له مقامان الاول ان يبقى
مصرا على الانكار والاستكبار فقال تعالى مستكبرا عن الايمان بالايات معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن الحارث وما كان من حديث الاعاجم
ويشغل بها الناس عن استماع القران والاية عامة فيمن كان موصوفا بالصفة المذكورة فان قالوا ما معنى ثم في قوله تعالى ثم يصر مستكبرا قلنا
نظيره قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وكان من المستبعد جعل هذه الاصنام مساوية لها في العبودية كذا ههنا سماع
ايات الله على نورها وظهورها من المستبعد ان يقابل بالانكار والاعراض ثم قال تعالى كان لم يسمعها الاصل كانه لم يسمعها والضمير ضمير الشان ومحل
الجملة النصب على الحال اي يصير مثل غير السامع المقام الثاني ينتقل من مقام الاصرار والاستكبار الى مقام الاستهزاء فقال تعالى واذا علم من اياتنا شيا
اتخذها هزوا وكان من حق الكلام ان يقال اتخذه هزوا اي اتخذ ذلك الشي هزوا الا انه تعالى قال اتخذها للاشعار بان هذا الرجل اذا
احس بشي من الكلام انه من جملة الايات التي انزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزاء بجميع الايات ولم يقتصر
على الاستهزاء بذلك الواحد ثم قال تعالى اولئك لهم عذاب مهين اولئك اشارة الى كل افاك اثيم لجميع الافاكين ثم وصف كيفية
ذلك العذاب فقال تعالى من ورائهم جهنم اي من قدامهم جهنم قال صاحب الكشاف الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام
ثم بين ان ما ملكوه في الدنيا لا ينفعهم فقال تعالى ولا يغني عنهم ما كسبوا شيا ثم بين ان اصنامهم لا تنفعهم فقال ولا ما اتخذوا من
دون الله اولياء ولهم عذاب عظيم فان قالوا انه قال قبل هذه الاية ولهم عذاب عظيم قلنا كون العذاب مهينا يدل على كونه بالغا الى اقصى





الغايات في كونه مضرا ثم قال تعالى هذا هدى اي كامل في كونه هدى والذين ظلموا رجزا من السماء وقوله تعالى لئن كشفت عنا الرجز وقرئ
اليم بالجر والرفع اما الجر فتقديره لهم عذاب من عذاب اليم واذا كان عذابهم من عذاب اليم كان عذابهم اليما ومن رفع كان المعنى لهم عذاب اليم ويكون من
الرجز الرجس الذي هو النجاسة ومعنى النجاسة فيه قوله تعالى ويسقى من ماء صديد وكان المعنى لهم عذاب من تجرع رجس وشرب رجس فيكون تنبيها للعذاب
والله تعالى اعلم **قوله تعالى** الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون
ايام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون **اعلم**
انه تعالى ذكر الاستدلال بكيفية جريان الفلك على وجه البحر وذلك لا يحصل الا بسبب تسخير ثلثة اشياء احدها الرياح التي على وفق
المراد وثانيها خلق وجه الماء على الملاسة التي تجري عليها الفلك وثالثها قوله خلق الخشبة على وجه تبقى طايفة على وجه الماء ولا تغوص فيه
وهذه الاحوال الثلاثة لا يقدر عليها احد من البشر فلا بد من موجود قادر عليها وهو الله سبحانه وتعالى وقوله تعالى ولتبتغوا من فضله
معناه اما بسبب التجارة او بالغوص على اللؤلؤ والمرجان او لاجل استخراج اللحم الطري ثم قال تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا
منه والمعنى لولا ان الله تعالى اوقف اجرام السموات والارض في مقارها واحيازها لما حصل الانتفاع بها لان تقدير كونها لو لم تكن
من الذهب والفضة او الحديد لم يحصل الانتفاع وكل ذلك قد بيناه فان قيل ما معنى منه في قوله جميعا منه قلنا معناه انها
واقعة موقع الحال والمعنى انه سخر هذه الاشيا كاينة منه وحاصلة من عنده يعني انه تعالى مكونها بقدرته وحكمته ثم سخرها
لخلقه قال صاحب الكشاف وقرا سلمة بن محارب منه على ان يكون منه فاعل سخر على الاسناد المجازي او على انه خبر مبتدا
محذوف اي ذلك منه اي هو منه **واعلم** انه تعالى لما علم عباده دلايل التوحيد والقدرة والحكمة اتبع ذلك بتعليم الاخلاق
الفاضلة والافعال الحميدة فقال قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله والمراد بالذين لا يرجون ايام الله الكفار
**واختلفوا** في سبب نزول الاية قال ابن عباس قل للذين امنوا يعني عمر يغفروا للذين لا يرجون ايام الله يعني عبد الله بن
ابي وذلك انهم نزلوا في غزاة بني المصطلق على بير يقال له المريسيع فارسل عبد الله غلامه ليستقي الماء فابطا عليه فلما اتاه قال له ما حبسك
قال غلام عمر قعد على طرف البير فما ترك احدا يستقي حتى ملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر وقرب المولى فقال عبد الله
ما مثلنا ومثل هولاء الا كما قيل سمن كلبك ياكلك فبلغ قوله عمر واشتمل سيفه يريد التوجه اليه فانزل الله تعالى هذه الاية وقال
مقاتل شتم رجل من كفار قريش عمر بمكة فهم ان يبطش به فامر الله تعالى بالعفو والتجاوز وانزل هذه الاية وروى ميمون بن مهران
ان فنحاص اليهودي قال لما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال احتاج رب محمد فسمع بذلك عمر
رضي الله عنه فاشتمل على سيفه وخرج في طلبه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في طلبه رده وقوله تعالى للذين لا يرجون ايام الله
قال ابن عباس لا يرجون ثواب الله ولا يخافون عقابه ولا يخشون مثل عذاب الامم الخالية ذكرنا تفسير ايام الله عند قوله
تعالى وذكرهم بايام الله واكثر المفسرين يقولون انه منسوخ وانما قالوا ذلك لانه يدخل تحت الغفران ان لا يقتلوا ولا يقاتلوا
فلما امر الله تعالى بهذه المقاتلة كان نسخا والاقرب ان يقال انه محمول على ترك المنازعة في المحقرات وعلى التجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات
المؤذية والافعال الموحشة ثم قال تعالى ليجزي قوما بما كانوا يكسبون لكن يجازي بالمغفرة قوما يعملون الخير فان قيل ما الفايدة في التنكير
في قوله تعالى ليجزي قوما مع ان المراد بهم هم المؤمنون المذكورون في قوله تعالى قل للذين امنوا قلنا التنكير يدل على تعظيم شانهم كانه قيل ليجزي
قوما واي قوم من شانهم الصفح عن السيات والتجاوز عن المؤذيات وتحمل الوحشة وتجرع المكروه وقال اخرون معنى الاية قل للمؤمنين
يتجاوزوا عن الكفار ليجزي الله الكفار بما كانوا يكسبون من الاثم كانه قيل لهم لا تكافوهم انتم حتى نكافيهم نحن ثم ذكر الحكم العام
فقال تعالى من عمل صالحا فلنفسه وهو مثل ضربه الله تعالى للذين يغفرون ومن اساء فعليها مثل ضربه الله تعالى للكفار الذين كانوا
يقدمون على ايذاء الرسول والمومنين على ما سلف فبين تعالى ان العمل الصالح يعود بالنفع العظيم على فاعله والعمل الردي يعود
على ضرره بالفاعل وانه تعالى امر بهذا ونهى عن ذلك لحظ العبد لا لنفع يرجع الى الله تعالى وهذا ترغيب منه في العمل الصالح وزجر
عن العمل الباطل والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى** ولقد اتينا بني اسرايل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم
من الطيبات وفضلناهم على العالمين واتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم
ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها
ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيا وان الظالمين بعضهم اولياء
بعض والله ولي المتقين هذا بصاير للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ام حسب الذين اجترحوا
السيات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون **اعلم انه تعالى**
بين انه انعم نعما كثيرة على بني اسرايل مع انه حصل بينهم الاختلاف على سبيل البغي والحسد والمقصود ان بين ان طريقة قومه
كطريقة من تقدم **واعلم** ان النعم على قسمين نعم الدين ونعم الدنيا ونعم الدين افضل من نعم الدنيا فلهذا بدا الله تعالى بذكر نعم الدين فقال
تعالى ولقد اتينا بني اسرايل الكتاب والحكم والنبوة والاقرب ان كل واحد من هذه الثلاثة يجب ان يكون مغايرا لصاحبه اما الكتاب فهو
التورية واما الحكم ففيه وجوه يجوز ان يكون المراد العلم والحكمة ويجوز ان يكون المراد العلم بفصل الحكومات ويجوز ان يكون المراد معرفة احكام
الله تعالى وهو علم الفقه واما النبوة فمعلومة واما نعم الدنيا فهي المراد من قوله تعالى ورزقناهم من الطيبات وذلك لانه تعالى وسع عليهم في
نعم الدنيا فاورثهم اموال فرعون وديارهم ثم انزل عليهم المن والسلوى ولما بين تعالى انه اعطاهم من نعم الدين ونعم الدنيا نصيبا وافرا

قال تعالى وفضلناهم على العالمين يعني انهم كانوا اكبر درجة وارفع منقبة ممن سواهم في وقتهم فلهذا المعنى قال المفسرون والمراد وفضلناهم
على عالمي زمانهم قال تعالى واتيناهم بينات من الامر وفيه وجوه الاول انه اتيناهم بينات من الامر اي ادلة على امور الدين الثاني قال ابن عباس يعني بين لهم
من امر النبي صلى الله عليه وسلم وانه يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون انصاره اهل يثرب الثالث المراد واتيناهم بينات اي معجزات قاهرة على صحة نبوتهم
والمراد معجزات موسى عليه السلام ثم قال فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وهذا مفسر في سورة والمقصود من ذكر هذا الكلام التعجب
من هذه الحالة لان حصول العلم يوجب ارتفاع الخلاف وههنا صار مجيء العلم سببا لحصول الاختلاف وذلك لانهم لم يكن مقصودهم
من العلم نفس العلم وانما المقصود منه طلب الرياسة والتقدم ثم ههنا احتمالان يريد انهم علموا ثم عاندوا ويجوز ان يريد بالعلم الادلة
التي توصل الى العلم والمعنى انه تعالى وضع الدلائل والبينات التي لو تاملوا فيها لعرفوا الحق لكنهم على وجه الحسد والعناد اختلفوا
واظهروا النزاع ثم قال تعالى ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون والمعنى انه لا ينبغي ان يغتر المبطل بنعم الدنيا فانها
وان ساوت نعم المحق او زادت فانه سيرى في الاخرة ما يسوءه وذلك كالزجر لهم ولما بين تعالى انهم اعرضوا عن الحق لاجل البغي والحسد
امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يعدل عن تلك الطريقة وان يتمسك بالحق وان لا يكون له غرض سوى اظهار الحق وتقرير الصدق
فقال تعالى ثم جعلناك على شريعة من الامر اي على طريقة ومنهاج من امر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والبينات ولا تتبع
ما لا حجة عليه من اهواء الجهال واديانهم المبنية على الاهواء والجهل قال الكلبي ان رؤساء قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ارجع الى
ملة ابائك فانهم كانوا افضل منك واسن فانزل الله تعالى هذه الاية ثم قال تعالى انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا اي لو ملت الى اديانهم
الباطلة فصرت مستحقا للعذاب فهم لا يقدرون على دفع عذاب الله عنك ثم بين تعالى ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا والاخرة
لا ولي لهم ينفعهم في ايصال الثواب وازالة العقاب واما المتقون المهتدون فالله تعالى وليهم وناصرهم وهم موالوه وما ابين الفرق
بين الولايتين ولما بين تعالى هذه البيانات الباقية النافعة قال تعالى هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون وقد فسرناه
في سورة الاعراف والمعنى هذا القران بصائر للناس جعل ما فيه من البيانات الشافية والبينات الكافية بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل
في سائر الايات روحا وحياة وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن امن واتقى ولما بين الله تعالى الفرق بين الظالمين وبين المتقين
من الوجه الذي تقدم بين الفرق بينهما من وجه اخر فقال تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات وفيه
مباحث الاول ام كلمة وضعت للاستفهام عن شيء حال كونه معطوفا على شيء اخر سواء كان ذلك المعطوف مذكورا او مضمرا والتقدير ههنا افيعلم المشركون
هذا ام يحسبون اما سواهم كما سوى المتقين الوجه الثاني الاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة اهله اي كاسبهم ثم قال تعالى ويعلم ما جرحتم
بالنهار البحث الثاني قال الكلبي نزلت هذه الاية في علي وحمزة وابي عبيدة ابن الجراح رضي الله تعالى عنهم وفي ثلاثة من المشركين عتبة وشيبة والوليد
ابن عتبة قالوا للمؤمنين والله ما انتم على شيء ولو كان ما تقولون حقا لكان حالنا افضل من حالكم في الاخرة كما انا افضل حالا منكم في الدنيا فانكر
الله تعالى عليهم هذا الكلام وبين انه لا يمكن ان يكون حال المؤمن المطيع مساويا لحال الكافر العاصي في درجات الثواب ومنازل السعادات
واعلم ان لفظ حسب يستدعي مفعولين احدهما الضمير المذكور في قوله تعالى ان نجعلهم والثاني الكاف في قوله تعالى كالذين امنوا والمعنى احسب
هؤلاء المجرمون ان نجعلهم امثال الذين امنوا ونظيره قوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون وقوله تعالى انا لننصر رسلنا
والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وقوله تعالى افنجعل
المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون وقوله تعالى ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار ثم
قال تعالى سواء محياهم ومماتهم وفيه مسايل المسألة الاولى قرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم سواء بالنصب والباقون بالرفع واختار ابو
عبيد النصب اما وجه القراءة بالرفع فهو ان قوله تعالى سواء محياهم ومماتهم مبتدا والجملة في حكم المفرد في محل النصب على البدل من المفعول الثاني لقوله
تعالى ام نجعلهم وهو الكاف في قوله تعالى كالذين امنوا ونظيره قوله ظننت زيدا ابوه منطلق واما وجه القراءة بالنصب فقال صاحب الكشاف اجرى سواء
مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرا ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج و
خفوق النجم اي سواء في محياهم وفي مماتهم وقال ابو علي من نصب سواء جعل المحيا والممات بدلا من الضمير المنصوب في نجعلهم فيصير التقدير ان نجعل
محياهم ومماتهم سواء قال ويجوز ان يجعله حالا ويكون المفعول الثاني هو الكاف في قوله تعالى كالذين المسألة الثانية اختلفوا
في المراد بقوله تعالى محياهم ومماتهم قال مجاهد عن ابن عباس يعني احسبوا ان حياتهم ومماتهم كحياة المؤمنين ومماتهم كلا فانهم يعيشون كافرين ويموتون كافرين والمؤمنون
يعيشون مؤمنين ويموتون مؤمنين وذلك لان المؤمن ما دام يكون في الدنيا فانه يكون وليه هو الله تعالى وانصاره المؤمنون وحجة الله تعالى معه
والكافر بالضد منه كما ذكره في قوله تعالى وان الظالمين بعضهم اولياء بعض وعند القرب الى الموت فان حال المؤمن ما ذكره في قوله تعالى الذين
تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة وحال الكافر ما ذكره في قوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم واما
في القيمة فقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة فهذا هو الاشارة الى بيان
وقوع التفاوت بين الحالين والوجه الثاني في تاويل الاية ان يكون المعنى انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحياة وذلك لان المؤمن
والكافر قد يستوي محياهم في الصحة والرزق والكفاية بل قد يكون الكافر ارجح حالا من المؤمن وانما يظهر الفرق بينهما في الممات والوجه
الثالث في الممات بل ان قوله تعالى سواء محياهم ومماتهم مستانف على معنى ان محيا المسيئين ومماتهم سواء فكذلك محيا المحسنين ومماتهم
اي كل يموت على حسب ما عاش عليه ثم انه تعالى صرح بانكار التسوية فقال تعالى ساء ما يحكمون والله تعالى اعلم قوله تعالى
وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على
علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا





نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان
حجتهم الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون اعلم انه تعالى لما بين ان المؤمن لا يساوي الكافر في درجات السعادة اتبعه بالدلالة
الظاهرة على صحة هذه الفتوى فقال تعالى وخلق الله السموات والارض بالحق ولو لم يوجد البعث لما كان ذلك بالحق بل كان بالباطل
لانه تعالى لما خلق الظالم وسلطه على المظلوم الضعيف ثم لا ينتقم للمظلوم من الظالم كان ظالما ولو كان ظالما لبطل انه خلق السموات
والارض بالحق وتمام تقرير هذه الدلالة مذكور في اول سورة يونس قال القاضي هذه الاية تدل على ان مقدور الله تعالى لو حصل
لكان ظلما وذلك لا يصح الا على مذهب المجبرة الذين يقولون لو فعل كل شيء اراده لم يكن ظلما وعلى قول من يقول انه لا يوصف بالقدرة
على الظلم واجاب الاصحاب بانه فعل ما لو فعله غيره لكان ظلما كما ان المراد من الابتلاء والامتحان فعل ما لو فعله غيره لكان ابتلاء واختبارا
وقوله تعالى ولتجزى فيه وجهان الاول انه معطوف على قوله بالحق فيكون العطف على محذوف والتقدير خلق الله السموات والارض ليدل
بها على قدرته ولتجزى كل نفس والمعنى ان المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا اذا حصل البعث والقيامة
وحصل التفاوت في الدرجات والدركات بين المحقين وبين المبطلين ثم عاد تعالى الى شرح احوال الكفار وقبائح طرائقهم فقال تعالى
افرايت من اتخذ الهه هواه يعني تركوا متابعة الاله واقبلوا على متابعة الهوى فكان يعبد الهوى كما يعبد الرجل الهه وقرئ
الهة هواه لانه كلما مال طبعه الى شيء اتبعه وذهب خلفه وكان هواه الهه يعبد كل وقت واحدا منها ثم قال تعالى
واضله الله على علم بان جوهر روحه لا يقبل الصلاح ونظيره في جانب التعظيم قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته
وتحقيق الكلام فيه ان جواهر الارواح البشرية مختلفة فمنها مشرقة نورانية علوية الهية ومنها كدرة ظلمانية سفلية عظيمة
الميل الى الشهوات الجسمانية فهو تعالى يقابل كلا منهم بحسب ما يليق بجوهره وماهيته وهو المراد من قوله تعالى واضله الله على علم
في حق المردودين وبقوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته في حق المقربين ثم قال تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره
غشاوة وهو المراد من قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة وكل ذلك قد مر تفسيره في سورة البقرة
بالاستقصاء والتفاوت بين الايتين ان في هذه الاية قدم ذكر السمع على القلب وفي سورة البقرة قدم القلب على السمع
والفرق ان الانسان يسمع كلاما فيقع في قلبه منه اثر مثل ان جماعة من الكفار كانوا يلقون الى الناس ان النبي صلى الله عليه وسلم
شاعر وكاهن وانه يطلب الملك والرياسة فالسامعون اذا سمعوا ذلك ابغضوه ونفرت قلوبهم عنه واما كفار مكة فانهم
كانوا يبغضونه بقلوبهم بسبب الحسد الشديد فكانوا يستمعون اليه ولو سمعوا كلامه ما فهموا منه شيئا نافعا ففي الصورة
الاولى كان الاثر يصعد من البدن الى جوهر النفس وفي الصورة الثانية كان الاثر ينزل من جوهر النفس الى قرار البدن
فلما اختلف القسمان لا جرم ارشد الله تعالى الى كلا القسمين بهذين الترتيبين الذين نبهنا عليهما ولما ذكر الله تعالى هذا الكلام
قال تعالى فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون اي بعد اضلال الله افلا تتذكرون ايها الناس قال الواحدي وليس يبقى للقدرية مع هذه
الاية عذر ولا حيلة لان الله تعالى صرح بمنعه اياهم عن الهدى حين اخبر بانه ختم على سمع هذا الكافر وقلبه وبصره واقول هذه المناظرة قد
سبقت بالاستقصاء في اول سورة البقرة واعلم انه تعالى حكى عنهم بعد ذلك شبهتهم في انكار القيمة وفي انكار الاله القادر
اما شبهتهم في انكار القيمة فهي قوله تعالى وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا فان قالوا الحياة مقدمة على الموت في الدنيا فمنكرو القيمة
كان يجب ان يقولوا نحيا ونموت فما السبب في تقديم ذكر الموت على الحياة قلنا فيه وجوه الاول المراد بقوله تعالى نموت حال كونهم نطفا في
اصلاب الاباء وارحام الامهات وبقوله نحيا ما حصل بعد ذلك في الدنيا الثاني نموت نحن ونحيا بسبب بقاء اولادنا الثالث نموت
بعض ونحيا بعض الرابع وهو الذي خطر بالبال عند كتبه هذا الموضع انه تعالى قدم ذكر الحياة فقال تعالى ان هي الا حياتنا الدنيا
ثم قال بعده نموت ونحيا يعني ان تلك الحياة منها ما يطرأ عليها الموت وذلك في حق الذين ماتوا ومنها ما لم يطرأ الموت عليها
بعد وذلك في حق الاحياء الذين لم يموتوا بعد واما شبهتهم في انكار الاله الفاعل المختار فهو قولهم وما يهلكنا الا الدهر
يعني تولد الاشخاص انما كان بسبب حركات الافلاك الموجبة لامتزاجات الطبايع واذا وقعت تلك الامتزاجات على وجه خاص
حصلت الحيوة واذا وقعت على وجه اخر حصل الموت فالموجب للحياة والموت تاثيرات الطبايع وحركات الافلاك ولا حاجة في هذا الباب الى
اثبات الفاعل المختار فهذه الطايفة جمعوا بين انكار الاله وبين انكار البعث والقيمة ثم قال تعالى وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون
والمعنى ان قبل النظر ومعرفة الدليل الاحتمالات باسرها قائمة فالذي قالوه يحتمل وضده ايضا يحتمل وذلك هو ان يكون القول بالبعث
والقيمة حقا وان يكون القول بوجود الاله الحكيم حقا فانهم لم يذكروا شبهة ضعيفة ولا قوية في ان هذا الاحتمال الثاني باطل ولكنه
خطر ببالهم ذلك الاحتمال الاول فجزموا به واصروا عليه من غير حجة ولا بينة فثبت انه ليس لهم علم ولا جزم ولا يقين في صحة القول الذي
اختاروه بسبب الظن والحسبان وميل القلب اليه من غير موجب وهذه الاية من اقوى الدلائل على ان القول بغير حجة وبينة
قول باطل فاسد وان متابعة الظن والحسبان منكر عند الله تعالى ثم قال تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان
قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين وفيه مسايل المسألة الاولى قرئ حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتاخيره
المسألة الثانية سمى قولهم حجة لوجوه الاول انه في زعمهم حجة الثاني انهم ذكروها في معرض الاحتجاج الثالثة ان حجتهم على انكار
البعث ان قالوا لو صح ذلك فائتوا بابائنا الذين يشهدون لنا بصحة البعث واعلم ان هذه الشبهة ضعيفة جدا
لانه ليس كلما يحصل في الحال وجب ان يكون ممتنع الحصول فان حصول كل واحد منا كان معدوما من الازل الى الوقت الذي خلقنا فيه

ولو كان عدم الحصول في وقت معين يدل على امتناع الحصول لكان عدم حصولنا وذلك باطل بالاتفاق ثم قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه فان قيل هذا الكلام مذكور لاجل جواب من يقول ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر فهذا القايل كان منكرا لوجود الاله ولوجود يوم القيمة فكيف يجوز ابطال كلامه بقوله تعالى قل الله يحييكم وهل هذا الا اثبات الشي بنفسه وهو باطل قلنا انه تعالى ذكر الاستدلال بحدوث الحيوان والانسان على وجود الفاعل الحكيم في القران مرارا واطوارا فقوله تعالى هاهنا قل الله يحييكم اشارة الى تلك الدلايل التي بينها واوضحها مرارا وليس المقصود من ذكر هذا الكلام اثبات الاله بقول الاله بل المقصود منه التنبيه على ما هو الدليل الحق القاطع في نفس الامر ولما ثبت ان الاحيا من الله تعالى وثبت ان الاعادة مثل الاحيا الاول وثبت ان القادر على الشي قادر على مثله ثبت انه تعالى قادر على الاعادة وثبت ان الاعادة ممكنة في نفسها وثبت ان القادر الحكيم اخبر عن وقت وقوعها وجب القطع بكونها حقه واما قوله تعالى ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه فهو اشارة الى ما تقدم ذكره في الاية المتقدمة وهو ان كونه تعالى عادلا منزها عن الجور والظلم يقتضي صحة البعث والقيمة ثم قال تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني اكثر الناس لا يعلمون دلالة حدوث الانسان والحيوان والنبات على وجود الاله القادر الحكيم ولا يعلمون ايضا انه تعالى لما كان قادرا على الايجاد ابتدا وجب ان يكون قادرا على الاعادة ثانيا والله تعالى اعلم **قوله تعالى** ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين **اعلم** انه تعالى لما احتج بكونه قادرا على الاحيا في المرة الثانية في الايات المتقدمة عمم الدليل فقال تعالى ولله ملك السموات والارض اي لله القدرة على جميع الممكنات من هاتين المقدمتين كونه تعالى قادرا على الاحيا في المرة الثانية ولما بين تعالى امكان القول بالحشر والنشر بهذين الطريقين ذكر تفاصيل احوال القيمة فاولها قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وفيه مباحث **البحث الاول** عامل النصب في يوم تقوم يوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم **البحث الثاني** قد ذكرنا في مواضع من هذا الكتاب ان الحياة والعقل والصحة كانها راس المال والتصرف فيها لطلب سعادة الاخرة يجري مجرى تصرف التاجر في راس المال لطلب الربح والكفار قد اتعبوا انفسهم في هذه التصرفات وما وجدوا منها الا الحرمان والخذلان فكان ذلك في الحقيقة نهاية الخسران و ثانيها قوله تعالى وترى كل امة جاثية قال الليث الجثو الجلوس على الركب كما يجثى بين يدي الحاكم قال الزجاج ومثله جثا يجثو وقال صاحب الكشاف وقرى جاذية قال والجذو اشد استيفازا من الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على اطراف اصابعه **وعن ابن** عباس جاثية مجتمعة مرتعبة لما تعمل بها ثم قال تعالى كل امة تدعى الى كتابها على الابتدا وكل امة على الابدال من كل امة وقوله تعالى الى كتابها اي الى صحايف اعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه والظاهر انه يدخل فيه المومنون والكافرون لقوله تعالى بعد ذلك فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات ثم قال تعالى واما الذين كفروا فان قيل الجثو على الركبة انما يليق بالخايف والمومنون لا خوف عليهم يوم القيمة قلنا المحق الامن قد يشارك المبطل في مثل هذه الحالة الى ان يظهر كونه محقا ثم قال تعالى اليوم تجزون والتقدير يقال لهم اليوم تجزون فان قالوا كيف اضيف الكتاب اليهم والى الله تعالى قلنا لا منافاة بين الامرين لان كتابهم بمعنى انه الكتاب المشتمل على اعمالهم وكتاب الله تعالى بمعنى انه هو الذي امر الملايكة بكتبه ينطق عليكم اي يشهد عليكم بما عملتم من غير زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ الملايكة ما كنتم تعملون اي نستكتبهم اعمالكم ثم بين احوال المطيعين فقال تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين وفيه مسايل **المسئلة الاولى** ذكر بعد وصفهم بالايمان كونهم عاملين للصالحات فوجب ان يكون عمل الصالحات مغايرا للايمان زايدا عليه **الثانية** قالت المعتزلة علق الدخول في رحمة الله تعالى على كونه اتيا بالايمان والاعمال الصالحة والمعلق على مجموع امرين يكون عدما عند عدم احدهما فعند عدم الاعمال الصالحة وجب ان لا يحصل الفوز بالجنة وجوابنا ان تعليق الحكم على الوصف لا يدل على عدم الحكم عند عدم الوصف **الثالثة** سمى الثواب رحمة والرحمة انما يصح تسميتها بهذا الاسم اذا لم تكن واجبة فوجب ان لا يكون الثواب واجبا على الله تعالى ثم قال تعالى واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين وفيه مسايل **المسئلة الاولى** ذكر الله تعالى المومنين والكافرين ولم يذكر قسما ثالثا وهذا يدل على ان مذهب المعتزلة في اثبات المنزلة بين المنزلتين باطل **الثانية** انه تعالى علق استحقاق العقوبة لا يحصل الا بعد مجي الشرع وذلك يدل على ان الواجبات لا تجب الا بالشرع خلافا لما تقوله المعتزلة من ان بعض الواجبات قد يجب بالعقل **الثالثة** جواب اما محذوف والتقدير للذين كفروا فيقال لهم افلم تكن اياتي تتلى عليكم فاستكبرتم عن قبول الحق وكنتم قوما مجرمين فان قالوا كيف يحسن وصف الكافر بكونه مجرما في معرض الطعن فيه والذم له قلنا معناه انهم كانوا كفارا ما كانوا عدولا في اديانهم بل كانوا فساقا في ذلك الدين والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى** واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وماواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين

وله



ولله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم فيه مسايل **المسئلة الاولى** قري والساعة رفعا ونصبا قال الزجاج من نصب عطف على الوعد ومن رفع فعلى معنى وقيل الساعة لا ريب فيها قال الاخفش الرفع اجود في المعنا واكثر في كلام العرب اذا جا بعد خبر ان لانه كلام مستقل بنفسه بعد مجي الكلام الاول بتمامه **المسئلة الثانية** حكى الله تعالى عن الكفار انهم اذا قيل ان وعد الله حق الثواب والعقاب حق وان الساعة اتية لا ريب فيها قالوا ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين اقول الاغلب على الظن ان القوم كانوا في هذه المسئلة على قولين منهم من كان قاطعا بنفي البعث والقيمة وهم الذين ذكرهم الله تعالى في الاية المتقدمة بقوله تعالى وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا ومنهم من كان شاكا متحيرا فيه لانهم لكثرة ما سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم ولكثرة ما سمعوه من دلايل القول بصحته صاروا شاكين فيه وهم الذين ارادهم الله تعالى بهذه الاية الذي يدل عليه انه تعالى حكى مذهب اوليك القاطعين ثم اتبعه بحكاية قول هولا فوجب كون هولا مغايرين للفريق الاول ثم قال تعالى وبدا لهم في الاخرة سيات ما عملوا وقد كانوا من قبل يعدونها حسنات فصار ذلك اول خسرانهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزون وهذا كالدليل على ان هذه الفرقة لما قالوا ان نظن الا ظنا انما ذكروه على سبيل الاستهزا والسخرية على هذا الوجه فهذا الفريق شر من الفريق الاول لان الاولين كانوا منكرين وما كانوا مستهزين وهذا الفريق ضموا الى الاصرار على الانكار استهزا ثم قال تعالى وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقا يومكم هذا وفي تفسير النسيان وجهان الاول نترككم في العذاب كما تركتم الطاعة التي هي الزاد ليوم المعاد الثاني نجعلكم بمنزلة الشي المنسي غير المبالى به كما لم تبالوا انتم بلقا يومكم ولم تلتفتوا اليه بل جعلتموه كالشي الذي يطرح نسيا فجمع الله تعالى عليهم من وجوه العذاب الشديد ثلاثة اشيا اولها قطع رحمة الله تعالى عنهم بالكلية وثانيها انه تصير ماواهم النار وثالثها ان لا يحصل لهم احد من الاعوان والانصار ثم بين تعالى انه يعامل لهم بانكم انما صرتم مستحقين لهذه الوجوه الثلاثة من العذاب الشديد لاجل انكم اتيتم بثلاثة انواع من الاعمال القبيحة فاولها الاصرار على انكار الدين الحق وثانيها الاستهزا به والسخرية منه وهذان الوجهان داخلان تحت قوله تعالى ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وثالثها الاستغراق في حب الدنيا والاعراض بالكلية من الاخرة وهو المراد من قوله تعالى وغرتكم الحياة الدنيا ثم قال تعالى فاليوم لا يخرجون منها وقرا حمزة والكسايي يخرجون بفتح اليا والباقون بضمها ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه ولما تم الكلام في هذه المباحث الشريفة الروحانية ختم السورة بتحميد الله تعالى فقال تعالى فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين اي فاحمدوا الله تعالى الذي هو خالق السموات والارض بل خالق كل العالمين من الاجسام والارواح والذوات والصفات فان هذه الربوبية توجب الحمد والثنا على كل احد من المخلوقين والمربوبين ثم قال تعالى وله الكبريا في السموات والارض وهذا مشعر بامرين احدهما ان التكبير لا بد وان يكون بعد التحميد والاشارة الى ان الحامدين اذا حمدوه وجب ان يعرفوا انه اعلى واكبر من ان يكون الحمد الذي ذكروه لايقا بالعامة بل هو اكبر من حمد الحامدين واياديه اعلى واجل من شكر الشاكرين والثاني ان هذه الكبريا له لا لغيره لان واجب الوجود لذاته ليس الا هو ثم قال تعالى وهو العزيز الحكيم يعني بكمال قدرته يقدر على خلق اي شي اراد وبكمال حكمته يخص كل نوع من مخلوقاته باثار الحكمة والرحمة والفضل والكرم وقوله تعالى وهو العزيز الحكيم يفيد الحصر فهذا يفيد ان الكامل بالقدرة وفي الحكمة وفي الرحمة ليس الا هو والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ايتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين **اعلم** ان نظم اول هذه السورة كنظم اول سورة الجاثية وقد ذكرنا ما فيه واما قوله تعالى ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق فهذا يدل على اثبات الاله العالم ويدل على ان ذلك الاله يجب ان يكون عادلا رحيما بعباده ناظرا لهم محسنا اليهم ويدل على ان القيمة حق اما المطلوب الاول وهو اثبات الاله لهذا العالم وذلك لان الخلق عبارة عن التقدير واثار التقدير ظاهرة في السموات والارض من الوجوه العشرة المذكورة في سورة الانعام وقد بينا ان تلك الوجوه تدل على وجود الاله القادر المختار واما المطلوب الثاني وهو اثبات ان اله العالم عادل رحيم فيدل عليه قوله تعالى الا بالحق لان قوله تعالى الا بالحق معناه الا لاجل الفضل والرحمة والاحسان وان الاله يجب ان يكون فضله زايدا وان يكون احسانه راجحا وان يكون وصول المنافع منه الى المحتاجين اكثر من وصول المضار اليهم قال الجبايي هذا يدل على ان كل ما بين السموات والارض من القبايح فهو ليس من خلقه بل هو من افعال عباده والا لزم ان يكون خالقا لكل باطل وذلك ينافي قوله تعالى ما خلقناهما الا بالحق اجاب اصحابنا وقالوا خلق الباطل غير والخلق بالباطل غير ونحن نقول انه هو الذي خلق الباطل الا انه خلق ذلك الباطل بالحق لا بالباطل قالوا والذي يقرر ما ذكرناه ان قوله تعالى ما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين يدل على كونه تعالى خالقا لكل اعمال العباد لان اعمال العباد من جملة ما بين السموات والارض فوجب كونها مخلوقة لله تعالى ووقوع التعارض في الاية الواحدة محال فلم يبق الا ان يكون المراد ما ذكرناه فان قالوا افعال العباد اعراض والاعراض

لا توصف بانها حاصلة بين السموات والارض فنقول فعلى هذا التقدير يسقط ما ذكرتموه من الاستدلال والله اعلم واما المطلوب
الثالث فهو دلالة الاية على صحة القول بالبعث والقيمة وتقريره انه لو لم يوجد القيمة لبطل انتصاف حقوق المظلومين من الظالمين
ولبطل توفير الثواب على المطيعين وتوفير العقاب على الكافرين وذلك يمنع من القول بانه تعالى خلق السموات والارض وما
بينهما الا بالحق واما قوله تعالى واجل مسمى فالمراد انه ما خلق هذه الاشيا الا بالحق والا لاجل مسمى وهذا يدل على ان الله
العالم ما خلق هذا العالم ليبقى مخلدا سرمدا بل انما خلقه ليكون دارا للعمل ثم انه سبحانه وتعالى يفنيه ثم يعيده فيقع
الجزا في الدار الاخرة فعلى هذا الاجل المسمى هو الوقت الذي عينه الله تعالى لافنا الدنيا ثم قال تعالى والذين كفروا عما انذروا
معرضون والمراد انه مع نصب الله تعالى هذه الدلايل ومع ارسال الرسل وانزال الكتب مع مواظبة الرسل على الترغيب والترهيب
والاعذار والانذار بقي هولا الكفار معرضين عن هذه الدلايل غير ملتفتين اليها وهذا يدل على وجوب النظر والاستدلال وعلى
ان الاعراض عن الدليل مذموم في الدين والدنيا واعلم انه تعالى لما قرر هذا الاصل على اثبات الاله وعلى اثبات كونه عادلا رحيما
وعلى اثبات البعث والقيمة بنا عليه التفاريع فالنوع الاول الرد على عبدة الاصنام فقال تعالى قل ارايتم ما تدعون من دون
الله وهي الاصنام اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات والمراد ان هذه الاصنام هل يعقل ان يضاف
اليها خلق جز من اجزا هذا العالم ولما كان صريح العقل حاكيا بانه لا يجوز اسناد خلق جز من اجزا هذا العالم اليها
ان كان ذلك الجز اقل الاجزا ولا يجوز ايضا اسناد الاعانة اليها في اقل الافعال واذلها ثبت ان الخالق الحقيقي
لهذا العالم هو الله سبحانه وتعالى وان المنعم الحقيقي بجميع اقسام النعم هو الله سبحنه وتعالى وانعام عباده من الاتيان
بكل وجوه التعظيم وذلك لا يليق الا بمن صدر عنه اكمل وجوه الانعام فلما كان الخالق الحق والمنعم الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى
وجب ان لا يجوز الاتيان بالعبادة والعبودية الا له ولاجله نفى ان يقال انا لا نعبدها لانها تستحق هذه العبادة بل انما نعبدها
لاجل ان الاله الخالق المنعم امرنا بعبادتها فعند هذا ذكر الله تعالى ما يجري مجرى الجواب عن هذا السوال فقال ايتوني بكتاب
من قبل هذا او اثارة من علم وتقرير هذا الجواب ان ورود هذه الاوثان اما ان يكون على محمد او في ساير الكتب الالهيه المنزلة
على ساير الانبيا وانما يوجد ذلك في الكتب الالهية لكنه من تقابل العلوم المنقوله عليهم والكل باطل اما اثبات ذلك الوحي الى
محمد صلى الله عليه وسلم فهو معلوم البطلان واما اثباته بسبب اشتمال الكتب الالهيه المنزله على الانبيا المتقدمين فهو ايضا
باطل لانه علم بالتواتر والضرورة اطباق جميع الكتب الالهية على المنع من عبادة الاصنام وهذا هو المراد من قوله تعالى ايتوني
بكتاب من قبل هذا واما اثبات ذلك العلوم المنقولة عن الانبيا سوى ما جا في الكتب فهذا ايضا باطل لان العلم الضروري حاصل
بان احدا من الانبيا ما دعا الى عبادة الاصنام وهذا هو المراد بقوله تعالى او اثارة من علم ان كنتم صادقين ثم ها هنا نوعان من البحث النوع
الاول البحث اللغوي قال ابو عبيدة والفرا والزجاج اثارة من علم اي بقيه وقال المبرد اثارة ما يوثر من علم كقولك هذا الحديث يوثر عن
فلان ومن هذا المعنى سميت الاخبار والاثار يقال جا في الاثر كذا وكذا قال الواحدي وكلام اهل اللغة في هذا الحرف يدل على ثلثة اقوال الاول
البقية واشتقاقها من اثرت الشي اثيره اثارة كانها بقية تستخرج فتثار والثاني من الاثر الذي هو الرواية والثالث من الاثر
بمعنى العلامة قال صاحب الكشاف وقري اثرة من علم اي من شي اوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة به لغيركم وقري اثرة بالحركات الثلث
مع سكون الثا والاثرة بالكسر بمعنى الاثرة واما الاثرة فالمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه واما الاثرة بالضم فاسم ما يوثر كالخطبة
اسم لما يخاطب به وهاهنا قول اخر في تفسير قوله تعالى او اثارة من علم وهو ما روي عن ابن عباس انه قال او اثارة من علم هو علم الخط الذي
يخط في الرمل والعرب كانوا يخطونه وهو علم مشهور وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان نبي من الانبيا يخط فمن وافق خطه
خطه علم علمه وعلى هذا الوجه فمعنى الاية ايتوني بعلم من قبل هذا الخط الذي تخطونه في الرمل يدل على صحة مذهبكم في عبادة
الاصنام فان صح تفسير الاية بهذا الوجه كان ذلك من باب التهكم بهم وباقوالهم ودلايلهم والله تعالى اعلم **قوله تعالى**
ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب يوم القيمة وهم عن دعايهم غافلون واذا حشر الناس
كانوا لهم اعدا وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاهم هذا
سحر مبين ام يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيا هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا
بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم **اعلم انه تعالى** بين فيما سبق ان القول بعبادة الاصنام قول باطل من حيث انها لا قدرة
لها البتة على الخلق والفعل والايجاد والاعدام والنفع والضر فاردفه بدليل اخر يدل على بطلان ذلك المذهب وهي انها
جمادات فلا تسمع دعا الداعين ولا تعلم حاجات المحتاجين وبالجملة فالدليل الاول كان اشارة الى نفي العلم من الوجوه واذا ثبت
العلم والقدرة من كل الوجوه لم يبق عبادته معلومة ببديهة العقل فقوله تعالى ومن اضل ممن يدعوا من دون الله الاصنام
فيتخذها الهة ويعبدها وهي اذا دعيت لا تسمع ولا يصح منها الاجابة لا في الحال ولا بعد ذلك اليوم الى يوم القيمة وانما جعل
ذلك غاية لان يوم القيمة قد قيل انه تعالى يحييها ويقع بينها وبين من يعبدها مخاطبة فلذلك تعالى جعله حدا واذا قامت
القيامة وحشر الناس فهذه الاصنام تعادي هولا العابدين واختلفوا فيه فالاكثرون على انه تعالى يحيي هذه الاصنام
يوم القيمة وهي تظهر عداوة هولا العابدين وتتبرا منهم وقال بعضهم بل المراد عبدة الملايكة وعيسى فانهم في يوم القيمة
يظهرون عداوة هولا العابدين فان قيل ما المراد بقوله تعالى وهم عن عبادتهم غافلون وكيف يعقل وصف الاصنام وهي جمادات
بالغفلة وايضا كيف جاز وصف الاصنام بما لا يليق الا بالعقلاء وهي لفظة من وقوله بانهم غافلون قلنا انهم لما عبدوها وتركوها

منزله



منزلة من ينطق ويعني صح ان يقال فيها انها بمنزلة العاقل الذي لا يسمع ولا يجيب وهذا هو الجواب ايضا عن قوله ان لفظ من ولفظ
هم كيف يليق بها وايضا يجوز ان يريد كل معبود من دون الله من الملايكة وعيسى وعزير والاصنام الا انه غلب غير الاوثان
واعلم انه تعالى لما تكلم في تقرير التوحيد ونفي الاضداد والانداد تكلم في النبوة وبين ان محمدا صلى الله عليه وسلم كلما عرض عليهم نوعا
من انواع المعجزات زعموا انه سحر فقال تعالى واذا تتلى عليهم الايات البينة وعرضت عليهم المعجزات الظاهرة سموها بالسحر ولما بين
انهم يسمون المعجزة بالسحر بين انهم متى سمعوا القران قالوا ان محمدا افتراه واختلقه من عند نفسه ومعنى الهمزة في ام الانكار والتعجب
كانه قيل دع هذا واسمع القول المنكر العجيب ثم انه تعالى بين بطلان شبهتهم فقال تعالى قل ان افتريته على سبيل الفرض فان الله تعالى
يعاجلني بعقوبة بطلان ذلك الافترا وانتم لا تقدرون على دفعه عن معاجلتي العقوبة فكيف اقدم على هذه الفرية واعرض نفسي لعقابه
يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا املك لكم من الله
شيا ثم قال تعالى هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح في وحي الله تعالى والطعن في اياته وتسميته سحرا تارة
وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد لهم
على اقامتهم في الطعن والشتم قال وهو الغفور الرحيم لمن رجع عن الكفر وتاب واستعان بحكم الله تعالى عليهم مع عظم ما ارتكبوه
والله تعالى اعلم **قوله تعالى** قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى
الي وما انا الا نذير مبين قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرايل على مثله
فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب
مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين **اعلم انه تعالى** لما حكى عنهم انهم طعنوا
في كون القران معجزا بان قالوا انه يختلقه من عند نفسه ثم ينسبه انه كلام الله تعالى على سبيل الفرية حكى عنهم نوعا اخر من الشبهات
وهو انهم كانوا يقترحون منه معجزات عجيبة قاهرة ويطالبونه بان يخبرهم عن المغيبات فاجاب الله تعالى عنه بان قال قل ما كنت بدعا
من الرسل اي ما كنت اولهم فلا ينبغي ان تنكروا اخباري بانني رسول الله اليكم ولا تنكروا دعاي لكم الى التوحيد ونهيي عن عبادة الاصنام
فان كل الرسل انما بعثوا بهذا الطريق الوجه الثاني انهم طلبوا منه معجزات عظيمة واخبارا عن الغيوب فقال تعالى
قل ما كنت بدعا من الرسل والمعنى ان الاتيان بهذه المعجزات الباهرة والاخبار عن هذه الغيوب ليس في وسع البشر وانا من
جنس الرسل واحد منهم لم يقدر على ما تريدونه فكيف اقدر عليه الوجه الثالث انهم كانوا يعيبونه بانه ياكل الطعام
ويمشي في الاسواق وبانه فقير وان اتباعه فقرا فقال تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وكلهم كانوا على هذه الصفة وبهذه المثابة
فهذه الاشيا لا تقدح في نبوتي كما لا تقدح في نبوتهم ثم قال تعالى وما ادري ما يفعل بي ولا بكم وفيه مسايل **المسالة الاولى**
في تفسير الاية وجهان احدهما ان يحمل ذلك على احوال الدنيا والثاني ان يحمل على احوال الاخرة اما الاول ففيه وجوه الاول لا ادري
ما يصير اليه امري وامركم ومن الغالب منا والمغلوب والثاني قال ابن عباس في رواية الكلبي لما اشتد البلا باصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم بمكة راى في المنام انه يهاجر الى ارض ذات نخل وشجر وما فقصها على اصحابه فاستبشروا بذلك وراوا ان
ذلك فرج مما هم فيه من اذى المشركين ثم انهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون اثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما راينا الذي قلت ومتى
تهاجر الى الارض التي رايتها في المنام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وما ادري ما يفعل بي ولا بكم وهو
شي رايته في المنام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وانا لا اتبع الا ما اوحاه الله تعالى الي الثالث قال الضحاك لا ادري
ما تومرون به ولا اومر به في باب التكاليف والشرايع والجهاد ولا في الابتلا والامتحان وانما انذركم بما اعلمني الله تعالى
به من احوال الاخرة في الثواب والعقاب والرابع المراد انه يقول لا ادري ما يفعل بي في الدنيا اموت او اقتل كما قتل الانبيا قبلي
ولا ادري ما يفعل بكم ايها المكذبون اترمون بالحجارة من السما ام يخسف بكم او يفعل بكم ما فعل بساير الامم اما الذين
حملوا هذه الاية على احوال الاخرة فروي عن ابن عباس انه قال لما نزلت هذه الاية فرح المشركون والمنافقون واليهود وقالوا
كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به وبنا فانزل الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
الى قوله تعالى وكان ذلك عند الله فوزا عظيما فبين تعالى ما يفعل به وبمن اتبعه ونسخت هذه الاية وارغم الله انف
المنافقين والمشركين واكثر المحققين استبعدوا هذا القول **واحتجوا** عليه بوجوه الاول ان النبي صلى الله عليه وسلم
لا بد وان يعلم من نفسه كونه نبيا ومتى علم كونه نبيا علم انه لا تصدر عنه الكباير وانه مغفور له واذا كان كذلك امتنع
كونه شاكا في انه هل هو مغفور له ام لا الثاني ان الانبيا لا شك انه ارفع حالا من الاوليا فلما قال في هولا ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكيف يعقل ان يبقى الرسول الذي هو رييس الاتقيا وقدوة الانبيا والاوليا
شاكا في انه هل هو من المغفورين فثبت ان هذا القول ضعيف الثانية قال صاحب الكشاف قرى ما يفعل بفتح اليا اي يفعل الله عز
وجل فان قالوا يفعل ما نصب وغير مثبت وكان وجه الكلام ان يقال ما يفعل بكم ثم قال تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي يعني اني لا اقول
قولا ولا اعمل عملا الا بمقتضى الوحي **واحتج** نفاة القياس بهذه الاية فقالوا النبي صلى الله عليه وسلم ما قال قولا ولا عمل
عملا الا بالنص المنزل وحاه الله تعالى اليه فوجب ان نكون حالنا كذلك بيان الاول قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي بيان
الثاني قوله تعالى واتبعوه وقوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ثم قال تعالى وما انا الا نذير مبين والقادح على تلك

الى رجة عن قدرة البشر والعالم بتلك العيوب ليس الا الله سبحانه وتعالى ثم قال تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد
شاهد من بني اسرايل على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين وفيه مسايل المسئلة الاولى جواب الشرط محذوف
والتقدير ان كان هذا الكتاب من عند الله ثم كفرتم به وشهد شاهد من بني اسرايل على صحته ثم استكبرتم كنتم من الخاسرين ثم حذف
هذا الجواب ونظيره قوله ان احسنت اليك واسات واقبلت عليك واعرضت عني فقد ظلمتني وكذا هاهنا التقدير اخبروني ان ثبت
ان القران من عند الله فلو استكبرتم ثم كفرتم الستم اظلم الناس واضلهم واعلم ان جواب الشرط قد يحذف في بعض الايات وقد يذكر
اما الحذف فكما في هذه السورة وكما في قوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى فاما المذكور فكما
في قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل وقوله تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة
من اله غير الله ياتيكم بضياء المسئلة الثانية اختلفوا في ان المراد بقوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرايل على مثله على
قولين الاول وهو الذي قال به الاكثرون ان هذا الشاهد عبد الله بن سلام روى صاحب الكشاف انه لما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وتامله وتحققه انه هو النبي المنتظر فقال له اني سايلك
عن ثلاث ما يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال صلى
الله عليه وسلم اما الاول فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما الولد فاذا
سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المراة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا
باسلامي قبل ان تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن
خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال ارايتم ان اسلم عبد الله فقالوا اعاذه الله تعالى من ذلك فخرج اليهم عبد الله بن سلام فقال اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله فقال سعد بن ابي
وقاص ما يقول لاحد يمشي على الارض من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بني اسرايل على مثله واعلم
ان الشعبي ومسروقا وجماعة اخرين انكروا ان يكون الشاهد المذكور في هذه الاية هو عبد الله بن سلام قالوا لان اسلامه كان
بالمدينة قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين وهذه السورة مكية فكيف يمكن حمل
هذه الاية المكية على واقعة حدثت في اخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة واجاب الكلبي بان السورة مكية الا
هذه الاية فانها مدنية وكانت الاية تنزل فيامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضعها في سورة كذا فهذه الاية نزلت بالمدينة
وان الله تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يضعها في هذه السورة المكية في هذا الموضع المعين ولقائل ان يقول ان
الحديث الذي رويتم عن عبد الله بن سلام مشكل وذلك لان ظاهر الحديث يشعر بانه لما سال النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه المسايل
الثلث فلما اجاب النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الجوابات امن عبد الله بن سلام لاجل ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الجوابات
وهذا بعيد جدا لوجهين الاول ان الاخبار عن اول اشراط الساعة وعن اول طعام ياكله اهل الجنة اخبار عن وقوع شي من الممكنات
وما هذا سبيله فانه لا يعرف كون ذلك الخبر صدقا الا اذا عرف كون المخبر صادقا فلو عرفنا صدق المخبر بكون ذلك الخبر صدقا لزم
الدور وانه محال الثاني انا نعلم بالضرورة ان الجوابات المذكورة عن هذه المسايل لا يبلغ العلم بها الى حيث يقطع بنقل الجواب
القاهر عن هذه المسايل الصعبة لم يبلغ الى حد الاعجاز
الى حد الاعجاز العالي يحتمل انه جاء في بعض كتب الانبيا المتقدمين ان رسول اخر الزمان يسئل عن هذه المسايل وهو يجيب
بهذه الجوابات وكان عبد الله بن سلام عالما بهذا المعنى فلما سال النبي صلى الله عليه وسلم واجاب بتلك الاجوبة عرف بهذا
الطريق كونه رسولا حقا من عند الله وعلى هذا الوجه فلا حاجة بنا الى ان نقول العلم بهذه الجوابات معجز والله اعلم القول
الثاني في تفسير قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرايل على مثله انه ليس المراد منه شخصا معينا بل المراد منه ان ذكر
محمد صلى الله عليه وسلم موجود في التورية والبشارة بمقدمه حاصلة فيها فتقدير الكلام لو ان رجلا منصفا عارفا
بالتورية اقر بذلك واعترف به ثم امن بمحمد صلى الله عليه وسلم كنتم ظالمين لانفسكم ضالين عن الحق فهذا الكلام مقرر سوا
كان المراد بذلك الكلام الشاهد شخصا معينا او لم يكن كذلك لان المقصود الاصلي من هذا الكلام انه ثبت بالمعجزات
القاهرة ان هذا الكتاب من عند الله تعالى وثبت ان التورية مشتملة على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم ومع
هذين الامرين كيف يليق بالعقل انكار نبوته المسئلة الثالثة قوله تعالى على مثله ذكروا فيه وجوها والاقرب
ان نقول انه صلى الله عليه وسلم قال لهم ارايتم ان كان هذا القران من عند الله تعالى كما اقوله وشهد شاهد من بني اسرايل
على مثله ما قلت فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين وفيه مسايل المسئلة الاولى انه تهديد وهو قايم
مقام الجواب المحذوف والتقدير قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به وانكم لا تكونون مهتدين بل كنتم ضالين
المسئلة الثانية قالت المعتزلة هذه الاية تدل على انه تعالى انما منعهم الهداية بنا على الفعل القبيح الذي صدر منهم
اولا فان قوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين صريح في انه تعالى انما لا يهديهم لكونهم ظالمين في انفسهم فوجب
ان تحمل جميع الايات الواردة في المنع من الايمان والهداية ان يكون الامر الحال فيها كما هاهنا والله تعالى اعلم ثم قال
تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وفيه مسايل المسئلة الاولى هذه شبهة اخرى
للقوم في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي سبب نزوله وجوه الاول ان هذا كلام كفار مكة قالوا ان عامة

من يتبع

من يتبع محمد الفقرا والاراذل مثل عمار وصهيب وابن مسعود ولو كان هذا الدين خيرا ما سبقنا اليه هولا الثاني
قيل لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان واشجع لو كان هذا خيرا ما سبقنا اليه
الثالث قيل ان امة لعمر اسلمت وكان عمر يضربها ويقول لولا اني فترت لزدتك ضربا فكان كفار قريش يقولون لو كان
ما يدعوا اليه محمد حقا ما سبقتنا اليه فلانة الرابع قيل كان اليهود يقولون هذا الكلام عند اسلام عبد الله بن سلام
المسئلة الثانية الكلام في قوله تعالى للذين امنوا ذكروا فيه وجهين الاول ان يكون المعنى وقال الذين كفروا للذين
امنوا على وجه الخطاب كما تقول قال زيد لعمرو ثم ترك الخطاب وانتقل الى الغيبة كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم الثاني قال صاحب الكشاف للذين امنوا لاجلهم يعني الكفار قالوا لاجل ايمان الذين لو كان خيرا ما سبقونا
اليه وفيه وجه ثالث وهو ان الكفار لما سمعوا ان جماعة امنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبوا جماعة
من المومنين الحاضرين وقالوا لهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه اولئك الغايبون الذين اسلموا واعلم
انه تعالى لما حكى عنهم هذا الكلام اجاب عنه بقوله تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم والمعنى انهم لما نفوا
على وجه كونه معجزا فلابد من عامل في الظرف ليدل على دلالة المضي والاستقبال فما وجه هذا الكلام واجاب عنه بان العامل
في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه والتقدير واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا افك قديم ثم قال تعالى ومن قبله
كتاب موسى مبتدا ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وقوله اماما نصب على الحال كقولك في الدار زيد قايما وقرئ ومن قبله
كتاب موسى والتقدير واتينا الذي قبله التورية ومعنى اماما وقدوة يوتم به في دين الله تعالى وشرايعه كما يوتم بالامام ورحمة
لمن امن به وعمل بما فيه ووجه تعلق هذا الكلام بما قبله ان القوم طعنوا في صحة القران وقالوا لو كان خيرا ما سبقنا اليه
هولاء الصعاليك كانه تعالى قال الذي يدل على صحة القران انكم لا تنازعون في ان الله تعالى انزل التورية على موسى
عليه السلام وجعل هذا الكتاب اماما يقتدى به ثم ان التورية مشتملة على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم
فاذا سلمتم كون التورية اماما يقتدى به فاقبلوا حكمه في كون محمد صلى الله عليه وسلم حقا من الله تعالى ثم قال تعالى وهذا كتاب مصدق
لسانا عربيا اي وهذا القران مصدق لكتاب موسى في ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله وقوله تعالى لسانا عربيا نصب
على الحال ثم قال تعالى لتنذر وفيه قراءتان التاء لكثرة ما ورد من هذا المعنى بالمخاطب لقوله تعالى لتنذر به وذكرى للمومنين والياء
لتقدم ذكر الكتاب فاسند الانذار الى الكتاب كما اسند الى الرسول وقوله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب الى قوله تعالى لينذر
باسا شديدا من لدنه ثم قال تعالى وبشرى للمحسنين قال الزجاج الاجود ان يكون قوله تعالى وبشرى في موضع رفع المعنى وهو بشرى للمحسنين
قال ويجوز ان يكون في موضع نصب على المعنى لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين وحاصل الكلام ان المقصود من انزال هذا الكتاب
انذار المعرضين وبشارة المطيعين والله تعالى اعلم قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ووصينا الانسان
بوالديه حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ اشده
وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه
واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا
ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون اعلم انه تعالى
لما قرر دلايل التوحيد والنبوة وذكر شبهات المنكرين واجاب عنها ذكر بعد ذلك طريقة المحقين والمحققين فقال تعالى
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقد ذكرنا تفسير هذه الكلمة في سورة السجدة والفرق بين الموضعين ان في سورة
السجدة ذكر ان الملايكة ينزلون ويقولون الا تخافوا ولا تحزنوا وهاهنا رفع الواسطة من البين وذكر انه لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون فاذا جمعنا بين الايتين حصل من مجموعهما ان الملايكة يبلغون اليهم هذه البشارة وان الحق سبحانه وتعالى
يسمعهم هذه البشارة ايضا من غير واسطة واعلم ان هذه الايات دالة على ان من امن بالله وعمل صالحا فانهم بعد
الحشر لا ينالهم خوف ولا حزن ولا فزع ولهذا قال اهل التحقيق انهم يوم القيمة امنون من الاهوال وقال بعضهم خوف
العقاب زايل عنهم اما خوف جلال الهيبة فلا يزال البتة عن العبد الا ترى ان الملايكة مع علو درجاتهم وكمال عصمتهم لا يزول
الخوف عنهم فقال تعالى يخافون ربهم من فوقهم وهذه المسالة سبقت في الاستقصا في ايات كثيرة منها قوله تعالى
لا يحزنهم الفزع الاكبر ثم قال تعالى اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون قالت المعتزلة هذه الاية تدل
على مسايل اولها قوله تعالى اولئك اصحاب الجنة وهذا يفيد الحصر وهذا يدل على ان اصحاب الجنة ليسوا الا الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا وهذا يدل على ان صاحب الكبيرة قبل التوبة لا يدخل الجنة وثانيها قوله تعالى جزاء بما كانوا
يعملون وهذا يدل على فساد قول من يقول الثواب فضل لا جزاء وثالثها ان قوله تعالى بما كانوا يعملون يدل على اثبات
العمل للعبد ورابعها ان هذا يدل على انه يجوز ان يحصل الاثر في الحال والاثر كان موجودا قبل ذلك بدليل ان العمل المتقدم
اوجب الثواب المتاخر وهاهنا ان كون العبد مستحقا على الله تعالى واعظم انواع هذا النوع الاحسان الى الوالدين لا جرم
اردفه بهذا المعنى فقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقد تقدم الكلام في نظير هذه الاية في سورة العنكبوت
وفي سورة لقمان وفيه مسايل المسئلة الاولى قرا عاصم وحمزة والكسايي بوالديه احسانا والباقون حسنا واعلم

ان الاحسان خلاف الاساة والحسن خلاف القبيح فمن قرا احسانا فحجته قوله تعالى في سورة بني اسرايل وبالوالدين احسانا
والمعنى امرناه بان يوصل اليهما احسانا وحجة القراة الثانية قوله تعالى في العنكبوت ووصينا الانسان بوالديه حسنا
ولم يختلفوا فيه والمراد ايضا انا امرناه بان يوصل اليهما فعلا حسنا كما يقال هذا الرجل علم وكرم واسعب حسنا على المصدر
لان معنى ووصينا الانسان بوالديه امرناه ان يحسن اليهما احسانا ثم قال تعالى حملته امه كرها وفيه مسايل المسئلة الاولى
قرا ابن عامر وحمزة والكساى كرها بضم الكاف والباقون بفتحها قيل هما لغتان مثل الضعف والضعف والفقر والفقر
ومن غير المصادر الدف والدف والشهد والشهد قال الواحدى الكره مصدر من كرهت الشي اكرهه والاسم كانه الشي
المكروه قال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم فهذا بالضم وقال تعالى ان ترثوا النسا كرها فهذا في موضع الحال ولم نر
نقرا العمر ممن كان مصدرا او في موضع الحال فالفتح فيه احسن وما كان اسما نحو ذهبت به على كره كان الضم فيه احسن المسئلة
قال المفسرون حملته امه على مشقة ووضعته على مشقة وليس يريد ابتدا الحمل فان ذلك لا يكون مشقة وقد قال تعالى فلما تغشاها
حملت حملا خفيفا يريد ابتدا الحمل فان ذلك لا يكون مشقة فالحمل نطفة وعلقة ومضغة فاذا اثقلت فحينيذ حملته كرها
ووضعته كرها يريد شدة الطلق الثالثة دلت الاية على ان حق الام اعظم لانه تعالى قال اولا ووصينا الانسان بوالديه
حسنا فذكرهما معا ثم خص الام بالذكر فقال تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وذلك يدل على ان حقها اعظم وان وصول المشاق
اليها بسبب الولد كثيرة والاخبار الكثيرة مذكورة في هذا الباب ثم قال تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وفيه مسايل المسئلة
الاولى هذا من باب حذف المضاف والتقدير ومدة حمله وفصاله ثلاثون شهرا والفصال الفطام وهو فصله عن اللبن فان
قيل المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال قلنا لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهي
ويتم سمي فصالا المسئلة الثانية دلت الاية على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه كان مجموع مدة الحمل والرضاع ثلاثون
شهرا قال تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين فاذا سقط الحولين الكاملين وهو اربعة وعشرون شهرا
من ثلاثين بقي مدة الحمل ستة اشهر روى ان امراة رفعت اليه وكانت قد ولدت لستة اشهر فامر برجمها فقال علي لا رجم عليها
وذكر الطريق الذي ذكرناه وعن عثمان انه هم بذلك فقرا ابن عباس عليه ذلك واعلم ان العقل والتجربة يدلان
على ان الامر كذلك قال اصحاب التجارب ان لتكون الجنين زمانا مقدرا فاذا تضاعف ذلك الزمان تحرك الجنين فاذا انضاف الى
ذلك المجموع مثلاه انفصل الجنين عن الام فليفرض انه يتم خلقه في ثلاثين يوما فاذا تضاعف ذلك الزمان حتى صار المجموع
ماية وثمانون وهو ستة اشهر فحينيذ ينفصل الجنين ولنفرض انه يتم خلقه في خمسة وثلثين يوما فيتحرك في سبعين
يوما فاذا انضاف اليه مثلاه وهو ماية واربعون يوما صار المجموع مايتان وعشرة ايام وهو سبعة اشهر انفصل الولد ولنفرض
انه يتم خلقه في اربعين يوما فيتحرك في ثمانين يوما فينفصل عند مايتين واربعين يوما وهو ثمانية اشهر ولنفرض انه تمت
الخلقة في خمسة واربعين يوما فيتحرك في تسعين يوما فينفصل عند مايتين وسبعين يوما وهو تسعة اشهر فهذا
هو الضبط الذي ذكره اصحاب التجارب قال جالينوس اني كنت شديد التفحص عن مقادير ازمنة الحمل فرايت امراة ولدت في الماية
والاربع والثمانين وزعم ابو علي بن سينا انه شاهد ذلك فقد صار اقل مدة الحمل بحسب نص القران وبحسب التجارب الطبية شيا
واحدا وهو ستة اشهر واما اكثر مدة الحمل فليس في القران ما يدل عليه قال ابو علي ابن سينا في الفصل السادس من المقالة
التاسعة من حيوان الشفا بلغني من حيث وثقت به كل الثقة ان امراة وضعت بعد الرابع من سني الحمل ولدا قد نبتت
اسنانه وحكى عن ارسطاطاليس انه قال ازمنة الولادة لحمل الحيوان مضبوطة سوى الانسان فربما وضعت الحبلى لسبعة
اشهر وربما وضعت في الثامن وقلما يعيش المولود في الثامن الا في بلاد معينة مثل مصر والغالب هو الولادة بعد التاسع
قال اهل التجارب والذي قلناه من انه اذا تضاعف زمان التكون تحرك الجنين واذا انضم الى المجموع مثلاه انفصل
الجنين انما قلناه بحسب التقريب لا بحسب التحديد فانه ان زاد او نقص بحسب ايام قليلة لم يقدح في هذا الضبط ثم قالوا ان البرهان انما يدل على ما ذكروه بحسب التجربة والله تعالى اعلم ثم قالوا المدة التي يتم فيها خلقة الجنين تنقسم الى اقسام فاولها ان الرحم اذا اشتملت
على المني ولم تدفعه الى الخارج استدار المني على نفسه منحصرا الى ذاته كالكرة ولما من شان المني ان يفسده الحركات لا جرم
يثخن في هذا الوقت وما احراه ان خلق الله المني مادة يثخن بالجرا اذا كان الغرض منه تكون الحيوان واستحكام اجزايه وتفهيمه
المني ربدا في اليوم السادس وثانيها ظهور النقط الثلاثة الدموية فيه احدها في الوسط وهو الموضع الذي اذا تمت
خلقته كان قلبا والثاني فوق وهو الدماغ والثالث على اليمين وهو الكبد ثم ان تلك النقط تتباعد ويظهر فيما بينها
خطوط حمر وذلك يحصل بعد ثلاثة ايام اخرى فيكون المجموع تسعة ايام وثالثها ان تنفذ الدموية في الجميع فيصير علقة
وذلك بعد ستة ايام اخرى حتى يصير المجموع خمسة عشر يوما ورابعها ان يصير وقد عبرت الاسلئة وامتدت
رطوبة النخاع وذلك انما يتم باثنى عشر يوما فيكون المجموع سبعة وعشرون يوما وخامسها ان ينفصل الراس عن المنكبين
والاطراف عن الضلوع والبطن عن الجنين في بعض ويخفي في بعض وذلك يتم في تسعة ايام اخرى فيكون المجموع ستة
وثلاثون يوما وسادسها ان ينفصل هذه الاعضا بعضها عن بعض ويصير بحيث يظهر ذلك الحس ظهورا بينا وذلك
يتم بعد اربعة ايام اخرى فيكون المجموع اربعون يوما وقد يتاخر الى خمسة واربعين وهو الاقل هو الذي قالوا فيه رت
بهذه التجارب الطبية منطابقة لما اخبر عنه الصادق المصدوق في قوله صلى الله عليه وسلم يجمع خلق احدكم في بطن امه





اربعين يوما قال اصحاب التجارب ان السقط بعد الاربعين اذا شق عنه السلالة ووضع في الماء البارد ظهر شي صغير
متميز الاطراف هذه الاية دلت المسئلة الثالثة هذه الاية دلت على اقل مدة الحمل وعلى اكثر مدة الرضاع فلقوله تعالى
والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة واعلم ان الفقهاء ربطوا بهذين الضابطين احكاما
كثيرة في الفقه وايضا فاذا ثبت ان اقل المدة للحمل هو الاشهر الستة فبتقدير ان تاتي المراة بالولد في هذه الاشهر يبقى
جانبها مصونا عن تهمة الزنا والفاحشة وبتقدير ان يكون مدة الرضاع ما ذكرناه فاذا حصل الرضاع بعد هذه المدة
لا يترتب عليها احكام الرضاع فيبقى المراة مستورة عن الاجانب وعند هذا يظهر ان المقصود من تقدير اقل الحمل ستة
اشهر وتقدير اكثر الرضاع حولين كاملين السعي في دفع انواع المضار والفواحش والتهمة عن المراة فسبحانه من له تحت
كل كلمة من هذا الكتاب الكريم اسرار عجيبة ونفايس لطيفة تعجز الافهام عن الاحاطة بكمالها وروى الواحدي في البسيط عن عكرمة
لطيفة يعجز المعقول عن ان يناله اذا حملت تسعة اشهر ارضعته احدى وعشرين شهرا واذا حملت ستة اشهر ارضعته
اربعة وعشرون شهرا والصحيح ما قدمناه ثم قال تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر
نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وفيه مسايل المسئلة الاولى اختلف المفسرون في تفسير
الاشد قال ابن عباس في رواية عطا يريد ثمانية عشر سنة والاكثرون من المفسرين على انه ثلاث وثلاثون سنة
واحتج الفرا عليه بان قال ان الاربعين اقرب في النسق الى ثلاث وثلثين منها الى ثمانية عشر الا ترى انك تقول اخذت
عامة المال او كله فيكون احسن من قولك اخذت اقل المال او كله ومثله قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى
من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فبعض هذه الاقسام قريب من بعض فكذلك ههنا وقال الزجاج الاولى حمله على
ثلاث وثلثين سنة لان هذا الوقت الذي يكمل فيه بدن الانسان واقول تحقيق الكلام في هذا الباب ان يقال
ان مراتب سن الحيوان ثلاثة وذلك لان بدن الحيوان لا يكون الا برطوبة غريزية وحرارة غريزية ولا شك
ان الرطوبة الغريزية غالبة في اول العمر وناقصة في اخر العمر والانتقال من الزيادة الى النقصان لا يعقل حصوله الا
اذا حصل الاستوا في وسط هاتين المدتين فثبت ان مدة العمر منقسمة الى ثلثة اقسام اولها ان يكون الرطوبة
الغريزية زايدة على الحرارة الغريزية وحينيذ يكون الاعضا قابلة للتمدد في ذواتها وللزيادة بحسب الطول
والعرض والعمق وهذا هو سن النشو والنما والمرتبة الثانية وهي المرتبة المتوسطة ان يكون الرطوبة الغريزية وافية
بحفظ الحرارة الغريزية من غير زيادة ولا نقصان وهذا هو سن الوقوف وهو سن الشباب والمرتبة الثالثة
وهي المرتبة الاخيرة ان يكون الرطوبة الغريزية ناقصة عن الوفا بحفظ الحرارة الغريزية ثم هذا النقصان على
قسمين فالاول هو النقصان الخفي وهو سن الكهولة والثاني هو النقصان الظاهر وهو سن الشيخوخة فهذا ضبط
معلوم ثم ههنا مقدمة اخرى وهي ان دور القمر انما يكمل في مدة ثمانية وعشرين يوما وشي فاذا قسمنا هذه المدة
باربعة اقسام كان كل قسم منها سبعة فلهذا السبب قدروا الشهر بالاسابيع الاربعة ولهذه الاسابيع تاثيرات
عظيمة في اختلاف احوال هذا العالم اذا عرفت هذا فنقول ان المحققين من اصحاب التجارب قسموا مدة سن النمو
والنشو الى اربعة اسابيع ويحصل للادمي في اخر كل اسبوع من هذه الاسابيع الاربعة نوع من التغير يودي الى كماله اما
عند تمام الاسبوع الاول من العمر فيصلب اعضاوه بعض الصلابة ويقوى افعاله ايضا بعض القوة ويتبدل اسنانه
الضعيفة الواهية باسنان قوية ويكون قوة الشهوة في هذا الاسبوع اقوى في الهضم مما كان قبل ذلك واما
في نهاية الاسبوع الثاني فتقوى الحرارة وتقل الرطوبات ويتسع المجارى وتقوى قوة الهضم وتقوى الاعضا وتصلب
قوة وصلابة كافية ويتولد فيه مادة الزرع وعند هذا يحكم الشرع عليه بالبلوغ على قول الشافعي رضي الله تعالى عنه
وهو الحق الذي لا محيد عنه لان هذا الوقت لما قويت الحرارة الغريزية وقلت الرطوبات واعتدل الدماغ تكمل القوى
التي هي الفكر والذكر فلا جرم يحكم عليه بكمال العقل فلا جرم حكمت الشريعة بالبلوغ وتوجه التكاليف الشرعية فما احسن
القول من ضبط البلوغ الشرعي بخمسة عشر سنة واعلم انه يتفرع على حصول هذه الحالة احوال في ظاهر البدن
فاحدها انفراق طرف الارنبة لان الرطوبة الغريزية التي هناك تنقص فيظهر الانفراق وثانيها نتو الحنجرة وغلظ الصوت لان
الحرارة الغريزية تنهض في ذلك الوقت فتوسع الحنجرة فيعلو ويغلظ الصوت وثالثها تغير ريح الابط وهي الفضلة العفنية التي
تدفعها القلب الى ذلك الموضع وذلك لان القلب لما قويت حرارته لا جرم قويت على انضاج المادة ودفعها الى اللحم الغددي الرخو الذي في
الابط ورابعها نبات الشعر وعلى تولد مادة الزرع وفي هذا الوقت بسبب الشهوة في الصبايا وينهد ثديهن وينزل حيض
فكل ذلك بسبب الحرارة الغريزية التي هي قويت في اخر هذا الاسبوع الثالث فيدخل في حد الكمال وينبت للذكر اللحية ويزداد
حسنه وكماله واما في الاسبوع الرابع فانه لا تنظر الازدياد اما مدة سن الشباب وهي مدة الوقف فهي اسبوع
واحد فيكون المجموع خمسة وثلثين سنة ولما كانت هذه المدة مما قد يزداد وقد ينتقص بحسب الامزجة جعل
الغاية فيه مدة اربعين سنة وهذا هو السن الذي يحصل فيه حد الكمال اللايق للانسان شرطا وطبا فان في هذا
الوقت يسكن افعال القوى الطبيعية بعض السكون وينتهي افعال القوة الحيوانية غايتها ويبتدي افعال القوة النفسانية
بالقوة والكمال واذا عرفت هذه المقدمة ظهر لك ان بلوغ الانسان وقت الاشد ثم بلوغه الى الاربعين شي اخر

وان بلوغه الى وقت الاشد عبارة عن الوصول الى آخر سن النشو والنما وان بلوغه الى الاربعين عبارة عن الوصول الى آخر مدة الشباب ومن ذلك ياخذ القوى الطبيعية والحيوانية في الانتقاص والنفس من وقت الاربعين ياخذ في الاستكمال ولو كانت النفس عين البدن لحصل للشي الواحد في الوقت الواحد الكمال والنقصان وذلك محال وهذا الكلام الذي ذكرناه ولخصناه مذكور في صريح لفظ القران لانا بينا ان عند الاربعين تنتهي الكمالات الحاصلة بسبب القوى الطبيعية والحيوانية واما الكمالات الحاصلة بسبب القوى النطقية والعقلية فانها تبتدي بالاستكمال والدليل عليه قوله تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا فهذا يدل على ان توجه الانسان الى عالم العبودية والاشتغال بطاعة الله تعالى انما يحصل من هذا الوقت وهذا تصريح بان القوة النفسانية العقلية النطقية انما تبتدي بالاستكمال من هذا الوقت فسبحان من اودع في هذا الكتاب الكريم هذه الاسرار الشريفة المقدسة قال المفسرون لم يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة واقول هذا يشكل بعيسى عليه السلام فان الله تعالى جعله نبيا من اول الا انه يجب ان يقال الاغلب انه ما جاء الوحي الا بعد الاربعين وهكذا كان الامر في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان عمر بن عبد العزيز لما بلغ اربعين سنة كان يقول اللهم اوزعني ان اشكر نعمتك الى تمام الدعاء وروي انه جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال [illegible] سنة حتى اذا بلغ الاربعين [illegible] حفظا وحصنا فكان راوي هذا الحديث اذا ذكر هذا الحديث بكى حتى يبل لحيته رواه القاضي في التفسير

**المسألة الثانية** اعلم ان قوله تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة يدل على ان الانسان كالمحتاج الى مراعاة الوالدين له الى قريب من هذه المدة وذلك لان العقل كالناقص فلابد من رعاية الابوين على رعاية المصالح ودفع الآفات وفيه تنبيه على ان نعم الوالدين على الولد بعد دخوله في الوجود تمتد الى هذه المدة الطويلة وذلك يدل على ان نعم الوالدين كانه يخرج عن وسع الانسان مكافاتها الا بالدعا والذكر الجميل

**المسألة الثالثة** حكى الواحدي عن ابن عباس وقوم كثير من متاخري المفسرين ومتقدميهم ان هذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قالوا والدليل عليه ان الله تعالى قد وقت الحمل والفصال ها هنا بمقدار يعلم انه قد ينقص وقد يزيد عنه بسبب اختلاف الناس في هذه الاحوال فوجب ان يكون المقصود منه شخصا واحدا حتى يقال ان هذا اخبار عن حاله فيمكن ان يكون ابو بكر رضي الله عنه كان حمله وفصاله على هذا القدر ثم قال تعالى في صفة ذلك الانسان حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي ومعلوم انه ليس كل انسان يقول هذا القول فوجب ان يكون المراد من هذه الاية انسانا معينا قال هذا القول واما ابو بكر رضي الله عنه فقد قال هذا القول في قريب من هذا السن لانه كان اقل سنا من النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين وشي والنبي صلى الله عليه وسلم بعث عند الاربعين وكان ابو بكر رضي الله عنه قريبا من الاربعين وهو قد صدق النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وثبت بما ذكرنا ان هذه الاية صالحة لان يكون المراد منها ابو بكر رضي الله عنه واذا ثبت القول بهذه الصلاحية فنقول ندعي ان المراد من هذه الاية ويدل عليه انه تعالى قال في آخر هذه الاية اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وهذا يدل على ان المراد من هذه الاية افضل الخلق لان الذي يتقبل عنه احسن اعماله ويتجاوز عن كل سيئاته يجب ان يكون من افضل الخلق واكابرهم واجمعت الامة على ان افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ابو بكر واما علي رضي الله عنهما ولا يجوز ان يكون المراد من هذه الاية علي بن ابي طالب لان هذه الكلمة انما تليق بمن اتى بها عند بلوغ الاشد وعند القرب من الاربعين وعلي بن ابي طالب ما كان كذلك لانه انما آمن في زمان الصبى او عند القرب من الصبى فثبت ان المراد من هذه هو ابو بكر رضي الله عنه والله تعالى اعلم

**المسألة الرابعة** قوله تعالى اوزعني قال ابن عباس معناه الهمني قال صاحب الصحاح اوزعته بالشي اغريته به فاذا اوزع به فهو موزع به اي مغرى به واستوزعت الله فاوزعني اي استلهمته فالهمني

**المسألة الخامسة** اعلم انه تعالى حكى عن هذا الداعي انه طلب من الله تعالى ثلاثة اشيا احدها ان يوفقه الله تعالى للشكر على نعمه والثاني ان يوفقه للاتيان بالطاعة المرضية عند الله تعالى والثالث ان يصلح له في ذريته وفي ترتيب هذه الاشيا الثلاثة على الوجه المذكور وجوه الاول انا بينا ان مراتب السعادات ثلثة اكملها النفسانية واوسطها البدنية وادونها الخارجية والسعادات النفسانية هي اشتغال القلب بشكر آلاء الله ونعمائه والسعادات البدنية هي اشتغال البدن بالطاعة والخدمة والسعادات الخارجية هي سعادة الاهل والولد فلما كانت المراتب محصورة في هذه الثلاثة لاجرم رتبها الله تعالى على هذا الوجه والسبب الثاني لرعاية هذا الترتيب انه تعالى قدم الشكر على العمل لان الشكر من اعمال القلوب والعمل من اعمال الجوارح وعمل القلب اشرف من عمل الجارحة وايضا المقصود من الاعمال الظاهرة احوال القلب قال تعالى واقم الصلاة لذكري بين ان الصلاة مطلوبة لاجل انها تفيد الذكر فثبت ان اعمال القلوب اشرف من اعمال الجوارح والاشرف يجب تقديمه في الذكر ولان الاشتغال بالشكر اشتغال بقضاء حقوق النعم الماضية والاشتغال بالطاعة اشتغال بطلب النعم المستقبلة وقضاء الحقوق الماضية يجري مجرى قضاء الدين وطلب المنافع المستقبلة طلب الزوائد ومعلوم ان قضاء الدين مقدم على سائر المهمات فلهذا السبب قدم الشكر على سائر الطاعات وايضا انه قدم طلب التوفيق على الشكر وطلب التوفيق على الطاعة على طلب ان يصلح له ذريته وذلك لان المطلوب الاول اشتغال بالتعظيم لامر الله تعالى والمطلوب الثالث اشتغال بالشفقة على خلق الله ومعلوم ان التعظيم لامر الله تعالى يجب تقديمه على الشفقة على خلق الله تعالى

**المسألة السادسة** قال اصحابنا ان العبد طلب من الله تعالى ان يلهمه الشكر على نعم الله تعالى وهذا يدل على انه لا يتم شي من الطاعات والاعمال الا باعانة الله تعالى ولو كان العبد مستقلا بافعاله لكان هذا الطلب عبثا وايضا المفسرون قالوا المراد من قوله تعالى [illegible] والدليل عليه





قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم سمة الايمان واذا ثبت هذا فنقول العبد يشكر الله تعالى على فعل فعله لا على فعل غيره وذلك قبيح لقوله تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فان قيل بهذا انه يشكر الله تعالى على ما انعم به عليه فكيف يشكره على النعم التي انعم بها على والديه وانما يجب على الرجل ان يشكر ربه على ما اوصل اليه من النعم قلنا كل نعمة وصلت من الله تعالى الى والديه فقد وصل منها اثر اليه ولهذا وصاه الله تعالى على ان يشكر ربه على الامرين واما المطلوب الثاني من المطالب المذكورة في هذا الدعا فهو قوله تعالى وان اعمل صالحا ترضاه **اعلم** ان الشي الذي يعتقد الانسان فيه كونه صالحا على قسمين احدهما الذي يكون صالحا عنده ويكون صالحا عند الله تعالى ايضا والثاني الذي يظنه صالحا ولكنه لا يكون صالحا عند الله تعالى فلما انقسم الصالح في ظنه الى هذين القسمين طلب من الله تعالى ان يوفقه لان ياتي بعمل صالح يكون صالحا عند الله تعالى ويكون مرضيا عند الله تعالى والمطلوب الثالث من المطالب المذكورة في هذه الاية قوله تعالى واصلح لي في ذريتي لان ذلك من اجل نعم الله تعالى على الوالد كما قال ابرهيم صلى الله عليه وسلم واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان قيل ما معنى قوله تعالى واصلح لي في ذريتي قلنا تقدير الكلام هب لي الصلاح في ذريتي واوقعه فيهم **واعلم** انه تعالى لما حكى عن ذلك الداعي انه طلب هذه الاشيا الثلاثة قال بعد ذلك اني تبت اليك واني من المسلمين والمراد ان الدعا لا يصح الا مع التوبة والا مع كونه من المسلمين فبين اني انما اقدمت على هذا الدعا بعد ان تبت من الكفر ومن كل قبيح وبعد ان دخلت في الاسلام والانقياد لامر الله تعالى ولقضائه **واعلم** ان الذين قالوا ان هذه الاية نزلت في ابي بكر رضي الله عنه قالوا ان ابا بكر اسلم والداه ولم يتفق لاحد من الصحابة والمهاجرين اسلام الابوين الا له فابوه ابو قحافة عثمان بن عمرو وامه ام الخير بنت صخر بن [illegible] قوله تعالى وان اعمل صالحا ترضاه قال ابن عباس واجابه الله اليه فاعتق تسعة من المومنين يعذبون في الله منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يترك شيئا من الخير الا اعانه الله تعالى عليه وقوله تعالى واصلح لي في ذريتي قال ابن عباس لم يبق لابي بكر ولد من الذكور والاناث الا وقد امنوا ولم يتفق لاحد من الصحابة ان اسلم ابوه وجميع اولاده الذكور والاناث الا ابو بكر ثم قال تعالى اولئك اهل هذا القول الذين نتقبل عنهم قرئ بضم الياء على بناء الفعل للمفعول وقرئ بالنون المفتوحة وكذلك نتجاوز وكلاهما في المعنى واحد فان كان مبنيا للمفعول فمعلوم انه سبحانه وتعالى فهو كقوله تعالى ليغفر لهم ما قد سلف فبين تعالى بقوله اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ان من تقدم ذكره ممن يدعو بهذا الدعا ويسلك هذه الطريقة التي تقدم ذكرها نتقبل عنهم والمتقبل من الله تعالى هو ايجاب الثواب له على عمله فان قيل ولم قال تعالى احسن ما عملوا والله تعالى يتقبل الاحسن وما دونه قلنا الجواب من وجوه الاول المراد بالاحسن الحسن كقوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وكقولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان اي عادلا بني مروان الثاني ان الحسن من الاعمال هو المباح الذي لا يتعلق به ثواب ولا عقاب والاحسن ما يغاير ذلك وهو كل ما كان مندوبا او واجبا ثم قال تعالى ونتجاوز عن سيئاتهم ثم قال تعالى في اصحاب الجنة قال صاحب الكشاف ومعنى هذا الكلام مثل قولك اكرمني الامير في ناس من اصحابه تريد اكرمني في جملة من اكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين في اصحاب الجنة ومعدودين منهم وقوله تعالى وعد الصدق مصدر موكد لان قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز والمقصود بيان انه تعالى يعامل من صفته ما قدمناه بهذا الجزاء وذلك وعد من الله تعالى فبين انه صدق ولا شك فيه والله تعالى اعلم بالصواب

**قوله تعالى** والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك امن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اولئك الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون

**اعلم** انه تعالى لما وصف الولد البار بوالديه في الاية المتقدمة وصف الولد العاق لوالديه فقال تعالى والذي قال لوالديه اف لكما وفي هذه الاية قولان الاول انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قالوا كان ابوه يدعوه الى الاسلام فابى وهو قوله تعالى اف لكما واحتج القائلون بهذا القول على صحته بانه لما كتب معاوية الى مروان بان يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن بن ابي بكر لقد جئتم بها [illegible] اتبايعون ابناءكم فقال مروان يا ايها الناس هو الذي قال الله تعالى فيه والذي قال لوالديه اف لكما والقول الثاني انه ليس المراد منه شخصا معينا بل المراد منه كل من كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه ابواه الى الدين الحق فاباه وانكره وهذا القول هو الصحيح عندنا ويدل عليه وجوه الاول انه تعالى وصف الذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني بقوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولا شك ان عبد الرحمن امن وحسن اسلامه وكان من سادات المسلمين فبطل حمل الاية عليه فان قالوا روي انه لما دعاه ابواه الى الاسلام واخبراه بالبعث بعد الموت قال اتعدانني ان اخرج من القبر يعني ابعث بعد الموت وقد خلت القرون من قبلي يعني الامم الخالية فلم ار احدا منهم بعث بن عبد الله بن جدعان وابن فلان وابن فلان اذا عرفت هذا فنقول قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول في امم وبالجملة عائد الى المشار اليهم بقوله تعالى قد خلت القرون من قبلي لا الى المشار اليه

بقوله والذي قال لوالديه اف لكما هذا ما ذكره الكلبي في دفع ذلك الدليل وهو حسن والوجه الثاني في ابطال ذلك القول ما روي ان مروان لما خاطب عبد الرحمن ابن ابي بكر بهذا الكلام سمعت عايشة رضي الله عنها ذلك فغضبت وقالت والله ما هو به ولكن الله تعالى لعن اباك وانت في صلبه والوجه الثالث وهو الاقوى انه تعالى وصف الولد البار بابويه في الاية المتقدمة ووصف الولد العاق لوالديه في هذه الاية وذكر من صفات ذلك الولد انه بلغ في العقوق الى حيث لما دعاه ابواه الى الدين الحق وهو الاقرار بالبعث والقيمة اصر على انكاره وابى واستكبر وعول في ذلك الانكار على شبهات خبيثة وكلمات واهية واذا كان كذلك كان المراد كل ولد اتصف بالصفات المذكورة ولا حاجة البتة الى تخصيص اللفظ المطلق بشخص معين قال صاحب الكشاف قرئ اف بالفتح والكسر بغير تنوين بالحركات الثلاث مع التنوين وهو صوت اذا صوت به الانسان علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه متوجع واللام هاهنا معناه هذا التافيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما وقرئ اتعدانني بفتح النون كانه استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء والفتح معهما الاولى تحريا للتخفيف كما تحراه من ادغم ومن طرح احديهما ثم قال ان اخرج اي ان ابعث واخرج من الارض وقرئ اخرج وقد خلت القرون من قبلي يعني ولم يبعث ثم قال تعالى وهما يستغيثان الله ويلك امن اي الوالدين يستغيثان فان قالوا كان الواجب ان يقال يستغيثان بالله وانكاره قلنا حذف الجار وصل الفعل الثاني لجواز ان يقال بالتاكيد لانه اريد بالاستغاثة هاهنا الدعا على ما قاله المفسرون يدعوا ان الله تعالى اما اريد بالاستغاثة الدعا حذف الجار لان الدعا لا يقتضيه وقوله تعالى ويلك امن اي يقولون له ويلك امن وصدق بالبعث وهو دعا عليه بالثبور والمراد الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك ثم قال تعالى ان وعد الله حق بالبعث فيقول لهما ما هذا الذي تقولان من امر البعث وتدعواني اليه الا اساطير الاولين ثم قال تعالى اولئك الذين حق عليهم القول اي حقت عليهم كلمة العذاب ثم هاهنا قولان فالذي يقول ان المراد بالاية عبد الرحمن ابن ابي بكر قالوا المراد بهولاء الذين حقت عليهم كلمة العذاب هم القرون الذين خلوا من قبله والذين قالوا المراد به ليس عبد الرحمن بل كل ولد كان موصوفا بالصفة المذكورة قالوا هذا الوعيد مخصوص بهم وقوله في امم نظير اصحابه بذلك في الجنة وقد ذكرنا انه نظير لقوله اكرمني الامير في ناس من اصحابه يريد اكرمني في جملة من اكرم منهم ثم قال تعالى انهم كانوا خاسرين وقرئ ان بالفتح على معنى امن بان وعد الله حق ثم قال تعالى ولكل درجات مما عملوا وفيه قولان الاول ان الله تعالى ذكر الولد البار ثم اردفه بذكر الولد العاق بقوله تعالى ولكل درجات مما عملوا خاص بالمومنين وذلك لان المومن البار بوالديه لهم درجات متفاوتة ومراتب مختلفة في هذا الباب والقول الثاني ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا عايد الى الفريقين فالمعنى ولكل واحد من الفريقين درجات في الايمان والكفر والطاعة والمعصية فان قالوا كيف يجوز لفظ الدرجات في اهل النار وقد جاء في الاثر الجنة درجات والنار دركات قلنا فيه وجوه الاول انه يجوز ان يقال ذلك على جهة التغليب الثاني قال ابن زيد درج اهل الجنة تذهب علوا ودرج اهل النار تذهب هبوطا الثالث ان المراد بالدرجات المراتب المتزايدة الا ان زيادات اهل الجنة في الخيرات والطاعات وزيادات اهل النار في المعاصي والسيئات ثم قال تعالى وليوفيهم وقرئ بالنون وهذا التعليل معللة محذوف لدلالة الكلام عليه كانه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ولما بين الله تعالى انه يوصل حق كل احد اليه بين احوال اهل العقاب اولا فقال تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار فقيل يدخلون النار وقيل تعرض عليهم النار ليروا اهوالها اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ابن كثير أاذهبتم استفهاما بهمزة وقرا ابن عامر استفهاما بهمزتين بلا مد والباقون اذهبتم بلفظ الخبر والمعنى ان كل ما قدر لكم من الطيبات والراحات فقد استوفيتموه في الدنيا واخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفا حظكم شيء منها وعن عمر لو شئت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكني استبقي طيباتي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل على اهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون لها رقاعا فقال انتم اليوم خير ام يوم يغدو احدكم في حلة ويروح في اخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح باخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل انتم خير قال صاحب الكشاف قالوا حدثنا ان الصالحين يوثرون التقشف والزهد في الدنيا جاز ان يكون ثوابهم في الاخرة اكمل الا ان هذه الاية لا تدل على المنع من التنعم لان هذه الاية وردت في حق الكافر وانما وبخ الله تعالى الكافر لانه تمتع في الدنيا ولم يود شكر النعم بطاعته والايمان به اما المومن فانه يودي بايمانه شكر المنعم فلا يوبخ بتمتعه والدليل عليه قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق والاحتراز عن التنعم اولى لان النفس اذا اعتادت التنعم صعب عليها الاحتراز والانقطاع وحينئذ ربما حمله الميل الى تلك الطيبات على فعل ما لا ينبغي وذلك مما يجر بعضه الى بعض ويقع في البعد عن الله تعالى بسببه ثم قال تعالى فاليوم تجزون عذاب الهون اي الهوان وقرئ عذاب الهوان بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون فعلل تعالى ذلك العذاب بامرين احدهما الاستكبار عن الرفع وهو ذنب القلب والثاني الفسق وهو ذنب الجوارح وقدم الاول على الثاني لان احوال القلوب اعظم وقعا من اعمال الجوارح ويمكن ان يكون المراد من الاستكبار انهم يتكبرون عن قبول الدين الحق ويستنكفون عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واما الفسق فهو المعاصي واحتج اصحابنا بهذه الاية على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع قالوا ان الله تعالى علل عذابهم بامرين اولهما الكفر وثانيهما الفسق وهذا الفسق لا بد وان يكون مغايرا

لذلك



لذلك الكفر لان العطف يوجب المغايرة فثبت ان فسق الكفار يوجب العقاب في جهنم ولا معنى للفسق الا ترك المامورات وفعل المنهيات والله تعالى اعلم **قوله تعالى** **واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا اجئتنا لتافكنا عن الهتنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به ولكني اراكم قوما تجهلون فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافيدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افيدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بايات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون** **اعلم** انه تعالى لما اورد انواع الدلايل في اثبات التوحيد والنبوة وكان من اهل مكة بسبب استغراقهم في لذات الدنيا واشتغالهم بطلبها اعرضوا عنها ولم يلتفتوا اليها ولهذا السبب قال تعالى في حقهم ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فلما كان الامر كذلك بين ان قوم عاد كانوا اكثر اموالا وقوة وجاها منهم ثم ان الله تعالى سلط العذاب عليهم بسبب شوم كفرهم فذكر هذه القصة هاهنا ليعتبر بها اهل مكة فيتركوا الاغترار بما وجدوه من الدنيا ويقبلوا على طلب الدين فلهذا المعنى ذكر الله تعالى هذه القصة في هذا الموضع وهو مناسب لما تقدم لان من اراد تقبيح طريقة عند قوم كان الطريق فيه ضرب الامثال وتقرير ان من واظب على تلك الطريقة نزل به من البلا كذا وكذا قوله تعالى واذكر اخا عاد اي واذكر يا محمد لقومك اهل مكة هودا عليه السلام اذ انذر قومه اي حذرهم عذاب الله تعالى ان لم يومنوا وقوله بالاحقاف قال ابو عبيدة الحقف هو الرمل المعوج ومنه قيل للمعوج محقوقف وقال الفرا الاحقاف واحدها حقف وهو الكثيب العظيم وفيه اعوجاج قال ابن عباس واد بين عمان ومهرة والنذر جمع نذير بمعنى المنذر من بين يديه ومن خلفه من بعده والمعنى ان هودا عليه السلام قد انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم **واعلم** ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره ثم حكى تعالى عن الكفار انهم قالوا اجئتنا لتافكنا عن الهتنا فاتنا الافك القلب عن رايه اي صرفه وقيل المراد لتزيلنا بضرب من الكذب عن الهتنا وعن عبادتها فاتنا بما تعدنا من معاجلة العذاب على الكفر ان كنت من الصادقين في وعدك فعند هذا قال هود عليه السلام انما العلم عند الله وانما صح هذا الكلام جوابا لقولهم فاتنا بما تعدنا استعجالا منهم لذلك العذاب فقال لهم هود لا علم عندي بالوقت الذي يحصل فيه ذلك العذاب انما علم ذلك عند الله تعالى وابلغكم ما ارسلت به وهو التحذير عن العذاب فاما العلم بوقته فما اوحاه الله تعالى الي ولكني اراكم قوما تجهلون وهذا يحتمل وجوها الاول المراد انكم لا تعلمون ان الرسل لم يبعثوا معرفين ولا سايلين عن غير ما اذن لهم فيه وانما بعثوا مبلغين الثاني اراكم قوما تجهلون من حيث انكم بقيتم مصرين على كفركم وجهلكم فيغلب على ظني انه قرب الوقت الذي ينزل عليكم بسبب هذا الجهل المفرط والوقاحة التامة الثالث اراكم قوما تجهلون حيث تصرون على طلب العذاب وهب انه لم يظهر لكم كوني صادقا ولكن لم يظهر ايضا كوني كاذبا فالاقدام على الطلب الشديد لهذا العذاب جهل عظيم ثم قال تعالى فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم ذكر المبرد في الضمير في راوه قولين احدهما انه عايد الى غير مذكور وبينه قوله عارضا كما قال تعالى ما ترك على ظهرها من دابة ولم يذكر الارض لكونها معلومة فكذا هاهنا الضمير عايد الى السحاب كانه قيل فلما راوا السحاب عارضا وهذا اختيار الزجاج ويكون هذا من باب الاضمار لا على شريطة التفسير والقول الثاني ان يكون الضمير عايدا الى ما في قوله تعالى فاتنا بما تعدنا فلما راوا ما يوعدون به عارضا قال العارض السحاب الذي يرى في ناحية السما ثم يطبق وقوله تعالى مستقبل اوديتهم قال المفسرون كانت عاد حبس عنهم المطر اياما فساق الله تعالى اليهم سحابة سودا فخرجت عليهم من واد يقال له المغيث فلما راوه مستقبل اوديتهم استقبلوا استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال تعالى بل هو ما استعجلتم به من العذاب ثم بين ماهيته فقال تعالى ريح فيها عذاب اليم ثم وصف تلك الريح فقال تعالى تدمر كل شيء بامر ربها اي تهلك كل شيء من الناس والحيوان والنبات بامر ربها والمعنى ان هذا ليس من باب تاثيرات الكواكب والقرانات بل هو امر حادث ابتدا بقدرة الله تعالى لاجل تعذيبكم فاصبحوا يعني عادا لا يرى الا مساكنهم وفيه مسايل **المسئلة الاولى** روي ان الريح كانت تحمل الفسطاط فترفعها في الجو حتى ترى كانها جرادة وقيل اول من ابصر العذاب امراة منهم قالت رايت ريحا فيها كشهب النار وروي ان اول ما عرفوا به انه عذاب اليم انهم راوا ما كان في الصحرا من رجالهم ومواشيهم تطير بهم الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وامال الله تعالى عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم وروي ان هودا لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المومنين خطا الى جنب عين تنبع وكانت الريح التي تصيبهم ريحا طيبة هادية والريح التي تصيب قوم عاد ترفعهم من الارض وتطيرهم الى السما وتضربهم على الارض واثر المعجزة انما ظهر في تلك الريح من هذا الوجه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما امر الله تعالى خازن الريح ان يرسل على عاد الا مثل مقدار الخاتم ثم ان ذلك القدر اهلكهم بكليتهم والمقصود من هذا الكلام اظهار كمال قدرة الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا راى الريح فزع وقال اللهم اني اسالك خيرها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما ارسلت به **المسئلة الثانية** قرا عاصم وحمزة لا يرى بالياء وضمها مساكنهم بضم النون وهي قراءة الحسن والباقون لا ترى بالتاء ولا ترى الا مساكنهم قال الجمهور من القراء [illegible]

القوم المجرمين والمقصود تخويف كفار مكة فان قيل لم قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فكيف يبقى التخويف حاصلا قبل نزوله ثم انه تعالى خوف كفار مكة وذكر فضل عاد بالقوة والجسم عليهم فقال تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه والمعنى انهم كانوا اقوى منكم قوة واكثر منكم اموالا وقال ابن قتيبة كلمة ان زايدة والتقدير ولقد مكناهم وهذا غلط لوجوه الاول ان الحكم بان حرفا من كتاب الله تعالى عبث لا يقول به عاقل والثاني ان المقصود من هذا الكلام انهم كانوا اقوى منكم ثم انهم مع زيادة القوة ما نجوا عن عقاب الله تعالى فكيف يكون حالكم وهذا المقصود انما يتم لو دلت الاية على انهم كانوا اقوى قوة من قوم مكة والثالث ان ساير الايات تفيد هذا المعنى قال تعالى هم احسن اثاثا ورئيا وقال كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض ثم قال تعالى وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافيدة والمعنى انا فتحنا عليهم ابواب النعم واعطيناه سمعا فما استعملوه في سماع الدلايل واعطيناهم ابصارا فما استعملوها في طلب معرفة الله تعالى بل صرفوا كل هذه القوى الى طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم ما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم من عذاب الله تعالى ثم بين تعالى انه لم يغن عنهم سمعهم ولا ابصارهم من عذاب الله لاجل انهم كانوا يجحدون وقوله اذ كانوا يجحدون بمنزلة التعليل ولفظ اذ قد تذكر لافادة التعليل تقول اذ سا والمعنى ضربته لاجل انه اساء وفي هذه الاية تخويف لاهل مكة فان قوم عاد لما اغتروا بدنياهم واعرضوا عن قبول الدليل والحجة نزل بهم عذاب الله ولم يغن عنهم قوتهم ولا كثرتهم فاهل مكة مع عجزهم وضعفهم اولى بان يحذروا عن عذاب الله تعالى ويخافوا ثم قال تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون يعني انهم كانوا يطلبون نزول العذاب وانما كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزا

**قوله تعالى** ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الايات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون **اعلم** ان المراد من قوله تعالى ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى يا كفار مكة من القرى وهي عاد وثمود باليمن والشام وصرفنا الايات ساير لعلهم لعل اهل القرى يرجعون والمراد بالتصريف الاحوال الهايلة التي وجدت قبل الاهلاك قال الجبائي قوله لعلهم يرجعون معناه ان يرجعوا عن كفرهم وذلك يدل على انه تعالى اراد رجوعهم ولم يرد اصرارهم والجواب انه فعل ما لو فعله غيره لكان ذلك لاجل الارادة المذكورة وانما ذهبنا الى هذا التاويل للدلايل الدالة على انه سبحانه وتعالى مريد لجميع الكاينات ثم قال تعالى فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة القربان ما تقرب به الى الله تعالى اي اتخذوهم شفعا متقربا بهم الى الله قالوا هولا شفعاونا عند الله تعالى وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي اعراب الاية وجوه الاول قال صاحب الكشاف احد مفعولي اتخذ الراجع الى الذين هو محذوف والثاني الهة وقربانا حال وقيل ان الفعل المتعدي الى مفعولين على خلاف الاصل الثاني قال بعضهم قربانا مفعول ثاني قدم على المفعول الاول وهو الهة عليه انه يودي الى خلق الكلام انه راجع الى الذين والثالث قال بعض المحققين يصح احد مفعولي اتخذ وهو الراجع الى الذين ويجعل قربانا مفعولا ثانيا والهة عطف بيان اذا عرفت هذا الكلام في الاعراب فنقول المقصود ان يقال ان اوليك الذين اهلكهم الله هلا نصرهم الذين عبدوهم وزعموا انهم متقربون بعبادتهم الى الله تعالى ليشفعوا لهم بل ضلوا عنهم اي غابوا عن نصرهم وذلك ان يكون الهتهم ناصرين لهم امر ممتنع ثم قال تعالى وذلك افكهم وذلك الامتناع اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياهم الهة وثمرة شركهم وافترايهم على الله تعالى الكذب في اثبات الشركا له قال صاحب الكشاف قرى افكهم والافك كالحذر والحذر وقرى افكهم على التشديد للمبالغة وافكهم جعلهم افكين وافكهم اي قولهم الافك ذو الافك كما يقول قول كاذبة ثم قال تعالى وما كانوا يفترون والتقدير وذلك افكهم واساءتهم في اثبات الشركا لله تعالى والله اعلم

**قوله تعالى** واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء اوليك في ضلال مبين وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** اعلم انه تعالى لما بين ان في الانس من امن ومنهم من كفر بين ايضا ان الجن فيهم من امن وفيهم من كفر وان مومنهم معرض للثواب وكافرهم معرض للعقاب وفي كيفية هذه الواقعة قولان الاول قال سعيد بن جبير كانت الجن تستمع فلما رجموا قالوا هذا الذي حدث في السما انما حدث لشي في الارض فذهبوا يطلبون السبب وكان قد اتفق ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ايس من اهل مكة ان يجيبوه خرج الى الطايف ليدعوهم الى الاسلام فلما انصرف الى مكة وكان ببطن نخلة قام يقرا القران فمر به نفر من اشراف جن نصيبين كان ابليس بعثهم ليعرفوا السبب الذي اوجب حراسة السما بالرجم فسمعوا القران وعرفوا السبب والقول الثاني ان الله تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله تعالى ويقرا عليهم القران فصرف الله تعالى اليه نفرا من الجن يستمعون منه القران وينذروا قومه ويتفرع على ما ذكرناه فروع الاول نقل القاضي في تفسيره عن الجن انه قال انهم كانوا يهودا لان في الجن مللا كما في الانس من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاوثان واطبق المحققون على ان الجن مكلفون سيل ابن عباس هل للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب يلتقون في الجنة ويزدحمون على ابوابها الفرع الثاني قال صاحب الكشاف النفر دون العشرة ويجمع انفارا ثم روى محمد بن جرير الطبري عن ابن عباس ان اوليك الجن كانوا سبعة نفر من اهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وعن زر بن حبيش كانوا تسعة احدهم زوبعة وعن قتادة ذكر لنا انهم صرفوا اليه من نينوى الفرع الثالث اختلفوا في انه هل كان عبد الله بن مسعود مع النبي صلى الله عليه وسلم





ليلة الجن والروايات فيه مختلفة ومشهورة الفرع الرابع روى القاضي في تفسيره عن انس قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في جبال مكة اذ اقبل شيخ متوكيا على عكازه فقال صلى الله عليه وسلم مشية جني ونغمته فقال اجل من اي الجن انت فقال انا هامة بن هيم ابن لاقيس بن ابليس فقال لا ارى بينك وبين ابليس الا ابوين فكم اتى عليك فقال اكلت عمر الدنيا الا اقلها وكنت وقت قابيل وهابيل امشي بين الاكام وذكر كثيرا مما مر به وذكر في جملته ان قال قال لي عيسى ان لقيت محمدا فاقراه عني السلام وقد بلغت رسالته وامنت بك وقال صلى الله عليه وسلم وعلى عيسى السلام وعليك يا هامة ما حاجتك فقال ان موسى عليه السلام علمني التورية وعيسى علمني الانجيل فعلمني القران فعلمه عشر سور وقبض صلى الله عليه وسلم وقال عمر بن الخطاب ولا اراه الا حيا واعلم ان تمام الكلام في قصة الجن مذكور في سورة الجن **المسئلة الثانية** **اختلفوا** في تفسير قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن فقال بعضهم لما لم يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم قراءة القران عليهم فهو تعالى القى في قلوبهم ميلا وداعية الى استماع القران فلهذا السبب قال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن ثم قال تعالى فلما حضروه الضمير للقران او لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي قالوا لبعضهم بعض انصتوا اي اسكتوا مستمعين يقال انصت لكذا واستمع له فلما فرغ من القراءة ولوا الى قومهم منذرين ينذرونهم وذلك لا يكون الا بعد ايمانهم لانهم لا يدعون غيرهم الى سماع القران والتصديق به الا وقد امنوا وعنده قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى وصفه بوصفين الاول كونه مصدقا لما بين يديه اي مصدقا لكتب الانبيا والمعنى ان كتب ساير الانبيا عليهم السلام كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد والنبوة والمعاد والامر بتطهير الاخلاق فكذلك هذا الكتاب مشتمل على هذه المعاني والثاني قوله تعالى يهدي الى الحق والى طريق مستقيم **واعلم** ان الوصف الاول يفيد ان هذا الكتاب مماثل لساير الكتب الالهية في الدعوة الى هذه المطالب العالية الشريفة والوصف الثاني يفيد ان هذه المطالب التي اشتمل القران عليها مطالب حقة صدقة في انفسها يعلم كل احد صريح عقله كونها كذلك سوا وردت الكتب الالهية قبل ذلك بها او لم ترد فان قالوا كيف قالوا من بعد موسى قلنا ما نقلنا عن الحسن انه قال كانوا على اليهودية وعن ابن عباس ان الجن ما سمعت امر عيسى فلذلك قال من بعد موسى ثم ان الجن لما وصفوا القران بهذه الصفات الفاضلة قالوا يا قومنا اجيبوا داعي الله واختلفوا في انه هل المراد بداعي الله الرسول او الواسطة الذي يبلغ عنه والاقرب انه هو الرسول صلى الله عليه وسلم لانه هو الذي يطلق عليه هذا الوصف واعلم ان قوله تعالى اجيبوا داعي الله فيه مسئلتان **المسئلة الاولى** هذه الاية تدل على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن كما انه مبعوث الى الانس قال مقاتل ولم يبعث الله تعالى نبيا الى الجن والانس قبله **المسئلة الثانية** قوله تعالى اجيبوا داعي الله امر باجابته في كل ما امر به فيدخل فيه الامر بالايمان الا انه اعاد ذكر الايمان على التعيين لاجل انه اهم الاقسام واشرفها وقد جرت عادة القران بانه يذكر اللفظ العام ثم يعطف عليه اشرف انواعه كقوله تعالى وملايكته وجبريل وقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ولما امر بالايمان به ذكر فايدة ذلك الايمان وهو قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم وفيه مسئلتان **المسئلة الاولى** قال بعضهم من هاهنا زايدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل بل الفايدة فيه ان كلمة من هاهنا لابتدا الغاية وكان المعنى انه يقع ابتدا الغفران بالذنوب ثم ينتهي الى غفران ما صدر عنكم من ترك الاولى والاكمل **المسئلة الثانية** اختلفوا في ان الجن هل لهم ثواب ام لا فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهايم **واحتجوا** على صحة هذا المذهب بقوله تعالى ويجركم من عذاب اليم وهو قول ابي حنيفة رحمه الله والصحيح انهم في حكم بني ادم يستحقون الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وهذا قول ابن ابي ليلى ومالك وجرت بينه وبين ابي حنيفة رحمه الله في هذا الباب مناظرة قال الضحاك يدخلون الجنة وياكلون ويشربون والدليل على صحة هذا القول ان كل دليل دل على ان البشر يستحقون الثواب على الطاعة فهو بعينه قايم في حق الجن والفرق بين البابين بعيد جدا **واعلم** ان ذلك الجني لما امر قومه باجابة الرسول والايمان به حذرهم من ترك الاجابة فقال تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاوه سابق ونظيره قوله تعالى وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا ولا يجد له انصارا ولياء ولا احدا منعا من دون الله تعالى ثم بين انهم في ضلال مبين

**قوله تعالى** اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شي قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وفي هذه الاية مسايل **المسئلة الاولى** اعلم انه تعالى ذكر في اول السورة ما يدل على وجود الاله القادر الحكيم المختار ثم فرع عليه فرعين الاول ابطال قول عبدة الاصنام والثاني اثبات النبوة وذكر شبهاتهم في الطعن في النبوة واجاب عنها ولما كان اكثر اعراض كفار مكة عن قبول الدلايل بسبب اغترارهم بالدنيا واستغراقهم في استيفا طيباتهم وشهواتها وبسبب انه كان يثقل عليهم الانقياد لمحمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بتقدمه عليهم ضرب لذلك مثلا وهم قوم عاد فانهم كانوا اكمل في منافع الدنيا من قوم محمد صلى الله عليه وسلم فلما اصروا على الكفر اباذهم الله واهلكهم فكان ذلك تخويفا لاهل مكة في اصرارهم على انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والى هاهنا قد تم الكلام في التوحيد والنبوة ثم ذكر عقيبها تقرير مسالة المعاد ومن تامل في هذا البيان الذي ذكرناه علم ان المقصود من كل القران تقرير التوحيد والنبوة والمعاد واما القصص فالمراد من ذكرها ما يجري مجرى ضرب الامثال في تقرير هذه الاصول والله اعلم الثاني المقصود من هذه الاية اقامة الدلالة على كونه تعالى قادرا على البعث والدليل عليه

انه تعالى اقام الدليل على ان خلقها اعظم وافخم من اعادة هذا الشخص حيا بعد ان صار ميتا والقادر على الاقوى الاكمل لابد وان يكون قادرا على الاضعف ثم ختم الاية بقوله تعالى انه على كل شى قدير والمقصود منه ان تعلق الروح بالجسد امر ممكن اولم يكن ممكنا في نفسه لما وقع اولا والله تعالى قادر على كل الممكنات فوجب كونه قادرا على تلك الاعادة وبين الدلايل نفسه وظاهرة الثالثة في قوله تعالى بقادر دخل الفا على خبر ان وانما جاز ذلك لدخول حرف النفي على ان وما يتعلق بها وكانه قيل اليس الله بقادر قال الزجاج لو قلت ما ظننت ان زيدا لقايم جاز ولا يجوز ظننت ان زيدا لقايم والله تعالى اعلم الرابعة يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه ومنه قوله تعالى افعيينا بالخلق الاول واعلم انه تعالى لما اقام الدلالة على صحة القول بالحشر والنشر ذكر بعض احوال الكفار فقال تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قوله تعالى اليس هذا بالحق التقدير يقال لهم اليس هذا بالحق والمقصود التهكم بهم والتوبيخ على استهزائهم بوعد الله تعالى ووعيده وقوله تعالى وما نحن بمعذبين والله تعالى اعلم **قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون اعلم** انه تعالى لما قرر المطالب الثلاثة وهي التوحيد والنبوة والمعاد واجاب عن الشبهات اردفه بما يجري مجرى الوعظ والنصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لان الكفار كانوا يوذونه ويوحشون صدره فقال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اي اولو الجد والصبر والثبات وفي الاية قولان ان تكون كلمة من للتبعيض ويراد باولي العزم بعض الانبياء قيل هم نوح عليه السلام صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابرهيم عليه السلام على النار والذبح للولد واسحاق على الذبح ويعقوب عليهما السلام على فقدان الولد وذهاب البصر ويوسف عليه السلام على الجب والسجن وايوب عليه السلام على الضر وموسى عليه السلام قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود عليه السلام بكى على زلته اربعين سنة وعيسى عليه السلام لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبر فاعبروها ولا تعمروها وقال الله تعالى في ادم عليه السلام ولم نجد له عزما وفي يونس عليه السلام ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم والقول الثاني ان كل الرسل اولوا العزم ولم يبعث الله تعالى رسولا الا اذا كان ذا عزم وحزم وراي وكمال وعقل ولفظة من في قوله تعالى من الرسل تبيين لا تبعيض كما يقال البته من الخز فكانه قيل اصبر كما صبر اولوا العزم الرسل من قبلك على اذى قومهم ووصفهم بالعزم لصبرهم وثباتهم ثم قال تعالى ولا تستعجل لهم بالعذاب فان النبي صلى الله عليه وسلم ضجر من قومه بعض الضجر واحب ان ينزل الله العذاب بمن ابى من قومه فامر بالصبر وترك الاستعجال ثم اخبر ان ذلك العذاب حين ينزل بهم يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار والمعنى انهم كانوا اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كانه ساعة من النهار او كانه لم يكن لهول ما عاينوا لان الشي اذا مضى صار كانه لم يكن وان كان طويلا قال الشاعر كان شيا لم يكن اذا مضى كان شيا لم يكن اذا اتى واعلم انه تم الكلام هاهنا ثم قال تعالى بلاغ اي هذا بلاغ ونظيره قوله تعالى هذا بلاغ للناس اي هذا الذي وعظتم به فيه كفاية في الموعظة او هذا تبليغ من الرسول فهل يهلك الا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه

**الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم اعلم** ان اول هذه السورة مناسب لاخر السورة المتقدمة فان اخرها قوله تعالى فهل يهلك الا القوم الفاسقون فان قال قايل كيف يهلك الفاسق وله اعمال صالحة كاطعام الطعام وصلة الارحام وذلك مما لا يخلو عنه الانسان طول عمره فيكون في اهلاكه اهدار عمله وقد قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فقال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم اي لم يبق لهم عمل ولم يوجد فلا يمتنع الاهلاك وسنبين كيف ابطال العمل مع تحقيق العدل فيه وتعالى الله عن الظلم وفيه مسايل **الاولى** من المراد بقوله تعالى الذين كفروا قلنا فيه وجوه الاول هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر منهم ابو جهل والحارث بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم الثاني كفار قريش الثالث اهل الكتاب الرابع وهو عام يدخل فيه كل كافر والثانية في الصد وجهان احدهما صدوا انفسهم معناه انهم صدوا انفسهم عن السبيل ومنعوا عقولهم من اتباع الدليل وثانيهما صدوا غيرهم ومنعوهم كما قال تعالى عن المستضعفين قال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مومنين وعلى هذا ففيه بحث وهو ان اهلاك الاعمال مرتب على الكفر والصد والمستضعفون لم يصدوا فلا تضل اعمالهم فنقول التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ما عداه ولا سيما اذا كان المذكور اولى بالذكر من غيره وهاهنا الكافر الصاد اذا دخل في الفساد فصار هو اولى بالذكر او نقول كل من كفر صار صادا لمن بعده لان اعادة الكفر لغيره اما المستكبر فظاهر واما المستضعف فلانه لما تبعه بعث للمستكبر باسم عمه من اتباع الرسول فانه بعد ما يقع متبوعا يشق عليه ان يصير تابعا ولان كل من كفر صار صادا لمن بعده لان اعادة الكفر اتباع المتقدم كما قال تعالى عنهم انا وجدنا ابانا على امة وانا على





اثارهم مهتدون ومقتدون فان قيل فعلى هذا يكون الصد داخلا في الكفر فما الفايدة في ذكر الصد بعد الكفر نقول هو من باب ذكر السبب وعطف المسبب عليه تقول اكلت كثيرا وشبعت والكفر على هذا سبب الصد ثم اذا قلنا بان المراد انهم صدوا انفسهم ففيه اشارة الى ان ما في الانفس من الفطرة كان داعيا الى الايمان والامتناع لمانع وهو الصد لنفسه الثانية في الصد وفيه وجوه الاول عن الانفاق على محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه الثاني عن الجهاد الثالث عن الايمان الرابع عن كل ما فيه طاعة الله تعالى وهو اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم عن الصراط المستقيم هاد اليه وهو صراط الله قال الله تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله فمن منع من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم منع وصد عن سبيل الله الرابعة في الاضلال وجوه الاول المراد منه الابطال ووجهه هو ان المراد انه اضله بحيث لا يجد الطالب له اثرا والطالب انما يطلبه في الوجود فهو معدوم فان قيل كيف يبطل الله حسنة او حدها فنقول ان الابطال على وجوه احدها يوازن بما لهم الحسنات التي صدرت عنهم ويسقطها بالموازنة ويبقى لهم سيات محضة لان الكفر يربو على غير الايمان من الحسنات والايمان يرجح على غير الكفر من السيات وثانيها يبطلها لفقد شرط ثبوتها وابقائها وهو الايمان لان شرط قبول العمل قال الله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن واذا لم يقبل الله العمل لا يكون له وجود لان العمل لا بقاء له في نفسه بل هو يعدم عقيب ما يوجد في الحقيقة غير ان الله تعالى يكتب عنده بفضله ان فلانا عمل صالحا لنفسه وعنده جزاوه فيبقى حكما وهذا البقاء حكما خير من البقاء الذي للاجسام التي هي محل الاعمال حقيقة فان الاجسام وان بقيت غير ان مالها الى الفناء والعمل الصالح من الباقيات ابدا واذا ثبت هذا تبين ان الله تعالى بالقبول متفضل وقد اخبر انه لا يقبل الا من مومن فمن عمل وتعب من غير سبق الايمان فهو المضيع تعبه لا الله تعالى وثالثها لم يعمل الكافر عمله لوجه الله تعالى فلم يات بخير فلا يرد علينا قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وبيانه هو ان العمل لا يتميز الا بمن له العمل لا بالعامل ولا بنفس العمل وذلك لان من قام لقتيل شخص ولم يتفق قتله ثم قام ليكرمه ولم يتفق الاكرام ولا القتل واجره عن نفسه انه قام في اليوم الفلاني لقتله وفي اليوم الاخر لاكرامه يتميز القيامين لا بالنظر الى القيام فانه واحد ولا بالنظر الى القيام فانه حقيقة واحدة وانما يتميز بما كان لاجله القيام وكذلك من قام وقصد بقيامه اكرام الملك وقام وقصد بقيامه اكرام بعض العوام يتميز احدهما بمنزلة العمل لكن نسبة الله الكريم الى الاصنام فوق نسبة الملك الى العوام فالعمل للاصنام ليس بخير واحد بعمله ومع ذلك يجد الاوثان لا يكون عمله خيرا بل شرا ما اتى به لوجه الله تعالى التي به للصنم المنحوت فلا يعظم الوجه الثاني الاضلال هو جعله مستهلكا وحقيقته هو انه اذا كفر واتى الاحجار والاخشاب بالسجود والركوع فلم يبق لنفسه حرمة فعله لا يبقى معتبرا بسبب كفره وهذا كمن يخدم عند الحارس والسايس اذا قام السلطان لا يعلم قيامه تعظيما لخسته لذلك الكافر واما المومن فقد ربما يتكبر على غير الله تعالى فيظهر تعظيمه لله كالملك الذي لا ينقاد لاجل اذا انقاد في وقت لملك من الملوك يبين به عظمته الوجه الثالث اضله اي اهمله وتركه كما يقال اضل بعيره اذا تركه مسيبا فضاع ثم ان الله تعالى لما بين حال الكفار بين حال المومنين قال تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سياتهم واصلح بالهم وفيه مسايل

**المسئلة الاولى** قد ذكرنا مرارا ان الله تعالى كلما ذكر الايمان والعمل الصالح رتب عليهما المغفرة والاجر كما قال تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم وقال تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سياتهم وقلنا بان المغفرة ثواب الايمان والاجر على العمل الصالح واستوفينا البحث فيه في سورة العنكبوت فنقول هاهنا جزا ذلك وقوله كفر عنهم سياتهم اشارة الى ما على الايمان وقوله تعالى واصلح بالهم اشارة الى ما على العمل الصالح الثانية قالت المعتزلة تكفير السيات مرتب على الايمان والعمل الصالح فمن امن ولم يفعل الصالحات يبقى في العذاب خالدا فنقول لو كان كما ذكرتم لكان الاضلال مرتبا على الكفر والصد فمن يكفر ولا يصد ينبغي ان لا يضل عمله او نقول قد ذكرنا ان الله تعالى رتب امرين على امرين فمن كفر ومن عمل صالحا واصلح باله ونقول اي مومن يتصور غير ات بالصالحات بحيث لا يصدر عنه صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا اطعام وعلى هذا فقوله وعملوا عطف المسبب على السبب كما قلنا في قول القايل اكلت كثيرا وشبعت الثالثة قوله تعالى وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق مع ان قوله تعالى امنوا وعملوا الصالحات افاد هذا المعنى فالحكمة فيه فكيف وجهه فنقول اما وجهه فبيانه من وجوه الاول قوله تعالى والذين امنوا بالله ورسوله واليوم الاخر وقوله تعالى وامنوا بما نزل تخصيص الاشياء الواردة في كلام الله تعالى ورسوله تعميم بعد امور خاصة وهو حسن تقول خلق الله السموات والارض وكل شي اما على معنى وكل شي غير ما ذكرناه واما على العموم بعد ذكر الخصوص الثاني ان يكون المعنى امنوا ولا بالمعجز والعقول ان القران لا ياتي به غير الله فامنوا وعملوا الصالحات والواو للجمع المطلق يجوز ان يكون المتاخر ذكرا متقدما وقوعا وهذا كقول القايل امن به وكان الايمان به واجبا ويكون بيانا لايمانهم كانوا امنوا وامنوا بالحق كما يقول القايل خرجت وخرجت مصيبا اي وكان خروجي جيدا حيث نجوت من كذا وربحت كذا فكذلك لما قال امنوا بين ان ايمانهم كان بما امر الله تعالى وانزل الله تعالى لا بما كان باطلا من عند غير الله تعالى الثالث ما قاله اهل المعرفة وهو ان العلم والعمل فالعلم يحصل به بما اذا عمل العلم العمل الصالح علم ما لم يكن يعلم فيعلم الانسان مثلا قدرة الله تعالى بالدليل وعمله

وامره فحمله الامر على الفعل وبحثه عليه علمه بحاله وقدرته على ثوابه وعقابه فاذا اتى بالعمل الصالح علم من انواع مقدورات الله
تعالى ومعلومات الله ما لم يعلمه احد الا باطلاع عليه وبلسفه ذلك له فيومن وهذا هو المعنى في قوله تعالى هو الذي انزل السكينة
في قلوب المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فاذا امن المكلف بمحمد صلى الله عليه وسلم بالبرهان وبالمعجزة وعمل صالحا حمله علمه
على ان يومن بكل ما قال محمد ولم يجد في نفسه شكا وللمومن في المرتبة الاولى احوال وفي المرتبة الاخيرة احوال اما في الايمان
بالله تعالى ففي الاول يجعل الله تعالى معبودا وقد يقصد غيره في حوايجه فيطلب الرزق من زيد وعمرو ويجعل امرا سببا
لامر وفي الاخر يجعل الله مقصودا ولا يقصد غيره ولا يرى الا منه سره وجهره فلا يلتفت الى شي في شي فهذا هو
الايمان الاخر بالله وذلك الايمان الاول واما في النبي صلى الله عليه وسلم فيقول اولا هو صادق وفيما ينطق
ويقول اخرا لا نطق له الا بالله ولا كلام سمع منه الا وهو من الله تعالى فهو اولا يقول بالصدق ووقوعه منه وفي الثاني
يقول بعدم الكذب منه لانه حاكي كلام الغير كما يحسب اليه الكذب ولا يحكي الا في نفس الحكاية وقد علم انه هو حاك عنه
كما قاله واما في المرتبة الاولى فيجعل الحشر مستقبلا والحياة العاجلة حالا وفي المرتبة الاخرة يجعل الحشر حالا والحياة الدنيا
ماضيا فيقسم حياة نفسه في كل لحظة ويجعل الدنيا كل عدمت لا يلتفت اليها ولا يقبل عليها الرابعة قوله تعالى وامنوا
بما نزل على محمد وهو في مقابلة قوله تعالى في حق الكافر الا انا بينا في وجه ان المراد بهم صدوا عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
وهذا حث على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بهم صدوا انفسهم عن سبيل الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه
وهؤلاء حثوا انفسهم على اتباع سبيله لا جرم حصل لهؤلاء ضد ما حصل لاولئك فاضل الله تعالى حسنات اوليك
وستر على سيئات هؤلاء الخامسة قوله تعالى وهو الحق من ربهم هل يمكن ان يكون من ربهم صفا للرجل فارقا كما يقال رايت
رجلا من بغداد فيصير وصفا للرجل فارقا بينه وبين من يكون من الموصل وغيره نقول لا لان كل ما كان من الله
تعالى فهو الحق فليس هذا هو الحق من ربهم بل قوله تعالى من ربهم خبر بعد خبر كانه قال وهو الحق وهو من ربهم او ان كان
وصفا فارقا فهو على معنى انه الحق النازل من ربهم لان الحق قد يكون مشاهدا فان كون الشمس مضيئة حق وهو ليس نازلا
من الرب وهو حاصل بطريق يسره الله تعالى له ثم قال تعالى كفر عنهم سيئاتهم اي سترها وفيه اشارة الى بشارة كانت
تحصل بقوله اعدمها ومحاها لان محو الشي لا ينبي عن اثبات امر اخر مكانه واما الستر فينبي عنه وذلك لان من يريد ستر
ثوب بالي او وسخ لا يستره بمثله وانما يستره بثوب نفيس نظيف ولاسيما الملك الجواد اذا ستر على عبد من عبيده ثوبه
البالي امر باحضار ثوب من الجنس العالي لا يحصل الا بالثمن العالي ويلبس هذا هو الستر بينه وبين المحبوب وبذلك المغفرة
فان المغفرة والتكفير من باب واحد في المعنى وهذا هو المذكور في قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقوله
تعالى واصلح بالهم اشارة الى ما ذكرنا من انه تعالى يبدلها حسنة فان قيل كيف تبدل السيئة حسنة نقول معناه انه
يجزيه بعد سيئاته ما يجزي المحسن على احسانه فان كان الامكان باق وما زاد بل زاد فان الله تعالى لو اثاب على السيئة
كما يثيب على الحسنة كان ذلك حثا على السيئة نقول لما قلنا انه يثيب على السيئة وانما قلنا انه يثيب بعد السيئة بما
يثيب على الحسنة وذلك حيث اتى المولى بسيئته ثم يندم ويقف بين يدي ربه معترفا بذنبه مستحقرا لنفسه فيصير اقرب
الى الرحمة من الذي لم يذنب ودخل على ربه مفتخرا في نفسه فصار الذنب شرط الندم والثواب ليس على السيئة وانما هو على الندم
وكان الله تعالى قال عبدي اذنب ورجع الي ففعله سي لكن ظنه بي حسن حيث لم يجد له ملجا غيري فاتكل على فضلي الطف
عمل القلب والفعل عمل البدن واعتبر عمل القلب اولى الا ترى ان النايم والمغمى عليه لا يلتفت الى اعمال بدنه والمفلوج الذي لا حركة
له يعتبر قصد قلبه ومثال الروح والبدن راكب دابة يركض فرسه بين يدي ملك يدفع عنه العدو بسيفه وسنانه
والفرس يلطخ ثوب الملك بركضه في استنانه فهل يلتفت الى فعل الدابة مع فعل الفارس بل لو كان الراكب فارغا والفارس يودي
بالتلويث يعاتب الفارس به فلذلك الروح راكب والمركوب البدن فان كانت الروح مشغولة بعبادة الله تعالى ويصدر من
البدن شي لا يلتفت اليه بل يستحسن منه ذلك ويراد في تربية الفرس الراكض ويهجر الفرس الواقف ان كان غير مشغول
وهو مواخذ بافعال العباد ثم قال تعالى ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل اي ذلك الاضلال والابطال بسبب اتباعهم
الباطل وفيه مسايل المسالة الاولى في الباطل وجوه الاول ما لا يجوز وجوده وذلك لانهم اتبعوا الها غير الله واله غير الله محال
الوجود وهو الباطل وغاية الباطل لان الباطل هو المعدوم يقال بطل كذا اي عدم والمعدوم الذي لا يجوز وجوده ولا يمكن ان يوجد
ولا يجوز ان يصير حقا موجودا فهو في غاية البطلان فعلى هذا فالحق هو الذي لا يمكن عدمه وهو الله تعالى وذلك لان الحق هو الموجود
يقال تحقق الامر اي وجد وثبت الموجود الذي لا يجوز عدمه وهو في غاية الثبوت الثاني الباطل الشيطان بدليل قوله تعالى
لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فبين ان الشيطان متبوع واتباعه هم الكفار والفجار وعلى هذا فالحق هو الله
تعالى لانه جعل في مقابلة حزب الشيطان حزب الله تعالى الثالث الباطل هو قول كبرايهم ودين ابايهم كما قال تعالى انا وجدنا اباءنا
على امة وانا على اثارهم مهتدون ومقتدون فعلى هذا الحق ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم الرابع الباطل كل ما سوى الله
لان الباطل والهالك بمعنى واحد وكل شي هالك الا وجهه وعلى هذا فالحق هو الله تعالى ايضا المسالة الثانية لو قال قايل من سلم
لا يلايم الا وجها من الاربعة الاجوبة وهو قولنا المراد من الحق هو ما انزل الله وما قال النبي صلى الله عليه وسلم من الله فاما على قولنا
الحق هو الله تعالى فيكون نصب قوله تعالى اتبعوا الحق من ربهم نقول على هذا من ربهم لا يكون متعلقا بالحق وانما يكون متعلقا بقوله

تعالى



تعالى اتبعوا اي اتبعوا امر ربهم اي من يضل الله تعالى او هداية ربهم اتبعوا الحق وهو الله سبحانه وتعالى المسالة الثالثة
اذا كان الباطل هو العدم الذي لا يجوز فكيف يمكن اتباعه نقول لما كانوا يقولون ما يفعلون ويفعلون للاصنام
وهي الهة وهي تاخرهم بذلك كانوا متبعين في زعمهم ولا متبع هناك الرابعة قال في حق المومنين اتبعوا الحق من ربهم
وقال في حق الكفار اتبعوا الباطل من الهتهم او الشيطان نقول ما الهتهم فلانهم لا كلام لهم ولا عقل وحيث ينطقهم
الله يكونون عليهم كما قال تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم وقال تعالى وكانوا بعبادتهم كافرين فالله رضي بفعلهم عليه
ويحتمل ان يقال قوله ربهم عايد الى الامرين جميعا اي من ربهم اتبع هولاء الباطل وهولاء الحق اي من حكم ربهم ومن عند ربهم
ثم قال تعالى كذلك يضرب الله للناس امثالهم وفيه ايضا مسايل المسالة الاولى اي مثل ضربه الله تعالى حتى يقول كذلك
يضرب الله للناس نقول فيه وجهان احدهما اهلاك اعمال الكفار ويكفر سيات الابرار الثاني كون الكافر متبعا للباطل
وكون المومن متبعا للحق ويحتمل وجهين اخرين احدهما على قولنا من ربهم اي من عند ربهم اتبع هولاء الباطل وهولاء
الحق نقول هذا مثل يضرب عليه جميع الامثال فان الكل من عند الله الاضلال وغيره والاتباع وغيره وثانيهما
هو ان الله تعالى لما بين ان الكافر يضل الله عمله والمومن يكفر الله سياته فكان بين الكفر والايمان متباينة
ظاهرة فانهما ضدان فيه على ان السبب ليس الاضلال والتكفير بسبب المضادة والاختلاف بل بسبب اتباع
الحق والباطل واذا علم السبب فالفعلان قد يتحدان صورة وحقيقة واحدهما يوقف ابطال الاعمال والاخر
يوذن بتكفير السيات بسبب ان احدهما يكون اتباع الحق والاخر اتباع الباطل فان من يومن ظاهرا وقلبه كافر
مملو من الكفر ومن يومن قلبه مملو بالايمان اتحد فعلاهما في الظاهر وهما مختلفان بسبب اتباع الحق واتباع
الباطل لا بل ابلغ من ذلك فان من يومن ظاهرا وهو لم يكفر مصر عليه ومن يكفر يكفر ظاهرا بالاكراه وقلبه
مطمين بالايمان اختلف الفعلان في الظاهر وابطال الاعمال من اظهر الايمان بسبب ان اتباع الباطل من جانبه فكانه
تعالى قال الكفر والايمان مثلان نبه فيهما الحكمان وعلم سببه وهو اتباع الحق والباطل كان مردودا محاقا
عليه فصار هذا عاما في الاشياء على انا نقول وقوله كذلك لا يستدعي ان يكون هناك مثل مضروب بل معناه انه تعالى
لما بين حال الكافر واضلال عمله وحال المومن وتكفير سياته وبين السبب فيهما كان ذلك غاية الايضاح قال كذلك اي
مثل هذا البيان يبين الله للناس امثالهم ويبين لهم احوالهم المسالة الثانية الضمير في قوله امثالهم عايد الى
من فيه وجهان احدهما الى الناس كافة قال الله تعالى يضرب الله للناس امثال انفسهم وثانيهما الى الفريقين السابقين
في الذكر معناه يضرب الله للناس امثال الفريقين السابقين والله تعالى اعلم **قوله تعالى** فاذا لقيتم
الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فدا حتى تضع الحرب
اوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله
فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم في الاية مسايل المسالة الاولى
الفاء في قوله تعالى فاذا لقيتم يستدعي متعلقا يتعلق به ويترتب عليه فما وجه التعلق بما قبله نقول هو من وجوه
الاول لما بين ان الذين كفروا اضل الله اعمالهم واعتبار الانسان بالعمل ومن لم يكن له عمل فهو همج فان صار مع ذلك
يودي حسن علامه فاذا لقيتم بعد ظهور ان لا حرمة لهم بعد ابطال اعمالهم فاضربوا اعناقهم الثاني اذا تبين تباين
الفريقين وتباعد الطريقين وان احدهما يتبع الباطل وهو حزب الشيطان والاخر يتبع الحق وهو حزب الرحمن حق
القتال عند التحزب فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب الثالث ان من الناس من يقول يضعف قلبه وقصور نظره الالم
الحيوان من الظلم والطغيان ولاسيما القتل الذي هو تخريب بنيان فيقال ردا عليهم لما كان اعتبار الاعمال باعتبار
الحق والباطل ممن يعمل في سبيل الله يعطيهم الله تعالى لهم من الاجر ما للمصلي والصايم فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب
الرقاب فان ذلك اتباع ووقع الاعتبار به لا بصورة الفعل الثانية فضرب منصوب على المصدر اي فاضربوا الرقاب
الثالثة ما الحكمة في اختيار ضرب الرقبة على غيرها من الاعضا نقول فيه لما بين ان المومن ليس يدافع انما هو دافع وذلك
ان من يدفع الصايل لا ينبغي ان يقصد اولا قتله بل يتدرج ويضرب على غير المقتل فان اندفع فذاك ولا يترقى الى درجة الاهلاك
فقال تعالى ليس المقصود الا دفعهم عن وجه الارض وتطهير الارض منهم وكيف لا والارض لكم مسجد والمشركون نجس والمسجد
يطهر عن النجاسة فاذا ينبغي ان يكون قصدكم اولا الى قتلهم بخلاف دفع الصايل والرقبة اظهر المقاتل لان قطع الحلقوم والاوداج
مستلزم للموت لكن في الحرب لا يتهيا ذلك والرقبة ظاهرة في الحرب ففي ضربها حز العنق وهو مستلزم للموت بخلاف ساير المواضع
ولاسيما في الحرب وفي قوله لقيتم ما ينبي عن مخالفتهم الصايل لان قوله لقيتم يدل على ان القصد من جانبهم بخلاف قولنا لقيكم
ولكن قال تعالى في غير هذا الموضع فاقتلوهم حيث ثقفتموهم الرابعة قال هاهنا فضرب الرقاب باظهار الفعل والمصدر
وقال في الانفال فاضربوا فوق الاعناق باظهار الفعل وترك المصدر فهل فيه فايدة نقول نعم ولنبينها بتقديم مقدمة وهي ان
المقصود اولا في بعض الصور قد يكون صدور الفعل من فاعل ويتبعه المصدر ضمنا واولا لا يمكن ان يفعل فاعل الا ويقع
منه المصدر في الوجود وقد يكون المقصود اولا المصدر ولكنه لا يوجد الا من فاعل فيطلب منه ان يفعل مثاله من قال
لمن حلف انه يخرج عن المدينة فيقال له فاخرج صار المقصود منه صدور الفعل منه والخروج في نفسه غير مقصود

الاسعا ولو امكن ان يخرج من غير تحقق الخروج منه لما كان عليه الا ان يخرج لكن من ضرورات الخروج ان يخرج فاذا قال
القاعد ناقعا على المكان بسبب الاعلا فقال له صلاه الخروج يعني الخروج فاخرج فان الخروج هو المطلوب حتى لو امكن الخروج من غير
فعل تحصل الغرض لكنه محال فصيغة الفعل اذا عرفت هذا فنقول في الا فعال الحكاية عن الحرب الكاينة وهم كانوا فيها والملكة
انزلوا للنصرة ومن حضر في صف القتال فصدور الفعل منه مطلوب وهاهنا الامر وارد وليس في وقت القتال بدليل قوله
تعالى فاذا لقيتم الذين والمقصود منه بيان كون المصدر مطلوبا لتقدم المامور على الفعل فقال في ضرب الرقاب وفيما ذكرنا
بيان فايدة اخرى وهي ان الله تعالى قال هناك واضربوا منهم كل بنان وذلك لان الوقت وقت قتال فارشدهم الى القتل و
غيره انهم نصبوا المقتل وهاهنا ليس وقت القتال فبين ان المقصود القتل وغيره من المسلم ذلك الرابعة حتى لبيان غاية الامر
لا لبيان غاية القتل حتى اذا اثخنتموهم لا يبقى الامر بالقتل ويبقى الجواز ولو كان لبيان العمل لما كان القتل والعمل جايزا اذا المحق
المحن بالشيخ الهرم والمراد كما اذا قطعت يداه ورجلاه فنهى عن قتله ثم قال تعالى فشدوا الوثاق امر ارشاد ثم قال تعالى فاما
منا بعد واما فدا وفيه مسايل **المسألة الاولى** اما وانما للحصر وحالهم بعد الاسر غير منحصر في الامرين بل يجوز القتل والاسترقاق
والمن والفدا نقول هذا ارشاد فذكر الامر العام الجايز في ساير الاجناس والاسترقاق غير جايز في اسر العرب وقال النبي صلى الله
عليه وسلم كان معهم فلم يذكر الاسترقاق واما القتل فلان الظاهر في المحل الازمان ولان القتل ذكره بقوله فضرب الرقاب
فلم يبق الا الامران **المسألة الثانية** منا وفدا منصوبان لكونهما مصدرين تقديره فاما تمنون منا او تفدون فدا
وتقدم المن على الفدا اشارة الى ترجيح حرمة النفس على طلب المال والفدا يجوز ان يكون مالا ويجوز ان يكون غيره من الاسرى
او شرط يشترط عليهم او عليه وحده **المسألة الثالثة** اذا قدرنا الفعل وهو تمنون بل و تفدون على تقدير الفعل
حتى تقولوا اما تمنون عليهم منا او تفدونهم فلا نقول لان المقصود المن والفدا لا عليهم وهم كما نقول القايل فلان يعطي ويمنع
ولا تقال يعطي زيدا ويمنع عمرا لان غرضه ذكر كونه فاعلا لا بيان المفعول وكذلك هاهنا المقصود ارشاد المومنين الى الفضل
ثم قال تعالى حتى تضع الحرب اوزارها في تعلق حتى وجهان احدهما تعلقها بالقتل اي اقتلوهم حتى تضع وثانيهما بالمن والفدا
ويحتمل ان يقال متعلقه لشد والوثاق وتعلقهما بالقتل اظهر وان كان ذكره ابعد وفي الاوزار وجهان احدهما السلاح والثاني
الاثام وفيه مسايل **المسألة الاولى** ان المراد الاثم فكيف يضع الحرب الاثم والاثم على اهل الحرب وذلك السول في السلاح لكنه على
الاول اشد توجها فنقول تضع الحرب الاوزار لا من نفسها بل تضع الاوزار التي على اهل الحرب والسلاح الذي عليهم الناس هل هذا الكوته
تعالى واسئل القرية حتى يكون كانه قال حتى تضع امة الحرب او فرقة الحرب اوزارها نقول ذلك محتمل في النظر الاول لكن اذا معنت
في المعنى تجد بينهما فرقا وذلك لان المقصود من قوله حتى تضع الحرب اوزارها انقراض الحرب بالكلية بحيث لا يبقى في الدنيا حرب
من احزاب الكفار تحارب حزبا من احزاب الاسلام ولو قلنا حتى تضع امة الحرب جاز ان تضعوا الاسلحة ويتركوا الحرب وهي باقية بمادتها
كما تقول خصومتي ما انفصلت ولكني تركتها في هذه الايام واذا استند بالوضع الى الحرب يكون معناه ان الحرب لم يبق **المسألة الثالثة**
لو قال حتى لا يبقى حرب او ينتهي من الحرب هل يحصل معنى قوله حتى تضع الحرب اوزارها نقول لا والتفاوت بين العبارتين مع
قطع النظر عن النقل الى نقل المعنى كالتفاوت بين قولك انقرضت دولة بني امية وقولك لم يبق من دولتهم اثر ولكن الثاني
ابلغ ولذلك هاهنا قوله تعالى اوزارها يعني اثارها فان اوزار الحرب من اثارها **المسألة الرابعة** وقت وضع اوزارها
متى هو نقول فيه اقوال حاصلها راجع الى ان ذلك الوقت هو الوقت الذي لا يبقى فيه حرب من احزاب الاسلام وحزب من احزاب
الكفر وقيل ذلك عند قتال الدجال ونزول عيسى عليه السلام ثم قال تعالى ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم في معنى ذلك وجهان
احدهما الامر ذلك والمبتدا محذوف ويحتمل ان يقال ذلك واجب او مقدم كما نقول القايل ان فعلت فذاك اي فذاك مقصود ومطلوب ثم بين
ان قتالهم ليس طريقا متعينا بل الله لو اراد اهلكهم من غير جيش ولكن ليبلو بعضكم ببعض اي ولكن ليكلفكم به فيحصل لكم شرف باختياره
اياكم لهذا الامر فان قيل ما التحقيق في قولنا التكليف ابتلاء وامتحان والله يعلم السر واخفى وما الذي من قوله تعالى ولكن ليبلو بعضكم
ببعض وفيه وجوه الاول ان المراد منه يفعل ذلك فعل المبتلي اي كما يفعل المبتلي الممتحن ومنها ان الله تعالى يبلو ليظهر الامر
لغيره اما للملايكة واما للناس والتحقيق هو ان الابتلاء والامتحان والاختبار فعل يظهر بسببه امر غير متعين عند العقلاء
بالنظر اليه الى ظهوره وقوله فعل يظهر بسببه امر ظاهر الدخول في مفهوم الابتلاء لان ما لا يظهر بسببه شي اصلا
لا يسمى ابتلاء واما قولنا امر غير متعين عند العقلاء وذلك لان من يضرب بسيفه على القثا والخيار لا يقال انه ممتحن لان الامر
الذي يظهر منه متعين وهو القطع والقد بنصفين واذا ضرب بسيفه سبعا يقال يمتحن بسيفه لان الامر الذي يظهر منه متعين
وقد يقده وقد لا يقده واما قولنا ليظهر منه ذلك فلان من يضرب سبعا بسيفه ليدفعه عن نفسه لا يقال انه ممتحن لان ضربه
ليس لظهور امر متعين اذا علم هذا فنقول الله تعالى اذا امرنا بفعل يظهر بسببه امر غير متعين وهو اما الطاعة او المخالفة صيانة
في العقول ليظهر ذلك ما يكون ممتحنا وان كان عالما به لكون علم العلم بمعادنا صنا لا سدا بنا فاذا ابتلينا وعدم العلم فينا مستمر
قربا وليس من ضرورات الابتلاء فان قيل فالابتلاء فايدة حصول العلم عند المبتلي فاذا كان الله عالما فاي فايدة فيه نقول ليس هذا
سؤالا لا يختص بالابتلاء فانه قول القايل لم ابتلى نقول القايل لم عاقب الكفار وهو مستغن ولم خلق النار محرقة وهو قادر على ان
يخلقها بحيث تنفع ولا تضر **وجوابه** لا يسئل عما يفعل ونقول حينئذ ما نقوله المتقدمون انه لظهور الامر
المتعين لا له وبعد هذا نقول المسألة لا حاجة له الى الامر الذي يظهر في الابتلاء فان الممتحن بالسيف فيما ذكرنا من الصورة

لاحاجة



لا حاجة له الى قطع ما يجرب السيف فيه حتى انه لو كان محتاجا كما ضربنا من مثال دفع السبع بالسيف لا يقال يمتحن اما قوله
تعالى ليبلو بعضكم ببعض اشارة الى عدم الحاجة تقريرا لقوله تعالى ولو يشاء الله لانتصر منهم ثم قال تعالى والذين قتلوا في سبيل
الله فلن يضل اعمالهم قرئ قتلوا وقاتلوا والكل مناسب لما تقدم اما من قرأ قتلوا فلانه لما قال فضرب الرقاب والمعنى فاقتلوهم
بين ما للقاتل بقوله تعالى والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم ردا على من زعم ان القتل فاسد محرم اذ هو افنا من هو مكرم
تعالى عليهم ليس لحسنة الكافر سيئا بل هو فوق حسنات الكفار اضل الله اعمال الكافر ولن يضل اعمال القاتل فكيف يكون القتل
سيئة واما من قرأ قاتلوا فهو اكثر فايدة واعم تناولا لانه يدخل فيه من سعى في القتل سوا قتل او لم يقتل واما من قرأ
والذين قتلوا على البنا للمفعول فنقول هي مناسبة لما تقدم من وجوه احدها انه تعالى لما قال فضرب الرقاب اي القتل
والقتل لا يتاتى الا باقدام وخوف ان يقدم المقدم من الاقدام فقال لا تخافوا القتل فان من يقتل في سبيل الله له
من الاجر والثواب ما لا يمنع المقاتل من القتال بل يحثه عليه وثانيها وهو ان الله تعالى لما قال ليبلو بعضكم ببعض والمبتلى
بالشي له على كل وجه من وجوه الامر الظاهر بالابتلاء حال من الاحوال فان السيف الممتحن يزيد قيمته على ان يقطع
ويتقص على تقدير ان لا يقطع فحال المسلمين ماذا يقال ان قتل حطه ان لا يضل عمله ويهدى ويكرم ويدخل الجنة واما
ان قيل فلا يخفى امره عاجلا واجلا وترك بيانه على تقدير كونه مقتولا وثالثها هو انه تعالى لما قال ويبلو بعضكم لا يحتمل
النفس بما يخاف منه هلاكه فان السيف المهند العضب الكبير القيمة لا يجرب بالشي الصلب الذي يخاف عليه منه
الانكسار ولكن الادمي يكرم كرمه الله تعالى وشرفه وعظمه بما عرفه ابتلاه بالقتال وهو يفضي الى القتل والهلاك
ايضا غير مادح فكيف يحسن هذا الابتلاء فقال القتل ليس باهلاك بالنسبة الى المومن فانه يورث الحياة الابدية
فاما اسلمته بالقتال وهو على تقدير ان يقتل مكرما وعلى تقدير ان لا يقتل مكرما بان قاتل وان لم يقاتل فالموت لا بد منه
وقد عوض على نفسه الاجر الكبير والخير الكثير اما قوله تعالى فلن يضل اعمالهم قد علم معنى الاضلال بقي الفرق بين العبارتين
في حق الكافر والضال فقال اضل اي قال في حق المومن الداعي لن يضل لان المقاتل داع الى الايمان لان قوله تعالى حتى تضع الحرب
اوزارها قد ذكر ان معناه حتى لا يبقى حزب من احزاب الكفر وذلك حيث يسلم الكافر فالمقاتل يقول ان تسلم واما ان تقتل فهو داع والكافر
صاد وبينهما تضاد فقال في حق الكافر اضل بصيغة الماضي ولم يقل ما اضل اشارة الى ان عمله كلما اتى عليه ثبت له
فلن يضل للاسد وبينهما غاية الخلاف كما ان بين الداعي والصاد غاية البيان والتضاد في قوله تعالى لن يضل جوابه
لان قوله تعالى والذين قتلوا معنى الشرط وقوله تعالى سيهديهم ان قرأ قتلوا او قاتلوا فالهداية محمولة على الاجلة والعاجلة
وان قرأ قتلوا فهو في الاخرة سيهديهم طريق الجنة من غير وقفة من قبورهم الى موضع حبورهم وقوله تعالى ويصلح بالهم قد تقدم
تفسيره في قوله تعالى اصلح بالهم والماضي والمستقبل راجع الى ان هناك وعدهم ما وعدهم بسبب الايمان والعمل الصالح وذلك
كان واقعا منهم فاخبر عن الجزا بصيغة تدل على الوقوع وهاهنا وعدهم بسبب القتل والقتال وكان في اللفظ ما يدل على الاستقبال
لان قوله تعالى فاذا لقيتم يدل على الاستقبال فقال تعالى يصلح بالهم ثم قال تعالى ويدخلهم الجنة وكان الله تعالى عند حشرهم يهديهم
الى طريق الجنة ويلبسهم في الطريق خلعة الكرامة وهو اصلاح البال ويدخلهم الجنة فهو على ترتيب الوقوع واما قوله تعالى عرفها
لهم في وجوه احدها هو كل احد يعرف منزله ومأواه حتى ان اهل الجنة يكونون اعرف بمنازلهم فيها من اهل الجمعة بمنازلهم
في الارض كل واحد يأوي الى منزله ومنهم من قال الملك الموكل باعماله يهديه الوجه الثاني عرفها لهم حددها من عرف الدار
وارفها الى حدودها وتحديدها في قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض ويحتمل ان يقال المراد هو قوله تعالى وتلك
الجنة التي اورثتموها بسر الهام معرفتهم بانها هي تلك وفيه وجه اخر وهو ان يقول معناه عرفها لهم قبل القتل فان الشهيد
وقت وفاته يعرض عليه منزله في الجنة فيشتاق اليه ووجه معناه يدخلهم الجنة ولا حاجة الى وصفها فان الله تعالى
عرفها لهم مرارا ووصفها ووجه ثالث وهو من تعريف الضالة فان الله تعالى لما قال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة فكانه تعالى قال من يأخذ الجنة ويطلبها بماله او بنفسه فالذي قتل سمع التعريف وبذل
ما طلب منه عليها فادخلها ثم انه تعالى لما بين ما على القتال من الثواب والاجر وعدهم بالنصر في الدنيا زيادة في الحث
ليزداد منهم الاقدام والله تعالى اعلم **قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم و
يثبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله
فاحبط اعمالهم** اعلم ان في نصرة الله تعالى وجوها الاول ان تنصروا دين الله وطريقه والثاني ان تنصروا حزب الله
تعالى وفريقه والثالث المراد نصر الله حقيقة وليس بحقيقة فنقول النصر تحقيق مطلوب احد المتعادين الاجها
والاخير تحقيق علاقة الشيطان عدو الله تعالى ويجتهد في تحقيق الكفر وعليه اهل الايمان والله نصرة الكفر واهلاك
اهله ومن احتال الاشراك بجهله فمن حقق نصرة الله تعالى حيث حقق مطلوبه لا نقول الا مراده فان مراد الله تعالى لا يحققه
غيره ومطلوبه عند اهل السنة غير مراده فانه طلب الايمان من الكفار ولم يرده ولو اراده لوقع ثم قال تعالى ينصركم فان قيل
فعلى ما قلتم النصر للمومن الله تعالى فقد حقق ما طلبه تحقيق ما طلبه العبد وهو شي واحد فنقول المومن بنصرة الله تعالى يخرج
الى القتال واقدامه والله تعالى ينصره بقوته ويسلمه ويثبت اقدامه وارسال الملايكة الحافظين له من خلفه وقدامه ثم قال
تعالى والذين كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم هذا زيادة في تقوية قلوبهم لانه تعالى لما قال ويثبت اقدامكم جاز ان يتوهم

ان الكافر ايضا يضرب ويسلب للقتال وصدوم القتال والحرب والطغيان والضراب وفيه المشقة العظيمة فقال تعالى لكم الساعات
ولهم الزوال والتغير والهلاك فلا يكون القتال وسببه ظاهر لان الهتهم جمادات لا قدرة لها والانسان عند من له قدرة لكن
غير صالحة لدفع ما قدره الله تعالى عليهم من الدمار وعند هذا لابد من زوال القدم والعثار وقال في حق المؤمن ويثبت
بصيغة الاخبار من الله تعالى لان عنادهم واجب لان عدم النصرة من الهتهم واجب الوقوع اذ لا قدرة لها والتثبيت من الله
ليس بواجب الوقوع لانه قادر مختار يفعل ما يشاء وقوله تعالى واضل اعمالهم الى بيان مخالفة موتاهم لقتلى المسلمين حيث
قال في حق قتلاهم فلن يضل اعمالهم وقال في موتى الكافر اضل اعمالهم ثم بين تعالى بسبب ما اختلفوا فيه فقال تعالى ذلك بانهم
كرهوا ما انزل الله وفيه وجوه الاول المراد القران وجهه وهو ان كيفية العمل الصالح لا يعلم بالعقل وانما تدرك
بالشرع والشرع بالقران فلما اعرضوا لم يعرفوا العمل الصالح وكيفية الاتيان به فاتوا بالباطل فاحبط اعمالهم الثاني كرهوا ما انزل
الله من بيان التوحيد كما قال الله تعالى عنهم اينا لتاركوا الهتنا وقال تعالى اجعل الالهة الها واحدا الى ان قال ان هذا الا اختلاق
وقال تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة ووجهه ان الشرك محبط للعمل قال الله تعالى لئن اشركت
ليحبطن عملك وكيف لا والعمل من المشرك لا يقع لوجه الله فلا بقاء له في نفسه ولا بقاء له بما من له العمل لان كل ما سوى وجه الله
تعالى هالك فيحبط الثالث كرهوا ما انزل الله من بيان امر الاخرة فلم يعملوا لها والدنيا وما فيها وما لها باطل فاحبط الله اعمالهم
والله تعالى اعلم **قوله تعالى** افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله
عليهم وللكافرين امثالها ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم ان الله يدخل الذين
امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام
والنار مثوى لهم **اعلم** ان هذا مناسبة للوجه الثالث يعني فسيروا الى حالهم واعلموا ان الدنيا فانية وقوله تعالى
دمر الله عليهم اي اهلك عليهم متاع الدنيا من الاموال والاولاد والازواج والاجساد وقوله تعالى وللكافرين امثالها يحتمل
وجهين احدهما ان يكون المراد لهم امثالها في الدنيا وحينئذ يكون المراد من الكافرين ثم الكافرون بمحمد صلى الله عليه وسلم
وثانيهما ان يكون المراد لهم امثالها في الاخرة فيكون المراد من تقدم [illegible]
امثالها وفي العايد اليه ضمير المونث [illegible]
ولان التدمير عقوبة لهم فان قيل على قولنا المراد [illegible] محمد صلى الله عليه وسلم [illegible]
لمن تقدم بالعقوبة [illegible] كالزلازل والنيران [illegible]
كذلك قوم محمد صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
لها امثال قلنا يجوز ان يكون المراد العذاب [illegible] كانت العاقبة علمه قال تعالى ذلك بان الله
مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم ذلك يحتمل ان يكون اشارة الى النصر وهو اختيار جماعة وذكره الواحدي ويحتمل وجها
اخر اغرب من حيث النقل واقرب من حيث العقل وهو انا لما بينا ان قوله تعالى وللكافرين امثالها اشارة الى ان قوم محمد صلى الله عليه
وسلم اهلكوا بايدي امثالهم الذين كانوا لا يرضون مجالستهم وهو اتم في الهلاك بالسبب العام قال تعالى ذلك الهلاك والهوان
بسبب ان الله تعالى ناصر المومنين والكافرين اتخذوا الهة لا تنفع ولا تضر وتركوا الله تعالى فلا ناصر لهم ولا شك ان من ينصره الله
تعالى يقدر على القتل والاسر وان كان له الف ناصر عن ان يكون لا ناصر لهم فان قيل كيف الجمع بين قوله تعالى لا مولى لهم وبين قوله
مولاهم الحق نقول المولى ورد بمعنى السيد والرب بمعنى الناصر فحيث قال لا مولى لهم اراد لا ناصر لهم وحيث قال مولاهم الحق اي ربهم
الحق اي ربهم ومالكهم كما قال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم وقال تعالى ربكم ورب ابائكم الاولين وفي الكلام تباين عظيم عن
الكافر والمؤمن لان المؤمن ينصره الله تعالى وهو خير الناصرين والكافر لا مولى له فيضعه بالمجلس فليس له ناصر فانه
شر الناصرين ثم قال تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات لما بين الله تعالى حال المؤمنين والكافرين في الدنيا
من حالهم في الاخرة وقال انه يدخل المؤمن الجنة والكافر النار وفيه مسائل **المسألة الاولى** كثيرا ما يقتصر الله تعالى على ذكر
الانهار في وصف الجنة لان الانهار يتبعها الاشجار والاشجار تتبعها الثمار ولانه سبب حياة العالم والنار سبب الاعدام وللمؤمن
الماء يسطر اليه وينتفع به وللكافر النار يتقلب فيها ويتضرر بها **الثانية** ذكرنا مرارا ان في قوله تعالى من تحتها الانهار يحتمل
ان يكون صلة معناه تجري تحتها ويحتمل ان يكون المراد اما هاهنا لا تجري الماء من موضع اخر فيقال هذا النهر منبعه من اين يقال
من عين كذا من تحت جبل كذا **الثالثة** قال تعالى والذين كفروا خصهم بالذكر مع ان المؤمن ايضا له التمتع بالدنيا وطيباتها فحظه
من يكون له ملك عظيم ويملك شيا يسيرا لا يقال الا بالملك العظيم لا يقال في حق الملك العظيم صاحب الضيعة القديمة ومن
لا يملك الا شيا يسيرا فلا يذكر الا به فالمؤمن له تلك الجنة فمتاع الدنيا لا يلتفت اليه في حقه والكافر ليس له الا الدنيا وجه اخر
الدنيا للمؤمن سجن فكيف كان ومن ياكل في السجن لا يقال انه متمتع فان قيل كيف يكون الدنيا سجنا مع ما فيها من الطيبات نقول المؤمن
في الاخرة طيبات معدة واخوان مكرمون نسبتها ونسبتهم الى الدنيا ومن فيها نسبة عال وهوان من يكون له بستان فيه من كل
الثمرات الطيبة في غاية اللذة وانهار جارية في غاية الصفاء ودور وغرف في غاية الرفعة والاولاد فيها وهو قد غاب عنهم سنين ثم توجه

اليهم



اليهم وهم فيها فلم قرب منها عوق في اجمة فيها من بعض الثمار العفنة والمياه الكدرة وفيها سباع وحشرات كثيرة فهل يكون
خالدا فيها الحال مسجون في بير ظلمة او في بيت خراب ام لا وهل يجوز ان يقال له اترك ما هو لك وتمتع بهذه الثمار وبهذه الانهار ام لا
لذلك حال المؤمن واما الكافر فحاله كحال من تقدم الى القتل فصبر عليه اياما في مثل تلك الاماكن التي ذكرناها يكون في حبس
الدنيا الى الجنة والنار ودون ما ذكرنا من المثال لانه يعني ذا البال عن حقيقة الحال فقوله تعالى كما تاكل الانعام يحتمل وجهان
احدهما ان الانعام ههنا الاكل لا غير والكافر كذلك والمؤمن ياكل ليعمل صالحا ويقوى عليه وثانيها الانعام لا تستدل بالماكول على
خالقها والكافر كذلك والثالث الانعام تعلف لتسمن وهي غافلة عن الامر لا تعلم كلما كانت اسمن كانت اقرب الى الذبح والهلاك
وكذلك الكافر ويناسب ذلك قوله تعالى والنار مثوى لهم **المسألة الرابعة** قال في حق المؤمن ان الله يدخل بصيغة الوعد وقال
في حق الكافر والنار مثوى لهم بصيغة تنبي عن الاستحقاق لما ذكرنا ان الاحسان لا يستدعي استحقاقا فالمحسن الى من لم يوجد
منه ما يوجب الاحسان كريم والمعذب من غير استحقاق ظالم والله تعالى اعلم **قوله تعالى** وكاين من قرية هي اشد قوة
من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا
اهواءهم مثل الجنة التي وعد المتقون **اعلم** ان الله تعالى ضرب لهم مثلا بقوله افلم يسيروا في الارض ولم ينفعهم
مع ما تقدم من الدلائل ضرب للنبي صلى الله عليه وسلم تسلية فقال تعالى وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك
اهلكناهم فلا ناصر لهم وكانوا من اهل مكة لذلك نفعل بهم فاصبر كما صبر رسلهم وقوله تعالى فلا ناصر لهم قال الزمخشري قوله
فلا ناصر لهم مع ان الاهلاك ماضي وقوله فلا ناصر لهم للحال والاستقبال محمول على الحكاية والحكاية كالحال الحاضر ويحتمل ان يقال
اهلكناهم في الدنيا فلا ناصر لهم ينصرهم ويخلصهم من العذاب الذي هم فيه ويحتمل ان يقال قوله تعالى فلا ناصر لهم عايد الى اهل قرية
محمد صلى الله عليه وسلم كانه قال اهلكنا من تقدم اهل قريتك ولا ناصر لاهل قريتك ينصرهم ويخلصهم مما جرى على الاولين ثم قال تعالى
افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم اشارة الى الفرق بين النبي صلى الله عليه وسلم والكافر ليعلم ان الهلاك
اي اهلاك الكافر ونصرة النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا محقق وان الحال يناسب تعذيب الكافر واثابة المؤمن وقوله تعالى
على بينة فرق فارق وقوله من ربه تكملة له وذلك ان البينة اذا كانت نظرية يكون كافية للفرق بين المستمسك بها وبين القائل
قولا دل عليه فاذا كانت البينة منزلة من الله تعالى يكون اقوى واظهر فيكون اعلى واتم ويحتمل ان يقال قوله تعالى من ربه
ليس المراد انزالها منه بل المراد كونها من الرب بمعنى قوله تعالى يهدي من يشاء وقولنا الهداية من الله تعالى وكذلك قوله تعالى
كمن زين له سوء عمله فرق فارق وقوله تعالى واتبعوا اهواءهم تكملة وذلك ان من زين له سوء عمله والشبهة عليه قد يتفكر
في الامر ويرجع الى الحق فيكون اقرب الى من هو على البرهان وقد يتبع في هواه ولا يتدبر في البرهان ولا يتفكر في البيان فيكون
في غاية البعد فاذا حصل النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمن مع الكافر في طرفي التضاد وغاية التباعد حيث والكافر له
الشبهة وهو مع الله واولئك مع الهوى وعلى قولنا من ربه معناه الاضافة الى الله تعالى لقولنا الهداية من الله تعالى
فقوله تعالى واتبعوا اهواءهم مع ذلك القول يفيد معنا قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة
فمن نفسك وقوله تعالى كمن زين له سوء عمله بصيغة التوحيد محمول على لفظة من وقوله تعالى واتبعوا اهواءهم محمول على
معناه فانها للجمع والعموم وذلك لان التزيين للكل شيء هو الفساد فظهر العدد فحمل على المعنا وقوله تعالى مثل الجنة التي
وعد المتقون لما بين الفرق بين الفريقين في الاهتداء والضلال بين الفرق بينهما في مرجعهما وما لهما وكما قدم من عليه
البينة في الذكر على من اتبع هواه قدم حاله في ماله على حال من هو خالد فيه وفي التفسير مسائل **المسألة الاولى**
قوله تعالى مثل الجنة التي يستدعي امرا يمثل به فما هو نقول فيه وجوه الاول قول سيبويه حيث قال المثل هو الوصف معناه
وصف الجنة وذلك لا يقتضي مشبها به وعلى هذا فيه احتمالان احدهما ان يكون الخبر محذوفا ويكون مثل الجنة مبتدأ تقديره
فيما قصصنا مثل الجنة ثم يستانف ويقول فيها انهار وكذلك القول في سورة الرعد ويكون قوله تعالى تجري من تحتها
الانهار يكون ابتداء بيان والاحتمال الثاني ان يكون فيها انهار وقوله تعالى تجري من تحتها الانهار خبرا كما يقال صفة زيد
فيقال للقايل زيد احمر قصير والقول الثاني ان المثل زيادة والتقدير الجنة التي وعد المتقون فيها انهار الوجه الثاني هاهنا مثل
به محذوف غير مذكور وهو يحتمل قولين احدهما قول الزجاج حيث قال مثل الجنة جنة تجري فيها انهار كما يقال مثل زيد رجل طويل
اسمر فيذكر عين صفات زيد في الرجل لا يكون هو في الحقيقة الا زيدا الثاني من القولين هو ان يقال معناه مثل الجنة التي وعد
المتقون مثل عجيب او شيء عظيم او مثل ذلك وعلى هذا يكون قوله تعالى فيها انهار كلاما مستانفا محققا لقولنا مثل عجيب الوجه
الثالث المثل به مذكور وهو قول الزمخشري حيث قال تعالى كمن هو خالد في النار فشبهوا به على طريق الانكار وحينئذ فلا قول لقائل
حركات زيد كحركات عمرو وعلى احد التاويلات اما على تاويل لحركات عمرو او على تاويل زيد في حركاته كعمرو كذلك هاهنا كانه تعالى قال امثل
الجنة كمن هو خالد في النار وهذا اقصى ما يمكن ان يقرر قول الزمخشري وعلى هذا فقوله تعالى فيها انهار وما بعدها جمل
اعتراضية وقعت بين المبتدأ والخبر كما يقال نظر زيد فيه مرة وعنده علم وله اصل عرمرم قوله تعالى فيها انهار من ماء غير
اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى اختار الانهار من الاجناس الاربعة
وذلك لان المشروب اما ان يشرب لطعمه واما ان يشرب لامر غير عايد الى الطعم فان كان للطعم فالمطعوم تسعة المر والمالح والحريف
والحامض والعفص والقابض والتفه والحلو والدسم لكن احلى الاشياء العسل فذكره واما الدسم

الاشياء فالدهن لكن الدسومة اذا تمحضت لا تطيب للاكل ولا للشارب فان الدهن لا يوكل ولا يشرب كما هو في الغالب واما اللبن ففيه
الدسم الكاين في غيره وهو طيب للاكل وبه تغذية الحيوان اولا فذكره الله تعالى واما ما يشرب للامر عايدا الى الطعم فالما والخمر فان الخمر
فيها امر يشربها الشارب لاجله وهي كريهة الطعم باتفاق من يشربها وحصول التواتر به عن كل واحد من الاشيا الاربعة
عن صفات النقص يحدث فيها او يعيبها في الدنيا فالما يتغير فقال اسن الما باسن على وزن امن يامن وهو اسن واسن اللبن
اذا بقي زمانا يتغير طعمه والخمر يكرهه الشارب عند الشرب والعسل يشوبه اجزا من الشمع ومن النحل من يموت فيه كثيرا ثم
ان الله تعالى خلط الجنسين فذكر الما الذي يشرب لا للطعم وهو عام الشرب وقرن به اللبن الذي يشرب لطعمه وهو عام الشرب اذ ما من
احد الا وكان يشربه ثم ذكر الخمر الذي يشرب لا للطعم وهو قليل الشرب وقرن به العسل الذي للطعم وهو قليل الشرب فان قيل العسل
لا يشرب نقول شرب الجلاب لم يكن الا من العسل والسكر قريب الزمان الا ترى ان السكنجبين من السكر والخل وهو الخل والعسل
بالفارسية كما استخراجه كان احلى من الخل والعسل والسكر ولم تعرف السكر الا في زمان متاخر ولان العسل اسم يطلق على غير عسل
النحل حتى يقال عسل النحل للتمييز والله اعلم الثانية قال تعالى في الخمر لذة للشاربين ولم يقل في اللبن لم يتغير طعمه للطاعمين
ولا قال في العسل مصفى للناظرين لان اللذة تختلف باختلاف الاشخاص فرب طعام يلتذ به شخص ويعافه الاخر فقال
لذة للشاربين باسرهم ولان الخمر كريهة الطعم فقال لذة اي لا يكون في خمر الاخرة كراهة طعم واما الطعم واللون فلا يختلف باختلاف
الناس فان الحلو والحامض وغيرهما يدركه كل احد كذلك لكنه قد يعافه بعض الناس ويلتذ به البعض مع اتفاقهم
على ان له طعما واحدا وكذلك اللون فلم يكن في التصريح بالتعميم حاجة وقوله تعالى لذة يحتمل وجهين احدهما ان يكون
ما ثبت له يقال طعام لذ ولذيذ واطعمه لذة ولذيذة وثانيهما ان يكون ذلك وصفا بنفس المعنى لا بالمشتق منه كما يقال
للحكيم هو حكمة كله وللعاقل عقل كله ثم قال تعالى ولهم فيها من كل الثمرات بعد ذكر المشروب اشار الى الماكول ولما كان في الجنة الاكل
لذة لا للحاجة ذكر الثمار فانها توكل للذة بخلاف الخبز واللحم وهذا كقوله تعالى في سورة الرعد مثل الجنة التي وعد المتقون
تجري من تحتها الانهار اكلها دايم وظلها حيث اشار الى الماكول والمشروب وههنا لطيفة وهي انه تعالى قال وظلها ولم يقل ههنا لذلك
نقول قال ههنا ومغفرة والظل فيه معنا الستر والمغفرة كذلك ولان المغفور يحت عن رحمة الغافر يقول تحت ظل الامير
وظلها هو رحمة الله تعالى ومغفرته حيث لا يمسهم حر ولا برد السابعة المسئلة لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم
فيها مغفرة نقول الجواب عنه من وجهين الاول ليس بلازم ان يكون المعنى لهم مغفرة من ربهم فيها بل يكون عطفا على قوله
لهم كانه تعالى قال لهم الثمرات فيها ولهم المغفرة قبل دخولها والثاني هو ان يكون المعنى لهم فيها مغفرة اي رفع التكليف
يأكلون من غير حساب بخلاف الدنيا فان الثمار فيها عليها حساب او عقاب ووجه اخر وهو ان الاكل في الدنيا لا يخلو
عن استقباح صح او مكروه كمرض وحاجة الى تبرز فقال لهم فيها من كل الثمرات ومغفرة لا قبيح على الاكل بل هو مستور
القبايح مغفور وبهذا استفدته من المعاني في بلادنا فانهم يعودون الصبيان بان يقولوا وقت حاجتهم الى الاراقة
بول وغيرها معلم غفر الله لك فيفهم المعلم انهم يطلبون الاذن في الخروج لقضا الحاجة فياذن لهم فقلت في نفسي معنى هو
ان الله تعالى في الجنة غفر لمن اكل وما في الدنيا فلان للاكل توابع ولوازم لا بد منها فمنهم من لم يحاجتهم ثم قال تعالى كمن هو خالد في
النار وفيه ايضا مسايل المسئلة الاولى على قول من قال مثل الجنة معناه وصف الجنة فقوله هو بماذا يتعلق بقوله تعالى
ولهم فيها من كل الثمرات يتضمن كونهم فيها كانه قال هو فيها كمن هو خالد في النار فالمشبه يكون محذوفا مدلولا عليه
بما سبق ويحتمل ان يقال ما قيل في تقدير الزمخشري ان المراد بهذه الجنة التي مثلها ما ذكرنا كمقام من هو خالد في النار السابعة
قال الزجاج قوله تعالى كمن هو خالد في النار راجع الى ما تقدم كانه تعالى قال افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله
وهو خالد في النار وقيل هو صحيح ام لا نقول لما نظر الى اللفظ فيمكن تصحيحه بتعسف ونظر الى المعنى لا يبقى الاباد يعني الى ما
ذكرناه اما التصحيح فبحذف كما في المرة الثانية او جعله بدلا عن المتقدم او باضمار عاطف فعطف كمن هو خالد على كمن زين له سوء عمله
او كمن هو خالد في النار واما التعسف فمتى نظر الى الحذف والى الاضمار مع الفاصل الطويل من المشبه والمشبه به واما طريقة البدل
ففاسدة والاشكال الاعتماد على الثاني فيكون كانه قال تعالى افمن كان على بينة من ربه كمن هو خالد وقوله سع من التشبيه
تعالى كلام الله عن ذلك والقول في اضمار العاطف كذلك لان المعطوف ايضا يجب مسعادة في التشبيه اللهم الا ان يقال
المجموع كانه يقول افمن كان على بينة من ربه وهو في الجنة التي وعد المتقون فيها انهار كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار
وعلى هذا تقع المقابلة بين من كان على بينة من ربه وبين من زين له سوء عمله وبين من هو في الجنة وبين من هو خالد
في النار وبقيد ذكرناه فلا حاجة الى خلط الاية بالاية وكيف وعلى ما قاله تقع المقابلة بين من هو في النار وسقوا ما حميما
وبين من هو على بينة من ربه وانه مناسبة بينهما بخلاف ما ذكرناه من الوجه الاخر فان المقابل فيهما بين الجنة التي
فيها الانهار وبين النار التي فيها الما الحميم وذلك نسبة ابتكار مناسب **المسئلة الثالثة** قال تعالى كمن هو
خالد حملا على اللفظ الواحد وقال تعالى وسقوا ما حميما على المعنى وهو جمع وكذلك قال من قال كمن زين له سو عمله
على التوحيد الا اذا واتبعوا اهواءهم على الجمع فما الوجه فيه نقول المسند الى من اذا كان متصلا فرعاية اللفظ اولى لانه
هو المسموع واذا كان مع انفصال فالعود الى المعنى اولى لان اللفظ لا يبقى في السمع والمعنى يبقى في ذهن السامع فالحمل في الثاني
على المعنى اولى وفي الاول على اللفظ اولى فان قيل كيف قال في ساير المواضع من امن وعمل صالحا من بابا وصح يعود الاكان المعطوف

مفردا



مفردا او شبيها بالمعطوف عليه في المعنى فالاولى ان يختلفا كما ذكرت فانه عطف مفرد على مفرد ولذلك لو قال كمن هو خالد في
النار ومعذب فيها لان المشابهة تنافي المخالفة واما لم يكن كذلك كما في هذا الموضع فان قوله تعالى وسقوا جملة غير مشابهة
لقوله تعالى هو خالد وقوله تعالى وسقوا ما حميما ما المناسبة لتقدم في ساير احوال اهل الجنة فلهم انهار من ما غير اسن في
هولا ما حميما فان قيل المشابهة الانكارية على ما ثبت وقد ذكرت البعض وقلت بان قوله على بينة في مقابلة زين له
سو عمله ومن ربه في مقابلة قوله تعالى واتبعوا اهواءهم والجنة في مقابلة النار وقوله تعالى خالد في النار والما الحميم
في مقابلة الانهار فاين ما يقابل قوله ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة فنقول تقطيع الامعا في مقابلة مغفرة لا انا بينا
على احد الوجوه ان المغفرة التي في الجنة هي تعرية اكل الثمرات عما يلزمه من قضا الحاجة والامراض وغيرهما كانه قال
للمؤمن من اكل او شرب مطهر طاهر لا يجتمع في اجوافهم فيوذيهم ويحوجهم الى قضا حاجة وللكافر ما حميم في اول ما يصل الى اجوافهم
فيقطع امعاءهم ويشتهون خروجه من اجوافهم واما الثمار فلم يذكر مقابلها لان في الجنة زيادة مذكورة يحققها
بذكر امر زايد **المسئلة الرابعة** الما الحارى يقطع امعاهم لا لامر اخر غير الحرارة وهي الحدة التي تكون في السموم المدوفة و
الا تجرد الحرارة لا تقطع فان قيل قوله تعالى فقطع بالفا يقتضي ان يكون التقطيع بما ذكر بقوله ثم نكنه لا نعني ان يقال يقطع
لانه ما حميم تحسب بل بما حميم مخصوص يقطع ثم قال تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا
العلم ماذا قال انفا بين الله تعالى حال الكافر وذكر حال المنافق بانه من الكافرين وقوله تعالى ومنهم يحتمل ان يكون الضمير
عايدا الى الناس كما قال في البقرة ومن الناس من يقول امنا بالله بعد قوله تعالى هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم
ويحتمل ان يكون راجعا الى معنى قوله تعالى وهو حال الذي في النار وسقوا ما حميما يعني من الخالدين في النار قوم يستمعون اليك
وقوله تعالى حتى اذا خرجوا على ما ذكرنا حمل على المعنى الذي هو الجمع ويستمع حمل على اللفظ وقد سبق التحقيق فيه وقوله
حتى للعطف في قول المفسرين وعلى هذا فالعطف بحتى لا يحسن الا اذا كان المعطوف جزا من المعطوف عليه اما اعلاه
او دونه لقول القايل اكرمني الناس حتى الملك وجاء الحاج حتى المشاة وفي الجملة يجب ان يكون المعطوف عليه من حيث
المعنى ولا يشترط في العطف بالواو وذلك يجوز ان يقول في الواو جا الحاج وما علمت ولا يجوز في مثل ذلك في حتى
اذا علمت هذا فوجه التعلق ههنا هو ان قوله تعالى حتى اذا خرجوا من عندك يفيد معنى زايدا في الاستماع كانه يقول
يستمعون استماعا بالغا جيدا لانهم لا يستمعون واذا خرجوا يستفيدون من العلما كما يفعله المجتهد في التعلم الطالب
للتفهيم فان قلت فعلى هذا يكون هو صفة مدح لهم وهو ذكر في معرض الذم غير ما بعده هو احد امرين اما كونهم لا يفهمون
مع انهم يستمعون ويستفيدون ويناسب هذا الثاني قوله تعالى كذلك يطبع على قلوب المجرمين والاول يؤكده قوله تعالى
واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون والثاني يؤكده قوله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقوله انفا قال بعض المفسرين معناه الساعة ومنه الاستيناف والابتدا
فعلى هذا فالاولى ان يقال يقولون ماذا قال انفا يعني انهم يستعيدون كلامه في الابتدا كما يقول المستعيد للمعيد اعد
كلامك من الابتدا حتى لا يفوتني شي ثم قال تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم تركوا اتباع الحق
اما بسبب عدم الفهم او بسبب عدم الاستماع للاستفادة واتبعوا ضده ثم قال تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى بين الله
تعالى ان المنافق يستمع ولا ينتفع ويستعيد ولا يستفيد بين ان حال المؤمن المهتدي بخلافه فانه يستمع ويفهم ويعمل
بما يعلم والمنافق يستعيد والمهتدي يفسر ويفيد وفيه فايدتان احداهما ما ذكرنا من بيان التباين بين الفريقين وثانيهما
قطع عذر المنافق وايضاح كونهم مذمومي الطريقة فانه لو قال ما فهمته لغموضه وكونه معمى عليه ويقول ليس كذلك
فان المهتدي فهم واستنبط لوازمه وتوابعه فكذلك لا عمي القلوب لا لخفا المطلوب وفيه مسايل **المسئلة الاولى**
ما الفاعل للزيادة في قوله تعالى زادهم نقول فيه وجوه الاول المسموع من النبي صلى الله عليه وسلم من كلام الله وكلام الرسول
يدل عليه قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك يدل على مسموع والمقصود بيان التباين بين الفريقين فكانه قال لم
يفهموه وهولا فهموه والثاني ان الله تعالى زادهم ويدل عليه قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم فزادهم
عمى والمهتدي زاده هدى والثالث استهزا المنافق زاد المهتدي هدى ووجهه هو انه تعالى لما قال واتبعوا
اهواءهم قال تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى اي اتباعهم الهدى فانهم استقبحوا فعلهم فاجتنبوه الثانية معنى قوله تعالى
واتاهم تقواهم نقول فيه وجوه منقولة ومستنبطة اما المنقولة فنقول قيل فيه ان المراد اتاهم ثواب تقواهم وقيل
اتاهم نفس تقواهم من غير اضمار يعني بين لهم التقوى وقيل اتاهم توفيق العمل بما علموا واما المستنبط فنقول يحتمل ان يكون المراد
به بيان حال المستمعين للقران الفاهمين لمعانيه المفسرين له بيانا لغاية الخلاف بين المنافق فانه استمع ولم يفهمه
واستعاد ولم يعلمه والمهتدي علمه وبينه لغيره ويدل عليه قوله تعالى زادهم هدى ولم يقل اهتدى والهدى مصدر
من هدى قال الله تعالى فبهداهم اقتده اي خذ بما هدوا او هدى كما هدوا وعلى هذا فقوله تعالى واتاهم تقواهم
معناه حبسهم عن القول في القران بغير برهان وحملهم على الانفا من التفسير بالواو وعلى هذا فقوله تعالى زادهم هدى معناه
كانوا مهتدين فزادهم على الاهتدا هدى حتى ارتقوا من درجة المجتهدين الى درجة الهادين ويحتمل ان يقال قوله تعالى
زادهم هدى اشارة الى العلم واتاهم تقواهم اشارة الى الاخذ بالاحتياط فيما لم يعلموه وهو مستنبط من قوله تعالى

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقوله تعالى والراسخون في العلم يقولون امنا به المعنى الثالث يحتمل ان يكون المراد ان المخلص على خطر فهو احسن من غيره وتحقيقه هو انه لما قال زادهم هدى فاداهم ازدادوا علمهم وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فقال اتاهم خشيتهم التي بعدها العلم والمعنى الرابع تقواهم من يوم القيامة كما قال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ويدل عليه قوله تعالى هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فقد كان ذكر الساعة عقيب التقوى يدل عليه المعنى الخامس اتاهم تقواهم التقوى الذي يليق بالمومن وهو التقوى الذي لا يخاف معه لومة لائم قال تعالى الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله ولذلك قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين وهذا الوجه مناسب لان الاية لبيان ساير الفريقين وبه التحقق ذلك من حيث ان المنافق كان يخشى الناس وهم الفريقان المومنون والكافرون فكان يتردد بينهما ويرضي الفريقين ويسخط الله فقال الله تعالى المومن المهتدي خلاف المنافق حيث علم ذلك ولم يفعل ذلك واتقى الله تعالى لا غيره واتقاء ذلك غير الله ثم قال تعالى فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة يعني الكافرون والمنافقون لا ينظرون الا الساعة وذلك لان البراهين قد صحت والامور قد اتضحت وهم لم يؤمنوا فلا يتوقع منهم الايمان الا عند قيام الساعة وهو من قبيل بدل الاشتمال على تقدير لا ينظرون الا الساعة اتيانها بغتة وقرئ فهل ينظرون الا الساعة ان تاتهم على الشرط وجزاؤه لا ينفعهم ذكراهم ويدل عليه قوله تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم وقد ذكرنا ان القيامة سميت بالساعة لسرعة الامور الواقعة من البعث والحشر والحساب وقوله تعالى فقد جاء اشراطها يحتمل وجهين احدهما لبيان غاية عنادهم وكهفه هو ان الدلايل لما ظهرت ولم يؤمنوا لم يبق الا ايمان الياس وهو عند قيام الساعة لكن اشراطها ثابتة فكان ينبغي ان يؤمنوا ولم يؤمنوا فهم في لجة الفساد وغاية العناد ثانيهما ان يكون لتسلية قلوب المومنين فانه تعالى لما قال فهل ينظرون فهم منه تعذيبهم بالساعة عند العوام مستبطاة فكان قايلا قال متى يكون الساعة فقد جاء اشراطها كقوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر والاشراط العلامات قال المفسرون هي مثل انشقاق القمر ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يقال يعني الاشراط البينات الواضحة لجواز الحشر مثل خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم والاول هو التفسير قال فانى لهم اذا اتاهم ذكراهم يعني لا ينفعهم الذكرى اذ لا تقبل التوبة ولا يحسب الايمان فكيف لهم الحال اذا جاءتهم ذكراهم ومعنى ذلك يحتمل ان يكون قوله تعالى هذا يومكم الذي كنتم توعدون هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ويذكر به للمحشر ولذلك قوله تعالى الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ثم قال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله ولبيان المناسبة وجوه الاول هو انه تعالى لما قال فاعلم انه لا اله الا الله ياتي بالساعة كما قال تعالى ازفت الازفة ليس لها من دون الله كاشفة وثانيها قوله تعالى فقد جاء اشراطها وهي اتيته فكان قايلا قال متى هذه فاعلم بانه لا نبي بعد النبوة فاعلم انه لا اله الا الله ولبيان المناسبة وجوه الاول هو انه تعالى لما قال فاعلم انه لا اله الا الله ياتي بالساعة كما قال تعالى ازفت الازفة ليس لها من دون الله كاشفة وثانيها قوله تعالى فقد جاء اشراطها وهي اتيه فكان قايلا يقول قال متى هذه فقال فاعلم انه لا اله الا الله فلا تستغل واشتغل بما عليك من الاستغفار وكن في كل وقت مستعدا للقائها ويناسبه قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمومنات الثالث فاعلم انه لا اله الا الله ينفعك فان قيل النبي صلى الله عليه وسلم كان عالما بذلك فما معنى الامر نقول الجواب عنه من وجهين احدهما فاثبت على ما انت عليه من العلم كقول القايل للجالس يريد القيام احلس اي لا تقم ثانيهما الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا القوم الى الايمان ولم يؤمنوا ولم يبق شيء يحملهم على الايمان الا ظهور الامر بالبعث والنشور وكان ذلك مما يحزن النبي صلى الله عليه وسلم فبكى قلبه وقال انت كامل في نفسك مكمل لغيرك فان لم يكمل بك قوم لا يرد الله تعالى بهم خيرا فانت في نفسك عالم بعلمك وعلمك حيث تعلم ان الله تعالى واحد وتستغفر وتحمد الله تعالى تكمل لك مومنين ومومنات وانت تستغفر لهم فقد حصل لك الوصفان فاثبت على ما انت عليه ولا يحزنك كفرهم وقوله تعالى واستغفر لذنبك يحتمل وجهين احدهما ان يكون الخطاب معه والمراد المومنين وهو بعيد لافراد المومنين والمومنات عنه ليستوا منك باهل بيت ثانيهما المراد هو النبي صلى الله عليه وسلم والذنب هو ترك الافضل الذي هو بالنسبة اليه ذنب وحسنا ما دون ذلك وثانيهما وجه حسن مستنبط وهو ان المراد توفيق العمل الحسن واجتناب العمل السيء ووجهه ان الاستغفار طلب الغفران والغفران هو الستر على القبيح ومن عصم فقد ستر عليه قبائح الهوى ومعنى طلب الغفران ان لا تفضحنا وذلك قد يكون بالعصمة منه فلا نقع فيه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم وقد يكون بالستر عليه بعد الوجود كما هو في حق المومنين والمومنات وفي هذه الاية لطيفة وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم له احوال ثلاثة حاله مع الله وحاله مع نفسه وحاله مع غيره فاما مع الله فوحده واما مع نفسك فاستغفر لذنبك واطلب العصمة من الله واما مع المومنين فاستغفر لهم واطلب الغفران لهم من الله والله يعلم متقلبكم ومثواكم يعني حالكم في الدنيا وفي الاخرة وحالكم في الليل والنهار والله تعالى اعلم **قوله تعالى** ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فاولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله

فاصمهم



فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها **اعلم** ان الله تعالى لما بين حال المنافق والكافر والمهتدي والمومن عند استماع الايات العلمية من التوحيد والحشر وغيرهما بقوله تعالى ومنهم من يستمع وقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى بين حالهم في العملية فان المومن كان ينتظر ورودها ويطلب تنزيلها واذا تاخر عنه التكليف كان يقول هلا امرت بشيء من العبادة خوفا من ان لا يوهل لها والمنافق اذا انزلت السورة او الاية وفيها تكليف يشق عليه ليعلم تباين الفريقين في العلم والعمل حيث لا يفهم المنافق العلم ولا يريد العمل والمومن يعلم ويحب العمل وقولهم هلا نزلت سورة المراد سورة فيها تكليف تكون وقوله تعالى سورة محكمة فيها وجوه احدها سورة لم ينسخ ثانيها سورة فيها الفاظ اريدت حقايقها بخلاف قوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله تعالى في جنب الله فان قوله تعالى فضرب الرقاب اراد القتل ابلغ من قوله اقتلوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم صريح وكذلك غير هذا من ايات القتال وعلى الوجهين قوله تعالى محكمة فيها زايدة من حيث انهم لا يمكنهم ان يقولوا المراد غير ما يظهر منه او يقولوا هذه اية قد نسخت فلا نقاتل وقوله تعالى رايت الذين في قلوبهم مرض اي المنافقون ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت لان عند التكليف بالقتال لا يبقى لهم فايدة فانهم قبل القتال كانوا يترددون الى المسلمين وعند الامر بالقتال لم يبق لهم مكان ذلك فاولى لهم دعاء كقول القايل فويل لهم ويحتمل ان يقال هو خبر لمبتدا محذوف سبق ذكره وهو الموت لان الله تعالى لما قال نظر المغشي عليه من الموت قال فالموت اولى لهم لان الحياة لا في طاعة الله تعالى ورسوله الموت خير منها وقال الواحدي رحمه الله تعالى يجوز ان يكون المعنى فاولى لهم طاعة اي الطاعة اولى لهم ثم قال تعالى طاعة وقول معروف كلام مستانف محذوف الخبر تقديره خير لهم اي احسن وامثل لا يقال طاعة نكرة لا تصلح للابتداء لانا نقول هي موصوفة يدل عليه قوله تعالى وقول معروف ويدل عليه قراءة ابي يقولون طاعة وقول معروف وقوله تعالى فاذا عزم الامر جوابه محذوف تقديره فاذا عزم الامر خالفوا وتخلفوا وهو مناسب لمعنى قراءة ابي كانه يقول في اول الامر قالوا سمعا وطاعة وعند اخر الامر خالفوا واخلفوا موعدهم ونسب العزم الى الامر والعزم لصاحب الامر معناه فاذا عزم صاحب الامر هذا قول الزمخشري ويحتمل ان يقال هو مجاز كقولنا جاء الامير وولي فان الامر في اول يتوقع ان يقع وعند ادلاله وعجز الكاره عن ابطاله فهو واقع فقال عزم والوجهان متقاربان وقوله تعالى فلو صدقوا في ذلك القول واطاعوا لكان خيرا لهم وعلى قولنا طاعة وقول معروف خير لهم واحسن فمعناه لو صدقوا ايمانهم واتباعهم الرسول لكان خيرا لهم ثم قال تعالى فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وفي هذه الاية فيها اشارة الى فساد قول قالوه وهو انهم كانوا يقولون كيف نقاتل والقتل افساد والعرب من ذوي ارحامنا وقبايلنا فقال تعالى ان توليتم لا يقع منكم الا الافساد في الارض فانكم تقتلون من تقدرون عليه وتنهبون والقتال واقع عنكم البيس قتلكم البنات افسادا وقطعا للرحم فلا يصلح تعللكم بذلك مع انه خلاف ما امر الله تعالى وهذا طاعة وفيه مسايل **المسالة الاولى** في استعمال عسى [illegible]

[illegible]

**المسالة الثانية** [illegible]

ولاه طلمة حماه رسمه ومسيم معهم التوليتم وقطعتم والنبي صلى الله عليه وسلم لا يامركم الا بالاصلاح وصلة الارحام
فلم تتقاعدون عن القتال وتتباعدون في الضلال ثم قال تعالى اولئك الذين لعنهم الله اشارة الى من سبق ذكرهم
من المنافقين ابعدهم الله عنه او عن الخير فاصمهم لا يسمعون الكلام المستبين واعماهم لا يتبعون الطريق المستقيم
وفيه ترتيب حسن وذلك من حيث انهم استمعوا الكلام العلمي ولم يفهموه فهم بالنسبة اليه صم اصمهم الله وعند
الامر بالعمل تركوه وعللوا بكونه افسادا وقطعا للرحم وهم كانوا يتعاطونه عند النهي عنه فلم يروا حالهم وما هم
عليه وتركوا اتباع النبي صلى الله عليه وسلم الذي يامرهم بالاصلاح وصلة الارحام ولو دعاهم من يامر بالافساد و
قطيعة الرحم لاتبعوه فهم عمي اعماهم الله تعالى وفيه لطيفة وهي ان الله تعالى قال اصمهم ولم يقل اصم اذانهم وقال
اعمى ابصارهم ولم يقل اعماهم وذلك لان العين آلة الروية لو اصابها آفة لا يحصل الابصار والاذن لو اصابها آفة من قطع
او قلع يسمع الكلام لان الاذن خلقت وخلق فيها تعاريج ليكون الهوى المتموج فيها ولا يقرع الصماخ بعنف
قوي كما يؤذي الصوت القوي فقال اصمهم من غير ذكر الاذن وقال اعمى ابصارهم مع ذكر العين لان البصر هاهنا بمعنى
العين ولهذا جمعه بالابصار ولو كان مصدرا لما جمع فلم يذكر الاذن اذ لا مدخل لها في الاصمام والعين لها مدخل في الروية
بل هي الكل ويدل عليه ان الآفة في غير هذه المواضع لما اضافها الى الاذن سماها وقرا كما قال تعالى في اذنينا وقر وقال تعالى
كان في اذنيه وقرا والوقر دون الصمم وكذلك الطرش ثم قال تعالى افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها ونذكر تفسيرها
في مسايل **المسالة الاولى** لما قال الله تعالى فاصمهم واعمى ابصارهم كيف يمكنهم التدبر في القران قال تعالى افلا يتدبرون
وهو كقول القايل للاعمى ابصر وللاصم اسمع فنقول الجواب عنه من ثلاثة اوجه مترتبة بعضها احسن من البعض الاول تكليف
ما لا يطاق جائز والله تعالى امر من علم انه لا يومن بان يومن فكذلك جاز ان يصمهم ويعميهم على ترك التدبر الثاني
ان قوله تعالى افلا يتدبرون المراد منه الناس الثالث ان مقصود هذه الاية وردت محققة لمعنى الاية المتقدمة فانه تعالى
قال اولئك الذين لعنهم الله اي ابعدهم عنه او عن الصدق او الخير او غير ذلك من الامور الحسنة فاصمهم والقران منهما
النصح الاعلى بل النوع الاشرف واما يتدبرون ولكن لا تدخل معانيه في قلوبهم لكونها مقفلة تقديره افلا يتدبرون القران
لكونهم ملعونين مبعودين ام على قلوب اقفال فيتدبرون ولا يفقهون وعلى هذا لا يحتاج ان نقول ام بمعنى بل بل هي على
حقيقة الاستفهام واقعة في وسط الكلام والهمزة اخذت مكانها وهو الصدر وام دخلت على القلوب التي في
**المسالة الثانية** قوله تعالى ام على قلوب على التنكير ما الفايدة فيه فنقول قال الزمخشري يحتمل وجهين احدهما ان يكون للتنبيه
على كونه موصوفا لان النكرة بالوصف اولى من المعرفة فكانه قال ام على قلوب قاسية او مظلمة الثاني ان يكون للتبعيض كانه
قال ام على بعض القلوب لان النكرة لا تعم تقول جاءني رجال فيفهم البعض وجاءني الرجال فيفهم الكل ونحن نقول التنكير للقلوب
للتنبيه على الانكار الذي في القلوب وذلك لان القلب اذا كان عارفا كان معروفا لان القلب خلق للمعرفة فاذا لم يكن
فيه المعرفة وكانه لا يعرف قلنا فلا يكون يعرف وهذا كما تقول القايل في الانسان المؤذي هذا ليس بانسان هذا سبع وكذلك
يقال هذا ليس بقلب هذا حجر اذا علم هذا فالتعريف اما بالالف واللام او بالاضافة واللام لتعريف الجنس او العهد ولم
يكن اراد الجنس اذ ليس على كل قلب قفل ولا تعريف العهد لان ذكر القلب ليس ينبغي ان يقال له قلبه اما بالاضافة
بان يقول على قلوبهم اقفالها وهي لعدم عود فايدة اليهم كانها ليست لهم فان قيل فقد قال الله تعالى ختم الله على قلوبهم
وقال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله فنقول الاقفال ابلغ من الختم فترك الاضافة لعدم انتفاعهم راسا
**المسالة الثالثة** في قوله تعالى اقفالها بالاضافة ولم يقل اقفال كما قال قلوب لان الاقفال كانت من شانها
ولازمها فاضافها اليها لكونها مناسبة لها ونقول اراد به اقفالا مخصوصة هي اقفال الكفر والعناد ثم قال تعالى ان
الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى اشارة الى اهل الكتاب الذين تبين لهم الحق في التورية ببعث محمد صلى
الله عليه وسلم ونعته فارتدوا وهم جماعة منعهم حب الرياسة عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا يعلمون انه الحق
الشيطان سول لهم واملى لهم يعني قالوا نعيش اياما ثم نؤمن به وقرئ واملي لهم فان قيل الاملاء والامهال وحد الآجال
لا يكون الا من الله تعالى فكيف تصح قراءة من قرأ واملى لهم فان المملي حينئذ يكون هو الشيطان وانما اسند اليه من حيث ان
الله تعالى قدر على يده ولسانه ذلك فذلك الشيطان يمنيهم ويقول لهم في آجالكم فسحة فتمتعوا برياستكم ثم في آخر
الامر تؤمنون وقرئ واملي لهم بفتح الياء وضم الهمزة على البناء للمفعول ثم قال تعالى ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله
سنطيعكم في بعض الامر قال بعض المفسرين ذلك اشارة الى الاملاء ذلك الاملاء بسبب انهم قالوا للذين كرهوا وهو احسن
التوصد وقال بعضهم ذلك اشارة الى التسويل ويحتمل ان يقال ذلك الارتداد بسبب انهم قالوا سنطيعكم وذلك لان الاحسن ان
قوله سنطيعكم في بعض الامر هو انهم قالوا نوافقكم على ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس برسول وانما هو كاذب ولكن
لا نوافقكم في انكار الرسالة والحشر والاشراك بالله من الاصنام ومن لا يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر وان من آمن بغيره
لا بل وان لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لا يؤمن بالله ولا برسله ولا بالحشر لان الله تعالى كما اخبر عن الحشر وهو جائز اخبر عن نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وهي جائزة فاذا لم يصدق الله في شيء لا يتقي الكذب بقول الله في غيره فلا يكون مصدقا بالحشر ولا برسالة
احد من الانبياء لان طريق معرفتهم واحد والمراد من الذين كرهوا ما نزل الله المشركون والمنافقون وقيل المراد اليهود فان اهل

مكة

مكة قالوا لهم نوافقكم في اخراج محمد وقتله وقتال اصحابه والاول اصح لان قوله تعالى كرهوا ما نزل الله لو كان مسندا الى اهل الكتاب لكان
مخصوصا ببعض ما انزل الله وان قلنا بانه مسند الى المشركين يكون عاما لانهم كرهوا ما انزل الله وكذبوا الرسل باسرهم وانكروا الرسالة
راسا وقوله تعالى سنطيعكم في بعض الامر يعني فيما يتعلق بمحمد صلى الله عليه وسلم من الايمان به فلا نومن والتكذيب به فنكذب
به كما يكذبونه والقتال معه واما الاشراك بالله واتخاذ الانداد له من الاصنام وانكار الحشر والنبوة فلا وقوله تعالى والله
يعلم اسرارهم قال اكثرهم المراد انهم قالوا ذلك سرا فافشاه الله تعالى واظهره لنبيه صلى الله عليه وسلم والاظهر ان يقال
والله يعلم اسرارهم وهو ما في قلوبهم من الحسد والعلم بصدق محمد صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا مكابرين معاندين وكانوا يعرفون
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قولنا المراد من الذين ارتدوا المنافقون فكانوا يقولون للمجاهدين من الكفار سنطيعكم
في بعض الامر وكانوا يسرون انهم ان غلبوا انقلبوا كما قال تعالى ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم وقال تعالى فاذا
جاء الخوف سلقوكم بالسنة حداد ثم قال تعالى فكيف اذا توفتهم الملايكة يضربون وجوههم وادبارهم كما قال تعالى والله يعلم
اسرارهم قال انهم يسرون والله لا يصطبرون اليوم فكيف يبقى محلها وقت وفاتهم او نقول كانه قال الله تعالى والله يعلم
اسرارهم هب انهم يختارون القتال لما فيه من الضرب والطعان مع انه مقدم على الوجهين جميعا اي علموا اخذ المال والثواب في المال
وان غلبوا فالشهادة والسعادة فكيف حالهم اذا ضرب وجوههم وادبارهم وعلى هذا فيه لطيفة وهي ان في القتال في الحال اقدام
المبارز فربما يهزم الخصم ويسلم وجهه وقفاه وان لم يهزمه فالضرب على وجهه ان صبر وثبت وان لم يثبت وانهزم فان فاته العدو
فقد سلم وجهه وقفاه وان لم يفته فالضرب على قفاه لا غير ويوم الوفاة لا نصرة له ولا مفر فوجهه وظهره مضروب مطعون
فكيف يحترزون عن الاذى ويختار العذاب الاكبر وقوله تعالى ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه وفيه لطيفة
وهي ان الله تعالى ذكر امرين ضرب الوجه وضرب الادبار وذكر بعدهما امرين اخرين اتباع ما اسخط الله وكرهوا رضوانه
وكانه تعالى قابل الامرين فقال لما يضربون وجوههم حيث اقبلوا على سخط الله تعالى فان المتبع للشيء متوجه اليه ويضربون
ادبارهم لانهم تولوا عما فيه رضى الله فان الكاره للشيء يتولى عنه وما اسخط الله يحتمل وجوها الاول انكار الرسول صلى الله
عليه وسلم ورضوانه الاقرار به والاسلام الثاني هو الكفر ما اسخط الله تعالى والايمان يرضيه يدل عليه قوله تعالى ان تكفروا
فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم وقال تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم
خير البرية الى ان قال رضي الله عنهم الثالث ما اسخط الله تعالى تسويل الشيطان ورضوان الله التعويل على البرهان
والقران فان قيل هم ما كانوا يكرهون رضوان الله كانوا يقولون ما نحن عليه رضوان الله ولا نطلب الا رضا الله تعالى وكيف
لا والمشركون باشراكهم كانوا يقولون انا نطلب رضا الله تعالى كما قالوا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا [illegible]
معناه كرهوا ما فيه رضى الله تعالى وفيه لطيفة وهي ان الله تعالى قال ما اسخط الله ولم يقل ما ارضى الله وذلك لان رحمة
الله تعالى سابقة فله رحمة ثابتة وهي منشا الرضوان وغضب الله تعالى متاخر فهو يكون على ذنب فقال رضوانه لانه وصف ثابت
[illegible]
**وقوله تعالى** ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم [illegible]
[illegible]

كانه قال ولتعرفنهم والله وقوله تعالى في لحن القول وجوه احدها في معنى القول وعلى هذا فيحتمل ان يكون المراد من القول قولهم اي لتعرفنهم
في معنى قولهم حيث يقولون ما معناه النفاق لقولهم حين مجى النصر انا كنا معكم وقوله تعالى لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز وقولهم ان
بيوتنا عورة وغير ذلك ويحتمل ان يكون المراد قول الله عز وجل اي لتعرفنهم في معنى قول الله تعالى حيث قال ما يعلم منه حال المنافقين
لقوله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا وقوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم وثانيها في مثل القول عن الصواب حيث قالوا ما لم يعتقدوا فاما لوا كلامهم حيث قالوا نشهد انك لرسول الله والله
يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقالوا ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل
لا يولون الادبار الى غير ذلك وثالثها قوله تعالى في لحن القول اي في الوجه الخفي من القول الذي يفهمه النبي صلى الله عليه وسلم ولا يفهمه
غيره وهذا يحتمل ايضا امرين والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف المنافق ولم يكن يظهر امره الى ان اذن الله تعالى له في اظهار امرهم
ومنع من الصلاة على جنائزهم والقيام على قبورهم واما قوله تعالى بسيماهم فالظاهر ان المراد ان الله تعالى لو شاء لجعل على وجوههم
علامة او يمسخهم كما قال تعالى ولو نشاء لمسخناهم وروي ان جماعة منهم اصبحوا وعلى جباههم مكتوب هذا منافق وقوله تعالى والله
يعلم اعمالكم وعد للمؤمنين وبيان لكون حالهم على خلاف حال المنافق فان المنافق له قول بلا عمل والمؤمن كان له عمل ولا يقوله وانما
قوله السيء ويدل عليه قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا وقوله تعالى ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سياتنا
وكانوا يعملون الصالحات ويتكلمون في النسيان مستغفرين مشفقين والمنافق كان يتكلم في المصالح كقوله تعالى انا معكم قالت
الاعراب امنا ومن الناس من يقول امنا ويعمل السيء فقال الله يسمع اقوالهم الفارغة ويعلم اعمالكم الصالحة فلا تضيع ثم قال تعالى
ولنبلونكم اي لنامرنكم بما لا يكون متعينا للوقوع بل ما يكون محتملا للوقوع ويحتمل عدم الوقوع كما يفعل المختبر وقوله تعالى حتى نعلم
المجاهدين اي نعلم المجاهدين ويدخل في علم الشهادة وانه تعالى قد علمه علم الغيب وقد ذكرنا ما هو التحقيق في الابتلاء وفي
قوله تعالى حتى نعلم وقوله تعالى ونبلو اخباركم يحتمل وجوها احدها قوله امنا لان المنافق وجد منه هذا الخبر والمؤمن وجد
منه ذلك ايضا وبالجهاد يعلم الصادق من الكاذب كما قال تعالى اولئك هم الصادقون وثانيها اخبارهم عن عدم التولية
في قوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار الى غير ذلك فالمؤمن وفى بعهده وقاتل مع اصحابه في سبيل الله كانهم
بنيان مرصوص والمنافق كان كالهباء يرتع بادنى صيحة وثالثها المؤمن كان اخبار صادقة مسموعة من النبي صلى الله عليه وسلم
كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام لاغلبن انا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون وللمنافق اخبار هي اراجيف كما قال تعالى
في حقهم والمرجفون في المدينة فعند تحقيق الايجاف يبين الصدق من الارجاف ثم قال تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وفيه وجهان احدهما هم اهل مكة وقريظة والنضير والثاني
كفار قريش ويدل عليه قوله تعالى من بعد ما تبين لهم الهدى قبل اهل الكتاب تبين لهم صدق محمد صلى الله عليه وسلم وقوله
لن يضروا الله شيئا تقديره معناه هم يظنون ان ذلك بالشقاق مع الرسول صلى الله عليه وسلم وهم به يشاقون وليس كذلك
بل الشقاق مع الله فان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله ما عليه الا البلاغ فان ضروا يضروا المرسل لكن الله تعالى منزه عن
ان يتضرر بكفر كافر وفسق فاسق وقوله تعالى وسيحبط اعمالهم قد علم معناه فان قيل قد تقدم في اول السورة ان الله تعالى
احبط اعمالهم فكيف يحبط في المستقبل فنقول الجواب عنه من وجهين احدهما ان المراد من قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله في اول السورة المشركون من اول الامر كانوا مبطلين واعمالهم كانت على غير شريعة والمراد من الذين كفروا هاهنا اهل
الكتاب وكانت لهم اعمال قبل الرسول فاحبطها الله تعالى بسبب تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ينفعهم ايمانهم بالحشر
والرسل والتوحيد والكافر المشرك حبط اعماله حيث لم يكن على شيء اصلا ولا كان معترفا بالحشر الثاني هو ان المراد بالاعمال هاهنا
مكايدهم في القتال وذلك لم يتحقق منهم والله سيبطله حيث يكون النصر للمومنين والمراد بالاعمال في اول السورة هو ما
ظنوه حسنة ثم قال تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم العطف هاهنا هو من باب عطف المسبب
على السبب يقال اجلس واستريح وقم وامش لان طاعته تحمل على طاعة الرسول وهذا اشارة الى العمل بعد حصول العلم كانه تعالى يقول
يا ايها الذين امنوا علمتم الحق فافعلوا الخير وقوله ولا تبطلوا اعمالكم يحتمل وجوها احدها دوموا على ما انتم عليه ولا تشركوا
فيبطل اعمالكم بترك طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم كما ابطل اهل الكتاب اعمالهم بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم
وعصيانه ويؤيد هذا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى ان قال ان تحبط اعمالكم وانتم
لا تشعرون الثالث لا تبطلوا اعمالكم بالمن والاذى كما قال تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم وذلك
لان من يمن بالطاعة على الرسول فكانه يقول هذا فعلته لاجل قلبك ولولا رضاك به ما فعلت وهو مناف للاخلاص
والله تعالى لا يقبل الا العمل الخالص **ثم قال تعالى** ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار
فلن يغفر الله لهم بين ان الله تعالى لا يغفر للمشركين ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء حتى لا يحسن ظان ان اعمالهم وان بطلت
لكن فضل الله باق يغفر لهم بفضله وان لم يغفر لهم بعملهم **ثم قال تعالى** فلا تهنوا وتدعوا الى السلم لما بين ان عمل
الكافر الذي له صورة الحسنات محبط وذنبه الذي هو اقبح السيئات غير مغفور بين ان لا حرمة له في الدنيا ولا في الاخرة
وكم قد امر الله تعالى بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى واطيعوا الرسول وامر بالقتال فلا تهنوا فلا تضعفوا
بعدما وجد السبب للجد في الامر والاجتهاد في الجهاد فقال تعالى فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وفي الايات ترتيب في غاية الحسن

لان الله تعالى



لان امر الله تعالى وامر الرسول ورد بالجهاد وقد امروا بالطاعة فلزم [illegible] ولا يكسل ولا يهن ولا يتهاون
[illegible]
والاخرة [illegible]
[illegible]
[illegible] وانتم الاعلون [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] والله معكم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولن يتركم اعمالكم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
ثم قال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ولا يسألكم اموالكم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **ثم قال تعالى** ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] والله الغني وانتم الفقراء [illegible]

واتمه بقوله تعالى وانتم الفقرا حتى لا تفعلوا ايضا بانا اعينا عن القتال لتفعلوا فان الكافر ان لم تعز لعزوا والمحتاج ان لم يدفع حاجته
تعصد ولا سيما اباح الشارع للمضطر ذلك **ثم قال تعالى** وان تتولوا يستبدل قوما غيركم بيان الترتيب من وجهين احدهما
انه ذكره بنا للاستغنا كما قال تعالى ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وقد ذكروا ان هذا تقرير بعد التسليم كانه تعالى يقول لا بد
تعالى غني عن العالم باسره فلا حاجة له اليكم فان كان ذاهب يذهب الى ان ملكه بالعالم وجبروته يظهر به وعظمته بعباده
فيقول هب ان هذا الباطل حق لكنكم غير متعينين بل الله تعالى قادر على ان يخلق خلقا غيركم يفتخرون بعبادته وعالما غيركم يشهد
بعظمته وكبريايه وثانيهما انه تعالى لما بين الامور واقام عليها البراهين واوضحها بالامثلة قال ان اطعتم فلكم اجوركم وزيادة
وان تتولوا لم يبق له الا الاهلاك فان ما من نبي انذر قومه واصروا على تكذيبه الا وقد حق عليهم القول بالاهلاك وطهر الله الارض
منهم واتى بقوم اخرين طاهرين وقوله تعالى لا يكونوا امثالكم ففيه مسئلة نحوية يستنبط منها فوايد عزيزة وهي ان النحاة
قالوا يجوز في المعطوف على جواب الشرط بالواو والفاء وثم الجزم والرفع نقول ان تاتني اتك بالجزم والرفع جميعا قال تعالى ههنا وان تتولوا
يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم بالجزم وقال في موضع اخر وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون بالرفع لا باثبات النون
وهو مع الجواز ففيه تدقيق وهو ان ههنا لا يكون معلقا بالتولي لانهم ان لم يتولوا يكونون ممن ياتي بهم الله على الطاعة
وان تولوا لا يكونون امثالهم لكونهم عاصين وكون من ياتي بهم مطيعين واما هناك سوا قاتلوا او لم يقاتلوا لا ينصرون فلم يكن
للتعلق وقوله تعالى ثم لا يكونوا امثالكم يحتمل وجهين احدهما ان يكون المراد لا يكونوا امثالكم في الوصف ولا في الجنس وهو الحق
الوجه الثاني وفيه وجوه احدها قوم من العجم وثانيها قوم من فارس روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عمن يستبدل بهم
ان تولوا وسلمان الى جنبه فقال هذا وقومه ثم قال لو كان الايمان منوطا بالثريا لناله رجال من فارس وثالثها قوم من الانصار
والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك ويهديك
صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا
مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما **اعلم** ان في الفتح وجوها احدها فتح مكة وهو
ظاهر وثانيها فتح الروم وغيرها وثالثها المراد من الفتح صلح الحديبية ورابعها فتح الاسلام بالحجة والبرهان والسيف والسنان و
المراد منه الحكم بقوله تعالى فافتح بيننا بالحق وقوله تعالى ثم يفتح بيننا بالحق والمختار من الكل وجوه احدها فتح مكة والاخر فتح الحديبية
والثالث فتح الاسلام بالاية والبيان والحجة والبرهان والاول مناسب لاخر ما قبلها من وجوه احدها انه تعالى لما قال ها انتم
هولاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله الى ان قال ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه وبين تعالى فتح مكة لهم وغنم ادبارهم وحصل لهم
اضعاف ما انفقوا ولو بخلوا لضاع عليهم ذلك فلا يكون بخلهم الا على انفسهم ثانيها لما قال الله تعالى والله معكم وقال وانتم
الاعلون بين برهانه بفتح مكة فانهم كانوا هم الاعلين ثالثها لما قال الله تعالى فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وكان معناه
لا تسلوا الصلح من عندكم بل اصبروا فانهم يسلون الصلح ويجتهدون فيه كما كان يوم الحديبية وهو المراد بقوله انا فتحنا
في احد الوجوه وكما كان فتح مكة حيث اتى صناديد قريش مستامنين ومومنين ومسلمين فان قيل ان المراد فتح مكة ولم يكن
فتحت فكيف قال تعالى فتحنا لك فتحا مبينا بلفظ الماضي نقول الجواب عنه من وجهين احدهما فتحنا في حكمنا وتقديرنا
وثانيهما ما قدر الله تعالى فهو كاين فاخبر بصيغة الماضي اشارة الى انه امر لا دافع له واقع لا رافع له المسئلة
قوله تعالى ليغفر لك الله ينبي عن كون الفتح سببا للمغفرة والمغفرة لا تصلح سببا للمغفرة فما الجواب عنه نقول الجواب فيه
من وجوه الاول ما قيل ان الفتح لم يجعله سببا للمغفرة وحدها بل هو سبب لاجتماع الامور المذكورة وهي المغفرة واتمام النعمة والهداية
والنصرة كانه تعالى قال ليغفر لك الله ويتم نعمته ويهديك وينصرك ولا شك ان الاجتماع لم يثبت الا بالفتح فان النعمة به تمت والنصرة
بعده قد عمت الثاني هو ان فتح مكة كان سببا لتطهير بيت الله تعالى من رجس الاوثان وتطهير بيته صار سببا لتطهير عبده
الثالث هو ان بالفتح يتم الحج والحج يحصل المغفرة الا ترى الى دعاء النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال في الحج اللهم اجعله حجا مبرورا
وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا الرابع المراد منه التعريف تقديره انا فتحنا لك لتعرف انك مغفور معصوم فان الناس كانوا
علموا بعد عام الفيل ان مكة لا ياخذها عدو الله المسخوط عليه وانما يدخلها وياخذها حبيب الله المغفور له الثالثة
لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ذنب فماذا يغفر له قلنا الجواب عنه قد تقدم مرارا من وجوه احدها المراد ذنب المومنين ثانيها
المراد ترك الافضل ثالثها الصغاير فانها جايزة على الانبيا بالسهو والعمد وهو يصونهم عن العجب رابعها المراد العصمة وقد
بينا وجهه في سورة القتال الرابعة ما معنى قوله تعالى وما تاخر فيه وجوه احدها انه وعد النبي صلى الله عليه وسلم بانه
لا يذنب بعد النبوة ثانيها ما تقدم على الفتح وما تاخر عن الفتح ثالثها هو العموم والعموم يقال اضرب من لقيت ومن لا تلقاه مع ان من لا يلقى
لا يمكن ضربه اشارة الى العموم رابعها من قبل النبوة ومن بعدها وعلى هذا فما قبل النبوة بالعفو وما بعدها بالعصمة وفيه وجوه اخر
ساقطة منها قول بعضهم ما تقدم من امر مارية وما تاخر من امر زينب وهو ابعد الوجوه واسقطها لعدم التيام الكلام

وقوله



وقوله تعالى ويتم نعمته عليك يحتمل وجوها احدها هو ان التكاليف عند الفتح تمت حيث وجب الحج وهو اخر التكاليف والتكاليف
نعم ثانيها يتم نعمته عليك بالخلاص من الارض لك عن معاندتك فان الفتح لم يتيسر للنبي صلى الله عليه وسلم عدو والاعدا فان بعضهم
كانوا هلكوا يوم بدر والباقون امنوا واستامنوا يوم الفتح ثالثها ويتم نعمته عليك في الدنيا والاخرة في الدنيا باستجابة دعايك
في طلب الفتح وفي الاخرة بقبول الشفاعة شفاعتك ولو كانت في غاية القبح وقوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما يحتمل
وجوها اظهرها يديمك على الصراط المستقيم حتى لا يبقى من يلتفت الى قوله من المضلين وممن يقدر على الاكراه على الكفر
وهذا يوافق قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا حيث امكننا المجادلين فيه وحملتهم على الايمان وذنوبها وان يقاتلوا
جعلوا الفتح سببا للهداية الى الصراط المستقيم لانه سهل على المومنين الجهاد ويعلمهم بثوابه العاجلة بالفتح والاجلة بالوعد
والجهاد سلوك سبيل الله ولهذا يقال للغازي في سبيل الله مجاهد وثالثها ان المراد التعريف ليعرف انك على صراط مستقيم
من حيث ان الفتح لا يكون الا على يد من يكون على صراط الله بدليل حكاية قوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا ظاهر اذ الفتح
ظهر النصر واستتب الامر وفيه مسالتان احدهما لفظية والاخرى معنوية اما اللفظية فهي ان الله تعالى وصف النصر
بكونه عزيزا والعزيز من له النصر والجواب من وجهين احدهما ما قاله الزمخشري انه يحتمل وجوها ثلثة الاول معناه نصرا
ذا عز كقوله تعالى في عيشة راضية اي ذات رضا الثاني وصف النصر بما وصف به المنصور اسنادا مجازا يقال له كلام
صادق كما يقال له متكلم صادق الثالث المراد نصرا عزيزا صاحبه الوجه الثاني من الجوابين يقول لما بين منا ما ذكره
الزمخشري من التقدير اذا قلنا العزة من الغلبة والعزيز الغالب اما اذا قلنا العزيز هو النفيس القليل النظير او
المحتاج اليه القليل الوجود يقال عز الشي اذا قل وجوده مع انه محتاج اليه فالنصر كان محتاجا اليه ومثله لم يوجد وهو
اخذ بيت الله من الكفار المكيين فيه من غير عدد اما المسئلة المعنوية وهي ان الله تعالى لما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
ابرز الفاعل وهو الله تعالى ثم عطف عليه بقوله تعالى ويتم وبقوله تعالى ويهديك ولم يذكر لفظ الله على الوجه الحسن
وهو ان الافعال الكثيرة اذا صدرت من فاعل يظهر اسمه في الفعل ولا يظهر فيما بعده تقول جا زيد وتكلم وقام وراح ولا تقول
جا زيد وقعد عمرو اختصارا للكلام بالاقتصار على الاول وههنا لم يقل وينصرك نصرا بل اعاد لفظ الله تعالى فنقول هذا
ارشاد الى طريق النصر ولهذا قلما ذكر الله النصر من غير اضافة فقال تعالى ينصر الله من ينصره ولم يقل ينصر وقال تعالى هو الذي
ايدك بنصره ولم يقل ايدك بالنصر فقال تعالى اذا جا نصر الله والفتح وقال تعالى نصر من الله وفتح قريب ولم يقل نصر وفتح وقال
تعالى وما النصر الا من عند الله وهذا ادل الايات على مطلوبنا وتحقيقه هو ان النصر بالصبر والصبر بالله قال تعالى
وما صبرك الا بالله وذلك لان الصبر سكون القلب واطمينانه وذلك بذكر الله كما قال تعالى الا بذكر الله تطمين القلوب
فلما قال ههنا وينصرك الله اظهر لفظ الله ذكر التعليم ان بذكر الله تعالى يحصل اطمينان القلب وبه يحصل الصبر وبه يتحقق النصر
وههنا مسئلة اخرى وهي ان الله تعالى قال انا فتحنا لك ثم قال تعالى ليغفر لك الله ولم يقل انا فتحنا لنغفر لك تعظيما لامر الفتح
وذلك لان المغفرة وان كانت عظيمة لكنها عامة لقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن
يشا وان قلنا بان المراد من المغفرة وان كانت في حق النبي صلى الله عليه وسلم العصمة فذلك لم يختص بنبينا بل غيره
من الرسل كان معصوما واتمام النعمة كذلك قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي وقال تعالى يا بني اسرايل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وكذلك الهداية قال الله تعالى يهدي اليه من يشا فعم وكذلك النصر قال الله تعالى ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون واما الفتح فلم يكن لاحد غير النبي صلى الله عليه وسلم فعظمه
بقوله تعالى انا فتحنا لك وفيه التعظيم من وجهين احدهما انا وثانيهما لك اي لاجلك على وجه المنة ثم قال تعالى
هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم لما قال تعالى وينصرك الله بين وجه النصر وذلك لان الله
تعالى قد ينصر رسله بصيحة يهلك بها اعداهم او رجفة تحكم عليهم بالفنا وحينئذ يرسله من السما او نصر وقوة وثبات
قلب يرزق المومن لتكون لهم بذلك الثواب الجزيل فقال تعالى هو الذي انزل السكينة اي تحقيقا للنصر وفي السكينة
وجوه احدها هو السكون الثاني الوقار لله ولرسوله وهو من السكون الثالث اليقين وهو الكل من السكون وفيه
مسايل المسئلة الاولى السكينة ههنا غير السكينة في قوله تعالى ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم
في قول اكثر المفسرين ويحتمل هي تلك لان المقصود منها على جميع الوجوه اليقين وثبات القلب الثانية السكينة المنزلة
عليهم سبب ذكرهم لله كما قال تعالى الا بذكر الله تطمين القلوب المسئلة الثالثة قال الله تعالى في حق الكافرين وقذف
في قلوبهم الرعب بلفظ القذف المزعج وقال في حق المومن وانزل السكينة بلفظ الانزال المثبت وفيه معنى حكمي وهو
ان من علم شيا من قبل وتذكره واستدام بذكره فاذا وقع سعيه ومن كان غافلا عن شي فيفجع دفعة يرجف فواده
الا ترى ان من اخبر بوقوع صيحة وقيل له لا تنزعج منها فوقعت الصيحة لا يرجف ومن لم يخبر به او اخبر وغفل عنه يرجف
اذا وقعت فكذلك الكافر اتاه الله تعالى من حيث لا يحتسب وقذف في قلبه فارجف والمومن اتاه من حيث كان يتوقع فسكن
وقوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وفيه وجوه احدها امرهم بتكاليف شي بعد شي فامنوا بكل واحد منها مثلا
امروا بالتوحيد فامنوا واطاعوا ثم امروا بالقتال والحج فامنوا واطاعوا فازدادوا ايمانا مع ايمانهم ثانيها انزل السكينة
فصبروا فراوا عين اليقين بما علموا من النصر علم اليقين ايمانا بالغيب فازدادوا ايمانا من الشهادة مع ايمانهم المستفاد من الغيب

ثالثها ازدادوا بالفروع مع ايمانهم بالاصول فانهم امنوا بان محمدا رسول الله وان الله تعالى واحد والحشر كاين وامنوا بكل ما يقول النبي
صلى الله عليه وسلم صدق وكلما يامر به الله تعالى واجب فازدادوا ايمانا استدلاليا مع الحاصل من ايمانهم الفطري وعلى هذا
الوجه سبب لطايفة وهي ان الله تعالى قال في حق الكافرين انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولم يقل مع كفرهم لان كفرهم عنادي وليس
في الوجود كفر فطري ولا في الاماكن كفر عنادي ينضم اليه الكفر العنادي ليس الاعناد وكذلك الكفر بالفروع ولا يبقى الا مع الكفر
بالاصول لان من ضرورة الكفر بالاصول الكفر بالفروع وليس في ضرورة الايمان بالاصول الايمان بالفروع بمعنى الطاعة في
الانقياد فقال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقوله تعالى ولله جنود السموات والارض وكان قادرا على اهلاك اعدايه بجنوده
بل بصيحة ولم يفعل بل انزل السكينة على المومنين ليكون اهلاك اعدايهم بايديهم فيكون لهم الثواب وفي جنود السموات و
الارض وجوه احدها ملايكة السموات والارض ثانيها من في السموات من الملايكة ومن في الارض من الحيوانات والجن ثالثها
الاسباب السماوية والارضية حتى يكون سقوط كسف من السما والخسف من جنوده وقوله تعالى وكان الله عليما حكيما لما قال
تعالى ولله جنود السموات والارض وعددهم غير محصور اثبت العلم اشارة الى انه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض وايضا لما ذكر امر القلوب بقوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين والايمان الذي من عمل القلوب
ذكر العلم اشارة الى انه يعلم السر واخفى وقوله تعالى حكيما بعد قوله تعالى عليما اشارة الى انه يفعل على وفق الحكم فان الحكيم
من يفعل شيا متقنا ويعلمه فان من يتفق منه سبب صنع عجيب له اتفاقا لا يقال له حكيم ومن يعمل ويعلم على خلاف العلم
لا يقال له حكيم والله تعالى اعلم **قوله تعالى** ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما
ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان
ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله
ظن السوء عليهم دايرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود
السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما **اعلم** انه يستدعي فعلا سابقا عليه فعله ليدخل فان من قال ابتدا
لكي ادخل لا يصح ما لم يقل قبله حسنا وما يقوم مقامه وفي ذلك الفعل وجوه وضبط الاحوال فيه بان نقول ذلك
الفعل اما ان يكون مذكورا بصريحه او لا يكون وحينيذ ينبغي ان يكون مفهوما فاما ان يكون مفهوما من لفظ يدل عليه او لا من
لفظ يدل عليه بل فهم بقرينة حاله فان كان مذكورا فهو يحتمل وجوها احدها قوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
كانه تعالى انزل السكينة ليزدادوا ايمانا بسبب الانزال ليدخلهم بسبب الايمان جنات فان قيل فقوله تعالى ويعذب
عطف على قوله تعالى ليدخل وازديادهم الايمان لا يصلح سببا لتعذيب نقول بلى وذلك من وجهين احدهما ان التعذيب
مذكور لكونه مقصودا للمومنين فانه تعالى يقول بسبب ازديادكم في الايمان يدخلكم في الاخرة جنات ويعذب بايديكم الكفار
في الدنيا والمنافقين الثاني تقديره ويعذب بسبب ما لكم من الازدياد يقال فعلته لاجرب به العدو والصديق
الى لا عرف بوجوده الصديق وبعدمه العدو فكذلك ليزداد المومن ايمانه فيدخله الجنة ويزداد الكافر كفرا فيعذبه به وجه
اخر ثالث وهو ان سبب زيادة ايمان المومنين بكثرة صبرهم وثباتهم فيتعب المنافق والكافر معه فيتعذب وهو قريب مما ذكرنا الثاني
قوله تعالى وينصرك الله قال تعالى وينصرك الله بالمومنين ليدخلهم المومنين جنات الثالث هو قوله تعالى ليغفر لك الله ما
تقدم من ذنبك وما تاخر على قولنا ذنب المومن كانه تعالى قال ليغفر لك ليدخل المومنين والمومنات جنات ولنا ان قلنا هو
مفهوم من لفظ غير صريح فيحتمل وجوها ايضا احدها قوله تعالى حكيما يدل على ذلك كانه تعالى قال الله حكيم فعل ما فعل ليدخل
المومنين جنات ثانيها قوله تعالى ويتم نعمته عليك في الدنيا والاخرة فيستجيب دعاك في الدنيا ويقبل شفاعتك في العقبى ليدخل
المومنين الجنات ثالثها قوله انا فتحنا لك ووجهه انه روي ان المومنين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم هنيا لك ان الله غفر لك
فماذا لنا فنزلت هذه الاية كانه تعالى قال انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم وفتحنا للمومنين ليدخلهم جنات واما ان قلنا
ان ذلك صار مفهوما من غير مقال بل من قرينة الحال فنقول هو الامر بالقتال لان من ذكر الفتح والنصر علم ان الحال حال القتال
فكانه تعالى قال ان الله تعالى امر بالقتال ليدخل المومنين او نقول عرف من قرينة الحال ان الله تعالى اختار المومنين
فكانه تعالى اختار المومنين ليدخلهم **المسألة الثانية** قال ههنا وفي بعض المواضع المومنين والمومنات وفي بعض
المواضع اكتفى بذكر المومنين ودخلت المومنات فيهم كما في قوله تعالى وبشر المومنين وقوله تعالى قد افلح المومنون فما الحكمة
فيه نقول في المواضع التي فيها ما يوهم اختصاص المومنين بالجزا الموعود به مع كون المومنات مشاركات لهم ذكرهن الله تعالى
صريحا وفي بعض المواضع التي فيها ما يوهم ذلك اكتفى بدخولهن في المومنين وقوله تعالى وبشر المومنين مع انه علم من قوله تعالى
وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا العموم لا يوهم خروج المومنات عن البشارة وههنا فلما كان قوله تعالى
ليدخل المومنين لفعل سابق وهو اما الامر بالقتال او الصبر فيه او النصر بالمومنين او الفتح بايديهم على ما كان يوهم لان
ادخال المومنين كان بالقتال والمراة لا تقاتل فلا يدخل الجنة الموعود بها صرح الله تعالى بذكرهن وكذلك في المنافقات
والمشركات والمنافقة والمشركة لم تقاتل فلا تعذب فصرح الله تعالى بذكرهن وكذلك في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات
والمومنين والمومنات لان الموضع موضع ذكر النسا واحوالهن لقوله تعالى ولا تبرجن واقمن واتين واطعن وقوله تعالى واذكرن
ما يتلى في بيوتكن وكان ذكر النسا هناك اصلا لكن الرجال لما كان لهم ما للنسا من الاجر العظيم ذكرهم الله تعالى وذكرهن بلفظ





مغفرة من غير سعة لما بينا ان الاصل ذكرهن في ذلك الموضع **الثالثة** قال الله تعالى ويكفر عنهم سيئاتهم بعد ذكر
الادخال مع ان تكفير السيئات قبل الادخال فنقول الجواب عنه من وجهين احدهما الواو لا تقتضي الترتيب الثاني تكفير السيئات
والمغفرة وغيرهما من توابع كون المكلف من اهل الجنة فقدم الادخال في الذكر بمعنى انه من اهل الجنة الثالث وهو ان التكفير
يكون بالباس خلع الكرامة وهيئة الجنة وكان الانسان في الجنة يزال عنه ما لحق البشرية [illegible]
كالغضب والشهوة وهو التكفير ويبعث فيه الصفات الملكية [illegible] وقوله تعالى وكان ذلك عند الله
فوزا عظيما فيه وجهان احدهما مشهور وهو ان الادخال والتكفير في علم الله فوز عظيم يقال عندي هذا الامر على هذا الوجه
اي في اعتقادي وثانيهما انه اعرف منه واقرب منه عقلا [illegible]
[illegible] ثم قال تعالى
ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ظن السوء [illegible]
عبارة عن الصلاح يقال مررت برجل سوء اي فاسد وسكت عن رجل صدق اي صالح فاذا كان مجرد السوء فاسد فالسوء يجوز ان
يكون بمعنى الفساد وهذا ما يتفق عليه الخليل والزجاج واختاره الزمخشري وتحقيق هذا ان السوء في المعاني كالفساد في
الاجساد يقال ساء مزاجه وساء خلقه وساء ظنه كما يقال فسد اللحم وفسد الهوا بل كل ما ساء فقد فسد وكل ما فسد فقد
ساء غير ان احدهما كثير الاستعمال في المعاني والاخر في الاجرام قال الله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت وقال
تعالى ساء ما كانوا يعملون هذا ما نظهر لي من تحقيق كلامهم ثم قال تعالى عليهم دايرة السوء حاق بهم الفساد بحيث
لا خروج لهم منه ثم قال تعالى وغضب الله عليهم زيادة في الافادة لان من كان به بلا وقد يكون مبتلى به على وجه الامتحان
فيكون مصابا لكي يصير شابا وقد يكون مصابا على وجه التعذيب قال تعالى وغضب الله اشارة الى ان الذي جاء
بهم على التعذيب ثم قوله تعالى ولعنهم افاد به زيادة لان المغضوب عليه قد يكون بحيث يقع الغاضب بالعتب والشتم
والضرب ولا يفضي الى الابعاد المغضوب عليه من جانبه وطرده من بابه وقد يكون بحيث يفضي الى الطرد والابعاد قال
تعالى ولعنهم ويكون الغضب شديدا لما بين حالهم في الدنيا بين ما لهم في العقبى قال تعالى واعد لهم جهنم وساءت مصيرا
وقوله تعالى ساءت اشارة لمكان التانيث في جهنم فقال بهذه الدار نعم المكان وقوله تعالى ولله جنود السموات والارض
وقد تقدم تفسيره وبقي فيه مسايل **المسألة الاولى** ما الفايدة في الاعادة نقول جنود الرحمة وجنود العذاب وجنود الله
انزالهم قد يكون للرحمة وقد يكون للعذاب فذكرهم اولا لبيان الرحمة بالمومنين قال تعالى وكان بالمومنين رحيما وثانيا لبيان
انزال العذاب على الكافرين **المسألة الثانية** قال هناك وكان الله عليما حكيما وههنا وكان الله عزيزا حكيما لان قوله تعالى
ولله جنود السموات قد بينا ان المقصود من ذكرهم الاشارة الى شدة العذاب فذكر العزة كما قال تعالى اليس الله بعزيز ذي
انتقام وقال تعالى فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر وقال تعالى العزيز الجبار **المسألة الثالثة** ذكر جنود السموات والارض
قبل ادخال المومنين الجنة وذكرهم ههنا بعد ذكر تعذيب الكفار واعداد جهنم نقول فيه ترتيب حسن لان الله تعالى ينزل
جنود الرحمة فيدخل المومنين مكرمين معظمين الجنة ثم يلبسهم خلع الكرامة بقوله تعالى ويكفر عنهم سيئاتهم كما بينا
ثم يكون لهم القربة والزلفى بقوله تعالى وكان ذلك عند الله فوزا عظيما وبعد حصول القرب والعندية لا يبقى واسطة
الجنود فالجنود في الرحمة اولا ينزلون ويتركون اخرا واما في الكافر فيغضب عليه اولا فيبعد ويطرد الى البلاد النايية
عن بلاد الرحمة وهي جهنم ويسلط عليه ملايكة العذاب وهي جنود الله كما قال تعالى عليها ملايكة غلاظ شداد
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون فلذلك ذكر جنود الرحمة اولا والقربة اولا بقوله تعالى عند الله
اجرا وقال ههنا غضب الله عليهم ولعنهم وهو الابعاد اولا وجنود السموات والارض اخرا والله تعالى اعلم
بالصواب **قوله تعالى** انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتومنوا بالله ورسوله
وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله
فسيوتيه اجرا عظيما قال المفسرون شاهدا على امتك بما يفعلون كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم

شهيدا والاولى ان يقال ان الله قال انا ارسلناك شاهدا وعليه شهد الله انه لا اله الا الله كما قال تعالى شهد الله انه
لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم قايما بالقسط وهم الانبيا الذين اتاهم الله علما من عنده وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون وكذلك
قال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله فاشهد وقوله تعالى ومبشرا لمن يقبل شهادته وعلم بها ويوافقه فيها ونذيرا
لمن يرد شهادته ويخالفه فيها ثم بين فايدة الارسال على الوجه الذي ذكره فقال تعالى لتومنوا بالله ورسوله
وتعزروه وتوقروه وتسبحوه وهذا يحتمل وجهين احدهما ان تكون الامور الاربعة المذكورة مرتبة على الامور المذكورة من قبل فقوله
تعالى لتومنوا بالله ورسوله مرتب على قوله تعالى انا ارسلناك لان كونه مرسلا من الله يقتضي ان يومن المكلف بالله المرسل و
بالرسل وقوله تعالى شاهدا يقتضي ان يعزر الله تعالى ويقوي دينه لان قوله تعالى شاهدا على ما بينا معناه انه يشهد انه
لا اله الا الله ودينه هو الاحق واحق ان يتبع وقوله تعالى مبشرا يقتضي ان يوقر الله تعالى لان تعظيم الله تعالى عنده على حسب
تعظيم العبد اياه وقوله تعالى نذيرا يقتضي ان ينزه عن السوء والفحشا مخافة عذابه الاليم وعقابه الشديد واصل
الارسال مرتب على اصل الايمان ووصف الرسول يترتب عليه وصف المومن وثانيهما ان يكون كل واحد مقتضيا للامور الاربعة بكونه
مرسلا يقتضي ان يومن المكلف بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه ويسبحوه وكذلك كونه مبشرا ونذيرا لا يقال بان اقتران اللام
بالفعل يستدعي فعلا متقدما يتعلق به كونه مبشرا ونذيرا ولا يتعلق بالوصف وقوله تعالى لتومنوا يستدعي فعلا وهو قوله تعالى انا
ارسلناك فكيف يترتب الامور على كونه شاهدا ومبشرا لانا نقول يجوز الترتيب عليه معناه لا لفظا كما ان القايل اذا قال بعثت اليك
عالما لتكرمه والقول ينبي عن كون البعث سبب الاكرام وفي المعنى كونه عالما هو السبب للاكرام ولهذا لو قال بعثت اليك جاهلا
كان حسنا واذا اردنا الجمع بين اللفظ والمعنى نقول الارسال الذي هو ارسال حال كونه شاهدا سبب لما تقول بعثت
العالم سببا لجعله سببا لا لمجرد البعث ولا لمجرد العالم وفي الاية مسايل **المسلة الاولى** قال في الاحزاب انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وههنا اقتصر على الثلاثة من الخمسة فما الحكمة فيه نقول الجواب من وجهين
احدهما ان ذلك المقام كان مقام ذكر لان في اكثر السورة ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم واحواله وما تقدم من المبالغة
والوعد والدخول فصل هنالك ولم يفصل ههنا وثانيهما ان نقول الكلام مذكور ههنا لان قوله تعالى شاهدا لما يقتضي
ان يكون داعيا لجواز ان يقول مع نفسه اشهد ان لا اله الا الله ولا يدعوا الناس قال هناك وداعيا لذلك وههنا لما لم يكن
كونه شاهدا مبينا داعيا قال لتومنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه وقوله تعالى وتعزروه وتوقروه وتسبحوه
دليل على كونه سراجا لانه اتى بما يجب من التعظيم والاجتناب بما يحرم من السوء والفحشا بالتنزيه وهو التسبيح **المسلة الثانية**
قد ذكرنا مرارا ان اختيار البكرة والاصيل يحتمل ان يكون امرا بالخلاف لما كان المشركون يعملون على عبادة الاصنام في الكعبة بكرة
وعشية وامروا بالتسبيح في اوقات كانوا يذكرون فيها الفحشا والمنكر **المسلة الثالثة** الكنايات في قوله تعالى وتعزروه وتوقروه
وتسبحوه راجعة الى الله تعالى او الى الرسول صلى الله عليه وسلم والاصح هو الاول ثم قال تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
اعلم ان الله تعالى لما بين انه مرسل ذكر ان من بايعه فقد بايع الله وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم يحتمل وجوها وذلك لان اليد
في الموضعين اما ان تكون بمعنى واحد واما ان تكون بمعنيين فان قلنا انها بمعنى واحد ففيه وجهان **احدها** يد الله بمعنى نعمة الله عليهم
فوق احسانهم الى الله كما قال تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان **وثانيهما** يد الله فوق ايديهم اي نصرته اياهم اقوى و
اعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان اي الغلبة والنصر والقهر واما ان قلنا انها بمعنيين ففي حق الله تعالى بمعنى الحفظ
وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة واليد كناية عن الحفظ ماخوذ من ان اذا مد كل واحد منهما يده الى صاحبه في البيع فيضع يده على يد
ذا الشري وبينهما ثالث متوسط لا يريد ان يتفاسخا العقد من غير اتمام البيع فيضع يده على يديهما ويحفظ ايديهما
الى ان يتم العقد ولا يترك احدهما يترك يد الاخر فوضع اليد فوق الايدي صار سببا للحفظ على البيعة فقال تعالى يد الله
فوق ايديهم يحفظهم على البيعة كما يحفظ ذلك المتوسط ايدي المتبايعين وقوله تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه اما على
قولنا المراد من اليد النعمة او الغلبة والقوة فلان من نكث فوت على نفسه الاحسان الجزيل في مقابلة العمل القليل فقد خسر
ونكثه على نفسه واما على قولنا المراد الحفظ فهو عايد الى قوله تعالى انما يبايعون الله يعني من بايعك انما بايع الله اذا نكثه لا يكون
نكثه عايدا الا الى نفسه لان البيعة مع الله ولا الى الله لانه لا يضره شي فضرره لا يعود الا اليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيوتيه
اجرا عظيما وقد ذكرنا ان العظم في الاجرام يقال اذا جمع فيه الطول البالغ والعرض الواسع والسمك الغليظ فيقال للجبل الذي
هو مرتفع ولا اتساع لعرضه جبل عال او مرتفع او شاهق واذا انضم اليه الاتساع في الجوانب يقال عظيم والاجر كذلك لان ما كان في الجنة
يكون في رفع الاحساس ويكون في غاية الكثرة ويكون ممتدا الى الابد لا انقطاع لها فحصل فيه ما يناسب ان يقال له عظيم والعظيم
في حق الله تعالى اشارة الى كماله في صفاته كما ان الجسم اشارة الى كماله في جهاته ثم قال تعالى سيقول لك المخلفون من الاعراب
شغلتنا اموالنا لما بين حال المنافقين ذكر المخلفين فان قوما من الاعراب امتنعوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
لظنهم انه يهزم فانهم قالوا اهل مكة يقاتلون عن باب المدينة فكيف يكون حالهم اذا دخلوا بلادهم واحاط
العدو بهم فاعتذروا وقولهم شغلتنا اموالنا الاموال وذلك لان جمع المال لا يصلح عذرا لانه لا نهاية له واما حفظ
ما جمع من التشتت ومنع الحاصل من الفوات يصلح عذرا فقالوا اموالنا اي ما صار مالا لنا لا مطلق الاموال ونابها قوله تعالى
واهلونا وذلك لان القايل قال لهم المال لا شي ان يبلغ الى درجة يمنعكم عن حفظه متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم





لكان لهم ان يقولوا فالاهل يمنع الاشتغال بهم وحفظهم عن اهم الاموال ثم انهم مع العذر تضرعوا وقالوا فاستغفر لنا يعني
نحن مع اقامة العذر مخلفون بالاساءة فاستغفر لنا واعف عنا في امر الخروج فكذبهم الله تعالى فقال يقولون بالسنتهم
ما ليس في قلوبهم وهذا يحتمل امرين **احدهما** ان يكون التكذيب راجعا الى قولهم فاستغفر لنا وتحقيقه هو انهم اظهروا انهم
يعتقدون انهم مسيئون بالتخلف حتى استغفروا ولم يكن في اعتقادهم ذلك بل كانوا يعتقدون انهم بالتخلف محسنون
**ثانيهما** قالوا شغلتنا اموالنا واهلونا اشارة الى امتناعنا لهذا الامر ولم يكن ذلك في اعتقادهم بل كانوا يعتقدون
امتناعهم لان النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين يقهرون ويغلبون كما قال تعالى بعده بل ظننتم ان لن ينقلب
الرسول والمومنون الى اهليهم ابدا وقوله تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا معناه انهم
يحترزون على الضر ويتركون امر الله ورسوله ويقعدون طلبا للسلامة ولو اراد بكم الضر لا ينفعكم قعودكم من الله
شيا او معناه انكم تحترزون عن ضرر القتال والمقاتلين وتعتقدون ان اهليكم وبلادكم تحفظكم من العدو وقد يسلم حفظ
النفس عن ذلك فمن يدفع عنكم عذاب الله تعالى في الاخرة مع ان ذلك اولى بالاحتراز وقد ذكرنا في سورة يس في قوله تعالى
ان يردن الرحمن بضر وقال تعالى ان ارادني الله بضر وفي ضر يكون الكلام مع الكافر ادخل الباء على الكافر فقال ههنا ان اراد
بكم ضرا وقال تعالى من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوا وقد ذكرنا الفرق هناك ولا نعيده لتكون هذا باعثا
على مطالعة سورة يس فانها درج الدرر الثمينة بل كان الله بما تعملون خبيرا اي بما تعملون من الحرب واضمار غيره ثم قال تعالى بل ظننتم
يعني لم يكن تخلفكم لما ذكرتم بل ظننتم ان لن ينقلب لخفيفة عن الثقيلة اي ظننتم انهم لا ينقلبون ولا يرجعون وقوله تعالى
وزين ذلك في قلوبكم يعني ظننتم اولا وزين الشيطان ظنكم عندكم حتى قطعتم به وذلك لان الشبهة قد يزينها الشيطان ويضم
اليها مخايلة يقطع بها العاقل وان كان لا يشك فيها العاقل وقوله تعالى وظننتم ظن السوء يحتمل وجهين احدهما ان يكون هذا
العطف عطفا يفيد المغايرة فقوله تعالى وظننتم ظنا غير الذي في قوله بل ظننتم وحينئذ يحتمل ان يكون الظن الثاني بمعنى وظننتم
ان الله تعالى يخلف وعده وظننتم ان الرسول كاذب في قوله وثانيهما ان يكون قوله تعالى وظننتم ظن السوء وهو ما تقدم من ظن انه لا
ينقلبوا ويكون على حد قول القايل علمت هذه المسئلة وعلمت اي هذه المسئلة لا غيرها فكذلك كانه قال بل ظننتم ان لن ينقلب
وظنكم ذلك فاسد وقد بينا التحقيق في ظن السوء وقوله تعالى وكنتم قوما بورا يحتمل وجهين احدهما وصفهم بذلك كالظن
بامرين هالكين وثانيهما انتم في الاصل بايرين وظننتم ذلك الظن الفاسد والله تعالى اعلم **قوله تعالى**
ومن لم يومن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء وكان الله غفورا رحيما سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ذرونا نتبعكم
يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا
لا يفقهون الا قليلا وعلى قولنا قوله تعالى وظننتم ظن السوء اخص مما في قوله بل ظننتم ظاهر لانا بينا ان ذلك
ظنهم بان الله تعالى يخلف وعده او ظننتم بان الرسول كاذب فقال تعالى ومن لم يومن بالله ورسوله وظن به خلفا
وبرسوله كذبا فانا اعتدنا له سعيرا وفي قوله للكافرين بدلا عن ان يقول فانا اعتدنا له فايدة وهي التعميم كانه
تعالى قال ومن لم يومن بالله فهو من الكافرين وانا اعتدنا للكافرين سعيرا ثم قال تعالى ولله ملك السموات والارض
يغفر لمن يشا ويعذب من يشا وكان الله غفورا رحيما بعدما ذكر من له اجر عظيم من المبايعين ومن له عذاب عظيم من
الظانين الظان السوء اشارة الى انه يغفر للاولين بمشيته ويعذب الاخرين بمشيته وغفرانه ورحمته اعم واشمل واتم واكمل
وقوله تعالى ولله ملك السموات والارض يفيد عظمة الامرين جميعا لان من عظم ملكه يكون اجره وهيبته في غاية
العظم وعذابه وعقوبته في غاية النكاية والالم ثم قال تعالى سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها
ذرونا نتبعكم اوضح الله لديهم لهذا البحث كانوا عند ما يكون السير الى مغانم يتوقعونها من تلقا انفسهم ذرونا نتبعكم
وان كان امرا مهولا او هولهم يتعللون يوم دعوتهم اياهم الى اهل مكة فما بالهم لا يتعللون باموالهم يوم اخذ الغنيمة والمراد من المغانم
مغانم اهل خيبر وفتحها وعم المسلمين ولم يكن معهم الا من كان معه في المدينة وفي قوله تعالى سيقول المخلفون وعد المبايعين
بالغنيمة والمخلفين المتخالفين بالحرمان وقوله تعالى يريدون ان يبدلوا كلام الله يحتمل وجوها احدها هو ما قال الله تعالى
ان غنيمة خيبر لمن شاهد الحديبية وعاهد بها لا غير وهو الاشهر عند المفسرين والاظهر نظرا الى قوله تعالى كذلكم قال من قبل
ثانيهما يريدون ان يبدلوا كلام الله وهو قوله تعالى وغضب الله عليهم وذلك لانهم لو اتبعوكم لكانوا في حكم بيعة اهل الرضوان
الموعودين بالغنيمة فيكونون من الذين رضي الله تعالى عنهم كما قال تعالى لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة
فلا يكونون من الذين غضب الله تعالى عليهم فيلزم تبديل كلام الله تعالى ثالثها هو ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تخلف القوم اطلعه
الله تعالى على باطنهم واظهر له نفاقهم وقال فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا فارادوا ان يبدلوا ذلك الكلام بالخروج معهم
لا يقال فالاية التي ذكرتم واردة في غزوة تبوك لا في هذه الواقعة لانا نقول قد وجد ههنا بقوله تعالى لن تتبعونا على
صفة النفي بدلا عن قولنا لا تتبعونا على صيغة النهي معنى لطيف وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم نفى على اخبار الله عنهم النفي
لوثوقه وقطعه بصدقه بحزم وقال لن تتبعونا يعني لو ارادتكم ولو امرتكم ولو اردتم واخترتم لا يتم لكم لما اخبر الله تعالى ثم
قال تعالى فسيقولون بل تحسدوننا ردا على قوله تعالى كذلكم قال الله من قبل كانهم قالوا ما قال الله كذلك من قبل بل تحسدو

فان قيل بما ذا كان الحسد في اعتقادهم نقول كانهم قالوا نحن مصيبين في عدم الخروج حيث رجعوا من الحديبية من غير
حاصل ونحن استرحنا فان خرجنا معهم ويكون فيه غنيمة يقولون هم غنموا معنا ولم يتعبوا معنا ثم قال تعالى ردا عليهم
كما ردوا عليه بل كانوا لا يفقهون الا قليلا اي لم يفقهوا من قولك لا تخرجوا الا ظاهر النهي ولم يفهموا من حكمه الا قليلا
اي لم يفقهوا من قولك لا تخرجوا الا بظاهر النهي ولم يفهموا من حكمه الا قليلا فحملوه على ما ارادوه وعللوه بالحسد ثم
قال تعالى قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم لما قال النبي صلى الله عليه وسلم قل لن تتبعونا وقال تعالى قل لن تخرجوا
معي ابدا وكان المخلفون جمعا كثيرا من قبايل متشعبة دعت الحاجة الى قبول بيان توبتهم فانهم سعوا على ذلك ولم
يكونوا من الذين مردوا على النفاق بل منهم من حسن حاله وصلح باله فجعل القبول لتوبتهم علامة وهو انهم يدعون
الى قتال قوم اولي باس شديد ويطيعون بخلاف حال ثعلبة حيث امتنع من اداء الزكاة ثم اتى بها ولم يقبل منه النبي صلى
الله عليه وسلم واستمر على حاله ولم يقبل منه احد من الصحابة فكذلك كان يستمر حال هولاء لولا انه تعالى بين انهم يدعون
فان كانوا يطيعون يوتون الاجر الحسن وما كان احد من الصحابة يتركهم يتبعونه والفرق بين حال ثعلبة وبين حال هولاء من
وجهين احدهما ان ثعلبة جاز ان يقال حاله لم يكن يتغير في علم الله تعالى فلم يبين لتوبته علامة وحال الاعراب تغيرت فان
بعد النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق من المنافقين على النفاق احد على مذهب اهل السنة وثانيهما ان الحاجة الى بيان
حال الجمع الكثير والجم الغفير امس لانه لولا البيان لكان يفضي الامر الى قيام الفتنة بين فرق المسلمين وفي قوله تعالى
ستدعون الى قوم اولي باس شديد وجوه اشهرها واظهرها انهم بنو حنيفة حيث تابعوا مسيلمة وغزاهم ابو بكر رضي الله عنه
ثانيها هم فارس والروم غزاهم عمر رضي الله تعالى عنه ثالثها هم هوازن وثقيف غزاهم النبي صلى الله عليه وسلم وان كان
الاعراب اما الدليل على قوة هذا الوجه هو ان اهل السنة اتفقوا ان امر العرب في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ظهر ولم يبق الا كافر
مجاهر ومن بقي ظاهرا وامتنع النبي صلى الله عليه وسلم على موالي المنافقين وترك المومنين مخالطتهم حتى ان عبادة بن كعب
مع كونه من المومنين لم يكلمه المومنون مرة وما ذكره الله تعالى علامة لظهور حال من كان منافقا فان كان ظهر حالهم بغير هذا
فلا معنى لجعل هذا علامة وان ظهر بهذا والظهور كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينبغي ان يكون في زمان النبي
صلى الله عليه وسلم ولان النبي صلى الله عليه وسلم لو امتنع من لا بايعه لامتنع ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما لقوله تعالى فاتبعوه
وقوله تعالى فاتبعوني فان قيل هذا ضعيف لوجهين احدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال تعالى لن تخرجوا
معي ابدا فكيف كان يتبعونه مع النهي الثاني قوله تعالى اولي باس شديد ولم يبق بعد ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم حرب مع
قوم اولي باس شديد فان الرعب استولى على قلوب الناس ولم يبق للكفار بعده شدة وباس واتفاق الجمهور يدل على القوة
والظهور نقول اما الجواب على وجهين احدهما ان يكون ذلك مقيدا تقديره لن تخرجوا معي ابدا وانتم على ما انتم عليه ويجب هذا
التقييد لانا اجمعنا على ان منهم من اسلم وحسن اسلامه بل الاكثر ذلك وما كان يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم ان يقول
لهم لستم مسلمين لقوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مومنا ومع القول باسلامهم لما كان يجوز ان يمنعهم
من الجهاد في سبيل الله مع وجوبه عليهم وكان ذلك مقيدا وقد بين حسن حالهم فان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى
جهاد فاطاعوه قوم وامتنعوا اخرين وظهر علمهم وعلم من استمر على الكفر ممن استقر قلبه على الايمان الثاني المراد من
قوله تعالى لن تتبعونا في هذا القتال فحسب وقوله تعالى لن تخرجوا معي كان في غير هذا وهم المنافقون الذين تخلفوا في غزوة
تبوك واما اتفاق الجمهور فنقول لا مخالفة بيننا وبينهم لانا نقول النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم اولا وابو بكر رضي الله تعالى عنه
دعاهم بعد معرفة جواز ذلك من فعل النبي صلى الله عليه وسلم انما نحن نقول ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم فان قالوا
ابو بكر رضي الله عنه دعاهم الى ان يكون بين القولين منافاة وان قالوا لم يدعهم النبي صلى الله عليه وسلم فالقول بالجزم في غاية
البعد لانه يجوز ان يكون ذلك قد وقع وكيف لا والنبي صلى الله عليه وسلم قال من كلام الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
وقال تعالى فاتبعوني هذا صراط مستقيم ومنهم من … الله واتباع محمد صلى الله عليه وسلم لان نفاقهم على النفاق
والكفر بعدما اتسعت دايرة الاسلام واجتمعت العرب على الايمان بعد قوله صلى الله عليه وسلم لن تتبعونا وكان اكثر العرب
على الكفر والنفاق لانه كان قبل فتح مكة وقبل اخذ حصون كثيرة واما قوله لم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم حرب مع اولي باس شديد
قلنا لا نسلم وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية دعاهم الى الحرب لانه خرج محرما ومعه الهدي ليعلم قريش انه
لا يطلب القتال وامتنعوا فقالوا سيدعون الى الحرب ولا شك ان من يكون خصمه مسلحا محاربا اكثر باسا ممن ان يكون على
خلاف ذلك وقد علم من حال مكة انهم لا يغزون حاجا ولا معتمرا فقوله تعالى اولي باس شديد ومن قال بان الداعي ابو بكر
رضي الله عنه تمسك بالاية على حلو ثمامة وذلك لانهما ظاهرة وحينيذ يقاتلونهم او يسلمون اشارة الى ان احدهما يقع و
نزى لو بالنصب باضمار ان على معنى يقاتلونهم الى ان يسلموا والتحقيق فيه هو ان لا يجتمع الاسما المتعاندين وسمي
على الحصر يقال العدد زوج او فرد ولهذا لا يجوز ان يقال هو زيد او عمرو ولهذا يقال لمن يقال زوج او خمسة او غيرهما اذا علم
بهذا فنقول القايل الداعي هو عمر رضي الله عنه والقوم فارس والروم لان الفريقين يعودان الحرب فالقتال معهم لا يمتد الى
الاسلام لجواز ان يودي الجزية وقوله تعالى تتولوا كما توليتم من قبل فيه فايدة لان التولي ان كان بعذر كما قال تعالى ليس
على الاعمى حرج لا يكون للمتولي عذاب اليم فقال تعالى ان تتولوا كما توليتم من قبل يعني ان كان توليكم بناء على الظن الفاسد



والاعتقاد الباطل كما كان حيث قلتم بالسنتكم لا بقلوبكم شغلتنا اموالنا واهلونا فالله تعالى يعذبكم عذابا اليما ثم انه
تعالى قال ليس على الاعمى حرج بين من يجوز له التخلف وترك الجهاد وما يجوز بسببه ترك الجهاد وهو ما يمنع من الكر والفر وبين ذلك
بيان ثلاثة اصناف الاول الاعمى فانه لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز والهرب والاعرج كذلك والمريض
كذلك وفي معنى الاعرج الاقطع والمقعد بل ذلك اولى بان يعذر ومن به عرج لا يمنعه من الكر والفر لا يعذر وبعض اوجاع المفاصل
لا يكون عذرا وفيه مسايل **المسالة الاولى** ان هذه اعذار تكون في نفس المجاهد ولنا اعذار خارجة كالفقر الذي لا يمكن
صاحبه من استصحاب ما يحتاج اليه والاشتغال بمن لولاه يضيع لطفل او مريض والاعذار تعلم من الفقه ونحن نبحث فيما يتعلق
بالتفسير بيان مسايل الاولى ذكر الاعذار التي في السفر التي تغيرها يمكن الازالة من الامام بخلاف العرج والعمى المسالة الثانية اقتصر منها
على الاصناف الثلاثة لان العذر اما ان يكون باخلال في عضو او باختلال في القوة والذي بسبب اختلال العضو الذي به الوصول
الى العدو والانتقال في مواضع القتال او في العضو الذي يتم به فايدة الحصول في المعركة والوصول والاول هو الرجل والثاني هو
العين لان بالرجل يحصل الانتقال وبالعين يحصل الانتفاع في الطلب والهرب واما الاذن والانف واللسان وغيرها من الاعضاء
فلا يدخل لها في شيء من الامرين بقي اليد فان المقطوع اليدين لا يقدر على شيء وهو عذر واضح ولم يذكره نقول لان فايدة
الرجل وهي الانتقال يبطل بالخلل في احدهما وفايدة اليد وهي الضرب والبطش لا يبطل الا ببطلان اليدين جميعا في
مقطوع اليدين لا يوجد الا نادرا ولعل في جماعة النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن احد مقطوع اليدين فلم يذكره
او لان المقطوع ينتفع به في الجهاد فانه يكثر ولولا ذلك لاشتغل به مقاتل فيمكن ان يقال هو غير معذور في التخلف لان
المجاهدين ينتفعون به بخلاف الاعمى فان قيل كما ان مقطوع اليد الواحدة لا يبطل منفعة بطشه لذلك لا يجوز ان لا يبطل
منفعة رويته وقد ذكر الاعمى وما ذكر الاشل ولا قطع اليدين قلنا لما بينا ان مقطوع اليدين نادر الوجود والافة النازلة
باحدى اليدين لا تعمهما والافة النازلة بالعين الواحدة تعم العينين لان منبع النور واحد وهما متحاذيان والوجود فرق
بينهما فان الاعمى كثير الوجود ومقطوع اليدين نادر **المسالة الثالثة** قدم الافة في الالة على الافة في القوى ونظرا والافة
في الالة اذا طرات لا تزول فان الاعمى لا يعود بصيرا فالعذر في محل الالة اتم المسالة الرابعة قدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى يستمر
ولو حضر القتال والاعرج ان حضر راكبا او بطريق يقدر على القتال بالرمي وغيره قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله كان يمكن ان
طاعة كل واحد منهما طاعة الاخر بيان لطاعة الله تعالى فان الله تعالى لو قال ومن يطع الله كان ليعتقد الناس ان يقولوا
نحن لا نرى الله ولا نسمع كلامه فمن اين نعلم امره حتى نطيعه فقال طاعته في طاعة رسوله وكلامه نسمع من رسوله ومن يتول
اي بقلبه لما بين حال المخلفين قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله عاد الى بيان حالهم وقال تعالى لقد رضي الله
عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم من الصدق كما علم ما في قلوب المنافقين من المرض فانزل السكينة عليهم
حتى تابعوا على الموت وفيه معنى لطيف وهو ان الله تعالى قال قبل هذه الاية ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات فجعل
طاعة الله تعالى والرسول علامة لادخال الجنة في تلك الاية بين ان طاعة الله والرسول وجدت من اهل بيعة الرضوان
اما طاعة الله تعالى فالاشارة اليها بقوله المومنين واما طاعة الرسول بقوله تعالى اذ يبايعونك تحت الشجرة
بقي الموعود به وهو ادخال الجنة كما قال اشارة اليه بقوله تعالى لقد رضي الله عن المومنين لان الرضا يكون معه ادخال
الجنة كما قال تعالى يدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ثم قال تعالى فعلم ما في قلوبهم والفاء
للتعقيب وعلم الله تعالى قبل الرضا لانه علم ما في قلوبهم من الصدق فرضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في العلم نقول قوله
تعالى فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله تعالى اذ يبايعونك تحت الشجرة كما يقول القايل فرحت امس اذ اكرمت زيدا فقام
الي واذ دخلت عليه فاكرمني فكيف التعقيب بعد الاكرام يرتب الملك لقا هنا قال تعالى لقد رضي الله عن المومنين اذ
يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم من الصدق اشارة الى ان الرضا لم يكن عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التي
كان معها علم الله بصدقهم والفاء في قوله تعالى فانزل السكينة عليهم على لسانه وصف المبايعة لكونها معقبة
بالعلم والصدق الذي في قلوبهم وهذا توفيق لا ياتي الا لمن هداه الله تعالى الى معاني كتابه الكريم وقوله تعالى واثابهم
فتحا قريبا وهو فتح خيبر ومغانم كثيرة ياخذونها وصل مغانم هاجر وكان الله عزيزا كامل القدرة غنيا عن اعانتكم
اياه حكيما حيث جعل هلاك اعدايه على ايديكم ليستحقوا عليه اولا ان ذلك اعزاز قوم واذلال اخرين فان
تذل من تشاء لحزبه وتعز من تشاء لحكمته ثم قال تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها اشارة الى ما اتاكم من الفتح
والمغانم ليس هو كل الثواب بل الجزاء قدامهم وانما هي لعاجلة تجلب بها وفي المغانم الموعودة اقوال اصحها انه وعد مفاتح كثيرة
كثيرة من غير تعيين وكلها اعمه وكان منها وكان الله تعالى عالما بها وهذا كما يقول الملك الجواد لمن يخدمه يكون لك مني
على ما عليه الجزاء ان شاء الله تعالى ولا تريد شيا بعينه ثم كلما ياتي به ويوتيه يكون داخلا تحت ذلك الوعد غير
ان الملك لا يعلم تفاصيل ما يقبل اليه وقت الوعد والله عالم بها وقوله تعالى وكف ايدي الناس عنكم لاتمام المنة
كانه قال رزقتكم غنيمة باردة من غير مس حر القتال ولو تعبتم به لعلمتم هذا اجر انفسكم وقوله تعالى ولتكون اية للمومنين عطف
على مفهوم لانه تعالى لما قال فعجل لكم هذه والامر مبني على النفع كما ان على مبني على الضرر قال العامل لا على ولا لنا بمعنى لا نفع به ولا
به ولا اضر به ولا انفع فلذلك قوله تعالى فعجل لكم هذه لتنفعكم ولتكون اية للمومنين فيه معنى لطيف وهو ان المغانم الموعود كل

ما يأخذه المسلمون فقوله تعالى ولتكون آية للمؤمنين يعني لينفعكم بها ولتعجل لكم بعدكم انه يدلهم على ان ما وعدهم الله يصل اليهم كما وصل اليكم او نقول معناه لينفعكم في الظاهر وينفعكم في الباطن حيث يزداد يقينكم اذا رأيتم صدق الرسول في اخباره عن الغيوب فيكمل اخباركم ويكمل اعتقادكم ويهديكم صراطا مستقيما وهو التوكل على الله تعالى والتفويض اليه والاعتزاز به قوله تعالى واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها قيل غنيمة هوازن وقيل غنائم فارس والروم وذكر الزمخشري في اخرى ثلثة اوجه الاول ان تكون منصوبة بفعل مضمر يفسره قد احاط ولم تقدروا عليها صفة لاخرى كانه تقول وغنيمة اخرى غير مقدور عليها قد احاط الله بها ثانيها ان تكون مرفوعة وخبرها احاط الله بها وحسن جعلها مبتدأ مع كونها نكرة لكونها موصوفة بلم تقدروا ثالثها الجر باضمار رب ويحتمل ان يقال منصوبة بالعطف على منصوب وفيه وجهان احدهما كانه تعالى قال فعجل لكم هذه واخرى ما قدرتم عليها وهذا ضعيف لان اخرى لم يعجل بها وثانيهما على مغانم كثيرة تأخذونها واخرى اي وعدكم الله اخرى وحينئذ كانه قال وعدكم من المؤمنين وعلى هذا قول الفراء احسن وذلك لانه فسر قوله تعالى قد احاط الله بها حفظها للمؤمنين لا يجري عليها هلاك الى ان يأخذها المسلمون كاحاطة الحارس بالحرس ثم قال تعالى ولو قاتلكم الذين كفروا وهو يصلح جوابا لمن يقول كف الايدي عنهم كان الاتفاق الحسن ولو اجتمع عليكم العرب كما عزموا لمنعوكم من فتح خيبر واغتنام غنائمها قال ليس كذلك بل سواء قاتلوا او لم يقاتلوا لا ينصرون والغلبة واقعة للمسلمين فليس امرهم امرا اتفاقيا بل هو امر الاهي محكوم به محتوم ثم قال تعالى لا يجدون وليا ولا نصيرا قد ذكرنا مرارا ان دفع الضرر عن الشخص اما ان يكون باولى يشفع بالنطق وينصرنا بالفعل وليس للذين كفروا شيء من ذلكما وفي قوله تعالى ثم لطيفة وهي ان من تولى دبره يطلب الخلاص من القتل بالالتجاء بما يتبعه مقال وليس اذا ولوا الادبار يتخلصون بل يبعد التولي الهلاك اللاحق بهم وقوله تعالى سنة الله التي جواب عن سؤال مقدر تقوم مقام الجهاد وهو ان الطوالع لها تأثيرات والاتصالات لها ثمرات فقال تعالى ليس كذلك سنة الله نصر رسوله واهلاك عدوه وقوله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا بالشارة ودفع وهي نفع بسبب وهم وهو انه اذا قال الله تعالى ليس هذا بالتأثيرات فلا يجب وقوعه بل الله فاعل مختار ولو اراد ان تهلك الصدلا هلكهم بخلاف قول المنجم بان الغالب بيده طالع وسواهد يقتضي غلبته قطعا فقال الله تعالى فلن تجد لسنة الله تبديلا يعني الله فاعل مختار يفعل ما يشاء ويقدر على اهلاك الضد به ولكن لا يبدل سنته ولا يغير عادته ثم قال تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم اشارة لما تقدم من قوله تعالى ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار يعني ان الله تعالى كما انه كف ايديهم عنكم بالفرار وايديكم عنهم بالرجوع عنهم وتركهم وقوله تعالى ببطن مكة اشارة الى مكان هناك يقتضي عدم الكف ومع ذلك وجد كف الايدي وذلك لان الامر هو دخول المسلمين ببطن مكة فان ذلك يقتضي ان يصير الكفار على القتال لكون العدو دخل دارهم طالبين ديارهم على وجه احتراما للبلد في الذب عن الحريم ويقتضي ان يبالغ المسلمون في الاجتهاد في الجهاد لكونهم لو قصروا لكسروا واسروا لبعدهم منهم فقوله تعالى ببطن مكة اشارة الى بعد الكف ومع ذلك وجد بمشية الله تعالى وقوله تعالى من بعد ان اظفركم عليهم صالح الامرين احدهما ان يكون منة على المؤمنين بان الظفر كان لكم مع ان الظاهر كان يستدعي كون الظفر لهم لكون البلد لهم وكثرة عددهم الثاني ان يكون ذكرا لامر ما يعني من الامرين الاولين مع ان الله تعالى جمعها مع المنافقين اما كف ايدي الكفار فعن تيسير لكونهم في بلادهم ذابين عن اهلهم واولادهم واليه الاشارة بقوله تعالى ببطن مكة واما كف ايدي المسلمين فلانه كان بعد ان ظفروا بهم ومتى ظفر الانسان بعدوه الذي ظفر هو به لا يستاصله بعدا يكف عنه مع ان الله تعالى كف الذين وقوله تعالى وكان الله بما تعملون بصيرا يعني كان الله تعالى يعلم فيه من المصلحة وان كنتم لا ترون ذلك وسيقول قوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا الى ان قال ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يعني كان الكف محافظة على ما في مكة من المسلمين ليخرجوا منها ويدخلوها على وجه لا يكون فيه ايذاء من فيها من المؤمنين والمؤمنات واختلف المفسرون في ذلك الكف منهم من قال المراد من كان عام الفتح ومنهم من قال من كان عام الحديبية فان المسلمين هزموا جيش الكفار حتى ادخلوهم بيوتهم وقيل ان الحرب كان بالحجارة وقوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام اشارة الى ان الكف لم يكن لامر فيهم لانهم كفروا وصدوا واحصروا وكل ذلك كان يقتضي قتالهم فلا يقع لاحد ان الفريقين اتفقوا ولم يبق بينهما خلاف واصطلحوا ولم يبق بينهما نزاع بل الاختلاف باق والنزاع مستمر لانهم هم الذين كفروا وصدوكم ومنعوا ما فازدادوا كفرا وعداوة وانما ذلك للرجال المؤمنين والنساء المؤمنات وقوله تعالى والهدي منصوب على العطف على كم من صدوكم ويجوز الجر عطفا على المسجد اي وعن الهدي ومعكوفا حال ان يبلغ تقديره عن ان يبلغ ويحتمل ان يقال يبلغ محله وتقديره معكوفا ما بلوغه كما يقال رأيت زيدا شديدا باسه ومعكوفا اي ممنوعا ولا يحتاج الى تقدير على هذا الوجه وقوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم وصف الرجال والنساء يعني لولا رجال مؤمنون غير معلومين وقوله تعالى ان تطؤهم بدل اشتمال كانه قال رجال غير معلومي الوطء فتصيبكم منهم معرة عيب واثم وذلك لانكم ربما تقتلوهم فيلزمكم الكفارة وهي دليل الاثم او يعيبكم الكفار بانهم فعلوا باخوانهم ما فعلوا باعدائهم وقوله تعالى بغير علم قال الزمخشري هو متعلق بقوله تعالى ان تطؤهم يعني تطؤهم غير عالمين بهم وقال ايضا ان تطؤهم جاز ان يكون بدلا عن الضمير المنصوب في قوله تعالى لم تعلموهم ونقابل ان نقول هذا لا يصح على قولنا هو بدل عن الضمير يكون التقدير لم تعلموا ان تطؤهم بغير علم فيلزم تكرار بغير علم لحصوله بقوله تعالى لم تعلموهم فالاولى ان يقال بغير علم هو في موضعه فتصيبكم منهم معرة بغير علم في الذي يعرهم ويعيب عليكم يعني اذا وطئتموهم غير عالمين امركم سنة الكفار بغير علماء بجهل لا تعلمون انكم معذورين فيه ولو قيل

لم تعلموا



لم تعلموا ان تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم او تؤذوهم بغير علم فيكون الفعل السبب الذي يحصل بغير علم او يقول المعرة قسمان احدهما لا يحصل المعرة في القتل العمد ممن هو غير العالم بحال المحل الثاني ما يحصل من القتل خطأ وهو غير عدم العلم فقال فتصيبكم منهم معرة غير معلومة لا التي تكون عند العلم والجواب او لا محذوف تقديره لولا ذلك لما كف ايديهم عنكم هذا ما قاله الزمخشري وهو حسن ويحتمل ان يقال جوابه ما يدل عليه قوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام يعني هم استحلوا ان لا يمهلوا لولا رجال مؤمنون لوقع ما استحقوه كما تقول القائل هو سارق ولولا فلان لقطعت يده وذلك لان لولا لا تستعمل الا لامتناع الشيء لوجود غيره وامتناع الشيء لا يكون الا اذا وجد المقتضي له فمنعه الغير فذكر الله تعالى اولا المقتضي التام البالغ وهو الكفر والصد والمنع وذكر ما امتنع لاجله مقتضاه وهو وجود الرجال المؤمنين وقوله تعالى ليدخل الله في رحمته من يشاء فيه مباحث الاول في الفعل الذي يستدعي اللام الذي يكون للادخال وفيه وجوه احدها ان يقال هو قوله تعالى كف ايديكم عنهم ليدخل لانه تعالى بانك ذكرت ان المانع وجود الرجال المؤمنين فيكون كانه قال كف ايديكم لئلا تطؤا ليدخلوا كما يقال اطعمته ليشبع ليغفر الله لي ان الاطعام للشبع كان المعنى الثاني هو انا بينا ان لولا جوابه محذوف قوله تعالى هم الذين كفروا فيكون كانه قال هم الذين كفروا واستحقوا التعجيل في اهلاكهم ولا دخال التعجيل لهم ولكن كف ايديكم ليدخل بيانه ان يقال فعل ما فعل ليدخل لان هناك افعالا من الالطاف والهداية وغيرهما وقوله تعالى ليدخل الله في رحمته من يشاء ليؤمن منهم من علم الله تعالى انه يؤمن في تلك السنة او يخرج من مكة ويهاجر فيدخلهم في رحمته وقوله تعالى لو تزيلوا اي لو تميزوا والضمير يحتمل ان يقال هو ضمير الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات فان قيل كيف يصح هذا وقد قلتم بان جواب لولا محذوف وهو قوله تعالى لما كف ولو كان لو تزيلوا راجعا الى الرجال لكان لعذبنا جواب لولا نقول وقد قال به الزمخشري فقال تعالى لو تزيلوا ثم كرر لولا ويحتمل ان يكون لعذبنا جواب لولا ويحتمل ان يقال هو من ضمير يشاء كانه تعالى قال ليدخل من يشاء في رحمته لو تزيلوا هم وغيروا لعذبنا بتقدير وجود الرجال والعذاب الاليم لا يندفع عن الكافر بقول المراد عذابا اليما عاجلا بايديكم يعني بابدا بالجيش اذ كانوا غير مصرين ولا مستقلين اليهم فيظهرون و يقدرون اليما الثاني ما الحكمة في ذكر المؤمنين والمؤمنات مع ان المؤنث يدخل في ذكر المذكر عند الاجتماع قلنا الجواب عنه من وجهين احدهما ما تقدم معناه يهلكهم لا بالقتال ولا يعين تكيفا المانع هو وجود الرجال المؤمنين فقال تعالى والنساء المؤمنات ايضا لان تخريب بيوتهن وهم اولادهن بسبب قتل رجالهن وطأه شديدة [illegible] في محل الشفقة بعد الموانع برفق القلب يقال لمن يعذب شخصا لا تعذبه وارحم ذله وفقره وضعفه اولاده وصغاره واهله الضعفاء العاجزين فحينئذ هنا قال تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات برفق قلوب المؤمنين ورضاهم بما جرى من الكف بعد الظفر ثم قال تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية واذ يحتمل ان يكون ظرفا فلا يكون من فعل يقع فيه ويكون عاملا له ويحتمل ان يكون مفعولا به فان قلنا هو مذكور ففيه وجهان احدهما قوله تعالى وصدوكم عن المسجد الحرام حين جعلوا في قلوبهم الحمية لا يرجعون الى الاستسلام والانقياد والمؤمنون لما انزل الله عليهم سكينته لا يتركون الاجتهاد في الجهاد والله تعالى مع المؤمنين فيعذبونهم عذابا اليما او غير المؤمنين واما ان قلنا ان ذلك مفهوم غير مذكور ففيه وجهان احدهما حفظ الله تعالى المؤمنين عن ان يطأهم الذين كفروا والذين جعل [illegible]

اما اقدام واما انهزام لان احد العدوين اذا اشتد غضبه فالعدو الاخر ان كان مثله في القوة تغضب ايضا ويثور الغضب وان كان ضعيفا منه
او يستأذنه فالله تعالى انزل في مقابلة حمية الكافرين على المومنين سكينته حتى لم يغضبوا ولم ينهزموا بل صبروا وهو بعيد في العادة وهو من فضل الله
تعالى قوله تعالى على رسوله فانه هو الذي اجاب الكافرين الى الصلح وان كان في نفس المومنين ان لا يرجعوا الا باحد الثلاثة وبالنحر في المنحر وابوا الا
محمد رسول الله وبسم الله فلما سكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سكن المومنون وقوله تعالى والزمهم كلمة التقوى فيه وجوه اظهرها انه قول لا اله
الا الله فان بها يقع الاتقاء عن الشرك وقيل هو بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله فان الكافرين ابوا ذلك والمومنون التزموه وقيل هو الوفاء
بالعهد الى غير ذلك ونحن نوضح فيه ما يترجح بالدليل فنقول والزمهم يحتمل ان يكون عائدا الى النبي صلى الله عليه وسلم جميعا يعني الزم النبي والمومنين كلمة
التقوى ويحتمل ان يكون عائدا الى المومنين فحسب فان قلنا انه عائد اليهما جميعا نقول هو الامر بالتقوى فان الله تعالى قال للنبي صلى الله عليه وسلم
يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين وقال للمومنين يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته والامر بتقوى الله تعالى حيث
يدل على ان تقواه عن الالتفات الى ما سوى الله كما قال في حق النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله ولا تطع الكافرين وقال تعالى وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه ثم بين له حال من صدقه بقوله تعالى الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله واما في حق المومنين فقال تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته وان قلنا بانه راجع الى المومنين فهو قوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
الا ترى الى قوله تعالى واتقوا الله وهو قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وفي معنى قوله تعالى والزمهم كلمة
التقوى على هذا معنى لطيف وهو انه تعالى قال اتقوا الامر وارد ثم ان من الناس من يفعله بتوفيق الله تعالى ويلزمه ومنهم من
لا يلزمه فقد الزمه بالزام الله اياه وكانه تعالى قال والزمهم كلمة التقوى وهذا المعنى يحتاج من حيث ان وان كان كاملا ولكنه
اقرب الى الكلمة وعلى هذا فقوله تعالى وكانوا احق بها واهلها معناه انهم كانوا عند الله اكرم الناس فالزموا تقواه وذلك
لان قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم يحتمل وجهين احدهما ان يكون معناه ان من يكون تقواه اكثر يكرمه الله تعالى
اكثر والثاني ان يكون معناه ان من يكون اكرم عند الله تعالى واقرب اليه كان اتقى كما في قوله والمخلصون على خطر عظيم
وقوله تعالى وهم من خشية ربهم مشفقون وعلى الوجه الثاني يكون معنى قوله تعالى وكانوا احق بها واهلها انهم كانوا
اعلم بالله لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله تعالى واهلها يحتمل وجهين احدهما انه لا اهم من معنى
كحق انه يثبت الاهلية كما ان الملك انسب يسعد وكل واحد منهما غير صالح له لكن احدهما ابعد من الاستحقاق
فقال الاقرب الاستحقاق اذا كان ولا بد فهذا احق كما يقال الجنس اهون من القتل مع انه لا سبيل هناك فقال واهلها
دفعا لذلك والثاني هو اقوى وهو ان يقال قوله تعالى واهلها فيه وجوه منها بعد ما بين معنى الاحق دعوى لهم يحتمل
وجهين احدهما ان يكون الاحق بمعنى الحق لا للتفضيل كما في قوله تعالى خير مستقرا واحسن مقيلا اذ لا خير في غيره
والثاني ان يكون للتفضيل وهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون الى غيرهم اي المومنين احق من الكافرين والثاني ان يكون
بالنسبة الى كلمة التقوى من كلمة اخرى غير تقوى تقول زيد احق بالاكرام منه بالاهانة اذا سال سائل عن زيد انه بالطب
اعلم وبالفقه اعلم اي من الطب وقوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق بيان لفساد ما قاله المنافقون بعد
انزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين ووقوفهم عند ما امر الله به من عدم الاقبال على القتال وذلك قولهم ما دخلنا
المسجد الحرام ولا حلقنا ولا قصرنا حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم راى في منامه ان المومنين يدخلون مكة ويتمون
الحج ولم يعين له وقتا فقص رؤياه على المومنين فقطعوا بان الامر كما راى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وظنوا ان الدخول
يكون عام الحديبية والله اعلم انه لا يكون الا عام الفتح فلما صالحوا ورجعوا قال المنافقون ما دخلنا ولا حلقنا
قال تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وتعدية الرؤيا الى المفعولين يحتمل ان يكون بنفسه وكونه من الافعال الذي
يتعدى الى المفعولين كقوله جعل وخلق ويحتمل ان يقال تعدى الى الرؤيا بحرف تقديره صدق الله رسوله في الرؤيا فعلى الاول
معناه جعلها واقعة بين صدق وعده واوقع الموعود به واتى به وعلى الثاني معناه ما اراه الله لم يكذب فيه وعلى
يحتمل ان يكون راى في منامه ان الله تعالى يقول ستدخلون المسجد فيكون قوله صدق ظاهرا لان استعمال الصدق
في الكلام ظاهر ويحتمل ان يكون صلى الله عليه وسلم راى انه يدخل المسجد فيكون قوله صدق الله معناه انه اتى بما يحقق
المنام ويدل على كونه صادقا يقال صدقني سن بكره اسما اذا اخبره المرء البكر بريه من نفسه ماخوذ من الابل اذا جمل له
يدي سنه يحقق كونه من صغار الابل فان هذه كلمة شكرها اصغار الابل وقوله تعالى بالحق قال الزمخشري هو حال او صفة
او صفة تقديره صدقه صدقا ملتبسا بالحق وعلى تقدير كونه قسما اما ان يكون قسما بالله فان الحق من اسمائه
واما ان يكون قسما بالحق الذي هو نقيض الباطل هذا ما قاله ويحتمل ان يقال فيه وجهين اخرين احدهما ان يقال فيه تقديم
وتاخير تقديره صدق رسوله بالحق الرؤيا اي الرسول الذي هو رسول بالحق وفيه اشارة الى امتناع الكذب في الرؤيا لانه
لما كان رسولا بالحق فلا يرى في منامه الباطل والثاني ان يقال بان قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام الحق قسم فامر
اللام ظاهر وابتدا به فتقديره لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق والله لتدخلن جاز ان يكون تفسير الرؤيا يعني
الرؤيا هي والله لتدخلن وعلى هذا بيان قوله تعالى صدق الله كان في الكلام ان الرؤيا كانت كلاما ويحتمل ويجوز ان يكون
تحقيقا لقوله تعالى لقد صدق الله يعني والله ليقع الدخول وليظهر الصدق فلو ابتدا كلامه وقوله تعالى ان شاء
الله فيه وجوه احدها انه ذكره تعليما للعباد الادب وتاكيدا لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله

الثاني



الثاني هو ان الدخول لما لم يقع عام الحديبية وكان المومنون يريدون الدخول ويابون الصلح قال لتدخلن ولكن لا بجلادتكم
ولا بارادتكم وانما تدخلون بمشية الله الثالث هو ان الله تعالى قال في الوحي المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لتدخل
ذكر انه بمشية الله لان ذلك من الله وعد ليس عليه دين ولا حق واجب ومن وعد بشي لا يحققه الا بمشية والا يبين له ضد
واذا كان حال الموعود به في الوحي المنزل صريحا في اللفظ فما ظنكم في الوحي بالمنام وهو يحتمل التاويل اكثر مما يحتمله الكلام فاذا تاخر
الدخول لم تستبعدون الرابع هو ان ذلك تحقيقا للدخول في ذلك لان اهل مكة قالوا لا يدخلوها الا بارادتنا ولا نريد دخولكم في هذه السنة
وتختار الدخول لكم في السنة المقابلة والمومنون ارادوا الدخول في عامهم ولم يقع فكان بعض ان يقول لكن الامر موقوفا على مشية الله
تعالى لا ارادة لا في السنة الاتية تتركوننا ندخلها وان كرهوا لا يدخلها فقال لا بمشيتهم ولا بارادتهم وما حسبتم بل عام الشرط
بمشية الله وقوله تعالى محلقين اشارة الى الاتمام محمود الحج من اوله الى اخره فقوله تعالى لتدخلن اشارة الى الاول وقوله محلقين
اشارة الى الاخر وفيه مسايل الاول محلقين حال الداخلين والداخل لا يكون الا محرما والمحرم لا يكون محلقا نقول قوله امنين معنى
على الدوام فيه الى الحلق فكانه قال يدخلون امنين ممتلئين من ان يتموا الحج محلقين الثانية قوله تعالى لا تخافون اما حال معناه
خايفين وذلك حصل بقوله تعالى امنين فما الفايدة في اعادته نقول فيه بيان كمال الامن وذلك لان بعد الحلق يخرج الانسان
عن الاحرام فلا يحرم عليه القتال اذ كان عند اهل مكة يحرم قتال من احرم ومن دخل الحرم فقال يدخلون امنين ويحلقون ويبقى
بعد خروجكم عن الاحرام وقوله تعالى فعلم ما لم تعلموا من المصلحة وكون دخولكم في سنتكم سبب لوطء المومنين او يعلم للتعقيب
فعلم وقوع ما ذا هو ان قلنا من معلوم وقت الدخول فهو عقب صدق وان قلنا المراد فعلم المصلحة فالمعنى علم الوقوع و
الشهادة لا علم الغيب والتقدير بعد ما حصلت المصلحة في العام القابل فعلم ما لم تعلموا من المصلحة المتجددة فجعل من دون
ذلك فتحا قريبا اما صلح الحديبية واما فتح خيبر وقد ذكرناه وقوله تعالى وكان الله بكل شي عليما يدفع وهم حدوث علمه
من قوله تعالى فعلم ذلك لان قوله تعالى وكان الله بكل شي عليما يفيد سبق علمه العام لكل علم والله تعالى اعلم بالصواب

**قوله تعالى** هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا

التاكيد بيان صدق الله في الرؤيا وذلك لانه لما كان مرسلا لرسوله ليهدي لا يريه ما لا يكون فيحدث الناس
فيقع ذلك سبب الضلال ويحتمل وجها اقوى من ذلك هو ان الرؤيا بحيث توافق الواقع صح لغير الرسل لكن رؤيه
الاشياء قبل وقوعها في اليقظة لا يقع لكل احد فقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى وحكى له ما سيكون في اليقظة
لا يبعد منه ان يريه في المنام ما لا يقع في المنام فلا استبعاد في صدق رؤياه وفيها ايضا بيان وقوع الفتح ودخول مكة
بقوله تعالى ليظهره على الدين كله اي من تقويته على الاديان لا يستبعد منه فتح مكة له والهدى يحتمل ان يكون هو كونه
كما قال تعالى انزل فيه القران هدى للناس وعلى هذا دين الحق هو ما فيه من الاصول والفروع ويحتمل ان يكون الهدى هو المعجزة
اي ارسله بالمعجزات اي مع الحق اشارة الى ما شرع ويحتمل ان يكون الهدى هو الاصول ودين الحق هو الاحكام وذلك لان الرسول
ما لم يكن له احكام بل يبين الاصول فحسب وبلام التعريف في الهدى يحتمل ان يكون للتعريف اي كل ما هو هدى ويحتمل ان يكون للعهد
وهو قوله تعالى ذلك هدى الله يهدي به من يشاء وهو اما القران لقوله تعالى كتابا متشابها مثاني تقشعر منه الى ان قال
ذلك هدى الله يهدي به من يشاء واما ما اتفق عليه كلمة الرسل لقوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
والكل من باب واحد لان ما في القران موافق لما اتفق عليه الانبياء وقوله تعالى ودين الحق يحتمل وجوها احدها ان
يكون الحق اسم الله تعالى فيكون كانه قال بالهدى ودين الحق وثانيها ان يكون الحق نقيض الباطل فكانه قال ودين
الامر الحق وثالثها ان يكون المراد به الانقياد الى الحق والزام الحق اي ارسله بالهدى وهو المعجز على احد الوجوه ليظهره على الدين كله اي
جنس الاديان فيظهر على الاديان وقوله تعالى وكفى بالله شهيدا في انه رسول الله وهذا مما يسلي قلب المومنين فانهم تاذوا من رد الكفار
عليهم العهد المكتوب قالوا لا نعلم انه رسول الله فلا تكتبوا محمد رسول الله بل اكتبوا محمد بن عبد الله فقال تعالى كفى بالله شهيدا في انه
رسول الله وفيه معنى لطيف وهو ان قول الله مع انه كاف في كل شي لكنه في الرسالة اظهر كفاية لان الرسول لا يبلغ الا قول المرسل
فاذا قال هذا ملك رسول لو انكر كل من في الدنيا انه رسول فلان لا يفيد انكارهم فقال تعالى اي وجد في رسالته بالمكارم تصديق
اياه بانه رسولي وقوله محمد رسول الله فيه وجوه احدها خبر مبتدا محذوف تقديره هو محمد الذي سبق ذكره في قوله ارسل رسوله
محمد رسول الله عطف بيان وثانيها ان محمدا مبتدا خبره رسول الله وهذا تاكيد لما تقدم لانه قال هو الذي ارسل رسوله ولا يتوقف
رسالته الا على شهادته وقد شهد له بها وثالثها وهو مستنبط وهو ان يقال محمد مبتدا ورسول الله عطف بيان او وصف للمدح
لا للتمييز والذين معه عطف على محمد وقوله تعالى ابدا احرهم كانه قال تعالى والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم لهم
وصفا الشدة والرحمة وحد في حقهم اما في المومنين فكما في قوله تعالى اذلة على المومنين اعزة على الكافرين واما في حق النبي
صلى الله عليه وسلم فكما في قوله تعالى واغلظ عليهم وما واهم وقال في حقه بالمومنين رؤوف رحيم وعلى هذا فقوله تعالى تراهم
لا يكون خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم بل يكون عاما اخرج مخرج الخطاب تقديره تراهم ايها السامع كاينا من كان كما قلنا
ان الواعظ يقول انظر اي قبل نفسه لا نعمة ولا يريد به واحدا بعينه وقوله تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا
لتمييز ركوعهم وسجودهم عن ركوع الكافر وسجوده وركوع المرائي وسجوده فانه لا يبتغون وفيه اشارة الى معنى لطيف وهو ان الله تعالى
قال الراكعون الساجدون لوجهه فيعطيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وقال الراكع يبتغي الفضل ولم يذكر الاجر لان الله تعالى اذا قال

لكم اجر كان ذلك منه تفضلا واشارة الى ان عملكم جاء على ما طلب الله منكم لان الاجرة لا يستحق على العمل الموافق للطالب من المالك والمومن اذا قال انما اسعى فضلك بكرمه منه اعترافا بالتقصير فقال تعالى يبتغون فضلا من الله ولم يقل اجرا وقوله تعالى سيماهم في وجوههم يوم القيمة كما قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وقال تعالى نورهم يسعى وعلى هذا فمعول نورهم في وجوههم بسبب توجههم نحو الحق كما قال ابرهيم صلى الله عليه وسلم اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض ومن يحاذي الشمس يقع شعاعها على وجهه فتبين وجهه على النور منبسطا مع ان الشمس لها نور عارضي يقبل الزوال والله نور السماوات والارض فمن توجهه الى وجهه يظهر في وجهه نور يبهر الانوار وثانيهما ان ذلك في الدنيا وفيه وجهان احدهما ان المراد ما يظهر في الجباه بسبب كثرة السجود والثاني ما يظهره الله تعالى في وجوه الساجدين من الحسن نهارا وهذا محقق لمن يعقل فان رجلين يسهران بالليل احدهما قد اشتغل بالشراب واللعب والاخر اشتغل بالصلوات والقراءة او اشتغال العلم فكل احد في اليوم الثاني يفرق بين الساهر في الشراب واللعب وبين الساهر في الذكر والشكر وقوله تعالى ذلك مثلهم فيه ثلثة اوجه مذكورة احدها ان يكون ذلك مبتدا ومثلهم في التورية وفي الانجيل كزرع وثانيها ان يكون خبر ذلك هو قوله تعالى مثلهم في التورية والانجيل مبتدا وخبره كزرع وثالثها ان يكون ذلك اشارة غير معينه اوضحت بقوله تعالى كزرع لقوله تعالى ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وفيه وجه رابع وهو ان يكون ذلك مبتدا له خبر محذوف تقديره هذا الظاهر في وجوههم ذلك يقال ظهر في وجهه اثر الضرب فيقول اي والله ذلك اي ذلك الظاهر والظاهر الذي تقوله هذا وقوله تعالى مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كزرع اي وصفوا في الكتابين به ومثلوا بذلك وانما جعلوا كالزرع لانه اول ما يخرج يكون ضعيفا وله نمو الى حد الكمال فكذلك المومنون والشطأ الفرخ فازره يحتمل ان يكون المراد اخرج الشطأ واراد الشطأ وهو اقوى والظاهر والكلام يتم عند قوله يعجب الزراع وقوله تعالى ليغيظ بهم الكفار اي تممه الله ذلك بالغيظ لولا ذلك ضرب لغيظ او يكون الفعل المعلل كقوله تعالى وعد الله الذين امنوا ليغيظ بهم الكفار ويقال [illegible] لا نفك النعم عليه وقوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض ويحتمل ان يقال هو ومعناه ليغيظ الكفار والذين من الكفار لهم الاجر العظيم والعظيم والمغفرة قد تقدم مرارا وههنا لطيفة وهي انه تعالى قال في حق الراكعين الساجدين انهم يبتغون فضلا من الله فقال وقال لهم اجرا ولم يقل لهم ما طلبوا من ذلك الفضل وذلك لان المؤمن عند العمل لم يلتفت الى عمله ولم يجعل له اجرا يعتد به لا اسعى الا فضلك فان عملي نزر لا يكون له الاجر والله تعالى اتاه ما توجب من الفضل وسماه اجرا اشارة الى قبول عمله ووقوعه الموقع وعدم كونه نزرا لا يستحق المؤمن عليه اجرا وقد علم بما ذكرنا مرارا ان قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات انه ان ترتب عليه المغفرة على الايمان فان كل مومن يغفر له كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا والاجر العظيم على العمل الصالح والله تعالى اعلم بالصواب

**يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون**

اعلم ان في بيان حسن الترتيب وجوها ان في السورة لما جرى منهم ميل الى الامتناع اجابة النبي صلى الله عليه وسلم من الصلح وترك اية التسمية والرسالة والزمهم كلمة التقوى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم على سبيل العموم لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا تتجاوزوا عما يامر الله تعالى ورسوله الثاني هو ان الله تعالى لما بين محل النبي صلى الله عليه وسلم وعلو درجته بكونه رسوله الذي يظهر دينه وذكره بانه رحيم بالمومنين بقوله رحيما قال لا تتركوا من احترامه شيئا لا بالفعل ولا بالقول ولا تغتروا برافته وانظروا الى رفعة درجته الثالث هو ان الله تعالى وصف المومنين بكونهم اشداء ورحماء فيما بينهم راكعين ساجدين نظرا الى جانب الله تعالى وذكر ان لهم من الحرمة عند الله تعالى ما اورثهم حسن الثناء في الكتب المتقدمة بقوله تعالى ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل فان الملك العظيم لا يذكر احدا في غيبته الا اذا كان عنده محترما ووعدهم بالاجر العظيم فقال في هذه السورة لا تفعلوا ما يوجب انحطاط درجتكم واحباط حسناتكم ولا تقدموا وفي السبب في نزول الاية وجوه قيل نزلت في صوم يوم الشك وقيل نزلت في التضحية قبل صلوة العيد وقيل نزلت في ثلاثة قتلوا اثنين من سليم ظنوهما من بني عامر وقيل نزلت في جماعة اكثروا من السؤال وكان قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفود والاصح انه ارشاد عام يشمل الكل ومنع مطلق يدخل فيه كل اثبات وتقدم واستبداد بالامر واقدام على فعل غير ضروري من غير مشاورة وفي التفسير مسايل **المسئلة الاولى** قوله تعالى لا تقدموا يحتمل وجهين احدهما ان يكون من التقديم الذي هو متعد وعلى هذا ففيه وجهان احدهما ترك مفعوله برأسه كما في قوله تعالى يحيي ويميت وقول القايل فلان يعطي ويمنع ولا يريد بها اعطاء شي ولا منع شي معين وانما يريد به ان له منع وعطا كذلك ههنا كانه تعالى يقول لا ينبغي ان يصدر منكم تقديم اصلا والثاني ان يكون الفعل والامر كانه يقول لا تقدموا بمعنى لا تقدموا وعلى هذا فهو مجاز ليس المراد نفس التقديم بل المراد لا تجعلوا لانفسكم تقدما عند النبي صلى الله عليه وسلم يقال فلان تقدم من بين الناس اذا ارتفع امره وعلا شانه والسبب فيه ان من ارتفع يكون متقدما في الدخول في الامور العظام وفي الذكر عند ذكر الكرام وعلى هذا نقول سواء جعلناه متعديا

او لم



او لازما لا يتعدى الا ما لا يتعدى اليه [illegible] قدمت زيدا فالمعنى [illegible] قوله لا تقدموا اذا جعلناه متعديا الى ما لا يتعدى اليه [illegible] بقولنا قدمت زيدا [illegible] لا تقدموا انفسكم في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم اي لا تجعلوا لانفسكم [illegible]

[illegible]

لما وجب عليه التبيان فهو له نسكت عما سئل وربما يكون في السؤال حصول برد جواب لا يسهل على المكلف الاتيان به فيستحق وطأة العقاب على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب كما يقول القايل لغيره امرتك مرارا كذا اعتد ما تقوله صاحبه مرتين يا مرتين فيكون احد الكلامين اعلا وارفع من الاخر والاول اصح والكل يدخل في المراد لان المنع من رفع الصوت لا يكون الا للاحترام واظهار الاحتشام ومن يبلغ احترامه الى حيث يخفض الاصوات عنده ومن هيبته وعلو شانه لا يكثر عنده الكلام ولا يرفع المتكلم عنه في الخطاب وقوله تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض فيه فوايد احدها ان بالاول حصل المنع من ان يجعل الانسان كلامه او صوته اعلا منه اي من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وصوته ولقايل ان يقول فما منعت من المساواة فقال تعالى ولا تجهروا له كما تجهرون لاقرانكم ونظرايكم بل اجعلوا كلمته عليا والثانية ان بهذا افاد انه ينبغي ان يتكلم المومن عند النبي صلى الله عليه وسلم الا كما يتكلم العبد عند سيده لانه داخل تحت قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض لانه للعموم ولا ينبغي ان يجهر المومن للنبي صلى الله عليه وسلم الا كما يجهر العبد للسيد والا كان قد جهر له كما يجهر بعضكم لبعض لا يقال المفهوم من هذا النمط لا تجعلوه كما تعوا بينكم بل ميزوه بان يجهروا عنده ابدا وفيما بينكم لا تحافظون على الاحترام ولا نقول ما ذكرنا اقرب الى الحقيقة و

ما ذكرتم من المعنى وزيادة ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم والسيد ليس أولى عند عبده من نفسه حتى لو كانا في
مخمصة ووجد العبد ما لو لم يأكله لمات لا يجب عليه بذله لسيده ويجب البذل للنبي صلى الله عليه وسلم ولو علم العبد أن بموته ينجو سيده لا يلزمه أن
يلقي نفسه في التهلكة لإنجاء سيده ويجب لإنجاء النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكرنا حقيقته عند تفسير الآية وأن الحكمة تقتضي ذلك كما
أن العضو الرئيس أولى بالرعاية من غيره لأن عند خلل القلب مثلاً لا يبقى لليدين والرجلين استقامة فلو حفظ الإنسان نفسه
وترك النبي صلى الله عليه وسلم لهلك هو أيضاً بخلاف العبد والسيد الفائدة الثالثة أن قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم لما كان من جنس
واحد لا تجهروا لم يستأنف النداء ولما كان يخالف المتقدم لكون أحدهما فعلاً والآخر قولاً استأنف في قول لقمان يا بني لا تشرك
وقوله تعالى يا بني أقم الصلوة لكون الأول من عمل القلب والثاني من عمل الجوارح وقوله تعالى يا بني أقم الصلوة وأمر بالمعروف
وانه عن المنكر من غير استئناف لكون الكل من عمل الجوارح واعلم أنا إن قلنا المراد من قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم أي لا تكثروا
الكلام فقوله تعالى ولا تجهروا يكون مجازاً عن الإتيان بالكلام عند النبي صلى الله عليه وسلم بقدر ما يؤتى به عند غيره أي
لا تكثروا وأقلوا غاية التقليل وكذلك إن قلنا المراد بالرفع الخطاب فالمراد بقوله تعالى ولا تجهروا أي لا تخاطبوه كما تخاطبون
غيره وقوله تعالى أن تحبط فيه وجهان مشهوران أحدهما لئلا تحبط والثاني كراهة أن تحبط وقد ذكرنا ذلك في قوله تعالى
يبين الله لكم أن تضلوا وأمثاله ويحتمل ههنا وجهاً آخر وهو أن معناه واتقوا الله واحذروا أن تحبط أعمالكم والدليل
على هذا أن الإضمار لما لم يكن منه بد فما دل عليه الكلام الذي هو به أولى أن يضمر والأمر بالتقوى قد سبق في قوله تعالى واتقوا
وأما المعنى فقوله تعالى أن تحبط إشارة إلى أنكم إن رفعتم أصواتكم وتقدمتم تتمكن منه هذه الرذائل ويؤدي إلى
الاستحقار وأنه يفضي إلى الارتداد والحبط وقوله تعالى وأنتم لا تشعرون إشارة إلى أن الردة تتمكن من النفس بحيث
لا يشعر الإنسان فإن من ارتكب ذنباً لم يرتكبه في عمره تراه نادماً غاية الندامة خائفاً غاية الخوف فإذا ارتكبه مراراً يقل الخوف
والندامة ويصير عادة من حيث لا يعلم أنه يمكث وهذا كان التمكن في المرة الأولى والثانية والثالثة أو غيرها
وهذا كما إذا بلغه خبر فإنه لا يقطع بالخبر فإذا تكرر عليه ذلك وبلغه حد التواتر يحصل له اليقين وقوله تعالى وأنتم
لا تشعرون تأكيد للمنع أي لا تقولوا بأن المرة الواحدة تعفى ولا يوجب رده لأن الأمر غير معلوم فاحسموا الباب وفيه بيان
آخر وهو أن المكلف إذا لم يحترم النبي صلى الله عليه وسلم ويجعل نفسه مثله فيما يأتي فيه بناء على أمره يكون كما يأتي به بناء
على أمر نفسه لكن ما يلزمه التنفل لا يوجب الثواب وهو محبط حابط كذلك ما يأتي به من غير أمر النبي صلى الله عليه وسلم
حينئذ حابط محبط والله أعلم **واعلم** أن الله تعالى كما أمر المؤمنين باحترام النبي صلى الله عليه وسلم وإكرامه وتقديمه
على أنفسهم وعلى كل من خلقه الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه بالرأفة والرحمة وأن يكون أرأف بهم من الوالد كما قال
تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي وقال تعالى
ولا تكن كصاحب الحوت إلى غير ذلك لئلا يكون حرمته حد مثل الجبابرة الذين يستعبدون الأحرار بالتفوق فكون
انقيادهم له لوجه الله تعالى **قوله تعالى** إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم
لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم وفي الحث على ما أرشدهم
إليه من وجهين أحدهما ظاهر لكل أحد وذلك في قوله تعالى امتحن الله قلوبهم للتقوى وبيانه هو أن من تقدم
نفسه ويرفع صوته يريد إكرام نفسه واحترام شخصه فقال تعالى ترك هذا الاحترام يحصل حقيقة الاحترام
وبالإعراض عن هذا الإكرام يكمل الإكرام لأن به تحصل تقواكم وإن أكرمكم عند الله أتقاكم **ومن** القبيح أن يدخل
الإنسان حماماً فيتخير لنفسه فيه منصباً ويفوت بسبب منصبه عند السلطان ويعظم نفسه في الخلاء والمستراح وينسه
ويهون في الجمع العظيم وقوله تعالى امتحن الله قلوبهم للتقوى وفيه وجوه أحدها امتحنها للعلم منها التقوى فإن من يعلم
واحداً من أبناء جنسه لكونه رسولاً من مرسل يكون تعظيمه للمرسل أعظم وخوفه منه أقوى وهذا كما في قوله تعالى ذلك
ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب أي من يعظم أوامر الله من تقوى القلوب فكذلك تعظيم رسول الله صلى
الله عليه وسلم من تقواه الثاني امتحن أي علم وعرف لأن الامتحان فيجوز استعماله في معناه وعلى هذا فاللام متعلق
بمحذوف تقديره وعرف الله قلوبهم صالحة أي كائنة للتقوى كما تقول القائل أنت لكذا أي صالح أو كائن الثالث امتحن
أي أخلص يقال الذهب ممتحن أي مخلص في النار وهذه الوجوه كلها مذكورة ويحتمل أن يقال معناه امتحنها للتقوى اللام
للتعليل وهو يحتمل وجهين أحدهما أن يكون تعليلاً يجري بيان السبب المتقدم كما تقول التقيت حيث لإكرامك أي صار
ذلك السابق سبب المجيء والثاني أن يكون تعليلاً كما تقول القائل جئت لأداء الواجب فإن قلنا بالأول فحقيقته هو أن
الله تعالى علم ما في قلوبهم من تقواه فامتحن قلوبهم للتقوى التي كانت فيها ولولا أن قلوبهم كانت مملوءة من التقوى
لما أمرهم بتعظيم رسوله وتقديم نبيه على أنفسهم بل كان يقول لهم آمنوا برسولي ولا تؤذوه ولا تكذبوه فإن الكافر
أولاً يؤمن ثم يؤمن بالاعتراف بكون النبي صادقاً ويبعد عن أن لا يستهزئ برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكذبه
ولا يؤذونه من قبل أن لا يرفع صوتك عنده ولا يجعل لنفسك وزناً بين يديه ولا يجهر بكلامك الصادق كذبه لذنب
عظيم واعلم أن بعد تقديمنا النبي صلى الله عليه وسلم على نفسك في الدنيا يكون تقديم النبي صلى الله عليه وسلم





في العقبى فإنه لا يدخل الجنة ما لم يدخل أمته المتقون الجنة فإن قلنا بالثاني فحقيقته هو أن الله تعالى امتحن قلوبهم
للتقوى بمعرفته ومعرفة رسوله بالتقوى أي ليرزقهم الله التقوى التي حق وهي أن لا يسمع خشية الله أحد فيراه أمنا
من كل مخيف لا يخاف في الدنيا بخساً ولا يخاف في الآخرة بخساً والباطل العاقل إذا علم أن بالخوف من السلطان يأمن جور
الغلمان ويحسب الأراذل لا يبحوا من باس المملوك يجعل خوف السلطان حسبه فكذلك العالم لو أمعن النظر لعلم
أن خشية الله تعالى للنجاة في الدارين وبالخوف في غيره الهلاك فيهما فيجعل خشية الله حسبه التي يحرس فيها في الدنيا والآخرة
ثم قال تعالى لهم مغفرة وأجر عظيم وقد ذكرنا أن المغفرة إزالة السيئات التي هي في الدنيا لازمة للنفس والأجر العظيم إشارة
إلى الجنات التي هي في مفارقة الدنيا عن النفس فيزيل الله تعالى عنه القبائح البهيمية ويلبسه المحاسن الملكية ثم قال
تعالى إن الذين ينادونك من وراء الحجرات بياناً لحال من كان في مقابلة من تقدم فإن الأول غض صوته والآخر رفعه وفيه
إشارة إلى أن تركنا الأدب الحضور بين يديه وعرض الجاهلية عليه وأما قول القائل للملك يا فلان من سوء الأدب فإن قلت
كل أحد يقول يا الله أي الله أكبر نعود النداء على قسمين أحدهما التنبيه المنادى وثانيهما لإظهار حاجة المنادى مثال الأول قول
القائل لرفيقه أو غلامه يا فلان فال الثاني قول الأول في الندبة يا أمير المؤمنين ويا زيداه فيقول وإن كان زيد بالمشرق
لا يبلغه فإنه محال فكيف وقد يناديه وهو ميت فنقول قولنا يا الله لإظهار حاجة الأنفس لا للتنبيه المنادى ولما كان
النداء في الأمرين جميعاً لأن المنادي لا ينادي إلا لحاجة في نفسه يعرضها ولا ينادي في الأكثر إلا معرضاً أو غافلاً فحصل في
النداء الأمران ونداؤهم كان للتنبيه وهو سوء الأدب وأما قول أحدنا للكبير يا سيدي ويا مولاي فهو جار مجرى الوصف
والإخبار الثاني النداء من وراء الحجرات فإن من ينادي غيره ولا حائل بينهما لا يكلفه المجيء بل يحبسه من مكانه ويكلمه ولا يطلب
المنادى إلا التفات المنادى إليه ومن ينادي غيره مع أن الحائل يريد منه حضوره كمن ينادي صاحب البستان من خارج
البستان الثالث قوله تعالى الحجرات إشارة إلى كون النبي صلى الله عليه وسلم في خلوته التي لا يحسن في الأدب إتيان المحتاج
في حاجته في ذلك الوقت بل الأحسن التأخير وإن كان في ورطة الحاجة وقوله تعالى أكثرهم لا يعقلون فيه بيان العيب
بعد بيان ما في سوء أدبهم من القبائح وذلك لأن الكلام من خواص الإنسان وهو أعلى مرتبة منه وليس لمن دونه كلام لكن
النداء في المعنى كالتنبيه وقد يحصل بصوت يضرب بشيء على شيء وفي الحيوانات العجم ما يظهر لكل أحد فإن الشاة تصيح وتطلب
ولدها وكذلك غيرها من الحيوانات والسخلة لذلك فكان النداء أحصل في المعنى لغير الآدمي فقال الله تعالى في حقهم أكثرهم
لا يعقلون يعني النداء الصادر منهم لما لم يكن مقروناً بحسن الأدب كانوا فيه خارجين عن درجة من يعقل وكان نداؤهم كصياح
بهم من خارجه الحيوان وقوله تعالى أكثرهم فيه وجهان أحدهما أن العرب تذكر الأكثر وتريد الكل وإنما تأتي بالأكثر احترازاً عن الكذب
واحتياطاً في الكلام لأن الكذب مما يحيط به علم الإنسان في بعض الأشياء فيعود الأكثر وفي اعتقاد الكل ثم الله تعالى مع إحاطة علمه
بالأمور أتى بما يناسب كلامهم وفيه إشارة إلى لطيفة وهي أن الله تعالى يقول أنا مع إحاطة علمي بكل شيء جريت على عادتكم استحساناً
لتلك العادة وهي الاحتراز عن الكذب فلا تتركوها واجعلوا اختياركم ذلك في كلامي دليلاً قاطعاً على رضائي بذلك وثانيهما
أن يكون المراد منهم في أكثر أحوالهم لا يعقلون وتحقيق هذا هو أن الإنسان إذا عيروه صفة ثم عدم معه وصف آخر يكون المجموع الأول
غير المجموع الثاني مثاله الإنسان يكون جاهلاً وفقيراً فيصير عالماً وغنياً فيقال في العرف زيد ليس هو الذي رأيته من قبل
بل الآن على حسن حال فيجعله كأنه ليس ذلك إشارة إلى ما ذكرنا إذا علم هذا فهم في بعض الأحوال إذا عيرتهم مع تلك الحالة يعرفون
لأنفسهم إذا عيرتهم مع عيرها فقال تعالى أكثرهم إشارة إلى ما ذكرنا وفيه وجه ثالث وهو أن يقال لعل فيهم من رجع عن تلك
الأهواء ومنهم من يستمر على تلك العادة الردية فقال أكثرهم إخراجاً لمن منهم عنهم ثم قال تعالى ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان
خيراً لهم إشارة إلى حسن الأدب الذي على خلاف ما أتوا به من سوء الأدب فإنهم لو صبروا لما احتاجوا إلى النداء وإذا كنت تخرج إليهم
لا يكون إساءة في وقت لا أحد يسعك أو بما لك أو يريدك فإن للنفس حقاً وللأهل حقاً وقوله تعالى لكان خيراً لهم يحتمل وجهين
أحدهما أن يكون المراد أن ذلك هو الحسن والخير لقوله تعالى خير مستقراً وأحسن مقيلاً وثانيهما أن يكون المراد هو أن بالنداء
وعدم الصبر يستفيدون تنجز الشغل ودفع الحاجة في الحال وهو مطلوب لكن المحافظة على حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه
خير من ذلك لأنها دفع الحاجة الأصلية التي في الآخرة وحاجات الدنيا فضلة والمدفوع الذي نقضيه كله كان أما الصبر وتعظيمه
لو أنهم صبروا لكان الصبر خيراً والخروج من غير نداء بعد لو صبروا حتى تخرج إليهم لكان خروجك من غير نداء خيراً لهم وذكر
مناسب للحكاية لأنهم طلبوا خروجه صلى الله عليه وسلم ليأخذوا ذراريهم فخرج وأعتق نصفهم ولو صبروا لكان يعتق كلهم
والأول أصح ثم قال تعالى والله غفور رحيم تحقيقاً للأمرين أحدهما لسوء صنعهم في التعجيل فإن الإنسان إذا أتى بقبيح ولا يعلم
الملك أو السيد تعالى ما أحكم سيدهم لا لسان بعلمه بل ليبان عظم جناية العبيد وأنهم بحسن الصبر يعني بسبب إساءتهم بما هو خير
يغفر الله لهم سيئاتهم ويجعل هذه الحسنة كفارة لكثير من السيئات كما يقال للآبق إذا رجع إلى باب سيده أحسنت في رجوعك
وسيدك رحيم أي لا يعاقبك على ما تقدم من ذنبك بسبب ما أتيت به من الحسنة ويمكن أن يقال بأن ذلك حث للنبي صلى الله عليه وسلم
في الصفح وقوله تعالى أكثرهم لا يعقلون كالعذر لهم وقد ذكرنا أن الله تعالى ذكر في بعض المواضع المغفرة قبل الرحمة كما في هذه السورة
وذكر الرحمة قبل المغفرة في سورة سبأ في قوله تعالى وهو الرحيم الغفور حيث قال غفور رحيم أي يغفر سيئاتهم ثم ينظر إليهم فيراه عارياً
محتاجاً فيلبسه لباس الكرامة وقد يراه مغموراً في السيئات فيغفر سيئاته ثم يرحمه بعد المغفرة وتارة يقع الالتفات إلى الرحمة التي

بعد المغفرة فتقدم المغفرة وزيادة وتارة يقع الرحمة قبل المغفرة فيوخرها ولما كانت الرحمة واسعة توجد قبل المغفرة وبعدها ذكرها
قبلها وبعدها والله تعالى اعلم **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما
بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله
حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا
من الله ونعمة والله عليم حكيم **اعلم** ان هذه السورة فيها ارشاد المومنين الى مكارم الاخلاق وهي اما مع الله
واما مع الرسول صلى الله عليه وسلم او مع غيرهما من ابناء الجنس وهم على صنفين لانهم اما ان يكونوا في طريقة المومنين
وداخلين في زينة الطاعة وخارجا عنها وهو الفاسق والداخل في طائفتهم اما ان يكون حاضرا عندهم او غايبا عنهم فهذه
خمسة اقسام احدها يتعلق بجانب الله تعالى وثانيها بجانب الرسول صلى الله عليه وسلم وثالثها بجانب الفساق
ورابعها بالمومن الحاضر وخامسها بالمومن الغايب فذكر الله تعالى في هذه السورة خمس مرات يا ايها الذين امنوا وارشد
في كل مرة الى مكرمة مع كل قسم من الاقسام الخمسة فقال اولا يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وذكر الرسول
كان لبيان طاعة الله لانها لا تعلم الا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم وقال يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
صوت النبي لبيان وجوب احترام النبي صلى الله عليه وسلم وقال ثالثها يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا لبيان وجوب الاحتراز
عن الاعتماد على اقوالهم فانهم يريدون القاء الفتنة بينكم وبين ذلك عند تفسير قوله تعالى وان طايفتان من المومنين اقتتلوا
وقال رابعها يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم وقال تعالى ولا تنابزوا لبيان وجوب ترك ايذاء المومنين في حضورهم والازراء بحالهم
ومنصبهم وقال خامسها يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن وقال تعالى ولا تجسسوا وقال تعالى ولا يغتب بعضكم
بعضا لبيان وجوب الاحتراز عن اهانة جانب المومن حال غيبته وذكر ما لو كان حاضرا لتاذى وهو في غاية الحسن
من الترتيب فان قيل فلم لم يذكر المومن قبل الفاسق لتكون المراتب متدرجة الابتداء بالله وبرسوله ثم بالمومن الحاضر ثم
بالمومن الغايب ثم بالفاسق نقول قدم الله تعالى ما هو الاهم على ما دونه فذكر جانب الله ثم جانب الرسول ثم ذكر ما يفضي
الى الاقتتال من طوايف المسلمين بسبب الاصغاء الى كلام الفاسق والاعتماد عليهم فانه يذكر كل ما كان اشد نفارا للصدور
**واما المومن الحاضر** والغايب فلا يودي الى حد يفضي الى القتال الا ترى ان الله تعالى ذكر عقيب نبا الفاسق اية
الاقتتال فقال تعالى وان طايفتان من المومنين اقتتلوا وفي التفسير مسايل **المسالة الاولى** في سبب نزول هذه الاية هو ان
النبي صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة وهو اخو عثمان لامه الى بني المصطلق مصدقا بالصدقة وطهم متقابلين
فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال انهم امتنعوا ومنعوا فهم النبي صلى الله عليه وسلم بالايقاع بهم فنزلت هذه الاية واخبر
النبي صلى الله عليه وسلم بانهم لم يفعلوا من ذلك شيا وهذا جيد ان قالوا بان الاية نزلت في ذلك الوقت واما ان قالوا انها نزلت
لذلك مقتصرا عليه ومتعديا الى غيره فلا بل نقول هذا نزلت عاما لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسقين ويدل
على ضعف قول من يقول انها نزلت لكذا ان الله تعالى لم يقل انه انزلها لكذا مقتصرا عليه او متعديا الى غيره بل نقول هو نزل عاما
لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينقل انه بين ان الاية وردت لبيان ذلك فحسب وغايته ما في الباب
انها نزلت في ذلك الوقت وهو مثل التاريخ لنزول الاية ونحن نصدق ذلك ويتاكد ما ذكرنا في اطلاق لفظ الفاسق على الوليد
شي بعيد لانه توهم وظن فاخطا والمخطي لا يسمى فاسقا وكيف والفاسق في اكثر المواضع المراد به من خرج عن ربقة الايمان بقوله
تعالى ان الله لا يهدي القوم الفاسقين وقوله تعالى ففسق عن امر ربه وقوله تعالى واما الذين فسقوا فماواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها
اعيدوا فيها الى غير ذلك الثانية قوله تعالى ان جاءكم اشارة الى لطيفة وهي ان المومن كان موصوفا بانه شديد على الكافر غليظ عليه فلا
يتمكن الفاسق من ان يخبره بنبا فان تمكن منه يكون نادرا فقال تعالى ان جاءكم بحرف الشرط الذي لا يذكر الا مع التوقع اذ لا يحسن ان يقال ان
احمر البسر وان طلعت الشمس الثالثة النكرة في معرض الشرط تعم اذا كان في جانب النفي كما انها تعم اذا كان في الاخبار وتخص في معرض الشرط اذا
كان في جانب النفي كما تخص في الاخبار اذا كان في جانب الثبوت فلنذكر بيانه بالمثال ودليله اما بيانه بالمثال فنقول اذا قال لعبده ان
كلمت رجلا فانت حر فكونه كانه قال لا اكلم رجلا حتى يعتق فكلم كل رجل حتى يظهر الحلف في قوله لا اكلم رجلا بكلام كل رجل واذا قال لا اكلم
اليوم رجلا فانت حر يكون كانه قال لا اكلم اليوم رجلا حتى لا يعتق العبد بترك كلام كل رجل كما لا يظهر الحلف في كلامه بكلام كل رجل اذا ترك
الكلام مع رجل واحد واما الدليل فلان النظر اولا الى جانب الاثبات الا ترى انه من غير عرف كان الموضوع للاثبات ثم النفي
عرف بقول القايل زيد قايم وضع اولا ولم يحتج الى ان يقال مع ذلك عرف يكون على ثبوت القيام لزيد وفي جانب النفي احتجنا ان نقول
زيد ليس بقايم ولو كان الوضع والترتيب اولا للنفي لما احتجنا الى الحرف الزايد اقتصارا واختصارا واذا كان كذلك فقول القايل رايت
رجلا يكفي فيه ما يتم القول وهو روية واحد فاذا قلت ما رايت رجلا وهو صحيح لمقابلة قوله رايت رجلا وركب كذلك المقابلة
والمتقابلان ينبغي ان لا يصدقا فان بقول القايل ما رايت رجلا لو كفي فيه انتفاء الروية من غير واحد يصح قولنا رايت رجلا
وما رايت رجلا فلا يكونان متقابلين فعلمنا من الاصطلاح الاول الاصطلاح الثاني ولزمه فيه العموم النفي اذا علم هذا فنقول
الشرطية وضعت اولا ثم ركبت بعد الجزمية بدليل زيادة الحرف وهي مقابلة الجزمية وكان القايل يقول اذا لم يكن رايت حرا ما كلمت
رجلا يرجع الى معنى النفي كما علم عمومها في القول في الفاسق فاعلم عمومه في البيات فمعناه اي فاسق جاءكم بنبا ذنبا فيه الواجب
**المسالة الرابعة** تمسك اصحابنا في ان خبر الواحد حجة وشهادة الفاسق لا يقبل اما في المسالة الاولى فقالوا علل الامر





بالتوقف بكونه فاسقا ولو كان خبر الواحد العدل لا يقبل لما كان الترتيب على الفاسق فايدة وهو من باب التمسك بالمفهوم
واما في الثانية فوجهين احدهما امر بالتبيين ونقل قوله كما الحكم مامورا بالتبيين ثم نقول قول الفاسق نبا ثم
ان الله تعالى امر بالتبين في الخبر والنبا وباب الشهادة اضيق من باب الخبر والثاني هو انه تعالى قال ان تصيبوا قوما بجهالة
والجهل فوق الخطا لان المجتهد اذا اخطا لا يسمى جاهلا والذي يبني الحكم على قول الفاسق اذا لم يصب جاهلا فلا يكون
البناء على قوله جايزا **المسالة الخامسة** ان تصيبوا ذكر فيه وجهين احدهما مذهب الكوفيين وهو ان المراد كراهة
ان تصيبوا ويحتمل ان يقال المراد فتبينوا واتقوا قوله تعالى ان تصيبوا قوما بين ما ذكرنا ان يعود الفاسق ربما الغى
بين اقوام ولا لذلك والالفاظ المودية في الوجه والعاقبة الصادرة من المومنين لان المومنين يمنع دسه من الاحاش
وقوله تعالى بجهالة في تقدير حال اي تصيبوهم جاهلين وفيه لطيفة وهي ان الاضافة تستعمل في السيئة والحسنة
كما في قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله لكن الاستعمال في الاكثر انها تستعمل فيما يسو لكن السوء يذكر معه كما في
قوله تعالى وان تصبهم سيئة ثم حقق ذلك بقوله تعالى فتصبحوا على ما فعلتم نادمين بيانا لان الجاهل لا بد من ان يكون
على فعله نادما وقوله تعالى فتصبحوا معنى فتصيروا قال النحاة اصبح تستعمل على ثلاثة اوجه احدها بمعنى دخول الرجل
في الصباح كما تقول القايل اصبحنا وتعصى عليه وثانيها بمعنى كان الامر وقت الصباح كذا كما قال اصبح اليوم مريضا حزينا
كان غير انه تقول صحوم النهار ويرلونه في الصبح على حالة كان تقول كان المريض وقت الصبح خيرا وتعير صحوم النهار وثالثها
بمعنى صار تقول القايل اصبح زيد غنيا ويريد به صار من غير ارادة وقت دون وقت والمراد ههنا هو المعنى الثالث وكذلك
امسى واضحى ولكن هذا التحقيق وهو ان تقول لا بد في اختلاف الالفاظ من اختلاف المعاني واختلاف الفوايد فنقول
الصيرورة قد يكون من ابتداء امر يدوم وقد يكون في اخر الامر بمعنى آل الامر اليه وقد يكون متوسطا مثال الاول قول القايل
صار الطفل فاهما اي اخذ فيه وهو في الزيادة مثال الثاني قول القايل صار الحق بينا واجبا اي انتهى حده واخذ حقه مثال الثالث
قول القايل صار زيد عالما وقويا اذا لم يرد اخذه فيه ولا بلوغه نهايته بل كونه ملتبسا به متصفا به او علمت هذا فاصل استعمال اصبح فيما
يصير الشي اخذا في وصف ومبتدا في امر واصل امسى فيما يصير الشي بالغا في الوصف نهايته واصل اضحى التوسط لانه اصل الاستعمال
لا يفرقون بين الامور ويستعملون الالفاظ الثلاثة بمعنى واحد تقول اذا تقاربت المعاني جاز الاستعمال وجواز الاستعمال لا ينافي الاصل
وكثير من الالفاظ اصله مضى واستعمل استعمالا فيما لا يشاركه اذا علم هذا فنقول قوله تعالى فتصبحوا اي تصيروا اخذين في الندم
متلبسين به ثم تستديمونه وكذلك في قوله تعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا اي اخذتم في الاخوة وانتم فيها زايدون ومستمرون وفي الجملة
اختار في القران هذه اللفظة لان الامر المعتر به بهذه اللفظة اما في الثواب واما في العقاب وكلاهما في الزيادة ولا نهاية للامور الالهية
وقوله تعالى نادمين الندم هم دايم والنون والدال والميم في تقاليبها لا تنفك عن معنى الدوام كما في قول القايل ادمن الشرب ومدن اي
اقام ومنه المدينة وقوله تعالى فتصبحوا على ما فعلتم نادمين فيه فايدتان احدهما تقرير التحذير وتاكيده ووجهه هو انه تعالى لما قال ان
تصيبوا قوما بجهالة قال بعده وليس ذلك مما لا يلتفت ولا يجوز للعاقل ان يقول هب اني اصبت قوما فماذا علي بل عليكم منه الهم الدايم والحزن
المقيم ومثل هذا الشي واجب الاحتراز والثانية مدح المومنين اي لستم ممن اذا فعلتم سيئة لا تلتفتوا اليها بل تصبحوا نادمين عليها
ثم قال تعالى واعلموا ان فيكم رسول الله ولنذكر تفسير هذه الاية ما قيل وما يجوز ان يقال اما ما قيل فنحكي احسنه وهو ما اختاره الزمخشري
فانه يجيء في تفسير هذه الاية بحثا طويلا فقال تعالى لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ليس كلاما مستانفا لكون النظم مساويا لا سيما
مناسبة بين قوله تعالى واعلموا وبين قوله تعالى لو يطيعكم ثم وجه التعليق هو ان قوله تعالى لو يطيعكم في تقدير الحال اي حال
الضمير المرفوع في قوله فيكم كان التقدير كاين فيكم وموجود فيكم على حال تريدون ان يطيعكم او يفعل ما تستصوبونه ولا يسمع ان يكون بتلك
تلك الحال لو فعل ذلك لعنتم او وقعتم في شدة او اثم به قال الله تعالى ولكن حبب اليكم الايمان خطابا مع بعض من المومنين غير
المخاطبين بقوله تعالى لو يطيعكم قال الزمخشري اكتفى بالمغايرة في الصفة واختصر ولم يقل حبب الى بعضكم الايمان وقال ايضا بان قوله تعالى
يدل انما علم اسناده الى انهم كانوا يريدون استمرار تلك الحالة ودوام النبي صلى الله عليه وسلم على عمل ما يستصوبونه كل يكون يعود عليها على
خلاف ما قبلها وههنا كذلك وان لم يجعل المخالفة بصريح اللفظ لان اختلاف المخاطبين في الوصف يدلنا على ذلك لان المخاطبين اولا
بقوله تعالى لو يطيعكم ارادوا ان يكونوا متبعين مراد النبي صلى الله عليه وسلم فهذا ما قاله الزمخشري واختاره وهو حسن والذي يجوز ان يقال
وكانه هو الاقوى ان الله تعالى قال ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا اي فاكشفوا قال بعده واعلموا ان فيكم رسول الله اي الكشف سهل
عليكم بالرجوع الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه فيكم مبين مرشد وهذا كما تقول القايل عند اختلاف تلامذة شيخ فاعل الامر برمته ان
تعودوه وانما يزيد امرهم بالمراجعة اليه وذلك لان المراد منه انه لا يطيعكم في كثير من الامر وذلك لان الشيخ فيما ذكرنا من المثال
لو كان معتمدا على قول التلاميذ لا يطمين قلبهم بالرجوع اليه واما اذا كان لا يذكر الا من النقل الصحيح ويورده بالدليل القوي
تراجعه كل احد فكذلك ههنا ثم قال فاسترشدوه فانه يعلم ولا يطيع احدا فلا يوجد فيه حيف ولا يروج عليه زيف والذي
يدل على ان المراد من قوله تعالى لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم بيان انه لا يطيعكم هو ان الحكاية الشرطية في كثير من المواضع يرد
لبيان امتناع الشرط لامتناع الجزاء كما في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا البيان انه ليس فيهما آلهة وانه ليس من عند غير الله ثم قال تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم
اشارة الى الجواب سوال يرد عليه اي على قوله فتبينوا وهو ان يقول لو احدا ان يقول انه لا حاجة ان يقول الى المراجعة وعقولنا

كافية بها ادركنا الايمان وتركنا العصيان فكذلك نحمل في امورنا فقال لا وما لا الايمان بالاجتهاد بل الله بين البرهان
وزين الايمان حتى حصل اليقين وبعد حصول اليقين لا يجوز التوقف والله تعالى انما امركم بالتوقف عند تقليد قول الفاسق
وما امركم بعناد بعد ظهور البرهان فكانه قال لو عنفوا فيما تكون شكوكا فيه لكن الايمان حسنه الله بالبرهان فلا تتوقفوا في
قبوله وعلى المخاطب بقوله حبب اليكم هو المخاطب بقوله تعالى لو يطيعكم اذا علمتم معنى الاية جملة فاسمعه مفصلا
ولتفصيله مسايل **المسئلة الاولى** لو قال قايل اذا كان المراد بقوله تعالى واعلموا ان فيكم رسول الله الرجوع اليه والاعتماد
فلم لم يقل صريح اللفظ فتبينوا وارجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم واما الفايدة في العدول الى هذا المجاز نقول الفايدة
زيادة التاكيد وذلك لان قول القايل فيما ذكرنا من المثال هذا الشيخ قاعد اكد في وجوب المراجعة اليه من قوله راجعوا
شيخكم وذلك لان القايل يجعل وجوب المراجعة اليه متفقا عليه ويجعل سبب عدم الرجوع عدم علمهم بقعوده فكانه يقول
انتم لا تشكون في ان الكاشف هو الشيخ وان الواجب مراجعته لانكم لا تعلمون قعوده ثم قاعد فيجعل حسن المراجعة اظهر
من القعود لانه يقول يخفى عليكم قعوده فتركتم مراجعته ولا يخفى عليكم حسن مراجعته فيجعل حسن المراجعة من الامر الجلي
بخلاف ما لو قال راجعوه لانه حينيذ يكون قايلا بانكم ما علمتم ان مراجعته هو الطريق وبين الكلامين بون بعيد فكذلك قوله
تعالى واعلموا ان فيكم رسول الله يعني لا يخفى عليكم وجوب مراجعته فان كان خفي عليكم كونه فيكم فاعلموا انه فيكم فيجعل حسن
المراجعة اظهر من كونه فيهم حيث ترك بيانه واخذ في بيان كونه منهم وهذا من المعاني العزيزة التي توجد في المجازات
ولا توجد في الصريح **المسئلة الثانية** اذا كان المراد من قوله تعالى لو يطيعكم بيان كونه غير مطيع لاحد بل هو متبع للوحي
فلم لم يصرح به نقول بيان نفي الشي مع بيان دليل النفي اتم من بيانه من غير دليل والجملة الشرطية بيان النفي مع بيان
دليله فان قوله تعالى ليس فيهما الهة لو قال قايل قلت انه ليس فيهما الهة يجب ان يذكر الدليل فقال تعالى لو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا فكذلك هنا لو قال لا يطيعكم لو قال لا اطيع لوجب ان يقال لو اطاعكم لاجل حكم ومصلحة لصادكم
لكن لا مصلحة لكم فيه لانكم تعنتون وما عون وهو يشق عليه عنتكم كما قال تعالى عزيز عليه ما عنتم فاذا اطاعكم لا يفيده
شيا فلو يطيعكم فهذا نفي الطاعة بالدليل وبين نفي الشي بدليل ونفاه بغير دليل فرق عظيم **المسئلة الثالثة** قال تعالى
في كثير من الامر لعلمه انه قد يوافقهم ويفعل بمقتضى مصلحتهم تحقيقا لفايدة قوله تعالى وشاورهم في الامر **المسئلة الرابعة**
اذا كان المراد بقوله تعالى حبب اليكم الايمان فلا تتوقفوا فلم لم يصرح به قلنا لما بيناه من الاشارة الى ظهور الامر يعني انهم يعلمون
ان اليقين لا يتوقف فيه اذ ليس بعده مرتبة حتى يتوقف الى بلوغ الامر الى درجة الظن ثم يتوقف الى ان يبلغ درجة اليقين معلوما
متفقا عليه ثم لم يقل لا توقفوا بل قال حبب اليكم الايمان اي بينه وزينه بالبرهان اليقيني **المسئلة الخامسة** ما المعنى في قوله
تعالى حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم نقول قوله تعالى حبب اليكم اي قربه اليكم وادخله في قلوبكم ثم زينه فيها بحيث لا تفارقونه ولا يخرج
من قلوبكم وهذا لان من يحب شيا فقد يمل سامه اذا حصل عنده وطال لبثه والايمان كل يوم يزداد حسنا ولكن من كانت عبادته
اكثر وتحمله لمشاق التكليف اتم تكون العبادة والتكاليف عنده اكد واكمل ولهذا قال في الاول حبب اليكم وقال ثانيا زينه في قلوبكم كانه
قربه اليهم ثم اقامه في قلوبهم **المسئلة السادسة** ما الفرق بين الثلاثة وهي الكفر والفسوق والعصيان فنقول هذه امور ثلثة
في مقابلة الايمان الكامل لان الايمان الكامل المزين هو ان يجمع التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان فقوله تعالى
وكره اليكم الكفر هو التكذيب وهي في مقابلة التصديق بالجنان والفسوق هو الكذب وثانيهما هو ما قبل هذه الاية وهو قوله
تعالى ان جاءكم فاسق بنبا وسمي من كذب فاسقا فيكون الكذب فسوقا ثالثها ما ذكره بعد هذه الاية وهو قوله تعالى بئس الاسم
الفسوق بعد الايمان فانه يدل على ان الفسوق امر قولي لاقترانه بالاسم وسنبين تفسيره ان شاء الله تعالى ورابعها
وجه معقول وهو ان الفسوق هو الخروج عن الطاعة على ما علم في قول القايل فسقت الرطبة اذا خرجت وغير ذلك لكن
الفسوق هو الخروج زيد في الاستعمال كون الخروج من الطاعة لكن الخروج لا يكون له ظهور بالامر القلبي اذ لا اطلاع على ما في
القلوب الا الله تعالى ولا ظهور بالافعال لان الامر قد يترك اما [illegible] فلا يعلم حال التارك والمرتكب انه مخطي او متعمد
واما الكلام فانه حصول العلم بما عليه حال المتكلم فالدخول في الايمان والخروج منه يظهر بالكلام فتخصيص الفسوق
بالامر القولي اقرب واما العصيان فترك الامر وهو بالفعل اليق واذا علم هذا ففيه ترتيب في غاية الحسن وهو انه تعالى
قال كره اليكم الكفر والفسوق يعني ما ظهر لشانكم اهلا ثم قال والعصيان وهو دون الكل ولم يترك عليكم الامر الادنى
وهو العصيان وقال بعض الناس الكفر ظاهر والفسوق هو الكبيرة والعصيان هو الصغيرة وما ذكرناه اقوى ثم قال تعالى
اولئك هم الراشدون خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم وفيه معنى لطيف وهو ان الله تعالى في اول الامر قال واعلموا ان فيكم
رسول الله هو مرشدكم خطابا بالمؤمنين للتنبيه على شفقته بالمؤمنين فقال في الاول النبي مرشدكم وما يرشدوه
فاشفق عليهم وارشدهم وعلى قوله راشدون [illegible] للرشد يا حدون ما يامرهم وينتهون عما نهاهم ثم قال تعالى
فضلا من الله ونعمة وفيه مسايل **المسئلة الاولى** نصب فضلا لاجل امور اما لكونه مفعولا له وفيه وجهان احدهما
ان العامل فيه هو الفعل الذي في قوله تعالى راشدون فان قيل كيف جاز ان يكون فضل الله الذي فعل الله مفعولا بالنسبة
الى الرشد الذي هو فعل العبد نقول لما كان الرشد توفيقا من الله كان كانه فعل الله فكانه تعالى ارشدهم فضلا اي يكون متفضلا
عليهم منعما في حقهم والوجه الثاني ان العامل فيه هو قوله تعالى حبب اليكم الايمان وكره اليكم الكفر فضلا وقوله تعالى اولئك هم

الراشدون



الراشدون جملة اعترضت بين الكلامين او يكون العامل فعلا مقدرا كانه تعالى قال جرى ذلك فضلا من الله واما لكونه مصدرا
فيه وجهان احدهما ان يكون مصدرا من غير اللفظ ولان الرشد فضل فكانه قال تعالى حبب اليكم الايمان وكره اليكم الكفر فافضل فضلا
وانعم نعمة والقول بكونه منصوبا على انه مفعول مطلق وهو المصدر او مفعول له قول الزمخشري واما ان فضلا مفعول به والفعل
مضمر [illegible] ما الفرق بين الفضل والنعمة في الاية نقول فضل الله اشارة الى ما عنده من الخير وهو مستغن عنه والنعمة اشارة الى ما يصل
الى العبد وهو محتاج اليه لان الفضل في الاصل ينبي عن الزيادة وعنده خزاين الرحمة لا لحاجة اليها ويرسل منها على عباده ما لا يبقون
معه في ورطة الحاجة من الرخوه والنعمة تنبي عن الرافة والرحمة وهو من جانب العبد وفيه معنى لطيف وهو تاكيد الاعطا وذلك ان
المحتاج يقول وافي وتوافي فاذا قوله تعالى فضلا من الله اشارة الى ما هو من جانب الله الغني والنعمة اشارة الى ما من جانب العبد
من اندفاع الحاجة وهذا مما يوكد قولنا فضلا منصوب بفعل مضمر هو الارسال والطلب المسئلة ختم الاية بقوله تعالى والله
عليم حكيم وفيها مناسبات عدة منها انه تعالى لما ذكر نبا الفاسق قال لا تعتمدوا على ترويجه عليكم الزور فان الله عليم ولا تقولوا
كما كان عادة المنافق لولا يعذبنا بما نقول فان الله تعالى حليم لا يفعل الا على وفق حكمته ثانيها لما قال تعالى واعلموا ان فيكم رسول
الله لو يطيعكم بمعنى لا يطيعكم بل يتبع للوحي فان الله تعالى يعلمه من كونه حليما بامره بما تقتضيه الحكمة فاسمعوه ثالثها المناسبة
التي بين قوله تعالى وبين قوله حبب اليكم الايمان من فعله يجعل الايمان واحباه لمن يشاء بحكمته رابعها وهو الاقرب وهو
انه تعالى قال فضلا من الله ونعمة وكان الفضل هو ما عند الله من الخير المستغنى عنه قال تعالى هو عليم بما في خزاين رحمته من الخير
وكانت النعمة ما يدفع اليه من حاجة العبد قال هو حكيم ينزل الخير بقدر ما يشاء على وفق الحكمة **قوله تعالى**

**وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المومنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون**

**اعلم** ان الله تعالى لما حذر المومنين
من النبا الصادر من الفاسق اشار الى ما يلزم منه استدراكا لما يفوت فقال فان اتفق انكم تبنون
على قول من يوقع بينكم وبين الامر الى قتال طايفتين من المومنين بينهما لما حذر الله المومنين فارتكبوا ما نهى الله ذلك
الفاسق واصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا اي الظالم يجب عليكم دفعه ثم ان الظالم ان كان هو الرعية
فالواجب على الامير دفعهم وان كان هو الامير فالواجب على المسلمين منعه بالنصيحة وشرطه ان لا يثير فتنة كالتي في
اقتتال الطايفتين او اشد منها وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قوله تعالى ان اشارة الى ندرة وقوع القتال بين
طوايف المسلمين فان قيل فنحن نرى اكثر الاقتتال بين طوايفهم نقول قوله تعالى ان اشارة الى انه ينبغي ان لا يقع الا نادرا
غاية ما في الباب ان الامر على خلاف ما ينبغي وكذلك ان جاءكم فاسق بنبا اشارة الى ان مجي الفاسق بالنبا ينبغي ان يقع
قليلا مع ان مجي الفاسق بالنبا كثير وقول الفاسق صار عند اولي الامر اشد قبولا من قول الصادق الصالح **الثانية**
قال تعالى وان طايفتان ولم يقل فرقتان تحقيقا للمعنى الذي ذكرنا وهو التقليل لان الطايفة دون الفرقة ولهذا
قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة **الثالثة** قال من المومنين ولم يقل منكم مع ان الخطاب مع المومنين لسبق قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **الرابعة** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **الخامسة** قال تعالى
[illegible]
[illegible] **السادسة** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

لايكون ماما فلم يكن والكلام في فعل قد تقدم مرارا ثم قال يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن وقد بينا ان السورة للارشاد بعد ارشاد ما ينبغي ان يكون عليه المومن وقد ذكرنا ان المومن اما ان يكون حاضرا واما ان يكون غايبا فان كان حاضرا فلا ينبغي ان يسخر منه ولا يلتفت اليه بمعنى التعظيم وفي الاية اشارة الى امور ثلاثه مرتبة بعضها دون بعض وهي السخرية واللمز والنابز فالسخرية هي ان لا ينظر الانسان الى اخيه بعين الاجلال ولا يلتفت اليه ويسقطه عن درجته وحينئذ لا يذكر ما فيه من المعايب ولهذا قال بعض الناس تراهم اذا ذكروا عندهم عدوهم يقولون ان يذكروا افلان يلتفت اليه فقال لا تحقروا اخوانكم ولا تستصغروهم والثاني هو اللمز وهو ذكر ما في الرجل من العيب في غيبته وهذا دون الاول لان في الاول لا يلتفت اليه ولم يرض بان يذكره حرا وانما جعله مثل السخرة الذي لا يغضب له ولا عليه ثم يعني ما

**والثالث** هو النبز وهو دون الثاني لان في المرتبة الاولى لم يلتفت اليه وصفا ثانيا ما يوجب بغضه وحط منزلته واما النبز فهو مجرد التسمية وان لم يكن فيه وذلك لان اللقب الحسن اذا وضع لواحد وعلق عليه لا يكون معناه موجودا فان من سمي سعدا او سعيدا قد لا يكون كذلك وكذا من لقب امام الدين وحسام الدين لا يفهم منه كون كذلك وانما كان ذلك سمه ونسبة ولا يكون اللفظ مرادا اذا لم يرد به الوصف كما ان الاعلام كذلك فانك اذا قلت لمن يسمى زيدا او عبد الله فلا يعبد غيره ويزيده وصفه لا يكون قد اثبت باسم عليه الارشاد فقال لا تنكروا فتستحقروا اخوانكم به وصفه لا يكون قد اثبت باسم وتستصغروهم بحيث لا يلتفتوا اليهم اصلا واذا تركتم عن هذا من الشغل اليهم فلا تعيبوا الناس حط درجتهم وانقص عن منزلتهم واذا تركتم النظر في معايبهم ووصفهم بما يعيبهم فلا تسموهم بما يكرهونه ولا تقولوا لهذا البين يعيب فذكر فيه انما هو اسم يتلفظ به من غير قصد الى بيان صفة وذكر في الاية مباحث الاول قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم القوم اسم يقع على جمع من الرجال ولا يقع على النساء ولا على الاطفال لانه جمع قايم كصوم جمع صايم والقايم بالامور هو الرجال فعلى هذا الرجال والنساء فايدة وهي ان عدم الالتفات والاستحقار انما يصدر في الامر الاكثر من الرجال لان المراة في نفسها ضعيفة فاذا لم يلتفت الرجال اليها لا يكون قال النبي صلى الله عليه وسلم النساء لحم على وضم الا ما ذدت عنه واما المراة فلا يوجد منها استحقار الرجل وعدم التفاتها اليه لاضطرارها في دفع حوايجها واما الرجال بالنسبة الى الرجال واما النساء بالنسبة الى النساء يوجد فيهم هذا النوع من القبح وبهذا اشير الثانية في بلوغ الدرجة العالية التي هي نهاية المنكر عسى ان يكونوا خيرا منهم لبيان بعضا لنكرة وفي المرتبة الثانية لا تلمزوا انفسكم جعلهم كانفسهم لما نزلوا درجة ورفعهم الله تعالى درجة وفي الاول جعل المسخور به خيرا وفي الثاني جعل المسلمين مثله وفي قوله عسى ان يكونوا خيرا منهم حكمة وهي انه وجد منهم النكر الذي هو مفض الى الاجلال وجعل نفسه خيرا منهم كما فعل ابليس حيث لم يلتفت الى ادم وقال انا خير فصار هو خيرا ويمكن ان يقال المراد من قوله تعالى ان يكونوا نصيبهم فيما هو خير فان من استحقر انسانا لفقره او وحدته او ضعفه لا يامن ان يفتقر هو ويستغني الفقير ويضعف هو ويقوى الضعيف الثالثة قال تعالى قوم من قوم ولم يقل نفس من نفس وذلك لان هذا فيه اشارة الى منع التكبر والتكبر في اكثر الامر يرى جرونه على روس الاشهاد واذا اجتمع في الخلوات مع من لا يلتفت فيه في الجامع يعظم نفسه متواضعا فذكرهم بلفظ القوم منعا لهم عما يفعلونه الرابعة قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم وفيه وجهان احدهما ان عيب الاخ عايد الى الاخ فاذا عاب عايب شيا فكانه عاب نفسه وثانيهما بانه اذا عابه وهو لا يخلو من عيب حاربه بعيب فعيبه فيكون هو بعيبه غير حامل للغير على عيبه فكانه هو العايب نفسه وعلى هذا يحمل قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اي انكم اذا قتلتم نفسا فقتلتم فتكونون كانكم قتلتم انفسكم ويحتمل وجها اخر ثالثا وهو ان تقولوا لا تعيبوا انفسكم اي كل واحد منكم فانكم ان فعلتم فقد عبتم انفسكم اي كل واحد عاب كل واحد فصرتم عايبين من وجه معيبين من وجه وهذا الوجه ههنا ظاهر والاول لكنه في قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم الخامسة ان قيل قد ذكرتم ان هذا ارشاد للمومنين الى ما يجب ان يفعله المومن عند حضوره بعضا اشارة الى ما يفعله في غيبته لكن قوله تعالى ولا تلمزوا قيل فيه بانه العيب خلف الانسان والهمز هو العيب في وجه الانسان فنقول ليس كذلك بل بالعكس لان اللمز تعقبه لزمه ويلزم عليه همزه والاول يدل على القرب والثاني على البعد فان قيل الهمز هو الطعن والعيب في الوجه كان اولى مع ان كل واحد فعل بمعنى واحد السادسة قال تعالى ولا تنابزوا ولم يقل ولا تنبزوا وذلك لان اللماز اذا لمز فالملموز قد لا يجد فيه عيبا يلزمه به وانما يتحث ويتبعه ليطلع منه على عيب فيوجد اللمز من جانب واما النبز فلا يعجز كل احد عن الاساءة فان من نبز غيره بالحمار وهو ينبزها بالثور وغير فالظاهر ان النبز يفضي في الحال الى التنابز ولا كذلك اللمز وقوله تعالى بيس الاسم الفسوق بعد الايمان قيل معناه ان المراد بيس ان يقول هذا امام للزجر كانه تعالى قال يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم ولا تلمزوا ولا تنابزوا فانه ان فعل فسق بعدما امن المومن فسح منه ان ياتي بعد ايمانه بفسوق فيكون كقوله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ويصير التقدير بيس الفسوق بعد الايمان ويبين ان سموا بالفاسق بسبب هذه الافعال بعدما سميتموهم مومنين قال الله تعالى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون هذا يحتمل وجهين احدهما ان يقال هذه الاشيا من الصغاير فمن يصر عليه يصير ظالما فاسقا وبالمرة الواحدة لا يتصف بالظلم والفسق فقال ومن لم يترك ذلك ويجعله عادة فهو ظالم وثانيهما ان يقال قوله تعالى ولا تلمزوا ولا تنابزوا منع لهم عن ذلك في المستقبل وقوله تعالى ومن لم يتب امرهم بالتوبة عما مضى واظهار الندم عليها مبالغة في التحذير وتشديد في الزجر والاصل في قوله تعالى ولا تنابزوا واسقط احدى التايين كما سقط في الاستفهام احدى



ان بغت في غاية الحسن لانه يفيد الندرة وقبل الوقوع وفيه ايضا مباحث الاول قال تعالى فان بغت ولم يقل ان يبغ كما ذكرنا في قوله تعالى اقتتلوا ولم يقل يقتتلوا الثاني قال حتى تفيء اشارة الى ان القتال جزا الباغي كحد الشرب الذي يقام وان ترك هذا القتال الى حتى الفتنة فان فاءت الفتنة الباغية حرم قتالهم الثالث هذا القتال لدفع الصايل وسد رخ فيه وذلك لانه لما كان للعيه فان حصلت بالاخرى لا يوجد المعنى لاجل القتال الرابع هذا دليل على ان المومن بالكبيرة لا يخرج عن كونه لان الباغي جعله من احدى الطايفتين وسماها مومنين الخامس قوله تعالى الى امر الله يحتمل وجوها الى طاعة الرسول واولي الامر لقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ثانيها الى امر الله تعالى الى الصلح فانه مامور به يدل عليه قوله تعالى فاصلحوا ذات بينكم ثالثها الى امر الله بالتقوى فان من خاف الله تعالى حق الخوف لا يبقى له عدو ويقاتل مع الشيطان كما قال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا السادس لو قال قايل قد ذكرتم ما يدل على كون الشرط غير متوقع الوقوع وقلتم بان القتال والبغي من المومن نادر فاذا يكون الفيئة متوقعة فكيف قال فان فاءت بعود القايل لعبده ان مت فانت حر مع ان الموت لا بد منه وقوعه لكن لما كان وقوعه بحيث يكون العبد محلا للعتق بان يكون باقيا في ملكه حيا يعيش بعد وفاته غير معلوم فكذلك ههنا لما كان الواقع فيهم من يلقا انفسهم فلم يقدروا على تاكيد الاخر بعيبهم فقال تعالى فان فاءت فالبهم اياهم بعد استيلاء الامر والتحام الحرب فاصلحوا وفيه معنى لطيف وهو انه اشار الى من لم يخف الله تعالى وبعد لم يكن رجوعه بنفسه كما الا بعد السابع قال تعالى ههنا فاصلحوا بينهما بالعدل ولم يذكر العدل في قوله تعالى وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا نقول لان الاصلاح هناك بازالة الاقتتال نفسه وذلك يكون بالنصيحة والتهديد والزجر والتعذيب والاصلاح ههنا بازالة اثار القتل بعد انقطاعه من ضمان المتلفات وهو حكم فقال بالعدل فكانه قال واحكموا بينهما بعد تركهما القتال بالحق واصلحوا بالعدل مما يكون بينهما لئلا يودي الى ثوران الفتنة بينهما مرة اخرى الثامن قال تعالى فاصلحوا بينهما بالعدل فانه عامة في قوله تعالى واقسطوا العود قوله تعالى فاصلحوا بينهما كان تخصيصا بحال ودحال يعم الامر بالعدل واقسطوا اي في كل امر بعضي الى اشرف درجة وارفع منزلة وهي محبة الله والاقساط ازالة القسط وهو الجور والقاسط هو الجاير والتركيب دال على كون الامر غير مرضي من القسط والقاسط قلب وهو ايضا غير مرضي ولا معتد به فكذلك القسط ثم قال تعالى انما المومنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم تتميما للارشاد وذلك لانه لما قال تعالى وان طايفتان من المومنين اقتتلوا لكان لظان ان يظن او لمتوهم ان يتوهم ان ذلك عند اختلاف قوم اذا كان الاقتتال بين اثنين فلا يعم المفسدة فلا يومر بالاصلاح هناك عند الاقتتال والشاقة فلا يجب الاصلاح قال بين اخويكم وان لم تكن الفتنة عامة وان لم يكن الامر عظيما وقوله تعالى لعلكم ترحمون وفيه مسايل

**الاولى** قوله تعالى انما المومنون اخوة قال بعض اهل اللغة الاخوة جمع الاخ من النسب والاخوان جمع الاخ من الصداقة فالله تعالى قال انما المومنون اخوة تاكيدا للامر واشارة الى ان بينهم ما بين الاخوة من النسب والاسلام كالاب قال قايلهم ابي الاسلام لا اب لي سواه اذا افتخروا بقيس او تميم **الثانية** عند اصلاح الفريقين والطايفتين لم يقل اتقوا وقال ههنا اتقوا مع ان ذلك اتم نعول الفايدة وهو ان الاقتتال بين طايفتين يفضي الى ان يعم المفسدة ويلحق كل مومن منها شي وكل يسعى في الاصطلاح لامر نفسه فلم يوكد بالامر بالتقوى واما عند تخاصم رجلين لا يخاف الناس ذلك [illegible]

لكن

الهمزتين فقال سواء عليهم انذرتهم والحذف هاهنا اولى لان بالخطاب وبالبقاء على حرفان من جنس واحد كلمة وهمزة الاستفهام كلمة
برأسها والنذير اخرى واحتمال حرفين في كلمتين اسهل من احتماله في كلمة ولهذا وجب الادغام في قولنا مد ولم يجب في قولنا امدد و
قولنا من دون قولنا بايم والله تعالى اعلم **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن
ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه
واتقوا الله ان الله تواب رحيم يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل
لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير **اعلم** ان الظن هو السبب المتقدم وعليه يبنى
القبايح ومنه يظهر العدو والقايل اذا وقف اموره على اليقين فقلما ان يتيقن في احد عيبا فلمزه فيه لان الفعل
في الصورة قد يكون قبيحا وفي نفس الامر لا يكون كذلك لجواز ان يكون فاعله ساهيا او يكون الراى مخطيا وقوله كثيرا
اخراج الظنون التي عليها يبنى الخيرات قال النبي صلى الله عليه وسلم ظنوا بالمومن خيرا وبالجملة كل امر لا يكون بناؤه على
اليقين فالظن فيه غير مجتنب مثاله حكم الحاكم على قول الشهود الى غير ذلك في قوله تعالى اجتنبوا كثيرا وقوله تعالى ان بعض الظن اثم
اشارة الى الاخذ بالاحوط كما ان الطريق المخوفة لا يتفق في كل من فيه فاسلك الطريق لانك لا تسلك الا نفاقا فذلك مرة ومرتين
الا اذا تعين تسلك كذلك الظن ينبغي بعد اجتهاد تام ووثوق بالغ ثم قال تعالى ولا تجسسوا اتماما لما سبق لانه تعالى
لما قال اجتنبوا كثيرا من الظن فهم منه ان المعتبر اليقين فيقول القايل انا اكشف فلانا بمعنى اعلمه يقينا واطلع على عيبه
مشاهدة فاعيبه واكون قد اجتنبت الظن فقال ولا تتبعوا الظن ولا تجتهدوا في طلب اليقين في معايب الناس ثم قال تعالى ولا يغتب
بعضكم بعضا اشارة الى وجوب حفظ عرض المومن وفيه معان احدها قوله تعالى بعضكم بعضا فانه للعموم للحقيقة في قوله
تعالى لا تلمزوا انفسكم واما من اغتابه فالمغتاب ولا يعلم عيبه فلا يحمل فعله على ان يغتابه فلم يقل ولا تغتابوا انفسكم لما ان
الغيبة ليست حاملة للقلب على عيبه من اغتاب والعيب حامل على عيب بانها لو قال فان هذا المعنى كان حاصلا بقوله تعالى لا
مع الاقتصار عليه بقوله لا وذلك لان الممنوع اغتياب المومن فقال تعالى بعضكم بعضا واما الكافر فيعلن ويذكر بما فيه وكيف
والفاسق يجوز ان يذكر بما فيه عند الحاجة ثانيها قوله تعالى ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا دليل على ان الاغتياب الممنوع
اغتياب المومن لا ذكر الكافر وذلك لانه شبهه باكل لحم الاخ وقال تعالى من قبل انما المومنون اخوة فلا اخوة الا بين المومنين ولا منع
الا من شيء نسبة اكل لحم الاخ في هذه الاية فنوابينا اغتياب المومن دون ذكر الكافر ورابعها ما الحكمة في هذا التشبيه نقول هو اشارة
الى ان عرض الانسان كدمه ولحمه وهذا من باب القياس الظاهر وذلك لان عرض المومن اشرف من لحمه فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحوم
الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الاولى لان ذلك الم وقوله تعالى لحم اخيه آكد في المنع لان العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو
اصدق الاصدقاء من ولدته امه فاكل لحمه اقبح ما يكون وقوله تعالى ميتا اشارة الى دفع وهم وهو ان يقول القول في الوجه يولم فيحرم
واما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يولم فقال اكل لحم الاخ وهو ميت ايضا لا يولم ومع هذا هو في غاية القبح لما انه لو اطلع
عليه لتالم كما ان الميت لو احس باكل لحمه لالمه وفيه معنى وهو ان الاغتياب كاكل لحم الادمي الميت فلا يأكل لحم الادمي فكذلك
المغتاب ان وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب وقوله تعالى ميتا حال عن اللحم او عن الاخ فان قيل اللحم لا يكون
ميتا قلنا بلى قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ابين من حي فهو ميت فسمي ميتا فان قيل اذا جعلناه حالا من الاخ لا يكون هيئة
الفاعل ولا المفعول فيجوز جعله حالا كما يقول القايل مررت باخي زيد ويريد كون زيد قايما ولا يجوز ان يقال من اكل لحمه فقد اكل
فصار الاخ ماكولا مفعولا بخلاف المرور باخي زيد فيجوز ان يقول ضربت وجهه اثما اي وهو اثم اي صاحب الوجه كما انك اذا ضربت
وجهه فقد ضربته ولا يجوز ان يقول مررت ثوبه اثما فيجعل الاثم حالا من غير د وقوله تعالى فكرهتموه فيه مسايل الاولى
العايد اليه الضمير يحتمل وجوها احدها وهو الظاهر ان يكون هو الاكل لان قوله تعالى ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه معناه ايحب احدكم
ان يأكل لان من الفعل يكون للمصدر معنى فكرهتموه الثاني ان يكون هو اللحم اي فكرهتم اللحم الثالث ان يكون هو الميت في قوله تعالى ميتا
وتقديره ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه فكانه صفة لقوله ميتا ويكون فيه زيادة مبالغة في التحذير يعني الميتة
ان اكلت في الندرة كان باردا ولكن اذا انتن واروح وتغير لا يوكل اصلا فكذلك ينبغي ان يكون الغيبة الثانية الفاء في قوله تعالى
فكرهتموه يقتضي وجود تعلق بما ذلك نقول فيه وجوه احدها ان يكون ذلك تقدير جواب كلام كانه تعالى لما قال ايحب
للانكار كانه تعالى قال ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه اذا ولا يحتاج الى اضمار بانها ان يكون ذلك التعلق هو تعلق المسبب
بالسبب ورتبه عليه كما يقول جاء فلان ماشيا فتعب لحقق الكراهة ويورث النفرة الى حد لا يشتهي الانسان ان يبيت
ويبيت فيه ميت فكيف يقربه بحيث ياكل فيه اذا كراهية شديدة فكذلك ينبغي ان يكون حال الغيبة ثم قال تعالى
واتقوا الله عطف على ما تقدم من الاوامر والنواهي اي اجتنبوا واتقوا وفي الاية لطايف منها ان الله تعالى ذكر في هذه الاية
امورا ثلاثة مرتبة بيانها هو ان الله تعالى قال اجتنبوا كثيرا اي لا تقولوا في حق المومنين ما لم تعلموه فيهم بناء على الظن
ثم اذا سلبتم عن المظنونات ولا تقولوا نحن نكشف امورهم لنستيقنها قبل ذكرها ثم ان علمتم منها شيا من غير تجسس فلا
تقولوه ولا تفشوه ولا تعيبوا ففي الاول نهي عما لم يعلم ثم نهي عن طلب ذلك العلم ثم نهى عن ذكر ما علم ومنها ان الله تعالى لم يقل
اجتنبوا عن ان تقولوا امرا على خلاف ما تعلموه ولا قال اجتنبوا الشك بل اول ما نهى عنه هو القول بالظن وذلك لان القول
على خلاف العلم كذب وافتراء والقول بالشك والرجم بالغيب سفه وهزؤ وهما في غاية القبح فلم ينه عنه اكتفاء بقوله

تعالى



تعالى يا ايها الذين آمنوا لان وصفهم بالايمان يمنعهم من الافتراء والارتياب الذي هو دأب الكافر وانما منعهم مما يكثر وجوده في المسلمين وكذلك
قال تعالى في الاية لا يسخر ولم يقل ومنها انه ختم الايتين بذكر التوبة فقال تعالى في الاولى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقال في الاخرى
ان الله تواب لكن الاولى لما كان ابتداء بالنهي في قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم ذكر النفي الذي هو قريب من النهي وفي الثانية
لما كان الابتداء بالامر في قوله تعالى اجتنبوا ذكر الاثبات الذي هو قريب من الامر ثم قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر
وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم تبيينا لما تقدم وتقريرا له وذلك لان السخرية من العيب والعيران كان
سبب الدين والايمان فهو جاير لما بينا ان قوله تعالى لا يغتب بعضكم بعضا وقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم منع من
عيب المومن وغيبته وان لم يكن بهذا السبب فلا يجوز لان الناس بعمومهم كافر كان او مومنا يشترك فيما يفتخر به المفتخر
غير الايمان فالتكبر والافتخار وان كان بسبب الغنا فالكافر قد يكون غنيا والمومن فقيرا وبالعكس وان كان بسبب النسب
فالكافر قد يكون نسيبا والمومن قد يكون عبدا اسود وبالعكس فالناس فيما ليس من الدين والتقوى متساوون وسي
متقاربون وشيء من ذلك لا يوثر مع عدم التقوى فان كل من تدين بدين عرف ان من يوافقه في دينه اشرف ممن يخالفه وان كان ارفع
نسبا فكيف من له الدين الحق وهو فيه راسخ فكيف يرجح عليه من دونه فيه بسبب غيره وقوله تعالى انا خلقناكم من ذكر وانثى وفيه
وجهان احدهما من آدم وحوى وثانيهما كل واحد منكم ايها الموجودون وقت النداء خلقناه من اب وام فان قلنا المراد هو الاول فذلك
اشارة الى ان لا يفاخر البعض على بعض لكونهم ابناء رجل واحد وامراة واحدة وان قلنا المراد هو الثاني فذلك اشارة الى ان الجنس واحد
فان كل واحد خلق كما خلق الاخر من اب وام والتفاوت في الجنس دون التفاوت في الجنسين فان من سوى التفاوت بين الذباب
والذبان لكن التفاوت الذي بين الناس بالكفر والايمان كالتفاوت الذي في الجنسين لان الكافر جماد اذ هو كالانعام بل هو اضل
والمومن انسان في المعنى الذي ينبغي ان يكون فيه والتفاوت في الانسان تفاوت في جنس اذ كلهم من ذكر وانثى فلا يبقى
لذلك عند اعتبار النسب وليس كذلك فان النسب يعتبر عرفا وشرعا حتى لا يجوز تزويج الشريفة بالنبطي فنقول اذا
جاء الامر العظيم لا يبقى الامر الحقير معتبرا وذلك في الحس والعرف والشرع اما الحس فلان الكواكب لا يرى عند طلوع
الشمس وجناح الذباب دون ولا يسمع عند ما يكون رعد قوي واما في العرف فلان من جاء مع الملك لا يبقى له اعتبار
ولا اليه التفات اذا علمت هذا فيهما ففي الشرع كذلك اذا جاء الشرف الديني الالهي لا يبقى لامر منا اعتبار لا للنسب
ولا لغيره الا ترى ان الكافر وان كان من اعلى الناس نسبا والمومن وان كان من ادونهم نسبا لا يقاس احدهما بالاخر وكذلك ما هو
مع الدين مع غيره ولهذا يصلح للمناصب الدينية كالقضاء والشهادة كل شريف ووضيع اذا كان دينا عالما ولا يصلح لشيء
منها فاسق وان كان قرشي النسب وقاروني النسب ولكن اذا اجتمع في اثنين الدين المتين واحدهما نسيب ترجح عند
الناس لا عند الله تعالى لان الله تعالى يقول وان ليس للانسان الا ما سعى وشرف النسب ليس مكتسبا ولا يحصل
بسعي البحث الثاني ما الحكمة في اختيار النسب من جملة اسباب التفاخر ولم يذكر المال نقول الامور التي يفتخر بها في الدنيا
وان كانت كثيرة لكن النسب اعلاها لان المال قد يحصل للفقير فيبطل افتخار المفتخر به والحسن والسن وغير ذلك
غير ثابت دايم والنسب ثابت مستمر غير مقدور التحصيل لمن ليس له ذلك فاختاره الله تعالى للذكر وابطل اعتباره
بالنسبة الى التقوى ليعلم منه بطلان غيره بالطريق الاولى البحث الثالث اذا كان ورود الاية لبيان عدم جواز
الافتخار لغير التقوى فهل لقوله تعالى انا خلقناكم فايدة نقول نعم وذلك لان كل شيء يترجح على غيره فاما ان
يترجح بامر فيه يلحقه وترتيب عليه بعد وجوده واما ان يترجح عليه بما هو قبله والذي بعده كالحسن والقوة وغيرها
من الاوصاف المطلوبة من ذلك الشيء والذي قبل فاما راجع الى الاصل الذي منه وجد والى الفاعل الذي هو اوجده
كما يقال في هذا من النحاس وهذا من الفضة ويقال هذا عمل فلان وهذا عمل فلان فقال تعالى لا ترجح فيما خلقتم منه
لانكم كلكم من ذكر وانثى ولا بالنظر الى جاعلكم لانكم كلكم خلقكم الله تعالى فان كان بينكم تفاوت يكون بامور تلحقكم وتحصل
بعد وجودكم واشرفها التقوى والقرب من الله تعالى ثم قال تعالى وجعلناكم شعوبا وقبايل وفيه وجهان احدهما جعلناكم
شعوبا متفرقة لا يدرى من يجمعكم كالعجم وقبايل يجمعهم واحد معلوم كالعرب وبني اسراييل وثانيهما جعلناكم شعوبا داخلين
في قبايل فان القبايل تحتها الشعوب وتحت الشعوب البطون وتحت البطون الافخاذ وتحت الافخاذ الفصايل والاقارب وذكر الاعم
لانه اذهب بالافتخار لان الامر الاعم منها ما يرجحها الفقراء والاغنياء كثيرة غير محصورة وضعفاء واقوياء كثيرة
معدودة ثم بين فايدة ذلك وهي التعارف وفيه وجهان احدهما ان فايدة ذلك التناصر لا التفاخر وثانيهما ان فايدته
التعارف فلا التناكر واللمز والسخرية والغيبة تفضي الى التناكر لا الى التعارف وفيه معان لطيفة الاولى قال تعالى انا خلقناكم
شعوبا لكن الخلق اصل يتفرع عليه الجعل شعوبا فان الاصل هو الخلق والايجاد والاتصاف بما اتصفوا به لكن الجعل شعوبا
للتعارف والخلق للعبادة كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والمعتبر الاصل متقدم على اعتبار الفرع
فاعلموا ان النسب يعتبر بعد اعتبار العبادة كما ان الجعل شعوبا يتحقق بعدما يتحقق الخلق فان كان فيكم عبادة تعتبر فيكم انسابكم والا فلا
الثاني قوله تعالى جعلناكم وخلقناكم اشارة الى عدم جواز الافتخار لان ذلك ليس بسعيكم ولا قدرة لكم على شيء من ذلك
فكيف يفتخرون بما لا مدخل لكم فيه فان قيل الهداية والضلال كذلك لقوله تعالى انا هديناه السبيل يهدي من يشاء
فنقول اثبت الله تعالى لنا فعلا مبنيا على فعل كما قال تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ثم قال تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله واما في النسب فلا

الثالث قوله تعالى لتعارفوا اشارة الى قياس خفي بيانه وهو انه تعالى قال جعلناكم قبايل لتعارفوا وانتم اذا كنتم اقرب الى شريف
تفتخرون به فخلقكم لتعارفوا وانتم مادا كونكم اقرب منه وهو اشرف الموجودات حتى الافتخار هنا كان من كل الاعتبار بذلك الرابع
فيه ارشاد الى برهان يدل على ان الاعتبار ليس بالانساب وذلك لان القبايل للتعارف الانتساب
الى شخص فان كان ذلك شريفا صح الافتخار في فهمكم وان لم يكن شريفا لم يصح شرف ذلك الرجل الذي يفتخر ورد به هو باسبابه الى
فضله او باكتساب فضيلة فان كان بالانتساب لزم الانتهاء وان كان بالاكتساب فالدين العقيه الكريم المحسن صار مثل من يفتخر به
المفتخر فكيف يفتخر بالاب والابعد من حصل له في الحط والخير ما فضل به نفسه على ذلك الاب والجد اللهم لا يجوز لشرف الانتساب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان احدا لا يقرب من الرسول في الفضيلة حتى انا مثل ابيك ولكن في هذا النسب اثبت النبي صلى الله عليه وسلم الشرف
لمن انتسب اليه بالاكتساب ونفاه لمن اراد الشرف بالانتساب فقال نحن معاشر الانبياء لا نورث وقال العلماء ورثة الانبياء اي لا نورث
بالانتساب انما نورث بالاكتساب سمعت ان بعض الشرفا ببلاد خراسان كان في النسب اقرب الناس الى علي رضي الله عنه انه كان فاسقا
وكان هناك مولى اسود تقدم بالعلم والعمل ومال الناس بالتبرك منه فاتفق ان خرج يوما من بيته نحو المسجد واتبعه خلق
فلقيه الشريف سكرانا فكان الناس يطردون الشريف ويبعدونه عن طريقه فغلبهم وتعلق باطراف الشيخ وقال له يا اسود الحوافر والمناسر
يا كافر بن كافر انا ابن رسول الله اذل وتجل واذم وتكرم واهان وتعان فهم الناس بضربه فقال الشيخ لا هذا محتمل منه ومن به معدود
لجده ولكن يا ايها الشريف بيضت باطني وسودت باطنك فرأي بياض قلبي فوق سواد وجهي فحسنت واخذت سيرة ابيك واخذ
سيرة ابي فرأي الخلق في سيرة ابيك ورأوني في سيرة ابي فظنوني ابن ابيك وظنوك ابن ابي فعملوا بك ما يعمل مع ابي وعملوا معي ما يعمل
مع ابيك ثم قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وفيه وجهان احدهما ان المراد من يكون اكرم عند الله يكون اتقى اي الاكرام يورث
التقوى كما يقال المخلصون على خطر والاول اشهر والثاني اظهر لان المذكور ثانيا ينبغي ان يكون محمولا على المذكور اولا في الظاهر
فقال الاكرام والتقي لكن العموم المشهور هو الاول فقال الذ الاطعمة احلاها اي اللذة بقدر الحلاوة لا ان الحلاوة بقدر
اللذة وهي اثبات لكون التقوى متقدما على كل فضيلة فان قيل التقوى من الاعمال والعلم اشرف قال النبي صلى الله عليه وسلم لفقيه
اشد على الشيطان من الف عابد نقول التقوى ثمرة العلم قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فلا تقوى الا للعالم
فالمتقي العالم اتم علما الذي لا يتقي شجرة لا ثمرة لها لكن الشجرة المثمرة اشرف من الشجرة التي لا تثمر بل هو حطب فكذلك العالم
حصب جهنم واما العابد الذي يفضل عليه الفقيه فهو الذي لا علم له وحينئذ لا يكون عنده من خشية الله تعالى نصاب
كامل ولعله يعبده مخافة الالقاء في النار فهو كالمكره او لدخول الجنة فهو يعمل كالذي يعمل له اجرة ويرجع الى بيته والمتقي هو العالم
بالله تعالى المواظب لبابه اي المقرب الى جنابه يبيت عنده وفيه مباحث الاول الخطاب مع الناس والاكرام يقتضي اشتراك
الكل في الكرامة ولا كرامة للكافر فانه اضل من الانعام واذل من الهوام تقول ذلك غير لازم مع انه حصل بدليل قوله تعالى ولقد
كرمنا بني آدم لان كل من خلق فقد اعترف بربه لقوله تعالى ثم من استمر عليه وزاد زيد في كرامته ومن رجع عنه ازال الكرامة التي في ماخذ
التقوى ومن الاتقاء في مراتب التقوى ان يجتنب العبد المناهي ويأتي بالاوامر ولا يفتر ولا يامن الا معها فان اتفق ارتكب منها لا يأمن
ولا يتكل له بل يتبعه حسنة ويظهر عليه ندامة وتوبة ومتى ارتكب منهيا وما تثبت في الحال واتكل على المهلة في الآجال ومنعه عن التدارك طول
الامل فليس بمتق اما الاتقاء فهو الذي ياتي بالمأمور به ويترك ما نهي عنه وهو مع ذلك خاش ربه لا يشتغل بغير الله نور الله تعالى
قلبه فان التفت لحظة الى نفسه او ولده جعل ذلك دينه البتة لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فيتبين ان من اعطاه
السلطان بستانا واسكنه فيه ويبني من استخلصه لنفسه يسعد كل يوم بسبب القرب منه بستانين وضاعا دون عظيم
قال الله تعالى ان الله عليم خبير اي عليم بظواهركم ويعلم انسابكم خبير ببواطنكم لا يخفى عليه اسراركم فاجعلوا التقوى وزيدوا
في التقوى كما زادكم والله تعالى اعلم **قوله تعالى** قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا
ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم
انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك
هم الصادقون **اعلم** ان الله تعالى لما قال ان اكرمكم عند الله اتقاكم والاتقى لا يكون الا بعد حصول التقوى واصل
الايمان هو الاتقاء من الشرك قالت الاعراب لنا النسب الشريف وانما يكون الشرف لنا قال الله تعالى ليس الايمان بالقول انما هو بالقلب
فما امنتم لان الله خبير يعلم ما في الصدور ولكن قولوا اسلمنا اي انقدنا واستسلمنا قيل ان الاية نزلت في بني اسد اظهروا الاسلام في سنة
مجدبة طالبين الصدقة ولم يكن قلوبهم مطمئنة بالايمان وقد ثبت ان ذلك كالمانع للشرف ولولا الله خصا منهم لان كلا من اطاعه
فعل المغني واذا دان يصير له ما للاب من الاكرام لا يحصل له ذلك لان التقوى من عمل القلب وقوله تعالى قل لم تؤمنوا في تفسيرها
مسائل **المسئلة الاولى** قال تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا وقال ههنا قل لم تؤمنوا مع انهم القوا اليهم السلم
نقول اشارة الى ان عمل القلب غير معلوم واجتنابنا الظن واجب وانما يحكم بالظاهر فلا يقال لمن يفعل فعلا هو مراء وكان اسلم
وهو منافق ولكن الله تعالى خبير بما في الصدور واذا قال فلان ليس بمؤمن حصل الجزم وقوله تعالى قل لم تؤمنوا فهو الذي جوز لنا ذلك
العدو وكان معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث اطلعه على الغيب وضمير قلوبهم فقال لنا انتم لا تقولوا لمن القى اليكم السلام
لست مؤمنا لعدم علمكم بما في قلبه الثانية لم ولما حرفا نفي وما وان ولا كذلك من حروف النفي ولم ولما جازمان وغيرهما من حروف
النفي لا يجزم فما الفرق بين قولنا لم ولما اللذان يجزمان الفعل ولا يفعل به غيرهما لان معناه من الاستقبال الى المضي تقول لم يؤمن امس

اليوم



اليوم ولا تقول لم يؤمن امس فلما اختصا بالفعل لم يفعل به غيرهما جزم بهما فان قيل ما بالهما جزم بهما غاية ما في الباب ان الفرق
حصل ولكن ما الدليل على وجوب الجزم والقطع لصيغة الافعال الماضية فان من قال قام حصل القطع بقيامه ولا يجوز ما قام والافعال
المستقبلة اما متوقعة الحصول واما ممكنة غير متوقعة ولا القطع والجزم فيه فاذا كان لم ولما يقلبان اللفظ من الاستقبال الى المضي
كان تفيد الجزم والقطع في المعنى فجعل لهما مناسبا بالمعنى وهو الجزم لفظا وعلى هذا القول السبب في الجزم ما ذكرنا وهذا في الامر جزم لانه جزم
على المامورات بفعله ولا بتركه فان قيل في اللفظ يجزم لانه بان الفعل لا بد من وقوعه وان في الشرط نعم ذلك لان ان تغير
معنى اللفظ من المضي الى الاستقبال كما ان لم تغيره من الاستقبال الى المضي تقول ان جيتك وان اكرمتني اكرمتك
فلما كان مثل لم في كونه حرفا وفي لزوم الدخول على الافعال وتغييره الفعل جازما لنسبته اللفظي اما الجزاء فجزم لما ذكرنا
من المعنى فان الجزاء جزم بوقوعه عند وجود الشرط فالجزم اذا الا للمعنى او للتشبيه لفظي كما ان الجر اختص بالاسماء وفي
الجر بحرف • الثانية قوله تعالى ولكن قولوا يقتضي قولا سابقا مخالفا بعدها كقولنا لا تقولوا امنا ولكن
قولوا اسلمنا وفي ترك التصريح به ارشاد وتاديب كانه تعالى لم يجر النهي عن قولهم امنا فلم يقل لا تقولوا امنا
ارشدهم الى الامتناع عن الكذب فقال تعالى لم تؤمنوا فان كنتم تقولون شيئا فقولوا امرا عاما لا يلزم منه كذبكم
وهو كقولهم اسلمنا فان الاسلام بمعنى الانقياد حصل **الرابعة** المؤمن والمسلم واحد عند اهل السنة فكيف يفهم
ذلك مع هذا نقول بين العام والخاص فرق والايمان لا يحصل الا بالقلب وقد يحصل باللسان والاسلام اعم لكن العام في صورة
الخاص يجتمع مع الخاص ولا يكون امرا اخر غيره مثاله الحيوان اعم من الانسان لكن الحيوان في صورة الانسان ليس امرا
ينفك عن الانسان ولا يجوز ان يكون ذلك الحيوان حيوانا ولا يكون انسانا فالعام والخاص مختلفان في العموم
متحدان في الوجود فكذا المؤمن والمسلم وسنبين ذلك في تفسير قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها
غير بيت من المسلمين ان شاء الله تعالى **الخامسة** قوله تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم هل فيه معنى قوله تعالى قل
لم تؤمنوا نقول نعم وبيانه من وجوه الاول هو انهم لما قالوا امنا وقيل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا قالوا اذا اسلمنا
فقد امنا قيل لا فان الايمان من عمل القلب لا غير والاسلام قد يكون عمل اللسان واذا كان ذلك عمل القلب لم يدخل الايمان
في قلوبكم لم تؤمنوا الثاني لما قالوا امنا وقيل لهم لم تؤمنوا قالوا جدالا اقررنا عن صدق مؤكدين لما اخبرنا فقال تعالى
ولما يدخل الايمان في قلوبكم لان لما يفعل فعال في مقابلة قد فعل ويحتمل ان يقال بان الاية فيها اشارة الى حال المؤلفة
اذا اسلموا ويكون ايمانهم بعد ضعيفا لم ادلهم لم يؤمنوا لان الايمان ايقان وذلك بعد لم يدخل في قلوبكم وسيدخل باطلاعكم
على محاسن الاسلام وان تطيعوا الله ورسوله يكمل لكم الاجر والذي يدل على هذا هو ان لما فيها معنى التوقع
والانتظار ويكون الايمان اما ثالثا فكيف يعقب المؤمن واكتسابه وبطؤه في دلالته واما ان يكون الهاما يقع في قلب المؤمن
والادخل الايمان في قلوبكم الهاما نقوله قل لم تؤمنوا اي ما فعلتم ذلك وقوله تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم من غير فعلكم
فلا كتابة حينئذ ثم ان قوله تعالى عند فعلهم فان لم تؤمنوا بحرف ليس فيه معنى الانتظار لقصور نظرهم وفتور فكرهم
عند فعل الايمان قال تعالى ولما يدخل بحرف فيه معنى التوقع لظهور الايمان كانه نكاد يعشى القلوب باشراقها كانه تعالى
قال فان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من الحسنة اي لا يسفكم والمراد انكم اذا اتيتم بما يليق بضعفكم من الحسنة
فهو يوتيكم بما يليق به من الجزاء وهذا لان من حمل الى ملك فاكهة طيبة يكون ثمنه في السوق درهما واعطاه الملك
درهما او دينارا انتسب الملك الى قلة العطاء بل البخل فليس معناه انه يعطي مثل ذلك من غير نقص بل المعنى ما يتوقعون
باعمالكم من غير نقص وفيه تحريض على الايمان الصادق لان من اتى بفعل غير صادق سه تضيع عمله ولا يعطى عليه اجره
فقال ان تطيعوا وتصدقوا لا ينقص عليكم ولا تضيعوا اعمالكم بعدم الاخلاص فيه نسبه كما من باخراعانه
كانه يقول غيري سبقني واما من حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم وحيدا واواه حيث كان ضعيفا ونحن عدونا ما جئنا
عن مقاومته وعلينا نصرته فلا يكون لاسما يا وقع ولا لنا عليها حق فقال تعالى ان اجركم لا ينقص وما يتوقعون
يعطون غاية ما في الباب ان التقدير في اجوركم وما زاد عليكم اذا رضاكم الله تعالى ان يعطي غيركم من خزاين رحمته
رحمة واسعة وما حالكم في ذلك الا حال ملك اعطى واحدا شيئا وقال لغيره ماذا تتمنى فتمنى عليه ملكا واموالا فاعطاه
ووفاه ثم زاد ذلك الاول شيئا من خزانته فان تأذى من ذلك يكون غلا وحسدا وذلك في الاخرة لا يكون وفي الدنيا
هو من صفة الاراذل وقوله تعالى ان الله غفور رحيم اي يغفر لكم ما قد سلف ويرحمكم بما اتيتم به ثم قال تعالى انما
المؤمنون الذين امنوا ارشاد للاعراب الذين قالوا امنا الى حقيقة الايمان فقال ان كنتم تريدون الايمان
فالمؤمنون بالله ورسوله ثم لم يرتابوا اي تيقنوا بان الايمان ايقان وثم للتراخي في الحكاية كانه يقول امنوا ثم يقول
شيئا اخر لم يرتابوا ويحتمل ان يقال هو للتراخي في الفعل تقديره امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فيما قال النبي صلى الله
عليه وسلم من الحشر والنشر ثم قال تعالى وجاهدوا باموالهم وانفسهم تحقق ذلك لما تيقنوا ان بعد هذه الدار دارا يجاهدوا
طالبين عقبى وقوله تعالى اولئك هم الصادقون في ايمانهم لا الاعراب الذين قالوا قولا ولم يخلصوا عملا ثم قال تعالى قل اتعلمون
الله بدينكم فانه عالم به فلا يخفى عليه شيء وفيه اشارة الى ان الدين ينبغي ان يكون لله وانتم اظهرتموه لنا لا لله
تعالى فلا يقبل منكم ذلك وقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قد ذكرناه ويبين ان اسلامهم لم يكن لله تعالى وفيه لطايف

والمتناهي لا نسبة له الى غير المتناهي فما معنى قوله ان الله اشد منهم قوة قلنا هذا ورد على قانون قولنا الله اكبر ثم قال تعالى
وكانوا باياتنا يجحدون والمعنى انهم كانوا يعرفون انها حق ولكنهم يجحدونها كما يجحد المودع الوديعة **واعلم**
ان نظم الكلام ان يقال اما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وكانوا باياتنا يجحدون وقوله تعالى وقالوا من اشد منا قوة اولم
يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة اعتراض وقع لتقرير السبب الداعي لهم الى الاستكبار **واعلم** انا ذكرنا ان مجامع
الخصال الحميدة الاحسان الى الخلق والتعظيم للخالق فقوله تعالى فاستكبروا في الارض بغير الحق معناه ترك الاحسان الى الخلق
وقوله تعالى وكانوا باياتنا يجحدون مضاد التعظيم للخالق واذا كان الامر كذلك ثم انهم قد بلغوا في الصفات المذمومة الموجبة
للهلاك والابطال الى الغاية القصوى فهذا المعنى سلط الله تعالى العذاب عليهم فقال تعالى فارسلنا عليهم ريحا
صرصرا في ايام وفي الصرصر قولان احدهما انها العاصفة التي تصرصر اي تصوت في هبوبها وفي علة هذه التسمية
وجوه قيل ان الرياح عند اشتداد هبوبها يسمع منها صوت يشبه لفظ الصرصر وهي الصيحة ومنه قوله تعالى فاقبلت امراته
في صرة والقول الثاني انها الباردة تحرق لنا بردها واصلها صرر من الصر وهو البرد قال تعالى فاصابته اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم روي عن عبد الله انه قال الرياح ثمان
اربع منها عذاب العاصف والصرصر والعقيم واربع منها رحمة الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات وعن ابن عباس ان الله تعالى
ما ارسل على عباده من الريح الا قدر خاتمي والمقصود انه مع قلته اهلك الكل وذلك يدل على كمال قدرة الله تعالى واما قوله تعالى
في ايام نحسات ففيه مسايل المسئلة الاولى قرا نافع وابن كثير وابن عمرو نحسات بسكون الحاء والباقون بكسر الحاء قال صاحب الكشاف
يقال نحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس واما نحس فاما مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر المسئلة الثانية استدل الاحكاميون
من المنجمين بهذه الاية على ان بعض الايام قد يكون نحسا وبعضها يكون سعدا وقالوا هذه الاية صريحة في هذا المعنى اجاب
المتكلمون بان قالوا ايام نحسات اي ذات غبار وتراب ثائر لا يكاد يبصر فيه ويتصرف وايضا قالوا معنى كون هذه الايام نحسات
ان الله اهلكهم فيها اجاب المستدل الاول بان النحسات في وضع اللغة هي المشؤومات لان النحس يقابله السعد والكدر
يقابله الصافي واجاب عن السؤال الثاني انه اخبر عن ايقاع ذلك العذاب في تلك الايام النحسات فوجب كون تلك
الايام نحسة مغايرة لذلك العذاب الذي وقع فيها ثم قال تعالى لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا اي عذاب الهوان
والذل والسبب فيه انهم استكبروا فقابل الله تعالى ذلك الاستكبار بايصال الخزي والهوان والذل اليهم ثم قال
تعالى ولعذاب الاخرة اخزى اي اشد اهانة وخزيا وهم لا ينصرون اي انهم يقعون في الخزي الشديد ومع ذلك فلا يكون
لهم ناصر يدفع ذلك الخزي عنهم ولما ذكر تعالى قصة عاد اتبعه بقصة ثمود فقال تعالى واما ثمود قال صاحب الكشاف قرئ
ثمود بالرفع والنصب منونا وغير منون والرفع افصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء فهديناهم اي دللناهم
على طريق الخير والشر فاستحبوا العمى على الهدى اي فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد **واعلم**
ان صاحب الكشاف ذكر في تفسير الهدى في قوله تعالى هدى للمتقين ان الهدى عبارة عن الدلالة الموصلة الى البغية
وهذه الاية تبطل قوله لانها تدل على ان الهدى قد حصل مع ان الافضاء الى البغية لم يحصل فثبت ان قيد
كونه مفضيا الى البغية غير معتبر في اسم الهدى وقد ذكر في هذه الاية سؤالا يشعر بذلك الا انه لم يذكر جوابا شافيا
فتركناه قالت المعتزلة هذه الاية دالة على ان الله تعالى قد نصب الدلائل وازاح الاعذار والعلل الا ان الايمان
انما يحصل من العبد لان قوله تعالى واما ثمود فهديناهم يدل على انه تعالى قد نصب لهم الدلائل وقوله تعالى فاستحبوا العمى
على الهدى يدل على انهم من عند انفسهم اتوا بذلك العمى وهذا يدل على ان الكفر والايمان يحصلان من العبد واقول مثل
هذه الاية من ادل الدلائل على انهما يحصلان من الله تعالى وبيانه من وجهين الاول انه انما صدر عنهم ذلك العمى
لانهم احبوا تحصيله فلما وقع في قلوبهم هذه المحبة دون محبة ضده فان حصل هذا الترجيح لا لمرجح فهو باطل وان كان المرجح
هو العبد عاد الطلب وان كان المرجح هو الله تعالى فقد حصل المطلوب الثاني انه تعالى قال فاستحبوا العمى على الهدى ومن
المعلوم بالضرورة ان احدا لا يحب العمى والجهل مع العلم بكونه عمى وجهلا اما لم يظن في ذلك العمى كونه تبصرا وعلما
لا يرغب فيه فاقدامه على اختيار ذلك الجهل انما يكون مسبوقا بجهل اخر فان كان ذلك الجهل الثاني باختياره ايضا
لزم التسلسل وهو محال فلا بد من انتهاء تلك الجهالات الى جهل يحصل فيه لا باختياره وهو المطلوب ولما وصف الله
تعالى كفرهم قال فاخذتهم صاعقة العذاب الهون وصاعقة اي داهية العذاب والهون الهوان وصف به العذاب
مبالغة او ابدل منه بما كانوا يكسبون يريد من شركهم وتكذيبهم صالحا وعقرهم الناقة وشرع صاحب الكشاف
هاهنا في سفاهة عظيمة والاولى ان لا نلتفت اليه لانه وان كان قد سعى سعيا حسنا فيما يتعلق بالالفاظ الا ان المسكين
كان بعيدا عن المعاني ولما ذكر الله تعالى الوعيد اردفه بالوعد فقال تعالى ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون يعني وكانوا يتقون
الاعمال التي كان ياتي بها قوم عاد وثمود فان قيل كيف يجوز للرسول صلى الله عليه وسلم ان ينذر قومه مثل صاعقة عاد وثمود مع
العلم بان ذلك لا يقع في امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد صرح الله تعالى بذلك في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم وجاء في الاحاديث الصحيحة ان الله تعالى رفع عن هذه الامة هذه الانواع من الافات قلنا انهم لما عرفوا كونهم
مشاركين لعاد وثمود في استحقاق مثل تلك الصاعقة جوزوا حدوث ما يكون من جنس ذلك وان كان اقل درجة
منه وهذا القدر يكفي في التخويف قوله تعالى ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم

وجلودهم



وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وما كنتم
تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم
ارداكم فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين **واعلم** انه تعالى لما بين كيفية
عقوبة اولئك الكفار في الدنيا اردفه بكيفية عقوبتهم في الاخرة ليحصل منه تمام الاعتبار في الزجر والتحذير قرا نافع نحشر
بالنون اعداء بالنصب اضاف الحشر الى نفسه والتقدير يحشر الله عز وجل اعداءه الكفار من الاولين والاخرين وحجته انه
معطوف على ونجينا فيحسن ان يكون على وفقه في اللفظ ويقويه قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا واما الباقون فقرؤا
على فعل ما لم يسم فاعله لان قصة ثمود قد تمت وقوله تعالى ويوم يحشر ابتداء كلام اخر وايضا الحاشرون هم المامورون بقوله
احشروا وهم الملائكة وايضا ان هذه القراءة موافقة لقوله تعالى فهم يوزعون وايضا فتقدير القراءة الاولى ان الله تعالى
قال يوم نحشر اعداء الله الى النار وكان الاولى على هذا التقدير ان يقال ويوم نحشر اعداءنا الى النار **واعلم** ان الله تعالى لما ذكر ان
اعداء الله يحشرون الى النار قال تعالى فهم يوزعون اي يحبس اولهم على اخرهم اي يوقف سوابقهم حتى يصل اليهم تواليهم والمقصود
بيان انهم اذا اجتمعوا سئلوا عن اعمالهم ثم قال تعالى حتى اذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم وفيه مسايل
المسئلة الاولى التقدير حتى اذا جاؤوها وشهد عليهم سمعهم وابصارهم وعلى هذا التقدير فكلمة ما صلة وقيل فيها فائدة
زائدة وهي تاكيد ان عند مجيئهم لا بد وان تحصل هذه الشهادة كقوله تعالى اثم اذا ما وقع امنتم به اي لا بد لوقت وقوعه من ان يكون
وقت ايمانهم به الثانية روي ان العبد يقول يوم القيمة يا رب العزة الست قد وعدتني ان لا تظلمني فيقول الله تعالى فان ذلك
فيقول العبد اني لا اقبل على نفسي شاهدا الا من نفسي فيختم الله تعالى على فيه وينطق اعضاءه بالاعمال التي صدرت فذلك
قوله تعالى شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم واختلف الناس في كيفية تلك الشهادة وفيه ثلثة اقوال احدها ان الله
تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه والثاني انه تعالى يخلق في تلك الاعضاء الاصوات
والحروف الدالة على تلك المعاني كما خلق الكلام في الشجرة والثالث انه تظهر في تلك الاعضاء احوال تدل على صدور تلك الاعمال من ذلك
الانسان وتلك الامارات تسمى شهادات كما يقال يشهد هذا العالم بتغيرات احواله على حدوثه **واعلم** ان هذه المسئلة صعبة على المعتزلة
اما القول الاول فهو صعب على مذهبهم لان البنية عندهم شرط حصول العقل والقدرة واللسان مع كونه لسانا يمتنع ان يكون محلا
للعلم والعقل فان عبر الله تعالى تلك البنية والصورة تخرج عن كونه لسانا وجلدا وظاهر القران يدل على اضافة تلك الشهادة الى
السمع والبصر والجلود وان قلنا ان الله تعالى ما غير بنية هذه الاعضاء فحينئذ يمتنع عليها كونها فاعلة ناطقة فاهمة واما القول
الثاني وهو ان يقال ان الله تعالى خلق هذه الاصوات والحروف في تلك الاعضاء فهذا ايضا باطل على اصول المعتزلة لان مذهبهم
المتكلم هو الذي فعل الكلام لا من كان موصوفا بالكلام فانهم يقولون ان الله تعالى خلق الكلام في الشجرة وكان المتكلم بذلك
الكلام هو الله تعالى لا الشجرة فهاهنا ان الله خلق الاصوات والحروف في هذه الاعضاء لزم ان يكون الشاهد هو الله تعالى لا تلك
الاعضاء ولزم ان المتكلم بتلك الاعمال هو الله تعالى لا تلك الاعضاء وظاهر القران يدل على ان تلك الشهادة شهادة صدرت من
تلك الاعضاء لا من الله تعالى لانه تعالى قال شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم وقالوا لتلك الاعضاء لم شهدتم
علينا قالت الاعضاء انطقنا الله الذي انطق كل شيء وكل هذه الايات دالة على ان المتكلم بتلك الكلمات هو تلك الاعضاء
وان تلك الكلمات ليست كلام الله تعالى فهذا توجيه الاشكال على هذين القولين واما القول الثالث وهو تفسير هذه الشهادة
بظهور امارات مخصوصة على هذه الاعضاء دالة على صدور تلك الاعمال منهم فهذا عدول عن الحقيقة الى المجاز والاصل عدمه
فهذا منتهى الكلام في هذا البحث اما على مذهب اصحابنا فهذا الاشكال غير لازم لان عندنا البنية ليست شرطا للحياة ولا للعلم
ولا للقدرة فالله تعالى قادر على خلق العقل والقدرة والنطق في كل جزء من اجزاء هذه الاعضاء وعلى هذا التقدير فالاشكال زائل وهذه
الاية تحسن التمسك بها في بيان ان البنية ليست شرطا للحياة ولا لشيء من الصفات المشروطة بالحياة والله تعالى اعلم المسئلة
الثالثة ما رايت للمفسرين في تخصيص هذه الاعضاء الثلاثة بالذكر سببا وفائدة واقول لا شك ان الحواس خمسة السمع والبصر
والذوق واللمس ولا شك ان الة اللمس هي الجلد فالله تعالى ذكر هاهنا ثلثة انواع من الحواس وهي السمع والبصر
واللمس واهمل ذكر نوعين وهما الذوق والشم اما ان الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه لان ادراك الذوق انما يتاتى
بان تصير جلدة اللسان والحنك مماسة لجرم الطعام فكان هذا داخلا فيه في حس اللمس وهو حس لا تعلق له في
الانتفاع وليس لله فيه تكليف ولا امر ولا نهي اذا عرفت هذا فنقول نقل عن ابن عباس انه قال المراد من شهادة
الجلود شهادة الفروج وقال هذا من باب الكنايات كما قال تعالى لا تواعدوهن سرا واراد النكاح وقال تعالى او جاء احد
منكم من الغائط والمراد قضاء الحاجة وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول ما يتكلم من الادمي فخذه وكفه وعلى
هذا التقدير تكون هذه الاية وعيدا شديدا في الاتيان بالزنا لان مقدمة الزنا انما تحصل بالكف وربما بالامر بها تحصل
بالفخذ ثم حكى الله تعالى عنهم انهم يقولون لتلك الاعضاء لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو
خلقكم اول مرة واليه ترجعون ومعناه ان القادر على خلقكم وانطاقكم في المرة الاولى حال ما كنتم في الدنيا ثم على
خلقكم وانطاقكم في المرة الثانية وهي حال القيمة والبعث كيف يستبعد منه انطاق الجوارح والاعضاء ثم قال
تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم فالمعنى ان الانسان انهم كانوا يستترون

القران هذا ما قيل في ق واما القراءة فيه كثيرة وحصرها بيان معناها فنقول ان قلنا فهي مبنية على ما قلنا تحركها للوقف اذ لا عامل
فربما سبق بها الاصوات ويجوز الكسر جدا من التقاء الساكنين ويجوز الفتح اختيارا للاخف فان قيل جاز اختيار الفتح
ههنا ولم يجز عند التقاء الساكنين اذا كان احدهما اخر كلمة والاخر اول اخرى كما في قوله تعالى لم يكن وقوله تعالى ولا
تطرد الذين يدعون نقول لان هناك انما وجب التحريك وعين الكسرة في الفعل نسبة لحركة الاعراب لان الفعل محل يرد الرفع
والنصب لا يوجد فيه الجر احضرت الكسرة التي لا يخفى على احد انها ليست بحركة الفعل لا يجوز فيه الجر ولو فتح لاشتبه بالنصب
واما في اواخر الاسماء فالاشتباه لازم فان الاسم محل يرد عليه الحركات الثلاث فلم يمكن الاحتراز فاختاروا الاخف واما ان
قلنا انها حرف مقسم بها فحقها الجر ويجوز النصب بجعله مفعولا بما اضمر على وجه الاتصال وتقديره التزم كما لم يوجد وان
وان قلنا هي اسم السورة فان قلنا نقسم بها مع ذلك فحقها الفتح لانها لا تنصرف حينئذ فيفتح في موضع الجر كما تقول وابرهيم
واحمد في القسم بهما فان قلنا الله ليس مقسما بها على قولنا اسم السورة فحقها الرفع وان جعلناها خبرا تقديره هذه ق وان قلنا هو
من فتح يقول لحقه السوس كما قال هذا داع وراع وان قلنا اسم جبل فالجر والتنوين ان كان قسما ولنعد الى التفسير فنقول الوصف قد
يكون للتمييز وهو الاكثر كقولنا القديم لتمييزه عن الحادث والرجل الكريم لتمتاز عن اللئيم وقد يكون لمجرد المدح كقولنا الله الكريم وليس له
في الوجود اخر وليس عنه بالكريم وفي هذا الموضع بقرينة حالية وهو كون محمد صلى الله عليه عن الحق وكلامه صفة الصدق فان الكفار كانوا
ينكرون ذلك والمختار ما ذكرناه الثاني قوله تعالى بل عجبوا المقتضي ان يكون هناك مضروب عنه فما ذلك نقول قال الواحدي وفانه
الزمخشري انه تقدير فوما الامر كما تقولون بل بينه ومنهم فنقول على ما اخترناه انما التقدير والله اعلم والقران المجيد انك لمنذر وكانه
قال بعده وانهم شكوا فيه فاضرب عنه وقال بل عجبوا يعني لم يكتفوا بالشك ... اوحى الامر وكرهه الى سعة الامكان بل جزموا بخلافه حتى
جعلوا ذلك من الامور العجيبة فان قيل فما الحكمة في هذا الاختصار العظيم في موضع واحد حذف المقسم عليه والمضرب عنه وأتى بامر لا يفهم
الا بعد الفكر العظيم ولا يفهم مع الفكر الا بالتوفيق العزيز فنقول انما حذف المقسم عليه لان الترك في بعض المواضع يفهم منه ظهور لا يفهم
من الذكر وذلك لان من ذكر الملك العظيم في المجلس واثنى عليه فيكون قد عظمه فاذا قال له غيره هو لا يذكر في هذا المجلس يكون
بالارشاد الى ترك الذكر دالا على عظمته فوق ما يستفيد بذكره فالله تعالى يقول البيان رسالة اظهر من ان تذكر واما حذف المضرب
عنه اذ ذكر واضرب عنه بامر اخر بين المذكورين تفاوت ما فان عظيم التفاوت لا يحسن ذكرهما مع الاضراب مثاله يحسن ان تقول
الوزير يعظم فلانا بل الملك يعظمه لكون التفاوت بينهما بعدا لا اضراب التدرج فاذا ترك المتكلم المضرب عنه صريحا واتى بحرف
الاضراب استفيد منه امران احدهما انه يشير الى امر اخر قبله وثانيهما انه يجعل الثاني تفاوتا تعظيما مثل ما يكون ومما لا يذكر
وههنا كذلك لان الشك بعد قيام البرهان بعيد لكن القطع بخلافه في غاية ما يكون من البعد والبحث الثالث من الفعل
يكون بمثابة ذكر المصدر تقول امرت بان اقوم وامرت بالقيام وتقول مما كان جوابه لا ان قال وما كان جوابه الا قوله كذا وكذا واذا
كان كذلك فلم يعدل عند الاتيان بالمصدر حيث جاز ان تقول امرت ان اقوم من غير حرف الالصاق ولا يجوز ان يقال امرت القيام
بل لابد من الباء ولذلك قال الله عجبوا من مجيئه نقول ان جاءهم فان كان في المعنى قائما مقام المصدر لكنه في الصورة مثل حروف
المقدر كلها حروف جارة الجار لا يدخل على الفعل فكان الواجب ان لا يدخل فلا اقل من ان يجوز عدم الدخول فجاز ان يقال عجبوا مجيئهم
لعدم المانع من ادخال الحرف عليه وقوله تعالى منهم يصلح ان يكون مذكورا كالموجب لتعجبهم ويصلح ان يكون مذكورا لابطال تعجبهم اما
التقرير فانهم كانوا يقولون ابشرا منا واحدا نتبعه وقالوا ما انتم الا بشر مثلنا اشارة الى انه كيف يجوز اختصاصكم بهذه المنزلة الرفيعة مع اشتراكنا
في الحقيقة واللوازم واما الابطال فلانه اذا كان واحدا منهم ويرى بين اظهرهم وظهر عليه ما عجزوا عنه كلهم ومن عدا احد من جنسنا انه
من عند الله تعالى بخلاف ما لو جاءهم واحد من خلاف جنسهم وانا بما يعجزون عنه فانهم كانوا يقولون نحن لا نقدر لان لكل نوع خاصية فان
خاصية النعامة بلع النار والطيران في الهوى وابن ادم لا يقدر عليه فان قيل الابطال جاز لان قولهم كان باطلا ولكن تعدد الباطل
كيف يجوز بعقول المعنى لبطلان الكلام يرجحان نورده على ابلغ ما يكون وينكر فيه كلا سوء انه دليل عليه ثم بطله فكذلك
قال عجبتم بسبب انه منكم وهو في الحقيقة سبب لعدم التعجب فان قال النبي صلى الله عليه وسلم كان بشيرا ونذيرا والله تعالى
في جميع المواضع قدم كونه بشيرا على كونه نذيرا فلم يذكر عجبوا ان جاءهم بشير منهم نقول هو لما لم يتعجبوا ببشارة موضعا كان في حقهم منذرا
كافرين فقال تعالى فقال الكافرون هذا شيء عجيب قال الزمخشري هذا تعجب اخر من امر اخر وهو الحشر الذي اشار اليه بقوله تعالى ائذا متنا وكنا
ترابا ذلك رجع بعيد فتعجبوا من كونه منذرا ومن وقوع الحشر ويدل عليه النظر في اول سورة ص حيث قال فيه وعجبوا ان جاءهم منذر
منهم وقال تعالى اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب من امرين والظاهر ان قولهم هذا اشارة الى مجيء المنذر لا الى الحشر ويدل عليه وجوه
الاول هو ان هناك ذكر ان الشيء عجاب بمعنى الاستفهام الانكاري فقال تعالى اجعل الالهة الها واحدا ان هذا وقال ههنا هذا
شيء عجيب ولم يكن هناك ما تقع الاشارة اليه الا مجيء المنذر ثم قالوا ائذا متنا الثاني هذا ههنا وجد بعد الاستفهام امر يؤدي
معنى التعجب وهو قولهم ذلك رجع بعيد فانه استبعاد وهو كالتعجب فلو كان التعجب ايضا عائدا اليه لكان كالتكرار فان قيل التكرار الصريح
يلزم من قولك هذا شيء عجيب عائدا الى مجيء المنذر فان تعجبهم منه علم منه من قوله تعالى ان جاءهم منذر منهم فقوله تعالى هذا شيء عجيب
يكون تكرارا نقول ذلك ليس بتكرار بل فيه فوائد وذلك لانه لما قال بل عجبوا بصيغة الفعل وجاز ان يتعجب الانسان مما لا يكون عجبا كما قال
تعالى اتعجبين من امر الله فقالت في العرف لا وجه لتعجبك مما ليس بعجب فكانهم لما عجبوا قيل لهم لا معنى لتعجبكم فقالوا هذا شيء عجيب فكيف
لا نعجب منه ويدل عليه هو انه تعالى قال ههنا فقال الكافرون بحرف الفاء وقال في ص وقال الكافرون هذا ساحر كذاب كان تعجبا غير مرتب

على تقدم



على ما تقدم وهذا شيء عجيب امر مرتب على ما تقدم اي عجبوا وانكروا ذلك عليهم فقالوا هذا شيء عجيب كيف لا نعجب منه ويدل عليه قوله تعالى
ذلك رجع بعيد بلفظ الاشارة الى البعيد وقوله تعالى هذا اشارة الى الحاضر القريب فينبغي ان يكون المشار اليه بذلك غير المشار اليه
بهذا وذلك لا يصح الا على قولنا ثم قال تعالى ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد فانهم لما اظهروا التعجب من رسالته اظهروا استبعاد
كلامه وهذا كما قال تعالى عنهم قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وفيه مسائل
**الاولى** قوله تعالى ائذا متنا وكنا ترابا انكار منهم لقوله مفهوم وبقوله مفهوم دل عليه قوله تعالى جاءهم منذر منهم لان الانذار
ما لم يكن الا بالعذاب المقيم والعقاب الاليم كان فيه الاشارة للحشر فقال تعالى ائذا متنا وكنا ترابا **الثانية** ذلك اشارة الى ما قاله
وهو الانذار وقوله تعالى هذا شيء عجيب اشارة الى المجيء على ما قلنا فلما اختلفت الصفات نعوذ المجيء والحادي كل واحد حاضرا واما
الانذار وان كان حاضرا لكن المنذر به كان ... على الحاضر فقالوا فيه ذلك والرجع مصدر رجع يرجع اذا كان متعديا والرجوع
مصدره واذا كان لازما فكذلك الرجع مصدر عند لزومه والرجوع ايضا يصح مصدرا للازم فيحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى ذلك
رجع بعيد اي رجوع بعيد ويحتمل ان يكون المراد الرجع المتعدي ويدل على الاول قوله تعالى ان الى ربك الرجعى وعلى الثاني قوله تعالى
ائنا لمردودون اي مرجوعون فانه من الرجع المتعدي فان قلنا هو من المتعدي فقد انكروا كونه مقدورا في نفسه ثم ان الله تعالى
قد علمنا ما تنقص الارض منهم اشارة الى دليل جواز البعث وقدرته تعالى عليه وذلك لان الله تعالى عالم بجميع اجزاء كل واحد من الموتى
ولا يشتبه عليه جزء احد على الاخر وقادر على الجمع والتأليف فليس الرجع منه ببعيد وهذا كقوله تعالى وهو الخلاق العليم حيث
جعل العلم مدخلا في الاعادة وقوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم يعني لا يخفى علينا اجزاؤهم بسبب تشتتها في تخوم الارضين
وهذا جواب لما كانوا يقولون ائذا ضللنا في الارض يعني ان ذلك اشارة الى انه تعالى كما يعلم اجزاءهم يعلم اعمالهم فيرجعهم ويعذبهم
بما كانوا يقولون وبما كانوا يعملون ويحتمل ان يقال معنى قوله تعالى وعندنا كتاب حفيظ هو انه تعالى عالم تفصيلا بل الاشيا
وذلك لان العالم اجمالي وتفصيلي فالاجمالي كما يكون عند الانسان الذي يحفظ كتابا ويفهمه ويعلم انه اذا سئل عن اي مسألة
يكون في الكتاب يحضر عنده الجواب ولكن ذلك لا يكون عند نصب عينيه حرفا لحرف ولا يخطر بباله في حاله بابا بابا وفصلا
فصلا ولكن عند العرض على الذهن لا يحتاج الى تجديد فكر وتجديد نظر والتفصيل مثل الذي يصير دهن الاشياء والكتاب الذي كتبت
فيه تلك المسائل وهذا لا يوجد عند الانسان الا في مسألة او مسألتين اما بالنسبة الى الكتاب فلما قال تعالى وعندنا كتاب
حفيظ يحتمل ان يكون بمعنى المحفوظ اي محفوظ من التغيير والتبديل ويحتمل ان يكون بمعنى الحافظ وارد في القران قال تعالى
وما انت عليهم بحفيظ ولان الكتاب على ما ذكرنا للتمثيل وهو يحفظ الاشياء وهو مستغن عن ان يحفظ وقوله تعالى بل كذبوا
بالحق ردا عليهم فان قيل ما المضروب عنه بقوله تعالى عنه فيه وجهان احدهما تقريره لم يكذب المنذر بل كذبوهم
وتقريره هو انه تعالى ما قال عنهم انهم قالوا هذا شيء عجيب كان فيه معنى قولهم ان المنذر كاذب فقال تعالى لم يكذب المنذر
بل هم كذبوا فان قيل ما الحق يحتمل وجوها الاول البرهان القائم على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم الثاني القران المنزل وهو
قريب من الاول لانه برهان الثالث النبوة الثابتة بالمعجزة القاهرة فانها الرابع الحشر الذي لا بد من وقوعه فهو حق فان قيل
بين لنا معنى الباء في قوله تعالى بالحق وانه حاجة اليها يعني ان التكذيب متعد بنفسه فهل هي المعدية الى مفعول ثاني
او هي زائدة كما في قوله تعالى فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون نقول فيه بحث وتحقيق وهي في هذا الموضع لاظهار معنى التعدية
وذلك لان التكذيب هو النسبة الى الكذب لكن النسبة تارة توجد في القائل واخرى في القول تقول له بني فلان وكنت صادقا
تقول كذبت فلان قولي ويقال كذبه اي جعله كاذبا فتقول قلت لفلان زيد يجيء غدا فتأخره عمدا حتى كذبني او كذبت قولي و
التكذيب في القائل يستعمل بالباء وبدونها قال تعالى كذبت ثمود المرسلين وقال تعالى كذبت ثمود بالنذر وفي القول كذلك
غير ان الاستعمال في القائل بدون الباء اكثر قال تعالى فكذبوه وقال تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك الى غير ذلك
وفي القول الاستعمال بالباء اكثر قال تعالى كذبوا باياتنا كلها وقال تعالى بل كذبوا بالحق وقال تعالى وكذب بالصدق اذ جاءه و
تحقيق القول فيه هو ان الفعل المطلق هو المصدر لانه هو الذي يصدر من الفاعل فان من ضرب لم يصدر منه غير الضرب غير
ان له محلا يقع فيه فيسمى مضروبا ثم اذا كان ظاهرا لكونه محلا للفعل يتعدى لظهوره عن الحرف فيتعدى من غير حرف
تقول ضربت عمرا وشربت خمرا للعلم بان الضرب لا بد له من محل يقوم به والشرب لا يستغني عن مشروب يتحقق فيه فاذا قلت مررت تحتاج
الى الحرف لتظهر معنى التعدية لعدم ظهوره في نفسه لان من قال مر السحاب لا يفهم منه مرورا ولا يفهم ممن مر به ثم ان الفعل قد يكون
في الظهور دون الضرب والشرب وفي الخفاء دون المرور فيجوز الاتيان فيه بدون الحرف لظهوره الذي فوق ظهور المرور ومع الحرف
لكون الظهور دون ظهور الضرب ولهذا لا يجوز ان يقال ضربت بعمرو الا اذا جعله للضرب آلة اما اذا ضربته بشيء او غيره لا يجوز
فيه زيادة الباء ولا يجوز مررته الا مع الاشتراك ونقول مسحته ومسحت به وشكرته وشكرت له لان المسح امرار اليد بالشيء
فصار كالمرور والشكر فعل جميل غير انه يقع بمحسن فالاصل في الشكر الفعل الجميل وكونه واقعا لغيره كالمسح بخلاف الضرب فان اساس حسم
بحسم يعتمد فالمضروب داخل في مفهوم الضرب اولا والمشكور داخل في مفهوم الشكر ثانيا اذا عرفت هذا فالتكذيب في القائل
ظاهر لانه هو الذي يصدق او يكذب وفي القول غير ظاهر فكان الاستعمال فيه بالباء اكثر والباء فيه لظهور معنى التعدية وقوله
تعالى لما جاءهم هو المكذب تقديره كذبوا بالحق لما جاءهم اي لم يؤخروه الى الفكر والتدبر ثانيهما الحالي ههنا هو الجاري في قوله
تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم تقديره كذبوا بالحق لما جاءهم المنذر بطل وذلك لا يصح على قولنا الحق هو الرجع لانهم لا يكذبونه

وقت الحجى يقولون هذا ما وعد الرحمن وقوله تعالى فهم في امر مريج اي مختلف مختلط قال الزجاج تارة يقولون ساحر واخرى
شاعر وطورا ينسبونه الى الكهانة واخرى الى الجنون والاصح ان يقال هذا بيان لاختلافات مذكورة في الآيات لان قوله تعالى
بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم [illegible]
بل كذبوا بالحق لما جاءهم [illegible]
[illegible]
اعتقاد عدم وقوع البعث لكنه لا يقطع به والذي يجزم بخلافه فكذلك فكانهم كانوا شاكين وصاروا ظانين وصاروا جازمين
فقال تعالى فهم في امر مريج ويرد عليه انه في قولهم ثم لانه حينئذ يصير كونهم في امر مريج مرتبا على ما تقدم وفيما ذكروه لا يكون مرتبا فان قيل المريج
المختلط وهذا امور مرتبة متميزة على مقتضى العقل لان الشاك ينتهي الى درجة الظن والظان ينتهي الى درجة القطع وعند القطع لا يبقى
الظن وعند الظن لا يبقى الشك واما ما ذكروه يحصل الاختلاط فيه لانهم لم يكن لهم ذلك ترتيب بل تارة كانوا يقولون كاهن وتارة
مجنون ثم يعودون الى نسبته الى الكهانة بعد نسبته الى الجنون وكذا الى الشعر بعد السحر والى السحر بعد الشعر فهذا هو المريج نقول كان
الواجب ان ينتقلوا من الشك الى الظن بصدقه لعلمهم بامانته واجتنابه الكذب طول عمره بين اظهرهم ومن الظن الى القطع بصدقه
لظهور المعجزات القاهرة على يده ولسانه فلما غيروا الترتيب حصل عليهم المرج ودفع الدرك مع المروج واما ما ذكروه واللايق به
لتفسير قوله تعالى انهم لفي قول مختلف لان ما كان يصدر منهم في حقه كان قولا مختلفا واما الشك والظن والجزم امور مختلفة وفيه
لطيفة وهي ان اطلاق لفظ المرج على ظنهم ينبئ عن عدم كون ذلك الجزم صحيحا لان الجزم الصحيح لا يتغير وكان ذلك واجب التغير فكان
امرهم مضطربا بخلاف المؤمن الموقن فانه لا يقع في اعتقاده تردد ولا يوجد في معتقده تعدد ثم قال تعالى افلم ينظروا الى السماء
فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج اشارة الى الدليل الذي يدفع قولهم ذلك رجع بعيد وهذا في قوله تعالى لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس وقوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى
وفيه مسايل **المسئلة الاولى** همزة الاستفهام تارة تدخل على الكلام ولا واو فيه وتارة تدخل عليه وبعدها واو اما في الحالتين
نقول ترى ادل على الفرق وهو ان قول القايل ازيد في الدار بعد وقد طلعت الشمس يذكره للانكار واذا قال وزيد في الدار بعد وقد
طلعت الشمس يشير بالواو اشارة حقيقة الى ان قبح فعله صار بمنزلة فعل فخر كانه يقول على ما سمع من صدور من زيد هو في الدار بعد لان
الواو تنبئ عن سبق امر مغاير لما بعدها وان لم يكن هناك سابق لكنه تومئ بالواو واليه زيادة في الانكار فان قيل قال في موضع
اولم ينظروا وقال ههنا افلم ينظروا بالفاء فما الفرق نقول ههنا سبق منهم انكار الرجع فقال بحرف التعقيب مخالفة فان قيل ففي يس سبق
ذلك بقوله تعالى قال من يحيي العظام نقول هناك الاستدلال بالسماء وان لم يعقب الانكار على عقيب الانكار استدل بدليل آخر وهو
قوله تعالى قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم اول مرة ثم ذكر الدليل الآخر وههنا الدليل كان عقيب الانكار فذكر
بالفاء واما قوله تعالى ههنا بلفظ النظر وفي الاحقاف بلفظ الرؤية ففيه لطيفة وهي انهم قالوا ههنا ما استبعدوا فامر الرجع فقولهم
ذلك رجع بعيد استبعدوا استبعادهم وقال تعالى افلم ينظروا لان النظر دون الرؤية فكان النظر كان في حصول العلم بامكان الرجع
لا حاجة الى الرؤية ليقع الاستبعاد في مقابلة الاستبعاد وهناك لم يوجد منهم انكار ذلك وحمله بقوله الى السماء ولم يقل
في السماء لان النظر في الشيء ينبئ عن التامل والمبالغة والنظر الى الشيء لا ينبئ عنه لكن الى الغاية ينتهي النظر عنده في الدخول في معنى
الظرف فاذا انتهى النظر اليه ينبغي ان ينفذ منه حتى يصح معنى الظرفية وقوله تعالى فوقهم تاكيد اخر اي وهو ظاهر فوق رؤوسهم غير غايب
عنهم وقوله تعالى كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج اشارة الى وجه الدلالة واولوية الوقوع وهو الرجع واما وجه الدلالة فان
الانسان له اساس هي العظام التي كالدعامة وقوى وانوار كالسمع والبصر فبنا السماء ارفع من اساس البدن وزينة السماء
اكمل من زينة الانسان بلحم وشحم واما الاولوية فان السماء ما لها من فروج فتاليفها اشد وللانسان فروج ومسام ولا شك
ان من التأليف الاشد كالنسج الاسخف والمالب الاضعف كالنسج الاسخف والاول اصعب عند الناس واعجب فكيف يستبعدون
الثاني مع علمهم بوجود الاول من الله تعالى قالت الفلاسفة الاية دالة على ان السماء لا تقبل الخرق وكذلك قالوا في قوله
تعالى هل ترى من فطور وقوله سبعا شدادا وتعسفوا فيه لان قوله تعالى ما لها من فروج صريح في عدم ذلك والاخبار
عن الشيء لا يكون اخبارا عن عدم امكانه فان من قال ما لفلان مال لا يدل على نفي امكانه ثم انه تعالى بين خلوف قولهم
واذا السماء فرجت وقال تعالى اذا السماء انفطرت وقال تعالى فهي يومئذ واهية في مقابلة قوله سبعا شدادا
وقال تعالى فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان الى غير ذلك والكلام في الرد عليهم صحيح وما ذكروه في الدلالة
ليس بظاهر بل وليس له دلالة خفية ايضا واما دليلهم المعقول فاضعف واسخف من ان يكيفهم بالمنقول والله تعالى
اعلم بالصواب **قوله تعالى** والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل
زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات
وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا
كذلك الخروج **اعلم** ان هذا اشارة الى دليل اخر وجه دلالة الارض هو انهم قالوا الانسان اذا مات وفارقته القوة
الغاذية والنامية لا تعود اليه تلك القوة فقال الارض اشد جمودا واكثر خمودا والله تعالى ينبت فيها انواع النبات
وينمو ويزيد فكذلك الانسان تعود اليه الحياة وذكر في الارض ثلاثة امور في الارض والمد والقاء الرواسي والانبات
فيها وفي السماء والتزيين وسد الفروج وكل واحد في مقابلة واحد فالمد في مقابلة البنا لان المد وضع والبناء رفع والرواسي

في الارض



في الارض ثابتة والكواكب في السماء مركوزة مزداة معها ولا تبلت فيها سقفها كما قال تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا
الارض شقا وهي على خمسة الفرج واعوامها اذا علمت هذا في الانسان اشيا موضوعة واشيا مرفوعة واشيا
ثابتة كالانف والاذن واشياء مركوزة متحركة كالمقلة واللسان واشيا ممدودة الفرج كدور الراس والاعين المنسوجة شيئا
ضعيفا كالصفاق واسالها فروج وشقوق كالمناخر والصماخ والفم وغيرها فالقادر على الاضداد في هذا المهاد في السبع الشداد
غير عاجز في خلق نظيرها في هذه الاجساد تفسير الرواسي قد ذكرنا في سورة لقمان والبهيج الحسن قوله تعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب يحتمل
ان يكون الامران عايدين الى الامرين المذكورين وهما السماء والارض على ان خلق السماء تبصرة وخلق الارض ذكرى ويدل عليه ان السماء زينتها
مستمرة غير مستحدثة في كل عام فهي كالشيء المرئي على مرور الزمان واما الارض فهي كل سنة تاخذ زخرفها فذكر فالسماء تبصرة والارض تذكرة ويحتمل
ان يكون كل واحد من الامرين موجودا في كل واحد من الامرين فالسماء تبصرة والارض كذلك والفرق بين التبصرة والتذكرة هو ان فيها ايات مستمرة
منصوبة في مقابلة البصاير وايات متجددة مستدة عند التناسي وقوله تعالى لكل عبد منيب اي راجع الى التفكر والنظر في الدليل ثم قال تعالى وانزلنا
من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد اشارة الى دليل آخر وهو ما بين السماء والارض وما بينهما وذلك انزال الماء من فوق واخراج
الارض النبات من تحت وفيه مسايل **المسئلة الاولى** هذا الاستدلال قد تقدم بقوله تعالى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج فما الفايدة
في اعادته بقوله تعالى فانبتنا به جنات وحب الحصيد هو قوله وانبتنا استدلال بنفس النبات اي الاشجار تنمو وتزيد فكذلك بدن
الانسان بعد الموت ينمو ويزيد بان يرجع الله تعالى اليه قوة النشو والنماء كما يعيدها الى الاشجار بواسطة ماء السماء وحب الحصيد فيه
حذف تقديره وحب الزرع الحصيد وهو المحصود اي البساتين يقطف ثمارها واصولها باقية وزرعا يحصد كل سنة ويزرع في كل عام
او عامين ويحتمل ان يقال التقدير وحب الحب الحصيد فالاول هو المختار وقوله تعالى والنخل باسقات اشارة الى المختلط من جنسين لان الجنات
تقطف ثمارها وتثمر من غير زراعة في كل سنة لكن النخل يؤبر ولولا التأبير لم يثمر فهو جنس مختلط من الزرع والحب فكانه تعالى خلق ما يقطف كل سنة
ولا يزرع وخلق ما يزرع كل سنة ولا يقطف مع بقاء اصلها وخلق المركب من جنسين في الاعيان لان بعض الثمار فاكهة لا قوت فيه واكثر الزرع
قوت والتمر فاكهة وقوت والباسقات الطوال من النخيل وقوله تعالى باسقات يؤكد كمال القدرة والاختيار وذلك من حيث ان الزرع ان قيل فيه انه
يمكن ان يقطف ثمرته لضعفه وضعف حجمه فكذلك لا يحتاج الى اعادته كل سنة والجنات لكثرتها وقوتها تبقى وتثمر سنة بعد سنة يقال فليس النخل
الباسقات اكثر واقوى من الكرم الضعيف والنخل يحتاج كل سنة الى عمل عامل والكرم غير محتاج فالله تعالى هو الذي قدر ذلك لا الكبر والصغر
والطول والقصر وقوله تعالى لها طلع نضيد اي منضود بعضها فوق بعض في اكمامها كما في سنبلة الزرع وهو عجيب فان الاشجار الطوال ثمارها بارزة
متميز بعضها على بعض لكل واحد منها اصل يخرج منه كالجوز واللوز وغيرهما والطلع كالسنبلة الواحدة يكون على اصل واحد ثم قال تعالى رزقا للعباد
وفيه وجهان احدهما نصب على المصدر لان الانبات رزق فكانه قال انبتناها انباتا للعباد والثاني نصب على كونه مفعولا له كانه قال انبتنا لرزق
العباد وههنا مسايل **الاولى** قال في خلق السماء والارض تبصرة وذكرى وفي الثمار قال رزقا والثمار ايضا فيها تبصرة وفي السماء والارض
ايضا منفعة غير التبصرة والتذكرة فما الحكمة في اختيار الامرين نقول فيه وجوه احدها ان نقول الاستدلال وقع لوجود امرين احدهما
الاعادة الثاني البقا بعد الاعادة فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخبرهم بحشر وجمع يكون بعده الثواب الدايم والعقاب الدايم وانكروا
ذلك فقال اما الاول فالله القادر على السموات والارض قادر على خلق الخلق بعد الفنا واما الثاني فلان البقا في الدنيا بالرزق والارض
قادر على خلق الخلق على اخراج الرزق من النجم والشجر قادر على ان يرزق بعد الحشر وسقى وكان الاول تبصرة وتذكرة بالخلق والثاني تذكرة بالبقا
بالرزق ويدل على هذا الفصل بينهما بقوله تعالى تبصرة وذكرى حيث ذكر ذلك بعد الايتين ثم ابتدأ بذكر الماء وانزاله وانبات النبات ثانيها
في منفعة الثمار الظاهرة هي الرزق فذكرها ومنفعة السماء الظاهرة ليست ما غايرة الى اسباغ العباد لبعدها عن ذهنهم حتى
انهم لو توهموا عدم الزرع والثمر لظنوا ان يهلكوا ولو توهموا عدم السماء فوقهم لقالوا لا يضرنا ذلك مع ان الامر بالعكس والاولى السماء
بسبب الارزاق فيها بتقدير الله وغير ذلك ومنافع الثمار ان لم يكن كان العيش كما انزل الله تعالى على قوم المن والسلوى وعلى قوم المايدة
من السماء فذكر الاظهر للناس في هذا الموضع ثالثها قوله تعالى رزقا للعباد اشارة الى كونه منعما لكونه مذكرا بهم في غاية المنع فانه
يكون اشارة بالمنع وهي اقبح ما يكون الثانية قال تعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب فقيد العبد بكونه منيبا وجعل خلقهما تبصرة
لعباده المخلصين وقال تعالى رزقا للعباد مطلقا لان الرزق حصل لكل احد غير ان المنيب يأكل ذاكرا لله نعام وغيره يأكل كما تاكل
الانعام فلم يخصص الرزق بقيد الثالثة ذكر في هذه الاية امورا ثلاثة ايضا وهي انبات الجنات والحب والنخل كما ذكر في السماء
والارض في كل واحد امورا ثلاثة وقد بينا ان الامور الثلاثة في الايتين المتقدمتين مناسبة فهل هي كذلك في هذه الاية نقول
قد بينا ان الامور الثلاثة منحصرة في ثلاثة ابتداء وهو المد ووسطه وهو النبات بالجبال الراسية وثالثها هو غاية الكمال وهو
الانبات المزين بالزخارف ثم قال تعالى فاحيينا به بلدة ميتا عطفا على انبتنا وفيه بحثان الاول ان قلنا الاستدلال بانبات الزرع
وانزال الماء كان لامكان البقا بالرزق فقوله تعالى فاحيينا به اشارة الى انه دليل على الاعادة كما انه دليل على البقا ويدل عليه قوله تعالى
كذلك الخروج فان قيل كيف يصح قوله استدلال بانزال الماء كان لبيان البقاء انه تعالى قال بعد ذكره واحيينا وقال تعالى كذلك
الخروج فيكون الاستدلال على البقاء قبل الاستدلال على الاحياء والاحياء سابق على البقاء فينبغي ان يبين اولا انه يحيي الموتى ثم يبين انه يبقيهم
نقول لما كان الاستدلال بالسموات والارض على الاعادة كافيا ذكر بعد ذلك دليل الاحياء دليلا يحتاج اليه فسبق دليلين قاطعين
قبل بيان البقاء وقال انبتنا به جنات ثم بين بابا عادة ذكر الاحيا فقال تعالى واحيينا به واذا قلنا ان الاستدلال بانزال الماء وانبات
الزرع لا لبيان امكان الحشر فقوله تعالى واحيينا ان يكون مغايرا لقوله تعالى وانبتنا به بخلاف ما لو قلنا بالقول الاول فالحي احيا

وان كان غير الاثبات لكن الاستدلال لما كان به على الامرين مغايرين جاز العطف نقول نخرج للزيادة ولا يجوز ان نقال نخرج
للتجارة الا اذا كان الذهاب غير الخروج فنقول الاحيا غير انبات الرزق لان بانزال الماء من السماء تخضر وجه الارض
ويخرج منها انواع من الازهار ولا يسعد به ولا نقتات وانما تكن به زينة وجه الارض وهو اعم من الزرع والشجر لانه يوجد
في كل مكان والزرع والثمر لا يوجدان في كل مكان فكذلك هذا الاحياء فان قيل فكان ينبغي ان يقدم في الذكر لان اخضرار وجه الارض يكون
قبل حصول الزرع والثمر ولانه يوجد في كل مكان بخلاف الزرع والثمر نقول لما كان انبات الزرع والثمر اكمل نعمة قدمه في الذكر الثاني في قوله تعالى
بلدة ميتا نقول جاز اثبات الها في الميتة وحذفها عند وصف المؤنث بها لان الميت تخفيف للميت والميت فعيل بمعنى فاعل فيجوز فيه
اثبات الها لان التسوية في الفعيل بمعنى المفعول كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين فان قيل لم سوى بين المذكر والمؤنث
في الفعيل بمعنى المفعول قلنا لان الحاجة الى التمييز بين الفاعل والمفعول اشد من الحاجة الى التمييز بين المفعول المؤنث نظرا الى المعنى
ونظرا الى اللفظ فلان المخالفة بين الفاعل والمفعول في الوزن والحرف اشد من المخالفة بين المفعول والمفعول له اذا علم هذا
فنقول في الفعل لم يتميز الفاعل بحرف فان فعلا جاء بمعنى المفعول كالبصر والبصير وبمعنى المفعول كالكبير والاسير ولا يتميز بحرف
عند المخالفة الاقوى فلا يتميز عند المخالفة الادنى والتحقيق فيه ان فعلا وضع لمعنى لفظ والمفعول وضع لمعنى حقيقي فكان
الفاعل قالوا استعملوا لفظ المفعول للمعنى العلاقي واستعملوا لفظ الفعل فكان لفظ المفعول وصار فعيل كالموضوع للمفعول
والمفعول كالموضوع للمعنى ولما كان تغير اللفظ ما لعا تغير المعنى فعيل المفعول لكونه بادرا للمعنى ولم يتغير الفعيل لكونه بادر اللفظ
في اول الامر فان قيل في الفرق بين هذا الموضع وبين قوله تعالى واية لهم الارض الميتة احييناها حيث اثبت الها هناك نقول الارض
الوصف فقال الارض الميتة لان معنى الفاعلية ظاهر هناك والبلدة الاصل فيها الحياة لان الارض اذا صارت حية صارت اهله
واقام بها الناس وعمروها وصارت بلدة فاسقط الها لان المعنى الفاعل عليه نحت فيها ولان الها بمعنى الفاعل لا يبين فيه
الها والتحقيق هذا قوله تعالى بلدة طيبة حيث اثبت الها حيث ظهر بمعنى الفاعل ولم تثبت حيث لم يظهر وهذا بحث عزيز وقوله
تعالى كذلك الخروج اي كالاحيا الخروج فان قيل الاحيا شبه به الاخراج لا الخروج تقديره احيينا به بلدة ميتا فتشققت
وخرج منها النبات كذلك تشقق ويخرج منها الاموات وهذا يؤكد قوله تعالى الرجع بمعنى الرجوع في قوله تعالى ذلك رجع بعيد لانه تعالى
بين لهم ما استبعدوه فلو استبعدوا الرجع الذي هو من المتعدي لناسبه ان نقول كذلك الاخراج ولما قال تعالى كذلك الخروج فهم انهم
انكروا الرجوع والخروج او نقول فيه معنى لطيف على القول الاخر وذلك لانهم استبعدوا الرجع الذي من المتعدي بمعنى الاخراج والله تعالى
اثبت الخروج والسبب وفيها مبالغة لطيفة على بلاغة القرآن مع انها مسحة عن اللسان ووجها هو ان الرجع والاخراج كالسبب
للرجوع والسبب اذا انتفى ينتفي المسبب جزما واذا وجد قد يتخلف عنه المسبب لمانع فقال انكروا ولا ينكر وان كان مجازا والمسبب يتخلف
عنه المسبب لمانع فقال انكروا ولا ينكر وان كان مجازا فالسبب اخراج جاز فيه فقد وجد سببه واذا انتفى لا ينتفي السبب لما تقدم اذا علم
هذا فهم انكروا وجود السبب وعدوه وبالغوا عند استبعاده فبالغوا وانكروا الامرين جميعا لان نفي السبب نفي المسبب فاثبت الامرين
جميعا بالخروج كما انكروا الامرين جميعا بنفي الاخراج والله تعالى اعلم **قوله تعالى** كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب
الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد افعيينا
بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد **اعلم** ان الله تعالى لما ذكر المكذبين ذكر انهم كما لم وما لم وانذرهم
باهلاكهم واستيصالهم وتغييره طا وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتنبيه بان حاله كحال من تقدمه من الرسل كذبوا وصبروا فاهلك
الله تعالى مكذبيهم ونصرهم واصحاب الرس فيهم وجوه من المفسرين من قال هم قوم شعيب ومنهم من قال هم اصحاب الاخدود والرس موضع نسب اليه
او فعل وهو حفر البير فقال رس اذا حفر بيرا وقد تقدم في سورة الفرقان ذكره وقال ههنا اخوان لوط وقال قوم نوح لان لوطا كان مرسلا الى طائفة
من قوم ابراهيم عليه السلام معارف لوط ونوح لان لوطا كان مرسلا الى خلق عظيم وقال فرعون ولم يقل قوم فرعون وقال قوم تبع لان فرعون
كان هو المعتبر المحكم بقومه المستبد بامره وتبع كان معتمدا بقومه فجعل الاعتبار لفرعون رسولا ولم ينقل الى قوم فرعون وقوله تعالى كل كذب الرسل
يحتمل وجهين احدهما ان كل واحد كذب رسوله فهم كذبوا الرسل واللام حينئذ لتعريف العهد وثانيهما وهو الاصح ان كل واحد كذب جميع الرسل
واللام حينئذ لتعريف الجنس وهو على وجهين احدهما ان المكذب للرسول مكذب لكل رسول وثانيهما وهو الاصح ان المذكورين كانوا منكرين
للحشر والرسالة بالكلية وقوله تعالى فحق وعيد اي ما اوعد الله تعالى من نصرة الرسل عليهم واهلاكهم ثم قال تعالى افعيينا بالخلق الاول
وفيه وجهان احدهما انه استدلال بدليل الانفس لما ذكرنا مرارا ان الدلائل افاقية وانفسية كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق
وفي انفسهم ولما قرر الله تعالى دلائل الافاق عطف بعضها على بعض بحرف الواو فقال تعالى والارض مددناها وغيره ذكر الدليل النفسي
وعلى هذا فيه لطايف لفظية ومعنوية اما اللفظية فهي انه تعالى في دلايل الافاق عطف بعضها على بعض بحرف الواو فقال تعالى
والارض مددناها ونزلنا من السماء ماء مباركا ثم الدليل النفسي ذكر حرف الاستفهام والفاء بعدها اشارة الى ان تلك الدلايل من جنس
وهذا من جنس فلم يجعل هذا تبعا لذلك ومثل هذا مراعا في اخر يس حيث قال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة ثم لم
يعطف الا بعد ههنا مفقودا والمعنى ههنا وجد منهم الاستبعاد لقوله تعالى ذلك رجع بعيد فاستدل بالاكبر وهو خلق
السماوات ثم نزل كانه قال لا حاجة الى ذلك الاستدلال بل في انفسهم دليل جواز ذلك وفي سورة يس لم يذكر استبعادهم
فبدا بالادنى وارتقى الى الاعلى والوجه الثاني المحتمل ان يكون المراد بالخلق الاول هو خلق السماوات لانه هو الخلق الاول وكانه تعالى
قال افلم ينظروا الى السماء ثم قال تعالى افعيينا بالخلق الاول ويدل على هذا قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السماوات والارض

ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى ويؤيد هذا الوجه ان الله تعالى قال بعد هذه الاية ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه
فهو كالاستفهام بخلق الانسان وهو معطوف بحرف الواو على ما تقدم من الخلق وهو بناء السماء ومد الارض وتنزيل الماء وانبات الجنات
وقوله الخلق الاول ونكر خلق جديد وفيه وجهان احدهما ما عليه الامر ان الاول عرفه كل واحد وعلم لنفسه والخلق الجديد
لم يعلم لنفسه ولم يعرفه كل احد ولان الكلام عندهم وهم لم يكونوا عالمين والخلق الجديد والوجه الثالث ان ذلك لبيان انكارهم
الخلق الثاني من كل وجه كانهم قالوا ايكون لنا خلق ما على وجه الارض لكلام بالكلية وقوله تعالى بل هم في لبس من خلق تقديره
ما عيينا بل هم في شك من خلق جديد يعني لا مانع من جهة الفاعل فاعلهم لتكون من جانب المجهول وهو الخلق الجديد كانهم كانوا
يقولون بان ذلك محال وامتناع وقوع المحل بالفاعل لا يوجب عجزا فيه ويقال للمسلوب فيه ملبس كما يقال للسفن
بانه ظاهر واضح ثم ان اللبس يسند للامر كما قلنا انه ان هذا الامر ظاهر وهذا امر ملبس وههنا اسند الامر اليهم حيث
قال هم في لبس وذلك لان الشيء يكون وراء حجاب والناظر اليه بصير يخفى الامر من جانب الرائي فقال تعالى ههنا بل هم في خلق
ونحو قوله تعالى من خلق جديد بعد فاسدتها وهي استبرا الغاية كان اللبس كان حاصلا اليهم من ذلك **قوله تعالى**
ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى
المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة
الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق
وشهيد **اعلم** ان في هذه الاية وجهان احدهما ان يكون ابتدا استدلال بخلق الانسان وهو على قولنا افعيينا
بالخلق الاول معناه خلق السماوات وثانيهما ان نجعل بيان خلق الانسان وعلى هذا قولنا الخلق الاول هو خلق الانسان
اول مرة ويحتمل ان يقال هو تنبيه على امر يمنعهم عن مقالتهم وبيانه هو انه تعالى قال ولقد خلقنا الانسان ونعلم
ما توسوس به نفسه كان ذلك بشارة الى انه تعالى لا يخفى عليه خافيه ويعلم ذات صدورهم وقوله تعالى ونحن اقرب
اقرب اليه من حبل الوريد بيان لكمال علمه والوريد العرق الذي هو مجرى الدم يجري فيه ويصل الى كل جزء من اجزاء
البدن والله اقرب من ذلك بعلمه لان العرق تحجبه اجزاء اللحم ويخفى عليه وعلم الله لا يحجب عنه شيء ويحتمل
ان يقال نحن اقرب اليه من حبل الوريد وفيه اشارة الى ان المكلف غير متروك سدى وذلك لان الملك اذا قام كان بالسعد
على امر مشكل يشكل عليهم فان كان له غفلة عنهم فيكون في ذلك الوقت مشكل عليهم فاذا كان متعذرا اقامة الكتابة
عن ذلك الامر ولا يغفل عنه فهو عند عدم ذلك اقرب اليه واشد عليه فنقول المعنى وقت احد الملكين منه فعله
وقوله تعالى اقرب اليه من عرقه المخالط له فعندنا ما يخفى علينا شيا نكره فحفظنا حاله اكمل فاتم ويحتمل ان يقال المتلقي
من الاستقبال يقال فلان تلقى الركب على هذا فيكون معناه وقت ما يتلقاه المتلقيان يكون عن يمينه وعن شماله
[illegible]

سكرة الموت اشارة الى الاماتة وقوله تعالى ونفخ في الصور اشارة الى المصدر الذي هو قوله ونفخ اي وقت ذلك النفخ يوم الوعيد
وهو ضعيف لان يوم لو كان منصوبا لكان ما ذكرنا ظاهرا واما رفع يوم بعد ذلك فالنفس اليوم والمصدر لا يكون نفس الزمان وانما يكون في الزمان فالاولى
ان يقال ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من قوله تعالى ونفخ لان الفعل كما يدل على المصدر يدل على الزمان فكانه تعالى قال ذلك الزمان يوم الوعيد والوعيد
هو الذي اوعد به من الحشر والاتيان والمجازاة وقوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قد بينا من قبل ان السائق هو الذي يسوقه الى الموقف
ومنه الى مقعده والشهيد هو الكاتب والسائق اللازم للبر والفاجر اما البر فيساق الى الجنة واما الفاجر الى النار وقال تعالى وسيق الذين كفروا الى
جهنم زمرا وقوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا وقوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا اما على تقدير يقال له وقيل له لقد
كنت كما قال تعالى وقال لهم خزنتها وقال تعالى قيل ادخلوا ابواب جهنم والخطاب عام اما الكافر فلعموم الدخول في هذا الحكم واما المؤمن فلانه
يزداد علما ويظهر له ما كان مخفيا عنه ويرى ما علمه يقينا رأي المعتبر فيكون بالنسبة الى تلك الاحوال وشدة الاهوال كالغافل وفيه
وجهان اللذان ذكرناهما في قوله تعالى ما كنت منه تحيد والغفلة بمعنى الغطاء كاللبس واكثر منه لان الشاك يلتبس الامر عليه والغافل
يكون الامر عنه بالكلية محجوبا ويرد عليه وهو الغطاء وقوله تعالى فكشفنا عنك غطاءك اي ازلنا عنك غفلتك فبصرك اليوم حديد
وان كان من قبل كليلا فكان في الدنيا كليلا الاشارة بقوله تعالى وقال قرينه هذا ما لدي عتيد وفي القرين
وجهان احدهما الشيطان الذي زين الكفر له والعصيان وهو الذي قال تعالى نقيض له شيطانا فهو له قرين قال تعالى فبئس القرين
فالاشارة بهذا الى المرتكب الفجور والفسوق والعتيد معناه المعد للنار وحمل الآية معناها ان الشيطان يقول
هذه المعاصي لدي معد لجهنم اعددتها بالاغواء والاضلال والوجه الثاني قال قرينه اي القعيد الذي سبق ذكره وهو الملك
وهذا اشارة الى كتاب اعماله وذلك لان الشيطان في ذلك الوقت لا يكون من المكانة ان يقول ذلك القول ولان قوله هذا
ما لدي عتيد صفته وثانيهما ان يكون موصولة فيكون عتيد محلها لثلاثة اوجه احدها ان يكون خبرا بعد خبر والخبر الاول الذي
معناه هو الذي وهو عتيد وثالثها ان يكون عتيد هو الخبر لا غيره والذي يقع كالوصف المميز للعتيد عن غيره كما تقول هذا الذي
عندي زيد هذا الذي يجيء عمرو فيكون عندي ويجيء يميز المشار اليه عن غيره ثم يخبر عنه بما بعده ثم قال تعالى للسائق والشهيد
القيا في جهنم فيكون هو امر الواحد وفيه وجهان احدهما انه بني تكرار الامر كما قيل الق الق وثانيهما عادة العرب ذلك
وقوله تعالى كل كفار عنيد الكفار يحتمل ان يكون من الكافر فيكون بمعنى كثير الكفران ويحتمل ان يكون من الكفر فيكون بمعنى شديد الكفر
والتشديد يغلب فعاله له انه يدل على شدة في المعنى والعنيد فعيل بمعنى فاعل من عند عنودا ومنه العناد فان كان من الكفران
فهو انكار نعمة الله تعالى مع كثرتها وقوله تعالى مناع للخير فيه وجهان احدهما كثير المنع للمال الواجب وان كان من الكفر فهو
انكار دلائل وحدانية الله تعالى مع قوتها وظهورها فكان شديد الكفر عنيدا حيث انكر الامر اللائح والحق الواضح وكان كثير الكفران
لوجود الكفران منه عند كل نعمة شكرها مع منعها عن المستحق الطالب والخير هو المال فيكون كقوله تعالى وويل للمشركين فيكون كقوله
تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة حيث بدا ببيان الشرك وثنى بالامتناع من ايتاء الزكاة وعلى هذا ففيه مناسبة
شديدة اذا جعلنا الكفار من الكفران كانه يقول كفر انعم الله ولم يؤد منها شيئا لشكر انعمه باسمها شديد المنع من الايمان لانه
مناع للخير وهو الايمان الذي هو خير محض من ان يدخل في قلوب العباد وعلى هذا ففيه مناسبة شديدة اذا جعلنا الكفار
من الكفر كانه يقول كفر بالله ولم يقنع بكفره حتى منع الخير من الغير وقوله تعالى معتد فيه وجهان احدهما ان يكون قوله معتد
قريبا على مناع بمعنى مناع الزكوة فيكون معناه لم يؤد الواجب وتعدى ذلك حتى اخذ الحرام ايضا بالربا والسرقة كما كان عادة
المشركين وثانيهما ان يكون قوله معتد قريبا على مناع بمعنى منع الايمان كانه يقول منع الايمان ولم يقنع به حتى تعداه واهان من
امن وازدراه واعان من كفر واواه وقوله تعالى مريب فيه وجهان احدهما ذو ريب وهذا على قولنا الكفار كثير
الكفران المناع مانع الزكاة يقول لا يعطي الزكاة لانه في ريب من الاخرة والثواب فيقول لا اعطي مالي من غير عوض وثانيهما
مريب يوقع الغير في الريب بالقاء الشبهة والاهانة جاءت بالمعنيين جميعا وفي الآية ترتيب آخر غير ما ذكرناه وهو اهون
ان يقال هذه بيان احوال الكافر بالنسبة الى الله ورسوله والى اليوم الآخر فقوله تعالى كفار عنيد اشارة الى حاله مع رسول الله
فيمنع الناس من اتباعه ومن الانفاق على من عنده ويسعد بالاوثان واكرم الهلا وقوله تعالى مريب اشارة الى حاله بالنسبة الى
يوم الآخر مريب فيه ويرتاب ولا يظن ان الساعة قائمة فان قيل قوله تعالى القيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير يقتضي
ذلك بوجهان يكون الالقاء خاصا بمن اجتمع فيه هذه الصفات باسرها والكفر كاف في ايراث الالقاء في جهنم والامر به نقول
قوله تعالى كل كفار عنيد لا يدل المراد منه الوصف المميز يكون الموصوف موصوفا به اما على سبيل المدح او على سبيل الذم كما
يقال هذا حاتم السخي فقوله تعالى كل كفار عنيد يفيد ان الكفار عنيد مناع فالكافر كالذات لان آيات الوحدانية ظاهرة ونعم
الله تعالى على عباده وافرة وعنيد ومناع للخير لانه يمدح دينه ويذم دين الحق فهو المنع ومريب لانه شاك في الحشر وكل كافر
موصوف بهذه الصفات وقوله تعالى الذي جعل مع الله الها آخر فالقياه بعد ما القيتموه في جهنم في عذاب شديد من عذاب
جهنم ثم قال تعالى قال قرينه ربنا ما اطغيته هو جواب كلام مقدر كان الكافر حين يلقى في النار يقول ربنا اطغاني شيطاني
ويقول الشيطان ربنا ما اطغيته يدل عليه قوله تعالى بعد هذا لا تختصموا لدي لان الاختصام يستدعي كلاما من الجانبين
وحينئذ هذا كما قال الله تعالى في هذه السورة وفي ص قالوا بل انتم لا مرحبا بكم وقوله تعالى قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده
الآية قال ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وفيه مسائل **المسئلة الاولى** قال الزمخشري المراد القرينة في الآية المتقدمة هو الشيطان

لان الملك

لان الملك الذي هو شهيد وقعيد واستدل عليه بهذا وقال غيره المراد الملائكة الشيطان وهذا يصلح دليلا لمن قال بذلك
وبيانه هو ان في الاول لو كان المراد الشيطان فيكون قوله تعالى هذا ما لدي عتيد معناه هذا ما عندي قد اعتدته فاغويه قال
الزمخشري صرح في تفسيره بهذا وعلى هذا فيكون قوله تعالى ربنا ما اطغيته مناقضا لقوله تعالى اعتدته وللزمخشري
ان يقول الجواب عنه من وجهين احدهما ان يقول الشيطان يقول اعتدته بمعنى زينت له الامر وما الجاته فسمع القول
لا كمن الشيطان وثانيهما ان يكون الاشارة الى حالتين ففي الحالة الاولى انا فعلت به ذلك اظهارا للانتقام من بني آدم
وتصحيحا لما قال تعالى فبعزتك لاغوينهم اجمعين ثم اذا راى العذاب وانه معه مشترك وله على الاغواء عذاب كما
قال تعالى قال فالحق والحق اقول لاملان جهنم فيقول ربنا ما اطغيته فرجع عن مقاله عند ظهور العذاب **المسئلة
الثانية** قال ههنا من غير واو وقال في الآية الاولى وقال قرينه بالواو العاطفة وذلك لان في الاول الاشارة
وقعت الى معنيين مجتمعين فان كل نفس في ذلك الوقت تجيء ومعها سائق ويقول الشهيد ذلك القول وفي الثاني
لم يوجد هناك معنيان مجتمعان حتى يذكر بالواو والفاء فقوله تعالى فالقياه في العذاب لا يناسب قوله تعالى قال
قرينه ربنا ما اطغيته مناسبة مقتضية للعطف بالواو **المسئلة الثالثة** القائل ههنا واحد وقال ربنا
ولم يقل رب وفي كثير من مواضع كون القائل واحدا قال رب كما في قوله تعالى قال رب ارني انظر اليك وقال تعالى وقال نوح
رب اغفر لي وقوله تعالى قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه وقوله تعالى قالت رب ابن لي عندك بيتا عن ذلك وفي
قوله تعالى رب فانظرني الى يوم يبعثون فقول في جميع تلك المواضع القائل طالب ولا يحتاج ان يقول لان كونه ربا
تخصيص الطالب واما في هذا الموضع موضع الهيبة والعظمة وعرض الحال دون الطلب فقال ربنا ما اطغيته وقوله تعالى
ولكن كان في ضلال بعيد يعني انه ذلك باطغائه وانما كان ضالا مستعدا في الضلال فطغى وفيه مسائل **الاولى**
ما الوجه في اتصاف الضلال بالبعد نقول الضلال يكون اكثره ضالا عن الطريق فاذا تمادى في الضلال وبقي فيه
مدة يبعد عن المقصد كثيرا واذا علم الضال ضل عن الطريق عن قريب لا يبعد عن مقصده كثيرا فقوله ضلال بعيد وصف
المصدر بما يوصف به الفاعل كما يقال كلام صادق وعيشة راضية اي بضلال ذو بعد والضلال اذا بعد مداه وامتد
الضلال فيه وبقي ومطرح الضلال لان من حاد عن الطريق وابعد عنه سعة حلة السماوات والجهات والاحرى عن
المقصد يرتسمي له فضل عن الطريق وربما يقع في اودية ومطرح امارات الضلال بخلاف من حاد قليلا فالضلال
وصفه الله تعالى بالوصفين في كثير من المواضع فتارة قال في ضلال مبين واخرى قال في ضلال بعيد **الثانية** قوله تعالى
ولكن كان في ضلال بعيد اشارة الى معنى قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين وقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان اي لم يكونوا من العباد فجعلهم اهل العناد ولو كانوا من عبادك في سبيلك قوم صدق لما كان لي عليهم من يد والله
تعالى اعلم **الثالثة** كيف قال ما اطغيته مع انه تعالى قال لاغوينهم اجمعين قلنا الجواب عنه من ثلاثة اوجه
وجهان قد تقدما في الاعتذار عما قاله الزمخشري والثالث ان يكون المراد من قوله تعالى لاغوينهم اي لادومن على
الغواية كما ان الضال اذا قال له شخص انت على الجادة فلا تتركها فقال لانه يضله كذلك ههنا وقوله تعالى ما اطغيته
اي ما كان ابتداء الاطغاء مني ثم قال تعالى لا تختصموا لدي فذكرنا ان هذا دليل على ان هناك كلاما قبل قوله قال قرينه
ربنا ما اطغيته وهو قول الملقى في النار ربنا هو اطغاني فيخصص بعيد من يومه ان الاختصام كان ينبغي ان يكون قبل
الحضور والوقوف بين يدي وقوله تعالى وقد قدمت اليكم بالوعيد تقرير للمنع من الاختصام وبيان لعدم فائدته كانه يقول
قد قلت بانكم ان اتبعتم الشيطان تدخلون النار وقد اتبعتموه فان قيل ما حكم الباء في قوله تعالى بالوعيد قلنا فيه وجوه
احدها انه مزيدة كما في قوله تعالى تنبت بالدهن على قول من قال انها هناك زائدة وكفى بالله وثانيها معدية وقدمت
بمعنى تقدمت كما في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ثالثها في الكلام اضمار وتقديره وقد قدمت
اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي فيكون المقدم هو قوله تعالى ما يبدل القول لدي ويكون هذا هو المصاحبة تقول القائل
اشتريت الفرس بلجامه وسرجه اي معه فكانه تعالى قال قدمنا اليكم ما يجب مع الوعيد على ان ذلك لا يتبدل وقوله
تعالى ما يبدل القول لدي وثانيهما ان يكون متعلقا بقوله تعالى ما يبدل القول لدي لا يقع التبديل عندي وعلى الوجه
الاول في القول الذي لديه وجوه احدها هو انهم قالوا حتى يبرك ما سرع حقهم العذاب ويقول الله تعالى بعد ما عذبهم
لا نلعنه فقال ادخلوا ابواب جهنم لا تبديل له ثانيها قوله تعالى ولكن حق القول مني لاملان جهنم اي لا تبديل لهذا
القول ثالثها لا خلف في ايعاد الله كما لا خلف في ميعاد الله تعالى وهذا رد على المرجئة حيث قالوا ما ورد في القرآن
من الوعيد فهو تخويف لا يحقق الله شيئا منها وقالوا الكريم وعد بخير وفى واذا وعد خلف وعفى وهذا سعد حتى
حلفت العباد قلت هذا شقي ويعمل عمل شقي وهذا سعيد يعمل عمل الا تقيا وذلك القول عندي ولا تبديل له فسعي
ساع ولا سعادة الا بتوفيق الله واما على الوجه الثاني ففي الاول وجوه ايضا احدها لا يكذب لدي ولا يغير
بين يدي فاني عالم علمت من طغى ومن اطغى ومن كان طاغيا ومن كان اطغى فلا يفيد كم قولكم اطغاني شيطاني وقول الشيطان
ربنا ما اطغيته ثانيهما اشارة الى معنى قوله تعالى فارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا كانه تعالى قال لو اردتم ان لا اقول
فالقياه في العذاب الشديد كنتم بدلتم هذا من قبل بتبديل الكفر بالايمان قبل ان تقفوا بين يدي واما الآن فما بدل

القول الذي كما قلنا في قوله تعالى قال لا تختصموا لدي ان المراد ان اختصاما ممن كان يجب ان يكون قبل هذا حيث قلت
ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ثالثها معناه لا يبدل الكفر بالايمان لدي فان الايمان من الناس غير مقبول
فقولكم ربنا والهنا لا يفيدكم بكلمة الكفر لا يفيده قوله ربنا ما اشركنا وقوله تعالى ربنا امنا وقوله تعالى ما يبدل القول
اشارة الى نفي الحال كانه تعالى يقول ما يبدل اليوم لدي القول لان ما نفي به الحال اذا دخلت على الفعل المضارع تقول للقايل
ماذا يفعل غدا فقال ما افعل شيا اي في الحال واذا قال القايل ماذا تفعل غدا فقال لا تفعل شيا او لن تفعل شيا اذا اريد زيادة
بيانا للنفي فان قيل هذا فيه بيان معنوي يفيد اقتران ما ولا في المعنى نقول نعم وذلك لان كلمة لا ادل على النفي لكونها موضوعة
للنفي وما معناه كالنهي خاصة لا تفيد الاثبات الا بطريق الحذف او للاضمار في الجملة فطريق الحال في قوله تعالى لا اقسم واما ما
فغير متمحضة للنفي لانها واردة لغيره من المعاني حيث تكون اسما والنفي في الحال لا يفيد النفي المطلق لجواز ان تكون
مع النفي في الحال الاثبات في الاستقبال كما يقال لا تفعل الآن شيا وسيفعل ان شاء الله تعالى فاختص بما لم يتمحض نفيا
حيث لم يكن متمحضة للنفي لا يقال بان النفي في الحال والاثبات في الحال ما اكتفي في الاستقبال بما لم يتمحض نفيا تقول ليس
لذلك اذ لا يجوز ان يقال لا تفعل زيدا وتفعل الان نعم يجوز ان يقال لا تفعل غدا وتفعل الان لكن قولك غدا يجعل الزمان
متميزا فلم يكن لقولك لا تفعل للنفي في الاستقبال بل كان للنفي في بعض ازمنة الاستقبال وفي مسالتنا قلنا ما تفعل
وسيفعل وما قلنا سيفعل غدا او بعد غد بل ههنا نفينا في الحال واثبتنا في الاستقبال من غير تمييز زمان من
ازمنة الاستقبال عن زمان ومثاله في العكس اذ يقال لا تفعل زيد وهو يفعل من غير تعيين وتمييز ومعلوم ان ذلك
غير جايز وقوله تعالى وما انا بظلام للعبيد مناسب لما تقدم على الوجهين جميعا اما اذا قلنا بان المراد من قوله تعالى
الذي ان قوله فالقياه وقول القايل في قوله قيل ادخلوا ابواب جهنم لا تبديل له ظاهر لان الله تعالى بين ان قوله تعالى
القيا في جهنم لا يكون الا للكافر العنيد فلا يكون هو ظالما للعبيد واما اذا قلنا بان المراد لا يبدل القول الذي بل كان الواجب
التبديل قبل الوقوف بين يدي فكذلك لانه ابين من قبل وما عذب الا بعد ان ارسل الرسل وبين السبل وفيه
مباحث لفظية ومعنوية اما اللفظية فهي في البا في قوله تعالى ليس بظلام وفي اللام في قوله للعبيد اما البا
فقوله يدخل البا في المفعول به حيث لا يكون متعلق الفعل به ظاهرا ولا يجوز ادخالها فيه حيث يكون في
غاية الظهور ولا في غاية الخفا فلا يقال ضربت بزيد لظهور تعلق الفعل بزيد ولا يقال خرجت وذهبت زيدا
بدل قولنا خرجت وذهبت بزيد لخفا تعلق الفعل بزيد فيها ويقال شكرته وشكرت له للتوسط فلذلك جزمنا
لما كان مشبها بالمفعول وليس كونه مفعولا عن ظاهر غاية الظهور الحق الضمير الذي يلحق بالافعال
الماضية كالتا والنون في قولك لست ولستم ولسنا تصحيح كونها فعلا كما في قولك كنت وكنا لكن في الاستقبال
بين الفرق حيث نقول يكون وتكون وكن ولا تقول ذلك في ليس ما يشبهه بها فصار كالفعل الذي لا يظهر
تعلقه بالمفعول غاية الظهور فجاز ان يقال ليس زيد جاهلا وليس زيد بجاهل كما يقال مسحته ومسحت به او غير
ذلك مما يتعدى بنفسه وبالبا ولم يجز ان يقال كان زيد بخارج فصار عمرو بدارج لان صار وكان فعل ظاهر غاية
الظهور بخلاف ليس الثانية هذا يويد قول من قال ما هذا بشرا وهذا ظاهر

**المسألة الرابعة**

لو قال قايل كان ينبغي ان لا يجوز ادخاله خبرا ما عن النبا كما لا يجوز ادخال البا في خبر كان وخبر ليس يجوز فيه الامران
وتقرير هذا السؤال وهو ان كان لما كان فعلا ظاهرا جعلناه بمنزلة ضرب حيث منعنا دخول البا في خبره كما منعنا في مفعوله
وليس لما كان فعلا من وجه نظرا الى قولنا لست ولسنا ولستم ولم يكن فعلا ظاهرا نظرا الى منع الاستقبال والامر جعلناه متوسطا
وجوزنا ادخال البا في خبره وتركه كما قلنا في مفعول شكرته وشكرت له وما لم يكن فعلا بوجه كان ينبغي ان يكون بمنزلة الفعل الذي
بالمفعول الا بالحرف وكان ان لا يجي خبره الا مع البا كما لا يجي مفعوله اذ هبت الا مع البا وبهذا فرقنا بين ما وليس وكان وجعلنا
لكل واحد مرتبة ليست للاخرى فجوزنا ما خبر كان في اللفظ حيث جوزنا ان تقول القايل زيد خارجا واذ تقول ليس زيد خارجا وما جوزنا
زيد خارجا ليس لان كل فعل ظاهر ليس دونه في الظهور وما جوزنا ما عن احد شطري الكلام اصلا بخلاف ليس لا يجوز ان تقول القايل
زيد ما بظلام الان لغير ما ذكرته فتقول زيد ما هو بظلام فصار بينهما ترتيب ما لا يوجد وليس يوخر عن احد الشطرين ولا يوخر في
الكلام بالكلية وان كان يوخر بالكلية لما ذكرنا من الظهور والخفا فكذلك القول في الحاق اما كان ينبغي ان لا يقع اصلا خبر ما عن البا
وفي ليس يجوز الامران وفي كان لا يجوز الادخال وهذا هو المعتمد عليه في لغة بني تميم حيث قالوا ان ما بعدها اذا جعل خبرا يجب ادخال البا عليه
فان لم يدخل عليه لكون ذلك معربا عن الابتدا او على وجه ولا يكون خبرا والجواب عن السوال الحسن هو ان يقول الاكثر ادخال البا في خبر ما
ولا سيما في القران قال الله تعالى وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم وما انت بمسمع وما هم بخارجين وما انا بظلام **واما**
**الواجب** فلان ما اشبه ليس الحقيقة وخالفها في العوارض وهو عرف البا والنون واما المعنى فيهما لنفي الحال فالمشابهة
مقتضية لجواز الاختلاف والمخالفة مقتضية لوجوب الادخال لكن ذلك المقتضي اقوى لانه راجع الى الامر العارض وما بالنفس اقوى
مما بالعارض واما التقديم والتاخير فلا يلزم منه ادخال وجوب البا واما الكلام في اللام فنقول اللام لتحقيق معنى الاضافة تقال غلام زيد وغلام
لزيد فهذه الاضافات الحقيقية باثبات التنوين وقال قايل عجب انه ما الاصل وسبقها ما كان مضافا اليه الفاعل بالمفعول به في لا
يوتي بالكلام كانه حينئذ لم يسق عن الفعل مصدر تعلقه بالمفعول اضعف من تعلق الفعل بالمفعول وصار من باب الافعال الضعيفة

التعلق

التعلق حيث ما جاوز تعديتها الى المفعول بحرف وبغير حرف فكذلك جاز ان يقال ضارب زيد وضارب لزيد كما جاز مسحته ومسحت به وشكرته
وشكرت له وذلك اذا تقدم المفعول كما في قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون للضعف واما المعنوية فمباحث الاول الظلام مبالغة في الظالم ويلزم من اثباته
اصل الظلم كما اذا قال القايل هو كذاب يلزم ان يكون كاذبا كذبه ولا يلزم من نفيه نفي اصل الظلم لجواز ان يقال فلان ليس بكذاب كثير الكذب بل يكذب
احيانا فقوله تعالى وما انا بظلام يفهم منه نفي اصل الظلم والله تعالى ليس بظلام فما الوجه فيه نقول الجواب عنه من ثلاثة
اوجه احدها ان الظلام بمعنى الظالم كالتمار بمعنى التامر وحينئذ يكون الكلام في قوله للعبيد لتحقيق النسبة لان الفاعل حينئذ
بمعنى ذي ظلم وهذا وجه جيد مستفاد من الامام زين الدين ادام الله تعالى فوايده والثاني ما ذكره الزمخشري وهو ان ذلك امر
تقديري كانه تعالى يقول لو ظلمت عبدي الضعيف الذي هو محل الرحمة لكان ذلك غاية الظلم وما انا بذلك فيلزم من نفي كونه
ظلاما وتحقيق هذا الوجه ان لفظ العبيد حيث يقول وما انا بظلام للعبيد اي في ذلك اليوم اصلاة جهنم مع سعتها
حتى تصيح وتقول الا تسع لي طاقة ولم يبق لي موضع لهم فهل من مزيد استغاثها من اسكان فوق ذلك اليوم مع انى الغى عددا لا حصر له
لا اكون بسبب كثرة التعذيب كثير الظلم وهذا مناسب وذلك لانه تعالى خصص النفي بالزمان حيث قال تعالى وما انا بظلام
للعبيد نقول وما انا بظلام في جميع الازمان وخصص بالعبيد حيث قال تعالى وما انا بظلام للعبيد ولم يطلق فلذلك
خصص النفي بنوع من انواع الظلم ولم يطلق ولم يلزم منه ان يكون ظالما في غير ذلك الوقت وفي حق غير العبيد وان خصص
والقايل بهذا التخصيص له اقرب الى التصديق من السعم الثاني هذا يدل على ان التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ما عداه لانه نفى
كونه ظلاما ولم يلزم منه كونه ظالما ونفي كونه ظلاما لغيرهم كما قال في حق الادمي ومنهم ظالم لنفسه البحث الثالث قال ههنا
وما انا بظلام للعبيد من غير اضافة وقال تعالى وما انت بهادي العمي وما انت بمسمع من في القبور على وجه الاضافة فما الفرق
بينهما نقول الكلام اولا فقد يخرج مخرج العموم ثم يخصص كلامه لعارض التخصيص يقول القايل فلان يعطي ويمنع ويكون عرضه
السعم فان سال سايل يعطي من ويمنع ويكون عرضه السعم بالتخصيص لا لعرض التخصيص وقد يخرج اولا مخرج الخصوص فنقول
فلان يعطي زيدا ماله اذا علمت هذا فقوله تعالى وما انا بظلام لو اقتصر عليه لكان العموم بلفظ العبيد لا يكون لعدم الظلم مختصا
بهم بل لكونهم اقرب الى كونهم محل الظلم من نفسه تعالى واما النبي صلى الله عليه وسلم فكان في نفسه هاديا وانما زاد نفي ذلك فقال تعالى وما
انت بهادي العمي وما قال وما انت بهادي وكذلك قوله تعالى اليس الله بكاف عبده البحث الرابع العبيد يحتمل ان يكون المراد منه الكفار
كما في قوله تعالى يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول يعني اعذبهم وما انا بظلام ويحتمل ان يكون المراد منه المومنين ووجه
هو ان الله تعالى يقول لو بدلت القول ورحمت الكافر لكنت في تكليف العباد ظالما لعبادي المومنين لاني منعتهم من الشهوات
لاجل هذا اليوم فكان سال من لم يأت بما اتى المومن ما ساله المومن لكان اتيانه بما اتى به من الايمان والعبادة غير مفيد
فايدته وهذا معنى قوله تعالى لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفايزون ومعنى قوله تعالى قل هل
يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر ويحتمل
ان يكون المراد التنعيم ثم قال تعالى يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد القايل في يوم ما وجوه الاول
ما انا بظلام مطلقا الثاني في الوقت حيث قال ما انا يوم كذا ولم يقل ما انا بظلام في ساير الازمان وقد تقدم بيانه فان
قيل فما فايدة التخصيص نقول النفي الخاص اقرب الى التصديق من النفي العام لان الوهم ذلك فان قام النعل يدخل يوم
يدخل الله العبد الضعيف جهنم يكونه ظالما لهم ولا يقول بانه يوم خلقه ورزقه وذنبه يكون ظالما ويتوهم انه يظلم
عبده بادخال النار لا يتوهم بانه يظلم عنده نفسه او غير عبيده المذكورين كلاما ويتوهم انه من ادخل خلقا كثيرا لا يجوز
يوركه عوالنار ويتركهم فيها زمانا لا نهاية له كثير الظلم فنفى ما يتوهم دون ما لا يتوهم وقوله تعالى هل امتلأت بيان التصديق
قوله تعالى لاملان جهنم وقوله تعالى هل من مزيد فيه وجهان احدهما انه لبيان استكثارهم الداخلين كالذي يضرب غيره
ضربا مبرحا او يشتمه شتما فاحشا فيقول له المضروب هل بقي شيء آخر ويدل عليه قوله تعالى لاملان لا بد من ان يحصل ولا
يبقى في جهنم موضع خال حتى تطلب المزيد والثاني انها تطلب الزيادة وحينئذ لو قال قايل فكيف تقول مع هذا
مع ان قوله تعالى لاملان نقول الجواب عنه من وجوه احدها ان هذا الكلام ربما يقع قبل ادخال الكل وفيه لطيفة
وهي ان جهنم تغيظ بالكفار وتطلبهم ثم يبقى فيها موضع لعصاة المومنين فتطلب جهنم امتلاءها لظنها بقاء احد من
الكفار خارجا فيدخل العاصي من المومنين فيرد ايمانه حرارتها ويسكن ايمانه غيظها فتسكت وعلى هذا يحمل ما ورد في
بعض الاخبار وان جهنم تطلب الزيادة حتى يضع الجبار قدمه والمومن جبار متكبر على ما سوى الله ذليل متواضع لله
تعالى الثاني ان يكون جهنم اولا تطلب سعة في نفسها ثم مزيدا في الداخلين لظنها بقاء احد من الكفار الثالث ان الملا له
درجات فان الكيل اذا ملي من غير كبس يمتنع غيره ولا ينافي كونه ملان اولا فلذلك في جهنم ملو ثم تطلب زيادة تضمها
المكان عليهم وزيادة في التعذيب والمزيد جاز ان يكون بمعنى المفعول اي هل بقي احد تزيدونه ثم قال تعالى وازلفت
الجنة للمتقين غير بعيد بمعنى قريبا او بمعنى تقريب والاول اظهر وفيه مسايل المسألة الاولى ما وجه التقريب مع ان الجنة
مكان والامكنة يقرب منها وهي لا تقرب نقول الجواب عنه من وجوه الاول الجنة لا تزال ولا تنقل ولا المومن يومئذ في ذلك اليوم
بالانتقال اليها مع بعدها لكن الله تعالى يطوي المسافة التي بين المومن والجنة فهو التقريب فان قيل فعلى هذا ليس ازلاف
المومن من الجنة فما الفايدة في قوله تعالى وازلفت الجنة نقول اكراما للمومن كانه تعالى اراد بيان شرف المومن انه ممن

يمشي اليه ويدنى منه الثانى قريب من الحصول فى الدخول لا بمعنى القرب من المكان يقال الطالب من الملك بعيد عن ذلك ثم اذا رأى منه تمايل يقال قرب الملك وما زلت ادنى اليه حاله حتى قربته فلذلك الجنة كانت بعيدة الحصول لانها غاية لا قيمة لها ولا قدرة للمكلف على تحصيلها لولا فضل الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم ما من احد يدخل الجنة الا بفضل الله تعالى فقيل وانت يا رسول الله قال وانا وعلى هذا فقوله غير نصب على الحال لمعدوم قريب من الحصول ولم يكن بعيدا فى المسافة حتى يقال كيف قربت الثالث هو ان الله تعالى قادر على نقل الجنة من السماء الى الارض فيقربها للمؤمن واما ان قلنا انها قريب فمعناه جمعت محاسنها كما قال تعالى وفيها ما تشتهى الانفس ثم نبه على هذا الوجه وعلى قولنا قريب لقربت حصول ودخول فهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون قوله تعالى وازلفت اى فى ذلك اليوم ولم يكن قبل ذلك واما فى جميع المحاسن فربما يريها الله تعالى فيها زينة وقت الدخول واما فى الحصول فلان الدخول قبل ذلك كان مستبعدا اذا لم نقل بان الله تعالى ادخل المؤمنين الجنة فى الدنيا وعينه فى الهجرة فقربت فى ذلك اليوم وثانيهما ان تكون معنى قوله تعالى وازلفت الجنة اى ازلفت فى الدنيا اما بمعنى جميع المحاسن فلانها مخلوقة وخلق فيها كل شيء ولما بمعنى القرب الحصول فلانها تحصل بكلمة حسنة واما على تفسير الازلاف والتقريب المكانى فلا يكون محمولا الا على ذلك اى ازلفت فى ذلك اليوم للمتقين الثالثة اى حمل على القرب المكانى فما الفائدة بالاختصاص بالمتقين مع ان المؤمن والكافر فى العرصة واحد فنقول قد يكون شخصان فى مكان واحد وهناك مكان اخر هو لاحدهما فى غاية القرب وعن الاخر فى غاية البعد مثاله مقطوع الرجلين والسليم الشديد العدو اذا اجتمعا فى موضع وبحضرتهما شيء لا يحصل اليه باليد وذلك بعيد عن المقطوع وهو فى غاية القرب من العادى او نقول اذا اجتمع شخصان فى مكان واحدهما احاطه سد من حديد ووضع بقربه شيء لا ينال له يده بالمد والاخر لم يحط به ذلك السد وصح ان يقال هو بعيد عن المحدود وقريب من المحفوظ والحد وقوله تعالى غير بعيد هذا يحتمل ان يكون نصبا على الظرفية يقال اجلس غير بعيد منى اى مكانا غير بعيد وعلى هذا قوله غير بعيد للتاكيد وذلك لان القريب قد يكون بعيدا بالنسبة الى شيء فان المكان الذى هو على مسيرة يوم قريب بالنسبة الى البلاد النائية وبعيد بالنسبة الى مرحلات المدينة اذا قال قايل اما اقرب المسجد الاقصى او البلد الذى هو باقصى المغرب والمشرق يقال له المسجد الاقصى قريب فاذا قال ايهما اقرب هو او البلد يقال له هو بعيد فقوله تعالى ازلفت غير بعيد اى قربا قربا حقيقيا لا استثناء حيث لا يقال فيها انها بعيد عن معالمه او من نسبته ويحتمل ان يكون نصبا على الحال تقديره قرب يكون ذلك غايته التقرب او نقول على هذا الوجه يكون معنى ازلفت قريب وهو غير بعيد فيحصل المعنيان جميعا الامر والاقتراب يكون المراد القرب والحصول لا المكان فيحصل معنيان القرب المكانى بقوله غير بعيد والحصول لقوله تعالى ازلفت وقوله تعالى غير بعيد مع قوله تعالى ازلفت على التانيث ويحتمل وجوها الاول اذا قلنا ان ان غير نصب على المصدر تقديره مكانا غير بعيد الثانى التذكير فيه كما فى قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين اجرا الفعيل بمعنى فاعل مجرى فعيل بمعنى مفعول الثالث ان يقال غير منصوب نصبا على المصدر على انه صفة مصدر محذوف تقديره ازلفت الجنة ازلافا غير بعيد اى عن قدرتنا فانا قد ذكرنا ان الجنة مكان والمكان لا يقرب وانما يقرب منه فقال الازلاف غير بعيد عن قدرتنا فانا نطوى المسافة بينهما ثم قال تعالى هذا ما توعدون قال الزمخشرى هو جملة معترضة بين كلامين وذلك لان قوله تعالى لكل اواب بدل على المتقين كانه تعالى قال ازلفت الجنة للمتقين لكل اواب كما فى قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم غير ان ذلك بدل الاشتمال وهذا بدل الكل وقال بان هذا اشارة الى الثواب اى هذا الثواب ما توعدون او الازلاف المدلول عليه بقوله تعالى ازلفت غير هذا الازلاف ما وعدتم ويحتمل ان يقال هو كلام مستقل ووجهه ان ذلك محمول على الفعل لا ما توعدبه يقال للموعود هذا لك فكانه تعالى قال هذا ما قلنا انه لكم ثم قال تعالى لكل اواب بدلا من الضمير فى توعدون ويوعدون قرى بالياء يكون تقديره هذا لكل اواب بدلا عن الضمير لكل اواب حفيظ والاواب الرجاع قيل هو الذى يرجع من الذنوب ويستغفر والحفيظ الحافظ الذى يحفظ توبته من النقض ويحتمل ان يقال الاواب هو المرجاع الى الله تعالى بفكره والحفيظ الذى يحفظ الله فى ذكره اى رجع اليه بالفكر فيرى كل شيء واقعا به وموجدا منه ثم اذا انتهى اليه حفظه بحيث لا ينساه عند الرخاء والنعماء والاواب والحفيظ كلاهما من باب المبالغة اى يكون كثير الاوب شديد الحفظ وفيه وجه اخر ادق وهو ان الاواب هو الذى رجع عن متابعة هواه فى الاقبال على ما سواه والحفيظ هو الذى اذا ذكر باسرته مولاه لا شريك له فيحفظه فيها بقوله ويكون هذا تفسير المتقى لان المتقى هو الذى يتقى الشرك والمعطل فلم يكن معطلا يعترف بعده والاواب هو الذى لا يعترف بغيره ويرجع عن كل شيء غير الله والحفيظ هو الذى لا يرجع عنه الى شيء مما عداه ثم قال تعالى من خشى الرحمن بالغيب فيه وجوه وهو اعربها انه منادى كانه تعالى قال يا من خشى لسلام وحذف حرف النداء سايغ ثانيها من بدل على كل واى من غير اعادة حرف تقديره ازلفت الجنة لمن خشى الرحمن بالغيب ثالثها فى قوله تعالى اواب حفيظ موصوف معلوم غير مذكور كانه تعالى لكل شخص اواب او عبد او غير ذلك وقوله تعالى من خشى الرحمن بالغيب يدل على ذلك الموصوف هذه وجوه ثلاثة ذكرها الزمخشرى وقال لا يجوز ان يكون بدلا عن اواب وحفيظ قد وصف به موصوف معلوم غير مذكور كما بينا والبدل فى حكم المبدل فيكون من موصوفه به ومن لا يوصف بها لا يقال الرجل من جاءنى جالس هذا اتمام كلام الزمخشرى فان قال قايل اذا كان من والذى يشتركان فى كونهما من الموصولات فلماذا لا يشتركان فى جواز الوصف بهما

نقول



نقول لان من مفعول بحسبه فى ما ومنه بسبب الامر فيه فنقول ما اسم مبهم يقع على كل شيء فمفهومه هو كل شيء يكون الشيء من انواع الاشياء فالجوهر شيء والعرض شيء والواجب شيء والممكن شيء والاعم قبل الاخص فى الفهم لانك اذا رأيت من البعيد شيئا تقول اولا انه ما ثم اذا ظهر لك منه ما يختص بالناس تقول انسان فاذا بان لك انه ذكر قلت هو رجل فاذا وجدته ذا قوة تقول شجاع الى غير ذلك فالاعم عرف قبل قبل الاخص فى الفهم فمفهوم قبل كل شيء لا يجوز ان يكون صفة لان الصفة بعد الموصوف هذا من حيث المفعول واما من حيث النحو فلان الحقايق لا توصف بها فلا يقال جسم رجل جاءنى كما يقال جسم ناطق جاءنى لان الوصف يقوم بالموصوف والحقيقة تقوم بنفسها لا بغيرها وكل ما يقع وصفا لغيره يكون معناه شيء له كذا فقولنا عالم معناه شيء له علم فيدخل فى مفهوم الواصف شيء مع امر اخر وهو الذى يكون ما يجرى فلا يوجد فيه ما يتم به الوصف كمن فى العقلاء كما فى غيرهم ومن معناه انسان او ملك او غيره من الحقايق العاقلة لا يقع صفات واما الذى يقع على الحقايق والاوصاف ويدخل فى مفهومه تعريف اكثر مما يدخله مجاز الوصف بها وفى الاية لطايف معنوية الاولى الخشية والخوف معناهما واحد عند اهل اللغة لكن بينهما فرق وهو ان الخشية من عظمة المخشى منه وذلك لان تركيب خ ش ى فى تقاليبها يلزمه معنى الهيبة يقال شيخ للسيد والرجل الكبير السن وهما جميعا مهيبان والخوف خشية من ضعف الخائف وذلك لان تركيب خ و ف فى تقاليبها يدل على الوصف ويدل عليه الخفية والخفية ولو قرب معناهما الى ما ورد فى القرآن لظهر ما ذكرته والمخفى فيه ضعيف كالحى اذا علمت هذا تبين لك اللطيفة وهى ان الله تعالى فى كثير من المواضع ذكر لفظ الخشية حيث كان الخوف من عظمة المخشى عليه قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله فان الجبل ليس فيه ضعف يكون الخوف من ضعفه وانما الله تعالى عظيم يخشاه كل قوى وهم من خشيته مشفقون مع الملائكة اقوياء وقال تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه اى اعظاما لهم او لا ضعف فيك بالنسبة اليهم وقال تعالى لا تخف ولا تحزن اى لا تخف ضعفا فانك لا عظمة لهم وقال تعالى يخافون يوما حيث كان عظمة اليوم بالنسبة الى عظمة الله تعالى مضمحلة وقال تعالى ولا تخافوا ولا تحزنوا اى بسبب مكروه يلحقكم من الاخرة فان المكروهات كلها مرفوعة عنكم وقال تعالى خائفا يترقب وقال تعالى انى اخاف ان يقتلون لوحدته وضعفه وقال هارون انى خشيت لعظمة موسى فى عين هارون لا لضعف فيه وقال تعالى انا خشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا حيث لم يكن لضعف فيه وحاصل الكلام انك اذا تاملت استعمال الخشية لخوف بسبب عظمة المخشى واذا نظرت الى استعمال الخوف وجدته مستعملا لخشية من ضعف الخائف وهذا فى الاكثر وربما يتخلف المدعى عنه لكن الكثرة كافية الثانية قال الله تعالى ههنا وخشى الرحمن مع انه وصف الرحمة بالخشية اشارة الى المدح المنوى حيث لم يمنعه الرحمة من الخوف بسبب العظمة فقال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله اشارة الى ذم الكافر حيث لم تحمله الالوهية التى تنبه عليه لفظة الله وفيها العظمة على خوفه فقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء لان انما للحصر وكان فيه اشارة الى ان الجاهل لا يخشاه فذكر الله ليبين ان عدم خشيته مع قيام المقتضى وعدم المانع وهو الرحمة وقد ذكرنا ذلك فى سورة يس ونزيد ههنا شيئا اخر وهو ان نقول لفظة الرحمن اشارة الى مقتضى الخشية لا الى المانع وذلك لان الرحمن معناه واجب الوجود بالخلق والرحيم واجب البقاء بالرزق وهو فى الدنيا رحمن حيث اوجدنا بالرحمة ورحيم حيث ابقانا بالرزق وقد سطر ان مثل ذلك يأتى ممن يعظم المضطر فقال فلان هو الذى ابقانى وهو فى الاخرة ايضا رحمن حيث يوجدنا ورحيم حيث يرزقنا وذكرنا ذلك فى تفسير الفاتحة حيث قال بسم الله الرحمن الرحيم اشارة الى كونه رحمن فى الدنيا حيث خلقنا رحيما فى الدنيا حيث رزقنا رحمة ثم قال مرة اخرى بعد قوله تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم اى هو رحيم فى الاخرة يخلقنا ثانيا ورحيما يرزقنا ويكون هو الملك فى ذلك اليوم اذا علمت هذا فمن يكون منه وجود الانسان لا يكون خوفه خشية من غير فان القايل يقول لغيره اخاف منك ان تقطع رزقى او تسد حاجتى فاذا كان الله تعالى رحمن منه الوجود ينبغى ان يخشى فان من بيده الوجود بيده العدم وقال صلى الله عليه وسلم خشية الله راس كل حكمة وذلك لان الحكيم اذا تفكر فى غير الله تعالى وجده محل التغير يجوز عليه العدم فى كل طرفة عين وربما يقدر الله تعالى عدمه قبل ان يمكن من الاضرار لان غير الله تعالى لم يقدر الله ان تحركه لا يقدر على الضرر وان قدر عليه بتقدير الله فيبعد الضرب بموت المعذب او المعذب واما الله تعالى فلا راد لما اراد ولا اخر لعذابه وقال تعالى فى معنى الحال اى خشيهم قبل ظهور الامور حيث لا راى العين وقوله تعالى وجاء بقلب منيب اشارة الى صفة مدح اخرى وذلك لان الخاشى قد يهرب ويترك القرب من المخشى فلا ينتفع اذا علم ان المخشى يحجبه العالم فيحبه انه لا ينفعه الهروب فياتى المخشى وهو خاش فقال وجاء ولم يذهب كما يذهب الابق وقوله تعالى بقلب منيب الباء فيه يحتمل وجوها ذكرناها فى قوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق احدها التعدية اى احضر قلبا سليما كما يقال ذهب به اذا اذهبه ثانيها المصاحبة يقول اشترى فلان الفرس بسرجه وجاء فلان باهله ثالثها وهو اعرفها الباء للسبب تقول ما احيى فلان الا حمول فلان وجاء بالرجالة فكانه تعالى قال جاء وما جاء الا بسبب انابة فى قلبه علم انه لا مرجع الا الله فجاء بسبب قلبه والقلب المنيب كالقلب السليم فى قوله تعالى اذ جاء ربه بقلب منيب اى سليم من الشرك ومن سلم من الشرك يترك غير الله ويرجع الى الله تعالى فكان منيبا ومن اناب الى الله تعالى برئ من الشرك فكان سليما والله تعالى اعلم **قوله تعالى** ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا فى البلاد هل من محيص ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد **اعلم** ان الضمير عائد الى الجنة التى فيها

وازلفت الجنة اى لما تكامل حسنها وقربها وقيل لهم انها منزلكم بقوله تعالى هذا ما توعدون ادخلوها وفيه مسايل
**المسئلة الاولى** الخطاب مع من نقول اى قربها ما توعدون بانه والخطاب مع المتقين فهو ظاهر لا يخفى ان الخطاب مع الموعود من فان وفى بالبناء
فالخطاب مع المتقين اى تعالى للمتقين ادخلوها الثانية هذا يدل على ان ذلك توقف على الاذن وفيه من الانتظار وما لا يليق بالاكرام نقول
ليس كذلك فان من ادى مكرما الى بستانه ويفتح له الباب ويجلسه فى موضعه ولا يقف على الباب من يوجهه ويقول اذا بلغت بستانى
فادخلها وان لم يكن هناك احد يكون فلاحد باكرامه بخلاف من يقف على بابه قوم يقولون ادخل بسم الله ويدل على الاكرام قوله
تعالى بسلام كما يقول المضيف ادخل مصاحبا بالسلامة والسعادة والكرامة والباء للمصاحبة من معنى الحال اى سالمين مقرونين
بالسلامة او معناه ادخلوها مسلمين عليكم يسلم الله وملائكته عليكم ويحتمل عندى وجها اخر وهو ان يكون ذلك ارشادا
للمؤمنين الى مكارم الاخلاق فى ذلك اليوم كما ارشدوا اليها فى الدنيا حيث قال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
وتسلموا على اهلها فكانه تعالى قال هذه داركم ومنزلكم لكن لا تتركوا حسن عادتكم ولا تخلوا بمكارم اخلاقكم فادخلوها
وتصبحون سلاما على من فيها وتقولون السلام عليكم ويدل عليه قوله تعالى الا قيلا سلاما سلاما اى يسلمون على من
فيها وهذا الوجه ان كان منقولا فنعم وان لم يكن منقولا فهو مناسب معقول انه دليل يقول ذلك يوم الخلود حتى لا يدخل قلوبهم
ان ذلك يدخل عليهم نسقا فى قلوبهم حزنه فان قيل المؤمن قد علم انه اذا دخل الجنة احله فيها فما الفايدة فى التذكير والجواب عنه من وجهين
احدهما ان قوله تعالى ذلك يوم الخلود قول قاله الله تعالى اخبر لنا فى يومنا ان ذلك اليوم يوم الخلود ثانيهما الاطمينان القلب
بالقول اكثر قال الزمخشرى قوله تعالى يوم الخلود اضمار تقديره ذلك يوم تقدير الخلود ويحتمل ان يقال اليوم يذكر ويراد به الزمان
المطلق سواء كان يوما او ليلا تقول يوم يولد لفلان ابن يكون السرور العظيم ولو ولد له بالليل كان السرور حاصلا تريد به
الزمان فكانه تعالى قال ذلك زمان الاقامة الدايمة ثم قال تعالى لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد وفى الايات ترتيب فى غاية
الحسن وذلك لانه تعالى بدأ ببيان اكرامهم حيث قال تعالى وازلفت الجنة ولم يقل قرب المتقين من الجنة بيانا للاكرام حيث جعلهم ممن
تنقل اليهم الجنات بما فيها من الحسنات ثم قال تعالى لهم هذا لكم بقوله تعالى هذا ما توعدون ثم بين تعالى انه اجر اعمالهم الصالحة بقوله تعالى
لكل اواب حفيظ وقوله تعالى من خشى الرحمن بان تصرف المالك الذى ملك شيا بعوض اتم فيه من تصرف من ملكه بغير عوض لامكان الرجوع
فى التمليك من غير عوض ثم زاد فى الاكرام بقوله تعالى ادخلوها بينا ان ذلك الاكرام لان من فتح الباب للناس ولم يقف ببابه من يرحب
لا يكون قد اتى بالاكرام التام قال تعالى ذلك يوم الخلود اى لا تخافوا ما لحقكم من قبل حيث اخرج ابويكم منها فهذا دخول لا خروج
بعده منها ثم لما بين انهم فيها خالدون قال لا تخافوا انقطاع ارزاقكم او بعادكم فى حاجة كما كنتم فى الدنيا من كان يعمر ينكس ويحتاج لكم
الخلود ولا يسعفوا ما يعمرون به فلكم ما يشاؤون فى اى وقت تشاؤون والى الله المنتهى وعنده الوصول اليه والمثول بين يديه فلا يوصف
ما لديه ولا يطلع احد عليه وعظمه من عنده يدل على فضيلة ما عنده هذا هو الترتيب واما التفسير ففيه مسايل **الاولى**
قال تعالى ادخلوها بسلام على سبيل المخاطبة ثم قال تعالى لهم ولم يقل لكم ما الحكمة فيه الجواب عنه من وجوه الاول هو ان قوله تعالى
ادخلوها مقدر فيقال لهم ادخلوها فلا يكون على هذا التفسير التفاتا الثانى هو انه من باب الالتفات والحكمة الجمع بين الطرفين كانه
تعالى يقول اكرمهم به فى حضورهم وفى غيبتهم الحور والقصور الثالث هو ان يقال قوله تعالى لهم جزاء يكون
كلاما مع الملايكة يقول الملايكة توكلوا بخدمتهم واعلموا ان لهم ما يشاؤون فيها فاحضروا بين ايديهم ما يشاؤون واما انا فعندى
ما لا يخطر ببالهم ولا تقدرون انتم عليه وقد ذكرنا ان لفظ مزيد يحتمل ان يكون معناه الزيادة فيكون كما فى قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى
وزيادة ويحتمل ان يكون بمعنى المفعول اى عندنا ما نزيده على ما يرجون وما يكون ثم قال تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن لما انذرهم
بما بين ايديهم من اليوم العظيم والعذاب الاليم انذرهم بما يحل لهم من العذاب المهلك والاهلاك المدرك وبين لهم حال من تقدمهم
وقد تقدم تفسيره فى مواضع والذى يختص بهذا الموضع امور احدها اذا كان ذلك الجمع بين الانذار بالعذاب العاجل والعقاب
الاجل فلم توسطهما قوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين الى قوله تعالى ولدينا مزيد نقول ليكون ذلك دعاء بالخوف والطمع فذكر
حال الكفور المعاند وحال الشكور العابد فى الاخرة ترغيبا وترهيبا ثم قال ان كنتم فى شك من العذاب الابدى اللازم لما انتم فى ريب
من العذاب العاجل المهلك الذى اهلك امثالكم فان قيل فلم لم يجمع بين الترهيب والترغيب العاجلة كما جمع بينهما فى الاجلة ولم يذكر
حال من اسلم من قوم من تقدم عليه كما ذكر حال من اشرك به فاهلكه نقول لان النعمة كانت قد وصلت اليهم وكانوا متنعمين فى النعم ولم
يذكرهم به وانما كانوا غافلين عن الهلاك فانذرهم به واما فى الاخرة فكانوا غافلين عن الامرين جميعا فاخبرهم بهما الثانى قوله
تعالى فنقبوا فى البلاد معناه وجوه احدها هو ما قال تعالى فى حق ثمود الذين جابوا الصخر بالواد من قوتهم خرقوا الطرق ونقبوها وقطعوا
الصخور ونقبوها ما بها نقبوا اى ساروا فى الاسفار ولم يجدوا ملجا ومهربا وعلى هذا يحتمل ان يكون المراد اهل مكة اى هم ساروا
فى الاسفار وراوا فيها من الامار ما لها قوله تعالى فنقبوا فى البلاد اى صاروا نقابا فى الارض ارادوا ما فاتهم بطشهم وقوتهم
ويدل على هذا القياس لانه صفة تصير معينة تقول كان زيد اقوى فعله وكان عمرو منصفا فعله زيد كذلك ههنا قال تعالى
كانوا هم اشد منهم بطشا فصاروا نقابا فى الارض وقرى فنقبوا فى البلاد بالتشديد وهو ايضا يرد على ما ذكرنا فى الوجه
الثالث لان النقب النحف وهو سير النقب الثالث قوله تعالى هل من محيص يحتمل وجوها ثلاثة الاول على قراءة من قرا
بالتشديد يحتمل ان يكون هو مفعولا اى بحثوا عن المحيص الثانى على القراءات جميعا استفهام بمعنى الانكار اى لم يكن لهم محيص الثالث
هو كلام مستانف كانه تعالى يقول للنبى صلى الله عليه وسلم هم هلكوا مع قوة بطشهم فهل من محيص لكم تعتمدون عليه فالمحيص كالمحيد



غيران المخلص معدول ومهرب عن الشدة يدل عليه قولهم وقعوا فى حيص بيص اى فى شدة وضيق والمحيد معدول وان كان لهم بالاختيار
تعالى حاد عن الطريق نظرا ولا انتقال عن الامر نظرا ثم قال تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ذلك اشارة الى الاهلاك ويحتمل
ان يقال هو اشارة الى ما قاله من ازلاف الجنة وملء جهنم وغيرهما والذكرى اسم مصدر هو التذكرة اى فى نفسها مصدر ذكره
يذكره ذكرا وذكرى وقوله تعالى لمن كان له قلب المراد قلب موصوف بالوعى اى لمن كان له قلب واع يقال لفلان مال اى كثير
بالتنكير والاولى ان يقال هو لسان وضع اللام بعد الذكر وان لا حقا فيه لمن كان له قلب ما ولو كان عمر كامل كما تقول
اعطه شيا ولو كان درهما وتقول الجنة لمن عمل خيرا وان لم يحسنه فكانه تعالى قال ان فى ذلك لذكرى لمن يصح ان يقال
له قلب وحينئذ من لا يتذكر لا قلب له اصلا كما فى قوله تعالى صم بكم عمى حيث لم تكن اذانهم والسنتهم واعينهم معدة
لما خلقت منها لذلك من لا يتذكر كانهم خشب اعطوا صورا وليس لهم قلب للذكر ولا لسان للبيان وقوله تعالى او القى السمع
وهو شهيد والقى السمع عبارة عن الاستماع لان من لا يستمع فكانه سمعه وامسكه واذا ارسل حصل الاستماع فان قيل
على قول من قال الذكر فى القلب بالتنكير فهل من حسن ترتيب فى قوله تعالى او القى السمع وذلك لانه يصير كانه تعالى يقول ان فى ذلك
لذكرى لمن كان ذا قلب واع ذكى يستخرج الامور بذكايه او القى السمع ويسمع من المنذر فيتذكر واما على قولك المراد ما يصح ان يقال له
قلب ولو كان غير واع لا يظهر هذا الحسن نقول على ما ذكرنا ربما يكون الترتيب احسن وذلك لان التقدير يصير كانه قال تعالى
فيها ذكرى لمن كان له قلب ذكى فيسمع ويتعلم ونحن نقول الترتيب من الادنى الى الاعلى كانه يقول فيه ذكرى لكل واحد كيف
كان قلبه لظهور الامر فان كان لا يحصل لكل احد فلمن سمع حاصل ولو ما ذكر قوله تعالى او القى السمع وهو شهيد حيث
لم يقل او استمع لان الاستماع ينبئ عن طلب زايد واما التطبيع فمعناه ان الذكرى حاصلة لمن لا يمسك سمعه بل يرسله
ارسالا وان لم يقصد السماع كالسامع فى الصوت الهايل فانه يحصل عند فتح الاذن وان لم يقصد الاستماع والصوت الخفى لا يسمع
الا بالاستماع وطلب وحصول الذكرى حاصلة لمن كان له قلب كيف كان قلبه لظهورها فان لم يحصل فلمن له اذن غير مسدود
فكيف كان حاله سواء استمع ما جتهادا ولم يجتهد فى سماعه فان قيل قوله تعالى وهو شهيد للحال وهو يدل على ان القى السمع
بمجرده غير كاف نقول هذا يصح ما ذكرنا لانا قلنا ان الذكر حاصل لمن له قلب فان حصل لم يحصل له فيحصل له اذا القى السمع وهو حاضر
بباله من القلب واما على الاول فمعناه من ليس له قلب واع يحصل له الذكرا والقى السمع وهو حاضر بقلبه فيكون عند الحضور بقلبه
يكون له قلب واع وقد فرض عدمه وهذا اذا قلنا بان قوله تعالى وهو شهيد بمعنى الحال واما اذا لم نقل به فلا يرد ما ذكر وهو يحتمل غير ذلك
بيانه هو ان يقال ذلك اشارة الى القرآن وتقريره هو ان الله تعالى لما قال فى اول السورة ق والقرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم وذكر ما
يدفع تعجبهم وبين كونه منذرا صادقا وكونه الحشر امرا واقعا ورغب ورهب فى الثواب والعذاب اجلا وعاجلا وتم الكلام وقال ان فى ذلك اى
القرآن الذى سبق ذكره لذكرى لمن كان له قلب او لمن استمع وقال وهو شهيد اى النبى الذى تعجبهم منه شهيد كما قال تعالى انا ارسلناك
شاهدا وقال تعالى ليكون الرسول عليكم شهيدا والله تعالى اعلم

**قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود**

اعلم ان الله تعالى اعاد الدليل مرة اخرى
وقد ذكرنا ذلك فى الم السجدة وقلنا ان الاجسام ثلثة اجناس احدها السموات ثم حلها وخصصها بامور وموا ضع
وثانيها الارض خلقها ثم دحاها وثالثها ما بينهما خلق اعيانها فى ستة ايام اشارة الى ستة اطوار والذى يدل عليه ونوره
هو ان المراد من الايام لا يمكن ان يكون هو المفهوم فى وضع اللغة عن زمان مكث الشمس فوق الارض من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات
لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم يطلق ويراد به الوقت يقال يوم يولد للملك ابن يكون سرور عظيم ويوم يموت فلان يكون حزن شديد وان
اتفقت الولادة والموت ليلا ولا يتعين ذلك ويدخل فى مراد العاقل لانه اراد باليوم مجرد الحين والوقت اذا علمنا الحال عند اضافة اليوم
الى الافعال فهمنا عند اطلاق اليوم فى قوله تعالى ستة ايام وقال بعض المفسرين المراد من الاية الرد على اليهود حيث قالوا بدا الله تعالى
خلق الله تعالى يوم الاحد وفرغ منه فى ستة ايام اخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على عرشه فقال تعالى وما مسنا
من لغوب ردا عليهم والظاهر ان المراد الرد على المشرك فى الاستدلال بخلق السموات والارض وما بينهما وقوله تعالى وما مسنا
من لغوب ما تعبنا بالخلق الاول حيث لا يقدر على الاعادة بانيا والخلق الجديد كما قال تعالى افعيينا بالخلق الاول واما ما قاله
اليهود ونقلوه من التوراة فهو اما تحريف منهم او لم يعلموا تاويله وذلك لان الاحد والاثنين ازمنة متميزة بعضها عن بعض
فلو كان خلق السموات ابتدا يوم الاحد لكان الزمان متحققا قبل الاجسام والزمان لا ينفك عن الاجسام فيكون قبل الاجسام
اجسام اخر فيلزم القول بقدم العالم وهو مذهب الفلاسفة ومن العجب ان بين الفلاسفة والمشبهة غاية الخلاف
فان الفلسفى لا يثبت لله صفة اصلا ويقول بان الله تعالى لا يقبل صفة بل هو واحد فى جميع الوجوه فعله وقدرته وحياته
وهو حقيقته وعلمه وذاته والمشبهى يثبت لله صفة الاجسام من الحركة والسكون والاستواء والجلوس والصعود والنزول
فبينهما منافات ثم اليهود فى هذا الكلام جمعوا بين المسالتين واخذوا بمذاهب الفلاسفة فى المسئلة التى هى احط المسايل
بهم وهى الاستواء على العرش فاخطئوا وضلوا فى الزمان والمكان جميعا ثم قال تعالى فاصبر على ما يقولون قال من تقدم ذكرهم
من المفسرين ان معناه فاصبر على ما يقولون من حديث التعب بالاستلقاء وعلى ما قلنا معناه اصبر على ما يقولون ان هذا
لشئ عجيب وسبح بحمد ربك وما ذكرناه اقرب لانه مذكور وذكر اليهود وكلامهم لم يجر وسبح بحمد ربك يحتمل وجوها احدها

ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة فيكون كقوله تعالى اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل وقوله تعالى قبل طلوع الشمس
وقبل الغروب اشارة الى طرفي النهار وقوله من الليل فسبحه اشارة الى زلف من الليل ووجهه هو هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم
له شغلان احدهما عبادة الله وثانيهما هداية الخلق فاذا هداهم ولم يهتدوا قيل له اقبل الى شغلك الاخر وهو عبادة
الحق ثانيها نزه ربك اي نزهه عما يقولون ولا تسام من امتناعهم بل ذكرهم بعظمة الله ونزهه عن الشرك والعجز عن الممكن
الذي هو الحشر قبل الطلوع وقبل الغروب فانهما وقتا اجتماعهم ومن الليل فسبحه اي اوائل الليل فانه ايضا وقت اجتماع
العرب ووجه هذا بل لا ينبغي ان تسام من تكذيبهم فان الرسل صلوا واوذوا وكذبوا وصبروا على ما كذبوا ونذروا والانذار
وعلى هذا فقوله تعالى وادبار السجود فايدة جليلة وهي الاشارة الى ما ذكرنا ان شغل الرسول امران العبادة والهداية
فقوله تعالى وادبار السجود اي عقيب ما سجدت وعبدت ونزه ربك بالبرهان عند اجتماع القوم ليحصل لك العبادة بالهداية
والسجود والهداية ادبار السجود ثالثها ان يكون المراد قل سبحان الله وذلك لانه الفاظ معدودة جاءت بمعنى التلفظ
بكلامهم فنقول لمن لم يصلق ويراد به قول القايل الله اكبر وسلم يراد به قول السلام عليك وحمد تعالى الحمد لله وهلل لمن
قال لا اله الا الله وسبح لمن قال سبحان ووجهه هذه امور يكثر من الانسان في الكلام والحاجة تدعو الى الاخبار عنها
فلو قال القايل فلان قال لا اله الا الله او قال الله اكبر وطول الكلام مست الحاجة الى استعمال لفظة واحدة مفيدة
لذلك لعدم تكرارها في الاول واما مناسبة هذا فوجه الكلام الذي يوفيه نهى ان تكذيبهم الرسول وتعجبهم من قوله وكانوا
كان يوجب العادة ان يشتغل النبي صلى الله عليه وسلم بلعنهم وسبهم والدعا عليهم فقال اصبر على ما يقولون واجعل كلامك بدل الدعا عليهم
التسبيح لله والحمد لله ولا تكن كصاحب الحوت او كنوح عليه السلام حيث قال تعالى رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا بل ادع الى
ربك فاذا ضجرت عن ذلك لسبب اضرارهم فاشتغل بذكر ربك في نفسك وفيه مباحث الاول استعمل الله تعالى التسبيح مرة مع اللام
في قوله تعالى سبح لله ويسبحون له واخرى مع الباء في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم وسبح بحمد ربك وثالثة من غير حرف في قوله
وسبحوه وقوله تعالى سبحوه بكرة وقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى فالفرق بينهما بقوله اما الا فني الاسم وبالتقديم اولى في هذا
الموضع لقوله تعالى وسبح بحمد ربك فنقول اما على قولنا المراد من سبح قل سبحان الله فالباء للمصاحبة اي مقرنا بحمد الله فيكون
كانه تعالى قال قل سبحان الله والحمد لله وعلى قوله المراد التنزيه لذلك اي نزهه واقرنه بحمده اي سبحه واشكره حيث وفقك لتسبحه
بان السعادة الابدية لمن سبحه وعلى هذا فيكون المفعول غير مذكور لحصول العلم به من غير ذكر تقديره سبح الله بحمد ربك اي
ملتبسا ومقترنا بحمد ربك وعلى قولنا صل نقول يحتمل ان يكون ذلك امرا بقراءة الفاتحة في الصلاة فقال صلى فلان بسورة
كذا او صلى بقل هو الله احد فكانه يقول صل بحمد الله اي من قرا فيها الحمد لله رب العالمين وهو ابعد الوجوه واما التعدية بغير
حرف فنقول هو الاصل لان التسبيح بتعدد من التنزه واما اللام فيحتمل وجهين احدهما ان يكون كما في قول القايل نصحته ونصحت له
وشكرته وشكرت له وثانيهما ان يكون لبيان الاظهر اي يسبحون الله وقلبهم لوجه الله تعالى خالصة البحث الثاني
قال ههنا وسبح بحمد ربك من غير ها ثم قال تعالى ومن الليل فسبحه بين الموضعين نقول الامر في الموضعين واحد على قولنا التنزيه
الله تعالى مقترنا بحمد ربك وذلك لا سبح الله كقول القايل فسبحه غير ان المفعول لم يذكره اولا للدلالة عليه تعالى بحمد ربك
عليه وثانيها للدلالة ما سبق عليه لم يذكر بحمد ربك الجواب الثاني على قولنا سبح بمعنى صل يكون الاول امرا بالصلوة
والثاني امرا بالتنزيه اي صل بحمد ربك في الوقت وبالليل نزهه عما لا يليق وحينئذ يكون هذا اشارة الى العمل
والذكر والفكر فقوله سبح اشارة الى خير الاعمال وهي الصلوة وقوله بحمد ربك اشارة الى الذكر وقوله تعالى ومن الليل
اشارة الى الفكر حين هدو الاصوات وصفا الباطن نزهه عن كل سوء بفكرك واعلم انه لا يتصف الا بصفات الكمال
ونعوت الجلال وقوله تعالى وادبار السجود قد تقدم بعض ما يقال في تفسيره ووجه اخر انه اشارة الى الامر بادامة التسبيح
فقوله تعالى بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه اشارة الى اوقات الصلوة وقوله تعالى وادبار
السجود يعني بعدما فرغت من السجود وهو الصلاة فلا تترك تسبيح الله تعالى وتنزيهه بل دوام ادبار السجود ليكون جميع
اوقاتك في التسبيح فيفيد فايدة قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت وقوله تعالى فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب
وقرئ وادبار السجود بكسر الهمزة البحث الثالث في قوله فسبحه ما وجهها نقول هي تفيد تاكيد الامر بالتسبيح من الليل
وذلك لانه يتضمن الشرط كانه يقول واما من الليل فسبحه وذلك لان الشرط يفيد ان عند وجوده يجب وجود الجزاء فكانه تعالى
يقول النهار محل الاشتغال وكثرة الشواغل واما الليل فمحل السكون والانقطاع فهو وقت التسبيح او نقول بالعكس الليل
محل النوم والنسيان والغفلة فقال اما الليل فلا تجعله للغفلة بل اذكر فيه ربك ونزهه البحث الرابع في قوله تعالى
ومن الليل يحتمل وجهين احدهما ان يكون لابتداء الغاية اي من اول الليل فسبحه وعلى هذا لم يذكر له غاية لاختلاف
ذلك لغلبة النوم وعدمها تقال يا من الليل اسهرت ثانيهما ان يكون للتبعيض اي اصرف من الليل طرفا الى التسبيح يقال
من ماله صرف ومن الليل اسهر اي بعضه البحث الخامس قوله تعالى وادبار السجود عطف على ماذا نقول يحتمل ان يكون
عطفا على ما قبل الغروب كانه قال تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وادبار السجود وذكر بينهما قوله
تعالى ومن الليل فسبحه وعلى هذا ففيه ما ذكرنا من الفايدة وهي الامر بالمداومة كانه قال سبح قبل طلوع الشمس واذا جاء وقت
الفراغ من السجود وقبل الغروب سبحه فيكون ذلك اشارة الى صرف الليل بالتسبيح ويحتمل ان يكون عطفا على ومن الليل فسبحه

وعلى هذا

وعلى هذا يكون عطفا على الجار والمجرور جميعا تقديره وبعض الليل سبحه والله تعالى اعلم **قوله تعالى**
واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيي
ونميت والينا المصير اعلم ان هذا اشارة الى بيان غاية التسبيح يعني اشتغل بتنزيه الله تعالى وانتظر
المنادي لقوله تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وفيه مسايل الاولى ما الذي يستمعه قلنا يحتمل
وجوها احدها ان يترك مفعوله راسا ويكون المقصود ان يستمع ولا يكون مثل هولاء المعرضين الغافلين يقال هو
رجل سميع مطيع ولا يراد مسموع بعينه كما يقال فلان يكسو ويعطي ويمنع ثانيها استمع لما يوحى اليك ثالثها
استمع نداء المنادي الثانية يوم ينادي المنادي منصوب باي فعل نقول هو مبني على المسالة الاولى ان قلنا
استمع لا مفعول له فلذلك مما يدل عليه قوله تعالى ذلك يوم الخروج تقديره يوم يخرجون يوم ينادي المنادي
وان قلنا مفعوله ما يوحى وتقديره واستمع لما يوحى يحتمل ما ذكرنا وجها اخر وهو ما يوحى يوم ينادي المنادي فان قيل
استمع عطف على فاصبر وسبح وهو في الدنيا والاستماع يكون في الدنيا وما يوحى يوم ينادي المنادي لا يسمع في الدنيا نقول
ليس يلزم ذلك لجواز ان يقال صلى وادخل الجنة اي صل في الدنيا وادخل الجنة في العقبى فكذلك ههنا ويحتمل ان يقال
بان استمع بمعنى انتظر فيحتمل الجمع في الدنيا وان قلنا استمع الصيحة وهو نداء المنادي باعظام السور اما الموصوف
استمع والسوال الذي ذكره علم الجواب منه وجوابا اخر نقول حينئذ وهو ان الله تعالى قال ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الا ما شاء الله قلنا ان من شاء الله هم الذين علموا وقوع الصيحة واستيقظوا لها فلم يزعجهم كمن يرى
نرها ومص وعلم ان عقباه تكون دعوى فيسقط ويسمع له واخر غافل عنه فاذا دعوى بقوة ربما يغشى على الغافل
ولا يبالي نرمنه المستمع فقال استمع كذلك كيلا يكون ممن يصعق في ذلك اليوم الثالثة ما الذي ينادي بقوله فيه وجوه
يحتمله مسوله معقوله وحصرها بان نقول المنادي اما ان يكون هو الله تعالى او الملكة او غيرهما هم المكلفون
من الانس والجن في الظاهر وغيرهم لا ينادي فان قلنا هو الله تعالى ففيه وجوه احدها ينادي احشروا الذين
ظلموا وازواجهم ثانيها ينادي القيا في جهنم كل كفار عنيد مع قوله تعالى ادخلوها بسلام ومثله قوله تعالى
خذوه فغلوه يدل على هذا قوله تعالى واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب وقال تعالى واخذوا من مكان قريب
ثالثها غيرهما لقوله تعالى ويوم يناديهم اين شركاي وغير ذلك واما على قولنا المنادي غير الله ففيه وجوه
احدها قول اسرافيل عليه السلام ايها العظام البالية اجتمعي للوصل واستمعوا للفصل يا ايها النفس
ارجعي الى ربك لتدخلي مكانك من الجنة او النار ثالثها ينادي هولا للجنة وهولا للنار كما قال تعالى فريق في الجنة
وفريق في السعير وعلى قولنا المنادي هو المكلف فيحتمل ان يقال هو ما بين الله تعالى في قوله تعالى ونادوا يا مالك
او غير ذلك لان الظاهر ان المراد احد الوجهين الاولين لان قوله تعالى المنادي للتعريف وكون الملك في ذلك اليوم
مناديا معروف عرف حاله وان لم يجر ذكره فقال قال النبي صلى الله عليه وسلم فان امكن قد سبق ذكره واما ان الله تعالى
منادي فقد سبق في هذه السورة في قوله تعالى القيا وهو نداء وقوله تعالى يوم نقول لجهنم وهو نداء واما المكلف فليس كذلك
وقوله تعالى من مكان قريب اشارة الى ان الصوت لا يخفى على احد بل يستوي في استماعه كل وعلى هذا فلا يبعد حمل المنادي
على الله تعالى اذ ليس المراد من المكان القريب نفس المكان بل ظهور النداء وهو من الله تعالى اقرب وهذا كما قال في هذه السورة ونحن اقرب
اليه من حبل الوريد وليس ذلك بالمكان ثم قال تعالى يوم يسمعون الصيحة بالحق هذا تحقيق ما بيناه من الفايدة في قوله تعالى
واستمع اي لا تكن من الغافلين حتى لا تصعق يوم الصيحة وبيانه هو انه استمع اي كن قبل ان تستمع مستمعا لوقوعه فان
السمع لا بد منه انتم وهم فيه سواء فهم يسمعون لكن من غير استماع له فيصعقون وانت لا تسمع بعد الاستماع فلا تورعك
الا ما لا بد منه ويوم يحتمل وجوها احدها ما قاله الزمخشري انه بدل من قوله تعالى واستمع يوم ينادي المنادي والعامل
فيها الفعل الذي يدل عليه قوله تعالى ذلك يوم الخروج اي يخرجون يوم يسمعون وثانيها ان يسمعون القايل فيه ما في قوله
تعالى ذلك يوم ينادي المنادي المتعامل فيه ما ذكرنا وينادي عامل في يوم يسمعون وذكرناه يوم ينادي والى لم يجز ان يكون
منصوبا بالمضاف وهو ينادي لكن غيره يجوز ان يكون منصوبا به فيقال ان ذكر حال زيد ومذلته يوم ضربه عمرو والبا اذا كان القايل
يريد بيان مذلة زيد عندما صار زيد لكن لسبب من الاسباب فلا يكون يوم كان ضربه عمرو والبا منصوب بقوله اذكر لان غرض القايل
الذكر حال زيد ومذلته وذلك اليوم الضرب لكن يوم كان ضرب عمرو منصوبا بقوله ضربه عمرو ويوم كان والبا فكذلك ههنا قال استمع
يوم ينادي المنادي لئلا يكون ممن يفزع ويصعق ثم بين نفوذ النداء بقوله المنادي يوم يسمعون اي لا يكون نداه خفيا بحيث
لا يسمعه بعض الناس بل يكون نداه بحيث يكون نسبته الى من في اقصى المغرب كنسبته الى من في المشرق وكلهم يسمعون لا شك
ان مثل هذا الصوت يجب ان يكون الانسان متهيئا لاستماعه وذلك يشغل النفس بعبادة الله تعالى وذكره والتفكر فيه
فتظهر فايدة جليلة من قوله فاصبر واستمع وسبح يوم ينادي المنادي من مكان ويوم يسمعون واللام في الصيحة للتعريف
وقد عرف حالها وذكرها الله تعالى مرارا كما في قوله تعالى ان كانت الا صيحة واحدة وقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة وقوله تعالى
نفخة واحدة وقوله بالحق جاز ان يكون متعلقا بالصيحة اي الصيحة بالحق يسمعونها وعلى هذا ففيه وجوه الاول الحق الحشر اي
الصيحة بالحشر وهو حق يسمعونها يقال صاح زيد يا قوم اجتمعوا على جز استعمال متكلم بهذا الكلام وتقديره حينئذ يسمعون الصيحة

بما عظام اجمعى تقال صاح فلان سمعى لا نطن ونحن اى وجد منه الصياح نفسا لا كالصدا او غيره وهو يجرى مجرى الصفة بالصيحة تقال اسمع عبد سماعا تطلب وصاح صيحة بقوة اى قوية فكانه قال الصيحة المحققة الثالث ان يكون معناه الصيحة المقربة بالحق وهو الوجود يعنى تعالى كن فيتحقق ويكون وتقال اذهب بالسلامة وارجع بالسعادة اى مقرونا ومصحوبا فان قيل زد بيانا فان البا في الحقيقة للالصاق فكيف معنى الالصاق في هذه المواضع تقول التعدية قد تتحقق بالبا تقال ذهب بزيد على معنى الهمزة بزيد فوجد با بما انه فصار مفعولا بمعنى قولنا المراد يسمعون صيحة من جانبها عظام اجمعى هو تعدية المهدد بالبا تقول اعجبنى ذهاب زيد بعمرو وكذلك قوله الصيحة بالحق اى ارفع الصوت على الحق وهو الحشر وله موعد تنبيه ان شاء الله تعالى في موضع اخر الوجه الثانى ان يكون الحق متعلقا بقوله تعالى يسمعون اى يسمعون الصيحة بالحق قسم اى يسمعون الصيحة بالله الحق فيه وجها الاول قول القايل سمعته يقينا الثانى يسمعون بالحق قسم اى يسمعون الصيحة بالله الحق وهو ضعيف وقوله تعالى ذلك يوم الخروج فيه وجهان احدهما ذلك اشارة الى اليوم اى ذلك اليوم الخروج وثانيهما ذلك اشارة الى ندا المنادى ثم قال تعالى انا نحن نحيى ونميت قد ذكرنا ذلك في سورة ص ما يتعلق بقوله تعالى انا نحن واما قوله نحيى ونميت فالمراد من الاحيا اولا وثمة اشارة الى الموتة الاولى وقوله والينا المصير بيان للحشر وسمعنا نحن لتعريف عظمته كقول القايل انا انا اى مشهور ونحيى ونميت امور مؤكدة معنى العظمة والينا المصير بيان الى المقصود وقوله تعالى يوم تشقق الارض عنهم سراعا القايل فيه هو ما في قوله تعالى ذلك يوم الخروج من الفعل اى يخرجون يوم تشقق الارض عنهم سراعا وقوله تعالى سراعا حال للخارجين لان قوله تعالى عنهم يفيد كونهم مفعولين بالتشقق كان التشقق عند الحركما تقال تشقق عنه فهو مكشوف عنه فصير سراعا هيئة المفعول كانه قال تعالى مسرعين والسراع جمع سريع كالكرام جمع كريم وقوله تعالى ذلك يحتمل ان يكون اشارة الى التشقق عنهم ويحتمل ان يكون اشارة الى الاخراج المدلول عليه بقوله سراعا ويحتمل ان يكون معناه ذلك الحشر حشر يسير لان الحشر علم بما يعدم من الالفاظ وقوله تعالى علينا يسير بعدم الطرف على الاحصا صراة هو على هين لا على غيرنا وهو اعادة جواب قولهم ذلك رجع بعيد والحشر الجمع ويوم القيمة يجمع الاجزا بعضها عن بعض وجمع الارواح مع الاشيا اى يجمع بين كل ذوج وحدها وجمع الامم المتفرقة والرمم المتمزقة والكل واحد في الجمع ثم قال تعالى نحن اعلم بما يقولون فيه وجوه احدها تسلية القلب للنبى صلى الله عليه وسلم والمومنين وتحريض لهم على ما امر النبى صلى الله عليه وسلم من الصبر والتسبيح اى اشتغل بما قلنا بالسكوت الينا فانا نعلم اقوالهم ونرى اعمالهم وعلى هذا فقوله تعالى وما انت عليهم بجبار مناسب له اى لا تعتد انى ارسلتك اليهم لاهديهم فكيف اشتغل بما يشغلنى عن الهداية وهو الصلاة والتسبيح فانك ما بعثت مسلطا على دعوتهم وتغيرهم وانما امرت بالتبليغ وقد بلغت فاصبر وسبح وانتظر اليوم الذى نفصل فيه بينكم ثانيها هو كلمة تهديد وتخويف وذلك لان قوله تعالى والينا المصير ظاهر في التهديد بالعلم لان من يعلم ان مرجعه الى الملك ولكنه يعتقد ان الملك لا يعلم ما يفعله لا يمتنع عن القبايح اما اذا اعلم انه يعلم وعنده عنه واليه عوده يمتنع فقال تعالى والينا المصير ظاهر في التهديد ونحن اعلم وهذا حينئذ كقوله تعالى ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور ثالثها تقرير الحشر وذلك لانه لما بين ان الحشر عليه يسير بكمال قدرته ونفوذ ارادته ولكن تمام ذلك بالعلم الشامل حتى يميز بين جزء بدن زيد وجزء بدن عمرو فقال تعالى ذلك حشر علينا يسير بكمال قدرتنا ولا يخفى علينا الاجزا لما كان علمنا وعلى هذا فقوله تعالى نحن اعلم بما يقولون معناه نحن عين ما يقولون في قولهم ايذا متنا وكنا ترابا وقوله تعالى ايذا ضللنا في الارض يعنى نحن اعلم الاجزا التى يقولون فيها انها ضالة وخفية ولا يكون المراد نحن نعلم قولهم وفي الوجه الاول يكون حرا به وعلى هذا الدليل فلا يصح قوله تعالى نحن اعلم اذ لا عالم بتلك الاجزا حتى نقول نحن اعلم تقول قد علم الجواب عنه مرارا من وجوه احدها ان افعل لا يقتضى الاشتراك في اصل الافتعال كما في قوله تعالى والله احق ان تخشاه وفي قوله تعالى واحسن نديا وقوله تعالى وهو اهون عليه ثانيها معناه نحن اعلم بما يقولون من كل عالم بما يعلمه والاول اصح واظهر واوضح واشهر وقوله تعالى وما انت عليهم بجبار فيه وجوه احدها انه التسلية ايضا وذلك لانه لما امر صلى الله عليه وسلم بالاقبال على الشغل الاخر وهو العبادة اخبر بانه لم يصرفه عن الشغل الاخر وهو البعث كما ان الملك اذا امر بعض عبيده بشغلين فظهر عجزه في احدهما فقال اصبر وسبح وما انت بجبار اى فما كان امتناعهم بسبب تجبر منك او تكبر فاسى روا من سوء خلقك بل كنت بهم روفا وعليهم عطوفا وبالغت وبلغت فامتنعوا فاقبل على الصبر والتسبيح غير مصروف عن الشغل الاول بسبب جبر منك وهذا في معنى قوله تعالى وما انت بنعمة ربك بمجنون الى ان قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم ثانيها هو بيان ان النبى صلى الله عليه وسلم ما عليه من الهداية وذلك لانه ارسله منذرا وهاديا لا ملجيا وهذا كما في قوله تعالى وما ارسلناك عليهم حفيظا من الكفر وما انت بوكيل وقوله تعالى وما انت عليهم معنى قول القايل اليوم فلان علينا في جواب من عليكم اليوم من الوالى عليكم ثالثها هو بيان ان نعدم وقت نزول العذاب بعد وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم لما انذر واعذر واظهر ولم يومنوا كما نقول لاهنا وقت العذاب تقال نحن اعلم بما يقولون وما انت بمسلط عليهم فذكر بعدالان يومن بقى منهم ممن نعلم انه يومن ثم نسلط عليهم ويؤيد هذا قول المفسرين ان الاية نزلت قبل نزول آية القتال وعلى هذا فقوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد اى من بقى منهم ممن يخاف الوعيد وفيه وجوه آخر احدها انا نسأ الوجوه الاول قوله تعالى فاصبر على ما يقولون وسبح معناه اقبل على العبادة وقال ولا تترك الهداية بالكلية بل ذكر المومنين فان الذكرى تنفع المومنين واعرض عن الجاهلين

وقوله



وقوله تعالى بالقرآن فيه وجوه الاول فذكر بما في القرآن واتل عليهم القرآن يحصل لهم بسببه ما فيه المنفعة الثانى فذكر بالقرآن اى بين به انك رسول بكونه معجزا واذا ثبت كونك رسولا لزمهم قبول ذلك في جميع ما تقول به الثالث المراد فذكر بمقتضى ما في القرآن من الاوامر الواردة بالتبليغ والتذكير وحينئذ يكون القرآن لا اسماع النبى صلى الله عليه وسلم به اى اجعل القرآن اماما وذكرهم بما اخبرت فيه بان يذكرهم وعلى الاول معناه اتل عليهم القرآن ليتذكروا بسببه وقوله تعالى من يخاف وعيد من جملة ما بين كون الخشية دالة على عظمة المخشى اكثر مما يدل عليه الخوف حيث قال تعالى يخاف وعيد وما جعل المخوف عذابه ووعيده وقال اخشونى عند ما يجعل الخوف نفس العظيم وفي هذه الاية اشارة الى الاصول الثلاثة قوله تعالى فذكر اشارة الى انه مرسل مامور بالتذكير منزل عليه القرآن وقوله تعالى وعيد اشارة الى الامر الاخر وضمير المخاطب في قوله تعالى وعيد يدل على الوحدانية فانه تعالى لو قال من يخاف وعيد الله كان يذهب وهم الجاهل الى كل صوت فاذا قال تعالى وعيد والمتكلم اعرف المعارف وابعد عن الاشراك فيه وقد بينا في اول السورة ان اولها واخرها متقاربان في المعنى حيث قال تعالى في الاول ق والقرآن المجيد وقال في اخرها فذكر بالقرآن من يخاف وعيد والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل

**والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا انما توعدون لصادق وان الدين لواقع والسماء ذات الحبك انكم لفى قول مختلف يوفك عنه من افك قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون يسالون ايان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون ان المتقين في جنات وعيون** اعلم ان اول هذه السورة مناسب لاخر ما قبلها وذلك لانه تعالى لما بين الحشر بدلايله وقال تعالى ذلك حشر علينا يسير وقال تعالى وما انت عليهم بجبار بحرهم وبلجيهم الى الايمان اشارة الى اصرارهم على الكفر بعد اقامة البرهان وتلاوة القرآن عليهم لم يبق الا اليمين فقال تعالى والذاريات انما توعدون لصادق وقال تعالى في اخرها فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون وفي تفسير الايات مسايل **المسالة الاولى** قد ذكرنا الحكمة في القسم من المسايل الشريفة والمطالب العظيمة في سورة والصافات ونعيدها ههنا وفيه وجوه الاول ان الكفار كانوا في بعض الاوقات يعترفون بكون النبى صلى الله عليه وسلم غالبا في اقامة الدليل وكانوا ينسبونه الى المجادلة والى انه عارف في نفسه بفساد ما يقوله وانه يغلبنا بقوة الجدل لا بصدق المقال كما ان بعض الناس اذا قام عليه الخصم الدليل ولم يبق له حجة يقول انه علينى بعلمه بطريق الجدل وعجزه عن ذلك وهو يخرج نفسه يعلم ان الحق بيدى فلا يبقى للمتكلم المبرهن طريق غير اليمين فيقول والله ان الامر كما اقول ولا اجادل بالباطل وذلك لانه لو سلك طريقا اخر من ذكر دليل اخر فاذا تم الدليل الاخر يقول الخصم فيه مثل ما قال في الاول ان ذلك تقرير بقوة علم الجدل فلا يبقى الا السكوت والتمسك بالايمان وترك اقامة البرهان الثانى هو ان العرب كانت تحترز عن الايمان الكاذبة وتعتقد انها تدع الديار بلاقع ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم اكثر من الايمان بكل شرعى ولم يزد ذلك [illegible]

القسم بهذه الاشيا لبيان التوحيد لانه صور ظهور الامر فيه وحصول الاعتراف منهم به ولا للرسالة لحصول ذلك في سور القسم
بالحروف فتعين ان يكون المقصود اثبات الحشر والجزا اثبات الحشر لثواب الصالح وعذاب الطالح وفايدة ذلك راجع الى من يعمل فكان
الاية بعضها ان يكون القسم لعلوهم والله اعلم الرابعة في السورة التي اقسم اول الامر بالساليات حيث قال تعالى والصافات وفي سورة
الاربع الباقية اقسم بالمتحركات فقال تعالى والذاريات وقال تعالى والمرسلات عرفا وقال تعالى والنازعات ويعيده قوله تعالى
والسابحات والسابقات وقال تعالى والعاديات وذلك لان الحشر فيه جمع وتفريق وذلك بالحركة اليق بان مقولة جميع السور الاربع
اقسم بالرياح على ما بين وهي التي تجمع وتفرق والمقادر على تاليف السحاب المتفرق بالرياح الدارية والمرسلة قادر على تاليف الاجزا
المتفرقة بطريق من الطرق التي يختارها بمشيئة الله تعالى الخامسة في الذاريات اقوال الاول هي الرياح تذرو التراب وغيره كما قال
تعالى تذروه الرياح الثاني هي الكواكب من ذرا يذرو اذا اسرع الثالث هي الملايكة الرابع رب الذاريات والاول اصح
السادسة الامور الاربعة جاز ان تكون امور اربع اعتبارات والاول هو ما روي عن علي رضي الله عنه ان الذاريات هي الرياح
والحاملات هي السحاب والجاريات هي السفن والمقسمات هي الملايكة الذين يقسمون الارزاق والثاني الاقرب فيه وهو ان هذه
صفات اربع فالذاريات هي الرياح التي تنشئ السحاب اولا والحاملات هي الرياح التي تحمل السحب التي هي بخار المياه التي اذا
سحت جرت السيول العظيمة وهي اوقار اثقل من جبال والجاريات هي الرياح التي تجري السحب بعد حملها والمقسمات هي الرياح التي تفرق
الامطار على الاقطار ويحتمل ان يقال هذه امور اربعة مذكورة في مقابلة امور اربعة بها تتم الاعادة وذلك ان الاجزا التي
تفرقت بعضها في تخوم الارض وبعضها في قعور البحور وبعضها في جو الهوا وهي الاجزاء اللطيفة البخارية التي تنفصل عن الابدان
فقوله تعالى والذاريات من الارض على الذارية هي التي تذرو التراب عن وجه الارض وقوله تعالى فالحاملات وقرا هي التي تجمع الاجزا من
الجو وتحمله حملا فان التراب لا ترفعه الريح حملا بل ينقله من موضع وترميه من موضع بخلاف السحاب فانه تحمله
وتنقله في الجو حملا لا تقع منه شي وقوله تعالى فالجاريات يسرا اشارة الى الجامع من الماء فان من يجري السفن الثقيلة
من البحار الى السواحل قادر على نقل الاجزا من البحر الى البر فحصل الجمع من الارض ومن جو الهوا ومن وسط البحار ثم قال واذا اجتمع
بقي نفخ الروح لكن الروح من امر الله تعالى كما قال تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي فقال تعالى
فالمقسمات امرا الملايكة التي تنفخ الروح في الجسد بامر الله تعالى وانما ذكرهم بالمقسمات لان الانسان في الاجزا الجسمية
حاصل لكل احد راسا ورجلا والناس متقاربة في الاعداد والاقدار لكن التفاوت الكثير في النفوس فان عن مخالفه
والجسمية بينهما غاية الخلاف وتلك القسمة المتفاوتة تقسيم نفس مختار وما مور من مختار فقال تعالى والمقسمات امرا السابعة
ما بين المنصوبات من حيث النحو فقوله اما ذروا فلا شك في كونه منصوبا على انه مصدر واما وقرا فهو مفعول به كما يقال حمل فلان
عدلا ثقلا ويحتمل ان يكون اسما اقيم مقام المصدر كما يقال ضربته سوطا ترنده وراه من قرا بفتح الواو واما يسرا فهو ايضا
منصوب على انه صفة مصدر تقديره جريا يسرا واما المقسمات امرا فهو اما مفعول به كما يقال فلان قسم الرزق او المال واما
حال على صورة المصدر كما يقال قتلته صبرا اي مصبورا لكن لك هاهنا المقسمات امرا وماموره فان قيل ان كان وقرا مفعول به
فلم لم تجمع ما فيه والحاملات اوقارا فان قيل ان كان وقرا مفعول به فلم لم تجمع وما قيل والحاملات اوقارا نقول لان الحاملات على
ما ذكرنا صفة الرياح وهي سوار وعلى وقر واحد فان ريحا تهب وتسوق السحابة فتسبق السحابة في احد وسوقها وربما تحركه
بنحبه ويبرد بسبب احد من الرياح كذلك القول في المقسمات امرا اذا قلنا هو مفعول به لان جماعة يكونون مامورين بقسم امرا
واحدا اذ نفوذه تقدير الكلام كانه قال تعالى والحاملات وقرا فالمقسمات امرا امرا الثامنة ما فايدة الفا نقول ان قلنا صفات
الرياح فلبيان ترتيب الامر في الوجود فالذاريات تنشئ السحاب فتقسم الامطار على الاقطار وان قلنا انها امور اربعة فالفاء
للترتيب في القسم للترتيب المقسم به كانه تعول اقسم بالرياح الذاريات ثم بالسحب الحاملات ثم بالسفن الجاريات ثم بالملايكة
المقسمات وقوله تعالى فالحاملات وقرا وقوله تعالى فالجاريات اشارة الى بيان ما في الرياح من الفوايد اما في البر فانشا السحب
واما في البحر فاجراء السفن ثم المقسمات اشارة الى ما يترتب على حمل السحب وجري السفن من الارزاق والارباح التي تكون بقسمة الله
تعالى فيجري سفن بعض الناس كما تشتهي ولا تربح وبعضهم يربح وهو غافل عنه كما قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا
ثم قال تعالى انما توعدون لصادق ما تحتمل ان تكون مصدرية معناه ان الوعد صادق وان تكون موصولة اي الذي توعدون صادق
والصادق معناه ذو صدق وان تكون موصولة اي الذي توعدون صادق او الصادق معناه ذو صدق كعيشة راضية بما
وصف به الفاعل فالمصدرية افادة مبالغة كما ان من قال فلان لطف محض وحلم بحيث يكون قد بالغ كذلك من قال كلام صادق
وبرهان قاهر للخصم وغير ذلك يكون قد بالغ والوجه فيه هو انه تعالى اذا قال هو لطف بدل قوله لطيف فكانه قال اللطيف شي له لطف
وشي اخر ما او ان ما من كرم اللطف تحصل كله لطف وفي الثاني لما كان الصدق يقوم مقام المتكلم بسبب كلامه فكانه قال
هذا الكلام لا يحتاج الى شي اخر حتى يصح اطلاق الصادق عليه بل هو كاف في اطلاق الصادق لكونه سببا قويا وقوله توعدون يحتمل ان يكون
من وعد ووعد اي يكون من وعد والثاني هو الحق لان اليمين مع المنكر بوعده او عده وقوله تعالى وان الدين لواقع اي الحشر كاين وعلى
هذا فلا تعاد بالحشر والموعود هو الحشر والجزا هو العقاب فكانه تعالى بين بقوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع ان الحساب
ليسوا وان العقاب لواقع ثم قال تعالى والسما ذات الحبك اصل الطرايق وعلى هذا فيحتمل ان يكون المراد طرايق الكواكب ممرها
كما يقال في الحبك من الماء اذا ضربته الريح ويحتمل ان يكون المراد ما في السما من الاشكال بسبب النجوم فان في سمت كواكبها طريق

والذي



والذي تقول به اصحاب الصور ومطابقة الجوار وغير ذلك لما تطابق ويحتمل ان يكون المراد بها السما المزينة بالكواكب ومثله قوله
تعالى والسما ذات البروج وهي حسنها صفا لها قال الثوب المصقول حسن الحبك ويحتمل ان يكون قوله تعالى والسما ذات
الرجع [illegible] البحث الثاني في المقسم عليه وهو قوله تعالى انكم لفي قول مختلف وفي تفسيره اقوال مختلفة
الاول انكم لفي قول مختلف في حق محمد صلى الله عليه وسلم تارة تقولون انه امي وتارة انه كاذب وتارة تنسبونه
الى الجنون ويقولون انه كاهن وشاعر وساحر [illegible]
[illegible]

درجات المتقي الجنة فما من مكلف احب الكفر الا ويدخل الجنة فمن ذاق نعيمها الثانية الجنة تارة وحدها فقال تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار واخرى جمعها كما في هذا المقام قال تعالى ان المتقين في جنات وتارة ثناها فقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فما الحكمة فيه نقول اما الجنة عند التوحيد فانها لاتصال المنازل والاشجار والانهار كجنة واحدة واما الجمع فلانها بالنسبة الى الدنيا وبالاضافة الى الجنات لا تحصى عددا واما التثنية فسنذكرها في سورة الرحمن غير انا نقول هاهنا ان الله تعالى عند الوعد وحد الجنة وكذلك عند الشرى حيث قال تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وعند الاعطاء جمعها اشارة الى ان الزيادة في الوعد موجود والخلف ما وعد بجنات ثم كان نقول انه في جنة لانه دون الموعود الثالثة قوله تعالى وعيون تقتضي ان يكون المتقي فيها ولا لذة في كون الانسان في ماء وغير ذلك من المايعات نقول معناه في خلال العيون وذلك بين الانهار بدليل ان قوله تعالى في جنات ليس معناه الا بين خلال وفي خلالها لان الجنة هي الاشجار وانما يكون فيها كذلك القول في العيون والسكن مع كونها معروفة للتعظيم يقال فلان رجل اي عظيم في الرجولية وقوله تعالى اخذين ما اتاهم فيه مسايل ولطايف اما المسايل **فالاولى** منها معنى اخذين نقول فيه وجهان احدهما قابضين ما اتاهم شيا فشيا ولا يستوفونه بكماله لامتناع استيفا ما لا نهاية له والثاني اخذين قابلين قبول راضين كما قال تعالى ويأخذ الصدقات اي يقبلها وهذا ذكره الزمخشري وفيه وجه ثالث وهو ان قوله تعالى في جنات يدل على السكنى فحسب فاذا قال اخذ بلاد كذا وقلعه كذا اي دخلها متملكا لها وكذلك لمن اشترى دارا او بستانا اخذه بثمن قليل اي تملكه وان لم يكن هناك قبض حسيا ولا قبول برضا وحينئذ فايدته بيان ان دخولهم فيها ليس دخول مستعير او ضيف يسترد منه ذلك بل هو ملكه الذي اشتراه بماله ونفسه من الله وقوله اتاهم يكون لبيان ان اخذهم ذلك لم يكن عنوة وقهرا وانما كان باعطاء الله وعلى هذا الوجه ما راجعة الى الجنات والعيون وقوله تعالى كانوا قبل ذلك محسنين اشارة الى ثمرها اي اخذها وملكوها بالاحسان كما قال تعالى للذين احسنوا الحسنى بلام الملك وهي الجنة الثانية ان المتقين فيه معنى الذين امنوا وقوله محسنين اشارة فيه معنى الذين عملوا الصالحات وقوله تعالى كانوا قليلا فيه معنى قوله تعالى وقليل ما هم البحث الثاني على القول المشهور وهو ان ما زايدة يحتمل ان يكون قليلا صفة مصدر تقديره يهجعون هجوعا قليلا البحث الثالث يمكن ان يكون قليلا منصوبا على انه خبر كان وما مصدرية تقديره كان هجوعهم من الليل قليلا فيكون فاعل كان هو الهجوع ويكون ذلك من باب بدل الاشتمال لان هجوعهم متصل به فكانه قال كان هجوعهم قليلا كما يقال زيد خلقه حسنا فلا يحتاج الى القول بزيادة **واعلم** ان النحاة لا يقولون فيه انه بدل فهم يقولون بين قول القايل زيد حسن وجهه والوجه وبين قوله زيد وجه حسن فيقولون في الاول صفة وفي الثاني بدل ونحن قلنا انه من باب بدل الاشتمال اردنا معنى اصطلاحيا والا فقليلا عند التقديم ليس في النحو مثله عند التاخر حال قولك فلان قليل هجوعه ليس ببدل وفلان هجوعه قليل بدل وعلى هذا يمكن ما موصولة وكان ما يهجعون به قليلا من الليل هذا ما يتعلق باللفظ اما ما يتعلق بالمعنى فنقول تقديم قليلا في الذكر ليس بمحرر للمدح حتى يقع الهجود ويستغفرون في واخر الايات بل فيه فايدة معنوية وهي ان الهجوع راحة لهم وكان المقصود بيان اجتهادهم وتحملهم السهر لله تعالى فلو قال كانوا يهجعون كان المذكور اولا راحتهم ثم نصفه بالقلة وربما يغفل الانسان السامع عما بعد الكلام فيقول احسابهم وكونهم محسنين بسبب انهم يهجعون واذا قدم قوله يكون السابق اولى قلة الهجوع وهذه الغاية من مراعاتها نقول فلان قليل الهجوع ولا نقول هجوعه قليل لان الغرض بيان قلة الهجوع لا بيان الهجوع بوصف القلة والكثرة فان الهجوع لو لم يكن لكان اولى ولكن ذلك قلة الهجوع فكونها لو لم يكن لكان بعضها الكرم في الظاهر الفايدة الثانية في قوله تعالى من الليل وذلك لان النوم القليل بالنهار قد يوجد من كل واحد واما الليل فهو زمان النوم لا يسهره في الطاعة الا متعبد مصرف فان قيل الهجوع لا يكون الا بالليل والنوم نهارا لا يقال له الهجوع قلنا ذكر الامر العام واراد فيه المخصص حسن نقول رايت حيوانا ناطقا فصيحا وذكر الخاص واراد العام لا يحسن الا في بعض المواضع فلا نقول رايت فصيحا ناطقا جوابا اذا عرفت هذا فقوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ذكر امر هو كالعام ويحتمل ان يكون بعضهم كانوا من الليل يسجدون او يستغفرون او يسهرون او غير ذلك فاذا قال يهجعون فكانه تخصيص ذلك الامر العام المحتمل له ولغيره ثم قال تعالى وبالاسحار هم يستغفرون اشارة الى انهم كانوا يتهجدون ثم يريدون ان يكون عملهم اكثر من ذلك واخلص منه ويستغفرون من التقصير وهو سيرة الكريم ياتي بابلغ وجوه الكرم ويستقله ويعتذر من التقصير واللئيم ياتي بالقليل ويستكثره ويمن به وفيه وجه اخر الطف منه وهو انه تعالى لما بين انهم يهجعون قليلا والهجوع مقتضى الطبع قال يستغفرون اي من ذلك القدر من النوم القليل وفيه لطيفة اخرى نبحثها في جواب سؤال وهو ان الله تعالى مدحهم بقلة الهجوع ولم يمدحهم بكثرة السهر وما قال وكانوا كثيرا من الليل يسهرون فما الحكمة فيه مع ان السهر هو الكلفة والاجتهاد لا الهجوع نقول اشارة الى ان نومهم عبادة حيث مدحهم الله تعالى بكونهم هاجعين قليلا وذلك الهجوع اورثهم الاشتغال بعبادة اخرى وهي الاستغفار في وجوه الاسحار ومنعهم من الاعجاب بانفسهم والاستكبار وفيه مباحث البحث الاول الباء في انها استعملت للظرفية ههنا وهي ليست للظرف نقول قال بعض النحاة ان حروف الجر ينوب بعضها مناب بعض يقال في الظرف خرجت لعشر بقين وبالليل وفي شهر رمضان فيستعمل اللام والباء وفي وكذلك في المكان نقول اقمت بالمدينة وكنا فيها ورايته ببلد كذا وفيها فان قيل ما التحقيق فيه نقول الحروف لها معاني مختلفة كما ان الاسماء والافعال كذلك غير ان الحروف غير مستقلة بافادة المعنى





والاسم والفعل مستقلان لكن بين بعض الحروف وبعضها تباين وتباعد كما في الاسما والافعال فان الميت والمسكن مختلفان متفاوتان فكذلك مكث وسكن ولا كذلك كل اسمين نعوضا وكل فعل نوجدا اذا عرفت هذا فنقول بين اللام والبا وفي مشاركة اما البا فلانها للالصاق والمتمكن في مكان ملتصق به متصل وكذلك الفعل بالنسبة الى الزمان فاذا قال سار بالنهار معناه ذهب ذهابا متصلا بالنهار وقوله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون اي متصلا بالاسحار مقترنا بها لان الكاين فيها مقترن بها فان قيل فهل يكون بينهما في المعنى تفاوت نقول نعم وذلك لان من قال قمت بالليل واستغفرت بالاسحار اخبر عن امرين وذلك ادل على وجود الفعل مع اول جزء من اجزاء الوقت من قوله قمت في الليل لانه يستدعي احتواء الزمان بالفعل وكذلك قول القايل قمت ببلدة كذا لا يفيد انه كان مخالطا بالبلد وقوله اقمت فيها يدل على احاطتها فاذا قول القايل اقمت بالبلدة ودعوت بالاسحار اعم من قوله قمت فيه لان القايم فيه قايم به والقايم به ليس قايم فيه من بل اذا علمت هذا فقوله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون اشارة الى انهم بالليل لا يهجعون ومع اول جزء من السحر يستغفرون فيكون فيه بيان كونهم يستغفرون من غير ان يسبق منهم ذنب وفي الاشارة في الاسحار تخلو الوقت للذنب فان قيل فلم لا يجوز ان يقال خرجت في يوم الجمعة مع نقول لان كل فعل جاير في زمان فهو متصل به فالخروج في يوم الجمعة متصل مقترن بذلك الزمان ولم يستعمل خرجت بيوم الجمعة نقول الفارق بينهما الاطلاق والتقييد بدليل انك اذا قلت خرجت نهارا والليلة لما لم يكن لم يحسن وان قلت خرجت بيوم سعد وخرج هو بيوم نحس حسن بالنهار وبالليل لما لم يكن فيها خصوص وتقييد جاز استعمال البا فيهما واذا قيدتهما وخصصتهما زال ذلك الجواز تحقيق ما بيناه من المغايرة في قوله تعالى واستمع اي لا تكن من الغافلين حتى لا تصعق يوم الصيحة وبيانه هو انه قال استمع اي كن قبل ان تستمع مستعدا لوقوعه فان السمع لا بد منه انهم وهم فيه سوا انتم تسمعون لكن من غير استماع له فتصعقون وانت تسمع بعد الاستماع فلا يوثر فيك الا ما لا بد منه ويحتمل وجوها احدها ما قاله الزمخشري انه يدل على يوم الجمعة لما كان فيه خصوص لم يجز استعمال البا حيث زال الخصوص بالسكنى قد خرجت يوم كذا عاد الجواز والثاني ان مثل يوم الجمعة وهذه الساعة وتلك الليلة وجد فيها امر غير الزمان وخصوصيات وخصوصية الشي في الحقيقة امور كثيرة غير محصورة وعند العاقل على وجه التفصيل لكنها محصورة على الاجمال مثاله اذا قلت هذا الرجل سواك لو قلت الرجل طويل ما كان تعصر مختصا لكنه يخرج من الجهال فاذا قلت الزاهد كذلك فاذا قلت ابن عمرو خرج عن ابنا زيد وبكر وخالد وغيرهم فاذا قلت هذا سواد تلك المخصصات التي باجمعها لا تجتمع الا في ذلك فاذا الزمان المعين فيه امور غير الزمان والفعل حدث معرف بزمان لا مما سعا على الزمان واما في لان ما حصل في العام فهو في الخاص لان العام احد داخل في الخاص واما في الشي يدخل في الذي فيه الشي فصح ان يقال في يوم الجمعة وفي هذه الساعة واما تعدد اللام فيوخر الى موضعه وقد تقدم بعضه في تفسير قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها وقوله هم غير حال عن فايدة الحصار المستغفرين لا غير يقال فلان هو العالم في العلم كانه تقديره وهو جيد ولكن فيه فايدة اخرى وهي انه تعالى لما عطف وبالاسحار هم يستغفرون على قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ولم يوكد معنى الابيات بكلمة هم لصلح ان يكون معناه وبالاسحار قليلا ما يستغفرون تقول فلان قليلا ما يودي ولما من يحسن ويفهم منه انه قليل الايذا قليل الاحسان فاذا قلت قليلا ما يودي وهو يحسن زال ذلك الوهم وظهر فيه معنى قوله قليل الايذا كثير الاحسان والاستغفار يحتمل وجوها احدها طالب المغفرة بالذكر كقولهم ربنا اغفر لنا الثاني طلب المغفرة بالفعل اي بالاسحار ياتون بفعل اخر طالبا للغفران وهو الصلاة او غيرها من العبادات الثالث وهو اغربها الاستغفار من باب استحصد الزرع اذا جاء اوان حصاده فكانهم بالاسحار يستغفرون اي المغفرة وياتيهم اوان المغفرة قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا يوخر مغفرتهم الى السحر بقوله وقت السحر يجتمع ملائكة الليل والنهار وهو الوقت المشهور فيقول الله على ملائكته منهم اني غفرت لعبدي والاول اظهر والثاني عند المفسرين اشهر ثم قال تعالى وفي اموالهم حق للسايل والمحروم وقد ذكرنا مرارا ان الله تعالى بعد ذكر تعظيم نفسه ذكر الشفقة على خلقه ولا اشكال ان قليل الهجوع المستغفر في وجوه الاسحار وجد منه التعظيم فاشار الى الشفقة بقوله تعالى وفي اموالهم حق وفيه مسايل الاولى اضاف المال اليهم وقال في موضع انفقوا مما رزقكم الله قال تعالى ومما رزقناهم ينفقون سببه ان في تلك المواضع كان الذكر للحث فذكر معه ما يرفع الحث ويدفع المانع فقال هو رزق والله تعالى يرزقكم فلا تخافوا الفقر واعطوا واما ههنا مدح على مفعوله فلم يكن الى الحصر حاجة الثانية المشهورة الحق انه هو القدر الذي علم شرعا وهو الزكاة وحينئذ لا يبقى بهذه صفة مادح لان كون المسلم في ماله حق وهو الزكاة ليس صفة مدح لان كل مسلم كذلك بل الكافر اذا قلنا انه مخاطب بفروع الاسلام في ماله حق معلوم غير انه اذا اسلم سقط عنه وان مات عوقب على تركه وان ادى من غير اسلام لا يقع الموقع فكيف يمدح بكونه نقول الجواب عنه من وجوه احدها ان تفسر السايل بمن يطلب شرعا والمحروم هو الذي لا مسكنة له بل لا يطلب منه السايل من المطالبة بالجزية ثم ان المنع قد يكون لكون الطالب غير مستحق وقد يكون لكون المطلوب منه لم يبق عليه حق فلا يجاب فقال تعالى في ماله حق للطالب وهو الزكاة ولغير الطالب وهو الصدقة المتطوع بها فان ذلك المالك لا يطالب بها ويحرم الطالب منه طلبا على سبيل الجزية والزكاة يسال سوالا احتياريا فيكون حينئذ كانه قال في ماله زكوة وصدقة والصدقة في المال لا يكون الا بعضه هو ذلك وتقديره واقرار الفقرا والمساكين الجواب الثاني هو ان قوله تعالى وفي اموالهم حق للسايل اي مالهم صرف حقوقهم فان كلمة الظرفية لكن الظرف لا يطلب الا المظروف فكانه تعالى قال هم لا يطلبون المال ولا يجمعونه الا و يجعلونه ظرفا للحق ولا اشكال ان الظرف والمظروف هو المطروف ما لم المحقوق فلا يكون فوق الحق فصح فان قيل فلو قال ماله للسايل كان ابلغ قلنا لا وذلك لان من يكون له ادعون دينارا فيتصدق فيها لا يكون صدقته دايره لكنه اذا اجتهد واخرج عشرة يسال وادى الزكاة والصدقة يكون مقدار الموذى اكثر وهذا كما في الصلوة والصوم لو اضعف واحد نفسه بهما حتى عجز عنهما

لايكون مثل من اقتصد فيهما واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وفي السائل والمحروم وجوه احدها ان السائل هو الناطق وهو الادمي والمحروم كل ذي روح غيره من الحيوانات المحترمة قال صلى الله عليه وسلم لكل كبد حرا اجر وثانيها وهو الاظهر والاشهر ان السائل هو الذي يسال والمحروم المتعفف الذي يحسبه الناس غنيا فلا يعطيه شيا والاول لقوله تعالى كلوا وارعوا انعامكم والثاني لقوله تعالى واطعموا القانع والمعتر فالقانع كالمحروم فان قيل فعلى الوجه الاول الترتيب غاية الحسن فان دفع حاجة الناطق تقدم على حاجة البهايم فما وجه الترتيب في الوجه الثاني نقول فيه وجهان احدهما ان السايل اندفاع حاجته قبل اندفاع حاجة المحروم في الوجود لانه يعرف حاله بمقاله ويطلب نقليه من ماله فيقوم بدفع حاجته والمحروم غير معلوم فلا يندفع حاجته الا بعد الاطلاع عليه فكان الذكر على الترتيب الواقع و ثانيهما وهو ان ذلك اشارة فيمن يعطي السايل فاذا لم يجدهم يسال هو عن المحتاجين فيكون سايلا وسواله الثالث هو ان المجانسة اللفظية غير مشهورة في الكلام الحكمي فان قول القايل ان رجوعهم الينا وعلينا حسابهم ليس كقوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم والكلام له جسم وهو اللفظ وله روح وهو المعنى وكما ان الانسان الذي نور روحه بالمعرفة ينبغي ان ينور جسمه الطاهر بالنظافة كذلك الكلام ورب كلمة حكمة لا تؤثر في النفوس لركاكة لفظها اذا عرفت هذا فقوله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون وفي اموالهم حق للسايل والمحروم احسن من حيث اللفظ من قولنا وبالاسحار هم يستغفرون وفي اموالهم حق للسايل فان قيل قدم السايل على المحروم هنا لما ذكرت من الوجوه وقدم المحروم على السايل في قوله تعالى القانع والمعتر كلاهما لا يسال لكن القانع لا يتعرض ولا يخرج من بيته والمعتر يتعرض للاخذ بالسلام والتردد ولا يسال وقيل ان القانع لا يسال والمعتر يسال فعلى هذا فلم ابدله نقول هنا غير مطالبة سائل او مستحق مطالبة حرية والزكاة لها طالب سايل هو الساعي والامام فقوله للسايل اشارة الى الزكاة وقوله تعالى والمحروم اي الممنوع اشارة الى الصدقة المقطوع بها واحدهما قبل الاخر بخلاف اعطاء [illegible] قال تعالى وفي الارض ايات للموقنين وهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون متعلقا بقوله تعالى انما توعدون لصادق وان الدين لواقع وفي الارض ايات للموقنين تدلهم على ان الحشر كاين كما قال تعالى ومن اياته انك ترى الارض خاشعة الى ان قال ان الذي احياها لمحيي الموتى وثانيهما ان يكون متعلقا بافعال المتقين فانهم خافوا الله تعالى فعظموه واظهروا الشفقة على عباده فكان لهم ايات في الارض وفي انفسهم على اصابتهم الحق وذلك فان من يكون له الارض الايات العجيبة يكون له القدرة التامة فيخشى ويتقى ومن له في انفاس الناس حكم بالغة ونعم سابقة يستحق ان يعبد ويترك الهجوع فاذا قابل العبد العبادة بالنعمة يجدها دون حد الشاكر فيستغفر على التقصير واذا علم ان الرزق من السماء لا يبخل بماله فالايات الثلاثة المتاخرة فيها تقرير ما تقدم وعلى هذا فقوله تعالى فورب السماء والارض يكون عودا الى الكلام بعد اعتراض الكلام الاول اقوى واظهر وفيه مسايل الاولى لم خصص الموقنين بكون الايات لهم مع ان الايات حاصلة للكل قال تعالى واية لهم الارض الميتة احييناها نقول قد ذكرنا ان اليقين احيانا ياتي به المشركين وذلك لانه تعالى اولى ياتي بالبرهان فان صدق فذلك لا بد له من ان ينسبه الخصم الى [illegible] على الباطل لانه اذا لم يقدر على قدح فيه ولم يصدقه يعرضه له لقوة الجدل وينسبه الى المكابرة فيمشي طريقه في اليمين فاذا ايات الارض لا تحدهم لان اليقين بقوله تعالى والذاريات تدرو ادلت على سبق اقامة البينا وذكر الايات ولم يعد فقال تعالى في ايات للموقنين وان لم يحصل المطر المعاند لم يحصل فيها اليقين فذكر الايات قبله في ورد انه تعالى ان الارض ايات لمن ينظر فيها الجواب الثاني وهو الاصح هو الايات بالعقل والاعتبار بالمومنين اي حصر ذلك لهم وحيث قال للكل معناه ان فيها ايات لهم ان تفكروا وتاملوا الثالث قال ههنا وفي الارض ايات وقال ههنا واية لهم الارض الميتة بقوله لا جعل الاية للمومنين وذكر بلفظ الجمع لان الموقن لا يغفل عن الله تعالى في حال ويرى في كل شي اية دالة واما الغافل فلا ينتبه الا بامور كثيرة فيكون الكل كالاية الواحدة ثم قال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون اشارة الى دليل الانفس وهو كقوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وانما اختار من دلايل الافاق ما في الارض لظهورها فان اطرافها واكنافها مالا يمكن عدا صافها بدليل الانفس قوله تعالى وفي انفسكم عام ويحتمل ان يكون مع المومنين وانما اتى بصيغة الخطاب لانها اظهر لكون علم الانسان بما في نفسه اتم وقوله تعالى وفي انفسكم يحتمل ان يكون المراد و فيه تعالى الحجارة في نفسها صلة ولا ايراد بها النفس التي هي منبع الحياة والحس الحركات ويحتمل ان يكون المراد وفي نفوسكم التي بها حياتكم ايات وفي السماء رزقكم فيه وجوه احدها في المطر وقوله تعالى افلا تبصرون والاستفهام اشارة الى ظهورها وقوله تعالى وفي السماء رزقكم مكتوب بالها تقدير الارزاق كلها في السماء والا لما حصلت في الارض حبة قوت وفي الايات الثلاث ترتيب حسن وذلك امور ثلاثة يحتاج اليها الانسان سبقها احتياجه لوجوده في نفسه وامر يعرض بعد الوجود وامور تلحقه وتوجد بعده فيبقى بها فالارض هي المكان واليه يحتاج الانسان ولا بد من سبقها فقال تعالى وفي الارض ايات ثم في نفس الانسان امور من الاجسام والاعراض فقال تعالى وفي انفسكم ثم بقاءه بالرزق فقال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون ولولا السماء لما كان للناس البقاء وقوله تعالى وما توعدون فيه وجوه احدها الجنة الموعود بها لانها في السماء ثانيها هو من الايعاد لان البناء المفعول من وعد يوعد ومن اوعد يوعد بالنار الجنة والنار كقوله تعالى يوم هم على النار يفتنون وقوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون فيكون ايعادا عاما وحينئذ يكون الخطاب مع الكفار حيث كانه تعالى قال وفي الارض ايات للموقنين كافية واما انتم ايها الكافرون ففي انفسكم ايات وهي اظهر الايات وتكفرون بها لحطام الدنيا وحب الرياسة وفي السماء الارزاق فلو نظرتم وما ملتم حق النظر لما تركتم الحق لاجل الرزق فانه واصل بكل طريق ولا جنبتم الباطل اتقاء لما توعدون من العذاب النازل من السماء ثم قال تعالى فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون وفي المقسم عليه وجوه احدها ما توعدون اي توعدون

لحق

لحق يؤيده قوله تعالى انما توعدون لصادق وعلى هذا نعود كما قلناه في وجوه ما توعدون ان قلنا ان ذلك هو الجنة فالمقسم عليه هو حق ثانيها الضمير راجع الى القران اي ان القران حق وفيما ذكرنا في قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون معناه تكلم به الملك النازل من عند الله به مثل ما انكم تتكلمون وسنذكره ان شاء الله تعالى ثالثها انه راجع الى اليوم كما في قوله وان الدين لواقع ورابعها انه راجع الى اليوم المذكور وفي قوله تعالى ايان يوم الدين يدل عليه وصف الله اليوم بالحق في قوله تعالى ذلك اليوم الحق خامسها انه راجع الى القول الذي يقال هذا ما كنتم به تستعجلون وفي التفسير مباحث البحث الاول الفا تستدعي تعقيب الامر كلامر فما الامر المتقدم نقول فيه وجهان احدهما الدليل المتقدم كانه تعالى يقول انما توعدون لحق بالبرهان المبين ثم بالقسم واليمين ثانيهما القسم المتقدم كانه تعالى يقول والذاريات ورب السماء والارض وعلى هذا يكون الفا حرف عطف اعيد معه القسم اذ يصح ان يقال ومررت بعمرو لقوله تعالى والذاريات ذروا فالحاملات وقرا عطف من غير اعادة حرف القسم وقوله تعالى فورب السماء مع اعادة حرفه والسبب فيه وقوع الفصل بين القسمين ويحتمل ان يقال الامر المتقدم هو بيان الثواب في قوله تعالى يوم هم على النار يفتنون وقوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون وفيه فايدة وهو ان القايلون على اي لا حاجة الى اليمين مع ما تقدم من الكشف المبين فكانه يقول ورب السماء والارض انه لحق كما يقول القايل بعد ما يظهر دعواه والله ان الامر كما ذكرت فيوكد قوله باليمين ويشير الى ثبوته من غير يمين البحث الثاني اقسم من قبل بالامور الارضية وهي الرياح وبالسماوية قوله تعالى والسماء ذات الحبك ولم يقسم بربها وهاهنا اقسم بربها نقول لذلك الترتيب يقسم المتكلم اولا بالادنى فاذا لم يصدق به يرتقي الى الاعلى ولهذا قال بعض الناس اذا قال القايل وحياتك والله لا يكفر واذا قال والله وحياتك يكفر ولهذا استشهاد ان كان الامر على خلاف ما قاله ذلك القايل لان الكفر اما بالقلب او باللفظ الظاهر في الامر القلبي او بالفعل الظاهر وما ذكره ليس بظاهر وتعظيم جانب غير الله تعالى والعجب من ذلك القايل انه لا يجعل التاخير في الذكر مفيدا في الترتيب وفي الوصف وغيره البحث الثالث قرى مثل بالرفع وحينئذ يكون وصفا لقوله حق ومثل وان اضيف الى المعرفة لا يخرجه عن جواز وصف المنكر به تقول رايت رجلا مثل عمرو لانه لا يفيده تعريفا لانه في غاية الابهام وقرى مثل بالنصب ويحتمل وجهين احدهما ان يكون مفتوحا لاضافته الى معنى ما وهو ضعيف والا جاز ان يقال زيد قايل من تعرفه او ضارب من تسميه ثانيهما ان يكون منصوبا على البيان تقديره لحق حقا مثل وتجوز ان يقال هو منصوب على انه صفة مصدر معلوم غير مذكور ووجه انا ذكرنا ان المراد من الضمير في قوله فكانه قال ان القران لحق نطق به الملك مثل ما انكم تنطقون مجرور لا شك فيه والله تعالى اعلم بالصواب قوله تعالى

**هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجا بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون**

اعلم ان هذا اشارة الى تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم ببيان ان غيره من الانبيا عليهم السلام كان مثله واختيار ابرهيم عليه السلام لكونه شيخ المرسلين وكون النبي صلى الله عليه وسلم على سنته في بعض الاشيا وانذار لقومه بما جرى من الضيف من انزال الحجارة على المذنبين المضلين وفيه مسايل **المسئلة الاولى**

[illegible]

على المصدر تقديره فسلم سلاما ثانيها هو ان يكون السلام نوعا من انواع الكلام وهو كلام مسلم المسلم من ان يلغوا او ياثم كما انهم ما دخلوا عليه
فقالوا حسبنا سلمنا من الاثم وحينئذ يكون مفعول للقول لاي مفعول القول يكون الكلام يقال قال فلان كلاما ولا يكون بذا من باب ضربته
سوطا لان المضروب هناك ليس هو السوط وهنا القول هو الكلام فرع قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقوله تعالى قيلا سلاما
سلاما ما الها ان يكون مفعول الفعل محذوف تقديره سلمك سلاما الا انه قال على بذا بان المراد لو كان ذلك بعد كونهم رسل الله عند السلام كما كان
لقوله قوم منكرون ولما كان تقريبا اليهم الطعام ولما قال نكرهم واوجس لانا نقول جاز ان يقالا ثم قالوا سلمك سلاما ولم يقولون من الله تعالى
الى ان سالهم ابرهيم عليه السلام وذلك لان الحلم لا يا في الامر العظيم الا بالتدريج فلما كان هذا عظيمة فلو اصموا اليه الامر العظيم الذي هو
السلام من الله لا سرع ابرهيم عليه السلام ثم ان ابرهيم عليه السلام استغل باكرامهم عن سوالهم واخر السوال الى حين الفراغ فكرهم بين
السلام والسوال عن منه السوال بذا وجه الرفع الثاني معقول عنوان المراد منه السلام الذي هو التحية وهو المشهور ايضا وحينئذ يكون
مبتدا خبره محذوف تقديره سلام عليكم فيكون المبتدا نكرة يحتمل في قول القايل سلام عليكم وقيل انه خبر مبتدا محذوف تقديره قالوا جوابه
سلام ويحتمل ان يكون المراد قولا سلم به لو بنى عن السلامة فيكون خبر مبتدا المحذوف تقديره افوي سلام بمعنى مسالمة لا تعلق
بيني وبينكم لاني اعرفكم او يكون المبتدا قولكم تقديره قولكم سلام ينبئ عن السلامة وانتم قوم منكرون فما خطبكم فان الاشكل
ويحتمل ان تقال في النصب والرفع واما الفرق فعولا ما على التفسير المشهور وهو ان السلام في الموضعين بمعنى التحية فنقول الفرق بينهما
من حيث اللفظ ومن حيث المعنى اما من حيث اللفظ فنقول سلام عليكم انما جوزوا واستحسن لكونه مبتدا وهو نكرة من حيث انه كالمتروك على
لحاله لان الاصل ان يكون منصوبا على تقدير اسلم سلاما وعليك لكون البيان من اريد بالسلام ولا يكون لعليك حظ من المعنى
غير ذلك البيان فيكون كالخارج عن الكلام والكلام التام اسلم سلاما كما انك تقول ضربت زيدا على السطح خارجا عن الفعل والفاعل
والمفعول لبيان محل فعلك فاذا كان الامر كذلك وكان السلام والادعية كثير الوقوع قالوا نعدل عن الجملة الفعلية الى الاسمية
ونجعل له عليك حظا في الكلام فنقول سلام عليك فيصير علك لفايدة لا بد منها وهي الخبرية ونترك السلام نكرة كما كان
حال النصب اذا علم هذا فالنصب اصل والرفع ماخوذ منه فقال قالوا سلاما قال سلام قدم الاصل على الفرع منه واما المعنى وذلك
لان ابرهيم عليه السلام اراد ان يرد عليهم السلام بالاحسن فاتى بالجملة الاسمية فانه ادل على الدوام والاستمرار فان قولنا
جلس زيد لا ينبئ عنه لان الفعل لا بد فيه عن الانباء عن التجدد والحدوث وبذا لو قلت الله موجود الان لا ينبئ الفعل المسلم
ان لا ينبئ عن التجدد ولو قال ما يوجد الله الان يكاد ينسيه العاقل لما بينا فلما قالوا سلام سلاما قال سلام عليكم مستمر
دائم واما على قولنا المراد القول ذو السلامة فظاهر الفرق فانهم قالوا قولا ذا سلام وقال لهم ابرهيم عليه السلام اي قولكم
ذو سلام وانتم قوم منكرون فالتبس الامر على وان قلنا المراد امري مسالمة ومباركة وهم سلموا عليه سلما فعود فيه
جمع بين امرين تعظيم جانب الله تعالى ورعاية قلب عباد الله فانه لو قال سلام عليكم وهو لم يعلم كونهم عباد الله الصالحين
كان يجوز ان يكونوا على غير ذلك فيكون الرسول فدا منهم فان السلام امان الرسول وامان الرسول امان المرسل فيكون فاعلا
لامر من غير اذن الله بسانه عن الله فقال اسم سلمتم على وانا متوقف سا وله لا تعلق بيننا الى ان يبين الحال ويدل على بذا
ان الله تعالى قال واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال في مثل بذا المعنى للنبي صلى الله عليه وسلم فاصفح عنهم وقل سلام
وذلك لان الاخيار المذكورين في القران لو سلموا على الجاهلين لا يكون ذلك سببا الحرمة التعرض اليهم وانما النبي صلى الله عليه وسلم
لو سلم عليهم لصار ذلك سببا الحرمة التعرض لهم فقال وقل سلام اي امري معكم مباركة تركناه الى ان ياتي امر الله بامر واما على
قولنا بمعنى سلام فنقول انهم لما قالوا سلمك سلاما ولم يعلم ابرهيم عليه السلام انه ممن قال بمعنى سلام اي من الله قال بذا منه
وان زاد شرفي والا فقد بلغني منه سلام وبه شرفي ولولا الشرف سلام غيره بلاما يمكن ان يقال فيه والله اعلم بمراده والاول والثاني
عليهما الاعتماد فانهما اقوى وقد حصل بهما الساسة قال في سورة هود فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم فدل على ان انكارهم
حاصلا بعد تقريبه العجل منهم قال سلام قوم منكرون ثم قال تعالى فراغ الى اهله بفاء التعقيب فدل على تقريب الطعام منهم بعد
حصول الانكار فما الوجه فيه نقول جاز ان تحصل ولا عدوه منهم بكرمه ثم وعند اسالهم والذي يدل على هذا هو انهم كانوا
على شكل وهيئة غير ما يكون عليه الناس فكانوا انفسهم عند كل احد منكرين واسر ابرهيم عليه السلام وغيره فيه وهذا
لم يقل انكرتهم بل قال انتم منكرون في انفسكم عند كل احد منا ثم ان ابرهيم عليه السلام لفرد عشايرة امر منهم وهو الامتثال بكرمهم فرق بكما
منهم بالنسبة الى الاصل لكن الحالة في سورة هود محكية على وجه البسط مما ذكره هاهنا فان هاهنا لم يبين المبشر به وهناك ذكره
باسمه وهو اسحاق ولم يقل هاهنا ان القوم قوم من وهناك قوم لوط حتى الحكاية من تامل السورتين يعلم ان الحكاية محكية
هناك على وجه الاضافة البسط فذكر فيها التكرم الزايد ولم يذكرها هاهنا ونعدل الى بيان ما الى به من الاداب الاضافية
وما اتوا به من اداب الضيافة فالاكرام اولى من جاء صف قبلا اي يجمع به وسلم احدهما على الاخر انواع من الاكرام وهو اللقا
الحسن والخروج اليه والبها له فنقول قوله قوم منكرون وقت اللقا ثم السلام من الضيف على الوجه الحسن الذي دل عليه النصب
في قوله سلاما اما لكونه مؤكدا بالمصدر او لكونه مسلما ممن هو اعظم منه ثم الرد الحسن الذي دل عليه الرفع والامتنان عن
الكلام لا يكون فيه واما ان قلت ان ابرهيم عليه السلام لم يقل سلام عليكم بل قال امري مسالمة او قولكم سلام وسلام عليكم
فان ذلك وان كان مخلا بالاكرام لكن العدو ليس من سيماء الاكرام ومودة اعداء الله لا يليق بالانبيا عليهم السلام ثم
تعجيل القرى الذي دل عليه قوله تعالى فما لبث اذ جاء وقوله هاهنا فراغ فان الروغان يدل على السرعة والروغ الذي بمعنى الميل

الحق



الحق والرواج المخفي ايضا لذلك ثم الاخفا كذلك فان المضيف اذا احضر شيا ينبغي ان يخفيه عن الضيف كيلا يمنعه من الاحضار بنفسه
حيث راغ هو الى نفسها ترا                المضيف يحضره من الضيف يستحسن لتشرح وما لى ببرغ ما يحتاج اليه ويمنعه الحيا منه ثم احضار الاجود
بقوله سمين ثم تقديم الطعام اليهم لا حملهم الى الطعام بقوله تعالى فقربه اليهم لان من قدم الطعام الى قوم يكون كل واحد مستقرا في مقره
لا يختلف المكان فان نقلهم الى مكان الطعام ربما يحصل هناك اختلاف جلوس فيقعد الادنى ويقعد الاعلى ثم العرض لا الامر قال
تعالى الا تاكلون ولم يقل كلوا ثم كون المضيف مسرورا باكلهم غير مسرور بتركهم الطعام كما يوجد في بعض البخلاء المتكلفين الذين يحضرون
الطعام كثيرا ويكون نظره ونظر اهل بيته في الطعام حتى يمسك الضيف يده عنه يدل عليه قوله تعالى فاوجس منهم خيفة
ثم ادب الضيف انه اذا اكل حفظ حق الماكل يدل عليه انه خافهم حيث لم ياكلوا ثم وجوب اظهارا العذر عند الامساك يدل عليه
قوله تعالى لا تخف ثم تحري العادة في العذر وذلك لان من يكون محتميا واحضر لديه الطعام فهناك امران احدهما ان الطعام لا يصلح
له لكونه مضرا به الثاني كونه ضعيف القوة عن هضم ذلك الطعام فينبغي ان لا يقول الضيف هذا الطعام غليظ لا يصلح
بل الاحسن ان ياتي بالعادة الاخرى ويقول لي مانع من اكل الطعام وفي بيتي لا اكل سيا ايضا يدل عليه قوله تعالى وبشروه
بغلام حيث فهموا انهم ليس ممن ياكلون ولم يقولوا لا يصلح لنا الطعام والشراب ثم ادب اخر في البشارة ان لا يخبر الانسان
بما يبشر به دفعة فانه يورث مرضا قال عليه انهم جلسوا واستانسوا بهم ابرهيم عليه السلام قالوا نبشرك ثم ذكروا اشرف
النوعين وهو الذكر ولم يصفوه بالشيب وصفوه فان الابن قد يكون دون البنت اذا كانت البنت كاملة الخلقة حسنة الخلق
والابن بالضد ثم انهم تركوا سائر الاوصاف من الحسن والجمال والقوة والسلامة واختاروا العلم اشارة الى ان العلم راس الاوصاف
ورئيس النعوت وقد ذكرنا فايدة تقديم البشارة على الاخبار عن اهلاكهم قوم لوط ليعلم ان الله تعالى يهلكهم الى خلف ويأتي بدلهم
خيرا منه والله تعالى اعلم **قوله تعالى** فاقبلت امراته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال
ربك انه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم
حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير
بيت من المسلمين وتركنا فيها اية للذين يخافون العذاب الاليم وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون
بسلطان مبين **اعلم** ان قوله تعالى فاقبلت امراته في صرة اي على اهلها وذلك لانها كانت في خدمتهم فلما تكلموا مع زوجها
بولادتها استحت واعرضت عنهم فذكر الله تعالى بلفظ الاقبال على الاهل ولم يقل بلفظ الادبار عن الملايكة وقوله تعالى في صرة
اي صيحة كما جرت عادة النسا حيث يسمعن شيا من احوالهن يصحن صيحة واحدة معناه لهن عند الاستحيا او يحتمل ان يقال
تلك الصيحة كانت بقولها يا ويلتى يدل عليه الاية التي في سورة هود وصكت الوجه ايضا من عادتهن واستبعدت
لوصفين من اجتماعهما احدهما كبر السن والثاني العقم وانها كانت لا تلد في صغر سنها وعنفوان شبابها ثم عجزت وايست
فاستبعدت وكانها قالت يا ليتكم دعوتم دعا قريبا من الاجابة ظنا منها ان ذلك منهم كما يصدر من الضيف على سبيل الايجاد
من الادعية بقول الداعي الى الله تعالى يعطيك مالا ويرزقك ولدا فقالوا هذا منا ليس بدعا وانما ذلك قول الله تعالى
كذلك قال ربك ثم دفعوا استبعادها بقولهم الحكيم العليم وقد ذكرنا تفسيرها مرارا فان قيل قال هاهنا الحكيم العليم
وقال في هود حميد مجيد نقول لما بينا ان الحكاية هناك ابسط فذكروا ما يدفع الاستبعاد بقولهم اتعجبين من امر الله
ثم لما صدقت ارشدوهم الى القيام بشكر نعم الله تعالى وذكروهم بنعمته بقوله حميد فان الحميد هو الذي يتحقق منه الافعال
الحميدة وقولهم مجيد اشارة الى انه لا يحمد لفعله الجميل وانما يحمد ويسبح له لنفسه وهاهنا لما لم
يقولوا اتعجبين اشارة الى ما يدفع تعجبها من النسبة على حكمه وعلمه وفيه لطيفة وهي ان هذا الترتيب ما على في
السورتين فالحميد يتعلق بالفعل والمجيد بالقران وكذا الحكيم هو الذي فعله كما ينبغي فعله فاصد كذلك الوجه بحدوثه من سبق
فعله موافقا للمقصود اتفاقا لكن يتغلب على حسبه فيصلحه وهو نايم فانه لا يقال له حكيم واما اذا فعل فعله فاصدا
لفعلها بحيث يسلم عن لهو فقال له حليم فيه والعليم راجع الى الذات اشارة الى انه يستحق الحمد بحمده والا لم يفعل بعد
وهو صادق لعلمه وانه يفعل على وفق القاصد ثم قال تعالى فما خطبكم ايها المرسلون لما علم حالهم يدل قوله تعالى منكرون
بما شروه لجواز ان يكون بروهم للبشارة لا غير بقول ابرهيم عليه السلام اي باهو من اداب حيث تقول بصيغة اذا استعمل
في الخروج ما بذه العجلة وما شغلك الذي يمنعنا من التشرف بالاجتماع بك ولا تسكت عند خروجهم مخافة ان يكون استعجالهم
يومهم اسيعا لهم ثم اتوا بما هو من اداب الصديق الصدوق خلاصتها وكان ذلك باذن الله تعالى لهم في اطلاع ابرهيم عليه السلام
على اهلاكهم وحزنه تقديم البشارة بحر الحزن وهو باب الانبيا اسحق عليه السلام على الصحيح فان قيل فما الذي اقتضى ذكره بالفا
ولو كان كما ذكرتم لقالوا ما هذا الا استعجال وما خطبكم المخل بكم نقول لما كان اوجس منهم خيفة لو خرجوا من غير بشارة واسا
ما كان يقول سياء فلما انسوه قال ما خطبكم اي بعد هذا الانس العظيم ما هذا الايحاش الاليم **المسئلة الاولى** ما في الخطب
فايدة لا يوجد في غيره من الالفاظ نقول نعم وذلك من حيث ان الالفاظ المفردة التي تقرب منه الشغل والامر والعمل وامثالها
وكل ذلك لا يدل على عظم ولا على شدة يقتضي ان قال ما خطبكم ايها المرسلون الا لتعظيم ولو قال بلفظ مركب بان يقول ما شغلكم الخطير وامركم
العظيم للزم التطويل فالخطب افاد التعظيم مع الايجاز **المسئلة الثانية** من اين عرف كونهم مرسلين فنقول قالوا بدليل قوله
تعالى انا ارسلنا الى قوم لوط وانما لم يذكرها هنا لما بينا ان الحكاية بسطها مذكورة في سورة هود او نقول لما قالوا لامراته كذلك

قال ربك علم كونهم منزلين من عند الله تعالى حيث كانوا يحكون قول الله تعالى يدل على هذا ان قولهم انا ارسلنا الى قوم مجرمين كان
سؤاله منهم الثالث هذه الحكاية بعينها هي المحكية في هود وهناك قالوا انا ارسلنا بعد ما زال عنه الروع وبشروه وسالهم عن
الخطب ايضا قالوا هناك انا ارسلنا الى قوم لوط وقال هاهنا انا ارسلنا الى قوم مجرمين والحكاية عن قولهم فان لم يقولوا ذلك لورود السؤال
ايضا فنقول اذا قال قايل حاكيا عن زيد قال زيد عمرو خرج ثم يقول مرة اخرى قال زيد ان عمرا خرج فاما ان يكون قد صدر من زيد
قولان واما ان يكون حاكيا ما قاله زيد والجواب عن الاول وهو انما خافهم راهم ما قالوا له لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط فلم قال
لهم ماذا تفعلون بهم كان لهم ان يقولوا انا ارسلنا الى قوم لوط لنهلكهم كما يقول القايل خرجت لا بحر لكن هاهنا فايدة معنوية
وهي انهم لما قالوا في جواب ما خطبكم كان فيه كونهم معذبين وهي انهم لما قالوا في جواب ما خطبكم نهلكهم بامر الله تعالى ليعلم
انهم عن الملائكة الكرام واهلاك البرية فاعادوا لفظ الارسال واما عن الثاني فنقول الحكاية قد تكون حكاية اللفظ
كما تقول قال زيد بعمرو مررت فيحكى وقد يكون حكاية لكلامه بمعناه تقول قال زيد عمرو خرج ولك ان تبدل مرة
اخرى في غير تلك الحكاية بلفظة اخرى فتقول لما قال لي زيد من بكر خرج قلت كيت وكيت ولذلك هاهنا القران
لفظ معجز وما صدر ممن تقدم نبينا عليه الصلاة والسلام لم يكن معجزا وسوا كان منزلا عليهم ام لم يكن لفظه
معجز فيلزم ان لا يكون هذه الحكايات بتلك الالفاظ فكانهم قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين وقال قالوا انا ارسلنا الى قوم
لوط وله ان تقول قالوا انا ارسلنا الى قوم من امن بدلالة انه لا يحكي لفظهم حتى يكون ذلك واحدا بل على كلامهم بمعناه وبه عبارات
كثيرة الا ترى انه تعالى لما حكى لفظهم في السلام على احد الوجوه في التفسير قال في الموضعين سلاما وسلام ثم بين ما
لاجله ارسلوا فقوله ارسل عليهم حجارة من طين وقد فسرنا ذلك في العنكبوت وقلنا بان ذكره يدل على وجوب الرجم لحد
على اللايط وفيه مسايل **المسألة الاولى** انه لا حاجة الى قوم من الملائكة وواحد منهم من كان يقلب المداين بريشة
من جناحه يقول الملك القادر قد يامر الحقير باهلاك الرجل الخطير ويامر الرجل الخطير بخدمة الشخص الحقير
اظهارا لنفاذ امره فحيث اهلك الخلق الكثير بالنمل والجراد والبعوض بل بالريح التي بها الحياة اظهر القدرة وحيث
امر الالف من الملائكة باهلاك اهل بلد مع قلتهم اظهر نفاذ الامر وفيه فايدة اخرى وهي ان من يكون تحت
طاعة ملك عظيم ويظهر له عدو فيستعين بالملك فيعينه باكابر عساكره يكون ذلك تعظيما منه له وكلما كان العدد
اكثر والمدد اوفر كان التعظيم اتم فكون الله تعالى اعان لوطا بعشرة ونبينا عليه السلام بخمسة الاف وبين العددين
من التفاوت ولا يخفى وقد ذكرنا شيا منه في تفسير قوله تعالى وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء
**المسألة الثانية** ما الفايدة في تاكيده الحجارة بكونها من طين نقول لان بعض الناس يسمي البرد حجارة فقوله
من طين يدفع ذلك التوهم واعلم ان بعض من يدعي يقول لا بد من ان الحجارة من طين مدورات على هيئة
البرد وهيئة البنادق التي يتخذها الرماة قالوا وسبب ذلك هو ان الاعصار تصعد الغبار من الفلوات العظيمة التي
لا عمارة فيها والرياح يسوقها الى بعض البلاد ويتفق وصول ذلك الى الهوا الندي فيصير طينا رطبا والرطب اذا نزل وتفرق
استدار بدليل انك اذا رميت الما الى فوق ثم نظرت اليه رايته ينزل لولوات مدورات كاللالي الكبار ثم في النزول
ان اتفق ان تصيبه النيران التي في الجو جعلته حجارة كالاجر المطبوخ فينزل فيصيب من قدر الله تعالى هلاكه وقد ينزل
كثيرا في المواضع التي لا عمارة بها فلا يرى ولا يدرى به ولهذا قال من طين لان ما لا يكون من طين كالحجر الذي في الصواعق
لا يكون كانه الحب بخار وهذا تعسف ومن يكون كامل العقل يسند الامر الى ما قاله مسندا ذلك القايل فنقول له ذلك الاعصار بما
وقع بحادث اخر يلزم التسلسل ولا بد من الانتهاء الى محدث ليس بحادث فذلك المحدث لا بد وان يكون فاعلا مختارا
والمختار له ان يفعل ما ذكرتم وله ان يخلق الحجارة من طين على وجه اخر من غير نار ولا غبار ولكن العقل لا طريق له الى الجزم
بطريق احداثه وما لا يصل العقل اليه يجب اخذه بالنص والنقل والنص ورد به فاخذنا به ولا نعلم الكيفية وانما
المعلوم ان الحجارة التي من طين نزولها من السما اغرب ولا يجب من غيرها لانها في العادة لا يوجد الا من تكشف النار وقوله تعالى
مسومة عند ربك للمسرفين فيه وجوه احدها مكتوب على كل واحد اسم واحد يقتل به ثانيها انها خلقت باسمه وتعدهم
بخلاف ساير الحجارة فانها مخلوقة للانتفاع في الابنية وغيرها ثالثها مرسلة للمجرمين لان الارسال يقال في السوم
ثم يقال ارسلها الرعي فيجوز ان يقال سومها بمعنى ارسلها وبهذا تفسير قوله تعالى والخيل المسومة اشارة الى الاستغنا عنها
وانها ليست للركوب ليكون ذلك دليلا على الغنا كما قال تعالى والقناطير المقنطرة وقوله تعالى للمسرفين اشارة الى خلاف ما قاله
الطبيعيون ان الحجارة اذا اصابت واحرقت الناس فذلك نوع من الاتفاق وبانها تنزل بطبعها ثم يتفق سحق من هاهنا صدفة
فقوله تعالى مسومة اي في اول ما خلقت وارسلت اذ علم هذا فانما كان ذلك على قصد اهلاك المسرفين فان قيل اذا كانت
الحجارة مسومة للمسرفين فكيف قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم مع ان المسرف غير المجرم في اللغة نقول المجرم
هو الاتي بالذنب العظيم لان الجرم فيه دلالة على العظم ومنه جرم الشي لعظمه ومقداره والمسرف هو الاتي بالكثرة ومن اسرف
ولو من الصغير يصير مجرما لان الصغير الى الصغير اذا انضم صار كثيرا ومن اجرم فقد اسرف لانه اتى بالكبيرة ولو دفعة واحدة
فالوصفان اجتمعا فيهم لكن فيه لطيفة معنوية وهي ان الله تعالى سومها للمسرف المصر الذي لا يترك الجرم والعلم
بالامور المستقلة عند الله تعالى يعلم انهم مسرفون فامر الملائكة بارسالها عليهم واما الملائكة عليهم يتعلق بالحاضر

وهم كانوا



وهم كانوا مجرمين فقالوا انا ارسلنا الى قوم لوط لعلمهم بانهم مجرمين لنرسل عليهم حجارة خلقت لمن لا يؤمن ويصر ويسرف ولزم
من هذا علمنا بانهم لو عاشوا سنين لزادوا في الاجرام فان قيل اللام لتعريف الجنس او لتعريف العهد نقول لتعريف العهد
اي مسومة لهولا المسرفين اذ ليس لكل مسرف حجارة مسومة فان قيل من اين هم نقول مما دل عليه قوله تعالى ما سبقكم بها من
احد من العالمين اي بلغ مسلكهم احد وقوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فيه فايدتان **احدهما**
بيان القدرة والاختيار فان من يقول بالاتفاق يقول يصيب البر والفاجر فلما ميز الله تعالى المجرم عن المحسن دل على الاختيار
**ثانيهما** بيان انه ببركة المحسن ينجو المسي فان القرية ما دام فيها المؤمن لا تهلك والضمير عايد الى القرية وهي معلومة
وان لم تكن مذكورة وقوله تعالى فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فيها اشارة الى ان الكفر اذا غلب والفسق اذا فشى
لا ينفع عبادة المؤمنين بخلاف ما لو كان اكثر الخلق على الطريقة المستقيمة وفيهم شرذمة يسيرة يسرفون ويذنبون وقيل
في مثاله ان العالم كبدن ووجود الصالحين كالاغذية الباردة والحارة والسموم الواردة عليه المضادة ثم ان البدن
ان خلا عن المنافع وفيه المضار هلك وان خلا عن المضار وفيه المنافع طاب عيشه وان وجد فيه كلاهما
فالحكم للغالب فكذلك البلاد والعباد والدلالة على ان المسلم بمعنى المؤمن والحق ان المسلم اعم من المؤمن واطلاق العام
على الخاص لا مانع منه فاذا سمي المؤمن مسلما لا يدل على اتحاد مفهوميهما وكانه تعالى قال اخرجنا المؤمنين فما وجدنا الاعم
منهم الا بيتا من المسلمين ويلزم من هذا ان لا يكون هناك غيرهم من المؤمنين وهذا كما لو قال قايل لغيره من في البيت من
الناس فيقول له ما في البيت من الحيوانات احد غير زيد فيكون مخبرا له بخلو البيت عن كل انسان غير زيد ثم قال تعالى وتركنا فيها آية
للذين يخافون العذاب الاليم وفي الآية خلاف قيل هو ماء اسود منتن اسقط ارضهم وخرج منهم ذلك وقيل حجارات مرجومة
في ديارهم وهي بين الشام والحجاز وقوله تعالى للذين يخافون العذاب الاليم اي المنتفع بها هو الخائف كما في قوله تعالى
لقوم يعقلون في سورة العنكبوت وبينهما في اللفظ فرق قال هاهنا آية وقال هناك آية بينة وقال هناك لقوم يعقلون
وقال هاهنا للذين يخافون فهل في المعنى فرق نقول هناك مذكور بابلغ وجه يدل عليه قوله تعالى آية بينة حيث وصفها
بالظهور وكذلك مهما وفيها فامن من البعض فكانه تعالى قال من نفسها لكم آية ما فيها وكذلك لقوم يعقلون فان العاقل
اعم من الخائف فكانت الآية هناك اظهر وسببه ما ذكرنا ان القصد هناك الى تخويف القوم وهاهنا الى تسلية القلب الا ترى
الى قوله تعالى هاهنا واخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وقال هناك انا منجوك واهلك
من غير بيان وان نجاة المسلمين والمؤمنين باسرهم ثم قال تعالى وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين
وقوله تعالى وفي موسى يحتمل ان يكون معطوفا على المذكور اما بالاول ففيه وجوه الاول ان يكون المراد ذلك في ابرهيم
عليه السلام تسلية وفي موسى لمن ذكر ابرهيم عليه السلام نعم ذلك الثاني لقومه في لوط وقومه وغيره وفي موسى
عليهم السلام وفرعون الثالث ان هناك معنى قوله تعالى فذكرنا في ابرهيم ولوط وقومهما وفي موسى وفرعون والكل قريب بعضه
من بعض واما الثاني ايضا ففيه وجوه احدها انه عطف على قوله وفي الارض آيات للموقنين وفي موسى وهو بعيد
لبعده في الذكر وعدم المناسبة بينهما ثانيها انه عطف على قوله تعالى وتركنا فيها آية للذين وفي موسى اي وجعلنا في موسى
على طريقة قولهم علفته تبنا وتقلدت سيفا ورمحا وهو قريب ولا يخلو عن عطف اذا قلنا بما قال به بعض المفسرين ان الضمير
في قوله تعالى تركنا فيها عايد الى القرية ثالثها ان نقول فيها راجع الى الحكاية فيكون التقدير وتركنا في حكايتهم آية وفي قصصهم
ويكون وفي موسى آية وهو قريب من الاجمال الاول وهو العطف على المعلوم رابعها ان يكون عطفا على هل اتاك حديث ابرهيم
تقديره وفي موسى حديث اذ ارسلناه وهو مناسب اذ جمع الله كثيرا من ذكر ابرهيم وموسى عليهما السلام كما قال تعالى
ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى وقال تعالى صحف ابرهيم وموسى والسلطان القوة بالحجة والبرهان
المبين الفارق وقد ذكرنا بانه يحتمل ان يكون المراد منه ما كان معه من البراهين القاطعة التي حاج بها فرعون
ويحتمل ان يكون المراد المعجز الفارق بين سحر الساحر وامر المرسلين وقوله تعالى فتولى بركنه اي بنفسه للمصاحبة والركن
اشارة الى القوم كانه تعالى يقول اعرض عن قومه فيقال بركنه بعسكره على كذا ويدل على هذا الوجه قوله تعالى فاراه
الآية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى قال ادبر وهو بمعنى تولى وقوله تعالى فحشر فنادى في معنى قوله تعالى بركنه اي اتى
ضعوا اي تعدوا والبا للتعدية حينئذ بمعنى تقوى عنده والثالث تولى امر موسى بقومه كانه قال اقبل موسى جاء
يبدل دينكم ولا يظهر في الارض الفساد فيقول امره بنفسه وحينئذ يكون المفعول غير مذكور وركنه هو نفسه القوية يحتمل
ان يكون المراد من ركنه هامان فانه كان وزيره وعلى هذا الوجه الثاني اظهر وقال ساحر او مجنون اي هذا الساحر او مجنون او هو
الساحر وقوله ساحر اي بالجن بسحره او يقرب منهم الجن يقربونه منه ويقصدونه اذ كان هو لا يقصدهم فالساحر والمجنون كلاهما
امره مع الجن غير ان الساحر باسم باختياره والمجنون يأتونه من غير اختياره وكانه اراد صيانة كلامه عن الكذب فقال
هو يسحر الجن ان كان ليس عنده منه حرج ولا يقصد ذلك فالجن يأتونه ثم قال تعالى فاخذناه وجنوده فنبذناهم في
اليم وهو اشارة الى بعضها الى به فانه يقول واحد الاولين فلم يسمعون واخذه الله تعالى واحدا ركانه والقاهم جميعا في اليم
وهو البحر والحكاية مشهورة وقوله تعالى وهو مليم يعود فيه بيان شرف موسى عليه السلام وبشارة للمؤمنين اما شرفه
فلانه تعالى قال بانه انما يليم بجحد قوله اني رسول رب العالمين فلم يكن له سبب الا هذا واما فرعون فقال

انا ربكم الاعلى لكان سببه تلك فهذا كما قال القايل فلان عنده انه سارق او قاتل وتعالى الناس فيودهم ويلومون عنه
انه مشغول بنفسه لا تعاشر فيكون نسبه الى بعضها الى بعض سببا للمدح احدهما وذم الاخر واما بشارة المومنين فهو بسبب
ان من ابتلعه الحوت في اليم نجاه الله تعالى بتسبيحه ومن اهلكه الله بعد بهم لم ينفعه ايمانه الذي قال امنت انه لا اله الا الذي
امنت به بنوا اسرايل وانا من المسلمين وكلاهما قرابيا بما لايم عليه فدت المومن وقت ظهور الناس مغفور وايمان الكافر غير مقبول
ثم قال تعالى وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وفيه ما ذكرنا من الوجوه التي ذكرناها في عطف موسى عليه السلام وفيه مسايل
**المسئلة الاولى** ذكرت المقصود ههنا تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتذكيره بحال الانبياء فلم يذكر في عاد وثمود اسامي
كما ذكر ابرهيم وموسى عليهما السلام نقول في ذكر الايات سبب حكايات حكاية ابرهيم عليه السلام وبشارته وحكاية قوم لوط
ونجاة من كان فيها من المومنين وحكاية موسى عليه السلام وفي هذه الحكايات الثلاث ذكر الرسل والمومنين لان الاخر
فيهم كانوا كثيرين اما في حق ابرهيم وموسى عليهما السلام فظاهر واما في قوم لوط فلان الناجين كان اهل بيت واحد
لكن المهلكين كانوا ايضا اهل بقعة واحدة واما عاد وثمود فكان عدد المهلكين بالنسبة الى المتاخرين اضعاف ما كان عدد
المهلكين بالنسبة الى المتاخرين من قوم لوط عليه السلام فذكر الحكايات الثلاث المتاخرة للتسلية باهلاك العدو والكل
مذكور للتسلية بدليل قوله تعالى في اخر هذه الايات كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون الى ان قال
تعالى فتول عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المومنين وفي ثمود قال بعد الحكايات ذلك من انباء القرى نقصه عليك الى
ان قال وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد فذكر بعدها ما يوكد التهديد وذكر بعد الحكايات
ههنا ما يفيد التسلي وقوله العقيم اي ليست من اللواقح لانها كانت تكسر وتقلع فكيف كانت تلقح والفعيل لا يلحق به تاء التانيث
اذا كان بمعنى مفعول ولذلك اذا كان بمعنى فاعل في بعض الصور وقد ذكرنا سببه ان فعيلا لما جاء للمفعول والفاعل جميعا
ولم يتميز المفعول عن الفاعل فاولى ان لا يتميز المونث عن المذكر فيه لانه لو تميز الفاعل عن المفعول قبل تمييز المونث والمذكر لان
الفاعل جزء من الكلام محتاج اليه فاول ما يحصل في الفعل الفاعل ثم التذكير والتانيث يصير كالصفة للفاعل والمفعول فعل
فاعل وفاعله ومفعول ومفعوله ويدل على ذلك ايضا ان التمييز بين الفاعل والمفعول حصل بحرف ممازج للكلمة فعل
فاعل بفاصل بين الفا والعين التي هي من اصل الكلمة وقيل مفعول بواو فاصلة بين العين واللام والتانيث كان بحرف اخر
الكلمة فانه يمكن فيهما غير لفظ الكلمة لشدة الحاجة وفي التانيث لم يوثر ولان التمييز في الفاعل والمفعول كان بامرين يختص
كل واحد منهما باحدهما فالالف بعد الفا يختص بالفاعل والميم والواو تختص بالمفعول والتمييز والتذكير والتانيث عرف
باحد وجودها في المونث وعند عدمها سمي اللفظ على اصل التذكير فاذا لم يكن فرعنا به الفاعل عن المفعول الا بامر
منفصل كذلك المونث والمذكر لا يميز احدهما عن الاخر بحرف منفصل به وقوله تعالى ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته
كالرميم فيه مباحث **البحث الاول** في اعرابه وفيه وجهان **احدهما** نصب على انه صفة الريح بعد صفة العقيم ذكر الواحدي
انه وصف فان قيل كيف يكون وصفا والعرب لا توصف بالجملة وما بعدها فلم توصف به النكرات تقول **الجواب** فيه
من وجهين **احدهما** ان تكون فاعاده الريح تقديرا كانه تقول فارسلنا عليهم الريح العقيم ريحا ما تذر ثانيهما هو ان التعدي
نكر لان الريح تقرير كانه تقول وارسلنا الريح لم يكن من الرياح التي تقع ولا وقعت مثلها في شدتها منكرة ولهذا اكثر
ما ذكرها في القران ذكرها منكرة ووصفها بالجملة من جملتها قوله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم وقوله
تعالى ريح صرصر عاتية سخرها الى غير ذلك **الوجه الثاني** وهو الاصح انه نصب على الحال تقول جاءني ما نعم شيا فعلمته
وفهمته اي حاله كذا فان قيل لم يكن حال والارسال ما تذر والحال ينبغي ان تكون موجودا مع ذي الحال وقت الفعل فقد يجوز ان
تقال جاءني زيد امس راكبا غدا والريح بعد ما ارسلت بزمان صارت ما تذر شيا نقول المراد به البيان بالصلاحية التي ارسلناها
وهي على قوة وصلاحية ان لا تذر ونقول لمن جاء واقام عندك اياما لم سالت شيا حتى سالا اي وقل السوال بالصلاحية والا
لكان يلزم ان قلنا انه نصب وهو المشهور ويحتمل انه رفع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره ما تذر **البحث الثاني** ما تذر للشيء حال
المتكلم تعالى ما خرج زيد لم الان واذا اردت المستقبل تقول لا يخرج او ان يخرج فلما ضى تقول ما خرج ولم يخرج والريح حالة
الكلام مع النبي صلى الله عليه وسلم كانت ما تركت شيا الا جعلته كالرميم فكيف قال بلفظ الحال ما تذر نقول الحكاية
مصدره على انها تحكية حال الوقوع ولهذا قال تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد مع ان اسم الفاعل الماضي لا يعمل
وانما يعمل ما كان منه بمعنى الحال والاستقبال الثالث هل في قوله تعالى ما تذر من شيء اتت عليه مبالغة ودخول تخصيص
كما في قوله تعالى تدمر كل شيء ربها تقول كما وقع لان قوله تعالى اتت عليه وصف لقوله شيء كانه قال شيء اتت عليه وكل شيء
ما اتى عليه جعلته كالرميم ولا يدخل فيه السموات لانها ما اتت عليه وانما يدخلون فيه الاجسام التي تهب عليها الرياح فان
قيل فالجبال والصخور اتت عليه وما جعلته كالرميم تقول المراد اتت عليه قصدا وهو عاد وابنيتهم وعروشهم وذلك
لانها كانت مامورة بامر الله تعالى ومن عند الله تعالى فكانت قاصدا اياهم فما تركت شيا من تلك الاشياء الا جعلته كالرميم
مع ان العقم في الريح الباردة والمكرر لا ينفك عن معنى الذي في اللفظ من غير تكرير تقول جيشا حنجت فيه ما اتى احد تغور فيه قولان
احدهما انها كانت باردة فكانت في ايام العجوز وهي ثمانية ايام من اخر شباط واول اذار والريح الباردة من شدة بردها تحرق الاشجار والثمار
وغيرهما وتسودها والثاني انها كانت حارة والصرصر هو الشديد الباردة وبالشدة فيه قوله تعالى في صرة في شدة من الحزن الكاتم وقوله تعالى





ماتذر من شي اتت عليه الا جعلته كالرميم لان في قوله تعالى ما تذر نفي الرد مع اثبات الاتيان فكانه تعالى قال اتى على اشيا وما تركها غير
محروقة وقول القايل ما اتى على شيء الا جعلته يكون نفيا للاثبات عام بجعله كذلك وفي ثمود البحث فيه مثل عاد وهو ما تقدم في قوله تعالى وفي موسى
وقوله تعالى اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين وقال بعض المفسرين المراد ما هو الا ان يمهلهم الله ثلاثة ايام بعد قتلهم الناقة وكانت في تلك الايام تتغير
الوانهم فيصفر وجوههم وتسود وهو ضعيف لان قوله تعالى فعتوا عن امر ربهم بحرف الفا دليل على ان العتو كان بعد قوله تعالى تمتعوا فاذا الظاهر ان المراد
هو ما قدر الله تعالى للناس من الاجال بين احد الا وهو يمهل مدة الاجل تقول له تمتع الى اخر اجلك فان احسنت فقد حصل لك التمتع في الدارين وفي الاخرة
من نصيبه وقوله تعالى فعتوا عن امر ربهم فيه بحث وهو ان عتى يستعمل بمعنى تعال قال تعالى انهم اشد على الرحمن عتيا وههنا استعمل مع
كلمة عن فنقول فيه معنى الاستغناء فحيث قال تعالى عن امر ربهم كان كقوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته وحيث قال على كان كقول القايل فلان تكبر علينا
والصاعقة فيه وجهان ذكرناهما ههنا احدهما وقعت عليهم والثاني صوت شديد وقوله تعالى وهم ينظرون دل تعالى احد معنيين اما معنى تسليمهم وعدم قدرتهم على الدفع كما
تقول القايل للمضروب يضربك فلان وانت تنظر اشارة الى انك لا تدفع واما بمعنى ان العذاب تام لا على غفلة بل انذروا به من قبل ثلاثة ايام
وانتظروه ولو كان على غفلة لكان متوهم ان يتوهم انهم اخذوا على غفلة احد العاجز الحمال كما تقال المبارز الشجاع اضربك نضربي ايال الضرب
وقوله تعالى فما استطاعوا من قيام يحتمل وجهين احدهما انه بيان لعجزهم عن الهرب والفرار على سبيل المبالغة فان من لا يقدر على القيام
كيف يمشي فضلا عن ان يهرب وعلى هذا فيه لطايف لفظية احدها قوله تعالى فما استطاعوا فان الاستطاعة دون القدرة لان في
الاستطاعة دلالة الطلب هي تنبي عن عدم القدرة والاستقبال نحو استطاع شيا كان دون من يقدر عليه ولهذا تقول
المتكلمون الاستطاعة مع الفعل او قبل الفعل اشارة الى القدرة مطلوبة من الله تعالى ماخوذة منه واليه الاشارة بقوله تعالى
هل يستطيع ربك على قراة من قرا بها وقيل قوله تعالى فما استطاعوا ابلغ من قول القايل ما قدروا على قيام ثانيها قوله تعالى
من قيام بزيادة من وقد عرفت ما فيه من التاكيد ثالثها قوله قيام بدل قوله هربا بينا ان العاجز عن القيام اولى ان يعجز عن الهرب
**الوجه الثاني** هو ان المراد من القيام بالامر اي فما استطاعوا من قيام به وقوله تعالى وما كانوا منتصرين اي ما استطاعوا
الهزيمة والهرب ومن لا يقدر عليه يقابل وينتصر وكل ما يمكنه لانه يدفع عن الروح وهم مع ذلك ما كانوا منتصرين وقد عرفت
ان قول القايل ما هو بمنتصر ابلغ من قوله ما انتصر ولا ينتصر **والجواب** بدل ذلك مع كونه بحث تقديمه وقوله ما انتصر اي بشيء
من شانه ذلك كما تقول فلان لا ينتصر وفلان ليس بمنتصر والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى** وقوم نوح
من قبل انهم كانوا قوما فاسقين والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم
الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين ولا
تجعلوا مع الله الها اخر اني لكم منه نذير مبين **اعلم** ان قوله تعالى وقوم نوح قرئ بالجر والنصب فما وجههما نقول
اما الجر فظاهر عطفا على ما تقدم كما قال تعالى وفي عاد وفي ثمود تقول للسامع فلذلك عبره وفي فلان وفلان واما النصب فعلى
تقديرين واهلكنا قوم نوح من قبل واما على الوجه الاول فتقديره وفي قوم نوح لكم عبرة من قبل ثمود وعاد وغيرهم ثم قال تعالى
والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون وهو بيان للوحدانية وما تقدم كان بيانا للحشر واما قوله تعالى ههنا والسماء بنيناها
بايد انهم تعرفون ان ما تعبدون من دون الله ما خلقوا فيها شيئا فلم يصح الاشتراك ويمكن ان يقال هذا هو عود بعد التهديد
الى اقامة الدليل وبناء السماء دليل على القدرة على خلق الاجسام ثانيا كما قال تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم وفيه مسايل **الاولى** النصب على شريطة التفسير يجاز في مواضع اذا كان العطف على جملة فعلية فما الذي
الجملة المتقدمة في بعض الوجوه التي ذكرناها قوله تعالى وفي عاد وثمود تقديره وهل اتاك حديث عاد وهل اتاك حديث هود عطفا
على قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين وعلى هذا يكون ما تقدم جملة فعلية لا اضافة فيه وعلى غيره لكن الوجه فالجار
والمجرور في الضيف اقرب منه الى الرفع فكان عطفا على ما هو بالنصب اولى لان قوله تعالى فنبذناهم وقوله تعالى ارسلنا وقوله تعالى فاخذتهم
الصاعقة فما استطاعوا كلها جمل فعليات فصار النصب مختارا الثانية كثر ذكر البناء في السموات قال تعالى والسماء وما بناها وقوله
تعالى ام السماء بناها وقوله تعالى جعل الارض قرارا والسماء بناء في الحكمة فيه وجوه احدها ان البناء باق الى قيام القيامة لم يسقط
منها شيء ولم يعدم منها جزء واما الارض فهي في التبدل والتغير فهي كالفرش الذي يبسط ويطوى وينقل والسماء كالبناء المبني الثابت
واليه الاشارة بقوله تعالى سبعا شدادا واما الاراضي فكم صار بحرا وعاد ارضا من وقت حدوثها ثانيها ان السماء ترى كالقبة
المبنية فوق الرؤس والارض مبسوطة مدحورة والبناء بالمرفوع اليق كما قال تعالى رفع سمكها ثالثها قال بعض الحكماء السماء
مسكن الارواح والارض موضع الاعمال والمسكن اليق بكونه بناء والله تعالى اعلم الثالثة الاصل تقديم العامل على المعمول والفعل
هو العامل فقوله بنيناها جاز في السماء فما الحكمة في تقديم المفعول على الفعل ولو قال وبنينا السماء بايد كان اوجز نقول الصانع قبل
الصانع عند الناظر في المعرفة فلما كان المقصود اثبات العلم بالصانع قدم الدليل وقال والسماء المرتبة التي تكون فيها بنيناها
فاعترفوا بها ان كنتم لا تعترفون الرابعة اذا كان المقصود اثبات التوحيد فكيف قال تعالى بنيناها ولم يقل بنيتها ولا بناها الا الله
تعالى نقول قوله تعالى بنيناها ادل على عدم الشريك في التصرف والاستبداد وقوله تعالى بنيناها لا يمكن ان يكون سهل وتمام
التقدير هو ان قوله تعالى بنيناها اما ان يكون ... بان الالهة التي كانوا يعبدونها هي التي يرجع اليها الضمير في قوله تعالى
لان تلك اما الاصنام منحوتة واما كواكب جعلوا الاصنام على صورها وطباعها فاما الاصنام المنحوتة فقد سلموا انها
ما بنت السماء واما الكواكب فهي في السماء محتاجة اليها فلا تكون هي بانيها وانما يمكن ان تعالى انها ... حلت اماكنها

فلم توهم ما قالوا في سمايحن ونحن غيرما تقولون ويدعونه فلا تصلحون الى شركاء ثم انه لما توهم ما قالوا لا توهم شركا اصلا لا وجل ما هو
غير السما فهو محتاج الى السماء في المرتبة فلا يكون خالق السما وبانيها فاذا علم ان المراد جمع التعظيم فافاد النص عظمته
والعظمة تنفي الشريك فقوله تعالى بنيناها ادل على نفي الشريك من بنيتها وبانيها فان قلت اصل الجمع يدل على التعظيم
قلنا الكلام على قدر فهم السامع والسامع هو الاثنان والاثنان نفس الشاهد يكن الكبر عندهم من يفعل الشي ويتخذ وحده
ولا يباشر بنفسه فيقول الملك فعلنا اي فعله عبادنا بامرنا ويكون في ذكره تعظيم فكذلك في حق الغايب والوجه الاخر
وهو ان القول اذا وقع من واحد وكان العربه راضيا تقول القايل فعلنا كما لو رى واذا اجتمع جمع على فعل لا يقع الا بالنص
به كما اذا خرج جمع عظير لكسر تمثل سبع وقتله فقال فتلوا اهل بلده كذا الرضا اهل به ومتصدا اهل ايما اذا عرفت هذا فانه تعالى
كيف امره بفعل شي لا يكون لاحد ردة وكان كل واحد منقادا اليه تقول لو ما فعلت فعلنا ولهذا تقول الملك العظيم اي احملها
بحيث لا يبكي احد ولا يرده نفس وقوله تعالى بايد اي بقوة والايد القوة هذا هو المشهور وبه فسر قوله تعالى ذا الايد
انه اواب ويحتمل ان يقال ان المراد جميع اليد ودليله انه تعالى لما قال خلقت بيدي وقال تعالى مما عملته ايدينا انعاما وهو
راجع في الحقيقة والمعنى الى الاول وعلى هذا نجيث قال خلقت بيدي وحيث قال بنيناها بايد مقابلة الجمع بالجمع فان قيل فلم
نقل بنيناها بايدينا وقال تعالى مما عملت ايدينا انعاما وهو راجع في الحقيقة تقول الفايده جليلة وهي ان السما لا يخطر
ببال احد انها مخلوقة لغير الله تعالى والانعام ليست كذلك فقال هناك عملت ايدينا تصريحا كان الحيوان مخلوق الله تعالى من
غير واسطة وكذلك قوله تعالى خلقت بيدي وفي السما بايد من غير اضافة للاستغنا عنها وفيه لطيفة اخرى وهي ان هناك
لما اثبت الاضافة بعد الضمير انعا يد الى المفعول فلم نقل خلقته بيدي ولا عملته ايدينا وقال هاهنا بنيناها لان هناك
لم يخطر ببال احد ان الحيوان غير مخلوق وان الحيوان غير معلوم فلم يقل خلقته ولا عملته واما السما فبعض الجهال
زعم انها غير مجعوله فقال بنيناها بعود الضمير تصريحا فانها مخلوقة وقوله تعالى وانا لموسعون فيه وجوه احدها
انه من السعة اي اوسعناها بحيث صارت الارض وما يحيط بها من الما والهوا بالنسبة الى السما وسعتها والبنا الواسع
الفضا العجيب فانه الواسعة لا يقدر عليها البنا ولكانهم يحتاجون الى اقامة ام نصب بها اسنادها (?)
بما سك احداثها الى ان يصل بعضها بعض فقوله تعالى وانا لموسعون اي لقادرون ومنه قوله تعالى لا يكلف الله
نفسا الا وسعها اي قدرتها والمناسبة حينئذ ظاهرة ويحتمل ان يقال بان ذلك حينئذ اشارة الى المقصود الاخر
وهو الحشر كانه تقول بنينا السما وانا لقادرون على ان نخلق امثالها واشالها كما في قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى انا لموسعون الرزق على الخلق ثم قال تعالى والارض فرشناها فنعم الماهدون
استدلالا بالارض وقد علم ما في قوله تعالى والارض فرشناها وفيه دليل على ان دخول الارض بعد خلق السما لان
بنا البيت يكون في العادة قبل الفرش وقوله تعالى فنعم الماهدون اي نحن اونعم الماهدون ما هدوها ثم قال تعالى ومن كل شي
خلقنا زوجين استدلالا بالسما سبقها والزوجان اما الضدان فالذكر والانثى كالضدين والزوجان منهما كذلك واما
المتشاكلان فانه كل شي له شبه ونظير ولا ضد ولا ند قال المنطقيون المراد بالشي الجنس واقل ما يكون تحت الجنس نوعان
فمن كل جنس خلق نوعين من الجوهر مثل المادي والمجرد والمادي النامي ومن الجامد ومن النامي المدرك والنامي ومن الناطق
المدرك الناطق والصامت وكل ذلك يدل على انه فرد لا كثرة فيه وقوله تعالى لعلكم تذكرون ان خالق الازواج لا يكون له
زوج والا لكان ممكنا فيكون مخلوقا ولا يكون خالقا او لعلكم تذكرون ان خالق الازواج لا يعجز عن حشر الاجسام وجمع الازواج
ثم قال تعالى ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين امرا بالتوحيد وفيه لطايف الاولى قوله تعالى ففروا الى الله ينبي عن سرعة
الهلاك كانه يقول العذاب الهلاك اسرع واقرب من ان يحتمل الحال الابطا في الرجوع فارجعوا الى الله تعالى سريعا وفروا الثانية
قوله تعالى بيان المهروب منه ولم يذكر الذي منه الهرب لاحد وجهين اما لكونه معلوما وهو هول العذاب او الشيطان الذي قال فيه ان
الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وانما تكون عداوته تقول كلما اعدا الله عدوكم ففروا اليه من كل ما عداه وبيانه وهو
ان كل ما عداه فانه سلف عليك راس مالك الذي هو العمر ويفوت عليك ما هو الحق والخير ومسلف راس المال ومفوت الكمال
عدو واما اذا فررت الى الله واقبلت على الله تعالى فهو ياخذ عمرك ولكن يرفع امرك ويعطيك بقاء لا فناء معه والثالث
معناه اذا الجا الى خالق الزوجين فردا ففروا الى الله واتركوا غيره لنفسه مؤيد الرابعة في سوء كلام الله تعالى فانه وما انا (?)
هو ان الله تعالى قال والسما بنيناها والارض فرشناها ومن كل شي خلقنا ثم جعل كلام النبي صلى الله عليه وسلم وقال ففروا
الى الله اني لكم منه نذير مبين ولم نقل ففروا الينا وذلك لان اختلاف الكلام تاثير وكذلك الاختلاف في المتكلمين تاثير ولهذا
تكثر الانسان من المضايع مع ولده الذي جاء عن المراد ويحصل الكلام مختلفا ونوعا ترهيبا ومنها بالحكايات ثم تقول
لغيره تكلم معه لعل كلامك ينفع لما في اذهان الناس ان اختلاف المتكلمين واختلاف الكلام كلاهما موثرة الله تعالى ذكر نوعا
من الكلام وكثيرا من الاستدلال والايات وذكر طرفا صالحا من الحكايات ثم ذكر كلاما من متكلم اخر وهو النبي عليه السلام ومن المفسرين
من يقول تقديره فقل لهم ففروا وقوله تعالى اني لكم نذير اشارة الى الرسالة وفيه ايضا لطايف احدها ان الله تعالى بين عظمته
بقوله تعالى والسما بنيناها والارض فرشناها وهيبته بقوله فنبذناهم في اليم وقوله تعالى ارسلنا عليهم الريح العقيم وقوله
تعالى فاخذتهم الصاعقة وبقوم لوط اشارة الى انه تعالى اذا عذب قدر على ان يعذب بما به وجودهم والتراب والماء والهوا والنار

حكاية



حكاية لوط يدل على ان التراب الذي منه وجوده وبه بقاؤه اذا اراد الله تعالى جعله سببا للعنا والماء كذلك في قوم فرعون والهوا في عاد
والنار في ثمود ولعل من هذا الحكاية الاربع لترتيب الذي في العناصر الاربعة وقد ذكرناه في سورة العنكبوت شيا منه ثم اذا بان عظمته
وهيبته قال لرسوله عرضهم الحال وقل انا رسول بتقديم الايات وسرد الحكايات واوردا فيه بذكر الرسول فايده ان ما بها في الرسالة امور ثلاثه
المرسل والرسول والمرسل اليه وهنا ذكر الكل فقوله تعالى لكم اشارة الى المرسل اليهم وقوله منه اشارة الى المرسل وقوله نذير بيان الرسول
وقدم المرسل اليه في الذكر لان المرسل اليه ادخل في امر الرسالة لان عنده يتم الامر والملك لو لم يكن هناك من يخالفه او يوافقه فيرسل
اليه نذيرا او بشيرا لا يرسل وان كان سلكا عظيما واذا حصل الموافق والمخالف يرسل وان كان غير عظيم ثم المرسل لانه هو طالب عند انما
الرسول فاختاره ولولا المرسل المتعين لما تمت الرسالة واما الرسول فانه يتعين لان الملك اختيار من يشاء من عباده فقال منه ثم
قال نذير تاخر الرسول عن المرسل ثالثها قوله تعالى مبين اشارة الى ما به تعرف الرسالة لان كل احد له سبيل وعلامة فالمرسل اليه
والمرسل والرسول هو الذي به تتم الرسالة ولا بد من علامة يعرف بها الرسول فقوله تعالى مبين اشارة اليها اما البرهان او المعجزة
ثم قال تعالى ولا تجعلوا مع الله الها اخر اتماما للتوحيد وذلك لان التوحيد بين التعطيل والشرك وطريقة التوحيد هي الطريقة
فالمعطل يقول لا اله اصلا والمشرك يقول في الوجود الهة والموحد يقول ولا اثبت باطل لان نفي الواحد باطل فقوله تعالى
ففروا الى الله اثبت وجود الله ولما قال تعالى ولا تجعلوا مع الله الها اخر نفي الاكثر من احد فصح التوحيد بالآيتين ولهذا قال
مرتين اني لكم منه نذير مبين اي في المقامين فقد ذكرنا ان المعطل اذا قال لا واجب يجعل الكل ممكنا فان كل موجود ممكن
لكن الله تعالى في الحقيقة موجود فقد جعله في نفس غيره (?) ممكنات فقد اشرك وجعل الله تعالى نعيره والمشرك لما
قال ان غيره اله يلزم من قوله نفي كون الالهة الها لما ذكرنا في تقرير دلالة التمانع مع انه لو كان فيهما الهة الا الله لزم عجز كل احد
فلا يكون في الوجود اله اصلا فيكون نافيا للاله فيكون معطلا والمعطل مشركا والمشرك معطل وكل واحد من الفريقين معترف بان
خصمه باطل لكنه هو على مذهب خصمه فهو يقول بنفسه معطل وهو لا يعلم والحمد لله الذي هدانا وقوله تعالى ولا تجعلوا فيه
لطيفة وهو انه اشارة الى ان الاله محال فانه مجد (?) كقوله تعالى ما تعبدون (?) وكيد قلنا الجواب عنه ظاهر فقد سبق
في قوله تعالى واتخذوا من دون الله اندادا ثم قال تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون والتفسير
معلوم مما سبق وقد ذكرنا انه يدل على ذكر الحكايات للتسلية غيران فيه لطيفة واحدة لا بد من ذكرها وهي ان هذه الاية دليل على
ان كل رسول كذب وحينئذ يرد عليه اسوله الاولى ان من الانبيا من قرر دين النبي الذي كان قبله وبقي القوم على ما كانوا عليه
كانبيا بني اسرائيل بل هو كيف وادم لما ارسل الله تعالى لم يكذب الثاني ما الحكمة في تقدير الله تكذيب الرسل ولم يرسل رسولا
مع كونهم واختلاف معجزاتهم حيث تصدقه اهل زمانه الثالث قوله تعالى ما اتى الذين من قبلهم الا قالوا دليل على انهم كلهم قالوا
ساحران كذلك لان ما من رسول وامن به قوم وهم ما قالوا ذلك فالجواب عن الاول هو ان تقول ان المراد فلا نسلم انه رسول بل هو
نبي على دين رسول ومن كذب رسولا فقد كذبه ايضا ضرورة وعن الثاني هو ان الله تعالى لا يرسل الا عند حاجة الخلق وذلك
عند ظهور الكفر في العالم ولا يظهر الكفر عند كثرة الجهل ثم ان الله تعالى لا يرسل رسولا مع ان ضرورية والامكان الايمان به
ايمان الناس فلا يقبل والجاهل اذا لم يكن المسى له في غاية الوضوح لا يقبله فيقع فترة الضلالة وهذا قد ركزنا ثم نقول هنا
على هذا الوجه وقد ذكرنا مرة اخرى ان بعض الناس يقول لما هو خصا توخير والشرفي العدد فانه فمن مات النار وفيه مصلحة
الناس وبه يحصلونها مناعا في الاسعار وغيرها كما ذكره الله تعالى والما فيه مصلحة الشرب لكن النار مصلحتها مع بالحرارة البالغة
والما بالسيلان القوي وكونهما كذلك يلزمهما باجرا الله عادته عليه او غرق ثوب الفقير وموت ساه المسكين في العضا والمضرة
بالعرو وهذا الكلام له عود والسنة ان يقول يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فيحمل فيه معنى ذلك يفعل الله ما يشا
ويحكم بما يريد فذر يد وعن الثالث ان ذلك ليس بعام كانه لم يقل الا قال كلهم وانما قال الا قالوا ولما كان كثير منهم بل الكل هم
به قايلين قال الله تعالى الا قالوا فان قيل فلم لم يذكر المصدقين كما ذكر المكذبين وقال الا قال بعضهم صدقت وبعضهم
كذب نقول لان المقصود التسلية وهي على التكذيب فكانه قال لا تاس على تكذيب قومك فان اقواما قبلك كذبوا ثم قال
تعالى اتواصوا به اي بذلك القول وهم قولهم ساحر او مجنون ومعناه التعجب اي كيف اتفقوا على قول واحد كانهم تواطؤوا عليه
وقال بعضهم لبعض لا تقولوا الا هذا حسبوا الله مطعون فكذبوا رسله كان الملاك اذا امهل اهله نعقد ولم يكلفهم
شي ثم نعقد بعد مدة يطلبهم الى ما به يصعب عليهم لا تقادم العهد والخاص ويحسن بلادهم من الوجه الحسن فيحمل ذلك
على العصيان والقول مطاوعة الملاك اخر والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى فتول عنهم فما انت بملوم**
**وذكر فان الذكرى تنفع المومنين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق**
**وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب**
**اصحابهم فلا يستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون** اعلم الاية
نكته اخرى وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كان من كرم الاخلاق كان ينسب نفسه الى التقصير ويقول ان عدم
ايمانهم لتقصيري في التبليغ فاجتهدوا في الانذار والتبليغ فقال تعالى قد اتيت بما عليك ولا يضرك التولي عليهم
وكفرهم ليس لتقصير منك فلا تحزن فانك لست بملوم بسبب التقصير وانما هم الملومون بالاعراض والعناد ثم قال تعالى وذكر
فان الذكرى تنفع المومنين يعني ليس التولي مطلقا بل تول واقبل واعرض فلا تولي بحركة اذا كان عليهم ولا ان التذكر ينفع

اذا كان مع المومنين وفيه معنى اخر الطف منه وهو ان الهادي اذا كانت هدايته نافعة يكون ثوابه اكثر فلما قال تعالى تول كان نفعهم
ان يقول قائل حينئذ لا يكون للنبي عليه السلام ثواب عظيم فقال بلى وذلك لان في المومنين كثرة واذا ذكرتهم زاد هداهم وزيادة الهدى من
قوله لزيادة العموم فان قوما كثيرا اذا صلى كل واحد ركعة او ركعتين وقوما قليلا اذا صلى كل واحد الف ركعة تكون العبادة
في الكثرة كالعبادة عند ازدياد العدد فالهادي له على عبادة كل مهتد اجر ولا ينقص اجر المهتدي فقال تعالى ان لك لاجرا غير
ممنون وان توليت لست اسقاع المومنين بل حاله اعراضك عن المعاندين وقوله تعالى ان الذكرى تنفع المومنين يحتمل وجوها ان
تزاد قوة يقينهم كما قال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقوله تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وقال تعالى زادهم هدى واتاهم
تقواهم ثانيها تنفع المومنين الذين بعدكم فكانك اذا اكثرت التذكير بالتكرير نقل عنك ذلك بالتواتر فيسمع به من يجي بعدك من
المومنين ثالثها هو ان الذكرى ان افاد ايمان كافر فقد نفع مومنا لانه صار مومنا فان لم يفد فتوجه حسنة ويزداد في حسنة
المومنين فيسعدون وهذا هو الذي قيل في قوله تعالى وتلك الجنة التي اورثتموها ثم قال تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون هذه الاية فيها فوايد كثيرة ولنذكرها على وجه الاستقصا فنقول اما تعلقها بما قبلها فلوجوه احدها
انه قال تعالى وذكر بين اقصى غاية التذكر وهو ان الخلق ليس الا للعبادة فالمقصود من ايجاد الانسان العبادة فذكرهم به
واعلمهم ان كل ما عداه تضييع للزمان الثاني هو انا ذكرنا مرارا ان شغل الانبيا منحصر في امرين عبادة الله تعالى وهداية الخلق فلما قال
تعالى فتول عنهم فما انت بملوم بين ان الهداية قد سقطت عنه عند الياس وعدم المهتدي واما العبادة فهي لازمة والخلق المطلق
لها وليس الخلق المطلق للهداية فما انت بملوم اذا اتيت بالعبادة التي هي اصل اذا تركت الهداية بعد بذل الجهد فيها الثالث
هو انه لما بين حال من قبله من المكذبين ذكر هذه الاية ليبين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الله تعالى فما كان خلقهم الا
للعبادة واما التفسير ففيه مسايل **المسالة الاولى** الملايكة ايضا من اصناف المكلفين ولم يذكرهم الله تعالى مع ان المنفعة
الكبرى في وجودهم هي العبادة ولهذا قال تعالى بل عباد مكرمون وقال تعالى لا يستكبرون عن عبادته فما الحكمة فيه نقول الجواب عنه من وجوه
الاول قد ذكرنا في بعض الوجوه ان تعلق الاية بما قبلها بيان قبح ما يفعله الكفرة من ترك ما خلقوا له وهذا مختص بالانس والجن لان الكفرة في
الجن اكثر والكافر فيهم اكثر من المومن لما بينا ان المقصود بيان قبحهم وسوء صنيعهم الثاني هو ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
مبعوثا الى الجن فلما قال تعالى وذكر ما يذكر به وكون الخلق للعبادة وخص امته بالذكر اي ذكر الجن والانس الثالث هو ان عبادة
الاصنام كانوا يقولون بان الله تعالى عظيم الشان خلق الملايكة وجعلهم مقربين ثم معتقدون الله تعالى وخلقهم لعبادته
تعالى ونحن لنزول درجتنا لا نصلح لعبادة الله تعالى فنعبد الملايكة وهم يعبدون الله تعالى فقال تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون ولم يذكر الملايكة لان الامر كان فيهم مسلما من القوم فذكر المتنازع فيه الرابع قيل الجن يتناول
الملايكة لان الجن اصله من الاستتار وهم مستترون عن الخلق وعلى هذا فتقديم الجن لدخول الملايكة فيهم وكونهم اكثر عبادة
واخلصها الخامس قال بعض الناس لما ذكر الله تعالى الخلق كان فيه التقدير في الحجم والزمان قال تعالى خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام وقال تعالى خلق الارض في يومين وقال تعالى خلقت بيدي الى غير ذلك وما يمكن ذكره بلفظ الامر
قال تعالى انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون وقال تعالى قل الروح من امر ربي وقال تعالى الا له الخلق والامر
فالملايكة كالارواح من عالم الامر اوجدهم من غير مرور زمان فقوله تعالى وما خلقت اشارة الى ما هو من عالم الخلق فلا يدخل
فيه الملايكة وهو باطل لقوله تعالى خالق كل شي فالملك من عالم الخلق **المسالة الثانية** تقديم الجن على الانس لحكمة
نقول فيه وجوه الاول بعضها في المسالة الاولى والثاني هو ان العبادة سرية وجهرية وللسرية فضل على الجهرية
لكن عبادة الجن سرية لا يدخلها الريا العظيم واما عبادة الانس فيدخلها الريا فانها قد يعبد الله تعالى لابنا جنسه
وقد يعبد الله تعالى بسبب من الجن او مخافة منهم ولا كذلك الجن **المسالة الثالثة** فعل الله تعالى ليس لغرض والا لكان
بالغرض مستكملا وهو في نفسه كامل فكيف يفهم لام الغرض والعلة في قوله ليعبدون نقول المعتزلة تمسكوا به وقالوا افعال الله تعالى لاغراض
وبالغوا في الانكار على منكري ذلك ونحن نقول فيه وجوه الاول ان التعليل لفظي ومعنوي واللفظي ما يطلق الناظر اليه اللفظ عليه
وان لم يكن له في الحقيقة مثاله اذا خرج ملك من بلاده ودخل بلاد العدو وكان في قلبه ان يتعب عسكر نفسه لا غير مع نفي
المعنى المقصود ذلك وفي اللفظ لا يصح ولو قال ايا ما سافرت الا لاتعب الجند ولا استفيد فيقال هذا ليس بشي ولا يصح عليه
ولو قال قايل في مثل هذه الصورة خرج لياخذ بلاد العدو وليرهبه تصدقه فالتعليل اللفظي هو جعل المنفعة المعتبرة علة للفعل
الذي فيه المنفعة فيقال اتجر للربح وان لم يكن في الحقيقة له اذا عرفت هذا فنقول الحالف غير معلوم عند الناس والمفهوم
من النصوص ما بها اللفظية لكن الشي اذا كان فيه منفعة يصح التعليل بها لفظا والنزاع حقيقة لا لفظا الثاني هو ان ذلك
لتقرير كالتمني والترجي في كلام الله تعالى فانه تعالى يقول العبادة عند الخلق شي لو كان من تعالكم لعلمتم انه لها كما قلنا في قوله تعالى
لعله يتذكر او يخشى اي بحيث يصير عندكم مرجوا وقوله تعالى عسى ربكم ان يهلك عدوكم اي يصير عندكم اي بحيث يصير عندكم مرجوا
يقولون انه قريب الثالث هو ان اللام قد تثبت فيما لا يصلح غرضا كما في الوقت قال تعالى اقم الصلوة لذكري وقال تعالى
اقم الصلوة لدلوك الشمس وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والمراد المقارنة وكذلك في جميع الصور وحينيذ يكون
معناه قرن الخلق بالعبادة اي خلقهم وفرضت عليهم العبادة والذي يدل على عدم جواز التعليل الحقيقي
هو ان الله تعالى مستغن عن المنافع فلا يكون فعله لمنفعة راجعة اليه ولا الى غيره لان الله تعالى قادر على ايصال المنفعة

من غير



من غير واسطة العمل فيكون توسط ذلك لا لعلة واذا لزم القوم بان الله تعالى يفعل فعلا هو لتوسط لا لعلة لزمتهم المسالة
واما النصوص فاكثر من ان تعد وهي على انواع منها ما يدل على ان الاضلال بفعل الله لقوله تعالى يضل من يشا وامثاله ومنها ما يدل
على ان الاشيا كلها بخلق الله تعالى لقوله تعالى خالق كل شي والصريح الذي يدل على عدم ذلك قوله تعالى لا يسل عما يفعل وقوله تعالى
يفعل الله ما يشا ويحكم ما يريد والاستقصا فيه مفوض الى المتكلم الاصولي لا الى المفسر **المسالة الرابعة** قال الله تعالى يا ايها
الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا وقال تعالى ليعبدون فهل فيهما اختلاف ليس كذلك قال الله
تعالى علل كونهم شعوبا بالتعارف وهنا علل خلقهم بالعبادة وقوله تعالى هناك ان اكرمكم عند الله اتقاكم دليل على انه ما ذكره
هنا موافق له لانه اذا كان اتقى كان اعبد واخلص عملا فيكون المطلوب منه اتم في الوجود فيكون اكرم واعز كالشي الذي منفعته
فايدة وبعض افراده يكون انفع في تلك الفايدة مثاله الما اذا كان مخلوقا للتطهير والشرب فالصافي منه اكثر فايدة في تلك
المنفعة يكون اشرف من الاخر فلذلك العبد الذي وجد ما هو المطلوب فيه على وجه ابلغ **المسالة الخامسة** ما العبادة التي
خلق الجن والانس لها قلنا التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله تعالى فان هذين النوعين لم يخل الشرع منهما واما خصوص
العبادات فالشرايع مختلفة فيها بالوضع والهيئة والقلة والكثرة والزمان والمكان والشرايط والاركان ولما كان التعظيم اللايق
بذي الجلال والاكرام لا يعلم عقلا لزم اتباع الشرايع فيها والاخذ بقول الرسل وانعم الله تعالى على عباده بالرسل وبيان
في نوع العبادة وقيل ان معناه ليعرفوني وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عن ربه كنت كنزا مخفيا فاردت ان اعرف
ثم قال تعالى ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون وفيه جواب سوال وهو ان الخلق للغرض على الحاجة فقال خلقتهم ليطيعوني لا للتكسب
فالنفع فيه لهم وذلك لان منفعة العبد في حق السيد ان يكتسب له اما بتحصيل مال يحفظ المال عليه وذلك لان العبد اذا كان
لغرض التحصيل فيه ظاهر وان كان للشغل فلان العبد لا يحتاج السيد الى استحضار من يعمل الشغل فيحتاج له الى اخراج مال والعبد
يحفظ ماله عليه ويعينه على الاخراج فهو نوع كسب فقال تعالى ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون اي لست كالسادة في طلب
العبادة بل هم الرابحون في عبادتهم وفيه وجه اخر وهو ان يقال هذا تقرير لكونهم مخلوقين للعبادة وذلك لان الفعل في العرف
لا بد له من منفعة لكن العبيد على قسمين قسم منهم يكون للعظمة والجمال كما ان الملوك يعظمهم الملك سعيهم ومعظمهم الاطراف من بلاده
ويوهبهم الطراف بعد الالطاف والمراد منهم التعظيم المقبول بين يديه ووضع اليمين على الشمال بين يديه وقسم منه للانتفاع بهم في
تحصيل الارزاق او لاصلاحها فقال تعالى خلقتهم فلا بد فيهم من منفعة فليفكروا في انفسهم هل هم من قبيل ان يطلب منهم تحصيل
رزق وليسوا كذلك فما اريد منهم من رزق او هل هم ممن يطلب منهم اصلاح قوت كالطباخ والحوالي الذي يقرب الطعام
ومن سلكهم وليسوا كذلك فما اريد ان يطعمون فاذا هم عبيد من القسم الاول فينبغي ان لا يتركوا التعظيم وفيه لطايف
نذكرها في مسايل **المسالة الاولى** ما الفايدة في تكرير الارادة نقول من لا يريد من احد رزقا لا يريد منه ان يطعمه
نقول هو لما ذكرناه من قبل وهو ان السيد قد يطلب من العبد الكسب له وهو طلب الرزق منه وقد يكون للسيد مال
وافر يستغني عن الكسب لكنه يطلب منه قضا حوايجه بماله من المال واحضار الطعام بين يديه من ماله القليل قال
لا اريد ذلك ولا هذا **المسالة الثانية** فلم قدم طلب الرزق على طلب الاطعام نقول ذلك من باب الارتقا كقول القايل
لا اطلب منك الاعانة ولا ممن هو اقوى ولا تعكس ويقال فلان يلازمه الامرا والسلاطين ولا تعكس فقال هاهنا
لا اطلب منكم رزقا ولا ما هو دون ذلك وهو تقديم طعام بين يدي السيد فان ذلك امر كثير الطلب من العباد واذا كانت
الكسب لا يطلب منهم **المسالة الثالثة** لو قال ما اريد منهم ان يرزقوني وما اريد ان يطعموني هل يحصل هذه
الفايدة نقول لا يحصل لان ذلك لا يدل على التكسب لطلب الغير لان الفعل فان من اشتغل ولم يحصل له غنا لا يكون ممن حصل
له غنا وان لم يشتغل كالعبد المكتسب اذا ترك الشغل لحاجته وجد مطلبا يرضى منه السيد اذا كان شغله التكسب واما من
يراد منه ادب الفعل كالحاجب الا بعث عنده لاحضار الطعام فاشتغل باخذ المال من يطلب فربما لا يرضى به السيد فالمقصود في
من التكسب المعنى فلم يقل بلفظ الفعل والمقصود من الفعل نفسه فذكر بلفظ الفعل ولم يقل ما اريد منهم من طعام ما لا
مع ما في اللفظ من الفصاحة والجزالة **المسالة الرابعة** اذا كان المعنى به ما ذكرت فما فايدة الاطعام وتخصيصه
بالذكر ان المقصود اعم طلب فعل منهم غير التعظيم نقول لما عمم في الطلب الاول اكتفى بقوله تعالى من رزق فانه يفيد العموم
اشارة الى التعظيم بذكر الاطعام وذلك لان ادنى درجات الانفصال ان يستغني السيد لعبده او جاريته في مهمه
من طعام ونفي الادنى يستتبع نفي الاعلى بطريق الاولى فصار كانه قال تعالى ما اريد منهم من عين ولا عمل **المسالة
الخامسة** ما ذكرت لا يحصل المطلب لبقيا ذكره لان السيد قد يشتري العبد لا لطلب عمل منه ولا لطلب رزق
ولا للتعظيم بل يشتريه للتجارة والربح فيه نقول عموم قوله تعالى ما اريد منهم من رزق يثبت ذلك فان من اشترى
عبدا ليتجر فيه فقد طلب منه رزقا **المسالة السادسة** ما اريد في العربية فعل النفي في الحال والتخصيص بالذكر
يوهم من قاعدة المذكور لكن الله تعالى لا يريد منهم رزقا لا في الحال ولا في الاستقبال فلم لم يقل لا اريد منهم من رزق ولا
اريد نقول ما للنفي في الحال ولا في النفي للاستقبال والقايل اذا قال فلان لا تفعل هذا الفعل وهو في الفعل مثاله
قول القايل اذا ترك مع فراغه من قوله يصدق القايل ولو قال لما يفعل لما صدق فيما ذكرنا من الصورة مثاله
اذا كان الانسان في الصلاة وقال قايل انه لا يصلي فاذا نظر اليه الناظر فقطع صلاة نفسه يصح ان يقال انا قلت انك

لا تصلي ولو قال انه ما تصلي في تلك الحالة لما صدق وقال قايل انه لا تصلي فانظر اليه فاذا نظر اليه الناظر اذا علمت هذا فكل واحد من اللفظين النافية فيه خصوص لكن النفي في الحال اولى لان المراد من الحال الدنيا والاستقبال هو في امر الاخرة فالدنيا وامورها كلها حاليه فقوله تعالى ما اريد في هذه الحالة الذاهبة التي هي ساعة الدنيا ومن المعلوم ان العبد بعد موته لا يصح ان نطلب منه رزق او عمل مكان قوله تعالى ما اريد مفيد للنفي العام ولو قال ما اريدا افاد ذلك ثم قال تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين تعليلا لما تقدم من الدين بالامرين فقوله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين تقرير لعدم طلب الرزق فقوله تعالى ذو القوة لعدم طلب العمل لان من طلب رزقا يكون فقيرا محتاجا ومن طلب عمل غيره يكون عاجزا لا قوة له فقال كانه يقول ما اريد منهم من رزق فاني انا الرزاق ولا العمل فاني قوي وفيه مباحث الاول قال ما اريد ولم يقل اني رازق بل قال على الحكاية عن الغايب ان الله فما الحكمة فيه نقول قد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا اني انا الرزاق على ما ذكرت واما القراءة المشهورة ففيه وجوه الاول ان يكون بمعنى قل يا محمد ان الله هو الرزاق الثاني ان يكون ذلك من باب الالتفات والرجوع من المتكلم عن النفس الى المتكلم الى الغايب وفيه ههنا فايدة وهو ان اسم الله تعالى يفيد كونه رازقا وذلك لان الا له بمعنى المعبود كما قلنا مرارا وعكسنا بقوله تعالى ويذرك والهتك اي عبادتك واذا كان الله تعالى هو المعبود ورزق العبد واستعمله السيد في غير الكسب على السيد وههنا لما قال ما خلقت الا ليعبدون لغرضنا ان العبد حينئذ لنفسه وعبادته وكان عليهم رزقهم فقال تعالى ان الله هو الرزاق بلفظ الله الدال على كونه رازقا ولو قال اني انا الرزاق لحصلت المناسبة التي ذكرت ولكن لا يحصل ما ذكرنا الثالث ان يكون قل مضمرا عند قوله تعالى ما اريد منهم تقديره قل يا محمد ما اريد منهم من رزق فيكون بمعنى قوله تعالى قل ما سالتكم عليه من اجر فعلى هذا يكون قوله تعالى ان الله هو الرزاق ولم يقل القوي بل قال تعالى ذو القوة المتين وذلك لان المقصود تقرير ما تقدم من عدم ارادة الرزق وعدم الاستعانة بالغير لكن عدم طلب الرزق لا يكفي كون المستغني بحيث يرزق واحدا فان كثيرا من الناس يرزق ولده وغيره ويسترزق والملك يرزق الجند ويسترزق واذا اكثر منه الرزق قل منه الطلب لا المسترزق منه لكن الرزق لا يسترزق من رزقه فلم يكن ذلك المقصود وتحصل له المبالغة في وصف الرزق فقال تعالى الرزاق واما بمعنى الاستعانة بالغير فدون ذلك وذلك لان القوي اذا كان في غاية القوى بعد العبد فاذا كان دون ذلك لا يستعين غيره ولا يستعين به واذا كان دون ذلك مستعين استعانة ما وسقا وبلغ فلك ذلك ولما قال تعالى وما اريد ان يطعمون كفاه بيان نفي القوة فقال ذو القوة لافادة معنى القوي ودون القوي لان لا يقال الا للوصف اللازم البين فقال في الادمي ذو مال وذو جمال وجميل وذو خلق حسن الى غير ذلك مما لا يلزمه لنوعه بينا ولا يقال ذا للانثى ذات قدمه ولا في الاوجه ذات زوجه ولهذا لم يرد في الاوصاف الحقيقية لست ماخوذة من الافعال وكذا لم يسمع ذو الوجود ولا ذو الحياة ولا ذو العلم ويقال في الانسان ذو علم وذو وجاهة لانها عرض فيه عارض للانام وفي صفات الفعل فقال الله تعالى ذو الفضل كثير وذو الخلق قليلا لان ذا لا بمعنى صاحب ورب والصحبة لا يفهم منها اللزوم فضلا عن اللزوم البين والذي يؤيد هذا هو انه تعالى قال وفوق كل ذي علم عليم فجعل غيره اعلم ووصف نفسه بالفضل فمن والعلم والعليم فوق ذي القوة والقوي ويؤيده ايضا انه تعالى قال فاخذهم الله ان الله قوي شديد العقاب وقال تعالى الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز وقال تعالى لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز لان في هذه الصورة كان المراد بيان القيام بالافعال العظيمة والمراد ههنا عدم الاحتياج ومن لا يحتاج الى الغير لمعنيه من القوة قدر ومن يقوم مستبدا بالفعل لا بد له من قوة عظيمة لان عدم الحاجة قد يكون لترك الفعل والاستغناء عنه ولو بين هذا البحث تعرض الجواب عن سوال سايل عن الفرق من قوله تعالى ذو القوة وههنا وبين قوله قوي في تلك المواضع لكان احسن فان قيل فقد قال تعالى ليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز وفيما ذكرت من المعنى وذلك لان قوله قوي لبيان انه غير محتاج الى النصرة وانما نريد ان نعلم لست التناصر نكن عدم الاحتياج الى النصرة يكفي فيه قوة ما علم فلم نقل ان الله ذو القوة نقول فيه وجهان احدهما هو انه تعالى قال من ينصره ورسله بالغيب ومعناه انه نعني رسله عن الحاجة ولا نطلب نصرهم من خلقه لعجزهم وانما نطلبها الثواب الامر لا لاحتياج المستنصر والا فالله تعالى وعدهم بالنصرة حيث قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولما ذكر الرسول قال قوي لتكون ذلك تقوية لتكون رسوله والمومنون ونسله نصدورهم وصدور المومنين البحث الثالث قال المتين وذلك لان القوة كما بينا لا يدل الا على ان له قوا ما يدل في الوصف لا به وهو المؤكد له بما ذكرنا وهو مع المتين من باب واحد لفظا ومعنى فان ومل المتين هو اصله الذي عليه بنيانه والمتين هو الظهر الذي عليه اساس البنية والمتانة مع القوة كالعزة مع القوي حيث قال الله في مواضع ذكر القوة انه عزيز فقال تعالى قوي عزيز وقال القوي العزيز وفيه لطيفة تؤيد ما ذكرنا من البحث في القوي وذو القوة وذلك لان المتين هو الثابت الذي لا يتزلزل والعزيز هو الغالب في المعنى انه لا تعلب ولا تحفى ولا تنهزم وفي العزيز انه تغلب ونفي وتزيل بالاقدام والعزة اكمل المتانة كما ان القوي ابلغ من ذي القوة تقرب لا كمل بالاكمل وما دونه بما دونه وان نظرت حق النظر وقفت حقا لتامل درايتي في كتاب الله تعالى لطايف تسهل على عبادك المنكرين وضع انكار المعاندين ثم قال تعالى فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم وهو مناسب لما قبله وذلك لانه تعالى بين ان من نفع لنفسه في مواضع عبادة الله تعالى

يكون

يكون وضع الشي في غير موضعه فيكون ظالما فقال اذا ثبت ان الانس مخلوق للعبادة فان للذين ظلموا بعبادة الحيه هلاكه مثل هلاك من تقدم وذلك لان تقدم الشي اذا خرج عن الانتفاع المطلوب عنه لا يحفظ وان كان في موضع عالي المكان عنه الا ترى ان الرابية التي لا تسقى ينتفعوا بها بالموت او مرض يحلى عنها ما لاصطبل والطعام الذي ينقص في سد ويفرغ منه الا ما فكذلك الكافر اذا ظلم ووضع نفسه في غير موضعه خرج عن الانتفاع فحسن اخذ المكان عنه وحق نزول الهلاك بهم وفي التفسير مسايل **المسئلة الاولى** فيما تتعلق به الفا وقد ذكرنا ذلك في وجه التعلق **الثانية** ما مناسبة الذنوب بقول العذاب مصبوب عليهم كما قال تعالى يصب من فوق رءوسهم الحميم ذنوبا كذنوب صب فوق رءوس اولئك ووجه اخر وهو ان العرب يستقون من الابار على النوبة ذنوبا مد نوبا وذلك وقت عسهم الطيب فكانه تعالى قال ان الذين ظلموا من الدنيا وطيب ثناها ذنوبا وملازمة لا تكون لهم في الاخرة كما كان حالا صحابهم استموا ذنوبا وسربوها وعلى هذا فالذنوب ليس لعذاب ولا لهلاك وانما هو وعد العيش وهو اليق بالصرفيه وقوله تعالى فلا يستعجلون وان الرزق ما لم يطرح لا تاني الاجل ثم اعاد ماذكر في اول السورة فقال تعالى فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون والله اعلم

**والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا** اعلم ان هذه السورة مناسبة للسورة المتقدمة من حيث الافتتاح بالقسم وبيان الحشر فيهما واول هذه السورة مناسب للاخر ما قبلها لان في اخرها قوله تعالى فويل للذين كفروا وهذه السورة في اولها فويل يومئذ للمكذبين وفي اخر تلك السورة قال فان للذين ظلموا ذنوبا اشارة الى العذاب وقال ههنا ان عذاب ربك لواقع وفيه مسايل **المسئلة الاولى** ما الطور وما الكتاب المسطور نقول فيه وجوه الاول الطور هو جبل معروف كلم الله موسى عليه السلام الثاني هو الجبل الذي قال تعالى وطور سينين الثالث هو اسم الجنس والمراد بالجبل غير ان الطور الجبل العظيم كالطود واما الكتاب ففيه ايضا وجوه احدها كتاب موسى عليه السلام ثانيها الكتاب الذي في السماء ثالثها صحايف اعمال الخلق رابعها القران وكيفما كان اي في رقوق وسنين يؤيده قوله تعالى في رق منشور واما البيت المعمور ففيه وجوه الاول هو بيت في السماء العليا عند العرش ووصفه بالعمارة لكثرة الطايفين به من الملايكة الثاني هو بيت الله الحرام وهو معمور بما يحتاج الطايفين به والعاكفين الثالث البيت المعمور واللام لتعريف الجنس كانه يقسم بالبيوت المعمورة والعماير المشهورة والسقف المرفوع والبحر المسجور قيل الموقد نارا قال تعالى سجرت البحور وقيل هو البحر المملوء المتموج وقيل هو بحر معروف في السماء يسمى بحر الحيوان **المسئلة الثانية** ما الحكمة في اختيار هذه الاشيا نقول هي يحتمل وجوها احدها ان الاماكن الثلاثة هي الطور والبيت المعمور والبحر المسجور اماكن ثلاثة انبياء اولها الاية قال الخلوة سرهم والخلاص من الخلق والخطاب مع الله تعالى اما الطور فانتقل اليه موسى عليه السلام والبيت محمد صلى الله عليه وسلم والبحر المسجور يونس عليه السلام فقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت والكل خاطبوا الله هناك فقال موسى عليه السلام اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك وقال تعالى رب ارني انظر اليك واما محمد صلى الله عليه وسلم فقال سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فصارت الاماكن شريفة بهذه الاشيا فحلف الله تعالى بها واما ذكر الكتاب فان الانبيا ماكان لهم قدرة في هذه الاماكن مع الله تعالى كلام والكلام في الكتاب واقترانه بالطور ادل على ذلك لان موسى عليه السلام كان له مكتوب انزل عليه وهو بالطور واما ذكر السقف المرفوع لبيان ومعه البيت المعمور لعظمة شان محمد صلى الله عليه وسلم بالسماء هو ان القسم لما كان على وقوع العذاب على انه لا دافع له وذلك لانه لا مهرب من عذاب الله تعالى لان من يريد دفع العذاب عن نفسه فهو في بعض الاوقات يتحصن بتلك الجبال الشاهقة التي ليس لها طرق وهي مصاعقة ولا ينفع التحصن من امر الله تعالى كما قال ابن نوح عليه السلام ساوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم حكاية عن نوح عليه السلام **المسئلة الثالثة** ما الحكمة في تنكير الكتاب وتعريف باقي الاشيا نقول ما يحتمل الخفا من الامور الملتبسة بامثالها من الاجناس يعرف باللام فيقال رايت الامير ودخلت على الوزير فاذا بلغ الامر الشهرة بحيث يومن الالتباس مع الشهرة ويريد الواصف وصفه بالعظمة يقول اليوم رايت اميرا ما له خطر جاء شاء وعليه سيما الملوك وانت تريد ذلك الامير المعلوم والسبب فيه انك بالتنكير تشير الى انه خرج عن ان يعرف بعظمته فيكون كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة فاللام لكونها معرفة واخرجها عن المعرفة لكونه نسبة هولها غير معروف فكذلك ههنا الطور ليس في الشهرة بحيث يومن اللبس عند التنكير وكذلك المعمور واما الكتاب الكريم فقد تميز عن ساير الكتب بحيث لا يسبق الى افهام السامعين والنبي صلى الله عليه وسلم لفظ الكتاب الا ذلك فحصل فايدة التعريف فايدة التعريف واذكر باللام ولم يذكر فعاد الفايدة الاخرى وهي التنكير بالمنكر وفي تلك الاشيا لما لم يحصل فايدة التعريف الا بالة التعريف استعملها وهذا يؤكد كون المراد منه القران ولذلك اللوح المحفوظ مشهور **المسئلة الرابعة**

ما الفايدة في قوله تعالى في رق منشور وعظمة الكتاب بلفظه ومعناه ولا بخطه ورقه نقول هو اشارة الى الوضوح وذلك لان
الكتاب المطوي لا يعلم ما فيه فقال هو في رق منشور وليس كالكتب المطوية وعلى هذا اللوح المحفوظ معناه هو منشور لكم لا يمنعكم احد
من مطالعته وان قلت بان المراد كتاب اعمال كل احد فالتنكير لعدم المعرفة بعينه وبعده منشور لبيان وصفه كما قال تعالى كتابا يلقاه منشورا
وذلك لان اعين المومن ... وصفه كان الى المعرفة اقرب **المسألة الخامسة** في بعض السور اقسم بجميع كلمة في قوله تعالى والذاريات وقوله تعالى
والمرسلات وقوله تعالى والنازعات وفي بعضها بافراد كلمة هذه السورة حيث قال والطور ولم يقل والاطوار والبحار ولا سيما اذا
قلت المراد من الطور الجبل العظيم كالطور الذي في قوله تعالى ورفعنا فوقكم الطور اي الجبل فانه تحمله فيه نقول المجموع ههنا في اكثرها اقسم
بالمتحركات والريح الواحدة ليست بثابتة مستمرة حيث يقع القسم عليها بل هي متبدلة بافرادها مستمرة بانواعها والمقصود
منها لا يحصل الا بالتبدل والتغير فقال تعالى والذاريات اشارة الى النوع المستمر لا الى الفرد المعين المستقر واما الجبل فهو ثابت قليل
التغير فالواحد من الجبال دايم زمانا ودهرا فاقسم في ذلك بالواحد وكذلك قوله تعالى والنجم والريح لما علم المقسم به وفي الطور
علم ثم قال تعالى ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع اشارة الى المقسم عليه وفيه مباحث الاول في حرف ان وفيه مباحث
الاولى هي تنصب الاسم وترفع الخبر والسبب فيه هو انها شبهت بالفعل من حيث اللفظ والمعنى اما اللفظ فلكون ان تفتح
لانها فيها واختصاصها بالدخول على الاسما والمنصوب منها على وزن ان ... واما المعنى فنقول اعلم ان الجملة الاثباتية
قبل الجملة النافية ولهذا استغنوا عن حرف يدل على الاثبات بل قالوا زيد منطلق نفهم منه ارادة اثبات نفيها عن الاصل
وهو الاثبات فقيل ليس زيد منطلقا فصار ليس زيد منطلقا بعد قول القايل زيد منطلق مستبطن قوله ليس
زيد منطلقا كان العارض لها وضعا ولا زيد منطلق للاثبات وعند النفي يحتاج الى ما يغيره فاتى بلفظ معين هو من
فعل من وجه لا بل به كاختها النافية وهذا اصل ثبت وليس فالحق به ضمير الفاعل ولولا انه فعل لما جاز ذلك ثم اراد
ان يضع في مقابلة ليس زيد منطلق جملة اثباتية فيها لفظ الاثبات كما ان في النافية لفظا للنفي فقال ان ولم يقصد
ان فعلا لان ليس يشبه بالفعل لما فيه من معنى الفعل وهو الغير بما به عن الجملة عن اصلها الذي هو الاثبات واما ان
لم تغير الجملة على ما كانت عليه اثباته فصارت شبيهة بالمشبهة بالفعل وهي ليس وهذا ما نقوله النحويون ان وان كان
ولت ولعل انها حروف شبيهة بالفعل اذا علمت هذا فنقول كان ليس لها اسم كالفاعل وخبر كالفعل تقول ليس زيد
اسما بالرفع والنصب كما تقول ما ... زيد كريما كذلك كان لها اسم وخبر ولكن اسمها يخالف لاسم ليس وخبرها خبرها فان
اسم ان منصوب وخبره مرفوع لان ان لما كانت زيادة على خلاف الاصل لانها لم تعد الا الاثبات الذي كان مستفادا من
غير حرف ولست كانت زيادة على خلاف الاصل ما ينبغي لانها تصير للاصل ولولاها لما حصل المقصود جعل منصوبا
والمرفوع في ليس على الاصل لا ذلك الاصل تقديم الفاعل وفي ان جعل ذلك على خلاف الاصل وقدم المشبه بالمفعول على
المشبه بالفاعل تقديما لازما فلا يجوز ان يقال ان منطلق زيدا وفي ليس منطلقا زيدا جايز كما في الفعل لانها فعل المقام الثاني
هي ويكسر تارة ويفتح اخرى نقول الاصل فيها الكسرة والفتحة لعارض وان كان هذا في الظاهر يخالف قول النحاة لكن في
الحقيقة الثالث تدخل اللام على خبر ان المكسورة دون المفتوحة قلنا قد خرج مما سبق من جنبات قول القايل زيد
منطلق اصلا لان المبتدات هي المحتاجة الى الاخبار عنه فان التغير في ذكره واما العدميات على اصلها مستمرة ولهذا
يقال الاصل في الاشيا البقا ثم ان السامع له يحتاج الى الرد عليه فيقول ليس زيد منطلقا فيقول هو زيد منطلق فيقول هو
ردا عليه ليس زيد بمنطلق فيقول ردا عليه ان زيدا لمنطلق وان لست في مقابلة ليس وانما هي متفرعة عن المكسورة
البحث الثاني في قوله تعالى عذاب ربك فيه لطيفة عزيزة وهي انه تعالى لو قال ان عذاب الله لواقع والله اسم مبني على
العظمة والهيبة كان يخاف المومن على النبي عليه السلام من ان يلحقه ذلك لكونه تعالى مستغنيا عن العالم باسره فصلو
واحدا فيه فامنه بقوله ربك فانه حين يسمع لفظ الرب امن البحث الرابع قوله لواقع فيه اشارة الى الشدة فان الواقع
والوقوع من باب واحد فالواقع اشد على الادلة من الكاين ثم قال تعالى ماله من دافع والبحث فيه ما تقدم في قوله تعالى وما ربك
بظلام للعبيد وقد ذكرنا ان قوله تعالى والبيت المعمور والبحر المسجور فيه دلالة على عدم الدافع فان من يدفع عذابا يدفع
بالتحصن بقلل الجبال ولجج البحار ولا ينفع ذلك بل الوصول الى السقف المرفوع ودخول البيت المعمور لا يدفع ثم قال تعالى يوم تمور
السما مورا وتسير الجبال سيرا وفيه مسايل **المسألة الاولى** ما الناصب ليوم نقول المشهور هو ان ذلك هو الفاعل الذي
يدل عليه واقع على هذا معناه يقع ذلك اليوم لكن العذاب الذي به التخويف هو الذي بعد الحشر ومور السماء قبل الحشر
واما اذا قلنا معناه ليس له دافع يوم تكون في معنى قوله تعالى فلم ينفعهم ايمانهم لما راوا العذاب كانه تعالى يقول ماله من
دافع في يومنا هذا ولما اذا صارت السماء تمور في اعينكم والجبال تسير وتحققون ان الامر لا ينفع شيا ولا مدفع الثانية
ما مور السما نقول تحركها عن مكانها وتموج تردد والذي يقوله الفلاسفة قد علمت ضعفه مرارا وقوله تعالى وتسير
الجبال سيرا يدل على خلاف قولهم وذلك لانهم وافقوا على ان خروج الجبل العظيم عن مكانه جايز وكيف لا وهم يقولون بان زلزلة
الارض مع ما فيها من الجبال بحار يجيء تحت الارض فتحركها وان كانت كذلك فنقول السما مايلة للحركة فان اخراجها خارج عن المسيات
والجبل ساكن تقتضي عدم طبعه السكون واذا قبل جسم الحركة مع انها على خلاف طبيعه فلان يقبلها جرم اخر على انها موافقة اولى وقولهم
القابل للحركة المستورة لا يقبل الحركة المستقيمة في غاية الضعف وقوله مورا مقدر هادم حلله وهي ان قوله تعالى وتسير الجبال

تسير

سيرا ان يكون بيانا لكيفية مور السماء وذلك لان الجبال اذا سارت وسيرت مع سكانها تظهر السما كالتمايدة الى خلاف تلك
الجهة كما تشاهده راكب السفينة فانه يرى الجبل الساكن متحركا فكان القايل يقول السما تمور في راي العين بسبب سير الجبال كما ترى القمر
سايرا راكبا السفينة والسما اذا مارت كذلك فلا يبقى مهرب ولا مفزع لا في الارض ولا في السماء **المسألة الثانية** ما السبب في مورها
وسيرها قلنا قدرة الله تعالى وما الحكمة بالايذان والاعلام بان لا عود الى الدنيا وذلك لان الارض والجبال والسما والنجوم كلها
لعمارة الدنيا ولا انتفاع لبني ادم بها فاذا لم يبق لهم عود لم يبق فيها نفع فاعدمها الله تعالى **المسألة الثالثة** لو قال قايل
لنت وعدت تحت في الزمان يستفيد العامل منه فوايد في اللفظ والمعنى وهذا موضعه فان الفعل لا يضاف اليه
شي غير الزمان فيقال يوم يخرج فلان وحين يدخل فلان فقال الله تعالى يوم ينفع الصادقين وقال تعالى يوم تمور
السماء مورا وقال تعالى يوم خلق السموات وذكر بعضها في الحكمة فما السبب في ذلك فنقول الزمان ظرف الافعال
كما ان المكان ظرف الاعيان وكما ان جوهرا من الجواهر لا يوجد الا في مكان فلذلك عرض الاعراض لا يتجدد الا في زمان وفيهما
تحير خلق عظيم فقالوا ان كان المكان جوهرا فله مكان اخر ويتسلسل الامر وان كان عرضا فالعرض لا بد له من جوهر
والجوهر لا بد له من مكان فيدور الامر ويتسلسل وان لم يكن جوهرا ولا عرضا فالجوهر يكون حاصلا فيما لا وجود له وفيما
لا اشارة اليه وليس كذلك وقالوا في الزمان ان كان الزمان غير متجدد فيكون كالامور المستمرة فلا يثبت به المعنى
والاستقبال الثانية وان متجددا وكل متجدد فهو في زمان فللزمان زمان آخر فيتسلسل الامر ثم ان الفلاسفة
الزموا التسلسل في الازمنة ودفعوا بسبب هذا في القول بقدم العالم ولم يلتزموا التسلسل فيهما جميعا في
احدهما دون الاخر لكنهم سلكوا جادة الوهم وقالوا لا نعلم والازمان لا نهاية لهما وبالاضداد والابعاد لا نهاية
لها وهم وان خالفوا في المسلمين جميعا والفلاسفة وافقونا في احداهما دون الاخرى لكنهم سلكوا جادة
الوهم ولم يتركوا على انفسهم سبيل الاكرام في الازمان فان قيل فالمتجدد الاول قبله ماذا نقول ليس قبله شي
فان قيل معدده فعله او قبله بعده فنقول قولنا ليس قبله شي اعم من قولك قبله عدمه لانا اذا قلنا ليس
قبل ادم حيوان بالف راس صدقنا ولا يستلزم ذلك صدق قولنا ادم قبل حيوان بالف راس وحيوان بالف
راس بعد ادم لا ... ذلك الحيوان اولا واخرا وعدم دخوله في الوجود اولا وابدا فكذلك ما قلنا فان قيل هذا
لا يصح لان الله تعالى شي موجود وهو قبل العالم نقول قولنا ليس قبل المتجدد الاول شي معناه ليس قبله شي
بالزمان واما الله تعالى فليس قبله بالزمان اذ كان الله ولا زمان والزمان وجد مع المتجدد الاول فان قيل
فما معنى وجود الله قبل كل شي غيره نقول معناه كان الله ولم يكن شي غيره لا يقال ما ذكرتم اثبات شي
بشي ... الزمان عن حكم وهو مبنيه على المتجدد الاول والنزاع في المتجدد
فان عند الخصم ليس في الوجود متجدد اول بل قبل كل شي متجدد بعده كما نقول نحن ما ذكرنا ذلك دليلا وانما ذكرنا ذلك
لعدم الالزام وانه لا يرد علينا شي اذا قلنا بالحدوث ونهاية الابعاد والملزوم والالزام وسلم الكلام للاول
[illegible]

انه ادوم من الليل والنهار فالنهار والليل قد لا يكون والحين يكون ثم قال تعالى فويل يومئذ للمكذبين اي اذا علم ان عذاب الله
واقع وليس له دافع فويل للمكذبين فالفاء لاتصال المعنى والمعنى احسن وهو ان للويل بابا واهل الايمان وذلك لانه لما
قال تعالى ان عذاب ربك لواقع علم من بان موقعه ممن فلما قال تعالى فويل يومئذ للمكذبين علم المخصوص به وهو المكذب
**المسئلة الرابعة** اذا قلت بان قوله تعالى ويل للمكذبين بيان لمن يقع به العذاب وينزل عليه ممن لا يكذب لا يعذب
فاهل الكبائر لا يعذبون لانهم لا يكذبون نقول ذكرنا ان العذاب لا يقع على اهل الكبائر وهذا كما في قوله تعالى كلما القي فيها
فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا فيقول المومن لا يلقى فيها الها هوان فان قال قائل ان خزنتها
لنطهر ادخالا مع نوع اكرام فكذلك الويل للمكذبين والويل ينبئ عن الشدة وتركيب حروف الواو والياء واللام لا ينفك
عن نوع شدة منه لويا اذا وقع ونوى نكونه اذا اصل هويا والويل فيه القوة على المولى عليه فيدل عليه قوله تعالى يوم يدعون
فان المكذب يدع والمصدق لا يدع وقد ذكرنا جواز التنكير في قوله تعالى ويل مع كونه مبتدا لانه في تقدير المنصوب لانه دعا
ومعنى وجهه في قوله تعالى قال سلام عليك والخوض نفسه اختص في استعمال القران بالاندفاع في الاباطيل ولهذا
قال تعالى وخضتم كالذي خاضوا وقال تعالى وكنا نخوض ونلعب وتنكير الخوض يحتمل وجهين احدهما ان يكون للتكثير
اي في خوض كامل عظيم ثانيهما ان يكون التنوين تعويضا عن المضاف اليه كما في قوله تعالى والا قوله تعالى وان كلا وبعضهم
بعض والاصل في خوضهم المعروف منهم وقوله تعالى الذين هم في خوض يلعبون وصفا للمكذبين بما يميزهم وانما هو للذم كما انك
تقول الشيطان الرجيم ولا تريد فصله عن الشيطان الذي ليس برجيم بخلاف قولك اكرم الرجل العالم فالوصف بالرجيم
للذم به لا للتعريف وتقول في المدح الله الذي خلق والله العظيم للمدح لا للتمييز ولا للتعريف غير الذي لم يخلق والله
ليس بعظيم فان الله تعالى واحد لا غير والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى** **يوم يدعون الى نار جهنم**
**دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا**
**سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون** **اعلم** ان في هذه الاية مباحث لفظية ومعنوية اما اللفظية ففيها
مسائل **المسئلة الاولى** يوم منصوب بماذا نقول الظاهر انه منصوب بما بعده وهو ما يدل عليه قوله تعالى
هذه النار تقديره يوم يدعون يقال لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون ويحتمل هذا وهو ان يكون يوم بدلا
عن يوم في قوله فويل يومئذ يوم يدعون المكذبين وذلك ان قوله تعالى يومئذ معناه يوم يقع العذاب
وذلك اليوم هو يوم يدعون الى النار **الثانية** قوله تعالى يدعون فيه الى النار يدل على هول نار جهنم كان
حرها لا يقربون منها وانما يدفعون اليها اهلها من بعد ويلقونهم فيها وهم لا يقربونها **الثالثة** دعا مصدر
وقد ذكرت فائدة ذكر المصادر وهي الايذان بان المدع دعاه معتبرا فيقال له دع ولا يقال فيه ليس بدع كما تقول القائل
في الضرب الخفيف مستحقر له هذا ليس بضرب والعد والمهين هذا ليس بعد وفي غير المصادر والرجل الحقير ليس برجل الاعلى
قراءة من قرا يدعون الى نار جهنم دعا فان الدعا حينئذ يكون منصوبا على الحال يقال لهم هلموا الى النار مدعين اليها اما المعنوية
فنقول قوله تعالى يدعون الى نار جهنم دعا يدل على انه خرقها يقذفونهم في النار وهم بعدا عنها وقال تعالى يوم يسحبون في النار
فيها نقول الجواب عنه من وجوه احدها ان الملايكة يسحبون في النار ثم اذا قربوا من نار مخصوصة هي نار جهنم بعد قوبهم فيها
من بعد فيكون السحب في النار والدفع في نار اشد واقوى ويدل عليه قوله تعالى يوم يسحبون في الحميم ثم بعد ذلك يكون لهم
ادخال النار جاز ان يكون في كل زمان يتوهم امرهم فان النار دير فيهم تلك في النار يسحبهم احرا الثالث جاز ان يكون السحب
بسلاسل يسحبون في النار والساحب خارج النار الرابع ان يكون الملايكة يدفعون اهل النار اهانة واستخفافا بهم فيدخلونها
معهم النار ويسحبونهم فيها ثم قال تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون على تقدير اضمار ثم قال تعالى افسحر هذا ام انتم لا تبصرون
تحقيقا للامر وذلك لان من يرى شيئا ولا يكون الامر على ما يراه فذلك الخطا يكون لاجل احد امرين اما لامر عايد الى المرئي
واما لامر عايد الى الرائي فقوله تعالى افسحر هذا اي هل في المرئي شك ام هل في نظركم خلل استفهام انكار اي لا واحد منهما ثابت
فالذي ترونه حق وقد كنتم تقولون انه ليس بحق وانما قال تعالى افسحر هذا وذلك لانهم نسبوه في الزمان الى السحر وكانوا
يقولون بان انشقاق القمر وامثاله سحر في ذلك اليوم لما تعلق بهم مع المبصر للالم المدرك بحس اللمس وبلغ الايلام الغاية
لم يمكنهم ان يقولوا هذا سحر ولا اطماع منهم طلب الخلاص من النار ثم قال تعالى اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي اذا لم يمكنكم انكارها
وتحقق انه ليس بسحر ولا خلل في ابصاركم فاصلوها وقوله تعالى فاصبروا او لا تصبروا فيه فايدتان احداهما بيان
عدم الخلاص واسقاط المناص فان من لا يصبر يدفع الشي عن نفسه اما بان يدفع العذاب عنه فيمنعه واما بان يفعله فعيله
وبكى ولا شي من ذلك بعيد من عذاب الاخرة فان من لا يعذب المعذب بدفعه ولا يتخلص بالاعوان فان المعذب في الدنيا
ان صبر ربما انتفع بالصبر اما بالجزا في الاخرة واما بالحمد في الدنيا فيقال له ما اشجعه وما اقوى قلبه وان جزع ذم فيقال
يجزع كالصبيان والنسوان وفي الاخرة لا مدح ولا ثواب على الصبر وقوله تعالى سواء عليكم خبر ومبتدا مدلول عليه فاصبروا
او لا تصبروا كانه تقول الصبر وعدمه سواء فان قيل يلزم الزيادة في التعذيب ويلزم التعذيب على المسوى الذي لم يفعل نقول فيه
لطيفة وهي ان المومن بايمانه استفاد ان الخير الذي سوف يثاب عليه والشر الذي سوف ولا يجعله كلا معاقب عليه والكلام في تكفير
صار على الصد والخير الذي اخلو به ولا يعلم لا يثاب عليه والشر الذي يقصد ولا يقع منه معاقب عليه ولا ظلم فان الله تعالى اخبر به

وهو

وهو اخبار بذلك ودخل فيه باختيار فان الله تعالى قال فان من كفر ومات كافرا اعذبه ابدا فاحذروا ومن امن انه دايما
فمن ارتكب الكفر ودام عليه بعد ما سمع ذلك فاذا عاقبه المعاقب دايما بحكم ما اوعده به لا يكون **قوله تعالى**
**ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما اتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا**
**هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين والذين امنوا**
**واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما**
**كسب رهين وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كاسا لا لغو فيها**
**ولا تاثيم ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون** **اعلم** ان قوله تعالى ان المتقين في جنات
ونعيم على ما هو عادة القران من بيان حال المومن بعد بيان حال الكافر وذكر الثواب عقيب ذكر العقاب ليتم امر الترهيب
والترغيب وقد ذكرنا تفسير المتقين في مواضع فان الحسنة وان كانت موضع السرور لكن الساطور قد يكون في البستان
الذي هو في غاية الطيبة وقوله تعالى ونعيم يفيد انهم فيها مسعودون كما يكون المتفرج لا كما يكون الفاعل وقوله تعالى
فاكهين يزيد في ذلك لان المتنعم قد يكون اثار التنعم على ظاهره وقلبه مشغول فلما قال تعالى فاكهين دل على غاية الطيبة
وقوله تعالى بما اتاهم يفيد زيادة في ذلك لان الفكه قد يكون خسيس النفس مسيرة ادنى شي ويفرح باقل سبب فقال تعالى فاكهين
لا لكذا لو همهم بل لعلو نعمهم حيث هي من عند ربهم وقوله تعالى ووقاهم عذاب الجحيم يحتمل وجهين احدهما ان يكون المراد
انهم فاكهون بامرين احدهما بما اتاهم والثاني بانه وقاهم وثانيهما ان يكون ذلك جملة اخرى منسوقة على الجملة كانه بين
انه ادخلهم جنات ونعيما ووقاهم عذاب الجحيم ثم قال تعالى متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين وفيه بيان
اسباب التنعم على الترتيب فاول ما يكون المسكن وهو الجنات ثم الاكل والشرب ثم الفرش والبسط ثم الازواج فهذه امور
اربعة ذكرها الله تعالى على الترتيب وذكر في كل واحد منها ما يدل على كماله فقوله تعالى جنات اشارة الى المسكن والمسكن
للجسم ودري وهو المكان فقال تعالى فاكهين لان مكان النعيم قد يتنغص بامور وبين سبب الفاكهة وعلو المرتبة بكونه
بما اتاهم الله وقد ذكرنا هذا وامات الاكل والشرب والادرار المطلق وترك ذكر الماكول والمشروب وابن تنوعهما وكثرتهما
وقوله تعالى هنيئا اشارة الى خلوهما عما يكون فيهما من المفاسد في الدنيا منها ان الاكل يخاف منه المرض فلا يهنا له الطعام
ومنها انه يخاف النفاد فلا يسخى بالاكل والاكل مسرف في الجنة فلا مرض ولا انقطاع فان كل واحد عنده ما يفضل عنه
ولا اثم ولا نصب في تحصيله فان الانسان في الدنيا ربما يترك لذة الاكل لما فيه من تهيئة الماكول بالطبخ والتحصيل
من التعب والمنة او ما فيه من قضاء الحاجة واستقذار ما فيه فلا يهنا وكل ذلك في الجنة منتف وقوله تعالى بما كنتم تعملون
اشارة الى انه تعالى يقول اني ربح وخالقكم لفضل الجنة وانما هي عليكم كان في الدنيا اذ هدي ومعنى بوعد
الصالحة كما قال تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان واما اليوم فلا منة عليكم لان هذا انجاز الوعد فان قيل في
الكفار انما تجزون ما كنتم تعملون وقال في حق المومن بما كنتم تعملون فما الفرق بينهما نقول بينهما بون عظيم من وجوه الاول
كلمة انما للحصر اي لا تجزون الا ذلك ولم يذكر هذا في حق المومن فانه يجزيه اضعاف ما عمل ويزيده من فضله وحينئذ
كان الله تعالى يمن على عبده بعمن نزلك الا ما لاكل والشرب الثاني قال تعالى بما كنتم تعملون وقال هناك ما كنتم اي
تجزون عين اعمالكم اشارة الى المبالغة في المماثلة كانك تقول هذا عين ما عملت وقد تقدم بيان هذا وقال في حق المومن
بما كنتم كان امر ثابت مستمر بعيد عنه هذا الثالث ذكر الجزا هناك وقال ههنا بما كنتم تعملون لان الجزا ينبئ عن الانقطاع
فان من احسن الى احد فاتى بجزائه لا يتوقع المحسن منه شيئا اخر فان قيل فالله تعالى قال في موضع جزاء بما كنتم تعملون
في الثواب نقول في تلك المواضع لما لم يخاطب المجزي ولم يقل بما كنت تفعل دائما انما يفيده العلم بالدوام وعدم الانقطاع
واما في السرور فذكر امورا ايضا احدها الاتكاء فانه هيئة تختص بالمنعم والفارغ الذي لا كلفة عليه ولا تكلف لديه
فان من عنده من يتكلف به يجلس له ولا يتكي عنده ومن يكون في مهم لا يتفرغ للاتكاء والهيئة دليل اخو يم الجمع يحتمل امرين
احدهما ان يكون ان في كل واحد سرور وهو الظاهر لان قوله مصفوفة يدل على انها لواحدة لان سرور الكل لا يكون في موضع
واحد مصطفة ولفظ السرير فيه حروف السرور بخلاف التخت وغيره وقوله مصفوفة دليل على انه لمجرد العظمة فانها
لو كانت متفرقة لقيل في كل موضع واحد يتكي عليه صاحبه اذا حضر في هذا الموضع وقوله تعالى وزوجناهم اشارة
الى النعمة الرابعة وفيها ايضا ما يدل على كمال الحال من وجوه احدها انه هو المزوج وهو الذي يتولى الطرفين يزوج عباده
باما به ومن يكون كذلك لا يفعل الا ما فيه راحة العباد والاما يهوى وقال تعالى وزوجناهم بحور ولم يقل وزوجناهم
حورا مع ان لفظ التزويج يتعدى فعله الى مفعولين بغير حرف تقول زوجتكها قال الله تعالى فلما قضى زيد منها
وطرا زوجناكها وذلك اشارة الى ان المنفعة في التزويج لهم وانما زوجوا لكن بهم بالحورة لا لذة الحور بهم وذلك
لان المفعول بغير حرف يتعلق الفعل به كذلك التزويج يتعلق بهم ثم بالحور كانه ذكر بمعنى جعلنا ازواجهم بهذا الطريق
وهو الحور بالباء عدم الاكتفا وعلى الزوجات بل وصفهن بالحسن واختار الاحسن من الاحسن فان احسن ما في صورة الادمي
وجهه واحسن ما في الوجه العين ولان الحور والعين يدلان على حسن المزاج في الاعضا ووفور المادة في الازواج وانما
حسن المعا منه الحور وانما وفر المزاج فان سعة العين سبب كره الروح المصونة اليها فان قيل زوجناها ذكره بفعل

ماض ويحكي حال ولم يسبق ذكر فعل ماض يعطف عليه ذلك وعطف الماضي والمستقبل احسن نقول الجواب عنه من وجوه منها ان لفظيا ومعنوي
احدهما ان ذلك حسن في كثير من المواضع تقول جاء زيد وعمرو وخرج زيد وثانيهما ان قوله تعالى ان المتقين في جنات ونعيم وتقديره ادخلناهم
في جنات وذلك لان الكلام على تقرير اني اليوم الذي يدع الكافر في النار وذلك الوقت يكون المومن قد ادخل فكانه تعالى يقول يوم يدعون الى نار جهنم
ان المتقين كانسون فيها والثالث المعنوي انه تعالى ذكر مجرد الحكم فهو في هذا اليوم زوج عباده حورا عينا وهو مستطرات الرقاب يوم
الازفة ثم قال تعالى والذين امنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وفيه لطايف اللطيفة الاولى ان شفقة
الابوة كما هي في الدنيا متوفرة كذلك في الاخرة ولهذا طيب الله تعالى قلب عباده بانه لا يولههم باولادهم بل يجمع بينهم فان قيل قد ورد
في تفسير الايات ان الله تعالى يسلي الاباء عن الابناء وبالعكس ولا يتذكر الاب الذي هو من اهل الجنة للابن الذي هو من اهل النار نقول
الولد الصغير وجد في الدار الابوة الحسنة ولم يوجد لها معارض ولهذا الحق الله الولد بالوالد في الاسلام في دار الدنيا
وعند الصغر واذا كبر استقل فان كفر ينسب الى غيره وذلك لان الاسلام للمسلمين كالاب ولهذا قال تعالى انما المومنون
اخوة جمع الاخ بمعنى الاخوة والولادة والاخوان جمعه بمعنى الاخوة والصداقة والمحبة فاذا الكافر من حيث الحس والعرف اب
فان خالف دينه دين ابيه صار له من حيث الشرع اب اخر وفيه ارشاد للاب الى ان يشغلهم عن شي الشفقة على الولد
فيكون من القبيح الفاحش ان يشغل الانسان بالتفرج في البستان مع الاحبة والاخوان عن ان يحصل موت الولد وكيف
لا تشتغل اهل الجنة بما في الجنة من الحور العين عن اولادهم واراح الله قلوبهم بقوله الحقنا بهم ذرياتهم واذا
كان كذلك فما ظنك بالفاسق الذي يسد رماله في الحرام ويترك اولاده يتلقفون وجوه اللئام والكرام نعوذ بالله تعالى
منه ويدل ايضا على ان من يورث لاولاده مالا حلالا يكتب له به صدقة ولهذا لم يجوز للمريض التصرف في اكثر من الثلث
اللطيفة الثانية قوله تعالى اتبعناهم ذرياتهم فهذا ينبغي ان يكون دليلا على الساعي للاخرة يلحق بهم لان في دار
الدنيا مراعاة الانسان اكثر ولهذا لم يجر الله عادته على ان تقدم بين يدي الانسان طعاما من السما لما لم ينسب له
بالزراعة والطحن والعجن وباكله وفي الاخرة يوتيه ذلك من غير سعي خيرا له على ما ينبغي من قبل فينبغي ان يجعل ذلك
دليلا ظاهرا على ان الله تعالى يلحق به ولده وان لم يعمل عملا صالحا كما اتبعه وان لم يشهد ولم يعتقده شيا اللطيفة
الثالثة في قوله تعالى بايمان فان الله تعالى اتبع الولد في الايمان ولم يتبعه اباه في الكفر بدليل ان من اسلم من الكفار
حكم باسلام اولاده ومن ارتد من المسلمين والعياذ بالله تعالى لا يحكم بكفر ولده الرابعة قال في الدنيا اتبعناهم
وقال في الاخرة الحقنا بهم وذلك لان في الدنيا لا يدرك الصغير التبع شيا والمتبوع وانما يكون هو تبعا والاب اصل
يفضل الساعي على غير الساعي واما في الاخرة فاذا الحق الله تعالى بفضله ولده جعل له من الدرجة مثل ما لابيه اللطيفة
الخامسة في قوله تعالى وما التناهم تطييبا لقلوبهم وازالة وهم المتوهم ان ثواب عمل الاب يوزع على الوالد والولد
بل للوالد اجر عمله بفضل السعي ولاولاده مثل ذلك فضلا من الله ورحمة اللطيفة السادسة في قوله تعالى من
عملهم دليل على انه تعالى يلحق بهم كما كان ولا حرج على العمل مع الزيادة فيكون فيه اشارة الى ان العمل الذي له الاجر الكبير الى العليم
العظيم العايد اليه ولو قال ما التناهم من اجرهم لكان ذلك حاصلا باذنى شي لان كل ما يعطي الله تعالى عبده على عمله
ثواب كامل ولانه لو قال تعالى ما التناهم من اجرهم كان ذلك يحتمل ان يقال ان الله تعالى يتفضل عليه بالاجر الكامل على
العمل الناقص واعطاه الاجر الجزيل مع العمل كان له ولولده جميعا وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قوله تعالى
والذين امنوا عطف على ماذا نقول على قوله تعالى ان المتقين **المسئلة الثانية** ان كان كذلك فلم اعاد لفظ الذين
امنوا وكان المقصود يحصل بقوله تعالى والحقناهم ذرياتهم بعد قوله تعالى وزوجناهم وكان يصير التقدير و
زوجناهم والحقنا بهم نقول فيه فايدة وهو ان المتقين هم الذين اتقوا الشرك والمعصية وهم الذين امنوا وعملوا
الصالحات وقال هاهنا الذين امنوا اي بوجود الايمان يصير ولده من اهل الجنة ثم ان ارتكب الاب كبيرة او صغيرة لا يعاقب
به ولده بل الوالد ربما يدخل الجنة الابن قبل الاب وفيه لطيفة معنوية وهو انه ورد في الاخبار ان الولد الصغير
يشفع لابيه وذلك اشارة الى الجزاء **المسئلة الثالثة** هل يجوز غير ذلك نقول نعم لجواز ان يكون قوله تعالى
والذين امنوا عطفا على حور عين تقديره زوجناهم بحور عين اي قرناهم بهن وفي الذين امنوا اشارة الى قوله
تعالى اخوانا على سرر متقابلين اي جمعنا شملهم بالازواج والاخوان والاولاد بقوله تعالى واتبعناهم وهذا الوجه
ذكره الزمخشري والاول احسن واصح فان قيل كيف يصح على هذا الوجه الانحصار بلفظ الماضي مع انه تعالى بعد ما
فرق بينهم وانما صح في زوجناهم على ما ذكر من ان الله تعالى يزوجهن منا من يوم خلقهن وباخر الزمان **المسئلة الرابعة**
قري ذرياتهم في الموضعين بالجمع وذريتهم فيهما بالفرد وقري في الاول ذرياتهم وفي الثاني ذريتهم فهل لكثالث وجه نقول
نعم معنوي لا لفظي وذلك لان المومن يتبعه ذرياته في الايمان وان لم يوجد معنى انه وجد له الف ولد كانوا اتباعه
في الايمان حكما واما الالحاق فلا يكون الا لما هو حقيقه وذلك في الوجود فالتابع اكثر من الملحق فجمع في الاول وفرد في الثاني
**المسئلة الخامسة** ما الفايدة في تنكير الايمان في قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم بايمان نحمله كاملا او نقول اتبعناهم
بالايمان ما الى يسمى منه فان الايمان كاملا لا يوجد في الولد بدليل ان من امن له ولد صغير حكم بايمانه فاذا بلغ وصرح
بالكفر او نكر السمعه قيل انه لا يكون من مرتدا وبين بقوله انه لم يتبع وقيل بانه يكون مرتدا لان كفره بعد ما حكم بايمانه

كولد المسلم



كولد المسلم الاصلي فاذا بهذا الخلاف بين ان ايمانه ليس بقوي فقال هذان الوجهان ذكرهما الزمخشري ويحتمل ان يكون المراد
غير هذا او هو ان يكون التنوين للتعويض عن المضاف اليه كما في قوله تعالى بعضهم لبعض وقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى وبيانه
هو ان التقدير اتبعناهم ذرياتهم بايمان اي بسبب ايمانهم لان الاتباع ليس بايمان كيف كان وممن كان وانما هو ايمان الاباء
لكن الاضافة تنبي عن تقييد وعدم كون الايمان ايمانا على الاطلاق فان قول القايل ما الشجر وما الرمان نعم وما له ماء قاسم
الماء من غير اضافة لا يصح فقوله تعالى بايمانهم يوهم انه ايمان يضاف اليهم كما قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا
حيث ابت ايمان المضاف ولم يكن ايمانا فقطع الاضافة مع ان المراد بها المعلوم انه ايمان صحيح وغرض التنوين انه مضاف لا يوجب
الازمان في الدنيا الا ايمان الاباء وهذا وجه حسن ثم قال تعالى كل امري بما كسب رهين قال الواحدي هذا عود الى ذكر
اهل النار فانهم مرهونون في النار واما المومن فلا يكون مرهونا قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين وهو
قول مجاهد وقال الزمخشري كل امري بما كسب رهين عام كل احد مرهون عند الله تعالى بالكسب فان كسب خيرا فك رقبة
والا اعاد الرهن والذي يظهر منه انه عام في حق كل احد وفي الاية وجه اخر وهو ان يكون الرهن فعيلا بمعنى الفاعل فيكون
المعنى والله اعلم كل امري بما كسب راهن اي دايم ان احسن ففي الجنة مويدا وان اسا ففي النار مخلدا وقد ذكرنا ان في الدنيا دوام
الاعمال بدوام الاعيان فان العرض لا يبقى الا في جوهر ولا يوجد الا فيه وفي الاخرة دوام الاعيان بدوام الاعمال فان الله
تعالى يبقي اعمالهم لكونهم عند الله تعالى من الباقيات الصالحات وما عند الله باق والثاني يبقى مع عمله ثم قال تعالى
وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اي زدناهم ماكولا ومشروبا اما الماكول فالفاكهة واللحم واما المشروب فالكاس
الذي يتنازعون فيها وفي تفسيرها لطايف الاولى لما قال تعالى الحقنا بهم ذرياتهم بين الزيادة لتكون ذلك جاريا على عادة
الماكول في الدنيا واذا ارادوا في حق عبد من عبيدهم ان يزيدوا في امداد احدهم اقطعهم واختاروا من الماكولات ارفع الانواع
وهو الفاكهة واللحم فانهما طعام المتنعمين وجمع اوصافا حسنة في قوله تعالى مما يشتهون لانه لو ذكر نوعا فربما يكون ذلك
الشي غير مشتهى عند بعض الناس فقال كل احد يعطى ما يشتهى فان قيل الاشتها كالجوع وفيه انواع الم نقول ليس كذلك مثل
الاشتها به اللذة والله تعالى تركه في الاشتها بدون المشتهى حتى يتالم بل المشتهى حاصل مع الشهوة والانسان في الدنيا
لا يتالم الا باحد امرين اما باشتهاء صادق وعجزه عن الوصول الى المشتهى واما بحصول انواع الاطعمة والاشربة عنده وسقوط
شهوته وكلاهما منتف في الاخرة الثانية لما قال تعالى وما التناهم من ونفى النقصان تصدق لحصول المساوي فقال لا بل
عدم النقصان بالاقتصار على المساوي بل بطريق اخر وهو الزيادة والامداد فان قيل اكثر الله من ذكر الاكل والشرب بعض العارفين
يقولون بخاصته انه بالله يشغل شاغل عن الاكل والشرب وكل ما سوى الله نقول ولهذا قال تعالى جزاء بما كانوا يعملون
وقال بما كنتم تعملون هذا على العمل واما على العلم فذلك ولهذا قال تعالى لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا
من رب رحيم اي للنفوس ما يسكر به وللازواج ما يتمناه بين القربة والزلفى وقوله تعالى يتنازعون فيها كاسا لا لغو فيها
ولا تاثيم فيكون ذلك على عادة الملوك اذا جلسوا في مجلسهم للشرب يدخل عليهم بفواكه ولحوم وهم على الشرب وقوله
تعالى يتنازعون اي يتعاطون ويحتمل ان يقال التنازع التجاذب وحينئذ يكون تجاذبهم تجاذب ملاعبة لا تجاذب
منازعة وفيه نوع لذة وهو بيان لما هو عليه حال الشرب في الدنيا فانهم يتفاخرون بكثرة الشرب ولا يتفاخرون
بكثرة الاكل ولهذا اذا شرب احدهم يرى الاخر واجبا ان يشرب مثل ما شربه حريفه ولا يرى واجبا ان ياكل مثل ما ياكل نديمه
وجليسه وقوله تعالى لا لغو فيها ولا تاثيم وسوا قلنا فيها عايدة الى الجنة او الى الكاس فذكرهما كما ذكر الشراب بحكايته
على ما في الدنيا فقال تعالى في الشرب في الاخرة كل ما فيه في الدنيا من اللغو بسبب زوال العقل ومن الاثم الذي بسبب نقوض
الشهوة والغضب عند وفور العقل والفهم وفيه وجه ثالث وهو ان لا انتقال لا يعتريه كما يعتري به الشارب بالشرب
في الدنيا فلا يوثم ان يتسبب الى اثم وفيه وجه رابع وهو ان يكون المراد من الاثم السكر وحينئذ يكون فيه ترتيب حسن
وذلك لان من الناس من يسكر ويكون رزين العقل عديم اعتبار العهدة ويسكر ويسام ولا يوذي ولا يسادي ولا يعدي
ولا يسمع الى من هذا ومنهم من يعهد فقال تعالى لا لغو فيها ثم قال تعالى ويطوف عليهم غلمان لهم اي بالكؤوس وقال تعالى يطوف
عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكاس من معين وقوله لهم اي ملكهم اعلاما لهم بقدرتهم على التصرف فيهم بالامر
والنهي والاستخدام وهذا هو المشهور ويحتمل وجها اخر وهو انه تعالى لما بين امتياز خمر الاخرة عن خمر الدنيا بين امتياز غلمان
الاخرة عن غلمان الدنيا فان الغلمان في الدنيا اذا طافوا على السادة والملوك يطوفون عليهم لحظ انفسهم اما لتوقع النفع
او لتوقع الصلح واما في الاخرة فطوافهم عليهم متمحض لهم ونفعهم ولا حاجة لهم اليهم والغلام الذي هذا شانه له مرتبه
على غيره وربما تقطع درجة الاولاد وقوله تعالى كانهم لولو من الصفا والمكنون ليفيد زيادة في صفاتهم اولبيان
انهم كالمخدرات لا يبرزون لهم ولا خروج من عندهم فهم في اكنانهم والله تعالى اعلم

## قوله تعالى

واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين ام تامرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون

اعلم ان قوله تعالى واقبل بعضهم على بعض

اشارة الى انهم لا يعلمون ما جرى عليهم في الدنيا ويذكرونه وكذلك الكافر لا يخشى ما كان له من النعيم في الدنيا فيزداد لذة المؤمن
من حيث يرى نفسه انتقلت من السجن الى الجنة ومن الضيق الى السعة ويزداد الكافر حيث يرى نفسه منتقلة من الشرف
الى التلف ومن النعيم الى الجحيم يوم يقولون ما كان عليه من الخشية والخوف فيقولون انا كنا قبل في اهلنا مشفقين وهو
انهم يكونون يتساءلون عن سبب ما وصلوا اليه فيقولون خشية الله كنا نخاف فمن الله تعالى علينا ووقانا عذاب السموم وفيه
لطيفة وهو ان يكون اسفهم على فوات الدنيا والخروج منها ومفارقة الاخوان ثم لما نزلوا الجنة علموا خطاهم ثم قال تعالى فذكر
فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون وتعلق الاية بما قبلها ظاهر لانه تعالى بين ان في الوجود قوما يخافون الله تعالى ويشفقون
في اهليهم والنبي صلى الله عليه وسلم مامور بتذكير من يخاف الله تعالى فذكر بالقران من يخاف وعيد فحقق من يذكره فوجب التذكر وما
الرسول فليس له الا الاتيان بما امر به وفيه مسايل **المسئلة الاولى** في الفا فذكر وقد علم تعلقه بما قبله لحسن ذكره بالفا
الثانية وفي الفا في قوله تعالى فما انت ايضا قد علم الى اذا لست بكاهن فلا تبعهم ولا تتبع اهواءهم فان ذكراهم المرء فذكر
فانك لست بمرود وذلك سبب لتذكره **المسئلة الثانية** ما وجه تعلق قوله نتربص به ريب المنون بقوله شاعر نقول فيه
وجوه الاول ان العرب كانت تحترز عن ايذا الشعراء وتتقي السنتهم فان الشعر كان عندهم يحفظ ويدون فقالوا لا نعارضه في
الحال مخافة ان يغلبنا بقوة شعره وانما سبيلنا الصبر وتربص موته الثاني انه صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الحق دين الله
وان الشرع الذي اتيت به يبقى ابد الدهر الى قيام القيامة فقالوا ليس كذلك انما هو شاعر والذي يذكره في حق الهتنا شعر ولا
ناصر له وسيصيبه من بعض الهتنا الهلاك فنتربص به ذلك **المسئلة الثالثة** ما معنى ريب المنون نقول قيل هو اسم للموت
فعول من المن وهو القطع والموت قطوع ولهذا سمي شعوب وقيل المنون الدهر وريبه حوادثه وعلى هذا فقولهم نتربص
يحتمل وجها آخر وهو ان يكون المراد انه اذا كان شاعرا فصروف الزمان ربما تضعفه وتورث وهنه فيتبين لكل فساد امره وكساد شعره
**الرابعة** كيف قال تربصوا بلفظ الامر وامر النبي صلى الله عليه وسلم فوجب المامور وهو تعد جوازه وتربصهم ذلك كان حراما نقول
ليس ذلك بامر وانما هو تهديد معناه تربصوا ذلك فانا نتربص الهلاك بكم على حد ما يقول السيد الغضبان
لعبده افعل ما شئت فاني لست عنك بغافل وهو امر يوجب الامر على النفس كما يقول القايل لمن يهدده برجل ويقول
اشكوك الى زيد فيقول اشكني اي لا يهمني ذلك وفيه زيادة فايدة وذلك لانه لو قال لا تشكني كان ذلك دليل الخوف
وانما فيه معناه باني جواب تام من حيث اللفظ والمعنى فان قيل لو كان كذلك لقال تربصوا فيقول ليس كذلك لانه اذا
قال القايل فيما ذكرناه من المثال اشكني او لا تشكني يكون ذلك مفيدا عدم خوفه فاذا قال اشكني يكون ادل على عدم الخوف
وكانه يقول انا فارغ عنه وانما انت تتوهم انه يفيدك ما تفعل حتى يبطل اعتقادك **المسئلة الخامسة** في قوله تعالى
فاني معكم من المتربصين وهو يحتمل وجوها احدها اني معكم من المتربصين اتربص هلاككم وقد اهلكوا يوم بدر وفي غيره
من الايام هذا ما عليه الاكثرون والذي نقوله في هذا المقام هو ان الكلام يحتمل وجوها وثانيها هو ان قوله تعالى
نتربص به ريب المنون اذا كان المراد من المنون الموت فقوله تعالى اني معكم من المتربصين معناه اني ما اخاف الموت ولا اتمناه
بما فرحت بذلك وانما انا نذير وانا اقول ما قال ربي افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فتربصوا موتي وانا متربص به
وليس يضركم ذلك لعدم حصول ما يتوقعون بعدي ويحتمل ان يكون كما قيل تربصوا موتي فاني متربص موتكم بالعذاب
وان قلنا المراد من ريب المنون صروف الدهر فمعناه انكم تكون صروف الدهر موثرة فكانه يقول انا من المتربصين حتى
ابصر ماذا ياتي به دهركم الذي تجعلونه محكما وماذا يصيبني منه وعلى التقديرين فقول النبي صلى الله عليه وسلم
نتربص ما يتربصون غير ان في الاول تربصه مع اعتقاد الوقوع وفي الثاني تربصه مع اعتقاد الناس على طريقة
من يقول انا ايضا انتظر ما يسطره حتى يرى ماذا يكون منكرا عليه وقوع ما يتوقع وتوقعه وانما قلنا هو لان بدل
المفعول في قوله تعالى اني معكم من المتربصين لكونه مذكورا وهو ريب المنون اولى من تركه وارادة غير المذكور وهو العذاب
الثاني نتربص صرف الدهر ليبطل عدم تاثيرها فيهم يتربصون شيئا على الوجهين وهو ريب المنون وعلى الوجه المتربص
بقاوه لعدمهم وارتفاع كلمه فلم يتربص بهم شيئا على الوجه التي اخرناها فقال تعالى اني معكم من المتربصين ثم قال تعالى
ام تامرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون وهذه ايضا على ما ذكرنا متصلة تقديرها انزل عليهم ذكر ام تامرهم احلامهم
بهذا وذلك لان الاشيا اما ان تثبت بسمع واما ان تثبت بعقل فقال هل ورد امر سمعي ام عقولهم تامرهم بما كانوا
يقولون ام هم قوم طاغون يغترون ويقولون ما لا دليل عليه سمعا ولا يقتضيه عقلا والطغيان مجاوزة الحد
في العصيان وكذلك كل شيء ظاهر مكروه قال الله تعالى لما طغى الما وفيه مسايل **المسئلة الاولى** اذا كان المراد ما ذكرت
فلم اسقط ما يعتذر به نقول لان كون ما يقولون به مسندا الى فعل معلوم لا سمعي واما كونه معقولا فهم كانوا يدعون
انه معقول واما كونهم طاغين فهو حق محض الله تعالى بالذكر ما قالوا به وقال الله تعالى هم به فهم قالوا نحن نتبع العقل والله
تعالى قال هم قوم طاغون فذكر الامرين اللذين وقع فيهما الخلاف الثانية قوله تعالى تامرهم اشارة الى ان كل ما يكون على وفق
العقل لا ينبغي ان يقال وانما ينبغي ان يقال ما يجب قوله عقلا فهل صار واجب عقلا مامورا به **المسئلة الثانية** ما الاحلام نقول
جمع حلم وهو العقل وهما من باب واحد من حيث المعنى لان العقل يضبط المرء فيكون كالمقيد لا يتحرك عن مكانه والحلم من الحلم
وهو ايضا سبب وقار المرء وثباته وكذلك يقال للعقول النهى من المنع وفيه معنى لطيف وهو ان الحلم في اصل اللغة هو ما يراه النائم





من ويلزمه الغسل وهو سبب البلوغ وعنده يصير الانسان مكلفا وكان الله تعالى من لطف حكمته قرن الشهوة بالعقل وعند ظهور الشهوة
كمل العقل فاشار الى العقل بالاشارة الى ما يقارنه وهو الحلم ليعلم انه نذير كمال العقل لا العقل الذي يحترز الانسان به عن السقوط ودخول
النار وعلى هذا ففيه تاكيد لما ذكرنا ان الانسان لا ينبغي ان يقول كل معقول بل يقول الا ما امر به العقل الرزين الذي عنده يصح التكليف
هذا اشارة الى ماذا نقول فيه وجوه الاول ان يكون هذه اشارة مبهمة اي الى هذا الذي يظهر منهم قولا وفعلا حيث يعبدون الاصنام
والاوثان ويقولون الهذيان من الكلام الثاني هذا اشارة الى قولهم هو كاهن هو شاعر هو مجنون الثالث هذا اشارة الى التربص فانهم
لما قالوا نتربص قال الله تعالى عقولهم تامرهم نتربص هلاككم فان احلامهم تتوقع بسبب الاهلاك الا انه هل يصح ان يكون ام في هذا
الموضع بمعنى بل نقول نعم تقديره يقولون انه شاعر قولا بل يعتقدونه عقلا فيحصل في عقولهم ذلك اي قولا منهم من غير عقد بل
يعتقدون كونه كاهنا ومجنونا ويدل عليه قراءة من قرأ بل هم قوم طاغون لكن قول هاهنا واضح وفي قوله تعالى بل يامرهم احلامهم
حتى ثم قال تعالى ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون وهو متصل بقوله تعالى ام يقولون شاعر نتربص به تقديره على ما
ذكرنا اتقولون كاهن ام يقولون تقوله ثم قال لبطلان جميع الاقسام فليأتوا بحديث مثله اي ان كان هو شاعرا ففيكم
الشعراء البلغاء والكهنة الاذكياء ومن يرتجل الخطب والقصايد ويقص القصص ولا يختلف الناقص الزائد فليأتوا بمثل ما اتى
به والتقول يراد به الكذب وفيه اشارة الى معنى لطيف وهو ان التفعل للتكليف وارادة الشيء وهو ليس على ما يرى يقال
تمرض فلان اي لم يكن مريضا واري من نفسه المرض وحينئذ كانهم كانوا يقولون الكذب وليس يقولوا انما هو يقول صورته
صورة القول وليس في الحقيقة به ليعلم ان الكاذب هو الصادق وقوله تعالى بل لا يؤمنون وبيان هذا هو انهم كانوا في زمان
نزول الوحي وحصول المعجزة وكانوا يشاهدونها وكان ذلك يقتضي ان يشهدوا له عند غيرهم ويكونوا كالنجوم للمؤمنين كما كانت
الصحابة رضي الله تعالى عنهم وهم لم يكونوا كذلك بل ما قالوا من ذلك لم يكونوا ايضا وهو ان يكونوا من احاد المؤمنين الذين لم يشهدوا ما
تلك الامور ولم تظهر الامر عندهم ذلك الظهور وقوله تعالى فليأتوا الفا للتعقيب اي اذا كان كذلك فيجب عليهم ان ياتوا بمثل ما اتى
به ليصح كلامهم ويبطل كلامه وفيه مباحث البحث الاول قال بعض العلماء فليأتوا امر تعجيز يقول القايل لمن يدعي امرا افعل ذلك
غرضه اظهار عجزه والظاهر ان الامر هاهنا مبقى على حقيقته لانه لم يقل ايتوا مطلقا بل انما قال ايتوا ان كنتم صادقين
وعلى هذا التقدير فوجود ذلك الشرط يجب الاتيان به وامر التعجيز في كتاب الله تعالى قوله تعالى يأتي بالشمس من المشرق فات بها
من المغرب فبهت الذي كفر وليس هذا بحثا يورث خللا في كلامهم الثاني قالت المعتزلة الحديث محدث والقران سماه حديثا
فيكون محدثا نقول الحديث اسم مشترك يقال للمحدث والقديم وهذا يصح ان يقال هذا حديث قايم بمعنى معناه العهد بمعنى
سلب الاولية وذلك لا نزاع فيه الثالث النحاة يقولون الصفة تتبع الموصوف في التعريف والتنكير لكن الموصوف حديث
وهو منكر ومثله منكر مضاف الى القرآن والمضاف الى المعرف معرف فيكون هذا تقول مثل وغيره لا يتعرفان بالاضافة ولذلك
كلما هو مثل اشبه والسبب ان غيرا ومثلا وامثالهما غاية التنكير فانك اذا قلت مثل زيد يتناول كل شيء فان كل شيء مثل
زيد والحمار منكر في الجسم والحجم والامكان والنبي في النشو والنما والذبول والبنا والحيوان مثله في الحركة والادراك
وغيرهما من الاوصاف واما غير فهو عند الاضافة منكر وعند قطع الاضافة ربما يتعرف فانك اذا قلت زيد صار في غاية
الابهام فانه يتناول امورا لا تحصر لها واما اذا قطعته عن الاضافة بما يقول الغير والمغايرة من باب واحد وكذلك الغير
فيجعل الغير كاسما الاجناس ويجعله مبتدا ويريد به معنى معينا البحث الرابع ان كانوا صادقين اي في قولهم تقوله
وقد ذكرنا ان ذلك راجع الى ما سبق من انه كاهن وانه مجنون وانه شاعر وانه مسؤول ولو كانوا صادقين في شيء
من هذا لهان عليهم الاتيان بمثل القران ولما امتنعوا كذلك كذبوا في الكل البحث الخامس قد ذكرنا ان القران معجزة ولا
فيه فان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثل ما عرضه مع التحدي فاما ان يكون كونه معجزة لفصاحته وهو مذهب اكثر اهل
السنة واما ان يكون معجزة لصرف الله عقول العقلا عن الاتيان بمثله وعقله لسانهم عن النطق بما يعرب منه ومنع القادر
من الاتيان بالمقدور كاتيان الواحد بفعل لا يقدر عليه غيره فاما من قال لغيره اذا قال احرك الحبل بسعيد منه اذا قال اني
افعل ما لا يقدر الخلق على حمل نصاحة من موضعها يستبعد منه على ان كل واحد فعل معجزا اذا اتصل بالدعوى وهذا مذهب
بعض المتكلمين ولا فساد فيه وعلى ان يقال هو معجزة بهما جميعا والله تعالى اعلم **قوله تعالى** ام خلقوا
من غير شيء ام هم الخالقون ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون ام عندهم خزاين
ربك ام هم المسيطرون ام لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين ام له
البنات ولكم البنون ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون
ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون
ومن هاهنا لا خلاف ان ام ليست بمعنى بل لكن اكثر المفسرين على ان المراد ما يقع في صدر الكلام من الاستفهام واما الهمزة فكانه
يقول اخلقوا من غير شيء او هل ويحتمل ان يقال هو على اصل الوضع للاستفهام الذي يقع في اثنا الكلام وتقديره اما خلقوا
ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون وفيه مسايل **المسئلة الاولى** ما وجه تعلق الاية بما قبلها نقول لما كذبوا النبي صلى الله
عليه وسلم ونسبوه الى الكهانة والجنون والشعر وبراه الله تعالى من ذلك ذكر الدليل على صدقه ابطالا لتكذيبهم وبدا بانفسهم
كانه يقول كيف يكذبونه وفي انفسهم دليل صدقه لان قوله في ثلاثة اشياء في التوحيد والحشر والرسالة وفي انفسهم ما يعلم به صدقه

هو انهم خلقوا وذلك دليل التوحيد لما بينا ان في كل شيء له آية تدل على انه واحد وقد بينا وجهه مرارا فلا نعيده واما الحشر
فلان الخلق الاول دليل جواز الخلق الثاني وامكانه وتدل على ما ذكرنا ان الله تعالى ختم الاستفهامات بقوله تعالى ام لهم
اله غير الله سبحان الله عما يشركون **المسألة الثانية** اذا كان الامر على ما ذكرت فلم حذف قوله تعالى ام خلقوا بقوله
الظهور انتفاء ذلك ظهورا لا يبقى معه للخلاف وجه فان قيل فلم لا اقتصر على قوله تعالى ام خلقوا من غير شيء وقوله ام خلقوا
نقول ليعلم ان قبل هذا امرا سمعيا ظاهرا وهو المذكور قريب منه في ظهور البطلان لكنهم علموا انهم مخلوقون من تراب وماء ونطفة نقول
الاول ظاهر البطلان لكونهم غير مخلوقين ام يكون صدر عنه منكر اللفظ ورة لمنكر لانه امر نظري **المسألة الثالثة** ما المراد من
قوله تعالى من غير شيء نقول فيه وجوه المنقول منها انهم خلقوا من غير خالق وقيل انهم خلقوا لا لشيء عبثا وقيل انهم خلقوا من غير اب وام
والمحتمل ان يقال ام خلقوا من غير شيء اي لم يخلقوا من اب وام وما دليله قوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين ويحتمل ان يقال الاستفهام الثاني ليس بمعنى
بل هو بمعنى الاثبات قال الله تعالى أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون أأنتم أنشأتم شجرتها ام نحن المنشئون كل ذلك في الاول
منفي وفي الثاني مثبت كذلك ههنا قال الله تعالى ام خلقوا من غير شيء اي الصادق هو الثاني وهذا حينئذ كقوله تعالى هل اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فان قيل كيف يكون ذلك والانسان خلق من تراب نقول والتراب خلق من غير شيء او نقول المراد
ام خلقوا من غير شيء مذكور او معتبر وهو الماء المهين **المسألة الرابعة** ما الوجه في ذكر الامور الثلاثة التي في الاية فنقول هو
مرتبة كل واحد منها مع القول بالوحدانية والحشر فاستفهم بها وقال اما خلقوا اصلا ولذلك ينكرون القول بالتوحيد لانعقاد وهم
الخلف ينكرون الحشر لان الخلق الاول ام خلقوا من غير شيء ام يقولون بانهم خلقوا لا لشيء فلا اعادة كما قال تعالى افحسبتم انما خلقناكم
عبثا وعلى قولنا ان المراد خلقوا لا من تراب ولا من ماء فله وجه ظاهر وهو ان الخلق اذا لم يكن من شيء بل يكون ابداعيا يخفى كونه
مخلوقا على بعض الاغبياء ولهذا قال بعضهم السماء وقع اتفاقا ووجد من غير خالق واما الانسان الذي يكون اولا نطفة ثم علقة ثم مضغة
ثم لحما وعظما لا يتمكن احد من انكاره بعد مشاهدة تغير احواله فقال تعالى ام خلقوا بحيث يخفى عليهم وجه خلقهم بان خلقوا ابتداء
من غير سبق حالة عليهم يكونون فيها ترابا ولا نطفة ليس كذلك بل هم كانوا شيئا من تلك الاشياء خلقوا منه خلقا لما خلقوا من غير
شيء حتى ينكروا الوحدانية ولهذا قال تعالى يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق ولهذا اكثر الله تعالى من ذكر خلق الانسان من نطفة وقوله
تعالى الم نخلقكم من ماء مهين يتناول هذين الامرين المذكورين في هذا الموضع لان قوله تعالى الم نخلقكم من ماء ويحتمل ان يكون نفي الحدوث
بنفي الخلق فيكون كانه قال اخلقوا ام هم قديمون وعلى قول من قال المراد منه ام خلقوا من غير شيء او من غير خالق ففيه ترتيب حسن ايضا
وذلك لان نفي الصانع اما ان يكون بنفي كون العالم مخلوقا فلا يكون ممكنا لكن الممكن لا يكون محتاجا فيقع الممكن من غير مؤثر وكلاهما
محال واما قوله تعالى ام هم الخالقون معناه ام هم الخالقون لخلق صغير الخلق بكثرة العمل فان ذات الانسان انه معنى بالخلق مما قولهم اما
خلقوا فلا نسب لهم اليهم ام خلقوا وخفي عليهم وجه الخلق ام جعلوا الخلق منهم فنسبوا اليه العجز ومثله قوله تعالى افعيينا
بالخلق الاول هذا بالنسبة الى الحشر واما بالنسبة الى التوحيد فلا رد عليهم حيث قالوا الامور مختلفة واختلاف الآثار على اختلاف
المؤثرات وقالوا اجعل الالهة الها واحدا فقال تعالى ام هم الخالقون حيث لا تعدد الحداد على الحائط والحائط على البناء وكل احد يشغله
شان عن شان ثم قال تعالى ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون وفيه وجوه احدها ما
اختاره الزمخشري وهو انهم لا يوقنون بانهم خلقوا وهو حينئذ في معنى قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله اي هم معترفون بانه خلق الله وليس خلق انفسهم وثانيها المراد من قوله تعالى بل لا يوقنون بان الله واحد وتقديره ليس الامر كذلك
وما خلقوا وانما لا يوقنون اصلا من غير ذكر مفعول كما يقال فلان ليس بمؤمن وفلان كافر لبيان مذهبه وان لم يقصد وذلك
قول القائل فلان يؤذي ويؤذي لبيان ما فيه لا مع القصد الى ذكر مفعول وحينئذ يكون تقديره انهم ما خلقوا السموات والارض
ولا يوقنون بهذه الدلائل بل لا يوقنون اصلا وان جئتهم بكل آية يدل عليه قوله تعالى بعد ذلك وان يروا كسفا من السماء
ساقطا يقولوا سحاب مركوم وهذه الآية اشارة الى دليل الآفاق وقوله تعالى من قبل ام خلقوا دليل الانفس ثم قال
تعالى ام عندهم خزائن ربك ام هم المسيطرون وفيه وجوه احدها المراد من الخزائن خزائن الرحمة ثانيها خزائن الغيب
ثالثها انها اشارة الى الاسرار الالهية المخفية عن الاعيان رابعها خزائن المخلوقات التي لم يرها الانسان ولم يسمع بها
وهذه الوجوه الاول والثاني منقول والرابع مستنبط وقوله تعالى ام هم المسيطرون تتمة الرد عليهم وذلك لانه لما قال
تعالى ام عندهم خزائن ربك اشارة الى انهم ليسوا بخزنة الله فعلموا خزائن الله وليس بمجرد انتفاء كونهم خزنة لا ينفي
العلم لجواز ان يكون مشرفا على الخزنة فان العلم بالخزائن عند الخازن والكاتب في الخزانة فقال لستم بخزنة ولا بكتبة الخزانة
المسلطين عليها ولا يبعد تفسير المسيطرين بكتبة الخزانة لان التركيب يدل على السطر وهو يستعمل في الكتابة وقيل المسيطر
المسلط وقرئ بالصاد وكذلك في كثير من السينات التي مع الطاء في قوله تعالى مسيطر ومصيطر ثم قال تعالى ام لهم سلم
يستمعون فيه وهو ايضا تتميم الدليل فان من لا يكون خازنا ولا كاتبا قد يطلع على الامر بالسماع من الخازن و
الكاتب فقال انتم لستم خزنة ولا كتبة ولا اجتمعتم لهم لانهم ملائكة ولا صعود لكم اليهم وفيه مسائل **المسألة الاولى**
الاولى هي الصعود ولا يلزم من نفي السلم نفي الصعود فالجواب عنه نقول النفي ابلغ من نفي الصعود وهو نفي الاستماع
وآخر الاية شاملة الكل قال تعالى فليأت مستمعهم بسلطان مبين **المسألة الثانية** السلم لا يستمع فيه وانما يستمع
عليه فما الجواب نقول من وجهين احدهما ما ذكره الزمخشري ان المراد يستمعون صاعدين فيه وثانيهما ما ذكره الواحدي ان في بمعنى

على

على كما في قوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع النخل وكلاهما ضعيف لما فيه من الاضمار والنقص **المسألة الثالثة**
لم يذكر مفعول يستمعون وماذا نقول فيه وجوه احدها المستمع هو الوحي اي هل لهم سلم يستمعون فيه الوحي ثانيها يستمعون
ما يقولون من انه شاعر وان لله شركاء وان الحشر لا يكون ثالثها ترك المفعول راسا كانه نقول هل لهم قوة الاستماع من السماء
حتى يعلموا انه ليس برسول وكلامه ليس بمرسل **المسألة الرابعة** قلنا فليأت مستمعهم ولم يقل فليأتوا كما قال تعالى
فليأتوا بحديث مثله فان ذلك عند الاجتماع اهون واما الارتقاء في السلم فلا اجماع صعود لا يرتقي الا واحد
بعد واحد ولا يحصل في الدرجة الاعلى الا واحد فقال فليأت ذلك الواحد الذي كان اشد رقيا بما سمعه **المسألة الخامسة**
قوله تعالى بسلطان مبين ما المراد بقوله تعالى هو اشارة الى لطيفة وهي انهم لو طلب منهم ما سمعوه وقيل لهم فليأت
مستمعهم بما سمع لكان لواحد ان يقول انا سمعت كذا وكذا فيفتري كذبا فقال لا بل الواجب ان يأتي بدليل يدل عليه ثم قال تعالى
ام له البنات ولكم البنون اشارة الى نفي الشرك وبيان فساد ما يقولون بطريق آخر وهو ان المتصرف انما يحتاج الى الشريك
لعجزه والله تعالى قادر فلا شريك له فان قالوا نحن لا نجعل هذه الاصنام وغيرها شركاء وانما نعظمها لانها بنات الله تعالى كيف
تجعلون لله البنات والبنين انما كان لجواز الفناء على الشخص ولولا التوالد لا نقطع النسل وانقطع الاصل من غير ان يقوم
مقامه الفضل فقدر الله تعالى التوالد وهذا لا يكون الجنة ولادة لان الدار دار بقاء لا يموت فيها الاصلي فقام الفرع مقامه لحوق
الابناء اذا ثبت هذا فالولد انما يكون في صورة امكان فناء الاب ولهذا قال تعالى في اول سورة آل عمران هو الحي القيوم
اي حي لا يموت فيحتاج الى ولد يرثه فهو قيوم لا يتغير ولا يضعف فيحتاج الى ولد يقوم مقامه لانه ورد في نصارى نجران
ثم ان الله تعالى بين هذا بابلغ الوجوه وقال انهم يجعلون لانفسهم البنين ولله البنات ولا يرضون لانفسهم بنية مع ان جعل البنات لهم اولى ويبين
لان كثرة البنات تعين على كثرة الاولاد لان الاناث الكثيرة يمكن منهن الولادة بالولادة كثيرة من واحد واما الذكور الكثيرة
لا يمكن منهم احبال انثى واحدة بالولادة الا ترى ان الغنم يذبح من الاناث الا دون ذلك لما يثبت لان ابقاء النوع بالانثى
انفع نظرا الى الكثير فقال تعالى انا القيوم الذي لا مثل ولا حاجة في بقاء النوع في حدوث الشخص وانهم معرضون للموت العاجل وبقاء
العالم بالاناث اكثر وسرورهم بهن والله اعلم تعالى الله مستغن عن ذلك ويجعلون لله البنات وعلى هذا فيما تقدم
كان اشارة الى نفي الشريك نظرا الى انه لا اله الا الله تعالى وهذا اشارة الى نفي الشريك فان قيل كيف وقع لهم نسبة البنات
الى الله تعالى مع ان هذا امر في غاية القبح لا يخفى على عاقل والقوم كان لهم العقول الذي هو مناط التكليف وذكر القدر
كاف في العلم بفساد هذا القول نقول ذلك قولهم دعاهم اليه باتباع العقل وعدم اعتبار النقل ومذهبهم في ذلك مذهب
الفلاسفة حيث يقولون يجب اتباع العقل الصريح ويقولون النقل يعرضه لا يتبع الا اذا وافق العقل واذا وافق فلا
اعتبار بالنقل لان العقل هناك كاف ثم قالوا الوالد سمي والدا لانه سبب وجود الولد ولهذا قال اذا ظهر من شيء هذا
تولد من ذلك فيقول الحمى يتولد من عفونة الخلط فقالوا الله سبب وجود الملائكة سواء واجبا لا اختيار له فسموه
بالوالد ولم يلتفتوا الى وجوب تنزيه الله تعالى تسمية الله عن التسمية بما يوهم النقص ووجوب تسميته بالاقتصار في اسمائه
على الاسماء الحسنى التي ورد بها الشرع لعدم اعتبارهم النقل فقالوا لجواز اطلاق اسماء الجارية والحقيقة على الله
تعالى وصفاته فسموه عاشقا ومعشوقا وسموه ابا ووالدا ولم يسموه ابنا ولا مولودا ابا نفاقهم وذلك ضلالة
ثم قال تعالى ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون فوجه التعلق هو ان المشركين لما اطرحوا الشرع واتبعوا ما ظنوه
عقلا وسموا الموجود بعد العدم مولودا ومتولدا والموجد ولدا الزمهم الكفر بسببه والاشراك قال لهم ما الذي
يحملكم على اطراح الشرع وترك الاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم هل ذلك لطلبه منكم شيئا فما كان يستغرمه او يستحيه
ليقولوا العم فلم يسق لهم الا ان يقولوا لا فيقول لهم كيف اتبعتم قول الفلسفي الذي يسوغ لكم قول الزور وما يوجب حقا
بجانب الله تعالى بعد ما انكم يكفي كما تعقلون ولا تسمعون الذي يامركم بالعدالة في المعنى والاحتياط في اللفظ ونقول لكم اسمعوا
المعنى الحق الواضح واستعملوا الحسن اللفظ المؤدب وهذا في غاية الحسن من التقرير واما التفسير ففيه مسائل **الاولى**
ما الفائدة في سؤال النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال ام تسألهم ولم يقل ام يسألون اجرا كما قال تعالى ام يقولون
وقال تعالى ام يريدون كيدا الى غير ذلك نقول فيه فائدتان احدهما تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لانهم
لما امتنعوا من الاستماع صعب على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ربه انت ما عليك فلا يضيق صدرك حيث لم يؤمنوا
فانت غير ملوم وانما يلام لو كنت طلبت منهم اجرا فهل طلبت ذلك فانعلهم فلا حرج عليك اذا ثانيهما انه لو
قال ام يسألون لزم نفي طلب الاجر مطلقا وليس كذلك وذلك لانهم كانوا مشركين مطالبين بالاجر من رؤسائهم واما
النبي صلى الله عليه وسلم فقال انت لا تسألهم اجرا فهم لا يتبعونك وغيرك يسألهم وهم يسألون ويتبعون السائلين
وهذا غاية الضلال **المسألة الثانية** ان قال قائل الزمت انه سئل ان ام لا تقع الا متوسطا حقيقة او تقديرا
فكيف ذلك ههنا نقول كانه تعالى يقول اهديهم لوجه الله ام تسألهم اجرا ونترك الاول لعدم وقوع الانكار عليه
كما قلنا في قوله تعالى ام له البنات اي المعتقد اهو واحد ام له البنات ونترك ذكر الاول لعدم وقوع الانكار عليه
من الله تعالى وكونهم قائلين فانه لا وجه وجه الله وانما تريد الرياسة والاجر في الدنيا **المسألة الثالثة** هل
في حصول قوله تعالى اجرا فائدة لا توجد في غيره لو قال ام تسألهم شيئا ادماءا ولا غير ذلك نقول نعم وقد تقدم القول

معنى ان كل لفظ في القرآن فيه فائدة وان كنا لا نعلمها والذي نظهر ههنا ان ذلك اشارة الى ان ما يأتي به النبي صلى الله عليه وسلم
فيه مصلحتهم وذلك لان الاجير لا يطلب الاجر الا فعل شيء يفيد المطلوب منه الاجر فقال انت اتيتهم بما لو طلبت عليه اجرا
وعلموا ما في دعوتك من المنفعة لهم وهم لا يؤدي جميع اموالهم ونفسد وليتك بانفسهم ومع هذا لا تطلب منهم اجرا ولو قال
شيئا ام لا لما حصلت هذه الفائدة **المسألة الرابعة** هذا يدل على انهم ما طلبوا منهم اجرا فكيف الجمع بينه وبين قال
لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى نقول هو ان لا اسألكم عليه اجرا يعود الى الدنيا وانما اجري المحبة في الزلفى الى الله تعالى
فان عبادة الله الكاملين اقرب الى الله تعالى من عبادة الناقصين وعبادة الذين كلمهم الله وكلموا وارسلهم الله تعالى لكم
كمثل عبادة من كلموا اقرب الى الله تعالى من الذين يرسلهم الله تعالى ولم يكلموا وعلى هذا هو في معنى قوله تعالى ان اجري
الا على الله واليه يسعى وقوله صلى الله عليه وسلم فاني مباه بكم الامم يوم القيامة وقوله تعالى فهم من مغرم مثقلون
بين ما ذكرنا ان قوله تعالى ام تسألهم اجرا المراد اجر الدنيا وقوله تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا المراد العموم ثم استثنى
ولا حاجة الى ما قاله الواحدي ان ذلك منقطع معناه لكن المودة في القربى وقد ذكرنا هناك فليطلب منه **الخامسة**
قوله تعالى فهم من مغرم مثقلون اشارة الى انه عليه السلام ما طلب منهم شيئا ولو طلب منهم اجرا لكان لهم ان يتركوا
اتباعه بادنى شيء الهم الا ان ابو لهم التكليف ويا خذ كلها لهم ومنعهم التكليف فعلمهم الدين بعد ما لا سولهم المعنى
ثم قال تعالى ام عندهم الغيب فهم يكتبون وهو على الترتيب الذي ذكرناه لانه تعالى لما قال لهم ما طرحهم الشرع ومحاسبه وقلتم
ما قلتم بناء على اتباعكم للاوهام التي سميتموها المعقولات والنبي صلى الله عليه وسلم لا يطلب منكم اجرا وانتم
لا تعلمون فلا عذر لكم لان العذر اما في الغرامة واما في عدم الحاجة الى ما جاء به ولا غرامة عليكم ولا غنى لكم عنه وفيه
مسائل **المسألة الاولى** كيف التقدير قلنا لا حاجة الى التقدير بل هو متوسط على ما ذكرنا كانه قال اهديهم توجه الله
تعالى ام تسألهم اجرا فهم يسعون امرا ولا حاجة لهم الى ما تقول لكونهم عندهم الغيب ولا يسعون **المسألة السابعة** الالف واللام في
الغيب لتعريف ماذا الجنس او العهد نقول الظاهر ان المراد نوع الغيب كما تقول اشترى اللحم يريد بيان الحقيقة لا كل اللحم ولا لحما معينا و
المراد في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة الجنس واستغراقه الكل عيب الثامنة على هذا كيف يصح عندهم الغيب وما عند السحر لا يكون عما يقول
معناه حضر عندهم ما غاب عن غيرهم وقيل هذا متعلق بقوله نتربص به ريب المنون اي عندهم الغيب يعلمون انه يموت قبلكم وهو ضعيف فبعد
ذلك ذكر ولا ولان قوله تعالى قل تربصوا فصل به وذلك مع اتصال هذا بذلك **المسألة التاسعة** ما الفائدة في قلوبهم فهم يكتبون
نقول وضوح الامر واشارة الى عند النبي صلى الله عليه وسلم من علم الغيب بالوحي امور واسرار واحكام واخبار كثيرة كلها هو جازم بها
ليس كما تقول المسرس الامر كذا وكذا فان قيل لست به حظا انه يكون نمنع نقول انه لا ادعى فيه الجزم والقطع ولكن ذكره كذا وكذا على سبيل
الظن والاستنباط وان كان قاطعا تقول اكتبوا عني هذا واثبتوه في الدفاتر ان في اليوم الفلاني يقع كذا وكذا فقوله تعالى ام عندهم
الغيب فهم يكتبون يعني هل صار قلبهم درجة محمد صلى الله عليه وسلم حتى استغنوا عنه واعرضوا ونقل عن [illegible] ان المراد من الكتابة
الحكم معناه يحكمون ويستدل بقوله عليه السلام اقضي بينكما بكتاب الله وليس المراد ذلك بل هو من باب الاضمار معناه بما في كتاب الله
تعالى فقال فلان تعصى بمذهب الشافعي رحمه الله اي بما فيه ويقول الرسول الذي معه كتاب الملك ادفعه اعطوا الكتاب الملك ثم قال تعالى
ام يريدون كيدا وفيه مسائل **المسألة الاولى** ما وجه التعلق والمناسبة بين الكلامين قلنا بين ذلك ان المراد من قوله تعالى
ام يريدون كيدا بعض المفسرين قال ام يريدون ان يكذبوك فهم المكيدون ولا يقدرون على الكيد قال الله تعالى نحوه نعيه
ونسير ونذكر عيوبه وعلى هذا اذا قلنا تقول من يقول اعندهم الغيب متصل بقوله تعالى نتربص به ريب المنون فيه ترتيب
في غاية الحسن وبيانه انهم لما قالوا نتربص به ريب المنون قيل لهم اتعلمون الغيب فتعلمون انه يموت قبلكم ام يريدون كيدا فيقولون
نقتله فيموت قبلنا فان كنتم تدعون الغيب فانتم كاذبون وان كنتم تظنون انكم تقدرون عليه فانتم غالطون فان الله تعالى
يصونه عنكم وينصره عليكم واما على قولنا ان المراد منه انه عليه السلام لا يسألكم على الهداية مالا وانتم لا تعلمون ما جاء به لولا
هداية لكونه من الغيوب فيقولون فيه وجهان الاول ان المراد من قوله تعالى ام يريدون كيدا اي من الشيطان واذا عته فخص مرادهم
كانه تعالى قال انت لا تسألهم اجرا وهم لا يعلمون الغيب فهم محتاجون اليك واعرضوا فقد اختاروا كيد الشيطان ورضوا بالدعة
والارادة بمعنى الاختيار والمحبة قال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه كما قال تعالى ائفكا آلهة دون الله تريدون
واظهر من ذلك قوله تعالى ان اريد ان تبوء باثمي واثمك الوجه الثاني ان يقال المراد والله اعلم ام يريدون كيدا بك لنوا واهل
اليهم وهم عن قريب يكيدون وترتيب الكلام هو انهم لم يبق لهم حجة في الاعراض ثم يريدون نزول العذاب بهم والله تعالى
ارسل اليهم رسولا لا يسألهم اجرا ويهديهم الى ما لا علم لهم ولا كتاب عندهم وهم يعرضون ثم يريدون اذا ان يهلكهم ويكيدهم
لان الاستدراج كيد والاملاء زيادة الاثم كذلك لا يقال هو فاسد لان الاسباب لا يطلق على جعل الله تعالى الا بطريق
المقابلة وكذا المكر جاء تعالى اسند الله الى الكافر ولا اعترى الله الا اذا ذكروا ولا ثم شيء من ذلك ثم قال تعالى بعد ذلك نسبه
هذا في حق الله تعالى وكما في قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم وقال تعالى ومكروا ومكر الله وقال تعالى ويكيدون كيدا لانا نقول الكيد ما يسوء من نزل به وان حسن ممن وجد منه الا ترى
ان ابراهيم عليه السلام قال لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين من غير مقابلة **المسألة الثانية** ما الفائدة في قوله
تعالى فالذين كفروا هم المكيدون وما الفرق بين هذا الكلام وبين قول القائل ام يريدون كيدا فهم المكيدون او فانهم المكيدون فنقول

الفائدة



الفائدة كون الكافر مكيدا في مقابلة كونه لا في مقابلة ارادته الكيد لو قال تعالى ام يريدون كيدا فهم مكيدون كان ينبئ منه انهم يكيدون
لا يكونون مكيدين وهذا يؤيد ما ذكرنا ان المراد من الكيد كيد الشيطان او كيد الله بمعنى عذابا تاما لان قوله تعالى فالذين كفروا
هم المكيدون عام في كل كافر كاده الشيطان ويكيده الله تعالى اي يعذبه وصار المعنى على ما ذكرنا احدهم توجه الله ام
تسألهم اجرا فيثقلهم فيبعدون عن الاتباع ام عندهم الغيب فلا يحتاجون اليك فيعرضون عنك ام ليس بشيء من ذلك فيريدون
الامرين الاخرين فيريدون العذاب والعذاب غير مدفوع عنهم بوجه من الوجوه لكونهم فالذين كفروا معذبون **الثالثة**
ما الفائدة في تنكير الكيد حيث لم يقل ام يريدون كيدا بل وكيدا يبرد بانفسهم او غير ذلك ليزول الابهام نقول فائدته الاشارة
الى وقوع العذاب من حيث لا يشعرون فكأنه قال تأتيهم بغتة ولا يكون لهم به علم او يكون المراد ايراد العظمة كما ذكرنا مرادا
ثم قال تعالى ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون اعاد التوحيد وهو يفيد فائدة قوله تعالى ام له البنات ولكم البنون
وفي سبحان الله بحث شريف وهو ان اللغة قالوا سبحان الله اسم علم للتسبيح وقد ذكرت ذلك في تفسير قوله تعالى
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون والزائد من الفوائد ان قيل يجوز ان يقال سبحان الله اسم مصدر ويقول
سبحان على وزن فعلان فذكر سبحان في غير مواضع الاستعمال لله كما قلت في التسبيح ونقول ذهب مثل قول القائل من جرف
جار وفي كلمة ظرف حيث يخرجه مع ان الحرف لا يخبر عنه فصار بان من وفي حينئذ جعل كالاسم ولم يترك على اصله المستعمل
في مثل قولك اخذ من زيد والدرهم والكيس فلذلك سبحان لما ذكرنا من المواضع ولم يترك على مواضع استعماله
حينئذ لم يترك علما كما يقال زيد على وزن فعل فخالف التسبيح فيما ذكرنا **المسألة الرابعة** ما في قوله تعالى عما يشركون
يحتمل وجهين احدهما ان يكون مصدرية معناه سبحانه عن اشراكهم ثانيهما خبرية معناه عن الذي يشركونه وعلى
هذا فيحتمل ان يكون عن الولد انهم كانوا يقولون البنات فقال سبحان الله عن البنين والبنات ويحتمل ان يكون مثل
الالهة لانهم كانوا يقولون هو مثل ما يعبدونه فقال سبحان الله عن مثل ما يعبدونه والله تعالى اعلم قوله تعالى
**وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون**
**يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون**
**واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم**
اعلم ان وجه الترتيب فيه هو انه تعالى لما بين فساد اقوالهم وسقوطها عن درجة الاعتبار اشار الى انه لم يبق لهم شيء
من وجه الاعتذار فان الآيات ظهرت والحجج تميزت ولم يؤمنوا وبعد ذلك ان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم اي يرون الحجة
لان الآية اذا ظهرت فاظهر الاشياء كانت اظهر في بيانه هو ان يأتي بجسم من الاجسام مرسه وادعاه اي افعل فيه كذا وبما يخطر
ببال السامع انه في نفسه ولما يدعه فاذا قال النبي ما تقترحه يريد وتحته احمل لكم منه كذا انزل ذلك اليوم لكن اظهر الاشياء
عند الانسان الارض التي هي مهده وفرشه والسماء التي هي سقفه وعرشه وكانت العرب على مذهب الفلاسفة في اصل المذهب
ولا يلتفت الى قول الفلسفي بجوهره غاية التربة حتى لا يجوزون [illegible] واتصافه بوصف زائد على ذاته ليكون فاعلا في الحقيقة فكيف
يكون مذهبا مذهب من يتدين باسم صنما منحوتا يقول انتم لما نسبتم الحوادث الى الكواكب وزعمتم في دعوة الكواكب احد الجهال سلم
ذلك والحدوث مذهب وان اثبات العرب في الجاهلية كانت في الاصل على مذهب الفلاسفة وهو يقولون بالطبايع ويقولون الارض
طبيعتها السكون والسماء طبيعتها منع الانفصال والانفكاك فقال الله تعالى ردا عليهم في مواضع ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط
عليهم كسفا من السماء ايضا لا للطبائع واشار للاختيار في الوقايع فقال ههنا انه شيء غريب في غاية الغرابة في اظهر الاشياء
وهو السماء التي ترونها ابدا وتعلمون احدا لا تصل اليها ويتصل بها بالادوية وغيرها ما يوجب سقوطها لا نكروا ذلك فكيف فيما
ذلك من الامور والذي يؤيد ما ذكرناه هو انهم كانوا على مذهب الفلاسفة في امر السماء انهم قالوا او تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا اي ذلك في زعمك ممكن واما عندنا فلا والكسف القطعة كسف من ثوب الى طايفة وفيه مباحث **البحث الاول**
استعمل في السماء لفظة الكسف والمعولون ذكروا استعمالها في الثوب لان الله تعالى شبه السماء بالثوب المنشور ولهذا
ذكرنا فيما مضى قال تعالى والسماوات مطويات بيمينه وقال تعالى يوم نطوي السماء **الثاني** استعمل الكسف في
السماء والخسف في الارض فقال تعالى نخسف بهم الارض ويدل على قول من قال تعالى في القمر خسوف وفي الشمس كسوف ووجهه
هو ان مخرج الخاء دون مخرج الكاف وتحت مخرج الكاف فوقه متصل به فاستعمل وصف الاسفل بالاسفل والاعلى للاعلى فقالوا
في الشمس والسماء الكسوف والكسف وفي القمر والارض الخسوف والخسف وهذا من قبيل قولهم في المالح والمايح ان ما نقطه
فوق من فوق البير وما نقطه تحت من يمر نقطه من اسفل لم يحتج اسفل البير **البحث الثالث** واما قوله في السحاب
فيجعله كسفا مع انه تحت القمر وقال في القمر خسف القمر وذلك لان القمر عند الخسوف له نظر فوقه وهو الشمس عند الكسوف
اعتبر فيه نسبة الى اهل الارض حيث ينظرون اليه فلم يقل في القمر خسف بالنسبة الى السحاب فاما قيل ذلك بالنسبة
الى الشمس وفي السحاب حمل بالنسبة الى الارض **المسألة الخامسة** ساقطا يحتمل وجهين احدهما ان يكون مفعولا ثانيا
فقال رايت زيدا عالما وما يليهما ان يكون حالا كما يقال ضربته قائما والثاني اولى لان الرؤية عند التعدي الى مفعولين في اكثر
الامور يكون بمعنى العلم تقول اري هذا المذهب صحيحا وهذا الوجه ظاهر وعند التعدية في التعدي الى واحد يكون
بمعنى راى العين في الاكثر تقول رايت زيدا فقال تعالى لما راوا باسنا وقال تعالى فاما ترين من البشر احدا والمراد من

الآية رؤية العين **المسئلة السادسة** في قوله ساقطا لا يحصل في غير السقوط وذلك لان عندهم لا يجوز الانفصال على
السموات ولا يمكن نزولها وهبوطها فقال ساقطا ليكون مخالفا لما يعتقدونه من وجهين احدهما الانفصال والآخر
السقوط ولو قال وان يروا كسفا او متعلقا لما حصلت هذه الفايدة **المسئلة السابعة** في قوله يقولوا فايدة
اخرى وذلك لانه لغير بيان العناد الذي هو مقصود من الآية وذلك انهم في ذلك الوقت مسخرون وجوها حتى لا يلزمهم
التسليم فيقولون سحاب قولا من غير تعيين وعلى هذا يحتمل ان يقال والذين المراد انهم لم يكونوا دخلوا في العناد الا اذا
علموا وسقوط السماء ساقطة عيروا وعاندوا وقالوا هذا سحاب مركوم **المسئلة الثامنة** قوله تعالى يقولوا
سحاب مركوم اشارة الى انهم حين يعجزون عن التكذيب ولا يمكنهم ان يعقلوا لم نفع شي على الارض يرجعون الى
التأويل والتحيل وقوله مركوم اي مركب بعضه على بعض كانهم يدفعون على انفسهم ما يورد عليهم بان السحاب
كالهوا لا يمنع نفوذ الجسم فيه وهذا اقوى مانع فيقولون انه ركام فصار صلبا قويا **المسئلة التاسعة** في اسقاط
كلمة الاشارة حيث لم يقل يقولوا هذا وانه اشارة الى وضوح الامر وظهور العناد فلم يستحسنوا يأتون بما لا يسع
عنه مرارا فيقولون سحاب مركوم مع حذف المبتدا ليبقى القايل فيه مجال فيقولون عند تكذيب الخلق اياهم قلنا سحاب مركوم
شبهه ومثله فانه يبقى للامر مع عوامهم استمروا وعلى هذا محال من يحاور من كلام ولا يعقل انه يقبل منه اولا يقبل صحته ذا وجهين
فان رايما التكلم على احدهما يسرع بالاخر وان راى القبول حج بمراده ثم قال تعالى فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون اي
اذا تبين انهم لا يرجعون فدعهم وفيه مسايل **المسئلة الاولى** فذرهم امر فكان يجب ان يقال لم سيق للنبي صلى الله عليه وسلم جواز
دعائهم الى الاسلام وليس كذلك والجواب فيه وجوه احدها ان هذه الايات مثل قوله فاعرض وتول عنهم الى غير ذلك كلها
منسوخة بآية القتال وهو ضعيف لانه ليس المراد الامر وانما المراد التهديد كما يقول سيد للعبد الجاني لم بنصحه
دعه فانه سينال وبال جنايته ثانيها ان المراد من معاند وهو غير معين والنبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو الخلق
على سبيل العموم وجاز ان يكون المراد بالخطاب من لم ينظر عناده ولم يقل الله في حقه فذرهم ويدل على هذا انه قال من
قبل فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون وقال هاهنا فذرهم فمن يذكرهم المشفقون الذين قالوا انا كنا قبل في
اهلنا مشفقين ومن يذرهم الذين قالوا شاعر نتربص به ريب المنون اي غير ذلك **المسئلة الثانية** حتى للغاية
فيكون كانه تعالى قال ذرهم الى ذلك اليوم ولا تكلمهم ثم ذلك اليوم يجدد الكلام ويقول الم اقل لكم ان الساعة آتية وان
الحساب يقوم وان للعذاب يدوم ولا تكلمهم الى ذلك اليوم كلمهم يعظهم ثانيها المراد حتى الغاية التي يستعمل فيها
الكلام كما يقول القايل لا تطعه حتى يموت اي يموت كان لا في الاملام التي للعرض عندها حتى العقل الذي للعرض يوجد فيه معنى
الغاية ومعنى التعليل ويجوز استعمال الكلمتين فيها ولعل المراد من قوله تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين هذا اي ان
ياتيك اليقين فان قيل من لا يدركه ايضا يلاقي ذلك اليوم نقول لما كان المراد من قوله تعالى يصعقون يهلكون
فالمدرك المنقطع لا يهلك ويكون مستثنى منهم كما قال تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء
الله وقد ذكرنا هناك ان من اعترف بالحق وعلم ان يوم الحساب كاين فاذا وقعت الصيحة يكون يعلم ان الوعد
يوعد ويسعد بسماعه ومن لا يعلم يكون كالغافل فاذا وقعت الصيحة ارتجف العاقل ولم يخف الغافل وحينئذ
لا يكون التوعد بملاقاة يومهم لا لكل واحد بل في يومه وانما يكون ملاقاة يومهم الذي فيه يصعقون اي
اليوم الموصوف بهذه الصفة وهذا كما قال تعالى لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعرا وهو مذموم وانما المسوى السد
الذي يكون هو معه مذموما وهذا لم يوجد **المسئلة الثالثة** حتى يستعمل بعدها من الفعل المستقبل تارة وترفع
اخرى والفصل بينهما ان الفعل اذا كان مستقبلا منتظرا لا يقع في الحال ينصب تقول تعلمت الفقه حتى يرفع درجتي
فانك منتظره وان كان حالا يرفع تقول اكرت حتى سقط قوتي ثم انام والسبب فيه هو ان حتى في المستقبل في
الغاية ولام التعليل للغرض عليه الفعل تقول اتيت الدار تقول لتسكن فصار قوله حتى يرفع كقوله ارفع وفيه اضمار
وان قال ما قلت شيا وذكرت السبب في النصب تقديرا لاداة الاستقبال والرفع عند ارادة الحال تقول الفعل المستقبل
اذا كان منتظرا كان نصب العين ومنصوبا لديه الراكم يرمه يعمل بلفظه كان في معناه ولهذا قالوا في الاضافة
الى المصدر ناجا مرا الى امر في المعنى جرها في اللفظ والذي يبين ما ذكرنا ان الفعل انما ينصب بان ولن وكي
واذن وخلوص الفعل للاستقبال في هذه المواضع لازم والحرف التي يحصل الفعل للحال يمنع النصب حيث لا يجوز
ان يقال ان فلانا يضرب فان قيل السين وسوف مع انهما خالصتان للاستقبال لا ينصبان ويمنعان النصب بالنواصب
كما في قوله تعالى علم ان سيكون منكم مرضى تقول سوف والسين ليس يجيء غير اختصاص الفعل بالاستقبال وان
ولن بمعنى لا يصح الا في استقبال فلم يثبت بالسين الا الاستقبال والمنتظر هو ما في الاستقبال لا نفس
الاستقبال ومثاله اذا قلت عبد الله لن يغفر لي او ليغفر لي تثبت عرضا وهو المغفرة وهي في المستقبل من زمان
واذا قلت سيغفر له دل ابتدا استقبال المغفرة وفرق ما يكون المقصود من الكلام بيان الاستقبال لكن
الاستقبال لا يوجد الا في معنى اي بالمعنى يتبين به الاستقبال وبين ما يكون المقصود معنى في الاستقبال
فيذكر للاستقبال كي يحل مقصوده ثم قال تعالى يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون لما قال تعالى يلاقوا

يومهم

يومهم الذي وكل مر وفا جربوا في يومه اعاد صفة يومهم وذكر ما يلقون به يومهم عن يوم المؤمنين فقال تعالى يوم لا يغني
عنهم كيدهم وهو تخالف يوم المؤمنين فانه تعالى قال فيه [illegible] وفيه مسايل **المسئلة الاولى** في يوم لا يغني وجهان
[illegible]
فلو قال يوم لا يغني كيدهم كان السامع هذا الكلام وربما يقول لا يغني كيدهم غيرهم عنهم
رجاوه وابطل الامر الذي يلبس يعني السابقة قد ذكرنا ان معنى الكيد هو فعل يسوءه من نزل به وان حسن ممن صدر منه
في الفايدة في تخصيص الفعل الذي يسمونه بالذكر ولم يقل يوم لا يغني عنهم افعالهم على الاطلاق نقول هو قياس ما ذكرنا في الاولى
لانهم كانوا يأتون بفعل النبي عليه السلام والمؤمنين وكانوا يعتقدون انه احسن اعمالهم فقال لما اغنى احسن اعمالهم
الذي كانوا يعتقدون فيه تقطع رجاوهم عما دونه وفيه وجه اخر وهو انه تعالى لما قال من قبل ام يريدون كيدا وقد بين
ان اكثر المفسرين على ان المراد بذلك هم في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقال هم المكيدون اي لا ينفعهم كيدهم في الدنيا فاذا يفعلون
يوم لا ينفعهم ذلك الكيد بل يضرهم وقوله تعالى ولا هم ينصرون فيه وجوه احدها انه تم بيان وجهه هو ان الداعي او لا
يرتب امورا تدفع المكروه بحيث لا يحتاج الى الانتصار بالغير وامكنه واذا لم ينفعه ذلك ينتصر بالاعوان فقال لا ينفعهم
افعال انفسهم ولا ينصرهم غيرهم عند الناس وحضور الناس عند ذلك لهم ثانيها ان المراد منه ما هو المراد من قوله تعالى يوم
لا يغني عنهم شفاعتهم شيئا ولا يستنقذون فقوله تعالى يوم لا يغني عنهم كيدهم اي عبادتهم الاصنام وقولهم هؤلاء
شفعاونا عند الله وقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله وقوله تعالى ولا هم ينصرون اي لا ينصرهم كما استنصروا ودفع
العذاب اما بشفاعة شفيع او بنصرة ناصر بالنهار نقول الاضافة في كيدهم اضافة المصدر الى المفعول او اضافة
الى الفاعل فكانه قال لا يغني عنهم كيد الشيطان اياهم وبيانه هو انك تقول اعجبني ضرب زيد عمرا واعجبني ضرب زيد
عمرو فاذا اضمرت على المصدر والمضاف اليه لا يعلم الا بالقرينة والسماع فاذا سمعت قول القايل اعجبني ضرب اللص
على سرقته دل القرينة على انه مضاف الى المفعول فان قيل هذا فاسد من حيث انه ايضاح واضح لان كيد المكيد لا ينفع
قطعا ولا يخفى ذلك على احد فلا يحتاج الى البيان بذكر كيد الكايد يظن انه ينفع فقال تعالى لا ينفع نقول كيد الشيطان اياهم
على عبادة الاصنام وهم كانوا يظنون انها تنفع واما كيدهم للنبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعلمون انه لا ينفع في الآخرة وانما
طلبوا نفعهم في الدنيا لا في الآخرة فالاشكال ينقلب على صاحب الوجه الاشكال ولا اشكال على الوجهين جميعا اذا تفكر
فيما قلناه ثم قال تعالى وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون في اتصال الكلام وجهان احدهما متصل
بقوله تعالى فذرهم وذلك لانه يدل على عدم جواز القتال وقد سلف انه ما نزل شرع القتال وحينئذ كانه قال
فذرهم ولا يذرهم مطلقا من غير قتال بل الى يوم القيامة قبل يوم العامة عذاب يوم بدر حيث يوم بدر يقاتلهم فيكون
بيانا ووعدا بنسخ ذرهم بالعذاب يوم بدر دونا ثانيهما هو متصل بقوله تعالى لا يغني وذلك لانه لما بين ان كيدهم لا يغني عنهم
قال ولا ينصرون واعدم الاغنا بل لهم مع ان كيدهم لا يغني وبلاء اخر وهو العذاب المعد لهم ولو قال تعالى لا يغني عنهم كيدهم
كان يوهم انه لا ينفع ولكن لا يضر ولما قال مع ذلك وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك وفيه مسايل **الاولى**
الذين ظلموا هم اهل مكة وان قلنا العذاب هو عذاب النفي فالذين ظلموا عام في كل ظالم **الثانية** ما المراد من
الظلم هاهنا نقول فيه وجوه الاول هو كيدهم نبيهم وهذا مناسب للوجه الثاني **الثالثة** دون ذلك على قول اكثر المفسرين
معناه قبل ذلك ويؤيده قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر ويحتمل وجهين احدهما دون ذلك اي اقل
من ذلك في الدوام والشدة تقال الضرب دون القتل في الايلام ولا شك ان عذاب الدنيا دون عذاب الآخرة على هذا المعنى
وعلى هذا ففيه فايدة التنبيه على عذاب الآخرة العظيم وذلك لانه اذا قال عذابا دون ذلك اي صلاء وعذابا في [illegible]

المنكر ونقول ما يكون العمل دونه لا يكون الا عظيما فان قيل فهذا المعنى لا يمكن ان يقال في قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب
الادنى دون العذاب الاكبر قلنا نسلم ذلك ولكن لا مانع من ان يكون المراد ها هنا هذا الثاني هو على طريقة قول القايل يحب
لحاجك فما سدود دون عرصك متاعب وبيانه هو انهم لما عبدوا غير الله ظلموا انفسهم حيث وضعوها في غير موضعها الذي
خلقت له فقيل له ان لكم دون ذلك الظلم عذابا **المسئلة الرابعة** ذلك اشارة الى ماذا نقول الظاهر انه اشارة الى اليوم وفيه
وجهان اخران احدهما قوله فيه يصعقون وقوله لا يغني عنهم اشارة الى عذاب واقع بقوله ذلك اشارة اليه ويمكن ان
يقال قد تقدم في قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع وقوله تعالى دون ذلك اشارة اي دون ذلك العذاب باسها دون ذلك
الكيدهم فذلك اشارة الى الكيد وقد بينا وجهه في المثال الذي عملنا وهو قول القايل يحب لحاجك حرما بك والله
تعالى اعلم **المسئلة الخامسة** ولكن اكثرهم لا يعلمون ذكرنا فيه وجوها احدها انه جرى على عادة العرب حيث نعبر عن الاكثر
الكل كما قال تعالى اكثرهم بهم يؤمنون ثم ان الله تعالى تكلم على تلك العادة ليعلم ان الله تعالى استحسنها من المتكلم ثم ان الله تعالى
حيث يكون ذلك بعد عن الخلف باسها منهم من امن ولم يكن ممن لا يعلم ثالثها هو في اكثر الاحوال لم يعلموا وبعض الاحوال علموا او اقله
انهم علموا حال الكشف وانه لا ينفعهم مفعول لا يعلمون جاز ان يكون يوما يقدم من الامر وهو ان لهم عذابا دون ذلك وجاز ان لا يكون
مفعول اصلا ليكون المراد اكثرهم غافلون ثم قال تعالى فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم قد ذكرنا في تفسير
قوله تعالى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس ويشير الى بعضه هنا فان طول الحمد يبني بعضه لما قال تعالى
فذرهم كان فيه الاشارة الى انه لم يبق في نصحهم نفع ولا سيما وقد تقدم قوله تعالى وان يروا كسفا من السماء وذلك مما يحمل النبي
صلى الله عليه وسلم على الدعاء كما قال نوح عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وكاد عا يونس عليه السلام فقال الله تعالى اصبر
ويدل العين بالتسبيح وسبح بحمد ربك بدل قولك اللهم اهلكهم الا ترى الى قوله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت وقوله
فانك باعيننا فيه وجوه الاول انه تعالى لما بين انه يكيدونه كان ذلك مما يقتضي في العرف المبادرة الى اهلاكهم لئلا يتم كيدهم فقال
اصبر ولا تخف فانك محفوظ باعيننا ثانيها انه تعالى قال اصبر ولا تدع عليهم فانك بمرأى منا وبهذه الحالة يقتضي
ان يكون من الاحوال لكن كونك سبحانك لنا افضل من كونك داعيا على عباد خلقناهم فاختر الافضل فانك بمرأى منا اليها
هو من يشكوا حاله عند غيره يكون فيه اما غير علم المشكو اليه بحال الشاكي فقال تعالى اصبر ولا تشك حالك فانك باعيننا
نراك فلا فايدة لشكواك وفيه مسايل مختصة بهذا الموضع لا توجد في قوله تعالى فاصبر على ما يقولون **الاولى** اللام في
قوله تعالى فاصبر لحكم ربك يحتمل وجوها الاول هي بمعنى الى اي اصبر الى ان يحكم الله الثاني الصبر فيه بمعنى الثبات فكانه يقول
فاصبر لحكم ربك فقال يثبت فلان لحمله قرنه الثالث هي اللام التي تستعمل بمعنى السبب يقال لم خرجت فيقال لحكم فلان علي بالخروج
فقال فاصبر وجعل الصبر مثال الامر حيث قال فاصبر لهذا الحكم عليك لا لشيء اخر **المسئلة السادسة** قال ههنا باعيننا
وقال في موضع اخر ولتصنع على عيني نقول لما وحد الضمير هناك وهو ياء المتكلم وحده وحد العين ولما ذكر ههنا ضمير الجمع في
قوله تعالى باعيننا وهو النون جمع العين وقال باعيننا هذا من حيث اللفظ واما من حيث المعنى فلان الحفظ ههنا اتم لان
الاصطفاء مظنة الرحمة واما النبي صلى الله عليه وسلم حيثما اجتمع له الناس وجمعوا له كيدهم وتشاوروا في امره وكذلك امر
الفلك وامره بالاتخاذ وعدم الماء وحفظه عن الغرق مع كون الكل اسباع معمورة تحت الماء الى حفظ عظيم في نظر الخلق فقال
باعيننا **المسئلة السابعة** ما وجه تعلق الباء ههنا قلنا قد ظهر من الوجوه اما ان قلنا بانه للحفظ فتقديره باعيننا واذا قلنا
للعلم فمعناه بمرأى منا اي بمكان نراك وتقديره فانك باعيننا وحينئذ هو قول القايل رايته بعيني كما يقال كتبت بالقلم الاله
وان كانت رؤية الله تعالى ليست بالة فان قيل ما الفرق في الموضعين من حيث قال في طه على عيني وقال ههنا باعيننا وما الفرق
بين على عيني وبين الباء نقول معنى على ههناك هو انه يرى ما يرضاه الله تعالى فضله على عيني اي على رضاي تقديره على وجهه
يدخل في عيني والسابق اليه فان من يفعل شيا لغيره ولا يرتضيه ولا يسترضيه ولا يحملك عليه الله والثاني قوله تعالى وسبح
بحمد ربك قد ذكرناها وقوله تعالى حين تقوم فيه وجوه الاول تقوم من موضعك والمراد قبل القيام حين ما يعزم على القيام
وحين يجيء القيام وقد ورد في الخبر من قال سبحان الله من قبل ان يقوم من مجلسه يكتب له ذلك كفارة لما يكون قد صدر
منه من الغلط واللغو في ذلك المجلس الثاني حين تقوم من الليل وقد ورد ايضا فيه خبر يدل على انه عليه السلام كان يسبح
بعد الانتباه الثالث حين تقوم الى الصلوة وقد ورد في الخبر انه عليه السلام كان يقول في افتتاح الصلوة سبحانك اللهم
وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك الرابع حين تقوم لامر ما لا سيما اذا قمت منتصبا لمجاهدة قومك
ومعاداتهم والدعاء عليهم فسبح بحمد ربك وبدل قيامك بالمعاداة واتصالك للانتقام وبقيامك بذكر الله تعالى وتسبيحه
الخامس حين تقوم اي بالنهار فان الليل على السكون والنهار محل الابتغاء وهو بالقيام اولى وعلى هذا يكون قوله تعالى ومن الليل
فسبحه اشارة الى ما بقي من الزمان وكذلك ادبار النجوم وهو اول الصبح وقوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وقد
تقدم تفسيره وهو قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقد ذكرنا فايدة الاختصاص بهذه الاوقات ومعناه
ونختم هذه السورة بفايدة وهو انه تعالى قال ههنا وادبار النجوم وقال في ق وادبار السجود يحتمل ان يقال المعنى واحد والمراد
من السجود جمع ساجد والنجوم سجود قال تعالى والنجم والشجر يسجدان وقيل المراد من النجم نجوم السماء وقيل النجم ما لا ساق له من
النبات قال الله تعالى ولله يسجد من في السموات ومن في الارض والمراد من النجوم الطوايف وكل طايفة نجم في اللغة اذا وعت من وطايف

الصلوة



الصلوة فقل سبحان الله فقد ورد في الحديث من قال عقيب الصلوة سبحان الله عشر مرات والحمد لله عشر مرات والله اكبر عشر
مرات له الف حسنة فيكون المعنى في الموضعين واحدا لان السجود من الوظايف والمشهور الظاهر ان المراد من ادبار النجوم وقت
الصبح حيث يدبر النجم ويخفى ويذهب ضياؤها بضوء الشمس وحينئذ يبين ما ذكرنا من الوجه الخامس في قوله تعالى حين تقوم ان المراد منه النهار لانه
كل القيام ومن الليل القدر الذي يكون الانسان نقطانا فيه وادبار النجوم وقت الصبح فلم يخرج عن التسبيح الا وقت النوم وهذا اخر
تفسير هذه السورة والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى
ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى
ما كذب الفواد ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة
الماوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد راى من ايات ربه الكبرى **اعلم**
ان قوله تعالى والنجم اذا هوى قبل الشروع في التفسير تقدم مسايل يفرع للتفسير وان لم يكن منه الاولى ان في اول هذه السورة
مباحث مناسب لاخر ما قبلها لفظا ومعنا اما اللفظ فلان حتم بالطور والنجم وافتتاح هذه بالنجم مع واو القسم اما المعنى فنقول
الله تعالى لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم بين له انه اخر جزاه حزا في مكايده النبي صلى الله
عليه وسلم بالنجوم وبعده تقولا ما ضل صاحبكم وما غوى **المسئلة الثانية** السورة التي تقدمت وافتتاحها بالقسم
بالاسما دون الحروف فهي الصافات والذاريات والطور وهذه السورة بعدها فالاولى فيه القسم لاثبات الوحدانية كما قال تعالى
ان الهكم لواحد في الثانية لوقوع الحشر والجزاء كما قال تعالى انما توعدون لصادق وان الدين لواقع وفي الثالثة لدوام
العذاب بعد وقوعه كما قال تعالى ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع وفي هذه الايات سورة النبي صلى الله عليه وسلم
لتكمل الاصول الثلاثة الوحدانية والحشر والنبوة كثيرا اما على الوحدانية فلانه اقسم بامر واحد في هذه السورة وبامرين
في سورة الضحى واكثر من القسم على الحشر وما يتعلق به فان قوله تعالى والليل اذا يغشى وقوله تعالى والشمس وضحاها
قوله تعالى والسماء ذات البروج الى غير ذلك كلها فيها الحشر وما يتعلق به وذلك لان دلايل الوحدانية كثيرة كلها
عقلية كما قيل وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد ودلايل النبوة ايضا كثيرة وهي المعجزات المشهورة المتواترة
واما الحشر فامكانه ثبت بالعقل واما وقوعه فلا يمكن اثباته الا بالسمع فاكثر القسم ليقطع به المكلف ويعتقده
اعتقادا جازما واما التفسير ففيه مسايل **المسئلة الاولى** الواو والقسم بالنجم او برب النجم وفيه خلاف قدمناه وقلنا ان الظاهر
انه اقسم بالنجم فقال ليس للقسم في الاصل حرف اصلا لكن الباء والواو استعملتا فيه عارض وذلك لان الباء في اصل القسم
هي الباء التي للالصاق والاستعانة وكما نقول القايل استعنت بالله وكما يقول القوم نعوذ بالله تعالى على العدو
بقوله اقسم بحق الله فالباء فيهما بمعنى كما تقول كتبت بالقلم فالباء في الحقيقة ليست للقسم غير ان القسم كثر في الكلام
ما يستغني عن ذكره وغيره لم يكثر فلم يستغن عنه واذا قال القايل بحق زيد فهم منه القسم لان المراد لو كان هو مثل قوله
احلف بحق زيد او نعم بحق زيد لذكر كما في هذه الاشياء لعدم الاستغناء فلما لم يذكر شيا علم ان الحرف للشهرة ولا يستغنا
وذلك في غير القسم فعلم ان المحذوف فعل القسم كانه قال اقسم بحق زيد فالباء في الاصل ليس للقسم لكن لما عرض ما ذكرنا من
الكثرة والاشتهار صار الباء للقسم ثم ان المتكلم نظر فيه فقال هذا لا يخلو من الالتباس فاني اذا قلت بالله يتوقف السامع
فان سمع بعده فعلا غير القسم لقوله بالله استعنت وبالله مسست واحدث لا يحمل على القسم وان لم يسمع يحمله
على القسم انه لم يتوهم وجود فعل ذكرته ولم يسمعه اما ان توهم اني ذكرت مع قوله بالله شيا اخر وما سمعه هو ايضا يتوقف
فيه ففي الفهم توقف فاذا اراد المتكلم الحكيم اذهاب ذلك مع الاختصار وترك ما استغني عنه وهو فعل القسم ابدل الباء
بالتاء وقال بالله يتكلم بها في كلمة الله لا اسما كله الله والاسم من الالتباس فان الباء والتاء الكلمات قد يكون اصلية وقد يكون
للخطاب في الثالث فلو اقسم بحرف التاء من اسمه داعي او راعي او هادي او عادي يقول تداعي او تهادي او تعادي فيلتبس
ولذلك فمن اسمه دوبان او توران اذا قلت تور وبان او سود بان على انك تقسم بالتاء تلتبس الخطاب والتانيث في الاستقبال
فابدلوها واوا الاشكال عليها اشكالات لان الاول مع الواو لم يؤمن بالالتباس فلتلتبس الواو الاصلية بالتي للقسم تقول
ذلك ما يلزم فيما ذهبنا اليه وانما كان ذلك واما في الواو حيث تقول وبدي عند العطف وان لم تستعمل الواو القسم كيف وذلك
في الباء التي هي الاصل متحقق تقول الداعي جمع وترمه ولا مجمع جمع بهم وتقال اللبسة الباء الاصلية التي في الفعال
والدوام بالباء التي للصقها فتقول فعال وراي سعود عال واما الباء لما استعملت للقسم لزم ذكره الاستعمال للالتباس
حيث لم يكن من قبل حرمان في الادوات كالباء والواو والاشكال الباقي ثم ربت الباء فيها لا التباس فيه كقولك بالرحيم وبالعظيم
تقول لما كان كلمة الله تعالى في غاية الشهرة والظهور واستعملت التاء فيها على خلاف الاصل بمعنى لم يجز ان تقاس عليها
الا ما يكون في شهرتها واما عمر هاتين فيما هي عند البعض فان من لم يسمع الرحيم في سمع في الندرة ربما عن قطع بما تعود الجمع فعل

وفاعل او فعل ومفعول وان كان ذلك في غاية البعد لكن الاستعمال في غاية الشهرة في المنقول منه والمنقول اليه لازم ولا مشهور
مثل كلمة الله على انا نقول لم قلتان عند الامن لا يستعمل الا ترى انه نقل عن العرب برب الكعبة والذي يؤيد ما ذكرنا ان لا يقول
اقسم بالله تعالى لان الثانية مخافة الالتباس عند حذف الفعل من القسم وعند الاتيان به لم يخف ذلك فلم يجز **المسئلة الثانية**
اللام في قوله والنجم لتعريف العهد في قوله ولتعريف الجنس في قول والاول قول من قال النجم المراد منه الثريا قال قائلهم اذا طلع النجم علينا
ابتغى الراعي كسا والثاني فيه وجوه احدها النجم هو نجم السما التي يهتدى بها فيها للاهتدا وقيل كل النجوم المنصبة فيها التي هي رجوم
الشياطين ثانيها نجوم الارضين وهي من النبات ما لا ساق له ولنذكر مناسب كل وجه وسمي منه المختار فنقول اما على
قولنا المراد الثريا فهو اظهر النجوم عند الرائي لان له علامة لا يلتبس بغيره في السما ويظهر لكل احد والنبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر
قيل انست والامراض العلة وادركت الثمار الحكمية والحلمية وعلى قولنا المراد هي النجوم التي في السما نقول النجوم بها الاهتدا فاقسم
بها لما بينهما من المشابهة والمناسبة وعلى قولنا المراد المرجوم من الشياطين على اهل السما والانبيا يبعدون الشياطين عن اهل الارض
وعلى قولنا المراد القران فهو استدلال بالمعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم على صدقه وبراءته وهو كقوله تعالى يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين
على صراط مستقيم ما ضللت ولا غويت وعلى قولنا النجم هو النبات فنقول الناس منه بيان القوى الجسماني وصلاحها والقوة
العقلية اولى بالاصلاح وذلك بالرسل وايضاح السبل ومن هذا يظهر ان المختار هو النجوم التي في السما لانها اظهر عند السامع وقوله اذا
هوى ادل عليه ثم بعد ذلك القران الصافية فهو دونه الثريا **المسئلة الثالثة** القول في واو والنجم كالقول في والطور حيث لم نقل والنجم
ولا والطور فقال تعالى والذاريات والمرسلات وقد تقدم ذكره **المسئلة الرابعة** ما الفائدة في تقييد القسم به بوقت هويه نقول
النجم اذا كان في وسط السما يكون بعيدا عن الارض لا يهتدي به الساري لانه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال فاذا زال تبين بزواله
جانب المغرب عن المشرق والجنوب عن الشمال كذلك النبي صلى الله عليه وسلم خفض جناحه للمؤمنين وكان على خلق عظيم كما قال تعالى
وانك لعلى خلق عظيم وكما قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فان قيل الاهتدا
بالنجم اذا كان على افق المشرق كالاهتدا به اذا كان على افق المغرب فلم يبق ما ذكرت جوابا عن السؤال نقول الاهتدا بالنجم وهو
مائل الى المغرب اكثر لانه يهدي في الطريقين الدنيوي والديني واما الدنيوي فلما ذكرنا واما الديني فكما قال الخليل عليه
الصلوة والسلام لا احب الافلين وفيه لطيفة وهي ان الله تعالى لما اقسم بالنجم شرفه وعظمه وكان من المشركين من يعبده فقرن
بعظمته وصفا يدل على انه لم يبلغ درجة العبادة وانه هاو افل ثم قال تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى اكثر المفسرين لم يفرقوا بين
الضلال والغي والذي قال بعضهم عند مجادلة الفرق ان الضلال في مقابلة الهدى والغي في مقابلة الرشد قال الله تعالى وان يروا
سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا وقال تعالى قد تبين الرشد من الغي وتحقيق القول فيه
ان الضلال اعم استعمالا في الوضع تقول ضل بعيري ورحلي ولا تقول غوى فالمراد من الضلال ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا
اصلا والغواية ان لا يكون له طريق الى المقصد مستقيم يدلك على هذا انك تقول للمؤمن الذي ليس على طريق السداد انه
سفيه غير رشيد ولا تقول انه ضال فالضال كالكافر والغاوي كالفاسق فكانه تعالى قال ما ضل اي ما كفر ولا ما اقل من ذلك مما فسق ويؤيد
ما ذكرنا قوله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها او نقول الضلال كالعدم والغواية كالوجود الفاسد
في الدرجة والمرتبة وقوله تعالى صاحبكم فيه وجهان احدهما سيدكم والاخر مصاحبكم يقال صاحب البيت ورب البيت ويحتمل ان يكون المراد
من قوله ما ضل اي ما جن فان المجنون ضال وعلى هذا فهو كقوله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك
لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم اشارة الى انه ما غوى بل هو رشيد مرشد دال على الله تعالى بارشاد اخر كما قال تعالى قل لا
اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على الله وقوله تعالى انك لعلى خلق عظيم اشارة الى قوله ههنا وما ينطق عن الهوى فان هذا خلق عظيم
ولنبين الترتيب فنقول قال اولا ما ضل اي هو على الطريق وما غوى اي طريقه الذي هو عليه مستقيم وما ينطق عن الهوى اي
وهو راكب متنه لا احد سمت المقصود وذلك لان من يسلك طريقا ليصل الى مقصد فربما يضل بلا طريق وربما عدا الله طريقا فيه
متاعب ومهالك وربما يجد طريقا واسعا امنا ولكنه يعمل لحية ديرة فيبعد عن المقصود ويتاخر عليه الوصول فاذا سلك الجادة وركب
متنها كان اسرع وصولا ويمكن ان يقال وما ينطق عن الهوى دليل على انه ما ضل وما غوى حين احيا نفسه وراى في منامه ما راى وما ينطق عن
الهوى تقريره كيف يضل او يغوي وهو لا ينطق عن الهوى وانما يضل من يتبع الهوى ويدل عليه قوله تعالى ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله فان قيل ما ذكرت من الترتيب الاول صيغة الماضي في قوله تعالى ما ضل وصيغة المستقبل في قوله تعالى وما
ينطق عن الهوى في غاية الحسن اي ما ضل حين اعتزلكم وما تعبدون في صغره وما غوى حين اخلى نفسه وراى في منامه ما راى
وما ينطق عن الهوى الان حيث ارسل اليكم وجعل رسولا شاهدا عليكم فلم يكن اولا ضالا ولا غاويا وصار الان منقذا من
الضلالة ومرشدا وهاديا واما على ما ذكرت ان تقديره كيف يضل وهو لا ينطق عن الهوى فلا توافقه الصيغة نقول بلى وبيانه
ان الله تعالى يصون من يريد ارساله في صغره عن الكفر والمعاصي القبيحة كالسرقة والزنا واعتياد الكذب فقال تعالى ما ضل في صغره
لانه لا ينطق عن الهوى واحسن ما يقال في تفسير الهوى انها المحبة لكن من النفس فقال هويته بمعنى احببته لكن الحروف التي
في الهوى تدل على الدنو والنزول والسقوط ومنه الهاوية فالنفس اذا كانت دنية وتركت المعالي وتعلقت بالاسافل سفلت
فقد هوت فاختص الهوى بالنفس الامارة بالسوء ولو قلت اهواه بقلبي لزال ما فيه من السفالة لكن الاستعمال عند
استبعاد استعمال القران حيث لم يستعمل الهوى الا في الموضع الذي يخالف المحبة فانها مستعملة في موضع المدح والذي يدل على ما ذكرنا





قوله تعالى فاما من طغى واثر الحياة اشارة الى الامر الذي نهى النفس عن الهوى اشارة الى علو مرتبة النفس ثم قال تعالى ان هو الا وحي يوحى
فكمل البيان وذلك لانه تعالى لما قال وما ينطق عن الهوى كان قائلا يقول فماذا ينطق عن الدليل والاجتهاد فقال لا وانما ينطق عن الله تعالى
بالوحي وفيه مسائل **المسئلة الاولى** ان استعملت مكان ما للنفي كما استعملت ما للشرط مكان ان قال تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها
او مثلها والمشابهة بينهما من حيث اللفظ والمعنى اما اللفظ فلان ان من الهمزة والنون وما من الميم والالف كالهمزة والنون كالميم
اما الاول فبدليل جواز القلب واما الثاني فبدليل جواز الادغام ووجوبه واما المعنى فلان ان يدل على النفي من وجه وعلى الاثبات من وجه
ولكن دلالته على النفي اقوى وابلغ لان الشرط والجزاء في صور استعمال لفظة ان يجب ان يكون في الحال معدوما اذا كان المقصود الحث والمنع
تقول ان احسنت فلك الثواب وان اسات فلك العذاب وان كان المراد بيان حال القسم المشكوك فيهما كقولك ان كان هذا الفص زجاجا
فقيمته نصف وان كان جوهرا فقيمته الف فههنا وجود شيء منهما غير معلوم وعدم العلم ههنا كعدم الحصول في الحث والمنع
ولا بد في صور استعمال ان من عدم اما في الامر واما في العلم واما الوجود فذلك عند وجود الشرط في بيان الحال ولهذا قال النحاة
لا يحسن ان يقال ان احمر البسر اتيك لان ذلك امر سيوجد لا محالة وجوزوا استعمال ان فيما لا يوجد اصلا يقال في قطع
الرجاء ان ابيض القار تعلمني قال الله تعالى فان استقر مكانه فسوف تراني ولم يوجد الاستقرار ولا الرؤية فعلم ان دلالة
على النفي اتم فان مدلوله العدم لو لم ما قرب فاستعمل احدهما مكان الاخر هذا هو الظاهر وما يقال ان ان وما حرفان نافيان
في الاصل فلا حاجة الى الترادف **المسئلة الثانية** هو ضمير معلوم او ضمير مذكور نقول فيه وجهان اشهرهما انه ضمير معلوم وهو القران
كانه تقول ما القران الا وحي وهذا على قول من قال والنجم ليس المراد منه القران واما على قول من يقول هو القران فهو عائد الى المذكور
والوجه الثاني انه عائد الى مذكور ضمنا وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم وكلامه وذلك لان قوله تعالى وما ينطق عن الهوى
في ضمن النطق وهو كلام وقول فكانه تعالى يقول وما كلامه وما نطقه الا وحي وفيه وجه اخر ابعد وارق وهو ان يقال قوله
تعالى ما ضل صاحبكم فذكر ان المراد منه في وجه انه ما جن وما مسه الجن فليس بكاهن وقوله تعالى وما غوى اي وليس بشاعر
الغواية تعلق وليس بشاعر فقال ما قوله الا وحي وليس بقول كاهن ولا شاعر قال تعالى وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون
ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون **المسئلة الثالثة** الوحي اسم او مصدر نقول يحتمل وجهين فان الوحي اسم معناه الكتاب
ومصدر وله معان منها الارسال والالهام والكتابة والكلام والاشارة والافهام فان قلنا هو ضمير القران فالوحي اسم معناه
الكتاب كانه يقول ما القران الا كتاب ويوحى بمعنى يرسل ويحتمل على هذا ايضا ان يقال مصدر اي ما القران الا ارسال والهام
بمعنى المفعول اي مرسل وان قلنا المراد من قوله تعالى ان هو الا وحي ولانه والوحي حينئذ هو الالهام بمعنى ملهم اي كلامه
ملهم من الله او مرسل وفيه مباحث **الاول** الظاهر خلاف ما هو المشهور وعند بعض المفسرين وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم
ما كان ينطق الا عن وحي ولا حجة لمن توهم هذا في الاية لان قوله تعالى ان هو الا وحي ان كان ضمير القران فظاهر وان كان ضميرا
عائدا الى قوله فالمراد من قوله تعالى هو القران الذين كانوا يقولون فيه انه قول كاهن ورد الله عليهم فقال تعالى
ولا تقولوا شاعر وذلك القول هو انها القران واما قلنا ما قالوا به فينبغي ان يفسر الوحي بالالهام **البحث الثاني** هذا
يدل على انه عليه السلام لم يجتهد وهو خلاف الظاهر فانه في الحروب اجتهد وحرم ما قال الله تعالى لم تحرم واذن لمن قال تعالى
عفا الله عنك لم اذنت لهم نقول على ما بينت لا يدل الاية عليه **البحث الثالث** يوحى يحتمل ان يكون من وحى يوحي ويحتمل
ان يكون من اوحى يوحي تقول عدم يعدم واعدم يعدم وكذلك علم يعلم واعلم يعلم تقول وحى من اوحى من وحى وان كان وحى واوحى كلاهما
جا بمعنى ولكن الله تعالى في القران عند ذكر المصدر لم يذكر الا ما الذي هو مصدر اوحى وعند ذكر الفعل لم يذكر وحى المصدر الذي مصدره
بل قال عند ذكر المصدر لم يذكر الوحي وقال عند ذكر الفعل اوحى وكذلك القول في واحب يقال حب واحب بمعنى واحد والله تعالى عند ذكر
المصدر لم يذكر في القران الاحباب وذكر الحب قال واشد حبا وعند الفعل لم يذكر حبه الله قال تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى ايحب احدكم وقال
تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الى غير ذلك وفيه سر من علم الصرف وهو ان المصدر والفعل الماضي في الثلاثي فيهما خلاف
قال بعض علماء الصرف المصدر مشتق من الفعل الماضي والماضي هو الاصل والدليل عليه وجوه لفظية ومعنوية اما اللفظي فانهم
يقولون مصدر فعل يفعل اذا كان متعديا بسكون العين واذا كان لازما فعول في الاكثر ولا يقولون الفعل الماضي من فعل كذا وهذا
دليل ما ذكرنا واما المعنوي فلان ما يوجد من الامور لا يوجد الا وهو خاص وفي ضمنه العام مثاله الانسان الذي يوجد ويتحقق
يكون زيدا او عمرا او غيرهما ويكون في ضمنه انه هندي او تركي وفي ضمن ذلك انه حيوان وناطق ولا يوجد اولا انسان
ثم يصير تركيا ثم يصير زيدا او عمرا اذا علمت هذا فالفعل الذي لا يتحقق لا يمكن ان يكون حدثا ماضيا او مستقبلا
او في ضمنه انه فعل مع قطع النظر عن مضيه واستقباله مثاله الضرب اذا وجد فاما ان يكون قد مضى او بعد والاول ماضي
والثاني حاضر او مستقبل ولا يوجد الضرب من حيث انه ضرب خاليا عن المضي والحضور والاستقبال غير ان العاقل يدرك
من فعل وهو يفعل الان وسيفعل غدا امرا مشتركا فيسميه فعلا وكذلك العقل في ضرب وهو يضرب الان وسيضرب
غدا الحد مشتركا فيسميه ضربا فالضرب لا يوجد ويستخرج منه الضرب والالفاظ وضعت لامور يتحقق فيه فيعبر عنها
والامور المشتركة لا تتحقق الا في ضمن اشيا اخر فالوضع اولا لما يوجد منه لا يدرك منه قبل الضرب هذا ما يمكن ان يقال
لمن يقول الماضي اصل والمصدر ماخوذ منه واما الذي يقول المصدر اصل والماضي ماخوذ منه فله دلائل منها ان الاسم
اصل والفعل متفرع والمصدر اسم لان المصدر يعرب والماضي مبني والاعراب قبل البنا ولان قال وبال وراع وباع اذا اردنا

الفرق بينهما برد بينهما الى المصدر فمعولا قال الالف متعلقة من ذا وبدليل انقول وقال الفه متعلقة من فابدليل السل ونزل
الروع والسع واما المعمول فلان الالف وضعت للامور التي في الاذهان والعين قبيل الخارج في الذهن فان الموجود اذا ادركه معنى
نقول المدرك هو الموجود جوهرا او عرضا فاذا ادرك انه جوهر نقول انه جسم او غير جسم عند من يجعل الجسم جوهرا او عرض فاذا ادرك
انه جوهر نقول انه جسم او غير جسم عند من يجعل الجسم جوهرا وهو الاصح الاظهر ثم اذا ادرك كونه جسما نقول هو نام وكذلك الامر الى
ينتهي الى احص الاشيا اذا امكن الانتهاء اليه بالتقسيم فالوضع الاول هو الفعل وهو المصدر من غير زيادة ثم اذا انضم اليه زمان
نقول ضرب او يضرب باسم المصدر فاسم في البلاد في ماض فالحب واحب وكلاهما في درجة واحدة لان كليهما من حيث المصدر من الثلاثي
هل بعد المسبقه مرتبه وعلى مذهب من يقول الماضي في الثلاثي ماخوذ من المصدر في الثلاثي قبل المصدر المجرد لان احب ادخلت التعدية
وابعد عن توهم اللزوم فاستعمله **المسألة الرابعة** اذ هو الاوحى ابلغ من قول القائل هو وحي وفيه فايدة غير المبالغة وهو
انهم كانوا يقولون هو قول كاهن هو قول شاعر واراد نفي قولهم وذلك يحصل بصيغة النفي فقال ما هو ما يقولون وزاد فقال
بل هو وحي وفيه زيادة فايدة اخرى وهو قوله تعالى يوحى وهو كقوله تعالى ولا طاير يطير بجناحيه وفيه تحقيق الحقيقة فان
القول الشديد العدو ربما نقال هو طاير فاذا قال يطير بجناحيه يزيل جواز المجاز لذلك نقول بعض من لا يحترز في الكلام ويبالغ في
المبالغة كلام فلان وحي كما نقول شعره سحر وكما نقول قوله معجزة فاذا قال يوحى يزول ذلك المجاز او يبعد قال تعالى علمه شديد
القوى وفيه وجهان اشهرهما عند المفسرين ان الضمير في علمه عايد الى الوحي علمه شديد القوى والوحي ان كان هو الكتاب فظاهر
وان كان الالهام فهو كقوله تعالى نزل به الروح الامين والاولى ان نقال الضمير عايد الى محمد صلى الله عليه وسلم تقديره علم
محمدا شديد القوى جبريل عليهما السلام وحينيذ يكون عايدا الى صاحبكم تقديره ما ضل صاحبكم وشديد القوى
هو جبريل عليه السلام اي قواه العلمية والعملية كلها شديد فعلم ويعمل قوله شديد القوى فيه فوايد **الاولى** ان مدح
المعلم مدح المتعلم فلو قال علمه جبريل عليه السلام ولم يصفه ما كان يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم به فضيلة ظاهرة
**الثانية** هي ان فيه ردا عليهم حيث قالوا اساطير الاولين ودرسها وقت سفره الى الشام فقال لم يعلمه احد من الناس
بل معلمه شديد القوى والانسان خلق ضعيفا وما اوتي من العلم الا قليلا **الثالثة** فيه وثوق بقول جبريل عليه الصلاة والسلام
فقوله تعالى شديد القوى جميع ما يوجب الوثوق لان قوة الادراك شرط الوثوق بقول القايل لانا ان ظننا بواحد فساد ذهن
ثم نقل الينا عن بعض الاكابر مسألة مشكلة لا نثق بقوله ونقول هو ما فهم ما وكذلك قوة الحفظ حتى لا نقول ادركها لكن نسيها وكذا
قوة الامانة حتى لا نقول حرفها وغيرها فقال شديد القوى ليجمع هذه الشرايط فصار كقوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش
الى ان قال امين **الرابعة** فيه تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم وهي من حيث ان الله تعالى لما لم يكن مختصا بمكان فنسبته الى
جبريل عليه السلام كنسبته الى محمد صلى الله عليه وسلم فاذا علم بواسطته يكون نقصا عن درجته فقال ليس كذلك لانه شديد
القوى ثبت مكانا لسا وانت بعدما استويت فتكون كموسى عليه السلام حيث حرم كلامه قد علمه بواسطة
ثم علمه من غير واسطة كما قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ادبني ربي فاحسن تاديبي ثم قال
تعالى ذو مرة فاستوى وفي قوله تعالى ذو مرة فيه وجوه احدها ذو قوة ثانيها ذو كمال في العقل والدين جميعا ثالثها ذو
منظر وهيبة عظيمة رابعها ذو خلق حسن فان قيل على قولنا المراد ذو مرة قد تقدم بيان كونه ذا قوة في قوله تعالى شديد
القوى فكيف نقول قوله شديدة وله قوة نقول ذلك لا يحسن وان جاء وصفا بعد وصف اما ان جاء بدلا لا يجوز كانه قال علمه ذو قوة ومرة
شديد القوى فليس صفاته وتقديره ذو قوة عظيمة او كاملة وهو حينيذ كقوله تعالى انه لرسول كريم ذي قوة عند ذي العرش
مكين فكانه قال علمه ذو قوة فاستوى **والوجه الاخر** في الجواب جواز افراد مرة بالذكر ربما نكون لبيان ان قواه المشهورة شديدة وله
قوى اخرى خصه الله تعالى بها يقال فلان كثير المال وله مال لا يعرفه احد اي امواله الظاهرة كثيرة وله مال باطن على انا نقول المراد
ذو شدة وتقديره علمه من قواه شديدة وفي ذاته ايضا شديد فان الانسان ربما يكون قواه شديدة وفي جسمه صغر وذو حقارة
ورجاوة وفيه لطيفة وهي انه تعالى يقول شديد القوى من قوته في العلم ثم قال ذو مرة اي شدة في جسمه فقدم العلمية على
الجسمية كما قال تعالى وزاده بسطة في العلم والجسم وفي قوله تعالى فاستوى وجهان المشهور ان المراد جبريل عليه السلام اي استوى في
جبريل عليه السلام في خلقته ثم قال تعالى وهو بالافق الاعلى والمشهور هو ان هو ضمير جبريل عليه السلام وتقديره استوى
كما خلقه الله بالافق الشرقي فسد المشرق لعظمته والظاهر ان المراد محمد صلى الله عليه وسلم معناه استوى بمكان وهو بالمكان
الاعلى رتبة ومنزلة في رفعة القدر لا حقيقة في الحصول بالمكان فان قيل كيف يجوز هذا والله تعالى يقول ولقد راه بالافق المبين
اشارة الى انه راى جبريل عليه السلام بالافق المبين نقول في ذلك الموضع ايضا نقول كما قلنا ههنا انه عليه السلام راى جبريل
عليه السلام وهو بالافق المبين يقول القايل رايت الهلال فيقال اين رايته فيقول فوق السطح اي انا الرائي فوق السطح
لا المرئي والمبين هو الفارق من انا راي فوق اي هو بالافق الفارق بين درجة الانسان ومنزلة الملك فانه صلى الله عليه
وسلم انتهى وبلغ الغاية وصار نبيا كما صار بعض الانبيا صلوات الله تعالى عليهم اجمعين بالوحي في نومه وهو على هيئته
وهو واصل الى الافق الاعلى الفارق بين المنزلتين فان قيل ما بعده يدل على خلاف ما ذكرته فان قوله تعالى ثم دنا فتدلى
الى غير ذلك وقوله تعالى ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى كل ذلك يدل على خلاف ما ذكرته نقول سنبين موافقته لما ذكرنا
ان شا الله تعالى في مواضعه عند ذكر تفسيره فان الاحاديث تدل على خلاف ما ذكرته حيث ورد في الاخبار ان جبريل عليه السلام





ارى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه على صورته فسد المشرق نقول نحن ما قلنا انه لم يكن وليس في الحديث ان الله تعالى اراد
بهذه الاية تلك الحكاية حتى لا يلزم مخالفة الحديث وانما نقول ان جبريل عليه السلام ارى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه مرتين وبسط
جناحه وقد ستر الجانب الشرقي وسده لكن الاية لم ترد لبيان ذلك ثم قال تعالى ثم دنا فتدلى وفيه وجوه مشهورة ان جبريل عليه
السلام دنا من النبي صلى الله عليه وسلم اي بعد ما مد جناحه وهو بالافق عاد الى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها وقرب
من النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا في تدلى ثلاثة وجوه احدها فيه تقديم وتاخير تقديره ثم تدلى من الافق الاعلى ثم دنا من
النبي صلى الله عليه وسلم الثاني الدنو والتدلي بمعنى واحد وكانه قال دنا فقرب الثالث دنا اي قصد القرب من محمد صلى الله عليه وسلم
وتحول عن المكان الذي كان فيه فتدلى فنزل الى النبي صلى الله عليه وسلم الثاني على ما ذكرنا من الوجه الاخير في قوله تعالى وهو بالافق الاعلى
ثم دنا محمد صلى الله عليه وسلم دنا من الخلق والامة لان لهم فصار كواحد منهم فتدلى اليهم بالقول اللين والدعا الرفيق فقال انما انا بشر
مثلكم يوحى الي وعلى هذا في الكلام كمالات فانه تعالى قال ان هو الا وحي يوحى جبريل على محمد عليهما السلام فاستوى محمد عليه السلام وكمل
فدنا من الخلق بعد علوه وتدلى اليهم وبلغ الرسالة الثالث وهو ضعيف سخيف وهو ان المراد منه ربه تعالى وهو مذهب القايلين بالجهة
والمكان اللهم الا ان يريد القرب بالمنزلة وعلى هذا يكون فيه ما في قوله عليه السلام حكاية عن ربه تعالى من تقرب الي شبرا تقربت اليه
باعا ومن مشى الي اتيته هرولة اشارة الى المعنى المجازي وههنا لما بين ان النبي صلى الله عليه وسلم استوى وعلا في المنزلة
العقلية لا في المكان الحسي قال وقرب الله منه تحقيقا لما في قوله من تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا ثم قال تعالى فكان
قاب قوسين او ادنى اي بين جبريل ومحمد عليهما السلام مقدار قوسين او اقل وهذا على استعمال العرب وعادتهم فان الاميرين
او الكبيرين اذا اصطلحا وتعاهدا اخرجا قوسيهما ووتر كل واحد منهما طرف قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهما من الرعية
يكون لقصه لقصه ومن بايعهما كذلك مسمى مبالغة وعلى هذا ففيه لطيفة وهي ان قوله تعالى قاب قوسين عند جعل كونهما كبيرين
وقوله تعالى او ادنى لفضل احدهما على الاخر فان الامير اذا بايعه الرعية لا يكون مع المبايع قوس فصافحه الامير فكانه تعالى
قال كان بينهما كاميرين كبيرين فكان بينهما مقدار قوسين او كان جبريل عليه السلام سفيرا بين الله او محمدا صلى الله عليه وسلم
فصار كالمبايع الذي عند البايع لا الفرس هذا على قول من قال بفضل النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام وهو مذهب اهل السنة
الا قليلا منهم وكان جبريل عليه السلام رسولا من الله تعالى واجب التعظيم والاتباع فصار النبي عليه السلام عنده كالتبيع له وعلى قول
من يفضل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فيه وجه على ما ذكرنا وهو ان يكون القوس عبارة عن بعد مقيس من قاس يقوس
وعلى هذا فنقول ذلك البعد هو على البعد النوعي الذي كان للنبي صلى الله عليه وسلم فانه على كل حال كان بشرا وجبريل على كل حال كان
ملكا فالنبي صلى الله عليه وسلم وان زال عن الصفات التي تخالف صفة الملك من الشهوة والغضب والجهل والهوى لكن بشريته كانت
باقية وكذلك جبريل عليه السلام وان ترك الكمال واللطف الذي يمنع الرؤية والاحتجاب لكن لم يخرج عن كونه ملكا فلم يبق بينهما
الا اختلاف حقيقتهما واما ساير الصفات الممكنة الزوال فزالت عنهما فارتفع النبي عليه السلام حتى بلغ الافق الاعلى من البشرية وتدلى
جبريل عليه السلام حتى بلغ الافق الادنى من الملكية فتقاربا ولم يبق بينهما الا حقيقتهما وعلى فاعل اوحى الاول وجهان احدهما ان الله
تعالى اوحى وعلى هذا ففي عبده وجهان احدهما انه جبريل عليه السلام ومعناه اوحى الله تعالى الى جبريل وعلى هذا ففي فاعل اوحى الاخير
وجهان احدهما الله تعالى ايضا والمعنى حينيذ اوحى الله تعالى الى جبريل عليه السلام الذي اوحاه اليه تفخيما وتعظيما للموحى
ثانيهما فاعل اوحى ثانيا جبريل عليه السلام والمعنى اوحى الله تعالى الى جبريل عليه السلام ما اوحى جبريل وعلى هذا فالمراد من الذي اوحى
جبريل عليه السلام يحتمل وجهين وعلى هذا احدهما ان يكون مبنيا وهو الذي اوحى جبريل عليه السلام الى كل رسول وفيه بيان
ان جبريل عليه السلام امين لم يخن في شيء مما اوحي اليه وهذا كقوله تعالى نزل به الروح الامين وقوله مطاع ثم امين
**الوجه الثاني** في عبده على قولنا الموحي هو الله تعالى انه محمد صلى الله عليه وسلم معناه اوحى الله تعالى الى محمد ما اوحى
اليه للتفخيم والتعظيم وعلى هذا ما ذكرنا من التفسير ورد على ترتيب غاية الحسن وذلك لان محمدا صلى الله عليه وسلم في الاول
حصل في الافق الاعلى من مراتب الانسان وهو النبوة ثم على جبريل عليه السلام وهو في مرتبة النبوة فصار رسولا اما سمعت كمال دنا
من الامة باللطف وتدلى اليهم بالقول الرفيق وحصل من اراد اذا حاجة بين امته وربه فاوحى الله تعالى اليه من غير واسطة
جبريل عليه السلام الى عبده اي الى عبد الله والله معلوم انه لم يكن مذكورا وفي قوله تعالى ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله
ثم نقول للملايكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ما يوجب القطع
بعدم جواز الاطلاق هذا اللفظ على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فما على الوحي ثانيا يحتمل وجهين احدهما انه جبريل عليه السلام
اي اوحى الى عبد الله ما اوحى جبريل عليه السلام للتفخيم وثانيهما ان يكون هو الله تعالى بما اوحى الى جبريل محمد صلى الله عليه وسلم ما اوحى
الله تعالى اليه وفي الذي ايضا وجوه الاول الذي اوحى الله الصلاة ثانيها ان احدا من الانبيا لا يدخل الجنة قبلك وامته
من الامم لا يدخل قبل امتك ثالثها انه للعموم والمراد كل ما جابه جبريل عليه السلام وعلى هذا قولنا بان المراد جبريل عليه السلام
صحيح والوجهان المتقدمان على قولنا المراد محمد صلى الله عليه وسلم اظهر وفيه وجه غريب من حيث القرينة مشهور معناه عند
الاصوليين وبيان ذلك في معرض الجواب عن سؤال وهو ان يقال هم عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام جاء من عند الله
تعالى ليس احد من الجن والذي يقال ان خديجة كشفت راسها امتحانا غاية الضعف ان ادعى ذلك القايل والموقن حصلت
بامثال ذلك وجد ان اراد القصة والحكاية وان خديجة فعلت هذا الان فعل خديجة غير منكر واما المنكر حصول دعوى المعرفة

بعضها ماتا الى ما وذكرنا لان السرطان ربما استتر عنه كشف راسها اصلا ولان يدسه بالملايكة فيحصل اللبس والايهام و

**الجواب** الصحيح من هذا ان احدهما ان الله تعالى اظهر على يد جبريل عليه السلام معجزة عرفه بها النبي عليه السلام كما اظهر محمد صلى الله عليه وسلم معجزات عرفه بها وثانيهما ان الله تعالى خلق في محمد عليه السلام علما ضروريا بان جبريل عليه السلام ملك من عند الله تعالى ملك لا جني ولا شيطان كما ان الله تعالى يخلق في جبريل عليه السلام علما ضروريا بان المتكلم معه هو الله تعالى وان الذي ارسله ربه لا غيره اذا علم الجوابان فنقول قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى فيه وجوه [illegible] اوحى الى محمد عليه السلام ما اوحاه جبريل عليه السلام [illegible] فعلى هذا يكون [illegible] مصدرية تقديره فاوحى الى عبده محمد عليه السلام [illegible] الفرق بين الملك والجن [illegible] قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى وفيه مسايل **المسألة الاولى** الفؤاد فؤاد من المشهور انه فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه انه ما كذب فؤاده [illegible] واللام لتعريف [illegible] المسبوق ذكر محمد عليه السلام في قوله [illegible] وقوله بالافق وقوله ما ضل صاحبكم وما غوى [illegible]

[illegible]

**المسألة** [illegible]

[illegible] الاجسام لم نعرف بها **المسألة الرابعة** ما المرئي فيه قوله ما راى فيه اقوال [illegible] الكلام وجوه ثلاثة الاول [illegible] والثاني جبريل عليه السلام الثالث الحجب الانظمة فان قيل كيف يكون رؤية الله تعالى [illegible] لا يلزم منه كونه جسما في جهة نقول **اعلم** ان العاقل اذا تامل وتفكر في رجل موجود في مكان وكان هذا مريا لله تعالى يراه الله تعالى وتفكر في امر لا يوجد اصلا وقال هذا مري الله تعالى يراه الله تعالى يجد بينهما فرقا وعقله يصحح الكلام الاول ويكذب الثاني فذلك ليس يصح كونه معلوما لانه لو قال الموجود معلوم الله والمعدوم معلوم الله لما وجد في كلامه خللا واستبعادا فالله تعالى راي يعني وعن كونه تعالى عالما ثم ان الله تعالى يكون رايا ولا يصير مقابلا للمرئي ولا يحصل في جهة ولا يكون مقابلا له وانما صعب على الوهم ذلك من حيث انه لم ير شيا الا في جهة معقول ان ذلك واجب مما يصح هذا انه يرى في الماء قمرا وفي الحقيقة ما رايت القمر حالة نظرك الى الماء الحق كانه فوق السما فراى القمر في السما لان الشعاع الخارج من البصر اتصل به بردا ذلك الشعاع الى السماء لكن هذا لما راى اكثر ما راى في المقابلة لم يعهد رؤية شي يكون خلفه الا بالتوجيد اليه قال اني اري القمر لا دون الا اذا كان المرئي في مقابلة الحدقة ولا يقابله الحدقة الا الماء فحكم اذا ما على هذا انه يرى القمر مع الماء فالوهم يغلب العقل في العالم لكون الامر العاجلة هنالك اكثرها وجعته حسه في الاخرة تزول الاوهام وتنجلي الا انها في رؤية الاشيا لوجودها لا لنحوها **واعلم** ان من ينكر جواز رؤية الله تعالى يلزمه ان ينكر جواز رؤية جبريل عليه السلام وفيه انكار الرسالة وهو كفر وفيه ما يكاد ان يكون كفرا وذلك لان من شك في رؤية الله تعالى يقول لو كان الله تعالى جايز الرؤية لكان واجب الرؤية لان حواسنا سليمة والله تعالى ليس من وراء حجاب ولا هو في غاية البعد عنا لعدم كونه في جهة ولا مكان فلو جاز ان يرى ولا نراه للزم القدح في المحسوسات المشاهدات او يجوز حينيذ ان يكون عندنا جبل ولا نراه فيقال كذلك القايل فقد صح ان جبريل عليه السلام كان ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم وعند غيره وهو يراه ولو وجب ما يجوز لراه كل احد فاذا قيل ان هناك حجابا نقول وجلك شرطا هنالك حجابا لان الحجاب لا يحجب الا اذا كان مرييا على مذهبه ثم ان النصوص وردت ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه بفواده فجعل بصره في فواده او راه ببصره فجعل فواده في بصره فكيف لا وعلى مذهب اهل السنة الرؤية بالادراك لا بقدرة العبد فاذا حصل الله العلم بالشي من طريق كان رؤية وان حصل من طريق القلب كان معرفة والله تعالى قادر على ان يحصل العلم بخلق مدرك المعلوم في البصر كما قدر على ان يحصل بخلق مدرك في القلب والمسألة مختلف فيها بين الصحابة رضوان الله عنهم اجمعين في الوقوع واختلاف الوقوع فيما ينبني عن الاتفاق على الجواز والمسألة المذكورة في الاصول فلا نطولها ثم قال تعالى افتمارونه على ما يرى اي كيف تجادلونه وتردونه سلوكهم عليه مع انه راى عين اليقين ولا شك بعد الرؤية فهو جازم مستيقن وانتم تقولون اصابه الجن ويكون ان تقال هو ولكن بالمعنى الذي تقدم وذلك لان من سقي شيا قد يكون بحيث

لايزول

لا يزول بنفسه لتشكيك واكده قوله تعالى ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى وذلك لانه عليه السلام لما راه وهو على بسيط الارض كان يحتمل ان يقال انه من الجن احتمالا في غاية البعد لما انه عليه السلام حصل له العلم الضروري لانه ملك مرسل والاحتمال البعيد لا يقدح في الجزم واليقين الا ترى انا اذا غبنا بالليل واستيقظنا بالنهار نجزم بان البحار وقت نومنا ما نشفت ولا غارت والجبال ما قرت ولا سارت مع ذلك فان الله تعالى قادر على ذلك وقت نومنا ويعيدها الى ما كانت عليه في يومنا فلما راه عند سدرة المنتهى وهو فوق السما السادسة لم يحتمل هنالك جواز التلبيس فانتفى ذلك الاحتمال ايضا فقال تعالى افتمارونه على ما يرى بعد ان العين وكيف وهو قد راه في السما فماذا تقولون فيه وفيه مسايل **المسألة الاولى** الواو يحتمل ان يكون عاطفة ويحتمل ان يكون الحال على ما بينا اي كيف تجادلونه فيما راه وهو راه على وجه لا شك فيه ومع ذلك يحتمل ايراد الشكوك عليه فان كثيرا ما لا يشك المعتقد فيه بشي ويكثر يرد عليه الشكوك ولا يمكنه الجواب عنها ولا يترتب مع ذلك في انا الامير كما ذكرنا من المثال انا لا نشك في ان البحار ما صارت دنيا والجبال ما صارت عهنا فاذا اوردوا علينا ما اوردنا وتعود وتقولون يحتمل ان الله تعالى يقلبها ثم اعادها لا يمكنا الجواب عنه مع انا لا نشك في استمرارها على ما هي عليه لا يقال الاسم سابق كون الواو للحال فان المستعمل يقال افتمارونه وقد روي من غير كلام لاما نقول الواو التي للحال يدخل على جملة والجملة مركبة من مبتدا وخبر او من فعل وفاعل وكلاهما يجوز فيه اللام فلا بد من نزول فلذلك النزول لمن كان **الثانية** قوله نزلة معناه من النزول لمن الجلسة من الجلوس فلا بد من نزول لمن كان نقول فيه وجهان الاول وهو ضربته على ان الضمير في راه عايد الى من فيه وجهان الاول عايد الى الله تعالى اي راه الله نزلة اخرى وعلى هذا قول من قال ما راى في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى هو الله وقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم راى ربه بقلبه مرتين وعلى هذا ما ارائه يحتمل وجهين **احدهما** انها الله تعالى وعلى هذا فوجهان **احدهما** قول من يجوز على الله تعالى الحركة والانتقال وهو باطل و**ثانيهما** النزول بالقرب المعنوي لا الحسي فان الله تعالى قد يقرب بالرحمة والفضل من عبده ولا يراه العبد ولهذا قال موسى عليه السلام رب ارني اي ازل بعض حجب العظمة والجلال وادن بالعفو من الرحمة والافضال لاراك **والوجه** الثاني ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى الله تعالى نزلة اخرى وحينيذ يحتمل ذلك وجهين احدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل على متن هواه مراد النفس وهذا يقال لمن ركب متن هواه انه في الارض واستكبر قال الله تعالى علو في الارض ثانيهما المراد من النزلة ضدها وهي العرجة كانه قال راه مرة اخرى وانما اختار النزلة لان الوجه التي في الاخرة لا نزلة لها فقال تعالى نزلة ليعلم انها من الذي كانت في الدنيا والقول الثاني انه عايد الى جبريل عليه السلام اي راى جبريل نزلة اخرى والنزلة حينيذ يحتمل ان يكون لمحمد صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا ولهذا النبي صلى الله عليه وسلم على ما ورد في بعض الاخبار ليلة المعراج جاوز جبريل عليه السلام وقال له جبريل عليه السلام لو دنوت انملة لاحترقت ثم عاد اليه فذلك نزلة اخرى فان قيل فكيف قال اخرى نقول لان النبي صلى الله عليه وسلم في امر الصلاة تردد مرارا فربما كان يجاوز في كل مرة وينزل الى جبريل عليه السلام ويحتمل ان يكون المراد جبريل عليه السلام وكلاهما منقول وعلى هذا الوجه نزلة اخرى ظاهر لان جبريل عليه السلام كان له نزلات وكان له نزلتان عليه وهو على صورته وقوله تعالى عند سدرة المنتهى المشهور ان السدرة شجرة في السما السابعة وعليها مثل النبق وقيل في السماء السادسة وورد في الخبر انه عليه السلام قال نبقها كقلال هجر وورقها كآذان الفيل وقيل سدرة المنتهى هي الحيرة القصوى من السدرة والسدرة كالركبة من الراكب يعني عند ما يحار العقل حيرة لا حيرة فوقها ما حار النبي صلى الله عليه وسلم وما غاب وراى ما راى مكان او ظرف زمان في هذا الموضع فقول المشهور انه ظرف مكان تقديره راى جبريل عليه السلام او غيره بقرب سدرة المنتهى وقيل ظرف زمان كما يقال صليت عند طلوع الفجر وتقديره راه عند الحيرة القصوى اي في الزمان الذي تحار فيه عقل العقلا والرؤية من اسباب العلوم وذلك الوقت من اسباب الوقات للجهل والحيرة فهو عليه السلام ما حار وما من شانه ان يحار العاقل فيه والله اعلم **المسألة الثانية** ان قلنا فيه اقوال الاول قول من يجعل الله في مكان وهو باطل قد بالغنا في بيان بطلانه في سورة السجدة الثاني راه محمد صلى الله عليه وسلم وهو عند سدرة المنتهى لان الظرف قد يكون ظرفا للرائي كما ذكرنا من المثال فقال رايت الهلال فيقال القايل اين رايته فيقول على السطح وربما يقول عند الشجرة الفلانية واما ان قلنا ان المراد جبريل عليه السلام فالوجهان ظاهران وكون النبي صلى الله عليه وسلم مع جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى اظهر **المسألة الثالثة** اضافة السدرة الى المنتهى من اي الاصناف نقول يحتمل وجوها احدها اضافة الشي الى مكانه فقال اشجار كبرا لا يطول من البر فقال اشجار الجنة لا ملبس ولا اهلو من الثمار فالمنتهى حينيذ موضع لا يتعداه ملك وقيل لا يتعداه روح من الارواح وثانيها اضافة المحل الى الحال فيه فقال كتاب الفقه ومحل السواد وعلى هذا فالمنتهى عند السدرة سدرة عندها منتهى العلوم ثالثها اضافة الملك الى مالكه يقال دار زيد واشجار زيد وحينيذ المنتهى فيه محذوف تقديره سدرة المنتهى اليه قال الله تعالى ان الى ربك المنتهى فالمنتهى اليه هو الله واضافة السدرة اليه حينيذ كاضافة البيت اليه للتشريف والتعظيم ويقال في التسبيح يا غاية مناه ويا منتهى املاه ثم قال تعالى عندها جنة الماوى وفي الجنة خلاف قال بعضهم جنة الماوى هي الجنة التي وعدها المتقون وحينيذ الاضافة كما في قوله تعالى دار المقامة وقيل هي جنة اخرى عندها تكون ارواح الشهداء وقيل هي جنة الملايكة وقرى جنه ما لها من جنه عن اجن يقال البيل اجن وعلى هذه القراة يحتمل ان يكون الضمير في قوله تعالى عندها عايدا الى النزلة اي عند النزلة جنه محمد الماوي والظاهر انه عايد الى السدرة وهو الاصح وقيل ان عايشة رضي الله عنها انكرت هذه القراة وقيل انها اجازتها وقوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى وفيه مسايل **المسألة الاولى** العامل في اذ ما قبلها او ما بعدها فيه وجهان فان قلنا ما قبلها ففيه احتمال الاظهر انه راه اي راه وقت ما يغشى السدرة التي يغشى والعامل الاخر العامل فيه الفعل الذي في النزلة تقديره راه نزلة اخرى تلك النزلة وقت ما يغشى السدرة اي نزوله لم يكن الا بعد ما ظهرت العجايب عند السدرة وغشيها ما غشي فحينيذ نزل محمد صلى الله عليه وسلم

نزله له اشارة الى انه لم يرجع من غير فايدة وان قلنا ما بعده فالعامل فيه ما زاغ البصر اي ما زال بعده وقت غشيان السدرة ما غشيها وتذكر عند تفسير الآية **المسألة الثانية** قد ذكرنا في بعض الوجوه سدرة المنتهى هي الحياة القصوى وقوله يغشى السدرة على ذلك الوجه سادي بالبطلان فهل يمكن تصحيحه نقول يمكن ان يقال المراد من الغشيان غشيان حالة على حالة اي ورد على حالة الحر حالة الرؤية والتعبير وراى محمد صلى الله عليه وسلم عند ما يحار العقل ما راه وقت ما طرا على تلك الحالة ما طرا من فضل الله تعالى ورحمته والاول هو الصحيح فان العقل الذي ذكرنا من ان السدرة نبتها كهلال حجر يدل على انها شجرة **المسألة الثالثة** ما الذي غشي السدرة نقول فيه وجوه الاول فراش او جراد من ذهب وهو ضعيف لان ذلك لا يثبت الا بدليل سمعي فان صح فيه خبر فلا بعد من جواز التاويل وان لم يصح فلا وجه له الثاني الذي يغشى السدرة ملايكة يغشونها كانهم طيور وهو قريب لان المكان مكان لا يتعداه الملك فهم يزورون الله مشرفين به متبركين زايرين كما يزور الناس الكعبة فيجتمعون عليها الثالث انوار الله تعالى وهو ظاهر لان النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل فظهرت الانوار لكن السدرة كانت اقوى من الجبل واثبت فجعل الجبل دكا ولم تتحرك الشجرة وخر موسى صعقا ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم الرابع هو مبهم للتعظيم يقول القايل رايت ما رايت عند الملك يشير الى الاظهار من وجه والى الاخفاء من وجه **المسألة الرابعة** يغشى يستر ومنه الغواشي او من معنى الاتيان يقال فلان يغشاني في كل وقت اي ياتيني والوجهان محتملان وعلى قول من يقول الله ياتي ويذهب الاتيان اقرب ثم قال تعالى ما زاغ البصر وما طغى فيه مسايل **المسألة الاولى** في البصر وجهان احدهما المعروف وهو بصر محمد صلى الله عليه وسلم اي ما زاغ بصر محمد عليه السلام وعلى هذا فعدم الزيغ على وجوه ان قلنا الغاشي للسدرة هو الجراد والفراش فمعناه لم يلتفت اليه ولم يشتغل به ولم يقطع نظره عن المقصود وعلى هذا الغشيان الجراد والفراش يكونوا ابتلاء وامتحانا لمحمد صلى الله عليه وسلم وان قلنا انوار الله ففيه وجهان احدهما لم يلتفت يمنة ولا يسرة واشتغل بمطالعتها وثانيهما ما زاغ البصر بصعقه بخلاف موسى عليه السلام فانه قطع النظر وغشي عليه وفي الاول بيان ادب محمد صلى الله عليه وسلم وفي الثاني بيان قوته الوجه الثاني في اللام انه لتعريف الجنس اي ما زاغ بصره اصلا في ذلك الموضع بالعظمة والهيبة فان قيل لو جاز ذلك لقال ما زاغ بصره لانه ادل على العموم لان النكرة في موضع النفي تعم نقول هو كقوله تعالى لا تدركه الابصار ولم يقل لا تدركه بصر **المسألة الثانية** ان كان المراد محمدا صلى الله عليه وسلم فلو قال ما زاغ البصر كان يحصل به فايدة قوله تعالى ما زاغ البصر نقول لا لان من يحضر عند ملك عظيم يرى من نفسه انه يهابه ولم يحفظها بالعظمة مع ان فيه قوة فاذا قال ما زاغ البصر يحتمل منه فايدة ان الامر كان عظيما ولم يزغ نفسه من غير احسار من صاحب البصر **المسألة الثالثة** وما طغى عطف جملة مستقلة على جملة اخرى او عطف جملة مقدرة على جملة مثال المستقلة خرج زيد ودخل عمرو ومثال المقدرة خرج زيد ودخل فنقول الوجهان جايزان اما الاول فكانه تعالى قال عند ظهور النور ما زاغ بصر محمد صلى الله عليه وسلم وما طغى محمد صلى الله عليه وسلم بسبب الالتفات ولو التفت لكان طاغيا واما الثاني فظاهر على الوجه الاول واما على قولنا غشي السدرة جراد فلم يلتفت اليه وما طغى اي ما التفت اليه اي ما التفت الى غير الله تعالى فلم يلتفت الى الجراد ولا الى غير الجراد سوى الله واما على قولنا غشاها نور فقوله ما زاغ اي ما مال عن الاعلى وما طغى اي ما طلب شيئا وراءه وفيه لطيفة وهي ان الله تعالى قال ما زاغ وما طغى ولم يقل ما مال وما جاوز لان الميل في ذلك الموضع والمجاوزة مذمومان فاستعمل الزيغ والطغيان فيه وفيه وجه اخر وهو ان يكون ذلك بيانا لوصول محمد صلى الله عليه وسلم الى سدرة اليقين الذي لا يقين فوقه ووجه ذلك ان تعيين محمدا صلى الله عليه وسلم ما زاغ قوله اي ما مال عن الطريق فلم ير الشي على خلاف ما هو عليه بخلاف من ينظر الى عين الشمس مثلا ثم ينظر الى شي ابيض يراه اصفر او اخضر يزيغ بصره عن جادة الابصار وما طغى ما تخيل المعدوم موجودا فراى المعدوم مجاوزا الحد ثم قال تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى وفيه مسايل **المسألة الاولى** فيه دليل على ان ليلة المعراج راى النبي صلى الله عليه وسلم ايات الله ولم ير الله تعالى وفيه خلاف ووجهه هو ان الله تعالى ختم قصة المعراج هنا برؤية الايات وقال سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الى ان قال لنريه من اياتنا ولو كان راى ربه لكان ذلك اعظم ما يمكن وكانت الاية للرؤية وكان اكبر شي هو الرؤية الا ترى ان من يسافر لرؤية ملك او اقتحال سافر لسفره لما ان الرؤية اعظم من التفرج **المسألة الثانية** قال بعض المفسرين لقد راى من ايات ربه الكبرى هي انه راى جبريل عليه السلام في صورته فهو على ما قاله يكون الظاهر ان هذه الاية غير تلك وذلك لان جبريل عليه السلام وان كان عظيما لكن ورد في الاخبار ان لله ملايكة اعظم منه والكبرى تانيث الاكبر فكانه تعالى يقول راى من ايات ربه ايات هي اكبر الايات فان قيل قال الله تعالى انها لاحدى الكبر مع ان اكبر من سقر عجايب الله فكذلك الايات الكبرى لكون جبريل عليه السلام وما فيه وان كان لله ايات اكبر منه نقول سقر احدى الكبر اي احدى الدواهي الكبر ولا شك ان من الدواهي سقر عظيم كبيرة واما ايات الله فليس جبريل عليه السلام اكبرها ولان سقر في نفسها اعظم واعجب من جبريل عليه السلام فلا يلزم من وصفها بالكبر وصفه بالكبرى **المسألة الثالثة** الكبرى صفة ماذا نقول فيه وجهان احدهما صفة محذوفة تقديره لقد راى من ايات ربه الاية الكبرى ثانيهما صفة ايات اية وعلى هذا يكون مفعول راى محذوفا تقديره راى من الايات الكبرى اية او شيا والله تعالى اعلم **قوله تعالى** افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ما تمنى فلله الاخرة والاولى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى **اعلم** انه تعالى لما قرر الرسالة ذكر ما ينبغي ان يبتدى به الرسول وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشراك فقوله تعالى افرايتم اشارة الى ابطال قولهم بنفس المقول لان ضعيفا اذا ادعى الملك ثم راه العقلاء في غاية البعد عما يدعيه يقولون انظروا الى

هذا الذي

الى هذا الذي يدعي الملك منكرين عليه غير مستدلين بدليل لظهور امره فلذلك قال تعالى افرايتم اللات والعزى اي هو كما هما فكيف تشركونهما بالله تعالى والثاني اللات تانيث كما في الهاء ولكنها تكتب مضمومة لئلا يوقف عليها فتصير ها مشبه باسم الله تعالى فان الها في الله اصلية ليست تا تانيث ووقف عليها فانقلبت هاء وهي صنم كانت تعبد بالطايف قال الزمخشري هي فعلة من لوى يلوي وذلك لانهم كانوا يلوون عليها ويطوفون قال فاصله لوية اسكنت الياء وحذفت لالتقاء الساكنين فبقيت لوة قلبت الواو الفا بفتح ما قبلها فصارت لات وقرى اللات بالتشديد من لت يلت قيل انه ماخوذ من رجل كان يلت بالسمن الطعام ويطعم الناس فعبدوا الحجر على صورته ومن سموه باللات وعلى هذا فاللات ذكر واما العزى فتانيث الاعز وهي شجرة كانت تعبد وبعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه فقطعها وخرجت منها شيطانة مكشوفة الراس منشورة الشعر تضرب راسها وتدعو بالويل والثبور فقتلها خالد وهو يقول يا عزى كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك ورجع الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بما راه وقال فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا واما مناة فهي فعلة صنم الصفا وهي صخرة كانت لهذيل وخزاعة وفيه مسايل **المسألة الاولى** الاخرى لا يصح ان يقال الا اذا كان الاول مشاركا للثاني فلا يقال رايت امراة ورجلا اخر ويقال رايت رجلا ورجلا اخر لاشتراك الاول والثاني في كونهما من الرجال وههنا قوله الثالثة الاخرى يقتضي على ما ذكرنا ان يكون العزى ثالثة اولى ومناة ثالثة اخرى وليس كذلك فالجواب عنه من وجوه **الاول** الاخر الاخرى كما يستعمل للذم قال الله تعالى وقالت اولاهم لاخراهم اي لمتاخريهم الاتباع ويقال لهم الاذناب لتاخرهم المراتب فهي على صفة ذم كانه تعالى يقول ومناة الثالثة الاخرى الذليلة ونقول على هذا فالاصنام الثلاثة ترتيب وذلك لان الاول كان وما صورة ادمي والعزى صورتها صورة نبات ومناة صورتها صورة صخرة هي جماد فالادمي اشرف من النبات والنبات اشرف من الجماد فالجماد متاخر ومناة جماد فهي في الاخريات من المراتب الجواب الثاني فيه محذوف تقديره افرايتم اللات والعزى المعبودين بالباطل ومناة الثالثة المعبودية الاخرى الجواب الثالث ان الاصنام فيها كثيرة واللات والعزى اذا اخذنا متقدمين فكل صنم يوجد فهو ثالثة فكانه تعالى قال [illegible] وهذه ثالثة اخرى [illegible] القايل يوما ويوما الجواب الرابع فيه تقديم وتاخير تقديره ومناة الاخرى الثالثة ويحتمل ان يقال الاخرى يستعمل الموهوم وغير الموهوم وانه لم يكن مشهورا ولا مذكورا [illegible] مفهوم عرضه كذلك ههنا **المسألة الثانية** وهي في الترتيب اولها فايدة الفاء في قوله تعالى افرايتم اللات والعزى وقد يستعمل في مواضع بغير الفاء قال تعالى ارايتم ما تدعون من دون الله ارايتم شركاءكم نقول لما تقدم عظمة الله تعالى في ملكوته ان رسوله عليه السلام اي رسوله لسدرة لا فاق بعض اجنحته وهذه الملايكة تسديه ونحوه فلا يمكنه ان يتعدى السدرة في مقام جلال الله تعالى وعزته قال لهم افرايتم هذه مع ذلتها وحقارتها شركا الله تعالى مع ما تقدم فقال بالفاء اي عقيب ما سمعتم من عظمة الله تعالى الكبرى ونفاذ امره في الملا الاعلى وما تحت الثرى فانظروا الى اللات والعزى تعلموا فساد ما ذهبتم اليه وعولتم عليه **المسألة الثالثة** ان [illegible] نقول قد تقدم بيانه وهو انه يقول هل رايتم هذه حق الرؤية [illegible]

[illegible]

هو اذا التي للظرف قطعت الاضافة عنها فجعل فيها تنوين وبيانه هو انك تقول اتيك اذا طلعت الشمس فكانه اذا صدقت اذا
لطلوع الشمس وقلت اتيك وقت طلوع الشمس فاذا قال قائل اتيك فتقول له اذا اكرمك فلما حذفت الاتيان لسبق ذكره في قول القايل
اتي بحل تنوين وقلت اذا كما قلت وكذا اسماء المبالغة ضيزى قرئ بالهمزة ولغير همز فعلى الاولى هي فعلى بكسر الفاء وكسرى على انه مصدر وصف
به الرجل عدل اي قسمة ضايزة وعلى القراءة الثانية هي فعلى وكان اصلها ضوزى لكن الكلمة كانت ناسه فكسرت الفا لتسلم العين على
العلة كذلك فعل بنعل فان جمع افعل فعل تقول اسود وسود واحمر وحمر وتقول ابيض وبيض وكان الوزن بوض وكان يلزم منه قلب
الياء فكسرت الفا وتركت الياء على حالها وعلى هذا ضيزى للمبالغة من ضاير تقول فاضل وافضل وفاضلة وفضلى وكبير واكبر
وكبيرة ولهم ضايرة واضير وضايرة وضوزى وعلى هذا نقول اضر من ضاير وضيزى من ضايرة فان قيل قد قلت من قبل ان
قوله تعالى ام له البنات ولكم البنون ليس معنى انكار الامرين بل بمعنى انكار الاول واظهار النكر للامر الثاني كما تقول تجعلون لله
اندادا وانتم تعلمون انه خلق كل ما سواه فانه لا ينكر الثاني وههنا قوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى دل على انه انكر الامرين
جميعا نقول قد ذكرنا هناك ان الامرين محتملين اما انكار الامرين فظاهر على المشهور واما انكار الاول فبيانه لوجود الثاني
فلما ذكرنا انه تعالى قال كيف تجعلون لله البنات وقد صار لكم البنون بعد نيته كما قال تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء
الذكور وخالق البنين لكم لا يكون له بنات واما قوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى فنقول قد بينا ان تلك عايدة الى النسبة
اي نسبتكم البنات الى الله تعالى مع اختصاصكم بالبنين قسمة ضيزى اي جائرة فالمنكر تلك النسبة وان كان منكر القسمة نقول لجواز ان يكون
المنكر جعل البنات لله تعالى كما ان واحدا اذا كان بينه وبين شريكه شيء مشترك على السوية فياخذ نصفه لنفسه ويعطي
من النصف الباقي نصفه لظالمه ونصفه لصاحبه فقال تعالى هذه قسمة ضيزى لا لكونه احد النصف فان ذلك حقه لكونه
لم يوصل اليه النصف الباقية ثم قال تعالى ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله وفيه مباحث تدل عند ادراك اللغوي
ان لم يكن عنده من العلوم حظ عظيم ولنذكر ما هو فيه اولا فنقول قيل معناه ان هي الا اسماء اي كونها معبودات اسماء لا مسمى لها
فانها ليست بايات حقيقية ولا معبودات وقيل اسماء اي قلتم بعضها عزى ولا عزة لها وقيل قلتم انها الهة وليست بالهة والذي
نقول هو ان هذا جواب عن كلامهم وذلك ما بينا على انهم قالوا نحن لا نشك في ان الله تعالى لم يلد كما تلد النساء ولم يولد كما يولد
الرجال بالمجامعة والاحبال غير انا رأينا لفظ الولد مستعملا عند العرب في المسبب تقول بنت الجبل وبنت الشفة لما
يظهر منهما ويوجد لكن الملائكة اولاد الله بمعنى انهم وجدوا بسببه من غير واسطة فقلنا انهم اولاده ثم ان الملائكة
فيها التانيث فقلنا هم اولاده مؤنثة والولد المؤنث بنت فقلنا لهم بنات الله اي لا واسطة بينهم وبين الله
تعالى في الايجاد كما يقوله الفلاسفة فقال تعالى هذه الاسماء استنبطتموها انتم بهوى انفسكم واطلقتم على الله تعالى
ما يوهم النقص وذلك غير جايز وقول الله تعالى يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وقوله بيده الخير اسماء موهمة غير انه تعالى
انزلها وله ان يسمي نفسه بما اختار وليس لاحد ان يسميه باسم يوهم النقص من غير ورود الشرع به وليس في التفسير مسايل

**المسألة الاولى** هي ضمير عايد الى ماذا نقول فيه وجهان الظاهر انها عايدة الى امر معلوم وهو الاسماء كانه تقول ما هذه
الاسماء وضعتموها انتم وهو المشهور ويحتمل ان يقال هي عايدة الى الاصنام بانفسها اي ما هذه الاصنام الا اسماء وعلى هذا فهو على سبيل
المبالغة والتجوز فيقال للحقير انسان ما هو الا اسم وما الملك الا اسم اذا لم يكن مشتملا على صفة تعتبر في الكلام ويؤيد
هذا القول قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وما هذه الاصنام الا اسماء

**المسألة الثانية** ما الفائدة في قوله تعالى سميتموها مع ان جميع الاسماء وضعوها او بعضها هم وضعوها ولم ينكر عليهم نقول المسألة مختلف فيها
ولا اسم الذم الا بقوله تعالى ما انزل الله بها من سلطان وبيانه هو ان الاشياء ان انزلها الله تعالى فلا كلام فيها وان
وضعها الناس للتفاهم فينبغي ان لا يكون في ضمن تلك الفايدة مفسدة اعظم منها لكن ايهام النقص في صفات الله تعالى
اعظم فانه تعالى ما جوز وضع الاسماء للحقايق الا حيث يسلم عن المحرم فلم يوجد في هذه الاسماء دليل نقلي ولا وجه عقلي لان ارتكاب
المفسدة العظيمة لاجل المنفعة القليلة لا يجوزه العاقل واما ما انزل الله بها من سلطان وجه الاسماء لا يجوز الا بدليل
نقلي او عقلي وهو انه نفع خالي لوجوه المضار الراجحة

**المسألة الثالثة** كيف قال سميتموها انتم مع ان هذه الاسامي
لاصنامهم كانت قبلهم نقول فيه لطيفة وهي انهم لو قالوا ما سميناها وانما هي موضوعة قلنا لهم كل من نطلق عليه هذه الالفاظ
فهو كالمبتدي الواضع وذلك لان الواضع الاول لهذه الاسماء لما لم يكن واضعا بدليل نقلي ولم يضعها بدليل عقلي لم يجب اتباعه
لمن يطلق اللفظ لان فلانا اطلقه لا يصح منه ان يقال اضلني للاعمى ولو قال العمى له بل انت اضللت نفسك حيث
استعملت عرفا انه لا يصح لكونه قد ابه

**المسألة الرابعة** الاسماء لا يسمى وانما يسمى بها فكيف قال سميتموها نقول عنه جوابان
احدهما لغوي وهو ان التسمية وضع الاسم فكانه قال اسماء وضعتموها فاستعمل سميتموها استعمال وضعتموها ويقال ذيا
سميته زيدا فسميتموها بمعنى سميتم بها وثانيهما معنوي وهو انه لو قال اسماء سميتم بها لكان هناك غير الاسم شيء يتعلق بها الباء
قوله هالان قول القايل سميت به يستدعي مفعولا اخر تقول سميت بزيد ابني او عبدي او غير ذلك فيكون قد جعل للاصنام اعتبارا
اسماها واذا قال ان هي الا اسماء سميتموها اي وضعتموها في انفسها لا مسميات لها لم يكن ذلك فان قيل هذا باطل بقوله تعالى
واني سميتها مريم حيث لم يقل واني سميتها مريم ولم يكن ما ذكرت مقصودا والا لكانت مريم غير ملتفت لكنها كما قلت
في الاصنام فوقها نور عظيم وذلك لان هناك قال سميتموها وقال في سورة ال عمران سميتها مريم فذكر المفعول الثاني اعتبر

حقيقة

حقيقة مريم بقوله سميتها واسمها بقوله مريم واما ههنا فقال ان هي الا اسماء اي ما ههنا الا اسماء موضوعة فلم يعتبر الحقيقة ههنا
واعتبر باب مريم

**الخامسة** ما انزل الله بها من سلطان على اي وجه استعمل الباء في قوله بها من سلطان نقول كما يستعمل القايل ارتحل فلان باهله
ومتاعه اي ارتحل ومعه الاهل والمتاع كذلك ههنا ثم قال تعالى ان يتبعون الا الظن وفيه مسايل

**المسألة الاولى** قرئ ان تتبعون
بالتاء على الخطاب وهو ظاهر مناسب لقوله تعالى انتم واباؤكم وعلى المغايبة وفيه وجهان احدهما ان يكون الخطاب معهم لكنه
يكون التفاتا كانه قطع الكلام عنهم وقال لنبيه انهم لا يتبعون الا الظن فلا يلتفت الى قولهما ثانيهما ان يكون المراد غيرهم وفيه
احتمالان احدهما ان يكون المراد اباهم والتقرير هو انه لما قال سميتموها انتم كانهم قالوا هذه ليست اسماء وضعناها نحن
وانما هي كساير الاسماء تلقيناها ممن قبلنا من ابائنا فقال وسماها اباؤكم وهما يتبعون الا الظن فان قيل كان ينبغي ان
يكون بصيغة الماضي نقول وبصيغة المستقبل ايضا كانه نعرض الزمان زمان الكلام كما في قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه
بالوصيد ثانيهما ان يكون المراد عامة الكفار كانه قال ان يتبع الكافرون الا الظن

**المسألة الثانية** ما معنى الظن وكيف ذمهم
وحث علينا اتباعه في الفقه وقال صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى انا عند ظن عبدي بي نقول اما الظن فهو خلاف العلم
وقد استعمل مجازا مكان العلم والعلم مكانه واصل العلم الظهور ومنه العلم والعالم وقد بينا في تفسير العالمين ان حروف
ع ل م في تقاليبها فيها معنى الظهور ومنها لمع الال اذا ظهر ومص الشراب وبلغ الغزال اذا عدى وكذا النعام وفيه
الظهور وكذلك علمت والظن اذا كان في مقابلة العلم ففيه الخفاء ومنه نفس ظنون لا تدري انه ام لا وفيه الطين
المبهم لا يدري الطين تقول يجوز بناء الامر على الظن الغالب عند العجز عن ادراك اليقين والاعتقاد ليس كذلك لان اليقين
لم يتعذر علينا والى هذا اشار بقوله تعالى ولقد جاءهم من ربهم الهدى اي اتبعوا الظن وقد امكنهم الاخذ باليقين وفي العمل
يتبع ذلك ايضا

**المسألة الثالثة** ما في قوله تعالى وما تهوى الانفس خبرية او مصدرية فيه وجهان احدهما مصدرية كانه
قال ان يتبعون الا الظن وهوى النفس فان قيل ما الفايدة في العدول عن صريح المصدر الى الاصل الوضع ذكرهما فنقول اذا قال
القايل اعجبني صنعك يعلم من الصيغة الاولى ان الاعجاب من مصدر وقد تحقق وكذلك اذا قال اعجبني ما تصنع يعلم ان الاعجاب
من مصدر هو فيه ولو قال اعجبني صنعك والله امس وضعا اليوم لا نعلم ان الاعجاب صنع هو اذا علمت هذا فنقول ههنا قوله تعالى
وما تهوى الانفس نعلم منه ان المراد انهم يتبعون ما تهوى انفسهم في الحال والاستقبال اشارة الى انهم اسس سابق على
حال واحد وما هوت انفسهم من الماضي شيئا من انواع العبادة فالتزموه وداموا عليه بل كل يوم هم يستخرجون عبادة
واذا انكسر صنمهم اليوم يغيرونه غدا ويغيرون وضع عبادتهم بمقتضى شهوتهم اليوم ثانيهما انه خبرية تقديره والذي تستهويه
انفسهم والفرق بين المصدرية والخبرية ان المتبع على الاول الهوى وعلى الثاني بمقتضى الهوى اذا قلت اعجبني مصنوعه

**المسألة الرابعة** كيف قال تعالى وما تهوى الانفس بلفظ الجمع مع انهم لا يتبعون ما تهواه كل نفس فان من النفوس ما لا تهوى
ما تهواه غيره نقول هو من باب مقابلة الجمع بالجمع معناه اتبع كل واحد ما تهواه نفسه فقال جمع الناس باهلهم اي كل واحد باهله
لا كل واحد باهل الجميع

**المسألة الخامسة** بين لنا ما معنى الكلام جملة نقول قوله تعالى ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس [illegible]

[illegible]

ولا نفسهم شفاعة شافع الثاني انه تعالى لما بين ايجاد اللات والعزى باتباع الظن وهوى النفس كانه قرره وقال ان لم تعلموا هذه فلله الاخرة والاولى
وهذه الاصنام ليس لها من الامر شي فكيف يجوز الاشراك وقوله تعالى وكم من ملك على هذا الوجه جواب كلامهم كانهم قالوا لا نشرك بالله شيئا
واسماء هذه الاصنام شفعاؤنا فانها صور مليكة مقربين فقال تعالى كم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الثالث هذا تسلية كانه تعالى
قال لنبيه حيث بين رسالته ووحدانيته ولم يؤمنوا قال لا تاس فان الاخرة والاولى لانه عليه السلام اخبركم عن الحشر فهو صادق والخامس
هو ان الكفار كانوا يقولون للمومنين هولاء اهدى منا وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه قال الله تعالى ان الله اختاركم الدنيا واعطاكم الاموال
ولم يعط المومنين بعض ذلك ابتلاء الامر وقلتم لو شاء الله تعالى لاغناهم وتحقيقه بهذه القصة فلله الاخرة والاولى فلو لا ان الاخرة ما قلتم
في الدنيا يهدي الله من يشاء كما يعني من يشا **المسئلة الثانية** الاخرة صفة ماذا نقول صفة الحياة او صفة الدار وهي اسم فاعل من فعل
غير مستعمل نقول اخبرته فتاخر وكان ذلك ان يقول فاخر كما نقول غيرته فتغير سمعت منه سماعا ولهذا البحث فايدة سياتي ان شاء الله
تعالى **المسئلة الثالثة** الاولى فعلى التانيث فالاول اذا افعل صفة وفيه مباحث الاول لا بد من فاعل احد منه الا فعال والفعل فان كل
وافعل للتانيث والتذكير له اصل قليل اخذ منه كالفضل من الافضل الفاضلة والفاضل مما ذكر نقول هاهنا من اصل غير مستعمل كما قلت
ان الاخرة فاعل من فعل غير مستعمل وسبب ذلك هو ان كل فعل مستعمل فله اجزء ذلك لابد له ماضيا فاذا استعملت ماضيه لزم فراغ
الفعل والا لكان الفاعل بعد في الفعل فلا يكون ماضيا فانك لا تقول لمن معه في الاكل الا فيجوز عند ما سعى له قلته فقول لا كل اشارة الى
الماضي غير متعدية لمن قرب من الفراغ فرغت تقول فرغت بمعنى انما بقي قليل لا تعتد به وكاني فرغت ولما الماضي في الحقيقة لا نقوله الا عند تمام الشي
والفراغ عنه فاذا الفعل المستعمل اخر فلو كان ذكر لنا اخر على وزن فاعل فعل هو اخر تاخر كان معنى مصدر ومصدرية منه لجلس معنا
صدور الجلوس منه بالتمام والكمال فكان ينبغي ان القايل اذا قال الخلاف اخر كان معناه صدور الجلوس منه بالتمام وجد منه تمام الاخرية
وفرغ منها فلا يكون بعدما يكون اخر لكن قد تقدم ان كل فعل له اخر بعده لا يقال يشكل بقولنا تاخر فان معناه صار اخر الانا نقول
وزن التفعل يتادى على صحة ما ذكرنا فانه من باب التكليف والتكبر اذا استعمل في غير المتكبر يدعي انه اخر وليس في الحقيقة كذلك اذا علمت
هذا فنقول الاخر فعل فاعل ليس له فعل ومبالغة يا فعل وهو كقولنا فقليتا الهمزة الى مكان الالف وهي الف الى مكان الهمزة فصارت
الالف همزة والهمزة الفا ويدل عليه انا نقول فان اخر الشي جزء منه متصل به والاخر مباين عنه منفصل والمنفصل بعد المتصل والاخر
اشد تاخرا من الشي بعض اجزايه والاول افعل ليس له فاعل وليس له فعل والافعل ابعد عن الفعل من الاخر وذلك لان الفعل الماضي
علم له اخر من وصفه بالماضي وهو ذكر الوصف لما علم اخر واما الفعل لتغيير دونه فعل علم له اول لان الفعل لابد له من فاعل يقوم
به او يوجد منه فاذا الفاعل اولا ثم الفعل فاذا كان الفاعل والفعل كيف يكون للاول له فعل يوجد منه فلا فعل له ولا فاعل
فلا يقال اول الشي بمعنى سبق كما يقال قال من القول او ناله من النيل لا يقال ان قولنا سبق اخر منه السابق ومن السابق الا سبق
مع ان الفاعل يسبق الفعل وكذلك يقال تقدم الشي مع ان الفاعل متقدم على الفعل الى غير ذلك فنقول اما تقدم قد مضى
الجواب عنه في تاخر واما سبق نقول القايل سابقته فسبقته بحسب عنه فان ذلك مصير الى امر يصدر من فاعل قال انما
استعمل في الاول فهو بطريق المشابهة لا بطريق الحقيقة والفاعل اول الفعل بمعنى قبل الفعل وما يقال ان اول بمعنى جعل الاخر
اولا لا استخراج معنى من الكلام بعد ما لم يكن اخر دون نصب فايدة ذلك بل التاويل من ال الشي اذا رجع اي رجعه الى
المعنى او المراد والعدم اللفظي قبل وبعد فان الاخر فاعل من فعل والاول افعل من غير فاعل ولا فعل وقبل وبعد لا فاعل ولا فعل
فلا يفهم من فعل اصلا لان للاول اول لما فيه من معنى اخر وليس قبل فعلا عما فيه من معنى الاول والاخر لما فيه من معنى الاخر
يدل عليه انك تصل احدهما بالاخر ولا تعكسه فنقول هذا اخر من جا به جا بعد الكل ولا تقول هو جا بعد الكل لانه اخر من جا
ويويد ما ان الاخر لا يتحقق الا بعد منه مخصوصة وهي التي لا تعدية بعدها وبعد ليس كذلك يتحقق الا بالاخر فان المتوسط بعد الاول
ليس باخر وهذا البحث من ابحاث الزمان ومنه العلم بمعنى قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر اي الدهر هو الذي يفهم منه ذلك والبعد
والقبلية حقيقة لا ساعة ولا مفهوم للزمان الا بانه القبليه والبعديه ولا تسبوا الدهر فان ما تفهمونه منه لا يتحقق
الا بالله وبالله ولولاه ما كان قبل ولا بعد **البحث الثاني** ورد في كلام العرب الاول له ما يشا الاول وهو منافية بصحة استقبال
الاول لان الاولى يدل على الاول افعل التفضيل وافعل التفضيل لا يلحقه تا التانيث فلا يقال زيد اعلم وزينب اعلمت بسبب يطول ذكره وسنذكره
في موضع اخر ان شاء الله تعالى نقول الجواب عنه هو ان اول لما كان افعل وليس له فعل شابه الاربع والارنب فجاز الحاق التا به ولما كان
صفة شابه الاكبر والاصغر فعل اولى **المسئلة الرابعة** اذ لي يدل على اذا وللا يتصرف فكيف يقال افعله اولا ويقال جا زيد اولا وعمرو
ثانيا فان قيل جاز فيه الاعراب بناء على اوله واولى بمن قال يا ما نشاء اول اوله فهو كالاربع والاربعة فجاز التنوين ومن قال اول لا يجوز
نقول اذا كان كذلك كان الاشهر ترك التنوين لان الاشهر بان با تعنه اول وعليه استعمال القران فاذا الجواب ان عند التانيث الاولى ان
تعالى اولى نظرا الى المعنى وعند العرب اولى لانه هو الاصل ودل عليه دبيو وادكان اضعف من الغير وربما قال بان منع الصرف عن افعل لا يكون
الا اذا لم يكن ناعته للافعل واما اذا انعته بالتا او جاز ذلك فيه لا يكون غير متصرف ثم قال تعالى وكم من ملك في السموات وقد علم وجه
تعلقها بما قبلها في الوجوه المتقدمة في قوله تعالى فلله اذ قلنا ان معناه ان اللات والعزى وغيرها ليس لهم من الامر شي فلله
الاخرة والاولى فلا يجوز اشراكهم بالله شيئا وانما تقول هولاء شفعاؤنا فقال كيف يشفع هذه ومن في السموات لا يملك الشفاعة وفيه مسائل
**المسئلة الاولى** كم كلمة تستعمل في المقادير اما الاعداد فاما تكون استفهامية كقولك كم ذراعا طوله وكم رجال جاء اعدد الجانبين
فيستعمل للمقدار وهي حينئذ مثل كيف لاستبانة الاحوال والى الاستبانة الافراد وما لاستبانة الحقايق واما البيانيها على الاحتمال فيكون





خبرية كقولك كم رجل اكرمني اي كثير منهم اكرموني غير ان عليه اسولة **الاول** لم يجز ادخال من على الاستفهامية وجاز على الخبرية **الثاني**
لم نصب مميز الاستفهامية وجر الذي للخبرية **الثالث** هي تستعمل الخبرية في مقابلة رب فلم جعلا اسما مع ان رب حرف **اما الجواب**
عن الاول فهو ان تستعمل في الموضعين المتعينين بالاضافة تقول خاتم من فضة كما تقول خاتم فضة ولم نصف في الاستفهامية
لجواز استعمالها بما يضاهيه وسنبين هذا الجواب **والجواب** عن السوال الثاني هو ان الاصل ان نقول ان الاصل في المميز الاضافة
الثالث هو انه لم يدخل عليه حرف الجر فيقول الحكم نصير وفي كم يوم صب ولكم رجل مررت ومن حيث المعنى انه اذا قرن بها
من وجعل مميزه جمعا كما في قول القايل كم من رجال جا يكون معناه كثير من الرجال جاءهم ورب واذا كانت تعمل لكن
لا تقوم مقام القليل فلا يمكن ان نقال في رب انه عبارة عن قليل كما قلنا في كم انه عبارة عن كثير **المسئلة الثانية**
شفاعتهم على عود الضمير الى المعنى ولو قال شفاعته لكان العود الى اللفظ فيجوز ان نقال كم من رجل رايته وكم من رجل رايتهم فان
قيل هل بينهما فرق معنوي قلت نعم وهو انه تعالى لما قال لا يغني شفاعتهم شيئا يعني شفاعة الكل ولو قال شفاعته لكان
معناه كثير من الملايكة كل واحد لا تغني شفاعته فربما كان يخطر ببال احد ان شفاعتهم تغني اذا اجتمعت وعلى هذا الكلام
ففي الكلام امور كلها تشير الى عظمة الامر احدها كم فانه للتكثير ثانيها لفظ الملك فانه اشرف اجناس المخلوقات ثالثها
في السموات فانها اشارة الى علو مرتبتهم ودنو منزلتهم من مغمر السعادة رابعها اجماعهم على الامر في قوله شفاعتهم كل ذلك
لبيان فساد قولهم ان الاصنام يشفعوا اي كيف تشفع مع حقارتها وضعفها ودناة منزلتها فان الجماد احر الاجناس
وكذلك اشرفها وهو في اعلى المنازل في السموات ولا تقبل شفاعة الملايكة فكيف يقبل شفاعة الجمادات **المسئلة الثالثة**
ما الفايدة في قوله تعالى كم من ملك بمعنى كثير من الملايكة مع ان كل من في السموات منهم لا يملك الشفاعة نقول القصود
الرد عليهم في قولهم هذه الاصنام تشفع وذلك لا تحصل بيان ان منكم من الملايكة لا يقبل شفاعتهم بالكلية مذكر
الكثير ولم نقل ما منهم احد يملك الشفاعة لانه اقرب الى المنازعة فيه من قوله كثير مع ان المقصود حاصل منه
ثم هاهنا بحث وهو ان بعض الصور تستعمل صيغة العموم والمراد الكثير وفي البعض تستعمل الكثير والمراد الكل
وكلاهما على طريقة واحدة وهو استقلال الباقي وعدم الاعتقاد في قوله تعالى تدمر كل شي بامر ربها كانه يجعل
الخارج عن الحكم غير ملتفت اليه وفي قوله تعالى وكم من ملك وقوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون وقوله تعالى واكثرهم
مومنون تجعل المخرج غير ملتفت اليه تجعل كانه ما اخرجه كما تجعل الخارج عن الحكم كانه ما خرج وذلك يختلف
باختلاف المقصود من الكلام اذا كان الكلام مذكورا لامر فيه تبالغ وتستعمل الكل مثاله للملك كل الناس يدعون لك
اذا كان الغرض بيان كثرة الدعاء له لا غير وان كان الكلام مذكورا لامر خارج عنه لا يبالغ فيه لان المقصود وغيره
قد لا تستعمل الكل مثاله اذا قال الملك لمن قال له اعتمد دعاي كثير من الناس يدعون لي اشارة الى عدم احتياجه الى
دعايه لا لبيان كثرة الدعاء له فلذلك هاهنا **المسئلة الرابعة** قال لا تغني شفاعتهم ولم يقل لا يشفعون مع ان دعوتهم
ان هولاء شفعاؤنا تسمع اي شفاعتهم تسمعا ومعنى وقال تعالى في موضع آخر من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فنفى
الشفاعة بدون الاذن فقال تعالى ما لهم من دونه من ولي ولا شفيع نفي السمع وهاهنا نفى الاغنا فنقول هم كانوا يقولون
هولاء شفعاؤنا وكانوا يعتقدون نفع شفاعتهم كما قال تعالى ليقربونا الى الله زلفى فقول نفى دعواهم تستمل على فايدة
عظيمة اما نفي دعواهم لانهم قالوا الاصنام تشفع لنا شفاعة مقربة معينة فقال لا تغني شفاعتهم بدليل ان شفاعة
الملايكة لا تغني واما الفايدة لانه لما استثنى بقوله تعالى الا من بعد اذن يا ذن الله فيشفع ولكن لا يكون فيه بيان
انها تحصل وتغني ولا تقبل فاذا قال لا تغني شفاعتهم ثم قال تعالى الا من بعد ان يا ذن الله فتشفع
ولكن لا يكون فيه بيان انها تقبل وتغني ولا تقبل فانه تعالى قال الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون
به ويستغفرون للذين امنوا وقال تعالى ويستغفرون لمن في الارض والاستغفار شفاعة واما قوله تعالى
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فليس المراد نفي الشفاعة وقبولها كما في هذه الاية حيث رد عليهم قولهم
وانما المراد عظمة الله تعالى لا ينطق في حضرته واحد ولا يتكلم كما في قوله تعالى لا يتكلمون الا من بعد ان يا ذن الله لمن
يشا ويرضى **المسئلة الخامسة** اللام في قوله تعالى لمن يشا ويرضى يحتمل وجهين احدهما ان يتعلق باذن كما تقول اذنت
لزيد احدهما ان يقال الا من بعد ان يا ذن الله لمن يشا من الملايكة في الشفاعة الثاني يكون الاذن في المشفوع له
لان الاذن حاصل في الكل للشفاعة للمومنين لانهم جميعهم يستغفرون ولهم فلا معنى للتخصيص ويمكن ان يقال نزع فيه
وثانيهما ان يتعلق بالاغنا يعني الا من بعد ان يا ذن الله لهم في الشفاعة تغني شفاعتهم لمن يشا ويمكن ان يقال بان هذا
تعيد لاذن ذلك نقص ان تشفع الملايكة والاغنا لا تحصل الا لمن يشا فيجاب عنه بان فيه التنبيه على معنى عظمة الله
تعالى لجاه الملك اذا شفع فالله تعالى على مشيته بعد شفاعتهم يرضى نقول فيه فايدة الارشاد وذلك لانه لما
قال لمن يشا كان المكلف مترددا لا يعلم مشيته فقال يرضى ليعلم انه العابد الشاك المعاند الكافر فانه تعالى
قال ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم وكانه قال لمن يشا كانه قال ويرضى
بيانا لمن يشا وجواب اخر على قولنا تغني شفاعتهم شيئا من يشا هو ان قال يرضى بالمدلول عليه لمن يشا كانه قال
ويرضى اي هو يعنيه الشفاعة شيئا صالحا يحصل به رضاه كما قال ويرضى هو اي يعينه الشفاعة وحينئذ يكون يرضى

للبيان لانه تعالى لما قال لا يغني شفاعتهم اشارة الى نفي كل قليل وكثير كان اللازم عنده بالاستثنا اي شفاعتهم تغني شيا ولو كان قبله
فقال ويرضى المشفوع له ليعلم انها تغني اكثر من اللازم بالاستثنا ويحكى انه تعالى يرضى ليس ان قوله سيالبس المراد المشية التي هي
الرضا فان الله تعالى اذا شا الضلالة لعبد لم يرض به واذا شا الهداية رضي فقال تعالى لمن يشا ويرضى ليعلم ان تلك المشية ليست
هي المشية العامة انما هي الخاصة ثم قال تعالى ان الذين لا يومنون بالاخرة ليسمون الملايكة تسمية الانثى وقد بينا ان ذلك
في سورة الطور واستدللنا بهذه الاية وبذكر ما يقرب منه ههنا فنقول الذين لا يومنون بالرسل لا يتبعون الشرع وانما
يتبعون ما يدعون انه عقل فيقولون اسما الله تعالى ليست توقيفية فيقولون الولد هو الموجود من الغير ويستدلون عليه
بقول اهل اللغة كذا تولد منه كذا ويقال المزاج يتولد منه الاخر بمعنى توجد منه وكذا القول في نعت الكرم وسنالحل ثم
قالوا الملايكة وجدوا من الله تعالى فهم اولاده بمعنى الايجاد ثم انهم راوا في الملايكة بالتانيث وصح عندهم ان يقال سجدت
الملايكة فقالوا بنات الله فقال تعالى ان الذين لا يومنون بالاخرة ليسمون الملايكة تسمية الانثى اي كما سمي الاناث
بنات وفيه مسايل **المسئلة الاولى** كيف يصح ان يقال انهم لا يومنون بالاخرة مع انهم كانوا يقولون هولا شفعاونا وكانت
من عادتهم ان يربطوا مركوبا على قبر من يموت ويعتقدون انه يحشر عليه نقول الجواب عنه من وجهين احدهما انهم لما كانوا
يجزمون به كانوا يقولون لا حشر فان كان فلنا شفعا يدل عليه قوله تعالى وما اظن الساعة قايمة ولين رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى ثانيهما انهم كانوا يعترفون بالاخرة على الوجه الذي ورد به الرسل **المسئلة الثانية** قال بعض
الناس انثى فعلى من افعل يقال في افعلها انثى ويقال فاعلها انثت يقال حديد ذكر وحديد انيث والحق ان الانثى
يستعمل في الاكثر على خلاف ذلك بدليل جمعها اناث **المسئلة الثالثة** كيف قال تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث
نقول عنه جوابان احدهما ظاهر والاخر دقيق اما الظاهر فهو ان المراد بيان الجنس وهذا اللفظ اليق بهذا الموضع لمجيه
على وفق اخر الايات والدقيق هو انه قال يسمونهم تسمية الانثى كان يحتمل وجهين احدهما البنات وثانيهما
الاعلام المعادل لايات كعايشة وحفصة فان تسمية الاناث كذلك تكون فاذا قال تسمية الانثى تعين ان يكون
للجنس وهي البنت والبنات ومناسبة هذه الاية لما قبلها هي انهم لما قيل لهم ان الصنم جماد لا يشفع وبين لهم بان اعظم
اجناس الخلق لا شفاعة لهم الا بالاذن قالوا نحن لا نعبد الاصنام لانها جمادات وانما نعبد الملايكة لعبادتها فانه على صورها
وقبضها بين ايدينا لتذكرنا الشهادة بالغايب فنعظم الملك الذي ثبت انه مقرب عظيم الشان رفيع المكان فقال تعالى را وكيف
يعظمونهم وانهم ليسمونهم تسمية الانثى ثم ذكر لهم مستندهم في ذلك وهو لفظ الملايكة ولم يقل ان الذين لا يومنون بالاخرة
تسمية الانثى بل قال ليسمون الملايكة فانهم اغتروا بالتا واغترارهم باطل لان التا تجي لمعان غير التانيث الحقيقي و
التا لا تطلق الا على المونث الحقيقي بالاطلاق والتاكيد فيهما لتاكيد معنى الجمع كما في صياقلة وهي نسبة تكون للنسا
وذلك لان الملايكة في المشهور جمع ملك والملك احصارا من الملاك بحذف الهمزة والملاك مقلوب المالك من الالوكة
وهي الرسالة فالملايكة على هذا القول مفاعلة والاصل مفاعل زيدت التا في الجمع فهي نسبة فعايل وفعايلة و
ان الملايكة فعايلة جمع مليك منسوب الى الملك بدليل قوله تعالى عند مليك مقتدر وفي وعد المومنين وقال في وصف
الملايكة فالذين عند ربك وقال ايضا في الرعد وان له عندنا لزلفى وقال في وصف الملايكة ولا الملايكة المقربون
ثم اذا عباد مكرمون اختصهم الله تعالى بمزيد قربة ويفعلون ما يومرون كما المملوك والمستخدمين عند السلاطين
الواقفين بابوابهم منتظرين لورود امر عليهم فهم منسوبون الى الملك المعتمد في الحال فهم مليكون وملايكة فالتا
للنسبة في الجمع كما في الصيادلة والبياطرة فان قيل هذا باطل من وجوه الاول ان احدا لم يستعمل لواحد منهم مليكي
كما سمع صيرفي والثاني عندنا نصير عبد الله تعالى يجب ان يكون من الملايكة وليس كذلك لان المفهوم من الملايكة
جنس غير الادمي الثالث هو ان فعايلة في جمع فعلي لم يسمع وانما يقال فعلية كما يقال جا في المهمه والحيشة
الرابع لو كان كذلك لما جمع ملك نقول اما عدم استعمال واحده فمسلم وهو لسبب وهو ان الملك لما كان اعظم
كان حشمه وخدمه وحشمه اكثر فاذا وصف بالعظمة وصف بالجمع فقال صاحب الجيش والعسكر الكبير لا يوصف
بواحد ولا يوصف الا قليلا منهم لتعظيم واما ذلك الواحد ان نسب الى الملك غير الحرا فقال هذا مكي فذلك عندنا
يفوق عنه فيجعله مسندا وبحر بالملكي عنه والملايكة لم يعرفوا باعيانهم الا قليلا منهم كجبريل وميكاييل
عليهما السلام وحينيذ لا فايدة في قولنا جبريل ملكي لان عرف المبتدا عرف الخبر ولا يضارع الحمل الا لبيان ثبوت
الخبر للمبتدا فلا يقال الانسان حيوان او جسم لانه ايضا واضح اللهم الا ان يستعمل ذلك في صورة مثلا في صورة
نادرة لغرض واما اي نسب الى الملك وهو مبتدا فلا لان العظمة في ان يقول واحد من الملايكة فيسنده على كثرة غيره
اليه كما يقول واحد من اصحاب الملك لا يقول صاحب الملك واذا اردت العظيم البالغ فعند الواحد استعمل
اسم الملك غير منسوب بل هو موضوع لسد به وقوته كما قال تعالى ذو مرة وذو قوة فقال شديد القوى ولم لك
يدل على الشدة في تعاليهما على ما عرف وعند الجمع استعمل الملايكة للتعظيم كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك
الا هو واما الجواب عن الثاني فنقول قد يكون الاسم في الاول لوصف يختص ببعض من يتصف به وغيره لو ساد
متصفا بذلك الوصف لا يسمى بذلك الاسم كالدابة فاعله من دب ولا يقال للمرة ذات الدابة اسما وربما يقال لها

صفة عند

صفة عند حالة فاندت مخصوص عن المكذب الكذب العام الذي في الكل كما لو دب مليكي لا حد سي وعده او يقال انما سميت
الملايكة لعلو انسابهم من خلق الادمي لستر لا يعلم عددها الا الله تعالى فمن لم يصل الى الله تعالى ويقوم ببابه
لا يحصل له العهد والانتساب فلو سمي بذلك الاسم واما عن الثالث فنقول الجموع القياسي لا مانع لها الفعال في جمع
فعلى فعل كجمال وعمار وافعلا كما يقال اسحار وجعلان وغيرها واما السماع فلم يرد الا قليلا كيف بما فيه التعظيم
من نسبة الجمع الكبير الى باب الله تعالى ويكون من باب المراة والنسا واما الجواب عن الرابع فالمنع قليل بهذا منه اذ يعول
حمل فعل على فعيل كما حمل فعلى على فعيل في الجمع وقيل في جمع جيد جيايد ولا يقال في فعل الافاعل ويويد ما ذكرنا ان ابليس
عند ما كان واقفا بالباب كان داخلا في جملة الملايكة فقوله تعالى واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس
وعند ما طرد وابعد خرج عنهم وصار من الجن واما ما قاله اهل اللغة من ان الملايكة جمع ملاك واصل ملاك مالك
الالوهية وهي الرسالة ففيه تضعيفات اكثر مما ذكرنا نكث منها ان الملك لا يكون فعل هو مفعل وهو خلاف الظاهر و
لو لم يستعمل مالك على اصله كما قال رب وما يسمو ما كل وغيرهما مما لا يعدل الا بعد الا بتعسف ومنها ان ملكا لم جعل
هلا ولم يعقل ذلك ما جوابه التي ذكرناها ومنها ان السالم الحقت بجمعه ولو لم يقل ملاينك كما في جمع كل مفعل
والذي يرد قولهم قوله تعالى جاعل الملايكة هي غير الرسل فلا يصح ان يقال جعلت الملايكة رسلا كما لا يصح
جعل الرسل مرسلين وجعل العص قريبا لان الجعل لا بد فيه من معنى وهما يدل على خلاف ما ذكرنا فالكل منسوبون
اليه موقوفون بين يديه مستطرون امن لورود الامر عليهم ثم قال تعالى ما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن
وفيما يعود اليه الضمير في به وجوه احدها ما فعله الزمخشري وهو انه عايد الى ما كانوا يقولون من علم ثانيها
انه عايد الى ما تقدم في الاية المتقدمة من علم اي ما لهم بالله من علم فيشركون وقرئ ما لهم بها وفيه وجوه احدها
ما لهم بالاخرة وثانيها ما لهم بالتسمية ما لهم ما لهم بالملايكة فان قلنا ما لهم بالاخرة فهو جواب ما قلنا انهم
وان كانوا يقولون بان الاصنام شفعاونا عند الله تعالى وكانوا يربطون الابل على قبور الموتى ليركبوها
لكن ما كانوا يقولون به عن علم وان قلنا بالتسمية ففيه اشكال وهو ان العلم بالتسمية حاصل لهم فانهم يعلمون
انهم ليسوا داخلين ان التسمية قد يكون وضعا اوليا وهو لا يكون بالظن بل يعلما بانه وضع وقد يكون استعمالا
معنويا ويتطرق اليه الكذب والصدق والعلم مثال الاول من وضع اولا اسم السما لموضوعها وقال هذا سما
مثال الثاني اذا قلنا بعد ذلك للما والحجر هذا سما فانه كذب ومن يعتقده فهو جاهل وبذلك قولهم في الملايكة
انهم بنات الله لم يكن تسمية وضعية وانما ارادوا به انهم موصوفون بامر يجب استعماله لفظ البنات فيهم وكذلك
كذب ومعتقده جاهل فهذا هو المراد بما ذكرنا ان الظن يتبع في الامور المصلحة والافعال الشرعية او العرفية عند
عدم الوصول الى اليقين واما الاعتقادات فلا معنى للظن سيا فان قيل اليس الظن قد يصيب فكيف يحكم عليه بانه
لا يغني اصلا نقول المكلف يحتاج الى يقين يميز الحق من الباطل ليعتقد الحق وتمييز الحري من الشركين في الحق ينبغي ان يكون
جازما والاعتقاد مطابقة والظان لا يكون جازما وفي الحري ربما يعتبر الظن في موضع ويحتمل ان يقال المراد من الحق هو الله
تعالى ومعناه ان الظن لا يفيد شيا من الله تعالى اي ان الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون ويدل عليه قوله ذلك بان الله
هو الحق وفيه لطيفة وهي ان الله تعالى قال في ثلثة مواضع سمع من الظن وفي جميع تلك المواضع كان المنع عقيب التسمية والدعا
باسم موضعين في هذه الصورة احدهما قوله تعالى ان هي الا اسما سميتموها انتم واباوكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون
الا الظن الثالث في الحجرات قال تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بيس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون
يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن عقيب الدعا بالقلب وكل ذلك دليل على ان حفظ اللسان اولى من حفظ غيره من
الاركان وان الكذب افحش من السيات الظاهرة من الايدي والارجل **ومن هذه** المواضع الثلاثة احدها مدح من لا يستحق
المدح كاللات والعزى من العز وثانيها ذم من لا يستحق الذم وهم الملايكة الذين هم عباد الرحمن فيسمونهم تسمية
الانثى وثالثها من لا يعلم حاله واما مدح من حاله لا يعلم فلم يقل فيه لا يتبعون الا الظن بل الظن فيه معتبر ولاحد
بظاهر حال العاقل واجب ثم قال تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا اي اترك مجادلتهم فقد بلغت واتيت بما كان عليك واكثر
المفسرين يقولون بان كل ما في القران من قوله تعالى واعرض منسوخ باية القتال وهو باطل فان الامر بالاعراض موافق لاية
القتال فكيف ينسخ به وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كان مامورا بالدعا بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه
باباطيلهم قيل له وجادلهم بالتي هي احسن ثم لما لم ينفع قال له ربه فاعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان فانهم
لا يتبعون الا الظن ولا يتبعون الحق وقابلهم بالاعراض عن المناظرة شرط جواز المقاتلة فكيف يكون منسوخا
بها والاعراض عنها من باب اسكات المعترض فيه للسلب كانه يقول ازل العرض ولا تعرض عليهم بعد هذا امرا وقوله
تعالى عمن تولى عن ذكرنا بيان تقدم فايدة العرض والمناظرة لان من لا يصغي الى قول كيف يفهم معناه وفي ذكرنا وجوه
الاول القران الثاني الدليل والبرهان الثالث ذكر الله تعالى فان من لا ينظر في الشي كيف يعرف صفاته وهم
كانوا يقولون نحن لا نتفكر في الا الله لعدم تعلقنا بالله تعالى وانما امرنا مع جلسا وهم الملايكة او الدهر على
اختلاف اقاويلهم وشابهن باطيلهم وقوله تعالى ولم يرد الا الحياة الدنيا اشارة الى انكارهم الحشر كما قالوا وما هي

الا الحياة الدنيا وقال تعالى ارضيتم بالحياة الدنيا يعني لم تلتفتوا وراينا شيئا اخر تعلمون له فقوله تعالى عمن تولى عن ذكرنا اشارة الى انكارهم الحشر لانه ترك النظر في الا الله تعالى لا يعرفه فلا يتبع رسوله فلا ينفعه كلام واذا لم يقل بالحشر والحساب لا يخاف فلا ترجع عما يقوله فلا يبقى اذا فايدة في الدعا واعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان طبيب القلوب فاتى على ترتيب الاطبا وترتيبهم في الحال اذا امكن اصلاحه بالغذا لا يستعملون الدوا وما امكن اصلاحه بالدوا الضعيف لا يستعمل الدوا القوي ثم اذا عجزوا عن المداوات بالمشروبات وغيرها عدلوا عن الحديد والكي وقيل اخر الدوا الكي فالنبي صلى الله عليه وسلم اولا امر القلوب بذكر الله تعالى بحسب يان بذكر الله تطمئن القلوب كما ان بالغذا تطمين النفوس فلا يذكر غذا القلب وهذا قال اولا قولوا لا اله الا الله امر بالذكر ثم انتفع مثل ابي بكر رضي الله عنه وغيره ممن انتفع ومن لم يتبع ذكره لم الدليل وقال تعالى اولم يتفكروا وقل انظروا افلا ينظرون الى غير ذلك ثم اتى بالوعيد والتهديد فلما لم ينفعهم قال اعرض عن المعالجة واقطع الفاسد لا يفسد الصالح ثم قال تعالى ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى وذلك فيه وجوه الاول اظهرها انه عايد الى الظن اي غاية ما يبلغون به انهم ياخذون بالظن وثانيها الحياة الدنيا مبلغهم من العلم اي ذلك الاشارة عامة ما يبلغوه من العلم ثالثها واعرض عمن تولى عن ذكرنا وذلك الاعراض غاية ما يبلغوه من العلم والعلم على هذا يكون المراد منه العلم بالمعلوم ويكون الالف واللام للتعريف والعلم بالمعلوم وهو ما في القران وتقريره هذا ان القران لما ورد بعضهم تلقاه بالقبول وانشراح صدره به فبلغ الغاية القصوى وبعضهم قبله من حيث انه معجزة واتبع الرسول فبلغ الدرجة الوسطى وتوقف فيه كابي طالب وذلك ادنى المراتب وبعضهم رده وغاية والاولون لم يحر الاعراض عنه والاخر وجب الاعراض وكان موضع بلوغه من العلم انه قطع الكلام معه واعرض عنه وعليه سؤال وهو ان الله تعالى بين ان غايتهم ذلك ولا يكلف الله نفسا الا وسعها والمجنون الذي لا علم له والصبي لا يومر بما فوق احتمال فكيف يعاقبهم الله يقول ذكر قبل ذلك انهم تولوا عن ذكر الله تعالى فكان عدم علمهم لعدم قبولهم العلم وانما قدر الله تعالى توليهم لعضا في الجهل الى ذلك متحقق العقاب قال الزمخشري ذلك مبلغهم من العلم كلام معترض بين كلامين والمتصل قوله تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وعليه ما ذكرنا المقصود لا سيما الاية وتكون كانه قال تعالى اعرض عنهم فان ذلك غايتهم ولا يوجد وراما ظهر منهم شي وكان قوله تعالى عمن تولى اشارة الى قطع عذرهم بسبب الجهل بالتولي واتيان العاجل ثم اسدا وقال تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى وفي المناسبة وجوه الاول انه تعالى لما قال النبي صلى الله عليه وسلم اعرض وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الميل الى ايمان قومه كان ربما يختلج في خاطره ان في الذكرى بعد تقعه وربما يومن من الكافرين قوم اخرين من غير قتال فقال له ربك اعلم بمن ضل عن سبيله علم انه لا يومن بمجرد الدعا احد من المكلفين وانما ينفع فيهم ان دفع السيف والقتال واعرض عن الجدال واقبل على القتال وعلى هذا فقوله بمن اهتدى اي علم في الازل من ضل في تقديره ومن اهتدى فلا تاسه عليه الامراد ولا ماس في الاعراض وبعد في العرض مصلحة ثانيها هو على معنى قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقوله تعالى الله يحكم بيننا ووجهه انهم كانوا يقولون نحن على الهدى وانتم مبطلون واقام النبي صلى الله عليه وسلم الحجة عليهم فلم ينفعهم فقال الله تعالى اعرض عنهم وانجح ووقع على الله فانه يعلم انكم مهتدون ويعلم انهم ضالون والمناظرات اذا تناظرا عند ملك ماهر مقصودهم ظهور الامر عند الملك فان اعترف الخصم بالحق فذاك والا عرض المصيب حصل بظهور الامر عند ذلك الملك فقال لقد حادلت واحسنت والله اعلم بالحق من الباطل ثالثها انه تعالى امر نبيه بالاعراض وكان قد صدر منهم ابراء عظيم وكان النبي صلى الله عليه وسلم سجله رجا ان يومنوا بجميع ذلك فلما لم يومنوا فكانه قال ينبغي تحملوا واذاهم وقد حصل قال الله تعالى ان الله يعلم حال المضلين والمهتدين والله تعالى اعلم **قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى** **اعلم** ان قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض فيه مسايل **الاولى** هو سمي عمادا وفصلا ولو قال ان ربك اعلم لتم الكلام عنران عند خلق الكلام عن هذا العماد ربما يتوقف السامع عند سماع ما بعده ليعلم ان اعلم خبر ربك او هو مع شي اخر خبر مثاله لو قال ان زيدا اعلم منه عمرو يكون خبر زيد الجملة التي بعده واذا قال هو اعلم انتفى ذلك التوهم الثانية اعلم يقتضي مفضلا عليه يقال زيد اعلم من عمرو والله اعلم ممن يقول افعل يجي كثيرا بمعنى عالم لا عالم مثله وحينئذ ان كان هناك عالم فذاك مفضل عليه وان لم يكن ففي الحقيقة هو عالم لا غيره وفي كثير من المواضع افعل في صفات الله بذلك المعنى يقال الله اكبر وفي الحقيقة لا كبير مثله ولا كبير الا هو والذي يناسب هذا انه ورد في الدعوات يا اكرم الاكرمين كانه قال لا اكرم مثلك في الحقيقة لا اكرم الا هو وهذا معنى قول من قال ان اعلم بمعنى عالم فالمهتدي والضال ويمكن ان يقال اعلم من كل معترض على المعترض الثالثة علمه وعلمت به مستعملان قال الله تعالى في الانعام هو اعلم بمن ضل عن سبيله ثم ينبغي ان يكون المراد من المعلوم ان العالم اذا كان تعلقه بالمعلوم اقوى اما لقوة العلم واما لظهور المعلوم واما لتاكيد وجوب العلم به واما تكرر الفعل له فقوة اما قوة العلم فكما في قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وقال تعالى الم يعلم بان الله يرى لما كان علم الله تعالى تاما شاملا علقه

بالمفعول



بالمفعول الذي هو حال من احوال عبده الذي هو بمراى منه من غير حرف ولما كان علم العبد ضعيفا جاد ما علقه بالمفعول الذي هو صفة من صفات الله تعالى الذي لا يحيط به علم البشر بالحرف واما ظهور المعلوم كما قال تعالى اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر معلوما ظاهرا وكون الله تعالى رازقا لم يكن قبل ذلك انه يحس به مشاهد على الفعل به تنفسه وبالاخر بالحرف واما تاكيد وجوب العلم به كما في قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله ويمكن ان يقال هو من قبيل الظاهر وكذلك قوله تعالى واعلموا انكم غير معجزي الله واما قوة الفعل فقال تعالى علم ان لن تحصوه وقال تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى لما كان المستعمل صفة الفعل علقه بالمفعول بغير حرف وقال تعالى ان ربك يبين لما كان المستعمل اسما دال على ضعف عمله لتعلقه بالمفعول **المسالة الرابعة** قدم العلم بمن ضل على العلم بالمهتدي في كثير من المواضع منها في سورة الانعام ومنها في سورة ن ومنها في هذه السورة لان في المواضع كلها المذكور نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والمعاندين فذكرهم اولا لتهديدا لهم وتسلية لقلب نبيه عليه السلام **المسالة الخامسة** قال في موضع واحد من المواضع هو اعلم بمن ضل عن سبيله وفي غيره قال بمن ضل فهل عندك فيه شي قلنا نعم وسائل ذلك يحث عقلي واخر نقلي اما العقلي فهو ان العلم القديم القديم يتعلق بالمعلوم على ما هو عليه ان وجد امس علم انه وجد امس في الغد امس وليس مثل علمنا حيث يجوز ان يتحقق الشي امس ونحن لا نعلمه الا في يومنا هذا بل لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض ولا يتاخر الواقع من علمه طرفة عين واما النقلي فان واحدهما ان اسم الفاعل يعمل عمل الفعل اذا كان بمعنى المستقبل فلا يعمل عمله اذا كان ماضيا فلا يقولانا ضارب زيدا امس واما الواجب اذا كنت تنصب ان تقول ضربت زيدا وان كنت تستعمل اسم الفاعل فالواجب الاضافة تقول ضارب زيد امس انا ويجوز ان يقال انا غدا ضارب زيدا والسبب فيه ان الفعل اذا وجد فلا تجدد له في الاستقبال ولا تحقق له في الحال فهو معدوم وضعيف عن ان يعمل وما الحال وما يتوقع فله وجود فيمكن اعماله اذا ثبت هذا فقوله تعالى لما قال ضل كان الامر ماضيا وعليه تعلق به وقت وجوده بعلم وقوله اعلم بمعنى عالم وبصير كانه قال عالم بمن ضل فلو ترك الباء لكان اعمالا للفاعل بمعنى الماضي ولما قال تعالى يضل كان يعلم الضلال عند الوقوع وان كان قد علم في الازل انه سيضل لكن العلم بعد ذلك تعلق بانه سيوجد وهو تعلقه بكون الضلال قد وقع وحصل ولم يكن ذلك في الازل فانه لا يقال انه تعالى علم ان فلانا ضل في الازل لما الصحيح ان يقال علم في الازل انه سيضل فيكون اسم الفاعل بمعنى المستقبل وهو يعمل عمل الفعل فلا يقال زيد اعلم مسالتنا من عمرو وانما الواجب ان يقال زيد اعلم بمسالتنا من عمرو ولهذا قال النحاة في سورة الانعام ان ربك هو اعلم من يضل وقالوا اعلم للتفضيل لا يبنى الا من فعل لازم غير متعد فان كان متعديا ردا الى اللازم وقولنا اعلم كانه قال من باب علم بالضم وكذا في التعجب اذا قلنا ما اعلمه بكذا كانه من فعل لازم واما انا فقد الحث عن هذا بان قوله اعلم بمن يضل معناه عالم وقد قررنا ما يجب ان نعتقد في اوصاف الله في اكثر الامر ان معناه انه عالم ولا عالم مثله يكون اعلم على حقيقة وهو احسن من ان يقال هو بمعنى عالم لا غير فان قيل فلم قال بمن ضل وقال هناك يضل قلنا لان ههنا حصل الضلال في الماضي وتاكد حيث حصل ياس الرسول صلى الله عليه وسلم وامر بالاعراض واما هناك فقال تعالى من قبل وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ثم قال تعالى ان ربك هو اعلم بمن يضل بمعنى ان ضللت يعلمك الله فكان الضلال غير حاصل فيه فلم يستعمل صيغة الماضي **المسالة السادسة** قال في الضلال من سبيله ثم تعلق في الاهتدا الى سبيله لان الضلال عن السبيل هو الضلال وهو كائن في الضلال لان الضلال لا يكون الا في السبيل واما بعد الوصول فلا ضلال اولان من ضل عن سبيله لا يصل الى المقصود سوا سلك سبيلا او لم يسلكه واما من اهتدى الى سبيل فلا وصول له ان لم يسلكه واما من اهتدى الى السبيل وسلوكه وتصحيح هذا ان من ضل عن سبيله فهو ضال ومن اهتدى اليها لا يكون مهتديا الا اذا اهتدى الى كل مسالة يحصل الجهل بها بالايمان فكان الاهتدا النفسي هو الاهتدا المطلق فقال بمن اهتدى فقال بالمهتدين ثم قال تعالى ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى اشارة الى كمال علمه وقدرته لتذكر بعد ذلك ونقول ان ربك هو اعلم من المعنى القادر لان من علم ولا يقدر لا يتحقق منه الجزا فقال تعالى ولله ما في السموات وما في الارض وفي الاية مسايل **المسالة الاولى** قال الزمخشري ما يدل على انه يعتقد ان اللام في قوله تعالى ليجزي كاللام في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وهو ما جرى في ذلك على مذهبه فقال تعالى ولله ما في السموات وما في الارض معناه خلق ما فيهما لغرض الجزا ولا يتحاشى مما ذكره لما عرف من مذهب الاعتزال وقال الواحدي اللام للعاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا اي احذره وعاقبته انه يكون لهم عدوا لتحقق فيه هو ان حتى ولام الغرض تتقاربان في المعنى لان الغرض غاية به الفعل انه تسكن الشي وحتى للغاية المطلقة فبينهما مقاربة فيستعمل احدهما مكان الاخر فقال سرت حتى ادخلها ولكي ادخلها فلام العاقبة هي التي تستعمل في موضع حتى ويمكن ان يقال وجها اقرب من الوجهين وان كان اخفى منهما وهو ان يقال ان قوله تعالى ليجزي متعلق بقوله ضل واهتدى لا بالعلم ولا بخلق ما في السموات تقديره كانه قال هو اعلم بمن ضل واهتدى ليجزي اي من ضل واهتدى ليجزي الجزا والله اعلم به فيصير كانه قال والله ما في السموات وما في الارض كلاما معترضا ويحتمل ان يقال هو متعلق بقوله تعالى فاعرض اي اعرض عنهم ليقع الجزا كما تقول المريد فعلا لمن يمنعه منه دعني لافعله وذلك لان ما دام النبي صلى الله عليه وسلم لم يياس من ما كان العذاب ينزل والاعراض وقت الياس **المسالة الثانية** ويجزي الذين احسنوا بالحسنى

حينئذ يكون مذكورا لعموم ان العذاب الذى عند اعراضه يتحقق ليس مثل الذى قال تعالى فيه واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم
خاصة بل هو مختص بالذين ظلموا وغيرهم لهم الحسنى وقوله تعالى فى حق المسى بما عملوا وفى حق المحسن بالحسنى فيه لطيفة
لان جزاء المسى عذاب فنبه على ما توهم الظلم فقال تعذب لا عن ذنب واما فى الحسنى فلم يقل بما عملوا لان الثواب اذا كان
لا على حسنة يكون غاية الفضل فلا يخل بالمعنى هذا اذا قلنا بالحسنى واما اذا قلنا الاعمال الحسنى ففيه لطيفة
غير ذلك وهى ان اعمالهم لم يذكر منها الا التساوى وقال فى اعمال المحسنين الحسنى اشارة الى الكرم والصفح حيث ذكر احسن
الاسمين والحسنى صفة اقيمت مقام الموصوف كانه تعالى قال الاعمال الحسنى كقوله تعالى الاسماء الحسنى وحينئذ هو كقوله
تعالى ليكفر عنهم سيئاتهم ويجزيهم باحسن الذى كانوا يعملون اى باحد احسن اعمالهم ويجعل ثواب كل ما تعد منهم بحسب
ذلك الاحسن وهى صفة المثوبة كانه قال تعالى ويجزى الذين احسنوا بالحسنى او بالعاقبة الحسنى اى جزاهم حسن العاقبة
الحسنى اى جزاهم حسن العاقبة وهذا جزاء بحسب واما الزيادة التى هى الفضل فغير داخل فيه ثم قال تعالى الذين
يجتنبون كبائر الاثم والفواحش والذين يحتمل ان يكون بدلا عن الذين احسنوا وهو الظاهر وكانه تعالى قال ليجزى
الذين اساؤا ويجزى الذين احسنوا وتبين به ان المحسن ليس ينفع الله تعالى باحسانه شيئا وانما هو الذى لا
يرتكب القبيح الذى هو سيئة فى نفسه عند ربه فالذين اجتنبوا هم الذين احسنوا ولهم الحسنى وهذا تبيين ان المحسن
لان من لا يجتنب كبائر يكون مسيئا والذى يجتنبها يكون محسنا وعلى هذا ففيه لطيفة وهى ان المحسن لما كان من يجتنب
الاثام الذى ياتى به النوافل يكون فوق المحسن نكى الله تعالى وعد المحسن بالزيادة فالذى فوقه يكون له زيادات
فوقها وهم الذين لهم جزاء الضعف ويحتمل ان يكون ابتداء كلام تقديره الذين يجتنبون كبائر الاثم يغفر الله لهم والذى
يدل عليه قوله تعالى ان ربك واسع المغفرة وعلى هذا يكون هذه الاية مع ما قبلها لحال المسئ والمحسن وحال من لم يحسن
ولم يسئ وهم الذين لم يرتكبوا سيئة وان لم يصدر منهم الحسنات وهم كالصبيان الذين لم يوجد منهم شرايط
التكليف ولهم الغفران وهو دون الحسنى ونظير هذا بقوله تعالى بعده ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشاكم
من الارض واذ انتم اجنة اى يعلم الحالة التى لا احسان فيها ولا اساءة كما علم من اساء وضل ومن احسن واهتدى
وفيه مسايل المسئلة الاولى اذا كان بدلا عن الذين احسنوا فلم خالف ما بعده بالمعنى والاستقبال حيث قال
تعالى الذين احسنوا وقال تعالى الذين يجتنبون ولم يقل اجتنبوا نقول هو كما يقول القايل الذين سالونى اعطيتهم
الذين يترددون الى سائلين اى الذين عادتهم التردد للسؤال سالونى واعطيتهم فكذلك ههنا قال الذين
يجتنبون اى الذين عادتهم ورايهم الاجتناب لا الذين اجتنبوا مرة وقدموا عليها اخرى فان قيل فى كثير من المواضع
قال فى الكبائر الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون وقال فى عبادة الطاغوت الذين اجتنبوا
الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله فما الفرق نقول عبادة الطاغوت راجعة الى الاعتقاد والاعتقاد اذا وجد دام
ظاهرا فمن اجتنبها اعتقد بطلانها فيستمر واما مثل الشراب والزنا امر يختلف احوال الناس فيه فيتركه زمانا ويعود اليه
ولهذا يستبرئ الفاسق اذا تاب ولا يستبرئ الكافر اذا اسلم فقال فى الاثام الذين يجتنبون دائما ويثابرون على الترك ابدا وقال
فى عبادة الاصنام اجتنبوا بصيغة الماضى لتكون ادل على الحصول ولان كبائر الاثم لها عدد وانواع فينبغى ان يجتنب عن نوع
ويجتنب عن آخر ويجتنب عن ثالث ففيه تكرر وتجدد فيه صيغة الاستقبال وعبادة الصنم امر واحد متحد
فترك فيه ذلك الاستقبال واتى بصيغة الماضى الدالة على وقوع الاجتناب لا برفعه الثانية الكبائر جمع كبيرة
وهى صفة فما الموصوف هى صفة الفعلة كانه يقول الفعلات الكبائر من الاثم فان قيل فما بال اختصاص الكبيرة بالاكثر
فى الاستعمال ولو قال قايل الفعلة الكبيرة الحسنة لا يمنعه مانع تقول الحسنة تكون كبيرة لانها اذا قوبلت بما يجب
ان يوجد من العبد فى مقابلة نعم الله تعالى يكون فى غاية الصغر ولولا ان الله تعالى يقبلها لكان ههنا لكل الحسنة من العبد
الذى انعم الله عليه بانواع كثيرة ولولا فضل الله تعالى لكان الاشتغال بالاكل والشرب والاعراض عن عبادة بعض السيئات
ويخفض بعضها الثالثة اذا ذكر الكبائر لما الفواحش بعدها نقول الكبائر اشارة الى ما فيها من مقدار السيئة
والفواحش اشارة الى ما فيها من وصف القبح كانه قال عظيم المقادير قبيحة الصور والفواحش فى اللغة يختص بالقبح الخارج
قبحه عن حد الخفاء وتركيب الحروف فى التقاليب يدل عليه فانك اذا قلبتها وقلت حشف كان فيه معنى الرداءة الخارجة
عن الحد فقال يحسب اليا فا اذا وقعت على هيئة مخصوصة للبول فالفحش ملازمة القبح ولهذا لم يقل الفواحش من الاثم وقال
فى الكبائر من الاثم لان الكبائر ان ميزها بالاضافة فى قوله تعالى كبائر الاثم لما حصل المقصود بخلاف الفواحش الرابعة كثرت
الاقاويل فى الكبائر والفواحش فقيل الكبائر ما وعد الله تعالى عليه بالنار صريحا وظاهرا والفواحش ما اوجب عليه
حدا فى الدنيا فقيل الكبائر ما يكفر مستحله وقيل الكبائر ما لا يغفر الله تعالى لفاعله الا بعد التوبة وهو على مذهب المعتزلة
وكل هذه التعريفات كتعريف الشئ بما هو مثله فى الخفاء او فوقه وقد ذكرنا ان الكبائر هى التى مقدارها عظيم والفواحش
هى التى قبحها واضح فالكبيرة صفة عايدة الى المقدار والفاحشة صفة عايدة الى الكيفية كما يقال مثلا فى الابرص عليه بياض
لطخه كثيرة ظاهرة الكون فالكثرة لبيان الكمية والظهور لبيان الكيفية وعلى هذا نقول على ما قلنا ان الاصل فى كل
معصية ان تكون كبيرة لان نعم الله تعالى كثيرة ومخالفة المنعم سيئة عظيمة غير ان الله تعالى حط عن عباده الخطاء

والنسيان



والنسيان لانهما دلان على ترك التعظيم اما الموجبة العبادة ولكثرة وجوده منهم كالكذبة والغيبة مرة او مرتين والنظرة
والعبايح التى فيها شبهة فان التحرز عنها قليل فى جميع الاعصار ولهذا قال اصحابنا ان استماع الغنا الذى هو مع الاوتار تفسق
به ان استمعه واهل بلدته لا يعدون ذلك لا يفسق فعادت الصغيرة الى ما ذكرنا من ان العقلاء اذا لم يقدروه تاركا للتعظيم
لا يكون مرتكب الكبيرة وعلى هذا تختلف الامور باختلاف الاوقات والاشخاص فالعالم المتقى اذا كان يتبع القينات
او يكثر من اللعب يكون مرتكب الكبيرة والدلال والباعة والمتفرغ الذى لا شغل له لا يكون كذلك وكذلك اللعب وقت
الصلاة واللعب فى غير ذلك الوقت وعلى هذا كل ذنب كبيرة الا ما علم المكلف او ظن خروجه بفضل الله وعفوه عن الكبائر
والمسئلة الخامسة واللمم وفيه اقوال احدها ما يقصده المؤمن ولا يحققه وعلى هذا القول من الم اذا
جمع فكانه جمع عزمه واجمع عليه وثانيها ما ياتيه المؤمن ويندم فى الحال وهو من اللمم الذى من جنس الجنون
كانه مسه وفارقه ويؤيده قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم
ثالثها الصغير من الذنوب من الم اذا نزل نزولا من غير لبث طويل ويقال الم بالطعام اذا قل منه اكله وعلى هذا قوله
تعالى الا اللمم يحتمل وجوها احدها ان يكون ذلك استثناء من الفواحش وحينئذ ففيه وجهان احدهما
استثناء منقطع لان اللمم ليس من الفواحش وثانيهما غير منقطع لما بينا ان كل معصية اذا نظرت الى جلال الله
تعالى وما يجب ان يكون عليه فهى كبيرة وفاحشة ولهذا قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة غير ان الله تعالى استثنى
فيها امورا فقال الفواحش الا ما استثناه الله تعالى عنها ووعدنا بالعفو فيه وثانيهما ان الا بمعنى غير وتقديره
الفواحش غير اللمم وهذان الوصفان كان للمم كما تقول الرجال الا عن او لى الاربة كالمجتمع فى الفاحشة وان كان لغيره كما
تقول الرجال غير المستاجرين لتاكيد وبيان فلا وثالثهما هو استثناء من الفعل الذى يدل عليه قوله تعالى
الذين يجتنبون لان ذلك يدل على انهم لا يقربونه وكانه قال لا يقربونها الا بمقاربة من غير مواقعة وهو اللمم
ثم قال تعالى ان ربك واسع المغفرة وذلك على قولنا الذين يجتنبون ابتداء الكلام فى غاية الظهور لان المحسن مجزى
وذنبه مغفور ويجتنب الكبائر كذلك ومنه الصغائر مغفور والمقدم على الكبائر اذا تاب مغفور الذنب فلم يبق
من لا يصل اليهم المغفرة الا الذين اساؤا واصروا عليها بالمغفرة واسعة وفيه معنى آخر لطيف وهو انه تعالى لما
اخرج المسئ عن المغفرة من الستر وهو لا يكون الا عن قبيح وكل من خلقه الله تعالى اذا نظرت فى فعله ونسبته
الى نعم الله عنده مقصر سيئا فان من جازى المنعم بنعم لا تحصى مع استغنائه الظاهر وعظمته الواضحة
بدرهم اذا قل منه يحتاج الى ستر ما فعله ثم قال تعالى هو اعلم بكم وفى المناسبة وجوه احدها هو ان ما مر من قبل
هو اعلم بمن ضل كان القايل من الكفرة يقول نحن نعمل امورا فى جوف الليل المظلم وفى البيت الخالى فكيف يعلمه الله
فقيل علمكم اخفى من احوالكم وانتم اجنة فى بطون امهاتكم والله عالم بتلك الاحوال وثانيها اشارة الى ان الضال والمهتدى
حصلوا على ما هما عليه بتقدير الله تعالى فانه علم الخلق وهم فى بطون الامهات فكتب على البعض انه ضال والبعض انه
مهتد ثالثها تاكيد لبيان الجزاء وذلك لانه لما قال تعالى ليجزى الذين اساؤا بما عملوا قال الكافرون هذا الجزاء لا يتحقق
الا بالحشر وجمع الاجزاء بعد تفرقها واعادة ما كان لتبدد من الاجزاء فى بدنه من غير اختلاط غير ممكن فقال تعالى هو
عالم بالاشياء يجمعها بقدرته على وفق علمه كما انشاكم وفيه مسايل المسئلة الاولى العامل فى اذ يحتمل ان يكون
ما يدل عليه اعلم اى علمكم وقت الانشاء ويحتمل ان يكون اذكروا فيكون تقريرا لكونه عالما ويكون تقديره هو اعلم بكم
وقد تم الكلام ثم يقول ان كنتم فى شك من علمه بكم فاذكروا حال انشايكم من التراب المسئلة الثانية ذكرنا مرارا ان
قوله تعالى من الارض من الناس من قال آدم عليه السلام فانه من تراب وقربان كل احد اصله من التراب فانه يصير
غذاء ثم يصير دما ثم يصير نطفة المسئلة الثالثة لو قال قايل الامر من ضرب اذ انشاكم من الارض الى آدم عليه السلام
لان اذ انتم اجنة فى بطون امهاتكم عايد الى غيره فانه لم يكن جنينا ولو قلت بان قوله تعالى اذ انشاكم عاير الى جميع
الناس وينبغى ان يكون جميع الناس اجنة فى بطون الامهات وهو قول الفلاسفة ليس يعود لذلك لانا نقول
الخطاب مع الموجودين حالة الخطاب وقوله تعالى هو اعلم خطاب مع كل من بعد الارسال على قول وعلى من حضر وقت الانزال
على قول ولا شك ان كل هؤلاء من الارض وهم كانوا اجنة فى بطون الامهات وبعد الخروج لا يسمى الولد الا جنينا ويسقط فما فايدة
قوله تعالى فى بطون امهاتكم نقول التنبيه على كمال القدرة فان بطن الام فى غاية الظلمة ومن علم حال الخلق لا يخفى
عليه ما ظهر من حال العباد المسئلة الرابعة لقايل ان يقول اذا قلنا ان قوله تعالى هو اعلم بكم تقرير لكونه عالما
بمن ضل وهو قوله تعالى فلا تزكوا انفسكم تعلقه به ظاهر وان قلنا انه تاكيد لبيان الجزاء وانه يعلم الاجزاء بعد تفرقها
الى ابدان اشخاصها فكيف يتعلق به فلا تزكوا انفسكم نقول معناه حينئذ فلا تبرئوا انفسكم من العذاب ولا تقولوا
لعرفت نسبة الاجزاء فلا يقع العذاب لان العالم بكم عند الانشاء عالم بكم عند الاعادة وعلى هذا قوله تعالى اعلم بمن اتقى
اى يعلم اجزاءه فيعيدها اليه ويثيبه بما قدم عليه المسئلة الخامسة الخطاب مع من فيه ثلاث احتمالات الاول
مع الكفار وهذا على قولنا انهم قالوا كيف يعلمنا الله فرد الله عليهم قولهم الثانى كل من كان زمان الخطاب وبعده
من المومنين والكفار الثالث هو مع المومنين وتقديره هو ان الله تعالى لما قال فاعرض عمن تولى عن ذكرنا وقال

لنبيه صلى الله عليه وسلم قد علم كونك ومن معك على الحق وكون المشركين على الباطل واعرض عنهم ولا تقولوا نحن على الحق وانتم على الضلال لانهم تقابلونكم بمثل ذلك وفوضوا الامر الى الله تعالى فهو اعلم بمن اتقى ومن طغى وعلى هذا قول من قال فاعرض منسوخ اظهر ويؤيده قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين يعني والله اعلم بجملة الامور ويحتمل ان يقال على هذا الوجه الثالث انه ارشاد للمؤمنين يخاطبهم الله وقال هو اعلم بكم ايها المؤمنون علم ما لكم من اول خلقكم الى يومكم فلا تزكوا انفسكم ريا وخيلا ولا تقولوا لمن اخر اسلامه انا ازكى منك واتقى فان الامر عند الله تعالى ووجه آخر وهو اشارة الى وجوب الخوف من العاقبة اى لا تقطعوا بخلاصكم ايها المؤمنون فان الله تعالى يعلم ان ... منه من يكون على التقوى وهذا يؤيد قول من يقول انا مؤمن ان شاء الله تعالى للصرف الى العاقبة

**قوله تعالى افرايت الذى تولى واعطى قليلا واكدى اعنده علم الغيب فهو يرى ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم الذى وفى ان لا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى**

**اعلم** ان بعض المفسرين قال نزلت الاية في الوليد بن المغيرة جلس عند النبي صلى الله عليه وسلم وسمع وعظه واثرت الحكمة فيه تاثيرا قويا فقال له رجل لم تترك دين ابائك ثم قال له لا تخف واعطني كذا وانا اتحمل عنك اوزارك فاعطاه بعض ما التزمه وتولى عن الوعظ وسماع الكلام عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يعطي ماله عطاء فقال له اخوه من امه عبد الله بن سعد بن ابي سرح يوشك ان يفنى مالك فامسك فقال له عثمان رضي الله عنه ان لي ذنوبا ارجو ان يغفر الله لي بسبب العطاء فقال له اخوه انا اتحمل عنك ذنوبك ان تعطيني ناقتك مع كذا فاعطاه ما طلب وامسك يده عن العطاء فنزلت الاية وهذا قول باطل لا يجوز ذكره لانه لم يتواتر ذلك ولا اشتهر وظاهر حال عثمان رضي الله تعالى عنه يابى ذلك بل الحق ان يقال ان الله تعالى لما قال لنبيه عليه السلام من قبل فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا وكانت التولى من جملة انواعه قوله المسعى فان العالم بالشيء لا يحضر مجالس ذكر ذلك الشيء ويسعى في تحصيل غيره فقال تعالى افرايت الذى تولى عن استماع وعلم بالغيب السادسة القائل يقتضي كلاما ترتب عليه ... فيما اذا هو ما تقدم من بيان علم الله تعالى وقدرته ووعده المحسن بالجزاء وتغريه هو انه تعالى لما بين ان الجزاء لابد من وقوعه على الاساءة والاحسان وان المحسن هو الذى يجتنب كبائر الاثم فلم يكن الانسان مستغنيا عن سماع كلام النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه فبعد هذا من تولى لا يكون توليه الا بعد غاية الحاجة ونهاية الاقتصار الثالثة الذى على ما قال بعض المفسرين عائد الى معلوم وهو ذلك الرجل وهو الوليد والظاهر انه عائد الى المذكور فان الله تعالى قال من قبل فاعرض عمن تولى عن ذكرنا وهو المعلوم لان الامر بالاعراض غير مختص بواحد من المعاندين فقال تعالى افرايت الذى تولى اى الذى سبق ذكره فان قيل كان ينبغي ان يقول الذين تولوا لان من في قوله تعالى عمن تولى للعموم نقول العود الى اللفظ كثير شائع قال تعالى من جاء بالحسنة فله ولم يقل فلهم السابعة قوله تعالى واعطى قليلا واكدى ما المراد منه نقول على ما تقدم هو المقدار الذى اعطاه الوليد قوله تعالى هو ما امسك عنه ولم يعط فالكل وعلى هذا الوجه قائل بل الاكدى لا يكون مذموما لان الاعطاء كان لغير حق فالامتناع لا يذم عليه وايضا فلا يبقى لقوله قليلا فائدة لان الاعطاء حينئذ نفسه يكون مذموما نقول فيه بيان خروجهم عن العقل والعرف اما العقل فلانه يمنع من الاعطاء لاجل حمل الوزر وان كان لا يحصل به واما العرف فلان عادة الكرام من العرب الوفاء بالعهد وهو لم يف به حيث تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا يعني اعطاء ما وجب اعطاؤه في مقابلة ما يجب لاصلاح امور الاخرة ويحول قوله تعالى اعنده علم الغيب في مقابلة قوله تعالى ذلك مبلغهم من العلم اى لم يعلم الغيب وما في الاخرة وقوله تعالى ام لم ينبا الى قوله تعالى ان لا تزر وازرة وزر اخرى في مقابلة هو اعلم بمن ضل الى قوله تعالى ليجزي الذين اساؤوا وان الكلام جميعا لبيان الجزاء ويمكن ان يقال بان الله تعالى لما بين حال المشركين المعاندين في اللات والعزى والقائلين بان الملائكة بنات الله شرع في بيان اهل الكتاب وقال بعد ما رايت حال المشركين الذين تولوا عن ذكرنا افرايت حال من تولى وله كتاب واعطى قليلا من الزمان حقوق الله تعالى ولما بلغ زمان محمد الذى فهل علم الغيب فقال شيئا لم يرد في كتبهم ولم ينزل عليهم في الصحف المتقدمة ووجدوا فيها بان كل واحد يفعله ويجازى بعمله وقوله تعالى ام لم ينبا بما في صحف موسى يحتمل ان المتولى المذكورين من اهل الكتاب الناسه الذى الذى قبل هو من بلغ الدمع والارض الصلبة لا تحفر وحافر البئر اذا وصل اليها وامتنع عليه الحفر او ... فقال اكدى الحافر والاظهر انه للرد والمنع يقال اكديته اى رددته وقوله تعالى اعنده علم الغيب فهو يرى قد علم تفسيره جملة ان المراد حال المتولى وحاجته وبيان قبح التولى مع الحاجة الى الاقبال وعلم الغيب اى العلم بالغيب وعلم ما هو غائب عن الخلق وقوله تعالى فهو يرى تتمة بيان وقت جواز التولى وهو حصول الرؤية وهو الوقت الذى لا ينفع الايمان به وهنالك لم يبق وجوب متابعة احد فيها لان الهادي يهدي الى الطريق فاذا راى المهتدي مقصده بعينه لا ينتفع بالسماع فقال تعالى هل علم الغيب بحيث راه فلا يكون علمه علما نظريا بل علما بصريا فسعى فتولى قوله تعالى فهو يرى يحتمل ان يكون مفعول يرى هو احتمال الواحد وزر الاخر كانه قال فهو يرى ان وزره محمول ام لم يسمع ان وزره غير محمول فهو عالم بالحمل او غافل عن عدم الحمل له يكون معذورا ويحتمل ان يكون له مفعول تقديره فهو يرى براي نظر غير محتاج الى اجتهاد وتدبر وقوله تعالى ام لم ينبا حال اخرى مضادة للاولى يعدد فيها المتولى وهو الجاهل المطلق فان من علم الشيء علما تاما لا يلوم بعلمه والذى جهله جهلا مطلقا وهو الغافل على الاطلاق كالسائم ايضا لا يلوم فقال

هذا المتولى



هذا المتولى علم هل علم الكل فجاز له التولى ام لم يسمع شيئا وما بلغه دعوة اصلا فيكون معذورا ولا واحد من الامرين كائن فهو في التولى غير معذور وفيه مسائل **المسالة الاولى** قوله تعالى بما في يحتمل وجهين احدهما ان يكون المراد فيها لا بصفة كونه فيها وكانه تعالى يقول ام لم ينبا بالتوحيد والحشر وغير ذلك وهذه امور مذكورة في صحف موسى مثاله يقول القائل لمن توضأ بغير الماء توضأ بما توضأ به النبي صلى الله عليه وسلم يريد به نفس الماء الذى توضأ به النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فالكلام مع الكل لان المراد واهل الكتاب سالهم النبي صلى الله عليه وسلم بما في صحف موسى ثانيهما ان يكون المراد بما في الصحف موسى مع كونه فيها كما تقول لعامل فيما ذكرنا من المثال توضأ بما في القربة لا بما في الجرة فيريد ذلك لا جنسه وعلى هذا فالكلام مع اهل الكتاب لانهم الذين سوابه **المسالة الثانية** صحف موسى وابرهيم عليهما السلام هل جمعها لكونها صحفا كثيرة او لكونها اثنين من ... صحفهما ... قلنا لكنها الظاهر انها كثيرة قال الله تعالى واخذ الالواح وقال تعالى والقى الالواح وكل لوح صحيفة **المسالة الثالثة** ما المراد بالذى فيها نقول قوله تعالى ان لا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى وما بعده من الامور المذكورة على قراءة من قرا ان بالفتح وعلى قراءة من يكسر ويقول وان الى ربك المنتهى وفيه وجوه **احدها** هو ما ذكره بقوله تعالى ان لا تزر وازرة وزر اخرى وهو الظاهر وانما احتج عليه بان صحف موسى وابرهيم عليهما السلام ليس فيها هذا فقط وليس هذا معظم المقصود بخلاف قراءة الفتح فان ما يكون فيها يكون جميع الاصول على ما بين **ثانيها** هو ان الاخرة خير من الاولى يدل عليه قوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى **ثالثها** اصول الدين كلها مذكورة في الكتب باسرها ولم يخل الله كتابا عنها ولهذا قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فبهداهم اقتده وليس المراد في الفروع لان فروع دينه مغايرة لفروع دينهم من غير شك **المسالة الرابعة** قدم موسى عليه السلام ههنا ولم نقل كما قال في سبح اسم ربك الاعلى فهل فيه فائدة نقول مثل هذا في كلام الفصحاء لا يطلب له فائدة بل التقديم والتاخير سواء في كلامهم فيصح ان يقتصر على هذا الجواب ويمكن ان يقال ان الذكر هناك لمجرد الاخبار والانذار وههنا بيان اسقاط الاعذار فذكرها هنا على ترتيب الوجود وقبل صحف ابرهيم عليه السلام صحف في الانتقال واما ههنا فقد قلنا ان الكلام مع اهل الكتاب وهم اليهود فقدم كتابهم وان قلنا الخطاب عام فصحف موسى عليه السلام كانت كثيرة الوجود فكانه قال لهم انظروا فيها تعلمون ان الرسالة حق لرسل من قبل رسل والتوحيد صدق والحشر واقع فلما كانت صحف موسى عليه السلام عند اليهود كثيرة الوجود قدمها واما صحف ابرهيم عليه السلام فكانت بعيدة وكانت الموعظة التى فيها مشهورة فيما بينهم كصحف موسى عليه السلام اخر ذكر **المسالة الخامسة** كثيرا ما ذكر الله موسى عليه السلام واخر ذكر ابرهيم عليه السلام كان ... اكثر الامر ... وهم كانوا مشركين ومهودين والمشركون كانوا يعظمون ابرهيم عليه السلام لكونه اباهم واما قوله تعالى وفى ففيه وجهان **احدها** انه من الوفاء الذى هو ذكر في العهود وعلى هذا فالتشديد للمبالغة وفى ووفى يقطع وقطع وصل ووصل وهو ظاهر لانه وفى بالنذور واضجع ابنه للذبح وورد في حقه قد صدقت الرؤيا وقال تعالى ان هذا لهو البلاء المبين **وثانيهما** انه من التوفية التى من الوفاء وهو التمام والتوفية الاتمام ويقال وفاه اى اعطاه تاما وعلى هذا فهو من قوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن وفيه وفى اعطى حقوق الله في بدنه وعلى هذا فهو على ضد من قال تعالى اعطى قليلا واكدى مدح ولم تصف موسى عليه السلام نقول اما بيان توفيته ففيه لطيفة وهو انه لم يعهد عهدا الا وفى به ثم قال لابيه لاستغفرن لك وقوله تعالى سأستغفر لك ربي فاستغفر ووفى بالعهد ولم يغفر الله له فعلم انه ليس للانسان الا ما سعى وان وزره لا تزره نفس اخرى واما مدح ابرهيم عليه السلام فلانه كان متفقا عليه بين المشركين واليهود والمسلمين ولم ينكر احد كونه وفيا موفيا وربما كان المشرك يتوقف في وصف موسى عليه السلام ثم قال تعالى ان لا تزر وازرة وزر اخرى وقد تقدم تفسيره في سورة الملائكة والذى يحسن لهذا الموضع مسائل **المسالة الاولى** انا بينا ان الظاهر ان المراد من قوله تعالى بما في صحف موسى هو ما بينه بقوله تعالى ان لا تزر وازرة وزر اخرى فيكون هذا بدلا عما وتقديره ام لم ينبا بان لا تزر وذكرنا هناك وجهين **احدها** المراد ان الاخرة خير وابقى **وثانيها** الاصول **المسالة الثانية** ان لا تزر وان خفيفة من الثقيلة وكانه قال انه لا تزر وتخفيف الثقيلة لازم غير جائز فلا لازم عند ما يكون بعدها فعل او حرف داخلة على فعل ولزم فيها التخفيف لانها تشبه الفعل في اللفظ والمعنى والفعل لا يمكن ادخاله على فعل فاخرج عن شبه الفعل الى صورة تكون حرفا مختصا بما يناسب الفعل فيدخل عليه **المسالة الثالثة** ان قال قائل الاية المذكورة لبيان ان وزر المسيء لا يحمل عنه وبهذا الكلام لا يحصل هذه الفائدة لان الوازرة تكون مثقلة بوزرها فيعلم كل احد انها لا تحمل شيئا ولو قال لا تحمل فارغة وزر اخرى كان ابلغ فنقول ليس كما ظننت وذلك لان المراد من الوازرة هي التى يتوقع منها الوزر والحمل التى وزرت وحملت كما يقال ... وان لم يكن عليه في الحال حمل واذا لم تزر تلك النفس التى يتوقع منها ذلك فكيف تحمل وزر غيرها فتكون الفائدة كاملة وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى تتمة بيان احوال المكلف فانه لما بين له ان سيئته لا يحملها عنه احد بين له ان حسنته ... لا اخرى نفعا ومن لم يعمل صالحا لا ينال خيرا فيكمل بها ويظهر ان المسيء لا يجد بسبب حسنة الغير وقيل عليه بان في الاخبار ان ما ياتي به القريب من الصدقة ولا يحمل عنه احد عقابا وفيه مسائل **المسالة الاولى** ليس للانسان فيه وجهين احدهما انه عام وهو

الحق وصل عليه بان في الاخبار ان ما ياتي به القريب من الصدقة والصوم تصل الى الميت والدعا ايضا نافع فلو نشاذ شي ان سعى
فيه وايضا قال الله تعالى من جا بالحسنة فله عشر امثالها وهي فوق ما سعى والجواب عنه ان الانسان ادم سعى في ان يكون له صدقة
العرب والايمان لا يكون له صدقته فليس له الا ما سعى واما الزيادة فنقول الله تعالى لما وعد المحسن الامثال والعشرة والاضعاف
المضاعفة فاذا اتى بحسنة راجيا ان يوتيه الله تعالى ما تفضل به فقد سعى في الانسان فان قيل ان تم اذا حملتم السعي على
المبادرة الى السعي يقال سعى في كذا اذا شرع اليه والسعي في قوله تعالى الا ما سعى معناه العمل يقال سعى فلان اي عمل ولو كان كما
ذكرتم لقال الا ما سعى فيه نقول على التقديرين جميعا لا بد من زيادة فان قوله تعالى ليس للانسان الا ما سعى ليس المراد
منه ان له عين ما سعى بل المراد على ما ذكرت ليس له الا ثواب ما سعى او اجر ما سعى او يقال بان المراد ان ما سعى محفوظ له عند الله
فاذا له فعله يوم القيمة الوجه الثاني ان المراد من الانسان الكافر دون المومن وهو ضعيف وقيل بان قوله تعالى ليس
للانسان الا ما سعى كان في شرع من تقدم ثم ان الله تعالى نسخه في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وجعل للانسان ما سعى
وما لم يسع وهو باطل اذ لا حاجة الى هذا التكليف بعد ما بان الحق وصل على ما ذكرنا بقوله تعالى الا ما سعى مبني على حقيقته
معناه له عين ما سعى محفوظة عند الله تعالى ولا نقصان تدخله بحربه كما قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره المسألة
الثانية ان ما خبريه او مصدرية نقول كونها مصدرية اظهر بدليل قوله تعالى وان سعيه سوف يرى المسعي والمصدر للمفعول
يجي كثيرا فقال تعالى هذا خلق الله اي مخلوق الله المسألة الثالثة المراد من الاية بيان ثواب الاعمال الصالحة او بيان كل عمل نقول
المشهور كل عمل فالخير مثاب عليه والشر يعاقب به والظاهر انه لبيان الخيرات يدل عليه اللام في قوله تعالى للانسان فان اللام تعود
المنافع وعلى المضار نقول هذا له وهذا عليه واشهد له ويشهد عليه في المنافع والمضار وللعامل ان نقول بان الامرين اذا
اجتمعا غلب الافضل كجموع السلامة مذكرا اذا اجتمعت الاناث مع الذكور وايضا يدل عليه قوله تعالى ثم يجزاه الجزاء الاوفى والاوفى
لا يكون الا في مقابلة الحسنة واما في السية فالمثل او دونه او العفو بالكلية المسألة الرابعة الا ما سعى بصيغة الماضي دون
المستقبل لزيادة الحث على السعي في العمل الصالح وتقريره هو انه تعالى لو قال للانسان الا ما يسعى تقول النفس الى صلاعدا كذا
ولعله والتصدق ولا ادرهم ثم يجعل مستانفا في صحيفة الانسان لانه امر يسعى فيه وله ما سعى فيه فقال ليس له الا ما قد سعى
وحصل ووضع منه واما التسويلات للشيطان وعدوانه فلا اعتماد عليهما ثم قال تعالى وان سعيه سوف يرى اي تعرض عليه ويكشف
له من اريه اسي فيه بشارة المومنين على ما ذكرناه وذلك ان الله تعالى يريه اعماله الصالحة ليفرح بها او يكون يرى ملايكته
وساير خلقه ليفتخر العامل به وعلى ما هو المشهور وهو مذكور ليفرح المسلم ويحزن الكافر فان سعيه يرى الخلق ويرى نفسه
ويحتمل ان يقال هو من راى يرى فيكون كقوله تعالى اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله وفيها وفي الاية التي بعدها
مسايل المسألة الاولى العمل كيف يرى بعد وجوده وتقضيه نقول فيه وجهان احدهما يراه على صورة جميلة
ان كان العمل الصالح ثانيهما هو على مذهبنا غير بعيد فان كل موجود يرى والله تعالى قادر على اعادة كل معدوم فبعد
الفعل يرى وفيه وجه ثالث وهو ان ذلك مجاز عن الثواب يقال سترى احسانك عند الملك اي جزاه عليه وهو بعيد
لما قال بعده ثم يجزاه الجزاء الاوفى المسألة الثانية الهاء ضمير السعي اي ثم يجزى الانسان سعيه بالجزاء والجزاء يتعدى الى مفعولين
قال تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ويقال جزاك الله خيرا ويتعدى الى الثالث مفاعيل بحرف يقال اجزاك الله الخير على
عملك الجنة ويحذف الجار ويوصل الفعل فيقال اجزاك الله الخير عمله الجنة هذا وجه فيه وجه اخر وهو ان الضمير للجزاء تقديره
ثم يجزاه جزاء ويكون قوله الجزاء الاوفى تفسيرا او بدلا مثله قوله تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا فان التقدير والذين اسروا
النجوى الذين ظلموا والجزاء الاوفى على ما ذكرنا يليق بالمومنين الصالحين لان جزاء الصالح وان قال تعالى فان جهنم جزاوكم
جزاء موفورا وعلى ما قيل بجازات الاول لا النظر اليه فان جهنم ضررها اكثر بكثير من نفع الاثام لنبيح نفسها او في
المسألة الثالثة ثم لتراخي الجزاء او لتراخي الكلام اي ثم نقول يجزاه فان كان لتراخي الجزاء فكيف يوخر الجزاء عن الصالح وقد
ان الظاهر ان المراد منه الصالحون نقول الوجهان محتملان وجوابا لسوال هو ان الوصف بالاوفى يدفع ما ذكرت لان
الله تعالى من اول زمان يموت الصالح يجزيه جزاء على خير ويوخر له الجزاء الاوفى وهو الجنة او نقول الاوفى اشارة الى الزيادة
فصار كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وهي الجنة وزيادة وهي الروية فكانه تعالى قال سعيه سوف يرى ثم
يرزق الروية وهذا الوجه يليق بتفسير اللفظ فان الاوفى مطلق غير مبين فلم يقل اوفى من كذا فينبغي ان يكون اوفى
من كل واف ولا يتصف به غير رؤية الله تعالى المسألة الرابعة في بيان من الايات الاول قال في حق المسي ولا تزر
وازرة وزر اخرى وهو لا يدل الا على عدم الحمل عن الوزارة وهذا لا يلزمه نفي الوزر عليه من ضرورة اللفظ لجواز
ان يسقط عنها ويحاسبه ذلك لعدم ورود فلا سعى عليها فلا يحمل عنها غيرها ولو قال لا تزر وازرة الا وزرا نفسها كان
من ضرورة الاستثنا انها تزر وقال في حق المحسن ليس للانسان الا ما سعى ولم يقل ليس له ما لم يسع لان العبادة الثانية
ليس فيها ان له فيها ما سعى وفي العبادة الاولى ان له ما سعى نظرا الى سعينا وقال في حق المحسن ليس للانسان الا ما سعى
ولم نقل ليس له ما لم يسع وقال في حق المسي بعبادة لا تقطع رجاه وفي حق المحسن بعبادة تقطع خوفه كل ذلك اشارة
الى سبق الرحمة الغضب ثم قال تعالى وان الى ربك المنتهى القراة المشهورة فتح الهمزة على العطف على معنى ان هذا ايضا
في الصحف وهو الحق وقرى بالكسر على الاستيناف وفيه مسايل المسألة الاولى ما المراد من الاية قلنا فيه وجهان

احدها



احدهما وهو المشهور بيان المعاد اي للناس بين يدي الله تعالى وقوف وعلى هذا فهو متصل بما تقدم لانه تعالى قال ثم يجزاه كان
قايلا يقول لا نرى الجزاء ومتى يكون فقال ان المرجع الى الله ومع ذلك تجازى الشكور ويجزي الكفور بالثاني المراد التوحيد وقد
فسر الحكما اكثر الايات التي فيها الانتها والرجوع بما سنذكره غير ان في بعضها تفسيرهم غير ظاهر وفي هذا الموضع ظاهر معقول بيان وجود الله
تعالى ووحدانيته وذلك لانك اذا نظرت الى الموجودات الممكنة لا تجد لها بدا من موجد ثم ان موجدها ربما يكون انه ممكن اخر كالحرارة
التي تكون على وجه تظن انها من اشراق الشمس ومن النار فيقال الشمس ومن النار فيقال الشمس والنار ممكنان فهم
وجودهما فان اسندنا الى ممكن اخر لم نجد الفعل بدا من الانتها الى غير ممكن فهو واجب الوجود فالله تعالى منتهى الامر فالرب هو
المنتهى وهذا في هذا الموضع ظاهر معقول موافق للمنقول فان المروي عن ابي بن كعب رضي الله عنه انه قال عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال وان الى ربك المنتهى لا فكرة في الرب اي منتهى الامر الى واجب الوجود وهو الذي لا يكون وجوده بموجد ومنه كل
موجود وقال انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا ذكروا الرب فانتهوا وهو يحتمل لما ذكرنا ولما
بعض الناس فيبالغ في تفسير كل اية فيها الرجعى والمنتهى وغيرها وهذا التفسير حتى قال فيه بعضهم انكم الطيب هذا المعنى هذا
دليل الموجود واما دليل الوحدانية فمن حيث ان الفعل انتهى الى واجب الوجود من حيث انه واجب الوجود ولانه لو لم يكن واجب الوجود
لما كان منتهى بل يكون له قبله فالمنتهى هو الواجب من حيث انه واجب بهذا المعنى واحد في الحقيقة والعقل لانه لا بد من الانتها الى هذا
الواجب او الى ذلك الواجب فلا نسب الواجب مع غيره انه واجب بعد اد وجوبه فلو كان واجبا الوجود لكان كل واحد قبل المنتهى لا
المجموع قبل الواجب هو المنتهى وهذا دليلان ذكرتهما على وجه الاختصار المسألة الثانية وان الى ربك في المخاطب وجهان احدهما
انه عام وتقديره الى ربك ايها السامع او العاقل ثانيهما الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم وفيه بيان صحة دينه فان كل احد
كان يدعي انه عام وتقديره الى ربك ايها السامع فان كل احد يدعي ربا والها الا انه عليه السلام لما قال ربي هو الذي احد وصمد
يحتاج اليه كل ممكن فاذا ربك هو المنتهى وهو رب الارباب ومسبب الاسباب وعلى القول الاول الكاف احسن موقعا اما على
قولنا ان الخطاب عام فهو تهديد بليغ للمسيء وحث مزيد للمحسن لان قوله ايها السامع كائنا من كان الى ربك المنتهى يفيد الامرين افادة
بالغة حد الكمال واما على قولنا الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم فهو تسلية لقلبه كانه يقول لا تحزن فان المنتهى الى الله فيكون
كقوله تعالى فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون الاية ثم قال تعالى في اخر السورة واليه ترجعون وامثاله كثيرة
في القرآن المسألة الثالثة اللام على الوجه الاول للعهد اي النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الى ربك المرجع الى الله فقال
تعالى وان الى ربك المنتهى الموعود المذكور في القرآن وكلام النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الوجه الثاني للعموم اي الى الرب كل منتهى
وعلى هذا الوجه نقول منتهى الادراكات والمدركات فان الانسان اولا يدرك الاشيا الظاهرة ثم يمعن النظر فينتهي
الى الله تعالى فيقف عنده ثم قال تعالى وانه اضحك وابكى وفي الاية مسايل المسألة الاولى على قولنا انه المنتهى اثبات
الوحدانية بهذه الايات مبينات لمسايل يتوقف عليها الاسلام من جملتها قدرة الله تعالى فان من الفلاسفة
من يعترف بان الله المنتهى وانه واحد لكن يقول هو موجب لا قادر فقال تعالى هو اوجد ضدين الضحك والبكا
في محل واحد والموت والحياة والذكورة والانوثة في مادة واحدة وان ذلك لا يكون الا من قادر واعترف به كل
عاقل وعلى قولنا ان قوله تعالى وان الى ربك المنتهى بيان المعاد فهو اشارة الى ان المعاد امره في بعضها باكيا محزونا كذلك
يفعل في الاخرة المسألة الثانية اضحك وابكى لا مفعول لهما في هذا الموضع لانهما مسوقتان لقدرة الله تعالى لا لبيان المقدور
فلا حاجة الى المفعول يقول القايل فلان بيده الاخذ والعطا يعطي ويمنع ولا يريد ممنوعا ومعطى المسألة الثالثة اختيار
هذين الوصفين الذكر والانثى لانهما امران لا يعللان فلا يقدر احد من الطبائعيين ان يبين اختصاص الانسان بالضحك
والبكا وجها وسببا واذا لم يعلل بامر واحد فلا بد له من موجد وهو الله تعالى بخلاف الصحة والسقم فانهم يقولون
سببهما اختلال المزاج وخروجه عن الاعتدال ويدلك على هذا انهم اذا ذكروا في الضحك امرا له الضحك قالوا قوة
التعجب وهو في غاية البطلان لان الانسان ربما يبهت عند الامور العجيبة ولا يضحك وصل لقوة الفرح وليس كذلك لان الانسان
يفرح كثيرا ولا يضحك والحزن الذي عنده غاية الحزن يضحكه المضحك وذكر الامر في البكا ان قيل لاكثرهم هو علما بالامور التي
يدعيها الطبيعيون ان خروج الدمع من العين عند امور مخصوصة لماذا لا يقدر على تعليل صحيح وعند الخواص كالتي في
المقناطيس وغيرها ينقطع الطبيعي كما ان اعدا وضاع الكواكب ينقطع هو المهندس الذي لا يفوض امره الى قدرة الله تعالى
وارادته ثم قال تعالى وانه هو امات واحيى البحث فيه كما في الضحك والبكا غير ان الله تعالى في الاول من خاصة النوع الذي
هو اخص من الجنس فاذا اطرد وعن التعليل وهو الاماتة والاحيا وهما صفتان متضادتان اي الموت والحياة كالضحك
والبكا والموت على هذا ليس بمجرد العدم والا لكان الممتنع ميتا وكيف ما كان فالاماتة امر وجودي وهما من خواص
الحيوان ونقول الطبيعي في الحياة لا عند الموت والمزاج بين له كان متضادة وهي من النار والهوا والما والتراب وهي متداعية
الى الانفكاك وما لا يتركب فيه من المتضاد لا موت له لان المتضادات كل واحد منها تطلب مفارقه فقال تعالى
المركب العناصر وحفظها مدة فادر على ان يحفظها اكثر من ذلك فاذا مات فليس عن ضرورة فهو بفعل فاعل مختار وهو الله
هو الذي امات واحيى فان قيل متى امات واحيى حتى يصح ذلك بل يشاهد الاحيا والاماتة بنا على الحياة والموت نقول فيه وجوه
احدها انه على التقديم والتاخير كانه قال احيى وامات ثانيها هو بمعنى المستقبل فان الامر قريب يقال فلان وصل والليل جاء اذا

قرب مكانه وزمانه فذلك الاحيا والاماتة ثالثها اى خلق الموت والجمود فى العناصر ثم ركبها واحيى اى خلق الحس والحركة فيها ثم قال تعالى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى وهى ايضا من جملة المتضادات التى يتوارد عليها النطفة فبعضها لخلق ذكرا وبعضها لخلق انثى ولا تصل اليهم فهم الطبيعى والذى يقولونه من البرد والرطوبة فى الانثى فرب امراة ايبس مزاجا من الرجل وكيف واذا نظرت فى الصغير تجده امور عجيبة منها نبات اللحية واقوى ما قالوه فى نبات اللحية انهم قالوا السعود مكونه من بخار دخانى يصعد الى المسام فاذا كانت المسام فى غاية الرطوبة والتحلل كما فى مزاج الصبى والمراة لا ينبت الشعر لخروجه تلك الادخنة من المسام الرطبة بسهولة قبل ان يكون شعرا واذا كانت فى غاية اليبوسة والتكاثف لا ينبت الشعر لعسر خروجه من المخرج الضيق ثم ان تلك السواد ينجذب الى مواضع مخصوصة او مندفعا اما الى الراس فانما يندفع اليه لانه مخلوق لعنه فوق الابخرة والادخنة فيتصاعد اليها تلك فلهذا يكون شعر الراس اكثر واطول وفيما فى الرجل فى مواضع عذب اليها الابخرة والادخنة منها الصدر بحرارة القلب الحرارة تحدث الرطوبة كالسراج الزيت ومنها يقرب الان التناسل لان الشهوة تجذبها ومنها اللحيان فانها كثيرا الحركة بسبب الاكل والكلام والحركة ايضا جاذبة فاذا قيل لم لا السبب الموجب لا يلزم انبات شعر اللحية والات التناسل فانها اذا قطعت لم تنبت اللحيه ثم الفرق بين سن الصبى وبين سن الشباب وبين المراة والرجل ففى بعضها سهب وفى بعضها سكلم بامور واهية ولو فوضها الى كلمة الهية لكان اولى وفيها مسئلتان **المسئلة الاولى** قال تعالى وانه خلق ولم يقل هو خلق كما قال تعالى وانه هو اضحك وابكى وذلك لان الضحك والبكاء ربما يتوهم متوهم انه بفعل الانسان وفى الاماتة والاحيا واذا كان ذلك التوهم ابعد لكن ربما يقول به جاهل كما قال من حاج ابرهيم الخليل صلوات الرحمن عليه حيث قال انا احيى واميت فاكد ذلك بذكر الفصل واما خلق الذكر والانثى من نطفة فلا يتوهم احد انه بفعل احد من الناس فلم يوكد بالفصل الا ترى الى قوله تعالى وانه هو اغنى واقنى حيث كان الاغنا عندهم غير مستند الى الله وكان فى معتقدهم ان ذلك بفعلهم كما قال قارون انما اوتيته على علم عندى وكذلك قال وهو رب الشعرى لانهم كانوا يستبعدون ان يكون رب محمد هو رب الشعرى فاكد فى مواضع استبعادهم الى الله تعالى الاسناد ولم يوكد فى غيره **المسئلة الثانية** الذكر والانثى اسمان هما صفة لسيا نصه والمشهور عند اهل اللغة الثانى والظاهر انهما من الاسما التى هى صفات فالذكر كالحسن العرف والانثى كالحبلى والكبرى وانما قلنا انها كالحبلى فى راى لانها حالها انت كالكبير وانما قلنا انها كالكبرى فى راى لانه حالها انت كالكبير وانما قلنا ان الظاهر انهما صفتان لان الصفة ما يطلق على شى ثبت له امر كالعالم يطلق على شى له علم والمتحرك يقال لشى له حركة بخلاف السحر والحجر فان السحر لشى بشرط ان يثبت له بل هو اسم موضع معين والذكر اسم يقال له شى له امر ولهذا يوصف به ولا يوصف بالشجر فيقال جاء فى شخص ذكر وانسان ذكر ولا يقال جسم شجر والذى ذهب الى انه اسم غير صفة انما ذهب اليه لانه لم نزله فعلا والصفة فى الغالب له فعل كالعالم والجاهل والحسن فى الغوث والكبرى والحبلى وذلك لا يدل على ما ذهب اليه الذكورة والانوثة من الصفات التى لا فعل لبعضها فلا يصاغ لها افعال لان الفعل لما يتوقع له تجدد فى صورة العالمية وكذلك ولهذا لم توجد الاضافات المتبدله افعال فقال واخاه واشباه لما لم يكن مبنيا الا بتكلف فقيل التبدل وقوله تعالى من نطفة اى قطعة من الما وقوله تعالى يمنى من امنى المنى اذا انزل او من منى يمنى اذا قدر وقوله تعالى من نطفة تنبيه على كمال القدرة لان النطفة جسم متناسب الاجزا ويخلق الله تعالى منها اعضا مختلفة وطباعا متباينة وخلق الذكر والانثى فيها اعجب ما يكون على ما بينا ولهذا لم يقدر على ان يدعيه كما لم يقدر على ان يدعى خلق السموات ولهذا قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله كما قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم قال تعالى وان عليه النشاة الاخرى وهى فى قول اكثر المفسرين اشارة الى الحشر والذى ظهر لى بعد طول التفكر والسؤال من فضل الله تعالى بحقال الهداية فيه الى الحق انه يحتمل ان يكون المراد نفخ الروح الانسانية فيه وذلك لان النفس الشريفة لا الامارة تخلق الاجسام الكثيفة المظلمة وبها كرم الله تعالى بنى ادم واليه اشار بقوله تعالى فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر غير خلق النطفه علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما ولهذا الخلق الا تميز الانسان عن انواع الحيوانات وشاركه الملكية فى الادراكات كما قال هناك انشاناه خلقا اخر بعد خلق النطفة قال ههنا عليه النشاة الاخرى فجعل الروح نشاة اخرى كما جعل هناك انشاناه خلقا اخر والذى اوجب القول بهذا هو ان قوله تعالى وان الى ربك المنتهى عند الاكثرين لبيان عود العباد وقوله تعالى ثم يجزاه الجزاء الاوفى كذلك فيكون ذكر النشاة الاخرى اعاده الاية تعالى قال بعد هذا وانه هو اغنى واقنى وهذا من احوال الدنيا وعلى ما ذكرنا يكون الترتيب فى غاية الحسن فيقول انه تعالى خلق الذكر والانثى ونفخ فيهما الروح الانسانية الشريفة ثم اغناه بلبن الام وبنفقة الاب فى صغره ثم اقناه بالكسب بعد كبره فان قيل فقد وردت النشاة الاخرى للحشر فى قوله تعالى اولم يروا كيف يبدى الله الخلق ثم يعيده وقوله تعالى ثم ينشى النشاة الاخرى نقول الاخرى من الاخر لا من الاخر لان الاخر افعل وقد تقدم على هناك لما ذكر البدا حمل على الاعادة وههنا ذكر خلقه من النطفة كما فى قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة ثم قال انشاناه خلقا اخر وفى الاية مسايل **المسئلة الاولى** على للوجوب ولا يجب على الله الاعادة فما معنى قوله تعالى وان عليه وذكر قال الزمخشرى على ما هو مذهبه عليه عقلا فان من الحكمة الجزاء وذلك لا يتم الا بالحشر فيجب عليه عقلا للاعانة ونحن لا نقول لهذا القول ونقول فيه وجها

الاول



الاول عليه بحكم الوعيد فانه تعالى قال انا نحن نحيى الموتى فعليه بحكم الوعيد لا بالعقل ولا بالشرع الثانى عليه للتعين فان من حضر بين جمع وجادلوا امرا معجزوا عنه فقال وسب عليك اذا ان تفعله اى تصلب له **المسئلة الثانية** قرئ النشاة على انه مصدر كالقرية على وزن فعلة وهى المراة فقال ضربته ضربتان تعنى السيمرة اخرى عليه وقرئ النشاة بالمد على انه مصدر على وزن فعالة كالكفالة وكيفما قرئ فهى من النشاة وهو لازم عليه للانسان الا الشى تقول فيه فايدة وهى ان الحرم جعل من هذا بوجود الخلق مرة اخرى ولو قال عليه الانشا ربما لفعل قائل الانشا من باب الاجلاس قال فى السعة اجلسه وما جلس فى قهته فما قام فيقال انشاه وما نشا الا قصده لئيشا ولم يوجد فاذا قال عليه النشاة اى يوجد الشى ويحقه بحيث يوجد جزما **المسئلة الثالثة** هل بين قول القايل عليه النشى مرة اخرى وبين قوله تعالى عليه النشاة الاخرى فرق نقول نعم اذا قال عليه الشى مرة لا يكون الشى قد علم اولا فاذا قال عليه النشاة الاخرى يكون قد علم حقيقة النشاة الاخرى فنقول ذلك المعلوم عليه ثم قال تعالى وانه هو اغنى واقنى وقد ذكرنا تفسيره فنقول اغنى معنى دفع حاجته ولم يتركه محتاجا لان الفقر فى مقابلة الغنى ثم لم يبق فقيرا بوجه من الوجوه فهو غنى مطلقا ولم يبق فقيرا من وجه فهو غنى من ذلك قال عليه السلام اغنوهم عن المسئلة فى هذا اليوم وحمل ذلك على ذكاة الفطر ومعناه اذا اتاه ما احتاج اليه وقوله تعالى اقنى معناه وزاد عليه الاقنا فوق الاغنا والذى عندى ان الحروف متناسبة فى المعنى نقول لما كان مخرج القاف فوق مخرج الغين جعل الاقنا لحالة فوق الاغنا وعلى هذا فالاغنا هو ما اتاه الله تعالى من العين والكسان وهداه الى الارتفاع فى صباه او هو ما اعطاه الله تعالى من القوت واللباس المحتاج اليها وفى الجملة كما دفع الله به الحاجة اغنا وكلما زاد عليه فهو اغنى ثم قال تعالى وانه هو رب الشعرى اشارة الى فساد قول قوم اخرين وذلك لان بعض الناس يذهب الى ان الفقر والغنا بكسب الانسان واجتهاده فمن كسب استغنى ومن كسل افتقر وبعضهم يذهب الى ان ذلك بالبخت وذلك بالنجوم فقال تعالى هو اغنى واقنى وان قابل الغنا بالنجوم غالط فنقول هو رب النجوم وهو مجردها كما قال تعالى هو رب الشعرى وقوله تعالى هو رب الشعرى لانكارهم ذلك الكد بالعقل والشعرى نجم مضى فى النجوم شعران احدهما سامه والاخرى عامه والظاهر ان المراد اليمانية لانهم كانوا يعبدونها ثم قال تعالى وانه اهلك عادا الاولى لما ذكر انه اغنى واقنى وكان ذلك بفضل الله تعالى لا بعطا الشعرى وجب الشكر لمن هو اهلك وكيف لم [illegible] دليلا حال عاد وثمود وغيرهم وعاد الاولى قيل بالاول [illegible] قوم كانوا بمكة هم عاد الاخرة وقيل الاول [illegible] جاء فى قصته [illegible] وفيه قراءة عاد الاولى بكسر نون التنوين لالتقاء الساكنين وعاد الاول باسقاط نون التنوين كالتقا الساكنين وقرئ عزير ابن الله وقل هو الله احد الله الصمد وعاد لولى بادغام النون واللام بنقل ضمة الهمزة الى اللام وعاد الاول [illegible] بها القارى على سوقه ودليله ضعيف وهو ان يحتمل [illegible] موضع الموقدة والموصدة للضمة والواو [illegible] الموضع [illegible] الهمزة وكذا فى سوقه لوجود الهمزة فى الاصل [illegible] موسى وقوله تعالى [illegible] ثم قال تعالى وثمود فما ابقى واهلك ثمود او ثمودا وقوله فما ابقى عائد الى عاد وثمود اى فما ابقى عليهم ومن المفسرين من قال فما ابقى اى ما ابقى احدا منهم ويؤيد هذا قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وتمسك الحجاج على من قال ان بعضهم من ثمود بقوله تعالى فما ابقى والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى والموتفكة اهوى فغشاها ما غشى فباى الاء ربك تتمارى هذا نذير من النذر الاولى ازفت الازفة ليس لها من دون الله كاشفة

**اعلم** ان قوله تعالى وقوم نوح من قبل اى اهلكهم من قبل والمسئلة مشهورة فى قبل وبعد نقطع عن الاضافة [illegible]

لا يمنعه مانع وهذا المعنى حصل للمؤمنين في آيتين أحدهما قوله تعالى وكف أيدي الناس عنكم وقوله تعالى وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم
من الله شيئا ففي الأول لم تقدر الكفار على حفظ مسكنه وفي الثاني لا تقوى الحصون على حفظ الساكن والوجه الثاني هو أن عادا وثمودا
وقوم نوح كان أمرهم مستعدا وأما كهم كانت ولكن أمرهم كان مشهورا متواترا وقوم لوط كانت مساكنهم وآثارها ظاهرة فيها طاهر
فذكر الأظهر من الأمرين في كل يوم ثم قال تعالى فغشاها ما غشى يحتمل أن تكون مفعولا وهو الظاهر ويحتمل أن يكون فاعلا فقال ضربه من
ضربه وعلى هذا نقول يحتمل أن يكون الذي غشى هو الله تعالى فيكون لقوله تعالى والسماء وما بناها ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى
سبب غضب الله تعالى عليهم أي غشاها عليهم أن الله غضب عليهم نفسه يقال لمن أغضب ملكا بكلام وضربه الملك كلامك الذي
ضربك ثم قال تعالى فبأي آلاء ربك تتمارى قيل هذا أيضا مما في الصحف وقيل هو ابتداء كلام والخطاب عام كأنه يقول بأي النعم أيها
السامع تشك وتجادل وقيل هو خطاب مع الكافر ويحتمل أن يقال مع النبي صلى الله عليه وسلم تتمارى لأنا نقول هو من باب قوله
تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك معناه لم يبق فيه إمكان الشك حتى أن فارضا لو فرض النبي صلى الله عليه وسلم ممن يشك ويجادل
في بعض الأمور الخفية لما كان يمكنه المراء في نعم الله تعالى والعموم هو الصحيح كأنه يقول بأي آلاء ربك أيها الإنسان كما قال تعالى
يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم وقال تعالى وكان الإنسان أكثر شيء جدلا فإن قيل المذكور من قبل نعم فكيف قال آلاء ربك
نقول لما عد من قبل النعم وهو الخلق من النطفة ونفخ الروح الشريفة فيه والإغناء والإقناء وذكر أن الكافر بنعمه أهلك قال تعالى
فبأي آلاء ربك تتمارى وسنبين في قوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان في مواضع العذاب ثم قال تعالى هذا نذير من النذر الأولى
وفيه مسائل المسألة الأولى المشار إليه بهذا ماذا نقول فيه وجوه أحدها محمد صلى الله عليه وسلم من جنس النذر الأولى ثانيها القرآن
ثالثها ما ذكره من أخبار المهلكين ومعناه هذا بعض الأمور التي هي صدره وعلى قولنا المراد عليه السلام فالنذير هو المنذر
ومن لسان الحسن وعلى قولنا المراد هو القرآن يحتمل أن يكون الذي بمعنى المصدر ويحتمل أن يكون بمعنى الفاعل وكون الإشارة إلى القرآن بعيد
لفظا ومعنى فلأن القرآن ليس من جنس الصحف الأولى لأنه معجز ولأنه تعالى قال بين الوحدانية وقال تعالى فبأي آلاء ربك تتمارى قال
هذا نذير إشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم إشارة إلى الرسالة وقال بعد ذلك أزفت الآزفة إشارة إلى القيامة فيكون في الآيات الثلاث
والمرتبة آيات أصول ثلاثة مرتبة فإن الأصل الأول هو الله تعالى ووحدانيته ثم الرسول ورسالته ثم الحشر والقيامة وأما لفظا
فلأن النذير إن كان كاملا مما ذكره من حكاية المهلكين أولى لأنه أقرب ويكون على هذا معنى على حقيقة الصحف إذ كان الذي ذكرنا
بعض ما جرى وبعدما وقع أو يكون لابتداء الغاية يعني هذا إنذار من المنذرين المتقدمين يقال هذا الكتاب وهذا الكلام من فلان
وعلى الأقوال كلها ليس ذكر الأولى لبيان الموصوف بالوصف وتمييزه عن النذر الآخر كما قالت الفرقة الأولى أخراهم لأولاهم على الفرقة
الآخرة وإنما البيان الوصف الموصوف كما يقال زيد العالم جاءني فتذكر العالم لبيان أن زيدا عالم غير أنك لا تذكر بلفظ الخبر فيأتي به
على طريقة الوصف وأما المدح زيد به وأما الآخر لا من آخر والأول على العود إلى لفظ الجمع وهو النذر ولو كان بمعنى لا يقال
من النذر الأول يقال من الأقوام المتقدمة والمتقدمين على اللفظ والمعنى ثم قال تعالى أزفت الآزفة وهو كقوله تعالى
وقعت الواقعة ويقال كانت الكائنة وهذا الاستعمال يقع على وجوه منها ما إذا كان الفاعل صار فاعلا عمل ذلك من فعل
من الفعل من قبيل ثم صدر منه مرة أخرى مثل الفعل يقال فعل الفاعل أي الذي كان فعله وصار فاعلا فعل مرة أخرى يقال
حاكه الحائك أي من شغله ذلك من قبل فعله ومنها ما يصير الفاعل بذلك الفعل منه ويقال إذا مات الميت انقطع
عمله وإذا غصب الغصب غاصب ضمنه فقوله أزفت الآزفة يحتمل أن يكون من الأول أي قرب الساعة التي كل يوم يزداد
قربها فهي كائنة قريبة وزادت في القرب ويحتمل أن يكون كقوله تعالى وقعت الواقعة أي قرب وقوعها وأزفت فاعلها في الحقيقة
القيامة أو الساعة وكأنه قال أزفت القيامة الآزفة أو الساعة أو مثلها وقوله تعالى ليس لها من دون الله كاشفة
فيه وجوه أحدها لا يظهرها إلا الله من يعلمها إلا يعلم الدنيا علمهم الله تعالى إياه وإظهاره إياها فهو كقوله تعالى
إن الله عنده علم الساعة وقوله تعالى لا يجليها لوقتها إلا هو ثانيها لا يأتي بها إلا الله كقوله تعالى وإن يمسسك الله
بضر فلا كاشف له إلا هو وفيه مسائل المسألة الأولى من زائدة تقديره ليس لها غير الله كاشفة وهي تدخل
على النفي فتؤكد معناه يقال ما جاءني أحد وما جاءني من أحد وعلى هذا يحتمل أن يكون فيه تقديم وتأخير تقديره ليس لها
من كاشفة دون الله فيكون نفيا عاما بالنسبة إلى الكواشف ويحتمل أن يقال ليست زائدة بل معنى الكلام أنه ليس
في الوجود نفس تكشفها أي تخبر عنها كما هي وقتها من غير الله يعني من يكشفها من الله لا من غير الله تعالى يقال كشفت الأمر
من زيد ودون تكون بمعنى غير كقوله تعالى أئفكا آلهة دون الله تريدون أي غير الله الثانية كاشفة صفة لمؤنث
أي نفس وقيل هي للمبالغة كما في العلامة وعلى هذا يقال ما به بمعنى أن يكون لها كاشفة بصيغة المبالغة ولا يلزم من
معنى الكشف العائق نفي الكاشف لأنا نقول لو كشفنا أحد كان كاشفا بالواحد الكامل فلا كاشفة لها فلا يكشفها
أحد وهو كقوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد وحيث نفى كونه ظالما مبالغا ولا يلزم منه نفي كونه ظالما وقلنا هناك
أنه لو ظلم عبده الضعيف بغير حق لكان في غاية الظلم وليس في غاية الظلم فلا يظلمهم أصلا الثالثة إذا قلت إن معناه
ليس لها نفس كاشفة فقوله تعالى من دون الله استثناء على الأشهر في الأقوال فيكون الله تعالى لها كاشفة نقول الجواد
عنه من وجوه الأول لا فساد في ذلك قال الله تعالى ولا أعلم ما في نفسك حكاية عن عيسى عليه السلام والمعنى الحقيقة الثاني
ليس هو صريح الاستثناء فيجوز منه أن لا يكون هو نفسا الثالث الكاشف المبالغ والله تعالى أعلم قوله تعالى

الخ



أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا المراد من الحديث القرآن
ويحتمل أن يقال هذا إشارة إلى حديث أزفت الآزفة فإنهم كانوا يتعجبون من حشر الأجساد وهم العظام بعد
الفساد وقوله تعالى وتضحكون يحتمل أن يكون المعنى وتضحكون من هذا الحديث كما قال تعالى فلما جاءهم بآياتنا
إذا هم منها يضحكون في حق موسى صلوات الرحمن عليه وكانوا هم أيضا من حديث النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن
ويحتمل إنكارا أن يكون على مطلق الضحك مع سماع الحديث القيامة أي تضحكون وقد سمعتم أن القيامة قريب فكان
حقا أن لا تضحكوا حينئذ وقوله تعالى ولا تبكون أي كان حقا لكم أن تبكوا فيه كونه ذلك ويأتون بعده وقوله تعالى
وأنتم حينئذ سامدون أي غافلون وذكر باسم الفاعل لأن الغفلة دائمة وأما الضحك والعجب فهما أمران يتجددان ويعدمان
وقوله تعالى فاسجدوا يحتمل أن يكون الأمر عاما ويحتمل أن يكون السجدة ما فسكر كأنه قال أيها المؤمنون سجدا على الهداية
واشتغلوا بالعبادة ولم يقل واعبدوا الله إما لكونه معلوما وإما لأن العبادة في الحقيقة لا تكون إلا لله
فقال اعبدوا وإن أتوا بالمأمور ولا تعبدوا والله غير الله تعالى لأنها ليست بعبادة وهذا
يناسب عند قراءته مناسبة أشد وأتم مما إذا حملناه على العموم والله تعالى أعلم بالصواب

اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم
وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر فتول عنهم يوم
يدع الداع إلى شيء نكر خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين
إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر أعلم أن أول السورة مناسب لآخر ما قبلها وقوله تعالى
أزفت الآزفة فكأنه ذلك مع الدليل وقال قلت أزفت الآزفة وهو حق إذ القمر انشق والمفسرون بأسرهم على أن
المراد أن القمر انشق وحصل فيه الانشقاق ودلت الأخبار على حديث الانشقاق وفي الصحاح خبر مشهور رواه جمع
من الصحابة وقالوا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الانشقاق بعينها معجزة فسأل ربه فشقه ومضى
وقال بعض المفسرين المراد سينشق وهو بعيد ولا معنى كقوله لأن من منع ذلك وهو الفلسفي يمنعه في الماضي
والمستقبل ومن يجوزه لا حاجة إلى التأويل وإنما ذهب إليه ذلك الذاهب لأن الانشقاق أمر هائل لو وقع لعم
وجه الأرض وكان ينبغي أن يبلغ حد التواتر نقول النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يتحدى بالقرآن وكانوا يقولون
إنا نأتي بأفصح ما يكون من الكلام وعجزوا عنه وكان القرآن معجزة باقية إلى قيام القيامة لا يشك فيه وقد أخبر
عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه وحديث امتناع الخرق والالتئام وقد ثبت جواز الخرق والتخريب على السموات
وذكرناه مرارا فلا نعيده قوله تعالى وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر تقديره وبعد هذا إن يروا آية
يقولوا سحر فإنهم رأوا آيات أرضية وآيات سماوية ولم يؤمنوا ولم يتركوا عنادهم فإن يروا ما يرون بعد هذا لا يؤمنون
به وفيه وجه آخر وهو أن يقال المعنى أن عادتهم أنهم إن يروا آية يعرضوا فلما رأوا انشقاق القمر أعرضوا لتلك العادة
وفيه مسائل المسألة الأولى قوله آية ماذا نقول آية اقتراب الساعة فإن انشقاق القمر من آياته وقد ردوا وكذبوا
فإن يروا غيرها أيضا يعرضون أو آية النبوة فإنه معجزة وما كونه معجزة ففي غاية الظهور وأما كونه آية الساعة فلأن
منكر خراب العالم ينكر انشقاق السماء وانفطارها وكذلك قوله في كل جسم سماوي من الكواكب فإذا انشق بعضها
ثبت خلاف ما يقول به وبان جواز خراب العالم وقال أكثر المفسرين معناه أن من علامات قيام الساعة انشقاق القمر
عن قريب وهذا ضعيف حكمهم على هذا القول لضيق المكان وخفاء الأمر على الأذهان وبيان ضعفه هو أن الله
تعالى لو أخبر في كتابه أن القمر انشق وهو علامة قيام الساعة لكان ذلك أمرا لا بد من قيام وقوعه مثل خروج
دابة الأرض وطلوع الشمس من المغرب فلا تكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم كما أن هذه الأشياء عجائب وليست
بمعجزة لنبي لا يقال الإخبار عنها بل وقوعها معجزة لأنا نقول حينئذ يكون من قبيل الإخبار عن الغيوب فلا يكون هو
معجزة برأسه وذلك فاسد ولا يقال بأن ذلك كان معجزة وعلم منه ما أخبر الله تعالى في الصحف والكتب السالفة
أن يكون معجزة النبي صلى الله عليه وسلم ويكون الساعة قريبة حينئذ وذلك لأن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم
علامة كائنة حيث قال بعثت والساعة لأنهم كانوا يقولون لها وقربها فهي إذا آية دالة على جواز تخريب
السموات وهو المعجزة الكبرى لأن السموات إذا طويت وجوز ذلك في الأرض ومن عليها فلا نستبعد فناء وهنا
إذا ثبت هذا فنقول معنى اقتربت الساعة يحتمل أن يكون في المعقول والأذهان يقول من سمع أمرا لا يقع
هذا بعيد مستبعد وهذا وجه حسن وإن كان بعض ضعفاء الأذهان ينكره وذلك لأن حمله على قرب
الوقوع زمانا لا إمكانا يمكن الكافر من مجادلة فاسدة فيقول قال الله تعالى في زمان النبي صلى الله عليه
وسلم اقتربت ويقولون بأن من صلى أيضا في الكتب كان يقول أقرب الوعد ثم مضى مائة سنة ولم يقع

ولا يبعد ان يمضي الف اخر ولا يقع ولا يصح اطلاق لفظ القرب زمانا على مثل هذا لا سيما فوق الاعصارات وايضا فقوله
تعالى اقتربت لاجتها العرصة والايمان قبل ان لا يصح الايمان فعلى ان يتعلق اذا كان القرب بهذا المعنى فلا خوف منها
لانها لا يدركني ولا يدركك اولادي ولا اولاد اولادي واذا كان اللغة انها مرتبة في العقول يكون ذلك ردا بالفاعل
على المشركين والفلاسفة والله سبحانه وتعالى اول ما كلف بالاعتراف بالوحدانية واليوم الاخر وقال اعلموا ان الحشر
كاين مخالف المشرك والفلسفي ولم يقع بمجرد انكار ما ورد الشرع فانه لو لم يقع او ليس بكاين بل قال ذلك بعد لم يقع
لهذا ايضا بل ذلك غير ممكن ولم نقطع به ايضا بل قال امتناعه ضروري فان مذهبهم ان اعادة المعدوم واحياء
الموتى محال بالضروري ولهذا قال تعالى ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما ايذا ضللنا في الارض بلفظ الاستفهام بمعنى
الانكار ومع ظهور الامر فلما استبعد والم يكتف الله ورسوله بسياق وقوعه بل قال تعالى ان الساعة اتية لا ريب فيها
ولم نقتصر عليه بل قال تعالى وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ولم يتركها حتى قال اقتربت الساعة واقترب
الوعد الحق اقترب للناس حسابهم اقترابا عقليا لا يجوز ان ينكر كما لا يجوز ان ينكر ما يقع في زمانه طرفة عين لانه على
الله تعالى يسير كما تقلب الحدقة علينا يسير بل هو اقرب منه بكثير الذي يقويه قول العامة ان زمان وجود العالم
زمان مديد والباقي بالنسبة الى الماضي شي يسير فلهذا قال تعالى اقتربت الساعة واما قوله صلى الله عليه وسلم
بعثت انا والساعة كهاتين يعني لا نبي بعدي اذ زماني ممتد الى قيام الساعة فزماني والساعة متلاصقان
كهاتين ولا شك ان الزمان زمان النبي صلى الله عليه وسلم وما دام امته وامره فايدة فالزمان زمانه وان كان
ليس فيه كما ان المكان الذي ينفذ فيه امر الملك مكان الملك يقال بلاد فلان فان قيل كيف يصح حمله على التقريب
بالمعقول مع انه مقطوع به قلت كما صح لقوله تعالى لعل الساعة تكون قريبا فان لعل للترجي والامر عند الله تعالى معلوم وفايدته
ان قيام الساعة ممكن لا امكانا بعيدا عن العادة كحمل الادمي في زماننا كان غاية الثقل وقطعه مسافة بعيدة في زمان
يسير فان ذلك ممكن امكانا بعيدا واما تقلب الحدقة فممكن امكانا في غاية القرب الجمع الذي يكون الواو وضميرهم في قوله يروا
ويعرضوا عن مذكور فيهم من يقولهم معلومون وهم الكفار وتقديره وهو الكفار وان يروا اية يعرضوا المسالة الاولى
التنكير في الاية للتعظيم اي ان يروا اية قوية وعظيمة يعرضوا المسالة الثانية قوله تعالى ويقولوا سحر مستمر ما الفايدة
فيه نقول فايدته كون الاية خالية عن سوابق السنة وان الاعتراف لزمهم لانهم لم يقدروا ان يقولوا نحن ناتي بمثلها
وبيان كونهم معرضين كالاعراض معذور فان من يعرض اعراض مشغول بامر مهم فلم ينظر في الاية لا يستقبح منه الاعراض
مثل ما يستقبح لمن نظر فيها الى اخرها ويعجز عن نسبتها الى احد ودعوى الاتيان بمثلها يقول هذا ليس بشي هذا سحر لان
ما رايته الا ويمكن المعاند من ان يقول فيها هذا القول المسالة الرابعة ما المستمر نقول فيه وجهان احدهما دايم
فان محمدا صلى الله عليه وسلم كان ياتي كل زمان بمعجزة قولية او فعلية ارضية او سماوية فقالوا هذا سحر مستمر دايم لا يختلف
بالنسبة الى شي بخلاف سحر السحرة فان بعضهم يقدر على امر وامرين وثلثة ويعجز عن غيرها وهو قادر على الكل ثانيها
مستمر اي قوي من حمل مرير الحبل من المرة وهي الشدة وثالثها من المرارة اي سحر مر مستبشع ورابعها مستمر اي ذاهب
فان السحر لا بقاء له ثم قال تعالى وكذبوا واتبعوا اهواءهم ويحتمل امرين احدهما وكذبوا محمدا او المخبر عن اقتراب الساعة وثانيهما
كذبوا بالاية وهي انشقاق القمر فان قلنا كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى واتبعوا اهواءهم اي تركوا
الحجة واولوا الايات وقالوا هو مجنون تعينه الجن وكاهن يقول عن النجوم ويختار الاوقات للافعال وساحر وان قلنا كذبوا
بانشقاق القمر فان قلنا قوله تعالى واتبعوا اهواءهم في انه سحر القمر وانه خسوف والقمر لا يصيبه شي فهذه اهواءهم
وكذلك قولهم في كل اية وقوله تعالى وكل امر مستقر فيه وجوه احدها كل امر مستقر على سنن الحق يثبت والباطل
يزهق وحينئذ يكون تهديدا لهم وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى ثم الي مرجعكم فينبئكم
بانها حق وكل امر مستقر في علم الله تعالى لا يخفى عليه شي فهم كذبوا واتبعوا اهواءهم والانبيا صدقوا
وبلغوا ما جاءهم لقوله تعالى لا يخفى على الله منهم شي وكما قال تعالى في هذه السورة وكل شي فعلوه في الزبر
وكل صغير وكبير مستطر ثالثها هو جواب قولهم سحر مستمر اي ليس امره بذاهب بل كل امر من اموره مستقر ثم قال
تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر اشارة الى ان كل ما هو لطف بالعباد قد وجد فانه جاءهم الرسول باقتراب
الساعة واقام الدليل على صدقه وامكان الساعة عقيب دعواه بانشقاق القمر اي هو انه من يكذب بها لا يصدق
بشي من الايات فكذبوا بها وكذبوا واتبعوا الاباطيل الذاهبة وذكروا الاقاويل الكاذبة فذكرهم انباء المهلكين
الاسنين لجوعاتهم وهذا هو الترتيب الحكمي ولهذا قال بعد الايات حكمة بالغة اي هذه حكمة بالغة والانباء هي
الاخبار العظام ويدل على صدقه انه في القران لم يرد النبا والانبا الا لما له وقع قال تعالى وجيتك من سبا
بنبا يقين لانه كان خبرا عظيما وقال تعالى ان جاءكم فاسق بنبا اي عجايب اوسالم وما يشبهه من الامور الرفيعة وانما
يحتاج التثبت فيما يتعلق به حكم ويترتب عليه امر ذو بال وكذلك قال تعالى ذلك من انبا الغيب نوحيه اليك وكذلك لا ياتي
هنا وقال تعالى عن موسى عليه السلام لعلي اتيكم منها بخبر او جذوة من النار حيث لم يكن يعلم انه نظهر له شي
عظيم يصلح ان يقال بنبا ولم يقصده والظاهر ان المراد بالانبا المهلكين بسبب التكذيب وقال بعضهم المراد القران وتقديره

حاكم فيه



حاكم فيه الانبا وقيل حاكم من الانبا بتاويل جميع ما ورد في القران من الزواجر والمواعظ وما ذكرنا اظهر لقوله تعالى مزدجر
وفي ما وجهان احدهما انها موصولة اي جاءكم الذي فيه مزدجر ثانيهما موصوفة تقديره جاءكم من الانبا شي موصوف
بان فيه مزدجر وهذا اظهر والمراد فيه وجهان احدهما ازدجار وثانيهما موضع ازدجار كالمرتقى والمرتقى ولفظ
المفعول بمعنى المصدر كثير لان المصدر هو المفعول الحقيقي ثم قال تعالى حكمة بالغة وفيه وجوه الاول على قول من
قال ولقد جاءهم من الانبا المراد منه القران قال تعالى حكمة بالغة بدل كانه قال ولقد جاءهم من الانبا حكمة
بالغة ثانيها ان يكون بدلا من ما في قوله تعالى ما فيه مزدجر الثالث حكمة بالغة خبر مبتدا محذوف تقديره هذه
حكمة بالغة والاشارة تحتمل وجوها احدها هذا الترتيب الذي في ارسال الرسول وايضاح الدليل والانذار
عن مضي من القرون وانقضى حكمة بالغة ثانيها انزال ما فيه الانبا حكمة بالغة ثالثها هذه الساعة المقتربة
والاية الدالة عليها حكمة الثالث قرئ بالمنصوب فيكون حالا وذو حال ما في قوله ما فيه مزدجر اي جاءكم ذلك
فان قيل ان كان ما موصولة يكون معرفة فيحسن كونه ذا الحال فاما ان كانت بمعنى جاءهم من الانبا شي فيه
ازدجار يكون منكرا وتنكير ذي الحال قبيح نقول كونه موصوفا يحسن ذلك وقوله تعالى فما تغني النذر فيه
وجهان احدهما انها حرف ما فيه معناه ان النذر لم يبعثوا ليغنوا ويلجئوا قومهم الى الحق وانما ارسلوا مبلغين
وهو كقوله تعالى فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ويؤيد هذا قوله تعالى فتول عنهم اي ليس عليك
ولا على الانبيا والاوليا فان ابلغت فقد اتيت بما عليك من الحكمة البالغة التي امرت بها بقوله تعالى ادع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة وقوله ادم تقدير ثانيهما ما استفهامية ومعنى الايات حينئذ انك اتيت بما عليك من
الدعوى واظهار الاية عليها فكذبوا وكذبوا فانذرتهم بما جرى من المكذبين فلم تغدهم فهذه جملة بالغة وما الذي تغني النذر
غير هذا فلم يبق عليك شي اخر فتول عنهم فذكرنا ان المفسرين يقولون ان قوله فتول منسوخ وليس كذلك بل المراد منه
لا ينافي طرحهم بالكلام ثم قال تعالى يوم يدع الداعي الى شي نكر فذكرنا ايضا ان من سفه شخصا فلا يوثر فيه السفه اعرض عنه ويقول مع
غيره ما فيه نصح المعترض ويكون قصده ارشاده ايضا فقال بعد ما قال تول عنهم يوم يدعو الداعي يخرجون من الاجداث للتخويف
والفاصل في يوم هو ما بعده وقوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث والداعي كالمنادي في قوله تعالى يوم ينادي المنادي لانه
معلوم وقد اخبر عنه انه اسرافيل عليه السلام وثانيها انه جبريل عليه السلام ثالثها انه ملك موكل بذلك والتعريف حينئذ
حد العلمية وانما يكون ذلك كقولنا جاء رجل فقال الرجل وقوله تعالى الى شي نكر اي منكر وهو يحتمل وجوها احدها
الى شي نكر في يومنا هذا لانهم انكروه اي يوم يدعو الداعي الى الشي الذي انكروه ويخرجون ثالثها منكرا اي يقول القايل
كان ينبغي ان لا يكون اي فرسانه ان لا يوجد يقال فلان ينهى عن المنكر وعلى هذا فهو عندهم كان ينبغي ان لا يقع لانه يردهم
في الهاوية فان قيل ما كان ذلك الشي النكر يقول الحساب والجمع له او النشر للجمع وهذا اقرب فان قيل النشر لا يكون منكرا فانه
احيا ولاجل الخائف من ان يعرف وقت النشر ما يجري عليه لسكره يقول يفرق ويعلم بدليل قوله تعالى يا ويلنا من بعثنا
من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن ثم قال تعالى خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر وفيه قراآت
خاشعا وخاشعة وخشعا فمن قرا خاشعا فله وجوه احدها على قول من يقول يخشعن ابصارهم على طريقة من يقول
اكلوني البراغيث ثانيها في خشعا ضمير ابصارهم يرد عنه تقديره يخشعون ابصارهم على بدل الاشتمال كقول القايل
اعجبني حسنهم ثالثها فيه يقول مضمر تفسيره يخرجون تقديره يخرجون خشعا ابصارهم على بدل الاشتمال والصحيح خاشعا
روي ان مجاهدا راى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فقال له يا نبي الله خشعا ابصارهم او خاشعين فقال عليه السلام
خاشعا ولهذه القراة وجه اخر اظهر مما قالوه وهو ان يكون خشعا منصوبا على انه مفعول بقوله يوم يدعو الداعي خشعا
اي يدعو هولا فان قيل هذا فاسد من وجوه احدها ان الشخص لا فايدة فيه لان الداعي يدعو الكل الى الحشر ثانيها قوله
تعالى يخرجون من الاجداث بعد الدعا فيكون خشعا قبل الخروج وانه باطل ثالثها قراة خاشعا يبطل هذا نقول اما
الجواب عن الاول فهو ان يقال الى قوله شي نكر يدفع ذلك لان كل احد لا يدعى الى شي نكر وعن الثاني المراد من شي نكر الحساب
العسير يعني يوم يدعون الداعي الى الحساب العسير خاشعا ولا يكون العاقل في يوم يدعو الى خروجه بلا ذكرا وما تغني
النذر كما قال فما تنفعهم شفاعة الشافعين ويكون يخرجون ابتدا كلام وعن الثالث انه لا منافاة بين القراتين وخاشعا
على الحال وعلى انه مفعول يدعي كانه يقول يدعو الداعي قوما خاشعا ابصارهم والخشوع السكون قال تعالى وخشعت الاصوات
وخشوع الابصار سكونها حال الانقلاب عنه ويسرة كلمة قوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم وقوله تعالى يخرجون من الاجداث كانهم
جراد منتشر مثلهم كالجراد المنتشر في الكثرة والتموج ويحتمل ان يقال المنتشر مطاوع نشره اذا احياه فكانهم جراد يتحرك من الارض
ويدب اشارة الى كيفية خروجهم من الاجداث وضعفهم ثم قال تعالى مهطعين الى الداعي اي مسرعين اليه الفياد يقول
الكافرون هذا يوم عسر يحتمل ان يكون العامل الناصب ليوم في قوله تعالى يوم يخرجون وقوله تعالى يوم يدعو الداعي وهو قوله تعالى
اي يوم يدعو الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسر فايدتان احدهما تنبيه المومن ان ذلك على الكافر يخصه كما قال تعالى فذلك يومئذ
يوم عسير على الكافرين غير يسير يعني له عسر لا يسر معه ثانيهما هي ان الامرين سيان مشتركا بين المومن والكافر فان الخروج
من الاجداث كانهم جراد والانقطاع الى الداعي يكون للمومن فانه يخاف ولا يامن العذاب الا بايمان الله تعالى اياه ومومنه الله

الله تعالى الثواب يسمى الكافر يقول هذا يوم عسر ثم انه تعالى اعاد بعض الانبا والله تعالى اعلم **قوله تعالى**

كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه انى مغلوب فانتصر ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر وحملناه على ذات الواح ودسر تجرى باعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها اية فهل من مدكر فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر

**اعلم ان قوله تعالى** كذبت قبلهم قوم نوح تخويف وتسلية لقلب النبى صلى الله عليه وسلم فان حاله كحال من تقدمه وفيه مسايل المسئلة الاولى الحاق الضمير المونث بالفعل قبل ذكر الفاعل جايز بالاتفاق وحسن والحاق ضمير الجمع عند الاكثرين فلا يجوزون كذبوا قوم نوح ويجوزون كذبت فما الفرق نقول التانيث قبل الجمع لان الانوثة والذكورة للفاعل امر لا يتجدد ...

[illegible]

واجابه لهم فوجب ان يكون جزاء منهم بكونه مفعولا له من الافعال ولنذكر ما فيه من اللطايف في مسايل **المسئلة الاولى** قال في السماء ففتحنا ابواب
السماء ذات الرجع وما لها من فطور ولم يقل شققنا الارض قال في الارض وفجرنا الارض ذات الصدع **الثانية** لما جعل المطر كالماء
الخارج من ابواب مفتوحة واسعة ولم يقل في الارض وارسلنا من الارض بحارا وانهارا بل قال عيونا والخارج من العيون دون الخارج
من الباب ذكر في الارض انه تعالى قال فجرها كلها وقال تعالى وفجرنا الارض فقابل كثرة عيون الارض سعة ابواب السماء فحصل بالكثرة
هاهنا ما حصل بالسعة **الثالثة** ذكر عند الغضب سبب الاهلاك وهو فتح ابواب السماء وتفجر الارض بالعيون واشار الى الاهلاك بقوله
تعالى على امر قد قدر اي امر الاهلاك ولم يصرح وعند الرحمة ذكر الاصحاب صريحا بقوله تعالى وحملناه واشار الى طريق النجاة بقوله تعالى
ذات الواح وكذلك قال في موضع اخر فاخذهم الطوفان ولم يقل فاهلكوا وقال تعالى فانجيناه واصحاب السفينة فصرح بالانجاء
ولم يصرح بالاهلاك اشارة الى سعة الرحمة وغاية الكرم اي خلقنا اي سبب الهلاك ولو رجعوا لما ضرهم ذلك السبب كما قال
نوح عليه السلام يا بني اركب معنا وعند الانجاء نجاه وجعل النجاة طريقا وهو اتخاذ السفينة ولو انكسرت لما ضره بل كان
ينجيه فالمقصود عند الانجا هو النجاة بكل الحال والمقصود عند الاهلاك اظهار الناس فذكر السبب صريحا **الثالثة** قوله
تعالى تجري باعيننا ابلغ من حفظنا يقول المقصود جعل هذا نصب عينك ولا يقول احفظه طلبا للمبالغة **الرابعة**
باعيننا يحتمل ان يكون المراد بحفظنا ولهذا يقال الرمد لسبيان العين **الخامسة** قال كان ذكر جزاء على ما فرط منه لا على ايمانه
وصبره وشكره مما جرى كان جزاء صبره على كفرهم واما جزاء شكره لنا فباق جزاء الكبير اي مجازاة لما له ومقابلة وقري
لمن كان كفر بفتح الكاف وانما كفر فيه وجهان احدهما ان يكون كفر مثل شكر يعدى بحرف وبغير حرف يقال شكرته وشكرت له قال تعالى
واشكروا لي ولا تكفرون وقال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله وثانيهما ان يكون من الكفر لا من الكفران اي جزاء لمن ستر امره وانكر
معانيه ويحتمل ان يقال كفر به وترك المراد ثم قال تعالى ولقد تركناها اية وقال في العايد اليه الضمير وجهان احدهما عايد الى المذكور
وهو السفينة التي فيها الواح وعلى هذا وجهان احدهما قول الله تعالى عنها مرة حتى رايت وعلمت وكانت على الجودي بالجزيرة وقيل
بارض الهند وثانيهما ترك مثلها في الناس فذكر يا في الوجهين الاوليين ايضا عايد الى معلوم اي تركنا السفينة اية والاول اظهر وعلى
هذا الوجه فيحتمل ان يقال تركناها اي جعلناها اية لانها بعد الفراغ منها صارت متروكة ومجعولة يقول القايل تركت فلانا
مثله اي جعلته لما انه لما فرغ من ترك امره وجعله فذكر احد الفعلين بدلا عن الاخر وقوله تعالى فهل من مدكر اشارة الى
ان الامر من جانب الرسل قد تم ولم يبق الى جانب الرسل اليهم كانوا منذرين متفكرين هل يدرون فيفضل الله تعالى فهل من مدكر بعد
والامر من جانب الرسل فيذكر يهتدي وهذا الكلام يصلح حارضا يصلح تخويفا وزجرا وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قال هاهنا ولقد
تركناها وفي العنكبوت وجعلناها اية وان كان المعنى واحدا على ما تقدم بيانه لكن لفظ الترك يدل على الجعل والفراغ الا انه فقال
هاهنا مذكورة بالتفصيل حيث بين الامطار من السماء وتفجير الارض وذكر السفينة بقوله ذات الواح ودسر وذكر جريها فقال
تركناها اشارة الى تمام الفعل المقدور وقال هاهنا وجعلناها اشارة الى بعض ذلك فان قيل اذا كان الامر كذلك فكيف قال هاهنا
وحملناه ولم يقل واصحابه وقال هنالك فانجيناه واصحاب السفينة نقول النجاة هاهنا مذكورة على وجه ابلغ مما ذكرها هناك لانه
قال تجري باعيننا اي حفظناه وحفظنا السفينة وحفظنا اصحابه وحفظنا اموالهم ودوابهم والحيوانات التي معهم بقوله تعالى
فانجيناه واصحاب السفينة يلزم منه انجاء الاموال الا بسبب اخر والحكاية في سورة هود اشد تفصيلا واتم بيانا فلهذا
قال تعالى قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول يعني المحمول ثم قال تعالى واستوت على الجودي
تصريحا بخلاص السفينة اشارة الى خلاص كل من فيها انه منصوب على انها مفعول بان لانه يعني الجعل على ما تقدم بيانه
وهو الظاهر ويحتمل ان يقال حالا فانك تقول تركها وهي اية وهي ان لم تكن على وزن الفاعل والمفعول لكنه في معناه كانه قال تركناها
دالة ويحتمل ان يقال نصبها على التمييز لانها بعض وجوه الترك كقولك ضربته سوطا **المسئلة الثانية** مدكر مفتعل
من ذكر يذكر واصله مذتكر كان مخرج الدال قريبا من مخرج التاء والحروف المتقاربة المخرج يصعب النطق بها على التوالي
ولهذا اذا نظرت الى الدال مع التاء عند النطق تقرب الدال من ان تصير تاء والتاء تقرب من ان تصير دالا فجعل التاء دالا ثم
ادغمت الدال فيها ومنهم من قال قرا على الاصل مذتكر ومنهم من قلب التاء دالا وقرا مذكر ومن اللغويين من يقول في مدكر
مذدكر فجعلها دالا ولا يدغم ولكل وجه والمدكر المعتبر المتفكر في قوله مدكر اشارة الى ما في قوله تعالى الست بربكم قالوا
بلى اي هل من يتذكر تلك الحالة واما الى وضوح الامر كانه حصل لكل احد اياتنا وتسوها فهل من مدكر يتذكر شيا
منها ثم قال تعالى فكيف كان عذابي ونذر وفيه وجهان احدهما ان يكون ذلك استفهاما من النبي صلى الله عليه وسلم
تنبيها بقوله وعدك بالعاقبة وثانيهما ان يكون عاما معناهما التحاق ونذر اسقط فيه الياء فاضافة كما حذفها ابو عمرو
في قوله تعالى والليل اذا يسر وذلك عند الوقف ومثله كثير كما في قوله تعالى فاياي فاعبدون ولا تسعدون وقوله تعالى
يا عباد فاتقون وقوله تعالى ولا تكفرون وقريء باثبات الياء عذابي ونذري وفيه مسايل **المسئلة الاولى** ما الذي
اقتضى الفاء في قوله تعالى فكيف كان نقول اما ان قلنا ان الاستفهام من النبي صلى الله عليه وسلم فكانه تعالى قال له قد علمت من كان
قبلك فكيف كان اي بعد ما احاط بهم علمك سلهم اياك واما ان قلنا الاستفهام عام فنقول لما قال فهل من مدكر فرض وجودهم
وقال يا من يدكر علمت الحال بالتذكر فكيف كان ويحتمل ان يقال هو متصل بقوله تعالى فهل من مدكر تقديره كيف كان عذابي **الثانية**
ما ارى والايات والنذر فكيفما يستفهم منه نقول اما على قولنا الاستفهام من النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم واما على قولنا لم علم

على ان




على ان كيف للاضمار وعلى تقدير الاذكار كان عام يعلم الحال ويحتمل ان يقال ليس باستفهام وانما هو اخبار عن عظمة الامر
كما في قوله تعالى الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة وهذا لان الاستفهام يذكر للايجاب كما ان صيغة الايجاب
يذكر للاستفهام فيقال زيد في الدار بمعنى هل زيد في الدار ويقول المخبر وعده هل عرفت فكانه تعالى قال عذابي
وقع وكيف كان امرا كان عظيما وحينئذ لا يحتاج الى من علم يستفهم عنه **المسئلة الثانية** قال تعالى
من قبل ففتحنا وفجرنا باعيننا ولم يقل كيف كان عذابنا نقول الوجهين احدهما لفظي وهو ان الياء المتكلم يمكن حذفها لانها في اللفظ تسقط
كثيرا فيما اذا التقى ساكنان تقول غلامي الذي ودار التي واذا حذفت سوي اواخر الايات واما الالف والنون في ضمير الجمع فلا تحذف
واما الثاني فهو معنوي فنقول ان كان الاستفهام من النبي صلى الله عليه وسلم فوحد الضمير للايذان وفي فتحنا وفجرنا ترغيب العصاة فهو
فلو ذكرنا ان قوله تعالى مدكر فيه اشارة الى قوله تعالى الست بربكم قالوا بلى فلما وحد الضمير بقوله تعالى الست قال فكيف كان **المسئلة الثالثة**
النذر جمع نذير فهل هو مصدر كالسعد والنحب او فاعل كالكبير والصغير نقول اكثر المفسرين على انه مصدر هاهنا اي كيف كان
عاقبة عذابي وعاقبة انذاري والظاهر ان المراد الاسا اي كيف كان عاقبة عذاب الله تعالى ورسله هل اصاب العذاب من كذب
الرسل امر لا فاذا علمت الحال يا محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر فان عاقبة امرك كعاقبة اوليائك المنذرين ولم يجمع العذاب لانه
مصدر الكاف في جمعه تقديره فرض ولا حاجة اليه فان قيل قوله تعالى كذبت ثمود بالنذر اي بالانذارات لان الانذارات جاءتهم
واما الرسل فقد جاءهم واحد تقول كل من تقدم من الامم الذين اشركوا بالله تعالى وكذبوا الرسل وقالوا ما انزل الله من شيء وكان المشركون
المكذبين بالكل واما ابراهيم صلوات الرحمن عليه وكانوا يعتقدون فيه بالخير فانما لكونه شيخ المرسلين فلو يقال كذبت ثمود بالنذر اي بالانبيا
عليهم السلام باسرهم كما ان المشركون يكذبون لهم ثم قال تعالى ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر وفيه وجوه الاول للحفظ فيمكن حفظه
ونسي ولم يكن كتاب الله تعالى على ظهر القلب غير القران وهو قوله تعالى فهل من مدكر اي هل من يحفظه ويتلوه الثاني سهلناه للاتعاظ
حيث اتينا فيه بكل حكمة الثالث جعلناه بحيث تعلق بالقلوب ويستلذ سماعه من لا يفهم سغفه ولا يسام من سمعه وفهمه
ولا تقول قد علمت فلم اسمعه بل كل ساعة يزداد له منه لذة وعلم الرابع هو الاظهر وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر حال نوح
عليه السلام وكان له معجزة قيل لهان معجزتك القران ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر تذكرة لكل احد وتنحو بعد العلم وسبقي
على مرور الايام ولا يحتاج كل من يحضر الى دعاء ومثاله في اظهار معجزة وبعد لا يبقى احد وقوع ما وقع كما ينكر البعض انشقاق القمر
وقوله تعالى فهل من مدكر اي متذكر لان الافتعال والتفعل كثيرا ما يجي بمعنى وعلى هذا فلو قال قايل هذا يقتضي وجود امر سابق
منسي ومعقول ما في الفطرة من الانقياد للحق هو كالمنسي فهل من مدكر يرجع الى ما فطر اليه وقيل فهل من مدكر اي حافظ ومتعظ
على ما فسر قوله تعالى يسرنا القران للذكر وقوله تعالى هل من مدكر على قولنا المراد مدكر اشارة الى ظهور الامر فكانه لا يحتاج الى الفكر
بل هو حاصل عنده لا يحتاج الى معاودة ما عنده غيره والله تعالى اعلم **قوله تعالى** كذبت عاد
فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز
نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا
ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر فيه مسايل **المسئلة الاولى** قال في قوم نوح عليه السلام
كذبت قوم نوح ولم يقل في عاد كذبت قوم هود عليه السلام وذلك لان التعريف كلما كان امكن ان يوتى به وجه على ابلغ
فالاولى ان يوتى به والتعريف بالاسم العلم اولى من التعريف بالاضافة اليه كانك اذا قلت بيت الله لا يفيد ما يفيد قولك الكعبة
وكذلك اذا قلت رسول الله وقلت محمد صلى الله عليه وسلم فعاد اسم علم للقوم لا يقال قوم هود اعرف لوجهين احدهما
ان الله تعالى وصف عادا بقوم هود حيث قال بعدا لعاد قوم هود ولا يوصف الاظهر بالاخفى والاخص بالاعم ثانيهما ان قوم
هود واحد وعاد قيل ان اللفظ يقع على اقوام ولهذا قال تعالى عادا الاولى لانا نقول اما قوله تعالى الا بعدا لعاد قوم هود فليس
ذلك صفة وانما هو بدل ويجوز ان يكون في البدل دون المبدل المعرفة او نحو ذلك سرا عن المعرفة بالنكرة واما عادا الاولى فقد بينا
ان ذلك لبيان تقدمهم اي عاد الذين تقدموا ويبقى ذلك للتمييز والتعريف كما تقول محمد النبي صلى الله عليه وسلم شفيعي والله
الكريم ربي ورب الكعبة المشرفة لبيان الشرف لا لبيانها وتعريفها بالشرف كما تقول دخلت الدار المعمورة من الدارين وجاءني الرجل
الزاهد من الرجلين فيبين المفعول بالوصف والله تعالى اعلم **المسئلة الثانية** ثم بعد كذبوا هودا كما قال تعالى فكذبوا عبدنا
وذلك لوجهين احدهما ان تكذيب نوح عليه الصلاة والسلام كان ابلغ واشد حيث دعاهم قريبا من الف سنة واصروا على
التكذيب ولهذا ذكر الله تعالى تكذيب نوح عليه السلام في مواضع ولم يذكر تكذيب غيره صريحا وان سبق عليه احد في الاعراف بقوله
فانجيناه ومن معه في الفلك وقال حكاية عن نوح عليه السلام قال رب ان قومي كذبون وقال تعالى انهم عصوني وفي هذه المواضع
لم يصرح بتكذيب قوم غيره منهم الا الايكة وكذلك قال تعالى في مواضع ذكر شعيب عليه السلام فكذبوه وقال تعالى الذين
كذبوا شعيبا وقال تعالى عن قومه انا لنظنك من الكاذبين لانه دعا قومه زمانا مديدا وثانيهما ان حكاية عاد مذكورة
هاهنا على سبيل الاختصار فلم يذكر الا تكذيبهم وتعذيبهم فقال تعالى كذبت عاد كما قال تعالى كذبت قوم نوح ولم يذكر دعاءه
عليهم واجابته كما قال في نوح عليه السلام **المسئلة الثالثة** قال تعالى فكيف كان عذابي قبل ان بين العذاب وفي حكاية بين العذاب
ثم قال تعالى فكيف كان فما الحكمة فيه نقول الاستفهام الذي ذكره في حكاية نوح عليه السلام وذكرها هاهنا وهو قوله تعالى
فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا كما قال من قبل ومن بعد في حكاية ثمود غير انه تعالى حكى في حكاية عاد فكيف كان

من بين: الهمزة الاولى استفهام لسس كما تقول المعلم لمن لا يعرف وكيف المسئلة الفلانية لغير المسئول سايلا فتقول كيف هي فتقول انها كذا وكذا فكذلك ههنا قال تعالى كذبت عاد فكيف كان السامع قال للمس انت فانى لا اعلم فقال انا ارسلنا واما المرة الثانية فاستفهام للتعظيم كما تقول القايل للعارف المشاهد كيف فعلت وصنعت فيقول نعم ما فعلت وتقول احسنه تحسينه فتحقق عظمة الفعل بالاستفهام وانما ذكرها ههنا المرة الاولى ولم يذكر في موضع اخر لان الحكاية ذكرها مختصرة مكان تقول الاحار بسبب الاختصار فقال كيف كان عذابي حاملا على التدبر والتفكر واما التى بالاحصار في حكايتهم فلان اكبر امرهم الاستكبار والاعتماد على القوة وعدم الالتفات الى قول النبى صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى واما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة وذكر استكبارهم كثيرا وما كان قوم محمد صلى الله عليه وسلم موصوفا بالغى في الاستكبار وانما كان مبالغتهم في التكذيب ونسبته الى الجنة فذكر حاله نوح عليه السلام على التفصيل فان قومه جمعوا بين التكذيب والاستكبار وكذلك حال صالح عليه السلام اذكرها لشدة مناسبتها بحال محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قال تعالى كيف كان عذابي بتوحيد الضمير ولم يقل الى انا والجواب ما ذكرناه في قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء وقال تعالى كيف كان عذابى ونذر ولم يقل عذابنا **المسئلة الثانية** الصرصر فيها وجوه احدها الريح الشديدة الصوت من الصرير والصرة شدة الصياح ثانيها دايمة الهبوب من اصر على الشى اذا دام وثبت وفيه بحث وهو ان الاسماء المشتقة هي التى تصلح لا ويوصف بها واما اسماء الاجناس فلا يوصف بها سواء كان حرفا او معانى فلا يقال انسان رجل جا ولا يقال لونه ابيض وانما يقال انسان عالم وجسم ابيض وقولنا ابيض معناه شى له بياض ولا يكون الجسم ماخوذا فيه ويظهر ذلك في قوله رجل عالم فان العالم شى له علم حتى الحدود الحمار ولو امكن قيام العلم بهما لكان عالما ولا يدخل الحى في المعنى الا من حيث المفهوم فاما اذا قلنا عالم يفهم ان ذلك حى لان اللفظ وضع لحى يعلم بل اللفظ وضع لشى يعلم ويزيده ظهورا قولنا معلوم بانه شى يعلم او انه يعلم وان لم يكن شيا ولو دخل الجسم في الابيض لكان قولنا جسم ابيض كقولنا جسم له بياض فيقع الوصف بالجنة اذا علمت هذا فالمستفاد بالجنس شى دون شى فان قولنا الهندى يقع على كل منسوب الى الهند واما المهند فهو سيف منسوب الى الهند ويصح ان يقال عبد هندى وبر هندى ولا يصح ان يقال مهند وذلك لا بلق ولون اخر في فرس ولا يقال لثوب ابلق وذلك لا فطس انف فيه نعم اذا قال القايل انف افطس فيكون كانه قال به فطس فيكون وصفه بالجنة وكان ينبغى ان لا يقال فرس ابلق ولا انف افطس ولا سيف مهند وهم يقولون فالجواب وهذا السؤال يرد على الصرصر لان الريح الباردة فاذا قال ريح صرصر فليس ذلك كقولك ماء بارد فنقول الالفاظ التى بها اسماء فصاعدا كالفاظ العالم والضارب والابيض فان المقاصد في هذه الالفاظ العالم والضرب والبياض بحصولها واما المحل فمقصود من حيث انه على عمومه حتى ان البياض لو كان يتكون غير محل معقوده كالابيض واما الجسم الذى هو محل البياض ان امكن يرد وامكن قيام البيض لجوهر غير جسم لما اختل الغرض ثانيها ان يكون المحل هو المقصود كقولنا الحيوان كانه اسم الجنس له الحياة لا كالحى الذى هو اسم لشى له الحياة فالمقصود ههنا المحل ووصف الجسم حتى لو وجد حى ليس بجسم لا مقصود من قال الحيوان ولو حمل اللفظ على سه الحى الذى لا يموت يحمل غرض المتكلم ولو حمل لفظ الحيوان على فرس مات او انسان مات مما يفارقه الحياة ولم يبق الا سبع السامع ولا يحصل الغرض فكم قال القايل اذا قال الانسان قايم وهو سبب هذا حيوان ثم بان موته لا يرجع عما قاله بل يقول ما قلت انه حى بل قلت به حيوان فهو حيوان فارقته الحياة وثالثها ما يكون الامران مقصودين كقولنا رجل وامراة وناقة وجمل فان الرجل اسم موضوع لانسان ذكر والمراة لانسان انثى وناقة لبعير انثى فالناقة ان اطلقت على جواد مطهر فرسا او ثور الجبل العرض وان باه حملا لذلك اذا علمت هذا ففى كل صورة كان المحل مقصودا اما وحده واما مع الحال فلا يوصف به فلا يقال جسم حيوان ولا يقال بعير ناقة وانما يجعل ذلك حمله فيوصف بالجملة فيقال جسم هو حيوان وبعير هو ناقة ثم ان الابلق والافطس سابه الحيوان من وجه وسابه العالم من وجه وكذلك المهند دليل لترجيح الحال فيه ظاهر لان المهند لا يذكر الا لمدح السيف والافطس لا يقال الا لوصف الانف الحقيقيه وكذلك الابلق بخلاف الجواز لانه لا يقال الا وصفة وكذلك الناقة اذا علمت هذا فالصرصر يقال لشدة الريح او لبردها فوجب ان يعمل به ما يعمل بالبارد والشديد لجاز الوصف وهذا كر عزيز **المسئلة الثالثة** قال تعالى ههنا انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا وقال في الطور يعنى في عاد فارسلنا عليهم الريح العقيم فعرف الريح هناك ونكر هناك لان العقيم في الريح ما ظهر من البرد الذى يحرق النبات الذى والشجرة التى تعصف الاشجار لان الريح العقيم هي التى لا تنشى سحابا ولا تلقح شجرا وهى كثيرة الوقوع واما الريح المهلكة الباردة فقل ما يوجد فقال الريح العقيم اى هذا الجنس المعروف ثم زاده بيانا فقال ما تذر من شى اتت عليه الا جعلته كالرميم فتميزت عن الرياح العقيم وما الصرصر فقليله الوقوع فلا يكون مشهودة فنكرها **المسئلة الرابعة** قال تعالى في يوم نحس مستمر وقال في السجدة في ايام نحسات وقال في الحاقة سبع ليال وثمانية ايام حسوما والمراد من اليوم هنا الوقت والزمان كما في قوله تعالى يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا وقوله مستمر يفيد ما يفيد الايام لان الاستمرار ينبى عن امتداد الزمان كما ينبى عنه الايام وانما اختلف القطع اتحادا معنى لان الحكاية هنا مذكورة على سبيل الاختصار فذكر الزمان ولم يذكر مقداره وكذلك لم يصفها ثم ان فيه قراتين احدهما يوم نحس باضافة يوم وسكون نحس على وزن نفس وثانيهما يوم نحس بتنوين الميم وكسر الحا على وصف اليوم النحس كما في قوله تعالى ايام نحسات فان قيل انهما اقرب قلنا الاضافة اصح وذلك لان من قرا يوم نحس مستمر يجعل المستمر صفة ليوم ومن قرا يوم نحس مستمر يكون المستمر وصفا للنحس فيحصل منه استمرار



---



النحوسة اظهر واليق فان قيل من قرا يوم نحس بسكون الحا فاذا قال النحس بقول يحتمل ان يقال هو بمعنى نحس اسم بمعنى نحو ونحس صفة غير الصفات وهو ونصر وبعد وعلى هذا يلزمه ان يقال نقرا بيوم كاين نحس نقول في قوله تعالى بجانب الغربى ويحتمل ان تقول نحس ليس بل هو اسم مستمر معنى او مهد وتسكون لقولهم يوم برد وحر وهذا اقرب واصح **المسئلة الخامسة** ما معنى مستمر نقول فيه وجوه **الاول** ممتد ثابت مدة مديدة من استمر الامر اذا دام وهذا كقولهم ايام الشدايد واليه الاشارة بقوله تعالى في ايام نحسات لنذيقهم بعض الذى عملوا فانه يذيقهم الم العذاب ثم قال تعالى تنزع وفيه مسايل **المسئلة الاولى** تنزع الناس وصف او حال نقول الامرين جميعا ويصح ان يقال ارسل ريحا صرصرا نازعة للناس ويقال ارسل الريح نازعة فان قيل كيف يمكن جعلها حالا وذو الحال نكرة نقول الامر ههنا اهون لانه في قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر نكرة واجابوا عنه بان موصوفه مخصص فيحسن جعلها ذات الحال فكذلك ههنا نقول الريح موصوفة بالصرصر والمسكن فيه اسم للتعظيم والا لى تحدثه فلا يبعد جعلها ذات حال وفيه وجه اخر وهو انه كلام مستانف على فعل وفاعل كما تقول جا زيد جاء عمرو وتقريره حال في تحدث كذلك ههنا قال انا ارسلنا ريحا صرصرا فاصبحت تنزع الناس ويدل عليه قوله تعالى فترى القوم فيها صرعى فالفاء في قوله تعالى تنزع الناس اشارة الى ما اشار اليه صرعى بقوله وقوله تعالى كانهم اعجاز نخل منقعر فيه وجوه احدها تنزعهم فصرعتهم كانهم اعجاز نخل كما قال تعالى صرعى كانهم اعجاز نخل ثانيها نزعهم فهم بعد النزع كانهم اعجاز نخل وهذا اقرب لان الانقعار قبل الوقوع فكان نزع ونقعر فيكون صرعها بحلول الموضع عنه فيجرى وقوله تعالى في الحاقة فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية اشارة الى حالة بعد الانقعار الذى هو بعد النزع وهذا يفيد ان الحكاية ههنا مختصرة حيث لم يشر الى صرعهم وخلو منازلهم عنهم بالكلية فان حال الانقعار لا يحصل الخلو التام او هو مثل الشروع في الخروج والاخذ فيه ثالثها نزعهم نزعا بعنف كانهم اعجاز نخل تقعرهم صرعهم واشارة الى قوتهم وثباتهم على الارض وفي المعنى وجوه احدها انه ذكر ذلك اشارة الى عظمة اجسادهم وطول اقدارهم ثانيها ذكره اشارة الى ثباتهم في الارض فكانهم كانوا يعملون ارجلهم في الارض ويقصدون المنع به على الريح وثالثها ذكره اشارة الى يبسهم وقاعهم بالريح فكانت تقتلهم وتحركهم ببرودة المفرط فقعودا كانهم احطاب ناشفة **المسئلة الثانية** قال ههنا منقعر فذكر النخل وقال في الحاقة كانهم اعجاز نخل خاويه فانثها قال المفسرون تلك السورة كانت اواخر الايات تقتضى ذلك لقوله مستمر ومنهمر ومنتشر وهو جواب حسن فان الكلام كما يزين بحسن المعنى يزين بحسن اللفظ ويمكن ان يقال النخل لفظه لفظ الواحد كالبعل والبقل ومعناه معنى الجمع فيجوز ان يقال فيه نخل منقعر ومنقعرة ومنقعرات ونخل خاو وخاوية ونخل باسق وباسقة وباسقات فاذا قيل قايل منقعر وخاو وباسق جرد النظر الى اللفظ ولم يراع جانب المعنى واذا قال منقعرات او خاويات او باسقات جرد النظر الى المعنى ولم يراع جانب اللفظة واذا قال منقعرة او خاوية او باسقة جمع بين الاعتبارين من حيث وجد اللفظ فيما قال منقعرة على الافراد من حيث الجمع الخوبه بالتانيث في الجماعة اذا عرفت هذا فنقول ذكر الله تعالى لفظ النخل في مواضع ثلثة ووصفها على الوجوه الثلاثة فقال والنخل باسقات فانها حال منها وهي كالوصف وقال نخل خاوية وقال نخل منقعر فحيث قال منقعر كان ذلك المختار لان المنقعر في حقيقة الامر كالمفعول لانه الذى ورد عليه القعر فهو مقعور والخاوى لامر كالمفعول لانه الذى ورد عليه القعر الذاب سوق فاعل ومعناه واخلاه ما هو مفعول عن علامة التانيث اولى تقول امراة كفيل وامراة كفيلة وامراة كثيرة وامراة كبيرة واما الباسقات فهى فاعلات حقيقة لان البسوق كان بامرها واما الخاوية فهى من باب حسن الوجه لان الخاوى موضعها وكانه قال نخل خاوية المواضع وهذا غاية الاعجاز حيث اتى بلفظ مناسب للالفاظ السابقة واللاحقة من حيث اللفظ فكان الدليل يقتضى ذلك بخلاف الشاعر الذى يختار اللفظ على المذهب الضعيف لاجل الوزن والقافية ثم قال تعالى فكيف كان عذابى ونذر وقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر وتفسيره قد تقدم والتكرار لو ورد في قوله تعالى عذابى ونذر لطيفة كما ذكرناها وهى بين وسؤال وجواب لو قال القايل اكثر المفسرين على ان النذر في هذا الموضع جمع نذير الذى هو مصدر ومعناه انذارى في الحكمة في توحيد العذاب حيث لم يقل فكيف كان انواع عذابى وقال انذارى نقول فيه اشارة الى غلبة الرحمة الغضب وذلك لان الانذار اشفاق فقال الانذارات التى هى نعم ورحمة تواترت لما لم ينفع وقع العذاب وقعة واحدة فكانت النعمة كثيرة والنقمة واحدة وسنبين هذا زيادة بيان حيث تفسير قوله تعالى فباى آلاء ربكما تكذبان حيث جمع الآلاء وكثر ذكرها وكررها ثلثين مرة ثم بين الله تعالى حال قوم اخرين وقال تعالى كذبت ثمود بالنذر وقد تقدم تفسيره غير انه في قصة عاد قال كذبت ولم يقل بالنذر وفى قصة نوح عليه السلام قال كذبت قوم نوح بالنذر فنقول هذا يؤيد ما ذكرنا من ان المراد بقوله كذبت قبلهم قوم نوح ان عادتهم ومذهبهم انكار الرسل وتكذيبهم فكذبوا نوحا عليه السلام بنا على مذهبهم وانما صرح ههنا لان كل قوم يأتون بعد قوم فاتيهم رسولان فالمكذب المتاخر يكذب بالمرسلين جميعا حقيقة والاولون يكذبون رسولا واحدا حقيقة ويلزمهم تكذيب من بعده بنا على ذلك لانهم لما كذبوا من تقدم في قوله تعالى لا اله الا الله واحد والحشر كاين ومن ارسل بعده كذلك قوله ومذهبه لزم منه ان يكذبه ونقول على هذا ان الله تعالى قال لنوح عليه السلام فكذبوه فانجيناه وقال في عاد وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله واما قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين فاشارة الى انهم كذبوا وقالوا ما يفضى الى تكذيب جميع المرسلين ولهذا ذكر بلفظ الجمع المعرب للاستغراق ثم انه تعالى قال هناك عن نوح رب ان قومى كذبون ولم يقل كذبوا رسلك اشارة الى ما صدر منهم حقيقة لا ان ما يرهم الزامهم اذا عرفت هذا فما سبق قصة ثمود ذكر رسولين وسولهم

بالهم قال تعالى كذبت ثمود بالنذر هذا طرا اذا قلنا النذر بالانذارات فنقول قوم نوح وعاد لم يستمر المعجزات التي ظهرت
في زمانهم واما ثمود فانذروا واخرج لهم ناقة من صخرة وكانت تدور بينهم وكذبوا فكان تكذيبهم بانذارات وآيات ظاهرة
فصرح لها قوله تعالى ابشرا منا واحدا نتبعه تريد الوجه الاول من نقول لا نتبع بشرا مثلنا وجميع الرسل من البشر فيكون
مكذبا بالرسل والياء في قوله تعالى بالنذر يريد الوجه الثاني لانه بين ان الله تعالى في تكذيب الرسل عدى التكذيب
بغير حرف فقال كذبوه وكذبوا رسلنا وكذبوا عبدنا وكذبون وقال كذبوا بآياتنا كلها وبآياتنا بعد حرف لان التكذيب هو
النسبة الى الكذب والقايل هو الذي يكون كاذبا حقيقة والكلام والقول يقال فيه كاذبا مجازا فيتعلق التكذيب بالقايل اظهر
فيستغني عن الحرف بغير خلاف القول وقد ذكرنا ذلك وبيناه بيانا شافيا في قوله تعالى ابشرا منا واحدا نتبعه وفيه
مسايل المسئلة الاولى زيدا ضربته وزيد ضربته كلاهما جايز والنصب مختار وفي مواضع منها هذا الموضع وهو الذي
يكون ما يرد عليه النصب والرفع بعد حرف الاستفهام والسبب اختيار النصب لغير معقول وهو ان المستفهم يطلب من
المسئول ان يجعل ما ذكره بعد حرف الاستفهام مفعول الكلام ويخبر عنه فاذا قال ازيد عندك معناه اخبرني عن زيد
ما ذكرناه حاله فاذا انضم الى هذه الحالة فعل مذكور ترجح جانب النصب فيجوز ان يقال ازيدا ضربته وان لم يجب
فالاحسن ذلك فاذا قيل من قرا ابشرا منا واحدا نتبعه كيف ترك الاجود نقول نظرا الى قوله تعالى فقالوا اذا بعد
القول لا يكون الا جملة والاسمية اولى والاولى قوى واظهر المسئلة الثانية اذا كان بشرا منصوبا بفعل فما الحكمة
في تاخير الفعل في الظاهر نقول قد تقدم مرارا ان البليغ يقدم في الكلام ما يكون تعلق غرضه به اكثر وهم كانوا يريدون
بيان كونهم محقين في ترك الاتباع فلو قالوا انتبع بشرا يمكن ان يقال نعم اتبعوه وماذا يمنعكم من اتباعه فاذا قدموا
حاله وقالوا هو من نوعنا بشر ومن جنسنا رجل ليس غريبا نعتقد فيه انه يعلم ما لا نعلم او يقدر على ما لا نقدر وهو
واحد وحيد وليس له خيل وحشم وخيل وخدم فيكونون قد قدموا الموجب لجواز الامتناع في الاتباع واعلم ان
في الاية اشارات الى ذلك احدها انكره حيث قالوا ابشرا ولم يقولوا صالحا والرجل المدعي وغير ذلك من المعرفات والتنكير
تحقير ثانيها قالوا ابشرا ولم يقولوا رجلا ثالثها قالوا منا وهو يحتمل امرين احدهما من صنفنا ليس غريبا وثانيهما
منا اي معنا تقول القايل لغيره انت منا فيناديه السامع وتقول لا بل انت ولست انا منكم وبعضه او من التبعيضية و
البعض يتبع الكل لا الكل يتبع البعض ورابعها واحدا يحتمل امرين ايضا احدهما وحيدا اشارة الى ضعفه وثانيهما واحدا
اي هو من الاحاد لا من الاكابر المشهورين وتحقيقه القول في استعمال الاحاد في الاصاغر حيث يقال هو من احاد
الناس هو ان من لا يكون مشهورا بحسب ولا نسب اذا حدث عند من لا يعرفه لا يمكن ان يقال عنه قال فلان
او من فلان فيقال قال واحد وفعل واحد فيكون ذلك غاية الخمول او لان الارذل ينضم اليه احد فصاعدا اكثر وفاته
واحد فيقال للارذال احاد وقوله عنهم انا اذا لفي ضلال وسعر يحتمل وجهين احدهما ان يكونوا قد قالوا في جواب
من يقول لهم ان لم تتبعوه تكونوا في ضلال فيقولون له لا بل ان اتبعناه نكون في ضلال ثانيهما ان يكون ذلك ترتيبا
على ما مضى اي حاله ما ذكرنا من الضعف والوحدة فان اتبعناه نكون في ضلال وسعر اي جنون على هذا الوجه فان
قلنا ان ذلك قالوه على سبيل الجواب فيكون القايل قال لهم ان لم تتبعوه فانا اذا في الحال في ضلال وفي سعر
في العقبى فقالوا لا بل ان اتبعناه فانا اذا في الحال في ضلال وفي سعر من الذل والعبودية مجازا فانهم ما كانوا يعترفون بالسعير
المسئلة الثالثة السعير في الاخرة واحد فكيف جمع نقول الجواب عنه من وجوه احدها في جهنم دركات يحتمل ان يكون كل واحد
سعيرا او فيها سعير ثانيها لدوام العذاب عليهم فانه كلما نضجت جلودهم بدلهم جلودا فكانهم في كل زمان في سعير آخر وعذاب
آخر ثالثها لسعة السعير الواحد كانها سعر يقال للرجل الواحد فلان ليس برجل واحد بل هو رجال والله اعلم

**قوله تعالى أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب اشر سيعلمون غدا من الكذاب الاشر انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر**

تكذيب وقد تقدم في قوله
ان الشيء بطريق الاستفهام ابلغ لان من قال ما انزل عليه الذكر ربما يعلم او يظن او يتوهم ان السامع يكونه
فاذا ذكر بطريق الاستفهام يكون فيه فاذا ذكر بطريق الاستفهام يكون معناه ان السامع يحتني فيقول له ما انزل الله
شيء الا من حيث معتاطا هو لا يخفى على احد بل كل احد يقول ما انزل الله والذكر الرسالة او الكتاب اذ كان ويحتمل
ان يراد به ما يذكره من الله كما يقال الحق ويراد به ما يحق من الله وفيه مسايل المسئلة الاولى قولهم القي يدل
انزل فيه اشارة الى ما كانوا ينكرون به من طريق المبالغة وذلك لان الالقا انزال بسرعة والنبي كان يقول جاءني
الوحي مع الملك وخطه يسيرة وكانهم قالوا الملك جسم والسما بعيدة فكيف ينزل في لحظة فقالوا القي وما قالوا
نزل وقولهم عليه انكار آخر كانهم قالوا ما القي ذكرا اصلا ثم قالوا فان القي فلا يكون عليه من بيننا وفينا من هو
فوقه في الشرف والذكا وقولهم القي بدلا عن قولهم القي الله الاشارة لان الالقا من السما غير ممكن فضلا عن ان يكون من الله
تعالى المسئلة الثانية عرفوا الذكر ولم يقولوا القي عليه ذكر وذلك لان الله تعالى حكى انكارهم ما لا ينبغي ان ينكر
فقال انكروا الذكر الظاهر المبين الذي لا ينبغي ان ينكر وهو كقول القايل انكروا المعلوم المسئلة الثالثة بل يستدعي

امرا



امرا مضروبا فيه سابقا كما ذكرنا نقول قولهم القي للانكار ثم قالوا ما القي ثم ان قولهم القي الذكر عليه لا يقتضي انه ليس شيئا ثم قالوا
بل هو ليس نبيا وذلك المسئلة الرابعة الكذاب فعال من فاعل للمبالغة او يقال بل من فاعل النسب كحمال وتمار نقول الاول هو الاصح الاظهر
على ان الثاني من باب الاول لان المنسوب الى الشيء لا بد له من ان يكثر فيه من اوله السمى فان من خاط ثوبه مرة لا يقال له خياط اذا عرفت هذا
فنقول المبالغة اما في الكثرة واما في الشدة بالكذاب اما شديد الكذب يقول ما لا يقبله العقل اذ كثير الكذب ويحتمل ان يكونوا وصفوه به لاعتقادهم
الامرين فيه وقولهم اشر اشارة الى انه كذب لا بالضرورة وحاجة الى الخلاص كما يكذب الضعيف وانما استغنى وبطر وطلب الرياسة
عليكم واراد ساعتهم فكان كل وصف مانعا من الاتباع لان الكاذب لا يلتفت اليه لا سيما اذا كان كذبه لا لضرورة وقرئ الاشر فقال
المفسرون هذا على الاصل المرفوض في الاستعمال والاخر على خلافه وان افعل التفضيل وانما رفض الاصل فيه لان افعل اوفق وقد يفسر
بافعل ايضا والثاني بافعل بالث مثاله اذا قال انا بمعنى الاعلم فقال هو الاكبر علما واذا قال والاكثر ماذا الازيد عددا او شيء
مثله فلا بد من امر يفسر به الافعل فلا يقال فيه لعدم ان الشر في مقابلة الخير يفسر به ما يفسر بالخير فقيل هو شيء من كذا وخير
من كذا ثم ان من الاخير يستعمل في موضعين احدهما مبالغة الخير بفعل او فعل على اختلاف فقال هذا اخير ويستعمل في مبالغة خير
على المشابهة لا على الاصل نحن نقول اشر يكون قد ترك الاصل المستعمل لانه احد في المستعمل المرفوض بمعنى الاعلم ان علمه خير من علم غيره
او هو خير من غيره كذلك القول في الاضعف وغيره ثم قال تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر فان قال قايل سيعلمون للاستقبال
وقت انزال القران على محمد صلى الله عليه وسلم كانوا قد علموا الان ما بعد الموت بسبب الامور وقد عاينوا ما عاينوا فكيف القول فيه
نقول فيه وجهان احدهما ان يكون هذا القول مفروضا لوقوعه في وقت قولهم بل هو كذاب اشر فكانه تعالى قال يوم قالوا بل هو كذاب
اشر سيعلمون غدا وثانيهما ان هذا التهديد بالتعذيب لا بحصول العلم والعذاب الاليم هو عذاب جهنم لا عذاب القبر فهم سيعلمون
يوم القيمة وهو مستقبل وقوله تعالى غدا بالزمان في الامكان ولا للاذهان ثم ان قلنا ان عذاب التهديد بالتعذيب للتكذيب فلا حاجة الى
تفسير بل يكون ذلك عادة كقولهم من غير قصد الى معناه وان قلنا هو الرد والوعد بيان انكسا فالامر بقوله تعالى معناه سيعلمون
غدا انهم كاذبون الذين كذبوا الى الحاجة وضرورة بل بطروا واشروا لما استغنوا وقوله تعالى غدا يحتمل ان يكون المراد يوم القيمة
ويحتمل ان يكون المراد يوم العذاب وهذا على الوجه الاول ثم قال تعالى انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر وفيه مسايل
المسئلة الاولى قوله تعالى انا مرسلوا بمعنى الماضي او بمعنى المستقبل ان كان بمعنى الماضي فكيف يقول فارتقبهم واصطبر وان كان بمعنى المستقبل
فالفرق بين حكاية عاد وبين حكاية ثمود قال هناك انا ارسلنا وقال ههنا انا مرسلوا الناقة بمعنى انا مرسل نقول هو بمعنى المستقبل وما قبله
وهو قوله تعالى سيعلمون غدا يدل عليه فان حركة تعالى انا مرسلوا الناقة كالبيان له كانه قال سيعلمون حيث نرسل الناقة وما بعده
من قوله تعالى فارتقبهم واصطبر ونبئهم ايضا يقتضي ذلك فان قيل قوله تعالى فنادوا دليل على ان المراد الماضي قلنا سنجيب عنه في موضعه واما
الفارق فنقول حكاية ثمود مستقصاه في هذا الموضع حيث ذكر كذبت القوم بالنذر وقولهم لرسولهم وتصديق الرسول بقوله سيعلمون
وذكر المعجزة وهي الناقة وما فعلوه بها والعذاب والهلاك فذكر حاله على وجه الماضي والمستقبل ليكون وصفه عن النبي صلى الله عليه
وسلم كانه حاضرها فيصدق بصالح عليه السلام في الصبر والدعا الى الحق وسوء به في النصر على الاعدا بالحق فقال اني مؤيدك بالمعجزة
القاطعة **واعلم** ان الله تعالى ذكر في هذه السورة خمس قصص وجعل القصة المتوسطة مذكورة على اتم وجه لان حال صالح
عليه السلام كان اكثر مشابهة بحال محمد صلى الله عليه وسلم لانه اتى بامر عجيب ارضي به كان اعجب مما جاء به الانبيا عليهم السلام
لان عيسى عليه السلام احيا الميت لكن الميت كان محل الحياة فاحيت باذن الله تعالى الحياة في محل كان قابلا لها وموسى عليه السلام
انقلب عصاه ثعبانا فاثبت الله له في الخشبة الحياة لكن الخشبة نبات كان له قوة في النما فشابه الحيوان في النمو فهو اعجب وصالح عليه السلام
كان الظاهر في يده خروج الناقة من الحجر والحجر جماد لا محل الحياة ولا محل النمو والنبي صلى الله عليه وسلم اتى باعجب من الكل وهو التصرف
في جرم السما الذي يقول المشرك لا وصول لاحد الى السما ولا امكان لشقه وخرقه واما الارضيات فقالوا انها اجسام مشتركة المواد يقبل
كل واحد منها صورة الاخرى والسماويات لا يقبل ذلك فلما اتى بما عرفوا فيه انه لا يقدر على مثله ادمي كان اتم وابلغ من معجزة صالح عليه
السلام التي هي اتم معجزة من معجزات ما كان من الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين غير محمد صلى الله عليه وسلم وفيه لطيفة وهو ان اسم
الفاعل اذا كان بمعنى الماضي وذكر مفعوله فالواجب الاضافة تقول وحشي قاتل عم النبي صلى الله عليه وسلم فان قلنا بل عم النبي
عليه بالاعمال فلا بد من تقدير الحكاية في الحال كما في قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه على انه يحكي القصة في حال وقوعها تقول خرجت
امس فاذا زيد ضارب عمرا فان قلت انا ضارب عمرو غدا حيث كان الامر كما تقول نضرب عمرا وان كان الضرب قد مضى واذا كان بمعنى
المستقبل في احسن الاعمال تقول انا ضارب عمرا غدا فان قلت انا ضارب عمرو غدا حيث كان الامر وقع مكان والتحقيق فيه انا قولنا
ضارب وسارب وقاتل اسماء حقيقة غير انها دالة على الفعل فاذا كان الفعل محققا في الماضي فهو وجود حقيقة فلا وجه
للفعل حقيقة ولا في التوقع فيحمل على ما للاسم من الاضافة ويترك ما للفعل من الاعمال لغلبة وفقدان الفعل بالماضي واذا كان الفعل
حاضرا او متوقعا في الاستقبال فله وجود حقيقة او في التوقع فيجوز الاضافة لصورة الاسم والاعمال لتوقع الفعل او لوجوده ولكن
الاعمال اولى لان في الاستقبال لم يضرب بعد فلا يكون ضاربا فلا ينبغي ان يضاف واما الاعمال فهو شيء غير متوقع الفعل او وجوده لانه
اذا قال زيد ضارب عمرا فالسامع اذا سمع يضرب عمرا وعلم انه يفعل فاذا لم يرد في الحال يتوقعه في الاستقبال غير ان الاضافة يفيد تحقيقا
حيث يسقط بها التنوين والنون فيختار لفظا لا معنى اذا عرفت هذا فنقول مرسلوا الناقة مع ما فيه من التحقيق فيه تحقيق الامر تقديره
كانه وقع وكانه يخلف ما قيل انا نرسل الناقة المسئلة الثانية فتنة مفعول له فيكون الفتنة هي المقصودة من الارسال لكن

المقصود منه تصديق النبي صلى الله عليه وسلم وهو صالح عليه السلام لانه معجزة في تحقيقه في التفسير نقول فيه وجهان احدهما
ان المعجزة فتنة لان بها يتميز حال من ساب وحال من يعذب لان الله تعالى بالمعجزة لا يعذب الكافر الا اذا كان سمع صدقه من
سب نبوته وتلبس بالمعجزة اسلا لانها تصديق وبعد التصديق عن المصدق عن الكذب وما بها هوادق وهو ان اخراج الناقة من
الصخرة كان معجزة وارسالها اليهم ودورانها فيما بينهم وقسمة الما كان فتنة ولهذا قال تعالى انا مرسلوا الناقة فتنة لهم
ولم يقل انا مخرج الناقة فتنة والتحقيق في الفتنة والابتلاء والامتحان قد تقدم مرارا واليه اشارة حصه حقيقه
وهي ان الله تعالى يهدي من يشاء والهداية طرق منها ما يكون على وجه يكون للانسان مدخل بالكسب مثاله يخلق
شيا دالا ويضع تفكر الانسان فيه ونظره اليه على وجه يترجح عنده الحق فيتبعه وتارة يحبه الله ابتدا ويصونه عن
الخطاء من غيره فاظهار المعجزة على يد الرسول امر يهدي به من يشاء اهتداء مع الكسب وهداية الانبيا من غير كسب منهم
بل يخلق فيهم علوما بغير كسبه فقوله تعالى انا مرسلوا الناقة فتنة لهم اشارة اليهم ولهذا قال ومعناه على وجه يصلح لان يكون
فتنة وعلى هذا كل من كانت معجزته ظاهرة يكون ثواب قومه اقل وقوله تعالى فارتقبهم واصطبر اي فارتقبهم بالعذاب ولم يقل فارتقب
العذاب اشارة الى قرب الوقت والاجتناب عن طلب الترفه وقوله تعالى واصطبر يؤيد ذلك بمعنى ان كانوا يؤذونك فلا تستعجل لهم العذاب
ويحتمل ان يكون ذلك اشارة الى قرب الوقت الى امر فيها الا بحيث يعجز عن الصبر ثم قال تعالى ونبئهم ان الما قسمة بينهم كل شرب محتضر اي
مقسوم وصف بالمصدر او يدمن بدانا المستوق منه لقوله ما فلح وقوم وزور وفيه ضرب من المبالغة تقال يكن بهم هو عين الكرم و
تقال فلان لطف محض ويحتمل ان يكون القسمة و... لان الناقة كانت عظيمة وكانت حيوانا تنفر القوم ينفر منها ولا يردا الما وهي
على الما فصعب على القوم فجعل الما بينهما يوما للناقة ويوما للقوم ويحتمل ان يكون القوم الما مربه يوما للناقة ويوما للحقوق ايانا ويحتمل
ان يكون الما كان بينهم قسمة يوم لقوم ويوم لقوم ولما خلق الله تعالى الناقة كانت ترد الما يوما فكان الذين لهم الما في غير يوم يردونها
يقولون الما كله لنا في هذا اليوم ويومكم كان امس والناقة ما اضرت شيا فلا نترككم الورود ايضا في هذا اليوم فيكون النقصان
واردا على الكل وما كانت الناقة تشرب الما باسرها وهذا ايضا ظاهر ومعقول والمشهور هذا الوجه الاوسط ونقل ان قوما
كان بلغ سعيهم يوم ورودها الما والكل ممكن ولم يرد في شي خبر متواتر والثالث قطعا وهل القسمة كانها مثبتة بكتاب الله تعالى
اما كيفية القسمة والسبب فلا وقوله تعالى كل شرب محتضر مما يؤيد الوجه الثالث اي كل شرب محضر القوم باسرهم لانه لو كان ذلك
لبيان كون الشرب محضر القوم او الناقة فهو معلوم لان الما معاكان يترك من غير حضور وان كان لبيان انه يحضره الناقة يوما
والقوم يوما فاللفظ دالة عليه في اللفظ واما اذا كانت العادة قبل الناقة على ان يرد الماء قوم في يوم واخرون في يوم اخر ثم لما خلقت الناقة
كانت تنقص شرب البعض ويترك شربا لباقين من غير نقص بل كان كل شرب محتضر لها اي القوم فردوا كل يوم الما وكل شرب
نقصها سهمهم وكل شرب كامل يقاسمه ثم قال تعالى فنادوا صاحبهم نداء المستغيث كانهم باقدار القوم كما تقول القبايل
بالله للمسلمين وصاحبهم قدار وكان اسمع واجم على الامور ويحتمل ان يكون رئيسهم قوله تعالى فتعاطى ويحتمل وجها الاولى
في تعاطي اليه العقر فعقر الثاني تعاطى الناقة فعقرها وهو اضعف الثالث تعاطى تطلق ويراد به الاقدام على الفعل العظيم
والتحقيق هو ان الفعل العظيم يتهم كل احد صاحبه ويبرى نفسه منه ممن يقبله ويندم عليه فقال تعاطاه كانه كان فيه
تدافع فاخذه هو بعد التدافع الرابع ان القوم جعلوا على عمله جعلا فتعاطاه وعقر الناقة ثم قال تعالى فكيف كان عذابي ونذر
قوم بيانه وتفسيره غير ان هذه الاية ذكرها في ثلاثة مواضع ذكرها في حكاية نوح عليه السلام بعد بيان العذاب
وذكر هاهنا قبل بيان العذاب وذكرها في حكاية عاد قبل بيانه وبعد بيانه بحيث ذكر قبل بيان العذاب ذكرها للبيان كما تقول
ضربت فلانا اي ضرب وربما ضرب وتقول ضربته وكيف ضربته اي قويا وفي حكاية عاد ذكرها مرتين للبيان والاستفهام وقد
ذكرنا السبب فيه ففي حكاية نوح عليه السلام ذكر الذي للتعظيم وفي حكاية ثمود ذكر الذي للبيان لان عذاب قوم نوح عليه السلام
كان بامر عظيم عام وهو الطوفان الذي عم العالم ولا كذلك عذاب قوم هود فانه كان مختصا بهم والله اعلم **قوله تعالى**
**انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط
بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا الا ال لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر ولقد انذرهم
بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد صبحهم
بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر** سمعوا صيحة فماتوا وفيه مسائل **المسئلة الاولى** كان في قوله وكانوا من اي الاقسام نقول
قال النحاة يجي تارة بمعنى صار ويمسكوا بقول القايل بينهما قفرا كان من احاسق جا بمعنى صارت فقال بعض المفسرين في هذا الموضع كان
صار والتحقيق ان كان لا تخالف غيرها من الافعال الماضية اللازمة التي لا تتعدى والذي يقال ان كان تامة وناقصة وزايدة
وبمعنى صار فليس ذلك موجبا اختلاف احوالها يفارق غيرها من الافعال وذلك لان كان بمعنى وجد وحصل و... غير ان الذي يوجد
تارة يكون حقيقة الشي واخرى صفة من صفاته فاذا قلت كانت الكاينة ... حصلت الوجود والحصول للشي في نفسه
وكانك قلت وجدت الحقيقة الكاينة ... وجدت في نفسها واذا قلت كان زيد عالما اي وجد علم زيد غير انا نقول وجد زيد عالما
ان علما حال ... وكان زيد عالما نقول انه خبر لقولنا حصل زيد عالما غير ان قولنا وجد زيد عالما ربما يوهم منه ان الوجود والحصول
لزيد عالم لكن هذا لا يوجد ... على خلاف غيره من الافعال اللازمة التي لها بالحال تعلق شديد لان من يفهم من قولنا حصل
زيد اليوم على احسن حال ما يفهم من قولنا خرج زيد اليوم في احسن ... لا يمنعه مانع من ان يفهم من قولنا كان زيد على احسن حاله اشهر ما لم

هناك



[illegible]

في ثلث حكايات اربع مرات فالمرة الواحدة للانذار والمرة الثانية للتذكار لان المقصود حصل بالمرة الواحدة وقوله تعالى
فباي الاء ربكما تكذبان ذكره مرة للبيان واعادها ثلثين مرة غير المرة الاولى كما اعاد كيف كان عذابي ونذر ثلث مرات غير
الاولى فكان ذكر الالاء عشرة امثال ذكر العذاب اشارة الى الرحمة التي في بيانها من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وسنبين ذلك ان شاء الله تعالى في سورة الرحمن الرابعة ال لوط ... ان كان من
الرحمن قال انا ارسلنا عليهم فالضمير عايد الى قوم لوط وهم الذين قال فيهم كذبت قوم لوط واله من قومه فيكون اله قد
كذبوا ولم يكن كذلك الجواب عنه من وجهين احدهما ان الارسال عايد الى الضمير في عليهم وهم القوم باسرهم غير ان قوله
تعالى كذبت قوم لوط لا يوجب كون كلهم مكذبين لان قول القايل عصى اهل بلده لا يصح فيه وان كان فيه شرذمة قليلة
يطيعونه فكيف اذا كان فيهم واحد ... من المطيعين لا غير فان قيل ماله حاجة الى الاسناد وقوله انا ارسلنا عليهم
يصح وان نجا منهم طايفة يسيرة نقول لما كانت تحصل الا ... اهلاك ... الا من كان ذكر الا نجا مقصود
حيث يكون القليل من الجمع الكثير من المقصود لا تحوز التعميم والاطلاق من غير بيان حال الخلاف المقصود بالاستفهام الا استثناء
ولو تكلم متكلم مثاله فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس استثنى الواحد لانه كان مقصودا وقال تعالى واوتيت من كل شيء وما ... المقصود بيان

لما اوعدت لا سان انهاما او بيك وفي حكاية ابليس كلاهما مراد لتعلم ان من تكبر على آدم عليه السلام عوقب ومن تواضع اثبت لذلك القول ههنا واما عند التكذيب فكان المقصود ذكر المكذبين فلم يستثن الجواب الثاني انه لا استثناء من كلام مدلول عليه كانه قال انا ارسلنا عليهم حاصبا فما نجى من الحاصب الا آل لوط وجاز ان يكون الارسال عليهم والاهلاك يكون عاما كما في قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فكان الحاصب اهلك من كان للارسال عليه مقصودا ومن لم يكن كذلك كالاطفال لهم ودوابهم ومساكنهم لما نجا منه احد الا آل لوط فان قيل اذا لم يكن الاستثناء من قوم لوط يستدعي عقلا لان من المعلوم ما لا يجوز تركه واتباعه والذي يدل عليه انه يستدعي قوله تعالى عن الملائكة نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته في جوابهم لابراهيم عليه السلام حيث قال ان فيها لوطا انا لمنجوهم الا آل لوط مجرمين فاستثنى منهم والجواب مثل ما ذكرنا فاحد الجوابين انا ارسلنا الى قوم لوط لنصدق عليهم انهم مجرمون واد كان فيهم من لم يجرم ثابتها الى القوم مجرمين باهلاك يعم الكل الا آل لوط وقوله تعالى نجيناهم بسحر كلام مستانف لبيان وقت الانجا او لبيان كيفية الاستثناء ولان لوطا كان يمكن ان يكونوا فيهم ولا يصيبهم الحاصب كما في عاد وكانت الريح تقلع الكافر ونصيب المؤمن منها مكروه او يجعل لهم مدفعا كما في قوم نوح عليه السلام فقال نجيناهم بسحر اي امرناهم بالخروج من القرية في آخر الليل والسحر قبل الصبح وقيل هو السدس الاخير من الليل ثم قال تعالى نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر اي ذلك الانجا كان فضلا منا كما ان ذلك الاهلاك كان عدلا ولو اهلكهم لكان عدلا قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال الحكماء العضو المفسد يقطع ولا بد من ان يقطع معه جزء من الصحيح ليحصل استقبال الفساد غير ان الله تعالى قادر على التمييز التام لو شاء ان شاء اهلك من كذب ثم كذب الذين اهلكهم من المصدقين في دار الجزاء وان شاء اهلك من كذب فقال نعمة منا اشارة الى ذلك وفي نصبها وجهان احدهما انه مفعول له كانه قال نجيناهم لنجاهم نعمة منا ثانيهما على انه مصدر لان الانجاء منا نعمة فكانه قال تعالى انعمنا عليهم بالانجاء انعاما وقوله تعالى كذلك نجزي من شكر وفيه وجهان احدهما ظاهر عليه اكثر المفسرين وهو انه مثل ما كذلك نجيه من عذاب نار الدنيا ولا نهلكه وعد الامة محمد صلى الله عليه وسلم المؤمنين فانهم يصونهم عن الاهلاك العامة والفتن المطبقة الشاملة وثانيها وهو الاصح ان ذلك وعد لهم ولغيرهم بالثواب في دار الاخرة كانه قال كما نجاهم في الدنيا اي كما انعمنا عليهم ننعم عليهم يوم الحساب والذي يويد هذا ان النجاة من الاهلاك كانت في الدنيا فليس يلزم من عذاب الله تعالى في الاخرة نعم الموعد وكذا يجي الله الشاكرين عن عذاب النار ويدل عليه قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها ومن يرد ثواب الاخرة نوته منها وسنجزي الشاكرين وقوله تعالى فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والشاكر محسن ومعلوم ان المراد جزاؤهم في الاخرة ثم قال تعالى ولقد انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر وفيه تبرئة لوط عليه السلام وبيان انه اتى بما عليه فانه لما رتبنا التعذيب على التكذيب وكان من الرحمة ان يوخره ويقدم عليه الانذارات البالغة بين ذلك فقال اهلكناهم وكان قد انذرهم من قبل وفي قوله تعالى بطشتنا وجهان احدهما المراد البطشة التي وقعت وكانت تحرهم بها ويدل عليه قوله تعالى انا ارسلنا عليهم حاصبا فكانه قال ارسلنا عليهم ذكرما سبق للانذار فيه والتخويف وثانيها المراد بها في الاخرة كما في قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى وذلك لان الرسل كلهم كانوا ينذرون قومهم بعذاب الاخرة كما قال تعالى فانذرتكم نارا تلظى وقال تعالى وانذرهم يوم الازفة وقال تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا الى غير ذلك وعلى هذا ففيه لطيفة وهي ان الله تعالى قال ان بطش ربك لشديد وقال ههنا بطشتنا ولم يقل بطشنا وذلك لان قوله تعالى ان بطش ربك لشديد بيان لجنس بطشه فاذا كان جنسه شديدا فكيف الكبرى منه واما لوط عليه السلام فذكر لهم البطشة الكبرى لئلا يكون مقصرا في التبليغ قوله تعالى فتماروا بالنذر يدل على ان النذر جمع لا الانذارات ثم قال تعالى ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم والمراودة من الرود ومنه الارادة وهي قريبة من المطالبة غير ان المطالبة تستعمل [illegible]

المسئلة الاولى [illegible]

[illegible] المسئلة الثانية [illegible]

نقول



نقول هذا مما يويد قول ابن عباس رضي الله عنهما فانه نقل عنه ان المراد ههنا من الطمس الحجب عن الادراك فما جعل على بصرهم شيء غير انهم دخلوا ولم يروا هناك شيئا فكانوا كالمطموسين وفي يس اراد انه لو شاء لو جعل على بصرهم غشاوة والصق احد الجفنين بالآخر فيكون بدا طمس عليها وقال غيره انهم عموا وبها دعتهم مع وجوههم كالصفحة الواحدة ويويد هذا قوله تعالى فذوقوا عذابي ونذر لانهم ان بقوا مبصرين ولم يروا شيئا هناك لا يكون ذلك عذابا والطمس بالمعنى الذي قاله على ابن عباس رضي الله تعالى عنه عذاب فيمول الاول انه تعالى حكى ههنا ما وقع وهو العمى واذهاب ضوءها وصورتها بالكلية حتى صارت وجوههم كالصفحة الملساء ولم يمكنهم الانكار لانه امر واقع واما هناك بعد خوفهم بالممكن المقدور عليه فاختار ما يصدقه كل احد ويعرفه وهو الطمس على العين لان اطباق الجفنين على العين امر كثير الوقوع وهو بقدرة الله تعالى وارادته فقال لو نشاء لطمسنا على اعينهم وما يستعار جفنهم عن اعينهم وهو امر ظاهر الامكان كثير الوقوع والطمس على ما وقع لقوم لوط بادر فقال هناك على اعينهم ليكون اقرب الى القبول والله اعلم المسئلة الثالثة قوله تعالى فذوقوا عذابي ونذر خطاب ممن وقع قلنا فيه وجوه احدها فيه اضمار تقديره فقلت على لسان الملائكة ذوقوا عذابي ثانيها هذا خطاب مع كل مكذب تقديره ان كنتم مكذبين فذوقوا عذابي فانهم لما كذبوا ذاقوا ثالثها ان هذا الكلام يخرج كلام الناس فان الواحد من الملوك اذا امر بضرب مجرم وهو شديد الغضب فاذا ضرب ضربا مبرحا وهو يصيح والملك يسمع صراخه يقول عند سماع صراخه ذق فانك مجرم ومستهل ويعلم الملك ان المعذب لا يسمع كلامه ويخاطب بكلامه عن المستغيث الصارخ وهذا كثير فكذلك لما كان كل احد يرى من الله تعالى يسمع اذا عذب معاندا كان قد سخط الله تعالى عليه بقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم فذوقوا الفاء بحكم هذا فذوقوا عذابي ولا يكون به مخاطبا لمن يسمع ويحث وذكرا اظهارا للعدل اي لست بغافل عن عذابك فتخلص بالصراخ والصراحة وانا اما من عالم وانت له اهل لما قد صدر منك فان قيل هذا واقع بغير الفا واما بالفا فلا نقول وبالفاء فانه تقول كنتم تكذبون فذوقوا المسئلة الرابعة كيف يذاق يقول ذق فعلك اي مجازاة فعلك وموجبه ويقال ذق الالم على فعلك وقوله تعالى فذوقوا عذابي كقوله لهم ذقوا الالم وقوله تعالى ونذري كقوله لهم ذقوا ما لزم من انذاري فان قيل هذا لا يصح العطف لان قوله تعالى فذوقوا عذابي وما لزم من انذاري هو العذاب فكونه كقول القايل ذوقوا عذابي فنقول قوله تعالى فذوقوا عذابي اي العاجل فان قيل هما لم يكونا في زمان واحد فكيف يقال ذوقوا فنقول العذاب الاجل اوله متصل بآخر العذاب العاجل فهما كالواقعين في زمان واحد وهو كقوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا ثم قال تعالى ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر بالعذاب الذي عم القوم بعد الخاص الذي طمس اعين البعض وفيه مسائل المسئلة الاولى صبحهم فيه دلالة على الصبح فما معنى قوله تعالى بكرة تقول فايدة يبان حترافه فيه فتقول بكرة يحتمل وجهين احدهما انها منصوبة على انها ظرف ومثله تقوله في قوله تعالى اسرى بعبده ليلا وفيه بحث وهو ان الزمخشري قال اما الفايدة في قوله تعالى ليلا فقال جوابا في التنكير دلالة على انه كان في بعض الليل وتمسك بقراءة من قرأ من الليل وهو غير ظاهر والاظهر فيه ان يقال ان الوقت المبهم يذكر لبيان ان تعين الوقت ليس بمقصود المتكلم وانه لا يريد بيانه كما تقول خرجنا في بعض الاوقات مع ان الخروج لا بد من ان يكون في بعض الاوقات فانه لا يريد بيان الوقت المعين ولو قال خرجنا ربما يقول السامع متى خرجتم فاذا قال في بعض الاوقات اشار الى ان غرضه بيان الخروج لا تعيين وقته فكذلك قوله تعالى صبحهم بكرة اي بكرة من البكر واسرى بعبده ليلا اي من الليالي ولا اسميه فان المقصود نفس الاسراء ولو قال اسرى بعبده من المسجد الحرام لكان السامع ان يقول اما ليله فاذا قال ليلة من الليالي قطع سؤاله وصار كانه يقول لا اعين الوقت فهذا اقرب فاذا علمت في اسرى ليلا فاعلم مثله في صبحهم بكرة ويحتمل ان يقال على هذا الوجه صبحهم بكرة وعلى قولنا انها منصوبة على الظرف فلا نحمله قوله تعالى اسرى بعبده ليلا وهو ان صبحهم معناه اتاهم وقت الصبح لكن التصبيح يطلق على الاتيان في ازمنة كثيرة من اول الصبح الى ما بعد الاسفار فاذا قال بكرة افاد انه كان اول جزء منه وما اخر الى الاسفار وهذا اوجه واليق لان الله تعالى وعدهم به وقت الصبح بقوله تعالى ان موعدهم الصبح وكان من الواجب بحكم الايعاد تحقيقه بمجيء العذاب في اول الصبح ومجرد قوله صبحهم ما كان يفيد ذلك وهو اقوى لانك تقول صبحته امس بكرة والقوم بكره فيا في فيه ما ذكرنا من ان المراد بكرة الوجه الثاني انها منصوبة على المصدر من باب ضربته ضربا فان المنصوب في ضربته سوطا عن المصدرية قد يكون عن المصدر وربما كان في ضربته سوطا لان تقال ضربته سوطا من احد انواع الضرب لان الضرب قد يكون بسوط وقد يكون بغيره واما بكرة فلا يسن ذلك لانا نقول قد بينا ان بكرة بين ذلك لان الصبح قد يكون بالاتيان وقت الاسفار وقد يكون بالاتيان فالا نكار فان قلنا مثله ممكن ان يقال في اسرى بعبده ليلا قلنا نعم فان قيل ليس هناك بيان نوع من انواع الاسراء نقول هو كقول القايل ضربته سيا لا بد منه في كل ضرب ويمنع ذلك على انه نصب على المصدر وغايته ما ذكر من بيان عدم تعلق الضرب بانواعه وقال القايل يقول اني لا اعين ما ضربته به ولا احتاج الى بيانه لعدم تعلق المقصود به ليقطع سؤال السايل بماذا ضربته بسوط او عصى فكذلك القول في اسرى بعبده ليلا لقطع سؤال السايل عن الاسرى لان الاسرى هو السير اول الليل واسرى هو السير اخر الليل وغير ذلك والله تعالى اعلم المسئلة الثانية مستقر يحتمل وجوها احدها عذاب لا مدفع لهم اي يستقر عليهم ويثبت ولا يقدر واحد على ازالته ودفعه او احالته ودفعه لا بينا او امهم فانهم لما اهلكوا نقلوا الى الجحيم فكانهم ما اتاهم عذاب اندفع بموتهم فان الموت يخلصهم من الالم الذي يحل به المضروب من الضرب والمحبوس من الحبس وموتهم ما خلصهم ثالثها عذاب مستقر عليهم لا يتعدى غيرهم اي امر قدره الله

تعالى عليهم وقرره فاستقر وليس كما يقال انه امر اصابهم ايضا اتفاقا كالقرب الذي يضرب ويدفع فيبرد دون قوم وقطن به انه
امر اتفاقي وليس لو خرجوا من اماكنهم لنجوا كما نجا آل لوط بل كان ذلك يتبعهم لانه كان امرا قد استقر المسالة الخامسة الضمير
في صبحهم عايد الى الذين عاد اليهم الضمير في اعينهم يقول لفظ اليهم للقرب ومعنى الى الذين تماروا واما النذر والذي عاد اليهم الضمير
في قوله تعالى ولقد انذرهم بطشتنا ثم قال تعالى فذوقوا عذابي ونذر مرة اخرى لان العذاب كان مرتين احدهما جاء من المراودة
والاخرى عام ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر مر تفسيره مرارا وبينا ما لاجله كرر تكرارا والله تعالى اعلم قوله تعالى
ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا باياتنا كلها فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر اكفاركم خير من اولئكم ام لكم
براة في الزبر ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة
ادهى وامر اعلم ان في الاية مسايل المسالة الاولى ما الفايدة في لفظ آل فرعون بدل قوم فرعون نقول القوم اعم من الال فالقوم كل من
يقوم الرئيس بامرهم او يقومون بامره والال كل من يؤول الى الرئيس خيرهم وشرهم او يؤول اليه خيره وشره فالبعيد الذي لا يعرفه الرئيس ولا يعرف
هو عين الرئيس وانما يسمع اسمه وليس هو ماله اذا عرفت الفرق فنقول الانبياء الذين من بعد موسى عليه السلام لم يكن فيهم قاهر يقهر الكل ويجمعهم
على الكلمة واحدة وانما كانوا رؤساء واتباعا والرؤساء اذا كثروا لا يبقى احد منهم حكمه نافذا على احد اما على من هو مثله فظاهر واما
على الاولى فلانهم يلجئون الى واحد منهم ويدفعون به الاخر فيصير كل واحد راسه فكان الارسال اليهم جميعا واما فرعون فكان قاهرا قهر
الكل وجعلهم بحيث لا يخالفونه في قليل ولا كثير فارسل اليه الرسول وحده غير انه كان عنده جماعة من التابعين المقربين مثل قارون
يقدم عنده لماله العظيم وهامان لدهائه فاعتبرهم الله تعالى في الارسال حيث قال في مواضع ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه
وقال تعالى باياتنا الى فرعون وهامان وقارون وقال في العنكبوت وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات لانهم ان آمنوا الكل
تخلف الاقوام الذين كانوا قبلهم وبعدهم فقال تعالى ولقد جاء آل فرعون النذر وقال كثيرا مثل هذا كما في قوله تعالى ادخلوا آل فرعون
اشد العذاب وقال تعالى وقال رجل مومن من آل فرعون يكتم ايمانه وقال بلفظ الملايكة ايضا كثيرا المسالة الثانية قال ولقد جاء ولم يقل في
غيرهم جاء لان موسى عليه السلام جاءهم كما جاء المرسلون اقوامهم بل جاءهم حقيقة حيث كان غايبا عن القوم فقدم عليهم ولهذا قال تعالى فلما جاء
آل لوط المرسلون وقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم حقيقة ايضا لانه جاءهم من الله من السموات بعد المعراج كما جاء موسى
عليه السلام قومه من الطور وحقيقته المسالة الثالثة النذر ان كان المراد الانذارات وهو الظاهر فالكلام ادا جاءهم على لسان موسى عليه السلام
وغيره ذلك وان كان المراد الرسل فلان موسى وهارون عليهما السلام جاءا وكل مرسل تقدمهما جاء لانهم كلهم قالوا اما الامن التوحيد
وعبادة الله تعالى وقوله تعالى كذبوا كلام مستانف من غير ما تقتضي ترتب التكذيب على المجيء فيه وجهان احدهما ان الكلام تم عند قوله تعالى
ولقد جاء آل فرعون النذر وقوله تعالى كذبوا كلام مستانف والضمير عايد الى الكل من تقدم ذكرهم من قوم نوح عليه السلام الى آل فرعون
ثانيهما ان الحكاية مسوقة على سياق ما تقدم فكانه قال فكيف كان وقال تعالى كذبوا باياتنا كلها فاخذناهم وعلى الوجه الاول اياتنا
كلها ظاهر وعلى الوجه الثاني المراد اياته التي كانت مع قوم موسى عليه السلام وهي السبع في قول اكثر المفسرين ويحتمل ان يقال المراد انهم
كذبوا بايات الله كلها السمعية والعقلية فان في كل شيء له اية تدل على انه واحد وقوله تعالى فاخذناهم اشارة الى انهم كانوا كالابق
او الى انهم عاصون لقال الامير خذ فلانا اذا احبسه وفي قوله عزيز مقتدر لطيفة وهي ان العزيز المراد الغالب لكن العزيز قد يكون يغلب
على العدو ويظفر به وفي الاول يكون غير متمكن من اخذه لعسرة ان كان هاربا وعصيانه ان كان محاربا فقال اخذ غالب لم يكن عاجزا
وانما كان ممهلا ثم قال تعالى اكفاركم خير من اولئكم ام لكم براة في الزبر بعد ما بين انهم لم يامنوا العذاب فانهم ليسوا بخير من اولئك الذين كانوا
اهلكوا وفيه مسايل المسالة الاولى الخطاب مع اهل مكة فينبغي ان يكون كفارهم بعضهم والا فلا اهم خير من اولئكم واذا كان كفارهم بعضهم
فكيف قال تعالى ام لكم براة في الزبر على انهم كما يقول القايل ما اكثر منا هم ولا تقول فاكرمنا هم نقول الجواب عنه من وجهين احدهما
ان المراد منه اكفاركم المستمرون على الكفر الذين لا يرجون وذلك لان جمعا عظيما ممن كان كافرا من اهل مكة يوم الخطاب ايقنوا بعد ذلك
والعذاب لا يقع الا بعد العلم فانه لم يبق من القوم من يؤمن فقال الذين تصرون منكم على الكفر يا اهل مكة خير من الذين اصروا قبل الفتح فصح
كون التهديد مع بعضهم وقوله تعالى ام لكم براة فيه وجهان احدهما ام لكم بعمومكم براة فلا يخاف المصر منكم لكونه في قوم لهم براة وثانيهما ام لكم
براة ان اصررتم فيكون الخطاب عاما والتهديد كذلك بشرط غير مذكور وهو الاصرار المسالة ما المراد بقوله خير وقول القايل حسن يقتضي
اشتراك امرين في صفة محمودة مع رجحان احدهما على الاخر ولم يكن فيهم خير ولا صفة محمودة نقول الجواب عنه من وجوه احدها منع
اقتضاء الاشتراك يدل عليه قول حسان فشركما لخيركما الفداء مع اختصاص الخير بالنبي صلى الله عليه وسلم والشر لمن يهجاه وعدم
اشتراكهما في شيء منهما ثانيها ان ذلك عايد الى ما في زعمهم اي ان زعموا ان كفاركم خير من الكفار المتقدمين الذين اهلكوا وهم كانوا يزعمون
في انفسهم الخير وكذا فيمن تقدمهم من عبدة الاوثان وهكذا الرسل وكانوا يقولون ان الهلاك كان باسباب سماوية من اجتماع الكواكب
على هيئة مذمومة ثالثها المراد اكفاركم اشد قوة وكانه قال اكفاركم خير في القوة والقوة محمودة في العرب رابعها ان كل موجود ممكن ففيه
صفات محمودة واخرى غير محمودة فاذا نظرت الى المحمودة في الموضعين وقابلت احداهما بالاخرى يستعمل فيه لفظ الخير وكذلك في الصفات
المذمومة يستعمل فيها لفظ الشر فاذا نظرت الى كافرين وقلت احدهما خير من الشر ذلك حينئذ يكون احدهما خيرا من الاخر في الحسن والكمال والجمال
واذا نظرت الى المومنين تقول بالشعلت احدهما شر من الاخر ام الادنى لا الايمان وذلك ههنا اكفاركم خير لان النظر وقع على ما يصلح مخلصا لهم من العذاب
فهو كما يقال اكفاركم فيهم شيء مما يخلصهم لم يكن في غيرهم او هو خير او لا سبب فيهم يخلصهم لكن الله تعالى تفضل منهم المسالة ام لكم براة اشارة الى سبب
الاخر من اسباب الخلاص وذلك لان الخلاص اما ان يكون بسبب امر فيهم فان كان بسبب امر فيهم فذلك السبب لم يكن في غيرهم من الذين تقدموهم فيكونون خيرا منهم وان كانوا

اضر فيهم



اضر فيهم فيكون بفضل الله تعالى وسابق رحمته اياهم واعلامه لهم من العذاب فقال انهم خير منهم فلا يهلكون لسبب بخير منهم لكن الله تعالى
امنكم واهلكهم وكل واحد منهما منتف فلا يامنوا وقوله تعالى ام لكم براة في الزبر اشارة الى لطيفة وهي ان العاقل لا يامن الا اذا حصل
له الجزم فالامن اما من الاعصار له ايات تقرب الامرين القطع فقال ام لكم براة يوثق بها وتكون مكررة في الكتب فان الحاصل في بعض الكتب ربما
يحتمل التبديل او يكون قد تطرق اليه التحريف والتبديل كما في التورية والانجيل فقال هل حصل لكم براه مكررة في كتب يامنوا بسببها
العذاب فانه لم يكن كذلك لا يجوز الامن لكن البراة لم تحصل في كتب ولا كتاب واحد ولا شبهة كتاب فكونوا امنهم في غاية الغفلة
وعند يزيد فضل المومن مع ملك كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من الوعد لا يامن ويخرج عنه فالمومن
خايف وان بلغ درجة الاولياء والانبياء صلوات الله عليهم اجمعين لما فيها ثانيا لو عند من احتمال التخصيص وكون كل واحد
من شخص من الامة ويخرج عنها فالمؤمن خايف والكافر امن في الدنيا وفي الاخرة على العكس ثم قال تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر
تتميما لبيان اقسام الخلاص وحصرها ونفيها وذلك لان الخلاص اما ان يكون لاستحقاق من يخلص عن العذاب كما ان الملك اذا عذب جماعة اى
فيهم من احسن اليه فلا يعذب به واما ان يكون للامر في المخلص كما اذا راى فيهم من له ولد صغير او ام ضعيفة فرحمه وان لم يستحق يكتب له الخلاص
واما ان لا يكون فيه من يستحق الخلاص بسببه ولا في نفس المعذب ما يوجب الرحمة لكنه لا يقدر عليه بسبب كثرة اعوانه وتعصب اخوانه
كما اذا هرب واحد من الملك والتجأ الى عسكر يمنعون الملك عنه فكما بين القسمين الاولين كذلك في القسم الثالث وهو التمنع بالاعوان وتحزب الاخوان وفيه
مسايل المسالة الاولى في حسن الترتيب وذلك لان النجاة له انما هو بالخلاص من المرحوم كان المستحق لم يوجد فيه سبب العذاب والمرحوم
وجد فيه ذلك ووجد المانع من المعذب ومالا سبب له لا تتحقق اصلا وماله مانع ربما لا تقوى المانع على دفع السبب وما في نفس المعذب
من المانع اقوى من الذي سببه الغير لان الذي من عنده يمنع الداعية ولا يتحقق الفعل عن عدم الداعية والذي من الغير بسبب المنع لا يقطع
قصده بل يجتهد فيه ربما يعدل فيكون تعذيبه اضعافا فمكان من في خلافه من لا يرق قلبه ولا عنده الرحمة فانها وان لم تمنعه لكن
لا ترد في حمله واحدة وزيادة تمنع التعذيب بحسب القدرة فهذا الترتيب في غاية الحسن المسالة الثانية جميع ما فيه فايدة تاد احد
الكرم والاخر الاتفاق كانه قال نحن كثير متفقون فلنا الانتصار ولا يعوم غيره هذه اللفظة مما فيها من الالفاظ المفردة وانما قلنا ان فيه
الفايدتان لان الجميع يدل على الجماعة بحروفه الاصلية من ج م ع وبعربيته وهو فعيل بمعنى مفعول يعني انهم جمعوا جمعهم العصبة ويحتمل ان يقال معناه
نحن الكل لا خارج عنا اشارة الى من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم لا اعتداد به قال تعالى في نوح عليه السلام انؤمن لك واتبعك الارذلون فقالوا الا الذين هم
اراذلنا بادي الراي وعلى هذا الجميع يكون التنوين لقطع الاضافة كانهم قالوا نحن جميع الناس المسالة الثالثة ما وجه افراد المنتصر مع ان نحن ضمير
الجمع نقول على الوجه الاول ظاهر لانه وصف الخبر الاخر بعد خبر ضمير ونحو كقول القايل الاسم جنس مستمر وهم عسكر غالب والجميع كالجنس لفظه واحد ومعناه
جمع فيه الكثرة واما على الوجه الثاني فالجواب عنه من وجهين احدهما ان المعنى وان كان جميع الناس لا خارج عنها الا من لا يعتد به لكن لما لفظه لفظا
واحدا صار كالمنكر في الاصل فجاز وصفه بالمنكر نظرا الى اللفظ معتادا الى الوجه الاول وثانيهما انه خبر بعد خبر ويجوز ان يكون احد الخبرين
معرفة والاخر نكرة ثم قال تعالى وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد وعلى هذا فقوله تعالى نحن جميع منتصر افرده لمجاورة
جميع ويحتمل ان يقال معنى نحن جميع منتصر اي جميعا بمعنى كل كانه قال نحن كل واحد منتصر كما يقول هم جميعهم اقويا بمعنى كل واحد قوي
وهم كلهم علماء اي كل واحد عالم فترك الجميع واختار الافراد لعود الجزاء الى كل واحد فانهم كانوا يقولون انه بعد محمد صلى الله عليه وسلم
لذلك قال خلف بن امية الجمحي وهذا فيه معنى لطيف وهو انهم ادعوا القوة التامة بحسب تطلب كل واحد منهم محمدا صلى الله عليه
وسلم والله تعالى بين ضعفهم لتظاهر الذي منهم جميعهم في قوله تعالى ويولون الدبر بحيث يظهر سؤالا وهو انه تعالى قال يولون
الدبر ولم يقل يولون الادبار وقال في موضع اخر يولون الادبار ثم لا ينصرون وقال تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون
الادبار وقال تعالى فلا تولوهم الادبار فكيف يصح الافراد وما الفرق بين المواضع نقول اما التصحيح فظاهر لان قول القايل
فعلوا الفعل وفعل هذا وفعل ذلك وفعل الاخر فالواو في الجمع ينوب مناب الواوات التي في العطف وفعل الاخر وقوله تولوا
هذا الذي افراده اشارة الى انهم في التولية كنفس واحدة فلا يتخلف احد عن الجمع ولا يثبت احد للزحف فهم كانوا في التولية
دبر واحد واما في قوله تعالى فلا تولوهم الادبار اي كل واحد يوجد به ينبغي ان يثبت ولا يولي دبره فليس النهي هناك يولهم
فاجمعهم بل المنهي ان يولي واحد منهم دبره فكل احد منهي عن تولية دبره فجعل كل واحد براسه في الخطاب ثم جمع الفعل بقوله
تعالى فلا تولوهم الادبار ولا يتم الاسم بقوله الادبار وكذلك في قوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله اي كل واحد قال انا اثبت
ولا اولي دبري واما في قوله تعالى ليولن الادبار فان المراد المنافقين الذين وعدوا اليهود وهم متفرقين بدليل قوله
تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى واما في هذا الموضع فهم كانوا يدا واحدة على من سواهم ثم قال تعالى بل الساعة موعدهم
اشارة الى ان الامر غير مقتصر على انهزامهم وادبارهم بل الامر اعظم منه فان الساعة موعدهم فانه ذكر ما يصيبهم
في الدنيا من الادبار بين ما هو منه على طريقة الاصرار هذا قول اكثر المفسرين والظاهر ان الانذار بالساعة عام لكل من
تقدم كانه قال اهلكنا الذين كفروا من قبلك واصروا وقوم محمد صلى الله عليه وسلم ليس بخير منهم فيصيبهم ما
اصابهم ان اصروا ثم ان عذاب الدنيا ليس بتمام المجازاة الا للدايم اللايم المسالة الرابعة ما الحكمة في اختصاص كون
الساعة موعدهم مع انها موعد كل احد نقول الموعد الزمان الذي فيه الوعد والوعيد والمؤمن موعود بالخير ومامور
بالصبر فلا يقول هو متى يكون بل يفوض الامر الى الله تعالى واما الكافر فغير مصدق فيقول هو متى يكون العذاب فيقال
له اصبر فانه آت يوم القيامة ولهذا كانوا يقولون عجل لنا قطنا وقال تعالى يستعجلونك بالعذاب

المسالة الخامسة

ادهى من اي شئ تقول يحتمل وجهين احدهما مما مضى من انواع عذاب الدنيا ثانيهما ادهى الدواهي فلا داهية مثلها **المسئلة السادسة**
المراد من قوله امر قلنا فيه وجهان احدهما هو مبالغة من المر وهو مناسب لقوله تعالى فذوقوا عذابي ونذر وقوله تعالى ذوقوا مس سقر
وقوله تعالى فادهى اي اشد وامر من الالم والفرق بين الشدايد والاليم ان الشدايد يكون اشارة الى انه لا يطيقه احد بقوته ولا يدفعه
احد بقوته مثاله ضعيف القوى في ما يعلمه او مارز لا يقدر على الخلاص منها وقوي يلقى في بحر او نار عظيمة يستويان في الالم والعذاب
ملسا ويان في الايلام لكن يفترقان في الشدة فان نجاة الضعيف من الما الضعيف باعانة معين ممكن ونجاة القوي من البحر
العظيم غير ممكن ثانيهما امر مبالغة من المار وهو اكثر مرورا بهم اشارة الى الدوام فكانه يقول اشد دواما ويختص بعذاب
الاخرة فان عذاب الدنيا ان اشتد قتل المعذب وزال فلا يدوم وان دام فهو بحيث لا يقتل فلا يكون شديدا ثالثها انه المرير وهو
من المرة التي هي الشدة وعلى هذا فاما ان يكون الكلام كما يقول القايل فلان يحتمل خفيف قوي شديد فياتي بلفظين مترادفين اشارة
الى التاكيد وهو ضعيف واما ان يكون ادهى مبالغة من الداهية التي هي اسم الفاعل من دهاه امر كذا اذا اصابه وهو امر صعب لان الداهية التي
صارت كالاسم الموضوع للشديد على وزن الباطنة والسابلة التي لا تكون من اسماء الفاعلين وان كانت الداهية اصلها ذلك غير انها استعملت استعمال
الاسماء وكتب في ابوابها وعلى هذا يكون معناه الزم واضيق اي يدهى بحيث لا يدفع والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى**
ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر وما امرنا الا واحدة
كلمح بالبصر ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر وكل شئ فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر ان
المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر **اعلم** ان في الاية مسايل **المسئلة الاولى**
فيمن نزلت الاية فيه حقهم اكثر المفسرين اتفقوا على انها نازلة في القدرية روى الواحدي في تفسيره ما سمعت على الشيخ رضى الدين
المويد الطوسي بنيسابور قال سمعت عبد الجبار قال اخبرنا الواحدي قال انبانا ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج
انا ابو محمد عبد الله الكعبي حدثنا حمدان بن صالح الاشج حدثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز بن ابي داود حدثنا سفيان
الثوري عن زياد بن اسماعيل المخزومي عن محمد بن عباد بن جعفر عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال جاء مشركوا قريش
يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فانزل الله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر الى قوله تعالى انا كل شئ خلقناه
بقدر ثم نقول نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه نزلت في القدرية وروي عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال مجوس هذه الامة القدرية وهم المجرمون الذين سماهم الله تعالى في قوله ان المجرمين في ضلال وسعر وكثرت
الاحاديث في القدرية وفيها مباحث **الاول** في معنى القدرية الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم الاية نزلت فيهم فنقول
كل فرقة في خلق الاعمال يذهب الى ان القدري خصمه والجبري يقول القدري من يقول الطاعة والمعصية ليس بخلق الله وقضائه وقدره
ثم قدرته لانهم ينكرون القدر والمعتزلي يقول القدري هو الجبري الذي يقول حين يزني ويسرق الله قدرني فهو قدري لاثباته القدر
وهما جميعا يقولان لاهل السنة الذي يعترف بخلق الله تعالى وليس من عبد انه قدري والحق فيه ان القدري الذي نزلت فيه الاية هو الذي
ينكر القدر ويقول بان الحوادث كلها حادثة بالكواكب وايضا لانها ويدل عليه قوله جاء مشركوا قريش يخاصمون رسول الله صلى الله
عليه وسلم في القدر فان مذهبهم ذلك وما كانوا يقولون مثل هذا مثل ما يقول المعتزلة ان الله تعالى خلق لي سلامة الاعضا وقوة الادراك
ومكنني بالطاعة والمعصية من الله تعالى والله تعالى قادر على ان يخلق في الطاعة الجا والمعصية الجا وقادر على ان يطعم الفقير
الذي اطعمه انا بفضل الله تعالى والمشركون كانوا يقولون انطعم من لو يشاء الله اطعمه منكرين لقدرة الله تعالى على الاطعام
واما قوله عليه السلام مجوس هذه الامة القدرية فنقول المراد من هذه الامة كان محمد صلى الله عليه وسلم مرسلا اليهم سوا امنوا
به او لم يومنوا كلفظ القوم واما الذين امنوا به وان كان المراد الاول بالقدرية في زمانه هم المشركون الذين انكروا قدرة الله تعالى
على الحوادث فلا يدخل فيهم المعتزلة وان كان المراد هو الثاني فقوله مجوس هذه الامة يكون معناه الذي نسبتهم الى هذه الامة
كنسبة المجوس الى الامة المتقدمة لكن الامة المتقدمة اكثرهم كفرة والمجوس نوع منهم اضعف شبهة واشد مخالفة للعقل فكذلك
القدرية في هذه الامة تكون نوعا منهم اضعف دليلا ولا تقضي ذلك الجزم بكونهم في النار فالحق ان القدري هو الذي ينكر قدرة
الله تعالى ان قلنا النسبة للنفي والذي يثبت قدرة غير الله تعالى على الحوادث ان قلنا النسبة للاثبات وحينئذ نقطع في كونه
في ضلال وسعر وانه ذائق مس سقر **البحث الثاني** في بيان من يدخل بالقدرية التي بالنص فيهم هو منتسب الى انه من امة
محمد صلى الله عليه وسلم ان قلنا القدرية سموا بهذا الاسم لنفيهم قدرة الله تعالى فالذي يقول لا قدرة لله تعالى على تحريك العبد
بحركة هي الصلوة وحركة هي الزنا مع ان ذلك من امر ممكن لا يبعد دخوله فيهم واما الذي يقول بان الله تعالى قادر على ان يحرمه
وتركه مع داعية العبد كالوالد الذي يحرك الضرب في حمل شئ تركه معه لا الوالد بل للابتلاء والامتحان لا كالمفلوج الذي لا قوة له
اذا قال لغيره احمل هذا فلا يدخل فيهم ظاهرا وان كان مخطئا وان قلنا ان القدرية سموا بهذا الاسم لاثباتهم القدرة على الحوادث
لغير الله تعالى من الكواكب والجبري الذي هو كالحايط الساقط الذي لا يجوز تكليفه بشئ لعدم صدور الفعل من غيره وهم اهل الاهما
فلا شك في دخوله في القدرية فانه يكفر بسبب التكليف واما الذي يقول خلق الله تعالى فينا الافعال وقدرها وكلفنا
ما هو منه ولا يسال عما يفعل **البحث الثالث** اختلف في ان اللقب بلونه في التعصب الى الاسم بالمعتزلة احق ام بالاشاعرة
فقال المعتزلة الاسم لكم احق لان النسبة يكون للاثبات لا للنفي وقال الزهري وهي لقوله بالدهر واثباته والمناجي ولاباحته
الاباحة المسونة بنوية لا باسم الاسني وهما النور والظلمة وكذلك قباله وانتم تسيلون القدر وقالت الاشاعرة النصوص

يدل



يدل على ان القدري من ينفي قدرة الله تعالى ومشركوا قريش ما كانوا قدرية لاثباتهم قدرة الله تعالى قالت المعتزلة انما سمي المشركون
قدرية لانهم قالوا ان كان قادرا على الحوادث كما تقول يا محمد فلو شاء الله تعالى لهدانا ولو شاء لاطعم الفقير فاعتقدوا ان من لوازم قدرة
الله تعالى على الحوادث خلقه الهداية فيهم ان شاء وهذا من مذهبكم ايها الاشاعرة والحق الصراح ان كل واحد من المسلمين الذين ذهب
الى المذهبين خارجا عن القدرية ولا يصير واحد منهم الا اذا صار الباقي نافيا للقدرة والمثبت منكر للتكليف **المسئلة الثانية**
المجرمون هم المشركون هاهنا كما في قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم وقوله تعالى يود المجرم لو يفتدي وفي قوله تعالى يعرف
المجرمون بسيماهم فالاية عامة وان نزلت في قوم خاص وجرائمهم تكذيب الرسل والنذر بالاشراك وانكار الحشر وانكار قدرة الله
تعالى على الاحيا بعد الاماتة وعلى غيره من الحوادث **المسئلة الثالثة** في ضلال وسعر وجوها ثلاثة احدها الجمع بين الامرين
في الدنيا اي هم في الدنيا في ضلال وحيرون لا يعقلون ولا يهتدون وعلى هذا فقوله تعالى يسحبون بيان حالهم في تلك السعر
وهو اقرب بالنها الجمع في الاخرة اي هم في ضلال في الاخرة وسعر ايضا السعير بكونهم فيها ظاهر واما الضلال فلا يهتدون الى مقصدهم
او الى ما يصلح مقصدا وهو بحر يستلد فان قيل الصحيح هو الوجه الاخير لان قوله تعالى يوم يسحبون ظرف المقول اي يوم
يسحبون يقال لهم ذوقوا اذ ذلك فيقولون يوم يسحبون يحتمل ان يكون منصوبا بعامل مفهوم غير مذكور وللاحتمال الاول له
وجهان احدهما العامل سابق وهو قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر والعامل في الحقيقة على هذا الوجه ايضا مفهوم منه كانه
فيه معنى كاين ومستقر ان ذلك صار نسيا منسيا بانها العامل متاخر وهو قوله تعالى ذوقوا تقديره ذوقوا مس سقر
يوم يسحب المجرمون والخطاب حينئذ مع من خوطب بقوله تعالى اكفاركم خير امركم براءة في الزبر والاحتمال الثاني ان المفهوم
هو انه تعالى لهم يوم يسحبون ذوقوا وهذا هو المشهور وقوله تعالى ذوقوا استعارة وفيه حكمة وهو ان الذوق من جملة الادراكات
فان المذوق اذا لاقى في الانسان يدرك ايضا حرارته وبرودته وخشونته وملابسته كما يدرك سائر اعضايه المجسة
ويدرك ايضا طعمه ولا يدرك عن الانسان فادراك الانسان اتم فاذا بادى بحرارته ومرارته ان كان الحازم او غيره لا ينادى
الا بحرارته فان الذوق ادرك المسمى اتم من غيره من المحسوسات فقال تعالى ذوقوا اشارة الى ان ادراكهم بالعذاب اتم للادراكات فيجتمع في العذاب
اذا اشربه واولمه بطول مدته ودوامه ويكون المدرك له سعله وانما هو على اتم ما يكون من الادراك بتحصيل الالم العظيم وقد ذكرنا ان
عليه قول الاكثرين يقال لهم لو بقول مضمر وقد ذكرنا انه لا حاجة الى الاضمار اذا كان الخطاب مع غير من صدق حقهم ان المجرمين في ضلال بانه
يصير كانه قال ذوقوا ايها المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم من سعر يوم يسحب المجرمون المتقدمون في النار ثم قال تعالى انا كل شئ خلقناه
بقدر وفيه مسايل **المسئلة الاولى** المشهور ان قوله تعالى انا كل شئ متعلق بما قبله كانه تعالى قال ذوقوا فانا كل شئ خلقناه
بقدر اي هو خير لمن انكر ذلك وهو كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم والظاهر انه ابتدا كلام وعند قوله تعالى ذوقوا مس سقر
ثم بيان العذاب لان عطف وما امرنا الا واحدة يدل على ان قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر اخر الكلام ويدل عليه قوله تعالى
الا له الخلق والامر وقد قرئ في الاية الاولى الخلق بقوله تعالى انا كل شئ خلقناه فيكون من اللايق ان يذكر الامر فقال تعالى
وما امرنا الا واحدة واما ما ذكر من الحال فقول النبي صلى الله عليه وسلم تمسك عليهم بقوله تعالى ان المجرمين في ضلال الى قوله تعالى
ذوقوا مس سقر وتلا اية اخرى على قصد التلاوة او لم يقرا الاية الاخرى اكفاركم نعلم من علم الاية كما تقول في الاستدلال لا تاكلوا
اموالكم الاية ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه الاية واذا تداينتم به الاية الى غير ذلك **المسئلة الثانية** كل قرئ بالنصب وهو
الاصح المشهور وبالرفع فمن قرا بالنصب فنصبه بفعل مضمر يفسره الظاهر كقوله تعالى والقمر قدرناه وقوله تعالى
والظالمين اعد لهم وذلك الفعل هو خلقناه وقد ضرح قوله تعالى خلقناه كانه قال تعالى انا كل شئ تعدد وخلقناه على
هذا لا يكون الا صفة لشئ كقوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين غير ان هناك يمنع من ان يكون صفة كونه حاليا عن ضمير
عايد الى الموصوف وها هنا لم يوجد ذلك المانع وعلى هذا فالاية حجة على المعتزلة لان افعالنا شئ فيكون داخلة في كل شئ
فيكون مخلوقه لله تعالى ومن قرا بالرفع يمكنه ان يقول كما في قوله تعالى واما ثمود فهديناهم حيث قرئ بالرفع لان كل شئ نكرة
فلا يصلح مبتدا فيلزمه ان يقول كل شئ خلقناه فهو بقدر كقوله تعالى وكل شئ عنده بمقدار في المعنى وهذان الوجهان
ذكرهما ابن عطية في تفسيره وذكر ان المعتزلة تمسكوا بقراة الرفع ويحتمل ان يقال القراة الاولى وهو النصب له وجه اخر وهو
ان يقال نصبه بفعل معلوم لا مضمر وقد قدرنا او خلقنا لقوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر او قدرنا كل شئ خلقناه بقدر
وانما قلنا انه معلوم لان قوله تعالى ذلكم الله ربكم خالق كل شئ دل عليه قوله تعالى وكل شئ عنده بمقدار دل على انه قدر
وحينئذ لا يكون في الاية كلام على بطلان قول المعتزلة وانما يدل على بطلان قوله خالق كل شئ واما على القراة الثانية
وهي الرفع فيقول جاز ان يكون كل شئ مبتدا وخلقناه بقدر خبره وحينئذ يكون الحجة قائمة عليهم بابلغ الوجه وقوله تعالى
كل شئ نكرة فلا يصلح مبتدا ضعيف لان قوله تعالى كل شئ اعم للاشيا كلها باسرها ثم المحذور الذي في قولنا رجل قائم لانه لا يفيد
فايدة ظاهرة وقوله تعالى كل شئ بعد زيد خلقناه وعمرو خلقناه مع زيادة فايدة وهذا اجود واما احد حسن مثلا لانه افاد العموم والحسن
قول القايل احد خير منك حيث تقدم العموم **المسئلة الثالثة** ما معنى القدر قلنا فيه وجوه احدها المقدار كانه قال تعالى وكل شئ
عنده بمقدار وعلى هذا فكل شئ مقدر في ذاته وصفاته اما المقدر في الذات بالجسم ذلك ظاهر فيه وذلك القايم بالجسم في المحسوسات كالبياض
والسواد واما الجوهر الفرد لا مقدار له القايم وبالجوهر لا مقدار له بمعنى الامتداد وكالعلم والجهل وغيرهما فنقول هاهنا مقادير لا بمعنى الامتداد
اما الجوهر الفرد فان الاسنى فيه اصغر من الثلاثة ولو لا ان له حجما يزداد به الامتداد والا لما حصل دون الامتداد واما القايم بالجوهر

فله نهاية وبداية فمقدار المعلوم الحادث والقدر المخلوقة متناهية واما في الصفة فلان لكل شي ابتدا ازمان فله مقدار في البقا لكون كل شي حادثا فان قيل الله تعالى وصف به ولا مقدار له ولا ابتدا لوجوده نقول المتكلم اذا كان موصوفا بصفة وسمي باسم ثم ذكر الاسماء المسماة بذلك الاسم او الاشيا الموصوفة بتلك واسند فعلا من افعاله اليه يخرج هو عنه كما يقول القايل رايت جميع من في هذا البيت فرايتهم كلهم اكرموني يقول لما في هذا البيت الا وضربني اوضربته يخرج هو عنه لا لعدم كونه مقتضي الاسم بل بما في الكتب من الدلايل على خروجه عن الارادة فلذلك قوله تعالى خلقناه وخالق كل شي يخرج منه هو لا بطريق التخصيص بل بطريق الحقيقة اذا قلنا ان التركيب وضع فان هذا التركيب لم يوضع حينيذ الا لغير المتكلم ما بينها القدر التقدير قال الله تعالى فقدرنا فنعم القادرون وقال الشاعر وقد قدر الرحمن ما هو قادر اي قدرنا هو مقدور وعلى هذا فالمعنى ان الله تعالى لم يخلق شيا من غير تقدير كما يرمي الرامي بسهم فيقع في موضع لم يكن قد قدره بل خلق كما قدر اليه بخلاف الفلاسفة انه فاعل لذاته والاختلاف القوابل كالذي جا نصرا او صغيرا فالاستعداد مادته والذي جا طويلا وكثيرا فالاستعداد اخر فقال تعالى كل شي بقدر منا والصغير جاز ان يكون كثيرا والكثير جاز خلقه صغيرا ثالثها القدر هو ما يقال مع القضا فقال بقضا الله تعالى وقدره وقالت الفلاسفة ان القدر والذي مع القضا اي ما يقصد اليه بقضا وما يلزمه فقدر فيقولون خلق النار حارة بقضا وهو نقض به لانها ينبغي ان يكون كذلك لكن من لوازمها انها اذا تعلقت ببطن عجوز او وضعت في نصب صعلوك تحرقه فهو بقدر لا بقضا وهو كلام فاسد بل القضا ما في العلم والقدر ما في الارادة كقوله كل شي خلقناه بقدر اي بقدرة مع ارادة لا على ما يقولونه انه موجب ردا على المشركين ثم قال تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر اي الا كلمة واحدة وهو قوله تعالى كن هذا هو المشهور الظاهر وعلى هذا فالله تعالى اذا اراد شيا قال له كن فهناك شيان الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضا وقوله تعالى واحدة يحتمل امرين احدهما بيان لا حاجة الى تكرير القول اشارة الى نفاذ الامر ثانيهما بيان عدم اختلاف الحال فامره عند خلق العرش العظيم كامره عند خلق النملة الصغيرة فامره عند الكل واحد وقوله تعالى كلمح بالبصر تشبيه الكون لا تشبيه الامر فكانه قال امرنا واحدة فالمامور كاين كلمح البصر لانه لو كان راجعا الى الامر لا يكون ذلك صفة مدح مليق به فان كلمة كن شيا ايضا يوجد كلمح بالبصر هذا هو التشبيه الظاهر المشهور وفيه وجه ظاهر ذهب اليه الحكما وهو ان مقدورات الله تعالى هي الممكنات وجودها نقول ذاتها وفي عدمها خلاف لا يليق بيانه بهذا الموضع لطوله الا بسبب غيره ثم ان الممكنات التي يوجدها الله تعالى قسمان احدهما امور لها اجزا ملتيمة عند التيامها يتم وجودها كالانسان والحيوان والاجسام النباتية والمعدنية وكذلك الاركان الاربعة والسموات وسايرها ما يقوم بالاجسام من الاعراض التي كلها مقدور الله تعالى وحوادث فان اجزاها توجد اولا ثم توجد فيها التركيب والالتيام بعضها فيها تقدير ان نظرا الى الاجزا والتركيب والاعراض وثانيها امور ليس لها اجزا ومفاصل ومقادير امتداديه وهي الارواح الا قليل منهم ووافقه جمع من المتكلمين وقطع بها كثير ممن له قلب من اصحاب الرياضات وارباب المجاهدات فتلك الامور وجودها واحدا ولا اولا وثانيا ان يحقق تلك بخلاف الاجسام والاعراض القايمة بها اذا عرفت هذا قالوا الاجسام خلقه وقدرته والارواح ابداعه امره وقالوا اليه الاشارة بقوله تعالى الا له الخلق والامر فالخلق في الاجسام والاعراض القايمة بها اذا عرفت هذا قالوا الاجسام خلقه والامر في الارواح ثم قالوا لا ينبغي ان نظن بهذا الكلام انه على خلاف الاخبار فانه عليه السلام قال اول ما خلق الله تعالى العقل وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الله تعالى الارواح قبل الاجسام بالفي عام وقال الله تعالى خالق كل شي فالخلق اطلق على ايجاد الارواح والعقل لان اطلاق الخلق على ما يطلق عليه الامر جايز فان العالم باكمله حادث واطلاق الخلق بمعنى الاحداث جايز وان كان في حقيقة الخلق تقدير في اصل اللغة ولكن يكفي الاحداث ولولا الفرق بين العبارتين والا لا استقر الفلسفي من ان يقول المخلوق قديم كما سبق منا ان يقول المحدث قديم فاذا قوله عليه السلام خلق الارواح يعني احدثها [illegible]

واحد



واحد الا على الترتيب فيكون لفظا زمان والكون بعده بدليل قوله تعالى فيكون بالفا فاذا لو كان المراد بكن حقيقة الحرف والصوت لكان الحصول بعده بزمان وليس كذلك فان قال قايل يوجدان بكن الحرفان معا وليس كلام الله تعالى بكلام منا عادوا الى السواق وجعل له غير ما نفهمه من اللفظ واما المعقول فلان الاختصاص بالزمان ليس بمعنى عليه وان كان بعض الناس ذهب الى ان الخلق والايجاد بحكمه وقال بان الله تعالى خلق الارض ليكون مقرا للناس ولو وصل هذا من الحكم وعكسه ان الله خلق الارض في الزمان المخصوص ليكون مقرهم لانه لو خلقه ما في غير ذلك لكانت ايضا مقرا لهم فاذا التخصيص ليس لمعنى ليخصص الحكم وليس لمعنى فيخصص الحكم فهو تسمه امر الملك الجبار الذي يا مر ولا يقال له لم امرت ولم فعلته لانه يعلم بعض والامر الاسمه رابعها هوان الاشيا المخلوقة لا ينفك عن اوصاف فيها وعن صفتين متقابلين مثاله الجسم لابد له ان يكون متحرا او لابد من ان يكون ساكنا او متحركا فاتحاده او لا بعد وما هو عليه بامره ويدل عليه قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام الى ان قال مسخرات بامره فجعل ما لها بعد خلقها من الحركة والسكون وغيرهما بامره ويدل عليه قوله عليه السلام اول ما خلق الله تعالى العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فجعل الخلق في الحقيقة و الامر في الوصف وكذلك قوله تعالى خلق السموات والارض وما بينهما ثم استوى ثم قال تعالى يدبر الامر من السما الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره وقد ذكرنا في تفسيره خامسها مخلوقات الله تعالى على قسمين احدهما خلقه الله تعالى في اسرع ما يكون كالعقل وغيره وثانيهما خلقه مهلة كالسموات والانسان والحيوان والنبات فالمخلوق سريعا الخلق عليه الامر والمخلوق مهلة الخلق عليه الخلق وهذا مثل الوجه الثاني وسادسها ما قاله فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره قوله تعالى لها وللارض ايتيا طوعا او كرها وهو ان الخلق هو التقدير والايجاد بعده تعدده رسمه لا زمانية ففي علم الله تعالى ان السموات يكون سبع سموات في يومين بقدرته ثم بعده كما علم وهو الايجاد فالاول خلق والثاني وهو الايجاد امر واحد هذا من المفهوم اللغوي قال الشاعر وبعض الناس يخلق ثم لا يفري اي يقدر ولا يقطع ولا يفصل كالخياط الذي يقدر اولا ويقطع ثانيا وهو قريب اللغة لكنه بعيد الاستعمال في القران لان الله تعالى حيث ذكر الخلق اراد الايجاد ومنه قوله تعالى وبين سايلهم من خلق ومنه قوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة وليس المراد انا قدرنا ما سيوجد منها الى غير ذلك سابعها الخلق هو الايجاد ابتدا والامر هو ما به الاعادة فان الله تعالى خلق الخلق اولا بمهلة ثم يوم القيمة يبعثهم في اسرع من لحظة فيكون قوله تعالى وما امرنا الا واحدة وقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة وقوله صيحة واحدة ونفخة واحدة وعلى هذا فقوله تعالى انا كل شي خلقناه بقدر اشارة الى الوحدانية وقوله تعالى وما امرنا الا واحدة اشارة للحشر فكانه بين الاصل الاول والاصل الاخر بالايات ثامنها الايجاد خلق والاعدام امر بمعنى قول الملايكة الغلاظ الشداد اهلكوا وافعلوا فلا يعصون الله ما امرهم ولا يعلمون الامثال على اعادة الامر مرة اخرى فامره مرة واحدة تعقبه العدم والهلاك وفيه لطيفة وهي ان الله تعالى جعل الايجاد الذي هو من الرحمة سره والاهلاك يسلط عليه رسله وملايكته وجعل الموت بيد ملك الموت ولم يجعل الحياة بيد ملك وهذا مناسب لهذا الموضع لانه بين النعمة بقوله تعالى انا كل شي خلقناه بقدر وبين قدرته على النقمة فقال تعالى وما امرنا الا واحدة اي انا على ذهاب به لقادرون وهو كقوله اذا جا امرنا وفار التنور عنه العذاب وقوله تعالى فلما جا امرنا نجينا صالحا وقوله تعالى فلما جا امرنا جعلنا عاليها سافلها وكما ذكر في هذه الحكايات العذاب بلفظ الامر وبين الهلاك به لذلك ههنا ولا سيما اذا نظرت الى ما تقدم من الحكايات ووجدتها عن تلك الحكايات يقوي هذا القول وكذلك قوله تعالى ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر يدل على صحة هذا القول تاسعها وفي المعنى اللمح بالبصر وجهان احدهما النظر بالعين فقال لمحه بصره كما يقال نظرت اليه بعيني والبا حينيذ كما يذكر في الالات فيقال كتبت بالقلم واختار هذا المثال لان النظر بالعين اسرع حركة يوجد في الانسان لان العين وجد فيها امور تعين على سرعه اخذها قرب المحل منها فان المحرك العصبة ومنبتها الدماغ والعين في غاية القرب منه ثانيها صغر حجمها فانها لا تعصى على المحرك ولا تثقل عليه بخلاف العظام ثالثها فان دحرجة الكرة اسهل من دحرجة المربع والمثلث رابعها كونها في رطوبة مخلوقة تمنع العضو الذي هو موضعها وهذه الحكمة في ان المرميات في غاية الكرة تحله المأكولات والمسموعات والمقاصد التي تقصد بالارجل والمذوقات فلولا سرعة حركة الالة التي لها ادراك المبصرات لما وصل الى الكل الابعد طول زمان وثانيها اللمح بالبصر معناه البرق يخطف بالبصر ويمر به سريعا والبا حينيذ للالصاق لا للاستعانة كقوله مررت به وذلك في غاية السرعة وقوله بالبصر فيه فايدة وهي غاية السرعة فانه لو قال كلمح البصر حتى برق يسبح حركته من مكان وينتهي الى مكان اخر في اقل زمان يفرض يكون مع هذا فالقدر الذي من مروره يكون بالبصر اقل من الذي يكون من مبداه الى منتهاه فيقال كلمح لا كما في من المبدا الى المنتهى بل القدر الذي يمر ببصره وهو في غاية القلة ومنهاية السرعة ثم قال تعالى ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر والاشياع الاشكال وقد ذكرنا ان هذا يدل على ان قوله تعالى وما امرنا الا واحدة تهديد بالهلاك وانك في ظاهر وقوله تعالى وكل شي فعلوه في الزبر اشارة الى ان الامر غير مقتصر على اهلاكهم بل الاهلاك هو العاجل والعذاب للاجل الذي يعذبهم على ما فعلوه مكتوب عليهم والزبر هو كتبة الكتبة الذين قال تعالى فيهم كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وفعلوه صفة شي والنكرة صفة توجب التحمل وقوله تعالى وكل صغير وكبير مستطر تعميم للحكم اي ليس الكتابة مقتصرة على ما فعلوه بل ما فعلوه غيرهم ايضا مستطر فلا يخرج من الكتب صغيرة ولا كبيرة وقد ذكرنا في قوله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ان في قوله اكثر فايدة عظيمة وهي ان من يكتب حساب انسان فانما يكتبه في غالب الامر

فاذا جاءه الجمله العظيمة الذى يامر لسانه ربما تترك كتابته ويستعمل بكتبه ما يخاف لسانه فلما قال تعالى ولا اصغر من ذلك
اشارة الى الامور العظام انها مكتوبة اى ليست كتابتها مثل كتابتكم التى يكون المقصود منها الامن من النسيان ولذلك
يقول ههنا وفى قوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وفى جميع هذا الموضع قدم الصغر لانها اليق
بالبيان عند الكتابة وحفظا عن النسيان فى عادة الخلق فاجرى الله تعالى الذكر على عادتهم وهذا يويد ما ذكرنا من قبل
ان كلا وان كان نكرة يحسن الابتدا به للعموم وعدم الابهام ثم قال تعالى ان المتقين فى جنات ونهر وقد ذكرنا تفسير المتقين
والجنات فى سور منها الطور واما النهر ففيه قراآت فتح النون والها ونحوه وهو اسم جنس يقوم مقام الانهار وهذا هو
الظاهر الاصح وفيه مسايل **المسئلة الاولى** لا اشك ان كمال اللذة يا الانسان ان يكون الانسان فيه وليس من اللذة
بالنهر ان يكون الانسان فيه بل لذته بان يكون فى الجنة عند النهر فما معنى قوله تعالى فى نهر نقول قد اجبنا عن هذا
فى تفسير قوله تعالى ان المتقين فى جنات وعيون فى سورة الذاريات وقلنا المراد فى خلال العيون وفيها بينهما من المكان
وكذلك فى جنات لان الجنة هى الاشجار التى يستر شعاع الشمس ولهذا قال تعالى فى جنات وعيون واذا كانت الجنة
هى الاشجار الساترة والانسان لا يكون فى الاشجار وانما يكون بينها فى خلال لها فكذلك النهر ونريد ههنا وجها اخر وهو
ان المراد فى جنات وعيون وحده نهر يكون المجاورة يحسن اطلاق اللفظ الذى لا يحسن اطلاقه عند عدم المجاورة كما
لو قالوا علفته تبنا وماء باردا وقالوا تقلدت سيفا ورمحا والماء يسقى ولا يعلف والرمح لا يتقلد ولكن لمجاورة
السيف حسن الاطلاق فكذلك وعند كان فى الثانى عما اتى به فى الاول من كلمة **المسئلة الثانية** وحد النهر مع جمع الجنات
وجمع الانهار فى كثير من المواضع فما الحكمة فيه نقول اما على جواب الاول فقد علم بما بين ان معنى فى نهر فى خلال فلم يكن السامع حاجة الى سماع
الانهار لعلمه بان النهر الواحد لا يكون له خلال واما فى قوله تعالى تجرى من تحتها الانهار فلو لم يجمع الانهار لجاز ان يفهم الجنات كلها لنهر واحد ممتد
جار فى جنات كثيرة واما على الثانى فنقول الانسان يكون فى جنات لانما سماها الجنة فى جنات اشارة الى سعتها وكثرة اشجارها وسعتها
والتوحيد عند ما قال مثل الجنة وقال تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة لاتصال اشجارها وعدم وقوع الفيعان
الحربة بينها واذا علمت هذا فالانسان اذا كان فى بيت فى دار فى محلة تلك المحلة فى مدينة يقال انه فى بلدة كذا واما عند القرب فاذا
كان الانسان فى الدنيا بين نهرين بحيث يكون تقربه منهما على السوا فقال انه جالس على نهرين فاذا قرب من احدهما يقال هو عند احد النهرين
دون الاخر لكن فى دار الدنيا لا يمكن عند ثلثة انهار وانما يمكن ان يكون عند النهرين والثالث منه ابعد من النهرين لنوع الحقيقة ليس
يكون فى زمان واحد عند انهار ربما الله تعالى يذكر امر الاخرة على نوعه فى الدنيا فقال عند نهر لما سال قوله تعالى ونهر وان كان يقتضى فى
نفى لكن ذلك مجازاة كما فى قولك تقلدت سيفا ورمحا واما قوله تعالى تجرى من تحتها الانهار تخصيصه مفهومه عند نالان الجنة
الواحدة قد تجرى فيها انهار كثيرة تحسن التوحيد دون الجمع ويحتمل ان يقال ولهذا التنكير للتعظيم فى الجنة نهر وهو اعظم الانهار واحسنها
وهو الذى من كوثر من عرا الرضوان وكان المحسود عنده شرف وعقله وكل احد له يكون له مقصد عنده وساير الجنة تجرى فى الجنة
وتراها اهلها ولا يوقرون القاعد عندها فقال فى جنات ونهر اى ذلك النهر الذى عنده مقاعد للمومنين وفى قوله تعالى
ان الله مبتليكم بنهر لكونه غير معلوم لهم وفى هذا وجه حسن ايضا ولا يحتاج على الوجهين ان نقول نهر فى معنى الجمع لكونه اسم
جنس **المسئلة الثالثة** قال ههنا فى نهر وقال فى الذاريات وعيون فما الفرق بينهما نقول لما ان قلنا فى نهر معناه فى خلال
بالانسان يمكن ان يكون فى الدنيا فى خلال عيون كثيرة محيطة به اذا كان على موضع مرتفع من الارض والعيون تتفجر منه
وتجرى فيصير انهارا عند الامتداد ولا يمكن ان يقال خلالها نهر وانما هى نهرين فحسب اما ان قلنا ان المراد عند نهر فكذلك وان
قلنا نهر اى عظيم مقاعد صنعون ذلك النهر ممكنا واصلا الى كل واحد وله عنده مقعد عيون كثيرة تابعة فالنهر للترويج
والعيون للتفرج والنزهة مع ان النهر العظيم يجتمع مع العيون الكثيرة فكان النهر مع وحدته يقوم مقام العيون مع كثرتها
وهذا كله مع ان النظر الى اواخر الآيات ههنا وهناك يحسن ذكر لفظ الواحد ههنا والجمع هناك **الرابعة** قرئ فى جنات وفى
نهر على جمع انهار ولا يبعد هذا وعلى هذا او كلمة فى حقيقة فيه صعود فى جنات طرف مكان وقوله ونهر اى وفى نهر اشارة
الى ظرف زمان وقرى ونهر بسكون الهاء وضم الميم على انه جمع نهر كاسد فى جمع اسد نقله الزمخشرى ويحتمل ان يقال نهر مصدرها جمع
نهر مصدر الهائم قال تعالى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وفيه مسايل **المسئلة الاولى** فى مقعد صدق كيف مخرجه
نقول يحتمل وجهين احدهما ان يكون على صورة بدل كما يقول القايل فلان فى بلد كذا فى دار كذا وعلى هذا يكون مقعد
من جملة الجنات موضعها مختار له مرتب على ما فى الجنات من المواضع وعلى هذا فقوله تعالى عند نهر لانا بينا فى احد الوجوه
ان المراد من قوله تعالى فى جنات ونهر عند نهر فقال فى مقعد صدق عند مليك ويحتمل ان يقال عند مليك صفة مقعد صدق
تقول درهم فى ذمته لى حر من دنانير فى ذمة عمرو وعلى عبد امن افضل من كسر عند حاتم فيكون الصفة والاما احسن
حمله مبتدا بانها ان يكون فى مقعد صدق كالصفة لجنات ونهر اى فى جنات ونهر موصوفين بانهما فى مقعد صدق
تقول وقصه فى سبيل الله افضل من كذا عند مليك صفة بعد صفة **الثانية** قوله فى مقعد يدل على لبث لا يدل عليه
المجلس وذلك لان قعد وجلس ليسا على ما يظن انهما على معنى واحد الا فرق بينهما بل بينهما فرق ولكن لا يظهر الا للبارع والفرق
هو ان المقصود جلوس فيه مكث حقيقة واقتصارا ويدل عليه وجوه الاول هو ان المراد من يسمى مقعدا ولم يسمى مجلسا الطول المكث
حقيقة وسمى قواعد البيت والقواعد من النسا قواعد ويقال للمركوب من دوام ابعاده واصفا وان لم يكن حقيقة فهو





كيعوبه عن الحمل وابعاده لكل ركوب كانه وحده نوع قعود دائم ايضا ورد ولم يرد الاجلاس الثانى ان النظر الى تعاقب الحروف فان
اذا نظرت الى ق ع د وقلبها تجد معنى المكث فى الكل فاذا قدمنا القاف مراتب قعد وقدع وعدق بمعنى المكث فى غاية
الظهور وفى عقد فحى يقال اعدق بدلو فى البير اذا امره ليطلبه بعد وقريعه فيها والعودقه خشبة عليها كلاب يخرج
منها الدلو الواقع فى البير واذا قدمت الدال رايته دقع ودعق والمكث فى الدقع ظاهر والدقعا هى التراب الملتصق
بالارض والعفر المرغم هو الذى يلتصق بالتراب صاحبه بالتراب وفى دعق ايضا اذا لدعق مكان يطاه الدواب بحوافرها فيكون
مصلبا اجزاوه تتداخل بعضها فى بعض لا يتحرك منها شى عن موضعه الوجه الثالث الاستعمال فى القعود اذا اعتبرت ظهر
ما ذكرنا قال تعالى لا يستوى القاعدون من المومنين غير اولى الضرر والمراد الذى لا يكون بعده اتباع وقال تعالى مقاعد للقتال
مع انه قال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص فاشار الى الثبات العظيم وقال تعالى اذا
لقيتم فئة فاثبتوا والقاعد اذا هى المواضع التى فيها المقاتل ساب ومكث واطلاق مقعده على العضو الذى عليه القعود
ايضا بذا اذا عرفت هذا الفرق بين الجلوس والقعود حصل لها فوايد منها ههنا فانه يدل على دوام المكث او طول اللبث ومنها
فى قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد فان القعيد بمعنى الجليس والدوم ثم اذا عرف قبل المفسرين المطاوين فى الفايدة فى اختيار
لفظ القعيد بدلا على لفظ الجليس مع ان الجليس اشهر يكون جوابهم ان اخر الايات من قوله تعالى حبل الوريد وقوله تعالى لدى عتيد وقوله
تعالى جبار عنيد مناسب القعيد ولا يناسب الجلوس واعجاز القران ليس فى السجع واذا نظرنا الى ما ذكر سرك فايدة حليه معنوية
بحكمته ونقع اللفظ المناسب لان القعيد دل على انهما لا ينقادقانه وبدا وبان الجلوس معه وهذا هو المجوز ذلك لان الشاعر يختار اللفظ الفاسد
لضرورة الشعر بالسجع ويجعل المعنى تبعا للفظ والله تعالى بين الحكمة على ما ينبغى وجاء باللفظ على احسن ما ينبغى وفايدة اخرى فى قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم فان قوله تعالى فافسحوا اشارة الى الحركة وقوله تعالى فانشزوا اشارة الى
ترك الجلوس فذكر المجلس اشارة الى ان ذلك موضع جلوس فلا يجب ملازمته وليس مقعد حتى لا تفارقونه الثالثة فى صدق وجهان احدهما مقعد
صدق اى صالح يقال رجل صدق للصالح ورجل سوء للمفاسد وقد ذكرنا فى سورة انا فتحنا لك فتحا فى قوله تعالى وظننتم ظن السوء وثانيها
الصدق المراد منه ضد الكذب وعلى هذا ففيه وجهان الاول مقعد صدق من اخبر عنه وهو الله ورسوله الثانى مقعد لما له من صدق
فقال بان الله تعالى واحد وان محمدا رسوله ويحتمل ان يقال المراد مقعد لا يوجد فيه كذب لان الله تعالى صادق ويستحيل عليه الكذب
ومن وصل اليه امتنع عنه الكذب لان مظنته الكذب الجهل والواصل اليه يعلم الاشيا كما هى ويستغنى بفضل الله تعالى عن الكذب ليستفيد بكونه
شيا فهو مقعد صدق وكلمة عند قد عرفنا معناها والمراد منه قرب المنزلة وساما الامعنى ولا مكانا وقوله تعالى مليك مقتدر لان القربة من
الملوك لذيذة كلما كان الملك اشد اقتدارا كان المتقرب منه اشد التذاذا وفيه اشارة الى ان مخالفة القرب منه ومعنى القرب من
الملوك فان الملوك لقربون من ان يكون بجلس من هو به مخافة ان يعصوا عليه ويجاوزوا الى عدوه فيصلونه والله
تعالى قال مقتدر لا يقرب احدا الا بفضله ٥

**الرحمن علم القران خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع
الميزان ان لا تطغوا فى الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام فيها
فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان فباى الاء ربكما تكذبان** اعلم اولا ان نسبة
هذه السورة بما قبلها لوجوه احدها ان الله تعالى فتح السورة المتقدمة بذكر معجزة يدل على العزة والجبروت والهيبة وهو انشقاق القمر فان من يقدر
على شق القمر يقدر على هد الجبال وقد الرجال وافتتح هذه السورة بذكر معجزة تدل على الرحمة وهو القران الكريم فانه شفاء القلوب وموجب الصفا
عن الذنوب ومنها انه تعالى ذكر فى السورة المتقدمة فكيف كان عذابى ونذر وذكر فى هذه السورة فباى الاء ربكما تكذبان مرة بعد مرة لما بينا
ان تلك السورة سورة اظهار الهيبة والعظمة فقال تعالى الرحمن اشارة الى الرحمة والمغفرة وفى التفسير مباحث **الاول** فى لفظ الرحمن
البحث **احدها** ان من الناس من يقول الله مع الالف واللام اسم لتحصه والرحمن كذلك واستدلوا بقوله تعالى قل ادعوا الله
او ادعوا الرحمن الآية اى ايا تيهما ما تدعوا والكلام فى ان هذا الاسم وهو الله اسم علم ام لا قدم فى الكتاب واما قولهم الرحمن اسم
علم فذلك ضعيف وقول من قال نصح ان يقال خالق رحمن كما نصح ان يقال بالله لقوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن لضعف
من ذلك ومن جملة ما يدل على الضعف فقد جمهور واهل اللغة على خلاف هذا بانهما الله والرحمن فى حق الله بالاسم الاول والوصف
الغالب الذى يصير الاسم بعد الاسم الاول كما فى قولنا على الفاروق وعلى المرتضى وعلى ابن موسى الرضا وغير ذلك ما نجده فى اسماء الخلفا
واوصافه المعرفة لهم الى ان كانت من الاوصاف وحركت لكثرة الاستعمال عن الوصفية حتى ان الشخص وان لم يتصف به يقال له
ذلك بالعلم فاذا الرحمن اختصاص بالله تعالى كما ان سالت الاوصاف اختصاصا بالولد فان قيل ان بعض الناس من اطلق لفظ
الرحمن على السامى نقول كما ان من الناس من اطلق لفظ الاله على غير الله بعد او كفرا ثانيها الله تعالى رحمتان سابقة ولاحقة فالسابقة
هى التى بها خلق الخلق واللاحقة هى التى اعطى بها الخلق بعد ايجادهم من الرزق والفهم وغير ذلك فهو تعالى بالنظر الى الرحمة السابقة رحمن
وبالنظر الى الرحمة اللاحقة رحيم ولهذا يقال يا رحمن الدنيا ورحيم الاخرة وقد تقدم الكلام فيهما فى الفاتحة الثانى الرحمن مبتدا خبره

الجملة الفعلية التي هي قوله تعالى علم القرآن معنى الرحمن خبراه هو الرحمن ثم ابتدأ بجملة بعد جملة فقال تعالى علم القرآن قوله تعالى علم القرآن
لا بد له من مفعول ثان فما ذلك نقول الجواب من وجهين احدهما قيل علم بمعنى جعل علامة اي هو علامة السورة ومعجزة وهذا يناسب قوله تعالى اذ انشق
القمر على ما بيناه انه ذكر في اول معجزة من باب الهيبة سوق ما لا يسعه غيره وذكر في هذه السورة معجزة من باب الرحمة فسر من العلوم ما لا يقدر
غيره وهو ما في القرآن وثانيها ان المفعول الثاني لا بد فيه وهو جبريل عليه السلام وغيره من الملايكة علمهم القرآن ثم انزله على عبده كما قال
تعالى نزل به الروح الامين على قلبك ويحتمل ان يقال هو محمد صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى ان القرآن كلام الله تعالى لا كلام محمد صلى الله عليه
وسلم وفيه وجه ثالث وهو انه تعالى علم القرآن الانسان وهذا اقرب لكون الانعام اعم والسورة مفتتحة لبيان الاعم من النعم
الشاملة الرابع لم يترك المفعول الثاني فقوله اشارة الى النعمة في العلم لا في بعض شخص دون شخص يقال فلان يطعم الطعام
اشارة الى كرمه ولا يبين من يطعمه الخامس ما معنى التعليم يقال على قولنا المفعول بان ارادة العلم فان قيل كيف يعلم علم القرآن مع قوله
ولا يعلم تاويله الا الله بقوله من لا يقف عند قوله الا الله ويعطف الراسخون على الله عطف المفرد لا يدل على هذا ومن يقف
ويعطف والراسخون على قوله تعالى وما يعلم تاويله عطف جملة على جملة فقوله انه تعالى يعلم علم القرآن لا من علم كتابا عظيما
ووقع على ما فيه وفيه مواضع مشكلة فعلم ما في تلك المواضع بقدر الامكان فقال فلان يعلم الكتاب الفلاني بقدر وسعه وان
كان لا يعلم مراد صاحب الكتاب وذكر القول في تعليم القرآن ان قولنا لا يعلم تاويله واما غيره فلا يعلم من تلقاء نفسه ثم قال
تعالى خلق الانسان علمه البيان وفيه مباحث **البحث الاول** في وجه الترتيب على وجهين احدهما ما ذكرنا ان المراد
من علم الملايكة وتعلم الملايكة قبل خلق الانسان فعلم تعالى ملايكته المقربين القرآن حقيقة ويرد عليه قوله تعالى
انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون ثم قال تعالى تنزيل من رب العالمين اشارة الى تنزيله بعد تعليمه وعلى
هذا ففي النظم حسن زايد وذلك من حيث انه تعالى ذكر امورا علوية وامورا سفلية في المقابلة وقدم العلويات
على السفليات الى آخر الآيات فقال علم القرآن اشارة الى تعليم العلويين وقال علمه البيان اشارة الى السفليين وقال
والشمس والقمر في العلويات ثم قال تعالى والنجم والشجر يسجدان من السفليات ثم قال تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان وفي
المقابلة والارض وضعها للانام وثانيهما ان تقدم تعليمه القرآن اشارة الى كونه اتم واعظم انعاما ثم بين كيفية
تعليم القرآن فقال خلق الانسان علمه البيان الثاني ما الفرق بين هذه السورة وسورة العلق حيث قال تعالى اقرا
باسم ربك الذي خلق ثم قال تعالى اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم فقدم الخلق على التعليم نقول في تلك السورة لم يصرح
بتعليم القرآن فهو كالتعليم الذي ذكره في هذه السورة بقوله تعالى علمه البيان بعد قوله خلق الانسان الثالث
ما المراد من الانسان نقول هو الجنس وقيل المراد محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد آدم عليه السلام والاول اصح
نظرا الى اللفظ في خلق الرابع بالبيان وكيفية تعليمه نقول من المفسرين من قال المنطق فعلمه ما ينطق ويفهم غيره ما عنده
فان فيه اشارة الانسان عن غيره من الحيوانات وقوله خلق الانسان اشارة الى تقدير خلق جسمه الخاص وعلمه البيان
اشارة الى تميزه بالعلم عن غيره وقد خرج ما ذكرنا اولا الى ان البيان القرآن واعادته ليفصل ما ذكرنا اجمالا بقوله تعالى
علم القرآن كما يقال علمه الادب حمله الى الادب وعلى هذا فالبيان مصدر اريد به ما في المصدر والبيان بمعنى القرآن قال
تعالى هذا بيان وقال تعالى هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان سمى الله تعالى القرآن فرقانا وتبيانا والبيان فرقانا
بين الحق والباطل الخامس كيف صرح بذكر المفعولين في علمه البيان ولم يصرح به في علم القرآن نقول ان قلنا المراد من
قوله تعالى علم القرآن علمه الانسان فنقول عظم نعمه العظيم وان قلنا علم القرآن الملايكة فلان المقصود تعديد النعم على الانسان
او مطالبته بالشكر ومنعه التكذيب به ثم قال تعالى والشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان وفي الترتيب وجوه احدها
ان الله تعالى لما بين عن كونه رحمن واشار الى ما هو شفاء ورحمة وهو القرآن ذكر نعمه وبدا بخلق الانسان فانه نعمة جميع النعم
بهم ولولا وجوده لما انتفع به ثم بين نعمة الادراك بقوله تعالى علمه البيان وهو كالوجود اذ لولاه لما حصل النفع والانتفاع
ثم ذكر من المعلومات نعمتين ظاهرتين هما اظهر انواع النعم السماوية وهو الشمس والقمر ثم بين كمال نفعهما في حركتهما الحساب لا
يحصى ولو كانت الشمس ثابتة في موضع لما انتفع بها احد ولو كان سيرها غير معلوم للخلق لما انتفعوا بالزراعات في اوقاتها
وبالاجر على الفصول ثم بين في مقابلتها نعمتين ظاهرتين من الارض وهو النبات هو اصل الرزق فلانه اما لنا او لحيوان لنا
ولولا النبات لما كان الحيوان والنبات وهو لا يخلو قسمان قايم على الساق كالحنطة والشعير والاشجار الكبار وغير قايم
كالبقول المنبسطة على الارض ثانيها هو انه تعالى لما ذكر القرآن وكان هو كافيا لا يحتاج معه الى دليل اخر قال بعده والشمس
والقمر بحسبان والنجم والشجر وغيرهما من الآيات اشارة الى بعض الناس ان لم يكن له النفس الزكية في الذكاء يكفيه في الافاق
آيات منها الشمس والقمر وانما اختارهما للذكر لان حركتهما بحسبان فاعل مختار سخرها على وجه مخصوص ولو اجتمع في العالم
من الطبيعيين والفلاسفة وغيرهم اي سوا ان يبين حركتهما على السمت المعين على الصواب لما بلغ احد مراده الى ان يرجع الى الخلق
ونقول حركتهما بالله تعالى بالارادة وذكر الارض وغيرهما اشارة الى ما ذكرنا من الدلايل العقلية المؤكدة بما في القرآن من الدلايل السمعية
ثالثها هو ما ذكرنا ان هذه السورة مفتتحة بمعجزة دالة عليها من باب الهيبة فذكر معجزة القرآن ما يكون جوابا لمنكري النبوة
على الوجه الذي نبهنا عليه وذلك هو انه تعالى انزل على نبيه الكتاب وارسله الى الناس باشرف خطاب فقال المنكرون كيف
يمكن نزول الجرم من السماء الى الارض وكيف يصعد ما حصل في الارض الى السماء فقال تعالى والشمس والقمر بحسبان اشارة الى

حركتهما



حركتهما لا تكون الا حركة مختار اذ الحركة الدورية لا يكون طبيعية [illegible] ومعقول من حركة الشمس
والقمر على الاستدارة [illegible] الملايكة على الاستقامة [illegible] وذلك بقدرة الله تعالى [illegible]
فعلم ذلك حركة الملك واما قوله تعالى بحسبان ففيه اشارة [illegible] وذلك ان الله تعالى
لما اختار حركتهما [illegible] معلوما ومقدارا مخصوصا [illegible]
التفسير مباحث **الاول** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **البحث الثاني** [illegible]
[illegible]
من غير حرف [illegible]
فلا يكون واو وقد يكون ثم فيقول فلان اكرمك لي نعم عليك ويقول علمك فاغناك ثم اعطاك فلذلك هنا ذكر التعديد
جميعا فان قيل فما الفرق بين النوعين قلنا الذي يقول بغير حرف كانه يقصد بيان النعم الكثيرة بترك الحرف ليستوعب
الكل من غير نطق والذي يقول بحرف فكانه يريد الاسم على استقلال كل نعمة بنفسها واذهاب بوهم البدل الى التفسير
فان قيل ان كان الامر على ما ذكر فلو ذكر النعم الاول بالواو ثم عند تطويل الكلام في الاخير سردها سردا هل كان اقرب الى البلاغة ورد
كلام الله تعالى كفاه دليلا على ما ذكره الله تعالى ابلغ نقول كلام الله تعالى نقول لعبارة الاله ففي هذه السورة ابتدا الامر اشارة
الى بيان ثمرة النعمة اذ هو المقصود وما لي بالحض بالكثرة ثم ان الانسان ليس بكامل النعم فعلم مراد المتكلم بما عندنا يكون المتكلم من
ابناء جنسه فكيف اذا كان الكلام كلام الله تعالى فمد الله على العادة الاخرى واذهاب موهم البدل والتفسير على ان كل واحد
منها نعمة كاملة فان قيل اذا كان كذلك فما الحكمة في تخصيص العطف بهذا الكلام والابتدا فيه نقول يكون الرعاية في السورة
ذكر الثمانية من النعم تعليم القرآن وخلق الانسان وغير ذلك اربعا منها بغير واو واربعا بواو واما قوله تعالى فيهما
فاكهة ونخل ورمان وقوله تعالى والحب ذو العصف والريحان فلبيان نعمة الارض على التفصيل ثم في اختيار الثمانية
لطيفة وهي ان السبعة عدد كامل والثمانية هي السبعة مع الزيادة فيكون فيه اشارة الى ان نعم الله تعالى خارجة عن حد
العدد مثلا ان الزيادة على الكمال لا يكون معينا مبينا فذكر الثمانية منها اشارة الى بيان الزيادة على العدد لا لبيان
الانحصار وفيه الثاني النجم ماذا نقول فيه وجهان احدهما النبات الذي لا ساق له والثاني نجم السماء والاول اظهر لانه ذكره مع
الشجر في مقابلة الشمس والقمر ذكر ارضيين في مقابلة سماويين واما قوله تعالى يسجدان بمعنى ظلالهما يا سيما خضوعهما لله تعالى
على الارض ودوامها وقيامها عليها ثالثها حقيقة السجود وان لم يكن مرسه ثانيها السجود وضع الجبهة على الارض
والنجم والشجر برسمها على الارض لان الراس بانه الرب والاعلا للنجم والشجر من جانب الارض ولان القطع من جانب الاصل
يعطله بخلاف القطع من جانب الفرع وانما القول للفروع برووس الاشجار بالنسبة الى الانسان والنسبة له به بطريق
الحقيقه الثالث في تعريف النجم على الشجر موازنة لتعليته للشمس والقمر وامر معنوي وهو ان النجم في معنى السجود داخل لانه
ينبسط على الارض كالساجد كما ان الشمس في الحسنات ادخل لان حساب سيرها ايسر عند الفهم من حساب من القمر اذ ليس المراد عند
المنقول اصعب من تقويم القمر حساب في الزيج ثم قال تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان ورفع السما معلوم ولفظه كانه تعالى رفع
السما والسما بالرفع على الابتدا والعطف على الجملة الابتدائية التي هي قوله تعالى والشمس والقمر ووضع الميزان اشارة الى العدل وفيه
لطيفة وهي انه تعالى بدا اولا بالنعم وذكر ما فيه اشرف انواع العلوم وهو القرآن ثم ذكر العدل وذكر اخص العلوم وهو الميزان
وهو كقوله تعالى وانزلنا الكتاب والميزان فان قيل العلم نعمة عظيمة واما الميزان فليس فيه من النعم العظيمة التي سماها بعدها
في الا المقول التقدير بالعين ونوع السي اليسير وتزداد ذلك اسمانه فكما ان العقل والعلم سبب لعمارة العالم وكذلك
العدل في الحكمة واخص الاشياء الميزان فهو نعمة كاملة ثم قال تعالى الا تطغوا في الميزان وعلى هذا قيل المراد من الميزان العدل لان
شرعه كانه قال شرع الله تعالى العدل لئلا يطغى في الميزان الذي هو آلة العدل هذا هو المنقول والاولى ان نقول ان الاول
هو الآلة والثاني هو بمعنى المصدر اي وضع الميزان لئلا تطغوا في الوزن وبمعنى العدل هو اعطا كل مستحق حقه فكانه قال
وضع الآلة لئلا تطغوا في اعطاء المستحقين حقوقهم واطلاقه في الوضع للشرع وكالميزان للعدل واما الاقامة بالقسط فانه
يحتمل وجهين احدهما اتموا بمعنى قوموا به كقوله اقيموا الصلاة ثانيهما ان يكون اقيموا قوموا والفعل قد يعدى بحرف الهمزة
والقسط هو العدل فان قيل كيف جاء قسطا بمعنى جائرا لا بمعنى عدل نقول القسط اسم ليس بمصدر والاسما التي لا يكون مصادر

إذا أتى بعلامات بمعنى أنه يقال أعلم الثوب بمعنى جعل له علامة وعلما وأعلم بمعنى أثبت العلامة ولذلك الحكم الرابع
في ذا أمر بالقسط فقد أقسط وهو بمعنى أعدل وأما قسط فهو فعل في اسم والاسم إذا لم يكن مصدرا لا في الأصل فورد
عليه فعل فربما يغيره عما عليه في أصله فيمكن أن يقال أقسط بمعنى أزال ونقول ظلم وأعدل من ظالم وعادل فكذلك أقسط
ثم قال تعالى ولا تخسروا الميزان أي لا تنقصوا الموزون والوزن ذكره الله تعالى ثلاث مرات كل مرة بمعنى آخر والأول هو الآلة
والثاني بمعنى المصدر والثالث للمفعول لا تخسروا الميزان ذكر الكل بلفظ الميزان لما بينا أن الميزان اسم للفائدة وهو
القرآن ذكره الله تعالى بمعنى المصدر في قوله تعالى وسع كرسيه السموات والأرض وبمعنى الكتاب الذي هو المقروء في قوله تعالى
ولو أن قرآنا سيرت به الجبال فكأنه آلة ومحل في قوله تعالى آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم في كثير من المواضع
ذكر القرآن لهذا الكتاب الكريم والميزان مناسبة فإن الميزان فيه من العلم ما لا مزيد في غيره من الكتب والميزان فيه من
العدل ما لا يوجد في غيره من الآلات فإن قيل ما الفائدة في قوله على الفعل على الميزان ووضع الميزان بقوله لما اعد الله
نعم الثمانية كان بعضها أشد اختصاصا بالإنسان فقدم فيه الفعل وكذلك ههنا ذكر أمورا أربعة بتقديم الفعل قال تعالى
علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ووضع الميزان وأمورا أربعة بتقديم الاسم فإن الشمس والقمر والنجم والسماء رفعها
ووضع الميزان والأرض وضعها والأربعة المتقدمة نفعها إلى الأرض أعود واختصاصها به أظهر فالأربعة المتأخرة
كذلك لما أن نفعها عائد إلى سائر الحيوانات ثم قال تعالى والأرض وضعها للأنام وفيه مباحث الأول قدم أن تقديم الاسم على الفعل
كان في مواضع عدم الاختصاص وقوله تعالى للأنام يدل على الاختصاص والجواب من وجهين أحدهما ما قيل أن الأنام يجمع
الإنسان وغيره من الحيوان فلا يوجب الاختصاص بالإنسان ثانيهما أن الأرض موضوعة لكل ما عليها وإنما خص الإنسان
بالذكر لأن انتفاعه بها أكثر فإنه ينتفع بها بما فيها وقوله تعالى فيها فاكهة ونخل ورمان إشارة إلى الأشجار والحب
ذو العصف إشارة إلى النبات الذي ليس بشجر والفاكهة ما تطيب النفس ثم صار اسما لبعض الثمار والسكر فيها بمعنى
[illegible] وكان القائل يشير إلى أنه عظيم لا يحصله كل أحد وقوله تعالى والنخل ذات الأكمام إشارة إلى النوع الآخر
من [illegible] الأشجار المثمرة أفضل الأشجار وهي منقسمة إلى أشجار ثمارها فواكه وهي بقوله فيها فاكهة نعمات
فيها مباحث البحث الأول ما الحكمة في تقديم الفاكهة على النخل نقول هو من الابتداء بالأدنى والارتقاء إلى الأعلى
[illegible] النخل الذي منه القوت والفاكهة دون الحب الذي عليه المدار في سائر المواضع الثاني ما الحكمة
في [illegible] تعريف النخل جوابه من وجوه الأول منها أن القوت محتاج إليه في كل زمان مبتذل وليس في كل حين وأوان
[illegible] بعض الأزمان وعند بعض الأشخاص ومنها أن النخل وحده نعمة عظيمة تعلقت بها منافع
كثيرة وأما الفاكهة فنوع منها كالخوخ والإجاص مثلا ليس فيه عظيم النعمة كما في النخل فقال فاكهة بالتنكير لكن
لعدل على الكثرة وقد صرح بالكثرة في مواضع أخر فقال تعالى يدعون فيها بفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة
الثالث ما الحكمة في ذكر الفاكهة باسمها لا باسم أشجارها وذكر النخل باسمها ثم هنا نقول قد تقدم من حيث قال تعالى
من نخيل وأعناب وهي أن العنب بالنسبة إلى غيرها حصرم وشجرة النخل بالنسبة إلى غيرها عظيمة وفيها الفوائد
الكثيرة على ما عرف من ثمارها الظروف فيها والانتفاع بثمارها بالطلع والبسر والرطب وغير ذلك فثمرها في أوقات مختلفة
بأنواع في أنه نعمة بالنسبة إلى الغير من الأشجار الرابع ما معنى ذات الأكمام فيه وجهان أحدهما الأكمام كل ما يغطي
جمع كم بضم الكاف ويظهر فيه كل ما ينتفع به كان النخل ينتفع بها ثانيهما الأكمام جمع كم بكسر الكاف وهو وعاء النخل فإنه
في [illegible] ويخرج منه الطلع ثم قال تعالى والحب ذو العصف والريحان فاحصر من الأشجار على النخل لأنها أعظمها ودخل
في الحب القمح والشعير وكل حب نعمات به خبزا أو نودم به وقد بينا أنه أخره في الذكر على سبيل الارتقاء درجة درجة والحبوب أنفع من النخل
وأعلم وجودا في الأكثر وقوله تعالى ذو العصف فيه وجوه أحدها التبن الذي ينتفع به دوابنا التي خلقت لنا وثانيها أوراق
النبات التي لها ساق كأوراق السنبلة ثالثها العصف ورق ما يؤكل فحسب والريحان إلى ذلك الزهر وفيه الريحان بالجر معطوف
على العصف وبالرفع عطفا على الحب ويحتمل وجهين أحدهما أن يكون المراد من الريحان المشموم فيكون [illegible] معاندا للحب فيعطف عليه والثاني
في الريحان بحذف المضاف إليه وهذا مناسب المعنى الذي ذكرنا ليكون الريحان الذي ختم به أنواع النعم الأرضية أعز وأشرف ثم قال تعالى
فبأي آلاء ربكما تكذبان وفيه مباحث الأول الخطاب للإنس والجن وفيه يدل به أوجه منها الأنام اسم الجن والإنس وقد سبق
فعاد الضمير إليهما في الأنام من الجنس ومنها الاسم للإنسان والجان ظاهر من بعد قوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار
السموم وقد جاز عود الضمير إليه ومنها أن يكون المخاطب في النية لا في اللفظ كأنه قال تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان
يا أيها الثقلان الثاني الذكر والأنثى فعاد الضمير إليهما والخطاب معهما الثالث المراد فبأي آلاء ربكما تكذبان للتأكيد
فذكره بلفظ واحد والمراد التكرار للتأكيد الرابع المراد العموم لكن العام يدخل فيه قسمان كما إذا قلت إنه تعالى خلق من
من يعقل ومن لا يعقل مثلا فكأنه قال يا أيها القسمان واعلم أن القسم أولا ينقسم إلى قسمين فأشار إلى القسم منهما على أنه ليس
[illegible] ثم إنه تعالى الخامس التكذيب قد يكون بالقلب دون اللسان كما في المنافقين وقد يكون باللسان دون القلب
كما في المعاندين وقد يكون بهما جميعا فالمكذب لا يخرج عن أن يكون باللسان أو بالقلب فكذا قال تعالى يا أيها القلب واللسان
فبأي آلاء ربكما تكذبان السادس المكذب يكذب بالرسول والدلائل السمعية التي بالقرآن ويكون بالعقل والبراهين

التي في الآفاق

التي في الآفاق والأنفس كأنه قال يا أيها المكذبان فبأي آلاء ربكما تكذبان وقد ظهر آيات الرسالة فإن الرحمن علم القرآن وآيات الوحدانية
بأنه تعالى خلق الإنسان وعلمه البيان السابع المكذب قد يكون مكذبا بالفعل والتكذيب من غير واقع لكنه متوقع فالله تعالى قال يا أيها
المكذبين وهذه الوجوه بعضها من بعض والظاهر فيها الثقلان لذكرهما في الآيات من هذه السورة الثاني ما الحكمة في الخطاب ولم يسبق ذكر
مخاطب نقول هو من باب الالتفات وهي افتتاح السورة على الخطاب مع كل من يسمع فكأنه لما قال الرحمن علم القرآن قال اسمعوا أيها السامعون
والخطاب للتوبيخ والزجر كأنه تعالى سمع العاقل المكذب كأنه يعرض نفسه كالواقف بين يدي ربه يقول ربه أنعمت عليك كذا وكذا
ثم يقول فبأي آلاء ربكما تكذبان ولا شك أنه عند هذا مستحق إسماع لا يكون عنده الصبر الثالث ما الفائدة في اختيار لفظ الرب
ولو قال فبأي آلاء ربكما تكذبان كان أبلغ نقول في السورة المتقدمة قال كذبت ثمود بالنذر وكذب قوم لوط وقال تعالى كيف كان
عذابي ونذر كلها بالإسناد إلى ضمير المتكلم حيث كان ذلك التخويف لما كان الإسناد إلى النفس تكذيب الشبهة عند الإهلاك وذكر في
هذه السورة عند بيان الرحمة لفظ مزيل الهيبة وهو لفظ الرب الرابع ما الحكمة في تكرير هذه الآية إحدى وثلاثين مرة نقول
الجواب عنه من وجوه الأول أن فائدة التكرير التقرير وأما هذه العدد والأعداد وسيأتي في آخر كلامه تعالى في تفسير السورة
الثاني أنه تعالى ذكر في السورة المتقدمة فكيف كان عذابي ونذر مرة لبيان ما في ذلك الكلام من المعنى وثلاث مرات للتقرير
والتكرير والسبع من الأعداد وذكرناها في قوله تعالى والبحر يمده من بعده سبعة أبحر فكلما ذكر العذاب ذكر الآلاء واحدا وثلاثين
مرة لبيان ما فيه من المعنى وثلاثين مرة للتعديد ليكون الآلاء مذكورة عشر مرات الثالث أن ذكر بعد البيان في المرة الأولى
لأن الخطاب مع الجن والإنس والنعم منحصرة في دفع المكروه وتحصيل المقصود لكن أعظم المكروهات عذاب جهنم
ولها سبعة أبواب وأعظم المقاصد نعيم الجنة ولها ثمانية أبواب فإغلاق الأبواب السبعة وفتح الأبواب الثمانية جميعه من نعمه
فإذا اعتد تلك النعم بالنسبة إلى جنس الجن والإنس يبلغ ثلاثين مرة وهي مرات التكرار والمرة الأولى لبيان فائدة الكلام ومنهم
من قال هذا ضعيف لأن الله تعالى ذكر نعم الدنيا والآخرة اقتصارا على بيان نعم الآخرة الرابعة أن أبواب النار سبعة
والله تعالى ذكر سبع آيات تتعلق بالتخويف من النار من قوله تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان إلى قوله تعالى يطوفون بينها
وبين حميم آن ثم إنه تعالى ذكر بعد ذلك جنته حيث قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ولكل منهما أبواب ذكر من أول
السورة إلى ما ذكرنا من آيات التخويف ثمان مرات فبأي آلاء ربكما تكذبان سبع مرات للتقرير والمرة الواحدة لبيان المعنى

**قوله تعالى خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فبأي آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام فبأي آلاء ربكما تكذبان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام فبأي آلاء ربكما تكذبان**

مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان صح

اعلم أن في قوله تعالى خلق الإنسان من صلصال وجهين أحدهما هو بمعنى المسنون من صل اللحم إذا أنتن ويكون الصلصال حينئذ من الصلول
وثانيهما من الصليل يقال صل الحديد إذا حدث منه صوت وعلى هذا فهو الطين اليابس الذي يقع بعضه على بعض فيحدث
فيما بينهما إذ هو الطين اللازب الحر الذي إذا رق بالشيء ثم انفصل عنه سمع منه عند الانفصال فالإنسان خلق
من الصلصال وكيف ورد في القرآن أنه خلق من التراب وقد ورد أنه خلق من الطين أما قوله تعالى من تراب مادة ومن ماء مهين
أخرى فذلك باعتبار تخصيص آدم عليه السلام خلق من صلصال ومن حمإ وأولاده خلقوا من ماء ولولا خلق آدم عليه السلام
لما خلق أولاده فصح أن يقال زيد خلق من حمإ لأن أصله الذي هو جده خلق منه وأما قوله تعالى من طين لازب ومن حمإ
وغير ذلك إشارة إلى أن آدم عليه السلام أولا من التراب ثم صار طينا ثم حمأ مسنونا ثم لازبا فكأنه خلق من هذا ثم قال تعالى وخلق
الجان من مارج من نار وفي الجان وجهان أحدهما هو أبو الجن كما أن الإنسان المذكور هو أبو الإنس وهو آدم عليه السلام
والثاني هو الجن نفسه فالجان والجن وصفان من باب واحد أو نقول الجن اسم الجنس والجان من الصفة وفيه بحث وهو أن العرب
تقول جن الرجل ولا يعلم له فاعل وكذلك جنه الجان فهو مجنون فلا يذكر الفاعل لعدم العلم به والمراد من الجان إبليس كما أن المراد
من الإنسان أبونا آدم عليه السلام خلق من صلصال ومن بعده خلق من صلبه كذلك الجن خلق من نار ومن بعده خلق من مارج
والمارج المختلط وفيه وجهان أحدهما أن المارج هو النار المشوبة بالدخان والنار الصافية فإذا قيل المقصود تعديد
النعم على الإنسان والجواب من وجوه أحدها ما بينا أن قوله تعالى ربكما تكذبان خطاب مع الإنس والجن ثانيها بيان فضل الله
تعالى مع الإنسان حيث سواه أنه خلق من أصل كثيف وخلق الجان من أصل لطيف فإنه إذا نظر إلى أصله علم أنه ما نال الشرف إلا بفضل
الله تعالى ثالثها أن الآية مذكورة لبيان القدرة لا لبيان النعمة ثم قال تعالى رب المشرقين ورب المغربين وفيه وجوه
أولها مشرق الشمس والقمر لأنه لما قال والشمس والقمر بحسبان جعل لفظهما مشرقين ومغربين الثاني مشرق الشتاء ومشرق الصيف
الثالث إشارة إلى النوعين الحاضرين أن كل شيء فإنه ينحصر في قسمين فكأنه قال رب المشرق والمغرب ومشرق غيرهما مشرقان
ثم قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وفيه مباحث الأول في تعلق الآية بما قبلها فنقول لما ذكر تعالى
المشرق والمغرب وهما حركات في الفلك بيانا سبب ذلك وذكر البحرين لأن الشمس والقمر يجريان في الفلك كما يجري الإنسان في البحر قال تعالى وكل
في فلك يسبحون فذكر البحرين عقيب المشرقين والمغربين فيهما إشارة إلى البحر لانحصار البر والبحر بين المشرق والمغرب الثاني مرج إذا
كان متعديا يعني خلط وما مرج منه الثالث في البحرين وجوه أحدها بحر السماء وبحر الأرض الثاني البحر الحلو والبحر المالح

رابعها انه تعالى خلق في الارض بحارا يحيط بها الارض وبعض جوانبها يحيط الارض وخلق بحرا محيطا بالارض عليه الارض
واحاط به الهوا كما قال به اصحاب الهيئة وهذه البحار التي في الارض لها اتصال بالبحر المحيط ثم انها الا سمان على الارض ليلا
نعطيا لها لكون الارض باردة بتخذها الانسان مكانا عند النظر الى الارض بحارا للطبيعي ويتلجلج في الكلام فان عندهم
موضع الارض بطبعه ان يكون في المركز ويكون الماء محيطا بجميع جوانبه فاذا قيل لهم كيف ظهر الارض من الماء ولم يرسب البحار
الى بعض جوانبها فاذا قيل لماذا التحدب فالذي يكون عنده قليل من الحق يرجع الى الحق ويجعله بارادة الله تعالى ومشيته
والذي يكون عنده عدم الفضل يجعله بالكواكب واوضاعها واختلاف مقابلاتها وينقطع في كل مقام مرة بعد اخرى الى ان يرجع
الى الحق واعلم ان الماءين في طبعهما السيلان والالتقاء فالبرزخ قدرة الله تعالى التي يمنعهما وفيه اشارة الى مسئلة
حكمية وهي ان الحكماء اتفقوا على ان المسئلة خبر واحد بعضه يتحدث الى بعض كما الاجسام غير ان عند الحكماء ذلك باختيار
الله تعالى وعند المدعي ذلك بطبعه فقوله يلتقيان اي من شانهما ان يكون مكانهما واحدا ثم ان الله تعالى منعهما مكانين متميزين
فذلك برهان القدرة والاختيار ثم قال تعالى بينهما برزخ لا يبغيان اشارة الى ما ذكرنا من منعه اياهما من الحدثان
على عادتهما فالبرزخ الحاجز وهو قدرة الله تعالى وفيه وجهان احدهما هو من البغي اي لا يطغى احدهما على الاخر والثاني
لا يبغيان اصلا ثم قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وفيه مباحث الاول قرئ يخرج من خرج ويخرج من اخرج على الوجهين
باللؤلؤ والمرجان نوعين ويخرج بكسر الراء ويخرج بضم النون وعلى القراءتين نصب اللؤلؤ والمرجان واللؤلؤ كبار الدر والمرجان
صغاره وقيل المرجان هو الحجر الاحمر الثاني لا يخرج الا من المالح فكيف قال بينهما والجواب عنه من وجهين احدهما ان ظاهر كلام الله
تعالى اولى بالاعتبار من كلام بعض الناس الذي لا يوثق بقوله ومن علم ان اللؤلؤ لا يخرج من الماء العذب لا يمكنه من هذا
ان لا يوجد من الغير ثانيهما ان نصح قولهم انه لا يخرج الا من البحر المالح فنقول فيه وجوه احدها ان الصدف لا يتولد فيه اللؤلؤ
الا من المطر وهو بحر السماء ثانيها انهما يتولدان في ملتقاهما ثم يدخل في المالح عند انعقاد الدرية طالبا للملوحة ثالثها انما
ذكرتم انما كان يرد لو قال وجعل القمر فيهن نورا الثالث اي نعمة عظيمة في اللؤلؤ والمرجان حتى يذكرهما الله تعالى في القران نقول
النعم فيها خلق الله تعالى الضروريات كالارض ولولا الارض لما امكن وجود التمكن وكذلك الرزق الذي به البقاء ومنه خلق المحتاج
اليه وان لم يكن ضروريا كانواع الحبوب واجراء الشمس والقمر ومنها المنافع وان لم يكن محتاجا اليه كانواع الفواكه وخلق البحار من ذلك
كما قال تعالى والفلك تجري في البحر بامره بما ينفع الناس وفيه الزينة وان لم يكن نافعا كاللؤلؤ والمرجان كما قال تعالى وتستخرجون منه
حلية تلبسونها فالله تعالى ذكر انواع النعم الاربعة التي تتعلق بالقوى الجسمانية وصدرها بالقوة العظيمة التي هي
الروح وهي العلم بقوله تعالى علم القران ومنهم من قال هذه بيان عجايب الله تعالى لا بيان النعم والتقدم قد تقدم ذكرها وذكر
لان خلق الانسان من صلصال وخلق الجان من نار من باب العجايب لا من باب النعم اذا عرفت هذا فنقول الاركان الاربعة
الارض والماء والهوا والنار والله تعالى بين بقوله خلق الانسان من صلصال ان الانسان طينه من طين وبقوله تعالى
خلق الجان من مارج من نار ان النار اصل المخلوق عجيب وبقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ ان الماء اصل المخلوق كالحيوان عجيب هي
الهواء لكنه غير محسوس فلم يذكر انه اصل مخلوق بل بين كونه مسير الجواري التي في البحر كالاعلام فقال تعالى وله الجوار المنشآت
في البحر كالاعلام وفيه مباحث الاول ما الفائدة في جعل الجواري خاصة وله السموات والارض وما بينهما نقول
هذا الكلام مع العوام فذكرها لا يقيل فيه من الادنى عقل فضلا عن الفاضل الذكي فقال لا شك ان الفلك في
البحر لا يملكه في الحقيقة احد اذ لا تصرف لاحد فيه وهو الفلك وانما كلهم منتظرون رحمة الله تعالى يعترفون بان
اموالهم وارواحهم في قبضة قدرة الله تعالى فيقولون لك الفلك ولك الملك ثم احسن جراه ونظروا الى سويهم
بالتجارة ويخفى عليهم وجوه الهلاك يدعون المالك الملك وينسبون البحر والفلك اليه واليه الاشارة بقوله تعالى
فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الثاني الجوار جمع الجارية وهي اسم للسفينة او صفة والظاهر
انها تكون صفة لما انها تجري والجارية الجالسة جارية وله الجواري اي السفن الجاريات على ان السفينة ايضا
فعيلة من السفن وهو النحت وهو فعيلة بمعنى فاعلة عند ابي دريد اي تنحت الماء وفعيلة بمعنى مفعول عند غيره فالجارية
والسفينة جاريتان على الفلك وفيه لطيفة وهي انه تعالى لما امر نوحا عليه السلام بايجاد السفينة قال واصنع
الفلك باعيننا ووحينا وفي اول الامر قال لها الفلك ثم سماها بعدما عملها سفينة كما قال تعالى فانجيناه واصحاب
السفينة وانا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وقد عرفنا امر الفلك وجريها وصارت كالمسميات بها بالفلك ثم الجارية
الثالث ما معنى المنشآت وفيه وجهان احدهما المرفوعات من نشأت السحابة اذا ارتفعت وانشأه الله تعالى اذا رفعه
وثانيهما المحدثات الموجودات من انشأ الله تعالى المخلوق اي خلقه فيكون اكثر بيانا للقدرة اذ السفن كالجبال
لا تجري الا بقدرة الله تعالى الرابع المنشآت بكسر الشين ويحتمل حينئذ ان يكون كالاعلام ويدل عليه قوله في موج كالجبال
الخامس في جمع الجواري وتوحيد البحر وجمع الاعلام فايدة عظيمة وهي انه تعالى اشارة الى عظمة الجواري ولو قال في البحار
لكانت كل جارية في بحر فيكون البحر دون يكون فيه الجواري التي هي كالجبال واما اذا كان البحر واحدا وفيه الجواري التي هي
كالجبال يكون ذلك بحرا عظيما وساحله بعيدا فيكون الايجاد بقدرة كاملة ثم قال تعالى كل من عليها فان ويبقى
وجه ربك وفيه وجهان احدهما وهو المشهور ان الضمير عائد الى الارض وهي معلومة وان لم يكن مذكورة قال تعالى ولو

يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة الاية وعلى هذا فله ترتيب في غاية الحسن وذلك لانه تعالى لما قال
الجوار المنشآت اشارة الى ان كل احد يعرف ويجزم بانه اذا كان في البحر فروحه وماله في قبضة قدرة الله تعالى فاذا
خرج الى البر ونظر الى الثبات الذي للارض والتمكن الذي فيها ينسى امره فذكره وقال لا فرق بين الحالين بالنسبة الى قدرة الله
تعالى ولو امكن العاقل السطر لكان رسوب الارض الثقيلة في الماء الذي عليه اقرب الى العقل من رسوب الفلك الخفيفة فيه والثاني
ان الضمير عائد الى الجارية كانه تعالى قال له الجوار ولا شك فيه اذ كل من فيها الى الفنا اقرب ويبقى وجه ربك ذو الجلال ويدرك
على ان الفتح الاول وفيه مباحث الاول من العقلا وكل ما على وجه الارض مع الارض فان قلتم الاختصاص بالعقلاء فتقول المسفع
بالتخويف هو العاقل فخصصه الله تعالى بالذكر الثاني هو الذي قيل كل من عليها سيفنى فهو بعد ليس بفان فهو باق نقول هو كقوله
انك ميت وانهم ميتون والثاني ان وجود الانسان عرض وهو غير باق وما ليس بفان فهو باق اما البقا فلا يقال لان البقاء
استمرار ولا يقال بسبب بالمذهب الباطل الذي هو القول فان الجسم لا يبقى زمانين كما قيل في العرض والاعراض باقية والمجموع
لم يبق كما كان وانما الباقي احد جزيه وهو الجسم وليس يطلق عليه بطريق الحقيقة لفظ من والفاني ليس ان عليها ومن عليها ليس
بباق الثالث ما الفايدة في بيان انه تعالى قال فان نقول بيان فيه معنى الحث على العبادة وصرف الزمان الى الطاعة ومنها
المنع من الوثوق بما يكون الى ولا نقول اذا كان في نعمة انها لن تذهب ومنها انه ان كان في ضر فلا يكفر بالله معتمدا على ان
الامر ذاهب والضر زائل ثم قال تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وفيه مباحث البحث الاول الوجه يطلق على الذات
والمجسم يحمل الوجه على العضو وهو خلاف العقل والنقل اعني القران لان قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه يدل على ان لا يبقى
الا وجه الله تعالى وعلى القول الحق لا اشكال فيه لان المعنى لا يبقى غير الله تعالى وغير حقيقة الله تعالى وغير ذات الله
شيء وهو كذلك وعلى قول المجسم يلزم ان لا يبقى يده التي يثبتها وحدها التي قال بها الانتقال فعل قدمه ايضا فلزم ان لا يبقى شيء
من الصفات اذ الذات غير الصفات نقول الجواب عنه بالنقل والعقل اما العقل فذلك يذكره غير هذا الموضع واما النقل فهو
ان القايل يقول لم يبق لفلان الا ثوب ساول الثوب وما قام به من اللون والطول والعرض واذا قال لم يبق الا كمه لا يدل على
بقا جيبه وذيله فلذلك يبقى ذات الله تعالى سائر صفاته واذا قال لا يبقى غير وجهه بمعنى القصر يلزمه ان لا يبقى يده
الثالث ما السبب في حسن اطلاق الوجه على الذات نقول انه ماخوذ من عرف الناس فان الوجه يستعمل في الحقيقة للانسان المرئي
ان الانسان اذا راى وجه غيره من اليد والرجل مثلا لا يقول رايته ثم نقل الى غيره من الاجسام ثم نقل الى ما ليس بجسم فقال في
الكلام هذا وجه حسن وهذا وجه ضعيف وهذا قول من قال ان الوجه من المواجهة كما هو المسطور في بعض الكتب الفقهية
فذلك فاسد والاول على العكس الثالث لو قال ويبقى ربك او الله او غيره لحصلت الفايدة من غير توهم ما هو اشنع
تقول لو كان تقوم مقام الوجه لفظا اخر ولا وجه فيه الا ما قاله الله تعالى وذلك لان سائر الاسماء المعروفة لله تعالى
اسما الفاعل كالرب والاله عند البعض بمعنى المعبود فلم قال ويبقى ربك ولقولنا ربك معنيان عند الاستعمال احدهما
ان يقال سمي من كل ربك تاما سماها ان يقال وسمي ربك مع ان حاله اسما ربك لا يكون الذنوب في ذلك الوقت ونذكر لو قال
وسمي الخالق والرازق وغيرهما الرابع ما الحكمة في لفظ الرب واضافة الوجه اليه وقال في موضع اخر فاينما تولوا فثم وجه الله
[illegible]

من الملايكة يسالونه كل يوم ويقولون يا الهنا ماذا تفعل فيما ذا امرنا الثالث وهو عايد الى من يقول والظاهر المشهور انه
عايد الى الله تعالى وعليه اتفاق المفسرين ويدل عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل عن ذلك الشان فقال يغفر ذنبا
ويفرج كربا فيرفع من يشا ويضع من يشا ويحتمل ان يكون عايدا الى يوم القيمة اى يقع سوالهم في كل يوم وهو شان ان يكون حمله
وصف بها يوم وهو يسكوم كما يقال السايل فلان كل يوم هو يوم راحة حتى يسالني ايام الراحة وهو في شان يكون صفة مميزة
للايام التي فيها الشان عن اليوم الذي قال تعالى فيه لمن الملك اليوم فانه في ذلك اليوم يكون تعالى هو السايل وهو المجيب ولا سايل
في ذلك اليوم لانه ليس يوما هو في شان يتعلق بالسايلين من الناس وغيرهم فانه تعالى جعل الايام موسومة بسوم يتعلق
بالخلق من بعض الذنوب والتفريج عن المكروب فقال تعالى من في السموات والارض في تلك الايام اى في ذلك الشان وجعل
بعضها موسوما بان لا داعي فيها ولا سايل وكيف لا نقول هذا ولو نزلنا كل يوم على عمومه لكان كل يوم فيه فعل وامر يسال فيقتضي
الى التفرد بالعدم والدوام اللهم الا ان يقال عام دخله التخصيص لقوله تعالى واوتيت من كل شي. الثالث فعلى المشهور
يكون الله تعالى في شان وقد جف القلم بما هو كاين نقول فيه اجوبة منقوله في غاية الحسن واجوبة معقوله اما المنقوله
فقيل المراد سوق المقادير الى المواقيت ومعناه ان جف بما يكون في كل يوم وقدر فاذا جاء ذلك الوقت تعلقت
ارادته بالفعل فيه فيوجد وقيل يولج الليل في النهار الاية وهو ماخوذ من قوله عليه السلام يفرج كربا ويغفر ذنبا
والمعقوله فهي ان نقول هذا بالنسبة الى الخلق ومن ساله من اهل السموات والارض لانه تعالى حكم ما اراد وقضى ذا برم
فيه حكمه وامضى عدا ما حكمه يظهر كل يوم ولا يمكن ان يحيط علم خلقه ما احاط به علمه فيساله الملايكة كل يوم كما مر الشان
هو ان الفعل يتحقق بامرين من جانب الفاعل بامر خاص ومن جانب المفعول في بعض الامور ولا يمكن غيره وعلى وجه يختاره الفاعل
من وجوه متعددة مثاله الاول تحريك الساكن لا يمكن الا بازالة السكون والاتيان بالحركة عقيبه مثال الثاني تسكين ما
امكن فانه يمكن في بقاء السكون فيه فهذا له عقيبه من غير فصل اذا عرفت هذا فالله تعالى خلق الاجسام الكثيرة في زمان
واحدة وخلق فيها صفات مختلفة في غير ذلك الزمان فمن خلقه فقرا في زمان لم يكن خلقه غنيا في غير ذلك الزمان وهذا
ظاهر لا يقال انه يلزم منه العجز فان عدم القدرة على اجتماع الضدين لا يكون عجزا عما يريد ان يفعل فهو معنى قوله تعالى
كل يوم هو في شان وهو المراد من قول المفسرين اغنى فقيرا وافقر غنيا واعز ذليلا واذل عزيزا الى غير ذلك **واعلم**
ان الله تعالى يوصف بكونه لا يشغله شان عن شان ومعناه ان الشان الواحد لا يصير مانعا له تعالى عن شان آخر
كما انه يكون مانعا للفاعل فوجد منه فعال من الافعال ما لا يحصر ولا يحصى في آن واحد اذا عرفت هذا فنقول فوايد
التحقيق في قوله تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان ولنذكر اولا ما قيل فيه تبركا باقوال السلف ثم نحققه بالبيان
فنقول اختلف المفسرون فيه واكثرهم على ان المراد سنقصدكم بالفعل وقال بعضهم خرج مخرج التهديد على ما هي عادة
الناس يقول السيد لعبده سافرغ لك ويكون السيد فارغا جالسا لا يمنعه شغل والتحقيق ما فيه هو ان عدم الفراغ
عبارة عن ان يكون الفاعل في فعل لا يمكن معه فعل آخر كالذي يحرك جسما لا يمكن تسكينه في ذلك الزمان فهو ليس بفارغ
ولكن لا يقال في مثل هذا الزمان انه مشغول بالتحريك عن التسكين ثم الفراغ من الاصل بمعنى الخلو لكنه ان كان في المكان
فيتسع ليمكن آخر وان كان في الزمان فيتسع والفراغ يطلق على خلو المكان لكون المكان محسوسا على خلاف الزمان ويقال
فلان في زمان كذا لان فلانا هو المحسوس لا الزمان وهو قوله تعالى سنفرغ لكم استعمال بالاحظ الاصل فقوله لكم على حفظة
الاصل وهو يقوي ما ذكرنا ان المانع ليس بالنسبة الى الفاعل بل الى المفعول واما انا نقول الحكمة في ندا المبهم والاتيان
بالوصف بعده بحكمه وهي ان المنادي يريد صوت كلامه عن الضياع فيقول اولا يا ايها اى ندا مبهم ليقبل عليه كل احد يسمع
ثم عند الاقبال تخصيص المقصود فيقول الرجل والذم فيه امرين احدهما الوصف المعرف باللام او باسم الاشارة فيقول
يا ايها الرجل ويا ايهذا الان الاعرف فيه هو العلم وبين العلم الواقع على كل جنس والعلم المتميز عن كل شخص تباعد وما بينهما توسط
الاسم بينه وبين الوصف لان الاصل في الاضافة لما انه في غاية الابهام فيحتاج الى التمييز وقوله تعالى الثقلان المشهور
ان المراد الجن والانس وفيه وجوه احدها انهما سميا بذلك لكونهما مثقلين بالذنوب الثاني لكونهما ثقيلين على وجه الارض
فان التراب وان يلطف في الخلق فلم يخرج عن كونه ثقيلا والنار وان لطفت في الاصل فقد تلفت في الخلق اعني الجن بعضها
ثالثها الثقل احدهما الاعم وسمي الاخرية المجاورة كما يقال القران والقمران ويحتمل ان المراد العموم بالنوعين الحاضرين
فنقول يا ايها النفل الذي هو كذا والنفل ليس كذا والمهمل الامر العظيم قال صلى الله عليه وسلم انا دل فيكم الثقلين ثم
قال تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان
وفيه مباحث الاول في وجه الترتيب وحسنه وذلك لانه تعالى لما قال سنفرغ لكم ايها الثقلان وبينا انه لم يكن يفعل
فكان قايلا قال فلم كان التاخير اذا لم يكن شغل مانع فقال المستعجل يستعجل اما لخوف فوات الامر بالتاخير واما الحاجة في الحال
واما المجموع للاختيار والارادة على وجه التاخير فقوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك لان ما بعد فنا الكل
لا يحتاج الى شي وبين عدم الخوف من الفوات وقال لا يعزبونه ولا يقدرون على الخروج من السموات والارض ولو امكن خروجهم
لما خرجوا عن ملك الله تعالى لما اخذهم الله تعالى اينما كانوا وكيف كانوا الثاني في المعشر الجماعة العظيمة وتحقيقه
ان المعشر العدد الكامل الذي لا عدد بعده الا بتركيبها فيها حيث يفيد الاحاد وتقول احدى عشر واثنى عشر وعشرون





وثلثون الى ثلث عشرات فالمعشر كانه محل العدد الذي هو الكثرة الكاملة الثالث هذا الخطاب في الدنيا او في الاخرة نقول انه في
الآخرة فان الجن والانس يريدون الفرار من العذاب فيجدون سبعة صفوف من الملايكة محيطين باقطار السموات
والارض والاول ما ذكرنا انه عام بمعنى لا مهرب ولا مخرج لكم غير الله او ملك الله تعالى الرابع ما الحكمة في تقديم الجن على الانس
ههنا وتقديم الانس على الجن في قوله تعالى قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا نقول النفوذ من اقطار السموات
والارض بالجن اليق ان امكن والاتيان بمثل القران بالانس اليق ان امكن فقدم في كل موضع ما يليق به الخامس
ما معنى لا تنفذون الا بسلطان فقوله انه يحتمل وجوها احدها ان يكون بيانا بخلاف ما تقوم اى ما تنفذوا ولا
تنفذون الا بقوة وان لكم قوة ذلك ثانيها ان يكون على تقدير وقوع الاستثناء الاول وبيان ان ذلك لا ينفعكم
تقديره ما تنفذوا وان تقدير لا تنفذون الا ومعكم سلطان الله ثالثها المراد من النفوذ ما هو المقصود منه وذلك
لان نفاذهم اشارة الى ما هو خلاصهم فقال لا تنفذون اى لا تخلصون من العذاب ولا تجدون ما تطلبون من النفوذ
وهو من العذاب الا بسلطان من الله تعالى يحركم والا فلا يحركم رابعها ان يقول اشارة الى تقرير التوحيد ووجهه ان الله
تعالى قال يا ايها الغافل لا يمكنك ان تخرج بذهنك عن اقطار السموات ثم هب انك تنفذ لكن لا تنفذ الا بسلطان
تجده خارج السموات والارض واطع ذلك على وحدانية الله تعالى والسلطان هو القوة الكاملة ثم قال تعالى يرسل
عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران وفيه مباحث الاول في وجه التعلق اذ قلنا يا معشر الجن نداء ينادى به يوم
القيامة فكانه تعالى قال يوم يرسل عليكما شواظ من نار فلا يبقى لكم انتصار ان استطعتما النفوذ فانفذوا وان قلنا
ان النداء في الدنيا فنقول قوله تعالى ان استطعتم اشارة الى انه لا مهرب لكم من الله الثاني من الضمير في قوله تعالى عليكما
مع انه جمع في قوله تعالى ان استطعتم والخطاب مع الطايفتين وقال فلا تنتصران وقال من قبل لا تنفذون فقوله وفيه
لطيفة وهي ان قوله تعالى ان استطعتم لبيان عجزهم وعظم حضرة الله تعالى فقال ان استطعتم ان تنفذوا باجتماعكم
وقوتكم فانفذوا ولا يستطيعون لعجزكم فقد بان اجتماعكم واعتقادكم بعضكم ببعض فهو عند افتراقكم اظهر فهو
خطاب عام مع كل احد عند الانضمام الى جمع من عداه من الاعوان والاخوان واما قوله تعالى يرسل عليكما شواظ
فهو لبيان الارسال على النوعين لا على كل واحد منهما ان جميع الانس والجن لا يرسل عليهم العذاب والجواب الثاني من حيث اللفظ
هو ان الخطاب مع المعشر الحاضرين ان استطعتم ايها المعشر وقوله تعالى يرسل عليكما ليس خطابا مع الندا بل هو خطاب مع
وهم نوعان وليس الكلام بحرف الواو والعطف حتى يكون النوعان متساويان في الاول وعند عدم التصريح بالندا او لا بقوله
تعالى فباى الاء ربكما تكذبان وهذا يويد بقوله تعالى سنفرغ لكم ايها حيث صرح بالندا جمع الضمير وقال بعد ذلك
فباى الاء ربكما تكذبان حيث لم يصرح بالندا الثالث ما الشواظ وما النحاس نقول الشواظ لهب النار وهو لسانه
وقيل ذلك المختلط بالدخان الذي من الحطب والظاهر ان هذا ماخوذ من قول الحكما ان النار الخالصة لا تكون مرئية
كما في السور يرى فيه نور وهو نار واما النحاس ففيه وجهان احدهما الدخان والثاني القطرة وهو النحاس المشهور ثم
ان ذكر النوعين يحتمل ان يكون لاختصاص كل احد وحينئذ فالنار للانس لانه مخالف جوهره والنحاس للجن لانه
مخالف جوهره ايضا ويحتمل ان يكون ورودهما على حد واحد منهما وهو الظاهر الرابع من تركيب نحاس بالجر كيف يعربه
ولو زعم انه عطف على النار يكون شواظ من نحاس والشواظ لا يكون من نحاس والجواب عنه من وجهين احدهما اى شيء
من نحاس كقوله تقلدت سيفا ورمحا والثاني الشواظ لا يكون الا عند ما يكون من النار مركبا جاهوائية وارضية
وهو الدخان فالشواظ مركب من نار ونحاس وهو الدخان وقوله تعالى فلا تنتصران نفي جميع انواع الانتصار وعدم نصرة
احدهما بالاخر ولا لهما نصرهما وان كان الكفار يقولون في الدنيا نحن جميع منتصر والانتصار التلبس بالنصرة ومن هذا
الباب الانتقام والانتصار بمعنى الامتناع اى لا تمتنعان راجع الى ما ذكرنا لانه يكون متلبسا بالنصرة تبع لذلك
ثم قال تعالى فاذا انشقت السما فكانت وردة كالدهان اشارة الى ما هو اعظم من ارسال الشواظ على الانس والجن
فكانه تعالى ذكر اولا ما يخاف منه الجنسان ثم ذكر بعدها ما يخاف منه كل واحد من الجن والانس والملك ويحتمل ان يقال
انه تعالى لما قال كل من عليها فان اشارة الى سكان الارض قال بعد ذلك فاذا انشقت السما بيانا لحال سكان السما
وفيه مباحث الاول الفاء للتعقيب في الاصل ومنها لتعقيب الزماني الذي يتعلق احدهما بالاخر كقوله قعد زيد فقام
عمرو ومنها التعقيب الذهني الذي يتعلق احدهما بالاخر كقوله جا زيد فقام عمرو اكراما له ومنها التعقيب في الاول
كقوله لا اخاف الامير فالملك والسلطان كانك قلت لا اقول ما قوله لا اخاف الملك فما قولك لا اخاف السلطان اذا عرفت
هذا فالفاء ههنا تحتمل الاوجه جميعا اما الاول فلان ارسال الشواظ عليهم يكون قبل انشقاق السموات ويكون
ذكر الارسال اشارة الى عذاب القبر والى ما يكون عند سوق المجرمين الى المحشر في فرد من التفسير الشواظ يسوقهم الى المحشر
فيهربون منها الى ان يجتمعوا في موضع واحد على هذا معناه يرسل عليكما شواظ ثم اذا انشقت السما يكون العذاب
الاليم والحساب بالشديد على ما سنبين اما الثاني فوجهه ان تعالى يرسل عليكما شواظا من نار ونحاس فيكون ذلك سببا
لكون السما يكون حمرا اشارة الى ان لهبها يصل الى السما ويجعلها كالحديد المذاب الاحمر واما الثالث فوجهه ان يقال
لما قال فلا تنتصران في وقت ارسال الشواظ عليهما فاذا انشقت السما وكانت كالمهل وهو كالطلي الذايب كيف تنتصران

اشارة الى ان الشواظ المرسل لهب واحد واذا انشقت السماء وذابت صارت الارض والجو والسماء كلها نارا فكيف تنتصران الثانية
كلمة اذا قد تستعمل لمجرد الظرف وقد تستعمل للمفاجاة وان كان في وجهها ظرف لكن بينهما فرق مثال الاول والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى ومثال
الثاني اذا اكرمتني اكرمتك قوله تعالى فاذا عزمت فتوكل على الله وفي الاول لا بد وان يكون الفعل في الوقت متصلا به وفي الثاني لا يلزم ذلك
فانك اذا قلت اذا علمتني تثاب يكون الثواب بعده بزمان لكن استحقاقه ثبت في ذلك الوقت ومتصلا به مثال الثالث خرجت فاذا قد اقبل الركب
ثم خرجت تقول خرجت اذا اقبل الركب جواب من قال متى خرجت ولا بعد في ذلك بمعنى المفاجاة اذا علمت هذا فنقول على اي وجه استعمل اذا
ههنا فنقول يحتمل وجهين احدهما الظرفية المجردة الفاء للتعقيب الزماني فان قوله تعالى فاذا انشقت السماء فكانت بيان لوقت العذاب
كانه يقول اذا انشقت السماء يكون العذاب اي بعد ارسال الشواظ وعند انشقاق السماء يكون ثانيهما وثانيهما الشرطية وذكر على
الوجه الثالث وهو قوله تعالى فلا تنتصران عند ارسال الشواظ عليهم فكيف تنتصران اذا انشقت السماء كانه قال اذا انشقت
السماء فلا يتوقعوا الانتصار اصلا واما الحمل على المفاجاة على ان يقال يرسل عليكما شواظ فاذا السماء قد انشقت فيعود ولا
يحتمل ذلك من الاوجه نقول الشرطية وحينئذ له وجهان احدهما ان يكون الجزا محذوفا راسا لتعرض السامع بعده كل هائل
كما تقول القايل اذا غضب السلطان على فلان ماذا اتعدى احدهما اذا تفعله ثم رجع ساكت عند قوله اذا غضب السلطان
مبهما انما مرتبه داله على هول الامر ليذهب السامع كل مذهب ويقول كانه يقول ويقول الاخر اذا غضب السلطان تسبب
ويقول الاخر غير ذلك وثانيهما ما بيناه من بيان علم الانتصار ويؤيد هذا قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام الى ان
قال وكان يوما على الكافرين عسيرا فيكون ذلك كانه قال فاذا انشقت السماء يكون الاول عسيرا اي في غاية العسر ويحتمل ان يقال
فاذا انشقت السماء يلقي المرء فعله ويحاسب حسابه كما قال تعالى اذا السماء انشقت الى ان قال يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا
فملاقيه الثالثة ما معنى الانشقاق قلنا حقيقته ذوبانها وخرابها كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل اشارة الى
خرابها ويحتمل ان يقال انشقت بالغمام وفيه وجوه منها ان قوله بالغمام اي مع الغمام فيكون مثل ما ذكرنا ههنا من الانفطار
والجواب الرابع ما معنى قوله تعالى فكانت وردة نقول المشهور انها تكون حمرا يقال فرس ورد اذا اثبت للفرس الحمرة وحجر
وردة اي احمر اللون وقد ذكرنا ان اللهيب يرتفع الى السماء فتذوب فيكون كالصفر الذائب حمرا ويحتمل وجها اخر هو
ان يقال وردة للمرة من الورود كالسجدة والركعة والجلسة والقعدة من السجود والركوع والجلوس والقعود وحينئذ
الضمير في كانت كما في قوله تعالى ان كانت الا صيحة واحدة كانت الداهية والواقعة وانث الضمير لتانيث الظاهر وان كان شيا مذكورا
بعدما ذكرناه فلذلك ههنا وقال تعالى فكانت وردة واحدة اي الحركة التي بها الانشقاق كانت وردة واحدة وتحركت
الكل وحدثت دفعة الحركة معلومة بالانشقاق وذلك المنشق يتحرك ويتزلزل وقوله تعالى كالدهان فيه وجهان احدهما
جمع دهن وثانيهما ان الدهان هو الاديم الاحمر مناسب للوردة معناه كانت السماء كالاديم الاحمر ولكن ما المناسبة
بين الوردة وبين الدهان نقول الجواب عنه من وجوه الاول المراد من الدهان ما هو المراد من قوله تعالى يوم تكون
السماء كالمهل وهو على الترتيب بينهما مناسبة فان الورد تطلق على الاسد ويقال اسد ورد فليس الورد هو الاحمر
العاني واللقاني يكون التشبيه بالدهن لبيان اللون لكن في الذوبان الثالث ان الدهن المذاب تنصب تصبه واحدة ويذوب
دفعة والحديد والرصاص لا يذوب بغاية الذوبان فيكون حركة الدهن بعد الذوبان اسرع من حركة غيره فقابل حركتها بكون
وردة واحدة كالدهان الصوبه صفاتها كالرصاص الذي يذوب منه لطيفه وينتفع ويبقى منه الباقي وكذلك الحديد والنحاس
وجميع الدهان لعظمة السماء وكيفما يحصل من ذوبانها لا يختلط اجزاؤها فان الكواكب يخالف غيرها ثم قال تعالى فيومئذ
لا يسال عن ذنبه انس ولا جان وفيه وجهان احدهما لا يسال احد عن ذنبه لا يقال لما اذنبت المذنب وعرفوه الا يقال من
المذنب منكم بل يعرفون بسواد وجوههم وغيره وعلى هذا فالضمير في ذنبه عايد الى مضمر مفسر بما بعده تقديره لا يسال
انس عن ذنبه ولا جان اي غير ذنبه نسالوثانيهما معناه قريب من معنى قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى كانه يقول
لا يسال عن ذنب بذنب انس ولا جان وفيه اشكال لفظي لان الضمير في ذنبه اذا عاد الى امر قبله فلزم استحالة ما
ذكرنا من المعنى [illegible]
[illegible]
عن ذنبه [illegible]
[illegible] لا يسال عن ذنبه انس ولا جان وفيه مسايل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
العفو والعافية [illegible]





ذنبه واحد لا يسال ذنب نفسه بالها تعرف المجرمون بسيماهم لا يناسب ذلك نقول اما الجواب عن الاول هو ان السؤال
ربما يعدى الى مفعولين غير ان الاستعلام يحذف الثاني ويوتى بما يتعلق به يقال سالته عن كذا اي سالته الاخبار
عن كذا فيحذف الاخبار ويكتفي بما يدل عليه وهو الجار والمجرور فيكون المعنى طلبت منه ان يخبرني عن كذا وعن الثاني
يكون التقدير لا يسال انس عن ذنبه ولا جان والضمير يكون عايدا الى المضمر لفظا لا معنى كما تقول قتلوا انفسهم فالضمير
في انفسهم عايد الى ما في قولك قتلوا لفظا لا معنى كما لا يمانع قتلوا ضمير الفاعل وفي انفسهم ضمير المفعول وواحد لا يقتل نفسه
وانما المراد كل واحد قتل واحدا غيره فكذلك الانس لا يسال عن ذنبه اي ذنب انس غيره ومعنى الكلام لا يقال لاحد عف
عن فلان لسان انه مسول في ذلك الوقت من الجن والانس وانما كلهم سايلون ذنبه والله تعالى حسيبه هو المسول واما المعنوية
فالاولى كيف الجمع بين هاتين وبين هذا وبين قوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين وبينه وبين قوله تعالى وقفوهم انهم مسؤلون نقول
على الوجه المشهور جوابان احدهما ان الاخرة مواطن يسال في موطن ولا يسال في موطن ثانيهما وهو واحد لا يسال هل فعلتم
ولكن يسال بقوله لم فعل الفاعل فلا يسال سؤال استعلام ويسال سؤال التوبيخ واما على الوجه الثاني فلا يرد
السؤال ولا يحتاج الى بيان الجمع الثانية ما الفايدة في بيان عدم السؤال نقول على الوجه المشهور فايده توبيخا
لهم كما في قوله تعالى ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة وقوله تعالى واما الذين اسودت وجوههم وعلى الوجه
الثاني بيان اي لا يوجد منه نديمه فيكون ترتيب الايات احسن لانه حينئذ فيها بيان ذلك لا مفر لهم بقوله تعالى ان استطعتم
ان تنفذوا ثم بيان ان لا مانع عنهم بقوله فلا تنتصران ثم بيان ان فدا لهم عنهم فيكون بقوله لا يسال وعلى الوجه الاخر
ان لا شفيع لهم ولا مراحم عليهم وما ذكرنا من عدم التاخر فايدة اخرى وهو انه تعالى لما بين ان العذاب في الدنيا
موخر بقوله تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان بين ان في الاخرة لا يوخر بقدر ما يسال وفايدة اخرى وهو تعالى
لما بين انه لا مفر بقوله لا تنفذون ولا ناصر لهم يخلصهم بقوله تعالى فلا تنتصران بين امر الاخر وهو ان يقول
المذنب ربما انجو في طول خمول واشتباه حال فقال ولا يخفى احد من المذنبين بخلاف امر الدنيا فان المجرمة القليلة
ربما تنجو من العذاب بسبب خمولهم والله تعالى اعلم **قوله تعالى** يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي
والاقدام فباي الاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم
آن فباي الاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه جنتان فباي الاء ربكما تكذبان ذواتا افنان
فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فباي الاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان
فباي الاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنا الجنتين دان فباي الاء ربكما
تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي الاء ربكما تكذبان **اعلم**
ان اتصال الايات بما قبلها على القول المشهور فلا خفا فيه اذ قوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم كالتفسير لكان في
قوله تعالى لا يسال عن ذنبه اذا كان بمعنى لا يسال غيره فقال يعرف هو وتوجد هو وعلى قولنا لا يسال سؤال حط
وعفو ايضا لذلك وفيه مسايل **المسئلة الاولى** السيما اصله سومى من السومة وهي يحتمل وجوها احدها علامة كما قال
تعالى يوم فكوا بها جباههم ثانيهما سواد كما قال تعالى واما الذين اسودت وجوههم وقال تعالى وجوههم مسودة ثالثها غبرة وقترة **المسئلة**
**الثانية** ما وجه افراد يوخذ مع ان المجرمين جمع وهم الماخوذ من قولهم نقول فيه وجهان احدهما ان يوخذ متعلق بقوله تعالى بالنواصي
كما تقول القايل ذهب بزيد وثانيهما ان يتعلق بما يدل عليه يوخذ فكانه قال فيوخذ الماخوذون بالنواصي **فان قيل** كيف عدى الاخذ
بالباء وهو متعد بنفسه قال الله تعالى لا يوخذ منكم فدية وقال خذها ولا تخف نقول الاخذ يتعدى بنفسه كما بينت وبالباء كقوله
تعالى لا تاخذ بلحيتي ولا براسي لكن في الاستعمال تدقيق وهو ان الماخوذ ان كان مقصودا بالاخذ توجه الفعل نحوه فيتعدى اليه من غير
حرف وان كان المقصود من الاخذ غير الشي الماخوذ حسا تعدى اليه بحرف لانه لما لم يكن مقصودا وكانه ليس هو الماخوذ فكان الفعل
لم يتعد بنفسه فذكر الحرف على ما ذكرنا استعمال القران فان الله تعالى قال خذها ولا تخف في العصا وقال تعالى وليا خذوا اسلحتهم واخذ
الالواح الى غير ذلك مما كان هو المقصود بالاخذ عدى الفعل اليه من غير حرف وقال تعالى لا تاخذ بلحيتي ولا براسي وقال تعالى يوخذ
بالنواصي والاقدام ويقال اخذ بيدي اخذ الله بيدك الى غير ذلك يكون المقصود بالاخذ غير ما ذكرنا فان قيل ما الفايدة في توجيه
الفعل الى غير ما وجد اليه الفعل الاول ولو قال تعالى يعرف المجرمون فيوخذ بالنواصي نقول فيه بيان نكالهم وسوء حالهم وبين هذا تقديم
وهو ان القايل اذا قال ضربت زيد فقيل عمرو وقيل عمرو لكن المفعول في باب ما لم يسم فاعله قايم مقام الفاعل ومشبه به ولهذا
اعرب اعرابه فلو لم يوجد موجود الى غير ما يوجد اليه لعرف لكان الاخذ فعل من عرف فيكون كانه قال يعرفه المجرمون عارف ليا خذهم
ذلك الفاعل لكن المجرم يعرف سيماه كل احد ولا ياخذ كل من عرفه سيماهم بل معنى ان يقال يعرف المجرمون من غير احتياج الى علم معقول له
قوله معروف فيكون مومن عند كل احد فلو قال فيوخذ وحده يكون كانه قال فيكونون ماخوذين لكل احد كذلك واما ما
حلف في قول القايل شغلت بضرب زيد علمت عند توجه التعليق الى مفعولين دليل مغاير الفاعل لانه يفهم منه انه شغلني
سبب ضرب زيد فاعل عن ذلك الشاغل واذا قلت شغل زيد بضرب لا يدل على ذلك حيث توجه الى مفعول واحد وان كان يدل
فلا يظهر مثل ما يظهر عند توجهه الى مفعولين اما بيان الاشكال فلانه قال فيوخذ بالنواصي والاقدام بين نفسه الاخذ وجعلها
مقصود الكلام ولو قال فيوخذون لكان الكلام يتم عنده ويكون قوله بالنواصي فايدة جاءت بعد تمام فلا يكون هذا المقصود

وأما إذا قال فيؤخذ فلا بد له من أمر متعلق به فينتظر السامع وجود ذلك فإذا قال بالنواصي تقول هذا هو المقصود في كيفية الأخذ فهو كالم لا في نفس الأخذ بالناصية إذلال وإهانة فإن قيل قد ذكرت أن التعدية بالباء إنما تكون بحيث لا يكون المأخوذ مقصودا والآن ذكرت أن الأخذ بالنواصي هو المقصود لأنا نقول لا منافاة بينهما فإن الأخذ بالنواصي مقصود الكلام والناصية ما صارت لنفس كونها ناصية وإنما أخذت ليسير صاحبها مأخوذا وفرق بين مقصود الكلام وبين الأخذ، وقوله تعالى فيؤخذ بالنواصي والأقدام فيه وجهان أحدهما يجمع بين ناصيتهم وقدمهم وعلى هذا ففيه قولان أحدهما أن ذلك يكون من جانب ظهورهم فيربط من نواصيهم أقدامهم من جانب الظهر ويخرج صدورهم نفسا الثاني أن ذلك من جانب وجوههم فيكون رؤوسهم على ركبهم ونواصيهم في أصابع أرجلهم مربوطة الوجه الثاني أنهم يسحبون سحبا فبعضهم يؤخذ بناصيته وبعضهم برجله والأول أصح وأوضح ثم قال تعالى هذه جهنم والمشهور أن ههنا إضمارا تقديره يقال لهم هذه جهنم وقد تقدم مثله في مواضع ويحتمل أن يقال معناه هذه صفة جهنم فأقيم المضاف إليه مقام المضاف ويكون ما تقدم هو المشار إليه والأقوى أن يقال الكلام عند النواصي والأقدام قد تم وقوله تعالى هذه جهنم لقربها كما يقال هذا زيد قد وصل إذا قرب فكأنه قال هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون لأن في ذلك لا يسعى تكذيب ومع تقدير أن يضمر فيه أن تقديره كان يكذب وقوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن وقوله جهنم إشارة إلى فصل فيه من الأهوال وقوله آن إشارة إلى ما قبله كما يقال قطعه فانقطع فكأنه حمه النار فصار في غاية السخونة وأما إذا انتهى في نهايته ثم قال تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان وفيه بحث وهو أن هذه الأمور ليست نعما فكيف قال فبأي آلاء نقول الجواب عنه من وجهين أحدهما ما ذكرناه وهو أن المراد فبأي آلاء ربكما تكذبان مما أشرنا إليه في أول السورة تكذبان فيستحقان العذاب ويحرمان الثواب ثم قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وفيه لطائف الأولى عذاب جهنم قال هذه جهنم وفي الثواب بالجنة أشار إلى كثرته التي لا تحد ونعمه التي لا تعد ليعلم أن آخر العذاب جهنم وأول مراتب الثواب الجنة ثم بعدها مراتب وزيادات الرتبة قد ذكرنا في تفسير قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد أن الخوف خشية سببها عظمة المخشي قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء لأنهم عرفوا عظمة الله تعالى فخافوه لا لذل منهم بل لعظمة من جانب الله تعالى وكذلك قوله تعالى من خشية ربهم مشفقون وقال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله أي لو كان المنزل عليه العالم فالمنزل كالجبل العظيم في القوة والارتفاع لتصدع من خشية الله لعظمته وكذلك قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وإنما قلنا أن الحرف يدل على ما ذكرنا والدليل الكبير ليس يدل على حصول معنى العظمة في خوف قال الله تعالى في الخوف سنعيدها سيرتها الأولى لما كان الخوف يضعف في موسى صلوات الرحمن عليه قوله لا تخف ولا تحزن وقوله تعالى إني أخاف أن يقتلون وقال تعالى إني خفت الموالي من ورائي ويدل عليه أن الخوف فإن قولك خفي قريب منه والخافي فيه ضعف والأحنف يدل عليه لفظا إذا علم هذا فالله تعالى يخوف ويخشى والعبد من الله خائف وخاش لأنه إذا نظر إلى نفسه رآها في غاية الضعف فهو خائف وإذا نظر إلى ربه رآه في غاية العظمة فهو خاش لكن درجة الخاشي فوق درجة الخائف ولهذا قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء جعلهم محصورا فيهم لأنهم وإن فرضوا أنفسهم على غير ما هم عليه وقدروا أن الله رفع عنهم جميع ما هم فيه من الحوائج لا يزالون بل يزداد خشيتهم وأما الذي يخافه من حيث إنه يفقره ويسلب جاهه فربما يقل خوفه إذا أمن ذلك فقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وإذا كان الخائف بهذا فما ظنك بالخاشي **المسألة الثالثة** لما ذكر الخوف ذكر المقام وعند الخشية ذكر اسمه الكريم وقال تعالى إنما يخشى الله وقال تعالى لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية الله رأس كل حكمة لأنه يعرف ربه بالعظمة فيخشاه وفي مقام ربه قولان أحدهما مقام ربه الذي المقام الذي يعبد الله تعالى العبد فيه والثاني مقام ربه الموضع الذي فيه الله تعالى قائم على عباده من قوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أي حافظ ومطلع أخذا من القائم حقيقة الحافظ له فلا يغيب عنه وقيل مقام مقحم يقال فلان يخاف جانب فلان وعلى هذا الوجه يظهر الفرق غاية الظهور بين الخائف والخاشي لأن الخائف مقام بين يدي الله تعالى والخاشي لو قيل له افعل ما تريد فإنك لا تحاسب ولا تسأل عما تفعل لما كان يمكنه أن يأتي بغير ما أمر والخائف ربما كان يقدم على ملاذ نفسه ولو رفع عنه القلم وكيف ويقال جعله الله تعالى من خشيته في شغل شاغل عن الأكل والشرب والخاشي يقف بين يدي الله ساهون في مطالعة جماله غائصون في بحار جلاله وعلى الوجه الثاني ورب الخائف من الخاشي وبينهما فرق **الرابعة** في قوله تعالى جنتان وفيه اللطيفة بينهما بعدما مثله السنة فقال بعضهم المراد جنة واحدة كما قيل في قوله تعالى ألقيا في جهنم وتمسك بقول القائل وهم يقال لبراد بهما واحد بدليل توحيد الضمير في قطعته وهو باطل لأن قوله بالشمس كالشمس يدل على أن المراد وذلك لأنه لو كان مهملا واحدا لما كان في قطعة لقصدون حد لا نقصد من مجيء هو أراد به مطلع سهم ماهيته واحدة وهي من العرام المقوى وأما الضمير فهو عائد إلى المفهوم تقديره قطعت طولها وقال للأدهما وهو لفظ مقصود معناه البسبه ولفظ الواحد فقال كلاهما جهود ومعلوم قال تعالى كلتا الجنتين آتت أكلها فوحد اللفظ ولا حاجة ههنا إلى التعسف ولا مانع من أن يعطي جنتين وحانا عدة وكيف وقال بعدها ذواتا أفنان وقال فيهما والثاني وهو الصحيح أنهما جنتان وفيه وجوه **الأول** أن جنة للجن والأخرى جنة للإنس لأن المراد هذان النوعان **الثاني** جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصي لأن التكليف بهذين النوعين **الثالث** جنة هي جزاء وأخرى زيادة على الجزاء ويحتمل أن يقال جنتان أحدهما جسمية

والاخرى



والأخرى روحية فجسمية في نعيم وروحية في روح كما قال تعالى فروح وريحان وجنة نعيم وذلك لأن الخائف من المقربين والمقرب في روح وريحان وجنة نعيم وأما اللفظية فنقول لما قال في حق المجرم لكنه ذكر هناك أنهم يطوفون صفا رقود عذابا ويعودون في أخرى ولم يقل ههنا يطوفون بين الجنتين بل جعلهما لله ملكا وهم فيها يطاف عليهم ولا يطاف بهم إحداهما لهم وأكرامهم في حقهم وقد ذكرنا في قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله تعالى إن المتقين في جنات أن الله تعالى ذكر الجنة والجنتين والجنات فهي لاتصال أشجارها ومساكنها وعدم وقوع الفاصل بينهما لمهامه وإنما تكون الجنة واحدة ولسعتها وتنوع أشجارها وكثرة مساكنها جنات ولاشتمالها على ما يلتذ به الروح والجسم كأنهما جنتان فالكل عائد إلى صفة مدح ثم قال تعالى ذواتا أفنان وهي جمع فن أي ذواتا أغصان أو جمع فن أي فيها فنون من الأشجار وأنواع من الثمار **فإن قيل** أي الوجهين أقوى نقول الأول لوجهين أحدهما أن الأفنان في جمع فن هو المشهور والفنون في جمع الفن والأفعال في فعل الكثير والفعول في فعل أكثر وثانيهما قوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان مستقل بما ذكر من الفائدة ولأن ذلك فيما يكون لا يتقارب ذهنا ووجود الكثير فإن قيل فأي مدح يحصل للجنة بها ذات أفنان وجنات الدنيا كذلك نقول فيه وجهان أحدهما أن جنات الدنيا في الأصل ذوات أشجار والأشجار ذات أغصان فيها أمران أحدهما الزهر ونضارة والثاني ما عليها من ثمرها وأما في الدنيا فلضرورة الحمل والجنة ليست كالدنيا فلا يكون فيها إلا ما فيه اللذة وأما الحاجة فلا وأما وصول الأشجار وسوقها أمور محتاجة إليها مانعة للإنسان من التردد في البستان كيف شاء فالجنة فيها أفنان عليها أوراق عجيبة وثمار طيبة من غير سوق غلاظ ويدل عليه أن كل نصف للجنة إلا ما فيه اللذة من قوله تعالى ذواتا أفنان أي الجنة هي ذات فنن غير كائن على الأصل على أصل وعرق بل هي واقفة في الجو وأهلها من تحتها والوجه الثاني هو أن النكرة في الأفنان لكنه والعجب ثم قال تعالى فيهما عينان تجريان فيهما من كل فاكهة زوجان أي في كل واحد منهما عين جارية كما قال تعالى فيها عين جارية وفي كل واحد من الأول له نوعان وفيها مسائل بعضها نذكر عند تفسير قوله تعالى فيهما عينان نضاختان فيهما فاكهة ونخل ورمان وبعضها نذكرها ههنا **والمسألة الأولى** في أن قوله تعالى ذواتا أفنان وفيهما عينان تجريان وفيهما من كل فاكهة زوجان كلها أوصاف للجنتين المذكورتين فهو كالكلام الواحد تقديره جنتان ذواتا أفنان ثابت فيهما عينان كائن فيهما من كل فاكهة زوجان فما الفائدة في فصل بعضها عن بعض بقوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان ثلاث مرات مع أنه ذكر في العذاب ما فصل بين كلامين بها حيث قال يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران مع أن إرسال النحاس غير إرسال الشواظ وقال تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن مع أن الحميم غير الجحيم كذا قال تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون وهو كلام تام وقال تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن كلام آخر ولم يفصل بينهما بالآية المكررة نقول فيه لطيفة جانب الرحمة فإن آيات العذاب سردها سردا وذكرها جملة ليقصر ذكره والثواب ذكر شيئا فشيئا لأن ذكره يطيب للسامع فقال بالفصل وتكرار عود الضمير إلى الجنس بقوله تعالى فيهما عينان فيهما من كل فاكهة لأن إعادة ذكر المحبوب محبوب وتطويل الكلام في ذكر اللذات مستحسن **الثانية** قوله تعالى فيهما عينان تجريان أي في كل واحدة عين واحدة كما ثبت وقوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان معناه في كل واحدة زوج أو معناه في كل واحدة منهما من الفواكه زوجان نقول يحتمل أن يكون المراد مثل ذلك تقديره في كل واحد والحسان زوج من كل فاكهة وهذا إذا جعلنا الكلام فيهما للزوجين ونقول من كل فاكهة لبيان حال الزوجين ومثله إذا دخلت على من لا يمكن أن يكون كائنا في شيء كقولك في الدار من الشرق رجل أي فيها رجل من الشرق ويحتمل أن يكون المراد في كل واحدة منهما زوجان وعلى هذا زوجان يكون كالصفة بما يدل عليه من كل فاكهة كأنه قال فيهما من كل فاكهة وذلك الكائن زوجان وهذا يبين فيما يكون من داخله على ما لا يمكن أن يكون هناك كائن في الشيء غيره كقولك في الدار من كل ساكن فإذا قلنا فيهما من كل فاكهة كلام تام وزوجان متعلق بما في كل واحدة منهما هي كل واحدة أي ضرب ونوع **الثالثة** عند ذكر الأفنان لو قال فيهما من كل فاكهة زوجان كان مناسبا لأن الأغصان عليها الفواكه فما الفائدة في ذكر العينين بين الأمرين المتصلين أحدهما أجرى ذكر الجنة على عادة المتنعمين فإنهم إذا دخلوا البستان لا يبادرون إلى أكل الثمار بل يقدمون التفرج على الأكل مع أن الإنسان في بستان الدنيا لا يجوع ويشتهي شهوة مؤلمة فكيف بالجنة فذكر ما يتم به النزهة وهي خضرة الأشجار وجريان الأنهار ثم ذكر بعد ذلك ما يكون بعد النزهة وهو أكل الثمار فسبحان من يأتي بأحسن المعاني في أبين المباني وذكر الكل ترتيب في أجمل ثم قال تعالى متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان وفيه مسائل **المسألة الأولى** المشهور أن المتكئين حال ذوي الحال من قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه والعامل ما يدل عليه اللام الجار تقديره لهم في حال الاتكاء جنتان قال الزمخشري يحتمل أن يكون نصبا على المدح وإنما حمله على هذا إشكال في قول من قال إنه حال وذلك أن الجنة ليست لهم حال الاتكاء بل هي في كل حال هم عليها لهم قبل الدخول ويحتمل أن يقال هو حال وذو الحال ما يدل عليه لأن قوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان يدل على يتفكهون بها فكأنه قال يتفكه المتفكهون بها متكئين وهذا فيه معنى وذلك لأن الأكل إن كان ذليلا كالخول والخدم والعبيد والغلمان فهم يأكلون قائما وإن كان عزيزا فإن كان يأكل لدفع الجوع يأكل قاعدا ولا يأكل متكئا إلا عزيزا متفكه ليس عنده جوع يقعده للأكل ولا هناك من يحتشمه فالمتفكه سبب للاتكاء **المسألة الثانية** من المسائل النحوية على فرش متعلق أي فعل هو أن متعلق بما في متكئين حتى يكون كأنه يقول يتكئون على فرش كما يقال فلان اتكأ على عصا محدثة فهو بعيد لأن الفراش لا يتكأ عليه وإن كان غيره فما إذا هو نقول متعلق غيره تقديره يتفكه الكائنون على الفرش متكئين من غير بيان ما يتكئون عليها ويحتمل أن يكون اتكاؤهم على الفرش وهو الأظهر فذكرنا ليكون ذلك بيانا لما يجمعهم ويجمع بدونهم عليه فخولهم وأكرمهم **المسألة الثالثة** الظاهر أن لكل واحد فرشا كثيرة لا أن لكل واحد فراشا فلكلهم فرش هم عليها كما يكون

المسئلة الرابعة الاستبرق هو الديباج الثخين كما ان الدساج معرب بسبب ان العرب لم يكن عندهم ذلك الا من العجم استعملوا الاسم
المعجم فيه غير انهم تصرفوا فيه تصرفا وهو ان اسمه بالفارسية ستبرك بمعنى ثخين تصغير ثخين فزادوا فيه همزة متقدمة
عليه وبدلوا الكاف قافا اما الهمزة فلان حركات اوايل الكلمة في لسان العجم غير مبنية في كثير من المواضع فكانت كالسكون فابتدوا
فيه بهمزة كما بهمزة الوصل عند سكون اول الكلمة ثم ان البعض جعلوها همزة قطع لان اول الكلمة في الاصل متحرك لكن بحركة فاسدة قالوا
بهمزة تسقط عنهم الحركة الفاسدة وتمكنهم من تسكين الاول لا عند لسانهم وي الحركة فالعود الى السكون اقرب
واواخر الكلمات عند الوقف تسكن ولا تبدل لحركة بحركة واما القاف فلانهم لو ارادوا ابقاها لكونه فارسيا او عجميا
فاسقطوا عنه الكاف التي هي حرف على لسان العرب في اواخر الكلم الخطاب لو تركت الكاف لا اشتبه ستبرك بتحمل
وربك اذا الحقت كاف الخطاب بها فلو تركت الكاف فقلبت الكاف قافا اولا ثم الحقت الهمزة ما ولها لما ذكرنا وعليه سؤال
مشهور وهو ان القران انزل بلسان عربي مبين وهذا مثله ليس بعربي والجواب الحق ان اللفظة في اصلها لم يكن بين العرب
ليس المراد انه نزل بلغة هي في اصل وضعها على ان العرب بل المراد انه منزل بلسان لا يخفى معناه على احد من العرب ولم تستعمل
فيه لغة لم تتكلم العرب بها فتصعب عليهم مثله لعدم مطاوعة لسانهم التكلم بها فعجزهم عن مثله ليس الا للمعجزة الخامسة
وهي من المعنويات الاتكا من الهيئات الدالة على صحة الجسم وفراغة البال فالمتكي امور جسمية على ما ينبغي واحوال قلبية على
ما ينبغي لان العليل يضطجع او يستلقي يستند الى الشيء واما الاتكا بحيث يضع تحت راسه ومرفقه على الارض فغير امر
لا يقدر عليه عليه واما مشغول القلب في طلب شيء له مستوفزا السادسة قال على التفسير قوله بطائنها من استبرق يدل
على نهاية شرفها فان ما يكون بطائنها من الاستبرق يكون ظهائرها خيرا منها وكانه شيء لا يشركه وهو الديباج الرقيق الناعم
وفيه وجه اخر معنوي وهو ان اهل الدنيا يظهرون الزينة ولا يتمكنون من ان يجعلوا البطائن كالظهائر لان غرضهم اظهار
الزينة والبطائن لا تظهر واذا انتفى السبب انتفى المسبب فلما لم تقدم جعل البطائن من الديباج مقصودهم وهو الاظهار
تركوه وفي الاخرة الامر مبني على الاكرام والتنعم فيكون البطائن كالظهائر فذكر البطائن السابعة قوله تعالى وجنا
الجنتين دان وفيه اشارة الى مخالفتها جنة دار الدنيا من ثلثة اوجه احدها ان الثمرة على رؤس الشجرة والانسان
عند الاتكا يبعد عن رؤسها في الدنيا وفي الجنة هي متدلية والثمرة تنزل اليه ثانيها ان الانسان يقرب من ثمرة شجرة يبعد عن اخرى
والعجايب كلها من خواص الجنة وكان اشجارها دائرة عليهم سايرة اليهم وهم ساكنون وفي الدنيا الانسان متحرك ومطلوبه
ساكن وفي الحقيقة وهي انه لم يكسل ولم يتقاعد عن عبادة الله تعالى وسعى اليها في الدنيا في الحيرة انتهى امره الى سكون
لا يخرجه شيء الى الحركة فان تحركوا تحركوا لا لحاجة وطلب وان سكنوا سكنوا لا للاستراحة بعد التعب ثم الولي
قد يصير في الدنيا موجودا من الجنة فيكون هو ساكن في نفسه ومامنه الرزق متحركا اليه دايرا حواليه يدل عليه
قوله كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا الثامنة الجنتان كاملتان حسنيان فهو ابدا يكون بينهما عليهما
عن يمينه وشماله الجنتان وهو بينهما ولهما وان كان احدهما روحه والاخرى جسمه وكل واحد منهما فواكه وفرش يليق بها ثم
قال تعالى فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وفيه مسائل المسئلة الاولى في الترتيب وهو في غاية
الحسن لان الاول الامر بين المسكن وهو الجنة ثم بين ما يتبين به بان من يدخل بستانا يتفرج اولا فقال تعالى
ذواتا افنان فيهما عينان ثم ذكر الماكول فقال تعالى فيهما من كل فاكهة ثم ذكر موضع الراحة بعد الاكل وهو الفرش ثم ذكر
ما يكون في الفراش معه المسئلة الثانية فيهن الضمير عايد الى ماذا نقول فيه ثلثة اوجه احدها الى النعم والالاء
في الالاء قاصرات الطرف ثانيها الى الفرش اي في الفرش قاصرات وهما ضعيفان اما الاول فلان اختصاص القاصرات بكونهن
في الالاء مع الحسان والعسان فيهما والفواكه كذلك لا يبقى له فايدة واما الثاني فلان الفرش جعلها ظرفا لهن حيث قال
تعالى متكئين على فرش واعاد الضمير اليها بقوله تعالى بطائنها ولم يقل بطائنهن فقوله تعالى فيهن لو كان تفسيرا للضمير
فيحتاج الى بيان فايدة ولانه تعالى قال بعد هذا مرة اخرى فيهن خيرات ولم يقل هناك ذكر الفرش فالاصح اذا هو
الوجه الثالث وهو ان الضمير عايد الى الجنتين وجمع الضمير هاهنا وهو في قوله فيهما عينان وفيهما من كل فاكهة وذلك
لانا بينا ان الجنة لها اعتبارات ثلثة احدها اتصال اشجارها وعدم وقوع العدا ورديت السطوح فيها والاراضي
العامرة ومن هذا الوجه كانها جنة واحدة لا تفصل فاصل بينها استعمالها على النوعين الحاصرين للخيرات فان
فيها ما في الدنيا وفيها ما نعرف وما لا نعرف وفيها ما نقدر على وصفه وفيها ما لا نقدر وفيها لذات جسمانية وفيها لذات
غير جسمانية فلاستعمالها على النوعين كانها جنتان وثالثها وكثرة اشجارها واماكنها وانهارها ومساكنها كانها
جنان لا تعد بالجنة وهي من وجه جنة واحدة ومن وجه جنتان اذا ثبت هذا فنقول اجتماع النسوان للمعاشرة
مع الازواج والمباشرة في الفراش في موضع واحد في الدنيا ذلك لضيق المكان او عدم الامكان او دلالة النسوان
وقلة التلذذ والشهوات فان الرجل الواحد لا يجمع بين الرجل والنسا في بيت الا اذا كن جواري غير ملتفت اليهن
فاما اذا كانت كل واحدة منهن كريمة والنفس كثيرة المال فلا يجمع بينهن واعلم ان الشهوة في الدنيا كلما يزداد في
الجنة التي بالازواج [illegible] يزداد بسبب العظمة واحوال الناس في الاكثر يدل عليه اذا ثبت هذا فنقول في الجنة يجتمع
فيهن حسن الصورة والجمال والعزة والشرف والكمال فيكون الواحدة لها كذا وكذا من الجواري والغلمان فيزداد اللذة

بسبب

بسبب كما لها واذا ينبغي ان يكون لكل واحدة ما يليق بها من المكان الواسع فتصير الجنة التي هي واحدة من حيث الاتصال
كثيرة من حيث تفرق المساكن فيها فقال فيهن واما فليس فيها فرق المساكن دليل العظمة واللذة فقال فيهما وهذا
المسألة قاصرات الطرف صفة لموصوف محذوف واقيمت الصفة مكانها والموصوف النسا والازواج كانه قال فيهن
نسا قاصرات الطرف وفيه لطيفة وهو ان الله تعالى لم يذكر النسا الا باوصافهن ولم يذكر اسم الجنس فيهن فقال
تارة حور عين وتارة عربا اترابا وتارة قاصرات الطرف ومقصورات ولم يذكر نسا عرب ولا نسا قاصرات لوجهين
احدهما اشارة الى تخدرهن وسترهن فلم يذكرهن باسم الجنس لان ذا اسم الجنس يكشف من الحقيقة ما لا يكشفه من الوصف
فانك اذا قلت المتحرك المريد الاكل الشارب لا يكون بيت باوصاف كثيرة اكثر ما بينه حيوان وانسان وثانيهما
اعظاما لهن ليزداد حسنهن في اعين الموعودين بالجنة فان شان الملوك لا يذكرون الا بالاوصاف الرابعة قاصرات
الطرف من القصر وهو المنع اي الممتنعات اعينهن من النظر الى الغير او من القصور وهو كون اعينهن قاصرة لا طماح
فيها للغير يقول هو من القصر بمعنى انهن قصرن ابصارهن فابصارهن مقصورة لا قاصرة وهو قاصرات فيكون من
اضافة الفاعل الى المفعول والدليل عليه هو ان القصر مدح والقصور ليس كذلك وعلى هذا ففيه لطيفة وهو انه
تعالى قال بعد هذا حور عين وقال حور مقصورات في الخيام ومن قاصرات الطرف وفيه وجهان احدهما ان يقال هن
قصرن ابصارهن كما يكون شغل العفائف وهن قصرن انفسهم في الخيام كما هو عادة المخدرات لانفسهن في الخيام
ولابصارهن عن الطماح وثانيهما ان يكون في ذلك بيانا لعظمتهن وعفافهن وذلك لان المراة التي يكون لها نوع
ولا يكون لها اولياء يكون فيها نوع هوان واذا كان لها اولياء اعزة لهن لا يسهل عن الخروج والبروز يدل ذلك على عظمتهن واذا كن
في انفسهن عند الخروج ولا ينظرون يمنة ويسرة يكن في انفسهن عفا فجمع بين الاشارة الى عظمتهن بقوله مقصورات
منعهن ولبسهن وهو اسه في الخيام وبين الاشارة الى عفتهن فقال قاصرات الطرف ثم تمام اللطف انه تعالى قدم ذكر ما يدل
على العفة على ما يدل على العظمة وذكره اعلى الحسن قاصرات وفي ادناها مقصورات والذي يدل على ان المقصورة تدل على
العظمة انهن موضعهن بالمخدرات لا بالمخدرات اشارة الى انهن حدرهن غيرهم جارمالهن كالذي يحرف الخيام
ويدل الى الستر بخلاف من يحزن نفسها ويتعلق بابها بسره وسنذكر بيانه في تفسير الاية الخامسة قاصرات الطرف فيه
دلالة على عفتهن وعلى حسن المؤمنين في اعينهن فيحسن لزواجهن حيات يمنعهن عن النظر الى غيرهم ويدل ايضا على
الحالات الطرف حركة الجفن والجسد لا تحول حبسها ولا ترفع راسها السادسة لم يطمثهن فيه وجوه احدها لم يفرعن
ثانيها لم يجامعهن ثالثها لم يمسهن وهو اقرب الى حالهن واليق كما هن لفظ الطمث غير ظاهر فيه ولو كان المراد منه المس
فذكر اللفظ الذي يستحسن منه وكيف قال تعالى وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقال فاعتزلوا ولم يصرح بلفظ
موضوع الوطي فان قيل فما ذكرتم من الاشكال باق وهو ان الله تعالى كنى عن الوطي في الدنيا بالمس في قوله تعالى او لا مستم
النسا على الصحيح في تفسير الاية وسنذكره وان كان على خلاف ما منا الشافعي رضي الله عنه وبالمسيس في قوله تعالى من قبل
ان تمسوهن ولم يذكر المس في الاخرة نقول لما ذكر الجماع في الدنيا بالكناية لان في الدنيا ضمنا الشهوة فيه اضعاف البدل
وامتاع عن العبادة [illegible] الجنة
معدودة من اللذات [illegible] ذكرها في الدنيا بلفظ مجازي [illegible]
[illegible]

منع العمل المعنوي فكان الاسد عمل به عمل حتى صار زيد فاذا قلت كان زيدا الاسد تركت الاسد على اعرابه فاذن انه متردد
على حالة وحقيقته وزيد تشبه به في تلك الحال ولا شك في ان زيدا اذا شبه باسد على هو حاله باسد باق يكون اقوى مما اذا
شبه باسد لم يبق على حاله وكان من قال زيد كالاسد نزل الاسد عن درجته فساواه زيد ومن قال كان زيد الاسد رفع
زيدا عن درجته حتى ساوى الاسد وهذا تدقيق لطيف ثم قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان وفيه وجوه كثيرة حتى قيل
ان في القرآن ثلث ايات في كل واحدة منها مائة قول احدها قوله تعالى فاذكروني اذكركم وثانيها ان عدتم عدنا وثالثها
هل جزاء الاحسان الا الاحسان ولنذكر الاشهر منها والاقرب اما الاشهر فوجوه احدها هل
جزاء احسان التوحيد غير الجنة اي جزاء من قال لا اله الا الله ادخال الجنة ثانيها هل جزاء الاحسان في الدنيا الا الاحسان
في الاخرة ثالثها هل جزاء من احسن اليكم بالنعم في الدنيا وبالنعم في العقبى الا ان تحسنوا اليه بالعبادة والتقوى واما الا
انه عام فجزاء من احسن الى غيره ان يحسن هو ايضا ولنذكر تحقيق القول فيه ونرجع الوجوه كلها الى ذلك فنقول الاحسان
يستعمل في ثلث معان الاول اثبات الحسن وايجاده قال تعالى فاحسن صوركم وقال تعالى الذي احسن كل شيء خلقه الثاني الاتيان
بالحسن كالاظراف للاعراب للاتيان بالظرفية واكثر قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وقال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة
فعلى ان احسنوا بمعنى جاءوا بالحسنة والثالث يقال فلان لا يحسن الكتابة ولا يحسن الفاتحة بمعنى لا يعلمها والظاهر ان الاصل في
الاحسان هو الوجهان الاولان ماخوذ منهما وهذا لا يلزم الا في قرب الاستعمال فما يطلق على الظن ارادة العلم اذا علم هذا فنقول
يمكن حمل الاحسان في الموضعين على معنيين مختلفين اما المعنى المحذ فنقول هل جزاء الاحسان اي هل جزاء من اتى بالفعل الحسن الا
ان يؤتى في مقابلته بفعل حسن لكن الفعل الحسن من العبد ليس كل ما يستحسنه هو بل الحسن هو ما يستحسنه الله منه وطلبه منه فان الناس
ربما يكون الفاسق في نظره حسنا وليس بحسن بل الحسن ما طلبه الله تعالى منه لكن لك الحسن منه المطلوبة من الكلام وذلك لان كل
ما ياتي بما يطلبه العبد كما اتى العبد بما طلبه الله تعالى منه واليه الاشارة بقوله تعالى وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
وقوله تعالى وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون وقال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة اي هو حسن عندهم واما الوجه
الثاني فنقول هل جزاء من اثبت الحسن في فعله في الدنيا الا ان يثبت الله الحسن في احواله في الدارين وبالعكس هل جزاء من
اثبت الحسن في صورنا وفينا وفي احوالنا الا ان يثبت الحسن ايضا لكن اثبات الحسن في الله تعالى محال فاثبات الحسن ايضا في افعالنا
وافعالنا فيحسن افعالنا عبادة الله تعالى وافعالنا بالتوجه الى الله وباطننا بمعرفة الله تعالى والى هذا رجعت الاشارة ما ورد
في الاخبار من حسن وجوه المؤمنين وقبح وجوه الكافرين واما الوجه الثالث وهو الحمل على المعنيين فنقول نقال هل جزاء
من اتى بالفعل الحسن الا ان يثبت الله فيه الحسن في جميع احواله فيجعل وجهه حسنا وحاله حسنا ثم فيه لطايف الاولى هذه اشارة
الى رفع التكاليف عن العوام في الاخرة وتوجيه التكليف على الخواص فيها اما الاول فلانه تعالى لما قال هل جزاء الاحسان الا الاحسان
والمؤمن لا شك في انه يثاب في الجنة فيكون له لما ان الاحسان جزاه ومن جازاه عبدا على عمله لا يامر ولا بالتكليف لو بقي في الاخرة
فلو ترك العبد القيام بالتكاليف لا يستحق العقاب بتركه الاحسان لان العبد لما عبد الله تعالى في الدنيا ما دام وبقي يلزمه
تعالى ان يحسن اليه في الاخرة ما دام وبقي فلا عقاب على تركه بلا تكليف واما في حق الخواص فنقول خاصة الله تعالى عندنا
في الدنيا لم يسبقه له علينا فهذا الذي اعطانا الله تعالى ابتدا نعمة واحسان جديد فله علينا شكر فيقولون الحمد لله
ويذكرون الله تعالى ويثنون عليه فيكون فعل الاحسان من الله في حقهم سبقا لنعامهم لشكره فيوصفون هم على انفسهم عبادته
تكون لهم بالعبادة القليل شغل شاغل عن الحور والقصور والاكل والشرب فلا ياكلون ولا يشربون وهم عند الله تعالى
مقربون فلا يكون ذلك تكليفا مثل هذا التكليف وانما يكون ذلك لذة زايدة على كل لذة هي غيرها اللطيفة الثانية
هي تدل على ان العبد يحكم في الاخرة وليس الثواب سيا فيها هذا محضا بل الثواب محض محدد دواعي المؤمن في الاخرة كما قال تعالى
لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون وذلك لان انسان الاحسان هو الاتيان بما هو حسن عنده من اتى الاحسان له لكن الله تعالى
لما طلب من العبادة طلب كما اراد فاتى به المؤمن كما طلب منه فصار حسنا فهذا تقتضي ان يحسن الله الى عبده وياتي بما هو
حسن عنده وهو ما يطلبه كما يريد وكانه قال هل جزاء الاحسان الا الاحسان اي هل جزاء من اتى بما طلبه منه على حسب
ارادته الا ان ياتي بما طلبه على حسب ارادته لكن الارادة متعلقة بالرؤية فيجب بحكم الوعد ان يكون بها اية دالة على الرؤية
اللطيفة الثالثة هذه الاية تدل على كل ما نفرضه لان انشا من انواع الاحسان من الله ضود ودون الاحسان الذي وعد الله تعالى
به لان الكريم اذا قال للعصر اعمل كذا ولك على ان احسن اليك وقال لغيره اعمل كذا ولك على دينار ويكون رجاء من لم يعين له
الاجر اكثر من رجاء من عين له هذا اذا كان الكريم في غاية الكرم وغاية الغنى اذا ثبت هذا فالله تعالى قال الجزاء من احسن
اليه ان احسن اليه ما يحيط به علمنا بالنسبة اليه فالذي يعطي الله تعالى فوق ما نرجو ثم قال تعالى ومن دونهما جنتان
فبأي الاء ربكما تكذبان لما ذكر الجزاء ذكر بعده مثله وهو جنتان اخريان وهو كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وفي
قوله دونهما وجوه احدها دونهما في الشرف وهو ما اختاره الزمخشري وقال لقوله تعالى مدهامتان مع قوله في ماتين عينان
نضاختان لان النضخ دون الجري مع قوله في الاولين من كل فاكهة مع قوله فيهما فاكهة ونخل ورمان وبالتكاء ولبش
فرش بطائنها حيث ترك ذكر الظهائر لعلوها وخفائها وعدم ادراك العقول اياها مع قوله في هاتين رفرف خضر دليل عليه و
لقايل ان يقول هذا ضعيف لان اعطا الله في الاخرة مناسبة لا يعطي شيئا بعد شيء الا ويظن الظان انه ذلك دون منه

ويمكن



ويمكن ان يجاب عنه نقول لما اختاره الزمخشري ان الحسن دون الاولين لدرجتهم الدين الحقهم الله تعالى بهم ولاتباعهم
ولكنه انما جعلها لهم انعاما عليهم اي هاتين الاخريين لكم اسكنوا فيها من تريدون وبا بينهما ان المراد من دونهما اي من
دونهما في المكان كانهما في حصنين وتطلعون من فوق على جنتين اخريين دونهما ويدل عليه قوله تعالى لهم غرف من فوقها
غرف مبنية تجري من تحتها الانهار والغرف العالية عندها افنان والغرف التي دونها ارض محضرة وعلى هذا نقول في الايات
لطايف الاولى في الاولين ذواتا افنان وقال في هاتين مدهامتان اي مخضرتان في غاية الخضرة وادهام الشيء اي
اسود لكن قد لا يستعمل في بعض الاشياء والارض اذا اخضرت غاية الخضرة تضرب الى السواد ويحتمل ان يقال بان الارض
اذا لم يكن فيها زرع يقال لها بياض ارض ويقال للارض المعمورة سواد يقال سواد البلد وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواد
الاعظم ومن كثر سواد قوم فهو منهم والتحقيق فيه ان ابتدا الالوان هو البياض وانتهاها وهو السواد فان الابيض يقبل
كل لون والاسود لا يقبل شيئا من الالوان ولهذا يطلق الكافر على الاسود ولا يطلق على لون اخر اذا ثبت هذا فاذا اصل
في الارض الخالية عن الزرع بياض الارض والمخضر بالزروع المهملة يقال للمخضر اسود وهذا يدل على انهما تحت الاولين مكانا
لهم اذا نظروا الى ما فوقهم يرون الافنان تظلهم واذا نظروا الى تحتهم يرون الارض محضرة تحتهم وقوله تعالى فيهما عينان نضاختان
اي فايرتان ماؤهما يتحرك الى جهة فوق واما العينان المتقدمتان تجري الى صوب المؤمنين وكلاهما حركتهما الى جهة صوب المؤمنين
واما قول الزمخشري النضخ دون الجري فمنه لا لزم لجواز ان يكون الجري يسيرا والنضخ قويا بل المراد النضخ منه الحركة الى جهة العلو
والعينان مكانان للمؤمنين تحركه المايكون الى جهتهم والعينان الاولين في مكانهم فيكون حركة مايهما الى صوب المؤمنين جريا واما
قوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان نحو لقوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان وذلك لان الفاكهة ارضيه وشجريه كالبطيخ وغيره
من الارضيات المزروعات والنخل وغيرها من الشجريات فقال مدهامتان بانواع الخضر التي منها الفواكه الارضيه وفيها ايضا الفواكه
الشجرية وذكر منها نوعين وهما الرمان والرطب لانهما متقابلان واحدهما حلو والاخر فيه حامض واحدهما حار والاخر بارد واحدهما فاكهة
وغذا والاخر فاكهة واحدهما من فواكه البلاد الحارة والاخر من فواكه البلاد الباردة واحدهما اشجارها في غاية الطول والاخر اشجارها
بالضد واحدهما ما يوكل منه بارد وما لا يوكل منه كامن والاخر ما يوكل منه كامن وما لا يوكل بارد فهما كالضدين والاشارة الى الطرفين
يتناول الاشارة الى ما بينهما كما قال تعالى رب المشرقين ورب المغربين وقد قلنا ذلك ثم قال تعالى فيهن خيرات حسان اي في باطن الجنة
وفي باطن الحسن والخيرات جمع خيرة وقد بينا ذلك ثم قال تعالى فيهن خيرات حسان وقد بينا ان ذلك كقوله تعالى قاصرات
الطرف الى ان قال كانهن [illegible] اشارة الى كونهن حسانا وقوله تعالى حور مقصورات في الخيام اشارة الى عظمتهن فانهن [illegible]
عليهن حجرا وانما ذلك اشارة الى انهن الخيام لهن ولا الستر عليهن والخيمة نصب للرجل فهو قوله تعالى مقصورات في الخيام
اشارة الى معنى في غاية اللطف وهو ان المؤمن في الجنة لا يتحرك الى شيء وانما الاشيا تتحرك اليه فالماكول والمشروب يصل اليه من غير
حركة منه ويطاف عليهم بما يشتهوا فالحور يكون في بيوت الانتقال الى المؤمنين في وقت ارادتهم فعند [illegible] الى المؤمنين
[illegible] المسألة الأولى [illegible]
[illegible] المسألة الثانية [illegible]
[illegible] المسألة الثالثة [illegible]
[illegible] المسألة الرابعة [illegible]

في الخضرة حيث وصف الله ثياب الجنة بكونها خضرا قال تعالى ثياب سندس خضر فنقول لميل الناس الى اللون الاخضر
في الدنيا وسبب الميل اليه وهو ان الالوان التي نظر اليها اصول الالوان سبعة وهو الشفاف وهو الذي لا يمنع نفوذ البصر
فيه ولا يحجب ما وراءه كالزجاج والماء الصافي وغيرهما ثم الابيض بعده ثم الاصفر ثم الاحمر ثم الاخضر ثم الازرق ثم الاسود والظاهر
ان الالوان الاصلية ثلثة الابيض والاسود وبينهما غاية الخلاف والاحمر متوسط بينهما فان الدم خلق على اللون المتوسط
فان لم تكن الصحة على ما ينبغي كان بينهما وهو ابيض فان افرط عمل الحرارة فيه باذن الله احترق وصار اسود ثم من هذه الثلثة
يحصل منها الالوان الاخر فالابيض اذا امتزج بالاحمر حصل الاصفر يدل عليه خروج اللبن الابيض بالدم وغيره من الاشياء
الحمر واذا امتزج الابيض بالاسود يحصل اللون الازرق يدل عليه خليط الجص المدقوق بالفحم واذا امتزج الاحمر بالاسود
يحصل الازرق ايضا لكن الى السواد اميل واما اذا امتزج الاصفر بالاسود حصل الاخضر من الاسود والازرق وقد علم ان الاصفر
من الابيض والاحمر والازرق من الابيض والاسود والاحمر والاسود فالاخضر حصل فيه الالوان الثلثة الاصلية فيكون ميل
الانسان اليه لكونه مشتملا على الالوان الاصلية كلها ولهذا تجد الاخضر صبغ الثوب احسن من الاحكام والنظر والعمل في المسلم الى ابيض
تعرف نور البصر ولهذا لا تقدر الانسان على ادامة النظر في الارض عند كونها مستورة بالثلج ونور الشمس والنظر الى الاشيا يجمع البصر
ولهذا يكره الانسان النظر اليه والنظر الى الاشياء الحمر يعزي الدم والاخضر اذا اجتمع فيه الامور الثلثة ودفع بعضها ادنى البعض
وحصل اللون الممتزج من الاشياء التي في بدن الانسان وهو الاحمر والابيض والاصفر والاسود فاذا كان ميل النفس في الدنيا الى الاخضر
ذكر الله تعالى في الاخرة ما هو مقتضى غرضه في الدنيا **المسألة الخامسة** العبقري منسوب الى عبقر وهو عند العرب موضع من مواضع
الجن وثياب المعمولة عملا سموها عبقريات مبالغة في انعقاد صبغها كانها ليست من عمل الانس ويستعمل في غير الثياب حتى
يقال للرجل الذي يعمل عملا عجيبا هو عبقري اي من ذلك البلد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام الذي راه فلم ار
عبقريا من الناس يفري فرية واكتفى بذكر الجنس عن الجمع ووصفه بما يوصف به الجموع وقال حسان ذلك ولما نسا ان جمع
الرباعي يفصل بعض الاستقلال واما من قرا عباقري فجعل اسم الموضع عباقر ولهذا من قال زعم انه جمعه فقد وهم وان جمع
العبقري ثم نسب فقد الزم تكلفا خلافه تكلف الادبا الزامه فانهم في الجمع اذا نسبوا ردوه الى الواحد وهذا القاري تكلف
في الواحد برده الى الجمع ثم نسبه لان عند العرب ليس في الوجود بلد وكلها عبقري حتى يجمع ويقال عباقر فهذا تكلف الجمع فيما لا جمع
له ثم نسبه ذلك الجمع والادبا تركوا الجمع فيما سمع وتحقق جمعه لئلا يجمعوا بين الجمع والنسبة ثم قال تعالى تبارك اسم ربك ذي الجلال
والاكرام وفيه مسايل **المسألة الاولى** في الترتيب فنقول فيه وجوه احدها وهو انه تعالى لما ختم نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه
ربك ذو الجلال والاكرام ختم نعم الاخرة بقوله تعالى تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام اشارة الى ان الباقي والدايم لذاته
هو الله والدنيا فانية والاخرة وان كانت باقية لكن بقاها بابقا الله تعالى الوجه الثاني هو انه تعالى قال في اواخر هذه السورة
كلها ذكر الله تعالى فقال في اخر السورة التي قبل هذه مليك مقتدر وكون العبد عبد الله من اتم النعم كذلك قال بعد ذكر الجنات وما
فيها من تبارك اسم ربك اشارة الى اتم النعم عند الله واكمل اللذات بذكر الله تعالى اذ قال في السورة التي بعدها فروح وريحان
وريحان وجنة نعيم ثم قال تعالى في اخر السورة فسبح باسم ربك العظيم والوجه الثالث هو ان نقول قد ذكر الله تعالى جميع اللذات
في الجنات ولم يذكر لذة السماع وهي من اتم انواعها ثم قال تعالى متكئين على رفرف يسمعون ذكر الله تعالى تبارك وتعالى اسمه **المسألة
الثانية** اصل التبارك من البركة وهي الدوام والثبات ومنها برك البعير وبركة الماء فان الماء يكون فيه دايما وفيه وجوه احدها
دام اسمه وثبت ثانيها دام الخير عنده لان البركة وان كانت في الثبات الا انها تستعمل في الخير بالنظر بمعنى علا وارتفع شانا بالامكانا
الثالثة قال بعد ذكر نعم الدنيا وفنت الى عدم كل شيء من الممكنات وفنا لها في ذاتها واسم الله تعالى ينفع في الذاكرين ولا ذاكر هناك موحد
غاية التوحيد وقال الباقي وجه الله تعالى وها هنا الاشارة وقعت الى بقا اهل الجنة بابقا الله تعالى ذاكرين باسم الله تعالى متلذذين
به فقال تعالى تبارك اسم ربك في ذلك اليوم لا يبقى اسم احد الا اسم الله تعالى به يدور الالسن ولا يكون لاحد عند احد حاجة يذكره
ولا من احد خوف فان تذاكروا تذاكروا باسم الله الرابع الاسم مقحم وهو اصل مذكور له البركة نقول فيه وجهان احدهما وهو المشهور
انه مقحم كالوجه في قوله تعالى ويبقى وجه ربك يدل عليه قوله تعالى تبارك الله احسن الخالقين وتبارك الذي بيده الملك وغيره من صور
استعمال لفظ تبارك وثانيهما ان الاسم تبارك وفيه اشارة الى معنى بليغ اما اذا قلنا تبارك بمعنى علا اسمه ثم ان امام السلطان
نفسه بدلا عن كتابه الذي فيه اسمه يستقبلونه ويضعون الجاه على الارض بين يديه فعلم ان علو الاسم يدل على علو زايد في المسمى
وان قلنا بمعنى دام الخير عنده فهو اشارة الى ان ذكر اسم الله يزيل الشر ويهرب الشيطان ويزيد الخير ويقرب بالسعادات واما ان قلنا بمعنى دام اسم الله
فهو اشارة الى دوام الذاكرين في الجنة على ما قلنا من قبل **الخامسة** القراة المشهورة ها هنا ذي الجلال والاكرام والمشهورة في قوله تعالى
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام لان الجلال للرب والاسم غير المسمى واما وجه الرب فهو الرب فوصف هناك بالوصف ووصف ها هنا
الرب بقوله الوجه ولو قال يبقى الرب لتوهم ان الرب اذا بقي ربا فله في ذلك مربوب فاذا قال وجه لا نسبة الى المربوب
حصل قطع الحق بالبقا فوصف الوجه بغيره هذه الفايدة والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب





**قوله تعالى اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الاخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكاس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كامثال اللولو المكنون جزاء بما كانوا يعملون**

القيامة

ونذكر تفسيرها في مسايل **المسألة الاولى** في تفسيرها جملة
وجوه الاول ان المراد اذا وقعت الواقعة او الزلزلة الواقعة معترف بها كل احد ولا يمكن احد من انكارها وبطل عناد
المعاندين فخفض الكافرين في دركات النار وترفع المومنين في درجات الجنة **الثاني** اذا وقعت الواقعة تزلزل
الناس فخفض المرتفع ويرتفع المنخفض وعلى هذا هي كقوله تعالى فجعلنا عاليها سافلها في الاشارة الى شدة الواقعة
وابلغ لان العذاب الذي وقع جعل العالي سافلا بالهدم وصارت البروج العالية مع الارض مساوية والواقعة التي
يقع بها الخفض يجعل من الارض اجزا عالية ومن السماء اجزا سافلة ويدل عليه قوله تعالى اذا رجت الارض رجا
وقوله تعالى وبست الجبال بسا فانه اشارة الى ان الارض تتحرك بحركة مزعجة والجبال تتفتت فتصير الارض المنخفضة
كالجبال الراسية والجبال الشامخة كالارض العالية كما تفعل هبوب الرياح والمواضع الرملة **الوجه الثالث** اذا وقعت
الواقعة تظهر وقوعها لكل احد وكيفية وقوعها فلا يجد لها كاذبا ولا مكذبا فقوله خافضة رافعة معطوفة على كاذبة
لبسها فتكون هو كما قال القايل ليس لي في الامر شك ولا خطاء اي لا قدرة لاحد على دفع خفض ولا رفع **المسألة الثانية**
اذا وقعت الواقعة يحتمل ان يكون الواقعة لصفة لمحذوف معلوم فالقيمة او الزلزلة على ما بينا ويحتمل ان يكون لمحذوف
شيا غير معين ويكون ما التانيث مشيرة الى شدة الامر الواقع وهوله كما يقال كانت الكاينة والمراد كان الامر كاين كان
بعيد الاحد وحاز ولو كان لشر لشبه اذا قال كانت الكاينة علم ان في الكاين وصفا زايدا على نفس كونه شيا
ولسن هذا بيان في الها للمبالغة في قوله فلان راويه ونسابه وهو انهم اذا ارادوا ان ياتوا بالمبالغة في كونه
زايدا كان لهم ان ياتوا بوصف بعد الخبر فيقولون فلان راو جيدا وحبرا وفاضل فعدلوا عن التطويل الى الايجاز مع زيادة
فايدة فقالوا ما في بحرف عن كلمة كما انتسا في التانيث حيث قلنا طالمة يدل قول القايل ظالم ابلغ ولهذا لم يسمعوا الا في
عند ما لا يمكن شانها فالها في قولهم شاهانج وكما انتسابه في الجمع حيث قلنا قالوا بدلا عن قول القايل قال وقال بدلا عن
قوله قال وقال وكذلك في المبالغة ارادوا ان ياتوا بحرف يغني عن كلمة والحرف الدال على الزيادة ينبغي ان يكون في الاخير لان الزيادة
بعد اصل الشي وعليه فوضعوا الها عند عدم كونها للتانيث والتوحيد في اللفظ المفرد لا الجمع للمبالغة اذا ثبت هذا فقوله
في كانت الكاينة ووقعت الواقعة حصل بها معنى ولم يحصل لفظا اما معنى فلانهم قصدوا بقولهم كانت الكاينة ان الكاين
زايد على اصل ما يكون واما لفظا فلان الهاء لو كانت للمبالغة لما جاز اثبات الضمير اي اثبات ضمير المونث في الفعل بل كان ينبغي
ان تقولوا كان الكاينة ووقع الواقعة لا يمكن لانا نقول المراد به اذا اردت المبالغة **المسألة الثالثة** العامل في اذا ما
نقول فيه ثلثة اوجه **احدها** فعل مقدم تقديره اذكر اذا مفعول به لا ظرف وهو اذكر كانه قال اذكر القيمة **ثانيها**
العامل فيها ليس لوقعتها كاذبة كما تقول يوم الجمعة ليس في شغل **ثالثها** يوم ويوم ودل عليه خافضة رافعة وقيل العامل
فيها قوله تعالى فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة اي في يوم وقوع الواقعة **المسألة الرابعة** ليس لوقعتها اشارة الى انها
تقع وقعة واحدة كالوقعة للامر الواحدة وقوله كاذبة يحتمل وجوها احدها كاذبة صفة لمحذوف اقيمت مقامه تقديره
ليس لها نفس كاذبة بان الهاء للمبالغة كما تقول في الواقعة وقد تقدم بيانه بانها هي مصدر كالعاقبة فان قلنا بالوجه الاول
فاللام يحتمل وجهين احدهما للتعليل اي لا تكذيب نفس في ذلك اليوم لشدة وقعتها كما يقال لا كانت عند الملك لسطوة الامور
فيكون نفيا معنى ان كل واحد يصدق فيما يقول وقال ومثله يقول كاذب في امور كثيرة ولا كاذب لقيام لشدة وقعتها
وطهورها الامور كما يقال لا يحتمل الامر الانكار لظهوره لكل احد فيكون نفيا خاصا بمعنى لا يكذب احد فيقول لا اقامة وقيل
نفوس قايلة به كاذبة فيه بانها ان تكون للتعذيب وذلك كما يقال ليس لزيد ضارب وحينئذ تقديره اذا وقعت
الواقعة وليس لوقعتها امرا توجد لها كاذبا ان اخبر عنه اي خافضة رافعة تخفض قوما وترفع قوما وعلى هذا لا يكون لها
عامل واذا وهو يعني ليس لها كاذب يقول هي امر سهل يطلق لمن تقوم على امر عظيم طانا انه مطيقه فيقال نفسك اي سهلت
الامر عليك وليس بسهل وان قلنا بالقول الثاني وهو للمبالغة ففيه وجهان احدهما ليس لها كاذب عظيم بمعنى اذ من يكذب
يعدم على الكذب العظيم لا يمكنه لهول اليوم فانهما هوان احد لا يكذب وقال في ذلك اليوم لا قيامة ولا وقعة فكان كاذبا
عظيما ولا كاذب لهذه العظمة في ذلك اليوم والاول اولى وعلى هيبة اليوم وعلى القول الثالث نعود ما ذكرنا انه لا كاذب في
ذلك اليوم بل كل احد يصدق ويحتمل وجها اخر وهو ان يقال لا مكذب لها اذ ليس لها من نفسها كذب فيرجع ويزيد كما يقال الرب
العم او حال عن النطق **المسألة الخامسة** خافضة رافعة تقديره هي خافضة رافعة وقد ثبت ذلك في التفسير الجملي وهو
فيه وجوه اخر احدها خافضة رافعة صفتان للنفس الكاذبة اي ليس لوقعتها من يكذب وكلام من يغير الكلام او يعني
يخفض امرا فيه او يرفع اخرى خافضة رافعة او هو زيادة بيان حلق الخلق في ذلك اليوم وعدم امكان تكذيبهم الكاذب

بغير الكلام ثم اذا اراد نفي الكذب عن نفسه يقول ما عرفت ما كان كلمة واحدة وربما يقول في عرفت خبرا واحدا وهذا لان الكذب
في حقيقته ربما يكذب في صفة من صفاته والصفة قد يكون ملتفتا اليها وقد لا يكون ملتفتا اليها لقلة معنى وقد لا يكون
ملتفتا اليها اصلا مثال الاول قول القايل ما جاء زيد ويكون قد جاء مثال الثاني ما جاء يوم الجمعة مثال الثالث ما جاء بكرة
يوم الجمعة ويكون قد جاء بكرة يوم الجمعة وما جاء اول بكرة يوم الجمعة والثاني دون ذلك والرابع دون الكل فاذا قال القايل
ما عرفت كلمة كافيه فنفى عنه الكذب في الاخبار وفي صفته الذي يقول ما عرفت خبرا ما اراد به يدعي امرا وراه والذي
يقول ما عرفت اعرابه واحده يكون فوق ذلك فقوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اي تخفض قوما وترفع اخرين او لو
كان يسيرا ثم قال تعالى اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا اي كانت الارض مرتفعا والجبال مهيلة
منبسطا وقوله تعالى كانت هباء منبثا كقوله تعالى في وصف الجبال كالعهن المنفوش وقد تقدم فائدة بيان ذكر
المصدر وهي انه يفيد ان الفعل كان قويا معتبرا ولم يكن شيئا لا يلتفت اليه ويقال فيه انه ليس بشيء فاذا قال
القايل ضربته ضربا معتبرا الا يقول القايل فيه انه ليس بضرب يحتقر انه كما يقال هذا ليس بشيء والعامل في اذا
رجت يحتمل وجوها احدها يكون اذا رجت بدلا عن اذا وقعت فيكون العامل فيها ما ذكرنا من قبل ما هي ان تكون
العامل في اذا وقعت هو قوله تعالى ليس لوقعتها والعامل في اذا رجت خافضة تقديره تخفض الواقعة وترفع
وقت رج الارض وبس الجبال والفاء للترتيب الزماني لان الارض ما لم تتحرك والجبال ما لم تنبس لا تكون هباء منبثا
والبس التقليب والهباء هو الهواء المحيط باجزاء ارضية تظهرها الشمس اذا وقع شعاعها في كوة وقال الذين يقولون بان
بين الحروف والمعاني مناسبة ان الهوا اذا خالطه اجزاء ثقيلة ارضية تقل من لفظه حروف بدلنا الواو والحقه بالباء
التي لا ينطق بها الا باطباق الشفتين بقوة ما وفي الفعل يقل ما ثم قال تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة اي في ذلك اليوم انتم ازواج
ثلاثة اصناف وفسر ما بعدها بقوله تعالى فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة وفيه مسايل المسئلة الاولى الفاء تدل على
التفسير وبيان ما ورد على التقسيم كانه قال ازواجا ثلاثة اصحاب الميمنة واصحاب المشامة ثم بين حال كل قوم فقال
فاما اصحاب الميمنة نعيم اولا والنبي يدل عليه فان ذكر الاقسام الثلاثة مع احوالها وسبق قوله تعالى وكنتم ازواجا
ثلاثة يغني عن تعديد الاقسام ثم اعاد كل واحدة لبيان حالها المسئلة الثانية اصحاب الميمنة هم اصحاب الجنة وتسميتهم
باصحاب الميمنة اما لكونهم من كتبهم بايمانهم واما لكونهم [illegible] من الله تعالى كما قال تعالى والذين امنوا معه نورهم يسعى
بين ايديهم وبايمانهم واما لكون اليمين به دليلا على الخير والعرب تتفاءل بالسانح الذي يقصد جانب اليمين من
الطير والوحوش عند الزجر والاصل فيه امر حكمي وهو انه تعالى لما خلق الخلق كان له في كل شيء دليل على قدرته
واختياره حتى ان في نفس الانسان له دلايل لا تعد ولا تحصى ومن دلايل الاختيار اثبات مختلفين في محلين متشابهين
او اثبات متساويين في محلين مختلفين والانسان من اشد الاشياء متشابهة فانه مخلوق من متشابه ثم ان الله تعالى
اودع الجانب الايمن قوة ليست في جانب الايسر لو اجتمع اهل العالم على ان يذكروا له مرجحا غير قدرة الله تعالى
وارادته لا يقدرون عليه فان كان بعضهم يدعي كما انه وذكي يقول ان الكبد في الجانب الايمن وبها قوة التغذية والطحال
من جانب الايسر ليس فيه قوة ظاهرة النفع فصار جانب الايمن قويا لمكان الكبد على اليمين فنقول هذا دليل الاختيار
لان اليمين كالشمال وتخصيصه تعالى اليمين يجعله مكان الكبد دليل الاختيار اذا ثبت ان الانسان يمينه اقوى من شماله
فضلوا اليمين على الشمال وجعلوا من الاكابر وصل لمن له مكانة هو من اصحاب اليمين ووضع له لفظ وزن العزيز ينبغي ان
يكون الامر على ذلك الوجه كالسميع والبصير ومالا ينفر بالطويل والقصير وقيل اليمين وهو يدل على القوة ووضع في
مقابلته اليسار على الوزن الذي اختص بالاسم المذموم نوعي لهذا الوزن ما ليس على السكر [illegible] يا فجار ويا فساق
ويا حات وقيل اليمين اليسار ثم بعد ذلك استعمل اليمين واما الميمنة فهي مفعلة كانه الموضع الذي فيه اليمين وكل
يمين الانسان يقع في جانب من المكان فذلك موضع اليمين فهو ميمنة كقولنا ملحمة المسئلة الثالثة جعل الله
الخلق ثلاثة اقسام دليل على الرحمة وذلك لان جوانب الانسان اربعة يمينه وشماله وخلفه وقدامه واليمين
في مقابلة الشمال والخلف في مقابلة القدام ثم ان الله تعالى اشار باصحاب اليمين الى الناجين الذين اعطوا كتبهم
بايمانهم وهم من اصحاب الجانب الاشرف المكرمون واصحاب الشمال الذين جاءهم خلاف اصحاب اليمين وهم الذين اعطي
كتبهم بشمالهم وهم مهانون وذكر السابقين الذين لا حساب عليهم ويسبقون الخلق من غير حساب [illegible]
والذين يكونون من المنزلة الاعلى من الجانب الايمن وهم يكونون مقربون بين يدي الله تعالى يكلمونه حتى الفجر
ويشفعون ويقضون اشغال الناس وهؤلاء اعلى منزلة من اصحاب اليمين ثم انه لم يذكر في مقابلتهم من يكونون
متخلفين مؤخرين عن اصحاب الشمال لا يلتفت اليهم لشدة الغضب عليهم فكانت القسمة في العبادة رباعية
وصارت بسبب الغضب ثلاثية وهو كقوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولم يقل
ومنهم متخلف عن الكل المسئلة الرابعة ما الحكمة في الابتداء باصحاب اليمين والانتقال الى اصحاب الشمال ثم الى
السابقين مع انه في السابقين حال السابقين ثم حال اصحاب الشمال على الترتيب والجواب ان نقول ذكر الواقعة
وما يكون عند وقوعها من الامور الهايلة انما يكون لمن لا يكون عنده من محبة الله تعالى ما يلفه ما نفاس العصمة

واما الذين



واما الذين شرهم مشغول بسرهم فلا يحركون بالعذاب فلما ذكر الله تعالى اذا وقعت الواقعة فكان من التخويف ما لا يخفى وكان
التخويف بالذين يرغبون ويرهبون بالثواب والعقاب اولى به فذكر ما يقطع العذر ولا ينفع الخبر واما السابقون فهم غير محتاجين
الى ترغيب وترهيب فقدم الله اصحاب اليمين الذين هم يسمعون ويرعون ثم ذكر اصحاب الشمال ثم ذكر السابقين ليجتهد اصحاب اليمين
لتقرب من درجتهم وان كان لا ينالها فان السابق بيان ما ساله بحث واليه الاشارة بقوله جذبة من جذبات الرحمن خير من
عبادة سبعين سنة المسئلة الخامسة ما معنى قوله ما اصحاب الميمنة نقول هو ضرب من البلاغة وتقديره ان شرع المتكلم بيان في امر
ثم سكت عن الكلام ويشير الى ان السامع لا يقدر على سماعه كما يقول القايل لغيره اخبرك بما جرى علي ثم يقول هو مما
لنفسه لا اخاف ان يحزنك وكذا يقول القايل من يعرف فلانا فيكون ابلغ من ان يصفه لان السامع اذا سمع وصفه
يقول بذلك نهاية ما هو عليه فاذا قال من يعرف فلانا لفرض السامع مع نفسه شيئا ثم يقول فلان عند هذا المخبر اعظم مما وضعه
والا لسنه مما علمت منه السادسة ما اعرابه ومنه يعرف معناه نقول فاصحاب الميمنة مبتدا اراد المتكلم ان يذكر خبره فرجع
عن ذكره وتركه وقوله ما اصحاب اليمين جملة استفهامية على معنى التعجيز كما يقول المدعي للعلم ما معنى كذا مستفهما ممتحنا انه لا يعرف
الجواب حتى انك تحب وتشتهي ان لا يبحث عن سوالك ولو اجاب لكرهته لان كلامك مفهوما انك تقول لا تعرف الجواب فان اجاب
لذلك اذا عرفت هذا فكان المتكلم في اول الامر مخبرا ثم لم يخبر شيا الا انه الاخبار تطويل ثم لم يسكت وقال ما ذلك ممتحنا زعما انك
لا تعرف كنهه وذلك لان من شرع في كلام ويذكر المبتدا ثم يسكت ثم الخبر قد يكون ذلك السكوت لحصول علمه بان المخاطب قد علم
الخبر كان قايلا اذا اراد ان يخبر غيره بان زيدا وصل ثم قال ان زيدا ثم قبل قوله جا وقع نظره على زيد ورآه جالسا عنده
فسكت ولا يقول جا لخروج الكلام عن الفايدة وقد سكت عن ذكر الخبر وهو من اول الامر عالم بالحال لعلمه بان المبتدا وحده
يكفي لمن قال من جا فقال المجيب زيد فانه ان قال زيد جا يكون جوابا وكثيرا ما يقول القايل العصيان من زيد ويسكت ثم
يقول ماذا اقول عنه ثم قال في نفسه ان السكوت قد يوهم انه لظهور حال الخبر لما سكت على زيد وجواب من جا فقال
من اصحاب الميمنة ممتحنا زاعما انه لا يعلم لكون ذلك موذنا ان سكوته على المبتدا لم يكن لظهور الامر بل لخفائه وعزابه
هذا جواب بليغ وفيه وجه ظاهر وهو ان يقال معناه انه جملة واحدة استفهامية كانه قال ما اصحاب الميمنة ما هم
على سبيل الاستفهام غير انه اقام المظهر مقام المضمر وقال اصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة والاتيان بالمظهر اشارة الى
تعظيم امرهم حين ذكرهم ظاهرا مرتين ويبدل القول في قوله واصحاب المشئمة ما اصحاب المشامة وكذلك القول في قوله
تعالى الحاقة ما الحاقة وفي قوله تعالى القارعة ما القارعة المسئلة السابعة ما الحكمة في اختيار لفظ المشامة في مقابلة
الميمنة مع انه قال في بيان احوالهم واصحاب الشمال نقول اليمين وضع الجانب المعروف ولا تقابله واستعملوا منه الفاظا
في مواضع وقالوا هذا ميمون وقالوا لمحال منه ووضعوا الجانب المقابل له الشمال اشارة الى ضعفه فصار اللفظ
الاول في مقابلة اليمين لفظ ما يدور وصار في مقابلة الايمن الايسر وفي مقابلة الميمنة
[illegible]

ولا يستعمل بالنار هو ان السابقون ثانيا والسابقون والوجه الاوسط هو الاعدل الاصح وعلى الوجه الاوسط قولا اخر وهو ان المراد
ان السابقون الى الخيرات في الدنيا السابقون الى الجنة في العقبى المسألة الثانية اولئك المقربون يقتضي الحصر فينبغي ان لا يكون غيرهم
مقربا وقال في حق الملايكة انهم مقربون نقول اولئك المقربون من الازواج الثلاثة فان قيل فاصحاب الميمنة ليسوا من المقربين
نقول للمقرب درجات والسابقون في غاية القرب ولا حد هناك ويحتمل وجها اخر وهو ان يقال المراد السابقون المقربون
من الجنات حال كونهم اصحاب اليمين متوجهين الى طريق الجنة لان عند ما يحاسب المؤمن حسابا يسيرا ويؤتى كتابه بيمينه
يكون السابق قد قرب بالمنزل وقربه الله تعالى اليه في الجنة واصحاب اليمين بعد متوجهون الى ما وصل اليه ثم ان السير والارتفاع
لا ينقطع قال في السير في الله لا انقطاع له ولا ارتقا لا نهاية له وكلما تقرب اصحاب اليمين من درجة السابق السابق الى موضع
اعلى منه فاولئك المقربون في جنات النعيم في اعلى عليين حال وصول اصحاب اليمين الى الحور العين المسألة الثالثة بعد
بيان اقسام الازواج لم يعد الى بيان حالهم على ترتيب ذكرهم بل بين حال السابقين مع انه اخرهم واخر ذكر اصحاب الشمال
مع انه قدمهم اولا في الذكر على السابقين نقول قد بينا ان عند ذكر الواقعة قدم من سمعه ذكر الاهوال واخر من لا
يختلف حاله بالخوف والرجا واما عند البيان فذكر السابق لفضيلته وحصلة حاله ثم قال في جنات النعيم وفيه مسايل
المسألة الاولى عرف النعيم باللام ههنا وقال في اخر السورة فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم والمذكور في اخر
السورة هو واحد من السابقين فله جنة نعيم اي جنة من هذه الجنات وهذه معرفة بالاضافة الى المعرفة وتلك غير معرفة
فالفرق بينهما نقول الفرق لفظي ومعنوي اما اللفظي فهو ان السابقين معلومون باللام المستغرقة لجنسهم فجعل موضع المؤمنين
معرفا واما هناك فغير معرف لان قوله تعالى ان كان من المقربين اي ان كان فردا منهم لجعل موضعه غير معرف مع جواز ان يكون
الشخص معرفا وموضعه غير معرف كما قال تعالى ان المتقين في جنات وعيون وقال تعالى ان المتقين في جنة ونهر وبالعكس ايضا
واما المعنوي فنقول عند ذكر الجمع جمع الجنات وفي ساير المواضع وقال تعالى ان المتقين في جنات وقال تعالى اولئك المقربون في جنات
النعيم لكن السابقون نوع من المتقين وفي المتقين غير السابقين ايضا ثم ان السابقين لهم منازل ايضا ليس فوقها منازل
فهي صارت معرفة لكونها في نهاية العلو اولانه لا حد فوقها واما باقي المتقين فلكل واحد مرتبة وفوقها مرتبة فهم في جنات
مناسبة في المنزلة لا يجمعها صقع لاختلاف منازلهم واما جنات السابقين على حد واحدة في اعلى عليين نعرفها واما الواحد
منهم فان منزلة بين المنازل ولا نعرف كل احد انه لفلان السابق فلم نعرفها واما منازلهم فنعرفها كل احد ونعلم انها للسابقين
ولم نعرف الذي للمتقين على وجه لهذا المسألة الثانية اضافة الجنة الى النعيم من اي الانواع نقول اضافة المكان الى ما
يقع المكان فيه يقال دار الضيافة ودار الدعوة ودار العدل فكذلك جنة النعيم وفايدتها ان الجنة في الدنيا قد يكون للنعيم وقد
يكون للاستغلال باثمارها فقال جنات الاخرة للنعيم لا غير المسألة في جنات النعيم يحتمل ان يكون خبرا بعد خبر
ويحتمل ان يكون خبرا واحدا اما الاول فتقديره اولئك المقربون كاينون في جنات كقوله تعالى ذو العرش المجيد فعال لما يريد
واما الثاني فتقديره هم المقربون في الجنة من الله تعالى كما يقال هو المختار عند الملك في هذه البلدة وعلى الوجه الاول فايدته
بيان نعيم جسمهم وكرامة نفسهم فهم مقربون عند الله تعالى فهم في غاية اللذة وفي جنات بجسمهم في غاية النعيم بخلاف
المقربين عند الملوك فانهم يكدون بالقرب لكن لا يكون لجسمهم راحة بل يكونون في تعب من الوقوف وقضاء الاشغال ولهذا
قال تعالى في جنات النعيم ولم يقتصر على جنات وعلى الوجه الثاني فايدته التنبيه على الملايكة فان المقربين في يومنا هذا في
السموات هم الملايكة والسابقون مقربون في الجنة فيكون المقربون في غيرها هم الملايكة وفيه لطيفة وهي ان قرب الملايكة
قرب الخواص عند الملوك الذين هم للاشتغال فهم في اسوء نعيم وان كانوا في لذة عظيمة فلا يزالون مشفقين قايمين بباب الله
يرد عليهم الامر وارتفع عنهم التكليف والسابقون لهم قرب عند الله تعالى كما يكون لجلسا الملوك منه لا يكون بيدهم شغل
ولا يرد عليهم امر فيلتذون بالقرب ويتنعمون بالواحد ثم قال تعالى ثلة من الاولين وقليل من الاخرين وفيه مسايل
المسألة الاولى قوله تعالى السابقون السابقون جملة وانما كان الخبر غير مبتدا لظهور حالهم او لخفاء امرهم على غيرهم
فكيف جاء غيره بعده نقول ذلك المقصود قد افاد ذكره واخر مقصود اخر كان واحدا نقول زيد كما لا يخفى عليك حاله
اشارة الى كونه من المشهورين ثم شرع في حال يخفى عن السامع مع انه قال لا يخفى كان ذلك كان لبيان كونه ليس من الغربا
كذلك ههنا قال السابقون لبيان عظمهم ثم ذكر حال عددهم المسألة الثانية الاولين منهم نقول المشهور انهم من كان
قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال ثلة اي جماعة لان من قبل نبينا من الرسل والانبياء صلوات الله عليهم اجمعين
من كان نبيا واصحابهم اذا جمعوا يكونون اكثر بكثير من السابقين من امة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا قيل ان الصحابة
لما نزلت هذه الاية صعب عليهم قلتهم فنزل بعدها ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وهذا في غاية الضعف من وجوه
احدها ان عدد امة محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان في ذلك الزمان بل الى اخر الزمان بالنسبة الى من مضى في غاية
القلة فاذا كان عليهم من انعام الله تعالى على خلق كثير من الاولين وما هذا الا حزن غير جايز ثانيها ان هذا كالنسخ في
الاخبار وانه في غاية البعد ثالثها ما ورد بعدها لا يرفع هذا لان الثلة من الاولين ههنا في السابقين من الاولين
هذا ظاهر لان امة محمد صلى الله عليه وسلم زاد رحمهم الله تعالى عفى عنهم امورا لم يعف عن غيرهم وجعل للنبي صلى الله
عليه وسلم الشفاعة فكثر عدد الناجين وهم اصحاب اليمين واما من لم يا[illegible] لم يرتكبوا الكبيرة في امة محمد صلى الله عليه وسلم

فهم

فهم في غاية القلة وهم السابقون دايما فهؤلاء كان ينبغي ان يفرحوا بهذه الاية لانه تعالى لما قال ثلة من الاولين دخل
فيهم الالف من الرسل والانبيا صلوات الله تعالى عليهم اجمعين ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم فاذا جعل قليل من امته مع الرسل
والانبياء والاولياء الذين كانوا في درجة واحدة يكون ذلك انعاما في حقهم ولعله اشارة الى ما قاله صلى الله عليه وسلم
علماء امتي كانبياء بني اسرايل الوجه الثاني المراد منه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار فان اكثرهم لهم
الدرجة العليا كما قال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة وقليل من الاخرين الحقوا بهم
على هذا فقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة يكون خطابا مع الموجودين وقت التنزيل ولا يكون فيه بيان الاولين الذين كانوا
قبل نبينا صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر فان الخطاب لا يتعلق الا بالموجودين من حيث اللفظ ويدخل فيه غيره بالدليل
الوجه الثالث ثلة من الاولين الذين امنوا وعملوا الصالحات بانفسهم وقليل من الاخرين الذين قال الله فيهم
واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم فالمؤمنون وذرياتهم ان كانوا من اصحاب اليمين فهم بالكثرة سوا
لان كل صبي مات احد ابويه مؤمن فهو من اصحاب اليمين واما ان كان من المؤمنين السابقين فعلى ما يرى له درجة
السابقين وكثيرا ما يكون ولد المؤمن احسن حالا من الاب لتقصير في ما سه ومعصيته ولم يوجد في الابن الصغير
ثم قال تعالى على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين والموضونة هي المنسوجة القوية اللحمة والسدى ومنه يقال
للدرع المنسوجة الموضون والوضين هو الحبل العريض الذي منه يكون الحزم لقوة سداه ولحمته والسرر التي تكون للملوك
يكون لها قوايم من شي صلب ويكون مجلسهم عليها معمولة من [illegible] وغيره ذلك لانه الين من الخشب وما في [illegible] وهذه السرر يكون قوايمها
من الجواهر النفيسة وارضها من الذهب الممدود وقوله تعالى متكئين عليها للتاكيد والمعنى انهم كاينون على سرر متكئين متقابلين ثم
بغاية التاكيد وهو ان لا نظن انهم كاينون على سرر متكئين على غيرها كما يكون حال من يكون على كرسي صغير لا يسع الاتكاء فيوضع
تحته شي اخر للاتكاء عليه فلما قال على سرر متكئين عليها دل هذا على ان استقرارهم واتكاءهم جميعا على سرر وقوله تعالى متقابلين
فيه وجوه احدها ان احدا لا يستدبر عن احد والثاني ان احدا من السابقين لا يرى غيره فوقه وهذا اقرب لان قوله متقابلين
على الوجه الاول يحتاج الى ان يقال متقابلين معناه ان كل احد مقابل لاحد واما ان احدا لا يقابل كل من هو سابق في زمان واحد
لا يمكن الا فيما يكون فيه اختلاف جهات وعلى هذا يكون معنى الكلام انهم ازواج ليس لهم ادبار وظهور ويكون المراد من السابقين
هم الذين تجلى لهم ازواج نور راسه من جميع جهاته كالنور الذي يقابل كل شي ولا يستدبر احدا والوجه الاول اقرب الى الاوصاف الكاينة
ثم قال تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون والولدان جمع الوليد وهو في الاصل فعيل بمعنى مفعول وهو المولود لكن غلب على
الصغار مع قطع النظر عن كونهم مولودين والدليل عليه انهم قالوا الجارية الصغيرة وليدة ولو نظروا الى الاصل لجردوها
عن الهاء كالقتيل اذا ثبت هذا فنقول في الولدان وجهان احدهما انه على الاصل وهم صغار المؤمنين وهو ضعيف لان
صغار المؤمنين اخبر الله تعالى عنهم الحقتهم باياتهم ومن الناس المؤمنين الصالحين من لا ولد له فلا يجوز له ان يخدم
ولد المؤمن من غيره فيلزم ان يكون لهم اختصاص ببعض الصالحين او لا يكون ان لا يكون له ولد من يطوف عليه من
[illegible]

لم يجز ان يقال لها جمع فلم يقل كووس والا كان ذلك ترجيحا لجانب الظرف على جانب المظروف لان الكاس من حيث انها شراب من جنس
لا يجمع فيترك الجمع ترجيحا لجانب المظروف بخلاف الابريق فان المعتبر فيه الاناء وهو لفظ الاناء يجب على هذا سر بلاغة القران حيث
لم يرد فيها لفظ الكوز وان كان فيها من نوع واحد من الخزف وهذا بحث عزيز في اللغة **المسئلة الثانية** في تاخير الكاس ترتيب حسن
لان عندها اخر الامر وهو الشراب واما في تقديم الاكواب فيحتمل ان يكون الكوز منه يصب الشراب في الابريق ومن الابريق الكاس
**الثالثة** من معين بيان ما في الكاس او ملء الاكواب والاباريق وايضا نقول يحتمل ان يكون الكل من معين والاول اظهر بالوضع
والابريق ليس كذلك فلما قال وكاس وكانه قال ومشروب فكان السامع محتاجا الى معرفة المشروب واما الاباريق فدلالتها على الابريق
ليس بالوضع واما المعنى فلان كون الكل ملآن هو الحق ولان الطواف بالفارغ لا يجوز وكان الظاهر بيان ما في الكل وما بينا لاول
هو ان الله تعالى عند ذكر الاواني ذكر جنسها لا نوعها فيها فقال تعالى ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب كانت قوارير قوارير
من فضة وعند ذكر الكاس بين ما فيها فقال تعالى يطاف عليهم بكاس من معين فيحتمل ان يكون الطواف بالاباريق وان كانت فارغة
للزينة وفي الاخرة للاكرام والنعيم لا غير **المسئلة الرابعة** ما معنى قولنا فقد ذكرنا في سورة والصافات انه فعيل او مفعول
ومضى فيه الخلاف فان قلنا فعيل فهو من معين الماء اذا جرى واذا قلنا مفعول فهو من عاينه الى تحصه بعينه وسببه والاول اصح والثاني
لان المعيوب يوهم بانه معيوب لان قول القايل عانني فلان معناه ضربني بعينه اي اصابني عينه ولان الوصف بالمرئي لا فايدة
فيه واما الرجحان في المشروب فهو ان كان في الماء فهو صفة مدح وان كان في غيره فهو امر عجيب لا يوجد في الدنيا فيكون كقوله تعالى وانهار
من خمر ثم قال تعالى لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفيه مسايل **المسئلة الاولى** لا يصدعون فيه وجهان الاول لا يصيبهم منه صداع
يقال صدع فلان بمعنى اورثني الصداع والثاني لا ينزفون عنها ولا يتفرقون عنها من الصداع والظاهر ان اصل الصداع منه وذلك
لان الالم الذي في الراس يكون في اكثر الامر بخلط وريح اعتصر الدماغ فيولمه فيكون الذي به صداع كانه يتفرق دماغه **المسئلة
الثانية** ان كان المراد نفي الصداع فكيف تحسن عنها مع ان المستعمل في السبب كلمة من فيقال مرض من كذا وفي المفارقة يقال عن فيقال برئ
عن المرض نقول الجواب عنه ان السبب الذي يتبعه امر فالشي كانه ينفصل عنه شي ويلحقه في محل فعله فهناك امران ونظران اذا
نظرت الى المحل ورايت فيه شيئا تقول هذا جاء اي ابتدا وجوده من اي شي فتقع نظرك على السبب فتقول هذا من هنا اي استفاد وجوده
منه واذا نظرت الى جانب السبب ترى الامر الذي صدر عنه كانه فارقه والتصق بالمحل وهذا لا يمكن ان يوجد ذلك مرة اخرى والسبب
وكانه كان فيه وانفصل عنه في اكثر الامر فيها يكون لاجل من الاجسام والامور التي بها قرب وبعد اذا علم هذا فنقول المراد هاهنا
بيان حال الخمر في نفسها وبيان ما عليها فالنظر وقع عليها لا على الشاربين ولو كان المقصود انهم لا يصدعون عنها لوصف
لما كان مدحا لها واما اذا قال هي لا تصدع لامر فيها يكون مدحا لها فلما وقع النظر عليها قال عنها واما اذا كنت تصف
رجلا بكرم الشرب وقوته عليه فتقول في حقه هو لا يصدع من كذا من الخمر واذا وصفت الخمر تقول هذه لا يصدع عنها احد
**المسئلة الثالثة** قوله تعالى ولا ينزفون قد ذكرنا تفسيره في الصافات والذي يحسن ذكره هاهنا ان نقول ان كان ينزفون
لا يسكرون فاما ان نقول معنى يصدعون انهم لا يصيبهم الصداع واما ان نقول لا يتصدعون فان قلنا بالقول فالترتيب
في غاية الحسن لانه على طريقة الارتقاء فان قوله تعالى لا يصدعون معناه لا يصيبهم الصداع لكن هذا لا ينفي السكر فقال
بعده ولا يورث السكر كقول القايل ليس فيه مفسدة كثيرة ثم نقول ولا قليلة ثم شيئا للبيان ولو عكست الترتيب لا يكون
حسنا وان قلنا لا ينزفون فالترتيب ايضا كذلك لان قولنا لا ينزفون اي لا يصدعون ثم قال ومع كثرته ودوام شربه
لا يسكرون فان عدم السكر بنفاد الشراب ومعه ليس بعجب لكن عدم سكرهم مع انهم يستدعون الشراب عجيب واما
ان قلنا انهم لا ينزفون بمعنى لا ينفد شرابهم كما بينا هناك فنقول ايضا ان كان لا يصدعون بمعنى لا يصيبهم
صداع فالترتيب في غاية الحسن وذلك لان قوله تعالى لا يصدعون لا يكون بيان امر عجيب ان كان شرابهم قليلا فقال
لا يصدعون عنها مع انهم لا شراب ولا ينزفون الشراب وان كان بمعنى لا ينزفون عنها فالترتيب حسن لان معناه
لا ينزفون عنها بمعنى لا يخرجون عما هم فيه ولا يوجد منهم ما اعطوا من الشراب ثم اذا اتوها بالشراب يعطون
ثم قال تعالى وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وفيه مسايل **المسئلة الاولى** ما وجه التخير والفاكهة لا يطوف
بها الولدان والعطف يقتضي ذلك نقول الجواب عنه من وجهين احدهما ان الفاكهة واللحم في الدنيا يطلبان
في حالين احدهما حالة الشرب والاخرى حالة عدمه لكن حالة عدمه اما الفاكهة فرؤوس الاشجار توجد كما
قال تعالى قطوفها دانية وقال تعالى وجنى الجنتين دان الى غير ذلك واما حالة الشرب فجاز ان يطوف بهما
الولدان فيناولونهم الفاكهة الغريبة واللحوم العجيبة لا للاكل بل للاكرام كما يضع المكرم للضيف انواع الفاكهة
بيده وعنده وان كان كل واحد منهما مشاركا للآخر في القرب منها الوجه الثاني ان يكون ذلك عطفا على
المعنى في جنات النعيم اي هم المقربون في جنات وفاكهة ولحم وحور اي في هذه النعم متقلبون والمشهور انه عطف
على اللفظ للمجاورة لا على المعنى وكيف لا يجوز هذا وقد جاء متقلدا سيفا ورمحا **المسئلة الثانية** هل في التخصيص
في التخير بالفاكهة والاشتهاء باللحم بلاغة قلت وكيف لا وفي كل حرف من حروف القران بلاغة وفصاحة وان كان
لا يحيط بها ذهن الكليل ولا يصل اليها علم العليل والذي يظهر لي فيه ان اللحم والفاكهة اذا حضر عند الجايع تميل
نفسه الى اللحم واذا حضر عند الشبعان تميل الى الفاكهة والجايع مشتهيه والشبعان غير مشتهيه وانما هو مختار ان

اراد الاكل

اراد الاكل وان لم يرد لم ياكل ولا يقال في الجايع انه اراد الاكل لانه لا يدخل الا على المسكون اذا علم هذا ثبت ان في
الدنيا اللحم عند المشتهي مختار والفاكهة عند غير المشتهي مختارة وحكاية الجنة على ما يفهم في الدنيا فخص اللحم على
الاشتهاء والفاكهة بالاختيار والتحقيق فيه من حيث اللفظ بان الاختيار هو اخذ الخير من امرين والامران اللذان
تقع فيهما الاختيار في الظاهر فلا يكون للمختار اولا ميل الى احدهما ثم يتفكر ويتروى ويختار احدهما لغلبة نظره على الاخر
فالتفكر هو انما يكون عند عدم الحاجة واما ان اشتهى واحد فاكهة بعينها فاستحضرها واكلها فهو ليس يتفكر وانما هو واقع
حاجة فواكه الجنة اولا تعد لاصحاب الجنة من غير سبق ميل منهم اليها ثم يتفكهون بها على حسب اختيارهم واما اللحم
فيميل نفسهم اليه ادنى ميل فيحضر عندهم وميل النفس الى الماكول شهوة ما ويدل على هذا قوله تعالى قطوفها دانية
وقوله تعالى وجنى الجنتين دان وقوله تعالى وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة فهو دليل على انها دايمة الحضور
واما اللحم فالمروي ان الطاير يطير فيميل نفس المومن الى لحمه فينزل عليه مشويا ومقليا على حسب ما يشتهيه فالحاصل
ان الفاكهة تحضر عندهم فيتخير المومن بعد الحضور واللحم يطلبه المومن ولا تميل نفسه اليه ادنى ميل وذلك لان الفاكهة
يحضرها لتلذ الاعين واللحم يحضره لا لتلذ الاعين ثم ان في اللفظ لطيفة وهو انه تعالى قال مما يتخيرون ولم يقل مما
يختارون مع تقرب احدهما الى الاخر في المعنى وهو ان التخير من باب التكلف فكانهم ياخذون ما في نهاية الكمال وما يتعين
وهذا لا يوجد الا ممن لا يكون له حاجة ولا اضطرار **المسئلة الثالثة** ما الحكمة في تقديم الفاكهة على اللحم نقول الجواب
عنه من وجهين احدهما العادة في الدنيا التقديم في الاكل والجنة وضعت بما علم في الدنيا من الاوصاف وعلى ما علم فيها
ولا سيما عادة اهل الشرب وكان المقصود بيان حال الشرب اهل الجنة وما بينا الحكمة في الدنيا تقتضي اكل الفاكهة اولا
لانها الطف واسرع انحدارا واقل حاجة الى المكث الطويل في المعدة للهضم ولان الفاكهة تحرك الشهوة للاكل واللحم يدفعها
وثانيها يخرج ما ذكرنا جوابا على من لفظ التخير والاشتهاء وهو ان الله تعالى لما بين ان الفاكهة دايمة الحضور والوجود واللحم
يشتهى ويحضر يدل هذا على عدم الجوع لان الجايع حاجته الى اللحم اكثر من حاجته الى الفاكهة والشبعان اختياره للفاكهة
اكثر من اختياره اللحم فقال تعالى وفاكهة لان الحالة في الجنة تشبه حال الشبعان في الدنيا فيميل الى الفاكهة اكثر فقدمها
وهذا الوجه اصح لان من الفواكه ما لا يوكل الا بعد الطعام فلا يصح الجواب الاول لان في الاكل ثم قال تعالى وحور عين كامثال
اللولو المكنون وفيها قراات **الاولى** الرفع وهو المشهور وفيه وجهان **احدهما** العطف على الولدان **فان قيل**
قال هنه حور مقصورات في الخيام اشارة الى عدم خروجهن فكيف يصح قولك انه عطف على ولدان يطوفون عليهم نقول
الجواب عنه من وجهين احدهما وهو المشهور هو ان نقول عطف عليهم في اللفظ لا في المعنى او في المعنى على التقدير المفهوم لان
قوله تعالى ويطوف عليهم ولدان معناه لهم ولدان كما قال تعالى ويطوف عليهم غلمان لهم فيكون حور عين بمعنى ولهم حور
عين وثانيهما وهو ان يقال السبب الحور مخدرات في حسن لاهل الجنة حور مقصورات من حطابا ومعظمات ولهن
جوار وخدام وحور عين يطوفون مع الولدان السقاة فيكون كانه قال ويطوف عليهم ولدان ونساء وقرئ بالجر عطفا
على اكواب واباريق فان قيل [illegible] الحور [illegible] يطاف [illegible]
[illegible] في جنات النعيم [illegible] وحور عين [illegible]
[illegible]
[illegible] اللولو المكنون [illegible]
[illegible] **فان قيل** [illegible]
[illegible] اللولو والتشبيه [illegible]
فاذا قلت [illegible] مثل [illegible]
[illegible] مثل اللولو [illegible]
تعالى ليس كمثله شي [illegible]
[illegible] ليس كمثله شي [illegible]
[illegible]
كان ردا عليه [illegible]
[illegible]
شي [illegible]
[illegible] التوحيد [illegible]
شهادة [illegible]
شي [illegible] التوحيد [illegible]
كامثال اللولو [illegible] قوله تعالى ليس كمثله شي [illegible]

نفي الاله نقول فيه فائدة وهو ان لا يكون ذلك نفيا مع الاشارة الى وجه الدليل على النفي وذلك لانه تعالى واجب الوجود
وقد وافقنا من قال بالشريك ولا يخالفنا الا المعطل وذلك اساسه ظاهر فاذا كان هو واجب الوجود فلو كان له مثل لخرج
عن كونه واجب الوجود لانه مع مثله تماثلا في الحقيقة والا لما كان ذلك مثله وقد تعدد فلا بد من انضمام مميز اليه
به يتميز عن مثله فلو كان مركبا فلا يكون واجبا لان كل مركب ممكن فلو كان له مثل لما كان هو هو فيلزم من اثبات الشيء نفيه
لقوله تعالى ليس كمثله شيء اذا حملناه على انه ليس مثل مثله شيء ويكون في مقابلته قول الكافر مثل مثله شيء فيكون مبنيا
لكونه مثل مثله ويكون مثل مثله يخرج عن حقيقة نفسه لانه لا يبقى واجب الوجود فذكر المثلين لفظا لتعدد الرجوع مع
وجه الدليل على بطلان قول المشرك ولو قلنا ليس مثله شيء يكون نفيا من غير اشارة الى دليله والتحقيق فيه انا نقول في
نفي المثل ردا على المشرك لا مثل لله ثم نستدل عليه ونقول لو كان له مثل لكان هو مثلا لذلك المثل فيكون ممكنا محتاجا
فلا يكون الها فلو كان له مثل لكان هو مثلا لذلك المثل فيكون محتاجا فلا يكون الها فلو كان له مثل لما كان الله تعالى
ماله واجب الوجود لان عند فرض مثل له يشاركه شيء ويباينه بشيء فيلزم تركيبه فلو كان له مثل يخرج عن حقيقة كونه
الها فاثبات الشريك يفضي الى نفي الاله فقوله تعالى ليس كمثله شيء بالدليل وليس مثله توحيد من غير دليل وشيء من هذا
رايته في كلام الامام فخر الدين الرازي بعدما فرغت من كتابة هذا ما وافق خاطري خاطره على اني معترف بانني اصبت
منه فوايد لا احصيها وقوله تعالى اللؤلؤ المكنون اشارة الى غاية صفائهن اي اللؤلؤ الذي لم يغير لونه الشمس
والهواء ثم قال تعالى جزاء بما كانوا يعملون وفي نصبه وجهان احدهما مفعول له وهو ظاهر تقديره فعل بهم هذه لتقع
جزاء ويجزون باعمالهم وعلى هذا نقول فيه لطيفة وهي ان نقول المعنى ان هذا كله جزاء عملكم واما الزيادة والاحسان فلا
يدركه احدكم الوجه الثاني انه مصدر لان الدليل دليل على الشكل ما يفعل الله فهو يجزي وكانه قال يجزون جزاء وقوله
تعالى بما قد ذكرنا فايدته في سورة الطور وهي انه تعالى قال في حق المؤمن جزاء بما كانوا وقال في حق الكافرين انما تجزون
ما كنتم تعملون اشارة الى ان العذاب عين جزاء ما فعلوا فلا زيادة عليهم والثواب جزاء بسبب ما كانوا يعملون فلا يعطيهم الله
تعالى عين عملهم بل يعطيهم بسببه والكافر نعطيه عند ما فعل فيكون فيه معنى قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وفيها مسايل اصولية ذكرها الامام فخر الدين الرازي في مواضع كثيرة ونحن نذكر بعضها **فالاولى**
قالت المعتزلة بهذا يدل على ان ايصال الثواب على الله تعالى واجب لان الجزاء لا يجوز الاخلال به وقد اجاب عنه الامام
فخر الدين باجوبة كثيرة واظن انه لم يذكر ما اقول فيه وهو ان ما ذكروه لو صح لما كان في الوعد بهذه الاشيا فايدة وذلك
لان العقل اذا حكم بان ترك الجزاء قبيح وعلم بالعقل ان القبيح من الله تعالى لا يوجد علم ان الله تعالى يعطي هذه الاشيا
لانها اجره وايصال الجزاء واجب واما اذا قلنا بمذهبنا يكون الايات مفيدة مبشرة لان البشارة لا تكون الا بالخير عن امر
غير معلوم لا يقال الجزاء كان واجبا على الله تعالى واما الخبر بهذه الاشيا فلا نذكرها مبشرا لانا نقول اذا وجب نفس الجزاء اما له
اي اعطانا الله تعالى في تلك جزاء ثواب الاخرة لا يكون الا تفضلا منه غاية ما في الباب انه تعالى كمل النعم فقوله تعالى
هذا جزاؤكم اي جعلته لكم جزاء ولم يكن معينا ولا واجبا كما ان الكريم اذا عطى من جاء بشيء يسير شيئا كثيرا فيظن انه تودعه
اياها ويامره بحمله الى موضع فيقول له هذا لك فيفرح ثم نقول هذا انعام عظيم يجب على خدمة كثيرة فيقول هذا جزاء ما اتيت
به ولا اطلب منك على خدمة فان استخدمه بعد ما اثاب خدمة فيكون هذا غاية الفضل وعند هذا نقول هذا كله اذا كان
الاول غير النعيم اما فعل العبد راغبا اوجب عليه سيده ولا يستحق عليها اجر ولا سيما اذا اتى بما امرته على نوع احلاله بها
تلك بخلاف مع الله عز وجل مع ان السيد لا يملك من عبده الا ما لنفسه والله تعالى يملك منا انفسنا واجسامنا ثم انك
اذا تفكرت في مذهب اهل السنة تجدهم قد حققوا معنى العبودية غاية التحقيق واعترفوا انهم عبيد لا يملكون شيئا ولا يجب
للعبد على السيد دين والمعتزلة لم يحققوا العبودية وجعلوا بينهم وبين الله تعالى معاملة موجبة مطالبة ويرجوا
ان تحقق الله تعالى معنا المسالة غاية التحقيق فيدفع الاصلية ويطهر اعمالنا كما ان السيد يوقع حاجة عبده باطعامه
وكسوته وتطهير صومه بزكاة فطره واذا اجنى جناية لم يكن الجاني من منعه يختار فداه وتخليص رقبته من الجناية كذلك
يدفع الله تعالى حاجاتنا في الاخرة ويدفع الحاجات اذ يرحمنا ويعفو عنا ويسعدنا بالمغفرة والرضوان وحيث منع غيره
من تلك رقابنا اصلنا عن المظالم باحتيال الفداعنا واجوان لا نفعل مع اخواننا المعتزلة ما نفعله المعاملين في
المحاسبة بالتقتير والتطهير والمطالبة بما نفضل به احدهما من القليل والكثير **الرابعة** قالوا اذا كان في الاخرة لكان جزاء
وقد حمل ابو الجبائي ذكره **والجواب** عنه ان نقول لم قلتم انها ان كانت تكون جزاء لا يكون فضلا منه فرق الجزاء وثبت انها يكون
جزاء ولكن لم قلتم انما ذكره حصل نفسه ليس كذلك لان من قال لغيره اعطيتك كذا جزاء على عملك ايا في قوله واعطيتك شيئا
اخر فوقه ايضا جزاء عليه وثبت انه حصر لكن لم قلتم ان الهدية لا تدل على الرؤية فان من قال في حق الملائكة ولا الملائكة
المقربون ولا يلزم من قربهم الرؤية نقول فما اجبت اذ قربهم مثل قرب من يكون عند الملك بعض الاشغال فيكون عليه التكلف والوقوف
بين يديه او ساله تخرج اوامره عليه كما قال تعالى ويفعلون ما يؤمرون وقرب المؤمن قرب المسيح من الملك وهو الذي لا يكون
الا للمكالمة والمجالسة في الدنيا لكن اكثر المختلف كما يروح الى باب الملك يدخل عليه والمسيح لا يذهب اليه الا ويدخل عليه فنظرا
الفرق والذي يدل عليه ان قوله تعالى اولئك المقربون فيه اشارة الى الرؤية وهو ان الله تعالى في سورة المطففين ذكر الابرار

والفجار



والفجار ثم انه تعالى قال في حق الفجار انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقال في حق الابرار يشرب بها المقربون ولم يذكر في مقابلة الجحيم ما يدل عليه مخالفة
حال الابرار حال الفجار في الحجاب الا المقرب لان قوله تعالى في عليين وان كان دليلا على القرب وعلو المنزلة لكنه في مقابلة قوله في حقهم
في سجين فقوله تعالى في حقهم يشرب بها المقربون مع قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا يدل على ان المراد منه القرب الذي يكون للملك
الملك عند الملك وقوله في حق الملائكة في تلك السورة يشهده المقربون يدل على ان المراد منه القرب الذي يكون للكتاب والحساب عند الملك
كما ان في الدنيا تجد احدهما الاخر فان الكاتب ان قربه من الملك بسبب ما يرصده لعدم على الكفار وبين قربه بسبب البد مه تخا دون قرب
الكاتب والحساب والندم ثم ان من ذلك النوع من القرب وبين القرب الذي بسبب الكتابة لا اختار غيره في سورة المطففين ان قوله تعالى لمحجوبون
يدل على ان المقرب غير محجوب عن النظر الى الله تعالى ويشوق ان لا نسبط الى قولنا جلسا الملك في ظاهر النظر الذي يفضي في نعيم النعيم الجنة
والى القرب الذي نعم العامي منه المكان الا نصر العقلا الاحبار يحكى الا حبار الخامسة قالوا قوله تعالى بما كانوا يعملون يدل على ان المراد
العمل عملهم وحاصل فعلهم نقول لا نزاع في ان العمل في الحقيقة اللغوية وضع اللغة والمجنون الذي لا عقل له والغافل الذي لا يبلغ الكمال
وذلك للبس الا موضع اللفظ لما يرى الحس وكل واحد يرى الحركة من المحسين فيقول تحركه وسكن على سبيل الحقيقة كما نقول الرجال
وصعد الحجر انما الكلام في القدرة التي بها المحل المرسي وذلك خارج عن وضع اللغة والله تعالى اعلم **قوله تعالى**
لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود
وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة انا
انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا لاصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين واصحاب
الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون
على الحنث العظيم وكانوا يقولون ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او اباؤنا الاولون قل ان
الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم وفيه مسايل **المسئلة الاولى** ما الحكمة في تاخير ذكره عن الجزاء
مع انه من النعم العظيمة نقول فيه لطايف الاولى ان هذا اتم النعم فجعلها من باب الزيادة التي منها الرؤية ولا مقابل لها من الاعمال
وانما قلنا انها من اتم النعم لانها نعمة سماع كلام الله تعالى على ما سنبين ان المراد من قوله تعالى سلاما ما هي قالت في يس سلام قولا
من رب رحيم فلم يذكرها فيما جعله جزاء وهذا على قولنا اولئك المقربون ليس فيه دلالة على الرؤية لما بينه ان الله تعالى بدا
باتم النعم وهي نعمة الرؤية وختم بمثلها وهي نعمة المخاطبة الثالثة هو انه تعالى لما ذكر النعمة الفعلية وقابلها باعمالهم حيث قال تعالى
جزاء بما كانوا يعملون ذكر النعم القولية في مقابلة اذكارهم الحسنة ولم يذكر اللذات العقلية التي في مقابلة اعمال قلوبهم من اخلاص
واعتقاد لان علم القلب لم يروه ولم يسمع مما نعطيهم الله يكون نعمة لم يرها عين ولا سمعها اذن واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقوله ولا خطر اشارة الى الزيادة والذي يدل على هذا ان النعمة القولية
في مقابلة قولهم الطيب الذي قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم
توعدون وقوله تعالى نزلا من غفور رحيم **المسئلة الثانية** قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا لنفي المكروه ونفي المكروه لا يعد
من النعم العظيمة كيف وقد ذكرت ان تاخير هذه النعمة لكونها اتم ولو قال ان فلانا في بلده كذا محترم مكرم لا يضرب ولا يشتم والواعظ
مذموم وهو الذي يدخل على قوم يشربون من غير دعاء ولا اذن فكانهم بالنسبة اليهم في عدم الاعتبار كلام غير معتبر من الكلام وهو
اللغو وكذلك الوقوع لا يعد وفي الا اذا كان الواقع كلبا وما نسبه من السباع واما الناس فهو النسبة الى الاثم ومعناه لا يذكر
باطلا ولا ينسب احد الى باطل واما النفي فهو للمتكلم ينقسم الى لاغ وغير لاغ والذي لا يلغو يقصد الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر فما خرانا من بقولهم وهو لا احد عليه شيء فما لا يلغوا احد ولا يصدر ما نسبه اللغو فيقول الصادق لا يقبل
فلان ولا اشك في ان الباطل قبح ما نسبه فقال لا احد **المسئلة الثالثة** قال في سورة النبا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا فهل بينهما
فرق نقول نعم الكذاب اي التكذيب ومعناه هناك انهم لا يسمعون كذبا ولا يسمعون احدا يقول لاخر كذبت وفايدته انهم لا يعرفون كذبا
من معين من الناس ولا من احد منهم غير معين لتعارق ما لهم حال الدنيا فاما نعلم ان بعض الناس باعيانهم كذابون فان لم يعرف ذلك نقطع
بان في الناس كذابا لان احدهم يقول لصاحبه كذبت فان صدق فصاحبه كذاب وان لم يصدق فانه كاذب فيعلم ان في الدنيا كاذبا بعينه او بغير
عينه ولا كذلك في الاخرة فلا كذب فيها وقال ههنا ولا تاثيما ابلغ من التكذيب فان من يقول في حق من لا يعرفه انه زان او شارب دائم وقد
يكون صادقا فالذي ليس من علم اثم فلو نقول لاحد لا صدقت ملا علم لك به فالكلام ههنا ابلغ لان عين السورة على بيان احوال
الاقسام ولان المذكورين ههنا هم السابقون وفي سورة النبا هم المسعود وقد بينا ان السابق فوق المتقي **المسئلة الرابعة**
الا قيلا استثناء متصل او منقطع نقول فيه وجهان الاظهر انه منقطع لان السلام ليس من جنس اللغو تقديره لكن يسمعون
قيلا سلاما الثاني انه متصل ووجهه ان نقول المجاز في كونه في المعنى من جملته انك تقول ما لي ذنب الا اني احبك فهذا تؤذيني
وتسليني بحبه عن الذنب ولا تريد المنقطع لانك لا تريد بهذا القول بيان انك تحبه وانما تريد المبالغة في براءتك عن الذنوب ووجهه
هو ان بينهما غاية الخلاف وبينهما امور متوسطة مثاله الحار والبارد وبينهما الفاتر الذي هو اقرب الى الحار من البارد واقرب
الى البارد من الحار والمتوسط يطلق عليه اسم البارد عند النسبة الى الحار فيقال هذا بارد ويخرج عنه بالنسبة الى البارد فيقال
انه حار اذا اثبت هذا فنقول قول القايل ما لي ذنب الا اني احبك معناه لا يقرب من الذنب الا المحبة فان عندك امورا فوقها اذا اسقطت
الى الذنب تجد بينهما غاية الخلاف ويحصل بينهما فيكون ذلك كقوله اعلى درجات الحب عندي من طاعتك ان احبك وفوقها اي افضل

جانب اقل امر من امورك على جانب حفظ روحي اشارة الى المبالغة كما نقول القائل بهذا ليس بشيء مستحقر بالنسبة الى ما فوقه لا يسمعون
فيها لغوا الا قيلا اي يسمعون فيها كلاما فائقا عظيم الفائدة كامل اللذة ادناها واقربها الى اللغو قول بعضهم لبعض سلام عليك
فلا يسمعون ما يقرب من اللغو الا سلاما فما ظنك بالذي بعد عنه كما تقول الذي عنده الماء البارد الصادق البرودة والملك الذي يرب
الشمس ببرودته وطلبه منه فاجاز لست عندي ما جاز الا هذا اي ليس عندي ما يبعد من البارد الصادق البرودة ويقرب من الحار الا هذا
وفيه المبالغة الفائقة والبلاغة الرائقة وحينئذ يكون اللغو مجازا والاستثناء متصلا فان قيل اذا لم يكن بد من
مجاز وحمل اللغو على ما يقرب منه بالنسبة فليحمل الا على لانهما مشتركان في اثبات خلاف ما تقدم تقول المجانبة في الاسماء او في
زمن المجاز بالحروف لانها تبدل اي تتغير في الدلالة وتتغير في الاحوال ولا يمكن الحروف لان الحرف لا تصير كالابا لانواع الاسم
والاسم يصير مجازا من غير الاقتران بحرف فانك تقول رايت اسدا يرمي يكون مجازا ولا اقتران له بحرف وكذلك اذا قلت لرجل
هذا اسد وزيد اسد كامل الشجاعة ولان غرض المتكلم في قوله ما لي ذنب الا اني احبك لا يحصل بما ذكرت من المجاز ولان الحد
دل على الابد لكن لا يكون له فايدة من المبالغة والبلاغة في قيلا قولان احدهما انه مصدر كالقول فيكون فعله مصدرا لما
كان فعله مصدرا لكن لا نظير له في باب فعل يفعل من الاجوف ثانيهما انه اسم والقول مصدر فهو كالسين والسين بكسر
السين اسم وبفتحها مصدر وهو الاظهر وعلى هذا القول الظاهر انه اسم ماخوذ من فعل هو قال فيل لما نذكره علو وما قيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن القتل والقال يكون معناه نهى عن المشاجرة وحكاية امور جرت بين اقوام لا فايدة
في ذكرها وليس فيها الا مجرد الحكاية من غير وعظ ولا حكمة ولقوله صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت
فسلم وعلى هذا فالقول اسم لقول لم يعلم قائله والقايل اسم لقول والقال اسم ماخوذ من قيل لما نذكره على وما قيل ان
النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قيل وقال الخالي عن الفايدة نقول قال فلان كذا ثم قيل له كذا فقال كذا تكون حاصل
كلامه قيل وقال وعلى هذا فالقيل اسم لقول لم يعلم قائله والقال ماخوذ من من هو قائل وتقابلان نقول هذا باطل بقوله
تعالى وقيله يا رب ان هولاء قوم لا يومنون فان الضمير لرسول صلى الله عليه وسلم اي يعلم الله قيل محمد صلى الله عليه وسلم
يا رب ان هولاء قوم لا يومنون كما قال نوح عليه السلام انك ان تذرهم يضلوا عبادك وعلى هذا فقوله تعالى فاصفح عنهم
وقل سلام ارشاد له دليلا بدعوا على قومه عند نا سد عنهم كما دعا عليهم نوح عليه السلام عنده واذا كان القيل
مضافا الى محمد صلى الله عليه وسلم فلا تكون القيل اسما للمقول ممن لم يعلم قائله فنقول الجواب عنه من وجهين احدهما
ان قولنا اسم ماخوذ من قبل موضع لقول من لم يعلم قائله في الاصل ثم جاز استعماله في قوله من علم نعم الموضع وثانيهما وهو الجواب
المرضي ان نقول الهاء في وقيله ضمير مبهم كما في ربه وكالضمير المجرد عند الكوفيين وهو ضميرات عند البصريين مثالها انها لا تعمى
الابصار والهاء غير عائد الى مذكور غير ان الكوفيين جعلوه لغير معلوم والبصريين جعلوها ضمير القصة والظاهر في هذه
المسالة قول الكوفيين وعلى هذا المعنى عند نهم غاية علم الله تعالى قيل القائل منهم يا رب ان هولاء اشارة الى ان الاختصاص
كذلك القول في كل احد لهم لا يومنون لانهم قائلون هذا قايلون على المودة واهل السما علموا فعند الله علم الساعة
يعلمها ويعلم قول من يقول يا رب ان هولاء قوم لا يومنون من غير تعيين لاشتراك الكل فيه ويويد هذا ان الضمير لو كان
عايدا الى معلوم فاما ان يكون الى مذكور قبله ولا شي فيه مثله يصح عود الضمير اليه واما الى معلوم غير مذكور وهو
محمد صلى الله عليه وسلم لكن الخطاب بقوله تعالى فاصفح كان يقتضي ان يقول وذلك يا رب وان محمدا صلى الله عليه وسلم
هو المخاطب اولا وكلام الله ولقد قال قيله ولئن سالتهم من خلقهم وقيل من قبل ان كان للرحمن ولد فانا اول
العابدين فكان ضمير الخطاب اولا اذا تحقق هذا نقول اذا تفكرت في استعمال لفظ القيل في القران ترى ما ذكرنا
ملحوظا مراعى نقل هنا الا قيلا سلاما سلاما لعدم اختصاص هذا القول بقائل دون قائل فيسمع هذا القول
دايما من الملائكة والناس كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام قال وتعالى سلام قولا من رب رحيم حيث كان
المسلم منفردا وهو الله قال سلام قولا منا وقال تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال تعالى هي اشد
وطئا واقوم قيلا لان الداعي معين وهم الرسل ومن اتبعهم من امة محمد صلى الله عليه وسلم وفعل كل من قام ليلا فان قوله
دهيه مستقيم وقال تعالى وقيله يا رب لان كل احد يقول انهم لا يومنون دايما مع فلا اعترافهم واحبارهم واما غيرهم فلكونهم
باشراكهم واصرارهم ويويد ما ذكرنا انه تعالى قال لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما واستثناء متصل ما يعرف من اللغو
بالنسبة الحقيرة وهو قوله من لا يعرف قائله سلام عليك وقال تعالى الا قيلا وما اقول من نعرفه وهو الله تعالى لا يبعد
عن اللغو غاية البعد بينهما نهاية الخلاف فقال تعالى سلام قولا **المسالة الخامسة** سلاما فيه ثلاثة اوجه احدها
صفة وصفا به قيلا كما توصف الشي بالمصدر حيث يقال رجل عدل وقوم صوم ومعناه الا قيلا سالما عن العيوب
ثانيها هو مصدر وتقديره الا ان تقول سالما وثالثها بدلا من قيل تقديره الا سلاما **المسالة السادسة** في تكرير السلام
فايدة نقول فيه اشارة الى عام النعمة وذلك لان اثر السلام في الدنيا لا تتم الا بالتسليم ورد السلام فيقول احد المتلاقيين
للاخر سلام عليك فيقول عليك فيقول له الاخر وعليك السلام فكذلك في الاخرة يقولون سلاما سلاما وعند ذلك
لانه ما ذكرنا من التحية بها وذلك لانه تعالى لما قال سلام قولا من رب لم يكن ولان يسلم الله على عبده مومن له فاما الله
سبحانه وتعالى فهو منزه من ان احد يسلم اذا كان هناك رد فيقول المومن سلام الله علينا وعلى عباد الله الصالحين

ما الفرق

ما الفرق بين قوله سلاما سلاما بنصبهما وبين قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام قلنا قد ذكرنا هناك ان قوله سلام
عليك اتم وابلغ من قولهم السلام عليك فان ابرهيم عليه الصلوة والسلام اراد ان يفضل عليهم بالذكر ويحييهم باحسن ما حيوا واما
هنا فلا يفضل احد من اهل الجنة على الاخر فلا ينسب احدا الى احد بقصور السلامة اذا كان قول القايل سلام عليك اتم وابلغ
فما بال القراءة المشهورة فيها رب بالنصب ومن قرا سلام ليس مثل الذي قرا بالنصب نقول ذلك من حيث اللفظ والمعنى اما اللفظ فلانه
يستثنى من المسموع وهو مفعول منصوب بالنصب لقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما ومن حيث المعنى هو انا بينا ان الاستثناء
متصل وقولهم سلام الرد على اللغو من قولهم سلاما فقال تعالى الا قيلا سلاما ليكون اقرب الى اللغو من غيره وان كان في نفسه بعيدا عنه
ثم قال تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود لما بين حال السابقين شرع في بيان اصحاب الميمنة في
الازواج الثلاثة وفيه مسايل **المسالة الاولى** ما الحكمة في ذكرهم باصحاب الميمنة عند ذكر الاقسام وبلفظ اصحاب اليمين عند ذكر
الانعام نقول الميمنة مفعلة اما بمعنى موضع اليمين كالمحكمة لموضع الحكم اي الارض التي فيها اليمين واما بمعنى موضع اليمين
كالمنارة موضع النار والمجمرة موضع الجمر فكيف ما كان الميمنة فيها دلالة على الموضع لكن الازواج الثلاثة في اول الامر يتميز بعضهم
عن بعض ويفترقون كما قال تعالى يومئذ يتفرقون فقال تعالى يصدعون فيتفرقون بالمكان فاشار بالاول اليهم بلفظ
يدل على المكان ثم عند الثواب حصل والتمين وقع تفرقهم فاخرجهم لا بامر هو فيه والمكان فقال واصحاب اليمين وفيه وجوه
**احدها** اصحاب اليمين الذي به يأخذون به كتبهم **ثانيها** اصحاب القوة **ثالثها** اصحاب النور وقد تقدم بيانه
**المسالة الثانية** انه نعمة بكون كونهم في سدر والسدر من اشجار البوادي لا ثمر ولا طيب نقول فيه حكمة بالغة عرفت
عنها الاوايل والاواخر واقتصروا في الجواب والتقريب ان الجنة على مكان عند العرب عزيز محمود وهو صواب ولكن
غير فايق عيرانه ليس بفايق والفايق الذايق الذي هو بتفسير كلام كبير لايق هو ان نقول قد بينا مرارا ان البليغ
يذكر طرفي امر ويتضمن ذكرهما الاشارة الى جميع ما بينهما كما يقال فلان ملك الشرق والغرب ويفهم منه ملكه ما بينهما
ويقال فلان ارضى الصغير والكبير يوهم ارضاه لكل احد الى غير ذلك فنقول لا شك ان من يدخل المواضع التي يفرح
فيها بالاشجار زيادة يطالب منها نفس الورق والنظر اليه والاستظلال وتارة يقصد الى ثمارها وتارة يجمع بينهما
لكن الاشجار اوراقها كثيرة يجمعها نوعان اوراق صغار واوراق كبار والسدر في غاية الصغر والطلح وهو شجر الموز
في غاية الكبر فوقعت الاشارة الى الطرفين جامع بجمع الاشجار نظرا الى اوراقها والورق احد مقاصد الشجرة وهذا كما انه
تعالى ذكر النخل والرمان عند القصد الى ذكر الثمار لان بينهما غاية الخلاف كما بيناه في موضعه وقعت الاشارة اليهما
جامعة لجميع الاشجار الى ثمارها وكذلك قلنا في النخل والاعناب فان النخل من اعظم الاشجار المثمرة والكرم من اصغر
الاشجار المثمرة وبينهما الاشجار فوقعت الاشارة اليهما جميعا كسائر الاشجار وهذا جواب فايق وفقنا الله تعالى
له **المسالة الثالثة** ما معنى المخضود نقول فيه وجهان **احدها** ماخوذ الشوك فان شوك السدر يستر
ورقها ولولاه كان منزع القرب ذلك لانها تطل لكثرة اوراقها ودخولها في بعضها بعض **وثانيهما** مخضود اي
منعطف الى اسفل فان روس اغصان السدر في الدنيا تميل الى فوق ما سفله ورقا شجار الثمار فان روسها تتدلى وحينئذ
معناه انه يخالف سدر الدنيا فان لها امرا كبيرا **المسالة الرابعة** ما الطلح نقول الظاهر انه شجر الموز وبه يتم ما ذكرنا
من الفايدة وروي ان عليا رضي الله عنه سمع من يقرا وطلح منضود فقال ما شان الطلح انما هو طلع واستدل بقوله
تعالى طلع نضيد فقالوا في المصاحف كذلك فقال لا تحول القران فنقول هذا دليل على معجزة القران وغزارة علم
علي رضي الله تعالى عنه اما معجزته فلان عليا رضي الله عنه كان من فصحاء العرب ولما سمع هذا حمله على الطلع واستمر
عليه وما كان قرا تعق حروفه لمبادرة ذهنه الى معنى دل نفسه ان هذا الكلام في غاية الحسن انه تعالى ذكر الشجر
الذي المقصود منه الورق للاستظلال به والشجر المقصود منه الثمر للاستقلال به فذكر النوعين اتم ثم انه لما
اطلع على حقيقة اللفظ علم ان الطلح في هذا الموضع اولى وهو افصح من الكلام الذي ظنه في غاية الفصاحة فقال
المصحف لا تحول والذي يويد هذا انه لو كان طلع لكان قوله تعالى بعده وفاكهة كثيرة تكرارا عرف واما على الطلح
فتظهر فايدة قوله تعالى وفاكهة وسنبينها ان شاء الله تعالى **المسالة الخامسة** ما المقصود نقول ما الورق
واما الثمار والظاهر ان المراد الورق لان شجر الموز من اوله الى اعلاه يكون ورقا بعد ورق وهو ينبت ينبع جرم يخطه
ورقا بعد ورق وساقه يغلظ ويرتفع او ساقه يشق بعضها دون بعض كما في القصب وموز الدنيا انا نبت كان بلا
القصب وبين بعضها وهي فرجة وليس عليها ورق وموز الاخرة يكون بعضه متصلا بعضه ببعض وهو اكثر ورق
فان قيل اذا كان الطلح شجر الموز فلا يكون منضودا وانما يكون ورقه غير منضود فكيف وصف الطلح نقول هو من باب حسن الوجه
وصف بسبب اتصافه ما يتصل به فقال زيد حسن الوجه فقد ترك الوجه ويقال زيد حسن والمراد حسن الوجه ولا يترك
الابهام فيصح ان يقال زيد مضروب الغلام ولا يجوز ترك الغلام لانه يوهم الخطا واما حسن الوجه فيجوز ترك الوجه ثم
قال تعالى وظل ممدود وفيه وجوه **الاول** ممدود زمانا اي لا زوال له فهو دايم كما قال تعالى اكلها دايم وظلها اي كذلك
**الثاني** ممدود مكانا اي يقع على شي كبير ويستره بقعة **الثالث** المراد ممدود اي منبسط كالارض مددناها
**فان قيل** فهذا هو الوجه الثاني نقول الظل قد يكون مرتفعا فان اذا كانت تحت الارض يقع ظلها في الجوفية ثم الظل

كما قال تعالى ثم

فتسود وجه الارض واذا كان على احد جنبيها من الافق تنبسط على وجه الارض فيضيء الجو ولا تسخن وجه الارض فتكون في غاية
الطيبة فقوله تعالى وظل ممدود اى عند قيام عمود اعلى الارض كالظل بالليل وعلى هذا فالظل ليس ظل الاشجار بل ظل خلقه الله تعالى
وقوله تعالى وماء مسكوب فيه ايضا وجوه الاول مسكوب من فوق وذلك ان العرب اكثر ما تكون عندهم الابار وما كانوا يسكبون الماء
عندهم بخلاف المواضع التي فيها العيون النابعة من الجبال الحاكمة على الارض فتسكب عليها الثاني جار في غير اخدود لان الماء
المسكوب جاريا في الهوى ولا ثم هناك كذلك الماء في الجنة الثالث كثير وذلك لان الماء عند العرب عزيز لا يسكب بل يحفظ ويشرب
فاذا ذكروا النعم يعدون كثرة الماء ويعبرون عن كثرتها باراقتها وسكبها والاول هو الاصح قال تعالى وفاكهة كثيرة لا مقطوعة
ولا ممنوعة لما ذكر الاشجار التي يطلب منها ورقها ذكر بعدها الاشجار التي تقصد ثمرها وفيه مسايل المسئلة الاولى في تقديم
الاشجار المورقة على غير المورقة نقول هي ظاهرة من وجهين احدهما الانتقال من الشجر على طريقة الارتقا من نعمة الى ذكر نعمة فوقها والفواكه
اتم نعمة المسئلة الثانية ما الحكمة في ذكر الاشجار المورقة بانفسها وذكر اشجار الفواكه بثمارها نقول هي ايضا ظاهرة فان الاوراق
حسنها عند كونها على الشجر واما الثمار في انفسها مطلوبة سوا كانت عليها او مقطوعة ولهذا صارت الفواكه فيها اسماء بها تعرف اشجارها
فقال سدر الشجر وورقه المسئلة الثالثة ما الحكمة في وصف الفاكهة بالكثرة لا بالطيب واللذة نقول لفظ الفاكهة دليل على الطيب
واللذة لانا بينا في سورة الرحمن ان الفاكهة فاعلة كالراضية في قوله عيشة راضية اى ذات فاكهة وان لا تكون الا بالطيب
بالطبيعة واللذة واما الكثرة فمعناه ان الله تعالى حيث ذكر الفاكهة ذكر ما يدل على الكثرة لانها ليست لدفع الحاجة حتى
تكون بقدر الحاجة بل هي للتنعم فوصفها بالكثرة والتنوع المسئلة الرابعة لا مقطوعة اى ليست كفواكه الدنيا تنقطع في اكثر
الاوقات والازمان وفي كثير من المواضع والاماكن ولا ممنوعة اى لا تمنع من الناس لطلب الاعواض والاثمان والممنوع ظاهر
الحس لان الفاكهة في الدنيا تمنع من البعض فهو ممنوعة وفي الآخرة ليست ممنوعة واما القطع فقال في الدنيا انها
انقطعت لكن منقطعة في الدنيا لا مقطوعة نقول قوله تعالى لا مقطوعة في غاية الحسن لان فيه اشارة الى دليل
عدم القطع كما ان في الممنوع دليل على عدم المنع وبيانه هو ان الفاكهة في الدنيا لا تمنع الا لطلب العوض وحاجة صاحبها الى ثمنها
لدفع حاجة به وفي الآخرة مالكها الله تعالى ولا حاجة له فيلزم ان لا يمنع فنقول الذي يقال في الدنيا الفاكهة انقطعت
ولا يقال عند وجودها امتنعت بل يقال صعبت وذلك لان الانسان لا يتكلم الا بما يفهمه الصغير والكبير لكن كل احد اذا
نظر الى الفاكهة زمان وجودها يرى احدا يحوزها ولا يراها نفسها تمتنع فيقول انها ممنوعة واما عند انقطاعها وفقدها
لا يرى احد قطعها ولا عدمها فيظنها منقطعة بنفسها لعدم احساسه بالقاطع ووجود احساسه بالمانع فقال تعالى
لو نظرتم الى الدنيا حق النظر علمتم ان كل زمان فطرا الى كونه ليلا او نهارا ممكن فيه الفاكهة فهي بنفسها لا تنقطع وانما لا يوجد
عند المحقق لقطع الله تعالى اياها وتخصيصها بزمان دون زمان وعند غير المحقق لبرد الزمان ووجود كونه محتاجا الى النمو
والنمو والزهر وكذلك لجري العادة بازمنة فهي تقطعها الزمانية عند غير المحقق فاذا كانت الجنة ظلها ممدود ولا شمس
هناك ولا زمهرير استوت الازمنة والله تعالى لا يقطعها فلا تكون مقطوعة بسبب حقيقي ولا ظاهر فالمقطوع يكفر
الانسان فيه ويبيع انه مقطوع ولا منقطع من غير قطع وفي الجنة لا قاطع فتصير مقطوعة المسئلة الخامسة قدم نفي
كونها مقطوعة لانها اولا لا تمنع فانها لم تكن موجودة لا تكون ممنوعة محفوظة فقال لا تنقطع فيوجد ابدا ثم ان ذلك الموجود
لا يمنع من احد وهو ظاهر غير انا نحب ان لا نترك شيئا مما يخطر بالبال ويكون صحيحا ثم قال تعالى وفرش مرفوعة وقد ذكرنا معنى
الفرش وتنكيرها وجها آخر ان شا الله تعالى واما فوقها ففيه ثلاثة اوجه احدها مرفوعة القدر يقال ثوب رفيع اى عزيز
مرتفع القدر والثمن ويدل عليه قوله تعالى متكئين على فرش بطائنها من استبرق فكيف ظهائرها وثانيها مرفوعة
بعضها فوق بعض ثالثها مرفوعة تحت السرير ثم قال تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا وفي السي
مسايل المسئلة الاولى هي عايدة الى من ففيه ثلاثة اوجه احدها الى حور عين وهو بعيد لبعدهن ووقوعهن في قصة
اخرى ثانيها المراد بالفراش النسا والضمير عايد اليهن لقوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن ويقال للجارية صارت
فراشا وهو اقرب من الاول لكن بعيد ظاهر ووصفهن بالمرفوعة يبنى على خلاف ذلك وثالثها انها عايدة الى معلوم دل
عليه فرش لانه قد علم في الدنيا وفي مواضع من ذكر الآخرة ان في الفرش حظايا بتقديره وفرش مرفوعة حظايا منشا وهو
حينئذ ما ذكرنا في قوله تعالى قاصرات الطرف ومقصورات انه تعالى اقام الصفة مقام الموصوف ولم يذكر نساء الجنة بلفظ
حسي اصلا وانما عرفهن باوصافهن ولباسهن اشارة الى سترهن وتخدرهن وقوله تعالى انا انشاناهن يحتمل ان يكون من
الحور فيكون المراد الانشاء الذي هو الابتداء ويحتمل ان يكون من بنات ادم فيكون الانشاء بمعنى الاحيا اعادة وقوله تعالى
ابكارا يدل على الثاني لان الانشا لو كان بمعنى الابتداء لعلم من ذلك كونهن ابكارا من غير حاجة الى بيان واما اذا كان المراد
بنات ادم فقال ابكارا اى نجعلهن ابكارا وان متن ثيبات فان قيل فما الفائدة في الوجه نقول الجواب من وجهين الاول ان
الوصف بعدها لا يكون بغيرها اذا كانت ازواجهن من القاعدة لان البكر في الدنيا لا تكون عارفة بلذة الازواج فلا ترضى
بان تتزوج من رجل لا تعرفه ويحتاج التزوج باقرانها ومعارفها لكن اهل الجنة اذا لم يكونوا من جنس بني ادم ويكون الواحدة
منهم بكرا لم تزوجها ثم تزوج بغير جنسها منها سورة فقال ابكارا فلا يوجد منهن ما يوجد في ابكار الدنيا
الجواب الثاني المراد ابكارا دوام البكارة تخالف ابكار الدنيا فان البكارة لا تعود الا على بعد وقوله تعالى عربا اترابا يحتمل

وجوها



وجوها احدها مستويات في السن فلا تفضل احداهن على الاخرى بصغر ولا كبر كلهن خلقن في زمان واحد ولا يلحقهن
عجز ولا زمانة ولا تغير لون وعلى هذا ان كن من بنات آدم فاللفظ فيهن حقيقة وان كن من غيرهن فمعناه كريمة سني ملازمة
مسنة وقت حسنه الاخرى بكون سن الاصل وجعل له وكذا في زمان كاللذة فلا ابتسمن العقلاء في زمان فاطلق على حور
الجنة اترابا ثانيها اترابا مما تلاحت في النظر اليهن كالاتراب سنا وجدن في زمان او في ازمنة وظاهر انه في ازمنة لان
المؤمن اذا عمل عملا صالحا خلق له منهن ما شاء الله ثالثها اترابا لاصحاب اليمين فنقول ان كانت اللام متعلقة
باترابا يكون معناه انشاوهن وهذا لا يجوز وان كانت متعلقة بانشاناهن يكون معناه انشاناهن لاصحاب اليمين وانشا
حال كونهن ابكارا واترابا فلا يتعلق الانشاء بالابكار بحيث يكون كونهن ابكارا بانشائه بل الفعل لا يوثر في الحال بل اى
واجبا فنقول صرفه للانشا لا يدل على ان كان يفعل فيكون الانعام عليهن بمجرد انشاهن لاصحاب اليمين فجعلناهن ابكارا
ليكون سببا للمسبب على السبب فيقتضي ذلك كونهن ابكارا واما ان كان اولا من غير مباشرة الازواج ما كانت تقتضي جعلهن
ابكارا فالفاء للترتيب المقتضي على المقتضي نقول كيف هما موهلا ثم قال تعالى ثلة من الاولين وقليل من الآخرين وقد ذكرنا
ما فيه بقي منه لطيفة وهي ان الله تعالى قال في السابقين ثلة من الاولين قبل ذكر السرر والفاكهة والحور وفي اصحاب اليمين
ثلة بعد ذكر النعم نقول السابقون لا يلتفتون الى الحور العين والماكول والمشروب واما نعم الجنة تتشرف بهم واصحاب اليمين
يلتفتون اليها فقدم ذكرها عليهم ثم قال هذا لكم واما السابقون فقدم ذكرهم اولا ثم ذكر مكانهم فقال الجنة هي لكم وادرون عنكم والذي
تتم هذه اللطيفة انه تعالى لم قدم ثلة السابقين الا لكونهم مقربين حسنا ولعل المقربون في جنات ثم قال ثلة ذكر والنعم لكونهم
فوق النعم الا المودة في القربى من الله اى في الدين ووعد المرسلين بالزلفى في قوله تعالى وان له عندنا لزلفى واما في قوله تعالى
في جنات النعيم فلذكرنا انه لتمييز المقربين من المؤمنين عند مقربي الملائكة فانهم مقربون في الجنة وهم مقربون في انهم ليعضا الاول
التي للناس وغيرهم بقدرة الله تعالى وحذ با ذلك من هذا ان المراد من اصحاب اليمين هم الناجون الذين اذنبوا واسرفوا فعفى الله
تعالى عنهم بسبب ادنى حسنة لا الذين علت عليهم حسناتهم وكثرت وسنذكر الدليل عليه في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب
اليمين ثم قال تعالى واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم وفيه مسايل المسئلة الاولى ما الحكمة في ذكر
السموم والحميم وترك ذكر النار نقول فيه الاشارة بالادنى الى الاعلى فقال هواؤهم الذي يهب عليهم سموم وماؤهم الذي
يستغيثون به حميم مع ان الهواء والماء اسنا في الاطفاء بنارهم التي هي عندنا ايضا اخر ولو قال هو نار كنا نظن ان نار لهم
كنار الدنيا وقد علمنا ان حر النار التي راينا هو اخر من السموم وما اخر من الذلالة لا نقال ابرد الاشيا لم اخرها فكيف
حالهم مع حرها المسئلة الثانية ما السموم نقول ريح حارة تهب فيمرض او يقتل واصله من السم كسم الحية
والعقرب وغيرهما ويحتمل ان يكون هذا السم والسم في حرم الابرة كما قال تعالى من باب واحد لان سم الافعى يعد
في المسام فيفسدها وقيل ان السموم مختص بما تهب ليلا وعلى هذا فقوله سموم اشارة الى ظلمته وما يتم فيه المسئلة
الثالثة الحميم هو الماء الحار وهو فعيل بمعنى فاعل من حمم الماء بكسر الميم او بمعنى مفعول من حم الماء اذا سخنه و
ذكرناه مرارا غير ان ههنا لطيفة لغوية وهي ان نقول الماء كثر منه الشرب او اللوح لما كانت كثرة الهبوب تهب شيا
بعد شيء خص السموم من الفعل والماء الحار لا يفهم منه الورود على الجسم شيئا بعد شيء لم يقل فيه حموم المسئلة الرابعة
ما اليحموم نقول فيه وجوه اولها انه اسم من اسماء جهنم ثانيها انه الدخان ثالثها انه الظلمة واصله من الحميم
وهو الفحم وكانه لسواد الفحم سمي باسم مشتق منه وزيادة الحرف فيه لزيادة ذلك المعنى فيه وربما يكون الزيادة
بان فيه جاء بمعنيين بين الزيادة في سواده والزيادة في حرارته وفي الامور الثلاثة اشارة الى كونهم في بوس لان
المهب لها اصابهم الهواء الذي هو السموم وان اسكنوا كما يفعله الذي يدفع عن نفسه السموم بالاسكان
في الكن يكون في ظل من يحموم وان اراد بالرد عن نفسه السموم باستعمال الماء من حميم فلا انفكاك له من عذاب
الجحيم ويحتمل ان يقال فيه ترتيب وهو ان السموم يضربه فيعطش ويلتهب نار السموم في احشائه فيشرب
الماء فيقطع امعاءه ويريد الاستظلال بظل فيكون ذلك محل اليحموم كيف وجه استعمال من في قوله تعالى من يحموم
نقول ان قلنا انه اسم جهنم فهو لابتداء الغاية كما تقول جاءني نسيم من الجنة وان قلنا دخان فهو كما في قولنا
خاتم من فضة وان قلنا انه الظلمة فكذلك فان قيل فيصح تفسيره بجهنم مع انه اسم منصرف منكر فكيف يوضح
لمكان معرف ولو كان اسما لها لكان استعماله بالالف واللام كالجحيم او كان غير منصرف كاسماء جهنم يكون
مسلطه على مواضع كلها يحموم ثم قال تعالى لا بارد ولا كريم قال الزمخشري كرم الظل نفعه الملهوف ودفعه
اذى الحر عنه ولو كان ذلك كذلك لكان البارد والكريم بمعنى واحد والاقوى ان يقال فائدة الظل امران
احدهما دفع الحر والآخر كون الانسان فيه مكرما وذلك لان الانسان في البرد يقصد عين الشمس ليدفا بحرها
اذا كان قليل الثياب فاذا كان من المكرمين يكون ابدا في ان يدفع الحر والبرد عن نفسه في الظل اما الحر
فظاهر واما البرد فيدفعه بالدفء في الموضع لا باشعة لا بد فيه فيكون الظل في الحر مطلوبا للبرد فيكون كونه باردا
وفي البرد يطلب لكونه ذاكرا منه يكون في ظل عز لا يكون فيه فقال لا بارد يطلب لبرده ولا دفي كرامة فقد يعد
يجلس من لزم به من يجلس في ذلك لان الموضع الذي يقع هناك ظل كالمواضع التي تحت الاشجار واما الجدار التي

يتخذ منها مقاعد فيصير ذلك الموضع محفوظا عن القاذورات وباقي المواضع يصير مزبلة ثم اذا وقعت الشمس
في بعض الاوقات عليها تطلب لبساطها وكونها معدة للجلوس فتكون مطلوبة في هذا الوقت لا لكرامتها لا لبردها فقوله
تعالى لا بارد ولا كريم يحتمل هذا ويحتمل ان يقال ان الظل يطلب لامر يرجع الى الحس او لامر يرجع الى العقل فالذي يرجع
الى الحس هو برده والذي يرجع الى العقل ان يكون الاوي اليه كرامة ما ولا برد له ولا كرامة فيه وهذا هو المراد كما يقوله
الواحدي عن الفراء العرب تتبع كل منفي كريم اذا كان النفي الكريم فمعلوم ان هذه الدار ليست بواسعة ولا كريمة وتحقيق
فيه ما ذكرنا ان وصف الكمال اما حسي واما عقلي والحسي تصريح اللفظ واما العقلي فلخفائه عند الحس مشيرا اليه بلفظ
جامع لكل الكرامة والكريم عند العرب من اشهر اوصاف المدح اي نفي وصف الكمال العقلي فيصير قوله تعالى لا بارد و
لا كريم معناه لا مدح فيه ولا احسان ولا اعتقاد ثم قال تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم
وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او اباؤنا الاولون وفي الاية لطايف نذكرها في مسايل
**المسئلة الاولى** ما الحكمة في بيان سبب كونهم في العذاب مع انه تعالى لم يذكر سبب كون اصحاب اليمين في النعيم ولم يقل
انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين نقول قد ذكرنا مرارا ان الله تعالى عند ايصال الثواب لا يذكر اعمال العباد
الصالحة وعند ايصال العذاب يذكر اعمال المسيء لان الثواب فضل والعقاب عدل والفضل سواء ذكر سببه او لم
يذكره لا يتوهم بالمتفضل نقص وظلم واما العدل ان لم يعلم سبب العقاب يظن ان هناك ظلما فقال هم فيها بسببه
فيبين فضله والذي يؤيد هذه اللطيفة ويكملها ان الله تعالى قال في حق السابقين جزاء بما كانوا يعملون ولم يقل في حق
اصحاب اليمين ذلك لانا اشرنا الى ان اصحاب اليمين هم الناجون بالفضل العظيم لا بالعمل وسنبين ذلك في قوله
تعالى فسلام لك ما انكان لذلك فالفضل في حقهم متمحض فقال هذه النعم لكم ولم يقل جزاء لان قوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون
في مثل هذا الموضع وهو موضع العفو عنهم لا يحسن لانه سوى رحلا فمن كثرت حسناته يقال له نعم ما فعلت خذ هذا
جزاك **المسئلة الثانية** جعل السبب كونهم مترفين وليس كل من هو اصحاب الشمال يكون مترفا فان من يكون
كان اذا نقول فيه قوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين في نعت ليس بذم فان المترف هو الذي جعل ذا ترف اي
نعمة فظاهر ذلك لا يوجب ما يكون ذلك سببا بل ما ذكر عنهم بعده هو قوله تعالى وكانوا يصرون لان صدور
الكفران ممن عنده غاية الانعام اقبح القبايح فقال انهم كانوا مترفين ولم يشكروا نعم الله تعالى بل اصروا على الذنب وعلى
هذا فنقول لعتقضي شكر الله تعالى وعادته نعم كل احد فان الخلق والرزق ما يحتاج اليه وسوق مصالحه عليه حاصل لكل
غاية ما في الباب ان حال الناس في الاتراب متقارب فقال في حق البعض بالنسبة الى بعض انه فقير ولو حمل نفسه على القناعة
لكان اغنى الاغنياء وكيف لا هو الانسان الى حالة تجدها مفتقرة الى مسكن يأوي اليه ولباس يدفع الحر والبرد وما يسد جوعه
من الماكول والمشروب وغير هذا من الفضلات التي تحمل عليها شح النفس ثم احد الا فهو يعطل عن تحصيله مسكن
ما شرا اذا اكتفى فان لم يكن فليس هو اعجز من الحشرات لا تعقد مجلدا او مغارة واما الناس فلو اصنع بما يدفع الضرورة
كان يكفيه في عمره لباس واحد كلما تخرق منه موضع يرقعه من اي شي كان نعم امر الماكول والمشروب فاذا نظر الناظر
يجد كل احد في جميع الاحوال غير مغلوب عن شره خير وشره ما عيران طلب الغنا يورث الفقر فيريد الانسان بيتا مزخرفا
وماكولا طيبا وغير ذلك من انواع الدواب والنبات فيفتقر الى ان يحمل المشاق وطلب الغنى يورث فقره وازدياد
الارتفاع يحط قدره وبالجملة فشهوة بطنه وفرجه تكسر ظهره على انا نقول قوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين
ولا شك ان اهل القبور لما فقدوا الايدي الباطشة والاعين الناظرة وبان لهم الحقائق علموا انهم كانوا قبل ذلك
مترفين بالنسبة الى تلك الحالة **المسئلة الثالثة** ما الاصرار على الحنث العظيم نقول الشرك كما قال تعالى ان الشرك لظلم
عظيم وفيه لطيفة وهي انه تعالى اشار في الايات الثلاث الى الاصول الثلاثة فقوله انهم كانوا قبل ذلك مترفين من حيث
الاستغال يدل على عادتهم على انكار الرجل فان المترف في العرف صار علما على الغني ومنكر الرسالة كانوا يقولون ابشرا منا
واحدا نتبعه وقوله تعالى يصرون على الحنث العظيم مبالغات من وجوه **احدها** اشارة الى الشرك ومخالفة التوحيد
وقوله تعالى وكانوا يقولون ائذا متنا اشارة الى انكار الحشر وفي قوله تعالى وكانوا يصرون على الحنث العظيم مبالغات من
وجوه احدها قوله تعالى كانوا يصرون وهو اكد من قول القائل بانهم قبل ذلك اصروا وكانوا لان قولنا فلان كان يحسن
الى الناس تفيد دوام ذلك عادة له ثانيها لفظ الاصرار فان الاصرار مداومة المعصية والعلول لا تقال في الخير ثالثها
الحنث فانه فوق الذنب فان الحنث لا يكاد في اللغة تقع على الصغير والذنب يقع عليهما واما الحنث في اليمين استعملوه
لان نقض العهد عند العقلاء قبيح فان مصالح العالم منوطة بالصدق والا لا يحصل لاحد ثقة فلا يبنى على
كلامه مصالح ولا تجتنب عن مفاسد ثم ان الكذب لما وجد كثيرا من الناس لاغراض فاسدة ارادوا توكيد الامر بضم الشي اليه
يدفع متوهم فضموا اليه الايمان ولا شي فوقها فاذا حنث لم يبق امر يفيد السفه فيلزم منه الفساد فوق الفساد الربا
والشرب غير ان اليمين اذا كان على امر مستقبل ورأى الحالف غيره جوز الشرع في اليمين ولم يجزه في الكبير في العقل يكره ويوبخ
وقلة وقوع العقل والذي يدل على ان الحنث هو الكبيرة قولهم للبالغ بلغ الحنث اي بلغ مبلغا يحنث ويرتكب الكبيرة وقبله ما كان
يبعد عنه الصغيرة لان الولي مأمورا بالمعاقبة على اساءة الادب وترك الصلوة رابعها قوله تعالى العظيم وهذا يفيد ان المراد الشرك

فان هذه



فان هذه الامور لا تجتمع في غيره **المسئلة الرابعة** كيف استعمل متنا بكسر الميم مع ان استعمال القران في المستقبل يموت قال
تعالى عن يحيى وعيسى عليهما السلام ويوم اموت ولم تقرأ امات على وزن اخاف وقال تعالى فلما ماتوا ولم يقل فلما ماتوا وقال
تعالى ولا تموتن ولم يقل ولا تماتن كما قال ولا تخافوا قلنا فيه وجهان احدهما ان هذه الكلمة خالفت غيرها فقال فيها
ما موت والسماع مقدم على القياس والثاني مات يمات لغة في مات يموت فاستعمل ما فيها الكسر لان الكسر في الماضي يوجد كثيرا
لامرين احدهما كثرة الفعل على ما فعل وثانيهما كونه على فعل يفعل كخاف وفي مستقبلها الضم لانه يوجد لسببين
احدهما كون الفعل على فعل يفعل مثل كان يكون فان وصفته بالطول دون الطائل يدل على انه من باب نصر ينصر وثانيهما
كونه على فعل يفعل تغلب في الماضي الكسر وفي المستقبل الضم **المسئلة الخامسة** كيف اتى باللام المؤكدة في قوله
تعالى لمبعوثون مع ان المراد النفي وفي النفي لا يؤكد في حصر ان الله فنقول ان زيدا ليجيء وان زيدا لا يجيء ولا بد دخول
اللام ومن مرادهم بالاستفهام الانكار بمعنى انا لا نبعث نقول الجواب عنه من وجهين احدهما عند التصريح بالنفي
وصيغه لوجد التصريح فالنفي وصيغه وما بينهما انهم ارادوا تكذيب من يخبر عن الغيب فذكروا ان المخبر عنه بالغ في
الايضاح نحن نسكت مبالغته وتاكيده فحكوا كلامه على طريقة الاستفهام والانكار ثم انهم اشاروا في الانكار الى امور
اعتقدوها مقررة لصحة انكارهم فقالوا ائذا متنا ولم يقتصروا عليه بل قالوا بعده وكنا ترابا وعظاما اي فطال عهدنا
بعد كوننا امواتا حتى صارت اللحوم ترابا والعظام رفاتا ثم زادوا وقالوا مع هذا يقال لنا انكم لمبعوثون بطريق
التاكيد من ثلثة اوجه **احدها** استعمال ان ثانيها اللام في خبرها ثالثها تدل صيغه الاستقبال والاثبات بالمفعول
كانه كاين فقال لنا انكم لمبعوثون ثم قالوا او اباؤنا الاولون يعني هذا بعد ما اذا كنا ترابا الذي بعد موتنا في الرفاة
حالهم فوق حال العظام الرفاة فكيف يمكن البعث وقد بينا في سورة والصافات هذه كله وقلنا ان قوله تعالى
او اباؤنا الاولون معناه او يقول اباؤنا الاولون اشارة الى انهم الاشكال اعظم فقال الاول واعظم لا تقدم امر الله تعالى
اجابهم ورد عليهم في الجواب في كل مبالغة في اخرى فقال **قوله تعالى** قل ان الاولين والاخرين لمجموعون
الى ميقات يوم معلوم ثم انكم ايها الضالون المكذبون لاكلون من شجر من زقوم فمالئون منها
البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون
فقوله تعالى قل اشارة الى ان الامر في غاية الظهور وذلك لان في الرسالة اسرارا لا يطلع عليها الا الابرار ومن حملها بعض وقت العامة
لان العوام لو علموا لاشكلوا والانبياء ربما اطلعوا على علاماتها اكثر مما يبينوا وربما بينوا الاكابر من الصحابة رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين علامات بقوله تعالى قل يعني هذا من جملة الامور التي بلغت في الظهور الى حد يشترك فيه العوام والخواص
فقل قولا عاما وهذا في كل موضع قال قل كان الامر ظاهرا قال الله تعالى قل هو الله احد وقال تعالى قل انما انا بشر مثلكم وقال تعالى
قل الروح من امر ربي اي هذا هو الظاهر من امر الروح وغيره حتى قوله تعالى ان الاولين والاخرين فقدم الاولين على الاخرين
في جواب قولهم او اباؤنا الاولون فانهم اخروا ذكر الاباء لكون الاستبعاد فيهم اكثر فقال ان الاولين الذين يستبعدون
[illegible]
منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم في تفسير الاية مسايل **المسئلة الاولى**
الخطاب مع من نقول قال بعض المفسرين مع اهل مكة والظاهر انه عام مع كل ضال مكذب وقد تقدم مثل هذا في مواضع
وهو تمام كلام النبي صلى الله عليه وسلم كانه قال لهم قل ان الاولين والاخرين لمجموعون ثم انكم لمعذبون

بهذه الانواع من العذاب **المسئلة الثانية** قال ههنا الضالون المكذبون بتقديم الضال وقال في آخر السورة واما ان كان
من المكذبين الضالين فهل بينهما فرق قلت نعم وذلك ان المراد من الضلال ههنا هو ما صدر عنهم من الاصرار على الحنث العظيم
فضلوا في سبيل الله ولم يصلوا اليه ولم يوحدوه وذلك ضلال عظيم ثم كذبوا رسله وقالوا ائذا متنا فكذبوا بالحشر فقال ايها
الضالون الذين اشركتم المكذبون الذين انكرتم الحشر لتأكلون ما تكرهون واما هناك فقال لهم ايها المكذبون الذين كذبتم بالحشر
الضالون في طريق الخلاص الذين لا يهتدون الى النعيم وفيه وجه اخر وهو ان الخطاب ههنا مع الكفار فقال ايها الذين ضللتم
اولا وكذبتم ثانيا والخطاب في آخر السورة مع محمد صلى الله عليه وسلم يبين له حال الازواج الثلاثة فقال المقربون في روح
وريحان وجنة نعيم واصحاب اليمين في سلامة واما المكذبون الذين كذبوا وضلوا فقدم تكذيبهم اشارة الى كرامة محمد صلى
الله عليه وسلم حيث بين اقوى سبب في عقابهم تكذيبهم والذي يدل على ان الكلام هناك مع محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
فسلام لك من اصحاب اليمين **المسئلة الثالثة** ما الزقوم نقول قد بيناه في موضع اخر واختلف فيه اقوال الناس وما
الاقوال الى كونه ذلك في الطعم مرا وفي اللمس حارا وفي الرائحة منتنا وفي المنظر اسود لا يكاد يسيغه فكره على اساغته والتحقيق
اللغوي فيه ان الزقوم لغة عربية ولنا تركيبه على صحته وذلك لا نعرف لم يجمع الا في مهمل او في مكروه فمنه مزق ومنه زموا
شعره اذا نتفه ومنه القرم للدباغ واللوم واقوى من هذا ان القاف مع كل حرف من الحرفين الباقيين يدل على المكروه
في اكثر الامر فالقاف مع الميم تمامه القمقمة وبالعكس مقامق للغلظ الصوت والقمقمة هو السق واما القاف مع الراء فالرق
والزرقة للحمة وبالعكس القهز للوثوب والمهرد لسفر الطبع تركيبا لحكمة من حروف اجتماعها دليل الكراهة والقبح
ثم قرن بالاكل فدل على انه طعام ذو غصة واما يقال بان العرب تقول زقمتني بمعنى اطعمني الزبد والعسل واللبن فذلك
للمجانة او سمي بسوء حسن وارد حتى يلبس من ذهب فقوله تعالى من شجر لابتداء الغاية اي ياكلون منه ومن باب التحمل
للسعص وقوله تعالى فمالئون منها البطون زيادة في بيان العذاب اي لا يكتفي منكم بنفس الاكل كما يكتفي بالاكل الذي
يحله القسم بل يكثرون بان يملؤا منها البطون والهاء عائدة الى الشجرة والبطون يحتمل ان يكون المراد منه مقابلة الجمع
بالجمع اي يملأ كل واحد منكم بطنه ويحتمل ان يكون المراد ان كل واحد منكم يملأ البطون والبطون حينئذ يكون وصف السعي
في باطن الانسان فاكله في سبعة امعاء فيملؤن بطون الانعام وغيرها والاول اظهر والثاني ادخل في التعذيب والوعيد
فشاربون عليه اي عقيبه الامر بحرارته وحرارته الى شرب الماء فيشربون على ذلك الماكول وعلى ذلك الزقوم
من الماء الحار وقد تقدم بيان الحميم وقوله تعالى فشاربون شرب الهيم ايضا بيان لزيادة العذاب اي لا يكون امركم
من شرب ماء حار مثلا فيمسك عنه بل يلزمكم ان تشربوا منه مثل ما يشرب الهيم وهو الجمل الذي اصابه العطش
فيشرب ولا يروى وهذا البيان في الشرب لقوله تعالى فمالئون منها البطون في الاكل فان قيل الهيم شرب الماء الكثير [illegible]
يكن في الحال بلذيذه فتوجه لاهل الجحيم من شرب الحميم الحار لذة قلنا لا وانما ذلك لبيان زيادة العذاب ووجهه ان يقال [illegible]
شرب الحميم ولا يكتفي منهم بشرب الشرب بل يلزمون ان يشربوا كما يشرب الجمل الاهيم الذي به الهيام او هم اذا شربوا يزداد
حرارة الزقوم في جوفهم فيظنون انه من الزقوم لا من الحميم فيشربون منه ساكنين بنا على وهم والقول في الهيم كالقول
في السعير اصله من هوم وهذا من هام يهيم كانه من العطش يهيم والهيام ذلك الداء الذي يجعله كالهائم من العطش ثم
قال تعالى هذا نزلهم يوم الدين يعني ليس هذا كل العذاب بل هذا اول ما يلقونه وما هو قطعة منه واقطع لامعائهم ثم قال تعالى
نحن خلقناكم فلولا تصدقون افرأيتم ما تمنون أانتم تخلقونه ام نحن الخالقون دليل على كذبهم وصدق الرسل في الحشر فقال هل لستم تصدقون
في ان الله تعالى خلقكم ام لا فان قالوا لا نشك في ان الله تعالى خالقنا فنقول هلا تصدقون ايضا بخلقكم ثانيا من اجزاء
هي عنده معلومة وان كنتم تسلمون وتقولون ان الخليق لا يكون الا من مني وبعد الموت لا ذكر ولا مني فنقول هذا المني
انتم تخلقونه ام الله تعالى فان كنتم تعترفون بالله تعالى وبقدرته وارادته وعلمه فذلك يلزم القول بجواز الحشر وصحته
ولولا كلمة مركبة من كلمتين معناها التخصيص والحث والاصل لم لا فاذا قلت لم ما اكلت جا بالاستفهام ان معناه
لا علة لعدم الاكل ولا يمكنك ان تذكر علة له كما تقول لم تؤذي تكون معناه فعلت امرا لا سبب له ولا تمليك ذكر سبب
ثم انهم تركوا حرفا للاستفهام عن العلم واتوا بحرف الاستفهام عن الحكم فقالوا هلا فعلت كما تقولون في موضع لم فعلت
هذا وانت تعلم فساده تقولون اتفعل هذا وانت عاقل وفيه زيادة حسن لان قول القائل لم فعلت حقيقة سؤال عن العلة
ومعناه ان علته غير معلوم وغير ظاهرة ولا يجوز ظهور وجوده وقوله فعلت سؤال عن حقيقته ومعناه انه في حسنة
ممكن والسائل عن العلة كانه سلم الوجود وجعله معلوما وساله عن العلة كما تقول زيد جا فلم جا والسائل عن
الوجود لم يسلمه وقول القائل لم فعلت وانت تعلم ما فيه دون قوله افعلت وانت تعلم ما فيه لان في الاول جعله كالمسلم
في فعله لعلة الامر واذا علم ما في [illegible] فعلت وافعلت علم ما بين لم تفعل وهلا تفعل واما الاول فقولكم شرط في الاصل
والجملة الشرطية غير محرومة كما ان الاستفهامية غير محرومة بها لكنه لو بدل بحق النفل والترائي فقول لولا
تصدقون بدل قوله لم لا وهلا لانه ادل على نفي ما دخل عليه وهو عدم التصديق وفيه لطيفة وهي ان لولا تدخل على
فعل ماض وفعل مستقبل قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة طائفة منهم فما وجه اختصاص المستقبل ههنا بالذكر ولو قال
فلولا صدقتم نقول هذا كلام منهم في الدنيا والاسلام فيها مقبول ويجب ما قبله فقال لا تصدقون في ساعتكم والدليل

واضحة



واضحة مستمرة والفايدة حاصلة واما في قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة لم يكن الفايدة تحصل الا بعد مدة فقال لم ما سافر
ثم ليحصل لكم الفايدة في الحال وقد فات ذلك فان كنتم لا تسافرون في الحال يفوتكم الفايدة ايضا في الاستقبال ثم قال تعالى
افرأيتم ما تمنون تقرير من قوله تعالى نحن خلقناكم وذلك لانه تعالى لما قال نحن خلقناكم قال المشركون الطبيعيون نحن موجودون
من نطف الخلق بحرارة كامنة وفيل كل احد نطفة احد فقال تعالى ردا عليهم هل رأيتم هذا المني وانه جسم صغير متشابه
الصورة لا بد له من ان يكون فانتم خلقتم النطفة ام غيركم خلقها ولا بد من الاعتراف بخالق غير مخلوق دفعا للتسلسل
الباطل والى ربنا المنتهى ولا ريب فيه احد من اولى الذي خلق الله النطفة وصورها واحياها ونورها فلم لا تصدقون
انه واحد يعيدكم كما انشأكم والاستفهام يفيد زيادة تقرير وقد علمت ذلك مرارا والله تعالى اعلم بالصواب **قوله**
**تعالى** نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة
الاولى فلولا تذكرون افرأيتم ما تحرثون أانتم تزرعونه ام نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم
تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون افرأيتم الماء الذي تشربون أانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون وفيه
مسائل **المسئلة الاولى** في الترتيب وفيه وجهان **احدهما** انه تقرير لما سبق وهو كقوله تعالى هو الذي خلق الموت والحياة فقال
تعالى نحن خلقناكم ثم قال تعالى نحن قدرنا بينكم الموت من قدر على الاحياء والاماتة وهما ضدان ثبت كونه مختارا فامكن الاحياء ثانيا
منه بخلاف ما لو كان بالاحياء منه ولم يكن له قدرة على الاحياء فيظن فيه انه موجب لا مختار والموجب لا يقدر على كل شي فحكى فقال
تعالى نحن خلقناكم وقدرنا الموت بينكم فانظروا فيه واعلموا انا قادرون ان نسكم ثانيهما انه جواب عن قول معطل يقول ان الانكى
الحياة بامور طبيعية من اجسام من حرارات ورطوبات اذا توفرت بقي حيا واذا نقصت وضعف مات فلم يقع الموت وكيف يليق
بالحكيم ان يخلق شيا ويسوي خلقه ويحسن صورته ثم يفسده ويعدمه وينسيه فقال تعالى نحن قدرنا بينكم الموت ولا يرد قولكم
لماذا اعدم ولماذا افنى ولماذا يهدم لان كمال القدرة يقتضي ذلك واي نقص من الصانع والثاني صاغه شي وساواه وكسره
وافناه لانه يحتاج الى صرف زمان اليه ويحمل مشقته وما مثله الا مثل انسان ينظر الى شي فيقع نظره عنه طرفة عين ثم
يعاوده لا تعالى لم قطعت النظر ولم نظرت ولله المثل الاعلى من هذا لان هنا لا بد من حركة وزمان ولو قدر وعلى الانشاء ثانيه
ليعيب بكن في المرة الواحدة لا سن التعب والله تعالى منزه عن التعب لا افتقاره في فعله الى زمان بل الزمان لفعله ولا الى حركة بل الحركة
وفيه وجه اخر الطف منهما وهو ان قوله تعالى افرأيتم ما تمنون معناه افرأيتم ذلك مسالا حياة فيه وهو مني ولو تفكرتم فيه
لعلمتم انه كان قبل ذلك حيا منفصلا من حي وكانت اجزاؤه مدركة متغايرة متلذذة ثم اذا امنيتموه لا حياة فيه لكونه ميتا كالجماد
ثم ان الله تعالى يخلقه ادميا ويجعله بشرا سويا فالنطفة كانت قبل الانفصال حية ثم صارت ميتة ثم احياها الله **المسئلة**
**الثانية** ما الفرق بين هذا الموضع وبين اول سورة تبارك حيث قال خلق الموت والحياة بتقديم ذكر الموت نقول الكلام ههنا
على الترتيب الاصلي كما قال تعالى في مواضع منها قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم قال بعد ذلك ثم انكم بعد ذلك
[illegible]
**المسئلة الثالثة** [illegible]
**المسئلة الرابعة** [illegible]
**المسئلة الخامسة** [illegible]

فحسن حكم ولو اعتقد بموته لما علمتم سيا هذا على التفسير المشهور والظاهر ان المراد من قوله تعالى وما نحن بمسبوقين حقيقته وهي اما ما سبقنا وهو يحتمل شيئين **احدهما** ان يكون معناه انه هو الاول ليس قبله شي وثانيهما انه في حق الناس وتقديره انكم فهم ما سبق مما الى وهو على طريقة منع اخرى وفيه فايدتان اما اذا قلنا وما نحن بمسبوقين معناه وما سبقنا شي فالاشارة الى انكم من اي وجه تسلكون طريقة النظر تنتهون الى الله تعالى وتقفون عنده ولا تجاوزونه فانكم ان كنتم تقولون مثل النطفة وصل الاب نطفة فالعقل يحكم بانتهاء النطف والاباء الى خالق غير مخلوق واذا ذلك فاني لست بمسبوق وليس تعالى خالق ولا سابق غيري وهذا يكون على طريقة التدرج والترقي من مقام الى مقام والفاير الذي هداه الله تعالى الهداية القوية تعرف اولا والذي دونه يعرف بعد ذلك الله والمعاند لابد من ان يعرفان علا الى بعض المراتب ويقول لابد للكل من اله وهو ليس بمسبوق فهذا اي فيما فعله فمعناه انه فعل ما فعل ولم يكن لمفعوله مثال والى فاعاته له مثال هو اهون فيكون كقوله تعالى وهو اهون عليه ويؤيده قوله تعالى على ان نبدل امثالكم وننشيكم فيما لا تعلمون **فان قيل** هذا لا يصح لان مثل هذا ورد في سؤال سايل والمراد ما ذكرنا لانه قال انا لقادرون على ان نبدل امثالكم وما نحن بمسبوقين اي لسنا بعاجزين مغلوبين بهذا دليلنا وذلك لان قوله تعالى انا لقادرون افاد فايدة اسقاط العجز عنه فلا بد ان يكون لقوله تعالى وما نحن بمسبوقين فايدة ما ذكرنا فايدة ظاهرة ثم قال تعالى على ان نبدل امثالكم في الوجه المشهور قوله تعالى على ان نبدل امثالكم متعلق به قوله تعالى نحن بمسبوقين على التبديل فالحق عاجز عنه والتحقيق في هذا الوجه ان من سبقه الشي فكانه عليه فعجز عنه وكلمة على في هذا الوجه ماخوذ من استعمال لفظ المسابقة فانه يكون على شي فمن سبق غيره على امر فهو الغالب وعلى الوجه الاخر المتعلق به قوله تعالى نحن قدرنا بينكم وتقديره نحن قدرنا بينكم على وجه التبديل لا على وجه قطع النسل في اول الامر كما يقول القايل خرج فلان على ان يرجع عاجلا اي على هذا الوجه خرج وتعلق كلمة على على هذا الوجه اظهر **فان قيل** على ما ذهب اليه المفسرون لا اشكال في تبديل امثالكم اي اشكالكم واوصافكم ويكون الامثال جمع مثل ويكون معناه وما نحن بعاجزين على ان نمسخكم ونجعلكم في صورة قردة وخنازير فيكون كقوله تعالى ولو نشا لمسخناهم على مكانتهم وعلى ما قلت في تفسير المسبوقين وجعلت المتعلق بقوله تعالى على ان نبدل امثالكم وهو قوله تعالى نحن قدرنا فيكون قوله تعالى ان نبدل امثالكم معناه على امثالكم لا على علمهم بقوله هذا وارد على المفسرين ما ترجم اذا فسروا الامثال بجمع المثل وهو الظاهر كما في قوله تعالى ثم لا يكونوا امثالكم وفي قوله تعالى واذا شينا بدلنا امثالهم تبديلا فان قوله اذا دليل الوقوع ولعل اوصافهم بالمسخ ليس امرا يقع والجواب ان نقول الامثال اما ان يكون جمع مثل واما جمع مثل فان كان جمع مثل فنقول معناه قدرنا بينكم الموت على هذا الوجه وهو ان نغير اوصافكم فتكونون اطفالا ثم شبابا ثم كهولا ثم شيوخا ثم يدرككم الاجل وما قدرنا بينكم الموت على ان نهلككم دفعة واحدة الا اذا جاء وقت ذلك فنهلك بنفخة واحدة وان قلنا هو جمع مثل فنقول معنى نبدل امثالكم نجعل امثالكم بدلا فلا يدل على وقوع الفنا عليهم غاية ما في الباب ان قول القايل جعلت كذا بدلا لا يتم فا بدته الا اذا قال جعلته بدلا عن كذا لكنه تعالى لما قال ان نبدل امثالكم والمثل يدل على المثل وكانه قال جعلنا امثالكم بدلا لكم ومعناه ان ما ذكرناه انه لم نقدر الموت على ان نفني الخلق دفعة بل قدرنا على ان نجعله مدة طويلة ثم نهلكهم جميعا ثم ننشيهم وقوله تعالى فيما لا تعلمون على التفسير الوجه المشهور انه فيما لا تعلمون من الاوصاف والاخلاق والظاهر ان المراد فيما لا تعلمون من الزمان فان احدا لا يدري انه متى يموت ومتى يبعث فكانهم قالوا ومتى الساعة والانشاء فقال لا علم لكم بها اذا قلنا بان المراد ما ذكرنا فيه على الوجه المشهور وفيه لطيفة وهي ان قوله تعالى فيما لا تعلمون تقرير لقوله تعالى انتم تخلقونه ام نحن الخالقون وتقديره لو ان احدا الان هو الم يد فقال كيف يمكن ان يقال هؤلاء انهم يحسبون في بطون امهاتهم على اوصاف لا يعلمون وكيف يكون خالق شي غير عالم وهو كقوله تعالى هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم وعلى ما ذكرنا فيه فايدة وهي التحريض على العمل الصالح لان التبديل والانشاء هو الموت والحشر اذا كان واقعا في زمان لا يعلمه احد فينبغي ان لا يتكل الانسان على طول المدة ولا يغفل عن اعداد العدة ثم قال تعالى ولقد علمتم النشاة الاولى تقرير الامكان النشاة الثانية وقال تعالى فلولا تذكرون ثم قال تعالى افرايتم ما تحرثون اشارة الى الرزق وبه البقاء وذكر امورا ثلاثة الماكول والمشروب وما به اصلاح الماكول ورتبه ترتيبا فذكر الماكول اولا لانه الغذاء ثم المشروب لان به الاستمراء ثم النار التي بها الاصلاح وذكر من كل نوع ما هو الاصل فذكر من الماكول الحب لانه هو الاصل ومن المشروب الماء لانه هو الاصل وذكر من المصلحات النار لان بها اصلاح اكثر الاغذية واعمها ودخل في كل واحد منها ما دونه هذا هو الترتيب واما التفسير فنقول الفرق بين الحرث والزرع هو ان الحرث اوايل الزرع ومقدماته من كراب الارض والقا البذر وسقي المبذور والزرع هو اخر الحرث من خروج النبات واستغلاظه واستوايه على الساق فقوله تعالى افرايتم ما تحرثون اي ما تبتدون منه من الاعمال اانتم تبلغونها المقصود ام الله تعالى ولا يشك احد في ان ايجاد الحب في السنبلة ليس بفعل الناس وليس بفعلهم ان كان سوى القاء البذر والسقي فان قيل هذا يدل على ان الله تعالى هو الزارع فكيف قال تعالى يعجب الزراع وقال صلى الله عليه وسلم الزرع للزارع قلنا قد تبين من التفسير ان الحرث متصل بالزرع والحرث اوايل الزرع والزرع اواخر الحرث فيجوز اطلاق احدهما على الاخر لكن قوله تعالى يعجب الزراع بدلا عن قوله يعجب الحراث فان الحارث اذا كان هو المبتدي فربما يتعجب بما يترتب على فعله من خروج النبات والزراع لما كان هو المنتهي فلا يتعجب الا بشي عظيم فقال تعالى يعجب الزراع الذين لا يعجبون احد الحراث فما ظنك باعجابه الحراث وقوله صلى الله عليه وسلم الزرع للزارع فيه فايدة لانه لو قال الحارث فمن ابتدا بعمل الزرع واتى بمبادي الارض وتسويتها يصير حارثا وبعد ذلك القاء البذر فالزرع لمن اتى بالامر المتاخر وهو القاء البذر





اى من له البذر وعلى مذهب ابي حنيفة رحمه الله هذا اظهر لانه بمجرد الالقاء في الارض يجعل الزرع للملقي سواء كان مالكا او غاصبا ثم قال تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما وهو يدل [illegible] في الاثبات وبيانه هو انه لما قال انتم تزرعونه ام نحن الزارعون لم يبعد من معاند ان يقول نحن نحرث وهو بنفسه يصير زرعا ولا يفتقر الى فعل غيرنا فقال تعالى ولو سلم لكم هذا الباطل فما تقولون في سلامته عن الافات التي تصيبه فيتلف قبل اشتداد الحب وانعقاده وقبل ظهور الحب فيه هل تحفظونه منها او تدفعونه عنه او هل الزرع بنفسه يدفع عن نفسه تلك الافات كما تقولون انه بنفسه ينبت ولا يشك احد ان دفع الافات باذن الله تعالى وحفظها عنها بفضل الله تعالى وعلى هذا اعاده يذكر امورا مرتبة بعضها على بعض فكونه الامر الاول للمهتدين والثاني للظالمين والثالث للمعاندين الضالين فذكر الامر الذي لا شك فيه في اخر الامر اقامة الحجة على المعاند وفيه سؤال وهو انه تعالى قال هاهنا لجعلناه بلام الجواب وقال في الماء جعلناه اجاجا من غير لام فما الفرق بينهما نقول الزمخشري عنه جوابين احدهما قوله تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما كان قريب الذكر فاستغنى بذكر اللام فيه عن ذكرها ثانيا وهذا ضعيف لان قوله تعالى لو نشاء لطمسنا على اعينهم مع قوله لو نشاء لمسخناهم اقرب من قوله تعالى لجعلناه حطاما وجعلناه اجاجا باللام الا ان نقول هناك احدهما قريب من الاخر ذكرا لا معنى لان الطمس لا يلزمه المسخ ولا بالعكس والماكول مع المشروب في الدنيا امران متقاربان لفظا ومعنى والجواب الثاني ان اللام تفيد نوع تاكيد فذكر اللام في الماكول ليعلم ان امر الماكول اهم من امر المشروب وان نعمته اعظم وما ذكرنا ايضا وارد عليه لان امر الطمس اهون من امر المسخ وادخل احدهما فيه اللام وههنا جواب اخر بين بعد بحث عن فايدة اللام في جواب لو فنقول حرف الشرط اذا دخل على الجملة اخرجها عن كونها جملة في المعنى فاحتاج الى علامة تدل على المعنى فاتوا بالجزم في المستقبل لان الشرط يقتضي جزا وفيه تطويل والجزم الذي هو سكون اليق بالموضع وبينه وبين المعنى ايضا مناسبة لكن كلمة لو كانت مختصة بالدخول على الماضي معنى فانها ما دخلت على المستقبل ماضيا والتحقيق فيه ان الجملة الشرطية لا تخرج عن اقسام فانها اذا ذكرت لا يخلو من ان يكون الشرط معلوما والوقوع لبيان الشرط ان كان معلوم الوقوع فالجزاء لازم الوقوع فجعل الكلام جملة شرطية عدول عن جملة اسنادية الى جملة تعليقية وهو تطويل من غير فايدة كقول القايل ان طلعت الشمس تطويل والاولى ان نقول انبسط حرها من غير شرط فاذا علم هذا الحال الشرط لا يخلو من ان يكون معلوم العدم او مسكوتا فيه فان الشرط اذا وقع على قسمين ولا بد لهما من لفظين وهما ان ولو واختصت ان بالمسكوت ولو بمعلوم العدم لامر بيناه في موضع اخر لكن ما علم عدم تكون الاخر فقد اشتمت منه نوعا ضرب في حكمه كان علوما بالامور بكون بعد وقوعها وما شك فيه لمو مستقبل وفي معناه لما اشك في الامور المستقبلة انها تكون اولا تكون والماضي خرج على التردد واذا ثبت هذا فنقول لما دخل لو على الماضي ولم يكن الماضي مما يحلفنا واخره بالعوامل لم يبين فيه اعراب وان لما دخل على المستقبل باب فيه الاعراب ثم ان الجزاء على حسب الشرط وكان الجزاء في باب لو ماضيا فلم يبين فيه الحال بحركة ولا سكون فصعب فيه حرف يدل على خروجه عن عمله ودخوله في كونه جزء جملة فاتي بحرف مناسب للواو وهي اللام فاللام في بيت جزاء لو لتكون دالة على خروجه عن كونه جملة اذا ثبت هذا نقول عندنا يكون كون الجزاء جزاء ظاهرا مستغنى عن الحروف الصارفة لكن كون الماء المذكور في الاية هو الماء المشروب والمنزل من المزن اجاجا ليس ابدا واقفا حيث انه جزم مستقبل وههنا تعالى نقول جعلناه اجاجا على طريقة الاخبار والحرث والزرع المزروع كسر اما وقع كونه حطاما فلو قال جعلناه حطاما يتوهم منه الاخبار فقال هناك لو جعلناه ليخرجه عما هو صالح في المواضع وهو الخبر لما قال في المشروب المنزل من المزن جعلناه اجاجا لا يتوهم ذلك فاستغنى عن اللام وفيه لطيفة اخرى نحوية وهي ان في القران اسقاط اللام عن الجزاء الواو بما جاءت كانت لو داخلة عليه مستقبلا لفظا واما اذا كان ما دخل عليه لو ماضيا وكان الجزاء موجبا كما في قوله تعالى ولو شينا لاتينا ولو نشاء الله لهدانا وذلك لان لو اذا دخلت على فعل مستقبل كما في قوله تعالى لو نشاء فقد اخرجت عن غيرها لفظا لان لو للماضي فاذا خرج الشرط عن خبر جاز في الجزاء الاخراج عن حده لفظا واسقاط اللام عنه كما ان لما كان خبره المستقبل ويدخل على المستقبل فاذا اجعل ما دخل ان عليه ماضيا تقول ان جيتني جاز في الجزاء الاخراج عن حيه وترك الجزم فتقول اكرمك بالرفع واكرمك بالجزم كما تقول في لو نشاء جعلناه ولو نشاء لجعلناه وما ذكرناه من الجواب اذا نظرت اليه في قوله تعالى انطعم من لو يشاء الله اطعمه يجده مستقيما حيث لم يقل لو يشاء الله لاطعمه لان اطعمه علم انه جزاء اخر ولم يسبق فيه توهم لان اما ان يكون عند المتكلم وذلك غير جايز لان المتكلم عالم بحقيقة كلامه واما ان يكون عنهم وذلك غير جايز هنا لان قولهم لو شاء الله لا طعمه رد على المومنين في زعمهم يعني انهم يقولون ان الله لو شاء لفعل فلا يطعم من لو شاء الله اطعمه على زعمكم فلما كان اطعمه جزاء معلوما عند السامع والمتكلم استغنى عن اللام والحطام كالغاب والجذاذ وهو من الحطم كما ان الامر في العيب والجد والعالية اكثر الامر يدل على مكروه ومثلها في المعاني كالعام والمراق والصداع والدوار والسلاق لامراض وفات في الناس والنبات اما في الاعيان كالجذاذ والحطام والقصاب والسحام وكذا ان الحقت الها كالبرادة والسحالة وفيه زيادة بيان وهو ان ضم الفاء من الكلمة يدل على ما ذكرنا من الافعال فان نقول فعل او فعل ما لم يسم فاعله وكان السبب ان اوايل الحكم لم يكن فيه الحقيقة المطلق وهو السكون ثم يثبت الفعل المطلق وهو الضمير فاذا ثبت هذا فنقول نعارض فانه علم كما ذكرنا فلا كلام وانه نعم كما في برد فعل فالامر حفظه ذكر والواضح [illegible] بذلك عليه في الباقي ايضا ثم هو كلام مقدر عنهم كانه علمهم نكتة بقوله حينيذ يحق ان تقولوا انا لمعذبون

ودايمون في العذاب لا تعقلون واما على الوجه الثاني فنقولون انا لمعذبون ومحرومون على عادة الزرع اخرى ونقولون
اينا لمعذبون بالجوع بهلاك الزرع ومحرومون عن دفعه بغير الزرع لفوات المال والوجه الثاني في الغرم انا
لمكرهون بالغرامة عن عزم الرجل واصل العزم والغرام لزوم المكروه ثم قال تعالى افرايتم الماء الذي تشربون خصه
بالشرب لانه الطف والطف ونذكا ليم بالانعام عليهم والمزن السحاب الثقيل بالماء لا نعمن من عذاب من انواع العذاب
يدل على ثقله قلة اللفظ وعلى مدافعه قلبه الاخرة وهو الزام في بعض اللغات السحاب الذي من الارض وقد
تقدم تفسير قوله تعالى لو نشاء لجعلناه اجاجا والاجاج الماء المر من شدة الملوحة والظاهر انه الحار من اجيج
النار كالحطام من الحطم وقد ذكرنا في تفسير قوله هذا عذب فرات سايغ شرابه وهذا ملح اجاج ذكرنا ان الطيب صفتين
احدهما عايد الى طعمه والاخرى عايدة الى الكيفيه ملمسه وهي البرودة واللطافة وفي الماء الاجن ايضا صفتين احدهما
انه لم يذكر في الماكول الكلام فلم يقل تسكرون وقال في الماء تشربون ولم يقل عند ذكر الطعام الشكر وذلك لوجهين احدهما
انه لم يذكر في الماكول الكلام والثاني ان في الماكول قال تحرثون واثبت لهم سعيا ولم يقل تشكرون وقال في الماء انتم انزلتموه
من المزن لا عمل لكم فيه اصلا هو محض النعمة فلولا تشكرون وفيه وجه ثالث وهو احسن ان نقال النعمة لا تتم الا
عند الاكل والشرب الا ترى انه في البراري التي لا توجد فيها المياه لا ياكل الانسان فيها شيئا مخافة العطش فلما ذكر الماكول
اولا واتمه بذكر المشروب ثانيا قال فلولا تشكرون على هذه النعمة التامة ثم قال تعالى افرايتم النار التي تورون اي
يقدحون انتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون وفي شجرة النار وجوه احدها انها الشجرة التي تورى النار منها بالزند والزندة
كالمرخ وثانيها الشجرة التي لا تصلح لا لقاد النار كالحطب فانها لو لم يكن تستعمل لا لقاد النار لان النار التي لا تعلق بكل شي كما تتعلق
بالحطب وثالثها اصول شعلها ووقودها سميتها ولولا كونها ذاتها شعل لما صلح لا نضاج الاشياء والباقي ظاهر وقوله تعالى
نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين في قوله تذكرة وجهان احدهما تذكرة لنار القيامة فيجب على العاقل ان يخشى الله تعالى
وعذابه اذا راى النار الموقدة وثانيها تذكرة لصحة البعث لان من يقدر على ايداع النار في الشجر الاخضر لا يعجز عن ايداع
الحرارة الغريزية في بيت الميت وقد ذكرنا ذلك في تفسير قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا والمقوي هو الذي
زاده وفيه لطيفة وهو انه تعالى قدم كونها تذكرة على كونها متاعا ليعلم ان الفايدة الاخروية اتم والواجب
ثم قال فسبح باسم ربك العظيم وفيه مسايل **المسئلة الاولى** ما وجه تعلقه بما قبل نقول لما ذكر الله تعالى حال المكذبين
بالحشر والوحدانية ذكر الدليل عليهما بالخلق والرزق ولم ينفعهم الايمان قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وطنقلك ان تكمل
في نفسك وهو علمك بربك وعملك لربك فسبح باسم ربك وقد ذكرنا ذلك في قوله تعالى فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وفي مواضع اخر **المسئلة الثانية** التسبيح التنزيه عما لا يليق به فما فايدة ذكر الاسم ولم يقل فسبح باسم ربك العظيم نقول
الجواب عنه من وجهين احدهما وهو المشهور وهو ان الاسم مقحم وعلى هذا الجواب نقول فيه فايدة زيادة التعظيم لان من عظم
عظيما وبالغ في تعظيمه لم يذكر اسمه الا وعظمه فلا يذكر اسمه الا في موضع وضيع وعلى وجه الاتفاق كيف ما اتفق وذلك
لان من يعظم شخصا عند حضوره ربما لا يعظمه غيبته فيذكره باسم علمه فان كان يحترز منه لا يقول ذلك
فاذا عظم عنده لا يذكره في حضوره وغيبته الا بالاوصاف العظيمة فان قيل فعلى هذا فما فايدة الباء وكيف صار
ذلك ولا يستعمل فسبح باسم ربك العظيم والرب العظيم قد تقدم مرارا ان الفعل اذا كان يتعدى بالمفعول ظاهرا
غاية الظهور لا يعدى اليه بحرف فلا يقال ضربت بزيد بمعنى ضربت زيدا واذا كان في غاية الخفا لا يعدى اليه الا بحرف فلا يقال
ذهب زيدا بمعنى ذهب بزيد واذا كان بينهما جاز الوجهان فنقول سحته وسحت به وسكرته وسكرت له اذا ثبت هذا فنقول
لما علق التسبيح بالاسم كان الاسم مقحما كان التسبيح مقحما في الحقيقة متعلقا بغيره وهو الرب وكان التعليق خفيا من وجه
مجاز ادخال الباء فان قيل اذا جاز الاسقاط والاثبات فالفرق بين هذا الموضع وبين قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى نقول
ههنا تقديم الدليل على العظمة اذ يقال قوله باسم غير زايدة وتقريره من وجهين احدهما انه لما ذكر الامور وقال نحن ام
انتم واعترف الكل بان الامور من الله تعالى واذا طولبوا بالوحدانية قالوا نحن لا نشرك في المعنى وانما نتخذ اصناما الهة
في الاسم وسميتها الهة والله تعالى الذي خلقها وخلق السموات هو الله فنحن ننزهه في الحقيقة فقال فسبح باسم ربك
وكما انك ايها العاقل اعترفت بعدم اشتراكهما في الاسم ولم تقل بغيره اله فان الاسم يتبع المعنى والحقيقة وعلى هذا
فالخطاب لا يكون مع النبي صلى الله عليه وسلم بل يكون كما قال الواعظ يا مسكين افنيت عمرك وما اصلحت امرك وما يريد
احدا بعينه وتقديره يا ايها المسكين السامع وثانيهما ان يكون المراد بذكر ربك اي اذا قلت وتولوا فلا وتسبيح
ربك بذكر اسمه بين قومك وبيان وصفه لهم وان لم يقبلوا فانك تقبل على شغلك الذي هو التبليغ ولو قال فسبح
باسم ربك ما افاد الذكر لهم لانه كان يغني عن التسبيح بالقلب فلما قال فسبح باسم ربك والاسم هو الذي يذكر
لفظا دل على انه مامور بالذكر اللساني وليس له ان يقتصر على الذكر القلبي ويحتمل ان يقال فسبح مبتدا باسم ربك
العظيم ولا يكون الباء زايدة **المسئلة الثالثة** كيف يسبح ربنا نقول اما يعتقد فيه انه واحد منزه عن الشريك
وقادر بري عن العجز فلا يعجز عن الحشر واما لفظا بان يقال سبحان وسبحان العظيم وسبحانه عما يشركون او ما يقوم
مقامه من الكلام الدال على تنزيهه عن الشرك والعجز فانك اذا سبحته واعتقدت انه واحد احد عن كل شي ما لا يجوز

في حقيقة



في حقيقة فلزم ان لا يكون جسما لان الجسم فيه اشياء كثيرة وهو واحد حقيقي لا كثرة فيه لذاته ولا يكون عرضة ولا في مكان ولا
عن شي وكذلك كلما لا يجوز له يسوغ عنه ينفي بالتوحيد فاذا قلت هو قادر ثبت العلم والارادة والحياة وغيرها من الصفات ونحو سنذكر
ذلك في تفسير سورة الاخلاص ان شاء الله تعالى **المسئلة الرابعة** ما الفرق بين العلي والعظيم وبين الاعلى وهل ذكر العظيم شيئا يدل
على الاعلى وذكر الاعلى في قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى بدل العظيم فايدة نقول اما الفرق بين العلي والعظيم فهو ان العظيم يدل على القرب
والعلي يدل على البعد بيانه هو ان ما عظم من الاشيا المدركة بالحس قرب من كل ممكن لانه لو بعد عنه لخلا عنه موضعه فلو كان فيه اجزا
احدا لا الخالي لكان اعظم مما هو عليه فالعظيم بالنسبة الى الكل هو الذي يقرب من الكل واما الصغير اذا قرب من جهة بعد عن الاخرى و
اما العلي فهو البعيد من كل شي لان ما قرب من شي من جهة فوق لكان ابعد منه وكان اعلى فالعلي المطلق بالنسبة الى كل شي هو الذي في غاية
البعد عن كل شي اذا عرفت هذا فالاشيا المدركة سيما الله تعالى واذا علمنا من الله نعما سلبنا فصح ان نقول هو اعلى من ان تحيط
به ادراكه سمعه سلبي بعد سلبي واذا اعلمنا منه وصفا ثبوتيا من علم وقدره ونريد تعظيمه اكثر مما وصل اليه علمنا فنقول هو
اعظم واعلى من ان تحيط به علمنا وقولنا اعظم معناه عظيم لا عظيم مثله نفسه مفهوم سلبي ومفهوم ثبوتي في قوله اعلى
معناه هو علي لا اعلى مثله والعلي اشارة الى مفهوم سلبي ولا اعلى مثله سلب اخر فالاعلى مستعمل على الحقيقه لفظا ومعنى لا عظم مستعمل
على حقيقته لفظا وفيه معنى سلبي وكان الاصل في العظيم لمفهوم ثبوتي لا سلب فيه فالاعلى احسن استعمالا من الاعظم هذا
هو الفرق والله تعالى اعلم **قوله تعالى** فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم في كتاب
مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم
انكم تكذبون فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينيذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون
فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين فاما ان كان من المقربين فروح وريحان
وجنة نعيم **اعلم** ان في الاية مسايل **المسئلة الاولى** في الترتيب ووجهه وهو ان الله تعالى لما ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله اياه كما ينبغي وطهره عن كل ما لا ينبغي له فاتاه الحكمة البراهين القاطعة
واستعمالها على وجوهها والموعظة الحسنة وهي الامور المفيدة المرققة للقلوب المنورة للصدور والمجادلة هي على
احسن الطرق فاتى بها وعجز الكل عن معارضة شي ولم يؤمنوا والذي يتلى عليه كل ذلك ولا يؤمن ولا يبقى له غير انه
يقول هذا البيان ليس لظهور المدعى بل لقوة ذهن المدعي وقوته على تركيب الادلة وهو يعلم انه يغلب بقوة جداله لا
بظهور مقالة وربما يقول احد المناظرين عند انقطاعه للاجرات يعلم ان الحق بيدي لكن تستضعفني ولا تنصفني
وحيليه لا يبقى للخصم جواب بغير القسم بالايمان التي لا مخارج عنها انه غير مكابر وانه منصف وذلك لا اني بدليل اخر يمكن
له ان يقول وهذا الدليل ايضا علي فيه بقوتك وقدرتك فلذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما اتاه الله تعالى عز
قالوا انه يريد التفضل علينا وهو يجادلنا فيما يعلم خلافه فلم يبق له الا ان يقسم فانزل الله تعالى عليه انواعا من القسم بعد
الدلايل ولهذا كثرت الايمان في اوايل التنزيل وفي السبع الاخر خاصة **المسئلة الثانية** في تعلق الفا تقول ما ذكرنا ذلك
لانه لما بين انه خالق الخلق والرزق وله العظمة بالدليل القاطع ولم يؤمنوا قال ولم يبق الا القسم فاقسم بالله تعالى انه لصادق
**المسئلة الثالثة** ما معنى من قوله لا اقسم مع انه نقول انه قسم نقول فيه وجوه منقولة ومعقولة غير مخالفة للمنقول
اما المنقول فاحدها ان لا زيادة مثلها في قوله تعالى لئلا يعلم معناه ليعلم فانها اصلها لا اقسم بلام التاكيد اشبعت
فتحها فصارت لا كما في الوقف ثالثها لا نافيه واصله على مقالتهم والقسم بعدها كانه قال لا والله لا صحة لقول
الكفار واقسم عليه واما المعقول فنوان كلمة لا نافيه هي على معناها غير ان في الكلام مجاز تركيبي وتقديره ان يقول
لا في النفي ههنا كقول القايل لا تسالني عما جرى علي اشارة الى ان ما جرى عليه اعظم من ان يشرح فلا ينبغي
ان تساله كان غرضه من السؤال لا يحصل ولا يكون غرضه من ذلك النهي الا بيان عظمة الواقعة ويصير كانه قال جرى علي
امر عظيم ويدل عليه ان السامع قوله يبادر الى قوله ما جرى عليك ولو فهم منه حقيقة كلامه وهو النهي عن السؤال لما بادر ذلك
تقريرا قال لما قال ما جرى عليك وتصح ان يقول اخطات حيث منعت عن السؤال اولا تسالني فلا يصح ما ذا اجرى عليك بل لا يكون
للسامع ان يقول معنى عن السؤال كل ذلك لما تقرر في افهامهم ان المراد تعظيم الواقعة لا النهي اذا علم هذا فقول القسم مثل هذا
موجود من احد وجهين اما لكون الواقعة في غاية الظهور فيقول لا اقسم بالله على هذا الامر لانه اظهر من ان يشهر واكثر
من ان ينكر فيقول لا اقسم ولا يريد به القسم وبعينه وانما يريد الاعلام فان الواقعة ظاهرة واما لكون المقسم به فوقه ما يقسم
والمقسم صار مصدق نفسه فيقول لا اقسم بما بل الف عين ولا اقسم براس الامير بل براس السلطان فيقول لا اقسم
بكذا مريدا لكونه في غاية الجزم والثاني يدل عليه ان هذه الصيغة لم ترد في القران والمقسم به الله تعالى او صفة من صفاته
وانما جاء في امور مخلوقة الاول لا يرد عليه اشكال فان قلنا ان المقسم به في جميع المواضع رب الاشياء كما في والصافات المراد
في قوله رب والصافات والذاريات ورب القيمة ورب الشمس الى غير ذلك فاذا قوله تعالى لا اقسم بمواقع النجوم اي الامر اظهر
من ان اقسم عليه وان يتطرق الشك اليه **المسئلة الرابعة** مواقع النجوم ما هي نقول فيه وجوه الاول المشارق والمغارب وحدها
فان عندها سقوط النجوم الثاني هو مواضعها في السما في بروجها ومنازلها الثالث مواقعها في اتباع الشياطين عند الرجم
الرابع مواقعها يوم القيمة حين ينتثر النجوم نجوم القران مواقعها قلوب عباده وملايكته ورسله وصالحي المؤمنين ومعانيها

واحكامها التي وردت فيها **المسلة الخامسة** هل في اختصاص مواقع النجوم للقسم بها فايدة قلنا جليلة وبيانها انا قد ذكرنا
ان القسم في مواضعها كما هي قسم لذلك هي دليل وقد بيناه في والذاريات وفي الطور وفي النجم وغيرها فنقول ههنا ايضا كذلك
وذلك من حيث ان الله تعالى لما ذكر خلق الادمي من المني وموته وما يشار به الى ايجاد الضدين في الحي نفي قدرته واختياره
ثم لما ذكر دليلا من دلايل الانفس ذكر من دلايل الافاق ايضا قدرته واختياره فقال افرايتم ما تحرثون افرايتم الما الى غير
ذلك وذكر قدرته على زرعه وجعله حطاما وخلق الماء فراتا عذبا وجعله اجاجا اشارة الى ان القادر على الضدين مختار ثم لما
ذكر من الدلايل السماوية شيا فذكر الدليل السماوي في معرض القسم وقال فلا اقسم بمواقع النجوم فانها ايضا دليل الاختيار لكون كل احد منها في
موضع من السماء وقد غيره من المواضع مع استوا الكل في الحقيقه فالله فاعل مختار فقال بمواقع النجوم لسلوكها البراهين المبينة ولاما
بالذكر كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وهذا كقوله تعالى وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي
السما رزقكم وما توعدون حيث ذكرنا الانواع الثلاثه لذلك ههنا ثم قال تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم والضمير عايد الى القسم
الذي يتضمنه قوله تعالى فلا اقسم يعني ذكر المصدر وهذا لو صف المصادر التي تظهر بعد الفعل فيقال ضربته وهو وفيه مسايل
نحوية ومعنوية اما النحوية فالمسلة الاولى هو ان يقال جواب لو تعلمون ماذا وربما يقول بعض من لا يعلم ان جوابه ما تقدم وهو
هو فاسد في جميع المواضع لان جواب الشرط لا يتقدم وذلك لان عمل الحروف في معمولها لا يكون الا بعد وجودها فلا يقال زيدا ان قام
ولا يجوز الحروف الشرطيه ان عمل الحرف في مسميه معنى المعاني وعرض بين الفاعل والمفعول وغيرهما فاذا كان العامل نحوه والمعنى
لا موضع له في الحس يعلم تقدمه وتاخره جاز ان يقال فاما ضربت زيدا وضربا شديدا ضربته واما الحروف فله تقدم وتاخر
مدرك بالحس ولكن نعلم بتاخرها فرض وجودها متقدما تخلاف المعاني اذا ثبت هذا فنقول عمل حرف الشرط في المعنى
اخراج الجملتين كل واحد عن كونها جملة مستقلة فاذا قلت جئت اعلا تمكن اخراج الجملة الاولى عن كونها جملة بعد وقوعها
جملة لتعلم حرفها اضعف من عمل المعنى لزمه على عمله مع ان المعنى امكن فرضا متقدما ومتاخرا وعمل الافعال عمل معنوي
وعمل الحروف عمل شبه معنوي اذا ثبت هذا فقوله في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى قال بعض الوعاظ ان هم
يتعلق بلولا فلا يكون الهم قد وقع منه وهو باطل كما ذكرنا ادخل في البطلان لان المتقدم لا يصح خبر المتاخر فان من قال لو
تعلمون ان زيدا القايم بمرات بالعرسما ذابيس هذا القول يحتمل وجهين احدهما ان يقال الجواب محذوف بالكلية لا نقصد
به الجواب وانما يراد نفي ما دخلت عليه لو فكانه قال وانه لقسم لو تعلمون والحقيقه لو يذكر لامتناع الشي لامتناع غيره
فلا بد فيه من انتفا الاول فاذا قال لو تعلمون افاد ان علمهم منتف سوا علمنا الجزا اولم نعلم وهو كقولهم في الفعل
المتعدى فلان يعطي ويمنع حيث لا نقصد به مفعولا وانما يراد اثبات القدرة وعلى هذا فان قيل فما فايدة العدول
الى غير الحقيقه وترك قوله وانه لقسم ولا تعلمون فنقول فايدته تاكيد النفي لان من قال لا تعلمون كان ذلك دعوى منه
فاذا طولب وقيل لم قلت انا لا نعلم نقول لو تعلمون لعلمتم كذا فاذا قال في ابتدا الامر لو تعلمون مرمزا النفي كانه قال انتم
لا تعلمون قولين فقوله بدليل وسبب والثاني ان يكون له جواب تقديره لو تعلمون لعظمتموه ولكن ما عظمتموه فعلم انكم لا تعلمون
اذ لو تعلمون لعظمتموه في اعينكم ولم تعظم فلا تعلمون المسلة الثالثه كيف تعلق قوله لو تعلمون بما قبله ولا بعده نقول هو كلام اعترض
في اثنا الكلام تقديره وانه لقسم عظيم لو تعلمون تصدقه فان قيل فما فايدة الاعتراض نقول الاهتمام نقطع اعتراض المعترض
لانه لما قال وانه لقسم اراد ان يصفه بالعظمه بقوله عظيم والكفار كانوا يجهلون ذلك ويدعون العلم بالنجوم فكانوا يقولون
كان كذلك لما قاله لا تحصل لنا علمه ظن فقال لو تعلمون لحصل لكم القطع وعلى ما ذكرنا الامر اظهر من هذا وذلك لانا قلنا ان قوله تعالى
لا اقسم معناه الامر اوضح من ان تصدق بيمين والكفار كانوا يقولون انه اظهور وبحث نقطع بعدمه فقال لو تعلمون لسيا لما كان
كذلك والاظهر منه انا بينا ان كلما جعله الله تعالى قسما فهو في نفسه دليل على المطلوب واخرجه مخرج القسم بقوله وانه لقسم
لو معناه عند المحققين وانه لدليل وبرهان قوي لو تعلمون توجيهه لاعترفتم لمدلوله وهو التوحيد والقدرة على الحشر وذلك
لان دلالة اختصاص الكواكب بغاية الظهور ولا يلزم الفلاسفة طهر منه واما المعنوية فالاولى ما المقسم عليه نقول فيه
كانه يجعلونه بانه شعر واخرى سحرا وغير ذلك وثانيهما التوحيد والحشر هو اظهر وهو قوله لقران والقران ابتدا كلام وتبين
ذلك الثالثة ما الفايدة في صفته بالتعظيم وقوله تعالى انه لقسم نقول لما قال لا اقسم وكان معناه لا اقسم بهذا لوضوح المقسم فيه
عليه وقال لست بالكا القسم هذا لانه ليس بقسم وليس بقسم عظيم بل هو قسم عظيم ولا اقسم بل ما عظم منها قسم تحرى
بالامور على تحصيه الثالث ما الفايدة في صفة بالتعظيم وقوله انه لحق في اكثر الامر فوصف بالمعلطه والعظيم فقال
في القسم حلف فلان بالعظام تقول لحق تعلطه لان امامها كسرة واما في حق الله تعالى فالعظيم هو الكبير من
اسما عظيمه وملدا ما كن كثيره من العظيم كذلك العظيم الذي تحسم ومنا امور كثيرة وملا صدورا كبيرة ثم قال تعالى انه
لقران كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين وفيه مسايل الاولى الضمير في قوله تعالى انه عايد الى ماذا
نقول فيه وجهان احدهما الى معلوم وهو الكلام الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وكان معروفا عند الكل وكان الكفار
يقولون انه شعر وانه سحر فقال تعالى ردا عليهم انه لقران كريم والثاني عايد الى مذكور وهو جميع ما سبق من قوله تعالى في
سورة الواقعة من التوحيد والحشر والدلايل المذكورة عليها والقسم الذي قال فيه انه لقسم وذلك لانهم قالوا هذا
كله كلام محمد صلى الله عليه وسلم ومخترع من عنده فقال انه لقران كريم في كتاب مكنون **المسلة الثانية** القران مصدر

اواسم



اواسم عن مصدر نقول فيه وجهان احدهما مصدرا ريد به المفعول وهو المقرو ومثله في قوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال
او قطعت به الارض وهذا كما يقال للجسم العظيم انظر الى قدرة الله تعالى اي مقدوره وهو كما سبق في قوله تعالى هذا خلق الله فاروني
ما سمها اسم لما تقرا كالقران لما يشرب به والحلوان لما يحلى فيه ثم الكاهن وعلى هذا يسمى فساد قول من رد على الفقها في
باب الزكاة يعطي شاة على ما وجب واحد الحيوان ويعطي شيا دونه ويعطي الحيوان ايضا حيث قال الحيوان مصدر لا يوجد ولا
يعطي فيقال له هو كالقران بمعنى المقرو ويجوز ان يقال لما احرزه جايزا ومحوزا ويقال هو اسم لما يحرز به كالقربان **المسلة
الثالثة** اذا كان هذا الكلام للرد على المشركين فهم ما كانوا ينكرون كونه مقروا فما الفايدة في قوله تعالى انه لقران نقول
فيه وجوه احدها انه للاحتراز عن الكل وهو كونه قرانا كريما وهم ما كانوا يقرون به وثانيها وهو احسن من الاول انهم
قالوا انه مخترع من عنده وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول انه مسموع سمعت وتلوته عليكم وما كانوا يقولون
ان النبي عليه السلام تقرا للقران وفرق بين القراة والانشا فلما قال انه لقران اثبت كونه مقروا على النبي صلى الله عليه وسلم
وكونه ويتمحل فقال تعالى انه لقران سمياه قرانا لكثرة ما قري ويقرا الى الابد بعضه في الدنيا وبعضه في الاخرة
**المسلة الرابعة** قوله كريم فيه لطيفة وهي ان الكلام اذا كثر لا يعوت في الاعين والاذان ولهذا ما ترى ان كل احد من الملوك
يحترز ولو قيل فيهم ما قيل من قبل يقال لقايلهم لم هذا ثم انه تعالى لما قال انه لقران اي مقرو قري ويقرا قال كريم اي لا يهون
بكثرة التلاوة ويبقى ابد الدهر كالكلام الغض والحديث الطري ومن هنا يقع ان وصف القران بالحديث مع انه قديم
يستمد من هذا مددا فهو قديم يسمعه السامعون كانه كلام الساعة ولا يفرغ سمع الجماعة لا بل الملايكة الذين علموه قبل الناس
بالعهد السنين اذا سمعوه من احدها يلتذ وابه الالتذاذ السامع بكلام جديد لم يذكره من قبل والكريم اسم جامع لصفات المدح
فيل الكريم هو الذي كان طاهر الاصل وظاهر الفضل حتى ان من اصله خبيث لا يقال له كريم مطلق وانما يقال له كريم في نفسه
ومن يكون زكي الاصل دني النفس لا يقال له كريم الا مع تقييد فيقال هو كريم الاصل لكنه خسيس في نفسه ثم ان الشيخ الجيد
هو الذي يكثر عطاؤه للناس ويسهل عطاوه ويسمى كريما وان لم يكن له فضل اخر لاجل الحقيقة ولكن ذلك بسبب ان عادة
الناس يحنون من يعطيهم ويفرحهم اي يفرحون بما يعطي اكثر مما يفرحون بغيره فاذا راوا هذا وعاملا لا يسمونه كريما ويريد
هذا انهم اذا راوا واحدا لا يطلب منه شيا يسمونه كريم النفس لجرد كونه لا يستعطي الا ان الاخذ منهم صعب عليهم وهذا
كله في العادة الردية واما في الاصل فيقال كريم وهو الذي اجتمع فيه ما ينبغي من طهارة الاصل وظهور الفضل ويدل على هذا
ان السخي مقابلته ينبغي ان لا يوجد منه ما يقال بسببه انه لسيم فالقران ايضا كريم بمعنى طاهر الاصل ظاهر الفضل لفظه
فصيح ومعناه صحيح لكن القران ايضا كريم على مفهوم العوام فان كل من طلب شيا اعطاه فالفقيه يستدل به وياخذ منه
والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب يستفيد منه ويتقوى به والله تعالى وصف القران بكونه كريما وبكونه عزيزا وبكونه
حكيما قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز فكونه كريما كل من اقبل عليه فانه فان كثيرا من الناس لا يفهم من العلوم شيا واذا
استعمل القران سهل عليه حفظه وقلما يرى شخصا يحفظ كتابا يقراه بحيث لا يغير كلمة بكلمة ولا يبدل حرفا بحرف وجميع
القرا يقرون القران من غير توقف وغير تبديل وكونه عزيزا من تعرض عنه لا يبقى معه منه شي لعزته ولا يتسبب من لا يلزمه
بالحفظ وكونه حكيما من اشتغل به واقبل عليه بالكلية عن ساير العلوم قوله مما ذلك نقول فيه وجوه
احدها القران اي هو قران في كتاب كما يقال فلان رجل كريم في بيته لا يشك السامع بان مراد القايل انه في الدار قاعد ولا يريد به
اذا كان خارجا ولا تشك ايضا انه لا يريد به انه كريم في بيته بل المراد انه
انه رجل اذا كان في الدار غير
رجل كريم وهو في البيت فلذلك ههنا انه لقران كريم في كتاب المطرو فعلى معنى انه كريم في بيته بل المراد انه رجل كريم وهو في البيت
فلذلكا وانما اراد به انه كريم كرمه في نفسه فلذلك في انه كريم في اللوح وان لم يكن كريما عند الكفار ثالثها المظروف هو مجموع قوله تعالى
في قران كريم اي هو هكذا في كتاب كما يقال وما ادراك ما عليون في كتاب الله تعالى والمراد حينيذ انه في اللوح المحفوظ نعته مكتوب انه
لقران كريم والكل صحيح والاول ابلغ في التعظيم بالمر السماوي **المسلة الخامسة** ما المراد من الكتاب نقول فيه وجوه الاول
وهو الاصح انه اللوح المحفوظ ويدل عليه قوله تعالى انه لقران مجيد في لوح محفوظ الثاني الكتاب هو المصحف الثالث كتاب من الكتب
المنزلة فهو قران في التورية والانجيل وغيرهما فان قيل كيف سمي الكتاب كتابا فنقول اذا كان فعالا في معنى المصدر ولا يكون في مكتوب وانما
يكون مكتوبا في لوح او ورق فالمكتوب لا يكون في الكتاب انما يكون في قرطاس نقول ما ذكرت من الموازين يدل على ان الكتاب ليس
للمكتوب ولا هو المكتوب فيه اذا المكتوب عليه فان الكتاب مالثم والهوان مما يهان فيه كلا بالمصون لكن اللوح لما لم يكن الالات
يكتب فيه صح تسميته كتابا **المسلة السادسة** المكتوب هو المكنون قال الله تعالى كاللولو المكنون وقال بيض مكنون فان
كان المراد من الكتاب اللوح فهو ليس بمنشور وانما السي منه منشور وان كان المراد هو المصحف فقدم كونه مكتوبا منشورا
ظاهر فكيف الجواب عنه فنقول المصون المحفوظ اذا كان غير عزيز يحفظ العين وهو ظاهر يحفظ بالعين وهو ظاهر للناس
فاذا كان عزيزا شريفا لا يكتفي بالصون والحفظ عن العين بل بستره عن العيون ثم لما يزداد عزته يزداد ستره فتارة
يكون محزونا ثم يجعل مدفونا بالستر صار كالكلام للعيون التابع فقال مكنون اي محفوظ غاية الحفظ يذكر اللازم
واراد الملزوم وهو باب من الكلام الفصيح يقول فلان كريم اي قليل الوجود الجواب الثالث ان اللوح المحفوظ مستور
عن العين لا يطلع عليه الا ملايكته المقربون ولا ينظر اليه الا قوم يتفردون واما القران فهو مكتوب مستور ابد الدهر عن اعين

المشركين مصون عن التحريف فان قيل ما فايدة كونه في كتاب وكل مقروء في كتاب نقول هو لتاكيد الرد على الكفار لانهم كانوا يقولون
انه مخترع او مفترى وكلما قال مقرو عليه اندفع كلامهم ثم انهم قالوا ان كان مقروا عليه فهو كلام الحق فقال في كتاب اي لم ينزل به
عليه الملك لا بعد ما اخذه من كتاب فهو ليس بكلام المليكة فضلا عن ان يكون كلام الجن واما اذا قلنا انه كريما فهو في كتاب ففايدته
ظاهرة واما فايدة كونه في كتاب فيكون ردا على من قال انه اساطير الاولين في كتب ظاهرة فلم يطلعوا عليه مكنون فان اساطير
الاولين في كتب ظاهرة فلم يطلعوا اهل الكفار ولم لا يطلعون عليه لا بل هو في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون فاذا اسي فيما
ذكرنا وصفه بكونه قران واردا على من قال بذكره من عنده وقوله في كتاب رد على من قال سلوه عليه الحيث اعترف بكونه
مقروا انه في شي اخر وقوله مكنون رد على من قال انه مقروء في كتاب لكنه من اساطير الاولين **المسئلة السابعة**
لا يمسه الضمير عايدا الى الكتاب على الصحيح ويحتمل ان يقول هو عايد الى ما عاد اليه المضمر في قوله انه ومعناه لا يمس
القران الا المطهرون والصيغة اخبار لكن الخلاف في انه هل هو بمعنى النهي كما ان قوله تعالى والمطلقات يتربصن اخبار
بمعنى الامر فمن قال المراد من الكتاب اللوح المحفوظ وهو الاصح على ما بينا قال هو اخبار معنى كما هو اخبار لفظا اذا قلنا ان
المضمر في المس الكتاب ومن قال المراد المصحف اختلف فيه قوله وفيه وجه ضعيف نقله بن عطية انه صيغة ومعنى
وحركة اليه ضمة الها الاعراب ولا وجه له والله اعلم **الثامنة** اذا كان الاصح ان المراد من اللوح اللوح
المحفوظ فالصحيح ان الضمير في لا يمسه للملك فكيف يصح قول الشافعي لا يجوز مس المصحف للمحدث نقول من قال اخذه يصح
الاية ولعل اخذه من السنة فان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى عمرو بن حزم لا يمس القران من هو على غير طهر او احده من
الاية على طريق الاستنباط وقال انتفى اللمس لغير طهر من صفات دالة على التعظيم واللمس بغير طهر نوع اهانة
وذلك لان الاضداد ينبغي ان تقابل بالاضداد فاللمس بالطهر في مقابلة اللمس على غير طهر وترك اللمس عن كل واحد منهما
فلذلك الاكرام في مقابلة الاهانة وهناك شي ليس باكرام ولا اهانة فيقول ان من لا يمس المصحف لا يكون مكرما ولا
مهينا بترك اللمس خرج عن الضد من نفي اللمس عن التعظيم فاللمس على احد ذا اهانة فلا يجوز وهو معنى دقيق يليق بالشافعي
ومن يقرب منه في الدرجة ثم اذ ههنا لطيفة فقهية لاحت لهذا الضعيف في حال التفكر في تفسير هذه فاراد تقييده
ههنا فانه من فضل الله تعالى فيجب اكرامه بالتقييد بالكتاب وهو ان الشافعي منع المحدث والجنب من مس المصحف وجعلهما
غير متطهرين ثم منع الجنب عن قراءة القران ولم يمنع المحدث وهو استنباط منه من كلام الله تعالى وذلك لان الله تعالى
منع عن المسجد بتصريح قوله تعالى ولا جنبا فدل ذلك على انه ليس اهلا للذكر لانه لو كان اهلا للذكر لما منعه
عن دخول المسجد لانه تعالى اذن لاهل الذكر في الدخول بقوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه والماذون
في الذكر ماذون في دخول المسجد ضرورة فلو كان الجنب اهلا للذكر لما كان ممنوعا عن دخول المسجد والمكث فيه وانه
ممنوع عنهما وعنا حدهما واما المحدث فعلم انه غير ممنوع عن دخول المسجد فان من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين
من كان يدخل المسجد وجوز النبي صلى الله عليه وسلم نوم النوم في المسجد ولم يجعل النوم حدثا والنوم الخاص يلزمه الحكم
بالحدث على احد قولين بين الايمة ولما لم يكن ممنوعا عن دخول المسجد ثبت كونه من اهل الذكر فجاز له القراءة فان قيل وكان
ينبغي ان لا يجوز للجنب ان يسبح ويستغفر لانه ذكر نقول القران هو ذكر المطلق قال الله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقال تعالى
ص والقران ذي الذكر وقوله تعالى يذكر فيها اسمه مع انا نعلم ان المسجد سمي مسجدا وسجد القوم محلا للسجود والمراد منه
الصلوة والذكر الواجب في الصلوة هو القران فالقران مفهوم من قوله تعالى يذكر فيها اسمه ومن حيث المعقول هو ان عند ان القران
ربما الذكر من يراد معناه فيكون الكلام عند ذكرا فاما من قال استغفر الله اخبر عن نفسه بامر ومن قال لا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم كذلك اخبر عن امر كاين تحلق من قال قل هو الله احد فانه ليس بمتكلم به بل هو قائل له غير امر بعده يا القول
فالقران هو الذكر الذي لا يكون الا على قصد الذكر لا على قصد الكلام فهو الذكر المطلق وغيره قد يكون ذكرا وقد لا يكون فان
قيل فاذا قال ادخلوها بسلام واراد الاخبار ينبغي ان لا يكون قرانا وذكرا نقول في نفسه قران ومن ذكره على قصد الاخبار
وارادة الامر والاذن في الدخول يخرج عن كونه قاريا للقران وان كان لا يخرج عن كونه قرانا ولهذا نقول تحل سطلان
صلاته ولو كان قاريا لما بطل وهذا جواب فيه لطيف ينبغي ان يتنبه له المطالع لهذا الكتاب وذلك لاني من حيثما لي فرق
بين ان يقال ليس قول القايل ادخلوها بسلام على قصد الاذن قرانا وبين قول القايل ادخلوها بسلام واراد
الاخبار ينبغي ان لا يكون قرانا وذكرا نقول في نفسه قران ومن ذكره على قصد الاخبار واراده الامر والاذن في
الدخول يخرج عن كونه قاريا للقران وان كان لا يخرج عن كونه قرانا ولهذا نقول تحل سطلان صلاته ولو كان قاريا
لما بطل وهذا جواب فيه لطف ينبغي ان يتنبه له المطالع لهذا الكتاب وذلك لاني من حيثما لي فرق بين ان نقول ليس
قول القايل ادخلوها بسلام على قصد الاذن قرانا وبين قوله ليس قوله ادخلوها بسلام على قصد نقارى القران واما
الجواب من حيث المعقول فهو ان العبادة على منافاة الشهوة والشهوة اما شهوة البطن واما شهوة الفرج في الكثر الامر فان
احد لا يخلو عنهما وان لم يشتهه سيما في الماكول والمشروب والمنكوح لكن شهوة البطن قد لا يسمى شهوة بل يصير حاجة
عند الجوع وضرورة عند الخوى ولهذا قال تعالى ولحم طير مما يشتهون اي لا يكون لحاجة ولا ضرورة بل لمجرد الشهوة وقد بيناه
في هذه السورة واما شهوة الفرج فلا تخرج عن كونه شهوة وان خرجت بكونه في محل الحاجة لا الضرورة فلان شهوة الفرج شهوة محققة

والعبادة



والعبادة منها للشهوة فلم تخرج قضاء شهوة الفرج مع اداء عبادة بدنية قط بل حكم الشارع ببطلان الحج به وبطلان
الصوم والصلوة اما قضاء شهوة البطن لما لم يكن شهوة مجردة بطل به الصلوة والصوم دون الحج وربما لم يبطل الصلوة
ايضا اذا ثبت هذا نقول لخروج الخارج دليل قضاء الشهوة البطنية وخروج المني دليل قضاء الشهوة الفرجية فواجب
بهما تطهير النفس لكن الظاهر والباطن متحادان فامر الله تعالى بتطهير الظاهر عن الحدث والانزال لموافقة البطن
والانسان اذا كان له بصيرة وسر في تطهير باطنه عند الاغتسال للجنابة فانه حقه ورغبة في الصلوة والذكر وههنا
لطيفة نتمم لهذه اللطيفة وهي انه قايلا لو قال لو صح ما ذكرت للزم ان يجب الوضوء للاكل كما يجب بالحدث ولي لان الاكل به قضاء
الشهوة وهذا كما ان الاغتسال لما وجب بالانزال لو صح قولك لكونه دليل قضاء الشهوة فكيف بالايلاج لكنه قضاء فلذلك
الاحداث والاكل نقول ههنا سر مكنون وهو ما بيناه ان الاكل قد يكون لحاجة ضرورية فيقول الاكل لا يعلم كونه شهوة
الا بعلامة فاذا احدث علم انه اكل للاكل ولا يعلم كونه للشهوة الا بعلامة بعد ما وصل عن بدل ما تحلل وصار
ذلك دليلا على انه قضى شهوة بطنه فما طلب الشارع الحيات البطن بما هو دليل قضاء الشهوة واما الايلاج فلا يكون للحاجة
او لا يكون الضرورة فهو شهوة كيف ما كان فما طلب الشارع ايجاب التطهير به وبدليله وعند احدهما قوله صلى الله عليه وسلم
انما الماء من الماء فان الانزال كالاحداث وكما ان الحدث هو الخارج وهما اصل في ايجاب الوضوء كذلك ينبغي ان يكون الانزال
الذي هو الخروج هو الاصل في ايجاب الغسل فان عنده بين قضاء الحاجة والشهوة فان ذلك قضاء الشهوة كما ان خروج الحدث
دليله وذلك لان المضطر لا يصبر الى ان يستوي الطعام بالنار بل ياكله كيفما كان فاكل الشي بعد الطبخ دليل على انه قضاء
الشهوة لا دافع به الضرورة ونعود الى الجواب عن السوال ونقول اذا تبين هذا فالشافعي قضينا بان شهوة الفرج شهوة بطن
محضة فلا يجامع عدم الجنابة ولا ينبغي ان يقرا الجنب القران والمحدث يجوز له ان يقراه لان الحدث ليس يكون عنده شهوة محضة
قوله تعالى الا المطهرون هم الملايكة طهرهم الله تعالى في اول الامر وابقاهم كذلك غيرهم ولو كان المراد نفي الحدث لقال تعالى
لا يمسه الا المطهرون او المطهرون بتشديدها الطاء والهاء والقراة المشهورة الصحيحة المطهرون في التطهير لا من الاطهار
وعلى هذا يتايد ما ذكرنا من وجه اخر وذلك من حيث ان بعضهم كان يقول نزل به الشيطان ويلقيه عليه كما كانوا يقولون في
حق الكهنة فانهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم كاهن فقال لا يمسه الجن وانما يمسه المطهرون الذين خلقوا بحيث
لا يكونون محلا للافساد والسفك ولا يفسدون ولا يسفكون وعندهم ليس غير طهر على هذا الوجه فيكون هذا ردا
على القايلين بكونه معربا وشاعرا مجنونا بصفة الجن كونه كاهنا وكل ذلك قولهم والكل يرد عليهم بما ذكر الله تعالى ههنا من
اوصاف كتاب الله تعالى العزيز قوله تعالى تنزيل من رب العالمين مصدر والقران الذي في كتاب ليس تنزيلا انما هو منزل كما قال تعالى
نزل به الروح الامين ذكر المصدر وارادة المفعول كثير كما قلنا في قوله تعالى هذا خلق الله فان قيل فما فايدة العدول عن الحقيقة
الى المجاز عجانة في هذا الموضع نقول المرسل والمنزل كلاهما مفعولان ولهما تعلق بالفاعل لكن تعلق الفعل بالمصدر اكثر وتعلق
المفعول به بالنظر اليه عن الفاعل به نقول هذا في الكلام فان كلام الله تعالى ابينا صفا فاما بالله تعالى عندنا
وانما يعول من حيث الصفة واللغة ذلك يستوي مال اخر ليخبر الامر من غير غلط وخطاء في الاعتقاد فيقول
في القدرة والمقدور تعلق القدرة بالفاعل ابلغ من تعلق المقدور فان القدرة في القادر والمقدور ليس منه
فاذا قال هذه قدرة الله كان له من العظمة ما لا يكون في قوله تعالى هذا مقدور الله لان عظمة الشي لعظمة الله
فاذا جعلت الشي قائما بالتعظيم غير مباين عنه كان اعظم واذا ذكرته بلفظ يقال مثله فيما لا يقوم بالله وهو المفعول به
كان دونه فقال تعالى تنزيل ولم يقل منزل ثم ههنا بلاغة اخرى وهو ان المفعول قد يذكر ويراد به المصدر على ضد ما
ذكرنا كما في قوله تعالى مدخل صدق اي دخول صدق وقال تعالى كل ممزق اي تمزيق فالممزق بمعنى التمزيق كالمنزل بمعنى
التنزيل على العكس وهذه البلاغة هو ان الفعل لا ترى والمفعول به يصير مرئيا والمرئي اقوى في العلم فقال تعالى مزقناهم
تمزيقا هو فعل معلوم ولكل احد علم يقيني يبلغ درجة الرؤية ويصير للتمزيق هذا كما صار الممزق مائيا ومرئيا والكلام
مختلفا المواقع الكلام وستجيء الموفق بتوفيق الله تعالى وقوله تعالى من رب العالمين ايضا تعظيم القران لان الكلام يعظم
بعظمة المتكلم ولهذا يقال لرسول الملك هذا كلام الملك وكلامك وهذا كلام الملك الاعظم او كلام الملك الذي هو
دونه اذا كان الرسول رسول ملوك فيعظم الكلام بقدر عظمة المتكلم فاذا قال رب العالمين بين منه عظمة لا عظمة
مثلها وقد بينا تفسير العالم وما فيه من اللطائف وقوله تعالى تنزيل رد على طايفة اخرى كان على وجودهم وقيل
انهم وجدوا وهم الذين يقولون انه في كتاب الله تعالى لا يمسه الا المطهرون وهم الملكة لكن الملك يا حدهم
الناس من عنده ولا يكون من الله تعالى وذلك ان طايفة من الروافض يقولون ان جبريل عليه السلام انزل على علي
فنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى هو من الله ليس باختيار الملك ايضا وعند هذا تبين الحق فعاد الى توبيخ
الكفار وقال تعالى افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وفيه مسايل **المسئلة
الاولى** هذا اشارة الى ماذا نقول المشهور انه اشارة الى القران والاطلاق الحديث في القران على الكلام القديم
كثير بمعنى كونه اسما لا وصفا فان الحديث اسما لا يحدث به ووصف يوصف وما يحدث فيقال امر حادث ورسم
حديث اي جديد ويقال عجبني حديث فلان وكلامه وقد بينا ان القران له لذة الكلام الطري والحديث الذي

يسمع والوجه الثاني انه اشارة الى ما يحدثونه من قوله تعالى وكانوا يقولون ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون
او اباونا الاولون وذلك لان الكلام منتظم قال تعالى رد عليهم ذلك بقوله تعالى قل ان الاولين والاخرين وذكر عليه بقوله تعالى
نحن خلقناكم وبقوله تعالى افرايتم ما تمنون افرايتم ما تحرثون واقسم بعد الدليل بقوله تعالى فلا اقسم وبين ان ذلك اخبار
بقوله تعالى انه لقران كريم ثم عاد الى كلامهم وقال تعالى افبهذا الحديث الذي تحدثون به انتم مدهنون لاصحابكم تعلمون خلافه
وتقولون ام انتم به وعلى الاصل دعازمون وسنبين وجهه في تفسير المدهن وفيه وجهان احدهما ان المدهن المراد به المكذب
قال الزجاج معناه اما القران انتم مكذبون والتحقيق فيه ان الادهان تليين الكلام لاستمالة من غير اعتقاد صحة الكلام من المتكلم
كما ان العدو اذا عجز عن عدوه يقول له انا داع لك ومن علمك مداهنه وهو كاذب فصار استعمال المدهن في المكذب استعمالا
ناسا وهذا اذا قلنا الحديث هو القران والوجه الثاني ان المدهن هو الذي يلين في الكلام ويوافق باللسان وهو مصر على الخلاف فقال
انتم مدهنون من تقول له ان الشرك كاذب وان الحشر محال وذلك لما انتم عليه من الرياسة وتخافون انكم ان صدقتم ومنعتم ضعفاكم من الكفر
يتوجب عليكم من كسبكم ما تحاه تحسه فتجعلون رزقكم انكم تكذبون الرسل والاول عليه اكثر المفسرين لكن الثاني مطابق لصريح اللفظ فان
الحديث بكلامهم اولى وهذا الحديث قولهم انا لمبعوثون كلامه في السورة والمدهن يبقى على حقيقته فانهم ما كانوا يدهنون بالقران
وقول الزجاج تكذبون جا بعده صريحا واما قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون فيه وجوه الاول تجعلون شكر النعم انكم تقولون
مطرنا بنوء كذا وعليه اكثر المفسرين والثاني تجعلون رزقكم اي معاشكم وكسبكم بتحديث محمد صلى الله عليه وسلم كما يقال فلان قطع
الطريق معاشه والرزق في الاصل مصدر سمي به ما يرزق تقال خلق الله رزق كما يقال للمقدور قدرة وللمخلوق خلق وعلى
هذا فالتكذيب مصدر به كانوا يحصلون مقاصدهم واما قوله تعالى تكذبون فعلى الاول تكذبهم بما قال الله تعالى وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها وغير ذلك وعلى الثاني المراد جميع ما صدر منهم من التكذيب وهو الحق بالى اللفظ ثم قال تعالى فلولا اذا
بلغت الحلقوم وفيه مسايل **المسئلة الاولى** المراد من لولا بمعنى هلا وهو كلمة تحضيض وللتحضيض اربع كلمات لولا
ولوما وهلا والا ويمكن ان يقال اصل الكلمات لا على السؤال كما تقول القايل ان كنت صادقا فلم لا تظهر صدقكم ثم ان قلنا
لم لا تكونه استفهاما اشبه قولنا هلا ثم ان الاستفهام تارة يكون عن وجود الشي واخرى عن سبب وجوده تقول هل جا
زيد وتقول لم جا والاستفهام بهل قبل الاستفهام بلم ثم ان الاستفهام قد يستعمل للانكار وهو كثير منه قوله تعالى
ههنا افبهذا الحديث انتم مدهنون وقوله تعالى اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين وقوله تعالى ائفكا الهة
دون الله تريدون ونظايرها كثيرة وقد ذكرنا الحكم فيه وهو ان النافي والناهي لا يامن ان يكذب المخاطب يعرض بالسبق فلا يحتاج
انا الى بيان النفي بلا اذا ثبت هذا فالاستفهام بهل للانكار وبيان الاستفهام بلم لان من قال لم فعلت به كلا يشير الى انه لا سبب
للفعل وتقول لان الفعل وقع من غير سبب لوقوع وهو غير جايز واذا الى هل فعلت تنكر نفس الفعل من غير
سبب وكانه الاولى تقول لو وجد للفعل سبب به نكت لفقدور وفي الثاني تقول لو وجد له سبب بحيث ان كل واحد
منهما يقع في صدر الكلام ويستدعي كلاما مركبا من كلامين في الاصل اما في هل فلان اصلها انكر يستعملها في جملتين
تقول هل جاء زيد او ما جاء اليك لما تحدث احدهما صحة لو تقول لو كان كذا لكان كذا وربما يجري الجزا كما ذكرنا في قوله تعالى
لو تعلمون لكان المنفي بلو كما بينا في قوله تعالى لو تعلمون لانه يشير بلو الى المنفي له دليل فاذا قال القايل لو كنتم
تعلمون لفعلتم كذا فاذا قال في الاخر لو تعلمون يشير الى انهم لا يعلمون ودليله مستحصر اي طولب به بينه واذا ثبت
ان النفي بلو والمنفي هل ابلغ من النفي بلا والمنفي بقوله لم بينهما اشتراك له وصل معنى ولفظا وحكما فصارت كلمات
التحضيض هلا والا كما تقول لم لا فاذا قال القايل هل تفعل وانت عنه مستغن فقوله لم تفعل وهو شبيه وقوله
هل لا تفعل وانت اليه محتاج والا تفعل وانت اليه محتاج وقوله لولا ولوما للنوله لم لا تفعل ولم فعلت فقد وجد
في الاردما وزيد لان نقل اللفظ لا يخلو من نص كان المعنى صار فيه زيادة ما نعرفه على ما في الاصل كما بيناه وقوله
تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم اي لا تقولون ما تقولونه عند الموت وهو وقت ظهور الامور وزمان اتفاق الكلمات
ولو كان ما تقولونه حقا ظاهرا كما يزعمون لكان الواجب ان لا تتركوه عند النزع وهذا اشارة الى ان كل احد يؤمن
عند الموت لكن لم يقبل ايمان من لم يؤمن قبل فان قيل ما سمع منهم الاعتراف وقت النزع لم تقولون ولم يكذب بالرسل
ايضا وقت بلوغ النفس الى الحلقوم وتلوت عليه تقول بهذه الاية بعضها اشارة وبشارة اما الاشارة فالى الكفار
واما البشارة فللرسل اما الاولى فهو ان الله تعالى ذكر الكفار حالة لا يمكنهم انكارها وهي حالة الموت فانهم وان كذبوا
بالحشر ونحو الحياة بعد الموت لكنهم لم ينكروا الموت وهو ظاهر من كل ما هو مثله ولا يسكون في حالة النزع ولا يسكون في انه
ذلك الوقت لا يبقى لهم لسان ينطلق ولا انكار يعمل فيفوتهم قوة الاكتساب ولا يمكنهم الايمان مما يوجب سكون ذلك حثا
لهم على تجديد النظر في طلب الحق قبل تلك الحالة واما البشارة فلان الرسل لما كذبوا وكذب برسلهم وصعب عليهم فبشروا
بان المكذبين سيرجعون عما يقولون اذا كان ضيق النزع فذاك وهو قول معبود والا عند الموت هو غير نافع
والضمير في بلغت النفس او الحياة او الروح وقوله تعالى وانتم حينئذ تنظرون تاكيد لبيان الحق اي في ذلك الوقت
تصير الامور مرتبه متشايدة يبطل بها كل من بلغ في تلك الحالة فان كان ما ذكرتم حقا كان ينبغي ان يكون في ذلك الوقت
وقد ذكرنا التحقيق حينئذ في قوله تعالى يومئذ في سورة الطور وان اللفظ والمعنى معا يقان على ما ذكرنا لانهم كانوا

يكذبون

يكذبون بالرسل والحشر وصرح الله تعالى به في هذه السورة عنهم حيث قال تعالى انهم كانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون
ايذا متنا وهذا كالصريح بالتكذيب واما المضمر فقد ذكره الله تعالى عند قوله افرايتم الماء الذي تشربون ثم قال تعالى أانتم انزلتموه
من المزن ام نحن المنزلون لانهم ما كانوا ينكرون ان الله تعالى منزل لكنهم كانوا يجعلون ايضا الكواكب المنزلين
بالواسطة وبالتفويض على ما هو مذهب المشركين ومذهب الفلاسفة واما التفسير المشهور يحتاج الى اضمار تقديره
تجعلون شكر رزقكم واما جعل الرزق بمعنى المعاش فاقرب يقال فلان رزقه في لسانه ورزق فلان في رجله ويدل ايضا
فقوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم متصل به اي بما قبله لما بينا ان المراد به يكذبون الرسل فلم لا تكذبونهم وقت النزع
قوله تعالى ولئن سالتهم من نزل من السما ما فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله فعلم انهم كذبوا كما قال صلى
الله عليه وسلم لرب المنجمين ورب الكعبة ولم يكذبوا وعلى هذا قراه من قرا تكذبون بالتخفيف لا يرد وانما المدهن على ما ذكرنا
سي على الاصل ويوافقه قوله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون فان المراد هناك ليس يكذب مكذبون لانهم ارادوا النفاق
لا التكذيب الظاهر والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى** فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم
صادقين فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام
لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا
لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم وفيه مسايل **المسئلة الاولى** اكثر المفسرين على ان لولا في المرة
الثانية مكررة وهي التي تعها قال الله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم ولها جواب واحد وتقريره على ما قاله الزمخشري
فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم اي كنتم غير مدينين وقال بعضهم هو كقوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون حيث جعل فلا خوف جزا شرطين والظاهر خلاف ما قالوه وهو ان يقول جواب لولا في قوله تعالى
فلولا اذا بلغت الحلقوم هو ما يدل عليه ما سبق يعني يكذبون مدة حياتكم جاعلين التكذيب رزقكم ومعاشكم فلولا تكذبون
وقت الموت وانتم في ذلك الوقت تعلمون الامور وتشاهدونها واما لولا في المدة الثانية فجوابها ترجعونها **المسئلة الثانية**
في مدينين اقوال منهم من قال ان المراد مملوكين ومنهم من قال مجزيين وقال الزمخشري من قال ان السلطان اذا ساس
ويحتمل ان يقال المراد غير مقيمين من المدن اذا اقام وهو حينئذ فعيل ومنه المدينة وجمعها المداين من غير اظهار الهاء ولو كان
مفعله لكان مداين كمعايش بالياء ووجهه ان يقال كان العذاب الدايم وكان قوم يذكرون العذاب ومن اعترف به كان
يكر دامه ومثله قوله تعالى لن تمسنا النار الا اياما معدودة فان كنتم على ما تقولون لا تبقون في العذاب الدايم فلم لا
ترجعون انفسكم الى الدنيا ان لم تكن الاخرة دار الاقامة واما على قوله مجزيين فالتفسير مثل هذا كانه يقول سعدون وقت
النزع رسل الله في الحشر فان كنتم بعد ذلك غير مجزيين فلم لا ترجعون انفسكم في دنياكم التي ليست دار الجزا تختارون تكونون حيث
يريدون من الاماكن واما على قولنا مملوكين من اذا ملك ومنه المدينة المملوكة فالامر ظاهر متى اذا كنتم لستم تحت قدرة
احد فلم لا ترجعون انفسكم الى الدنيا كما انكم في دنياكم التي ليست دار جزا كانوا ياخذون بقول الفلاسفة في بعض الاشيا
دون بعض كما كانوا يقولون بالطبايع وان الاحصار وهي معمولون باسباب فلله والاسباب بدل
والجبران كذلك والاحيا الله في سي وسرا عليه انكار الرسل والحشر فقال تعالى ان كان الامر على ما تقولون فانا بالطبع
التي تدعي العلم لا يقدر ترجع النفس من الحلقوم مع ان للطبع عنده كذلك امكان كان عندهم الشفا بالغذا وان دفع
الامراض بالغذا ممكن واذا علم هذا فان قلنا غير مدينين معناه غير مملوكين رجع الى قولهم من انكار الحشر الاحيا
وقلب الامور كما شاء الله تعالى وان قلنا غير مقيمين فكذلك لان انكار الحشر منا على القول بالطبع وان قلنا
غير محاسبين ومجزيين فلذلك ثم لما بين ان الموت انفى للحشر بعده لازم بين ما يكون بعد الحشر ليكون كافيا
للمكلف على العمل الصالح وزاجرا للمتمرد عن العصيان والكذب فقال تعالى فاما ان كان من المقربين بهذا وجه تعلقه
معنى واما تعلقه لفظا فكقوله لما قال تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها وكان فيها ان يرجع الحياة
والنفس الى الدنيا ليس تحت قدرتهم ولا رجوع لهم بعد الموت الى الدنيا صار كانه قال انتم بعد الموت دايمون في
دار الاقامة ومحرومون فالمجزي ان كان من المقربين فله الروح والريحان وفيه مسايل **المسئلة الاولى** في معنى الروح
وفيه وجوه الاول هو الرحمة قال تعالى ولا تيأسوا من روح الله اي رحمة الله الثاني الراحة الثالث الروح واصل
الروح السعة ومنه الروح لسعة ما بين الرجلين دون الفحج وقرى من روح بضم الرا بمعنى الرحمة **المسئلة الثانية** في الكلام
اضمار تقديره فله روح اي فروح له والفا عنه لكون الجزا جزا الرابط الجملة بالشرط ليعلم كونها جزا وكذلك اذا كان امرا او نهيا او
ماضيا لان الجزا اذا كان مستقبلا يعلم منه كونه جزا بالجزم الظاهر في السمع والخط وهي الاشيا التي ذكرها لا تحتمل الجزم اما في الامر
والنهي فظاهر واما الامر والنهي فلان الجزم فيها لكونها جزا ليس فلا علامة للجزا فيه فاختاروا الفا فانه لترتيب امر على
امر والجزا مترتب على الشرط **المسئلة الثالثة** في الريحان وقد تقدم تفسيره في قوله تعالى ذو العصف والريحان ولكن
ها هنا فيه كلام ومنهم من قال المراد ههنا ما هو المراد ثم اما الرزق واما الريحان واما النبات المعروف وعلى هذا فقد قيل
ان اهل الجنة لا يخرج من الدنيا الا ويؤتى اليه بريحان من الجنة يشمه وقيل بان المراد ها هنا غير ذلك وهو الخلود
وقيل هو رضي الله تعالى عنهم واذا قلنا الروح هو الرحمة فالاية كقوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات

لهم فيها نعيم مقيم واما جنة نعيم فقد تقدم القول فيها عند تفسير قوله تعالى اولئك المقربون في جنات النعيم وذكرنا فايدة التعريف هناك وفايدة التنكير هاهنا الرابعة ذكرنا في حق المقرب امورا ثلثة هاهنا وفي قوله تعالى يبشرهم ربهم وذلك لانه اتى بامور ثلاثة في عمره عقيدة حقه وكلمة طيبة واعمال الحسنة فالقلب واللسان والجوارح كلها كانت مرتبة برحمة الله تعالى على عقيدته وكل من له عقيدة حقه برحمة الله ورزق الله تعالى دايما على الكلمة الطيبة وهي كلمة الشهادة وكل من قال لا اله الا الله فله رزق كريم والجنة له على اعماله الصالحة قال الله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله وقال تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فان قيل فعلى هذا من اتى بالعقيدة الحقة ولا ياتي بالكلمة الطيبة ينبغي ان يكون من اهل الرحمة ولا يرحم الله تعالى الا من قال لا اله الا الله نقول من كانت عقيدته حقه لابد ان ياتي بالقول فان لم يسمع لا نحكم لان العقيدة لا اطلاع لنا عليها فالقول دليل لنا واما الله تعالى فهو عالم الاسرار ولهذا ورد في الاخبار ان من الناس من يدفن في مقابر الكفار ويحشر مع المومنين ومنهم من يدفن في مقابر المسلمين ويحشر مع الكفار فان قيل لا يقال بان من لا يعمل الاعمال الصالحة لا يكون له الجنة على ما ذكرت كما تقول المعتزلة نقول الجواب عنه من وجهين احدهما ان من عقيدته الحقه وكلمته الطيبة في مركانه بلا عمل فهذا امر غير واقع او هو غير جايز وثانيهما ان نقول من حيث الجزا واما من قال لا اله الا الله يدخل الجنة وان لم يعمل عملا لا على وجه الجزا بل بمحض فضل الله تعالى من غير جزا وان كان الجزا ايضا من الفضل لكن من الفضل ما يكون كالصدقة المبتداة ومن الفضل ما يعطي الملك الكريم والمهدى عطيا لا يستحقه هدية ولا رزقه

ثم قال تعالى واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وفيه مسايل **المسئلة الاولى** وفيه وجوه اولها تسلم به صاحب اليمين على صاحب اليمين كما قال تعالى من قبل لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما ثانيها فسلام لك اي سلامة لك بامر حاق به فلك فانه في اعلى مراتب وهذا كما يقال لمن تعلق قلبه بولده الغايب عنه اذا كان يخدم عند كريم تقول له كن فارغا من جانب ولدك فانه في راحة ثالثها ان هذه الجملة كلام عليه حالهم كما يقال للخلوق ما هلك به وحسبك انه فلان اشارة الى انه ممدوح فوق حق الفضل **المسئلة الثانية** الخطاب بقوله لك مع من نقول قد ظهر بعض ذلك فنقول يحتمل ان يكون المراد من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وحينئذ فيه وجوه منها ذكرنا ان ذلك تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم فانهم غير محتاجين الى شيء من الشفاعة وغيرها فسلام لك يا محمد صلى الله عليه وسلم فانهم في سلامة وعافية لا تهتم امرهم فسلام لك يا محمد منهم وكونه ممن يسلم على محمد صلى الله عليه وسلم دليل العظمة فان العظيم لا يسلم عليه الا الاعظم وعلى هذا فيه لطيفة وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم مكانه فوق مكان اصحاب اليمين بالنسبة الى المقربين الذين هم في عليين كاصحاب الجنة بالنسبة الى عليين فلما قال تعالى واما ان كان من اصحاب اليمين كان فيه اشارة الى ان مكانهم عند مكان الاولين المقربين فقال هولاء وان كانوا دون الاولين لكن لا ينقطع بينهم المكالمة والتسليم بل هم يرونك ويصلون وصول جليس الملك كالملك وغاير الى اهله وولده واما المقربون فهم يلازمونك ولا ينفكون عنك وان كنت اعلى مرتبة منهم ثم قال تعالى واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قال هاهنا من المكذبين الضالين وقال من قبل ثم انكم ايها الضالون المكذبون وترتيبا فايدة التقديم والتاخير هناك **المسئلة الثانية** ذكر الازواج الثلاثة في اول السورة بعبادة واعادهم بعبادة فقال اصحاب الميمنة ثم قال اصحاب اليمين وقال اصحاب المشامة وقال اصحاب الشمال واعادهم هاهنا في المواضع الثلاثة ذكر اصحاب اليمين بلفظ واحد وبلفظين مرتين احدهما في الاخر وذكر السابقين في الاول بلفظ السابقين وفي اخر السورة بلفظ المقربين وذكر اصحاب الشمال في الاول بلفظ اصحاب المشامة ثم بلفظ اصحاب الشمال ثم بلفظ المكذبين فما الحكمة فيه نقول اما السابقون فله حالتان احداهما في الاولى والاخرى في الاخرة من المقربين فذكرهم في المرة الاولى بما له في الحالة الاولى وذكر في الحالة الثانية بما له في الحالة الاخرة وليس له حاجة في واسطة بين الوقوف للعرض والحساب بل هو ينقل من الدنيا الى اعلى عليين ثم ذكر اصحاب اليمين بلفظين متقاربين لان حالهم قريبة من حال السابقين وذكر الكفار بالفاظ ثلاثة كانهم في الدنيا ضحكوا عليهم بانهم من اصحاب الشمال ذكر ما يكون لهم من السموم والحميم ثم اقتصر عليه ثم ذكر السبب فيه فقال تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون فذكر سبب العقاب لما بينا مرارا ان العادل يذكر للعقاب سببا والمفضل لا يذكر للانعام والفضل سببا فذكرهم في الاخرة مما عملوا في الدنيا وقال تعالى واما ان كان من المكذبين فيكون ترتيب العقاب على تكذيب الكتاب فظهر العدل وغير ذلك ظاهر ثم قال تعالى ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم وفيه مسايل **المسئلة الاولى** هذا اشارة الى ماذا نقول فيه وجهان احدهما القران وثانيهما ما ذكره في السورة في حق الازواج الثلاثة **المسئلة الثانية** كيف اضاف الحق الى اليقين مع انهما بمعنى واحد نقول فيه وجوه احدها هو كما اضاف الحب الى الحصيد في قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي واضافة الدار الى الاخرة في قوله تعالى ولدار الاخرة غير ان المتروك هاهنا غير ظاهر فان شرطه ان يكون ذلك بحيث لا يوصف باليقين وههنا قالبه الحق وما يوصف باليقين بعد اضافة الحق اليه وثانيهما انه من الاضافة التي بمعنى من كما يقال باب من ساج وباب ساج وخاتم من فضة وخاتم فضة وكانه قال لهو حق اليقين وثالثها وهو قريب مما ذكره ابن عطية ان ذلك نوع تاكيد فقال هذا هو حق اليقين والصواب اي غايته ونهايته التي لا وصول فوقه فالذي وقع في تقرير هذا ان الانسان اظهر ما عنده الاولو لم المدركة بالحس تلك الانوار محسوبة بغيرها فاذا وصل

الطالب

الطالب الى اوله يقول وجدت امرا لازما انه منع صحة اطلاق اللفظ عليه من غيره فهو مطلب الطالب وياخذ مطلوبه من وسط مثاله من يطلب الماء ثم يصل الى بركة عظيمة فان احدا من طرفها شيئا يقول هو ماء وربما يقول قائل اخر هذا ليس بماء انما هو طين واما الماء ما اخذته من وسط البركة فالذي يظهر في طرف البركة هو ماء بالنسبة الى الحس اخزيم اذا نسب الى الماء الصافي وربما يقول له شيء اخفى اذا قال هذا هو الماء حقا لا اليقين الذي يقول بعض الناس انه ليس سما ويحتمل وجها اخر وهو ان يقال الاضافة صار على حقيقة ومعناه ان هذا القول الذي يا محمد وللمومنين حق اليقين ان يقولوا هو كذا ويعرفوا هذا كما يقال في حق الكامل ان فلانا حق المومن وهذا كما قيل في قوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها ان الضمير راجع الى الكلمة اي الا بحق الكلمة ومن حق الكلمة اداء الزكاة والصلوة فكذلك حق اليقين الاعتراف اي بحق اليقين ان يعرفوا ما قاله الله تعالى في الواقعة في حق الازواج الثلاثة وعلى هذا معناه ان اليقين لا يحق ولا يكون الا اذا صدق فيما قالوه فالتصديق حق اليقين الذي يستحقه واما قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم فقد تقدم تفسيره وقيل انه تعالى لما بين الحق وامتنع الكفار قال لنبيه صلى الله عليه وسلم هذا حق فان امتنعوا فلا تتركهم وسبح ربك في نفسك وما عليك من قومك سواء صدقوك او كذبوك ويحتمل ان يكون المراد فسبح واذكر ربك باسمه الاعظم وهذا متصل بما بعده لانه قال في السورة التي تلي هذه سبح لله ما في السموات فكانه قال سبح ما في السموات فوافقهم ولا تلتفت الى الشرذمة القليلة الضالة فان كل شيء معك يسبح الله عز وجل

تم تفسير هذه السورة

**سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم** وفيه مسايل **المسئلة الاولى** التسبيح تبعيد الله من السوء وكذا التقديس من سبح في الماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد واعلم ان التسبيح عن السوء يدخل فيه تبعيد الذات وتبعيد الصفات وتبعيد الافعال وتبعيد الاسماء وتبعيد الاحكام اما في الذات فان لا يكون محلا للامكان فان منشأ السوء هو العدم وامكانه نفي الامكان مستلزم نفي الكثرة ونفيها مستلزم نفي الجسمية وهي التعصبة وهي التصدر والتيد وحصول الوحدة المطلقة واما في الصفات فان يكون منزها عن الجهل بل يكون محيطا بكل المعلومات ويكون قادرا على كل المقدورات ويكون صفاته منزهة عن التغيرات واما في الافعال فان لا يكون فاعليته موقوفة على مادة ومثال لان كل مادة ومثال فهو فعله لما بينا ان كل ما عداه فهو ممكن وكل ممكن فعله فلو افتقرت فاعليته الى مادة ومثال لان كل مادة ومثال فهو لزم التسلسل وغير موقوفة على زمان ومكان لان كل زمان فهو مركب من اجزاء منقضية فيكون ممكن وكل مكان فهو بعد ممكن مركب من افراد الاحاد فيكون كل احد منها ممكنا ومحدثا ولو افتقرت فاعليته الى زمان والى مكان لافتقرت فاعليته الى الزمان والمكان الى زمان فيلزم التسلسل وغير موقوفة على جلب منفعة ولا دفع مضرة والا لكان مستكملا بغيره ناقصا في ذاته وذلك محال واما في الاسماء فكما قال تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها واما في الاحكام فهو ان كل ما شرعه فهو مصلحة واحسان وخير وان كونه فضلا وخيرا ليس على سبيل الوجوب عليه بل على الاحسان وبالجملة يجب ان يعلم في هذا الباب ان حكمه وتكليفه لازم لكل احد وانه ليس لاحد عليه حكم ولا تكليف ولا يجب لاحد عليه شيء اصلا فهذا هو الضبط معاقد التسبيح **المسئلة الثانية** جاء في بعض الفواتح سبح على لفظ الماضي وفي بعضها على لفظ المضارع وذلك اشارة الى ان كون هذه الاشياء مسبحة غير مختصة بوقت دون وقت بل هي كانت مسبحة ابدا في الماضي وتكون مسبحة ابدا في المستقبل وذلك لان كونها مسبحة صفة لازمة لماهياتها فيستحيل انفكاك تلك الماهيات عن ذلك التسبيح وانما قلنا ان هذه المسبحة صفة لازمة لماهياتها لان كل ما عدا الواحد ممكن وكل ممكن فهو مفتقر الى الواجب وكون الواجب واجبا لذاته منزها عن كل سوء في الذات والصفات والافعال والاحكام والاسماء على ما بيناه فظهر ان هذه المسبحة كانت حاصلة في الماضي وستكون حاصلة في المستقبل اما انه يعدى الفعل تارة عشري باللام كما في هذه السورة واخرى بنفسه كما في قوله تعالى وتسبحوه واصله التعدي بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء فاللام اما ان تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد فسبح فعل احدث التسبيح لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه **المسئلة الثالثة** زعم الزجاج ان المراد بهذا التسبيح التسبيح الذي هو القول واحتج عليه بوجهين الاول انه تعالى قال وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فلو كان المراد من التسبيح هو دلالة اثار الصنع على الصانع لكانوا يفقهونها الثاني انه تعالى قال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن فلو كان تسبيحها عبارة عن دلالة الصنع على الصانع لما كان في ذلك تخصيص لداود عليه السلام واعلم ان هذا الكلام ضعيف اما الاول فلان دلالة هذه الاجسام على تنزيه ذات الله تعالى وصفاته وافعاله من ادق الوجوه ولذلك فان العقلاء اختلفوا فيه فقوله تعالى ولكن لا تفقهون اشارة الى اقوام جهلوا هذه الدلالة وايضا فقوله تعالى لا تفقهون انما يكن اشارة الى جمع معين فهو خطاب مع الكل وكانه قال كل هولاء ما فقهوا ذلك وذلك لا ينافي ان يفقهه بعضهم واما

الحجة الثانية فضعيفة لان هناك من المحتمل ان الله تعالى خلق حيوة في الجبل حتى نطق بالتسبيح اما هذه الجمادات التي نعلم
بالضرورة انها جمادات يستحيل ان يقال انها تسبح الله على سبيل النطق بذلك التسبيح اذ لو جوزنا صدور الفعل المحكم
عن الجماد لما امكنا ان نستدل بافعال الله تعالى على كونه عالما حيا القول سبحه الله ومثل ذلك لا يصح من الجمادات فاذن
التسبيح العام الحاصل من الجماد لا بد وان يكون مفسرا باحد وجهين الاول انها تسبح بمعنى انها تدل على تعظيمه
وتنزيهه والثاني ان الممكنات باسرها منقادة له يتصرف فيها كيف يريد ليس له عن فعله وتكوينه مانع ولا دافع
اذا عرفت هذه المقدمة فنقول لان حملنا التسبيح المذكور في الاية على التسبيح بالقول كان المراد بقوله ما في السموات
ومن في الارض ومنهم حملة العرش فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له المقربون قالوا سبحانك انت ولينا
من دونهم ومنهم ساير الملائكة قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا واما المسبحون الذين هم في الارض فهم الانبيا كما قال
ذو النون لا اله الا انت سبحانك وقال موسى عليه السلام اني تبت اليك والصحابة رضوان الله عليهم اجمعين
يسبحون كما قال تعالى سبحانك فقنا عذاب النار واما حملنا هذا التسبيح على التسبيح المعنوي فاطر السموات والارض
وذرات الارضين والجبال والرمال والبحار والشجر والدواب والجنة والنار والعرش والكرسي واللوح والقلم والنور والظلم
والدواب والصفات والاجسام والاعراض كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال الله تعالى منقادة كما قال تعالى
وان من شيء الا يسبح بحمده وهذا التسبيح هو المراد بالسجدة في قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات والارض اما قوله تعالى
وهو العزيز الحكيم فالمعنى انه القاهر الذي لا ينازعه شيء فهو اشارة الى كمال القدرة والحكيم اشارة الى انه العالم الذي
لا يحتجب عن علمه شيء من الجزئيات والكليات وانه الذي يفعل افعاله على وفق الحكمة والصواب ولما كان العلم بكونه
تعالى قادرا متقدما على العلم بكونه عالما لا جرم قدم العزيز على الحكيم في الذكر واعلم ان قوله تعالى وهو العزيز الحكيم يدل على
ان العزيز الحكيم ليس الا هو لان هذه الصفة تفيد الحصر يقال زيد هو العالم اي لا غيره فهذا يقتضي انه لا اله الا الواحد لان
غيره ليس بعزيز ولا حكيم وما لا يكون كذلك لا يكون الها ثم قال تعالى له ملك السموات والارض واعلم ان الملك الحق هو
الذي يستغني في ذاته وفي صفاته عن كل ما عداه ويحتاج كل ما عداه اليه في ذواتهم وفي صفاتهم والموصوف بهذين الامرين
ليس الا هو سبحانه اما انه يستغني في ذاته وصفاته عن كل ما عداه فلانه لو افتقر في ذاته الى الغير لكان ممكنا
لذاته وكان محدثا فلم يكن واجب الوجود واما انه يستغني في جميع صفاته السلبية والاضافية عن كل ما عداه فلان كل
ما يعرض صفة له فاما ان تكون هويته سبحانه كافية في تحقق تلك الصفة سواء كانت الصفة سلبا او ايجابا او لا تكون
كافية في ذلك فان كانت هويته كافية في ذلك لزم من دوام تلك الهوية دوام تلك الصفة سلبا كانت الصفة او ايجابا
وان لم تكن تلك الهوية كافية فحينئذ تكون تلك الهوية ممتنعة الانفكاك عن ثبوت تلك الصفة سلبا وعن سلبها
ثم ثبوت تلك الصفة وسلبها يكون متوقفا على ثبوت امر اخر وسلبه والموقوف على الموقوف على الشيء موقوف على ذلك
الشيء فهويته سبحانه يكون موقوفة التحقق على تحقق علة ثبوت تلك الصفة وعلى سلبها والموقوف على الغير
ممكن لذاته فواجب الوجود لذاته هذا خلف فثبت انه سبحانه وتعالى غير مفتقر في ذاته ولا في شيء من صفاته السلبية
ولا الثبوتية الى غيره واما ان كل ما عداه مفتقر اليه فلان كل ما عداه ممكن لان واجب الوجود لا يكون اكثر من واحد والممكن
لا بد له من مؤثر ولا واجب الا هذا الواحد فاذن كل ما عداه فهو مفتقر اليه سواء كان الجوهر روحانيا او جسمانيا
وذهب جمع من العقلاء الى ان ما يوجد واجب الوجود في اعطاء الوجود للماهيات فواجب الوجود يجعل السواد موجودا
اما انه يستحيل ان يجعل السواد سوادا قالوا لانه لو كان كون السواد سوادا بالفاعل لكان يلزم من فرض عدم ذلك الفاعل
ان لا يبقى السواد سوادا وهذا محال فيقال لهم يلزم على هذا التقرير ان لا يكون الوجود ايضا بالفاعل والا لزم من فرض عدم
ذلك الفاعل ان لا يكون الموجود موجودا فان قالوا اما اثر الفاعل ليس في الوجود بل في جعل الماهية موصوفة بالوجود
قلنا هذا مدفوع من وجهين الاول ان موصوفية الماهية بالوجود ليس امرا ثبوتيا اذ لو كان امرا ثبوتيا لكانت له ماهية
ووجود فحينئذ تكون موصوفية تلك الماهية بالوجود زايدا عليه ولزم التسلسل وهو محال واذا كان موصوفية
الماهية بالوجود ليس ثبوتيا استحال ان يقال لا تاثير للفاعل لا في الماهية ولا في الوجود بل تاثيره في موصوفية الماهية
بالوجود الثاني ان تقدير ان تلك الموصوفية امرا ثبوتيا استحال ايضا جعلها اثر الفاعل والا لزم عند فرض عدم ذلك الفاعل
ان لا يبقى الموصوفية موصوفية فظهر ان الشبهة التي ذكروها هالوهنت واستقرت يلزم نفي التاثير والمؤثر اصلا بل كما
ان الماهيات انما صارت موجودة بتاثير واجب الوجود فكذا ايضا الماهيات انما صارت ماهيات بتاثير واجب
الوجود واذا لا واجب لوجود الا هذه الحقايق ظهر بالبرهان العقلي صدق قوله تعالى له ملك السموات والارض بل
ملك السموات والارض بالنسبة الى كمال ملكه اقل من الذرة بل لا نسبة لها الى كمال ملكه اصلا لان ملك السموات والارض
ملك متناهي وكمال ملكه غير متناهي والمتناهي لا نسبة له البتة الى غير المتناهي لكنه سبحانه وتعالى ذكر ملك
السموات والارض لانه شيء مشاهد محسوس واكثر الخلق عقولهم ضعيفة فلا يمكنهم الترقي من المحسوس الى المعقول
ثم انه سبحانه وتعالى لما ذكر من دلايل الافاق ملك السموات والارض ذكر بعده دلايل الانفس فقال تعالى يحيي و
يميت وفيه مسايل **المسألة الاولى** ذكر المفسرون وجهين احدهما يحيي الاموات للبعث ويميت الاحياء في الدنيا والثاني

قال الزجاج



قال الزجاج يحيي النطف فيجعلها اشخاصا عقلا ناطقين ويميت الاحيا وعندي فيه وجه ثالث وهو انه ليس المراد
منه تخصيص الاحيا والاماتة بزمان معين وباشخاص معينين بل معناه انه القادر على خلق الحياة والموت كما قال في سورة
الملك الذي خلق الموت والحياة والمقصود منه كونه تعالى هو المنفرد بايجاد هاتين الماهيتين على الاطلاق لا يمنعه عنهما
مانع ولا يرده عنهما راد وحينئذ يدخل فيه الوجهان اللذان ذكرهما المفسرون **المسألة الثانية** محل يحيي ويميت رفع على معنى
هو يحيي ويميت ويجوز ان يكون نصبا على معنى له ملك السموات والارض خالقا كونه محيا ومميتا **واعلم** انه تعالى
لما ذكر دلايل الافاق اولا ودلايل الانفس ثانيا ذكر لفظا يتناولهما وللكل فقال وهو على كل شيء قدير وفوايد هذه الاية مذكورة
في اول سورة الملك قوله تعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وفيه مسايل **المسألة الاولى**
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في تفسير هذه الاية انه الاول ليس قبله شيء والاخر ليس بعده شيء **واعلم**
ان هذا المقام مقام غامض عميق والبحث فيه من وجوه الاول ان تقدم الشيء على الشيء يعقل على وجوه احدها التقدم
بالتاثير فانا نعقل ان حركة الاصبع تقدما على حركة الخاتم والمراد من هذا التقدم كون المتقدم متاثرا في المتاخر وثانيها
التقدم بالحاجة لا بالتاثير فانا نعقل احتياج الاثنين الى الواحد وان كنا نعلم ان الواحد ليس علة للاثنين وثالثها
التقدم بالشرف كتقدم ابي بكر على عمر رضي الله تعالى عنهما ورابعها بالرتبة وهو اما من مبدا محسوس كتقدم الامام على المأموم
او من مبدا معقول وذلك كما اذا جعلنا المبدا هو الجنس العالي فانه كلما كان النوع اشد تسفلا كان اشد تاخرا ولو قلب
انقلب الامر وخامسها التقدم بالزمان وهو ان الموجود في الزمان المتاخر هذا ما حصله ارباب العقول من اقسام العقلية
والتقدم وعندي ان ههنا قسما سادسا وهو مثل تقدم بعض اجزاء الزمان على البعض فان ذلك التقدم ليس تقدما بالزمان
والا وجب ان يكون الزمان محاطا بزمان اخر ثم الكلام في ذلك المحيط كالكلام في المحاط به فيلزم ان يحاط بكل زمان زمان
اخر لا الى نهاية بحيث يكون كلها حاضرة في هذا الان فلا يكون هذا الان الحاضر واحدا بل يكون كل حاضر في حاضر اخر لا الى نهاية وذلك غير
معقول ايضا فلان مجموع تلك الانات الحاضرة متاخرة عن مجموع الانات الماضية فلمجموع الازمنة زمان اخر محيط بها لكن ذلك
محال لانه لما كان زمانا كان داخلا في مجموع الازمنة فان ذلك الزمان داخل في ذلك المجموع وخارج عنه وهو محال فظهر بهذا
البرهان الظاهر ان تقدم بعض اجزاء الزمان على البعض ليس بالزمان وظاهر انه ليس بالعلية ولا بالحاجة والا لوجدا معا كما ان
العلة والمعلول يوجدان معا والواحد والاثنين يوجدان معا وليس ايضا بالشرف ولا بالمكان فثبت ان تقدم بعض اجزاء الزمان
على البعض قسم سادس غير الاقسام الخمسة المذكورة واذا عرفت هذا فقول القران دل على انه تعالى اول لكل ما عداه والبرهان دل ايضا
على هذا المعنى لانا نقول كل ما عدا الواحد ممكن وكل ممكن محدث وكل ما عدا الواحد فهو محدث فذلك الواحد اول لكل ما عداه
انما قلنا ان ما عدا الواحد ممكن لانه لو وجد شيئان واجبان لذاتيهما لاشتركا في الوجوب الذاتي ولتباينا بالمعين وما به
المشاركة غير ما به المباينة فيكون كل واحد منهما مركبا ثم كل واحد من جزيه ان كان واجبا فقد اشترك الجزان في الوجوب
وتباينا بالخصوصية فيكون كل واحد من ذلك الجزين ايضا مركبا ولزم التسلسل وان لم يكونا واجبين او لم يكن احدهما
واجبا كان الكل المتقوم به اولى ان لا يكون واجبا فثبت ان كل ما عدا الواحد ممكن وكل ممكن محدث لان كل ممكن مفتقر الى
المؤثر وذلك الافتقار اما حال الوجود او حال العدم فان كان حال الوجود فاما حال البقا وهو محال لانه يقتضي ايجاد الموجود
وتحصيل الحاصل وهو محال فان تلك الحاجة اما حال الحدوث او حال العدم وعلى التقديرين فيلزم ان يكون كل ممكن محدثا فثبت
ان كل ما عدا ذلك الواحد فهو محدث محتاج الى ذلك الواحد فان ذلك الواحد يكون قبل كل ما عداه ثم طلب العقل كيفية تلك
القبلية فقلنا لا يجوز ان تلك القبلية بالتاثير لان المؤثر من حيث هو مؤثر يضاف الى الاثر من حيث هو اثر والمضافان معا
والمع لا يكون قبله ولا يجوز ان يكون لمجرد الحاجة لان المحتاج والمحتاج اليه لا يمتنع ان يوجدا معا وقد بينا ان تلك المعية ههنا
ممتنعة ولا يجوز ان يكون لمحض الشرف فانه ليس المطلوب من هذه القبلية ههنا مجرد انه تعالى اشرف من الممكنات واما القبلية المكانية
فباطلة وبتقدير ثبوتها فتقدم المحدث على المحدث امر اخر والوجدان احدهما فوق الاخر واما التقدم الزماني فباطل لان الزمان ايضا
ممكن ومحدث اما اولا فلما بينا ان الواجب الوجود لا يكون اكثر من واحد واما ثانيا فلان امارة الامكان والحدوث فيه اظهر كما في غيره
لان جميع اجزائه متنعا قبه كلها وجد بعد العدم وعدم بعد الوجود فلا شك انه محدث واذا كان جميع اجزاء الزمان ممكنا ومحدثا والكل
متقوم بالاجزا والمفتقر الى الممكن المحدث اولى بالامكان والحدوث فاذن الزمان بمجموعه باجزايه ممكن ومحدث فتقدم موجده عليه
لا يكون بالزمان والا فيلزم في ذلك الزمان ان يكون داخلا في جميع الازمنة لانه زمان وان يكون خارجا عنها لانه ظرفها والظرف مغاير
للمظروف لا محالة لكن كون الشيء الواحد داخلا في شيء وخارجا عنه محال واما ثالثا فلان الزمان ماهيته تقتضي التبدل
والتجدد وذلك تقتضي المسبوقية بالغير والاول ينافي المسبوقية بالغير فالجمع بينهما محال فثبت ان تقدم الصانع على كل ما عداه
ليس بالزمان البتة فاذن الذي حصل عند العقلاء انه متقدم على كل ما عداه وانه ليس في ذلك بالعدم على احد هذه الوجوه الخمسة
بل على انه نوع اخر من التقدم مغاير لهذه الاقسام الخمسة فاما كيفية ذلك التقدم فليس عند عقول الخلق منه اثر **النوع الثاني**
من غوامض هذا الموضع وهو ان الاول متقدم على الازال وليس الازل شيء سوى الحق فتقدم الازل على الازال يستدعي الامتياز
بين الازال والازل بسبب فهل يقتضي ان يكون الازال له مبدا وطرف حتى يحصل هذا الامتياز وفرض هذا الطرف محال لان كل
مبدا فرضته فان الازال كان حاصلا قبله لان المبدا الذي يفرض قبل ذلك الطرف المعروض برواده فانه سيكون من جملة

الازل فقد كان معنى الازل موجوده قبل ان كانت موجودة وذلك محال **والنوع الثالث** من غوامض هذا الموضع ان امتياز الازل عن الازال يستدعي انقضا حقيقة الازل اذ انقضا حقيقة الازال وامتياز الازال عن الاول واذا امتنع حصول الامتياز امتنع حصول المتقدم والتاخر فهذه ابحاث غامضة في حقيقة التقدم والاولية والازلية والاولوية فان العقل انما يعرف الشي اذا احاط به وكل ما استحضره العقل ووقف عليه فيصير ذلك محاطا به والمحاط به متناهيا والازلية تكون خارجا عنه فهو سبحانه وتعالى ظاهر وباطن في كونه اولا لان العقول شاهدة باسناد المحدثات الى موجود متقدم عليها فكونه تعالى اولا اظهر من كل ظاهر وباطن في كونه اولا لان العقول شاهدة باسناد المحدثات الى موجود متقدم عليها فكونه تعالى اولا اظهر من كل ظاهر من هذه الجهة ثم اذا اردت ان تعرف حقيقة تلك الاولية عجزت لان كل ما احاط به عقلك وعلمك فيكون متناهيا فيكون الاولية خارجة عنها فكونه تعالى اولا اذا اعتبر فيه من هذه الجهة كان ابطن من كل باطن فهذا هو البحث عن كونه تعالى اولا اما البحث عن كونه اخرا فمن الناس من قال هذا محال لانه تعالى انما يكون اخرا لكل ما عداه اذ بقي هو مع عدم كل ما عداه لكن عدم ما عداه لا مع وجود الزمان الذي به يتحقق تلك البعدية فاذن حال ما فرض عدم كل ما عداه لم يعدم كل ما عداه هذا خلف فاذن فرض بقاه مع عدم كل ما عداه محال وهذه الشبهة مبنية ايضا على ان التقدم والتاخر لا يتصوران الا بالزمان وقد دللنا على فساد هذه المقدمة فبطلت هذه الشبهة واما الذين سلموا امكان كل ما عداه مع بقاه فمنهم من اوجب ذلك حتى يصير كونه تعالى اخرا للكل وهذا مذهبهم اي مذهب جهم فانه زعم انه سبحانه وتعالى يوصل الثواب الى اهل الثواب ويوصل العقاب الى اهل العقاب ثم يفني الجنة واهلها والنار واهلها والعرش والكرسي والملك والفلك ولا يبقى مع الله شي اصلا فكما كان موجودا في الازل ولا شي يبقى موجودا في الازال ابد الاباد ولا شي واحتج عليه بوجوه اولها قوله تعالى هو الاخر وان يكون اخرا الا بعد فناء الكل وثانيها انه تعالى اما ان يكون عالما بعدد حركات اهل الجنة والنار او لا يكون عالما بها فان كان عالما بها كان تعالى عالما بكميتها وكل ما له عدد معين فهو متناهي فاذن حركات اهل الجنة متناهية فاذن لا بد وان يحصل بعدها عدم ابدي غير منقض وان لم يكن عالما بها كان جاهلا بها والجهل على الله تعالى محال وثالثها ان الحوادث المستقبلة قابلة للزيادة والنقصان وكل ما كان كذلك فهو متناهي والجواب ان امكان استمرار الاشياء حاصل الى الابد والدليل عليه وهو ان هذه الماهيات لو زالت امكاناتها لزم ان ينقلب الممكن لذاته ولو انقلبت قدرة الله صالحة للتاثير الى امتناع التاثير لا بعلة الماهية وذلك محال فوجب ان يبقى هذا الامكان ابدا فاذن ثبت انه لا يجب انتهاء هذه المحدثات الى العدم الفرض اما التمسك بالاية فسنذكر الجواب عنه بعد ذلك ان شاء الله تعالى واما الشبهة الثانية فجوابها ان نعم انه ليس لها عدد معين وهذا لا يكون جهلا انما الجهل ان يكون له عدد معين ولا يعلمه اما اذا لم يكن له عدد معين وانت تعلمه على هذا الوجه فهذا لا يكون جهلا بل علما واما الشبهة الثالثة فجوابها ان الخارج منه الى الوجود ابدا يكون متناهيا ثم ان المتكلمين لما بينوا امكان بقاء العالم ابدا عولوا في بقاء الجنة والنار ابدا على اجماع المسلمين وظواهر الايات لا يخفى تقريرها واما جمهور المسلمين الذين سلموا بقا الجنة والنار ابدا فقد اختلفوا في معنى كونه تعالى اخرا على وجوه احدها انه تعالى يفني جميع العالم والممكنات فيتحقق كونه اخرا ثم انه يوجدها ويبقيها ابدا وثانيها ان الموجود الذي يصح في العقل ان يكون اخرا لكل الاشياء ليس الا هو فلما كانت صحة اخرية كل الاشياء مختصة به سبحانه وتعالى لا جرم وصف بكونه اخرا وثالثها ان الوجود منه تعالى يبدا ولا يزال ينزل حتى ينتهي الى الموجود الاخير الذي يكون هو سببا لكل ما عداه ولا يكون سببا لشي اخر فبهذا الاعتبار يكون الحق سبحانه وتعالى اولا ثم اذا اخذت ترقى من هذا الموجود الاخير درجة درجة حتى تنتهي الى اخر الرقي فهناك وجود الحق سبحانه فهو سبحانه وتعالى اول في نزول الوجود منه الى الممكنات اخر عند الصعود من الممكنات اليه ورابعها انه يميت الخلق ويبقى بعدهم فهو سبحانه وتعالى اخر بهذا الاعتبار وخامسها انه اول في الوجود واخر في الاستدلال لان المقصود من جميع الاستدلالات معرفة ذات الصانع وصفاته واما سائر الاستدلالات التي لا يراد منها معرفة الصانع فهي حقيرة خسيسة اما كونه تعالى ظاهرا وباطنا فاعلم انه ظاهر بحسب الوجود فانك لا ترى شيا من الكائنات والممكنات الا وهو يكون دليلا على وجوده وثبوته وحقيته وبراءته عن جهات التغير على ما قررناه واما كونه تعالى باطنا فمن وجوه الاول ان كمال كونه ظاهرا صار سببا لكونه باطنا فان هذه الشمس لو دامت على الفلك لما كنا نعرف ان هذا الضوء انما حصل بسببها بل ربما كان يظن ان الاشياء مضيئة لذاتها الا انها لما كانت بحيث تغرب ثم يرى انها متى غربت بطلت الانوار وزالت الاضواء عن هذا العالم علمنا حينئذ ان هذه الاضواء فائضة من الشمس فهاهنا لو امكن انقطاع جود الله تعالى عن هذه الممكنات لظهر حينئذ ان وجود هذه الممكنات من جود الله تعالى لكنه لما دام ذلك الجود ولم ينقطع صار دوامه وكماله سببا لوقوع الشبهة حتى انه ربما ظن ان نور الوجود ليس منه بل وجود كل شي من ذاته فظهر ان هذا الاشتباه انما وقع من كمال وجوده ومن دوام جوده فسبحان من اختفى عن العقول لشدة ظهوره واحتجب عنها بكمال نوره الوجه الثاني ان ماهيته غير معقولة للبشر البتة ويدل عليه ان الانسان لا يتصور ماهية البتة الا اذا ادركه من نفسه على سبيل الوجدان كالالم واللذة وغيرهما او ادركه بحسه كالالوان والطعوم وساير المحسوسات فاما ما لا يكون كذلك فيتعذر على الانسان ان يتصور ماهيته المخصوصة جل جلاله ليس كذلك فلا يكون معقولة للبشر يدل عليه ايضا ان المعلوم عند الخلق اما الوجود واما السلوب كما انه ليس بجوهر ولا جسم واما الاضافات وهو انه من الامر الذي من شانه كذا وكذا والحقيقة المخصوصة مغايرة لهذه الامور وغير معقولة

ويدل عليه



ويدل عليه ان اظهر الاشيا عند العقل كونه خالقا لهذه المخلوقات ومسعدها ما علمنا وقد عرفت حيرة العقل ودهشته في معرفة هذه الازلية والاولية فقد ظهر بما قدمنا انه سبحانه وتعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن وسمعت والدي رحمه الله تعالى يقول انه كان مرويا انه لما نزلت هذه الاية اقبل المشركون نحو البيت وسجدوا الثانية احتج كثير من العلما ان الاله واحد بقوله تعالى هو الاول هو الفرد السابق ولهذا المعنى لو قال اول مملوك اشتريته فهو حر ثم اشترى عبدين لم يعتقا لان الشرط كونه اولا وحصول الفردية وهاهنا لم يحصل فلو اشترى بعد ذلك عبدا واحدا لم يعتق لان شرط الاولية كونه سابقا وهاهنا لم يحصل فثبت ان الشرط في كونه اولا ان يكون فردا وكانت الاية دالة على ان صانع العالم فرد **المسألة الثالثة** اكثر المفسرين قالوا انه اول لانه قبل كل شي فانه اخر لانه بعد كل شي وانه ظاهر بحسب الدلايل وانه باطن عن الحواس محتجب عن الابصار وان جماعة لما عجزوا عن جواب جهم قالوا معنى هذه الالفاظ مثل قول القايل فلان هو اول هذا الامر واخره وظاهره وباطنه اي عليه يدور وبه يتم **واعلم** انه لما امكن حمل الاية على الوجوه التي ذكرناها مع انه يستفاد منها استدلالات لطيفة لم يكن بنا الى حمل الاية على هذا المجاز حاجة وذكروا في الظاهر والباطن ان الظاهر هو الغالب العالي على كل شي ومنه قوله تعالى فاصبحوا ظاهرين اي غالبين عاليين من قولك ظهرت على فلان اي علوته ومنه قوله تعالى عليها يظهرون وهذا معنى ما روي في الحديث وانت الظاهر فليس فوقك شي واما الباطن فقال الزجاج انه العالم بما بطن كما تقول فلان يبطن امر فلان اي يعلم احواله الباطنة قال الليث يقال انت ابطن بهذا الامر من فلان اي اخبر بباطنه فمعنى كونه باطنا كونه عالما ببواطن الامور وهذا التفسير عندي فيه نظر لان قوله بعد ذلك وهو بكل شي عليم يكون تكرارا اما على التفسير الاول فانه يحسن موقعه لانه يصير التقرير كانه قيل ان احدا لا يحيط به ولا يصل الى اسراره وانه لا يخفى عليه شي من احوال غيره ونظيره تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك والله تعالى اعلم **قوله تعالى** هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور وهو مفسر في الاعراف والمقصود منه دلايل القدرة ثم قال تعالى يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها وهو مفسر في سبا والمقصود منه كمال العلم وانما قدم وصف القدرة على وصف العلم بكونه قادرا وذهب اخرون الى ان اول العلم بالله تعالى بكونه مؤثرا وعلى التقديرين فالعلم بكونه قادرا متقدم على العلم بكونه تعالى عالما وكذلك ذهب جمع من المحققين الى ان اول العلم بالله تعالى هو العلم بكونه قادرا متقدم على العلم بكونه عالما ثم قال تعالى وهو معكم اينما كنتم وفيه مسايل **المسألة الاولى** اعلم انه قد ثبت ان كل ما عدا الواحد الحق فهو ممكن وكل ممكن فوجوده من الواجب فاذن وصول الماهية الممكنة الى وجودها بواسطة افادة الواحد الحق ذلك الوجود لتلك الماهية فالحق سبحانه وتعالى هو المتوسط بين كل ماهية وبين وجودها فهو الى كل ماهية اقرب من وجود تلك الماهيات وعن هذا السر قال المحققون ما رايت شيا الا ورايت الله قبله وقال المتوسطون ما رايت شيا الا ورايت الله معه وقال الظاهريون ما رايت شيا الا ورايت الله بعده **واعلم** ان هذه الدقايق التي اظهرناها في هذه المواضع لها درجات **احدها** ان يحصل ان الها بمقتضى الفكرة والروية والتامل والتدبر **والدرجة الثانية** ان تصير لنفس الانسان قوة فوق ذوقه وحاله [illegible] نسبة الادراك مع الذوق الى [illegible] نسبة من نال السكر الحسي بوصف حلاوته [illegible] **المسألة الثانية** قال المتكلمون هذه المعية اما بالعلم واما بالحفظ والحراسة وعلى التقديرين فقد انعقد الاجماع على انه سبحانه ليس معنا بالمكان والجهة والحيز فاذن قوله تعالى وهو معكم لا بد فيه من التاويل واذا جوزنا التاويل في موضع وجب تجويزه في سائر المواضع **المسألة الثالثة** اعلم ان في هذه الاية ترتيبا عجيبا وذلك لانه سبحانه وتعالى بين بقوله هو الاول والاخر والظاهر والباطن كونه الها لجميع الممكنات والكائنات ثم بين كونه الها للعرش والسموات والارضين ثم بين بقوله تعالى وهو معكم اينما كنتم معيته لنا بسبب القدرة والايجاد والتكوين وبسبب العلم وهو كونه عالما بظواهرنا وبواطننا فتامل في كيفية هذا الترتيب ثم تامل في الفاظ هذه الايات فان فيها اسرارا عجيبة وتنبيهات على امور عالية ثم قال تعالى له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور [illegible] ثم قال تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور [illegible] جامعة بين الدلالة على قدرته وبين اظهار نعمه والمقصود من اعادتها [illegible] بالشكر قوله تعالى امنوا بالله ورسوله [illegible] بالتكاليف وبدا بالامر بالايمان بالله وبرسوله [illegible] فان كان الثاني كان الخطاب مترتبا على [illegible] على من يستحيل ان يعرف كونه مامورا [illegible] الصانع حاصلة للكل وانما المقصود من هذا الامر معرفة الصفات ثم قال تعالى [illegible] جعلكم مستخلفين فيه

في هذه الآية مسايل المسئلة الاولى اعلم انه امر الناس اولا بان يشتغلوا بطاعة الله تعالى ثم امرهم ثانيا بترك الدنيا والاعراض
عنها وانفاقها في سبيل الله تعالى كما قال تعالى قل الله ثم ذرهم فقوله تعالى قل الله هو المراد ههنا من قوله تعالى امنوا بالله ورسوله و
قوله تعالى ثم ذرهم المراد ههنا من قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه المسئلة الثانية في الاية وجهان الاول ان الاموال
التي في ايديكم انما هي اموال الله تعالى بخلقه وانشائه لها ثم انه تعالى جعلها تحت يد المكلف وتحت تصرفه لينتفع بها على وفق
اذن الشرع فالمكلف في تصرفه في هذه الاموال بمنزلة الوكيل والنايب والخليفة فوجب ان يسهل عليكم الانفاق من تلك الاموال كما يسهل
على الرجل النفقة في مال الغير اذا اذن له فيه الثاني انه جعلكم مستخلفين عمن كان قبلكم لاجل انه نقل اموالهم اليكم على سبيل
الارث فاعتبروا بحالهم فانها كما انتقلت منهم اليكم سينتقل منكم الى غيركم فلا تبخلوا بها المسئلة الثالثة اختلفوا في هذا الانفاق
فقال بعضهم هو الزكاة الواجبة وقال اخرون بل يدخل فيه التطوع ولا يمتنع ان يكون عاما في جميع وجوه البر ثم انه تعالى ضمن
لمن فعل ذلك اجرا كبيرا فقال تعالى فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير قال القاضي هذه الاية تدل على ان هذا الاجر لا يحصل بالايمان
المنفرد حتى يضاف اليه هذا الانفاق فمن هذا الوجه يدل على ان من اخل بالواجب من زكاة وغيرها فلا اجر له واعلم
ان هذا الاستدلال ضعيف وذلك ان الاية تدل على ان من اخل بالزكاة الواجبة لم يحصل له ذلك الاجر الكبير اما لم قلتم انها
تدل على انه لا اجر له اصلا قوله تعالى وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم وفيه مسايل
المسئلة الاولى اعلم انه تعالى وبخ على ترك الايمان بشرطين احدهما ان يدعو الرسول والمراد انه يتلو عليهم القران
المشتمل على الدلايل الواضحة لقبول دعوة الرسول والثاني انه اخذ عليهم الميثاق وذكروا في اخذ الميثاق وجوها
الاول ما نصب في العقول من الدلايل الموجبة لقبول دعوة الرسول واعلم ان تلك الدلايل لما اقتضت وجوب القبول فهي اوكد
من الحلف واليمين فلذلك سماه ميثاقا وحاصل الامر انه تطابقت دلايل النقل والعقل اما النقل فقوله والرسول
يدعوكم واما العقل فقوله وقد اخذ ميثاقكم ومتى اجتمع هذان النوعان فقد بلغ الامر الى حيث يمتنع الزيادة عليه
واحتج بهذه الاية من زعم ان معرفة الله تعالى لا تجب الا بالسمع قال لانه تعالى انما ذمهم بناء على ان الرسول يدعوهم فعلمنا ان
استحقاق الذم لا يحصل الا عند دعوة الرسول الوجه الثاني في تفسير اخذ الميثاق قال عطا ومجاهد والكلبي والمقاتلان
يريد حين اخرجهم من ظهر ادم عليه السلام وقال الست بربكم قالوا بلى وهذا ضعيف وذلك لانه تعالى انما ذكر اخذ
الميثاق ليكون ذلك سببا في انه لم يبق لهم عذر في ترك الايمان بعد ذلك واخذ الميثاق وقت اخراجهم من ظهر ادم غير
معلوم للقوم الا بقول الرسول فقبل معرفة صدق الرسول لا يكون ذلك سببا في وجوب تصديق الرسول اما نصب
الدلايل والبينات فمعلوم لكل احد فذلك يكون سببا لوجوب الايمان بالرسول فعلمنا ان تفسير الاية بهذا المعنى غير جايز
المسئلة الثانية قال القاضي قوله تعالى وما لكم لا تؤمنون يدل على قدرتهم على الايمان اذ لا يجوز ان يقال ذلك لمن لا يتمكن من
الفعل كما لا يقال ما لك لا تطول ولا تبيض وهذا يدل على ان الاستطاعة قبل الفعل وعلى ان القدرة صالحة للضدين وعلى
ان الايمان يحصل بالعبد لا بخلق الله تعالى المسئلة الثالثة قرى وقد اخذ ميثاقكم على البناء للفاعل اما قوله تعالى
ان كنتم مؤمنين فالمعنى ان كنتم تؤمنون بشيء لاجل دليل فما لكم لا تؤمنون الان فانه قد تطابقت الدلايل النقلية
وبلغت مبلغا لا يمكن الزيادة عليها قوله تعالى هو الذي ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان
الله بكم لرؤف رحيم قال القاضي بين بذلك ان مراده بانزال الايات البينات التي هي القران وغيره من المعجزات ان يخرجهم من
الظلمات الى النور واكد ذلك بقوله تعالى وان الله بكم لرؤف رحيم ولو كان تعالى يريد من بعضهم الثبات على ظلمات الكفر
ويخلق ذلك فيهم ويقدره لهم تقديرا لا يقبل الزوال لم يصح هذا القول فان قيل الكشاف ظاهره يدل على انه تعالى هو الذي انزل
على عبده ايات بينات ليخرجكم من معنى الاية سوا تقدم ذكره او لم يتقدم بخلقه لما لا يخلق لا يعتبر فالمراد اذن بذلك انه يلطف
لهم في اخراجهم من الظلمات الى النور ولولا ذلك لم يكن بان يصف نفسه بانه يخرجهم من الظلمات الى النور اولى من ان يصف نفسه
بان يخرجهم من النور الى الظلمات واعلم ان هذا الكلام على خشيته ورونقه معارض بالعلم وذلك لانه تعالى كان عالما بان علمه سبحانه
وتعالى بتقدم ايمانهم قائم وعالم بان هذا العلم ينافي وجود الايمان فاذا كلفهم بتكوين الضدين مع علمه بقيام الضد الاخر في
الوجود بحيث لا يمكن ازالته وابطاله فمع ذلك الجر والاحسان لا شك ان هذا مما لا يقوله عاقل واذا توجهت المعارضة
زالت تلك القوة اما قوله تعالى وان الله بكم لرؤف رحيم فقد حمله بعضهم على نعمة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا التخصيص
لا وجه له بل يدخل فيه ذلك مع ساير ما يتمكن به المرء من اداء التكاليف والله تعالى اعلم قوله تعالى
وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوي منكم من انفق من قبل
الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما
تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ذلك هو الفوز العظيم اعلم انه تعالى لما امر اولا بالايمان وبالانفاق ثم اكد في الاية المتقدمة ايجاب الايمان
اتبعه في هذه الاية بتاكيد ايجاب الانفاق والمعنى انكم ستموتون فتورثون فهلا قدمتموه في الانفاق في طاعة الله تعالى
وتحقيقه ان المال لا بد وان يخرج عن اليد اما بالموت واما بالانفاق في سبيل الله تعالى فان وقع على الاول كان اثره اللعن والمقت والعقاب

وان وقع



وان وقع على الوجه الثاني كان اثره المدح والثواب واذا كان لا بد من خروجه عن اليد فكل عاقل يعلم ان خروجه عن اليد بحيث
يستعقب المدح والثواب اولى منه بحيث يستعقب اللعن والعقاب ثم لما بين تعالى ان الانفاق فضيلة بين ان المسابقة في
الانفاق تمام الفضيلة فقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وفيه مسايل المسئلة الاولى تقدير الاية لا يستوي
من انفق من قبل الفتح ومن انفق من بعد الفتح كما قال تعالى لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة الا انه حذف لوضوح الحال
المسئلة الثانية المراد بهذا الفتح فتح مكة لان اطلاق لفظ الفتح في المتعارف ينصرف اليه قال عليه السلام لا هجرة بعد الفتح
قال ابو مسلم ويدل القران على فتح اخر بقوله تعالى فجعل من دون ذلك فتحا قريبا وايهما كان فقد بين الله تعالى عظم موقع الايمان
قبل الفتح المسئلة الثالثة قال الكلبي نزلت هذه الاية في فضل ابي بكر رضي الله عنه لانه كان اول من انفق المال على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سبيل الله قال عمر رضي الله تعالى عنه كنت قاعدا عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ابو بكر رضي الله تعالى عنه
وعليه عباة قد خللها في صدره بخلال فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال مالي ارى ابا بكر رضي الله عنه عليه عباة قد خللها
في صدره فقال انفق ماله علي قبل الفتح واعلم ان الاية دلت على ان من صدر عنه الانفاق في سبيل الله تعالى والقتال مع
اعداء الله قبل الفتح يكون اعظم حالا ممن صدر عنه هذان الامران بعد الفتح ومعلوم ان صاحب الانفاق هو ابو بكر رضي الله عنه وصاحب
القتال هو علي رضي الله عنه ثم انه تعالى قدم صاحب الانفاق في الذكر على صاحب القتال وفيه ايما الى تقديم ابي بكر رضي الله عنه
ولان الانفاق من باب الرحمة والقتال من باب الغضب وقال تعالى سبقت رحمتي غضبي وكان السبق لصاحب الانفاق فان قيل
صاحب الانفاق هو علي رضي الله عنه لقوله تعالى ويطعمون الطعام قلنا الاطلاق يتناول بانه انفق كلا يتحقق الا اذا
انفق في الوقايع العظيمة اموالا عظيمة وذكر الواحدي رحمه الله تعالى في البسيط ان ابا بكر رضي الله عنه كان اول من
قاتل على الاسلام وذلك لان عليا رضي الله عنه في اول الاسلام كان صبيا صغيرا ولم يكن صاحب القتال واما ابو بكر رضي الله تعالى
عنه فانه كان شيخا مقدما وكان يذب عن الاسلام حتى ضرب بسببه ضربا شديدا اشرف به على الموت المسئلة الرابعة
جعل علماء التوحيد هذه الاية دالة على فضل من سبق الى الاسلام وانفق وجاهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الفتح
وبينوا الوجه في ذلك وهو عظم موقع نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم بالنفس وبانفاق المال في تلك الحالة وفي عدد المسلمين
قلة وفي الكافرين شوكة وكثرة عدد فكانت الحاجة الى النصرة والمعاونة اشد بخلاف ما بعد الفتح فان الاسلام صار
في ذلك الوقت قويا والكفر ضعيفا ويدل عليه قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقوله عليه السلام
لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه ثم قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى وفيه
مسايل المسئلة الاولى اي وكل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات المسئلة
الثانية القراءة المشهورة وكلا بالنصب لانه بمنزلة زيدا وعدت خيرا فهو مفعول وعد وقرا ابن عامر وكل بالرفع وحجته
ان الفعل اذا تاخر عن مفعوله لم يقع عمله فيه والدليل عليه انهم قالوا في الشعر زيد ضربت قال قد اصبحت ام الخيار تدعي علي ذنبا
كله لم اصنع فروا كله بالرفع لتاخر الفعل عنه لا لموجب اخر واعلم ان الشيخ عبد القاهر تكلم في هذا الباب بكلام حسن
قال ان المعنى في هذا البيت يتفاوت بسبب النصب والرفع وذلك لان النصب يفيد انه ما فعل كل الذنوب وهذا لا ينافي كونه
فاعلا لبعض الذنوب فانه اذا قال ما فعلت كل الذنوب افاد انه ما فعل الكل وهو محتمل انه فعل البعض بل عند من يقول
بان دليل الخطاب حجة يكون ذلك اعترافا بانه فعل بعض الذنوب اما رواية الرفع وهي قوله كله لم اصنع فمعناه ان كل واحد
من الذنوب محكوم عليه بانه غير مصنوع فيكون ذلك معناه انه ما اتى بشيء من الذنوب البتة وغرض الشاعر ان يدعي البراءة
عن جميع الذنوب فعلمنا ان المعنى يتفاوت بالرفع والنصب ومما يتفاوت فيه المعنى بسبب تفاوت الاعراب في هذا الباب
انا كل شيء خلقناه بقدر فمن قرا كل شيء بالنصب افاد انه تعالى خلق الكل بقدر ومن قرا كل بالرفع لم يفد ان الله تعالى خلق
الكل بل يفيد ان كل ما كان مخلوقا له فانما خلقه بقدر وقد يكون تفاوت الاعراب في هذا الباب بحيث لا يوجب تفاوت
المعنى كقوله تعالى والقمر قدرناه فانك سواء قرات والقمر بالرفع او بالنصب فان المعنى واحد وكذا في هذه الاية سواء قرات وكلا
وعد الله الحسنى او قرات وكل وعد الله الحسنى فان المعنى واحد غير متفاوت الثالثة تقدير الاية وكلا وعد
الله الحسنى الا انه حذف الضمير لظهوره كما في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا وكذا قوله تعالى واتقوا يوما
لا تجزي نفس عن نفس شيئا ثم قال تعالى والله بما تعملون خبير والمعنى انه تعالى لما وعد السابقين والمحسنين
بالثواب فلا بد وان يكون عالما بالجزئيات وبجميع المعلومات حتى يمكنه ايصال الثواب الى المستحقين اذ لو لم يكن عالما
بهم وبافعالهم على سبيل التفصيل لما امكن الخروج عن عهدة الوعد بالتمام فلهذا السبب اتبع ذلك الوعد بقوله
والله بما تعملون خبير قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيه مسايل الاولى ذكروا ان رجلا من
اليهود قال عند نزول هذه الاية ما استقرض اله محمد صلى الله عليه وسلم حتى افتقر فلطمه ابو بكر رضي الله
تعالى عنه فشكى اليهودي ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما اردت بذلك فقال ما ملكت نفسي
ان لطمته فنزل قوله تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا قال المحققون
اليهودي انما قال ذلك على سبيل الاستهزاء لان العاقل لا يعتقد ان الاله يفتقر ولذلك كقولهم ان الله
فقير ونحن اغنياء الثانية انه تعالى اكد بهذه الاية ترغيب الناس في ان ينفقوا اموالهم في نصرة المسلمين وقتال

الكافرين ومواساة فقراء المسلمين وسمى ذلك الانفاق قرضا من حيث وعد به الجنة بسببها بالقرض **الثالثة** اختلفوا في المراد من هذا الانفاق فمنهم من قال المراد الانفاقات الواجبة ومنهم من قال بل هو في التطوعات والاقرب دخول الكل فيه **الرابعة** ذكروا في كون القرض حسنا وجوها احدها قال مقاتل يعني طيبة بها نفسه وثانيها قال الكلبي يعني ان يتصدق بها لوجه الله تعالى وثالثها قال بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى يجمع اوصافا عشرة الاول ان يكون من الحلال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وقال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلوة بغير طهور ولا صدقة من غلول والثاني ان يكون من اكرم ما يملكه دون ان ينفق الردى قال تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون والثالث ان تتصدق به وانت تحبه وتحتاج اليه بان ترجو الحياة وهو المراد بقوله تعالى وآتى المال على حبه على احد التاويلات وقال عليه الصلوة والسلام ان تعطي وانت صحيح شحيح تأمل العيش ولا تمهل حتى اذا بلغت التراقي قلت لفلان كذا ولفلان كذا والرابع ان تصرف صدقتك الى الاحوج الاولى باخذها ولذلك خص الله تعالى اقواما باخذها وهم اهل السهمان الخامس ان تكتم الصدقة ما امكنك لانه تعالى قال وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم السادس ان لا تتبعها اذى ولا منا قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى السابع ان تقصد بها وجه الله تعالى ولا ترائي كما قال تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى ولان المرائي مذموم الثامن ان تستحقر ما تعطي وان كثر لان ذلك قليل من الدنيا والدنيا كلها قليلة وهذا هو المراد من قوله تعالى ولا تمنن تستكثر في احد التاويلات التاسع ان يكون من احب اموالك اليك قال تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون العاشر ان لا ترى عز نفسك وذل الفقير بل يكون الامر بالعكس في نظرك فترى الفقير كان الله تعالى احال عليك رزقه الذي قبله بقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فترى نفسك تحت دين الفقير فهذه اوصاف عشرة اذا اجتمعت كانت الصدقة قرضا حسنا وهذه الآية مفسرة في سورة البقرة ثم انه تعالى قال فيضاعفه له وله اجر كريم وفيه مسئلتان **المسئلة الاولى** انه تعالى ضم الى هذا القرض الحسن امرين احدهما المضاعفة على ما ذكرنا في سورة البقرة وبين ان مع المضاعفة له اجر كريم وفيه قولان الاول وهو قول اصحابنا ان المضاعفة اشارة الى انه تعالى يضم الى قدر الثواب مثله من التفضل والاجر الكريم عبارة عن الثواب فان قيل مذهبكم ان الثواب ايضا تفضل فاذا لم يحصل الامتياز لم يتم هذا التفسير الجواب انه تعالى كتب في اللوح المحفوظ ان كل من صدر منه الفعل الفلاني فله قدر كذا من الثواب فذلك القدر هو الثواب فاذا ضم اليه مثله فذلك المثل هو الضعف القول الثاني وهو قول الجبائي من المعتزلة ان الاعواض تضم الى الثواب فذلك هو المضاعفة وانما وصف الاجر بكونه كريما لانه هو الذي جلب ذلك الضعف وبسببه حصلت تلك الزيادة فكان كريما من هذا الوجه **الثانية** قرا ابن كثير وابن عامر فيضعفه مشددة بغير الف ثم ان ابن كثير قرا بضم الفاء وابن عامر بفتح الفاء وقرا عاصم فيضاعفه بالالف وفتح الفاء قال ابو علي الفارسي يضاعف ويضعف بمعنى ان الشان في تعليل قراءة الرفع والنصب اما الرفع فوجهه ظاهر لانه محمول على تقرض او على الانقطاع من الاول كانه قيل فهو يضاعف واما قراءة النصب فوجهها انه لما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله فكانه قال ايقرض الله احد فيضاعفه ويكون قوله تعالى فيضاعفه جوابا عن الاستفهام فحينئذ ينصب قوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وفيه مسائل **المسئلة الاولى** يوم ترى ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او منصوب باذكر تعظيما لذلك اليوم **الثانية** المراد من هذا اليوم يوم المحاسبة واختلفوا في هذا النور على وجوه احدها قال قوم المراد نفس النور على ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ان كل مثاب فانه يحصل له النور على قدر عمله وثوابه في العظم والصغر فعلى هذا مراتب الانوار مختلفة فمنهم من يضيء له نور كما بين عدن الى صنعا ومنهم من نوره مثل الجبل ومنهم من لا يضيء له نور الا موضع قدميه وادناهم نورا من يكون نوره على ابهامه ينطفي مرة ويتقد اخرى وهذا القول منقول عن ابن مسعود رضي الله عنه وقتادة وغيرهما رضي الله تعالى عنهم وقال مجاهد ما من عبد الا وينادى يوم القيامة يا فلان ها نورك ويا فلان لا نور لك نعوذ بالله منه **واعلم** انا بينا في سورة النور ان النور الحقيقي هو الله تعالى وان العلم الذي هو نور البصيرة اولى بكونه نورا من نور البصر واذا كان كذلك ظهر ان معرفة الله تعالى هي النور في القيامة فمقادير الانوار يوم القيمة على حسب مقادير المعارف في الدنيا القول الثاني ان المراد من النور ما يكون سببا للنجاة وانما قال بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم الثالث المراد بهذا النور الهداية الى الجنة كما يقال ليس لهذا الامر نور اذا لم يكن المقصود حاصلا ويقال هذا الامر له نور ورونق اذا كان المقصود حاصلا **المسئلة الثالثة** قرا سهل بن شعيب وبايمانهم بكسر الهمزة والمعنى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم حصل ذلك السعي ثم قال تعالى بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم فيه مسائل **الاولى** حقيقة البشارة ذكرناها في تفسير قوله تعالى وبشر الذين امنوا ثم قالوا تقدير الاية وتقول لهم الملائكة بشراكم اليوم كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم **الثانية** دلت هذه الاية على ان المؤمنين لا ينالهم اهوال يوم القيمة لانه تعالى بين ان هذه صفتهم يوم القيمة من غير تخصيص **الثالثة** احتج الكعبي على ان الفاسق ليس بمؤمن فقال لو كان مؤمنا لدخل تحت هذه البشارة ولو كان كذلك لقطع بانه من اهل الجنة لانه اما ان لا يدخل النار وان دخلها لكنه سيخرج منها وسيدخل الجنة ويبقى فيها ابد الاباد فهو اذن قاطع بانه من اهل الجنة فسقط هذا الاستدلال **الرابعة** قوله ذلك عائد الى جميع

ماتقدم



ما تقدم وهو النور والبشرى بالجنات المخلدة الخامسة قرى ذلك الفوز باسقاط كلمة هو **واعلم** انه تعالى لما شرح حال المؤمنين في موقف القيامة اتبع ذلك بشرح حال المنافقين فقال تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم وفيه مسائل **المسئلة الاولى** يوم يقول بدل من يوم ترى **الثانية** قرا حمزة وحده انظرونا نقتبس من نوركم والباقون انظرونا قال ابو علي الفارسي لفظ النظر يستعمل على ضروب احدها ان تريد به نظرت الى الشيء فيحذف الجار ويوصل الفعل كما انشده ابو الحسن ظاهرات الجمال والحسن ينظرن كما ينظر الاراك الظباء والمعنى ينظرن الى الاراك وثانيها ان تريد به تاملت وتدبرت ومنه قولك اذهب فانظر زيدا ايؤمن فهذا يراد به التامل ومنه قوله تعالى انظر كيف يفترون على الله الكذب انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وقد يتعدى هذا بالى كقوله افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت فهذا حض على التامل ... وقد يتعدى بفي كقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض ... فكذا ههنا قول المنافقين انظرونا ... كالبرق الخاطف والمنافقون مشاة ... اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين ايديهم فيستضيئون به واما قراءة انظرونا بكسر الظاء ... **واعلم** ...

**المسئلة الثالثة** اعلم ان الاحتمالات في هذا الباب ثلاثة احدها ... ثم انه تعالى يعطي المؤمنين هذه الانوار والمنافقون يطلبونها منهم ... قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ... فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وفيه مسائل **المسئلة الاولى** اختلفوا في السور فمنهم من قال المراد منه الحجاب والحيلولة ... **المسئلة الثانية** الباء في قوله بسور صلة ... له باب اي لذلك السور باب باطنه فيه الرحمة ... وظاهره من قبله العذاب ...

وما يلي الكافرين ناسهم من قبله العذاب والحاصل ان بين الجنة والنار حائط وهو السور ولذلك السور باب فالمؤمنين يدخلون الجنة من ذلك السور والكافرون يبقون في العذاب والنار وقوله تعالى ينادونهم ألم نكن معكم المسألة في الآية قولان الاول لم نكن معكم في الدنيا والثاني ألم نكن معكم في العبادات والمساجد والصلوات والغزوات وهذا القول هو المتعين الرابعة البعد بين الجنة والنار كبير لان الجنة في أعلى السموات والنار في الدرك الاسفل فهو يدل على ان البعد الشديد لا يمنع من الادراك ولا يمكن ان يقال ان الله عظم صوت الكفار بحيث يبلغ من اسفل السافلين الى اعلى عليين لان مثل هذا الصوت انما يليق بالاشداء الاقوياء جدا والكفار موصوفون بالضعف وخفاء الصوت فعلمنا ان البعد لا يمنع من الادراك على ما هو مذهبنا ثم حكى تعالى ان المؤمنين قالوا بلى كنتم معنا الا انكم فعلتم اشيا بسببها وقعتم في هذا العذاب اولها ولكنكم فتنتم انفسكم اي بالكفر والمعاصي وكلها فتنة وثانيها قوله تعالى وتربصتم وفيه وجوه احدها قال ابن عباس رضي الله عنهما تربصتم بالتوبة وثانيها قال مقاتل وتربصتم بمحمد الموت وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه وثالثها كنتم تتربصون دائرة السوء لتلحقوا بالكفار وتتخلصون من النفاق وثالثها قوله تعالى وارتبتم وفيه وجوه الاول شككتم في وعيد الله والثاني شككتم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والثالث شككتم في البعث والقيامة ورابعها قوله تعالى وغرتكم الاماني قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الباطل وهو ما كانوا يتمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين حتى جاء امر الله تعالى يعني الموت والمعنى ما زالوا في خدع الشيطان وغروره حتى اماتكم الله تعالى ثم القاكم في النار وغركم بالله الغرور وفيه مسألتان **المسألة الاولى** قرأ سماك بن حرب الغرور بضم الغين والمعنى وغركم بالله الاغترار به وتقديره على حذف المضاف فاغركم بالله تعالى سلامتكم منه مع الاغترار **الثانية** واما الغرور بفتح الغين وهو الشيطان لالقائه اليكم ان لا خوف عليكم من محاسبة ومجازاة قال تعالى فاليوم لا يؤخذ منكم فدية الفدية ما يفتدى به وفيه قولان الاول لا يؤخذ منكم ايمان ولا توبة فقد زال التكليف وحصل الالجاء والثاني بل المراد لا يقبل منكم فدية تدفعون بها العذاب عن انفسكم كقوله تعالى لا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة **واعلم** ان الفدية ما يفتدى به فهي تتناول الايمان والتوبة والمال وقوله وهذا يدل على ان قبول التوبة غير واجب عقلا على ما يقوله المعتزلة لانه تعالى بين انه لا يقبل الفدية اصلا والتوبة فدية فتكون الآية دالة على ان التوبة غير مقبولة اصلا واذا كان كذلك لم يكن التوبة واجبة القبول عقلا اما قوله تعالى ولا من الذين كفروا ففيه بحث وهو ان العطف للكافر على المنافق يقتضي ان لا يكون المنافق كافرا لوجوب حصول المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والجواب المراد الذين اظهروا الكفر والا فالمنافق كافر ثم قال تعالى مأواكم النار هي مولاكم وفي لفظ مولى ههنا اقوال احدها قال ابن عباس رضي الله عنهما مولاكم اي مصيركم وتحقيقه ان المولى موضع الولي وهو القرب فالمعنى ان النار هي موضعكم الذي تقربون منه وتصلون اليه والثاني قال الكلبي يعني اولى بكم وهو قول الزجاج والفراء وابي عبيدة **واعلم** ان هذا الذي قالوه معنى وليس بتفسير اللفظ لانه لو كان مولى واولى بمعنى واحد في اللغة لصح استعمال كل واحد منهما في مكان الآخر فكان يجب ان يصح ان يقال هذا مولى من فلان كما يقال هذا اولى من فلان ويصح ان يقال هذا اولى فلان كما يقال هذا مولى فلان ولما بطل ذلك علمنا ان الذي قالوه معنى وليس بتفسير وانما نبهنا على هذه الدقيقة لان الشريف المرتضى لما تمسك في امامة علي رضي الله عنه بقوله عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه قال احد معاني مولى انه اولى **واحتج** في ذلك باقوال ائمة اللغة في تفسير هذه الآية بان مولى معناه اولى واذا ثبت ان اللفظ محتمل له وجب حمله عليه لان ما عداه اما بين الثبوت ككونه ابن العم والناصر او بين الانتفاء كالمعتق والمعتق فيكون على التقدير الاول عبثا وعلى التقدير الثاني كذبا واما نحن فقد بينا بالدليل ان قول هؤلاء في هذا الموضع معنى لا تفسير وحينئذ يسقط الاستدلال به وفي الآية وجه آخر وهو ان معنى قوله تعالى هي مولاكم اي لا مولى لكم وذلك لان من كانت النار مولاه فلا مولى له كما يقال ناصره الخذلان ومعينه البكاء اي لا ناصر له ولا معين وهذا الوجه متأكد بقوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون

**اعلم** ان في الآية مسائل **المسألة الاولى** قال ابن جني قرأ الحسن ألما يأن قال ابن جني اصل لما لم ثم زيد عليها ما فلم نفي لقوله فعل ولما نفي لقوله قد فعل وذلك لانه لما زيد في الاثبات قد لاجرم زيد في نفيه ما الا انهم لما ركبوا لم مع ما حدث لها معنى ولفظ اما المعنى فانها صارت في بعض المواضع ظرفا فقالوا لما قمت قام زيد واما اللفظ فانه يجوز ان تقف عليها دون مجزومها فيجوز ان يقال جئت ولما اي ولما تجئ ولا يجوز ان يقال جئت ولم واما الذين قرؤوا ألم يأن فالمشهور ألم يأن من أنى الامر يأني اذا جاء اناه اي وقته وقرئ ألم يئن من آن يئين بمعنى أنى يأني **الثانية** اختلفوا في قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فقال بعضهم نزل في المنافقين الذين اظهروا الايمان وفي قلوبهم النفاق المباين للخشوع والقائلون بهذا القول لعلهم ذهبوا الى ان المؤمن لا يكون مؤمنا في الحقيقة الا مع خشوع القلب فلا يجوز ان يقول تعالى ذلك الا لمن ليس بمؤمن وقال آخرون بل المراد من هو مؤمن على الحقيقة لكن المؤمن قد يكون له خشوع وخشية وقد لا يكون كذلك ثم على هذا القول يحتمل وجوها احدها لعل طائفة من المؤمنين ما كان فيهم مزيد خشوع ولا رقة فحثوا عليه بهذه الآية وثانيها لعل قوما كان فيهم خشوع كثير ثم زال منهم شدة ذلك الخشوع فحثوا على المعاودة عليه عن الاعمش قال ان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين لما قدموا المدينة اصابوا لين العيش ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا بهذه الآية وعن ابي بكر رضي الله تعالى عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم





من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب واما قوله تعالى لذكر الله ففيه قولان الاول ان تقدير الآية اما حان للمؤمنين ان ترق قلوبهم لذكر الله اي لمواعظ الله تعالى التي ذكرها في القرآن وعلى هذا الذكر مصدر اضيف الى الفاعل والقول الثاني ان الذكر مضاف الى المفعول والمعنى لذكرهم الله اي يجب ان يورثهم الذكر خشوعا ولا يكونون كمن يذكره بالغفلة ولا يخشع قلبه للذكر قوله تعالى وما نزل من الحق فيه مسائل **المسألة الاولى** ما في موضع جر بالعطف على الذكر وهو موصول والعائد اليه محذوف على تقدير وما نزله من الحق قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وما نزل من القرآن يعني الحق **المسألة الثانية** قال ابو علي قرأ نافع وحفص والمفضل عن عاصم وما نزل من الحق خفيفة وقرأ الباقون وابو بكر عن عاصم وما نزل مشددة وعن الجحدري وما نزل من الحق ونعمه مكسورة الزاي والتقدير في القراءة الاولى ان تخشع قلوبهم لذكر الله ولما نزل من الحق وفي القراءة الثانية ولما نزله الله من الحق وفي القراءة الثالثة ولما نزل من الحق الثالثة يحتمل ان يكون المراد بذكر الله وبما نزل من الحق هو القرآن لانه جامع للوصفين الذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء ويحتمل ان يكون المراد من الذكر هو ذكر الله تعالى مطلقا والمراد بما نزل من الحق هو القرآن وانما قدم الخشوع بالذكر على الخشوع بما نزل من القرآن لان الخشوع والخوف والخشية لا تحصل الا عند ذكر الله تعالى فاما حصولها عند سماع القرآن فذاك لاجل اشتمال القرآن على ذكر الله تعالى ثم قال تعالى ولا يكونوا قال الفراء هو في موضع نصب معناه ألم يأن ان تخشع قلوبهم وان لا يكونوا قال ولو كان جزما على النهي كان صوابا وطال عليهم الامد وفيه مسألتان **المسألة الاولى** ذكروا في تفسير طول الامد وجوها احدها طالت المدة بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم وثانيها قال ابن عباس رضي الله عنهما مالوا الى الدنيا واعرضوا عن مواعظ الله تعالى وثالثها طالت اعمارهم في الغفلة فحصلت القسوة في قلوبهم بذلك السبب ورابعها قال مقاتل بن حيان الامد ههنا الامل البعيد والمعنى على هذا طال عليهم الامد بطول الامل اي لما طالت آمالهم لا جرم قست قلوبهم وخامسها قال مقاتل بن سليمان طال عليهم امد خروج النبي صلى الله عليه وسلم وسادسها طال عهدهم بسماع التوراة والانجيل فزال وقعها عن قلوبهم فلا جرم قست قلوبهم فكأنه تعالى نهى المؤمنين عن ان يكونوا كذلك قاله القرطبي **الثانية** قرئ الامد بالتشديد اي الوقت الاطول ثم قال تعالى وكثير منهم فاسقون اي خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين وكأنه اشارة الى ان عدم الخشوع في اول الامر يفضي الى الفسق في آخر الامر ثم قال تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون وفيه وجهان الاول انه تمثيل والمعنى ان القلوب التي ماتت بسبب القساوة فالمواظبة على الذكر سبب لعود حياة الخشوع اليها كما يحيي الله الارض بالغيث والثاني ان المراد من قوله تعالى يحيي الارض بعد موتها بعث الاموات فذكر ذلك ترغيبا في الخشوع والخضوع وزجرا عن القساوة

**قوله تعالى** ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم

**اعلم** ان في الآية مسائل **المسألة الاولى** قرأ ابو علي الفارسي قرأ ابن كثير وعاصم في رواية ابي بكر ان المصدقين والمصدقات بالتخفيف وقرأ الباقون وحفص عن عاصم ان المصدقين والمصدقات مشددة الصاد فيهما فعلى القراءة الاولى يكون معنى المصدق المؤمن فيكون المعنى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لان اقراض الله تعالى من الاعمال الصالحة ثم قالوا هذه القراءة اولى الوجهين لان من تصدق واقرض الله تعالى اذا لم يكن مؤمنا لم يدخل تحت الوعد فيصير ظاهر الآية متروكا على قراءة التشديد ولا يصير متروكا على قراءة التخفيف والثاني ان المصدق هو الذي يقرض الله فيصير قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات وقوله تعالى واقرضوا الله شيئا واحدا وهو تكرار اما على قراءة التخفيف فانه لا يلزم التكرار وحجة من ثقل وجهان احدهما ان في قراءة ابي ان المتصدقين والمتصدقات والثاني ان قوله تعالى واقرضوا الله قرضا حسنا اعتراض بين الخبر والمخبر عنه والاعتراض بمنزلة الصفة للصدقة فهو اشد مناسبة للتصدق واجاب الاولون بانا لا نجعل قوله تعالى واقرضوا الله على الاعتراض ولكنا نعطفه على المعنى الا ترى ان المصدقين والمصدقات معناه ان الذين تصدقوا فتقدير الآية ان الذين صدقوا واقرضوا **المسألة الثانية** في الآية اشكال وهو ان عطف الفعل على الاسم قبيح فما الفائدة في التزامه ههنا قال صاحب الكشاف قوله واقرضوا معطوف على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى صدقوا كانه قيل ان الذين صدقوا واقرضوا **واعلم** ان هذا لا يزيل الاشكال فانه ليس فيه بيان انه لم عدل عن ذلك اللفظ الى هذا اللفظ والذي عندي فيه ان الالف واللام في المصدقين والمصدقات للمعهود فكانه ذكر جماعة معينين بهذا الوصف ثم قبل ذكر الخبر عنهم بانهم اتوا باحسن انواع الصدقة وهو الاتيان بالقرض الحسن ثم ذكر الخبر بعد ذلك وهو قوله تعالى يضاعف لهم فقوله تعالى واقرضوا الله هو المسمى بحشو اللوزينج كما في قوله ان الثمانين وبلغتها **الثالثة** من قرأ المصدقين بالتشديد اختلفوا في ان المراد هو الواجب او التطوع او هما جميعا او المراد بالتصديق الواجب والاقراض فيه قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون

**اعلم** انه تعالى ذكر قبل هذه الآية حال المؤمنين والمنافقين وذكر الآن حال الكافرين وفي الآية مسألتان الاولى الصديق نعت لمن كثر منه الصدق وجمع صدقا الى صدق في الايمان بالله ورسله وفي هذه الآية قولان احدهما ان الآية عامة في كل من آمن بالله ورسله وهو مذهب مجاهد قال كل من آمن بالله فهو صديق ثم قرأ هذه الآية ويدل على هذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله الصديقون الموحدون الثاني ان الآية خاصة وهو قول المقاتلين ان الصديقين هم الذين آمنوا بالرسل حين اتوهم ولم يكذبوهم ساعة قط مثل آل ياسين ومؤمن آل فرعون واما في ديننا

فهم ثمانية سبقوا اهل الارض الى الاسلام ابو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر الحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته قوله تعالى والشهدا وفيه قولان الاول انه عطف على الاية الاولى والتقدير ان الذين امنوا بالله ورسله هم الصديقون والشهدا قال مجاهد كل مومن فهو صديق وشهيد وتلا هذه الاية وعلى هذا القول اختلفوا في انه لم سمي كل مومن شهيدا فقال بعضهم لان المومنين هم الشهدا الذين تقبل شهادتهم وقال الحسن السبب في هذا الاسم ان كل مومن فانه يشهد كرامة ربه وقال الاصم كل مومن شهيد لانه قائم لله تعالى بالشهادة فيما تعبدهم به من وجوب الايمان ووجوب الطاعة وحرمة الكفر والمعاصي وقال ابو مسلم قد ذكرنا ان الصديق نعت لمن كثر منه الصدق وجمع صدقا الى صدق في الايمان بالله تعالى ورسله وصاروا بذلك شهدا على غيرهم القول الثاني ان قوله تعالى والشهداء عند ربهم ليس عطفا على ما تقدم بل هو مبتدا وخبره اما قوله تعالى عند ربهم او يكون ذلك صفة وخبره هو قوله تعالى لهم اجرهم وعلى هذا القول اختلفوا في المراد من الشهدا فقال الفرا والزجاج هم الانبيا لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا وقال مقاتل ومحمد بن جرير الشهدا هم الذين استشهدوا في سبيل الله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما تعدون الشهدا فيكم قالوا المقتول فقال ان شهدا امتي اذا لقليل ثم ذكر ان المقتول شهيد والمبطون شهيد والمطعون شهيد واعلم انه تعالى لما ذكر حال المومنين اتبعه بذكر حال الكافرين فقال تعالى والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم ولما ذكر احوال المومنين والكافرين ذكر بعده ما يدل على حقارة الدنيا وكمال حال الاخرة فقال تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وفي الاية مسايل **الاولى** المقصود الاعلى من الاية تحقير حال الدنيا وتعظيم حال الاخرة فقال الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر ولا شك ان هذه الاشيا امور محقرة واما الاخرة فهي عذاب شديد دايم او رضوان الله على سبيل الدوام ولا شك ان ذلك عظيم **الثانية** اعلم ان الحياة الدنيا حكمة وصواب ولذلك لما قال اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها قال اني اعلم ما لا تعلمون ولولا انها حكمة وصواب لما قال ذلك ولان الحياة خلقه كما قال تعالى الذي خلق الموت والحياة وانه لا يفعل العبث على ما قال تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وقال تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ولان الحياة نعمة بل هي اصل جميع النعم وحقايق الاشيا لا تختلف بان كانت في الدنيا او في الاخرة ولانه تعالى عظم المنة بخلق الحياة فقال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم فاول ما ذكر من اصناف نعمه هو الحياة فدل مجموع ما ذكرنا ان الحياة الدنيا غير مذمومة بل المراد ان من صرف هذه الحياة لا الى طاعة الله تعالى بل الى طاعة الشيطان ومتابعة الهوى فذلك هو المذموم ثم انه تعالى وصفها بامور اولها انه لعب وهو فعل الصبيان الذين يتعبون انفسهم جدا ثم ان تلك المتاعب تنقضي من غير فايدة وثانيها انه لهو وهو فعل الشبان والغالب ان بعد انقضايه لا يبقى الا الحسرة وذلك لان العاقل بعد انقضايه يرى المال ذاهبا والعمر ذاهبا واللذة منقضية والنفس ازدادت شوقا وتعطشا اليها مع عدمها فيكون المضار مجتمعة متوالية وثالثها انه زينة وهذا من دأب النسوان وكان المطلوب من الزينة تحسين القبيح وعمارة البنا المشرف على ان يصير خرابا والاجتهاد في تكميل الناقص ومن المعلوم ان العرض لا يقوم الذاتي فاذا كانت الدنيا منقضية لذاتها فاسدة لذاتها فكيف يتمكن العاقل من ازالة هذه المفاسد عنها قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الكافر يشتغل حياته في طلب زينة الدنيا دون الاخرة وهذا كما قيل حياتك يا مغرور سهو وغفلة ورابعها قوله تعالى وتفاخر بينكم بالصفات الفانية الزايلة وهو اما التفاخر بالنسب والتفاخر بالقدرة والقوة والعساكر وكلها ذاهبة وخامسها قوله تعالى وتكاثر في الاموال والاولاد وقال ابن عباس رضي الله عنهما يجمع المال في سخط الله ويباهي به على اوليا الله ويصرفه في مساخط الله تعالى فهو ظلمات بعضها فوق بعض واعلم انه لا جهة لصحبة اصحاب الدنيا تخرج عن هذه الاقسام وبين ان حال الدنيا اذا لم تخل من هذه الوجوه فيجب ان يعدل عنها الى ما يودي الى عمارة الاخرة ثم ذكر تعالى لهذه الحياة مثلا فقال كمثل غيث اعجب الكفار نباته يعني المطر ونظيره قوله تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما انزلناه والكاف في قوله كمثل غيث موضعه رفع من وجهين احدهما ان تكون صفة لقوله لعب وزينة وتفاخر وتكاثر والاخر ان يكون خبرا بعد خبر قاله الزجاج وقوله تعالى اعجب الكفار نباته فيه قولان الاول قال ابن مسعود رضي الله عنه المراد من الكفار الزراع قال الازهري والعرب تقول للزارع كافر لانه يكفر البذر الذي يبذره بتراب الارض واذا اعجب الزراع نباته مع علمهم به فهو غاية الحسن الثاني ان المراد بالكفار في هذه الاية الكفار بالله تعالى وهم اشد اعجابا بزينة الدنيا وحرثها من المومنين لانهم لا يرون سعادة سوى سعادات الدنيا وقوله تعالى نباته اي ما ينبت من ذلك الغيث باقي الايات مفسرة في سورة الزمر ثم انه تعالى ذكر بعده حال الاخرة فقال تعالى وفي الاخرة عذاب شديد لمن كانت حياته بهذه الصفة ومغفرة من الله ورضوان لاوليايه واهل طاعته وذلك لانه لما وصف الدنيا بالحقارة وسرعة الانقضا بين ان الاخرة اما عذاب شديد دايم واما رضوان وهو اعظم درجات الثواب ثم قال تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور اذا الهت عن طلب الاخرة فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله تعالى وطلب الاخرة فنعم المتاع ونعم الوسيلة قوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم والمراد كانه تعالى قال لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما انتم عليه بل احرصوا على ان تكون سابقتكم في طلب الاخرة واعلم انه تعالى امر بالمسارعة في قوله تعالى سارعوا الى مغفرة من ربكم ثم شرح هاهنا كيفية تلك المسارعة فقال سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم في المضمار وقوله تعالى الى مغفرة فيه مسلتان **الاولى** لا شك ان المراد منه المسارعة الى ما يوجب المغفرة فقال قوم المراد سابقوا الى التوبة وقال اخرون المراد سابقوا الى ساير ما كلفتم به فدخل فيه التوبة وهذا اصح لان المغفرة والجنة لا ينالان الا بالانتها عن جميع المعاصي والاشتغال بكل الطاعات **الثانية** احتج القايلون بان الامر يفيد الفور بهذه الاية فقالوا هذه الاية دلت على وجوب المسارعة فوجب ان يكون التراخي محظورا اما قوله تعالى وجنة عرضها كعرض السما والارض وقال في ال عمران جنة عرضها السموات والارض وذكروا فيها وجوها احدها ان السموات والارضين السبع لو جعلت صفايح والزق بعضها ببعض كانت الجنة في عرضها هذا قول مقاتل وثانيها قال عطا عن ابن عباس رضي الله عنهما

يريد ان لكل



يريد ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه الصفة وثالثها قال السدي ان الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات والارض السبع ولا شك ان طوله ازيد من عرضه فذكر العرض تنبيها على ان طوله اضعاف ذلك ورابعها ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع في نفوسهم وافكارهم واكثر ما يقع في نفوسهم مقدار السموات والارض وهذا قول الزجاج وخامسها وهو اختيار ابن عباس رضي الله عنهما ان الجنان اربعة قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقوله تعالى ومن دونهما جنتان فالمراد ههنا تشبيه واحد من تلك الجنان في العرض بالسموات والارضين السبع اما قوله تعالى اعدت للذين امنوا بالله ورسله ففيه مسايل **المسلة الاولى** احتج جمهور الصحابة بهذا على ان الجنة مخلوقة قالت المعتزلة هذه الاية لا يمكن اجراوها على ظاهرها لوجهين الاول ان قوله تعالى اكلها دايم يدل على ان من وصفها بعد وجودها ان لا تفنى لكنها لو كانت الان موجودة ليست بدليل قوله تعالى كل شي هالك الا وجهه الثاني ان الجنة المخلوقة الان هي السما السابعة فلا يجوز مع انها في واحدة منها تكون عرضها كعرض السموات قالوا فثبت بهذين الوجهين انه لا بد من التاويل وذلك من وجهين الاول انه تعالى لما كان قادرا لا يصح المنع عليه وكان حكيما لا يصح الخلف في وعده ثم انه تعالى وعد على الطاعة الجنة وكانت الجنة كالمعدة والمهياة لهم تشبيها لما سيقع قطعا بالواقع وقد يقول المرء لصاحبه اعددت لك المكافاة اذا عزم عليها وان لم يوجدها والثاني ان المراد اذا كانت الاخرة اعدها الله تعالى لهم كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اي اذا كان يوم القيامة نادى والجواب ان قوله تعالى كل شي هالك الا وجهه عام وقوله تعالى اعدت للمتقين مع قوله تعالى اكلها دايم خاص مقدم على العام واما قوله ثانيا الجنة مخلوقة في السما قلنا انها مخلوقة في السما السابعة على ما قال عليه الصلوة والسلام في صفة الجنة سقفها عرش الرحمن واي استبعاد في ان يكون المخلوق فوق الشي اعظم منه اليس ان العرش اعظم المخلوقات مع انه مخلوق فوق السماء السابعة **الثانية** قوله تعالى اعدت للذين امنوا بالله ورسله فيه اعظم رجا واقوى امل اذ ذكر ان الجنة اعدت لمن امن بالله تعالى ولم يذكر مع الايمان شيا اخر والمعتزلة وان زعموا ان لفظ الايمان يفيد جملة الطاعات بحكم تصرف الشرع لكنهم اعترفوا بان لفظ الايمان اذا عدي بحرف البا باق على مفهومه الاصلي وهو التصديق فالاية حجة عليهم ومما يتاكد به ما ذكرناه قوله بعد هذه الاية ذلك فضل الله يوتيه من يشا يعني ان الجنة فضل لا معاملة فهو يوتيها من يشاء من عباده سوا اطاع او عصى فان قيل فيلزمكم ان تقطعوا بحصول الجنة لجميع العصاة وان تقطعوا بانه لا عقاب لهم قلنا نقطع بحصول الجنة لهم ولا نقطع بنفي العقاب عنهم لانهم اذا عذبوا مدة نقلوا الى الجنة وبقوا فيها ابد الاباد فقد كانت الجنة معدة لهم فان قيل المومن من امن بالله فوجب ان يدخل الجنة تحت الاية قلنا خص العموم وبقي العموم حجة فيما عداه قوله تعالى ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم **واحتج** جمهور اصحابنا ان نعيم الجنة تفضل محض لا انه مستحق بالعمل وهذا ايضا قول الكعبي من المعتزلة على صحة هذا المذهب بهذه الاية اجاب القاضي عنه فقال هذا انما يلزم لو امتنع الجمع بين كون الجنة مستحقة وبين كونها فضلا من الله تعالى فاما اذا صح اجتماع الصفتين فلا يصح هذا الاستدلال وانما قلنا انه لا منافاة بين هذين الوصفين لانه تعالى هو المتفضل بالامور التي يمكن المكلف معها من كسب هذا الاستحقاق فلما كان متفضلا بما قال ما ثبت هذا ثبت ان قوله يوتيه من يشا لا يمنع من ان يكون مشروطا بمن يستحقه ولولا ذلك لم يكن لقوله من قبل سابقوا الى مغفرة من ربكم معنى واعلم ان هذا ضعيف لان كونه تعالى متفضلا باسباب ذلك الكسب لا يوجب كونه تعالى متفضلا بنفس الجنة فان من وهب من انسان كاغدا ودواة وقلما ثم ان ذلك الانسان كتب بذلك المداد على ذلك الكاغد مصحفا وباعه من الواهب لا يقال ان اداء ذلك الثمن تفضل على ذلك الانسان بحق فكذا ههنا واما قوله لولا انه لا بد من الاستحقاق لم يكن لقوله تعالى من قبل سابقوا الى مغفرة فايدة فجوابه ان هذا استدلال عجيب لان المتفضل له ان يشرط في تفضيله اي شرط شا ويقول لا اتفضل الا مع هذا الشرط ثم قال تعالى والله ذو الفضل العظيم والمراد منه التنبيه على عظم حال الجنة وذلك لان ذا الفضل العظيم اذا اعطى عطا يتبجح به نفسه واثنى على نفسه فلا بد وان يكون ذلك العطا عظيما **قوله تعالى** ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها ان ذلك على الله يسير لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز **اعلم** ان الزجاج قال انه تعالى لما قال سابقوا الى مغفرة بين ان المودي الى الجنة والنار لا يكون الا بقضا وقدر فقال ما اصاب من مصيبة والمعنى لا توجد مصيبة من هذه المصايب الا وهي مكتوبة عند الله تعالى والمصيبة في الارض هي قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار وغلا الاسعار وتتابع الجوع والمصيبة في الانفس فيها قولان الاول انها هي الامراض والفقر وذهاب الاولاد واقامة الحدود عليها والثاني انها متناول الخير والشر لقوله بعد ذلك لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم ثم قال تعالى الا في كتاب يعني مكتوب عند الله تعالى في اللوح المحفوظ وفيه مسايل **الاولى** هذه الاية دالة على ان جميع الحوادث الارضية قبل دخولها في الوجود مكتوبة في اللوح المحفوظ

قال المتكلمون وانما كتب ذلك لوجوه احدها ليستدل الملائكة بذلك المكتوب على كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع الاشيا قبل وقوعها وثانيها ليعرفوا حكمة الله فانه تعالى مع علمه بانهم يقدمون على تلك المعاصي خلقهم ورزقهم وثالثها ليحذروا من امثال تلك المعاصي ورابعها ليشكروا الله تعالى على توفيقه اياهم على الطاعات وعصمته اياهم عن المعاصي وقالت الحكما ان الملائكة الذين وصفهم الله بانهم هم المدبرات امرا والمقسمات امرا انما هي المبادي لحدوث الحوادث في هذا العالم السفلي بواسطة الحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية فتصورها لانساق تلك الاسباب الى المسببات هو المراد من قوله تعالى الا في كتاب الثانية استدل جمهور اهل التوحيد بهذه الاية على انه تعالى عالم بالاشيا قبل وقوعها خلافا لهشام بن الحكم ووجه الاستدلال انه تعالى لما كتبها في الكتاب قبل وقوعها وجاءت مطابقة لذلك الكتاب علمنا انه تعالى كان عالما بها باسرها الثالثة قوله تعالى ولا في انفسكم يتناول جميع مصايب الانفس فيدخل فيها كفرهم ومعاصيهم فالاية دالة على ان جميع اعمالهم بتفاصيلها مكتوبة في اللوح المحفوظ ومثبتة في علم الله تعالى فكان الامتناع من تلك الاعمال محالا لان علم الله تعالى بوجودها مناف لعدمها والجمع بين المتنافيين محال فلما حصل العلم بوجودها وهذا العلم ممتنع الزوال كان الجمع بين عدمها وبين علم الله تعالى بوجودها محالا الرابعة انه تعالى لم يقل ان جميع الحوادث مكتوبة في الكتاب لان حركات اهل الجنة والنار غير متناهية فاثباتها في الكتاب محال وايضا خصص ذلك بالارض والانفس وفي كل هذه الرموز اشارات واسرار اما قوله تعالى من قبل ان نبراها فقد اختلفوا فيه قال بعضهم من قبل ان نخلق هذه المصايب وقال بعضهم بل المراد الانفس وقال اخرون بل المراد نفس الارض والكل محتمل لان ذكر الكل قد تقدم وان كان الاقرب للمصيبة لانها هي المقصودة وقال اخرون المراد من قبل ان نبرا المخلوقات والمخلوقات وان لم يتقدم ذكرها الا انه لظهورها يجوز عود الضمير اليها كما في قوله تعالى انا انزلناه ثم قال تعالى ان ذلك على الله يسير ثم قال تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم وفيه مسايل

**المسألة الاولى** هذه اللام يفيد جعل اول الكلام سببا لاخره كما تقول قمت لاضربك فانه يفيد ان القيام سبب للضرب وههنا كذلك لانه تعالى بين ان اخبار الله تعالى عن كون هذه الاشيا واقعة بالقضا والقدر ومثبتة في الكتاب الذي لا يتغير يوجب ان لا يشتد فرح الانسان بما وقع وان لا يشتد حزنه بما لم يقع وهذا هو المراد من قوله عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصايب وتحقيق الكلام فيه ان على مذهب اهل السنة ان وقوع كل ما وقع واجب وعدم كل ما لم يقع واجب ايضا لاسباب اربعة احدها ان الله تعالى علم وقوعه فلو لم يقع لانقلب العلم جهلا وثانيها ان الله تعالى اراد وقوعه فلو لم يقع لانقلبت تلك الارادة عبثا وثالثها انه تعلقت قدرة الله تعالى بايقاعه فلو لم يقع لانقلبت تلك القدرة عجزا ورابعها انه تعالى حكم بوقوعه بكلامه الذي هو صدق فلو لم يقع لانقلب ذلك الخبر الصدق كذبا فاذا هذا الذي وقع لو لم يقع لتغيرت هذه الصفات الاربعة من كمالها الى النقص ومن قدمها الى الحدوث ولما كان ممتنعا علمنا انه لا دافع لذلك الوقوع وحينئذ يزول الغم والحزن عند ظهور هذه الخواطر وهانت عليه المصايب واما المعتزلة فهم وان نازعوا في القدرة والارادة ولكنهم يوافقون في العلم والخبر واذا كان الجبر لازما في هاتين الصفتين فلا فرق بين ان يلزم بسبب الصفات الاربعة واما الفلاسفة فالجبر مذهبهم وذلك لانهم ربطوا حدوث الافعال الانسانية بالتصورات الذهنية والتخيلات الحيوانية ثم ربطوا تلك التصورات والتخيلات بالادوار الفلكية التي لها مناهج مقدرة ويمتنع وقوع ما يخالفها واما الدهرية الذين لا يثبتون مؤثرا فهم لا بد وان يقولون بان حدوث الحوادث اتفاقي واذا كانت اتفاقية لم تكن اختيارية فيكون الجبر لازما فظهر انه لا مندوحة لاحد من فرق العقلا سوا اقروا به او انكروه فهذا بيان وجه الاستدلال لاهل السنة بهذه الاية قالت المعتزلة الاية دالة على صحة مذهبنا في كون العبد متمكنا مختارا وذلك من وجوه الاول ان قوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم يدل على انه تعالى انما اخبرهم بكون تلك المصايب مثبتة في الكتاب لاجل ان يحترزوا عن الحزن والفرح ولولا انهم قادرون على تلك الافعال والا لما بقي لهذه اللام فايدة والثاني ان الاية تدل على انه تعالى لا يريد ان يقع منهم الحزن والفرح وذلك خلاف قول المجبرة ان الله تعالى اراد كل ذلك منهم والثالث انه تعالى قال بعد هذه الاية والله لا يحب كل مختال فخور وهذا يدل على انه تعالى لا يريد ذلك لان المحبة والارادة سواء فهو خلاف قول المجبرة ان كل واقع فهو مراد الله تعالى الرابع انه تعالى ادخل لام التعليل على فعله بقوله لكيلا وهو يدل على ان افعال الله تعالى معللة بالغرض واقول القايل سبحان من حير العقول في كيفية تعلق هذه الايات بالجبر والقدر وتعلق كلتا الطايفتين باكثرها

**الثانية** قال ابو علي الفارسي قرا ابو عمرو وحده بما اتاكم قصرا وقرا الباقون اتاكم ممدودا حجة ابي عمرو ان اتاكم معادل لقوله فاتكم فكما ان الفعل للغايب في قوله فاتكم فكذلك يكون الفعل للاتي في قوله تعالى بما اتاكم والعايد الى الموصول في الكلمتين الذكر المرفوع بانه فاعل وحجة الباقين انه اذا امكن كان ذلك منسوبا الى الله سبحانه وتعالى وهو المعطي لذلك ويكون فاعل الفعل في اتاكم ضميرا عايدا الى اسم الله تعالى والها محذوفة من الصلة تقديره اتاكموه

**الثالثة** قال المبرد ليس المراد من قوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم نفي الاسى والفرح على الاطلاق بل معناه لا تحزنوا حزنا يطغيكم حتى يخرجكم الى ان تهلكوا انفسكم ولا تعتدوا بثواب ما سلب منكم ولا تفرحوا فرحا شديدا تبطرون فيه وتبطروا ودليل ذلك قوله تعالى ان الله لا يحب كل مختال فخور فدل بهذا على انه ذم الفرح الذي يختال فيه صاحبه ويبطر فاما الفرح بنعمة الله تعالى والشكر عليها فغير مذموم وهذا كله معنى ما روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ليس احد الا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا للمصيبة

صبرا والخير



صبرا وللخير شكرا **واحتج القاضي** بهذه الاية على انه تعالى لا يريد افعال العباد والجواب عنه انا ذكرنا فرقا بين المحبة والارادة فقد تكون المحبة ارادة مخصوصة وهي ارادة الثواب فلا يلزم من نفي المحبة نفي الارادة قوله تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل والمسألة الاولى الاية فيها قولان الاول ان هذا بدل من قوله تعالى كل مختال فخور كانه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يبخلون به ويامرون الناس بالبخل به وكل ذلك نتيجة فرحهم عند اصابته ثم قال تعالى بعده ومن يتول عن اوامر الله تعالى ونواهيه ولم ينته عما نهي عنه من الاسى على الفايت والفرح بالاتي فان الله غني عنه القول الثاني ان قوله الذين يبخلون كلام مستانف لا تعلق له بما قبله وهو في صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبخلوا ببيان نعته وهو مبتدا وخبره محذوف دل عليه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد وحذف الخبر كثير في القران كقوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال الثانية قال ابو علي الفارسي قرا نافع وابن عامر فان الله الغني الحميد وحذف هو وكذلك هو في مصاحف اهل المدينة والشام **وقرا الباقون** هو الغني الحميد قال ابو علي ينبغي ان يكون هو في هذه الاية فصلا لا مبتدا لان الفصل حذفه اسهل الا ترى انه لا موضع للفصل من الاعراب وقد يحذف فلا يخل بالمعنى

قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وفي الاية مسايل

**المسألة الاولى** في وجه المناسبة بين الكتاب والميزان والحديد وجوه **احدها** وهو الذي اقوله ان مدار التكليف على امرين احدهما فعل ما ينبغي فعله والثاني ترك ما ينبغي تركه والاول هو المقصود بالذات فالكتاب هو الذي يتوسل به الى فعل ما ينبغي فعله والميزان هو الذي يحترز به عن الظلم والحديد زجر لمن ترك ذلك وثانيها ان الكتاب اشارة الى القوة النظرية والميزان الى القوة العملية والحديد الى الدفع وثالثها المعاملة اما مع الخالق وطريقها الكتاب او مع الخلق وهم اما الاحباب والمعاملة معهم بالتسوية وهي الميزان او الاعدا والمعاملة معهم بالسيف والحديد ورابعها الاقوام ثلاثة اما السابقون وهم يعاملون الخلق بمقتضى الكتاب فينصفون ولا ينتصفون ويحترزون عن مواضع الشبهات واما مقتصدون وهم الذين ينصفون وينتصفون فلا بد لهم من الميزان واما ظالمون وهم الذين ينتصفون ولا ينصفون ولا بد لهم من الحديد والزجر وخامسها الانسان اما ان يكون في مقام الحقيقة وهو مقام النفس المطمئنة ومقام المقربين فههنا لا يسكن الا الى الله ولا يعمل الا بكتاب الله كما قال الا بذكر الله تطمئن القلوب واما ان يكون في مقام الطريقة وهو مقام النفس اللوامة ومقام اصحاب اليمين فلا بد له من الميزان في معرفة الاخلاق حتى يحترز عن طرفي الافراط والتفريط ويبقى على الصراط المستقيم واما ان يكون في مقام الشريعة وهو مقام النفس الامارة وههنا لا بد له من حديد المجاهدة والرياضة الشاقة وسادسها الانسان اما ان يكون صاحب المكاشفة والوصول فلا انس له الا بالكتاب او صاحب الطلب والاستدلال فلا بد له من ميزان الدليل والحجة او صاحب العناد واللجاج فلا بد ان ينفى من الارض بالحديد وسابعها الدين هو اما الاصول واما الفروع وبعبارة اخرى اما المعارف واما الاعمال فالاصول من الكتاب واما الفروع فالمقصود الافعال التي فيها عدل الخلق ومصلحتهم وذلك بالميزان فانه اشارة الى رعاية العدل والحديد لتاديب من ترك هذين الطريقين وثامنها الكتاب اشارة الى ما ذكر الله في كتابه من الاحكام المقتضية للعدل والانصاف والميزان اشارة الى حمل الناس على تلك الاحكام المبنية على العدل والانصاف وهو شان الملوك والحديد اشارة الى انهم لو تمردوا لوجب ان يحملوا عليهما بالسيف وهذا يدل على ان مرتبة العلما وهم ارباب الكتاب مقدمة على مرتبة الملوك الذين هم ارباب السيف ووجوه المناسبات كثيرة وفيما ذكرناه تنبيه على الباقي المسألة الثانية ذكروا في الميزان اقوالا احدها انه تعالى انزل الميزان من السما روي ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به واما الحديد ففي نزوله ايضا قولان الاول قال ابن عباس نزل ادم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشيا من الحديد السندان والكلبتان والمنقعة والمطرقة والابرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى انزل اربع بركات من السما الى الارض انزل الحديد والنار والما والملح والقول الثاني ان معنى هذا الانزال الانشا والتهيئة كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج قال قطرب انزلنا اي هيانا

من النزل يقال انزل الامير على فلان نزلا حسنا ومنهم من قال هذا من جنس قوله   اعلفتها تبنا وماء اذا اكلت خبزا ولبنا الثالثة ذكر
في مواضع الميزان ليقوم الناس بالقسط والقسط والاقساط هو الانصاف وهو ان تعطي قسطا غيرك كما تاخذ قسط نفسك والعادل
يقسط قال تعالى ان الله يحب المقسطين والقاسط الجاير قال تعالى واما القاسطون واما الحديد ففيه البأس الشديد فان آلات الحروب
متخذة منه وفيه ايضا منافع كثيرة منها قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم ومنها ان مصالح العالم اما الاصول واما الفروع اما الاصول
فاربعة الزراعة والحياكة وبناء البيوت والسلطنة وذلك لان الانسان مضطر الى طعام ياكله والى ثوب يلبسه والى بناء يجلس فيه
والانسان مدني بالطبع فلا تتم مصلحته الا عند اجتماع جمع من ابناء جنسه يشتغل كل واحد منهم بمهم خاص فحينئذ ينتظم من
الكل مصالح الكل وذلك الانتظام لابد وان يفضي الى المزاحمة ولابد من شخص يدفع ضرر البعض عن البعض وذلك هو السلطان فثبت
انه لا ينتظم مصلحة العالم الا بهذه الحرف الاربعة اما الزراعة فمحتاجة الى الحديد وذلك في كرب الاراضي وحفرها ثم عند تكون هذه
الحبوب وتولدها لابد من حصدها وتنقيتها وذلك لا يتم الا بالحديد ثم الحبوب لابد من طحنها وذلك لا يتم الا بالحديد ثم لابد من خبزها
ولا يتم الا بالحديد ولابد فيها من المقدحة الحديدية واما الفواكه فلابد من تقطيعها عن شجرها وقطعها على الوجه الموافقة
للاكل فلا يتم ذلك الا بالحديد واما الحياكة فمعلوم انه محتاج الى تنقية القطن وغيره الى الآلات الحادة وهي محتاجة الى الحديد ثم يحتاج في
الامر العزل الى الحديد ثم يحتاج في آلات الحياكة الى الحديد ثم يحتاج في قطع الثياب وخياطتها الى الحديد واما البنا فمعلوم ان كمال الحال
لا يصلح الا بالحديد واما الاسباب السلطنة فمعلوم انها لا تتم ولا تكمل الا بالحديد وعند هذا يظهر ان اكثر مصالح العالم لا تتم
الا بالحديد ويظهر ايضا ان الذهب لا يقوم مقام الحديد في شيء من هذه المصالح فلو لم يوجد الذهب في الدنيا ما كان
يختل شيء من مصالح الدنيا ولو لم يوجد الحديد لاختل جميع مصالح الدنيا ثم ان الحديد لما كانت الحاجة اليه شديدة جعله
سهل الوجدان كثير الوجود والذهب لما قلت الحاجة اليه جعله عزيز الوجود وعند هذا يظهر اثر جود الله تعالى ورحمته
على عبيده فان كل ما كانت حاجتهم اليه اكثر جعل وجدانه اسهل ولهذا قال بعض الحكماء ان اعظم الامور حاجة هو الهواء فانه
لو انقطع وصوله الى القلب لحظة لمات الانسان في الحال فلا جرم جعله الله تعالى اسهل الاشيا وجدانا وهيأ اسباب
التنفس والآلة حتى ان الانسان يتنفس دايما بمقتضى طبعه من غير حاجة فيه الى تكلف عمل وبعد الهواء الماء لانه لما كانت
الحاجة الى الماء اقل من الحاجة الى الهواء جعل تحصيل الماء اشق قليلا من تحصيل الهواء وبعد الماء الطعام ولما كانت الحاجة
الى الطعام اقل من الحاجة الى الماء جعل تحصيل الطعام اشق من تحصيل الماء ثم يتفاوت الاطعمة في درجات الحاجة والعزة فكل
ما كانت الحاجة اليه اشد كان وجدانه اسهل وكل ما كان وجدانه اعز كانت الحاجة اليه اقل والجواهر لما كانت الحاجة اليها قليلة
لا جرم كانت عزيزة جدا فعلمنا ان كل شيء كانت الحاجة اليه اكثر كان وجدانه اسهل ولما كانت الحاجة اليها قليلة
لا جرم كانت عزيزة جدا ولما كانت الحاجة الى رحمة الله تعالى اشد من الحاجة الى كل شيء فنرجو من رحمته ان يجعلها اسهل الاشيا
وجدانا وقال الشاعر   سبحان من خص الفلز بعزه   والناس مستغنون عن اجناسه   واذل انفاس الهواء وكل ذي نفس
فمحتاج الى انفاسه ثم قال تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب وفيه مسايل **المسئلة الاولى** المعنى وليعلم الله
من ينصره اي ينصر دينه وينصر رسله باستعمال السيوف والرماح وساير السلاح في مجاهدة اعداء الدين بالغيب اي غايبا
عنهم قال ابن عباس رضي الله عنهما ينصرونه ولا يبصرونه ونصرت منه قوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم الثانية احتج
من قال بحدوث علم الله تعالى بقوله وليعلم الله والجواب عنه انه تعالى اراد بالعلم المعلوم فكانه تعالى قال وليقع نصرة
الرسول عليه الصلوة والسلام ممن نصره الثالثة قال الجبائي قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط دلالة على انه
تعالى انزل الميزان والحديد ومراده من العباد ان يقوموا بالقسط وان ينصروا الرسول واذا كان هذا مراده من الكل
فقد بطل قول المجبرة انه اراد من بعضهم خلاف ذلك وجوابه انه كيف يمكن ان يريد من الكل ذلك مع علمه بان ضده
موجود وان الجمع بين الضدين محال وان المحال غير مراده الرابعة لما كانت النصرة قد تكون ظاهرة كما يقع من منافق
او ممن مراده المنافع في الدنيا بين تعالى ان الذي اراده النصرة بالغيب ومعناه ان تقع عن اخلاص بالقلب ثم بين تعالى
انه قوي على الامور عزيز لا يمانع والله تعالى اعلم **قوله تعالى** ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا
في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا
بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها
ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم
وكثير منهم فاسقون **واعلم** انه تعالى لما ذكر انه ارسل الرسل بالبينات والمعجزات وانه انزل الميزان والحديد وامر الخلق
ان يقوموا بنصرتهم اتبع ذلك ببيان ساير الاشيا التي انعم بها عليهم فبين انه تعالى شرف نوحا وابرهيم عليهما الصلوة
والسلام بالرسالة ثم جعل في ذريتهما النبوة والكتاب فما جاء بعدهما احد بالنبوة الا وكان من اولادهما وانما
قدم النبوة على الكتاب لان كمال الحال ان يصير صاحب الكتاب والشرع ثم قال تعالى فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون
فيه مسايل **المسئلة الاولى** فمنهم اي من الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين والمعنى منهم مهتد
ومنهم فاسق والغلبة للفساق وفي الفاسق ههنا قولان الاول انه الذي ارتكب الكبيرة سواء كان كافرا او لم يكن لان هذا الاسم
مطلق على الكافر وعلى من لا يكون كذلك اذا كان مرتكبا للكبيرة والثاني ان المراد بالفاسق ههنا الكافر لان الآية دلت على انه تعالى

جعل



جعل الفساق بالضد من المهتدين فكان المراد فيهم من ضل عن الدين والمهتدي ومنهم من لم يثقل ولم يهتد ومعلوم ان من كان كذلك
كان كافرا وهذا ضعيف لان المسلم الذي عصى قد يقال فيه انه لم يهتد الى رشده ودينه قوله تعالى ثم قفينا على آثارهم
برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل فيه مسايل **المسئلة الاولى** قفينا اي اتبعنا بعد ان مضى والمراد انه تعالى
ارسل بعضهم بعد بعض الى ان انتهى الى ايام عيسى عليه السلام فارسله الله تعالى بعدهم وآتاه الانجيل **المسئلة الثانية**
قال ابن جني قرأ الحسن وآتيناه الانجيل بفتح الهمزة ثم قال هذا مثال لا نظير له لانه افعيل وهو عندهم من نجلت الشيء اذا
استخرجته لانه مستخرج الاحكام والتوريه فوعله من وري الزند يري اذا اخرج النار ومثله الفرقان وهو فعلان من فرقت بين الشيين
فعلى هذا انه لا يجوز فتح الهمزة لانه لا نظير له وغالب الظن انه ما قرأه الا عن سماع وله وجهان احدهما انه شاذ كما حكى بعضهم في
البرطيل البرطيل والثاني انه ظن الانجيل اعجميا فحرف مثالها على كونه اعجميا قوله تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة
ورحمة ورهبانية ابتدعوها وفيه مسايل **المسئلة الاولى** احتج اصحابنا بهذه الآية على ان فعل العبد خلق الله تعالى
وكسب العبد قالوا لانه حكم بان هذه الاشياء مخلوقة لله تعالى وحكم بانهم ابتدعوا تلك الرهبانية قال القاضي المراد بذلك
انه تعالى لطف بهم حتى قويت دواعيهم الى الرهبانية التي هي تحمل الكلفة الزائدة على ما يجب في الحلل واللباس الخشن والجواب
ان هذا ترك للظاهر من غير دليل على انا وان سلمنا ذلك فهو يحصل مقصودنا ايضا وذلك لان حال الاستوا
يمتنع حصول الرجحان والا فقد حصل عند الاستوا والجمع بينهما متناقض واذا كان الحصول عند الاستوا ممتنعا كان عند
المرجوحية اولى ان يصير ممتنعا واذا امتنع المرجوح وجب الراجح ضرورة انه لا خروج عن طرفي النقيض **المسئلة الثانية**
قال مقاتل المراد من الرأفة والرحمة هو انهم كانوا متوادين بعضهم مع بعض كما وصف الله تعالى اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
بذلك في قوله تعالى رحماء بينهم **الثالثة** قال صاحب الكشاف قرئ رآفة على فعالة **الرابعة** الرهبانية معناها الفعلة
المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ ورهبانية بالضم كانها نسبة الى الرهبان وهو
جمع راهب كراكب وركبان والمراد من الرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين انفسهم للعبادة متحملين
كلفا زائدة على العبادات التي كانت واجبة عليهم من الخلوة واللباس الخشن والاعتزال عن النساء والتعبد في الغيران
والكهوف عن ابن عباس رضي الله عنهما ان في ايام الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام غير الملوك التوراة والانجيل فساح
قوم في الارض ولبسوا الصوف وروى ابن عباس رضي الله عنهما انه قال النبي عليه السلام يا ابن مسعود اما علمت ان بني اسرائيل
تفرقوا سبعين فرقة كلها في النار الا ثلاث فرق فرقة آمنت بعيسى عليه السلام وقاتلوا اعداء الله في نصرته حتى قتلوا وفرقة
لم يكن لها طاقة بالقتال فامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وفرقة لم يكن لها طاقة بالامرين فلبسوا العباء وخرجوا الى القفار
والفيافي وهو قوله تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة الى آخر الآية **الخامسة** لم يعن تعالى بابتدعوها طريقة
الذم بل المراد انهم احدثوها من عند انفسهم ونذروها ولذلك قال تعالى بعده ما كتبناها عليهم **السادسة**
رهبانية منصوبة بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره ابتدعوا رهبانية ابتدعوها وقال ابو علي الفارسي
الرهبانية لا يستقيم حملها على جعلنا لان ما يبتدعونه لا يجوز ان يكون مجعولة فيه اقول هذا الكلام انما يتم
لو ثبت امتناع مقدور بين قادرين ومن اين يليق بابي علي ان يخوض في امثال هذه الاشيا ثم قال تعالى ما كتبناها
عليهم اي لم نفرضها نحن عليهم اما قوله تعالى الا ابتغاء رضوان الله ففيه قولان احدهما انه استثناء منقطع
اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله الثاني انه استثناء متصل والمعنى انا ما تعبدناهم بها الا على
وجه ابتغاء مرضاة الله تعالى والمراد انها ليست واجبة فان المقصود من فعل الواجب دفع العقاب وتحصيل
رضاء الله تعالى اما المندوب فليس المقصود منه دفع العقاب بل المقصود ان يحصل رضاء الله تعالى
اما قوله تعالى فما رعوها حق رعايتها ففيه اقوال احدها ان هؤلاء الذين ابتدعوا هذه الرهبانية ما رعوها
حق رعايتها بل ضموا اليها التثليث والاتحاد واقام اناس على دين عيسى عليه السلام حتى ادركوا محمدا صلى الله
عليه وسلم فآمنوا به وهو قوله تعالى فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون وثانيها انا ما كتبناها عليهم
تلك الرهبانية الا ليتوسلوا بها الى مرضاة الله تعالى ثم انهم اتوا بتلك الافعال لكن لا لهذا الوجه بل لوجه آخر
وهو طلب الدنيا والرياء والسمعة وثالثها انا لما كتبناها عليهم تركوها فيكون ذلك ذما لهم من حيث انهم تركوا
الواجب ورابعها ان الذين لم يرعوها حق رعايتها هم الذين ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به وقوله
تعالى فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم اي الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وكثير منهم فاسقون يعني الذين
لم يؤمنوا به ويدل على هذا ما روي انه عليه السلام قال من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها
ومن لم يؤمن بي فاولئك هم الهالكون وخامسها ان الصالحين من قوم عيسى صلوات الرحمن عليه ابتدعوا
الرهبانية وانقرضوا عليها ثم جاء قوم اقتدوا بهم في اللسان وما كانوا مقتدين بهم في العمل فهم الذين ما رعوا
حق رعايتها قال عطاء لم يرعوها كما رعاها الحواريون ثم قال تعالى وكثير منهم فاسقون والمعنى ان بعضهم احلوا ما عليها
وكثير منهم اظهر الفسق وترك تلك الطريقة ظاهرا وباطنا قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا
برسوله **اعلم** انه تعالى لما قال في الآية الاولى فآتينا الذين آمنوا اي من قوم عيسى عليه السلام اجرهم قال في

بهذه الاية يا ايها الذين امنوا والمراد به اوليك فامرهم ان يتقوا الله تعالى ويومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى يوتكم كفلين اي نصيبين من رحمته لايمانكم اولا بعيسى عليه السلام وثانيا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى اوليك يوتون اجرهم مرتين عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت في قوم جاوا من اليمن من اهل الكتاب الى الرسول صلى الله عليه وسلم واسلموا فجعل لهم اجرين وهاهنا سوالات **السوال الاول** ما الكفل في اللغة الجواب قال المورج الكفل النصيب بلغة هذيل وقال غيره بل هذا لغة الحبشة وقال المفضل ابن سلمة الكفل كسا يديره الراكب حول السنام حتى يتمكن من القعود على البعير **السوال الثاني** انه تعالى لما اتاهم كفلين واعطى المومنين كفلا واحدا كان حالهم اعظم والجواب روي ان اهل الكتاب افتخروا بهذا السبب على المسلمين وهو ضعيف لانه لا يبعد ان يكون النصيب الواحد ازيد قدرا من النصيبين فان المال اذا قسم بنصفين كان الكفل الواحد نصفا واذا قسم بمايه اقسام كان الكفل الواحد جزا من ماية جز فالنصيب الواحد من القسمة الاولى ازيد من عشرين نصيبا من القسمة الثانية فكذا هاهنا ثم قال تعالى ويجعل لكم نورا تمشون به وهو النور المذكور في قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم ويغفر لكم ما سلف من المعاصي قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شي من فضل الله فيه مسلتان **المسئلة الاولى** قال الواحدي رحمه الله تعالى هذه اية مشكلة وليس للمفسرين فيها كلام واضح في كيفية اتصال هذه الاية بما قبلها **واعلم** ان اكثر المفسرين على ان لا هاهنا صلة زايدة والتقدير ليعلم اهل الكتاب وقال ابو مسلم الاصفهاني وجمع اخرون هذه الكلمة ليست زايدة ونحن نفسر الاية على القولين بعون الله تعالى وتوفيقه اما القول المشهور وهو ان هذه اللفظة زايدة **واعلم** انه لا بد هاهنا من تقديم مقدمة وهي ان اهل الكتاب وهم بنو اسرايل كانوا يقولون الوحي والرسالة فينا والكتاب والشرع ليس الا لنا والله تعالى خصنا بهذه الفضيلة العظيمة من بين جميع العالمين اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى لما امر اهل الكتاب بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ووعدهم الاجر العظيم على ذلك الايمان اتبعه بهذه الاية والغرض منها ان يزيل عن قلبهم اعتقادهم بان النبوة مختصة بهم فقال انما بالغنا في هذا البيان ليعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرون على تخصيص فضل الله بقوم معينين ولا يمكنهم حصر الرسالة والنبوة في قوم مخصوصين وان الفضل بيد الله يوتيه من يشا ولا اعتراض عليه في ذلك اصلا واما القول الثاني وهو ان لفظة لا غير زايدة فاعلم ان الضمير في قوله الا يقدرون عايد الى الرسول واصحابه والتقدير لئلا يعلم اهل الكتاب ان النبي والمومنين لا يقدرون على شي من فضل الله وانهم اذا لم يعلموا انهم لا يقدرون عليه فقد علموا انهم يقدرون عليه ثم قال وان الفضل بيد الله اي وليعلموا ان الفضل بيد الله فيصير التقدير انا فعلنا كذا وكذا لئلا يعتقد اهل الكتاب انهم يقدرون على حصر فضل الله واحسانه في اقوام معينين وليعتقدوا ان الفضل بيد الله **واعلم** ان هذا القول ليس فيه الا انا حملنا لفظ لا على الاضمار ومن المعلوم ان الاضمار اولى من الحذف لان الكلام اذا افتقر الى الاضمار كان ظاهره متروكا اصلا واذا افتقر الى الحذف كان ظاهره مرتفعا بالكلية فعلمنا ان هذا القول اولى والله اعلم **المسئلة الثانية** قال صاحب الكشاف قرى ليعلم ولكي يعلم وليعلم بادغام النون في الياء وعن الحسن ليلا بفتح اللام وسكون الياء ورواه قطرب بكسر اللام وحكى ابن جني عن قطرب ان الحسن روى ليلا بكسر اللام وسكون الياء وكذلك المراة اذا حذفت همزتها مجاهد عنه والوجه فيه ان لام الجر اذا اضيفت الى ان بعض ثم قال تعالى وان الفضل بيد الله اي في ملكه وتصرفه واليد مثل يوتيه من يشا لانه قادر مختار يفعل باختياره والله ذو الفضل العظيم لا يريد الا ان يكون احسانه عظيما والمراد منه حال محمد صلى الله عليه وسلم في نبوته وشرعه وكتابه والله تعالى اعلم واحكم

**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير**

روي ان خولة بنت ثعلبة امراة اوس بن الصامت اخي عبادة بن الصامت رضي الله عنه راها زوجها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب وكان به خفة فظاهر منها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني اي كثر ولدي جعلني كامه وروي انها قالت ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال عليه السلام ما عندي في امرك شي وروي انه عليه السلام قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا وانما هو ابو ولدي واحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووجدي وكلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت الى الله فبينما هي كذلك اذ تربد وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية ثم انه عليه السلام ارسل الى زوجها وقال ما حملك على ما صنعت فقال الشيطان فهل من رخصة فقال نعم وقرا عليه



الاربع الايات وقال له هل تستطيع العتق فقال لا والله فقال هل تستطيع الصوم فقال لا والله لولا اني اكل في اليوم مرة او مرتين لكل بصري ولظننت اني اموت فقال له هل تستطيع ان تطعم ستين مسكينا فقال لا والله يا رسول الله الا ان تعينني منك بصدقة فاعانه بخمسة عشر صاعا واخرج اوس من عنده مثله فتصدق به على ستين مسكينا **واعلم** ان في هذا الخبر مباحث الاول قال ابو سليمان الخطابي ليس المراد من قوله في هذا الخبر وكان به لمم الخبل والجنون اذ لو كان به ذلك ثم ظاهر في تلك الحالة لم يكن يلزمه شي بل معنى اللمم هاهنا الالمام بالنسا وشدة الحرص والتوقان اليهن البحث الثاني ان الظهار كان من اشد طلاق الجاهلية لانه في التحريم اوكد ما يمكن فان كان ذلك الحكم صار مقررا بالشرع كانت الاية ناسخة له والا لم يعد نسخا لان النسخ انما يدخل في الشرايع لا في عادة الجاهلية لكن الذي روي انه صلى الله عليه وسلم قال لها حرمت او قال ما اراك الا قد حرمت عليه كالدلالة على انه كان شرعا فاما ما روي انه توقف في الحكم فيدل على ذلك البحث الثالث ان هذه الواقعة تدل على ان من انقطع رجاه عن الخلق ولم يبق له في مهمه احد سوى الخالق كفاه الله ذلك المهم ولنرجع الى التفسير اما قوله تعالى قد سمع الله فيه مسلتان **المسئلة الاولى** قوله تعالى قد معناه التوقع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا متوقعين ان يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها **المسئلة الثانية** كانت حمزة تدغم الدال في السين من قد سمع الله وكذلك في نظايره **واعلم** ان الله تعالى حكى عن هذه المراة امرين اولهما المجادلة وهي قوله تعالى تجادلك في زوجها اي تجادلك في شان زوجها وتلك المجادلة هي انه عليه السلام كلما قال لها حرمت عليه قالت والله ما ذكر طلاقا وثانيهما شكواها الى الله تعالى وهو قولها اشكو الى الله فاقتي ووحدتي وقولها ان لي صبية صغارا ثم قال سبحانه وتعالى والله يسمع تحاوركما والمحاورة المراجعة في الكلام حار الشي يحور حورا اي رجع يرجع رجوعا ومنه نعوذ بالله من الحور بعد الكور وكلمته فما احار بكلمة اي فما اجاب ثم قال تعالى ان الله سميع بصير اي يسمع كلام من يناديه ويبصر من يتضرع اليه قوله تعالى والذين يظهرون منكم من نسايهم **اعلم** ان قوله تعالى والذين يظاهرون فيه مسلتان **الاولى** ما يتعلق بالمباحث اللغوية والفقهية فنقول في هذه الاية ابحاث احدها ان الظهار ما هو والثاني ان المظاهر من هو وقوله من نسايهم فيه بحث وهو ان المظاهر عنها من هي البحث الاول وهو ان الظهار ما هو ففيه مقامان الاول في البحث عن هذه اللفظة بحسب اللغة وفيه قولان احدهما انه عبارة عن قول الرجل لامراته انت علي كظهر امي فهو مشتق من الظهر والثاني وهو قول صاحب النظم انه ليس ماخوذا من الظهر الذي هو عضو من الجسد لانه ليس الظهر اولى بالذكر في هذا الموضع من ساير الاعضا التي هي مواضع المباضعة والتلذذ بل الظهر هاهنا ماخوذ من العلو ومنه قوله تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوه وكل من علا شيا فقد ظهره ومنه سمي المركوب ظهرا لان راكبه يعلوه وكذلك امراة الرجل ظهره لانه يعلوها بملك البضع وان لم يكن من ناحية الظهر وكان امراة الرجل مركب للرجل وظهر له ويدل على صحة هذا المعنى ان العرب تقول في الطلاق نزلت عن امراتي اي طلقتها وفي قولهم انت علي كظهر امي حذف واضمار لان تاويله ظهرك علي اي ملكي اياك وعلوي عليك حرام كما ان علوي على امي وملكها حرام علي المقام الثاني في الالفاظ المستعملة لهذا المعنى في عرف الشريعة الاصل في هذا الباب ان يقال انت علي كظهر امي فاما ان يكون لفظ الظهر ولفظ الام مذكورين واما ان يكون لفظ الام مذكورا دون لفظ الظهر واما ان يكون لفظ الظهر مذكورا دون لفظ الام واما ان لا يكون واحدا منهما مذكورا فهذه اقسام اربعة القسم الاول اذا كانا مذكورين وهو معتبر بالاتفاق ثم لا مناقشة في الصلات اذا انتظم الكلام فلو قال انت كظهر امي صح انه صريح وقيل يحتمل ان يريد انها كظهر امي في حق غيره وكمن عنيه هذا الاحتمال كما لو قال لامراته انت طالق ثم قال اردت بذلك الاخبار عن كونها طالقا من جهة فلان القسم الثاني ان يكون الام مذكورة ولا يكون الظهر مذكورا وتفصيل مذهب الشافعي فيه ان الاعضا قسمان منها ما لا يكون التشبيه بها يشعر بالاكرام اما الاول فهو كقوله انت علي كبطن امي او كيد امي او كرجل امي وللشافعي فيه قولان الجديد ان الظهار يحصل والقديم انه لا يحصل اما الاعضا التي يكون التشبيه بها سببا للاكرام فهو كقوله انت علي كعيني امي او روح امي فان اراد الظهار كان ظهارا وان اراد الكرامة فليس بظهار لان لفظه محتمل لذلك وان اطلق ففيه تردد هذا تفصيل مذهب الشافعي واما مذهب ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه فقال ابو بكر الرازي في احكام القران اذا شبهها بعضو من الام يحل له النظر اليه لم يكن ظهارا وهو كقوله انت علي كيد امي او كراسها اما اذا شبهها بعضو من الام يحرم عليه النظر اليه كان ظهارا كما اذا قال انت علي كظهر امي او كفخذها والاقرب عندي هو القول القديم للشافعي رحمه الله تعالى وهو انه لا يصح الظهار بشي من الالفاظ والدليل عليه ان الزوجية كانت باقية ورا الدليل عن وجوب الكفارة كانت ثابتة والاصل في الثابت البقا على ما كان ترك العمل به فيما اذا قال انت علي كظهر امي لمعنى مفقود في ساير الصور وذلك ان اللفظ المعهود في الجاهلية هو قوله انت علي كظهر امي وكذلك سمي ظهارا وكان هذا اللفظ سببا مشعرا بالتحريم ولم يوجد هذا المعنى في ساير الالفاظ فوجب البقا على حكم الاصل القسم الثالث ما اذا كان الظهر مذكورا ولم يكن الام مذكورة فهذا على ثلاث مراتب المرتبة الاولى ان يحرى التشبيه بالمحرمات من النسب والرضاع وفيه قولان القديم انه لا يكون ظهارا والقول الجديد انه يكون ظهارا وهو قول ابي حنيفة رضي الله عنه المرتبة الثانية تشبيهها بالمراة المحرمة تحريما موقتا مثل ان يقول لامراته انت علي كظهر فلانة وكان طلقها ثلاثا فهذا لا يكون ظهارا بالاتفاق المرتبة الثالثة ان يقول انت علي كظهر ابي فهذا ايضا لا يكون ظهارا بالاتفاق والمختار عندي

ان سياتي هذا لا يكون ظهارا ودليله ما ذكرناه في المسئلة السابقة وحجة ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه انه تعالى
قال والذين يظاهرون ظاهر هذه الاية يقتضي حصول الظهار بكل محرم فمن قصره على الام فقد خصص والجواب انه تعالى لما قال
بعده ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم دل على ان المراد هو الظهار بذكر الام ولان حرمة الام اشد من حرمة ساير
المحارم فعقول المقتضي لثبوت الحكم عام على ما بيناه وهذا الفارق موجود فوجب ان لا يجوز القياس القسم الرابع اذا لم
يكن لا الظهر ولا الام كما لو قال انت علي كبطن اختي وعلى قياس ما تقدم يجب ان لا يكون ذلك ظهارا البحث الثاني في
المظاهر وفيه مسئلتان الاولى قال الشافعي رحمه الله تعالى والضابط ان كل من صح طلاقه صح ظهاره فعلى هذا ظهار الذمي
عنده صحيح وقال ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه لا يصح واحتج بعموم قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم واما
القياس ففيه وجهين الاول ان تاثير الظهار في التحريم والذمي اهل لذلك بدليل صحة طلاقه واذا ثبت هذا وجب
ان يصح التصرف منه قياسا على ساير التصرفات الثاني ان الكفارة انما وجب على المسلم زجرا له عن هذا الفعل الذي هو
منكر من القول وزور وهذا المعنى قايم في حق الذمي فوجب ان يصح واحتجوا اصحاب ابي حنيفة رضي الله عنه بهذه الاية
من وجهين الاول احتج ابو بكر الرازي بقوله تعالى والذين يظاهرون منكم من نسائهم وذلك خطاب للمومنين فدل على
ان الظهار مخصوص بالمومنين الثاني ان من لوازم الظهار الصحيح وجوب الصوم على العاجز عن الاعتاق
بدليل قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا الى قوله تعالى فمن لم يستطع فصيام
شهرين وايجاب الصوم على الذمي ممتنع لانه لو وجب لوجب اما مع الكفر وهو باطل بالاجماع او بعد الايمان وهو
باطل لقوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله والجواب عن الاول من وجوه احدها ان قوله تعالى منكم خطاب مشافهة
فيتناول جميع الحاضرين فلم قلتم انه مخصوص بالمومنين سلمنا انه مختص بالمومنين فلم قلتم ان تخصيصه بالمومنين
في الذكر يدل على ان حال غيرهم بخلافه وذلك لا سيما ومن مذهب هذا القايل ان التخصيص بالذكر لا يدل على ان حال ما عداه بخلافه سلمنا انه
يدل عليه لكن دلالة المفهوم اضعف من دلالة المنطوق فكان التمسك بعموم قوله تعالى والذين يظاهرون اولى سلمنا الاستوا في القوة لكن
مذهب ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه ان العام اذا ورد بعد الخاص كان ناسخا والذي تمسكنا به وهو قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم
متاخر في الذكر عن قوله تعالى والذين يظاهرون منكم والظاهر انه كان متاخرا في النزول ايضا لان قوله تعالى والذين يظاهرون منكم ليس فيه
بيان حكم الظهار وقوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم فيه بيان حكم الظهار وكون المومنين متاخرا في النزول عن المجمل اولى والجواب
عن الثاني من وجوه الاول انه لوازمه ايضا انه متى عجز عن الصوم اكتفى منه بالاطعام وههنا ان تحقق العجز وجب ان يكتفى منه بالاطعام
وان لم يتحقق العجز فقد زال السؤال والثاني ان الصوم بدل عن الاعتاق والبدل اضعف من المبدل ثم ان العبد عاجز عن الاعتاق مع انه
يصح ظهاره فاذا كان فوات اقوى اللازمين لا يوجب المنع من صحة الظهار ففوات اضعف اللازمين كيف يمنع من القول بصحة الظهار
الثالث قال القاضي الحسين من اصحابنا انه تعالى ان اراد الخلاص من التحريم فاسلم وصم اما قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله قلنا انه عام
والتكليف بالصوم خاص والخاص مقدم على العام وايضا فنحن لا نكلفه الصوم بل نقول ان اردت ازالة التحريم فصم والا فلا نصم الثانية
قال الشافعي وابو حنيفة ومالك رحمهم الله لا يصح ظهار المراة عن زوجها وهو ان تقول المراة لزوجها انت علي كظهر امي وقال الاوزاعي يمين
تكفرها وهذا خطا لان الرجل لا يلزمه بذلك كفارة يمين وهو الاصل فكيف يلزم المراة ذلك ولان الظهار لو جب تحريما بالقول والمراة
لا تملك ذلك بدليل انها لا تملك الطلاق المسالة الثالثة قال الشافعي وابو حنيفة رضي الله عنهما اذا قال انت علي كظهر امي يبطل الظهار
بمضي اليوم وقال مالك وابن ابي ليلى هو مظاهر ابدا لنا ان التحريم حاصل بالظهار وقابل للتوقيت لانه لما انحل بالتكفير
واذا كان قابلا للتوقيت فاذا وقته وجب ان يتقدر بحسب ذلك التوقيت قياسا على الامهال فهذا ما يتعلق من المسايل
بقوله تعالى والذين يظاهرون اما قوله تعالى من نسائهم فيتعلق به احكام المظاهر عنه واختلفوا في انه هل يصح الظهار
عن الامة فقال ابو حنيفة والشافعي رحمهما الله تعالى لا يصح وقال مالك والاوزاعي رحمهما الله تعالى يصح حجة الشافعي
ان الحل كان ما ساو التكفير لم يكن في الواجب الاصلي فالساكت والاية لا تتناول هذه الصورة لان قوله تعالى والذين
يظاهرون من نسائهم يتناول الحراير دون الاماء والدليل عليه قوله تعالى او نسائهن فان المفهوم منه الحراير ولولا ذلك
لما صح عطف قوله تعالى او ما ملكت ايمانهن لان الشي لا يعطف على نفسه فقال تعالى وامهات نسائكم وكان ذلك على
الزوجات دون ملك اليمين الرابعة فيما يتعلق بهذه الاية من القراات قال ابو علي قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو والذين
يظهرون بغير الالف وقرا عاصم يظاهرون بضم اليا وتخفيف الظا والالف وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي يظاهرون بفتح
اليا وبالف مشددة الظا قال ابو علي ظاهر من امراته وظهر مثل ضاعف وضعف وتدخل التا على كل واحد منهما فيصير
تظاهر وتظهر ويدخل حرف المضارعة فيصير يتظاهر ويتظهر ثم تدغم التا في الظا لمقاربتهما فيصير يظاهر ويظهر ويفتح
اليا التي هي حرف المضارعة لانها للمطاوعة كما تفتحها في يتدحرج الذي هو مطاوع دحرجته فتدحرج واما فتح اليا في
يظاهر ويظهر لانه المضارع كان يتدحرج لذلك ولا يعتد على وزنهما وان كان للالحاق واما قراءة عاصم يظاهرون فهو مشتق
من ظاهر يظاهر اذا اتى بهذا التصرف الخامسة لفظة منكم في قوله تعالى والذين يظاهرون منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم
في الظهار لانه كان من ايمان اهل الجاهلية خاصة دون ساير الامم قوله تعالى ما هن امهاتهم فيه مسئلتان الاولى قرا عاصم
في رواية المفضل امهاتهم بالرفع والباقون بالنصب على لغة الحجاز ووجه الرفع انه لغة تميم قال سيبويه وهو اقيس الوجهين

وذكر ان



وذلك ان النفي كالاستفهام فكما لا يغير الاستفهام الكلام عما كان عليه فكذا ينبغي ان لا يغير النفي الكلام عما كان عليه ووجه النصب انه
لغة اهل الحجاز والاخذ في التنزيل بلغتهم اولى وعليها جاء قوله تعالى ما هذا بشرا ووجهه من القياس ان ما تشبه ليس في نفي ما في الحال واذا
حصلت المشابهة من وجهين وجب حصول المساواة في ساير الاحكام الا ما خص بالدليل قياسا على باب لا ينصرف المسالة الثانية في الاية
اشكال وهو ان من قال لامراته انت علي كظهر امي فهو لم يشبه الزوجة بالام ولم يقل انها ام فكيف يليق ان يقال على سبيل الابطال لقوله
تعالى ما هن امهاتهم وكيف يليق ان يقال انهم ليقولون منكرا من القول وزورا والجواب ان الكذب انما لزم لان قوله انت علي كظهر امي
اما ان يجعله اخبارا او انشاء وعلى التقدير الاول انه كذب لان الزوجية محللة والام محرمة وتشبيه المحللة بالمحرمة في وصف
الحل والحرمة كذب وان جعلناه انشاء كان ذلك ايضا كذبا لان كونه انشاء معناه ان الشرع جعله سببا في حصول الحرمة
فلما لم يرد الشرع بهذا التشبيه كان جعلها انشاء وفي قوله هذا الحكم يكون كذبا وزورا وقال بعضهم انه تعالى انما وصفه بكونه
منكرا من القول وزورا لان الام تحرم تحريما موبدا والزوجة لا تحرم عليه بهذا القول تحريما موبدا فلا جرم كان ذلك منكرا من
القول وزورا وهذا الوجه عندي ضعيف لان تشبيه الشي بالشي لا يقتضي وقوع المشابهة بينهما من كل الوجوه فلا يلزم من تشبيه الزوجة
بالام في الحرمة تشبيهها بها في كون الحرمة موبدة لان مسمى الحرمة اعم من الحرمة الموبدة او الموقتة قوله تعالى ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم اما
الكلام في تفسير لفظ اللائي فقد تقدم في سورة الاحزاب عند قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائي وفي الاية سؤال وهو ان ظاهرها
يقتضي انه لا ام الا الوالدة وهذا مشكل لانه قال في اية اخرى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم وفي اية اخرى وازواجه امهاتهم ولا يمكن ان
يدفع هذا السؤال بان المعنى من كون المرضعة اما وزوجة الرسول اما حرمة النكاح وذلك لانا نقول ان بهذا الطريق ظهر انهم لا يلزم
من عدم الامومة الحقيقية عدم الحرمة فاذن لا يلزم من عدم كون الزوجة اما عدم الحرمة وظاهر الاية يوهم انه تعالى استدل
بعدم الامومة على عدم الحرمة وحينئذ يتوجه السؤال والجواب انه ليس المراد من ظاهر الاية ما ذكره السايل بل تقدير الاية كانه قيل هذه
الزوجة ليست بام حتى تحصل الحرمة بسبب الامومة ولم يرد الشرع بجعل هذه اللفظة سببا لوقوع الحرمة فاذن لا تحصل الحرمة هناك
البتة وكان وصفهم لها بالحرمة كذبا وزورا ثم قال تعالى وان الله لعفو غفور اما في المونة لمن شاء كما قال تعالى ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء او بعد التوبة قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم قال الزجاج الذين رفع بالابتدا وخبره فعليهم تحرير رقبة ولم يذكر عليهم
لان في الكلام دليلا عليه وان شيت اضمرت فكفارتهم تحرير رقبة قوله تعالى ثم يعودون لما قالوا اعلم انه كثر اختلاف
الناس في تفسير هذه الكلمة ولا بد من بيان اقوال اهل العربية في هذه الكلمة وثانيا من بيان اقوال اهل الشريعة الثالثة قال الفرا
لا فرق في اللغة بين ان يقال يعودون لما قالوا والى ما قالوا قال ابو علي الفارسي كلمة الى واللام يتعاقبان كقوله تعالى الحمد
لله الذي هدانا لهذا وقال تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقال تعالى واوحي الى نوح وقال تعالى بان ربك اوحى لها
الرابعة لفظ ما قالوا في قوله تعالى ثم يعودون لما قالوا فيه وجهان احدهما انه لفظ الظهار والمعنى انهم يعودون
الى ذلك اللفظ والثاني ان يكون المراد بقوله تعالى لما قالوا المقول فيه وهو الذي حرموه على انفسهم بلفظ الظهار
تنزيلا للقول منزلة المقول فيه ونظيره قوله تعالى ونرثه ما يقول اي ونرثه المقول وقال عليه السلام العايد في
هبته كالكلب يعود في قيه وانما هو عايد في الموهوب وتقول الرجل اللهم انت رجاؤنا اي مرجونا وقال تعالى واعبد ربك
حتى ياتيك اليقين اي الموقن به وعلى هذا قوله تعالى ثم يعودون لما قالوا اي يعودون الى الشي الذي قالوا فيه ذلك
القول ثم اذا فسرنا هذا اللفظ بالوجه الاول فنقول قال اهل اللغة يجوز ان يقال عاد لما فعل اي فعله مرة اخرى ويجوز ان يقال
عاد لما فعل اي نقض ما فعل وهذا كلام معقول لان من فعل شيا ثم اراد ان يفعل مثله فقد عاد الى تلك الماهية
لا محالة وايضا من فعل شيا ثم اراد ابطاله فقد عاد اليه لان التصرف في الشي بالاعدام لا يمكن الا بالعود
اليه الخامسة ظهر بما قدمنا ان قوله تعالى ثم يعودون لما قالوا يحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه بالنقض
والرفع والازالة ويحتمل ان يكون المراد منه ثم يعودون الى تكوين مثله مرة اخرى اما الاحتمال الاول فهو الذي
ذهب اليه اكثر المجتهدين واختلفوا فيه على وجوه الاول وهو قول الشافعي رحمه الله تعالى ان معنى العود
لما قالوا السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه ان يطلقها فيه وذلك لانه لما ظاهر فقد قصد
التحريم فان وصل ذلك بالطلاق فقد تمم ما شرع فيه من ايقاع التحريم ولا كفارة عليه فاذا سكت عن الطلاق
فذاك يدل على انه ندم على ما ابتداه من التحريم فحينئذ يجب عليه الكفارة واحتج ابو بكر الرازي في احكام القران
على فساد هذا القول من وجهين الاول انه تعالى قال ثم يعودون لما قالوا وثم تقتضي التراخي وعلى هذا القول
يكون المظاهر عايدا عقيب القول فلا تراخي وذلك خلاف مقتضى الاية الثاني انه شبهها بالام والام لا يحرم
امساكها فتشبيه الزوجة بالام لا يقتضي حرمة امساك الزوجة فلا يكون امساك الزوجة نقضا لقوله
انت علي كظهر امي فوجب ان لا يفسر العود بهذا الامساك والجواب عن الاول ان هذا وارد على قول ابي حنيفة رضي الله
تعالى عنه فانه جعل تفسير العود استباحة الوطء فوجب ان يكون الظاهر هنا العود الى هذا التفسير
عقيب فراغه عن التلفظ بلفظ الظهار حتى يحصل التراخي مع ان الامة مجمعة على ان له ذلك فثبت ان هذا
الاشكال وارد عليه ايضا ثم نقول انا لما سكت زمانا يمكنه ان يطلقها فيه لا يحكم عليه بكونه عايدا فقد
تاخر كونه عايدا عن كونه مظاهرا بذلك القدر من الزمان وذلك يكفي في العمل بمقتضى كلمة ثم والجواب عن الثاني

ان الام يحرم امساكها على سبيل الزوجية ويحرم الاستمتاع بها فقوله انت علي كظهر امي ليس فيه بيان ان التشبيه وقع
في امساكها على سبيل الزوجية او في الاستمتاع بها فوجب حمله على الكل فقوله انت علي كظهر امي يقتضي تشبيهها بالام في حرمة
امساكها على سبيل الزوجية فاذا لم يطلقها فقد امسكها على سبيل الزوجية وكان هذا الامساك مناقضا لمقتضى قوله
انت علي كظهر امي فوجب الحكم عليه بكونه عائدا وهذا الكلام يلحق في تقرير مذهب الشافعي رحمه الله تعالى الوجه الثاني
في تفسير العود وهو قول ابي حنيفة رضي الله عنه انه عبارة عن استباحة الوطء والملامسة والنظر اليها بالشهوة قالوا
وذلك لانه لما شبهها بالام لم يتبين انه في اي الاشياء شبهها بالام فليس صرف هذا التشبيه الى حرمة الاستمتاع وحرمة
النظر اولى من صرفه الى حرمة امساكها على الزوجية فوجب ان يحمل هذا التشبيه على الكل واذا كان كذلك فاذا امسكها على سبيل
الزوجية لحظة فقد نقض حكم قوله انت علي كظهر امي فوجب ان يتحقق العود الوجه الثالث في تفسير العود وهو قول مالك
رحمه الله تعالى ان العود اليها عبارة عن العزم على جماعها وهذا ضعيف لان القصد الى جماعها لا يناقض كونها محرمة انما المناقض
لكونها محرمة القصد الى استحلال جماعها وحينئذ يرجع الى قول ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه الوجه الرابع في تفسير العود وهو قول
طاوس والحسن البصري ان العود اليها عبارة عن جماعها وهذا خطأ لان قوله تعالى ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا
فالتعقيب في قوله تعالى فتحرير رقبة يقتضي كون التكفير بعد العود ويقتضي قوله تعالى من قبل ان يتماسا ان يكون التكفير قبل الجماع
واذا ثبت انه لا بد وان يكون التكفير بعد العود وقبل الجماع وجب ان يكون العود غير الجماع **واعلم** ان اصحابنا قالوا العود المذكور
ههنا هو انه صالح للجماع والعزم على الجماع اولا واستباحة الجماع الا ان الذي قاله الشافعي رحمه الله تعالى هو اولها يطلق عليه
الاسم فيجب تعلق الحكم عليه لانه هو الذي به تحقق مسمى العود واما الثاني فزيادة لا دليل عليها اما الاحتمال الثاني في قوله
ثم يعودون لما قالوا اي يفعلون مثل ما فعلوه وعلى هذا الاحتمال في الآية ايضا وجوه الاول قال الثوري رحمه الله
تعالى العود هو الاتيان بالظهار في الاسلام وتقديره ان اهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار فجعل الله تعالى
حكم الظهار في الاسلام خلاف حكمه عندهم في الجاهلية فقال تعالى والذين يظاهرون من نسائهم يريد في الجاهلية
ثم يعودون لما قالوا اي في الاسلام والمعنى انهم يقولون في الاسلام مثل ما كانوا يقولونه في الجاهلية فكفارته
كذا وكذا قال اصحابنا هذا القول ضعيف لانه تعالى ذكر الظهار وذكر العود بعده بكلمة ثم وهذا يقتضي ان يكون
المراد من العود شيئا غير الظهار فان قالوا المراد الذين كانوا يظاهرون من نسائهم قبل الاسلام والعرب قد يضمر لفظ
كان كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين اي ما كانت تتلوا الشياطين قلنا الاضمار خلاف الاصل القول
الثاني قال ابو العالية اذا كرر لفظ الظهار فقد عاد وان لم يكرر لم يكن عائدا وهذا قول اهل الظاهر **واحتجوا**
عليه بان ظاهر قوله تعالى ثم يعودون لما قالوا يدل على اعادة ما فعلوه وهذا لا يكون الا بالتكرير وهذا ايضا ضعيف من
وجهين الاول انه لو كان المراد هذا لكان يقول ثم يعودون لما قالوا الثاني قد بينا ان حديث اوس بانه لم يكرر الظهار
انما عزم على الجماع وقد الزمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الكفارة وكذا حديث سلمة بن صخر البياضي فانه قال
كنت لا اصبر على الجماع فلما دخل شهر رمضان ظاهرت من امراتي مخافة ان لا اصبر عنها بعد طلوع الفجر وظاهرت منها
شهر رمضان كله ثم لم اصبر فواقعتها واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبرته بذلك وقلت امض في حكم الله فقال
اعتق رقبة فاوجب الرسول صلى الله عليه وسلم الكفارة مع انه لم يذكر تكرار الظهار القول الثالث قال ابو مسلم الاصفهاني
معنى العود هو ان يحلف على ما قال اولا من لفظ الظهار فانه اذا لم يحلف لم يلزمه الكفارة قياسا على ما لو قال في بعض
الاطعمة انه حرام علي كلحم الآدمي فانه لا يلزمه الكفارة اما اذا حلف عليه لزمته كفارة اليمين وهذا ايضا ضعيف لان الكفارة
قد تجب بالاجماع في المناسك ولا يمين هناك وفي قتل الخطا ولا يمين هناك قوله تعالى فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا فيه مسائل
**المسالة الاولى** اختلفوا في تحريم الظهار وللشافعي قولان **احدهما** انه يحرم الجماع فقط والقول الثاني وهو
الاظهر انه يحرم جميع جهات الاستمتاعات وهو قول ابي حنيفة رحمه الله ودليله وجوه **الاول** قوله تعالى فتحرير رقبة من قبل
ان يتماسا فكان ذلك عاما في ضروب جميع المس من لمس بيد او غيرها والثاني قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم الزمه
حكم التحريم بسبب انه شبهها بظهر الام فكما ان مباشرة ظهر الام ومسه يحرم عليه فوجب ان يكون الحال في المراة كذلك الثالث
روى عكرمة رضي الله تعالى عنه ان رجلا ظاهر من امراته ثم واقعها قبل ان يكفر فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك
فقال اعتزلها حتى تكفر **الثانية** اختلفوا فيمن ظاهر مرارا فقال الشافعي وابو حنيفة رضي الله عنهما لكل ظهار كفارة الا
ان يكون في مجلس واحد واراد التكرار للتاكيد فانه يكون عليه كفارة واحدة وقال مالك رضي الله تعالى عنه من ظاهر من
امراته في مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة واحدة دليلنا ان قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة يقتضي
كون الظهار علة لايجاب الكفارة فاذا وجد الظهار الثاني فقد وجد موجب الكفارة فالظهار الثاني اما ان يكون علة الكفارة
الاولى او الكفارة ثانية والاول باطل لان الكفارة الاولى وجبت بالظهار الاول وتكوين الكائن محال ولان تاخر العلة عن الحكم
محال فعلمنا ان الظهار الثاني يوجب كفارة ثانية **واحتج مالك** بان قوله تعالى والذين يظاهرون يتناول
من ظاهر مرة واحدة ومن ظاهر مرارا كثيرة والجواب انه تعالى قال لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين فهذا يقتضي ان لا يجب في الايمان الكثيرة الا كفارة واحدة ولما كان ذلك باطلا

فكذا

فكذا ما قلناه **الثالثة** رجل تحته اربع نسوة فظاهر عنهن بكلمة واحدة وقال انتن علي كظهر امي فللشافعي
قولان احدهما انه يلزمه اربع كفارات نظرا الى عدد اللواتي ظاهر عنهن ودليله ما ذكرنا انه ظاهر عن هذه فلزمته
كفارة بسبب الظهار وظاهر ايضا عن تلك فالظهار الثاني لا بد وان يوجب كفارة اخرى **الرابعة** الآية تدل
على ايجاب الكفارة قبل المماسة فان جامع قبل ان يكفر لم يجب عليه الا الكفارة الواحدة وهو قول اكثر اهل العلم كمالك
وابي حنيفة والشافعي وسفيان واحمد واسحاق رضي الله تعالى عنهم وقال بعضهم اذا واقعها قبل ان يكفر فعليه
كفارتان وهو قول عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه دليلنا ان الآية دلت عليه اي على انه يجب على المظاهر
العائد كفارة قبل العود فههنا فات صفة القبلية فيبقى اصل وجوب الكفارة وليس في الآية دلالة على ان ترك
التقديم يوجب كفارة اخرى **الخامسة** الاظهر انه لا ينبغي للمراة ان تدعه يقربها حتى يكفر فان تهاون بالتكفير حال
الامام بينه وبينها ويجبره على التكفير وان كان بالضرب حتى يوفيها حقها من الجماع قال الفقهاء ولا شيء من
الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لان ترك التكفير اضرار بالمراة وامتناع من ايفاء حقها
**السادسة** قال ابو حنيفة رضي الله عنه هذه الرقبة تجزي سواء كانت مؤمنة او كافرة لقوله تعالى فتحرير
رقبة فهذا اللفظ يفيد العموم في جميع الرقاب وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه لا بد وان تكون مؤمنة ودليله وجهان
الاول ان المشرك نجس لقوله تعالى انما المشركون نجس وكل نجس خبيث باجماع الامة وقال تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون
الثاني اجمعنا على ان الرقبة في كفارة القتل مقيدة بالايمان فكذا ههنا والجامع ان الاعتاق انعام على عبده بالايمان
يقتضي صرف هذا الانعام الى اولياء الله تعالى وحرمان اعداء الله عنه وعدم التقييد بالايمان قد يفضي الى حرمان
اولياء الله فوجب ان يتقيد بالايمان تحصيلا لهذه المصلحة **السابعة** اعتاق المكاتب لا يجزي عند الشافعي رحمه الله
تعالى وقال ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه ان اعتقه قبل ان يؤدي شيئا جاز عن الكفارة وان اعتقه بعد ان يؤدي شيئا
فظاهر الرواية انه لا يجزي وروي عن ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه انه يجزي حجة ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه
ان المكاتب رقبة لقوله تعالى وفي الرقاب والرقبة مجزية لقوله تعالى فتحرير رقبة حجة الشافعي رحمه الله تعالى
ان المقتضي لبقاء التكليف باعتبار الرقبة قائم بعد اعتاق المكاتب وما لاجله ترك العمل به في محل الاجماع غير
موجود ههنا فوجب ان يبقى على الاصل بيان المقتضي ان الاصل الثابت بقاء على ما كان بيان الفارق ان المكاتب
كالزائل عن ملك المولى وان لم يزل عن ملكه لكنه يكون نقصان في رقبته بدليل انه صار احق بمكاسبه ويمتنع
عن المولى التصرفات فيه ولو اتلفه المولى ضمن قيمته ولو وطئ مكاتبته لزمه العقر ومن المعلوم ان ازالة الملك
الخالص عن شوائب الضعف اشق على المالك من ازالة الملك الضعيف فلا يلزم من خروج الرجل عن العهدة باعتاق العبد
الامين خروجه عن العهدة باعتاق المكاتب والوجه الثاني اجمعنا على انه اذا اعتقه الوارث بعد موته لا يجزي عن الكفارة
فكذا اذا اعتقه المورث والجامع كون الملك ضعيفا **السابعة** لو اشترى قريبه الذي يعتق عليه بنية الكفارة
عتق عليه لكنه لا يقع عن الكفارة عند الشافعي رحمه الله تعالى وعند ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه يقع وحجة
ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه التمسك بظاهر الآية وحجة الشافعي رحمه الله تعالى ما تقدم **الثامنة** قال ابو حنيفة
رضي الله تعالى عنه الاطعام في الكفارات يتادى بالتمكين من الطعام وعند الشافعي رحمه الله لا يتادى الا بالتمليك
من الغير حجة ابي حنيفة رضي الله عنه ظاهر القرآن وهو ان الواجب هو الاطعام وحقيقة الاطعام هو التمكين بدليل قوله
تعالى من اوسط ما تطعمون اهليكم وذلك يتادى بالتمكين فكذا ههنا وحجة الشافعي رحمه الله تعالى القياس على الزكاة
وصدقة الفطر قال الشافعي رحمه الله تعالى لكل مسكين مد من طعام بلده الذي يقتات منه حنطة او شعيرا او ارزا او تمرا
او اقطا وذلك بمد النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعتبر مد حدث بعده وقال ابو حنيفة رضي الله عنه يعطي كل مسكين
نصف صاع من بر او دقيق او سويق او صاعا من تمر او صاعا من شعير ولا يجزيه دون ذلك وحجة الشافعي رحمه الله تعالى
ان ظاهر الآية يقتضي الاطعام ومراتب الاطعام مختلفة بالكمية والكيفية فليس حمل اللفظ على البعض اولى من حمله على الباقي
ولا بد من حمله على اقل ما لا بد منه ظاهر وذلك هو المد حجة ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه ما روي في حديث اوس بن الصامت
رضي الله تعالى عنه لكل مسكين نصف صاع من بر وعن علي وعائشة رضي الله تعالى عنهما قالا لكل مسكين مدان من بر
ولان المعتبر حاجة اليوم لكل مسكين فيكون نظير صدقة الفطر لا يتادى ذلك بالمد بل على ما قلنا فكذلك ههنا **التاسعة** لو اطعم
مسكينا واحدا ستين مرة لا يجزي عند الشافعي رضي الله عنه وعند ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه يجزي حجة الشافعي
رحمه الله تعالى ظاهر الآية وهو انه تعالى اوجب اطعام ستين مسكينا فوجب رعاية ظاهر الآية وحجة ابي حنيفة رضي الله عنه
ان المقصود دفع الحاجات وهو حاصل وللشافعي رضي الله تعالى عنه ان يقول الحكمات غائبة عنا فلعل في العدد بركات فوجب
الامتناع فيها من التغيير ايضا فلعل ادخال السرور في قلب ستين انسانا اقرب الى رضى الله تعالى من ادخال السرور في قلب
الانسان الواحد **العاشرة** قال اصحاب الشافعي رحمه الله تعالى انه تعالى قال في الرقبة فمن لم يجد فصيام شهرين وقال في الصوم
فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا فذكر في الاول فمن لم يجد وفي الثاني فمن لم يستطع فعلموا ان من ماله غائب لم ينتقل الى الصوم
بسبب عجزه عن الاعتاق في الحال اما من كان مريضا في الحال فانه ينتقل الى الاطعام وان كان مرضه بحيث يرجى زواله قالوا والفرق انه قال

في الإسقاط إلى الإطعام فمن لم يستطع وهو بسبب المرض والتأخير والعجز العاجل غير مستطيع وقال في الروضة فمن لم يجد والمراد فمن لم يجد رقبة أو مالا يشتري به رقبة ومن ماله غائب لا يسمى قادرا للمال وأيضا يمكن أن يتعالى في الرق احضار المال يتعلق باختياره أما إزالة المرض فليس باختياره الحادية عشرة قال بعض أصحابنا الشبق المفرط والغلمة الهائجة عذر في الانتقال إلى الإطعام والدليل عليه أنه عليه السلام لما أمر الأعرابي بالصوم قال وهل أتيت إلا من قبل الصوم فقال عليه السلام أطعم دل الحديث أن الشبق الشديد عذر في الانتقال من الصوم إلى الإطعام وأيضا فالاستطاعة فوق الوسع والوسع فوق الطاقة فالاستطاعة هو أن يتمكن الإنسان من الفعل على سبيل السهولة ومعلوم أن هذا المعنى لا يتم مع شدة الشبق فهذه جملة مختصرة مما يتعلق بفقه القرآن في هذه الآية والله أعلم قوله تعالى ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير قال الزجاج ذلكم التغليظ في الكفارة توعظون به أي أن غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه وقال غيره ذلكم توعظون به أي تؤمرون به من الكفارة والله بما تعملون خبير من التكفير وتركه ثم ذكر تعالى حكم العاجز عن الرقبة فقال تعالى فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فدلت الآية على أن التتابع شرط وذكر في الحرير الرقبة والصوم أنه حال وجدانه قبل أن يتماسا ثم ذكر تعالى أنه لم يستطع ذلك فإطعام ستين مسكينا ولم يذكر أنه لا بد من وقوعه قبل المماسة إلا أنه كالأولين بدلالة الإجماع والمسائل الفقهية المفرعة على هذه الآية كثيرة مذكورة في كتب الفقه ثم قال تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله وفي ذلك وجهان الأول قال الزجاج أنه في محل الرفع والمعنى الغرض ذلك الذي وصفناه الثاني فعلنا ذلك البيان والتعليم للأحكام لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرائعه ولا تستمروا على أحكام الجاهلية من جعل الظهار أقوى أنواع الطلاق وفي الآية مسائل المسألة الأولى استدلت المعتزلة باللام في قوله تعالى لتؤمنوا على فعل أن الله تعالى يعلل بالغرض على أن غرضه أن تؤمنوا بالله ولا تستمروا على ما كانوا عليه من الكفر وهذا يدل على أنه تعالى أراد منهم الإيمان وعدم الكفر الثانية استدل من أدخل العمل في مسمى الإيمان بهذه الأعمال وبين أنه إنما أمرهم بها ليصيروا بعملها مؤمنين فدلت هذه الآية على أن العمل من الإيمان ومن أنكر ذلك قال إنه لم يقل ذلك لتؤمنوا بالله بهذه الأشياء ونحن نقول المعنى ذلك لتؤمنوا بالله بالإقرار بهذه الأحكام ثم إنه تعالى أكد في بيان أنه لا بد لهم من الطاعة فقال تعالى تلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم أي لمن جحد هذا وكذب به قوله تعالى إن الذين يحادون الله ورسوله فيه مسئلتان الأولى في المحادة قولان قال المبرد أصل المحادة الممانعة ومنه يقال للبواب حداد وللممنوع الرزق محدود وقال أبو مسلم الأصفهاني المحادة مفاعلة من لفظ الحديد والمراد المقابلة بالحديد سواء كان ذلك في الحقيقة أو كان ذلك منازعة شديدة شبيهة بالخصومة بالحديد قال المفسرون فقالوا يحادون أي يعادون ويشاقون وذلك تارة بالمحاربة مع أولياء الله تعالى وتارة بالتكذيب والصد عن دين الله الثانية الضمير في قوله تعالى يحادون يمكن أن يكون راجعا إلى المنافقين فإنهم كانوا يوادون الكفار ويظاهرون على الرسول فأذلهم الله تعالى ويحتمل سائر الكفار فأعلم الله تعالى رسوله أنهم كبتوا أي خذلوا قال المبرد يقال كبت الله فلانا إذا أذله والمردود بالذل يقال له مكبوت ثم قال تعالى كما كبت الذين من قبلهم من أعداء الرسل وقد أنزلنا آيات بينات تدل على صدق الرسول وللكافرين بهذه الآيات عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم فبين سبحانه وتعالى أن عذاب هؤلاء المحادين في الدنيا الذل والهوان وفي الآخرة العذاب الشديد ثم ذكر تعالى ما يكمل به هذا الوعيد فقال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا يوم منصوب بلهم أو بمهين أو بإضمار اذكر تعظيما لليوم وفي قوله جميعا قولان أحدهما كلهم لا يترك منهم أحد غير مبعوث والثاني مجتمعين في حالة واحدة ثم قال تعالى فينبئهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا لحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم إلى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الأشهاد أحصاه الله أي أحاط بجميع أحوال تلك الأعمال من الكمية والكيفية والزمان والمكان لأنه تعالى عالم بالجزئيات ثم قال تعالى ونسوه لأنهم استحقروها وتهاونوا بها فلا جرم نسوها والله على كل شيء شهيد أي شاهد لا يخفى عليه شيء البتة ثم إنه تعالى أكد بيان كونه عالما بكل المعلومات فقال تعالى ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض قال ابن عباس رضي الله عنهما ألم تر ألم تعلم وأقول هذا حق لأن كونه تعالى عالما بالأشياء لا يرى ولكنه معلوم بواسطة الدلائل وإنما أطلق لفظ الرؤية على هذا العلم لأن الدليل على كونه تعالى عالما هو أن أفعاله محكمة ومتقنة ومتسقة ومنتظمة وكل من كانت أفعاله كذلك فهو عالم أما المقدمة الأولى فمحسوسة مشاهدة في عجائب السموات والأرض وتركيب النبات والحيوانات وأما المقدمة الثانية فبديهية ولما كان الدليل الدال على كونه تعالى كذلك لا جرم هذا العلم الاستدلالي إلى أعلى درجات الظهور والجلاء وصار جاريا مجرى المحسوس المشاهد فلذلك أطلق عليه لفظ الرؤية فقال تعالى ألم تر أنه تعالى عالم بجميع المعلومات فلأن علمه علم قديم فلم يتعلق بالبعض دون البعض مع أن جميع المعلومات مشتركة في صحة المعلومية فلا يفتقر في ذلك التخصيص إلى مخصص وهو على الله تعالى محال فلا جرم وجب كونه تعالى



عالما بجميع المعلومات واعلم أنه سبحانه وتعالى قال يعلم ما في السموات وما في الأرض ولم يقل يعلم ما في الأرض وما في السموات وفي رعاية هذا الترتيب سر عجيب ثم إنه تعالى خص ما يكون من العباد من النجوى فقال تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا وفيه مسائل المسألة الأولى قال ابن جني قرأ أبو جعفر وأبو حيوة ما تكون من نجوى ثلاثة بالتاء ثم قال التذكير الذي عليه العامة هو الوجه لما هناك من الشياع وعموم الجنسية كقوله ما جاءني من امرأة وما حضرني من جارية ولأنه وقع الفاصل بين الفاعل والمفعول وهو كلمة من ولأن النجوى تأنيثه ليس بحقيقي وأما التأنيث فلأن تقدير الآية ما تكون نجوى كما يقال ما قامت امرأة ولا حضرت جارية وما تكون نجوى ثلاثة الثانية قوله تعالى ما يكون من كان التامة أي ما يوجد ولا يحصل من نجوى ثلاثة الثالثة النجوى التناجي وهو مصدر ومنه قوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم وقال الزجاج النجوى مشتق من النجوة وهي ما ارتفع وسما فالكلام المذكور سرا لما خلا عن استماع الغير صار كالأرض المرتفعة فإنها لارتفاعها خلت عن اتصال الغير ويجوز أيضا أن يجعل النجوى وصفا فيقال قوم نجوى ومنه قوله تعالى إذ هم نجوى والمعنى هم ذو نجوى فحذف المضاف وكذلك كل مصدر وصف به الرابعة جر ثلاثة في قوله تعالى من نجوى ثلاثة يحتمل وجهين أحدهما أن يكون مجرورة بالإضافة والثاني أن يكون النجوى بمعنى المتناجين ويكون التقدير ما يكون من متناجين ثلاثة فيكون صفة الخامسة وقرأ ابن أبي عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال بإضمار يتناجون لأن نجوى يدل عليه السادسة أنه تعالى ذكر الثلاثة والخمسة وأهمل أمر الأربعة في البين وذكروا فيه وجوها أحدها أن هذا إشارة إلى كمال الرحمة وذلك لأن الثلاثة إذا اجتمعوا فإذا أخذ اثنان في التناجي والمشاورة فبقي الواحد ضائعا وحيدا فيضيق قلبه فيقول هو تعالى أنا جليسك وأنيسك وكذا الخمسة إذا اجتمعوا بقي الخامس وحيدا فريدا أما إذا كانوا أربعة لم يبق واحد منهم فريدا فهذا إشارة إلى أن كل من انقطع عن الخلق ما تركه الله ضائعا وثانيها أن العدد الفرد أشرف من الزوج لأن الله تعالى وتر يحب الوتر فخص الأعداد الفردة بالذكر تنبيها على أنه لا بد من رعاية الأمور الإلهية في جميع الأمور وثالثها أن أقل ما لا بد منه في المشاورة التي يكون الغرض منها تمهيد مصلحة ثلاثة حتى يكون الاثنان كالمتنازعين في النفي والإثبات والثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ تكمل تلك المشورة ويتم ذلك الغرض وهكذا في كل جمع اجتمعوا للمشاورة فلا بد فيهم من واحد يكون حكما مقبول القول فلهذا السبب لا بد وأن يكون أرباب المشاورة عددهم فردا فذكر سبحانه وتعالى الفردين الأولين واكتفى بذكرهما تنبيها على الباقي ورابعها أن الآية نزلت في قوم من المنافقين اجتمعوا على التناجي مغايظة للمؤمنين وكانوا على هذين العددين قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن أمية كانوا يوما يتحدثون فقال أحدهم هل يعلم الله تعالى ما نقول وقال الثاني يعلم البعض دون البعض وقال الثالث إن كان يعلم البعض فيعلم الكل وخامسها أن في مصحف عبد الله ما يكون من نجوى ثلاثة إلا الله رابعهم ولا أربعة إلا الله خامسهم ولا خمسة إلا الله سادسهم ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلا الله معهم إذا أخذوا في التناجي السابعة قرئ ولا أدنى من ذلك ولا أكثر بالنصب على أن لا لنفي الجنس ويجوز أن يكون ولا أكثر بالرفع معطوفا على محل لا مع أدنى كقولك لا حول ولا قوة إلا بالله بفتح الحول ورفع القوة والثالث يجوز أن يكونا مرفوعين على الابتداء كقولك لا حول ولا قوة إلا بالله والرابع أن يكون ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كأنه قيل ما يكون أدنى ولا أكثر إلا هو معهم والخامس أن يكونا مجرورين عطفا على نجوى كأنه قيل ما يكون من أدنى ولا أكثر إلا هو معهم الثامنة قرئ ولا أكبر بالباء المنقطة من تحت التاسعة المراد من كونه تعالى رابعا لهم والمراد من كونه تعالى معهم كونه تعالى عالما بكلامهم وضميرهم وسرهم وعلنهم وكأنه تعالى حاضر معهم ومشاهد لهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة العاشرة ثم قال تعالى ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ثم قال تعالى ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه واختلفوا في أنهم من هم فقال الأكثرون هم اليهود ومنهم من قال هم المنافقون ومنهم من قال فريق من الكفار والأول أقرب لأنه تعالى حكى عنهم أنهم إذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله وهذا الجنس فيما روي وقع من اليهود فقد كانوا إذا سلموا على الرسول عليه السلام قالوا السام عليك يعنون الموت والأخبار في ذلك متظاهرة وقصة عائشة رضي الله عنها فيها مشهورة ثم قال تعالى ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وفيه مسائل الأولى قال المفسرون إن أولئك القوم كانوا يتناجون فيما بينهم ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يسوء المؤمنين فلما كثر ذلك منهم شكا المسلمون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقوله تعالى ويتناجون بالإثم والعدوان يحتمل وجوها أحدها الإثم والعدوان هو مخالفتهم للرسول في النهي عن النجوى لأن الإقدام على المنهي يوجب الإثم والعدوان لا سيما إذا كان ذلك الإقدام لأجل المناصبة وإظهار التمرد

والثاني ان الاثم والعدوان هو ذلك السر الذي كان يجري بينهم لانه اما مكر وكيد بالمسلمين او شي يسوءهم الثانية قرا حمزة
وحده وينتجون بغير الف والباقون يتناجون قال ابو علي ينتجون يفتعلون من النجوى والنجوى مصدر كالدعوى والعدوى فينتجون
ويتناجون واحد فانهم يفتعلون ويتفاعلون قد يجريان مجرى واحد كما يقال ازدوجوا واعتوروا وتزاوجوا وتعاوروا وقوله
تعالى حتى اذا اداركوا فيها وادركوا فادركوا افتعلوا واداركوا تفاعلوا ومن حجة من قرا يتناجون قوله تعالى اذا ناجيتم
الرسول وتناجوا بالبر والتقوى فهذا مطاوع ناجيتم وليس في هذا رد لقراءة حمزة ينتجون لان هذا مثله في الجواز قوله تعالى
ومعصية الرسول قال صاحب الكشاف ومعصيات الرسول والقولان ههنا كما ذكرناه في الاثم والعدوان وقوله تعالى واذا
جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله يعني انهم يقولون في تحيتك السام عليك يا محمد صلى الله عليه وسلم والسام الموت والله
تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويايها الرسول ويايها النبي ثم ذكر الله تعالى انهم يقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله
بما نقول يعني انهم يقولون في انفسهم لو انه كان رسولا فلم لا يعذبنا الله بهذا الاستخفاف ثم قال تعالى حسبهم جهنم يصلونها فبئس
المصير والمعنى ان تقدم العذاب انما يكون بحسب المشية او بحسب المصلحة فاذا لم تقتض المشية تقديم العذاب ولم تقتض المصلحة ايضا ذلك
فالعذاب في القيامة كافيهم في الردع وعام عليه قوله تعالى يايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية
الرسول وتناجوا بالبر والتقوى ان في المخاطبين بقوله تعالى يايها الذين امنوا قولين وذلك لانا ان حملنا قوله تعالى فيما تقدم
الم تر الى الذين نهوا عن النجوى على اليهود حملناه في هذه الاية قوله تعالى يايها الذين امنوا على المنافقين اي يايها الذين امنوا بالسنتهم
وان حملنا ذلك على جميع الكفار من اليهود والمنافقين حملنا هذا على المومنين وذلك لانه تعالى لما ذم اليهود والمنافقين
على التناجي بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اتبعه بان نهى اصحابه المومنين ان يسلكوا مثل طريقهم فقال تعالى
لا تتناجوا بالاثم وهو ما يقبح مما يخصهم والعدوان وهو ما يوذي الى ظلم الغير ومعصية الرسول وهو ما يكون خلافا عليه وامرهم
ان يتناجوا بالبر والتقوى الذي يضاد العدوان وبالتقوى وهو ما يتقى به من النار من فعل الطاعات وترك المعاصي واعلم ان
القوم متى تناجوا بما هذه صفته قلت مناجاتهم لان ما يدعوا الى مثل هذا الكلام يدعوا الى اظهاره وذلك يقرب من قوله تعالى لا خير
في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وايضا متى عرفت طريقة الرجل في هذه المناجاة لم يتاذ من مناجاته
احد ثم قال تعالى واتقوا الله الذي اليه تحشرون اي الى حيث يحاسب ويجازي والا فالمكان لا يجوز على الله تعالى قوله تعالى انما النجوى
من الشيطان الالف واللام في لفظ النجوى لا يمكن ان يكون للاستغراق لان في النجوى ما يكون من الله ولله بل المراد منه المعهود السابق
وهو النجوى بالاثم والعدوان والمعنى ان الشيطان يحملهم على ان يقدموا على تلك النجوى التي هي سبب لحزن المومنين وذلك ان المومنين اذا راوهم متناجين
قالوا ما نراهم الا وقد بلغهم عن اقربائنا واخواننا الذين خرجوا الى الغزوات انهم قتلوا وهزموا ويقع ذلك في قلوبهم ويحزنون
له ثم قال تعالى وليس بضارهم شيئا وفيه وجهان احدهما ليس يضر التناجي المومنين شيئا والثاني الشيطان ليس بضارهم
شيئا الا باذن الله يعني بعلمه وقيل بخلقه وتقديره للامراض واحوال القلب من الحزن والفرح وقيل باذن بان يكشف مناجاة الكفار
حتى يزول الغم ثم قال تعالى وعلى الله فليتوكل المومنون فان من توكل عليه لا يخيب امله ولا يبطل سعيه والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** يايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل
انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير

فيه مسايل **المسئلة الاولى** اعلم انه تعالى لما نهى عباده المومنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر امرهم
الان بما يصير سببا لزيادة المحبة والمودة تفسحوا في المجالس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح عني
فافسحوا قال ابن جني هذا الاليق بالغرض لانه اذا قيل تفسحوا فالمعناه ليس هناك تفسح واما التفاسح فتفاعل والمراد
هنا المفاعلة وثانيها ان يكون لها فوق الواحد كالمقاسمة والمكالمة وقرئ في المجالس قال الواحدي والوجه التوحيد
لان المراد مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وهو واحد ووجه الجمع ان يجعل لكل جالس مجلس على حدة اي موضع جلوس **المسئلة الثانية**
ذكروا في الاية اقوالا الاول ان المراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه
وحرصا على استماع كلامه وعلى هذا القول ذكروا في سبب النزول وجوها الاول قال مقاتل بن حيان كان عليه السلام
يوم الجمعة في الصفة وفي المكان ضيق وكان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجا ناس منا اهل بدر وقد سبقوا
الى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرون ان يوسع لهم فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام
وشق ذلك على الرسول صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير اهل بدر قم يا فلان فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين
هم قيام بين يديه وشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرفت الكراهية في وجوههم فطعن المنافقون في ذلك وقالوا
والله ما عدل على هولاء ان قوما اخذوا مجالسهم واحبوا القرب منه فاقامهم واجلس من ابطا عنه فنزلت هذه الاية
يوم الجمعة الثاني روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت الاية في ثابت بن قيس بن الشماس وذلك انه دخل المسجد وقد
اخذ القوم مجالسهم وكان يريد القرب من الرسول صلى الله عليه وسلم للوقر الذي كان في اذنيه فوسعوا له حتى قرب ثم ضايقه
بعضهم وجرى بينه وبينه كلام ووصف للرسول عليه السلام محبته القرب منه ليسمع كلامه وان فلانا لم يفسح له فنزلت هذه
الاية وامر القوم بان يوسعوا ولا يقوم احد لاحد الثالث انهم كانوا يحبون القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الرجل منهم
يكره ان يضيق عليه فربما ساله اخوه ان يفسح له فيابى فامرهم الله تعالى ان يتعاطفوا ويتحملوا المكروه وكان فيهم من يكره ان يمس

العمر وكان



العمر وكان اهل الصفة يلبسون الصوف ولهم روايح القول الثاني وهو اختيار الحسن رضي الله عنه ان المراد تفسحوا
في مجالس القتال وهو كقوله تعالى مقاعد للقتال وكان الرجل ياتي الصف فيقول تفسحوا فيابون لحرصهم على الشهادة والقول
الثالث ان المراد جميع المجالس والمجامع قال القاضي والاقرب ان المراد منه مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم لانه تعالى ذكر
المجلس على وجه يقتضي كونه معهودا والمعهود في زمان نزول الاية ليس الا مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم
الذي يعظم التنافس عليه ومعلوم ان القرب منه مرتبة عظيمة لما فيه من سماع حديثه ولما فيه من المنزلة ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم ليليني منكم اولو الاحلام والنهى ولذلك كان يقدم الافاضل من اصحابه رضوان الله
تعالى عليهم اجمعين وكانوا لكثرتهم يتضايقون فامروا بالتفسح اذا امكن لان ذلك ادخل في التحبب وفي الاشتراك
في سماع ما لا بد منه في الدين واذا صح ذلك في مجلسه فحال الجهاد ينبغي ان يكون مثله بل ربما كانت اولى لان الشديد
الباس قد يكون متاخرا عن الصف الاول والحاجة الى تقدمه ماسة فلا بد من التفسح ثم يقاس على هذا سائر مجالس
العلم والذكر اما قوله تعالى يفسح الله لكم فهو مطلق في كل ما يطلب الناس التفسح فيه من المكان والرزق والصدر
والقبر والجنة **واعلم** ان هذه الاية دلت على ان كل من وسع على عباد الله ابواب الخير والراحة وسع الله تعالى
عليه خيرات الدنيا والاخرة ولا ينبغي للعاقل ان يقيد الاية بالتفسح في المجلس بل المراد منه ايصال الخير الى المسلم
وادخال السرور في قلبه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال الله تعالى في عون العبد ما دام العبد في عون
اخيه المسلم ثم قال تعالى واذا قيل انشزوا فانشزوا الرابعة قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا قيل لكم ارتفعوا
فارتفعوا واللفظ يحتمل وجوها احدها اذا قيل لكم قوموا للتوسعة على الداخل فقوموا وثانيها اذا قيل
لكم قوموا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تطولوا في الابرام فقوموا ولا تركزوا معه كما قال تعالى
ولا مستانسين لحديث ان ذلكم كان يوذي النبي وهو قول الزجاج وثالثها اذا قيل لكم قوموا الى الصلوة والجهاد
واعمال الخير وتاهبوا له واستعدوا به وتاهبوا له ولا تتثاقلوا ولا تكسلوا فيه قال الضحاك وابن زيد ان اقواما
تثاقلوا عن الصلوة فامروا بالقيام لها اذا نودي الخامسة قرئ انشزوا بكسر الشين وضمها وهما لغتان
مثل يعكفون ويعكفون ويعرشون ويعرشون **واعلم** انه تعالى لما نهاهم اولا عن بعض الاشياء امرهم ثانيا ببعض
الاشيا وعدهم على الطاعة فقال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم بامتثال اوامر رسوله والعالمين منهم
خاصة درجات ثم في المراد من هذه الرفعة قولان الاول وهو قول المراد به الرفعة في مجلس الرسول صلى الله
عليه وسلم والثاني وهو القول المشهور ان المراد منه الرفعة في درجات الثواب ومراتب الرضوان **واعلم**
انا اطنبنا في تفسير قوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها في فضيلة العلم وقال القاضي لا شبهة ان علم العالم يقتضي
لطاعته من المنزلة ما لا يحصل للمومن وكذلك فانه يقتدي بالعالم في كل افعاله ولا يقتدي بغير العالم ولانه
يعلم من كيفية الاحتراز عن الحرام والشبهات ومحاسبة النفس ما لا يعرفه الغير ويعلم من كيفية الخشوع والتذلل
في العبادة ما لا يعرفه غيره ويعلم من كيفية التوبة واوقاتها وصفاتها ما لا يعرفه غيره ويتحفظ فيما يلزمه
من الحقوق ما لا يتحفظه غيره وفي الوجوه الكثيرة لكنه كما تعظم منزلة افعاله من الطاعات في درجة الثواب
فكذلك يعظم عقابه فيما ياتيه من الذنوب لمكان علمه حتى لا يمتنع في كثير من صغائر غيره ان يكون كبيرا منه قوله
تعالى يايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة وفيه مسائل **المسئلة الاولى**
هذا التكليف يشتمل على انواع من الفوائد اولها اعظام الرسول صلى الله عليه وسلم واعظام مناجاته فان الانسان
اذا وجد الشيء مع المشقة استعظمه وان وجده بالسهولة استحقره وثانيها نفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة
المقدمة قبل المناجاة وثالثها قال ابن عباس رضي الله عنهما ان المسلمين اكثروا المسايل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى شقوا عليه واراد الله ان يخفف عن نبيه صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الاية شح كثير
من الناس فكفوا عن المسالة ورابعها قال مقاتل بن حيان ان الاغنياء غلبوا الفقراء على مجالس النبي صلى الله عليه وسلم
واكثروا مناجاته حتى كره النبي صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم فامرهم الله تعالى بالصدقة عند المناجاة فاما
الاغنياء فامتنعوا واما الفقراء لم يجدوا شيئا واشتاقوا الى مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم فتمنوا
ان لو كانوا يملكون شيئا فينفقونه ويصلون الى مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم فعند هذا التكليف
ازدادت درجة الفقراء عند الله تعالى وانحطت درجة الاغنياء وخامسها يحتمل ان يكون المراد منه التخفيف
لان ارباب الحاجات كانوا يلحون على الرسول ويشغلون اوقاته التي هي مقسومة على الابلاغ الى الامة وعلى
العبادة ويحتمل انه كان في ذلك ما يشغل قلب بعض المومنين لظنه ان فلانا انما ناجى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لامر يقتضي شغل القلب فيما يرجع الى الدنيا وسادسها انه يتميز به محب الاخرة عن محب الدنيا
فان المال محك الدواعي **المسئلة الثانية** ظاهر الاية يدل على ان تقديم الصدقة كان واجبا
لان الامر للوجوب ويتاكد ذلك بقوله في اخر الاية فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم فان ذلك
لا يقال الا فيما بفقده يزول وجوبه ومنهم من قال ان ذلك ما كان واجبا بل كان مندوبا واحتج عليه بوجهين الاول انه تعالى

قال ذلك خير لكم واطهر وهذا انما يستعمل في التطوع لا في الفرض والثاني انه لو كان واجبا لما اتصل وجوبه بكلام
متصل به وهو قوله تعالى ءاشفقتم ان تقدموا بين الى آخر الاية والجواب عن الاول ان المندوب كما يوصف بانه
خير وتطهر فالواجب ايضا يوصف بذلك والجواب عن الثاني انه لا يلزم من كون الايتين متصلتين في التلاوة كونهما
متصلتين في النزول وهذا كما قلنا في الاية الدالة على وجوب الاعتداد اربعة اشهر وعشرا انها ناسخة للاعتداد
بحول وان كان الناسخ متقدما في التلاوة على المنسوخ ثم اختلفوا في مقدار تاخير الناسخ عن المنسوخ فقال
الكلبي ما بقي ذلك التكليف الا ساعة من النهار ثم نسخ وقال مقاتل بن حيان بقي ذلك التكليف عشرة ايام ثم نسخ
**المسئلة الثالثة** روي عن علي رضي الله عنه انه قال ان في كتاب الله لاية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي
كان لي دينار فاشتريت به عشرة دراهم فكلما ناجيت النبي صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدي نجواي درهما ثم نسخت فلم يعمل بها
احد وروي عن ابن جريج والكلبي وعطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم انهم نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه
احد الا علي تصدق بدينار ثم نزلت الرخصة قال القاضي والاكثر من الروايات انه عليه السلام تفرد بالتصدق قبل مناجاته
ثم ورد النسخ وان كان قد روي ايضا ان افاضل الصحابة فعلوا ذلك وان ثبت انه اختص بذلك فلان الوقت لم يتسع
لهذا الغرض والا فلا رخصة ان اكابر الصحابة لا يقعدون عن مثله واقول على تقدير ان افاضل الصحابة وجدوا الوقت وما فعلوا
ذلك فهذا لا يجر اليهم طعنا وذلك لان الاقدام على هذا العمل مما يضيق قلب الفقير فانه لا يقدر على مثله فيضيق قلبه ويوحش
قلب الغني فانه لما لم يفعل الغني ذلك وفعله غيره صار ذلك الفعل سببا للطعن فيمن لم يفعل فهذا الفعل لما كان سببا لحزن
الفقراء ووحشة الاغنياء لم يكن في تركه كبير مضرة لان الذي يكون سببا للالفة اولى مما يكون سببا للوحشة وايضا فهذه المناجاة
ليست من الواجبات ولا من الطاعات المندوبة بل قد بينا انهم انما كلفوا بهذه الصدقة ليتركوا هذه المناجاة ولما
كان الاولى بهذه المناجاة ان تكون متروكة لم يكن تركها سببا للطعن **المسئلة الرابعة** روي عن علي رضي
الله عنه انه قال لما نزلت هذه الاية دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال
كم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد والمعنى انك قليل المال فقدرت على حسب حالك اما قوله تعالى ذلك خير لكم
واطهر اي ذلك التقديم خير لكم في دينكم واطهر لان الصدقة تطهره اما قوله تعالى فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم
فالمراد منه الفقراء وهذا يدل على ان من لم يجد ما يتصدق به كان معفوا عنه **الخامسة** انكر ابو مسلم وقوع النسخ
وقال ان المنافقين كانوا يمتنعون عن بذل الصدقات وان قوما من المنافقين تركوا النفاق وآمنوا ظاهرا وباطنا
ايمانا حقيقيا فاراد الله تعالى ان يميزهم عن المنافقين فامر بتقديم الصدقة على النجوى ليتميز هؤلاء الذين آمنوا
ممن بقي على نفاقه الاصلي واذا كان هذا التكليف لاجل هذه المصلحة المقدرة بذلك الوقت لا جرم يقدر هذا التكليف
بذلك الوقت وحاصل قول ابي مسلم ان ذلك التكليف كان مقدرا بغاية مخصوصة فوجب انتهاؤه عند الانتهاء الى الغاية
المخصوصة فلا يكون هذا نسخا وهذا الكلام حسن ما به باس والمشهور عند الجمهور انه منسوخ بقوله تعالى ءاشفقتم ومنهم
من قال انه منسوخ بوجوب الزكاة قوله تعالى ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات اي اخفتم تقديم
الصدقات لما فيه من انفاق المال فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وتاب الله عليكم ورخص لكم في ان لا تفعلوا فلا تفرطوا
في الصلوة والزكاة وسائر الطاعات فان قيل ظاهر الاية يدل على تقصير المؤمنين في ذلك التكليف وبيانه من
وجوه اولها قوله تعالى ءاشفقتم ان تقدموا يدل على تقصيرهم وثانيها قوله تعالى فاذ لم تفعلوا وثالثها
وتاب الله عليكم قلنا ليس الامر كما قلتم لان القوم لم يكلفوا بان يقدموا الصدقة فمن ترك المناجاة لا يكون
مقصرا واما لو قيل فانهم ناجوا من غير تقديم الصدقة فهذا ايضا غير جائز لان المناجاة لا تمكن الا اذا امكن
الرسول من المناجاة فاذا لم يمكنهم من ذلك لم يقدروا على المناجاة فعلمنا ان الاية لا تدل على صدور التقصير
منهم فاما قوله تعالى ءاشفقتم فلا يمتنع انه تعالى علم ضيق صدر كثير منهم عن اعطاء الصدقة في المستقبل لو دام الوجوب
فقال هذا القول واما قوله تعالى وتاب الله عليكم فليس في الاية انه تاب عليكم من هذا الوجه بل يحتمل انكم اذا كنتم
تائبين راجعين الى الله تعالى واقمتم الصلوة وآتيتم الزكاة فقد كفاكم هذا التكليف اما قوله تعالى والله خبير
بما تعملون يعني محيط باعمالكم ونياتكم قوله تعالى الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم
ويحلفون على الكذب وهم يعلمون كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله تعالى من
لعنه الله وغضب عليه وينقلون اليهم اسرار المؤمنين ما هم منكم ايها المسلمون ولا من اليهود ويحلفون على الكذب
والمراد من هذا الكذب اما ادعاهم كونهم مسلمين واما انهم كانوا يشتمون الله ورسوله ويكيدون المسلمين فاذا قيل
لهم انكم فعلتم ذلك خافوا على انفسهم من القتل فيحلفون انا ما قلنا ذلك وما فعلناه فهذا هو الكذب الذي
يحلفون عليه واعلم ان هذه الاية تدل على فساد قول الجاحظ ان الخبر الذي يكون مخالفا للمخبر عنه انما يكون
كذبا لو علم المخبر كون الخبر مخالفا للمخبر عنه وذلك لانه لو كان الامر على ما ذهب اليه لكان قوله تعالى وهم يعلمون
تكرارا غير مفيد يروى انه كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود

فبينا



فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرته اذ قال يدخل عليكم رجل ينظر بعين شيطان او بعيني شيطان فدخل رجل
عيناه زرقاوان فقال له لم تسبني فجعل يحلف فنزل قوله تعالى ويحلفون على الكذب وهم يعلمون قوله تعالى اعد
الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون والمراد منه عند بعض المحققين عذاب القبر ثم قال تعالى اتخذوا ايمانهم
جنة وفيه مسائل **المسئلة الاولى** قرأ الحسن اتخذوا ايمانهم بكسر الهمزة قال ابن جني هذا يدل على حذف المضاف
اي اتخذوا اظهار ايمانهم جنة عن ظهور نفاقهم وكيدهم للمسلمين او جنة عن ان يقتلهم المسلمون فلما امنوا عن
القتل اشتغلوا بصد الناس عن الدخول في الاسلام بالقاء الشبهات في القلوب وتقبيح حال الاسلام فلهم عذاب
مهين اي عذاب الاخرة وانما حملنا قوله تعالى اعد الله لهم عذابا شديدا على عذاب القبر وقوله ههنا فلهم
عذاب مهين على عذاب الاخرة لئلا يلزم التكرار ومن الناس من قال المراد من الكل عذاب الاخرة وهو كقوله تعالى
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب قوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا روي ان واحدا منهم قال لننصرن يوم القيامة بانفسنا واولادنا فنزلت هذه الاية قوله تعالى
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم قال ابن عباس رضي الله عنهما ان المنافق يحلف لله يوم
القيمة كما حلف لاوليائه في الدنيا كذبا اما الاول فكقوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين واما الثاني فهو
قوله تعالى ويحلفون بالله انهم لمنكم والمعنى انه لشدة توغلهم في النفاق ظنوا يوم القيامة انه يمكنهم ترويج كذبهم
بالايمان الكاذبة على علام الغيوب وكان هذا الخلق الذميم يبقى معهم ابدا واليه الاشارة بقوله تعالى
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه قال الجبائي والقاضي ان اهل الاخرة لا يكذبون فالمراد من الاية انهم يحلفون في
الاخرة انا ما كنا كافرين عند انفسنا وعلى هذا الوجه لا يكون هذا الحلف كذبا وقوله تعالى الا انهم هم الكاذبون
اي في الدنيا واعلم ان تفسير الاية بهذا الوجه لا شك انه يقتضي ركاكة عظيمة في النظم وقد استقصينا في هذه
المسئلة في سورة الانعام في تفسير قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين وقوله تعالى استحوذ عليهم قال الزجاج
استحوذ في اللغة استولى يقال حذت الابل وحذتها اذا استوليت عليها وجمعتها وقال المبرد استحوذ على الشيء
حواه واحاط به وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها وعن ابيها في حق عمر رضي الله عنه كان احوذيا اي سائسا
ضابطا للامور وهو احد ما جاء على الاصل نحو استصوب واستنوق اي ملكهم الشيطان واستولى عليهم قال
تعالى فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون واحتج القاضي به في خلق
الاعمال من وجهين الاول ذلك النسيان لو حصل بخلق الله لكانت اضافتها الى الشيطان كذبا والثاني لو حصل
ذلك بخلق الله لكانوا كالمؤمنين في كونهم حزب الله لا حزبا للشيطان ثم قال تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله
اولئك في الاذلين اي في جملة من هو اذل خلق الله لان ذل احد الخصمين على حسب عز الخصم الثاني فلما كانت عزة
الله غير متناهية كانت ذلة من ينازعه غير متناهية ايضا ولما شرح ذلهم بين عز المؤمنين فقال تعالى
كتب الله لاغلبن انا ورسلي وفيه مسائل **المسئلة الاولى** قرا نافع وابن عامر ورسلي بفتح الياء والباقون
لا يحركون قال ابو علي التحريك والاسكان جميعا حسنان الثانية غلبة جميع الرسل حاصلة بالحجة الا ان بعضهم اضاف
الى الغلبة بالحجة الغلبة بالسيف ومنهم من لم يكن كذلك ثم قال ان الله قوي عزيز
لا يدفعه احد عن مراده لان كل ما سواه ممكن الوجود لذاته والواجب لذاته يكون غالبا للممكن لذاته قال مقاتل
ان المسلمين قالوا انا لنرجو ان يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال عبد الله بن ابي المنافق اتظنون ان فارس
والروم كبعض القرى التي غلبتم عليها كلا والله انهم اكثر جمعا وعددا فانزل الله تعالى هذه الاية قوله تعالى لا تجد
قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله والمعنى انه لا يجتمع الايمان مع وداد اعداء الله
تعالى وذلك لان من احب احدا امتنع ان يحب مع ذلك عدوه وهذا على وجهين احدهما انهما لا يجتمعان في القلب
فاذا حصل في القلب وداد اعداء الله تعالى لم يحصل فيه الايمان فيكون صاحبه منافقا والثاني انهما
يجتمعان ولكنه معصية وكبيرة وعلى هذا الوجه لا يكون صاحب هذا الوداد كافرا بسبب هذا الوداد بل كان
عاصيا في الله تعالى فان قيل اجمعت الامة على انه تجوز مخالطتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة
المحرمة المحظورة قلنا المودة المحظورة هي ارادة منافعه دينا ودنيا مع كونه كافرا فاما ما سوى ذلك
فلا حظر فيه ثم انه تعالى بالغ في المنع من هذه المودة من وجوه اولها ما ذكر ان هذه المودة مع الايمان
لا يجتمعان وثانيها قوله تعالى ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم والمراد ان الميل الى هؤلاء اعظم
انواع الميل ومع هذا فيجب ان يكون هذا الميل مغلوبا مطرحا بسبب الدين قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه
الاية في ابي عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد وعمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام
ابن المغيرة يوم بدر وابو بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز فقال عليه السلام متعنا بنفسك ومصعب بن
عمير قتل اخاه عبيد بن عمير وعلي بن ابي طالب وحمزة وعبيدة قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يوم
بدر اخبر ان هؤلاء لم يوادوا اقاربهم وعشائرهم غضبا لله ودينه وثالثها انه تعالى عدد نعمه على المؤمنين

فبدا بقوله تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وفيه مسئلتان **المسئلة الاولى** المعنى ان من انعم الله تعالى عليه بهذه
النعمة العظيمة كيف يمكن ان يحصل في قلبه مودة اعداء الله تعالى واختلفوا في المراد من قوله تعالى كتب قال القاضي ذكروا فيه اوجها
على وفق قول المعتزلة **احدها** جعل في قلوبهم علامة تعرف بها الملايكة ما هم عليه من الاخلاص وثانيها المراد شرح صدورهم للايمان
بالالطاف والتوفيق وثالثها اخبر من قبل وكتب ومضى ان قلوبهم بهذا الوصف واعلم ان هذه الوجوه الثلاثة نسلمها القاضي ونفرع
عليها صحة قولنا فان الذي قضى الله به واخبر عنه وكتبه في اللوح المحفوظ لو لم يقع لانقلب خبر الله الصدق كذبا وهذا محال
والمودي الى المحال محال وقال ابو علي الفارسي معناه جمع والكتيبة الجمع من الجيش والتقدير اولئك الذين جمع الله تعالى في قلوبهم
الايمان واستكملوا فلم يكونوا ممن يقولوا نومن ببعض ونكفر ببعض ومتى كانوا كذلك امتنع ان يحصل في قلوبهم مودة
الكفار وقال جمهور اصحابنا كتب معناه اثبت وخلق وذلك لان الايمان لا يمكن كتبه فلا بد من حمله على الايجاد **الثانية**
روى المفضل عن عاصم كتب على ما لم يسم فاعله والباقون من كتب على اسناد الفعل الى الفاعل والتكوين والنعمة الثانية قوله تعالى
وايدهم بروح منه وفيه قولان الاول قال ابن عباس رضي الله عنهما نصرهم على عدوهم وسمى تلك النصرة روحا لان به يحيى
امرهم والثاني قال السدي الضمير في قوله منه عايد الى الايمان والمعنى ايدهم بروح من الايمان يدل عليه قوله تعالى وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا النعمة الثالثة قوله تعالى ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وهو
اشارة الى نعمة الجنة النعمة الرابعة قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وهي نعمة الرضوان وهي اعظم النعم واجل
المراتب ثم لما عدد هذه النعمة ذكر الامر الرابع من الامور التي توجب ترك الموادة مع اعداء الله فقال تعالى اولئك
حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون وهو في مقابلة قوله فيهم اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون
واعلم ان الاكثرين اتفقوا على ان قوله تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله
نزلت في حاطب بن ابي بلتعة واخباره اهل مكة بمسير النبي صلى الله عليه وسلم اليهم لما اراد فتح مكة وتلك
القصة معروفة وبالجملة فالاية زجر عن التودد الى الكفار والفساق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول
اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة فاني وجدت لا تجد قوما الى اخره والله اعلم بالصواب

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب
من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله
من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المومنين فاعتبروا
يا اولي الابصار الاية صالح بني النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما
ظهر يوم بدر قالوا هو النبي المبعوث في التورية بالنصر فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف
في اربعين راكبا الى مكة شرفها الله تعالى وحالفوا ابا سفيان عند الكعبة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فبعث اليهم عبد الله بن ابي وقال لا تخرجوا من الحصن فان
قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولين خرجتم لنخرجن معكم فحصنوا الدروب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله
الرعب في قلوبهم وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى الا الجلاء على ان يحمل كل ثلثة ابيات على بعير ما شاوا
من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم ال ابي الحقيق وال حيي بن اخطب فانهم لحقوا
بخيبر ولحقت طايفة بالحيرة وههنا سؤالات السؤال الاول ما معنى هذه اللام في قوله تعالى لاول الحشر الجواب انها
هي اللام في قولك جيت لوقت كذا والمعنى اخرج الذين كفروا عند اول الحشر السؤال الثاني ما معنى اول الحشر الجواب ان
الحشر هو اخراج الجمع من مكان الى مكان واما انه لم سمي هذا الحشر باول الحشر فبيانه من وجوه احدها وهو قول ابن عباس
رضي الله عنهما والاكثرين ان هذا اول حشر اهل الكتاب اي اول مرة حشروا واخرجوا من جزيرة العرب لم يصبهم هذا
الذل قبل ذلك لانهم كانوا اهل منعة وعز وثانيها انه تعالى جعل اخراجهم من المدينة حشرا وجعله اول الحشر من حيث
يحشر الناس للساعة الى ناحية الشام ثم يدركهم الساعة هناك وثالثها ان هذا اول حشرهم واما اخر حشرهم فهو اجلاء عمر
اياهم من خيبر الى الشام ورابعها معناه اخرجهم من ديارهم لاول ما حشرهم لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وخامسها قال قتادة هذا اول الحشر والحشر الثاني نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل
معهم حيث قالوا وذكروا ان تلك النار ترى بالليل ولا ترى بالنهار قوله تعالى ما ظننتم ان يخرجوا قال ابن عباس رضي الله عنهما
ان المسلمين ظنوا انهم لعزهم وقوتهم لا يحتاجون الى ان يخرجوا من ديارهم وانما ذكر الله تعالى ذلك تعظيما لهذه النعمة فان النعمة
اذا وردت على المرء والظن بخلافه تكون اعظم فالمسلمون ما ظنوا انهم يصلون الى مرادهم في خروج هولاء اليهود فيتخلصون من
مكايدهم فلما تيسر لهم ذلك كان موقع هذه النعمة اعظم قوله تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله قالوا كانت حصونهم

صنعه



منيعة فظنوا انها تمنعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي هذه الاية تشريف عظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فانها تدل على ان معاملتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هي بعينها نفس المعاملة مع الله عز وجل فان قيل ما الفرق
بين قولك ظنوا ان حصونهم تمنعهم او ما نعتهم وبين النظم الذي جا عليه قلنا في تقديم الخبر على المبتدا
دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة
ومنعة لا يبالي باحد يطمع في منازعتهم وهذه المعاني لا تحصل في قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم قوله تعالى فاتاهم الله من حيث
لم يحتسبوا في الاية مسايل **المسئلة الاولى** في الاية وجهان الاول ان يكون الضمير في قوله تعالى فاتاهم عايد الى اليهود اي فاتاهم
عذاب الله واخذه من حيث لم يحتسبوا والثاني ان يكون عايدا الى المومنين اي فاتاهم نصر الله وتقويته من حيث لم يحتسبوا
ومعنى لم يحتسبوا اي لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وذلك بسبب امرين احدهما قتل رئيسهم كعب بن الاشرف على يد اخيه
وذلك مما اضعف قوتهم وفت في عضدهم وقل من شوكتهم والثاني بما قذف في قلوبهم من الرعب الثانية قوله تعالى فاتاهم الله
لا يمكن اجراوه على ظاهره باتفاق جمهور العقلاء فدل على ان باب التاويل مفتوح وان صرف الايات عن ظواهرها بمقتضى الدلايل
العقلية جايز الثالثة قال صاحب الكشاف قرئ فاتاهم الله اي فاتاهم الهلاك واعلم ان هذه القراءة لا تدفع ما بيناه من وجوب
التاويل لان هذه القراءة لا تدفع القراءة الاولى فانها ثابتة بالتواتر ومتى كانت ثابتة بالتواتر لا يمكن دفعها بل لا بد فيها من التاويل
قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب قال اهل اللغة الرعب الخوف الذي يرعب الصدر اي يملاه وقذفه اثباته فيه ومنه قالوا في
صفة الاسد مقذف كانما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزايه **واعلم** ان هذه الاية تدل على ان قولنا الامور كلها
من الله وذلك لان الاية دلت على ان الرعب لا يحصل الا عند حصول داعية متاكدة في القلب وحصول تلك الداعية لا يكون الا من الله
فكانت الافعال باسرها مسندة الى الله تعالى بطريق الحقيقة والمجاز قوله تعالى يخربون بيوتهم بايديهم وايدي
المومنين وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قال ابو علي قرا ابو عمرو وحده يخربون مشددة وقرا الباقون يخربون
خفيفة وكان ابو عمرو يقول الاخراب ان تترك الشيء خرابا والتخريب الهدم وبنو النضير خربوا وما اخربوا قال المبرد
ولا اعلم لهذا وجها ويخربون هو الاصل على خرب المنزل واخربه صاحبه كقولك علم واعلمه وقام واقامه واذا قلت يخربون
من التخريب فانما هو لتكثير لانه ذكر بيوتا فصح للتقليل والتكثير وزعم سيبويه انهما يتعاقبان في بعض الكلام
فيجري كل واحد مجرى الاخر نحو فرحته وافرحته وحسبته واحسبته وقال الاعشى واخرجت من ارض قوم ديارا وقال الفرا
يخربون بالتشديد يهدمون وبالتخفيف يخرجون منها ويتركونها **الثانية** ذكر المفسرون في بيان انهم كيف كانوا يخربون
بيوتهم بايديهم وايدي المومنين وجوها احدها انهم لما ايقنوا بالجلاء حسدوا المسلمين ان يسكنوا منازلهم فجعلوا يخربونها
من داخل والمسلمون من خارج وثانيها قال مقاتل ان المنافقين دسوا اليهم ان لا يخرجوا ودربوا على الازقة وحصنوها
فنقضوا بيوتهم وجعلوها كالحصون على ابواب الازقة وثالثها قال مقاتل ان المنافقين دسوا اليهم ان لا يخرجوا ودربوا على
الازقة وحصنوها فنقضوا بيوتهم ورابعها ان المسلمين كانوا يخربون ظواهر البلد واليهود لما ايقنوا بالجلاء فكانوا
ينظرون الى الخشبة في منازلهم مما يستحسنونه او الباب فيهدمون بيوتهم وينزعونها ويحملونها على الابل فان قيل ما معنى تخريبهم
لها بايدي المومنين قلنا قال الزجاج لما عرضهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوهم اياه قوله تعالى فاعتبروا
يا اولي الابصار **واعلم** انا تمسكنا بهذه الاية في كتاب المحصول من اصول الفقه على ان القياس حجة
الا انه لا بد ههنا من بيان الوجه الذي [illegible]
بيوتهم وسواهم [illegible]
[illegible]

على هذا الوجه زالت المطاعن والنقوض عن القياس على الوجه الصحيح الثالثة الاعتبار مأخوذ من العبور والمجاوزة من
شيء إلى شيء ولهذا سميت العبرة عبرة لأنها تنتقل من العين إلى الخد وسمي المعبر معبرا لأن به تحصل المجاوزة وسمي العلم المخصوص بالتعبير
لأن صاحبه ينتقل من المتخيل إلى المعقول وسميت الألفاظ عبارات لأنها تنقل المعاني من لسان القائل إلى عقل المستمع و
يقال السعيد من اعتبر بغيره لأنه ينتقل عقله من حال ذلك الغير إلى حال نفسه ولهذا قال المفسرون الاعتبار هو
النظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها وفي قوله تعالى يا أولي الأبصار يا من
عاين تلك الواقعة المذكورة قوله تعالى ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة
عذاب النار يعني الجلاء في اللغة الخروج عن الوطن والتحول عنه فإن قيل إن لولا تفيد انتفاء الشيء لثبوت غيره
فيلزم من ثبوت الجلاء عدم التعذيب في الدنيا لكن الجلاء نوع من أنواع التعذيب فإذن يلزم من ثبوت الجلاء عدمه و
هو محال قلنا معناه ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل بإخوانهم بني قريظة وأما قوله
تعالى ولهم في الآخرة عذاب النار فهو كلام مبتدأ وغير معطوف على ما قبله إذ لو كان معطوفا على ما قبله لزم
أن لا يوجد لما بينا أن لولا يقتضي انتفاء الجزاء لحصول الشرط أما قوله تعالى ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله
فهو يقتضي أن علة ذلك التخريب هو مشاقة الله ورسوله فإن قيل لو كانت المشاقة علة لهذا التخريب
لوجب أن يقال أينما حصلت هذه المشاقة حصل التخريب ومعلوم أنه ليس كذلك قلنا هذا أحد ما يدل على
أن تخصيص العلة المنصوصة لا يقدح في صحتها ثم قال تعالى ومن يشاق الله ورسوله فإن الله شديد
العقاب والمقصود منه الزجر قوله تعالى ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله
فيه مسائل المسألة الأولى من لينة بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كأنه قال أي شيء قطعتم
وأنث الضمير الراجع إلى ما في قوله أو تركتموها لأنه في معنى اللينة المسألة الثانية قال أبو عبيدة اللينة النخلة
ما لم تكن عجوة أو برنية وأصل لينة لونة فذهبت الواو لكسرة اللام وجمعها ألوان وهي النخل كله سوى البرني
والعجوة وقال بعضهم اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين وجمعها لين فإن قيل لم خصت
اللينة بالقطع قلنا إن كانت من الألوان فليستبقوا لأنفسهم العجوة والبرنية وإن كانت من كرام النخل فليكون
غيظ اليهود أشد المسألة الثالثة قال صاحب الكشاف قرئ قوما على أصلها وفيه وجهان أحدهما أنه جمع
أصل كرهن ورهن واكتفي فيه بالضمة عن الواو وقرئ قائما على أصوله ذهابا إلى لفظ ما قوله تعالى
فبإذن الله أي قطعها بإذن الله وأمره وليخزي الفاسقين أي ولأجل إخزاء الفاسقين أي اليهود
أذن الله في قطعها المسألة الرابعة روي أنه عليه السلام حين أمر أن تقطع نخلهم وتحرق قالوا يا محمد صلى الله
عليه وسلم قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض فما بال قطع النخل وتحريقها وكان في نفس المؤمنين من ذلك شيء
فنزلت هذه الآية والمعنى أن الله تعالى إنما أذن في ذلك حتى يزداد غيظ الكفار وتتضاعف حسرتهم
بسبب نفاذ حكم أعدائهم في أعز أموالهم المسألة الخامسة احتج العلماء بهذه الآية على أن حصون الكفرة وديارهم
لا بأس أن تهدم وتحرق وتغرق وترمى بالمجانيق وكذلك أشجارهم لا بأس بقطعها مثمرة كانت أو غير مثمرة
وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قطعوا منها ما كان موضعا للقتال المسألة السادسة روي أن رجلين
كانا يقطعان أحدهما العجوة والآخر اللون فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا قطعتها غيظا للكفار فاستدلوا به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة
الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وما أفاء الله على رسوله قال المبرد يقال فاء يفيء إذا رجع وأفاءه الله
إذا ردّه وقال الأزهري الفيء ما ردّه الله تعالى على أهل دينه من أموال من خالف أهل دينه بلا قتال
إما بأن يجلوا عن أوطانهم ويخلوها للمسلمين أو يصالحوا على جزية يؤدونها عن رؤوسهم أو مال غير
الجزية يفدون به من سفك دمائهم كما فعله بنو النضير حين صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على أن لكل ثلاثة منهم حمل بعير مما شاؤوا سوى السلاح ويتركوا الباقي فهذا المال هو الفيء وهو ما أفاء الله
تعالى على المسلمين أي ردّه من الكفار إلى المسلمين وقوله تعالى منهم أي من يهود بني النضير فما أوجفتم
عليه فقال وجف الفرس والبعير يجف وجفا ووجيفا وهو سرعة السير وأوجفه صاحبه إذا حمله على السير
السريع وقوله عليه أي على ما أفاء الله وقوله تعالى ولا ركاب الركاب ما يركب من الإبل واحدها راحلة
ولا واحد لها من لفظها والعرب لا يطلقون لفظ الراكب إلا على راكب البعير ويسمون راكب الفرس فارسا
ومعنى الآية أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسم
الفيء بينهم كما تقسم الغنيمة بينهم فذكر الله تعالى الفرق بين الأمرين وهو أن الغنيمة ما أتعبتم أنفسكم
في تحصيلها وأوجفتم عليها الخيل والركاب بخلاف الفيء فإنكم ما تحملتم في تحصيله تعبا فكان الأمر فيه مفوضا
إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء ثم ههنا سؤال وهو أن أموال بني النضير أخذت بعد القتال
لأنهم حوصروا أياما وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلاء فوجب أن تكون تلك الأموال من جملة الغنيمة لا من جملة

الفيء



الفيء ولأجل هذا السؤال ذكر المفسرون ههنا وجهين الأول أن هذه الآية ما نزلت في بني النضير لأنهم أوجفوا عليهم
بالخيل والركاب وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بل هو في فدك وذلك لأن أهل فدك انجلوا
عنه فصارت تلك القرى والأموال في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير حرب وكان عليه السلام يأخذ من
غلة فدك نفقته ونفقة من يعوله ويجعل الباقي في السلاح والكراع فلما مات ادعت فاطمة رضي الله عنها
وعن أبيها أنه كان نحلها فدك فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه أنت أعز الناس علي فقرا وأحبهم إلي غنى لكني لا أعرف
صحة قولك ولا يجوز أن أحكم بذلك فشهد لها أم أيمن ومولى للرسول صلى الله عليه وسلم فطلب منها أبو بكر
رضي الله تعالى عنه الشاهد الذي يجوز قبول شهادته في الشرع فلم يكن فأجرى أبو بكر رضي الله عنه ذلك على ما
كان يجريه الرسول صلى الله عليه وسلم ينفق منه على من كان ينفق عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ويجعل
ما بقي في السلاح والكراع وكذلك عمر رضي الله تعالى عنه جعله في يد علي رضي الله عنه ليجريه على هذا المجرى
وذلك في آخر عهد عمر وعلى عمر رضي الله تعالى عنهم وقال إن بنا غنى وبالمسلمين إليه حاجة وكان عثمان
رضي الله عنه يجريه كذلك ثم صار إلى علي رضي الله عنه وكان يجريه هذا المجرى والأئمة الأربعة اتفقوا
على ذلك والقول الثاني أن هذه الآية نزلت في بني النضير وقراهم وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب ولم
يقطعوا إليها مسافة كثيرة وإنما كانوا على ميلين من المدينة فمشوا إليه مشيا ولم يركب إلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان راكب جمل فلما كانت المقاتلة قليلة والخيل والركاب غير حاصل أجراه الله تعالى
مجرى ما لم يحصل فيه المقاتلة أصلا فخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الأموال ثم روي أنه قسمها
بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا ثلاثة نفر كانت لهم حاجة وهم أبو دجانة وسهل بن حنيف
والحارث بن الصمة ثم إن الله تعالى ذكر حكم الفيء فقال تعالى ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى قال صاحب
الكشاف لم يدخل العاطف على هذه الجملة لأنها بيان للأولى فهي منها وغير أجنبية عنها واعلم
أنهم أجمعوا على أن المراد من قوله تعالى ولذي القربى بنو هاشم وبنو المطلب قال الواحدي كان الفيء في زمان
الرسول مقسوما على خمسة أسهم سهم منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وكان الخمس الباقي
يقسم على خمسة أسهم سهم منها للرسول أيضا والأسهم الأربعة لذوي القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل وأما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فللشافعي فيما كان من الفيء لرسول الله صلى الله عليه
وسلم قولان أحدهما أنه للمجاهدين المرصدين للقتال في الثغور لأنهم قاموا مقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم في رباط الثغور والقول الثاني أنه يصرف إلى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الأنهار وبناء القناطر
يبدأ بالأهم فالأهم هذا في الأربعة الأخماس التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأما السهم الذي كان له من خمس
الفيء فإنه لمصالح المسلمين بلا خلاف قوله تعالى كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وفيه مسائل الأولى
قال المبرد الدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم يكون لهذا مرة ولهذا مرة والدولة بالفتح انتقال
حال سارة إلى قوم عن قوم فالدولة بالضم اسم لما يتداول وبالفتح مصدر من هذا ويستعمل في الحالة السارة
التي تحدث للإنسان فيقال هذه دولة فلان أي علا ديك فالدولة اسم لما يتداول من المال والدولة
اسم لما ينتقل من الحال ومعنى الآية كي لا يكون الفيء الذي حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها
واقعا في يد الأغنياء ودولة لهم الثانية قرئ دولة ودولة بفتح الدال وضمها وقرأ أبو جعفر يزيد دولة
مرفوعة الدال والهاء قال أبو الفتح يكون ههنا هي التامة كقوله تعالى وإن كان ذو عسرة يعني لئلا يقع دولة
جاهلية ثم قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا يعني ما أعطاكم الرسول من الفيء فخذوه فهو لكم
حلال وما نهاكم عن أخذه فانتهوا واتقوا الله في أمر الفيء إن الله شديد العقاب على ما نهاكم عنه الرسول
عليه السلام والأجود أن تكون هذه الآية عامة في كل ما آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وأمر الفيء داخل
في عمومه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون
الله ورسوله أولئك هم الصادقون هذا بدل من قوله تعالى ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
كأنه قيل أعني بأولئك الأربع هؤلاء الفقراء المهاجرين الذين من صفتهم كذا وكذا ثم إنه تعالى وصفهم بأمور
أولها أنهم فقراء وثانيها أنهم مهاجرون وثالثها أنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم يعني أن كفار مكة أحوجوهم
إلى الخروج فهم الذين أخرجوهم ورابعها أنهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا والمراد بالفضل ثواب الجنة وبالرضوان
قوله تعالى ورضوان من الله أكبر وخامسها قوله تعالى وينصرون الله ورسوله بأنفسهم وأموالهم وسادسها قوله
تعالى أولئك هم الصادقون يعني أنهم لما هجروا لذات الدنيا وتحملوا شدائدها لأجل الدين ظهر صدقهم في دينهم
وتمسك بعض العلماء بهذه الآية على إمامة أبي بكر رضي الله عنه فقال هؤلاء الفقراء من المهاجرين والأنصار كانوا
يقولون لأبي بكر رضي الله عنه يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تعالى شهد على كونهم صادقين فوجب
أن يكونوا صادقين في قولهم يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومتى كان الأمر كذلك وجب الجزم بصحة إمامته

ولم يعط صح

قال مقاتل ثم ذكر الانصار واثنى عليهم حين طابت انفسهم عن الفيء اذ جعل للمهاجرين دونهم فقال تعالى والذين تبوءوا
الدار والايمان من قبلهم والمراد من الدار المدينة وهي دار الهجرة بناها الانصار قبل المهاجرين وتقدير الاية والذين تبوءوا
الدار والايمان من قبلهم فان قيل في الاية سؤالان احدهما انه لا يقال تبوءوا الايمان والثاني بتقدير ان يقال ذلك لكن
الانصار ما تبوءوا الايمان قبل المهاجرين والجواب عن الاول من وجوه احدها تبوءوا الدار واخلصوا الايمان كقوله شعر
ولقد رايتك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا وثانيها جعلوا الايمان مستقرا ووطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه
كما انهم لما سالوا سلمان رضي الله تعالى عنه عن نسبه فقال انا ابن الاسلام وثالثها انه سمى المدينة بالايمان فسطاطها
الايمان وقوي والجواب عن السؤال الثاني من وجهين الاول ان الكلام على التقديم والتاخير والذين تبوءوا الدار والايمان
من قبلهم اي من قبل هجرتهم قال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا قال الحسن اي حسدا وحزازة وغيظا مما اوتي
المهاجرين دونهم واطلق لفظ الحاجة على الحسد والغيظ والحزازة لان هذه الاشياء لا تنفك عن الحاجة فاطلق
اسم اللازم على الملزوم على سبيل الكناية ثم قال تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فقال اثره بكذا اذا
خصه به ومفعول الايثار محذوف والتقدير ويؤثرونهم باموالهم ومنازلهم على انفسهم عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من دوركم واموالكم وقسمت لكم من الغنيمة
كما قسمت لهم وان شئتم كان لهم القسم ولكم دياركم واموالكم فقالوا لا بل نقسم لهم من ديارنا واموالنا ولا نشاركهم
في القسم فانزل الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فبين ان هذا الايثار ليس عن غنى عن المال
ولكنه عن حاجة وخصاصة وهي الفقر واصلها من الخصاص وهي الفرج وكل خرق في منخل او باب او سحاب او برقع فهي
خصاص الواحد خصاصة وذكر المفسرون انواعا من ايثار الانصار رضي الله عنهم للضيف بالطعام وتعللهم عنه حتى
يشبع الضيف ثم ذكروا ان الاية نزلت في ذلك الايثار والصحيح انها نزلت بسبب ايثارهم المهاجرين بالفيء ثم لا يمتنع
ان يدخل فيها سائر الايثار ثم قال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما
واعلم الفرق بين الشح والبخل هو ان البخل نفس المنع والشح هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع فلما كان الشح
من صفات النفس لا جرم قال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الظافرون بما ارادوا قال ابن زيد من لم
ياخذ شيئا نهاه الله عن اخذه ولم يمنع شيئا امره الله تعالى باعطائه فقد وقي شح نفسه قوله تعالى والذين جاءوا
من بعدهم عطف ايضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون باحسان وهم الذين يجيئون
بعد المهاجرين والانصار الى يوم القيمة وذكر تعالى انهم يدعون لانفسهم ولمن سبق بالايمان وهو قوله تعالى يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا اي غشا وحسدا وبغضا
**واعلم** ان هذه الايات قد استوعبت جميع المومنين لانهم اما المهاجرون او الانصار والذين جاءوا من بعدهم وبين
ان من شان من جاء من بعد المهاجرين والانصار ان يذكر السابقين وهم المهاجرون والانصار بالدعاء والرحمة فمن لم
يكن كذلك بل ذكرهم بسوء كان خارجا عن جملة اقسام المومنين بحسب نص هذه الايات قوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا
يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب قال مقاتل يعني عبد الله بن ابي وعبد الله بن نبتل ورفاعة بن زيد
كانوا من الانصار ولكنهم نافقوا يقولون لاخوانهم وهذه الاخوة تحتمل وجوها **احدها** الاخوة في الكفر لان اليهود
والمنافقين كانوا مشتركين في عموم الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وثانيها الاخوة بسبب الصداقة والموالاة والمعاونة
وثالثها الاخوة بسبب ما بينهما من المشاركة في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم اخبر تعالى انهم قالوا لليهود لئن اخرجتم
اي من المدينة لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا اي في خذلانكم احدا ابدا ووعدوهم النصر ايضا بقولهم وان قوتلتم
لننصرنكم ثم انه تعالى شهد على كونهم كاذبين في هذا القول فقال تعالى والله يشهد انهم لكاذبون ولما شهد على كذبهم
على سبيل الاجمال اتبعه بالتفصيل فقال تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن
الادبار ثم لا ينصرون **واعلم** انه تعالى عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها فيعلم الموجودات في الازمنة الثلاثة و
المعدومات في الازمنة الثلاثة وعلم في كل واحد من هذه الوجوه الثلاثة انه لو كان على خلاف ما وقع كيف كان يكون على ذلك
التقدير فههنا اخبر تعالى ان هولاء لئن اخرجوا فهولاء المنافقون لا يخرجون معهم وقد كان الامر كذلك لان بني النضير لما اخرجوا لم يخرج
معهم المنافقون وقوتلوا ايضا فما نصروهم فاما قوله تعالى ولئن نصروهم فتقديره كما يقول المعترض الطاعن في الكلام الغير
لا نسلم ان الامر كما تقول وان سلمنا ان الامر كما تقول لكنه لا يفيدك فايدة وكذا ههنا ذكر تعالى انهم لا ينصرونهم
وبتقدير ان ينصروهم الا انهم لا بد وان يتركوا تلك النصرة وينهزموا ويتركوا اولئك المنصورين في ايدي الاعداء ونظير هذه الاية
قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون فاما قوله تعالى لا ينصرون ففيه وجهان **الاول**
انه راجع الى المنافقين يعني لينهزمن المنافقين ثم لا ينصرون بعد ذلك اي يهلكهم الله تعالى ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم والثاني
لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين ثم ذكر تعالى ان خوف المنافقين من المومنين اشد من خوفهم من الله تعالى فقال تعالى
لانتم اشد رهبة في قلوبهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة يريد ان هولاء اليهود والمنافقين
لا يقدرون على مقاتلتكم مجتمعين الا اذا كانوا في قرى محصنة بالخنادق والدروب او من وراء جدار وذلك بسبب ان الله القى في

قلوبهم



قلوبهم الرعب وان تاييد الله ونصرته معكم وقرئ جدر بالتخفيف وجدار وجدر وهي الجدار ثم قال تعالى باسهم
بينهم شديد وفيه ثلاثة اوجه **احدها** يعني ان الباس الشديد الذي يوصفون به انما يكون اذا
كان بعضهم مع بعض فاما اذا قاتلوكم لم يبق لهم ذلك الباس والشدة لان الشجاع يجبن والعزيز
يذل عند محاربة الله تعالى ورسوله وثانيها قال مجاهد المعنى اذا اجتمعوا يقولون لنفعلن كذا
وكذا فهم يهددون المومنين بباس شديد من وراء الحيطان والحصون ثم يحترزون عن الخروج للقتال
فباسهم فيما بينهم شديد لا فيما بينهم وبين المومنين وثالثها قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه
بعضهم عدو للبعض والدليل على صحة هذا التاويل قوله تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى يعني تحسبهم
في صورة مجتمعين على الالفة والمحبة اما قلوبهم فشتى لان كل احد منهم على مذهب اخر وبينهم عداوات
شديدة وهذا تشجيع للمومنين على قتالهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون وفيه وجهان **احدها** ان ذلك
السبب بانهم قوم لا يعقلون ان فيه الخذلان والثاني لا يعقلون ان تشتيت القلوب مما يوهن قواهم
والله تعالى اعلم **قوله تعالى** كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب
اليم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله
رب العالمين فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين
اي مثلهم كمثل اهل بدر في زمان قريب فان قيل بم انتصب قريبا قلنا بمثل والتقدير كوجود مثل اهل بدر قريبا ذاقوا وبال
امرهم اي سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلا وبيل وخيم سيء العاقبة يعني ذاقوا عذاب
القتل في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب النار ثم ضرب لليهود والمنافقين مثلا فقال تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان
اكفر اي مثل المنافقين الذين غروا بني النضير بقولهم لئن اخرجتم لنخرجن معكم ثم خذلوهم وما وفوا بوعدهم
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر ثم تبرا منه في العاقبة والمراد اما عموم دعوة الشياطين الى
الكفر واما اغواء الشيطان قريشا يوم بدر وقوله تعالى لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الى قوله تعالى
اني بريء منكم ثم قال تعالى وكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ففيه مسايل
قال مقاتل فكان عاقبة المنافقين واليهود مثل عاقبة الشيطان والانسان حيث صارا الى النار قال صاحب
الكشاف قرا ابن مسعود رضي الله تعالى عنه خالدان فيها على انه خبر ان وفي النار لغو وعلى القراءة المشهورة الخبر
هو الظرف وخالدين فيها حال وقرئ عاقبتهما بالرفع ثم قال تعالى وذلك جزاء الظالمين اي المشركين كقوله تعالى ان الشرك
لظلم عظيم ثم انه تعالى رجع الى موعظة المومنين فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس
ما قدمت لغد يعني يوم القيمة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له ثم ذكر النفس والغد على سبيل التنكير
اما الفايدة في تنكير النفس فاستقلال الانفس التي تنظر فيما قدمت للاخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة
في ذلك واما تنكير الغد فلتعظيمه وابهام امره كانه قيل الغد لا يعرف كنهه لعظمه ثم قال تعالى واتقوا الله
ان الله خبير بما تعملون كرر الامر بالتقوى تاكيدا او يحمل الاول على اداء الواجبات والثاني على ترك المعاصي
ثم قال تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم وفيه وجهان الاول قال المقاتلان نسوا حق الله فجعلهم
ناسين حق انفسهم حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده الثاني فانساهم انفسهم اي اراهم يوم القيمة
من الاهوال ما نسوا فيه انفسهم كقوله لا يرتد اليهم طرفهم وافيدتهم هواء وقوله تعالى وترى الناس سكارى
ثم قال تعالى اولئك هم الفاسقون والمقصود منه الذم **واعلم** انه تعالى لما ارشد المومنين الى ما
هو مصلحتهم يوم القيمة بقوله تعالى ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهدد الكافرين بقوله تعالى الذين
نسوا الله فانساهم انفسهم بين الفرق بين الفريقين فقال تعالى لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة
اصحاب الجنة هم الفايزون **واعلم** ان التفاوت بين هذين الفريقين معلوم بالضرورة فذكر هذا التفاوت في هذا
الموضع يكون الغرض منه التنبيه على عظم ذلك الفرق وفيه مسالتان **المسالة الاولى** المعتزلة احتجوا على ان
صاحب الكبيرة لا يدخل الجنة لان الاية دلت على ان اصحاب النار واصحاب الجنة لا يستويان فلو دخل صاحب الكبيرة الجنة
لكان اصحاب النار واصحاب الجنة يستويان وهو غير جائز وجوابه معلوم **المسالة الثانية** احتج اصحابنا
بهذه الاية على ان المسلم لا يقتل بالذمي وقد بينا وجهه في الخلافيات ثم انه تعالى لما شرح هذه البيانات عظم امر
القران فقال تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل الاية والمعنى انه لو جعل في الجبل عقل كما جعل فيكم ثم انزل الله تعالى
عليه القران لخشع وخضع وتشقق من خشية الله تعالى ثم قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم
يتفكرون اي الغرض من هذا الكلام التنبيه على قساوة قلوب هولاء الكفار وغلظ طباعهم ونظيره قوله تعالى
ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة **واعلم** انه لما وصف القران بالعظم ومعلوم
ان عظم الصفة تابع لعظم الموصوف اتبع ذلك بشرح عظمة الله تعالى فقال هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب
والشهادة هو الرحمن الرحيم انه تعالى قدم الغيب على الشهادة في اللفظ وفيه سر عقلي اما المفسرون فذكروا اقوالا

اقوال الاول الغيب والشهادة الموجود وقيل ما غاب عن العباد وما شهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والاخرة ثم قال تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك وكل ذلك قد تقدم تفسيره ثم قال تعالى القدوس قرئ بالضم والفتح وهو البليغ في النزاهة في الذات والصفات والافعال والاحكام والاسما وقد شرحناه في اول سورة الحديد ومضى شي منه في تفسير قوله تعالى ونقدس لك وقال الحسن انه الذي كثرت بركاته وقوله السلام فيه وجهان الاول انه بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليك وصف به مبالغة في كونه سليما من النقايص كما يقال رجل رضا وعدل فان قيل فعلى هذا التفسير لا يبقى بين القدوس فرق والتكرار خلاف الاصل قلنا كونه قدوسا اشارة الى براته عن جميع العيوب في الماضي والحاضر وكونه سليما اشارة الى انه لا يطرا عليه شي من العيوب في الزمان المستقبل فان الذي يطرا عليه شي من العيوب فانه يزول سلامته ولا يبقى سليما الثاني انه سلام بمعنى كونه موجبا للسلامة وقوله تعالى المومن فيه وجهان الاول انه الذي امن اولياه عذابه فقال امنه يومنه والثاني انه المصدق اما على معنى انه يصدق انبياه باظهار المعجزة لهم او ان امة محمد صلى الله عليه وسلم يشهدون لساير الانبياء صلوات الرحمن عليهم كما قال تعالى لتكونوا شهدا على الناس ثم ان الله تعالى يصدقهم في تلك الشهادة وقرئ بفتح الميم يعني المومن به على حذف الجار كما حذف في قوله تعالى واختار موسى قومه وقوله المهيمن القايم على خلقه برزقه وانشد اللامي حر الناس بعد نبيه الثالثه والمعترف والنكر في معناه القايم على الناس بعده واما العزيز فهو اما الذي لا يوجد له نظير واما الغالب القاهر واما الجبار ففيه وجوه احدها انه تعالى فعال من جبر اذا اغنى الفقير واصلح الكسير قال الازهري وهو لعمري جابر كل كسير وفقير وهو جابر دينه الذي ارتضاه قال العجاج قد جبر الدين الاله فجبر والثاني ان يكون الجبار من جبره اذا اكرهه على ما اراده قال السدي انه الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما اراد قال الازهري هي لغة تميم وكثير من الحجازيين يقولونه وكان الشافعي رحمه الله تعالى يقول جبره السلطان على كذا بغير الف وجعل الفرا الجبار بهذا المعنى من اجبر وهي اللغة المعروفة في الاكراه فقال لم اسمع فعالا من افعل الا في حرفين جبار من اجبر ودراك من ادرك على هذا القول الجبار هو القهار قال ابن الانباري الجبار في صفة الله الذي لا ينال منه وصل نحلة التي ذكرنا معاني الجبار في صفة الله والجبار معاني في صفة الخلق احدها المسلط لقوله تعالى وما انت عليهم بجبار والثاني العظيم الجسيم لقوله تعالى ان فيها قوما جبارين الثالث المتمرد على عباد الله كقوله تعالى على كل متكبر جبار والرابع القتال كقوله بطشتم جبارين وقوله تعالى ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض اما قوله تعالى المتكبر ففيه وجوه احدها قال ابن عباس رضي الله عنهما الذي تكبر بربوبيته فلا شي مثله وثانيها قال قتادة المتعظم عن كل سو وثالثها قال الزجاج الذي تعظم عن ظلم عباده ورابعها قال ابن الانباري المتكبر ذو الكبرياء والكبرياء عند العرب الملك ومنه قوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض واعلم ان المتكبر في حق الخلق اسم ذم لان المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبرياء وذلك نقص في حق الخلق لانه ليس له كبر ولا علو بل ليس معه الا الحقارة والذلة والمسكنة فاذا اظهر العلو كان كاذبا فكان ذلك مذموما في حقه اما في حقه سبحانه وتعالى فله جميع انواع العلو والكبريا فاذا اظهر فقد ارشد العباد الى تعريف جلاله وعلوه وكان ذلك في غاية المدح في حقه سبحانه وتعالى ولهذا السبب لما ذكر هذا الاسم قال سبحان الله عما يشركون كانه قيل ان المخلوقين قد يتكبرون ويدعون مشاركة الله تعالى في هذا الوصف لكنه سبحانه وتعالى منزه عن التكبر الذي هو حاصل للخلق لانهم يتصفون بحسب ذواتهم الكبر يكون ذلك ضما للكذب الى النقصان الراي واما الحق سبحانه وتعالى فله العلو فاذا اظهره كان ذلك ضم كمال الى كمال فسبحان الله عما يشركون في اثبات صفة الكبر به للخلق ثم قال تعالى هو الله الخالق والخلق هو التقدير معناه انه يقدر افعاله على وجوه مخصوصة فالخالقيه راجعة الى صفة الارادة ثم قال تعالى البارئ وهو بمنزلة قولنا صانع وموجد الا انه يفيد اختراع الاجسام لذلك يقال برية ولا يقال في الاعراض التي هي كاللون واما المصور فمعناه انه يخلق صور الخلق على ما يريد وقدم ذكر الخالق على البارئ لان ترجيح الارادة مقدم على تاثير القدرة وقدم البارئ على المصور لان ايجاد الذوات مقدم على ايجاد الصفات ثم قال تعالى له الاسماء الحسنى وقد فسرناه في قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى اما قوله تعالى يسبح له ما في السموات والارض فقد تقدم تفسيره في اول سورة الحديد

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تومنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء الاية

اعلم ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا من جملة ما يتحقق

به التعليق



به التعليق هو انهما يشتركان في بيان حال الرسول صلى الله عليه وسلم مع الحاضرين في زمانه من اليهود والنصارى وغيرهم لان بعضهم قدموا على الصلح واعترفوا بصدقه وكل جملتهم بنو النضير لانهم قالوا انه النبي الذي وجدنا نعته وصفته في التوراة وبعضهم انكروا ذلك واقدموا على القتال اما على التصريح واما على الاخفاء فانهم مع اهل الاسلام في الظاهر ومع اهل الكفر في الباطن واما تعلق الاول بالاخر فظاهر كما ان اخر تلك السورة مشتمل على الصفات الحميدة لحضرة الله تعالى من الوحدانية وغيرها واول هذه السورة مشتمل في حرمة الاختلاط مع من لا يعترف بتلك الصفات واما سبب النزول فقد روي انها نزلت في حاطب بن ابي بلتعة لما كتب الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز للفتح ويريد ان يغزوكم فخذوا حذركم ثم ارسل ذلك الكتاب مع امراة مولاة لبني هاشم ثم يقال لها سارة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة فقال عليه السلام امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت ذهبت الموالي يوم بدر اي قتلوا في ذلك اليوم فاحتجت حاجة شديدة فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب اعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها ذلك الكتاب الى اهل مكة فخرجت سارة فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فبعث عليا وعمارا وطلحة والزبير خلفها وهم فرسان فادركوها وسالوها عن ذلك فانكرت وحلفت فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله وسل سيفه فاخرجته من عقاص شعرها فجاوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرضه على حاطب فاعترف فقال ان لي بمكة اهلا ومالا فاردت ان اتقرب منهم وقد علمت ان الله تعالى ينزل كتابه عليهم فصدقه وقبل عذره فقال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله تعالى قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شيتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضي الله عنه وقال الله ورسوله اعلم واما تفسير الاية فالخطاب في يا ايها الذين امنوا قد مر وكذلك في الايمان انه في نفسه شي واحد وهو التصديق بالقلب او اشيا كثيرة وهي الطاعات كما ذهب اليه المعتزله واما قوله تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم فالتخذ يتعدى الى مفعولين وهما عدوي واولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفى ولكونه على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد والعداوة ضد الصداقة لا يجتمعان في محل واحد في زمان واحد من جهة واحدة لكنهما يرتفعان في مادة الامكان وعند الزجاج والكرابيسي عدو وعدي اي عدو دنيوي وقوله تعالى اولياء تلقون اليهم بالمودة قال للتنبيه وجود صفة النكرة التي هي اولياء قاله الفراء وقال في الكشاف يجوز ان يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره واولياء صفة له ولا يجوز ان يكون استئنافا ولا يجوز ان يكون صلة لاولياء فالباء في المودة كقوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم والمعنى تلقون اليهم اخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم وبينهم ويدل عليه تسرون اليهم بالمودة ثم في الاية مباحث الاول اتخاذ العدو وليا كيف يمكن وقد كانت العداوة منافية للمحبة والمودة وهما من لوازم ذلك الاتخاذ نقول لا يبعد ان تكون العداوة بالنسبة الى امر والمحبة والمودة بالنسبة الى امر اخر الا ترى قوله تعالى انما اموالكم واولادكم عدو لكم والنبي صلى الله عليه وسلم قال اولادنا اكبادنا الثاني لما قال عدوي وعدوكم ولم يقل بالعكس فنقول العداوة بين المومن والكافر بسبب محبة الله تعالى ومحبة رسوله فتكون محبة العبد من اهل الايمان لحضرة الله تعالى لعله ومحبة حضرة الله تعالى للعبد لا لعله لما انه غني على الاطلاق فلا حاجة الى الغير اصلا والذي لا لعله اقدم على الذي لعله ولان النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان له نسبة الى الطرفين فالطرف الاعلى مقدم على الادنى الثالث قال اولياء ولم يقل وليا والعدو والولي بلفظ فعول لما ان العرب تحذف التنوين تعاولا كل قدر فكذلك الوقف بالاضافة الرابع من قال بالمودة الباء زائدة وقد مرادها للزيادة في القران لا يكون والبا مشتملة على الفايدة فلا يكون زايدة في الحقيقة قال الله تعالى وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تومنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وقد كفروا الواو للحال اي حالهم انهم كفروا بما جاءكم من الدين الحق وقيل من القران يخرجون الرسول يعني من مكة الى المدينة ان تومنوا اي لان تومنوا بالله ربكم قال الزجاج هو شرط جوابه مقدم وهو قوله لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقوله تعالى جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي منصوبان لانهما مفعولان لهما تسرون اليهم بالمودة عن مقاتل بالنصيحة ثم ذكر انه لا يخفى عليه من احوالهم شي فقال تعالى وانا اعلم بما اخفيتم من المودة للكفار وما اعلنتم اي اظهرتم ولا يبعد ان يكون هذا عاما في كل ما يخفى ويعلن ومن يفعله منكم يجوز ان يكون الكناية راجعة الى الاسرار والى الالقا والى اتخاذ الكفار اولياء لما ان هذه الافعال مذكورة من قبل وقوله تعالى فقد ضل سواء السبيل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عدل عن قصد الايمان في اعتقاده وعن مقاتل قد اخطا قصد طريق الهدى ثم في الاية مباحث البحث الاول ان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وتسرون استيناف معناه اي طائل لكم في اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان في علمي الثاني ان قوله ان كنتم خرجتم الاية قضية شرطية ولو كان كذلك فلا يمكن وجود الشرط وهو قوله تعالى ان كنتم خرجتم بدون ذلك النهي ومن المعلوم انه يمكن فنقول هذا المجموع شرط لمقتضى ذلك النهي لا للنهي بصريح اللفظ ولا يمكن وجود المجموع

بدون ذلك لان ذلك موجودا لما والفايدة في ابتغاء مرضاتي ظاهرا ذ الخروج قد يكون سعا لمرضاتي الله وقد لا يكون
الثالث قال الله تعالى بما اخفيتم وما اعلنتم ولم يقل بما اسررتم وما اعلنتم مع انه اليق بما سبق وهي تسرون فنقول بهذا
ما اسبه الى علمنا لا بالنسبة الى علمه تعالى اذ هما سيان في علمه الله تعالى كما مر بيان المقصود بيان ما هو الاخفى
وهو الكفر فيكون مقدما الخامس قال الله تعالى ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل اما الفايدة في قوله تعالى منكم
من المعلوم ان من فعل هذا فقد ضل سواء السبيل فنقول اذا كان المراد من المومنين وظاهر لان من يفعل ذلك لا يلزم ان يكون
مومنا ثم انه اجرى المومنين لعدو كفار اهل مكة فقال تعالى ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء الاية يثقفوكم اي يظفروا
بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم في غاية العداوة وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقال مقاتل يظهروا عليكم يصادفوكم
ويبسطوا ايديهم بالضرب والسنتهم بالسوء وودوا لو انهم يرجعون الى دينهم والمعنى ان اعداء الله تعالى لا يخلصون
المودة لاولياء الله لما بينهم من المباينة لن تنفعكم ارحامكم كما عوتب حاطب على ما فعل اعتذر بان له ارحاما وهي
للعرى والاولاد فيما بينهم وليس له هناك من يمنع عشيرته فاراد ان يتخذ عندهم يدا ليحسنوا الى من خلفهم بمكة من
عشيرته فقال تعالى لن تنفعكم ارحامكم **اعلم** انهم لا ينفعونهم شيئا فالله تعالى يفصل بينكم فيدخل اهل الايمان الجنة
واهل الكفر النار والله بما تعملون بصير اي بما عمل حاطب ثم في الاية مباحث الاول ما قال في الكشاف ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء
وكيف ورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال تعالى وودوا بلفظ الماضي نقول الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم
الاعراب قال فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم الثاني يوم القيمة ظرف اي شيء قلنا لقوله تعالى لن تنفعكم اليوم
ويكون ظرفا ليفصل اي الله وقرا ابن كثير يفصل بضم الياء وفتح الصاد ويفصل على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وتعالى
ويفصل بالنون ويفصل الرابع قال الله تعالى والله بما تعملون بصير ولم يقل خبير مع انه بليغ في العلم بالشيء والخبر الخبير
ابلغ في العلم والبصير ابلغ منه كما انه يجعل عملهم كالمحسوس بحس البصر والله اعلم ثم قال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم
والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء
ابدا حتى تومنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء ربنا عليك
توكلنا واليك انبنا واليك المصير وقد كانت لكم اسوة والاسوة ما يوتسى به مثل العداوة والعداوة منها
يقتدى به يقال هو اسوتك اي انت مثله وهو مثلك ويجمع الاسوة والاسوة اسى فالاسوة اسم لكل ما يقتدى به
قال المفسرون اخبر الله تعالى ان ابرهيم عليه السلام واصحابه تبرءوا من قومهم وعادوهم وقالوا لهم انا برآء منكم
ومن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتاسوا بهم ويقولوا قال الفراء يقول افلا تاسيتم يا ابراهيم في البرية
من اهله وقوله تعالى اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم وقوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك وهو مشترك قال
مجاهد نهوا ان يتاسوا باستغفار ابراهيم عليه السلام فيستغفروا للمشركين وقال مجاهد وقتادة ائتسوا بامر
ابراهيم عليه السلام كله الا في استغفاره لابيه وهو مشرك ومن كفر بكم فان لكم اسوة حسنة في ابراهيم عليه السلام ومن
معه من المومنين في البراءة من قومهم الا في الاستغفار لابيه وقال ابن قتيبة يريد ان ابراهيم عليه السلام عاداهم
وهجرهم في كل شيء الا في قوله لابيه وقوله تعالى وما املك لك من الله من شيء هذا من قول ابراهيم عليه السلام لابيه
يقول ما اغني عنك شيئا ولا ادفع عنك من عذاب الله اذا اشركت به فوعده الاستغفار رجاء قال ابن عباس رضي الله
عنهما كان من دعاء ابراهيم عليه السلام واصحابه ربنا عليك توكلنا الاية اي في جميع امورنا واليك انبنا
رجعنا بالتوبة من المعصية اذا لم يقل الا على حضرتك وفي الاية مباحث الاول القايل ان يقول حتى تومنوا
بالله وحده ما الفايدة في قوله تعالى وحده والايمان به وبغيره من اللوازم كما قال تعالى كل امن بالله وملائكته و
كتبه ورسله فنقول الايمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الاخر من لوازم الايمان بالله وحده اذ المراد من قوله
وحده ما المراد والفايدة في قوله وحده وهو وحده في الالوهية اذ هو لا شريك بالحقيقة المشتركة لا يكون
مومنا الثاني قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه استثناء من اي شيء هو نقول لاسوة حسنة كانه اراد بالاسوة
الحسنة قولهم الذي حق عليهم ان يأتسوا به ويتخذونه سنة يستنون بها الثالث ان قوله تعالى لاستغفرن لك
مستثنى من القول الثاني هو اسوة لنا بل قوله تعالى وما املك لك من الله من شيء وهو غير حقيق بالاستثناء
الا ترى الى قوله تعالى قل فمن يملك لكم من الله من شيء نقول اراد الله تعالى استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد
الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له كانه قال انا استغفر لك وما في وسعي الا الاستغفار اذا مثل ثم قوله
تعالى ربنا عليك توكلنا نقول بما قبل الاستثناء نقول هو من جملة الاسوة ويجوز للحسنة ويجوز ان يكون هو الامر
بهذا القول تعليما للمومنين وتتميما لما وصاهم به من قطع العلايق بينهم وبين الكفرة والاستا ذي بابراهيم عليه السلام
وقومه في البراءة منها والانابة الى حضرة الله تعالى والاستغفار به الخامس اذا قال ما الفايدة في هذا الترتيب
فنقول فيه من الفوايد ما لا يحيط به الا هو والظاهر من تلك الجملة ان تعالى التوكل لاجل الافادة بافادة التوكل
مفتقرة الى التقوى قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا والتقوى الانابة والتقوى هو الاحتراز عما لا ينبغي
من الامور والانابة الى المرجع والمصير الى حضرته القدسية بعد الامكان ذكر الشيء وذكر عقيبه ما يكون من اللوازم

لافادة



لافادة ذلك كما ينبغي والقراة في براء اربع اوجه براء كشركاء وبراء كظراف وبراء على ابدال الضم من الكسر كرجال وبراء على الوصف بالمصدر
والبراء والبراء مثل الظما والظماء والله تعالى اعلم **قوله تعالى** ربنا لا تجعلنا فتنة للذين
كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله
واليوم الاخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم
منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم **اعلم** ان قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة من دعاء
ابرهيم عليه السلام قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تسلط علينا اعداءنا فيظنوا انهم على الحق قال مجاهد لا تعذبنا
بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هولاء على الحق لما اصابهم ذلك وقيل لا تبسط عليهم الرزق دوننا فان ذلك
فتنة لهم وقيل لا تجعلنا فتنة اي عذابا اي سببا يعذبون به ثم الكفر وعلى هذا السبب الاية من قول ابراهيم عليه السلام
وقوله تعالى واغفر لنا ربنا من جملة ما مر في الاية وكانه قيل لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قولوا ربنا لا تجعلنا
فتنة للذين كفروا ثم اعاد ذكر الاسوة تاكيدا للكلام فقال تعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة اي في ابرهيم والذين معه
وهذا هو الحث على الانبياء صلوات الرحمن عليهم بابراهيم عليه السلام وقومه قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا
يبغضون من خالف الله ويحبون من احب الله وقوله تعالى لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر بدل من قوله لكم وبيان
ان هذه الاسوة لمن يخاف الله تعالى ويخاف عذاب الاخرة ومن يتول يعرض عن الاستثناء لهم الا مودة الكفار
فان الله تعالى هو الغني عن مخالفة اعدائه الحميد الى اوليائه قال مقاتل فلما امر الله تعالى المومنين بعداوة الكفار
شددوا في عداوة ابائهم والبراة منهم وابنائهم وجميع اقربائهم فانزل الله تعالى قوله عسى الله ان يجعل بينكم
وبين الذين عاديتم منهم مودة اي من كفار مكة مودة وذلك بميلهم الى الاسلام ومخالطتهم مع اهل الاسلام
ومناكحتهم وقيل تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة فلانت عند ذلك عريكة ابي سفيان واسترخت
شكيمته في العداوة وكانت ام حبيبة قد اسلمت وهاجرت مع زوجها عبد الله بن جحش الى الحبشة فتنصر واراده على
النصرانية فابت وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي فخطبها عليه وساق
عنه اليها اربعمائة دينار وبلغ ذلك اباها فقال ذلك الفحل لا يقدع انفه وعسى وعد من الله تعالى وهي الذين عاديتم
منهم مودة يريد نفرا من قريش امنوا بعد فتح مكة منهم ابو سفيان بن حرب وابو سفيان بن الحرث والحرث بن هشام
وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام والله تعالى قادر على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله
غفور رحيم لهم اذا تابوا واسلموا ورجعوا الى حضرة الله تعالى ومن **المباحث** في هذه الحكمة هو ان قوله تعالى ربنا
لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم فنقول انهم طلبوا البراة عن الفتنة والبراة عن الفتنة
لا يمكن وجودها بدون المغفرة اذ المعاصي مغفورة لكان مقهورا بقهر العذاب وذلك فتنة اذ الفتنة عبارة عن كونهم
مقهورا والحميد قد يكون بمعنى الحامد وبمعنى المحمود اي يستحق الحمد من خلقه بما انعم عليهم والكامل يحمد الخلق ويشكرهم حيث يجزيهم
بالكرم من الثواب عن القليل من الاعمال والله تعالى اعلم **قوله تعالى** لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله
عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم
الظالمون **واختلفوا** في المراد من الذين لم يقاتلوكم فالاكثرون على انهم اهل العهد الذين عاهدوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ترك القتال والمظاهرة في العداوة وهم خزاعة كانوا عاهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم ان لا يقاتلوه
ولا يخرجوه فامر الرسول بالبر والوفاء الى مدة اجلهم وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل والكلبي وقال مجاهد الذين
امنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وعن عبد الله بن الزبير انها نزلت في اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنه قدمت
امها قتيلة عليها وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها في الدخول فامرها النبي صلى الله عليه وسلم ان يدخلها وتقبل منها
وتكرمها وتحسن اليها وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم قوم من بني هاشم منهم العباس اخرجوا يوم بدر كرها وعن الحسن
ان المسلمين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقربائهم من المشركين ان يصلوهم فانزل الله تعالى هذه الاية
وقيل الاية في المشركين وقال قتادة نسختها اية القتال وان تبروهم بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك ان تولوهم من الذين
قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم الله عن مبرة هولاء وانما ينهاكم عن تولي هولاء وهذا رحمة منهم لشدتهم في العداوة السادس
هذه الاية تدل على جواز البر بين المشركين والمسلمين وان كانت الموالاة منقطعة وقوله تعالى وتقسطوا اليهم قال ابن عباس
رضي الله عنهما يريد في الصلة وغيرها ان الله يحب المقسطين يريد اهل البر والتواصل قال مقاتل ان تولوا اليهم بعهدهم
ويعدلوا فيهم ذكر من الذين ينهاهم عن صلتهم فقال تعالى انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين اي سولوهم وفيه
لطيفة وهي انه يوكد قوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم ثم قال تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات
مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون
لهن واتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم اذا اتيتموهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسالوا ما انفقتم وليسالوا
ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم سماهن مومنات قبل ما تعلم الاية وهو كلمة الشهادة

منهن دون ما يولفنا في له او لانهن مباركات لسا ت امانهن بالامتحان والامتحان هو الابتلاء بالحلف والحلق لاحد عليه الظن يا يمانهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للممتحنة بالله الذي لا اله الا هو ما اخرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة من ارض الى ارض ما خرجت لالتماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله والله اعلم بايمانهن منكم فان الله تعالى يتولى السراير فان علمتموهن العلم الذي هو عبارة عن الظن الغالب بالحلف وغيره فلا ترجعوهن الى الكفار اي لا تردوهن الى ازواجهن المشركين وقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن واتوهم ما انفقوا اي اعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان الصلح عام الحديبية كان بين ان من اتاكم من اهل مكة ومن اتى مكة منكم لم يرد اليكم وسوا بذلك العهد كما جاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد صلى الله عليه وسلم اردد علي امراتي فانك قد شرطت لنا شرطا ان ترد علينا من اتاك منا وهذا طينة الكتاب لم تجف فنزلت ... اذ الشرط انما كان للرجال دون النساء وعن الزهري انه قال جاءت ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي عاتق فجا اهلها يطلبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزوجها اليهم وكان قريب من زوجها عمرو بن العاص ومعها اخوها عمارة والوليد فرد رسول الله اخويها واحبسها وقالوا اردد علينا فقال صلى الله عليه وسلم كان الشرط في الرجال دون النساء وعن الضحاك ان العهد كان ان لا يمسك منا امراة ليست على دينك الا رددتها الينا فان دخلت في دينك ولها زوج ردت على زوجها الذي انفق عليها والنبي صلى الله عليه وسلم شرط مثل ذلك ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد واستحلفها الرسول فحلفت فاعطا زوجها ما انفق ثم تزوجها عمر رضي الله تعالى عنه قوله تعالى ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن اي مهورهن اذ المهر اجر البضع ولا تمسكوا بعصم الكوافر والعصمة ما يعتصم به من عهد وغيره ولا عصمة بينكم وبينهن ولا علقة النكاح كذلك وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان اختلاف الدارين يقطع العصمة وقيل لا تقعدوا الكوافر وتمسكوا بالتخفيف والتشديد وتمسكوا ولا تمسكوا وقوله تعالى واسالوا ما انفقتم وهو اذا لحقت منكم امراة بالعهد من الكفار مرتدة فاسالوهم ما انفقتم من المهر اذا منعوها ولم يدفعوها اليها فعليهم ان يغرموا صداقها كما يغرم لهم وهو قوله تعالى وليسالوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم من المسلمين والكفار وقوله تعالى فامتحنوهن امر بمعنى الوجوب او بمعنى المندوب او بغير هذا وذلك قال الواحدي هو بمعنى الاستحباب الثاني ما الفائدة في قوله تعالى والله اعلم بايمانهن وذلك معلوم من غير شك نقول فائدته بيان ان لا سبيل الى ما يظهر منه الحق من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استاثر به علام الغيوب الرابع ما الفائدة في قوله ممكن ان تكون في احد الجانبين دون الاخر نقول هذا باعتبار الايمان من جانبهن ومن جانبهم اذ الايمان من الجانبين شرط للحل لان الذكر من الجانبين يوكد لارتفاع الحل وفيه من الفايدة ما لا تكون في غيره الخامس هب انه كذلك لكن يكفي قوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار ولانه لا يحل احدهما الاخر فلا حاجة الى الزيادة عليه والمقصود هو لا نقول للفظ بهذا اللفظ لا يفيد ارتفاع الحل من الجانبين بخلاف التلفظ بذلك اللفظ وهذا ظاهر والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذي انتم به مومنون

روى عن الزهري ومسروق انه من جملة حكم الله تعالى ان يسال المسلمون من الكفار مهر المراة المسلمة اذا صارت اليهم ويسالوا الكفار كذلك فاقر المسلمون بحكم الله تعالى وابى المشركون فنزلت وان فاتكم شيء اي سبقكم وانفلت منكم قال حسن ومقاتل نزلت في ام الحكم بنت ابي سفيان ارتدت وتركت زوجها عباس بن غنم القرشي ولم ترتد من قريش امراة غيرها ثم عادت الى الاسلام قوله تعالى فعاقبتم اي فغنمتم على قول ابن عباس ومسروق ومقاتل رضوان الله عليهم اجمعين وقال ابو عبيدة اصبتم منها عقبى وقال المبرد فعاقبتم اي فعلتم ما فعل بكم يعني ظفرتم وهو من قولك العقبى لفلان اي العاقبة وتاويل العاقبة الكرة الاخيرة ومعنى عاقبتم غزوتم معاقبين غزوا بعد غزو وقيل كانت العقبى لكم والطلبة فاعطوا للازواج من راس الغنيمة ما انفقوا عليهن من المهر وهو قوله تعالى فاتوا الذين ذهبت ازواجهم وقرى فاعقبتم مخففا ومشددا بفتح القاف وكسرها والله اعلم

**قوله تعالى** يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم ۝

روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر اسفل منه فنزلت الاية وشرط في مبايعة النساء ان يمنعن النهي عن الحيا بمنع الاموال والنفقة من العادة فانه يقال اسرق السارق من سرق من صلاته ولا يزنين يحتمل حقيقة الزنا ودواعيه ايضا على ما قال النبي صلى الله عليه وسلم اليدان تزنيان والعينان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يصدق ذلك او يكذبه وقوله تعالى ولا يقتلن اولادهن اي ما كان يفعله اهل الجاهلية ثم هو عام في كل نوع من قتل الولد وغيره ولا ياتين ببهتان نهاهن عن النميمة بقرينة اي لا تنم احداهن على صاحبتها فتورث القطيعة ويحتمل ان يكون نهيا عن الحاق الولد بازواجهن قوله تعالى ولا يعصينك في معروف اي مما تامرهن به او تنهاهن عنه كالنوح وتمزيق الثياب ومن الشعر وشق الجيب قاله كثير من اهل التفسير ومنهم من خص هذا المعروف بالنوح والمراد لا يعصينك في كل امر فبايعهن جوابا اذا اي اذا بايعنك على هذه الشرائط فبايعهن واختلفوا

في كيفية



في كيفية المبايعة فقالوا كانوا بايعهن وبين يده وايديهن ثوب وقيل كان يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن قال الكلبي رضي الله عنه وقيل بالكلام وقيل دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه ثم غمس ايديهن وما مس يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امراة قط وفي الاية مباحث البحث الاول قال الله تعالى اذا جاءك المومنات ولم يقل فامتحنوهن كما قال تعالى في المهاجرات والجواب ان الامتحان حاصل بقوله تعالى على ان لا يشركن بالله شيا والثاني ان المهاجرات ياتين من دار الحرب فلا اطلاع على السرائر فلا بد من الامتحان واما المومنات فهن في دار الاسلام وعلمن الشرائع ولا حاجة الى الامتحان الثالث ما الفايدة في قوله تعالى بين ايديهن وارجلهن ما وجهه يقول منهم من قال اذا التقطت ولدا فانما التقطت بيدها ومشت برجلها الى اخذه فاذا اضافته الى زوجته فقد افترت بهتانا يفترينه بين يديها ورجليها وقيل يفترينه على انفسهن حيث يقولن هذا ولدنا وليس كذلك اذ الولد ولد الزنا وقيل الولد اذا وضعته امه سقط بين يديها ورجليها الثالث ما وجه الترتيب في الاشيا المذكورة وتقديم البعض في الاية نقول قدم الاقبح على ما هو لاي منه في القبح كذلك الى اخره وقيل قدم الاشيا المذكورة ما هو الاظهر فيما بينهم والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور

قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في حاطب بن ابي بلتعة يقول لا تتولوا اليهود والمشركين وكذلك لان جمعا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون لليهود اخبار المسلمين لحاجتهم اليهم فنهوا عن ذلك ويئسوا من الاخرة يعني ان اليهود كذبت محمدا صلى الله عليه وسلم وهم يعرفون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم افسدوا اخرتهم بتكذيبهم اياه فهم ايسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور والتقييد بهذا القيد ظاهر لانهم اذا ماتوا على كفرهم كانوا يعلم تحقق هلاكهم وعدم حظهم في الاخرة قطعا هذا هو قول الكلبي رضي الله تعالى عنه وجماعة يعني الكفار الذين ماتوا ايسوا من الجنة ومن ان يكون لهم في الاخرة وقال الحسن رضي الله تعالى عنه يعني الاحياء من الكفار يئسوا من الاموات وقال ابو اسحاق رحمه الله تعالى يئس اليهود الذين عاندوا النبي صلى الله عليه وسلم كما يئس الكفار الذين لا يومنون بالبعث من موتاهم والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص واذ قال موسى لقومه يا قوم لم توذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين

وجه التعليق بما قبلها هو ان تلك السورة بيان الخروج جهادا في سبيل الله ابتغاء مرضاته بقوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي وفي هذه السورة بيان ما يحمل اهل الايمان ويحثهم على الجهاد بقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص واما الاول بالاخرة فكانه قال اذا كان بجهلهم يصفون بحضرتنا المقدسة بما لا يليق بالحضرة فقد كانت الملائكة وغيرهم من الجن والانس يسبحون بحضرتنا قال سبح لله ما في السموات وما في الارض اي يشهد له بالربوبية والوحدانية وغيرهما من الصفات الحميدة جميع ما في السموات والارض والعزيز من عز اذا غلب وهو الذي يغلب على غيره اي شي كان ذلك الغير ولا يمكن ان يغلب عليه غيره والحكيم من حكم عليه شي اذا قضى عليه هو الذي يحكم على غيره اي شي كان ذلك الغير ولا يمكن ان يحكم عليه غيره لقوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض يدل على الربوبية والوحدانية قال في البعض من السور سبح لله وفي البعض يسبح لله وفي البعض سبح بصيغة الامر ليعلم ان تسبيح حضرة الله تعالى دائم غير منقطع لما ان الماضي يدل عليه في الماضي من الزمان والمستقبل يدل عليه في المستقبل من الزمان والامر يدل عليه في الحال وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون وقيل في حق من يتقول ومنهم من يقول ان هذه الاية نزلت في حق جماعة من المومنين وهم الذين احبوا ان يعلموا احب الاعمال الى الله تعالى فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم فان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله فاحبوا الحياة وتولوا يوم احد فانزل الله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وقيل في حق من يقول قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وفعلت ولم يفعل وقيل انها في حق اهل النفاق في القتال لانهم تمنوا القتال فلما امر الله تعالى به ما لو لم كتبت علينا القتال قيل انها في حق كل مومن لانهم قد اعتقدوا الوفا بما وعدهم الله تعالى من الطاعة والاستسلام والخضوع فاذا لم يوجد الوفاء بما وعدهم الله حق عليهم في كل من لم يحلوا في هذه الاية وفي هذه مباحث الاول ان الله تعالى قال سبح لله ما في السموات وما في الارض في اول سورة ثم قال في اول سورة اخرى وهذا هو التكرار والتكرار عبث فكيف هو فنقول يمكن ان يقال كرره ليعلم انه في نفس الامر مكرر ولانه انما وجد منه التسبيح عند وجود بايجاد الله تعالى فهو غير ما وجد منه التسبيح عند وجود العالم ذكرا عند وجود ادم عليه السلام وبعد وجوده الثاني قال سبح لله ما في السموات وما في الارض ولم يقل سبح لله السموات والارض وما فيهما مع ان في هذا من المبالغة ما ليس في ذلك فنقول انما يكون كذلك اذا كان المراد من التسبيح بلسان الحال اما اذا كان المراد هو التسبيح المخصوص بالبعض يوصف كذا ولا يكون كما ذكرنا الثالث قال في الكشاف في حكم الاضافة

داخله على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها وحروف الجر في قولك بم وفيم وعم وهم وانما حذف الالف لان ما والحرف
كشيء واحد وقد وقع استعمالهما في الكلام المستفهم ولو كان كذلك لكان معنى الاستفهام واقعا في قوله تعالى لم تقولون
ما لا تفعلون والاستفهام من الله تعالى محال وهو عالم بجميع الاشيا فنقول هذا اذا كان كبر مقتا عند الله والمقت هو البغض
ومن استوجب مقت الله لزمه العذاب قال صاحب الكشاف المقت اشد البغض والبلغه والحشه وقال الزجاج امر في موضع رفع
ومقتا منصوب على التمييز للمعنى كبر قولكم وما لا تفعلون مقتا عند الله وهذا لقوله تعالى كبرت كلمة وقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون
في الاية قرا زيد بن علي يقاتلون بفتح التا وقرا يقتلون اي يصفون صفا والمعنى يصفون انفسهم عند القتال كانهم
بنيان مرصوص كالمرصوص بالرصاص يقال رصصت البنا اذا لاصقت بينه وقاربت حين يصير كقطعة واحدة وقال الليث
يقال رصصت البنا اذا اصمت والرص انضمام الاسنان بعضها الى بعض وقال ابن عباس رضي الله عنهما يوضع الحجر على الحجر ثم يرص باحجار صغار ثم
يوضع اللبن عليه فيسمونه اهل مكة المرصوص وقال ابو اسحاق رحمه الله تعالى اعلم ان الله تعالى انه يحب من يثبت في الجهاد ويلزم مكانه
كثبوت البنا المرصوص ويجوز ان يكون على ان يستوي شانهم في حرب عدوهم حيث يكونوا في اجتماع الكلمة وموالاة بعضهم بعضا كالبنيان
المرصوص وصل ضرب هذا المثل للساقة حتى اذا اصطفوا يسووا كالبنيان المرصوص الثابت المستمر وقيل فيه من الدلالة على فضل القتال
راجلا لان العرب يصفون على هذه الصفة ثم المحبة في الظاهر على وجهين احدهما الرضا عن الخلق وثانيهما الثناء عليهم بما يفعلون
ثم وجه تعلق الاية بما قبلها هو قوله تعالى كبر مقتا عند الله يتناول تلك الاية مذمة المخالفين في القتال وهم الذين وعدوا بالقتال
ولم يقاتلوا وهذه الاية محمدة الموافقين في القتال وهم الذين قاتلوا في سبيل الله وبالغوا فيه ثم قال تعالى واذ قال موسى لقومه
يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين ومعناه اذكر
لقومك هذه القصة واذ منصوب باضمار اذكر اوجب قال لهم ما قال تؤذونني وكانوا يؤذونه بانواع العذاب قولا وفعلا فقالوا
ارنا الله جهرة لن نصبر على طعام واحد وقوله تعالى وقد تعلمون اني رسول الله اليكم في موضع الحال اي تؤذونني عالمين علما
قطعيا اني رسول الله اليكم وقضية علمكم بذلك وموجبه التعظيم والتوقير فلما زاغوا اي مالوا الى غير الحق ازاغ الله قلوبهم اي امالها
عن الحق وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقال مقاتل زاغوا اي عدلوا عن الحق باذاهم ازاغ الله اي امال قلوبهم عن الحق جزاء
جزاء بما كانوا عملوا ويدل عليه قوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهدي من سبق في علمه انه فاسق وفي هذا تنبيه على عظم
ايذا الرسول صلى الله عليه وسلم حتى انه يؤدي الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى وهو معناه كانه قال وتعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه
والله تعالى اعلم **قوله تعالى** واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي
من التورية ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ومن اظلم
ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين **اعلم** ان قوله
تعالى اني رسول الله اليكم بالوصف الذي وصفت به في التورية ومصدقا بالتورية وبكتب الله تعالى وانبيائه جميعا ممن تقدم
وتاخر ومبشرا اي برسول يصدق بالتورية على مثل تصديقي وكانه قيل له ما اسمه فقال اسمه احمد ياتي من بعدي
اسمه جملتان في موضع الجر لانهما صفتان للنكرة التي بعدي اسمه وراه ان تحريك اليا بالفتح على الاصل وهو الاختيار
عند الخليل وسيبويه في كل موضع مذهب فيه الياء لالتقاء الساكنين واسكانها كما في قوله تعالى ولمن دخل بيتي مؤمنا
اسكن في قوله من بعدي اسمه احمد حذف اليا من اللفظ لالتقاء الساكنين فالسين من اسمه قاله المبرد وابو علي
[illegible]
**قوله تعالى** يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
[illegible]

يخرجهم

يخرجهم من الظلمات الى النور والاسلام هو النور وقال الذي وضع الهدى سابق لاولي الالباب الى الخبر
باخبارهن المحمود وذلك هو الفوز والكتاب هو المبين قال الله تعالى تلك ايات الكتاب المبين والايمانه والكتاب
هو النور وقال الكتاب حجة لكونه معجزا والحجة نور فالنور فالكتاب كذلك والذي يقال في الرسول صلى الله عليه
وسلم انه النور والايمان وصف بكونه رحمة للعالمين اذ الرحمة باظهار ما يكون من الاسرار وذلك بالنور وقوله فيه
هو النور لانه بواسطة اهتداء الخلق او هو النور لكونه مبينا للناس ما نزل اليهم والمبين هو النور ثم الفوايد كونه
نورا بوجوه منها انه يدل على علو شانه وعظمة برهانه وذلك بوجهين احدهما الوصف بالنور وثانيهما الاضافة
الى الحضرة ومنها اذا كان من انوار الله تعالى كان مشرقا في جميع اقطار العالم لانه لا يكون مخصوص الجوانب فكان رسوله
الى جميع الخلايق لما روي عنه صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود فلا يختص بشخص من الجن والانس لا
ويكون من امته ان كان مومنا فهو من امته المتابع وان كان كافرا فهو من الله تعالى الدعوة وقوله تعالى ولو كره الكافرون
ان اليهود والنصارى وغيرهم من المشركين وقوله تعالى بالهدى لمن اتبعه ودين الحق قيل الحق هو الله تعالى اي دين الله وقيل
نعت الدين اي والدين هو الحق وقيل الذي يحق ان يتبعه كل واحد ويظهر على الدين كله وبلى الاسلام وقيل ليظهره اي الرسول
بالغلبة وذلك بالحجة وفيه مباحث الاول الله متم نوره والتمام لا يكون الا عند النقصان فكيف نقصان هذا النور وقول اتمامه
بحسب النقصان في الاثر وهو الظهور في ساير البلاد من المشارق الى المغارب اذ الظهور لا باظهاره وهو الاتمام يؤيده قوله تعالى
اليوم اكملت لكم دينكم وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان ذلك عند نزول عيسى عليه السلام من السماء قاله مجاهد الثاني
قال ههنا متم نوره وقال في موضع اخر وبهذا غير ذلك او غيره نقول هو غيره لان نور الله تعالى في
ذلك الموضع بحاله تعالى عند اهل التحقيق وههنا هو الدين الثالث قال في الاية المتقدمة ولو كره الكافرون ودون في المتاخرة
ولو كره المشركون فما الحكمة نقول اذا انكروا الرسول صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه هو الكتاب وذلك من نعم الله تعالى والكافرون
كانهم في كفران النعم فلهذا قال تعالى ولو كره الكافرون ولان لفظ الكافر اعم من لفظ المشرك والمراد من الكافرين ههنا اليهود والنصارى
والمشركون فاللايق به ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ذلك عند انكارهم التوحيد واقرارهم عليه والنبي صلى الله عليه وسلم
دعاهم في ابتدا الدعوة الى التوحيد بلا اله الا الله ولم يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله فلهذا قال تعالى ولو كره المشركون
والله تعالى اعلم **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون
بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون **اعلم**
ان قوله تعالى هل ادلكم في معنى الامر عند الفراء يقال هل انت ساكت اي اسكت وبيانه ان هل بمعنى الاستفهام ثم يتدرج
الى ان يصير عرضا وحثا والحث كالاغراء والاغراء امر وقوله تعالى على تجارة وهي التجارة بين اهل الايمان وحضرة الله تعالى
كما قال تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم دل عليه قوله تعالى تؤمنون بالله ورسوله والتجارة عبارة عن
معارضة الشيء بالشيء وكان التجارة تنجي التاجر من محنة الفقر ووجهه الصبر على ما هو لوازمه فكذا هذه التجارة وهي التصديق
بالجنان والاقرار باللسان كما قيل في تعريف الايمان فلهذا قال تعالى بلفظ التجارة وكما ان في التجارة الربح والخسران فكذلك في هذا
فان من امن وعمل صالحا فله من الاجر والربح الوافر واليسار المبين ومن اعرض عن العمل فله من الحرمان والخسران المبين قوله
تعالى تنجيكم من عذاب اليم قرئ مخففا ومثقلا وتؤمنون بالله ورسوله وهو خبر في معنى الامر ولهذا اجيب بقوله تعالى
يغفر لكم وقوله تعالى وتجاهدون في سبيل الله الجهاد بعد هذين الوصفين ثلاثة جهاد فيما بينه وبين نفسه وهو
قهر النفس ومنعها عن اللذات والشهوات وجهاد فيما بينه وبين الخلق وهو ان يدع الطمع منهم وان يشفق عليهم ويرحمهم
وجهاد فيما بينه وبين الدنيا وهو ان يتخذها زاد المعاد فيكون على خمسة اوجه قوله تعالى ذلكم خير لكم يعني الذي
امرتم به من الايمان والجهاد في سبيله خير لكم من ان تتبعوا اهواكم ان كنتم تعلمون ان كنتم تنتفعون بما علمتم وهو
خير لكم في الاية مباحث الاول تؤمنون بلفظ هذه الاية فمكثوا ما شاء الله يقولون ليتنا نعلم ... محمد صلى الله عليه وسلم
يعلم ما هي فدلهم الله تعالى عليها بقوله تعالى تؤمنون بالله الرابع ما معنى ان كنتم تعلمون نقول ان كنتم تعلمون انه
خير لكم كان خيرا لكم وبهذه الوجوه للكشاف واما فقال الخير من نفس العذاب كما من العذاب الاليم والعذاب الاليم هو
نفس العذاب فلا يمنع غيره والخوف من اللوازم لقوله تعالى وخافون ان كنتم مومنين ومنها ان الامر بالايمان كيف هو بعد
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا فنقول يمكن ان يكون المراد من هذه الاية المنافقين وهم الذين امنوا في الظاهر ويمكن
ان يكون اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فانهم امنوا بالكتب المتقدمة فكانه قال امنوا بالكتب المتقدمة امنوا بالله وبمحمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمكن ان يكون اهل الايمان كقوله تعالى فزادتهم ايمانا ليزدادوا ايمانا وهو الامر بالثبات
لقوله تعالى يثبت الله الذين امنوا وهو الامر بالتجدد لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله وفي قوله صلى الله عليه
وسلم من جدد وضوءه فكانما جدد ايمانه ومنها ان رجاء النجاة كيف هو اذا امن بالله ورسوله ولم يجاهد في سبيل الله
وقد علق بالمجموع ومنها ان هذا المجموع هو الايمان بالله ورسوله والجهاد بالنفس والمال في سبيل الله خير في نفس الامر
**قوله تعالى** يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن
ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المومنين **اعلم**

ان قوله تعالى يغفر لكم ذنوبكم جواب قوله تعالى تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله لما انه في معنى الامر
كانه قال امنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله يغفر لكم وقيل جوابه ذلكم خير لكم وجزم يغفر لكم ومحله جزم
لقوله تعالى لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكون لان محل فاصدق جزم على قوله تعالى لولا اخرتني وقيل جزم
لانه في معنى الامر قوله تعالى ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار الاية من جملة ما تقدم بيانه في التوبة ولا يبعد
ان يقال ان الله تعالى رغبهم في هذه الاية الى مفارقة مساكنهم وانفاق اموالهم والجهاد وهو قوله تعالى يغفر لكم
وقوله تعالى ذلك الفوز العظيم ذلك الجزا الدائم هو الفوز العظيم وقدم قوله تعالى واخرى تحبونها نصر من الله اى تجارة
اخرى في العاجل مع ثواب الاجل قال الفرا وخصلة اخرى تحبونها في الدنيا مع ثواب الاخرة وقوله تعالى نصر من الله عن التجارة
اذ النصر لا يكون تجارة انتا وبل هو ربح التجارة وقوله تعالى وفتح قريب اى عاجل وهو فتح مكة شرفها الله تعالى
وقال الحسن رضي الله تعالى عنه فارس والروم وتحبونها شي من التوبيخ على محبة العاجلة الاية مباحث الاول قوله
تعالى وبشر المومنين عطف على تومنون لانه في معنى الامر كانه قيل امنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم المومنين بذلك ويقال ايضا ام نصب من قرا نصرا من الله وفتحا قريبا يقال على الاختصاص او على
ينصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او على يغفر لكم ويدخلكم جنات واخرى نصرا وفتحا هكذا ذكره في الكشف **قوله تعالى**

يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن
انصار الله فامنت طايفة من بني اسرائيل وكفرت طايفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا
ظاهرين **اعلم** ان قوله تعالى كونوا انصار الله امر بادامة النصرة والثبات عليه اى كونوا على ما انتم عليه من النصرة ويدل عليه
قراة ابن مسعود رضي الله عنه كونوا انتم انصار الله فاخبر عنهم بذلك اى انصار دين الله عز وجل وقوله تعالى كما قال عيسى
ابن مريم للحواريين اى انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين ثم قال لهم من انصاري الى الله قال مقاتل يعني من يمنعني من الله تعالى
وقال عطا من ينصرني وينصر دين الله ومنهم من قال امر الله المومنين ان ينصروا محمدا صلى الله عليه وسلم كما نصر الحواريون
عيسى عليه السلام وفيه اشارة الى ان النصرة بالجهاد لا يكون مخصوصا بهذه الاية والحواريون اصفياوه في اول من امن
به اثنى عشر رجلا وحواري الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب
اى يبيضونها واما الانصار فعن قتادة ان الانصار كلهم من قريش ابو بكر وعمر وعلي وحمزة وجعفر وابو عبيدة بن الجراح
وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وعثمان بن عوف وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضوان
الله تعالى عليهم اجمعين ثم في الاية مباحث الاول التشبيه محمول على المعنى والمراد كونوا كما كان الحواريون الثاني ما معنى
قوله تعالى من انصاري الى الله نقول يجب ان يكون معناه مطابقا لجواب الحواريين الذي مطابقته ان يكون المعنى من عسكري
متوجها الى نصرة الله تعالى واضافة انصاري خلاف اضافة انصار الله كان المعنى الاول الذين ينصرون الله وفي الثاني
يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله الثالث اصحاب عيسى عليه الصلوة والسلام قالوا نحن انصار الله واصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم يقولوا هكذا نقول خطاب عيسى عليه السلام بطريق السوال فالجواب لازم وخطاب محمد صلى الله عليه وسلم
بالاكرام والجواب عن الالزام بلا الالزام مثل هذا الامر وهو قوله تعالى كونوا انصار الله ثم قال الله تعالى فامنت طايفة
من بني اسرائيل وكفرت طايفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني الذين
امنوا في زمن عيسى عليه السلام والذين كفروا كذلك لان عيسى عليه السلام لما رفع الى السما تفرقوا ثلث فرق فرقة قالوا كان
الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه الله وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه الله وهم المسلمون واتبع كل فرقة منهم طايفة من الناس فاجتمعت
الطايفتان الكافرتان على الطايفة المسلمة فقتلوهم وطردوهم من الارض وكانت الحالة هذه حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه
وسلم فظهر المومنة على الكافرة فلذلك قوله تعالى فايدنا الذين امنوا على عدوهم وقال مجاهد رضي الله تعالى عنه فاصبحوا ظاهرين
اى من اتبع عيسى عليه السلام وهو قول الثعلبي وعلى هذا القول معنى الاية ان من امن بعيسى عليه السلام ظهروا على من كفر به
واصبحوا غالبين على اهل الاديان وقال ابراهيم اصبحت حجة من امن بعيسى عليه السلام ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه
السلام كلمة الله تعالى وروحه قال الكلبي رضي الله عنه ظاهرة بالحجة وهو قول زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما

الظهور بالحجة

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم
يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين **اعلم** ان وجه تعلق
هذه السورة بما قبلها هو انه تعالى قال في اول تلك السورة سبح لله بلفظ الماضي وذلك لا يدل على التسبيح في المستقبل فقال في اول هذه
السورة بلفظ المستقبل ليدل على التسبيح في زمان الحاضر والمستقبل اما تعلق الاول بالاخر فلانه تعالى قال في اخر تلك السورة ان كان
يريد اهل الايمان حتى صاروا غالبين على الكفار وذلك على وفق الحكمة للحاجة اليه اذ هو غني على الاطلاق ومنزه عما يخطر ببال الجهلة
في الايات وفي اول هذه السورة ما يدل على كونه مقدسا ومنزها عما لا يليق بحضرة العالي بالاتفاق ثم اذا كان خلق السموات والارض باجمعهم

في تسبيح



في تسبيح حضرة الله تعالى فله الملك كما قال الله تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الارض ولا ملك اعظم من هذا وهو انه
تعالى خالقهم ومالكهم وكلهم في قبضته تحت قدرته وتصرفه يسبحون له اناء الليل واطراف النهار دون ساير الازمان كما مر في اول تلك
السورة ولما كان الملك كله له فهو الملك على الاطلاق ولما كان الكل لخلقه فهو الملك اشرف من الملوك فيكون متصفا بصفات
يحصل منها الشرف ولا محالة لما نافيه من الصفات فيكون قدوسا فلفظ الملك اشارة الى بيان ما يكون من الصفات
العالية ولفظ القدوس اشارة الى نفي ما يكون منها وعن الغزالي قدس الله تعالى روحه القدوس هو المنزه عما يخطر
ببال اوليايه وقد مر تفسيره وكذلك الحكيم ثم الصفات المذكورة قرئ بالرفع على المدح اى هو الملك القدوس ولو قرئ
بالنصب لكان وجها كقول العرب الحمد لله اهل الحمد كذا ذكره صاحب الكشاف ثم في الاية مباحث الاول قال الله تعالى
يسبح ما الفايدة نقول هذا من جملة ما جرى فيه اللفظان كشكره وشكر له ونصحه ونصح له الثاني القدوس من الصفات
السلبية وقيل معناه المبارك الثالث لفظ الحكيم يطلق ايضا على الغير كما قال في لقمان انه حكيم نقول الحكيم عند اهل
التحقيق هو الذي يضع الاشيا مواضعها والله تعالى حكيم بهذا المعنى ثم قال الله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا
منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة الاية الامي منسوب الى الامة والعرب لانهم امة لا كتاب
لهم ولا يقرون كتابا ولا يكتبون قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الذي ليس له كتاب ولا نبي بعث فيهم وقيل
الاميون هم الذين على ما خلقوا عليه وقد مر بيانه وقرئ الامين بحذف يا النسب وقوله تعالى رسولا منهم يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم نسبه نسبهم وهو من جنسهم كما قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم قال اهل المعاني
وكان هو صلى الله عليه وسلم ايضا اميا مثل الامة الذي بعث فيهم وكانت البشارة في الكتب قد تقدمت بانه النبي
الامي وكونه بهذه الصفة ابعد من توهم الاستعانة على ما اتى به من الحكمة بالكتابة وكانت حاله مشاكلة
لحال الامة الذي بعث فيهم وذلك اقرب الى صدقه وقوله تعالى يتلوا عليهم اياته اى يقرا اياته التي بين رسالته
ويظهر نبوته ولا يبعد ان يكون الايات هي الايات التي يظهر بالايات يزكيهم اى يصلحهم يعني يدعوهم الى اتباع
ما يطهرون به قوله ايضا ويعلمهم الكتاب والحكمة ما يتلى به من الايمان والحكمة هي الفرايض وقيل الحكمة السنة لانه
كان يتلو عليهم اياته ويعلمهم سنته وقيل الكتاب الايات نصا والحكمة ما اودع فيها من المعاني ولا يبعد
ان يقال الكتاب ايات القران والحكمة وجه التمسك بها وقوله تعالى وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وهو الشرك
ودعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى التوحيد والاعراض عما كانوا فيه وفي هذه الاية مباحث **البحث الاول**
احتجاج اهل الكتاب قالوا بعث في الاميين رسولا منهم يدل على انه عليه السلام كان رسولا الى الاميين وهم العرب
خاصة غير انه ضعيف فانه لا يلزم من تخصيص الشي بالذكر نفي ما عداه الا ترى قوله تعالى ولا تخطه بيمينك انه
لا يفهم منه انه يخطه بشماله ولانه كان رسولا الى العرب خاصة كان قوله تعالى كافة للناس بشيرا ونذيرا لا يناسب
ذلك ولا محالة هذا كما انصفوا على ذلك وهو صدق في الرسالة المخصوصة فيكون قوله تعالى كافة للناس بشيرا
دليلا على انه عليه السلام كان رسولا الى الكل **قوله تعالى** واخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو
العزيز الحكيم ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا
التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بيس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله والله
لا يهدي القوم الظالمين **اعلم** ان قوله تعالى واخرين عطف على الاميين يعني وبعث في اخرين منهم قال المفسرون
هم الاعاجم يعنون بهم غير العرب اى طايفة كانت قاله ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة وقال مقاتل يعني التابعين
من هذه الامة الذين لم يلحقوا باوايلهم وفي الجملة يعني جميع الاحوال فيه لكل من دخل في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه
وسلم الى يوم القيمة فالمراد بالاميين العرب وبالاخرين سواهم من الامم وقوله تعالى واخرين لانه عطف على المجرور
يعني الاميين ولذلك على المنصوب وهو يعلمهم ويعلم اخرين ومنهم اى من الاميين وجعلهم منهم لانهم اذا اسلموا
فازوا منهم فالمسلمون كلهم امة واحدة وان اختلفت اجناسهم قال الله تعالى والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض
ومن لا يومن بالنبي ولم يدخل في دينه فانهم كانوا ممنوعين عن المراد بقوله تعالى واخرين منهم وان كان النبي
صلى الله عليه وسلم مبعوثا اليهم بالدعوة فانه تعالى قال في الاية الاولى ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وعلى المومن
ليس من جملة من يعلمه الكتاب والحكمة وهو العزيز حيث جعل في كل واحد من البشر اسرار الذل الله والعمر اليه
والحكيم حيث جعل في كل مخلوق ما يشهد بوحدانية الله تعالى قوله تعالى ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو
الفضل العظيم قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد حيث الحق العجم وابناهم بقريش اذا امنوا الحقوا بدرجة الفضل
بمن شاهد الرسول صلى الله عليه وسلم وشاركهم في ذلك وقال مقاتل ذلك فضل الله يعني الاسلام يوتيه
من يشاء وقال مقاتل ابن حيان يعني النبوة فضل الله يوتيه من يشاء فاختص بها محمدا صلى الله عليه وسلم
والله ذو المن العظيم على جميع خلقه في الدنيا بالنبي صلى الله عليه وسلم مثلا فقال مثل الذين حملوا التورية ثم
لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا الاية حملوا التورية اى حملوا العمل بما فيها وكلفوا القيام بها وحملوا قرى
بالتخفيف والتشديد قال الشطي ليس هو من الحمل على الظهر وانما هو من الحمالة بمعنى الكفالة والضمان ومنه

قيل بتكليف الحمل والمعنى ضمنوا احكام التوريه ثم لم يضمنوها ولم يعملوا بما فيها قال الاصمعي رحمه الله تعالى الحميل الكفيل والمعنى
ضمنوا بما فيها وقال الشافعي رحمه الله تعالى حملت له حمالة اي تكفلت لا ابه به والاسفار جمع سفر وهو الكتاب الكبير لانه يسفر
عن المعنى اذا قرئ ونظيره شبر واشبار والمعنى اذا لم ما في التورية وهي دلالة على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار الذي يحمل
الكتب العلمية ولا يدري بما فيها وقال اهل المعاني هذا المثل مثل من يفهم معاني القران ولم يعمل به واعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه ولهذا
قال ميمون بن مهران يا اهل القران اتبعوا القران قبل ان يتبعكم ثم تلا هذه الاية قوله تعالى لم يحملوها لم يؤدوا حقها لم يحملوها
حق حملها على ما بينا فشبههم والتورية في ايديهم وهم يحملونها بالحمار يحمل كتبا وليس له من ذلك الا ثقل الحمل من غير انتفاع بما يحمله
كذلك اليهود ليس لهم من كتابهم الا وبال الحجة عليهم ثم ذم هذا المثل والمراد منه الذم فقال تعالى بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات
الله اي بئس مثل القوم الذين كذبوا وموضع الذين رفع ويجوز ان يكون جرا وبالجملة لما بلغ كذبهم مبلغ كذبوا على الله كان في غاية
الشر والفساد فلهذا قال بئس مثل والمراد بالايات ههنا الايات الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن
عباس رضي الله عنهما ومقاتل وقيل الايات التورية لانهم كذبوا حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو
الاشبه هنا والله لا يهدي القوم الظالمين قال عطا يريد الذين ظلموا انفسهم بتكذيب الانبيا وههنا مباحث الاول ما الحكمة
في تعيين الحمار من بين ساير الحيوانات لوجوه منها انه تعالى خلق الخيل والحمير لتركبوها وزينة والزينة في الخيل اكثر بالنسبة
الى الركوب وحمل الشيء عليه وفي البغال دون الخيل وفي الحمار دون البغال فالبغال كالمتوسط في المعاني الثلاثة وحينئذ
يلزم ان يكون الحمار في معنى الحمل اظهر واغلب بالنسبة الى الخيل والبغال وغيرهما من الحيوانات ومنها ان التمثيل لاظهار الجهل والبلادة
كذلك لكن القوم والحمار كالمثل في الجهل والبلادة ومنها ان الحمار في الذل والحقارة ما لا يكون في الغير والغرض من الكلام في هذا
المقام تعيير القوم وتحقيرهم فيكون تعيين الحمار اليق واولى ومنها ان حمل الاسفار على الحمار اتم واعم واسهل واسلم
لكونه ذلولا سلس القياد لين الانقياد يتصرف فيه الصبي من غير كلفة ومشقة وهذا من جملة ما يوجب حسن الذكر بالنسبة
الى الغير ومنها ان رعاية الالفاظ والمناسبة بينها من اللوازم في الكلام وبين لفظ والحمار مناسبة لفظية لا توجد
في الغير من الحيوانات فيكون ذكره اولى الثاني يحمل ما محله قلنا النصب على الحال او الجر على الوصف كما قال الكسائي اذ الحمار كاللئيم
من قوله ولقد امر على اللئيم يسبني الثالث قال الله تعالى بئس مثل القوم الذين كذبوا كيف يوصف المثل بهذا الوصف وان كان
في الظاهر المثل فهو راجع الى القوم فكانه قال بئس القوم قوما مثلهم هكذا ثم انه تعالى امر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الخطاب
لهم والله تعالى اعلم **قوله تعالى** قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اوليا لله من دون الناس
فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين قل ان الموت
الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
**اعلم** ان هذه الاية من جملة ما مر بيانه قرئ فتمنوا الموت بكسر الواو وهادوا اي تهودوا يقولون نحن ابناء الله
واحباؤه فلو كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله تعالى ان يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التي اعدها
لاوليائه قال الشاعر ليس من مات فاستراح بميت وانما الميت ميت ثم في طلب الموت لا محالة اذا كانت الحالة هذه
وقوله تعالى ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم اي بسبب ما قدموا من الكفر وذكر مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنونه ومرة
بغير لفظ التاكيد ولا يتمنونه والله عليم بالظالمين اي بظلمهم من تحريف الايات وعنادهم لها ومكابرتهم لها ثم قال تعالى
قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم بما قدمت ايديكم من تحريف الايات وغيره ملاقيكم لا محالة ولا ينفعكم
الفرار ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة يعني ما اشهدتم الخلق من التورية والانجيل وعالم بما غاب عن الخلق من نعت
محمد صلى الله عليه وسلم وما اسررتم في انفسكم من تكذيبكم رسالته وقوله تعالى فينبئكم بما كنتم تعملون اما عيانا او رؤيته
يوم القيمة في كتابكم وبالجملة ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وقوله تعالى ان الموت الذي تفرون منه هو التنبيه على السعي
فيما ينفعهم في الاخرة وقوله تعالى فينبئكم بما كنتم تعملون هو الوعيد البليغ والتهديد الشديد ثم في الاية مباحث
البحث الاول الشرط والجزاء في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ملاقيكم من غير فانه الثاني ان يقال الموت ملاقيهم على كل حال
فروا او لم يفروا فما معنى الشرط والجزاء وقيل ان هذا على جهة الرد عليهم اذ ظنوا ان الفرار ينجيهم وقد صرح بهذا المعنى
واعصى بالشرط الحسي في قوله ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ولو رام اسباب السماء بسلم والله اعلم **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون وجه التعلق بما قبلها هو ان الذين هادوا يفرون من الموت لمتاع الدنيا وطيباتها
والذين امنوا يبيعون ويشترون لمتاع الدنيا وطيباتها كذلك فنبههم الله تعالى بقوله فاسعوا الى ذكر الله
اي الى ما ينفعكم في الاخرة وهو حضور الجمعة لان الدنيا ومتاعها فانية والاخرة ومتاعها باقية قال الله تعالى والاخرة
خير وابقى فاذا نودي يعني النداء اذا جلس الامام على المنبر يوم الجمعة وهو قول مقاتل وانه كما قال لانه لم يكن في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان اذا جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر اذن بلال رضي الله تعالى عنه على باب المنبر وكذا
على عهد ابي بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله تعالى عنه وقوله للصلوة اي لوقت الصلاة يدل عليه قوله تعالى من يوم الجمعة
ولا يكون الصلوة من اليوم وانما يكون وقتها من اليوم قال الليث الجمعة يوم خص به لاجتماع الناس في ذلك اليوم ويجمع على

الجماعات



الجماعات والجمع وعن سلمان رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سميت الجمعة جمعة لان آدم عليه السلام
جمع خلقه فيها وقيل لما انه تعالى فرغ فيها من خلق الاشيا فاجتمعت فيها المخلوقات قال الفرا وفيها ثلاث لغات التخفيف
وهي قراءة الاعمش والتثقيل وهي قراءة العامة ولغة لبني عقيل وقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله اي فامضوا واسعوا
وعلى هذا معنى السعي المشي لا العدو وقال الفرا المضي والسعي والذهاب في معنى واحد وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا
[illegible]
صلى الله عليه وسلم خير من اللهو ومن التجارة [illegible] والله خير الرازقين

هو من صل احكم الحاكمين واحسن الخالقين والمعنى ان امكن وجود الرازقين فهو خير الرازقين وقيل لفظ الرزق لا يطلق على غيره الا بطريق المجاز ولا تيسر ان في الرزق بطريق الحقيقة خير من الرزق بطريق المجاز وفي الاية مباحث البحث الاول ان التجارة واللهو من قبيل ما لا يرى اصلا ولو كان كذلك كيف يصح واذا راوا تجارة او لهوا قال ليس المراد الا ما يقرب منه اللهو والتجارة ومثله حتى يسمع كلام الله اذ الكلام غير مسموع صوت يدل عليه ومنها انفضوا اليها كيف قال اليها وقد ذكر شيئين وقدموا الكلام فيه ومنها قال صاحب الكشاف تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه ومنها ان قوله تعالى والله خير الرازقين مناسب للتجارة التي ذكرها لا للهو فقال بل هو مناسب للمجموع لما ان اللهو الذي مر ذكره كالسماع للتجارة لما انهما ظهروا ذلك فرجا ما نودوا والتجارة كما مر والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

**اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون** وجه تعلق هذه السورة بما قبلها هو ان تلك السورة مشتملة على ذكر بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر من كان يكذب به قلبا ولسانا بضرب المثل كما قال تعالى مثل الذين حملوا التورية وهذه السورة على ذكر من كان يكذبه قلبا دون اللسان ويصدقه لسانا دون القلب واما الاول بالآخر فذلك في آخر تلك السورة تنبيه على اهل الايمان على تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم ورعاية حقه بعد النداء لصلوة الجمعة وتقديم متابعته في الاداء على غيره فان ترك التعظيم والمبالغة من شيم المنافقين والمنافقون هم الكاذبون كما قال في اول هذه السورة اذا جاءك المنافقون يعني عبد الله بن ابي واصحابه قالوا نشهد انك لرسول الله وتم الخبر عنهم ثم ابتدأ فقال تعالى والله يعلم انك لرسوله اي انه ارسلك فهو يعلم انك لرسوله والله يشهد انهم اضمروا غير ما اظهروا وانه يدل على ان حقيقة الايمان بالقلب وحقيقة كل كلام كذلك فان من اخبر عن شيء واعتقد بخلافه فهو كاذب لما ان الكذب باعتبار المخالفة من الوجود اللفظي والوجود الذهني كما ان الجهل باعتبار المخالفة بين الوجود الذهني والوجود الخارجي الا ترى انهم كانوا يقولون بالسنتهم نشهد انك لرسول الله وسماهم الله تعالى كاذبا لما ان قولهم يخالف اعتقادهم وقال لم يكذبهم الله تعالى في قولهم نشهد انك لرسول الله وانما كذبهم تعريضا من الاكاذيب الصادرة في قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا الآية ويحلفون بالله انهم لمنكم وجوابا اذا قالوا نشهد اي انهم اذ الوك نشهد بالرسالة فهم كاذبون في تلك الشهادة لما ان قولهم يخالف اعتقادهم وفي الآية مباحث الاول انهم قالوا نشهد انك لرسول الله فلو قالوا نعلم انك لرسول الله لافاد مثل ما افاد هذا ام لا نقول ما افاد لان قوله تعالى نشهد انك لرسول الله صريح في الشهادة على اثبات الرسالة وقولهم ليس بصريح في اثبات العلم كان علمهم بالشيء عند غير الله

**قوله تعالى** اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون واذا رايتهم تعجبك اجسامهم

**اعلم** ان قوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة اي سترة يستترون بها عما خافوا على انفسهم من القتل ثم قال في الكشاف اتخذوا ايمانهم جنة يجوز ان يراد ان قولهم نشهد انك لرسول الله يمين من ايمانهم الكاذبة لان الشهادة تجري مجرى الحلف في التوكيد يقول الرجل اشهد واشهد بالله واعزم واعزم بالله في موضع اقسم واولي وبه استشهد ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه على ان اشهد يمين ويجوز ان يكون وصفا للمنافقين في استجابتهم بالايمان فلم قالوا نشهد ولم يقل نشهد بالله كما قلتم اجاز بعضهم عن هذا بانه في معنى الحلف من المؤمن في المتعارف وانما يكون بالله فكذلك اخبر بقوله نشهد عند قوله بالله قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله اعرضوا بانفسهم عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وصدوا اي حرموا ومنعوا الضعفة عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسما اي وبئس ما كانوا يعملون حيث اسروا الكفر على الايمان واظهروا خلاف ما اضمروا معاملة المسلمين وقوله تعالى ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا ذلك اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون قال مقاتل ذلك الكذب بانهم آمنوا في الظاهر ثم كفروا في السر وفيه تاكيد لقوله تعالى والله يشهد انهم لكاذبون وقوله تعالى فطبع على قلوبهم لا يتدبرون ولا يستدلون بالدلائل الظاهرة قال ابن عباس رضي الله عنهما ختم على قلوبهم بالكفر فهم لا يفقهون القرآن وصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انهم كانوا يظنون انهم على الحق فاخبر الله تعالى انهم لا يفقهون انه طبع على قلوبهم ثم في الآية مباحث البحث الاول انه تعالى ذكر فعال الكفرة من قبل ولم يقل انهم ساء ما كانوا يعملون فلم قال هاهنا نقول ان افعالهم مقرونة بالايمان الكاذبة التي جعلوها جنة اي سترة لاموالهم ودمائهم عن ان يستبيحها المسلمون كما مر الثاني المطففون لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله آمنوا ثم كفروا نقول قال في الكشاف فيه اوجه احدها آمنوا نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وثانيها آمنوا نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم كفروا نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام لقوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وثالثها ان يراد اهل الردة منهم الثالث الطبع على القلوب لا يكون الا من الله ولما طبع الله على قلوبهم لا يمكنهم ان يتدبروا ولا يستدلوا بالدلائل ولو كان كذلك لكان في هذا حجة لهم على الله تعالى فيقولون اعراضنا عن الحق لغفلتنا وغفلتنا بسبب انه تعالى طبع على قلوبنا فنقول هذا الطبع من الله لسوء افعالهم وقصدهم الاعراض عن الحق وكانه تعالى تركهم في انفسهم الجاهلية واهوائهم الباطلة ثم قال تعالى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة

يحسبون

يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون سواء عليهم الآية وان رايتهم يعني عبد الله بن ابي الى مصعب بن عمير [illegible] فانه كان لهم اجسام تعجبك اجسامهم لحسنها وجمالها وكان عبد الله بن ابي جسيما صحيحا فصيحا فاذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوله وهو قوله وان يقولوا تسمع لقولهم ان يقولوا انك لرسول الله تسمع لقولهم وقرئ يسمع على البناء للمفعول ثم شبههم بخشب مسندة [illegible] كبدنة وبدن واسد واسد [illegible] كثيرة [illegible] وخشبة وخشب [illegible] ابن عباس رضي الله عنهما والسكون لغة اهل الحجاز والخشب [illegible] اهل النفاق فانهم في ترك التفهم والاستماع [illegible] الحقيقة واما المسندة [illegible] فهو مسند [illegible] يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو [illegible] اذا نادى مناد في العسكر او انفلتت دابة [illegible] ظنوا انهم يرادون بذلك لما في قلوبهم من الرعب وذلك انهم على وجل من ان يهتك الله تعالى [illegible] ساعة فساعة ثم اعلم رسوله بعداوتهم فقال هم العدو فاحذرهم [illegible] في العداوة بالنسبة الى غيرهم وقوله تعالى قاتلهم الله انى يؤفكون [illegible] الحق وقوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله قال الكلبي لما نزل القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم بصفة المنافقين مشى اليه عشائرهم من المؤمنين فقالوا لهم ويلكم افتضحتم بالنفاق واهلكتم انفسكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوبوا اليه من النفاق واسالوه ان يستغفر لكم فابوا ذلك وزهدوا في الاستغفار فنزلت قال ابن عباس [illegible] لما رجع عبد الله بن ابي من احد [illegible] نعته المسلمون وعنفوه وسمعوه المكروه فقال له بنوه لو اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يستغفر لك ورضي عنك فقال لا اذهب اليه ولا اريد ان يستغفر لي وجعل يلوي راسه فنزلت عند الاكثرين انما دعي الى الاستغفار لانه قال ليخرجن الاعز منها الاذل وقال لا تنفقوا على من عند رسول الله فقيل له تعالى يستغفر لكم رسول الله فقال ماذا قلت فذلك قوله تعالى لووا رؤسهم وقرئ لووا بالتخفيف والتشديد للكثرة قوله قد يجعل جمعا والمقصود واحد وهو كثير في اشعار العرب وانما قال جرير لا بارك الله فيمن كان يحسبكم الا على العهد حتى كان ما كانا خاطب بهذا امراة وقوله تعالى ورايتهم يصدون وهم مستكبرون متكبرون عن استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر الله تعالى ان استغفاره لا ينفعهم فقال تعالى سواء عليهم استغفرت لهم قال قتادة رضي الله تعالى عنه نزلت هذه الآية بعد قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم وذلك انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرني ربي فلازيدنهم على السبعين فانزل الله تعالى لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين قال ابن عباس رضي الله عنهما المنافقين وقال قوم فيه بيان ان الله تعالى يملك هدايته ولا هداية البيان وهي خلق فعل الاهتداء فيمن علم منه ذلك وقيل معناه لا يهدي لفسقهم وقالت المعتزلة لا يسميهم المهتدين اذ فسقوا وضلوا وفي الآية مباحث الاول لم شبههم بالخشب المسندة لغيره من الاشياء المنتفع بها نقول لاشتمال هذا التشبيه على فوائد كثيرة لا توجد في المعنى قال في الكشاف شبهوا في استنادهم وما هم الا اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط ولان الخشب اذا انتفع به كان في سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فانه غير منتفع به فاسند الى الحائط فاشبهوا به في عدم الانتفاع ويجوز ان يراد بها الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الى الحائط شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم الثاني الخشب المسندة في الاصل عصا طريا تصلح لان يكون من الاشياء المنتفع ثم تصير غليظة بالنسبة والكافر والمنافق كذلك كان في الاصل صالحا لكذا وكذا ثم يخرج عن تلك الصلاحية الثالث الكفرة من جنس الانس حطب كما قال الله تعالى حصب جهنم انتم لها واردون كالخشب المسندة حطب ايضا الرابع ان الخشب المسندة الى الحائط احد طرفيها الى جهة والآخر الى جهة اخرى والمنافق كذلك لان احد طرفيه وهو الباطن الى جهة الكفر والطرف الآخر وهو الظاهر الى جهة اهل الاسلام الخامس المعتمد عليه في الخشب المسندة ما يكون من الجمادات والنباتات والمعتمد عليه المنافقين كذلك اذ كان من المشركين اذ هو للاصنام وانها من الجمادات والنباتات الثاني من المباحث انه تعالى شبههم بالخشب المسندة ثم قال ثانيا في هذا التشبيه وهو قوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو والخشب المسندة لا يحسبون اصلا نقول لا يلزم ان يكون المشبه والمشبه به يشتركان في جميع الاوصاف ثم كالخشب المسندة بالنسبة الى الاستماع وعدم الاستماع للصيحة وغيرها الثالث قال الله تعالى لا يهدي القوم الفاسقين ولم يقل

القوم الكافرين المنافقين والمتكبرين مع ان كل واحد من ذلك الاقوام داخل تحت قوله الفاسقين اى الذين سبق ذكرهم وهم الكافرون والمنافقون
والمتكبرون ثم قال الله تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا الاية اخبر الله تعالى بشنيع مقالته قوله تعالى
هم الذين يقولون لا تنفقوا وينفضوا يتفرقوا وقرئ ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم قال المفسرون اخبر عمر رضى الله تعالى عنه
مع اخير عبد الله بن ابى فى بعض الغزوات فاسمع عمر عبد الله بن ابى المكروه واسمعه عليه لسانه فغضب عبد الله وعنده رهط من قومه
فقال اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعنى بالاعز نفسه وبالاذل الرسول صلى الله عليه وسلم ثم اقبل على قومه لو
امسكتم النفقة عن هولاء يعنى المهاجرين لاوشكوا ان يتحولوا عن دياركم وبلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد صلى الله
عليه وسلم فنزلت وقرئ ليخرجن وقرا الحسن رضى الله عنه ومن اى علمه ليخرجن الاعز بالنصب وقوله تعالى ولله خزاين السموات
والارض قال مقاتل رضى الله عنه يعنى مفاتيح الرزق والمطر والنبات والمعنى ان الله تعالى مقدورا به لان فيها كل ما يشا مما يريد اخراجه
وقال الحسن رحمه الله تعالى خزاين الله فى السموات الغيوب وفى الارض القلوب وهو علام الغيوب ومقلب القلوب وقوله تعالى ولكن المنافقين
لا يعلمون اى لا يفقهون ان امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون قوله تعالى ليخرجن الاعز منها الاذل وقوله تعالى لئن رجعنا
اى من تلك الغزوة وهى غزوة بنى المصطلق الى المدينة فرد الله تعالى عليهم فقال تعالى ولله العزة ولرسوله اى الغلبة والقوة ولمن اعزه
الله تعالى وايده من رسوله ومن المومنين وعزة بعضهم اياهم واظهار دينهم على ساير الاديان واعلام رسوله بذلك ولكن المنافقين يعلمون
ذلك ولو علموا ما قالوا مقالتهم فان قيل الاية الاولى لا يفقهون وفى الاخرى لا يعلمون فما الحكمة فنقول ليعلم بالاول قلة كياستهم وفهمهم وبالثانى
كثير حماقتهم وجهلهم ولا يفقهون من فقه يفقه فهمه يعلم نعم ومن فقه يفقه يعظم والاول لحصول الفقه بالتكلف والثانى لا بالتكلف
والاول انه علاجى والثانى مزاجى **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله
ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتى احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتنى
الى اجل قريب فاصدق واكون من الصالحين **اعلم** ان قوله تعالى لا تلهكم اى لا يشغلكم كما شغلت المنافقون
واختلف المفسرون منهم من قال نزلت فى حق المنافقين وعن ذكر الله تعالى وعن فرايض الله نحو الزكاة والصلاة والحج اى عن طاعة
الله تعالى وقال الضحاك رضى الله تعالى عنه الصلوات الخمس وعند مقاتل هذه الاية وما بعدها خطاب للمنافقين الذين اقروا بالايمان
ومن يفعل ذلك اى الهاه ماله وولده عن ذكر الله تعالى فاولئك هم الخاسرون اى فى تجارتهم حيث باع الشريف الباقى بالخسيس
الفانى وقيل هم الخاسرون فى انكار ما قال به رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوحيد والبعث وقال الكلبى رضى الله عنه
الجهاد وقيل هو النظر فى القران والتفكر والتامل فيه وانفقوا مما رزقناكم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد
زكاة المال ومن للتبعيض وقيل المراد هو الانفاق الواجب من قبل ان ياتى احدكم الموت اى دلايل الموت وعلامته
فيسال الرجعة الى الدنيا وقوله تعالى لولا اخرتنى وقيل حثهم على ادامة الذكر وان لا يضنوا بالاموال اى هلا
امهلتنى واخرت اجلى الى زمان قريب وهو الزيادة فى اجله حتى يتصدق ويزكى وهو قوله تعالى فاصدق واكون
من الصالحين قال ابن عباس رضى الله عنهما هذا دليل على ان القوم لم يكونوا مومنين اذ المومن لا يسال الرجعة
وقال الضحاك رضى الله تعالى عنهما لا ينزل باحدهم الموت ولم يود الزكاة الا وسال الرجعة وقرا هذه قوله
تعالى واكن من الصالحين قال احج وقرئ فاكون من الصالحين وهو على لفظ فاصدق واكن من الصالحين قال المبرد
واكون على ما قبله لان قوله تعالى فاصدق جواب الاستفهام الذى فيه التمنى والجزم على موضع الفاء وقرا ابى
فاتصدق على الاصل واكن عطفا على موضع الفاء واما قراءة ابى عمرو واكون فانه جملة على اللفظ دون المعنى ثم قال الله
تعالى لا يوخر من انقضت مدته وحضر اجله والله تعالى اعلم **قوله تعالى** ولن يوخر الله نفسا
اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون **اعلم** ان قوله تعالى ولن يوخر الله نفسا اى عن الموت
اذا جاء اجلها قال فى الكشاف وهذا نفى للتاخير على وجه التاكيد الذى نافاه المنفى وبالجملة فقوله تعالى
لا تلهكم اموالكم واولادكم تنبيه على الذكر قبل الموت وانفقوا مما رزقناكم تنبيه على الشكر لذلك قوله تعالى
والله خبير بما تعملون لو رد الى الدنيا ما زكى ولا حج ويكون هذا كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
والمفسرون على ان هذا خطاب شايع لكل عمل خيرا او شرا وقرا عاصم يعملون بالياء على قوله تعالى ولن يوخر الله نفسا
لان النفس وان كان واحدا فى اللفظ فالمراد منه الكثرة فحمل على المعنى والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

سبح لله ما فى السموات وما فى الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شى قدير هو الذى خلقكم
فمنكم كافر ومنكم مومن والله بما تعملون بصير **اعلم** ان وجه التعلق بما قبلها ظاهر لما ان تلك
السورة للمنافقين الكاذبين وهذه السورة للمنافقين الكاذبين وهذه السورة للموافقين الصادقين
وايضا تلك السورة مشتملة على بطالة اهل النفاق سرا وعلانية وهذه السورة على ما هو التشديد البالغ
لهم وهو قوله تعالى يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما يسرون وما يعلنون والله عليم بذات الصدور واما الاول





بالاخر فلان فى تلك السورة تنبيه على الذكر والشكر كما مر فى اول هذه السورة اشارة الى انهم لو اعرضوا عن الذكر والشكر قلنا من الخلق
اقوام يواظبون على الذكر والشكر وانما هم الذين يسبحون كما قال الله تعالى سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وقوله تعالى له الملك
وله الحمد معناه اذا سبح لله ما فى السموات وما فى الارض فله وله الحمد وكما كان له الملك فهو متصرف فى ملكه والتصرف مفتقر
الى القدير فقال وهو على كل شى قدير وقال فى الكشاف قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله
تعالى وذلك لان الملك فى الحقيقة لانه مبدى كل شى ومبدعه والقايم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لان اصول النعم وفروعها
منه فاما ملك غيره فتسلط واسترعاء وحمده اعتداد بان نعمة جرت على يديه قوله تعالى وهو على كل شى قدير فمعناه وهو على كل
شى اراده قدير وقيل قدير يفعل ما يشاء بقدر ما يشاء لا يزيد عليه ولا ينقص وقد مر ذكره وفى الاية مباحث الاول انه قال
فى الحديد سبح والحشر والصف كذلك من فى الجمعة والتغابن يسبح لله فما الحكمة فيه قلنا فيها ما فيها كما لا معنا كما هى كما نقول
ما تحط وهو ان مجموع السموات والارض شى واحد وهو عالم مولف من الاجسام الفلكية والعنصرية ثم الارض من هذا
المجموع والباقى منه شى اخر فقوله تعالى سبح لله ما فى السموات وما فى الارض بالنسبة الى هذا الجزء من المجموع والباقى منه
شى واذا كان كذلك فلا يبعد ان يقال قال الله تعالى فى بعض السور كذا وفى البعض كذا ليعلم ان هذا العالم الجسمانى من وجه
شى اخر ومن وجه شيان بل اشياء كثيرة وللخلق فى المجموع غير ما فى هذا الجزء وغير ما فى ذلك ايضا ولا يلزم من وجود
الشى فى المجموع ان يوجد فى كل جزء من اجزايه لابد لكل متصل فقوله تعالى لله ما فى السموات وما فى الارض على سبيل المبالغة
من جملة تلك الدليل انه يدل عليه يسبح ما فى السموات وما فى الارض كذلك يتحد فى قوله تعالى لله ما فى السموات والارض
ثم قال تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن والله بما تعملون بصير خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن
صوركم واليه المصير يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور قال ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما انه تعالى خلق بنى ادم مومنا وكافرا ثم يعيدهم يوم القيمة كما خلقهم مومنا وكافرا وقال عطا رضى الله
تعالى عنه يريد فمنكم مصدق ومنكم جاحد وقال الضحاك رضى الله عنه مومن فى العلانية كافر فى السر كالمنافق وكافر فى العلانية
مومن فى السر كعمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه قال الله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وقال الزجاج رضى الله تعالى عنه
فمنكم كافر لانه تعالى خلقه كما قال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اى شى خلقه وقال تعالى اكفرت بالذى خلقك من تراب وقال
ابو اسحاق رحمه الله تعالى خلقكم فى بطون امهاتكم كفارا ومومنين وجاء فى بعض التفاسير ان يحيى خلق فى بطن امه مومنا
ويزعمون خلق فى بطن امه كافرا ودل عليه قوله تعالى ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وقوله تعالى والله بما تعملون
بصير اى عالم بكفركم وايمانكم والمعنى انه تعالى بأصل النعم الذى هو الخلق فانظروا النظر الصحيح وكونوا باجمعكم عبادا شاكرين
فيما فعلتم مع تمكنكم بل تفرقتم فرقا فمنكم كافر ومنكم مومن وقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق اى بالارادة القديمة
على وفق الحكمة ومنهم من قال اى الحق وهو البعث وصوركم فاحسن صوركم يحتمل وجهين احدهما اى اتقن واحكم على وجه لا يوجد
بذلك الوجه فى الغير وكيف يوجد وقد وجد فى انفسهم من الفقر الدالة على وحدانية الله تعالى وربوبيته دلالة مخصوصة
بحسن هذه الصورة وثانيهما ان يصرف الحسن الى احسن المنظر فانا النظر فى هذا الانسان وطلعته والنسبة بين اعضايه فنقول
علم ان صورته احسن صورة وقوله تعالى واليه المصير اى البعث وانما اضاف الى النفس لان نهايته هو النهاية فى خلقه والمقصود
منه ثم قال تعالى وصوركم فاحسن صوركم لانه يلزم من خلق الشى ان لا يكون مصورا بالصورة ولا يلزم من الصورة ان يكون على
احسن الصور واليه المصير المرجع ليس الا هو وقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون والله عليم بذات الصدور ثم يعلم ما يسر العباد
ويعلنونه ثم يعلمه ما فى الصدور من الكليات والجزييات ولا يخفى عليه شى بينه كما انه تعالى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة
الله اولا وابدا وفى الاية مباحث الاول انه تعالى حكيم وقد سبق فى علمه انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر والاصرار
عليه فانه حكمه دعته الى خلقهم نقول لما ذا علمنا انه تعالى حكيم علمنا ان افعاله كلها على وفق الحكمة وخلق هذه الطايفة
فعله يكون على وفق الحكمة ولا يلزم من عدم علمنا بذلك ان لا يكون كذلك بل اللازم ان يكون خلقهم على وفق الحكمة الثانى قال تعالى
وصوركم فاحسن صوركم وقد كان من افراد هذا النوع من كان مشوه الصورة سمج الخلقة نقول لا سماجة ثم لكن الحسن
من المعانى على طبقات ومراتب ولا انحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا لا يظهر حسنه والا فهو
داخل فى حد الحسن غير خارج عن حده الثالث قوله تعالى واليه المصير يوهم الانتقال من جانب الى جانب وذلك
لا يمكن الا ان يكون الله تعالى فى جانب فكيف هو قلنا ذلك الوهم بالنسبة الينا والى ما نالا بالنسبة الى ما يكون
فى نفس يتحرك عن حقيقة الانتقال من جانب الى جانب اذا كان المنتقل اليه غيرها عن الجانب وعن الجهة والله تعالى اعلم
**قوله تعالى** الم ياتكم نبا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم ذلك بانه كانت تاتيهم
رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد زعم الذين
كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فامنوا بالله
ورسوله والنور الذى انزلنا والله بما تعملون خبير **اعلم** ان قوله تعالى الم ياتكم خطاب لكفار مكة وذلك
اشارة الى الوبال الذى ذاقوه فى الدنيا والى ما اعد لهم من العذاب فى الاخرة فقوله تعالى فذاقوا وبال اى سوء امرهم مثل قوله تعالى
ذق انك انت العزيز الكريم وقوله تعالى ذلك بانهم اى بالمشار والحديث انكروا ان يكون الرسل بشرا لم ينكروا ان يكون معبودهم حجرا فكفروا

وتولوا كفروا بالرسول واعرضوا عن طاعتهم واستغنى الله تعالى عن طاعتهم وعبادتهم من الاول وقوله تعالى والله غني حميد كما قال ما سبق والحميد بمعنى المحمود اى المستحق للحمد بذاته ويكون بمعنى الحامد وقوله تعالى زعم الذين كفروا قال صاحب الكشاف الزعم ادعاء العلم ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى الى مفعولين تعدى العلم قال الشاعر ولم ازعمك عن ذاك معزلا والذين كفروا هم اهل مكة وبلى اثبات لما بعد ان وهو البعث وقوله تعالى قل بلى وربي يحتمل ان يكون تعليما للرسول صلى الله عليه وسلم اى تعلمه القسم تاكيدا لخبر عن البعث وكذلك جميع القسم في القرآن وقوله تعالى وذلك على الله يسير اى لا تصرفه صارفة قيل ان امر البعث على الله يسير لانهم انكروا البعث ان صاروا ترابا فاخبرانه اعادتهم اهون في العقول من انشائهم وفي الاية مباحث البحث الاول قوله تعالى فكفروا يتضمن قوله وتولوا فما الحاجة الى ذكره نقول انهم كفروا وقالوا ابشر يهدوننا وهذا في معنى الاعراض بالكلية وذلك هو التولي فكانهم كفروا وقالوا قولا يدل على التولي ولهذا قال تعالى فكفروا الثاني وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولي والاستغناء معا قال الله تعالى لم يزل غنيا قال صاحب الكشاف معناه انه ظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك الثالث كيف يفيد القسم في اخباره عن البعث وهم قد انكروا الرسالة نقول انهم انكروا الرسالة لكنهم يعتقدون انه يعتمدونه اعتقادا لا مزيد عليه فيعلمون انه لا يقدم على القسم بربه الا وان يكون صدقا هذا الاخبار اظهر من الشمس عنده وفي اعتقاده والفائدة في الاخبار مع القسم ليس الا هذا ثم انه اكد الخبر باللام والنون فكانه قسم بعد قسم ولما بالغ في الاخبار عن البعث من لوازم الايمان فقال تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا والله بما تعملون خبير والله تعالى اعلم **قوله تعالى** يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون **اعلم** ان قوله تعالى فامنوا يجوز ان يكون صلة لما تقدم لانه تعالى ذكر ما نزل من العقوبة بالامم الماضية وذلك لكفرهم بالله وتكذيبهم الرسل قال فامنوا بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة والنور الذي انزلنا وهو القرآن فانه يهتدى به في الشبهات كما يهتدى بالنور في الظلمات وانما ذكر النور الذي هو القرآن لانه مشتمل على الدلالات الظاهرة على البعث ثم في الكشاف انه عنى برسوله والنور محمدا صلى الله عليه وسلم والنور والقرآن والله بما تعملون خبير اى بما تسترون وما تعلنون فراقبوه وخافوه في الحالين جميعا قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع يريد به يوم القيمة يجمع فيه اهل السموات واهل الارض وذلك يوم التغابن والتغابن تفاعل من الغبن في المجاراة والتجارة يقال غبنه غبنا اذا اخذ الشيء منه بدون قيمته قال ابن عباس رضي الله عنهما ان قوما في النار يعذبون وقوما في الجنة يتنعمون وقيل هو يوم يغبن فيه اهل الحق اهل الباطل واهل الهدى اهل الضلال واهل الايمان اهل الكفر فلا غبن ابين من هذا وفي الجملة كالغبن في البيع والشراء وقد ذكر الله تعالى في حق الكافرين انهم اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة واشتروا الضلالة بالهدى ثم ذكر انهم ما ربحت تجارتهم وذكر المؤمنين على تجارة رابحة فقال هل ادلكم على تجارة تنجيكم وذكر انهم باعوا انفسهم بالجنة فخسرت صفقة الكفار وربحت صفقة المؤمنين قوله تعالى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اى يؤمن به على ما جاءت به الرسل من الحشر والنشر والنار والجنة وغير ذلك ويعمل صالحا يعمل في ايمانه صالحا الى ان يموت وقرى يجمعكم ونكفر ويدخلكم بالنون والذين كفروا اى بوحدانية الله تعالى وبقدرته وكذبوا باياته الدالة على البعث اولئك اصحاب النار ثم في الاية مباحث الاول قال تعالى فامنوا بالله ورسوله بطريق الاضافة ولم يقل ونوره الذي انزلنا بطريق الاضافة مع ان النور هاهنا هو القرآن والقرآن كلامه ومضاف اليه نقول الالف واللام في النور بمعنى الاضافة كانه قال ورسوله ونوره الذي انزلنا الثاني ثم يحصل التفاوت نقول قال الزجاج رضي الله عنه يحوله ليستعين في الكشاف بقوله تعالى لتبنون او يجمعكم لما فيه من معنى الوعيد كانه قال والله معاقبكم يوم يجمعكم او باضمار اذكر الثالث قال الله تعالى في الايمان ومن يؤمن بالله بلفظ المستقبل وفي الكفر قال والذين كفروا بلفظ الماضي فنقول تقدير الكلام ومن يؤمن بالله من الذين كفروا وكذبوا باياتنا يدخله جنات ومن لم يؤمن منهم اولئك اصحاب النار قال الله تعالى من يؤمن بلفظ الوحدان وخالدين فيها بلفظ الجمع نقول ذلك باللفظ وهذا بحسب المعنى الخامس ما الحكمة في قوله تعالى وبئس المصير بعد قوله تعالى خالدين فيها وذلك بئس المصير فنقول ذلك وان كان في معناه فلا يدل عليه بطريق التصريح فالتصريح مما يؤكده ثم قال تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون قوله الا باذن الله اى بامره قاله الحسن رضي الله تعالى عنه وقيل بعلم الله تعالى وقضائه بارادة الله تعالى ومشيئته وقال ابن عباس رضي الله عنهما بعلمه وقضائه وقوله تعالى يهد عند المصيبة وعند الموت والمرض والفقر والقحط ونحو ذلك فاعلم انها من الله تعالى فيجيئهم الى قضاء الله تعالى ويسترجع فذلك قوله تعالى يهد قلبه اى للتسليم لامر الله ونظيره قوله تعالى الذين اذا اصابتهم مصيبة الى قوله تعالى اولئك هم المهتدون قال اهل المعاني يهد قلبه للشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء وهو معنى قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يهد قلبه لما يحب ويرضى وقرى نهد قلبه بالنون

وعن عكرمة



وعن عكرمة رضي الله عنه يهد قلبه بفتح الدال وضم الهاء وقرى يهدى قال الزجاج رضي الله عنه يهدى قلبه يهدأ اذا سكن فالقلب بالرفع او بالنصب ووجه النصب ان يكون مثل سفه نفسه اى يهدي يحققه قلبه والله بكل شيء عليم يحتمل ان يكون اشارة الى اطمئنان القلب عند المصيبة وقيل عليم بتصديق من صدق رسوله فمن صدقه فقد هدى قلبه واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما جاء به من عند الله تعالى يعني هونوا المصائب والنوازل واتبعوا الاوامر الصادرة من الله تعالى ومن الرسول صلى الله عليه وسلم فان توليتم عن اجابة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما دعاكم اليه فما على رسولنا البلاغ المبين الظاهر البيان الباهر وقوله تعالى الله لا اله الا هو يحتمل ان يكون هذا من جملة ما تقدم من الاوصاف الحميدة لحضرة الله تعالى من قوله له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فان كان موصوفا بهذه الاوصاف ونحوها كما تقدم فهو الذي لا اله الا هو اى لا معبود الا هو ولا مقصود الا هو عليه التوكل في كل باب واليه المرجع والماب وقوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون بيان ان المؤمن لا يعتمد الا عليه ولا يتقوى الا به لما انه يعتقد ان القادر بالحقيقة ليس الا هو قال في الكشاف هذا بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه حتى ينصره على من كذبه وتولى عنهم كيف يتعلق ما اصاب من مصيبة الا باذن الله بما قبله ويتصل به نقول يتعلق بقوله تعالى فامنوا بالله ورسوله كما ان من يؤمن بالله يصدقه انه لا تصيبه مصيبة الا باذن الله والله تعالى اعلم **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم قال الكلبي رضي الله عنه كان الرجل اذا اراد الهجرة تعلق به بنوه وزوجته فقالوا انت تذهب وتذرنا ضائعين فمنهم من يطيع اهله فيقيم فحذرهم الله تعالى طاعة نسائهم واولادهم ومنهم من لا يطيعهم ويقول اما والله لئن لم تهاجروا جمع الله بيننا وبينكم في دار الهجرة لا ينفعكم شيء ابدا فلما جمع الله بينهم امرهم ان ينفقوا ويحسنوا ويتفضلوا وقال الخراساني نزلت في عوف بن مالك الاشجعي كان ذا اهل وولد فكان يثبطونه عن الهجرة والجهاد وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الاية فقال هؤلاء رجال من اهل مكة اسلموا وارادوا ان ياتوا المدينة فلم يدعهم ازواجهم واولادهم فهو قوله تعالى عدوا لكم فاحذروهم ان يطيعوهم ويدعوا الهجرة وقوله تعالى وان تعفوا وتصفحوا قال هو ان الرجل من هؤلاء اذا هاجر راى الناس قد سبقوه بالهجرة وفقهوا في الدين هم ان يعاقب زوجته وولده الذين منعوه الهجرة وان لحقوا به في دار الهجرة لم ينفق عليهم ولم يصبهم بخير فانزل الله تعالى وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا الاية ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ينهون عن الاسلام ويثبطون عنه وهم من الكفار فاحذروهم فظهر ان هذه العداوة انما هي للكفر والنهي عن الايمان ولا تكون بين المؤمنين وازواجهم واولادهم المؤمنين لا يكونون عدوا لهم وهؤلاء للازواج والاولاد الذين منعوا عن الهجرة ثم قال انما اموالكم واولادكم قال ابن عباس رضي الله عنهما اى لا تطيعوهم في معصية الله تعالى وفتنة اى بلاء وشغل عن الاخرة وقيل اعلم الله تعالى ان الاموال والاولاد من جميع ما يقع لهم من الفتنة وهذا عام يعم جميع الاولاد فان الانسان مفتون بولده فانه ربما عصى الله تعالى بسببه وباشر الفعل الحرام لاجله كغصب مال الغير والله عنده اجر عظيم اى جزيل وهو الجنة اخبر ان عنده اجرا عظيما ليتحمل المؤنة والمعنى لا تباشروا المعاصي بسبب الاولاد ولا تؤثروهم على ما عند الله من الاجر العظيم وقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم قال مقاتل يعني ما اطقتم يجتهد المؤمن في تقوى الله ما استطاع قال قتادة رضي الله عنه نسخت هذه الاية بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته ومنهم من طعن فيه فقال لا يصح لان قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته لا يراد به الا الاتقاء فيما لا يستطيعون لانه فوق الطاعة والاستطاعة لكنه ان كان بوجه ان اتقوا الله حق تقاته قوله تعالى واسمعوا واطيعوا اى لله تعالى ورسوله والكتاب كما امركم الله تعالى به ورسوله وانفقوا من اموالكم في حق الله تعالى خيرا لانفسكم والنصب بقوله وانفقوا كافه وقيل وقدموا خيرا لانفسكم وهو كقوله تعالى فامنوا خيرا لكم فقوله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والشح هو البخل وانه يعم المال وغيره يقال فلان شحيح بالمعروف وقيل يوق ظلم نفسه اذ الشح هو الظلم ومن كان بمعزل عن الشح فذلك من اهل الفلاح فان قيل انما اموالكم واولادكم عدوا لكم يدل على ان الاموال والاولاد كلها من الاعداء وان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يدل على ان بعضهم من الاعداء دون البعض فنقول هذا في حيز المنع فانه لا يلزم ان يكون البعض من المجموع الذي مر ذكره من الاولاد يعني من غير ومنهم من لا يمنع فيكون البعض منهم عدوا دون البعض والله تعالى اعلم **قوله تعالى** ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم **اعلم** ان قوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا اى ان تنفقوا في طاعة الله تعالى متقربين اليه يجزكم بالتضعيف ما انه شكور يحب المتقربين حليم لا يعاجل بالعقوبة غفور يغفر لكم والقرض الحسن عند بعضهم هو التصدق من الحلال وقيل هو التصدق بطيبة نفسه والقرض هو الذي يرجى بدله الثواب مثل الانفاق في سبيل الله وقال في الكشاف ذكر القرض في الاستدعاء

يضاعفه لكم بالواحدة عشرا وسبعمائة الى ما شاء من الزيادة وقيل يضعفه مجازاة يعني يجمع لكم ما يفعل المبالغ في الشكر من عظيم الثواب وكذلك يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسيء فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم ثم لقائل ان يقول ان هذه الافعال مفتقرة الى العلم والقدرة والله تعالى ذكر العلم دون القدرة فقال تعالى عالم الغيب والشهادة فنقول قوله العزيز يدل على القدرة من عز اذا غلب الحكيم قيل العزيز الذي لا يعجزه شيء والحكيم الذي لا يلحقه الخطاء في التدبير والله تعالى كذلك فيكون عليما قادرا حليما بل جل ثناؤه وعظم كبرياؤه وهو اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

## يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف

اما التعلق بما قبلها فذلك انه تعالى قال في اول السورة له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير والملك يفتقر الى التصرف على وجه يحصل منه نظام الملك والحمد يفتقر الى ذلك بطريق العدل والاحسان في حق المتصرف فيه وبالقدرة على منع عنعه عن التصرف وتقرير الاحكام في هذه السورة يتضمن لهذه الامور المفتقرة اليها فتضمنا لا يفتقر الى العامل فيه فيكون لهذه السورة نسبة الى تلك السور واما الاول بالاخر فذلك انه تعالى اشار في اخر تلك السورة الى كمال علمه بقوله عالم الغيب والشهادة وفي اول هذه السورة الى كمال علمه بمصالح النساء والاحكام المخصوصة بطلاقهن فكانه بين ذلك الكلي بهذه الجزئيات قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة فاتت اهلها فنزلت وقيل راجعها فانها صوامة قوامة وعلى هذا انما نزلت الاية بسبب خروجها الى اهلها لما طلقها النبي صلى الله عليه وسلم فانزل هذه الاية ولا تخرجوهن من بيوتهن وقال الكلبي رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام غضب على حفصة رضي الله تعالى عنها لما اسر اليها حديثا فاظهرته لعائشة رضي الله عنها وعن ابيها فطلقها تطليقة فنزلت وقال السدي رضي الله عنه في عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما طلق امرأته حائضا والقصة مشهورة وقال مقاتل رضي الله عنه ان رجالا فعلوا مثل ما فعل ابن عمر رضي الله عنهما وابن فنزلت فيهم وفي قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وجهان احدهما انه نادى النبي صلى الله عليه وسلم ثم خاطب امته لانه سيدهم وقدوتهم فاذا خوطبوا خطاب الجمع كانت امته داخلة في ذلك الخطاب وثانيهما قال ابو اسحاق رضي الله تعالى عنه هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون داخلون معه في الخطاب وما بينهما ان المعنى يا ايها النبي قل لهم اذا طلقتم النساء فاضمر القول قال الفراء خاطبه وجعل حكم الجميع كما تقول للرجل ويحك اما تتقون الله اما تستحيون فذهب اليه وفي اهل بيته واذا طلقتم اي اذا اردتم التطليق لقوله اذا قمتم الى الصلوة اي اذا اردتم الصلاة وقد مر الكلام فيه وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن قال عبد الله رضي الله تعالى عنه اذا اراد الرجل ان يطلق امرأته فيطلقها طاهرا من غير جماع وهذا قول مجاهد وعكرمة ومقاتل والحسن قال امر الله تعالى الزوج بطلاق امرأته اذا شاء طلاقا في طهر لم يجامعها فيه وهو قوله تعالى لعدتهن اي لزمان عدتهن وهذا الطهر باجماع الامة وقيل لاظهار عدتهن وجماعة من المفسرين قالوا الطلاق للعدة ان يطلقها طاهرة من غير جماع وبالجملة فالطلاق في حالة الطهر لازم والا لا يكون الطلاق سنيا والطلاق في السنة انما يتصور في البالغة المدخول بها غير الحامل اذ لا سنة في الصغيرة وغير المدخول بها والايسة والحامل ولا بدعة ايضا لعدم العدة بالاقراء وليس في عدد الطلاق سنة وبدعة على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى حتى لو طلقها ثلاثا في طهر صحيح لم يكن مبتدعا بخلاف ما ذهب اليه اهل العراق فانهم قالوا السنة في عدد الطلاق ان يطلق كل طلقة طلقة في طهر صحيح وقال صاحب النظم فطلقوهن لعدتهن صفة للطلاق كيف يكون وهذه اللام تجيء لمعان مختلفة للاضافة وهي اصلها ولبيان السبب والعلة كقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله وعند لله مثل قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس اي عنده وبمنزلة في كقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر اي في اول الحشر وفي هذه الاية بهذا المعنى لان فطلقوهن اي في الزمان الذي يصلح لعدتهن وقال في الكشاف مستقبلات لعدتهن كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن فاذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم الى القرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبل العدة والمراد ان يطلقن في طهر لم يجامعهن فيه ثم يخلين الى ان تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة وابعده من الندم ويدل عليه ما روي عن ابراهيم النخعي رضي الله تعالى عنه كانوا يستحبون ان لا يطلقوا ازواجهم للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضي العدة وقال مالك بن انس رضي الله تعالى عنه لا اعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت او متفرقة واما ابو حنيفة واصحابه رضي الله تعالى عنهم فانما كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن عمر رضي الله تعالى عنهما حين طلق امرأته وهي حائض ما هكذا امرك الله تعالى انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعي

رحمه الله



رحمه الله لا باس بارسال الثلاث وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح فمالك يراعي في طلاق السنة الواحدة والوقت وابو حنيفة رضي الله عنه راعى التفريق والوقت والشافعي رضي الله تعالى عنه يراعي الوقت وحده قوله تعالى واحصوا العدة اي عدة اقرائها فاحفظوها واحفظوا الحقوق والاحكام التي تجب في العدة واحفظوا نفس ما تعتدون به وهو عدد الحيض ثم جعل الاحصاء الى الازواج يحتمل وجهين احدهما انهم هم الذين يلزمهم الحقوق والمؤن وثانيهما ليحصن الاولاد في العدة ثم في الاية مباحث الاول هل يقع الطلاق المخالف للسنة نقول نعم وهو اثم لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا طلق امرأته ثلاثا بين يديه فقال له اتلعبون بكتاب الله تعالى وانا بين اظهركم الثاني كيف تطليق السنة التي لا تحيض لصغر او كبر وغير ذلك نقول الصغيرة والايسة والحامل كلهن عند ابي حنيفة وابي يوسف رضي الله عنهما يفرق عليهن الثلاث في الاشهر وقال محمد رحمه الله وزفر لا تطلق الا واحدة واما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة الا الواحدة ولا يراعى الوقت الثالث هل يكره ان يطلق المدخول بها واحدة نقول اختلفت الرواية فيه عن اصحابنا والظاهر الكراهة الرابع اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول من ذوات الاقراء والايسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء والمدخول بهن نقول لا عموم ثمه ولا خصوص ايضا لكن النساء اسم جنس للاناث وعن الانس وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وبعضهن فجاز ان يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم انه اطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض كما ذكره في الكشاف ثم قال تعالى واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن الاية واتقوا الله قال مقاتل رضي الله تعالى عنه اخشوا الله فلا تعصوه فيما امركم ولا تخرجوهن اي لا تخرجوا المعتدات من المساكن التي كنتم تساكنوهن فيها قبل الطلاق فان كانت المساكن عارية فارتجعت كانت على الازواج ان يعينوا مساكن اخرى بطريق الشراء والكراء وعلى الزوجات ايضا ان لا يخرجن حقا لله تعالى الا لضرورة ظاهرة فان خرجن ليلا او نهارا كان ذلك الخروج حراما ولا تنقطع العدة فقوله تعالى الا ان ياتين بفاحشة مبينة قال ابن عباس رضي الله عنهما هو ان تزني فتخرجن لاقامة الحد عليهن قاله الضحاك والاكثرون والفاحشة على هذا القول هي الزنا قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما الفاحشة خروجهن قبل انقضاء العدة قاله السدي رضي الله تعالى عنه وقال الباقون الفاحشة المبينة هي العصيان المبين وهو النشوز وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الا ان يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن وسوء خلقهن يحل للازواج اخراجهن من بيوتهن وتلك حدود الله والحدود هي الموانع عن المجاورة نحو النواهي والحد في الحقيقة نهاية الشيء التي ينتهي اليها الشيء وقال مقاتل رضي الله تعالى عنه يعني ما ذكر من طلاق السنة وما بعده من الاحكام ومن يتعد حدود الله وهذا تشديد فيمن يتعدى طلاق السنة ومن يطلق لغير العدة فقد ظلم نفسه اي فقد ضر نفسه ولا يبعد ان يكون المعنى ومن يتجاوز الحد الذي جعله الله تعالى فقد وضع نفسه موضعا لم يضعه فيه ربه والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه وقوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الندم على طلاقها والمحبة لرجعتها وقال مقاتل رضي الله تعالى عنه بعد ذلك بعد تطليقه وتطليقتين امرا يعني المراجعة وقال الشعبي رضي الله عنه لا تدري لعلك تندم فيكون لك سبيل الى الرجعة او لعله ان يراجعها في العدة وهذا دليل على ان المستحب في الطلاق ان يوقع متفرقا قال ابو اسحاق رضي الله عنه اذا طلقها في وقت واحد فلا معنى في قوله تعالى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وفي الاية مباحث الاول قال تعالى واتقوا الله ربكم ولم يقل واتقوا الله مقتصرا عليه فنقول فيه من المبالغة ما ليس في ذلك فان لفظ الرب على التربية وهي الانعام والاكرام لوجوه متعددة غاية التعدد فيبالغون في التقوى حينئذ خوفا من فوت تلك التربية الثاني ما معنى الجمع بين اخراجهن وخروجهن نقول الاخراج ان لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن او لحاجة لهم الى المساكن وان لا ياذنوا لهن لما لهن في الخروج اذا طلبن ذلك ولا يخرجن بانفسهن اذا اردن ذلك الثالث قرئ بفاحشة مبينة ومبينة من قرأ مبينة بالخفض فمعناه ان تفعل الفاحشة اذا تفكر فيها تبين انها فاحشة ومن قرأ مبينة بالفتح فمعناه انها مبرهنة بالبراهين ومبينة بالحجج ثم قال تعالى فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوي عدل منكم واقيموا الشهادة لله فاذا بلغن اجلهن اي قاربن انقضاء العدة لا انقضاء اجلهن والمراد ببلوغ الاجل هنا مقاربة البلوغ وقد مر تفسيره وقال صاحب الكشاف هو اخر العدة فانتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو ان يراجعها في اخر العدة ثم يطلقها تطويلا للعدة وتعذيبا لها وقوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم اي امروا ان يشهدوا عند الطلاق وعند الرجعة ذوي عدل منكم وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة رحمه الله كما في قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي رحمه الله هو واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وقيل فائدة الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها ولئلا يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية وقيل

الاشهاد انما امر به للاحتياط مخافة ان تنكر المراة المراجعة فتنقضي العدة فتنكح ثم خاطب الشهداء فقال تعالى
واقيموا الشهادة لله وهذا ايضا تفسير قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا من شبهات الدنيا وعن عمر
رضي الله تعالى عنه من غمرات الموت ومن شدايد يوم القيمة وقال اكثر اهل التفسير نزل هذا وما بعده في عوف بن
مالك الاشجعي اسر العدو ابنا له فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك وشكى اليه الفاقة فقال له اتق
الله واصبر واكثر من قول لا اله الا الله واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينا
هو في بيته اذ اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب ابلا وجاء بها الى ابيه وقال في الكشاف فبينا هو
في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه ماية من الابل فذلك قوله تعالى ويرزقه من حيث لا يحتسب ويجوز انه
ان اتقى واثر الحلال والصبر على اهله فتح الله عليه ان كان ذا سعة ورزقه وقال في الكشاف ومن يتق الله جملة اعتراضية
موكدة لما سبق من امر الطلاق على السنة كما مر قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي ومن يثق به فيما نابه كفاه الله
تعالى ما اهمه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله ان الله بالغ
امره قال اي نافذ امره وقرا المفضل بالغ امره على اي قول قد جعل الله خيرا او بالغ حال قال ابن عباس رضي الله
عنهما يريد في جميع خلقه والمعنى سيبلغ الله امره فيما يريد منكم قد جعل الله لكل شيء قدرا اي قدرا وتوقيتا
وهذا بيان لوجوب التوكل على الله تعالى وتفويض الامر عليه قال الكلبي ومقاتل لكل شيء من الشدة والرخاء اجلا
ينتهي اليه قدر الله تعالى ذلك كله لا يتقدم ولا يتوخر وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد ما قدرت ما خلقت
بمشيتي وقوله تعالى فاذا بلغن اجلهن الى قوله مخرجا اية ومنه الى قوله قدرا اية اخرى عند الاكثر وعند الكوفي
والمدني المجموع اية واحدة ثم في هذه الاية لطيفة وهي ان التقوى في رعاية احوال الناس مفضيا الى الحل فقال الله تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا وترتيب هذا قوله تعالى ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله فان قيل ومن يتوكل على الله فهو حسبه
يدل على عدم الاحتياج بالكسب لطلب الرزق وقوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله يدل
على عدم الاحتياج فكيف هو نقول يدل على الاحتياج لان قوله تعالى فانتشروا وابتغوا من فضل الله للاباحة كما مر وانما
مما ينافي الاحتياج الى الكسب انما كان الاحتياج منافيا للتحريم قال الله تعالى واللاي يئسن من المحيض من نسايكم ان ارتبتم فعدتهن
ثلاثة اشهر لانه ذكر الله تعالى في سورة البقرة عدة ذوات الاقراء والمتوفى عنها زوجها وذكر عدة ساير النسوة اللاتي
لم يذكرن هناك في السورة روي ان معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال يا رسول الله قد عرفنا عدة التي تحيض فما عدة
التي لم تحض فنزل واللاي يئسن من المحيض من نسايكم وقوله تعالى ان ارتبتم ان اشكل عليكم حكمهن في العدة فهذا حكمهن
وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ الاياس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين سنة اهو دم حيض او استحاضة
فعدتهن ثلاثة اشهر فلما نزل قوله تعالى فعدتهن ثلاثة اشهر فقام اخر فقال ما عدة الحوامل فنزل واولات الاحمال
اجلهن ان يضعن حملهن وهذا عام في كل حامل وكان علي رضي الله تعالى عنه يعتبر ابعد الاجلين ويقول والذين يتوفون
منكم لا يجوز ان يدخل في قوله تعالى واولات الاحمال وذلك لان اولات الاحمال في عدة الطلاق وهي لا ينقض عدة الوفاة
اذا كانت بالحيض وعند ابن عباس رضي الله عنهما فعدة الحامل المتوفى عنها زوجها ابعد الاجلين واما ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه فقال يجوز ان يكون قوله تعالى واولات الاحمال مبتدا خطاب ليس بمعطوف على قوله تعالى و
اللاي يئسن من المحيض ولما كان مستويا في العدد كلها ومما يدل عليه خبر سبيعة بنت الحرث انها وضعت حملها
بعد وفاة زوجها بخمس عشر يوما فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتزوج فدل على اباحة النكاح قبل
مضي اربعة اشهر وعشر على عدة الحامل ... بوضع الحمل في جميع الاحوال اذا وضعت احد الولدين انقضت عدتها
واحتج بقوله تعالى ان يضعن حملهن ولم يقل احمالهن لكن لا يصح وقرئ احمالهن ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا اي
ييسر الله تعالى عليه في امره ويوفقه للعمل الصالح قال عطاء رضي الله عنه يسهل عليه امر الدنيا والاخرة ذلك امر الله
انزله اليكم يعني الذي ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم ومن يتق الله بطاعته ويعمل لاجابته محمد صلى الله
عليه وسلم يكفر عنه سياته من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة الى الجمعة ويعظم له في الاخرة اجرا قاله ابن عباس
رضي الله عنهما فان قيل قال الله تعالى اجلهن ان يضعن حملهن ولم يقل ان يلدن لان الحمل اسم لجميع ما في بطنهن
ولو كان كما قاله لكان عدتهن بوضع بعض حملهن وليس كذلك ثم قال الله تعالى **قوله تعالى**
اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل
فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن واتمروا بينكم
بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه
فلينفق مما اتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها **اعلم** ان قوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم
بيان لما شرط من التقوى في قوله تعالى ومن يتق الله كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن قال
الكسائي من فضله والمعنى اسكنوهن من حيث سكنتم قال ابو عبيدة توسعكم وسعتكم والفراء على قدر طاقتكم وقال ابو
اسحاق يقال وجدت المال وجدا اي صرت ذا مال وقرئ بفتح الواو ايضا وبخفضها والوجد الطاقة ولا يضاروهن

نهي عن



نهي عن مضارتهن بالتضييق عليهن في السكنى والنفقة وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن وهذا
بيان حكم المطلقة البائنة لان الرجعية تستحق النفقة وان لم تكن حاملا وان كانت مطلقة ثلاثا او مختلعة فلا نفقة لها
وعن الحسن رضي الله تعالى عنه وجها ولا نفقة لها ولا سكنى الا ان تكون حاملا وعند مالك والشافعي رضي الله عنهما ليس
الا السكنى ولا نفقة لها وعن الحسن وجها ولا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها بت طلاقها فقال
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن يعني حق الرضاع واجرته وقد
مر وهو دليل على ان اللبن وان خلق لمكان الولد فهو ملك لها والا لم يكن لها ان ياخذ الاجر وفيه دليل على ان حق الرضاع
والنفقة على الازواج في حق الاولاد وحق الانثى والحضانة والكفالة على الزوجات والا لكان لها بعض الاجرة دون الكل
فقوله تعالى واتمروا بينكم بمعروف قال عطا رضي الله عنه يريد نفضل معروفا منك وقال مقاتل براض الاب والام
وقال المبرد ليامر بعضكم بعضا بالمعروف والخطاب للازواج من النسا والرجال والمعروف هنا ان لا يقصر الرجل في حق
المراة ونفقتها ولا هي في حق الولد ورضاعه ومن تفسير الايتمار وقيل الايتمار التسامر وفي الرضاعة اذا
تعاسرت وهو قوله تعالى وان تعاسرتم في الاجرة فسترضع له اخرى غير الام ثم بين قدر الانفاق بقوله تعالى لينفق
ذو سعة من سعته امر اهل التوسعة ان يوسعوا على نسايهم المرضعات على قدر سعته ومن كان رزقه بمقدار
القوت فلينفق على مقدار ذلك ونظيره قوله تعالى وعلى الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا
الا ما اتاها اي اعطاها من الارزاق قال السدي رضي الله تعالى عنه لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني وقوله تعالى
سيجعل الله بعد عسر يسرا اي بعد ضيق وشدة رخاء وكان الغالب في ذلك الوقت الفقر والفاقة فاعلمهم الله تعالى
ان يجعل يسرا بعد عسر كما لسانه لم مطلوب ثم في الاية مباحث الاول اذا قيل من حيث سكنتم ما هي فنقول هي من
التبعيضية معناه اسكنوهن من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم ان لم يكن عن بيت واحد فاسكنوها في بعض
جوانبه الثاني من وجدكم نقول عطف بيان لقوله تعالى من حيث اي بعض مكان سكناكم ان لم يكن غير بيت واحد
فاسكنها في بعض جوانبه الثالث فاذا كانت كل مطلقة عندكم يجب لها النفقة فما فايدة الشرط في قوله تعالى
وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن نقول فايدته ان مدة الحمل ربما طالت فظن ان النفقة تسقط اذا مضى
مقدار عدة الحمل فنفى ذلك الظن والله تعالى اعلم **قوله تعالى** وكاين من قرية عتت عن
امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها
وكان عاقبة امرها خسرا اعد الله لهم عذابا شديدا **اعلم** ان قوله تعالى وكاين من قرية
الكلام في كاين قد مر عتت عن امر ربها وصف القرية بالعتو والمراد اهلها كقوله تعالى واسال القرية قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما عتت عن امر الله وقال مقاتل خالفت امر ربها وخالفت رسله فحاسبناها حسابا شديدا فحاسبها
الله تعالى بعملها في الدنيا فجازاها العذاب وهو قوله تعالى وعذبناها عذابا نكرا اي منكرا عظيما فسر المحاسبة بالتعذيب
وقال الكلبي رضي الله عنه هذا على التقديم والتاخير يعني فعذبناها في الدنيا وحاسبناها في الاخرة حسابا شديدا
والمراد حساب الاخرة وعذابها فذاقت وبال امرها اي شدة امرها وعقوبة كفرها قال ابن عباس رضي الله عنهما
عاقبة كفرها وكان عاقبة امرها خسرا اي عاقبة عتوها خسارا في الاخرة وهو قوله تعالى اعد الله لهم عذابا شديدا
يخوف كفار مكة ان لا يكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فينزل بهم ما نزل بالامم قبلهم وقوله تعالى فاتقوا الله يا اولي
الالباب يخاطب لاهل الايمان اي فاتقوه عن ان تكفروا به وبرسوله قد انزل اليكم ذكرا رسولا هو الرسول وانما
سماه ذكرا لانه يذكر ما يرجع الى دينهم وعقابهم وثوابهم انزل اليكم ذكرا وارسل رسولا وقال في الكشاف رسولا
جبريل عليه السلام ابدل من ذكرا لانه وصف بتلاوة ايات الله تعالى فكان انزاله في معنى انزال الذكر والذكر قد
يراد به الشرف كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقد يراد به القران كما في قوله تعالى وانزلنا اليكم الذكر وقوله
تعالى يتلوا عليكم ايات الله مبينات بالخفض والنصب الايات هي الحجج ... ما يحتاج اليه من الامر والنهي والحلال والحرام
ومن نصب يريد انه تعالى اوضح اياته وبينها انها من عنده وقوله تعالى ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من
الظلمات الى النور يعني من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة الشبهة الى نور الحجة ومن ظلمة الجهل الى نور العلم وفي الاية
مباحث الاول قوله تعالى فاتقوا الله يا اولي الالباب يتعلق بقوله تعالى وكاين من قرية عتت فكيف قوله تعالى فاتقوا
الله يوكد قول من قال المراد من قرية اهلها لانه يدل على ان خطاب الله تعالى لا يكون الا للذي يعقل فمن لا عقل له
فلا خطاب له وقيل قوله تعالى وكاين من قرية مشتمل على الحسبة والترغيب الثاني الايمان هو التقوى بالحقيقة
واولوا الالباب الذين امنوا كانوا من المتقين بالضرورة فكيف يقال لهم فاتقوا الله نقول التقوى درجات ومراتب
فالدرجة الاولى هي التقوى من الشرك والبواقي هي التقوى من المعاصي التي هي غير الشرك فاهل الايمان اذا امروا بالتقوى
كان ذلك الامر بالنسبة الى الكباير والصغاير لا بالنسبة الى الشرك الثالث كل من امن بالله فقد خرج من الظلمات
الى النور وكان ذلك نحو هذا الكلام وهو قوله تعالى يخرج الذين امنوا ان قال ليخرج الذين كفروا نقول يمكن ان يكون
المراد ليخرج الذين يومنون على ما جاء ان يراد من الماضي المستقبل كما في قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى اي واذ

واذ تقول الله تعالى ويمكن ان يكون يخرج الذين امنوا من الظلمات تحدث لهم بعد ايمانهم والله تعالى اعلم **قوله تعالى**
ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا الله
الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شي قدير وان الله
قد احاط بكل شي علما ومن يومن بالله فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق الله تعالى المومن من الثواب وقرى ندخله
بالنون قد احسن الله له رزقا وقال الزجاج رحمه الله رزقه الله تعالى الجنة التي لا ينقطع نعيمها وقيل رزقا اي
طاعة في الدنيا وثوابا في الاخرة نظيره ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار وقال الكلبي
رضي الله تعالى عنه خلق سبع سموات بعضها فوق بعض مثل القبة ومن الارض مثلهن في كونها طبقات متلاصقة
كما هو المشهور ان الارض ثلاث طبقات طبقة ارضية محضة وطبقة طينيه وهي غير محضة وطبقة منكشفة
بعضها في البر وبعضها في البحر وهي المعمورة ولا يبعد قوله تعالى ومن الارض مثلهن في كونها سبعة اقاليم على سبع سموات
وسبع كواكب فيها وهي السيارة فان لكل واحد من هذه الكواكب خواص تظهر اثار تلك الخواص في كل اقاليم الارض فتصير
سبعة بهذا الاعتبار فهذه هي الوجوه لا يابا ها العقل وما عداها من الوجوه المنقوله من اهل التفسير فذلك من
جملة ما يا باه العقل مثل ما يقال السموات السبع اولها موج مكفوف وثانيها صخر وثالثها حديد ورابعها نحاس وخامسها
فضة وسادسها ذهب وسابعها ياقوت وقول من قال بين كل واحد منها وبين الاخرى مسيرة ماية عام وغلظ كل واحد
منها كذلك فذلك غير معتبر عند اهل التحقيق بل اكثر من ذلك والله اعلم بانه ما هو وكيف فقوله تعالى الله الذي خلق
مبتدا وقرى مثلهن بالنصب عطفا على سموات وبالرفع على الابتدا وخبره من الارض وقوله تعالى يتنزل الامر بينهن
قال عطاء رضي الله عنه يريد الوحي بينهن كل خلقه في كل ارض وفي كل سما وقال مقاتل رضي الله عنه يعني الوحي
من السما العليا الى الارض السفلى وقال مجاهد رضي الله عنه يتنزل الامر بينهن بحياة بعض وموت بعض وسلامة
هذا وهلاك هذا مثلا وقال قتادة رضي الله عنه في كل سما من سمايه وارض من ارضه خلق من خلقه وامر من
امره وقضا من قضايه وقرى ينزل الامر بينهن وقوله تعالى لتعلموا ان الله على كل شي قدير وقرى ليعلموا بالياء
وامر لكي يعلموا اذا تفكرتم في خلق السموات والارض وما جرى في التدبير فيهما اي من بلغت قدرته هذا المبلغ
الذي لا يمكن ان يكون لغيره كانت قدرته ذاتيه لا يعجزه شي عما اراده وقوله ان الله على كل شي قدير من اسمايكم
ذكره وقد احاط بكل شي علما من الكليات والجزييات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السما عالم بجميع
الاشيا وقادر على الانشا بعد الافنا تبارك الله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم اما التعلق بما قبلها
فذلك لاشتراكهما في الاحكام المخصوصة بالنسا واشتراك الخطاب بالطلاق في اول تلك السورة يتبع الخطاب بالتحريم
في اول هذه السورة لما كان الطلاق في الاكثر من السور او في الكل كما هو مذهب البعض مشتملا على تحريم ما احل الله واما
الاول بالاخر فلان المذكور في تلك السورة يدل على عظمة حضرة الله تعالى كما يدل على كمال قدرته وكمال علمه
خلق السموات والارض وما فيهما من الغرايب والعجايب مفتقرا اليهما وعظمة الحضرة فيما في القدرة على تحريم
ما احل الله ولهذا قال تعالى لم تحرم ما احل الله لك واختلفوا في الذي حرم النبي صلى الله عليه وسلم على نفسه قال في
الكشاف وروي انه صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عايشة رضي الله تعالى عنها وعلمت بذلك حفصة فقال
لها النبي صلى الله عليه وسلم اكتمي علي وقد حرمت على نفسي ابشرك ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما يملكان بعدي امر امتي
فاخبرت به عايشة رضي الله تعالى عنها وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة رضي الله عنها فارضاها
بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية وروي ان عمر رضي الله عنه
قال لها لو كان في ال الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها من نسايك
في الجنة وروي انه ما طلقها وانما هم بتطليقها وروي انه عليه السلام شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطات
عايشة وحفصة رضي الله تعالى عنهما فقالتا انا نشم منك ريح المغافير فكان يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او العسل والاول قول الحسن رضي الله تعالى عنه
ومجاهد وقتاده والشعبي ومسروق فحرم النبي صلى الله عليه وسلم ام ولده وخلف ان لا يقربها فانزل الله
تعالى هذه الاية فقيل له اما الحرام فحلال واما اليمين التي حلفت عليها فقد فرض الله لكم تحلة ايمانكم وقال
صاحب النظم قوله تعالى لم تحرم استفهام بمعنى الانكار من الله تعالى نهي وتحريم الحلال مكروه الحلال لا يحرم الا بتحريم
الله عز وجل وقوله تعالى تبتغي مرضات ازواجك قال في الكشاف تبتغي اما تفسير لتحرم حالا او استيناف لانه كان
لا حد ان يحرم ما احل الله والله غفور رحيم قد غفر لك ما تقدم من الزلة رحيم قد رحمك لم يواخذك به في الاية

مباحث

مباحث الاول لم تحرم ما احل الله لك يوهم ان هذا الخطاب بطريق العتاب وخطاب الوصف وهو للنبي ينافي ذلك لما فيه من التشريف
والتعظيم كيف هو نقول الظاهر ان هذا الخطاب ليس بطريق العتاب بل بطريق التنبيه على ان ما صدر منه لم يكن كما ينبغي
الثاني تحريم ما احل الله غير ممكن لان الاحلال ترجيح جانب الحل والتحريم جانب ترجيح الحل والتحريم ترجيح جانب الحرمة
فلا مجال للاجتماع بين الترجيحين فكيف قال لم تحرم ما احل الله لك نقول المراد من هذا التحريم هو الامتناع عن
الانتفاع بالازواج لا لاعتقاده تكونه حراما بعدما احله الله تعالى بعينه فقد كفر فكيف يضاف الى الرسول صلى
الله عليه وسلم مثل هذا الثالث اذا قيل ما حكم تحريم الحلال نقول اختلف الايمة فيه فابو حنيفه رضي الله عنه
يراه يمينا في كل شي ويعتبر الانتفاع المقصود فيما تحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله او امة فعلى
وطيها او زوجة فعلى الايلا وفيها اذا لم يكن له نيه وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق باين
وكذلك ان نوى اثنتين وان نوى ثلثا فكما نوى وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين ربه ولا يدين في القضا
بابطال الايلا وان قال كل حلال علي حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي رحمه الله
تعالى يمينا ولكن سببا في الكفارة في النسا وحدهن وان نوى الطلاق فهو رجعي عنده واما اختلاف الصحابه
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فيه فكما هو في الكشاف فلا حاجة بنا الى ذكر ذلك والله اعلم **قوله تعالى**
قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا
فلما نبات به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نباها به قالت من انباك
هذا قال نباني العليم الخبير اعلم ان قوله تعالى قد فرض الله لكم قال مقاتل رضي الله تعالى عنه يعني قد
بين الله كما في قوله تعالى قد علمنا ما فرضنا وكما في قوله تعالى سورة انزلناها وفرضناها وقال الباقون قد
اوجب وقال صاحب النظم اذا وصل بعلى لم يحتمل غير الايجاب كما في قوله تعالى قد علمنا ما فرضنا واذا وصل باللام
احتمل الوجهين قوله تعالى تحلة ايمانكم اي تحليلها بالكفارة وتحلة على وزن تفعلة واصله تحللة وتحلة القسم
على وجهين احدهما تحليله بالكفارة كالذي في هذه الاية وثانيها ان يستعمل بمعنى الشي القليل وهذا هو الاكثر
كما روي في الحديث لن يلج النار الا تحلة القسم يعني زمانا يسيرا وروي كفارة ايمانكم ونقل جماعة من المفسرين
ان النبي صلى الله عليه وسلم حلف ان لا يطا جاريته فذكر الله تعالى له ما اوجب الله كفارة اليمين وروي ابن جبير
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم يمين يعني اذا قال انت علي حرام ولم يقل نويت طلاقا ولا ظهارا كان هذا اللفظ
موجبا للكفارة والله مولاكم اي وليكم وناصركم وهو العليم بخلقه الحكيم فيما فرض من حكمته قوله تعالى واذ اسر النبي
الى بعض ازواجه حديثا يعني ما اسر الى حفصه من تحريم الجارية على نفسه واستكتمها ذلك وقيل لما راى النبي
صلى الله عليه وسلم العبرة في وجه حفصه اراد ان يترضاها بذلك فاسر اليها بشيين تحريم الامة على نفسه
والبشارة ان الخلافة بعده في ابي بكر وابيها عمر رضي الله تعالى عنهما فلما نبات به اخبرت به عايشة رضي الله تعالى
عنها واظهره الله تعالى اطلعه الله على قول حفصه لعايشه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم حفصه عند ذلك ببعض
ما قالت وهو قوله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض لم يخبرها انك اخبرت عايشه رضي الله عنها على وجه التكرم
والاغضا والذي اعرض عنه ذكر خلافة ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وقرى عرف مخففا اي جازى عليه من قولك
للمسي لاعرفن لك ذلك وقد عرفت ما صنعت ما الله تعالى اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم اي يجازيهم وهو يعلم
ما في قلوبهم الخلق اجمعين وهو قوله تعالى فلما نباها به قالت حفصة من انباك هذا قال نباني العليم الخبير
وصفه بكونه خبيرا بعد ما وصفه بكونه عليما لما في الخبير من المبالغة ما ليس في العليم وفي الاية مباحث
الاول كيف يناسب قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم الى قوله تعالى لم تحرم ما احل الله لك نقول يناسبه لما كان
تحريم المراة يمينا حتى اذا قال لامراته انت علي حرام فهو يمين ويصير موليا اذا لم يقربها بعد ويعرف لما في ظاهر قوله تعالى
قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم انه كانت منه يمين فهل كفر النبي صلى الله عليه وسلم لذلك نقول عن الحسن انه
لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وانما هو تعليم المومنين وعن مقاتل رضي الله تعالى عنه
انه اعتق رقبة في تحريم مارية ثم قال تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما الاية قوله تعالى ان تتوبا الى الله خطابا
لعايشة وحفصة رضي الله تعالى عنهما على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في معاتبتهما والتوبة من التعاون على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالايذا فقد صغت قلوبكما اي عدلت ومالت عن الحق وهو حق الرسول صلى الله عليه
وسلم وذلك حق عظيم وجد فيه استحقاق العذاب بادنى تقصير وجواب الشرط محذوف للعلم به على تقدير كان خيرا
لكما والمراد بالجمع في قوله قلوبكما التثنية قال الفرا وانما اختير الجمع على التثنية لان اكثر ما تكون عليه الجوارح اثنان في الانسان
اليدين والرجلين والعينين فلما جرى اكثره على ذلك ذهب بالواحد منه اذا اضيف لاثنين الى مذهب الاثنين وقد مر هذا
وان تظاهرا عليه اي وان تعاونا على النبي صلى الله عليه وسلم بالايذا فان الله تعالى هو مولاه اي له نصرة لكل التظاهر
منكما ومولاه اي وليه وناصره وجبريل عليه السلام راس الكروبيين فترك ذكره بذكره منفردا له من الملايكة تعظيما له
واظهارا للمكانة وصالح المومنين فصالح قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد ابا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما هو الساكن

للنبي صلى الله عليه وسلم من عاداة الناس من له وهو قول المسالمين وقال الفضي اي حماة المومنين وقيل من صلح من المومنين اي كل من امن وعمل صالحا وصلح من برى منهم النفاق وقال الانبياء كلهم وكل الخلق وقيل الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وصالح هنا ينوب عن جمع ويجوز ان يراد به الواحد والجمع وقوله تعالى والملئكة بعد ذلك ظهير اي بعد حضره الله تعالى وجبريل وصالح المومنين ظهير اي فوج مظاهر النبي صلى الله عليه وسلم واعوان له وظهير في معنى الظهير لقوله تعالى وحسن اولئك رفيقا قال الزجاج والملئكة بعد نصرة الله هو له ظهير قال ابو علي وقد جا فعيل مفرد يراد به الكثرة لقوله تعالى ولا يسال حميم حميما يبصرونهم ثم خوفهما بقوله تعالى عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات قال المفسرون عسى من الله تعالى واجب والمعنى واجب على ربه ان طلقكن ان يبدله وقرا اهل الكوفة ان يبدله بالتخفيف ثم انه تعالى كان عالما انه لا يطلقهن لكن اخبر عن قدرته ان طلقهن ابدله خيرا منهن تخويفا لهن والاكثرة قوله طلقكن الاظهار وعن ابي عمرو ادغام القاف في الكاف لانهما من حروف الفم ثم وصف الازواج التي كان يبدله فقال مسلمات اي خاضعات لله بالطاعة مومنات مصدقات بتوحيد الله تعالى مخلصات قانتات طائعات وقيل قائمات بالليل للصلوة وهذا اشبه لانه ذكر السائحات بعد هذا والسائحات الصائمات فلزم ان تكون قيام الليل مع صيام النهار وقري مسيحات وهو ابلغ وقيل للصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد من يطعمه فشبه بالصايم الذي يمسك الى ان يجي وقت افطاره وقيل سائحات مهاجرات ثيبات وابكارا لان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والاخرة بعضها من الثيب وبعضها من الابكار فالذكر على حسب ما وقع فيه اشارة الى ان تزوج النبي صلى الله عليه وسلم ليس على حسب الشهوة والرغبة بل على حسب ابتغاء مرضات الله وفي الاية مباحث الاول قوله تعالى بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقرى تظاهرون تظاهرا الثاني كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خير من امهات المومنين نقول اذا طلقهن الرسول لعصيانهن له وايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف مع الطاعة لله ولرسوله الثالث قوله مسلمات مومنات فهم للتكرار والمسلمات والمومنات على السواء نقول الاسلام هو التصديق باللسان والايمان هو التصديق بالقلب وقد لا يتوافقان فقوله مسلمات مومنات تحقيقا للتصديق بالقلب واللسان الرابع قال ثيبات وابكارا بالعطف ولم يقل فيما عداهما بواو العطف نقول قال في الكشاف انهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في ساير الصفات الخامس ذكر الثيبات في مقام المدح وهي من جملة ما يقل رغبة الرجال اليهن نقول يمكن ان يكون البعض من الثيب خيرا بالنسبة الى البعض من الابكار عند الرسول صلى الله عليه وسلم لاختصاصهن بالمال والجمال او النسب والمجموع مثلا ولو كان كذلك فلا يقدح ذكر الثيب في المدح لجواز ان يكون المراد مثل ما ذكرناه والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملايكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون

قوا انفسكم اي بالانتهاء عما نهاكم الله تعالى عنه وقال مقاتل رضي الله عنه ان يودب المسلم نفسه واهله فيامرهم بالخير وينهاهم عن الشر وقال في الكشاف قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بان تاخذوهم بما تاخذون به انفسكم وحسن العطف التفاصل اذ لا نفس يامرهم بالشر وقرئ واهلوكم عطفا على انفسكم ما تدعوا اليه وناراً نوعا من النار لا يتقد الا بالناس والحجارة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي حجارة الكبريت لانها اشد الاشياء حرا اي جفاء وقوة في فعالهم جفاء وخشونة ولا يبعد ان يكونوا بهذه الصفات خلقهم او في افعالهم لا يكونوا اشداء على اعداء الله رحماء على اولياء الله تعالى كما قال الله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى ويفعلون ما يومرون يدل على اشتدادهم لمكان الامر لا ياخذهم رافة في تنفيذ امر الله تعالى والانتقام من اعدائه وفيه اشارة الى ان الملائكة مكلفون في الاخرة بما امرهم الله تعالى به وبما نهاهم عنه والعصيان منه مخالفة الامر والنهي وقوله تعالى يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم لما ذكر شدة العذاب بالنار واشتداد الملائكة في انتقام الاعداء فقال تعالى لا تعتذروا اليوم اي قالوا لهم لا تعتذروا اليوم الاعتذار هو التوبة والتوبة غير مقبولة بعد الدخول في النار فلا ينفعكم الاعتذار وقوله تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون يعني ان اعمالكم السيئة الزمتكم العذاب في الجملة وفي الاية مباحث الاول انه تعالى خاطب المشركين في قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين وقال اعدت للكافرين جعلها الله تعالى معدة للكافرين فما معنى مخاطبته به المومنين نقول الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مع الكفار في دار واحدة فقيل للذين امنوا قوا انفسكم بمجانبة الفسوق مجاورة الذين اعدت لهم هذه النار ولا يبعد ان يامرهم بالتوقي عن الارتداد الثاني كيف تكون الملائكة غلاظا شدادا وهم من الارواح فنقول الغلاظة الشدة بحسب الصفات لما كانوا من الارواح لا بحسب الذات وهذا اقرب بالنسبة الى الغير من الاقوال الثالث قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم في معنى قوله تعالى ويفعلون ما يومرون فما الفايدة في الذكر فنقول ليس هذا في معنى ذلك لان معنى الاول انهم يقبلون اوامره ويلتزمونها ولا ينكرونها ومعنى الثاني انهم يودون ما يومرون به كذا ذكره الكشاف والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله

توبة



توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير

**اعلم** ان قوله تعالى توبة نصوحا اي توبة بالغة في النصح وقال الفراء نصوحا من صفة التوبة والمعنى توبة تنصح صاحبها بترك العود وهو انها الصادقة الناصحة ينصحون بها انفسهم وعن عاصم نصوحا بضم النون وهو مصدر نحو القعود تقال نصحت له نصحا ونصاحة ونصوحا قال في الكشاف وصفة التوبة بالنصح على الاسناد المجازي وهو ان يتوبوا على القبايح نادمين عليها غاية الندامة لا يعودون وقيل من نصاحة الثوب اي خياطته وعسى ربكم اطماع من الله تعالى لعباده وقوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي نصب بيدخلكم ولا يخزي تعريض بمن اخزاهم الله تعالى من اهل الكفر والفسق واستحمال المومنين على انه عصمهم من مثل حالهم ثم المعتزلة تعلقوا بقوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي وقالوا الاخزاء يقع بالعذاب فقد وعدنا بان لا يعذب الذين امنوا ولو كان اصحاب الكباير من اهل الايمان لم يعذبهم العذاب في اهل السنة اجابوا عنه بانه تعالى وعد اهل الايمان بان لا يخزيهم والذين امنوا ابتداء الكلام وخبره يسعى ولا يخزي الله ثم نقف على قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي ثم لا يخزيه في رد الشفاعة والاخزاء الفضيحة اي لا يفضحهم بين يدي الكفار ويجوز ان يعذبهم على وجه لا يقف الكفرة بين ايديهم اي المسيء وبايمانهم وعند الحساب لانهم يوتون الكتاب بايمانهم وفيه نور وخير او يسعى النور بين ايديهم في موضع وضع الاقدام بايمانهم لان حلفهم وشمالهم طريق الكفرة وقوله تعالى ربنا اتمم لنا نورنا قال ابن عباس رضي الله عنهما يقولون ذلك عند اطفاء النور اي نور المنافقين وعن الحسن رضي الله تعالى عنه انه تعالى متمم لهم نورهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله تعالى لقوله تعالى واستغفر لذنبك وهو مغفور وقيل ادناهم منزلة من نوره بقدر ما يبصر مواطئ الاقدام لان النور على قدر الاعمال فيسالون اتمامه وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالبرق وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا فهم الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا قاله في الكشاف وقوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم اي شدد عليهم والمجاهدة قد تكون بالقتال وقد يكون بحجة تارة باللسان وتارة بالسنان وقيل جاهدهم باقامة الحدود عليهم كانهم مرتكبون الكباير لان اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم عصموا منها وما واهم جهنم قد مر بيانه وفي الاية مباحث الاول كيف تتعلق يا ايها الذين كفروا فنقول نبههم الله تعالى على دفع العذاب في ذلك اليوم بالتوبة في هذا اليوم اذ في ذلك لا يفيد وفيه لطيفة وهي ان التنبيه على الدفع بعد الترهيب فيما مضى وبعد الترغيب بذكر احوالهم والانعام في حقهم واكرامهم الثاني انه تعالى لا يخزي النبي في ذلك اليوم ولا الذين معه فنقول هي افادة الاجتماع يعني لا يخزي الله تعالى المجموع اي الذين يسعى نورهم وهذه فائدة عظيمة اذ الاجتماع بين الذين امنوا وبين نبيهم تشريفا في حقهم وتعظيم الثالث قوله تعالى واغفر لنا نورهم ان الدعا لازم لكل واحد من المذنبين والاستغفار يكون لازما فنقول يمكن ان تكون طلبا للمغفرة لما هو لازم لكل ذنب وهو التقصير في الخدمة والتقصير لازم لكل واحد من المومنين الرابع قال الله تعالى في اولها يا ايها النبي لم تحرم ومن بعده يا ايها النبي جاهد الكفار خاطبه بوصفه وهو النبي لا باسمه كقوله يا ادم يا موسى يا عيسى فنقول خاطبه بهذا الوصف ليدل على فضيلته عليهم وهذا ظاهر الخامس قوله تعالى وما واهم جهنم يدل على ان مقرهم بئس المصير مطلقا اذ المطلق يدل على الدوام وعن المطلق لا يدل لما انه يطهرهم عن الاثام والله تعالى اعلم



**قوله تعالى** ضرب الله مثلا للذين كفروا امرات نوح وامرات لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين امنوا امرات فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين

**اعلم** ان قوله تعالى ضرب الله مثلا اي بين حالهم بطريق التمثيل انهم معاقبون على كفرهم وعداوتهم للمومنين معاقبة مثلهم من غير ابقاء ولا محاباة ولا ينفعهم عداوتهم لهم ما كانوا فيه من القرابة بينهم وبين نبيهم السنة والتنسه وانكارهم الرسول وما جاء به من عند الله تعالى واصرارهم عليه قطع العلايق وجعل الاقارب من جملة الاجانب بل ابعد منهم وان كان المومن الذي يتصل به الكافر نبيا كحال امراة فرعون نوح ولوط عليهما السلام لما خانتاهما لم يغن بهذان الرسولان وقيل لهم في اليوم الاخر ادخلا النار ثم بين حال المسلمين في ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال امراة فرعون ومنزلتها عند الله تعالى مع كونها زوجة ظالم من اعداء الله تعالى ومريم ابنة عمران وما اوتيت من كرامة الدنيا والاخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا وفي ضمن هذين التمثيلين تعريض بامي المومنين وهما حفصة وعايشة رضي الله عنهما وما فرط منهما وتحذيرا لهما على اغلب وجه واشده لما في التمثيل من ذكر الكفر وضرب مثلا اخر في امراة فرعون بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى عليه السلام امنت حين سمعت قصة القاء موسى عليه السلام عصاه

عجباه وتلقف العصى بعدها فرعون عذابا شديدا بالايمان عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه وتدها باربعة اوتاد واستقبل بها الشمس والقى عليها صخرة عظيمة فقالت رب نجني من فرعون روحها الجنة فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيها قال الحسن رضي الله عنه رفعها ياكل منها وتشرب وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا رات بيتا في الجنة يبنى لها وهي ذروة والله اعلم كيف هو وما هو وفي الاية مباحث الاول الفايدة قوله تعالى من عبادنا تعظيما لهم كما مر الثاني اظهار العبد بانه لا يترجح عن الاخر عنده الا بالصلاح الثالث ما كانت خيانتهما تقول لعاقبتهما واحقا وهما الكفر وتظاهرهما على الرسول صلى الله عليه وسلم فامراة نوح عليه السلام قالت لقومه انه مجنون وامراة لوط كانت يدل على نزول ضيف ابرهيم عليه السلام ولا يجوز ان خيانتهما بالفجور وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما بغت امراة نبي قط حاسيهما في الدين الثالث ما معنى ابن لي عندك وفي الجنة تقول طلبت القرب من رحمة الله لم يتبين مكان القرب بقولها في الجنة واراد ارتفاع درجتها في الجنة الماوى التي هي اقرب الى العرش والله تعالى اعلم **قوله تعالى** ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين احصنت اي عن الفواحش لانها قذفت بالزنا والفرج محمولا على حقيقته قال ابن عباس رضي الله عنهما نفخ جبريل عليه السلام في جيب الدرع ومده باصبعه ونفخ فيه وكل ما في الدرع والخرق ونحوه فانه يقع عليه اسم الفرج وقيل احصنت تكلفت في تحصينها والمحصنة والعفيفة ونفخنا فيه من روحنا اي في فرج ثوبها وصل خلقنا فيه ما يظهر به الحياة في الابدان فقوله فيه اي في عيسى عليه السلام والنفس مؤنث واما النسبة بالنفخ فذلك ان الروح اذا خلق فيه انتشر في عام الجسد كالريح اذا نفخت في شيء وصل النسبة بالنفخ لسرعة دخوله فيه نحو الريح وصدقت بكلمات ربها قال مقاتل رضي الله تعالى عنه يعني بعيسى عليه السلام ويدل عليه قراءة الحسن بكلمة ربها وسمى عيسى كلمة الله تعالى في مواضع من القران رجعت تلك الكلمة هنا وقال ابو علي الفارسي الكلمات الشرايع التي شرع الله تعالى لها دون القول وكان المعنى صدقنا الشرايع فاخذت بها وصدقت الكتب وهو معنى التصديق لعمه وقرئ بكلمة وكلمات وكتبه وكتابه والمراد بالكتاب هو الكثرة والسماع ايضا وكانت من القانتين المطيعين قال ابن عباس رضي الله عنهما وقال ابن عطا رضي الله عنه من المصلين وفي الاية مباحث الاول ما كلمات الله وكتبه نقول المراد بكلمات الله الصحف المنزلة على ادريس عليه السلام وغيره وبكتبه الاربعة وان يراد جميع ما كلم الله ملايكته وما كتبه في اللوح المحفوظ وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى عليه السلام وكتابه هو الانجيل فصل من القانتين لان المراد هو القوم وانه عام كما رجع مع الراكعين صفة تشمل من قنت من القانتين ذكره ومن للتبعيض قاله في الكشاف ومن القانتين لان المراد هو القوم وانه عام كما رجع مع الراكعين اي كونى من القانتين ولانها من اعقاب هرون اخو موسى عليهما السلام اما ضرب المثل بامراة نوح المسماة بواعلة وامراة لوط بواهلة مشتمل على فوايد متعددة لا يعرفها بتمامها الا الله تعالى والظاهر منها التنبيه للرجال والنساء على الثواب العظيم والعذاب الاليم ومنها العلم بان صلاح الغير لا ينفع المفسد وفساد الغير لا يضر المصلح ومنها ان الرجل وان كان في غاية الصلاح فلا يامن المراة ولا من نفسه كالمصادر من امراتي نوح ولوط عليهما السلام ومنها العلم بان احصن المراة وعقبها معيدة غاية الافادة كما افادت مريم بنت عمران عليها السلام اخبر الله تعالى فقال ان الله اصطفاك على نساء العالمين ومنها الحسن على ان التضرع بالصدق في حضرة الله تعالى وسيلة الى الخلاص عن العقاب والى الثواب بغير حساب والرجوع الى الحضرة الازلية لازم في كل باب واليه المرجع والماب جلت قدرته وعلت كلمته لا اله الا هو اليه المصير والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور **اعلم** ان قوله تعالى تبارك فقد فسرناه في اول سورة الفرقان واما قوله تعالى بيده الملك فاعلم ان هذه اللفظة انما تستعمل لتاكيد كونه تعالى ملكا ومالكا كما يقال بيد فلان الامر والنهي والحل والعقد ولا مدخل للجارحة في ذلك قال صاحب الكشاف بيده الملك كل موجود وهو على ما لم يوجد من الممكنات قدير وهو قوله تعالى على كل شيء قدير وفيه مسايل المسالة الاولى هذه الاية احتج بها من زعم ان المعدوم شيء فقال قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير يقتضي كون مقدوره شيا فذلك الشيء الذي هو مقدور الله تعالى اما ان يكون موجودا او معدوما لا جايز ان يكون موجودا لانه لو كان قادرا على الموجود لكان اما ان يكون قادرا على اعدامه وهو محال كما ستاتي استحالة وقوع الاعدام بالفاعل وذلك لان القدرة صفة مؤثرة فلا بد لها من تاثير والعدم نفي محض فيستحيل جعل العدم اثر القدرة فيستحيل وقوع الاعلام بالفاعل

فثبت



فثبت ان الشيء الذي هو مقدور الله تعالى هو ليس بموجود فوجب ان يكون معدوما فلزم ان يكون ذلك المعدوم شيئا احتج اصحابنا الباقون بكون العدم شيا بهذه فقالوا لا شك ان الجوهر من حيث انه جوهر شيء والسواد من حيث انه السواد واما اذا كان كذلك كان كون الجوهر جوهرا والسواد سوادا واقعا بالفعل والفاعل المختار لا يجوز ان يكون على فعله قادرا او وجود تعالى وذاته متقدم على كون الجوهر جوهرا والسواد سوادا فلزم ان يكون المعدوم شيا وهو المطلوب ثم اجابوا عن شبهة الخصم بانا لا نسلم ان الاعدام لا يقع بالفاعل وان سلمنا ذلك لكن لم لا يجوز ان يقال المعدوم الذي هو معدوم سمي شيا لاجل انه سيصير شيا وهذا وان كان مجازا الا انه يجب المصير اليه لقيام سابر الادلة الدالة على ان المعدوم ليس بشيء المسالة الثانية زعم القاضي ابو بكر في احد قوليه ان اعدام الاجسام انما يقع بالفاعل وهذا اختيار ابي الحسن الخياط ومحمد الخوارزمي من المعتزلة وزعم الجمهور منا ومن المعتزلة انه يستحيل وقوع الاعدام بالفاعل احتج القاضي بان الموجودات اشيا والله على كل شيء قدير فاذا هو قادر على الموجودات فاما ان يكون قادرا على ايجادها وهو محال لان ايجاد الموجود محال او على اعدامها وذلك يقتضي امكان وقوع الاعدام بالفاعل المسالة الثالثة زعم الكعبي على انه تعالى غير قادر على مقدور العبد وزعم ابو علي وابو هاشم انه تعالى غير قادر على مقدور قال اصحابنا انه قادر على مثل مقدور العبد وعلى غير مقدوره واحتجوا على ذلك بانه غير مقدور العبد ومثل مقدوره شيء والله على كل شيء قدير فثبت بهذا صحة وجود مقدور واحد بين قادرين المسالة الرابعة زعم اصحابنا انه لا موثر الا قدرة الله تعالى وابطلوا القول بكون العبد موجد الافعال نفسه واحتجوا على ذلك بان الاية دالة على انه تعالى قادر على كل شيء فلو وقع شيء من الممكنات لا بقدرة الله تعالى بل بشيء اخر لكان ذلك الاخر مانعا قدرة الله تعالى عن التاثير فيما كان مقدورا وذلك محال لان ما سوى الله تعالى ممكن محدث فيكون اضعف قوة من قدرة الله تعالى والاضعف لا يمكن ان يدفع الاقوى المسالة الخامسة هذه الاية دالة على ان الاله واحد لانا لو فرضنا الهين فاما ان يقدر على ايجاد شيء او لا يقدر فان لم يقدر البتة على شيء اصلا لم يكن الها وان قدر كان مقدور ذلك الاله الثاني شيا فيلزم كونه مقدورا للاله الاول لقوله تعالى وهو على كل شيء قدير فيلزم وجود مخلوق من خالقين وهو محال لانه اذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد يلزم ان يستغني لكل واحد منهما عن كل واحد فيكون محتاجا اليهما وغنيا عنهما وذلك محال المسالة السادسة احتج جهم بهذه الاية على انه تعالى ليس بشيء فقال لو كان شيا لكان قادرا على نفسه لقوله تعالى وهو على كل شيء قدير لكن كونه قادرا على نفسه محال فيمتنع كونه شيا وقال اصحابنا لما دل قوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله على انه شيء وجب تخصيص هذا العموم فاذا هذه الاية قد دلت على ان العام المخصوص وارد في كتاب الله تعالى ودلت على ان تخصيص العام بدليل العقل جايز بل واقع المسالة السابعة زعم جمهور المعتزلة على ان الله تعالى قادر على كل خلق الجهل والكذب والعبث والظلم وزعم النظام انه غير قادر عليه واحتج الجمهور بان الكذب والجهل اشياء والله على كل شيء قدير فوجب كونه تعالى قادرا عليها المسالة الثامنة احتج اهل التوحيد على انه تعالى منزه عن الحيز والجهة فانه تعالى لو حصل في حيز لكان الحيز الذي حكم بحصوله فيه متميزا عن الحيز الذي حكم بانه غير حاصل فيه اذ لو لم يتميز احد الحيزين عن الاخر لاستحال الحكم بانه تعالى حصل فيه ولم يحصل في الاخر ثم ان امتياز احد الحيزين عن الاخر في نفسه يقتضي كون الحيز امرا موجودا لان العدم المحض يمتنع ان يكون المشار اليه بالحس وان يكون بعضه متميزا عن البعض في الحس وان يكون موجدا للمتحرك فاذن لو كان الله تعالى حاصلا في الحيز لكان ذلك الحيز موجودا ولو كان ذلك الحيز موجودا لكان شيا ولكان مقدورا لله تعالى لقوله تعالى والله على كل شيء قدير واذا كان تحقق ذلك الحيز بقدرة الله تعالى وبايجاده ملزم ان يكون الله تعالى متقدما في الوجود على تحقق ذلك الحيز ومتى كان كذلك كان وجود الله تعالى في الازل متحققا من غير حيز ولا جهة اصلا ولا يزول الله فثبت انه تعالى منزه عن الحيزة والمكان ازلا وابدا المسالة التاسعة انه تعالى قال اولا بيده الملك ثم قال بعده وهو على كل شيء قدير وهذا مشعر بانه انما يكون بيده الملك لو ثبت انه على كل شيء قدير وهو الذي نقوله اصحابنا بانه لو وقع مراد العبد ولم يقع مراد الله لكان ذلك مشعرا بالعجز والضعف وبان لا يكون مالك الملك على الاطلاق فدل ذلك على انه تعالى مالك الملك وجب ان يكون قادرا على جميع الاشيا المسالة العاشرة القدير مبالغة في القادر فلما كان قديرا على كل الاشيا وجب ان لا يمنعه مانع البته من ايجاد شيء من مقدوراته وهذا يقتضي ان لا يجب لاحد عليه شيء والا لكان ذلك الواجب مانعا من الترك وان يقبح منه شيء والا لكان ذلك القبح مانعا من الفعل فلا يكون كاملا في القدرة ولا يكون قديرا قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة فيه مسالتان المسالة الاولى قالوا الحياة هي الصفة التي يكون الموصوف بها بحيث يصح ان يعلم ويقدر واختلفوا في الموت فقال قوم انه عبارة عن عدم هذه الصفة وقال اصحابنا انه صفة وجودية مضادة للحياة واحتجوا على قولهم بانه تعالى قال الذي خلق الموت والحياة والعدم لا يكون

مخلوقا وهذا هو التحقيق وروى الكلبي رضي الله تعالى عنه باسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما انه تعالى خلق
الموت في صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد رائحته شيء الا مات وخلق الحياة في صورة فرس بلقا فوق الحمار ودون البغل
لا يمر بشيء ولا يجد رائحته شيء الا حيي واعلم ان هذا لا بد وان يكون معمولا على سبيل التمثيل والتصوير والا
فالتحقيق هو الذي ذكرناه **المسئلة الثانية** انما قدم ذكر الموت على الحياة مع ان الحياة مقدمة على الموت
لوجوه احدها قال مقاتل رضي الله تعالى عنه يعني فالموت نطفة وعلقة ومضغة والحيوة نفخ الروح
وثانيها روى عطا رضي الله تعالى عنه قال يريد الموت في الدنيا والحياة في الاخرة دار الحيوان وثالثها انه روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم اي مناديا ينادي يوم القيمة يا اهل الجنة خلود فلا يموتون ويا اهل النار خلود فلا يموتون
فيزداد اهل الجنة فرحا على فرحهم ويزداد اهل النار حزنا على حزنهم **واعلم** انا بينا ان الموت عرض من الاعراض
كالحركة والسكون فلا يجوز ان يصير كبشا بل المراد منه التمثيل ليعلم ان ذلك اليوم قد انقضى امر الموت فيظهر بما ذكرنا
ان ايام الموت هي ايام الدنيا وهي منقضية واما ايام الاخرة فهي ايام الحياة وهي متاخرة فلما كانت ايام الموت متقدمة
على ايام الحياة لا جرم قدم الله تعالى ذكره الموت على ذكر الحياة ورابعها انما قدم الموت على الحياة لان اقوى الناس داعيا
الى العمل الصالح من نصب موته بين عينيه فقدم فيما يرجع الى الغرض المسبوق به الاهم **المسئلة الثالثة** اعلم ان
الحياة هي الاصل في النعم ولولاها لم يتنعم احد في الدنيا وبها لا يصل ايضا في نعم الاخرة ولولاها الثواب الدايم والموت ايضا نعمة
على ما شرحنا الحال فيه في مواضع من هذا الكتاب وكيف لا وهو الفاصل بين حال التكليف وحال المجازات وهو نعمة من هذا الوجه
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هادم اللذات وقال لقوم لو اكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلكم عما ارى
وسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل فاثنوا عليه فقال كيف ذكره الموت فقالوا قليل قال فليس كما تقولون
قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور وفيه مسايل **الاولى** الابتلاء هو التجربة والامتحان حتى يعلم انه
هل يطيع او يعصي وذلك في حق من وجب ان يكون عالما بجميع المعلومات ازلا وابدا محال الا انا قد حققنا تفسير هذه
المسئلة في تفسير قوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن والحاصل ان الابتلاء من الله تعالى هو ان يعامل عبده
معاملة تشبه المختبر **الثانية** احتج القايلون بانه تعالى يفعل الفعل لغرض فقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن
عملا قالوا وهذه اللام للغرض ونظيره قوله تعالى الا ليعبدون وجوابه ان الفعل في نفسه ليس بالابتلاء ولا يكفه
لما اشبه الابتلاء سمي به مجازا فكذا ههنا اشبه الغرض وان لم يكن في نفسه غرضا فذكر فيه حرف الغرض **الثالثة**
اعلم انا فسرنا الموت والحياة فالموت حال كونه نطفة وعلقة ومضغة والحياة بعد ذلك فوجه الابتلاء على
هذا الوجه ان يعلم انه تعالى هو الذي نقله من الموت الى الحياة وكما فعل ذلك فلا بد وان يكون قادرا على ان
ينقله من الحياة الى الموت فيحذر مجيء الموت الذي به يمنع استدراك ما فات ويستوي فيه الفقير والغني والمولى
والعبد واما ان فسرناهما بالموت في الدنيا وبالحياة في القيامة والابتلاء فيهما انما كان الخوف من الموت في الدنيا حاصل
واسد منه الخوف من تبعات الحياة في القيمة والمراد من الابتلاء انه هل يرجع عن القبايح بسبب هذا الخوف ام لا **الرابعة**
في تعلق قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وجهان الاول وهو قول الفرا والزجاج ان المتعلق بايكم مضمر والتقدير
ليبلوكم فيعلم او فينظر ايكم احسن عملا والثاني قال صاحب الكشاف ليبلوكم في معنى ليعلمكم ايكم احسن عملا
ارتفعت ايكم بالابتداء ولا يعمل فيها ما قبلها لانها على اصل الاستفهام فانك اذا قلت لا اعلم ايكم افضل كان المعنى
ليعلم ازيد اعلم ام عمرو واعلم انه لا يعمل فيما بعد الالف فلذلك لا يعمل في اي لان المعنى واحد ونظير هذه الاية قوله
تعالى سلهم ايهم بذلك زعيم وقد تقدم الكلام فيه **الخامسة** ذكروا في تفسير احسن عملا وجوها احدها
ان يكون اخلص الاعمال واصوبها لان العمل اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل ولذلك اذا كان صوابا غير خالص
فالخالص ان يكون لوجه الله تعالى والصواب ان يكون على السنة وثانيها قال قتادة رضي الله عنه سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يعني ايكم احسن عملا ثم قال ايكم احسن عقلا واشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر الله
تعالى به ونهى عنه نظرا وانما جاز ان يفسر حسن العمل بتمام العقل لانه يترتب على العقل فمن كان اتم عقلا كان احسن
عملا على ما ذكر من حديث قتادة رضي الله عنه وثالثها روى الحسن ايكم ازهد في الدنيا واشد تركا لها
واعلم انه لما ذكر حديث الابتلاء قال تعالى بعده وهو العزيز الغفور اي وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء
العمل الغفور لمن تاب من اهل الاساة واعلم ان كونه عزيزا غفورا لا يتم الا بعد كونه قادرا على كل المقدورات
عالما بكل المعلومات اما انه لا بد من القدرة التامة فلاجل ان يتمكن من ايصال جزا كل احد بتمامه اليه سواء
كان ثوابا او عقابا واما انه لا بد من العلم التام فلاجل ان يعلم المطيع من هو والعاصي من هو فلا يقع الخطا في ايصال
الحق الى مستحقه فثبت ان كونه عزيزا غفورا لا يمكن ثبوتهما الا بعد ثبوت القدرة التامة والعلم التام فلهذا
السبب ذكر الله تعالى الدليل على ثبوت هاتين الصفتين في هذا المقام ولما كان العلم بكونه تعالى قادرا متقدما
على العلم بكونه عالما لا جرم ذكر اولا دلايل القدرة فانا بينا دلايل العلم اما دليل القدرة فهو قوله تعالى الذي
خلق سبع سموات طباقا وفيه مسايل **الاولى** ذكر صاحب الكشاف في طباقا ثلاثة اوجه احدها طباقا



اى مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر وثانيها ان يكون التقدير
طوبقت طباقا الثانية دلالة هذه السموات على القدرة من وجوه احدها انه بقيت في جو الهوا معلقة بلا عماد ولا سلسلة
وثانيها من حيث ان كل منها اختص بمقدار معين مع جواز ما هو ازيد منه وانقص وثالثها انه اختص كل واحد منها بحركة خاصة مقدرة
بقدر معين من السرعة والبطوء الى جهة معينة ورابعها كونها في ذواتها محدثة وكل ذلك يدل على استنادها الى قادر تام
القدرة واما دليل العلم فهو قوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قرا حمزة والكسائي من تفوت
والباقون من تفاوت قال الفراء هما بمنزلة واحدة مثل تصعر وتصاعر وتعهدته وتعاهدته وقال الاخفش تفاوت
اجود لانهم يقولون تفاوت الامر ولا يكادون يقولون تفوت واختار ابو عبيد تفوت قال يقولون تفوت الشيء
اذا فات واحتج بما روي في الحديث ان رجلا تفوت على ابيه من ماله **الثانية** حقيقة التفاوت عدم التناسب
كان بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلايمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفي نقيضه متناسب واما الفاظ المفسرين فقال السدي
من تفاوت اي من اختلاف وعيب تقول الناظر لو كان كذا لكان احسن وقال اخرون من التفاوت الفطور بدليل قوله تعالى
بعد ذلك فارجع البصر هل ترى من فطور ونظيره قوله تعالى وما لها من فروج قال القفال ويحتمل ان يكون المعنى ما ترى في خلق الرحمن
من تفاوت في الدلالة على حكمة صانعه وانه لم يخلقها عبثا **الثالثة** الخطاب في قوله تعالى ما ترى اما للرسول صلى الله عليه
وسلم واما لكل مخاطب وكذا القول فيه قوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسيا
**الرابعة** قوله طباقا صفة السموات وقوله تعالى بعد ذلك ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت صفة اخرى للسموات والتقدير خلق سبع
سموات طباقا ما ترى فيهن من تفاوت الا انه وضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت
وهو انه خلق الرحمن فانه بباهر قدرته هو الذي خلق مثل ذلك الخلق المناسب **الخامسة** اعلم ان وجه الاستدلال بهذا على كمال علم
الله هو ان الحس دل على ان هذه السموات السبع اجسام مخلوقة على وجه الاحكام والاتقان وكل فاعل كان فعله محكما متقنا
فانه لا بد وان يكون عالما فدلت هذه الدلالة على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات فقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
اشارة الى كونها محكمة متقنة **السادسة** احتج الكعبي بهذه الاية على ان المعاصي ليست من خلق الله تعالى قال لانه تعالى
نفى التفاوت عن خلقه وليس المراد نفي التفاوت في الصغر والكبر والنقص والعيب فوجب حمله على نفي التفاوت في خلقه من
حيث الحكمة فدل من هذا الوجه على ان افعال العباد ليست من خلقه على ما فيها من التفاوت الذي بعضه جهل وبعضه كذب وبعضه
سفه والجواب بل يجب حمله على انه لا تفاوت فيها بالنسبة اليه من حيث ان الكل يصح بحسب القدرة والارادة والداعية وانه
لا يقبح منه شيء اصلا فلم كان حمل الاية على التفاوت من الوجه الذي ذكرتم اولى من حملها على نفي التفاوت من الوجه الذي ذكرتم
اولى من حملها على نفي التفاوت الذي ذكرنا ثم انه تعالى اكد بيان تحكمها بحكمة متقنة وقال تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور
والمعنى انه تعالى لما قال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت كانه قال بعده ولعلك لا تحكم بمقتضى ذلك النظر الواحد ولا تعتمد
عليه بسبب انه قد يقع الغلط في النظرة الواحدة ولكن ارجع البصر واردد النظر مرة اخرى حتى تتيقن انه ليس في خلق
الرحمن من تفاوت البتة والفطور جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطرات البعير كما يقال شق وشقوق ومعناه
شق السن فطلع قال المفسرون هل ترى من فطور اي من فروج وصدوع وشقوق وفتوق وخروق كل هذا من الفاظهم
ثم قال تعالى ثم ارجع البصر كرتين امره بتكرار البصر في خلق الرحمن على سبيل التصفح والتتبع هل فيه عيبا وخللا يعني
اذا كررت نظرك لم يرجع اليك بصرك بما طلبته من وجدان الخلل والعيب بل يرجع اليك خاسيا يعني مبعدا من قولك خسأت
الكلب اذا باعدته قال المبرد الخاسي المبعد المصغر وقال ابن عباس رضي الله عنهما الخاسي الذي لم ير ما يهوى واما الحسير
فقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الكليل قال الليث الحسر والحسور الاعيا وذكر الواحدي ههنا احتمالين احدهما ان يكون
الحسير مفعولا من حسر العين بعد المرمى قال رؤبة يحسر طرف عينه فضاؤه والثاني قول الفراء ان يكون فاعلا من الحسور الذي هو
الاعيا والمعنى انه وان كرر النظر واعاده فانه لا يجد عيبا ولا فطورا بل البصر يرجع خاسيا مع الكلال والاعيا وههنا
سؤالان **السؤال الاول** كيف ينقلب اليك البصر خاسيا حسيرا برجعه كرتين اثنتين الجواب التثنية للتكرير بكثرة كقولهم لبيك
وسعديك يريد اجابات كثيرة متوالية **السؤال الثاني** فما معنى ثم ارجع البصر امر برجع البصر امره بان لا يقتنع بالرجعة
الاولى بل ان يتوقف بصره ثم يعاوده الى ان يحسر بصره طول المعاودة فانه لا يعثر على شيء من فطور **قوله تعالى ولقد
زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير وللذين
كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير** **اعلم** ان هذا هو الدليل الثاني على كونه تعالى قادرا وعالما
وذلك لان هذه الكواكب نظرا الى انها محدثة ومختصة بمقدار خاص وموضع معين وسير معين يدل على ان صانعها قادر
ونظرا الى كونها محكمة متقنة موافقة لمصالح العباد من كونها زينة لاهل الدنيا وسببا لانتفاعهم بها يدل على ان صانعها
عالم ونظير هذه الاية في سورة والصافات انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد وههنا
مسايل **الاولى** السماء الدنيا اي السماء القربى وذلك لانها اقرب السموات الى الناس ومعناها السماء الدنيا من الناس والمصابيح
السرج اجتمعت فيها مصابيح لا توقد بها مصابيحكم اضاءة اما قوله تعالى وجعلناها رجوما فاعلم ان الرجوم جمع رجم وهو
مصدر سمي ما يرجم به وذكروا في معنى هذه الاية وجهين الاول ان الشيطان اذا اراد استراق السمع رجموا بها فان قيل جعل

زينة السماء تقتضي بقاها واستمرارها وجعلها رجوما للشياطين ورميهم بها يقتضي زوالها والجمع بينهما متناقض قلنا ليس معنى رجم الشيطان هو انهم يرمون باجرام الكواكب بل يجوز ان ينفصل من الكواكب شعل ترمى الشياطين بها وتلك الشعل هي الشهب وما ذاك الا كقبس يوخذ من نار والنار باقية **الوجه الثاني** في تفسير كون الكواكب رجوما للشياطين انا جعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم الاحكاميون من المنجمين **المسئلة الثانية** اعلم ان ظاهر الاية لا يدل اذا كانت الكواكب سواء كانت في سماء الدنيا او كانت في سموات اخرى فوقها لانه لا بد وان يظهر في السماء الدنيا ويلوح منها فعلى التقديرين تكون السماء الدنيا مزينة بهذه المصابيح **واعلم** ان اصحاب الهيئة اتفقوا على ان هذه الثوابت في الفلك الثامن فيجب ان تكون هناك انما قلنا ان بعضها في الفلك الثامن وذلك لان الثوابت التي يكون قربها من المنطقة تنكسف بهذه السيارات فوجب ان تكون الثوابت المنكسفة فوق السيارات الكاسفة وانما قلنا ان هذه الثوابت لما كانت في الفلك الثامن وجب ان تكون كلها هناك لانها باسرها متحركة حركة واحدة بطيئة في كل ماية سنة درجة واحدة فلا بد وان تكون مركوزة في كرة واحدة **واعلم** ان هذه الاستدلالات ضعيفة فانه لا يلزم من كون الثوابت فوق السيارات كون كلها هناك لانه لا يبعد وجود كرة تحت كرة القمر وتكون في البطو مساوية لكرة الثوابت وتكون الكواكب المذكورة فيما نعاينه القطبين مركوزة في هذه الكرة السفلية او لا يبعد وجود كرتين مختلفتين بالكبر والصغر مع كونهما متشابهتين في الحركة وعلى هذا التقدير لا يمتنع ان تكون هذه المصابيح مركوزة في السماء الدنيا فثبت ان مذهب الفلاسفة في هذا الباب ضعيف **المسئلة الثالثة** اعلم ان منافع النجوم كثيرة منها انها زين الله السماء بها ومنها انه يحصل بسببها في الليل قدر من الضوء وكذلك فانه اذا تكاثف السحاب في الليل عظمت الظلمة وذلك بسبب ان السحاب يحجب انوارها ومنها انه يحصل بسببها تفاوت في احوال الفصول الاربعة فانها اجسام عظيمة نورانية فاذا قاربت الشمس كوكبا مسخنا في الصيف صار اقوى حرا وهي مثل نار تضم الى نار اخرى فانه لا شك ان يكون الاثر الحاصل من المجموع اقوى ومنه انه تعالى جعلها علامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر على ما قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون ومنها انه تعالى جعلها رجوما للشياطين الذين يخرجون الناس من نور الايمان الى ظلمات الكفر يروى ان السبب في ذلك ان الجن كانت تسمع خبر السماء فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حرست السماء ورصدت الشياطين فمن جاء منهم مسترقا للسمع رمي بشهاب فاحرقه لئلا ينزل به الى الارض فيلقيه الى الناس فيخلط على النبي امره ويرتاب الناس بخبره وهذا هو السبب في انقضاض الشهب فاحرقه لئلا ينزل به الى الارض فهذا هو المراد من قوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين ومن الناس من طعن في هذا من وجوه احدها ان انقضاض الكواكب مذكورة في كتب قدماء الفلاسفة قالوا ان الارض اذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس فاذا بلغ النار التي دون الفلك احترقها فلك السفلية هي الشهاب وثانيها ان هولاء الجن كيف يجوز ان يشاهدوا واحدا والفا من جنسهم يسترقون السمع فيحرقون ثم انهم مع ذلك يعودون لمثل صنيعهم فاذا العاقل اذا راى الهلاك في شي مرة ومرارا امتنع ان يعود اليه من غير فائدة وثالثها انه تعالى حكى السماء مسيرة خمسمائة عام فهولاء الجن ان نفذوا في جرم السماء وخرقوا افضا فهذا باطل لانه تعالى نفى ان يكون فيها فطور على ما قال تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور وان كانوا لا ينفذون في جرم السماء فكيف يمكنهم ان يسمعوا اسرار الملائكة من ذلك البعد العظيم ثم لم يسمعون كلام الملائكة حال كونهم في الارض ورابعها ان الملائكة انما اطلعوا على الاحوال المستقبلة اما لانهم طالعوها على اللوح المحفوظ او لانهم تلقوها من وحي الله تعالى اليهم وعلى التقديرين فلم سكتوا من ذكرها حتى لا يتمكن الجن من الوقوف عليها وخامسها ان الشياطين مخلوقون من النار والنار لا تحرق النار بل تقويها فكيف يعقل ان يقال الشيطان زجر من استراق السمع بهذه الشهب وسادسها ان كان هذا العذاب لاجل النبوة لاجل النبوة فلم دام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وسابعها ان هذه الرجوم انما تحدث بالقرب من الارض بدليل انا نشاهد حركاتها بالعين ولو كانت قريبة من الفلك لما شاهدنا حركاتها كما لم نشاهد حركات الكواكب واذا ثبت ان هذه الشهب انما تحدث بالقرب من الارض كيف يقال انها تمنع الشياطين من الوصول الى الفلك وثامنها ان هولاء الشياطين لو كان يمكنهم ان ينقلوا اخبار الملائكة من المغيبات الى الكهنة فلم لا ينقلون اسرار المؤمنين الى الكفار حتى يتوسل الكفار بواسطة وقوفهم على اسرارهم الى الحاق الضرر بهم وتاسعها لم لم يمنعهم الله تعالى ابتداء من الصعود الى السماء حتى لا يحتاج في دفعهم عن السماء الى هذا الشهب والجواب عن السؤال الاول انا لا ننكر ان هذه الشهب كانت موجودة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لوجد بسبب اخر وهو دفع الجن وزجرهم يروى انه قيل للزهري اكان يرمى في الجاهلية قال نعم قال افرايت قوله تعالى انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا قال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم والجواب عن السؤال الثاني انه اذا جاء القدر عمي البصر فاذا قضى الله على طائفة منهم الحرق لطغيانها وضلالها قيض له من الدواعي المطمعة في درك المقصود ما عنده تقدم على العمل المفضي الى الهلاك والبوار والجواب عن السؤال الثالث ان البعد بين الارض والسماء مسيرة خمسمائة

عام

عام فاما نتيجة الفلك فلعله لا يكون عظيما اما الجواب عن السؤال الرابع ما روى الزهري عن علي بن الحسين عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال بينا النبي جالسا في نفر من اصحابه اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا حدث مثل هذا قالوا كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم فانها لا ترمى لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تعالى اذا قضى الامر في السماء سبحت حملة العرش ثم سبح اهل السماء وسبح كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه السماء ويخطف الجن السمع فيرمون فما جاوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يزيدون فيه [illegible] الكهانة [illegible] والجواب عن السؤال السابع ان البعد على من هبنا غير مانع من السماع فلعله تعالى اجرى عادته بانهم اذا وقعوا في تلك المواضع سمعوا كلام الملائكة والجواب عن السؤال الثامن لعله تعالى اقدرهم على استماع الغيوب عن الملائكة واعجزهم عن ايصال اسرار المومنين الى الكافرين والجواب عن السؤال التاسع انه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فهذا ما يتعلق بهذا الباب على سبيل الاختصار **واعلم** انه تعالى لما ذكر منافع الكواكب وذكر ان من جملة تلك المنافع انها رجوم للشياطين قال بعد ذلك واعتدنا لهم عذاب السعير اي واعتدنا للشياطين بعد الاحتراق في الشهب في الدنيا عذاب السعير في الاخرة قال المبرد سعرت النار فهي مسعورة وسعير كقولك مقتولة وقتيل واحتج اصحابنا على ان النار مخلوقة الان بهذه الاية لان قوله تعالى واعتدنا خبر عن الماضي والله تعالى اعلم **قوله تعالى** وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير **اعلم** انه تعالى بين في اول السورة انه قادر على جميع المخلوقات الممكنات ثم ذكر بعد ذلك انه وان كان قادرا على الكل الا انه انما خلق ما خلق لا للعبث والباطل بل لاجل الابتلاء والامتحان وبين ان المقصود من ذلك الابتلاء ان يكون عزيزا في حق المصرين على الاساءة غفورا في حق التائبين عنها ولما كان كونه عزيزا غفورا لا يثبت الا اذا ثبت كونه تعالى كاملا في القدرة والعلم بين ذلك بالدلائل المذكورة وحينئذ ثبت كونه قادرا على تعذيب العصاة فقال تعالى وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم اي ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم ليس الشياطين المرجومين مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطف بيان على قوله تعالى عذاب السعير ثم انه تعالى وصف ذلك العذاب بصفات كثيرة **الصفة الاولى** قوله تعالى اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور القوا طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى فيها ومثله قوله تعالى حصب جهنم انتم لها واردون وفي قوله سمعوا لها شهيقا وجوه **احدها** قال مقاتل رضي الله تعالى عنه سمعوا لجهنم شهيقا ولعل المراد تشبيه صوت لهب النار بالشهيق وهو صوت الحمار وقال المبرد هو والله اعلم تنفس كتنفس المتغيظ سمع الكفار للنار شهيقا وهو قبح الاصوات وثانيها قال عطا سمعوا لاهلها ممن طرح فيها سهيقا وثالثها سمعوا من انفسهم شهيقا كقوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق والقول هو الاول **الصفة الثانية** قوله تعالى وهي تفور قال الليث كل شي جاش فقد فار وهو فور القدر والدخان والغضب والماء من العين قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تغلي بهم غلي المرجل وقال مجاهد تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل ويجوز ان يكون هذا من فور الغضب قال المبرد يقال تركت فلانا يفور غضبا ويتاكد هذا القول بالاية الاتية **الصفة الثالثة** قوله تعالى تكاد تميز من الغيظ يقال فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة في الارض وشقة في السماء اذا وصفوه بالافراط واقول لعل السبب في هذا المجاز ان الغضب حالة تحصل عند غليان دم القلب والدم عند الغليان يصير اعظم حجما ومقدارا فيمدد تلك الاوعية عند ازدياد اكثر المقادير الرطوبات في البدن وكلما كان الغضب اشد كان الغليان اشد فكان الازدياد اكثر وكان تمدد الاوعية وانشقاقها وتمزقها اكثر فجعل هذه الملزومة كناية عن شدة الغضب فان قيل النار ليست من الاحياء فكيف يمكن وصفها بالغيظ قلنا الجواب من وجوه احدها ان البنية عندنا ليست شرطا للحياة فلعل الله تعالى يخلق فيها وهي نار حياة وثانيها انه شبه صوت لهبها وسرعة بادرها بصوت الغضبان وحركته وثالثها يجوز ان يكون المراد غيظ الزبانية **الصفة الرابعة** قوله تعالى كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير الفوج الجماعة من الناس والافواج الجماعات في تفرقة ومنه قوله تعالى فتاتون افواجا وخزنتها مالك واعوانه من الزبانية الم ياتكم نذير وهو سوال توبيخ قال الزجاج وهذا التوبيخ زيادة لهم في العذاب وفي الاية مسئلتان **الاولى** احتجت المرجئة على انه تعالى لا يدخل النار احدا الا الكفار بهذه الاية قالوا لانه تعالى حكى عن كل من القي في النار انهم قالوا كذبنا النذير وهذا يدل على ان من لم يكذب الله تعالى ورسوله وجب ان لا يدخل النار **واعلم** ان ظاهر الاية يقتضي ان الفسق المصر لا يدخل النار واجاب القاضي بان النذير يطلق على ما في العقول من الادلة المحذرة المخوفة ولا احد يدخل النار الا وهو مخالف الدليل غير متمسك بموجبه **الثانية** احتج القائلون بان معرفة الله تعالى وشكره لا تجب الا بعد ورود السمع بهذه الاية دل على انه تعالى انما عذبهم لانهم اتاهم النذير وهذا يدل على انه تعالى لو لم ياتهم النذير لما عذبهم ثم انه تعالى حكى عن الكفار جوابهم عن ذلك السوال من وجهين الاول قوله تعالى قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شي **واعلم** ان قوله تعالى بلى اعتراف منهم بعدل الله تعالى واقرار بان الله تعالى ازاح عللهم ببعثة

الرسل ولكنهم كذبوا الرسل وقالوا ما نزل الله من شيء اما قوله تعالى ان انتم الا في ضلال كبير ففيه مسلتان **المسالة الاولى** في الاية وجهان الاول وهو الاظهر انه من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين والثاني يجوز ان يكون من كلام الخزنة للكفار والتقدير ان الكفار لما قالوا ذلك الكلام قالت الخزنة لهم ان انتم الا في ضلال كبير **المسالة الثانية** يحتمل ان يكون المراد من الضلال الكبير ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا ويحتمل ان يكون المراد بالضلال الهلاك ويحتمل ان يكون قد سمى عقاب الضلال باسمه قوله تعالى وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير هذا هو الكلام الثاني مما حكاه الله تعالى عن الكفار جوابا للخزنة حين قال لهم الم ياتكم نذير والمعنى لو كنا نسمع الانذار سماع من كان طالبا للحق او نعقله عقل من كان متاملا متفكرا لما كنا من اصحاب السعير وقيل انما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل وفي الاية مسايل **المسالة الاولى** احتج اصحابنا بهذه الاية في مسالة الهدى والضلال بان قالوا اللفظة لو تفيد امتناع الشيء لامتناع غيره فدلت الاية على انه ما كان لهم سمع ولا عقل لا شك انهم كانوا ذوي اسماع وعقول صحيحة وانهم ما كانوا صم الاسماع ولا مجانين فوجب ان يكون المراد ما كان لهم سمع الهداية ولا عقل الهداية **الثانية** احتج بهذه الاية من قال الدين لا يتم الا بالتعليم فقال انه قدم السمع على العقل تنبيها على انه لا بد اولا من ارشاد المرشدين وهداية الهادي ثم انه يترتب عليه فهم المسموع وتامله فيما يلقيه من المعلم والجواب انه قدم السمع لان المدعو اذا التقى الرسول فاول المراتب انه يسمع كلامه ثم انه يتفكر فيه فلما كان السمع مقدما بهذا السبب على التعقل والتفهم لا جرم قدم عليه في الذكر **الثالثة** قال صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب اصحاب الحديث او على مذهب اهل الراي ثم قال كان هذه الاية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكان سائر اصحاب المذاهب والمجتهدين قد انزل الله تعالى وعيدهم **الرابعة** احتج من فضل السمع على البصر بهذه الاية وقالوا لو دلت الاية على ان السمع مدخل في الخلاص عن النار والفوز بالجنة والبصر ليس كذلك فوجب ان يكون السمع افضل واعلم انه تعالى لما حكى عن الكفار هذا القول قال تعالى فاعترفوا بذنبهم قال مقاتل يعني بتكذيبهم الرسل وهو قولهم فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء وقوله تعالى بذنبهم فيه قولان احدهما ان الذنب ههنا في معنى الجمع لان فيه معنى الفعل يقال خرج عطا الناس اي اعطياتهم هذا القول وهو قول الفراء والثاني يجوز ان يراد بالواحد المضاف الشايع كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم قال تعالى فسحقا لاصحاب السعير قال المفسرون فبعدا لهم والسحق البعد اعترفوا او جحدوا فان ذلك لا ينفعهم وفيه لغتان التخفيف والتثقيل كما يقولون العنق والعنق قال الزجاج سحقا منصوب على المصدر المعنى اسحقهم الله تعالى سحقا اي باعدهم من رحمته مباعدة قال ابو علي الفارسي كان القياس اسحاقا فجاء المصدر على الحذف كقولهم عمرك الله **واعلم** انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بوعد المومنين فقال تعالى ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير وفيه وجهان الاول ان المراد ان الذين يخشون ربهم وهم في دار التكاليف والمعارف النظرية وهم في حاجة الى مجاهدة الشيطان ودفع الشبه بطريق الاستدلال الثاني ان هذا اشارة الى كونه مبغضا الى جميع المعاصي لان من سخط معاصي الله تعالى في الخلوة اتقاها حيث يراه الناس لا محالة واحتج اصحابنا بهذه الاية على انقطاع وعيد الفساق فقالوا دلت هذه الاية على ان من كان موصوفا بهذه الخشية فله هذا الاجر العظيم فاذا جاء يوم القيمة مع الفسق ومع هذه الخشية فقد حصل الامران فاما ان يثاب ثم يعاقب وهو باطل بالاجماع او يعاقب ثم ينقل الى دار الثواب وهو المطلوب واعلم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار ووعد المومنين على سبيل المغايبة رجع بعد ذلك الى خطاب الكفار فقال تعالى وتقدس واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور وفيه وجهان الاول قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل عليه السلام فقال بعضهم اسروا قولكم او اجهروا به لئلا يسمع اله محمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية القول الثاني انه خطاب عام لجميع الخلق في جميع الاعمال والمراد ان قولكم وعملكم على اي سبيل وجد فالحال واحد في علمه تعالى فاحذروا من المعاصي سرا كما تحذرون عنها جهرا فانه لا يتفاوت ذلك بالنسبة الى علم الله تعالى وكما بين انه تعالى عالم بالجهر وبالسر بين انه عالم بخواطر القلوب ثم انه تعالى لما ذكر كونه عالما بالجهر والسر وبما في الصدور ذكر الدليل على كونه عالما بهذه الاشيا فقال تعالى الا يعلم من خلق وفيه مسايل الاولى ان معنى الاية ان من خلق شيئا لابد وان يكون عالما بمخلوقه وهذه المقدمة كما انها مقررة بهذا النص فهي ايضا مقررة بالدلايل العقلية وذلك لان الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين على سبيل القصد والقاصد الى الشيء لابد وان يكون عالما بحقيقة ذلك الشيء فان الغافل عن الشيء يستحيل ان يكون قاصدا كما انه ثبت ان الخالق لابد وان يكون قاصدا للفعل واختياره والقصد مسبوق بالعلم فلابد وان يكون قد علم ذلك المقدار واراد ايجاد ذلك المقدار حتى يكون وقوع ذلك المقدار دون الازيد والانقص ترجيحا لاحد طرفي الممكن على الاخر لا لمرجح وهو محال فثبت ان من خلق شيئا فلابد وان يكون عالما بحقيقة ذلك المخلوق وكميته وكيفيته اذا ثبت هذه المقدمة فنقول تمسك اصحابنا بهذه الاية في بيان ان العبد غير موجد لافعاله من وجهين الاول قالوا لو كان العبد موجدا لافعال نفسه لكان عالما بتفاصيلها لكنه غير عالم بتفاصيلها فهو غير موجدها بيان الملازمة من وجهين الاول التمسك بهذه الاية الثاني ان وقوع عشرة اجزاء من الحركة مثلا ممكن ووقوع الازيد منه والانقص منه ايضا ممكن فاختصاص العشرة بالوقوع دون الازيد

والانقص



والانقص وقع على الممكن فالمحدث من غير مرجح لابد وان يكون قادرا مختارا واذا حصل تلك العشرة بالابتداع فلابد وان يكون عالما بان الواقع عشرة لا ازيد ولا انقص ثبت ان العبد لو كان موجدا لفعل نفسه لكان عالما بتفاصيلها واما انه غير عالم بتفاصيلها فلوجوه احدها ان المتكلمين اتفقوا على ان التفاوت بين الحركة السريعة والبطيئة لاجل تخلل السكنات فالفاعل للحركة البطيئة قد فعل في بعض الاحياز حركة وفي بعضها سكونا ثم انه لا يخطر بباله البتة انه فعل ههنا حركة وهناك سكونا وثانيها ان فاعل الحركة لا يعرف عدد اجزاء تلك الحركات الا اذا عرف عدد الاحياز التي بين مبدا المسافة ومنتهاها وذلك يتوقف على علمه بان الجواهر المفردة التي تملا تلك المسافة من اولها الى اخرها كم هي ومعلوم ان ذلك غير معلوم وثالثها ان النايم والمغشي عليه يتحرك من جنب الى جنب مع انه لا يعلم لا ماهية الحركة ولا كيفيتها ولا كميتها ورابعها ان علم الحي ... **الوجه الثاني** في التمسك بهذه الاية على ان العبد غير موجد ... هو انه تعالى ذكر انه عالم بالسر والجهر وبما في الصدور ثم قال بعده الا يعلم من خلق ... قلنا انه لا يلزم ... والله اعلم **المسالة الثانية** الاية يحتمل ثلثة اوجه احدها ان تكون من في محل الرفع والمفعول محذوف والمقصود الا يعلم الله من خلق والاحتمال الاول اولى لان الاحتمال الثاني لا يفيد كونه تعالى عالما باحوال من هو مخلوقه والمقصود من هذه الاية هذا لا الاول والثالث ان من في تقدير ما كما يكون ما في تقدير من في قوله والسما وما بناها وعلى هذا التقدير يكون ما اشارة الى ما يسره الخلق وما يجهرونه وما يضمرونه في صدورهم وهذا يقتضي ان تكون افعال العباد مخلوقة لله تعالى اما قوله تعالى وهو اللطيف الخبير فاعلم انهم اختلفوا في اللطيف فقال بعضهم المراد العالم وقال اخرون بل المراد ان يكون فاعل الاشيا اللطيفة التي تخفى كيفية عملها على اكثر الفاعلين ولهذا يقال ان لطف الله بعباده عجيب ويراد دقايق تدبيره لهم وفيهم وهذا الوجه اقرب والا لكان ذكر الخبير بعده تكرارا قوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها فيه مسايل **الاولى** اعلم ان تعلق هذه الاية بما قبلها هو انه تعالى بين بالدليل كونه عالما بما يسرون وما يعلنون ثم ذكر بعده هذه الاية على سبيل التهديد نظيره من قال لعبده الذي اسا الى مولاه في السر يا فلان انا اعرف سرك وعلانيتك فاجلس في هذه الدار التي وهبتها منك وكل هذا الخبز الذي هياته لك ولا تامن تاديبي فاني ان شيت جعلت هذه الدار التي هي منزل امنك ومركز سلامتك منشا الافات التي تحزن بها ومنبعا للمحن التي تهلك بسببها فكذا ههنا كانه تعالى قال يا ايها الكفار اعلموا اني عالم بسركم وجهركم فكونوا خايفين مني محترزين من عقابي فهذه الارض التي تمشون في مناكبها فاني ان شيت خسفت بكم هذه الارض وانزلت عليها من السما انواع المحن فهذا هو الوجه في اتصال هذه الاية بما قبلها **الثانية** الذلول من كل شيء المنقاد الذي يذل لك ومصدره الذل وهو الانقياد ومنه يقال دابة ذلول وفي وصف الارض بالذلول اقوال احدها انه تعالى ما جعلها صخرية خشنة بحيث يمتنع المشي على وجهها بالحفر والحرث وثانيها انه تعالى جعلها لينة بحيث يمكن حفرها وبنا الابنية منها كما يراد ولو كانت صخرية صلبة لتعذر ذلك وثالثها انه لو كانت حجرية او كانت مثل الذهب والحديد كانت تسخن جدا في الصيف وكانت تبرد جدا في الشتا ولكانت الزراعة فيها متعذرة والكراسة فيها متعذرة ولما كانت كفاتا للاحيا والاموات ورابعها انه تعالى سخرها لنا بان سكنها في جو الهوا ولو كانت متحركة على الاستقامة او على الاستدارة لم تكن منقادة لنا والله اعلم **الثالثة** قوله تعالى فامشوا في مناكبها امر اباحة وكذا القول في قوله وكلوا من رزقه **الرابعة** ذكروا في مناكب الارض وجوها احدها قال صاحب الكشاف المشي في مناكبها مثل لفرط الذل لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق شيء من البعير وابعده من ان يطاه الراكب بقدمه فاذا صار البعير بحيث يمكن المشي على منكبيه فقد صار نهاية في الانقياد والطاعة فقوله تعالى فامشوا في مناكبها كناية على كونها نهاية في الذلولية وهو قول قتادة والضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وثانيها ان مناكب الارض جبالها واكامها وسميت الجبال مناكب لان مناكب الانسان شاخصة والجبال ايضا شاخصة والمعنى اني سهلت عليكم المشي في مناكبها وهي ابعد اجزايها عن التسوية فكيف الحال في ساير اجزايها وثالثها ان المناكب هي الطرق والفجاج والاطراف والجوانب وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والكلبي ومقاتل ورواية عطا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما واختيار الفرا وابن قتيبة قال مناكبها جوانبها ومنكبا الرجل جانباه وهو كقوله تعالى والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا اما قوله تعالى وكلوا من رزقه مما خلقه الله تعالى رزقا لكم في الارض واليه النشور يعني ينبغي ان يكون مكثكم في الارض واكلكم من رزق الله مكث من يعلم ان مرجعه الى الله واكل من يعلم ان مصيره الى الله تعالى والمراد تحذيرهم عن الكفر والمعاصي في السر والجهر ثم بين الله تعالى ان بقاهم مع هذه السلامة في الارض انما كان بفضل الله تعالى ورحمته وانه لو شا لعاملهم ولامطر عليهم من سحاب يكثر مطر الافات فقال

سبحانه وتعالى تقريرا لهذا المعنى أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور **واعلم** أن هذه الآيات نظيرها قوله
تعالى قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم وقال تعالى فخسفنا به وبداره الأرض **واعلم**
أن المشبهة لما احتجوا على إثبات المكان لله بقوله تعالى أأمنتم من في السماء والجواب عنه أن هذه الآية لا يمكن إجراؤها
على ظاهرها باتفاق المسلمين لأن كونه في السماء يقتضي كون السماء محيطا به من جميع الجوانب فيكون أصغر من السماء أصغر
من العرش بكثير فيلزم أن يكون الله شيئا حقيرا بالنسبة إلى العرش وذلك باتفاق أهل الإسلام محال ولأنه تعالى قال قل لمن ما في
السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة فلو كان الله في السماء وجب أن يكون مالكا لنفسه وهذا محال فعلمنا أن هذه
الآية يجب صرفها عن ظاهرها إلى التأويل ثم فيه وجوه أحدها أنه يجوز أن يكون تقدير الآية أأمنتم من في السماء عذابه
وذلك لأن عادة الله تعالى جارية بأنه إنما ينزل البلاء على من يكفر بالله ويعصيه من السماء فالسماء موضع عذابه
تعالى كما أنه موضع نزول نعمته ورحمته وثانيها قال أبو مسلم كانت العرب مقرين بوجود الإله لكنهم يعتقدون أنه في السماء
على وفق قول المشبهة فكأنه تعالى قال لهم أتأمنون من قد أقررتم بأنه في السماء واعترفتم له بالقدرة على ما يشاء
أن يخسف بكم الأرض وثالثها تقدير الآية من في السماء سلطانه وملكه وقدرته والغرض من ذكر السماء تفخيم
سلطان الله تعالى وتعظيم قدرته كما قال تعالى وهو الله في السموات وفي الأرض بنفاذ أمره وقدرته وجريان مشيئته
في السموات والأرض فكذا ههنا ورابعها لم لا يجوز أن يكون المراد بقوله تعالى من في السماء وهو الملك الموكل بالعذاب
وهو جبريل عليه السلام أنه يخسف بهم الأرض بأمر الله تعالى وإذنه وقوله تعالى فإذا هي تمور قالوا معناه أن الله
تعالى يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك فتعلو عليهم وهم يخسفون فيها فيذهبون والأرض فوقهم تمور
فتلقيهم في أسفل السافلين وذكرنا تفسير المور فيما تقدم ثم زاد في التخويف فقال تعالى أم أمنتم من في السماء أن يرسل
عليكم حاصبا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كما أرسل على قوم لوط فقال تعالى إنا أرسلنا عليهم حاصبا والحاصب ريح
فيها حجارة وحصباء كأنه يقلع الحصا لشدتها وقوتها وقيل هي سحاب فيها حجارة ثم هدد وأوعد فقال تعالى فستعلمون
كيف نذير قيل النذير ههنا المنذر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وهو قول عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما و
الضحاك والمعنى فستعلمون رسولي وصدقه لكن حين لا ينفعكم ذلك وقيل إنه بمعنى الإنذار والمعنى عاقبة إنذاري
أما بالكتاب أو بالرسول وكيف في قوله تعالى وكيف نذير ينبئ عما ذكرنا من صدق الرسول صلى الله عليه وسلم أو عقوبة
الإنذار **واعلم** أنه تعالى لما خوف الكفار بهذه التخويفات أكد ذلك التخويف بالمثال والبرهان فقال أما المثال
فهو أن من الكفار والذين كانوا قبلهم شاهدوا أمثال هذه العقوبات بسبب كفرهم فقال ولقد كذب الذين من قبلهم
يعني عاد وثمود فكيف كان نكير فيه وجهان أحدهما قال الواحدي فكيف كان نكيري أي إنكاري وتغييري عليهم ووجدوا
العقاب حقا الثاني قال أبو مسلم النكير العقاب المنكر ثم قال وإنما أسقطنا الياء من نذيري ومن نكيري حتى يكون
مشابهة لرؤوس الآي المتقدمة عليها والمتأخرة عنها وأما البرهان فهو أنه تعالى ذكر ما يدل على كمال قدرته ومتى ثبت
القدرة ثبت كونه تعالى قادرا على إيصال جميع أنواع العذاب إليهم وذلك البرهان من وجوه الأول هو أو لم يروا إلى الطير
فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير صافات أي باسطات أجنحتهن في الجو عند
طيرانها ويقبضن ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن فإن قيل لم قال ويقبضن ولم يقل قابضات قلنا لأن الطيران
في الهواء كالسباحة في الماء والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار
على التحرك فجيء بما هو طارئ غير أصلي بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون
من السابح ثم قال تعالى ما يمسكهن إلا الرحمن وذلك لأن استمساك الطير في الهواء فعل اختياري للطير ثم إنه تعالى قال ما يمسكهن
إلا الرحمن فدل هذا على أن فعل العبد مخلوق لله تعالى السؤال الثاني أنه تعالى قال في النحل أو لم يروا إلى الطير مسخرات
في جو السماء ما يمسكهن إلا الله فلا جرم كان إمساكها هناك محض الإلهية وذكر ههنا أنها صافات وقابضات
فكان إلهامها إلى كيفية البسط والقبض على الوجه المطابق للمنفعة يكون من رحمة الرحمن ثم قال تعالى إنه بكل شيء بصير
وفيه وجهان الأول المراد بالبصير كونه عالما بالأشياء الدقيقة كما يقال فلان بصير في هذا الأمر أي حذق والوجه الثاني
أن يجري اللفظ على ظاهره فنقول إنه تعالى شيء والله بكل شيء بصير فيكون رائيا لنفسه ولجميع الموجودات وهذا هو
الذي يقول أصحابنا إنه تعالى يصح أن يكون مرئيا وأن يكون رائيا للموجودات فإن قيل البصير إذا عدي بالباء يكون بمعنى
العالم يقال فلان بصير بكذا إذا كان عالما به قلنا لا نسلم فإنه يقال إن الله سميع بالمسموعات بصير بالمبصرات **قوله**
**تعالى** أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور أمن هذا الذي
يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على
صراط مستقيم **اعلم** أن الكافرين كانوا يمتنعون من الإيمان ولا يلتفتون إلى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان تعويلهم
على شيئين أحدهما القوة التي كانت حاصلة لهم بسبب مالهم وجندهم الثاني أنهم كانوا يقولون هذه الأوثان توصل إلينا
جميع الخيرات وتدفع عنا كل الآفات فقد أبطل الله تعالى عليهم كل واحد من هذين الوجهين أما الأول فقوله تعالى أمن هذا الذي هو جند
لكم ينصركم من دون الرحمن هذا نسق على قوله تعالى أأمنتم من في السماء أمن هذا الذي هو جند لكم والمعنى أمن يشار إليه من





الجموع ويقال هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الله إن أرسل عذابه عليكم ثم قال إن الكافرون إلا في غرور من الشيطان
يغرهم بأن العذاب لا ينزل بهم وأما الثاني فهو قوله تعالى أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه والمعنى من ذا الذي
يرزقكم الهكم إن أمسك الله الرزق هو أيضا مما لا ينكره ذو عقل وهو أنه تعالى لو أمسك أسباب الرزق كالمطر والنبات
وغيرهما لما وجد رازق سواه فعند وضوح هذا الأمر قال تعالى بل لجوا والمراد أصروا وتشددوا مع وضوح الحق في عتو
أي في تمرد وتكبر ونفور وتباعد عن الحق وإعراض عنه فالعتو بسبب حرصهم على الدنيا وهو إشارة إلى فساد القوة
العملية والنفور بسبب جهلهم وهو إشارة إلى فساد القوة النظرية **واعلم** أنه تعالى لما وصفهم بالعتو والنفور
نبه على ما يدل على قبح هذين الوصفين فقال تعالى أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم وفيه مسائل
الأولى قال الواحدي أكب مطاوع كب يقال كببته ونظيره قشعت الريح السحاب دخل في القشع وانقضا عنه دخل في
النقص وهو نقص فصار عبارة عن الفقر واللازم دخل الكوم ومضارع كب وقشع أكب وأقشع الخامسة ذكروا
في تفسير يمشي مكبا على وجهه أهدى وجوها أحدها معناه أن الذي يمشي سويا أي قائما سالما عن العثور والخرور و
ثانيها أن المتعسف الذي يمشي هكذا وهكذا على الجهالة والتحير كما لا يكون كمن يمشي إلى جهة معلومة مع العلم واليقين
وثالثها أن الأعمى الذي لا يهتدي إلى الطريق فيتعسف ولا يزال ينكب على وجهه لا يكون كالرجل السوي الصحيح البصير
الماشي في الطريق المعلوم ثم اختلفوا فمنهم من قال هذا حكاية حال الكافر في الآخرة قال قتادة الكافر أكب على المعاصي
فحشره الله تعالى يوم القيمة على وجهه والمؤمن كان على الدين الواضح فحشره الله تعالى على الطريق السوي يوم الآخرة
وقال آخرون بل هذا حكاية حال المؤمن والكافر والعالم والجاهل في الدنيا واختلفوا أيضا فمنهم من قال هذا عام في حق جميع
المؤمنين والكافرين ومنهم من قال بل المراد منهم شخص معين فقال مقاتل المراد أبو جهل وحمزة بن عبد المطلب وقال
عكرمة هو أبو جهل وعمار بن ياسر البرهان الثاني على كمال قدرته قوله تعالى قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار
والأفئدة قليلا ما تشكرون **اعلم** أنه تعالى لما أورد البرهان أولا من حال سائر الحيوانات وهو صيرورة الطير في الهواء
أورد البرهان بعده من حال الناس وهو هذه الآية وذكر من عجائب ما فيه حال السمع والبصر والفؤاد ولقد تقدم شرح أحوال
هذه الأمور الثلاثة في هذا الكتاب مرارا ولا فائدة في الإعادة **واعلم** أنه ذكرها ههنا تنبيها على دقيقة لطيفة
كأنه تعالى قال أعطيتكم هذه الأعضاء الثلاثة مع ما فيها من القوى الشريفة لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا
اعتبرتم بما أبصرتموه ولا تأملتم في عاقبة ما عقلتموه فكأنكم ضيعتم هذه النعم وأفسدتم هذه المواهب فلهذا قال تعالى قليلا ما تشكرون
وذلك لأن شكر نعمة الله هو أن يصرف تلك النعمة إلى وجه رضاه وأنتم لما صرفتم السمع والبصر والعقل لا إلى طلب
مرضاته فأنتم ما شكرتم نعمه ألبتة البرهان الثالث قوله تعالى قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون **واعلم**
أنه تعالى استدل بأحوال الحيوان أولا ثم بصفات الإنسان ثانيا وهو السمع والبصر والعقل ثم بحدوث ذاته ثالثا وهو قوله
تعالى قل هو الذي ذرأكم واحتج المتكلمون بهذه الآية على أن الإنسان ليس هو الجوهر المجرد عن التحيز والكمية على ما يقوله الفلاسفة
وجماعة من المسلمين لأنه قال هو الذي ذرأكم في الأرض فبين أنه ذرأ الإنسان في الأرض وهذا يقتضي كون الإنسان
متحيزا جسما [illegible]
[illegible]
المسألة الأولى [illegible]
الثانية [illegible]
الثالثة [illegible]
[illegible]
المسألة الأولى [illegible]
الثانية [illegible]
قوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اسودت وعليها الكآبة والقترة وقال الزجاج
[illegible]
لازم ويتعدى فمعنى سيئت وجوههم [illegible] الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وصارت وجوههم كوجه من يقاد

الى القتل الثالثة اعلم ان قوله تعالى فلما راوه زلفة يعنى لما راوا عذاب الله المهلك لهم كالذى نزل بعاد وثمود سيئت وجوههم
عند قربه منهم واما من فسر ذلك الموعد بالقيمة كان قوله تعالى فلما راوه زلفة معناه متى راوه زلفة وذلك لان قوله تعالى فلما
راوه زلفة اخبار عن الماضى واحوال القيمة مستقبلة لا ماضية فوجب تفسير اللفظ بما قلناه قال مقاتل فلما راوه زلفة
اى فلما راوا العذاب فى الاخرة قريبا اما قوله تعالى وقيل هذا الذى كنتم به تدعون فيه مسايل **المسئلة الاولى** قال بعضهم القايلون
هم الزبانية وقال اخرون بل يقول بعضهم لبعض ذلك **الثانية** فى قوله تعالى تدعون وجوها احدها قال الفرا يريد تدعون
من الدعاء اى تطلبون وتستعجلون وتدعون وتدعون واحد فى اللغة مثل تذكرون وتذكرون وتدخرون وتدخرون
وثانيها انه من الدعوى معناه هذا الذى كنتم تبطلونه تدعون اى تدعون انه باطل لا ياتيكم وهذا الذى كنتم بسببه
تدعون انكم لا تبعثون وثالثها ان يكون هذا استفهاما على سبيل الانكار والمعنى اهذا الذى كنتم به تدعون لا بل تدعون
عدمه **الثالثة** قرا الحضرمى يعقوب تدعون خفيفة من الدعاء وقرا السبعة تدعون مثقلة من الادعاء والله
تعالى اعلم **قوله تعالى** قل ارايتم ان اهلكنى الله ومن معى او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم
قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو فى ضلال مبين قل ارايتم ان اصبح ماؤكم
غورا فمن ياتيكم بماء معين **اعلم** ان هذا هو الجواب عن النوع الاول مما قاله الكفار لمحمد صلى الله عليه وسلم
حين خوفهم من عذاب الله يروى ان كفار مكة شرفها الله تعالى كانوا يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المومنين
بالهلاك قال الله تعالى ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وقال تعالى بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمومنون الى اهليهم
ابدا ثم انه تعالى اجاب عن ذلك من وجهين الاول هذه الاية والمعنى قل لهم ان الله تعالى سواء اهلكنى بالاماتة او رحمنى
بتاخير الاجل فاى راحة لكم فى ذلك واى منفعة لكم فيه ومن الذى يجيركم من عذاب الله اذا نزل بكم اتظنون ان الاصنام تجيركم
او غيرها فاذا علمتم ان لا مجير لكم فهلا تمسكتم بما يخلصكم من العذاب وهو العلم بالتوحيد والنبوة والبعث الوجه الثانى فى الجواب
قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو فى ضلال مبين والمعنى انه الرحمن ونحن امنا به وعليه توكلنا فيسمع
انه لا يقبل دعاكم وانتم اهل الكفر والعناد فى حقنا مع انا امنا به وعليه توكلنا وانما قلنا ان التقدير امنا به ولم نكفر كما كفرتم
ثم قال تعالى وعليه توكلنا لا على غيره كما فعلتم انتم حيث توكلتم على رجالكم واموالكم وقرى فستعلمون على المخاطبة وقرى
بالياء ليكون على وفق قوله تعالى فمن يجير الكافرين **واعلم** انه تعالى لما ذكر انه يجب ان يتوكل عليه لا على غيره ذكر الدليل
عليه فقال تعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين والمقصود ان يجعلهم مقرين ببعض نعمه ليريهم قبح
ما هم عليه من الكفر اى اخبرونى ان صار ماؤكم ذاهبا فى الارض فمن ياتيكم بماء معين فلا بد وان يقولوا هو الله فيقال
لهم حينيذ فلم تجعلون من لا يقدر على شىء اصلا شريكا له فى العبودية وهو كقوله تعالى افرايتم الماء الذى تشربون
ءانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون وقوله غورا اى غايرا ذاهبا فى الارض والغور ههنا بمعنى الغاير سمى
بالمصدر كما يقال رجل عدل ورضى والمعين الطاهر الذى تراه العيون فهو مفعول من العين كالمبيع من البيع
وصل المعين الجارى من العيون من الاعان فى الجرى كانه يمعن فى الجرى والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

ن والقلم وما يسطرون فيه مسلتان **المسئلة الاولى** الاقوال المذكورة فى هذا الجنس قد شرحناها
فى اول سورة البقرة والوجوه الزايدة التى تختص بها فى هذا الموضع اولها ان النون السمكة ومنه فى ذكر يونس
عليه السلام وذا النون وهذا القول مروى عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل والسدى رضى الله تعالى عنهم اجمعين ثم
القايلون بهذا منهم من قال انه قسم بالحوت الذى على ظهره الارض وهو فى بحر تحت الارض السفلى ومنهم من قال انه قسم
بالحوت الذى احتبس يونس عليه السلام فى بطنه ومنهم من قال انه قسم بالحوت الذى على ظهره الارض وهو فى بحر تحت الارض
السفلى ومنهم من قال انه قسم بالحوت الذى احتبس يونس عليه السلام فى بطنه ومنهم من قال انه قسم بالحوت الذى لطخ
سهم نمرود بدمه وهو القول الثانى وهو ايضا مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما واختيار الضحاك وقتادة والحسن
ان النون هو الدواة ومنه قول الشاعر اذا ما الشوق برح بى اليهم الفت النون بالدمع السجوم ويكون هذا قسما بالدواة
والقلم فان المنفعة بهما بسبب الكتابة عظيمة فان التفاهم يحصل تارة بالنطق واخرى بالكتابة والقول الثالث ان النون
لوح من نور تكتب الملايكة به دواة مقربة بن فرسخ مرفوعا القول الرابع ان النون هو المداد الذى تكتب الملايكة
**واعلم** ان هذه الوجوه ضعيفة لانا اذا جعلناه مقسما به وجب ان كان جنسا ان يجر وينونه فان القسم
على هذا التقدير يكون منكرا او سمكة منكرة كانه قيل وسمكة والقلم او وحق دواة والقلم وان كان علما ان يجر
ويجر اولا ينصرفه ويفتح ان جعلته غير منصرف والقول الخامس ان ها هنا اخر حروف الرحمن وانه جمع من الر حم ن
فذكر الله تعالى هذه الحروف الاخير من هذا الاسم والمقصود القسم بتمام هذا الاسم وهذا ايضا ضعيف لان تجويزه
يفتح باب ترهات الباطنية بل الحق ههنا اما ان يكون اسما للسورة او يكون الغرض منه التحدى او سائر الوجوه

المذكورة



المذكورة فى اول سورة البقرة **المسئلة الثانية** القراء مختلفون فى اظهار النون واخفايه من قوله ن والقلم
فمن اظهرها فانه ينوى بها الوقف بدلالة اجتماع الساكنين وان كانت موقوفة كانت فى تقدير الانفصال
مما بعدها واذا انفصلت مما بعدها وجب التبيين لانها انما تخفى فى حروف الفم عند الانفصال ووجه الاخفاء
ان همزة الوصل لم تقطع مع هذه الحروف نحو الم الله وقولهم فى العدد واحد واثنان فمن حيث لم تقطع الهمزة معها
علمت انها فى تقدير الوصل واذا وصلتها اخفيت النون وذكرنا هذا فى طه ويس قال الفرا واظهارها اعجب الى لانها
هجاء والهجاء كالموقوف عليه وان اتصل قوله تعالى والقلم فيه وجهان احدهما ان المقسم به هو هذا الجنس
وهو واقع على كل قلم يكتب به فى السماء وفى الارض قال تعالى وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فمن بتيسير
الكتابة بالقلم كما من بالنطق فقال تعالى خلق الانسان علمه البيان ووجه الانتفاع به انه ينزل الغايب منزلة المخاطب
فيتمكن المرء من تعريف البعيد به ما يتمكن باللسان من تعريف القريب الثانى ان المقسم به هو القلم المعهود والذى جاء
فى الخبر اول ما خلق الله القلم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اول ما خلق الله القلم ثم قال اكتب ما هو كاين الى يوم
القيمة فجرى بشىء بما هو كاين الى يوم الساعة من الاجال والاعمال قال وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والارض
وروى مجاهد عنه قال ان اول ما خلق الله القلم فقال اكتب القدر فكتب ما هو كاين الى يوم القيمة وانما يجرى الناس
على امر قد فرغ منه قال القاضى هذا الخبر يجب حمله على المجاز لان القلم الذى هو اله مخصوصة فى الكتابة لا يجوز ان يكون
حيا عاقلا فيومر وينهى فان الجمع بين كونه حيوانا مكلفا وبين كونه الة الكتابة به محال بل المراد انه تعالى اجراه بكل ما يكون
وهو كقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فانه ليس هناك امر ولا تكليف بل هو مجرد نفاذ القدرة فى
المقدور من غير منازعة ولا مدافعة ومن الناس من زعم ان القلم المذكور ههنا هو العقل وانه شىء كالاصل لجميع
المخلوقات قالوا والدليل عليه انه روى فى الاخبار ان اول ما خلق الله العقل والقلم وفى خبر اخر اول ما خلق الله
العقل وفى خبر اخر اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فذابت فارتفع منها دخان وزبد فخلق من الدخان
السموات ومن الزبد الارض قالوا فهذه الاخبار بمجموعها تدل على ان القلم والعقل وتلك الجوهرة التى هى اصل المخلوقات
شىء واحد والا حصل التناقض قوله تعالى وما يسطرون اعلم ان ما مع ما بعده فى تقدير المصدر فيحتمل ان يكون
المراد وسطرهم فيكون القسم واقعا بنفس الكتابة ويحتمل ان يكون المراد المسطور والمكتوب وعلى التقديرين ان حملنا القلم على كل قلم فى مخلوقات الله تعالى كان المعنى
ظاهرا وكانه تعالى اقسم بكل قلم وبكل ما يكتب بكل قلم وقيل بل المراد ما يسطرونه الحفظة والكرام والكاتبون
ويجوز ايضا ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير فى يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم وسطرهم او ومسطوراتهم
واما اذا حملنا القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى وما يسطرون اى وما يسطرون فيه
وهو اللوح المحفوظ ولفظ الجمع فى قوله يسطرون ليس المراد منه الجمع بل التعظيم ويكون المراد تلك الاشياء
التى يسطر فيه من الاعمال والاعمار وجميع الامور الكاينة الى يوم القيمة واعلم انه تعالى لما ذكر القسم به
اتبعه بذكر المقسم به فقال تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون وفيه مسايل **المسئلة الاولى** روى عن ابن عباس
رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم غاب عن خديجة رضى الله تعالى عنها الى حرا فطلبته فلم تجده فاذا به ووجهه
متغير بلا غبار فقالت له ما لك فذكر جبريل عليه السلام وانه قال له اقرا باسم ربك فهو اول ما نزل من القران
قال ثم نزل بى الى قرار الارض فتوضا وتوضات ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال هكذا الصلوة يا محمد عليه السلام
فذكر صلى الله عليه وسلم ذلك لخديجة رضى الله تعالى عنها فذهبت خديجة الى ورقة بن نوفل وهو عمها
وقد كان قد خالف دين قومه ودخل فى النصرانية فسالته فقال ارسلى الى محمد صلى الله عليه وسلم فارسلته
فقال له هل امرك جبريل عليه السلام ان تدعوا احدا فقال لا فقال والله لين بعثت الى دعوتك لانصرنك
نصرا عزيزا ثم مات قبل دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ووقعت تلك الواقعة فى السنة قريش فقالوا انه
مجنون فاقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون وهو خمس ايات من اول هذه السورة قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
اول ما نزل قوله تعالى سبح اسم ربك وهذه الاية هى الثانية **المسئلة الثانية** قال الزجاج انت هو اسم ما وبمجنون
الخبر وقوله بنعمة ربك كلام وقع فى البين والمعنى انتفى عنك الجنون بنعمة ربك كما يقال انت بحمد الله عاقل وانت
بحمد الله تعالى لست بمجنون وانت بحمد الله تعالى فهم وانت بنعمة الله ليس بفقير ومعناه ان تلك الصفة المحمودة
انما حصلت والصفة المذمومة انما زالت بواسطة انعام الله ولطفه واكرامه وقال عطا وابن عباس رضى الله عنهما
يريد بنعمة ربك عليك بالايمان والنبوة وهو جواب لقولهم يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون واعلم انه تعالى
نفى الجنون عنه ثم انه تعالى قرن بهذه الدعوى وصفه ههنا بثلاثة انواع من الصفات **الصفة الاولى**
ما يكون كالدلالة القاطعة على صحتها وذلك لان قوله تعالى بنعمة ربك يدل على ان نعم الله تعالى كانت
ظاهرة فى حقه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والبراءة عن كل عيب والاتصاف
بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينافى حصول الجنون فالله سبحانه وتعالى نبه على هذه
الدقيقة لتكون جارية مجرى الدلالة اليقينية على كونهم كاذبين فى قولهم انك لمجنون **الصفة الثانية**

وان لك لاجرا غير ممنون وفي الممنون قولان احدهما وهو قول الاكثرين ان المعنى غير منقوص ولا مقطوع يقال منه السير اذا اضعفه والمنين الضعيف من الشيء اذا قطعه ومنه قول لبيد عبس كواسب ما يمن طعامها يصف كلابا ضارية ونظيره قوله تعالى عطاء غير مجذوذ والقول الثاني وهو قول مجاهد ومقاتل والكلبي انه غير مكدر عليك بسبب المنة قالت المعتزلة في تقرير هذا الوجه انه غير ممنون عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء والقول الاول اشبه لانه وصفه بانه اجر فيفيد انه لا منة فيه فالحمل على هذا الوجه يكون كالتكرار ثم اختلفوا في ان هذا الاجر على اي شيء حصل قال قوم معناه ان لك على احتمال هذا الطعن والقول القبيح اجرا عظيما دائما وقال آخرون المراد ان لك في اظهار النبوة والمعجزات وفي دعاء الخلق الى الله وفي بيان الشرع لهم هذا الاجر الخالص الدائم فلا تمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا المهم العظيم فان لك بسببه المنزلة العالية عند الله تعالى

**الصفة الثالثة** قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم فيه مسائل **الاولى** اعلم ان هذا كالتفسير لما تقدم من قوله تعالى بنعمة ربك وتعريف لمن رماه بالجنون بان ذلك كذب وخطأ وذلك لان الاخلاق والافعال لم يجز اضافة الجنون اليه لان اخلاق المجانين سيئة ولما كانت اخلاقه الحميدة كاملة لاجرم وصفها الله تعالى بانها عظيمة ولهذا قال تعالى قل ما اسألكم عليه اجرا وقوله تعالى قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين اي لست متكلفا فيما يظهر لكم من اخلاقي لان المتكلف لا يدوم امره طويلا بل يرجع الى الطبع وقال آخرون انما وصف خلقه بانه عظيم وذلك لانه تعالى قال اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فهذا الهدى الذي امره الله تعالى بالاقتداء به ليس هو معرفة الله تعالى لان ذلك تقليد وهو غير لائق بالرسول صلى الله عليه وسلم وليس هو الشرائع لان شريعته مخالفة لشرائعهم فيتعين ان يكون المراد منه امره صلى الله عليه وسلم بان يقتدي بكل واحد من الانبياء المتقدمين فيما اختص به من الخلق الكريم وكان كل واحد منهم كان مختصا بنوع واحد فلما امر محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقتدي بالكل فكانه امر بمجموع ما كان متفرقا فيهم ولما كان ذلك درجة عالية لم يتيسر لاحد من الانبياء قبله لاجرم وصف الله خلقه بانه عظيم وفيه دقيقة اخرى وهو قوله تعالى لعلى خلق عظيم وكلمة على للاستعلاء فدل اللفظ على انه مستعل على هذه الاخلاق ومستول عليها وانه بالنسبة الى هذه الاخلاق الحميدة كالمولى الى العبد وكالامير بالنسبة الى المأمور

**المسألة الثانية** الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة واعلم ان الاتيان بالافعال الجميلة غير وسهولة الاتيان بها غير فالحالة التي باعتبارها تحصل تلك السهولة هي الخلق ويدخل في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والغضب والتشدد في المعاملات والتحبب الى الناس بالقول والفعل وترك التقاطع والهجران والتساهل في العقود كالبيع وغيره والتسمح بما يلزم من حقوق من له نسب او كان صهرا له او حصل له حق آخر وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال معناه وانك لعلى دين عظيم وروي انه تعالى لما قال لم اخلق دينا احب الي ولا ارضى عندي من هذا الدين الذي اصطفيته لك ولامتك يعني الاسلام **واعلم** ان هذا القول ضعيف وذكر ان الانسان له قوتان قوة نظرية وقوة عملية والذي يرجع الى كمال القوة النظرية والخلق يرجع الى كمال القوة العملية فلا يمكن حمل احدهما على الآخر ويمكن ايضا ان يجاب عن هذا السؤال من وجهين الاول الخلق في اللغة هو العادة سواء كان ذلك في ادراك او فعل الثاني ان الخلق هو الامر الذي باعتباره يكون الاتيان بالافعال الجميلة سهلا فلما كانت الروح القدسية التي له شديدة الاستعداد للمعارف الالهية الحقة وعديمة الاستعداد لقبول العقائد الباطلة كانت تلك السهولة حاصلة في قبول المعارف الحقة فلا يبعد تسمية السهولة بالخلق

**الثالثة** قال سعيد بن هاشم رضي الله تعالى عنه قالت لعايشة رضي الله تعالى عنها اخبريني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الست تقرأ القرآن قلت بلى قالت فانه كان خلق النبي صلى الله عليه وسلم وسألت مرة اخرى فقالت كان خلقه القرآن ثم قرأت قد افلح المؤمنون الى عشر آيات وهذا اشارة الى ان نفسه المقدسة كانت بالطبع منجذبة الى عالم الغيب والى كل ما يتعلق بها وكانت شديدة النفرة عن اللذات البدنية والسعادات الدنيوية بالطبع ومقتضى الفطرة اللهم ارزقنا شيئا من هذه الحالة وروى هشام عن عروة عن ابيه عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا من اهل بيته عليه السلام الا قال له لبيك فلهذا قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال انس بن مالك رضي الله تعالى عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي في شيء فعلته لم فعلت ولا في شيء لم افعل هلا فعلته واقول ان الله تعالى وصف ما يرجع الى قوته النظرية بانه عظيم قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ووصف ما يرجع الى قوته العملية بانه عظيم فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم فلم يبق للانسان بعد هاتين القوتين شيء فدل مجموع هاتين الآيتين على ان روحه من جنس ارواح الملائكة **واعلم** انه تعالى لما وصفه انه على خلق عظيم قال فستبصر ويبصرون اي فسترى يا محمد ويرى اهل مكة في الدنيا انه كيف يكون عاقبة امرك وعاقبة امرهم فانك تصير معظما في القلوب ويصيرون ذليلين ملعونين وتستولي عليهم بالقتل والنهب قال مقاتل هذا وعيد بالعذاب ببدر ومنهم من حمل على احوال الآخرة وهو كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر واما قوله تعالى بايكم المفتون ففيه وجوه احدها وهو قول الاخفش وابي عبيدة وابن قتيبة ان الباء صلة زائدة والمعنى ايكم المفتون وهو الذي



بالمفتون لقوله تعالى تنبت بالدهن اي تنبت الدهن وانشد ابو عبيدة نضرب بالسيف ونرجو بالفرج والفراء يطعن في هذا الجواب وقال اذا امكن فيه بيان المعنى الصحيح من دون طرح الباء كان ذلك اولى واما البيت فمعناه نرجو الله مما نحن فيه بالفرج او نرجو النصر بالفرج وثانيها وهو اختيار الفراء والمبرد ان المفتون ههنا بمعنى الفتون وهو الجنون والمصادر تجيء على المفعول نحو المعقول والمجلود بمعنى العقل والجلد يقال ليس له معقود راي اي عقد راي وهذا قول الحسن رضي الله تعالى عنه والضحاك ورواية عطية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وثالثها ان الباء بمعنى في ومعنى الاية فستبصرون في اي الفريقين المجنون افي فرقة الاسلام ام في فرقة الكفار ورابعها المفتون هو الشيطان اذ لا شك انه مفتون في دينه وهم لما قالوا انه مجنون فقد قالوا ان به شيطانا فقال تعالى [illegible] هم الشيطان الذي يحصل من مسه الجنون واختلاط العقل والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين وفيه وجهان الاول هو ان يكون ان ربك هو اعلم بالمجانين في الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو اعلم بالعقلاء وهم المهتدون الثاني ان يكون المعنى انهم رموك بالجنون ووصفوا انفسهم بالعقل وهم كذبوا في ذلك ولكنهم موصوفون بالضلال وانت موصوف بالهداية والضلال اولى بالرعاية من الامتياز [illegible] العقل والجنون لان ذلك ثمرته السعادة الابدية والشقاوة وهذا ثمرته السعادة والشقاوة في الدنيا قوله تعالى فلا تطع المكذبين **اعلم** انه تعالى لما ذكر ما عليه الكفار في امر الرسول ونسبته الى الجنون مع الذي انعم الله به عليه من الكمال في امر الدين والخلق اتبعه بما يدعوه الى التشدد مع قومه وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار فان هذه السورة من اوائل ما نزل فقال تعالى ولا تطع المكذبين يعني رؤساء اهل مكة وذلك انهم دعوه الى دين آبائه فنهاه الله تعالى ان يطيعهم وهذا من الله تعالى الهاب وتهييج التشدد في مخالفتهم قوله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون فيه مسئلتان **الاولى** قال الليث الادهان والملاينة والمقاربة في الكلام قال المبرد داهن الرجل في امره وداهن في دينه اذا خان فيه واظهر خلاف ما اضمر والمعنى تترك بعض ما انت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى فتلين لهم ويلينون لك وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه لو تكفر فيكفرون **الثانية** انما رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني لانه قد عدل به الى طريق آخر وهو ان جعل خبر مبتدأ محذوف اي فهم يدهنون كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ قال سيبويه وزعم هارون وكان من القراء انها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا **واعلم** انه تعالى لما نهاه عن طاعة المكذبين وهذا يتناول النهي عن طاعة جميع الكفار الا انه اعاد النهي عن طاعة من كان من الكفار موصوفا بصفات مذمومة وراء الكفر وتلك الصفات هي الصفة الاولى كونه حلافا والحلاف من كان كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم الصفة الثانية كونه مهينا قال الزجاج هو فعيل من المهانة ثم فيه وجهان احدهما ان المهانة هي القلة والحقارة في الراي والتمييز [illegible] عند الناس واقول كونه حلافا يدل على انه لا يعرف عظمة الله تعالى وجلاله [illegible] الصفة الثالثة كونه همازا [illegible] الصفة الرابعة كونه مشاء بنميم [illegible] الصفة الخامسة [illegible]

قال معنى قوله زنيم انه كانت له زنمة في عنقه يعرف بها وقال مقاتل كان اصل اذنه مثل زنمة الشاة **المسئلة الثانية**
قوله بعد ذلك انه بعد ما عد له من المثالب والنقائص فهو مع ذلك زنيم وهذا يدل على ان هذين الوصفين وهو كونه عتلا
وهما اشد معايبه لانه اذا كان جافيا غليظ الطبع قسا قلبه واجترأ على كل معصية ولان الغالب ان النطفة
اذا خبثت خبث الولد ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وقوله ههنا
بعد ذلك نظير ثم في قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا وقرا الحسن رفعا على الذم ثم انه تعالى بعد تقرير هذه الآية
الصفات قال تعالى ان كان ذا مال وبنين وفيه مسئلتان **المسئلة الاولى** اعلم ان قوله ان كان يجوز ان يكون متعلقا
بما بعده اما الاول فتقديره فلا تطع كل حلاف مهين لان كان ذا مال اي لا تطعه مع هذه المثالب لانه ذو مال واولاد
واما الثاني فتقديره لاجل ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين والمعنى لاجل ان كان
ذا مال وبنين جعل مجازاة هذه النعمة التي خوله الله الكفر بآياته قال ابو علي الفارسي العامل في قوله ان كان ذا مال وبنين
اما ان يكون هو قوله تتلى او قوله قال او شيئا ثالثا والاول باطل لان تتلى قد اضيفت اذا اليه والمضاف اليه لا يعمل فيما
قبله الا ترى انك لا تقول القتال زيدا حين ياتي تريد حين يأتي زيدا ولا يجوز ان يعمل فيه ايضا قال لان قال
جواب اذا وحكم الجواب ان يكون بعد ما هو جواب له ولا يتقدم عليه ولما بطل هذان القسمان علمنا ان العامل فيه شيء
تاكد دخول دل ما في الكلام عليه وذلك هو تجحد او تكفر او تمسك عن قبول الحق ونحو ذلك وانما جاز ذلك المعنى
فيه والمعاني وان تقدم عليها ويدل على مشابهته للظرف تقدير الكلام معه فان تقدير الآية ان كان ذا مال و
اذا صار كالظرف لم يمتنع المعنى من ان يعمل فيه كما لم يمتنع ان يعمل في نحو قوله تعالى ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد
لما كان ظرفا والعامل فيه يعمل الدال عليه قوله انكم لفي خلق جديد فكذلك ان كان ذا مال وبنين وكفر بآياتنا لان
كان ذا مال وبنين **الثانية** قرئ ان كان على الاستفهام والتقدير الان كان ذا مال كذب والتقدير اتطيعه لان كان
ذا مال وروى الزبيري عن نافع ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف مشارطا ساره لانه اذا اطاع الكافر
لغناه فكانه اشترط في الطاعة الغنى ونظيره صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي اليه في قوله تعالى لعله يتذكر او يخشى
**واعلم** انه تعالى لما حكى عنه قبائح افعاله واقواله توعده بان قال سنسمه على الخرطوم وفيه مسائل **الاولى**
الوسم اثر الكية وما يشبهها يقال وسمته فهو موسوم بسمة يعرف بها اما كية واما قطع في اذنه علامة له **الثانية**
قال المبرد الخرطوم ههنا الانف وانما ذكر هذا اللفظ على سبيل الاستخفاف به لان التعبير عن اعضاء الناس بالاسماء
الموضوعة لاشباه تلك الاعضاء من الحيوانات يكون استخفافا كما يعبر عن شفاه الناس بالمشافر وعن
ايديهم وارجلهم بالاظلاف والحوافر **الثالثة** الانف اكرم موضع في الوجه لارتفاعه عليه ولذلك جعلوه
مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف في الانف وحمي انفه وفلان شامخ العرنين وقالوا
في الذليل جدع انفه ورغم انفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة شين فكيف على اكرم
موضع من الوجه **الرابعة** منهم من قال هذا الوسم يحصل في الآخرة ومنهم من قال يحصل في الدنيا اما على القول الاول
ففيه وجوه اولها وهو قول مقاتل وابي العالية واختيار الفراء انه يسود وجهه قبل دخول النار والخرطوم
وان كان قد خص بالسمة فان المراد هو الوجه لان بعض الوجه يؤدي عن بعض وثانيها ان الله تعالى سيجعل له
في الآخرة العلم الذي يعرف بها اهل القيامة انه كان غاليا في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي انكار الدين
الحق وثالثها ان في الآيات احتمالات اخر وعندي ان ذلك الكافر انما بالغ في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم
بسبب الانفة والحمية فلما كان منشأ هذا الانكار هو الانفة والحمية كان منشأ عذاب الآخرة هو هذه
الانفة والحمية فعبر عن هذا الاختصاص بقوله تعالى سنسمه على الخرطوم واما على القول الثاني وهو ان
هذا الوسم انما يحصل في الدنيا ففيه وجوه احدها قال ابن عباس رضي الله عنهما سنخطمه بالسيف
في القتال وثانيها ان معنى هذا الوسم ان يصير مشهورا بالذكر الردي والوصف القبيح في العالم والمعنى
سنلحق به شينا لا يفارقه ونسمه ميسما لا يخفى كما لا تخفى السمة على الخرطوم بقول العرب للرجل الذي
تسبه سبة قبيحة فاحشة قد وسمه ميسم سوء والمراد انه الصق به عارا لا يفارقه كما ان السمة لا
تمحى ولا يزول البتة قال جرير • لما وضعت على الفرزدق ميسمي • وعلى البعيث جدعت انف الاخطل • يريد انه
وسم الفرزدق وجدع انف الاخطل بالهجاء اي القى عليه عارا لا يزول ولا شك ان المبالغة في مذمة الوليد بن
المغيرة بقيت على وجه الدهر وكان ذلك كالوسم على الخرطوم ومما يشبه هذا الوجه قول من قال في زنيم انه يعرف
بالشر كما يعرف الشاة بزنمتها وثالثها روي عن النضر بن شميل ان الخرطوم هو الخمر وانشد • تظل يومك في لهو
وفي طرب وانت بالليل شراب الخراطيم • فعلى هذا معنى الآية سنحده على شربها وقيل للخمر الخرطوم كما
قيل لها السلافة وهو ما سلف من عصير الخمر ولانها تطير في الخياشيم والله تعالى اعلم **قوله تعالى**
انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف
عليها طائف من ربك وهم نائمون فاصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم

ان كنتم



ان كنتم صارمين **اعلم** انه تعالى لما قال لاجل ان كان ذا مال وبنين جحد وعصى وتمرد وكان هذا استفهاما
على سبيل الانكار بين في هذه الآية انه تعالى انما اعطاه المال والبنين على سبيل الابتلاء والامتحان وليصرفه الى طاعة الله
وليواظب على شكر الله فان لم يفعل فانه تعالى يقطع عنه تلك النعم ويصب عليه انواع البلاء والآفات فقال انا بلوناهم كما
بلونا اصحاب الجنة اي كلفنا هؤلاء بان يشكروا كما كلفنا اصحاب الجنة ذات الثمار ان يشكروا ويعطوا الفقراء حقوقهم وروي
ان واحدا من ثقيف وكان مسلما كان يملك ضيعة فيها زرع ونخل وكرم صنعا وكان يجعل من كل ما فيها عند الحصاد نصيبا
وافرا للفقراء فلما مات ورثه بنوه منه ثم قالوا عيالنا كثير والمال قليل ولا يمكننا ان نعطي المساكين مثل ما كان يفعل
ابونا فاحرق الله تعالى جنتهم وقيل كانوا من بني اسرائيل وقوله تعالى اذ اقسموا اي حلفوا ليصرمنها ثم قال مصبحين
اي وقت الصباح قال مقاتل معناه اغدوا سرا الى جنتكم فاصرموها ولا تخبروا المساكين وكان ابوهم يخبر المساكين
فيجتمعون عند صرام جنتهم يقال قد صرم العذق عن النخلة واصرم النخل اذا حان وقت صرامه وقوله ولا يستثنون يعني
ولم يقولوا ان شاء الله تعالى هذا قول جماعة المفسرين يقال حلف فلان يمينا ليس فيها ثنيا ولا ثنوى ولا ثنية
ولا مثنوية ولا استثناء كله واحد واصل هذا كله من الثني وهو الكف والرد وذلك بان الحالف اذا قال والله
لافعلن كذا الا ان يشاء الله غيره فقد رد ما انعقد ذلك اليمين **واختلفوا** في قوله تعالى ولا يستثنون
فالاكثرون انهم لم يستثنوا مشيئة الله تعالى لانهم كانوا كالواثقين بانهم يتمكنون من ذلك لا محالة وقال آخرون بل المراد انهم يصرمون كل ذلك
ولا يستثنون للمساكين من جملة ذلك القدر الذي كان يدفعه ابوهم الى المساكين ثم قال قوله تعالى فطاف عليها طائف من ربك
اي عذاب من ربك والطائف لا يكون الا ليلا اي طرقها طارق من عذاب الله قال الكلبي ارسل الله عليها نارا من السماء فاحترقت
وهم نائمون فاصبحت الجنة كالصريم **واعلم** ان الصريم فعيل يحتمل ان يكون بمعنى المفعول وان يكون بمعنى الفاعل وههنا احتمالات
**احدها** انها لما احترقت كانت شبيهة بالمصرومة في هلاك الثمر وان حصل الاختلاف في امور اخر لان الاشجار اذا احترقت
فانها لا تشبه الاشجار التي قطعت ثمرتها الا ان هذا الاختلاف وان حصل من هذا الوجه لكن المشابهة في هلاك الثمر حاصلة
وثانيها قال الحسن رضي الله تعالى عنه اي صرم عنها الخير ليس فيها شيء وعلى هذين الصريم بمعنى المصروم وثالثها الصريم من الرمل
قطعة ضخمة تنصرم عن سائر الرمال وجمعه الصرائم وعلى هذا شبهت الجنة وهي محترقة لا ثمر فيها ولا خير بالرملة المنقطعة عن
الرمال وهي لا تنبت شيئا ينتفع به ورابعها الصبح سمي صريما لانه انصرم من الليل والمعنى ان تلك الجنة يبست وذهبت خضرتها
ولم يبق فيها شيء وخامسها انها لما احترقت صارت سوداء كالليل المظلم والليل يسمى صريما وكذا النهار يسمى صريما ايضا لان كل واحد
منهما ينصرم بالآخر وعلى هذا المعنى الصريم بمعنى الصارم قال قوم سمي الليل صريما لانه يقطع بظلمته عن التصرف وعلى هذا هو فعيل
بمعنى فاعل وقال آخرون سمي الليل بالصريم لانه يصرم نور البصر ويقطعه ثم قال تعالى فتنادوا مصبحين قال مقاتل
لما اصبحوا قال بعضهم لبعض اغدوا على حرثكم يعني بالحرث الثمار والزرع والاعناب ولذلك قال صارمين لانهم ارادوا قطع
الثمار من هذه الاشجار فان قيل لم لم يقل اغدوا الى حرثكم وما معنى على قلنا لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان
غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز ان يضمن الغدو معنى الاقبال كقولهم يغدى عليهم بالجفنة ويراح اي فاقبلوا
على حرثكم باكرين والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى** فانطلقوا وهم يتخافتون ان لا يدخلنها
اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما رأوها قالوا انا لضالون بل نحن
محرومون قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين
فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين عسى ربنا ان يبدلنا
خيرا منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون **اعلم**
ان قوله تعالى فانطلقوا اي ذهبوا وهم يتخافتون فيما بينهم وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفافيش
قال ابن عباس رضي الله عنهما يسرون الكلام فيما بينهم لئلا يعلم احد من الفقراء والمساكين ثم قال تعالى ان لا يدخلنها
اليوم عليكم مسكين ان مفسرة وقرا ابن مسعود رضي الله تعالى عنه بطرحها حتى يدخل كقولك لا يسكن ههنا ثم قال تعالى وغدوا على
حرد قادرين الحرد المنع يقال حاردت السنة اي قل مطرها ومنعت ريعها وحاردت الناقة اذا منعت لبنها فقل اللبن
والحرد الغضب وهما لغتان الحرد والحرد والتحريك اكثر وانما سمي الغضب بالحرد لانه كالمانع من ان يدخل المغضوب منه في الوجود
وغدوا وكانوا عند انفسهم وفي ظنهم قادرين على منع المساكين الثاني قيل الحرد القصد والسرعة يقال حرد يحرد حردا
قال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة وقطا حرادي اي سراع يعني وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة
ونشاط قادرين عند انفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها عند انفسهم ومعتقدين ان ثمرها مرادهم من الصرام و
الحرمان قوله تعالى فلما رأوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون فيه وجوه **احدها** انهم لما رأوا جنتهم محترقة
ظنوا انهم ضلوا الطريق فقالوا انا لضالون حيث كنا عازمين على منع الفقراء وحيث كنا نعتقد كوننا قادرين على الانتفاع
بها بل الامر انقلب علينا فصرنا نحن المحرومين قوله تعالى قال اوسطهم يعني اعدلهم وافضلهم رايا وجهه في تفسير قوله
تعالى امة وسطا لولا تسبحون يعني هلا تسبحون فيه وجوه الاول قال الاكثرون معناه هلا تستثنون فتقولون
ان شاء الله تعالى لانه عابهم بانهم لا يستثنون وانما جاز تسميته قوله ان شاء الله تعالى بالتسبيح لان التسبيح عبارة عن تنزيه

الله تعالى عن كل سوء فلو دخل شيء في الوجود على خلاف ارادة الله تعالى لكان ذلك يوجب عود نقص الى قدرة الله تعالى فقولك ان شاء الله تعالى يزيل هذا النقص فكان ذلك تسبيحا **واعلم** ان لفظ القران يدل على ان القوم حين كانوا يحلفون ويتركون الاستثناء كان اوسطهم ينهاهم عن ترك الاستثناء ويخوفهم من عذاب الله تعالى فلهذا حكى عن ذلك الاوسط انه قال بعد وقوع الواقعة الم اقل لكم هلا تسبحون الثاني ان القوم حين عزموا على منع الزكاة واغتروا بمالهم وقوتهم وقال الاوسط لهم توبوا من هذه المعصية قبل نزول العذاب فلما راوا العذاب ذكرهم ذلك الكلام الاول وقال لولا تسبحون فلا جرم اشتغل القوم في الحال بالتوبة وقالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم لكن بعد خراب البصرة الثالث قال الحسن رضي الله تعالى عنه هذا التسبيح هو الصلوة كانهم كانوا يتكاسلون في الصلوة والا كانت ناهية له عن الفحشاء والمنكر ولكانت داعية لهم الى ان يواظبوا على ذكر الله تعالى وعلى قول ان شاء الله تعالى لما حكى عن ذلك الاوسط انه امرهم بالتوبة والتسبيح حكى عنهم اشياء اولها انهم اشتغلوا بالتسبيح فقالوا في الحال سبحان ربنا اي سبحان ربنا من ان يجري في ملكه شيء الا بارادته ومشيته ولما وصفوا الله تعالى بالتنزيه والتقديس اعترفوا بسوء افعالهم وقالوا انا كنا ظالمين وثانيها فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اي يلوم بعضهم بعضا يقول هذا لهذا انت اشرت علينا بهذا الراي ويقول ذاك لهذا انت خوفتنا بالفقر ويقول الثالث لغيره انت الذي رغبتني في جمع المال فهذا هو التلاوم ثم انه تعالى نادوا على انفسهم بالويل فقالوا يا ويلنا انا كنا طاغين والمراد انهم استعظموا جرمهم ثم قالوا عند ذلك عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها قرئ يبدلنا بالتخفيف والتشديد انا الى ربنا راغبون طالبون منه الخير راجون لعفوه **واختلف** العلماء هاهنا فمنهم من قال ان ذلك توبة منهم وتوقف بعضهم في ذلك قالوا لان هذا الكلام يحتمل انهم قالوا ما قالوه رغبة منهم في الدنيا ثم قال تعالى كذلك العذاب يعني كما ذكرناه من احراقها بالنار وهاهنا تم الكلام في قصة اصحاب الجنة **واعلم** ان المقصود من ذكر هذه القصة امران احدهما انه تعالى قال ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين والمعنى لاجل ان اعطاه الله المال والبنين كفر بالله كلا بل الله تعالى انما اعطاه ذلك للابتلاء فاذا صرفه الى الكفر دمر الله عليه بدليل ان اصحاب الجنة لما اتوا بالقدر اليسير من المعصية دمر الله على جنتهم فكيف يكون الحال في حق من عاند الرسول صلى الله عليه وسلم واصر على الكفر والمعصية والثاني ان اصحاب الجنة خرجوا لينتفعوا بالجنة ويمنعوا الفقراء عنها فقلب الله تعالى عليهم القصة فكذا اهل مكة لما خرجوا الى بدر حلفوا ان يقتلوا محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فاذا رجعوا الى مكة طافوا بالكعبة وشربوا الخمور فاخلف الله تعالى ظنهم فقتلوا واسروا كاهل هذه الجنة ثم انه تعالى لما خوف الكفار بعذاب الدنيا قال ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون وهو ظاهر لا حاجة الى التفسير ثم انه تعالى لما ذكر بعد ذلك احوال السعداء والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ام لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون سلهم ايهم بذلك زعيم ام لهم شركاء فلياتوا بشركائهم ان كانوا صادقين **اعلم** ان قوله تعالى عند ربهم اي في الاخرة جنات النعيم اي جنات ليس فيها الا النعيم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا قال مقاتل لما نزلت هذه الاية قال كفار مكة للمسلمين ان الله تعالى فضلنا عليكم في الدنيا فلا بد وان يفضلنا عليكم في الاخرة فان لم يحصل التفضيل فلا اقل من المساواة ثم ان الله تعالى اجاب عن هذا الكلام بقوله تعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين ومعنى الكلام ان التسوية بين المطيع والعاصي غير جائز وفي الاية مسائل **المسالة الاولى** قال القاضي فيه دليل واضح على ان وصف الانسان بانه مسلم ومجرم كالتنافي فالفاسق لما كان مجرما وجب ان لا يكون مسلما والجواب انه تعالى انكر جعل المسلم مثلا للمجرم ولا شك انه ليس المراد انكار المماثلة في جميع الامور فانهما متماثلان في الجوهرية والجسمية والحدوث والحيوانية وغيرها من الامور الكثيرة بل المراد انكار استوائهما في الاسلام والجرم او في اثر هذين الامرين والمراد ان يكون انكار ان المسلم مساويا لانه حرم المجرم عند الله تعالى وهذا مسلم لا نزاع فيه فمن اين يدل على ان الشخص الواحد يمتنع ان يكون فيه كونه مسلما الثانية قال الجبائي دلت الاية على ان المجرم لا يكون البتة في الجنة لانه تعالى انكر حصول التسوية بينهما في الثواب بل لعله يكون ثواب المجرم اكثر من ثواب المسلم اذا كان المجرم اطول عمرا من المسلم كانت طاعاته غير محبطة والجواب هذا ضعيف لانا بينا ان الاية لا يمتنع من حصول التسوية في شيء اصلا بل يمتنع من حصول التسوية في درجة الثواب ولعلهما لا يستويان فيه بل يكون ثواب المسلم الذي لم يعص اكثر من ثواب من عصى على انا نقول لم لا يجوز ان يكون المراد من المجرمين هم الكفار الذين حكى الله تعالى عنهم هذه الواقعة وذلك لان حمل الجمع المحلى بالالف واللام على المعهود السابق مشهور في اللغة والعرف الثالثة ان الله تعالى استنكر التسوية بين المسلمين والمجرمين في الثواب فرد هذا على انه يقبح عقلا ما يحكى عن اهل السنة انه يجوز ان يدخل الكفار في الجنة والمطيعين في النار والجواب انه تعالى استنكر ذلك لسبب ان احدا يستحق عليه شيئا **واعلم** انه تعالى قال على سبيل الانكار افنجعل المسلمين كالمجرمين فقرر هذا الاستبعاد بان قال لهم على طريقة الالتفات ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم المعوج ام لكم كتاب فيه تدرسون هو كقوله تعالى ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم والاصل تدرسون

ان لكم



ان لكم ما تخيرون بمعنى ان لان ما بعد درس فلما جاءت اللام كسرت وتخير الشيء واختياره اي اخذ خيره ونحوه تنحله وانتحله اذا اخذ نحوه ثم قال تعالى ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون وفيه مسائل **الاولى** يقال لفلان علي يمين كذا اذا ضمنته له وحلفت له بالوفاء يعني ضمنا لكم واقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية في التوكيد فان قيل ان قوله تعالى الى يوم القيمة بم يتعلق قلنا فيه وجهان الاول انها متعلقة بقوله تعالى بالغة الى يوم القيمة ويكون معنى بالغة مؤكدة كما تقول جيدة بالغة وكل شيء متناه في الصحة فهو بالغ واما قوله تعالى ان لكم لما تحكمون فهو جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا عليكم **الثالثة** قرا الحسن بالغة بالنصب وهو نصب على الحال من الضمير في الظرف ثم قال للرسول صلى الله عليه وسلم سلهم ايهم بذلك زعيم والمعنى انه بذلك الحكم زعيم اي قائم به وكالمستدل على صحته كما يقول زعيم القوم باصلاح امورهم ثم قال تعالى ام لهم شركاء في تفسيره وجهان **الاول** انهم لهم اشياء يعتقدون انهم شركاء الله ويعتقدون ان اولئك الشركاء يجعلونهم في الاخرة مثل المؤمنين في الثواب والخلاص من العقاب وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم جعلوها شركاء لله تعالى وهذا كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء **الوجه الثاني** في المعنى ام لهم ناس يشاركونهم في هذا المذهب وهو التسوية بين المسلمين والمجرمين قلنا لو انهم ان كانوا صادقين في دعواهم والمراد بيان انه كما ليس لهم دليل عقلي في اثبات هذا المذهب ولا دليل نقلي وهو كتاب يدرسونه فليس لهم من يوافقهم من العقلاء على هذا القول وذلك يدل على انه باطل من كل الوجوه واعلم انه تعالى لما ابطل قولهم وافسد مقالتهم شرح بعد ذلك عظمة يوم القيمة فقال يوم يكشف عن ساق فيه مسائل

**المسالة الاولى** يوم منصوب بماذا فيه ثلاثة اوجه احدها انه منصوب بقوله تعالى فلياتوا اي فلياتوا بشركائهم وذلك ان ذلك اليوم يوم شديد وكانه تعالى قال ان كانوا صادقين في انها شركاء فلياتوا بها يوم القيمة لتشفع لهم وثانيها انه منصوب باضمار اذكروا وثالثها ان يكون التقدير يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وان ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه **المسالة الثانية** هذا اليوم الذي يكشف فيه عن ساق اهو يوم القيمة او في الدنيا فيه قولان الاول وهو الذي عليه الجمهور انه في يوم القيمة ثم في تفسير الساق وجوه الاول انه روي انه سئل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن هذه فقال اذا خفي عليكم شيء في القران فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم قول الشاعر   سن لنا قومك ضرب الاعناق   وقامت الحرب بنا على ساق   ثم قال وهو يوم كرب وشدة وروى مجاهد عنه قال هو اشد ساعة في القيمة وانشد اهل اللغة ابياتا في هذا المعنى منها ما انشده ابو عبيدة لقيس بن زهير   فاذا شمرت عن ساقها حربها دع ولا عسام   ومنها   وكشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح   وقال جرير   الا رب ساق الطرف من الاخازن   اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا   وقال اخر في سنة قد شمرت عن ساقها حمرا   قال ابن قتيبة اصل هذا ان الرجل اذا وقع في امر عظيم يحتاج الى الجد فيه شمر عن ساقه فلا جرم يقال في موضع الشدة مجازا واجمع العلماء على انه لا يجوز صرف الكلام الى المجاز واعلم ان صاحب الكشاف اورد هذا السؤال في موضع اخر فقال الكشف عن الساق مثل في شدة الامر فمعنى يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل في البخل ثم اخذ يعظم علم البيان ويقول لولاه لما وقفنا على هذه الاسرار واقول اما ان يدعي انه يجوز صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل او يقول انه لا يجوز ذلك الا بعد امتناع حمله على الحقيقة والاول باطل باجماع المسلمين ولانا ان جوزنا ذلك انفتح باب تاويلات الفلاسفة في امر المعاد فانهم يقولون في قوله جنات تجري من تحتها الانهار ليس هناك لا انهار ولا اشجار وانما هو مثل اللذة والسعادة ويقولون في قوله تعالى اركعوا واسجدوا ليس هناك ركوع ولا سجود وانما هو مثل التعظيم ومعلوم ان ذلك الذي يقتضي الى دفع الشرايع وفسادها واما ان قال بانه لا يصار الى هذا التاويل الا بعد قيام الدلالة على انه لا يجوز حمله على ظاهره فهذا الذي لم يزل كل احد من المتكلمين قال به وعول عليه فاين هذا الذي استبد هو بمعرفته والاطلاع عليه بواسطة علم البيان فرحم الله امرا عرف قدره وما تجاوز طوره القول الثاني وهو قول ابي سعيد الضرير يوم يكشف عن ساق اي عن اصل الامر وساق الشيء اصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان اي يظهر يوم القيمة حقائق الاشياء واصولها القول الثالث يكشف عن ساق جهنم او عن ساق العرش او عن ساق ملك مهاب عظيم واللفظ لا يدل الا على ساق فاما ان ذلك الساق ساق اي شيء هو فليس في اللفظ ما يدل عليه القول الرابع وهو اختيار المشبهة انه ساق الله تعالى الله عنه روي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه تعالى يتمثل للخلق حين يمر المسلمون فيقولون من تعبدون فيقولون نعبد الله فيشهدهم مرتين او ثلاثا ثم يقول هل تعرفون ربكم فيقولون سبحانه اذا عرفنا نفسه عرفناه فعند ذلك يكشف عن ساق فلا يبقى مؤمن الا خر ساجدا لله تعالى ويبقى المنافقون ظهورهم كالطبق الواحد فكانما فيها السفافيد واعلم ان هذا القول باطل لوجوه احدها ان الدلائل دلت على ان كل جسم محدث لان كل جسم متناه وكل متناه محدث ولان كل جسم فانه لا ينفك عن الحركة والسكون وكل ما كان كذلك فهو محدث ولان كل جسم ممكن وكل ممكن محدث وثانيها انه لو كان المراد ذلك لكان من حق الساق ان يعرف لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن اما لو حملناه على الشدة ففائدة التنكير الدلالة على التعظيم كانه قيل يوم يكشف عن شدة لا يمكن وصفها وثالثها ان التعريف لا يحصل بالكشف عن الساق انما يحصل بالكشف عن الوجه القول الثاني ان قوله تعالى يوم يكشف عن ساق ليس المراد

منه يوم القيمة بل هو في الدنيا وهذا قول ابي مسلم قال انه لا يمكن حمله على يوم القيمة لانه تعالى قال في وصف هذا اليوم فيدعون الى السجود
ويوم القيمة ليس فيه تعبد ولا تكليف بل المراد منه اما اخر ايام الرجل في دنياه لقوله تعالى يوم يرون الملائكة لا بشرى ثم انه يرى الناس
يدعون الى الصلوة اذا حضروا اوقاتها وهو لا يستطيع الصلوة لانه الوقت الذي لا ينفع نفسا ايمانها واما حال المرض والهرم والعجز وقد
كانوا قبل ذلك اليوم يدعون الى السجود وهم سالمون مما بهم الان اما من الشدة النازلة بهم من هول ما عاينوا عند الموت او من العجز
والهرم ونظير هذه الاية قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم واعلم انه لا نزاع في انه يمكن حمل اللفظ على ما قاله ابو مسلم فاما قوله انه لا يمكن
حمله على القيمة بسبب ان الامر بالسجود حاصل ههنا والتكليف زايل يوم القيمة فجوابه ان ذلك لا يكون على سبيل التكليف
بل على سبيل التقريع والتخجيل فلم قلتم ان ذلك غير جايز الثالثة قوله تعالى يوم يكشف يكشف بالنون وتكسف بالتا
المنقوطه من فوق على البنا للفاعل والمفعول جميعا والفعل للساعة او للحال ويوم تكشف الحال او الساعة كما يقول
كشفت الحرب عن ساقها على المجاز وقري ويكشف بالياء المضمومة وكسر الشين من الكشف اذا دخل الكشف ومنه
اكشف الرجل فهو مكشف اذا انقلب شفته العليا قوله تعالى ويدعون الى السجود فلا يستطيعون اعلم انا بينا
انهم لا يدعون الى السجود في الدنيا ثم انه تعالى حال ما يدعون الى السجود سلب عنهم القدرة على السجود وحال بينهم
وبين الاستطاعة حتى يزداد حسرتهم وندامتهم على ما فرطوا فيه حين دعوا الى السجود وهم سالمون الاطراف والمفاصل
قال الجبائي لما خص عدم الاستطاعة بالاخرة دل على انهم في الدنيا كانوا يستطيعون فبطل بهذا قول من قال ان
الكافر لا يقدر على الايمان وان القدرة على الايمان لا تحصل الا حال وجود الايمان والجواب عنه ان علم الله تعالى بانه لا يومن
مما في الوجود الايمان والجمع بين المتنافيين محال فالاستطاعة في الدنيا ايضا غير حاصلة على قول الجبائي اما قوله
تعالى خاشعة ابصارهم فهو حال من قوله تعالى لا يستطيعون ترهقهم ذلة يعني يلحقهم ذل بسبب انهم ما كانوا
بسبب انهم ما كانوا مواظبين على خدمة مولاهم مثل العبد الذي اعرض عنه مولاه فانه يكون ذليلا فيما بين الناس
وقوله تعالى وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون يعني حين كانوا يدعون الى الصلوة بالاذان والاقامة
وكانوا سالمين قادرين على الصلوة وفي هذا وعيد لمن قعد عن الجماعة ولم يجب المؤذن الى اقامة الصلوة والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم
ان كيدي متين ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك
ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم

**اعلم** انه تعالى لما خوف الكفار بعظمة يوم القيمة زاد في التخويف لحوفهم بما عنده وفي قدرته من القهر فقال ذرني
واياه يريدون كله الي فاني اكفيكه كانه يقول يا محمد صلى الله عليه وسلم حسبك انتقاما منه ان تكل امره الي وتخلي بيني
وبينه فاني عالم بما يجب ان يفعل به قادر على ذلك ثم قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون يقال استدرجه الى كذا
اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه وقوله من حيث لا يعلمون قال ابو روق اي كلما احدثوا خطية جددنا لهم
نعمة وانسيناهم الاستغفار فالاستدراج انما حصل من الانعام الذي لا يشعرون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم
يحسبونه تفضيلا لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة سبب لهلاكهم ثم قال تعالى واملي لهم اي نعلمهم كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا
اثما واطيل لهم المدة والملاوة والملاة من الدهر يقال املى الله له اي اطال له الملاوة والملوان الليل والنهار
والملا مقصور الارض الواسعة سميت به لامتدادها وقيل واملي لهم اي بالموت فلا اعاجلهم به ثم انه سمى احسانه
كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد ووصفه بالمتانة لقوته لانه في الحقيقة للهلاك واعلم
ان الاصحاب تمسكوا بهذه الاية في مسلة ارادة الكاينات فقالوا ان هذا الذي سماه الله تعالى بالاستدراج
والكيد اما ان لا يكون له اثر في ترجيح جانب الفعل على جانب الترك او يكون له فيه اثر والاول باطل والا لكان هو
وساير الاشيا التي لا تعلق لها بالفعل واحدة فلا يكون استدراجا اليه ولا كيدا واما الثاني فانه يقتضي كونه تعالى مريدا
لذلك الفعل الذي ينتهي اليه ذلك الاستدراج وذلك الكيد لانه اذا كان تعالى لا يريد لو كد هذا الجانب ويقصد
ذلك الجانب الاخر واعلم ان تاكيد هذا الجانب لا بد وان يفضي الى ترجحه الى فعله ودخوله في الوجود فلا بد وان يكون
مريدا لدخول ذلك الفعل في الوجود وهذا هو المطلوب اجاب بعضهم فقال المراد سنستدرجهم الى الموت من حيث لا يعلمون
وهذا هو الذي يقتضيه الحكمة فانهم لو عرفوا الوقت الذي يموتون فيه لصاروا اسين الى ذلك الوقت وقدموا
على المعاصي وفي ذلك اغراء بالمعاصي واجاب الجبائي سنستدرجهم الى العذاب من حيث لا يعلمون في الاخرة واملي لهم في
الدنيا توكيدا للحجة عليهم ان كيدي متين فامهله وازيح الاعذار عنه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي
عن بينة وهذا هو المراد من الكيد المتين ثم قالوا والذي يدل على ان المراد ما ذكرنا انه تعالى قال قبل هذه الاية فذرني ومن
يكذب بهذا الحديث ولا شك ان هذا تهديد انما وقع بعقاب الاخرة فوجب ان يكون المراد من الاستدراج والكيد المذكورين
عقيبه من عذاب الاخرة والعذاب الحاصل عند الموت واعلم ان اصحابنا قالوا الحرف الذي ذكرناه هو ان هذا الامهال
اذا كان متاديا الى الطغيان كان الراضي بالامهال العالم بتاديته الى الطغيان لا بد وان يكون راضيا بذلك الطغيان
واعلم ان قوله تعالى سنستدرجهم الى قوله تعالى ان كيدي متين مفسر في سورة الاعراف ثم قال تعالى ام تسالهم

اجرا



اجرا فهم من مغرم مثقلون وهذه الاية مع ما بعدها مفسرة في سورة الطور واقول انه اعاد الكلام الى ما تقدم من قوله
تعالى ام لهم شركا والمغرم الغرامة اي لم يطلب منهم على الهداية والتعليم اجرا فيثقل حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم
ذلك عن الايمان ثم قال تعالى ام عندهم الغيب فهم يكتبون وفيه مسايل الاولى ان عندهم هو اللوح المحفوظ فهم يكتبون فيه ثواب
ما هم عليه من الشرك ولذلك اصروا عليه وهذا استفهام على سبيل الانكار والثاني ان الانبيا الا نفاسه كانها حصرته عقولهم
حتى انهم يكتبون على الله اي يحكمون عليه بما شاوا وارادوا ثم انه تعالى لما بالغ في زيف طريقة الكفار وفي زجرهم عما هم عليه قال لمحمد
صلى الله عليه وسلم قال تعالى فاصبر لحكم ربك وفيه وجهان الاول فاصبر لحكم ربك في امهالهم وتاخير نصرتك عليهم والثاني فاصبر لحكم
ربك في ان اوجب عليك التبليغ والوحي والرسالة وتحمل ما يحصل بسبب ذلك من الاذى والمحنة ثم قال تعالى ولا تكن كصاحب
الحوت اذ نادى وهو مكظوم وفيه مسلتان المسلة الاولى في اذ كقوله مع صاحب الحوت حال ندائه وذلك
لانه في ذلك الوقت كان مكظوما فكانه قيل لا يكون مكظوما المسلة الثانية صاحب الحوت يونس عليه السلام اذ نادى
في بطن الحوت بقوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وهو مكظوم مملو غيظا من كظم السقا اذا ملاه والمعنى
لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلايه ثم قال تعالى لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعرا وهو مذموم وههنا
سؤالات **السؤال الاول** لم يقل لولا ان تداركته نعمة من ربه الجواب انما حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه
وقرا ابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما تداركته وقرا الحسن تداركه ان تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا انه كان
يقال فيه تتداركه كما يقال زيد سيقوم فتمنعه فلان اي كان يقال سيقوم والمعنى كان متوقعا منه القيام **السؤال
الثاني** المراد من قوله تعالى نعمة الجواب المراد من تلك النعمة هو انه تعالى انعم عليه بالتوفيق وهذا يدل على انه لا يتم شي من
الصالحات والطاعات الا بتوفيقه وهدايته **السؤال الثالث** اين جواب لولا الجواب من وجهين الاول تقدير
الاية لولا هذه النعمة لنبذ بالعرا مع وصف المذمومية فلما حصلت هذه النعمة لا جرم لم يوجد النبذ بالعرا مع هذا الوصف لانه
لما فقد هذا الوصف فقد ذلك المجموع الثاني لولا هذه النعمة لبقي في بطن الحوت الى يوم القيمة ثم نبذ بعرا القيامة مذموما ويدل
على هذا قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وهذا كما يقال عرصة القيامة
وعرا القيمة **السؤال الرابع** هل يدل قوله تعالى مذموم على كونه فاعلا للذنب الجواب من ثلاثة اوجه الاول
ان كلمة لولا دلت على ان هذه المذمومية لم تحصل الثاني لعل المراد من المذمومية ترك الافضل وان حسنات الابرار
سيات المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله تعالى فاجتباه ربه فجعله والفا للتعقيب
**السؤال الخامس** ما سبب نزول الاية الجواب يروى انها نزلت باحد حين حل برسول الله صلى الله
عليه وسلم ما حل واراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف والله تعالى اعلم **قوله تعالى**
فاجتباه ربه فجعله من الصالحين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما
سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين فيه مسلتان المسلة الاولى
في الاية وجهان احدهما قال ابن عباس رضي الله عنهما رد الوحي اليه وشفعه في قومه والثاني قال قوم لعله ما كان
رسولا صاحب الوحي قبل هذه الواقعة ثم بعد هذه الواقعة جعله الله نبيا وهو المراد من قوله تعالى فاجتباه والذين انكروا الكرامات والارهاص
لا بد وان يختاروا القول الثاني لان احتباسه في بطن الحوت وعدم موته هناك لما لم يكن ارهاصا ولا كرامة فلا بد وان
يكون معجزة وذلك يقتضي انه كان رسولا في تلك الحالة **المسلة الثانية** احتج الاصحاب على ان فعل العبد خلق
الله تعالى بقوله تعالى فجعله من الصالحين فالاية تدل على ان ذلك الصلاح انما حصل بجعل الله تعالى وخلقه قال الجبائي
يحتمل ان يكون المعنى جعله انه اخبر بذلك ويحتمل ان يكون لطف له حتى صلح اذ يحتمل لتسمية اللغة في هذه المعاني
والجواب ان هذين الوجهين الذين ذكرهم مجازان والاصل في الكلام الحقيقة قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك
بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون فيه مسايل المسلة الاولى ان مخففة من الثقيلة واللام علمها
المسلة الثانية قري ليزلقونك بضم اليا وفتحها وزلقه وازلقه بمعنى ويقال زلق الراس وازلقه حلقه وقري
ليزهقونك من زهقت نفسه وازهقها ثم فيه وجوه احدها انهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون
العداوة والبغضا يكادون يزلقونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني ويكاد ياكلني اي لو امكنه بنظره الصرع
او الاكل قال يتعارضون اذا التقوا في موطن نظرا يزل مواطي الاقدام وانشد ابن عباس رضي الله عنهما
لما مر باقوام لما حددوا النظر اليه نظروا الي باعين محمرة نظر التيوس الى شفار الجازر وبين الله تعالى ان هذا
النظر كان يشتد منهم في حال قراءة النبي صلى الله عليه وسلم القران وهو قوله تعالى لما سمعوا الذكر الثاني منهم من
حمله على الاصابة بالعين وبالجملة ههنا مقامات احدها ان الاصابة بالعين هل لها في الحقيقة ام لا الثاني ان تقدير
كونها صحيحة فهل ههنا امارة المقام الثاني من الناس من انكروا قال تاثير الجسم في الجسم لا يعقل الا بواسطة المماسة
فامتنع حصول التاثير **واعلم** ان المقدمة الاولى ضعيفة وذلك لان الانسان اما ان يكون عبارة عن
النفس او عن البدن فان كان الاول لم يمتنع اختلاف النفوس في جواهرها وماهياتها واذا كان كذلك لم يمتنع ايضا اختلافها
في لوازمها واثارها فلا يستبعد ان يكون لبعض النفوس خاصية في التاثير وان كان الثاني لم يمتنع ايضا ان يكون مزاج الانسان

واقعا على وجه مخصوص يكون له اثر خاص وبالجملة فالاحتمال العقلي قائم وليس في ابطاله شبهة فضلا عن حجة والدلائل السمعية ناطقة بذلك كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال العين حق وقال العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر الثاني من الناس من فسر الاية بهذا المعنى قالوا كانت العين في بني اسد وكان الرجل يتجوع ثلاثة ايام لا يمر به شيء فيقول فيه لم اركاليوم مثله الا عانه فالتمس الكفار من بعض من كانت له هذه الصفة ان يقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فعصمه الله تعالى وطعن الجبائي في هذا التأويل وقال الاصابة بالعين تقرب باستحسان الشيء والقوم ما كانوا ينظرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الوجه بل كانوا يمقتونه ويبغضونه والنظر على هذا الوجه لا يقتضي الاصابة بالعين واعلم ان هذا السؤال ضعيف لانهم وان كانوا يبغضونه من حيث الدين الا انهم كانوا يستحسنون فصاحته وايراده الدلائل وعن الحسن رضي الله تعالى عنه دواء الاصابة بالعين هذه الاية ثم قال تعالى ويقولون انه لمجنون وهو على ما سبق به السورة ثم قال تعالى وما هو الا ذكر للعالمين والمعنى ان هذا القران الذي يزعمون انه دلالة جنونه الا ذكر للعالمين فانه يذكرهم ويبين لهم ويرشدهم على ما عقولهم من ادلة التوحيد وفيه من الاداب والحكم وساير العلوم ما لا حد له ولا حصر فكيف يدعى جنون من يتلوه ونظيره مما سنذكره من صح انه من ادل الامور على كمال العقل والفضل والله الهادي

الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية **اعلم** ان في الاية مسائل **المسلة الاولى** اجمعوا على ان الحاقة هي القيامة **واختلفوا** في معنى الحاقة على وجوه احدها ان الحق هو الثابت الكاين فالحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي اتية لا ريب فيها وثانيها انها التي تحق فيها الامور التي تعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا اي لا اعرف حقيقته جعل الفعل وهو لاهلها وثالثها انها ذوات الحواق من الامور وهي الصادقة الواجبة فهي كلها حواق ورابعها ان الحاقة بمعنى الحقة احص من الحق واوجب تقول هذه حقتي اي حقي وعلى هذا الحاقة بمعنى وهذا الوجه قريب من الوجه الاول وخامسها قال الليث الحاقة النازلة التي حقت بالجارحة لها وهذا معنى قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة وسادسها الحاقة الساعة التي تحق فيها الجزا على كل ضلال وهدى وهي القيامة وسابعها الحاقة هو الوقت الذي يحق على القوم ان تقع بهم وثامنها انه الحق ان يكون جميع اثار المكلفين فان في ذلك اليوم يحصل الثواب والعقاب ويخرج عن حد الانتظار وهو قول الزجاج وتاسعها قال الازهري الذي عندي في الحاقة انها سميت بذلك لانها تحق كل محاق في دين الله بالباطل اي تخاصم كل مخاصم ومعاند من قولك حاقه فحققته اي غلبته وحججته عليه وعاشرها قال ابو مسلم الحاقة الفاعلة من حقت كلمة ربك **المسلة الثانية** الحاقة مرفوعة بالابتداء وخبرها ما الحاقة والاصل الحاقة ما هي اي اي شي هي تفخيما لشانها وتعظيما لهولها موضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها ومثله قوله تعالى القارعة ما القارعة وقوله تعالى وما ادريك اي اي شي اعلمك ما الحاقة يعني انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على انه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية احد ولا وهمه فكيف ما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك وما في موضع الرفع على الابتدا وادراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام كذبت ثمود وعاد بالقارعة والقارعة هي التي تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسما بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار وانما قال ثمود وعاد بالقارعة ولم تقل بها ليدل على ان معنى القرع حاصل في الحاقة فيكون ذلك زيادة على الوصف لشدتها ولما ذكرها وفخمها اتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة شرفها الله تعالى وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم قوله تعالى فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية **اعلم** ان في الطاغية اقوالا الاول ان الطاغية هي الواقعة المجاوزة للحد في الشدة والقوة قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية اي جاوز الحد وقال تعالى ما زاغ البصر وما طغى فعلى هذا القول الطاغية نعت محذوف واختلفوا في ذلك المحذوف فقال بعضهم انها الصيحة المجاوزة في القوة والشدة الصيحات قال تعالى انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر وقال بعضهم انها الرجفة وقال اخرون انها الصاعقة والقول الثاني ان الطاغية ها هنا الطغيان فهي مصدر كالكاذبة والعاقبة والعافية اي اهلكوا بطغيانهم على الله تعالى اذ كذبوا رسله وكفروا به وهو منقول عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والمتاخرون طعنوا فيه من وجهين الاول هو الذي قاله الزجاج انه لما ذكر في الجملة الثانية نوع الشيء الذي وقع به العذاب وهو قوله تعالى بريح صرصر وجب ان يكون الحال في الجملة كذلك حتى يكون المناسبة حاصلة والثاني وهو الذي قاله القاضي وهو انه لو كان المراد ما قالوه لكان من حق الكلام ان يقال اهلكوا لها ولاجلها والقول الثالث بالطاغية اي بالفرقة التي طغت من جملة ثمود هو انهم لما عقروا الناقة فعقروها اي اهلكوا بالشوم فرقتهم الطاغية ويجوز ان يكون المراد





بالطاغية ذلك الرجل الواحد الذي اقدم على عقر الناقة واهلك الجميع لانهم رضوا بفعله وقيل له طاغية كما يقال فلان راوية الشعر وداهيه وعلامه ونسابه قوله تعالى واما عاد فاهلكوا بريح صرصر الصرصر الشديد الصوت لها صرصرة وقيل الباردة من الصر التي لو رتها البرد وكر فهي تحرق لشدة بردها واما العاتية ففيها اقوال الاول قال الكلبي رضي الله عنه عتت على خزانها يومئذ فلم يحفظوا كم خرج منها يوم عاد فلم يكن لهم عليها سبيل فعلى هذا القول هي عاتية على الخزان الثاني قال عطا رضي الله تعالى عنه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد الريح عتت على عاد فلم يقدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء او استناد الى جبل فانها كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم القول الثالث ان هذا ليس من العتو الذي هو عصيان انما هو بلوغ الشيء وانتهاوه ومنه قوله عتيا من الكبر اي بلغ منتهاه وجفت وقال وقد طعنت من الكبر عتيا اي بالغة منتهاها في الشدة وقوله تعالى سخرها عليهم قال مقاتل سلطها عليهم وقال الزجاج اقامها عليهم وقال اخرون ارسلها عليهم هذه هي الالفاظ المنقولة عن المفسرين وفي لفظ التسخير اشارة الى نفي ذلك المذهب وبيان ان ذلك انما حصل بتقدير الله تعالى وقدرته فانه لولا هذه الدقيقة لما حصل منه التخويف والتحذير عن العقاب وقوله تعالى سبع ليال وثمانية ايام الفايدة فيه انه تعالى لو لم يذكر ذلك فما كان مقدار زمان هذا العذاب معلوما فلما قال تعالى سبع ليال وثمانية ايام صار مقدار الزمان معلوما ثم لما كان يمكن ان يظن ظان ان هذا العذاب كان متفرقا في هذه المدة ازال هذا الظن بقوله حسوما اي متتابعة متوالية واختلفوا في الحسوم على وجوه احدها وهو قول الاكثرين حسوما اي متتابعة اي هذه متتابعة عليهم بالريح المهلكة فلم يكن فيها فتور ولا انقطاع وعلى هذا القول حسوم جمع حاسم كشهود جمع شاهد وقعود ومعنى الحسم في اللغة القطع بالاستيصال سمي السيف حساما لانه يحسم العدو عما يريد من بلوغ عداوته فلما كانت تلك الرياح متتابعة ما سكنت ساعة حتى اتت عليهم اشبه تتابعها عليهم تتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى حتى ينحسم وثانيها ان تلك الرياح حسمت كل خير واستاصلت كل بركة فكانت حسوما اي حسمتهم فلم يبق منهم احد فالحسوم على هذين القولين جمع حاسم وثالثها ان يكون الحسوم مصدرا كالشكور والكفور وعلى هذا التقدير فاما ان ينتصب بفعله مضمرا والتقدير تحسم حسوما بمعنى تستاصل استيصالا ويكون صفة لقوله ذات حسوم ويكون مفعولا له اي سخرها عليهم مستاصلة وقيل ايام العجوز لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجز وهي اخر الشتاء اما قوله تعالى فترى القوم فيها صرعى اي في مهابها وقال اخرون اي في تلك الليالي والايام صرعى جمع صريع قال مقاتل رضي الله تعالى عنه يعني موتى يعني انهم صرعوا بموتهم فهم مصرعون صرع الموت كانهم اعجاز نخل خاوية اي كانهم اصول نخل خاوية الاجواف لا شيء فيها والنخل يونث ويذكر قال الله تعالى في موضع كانهم اعجاز نخل خاوية وقرئ اعجاز نخل انهم شبهوا بالنخل التي قلعت من اصلها وهو اخبار عن عظم خلقهم واجسامهم ويحتمل ان يكون المراد منه الاصول دون الجذوع اي ان الريح قد قطعتهم حتى صاروا قطعا ضخاما كاصول النخل واما وصف النخل بالخوا فيحتمل ان يكون وصفا للقوم فان الريح كانت يدخل في اجوافهم فصرعتهم كالنخل الخاويه بمعنى البالية لانها اذا بليت خلت اجوافها فشبهوا بعد ان هلكوا بالنخل البالية ثم قال تعالى فهل ترى لهم من باقية فيه مسلتان **المسلة الاولى** في الباقية ثلاثة اوجه احدها البقية وثانيها ان المراد من نفس الباقية وثالثها ان المراد بالباقية البقا كالطاغية بمعنى الطغيان **المسلة الثانية** ذهب قوم الى ان المراد انه لم يبق من نسلهم احد ولكن القوم احد ويستدل بهذه على قول ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية ايام احياء في عذاب الله تعالى من الريح فلما امسوا اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فالقتهم في البحر فذلك هو قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم **الصفة الثانية** قصة فرعون **قوله تعالى**

وجاء فرعون ومن قبله والموتفكات بالخاطيه فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانيه يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية **اعلم** ان قوله تعالى وجاء فرعون ومن قبله اي من كان من الامم التي كفرت كما كفر هو ومن لفظ عام ومعناه خاص في الكفار دون المومنين وقرا ابو عمرو وعاصم والكسائي ومن قبله بكسر القاف وفتح الباء قال سيبويه قبل لما ولي الشيء تقول ذهب قبل السوق ولي قبلك حق اي فيما يليك واتسع حتى صار بمنزلة لي عليك فمعنى من قبله اي من عنده من اتباعه وجنوده والذي يوكد هذه القراة ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه وابي وابي موسى قرأوا ومن تلقاه ويوكد هذه القراة ما روي اعرابي وحده اي وراه ومن معه اما قوله تعالى والموتفكات قد تقدم تفسيرها وهم الذين اهلكوا من قوم لوط على معنى والجماعات والموتفكات قوله بالخاطية فيه وجهان احدهما ان الخاطيه مصدر كالخطا والثاني ان يكون المراد بالفعلة والافعال ذات الخطا العظيم قوله تعالى فعصوا رسول ربهم الضمير ان كان عايدا الى فرعون ومن قبله فرسول ربهم هو موسى عليه الصلوة والسلم وان كان عايدا الى اهل الموتفكات فرسول ربهم قال الواحدي رحمه الله تعالى والوجه ان يراد بالرسول كلاهما للخبر عن الامتين بعد ذكرهما بقوله تعالى فعصوا فيكون كقوله تعالى

انا رسول رب العالمين قوله تعالى فاخذهم اخذة رابية يقال ربا الشي يربو اذا زاد ثم فيه وجهان الاول انها كانت زايدة
في الشدة على عقوبات الكفار لكان افعالهم كانت زايدة في القبح على افعال ساير الكفار الثاني ان عقوبة آل فرعون
في الدنيا متعلقة بعذاب الآخرة لقوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وعقوبة الآخرة اشد من عقوبة الدنيا فتلك
العقوبة كانها كانت تنمو وتربو **القصة الثالثة** قصة نوح عليه الصلوة والسلام قوله تعالى انا لما
طغى الماء حملناكم في الجارية طغى الماء على خزانه فلم يدروا كم خرج ولم ينزل من السماء قطرة قبل تلك الواقعة ولا بعدها
الا بكيل معلوم وساير المفسرين قالوا طغى الماء اي تجاوز حده حتى علا كل شي وارتفع فوقه حملناكم اي حملنا اباكم
وانتم في اصلابهم ولا شك ان الذين خوطبوا بهذا هم اولاد الذين كانوا في السفينة وقوله تعالى في الجارية يعني في
السفينة التي تجري في الماء وهي سفينة نوح عليه السلام والجارية من اسماء السفينة ومنه قوله تعالى وله الجوار
اما قوله تعالى لنجعلها لكم تذكرة الضمير في قوله تعالى لنجعلها الى ما يرجع فيه وجهان الاول قال الزجاج رضي الله عنه
انها عايدة الى الواقعة التي هي معلومة وان كانت ههنا غير مذكورة والتقدير لنجعل نجاة المومنين واغراق الكفرة
عظة وعبرة الثاني قال الفرا لنجعل السفينة وهذا ضعيف والاول هو الصواب ويدل على صحته قوله تعالى و
تعيها اذن واعية والضمير في قوله تعالى وتعيها عاد اليه الضمير لكن الضمير في قوله تعالى وتعيها لا يمكن عوده
الى السفينة فكذا الضمير الاول اما قوله تعالى وتعيها اذن واعية فيه مسلتان المسئلة الاولى يقال لكل شي حفظته
في نفسك وعيته ووعيت العلم ووعيت ما قلت ويقال لكل ما حفظته في غير نفسك اوعيته يقال اوعيت المتاع في الوعاء ومنه
قول الشاعر والشر اخبث ما اوعيت من زاد **واعلم** ان وجه التذكرة في هذا ان نجاة قوم من الغرق في السفينة وتغريق
من سواهم يدل على قدرة مدبر العالم ونفاذ مشيته ونهاية حكمته ورحمته وشدة قهره وسطوته عن النبي صلى الله عليه
وسلم عند نزول هذه الاية سالت الله ان يجعلها اذنك يا علي قال علي كرم الله تعالى وجهه فما نسيت بعد ذلك وما كان
لي ان انسى فان قيل لم قال تعالى اذن واعية على التوحيد والتنكير قلنا للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم
والدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الاعظم عند الله تعالى وان ما سواها لا يلتفت
اليهم وان امتلا العالم منهم قراة العامة بكسر العين وروي عن ابن كثير رضي الله تعالى عنه وتعيها ساكنة العين كانه جعل حرف
المضارعة مع ما بعده بمنزلة كبد فاسكن المتوسط من كبد وكتف وانما فعل ذلك لان حرف المضارعة مع ما بعده
بمنزلة كبد لان حرف المضارعة لا ينفصل من الفعل فاشبه ما هو من نفس الكلمة وصار كقول من قال وهو وهي ومثل ذلك
قوله ويتقه في قراة من سكن القاف **واعلم** انه تعالى لما حكى هذه القصص الثلاثة ونبه بها على ثبوت القدرة
والحكمة للصانع فحينيذ ثبت القول بالبعث والقدرة لكان وقوع القيمة ولما ثبت ذلك شرع سبحانه وتعالى في تفاصيل
احوال القيمة فذكر اولا مقدماتها فقال فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة فيه مسايل المسئلة الاولى قرئ
نفخة بالرفع والنصب وجه الرفع انه اسند الفعل اليها وانما حسن تذكير الفعل للفصل ووجه النصب ان الفعل
مسند الى الجار والمجرور ثم نصب نفخة على المصدر المسئلة الثانية المراد من هذه النفخة الواحدة هي النفخة
الاولى لان عندها يحصل خراب العالم **فان قيل** لم قال بعد ذلك يومئذ تعرضون والعرض انما يكون عند
النفخة الثانية قلنا جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف
والحساب فلذلك قال تعالى يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام كذا وانما كان مجيك في وقت واحد من اوقاته اما
قوله تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيه مسلتان المسئلة الاولى رفعت الارض والجبال اما
بالزلزلة التي تكون في القيمة واما بريح بلغت من قوة عصفها ان تحمل الارض والجبال او بملك من الملايكة او بقدرة الله
تعالى من غير سبب فدكتا اي فدكت الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق وتصير كثيبا
مهيلا وهباء منثورا والدك ابلغ من الدق وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا ترى فيها عوجا
ولا امتا من قولك اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة دكا ومنه الدكان المسئلة الثانية قال الزجاج رضي الله عنه
لا يجوز في دكة ههنا الا النصب لارتفاع الضمير في دكتا ولم يقل فدككن لانه جعل الجبال كالواحدة والارض
كالواحدة كما قال تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ولم يقل كن ثم قال
تعالى فيومئذ وقعت الواقعة اي يومئذ قامت القيمة الكبرى وانشقت السماء لنزول الملايكة فهي يومئذ
واهية اي مسترخية ساقطة القوة كالعهن المنفوش بعد ما كانت محكمة شديدة ثم قال تعالى والملك على
ارجايها فيه مسايل المسئلة الاولى قوله تعالى والملك لم يرد به ملكا واحدا بل المراد الجنس والجمع المسئلة الثانية
الارجاء في اللغة النواحي يقال رجا ورجوان والجمع الارجاء ويقال ذلك لحرف البير ولحرف القبر وما اشبه ذلك والمعنى ان
السماء اذا انشقت نزلت الملايكة من مواضعها الى جوانب السماء **فان قيل** الملايكة يموتون في الصعقة الاولى
لقوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فكيف يقولون انهم يقفون على ارجاء السماء
قلنا الجواب عنه من وجهين الاول انهم يقفون لحظة على ارجاء السماء ثم يموتون الثاني المراد الذين استثنى الله في قوله
تعالى الا من شاء الله اما قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فيه مسايل الاولى هذا العرش هو الذي اراده الله

تعالى



تعالى بقوله تعالى الذين يحملون العرش وبقوله تعالى وترى الملايكة حافين من حول العرش المسئلة الثانية الضمير في قوله فوقهم الى ماذا
يعود فيه وجهان الاول وهو الاقرب ان المراد فوق الملايكة الذين هم على الارجاء والمقصود التمييز بينهم وبين الملايكة الذين هم
حملة العرش الثاني قال مقاتل يعني ان الحملة يحملون العرش فوق رؤسهم والضمير قبل الذكر جائز لقوله في بيته يؤتى الحكم المسئلة الثالثة نقل
عن الحسن رضي الله عنه انه قال لا ادري انه ثمانية اشخاص او ثمانية الاف صفوف **واعلم** ان حمله على ثمانية اشخاص
اولى لوجوه احدها ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله تعالى باربعة آخرين
فيكونون ثمانية وروي ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل
بعضهم على صورة الانسان ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد
على حلمك بعد علمك والوجه الثاني في بيان ان الحمل على ثمانية اشخاص اولى من الحمل على ثمانية الاف وذلك لان ثمانية
لا بد منه في صدق اللفظ فلا حاجة في صدق اللفظ الى ثمانية فحينيذ يكون اللفظ دالا على ثمانية اشخاص لا دلالة فيه
على ثمانية الاف فوجب حمله على الاول الوجه الثالث وهو ان الموضع موضع التعظيم والتهويل فلو كان المراد ثمانية الاف
او ثمانية صفوف لوجب ذكره ليزداد التعظيم والتهويل فحيث لم يذكر ذلك علمنا انه ليس المراد الا ثمانية اشخاص
المسئلة الاولى قالت المشبهة لو لم يكن في العرش لكان حمل العرش عبثا عديم الفايدة لا سيما وقد اكد ذلك بقوله تعالى
يومئذ تعرضون انما يكون لو كان الاله حاضرا في العرش اجاب اهل التوحيد عنه بانه لا يمكن ان يكون المراد منه ان الله
تعالى جالس في العرش وذلك لان كل من كان حاملا للعرش يكون حاملا لكل ما كان حاصلا في العرش فلو كان الاله
في العرش يلزم في الملايكة ان يكونوا حاملين لله تعالى وذلك محال لانه يقتضي احتياج الله تعالى اليهم وان يكونوا اعظم
قدرة من الله تعالى وكل ذلك كفر صريح فعلمنا انه لا بد من التاويل فنقول السبب في هذا الكلام هو انه تعالى خاطبهم
بما يتعارفونه فخلق لنفسه بيتا يزورونه ليس انه يسكنه تعالى الله عنه وجعل في ركن البيت
حجرا سماه يمينه في الارض اذا كان من شانهم ان يعظموا رؤساهم بتقبيل ايمانهم وجعل على العباد حفظة ليس
ان النسيان يجوز عليه سبحانه لكن هو المتعارف وكذلك لما كان من شان الملك اذا اراد محاسبة عماله جلس لهم
على سريره ووقفت الاعوان حوله احضر الله يوم القيمة عرشا وحضرت الملايكة وحفت به لا لانه يقعد عليه
او يحتاج اليه بل لمثل ما قلناه في البيت والطواف اما قوله تعالى يومئذ تعرضون العرض عبارة عن المحاسبة والمساءلة
شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف احواله نظيره قوله تعالى وعرضوا على ربك صفا وروي ان في يوم القيمة
ثلث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنشر الكتب فياخذ السعيد كتابه
بيمينه والهالك كتابه بشماله ثم قال تعالى لا تخفى منكم خافية وفيه مسلتان المسئلة الاولى في الاية وجهان
الاول تقدير الاية تعرضون لا يخفى امركم فانه عالم بكل شي ولا يخفى عليه منكم خافية ونظيره قوله تعالى لا يخفى
على الله منهم شي فيكون الغرض منه المبالغة في التهديد يعني تعرضون على من لا يخفى عليه الوجه الثاني المراد لا يخفى
يوم القيمة ما كان مخفيا منكم في الدنيا فانه تظهر احوال المومنين فيتكامل بذلك سرورهم وتظهر احوال اهل العذاب
فيظهر بذلك حزنهم وفضيحتهم وهو المراد من قوله تعالى يوم تبلى السراير فما له من قوة ولا ناصر وفي هذا اعظم الزجر
والوعيد وهو خوف الفضيحة المسئلة الثانية قراة العامة بالتاء المنقوطة من فوقها واختار ابو عبيد اليا
وهو قراة حمزة والكسايي قال لان اليا يجوز للمذكر والمونث والتا فيه شي ذو خفا وايضا فقد وقع الفصل ههنا بين
الاسم والفعل بقوله منكم واعلم انه تعالى لما ذكر ما ينتهي هذا العرض اليه قال تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول
هاؤم اقروا كتابيه وفيه مسايل المسئلة الاولى ها صوت يصوت به فيفهم منه معنى خذ كاف وحس قال ابو
القاسم الزجاجي وفيه لغات اجودها ما حكاه سيبويه عن العرب يقال وهما يومر به من المستعمات قولهم ها يا فتى
ومعناه هاتا ولو ويفتحون الهمزة ويجعلون فتحها على المذكر كما قالوا هاك يا فتى فيجعل فتحة الكاف
علامة المذكر ويقول للاثنين هاؤما وللجمع هاؤموا وهاؤم والميم في هذا الموضع كالميم في انتم وانتما وهذه
الضمة التي لو بدت في همزة هاؤم انما هي ضمة ميم الجمع لان الاصل فيه هاؤموا واسقطوا فاتبعوا الفتحة الضمة
وحكم الاسي بحكم الجمع في كثير من الاحكام المسئلة الثانية اذا اجتمع عاملان على معمول واحد فاعمال الاقرب
جايز بالاتفاق واعمال الابعد هل يجوز ام لا ذهب الكوفيون الى جوازه والبصريون منعوه احتج البصريون
على قولهم بهذه الاية لان هاؤم ناصب وقوله اقروا ناصب ايضا فلو كان الناصب هو الابعد لكان التقدير هاؤم
كتابي كتابيه اقروا ونظيره اتوني افرغ عليه قطرا **واعلم** ان هذه الحجة ضعيفة لان هذه الاية دلت على ان
الواقع هاهنا اعمال الاقرب وذلك لا نزاع فيه انما النزاع في انه هل يجوز اعمال الابعد ام لا وليس في الاية
تعرض لذلك وايضا قد يحذف الضمير لان ظهوره يغني عن التصريح به كما في قوله تعالى والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات فلم لا يجوز ان يكون هاهنا كذلك ثم احتج الكوفيون بان العامل الاول متقدم في الوجود على العامل
الثاني والعامل الاول حين وجد اقتضى معمولا لامتناع حصول العلة دون المعلول فصيرورة المعمول معمولا

للعامل الاول متقدم على وجود العامل الثاني والعامل الثاني انما وجد بعد ان صار المعمول معمولا للعامل الاول فيصير ايضها
معمولا للعامل الثاني لامتناع تعليل الحكم الواحد بعلتين ولامتناع تعليل ما وجد قبل بما وجد بعد وهذه المسئلة من لطائف
النحو **المسئلة الثانية** الهاء للسكت في كتابيه وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه وحق هذه الهاءات ان تثبت
في الوقف وتسقط في الوصل ولما كانت هذه الهاءات مثبتة في المصحف والمثبت في المصاحف لابد وان يكون مثبتا
في اللفظ ولم يحسن اثباتها في اللفظ الا عند الوقف لاجرم استحبوا الوقف جميعا لاتباع المصحف **المسئلة الرابعة**
اعلم انه لما اوتي كتابه بيمينه ثم انه يقول هاؤم اقرءوا كتابيه دل ذلك على انه بلغ الغاية في السرور لانه لما اعطي كتابه اوتی
بيمينه علم انه من الناجين والفائزين بالنعيم فاحب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا بما ناله وقيل يقول ذلك لاهل بيته
وقرابته ثم حكى الله تعالى انه يقول اني ظننت اني ملاق حسابيه وفيه وجوه الاول المراد منه اليقين الاستدلالي
وكلما ثبت بالاستدلال فانه لا ينفك عن الخواطر المختلفة فكان ذلك شبيها بالظن الثاني ان تقدير الاية اني ظننت
اني ملاق حسابيه فيواخذني الله تعالى بسيئاتي فقد تفضل علي بالعفو ولم يواخذني فهاؤم اقرءوا كتابيه وماليها
روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل يؤتى به يوم القيمة ويؤتى كتابه فتكتب حسناته
في ظهر كفه وتكتب سيئاته في بطن كفه فينظر الى سيئاته فيحزن فيقول له اقلب كفك فينظر فيه فيرى حسناته
فيفرح ثم يقول هاؤم اقرءوا كتابيه اي ظننت بهذه النظرة الاولى اني ملاق حسابيه على سبيل الشدة واما الان فقد
فرج الله عني ذلك الغم اما في حق الاشقياء فيكون ذلك على الضد مما ذكرنا ورابعها ظننت اي علمت وانما اجرى الظن مجرى
العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والاحكام يقال اظن ظنا كاليقين ان الامر كيت وكيت وخامسها
المراد اني ظننت في الدنيا اي بسبب الاعمال التي كنت اعملها ساصل في القيمة الى هذه الدرجات فقد حصلت الان
على اليقين فيكون الظن على ظاهره لان اهل الدنيا لا يقطعون على ذلك ثم بين تعالى انه عاقبة امره ليكون في عيشة راضية
وفيه مسئلتان **المسئلة الاولى** وصف العيشة بانها راضية وفيه وجهان الاول انها منسوبة الى الرضى كالدارع
والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة والثاني انه جعل الرضى مجازا مع انه لصاحب العيشة **المسئلة
الثانية** ذكروا في حد الثواب انه لابد وان يكون منفعة ولابد وان يكون خالصة عن الشوائب ولابد وان يكون دائمة
ولابد وان يكون مقرونة بالتعظيم والشيء انما يكون مرضيا به من جميع الجهات لو كان مشتملا على هذه الصفات فقوله عيشة
راضية كلمة جارية لجميع هذه الشرائط التي ذكرناها قال في جنة عالية وهو من صلة عيشة راضية اي يعيش عيشا مرضيا
في جنة عالية والعلو ان يريد به العلو في المكان فلانه ان الجنة فوق السموات فان قيل اليس ان منازل البعض فوق منازل
الاخرين فهؤلاء السافلون لا يكونون في الجنة العالية قلنا ان كون بعضها دون بعض لا يقدح في كونها عالية وفوق السموات وان
اريد به العلو في الدرجة والشرف فالامر كذلك ثم قال تعالى قطوفها دانية اي ثمارها قريبة المتناول ياخذها الرجل كما
يريد ان شاء اخذها بيده ما تقادرت له قائما او جالسا او مضطجعا وان احب ان يرتوا فيه [illegible] والقطوف جمع قطف وهو
المقطوف والله تعالى اعلم **قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية واما من
اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية
ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها
سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين
فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين لا ياكله الا الخاطئون**
والمعنى يقال لهم ذلك وفيه مسائل **المسئلة الاولى** منهم من قال قوله كلوا ليس بامر ولا ندب اذ كان الغرض
منه تعظيم ذلك الانسان وادخال السرور في قلبه **الثانية** انما جمع الخطاب في قوله كلوا بعد قوله تعالى
في عيشة لقوله تعالى فاما من اوتي ومن يتضمن معنى الجمع **الثالثة** قوله بما اسلفتم اي بما قدمتم من اعمالكم
الصالحة ومعنى الاسلاف في اللغة تقديم ما يرجو ان يعود عليك بخير فهو كالاقراض ومنه يقال اسلفت
في كذا اذا قدمت فيه والمعنى بما عملتم من الاعمال الصالحة والايام الخالية المراد منها ايام الدنيا والخالية والمعنى وقال
لم ذلك وفيه مسائل **المسئلة الاولى** منهم من قال قوله كلوا ليس بامر ولا ندب اذ كان الغرض فيه تعظيم ذلك
الانسان ومنه قوله تعالى وقد خلت القرون من قبلي وتلك امة قد خلت وقال الكلبي رضي الله عنه بما اسلفتم
يعني الصوم وذلك لانهم لما امروا بالاكل والشرب دل ذلك على انه لمن امسك في الدنيا عنه بالصوم طاعة
لله تعالى **الرابعة** قوله تعالى بما اسلفتم يدل على انهم انما استحقوا ذلك الثواب بسبب عملهم وذلك يدل
على ان العمل موجب للثواب وايضا لو كانت الطاعات فعلا لله تعالى لكان قد اعطى الانسان ثوابا لا على فعل فعله
الانسان وذلك محال وجوابه معلوم واما قوله تعالى واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه
ولم ادر ما حسابيه **واعلم** انه تعالى بين انه لما نظر في كتابه وتذكر قبائح افعاله خجل منها وصار العذاب
الحاصل من تلك الخجالة ازيد من عذاب النار فقال ليتهم عذبوني بالنار وما عرضوا علي هذا الكتاب الذي ذكرني قبائح
افعالي حتى لا اقع في هذه الخجالة وهذا يدل على ان العذاب الروحاني اشد من العذاب الجسماني وقوله تعالى ولم ادر

ما حسابيه



ما حسابيه اي ولم ادر اي شيء حسابي لانه لا حاصل له ولا طائل له في ذلك الحساب وانما كله عليه ثم قال تعالى
يا ليتها كانت القاضية الضمير في يا ليتها الى ماذا يعود فيه قولان **احدهما** الى الموتة الاولى وهي وان لم تكن مذكورة
الا انها لظهورها كانت كالمذكورة والقاضية القاطعة من الحياة وفيه اشارة الى الانتهاء والفراغ قال تعالى واذا قضيت
ويقال قضى فلان اذا مات والمعنى يا ليت الموتة التي متها كانت القاطعة لامري ولم ابعث بعدها ولم الق ما وصلت
اليه قال قتادة رضي الله عنه تمنى الموت ولم يكن في الدنيا عنده شيء اكره من الموت وشر من الموت ما طلب له الموت وشر
من الموت الذي اذا نفسه يعذب منه الموت والموت اعظم والثاني انه عائد الى الحالة التي شاهدها عند مطالعة الكتاب
والمعنى يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت علي لانه راى تلك الحالة ابشع وامر مما ذاقه من مرارة الموت
وشدته فتمناه عندها ثم قال تعالى ما اغنى عني ماليه ما اغنى عني نفي او استفهام على وجه الانكار اي اي شيء اغنى عني
ما كان لي من اليسار ونظيره قوله تعالى ويأتينا فردا هلك عني سلطانيه في المراد بسلطانيه وجهان احدهما
قال ابن عباس رضي الله عنهما ضلت عني حجتي التي كنت احتج بها على محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا وقال مقاتل رضي
الله عنه ضلت عني حجتي يعني حين شهدت عليه الجوارح بالشرك والثاني ملكي وتسلطي على الناس وبقيت
ذليلا فقيرا وقيل معناه اني انما كنت انازع المحقين بسبب الملك والسلطان فالان ذهب ذلك الملك وبقي الوبال
**واعلم** انه تعالى ذكر سرور السعداء اولا ثم ذكر احوالهم في العيش الطيب وفي الاكل والشرب كذا ههنا ذكر
الاشقياء وحزنهم ثم ذكر احوالهم في الغل والقيد وطعام الغسلين فاولها ان يقول لخزنة جهنم خذوه فيبتدره
مائة الف ملك وتجمع يده الى عنقه فذلك قوله تعالى فغلوه ثم الجحيم صلوه قال المبرد يقال اصليته النار اذا اوردته
وصليته ايضا كما يقال اكرمته وكرمته وقوله تعالى ثم الجحيم صلوه معناه لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان
سلطانا يتعظم على الناس ثم في سلسلة وهي حلقة منتظمة كل حلقة منها في حلقة وكل شيء مستمر بعضه على بعض على الولاء
والنظام فهو مسلسل وقوله تعالى سبعون ذراعا فيه قولان **احدها** انه ليس الغرض التقدير بهذا المقدار
بل الوصف بالطول كما يقال ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة والثاني انه مقدر بهذا المقدار ثم قالوا
كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد ما بين مكة والكوفة وقال الحسن رضي الله تعالى عنه الله اعلم باي ذراع هو وقوله
تعالى فاسلكوه قال المبرد يقال سلكته في الطريق وفي القيد وغير ذلك واسلكته ومعناه ادخلته ولغة القران
سلكته قال الله تعالى ما سلككم في سقر وقال سلكناه في قلوب المجرمين قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تدخل السلسلة
من دبره وتخرج من حلقه ثم يجمع بين ناصيته وقدميه قال الكلبي رضي الله تعالى عنه كما يسلك الخيط في اللؤلؤ
ثم يجعل في عنقه سائرها وههنا سؤالات الاول لما العبرة في تطويل هذه السلسلة الجواب قال سويد بن ابي
نجيح يعني ان جميع اهل النار في تلك السلسلة واذا كان الجمع من الناس مقيدين بالسلسلة الواحدة كان العذاب
على كل واحد منهم بذلك السبب اشد السؤال الثاني في سلك السلسلة فهم معقول اما سلكه في السلسلة
ان تلوى على جسده حتى تلتف عليه اجزاؤها وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة وقال الفراء
رضي الله تعالى عنه المعنى ثم فاسلكوا فيه السلسلة ولكن تقول ادخلت راسي في القلنسوة وادخلتها
في راسي ويقال الخاتم لا يدخل في اصبعي والاصبع هو الذي يدخل في الخاتم السؤال الثالث لم قال في سلسلة
فاسلكوه ولم يقل فاسلكوا فيه السلسلة الجواب المعنى في تقديم السلسلة على السلك هو
الذي ذكرناه في تقديم الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كانها افظع من سائر مواضع الارهاق
في الجحيم السؤال الرابع [illegible] ثم في قوله ثم في سلسلة [illegible] التفاوت لما بينها وبين [illegible]
المدة اي التفاوت في مراتب العذاب **واعلم** انه تعالى لما شرح هذا العذاب ذكر سببه فقال انه كان لا يؤمن
بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين [illegible] **المسئلة الاولى** [illegible]
فساد حال القوة العملية [illegible] قوله تعالى ولا يحض على طعام المسكين فيه
قولان [illegible] ولا يحض على اطعام المسكين [illegible] على وضع الطعام
مقام الاطعام [illegible] قال صاحب الكشاف [illegible] في قوله ولا يحض على طعام
المسكين فيه دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثاني
ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف من ترك الفعل [illegible] دلت الاية على ان الكفار
يعاقبون على ترك الصلوة والزكوة وهو المراد من قولنا انهم مخاطبون بفروع الشرائع وعن ابي الدرداء رضي الله
تعالى عنه انه كان يحض امراته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا
نخلع النصف الباقي وقيل المراد منع الكفار وقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه ثم قال فليس له اليوم
ههنا حميم اي ليس له في الاخرة حميم اي قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتحامونه ويفرون منه كقوله ولا يسأل
حميم حميما وكقوله ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع والله تعالى اعلم **قوله تعالى ولا طعام
الا من غسلين لا ياكله الا الخاطئون** فيه مسئلتان **المسئلة الاولى** يروى عن ابن عباس رضي الله عنه

سئل عن الغسلين فقال لا ادري ما الغسلين وقال الكلبي هو ما يسيل من اهل النار من القيح والصديد والدم اذا عذبوا فهو غسلين فعلين من الغسل اللاسه الطعام ما هي للاكل فلما هي الصديد لما كله اهل النار كان طعاما لهم ويجوز ان يكون المعنى ان ذلك اقيم لهم مقام الطعام فسمي طعاما كما قال الشاعر تحية بينهم ضرب وجيع والتحية لا يكون ضربا الا انه لما اقيم مقامه جاز ان يسمى به ثم انه تعالى ذكر ان الغسلين الكل من هو فقال تعالى لا ياكله الا الخاطئون اي اصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء الخاطون بطرحها وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه طعن في هذه القراءة وقال ما الخاطون كلنا نخطو انما الخاطئون اي الصابئون ويجوز ان يجاب عنه بان المراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله **واعلم** انه تعالى لما اقام الدلالة على امكان القيامة ثم على وقوعها ثم ذكر احوال السعداء واحوال الاشقياء ثم ختم الكلام بتعظيم القران فقال تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وفيه مسلتان **المسئلة الاولى** منهم من قال المراد اقسم ولا صلة او يكون ردا لكلام سبق ومنهم من قال لا ههنا نافية للقسم كانه لا اقسم على ان هذا القران قول رسول كريم يعني انه لوضوحه يستغني عن القسم والاستقصاء في المسئلة سنذكره في اول سورة لا اقسم بيوم القيمة ان شاء الله تعالى **المسئلة الثانية** قوله تعالى بما تبصرون وما لا تبصرون يعم جميع الاشياء على الشمول لانها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الخالق والخلق والدنيا والاخرة والاجسام والارواح والانس والجن والنعم الظاهرة والباطنة **قوله تعالى انه لقول رسول كريم** **واعلم** انه تعالى ذكر في سورة اذا الشمس كورت مثل هذا الكلام والاكثرون هناك على ان المراد منه جبريل عليه السلام والاكثرون هنا على ان المراد محمد صلى الله عليه وسلم **واحتجوا** على الفرق بان ههنا لما قال انه لقول رسول كريم ثم ذكر بعده انه ليس بقول شاعر ولا كاهن والقوم ما كانوا يصفون جبريل عليه السلام بالشعر والكهانة بل كانوا يصفون محمدا صلى الله عليه وسلم بهذين الوصفين واما في سورة اذا الشمس كورت لما قال انه لقول رسول كريم قال بعده وما هو بقول شيطان رجيم والمعنى انه قول ملك كريم لا قول شيطان فصح ان المراد من الرسول الكريم ههنا هو محمد عليه السلام وفي تلك السورة هو جبريل عليه السلام وعند هذا يتوجه السؤال ان الامة مجمعة على ان القران كلام الله وحينئذ يلزم ان يكون الكلام الواحد كلاما لله تعالى ولجبريل ولمحمد عليهما السلام وهذا غير معقول والجواب انه يكفي في صدق الاضافة ادنى سبب فهو كلام الله تعالى بمعنى انه تعالى هو الذي اظهره في اللوح المحفوظ وهو الذي رتبه ونظمه وهو كلام جبريل عليه السلام بمعنى انه هو الذي انزله من السموات الى الارض وهو كلام محمد عليه السلام بمعنى انه هو الذي اظهره للخلق ودعا الناس الى الايمان وجعله حجة لنبوته ثم قال تعالى وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ههنا مسايل **الاولى** قرا الجمهور تؤمنون وتذكرون بالتاء المنقوطة من فوق على الخطاب الا ابن كثير فانه قراهما بالياء على المغايبة فمن قرا على الخطاب فهو عطف على قوله بما تبصرون وما لا تبصرون ومن قرا على المغايبة سلك فيه مسلك الالتفات **الثانية** قالوا لفظة ما في قوله قليلا ما تؤمنون قليلا ما تذكرون لغو وهي مؤكدة وفي قوله قليلا وجهان الاول قال مقاتل يعني بالقليل انهم لا يصدقون بان القران من الله والمعنى لا يؤمنون اصلا والعرب يقولون قل ما ياتينا يريدون لا ياتينا والثاني انهم قد يؤمنون في قلوبهم الا انهم يرجعون عنه سريعا ولا يتممون الاستدلال الا ترى الى قوله تعالى انه فكر وقدر الى قوله في اخر الامر قال ان هذا الا سحر مبين **الثالثة** ذكر في نفي الشاعرية قليلا ما يؤمنون وفي نفي الكاهنية قليلا ما تذكرون والسبب فيه كانه تعالى قال ليس هذا القران قولا من رجل شاعر لان هذا الوصف مباين لصنوف الشعر كلها الا انكم لا تؤمنون اي لا تقصدون الايمان فلذلك تعرضون عن التدبر ولو قصدتم الايمان لعلمتم كذب قولكم انه شاعر لمفارقة هذا التركيب ضروب الشعر ولا ايضا بقول كاهن لانه وارد بسبب الشياطين وشتمهم فلا يمكن ان يكون ذلك بالهام الشياطين الا انكم لا تذكرون كيفية نظم القران واشتماله على شتم الشياطين فلهذا السبب تقولون من باب الكهانة **قوله تعالى تنزيل من رب العالمين** **اعلم** ان نظير هذه الاية قوله في الشعراء وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين فهو كلام رب العالمين لانه تنزيل وهو قول جبريل عليه السلام انه نزل به وهو قول محمد عليه السلام لانه انذر الخلق به فههنا ايضا لما قال فيما تقدم انه لقول رسول كريم اتبعه بقوله تعالى تنزيل من رب العالمين حتى يزول الاشكال وقرا ابو السمال تنزيلا اي نزل تنزيلا ثم قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل قرئ ولو تقول على البناء للمفعول التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسمي الاقوال المنقولة اقاويل تحقيرا لها كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول والمعنى لو نسب الينا قولا لم نقله ثم قال تعالى لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وفيه مسلتان **المسئلة الاولى** في الاية وجهان الاول معناه لاخذنا بيده ثم لضربنا رقبته في الحال وهذا ذكره على سبيل التمثيل بما تفعله الملوك بمن يكتب عليهم فانهم لا يمهلونه بل يضربون رقبته في الحال وانما خص اليمين بالذكر لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذه بيساره واذا اراد ان يوقعه في جيده وهو اشد لنظر المعمول به ذلك العمل الى السيف اخذ بيمينه كان قوله تعالى لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهذا تفسير بين وهو منقول عن الحسن البصري رحمه الله الثاني ان اليمين بمعنى القوة والقدرة وهو قول الفراء والمبرد والزجاج ثم انشدوا اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين والمعنى لاخذنا منه اليمين اي سلبنا عنه القوة والباء على هذا صلة زائدة قال ابن قتيبة وانما اقام اليمين لان قوة كل شيء في ميامنه والقول الثالث قال مقاتل لاخذنا منه باليمين يعني انتقمنا منه بالحق واليمين على هذا القول بمعنى الحق لقوله تعالى انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من قبل الحق واعلم

الحاصل



ان حاصل هذه الوجوه لو نسب الينا قولا لم نقله لمنعناه عن ذلك اما بواسطة اقامة الحجة فانا كنا نقيض له من يعارضه فيه وحينئذ يظهر للناس كذبه فيه فيكون ذلك ابطالا لدعواه وهدما لكلامه واما بان نسلب عنه القدرة على التكلم بذلك القول وهذا هو الواجب في حكمة الله تعالى لئلا يشتبه الصادق بالكاذب لما سه قال ابن قتيبة ولم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد انه لو كذب لاامتناه فكان كمن قطع وتينه ونظيره قوله عليه السلام ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان انقطاع ابهري والابهر عرق متصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه فكانه قال هذا اوان يقتلني السم وحينئذ صرت كمن انقطع ابهره ثم قال تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين قال مقاتل والكلبي معناه ليس منكم احد يحجزنا عنه ويحجزنا عن ذلك الفعل قال الفراء والزجاج انما قال حاجزين في صفة احد لان احدا ههنا في معنى الجمع لانه اسم يقع في النفي العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومنه قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وقوله تعالى لستن كاحد من النساء **واعلم** انه تعالى لما بين ان القران تنزيل من الله تعالى بواسطة جبريل على محمد عليهما السلام الذي من صفته انه ليس بشاعر ولا بكاهن بين بعد ذلك ان القران ما هو فقال تعالى وانه لتذكرة للمتقين وقد بينا في اول سورة البقرة في قوله تعالى هدى للمتقين لما فيه من البحث وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين اما يوم القيمة اذا راوا ثواب المصدقين به او في الدنيا اذا راوا دولة المؤمنين به وانا لنعلم ان منكم مكذبين به بسبب حب الدنيا فكانه تعالى قال من اتقى حب الدنيا فهو يتذكر بهذا القران وينتفع واما من مال اليها فانه يكذب بهذا القران ولا يقر به واقول المعتزلة ان تمسكوا بهذه الاية على ان الكفر من الله تعالى وذلك لانه وصف القران بانه تذكرة للمتقين ولم يقل فانه اضلال المكذبين بل ذكر اضلال ينسب اليهم فقال تعالى وان منكم مكذبين فنظيره قوله تعالى في سورة النحل وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر **واعلم** ان هذا الجواب عن ما تقدم ثم قال تعالى وانه لحسرة على الكافرين الضمير في قوله تعالى وانه الى ماذا يعود فيه وجهان الاول انه عائد الى القران فكانه قيل وان القران لحسرة على الكافرين اما يوم القيامة اذا راوا ثواب المصدقين به او في الدنيا اذا راوا دولة المؤمنين والثاني قال مقاتل وان تكذيبهم بالقران لحسرة عليهم ودل عليه قوله تعالى ان منكم مكذبين ثم قال تعالى وانه لحق اليقين معناه انه حق يقين اي حق لا بطلان فيه ويقين لا ريب فيه ثم اضيف احد الوصفين الى الاخر للتاكيد ثم قال تعالى فسبح باسم ربك اما شكرا على ما جعلك اهلا لايحائه اليك واما تنزيها له عن الرضا بان ينسب اليه الكاذب من الوحي ما هو بري عنه واما تفسير قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم فمذكور في اول سورة سبح اسم ربك الاعلى والله تعالى اعلم

سال سايل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسال حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه **اعلم** ان قوله تعالى سال سايل فيه قراتان منهم من قرا بالهمزة ومنهم من قرا بغير همز اما الاولون وهم الجمهور فهذه القراءة يحتمل وجوها من التفسير الاول ان النضر بن الحرث لما قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فانزل الله تعالى هذه الاية ومعنى قوله تعالى سال سايل اي دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا اي استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة امنين قال ابن الانباري وعلى هذا القول تقدير الباء الاسقاط وتاويل الاية سال سايل عذابا واقعا تاكيدا بالباء كقوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة وقال صاحب الكشاف لما كان سال معناه دعا لاجرم عدي تعديته كانه قال دعا داع بعذاب من الله الثاني قال الحسن وقتادة لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وخوف المشركين بالعذاب قال المشركون بعضهم لبعض سلوا محمدا لمن هذا العذاب ولمن يقع فاخبر الله تعالى عنهم بقوله سال سايل بعذاب واقع قال ابن الانباري والتاويل على هذا القول سال سايل عن عذاب والباء بمعنى عن كقوله فان تسالوني بالنساء فانني بصير بادواء النساء طبيب وقال تعالى فاسئل به خبيرا وقال صاحب الكشاف سال هذا الوجه في معنى عني واهتم كانه قيل اهتم مهتم بعذاب واقع الثالث قال بعضهم هذا السايل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل بعذاب الكافرين فبين الله تعالى ان هذا العذاب واقع بهم فلا دافع له قالوا والذي يدل على صحة هذا التاويل قوله تعالى في اخر هذه الاية فاصبر صبرا جميلا وهذا يدل على ان ذلك السايل هو الذي امره بصبر جميل اما القراءة الثانية فهي سال بغير همز فله وجهان احدهما انه اراد سال بالهمز فخفف وقلب سالت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم

ع

صلب هل بما سالت ذم النصب الوجه الثاني ان ذلك من السيلان ويويده قراة ابن عباس رضي الله عنهما سال سال او السيل مصدر في
معنى السايل كالغور بمعنى الغاير والمعنى اندفع عليهم واد بعذاب وهذا قول زيد بن ثابت وعبد الرحمن بن زيد قال سال واد من اودية
جهنم بعذاب واما سايل فقد اتفقوا على انه لا يجوز فيه غير الهمزة لانه ان كان من سال المهموز فهو بالهمزة وان لم يكن كالمهموز
كان بالهمزة ايضا نحو قايل وخايف الا انك ان شيت خففتها الهمزة فجعلتها بين بين قوله تعالى بعذاب واقع فيه وجهان وذلك
لانا فسرنا قوله تعالى سال سايل بعذاب بما ذكرنا ان النضر طلب العذاب كان المعنى انه طلب طالب هذا العذاب هو واقع بهم لا محالة سوا
طلب او لم يطلب وذلك لان العذاب نازل بالكافرين في الاخرة واقع بهم لا يدفعه عنهم احد وقد وقع بالنضر في الدنيا لانه قتل يوم بدر وهو
هو المراد من قوله تعالى ليس له دافع واما ان فسرناه بالوجه الثاني وهو انهم سالوا الرسول عليه السلام ان هذا العذاب بمن ينزل فاجاب عنه
بانه واقع للكافرين والقول هو الشديد قوله تعالى من الله ذي المعارج وفيه وجهان الاول ان يكون تقدير الاية بعذاب
واقع من الله للكافرين والثاني ان يكون التقدير ليس له دافع من الله ليس لذلك العذاب الصادر من الله دافع من جهته
فانه اذا اوجبت الحكمة وقوعه امتنع ان لا يفعله الله تعالى قوله تعالى ذي المعارج المعارج جمع معرج وهو المصعد ومنه قوله
تعالى ومعارج عليها يظهرون والمفسرون ذكروا فيه وجوها احدها قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الكلبي ذي المعارج
اي ذي السموات وسماها معارج لان الملايكة يعرجون فيها وثانيها قال قتادة ذي الفواضل والنعم وذلك لان لايادته
ووجوه انعامه مراتب وهي تصل الى الناس على مراتب مختلفة وثالثها ان المعارج هي الدرجات التي يعطيها اولياه في الجنة وعندي
فيه وجه اخر رابع وهو ان هذه السموات كما انها متفاوتة في الارتفاع والانخفاض والكبر والصغر فكذا ارواح الملايكة
مختلفة في القوة والضعف والكمال والنقص وكثرة المعارف الالهية وقوتها وشدة القوة على تدبير هذا العالم وضعف تلك
القوة ولعل نور انعام الله تعالى واثر فيض رحمته لا يصل الى هذا العالم الا بواسطة تلك الارواح اما على سبيل العادة
او لا لذلك على ما قال تعالى فالمقسمات امرا والمدبرات امرا والمراد بقوله تعالى من الله ذي المعارج الاشارة الى تلك الارواح
المختلفة التي هي كالمصاعد لارتفاع مراتب الحاجات من هذا العالم اليها وكالمنازل لنزول اثر الرحمة من ذلك العالم الى
ها هنا قوله تعالى تعرج الملايكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا وههنا مسايل
الاولى اعلم ان عادة الله تعالى في القران انه متى ذكر الملايكة في معرض التهويل والتخويف افرد الروح بعدهم بالذكر كما في
هذه الاية وكما في قوله تعالى يوم يقوم الروح والملايكة صفا وهذا يقتضي ان الروح اعظم الملايكة قدرا ثم ههنا دقيقة
وهي انه تعالى ذكر عند عروج الملايكة اولا والروح ثانيا كما في هذه الاية وذكر عند القيمة الروح اولا والملايكة ثانيا
كما في قوله تعالى يوم يقوم الروح والملايكة وهذا يقتضي كون الروح اولا في درجة النزول اخرا في درجة الصعود وعند
هذا قال بعض المكاشفين ان الروح نور عظيم هو اقرب الانوار الى جلال الله تعالى ومنه تتشعب انوار ساير الملايكة والبشر
في اخر درجات منازل الارواح وبين الطرفين معارج مراتب الارواح الملكية ومعارج منازل الانوار القدسية ولا يعلم
كميتها الا الله تعالى واما ظاهر قول المتكلمين فهو ان الروح هو جبريل عليه السلام وقد قررنا هذه المسالة في تفسير قوله تعالى
يوم يقوم الروح والملايكة صفا الثانية احتج القايلون بان الله تعالى في مكان اما في العرش او فوقه بهذه الاية من وجهين
الاول ان الاية دلت على ان الله تعالى موصوف بانه ذو المعارج وهو انما يكون كذلك لو كان في جهة فوق والثاني
قوله تعالى تعرج الملايكة والروح اليه في يوم فبين ان عروج الملايكة وصعودهم اليه وذلك يقتضي كونه تعالى
في جهة فوق والجواب لما دلت الدلايل على امتناع كونه في المكان والجهة ثبت انه لا بد من التاويل فاما وصف الله
تعالى بانه ذو المعارج فقد ذكرنا الوجوه فيه واما حرف الى في قوله تعالى تعرج الملايكة والروح اليه فليس المراد منه المكان بل
انتها الامور التي هي مراده لقوله تعالى واليه يرجع الامر كله والمراد الى سمها الى موضع العز والكرامة كقوله تعالى اني ذاهب
الى ربي ويكون هذا اشارة الى ان دار الثواب اعلى الامكنة فهذه هي الوجوه التي تحتملها هذه الاية ونحن نذكر تفصيلها القول الاول
وهو ان معنى الاية ان ذلك المعارج تقع في يوم من ايام الاخرة طوله خمسون الف سنة وهو يوم القيمة وهذا قول الحسن
قال وليس يعني ان مقدار طوله هذا فقط اذ لو كان كذلك لحصلت له غاية ولفنيت الجنة والنار عند تلك الغاية
وهذا غير جايز بل المراد ان موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون الف سنة من سني الدنيا ثم بعد ذلك يستقر
اهل النار في دركات النيران نعوذ بالله تعالى منها واعلم ان هذا الطول انما يكون في حق الكافر فاما في حق المومن
فلا والدليل عليه الاية والخبر اما الاية فقوله تعالى اصحاب الجنة يوميذ خير مستقرا واحسن مقيلا واتفقوا على ان ذلك
المقيل هو الجنة واما الخبر فما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه انه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما طول
هذا اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف على المومن حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا
ومن الناس من قال ان ذلك الموقف وان طال فهو يكون سببا لمزيد السرور والراحة لاهل الجنة ويكون سببا لمزيد
الحزن والغم لاهل النار والجواب عنه ان الاخرة دار جزا فلا بد من ان يتعجل للمثابين ثوابهم ودار الثواب هي الجنة لا الموقف
فاذن لا بد من ان يكون طول الموقف في حق الكفار القول الثاني هو ان هذه المدة واقعة في الاخرة على سبيل التقدير لا على سبيل
التحقيق والمعنى انه لو اشتغل بذلك القضا والحكومة اعقل الخلق واذكاهم لبقي فيه خمسين الف سنة ثم انه تعالى يتم ذلك القضا والحكومة
في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا وايضا الملايكة يعرجون الى مواضع لو اراد واحد من اهل الدنيا ان يصعد اليها لبقي في ذلك الصعود

خمسين



خمسين الف سنة ثم انهم يصعدون اليها في ساعة قليلة وهذا قول وهب وجماعة من المفسرين القول الثالث وهو
قول ابي مسلم ان هذا اليوم هو يوم الدنيا كلها من اول ما خلق الله تعالى الى آخرها فبين تعالى انه لا بد في يوم الدنيا
من عروج الملايكة ونزولهم وهذا اليوم مقدر بخمسين الف سنة ثم لا يلزم على هذا ان يصير وقت القيمة معلومة
لانه لا ندري كم مضى وكم بقي القول الرابع تقدير الاية سال سايل بعذاب واقع من الله في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة ثم يحتمل ان يكون المراد منه الاستطالة ذلك اليوم لشدته على الكفار ويحتمل ان يكون المراد تقدير
مدته وعلى هذا فليس المراد تقدير العذاب بهذا المقدار بل المراد التنبيه على طول مدة العذاب ويحتمل ايضا ان العذاب
الذي ساله ذلك السايل يكون مقداره هذا المقدار ثم انه تعالى ينقله الى نوع آخر من العذاب بعد ذلك فان قيل
روى ابن مليكة ان ابن عباس رضي الله عنهما سيل عن هذه الاية وعن قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين الف
سنة فقال ايام سماها الله تعالى هو اعلم بها كيف تكون واكره ان اقول فيها ما لا اعلم فما قولكم في التوفيق بين
هاتين الايتين قلنا قال وهب في الجواب عن هذا ما بين اسفل العالم الى اعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف
سنة ومن اعلى سماء الدنيا الى الارض مسيرة الف سنة لان عرض كل سماء مسيرة خمس ماية سنة وما بين
اسفل السما الى قرار الارض خمسماية اخرى فقوله تعالى في يوم يريد في يوم من ايام الدنيا وهو مقدار الف سنة
لو صعدوا فيه الى سماء الدنيا ومقدار خمسين الف سنة لو صعدوا الى اعلى العرش قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا
وفيه مسلتان الاولى اعلم ان هذا متعلق بسال سايل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزا
برسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر عليه والتكذيب بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فامر بالصبر عليه وكذلك من يسال عن العذاب لمن هو فانما يسال على طريق التعنت من كفار مكة ومن قرا
سال سايل او سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام الثانية قال الكلبي هذه الاية
نزلت قبل ان يومر الرسول بالقتال قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا الضمير في يرونه الى ماذا يعود فيه وجهان
الاول انه عايد الى يوم كان مقداره خمسين الف سنة اي يستبعدونه على جهة الاحالة ونحن نراه قريبا هينا في قدرتنا
غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه قوله تعالى يوم تكون السما كالمهل فيه
مسلتان الاولى يوم تكون منصوب بماذا فيه وجوه احدها بقريبا والتقدير ونراه قريبا يوم تكون السما كالمهل
اي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم وثانيها التقدير سال سايل بعذاب واقع يوم تكون السما كالمهل والثالث التقدير
يوم تكون السما كالمهل كان كذا وكذا والرابع ان يكون بدلا عن يوم والتقدير سال سايل بعذاب واقع في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة فيكون السما كالمهل الثانية انه تعالى ذكر لذلك اليوم صفات الصفة الاولى
ان السما تكون فيه كالمهل ذكرنا تفسير المهل عند قوله تعالى بماء كالمهل قال ابن عباس رضي الله عنهما كدردي
الزيت ويروى عنه كعكر القطران وقال الحسن مثل الفضة اذا اذيبت وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه
الصفة الثانية ان تكون الجبال فيه كالعهن معنى العهن في اللغة الصوف المصبوغ الوانا وانما وقع التشبيه
به لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش
اذا طيرته الريح الصفة الثالثة قوله تعالى ولا يسال حميم حميما فيه مسلتان الاولى قال ابن عباس رضي الله عنهما
الحميم القريب الذي يعصب له وعدم السوال انما كان لاشتغال كل احد بنفسه وهو كقوله تعالى تذهل كل مرضعة
عما ارضعت وقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الى قوله تعالى لكل امرئ منهم يوميذ شان يغنيه ثم في الاية
وجوه احدها ان يكون التقدير لا يسال حميم عن حميمه فحذف الجار واوصل الفعل والثاني لا يسال حميم حميمه
فكيف حالك ولا يكلمه لان لكل احد ما يشغله عن هذا الكلام الثالث لا يسال حميم حميما شفاعة ولا يسال
حميم حميما احسانا اليه ولا رفقا به الثانية قرا ابن كثير ولا يسال بضم اليا والمعنى لا يسال حميم
عن حميمه ليعرف شانه من جهته كما يتعرف خبر الصديق من جهة صديقه وهذا ايضا على حذف الجار قال
الفرا اي لا يقال لحميم اين حميمك ثم قال ولست اشتهي هذه القراة لانها مخالفة لما اجمع عليه القرا قوله تعالى يبصرونهم
يقال بصرت به ابصر قال تعالى بصرت بما لم يبصروا به ويقول بصرني زيد بكذا فاذا حذفت الجار قلت بصرني زيد كذا فاذا بنيت الفعل
للمفعول به قلت بصرت زيدا فهو معنى يبصرونهم وانما جمع فقيل يبصرونهم لان الحميم وان كان مفردا في اللفظ فالمراد به الكثرة
والجمع والدليل عليه قوله تعالى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ومعنى يبصرونهم يعرفونهم اي يعرف الحميم الحميم حتى يعرفه وهو مع ذلك لا يساله
عن شانه لشغله بنفسه فان قيل ما موقع يبصرونهم قلنا فيه وجهان الاول انه متعلق بقوله عما قاله كانه لما قال ولا يسال
حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكن لاشتغالهم بانفسهم لا يتمكنون من تساولهم الثاني انه متعلق بما
بعده فالمعنى ان المجرمين يبصرون المومنين حال ما يود احدهم ان يفتدي نفسه بكل ما يملكه فان الانسان اذا كان في البلا
الشديد ثم راه عدوه على تلك الحالة كان ذلك في نهاية الشدة عليه الصفة الرابعة قوله تعالى يود المجرم لو يفتدي
من عذاب يوميذ ببنيه فيه مسلتان الاولى المجرم هو الكافر وقيل يتناول كل مذنب الثانية قرئ يوميذ بالجر والفتح
على البنا لسبب الاضافة الى غير متمكن وقرئ ايضا من عذاب يوميذ بتنوين عذاب ونصب يوميذ وانتصابه بعذاب لانه

في معنى يعدي وقوله تعالى وفصيلته التي تؤويه فصيلة الرجل اقاربه الاقربون الذين فصل عنهم وينتمي اليهم
كان المراد من الفصيلة المفصولة لان الولد يكون منفصلا من الابوين قال عليه السلام فاطمة بضعة مني فلما
كان هو مفصولا منهما كانا ايضا مفصولين منه فسميا فصيلته لهذا السبب وكان يقال للعباس فصيلة
النبي عليه السلام لان العم قائم مقام الاب واما قوله تعالى تؤويه فالمعنى تضمه انتماء اليها في النسب او تمسكا بها
في النوائب وقوله تعالى ثم ينجيه فيه وجهان الاول انه عطف على يفتدي والمعنى يود المجرم لو يفتدي بهذه
الاشياء ثم ينجيه والثاني انه متعلق بقوله تعالى من في الارض والتقدير يود لو يفتدي بمن في الارض ثم ينجيه
وثم لاستبعاد الانجاء يعني لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات ان ينجيه
والله تعالى اعلم **قوله تعالى** كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعوا من ادبر وتولى وجمع فاوعى
ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين
هم على صلاتهم دائمون والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم
الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مامون والذين هم لفروجهم
حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك
هم العادون كلا ردع للمجرم عن كونه بحيث يود الافتداء وتنبيه على انه لا ينفعه ذلك الافتداء ولا ينجيه
من العذاب ثم قال انها وفيه وجهان الاول ان هذا الضمير للنار ولم يجر لها ذكر لان ذكر العذاب دل عليها والثاني يجوز ان يكون ضميرا
للقصة ولظى من اسماء النار قال الليث اللظى اللهب الخالص يقال لظت النار تلظى لظى وتلظت تلظيا ومنه قوله تعالى نارا تلظى
ولظى علم للنار منقول من اللظى وهي معرفة لا تنصرف فلذلك لم تنون وقوله تعالى نزاعة مرفوعة وفي سبب هذا الارتفاع وجوه
الاول ان تجعل الهاء في انها عمادا وتجعل لظى اسم ان ونزاعة خبر ان كانه قيل ان لظى نزاعة والثاني ان تجعل الهاء ضمير القصة
ولظى مبتدا ونزاعة خبر وتجعل الجملة خبرا عن ضمير القصة والتقدير ان القصة لظى نزاعة للشوى والثالث ان ترفع على
الذم والتقدير انها لظى وهي نزاعة للشوى وهذا قول الاخفش والفراء والزجاج واما قراءة النصب ففيها ثلاثة اوجه احدها
قال الزجاج انها حال موكدة كما قال تعالى هو الحق مصدقا وكما تقول انا زيد معروفا فاعترض ابو علي الفارسي على هذا وقال حمله
على الحال بعيد لانه ليس في الكلام ما يعمل في الحال فان قلت في قوله تعالى لظى معنى التلظي والتلهب فهذا لا يستقيم لان لظى
اسم علم لماهية مخصوصة والماهيات لا يمكن تقييدها بالاحوال انما الذي يمكن تقييده بالاحوال هو الافعال فلا يمكن
ان يقال رجلا حال كونه عالما ويمكن ان يقال رايت رجلا حال كونه عالما وثانيها ان تكون لظى اسما للنار وتتلظى تلظيا
شديدا فيكون هذا الفعل ناصبا لقوله تعالى نزاعة وثالثها ان تكون منصوبة على الاختصاص والتقدير انها لظى اعنيها
نزاعة للشوى ثم نبغ المسالة الثالثة الشوى الاطراف وهو اليدان والرجلان ويقال للرامي اذا لم يصب المقتل اشوى
اي اصاب الشوى والشوى ايضا جلد الراس واحدتها شواة قال الاعشى قالت قتيلة ماله قد جللت شيبا شواته هذا
قول اهل اللغة قال مقاتل تنزع الهامة والاطراف ولا تترك لحما ولا جلدا الا احرقته وقال سعيد بن جبير للعصب والعقب
ولحم الساقين واليدين قال ثابت البناني لمكارم وجه ابن آدم واعلم ان النار اذا افنت هذه الاعضاء فالله تعالى يعيدها
اخرى كما قال تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب قوله تعالى تدعوا من ادبر وتولى فيه مسائل
**المسالة الاولى** اختلفوا في ان لظى كيف تدعوا الكافر فذكروا فيه وجوها احدها انها تدعوهم بلسان الحال كما قيل سل الارض
من شق انهارك وغرس اشجارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا فههنا لما كان مرجع كل واحد من الكفار الى
زاوية من زوايا جهنم كانت تلك المواضع تدعوهم وتحضرهم وثانيها ان الله تعالى يخلق الكلام في جرم النار حتى تقول
صريحا الي الي يا كافر يا منافق ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وثالثها المراد ان زبانية النار يدعون فاضيف
ذلك الدعاء الى النار بحذف المضاف ورابعها تدعوا تهلك من قول العرب دعاك الله اي اهلكك وقوله تعالى من ادبر
وتولى يعني من ادبر عن الطاعة وتولى عن الايمان وجمع المال فاوعى اي جعله في وعاء وكنزه ولم يؤد الزكاة والحقوق
الواجبة منها فقوله تعالى ادبر وتولى اشارة الى الاعراض عن معرفة الله تعالى وطاعته وقوله تعالى وجمع فاوعى
اشارة الى حب الدنيا فجمع اشارة الى الحرص فاوعى اشارة الى الامل ولا شك ان مجامع افات الدنيا ليست الا هذه قوله
تعالى ان الانسان خلق هلوعا فيه مسائل الاولى قال بعضهم المراد بالانسان ههنا الكافر وقال اخرون بل هو على عمومه
بدليل انه استثنى منه الا المصلين الثانية يقال هلع الرجل يهلع هلعا وهلاعا فهو هالع وهلوع وهو شدة
الحرص وقلة الصبر يقال جاع فهلع وقال الفراء الهلوع الضجور وقال المبرد الهلع الجزع يقال نعوذ بالله من الهلع عند
منازلة الاقران وعن احمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله تعالى ولا يكون تفسير ابين من
تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس الثالثة قال القاضي قوله تعالى ان الانسان
خلق هلوعا نظير قوله تعالى خلق الانسان من عجل وليس المراد انه مخلوق على هذا الوصف والدليل عليه ان الله تعالى ذمه
عليه والله تعالى لا يذم فعله ولانه تعالى استثنى المؤمنين الذين جاهدوا انفسهم في ترك هذه الخصلة المذمومة ولو كانت
هذه الخصلة ضرورية حاصلة بخلق الله تعالى لما قدروا على تركها **واعلم** ان الهلع لفظ واقع على امرين احدهما الحالة

النفسانية



النفسانية التي لاجلها تقدم الانسان على اظهار الجزع والتضرع والثاني تلك الافعال الظاهرة من القول والفعل
الدالة على تلك الحالة النفسانية اما تلك الحالة النفسانية فلا شك انها تحدث بخلق الله تعالى لان من خلقت
نفسه على تلك الحالة لا يمكنه ازالة تلك الحالة عن نفسه ومن خلق شجاعا بطلا لا يمكنه ازالة تلك الحالة
عن نفسه بل الافعال الظاهرة من القول والفعل يمكنه تركها والاقدام عليها فهي امور اختيارية اما الحالة النفسانية
التي هي الهلع في الحقيقة فهي مخلوقة على سبيل الاضطرار قوله تعالى اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا المراد
من الخير والشر الفقر والغنى او المرض والصحة فالمعنى انه اذا صار فقيرا او مريضا اخذ في الجزع والشكاية واذا صار
غنيا او صحيحا اخذ في منع المعروف وشح بماله ولم يلتفت الى الناس فان قيل حاصل هذا الكلام انه نفور عن المضار طالب
للراحة وهذا هو اللائق بالعقل فلم ذمه الله تعالى عليه قلنا انما ذمه عليه لانه قاصر النظر على الاحوال الجسمانية
العاجلة وكان من الواجب عليه ان يكون مشغولا باحوال الاخرة فاذا وقع في مرض او فقر وعلم انه فعل الله تعالى كان
راضيا به لعلمه ان الله تعالى ان يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد واذا وجد المال والصحة صرفهما الى طلب السعادة
الاخروية **واعلم** انه استثنى عن هذه الحالة المذكورة المذمومة من كان موصوفا بثمانية اشياء اولها قوله
تعالى الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون فان قيل كيف على صلاتهم دائمون ثم على صلاتهم يحافظون قلنا معنى
دوامهم عليها ان لا يتركوها في شيء من الاوقات ومحافظتهم عليها يرجع الى الاهتمام بحالها حتى يؤتى بها على اكمل الوجوه
وهذا الاهتمام انما يحصل تارة بامور سابقة على الصلوة وتارة بامور لاحقة بها وتارة بامور متراخية
عنها اما الامور السابقة فهو ان يكون قبل دخول وقتها متعلق القلب بالوضوء وستر العورة وطلب القبلة
ووجدان الثوب والمكان الطاهرين والاتيان بالصلوة في الجماعة وفي المساجد المباركة وان يجتهد قبل الدخول
في الصلوة في تفريغ القلب عن الوساوس والالتفات الى ما سوى الله تعالى وان يبالغ في الاحتراز عن الرياء والسمعة
واما الامور المقارنة فهو ان لا يلتفت يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر القلب عند القراءة فاهما للاذكار مطلعا
على حكم الصلوة واما الامور المتراخية فهو ان لا يشتغل بعد اقامة الصلوة باللغو واللعب وان يحترز كل الاحتراز
عن الاتيان بعدها بشيء من المعاصي وثانيها قوله تعالى والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم **واختلفوا**
في الحق المعلوم فقال ابن عباس والحسن وابن سيرين انه الزكاة المفروضة قال ابن عباس من ادى زكاة ماله
فلا جناح عليه ان لا يتصدق قالوا والدليل على ان المراد به الزكاة المفروضة وجهان الاول ان الحق المعلوم المقدر هو
الزكاة اما الصدقة فهي غير مقدرة والثاني وهو انه تعالى ذكر هذا على سبيل الاستثناء عمن ذمه فدل على ان الذي
لا يعطي هذا الحق يكون مذموما ولا حق على هذه الصفة الا الزكاة وقال اخرون هذا الحق سوى الزكاة وهو يكون
على طريق الندب والاستحباب وهذا قول مجاهد وعطاء والنخعي وقوله للسائل يعني الذي يسال والمحروم الذي يتعفف
عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم وثالثها قوله تعالى والذين يصدقون بيوم الدين اي يؤمنون بالبعث والنشور وبعدها
قوله تعالى والذين هم من عذاب ربهم مشفقون والاشفاق يكون من امرين الخوف من ترك الواجبات والخوف من الاقدام
على المحظورات وهذا كقوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة وكقوله تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون
ومن يدوم به الخوف والاشفاق فكانه يكون حذرا من التقصير حريصا على القيام بما كلف من علم وعمل ثم انه
تعالى اكد ذلك الخوف فقال ان عذاب ربهم غير مامون والمراد ان الانسان لا يمكنه القطع بانه اتى بالواجبات كما ينبغي واحترز
عن المحظورات بالكلية بل يجوز ان يكون قد وقع منه تقصير في شيء من ذلك فلا جرم يكون خائفا ابدا وخامسها
قوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك
هم العادون وقد تقدم تفسيره في سورة المومنين وسادسها قوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
تقدم تفسيره ايضا وسابعها قوله تعالى والذين هم بشهاداتهم قائمون وقرئ بشهادتهم على الواحد والجمع قال الواحدي والافراد اولى
لانه مصدر فيفرد كما تفرد المصادر وان اضيف الى الجمع كقوله لصوت الحمير ومن جمع ذهب الى اختلاف الشهادات
وكثرة ضروبها وحسن الجمع لاختلاف الانواع والاكثرون على ان المراد بالشهادات قائمون عند الحكام لا
يكتمونها وهذه الشهادة من جملة الامانات الا انه تعالى خصها من بينها ابانة لفضلها لان في اقامتها احياء الحقوق
وفي تركها ابطالها وتضييعها وروى عطاء عن ابن عباس قال يريد الشهادة بان الله تعالى واحد لا شريك له
وثامنها قوله تعالى والذين هم على صلاتهم يحافظون قال قتادة على وضوئها وركوعها وسجودها
ثم ذكر وعدهم فقال اولئك في جنات مكرمون قوله تعالى فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين
كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزؤون بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول
محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت هذه الاية فقوله تعالى مهطعين اي مسرعين نحوك مادين اعناقهم اليك مقبلين
بابصارهم عليك وقال ابو مسلم ظاهر الاية يدل على انهم هم المنافقون
المذكور

وذلك لانهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين ومعنى عزين جماعات في تفرقة واحدها عزة وهي العصبة من الناس
قال الازهري واصلها من قولهم عزا فلان نفسه الى بني فلان يعزوها عزوا اذا انتمى اليهم والاسم العزوة وكان العزة
كل جماعة اعتزاها الى امر واحد **واعلم** ان هذا من المنقوص الذي جاز جمعه بالواو عوضا من المحذوف واصلها
عزوة والكلام في هذا كالكلام في عضين وقد تقدم وقيل كان المستهزؤن خمسة رهط ثم قال تعالى ايطمع كل امرئ
منهم ان يدخل جنة نعيم كما يدخلها المسلمون ثم قال تعالى كلا ردع لهم عن ذلك الطمع الفاسد ثم قال تعالى انا خلقناهم مما
يعلمون وفيه مسئلتان **المسئلة الاولى** الغرض من هذا الاستدلال على صحة البعث كانه قال لما قدرت على ان خلقتكم
من النطفة وجب ان اكون قادرا على بعثكم **المسئلة الثانية** ذكروا في تعلق هذه الاية بما قبلها وجوها احدها انه لما
احتج على صحة البعث دل على انهم كانوا منكرين للبعث فكانه قيل لهم كلا انهم منكرون فمن اين يطمعون في دخول الجنة وثانيها
ان المستهزئين كانوا يستحقرون المؤمنين فقال تعالى ان هؤلاء المستهزئين مخلوقون فيما خلقوا فكيف يليق بهم هذا الاحتقار
وثالثها انهم مخلوقون من هذه الاشياء المستقذرة فلو لم يتصفوا بالايمان والمعرفة فكيف يليق بالحكيم ادخالهم في الجنة
ثم قال تعالى فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه او مشرق كل كوكب ومغربه او
المراد بالمشرق ظهور دعوة كل نبي وبالمغرب موته او المراد انواع الهدايات والخذلانات قوله تعالى انا لقادرون على ان نبدل خيرا
منهم وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم **قوله تعالى** فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم
الذي يوعدون يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم
ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون **اعلم** ان قوله تعالى فذرهم يخوضوا مفسر اخر
سورة الطور واختلفوا في ان ما وصف الله نفسه بالقدرة عليه من ذلك هل خرج الى الفعل ام لا فقال بعضهم
بدل الله تعالى بهم الانصار والمهاجرين فان حالتهم في نصرة الرسول عليه السلام مشهورة وقال اخرون بل بدل الله كفر
بعضهم بالايمان وقال بعضهم لا يقع هذا التبديل بهم لو اهلكوا لان المراد بقوله تعالى انا لقادرون على ان نبدل خيرا
منهم بطريق الاهلاك فاذا لم يحصل ذلك فكيف يحكم بان ذلك قد وقع وانما ذكر الله تعالى القوم بذلك لكي يؤمنوا ثم ذكر بعد
ذلك اليوم فقال تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا وهو كقوله تعالى فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون اما قوله
تعالى كانهم الى نصب يوفضون **اعلم** ان في نصب ثلاث قراءات احداها وهي قراءة الجمهور نصب بفتح النون والنصب
كل شيء نصب والمعنى كانهم الى علم لهم يستبقون والقراءة الثانية نصب بضم النون وسكون الصاد وفيه وجهان
احدهما النصب والنصب لغتان مثل الضعف والضعف وثانيهما ان يكون نصب جمع نصب كسقف جمع سقف والقراءة
الثالثة نصب بضم النون والصاد وفيه وجهان احدهما ان يكون النصب والنصب كلاهما جمع نصيب كاسد واسد وكلاهما
جمع اسد وثانيهما ان يكون المراد من النصب الانصاب وهي الاشياء التي تعبد من دون الله تعالى كقوله تعالى وما ذبح على النصب
وقوله تعالى يوفضون يسرعون ومعنى الاية على هذا الوجه انهم يوم يخرجون من الاجداث يسرعون الى الداعي مستبقين
كما كانوا يستبقون الى انصابهم وبقية السورة معلومة والله تعالى الموفق بمنه وكرمه

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم قال يا قوم اني لكم نذير
مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل
الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون **اعلم** ان في قوله تعالى ان انذر وجهان احدهما انها صلة بان
انذر فحذف الجار واوصل الفعل والمعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اي ارسلناه بالامر بالانذار والثاني قال الزجاج يجوز
ان يكون ان مفسرة والتقدير انا ارسلناه نوحا الى قومه ان انذر قومك وقرا ابن مسعود انذر بغير ان على القول ثم قال تعالى
من قبل ان ياتيهم عذاب اليم قال مقاتل يعني الغرق بالطوفان **واعلم** ان الله تعالى لما امره بذلك امتثل ذلك الامر
وقال تعالى يا قوم اني لكم نذير مبين ثم قال تعالى ان اعبدوا الله وهو نظير ان انذر في الوجهين ثم انه امر القوم بثلاثة اشيا
بعبادة الله تعالى وتقواه وطاعة نبيه والامر بالعبادة يتناول جميع الواجبات والمندوبات من افعال القلوب وافعال
الجوارح والامر بتقواه يتناول الزجر عن جميع المحظورات والمكروهات وقوله تعالى اطيعون يتناول امرهم بطاعته في
جميع المامورات والمنهيات وهذا وان كان داخلا في الامر بعبادة الله تعالى وتقواه الا انه خصه بالذكر تاكيدا لذلك
التكليف ومبالغة في تقريره ثم انه تعالى لما كلفهم بهذه الاشياء الثلاثة وعدهم عليها بشيئين احدهما ان يزيل
مضار الاخرة عنهم وهو قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم والثاني ان يزيل عنهم مضار الدنيا بقدر الامكان وذلك
بان يؤخر اجلهم الى اقصى الامكان وهاهنا سؤالات السؤال الاول ما فائدة من في قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم
والجواب من وجوه احدها انها صلة زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم والثاني ان غفران الذنب هو ان لا يواخذ به
فلو قال تعالى يغفر لكم ذنوبكم لكان معناه ان لا يواخذكم بمجموع ذنوبكم وعدم المواخذة بالمجموع لا يوجب عدم المواخذة





بكل واحد من احاد المجموع فله ان يقول لا اطالبك بمجموع ذنوبك ولكني اطالبك بهذا الذنب الواحد فقط اما لما
قال تعالى يغفر لكم من ذنوبكم كان تقديره يغفر لكم كل ما كان من ذنوبكم فهذا يقتضي عدم المواخذة على مجموع الذنوب
وعدم المواخذة ايضا على كل فرد من افراد المجموع الثالث ان قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم هب انه يقتضي التبعيض
لكنه حق لان من امن فانه يصير ما تقدم من ذنوبه مغفورا اما ما تاخر عنه فانه لا يصير بذلك
السبب مغفورا فثبت انه لا بد هاهنا من حرف التبعيض السؤال الثاني كيف قال تعالى ويؤخركم الى اجل مسمى مع اخباره بامتناع تاخير الاجل
وهل هذا الا تناقض والجواب قضى الله مثلا ان قوم نوح ان امنوا عمرهم الله تعالى الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على راس
تسع ماية سنة فقيل لهم امنوا يؤخركم الى اجل مسمى اي الى وقت سماه الله تعالى وجعله غاية الطول في العمر وهو تمام الالف ثم
اخبر انه اذا انقضى الاجل لا يؤخر فانه لا بد من الموت السؤال الثالث ما الفايدة في قوله تعالى لو كنتم تعلمون الجواب الغرض الزجر
عن حب الدنيا وعن التهالك عليها والاعراض عن الدين بسبب حبها يعني ان غلوهم في حب الدنيا وطلب لذاتها بلغ الى حيث يدل على انهم
شاكون في الموت **قوله تعالى** قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا
**اعلم** ان هذا من الايات الدالة على ان جميع الحوادث بقضاء الله تعالى وقدره وذلك لانا نرى انسانين
يستمعان دعوة الرسول في مجلس واحد بلفظ واحد فيصير ذلك الكلام في حق احدهما سببا لحصول الهداية
والميل والرغبة وفي حق الثاني سببا لمزيد العتو والتكبر ونهاية النفرة وليس لاحد ان يقول ان تلك النفرة
والرغبة حاصلتان باختيار المكلف فان هذا مكابرة في المحسوس فان صاحب النفرة يجد قلبه كالمضطر الى تلك
النفرة وصاحب الرغبة يجد قلبه كالمضطر الى تلك الرغبة ومتى حصلت تلك النفرة وجب ان يحصل عقيبه التمرد
والاعراض وان حصلت الرغبة وجب ان يحصل حصول الطاعة والانقياد وفي حق الثاني الى النفرة المستلزمة
لحصول التمرد والعصيان فظهر ان ذلك التمرد والعصيان لا يكون الا بقضاء الله تعالى وقدره فان قيل هب ان حصول
النفرة والرغبة ليس باختياره لكن حصول العصيان عند النفرة يكون باختياره فان العبد يمكنه مع تلك
النفرة ان ينقاد ويطيع قلنا انه لو حصلت النفرة عن معارضته بوجه من وجوه الرغبة بل خالصة
عن جميع شوايب الرغبة امتنع ان يحصل معه الفعل وذلك لانه عند ما لم يحصل النفرة والرغبة لم يحصل
الفعل البتة فعند حصول النفرة انضم الى عدم المقتضي وجود المانع فبان يصير الفعل ممتنعا اولى
فثبت ان هذه الاية من اقوى الدلايل على القضاء والقدر ثم قال تعالى واني كلما دعوتهم لتغفر لهم الاية
**اعلم** ان نوحا عليه السلام انما دعاهم الى العبادة والتقوى والطاعة لاجل ان يغفر الله لهم فان المقصود
الاول هو حصول المغفرة واما الطاعة فهي انما طلب ليتوسل بها الى تحصيل المغفرة ولذلك لما امرهم بالعبادة
قال تعالى يغفر لكم من ذنوبكم فلما كان المطلوب الاول من الدعوة حصول المغفرة لا جرم قال تعالى واني كلما
دعوتهم لتغفر لهم **واعلم** انه عليه السلام لما دعاهم عاملوه باشياء اولها قوله تعالى جعلوا اصابعهم
في اذانهم والمعنى انهم بلغوا في التقليد الى حيث جعلوا اصابعهم في اذانهم لئلا يسمعوا الحجة والبينة و
ثانيها قوله تعالى واستغشوا ثيابهم اي وتغطوا بها لاجل ان لا يبصروا وجهه كانهم لم يجوزوا ان يسمعوا
كلامه ولا ان يروا وجهه واما لاجل المبالغة في ان لا يسمعوا فانهم اذا جعلوا اصابعهم في اذانهم ثم
استغشوا ثيابهم مع ذلك صار المانع من السماع امرين وثالثها انهم اصروا والمعنى انهم اصروا على مذهبهم او على
اعراضهم عن سماع الدعوة الحق ورابعها انهم استكبروا استكبارا عظيما بالغا الى النهاية القصوى ثم قال تعالى
اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا **واعلم** ان هذه الايات تدل على ان مراتب دعوتهم
كانت ثلاثة فبدا بالمناصحة في السر فعاملوه بالامور الاربعة ثم ثنى بالمجاهرة فلم يؤثر جمع بين الاعلان
والاسرار وكلمة ثم دالة على تراخي بعض هذه المراتب عن بعض اما بحسب الزمان واما بحسب المرتبة لان الجهار اغلظ
من الاسرار والجمع بين الاسرار والجهار اغلظ من الجهار وحده فان قيل بما انتصب جهارا قلنا فيه وجوه احدها
انه منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعاء احد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها احد انواع
القعود وثانيها انه اريد بدعوتهم جاهرتهم وثالثها ان يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به
ورابعها ان يكون مصدرا في موضع الحال اي مجاهرا **قوله تعالى** فقلت استغفروا ربكم انه كان
غفارا قال مقاتل ان قوم نوح عليه السلام لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله تعالى عنهم المطر واعقم ارحام
نسائهم اربعين سنة فرجعوا فيه الى نوح عليه السلام فقال نوح عليه السلام استغفروا ربكم من الشرك حتى يفتح
عليكم ابواب نعمه **واعلم** ان الاشتغال بالطاعة سبب لانفتاح ابواب الخيرات ويدل عليه وجوه احدها
ان الكفر سبب لخراب العالم على ما قال تعالى في كفر النصارى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال
هدا ان دعوا للرحمن ولدا فلما كان الكفر سببا لخراب العالم وجب ان يكون الايمان سببا لعمارة العالم وثانيها الايات
منها هذه الاية ومنها ان قوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
وقوله تعالى ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وان لو استقا

على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تعالى
وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك وثالثها انه تعالى قال ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
فاذا اشتغلوا بتحصيل المقصود حصل ما يحتاج اليه في الدنيا على سبيل التبعية ورابعها ان عمر رضي الله تعالى عنه
خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رايناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء والمجاديح
ثلاثة كواكب مخصوصة ونوء بنوء عند العرب شبه عمر رضي الله عنه الاستغفار بالانواء الصادقة التي لا تخطي
وعن ابي بكر بن عبد الله ان اكثر الناس ذنوبا اقلهم استغفارا واكثرهم استغفارا اقلهم ذنوبا وعن الحسن رضي الله
تعالى عنه ان رجلا شكى اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اخر الفقر واخر قلة النسل واخر قلة ريع ارضه فامرهم
كلهم بالاستغفار فقال له بعض القوم اتاك رجال يشكون اليك انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا هذه الاية
وههنا سؤالان السؤال الاول ان نوحا عليه السلام امر الكفار قبل هذه الاية بالعبادة والتقوى والطاعة
فاي فايدة في ان امرهم بعد ذلك بالاستغفار الجواب انه لما امرهم بالعبادة قالوا له ان كان الدين القديم الذي كنا عليه
حقا فلم تامرنا بتركه وان كان باطلا فكيف يقبلنا بعد ان عصيناه فقال نوح عليه السلام انكم وان كنتم قد
عصيتموه ولكن استغفروا من تلك الذنوب فانه سبحانه وتعالى كان غفارا السؤال الثاني لم قال انه كان غفارا
ولم يقل انه غفار قلنا المراد انه كان غفارا في حق كل من استغفره كانه يقول لا تظنوا ان غفاريته انما حدث
الان بل هو ابدا هكذا كان فكان هذا هو حرفته وصنعته قوله تعالى يرسل السماء عليكم مدرارا اعلم ان الخلق
مجبولون على محبة الخيرات العاجلة ولذلك قال واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب لا جرم اعلمهم الله تعالى
ان ايمانهم بالله يجمع لهم مع الحظ الوافر في الاخرة الخصب والغنى والاشياء التي وعدهم من منافع الدنيا في هذه الاية
خمسة اولها قوله تعالى يرسل السماء عليكم مدرارا وفي السماء وجوه احدها ان المطر منها ينزل الى السحاب
وثانيها ان يراد بالسماء السحاب وثالثها ان يراد بالسماء المطر من قوله اذا نزل السماء بارض قوم والمدرار
الكثير الدرور ومفعال مما يستوي فيه المذكر والمونث كقولهم رجل وامراة معطار ومتفال وثانيها قوله
تعالى ويمددكم باموال وبنين وهذا لا يختص بنوع واحد من المال بل يعم الكل وثالثها قوله تعالى وبنين ولا شك
ان ذلك مما يميل الطبع اليه ورابعها قوله تعالى ويجعل لكم جنات اي بساتين وخامسها قوله تعالى ويجعل لكم انهارا
ثم قال تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا وفيه قولان الاول ان الرجا ههنا بمعنى الخوف ومنه قول الهذلي اذا
لسعته النحل لم يرج لسعها والوقار العظمة والتوقير التعظيم ومنه قوله تعالى وتوقروه يعني ما لكم لا تخافون
الله عظمة وهذا القول عندي غير جايز لان الرجا ضد الخوف في اللغة المتواترة الظاهرة فلو قلنا ان لفظ الرجا
في اللغة موضوع بمعنى الخوف لكان ذلك ترجيحا للرواية بالاحاد على الرواية المنقولة بالتواتر وهذا يفضي
الى القدح في القران فانه لا لفظ فيه الا ويمكن جعل نفيه اثباتا واثباته نفيا بهذا الطريق الوجه الثاني ما ذكره صاحب
الكشاف وهو ان المعنى ما لكم لا تاملون لله وقارا اي تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تاملون فيها تعظيم
الله اياكم ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار وقوله تعالى وقد خلقكم اطوارا في موضع الحال كانه قال
ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للايمان وقد خلقكم اطوارا اي تارات خلقكم اولا ترابا
ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم انشاكم خلقا اخر وعندي فيه
وجه ثالث وهو ان القوم كانوا يبالغون في الاستخفاف بنوح عليه السلام فامرهم الله تعالى بتوقيره
وترك الاستخفاف به كانه قال لهم انكم اذا وقرتم نوحا وتركتم الاستخفاف به كان ذلك لاجل الله تعالى
فما لكم لا ترجون لله وقارا تاتون به لاجل الله تعالى ولاجل امره وطاعته فان كل ما ياتي به الانسان لاجل الله
تعالى فانه لا بد وان يرجو منه خيرا ووجه رابع وهو ان الوقار هو الثبات من وقر اذا ثبت واستقر فكانه
قال ما لكم وعند هذا تم الكلام ثم قال على سبيل الاستفهام بمعنى الانكار لا ترجون لله وقارا اي لا ترجون لله
ثباتا وبقاء فانكم لو رجوتم ثباته وبقاءه لخفتموه ولما اقدمتم على الاستخفاف برسله واوامره والمراد
من قوله تعالى ترجون اي تعتقدون لان الراجي للشيء معتقد له واعلم انه لما امر في هذه الاية بتعظيم الله
تعالى استدل على التوحيد بوجوه من الدلايل الاول قوله تعالى وقد خلقكم اطوارا وفيه وجهان الاول قال الليث
الطور التارة يعني حالا بعد حال كما ذكرنا انه كان نطفة ثم علقة الى اخر التارات الثاني قال ابن الانباري الطور
الحال والمعنى خلقكم اصنافا مختلفين لا يشبه بعضهم بعضا ولما ذكر تعالى هذا الدليل من الانفس على التوحيد
اتبعه بذكر التوحيد من الافاق على العادة المعهودة في كل القران الدليل الثاني على التوحيد قوله تعالى الم تروا كيف
خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا واعلم انه تعالى تارة يبدا بذكر دلايل الانفس
وبعدها بدلايل الافاق كما في هذه الاية وذلك لان نفس الانسان اقرب الاشياء اليه فلا جرم بدا بالاقرب
وتارة يبدا بدلايل الافاق ثم بدلايل الانفس اما لان دلايل الافاق ابهر واعظم فوقعت البداية بها لهذا السبب
او لاجل ان دلايل الانفس حاضرة لا حاجة للعاقل الى التامل فيها انما الذي يحتاج الى التامل فيه دلايل الافاق





لان الشبهة فيها اكثر فلا جرم وقع البداية بها وههنا سؤالات الاول قوله تعالى سبع سموات طباقا يقتضي
كون بعضها منطبقا على البعض وهذا يقتضي ان لا يكون بينها فرج فالملائكة كيف يسكنون فيها والجواب
الملائكة ارواح وايضا فلا يبعد ان يكون المراد من كونها طباقا انها متوازية الثاني قوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا كيف يكون القمر فيهن وانما هو في سماء واحدة والجواب هذا كما يقال السلطان في العراق ليس المراد انه حاصل في جميع احياز العراق بل ان ذلك
في جزء من اجزاء العراق فكذا ههنا الثالث السراج ضوء عرضي وضوء القمر عرضي فكان تشبيه القمر بالسراج
اولى من تشبيه الشمس به الجواب الليل عبارة عن ظل الارض فالشمس لما كانت سببا لزوال ظل الارض كانت شبيهة
بالسراج وايضا فالسراج له ضوء والضوء اقوى من النور فجعل الاضعف للقمر والاقوى للشمس ومنه قوله تعالى هو
الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والدليل الثالث على التوحيد قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها
ويخرجكم اخراجا واعلم انه تعالى رجع ههنا الى دليل الانفس وهو كالتفسير لقوله تعالى خلقكم اطوارا فانه تعالى
بين انه خلقهم من الارض ثم يردهم اليها ثم يخرجهم منها مرة اخرى اما قوله تعالى انبتكم من الارض نباتا ففيه مسايل
الاولى في هذه الاية وجهان احدهما معنى قوله تعالى انبتكم من الارض اي انبت اباكم من الارض كما قال تعالى
ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب والثاني انه تعالى انبت الكل من الارض لانه تعالى انما خلقنا
من النطفة وهي متولدة من الاغذية المتولدة من النبات المتولد من الارض الثانية كان ينبغي ان يقال
انبتكم انباتا الا انه لم يقل ذلك بل قال انبتكم نباتا والتقدير انبتكم فنبتم نباتا وفيه دقيقة لطيفة وهي انه
لو قال انبتكم انباتا كان المعنى انبتكم انباتا عجيبا غريبا ولما قال انبتكم نباتا كان المعنى انبتكم فنبتم نباتا عجيبا
وهذا الثاني اولى لان الانبات صفة لله تعالى وصفة الله تعالى غير محسوسة لنا فلا نعرف ان ذلك الانبات كامل
الا بواسطة اخبار الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فلم يكن ذلك لائقا بهذا المقام اما لما
قال تعالى انبتكم نباتا بمعنى انبتكم فنبتم نباتا عجيبا كان ذلك وصفا للنبات بكونه عجيبا كاملا وكون النبات
كذلك امر مشاهد محسوس فيمكن الاستدلال به على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا موافقا لهذا المقام فظهر ان العدول
من تلك الحقيقة الى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف اما قوله تعالى ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا فهو اشارة الى الطريقة
المعهودة في القران من انه تعالى لما كان قادرا على الابتدا كان قادرا على الاعادة وقوله تعالى ويخرجكم اخراجا اكده
كانه قال يخرجكم حقا لا محالة والدليل الرابع قوله تعالى والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا
طرقا واسعة واحدها فج وهو مفسر فيما تقدم واعلم ان نوحا عليه السلام لما دعاهم الى الله تعالى ونبههم على هذه الدلايل
الظاهرة حكى عنهم انواع قبايحهم واقوالهم وافعالهم فالاول قوله تعالى رب انهم عصوني وذلك لانه قال في اول هذه
السورة اعبدوا الله واتقوه واطيعون فكانه قال قلت لهم اطيعون ثم عصوني الثاني قوله تعالى واتبعوا من لم يزده ماله
وولده الا خسارا وفيه مسالتان الاولى ذكر في الاية الاولى انهم عصوه وفي هذه الاية انهم ضموا الى عصيانه معصية
اخرى وهي طاعة روسايهم الذين يدعونهم الى الكفر وقوله تعالى من لم يزده ماله وولده الا خسارا يعني بذلك وان كانا من جملة
المنافع في الدنيا الا انهما صارا سببا لخساره في الاخرة فانهما صارا محض الخسار والامر كذلك في الحقيقة لان الدنيا في جنب الاخرة
كالعدم فاذا صارت المنافع الدنيوية اسبابا للخسار في الاخرة صار ذلك جاريا مجرى اللقمة الواحدة من الحلوا اذا كانت مسمومة
سم الوقت واستدل بهذه الاية من قال انه ليس على الكافر نعمة لان هذه النعم استدراجات ووسايل الى العذاب الابدي فكانت
كالعدم المحض ولهذا المعنى قال نوح عليه السلام في هذه الاية لم يزده ماله وولده الا خسارا الثانية قرئ وولده بضم الواو واعلم
ان هذا الولد بالضم لغة في الولد ويجوز ان يكون جمعا كالاسد جمع ولد كالفلك والفلك وههنا يجوز ان يكون واحدا وجمعا
والله اعلم النوع الثالث من قبايح افعالهم قوله تعالى ومكروا مكرا كبارا وفيه مسايل المسالة الاولى معطوف على من لم يزده لان
المتبوعين هم الذين مكروا وقالوا للاتباع لا تذرن وجمع الامر هو راجع لانه في معنى الجمع المسالة الثانية كبارا وكبارا بالتخفيف
والتشديد وهو مبالغة في الكبير فاول المراتب الكبير والاوسط الكبار بالتخفيف والنهاية الكبار بالتشديد ونظيره جميل وجمال وعظيم وجمّال
وعظام وعظام وطويل وطوال وطوال المسالة الثالثة المكر الكبار هو انهم قالوا للاتباع لا تذرن وجمع الضمير هو راجع الى من لانه
في معنى الجمع هو انهم قالوا لاتباعهم لا تذرن ودا فهم منعوا القوم عن التوحيد وامروهم بالشرك ولما كان التوحيد اعظم المراتب
لا جرم كان المنع منه اعظم الكباير فلهذا وصفه الله تعالى بانه كبار واستدل بهذا من فضل علم الكلام على ساير العلوم فقال
الامر بالشرك كبار في القبح والخزي فالامر بالتوحيد والارشاد اليه يجب ان يكون كبارا في الخير والدين الرابعة انه تعالى انما سماه مكرا
لوجهين الاول لما في اضافة الالهة اليهم من الحيلة الواجبة لاستمرارهم على عبادتها كانهم قالوا هذه الاصنام الهة لكم وكانت
الهة لابايكم فلو قبلتم قول نوح عليه السلام لاعترفتم على انفسكم بانكم كنتم جاهلين ضالين كافرين وعلى ابايكم بانهم كانوا
كذلك ولما كان اعتراف الانسان على نفسه وعلى جميع اسلافه بالقصور والنقص والجهل شاقا شديدا صارت الاشارة الى هذه
المعاني صارفة لهم عن الدين فلاجل اشتمال هذا الكلام على هذه الحيلة الخفية سمى الله تعالى كلامهم مكرا الثاني
انه تعالى حكى عن اولئك المتبوعين انه كان لهم مال وولد فلعلهم قالوا للاتباع ان الهتكم خير من اله نوح لان الهتكم يعطونكم
المال والولد واله نوح لا يعطيه شيئا لانه فقير فبهذا المكر صرفوهم عن طاعة نوح عليه السلام وهذا مثل مكر فرعون اذ قال
اليس لي ملك مصر وقال تعالى ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا القي عليه اسورة من ذهب الثالثة ذكر ابو زيد

البحث كتابه في الرد على عبدة الاصنام ان العلم بان هذه الخشبة المنحوتة في هذه الساعة ليست خالقة للسموات والارض والنبات والحيوان علم ضروري والعلوم لا يجوز وقوع الاختلاف فيها بين العقلاء وعبادة الاوثان دين كان موجودا قبل مجي نوح عليه السلام بدلالة هذه الاية وقد استمر ذلك الدين الى هذا الزمان واكثر سكان الاطراف المعمورة على هذا الدين فوجب حمل هذا الدين على وجه لا يعرف فساده ببديهة العقل والا لما بقي هذه المدة المتطاولة في اكثر اطراف العالم فاذا لا بد وان يكون للذاهبين الى ذلك المذهب تاويلات احدها قال ابو معشر جعفر بن محمد المنجم هذه المقالة انما تتولد من مذهب القايلين بان الله تعالى جسم وفي مكان وذلك لانهم قالوا ان الله تعالى نور هو اعظم الانوار والملايكة الذين هم حافون حول العرش الذي هو مكانه هم انوار صغيرة بالنسبة الى ذلك النور الاعظم فالذين اعتقدوا هذا المذهب اتخذوا صنما هو اعظم الاصنام على صورة الههم الذي اعتقدوه واتخذوا اصناما متفاوتة بالكبر والصغر والشرف والخسة على صور الملايكة المقربين واشتغلوا بعبادة تلك الاصنام على اعتقاد انهم يعبدون الاله والملايكة فدين عبادة الاوثان انما ظهر من اعتقاد التجسيم الوجه الثاني وهو ان جماعة الصابية كانوا يعتقدون ان الاعظم خلق هذه الكواكب الثابتة والسيارة وفوض تدبير هذا العالم السفلي اليها فالبشر عبيد هذه الكواكب والكواكب عبيد الاله الاعظم فالبشر يجب عليهم عبادة الكواكب ثم ان هذه الكواكب كانت تطلع مرة وتغيب اخرى فاتخذوا اصناما على صورها واشتغلوا بعبادتها وغرضهم عبادة الكواكب الوجه الثالث ان القوم الذين كانوا في قديم الدهر كانوا منجمين على مذهب اصحاب الاحكام في اضافة سعادات هذا العالم ونحوساتها الى الكواكب فاذا اتفق في الفلك شكل عجيب صنعوا طلسما عجيبا فكانوا يتخذون ذلك الطلسم وكان يظهر منه احوال عجيبة واثار عظيمة فكانوا يعظمونه ويكرمونه ويشتغلون بعبادته وكانوا يتخذون كل طلسم على شكل موافق لكوكب خاص ولبرج خاص فود كان على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر الوجه الرابع انه كان يموت اقوام صالحون فكانوا يتخذون تماثيل على صورهم ويشتغلون بتعظيمها وغرضهم تعظيم اولئك الاقوام الذين ماتوا حتى يكونوا شفعاء لهم عند الله تعالى وهو المراد من قوله تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى الوجه الخامس انه ربما مات ملك عظيم او شخص كانوا يحبونه وكانوا يتخذون تمثالا على صورته وينظرون اليه فالذين جاوا بعد ذلك ظنوا ان اباهم كانوا يعبدونها فاشتغلوا بعبادتها تقليدا للاباء الوجه السادس ان هذه الاسماء الخمسة وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر اسماء خمسة من اولاد ادم عليه السلام فلما ماتوا قال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم لكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم ولهذا السبب نهى الرسول عليه السلام عن زيارة القبور اولا ثم اذن فيها على ما روي انه عليه السلام قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فان في زيارتها تذكرة الوجه السابع الذين يقولون انه تعالى جسم وانه يجوز عليه الانتقال والحلول لا يستبعدون ان يحل تعالى في شخص انسان او في شخص صنم فاذا احسوا من ذلك الصنم المتخذ على وجه الطلسم حالا عجيبة خطر ببالهم ان الاله حل في ذلك الصنم ولذلك فان جمعا من قدماء الروافض لما رووا ان عليا رضي الله تعالى عنه قلع باب خيبر وكان ذلك على خلاف المعتاد قالوا ان الاله حل في بدنه وانه هو الاله الوجه الثامن لعلهم اتخذوا تلك الاصنام كالمحاريب ومعبودهم هو الله تعالى فهذا جملة ما في هذا وبعضها باطلة بدليل العقل فانه لما ثبت انه تعالى ليس بجسم بطل اتخاذ الصنم على صورة الاله وبطل ايضا القول بالحلول والنزول ولما ثبت انه تعالى هو القادر على كل المقدورات بطل القول بالوسايط والطلسمات ولما جاء الشرع بالمنع من اتخاذ الصنم بطل القول باتخاذها محاريب وشفعا المسالة السادسة هذه الاصنام الخمسة كانت اكبر اصنامهم ثم انها انتقلت من قوم نوح عليه السلام الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بعبد ود وعبد يغوث هكذا قيل في الكتب وفيه اشكال لان الدنيا قد خربت في زمان الطوفان فكيف بقيت تلك الاصنام وكيف انتقلت الى العرب ولا يمكن ان يقال ان نوحا عليه السلام وضعها في السفينة وامسكها لانه عليه السلام انما جاء لنفيها وكسرها فكيف يمكن ان يقال انه وضعها في السفينة سعيا منه في حفظها المسالة السابعة قري لا تذرن ودا بفتح الواو وبضمها قال الليث ود بفتح الواو صنم كان لقوم نوح عليه السلام وود بالضم صنم لقريش وبه سمي عمرو بن عبد ود واقول على قول الليث وجب ان لا يجوز هنا قراة ود بالضم لان هذه الايات في قصة نوح عليه السلام لا في احوال قريش وقرا الاعمش ولا يغوثا ولا يعوقا بالصرف وهذه قراة مشكلة لانهما ان كانا عربيين او عجميين ففيهما سببا منع الصرف اما التعريف والفعل واما التعريف والعجمة فلعله صرفهما لاجل انه وجد اخواتهما منصرفة ودا وسواعا ونسرا والله اعلم



ان نوحا عليه السلام لما حكى عنهم انهم قالوا لاتباعهم لا تذرن اصنامكم ثم قال تعالى وقد اضلوا كثيرا فيه وجهان الاول يعني اولئك الروسا قد اضلوا كثيرا قبل هولاء المومنين بعبادة الاصنام وليس هذا اول مرة اشتغلوا بالاضلال الثاني يجوز ان يكون الضمير عايدا الى الاصنام لقوله تعالى انهن اضللن كثيرا من الناس واجرى الاصنام على هذا القول مجرى الادميين لقوله الهم ارجل اما قوله تعالى ولا تزد الظالمين الا ضلالا ففيه سوالان الاول كيف يليق قوله ولا تزد الظالمين الجواب كان نوحا عليه السلام لما اطنب في تعديد افعالهم المنكرة واقوالهم القبيحة امتلا قلبه غضبا وغيظا عليهم فختم كلامه بان دعا عليهم السوال الثاني انما بعث ليصرفهم عن الضلال فكيف يليق به ان يدعو الله تعالى في ان يزيد في ضلالهم الجواب من وجهين الاول لعله ليس المراد الضلال في امر الدين بل الضلال في امر دنياهم وفي ترويج مكرهم وحيلهم الثاني الضلال العذاب لقوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر ثم انه تعالى لما حكى كلام نوح عليه السلام قال تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا وفيه مسايل الاولى ما صلة لقوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم فبما رحمة من الله والمعنى من خطيئاتهم اي من اجلها وسببها وقرا ابن مسعود من خطيئاتهم ما اغرقوا فاخر كلمة ما وعلى هذه القراة لا تكون ما صلة زايدة لان ما مع ما بعده في تقدير المصدر واعلم ان قوله تعالى مما خطيئاتهم لبيان انه لم يكن اغراقهم بالطوفان الا من اجل خطيئاتهم فمن قال من المنجمين ان ذلك انما كان بسبب انه انتهى في ذلك الوقت نصف الدور الاعظم وما يجري مجرى هذه الكلمات كان مكذبا لتصريح هذه الاية فيجب تكفيره الثانية قري خطيئاتهم بالهمز وخطياتهم بقلبها يا وادغامها وخطاياهم وخطيئتهم بالتوحيد على ارادة الجنس ويجوز ان يراد الكفر واعلم ان الخطايا والخطيئات كلاهما جمع خطيئة لان الاول جمع تكسير والثاني جمع سلامة وقد تقدم الكلام فيها عند قوله تعالى يغفر لكم خطاياكم وفي الاعراف خطيئاتكم الثالثة تمسك اصحابنا في اثبات عذاب القبر بقوله اغرقوا فادخلوا نارا وذلك من وجهين الاول ان الفا في قوله تعالى فادخلوا يدل على انه حصلت تلك الحالة عقيب الاغراق فلا يمكن حملها على عذاب الاخرة والا بطلت دلالة هذه الفا الثاني انه قال فادخلوا على سبيل الاخبار عن الماضي وهذا انما يصدق لو وقع ذلك وقال مقاتل والكلبي معناه انهم سيدخلون في الاخرة نارا ثم عبر عن المستقبل بلفظ الماضي لصحة كونه وصدق الوعد لقوله تعالى ونادى اصحاب النار ونادى اصحاب الجنة واعلم ان الذي قالوه ترك للظاهر من غير دليل فان قيل انما تركنا هذا الظاهر لدليل وهو انه من مات في الما فانا نشاهده هناك فكيف يمكن ان يقال في تلك الساعة ادخلوا نارا والجواب عن هذا الاشكال انما جا لاعتقاد ان الانسان هو مجموع هذا الهيكل وهذا خطا لما بينا ان هذا الانسان هو الذي كان موجودا من اول عمره مع انه كان صغير الجثة في اول عمره ثم ان اجزاءه دايما في التحلل والذبول ومعلوم ان الباقي غير المتبدل فهذا الانسان عبارة عن ذلك الشي الذي هو باق من اول عمره الى الان فلم لا يجوز ان يقال انه وان تفتت هذه الجثة في الما الا ان الله تعالى نقل تلك الاجزاء الاصلية الباقية التي كان الانسان المعين عبارة عنها الى النار والى العذاب ثم قال تعالى فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا هذا تعريض بانهم واظبوا على عبادة تلك الاصنام لتكون دافعة للافات عنهم جالبة للمنافع اليهم فلما جاءهم عذاب الله لم ينفعهم اولئك الاصنام ولم يقدروا على دفع عذاب الله عنهم وهو كقوله تعالى ام لهم الهة تمنعهم من دوننا واعلم ان الاية حجة على من عول على غير الله تعالى

**قوله تعالى وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مومنا وللمومنين والمومنات ولا تزد الظالمين الا تبارا**

قال المبرد ديارا اسم لا يستعمل الا في النفي العام يقال ما بالدار ديار ولا يستعمل في جانب الاثبات قال اهل العربية هو من الدوران اصله ديوار فقلبت الواو يا وادغمت احداهما في الاخرى قاله الفرا والزجاج وقال ابن قتيبة ما بها ديار اي نازل دار ثم قال تعالى انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فان قيل كيف عرف نوح عليه السلام ذلك قلنا بالنص والاستقرا اما النص فقوله تعالى انه لن يومن من قومك الا من قد امن واما الاستقرا فانه لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف طباعهم وجربهم وكان الرجل ينطلق بابنه اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي اوصاني بمثل هذه الوصية فيموت الكبير وينشا الصغير على ذلك ثم قال ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وفيه وجهان احدهما انهم يكونون في علمك كذلك والثاني انهم سيصيرون كذلك واعلم ان نوحا عليه السلام لما دعا على الكفار قال بعده رب اغفر لي ولوالدي وكانا مومنين قال عطا لم يكن بين نوح وادم عليهما السلام من ابايه كافر وكان بينه وبين ادم عشرة ابا وقال الحسن يعني والدي يريد ساما وحاما ثم قال تعالى ولمن دخل بيتي مومنا قيل المراد منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي والمعنى ولمن دخل بيتي مومنا

والمومنات اعلم انه خص نفسه اولا بالدعاء ثم المتصلين به لانهم اولى واحق بدعايه ثم عم المومنين والمومنات ثم ختم الكلام مرة اخرى بالدعا على الكافرين فقال تعالى ولا تزد الظالمين الا تبارا اى هلاكا ودمارا وكل شي اهلك فقد تبر ومنه قوله تعالى ان هولاء متبر ما هم فيه وقوله تعالى وليتبروا ما علوا تتبيرا فاستجاب الله تعالى دعاه فاهلكهم بالكلية فان قيل ما جرم الصبيان حين اغرقوا والجواب من وجوه الاول ان الله تعالى ايبس اصلاب ابايهم واعقم ارحام نسايهم قبل الطوفان باربعين سنة او تسعين سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا ويدل عليه قوله تعالى استغفروا ربكم الى قوله تعالى ويمددكم باموال وبنين و هذا يدل بحسب المفهوم انهم اذا لم يستغفروا فانه تعالى لا يمدهم بالبنين الثاني قال الحسن علم الله براة الصبيان فاهلكهم بغير عذاب الثالث اغرقوا معهم لا على وجه العقاب بل كما يموتون بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة في عذاب الاباء والامهات اذا ابصروا اطفالهم يغرقون والله اعلم بالصواب

**قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا** فيه مسايل المسلة الاولى اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت الجن ونفيه فالنقل الظاهر عن اكثر الفلاسفة انكاره وذلك لان ابا علي بن سينا قال في رسالته في حدود الاشيا الجن حيوان هوايي متشكل باشكال مختلفة ثم قال وهذا شرح الاسم فقوله وهذا شرح الاسم يدل على ان هذا الحد شرح المراد من هذا اللفظ وليس لهذه الحقيقة وجود في الخارج واما جمهور ارباب الملل والمصدقين للانبيا فقد اعترفوا بوجود الجن واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة واصحاب الروحانيات ويسمونها بالارواح السفلية ويزعمون ان الارواح السفلية اسرع اجابة الا انها اضعف واما الارواح الفلكية فهي ابطا اجابة الا انها اقوى واختلف المثبتون على قولين فمنهم من زعم انها ليست اجساما ولا حالة في الاجسام بل هي جواهر قايمة بانفسها ولا يلزم من هذا ان يقال انها تكون مساوية لذات الله تعالى لان كونها ليست اجساما ولا جسمانية سلوب والمشاركة في السلوب لا يقتضي المساواة في الماهية قالوا ثم ان هذه الذات بعد اشتراكها في هذا السلب انواع مختلفة بالماهية كاختلاف ماهيات الاعراض بعد استوايها في الحاجة الى المحل فبعضها خيرة وبعضها شريرة وبعضها كريمة شريفة محبة للخيرات وبعضها دنية خسيسة محبة للشرور والافات ولا يعرف عدد انواعهم واصنافهم الا الله تعالى قالوا وكونها موجودات مجردة لا يمنع من كونها عالمة بالجزييات قادرة على الافعال فهذه الارواح يمكنها ان تسمع وتبصر وتعلم الاحوال الجزيية وتفعل الافعال المخصوصة فلما ذكرنا ان ماهياتها مختلفة لا جرم لم يبعد ان يكون في انواعها ما يقدر على افعال شاقة عظيمة يعجز عنها قدرة البشر ولا يبعد ايضا ان يكون لكل نوع منها تعلق بنوع مخصوص من اجسام هذا العالم وكما انه دلت الدلايل الطبية على ان المتعلق الاول للنفس الناطقة التي هي الانسان الا هي الارواح وهي اجسام بخارية لطيفة يتولد من الطف اجزا الدم وتتكون في الجانب الايسر من القلب ثم بواسطة تعلق النفس بهذه الارواح تصير متعلقة بهذه الاعضاء التي تسري فيها هذه الارواح لم يبعد ايضا انه يكون لكل واحد من هولاء الجن تعلق بجزء من اجزاء الهوا فيكون ذلك الجزء من الهواء هو المتعلق الاول لذلك الروح ثم بواسطة سريان ذلك الهوا في جسم اخر كثيف يحصل لتلك الارواح تعلق وتصرف في تلك الاجسام الكثيفة ومن الناس من ذكر في الجن طريقة اخرى فقال هذه الارواح البشرية والنفوس الناطقة اذا فارقت ابدانها وازدادت قوة وكمالا بسبب ما في ذلك العالم الروحاني من انكشاف الاسرار الروحانية فاذا اتفق ان حدث بدن اخر مشابه لما كان لتلك النفس المفارقة من البدن فبسبب تلك المشاكلة يحصل لتلك النفس المفارقة تعلق ما بهذا البدن وتصير تلك النفس المفارقة كالمعاونة لنفس ذلك البدن في افعالها وتدبيرها لذلك البدن فان الجنسية علة الضم فان اتفقت هذه الحالة في النفوس الخيرة سمي ذلك المعين ملكا وتلك الاعانة الهاما وان اتفقت في النفوس الشريرة سمي ذلك المعين شيطانا وتلك الاعانة وسوسة والقول الثاني في الجن انها اجسام ثم القايلون بهذا القول اختلفوا على قولين منهم من زعم ان الاجسام مختلفة في ماهياتها انما المشترك بينها صفة واحدة وهي كونها باسرها حاصلة في الحيز والجهة والمكان وكونها موصوفة بالطول والعرض والعمق وهذه كلها اشارة الى الصفات والاشتراك في الصفات لا يقتضي الاشتراك في تمام الماهية لما ثبت ان الاشياء المختلفة في تمام الماهية لا يمتنع اشتراكها في لازم واحد قالوا وليس لاحد ان يحتج على تماثل الاجسام بان يقال الجسم من حيث هو جسم بلا حصل التفاوت حصل في مفهوم زايد على ذلك وايضا فلانه يمكننا تقسيم الجسم الى اللطيف والكثيف والعلوي والسفلي ومورد التقسيم مشترك بين الاجسام فالاجسام كلها مشتركة في الجسمية والتفاوت انما حصل بهذه الصفات وهي اللطافة والكثافة وكونها علوية وسفلية قالوا هاتان الحجتان ضعيفتان





اما الحجة الاولى فلانا نقول كما ان الجسم من حيث انه جسم له حد واحد وحقيقة واحدة وكذا العرض من حيث انه عرض له حد واحد وحقيقة واحدة فيلزم منه ان يكون الاعراض كلها متساوية في تمام الماهية وهذا مما لا تقوله عاقل بل الحق عند الفلاسفة انه ليس للاعراض البتة قدر مشترك بينها من الذاتيات اذ لو حصل بينها قدر مشترك لكان ذلك المشترك جنسا لها ولو كان كذلك لما كانت التسعة اجناسا عالية بل كانت انواع جنس واحد اذا ثبت هذا فنقول الاعراض من حيث انها اعراض لها حقيقة واحدة ولم يلزم من ذلك ان يكون بينها ذاتي مشترك اصلا فضلا عن ان يكون متساوية في تمام الماهية فلم لا يجوز ان تكون الحال في الجسم كذلك فانه كما ان الاعراض مختلفة في تمام الماهية ثم ان تلك المختلفات متساوية في وصف عارض وهو كونها عارضة لموضوعاتها فكذا من الجائز ان يكون ماهيات الاجسام مختلفة في تمام ماهياتها ثم انها تكون متساوية في وصف عارض وهو كونها مشارا اليها بالحس وحاصلة في الحيز والمكان موصوفة بالابعاد الثلاثة فهذا الاحتمال لا دافع له اصلا واما الحجة الثانية وهي قولهم انه يمكن تقسيم الجسم الى اللطيف والكثيف فهي ايضا منقوضة بالعرض فانه يمكن تقسيم العرض الى الكثيف والكم ولم يلزم ان يكون هناك قدر مشترك من الذاتي فضلا عن التساوي في كل الذاتيات فلم لا يجوز ان يكون الامر هاهنا ايضا كذلك اذا ثبت انه لا امتناع في كون الاجسام مختلفة ولم يرد على بطلان هذا الاحتمال فحينيذ قالوا لا يمتنع في بعض الاجسام اللطيفة الهوايية ان تكون مخالفة لساير انواع الهوا في الماهية ثم تكون تلك الماهية يقتضي لذاتها علما مخصوصا وقدرة مخصوصة على افعال عجيبة وعلى هذا التقدير يكون القول بالجن ظاهر الاحتمال ويكون قدرتها على التشكل بالاشكال المختلفة ظاهر الاحتمال القول الثاني قول من قال الاجسام متساوية في تمام الماهية والقايلون بهذا المذهب ايضا فرقتان الفرقة الاولى الذين زعموا ان البنية ليست شرطا للحياة وهذا قول الاشعري وجمهور اتباعه وادلتهم في هذا الباب ظاهرة قوية قالوا لو كانت البنية شرطا للحياة لكان اما ان يقال ان الحياة الواحدة قامت بمجموع الاجزاء او يقال قام بكل واحد من الاجزاء حياة على حدة الاول محال لان حلول العرض الواحد في المحال الكثيرة دفعة واحدة غير معقول والثاني ايضا باطل لان الاجزا التي منها تالف الجسم متساوية والحياة القايمة بكل واحد منها مساوية للحياة القايمة بالجزء الاخر وحكم الشي حكم مثله فلو افتقر قيام الحياة بهذا الجزء الى قيام تلك بذلك الجزء لحصل هذا الافتقار من الجانب الاخر فيلزم وقوع الدور وانه محال بهذا الافتقار وحينيذ ثبت ان قيام الحياة بهذا الجزء لا يتوقف على قيام الحياة الثانية بذلك الجزء الثاني واذا بطل هذا التوقف ثبت انه يصح كون الجزء الواحد موصوفا بالحياة والعلم والقدرة والارادة وبطل القول بان البنية شرط قالوا واما دليل المعتزلة وهو انه لا بد من البنية فليس الا الاستقرا وهو انه راينا انه متى فسدت البنية بطلت الحياة ومتى لم تفسد بقيت الحياة فوجب توقف الحياة على حصول البنية الا ان هذا ركيك فان الاستقرا لا يفيد القطع بالوجوب ثم الدليل على ان حال ما لم يشاهد كحال ما شوهد وايضا فلان هذا الكلام انما يستقيم على قول من ينكر خرق العادات اما من جوزها فهذا لا يستمر على مذهبه والفرق في جعل بعضها على سبيل العادة وجعل بعضها على سبيل الوجوب تحكم محض لا سبيل اليه فثبت ان البنية ليست شرطا للحياة واذا ثبت هذا لم يبعد ان يخلق الله تعالى في الجوهر الفرد علما بامور كثيرة وقدرة على اشيا شاقة شديدة وعند هذا يظهر القول بامكان وجود الجن سواء كانت اجسامهم لطيفة او كثيفة وسواء كانت اجزاؤهم كثيرة او صغيرة القول الثاني ان البنية شرط للحياة وانه لا بد في صلابته في البنية حتى يكون قادرا على الافعال الشاقة فههنا مسالة اخرى وهي انه هل يمكن ان يكون المرئي حاضرا والموانع مرتفعة والشرايط من القرب والبعد حاصلة وتكون الحاسة سليمة ثم مع هذا لا يحصل الادراك او يكون هذا ممتنعا عقلا اما الاشعري واتباعه فقد جوزوه واما المعتزلة فقد حكموا بامتناعه عقلا والاشعري احتج على قوله بوجوه عقلية ونقلية اما العقلية فامران الاول انا نرى الكبير من البعيد صغيرا وما ذاك الا انا نرى بعض اجزا ذلك البعض بعيد دون البعض مع ان نسبة الحاسة وجميع الشرايط الى تلك الاجزا المرئية كهي بالنسبة الى الاجزا التي غير مرئية فعلمنا ان مع حصول سلامة الحاسة وحصول المرئي وحصول الشرايط وانتفاء الموانع لا يكون الادراك واجبا الثاني ان الجسم الكبير لا معنى له الا مجموع تلك الاجزاء المتالفة فاذا راينا ذلك الجسم الكبير على مقدار من البعد فقد راينا تلك الاجزاء فاما ان يكون روية هذا الجزء مشروطة برؤية ذلك الجزء الاخر او لا يكون فان كان الاول لزم الدور لان الاجزاء متساوية فان افتقرت روية هذا الجزء الى روية ذلك الجزء لافتقرت ايضا روية ذلك الجزء الى روية هذا الجزء فيقع الدور وان لم يحصل هذا الافتقار فحينيذ روية الجوهر الفرد لو حصل وحده من غير ان ينضم اليه ساير الجواهر فانه لا يرى فعلمنا ان حصول الروية عند اجتماع جملة الشرايط لا يكون واجب بل جايز اذا ثبت هذا ظهر جواز القول بالجن فان اجسامهم وان كانت كثيفة قوية الا انه لا يمتنع ان لا نراها وان كانوا حاضرين هذا على قول الاشعري فهذا هو تفصيل هذه الوجوه وانا متعجب من هذا اي من هولاء المعتزلة انهم كيف

يصدقون ما جاء في القرآن من اثبات الملك والجن مع استمرارهم على مذاهبهم وذلك لان القرآن دل على ان للملايكة
قوة عظيمة على الافعال الشاقة والجن ايضا كذلك وهذه القدرة لا يثبت الا في الاعضاء الكثيفة الصلبة
فاذن يجب في الملك والجن ان يكونوا كذلك ثم ان هولاء حاضرون عندنا ابدا وهم الكرام الكاتبون والحفظة
ويحضرون عند قبض الارواح وقد كانوا يحضرون عند الرسول عليه السلام وان احدا من القوم ما كان
يراهم وكذلك الاناسي الجالسون عند من يكون في النزع لا يرون احدا فان وجبت رؤية الكثيف عند الحضور فلم لا نراها
وان لم يجب الروية فقد بطل مذهبهم وان كانوا موصوفين بالقوة والشدة مع عدم الكثافة والصلابة فقد بطل
قولهم البنية شرط الحياة فان قالوا انها اجسام لطيفة وهي حية ولكنها للطافتها لا تقدر على الاعمال الشاقة
فهذا انكار لصريح القرآن وبالجملة فحالهم في الاقرار بالملك والجن مع هذه المذاهب عجيب وليتهم ذكروا على صحة مذاهبهم
شبهة مخيلة فضلا عن حجة مبينة فهذا هو التنبيه على ما في هذا الباب من الدقايق والمشكلات الثانية
اختلفت الروايات في انه عليه السلام هل راى الجن ام لا فالقول الاول وهو مذهب ابن عباس رضي الله عنهما
انه عليه السلام ما راهم قال ان الجن كانوا يقصدون السماع في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام فيسمعون
اخبار السماء ويلقونها الى الكهنة فلما بعث الله تعالى محمدا عليه السلام حرست السماء وحيل بين الشياطين وبين
خبر السماء وارسلت الشهب عليهم فرجعوا الى ابليس واخبروه بالقصة فقال لا بد لهذا من سبب فاضربوا مشارق الارض
ومغاربها واطلبوا السبب فوصل جمع من اولئك الطالبين الى تهامة فراوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق
عكاظ وهو يصلي باصحابه صلوة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا والله هو الذي حال بينكم
وبين خبر السماء فهنالك رجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا عجبا فاخبر الله تعالى محمدا عليه السلام
عن ذلك الغيب وقال قل اوحي الي كذا وكذا قال وفي هذا دليل على انه عليه السلام لم ير الجن اذ لو راهم لما اسند
معرفة هذه الواقعة الى الوحي فان من عرف وجوده بالمشاهدة لا يستند اثباته الى الوحي فان قيل الذين رموا
بالشهب هم الشياطين والذين سمعوا القرآن هم الجن فكيف وجه الجمع قلنا فيه وجهان الاول ان الجن كانوا مع
الشياطين فلما رمي الشياطين اخذ الجن الذين كانوا معهم في تجسس الخبر الثاني ان الذين رموا بالشهب
كانوا من الجن الا انه قيل لهم شياطين كما قيل شياطين الانس فان الشيطان كل متمرد بعيد من الله تعالى واختلفوا
في ان اولئك الجن الذين سمعوا القرآن من هم روى عاصم عن زر قال قدم رهط زوبعة واصحابه مكة على النبي صلى الله
عليه وسلم فسمعوا قراءة النبي عليه السلام ثم انصرفوا فذلك قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وهم كانوا من بني
الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم القول الثاني وهو مذهب ابن مسعود رضي الله عنه انه امر
النبي عليه السلام بالمسير اليهم ليقرا القرآن عليهم ويدعوهم الى الاسلام قال ابن مسعود قال عليه السلام اني امرت ان اقرا
القرآن على الجن فمن يذهب معي فسكتوا ثم قال الثانية فسكتوا ثم الثالثة فقال عبد الله فقلت انا اذهب معك يا رسول
الله قال فانطلق حتى اذا جاء الحجون عند شعب ابن ابي دب خط علي خطا فقال لا تجاوزه ثم مضى الى الحجون فانحدروا
علي امثال الحجل كانهم رجال الزط يقرعون في دفوفهم كما يقرع النسوة في دفوفها حتى غشوه فغاب عن بصري فقمت فاوما
الي بيده ان اجلس ثم تلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالارض حتى صرت لا اراهم وفي رواية اخرى قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما انت قال انا نبي قالوا فمن يشهد لك على ذلك قال هذه الشجرة فقال يا شجرة
فجاءت تجر عروقها لها قعاقع حتى انتصبت بين يديه فقال على ماذا تشهدين لي قالت اشهد انك رسول
الله حقا فقال اذهبي فرجعت كما جاءت حتى صارت كما كانت قال ابن مسعود فلما عاد الي قال اردت ان تاتيني
قلت نعم يا رسول الله قال ما كان ذلك لك هولاء الجن اتوا يستمعون القرآن ثم ولوا الى قومهم منذرين فسالوني
الزاد فزودتهم العظم والبعر فلا يستطيبن احد بعظم ولا بعر **واعلم** انه لا سبيل الى تكذيب
الروايات وطريق الجمع بين مذهب ابن عباس رضي الله عنهما ومذهب ابن مسعود رضي الله عنه من وجوه احدها
لعل ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما وقع اولا فاوحى الله تعالى اليه هذه السورة ثم امر بالخروج اليهم بعد
ذلك كما روى ابن مسعود رضي الله عنه وثانيها ان نقدر ان تكون واقعة الجن مرة واحدة الا انه عليه السلام
ما راهم وما عرفانهم ماذا قالوا واي شيء فعلوا فالله تعالى اوحى اليه انه كان كذا وقالوا كذا وثالثها ان الواقعة
كانت مرة واحدة وهو عليه السلام راهم وسمع كلامهم وهم امنوا به ثم لما رجعوا الى قومهم قالوا لقومهم على سبيل الحكاية
انا سمعنا قرانا عجبا وكان كذا وكذا فاوحى الله تعالى الى محمد عليه السلام ما قالوه لاقوامهم واذا كانت هذه
الوجوه محتملة فلا سبيل الى التكذيب **المسالة الثالثة** اعلم ان قوله تعالى قل امر منه تعالى لرسوله عليه السلام
ان يظهر لاصحابه ما اوحي اليه في واقعة الجن وفيه فوايد احدها ان تعرف قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا
القرآن عرفوا اعجازه فامنوا بالرسول وثانيها ان تعلم القوم ان الجن مكلفون كالانس ورابعها ان يعلم القوم
ان الجن يسمعون كلامنا ويفهمون لغتنا وخامسها ان يظهر ان المومن منهم يدعو غيره من الكفر الى الايمان
وفي كل هذه الوجوه مصالح كثيرة اذا عرفها الناس **المسالة الرابعة** الايحاء القاء المعنى الى النفس في خفا

كالهام



كالالهام وانزال الملك ويكون ذلك في سرعة من قولهم الوحي الوحي والقراة المشهورة اوحي بالالف وفي رواية يونس
وهارون عن ابي عمرو وحي بضم الواو بغير الف وهما لغتان يقال وحى اليه واوحى اليه وقرئ احي بالهمز من غير واو
واصله وحي فقلبت الواو همزة كما يقال اعد واعد واذا الرسل اقتت **قوله تعالى** انه استمع نفر من الجن وفيه مسايل
**المسالة الاولى** اجمعوا على ان قوله تعالى انه استمع بالفتح وذلك لانه فاعل اوحي فهو كقوله تعالى واوحي
الي هذا القرآن واجمعوا على انا في قوله تعالى انا سمعنا لانه مبتدا محكي بعد القول ثم ههنا قراءتان احداهما
انه يحمل البواقي على الموضعين اللذين بينا انهم اجمعوا عليهما فما كان من الوحي فتح وما كان من قول الجن كسر وكلها
من قول الجن الا الاخيرين وهما قوله تعالى وان المساجد لله وانه لما قام عبد الله وثانيها فتح الكل والتقدير
فامنا به وامنا بانه تعالى جد ربنا وبانه كان يقول سفيهنا وكذا البواقي فان قيل ههنا اشكال من وجهين احدهما
انه تقبح اضافة الايمان الى بعض هذه الصور فانه يقبح ان يقال وامنا بانه كان يقول سفيهنا على الله شططا
والثاني وهو ان لا نعطف على انها المخفوضة الا باظهار الخافض لا يقال امنا به وزيد بل يقال امنا به وبزيد والجواب
عن الاشكالين انا اذا حملنا قوله تعالى امنا به على معنى صدقنا وشهدنا زال الاشكالان **المسالة الثانية**
نفر من الجن جماعة منهم ما بين الثلاثة الى العشرة وروي ان اولئك النفر كانوا يهودا وذكر الحسن ان منهم يهودا ونصارى
ومجوسا ومشركين **ثم اعلم** ان الجن حكوا اشياء **النوع الاول** ما حكوه قوله تعالى فقالوا انا سمعنا
اي قالوا لقومهم حين رجعوا اليهم لقوله تعالى فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين وقوله تعالى قرانا عجبا
اي خارجا عن حد اشكاله ونظايره وعجب مصدر وضع موضع العجيب ولا شك انه ابلغ من العجيب يهدي الى الرشد اي الى
الصواب وقيل الى التوحيد فامنا به اي بالقرآن ويمكن ان يكون المراد فامنا بالرشد الذي في القرآن وهو التوحيد ولن نشرك
بربنا احدا اي ولن نعود الى ما كنا عليه من الاشراك به وهذا يدل على ان اولئك الجن كانوا مشركين **النوع الثاني**
مما ذكره الجن انهم كما نفوا عن انفسهم الشرك نزهوا ربهم عن الصاحبة والولد فقالوا وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ
صاحبة ولا ولدا وفيه مسالتان **المسالة الاولى** الجد في اللغة العظمة يقال جد فلان اي عظم ومنه الحديث
كان الرجل اذا قرا سورة البقرة جد فينا اي جل قدره وعظم لان الصاحبة تتخذ للحاجة اليها والولد للتكثر به
والاستيناس وهذا من سمات الحدوث وهو تعالى منزه عن كل نقص القول الثاني الجد الغنى ومنه الحديث
لا ينفع ذا الجد منك الجد قال ابو عبيدة معناه لا ينفع ذا الغنى منك غناه وكذلك الحديث الاخر قمت
على باب الجنة فاذا عامة من يدخلها الفقرا واذا اصحاب الجد محبوسون يعني اصحاب الغنى في الدنيا فيكون المعنى
انه تعالى غني عن الاحتياج الى الصاحبة والاستيناس بالولد وعندي فيه قول ثالث وهو ان جد الانسان
اصله الذي منه وجوده فجعل الجد مجازا عن الاصل فقوله تعالى جد ربنا معناه اصل ربنا واصله حقيقته
المخصوصة التي لنفس تلك الحقيقة من حيث انها هي تكون واجبة الوجود فيصير المعنى ان حقيقته المخصوصة
متعالية عن جميع جهات التعلق بالغير لان الواجب لذاته يجوز ان تكون واجب الوجود من جميع جهاته وما كان
كذلك استحال ان يكون له صاحبة وولد المسالة الثانية قرئ جد ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته
وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وكان هولاء الجن لما سمعوا القرآن تنبهوا للفساد ما عليه كفرة الجن
فرجعوا اولا عن الشرك وثانيا عن دين النصارى النوع الثالث مما ذكره الجن قوله تعالى وانه كان يقول
سفيهنا على الله شططا والسفه خفة العقل والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه اشط في السوم
اذا تعدى فيه اي يقول قولا هو في نفسه شطط لفرط ما اشترط فيه **واعلم** انه لما كان الشطط هو
مجاوزة الحد وليس في اللفظ ما يدل على ان المراد منه مجاوزة الحد في جانب النفي او في جانب الاثبات فحينئذ
ظهر ان كلا الامرين مذموم فمجاوزة الحد في النفي تفضي الى التعطيل ومجاوزة الحد في الاثبات تفضي الى التشبيه
واثبات الشريك والصاحبة والولد وكلا الامرين شطط ومذموم **النوع الرابع** قوله تعالى وانا ظننا ان لن
تقول الانس والجن على الله كذبا وفيه مسالتان الاولى معنى الاية انا انما اخذنا قول الغير لانا ظننا انه لا يقول
الكذب على الله تعالى فلما سمعنا القرآن علمنا انهم قد يكذبون وهذا منهم اقرار بانهم انما وقعوا في تلك الجهالات
بسبب التقليد وانهم انما تخلصوا عن تلك الظلمات ببركة الاستدلال والاحتجاج الثانية قوله كذبا نصب
فيه وجوه احدها انه وصف مصدر محذوف والتقدير ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا وثانيها
نصب نصب المصدر لان الكذب نوع من القول وثالثها اي من قرا ان لن تقول الانس وضع كذبا موضع تقولا
ولم يجعله صفة لان التقول لا يكون الا كذبا النوع الخامس قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال
من الجن فزادوهم رهقا فيه قولان الاول وهو قول جمهور المفسرين ان الرجل في الجاهلية كان اذا سافر فامسى
في قفر من الارض قال اعوذ بسيد هذا الوادي او بعزيز هذا المكان من شر سفهاء قومه فيبيت في جوار منهم
حتى يصبح وقال اخرون كان اهل الجاهلية اذا قحطوا ارسلوا رائدهم فاذا وجد فيه كلا وماء رجع الى اهله
فسار بهم فاذا انتهوا الى تلك الارض نادوا نعوذ برب هذا الوادي او بعزيز هذا المكان من شر سفهها قومه

فيبيت في جوار منهم حتى يصبح وقال اخرون كان اهل الجاهلية اذا قحطوا ارسلوا رائدهم فاذا وجدوا مكانا فيه كلاء وما
رجع الى اهله فسار بهم فاذا انتهوا الى تلك الارض نادوا نعوذ برب هذا الوادي ان نصيبنا آفة يعنون الجن
فان لم يفزعهم احد نزلوا وربما فزعهم الجن فيهربون القول الثاني المراد انه كان رجال من الانس يعوذون برجال
من الجن يكن من شر الجن مثل ان يقول الرجل اعوذ برسول الله من شر جن هذا الوادي واصحاب هذا التاويل انما
ذهبوا اليه لان الرجل اسم الانس لا اسم الجن وهذا ضعيف لانه لم يقم دليل على ان الذكر من الجن لا يسمى رجلا اما قوله تعالى
فزادوهم رهقا قال المفسرون معناه زادوهم اثما وجراة وطغيانا وخطيئة وغيا وشرا كل هذا من الفاظهم قال الواحدي
رحمه الله تعالى الرهق غشيان الشيء ومنه قوله تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة وقوله تعالى ترهقها قترة ورجل مرهق
اي يغشاه السائلون ويقال رهقتنا الشمس اذا قربت والمعنى ان رجال الانس انما استعاذوا بالجن خوفا من ان يغشاهم
الجن ثم انهم زادوا في ذلك الغشيان فانهم لما تعوذوا بهم ولم يتعوذوا بالله تعالى استذلوهم واجترؤا عليهم فزادوهم ظلما
وهذا معنى قول عطاء خبطوهم وخنقوهم وعلى هذا القول زادوا من فعل الجن وفي الآية قول آخر وهو ان زادوا من فعل
الانس وذلك لان الانس لما استعاذوا بالجن كان الجن يزدادون بسبب ذلك التعوذ طغيانا فيقولون سدنا الجن
والانس والقول الاول هو اللائق بسياق هذه الآية والموافق لنظمها النوع السادس قوله تعالى وانهم ظنوا كما ظننتم
ان لن يبعث الله احدا **اعلم** ان هذه الآية والتي قبلها يحتمل ان يكون من كلام الجن ويحتمل ان يكون من جملة الوحي
فان كان من كلام الجن وهو الذي قاله بعضهم مع بعض كان التقدير وان الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن وان كان من
الوحي كان التقدير وان الانس ظنوا كما ظننتم يا كفار قريش وعلى التقديرين فالآية دلت على ان الجن كما انه كان فيهم
مشرك ويهودي ونصراني ففيهم من ينكر البعث ويحتمل ان يكون المراد انه لا يبعث احدا للرسالة على ما هو مذهب
البراهمة **واعلم** ان حمله على كلام الجن اولى لان ما قبله وما بعده كلام الجن فالقاء كلام اجنبي عن كلام الجن في البين غير
لائق النوع السابع قوله تعالى وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا اللمس المس فاستعير للطلب
لان الماس طالب متعرف يقال لمسه والتمسه ونحوه الجس حسوه باعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السماء
واستماع اهلها والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام وكذلك شديدا ولو ذهب الى معناه لقيل
شدادا النوع الثامن قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا اي كنا
نسمع لكنا متى حاولنا الاستماع رمينا بالشهب وفي قوله تعالى شهابا رصدا وجوه احدها قال مقاتل يعني رميا
من الشهب ورصدا من الملائكة وعلى هذا يجب ان يكون التقدير شهابا ورصدا لان الرصد غير الشهاب وهو
جمع راصد وثانيها قال الفراء اي شهابا قد ارصد له ليرجم به وعلى هذا الرصد نعت للشهاب وهو فعل بمعنى مفعول وثالثها
يجوز ان يكون رصدا اي راصدا وذلك لان الشهاب لما كان معدا له فكان الشهاب مرصدا له ومترصدا له
**واعلم** انا قد استقصينا هذه المسألة في تفسير قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب فان قيل ان
الشهب كانت موجودة قبل المبعث ويدل عليه امور احدها ان جميع الفلاسفة المتقدمين تكلموا في اسباب
انقضاض هذه الشهب وذلك يدل على انها كانت موجودة قبل المبعث وثانيها قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح
وجعلناها رجوما للشياطين ذكر في خلق الكواكب فائدتين فائدة التزيين ورجم الشياطين وثالثها ان وصف هذا
الانقضاض جاء في شعر الجاهلية قال اوس بن حجر فانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا وقال عوف
ابن الخرع يرد علينا العير من دون الفه او الثور كالدري يتبعه الدم وروى الزهري عن علي بن عباس بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية
فقالوا كنا نقول يموت عظيم ويولد عظيم الى آخر الحديث ذكرناه في تفسير قوله انا زينا السماء الدنيا بمصابيح قالوا فثبت
بهذه الوجوه ان هذه الشهب كانت موجودة قبل المبعث فما معنى تخصيصها بمحمد عليه السلام والجواب على مقامين
المقام الاول ان هذه الشهب ما كانت موجودة قبل المبعث وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وابي بن كعب روي عن
ابن عباس انه قال كان الجن يصعدون الى السماء فيستمعون الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا اما الكلمة فانها
تكون حقا واما الزيادات فتكون باطلة فلما بعث النبي عليه السلام منعوا مقاعدهم ولم يكن النجوم يرمى بها قبل
ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الا لامر حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي الحديث
الى آخره وقال ابي بن كعب لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى بعث رسول الله عليهما السلام فرمي بها فرأت قريش
امرا ما رأوه قبل ذلك فجعلوا يسيبون انعامهم ويعتقون رقابهم يظنون انه الفناء فبلغ ذلك بعض اكابرهم
فقال لم فعلتم ما ارى قالوا رمي بالنجوم فرأيناها تتهافت من السماء فقال اصبروا فان تكن نجوما معروفة فهو وقت
فناء الناس وان كانت نجوما لا تعرف فهو امر حدث فنظر فاذا هي لا تعرف فاخبروه فقال في الامر مهلة وهذا عند
ظهور نبي فما مكثوا الا يسيرا حتى قدم ابو سفيان على امواله واخبر اولئك الاقوام بانه ظهر محمد بن عبد الله صلى
الله عليه وسلم ويدعي انه نبي مرسل وهؤلاء زعموا ان كتب الاوائل قد توالت عليها التحريفات فلعل المتأخرين الحقوا
هذه المسألة بها طعنا منهم في هذه المعجزات وكذا الاشعار المنسوبة الى اهل الجاهلية لعلها مختلقة عليهم ومنحولة اليهم





المقام الثاني وهو الاقرب الى الصواب ان هذه الشهب كانت موجودة قبل المبعث الا انها الا بعد المبعث جعلت
اكمل واقوى وهذا هو الذي يدل عليه لفظ القرآن لانه قال فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وهذا يدل على ان
الحادث هو الملء والكثرة وكذلك قوله تعالى نقعد منها مقاعد اي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس
والشهب والآن ملئت المقاعد كلها فعلى هذا الذي حمل الجن على الضرب في البلاد وطلب السبب انما هو كثرة الرجم ومنع
الاستراق بالكلية النوع التاسع قوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا فيه
وجهان الاول انا لا ندري ان المقصود من المنع من الاستراق هو شر اريد باهل الارض ام صلاح وخير والثاني لا ندري
ان المقصود من ارسال محمد عليه السلام الذي عنده منع من الاستراق هو ان يكذبوه فيهلكوا كما هلك من كذب
من الامم ام اراد ان يؤمنوا فيهتدوا النوع العاشر قوله تعالى وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق
قددا قوله تعالى وانا منا الصالحون اي المتقون ومنا دون ذلك اي ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف
كقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم ثم المراد بالذين هم دون الصالحين من فيه قولان الاول انهم
المقتصدون الذين يكونون في الصلاح غير كاملين والثاني ان المراد من لا يكون كاملا في الصلاح فيدخل فيه
المقتصدون والكافرون والقدد من قد كأن يقطعه من قطع ووصف الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع
والتفرق وفي تفسير الآية وجوه احدها المراد كنا ذوي طرائق قددا اي ذوي مذاهب مختلفة قال السدي
الجن امثالكم فيهم مرجئة وقدرية وروافض وخوارج وثانيها كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة
وثالثها كانت طرائقنا قددا على حذف المضاف الذي هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه النوع
الحادي عشر قوله تعالى وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا الظن بمعنى اليقين وفي الارض وهربا
فيه وجهان الاول انهما حالان اي لن نعجزه كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين فيها الى السماء والثاني
قوله تعالى وانا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا لما سمعنا الهدى اي القرآن
قال تعالى هدى للمتقين آمنا به اي آمنا بالقرآن فلا يخاف اي فهو غير خائف وعلى هذا يكون الكلام في تقدير جملة
من المبتدأ والخبر اذا دخل الفاء عليها ليصير جزاء للشرط الذي تقدمها ولولا ذلك لقيل لا يخف فان قيل اي فائدة
في الفعل وتقدير مبتدأ قوله حتى يقع خبرا له ووجب دخال الفاء فكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف
قلنا الفائدة فيه انه اذا فعل ذلك فكأنه قيل فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق ان المؤمن ناج لا محالة وانه
هو المختص بذلك دون غيره لان قوله فهو لا يخاف معناه ان غيره يكون خائفا وقرأ الاعمش فلا يخف وقوله تعالى
بخسا ولا رهقا الرهق الظلم وفيه وجهان الاول لا يخاف جزاء بخس ولا رهق لانه لا يبخس احدا حقا ولا يظلم
احدا فلا يخاف جزاءهما الثاني لا يخاف ان يبخس بل يقطع بانه يجزى الجزاء الاوفى ولا يخاف ان ترهقه ذلة من قوله تعالى
ترهقهم ذلة النوع الثالث عشر قوله تعالى وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا
القاسط الجائر والمقسط العادل وذكرنا معنى قسط واقسط في اول سورة النساء والقاسطون الكافرون
الجائرون عن طريق الحق وعن سعيد بن جبير ان الحجاج قال له حين اراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل
فقال القوم ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سماني ظالما
مشركا وتلا عليهم واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اما قوله
تعالى تحروا رشدا اي قصدوا طريق الحق قال ابو عبيدة تحروا توخوا قال ابو عبيدة اصل التحري من قولهم ذلك
احرى اي احق واقرب وبالحري ان تفعل كذا اي يجب عليك ثم ان الجن ذموا الكافرين فقالوا واما القاسطون فكانوا
لجهنم حطبا وفيه سؤال وهو ان الاول لم ذكر عقاب القاسطين ولم يذكر ثواب المسلمين الجواب بل ذكر ثواب المؤمنين وهو
قوله تعالى تحروا رشدا عظيما لا يبلغ كنهه الا الله تعالى ومثل هذا لا يتحقق الا في الثواب الثاني الجن مخلوقون من
النار لكنهم تغيروا عن تلك الكيفية وصاروا لحما ودما هكذا قيل وههنا آخر كلام الجن والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم
فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا وان المساجد لله فلا تدعوا
مع الله احدا هذا من جملة الموحى اليه والتقدير قل اوحي الي انه استمع نفر وان لو استقاموا
على الطريقة فيكون هذا هو النوع الثاني مما اوحي اليه وههنا مسائل **المسألة الاولى** ان مخففة من
الثقيلة والمعنى واوحي الي ان الشان والحديث لو استقاموا لكان كذا وكذا قال الواحدي وفصل لو بينها وبين
الفعل كفصل لا والسين في قوله تعالى ان لا يرجع اليهم قولا وعلم ان سيكون منكم مرضى **الثانية** الضمير في قوله
استقاموا الى من يرجع فيه قولان قال بعضهم الى الجن الذي تقدم ذكرهم ووصفهم اي هؤلاء القاسطون لو آمنوا
لفعلنا بهم كذا وكذا وقال آخرون بل المراد الانس واحتجوا عليه بوجهين الاول ان الترغيب في الانتفاع بالماء
الغدق انما يليق بالانس لا بالجن والثاني ان هذه الآية انما نزلت بعد ما حبس الله تعالى المطر عن اهل مكة سنين
فصح انه لم يتقدم ذكر الانس ولكنه لما كان ذلك معلوما جرى مجرى قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر

وقال القاضي الاقرب ان الكل يدخلون فيه واقول يمكن ان يحتج لصحة قول القاضي بانه تعالى اثبت حكما معللا بعلة وهو
الاستقامة فوجب ان يعم الحكم بعموم العلة **الثالثة** الغدق بفتح الدال وكسرها الماء الكثير وقرئ بهما يقال غدقت العين
بالكسر فهي غدقة وروضة مغدقة اي كثيرة الماء ومطر مغدق وغدق وغيداق وغيدق اذا كان كثير الماء وفي المراد بالماء الغدق
في هذه الاية ثلاثة اقوال احدها انه الغيث والمطر وثانيها وهو قول ابي مسلم انه اشارة الى الجنة كما قال تعالى جنات
عدن تجري من تحتها الانهار وثالثها انه المنافع والخيرات جعل الماء كناية عنها لان الماء اصل الخيرات كلها في الدنيا **الرابعة**
ان قلنا في قوله استقاموا راجع الى الجن كان في الاية قولان احدهما لو استقاموا الجن على الطريقة المثلى
اي لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده
على الاسلام لانعمنا عليهم ونظيره قوله تعالى ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا وقوله تعالى ولو انهم اقاموا التوراة
والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا وقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه وقوله تعالى فقلت
استغفروا ربكم الى قوله تعالى ويمددكم باموال وبنين وانما ذكرنا الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع فان
اللايق بالجن هو هذا لا الماء المشروب والثاني ان يكون المعنى وان لو استقاموا الجن الذي استمعوا القرآن على طريقتهم
التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق ونظيره قوله تعالى ولولا ان
يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة واختار الزجاج الوجه الاول قال لانه
تعالى ذكر الطريقة معرفة بالالف واللام فيكون راجعا الى الطريقة المعروفة المشهودة وهي طريقة الهدى والذين
الاول وبالثاني استدلوا عليه بقوله بعد هذه الاية لنفتنهم فيه ثم يقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما
ويمكن الجواب عنه ان من امن فانعم الله عليه كان ذلك الانعام ابتلاء ايضا واختبارا حتى يظهر انه هل يشتغل
بالشكر ام لا وهل ينفقه في طلب مرضات الله تعالى ايضا واختبارا حتى يظهر انه هل يشتغل بالشكر ام في مراضي
الشهوة والشيطان واما الذين قالوا الضمير عايد الى الانس فالوجهان عايدان فيه بعينه وهاهنا يكون اجرى
قوله تعالى لاسقيناهم ماء غدقا على ظاهره اولى لان انتفاع الانس بذلك اتم واكمل اما قوله تعالى ومن
يعرض عن ذكر ربه اي عن عبادته او عن موعظته او عن وحيه يسلكه وقرئ بالنون مفتوحة ومضمومة
اي يدخله عذابا والاصل نسلكه في عذابه كقوله تعالى ما سلككم في سقر الا ان هذه العبارة ايضا مستقيمة
لوجهين الاول ان يكون التقدير نسلكه في عذاب ثم حذف الجار واوصل الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه
والثاني ان يكون معنى نسلكه ندخله يقال سلكه واسلكه والصعد مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا
يوصف به العذاب لانه يتصعد طاقة المعذب اي يعلوه ويغلبه ولا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني
في شيء ما تصعدتني خطبة النكاح يريد ما شق علي ولا غلبني وفيه قول اخر وهو ما روى عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان صعدا جبل في جهنم وهو صخرة ملساء فيكلف الكافر صعودها ثم يجذب من امامه بسلاسل
ويضرب من خلفه بمقامع من حديد حتى يبلغ اعلاها في اربعين سنة فاذا بلغ اعلاها احدر الى اسفلها
ثم يكلف الصعود مرة اخرى فهذا دابه ابدا ونظير هذه الاية قوله تعالى سارهقه صعودا من جملة الوحي
قوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا فيه مسايل **المسالة الاولى** التقدير قل اوحي ان المساجد
لله ومذهب الخليل ان التقدير ولان المساجد لله فلا تدعوا فعلى هذا اللام متعلقة فلا تدعوا اي فلا تدعوا
مع الله احدا في المساجد لانها لله تعالى خاصة ونظيره قوله تعالى وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم
اي لاجل هذا المعنى فاعبدون **الثانية** اختلفوا في المساجد على وجوه احدها وهو قول الاكثرين انها المواضع
التي بنيت للصلاة وذكر الله تعالى ويدخل فيها الكنايس والبيع ومساجد المسلمين وذلك لان اهل الكتاب
يشركون في صلاتهم في الكنايس فامر الله تعالى المسلمين بالاخلاص والتوحيد وثانيها قال الحسن اراد بالمساجد
البقاع كلها قال عليه السلام جعلت لي الارض مسجدا وطهورا كانه تعالى قال الارض كلها مخلوقة لله تعالى فلا
تسجدوا عليها لغير الله خالقها وثالثها روى عن الحسن ايضا انه قال المساجد هي الصلوات فالمساجد على هذا
القول جمع مسجد بفتح الجيم والمسجد على هذا القول مصدر بمعنى السجود ورابعها قال سعيد بن جبير المساجد الاعضاء التي
يسجد العبد عليها وهي سبعة القدمان والركبتان واليدان والوجه وهذا القول اختيار ابن الانباري قال لان
هذه الاعضاء هي التي يقع السجود عليها وهي مخلوقة لله تعالى فلا ينبغي ان يسجد العاقل عليها لغير الله تعالى وعلى هذا
القول معنى المساجد مواضع السجود من الجسد واحدها مسجد بفتح الجيم وخامسها قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما يريد
بالمساجد مكة لجميع ما فيها من المساجد وذلك لان مكة قبلة الدنيا وكل احد يسجد اليها قال الواحدي رحمه الله
وواحد المساجد على الاقوال كلها مسجد بفتح الجيم الا على قول من يقول انها المواضع بنيت للصلاة فان واحدها
بكسر الجيم لان المواضع والمصادر كلها من هذا الباب بفتح العين الا في احرف معدودة وهي المسجد والمطلع
والمنسك والمنبت وقد جاء في بعضها الفتح وهو المنسك والمسكن والمنبت والمسقط والمفرق والمحشر
والمشرق والمغرب والمفرق والمطلع وهو جايز في كلها واذن سمع الثالثة قال الحسن من السنة اذا دخل الرجل المسجد





ان يقول لا اله الا الله لان قوله تعالى لا تدعوا مع الله احدا في ضمنه امر بذكر الله تعالى وبدعائه **النوع الرابع عشر**
من جملة الموحى قوله تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا اعلم ان عبد الله هو النبي صلى الله عليه وسلم
في قول الجميع ثم قال الواحدي ان هذا من كلام الجن لا من جملة الوحي لان الرسول لا يليق به ان يحكي عن نفسه بلفظ الغايب وهذا
غير بعيد كما في قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا والاكثرون على انه من جملة الموحى اذ لو كان من كلام الجن في جملة
ما هو كلام الجن لكان بعيدا عن سلامة النظم وفايدة هذا الاختلاف ان من جعله من جملة الموحى فتح الهمزة ومن جعله من كلام
الجن كسرها وفي تفسير الاية على قولين اما على قول من قال انه من جملة الموحى فالضمير في قوله كادوا الى من يعود يكونون عليه لبدا اي
يزدحمون عليه متراكبين تعجبا مما راوا من عبادته واقتداء اصحابه قايما وراكعا وساجدا واعجابا بما تلا من القرآن لانهم راوا
ما لم يروا مثله وسمعوا مثله والثاني لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يعبد الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الاوثان
كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه والثالث وهو قول قتادة لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الانس
والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاء به ويطفيوا نور الله فابى الله الا ان ينصره على من ناواه واما على قول من
يقول انه من كلام الجن فالوجهان ايضا عايدان فيه وقوله تعالى لبدا لبدا جمع لبدة وهو ما يلبد بعضه على بعض وكل شيء
الصقته بشيء الصاقا شديدا فقد لبدته ومنه اشتقاق هذه اللبود التي تفرش ويقال لبدة الاسد لما يتلبد من الشعر
بين كتفيه ومنه قول زهير له لبد اظفاره لم تقلم وقرى لبدا جمع لابد كسجد في ساجد وقرى ايضا لبدا بضم اللام والباء
جمع لبود كصبر جمع صبور فان قيل لم سمى محمدا بعبد الله وما ذكره برسول الله او نبي الله لانه ان كان الكلام من جملة الموحى
فاللايق بتواضع الرسول عليه السلام ان يذكر نفسه بالعبودية وان كان من كلام الجن كان المعنى ان عبد الله لما اشتغل
بعبودية الله تعالى فهؤلاء الكفار لم اجتمعوا عليه ولم حاولوا منعه منه مع ان ذلك هو الموافق لقانون العقل والله تعالى اعلم

**قوله تعالى قل انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا**
**قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته**
**ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون**

قرا العامة على الغيبة قال وقرا عاصم وحمزة قل حتى يكون نظيرا لما بعده وهو قوله تعالى قل اني لا املك قل اني
لن يجيرني قال مقاتل ان كفار مكة قالوا للنبي عليه السلام انك جيت بامر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن
هذا فانزل الله تعالى قل انما ادعوا ربي وهذا حجة لعاصم وحمزة ومن قرا قال حمله ذلك على ان القوم لما قالوا
ذلك اجابهم النبي عليه السلام بقوله تعالى انما ادعوا ربي فحكى الله تعالى ذلك عنه بقوله او يكون ذلك من
بقية الجن احوال الرسول لقومهم اما قوله تعالى قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ففيه وجهان تفسر الرشد بالنفع حتى
يكون تقدير الكلام لا املك لكم ضرا ولا نفعا وتفسير الضر بالغي حتى يكون تقدير الكلام لا املك لكم غيا ولا رشدا
ويدل عليه قراءة ابي غيا ولا رشدا ومعنى الكلام ان النافع والضار والمرشد والمغوي هو الله تعالى وان احدا
من الخلق لا قدرة له عليه اما قوله تعالى قل اني لن يجيرني من الله احد ثم قال تعالى ولن اجد من دونه ملتحدا ملتحدا
قال المبرد مثل قولك منحرفا ومعناه في اللغة مايلا والملتحد المدخل من الارض مثل السرب والذاهب في الارض
اما قوله تعالى الا بلاغا من الله ورسالاته وذكروا في هذا الاستثناء وجوها احدها انه استثناء من قوله تعالى
لا املك لكم ضرا ولا رشدا الا البلاغ من الله ورسالاته وقوله تعالى قل اني لن يجيرني من الله احد جملة معترضة
في البين لتاكيد نفي الاستطاعة وبيان عجزه على معنى انه تعالى ان اراد به سوءا لم يقدر احد ان يجيره منه وهذا
قول الفراء وثانيها وهو قول الزجاج انه نصب على البدل من قوله ملتحدا والمعنى ولن اجد من دونه ملجا الا بلاغا اي
لا يجيرني الا ان ابلغ عن الله تعالى ما ارسلت به واقول هذا الاستثناء منقطع لانه تعالى لم يقل ولن اجد
ملتحدا بل قال ولن اجد من دونه ملتحدا والبلاغ من الله لا يكون داخلا تحت قوله تعالى من دونه ملتحدا لان البلاغ
من الله لا يكون من دون الله بل يكون من الله تعالى واعانته وتوفيقه وثالثها قال بعضهم الا معناه ان لا ابلغ
بلاغا كقولك ان لا قياما فقعودا والمعنى ان لا ابلغ لم اجد ملتحدا فان قيل المشهور انه يقال بلغ عنه قال عليه السلام
بلغوا عني فلم قال هاهنا بلاغا من الله قلنا من ليست بصلة للتبليغ انما هي بمنزلة من في قوله تعالى براءة من الله اما
قوله تعالى ورسالاته فهو عطف على بلاغا كانه قال لا املك لكم ضرا ولا رشدا الا التبليغ والرسالات والمعنى الا
ان ابلغ عن الله تعالى فاقول قال الله تعالى كذا ناسبا لقوله اليه وان ابلغ رسالاته التي ارسلني بها من غير زيادة
ولا نقصان اما قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم قال الواحدي ان مكسورة الهمزة لان ما بعد
فاء الجزاء موضع ابتداء ولذلك حمل سيبويه قوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه وقوله تعالى ومن كفر فامتعه
قليلا وقوله تعالى ومن يؤمن بربه فلا يخاف على ان المبتدا فيها مضمر قال صاحب الكشاف وقرى فان له نار جهنم
على تقدير فجزاؤه ان له نار جهنم كقوله تعالى فان لله خمسه اي فحكمه ان لله خمسه ثم قال تعالى خالدين حملا
على معنى الجمع في من وفي الاية مسايل الاولى استدل جمهور المعتزلة على ان فساق اهل الصلاة مخلدون في
النار والجواب عنه قد ذكرناه في سورة البقرة الثانية تمسك القايلون بان الامر للوجوب بهذه الاية فقالوا

تارك المأمور به عاص لقوله تعالى أفعصيت أمري لا يعصون الله ما أمرهم ولا أعصي لك أمرا والعاصي يستحق العقاب قوله تعالى حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا فإن قيل ما الشيء الذي جعل ما بعد حتى غاية له قلنا فيه وجهان الأول أنه متعلق بقوله تعالى يكونون عليه لبدا والتقدير أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون أنصاره ويستقلون عدده حتى إذا رأوا ما يوعدون من يوم بدر وإظهار الله تعالى له عليهم أو من يوم القيامة فسيعلمون أنه أضعف ناصرا وأقل عددا الثاني أنه متعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كأنه قيل هؤلاء لا يزالون على ما هم عليه حتى إذا كان كذا وكذا واعلم أن نظير هذه الآية قوله تعالى في مريم حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة واعلم أن الكافر لا ناصر له ولا شفيع يوم القيامة على ما قال تعالى وما للظالمين من أنصار ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الأعين ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ويفر كل واحد منهم من صاحبه على ما قال تعالى يوم يفر المرء من أخيه إلى آخره وقوله تعالى يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وأما المؤمنون فلهم العز والكرامة والكثرة قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والملك القدوس يسلم عليهم سلام قولا من رب رحيم فهناك يظهر أن القوة والعدد في جانب المؤمن أو في جانب الكفار أما قوله تعالى قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا قال مقاتل لما سمعوا قوله تعالى حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا قال النضر بن الحرث متى يكون هذا الذي توعدنا به فأنزل الله تعالى قل إن أدري أقريب ما توعدون إلى آخره والمعنى أن وقوعه متيقن أما وقت وقوعه فغير معلوم وقوله تعالى أم يجعل له ربي أمدا أي غاية وبعدا وهذا كقوله تعالى وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون فإن قيل أليس أنه قال بعثت أنا والساعة كهاتين فكان عالما بقرب وقوع القيمة فكيف قال ههنا إن أدري أقريب أم بعيد قلنا المراد بقرب وقوعه هو أن ما بقي من الدنيا أقل مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم فأما معرفة القرب وعدم ذلك فغير معلوم ثم قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول لفظة من في قوله تعالى من رسول لتبيين لمن ارتضى يعني أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذي يكون رسولا قال صاحب الكشاف وفي هذا إبطال الكرامات لأن الذين تضاف إليهم الكرامات وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله تعالى الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه أيضا إبطال الكهانة والتنجيم لأن أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء وأدخله في السخط قال الواحدي رحمه الله وفي هذا دليل على أن من ادعى أن النجوم تدل على ما يكون من حياة أو موت أو غير ذلك فقد كفر بما في القرآن واعلم أن الواحدي يجوز الكرامات وأن يلهم الله تعالى أولياءه وقوع بعض الوقائع في المستقبل ونسبة الآية إلى الصورتين واحدة فإن جعل الآية دالة على المنع من أحكام النجوم فينبغي أن يجعلها دالة على المنع من الكرامات على ما قاله صاحب الكشاف وإن زعم أنها لا تدل على المنع من الإلهامات الحاصلة للأولياء فينبغي أن لا يجعلها دالة على المنع من الأحكام النجومية وعدم دلالتها على إلهامات الأولياء بمجرد التشهي وعندي أن الآية لا دلالة فيها على شيء مما قالوه والدليل عليه أن قوله على غيبه ليس فيه صيغة عموم فيكفي في العمل بمقتضاه أن لا يظهر تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فنحمله على وقت وقوع القيامة فيكون المراد من الآية أنه تعالى لا يظهر هذا الغيب لأحد فلا يبقى في الآية دلالة على أنه لا يظهر شيئا من الغيوب لأحد والذي يؤكد هذا التأويل أنه تعالى إنما ذكر هذه الآية عقيب قوله تعالى إن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا يعني لا أدري وقت وقوع القيمة ثم قال بعده عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا أي وقت وقوع القيامة من الغيب الذي لا يظهره الله تعالى لأحد وبالجملة فقوله على غيبه لفظ مفرد مضاف فيكفي في العمل به عدم الاطلاع على غيب واحد وأما العموم فليس في اللفظ دلالة عليه فإذا حملناه على القيمة فكيف قال تعالى إلا من ارتضى من رسول مع أنه لا يظهر هذا الغيب لأحد من رسله قلنا بل يظهره عند القرب من إقامة القيامة وكيف لا وقد قال تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ولا شك أن الملائكة يعلمون في ذلك الوقت قيام القيامة وأيضا يحتمل أن يكون هذا الاستثناء منقطعا كأنه قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه المخصوص وهو قيام القيمة أحدا ثم قال تعالى بعده إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا حفظة يحفظونه من مردة الإنس والجن لأنه تعالى إنما ذكر هذا الكلام جوابا لسؤال من سأله عن وقت وقوع القيمة على سبيل الاستهزاء به والاستحقار لدينه ومقالته واعلم أنه لا بد من القطع بأنه ليس مراد الله تعالى من هذه الآية أنه لا يطلع أحدا على شيء من المغيبات إلا الرسل والذي يدل عليه وجوه أحدها أنه ثبت بالأخبار القريبة من التواتر أن شقا وسطيحا كانا كاهنين يخبران بظهور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل زمان ظهوره وكانا في العرب مشهورين بهذا النوع من العلم حتى رجع إليهما كسرى في تعرف أخبار رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فثبت أن الله تعالى قد يطلع غير الرسل على شيء من الغيب وثانيها أن جميع أرباب الملل والأديان مطبقون على صحة علم التعبير وأن المعبر قد يخبر عن وقوع الأشياء الآتية في المستقبل ويكون صادقا فيه وثالثها أن الكاهنة البغدادية التي نقلها السلطان سنجر بن ملكشاه من بغداد إلى خراسان وسألها عن الأحوال الآتية في المستقبل فذكرت أشياء ثم إنها وقعت على وفق كلامها قال مصنف هذا الكتاب نور الله تعالى قبره وأنا قد رأيت ناسا محققين في علم الكلام والحكمة حكوا عنها أنها أخبرت عن الأشياء الغائبة إخبارا على سبيل التفصيل وجاءت تلك الوقائع على وفق خبرها وبالغ أبو البركات في كتاب المعتبر في شرح حالها وقال لقد

تفحصت عن



تفحصت عن حالها مدة ثلاثين سنة حتى تيقنت أنها كانت تخبر عن المغيبات إخبارا مطابقة ورابعها أنا نشاهد أصحاب الإلهامات الصادقة وليس هذا مختصا بالأولياء فقد يوجد في السحرة أيضا من يكون كذلك ونرى الإنسان الذي يحكم على الغيب على درجة طالعة يكون كذلك في كثير من أخباره وإن كان قد يكذب أيضا في كثير من أخبار ونرى الأحكام النجومية قد يكون مطابقا موافقة للأمور وإن كانوا قد يكذبون في كثير منها وإذا كان ذلك مشاهدا محسوسا فالقول بأن القرآن يدل على خلافه مما يجر الطعن إلى القرآن وذلك باطل فعلمنا أن التأويل الصحيح ما ذكرناه أما قوله تعالى فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا فالمعنى أنه يسلك من بين يدي من ارتضى للرسالة ومن خلفه رصدا أي حفظة من الملائكة يحفظونه من وساوس شياطين الجن وتخاليطهم حتى يبلغ ما أوحي به إليه ومن زحمة شياطين الإنس حتى لا يؤذونه ولا يضرونه وعن الضحاك ما بعث الله نبيا إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين الذين يتشبهون بصور الملائكة أما قوله تعالى ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ففي الآية مسائل الأولى وحد الرسول في قوله تعالى إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ثم جمع في قوله تعالى أن قد أبلغوا رسالات ربهم ونظيره ما تقدم من قوله تعالى فإن له نار جهنم خالدين الثانية احتج من يقول بحدوث علم الله تعالى بهذه الآية لأن معنى الآية ليعلم الله أن قد أبلغوا الرسالة ونظيره قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والجواب من وجهين الأول قال مقاتل وقتادة ليعلم محمد أن الرسل قد بلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة وعلى هذا اللام في قوله ليعلم متعلق بمحذوف يدل عليه الكلام كأنه قيل أخبرناه بحفظ الوحي ليعلم أن الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ الحق ويجوز أن يكون المعنى ليعلم الرسول أن قد أبلغوا إلى جبريل والملائكة الذين يبعثون إلى الرسل أبلغوا رسالات ربهم فلا شك فيها ويعلم أنها حق من الله تعالى الثاني وهو اختيار أكثر المحققين أن المعنى ليعلم الله أن قد أبلغ الأنبياء رسالات ربهم والعلم ههنا مثله في قوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم فيعلم الله ذلك منهم الثالثة قرئ ليعلم على البناء للمفعول أما قوله تعالى وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا يدل على كونه عالما بجميع الموجودات فإن قيل إحصاء العدد إنما يكون في المتناهي فأما لفظة كل شيء فإنه لا يدل على كونه غير متناه لأن الشيء عندنا هو الموجودات والموجودات متناهية في العدد و هذه الآية أحد ما يحتج به على أن المعدوم ليس بشيء وذلك لأن المعدوم لو كان شيئا لكانت الأشياء غير متناهية وقوله تعالى وأحصى عددها يقتضي كون تلك المحصيات متناهية فيلزم الجمع بين كونها متناهية وغير متناهية وذلك محال فوجب القطع بأن المعدوم ليس بشيء حتى يندفع هذا التناقض والله تعالى أعلم

**يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا إن لك في النهار سبحا طويلا**

اعلم أن قوله تعالى يا أيها المزمل فيه مسألتان **المسألة الأولى** أجمعوا على أن المراد بالمزمل النبي عليه السلام وأصله المتزمل بالتاء وهو الذي تزمل في ثيابه أي تلفف بها فأدغم التاء في الزاي ونحوه المدثر في المتدثر واختلفوا في أنه لم تزمل بثوبه على وجوه أحدها قال ابن عباس أول ما جاءه جبريل عليه السلام خافه وظن به مسا من الجن فرجع من الجبل مرتعدا وقال زملوني فبينا هو كذلك إذ جاءه جبريل عليه السلام وناداه وقال يا أيها المزمل وثانيها قال الكلبي إنما تزمل النبي عليه السلام بثيابه ليتهيأ للصلاة وهو اختيار الفراء وثالثها أنه عليه السلام كان نائما بالليل متزملا في قطيفة فنودي بما يهجن تلك الحالة وقيل يا أيها النائم المتزمل بثوبه قم واشتغل بالعبودية ورابعها أنه كان متزملا في مرط لعائشة رضي الله تعالى عنها مستأنسا بها فقيل يا أيها المتزمل قم الليل كأنه قيل اترك نصيب النفس واشتغل بالعبودية وخامسها قال عكرمة يا أيها الذي زمل أمرا عظيما أي حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله الثالثة قرأ عكرمة المزمل والمدثر بتخفيف الزاي والدال وتشديد الميم والثاء على أنه اسم فاعل أو مفعول فإن كان على اسم الفاعل كان المفعول محذوفا والتقدير يا أيها المزمل نفسه والمدثر نفسه وحذف المفعول في هذا المقام فصيح قال تعالى وأوتيت من كل شيء وإن كان على أنه اسم المفعول كان ذلك لأنه زمل نفسه أي زمله غيره وقرئ يا أيها المتزمل على الأصل أما قوله تعالى قم الليل إلا قليلا ففيه مسألتان الأولى قال ابن عباس رضي الله عنهما إن قيام الليل كان فريضة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى قم الليل فظاهر الأمر للوجوب ثم نسخ واختلفوا في سبب النسخ على وجوه أولها كان فرضا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بها وثانيها أنه تعالى لما قال قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه

فكان الرجل لا يدري كم صلى وكم بقي من الليل فكان يقوم الليل كله مخافة ان لا يحفظ القدر الواجب وشق عليهم ذلك
حتى ورمت اقدامهم فنسخ الله تعالى ذلك بقوله في اخر هذه السورة فاقرؤا ما تيسر منه وذلك في صدر الاسلام قاله
ابن عباس رضي الله عنهما وكان بين اول هذا الايجاب وبين نسخه سنة وقال في رواية اخرى ان ايجابه كان بمكة
ونسخه كان بالمدينة ثم نسخ هذا القدر ايضا بالصلوات الخمس الفرق بين هذا القول وبين القول الاول ان في
هذا القول الاول نسخ وجوب التهجد بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القران ثم نسخ هذا بايجاب الصلوات الخمس
وفي القول الثاني نسخ ايجاب التهجد بايجاب الصلوات الخمس ابتدا وقال بعض العلماء التهجد ما كان واجبا قط والدليل
عليه وجوه اولها قوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك فبين ان التهجد نافلة له لا فرض واجاب
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بان المعنى زيادة وجوب عليك وثانيها ان التهجد لو كان واجبا على الرسول
عليه السلام لوجب على امته لقوله تعالى فاتبعوه وورود النسخ على خلاف الاصل وثالثها استدل بعضهم على
عدم الوجوب بانه تعالى قال نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه ففوض ذلك الى راي المكلف وما كان كذلك لا يكون
واجبا وهذا ضعيف لانه لا يبعد في العقل ان يقول اوجبت عليك قيام الليل فاما تقديره بالقلة والكثرة
فذلك مفوض الى رايك ثم ان القائلين بعدم الوجوب اجابوا عن التمسك بقوله تعالى قم الليل وقالوا ظاهر الامر
يفيد الندب لانا راينا اوامر الله تعالى تارة يفيد الندب وتارة يفيد الايجاب فلا بد من جعلها مفيدة للقدر
المشترك بين الصورتين دفعا للاشتراك والمجاز وما ذاك الا ترجيح جانب الفعل على جانب الترك واما
جواز الترك فانه ثابت بمقتضى الاصل فلما حصل الرجحان بمقتضى الامر وجعل جواز الترك بمقتضى الاصل
كان ذلك هو المندوب الثانية قراة ابو السماك قم الليل بفتح الميم وغيره بضم الميم قال ابو الفتح بن جني
الغرض من هذه الحركة الهرب من التقا الساكنين فباي الحركات تحركت فقد حصل الغرض وحكى قطرب
عنهم قم الليل وقل الحق وبع الثوب ثم قال ومن كسر فعلى اصل الباب ومن فتح فقد مال الى خفة الفتح اما
قوله تعالى قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه **اعلم** ان الناس قد اكثروا في
تفسير هذه الاية وعندي فيها وجهان ملخصان الاول ان المراد بقوله الا قليلا الثلث والدليل عليه
قوله تعالى في اخر السورة ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فهذه الاية
دلت على ان اكثر المقادير الواجبة الثلثان فهذا يدل على ان نوم الثلث جائز واذا كان كذلك وجب
ان يكون المراد بالقليل في قوله تعالى قم الليل الا قليلا الثلث فاذن قوله تعالى قم الليل الا قليلا معناه
قم ثلثي الليل ثم قال نصفه والمعنى او قم نصفه وهو كما يقول جالس الحسن جالس ابن سيرين اي جالس
ذا او ذا ايهما شئت فتحذف واو العطف فتقدير الاية قم الثلثين او قم النصف او انقص من النصف
او زد عليه فعلى هذا يكون الثلثان اقصى الزيادة ويكون الثلث اقصى النقصان فيكون الواجب هو الثلث
والزائد عليه يكون مندوبا فان قيل فعلى هذا التاويل يلزم ان يكون النبي عليه السلام قد ترك الواجب
لانه تعالى قال ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه على قراة نصفه وثلثه بالخفض
كان المعنى انك تقوم ادنى من ثلثي الليل واقل من النصف واقل من الثلث فاذا كان الثلث واجبا كان
عليه السلام تاركا للواجب قلنا انهم كانوا يقدرون الثلث بالاجتهاد فربما اخطاوا في ذلك الاجتهاد
ونقصوا منه شيئا قليلا فيكون ذلك ادنى من الثلث اما من ثلث الليل المعلوم بتحديد الاجزا
عند الله تعالى ولذلك قال تعالى علم ان لن تحصوه الوجه الثاني ان يكون قوله تعالى نصفه تفسيرا
لقوله قليلا وهذا التفسير جائز لوجهين الاول ان نصف الشي قليل بالنسبة الى كله والثاني ان
الواجب اذا كان هو النصف لم يخرج صاحبه عن عهدة ذلك التكليف بيقين الا بزيادة شي قليل عليه
فيصير في الحقيقة نصفا وشيا قليلا فيكون الباقي بعد ذلك اقل منه واذا ثبت هذا فنقول قم
الليل الا قليلا معناه قم الليل الا نصفه فيكون الحاصل قم نصف الليل ثم قال تعالى او انقص منه قليلا
يعني او انقص من هذا النصف نصفه حتى يبقى الربع ثم قال تعالى او زد عليه يعني او زد على هذا النصف نصفه
حتى يصير المجموع ثلثة ارباعه وحينئذ يرجع حاصل الاية الى انه تعالى خيره بين ان يقوم تمام النصف
وبين ان يقوم ربع الليل وبين ان يقوم ثلثة ارباعه وعلى هذا التقدير يكون الواجب الذي لا بد منه
هو قيام الربع والزايد عليه يكون من المندوبات والنوافل وعلى هذا التاويل يزول الاشكال الذي
ذكرتم بالكلية لان قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه يدل على انه
عليه السلام لم يقم ثلثي الليل ولا نصفه ولا ثلثه لكن لما كان الواجب هو الربع فقط لم يلزم من ترك قيام
الثلث ترك شي من الواجبات فزال الاشكال المذكور والله اعلم اما قوله تعالى ورتل القران ترتيلا
قال الزجاج رتل القران ترتيلا بينه تبيينا والتبيين لا يتم بان يعجل في القران انما يتم بان يبين جميع
الحروف ويوفي حقها من الاشباع قال المبرد اصله من قولهم ثغر رتل اذا كان بين الثنايا افتراق

ليس بالكثير



ليس بالكثير وقال الليث الترتيل تنسيق الشي وثغر رتل حسن التنضيد ورتلت الكلام ترتيلا اذا تمهلت فيه واحسنت
تاليفه وقوله تعالى ترتيلا تاكيد في ايجاب الامر به وانه مما لا بد منه للقاري **واعلم** انه تعالى لما امره بصلاة
الليل امره بترتيل القراة حتى يتمكن الخاطر من التامل في حقايق تلك الايات ودقايقها فعند الوصول الى ذكر الله تعالى
يستشعر عظمته وجلاله وعند الوصول الى الوعد والوعيد يحصل الرجا والخوف وحينئذ يستنير القلب بنوره اي
بنور معرفة الله تعالى والاسراع في القراة يدل على عدم الوقوف على المعاني لان النفس تبتهج بذكر الامور الالهية
الروحانية ومن ابتهج بشي احب ذكره ومن احب شيا لم يمر عليه بسرعة فظهر ان المقصود من الترتيل انما هو حضور
القلب وكمال المعرفة اما قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ذكروا في تفسير الثقيل وجوها احدها وهو
المختار عندي ان المراد من كونه ثقيلا عظم قدره وجلالة خطره وكل شي نفس وعلا خطره فهو ثقيل وثقيل
وثانيها وهو معنى قول ابن عباس في رواية عطا قولا ثقيلا يعني كلاما عظيما ووجه النظم انه تعالى لما امره بصلاة
الليل فكانه قال انما امرتك بصلاة الليل لانا سنلقي عليك قولا عظيما فلا بد وان تسعى في صيرورة نفسك
مستعدة لذلك القول العظيم ولا يحصل ذلك الاستعداد الا بصلاة الليل فان الانسان في الليلة الظلما
اذا اشتغل بعبادة الله تعالى واقبل على ذكره والثنا عليه والتضرع بين يديه ولم يكن هناك شي من الشواغل
الحسية والعوايق الجسمانية استعدت النفس هنالك لاشراق جلال الله تعالى فيه وتهيات للتجرد التام والانكشاف
الاعظم بحسب الطاقة البشرية فلما كان لصلاة الليل اثر في صيرورة النفس مستعدة لهذا المعنى لا جرم
قال انما امرتك بصلاة الليل لانا سنلقي عليك قولا ثقيلا فتصير نفسك مستعدة لقبول ذلك المعنى
وتمام هذا المعنى ما قاله عليه السلام ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وثالثها قالوا المراد بالقول
الثقيل القران وما فيه من الاوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين عامة وعلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم خاصة لانه يتحملها بنفسه ويبلغها الى امته وحاصله ان ثقله راجع الى ثقل العمل به فانه
لا معنى للتكليف الا الزام ما في فعله كلفة ومشقة وثالثها روي عن الحسن انه ثقيل في الميزان يوم القيمة
وهو راجع الى كثرة منافعه وكثرة الثواب على العمل به ورابعها المراد انه عليه السلام كان يثقل عليه نزول
الوحي عليه روي ان الوحي نزل عليه وهو على ناقة فثقل عليها حتى وضعت جرانها فلم تستطع ان تتحرك
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد وجهه وعن عايشة رضي الله عنها رايته ينزل
عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وخامسها قال الفرا قولا ثقيلا اي ليس بالخفيف
ولا السفساف لانه كلام ربنا تبارك وسادسها قال الزجاج معناه انه قول متين في صحته وبيانه ونفعه
كما يقول هذا الكلام رصين وهذا قول له وزن اذا كنت تستجيده وتعلم انه قد وقع موقع الحكمة والبيان
وسابعها قال ابو علي الفارسي انه ثقيل على المنافقين من حيث انه يهتك اسرارهم ومن حيث انه يبطل اديانهم
واقوالهم وثامنها ان الثقيل من شانه ان يبقى في مكانه ولا يزول فجعل الثقيل كناية عن بقا القران على
وجه الدهر كما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وتاسعها انه ثقيل بمعنى ان العقل الواحد لا يفي
بادراك فوايده ومعانيه بالكلية قال المتكلمون غاصوا في بحر معقولاته والفقها اقبلوا على البحث عن
احكامه وكذا اهل اللغة والنحو وارباب المعاني ثم لا يزال كل متاخر يفوز منه بفوايد ما وصل اليها المتقدمون
فعلمنا ان الانسان الواحد لا يقوى على الاستقلال بحمله فصار كالجبل الثقيل الذي يعجز الخلق عن حمله وعاشرها
انه ثقيل لكونه مشتملا على المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والفرق بين هذه الاقسام مما لا يقدر عليه
الا العلما الراسخون المحيطون بجميع العلوم العقلية والنقلية والحكمية فلما كان كذلك لا جرم كانت الاحاطة
به ثقيلة على اكثر الخلق **قوله تعالى** ان ناشية الليل هي اشد وطا واقوم قيلا
ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب
لا اله الا هو فاتخذه وكيلا **اعلم** ان قوله تعالى ان ناشية الليل يقال نشات تنشا نشا
فهي ناشية والانشا الاحداث فكل ما حدث فانه يقال للمذكر ناشي وللمونث ناشية اذا عرفت هذا
فنقول في الناشية قولان احدهما انها عبارة عن ساعات الليل وثانيهما انها عبارة عن الامور التي
تحدث في ساعات الليل اما القول الاول فقال ابو عبيدة ناشية الليل هي ساعاته واجزاوه المتتالية
المتعاقبة كانها حدثت واحدة بعد اخرى فهي ناشية بعد ناشية ثم القايلون بهذا القول اختلفوا
فمنهم من قال الليل كله ناشية روى ابن ابي مليكة قال سالت ابن عباس وابن الزبير عن ناشية الليل
فقالوا الليل كله ناشية وقال زين العابدين ناشية الليل ما بين المغرب الى العشا وهو قول سعيد بن جبير
والضحاك والكسائي قالوا لان ناشية الليل هي الساعة التي منها يبتدا نشو الليل القول الثاني
وهو تفسير الناشية بامور تحدث في الليل وذكروا على هذا الوجه وجوها احدها قالوا ناشية الليل هي النفس
الناشية بالليل التي تنشا من مضجعها الى العبادة اي تنهض وترتفع من نشات السحابة اذا ارتفعت

وثانيها ناشئة الليل عبادة عن قيام الليل بعد النوم قال ابن الاعرابي اذا نمت من اول الليل نومة فتلك النشاة ومنه ناشئة الليل
وعندي فيه وجه ثالث وهو ان الانسان اذا اقبل على العبادة واذكره الليل المظلم في البيت المظلم في مواضع لا تقع حواسه
مشغولة بشي من المحسوسات البتة فحينئذ يقبل القلب على الخواطر الروحانية والافكار الالهية واما النهار فان الحواس
تكون مشغولة بالمحسوسات فتصير النفوس مشغولة بالمحسوسات فلا تتفرغ الى الاحوال الروحانية والافكار الالهية فالمراد من
ناشئة الليل تلك الواردات الروحانية والخواطر النورانية التي تنكشف في ظلمة الليل بسبب فراغ الحواس وسماها ناشئة
الليل لانها لا تحدث الا في الليل بسبب ان الحواس الشاغلة للنفس معطلة في الليل ومشغولة في النهار ثم ان تلك الاشيا
الناشئة منها لانها تارة افكار وتارة تاملات وتارة انوار ومكاشفات وتارة انفعالات نفسانية من الابتهاج
بعالم القدس او الخوف منه او تخيلات احوال عجيبة فلما كانت تلك الامور الناشية اجناسا كثيرة لا يجمعها جامع الا انها امور
ناشية حادثة لا جرم لم يصفها الا بانها ناشئة الليل اما قوله تعالى هي اشد وطا واقوم قيلا اي مواطاة ملاومة وموافقة
وهي مصدر يقال واطات فلانا على كذا مواطاة ووطا ومنه قوله تعالى ليواطيوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا
فان فسرنا الناشية بالساعات كان المعنى انها اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص وان فسرناها بالنفس
الناشية كان المعنى شدة المواطاة بين القلب واللسان وان فسرناها بقيام الليل كان المعنى ما يراد من الخشوع والاخلاص
وان فسرناها بما ذكرت كان المعنى ان افضاء تلك الحيرات الى حصول المكاشفات في الليل اشد منه في النهار وعن الحسن
اشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع روية الخلايق الثالثة قرى اشد وطا بالفتح والكسر وفيه وجهان الاول
قال الفرا اي اشد ثبات قدم لان النهار يضطرب فيه الناس ويتقلبون فيه للمعاش والثاني اثقل واغلظ على المصلي
من صلاة النهار وهو من قولك اشتدت على القوم وطاة سلطانهم اذا ثقل عليهم معاملتهم معه وفي الحديث اللهم
اشدد وطاتك على مضر واعلم ان الله تعالى بين للتنبيه ان الثواب في قيام الليل على قدر شدة الوطاة وثقلها ونظيره
قوله عليه السلام افضل العبادات احمزها اي اشقها واختار ابو عبيدة القراة الاولى قال لانه تعالى لما امره بقيام
الليل ذكر هذه الاية فكانه قال انما امرتك بصلاة الليل لان موافقة القلب واللسان فيه اكمل وافضل الخواطر
الليلية الى المكاشفات الروحانية اتم اما قوله واقوم قيلا ففيه مسلتان الاولى قوله اقوم قيلا قال ابن عباس رضي الله عنه
احسن لفظا قال ابن قتيبة لان الليل تهدا فيه الاصوات وتنقطع فيه الحركات ويخلص القول ولا يكون دون تسمعه و
تفهمه حايل الثانية قرا انس واصوب قيلا فقيل له يا ابا حمزة انما هي واقوم فقال انس اقوم واصوب واهيا
واحد قال ابن جني وهذا يدل على ان القوم كانوا يعتبرون المعاني فاذا وجدوها لم يلتفتوا الى الالفاظ ونظيره ما روي
ان ابا سرار الغنوي كان يقرا فحاسوا خلال الديار بالحا غير معجمة فقيل له انما هو جاسوا فقال جاسوا وحاسوا
واحد وانا اقول يجب ان يحمل ذلك على ان انسا ذكر ذلك تفسيرا للفظ القران لا على انه جعله نفس القران اذ لو ذهبنا الى ما قاله
ابن جني لارتفع الاعتماد عن الفاظ القران ولجوزنا ان كل واحد عبر عن المعنى بلفظ رآه مطابقا لذلك المعنى ثم ربما اصاب
في ذلك الاعتقاد وربما اخطا وهذا يجر الى الطعن في القران فثبت انه يجب حمل ذلك على ما ذكرنا اما قوله تعالى ان لك في النهار
سبحا طويلا ففيه مسلتان الاولى قال المبرد سبحا طويلا اي تقلبا فيما يجب ولهذا سمي السابح لتقلبه بيديه ورجليه
ثم في كيفية المعنى وجهان الاول ان لك في النهار تصرفا وتقلبا في مهماتك فلا تتفرغ لخدمة الله تعالى الا بالليل
ولهذا السبب امرتك بالصلاة في الليل الثاني قال الزجاج ان فاتك شي من النوم والراحة فلك في النهار فراغ
فاصرفه اليه الثالثة قرئ سبخا بالخاء المنقطة من فوق وهو استعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشره
اجزائه فان القلب بالنهار يتفرق بسبب الشواغل وتختلف همومه بسبب الموجبات المختلفة واعلم انه تعالى
امر رسوله اولا بقيام الليل ثم ذكر السبب في انه لم خص الليل بذلك دون النهار ثم بين ان اشرف الاعمال المامور
عند قيام الليل ما هو فقال تعالى واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وهذه الاية تدل على انه تعالى امره بشيين
احدهما الذكر والثاني التبتل اما الذكر فاعلم انه انما قال واذكر اسم ربك هاهنا وقال في اية اخرى واذكر ربك في
نفسك تضرعا وخيفة لانه لا بد في اول الامر من ذكر الاسم باللسان مدة ثم يزول الاسم ويبقى المسمى فالدرجة الاولى
هي المراد بقوله هاهنا واذكر اسم ربك والمرتبة الثانية هي المراد بقوله في السورة الاخرى واذكر ربك في نفسك
تضرعا ثم انما يكون مستقلا بذكر الرب اذا كنت في مقام مطالعة ربوبيته وربوبيته عبارة عن انواع تربيته
لك واحسانه اليك فما دمت في هذا المقام يكون مستغرق القلب بمطالعة الايه ونعمايه فلا يكون مستغرق
القلب به وحينيذ يزداد الترقي فيصير مستغرقا بذكر الالهية واليه الاشارة بقوله تعالى اذكروا الله كذكركم اباكم
وفي هذا المقام يكون الانسان في مقام الهيبة والخشية لان الالهية اشارة الى القهارية والعزة والعلو والصمدية
ولا يزال العبد يبقى في هذا المقام مترددا في مقام الجلال والتنزيه والتقديس الى ان ينتقل منها الى مقام الهوية
والاحدية التي كلت العبارات عن شرحها وتقاصرت الاشارات عن الانتها اليها وهناك الانتها الى الواحد الحق
ثم وقوف لانه ليس هناك تطرق الصفات حتى يحصل الانتقال من صفة الى صفة ولا تلك الهوية مركبة حتى ينتقل
نظر العقل من جز الى جز فلا جهتها مناسبة الشي من الاحوال المدركة من النفس حتى تعرف على سبيل المقايسة فهي الظاهرة





لانها مبدا ظهور كل ظاهر والباطنة لانها فوق عقول المخلوقات فيبقى من احتجب عن العقول لشدة ظهوره واختفى عنه بكمال
نوره واما قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا ففيه مسلتان الاولى اعلم ان جميع المفسرين فسروا التبتل بالاخلاص واصل التبتل
القطع في اللغة وقيل لمريم البتول لانها انقطعت الى الله تعالى في العبادة وصدقة بتلة منقطعة من مال صاحبها
وقال الليث البتل تمييز الشي من الشي والبتول كل امراة تنقبض من الرجال لا رغبة لها فيهم اذا عرفت ذلك فاعلم ان للمفسرين
عبارات قال الفرا يقال للعابد اذا ترك كل شي واقبل على العبادة قد تبتل اي قطع كل شي الا امر الله تعالى وطاعته وقال زيد
ابن اسلم التبتل رفض الدنيا مع كل ما فيها والتماس ما عند الله تعالى واعلم ان معنى الاية عمر فوق ما قاله هولا الظاهريون
قوله تعالى وتبتل اليه يعني انقطع عن كل ما سواه اليه فالمشغول بطلب الاخرة غير متبتل الى الله تعالى بل متبتل الى الاخرة و
المشغول بعبادة الله تعالى متبتل الى العبادة لا الى الله والطالب لمعرفة الله تعالى متبتل الى معرفة لا الى الله فمن اثر العبادة
لنفس العبادة او لطلب الثواب او ليصير سعيدا كاملا بتلك العبودية فهو متبتل الى غير الله ومن اثر العرفان للعرفان فهو متبتل
الى العرفان ومن اثر العبودية لا للعبودية بل للمعبود والعرفان لا للعرفان بل للمعروف فقد خاض لجة الوصول وهذا مقام لا يشرحه
المقال ولا يعبر عنه الخيال ومن اراد فليكن من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ولا يجد الانسان لهذا مثالا الا العشق
الشديد الذي مرض البدن بسببه وانخمدت القوى وعميت العينان وزالت الاعراض بالكلية وانقطعت النفس عن سوى
المعشوق بالكلية فهنالك يظهر الفرق بين التبتل الى المعشوق وبين التبتل الى رؤية المعشوق الثالثة الواجب ان
يقال وتبتل اليه تبتيلا او يقال تبتل نفسك اليه تبتيلا لكنه تعالى لم يذكرهما واختار هذه العبارة لدقيقة وهي
ان المقصود بالذات انما هو التبتل واما التبتيل فهو تصرف والمتبتل بالتصرف لا يكون متبتلا الى الله تعالى لان المشتغل
بغير الله تعالى لا يكون منقطعا الى الله تعالى الا انه لابد اولا من الفعل حتى يحصل السلوك كما قال تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا فذكر التبتل اولا اشعارا بانه المقصود بالفعل وذكر التبتيل ثانيا اشعارا بانه لا بد
منه ولكنه مقصود بالعرض واعلم انه تعالى لما امره بالذكر اولا ثم بالتبتيل ثانيا ذكر السبب فيه فقال تعالى رب المشرق
والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا وفيه مسايل الاولى اعلم ان التبتل اليه لا يحصل الا بعد حصول المحبة والمحبة
لا تليق الا بالله تعالى وذلك لان سبب المحبة اما الكمال واما التكميل اما الكمال فلان الكمال محبوب لذاته ومن المعلوم
انه يمتنع ان يكون كل شي انما كان محبوبا بشي اخر والا لزم التسلسل فاذن لا بد من الانتها الى ما لاجله يكون محبوبا
لذاته والكمال محبوب لذاته فان من اعتقد ان فلانا الذي قتل هذا بالف سنة كان موصوفا بالعلم الزيد من علم ساير
الناس مال طبعه اليه واحبه شاء ام ابى ومن اعتقد في رستم انه كان موصوفا بشجاعة زايدة على شجاعة ساير
الناس احبه شاء ام ابى فعلمنا ان الكمال محبوب لذاته وكمال الكمال لله تعالى فالله تعالى محبوب لذاته فمن لم يحصل في
قلبه محبته كان ذلك لعدم علمه بكماله واما التكميل فهو ان الجواد محبوب والجواد المطلق هو الله تعالى فالمحبوب
المطلق هو الله تعالى فالتبتل المطلق لا يمكن ان يحصل الا الى الله تعالى لان الكمال المطلق له والتكميل المطلق منه فوجب
ان لا يكون التبتل المطلق الا اليه واعلم ان التبتل الى الله بسبب كونه مبدا للتكميل مقدم على التبتل
الحاصل اليه بسبب كونه كاملا في ذاته لان الانسان في مبدا السير يكون طالبا للحصة فيكون تبتله الى الله
تعالى بسبب كونه مبدا للتكميل والاحسان ثم في اخر السير يترقى عن طلب الحصة كما بينا من انه يصير طالبا
للمعروف لا للعرفان فيكون تبتله في هذه الحالة بسبب كونه كاملا فقوله تعالى رب المشرق والمغرب اشارة الى الحالة
الاولى التي هي اول درجات المتبتلين وقوله تعالى لا اله الا هو اشارة الى الحالة الثانية التي هي منتهى درجات
المتبتلين ومنتهى اقدام الصديقين فسبحان من له تحت كل كلمة سر يخفى وبعد هاتين الحالتين مقام اخر وهو
مقام التفويض وهو ان يرفع الاختيار من البين ويفوض الامر اليه بالكلية فان اراد الحق به ان يجعله متبتلا رضي
بالتبتل لا من حيث انه هو بل من حيث انه مراد الحق وان اراد به عدم التبتل رضي بعدم التبتل لا من حيث انه عدم
التبتل بل من حيث انه مراد الحق وهاهنا اخر الدرجات وقوله تعالى فاتخذه وكيلا اشارة الى هذه الحالة فهذا ما جرى
القلم به في تفسير هذه الاية وفي الزوايا خبايا ومن اسرار هذه الاية بقايا ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده
من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله المسلة الثانية في رب قراتان احديهما الرفع وفيه وجهان احدهما على المدح
والتقدير هو رب المشرق فيكون خبر مبتدا محذوف كقوله تعالى بشر من ذلكم النار وقوله تعالى متاع قليل اي تقلبهم
متاع قليل والثاني ان يرفعه بالابتدا وخبره الجملة التي هي لا اله الا هو والعايد اليه الضمير المنفصل والقراة
الثانية الخفض وفيها وجهان الاول على البدل من ربك والثاني قال ابن عباس رضي الله عنهما على القسم باضمار حرف
القسم كقولك والله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كما يقول والله لا احد في الدار الا زيد وقرا ابن عباس رضي الله
عنهما رب المشارق والمغارب اما قوله تعالى فاتخذه وكيلا فالمعنى انه لما ثبت انه لا اله الا هو لزمك ان
تتخذه وكيلا وان تفوض كل امورك اليه وهاهنا مقام عظيم فانه لما كانت معرفته انه لا اله الا هو توجب
تفويض كل الامور اليه دل هذا على ان من لا يفوض كل الامور اليه انه غير عالم بحقيقة لا اله الا هو وتقديره
ان كل ما سواه ممكن محدث وكل ممكن محدث فانه ما لم ينته الى الواجب لذاته لم يجب ولما كان الواجب لذاته

واحداً كان جميع الممكنات مستندة اليه وهذا هو المراد من قوله تعالى فاتخذه وكيلا وقال بعضهم وكيلا اي كفيلا بما وعدك من النصر والاظهار والله تعالى اعلم **قوله تعالى** واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرني والمكذبين اولي النعمة ومهلهم قليلا ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا **المعنى** انك لما اتخذتني وكيلا فاصبر على ما يقولون وفوض امرهم الي فانني لما كنت وكيلا لك اقوم باصلاح امرك احسن من قيامك باصلاح امور نفسك **واعلم** ان مهمات العباد محصورة في امرين كيفية معاملتهم مع الله تعالى وكيفية معاملتهم مع الخلق والاول اهم من الثاني فلما ذكر الله تعالى في اول هذه السورة ما يتعلق بالقسم الاول اتبعه بما يتعلق بالقسم الثاني وهو سبحانه جمع كل ما يحتاج اليه في هذا الباب في هاتين الكلمتين وذلك لان الانسان اما ان يكون مخالطا للناس او مجانبا عنهم فان خالطهم فلا بد له من المصابرة على ايذائهم وايحاشهم فانه ان كان يطمع منهم في الخير والراحة لم يجد فيبقى في الغموم والاحزان فثبت ان من اراد المخالطة مع الخلق فلا بد له من الصبر الكثير واما ان ترك المخالطة فذاك هو الهجر الجميل فثبت انه لا بد لكل انسان من احد هذين الامرين والهجر الجميل ان يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم في الافعال مع المداراة والاغضاء وترك المكافاة ونظيره قوله تعالى فاعرض عنهم وعظهم واعرض عن الجاهلين فاعرض عن من تولى عن ذكرنا قال المفسرون هذه الاية انما نزلت قبل اية القتال ثم نسخت بالامر بالقتال وقال اخرون بل ذلك هو الاخذ باذن الله تعالى فيما ادعى الى القبول فلا يرد النسخ في مثله وهذا اصح اما قوله تعالى وذرني والمكذبين اولي النعمة ومهلهم قليلا المعنى انه اذا اهتم الانسان بمهم وكان غيره قادرا على كفاية ذلك المهم على سبيل التمام والكمال قال له ذرني وذاك اي لا حاجة مع اهتمامي بذلك الى شيء اخر وهو كقوله تعالى فذرني ومن يكذب بهذا الحديث اما قوله تعالى اولي النعمة النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين اي اسر عينك وهم صناديد قريش وكانوا اهل تنعم وترفه وقوله تعالى ومهلهم قليلا فيه وجهان احدهما المراد من القليل حياة الدنيا والثاني المراد من القليل تلك المدة القليلة الباقية الى يوم بدر فان الله تعالى اهلكهم في ذلك اليوم ثم ذكر كيفية عذابهم عند الله تعالى فقال تعالى ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما اي ان لدينا في الاخرة ما يضاد تنعمهم في الدنيا وذكر امورا اربعة اولها قوله تعالى انكالا واحدها نكل ونكل قال الواحدي رحمه الله تعالى النكل القيد وقال صاحب الكشاف النكل القيد الثقيل وثانيها قوله تعالى وجحيما ولا حاجة فيه الى التفسير وثالثها قوله تعالى وطعاما ذا غصة الغصة ما يغص به الانسان وذلك الطعام هو الزقوم والضريع كما قال تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع قالوا انه شوك كالعوسج ياخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج ورابعها قوله تعالى وعذابا اليما والمراد منه سائر انواع العذاب **واعلم** انه يمكن حمل هذه المراتب الاربعة على العقوبة الروحانية اما الانكال فهي عبارة عن بقاء النفس في قيد التعلقات الجسمانية واللذات البدنية فانها في الدنيا لما اكتسبت ملكة تلك المحبة والرغبة فبعد البدن تشتد الحنين مع ان آلات الكسب قد بطلت فصارت تلك كالانكال والقيود المانعة له من التخلص الى عالم الروح والصفاء ثم يتولد من تلك القيود الروحانية نيران روحانية فان شدة ميلها الى الاحوال البدنية وعدم تمكنها من الوصول اليها توجب حرقة شديدة روحانية لمن تشتد رغبته في وجدان شيء ثم انه لا يجده فانه يحترق قلبه عليه فذاك هو الجحيم ثم انه يتجرع غصة الحرمان والم الفراق فذاك هو المراد من قوله تعالى وطعاما ذا غصة ثم انه بسبب هذه الاحوال بقي محروما عن تجلي نور الله تعالى والانخراط في سلك القدسيين وذلك هو المراد من قوله تعالى وعذابا اليما والتنكير في قوله وعذابا يدل على ان هذا العذاب اشد مما تقدم والكمل **واعلم** اني لا اقول المراد بهذه الايات هو ما ذكرته فقط بل اقول انها تفيد حصول المراتب الاربعة الجسمانية وحصول المراتب الروحانية ولا يمتنع حمله عليها وان كان اللفظ بالنسبة الى المراتب الروحانية مجازا متعارفا مشهورا ثم انه تعالى لما وصف العذاب اخبر انه متى يكون ذلك فقال تعالى يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا فيه مسائل **الاولى** قال الزجاج يوم منصوب بقوله تعالى ان لدينا انكالا وجحيما اي ينكل بالكافرين ويعذبهم يوم ترجف الارض **الثانية** الرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة الكثيب القطعة العظيمة من الرمل تجتمع محدودبة وجمعه الكثبان وفي كيفية الاشتقاق قولان احدهما انه من كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول والثاني قال الليث الكثيب نثر التراب او الشيء يرمى به والفعل اللازم انكثب ينكثب انكثابا وسمي الكثيب كثيبا لان ترابه دقاق كانه مكثوب منثور بعضه على بعض لرخاوته وقوله مهيلا اي سائلا قد سيل يقال تراب مهيل ومهيول اي مصبوب مسيل والاكثر في اللغة مهيل وهو مثل قولك مكيل ومكيول ومدين ومديون وذلك ان الياء تحذف منه الضمة فتسكن هي والواو ايضا ساكنة فتحذف الواو لالتقاء الساكنين ذكره الفراء والزجاج اذا عرف هذا فنقول انه تعالى يفرق تركيب اجزاء الجبال وينسفها نسفا ويجعلها كالعهن المنفوش فعند ذلك يصير كالكثيب ثم انه تعالى يحركها على ما قال تعالى ويوم نسير الجبال وقال تعالى وهي تمر مر السحاب وقال تعالى وسيرت الجبال فعند ذلك تصير مهيلا فانه قيل لم لم يقل وكانت الجبال كثيبا مهيلة قلنا





لانها باسرها تجتمع فتصير كثيبا واحدا مهيلا **واعلم** انه تعالى لما خوف المكذبين اولي النعمة باهوال القيامة خوفهم بعد ذلك باهوال الدنيا فقال قوله تعالى انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا الاية **واعلم** ان الخطاب لاهل مكة والمقصود تهديدهم بالاخذ الوبيل وهاهنا سؤالات الاول لم نكر الرسول ثم عرف الجواب التقدير ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه فاخذناه اخذا وبيلا فارسلنا اليكم رسولا ايضا فعصيتم ذلك الرسول فلا بد وان ياخذكم اخذا وبيلا الثاني هل يمكن التمسك بهذه الاية في اثبات ان القياس حجة الجواب نعم لان الكلام انما ينتظم لو قست احدى الصورتين على الاخرى فان قيل هب ان القياس في هذه الصورة حجة فلم قلتم انه في سائر الصور حجة وحينئذ يحتاج الى قياس سائر القياسات على هذا القياس فيكون ذلك اثباتا للقياس بالقياس وانه غير جائز قلنا لا يثبت سائر القياسات بالقياس على هذه الصورة والا لزم المحذور الذي ذكرتم بل وجه التمسك هو ان نقول لولا انه تمهد عندهم ان الشيئين اللذين يشتركان في مناط الحكم ظنا يجب اشتراكهما في الحكم والا لما اورد هذا الكلام في هذه الصورة وذلك لان احتمال الفرق المرجوح قائم هاهنا فان لقائل ان يقول لعلهم انما استوجبوا الاخذ الوبيل لخصوص حال العصيان في تلك الصورة وتلك الخصوصية غير موجودة هاهنا فلا يلزم حصول الاخذ الوبيل هاهنا ثم انه تعالى مع قيام هذا الاحتمال جزم بالتسوية في الحكم فهذا الجزم لا بد وان يقال انه كان مسبوقا بتقرير انه متى وقع الاشتراك في المناط الظاهر وقع الجزم بالاشتراك في الحكم وانه بمجرد احتمال الفرق بلا شيء التي لا يعلم كونها مناسبة للحكم لا يكون قادحا في تلك التسوية ولا نعني بقولنا القياس حجة الا هذا السؤال الثالث لم ذكر في هذا الموضع قصة موسى وفرعون على التعيين دون سائر الرسل والامم الجواب لان اهل مكة ازدروا محمدا عليه السلام واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى موسى لانه رباه وولد فيما بينهم وهو قوله تعالى الم نربك فينا وليدا السؤال الرابع ما معنى كون الرسول شاهدا عليهم الجواب من وجهين الاول انه شاهد عليهم يوم القيامة بكفرهم وتكذيبهم الثاني المراد كونه مبينا للحق في الدنيا ومبينا لبطلان ما هم عليه من الكفر لان الشاهد لشهادته يتبين الحق ولذلك وصفت بانها بينة ولا يمتنع ان يوصف عليه السلام بذلك من حيث يبين وهذا بعيد لان الله تعالى قال وكذلك جعلناكم امة وسطا اي عدلا خيارا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فبين انه يكون شاهدا عليهم في المستقبل ولان حمله على الشهادة في الاخرة حقيقة وحمله على البيان مجاز والحقيقة اولى السؤال الخامس ما معنى الوبيل الجواب فيه وجهان الاول الوبيل الثقيل الغليظ ومنه قولهم صار هذا وبالا عليه اي افضى به الى غاية المكروه ومن هذا قيل للمطر العظيم وابل والوبيل العصا الضخمة الثاني قال ابو زيد الوبيل الذي لا يستمرى وماء وبيل اي وخيم اذا كان غير مريء وكلاء مستوبل اذا ادت عاقبته الى مكروه واذا عرفت هذا فنقول قوله تعالى اخذناه اخذا وبيلا يعني الغرق قال الكلبي ومقاتل وقتادة ثم انه تعالى عاد الى تخويفهم بالقيامة مرة اخرى فقال تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا وفيه مسائل **الاولى** قال الواحدي في الاية تقديم وتاخير والتقدير فكيف تتقون يوما يجعل الولدان شيبا ان كفرتم **الثانية** ذكر صاحب الكشاف في قوله يوما وجوها الاول انه مفعول به اي كيف تتقون انفسكم يوم القيامة وهوله ان بقيتم على الكفر والثاني ان يكون ظرفا اي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا والثالث ان ينتصب بكفرتم على تاويل جحدتم اي فكيف تتقون الله تعالى وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء لان تقوى الله لا معنى لها الا خوف عقابه الثالثة انه تعالى ذكر من اهوال ذلك اليوم امرين الاول قوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا وفيه وجهان الاول انه مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم تشيب فيه النواصي اي نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان اسرع فيه الشيب لان كثرة الهموم يوجب انعصار الروح الى داخل القلب وذلك الانعصار يوجب انطفاء الحرارة الغريزية وانطفاء الحرارة الغريزية وضعفها يوجب بقاء الاجزاء الغذائية غير تامة النضج وذلك يوجب استيلاء البلغم على الاخلاط وذلك يوجب ابيضاض الشعر فلما راوا ان حصول الشيب من لوازم كثرة الهموم جعلوا الشيب كناية عن الشدة والمحنة وليس المراد ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا حقيقة لان ايصال الالم والخوف الى الصبيان غير جائز يوم القيامة الثاني يجوز ان يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب ولقد سالني بعض الادباء عن قول المعري وجني علا الفودين شيبا وقال كيف يفضل هذا التشبيه الذي في القرآن على بيت المعري فقلت من وجوه احدها ان امتلاء الفودين من الشيب ليس بعجيب اما صيرورة الولدان شيبا فهو عجيب وكان شدة ذلك اليوم نقلهم من سن الطفولية الى سن الشيخوخة من غير ان يمروا فيما بين الحالتين بسن الشباب وهذا هو المبالغة العظيمة في وصف اليوم بالشدة وثانيها ان امتلاء الفودين من الشيب معناه ابيضاض الشعر وقد يبيض الشعر لعلة مع ان قوة الشباب تكون باقية فهذا ليس فيه مبالغة واما الاية فانها تدل على صيرورة الولدان شيوخا في الضعف والنحافة وعدم طراوة الوجه وذلك نهاية في شدة ذلك اليوم وثالثها ان امتلاء الفودين من الشيب ليس فيه مبالغة لان جانبي الراس موضع الرطوبات الكثيرة البلغمية ولهذا السبب فان الشيب انما يقع اولا في الصدغين وبعده في سائر جوانب الراس فحصول الشيب في الفودين ليس بمبالغة انما المبالغة هو استيلاء الشيب على جميع اجزاء الراس بل على

جميع اجزاء البدن كما هو مذكور في الاية النوع الثاني من اهوال يوم القيامة قوله تعالى السماء منفطر به وهذا وصف لليوم بالشدة ايضا وان السماء على عظمها وقوتها تنفطر منه فما ظنك بغيرها من الخلائق ونظيره اذا السماء انفطرت وفيه سؤالات الاول لم لم يقل منفطرة الجواب من وجوه احدها روى ابو عبيدة عن ابي عمرو بن العلا انه قال السماء منفطر ولم يقل منفطرة لان مجازها مجاز السقف تقول هذا سماء البيت وثانيها قال الفراء السماء تؤنث وتذكر وهي هنا في وجه التذكير وانشد فلو رفع السماء اليه يوما لحقنا بالنجوم وبالسحاب وثالثها ان تانيث السماء ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز تذكيره قال الشاعر والعين بالاثمد الحارى مكحول وقال الاعشى فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها ورابعها ان يكون تقديره السماء ذات انفطار فيكون من باب الجراد المنتشر والشجر الاخضر واعجاز نخل منقعر وكقولهم امراة مرضع اي ذات رضاع السؤال الثاني ما معنى منفطر به الجواب من وجوه احدها قال الفراء المعنى منفطر فيه اي منفطر لشدة ذلك اليوم وهو كما يتفطر الشيء بما يتفطر به وثالثها يجوز ان يراد السماء مثقلة به اثقالا يؤدي الى انفطارها لعظم تلك الواقعة عليها وخشيتها منها كقوله ثقلت في السموات والارض اما قوله تعالى كان وعده مفعولا فاعلم ان الضمير في قوله وعده يحتمل ان يكون عائدا الى المفعول وان يكون عائدا الى الفاعل اما الاول فان يكون المعنى وعد ذلك اليوم مفعولا اي الوعد المضاف الى ذلك اليوم واجب الوقوع لان حكمة الله تعالى وعلمه يقتضيان ايقاعه واما الثاني فان يكون المعنى وعد الله واقع لا محالة لانه تعالى منزه عن الكذب وههنا وان لم يجر ذكر الله تعالى ولكنه حسن عود الضمير لكونه معلوما واعلم انه تعالى بدا في اول السورة بشرح احوال السعداء ومعلوم ان احوالهم قسمان احدهما ما يتعلق بالدين وطاعة المولى فقدم ذلك والثاني ما يتعلق بالمعاملة مع الخلق وبين ذلك بقوله تعالى فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا واما الاشقياء فقد بدا بتهديدهم على سبيل الاجمال وهو قوله تعالى وذرني والمكذبين ثم ذكر بعده عذاب الدنيا وهو الاخذ الوبيل في الدنيا ثم وصف بعده شدة يوم القيمة فعند هذا تم الكلام بالكلية فلا جرم ختم ذلك الكلام بقوله تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي هذه الايات تذكرات مشتملة على انواع الهداية والارشاد فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا واتخاذ السبيل عبارة عن الاشتغال بالطاعة والاحتراز عن المعصية والله تعالى اعلم بالصواب

**قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطايفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقروا ما تيسر من القران علم ان سيكون منكم مرضى واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله**

اعلم ان قوله تعالى ان ربك يعلم فيه مسلتان الاولى من قوله تعالى ادنى من ثلثي الليل اي اقل منهما وانما استعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك الثانية قرئ نصفه وثلثه بالنصب والمعنى انك تقوم اقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث وقرئ ونصفه وثلثه بالجر اي تقوم اقل من الثلثين والنصف والثلث لكنا بينا في تفسير قوله تعالى قم الليل الا قليلا انه لا يلزم من هذا ان تعالى انه عليه السلام كان تاركا للواجب وقال طايفة من الذين معك وهم اصحابك يقومون من الليل هذا المقدار المذكور ثم قال تعالى والله يقدر الليل والنهار يعني ان العالم بمقادير اجزاء الليل والنهار ليس الا الله تعالى اما قوله تعالى علم ان لن تحصوه فيه مسلتان المسالة الاولى الضمير في ان لن تحصوه عايد الى مصدر مقدر اي علم انه لا يمكنكم ايضا تحصيل تلك المقادير على سبيل الظن والاحتياط الا مع المشقة التامة الثانية قال مقاتل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة ان لا يصيب ما امر به من قيام ما فرض عليه الثانية احتج بعضهم على تكليف ما لا يطاق بانه تعالى قال لن تحصوه اي لن تطيقوه ثم انه تعالى كان قد كلفهم به ويمكن ان يجاب عنه بان المراد صعوبته لا انهم لا يقدرون عليه كقول القايل ما اطيق ان انظر الى فلان اذا استثقل النظر اليه اما قوله تعالى فتاب عليكم هو عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر كقوله تعالى فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن والمعنى انه رفع التبعة عنكم في ترك هذا العمل كما رفع التبعة عن التايب ثم قال تعالى فاقروا ما تيسر من القران وفيه قولان الاول ان المراد من هذه القراة الصلوة لان القراة احد اجزاء الصلوة فاطلق اسم الجزء على الكل اي فصلوا ما تيسر عليكم ثم ههنا قولان الاول قال الحسن يعني في صلوة المغرب والعشا وقال اخرون بل نسخ وجوب ذلك التهجد واكتفى بما تيسر منه ثم نسخ ذلك ايضا بالصلوات الخمس القول الثاني ان المراد من قوله تعالى فاقروا ما تيسر من القران قراة القران بعينها والغرض منه دراسة القران ليحصل الامن من النسيان قيل يقرا مائة اية وقيل من قرا مائة اية كتب من العابدين وقيل خمسين اية ومنهم من قال بل السورة القصيرة كافية لان اسقاط التهجد انما كان دفعا للحرج وفي القراة الكثيرة حرج فلا يمكن اعتبارها وههنا بحث اخر وهو ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال سقط عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل وصار تطوعا وبقي ذلك فرضا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى ذكر الحكمة في هذا النسخ فقال تعالى علم ان سيكون منكم مرضى الاية اعلم ان هذه الاية جواب سوال مقدر كانه قيل لم نسخ الله تعالى ذلك فقال لانه علم كذا وكذا والمعنى لتعذر القيام على المرضى والضاربين في الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله اما المرضى فانه لا يمكنهم الاشتغال بالتهجد لمرضهم واما المسافرون والمجاهدون فهم مشتغلون في النهار بالاعمال الشاقة فلو لم يناموا بالليل لتوالت اسباب المشقة عليهم وهذا السبب كان موجودا في حق النبي عليه السلام كما قال تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا فلا جرم صار وجوب التهجد في حقه منسوخا ومن لطايف هذه الاية انه تعالى سوى بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال عن ابن مسعود ايما رجل جلب شيا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا





فباعه بسعر يومه كان عند الله تعالى من الشهداء ثم اعاد مرة اخرى قوله تعالى فاقروا ما تيسر منه وذلك للتاكيد ثم قال تعالى واقيموا الصلوة يعني المفروضة واتوا الزكاة اي الواجبة وقيل زكاة الفطر لانه لم يكن بمكة زكاة وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكاة الواجبة جعل اخر السورة مدنيا اما قوله تعالى واقرضوا الله قرضا حسنا فيه ثلثة اوجه احدها انه يريد ساير الصدقات وثانيها يريد اداء الزكاة على احسن وجه من اخراج اطيب الاموال واكثرها نفعا للفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله تعالى والصرف الى المستحق وثالثها يريد كل شي يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال ثم ذكر تعالى الحكمة في اعطاء المال فقال تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخرونه اي وصيتك عند الموت وقال الزجاج وما تقدموا لانفسكم تجدوه عند الله تعالى خيرا لكم من متاع الدنيا والقول ما قال ابن عباس رضي الله عنهما الثانية معنى الاية وما تقدموا لانفسكم من خير فانكم تجدوه عند الله خيرا واعظم اجرا بالرفع على الابتدا ثم قال تعالى واستغفروا الله لذنوبكم وللتقصيرات الصادرة منكم خاصة في قيام الليل ان الله غفور لذنوب المومنين رحيم لهم وفي الغفور قولان احدهما انه غفور لجميع الذنوب وهو قول مقاتل والثاني انه غفور رحيم لمن يصر على الذنوب واحتج مقاتل على قوله بوجهين الاول ان قوله تعالى غفور يتناول التايب والمصر بدليل انه يصح استثناء كل واحد منهما عنه وحكم الاستثناء اخراج ما لولاه لدخل والثاني ان غفران التايب واجب عند الخصم فلا يحصل المدح باداء الواجب والغرض من الاية تقرير المدح فوجب حمله على الكل تحقيقا للمدح والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

**يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير** فيه مسايل

المسالة الاولى المدثر اصله المتدثر وهو الذي يتدثر بثيابه لينام او ليستدفي يقال تدثر بثوبه والدثار اسم لما يتدثر به ثم ادغمت التاء في الدال لتقارب مخرجيهما الثانية اجمعوا على ان المدثر هو رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا في انه لم سمي مدثرا فمنهم من اجراه على ظاهره وهو انه عليه السلام كان متدثرا بثوبه ومنهم من ترك هذا الظاهر اما على الوجه الاول فاختلفوا في انه لاي سبب تدثر بثوبه على وجوه احدها ان هذا من اوايل ما نزل من القران روى جابر ابن عبد الله انه عليه السلام قال كنت على جبل حرا فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وعن يساري فلم ار شيا فنظرت فوقي فرايت الملك قاعدا على عرش بين السماء والارض فخفت فرجعت الى خديجة رضي الله عنها فقلت دثروني دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى يا ايها المدثر وثانيها ان النفر الذين اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ابو جهل وابو لهب وابو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وامية بن خلف والعاص بن وايل اجتمعوا وقالوا ان وفود العرب يجتمعون في ايام الحج ويسالوننا عن امر محمد فكل منا يجيب بجواب اخر فواحد يقول مجنون واخر يقول كاهن واخر يقول شاعر فالعرب يستدلون باختلاف الاجوبة على كون هذه الاجوبة باطلة فتعالوا نجتمع على تسمية محمد باسم واحد فقال واحد انه شاعر فقال الوليد سمعت كلام عبيد بن الابرص وكلام امية بن ابي الصلت وكلامه ما يشبه كلامهم فقال اخر هو كاهن فقال الوليد ومن الكاهن قالوا يصدق تارة ويكذب اخرى قال الوليد ما كذب محمد قط فقال اخر انه مجنون قال الوليد ومن يكون المجنون قال يخيف الناس فقال الوليد ما اخيف محمد احدا قط ثم قام الوليد فانصرف الى بيته فقال الناس صبا الوليد بن المغيرة فدخل عليه ابو جهل وقال ما لك يا ابا عبد شمس هذه قريش تجمع لك شيا زعمت انك احتجت وصبات فقال الوليد ما لي اليه حاجة ولكني فكرت في محمد فقلت انه ساحر لان الساحر هو الذي يفرق بين الاب وابنه وبين الاخوين وبين المراة وزوجها ثم انهم اجمعوا على تلقيب محمد صلى الله عليه وسلم بهذا اللقب ثم انهم خرجوا فصرخوا بمكة والناس مجتمعون فقالوا ان محمدا لساحر فوقعت الصيحة في الناس ان محمدا لساحر فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اشتد عليه ورجع الى بيته محزونا فتدثر بقطيفة فانزل الله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر وثالثها انه عليه السلام كان نايما متدثرا بثيابه فجاءه جبريل عليه السلام وايقظه وقال يا ايها المدثر قم فانذر كانه قال اترك التدثر بالثياب والنوم واشتغل بهذا المنصب الذي نصبك الله له القول الثاني انه ليس المراد من المدثر المتدثر بالثياب وعلى هذا الاحتمال فيه وجوه احدها ان المراد كونه متدثرا بدثار النبوة والرسالة من قولهم البسه الله لباس التقوى وزينه برداء العلم ويقال تلبس فلان بامر كذا فالمراد يا ايها المدثر بدثار النبوة قم فانذر وثانيها ان المتدثر بالثوب يكون كالمختفي فيه وانه عليه السلام في جبل حرا كان كالمختفي من الناس فكانه قيل يا ايها المدثر بدثار الخمول والاختفاء قم بهذا الامر واخرج من زاوية الخمول واشتغل بانذار الخلق والدعوة الى معرفة الحق وثالثها انه تعالى جعله رحمة للعالمين فكانه قيل له يا ايها المدثر بانوار العلم العظيم والخلق الكريم والرحمة الكاملة قم فانذر عذاب ربك المسالة الثالثة عن عكرمة انه قرا على لفظ اسم المفعول مدثر كانه قيل له دثرت هذا الامر وقد سبق نظيره في المزمل اما قوله تعالى قم فانذر

في قوله قم وجهان احدهما قوله تعالى قم من مضجعك والثاني قم قيام عزم وتصميم وفي قوله تعالى فانذر وجهان احدهما
حذر قومك من عذاب الله تعالى ان لم يؤمنوا وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قم نذيرا للبشر واحتج القائلون بالقول
الاول بقوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين واحتج القائلون بالقول الثاني بقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس
بشيرا ونذيرا وههنا قول ثالث وهو ان المراد من قوله فانذر اي فاشتغل بفعل الانذار كانه يقول تهيأ لهذه الحرفة فانه
فرق بين ان يقال تعلم صنعة المناظرة وبين ان يقال ناظر زيدا اما قوله تعالى وربك فكبر فيه مسئلتان الاولى ذكروا
في تفسير التكبير وجوها الاول قال الكلبي عظم ربك عما يقوله عبدة الاوثان وثانيها قال مقاتل هو ان يقال الله اكبر
روي انه لما نزلت هذه الآية قام النبي عليه السلام فقال الله اكبر كبيرا فكبرت خديجة رضي الله تعالى عنها
وفرحت وعلمت انه اوحي اليه وثالثها المراد منه التكبير في الصلوات الخمس فان قيل هذه السورة نزلت في اول
المبعث وما كانت الصلوة واجبة في ذلك الوقت قلنا لا يبعد انه كانت له عليه السلام صلوات تطوعية فامر ان
يكبر ربه فيها ورابعها يحتمل عندي ان يكون المراد انه لما قيل له قم فانذر قيل بعد ذلك وربك فكبر عن اللغو والعبث
واعلم انه ما امرك بهذا الانذار الا لحكمة بالغة ومهمات عظيمة لا يجوز لك الاخلال بها فقوله تعالى وربك كالتأكيد
في تقرير قوله تعالى قم فانذر وخامسها عندي فيه وجه آخر وهو انه تعالى لما امره بالانذار فكان سائلا سأل وقال
بماذا ننذر فقال بان تكبر ربه عن الشركاء والاضداد والانداد ومشابهة الممكنات والمحدثات ونظيره قوله تعالى
في سورة النحل ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وهذا تنبيه على ان الدعوة الى معرفة الله تعالى ومعرفة تنزيهه
مقدمة على سائر انواع الدعوة المسئلة الثانية الفاء في قوله تعالى فكبر ذكروا فيه وجوها احدها قال ابو الفتح الموصلي
يقال زيدا فاضرب وعمرا فاشكر فعنده ان الفاء زائدة وثانيها قال صاحب الكشاف الفاء لافادة معنى الشرط والتقدير
اي شيء كان فلا تدع تكبيره وثالثها قال الزجاج دخلت الفاء لافادة معنى الجزاء والمعنى قم فكبر ربك وكذلك ما بعده
على هذا التأويل اما قوله تعالى وثيابك فطهر اعلم ان معنى هذه الآية يقع على اربعة اوجه احدها ان يترك لفظ
الثياب والتطهير ظاهره والثاني ان يترك لفظ الثياب على حقيقته ويحمل لفظ التطهير على مجازه والثالث
ان يحمل لفظ الثياب على مجازه ويترك لفظ التطهير على حقيقته والرابع ان يحمل اللفظين على المجاز اما الاحتمال
الاول وهو ان يترك لفظ الثياب ولفظ التطهير على حقيقته فهو ان يقول المراد منه انه عليه السلام امر بتطهير
ثيابه من الانجاس والاقذار وعلى هذا التقدير يظهر في الآية ثلاث احتمالات احدها قال الشافعي رضي الله عنه
المقصود منه الاعلام بان الصلاة لا تجوز الا في ثياب طاهرة من الانجاس وثانيها قال عبد الرحمن بن زيد بن
اسلم كان المشركون ما كانوا يصونون ثيابهم عن النجاسات فامر الله تعالى رسوله عليه السلام بان يصون ثيابه
عن النجاسات وثالثها روي انهم القوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلا شاة فشق عليه فرجع الى بيته
حزينا وتدثر بثيابه فقيل يا ايها المدثر قم فانذر ولا يمنعك تلك السفاهة عن الانذار وربك فكبر عن ان لا ينتقم
منهم وثيابك فطهر عن تلك النجاسة والقاذورات الاحتمال الثاني ان يبقى لفظ الثياب على حقيقته
ويحمل لفظ التطهير على المجاز فههنا قولان احدهما ان المراد من قوله تعالى فطهر اي فقصر وذلك لان العرب
كانوا يطولون ثيابهم ويجرون اذيالهم فكانت ثيابهم تتنجس ولان تطويل الذيل انما يفعل للخيلاء والكبر
فنهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك القول الثاني وثيابك فطهر اي ينبغي ان تكون الثياب التي تلبسها
مطهرة عن ان تكون مغصوبة او محرمة بل تكون مكتسبة من وجه حلال الاحتمال الثالث ان يبقى لفظ
التطهير على حقيقته ويحمل الثياب على مجازه وذلك ان يحمل لفظ الثياب على الجسد وذلك لان العرب ما كانوا
ينتظفون وقت الاستنجاء فامر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك التنظيف وقد يجعل لفظ الثياب كناية
عن النفس قال عنترة فشككت بالرمح الاصم ثيابه اي نفسه ولهذا قال ليس الكريم على القنا بمحرم الاحتمال
الرابع وهو ان يحمل لفظ الثياب ولفظ التطهير على المجاز وذكروا على هذا الاحتمال وجوها الاول وهو قول
اكثر المفسرين وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وعن الحسن وثيابك فطهر قال وخلقك فحسن قال القفال
وهذا يحتمل وجوها احدها ان الكفار لما لقبوه بالساحر شق ذلك عليه جدا حتى رجع الى بيته وتدثر
بثيابه وكان ذلك اظهار جزع وقلة صبر يقتضيه سوء الخلق فقيل له قم فانذر ولا تحملنك سفاهتهم
على ترك انذارهم بل حسن خلقك والثاني انه زجر عن التخلق باخلاقهم فقيل له طهر ثيابك اي قلبك
عن اخلاقهم في الافتراء والتقول والكذب وقطع الرحم الثالث طهر قلبك ونفسك على ان تعزم على الانتقام
منهم والاساءة عليهم ثم اذا فسرنا الآية بهذا الوجه ففي كيفية اتصالها بما قبلها وجهان الاول في اول السورة
بالمدثر فقال تعالى يا ايها المدثر وكان التدثر لباسا والدثار من الثياب قيل طهر ثيابك التي انت متدثر بها
على ان يلبسها على هذا التفكر والجزع والضجر من افتراء المشركين الوجه الثاني ان يفسر المدثر بكونه متدثرا
بالنبوة كانه قيل يا ايها المدثر بالنبوة طهر ما تدثرت به عن الجزع وقلة الصبر والغضب والحقد فان ذلك
لا يليق بهذا الدثار ثم اوضح ذلك بقوله تعالى ولربك فاصبر واعلم ان حمل المدثر على المتصف ببعض الصفات

ويقال



ويقال فلان دنس الثياب اذا كان موصوفا بالاخلاق الذميمة قال الشاعر ولا اب وابنا مثل مروان وابنه
اذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا والسبب في حسن هذه الكناية وجهان الاول ان الثوب كالشيء الملازم للانسان
فلهذا السبب جعلوا الثوب كناية عن الانسان فيقال المجد في ثوبه والعفة في ازاره والثاني ان الغالب ان من
طهر باطنه فانه يطهر ظاهره الوجه الرابع في تأويل الآية ان قوله تعالى وثيابك فطهر امر بالاحتراز عن الآثام
والاوزار التي كان يقدم عليها قبل النبوة وهذا على تأويل من حمل قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي
انقض ظهرك على ايام الجاهلية الوجه الخامس في تأويل الآية قال محمد بن عرفة النحوي معناه نساءك طهرهن
وقد يكنى عن النساء بالثياب قال تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن وهذا التأويل بعيد لان على هذا الوجه
لا يحسن اتصال الآية بما قبلها اما قوله تعالى والرجز فاهجر فيه مسائل الاولى ذكروا في الرجز وجوها الاول قال
العتبي الرجز العذاب قال الله تعالى لئن كشفت عنا الرجز اي العذاب ثم سمي كيد الشيطان رجزا لانه سبب
للعذاب وسميت الاصنام رجزا لهذا المعنى ايضا فعلى هذا القول تكون الآية دالة على وجوب الاحتراز عن
كل المعاصي ثم على هذا القول احتمالان احدهما ان قوله تعالى والرجز فاهجر يعني كل ما يؤدي الى الرجز فاهجره
والتقدير وذا الرجز فاهجر اي ذا العذاب فيكون المضاف محذوفا والثاني انه سمي ما يؤدي الى العذاب عذابا
على تسمية الشيء باسم ما يجاوره ويتصل به الوجه الثاني ان الرجز اسم للقبيح المستقذر وهو معنى الرجس
فقوله تعالى والرجز فاهجر كلام جامع في مكارم الاخلاق كانه قيل له اهجر الجفاء والسفه وكل شيء قبيح ولا
تتخلق باخلاق هؤلاء المشركين المستعملين الرجز وهذا يشاكل تأويل من فسر قوله تعالى وثيابك فطهر على تحسين
الخلق وتطهير النفس عن المعاصي والقبائح المسئلة الثانية احتج من جوز المعاصي على الانبياء بهذه الآية قالوا لولا انه
كان مشتغلا بها والا لما زجر عنها بقوله تعالى والرجز فاهجر والجواب المراد منه الامر بالمداومة على ذلك
الهجران كما ان المسلم اذا قال اهدنا فليس معناه انا لسنا على الهداية فاهدنا بل المراد منه ثبتنا على الهداية
فكذا ههنا الثالثة قرأ عاصم في رواية حفص والرجز فاهجر بضم الراء في هذه السورة وفي سائر القرآن بكسر
الراء وقرأ الباقون وعاصم في رواية ابي بكر بالكسر وقرأ يعقوب بالضم ثم قال الفراء هما لغتان والمعنى واحد
وفي كتاب الخليل الرجز بضم الراء عبادة الاوثان وبكسر الراء العذاب ووسواس الشيطان ايضا رجز وقال ابو عبيدة
افشى اللغتين واكثرهما الكسر اما قوله تعالى ولا تمنن تستكثر وفيه مسائل المسئلة الاولى القراءة المشهورة تستكثر
برفع الراء وفيه ثلثة اوجه احدها ان يكون التقدير لا تمنن تستكثر فنزع اللام فترتفع وثانيها ان
يكون التقدير لا تمنن لان تستكثر ثم تحذف لان الناصبة فتسلم الكلمة من الناصب والجازم فترتفع
لان تستكثر ثم تحذف لان الناصبة فتسلم الكلمة من الناصب والجازم فترتفع ويكون مجاز الكلام لا تعط لان
تستكثر وثالثها انه حال متوقعة اي لا تمنن مقدرا ان تستكثر وقال ابو علي الفارسي هو مثل قولك مررت برجل
معه صقر صائدا به غدا اي مقدرا الصيد فكذا ههنا المعنى مقدرا الاستكثار قال ويجوز ان يحكى به حالة آتية
اذا عرفت هذا فنقول ذكروا في تفسير الآية وجوها احدها انه تعالى امره قبل هذه الآية باربعة اشياء انذار
القوم وتكبير الرب وتطهير الثياب وهجر الرجز ثم قال تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تمنن على ربك بهذه الاعمال
الشاقة كالمستكثر لما يفعله بل اصبر على ذلك كله لوجه ربك متقربا بذلك اليه غير ممتن به عليه قال
الحسن لا تمنن على ربك بحسناتك فتستكثرها وثانيها لا تمنن على الناس بما تعلمهم من امر الدين والوحي
كالمستكثر لذلك الانعام فانك انما فعلت ذلك بامر الله تعالى فلا منة لك عليهم ولهذا قال تعالى ولربك
فاصبر وثالثها لا تمنن عليهم بنبوتك اي لتستكثر اي لتأخذ منهم على ذلك اجرا تستكثر به مالك ورابعها
لا تمنن اي لا تضعف من قولهم حبل منين اي ضعيف ويقال امنه السير اي اضعفه والتقدير فلا تمنن ان تستكثر
من هذه الطاعات الاربعة التي امرت بها قبل هذه الآية ومن ذهب الى هذا قال مثل قوله تعالى افغير الله تأمروني
اعبد اي ان اعبد فحذفت ان وذكر الفراء ان في قراءة عبد الله ولا تمنن ان تستكثر وهذا يشهد لهذا التأويل
وهذا القول اختيار مجاهد وخامسها وهو قول اكثر المفسرين ان تفسير قوله ولا تمنن اي لا تعط تقول مننت
فلانا كذا اي اعطيته قال تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك اي فاعط او امسك واصله ان من اعطى
فقد من فسميت العطية بالمن على سبيل الاستعارة فالمعنى ولا تعط مالك لاجل ان تأخذ اكثر منه وعلى
هذا التأويل سؤالات الاول ما الحكمة في ان الله تعالى منعه عن هذا العمل الجواب الحكمة فيه من وجوه الاول
لاجل ان تكون عطاياه لاجل الله تعالى لا لاجل طلب الدنيا فانه نهى عن طلب الدنيا في قوله ولا تمدن عينيك
وذلك لان طالب الدنيا لا بد وان تكون الدنيا عنده عزيزة ومن كان كذلك لم يصلح لاداء الرسالة الثاني
ان من اعطى القليل من الدنيا ليأخذ الكثير لا بد وان يتواضع لذلك الغني ويتضرع له وذلك لا يليق
بمنصب النبوة لانه يوجب دناءة الآخذ لهذا السبب حرمت الصدقات عليه وتنفير المأخوذ منه ولهذا
قال تعالى ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون السؤال الثاني هذا النهي مختص بالرسول عليه السلام

امر يتناول الامة الجواب ظاهر اللفظ لا يفيد العموم وقرينة الحال لا يقتضي العموم لانه عليه انما نهي عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة وهذا المعنى غير موجود في الامة ومن الناس من قال هذا المعنى في حق الامة هو الربوا والله تعالى منع امته من ذلك السؤال الثالث بتقدير ان يكون النهي مختصا بالنبي عليه السلام فهو نهي تحريم ام نهي تنزيه الجواب ظاهر النهي للتحريم الوجه السادس في تاويل الاية قال القفال يحتمل ان يكون المقصد من الاية ان يحرم على النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطي احدا شيا لطلب عوض سواء كان ذلك العوض زايدا او ناقصا او مساويا ويكون معنى قوله تستكثر اي طالبا للكثرة كارها ان ينقص المال بسبب العطاء فيكون الاستكثار ههنا عبارة عن طلب العوض كيف كان وانما حسنت هذه الاستعارة لان الغالب ان الثواب يكون زايدا على العطا فسمي طلب الثواب استكثارا حملا للشي على اغلب احواله وهذا كما ان الاغلب ان المراة انما تتزوج ولها ولد للحاجة الى من يربي ولدها فسمي الولد ربيبا ثم اتسع الامر فسمي ربيبا وان كان حين تتزوج امه كبيرا ومن ذهب الى هذا القول قال السبب فيه ان يصير عطاء النبي عليه السلام خاليا عن انتظار العوض والتفات النفس اليه فيكون ذلك خالصا مخلصا لوجه الله تعالى الوجه السابع ان يكون المعنى فلا تمنن على الناس بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثارا منك لتلك العطية بل ينبغي ان تستقلها وتستحقرها ويكون كالمعتذر من ذلك المنعم عليه في ذلك الانعام فان الدنيا باسرها قليلة فكيف ذلك القدر الذي هو قليل في غاية القلة بالنسبة الى الدنيا وهذه الوجوه الثلاثة الاخيرة كالمترتبة فالوجه الاول معناه كونه عليه السلام ممنوعا من طلب الزيادة في العوض والوجه الثاني معناه كونه ممنوعا عن طلب مطلق العوض زايدا كان او مساويا او ناقصا والوجه الثالث معناه ان يعطي وينسب نفسه الى التقصير ويجعل نفسه تحت منة المنعم عليه حيث قبل منه ذلك الانعام الوجه الثامن معناه اذا اعطيت شيا فلا ينبغي ان تمن عليه بسبب انك تستكثر تلك العطية فان المن محبط لثواب العمل قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى المسلة الثالثة قرا الحسن تستكثر بالجزم واكثر المحققين ابوا هذه القراة ومنهم من قبلها وذكروا في صحة ذلك ثلثة اوجه احدها كانه قيل لا تمنن لا تستكثر وثانيها ان يكون اراد تستكثر فاسكن الراء لثقل الضمة مع كثرة الحركات كما حكاه ابو زيد في قوله تعالى بلى ورسلنا لديهم يكتبون باسكان اللام وثالثها ان يعتبر حال الوقف وقرا الاعمش تستكثر بالنصب باضمار ان كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويؤيده قراة ابن مسعود ولا تمنن ان تستكثر اما قوله تعالى ولربك فاصبر فيه وجوه احدها اذا اعطيت المال فاصبر على ترك المن والاستكثار اي اترك هذا الامر لاجل مرضاة ربك وثانيها اذا اعطيت المال فلا تطلب العوض وليكن هذا الترك لاجل ربك وثالثها انا امرناك في اول هذه السورة باشيا ونهيناك عن اشياء فاشتغل بتلك الافعال والتروك لاجل امر ربك فكان ما قبل هذه الاية تكاليف بالافعال والتروك وفي هذه الاية بين ما لاجله يوتى بتلك الافعال والتروك وهو طلب رضى الرب ورابعها انا ذكرنا ان الكفار اجتمعوا وبحثوا عن احوال محمد صلى الله عليه وسلم قام الوليد ودخل داره فقال القوم ان الوليد قد صبا فدخل ابو جهل وقال ان قريشا جمعوا لك مالا حتى لا تترك دين ابايك فهو لاجل ذلك المال بقي على كفره فقيل لمحمد عليه السلام انه بقي على دينه الباطل لاجل المال واما انت فاصبر على دينك الحق لاجل رضى الحق لا لشيء غيره وخامسها ان هذا تعريض بالمشركين كانه قيل له ربك فكبر لا الاوثان وثيابك فطهر ولا تكن كالمشركين نجس البدن والثياب والرجز فاهجر ولا تقربه كما تقربه الكفار ولا تمنن تستكثر كما ان الكفار يعطون الولد قدرا من المال وكانوا يستكثرون ذلك القليل ولربك فاصبر على هذه الطاعات لا للاغراض العاجلة من المال والجاه اما قوله تعالى فاذا نقر في الناقور اعلم انه تعالى لما تمم ما يتعلق بارشاد قدوة الاولياء محمد صلى الله عليه وسلم عدل منه الى شرح وعيد الاشقياء وهو هذه الاية وههنا مسايل الاولى الفاء في قوله تعالى فاذا نقر في الناقور للتسبيب كانه قال اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة امرهم واذاهم وتلقى انت عاقبة صبرك عليه المسلة الثانية اختلفوا في ان الوقت الذي ينقر في الناقور هو النفخة الاولى ام الثانية فالقول الاول هو النفخة الاولى قال الحليمي في كتاب المنهاج انه تعالى سمى الصور باسمين احدهما الصور والاخر الناقور وقول المفسرين ان الناقور هو الصور ثم لا شك ان الصور هو الذي ينفخ فيه النفختان معا فان نفخة الاصعاق تخالف نفخة الاحيا وجاء في الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فيخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذي نزع منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى فيحتمل ان يكون الصور محتويا على آلتين ينقر في احداهما وينفخ في الاخرى فاذا نفخ فيه للاصعاق جمع بين النقر والنفخ لتكون الصيحة اهد واعظم فاذا نفخ فيه للاحياء لم ينقر فيه واقتصر على النفخ لان المراد ارسال الارواح من ثقب الصور الى اجسادها لا تنقيرها من اجسادها والنفخة الاولى للسمع وهو نظير صوت الرعد فانه اذا اشتد فربما مات سامعه

والصيحة



والصيحة الشديدة التي يتبعها رجل بصبي فيفزع منه فيموت بهذا آخر كلام الحليمي وفيه اشكال وهو انه لا يقتضي ان يكون النقر اسما للصيحة عند صيحة الاصعاق وذلك اليوم غير شديد على الكافرين لانهم يموتون في تلك الساعة انما اليوم الشديد على الكافرين عند صيحة الاحيا ولذلك يقولون يا ليتها كانت القاضية [illegible] والقول الثاني انها النفخة الثانية [illegible] المسلة الثالثة [illegible] يوم عسير [illegible] قوله على الكافرين غير يسير [illegible] قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير [illegible] على الكافرين غير يسير [illegible] المسلة الرابعة [illegible]

قوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لاياتنا عنيدا سارهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يوثر ان هذا الا قول البشر ساصليه سقر وما ادراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر

اجمعوا على ان المراد ههنا الوليد بن المغيرة وفي نصب قوله وحيدا وجوه الاول انه نصب على الحال ثم يحتمل ان يكون حالا من الخالق وان يكون حالا من المخلوق وكونه حالا من الخالق على وجهين الاول ذرني وحدي معه فاني اكفيك في الانتقام منه والثاني خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد واما كونه حالا من المخلوق فعلى معنى اني خلقته حال ما كان وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة القول الثاني انه نصب على الذم وذلك لان الاية نزلت في الوليد وكان يلقب بالوحيد وكان يقول انا الوحيد بن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لابي نظير [illegible] انه وحيد لا نظير له [illegible] اما قوله تعالى وجعلت له مالا ممدودا [illegible]

سكانه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ماله ممدودا ما بين مكة الى الطائف والابل والخيل والغنم والبساتين الكثيرة بالطائف
والاشجار والانهار والنقد الكثير وقال مقاتل كان له بستان لا ينقطع نفعه شتاء ولا صيفا فالممدود ههنا كما في قوله تعالى
وظل ممدود اي لا ينقطع وثانيها انه المال الكثير وذلك لان المال الكثير اذا عد فانه يمتد بعد مدة ومن المفسرين من
قدر المال الممدود فقال بعضهم الف دينار وقال اخرون اربعة الاف وقال اخرون الف الف وهذه التحكمات مما لا يميل
اليها الطبع السليم اما قوله تعالى وبنين شهودا فيه وجهان الاول بنين حضورا معه بمكة لا يفارقونه البتة لانهم كانوا
اغنياء فما كانوا محتاجين الى مفارقته لطلب كسب معيشة وكان هو مستانسا بهم طيب القلب بسبب حضورهم
والثاني يجوز ان يكون المراد من كونهم شهودا انهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل وعن مجاهد كانوا عشرة وقيل
سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم خالد وعمارة
وهشام اما قوله تعالى ومهدت له تمهيدا اي وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فاتممت عليه نعمتي
المال والجاه واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا ولهذا المعنى يدعى بهذا فيقال ادام الله تمهيده اي بسطته
وتصرفه في الامور ومن المفسرين من جعل هذا التمهيد البسطة في العيش وطول العمر وكان الوليد من اكابر قريش
ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش اما قوله تعالى ثم يطمع ان ازيد كلا ففيه ثم ههنا معناه التعجب كما تقول لصاحبك
انزلتك داري واطعمتك وسقيتك ثم انت تشتمني ونظيره قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض الى
قوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فمعنى ثم ههنا الانكار والتعجب ثم تلك الزيادة التي كان يطمع فيها
اهي زيادة في الدنيا او في الاخرة فيه قولان الاول قال الكلبي ومقاتل ثم يرجو ان ازيد في ماله وولده وقد كفر بي
والثاني ان تلك الزيادة في الاخرة قيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي ونظيره
قوله تعالى افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا ثم قال كلا وهو ردع له عن ذلك الطمع الفاسد قال
المفسرون ولم يزل الوليد في نقصان بعد قوله كلا حتى افتقر ومات فقيرا اما قوله تعالى كلا انه كان لاياتنا عنيدا
انه تعليل للردع على وجه الاستيناف فكان قائلا قال لم لا تزاد فقيل لانه كان لاياتنا عنيدا والعنيد في معنى المعاند
كالجليس والاكيل والعشير وفي الاية اشارة الى امور كثيرة من صفاته انه كان معاندا في جميع الدلايل اعني جميع الدلايل
الدالة على التوحيد والعدل والقدرة وصحة النبوة وصحة البعث وكان هو منازعا في الكل منكرا للكل وثانيها
ان كفره كان كفر عناد كان يعرف هذه الاشيا بقلبه الا انه كان ينكرها بلسانه وكفر المعاند اخس انواع الكفر
وثالثها ان قوله تعالى انه كان عنيدا يدل على انه من قديم الزمان كان على هذه الحرفة والصنعة ورابعها ان قوله تعالى
انه كان لاياتنا عنيدا يفيد ان تلك المعاندة كانت منه مختصة بايات الله تعالى وبيناته فان تقديره كان
لاياتنا عنيدا لا لايات غيرنا فتخصيصه هذا العناد بايات الله تعالى مع كونه تاركا للعناد في ساير الاشيا يدل
على غاية الخسران اما قوله تعالى سارهقه صعودا اي ساكلفه صعودا وفي الصعود قولان الاول انه مثل لما يلقى
من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق مثل قوله تعالى يسلكه عذابا صعدا والصعود من قولهم عقبة صعود
اي شاقة المصعد والثاني ان صعودا اسم لعقبة في النار كلما وضع عليها يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع
رجله ذابت فاذا رفعها عادت ويقال عقبة صعود اي شاقة المصعد والثاني ان صعودا اسم لعقبة في
النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت ويقال عقبة صعود وكوود اي شاقة المصعد وعنه عليه السلام
الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي كذلك فيه ابدا ثم انه تعالى حكى كيفية عناده فقال تعالى
انه فكر يقال فكر في الامر وتفكر اذا نظر فيه وتدبر ثم لما تفكر رتب في قلبه كلاما وهياه وهو المراد من قوله تعالى
وقدر ثم قال تعالى فقتل كيف قدر وهذا انما يذكر عند التعجب والاستعظام ومثله قولهم قتله الله ما اشجعه واخزاه
الله ما اشعره ومعناه انه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك اذا عرفت هذا فنقول
انه يحتمل ههنا وجهين احدهما انه تعجيب من قوة خاطره يعني انه لا يمكن القدح في امر محمد بشبهة اعظم ولا اقوى
مما ذكره هذا القايل والثاني الثناء عليه على طريقة الاستهزا يعني ان هذا الذي ذكره في غاية الركاكة والسقوط ثم
قال تعالى ثم قتل كيف قدر والمقصود من كلمة ثم ههنا الدلالة على ان الدعاء عليه في الكرة الثانية ابلغ من الاولى اما قوله تعالى
ثم نظر ثم عبس والمعنى انه اولا نظر وثانيا قدر وثالثا نظر في ذلك المقدر فالنظر السابق للاستخراج والنظر اللاحق
للتقدير وهذا هو تمام الاحتياط فهذه المراتب الثلاثة متعلقة بادراك قلبه ثم انه تعالى وصف بعد ذلك احوال وجهه
فقال تعالى ثم عبس وبسر وفيه مسالتان المسالة الاولى اعلم ان قوله عبس وبسر يدل على انه كان عارفا في قلبه
صدق محمد عليه السلام الا انه كان يكفر به عنادا ويدل عليه وجوه الاول انه بعد ان تفكر وتامل وقرر في نفسه كلاما عزم
على ان يظهره ظهرت العبوسة في وجهه ولو كان معتقدا صحة ذلك الكلام لفرح باستنباطه وادراكه ولكنه لما لم
يفرح به علمنا انه كان يعلم ضعف تلك الشبهة الا انه لشدة عناده ما كان يجد شبهة اجود من تلك الشبهة فلهذا
السبب ظهرت العبوسة في وجهه الثاني ما روي ان الوليد مر برسول الله صلى الله عليه وهو يقرا حم السجدة فلما اتى الى
قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود انشده الوليد بالله وبالرحم ان يسكت وهذا يدل

على انه



على انه كان يعلم كونه مستجاب الدعاء صادق اللهجة ولما رجع الوليد قال لهم والله لقد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس
ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه يعلو وما يعلى عليه فقالت قريش صبا الوليد ولو صبا لتصبون قريش
كلها فقال ابو جهل انا اكفيكموه ثم دخل عليه محزونا فقال ما لك يا ابن اخي فقال انك قد صبوت لتصيب من طعام واحد واصحابه
فهذه قريش تجمع لك مالا ليكون ذلك عوضا مما تقدر ان تاخذ من اصحاب محمد فقال والله ما يشبعون فكيف اقدر ان
اخذ منهم مالا ولكني تفكرت في امره كثيرا فلا اجد شيئا يليق به الا انه ساحر فاذا عرفت هذا فقوله استعظامه للقرآن واعترافه بانه
ليس من كلام الجن والانس يدل على انه كان في ادعاء السحر معاندا لان السحر يتعلق بالجن الثالث انه كان يعلم ان امر السحر مبني
على الكفر بالله والافعال المنكرة وكان من الظاهر ان محمدا عليه السلام لا يدعو الا الى الله تعالى فكيف يليق به السحر فثبت بمجموع
هذه الوجوه انه انما عبس وبسر لانه كان يعلم في قلبه ان الذي يقوله كذب وبهتان الثانية قال الليث عبس يعبس
فهو عابس اذا قطب ما بين عينيه فان ابدى عن اسنانه في عبوسه قيل كلح فان اهتم لذلك وفكر فيه قيل بسر فان غضب
مع ذلك قيل بسر اما قوله تعالى ثم ادبر واستكبر ادبر عن سائر الناس الى اهله واستكبر اي تعظم عن الايمان فقال تعالى ان هذا
الا سحر يؤثر وانما ذكره بفاء التعقيب ليعلم انه لما ولى واستكبر ذكر هذه الشبهة وفي قوله يؤثر وجهان الاول انه من قولهم
اثرت الحديث اثره اثرا اذا حدثت به عن قوم في اثارهم اي بعد ما ماتوا هذا هو الاصل ثم صار بمعنى الرواية عمن كان والثاني
يؤثر على جميع السحر وعلى هذا يكون من الايثار ثم قال تعالى ان هذا الا قول البشر والمعنى ان هذا قول البشر ينسب ذلك الى انه ملتقط
من كلام غيره ولو كان الامر كما قال لتمكنوا من معارضته اذ طريقتهم في معرفة اللغة متقاربة واعلم ان هذا الكلام
يدل على ان الوليد انما كان يقول هذا الكلام عنادا لانه روي عنه انه عليه السلام لما سمع من رسول الله صلى الله عليه
وسلم حم السجدة وخرج من عند الرسول قال لقد سمعت من محمد كلاما ليس من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه يعلو
ولا يعلى فلما اقر بذلك في اول الامر علمنا ان الذي قاله ههنا من انه قول البشر انما ذكره على سبيل العناد والتمرد لا على
سبيل الاعتقاد ثم قال تعالى ساصليه سقر قال ابن عباس رضي الله تعالى سقر اسم الطبقة السادسة من جهنم
ولذلك فانه لا ينصرف للتعريف والتانيث ثم قال تعالى وما ادراك ما سقر والغرض التهويل ثم قال تعالى لا تبقي ولا
تذر لواحة واختلفوا فمنهم من قال هما لفظان مترادفان والغرض من التكرير التاكيد والمبالغة كما
يقال صد عني واعرض عني ومنهم من قال لا بد من الفرق ثم ذكروا وجوها احدها انها لا تبقي من الدم واللحم
والعظم شيئا فاذا اعيدوا خلقا جديدا فلا تذر ان تعاود احراقهم باشد مما كانت وهكذا ابدا وهذا
رواية عطا عن ابن عباس رضي الله عنهما وثانيها لا تبقي من المستحقين للعذاب الا عذبتهم ثم لا تذر
من ابدان اولئك المعذبين شيئا الا احرقته وثالثها لا تبقي من ابدان المعذبين شيئا ثم ان تلك النيران
لا تذر من قوتها وشدتها شيئا الا وتستعمل تلك القوة في تعذيبهم ثم قال تعالى لواحة للبشر وفيه
مسالتان الاولى في اللواحة قولان الاول قال الليث لاحه العطش ولوحه اذا غيره فاللواحة هي
المغيرة قال الزجاج تسود البشرة باحراقها والقول الثاني وهو قول الحسن والاصم ان معنى لواحة انها
تلوح للبشر من مسيرة خمسمائة عام وهو كقوله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى ولواحة على هذا القول
من لاح الشيء يلوح اذا لمع نحو البرق وطعن القايلون بهذا الوجه في الوجه الاول وقالوا انه لا يجوز
ان يصفها بتسويد البشرة مع قوله انها لا تبقي ولا تذر المسالة الثانية قرئ لواحة بالنصب
على الاختصاص للتهويل ثم قال تعالى عليها تسعة عشر وفيه مسايل المسالة الاولى المعنى انه يلي
امرها ويتسلط على اهلها تسعة عشر ملكا وقيل تسعة صفوف وحكى الواحدي عن المفسرين ان خزنة
النار تسعة عشر مالك ومعه ثمانية عشر اعينهم كالبرق وانيابهم كالصياصي واشعارهم
تمس اقدامهم يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبي احدهم مسيرة سنة يسع كف احدهم مثل ربيعة
ومضر نزعت منه الرافة والرحمة ياخذ احدهم سبعين الفا في كفه ويرميهم حيث اراد من جهنم
الثانية ذكر ارباب المعاني في تقدير هذا العدد وجوها احدها وهو الوجه الذي يقوله ارباب
الحكمة ان سبب فساد النفس الانسانية في قوتها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية
اما القوى الحيوانية فهي الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة والشهوة والغضب ومجموعها اثنا عشر
واما القوى الطبيعية فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة
وهذه سبعة فالمجموع تسعة عشر فلما كان منشا الافات هو هذه التسعة عشر لا جرم كان عدد
الزبانية هكذا وثانيها ان ابواب جهنم سبعة فستة منها للكفار وواحد للفساق ثم ان
الكفار يدخلون النار لامور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل فيكون لكل باب من تلك
الستة ثلاثة والمجموع ثمانية عشر واما باب الفساق فليس هناك زبانية بسبب ترك الاعتقاد و
بسبب ترك العمل فلا يكون على بابهم الا زبانية واحدة فالمجموع تسعة عشر ثالثها ان الساعات اربعة
وعشرون خمسة منها مشغولة بالصلوات الخمس فيبقى منها تسعة عشر مشغولة بغير العبادة فلا جرم صار

عدد الزبانية تسعة عشر الثالثة قراءة ابي جعفر ويزيد وطلحة بن سليمان عليها تسعة عشر على تقطع فلا عابق قال ابن جني في المحتسب والسبب ان الاسمين جعلا كاسم واحد فكثرت الحركات فاسكن اول الثاني للتخفيف وجعل ذلك امارة لقوة اتصال احد الاسمين لصاحبه وقرا انس بن مالك برفع التاء تسعة عشر قال ابو حاتم هذه القراءة لا يعرف لها وجها الا ان يعني تسعة عشر جمع العشر وعلى هذا يكون المجموع تسعين **قوله تعالى**

**وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا**

**روي** انه لما نزل قوله تعالى عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم قال ابن ابي كبشة ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الجمع العظيم ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم قال ابو الاسد بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش وانا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فلما قال ابو جهل وابو الاسد ذلك قال المسلمون ويحكم لا تقاس الملائكة بالحدادين فجرى هذا مثلا في كل شيئين لا يستوى بينهما والمعنى لا يقاس الملائكة بالسجانين والحداد السجان الذي يحبس الناس فانزل الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة **واعلم** انه تعالى انما جعلهم ملائكة لوجوه احدها لتكونوا بخلاف جنس المعذبين لان الجنسية مظنة الرافة والرحمة ولذلك جعل الرسول المبعوث الينا من جنسنا ليكون رافة ورحمة وثانيها انهم ابعد الخلق عن معصية الله تعالى واقواهم على الطاعات الشاقة وثالثها ان قوتهم اعظم من قوة الجن والانس فان قيل ثبت في الاخبار ان الملائكة مخلوقون من النور والمخلوق من النار كيف يطيق المكث في النار قلنا مدار القول في اثبات القيامة على كونه تعالى قادرا على كل الممكنات فكما انه لا استبعاد في ان يبقي الجن في مثل ذلك العذاب الشديد ابد الاباد ولا يموت فكذا لا استبعاد في بقاء الملائكة من غير الم ثم قال تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا فيه مسئلتان **المسئلة الاولى** هذا العدد انما صار سببا لفتنة الكفار من وجهين الاول ان الكفار يستهزؤن ويقولون لم لا يكونوا عشرين وما المقتضي لتخصيص هذا العدد بالوجود والثاني ان الكفار يقولون هذا العدد القليل كيف يكونون وافين بتعذيب اكثر خلق العالم من الجن والانس من اول ما خلق الله الى قيام القيامة واما اهل الايمان فلا يلتفتون الى هذين السؤالين اما السؤال الاول فلان جملة العالم متناهية فلا بد وان يكون للجواهر الفردة التي منها تالفت جملة هذا العالم عدد معين وعند ذلك يجيء ذلك السؤال وهو انه لم حصص ذلك العدد بالايجاد ولم يزد على ذلك العدد جوهرا اخر ولم ينقص وكذا القول في ايجاد العالم فانه لما كان العالم محدثا والاله قديما فقد تاخر العالم عن الصانع بتقدير مدة غير متناهية فلم يحدث العالم قبل ان حدث بتقدير لحظة او بعد ان وجد بتقدير لحظة وكذا القول في تقدير كل واحد من المحدثات بزمانه المعين وكل واحد من الاجسام باجزائه المحدودة والمعدودة ولا جواب عن شيء من ذلك الا بانه قادر مختار والمختار له ان يرجح الشيء عن مثله بغير علة واذا كان هذا الجواب هو المعتمد في خلق جملة العالم فكذا في تخصيص زبانية النار بهذا العدد واما السؤال الثاني فضعيف ايضا لانه لا يبعد في قدرة الله تعالى ان يعطي هذا العدد من القدرة والقوة ما يصيرون قادرين على تعذيب جملة الخلق ومتمكنين من ذلك من غير خلل وبالجملة فمدار هذين السؤالين على القدح في كمال قدرة الله تعالى فاما من اعترف بكونه تعالى قادرا على ما لا نهاية له من المقدورات **واعلم** ان احوال القيامة على خلاف احوال الدنيا زال عن قلبه هذه الاستبعادات بالكلية **الثانية** احتج من قال انه تعالى قد يريد الاضلال بهذه الاية قال لان قوله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا يدل على ان المقصود الاصلي انما هو فتنة الكافرين اجاب المعتزلة عنه من وجوه احدها قال الجبائي المراد الفتنة لتشديد التعبد ليستدلوا ويعرفوا انه تعالى قادر على ان يقوي هولاء التسعة عشر على ما لا يقوى عليه مائة الف ملك اقوياء وثانيها قال الكعبي المراد من الفتنة الامتحان حتى يفوض المومنون حكمة التخصيص بالعدد المعين الى علم الخالق سبحانه وتعالى وهذا من المتشابه الذي امروا بالايمان به وثالثها ان المراد من الفتنة ما وقعوا فيه من الكفر بسبب تكذيبهم بعدد الخزنة والمعنى الا فتنة على الذين كفروا ليكذبوا به وليقولوا ما قالوا وذلك عقوبة لهم على كفرهم وحاصله راجع الى ترك الالطاف والجواب انه لا نزاع في شيء مما ذكرتم الا انا نقول هل لانزال هذه المتشابهات اثر في تقوية داعية الكفر ام لا فان لم يكن اثر في تقوية داعية الكفر كان انزالها كسائر الامور الاجنبية فلم يكن القول بان انزال هذه المتشابهات فتنة للذين كفروا وجه البتة وان كان له اثر في تقوية داعية الكفر فقد حصل المقصود لانه اذا ترجحت داعية الفعل صارت داعية الترك مرجوحة والمرجوح يمتنع ان يوثر فالترك يكون ممتنع الوقوع فيصير الفعل واجب الوقوع والله تعالى اعلم **واعلم** انه تعالى بين ان المقصود من انزال هذه المتشابهات امور اربعة اولها قوله تعالى ليستيقن الذين اوتوا الكتاب وثانيها قوله تعالى ويزداد الذين امنوا ايمانا وثالثها قوله تعالى ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون ورابعها قوله تعالى وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا **واعلم** ان المقصود من تفسير هذه الايات لا يتحصل الا بسؤالات وجوابات **السؤال الاول** لفظ القران يدل على انه جعل فتنة الكافر بعدد الزبانية مبينا بهذه الامور الاربعة فما الوجه في ذلك والجواب انه ما جعل افتتانهم بالعدد

شيئا



شيئا لهذه الاشياء وبيانه من وجهين الاول التقدير وما جعلنا عدتهم الا فتنة للكافرين والا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب كما يقال فعلت كذا لتعظيمك ولتحقير عدوك والعاطفة قد تترك في هذا الموضع تارة وقد تحذف اخرى الثاني ان المراد من قوله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وهو انه وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر الا انه وضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر كانه عبر عن المؤثر باللفظ الدال على الاثر تنبيها على ان هذا الاثر من لوازم ذلك المؤثر والله اعلم **السؤال الثاني** ما وجه تاثير انزال هذا المتشابه في استيقان اهل الكتاب الجواب من وجوه احدها ان هذا العدد لما كان موجودا في كتابهم ثم انه عليه السلام اخبر على وفق ذلك من غير سابقة دراسة وتعلم فيظهر ان ذلك انما حصل بسبب الوحي من السماء فالذين امنوا بمحمد عليه السلام من اهل الكتاب يزدادون به ايمانا وثانيها ان التورية والانجيل كانا محرفين فاهل الكتاب كانوا يقرؤن فيهما ان عدد الزبانية هو هذا القدر لكنهم ما كانوا يعولون على ذلك كل التعويل لعلمهم بتطرق التحريف الى هذين الكتابين فلما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قوي ايمانهم بذلك واستيقنوا ان ذلك العدد هو الحق والصدق وثالثها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم من حال كفار قريش انه متى اخبرهم بهذا العدد العجيب فانهم يستهزؤن به ويضحكون منه لانهم كانوا يستهزؤن به في اثبات التوحيد والقدرة والعلم مع ان تلك المسائل اوضح واظهر فكيف في ذكر هذا العدد العجيب ثم انهم استهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة سخريتهم به ما منعه من اظهار هذا الحق فعند هذا يعلم كل احد انه لو كان غرض محمد عليه السلام طلب الدنيا والرياسة لاحترز عن ذكر هذا العدد العجيب فلما ذكره مع علمه بانهم لا بد وان يستهزؤا به علم كل عاقل ان مقصوده منه انما هو تبليغ الوحي وانه ما كان يبالي في ذلك لا بتصديق المصدقين ولا بتكذيب المكذبين **السؤال الثالث** ما تاثير هذه الواقعة في ازدياد ايمان المومنين الجواب ان المكلف ما لم يستحضر كونه تعالى عالما بجميع المعلومات غنيا عن جميع الحاجات منزها عن الكذب والخلف لا يمكنه ان ينقاد لهذه العدة ويعرف حقيقتها فاذا اشتغل باستحضار تلك الدلائل ثم حصل العلم الاجمالي بانه صادق لا يكذب حكيم لا يجهل دفع النتيجة الحاصلة في الطبع من هذا العدد العجيب فحينئذ يمكنه ان يومن بحقيقة هذا العدد ولا شك ان المومن يصير عند اعتبار هذه المقامات اشد استحضارا للدلائل واكثر انقيادا للدين فالمراد بازدياد الايمان هذا **السؤال الرابع** حقيقة الايمان عندكم لا يقبل الزيادة ولا النقصان فما قولكم في هذه الاية الجواب نحمله على ثمرات الايمان وعلى اثاره ولوازمه **السؤال الخامس** لما اثبت الاستيقان لاهل الكتاب واثبت زيادة الايمان للمومنين فما الفائدة في قوله تعالى بعد ذلك ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون الجواب ان المطلوب اذا كان غامضا دقيق الحجة كثير الشبهة فاذا اجتهد الانسان وحصل فيه اليقين فربما غفل عن مقدمة من مقدمات ذلك الدليل الدقيق فيعود الشك والشبهة فاثبات اليقين في بعض الاحوال لا ينافي طريان الارتياب بعد ذلك فالمقصود من اعادة هذا الكلام هو انه حصل لهم يقين جازم بحيث لا يحصل عقيبه البتة شك ولا ريب **السؤال السادس** جمهور المفسرين قالوا في تفسير قوله تعالى والذين في قلوبهم مرض انهم المنافقون وذكر الحسين بن الفضل البجلي ان هذه السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق فالمرض في هذه الاية ليس بمعنى النفاق الجواب قول المفسرين حق وذلك لانه كان في معلوم الله تعالى ان النفاق سيحدث فاخبر عما سيكون وعلى هذا يصير هذه الاية معجزة لانه اخبار عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر فيكون معجزا ويجوز ايضا ان يراد بالمرض الشك لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين وبعضهم كانوا قاطعين بالكذب **السؤال السابع** هب ان الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح ان يكونا مقصودين من انزال هذا المتشابه فكيف صح ان يكون قول الكافرين والمنافقين مقصودا الجواب اما على اصلنا فلا اشكال لانه تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء وسياتي مزيد تقرير هذا في الاية الاتية واما عند المعتزلة فان هذه الحالة لما وقعت اشبه الغرض في كونه واقعا فادخل عليه حرف اللام وهو كقوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس **السؤال الثامن** لم سموه مثلا الجواب انه لما كان هذا العدد عددا عجيبا ظن القوم انه ربما لم يكن مراد الله تعالى منه ما اشعر به ظاهره بل جعله الله تعالى مثلا لشيء اخر وتنبيها على مقصود اخر لا جرم سموه مثلا **السؤال التاسع** القوم كانوا ينكرون لان القران من عند الله تعالى فكيف قالوا ماذا اراد الله بهذا مثلا الجواب اما الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون فكانوا في الظاهر معترفين بان القران من عند الله فلا جرم قالوا ذلك باللسان واما الكفار فقالوه على سبيل التهكم وعلى سبيل الاستدلال بان القران لو كان من عند الله تعالى لما قال مثل هذا الكلام اما قوله تعالى كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء الاية وجه الاستدلال بالاية للاصحاب ظاهر لانه تعالى ذكر في اول الاية قوله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ثم ذكر في اخر الاية وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال تعالى كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء اما المعتزلة فقد ذكروا الوجوه المشهورة التي لهم احدها ان المراد من الاضلال منع الالطاف وثانيها انه لما اهتدى قوم باختيارهم عند نزول هذه الايات وضل قوم باختيارهم عند نزولها اشبه ذلك ان المؤثر في ذلك الاهتداء وذلك الاضلال هو هذه الايات وهو كقوله تعالى فزادتهم ايمانا وزادتهم رجسا وثالثها ان المراد من قوله تعالى يضل ومن قوله يهدي حكم الله بكونه ضالا وبكونه مهتديا ورابعها انه تعالى يضلهم يوم القيامة عن دار الثواب وهذه الكلمات مع اجوبتها قد تقدمت

في سورة البقرة في قوله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا أما قوله تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو ففيه وجوه أحدها
وهو الأولى أن القوم استقلوا ذلك العدد فقال تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو فبين أن هؤلاء تسعة عشر إلا أن لكل واحد
منهم من الأعوان والجنود ما لا يعلم عددهم إلا هو وثانيها وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها إلا هو ولا يعز عليه تتميم الخزنة
عشرين ولكن له في هذا العدد حكمة لا يعلمها الخلق وهو جل جلاله يعلمها وثالثها أنه لا حاجة بالله سبحانه وتعالى
في تعذيب الكفار والفساق إلى هؤلاء الخزنة فإنه هو الذي يعذبهم في الحقيقة وهو الذي يخلق الألم فيهم ولو أنه تعالى
قلب شعرة في عين ابن آدم أو سلط الألم على عرق واحد من عروق بدنه لكفاه ذلك بلاء ومحنة فلا يلزم من تقليل عدد
الخزنة قلة العذاب فجنود الله تعالى غير متناهية لأن مقدوراته غير متناهية ثم قال تعالى وما هي إلا ذكرى للبشر الضمير
في قوله وما هي إلى ماذا يعود فيه قولان الأول أنه عائد إلى سقر والمعنى وما سقر وصفتها إلا تذكرة للبشر والثاني
أنه عائد إلى هذه الآيات المشتملة على هذه المتشابهات وهي ذكرى لجميع العالمين وإن كان المنتفع به ليس إلا أهل الإيمان
ثم قال كلا وفيه وجوه أحدها أنه إنكار بعد أن جعلها ذكرى أن يكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون وثانيها
أنه ردع لمن ينكر أن يكون إحدى الكبر نذيرا وثالثها أنه ردع لقول أبي جهل وأصحابه أنهم يقدرون على مقاومة
خزنة النار ورابعها أنه ردع عن الاستهزاء بالعدة المخصوصة ثم قال تعالى والليل إذ أدبر وفيه قولان
قال الفراء والزجاج دبر وأدبر بمعنى واحد كقبل وأقبل ويدل على هذا قراءة من قرأ إذا دبر وروي أن مجاهدا سأل ابن
عباس رضي الله عنهما عن قوله دبر فسكت حتى إذا دبر الليل قال يا مجاهد هذا حين دبر الليل وروى أبو الضحى أن ابن
عباس رضي الله عنهما كان يعيب هذه القراءة ويقول إنما تدبر ظهر البعير قال الواحدي والقراءتان عند أهل اللغة سوا
على ما ذكرناه وأنشد أبو علي وأبي الذي ترك الملوك وجمعهم بصهاب هامدة كأمس الدابر القول الثاني قال أبو عبيدة
وابن قتيبة دبر أي جاء بعد النهار يقال دبر أي جاء خلفي ودبر الليل إذا جاء بعد النهار قال قطرب فعلى هذا معنى
إذا دبر إذا أقبل بعد مضي النهار أما قوله تعالى والصبح إذا أسفر أي أضاء وفي الحديث أسفروا بالفجر ومنه قوله تعالى
وجوه يومئذ مسفرة أي مضيئة ثم قال تعالى إنها لإحدى الكبر وفيه مسائل المسألة الأولى هذا الكلام هو جواب
القسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد المسألة الثانية قال الواحدي ألف إحدى مقطوع لا يذهب في الوصل
وروي عن ابن كثير أنه قرأ إنها لحدى الكبر بحذف الهمزة كما يقال ويلمه وليس هذا الحذف بقياس والقياس التخفيف وهو
أن تجعل بين بين المسألة الثالثة قال صاحب الكشاف الكبر جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كالتاء فكما جمعت فعلة
على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافي في جمع السافياء وهو التراب الذي يسفيه الريح والقواصع في جمع القاصعاء
كأنها جمع فاعلة المسألة الرابعة إنها لإحدى الكبر يعني أن سقر التي جرى ذكرها لإحدى الكبر والمراد من الكبر دركات
جهنم وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية أعاذنا الله تعالى منها أما قوله تعالى نذيرا
للبشر ونذيرا تمييز من إحدى على معنى أنها لإحدى الدواهي إنذارا كما يقول هي إحدى النساء عفافا وقيل هو حال وفي قراءة أبي
نذير بالرفع خبر بعد خبر أو بحذف المبتدأ ثم قال تعالى لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر وفيه مسألتان المسألة الأولى في تفسير
الآية وجهان الأول أن يتقدم في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك لمن يتوضأ أن يصلي ومعناه التقدم
والتأخر مطلقان لمن شاءهما منكم والمراد بالتقدم والتأخر السبق إلى الخير والتخلف عنه وهو كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر الثاني لمن شاء بدل من قوله للبشر والتقدير إنها نذير لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر نظيره ولله على الناس
حج البيت من استطاع إليه سبيلا الثانية المعتزلة احتجوا بهذه الآية على كون العبد متمكنا من الفعل غير مجبور عليه
وجوابه أن هذه الآية دلت على أن فعل العبد معلق على مشيئته لكن مشيئة العبد معلقة على مشيئة الله تعالى وما تشاؤون
إلا أن يشاء الله وحينئذ يصير هذه الآية حجة لنا عليهم وذكر الأصحاب عن وجه الاستدلال بهذه الآية جوابين آخرين الأول
أن معنى إضافة المشيئة إلى المخاطبين التهديد كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الثاني أن هذه المشيئة
لله تعالى على معنى لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر أما قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة قال صاحب الكشاف رهينة
ليست بتأنيث رهين في قوله تعالى كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لأنه لو قصدت الصفة لقيل رهين لأن
فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وإنما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما كسبت
رهن ومنه بيت الحماسة أبعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل كأنه قال رهن رمس
والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله تعالى غير مفكوك إلا أصحاب اليمين فإنهم فكوا رقاب أنفسهم بسبب أعمالهم
الحسنة كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق ثم ذكروا وجوها في أصحاب اليمين من هم أحدها قال ابن عباس رضي الله عنهما
هم المؤمنون وثانيها قال الكلبي هم الذين قال الله تعالى هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهم الذين كانوا على يمين آدم وثالثها
قال مقاتل هم الذين أعطوا كتبهم بأيمانهم لا يرتهنون بذنوبهم في النار ورابعها قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن
عمر رضي الله عنه هم أطفال المسلمين قال الفراء وهو أشبه بالصواب لوجهين الأول لأن الولدان لم يكتسبوا إثما يرتهنون
به الثاني أنه تعالى ذكر في وصفهم فقال تعالى في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر وخامسها عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما هم الملائكة أما قوله تعالى في جنات فيه أنهم في جنات لا يكتنه وصفها ثم قال تعالى يتساءلون عن المجرمين

وفيه وجهان



وفيه وجهان الأول أن تكون كلمة عن صلة زائدة والتقدير يتساءلون المجرمين فيقولون لهم ما سلككم
في سقر فإنه يقال سألته كذا ويقال سألته عن كذا والثاني أن يكون المعنى أن أصحاب اليمين يسأل
بعضهم بعضا عن أحوال المجرمين فإن قيل فعلى هذا الوجه كان يجب أن يقولوا ما سلكهم في سقر قلنا أجاب صاحب
الكشاف عنه فقال المراد من هذا أن المسؤولين يقولون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين
فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر وفيه وجه آخر وهو أن المراد أن أصحاب اليمين كانوا يتساءلون
عن المجرمين أين هم فلما رأوهم قالوا لهم ما سلككم في سقر والمقصود من السؤال زيادة التوبيخ
والتخجيل والمعنى ما حبسكم في هذه الدركة من النار فأجابوا بأن هذا العذاب لأمور أربعة أولها
قوله تعالى قالوا لم نك من المصلين وثانيها قوله تعالى ولم نك نطعم المسكين وهذان يجب أن يكونا محمولين على
الصلوة الواجبة والزكاة الواجبة لأن ما ليس بواجب لا يجوز أن يعذبوا على تركه وثالثها قوله تعالى
وكنا نخوض مع الخائضين والمراد منه الأباطيل ورابعها قوله تعالى وكنا نكذب بيوم الدين أي بيوم القيامة
حتى أتانا اليقين أي الموت قال تعالى حتى يأتيك اليقين والمعنى أنا بقينا على إنكار القيامة إلى وقت الموت
وظاهر اللفظ يدل على أن كل واحد من أولئك الأقوام كان موصوفا بهذه الخصال الأربعة واحتج أصحابنا
بهذه الآية على أن الكفار يعذبون بترك فروع الشرائع والاستقصاء فيه قد ذكرناه في المحصول من
أصول الفقه فإن قيل لم أخر التكذيب وهو أفحش تلك الخصال الأربع قلنا أريد أنهم بعد اتصافهم بتلك
الأمور الأربعة كانوا مكذبين بيوم الدين والغرض تعظيم هذا الذنب كقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا
ثم قال تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين واحتج أصحابنا على ثبوت الشفاعة للفساق بمفهوم هذه الآية
وقالوا إن تخصيص هؤلاء بأنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين يدل على أن غيرهم تنفعهم شفاعة الشافعين
أما قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين أي عن التذكير وهو العظة يريد القرآن أو غيره من المواعظ و
معرضين نصب على الحال كقولك ما لك قائما ثم شبههم في نفورهم عن القرآن بحمر نافرة فقال تعالى كأنهم حمر
قال ابن عباس يريد الحمر الوحشية مستنفرة أي نافرة يقال نفر واستنفر كما يقال سخر واستسخر وعجب
واستعجب وقرئ بالفتح وهي المستنفرة المحمولة على النفار قال أبو علي الفارسي الكسر في مستنفرة أولى
ألا ترى أنه قال تعالى فرت من قسورة فهذا يدل على أنها هي استنفرت ويدل على صحة ما قاله
أبو علي أن محمد بن سلام قال سألت أبا سوار الغنوي وكان أعرابيا فصيحا فقلت كأنهم حمر ماذا فقال
مستنفرة طردها قسورة قلت إنما هو فرت من قسورة قال أفرت قلت نعم قال مستنفرة إذا ثم قال
تعالى فرت يعني الحمر من قسورة وذكروا في القسورة وجوها أحدها أنها الأسد يقال ليوث قساور وهي
فعولة من القسر وهو القهر والغلبة سمي بذلك لأنه يقهر السباع قال ابن عباس الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد
هربت منه كذلك هؤلاء المشركون إذا رأوا محمدا هربوا منه كما يهرب الحمار من الأسد ثم قال ابن عباس القسورة
هي الأسد بلسان الحبشة وخالف عكرمة فقال بلسان الحبشة عنبسة وثانيها القسورة جماعة الرماة
الذين يصيدونها قال الأزهري هو اسم جمع الرماة لا واحد له من جنسه وثالثها القسورة ركز الناس
وأصواتهم ورابعها أنها ظلمة الليل قال صاحب الكشاف وفي تشبيههم بالحمر شهادة عليهم بالبله ولا ترى مثل
نفار حمير الوحشية واطرادها في العدو إذا خافت من شيء ثم قال تعالى بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا
منشرة وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا نؤمن بك حتى يأتي كل واحد منا بكتاب من السماء
عنوانه من رب العالمين إلى فلان بن فلان ونؤمر فيه باتباعك ونظيره قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك
حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم وقالوا إن كان
محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته من النار وقيل كانوا يقولون بلغنا أن الرجل
من بني إسرائيل كان يصبح مكتوبا على رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمعزل
إلا أن يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة وقرأ سعيد بن جبير صحفا منشرة بتخفيفهما
على أن أنشر الصحف ونشرها واحد كأنزله ونزله ثم قال تعالى كلا وهو ردع لهم عن تلك
الإرادة وزجر عن اقتراح الآيات ثم قال تعالى بل لا يخافون الآخرة فلذلك أعرضوا عن
التأمل فإنه لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت في الدلالة على صحة النبوة وطلب الزيادة يكون
من باب التعنت ثم قال تعالى كلا وهو ردع لهم عن إعراضهم عن التذكرة ثم قال تعالى إنه تذكرة
يعني تذكرة بليغة كافية فمن شاء ذكره أي جعله نصب عينيه فإن نفع ذلك راجع إليه والضمير
في إنه وذكره للتذكرة في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين وإنما ذكر لأنها في معنى
الذكر والقرآن ثم قال تعالى وما يذكرون إلا أن يشاء الله قالت المعتزلة يعني إلا أن يقسرهم
على الذكر ويلجئهم إليه والجواب أنه تعالى نفى الذكر مطلقا واستثنى عنه حال المشيئة المطلقة

فيلزم انه متى حصلت المشية ان يحصل الذكر بحيث لم يحصل الذكر علمنا انه لم يحصل المشية وتخصيص القهرية ترك للظاهر
وقرئ تذكرون بالتاء والياء مخففا ومشددا ثم قال تعالى هو اهل التقوى واهل المغفرة اي هو حقيق بان يتقيه عباده
ويخافون عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بان يغفر لهم ما سلف من كفرهم اذا امنوا واطاعوا والله اعلم

لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة ايحسب الانسان الن نجمع عظامه
بلى قادرين على ان نسوى بنانه بل يريد الانسان ليفجر امامه يسئل ايان يوم القيامة
فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر
كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر فيه مسايل **المسئلة الاولى** ذكر المفسرون في لفظة لا
ثلاثة اوجه الاول انها صلة زايدة والمعنى اقسم بيوم القيمة ونظيره قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب
وقوله تعالى ما منعك ان لا تسجد وقوله تعالى فبما رحمة من الله وهذا القول عندي ضعيف من وجوه اولها ان تجويز
هذا يفضي الى الطعن في القران لان على هذا التقدير يجوز جعل النفي اثباتا والاثبات نفيا وتجويزه يفضي الى ان لا يبقى
اعتماد لا على اثباته وثانيها ان هذا الحرف انما يراد به في وسط الكلام لا في اوله فان قيل الكلام عليه من وجهين
الاول لا نسلم انها انما تزاد في وسط الكلام الا ترى الى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته وهي قوله لا
وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر الثاني هب ان هذا الحرف لا يزاد في اول الكلام الا ان القران كله
كالسورة الواحدة لاتصال بعضه ببعض والدليل عليه انه قد يذكر الشي في سورة ثم يجي جوابه في سورة
اخرى وهو قوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه السورة جاريا مجرى وسط الكلام
والجواب عن الاول ان قوله لا وابيك قسم على النفي وقوله تعالى لا اقسم نفي للقسم فلتشبيه احدهما
بالاخر غير جايز وانما قلنا ان قوله لا اقسم نفي للقسم لانه وزن قولنا لا اقتل لا اضرب لا انصر ومعلوم
ان ذلك يفيد النفي والدليل على انه لو حلف لا يقسم كان البر بترك القسم والحنث بفعل القسم فظهر ان
البيت المذكور ليس من هذا الباب وعن الثاني ان القران كالسورة الواحدة في عدم التناقض فاما ان
تقرن كل اية ما قرن بالاخرى فذلك غير جايز لانه يلزم جواز ان تقرن بكل اثبات حرف النفي الوارد في
ساير الايات وذلك يقتضي انقلاب كل اثبات نفيا وانقلاب كل نفي اثباتا وانه لا يجوز وثالثها ان المراد من قولنا
لا صلة انه لغو باطل يجب طرحه واسقاطه حتى ينتظم الكلام ومعلوم ان وصف كلام الله تعالى بذلك لا يجوز
القول الثاني للمفسرين في هذه الاية ما نقل عن الحسن انه قرا لاقسم على ان اللام للابتدا واقسم خبر مبتدا محذوف
تقديره لانا اقسم ويعضده انه في مصحف عثمان رضي الله عنه بغير الف واتفقوا في قوله ولا اقسم بالنفس اللوامة
على لا اقسم قال الحسن معنى الاية اني اقسم بيوم القيامة لشرفها ولا اقسم بالنفس اللوامة لخستها وطعن
ابو عبيدة في هذه القراة وقال لو كان المراد هذا لقال لاقسمن لان العرب لا يقولون لافعل كذا وانما يقولون لافعلن
كذا الا ان الواحدي حكى جواز ذلك عن سيبويه والفرا واعلم ان هذا الوجه ايضا ضعيف لان هذه
القراة شاذة فهب ان هذا الشاذ استمر فما الوجه في القراة المشهورة المتواترة ولا يمكن دفعها والا لكان
ذلك قدحا فيما ثبت بالتواتر وايضا فلا بد من اضمار قسم اخر لتكون هذه اللام جوابا عنه فيصير
التقدير والله لاقسم بيوم القيامة فيكون ذلك قسما على قسم وانه ركيك ولانه يفضي الى التسلسل
القول الثالث ان لفظة لا وردت للنفي ثم ههنا احتمالان الاول انها وردت نفيا لكلام ذكر قبل
القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل اقسم بيوم القيامة وهذا ايضا
فيه اشكال لان اعادة حرف النفي مرة اخرى في قوله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة مع ان المراد ما ذكرتم
يقدح في فصاحة الكلام الاحتمال الثاني ان لا ههنا لنفي القسم كانه قال لا اقسم عليكم بذلك اليوم
وتلك النفس ولكني اسالك غير مقسم اتحسب انا لا نجمع عظامك اذا تفرقت بالموت فان كنت تحسب ذلك فاعلم
انا قادرين على ان نفعل ذلك وهذا القول اختيار ابي مسلم وهو الاصح ويمكن تقرير هذا القول اختيار
ابي مسلم وهو الاصح ويمكن تقرير هذا القول على وجوه احدها كانه تعالى لا اقسم بهذه الاشيا ويكون
الغرض من هذا الكلام تعظيم المقسم عليه وتفخيم شانه وثانيها كانه تعالى يقول لا اقسم بهذه الاشيا على هذا
المطلوب فان اثباته اظهر واجلى واقوى من ان تحاول اثباته بمثل هذا القسم ثم قال بعده ايحسب الانسان
ان لن نجمع عظامه كيف خطر بباله هذا الخاطر الفاسد مع ظهور فساده وثالثها ان يكون الغرض منه الاستفهام
على سبيل الانكار والتقدير الا اقسم بالقيامة الا اقسم بالنفس اللوامة على ان الحشر والنشر حق **المسئلة
الثانيه** ذكروا في النفس اللوامه وجوها احدها قال ابن عباس ان كل نفس فانها تلوم نفسها يوم القيامة

سوا



سوا كانت برة او فاجرة اما البرة فلاجل انها لم تزد على طاعتها واما الفاجرة فلاجل انها لم تشتغل بالتقوى
وطعن بعضهم في هذا الوجه من وجوه الاول ان من استحق الثواب لا يجوز ان يلوم نفسه على ترك الزيادة
لانه لو جاز منه لوم نفسه على ذلك من غيره ان يلومها عليه الثاني ان الانسان انما يلوم نفسه عند
الضجابة وضيق القلب وذلك لا يليق باهل الجنة حال كونهم في الجنة ولان المكلف يعلم انه لا مقدار من
الطاعة الا ويمكن الاتيان بما هو ازيد منه فلو كان ذلك موجبا للوم امتنع الانفكاك عنه وما كان
كذلك لا يكون مطلوب الحصول ولا يلام على ترك تحصيله والجواب عن الكل ان نحمل اللوم على تمني الزيادة
وحينئذ يسقط هذه الاسولة وثانيها ان النفس اللوامة التي تلوم النفس العاصية يوم القيامة
بسبب انها تركت التقوى وثالثها انها هي النفوس الشريفة التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت
في الطاعة وعن الحسن ان المومن لا تراه الا لايما نفسه واما الجاهل فانه يكون راضيا بما هو فيه
من الاحوال الخسيسة ورابعها ان نفس ادم لم تزل تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وخامسها
المراد نفوس الاشقيا حين شاهدت احوال القيامة واهوالها فانها تلوم نفسها على ما صدر عنها
من المعاصي ونظيره قوله تعالى ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وسادسها ان الانسان
خلق ملولا فاي شي طلبه فاذا وجده مله فحينئذ يلوم نفسه على اني لم طلبته فلكثرة هذا العمل
سمي بالنفس اللوامة ونظيره قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير
منوعا واعلم ان قوله تعالى لوامة ينبي على التكرار والعادة وكذا القول في لوام وكذاب وضراب المسالة
اعلم ان في الاية اشكالات احدها ما المناسبة بين القيامة وبين النفس اللوامة حتى جمع الله
بينهما في القسم وثانيها المقسم عليه وهو وقوع القيامة وثالثها لم قال لا اقسم بيوم القيامة
ولم يقل والقيامة كما قال في ساير السور والطور والذاريات والضحى والجواب عن الاول من وجوه
احدها ان احوال القيامة عجيبة جدا ثم المقصود من اقامة القيامة اظهار احوال النفوس اللوامه
اعني سعادتها وشقاوتها والنفوس اللوامة هذه المناسبة الشديدة وثانيها ان القسم بالنفس
اللوامة تنبيه على عجايب احوال النفس على ما قال عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه ومن
احوالها العجيبة قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى انا عرضنا الامانة
الى قوله تعالى وحملها الانسان وقال قايلون القسم وقع بالنفس اللوامة على معنى التعظيم لها
من حيث ابدا تستحقر فعلها وجدها واجتهادها في طاعة الله تعالى وقال اخرون انه تعالى اقسم
بالقيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة وعلى هذه القراة الشاذة التي رويناها عن الحسن وكانه تعالى
قال اقسم بيوم القيمة لتعظيمها ولا اقسم بالنفس اللوامة لتحقيرها لان النفس اللوامة اما ان
تكون كافرة بالقيامة مع عظم امرها واما ان تكون فاسقة مقصرة في العمل وعلى التقديرين فانها
تكون مستحقرة واما السوال الثاني فالجواب عنه ما ذكرنا ان المحققين قالوا القسم بهذه الاشيا
قسم بربها وخالقها في الحقيقة فكانه قيل اقسم برب القيامة على وقوع يوم القيامة واما
السوال الثالث فجوابه انه حيث اقسم قال والطور والذاريات واما ههنا فانه نفى كونه تعالى
مقسما بهذه الاشيا فزال السوال اما قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوي
بنانه فيه مسايل الاولى ذكروا في جواب القسم وجوها احدها وهو قول الجمهور انه محذوف على
تقدير ليبعثن ويدل عليه ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وثانيها قال الحسن وقع القسم على قوله تعالى
بلى قادرين وثالثها وهو الاقرب ان هذا ليس بقسم بل هو نفي للقسم فلا يحتاج الى الجواب فكانه تعالى
يقول لا اقسم بكذا وكذا على شي ولكني اسالك ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه الثانية المشهور ان المراد
من الانسان انسان معين روي ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امرها فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم اومن به كيف يجمع الله العظام
فنزلت هذه الاية وقال ابن عباس يريد الانسان ههنا ابا جهل وقال جمع من الاصوليين بل المراد
الانسان المكذب بالبعث على الاطلاق الثالثة قرا قتادة ان لن يجمع عظامه على البناء للمفعول
والمعنى ان المنكر ظن ان العظام بعد تفرقها وصيرورتها ترابا واختلاط تلك الاجزا بغيرها
وبعد ما نسفتها الرياح وطيرتها في اباعد الارض لا يمكن جمعها مرة اخرى فقال تعالى في جوابه
بلى فهذه الكلمة اوجبت ما بعد النفي وهو الجمع فكانه قيل بلى نجمعها وفي قوله قادرين وجهان
الاول وهو المشهور انه حال من الضمير في نجمع اي نجمع العظام قادرين على تاليف جميعها واعادتها

الى التركيب الاول وهذا الوجه عندي فيه اشكال وهو ان الحال انما يحسن ذكره اذا امكن وقوع ذلك الامر على تلك الحالة
تقول رايت زيدا راكبا لانه يمكن ان يرى زيدا غير راكب وهاهنا كونه تعالى جامعا للعظام يستحيل وقوعه الا مع كونه
قادرا فكانه جعله حالا جاريا مجرى بيان الواضحات وانه غير جايز والثاني ان تقدير الاية كنا قادرين على تسوية
بنانه في الابتدا فوجب ان نبقى قادرين على تلك التسوية في الانتها وقرئ قادرون اي ونحن قادرون وفي قوله تعالى
على ان نسوي بنانه وجوه احدها انه تنبيه بالبنان على بقية الاعضا اي نقدر على ان نسوي بنانه بعد صيرورته كما كان
والحقيقة ان من قدر على الشي في الابتدا قدر عليه ايضا في الاعادة وانما خص البنان بالذكر لانه اخر ما يتم به خلقه
فكانه قيل نقدر على سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف
القول في كبار العظام وثانيها بلى قادرين على ان نسوي بنانه اي نجعل مع كفه صفيحة مستوية لا شقوق فيها
كخف البعير فيعدم الارتفاق بالاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وساير الاعمال اللطيفة التي يستعان عليها بالاصابع
والقول الاول اقرب الى الصواب اما قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه اعلم ان قوله تعالى بل يريد عطف على ايحسب
فيجوز فيه ايضا ان يكون استفهاما كانه استفهم عن شي ثم يستفهم عن شي اخر ويجوز ان يكون ايجابا كانه استفهم
اولا ثم اتى بهذا الاخبار ثانيا وقوله تعالى ليفجر امامه فيه قولان الاول اي ليدوم على فجوره فيما يستقبله
من الزمان لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه يقدم الذنب ويوخر التوبة يقول سوف اتوب حتى
ياتيه الموت على اشر احواله واسوا اعماله القول الثاني ليفجر امامه اي يكذب بما امامه من البعث والحساب لان
من كذب حقا كان كاذبا فاجرا والدليل عليه قوله تعالى يسال ايان يوم القيمة فالمعنى يريد الانسان ليفجر امامه
اي ليكذب بيوم القيامة وهو امامه وهو يسال ايان يوم القيمة اي متى يكون ذلك تكذيبا له ثم قال تعالى يسال ايان
يوم القيمة اي يسال سوال متعنت مستبعد لقيام الساعة وفي قوله تعالى ايان يوم القيمة ونظيره قوله تعالى
ويقولون متى هذا الوعد واعلم ان انكار البعث تارة يتولد من الشبهة واخرى من الشهوة اما الذي من الشبهة
فهو الذي حكاه الله تعالى بقوله تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وتقريره ان الانسان هو هذا البدن فاذا مات
تفرقت اجزا البدن واختلطت تلك الاجزا باجزا التراب وتفرقت في مشارق الارض ومغاربها وكان تميزها بعد ذلك
عن غيرها محالا فكان البعث محالا واعلم ان هذه الشبهة ساقطة من وجهين الاول لا نسلم ان الانسان هو هذا
البدن فلم لا يجوز ان يقال انه شي مدبر هذا البدن فاذا فسد هذا البدن بقي هو حيا كما كان وحينئذ يكون الله تعالى
قادرا على ان يرده الى اي بدن شا واراد وعلى هذا القول يسقط السوال وفي الاية اشارة الى هذا لانه اقسم بالنفس
اللوامة ثم قال تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو تصريح بالفرق بين النفس والبدن الثاني ان سلمنا ان الانسان
هو هذا البدن فلم قلتم انه بعد تفرق اجزايه لا يمكن جمعه مرة اخرى وذلك لانه تعالى عالم بجميع الجزييات فيكون
عالما بالجز الذي هو بدن زيد وبالجز الذي هو بدن عمرو وهو تعالى قادر على كل الممكنات وذلك التركيب من الممكنات والا
لما وجد اولا فيكون قادرا على جميع الممكنات ولا يبقى في المسئلة اشكال واما القسم الثاني وهو انكار من انكر المعاد بناء
على الشهوة فهو الذي حكاه الله تعالى بقوله بل يريد الانسان ليفجر امامه ومعناه ان الانسان الذي يميل طبعه
الى الاسترسال في الشهوات والاستكثار من اللذات لا يكاد يقر بالحشر والنشر وبعث الاموات لئلا تتنغص عليه
هذه اللذات الجسمانية فيكون ابدا منكرا لذلك قايلا على سبيل الظن والسخرية ايان يوم القيمة ثم انه تعالى ذكر
علامات القيامة فقال تعالى فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر وفيه
مسلتان **المسلة الاولى** اعلم انه تعالى ذكر من علامات القيامة في هذا الموضع امورا ثلاثة اولها قوله تعالى
فاذا برق البصر وقرئ برق بكسر الرا وفتحها قال الاخفش المكسورة في كلامهم اكثر والمفتوحة لغة ايضا قال الزجاج
برق بصره بكسر الرا يبرق برقا اذا تحير والاصل فيه ان يكثر الانسان من النظر الى لمعان البرق فيوثر ذلك في ناظره
ثم يستعمل ذلك في كل حيرة وان لم يكن هناك نظر الى البرق كما قالوا قمر بصره اذا فسد من النظر الى القمر ثم استعير في
الحيرة وكذلك بعل الرجل في امره اي تحير ودهش واصله من قولهم بعلت المراة اذا فاجاها زوجها فنظرت اليه
وتحيرت واما برق بفتح الرا فهو من البريق اي لمع من شدة شخوصه وقرا ابو السماك بلق بمعنى انفتح وانفرج
يقال بلق الباب وابلقته وبلقته فتحته **المسلة الثانية** اختلفوا في ان هذه الحالة متى تحصل فقيل عند الموت
وقيل عند البعث وقيل عند روية جهنم فمن قال انه عند الموت قال ان البصر يبرق على معنى يشخص
عند معاينة اسباب الموت والملايكة كما يوجد ذلك في كل احد اذا قرب موته ومن مال هذا الى التاويل
قال انهم انما سالوه عن يوم القيمة لكنه تعالى ذكر هذه الحالة عند الموت والسبب فيه من وجهين الاول
ان المنكر لما قال ايان يوم القيمة على سبيل الاستهزا فقيل له اذا برق البصر وقرب الموت زالت عنه الشكوك
وتيقن حينئذ ان الذي كان عليه من انكار البعث والقيامة الثاني انه اذا قرب موته وبرق بصره تيقن
ان انكاره البعث لاجل طلب اللذات الدنيوية كان باطلا واما من قال بان ذلك انما يكون عند قيام القيمة قال لان
السوال انما كان عن يوم القيمة فوجب ان يقع الجواب بما يكون من خواصه واثاره قال تعالى انما يوخرهم ليوم تشخص فيه

الابصار



1

الابصار وثانيها قوله تعالى وخسف القمر وفيه مسلتان **المسلة الاولى** يحتمل ان يكون المراد من الخسوف في القمر ذهاب
ضوءه كما نعقله من حاله اذا خسف في الدنيا ويحتمل ان يكون المراد ذهابه بنفسه لقوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض الثانية
قرئ وخسف على البنا للمفعول وثالثها قوله تعالى وجمع الشمس والقمر وفيه مسايل **المسلة الاولى** ذكروا في كيفية الجمع
وجوها احدها انه تعالى قال لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر فاذا جا وقت القيامة ادرك كل واحد منهما صاحبه
واجتمعا وثانيها جمعا في ذهاب الضوء وهو كما يقال الشافعي يجمع بين كذا وكذا في حكم كذا وثالثها يجمعان اسودين
مكورين كانهما ثوران عقيران في النار وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فهناك نار الله الكبرى **واعلم**
ان هذه الوجوه التي ذكرناها في قوله تعالى وخسف القمر وجمع الشمس والقمر انما تستقيم على مذهب
من يجعل برق البصر من علامات القيامة فاما من يجعل برق البصر من علامات الموت قال معنى خسف
القمر اي ذهب ضوء البصر عند الموت يقال عين خاسفة اذا فقئت حتى غابت حدقتها في الراس و
اصلها من خسفت الارض اذا ساخت بما عليها اما قوله تعالى وجمع الشمس والقمر كناية عن ذهاب الروح
الى عالم الاخرة كان الاخرة كالشمس فانه يظهر فيها المغيبات ويتضح فيها المبهمات والروح كالقمر فانه كما
ان القمر يقبل النور من الشمس فكذا الروح يقبل نور المعارف من عالم الاخرة ولا شك ان تفسير هذه
الايات بعلامات القيامة اولى من تفسيرها بعلامات الموت واشد مطابقة والله اعلم الثانية
قال الفرا انما قال جمع ولم يقل جمعت لان المراد انه جمع بينهما في زوال النور وذهاب الضوء قال الكسائي
المعنى جمع النوران والضيا ان وقال ابو عبيدة القمر يشارك الشمس في الجمع وهو مذكر فلا جرم غلب جانب
المذكر في اللفظ قال الفرا قلت لمن نصر هذا القول كيف تقولون الشمس جمع والقمر فقالوا جمعت فقلت
ما الفرق بين الموضعين فرجع عن هذا القول الثالثة طعنت الملحدة في الاية وقالوا خسوف القمر لا يحصل
حال اجتماع الشمس والقمر والجواب ان الله تعالى قادر على ان يجعل القمر منخسفا سوا كانت الارض متوسطة
بينه وبين الشمس او لم يكن والدليل عليه ان الاجسام متماثلة فيصح على كل واحد منها ما يصح على الاخر والله
تعالى قادر على كل الممكنات فوجب ان يقدر على ازالة الضو عن القمر في جميع الاحوال اما قوله تعالى يقول
الانسان يومئذ اين المفر اي يقول هذا الانسان المنكر للقيامة اذا عاين هذه الاهوال اين المفر والقراءة
المشهورة بفتح الفاء وقرئ ايضا بكسر الفاء والمفر بفتح الفاء هو الفرار قال الاخفش والزجاج المصدر من فعل
يفعل مفتوح العين وهو قول جمهور اهل اللغة والمعنى اين الفرار وقول القايل اين الفرار يحتمل معنيين
احدهما انه لا يرى علامات مكنة الفرار فيقول حينئذ اين الفرار كما اذا ايس من وجدان زيد يقول اين
زيد والثاني ان يكون المعنى الى اين الفرار واما المفر بكسر الفا فهو الموضع فزعم بعض اهل اللغة ان المفر بفتح الفا
كما يكون اسما للمصدر فقد يكون ايضا اسما للموضع والمفر بكسر الفاء كما يكون اسما للموضع فقد يكون مصدرا
ونظيره المرجع اما قوله تعالى كلا لا وزر وهو ردع عن طلب المفر لا وزر قال المبرد والزجاج اصل الوزر
الجبل المنيع ثم يقال لكل ما التجيت اليه وتحصنت به وزر وانشد المبرد قول كعب بن مالك الناس الب
علينا فيك ليس لنا الا السيوف واطراف القنا وزر ومعنى الاية انه لا شي يعصم من امر الله تعالى
ثم قال تعالى الى ربك يومئذ المستقر وفيه وجهان الاول ان يكون المستقر بمعنى الاستقرار اي انهم
لا يقدرون على ان يستقروا الى غيره وينصروا الى غيره كما قال تعالى وان الى ربك الرجعى والى الله المصير
الا الى الله تصير الامور وان الى ربك المنتهى الثاني ان يكون المعنى الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم
من جنة او نار اي يعود ذلك الى مشيته من شا ادخله الجنة ومن شا ادخله النار اما قوله تعالى
ينبوا الانسان يومئذ بما قدم واخر اي بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه ان يعمله او بما قدم من ماله
فتصدق به وبما اخره فخلفه او بما قدم من عمل الخير والشر وبما اخر من سيئة وحسنة او سيئة
فعمل بها بعده وعن مجاهد باول العمل واخره ونظيره قوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم
بما عملوا احصاه الله ونسوه وقوله تعالى ونكتب ما قدموا واثارهم **واعلم** ان الاظهر ان
هذا الانبا يكون يوم القيامة عند العرض والمحاسبة ووزن الاعمال ويجوز ان يكون عند الموت
وذلك انه اذا مات بين له مقعده من الجنة والنار اما قوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة
**اعلم** انه تعالى لما قال ينبوا الانسان يومئذ بما قدم واخر اي باعماله قال بل لا يحتاج الى ان ينباه
غيره لان نفسه مشاهدة عليه بكونه فاعلا لتلك الافعال مقدما عليها ثم في قوله بصيرة
وجهان الاول قال الاخفش جعله في نفسه بصيرة كما تقول فلان جود وكرم فهاهنا ايضا كذلك
لان الانسان بضرورة عقله يعلم ان ما يقربه الى الله تعالى ويشغله بطاعته وخدمته فهو
السعادة وما يبعده عن طاعة الله تعالى ويشغله بالدنيا ولذاتها فهو الشقاوة فهب انه بلسانه
يروج ويزور ويرى الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق لكنه بعقله السليم يعلم ان الذي

هو عليه في ظاهره جيدا ورديه والثاني ان المراد ان جوارحه تشهد عليه بما عمل فهو شاهد على نفسه بشهادة جوارحه وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل وهو كقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم وقوله تعالى وتكلمنا ايديهم وقوله تعالى شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم فاما تانيث البصيرة فيجوز ان يكون لان المراد بالانسان هاهنا جوارح الانسان على نفسه بصيرة وقال ابو عبيدة هذه الهاء لاجل المبالغة كقوله رجل راوية وطاغية وعلامة **واعلم** انه تعالى ذكر في الاية الاولى ان الانسان يخبر يوم القيمة باعماله ثم ذكر في هذه الاية انه شاهد على نفسه بما عمل فقال الواحدي هذا يكون من صفات الكفار فانهم ينكرون ما عملوا فيختم الله تعالى على افواههم وينطق جوارحهم اما قوله تعالى ولو القى معاذيره للمفسرين فيه اقوال الاول قال الواحدي معاذير جمع معذرة يقال معذرة ومعاذير وقال صاحب الكشاف جمع المعذرة معاذر والمعاذير ليس جمع معذرة وانما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر والمعنى ان الانسان وان اعتذر عن نفسه وجادل عنها واتى بكل عذر وحجة فانه لا ينفعه ذلك لانه شاهد على نفسه القول الثاني قال الضحاك والسدي والفرا والمبرد والزجاج المعاذير الستور واحدها معذار قال المبرد هي لغة يمانية قال صاحب الكشاف فان صحت هذه الرواية فذاك مجاز من حيث ان الستر يمنع روية المحتجب كما يمنع المعذرة عقوبة المذنب والمعنى على هذا القول انه وان اسبل الستر ليخفي ما عمل فان نفسه شاهدة عليه

**قوله تعالى** لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وجوه يوميذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يوميذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يوميذ المساق فلا صدق ولا صلى فيه مسايل **المسلة الاولى** زعم قوم من قدماء الروافض ان هذا القران قد غير وبدل وزيد فيه ونقص منه واحتجوا عليه بانه لا مناسبة بين هذه الاية وبين ما قبلها ولو كان الترتيب من الله تعالى لما كان الامر كذلك **واعلم** ان في بيان المناسبة وجوها اولها قوله تعالى يحتمل ان يكون الاستعجال المنهي عنه انما اتفق للرسول عليه السلام عند انزال هذه الايات عليه فلا جرم نهي عن ذلك الاستعجال في هذا الوقت وقيل لا تحرك به لسانك لتعجل به وهذا كما ان المدرس اذا كان يلقي على تلميذه سبقا فاخذ التلميذ يلتفت يمينا وشمالا فيقول المدرس في اثناء ذلك لا تلتفت يمينا وشمالا ثم يعود الى الدرس فاذا نقل ذلك الدرس مع هذا الكلام فمن لم يعرف السبب يقول ان وقوع تلك الكلمة في اثناء ذلك الدرس غير مناسب لكن من عرف الواقعة علم انه حسن الترتيب وثانيها انه تعالى نقل عن الكفار انهم يحبون السعادة العاجلة وذلك هو قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه ثم بين ان التعجيل مذموم مطلقا حتى التعجيل في امور الدين فقال لا تحرك به لسانك لتعجل به وقال في اخر الاية كلا بل تحبون العاجلة وثالثها انه تعالى قال بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره فهاهنا كان الرسول عليه السلام يظهر التعجيل في القراة مع جبريل عليه السلام فكان يجعل العذر فيه خوف النسيان فكانه قيل له انك اذا اتيت بهذا العذر لكنك تعلم ان الحفظ لا يحصل الا بتوفيق الله تعالى واعانته فاترك هذا التعجيل واعتمد على هداية الله تعالى وهذا هو المراد من قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه ورابعها كانه تعالى قال يا محمد ان غرضك من هذا التعجيل ان تحفظه وتبلغه اليهم لكن لا حاجة الى هذا فان الانسان على نفسه بصير وهم يعلمون ان الذي هم عليه من الكفر وعبادة الاوثان وانكار البعث منكر باطل واذا كان غرضك من هذا التعجيل ان يعرفهم قبح ما هم عليه ثم ان هذه المعرفة حاصلة عندهم فحينيذ لم يبق لهذا التعجيل فايدة فلا جرم قال لا تحرك به لسانك وخامسها انه تعالى حكى عن الكافر انه يقول اين المفر ثم قال تعالى كلا لا وزر الى ربك يوميذ المستقر فالكافر كانه يفر من الله تعالى الى غيره فقيل لمحمد عليه السلام انك في طلب حفظ القران تستعين بالتكرار وهذا استعانة منك بغير الله فاترك هذه الطريقة واستعن في هذا الامر بالله فكانه قيل ان الكافر كان يفر من الله تعالى الى غيره واما انت فكن كالمضاد له فيجب ان تفر من غير الله الى الله وان تستعين في كل الامور بالله تعالى حتى يحصل لك المقصود على ما قال ان علينا جمعه وقرانه وقال تعالى في سورة اخرى ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما اي لا تستعن في طلب الحفظ بالتكرار بل اطلبه من الله تعالى وسادسها ما ذكره القفال وهو ان قوله تعالى لا تحرك به لسانك ليس خطابا مع الرسول عليه السلام بل هو خطاب مع الانسان المذكور في قوله تعالى ينبوا الانسان يوميذ بما قدم فكان ذلك حال ما ينبا بقبايح افعاله وذلك بان يعرض عليه كتابه فيقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فاذا اخذ في القراة تلجلج لسانه من شدة الخوف ومن سرعة القراة فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فانه يجب علينا بحكم الوعد او بحكم الحكمة ان نجمع اعمالك عليك وان نقراها

عليك



عليك فاذا قراناه عليك فاتبع قرانه بالاقرار بانك فعلت تلك الافعال ثم ان علينا بيان امره وشرح مراتب عقوبته وحاصل الامر من تفسير هذه الاية ان المراد منها انه تعالى يقرر على الكافر جميع افعاله على سبيل التفصيل وفيه اشد الوعيد في الدنيا واشد التهويل في الاخرة ثم قال القفال رحمه الله تعالى فهذا وجه حسن ليس في العقل ما يدفعه وان كانت الاثار غير واردة به احتج من جوز الذنب على الانبياء عليهم السلام بهذه الاية فقال ان ذلك الاستعجال ان كان باذن الله تعالى فكيف نهاه الله تعالى عنه وان كان لا باذن الله تعالى فقد صدر الذنب عنه والجواب لعل ذلك الاستعجال كان ماذونا فيه الى وقت النهي عنه ولا يبعد ان يكون الشيء ماذونا فيه في وقت ثم يصير منهيا عنه في وقت اخر ولهذا السبب قلنا يجوز النسخ الثالثة روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه حفظ التنزيل وكان اذا نزل عليه الوحي يحرك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبريل عليه السلام مخافة ان لا يحفظ فانزل الله تعالى لا تحرك به لسانك اي بالوحي والتنزيل والقران وانما جاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه كما اضمر في قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر ونظيره قوله تعالى ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقوله تعالى لتعجل به اي لتعجل باخذه اما قوله تعالى ان علينا جمعه وقرانه ففيه مسايل **الاولى** كلمة على للوجوب فقوله علينا يدل على ان ذلك كالواجب على الله تعالى اما على مذهبنا فذلك الوجوب بحكم الوعد واما على قول المعتزلة فلان المقصود من البعثة لا يتم الا اذا كان الوحي محفوظا مبرا عن النسيان فكان ذلك واجبا نظرا الى الحكمة **الثانية** قوله تعالى ان علينا جمعه وقرانه معناه علينا جمعه في صدرك وحفظك وقوله تعالى وقرانه فيه وجهان احدهما ان المراد من القران القراة وعلى هذا التقدير ففيه احتمالان احدهما ان يكون المراد ان جبريل عليه السلام سيعيده عليك حتى تحفظه والثاني ان يكون المراد انا سنقريك يا محمد الى ان تصير بحيث لا تنساه وهو المراد من قوله تعالى سنقريك فلا تنسى الا ما شاء الله فعلى الاول القاري جبريل عليه السلام وعلى الوجه الثاني القاري محمد والوجه الثاني ان يكون المراد من القران الجمع والتاليف من قولهم ما قرات الناقة سلا قط اي ما جمعت وبيت عمرو بن كلثوم لم تقرا جنينا وقد ذكرنا ذلك عند تفسير القرو فان قيل فعلى هذا الوجه يكون الجمع والقراة واحدة فيلزم التكرار قلنا يحتمل ان يكون المراد من الجمع جمعه في نفسه ووجوده الخارجي ومن القران جمعه في ذهنه وحفظه وحينيذ يندفع التكرار اما قوله تعالى فاذا قراناه فاتبع قرانه ففيه مسايل الاولى جعل قراة جبريل عليه السلام قراته وهذا يدل على الشرف لجبريل عليه السلام ونظيره في حق محمد عليه السلام من يطع الرسول فقد اطاع الله الثانية قال ابن عباس معناه فاذا قراه جبريل فاتبع قرانه وفيه وجهان احدهما قال قتادة فاتبع حلاله وحرامه والثاني فاتبع قراته اي لا ينبغي ان يكون قراتك مقارنة لقراة جبريل لكن يجب ان تسكت حتى يتم جبريل عليه السلام القراة فاذا سكت جبريل عليه السلام فخذ انت في القراة وهذا الوجه اولى لانه عليه السلام امر ان يدع القراة ويستمع من جبريل عليه السلام حتى اذا فرغ جبريل عليه السلام قراه وليس هذا موضع الامر باتباع ما فيه من الحلال والحرام قال ابن عباس وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل عليه السلام بعد هذه الاية اطرق واستمع فاذا ذهب قراه اما قوله تعالى ثم ان علينا بيانه ففيه مسلتان الاولى الاية تدل على انه عليه السلام كان يقرا مع قراة جبريل عليه السلام وكان يسال في اثناء قراته عن مشكلاته ومعانيه لغاية حرصه على العلم فنهى النبي عليه السلام عن الامرين جميعا اما القراة مع جبريل عليه السلام فبقوله تعالى فاذا قراناه فاتبع قرانه واما عن القا الاسولة في البين فقوله تعالى ثم ان علينا بيانه الثانية احتج من جوز تاخير البيان عن وقت الخطاب بهذه الاية واجاب ابو الحسين عنه من وجهين الاول ان ظاهر الاية يقتضي وجوب تاخير البيان عن وقت الحاجة وانتم لا تقولون به الثاني ان عندنا الواجب ان يقرن باللفظ اشعارا بانه ليس المراد من اللفظ ما يقتضيه ظاهره واما البيان التفصيلي فيجوز تاخيره فتحمل الاية على تاخير البيان التفصيلي وذكر القفال وجها ثالثا وهو ان قوله تعالى ثم ان علينا بيانه اي ثم انا نخبرك بان علينا بيانه ونظيره قوله تعالى فك رقبة الى قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا والجواب عن الاول ان اللفظ لا يقتضي وجوب تاخير البيان بل يقتضي تاخير وجوب البيان وعندنا الامر كذلك لان وجوب البيان لا يتحقق الا عند الحاجة وعن الثاني ان كلمة ثم دخلت على مطلق البيان فيتناول البيان المجمل والمفصل واما سوال القفال فضعيف ايضا لان قوله ترك للظاهر من غير دليل الثالثة قوله تعالى ثم ان علينا بيانه يدل على ان بيان المجمل واجب على الله تعالى اما عندنا فبالوعد والتفضل واما عند المعتزلة فبالحكمة اما قوله تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة ففيه مسايل المسلة الاولى قال صاحب الكشاف كلا ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وحث على الاناة والتودد وقد بالغ في ذلك باتباعه اما قوله تعالى بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم يا بني ادم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وقال ساير المفسرين كلا معناه حقا اي تحبون العاجلة وتذرون الاخرة والمعنى انهم يحبون الدنيا ويعملون لها ويتركون الاخرة ويعرضون عنها المسلة الثانية قرئ يحبون ويذرون بالتاء والياء وفيه وجهان الاول قال الفرا القران اذا نزل تعريفا لحال قوم فتارة ينزل على سبيل الم

لهم وتارة على سبيل الغاية كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة الثاني قال ابو علي الفارسي
الناس على ما تقدم من ذكر الانسان في قوله تعالى ايحسب الانسان والمراد منه الكثرة كقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا
والمعنى انهم يحبون ويذرون اما قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة قال الليث يقال نضر اللون والشجر والورق
ينضر نضرة والنضرة النعمة والناضر الناعم الغض الحسن من كل شي ومنه يقال للون اذا كان مشرقا ناضر فيقال
اخضر ناضر وكذلك في جميع الالوان ومعناه الذي له بريق وكذلك شجر ناضر وروض ناضر ومنه قوله عليه السلام نضر الله
امرا وعى مقالتي الحديث اكثر الرواة رووا بالتخفيف وروي عن الاصمعي فيه التشديد والفاظ المفسرين اختلفوا
في تفسير الناضر ومعناه واحد قالوا مسرورة ناعمة مضيئة مشرقة بهجة وقال الزجاج نضرت بنعيم الجنة كما قال تعالى
تعرف في وجوههم نضرة النعيم ثم قال تعالى الى ربها ناظرة اعلم ان جمهور اهل السنة يتمسكون بهذه الاية في ان المومنين
يرون الله تعالى يوم القيمة اما المعتزلة فلهم هاهنا مقامان احدهما بيان ان ظاهره لا يدل على روية الله تعالى
والثاني بيان التاويل اما المقام الاول فقالوا ان النظر المقرون بحرف الى ليس اسما للروية بل لمقدمة الروية وهي
تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا لرويته ونظر العين بالنسبة الى الروية بل لمقدمة الروية ونظر العين بالنسبة
الى الروية كنظر القلب بالنسبة الى المعرفة وكالاصغا بالنسبة الى السماع وكما ان نظر القلب مقدمة للمعرفة والاصغا
مقدمة السماع فكذا نظر العين مقدمة للروية قالوا والذي يدل على ان النظر ليس اسما للروية وجوه الاول قوله
تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون اثبت النظر حال عدم الروية فدل على ان النظر غير الروية والثاني ان النظر
يوصف بما لا يوصف به الروية يقال نظر اليه نظرا شزرا ونظر غضبان ونظر راض وكل ذلك لاجل ان حركة الحدقة تدل
على هذه الاحوال ولا توصف الروية بشي من ذلك فلا يقال راه شزرا وراه روية غضبان وروية راض الثالث
يقال انظر اليه حتى تراه ونظرت اليه فرايته وهذا يفيد كون الروية غاية للنظر وذلك يوجب الفرق بين النظر والروية
الرابع يقال دور فلان متناظرة اي متقابلة فمسمى النظر حاصل هاهنا ومسمى الروية غير حاصل الخامس قول
الشاعر وجوه يوم بدر ناظرات الى الرحمن ياتي بالخلاص اثبت النظر المقرون بحرف الى مع ان الروية ما كانت حاصلة
السادس احتج ابو علي الفارسي على ان النظر ليس عبارة عن الروية التي هي ادراك البصر بل هو عبارة عن تقليب الحدقة
نحو الجهة التي فيها الشي الذي يراد رويته بقول الشاعر فيا مي هل يجزى بكاي بمثله مرارا وانفاسي اليك الزوافر
واني متى اشرف على الجانب الذي به انت من بين المحبوب فان ذلك من اعظم مطالبه قال ويدل على ذلك ايضا قول
الجوانب ناظر
الاخر ونظرة ذي شجو اما اذا الركائب جاوزن ميلا والمراد منه تقليب الحدقة نحو الجانب الذي فيه المحبوب فعلمنا
بهذه الوجوه ان النظر المقرون بحرف الى ليس للروية السابع ان قوله تعالى الى ربها ناظرة معناه انها تنظر الى ربها
خاصة لا تنظر الى غيره وهذا معنى تقديم المفعول الا ترى الى قوله تعالى الى ربك يومئذ المستقر الى ربك يومئذ
المساق الى الله تصير الامور واليه ترجعون والى المصير عليه توكلت واليه انيب كيف دل فيها التقديم
على الاختصاص ومعلوم انهم ينظرون الى اشيا لا يحيط بها الحصر ولا يدخل تحت العدد في موقف القيامة فان
المومنين نظارة ذلك اليوم لانهم الامنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فلما دلت الاية على ان النظر ليس الا
الى الله ودل العقل على انهم يرون غير الله علمنا ان المراد من النظر الى الله تعالى ليس هو الروية الثامن قال
تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة ومن قال لا يراهم كفر فلما نفى النظر ولم ينف الروية دل على المغايرة فثبت
بهذه الوجوه ان النظر المذكور في هذه الاية ليس هو الروية المقام الثاني في بيان التاويل المفصل وهو من
وجهين الاول ان يكون الناظر بمعنى المنتظر اي اولئك الاقوام ينتظرون ثواب الله تعالى وهو كقول
القائل انما انظر الى فلان في حاجتي والمراد انتظر نجاحها من جهته قال تعالى فناظرة بم يرجع المرسلون
وقال تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة لا يقال النظر المقرون بحرف الى غير مستعمل في معنى الانتظار
ولان الانتظار غم والم فلا يليق باهل السعادة يوم القيامة لانا نقول الجواب عنه من وجهين الاول ان النظر
المقرون بحرف الى قد يستعمل بمعنى الانتظار والتوقع والدليل عليه انه يقال انا الى فلان ناظر ما يصنع بي و
المراد منه التوقع والرجا قال الشاعر واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما وتحقيق الكلام
فيه ان قولهم في الانتظار نظرته بغير صلة فانما ذلك في الانتظار لمجي الانسان بنفسه فاما اذا كان منتظر
الرفد ومعونته فقد يقال فيه نظرت اليه كقول الرجل انما نظري الى الله ثم اليك وقد يقال ذلك وان لم يبصر
ويقول الاعمى في مثل هذا المعنى عيني شاخصة اليك ثم ان سلمنا ذلك لكن لا نسلم ان المراد من الى هاهنا
حرف التعدية بل هو واحد الالاء والمعنى وجوه يومئذ ناضرة نعمة ربها منتظرة واما السوال الثاني وهو ان
الانتظار غم والم فجوابه ان المنتظر اذا كان فيما ينتظره على يقين من الوصول اليه فانه يكون في اعظم
اللذات التاويل الثاني ان يضمر المضاف والمعنى الى ثواب ربها ناظرة قالوا وانما صرنا الى هذا التاويل لانه
لما دلت الدلايل السمعية والعقلية على انه سبحانه وتعالى يمتنع رويته وجب المصير الى التاويل وبعد فان
هذه الاية تدل بعينها على ان النظر ليس عبارة عن تقليب الحدقة لانه تعالى قال لا ينظر اليهم وليس المراد انه تعالى

لايقلب



لا يقلب الحدقة الى جهتهم فان قلتم المراد انه لا ينظر اليهم نظر الرحمة كان ذلك جوابنا عما قالوه التاويل الثالث ان يكون
معنى الى ربها ناظرة انها لا تسال ولا ترغب الا الى الله وهو المراد من قوله عليه السلام اعبدوا الله كانك تراه فاهل القيامة
لشدة تضرعهم اليه وانقطاع اطماعهم من غيره صاروا كانهم ينظرون اليه والجواب قوله ليس النظر عبارة عن الروية قلنا هاهنا
مقامان الاول ان نقيم الدلالة على ان النظر هو الروية من وجوه احدها ما حكى الله تعالى عن موسى عليه السلام وهو قوله تعالى
ارني انظر اليك فلو كان النظر عبارة عن تقليب الحدقة الى جانب المرئي لاقتضت الاية ان موسى عليه السلام اثبت لله تعالى
جهة ومكانا وذلك محال الثاني انه جعل النظر امرا مرتبا على الارادة فيكون النظر متاخرا عن الارادة وتقليب الحدقة غير
متاخر عن الارادة فوجب ان لا يكون النظر عبارة عن تقليب الحدقة المقام الثاني وهو الاقرب الى الصواب سلمنا ان النظر عبارة
عن تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا لرويته لكنا نقول لما تعذر حمله على حقيقته وجب حمله على مسببه وهو الروية اطلاقا
لاسم السبب على المسبب وحمله على الروية اولى من حمله على الانتظار لان تقليب الحدقة كالسبب للروية ولا تعلق بينه وبين
الانتظار فكان حمله على الروية اولى من حمله على الانتظار اما قوله النظر بمعنى الانتظار قلنا في الجواب مقامان الاول ان النظر
الوارد بمعنى الانتظار كثير في القران ولكنه لم يقرن البتة بحرف الى كقوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم وقوله تعالى
هل ينظرون الا تاويله وقوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله والذي يدل عليه ان النظر المقرون بحرف الى المعدى
الى الوجوه ليس الا بمعنى الروية والدليل عليه ان وروده بمعنى الروية او بالمعنى الذي يستعقب الروية ظاهر فوجب
ان لا يرد بمعنى الانتظار دفعا للاشتراك واما قول الشاعر وجوه يوم بدر ناظرات الى الرحمن ينتظر الفلاح قلنا
هذا الشعر موضوع والرواية الصحيحة وجوه ناظرات يوم بكر الى الرحمن ينظر الخلاص والمراد من هذا الرحمن مسيلمة
الكذاب لانهم كانوا يسمونه رحمن اليمامة فاصحابه كانوا ينظرون اليه ويتوقعون منه التخليص من الاعدا واما
قول الشاعر واذا نظرت اليك من ملك فالجواب ان قوله واذا نظرت اليك لا يمكن ان يكون المراد الانتظار لان مجرد الانتظار
لا يستعقب العطية بل المراد من قوله واذا نظرت اليك اذا سالتك لان النظر الى الانسان مقدمة المكالمة فجاز التعبير
عنه به وقوله كلمة الى هاهنا ليس المراد منه حرف التعدية بل واحد الالا قلنا ان على هذا القول يكون اسما للماهية
التي يصدق عليها انها نعمة فعلى هذا الى تكون في تحقيق مسمى هذه اللفظة اي جزء من اجزاء النعمة وان كانت
غاية القلة والحقارة واهل الثواب يكونون في جميع مواقف القيامة في النعم العظيمة المتكاملة ومن كان حاله
كذلك فكيف يمكن ان يبشر بانه يكون في توقع الشي الذي ينطلق على اسم النعمة ومثال هذا يبشر سلطان الارض بانه
سيصير حاله في العظمة والقوة بعد سنة بحيث يكون متوقعا لحصول اللقمة الواحدة من الخبز والقطرة الواحدة
من الماء فكما ان ذلك فاسد من القول فكذا هاهنا المقام الثاني هب ان النظر المعدى بحرف الى المقرون بالوجوه جاء
في اللغة بمعنى الانتظار لكن لا يمكن حمل هذه الاية عليه لان لذة الانتظار مع وقوع اليقين كانت حاصلة في
الدنيا فلا بد وان يحصل في الاخرة ولا يجوز ان يكون ذلك هو قريب الحصول لان ذلك معلوم بالعقل فبطل ما ذكره
من التاويل واما التاويل الثاني وهو المراد الى ثواب ربها ناظرة فهذا ترك للظاهر وقولهم انما صرنا اليه
لقيام الدلايل العقلية والنقلية على ان الله تعالى لا يرى قلنا بينا في الكتب العقلية ضعف تلك الوجوه ولا حاجة
هاهنا الى ذكرها والله تعالى اعلم اما قوله تعالى ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة الباسر الشديد
العبوس والباسل اشد منه ولكنه غلب في الشجاعة اذا اشتد كلوحه والمعنى انها عابسة كالحة قد اظلمت
الوانها وعدمت اثار السرور والنعمة منها لما ادركها من الشقا والياس من رحمة الله تعالى ولما سودها
الله تعالى حين ميز بين اهل الجنة والنار وقد تقدم تفسير البسور عند قوله تعالى عبس وبسر وانما كانت
هذه الصفة لانها قد ايقنت ان العذاب نازل بها وهو قوله تعالى تظن ان يفعل بها فاقرة والظن هاهنا
بمعنى اليقين هكذا قاله المفسرون وعندي ان الظن هاهنا انما ذكر على سبيل التهكم كانه قيل انهم اذا شاهدوا
تلك الاحوال حصل فيهم ظن ان القيامة حق واما الفاقرة قال ابو عبيدة الفاقرة الداهية وهو الوسم الذي
يفقر به على الانف قال الاصمعي الفقر ان يحز انف البعير حتى يخلص الى العظم او قريب منه ثم يجعل فيه خشبة
يجر البعير بها ومنه قيل عملت بها الفاقرة قال المبرد الفاقرة داهية بكسر الظهر واصلها من الفقرة والفقارة
كان الفاقرة داهية تكسر فقار الظهر قال ابن قتيبة يقال فقرت الرجل من الفقرة والفقارة كما يقال راسته
وبطنته فهو مفقور واعلم ان من المفسرين من فسر الفاقرة بانواع العذاب في النار وفسرها الكلبي فقال
الفاقرة هي ان تحجب عن روية ربها ولا تنظر اليه اما قوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن
انه الفراق قال الزجاج كلا ردع عن ايثار الدنيا على الاخرة كانه قيل لما عرفتم صفة سعادة السعدا
وشقاوة الاشقيا في الاخرة وعلمتم انه لا نسبة لها الى الدنيا فارتدعوا عن ايثار الدنيا على الاخرة
وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذي عنده ينقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى الاجلة التي
تبقون فيها مخلدون وقال اخرون كلا اي حقا اذا بلغت التراقي كان كذا وكذا والمقصود انه لما بين تعظيم
احوال الاخرة بين ان الدنيا لا بد فيها من الانتها والفنا والوصول الى تجرع مرارة الموت وقال مقاتل كلا اي لا يومن

الكافر بما ذكر من القيامة ولكنه يمكنه ان يدفع انه لا بد من الموت ومن تجرع الامها وتحمل افاتها ثم انه تعالى
وصف تلك الحالة التي تفارق الروح فيها الجسد فقال اذا بلغت التراقي وفيه مسئلتان المسئلة الاولى المراد
اذا بلغت النفس او الروح اخبر عما لم يجر له ذكر لعلم المخاطب بذلك كقوله انا انزلناه والتراقي جمع ترقوة
وهي عظم وصل بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين واعلم انه يكنى ببلوغ النفس التراقي عن القرب من الموت
ومنه قول دريد بن الصمة وقد بلغت نفوسهم التراقي ونظيره قوله تعالى اذا بلغت الحلقوم والله اعلم
المسئلة الثانية قال بعض الطاعنين ان النفس انما تصل الى التراقي بعد مفارقتها عن القلب ومتى فارقت
النفس القلب حصل الموت لا محالة والاية تدل على ان بلوغها التراقي سبق الحياة حتى يقال فيه من راق حين
يلتف الساق بالساق والجواب المراد من قوله حتى اذا بلغت التراقي اذا حصل القرب من تلك الحالة اما قوله تعالى
وقيل من راق وفيه مسئلتان الاولى في من راق وجهان الاول ان يكون من الرقية يقال رقاه برقيه رقية اذا عوذه
بما يشفيه كما يقال باسم الله ارقيك وقايل هذا القول على هذا الوجه هم الذين يكونون حول ذكر الانسان
المشرف على الموت ثم هذا الاستفهام يحتمل ان يكون بمعنى الطلب كانهم طلبوا له طبيبا يشفيه وراقيا يرقيه
ويحتمل ان يكون استفهاما بمعنى الانكار كما يقول القايل عند الناس من الذي يقدر ان يرقي هذا الانسان المشرف على
الموت الوجه الثاني ان يكون قوله من راق يرقى رقيا ومنه قوله تعالى ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا وعلى هذا
الوجه يكون قايل هذا القول هم الملايكة قال ابن عباس ان الملايكة يكرهون القرب من الكافر فيقول ملك الموت من يرقى
بهذا الكافر وقال الكلبي يحضر العبد عند الموت سبعة املاك من ملايكة الرحمة وسبعة من ملايكة العذاب مع ملك
الموت فاذا بلغت نفس العبد التراقي نظر بعضهم الى بعض ايهم يرقى بروحه الى السماء فهو قوله تعالى من راق الثانية
قال الواحدي ان اظهار النون عند حروف الفم لحن فلا يجوز اظهار النون في قوله تعالى من راق وروى حفص
عن عاصم اظهار النون واللام في قوله تعالى من راق وبل ران قال ابو علي الفارسي ولا اعرف وجه ذلك قال الواحدي
والوجه ان يقال قصد الوقف على من وبل فاظهرهما ثم ابتدا بما بعدهما وهي غير مرضي من القراة اما قوله تعالى وظن
انه الفراق قال المفسرون المراد انه ايقن بمفارقة الدنيا ولعله انما سمي اليقين ها هنا بالظن لان الانسان
ما دام يبقى روحه متعلقا ببدنه فانه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة على ما قال تعالى كلا بل تحبون
العاجلة ولا ينقطع رجاوه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل الظن الغالب مع رجاء الحياة او لعله سماه بالظن
على سبيل التهكم واعلم ان الاية دالة على ان الروح جوهر قايم بنفسه باق بعد موت البدن لانه تعالى
سمى الموت فراقا والفراق انما يكون لو كانت الروح باقية فان الفراق والوصال صفة والصفة يستدعي وجود
الموصوف ثم قال تعالى والتفت الساق بالساق الالتفاف هو الاجتماع كقوله تعالى جينا بكم لفيفا وفي الساق
قولان القول الاول الامر الشديد قال اهل المعاني لان الانسان اذا دهمته شدة شمر لها عن ساقيه فقيل للامر
الشديد ساق وتقول العرب قامت الحرب على ساق اي اشتدت قال الجعدي اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها
وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا ثم قالوا والمراد بقوله التفت الساق بالساق اما التفت شدة مفارقة
الدنيا ولذاتها وشدة الذهاب والتفت شدة ترك الاهل وترك الولد وترك المال وترك الجاه وشدة
شماتة الاعداء وغم الاولياء وبالجملة فالشدايد هناك كبيرة كشدة الذهاب الى الاخرة والقدوم على الله تعالى
او التفت شدة ترك الاحباب والاولياء وشدة الذهاب الى دار الغربة والقول الثاني ان المراد من الساق
هذا العضو المخصوص ثم ذكروا على هذا القول وجوها احدها قال الشعبي وقتادة هما ساقاه عند الموت
اما رايته في النزع كيف يضرب باحد رجليه على الاخرى والثاني انه اذا مات يبست ساقاه ولصقت احداهما بالاخرى
ثم قال تعالى الى ربك يوميذ المساق والمساق مصدر من ساق يسوق كالمقال من قال يقول ثم فيه وجهان احدهما
ان يكون المراد المسوق اليه هو الرب والثاني ان يكون المراد ان السابق في ذلك اليوم هو الرب اي سوق هولاء
مفوض اليه اما قوله تعالى فلا صدق ولا صلى فيه مسايل المسئلة الاولى انه تعالى شرح كيفية عمله وبما
يتعلق باصول الدين وفروعه وفيما يتعلق بدنياه اما ما يتعلق باصول الدين فهو انه ما صدق بالدين
ولكنه كذب به واما ما يتعلق بفروع الدين فهو انه ما صلى ولكنه تولى واعرض واما ما يتعلق بدنياه
فهو انه ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر ويختال في مشيته واعلم ان الاية دالة على ان الكافر يستحق
الذم والعقاب بترك الصلاة كما يستحقها بترك الايمان الثانية قوله تعالى فلا صدق حكاية عمن
فيه قولان الاول انه كناية عن الانسان في قوله تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه الا ترى الى قوله تعالى
ايحسب الانسان ان يترك سدى وهو معطوف على قوله تعالى يسال ايان يوم القيامة القول الثاني ان الاية
نزلت في ابي جهل الثالثة يتمطى فيه قولان احدهما ان اصله يتمطط اي يتمدد لان المتمطي يمد خطاه فقلبت
الطاء فيه ياء كما قيل في تقضى اصله تقضض الثاني انه من المطا وهو الظهر لانه يلويه وفي الحديث اذا مشت
امتي المطيطا اي مشية المتبختر الرابعة قال اهل العربية لا ها هنا في موضع لم في قوله تعالى لا صدق ولا صلى



اي لم يصدق ولم يصل وهو كقوله تعالى فلا اقتحم العقبة اي لم يقتحم وكذا ما روي في الحديث ارايت من لا اكل ولا
شرب ولا استهل قال الكسائي لم ار العرب قالت في مثل هذا كلمة وحدها حتى تتبعها بالاخرى اما مصرحا او مقدرا اما
المصرح فلا يقولون لا عبد الله خارج حتى يقولوا ولا فلان ولا يقولون مررت برجل لا يحسن حتى يقولوا ولا يجمل واما
المقدر فهو كقوله تعالى فلا اقتحم العقبة ثم اعترض الكلام فقال تعالى وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام
في يوم فكان التقدير لا فك رقبة ولا اطعام مسكينا فاكتفى بلا مرة واحدة ومنهم من قال التقدير في قوله
تعالى فلا اقتحم العقبة اي فلا اقتحم وهلا اقتحم اما قوله تعالى اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى قال قتادة
والكلبي ومقاتل اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد ابي جهل ثم قال له اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى
توعده قال ابو جهل باي شيء تهددني لا تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيا واني لاعز اهل هذا الوادي
ثم انسل ذاهبا فانزل الله تعالى كما قال له الرسول عليه السلام ومعنى قوله تعالى اولى لك يعني ويل لك وهو دعا
عليه بان يليه ما يكرهه قال القاضي المعنى بعدا لك فبعدا في امر دنياك وبعدا لك فبعدا في امر اخراك وقال
اخرون المعنى الويل لك مرة بعد اخرى قال القفال هذا يحتمل وجوها احدها انه وعيد مبتدا من الله تعالى للكافر
والثاني انه شيء قاله النبي عليه السلام لعدو الله فاستنكره عدو الله لعزته عند نفسه فانزل الله تعالى
مثل ذلك والثالث ان يكون ذلك امرا من الله تعالى لنبيه بان يقولها لعدو الله فيكون المعنى ثم ذهب الى اهله
يتمطى فقل له يا محمد اولى لك فاولى اي احذر فقد قرب منك ما لا قبل لك به من المكروه اما قوله تعالى ايحسب الانسان
ان يترك سدى اي مهملا لا يومر ولا ينهى ولا يكلف في الدنيا ولا يحاسب بعمله في الاخرة والسدى في اللغة المهمل
يقال اسديت ابلي اسداء اي اهملتها واعلم انه تعالى لما ذكر في اول السورة قوله تعالى ايحسب الانسان
ان لن نجمع عظامه اعاد في اخر السورة ذلك وذكر في صحة البعث والقيامة دليلين الاول قوله تعالى
ايحسب الانسان ان يترك سدى ونظيره قوله تعالى ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى وقوله
تعالى ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار وتقديره ان اعطاء
القدرة والالة والعقل بدون التكليف والامر بالطاعة والنهي عن المفاسد يقتضي كونه تعالى راضيا بقبايح
الافعال وذلك لا يليق بحكمته فاذن لا بد من التكليف والتكليف لا يحسن ولا يليق بالكريم الرحيم الا اذا كان هناك
دار الثواب والبعث والقيامة والدليل الثاني على صحة القول بالحشر الاستدلال بالخلقة الاولى على الاعادة
وهو المراد من قوله تعالى الم يك نطفة من مني يمنى وفيه مسايل الاولى النطفة هي الماء القليل وجمعها نطاف
ونطف يقال نطف الماء اذا قطر وقوله تعالى من مني يمنى اي يصب في الرحم وذكرنا الكلام
في يمنى عند قوله تعالى من نطفة اذا تمنى وقوله تعالى افرايتم ما تمنون فان قالوا ما الفايدة في قوله تعالى من
مني يمنى قلنا فيه اشارة الى حقارة حاله كانه قيل انه مخلوق من المني الذي يجري على مخرج النجاسة فلا يليق
بمثل هذا الشيء ان يتمرد عن طاعة الله تعالى الا انه عبر عن هذا المعنى على سبيل الرمز كما في قوله تعالى في
عيسى ومريم كانا ياكلان الطعام والمراد منه قضاء الحاجة الثانية في يمنى في هذه السورة قراتان
الياء والتاء التاء للنطفة على تقدير الم يك نطفة يمنى في هذه السورة والياء للمني من مني يمنى اي يقدر
خلق الانسان منه اما قوله تعالى ثم كان علقة فخلق فسوى اي الانسان صار علقة بعد النطفة الى قوله
تعالى فخلق فسوى ففيه وجهان الاول فخلق فقدر فسوى فعدل الثاني فخلق اي نفخ فيه فسوى وكمل
اعضاءه وهو قول ابن عباس ومقاتل ثم قال تعالى فجعل منه اي من الانسان الزوجين الذكر والانثى
يعني الصنفين ثم فسرهما فقال الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى والمعنى اليس
ذلك الذي انشا هذه الاشياء بقادر على الاعادة وروي انه عليه السلام كان اذا قراها قال
سبحانك بلى

هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة
امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا
انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها
كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون
يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا
اعلم انهم اتفقوا على ان هل ها هنا وفي قوله تعالى هل اتاك حديث الغاشية بمعنى قد كما تقول
هل رايت صنع فلان وقد علمت انه قد رآه وتقول هل وعظتك هل اعطيتك ومقصودك ان تقرره
بانك قد اعطيته ووعظته وقد تجي بمعنى الجحد تقول وهل يقدر احد على مثل هذا واما انها تجي بمعنى

الاستفهام فظاهر والدليل على انها هاهنا ليست بمعنى الاستفهام وجهان الاول ما روي ان الصديق
رضي الله عنه لما سمع هذه الاية قال يا ليتها كانت تمت فلا نبتلى ولو كان ذلك استفهاما لما قال ليتها
تمت لان الاستفهام انما يجاب بلا او نعم اما اذا كان المراد هو الخبر فحينئذ يحسن ذلك الجواب الثاني ان
الاستفهام على الله تعالى محال فلا بد من حمله على الخبر الثانية اختلفوا في الانسان المذكور هاهنا فقال جماعة
من المفسرين يريد آدم ومن ذهب الى هذا قال ان الله تعالى ذكر خلق آدم في هذه الاية ثم عقبه بذكر ولده
في قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه والقول الثاني ان المراد بالانسان بنو آدم
بدليل قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة فالانسان في الموضعين واحد وعلى هذا التقدير
يكون نظم الاية احسن الثالثة حين فيه قولان الاول انه طائفة من الزمن الطويل الممتد وهو
غير مقدر في نفسه والثاني انه مقدر بالاربعين فمن قال المراد بالانسان هو آدم قال المعنى انه مكث
آدم عليه السلام اربعين سنة طينا الى ان نفخ فيه الروح وروي عن ابن عباس انه بقي طينا اربعين سنة
واربعين من صلصال واربعين من حما مسنون فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ في هذه
المدة ما كان شيئا مذكورا وقال الحسن خلق الله تعالى كل الاشياء ما يرى وما لا يرى من دواب البر
والبحر في الايام الستة التي خلق فيها السموات والارض واخر ما خلق آدم فهو قوله تعالى لم يكن شيئا مذكورا
فان قيل ان الطين والصلصال والحما المسنون قبل نفخ الروح فيه ما كان انسانا والاية تقتضي انه قد
اتى على الانسان حال كونه انسانا حين من الدهر مع انه في ذلك الحين ما كان شيئا مذكورا
قلنا ان الطين والصلصال اذا كان مصورا بصورة الانسان ويكون محكوما عليه بانه سينفخ فيه
الروح وسيصير انسانا صح تسميته بانه انسان والذين يقولون الانسان هو النفس الناطقة وانها
موجودة قبل وجود الابدان فالاشكال عنهم زائل **واعلم** ان الغرض من هذا التنبيه على ان الانسان
محدث ومتى كان كذلك فلا بد من محدث قادر الرابعة لم يكن شيئا مذكورا محله النصب
على الحال من الانسان كانه قيل هل اتى عليه حين من الدهر غير مذكور والرفع على الوصف لحين تقديره
هل اتى على الانسان حين لم يكن فيه شيئا اما قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج
نبتليه ففيه مسائل الاولى المشج في اللغة الخلط يقال مشج يمشج مشجا اذا خلط والامشاج الاخلاط
**قال ابن الاعرابي** واحدها مشج ومشيج ويقال للشيء اذا خلط مشيج كقولك خليط ومَمْسوج كقولك
مخلوط قال الهذلي كان الريش والفوقين منه خلاف النصل سيط به مشيج يصف السهم بانه
قد نفذ من الرمية فالتطخ ريشه وفوقاه بدم يسير قال صاحب الكشاف الامشاج لفظ مفرد
وليس بجمع بدليل انه وقع صفة للمفرد وهو قوله تعالى نطفة امشاج ويقال ايضا نطفة مشج ولا يصح
ان يكون امشاج جمعا للمشج بل هما مثلان في الافراد ونظيره اعشار اي قطع مكسرة وثوب اخلاق وارض
سباسب **واختلفوا** في معنى كون النطفة مختلطة فالاكثرون على انه اختلاط نطفة
الرجل بنطفة المراة كقوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب قال ابن عباس هو اختلاط ماء الرجل
وهو ابيض غليظ وماء المراة وهو اصفر رقيق فيختلطان ويخلق الولد منهما فما كان من عصب وعظم
وقوة فمن نطفة الرجل وما كان فيه من لحم ودم فمن ماء المراة قال مجاهد هي الوان النطفة نطفة
الرجل بيضاء ونطفة المراة صفراء وقال عبد الله امشاجها عروقها وقال الحسن يعني من نطفة مشجت
بدم وهو دم الحيضة وذلك ان المراة اذا تلقت ماء الرجل وحملت امسك حيضها فاختلطت النطفة بالدم
وقال قتادة الامشاج هو ان يختلط الماء والدم اولا ثم يصير علقة ثم يصير مضغة وبالجملة
فهو عبارة عن انتقال ذلك الجسم من صفة الى صفة ومن حال الى حال وقال قوم ان الله تعالى جعل في
النطفة اخلاطا من الطبائع التي تكون في الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة
والتقدير من نطفة ذات امشاج فحذف المضاف وتم الكلام **قال بعض العلماء** الاولى
هو ان المراد اختلاط نطفة الرجل والمراة لان الله تعالى وصف النطفة بانها امشاج وهي اذا
صارت علقة فلم يبق فيها وصف انها نطفة ولكن هذا الدليل لا يقدح في ان المراد كونها امشاجا
من الارض والماء والهواء والنار اما قوله تعالى نبتليه اي لنبتليه ونظيره قوله تعالى ولا تمنن
تستكثر اي لتستكثر الثانية نبتليه في موضع الحال اي خلقناه مبتلين له يعني مريدين ابتلاءه
الثالثة في الاية قولان احدهما فيه تقديم وتاخير والمعنى فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه والقول
الثاني انه لا حاجة الى هذا التغيير والمعنى انا خلقناه من هذه الامشاج لا للعبث بل للابتلاء والامتحان
ثم ذكر انه اعطاه ما يصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر فقال فجعلناه سميعا بصيرا والسمع
والبصر كنايتان عن الفهم والتمييز كما في قوله تعالى حاكيا عن ابرهيم عليه السلام لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر

وايضا



وايضا قد يراد بالسميع المطيع كقولهم سمعا وطاعة وبالبصير العالم يقال فلان بصير بهذا الامر ومنهم من قال بل المراد
بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان والله تعالى خصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفها اما قوله تعالى انا هديناه
السبيل اما شاكرا واما كفورا ففيه مسائل الاولى اخبر الله تعالى انه بعد ان ركبه واعطاه الحواس الظاهرة والباطنة
بين له سبل الهدى والضلالة الثانية الاية دالة على ان اعطاء الحواس كالمقدم على اعطاء العقل والامر كذلك لان
الانسان خلق في مبدأ الفطرة خاليا عن معرفة الاشياء الا انه اعطاه الات تعينه على تحصيل تلك المعارف والعقائد بطريقة اولية كعلمنا بان
النفي والاثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان وان الكل اعظم من الجزء وهذه العلوم الاولية هي العقل لا يركبها ليمكن
التوسل الى استعلام المجهولات النظرية فثبت ان الحس مقدم في الوجود على العقل وكذلك قيل من فقد حسا فقد علما
ومن قال المراد من كونه سميعا بصيرا هو العقل قال لانه لما بين في الاية الاولى انه اعطاه العقل بين في هذه الاية
انه انما اعطاه العقل ليبين له السبيل ويظهر له ان الذي يجب فعله ما هو والذي لا يجوز ما هو الثالثة
السبيل هو الذي يسلك من الطرق فيجوز ان يكون المراد من السبيل هاهنا سبيل الخير والشر والنجاة والهلاك ويكون
معنى هديناه اي عرفناه وبينا كيفية كل واحد منهما لقوله تعالى وهديناه النجدين ويكون السبيل اسما
للجنس فلهذا افرد لفظه كقوله تعالى ان الانسان لفي خسر ويجوز ان يكون بالسبيل هو سبيل الهدى لانها هي الطريقة
والمعرفة المستحقة لهذا الاسم على الاطلاق فاما سبل الضلالة فانما هي بالاضافة الا ترى الى قوله تعالى انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وانما اضلوهم سبل الهدى ومن ذهب الى هذا جعل معنى قوله هديناه
اي ارشدناه واذا ارشد لسبيل الحق فقد نبه على تجنب ما سواه فكان اللفظ دالا على الطريقين من
هذا الوجه والله اعلم الرابعة من هداية السبيل خلق الدلائل وخلق العقل الهادي وبعثة الانبياء
وانزال الكتب كانه تعالى قال خلقتك للابتلاء ثم اعطيتك كل ما تحتاج اليه ليهلك من هلك عن بينة
وليس معناه خلقنا الهداية الا ترى انه ذكر السبيل فقال هديناه السبيل اي اريناه ذلك الخامسة
قال الفراء هديناه السبيل والى السبيل وللسبيل كل ذلك جائز في اللغة اما قوله تعالى اما شاكرا واما كفورا ففيه
مسائل الاولى في الاية اقوال الاول ان شاكرا وكفورا حالان من الهاء في هديناه السبيل اي حالتي كونه شاكرا
وكفورا والمعنى ان كل ما يتعلق بهداية الله وارشاده فقد تم حالتي الكفر والايمان والقول الثاني انه
انتصب قوله شاكرا وكفورا باضمار كان والتقدير سواء كان شاكرا او كان كفورا والقول الثالث معناه
اي هديناه السبيل ليكون اما شاكرا واما كفورا اي ليتميز شكره من كفره وطاعته من معصيته كقوله
تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وقوله تعالى
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم قال القفال ومجاز هذه الكلمة على هذا التاويل قول
القائل قد نصحت لك ان شئت فاقبل وان شئت فاترك اي فان شئت فتحذف الفاء فكذا المعنى انا هديناه
السبيل فاما شاكرا واما كفورا فتحذف الفاء وقد يحتمل ان يكون ذلك على جهة الوعيد اي انا هديناه
السبيل فان شاء فليكفر وان شاء فليشكر فانا قد اعتدنا للكافرين كذا وللشاكرين كذا كقوله وقل
الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر القول الرابع ان يكونا حالين من السبيل اي عرفناه
السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز **واعلم**
ان هذه الاقوال كلها لائقة بمذهب المعتزلة والقول الخامس هو المطابق لمذهب اهل السنة
واختيار الفراء ان تكون اما في هذه الاية كما في قوله تعالى اما يعذبهم واما يتوب عليهم والتقدير انا هديناه
السبيل ثم جعلناه تارة شاكرا وتارة كفورا ويتاكد هذا التاويل بما روي انه قرا ابو السماك بفتح الهمزة
في اما والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبخذلاننا قالت المعتزلة هذا التاويل باطل لانه تعالى
ذكر بعد هذه الاية تهديد الكفار فقال انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ولو كان كفر
الكافر من الله تعالى وبخلقه لما جاز منه ان يهدده عليه ولما بطل هذا التاويل ثبت ان الحق هو
التاويل الاول وهو انه تعالى هدى جميع المكلفين سواء آمن او كفر وبطل بهذا قول المجبرة انه سبحانه
تعالى لم يهد الكافرين الى الايمان اجاب اصحابنا بانه تعالى لما علم من الكافر انه لا يؤمن فقد كلفه اي جمع بين
العلم بعدم الايمان ووجوب الايمان وهذا تكليف بالجمع بين المتنافيين فان لم يصر هذا عذرا في سقوط
التهديد والوعيد جاز ايضا ان يخلق الكفر فيه ولا يصير ذلك عذرا في سقوط التهديد والوعيد اذا ثبت
هذا ظهر ان هذا التاويل هو الحق وان التاويل اللائق بقول المعتزلة ليس بحق وبطل به قول المعتزلة
**واعلم** الثانية انه تعالى ذكر نعمه على الانسان فابتدا ولا بذكر النعم الدينية ثم ذكر بعده هذه النعمة
انه لا يمكن تفسير الشاكر والكفور بمن يكون مشتغلا بفعل الشكر وبفعل الكفر والا لم يتحقق الحصر بل المراد من الشاكر
الذي يكون مقرا معترفا بوجوب شكر خالقه والمراد من الكفور الذي لا يكون مقرا بوجوب الشكر عليه وحينئذ يتحقق
الحصر وهو ان المكلف اما ان يكون شاكرا واما ان يكون كفورا **واعلم** ان الخوارج احتجوا بهذه الاية

على انه لا واسطة بين المطيع والكافر قالوا لان الشاكر هو المطيع والكفور هو الكافر والله تعالى نفى الواسطة وذلك
يقتضى ان يكون كل ذنب كفرا وان يكون كل مذنب كافرا واعلم ان البيان الذى لخصناه يدفع هذا الاشكال فانه ليس
المراد من الشاكر الذى يكون مشتغلا بفعل الشكر فان ذلك باطل طردا وعكسا اما الطرد فلان اليهودى قد يكون شاكرا
لربه ولا يكون مطيعا والفاسق قد يكون شاكرا لربه ولا يكون مطيعا واما العكس فلان المومن قد لا يكون مشتغلا
بالشكر ولا بالكفر بل يكون ساكتا غافلا عنهما فثبت انه لا يمكن تفسير الشاكر بذلك بل لا بد وان نفسر الشاكر بما
يقر بوجوب الشكر والكفور بمن لا يقر بذلك وحينئذ ثبت الحصر وسقط سواله بالكلية والله اعلم **قوله تعالى**
**انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها
كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان
شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم
لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا** اعلم انه تعالى لما ذكر الفريقين اتبعهما بالوعد والوعيد
وفيه مسايل المسلة الاولى الاعتاد هو اعداد الشى حتى يكون عتيدا حاضرا متى احتيج اليه كقوله تعالى هذا
ما لدى عتيد واما السلاسل فتشد بها ارجلهم واما الاغلال فتشد بها ايديهم الى رقابهم واما السعير فهو النار
التى تسعر عليهم فتوقد لتكون حطبا لهم وهذا من اعظم انواع الترهيب والتخويف المسلة الثانية احتج اصحابنا بهذه
الاية على ان الجحيم سلاسلها واغلالها مخلوقة لان قوله تعالى اعتدنا اخبار عن الماضى قال القاضى انه لما توعد بذلك
على التحقيق صار كانه موجود قلنا هذا الذى ذكرتم ترك للظاهر ولا يصار اليه الا لضرورة الثالثة قرى سلاسلا
بالتنوين وكذلك قواريرا قواريرا ومنهم من يصل بغير تنوين ويقف بالالف فلمن نون وجهان احدهما
ان الاخفش قال قد سمعنا من العرب صرف جميع ما لا ينصرف قال وهذا لغة الشعرا لانهم اضطروا اليه فى الشعر فصرفوه
فجرت السنتهم على ذلك الثانى ان هذه الجموع اشبهت الاحاد لانهم قالوا صواحبات يوسف فلما جمعوه جمع الاحاد
المنصرفة جعلوه فى حكمها فصرفوها واما من ترك الصرف فانه جعله كقوله تعالى لهدمت صوامع وبيع وصلوات
ومساجد واما الحاق الالف فى الوقف فهو كالحاقه فى قوله الظنونا والرسولا والسبيلا عسى ذلك بالاطلاق فى
القوافى ثم انه تعالى ذكر ما اعد للشاكرين الموحدين فقال تعالى ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا
الابرار جمع بر كالارباب جمع رب والقول فى حقيقة البر تقدم فى قوله تعالى ولكن البر من امن بالله ثم ذكر من انواع
صفة مشروبهم فقال تعالى يشربون من كاس يعنى من اناء فيه الشراب ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ومقاتل
يريد الخمر وفى الاية سوالات السوال الاول ان مزج الكافور بالمشروب لا يكون لذيذا فما السبب فى ذكره ههنا الجواب من
وجوه احدها ان الكافور اسم عين فى الجنة ماوها فى بياض الكافور ورايحته وبرده ولكن لا يكون فى طعمه ولا مضرته
فالمعنى ان ذلك الشراب يكون ممزوجا بماء هذه العين وثانيها ان رايحة الكافور عرض فلا تكون الا فى جسم فاذا
خلق الله تعالى تلك الرايحة فى جرم ذلك الشراب سمى ذلك الجسم كافورا وان كان طعمه طيبا وثالثها اى باس
فى ان يخلق الله تعالى الكافور فى الجنة لكن مع طعم لذيذ ويسلب عنه ما فيه من المضرة ثم انه تعالى يمزجه بذلك
المشروب كما انه تعالى سلب عن جميع المأكولات والمشروبات ما معها فى الدنيا من المضار السوال الثانى ما فايدة كان
فى قوله تعالى كان مزاجها الجواب منهم من قال انها زايدة والتقدير من كاس مزاجها كافورا وقيل بل المعنى كان مزاجها
فى علم الله تعالى وحكمه كافورا اما قوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله وههنا مسايل المسلة الاولى ان قلنا الكافور
اسم النهر كان عينا بدلا منه وان شيت نصب على المدح والتقدير اعنى عينا اما ان قلنا الكافور اسم لهذا الشى المسمى
بالكافور كان عينا بدلا من محل كاس على تقدير حذف مضاف كانه قيل يشربون خمرا خمر عين ثم حذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه المسلة الثانية قال فى الاية الاولى يشربون من كاس وقال ههنا
يشرب بها فذكر هناك من وههنا البا والفرق ان الكاس مبدا شرابهم واول غايته واما العين فبها يمزجون
شرابهم وكان المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل الثالثة قوله يشرب بها عباد الله
يفيد ان كل عباد الله يشربون منها والكفار بالاتفاق لا يشربون منها فدل على ان لفظ عباد الله مختص
باهل الايمان اذا ثبت هذا فقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر لا يتناول الكفار بل يكون مختصا بالمومنين
فيصير تقدير الاية ولا يرضى لعباده المومنين الكفر فلا تدل الاية على انه تعالى لا يريد كفر الكفار اما قوله
تعالى يفجرونها تفجيرا معناه يجرونها حيث شاوا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم واعلم انه سبحانه و
تعالى لما وصف ثواب الابرار فى الاخرة شرح اعمالهم التى بها استوجبوا ذلك الثواب فالاولى قوله تعالى يوفون
بالنذر وفيه مسايل المسلة الاولى الايفا بالشى هو الاتيان به وافيا اما النذر فقال ابو مسلم النذر كالوعد
الا انه اذا كان من العباد فهو نذر وان كان من الله تعالى فهو وعد واختص هذا اللفظ فى عرف الشرع بان
تقول لله على كذا وكذا من الصدقة او يعلق ذلك بامر يلتمسه من الله تعالى مثل ان تقول ان شفى الله
مريضى او رد غايبى فلله على كذا ففى الناس من جعله من باب النذر واذا عرفت هذا فنقول للمفسرين

فى تفسير



فى تفسير الاية اقوال احدها ان المراد من النذر هو النذر فقط ثم قال الاصم هذا مبالغة فى وصفهم بالتوفر
على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه كان بما اوجبه الله تعالى عليه اوفى وهذا
التفسير فى غاية الحسن وثانيها المراد بالنذر ههنا كل ما وجب عليه سواء وجب بايجاب الله تعالى ابتداء او بان
اوجبه المكلف على نفسه فيدخل فيه الايمان وجميع الطاعات وذلك لان النذر معناه الايجاب وثالثها
قال الكلبى المراد بالنذر العهد والعقد ونظيره قوله تعالى اوفوا بالعقود سماها عقودا لانهم عقدوها
على انفسهم باعتقادهم الايمان المسلة الثانية هذه الاية دالة على وجوب الوفا بالنذر لانه تعالى قال عقيبه
ويخافون يوما وهذا يقتضى انهم انما وفوا بالنذر خوفا من شر ذلك اليوم والخوف من شر ذلك اليوم
لا يتحقق الا اذا كان الوفا به واجبا ويتاكد هذا بقوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وبقوله
تعالى ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم فيحتمل ليوفوا اعمال نسكهم التى الزموها انفسهم المسلة الثالثة
قال الفرا وجماعة من اهل المعانى كان فى قوله تعالى كان مزاجها كافورا زايدة واما ههنا فكان محذوفة
والتقدير كانوا يوفون بالنذر والقايلون بقولنا ان كان فى قوله تعالى كان مزاجها ليست بزايدة
واما فى هذه الاية فلا حاجة الى اضمار وذلك لانه تعالى ذكر فى الدنيا ان الابرار يشربون اى سيشربون
فان لفظ المضارع مشترك بين الحال والاستقبال ثم قال السبب فى ذلك الثواب الذى سيجدونه انهم الان
يوفون بالنذر النوع الثانى من اعمال الابرار التى حكاها الله تعالى عنهم فى قوله تعالى ويخافون يوما كان
شره مستطيرا واعلم ان تمام الطاعة لا يحصل الا اذا كانت النية مقرونة بالعمل فلما حكى الله تعالى عنهم
العمل وهو قوله تعالى يوفون حكى عنهم النية وهو قوله تعالى ويخافون يوما وتحقيقه قوله عليه السلام
انما الاعمال بالنيات ولمجموع هذين الامرين سماهم الله تعالى بالابرار وفى الاية سوالات السوال الاول
احوال القيامة واهوالها كلها فعل الله تعالى وكل ما كان فعلا لله تعالى فهو يكون حكمة وصوابا وما كان
كذلك لا يكون شرا فكيف وصفها الله تعالى بانها شر الجواب انها انما سميت شرا لكونها مضرة بمن تنزل
عليه وصعبة عليه كما تسمى الامراض وساير الامور المكروهة شرورا الثانى ما معنى المستطير الجواب فيه وجهان
احدهما الذى يكون فاشيا منتشرا بالغا اقصى المبالغ وهو من قولهم استطار الحريق واستطار الفجر
وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر فان قيل كيف يمكن ان يقال شر ذلك اليوم مستطير منتشر مع انه تعالى
قال فى صفة اوليايه لا يحزنهم الفزع الاكبر قلنا الجواب من وجهين الاول ان هول يوم القيامة شديد الا
ترى ان السموات تنشق وتنفطر وتصير كالمهل وتنتثر الكواكب وتكور الشمس والقمر وتفزع الملايكة
وتبدل الارض غير الارض وتنسف الجبال وتسجر البحار وهذا الهول تصل الى كل المكلفين على ما قال تعالى يوم
ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وقال يوما يجعل الولدان شيبا الا انه تعالى بفضله يومن اولياءه من ذلك
الفزع والجواب الثانى ان يكون المراد ان شر ذلك يكون مستطيرا فى العصاة والفجار المسلة الرابعة قوله تعالى
انا نخاف من ربنا يحتمل وجهين احدهما ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لارادة مكافاتكم
والثانى لا نريد المكافاة منكم لخوف عقاب الله على طلب المكافاة بالصدقة فان الله تعالى حكى عنهم بايفاء النذر
وعلل ذلك بخوف القيامة فقط ولما حكى عنهم الاطعام علل ذلك بامرين بطلب رضا الله وبالخوف
من القيامة فما السبب قلنا الايفاء بالنذر دخل فى حقيقة رضا الله تعالى وذلك لان النذر
الذى اوجبه الانسان على نفسه لاجل الله تعالى فلما كان كذلك لا جرم ضم اليه خوف القيمة فقط
واما الاطعام فانه لا يدخل فى الحقيقة طلب رضى الله عنه فلا جرم ضم اليه طلب رضى الله عنه و
طلب الحذر من خوف القيمة الخامسة وصف اليوم بالعبوس مجازا على طريقين احدهما ان يوصف
اهله من الاشقيا كقولهم نهاركم صايم روى ان الكافر يعبس حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل
القطران والثانى ان يشبه فى شدته وضرورته بالاسد العبوس او بالشجاع الباسل المسلة السادسة
قال الزجاج فى التفسير ان قمطريرا معناه تعبس الوجه فيجتمع ما بين العينين قالوا وهذا شايع فى اللغة
يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها ورمت بانفها يعنى ان معنى اقمطر فى اللغة جمع
وقال الكلبى قمطريرا يعنى شديدا وهو قول الفرا وابى عبيدة والمبرد وابن قتيبة قالوا يوم قمطرير
وقماطر اذا كان صعبا اشد ما يكون من الايام واطوله فى البلا قال الواحدى رحمه الله تعالى هذا معنى و
التفسير هو الاول اما قوله تعالى فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا اعلم انه تعالى لما حكى
عنهم الثواب للطاعات لغرضين طلب رضا الله والخوف من القيامة بين فى هذه انه اعطاهم هذين
الغرضين اما الحفظ من هول يوم القيامة فهو المراد من قوله فوقاهم الله شر ذلك اليوم وسمى شدايدها
شرا توسعا على ما علمت واعلم ان هذه الاية احد ما يدل على ان شدايد الاخرة لا تصل الا الى اهل
العذاب واما طلب رضا الله تعالى فاعطاهم بسببه نضرة فى الوجه وسرورا فى القلب وقد مر

تفسيره ونقيم في قوله تعالى ويلقون فيها تحية وسلاما وتفسير النضرة في قوله تعالى وجوه يومئذ
ناضرة والتنكير في سرور للتعظيم والتفخيم اما قوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا والمعنى وجزاهم
بصبره على الايثار وما يؤدي اليه من الجوع والعرى بستانا فيه ماكل هنى وحريرا فيه ملبس بهى نظيره
قوله تعالى ولباسهم فيها حرير اقول وهذا يدل على ان المراد من قوله تعالى انما نطعمكم ليس هو الاطعام
فقط بل جميع انواع المواساة من الطعام والكسوة ولما ذكر تعالى مطعمهم ولباسهم وصف مساكنهم ثم
ان المعتبر في المساكن امور احدها الموضع الذي يجلس فيه فوصف بقوله تعالى متكئين فيها
على الارائك وهو السرر في الحجال ولا تكون اريكة الا اذا اجتمعت وفي نصب متكئين وجهان
الاول قال الاخفش انه نصب على الحال والمعنى وجزاهم جنة في حال اتكائهم كما تقول جزاهم ذلك قياما
الثاني قال الاخفش وقد يكون للمدح والثاني هو المسكن فوصفه بقوله تعالى لا يرون فيها شمسا
ولا زمهريرا وفيه وجهان احدهما ان هواها معتدل في الحر والبرد الثاني ان الزمهرير هو القمر
في لغة طي هكذا رواه ثعلب وانشد وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان
الجنة ضياء لا يحتاج فيها الى الشمس والقمر والثالث كونه بستانا نزها فوصفه الله تعالى بقوله ودانية
عليهم ظلالها في الاية سؤالات **السؤال الاول** ما السبب في نصب دانية **الجواب** ذكر الاخفش
والكسائي والفرا والزجاج فيه وجهين احدهما الحال بالعطف على قوله متكئين كما تقول في الدار عبد الله متكئا
ومرسلة عليه الحجال لانه حين قال عليهم رجع الى ذكرهم والثاني الحال بالعطف على محل لا يرون فيها شمسا و
لا زمهريرا والتقدير غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة
على ان الامرين مجتمعان لهم كانه قيل جزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والبرد ودنو الظلال
عليهم والثالث ان تكون دانية صفة لموصوف محذوف كانه قيل وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا وجنة اخرى
دانية عليهم ظلالها وذلك لانهم وعدوا جنتين وذلك لانهم خافوا بدليل قوله تعالى انا نخاف من ربنا وكل من
خاف فله جنتان بدليل قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ ودانية بالرفع على ان ظلالها مبتدا
ودانية خبر والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية عليهم السؤال
الثاني الظل انما يوجد حيث توجد الشمس فاذا كان لا شمس في الجنة فكيف يحصل الظل هناك والجواب المراد ان اشجار
الجنة تكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت تلك الاشجار مظللة منها قوله تعالى وذللت قطوفها تذليلا ذكروا
في ذللت وجهين الاول قال ابن قتيبة ذللت ادنيت منهم من قولهم حائط ذليل اذا كان كسير السمك والثاني ذللت
اي جعلت منقادة لا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا قال البرا بن عازب ذللت لهم فهم يتناولون منها كيف شاؤوا
فمن اكل قائما لم يؤذه ومن اكل جالسا لم يؤذه ومن اكل مضطجعا لم يؤذه واعلم انه تعالى لما وصف طعامهم
ولباسهم ومسكنهم وصف بعد ذلك شرابهم وقدم عليه وصف تلك الاواني التي فيها يشربون فقال تعالى
ويطاف عليهم بانية واكواب كانت قواريرا قوارير من فضة قدروها تقديرا في الاية سؤالات السؤال
الاول قال الله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب والصحاف هي القصاع والغالب فيها الاكل فاذا
كان ما ياكلون فيه ذهبا فما يشربون فيه اولى ان يكون ذهبا لان العادة ان يتنوق في اناء الشرب ما لا يتنوق
في اناء الاكل واذا دلت هذه الاية على ان اناء شربهم يكون من الذهب فكيف ذكر هنا انه من الفضة والجواب
انه لا منافاة بين الامرين فتارة يسقون بهذا وتارة بذاك السؤال الثاني ما الفرق بين الانية والاكواب
الجواب قال اهل اللغة هي الكيزان التي لا عرى لها ويحتمل ان يكون على معنى ان الاناء يقع فيها الشرب كالقدح
والكوز وما صب منه في الاناء كالابريق السؤال الثالث ما معنى كانت الجواب هو من يكون من قوله كن فيكون اي
تكونت قوارير بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين
السؤال الرابع كيف تكون هذه الاكواب من فضة ومن قوارير الجواب عنه من وجوه احدها ان اصل القوارير
في الدنيا الرمل واصل قوارير الجنة هو فضة الجنة فكما ان الله تعالى قادر على ان يقلب الرمل الكثيف زجاجة
صافية فكذلك قادر على ان يقلب فضة الجنة قارورة لطيفة فالغرض من ذكر هذه الاية التنبيه على ان نسبة
قارورة الجنة الى قارورة الدنيا كنسبة فضة الجنة الى رمل الدنيا وكما انه لا نسبة بين الاصلين فكذا بين
القارورتين في الصفا واللطافة وثانيها قال ابن عباس ليس في الدنيا شيء مما في الجنة الا الاسما واذا كان كذلك
فكمال الفضة في نقائها وبقائها وشرفها الا انه كثيف الجوهر وكمال القارورة وشفافيتها وصفائها الا انه سريع
الانكسار فانية الجنة انية يحصل فيها من الفضة نقاؤها وشرف جوهرها ومن القارورة صفاؤها و
شفافيتها وثالثها ان تكون فضة ولكن لها صفا القارورة ولا يستبعد من قدرة الله تعالى الجمع بين هذين
الوصفين ورابعها ان المراد بالقوارير في الاية ليس هو الزجاج فان العرب تسمي ما استدار من الاواني التي تجعل
فيها الاشربة ورق وصفا قارورة فمعنى الاية واكواب من فضة مستديرة صافية رقيقة السؤال الخامس





كيف القراءة في قوارير قوارير الجواب قرئا غير منونين وبتنوين الاولى وبتنوينهما وهذا التنوين بدل
من الف الاطلاق لانها فاصلة وفي الثاني لاتباعه الاول لان الثاني بدل من الاول وتبع البدل المبدل
وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هي قوارير وقدروها صفة لقوارير من فضة اما قوله تعالى قدروها
تقديرا ففيه مسئلتان الاولى قال المفسرون معناه قدروها تقديرا على قدر ريهم لا يزيد ولا ينقص من الري
ليكون الذ لشربهم وقال الربيع بن انس ان تلك الاواني تكون بمقدار ملء الكف لم تعظم فيثقل عليهم حملها
الثانية ان منتهى مراد الرجل في الانية التي يشرب منها الصفا والنقا والشكل اما الصفا فقد ذكره الله تعالى
بقوله كانت قواريرا واما النقا فقد ذكره الله تعالى من فضة واما الشكل فقد ذكره بقوله تعالى قدروها
تقديرا الثالثة المقدر لهذا التقدير من هو فيه قولان الاول انهم هم الطائفون الذين دل عليهم
قوله تعالى ويطاف عليهم وذلك لانهم قدروا شرابها على قدر الشارب والثاني انهم هم الشاربون وذلك
لانهم اذا اشتهوا مقدارا من المشروب جاءهم على ذلك التقدير من غير زيادة ولا نقصان **واعلم**
انه تعالى لما وصف اواني مشربهم ذكر بعد ذلك وصف مشروبهم فقال تعالى ويسقون فيها كاسا كان مزاجها
زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا العرب كانوا يحبون جعل الزنجبيل في المشروب لانه يحدث فيه ضربا من
اللذع فلما كان كذلك وصف الله تعالى شراب اهل الجنة بذلك ولا بد من ان يكون في الطيب على اقصى
الوجوه قال ابن عباس وكل ما ذكره الله تعالى في القران مما في الجنة فليس في الدنيا منه الا الاسم وتمام القول
هاهنا مثل ما ذكرناه في قوله كان مزاجها كافورا اما قوله تعالى عينا فيها تسمى سلسبيلا ففيه مسائل الاولى
قال ابن الاعرابي لم اسمع السلسبيل الا في القران فعلى هذا لا تعرف له اشتقاقا وقال الاكثرون يقال شراب
سلسل وسلسال وسلسبيل اي عذب سهل المساغ وقد زيدت البا في التركيب حتى صارت الكلمة
خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الليث السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة
والفائدة في ذكر السلسبيل هو ان ذلك الشراب يكون في طعم الزنجبيل وليس فيه لذعه لان نقيض
اللذع هو السلاسة وقد عزوا الى علي بن ابي طالب ان معناه سل سبيلا اليها وهو بعيد الا ان يراد ان
جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تابط شرا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا
من سال اليها سبيلا بالعمل الصالح الثانية في نصب عينا وجهان احدهما انه بدل من زنجبيلا وثانيهما
انه نصب على الاختصاص الثالثة سلسبيلا صرف لانه راس اية وصار كقوله الظنونا والسبيلا
وقد تقدم في هذه السورة بيان ذلك **واعلم** انه تعالى ذكر بعد ذلك من يكون خادما
في تلك المجالس فقال تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون وقد تقدم تفسير هذين الوصفين في
سورة الواقعة والاقرب ان المراد دوام كونهم على تلك الصورة التي لا يراد في الخدم ابلغ منها وذلك
يتضمن دوام حياتهم وحسنهم ومواظبتهم على الخدمة الحسنة الموافقة قال الفرا يقال مخلدون مسورون
ويقال مقرطون وروى ثعلب عن ابن الاعرابي مخلدون محلون والصفة الثالثة قوله تعالى
اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا وفي كيفية التشبيه وجوه احدها شبهوا في حسنهم وصفا الوانهم
وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم عند اشتغالهم بانواع الخدمة باللؤلؤ المنثور ولو كانوا صفا
لشبهوا باللؤلؤ المنظوم الا ترى انه تعالى قال ويطوف عليهم فاذا كانوا يطوفون كانوا متناثرين
وثانيها انهم شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا انتثر من صدفه لانه احسن واكثر ماء وثالثها قال القاضي هذا
من التشبيه العجيب لان اللؤلؤ اذا كان متفرقا يكون احسن في المنظر لوقوع شعاع بعضه على بعض
فيكون مخالفا للمجتمع منه **واعلم** انه تعالى لما ذكر تفصيل احوال الجنة اتبعه بما يدل على ان هناك
امورا اعظم واجل من هذا القدر المذكور فقال تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا وفيه
مسايل الاولى رايت هل له مفعول فيه قولان الاول قال الفرا المعنى واذا رايت ما ثم وصلح اضمار ما كما
قال تعالى لقد تقطع بينكم يريد ما بينكم ثم قال الزجاج لا يجوز اضمار ما لان ثم صلة وما موصولة ولا يجوز
اسقاط الموصول وترك صلته الثاني انه ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر والغرض منه ان يشيع ويعم
كانه قيل واذا وجدت الرؤية ومعناه ان بصر الرائي اينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير وملك
كبير وثم في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة **المسئلة الثانية** اعلم ان اللذات الدنيوية محصورة
في امور ثلاثة لذة قضاء الشهوة وامضاء الغضب واللذة الخيالية التي يعبر عنها بحب المال والجاه وكل ذلك
مستحقر فان الحيوانات الخسيسة قد يشارك الانسان في واحد واحد منها فالملك الكبير الذي ذكره الله
تعالى هاهنا لا بد وان يكون مغايرا لتلك اللذات الحقيرة وما هو الا ان تصير نفسه منتقشة بقدس
الملكوت متجلية بجلال حضرة اللاهوت واما على اصول المتكلمين فالوجه فيه ايضا ان الثواب هو
المنفعة المقرونة بالتعظيم فبين في الايات المتقدمة تفصيل تلك المنافع وبين في هذه الاية حصول التعظيم

وهو ان كل واحد منهم يكون كالملك العظيم واما المفسرون فمنهم من حمل هذا الملك الكبير على ان هناك
منافع ادنى مما تقدم ذكره قال ابن عباس لا يقدر واصف يصف حسنه ولا طيبه ويقال ايضا ان
ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام ويرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل
اذا ارادوا شيئا حصل ومنهم من حمله على التعظيم فقال الكلبي هو ان يأتي الرسول من عند الله بكرامة
من الكسوة والطعام والشراب والتحف الى ولي الله تعالى وهو في منزله فيستاذن عليه ولا يدخل
عليه رسول رب العزة من الملائكة المقربين المطهرين الا بعد الاستيذان الثانية قال بعضهم قوله
تعالى واذا رايت خطاب لمحمد عليه السلام خاصة والدليل عليه ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ارايت ان دخلت الجنة اترى عيناي ما ترى عيناك فقال نعم فبكى حتى مات وقال اخرون بل هو خطاب
لكل احد والله تعالى اعلم **قوله تعالى عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا
اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم
مشكورا انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما
او كفورا واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا
طويلا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم
وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا** **اعلم** ان الاية فيها مسايل
**المسئلة الاولى** قرا نافع وحمزة عاليهم باسكان الياء والباقون بفتح الياء اما القراة الاولى فالوجه فيها
ان يكون عاليهم مبتدا وثياب سندس خبره والمعنى ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس **فان قيل**
عاليهم مفرد وثياب سندس جماعة والمبتدا اذا كان مفردا في اللفظ فهو جمع في المعنى ونظيره قوله تعالى
سامرا تهجرون وقوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا كانه افرد من حيث جعل بمنزلة المصدر اما القراة
الثانية وهي فتح الياء فذكروا في هذا النصب ثلاثة اوجه الاول انه نصب على الظرف لانه لما كان عال بمعنى فوق اجري مجراه
في هذا الاعراب كما كان قوله تعالى والركب اسفل منكم كذلك وهو قول ابي علي الفارسي والثاني انه نصب على الحال ثم هذا
ايضا يحتمل وجوها احدها قال ابو علي الفارسي التقدير ولقاهم نضرة وسرورا حال ما يكون عاليهم ثياب
سندس وثانيها التقدير وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا حال ما يكون عاليهم ثياب سندس وثالثها ان يكون
التقدير ويطوف على الابرار ولدان حال ما يكون الابرار عاليهم ثياب سندس ورابعها حسبتهم لولوا منثورا
حال ما يكون عليهم ثياب سندس فعلى الاحتمالات الثلاثة الاولى تكون الثياب ثياب الابرار وعلى الاحتمال
الرابع يكون الثياب ثياب الولدان الوجه الثالث في سبب هذا النصب ان يكون التقدير رايت اهل نعيم وملك
عاليهم ثياب سندس المسئلة الثانية قرا نافع وعاصم وحفص واستبرق بالرفع وقرا ابو عمرو وابن عامر خضر بالرفع
واستبرق بالخفض وحاصل الكلام فيه ان خضر يجوز فيه الخفض والرفع اما الرفع فاذا جعلته صفة لثياب وذلك
ظاهر لانها صفة مجموعة لموصوف مجموع واما الخفض فاذا جعلته صفة سندس لان سندس اريد به الجنس وكان
في معنى الجمع واجاز الاخفش وصف اللفظ الذي يراد به الجنس كما يقال اهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض الا انه
قال انه قبيح والدليل على قبحه ان العرب تجي بالجمع الذي هو في لفظ الواحد فيجرونه مجرى الواحد وذلك قولهم حصى ابيض وفي
التنزيل من الشجر الاخضر واعجاز نخل منقعر فاذا كانوا قد افردوا صفات هذا الضرب من الجمع الواحد الذي في معنى
الجمع اولى ان تفرد صفته واما استبرق فيجوز فيه الرفع والخفض ايضا اما الرفع فاذا اريد به العطف على الثياب
كانه قال ثياب سندس واستبرق والمعنى ثيابهما فاضاف الثياب الى الجنسين كما تقول ثياب خز وكتان ويدل
على ذلك قوله تعالى ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق **واعلم** ان حقايق هذه الاية قد تقدمت
في سورة الكهف الثالثة السندس مارق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وكل ذلك داخل في اسم الحرير
قال الله تعالى ولباسهم فيها حرير ثم قيل ان الذي هذا لباسهم هم الولدان المخلدون وقيل بل هذا لباس
الابرار وكانهم يلبسون عدة من الثياب فكان الذي يعلوها افضلها ولهذا قال عاليهم وقيل هذا مثل قوله
تعالى متكئين فيها على الارائك عاليهم اي فوق حجالهم المضروبة عليهم ثياب سندس والمعنى ان حجالهم
من الحرير والديباج اما قوله تعالى وحلوا اساور من فضة وفيه مسايل الاولى قال تعالى في سورة الكهف
وهاهنا من فضة والجواب من ثلاثة اوجه احدها انه لا منافاة بين الامرين فلعلهم يسورون بالجنسين
اما على المعاقبة واما على الجمع كما يفعل النسا في الدنيا وثالثها ان الطباع مختلفة فرب انسان يكون
استحسانه لبياض الفضة فوق استحسانه لصفرة الذهب فالله تعالى يعطي كل احد ما تكون رغبته
فيه اتم وميله اليه اشد وثالثها ان هذه الاسورة من الفضة انما تكون للولدان الذين هم الخدم واسورة
الذهب للناس السؤال الثاني السوار انما يليق بالنسا وهو عيب للرجال فكيف ذكره الله تعالى في معرض الترغيب
والجواب اهل الجنة مرد جرد شباب فلا يبعد ان يحلوا ذهبا وفضة وان كانوا رجالا وقيل هذه الاسورة

من الذهب



من الذهب والفضة انما تكون لنساء اهل الجنة والصبيان فقط ثم غلب في اللفظ جانب التذكير وفي الاية
وجه اخر وهو ان آلة اكثر الاعمال هي اليد وتلك الاعمال والمجاهدات هي التي يتوسل الى تحصيل المعارف الالهية
والانوار الصمدية فيكون تلك الاعمال جارية مجرى الذهب والفضة التي يتوسل بها الى تحصيل المعارف الالهية
والانوار الصمدية فلما كانت تلك الاعمال صادرة من اليد كانت تلك الاعمال جارية مجرى سوار الذهب
والفضة فسميت الاعمال والمجاهدات سوار الذهب والفضة وعبر عن تلك الانوار الفائضة عن الحضرة الصمدية
بقوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا وبالجملة فقوله تعالى وحلوا اساور من فضة اشارة الى قوله تعالى والذين
جاهدوا فينا وقوله تعالى وسقاهم ربهم فهذا احتمال خطر بالبال والله اعلم بمراده اما قوله تعالى وسقاهم
ربهم شرابا طهورا الطهور فيه قولان الاول المبالغة في كونه طاهرا ثم على هذا التفسير احتمالان احدهما انه
لا يكون نجسا كخمر الدنيا وثانيها المبالغة في البعد عن الامور المستقذرة يعني ما مسته الايدي الوضرة وما داسته
الاقدام الدنية وثالثها انها لا تؤول الى النجاسة لانها ترشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك القول الثاني
في الطهور انه المطهر وعلى هذا التفسير ايضا في الاية احتمالات احدها قال مقاتل هو عين على باب الجنة تنبع
من ساق شجرة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غش وغل وحسد وما كان في جوفه من عذر واذى وثانيها
قال ابو قلابة يؤتون بالطعام والشراب فاذا كان في اخر ذلك اتوا بالشراب الطهور فيشربون فيطهر بذلك بطونهم
ويفيض عرق من جلودهم مثل ريح المسك وعلى هذين الوجهين يكون الطهور مطهرا لانه يطهر باطنهم عن
الاخلاق الذميمة والاشياء المؤذية فان قيل قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا هو عين ما ذكر تعالى قبل ذلك
من انهم يشربون من عين الكافور والزنجبيل والسلسبيل او هذا نوع اخر قلنا بل هذا نوع اخر ويدل عليه وجوه
احدها دفع التكرار وثانيها انه تعالى اضاف هذا الشراب الى نفسه فقال تعالى وسقاهم ربهم وذلك يدل على فضل
في هذا دون غيره وثالثها ما روينا انه تقدم اليهم الاطعمة والاشربة فاذا فرغوا منها اتوا بالشراب الطهور فيشربون
فيطهر ذلك ما في بطونهم ويفيض عرقا من جلودهم مثل ريح المسك وهذا يدل على ان هذا الشراب مغاير لتلك
الاشربة ولان هذا الشراب يهضم سائر الاشربة ثم له مع هذا الهضم تاثير عجيب وهو انه يجعل سائر الاطعمة
والاشربة عرقا يفوح منه ريح كريح المسك وكل ذلك يدل على المغايرة ورابعها وهو ان الروح من عالم الملائكة والانوار
الفائضة من جواهر اكابر الملائكة وعظمائهم على هذه الارواح فشبهه بالماء العذب الذي يزيل العطش ويقوي البدن
وكما ان العيون متفاوتة في الصفا والكثرة والقوة فكذا ينابيع الانوار العلوية مختلفة فبعضها يكون كافورية على
طبع البرد ويكون صاحبه في الدنيا في مقام الخوف والبكاء والانقباض وبعضها يكون زنجبيلية على طبع الحر واليبس
ويكون صاحب هذه الحالة قليل الالتفات الى ما سوى الله تعالى قليل المبالاة بالاجسام والجسمانيات ثم لا تزال الروح
البشرية منتقلة من ينبوع الى ينبوع ومن نور الى نور ولا شك ان الاسباب والمسببات متناهية في ارتقائها
الى واجب الوجود الذي هو النور المطلق جل جلاله فاذا وصل الى ذلك المقام وشرب من ذلك الشراب انهضمت
تلك الاشربة المتقدمة بل فنيت لان نور ما سوى الله تعالى يضمحل في مقابلة نور جلال الله تعالى وكبريائه
وعظمته وذلك هو اخر سير الصديقين ومنتهى درجاتهم في الارتقاء والكمال ولهذا السبب ختم الله تعالى
ذكر ثواب الابرار على قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا **واعلم** انه تعالى لما تمم شرح احوال السعداء
قال ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا **اعلم** ان في الاية وجهين الاول قال ابن عباس انه يقال لاهل الجنة
بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم لنعيمها قال تعالى ان هذا كان لكم جزاء قد اعده الله تعالى الى هذا الوقت فهو
كله لكم بأعمالكم على قلة اعمالكم كما قال تعالى حاكيا عن الملائكة انهم يقولون لاهل الجنة سلام عليكم بما صبرتم
فنعم عقبى الدار وقال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية والغرض من ذكر هذا الكلام ان يزداد
سرورهم فانه يقال للمعاقب هذا بعملك الردي فيزداد غمه والم قلبه ويقال للمثاب هذا بطاعتك فيكون ذلك
تهنئة له وزيادة في سروره والقايل بهذا التفسير جعل القول مضمرا اي ويقال لهم هذا الكلام الوجه الثاني ان يكون
ذلك اخبارا من الله تعالى لعباده في الدنيا كانه تعالى شرح ثواب اهل الجنة ان هذا كان في علمي وحكمي جزاء لكم يا معشر
عبيدي لكم خلقتها ولاجلكم اعددتها وبقي في الاية سؤالان الاول اذا كان فعل العبد خلقا لله تعالى فكيف يعقل
ان يكون فعل الله جزاء على فعل الله الجواب الجزاء هو الكافي وذلك لا ينافي كونه فعلا لله تعالى السؤال الثاني كون
سعي العبد مشكورا لله تعالى يقتضي كون الله شاكرا له الجواب كون الله تعالى شاكرا للعبد محال الا على
وجه المجاز وهو من ثلثة اوجه الاول قال القاضي ان الثواب مقابل لعملهم كما ان الشكر مقابل للنعمة الثاني
قال القفال انه مشهور في كلام الناس ان يقولوا للراضي بالقليل والمثني به انه شكور فيحتمل ان يكون شكر الله
تعالى لعباده هو رضاه عنهم بالقليل من الطاعات واعطاؤه اياهم عليه ثوابا كثيرا الوجه الثالث
ان منتهى درجة العبد ان يكون راضيا من ربه مرضيا لربه على ما قال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى
ربك راضية مرضية وكونها راضية عن ربها اقل درجة من كونها مرضية لربها فقوله تعالى ان هذا كان لكم جزاء

وكان سعيكم مشكورا اشارة الى كونها مرضية لربها ولما كانت هذه الحالة اعلى المقامات واخر الدرجات لا جرم وقع الختم عليها في ذكر مراتب الابرار والصديقين اما قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا **اعلم** انه سبحانه وتعالى بين في اول السورة ان الانسان وجد بعد العدم بقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ثم بين سبحانه وتعالى انه خلقه من نطفة امشاج نبتليه والمراد منه اما كونه مخلوقا من العناصر الاربعة او من الاخلاط الاربعة او من ماء الرجل والمراة او من الاعضاء والارواح او من البدن والنفس او من احوال متعاقبة على مثل ذلك الجسم من كونه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما وعلى اي هذه الوجوه تحمل هذه الاية فذلك على انه لا بد من الصانع المختار وجل جلاله وعظمت كبرياؤه ثم بين بعد ذلك انه ما خلقه ضايعا عاطلا باطلا بل خلقه لاجل الابتلاء والامتحان واليه الاشارة بقوله تعالى نبتليه وههنا موضع الخصومة العظيمة بين اهل الجبر والقدر ثم ذكر تعالى انه اعطيت جميع ما يحتاج اليه عند الابتلاء والامتحان وهو السمع والبصر واليه الاشارة بقوله تعالى فجعلناه سميعا بصيرا ولما كان العقل اشرف الامور المحتاج اليها في هذا الباب افرده عن السمع والبصر فقال تعالى انا هديناه السبيل ثم بين ان الخلق بعد هذه الاحوال صاروا قسمين منهم شاكر ومنهم كفور وهذا الانقسام باختيارهم كما هو قول القدرية او من الله تعالى على ما هو تاويل الجبرية ثم انه تعالى ذكر عذاب الكفار على الاختصار ثم ذكر بعد ذلك ثواب المطيعين على الاستقصاء وهو الى قوله تعالى وكان سعيكم مشكورا **واعلم** ان الاختصار في ذكر العقاب مع الاطناب في شرح الثواب يدل على ان جانب الرحمة اغلب واقوى فظهر مما بينا ان السورة من اولها الى هذا الموضع في بيان احوال الاخرة ثم انه تعالى شرع بعد ذلك في احوال الدنيا وقدم شرح احوال المطيعين على شرح احوال المتمردين اما المطيعين وهم الرسل وامته والرسول عليه السلام هو الراس والرئيس فلهذا خص الرسول عليه السلام بالخطاب **واعلم** ان الخطاب اما النهي او الامر ثم انه تعالى قبل الخوض فيما يتعلق بالرسول عليه السلام من النهي والامر قدم مقدمة قوية في تقوية قلب الرسول عليه السلام وازالة الغم والوحشة من خاطره وانما فعل ذلك لان الاشتغال بالطاعة والقيام بهذا التكليف لا يتم الا مع فراغ القلب ثم بعد هذه المقدمة ذكر نهيه عن بعض الاشيا ثم بعد الفراغ من النهي ذكر امره ببعض الاشيا وانما قدم النهي على الامر لان [illegible] اهم من جلب النفع وازالة ما لا ينبغي مقدم على تحصيل ما ينبغي ثم انه تعالى ذكر بعد ذلك احوال المتمردين والكفار على ما سياتي تفصيل بيانه ومن تامل فيما ذكرناه علم ان هذه السورة وقعت على احسن الوجوه في الترتيب والنظم فالحمد لله الذي نور عقل هذا المسكين الضعيف بهذه الانوار وله الشكر على الايادي ولنرجع الى التفسير فنقول اما تلك المقدمة فهي قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا **واعلم** ان المقصود من هذه الاية تثبيت الرسول عليه السلام وشرح صدره فيما نسبوه اليه من كهانة وسحر فذكر انه تعالى ان ذلك وحي من الله تعالى فلا جرم بالغ وكرر الضمير بعد ايقاعه اسما لان تاكيدا على تاكيد كانه تعالى يقول ان كان هؤلاء الكفار يقولون ان ذلك كهانة فانا الله الملك الحق اقول على سبيل التاكيد والمبالغة ان ذلك وحي حق وتنزيل صدق من عندي وهذا فيه فايدتان احداهما ازالة الوحشة المتقدمة الحاصلة بسبب طعن اولئك الكفار فان بعض الجهال وان طعنوا فيه الا ان الحق والسموات عظمه وصدقه والثانية تقويته على تحمل التكليف المستقبل وذلك لان الكفار كانوا يبالغون في ايذائه وهو يريد مقابلتهم فلما امره الله تعالى بالصبر على ذلك الايذاء وترك المقابلة كان ذلك شاقا عليه فقال له انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فكانه قال اني ما نزلت عليك هذا القرآن مفرقا منجما الا لحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شيء بوقت معين ولقد اقتضت تلك الحكمة تاخير الاذن في القتال فاصبر لحكم ربك الصادر عن الحكمة المحضة المبراة عن العيب والعبث والباطل ثم انه تعالى لما قدم هذه المقدمة ذكر النهي فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم اثما او كفورا واما ان يكون المعنى فاصبر لحكم ربك في تاخير الاذن بالقتال ونظيره قوله تعالى فاصبر حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين او يكون المعنى عاما في جميع التكاليف اي واصبر في كل ما حكم به ربك سواء كان ذلك تكليفا خاصا بك من العبادات والطاعات او متعلقا بالغير وهو التبليغ واداء الرسالة وتحمل المشاق الناشئة من ذلك ثم في الاية سؤالات **السؤال الاول** قوله تعالى فاصبر لحكم ربك دخل فيه ان لا تطع اثما او كفورا فكان ذكره بعده تكرارا والجواب الاول امر بالمامورات والثاني نهي عن المنهيات ودلالة احدهما على الاخر بالالتزام لا بالتصريح فيكون التصريح به مفيدا الثاني انه عليه السلام

ماكان



ما كان يطيع احدا منهم فما الفايدة في هذا النهي الجواب المقصود بيان ان الناس محتاجون الى مواصلة التنبيه والارشاد لاجل ما تركب فيهم من الشهوة الداعية الى الفساد وان احدا لو استغنى عن توفيق الله تعالى وامداده وارشاده لكان احق الناس به هو الرسول المعصوم عليه السلام ومتى ظهر ذلك عرف كل مسلم انه لا بد من الرغبة الى الله تعالى والتضرع اليه في ان يصرفه عن الشهوات والشبهات الثالث ما الفرق بين الاثم والكفور الجواب الاثم هو المقدم على المعاصي اي معصية كانت والكفور هو الجاحد للنعمة وكل كفور اثم وليس كل اثم كفورا وانما قلنا ان الاثم عام في المعاصي كلها لانه تعالى قال ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما فسمى الشرك اثما وقال تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقال تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه وقال تعالى يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس فدلت هذه الايات على ان هذا الاثم شامل لكل المعاصي **واعلم** ان كل من عبد غير الله تعالى فقد اجتمع في حقه هذان الوصفان لانه لما عبد غيره فقد عصاه وجحد انعامه اذا عرفت هذا فنقول في الاية قولان الاول ان المراد شخص معين وهو ابو جهل ثم منهم من قال الاثم هو الوليد والكفور عتبة قال القفال ويدل عليه انه تعالى سمى الوليد اثيما في قوله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين الى قوله تعالى معتد اثيم وروى صاحب الكشاف ان الاثم هو عتبة والكفور هو الوليد لان عتبة كان متعاطيا لانواع الفسوق والوليد كان غاليا في الكفر [illegible] اولى لانه متماد بالقرآن يروى ان عتبة بن ربيعة قال للنبي عليه السلام ارجع عن هذا الامر حتى ازوجك ولدي فاني من اجمل قريش ولدا وقال الوليد انا اعطيك من المال حتى ترضى فاني من اكثرهم مالا فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ايات من اول حم السجدة الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفا عنه وقال احدهما ظننت ان الكعبة ستقع وعلى القول الثاني ان الاثم والكفور مطلقان غير مختص بمعين وهذا هو الاقرب الى الظاهر ثم قال الحسن الاثم هو المنافق والكفور مشركو العرب وهذا ضعيف بل الحق ما ذكرناه من ان الاثم عام والكفور خاص السؤال الرابع كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله اثما او كفورا الجواب ان الكفور احبث انواع الاثم فخصه بالذكر تنبيها على غاية خبثه ونهاية بعده من الله تعالى السؤال الخامس كلمة او تقتضي النهي عن طاعة احدهما فلو لم يذكروا و حتى نهيا عن طاعتهما جميعا الجواب ذكروا فيه وجهان الاول وهو الذي ذكره الزجاج واختاره اكثر المحققين انه لو قيل ولا تطعهما لجاز ان يطيع احدهما لان النهي عن طاعة مجموع شخصين لا يقتضي النهي عن طاعة واحد واما النهي عن طاعة احدهما يكون نهيا عن طاعة مجموعهما لان الواحد داخل في المجموع وللقايل ان يقول هذا ضعيف لان قوله تعالى لا تطع هذا وهذا معناه كن مخالفا لاحدهما ولا يلزم من ايجاب مخالفة احدهما ايجاب مخالفتهما معا فانه لا يمتنع ان يقول السيد لعبده اذا امرك احد هذين الرجلين فخالفه اما اذا توافقا فلا تخالفهما والثاني قال الفراء تقدير الاية لا تطع منهم احدا سواء كان اثما او كفورا كقول الرجل لمن سأله لا اعطيك سواء سالت او سكت **واعلم** انه تعالى لما ذكر هذا النهي عقبه بالامر فقال تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وفي هذه الاية قولان الاول ان المراد هو الصلوة قالوا التقييد بالبكرة والاصيل يدل على ان المراد من قوله تعالى واذكر اسم ربك الصلوة ثم قالوا البكرة هي صلاة الصبح والاصيل صلاة الظهر والعصر ومن الليل فاسجد له المغرب والعشاء فيكون هذه الكلمات جامعة للصلوات الخمس وقوله تعالى وسبحه ليلا طويلا المراد منه التهجد ثم اختلفوا فيه فقال بعضهم كان ذلك من الواجبات على الرسول عليه السلام ثم نسخ كما ذكرنا في سورة المزمل واحتجوا عليه بان قوله تعالى فاسجد له وسبحه امر وهو للوجوب لا سيما اذا تكرر على سبيل المبالغة وقال اخرون بل المراد التطوع وحكمه ثابت القول الثاني ان المراد من قوله تعالى واذكر اسم ربك الى اخر الاية ليس هو الصلوة بل المراد التسبيح الذي هو القول والاعتقاد والمقصود ان يكون ذاكرا لله تعالى في جميع الاوقات ليلا ونهارا بقلبه ولسانه وهو المراد من قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا واعلم ان في الاية لطيفة اخرى وهي انه تعالى قال انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا [illegible] الى هذه الاسرار وشرحنا صدرك بهذه الانوار واذ قد فعلنا بك ذلك فكن منقادا لامرنا واياك ان تكون منقادا مطيعا لغيرنا ثم لما امره بطاعته ونهاه عن طاعة غيره قال تعالى واذكر اسم ربك وهذا اشارة الى ان العقول البشرية ليس عندها الا معرفة الاسماء والصفات اما معرفة الحقيقة فلا فتارة يقال له واذكر اسم ربك وهو اشارة الى معرفة الاسماء وتارة يقال له اذكر ربك في نفسك وهو اشارة الى مقام الصفات واما معرفة الحقيقة المخصوصة التي هي المكمن لهذه اللوازم السلبية والاضافية فلا سبيل لشيء من الممكنات والمحدثات الى الوصول اليها والاطلاع عليها فسبحان من اختفى عن العقول لشدة ظهوره واحتجب عنها لكمال نوره **واعلم** انه تعالى لما خاطب رسوله عليه السلام بالتعظيم والنهي والامر عدل عنه الى شرح احوال الكفار والمتمردين فقال ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا

والمراد ان الذى حمل هؤلاء الكفار على الكفر وترك الالتفات والاعراض عما ينفعهم فى الاخرة ليس هو الشبهة حتى
ينتفعوا بالدلائل المذكورة فى اول هذه السورة بل الشهوة والمحبة لهذه الشهوات العاجلة والراحات البدنية
وفى الاية سؤالات السؤال الاول لم لم يقل وراهم ولم يقل قدامهم الجواب من وجوه احدها لم يلتفتوا اليه واعرضوا
عنه فكانهم جعلوه وراء ظهورهم وثانيها المراد ويذرون وراءهم يوما ثقيلا فاسقط المضاف وثالثها ان وراء
تستعمل بمعنى قدام كقوله تعالى من ورائهم جهنم وكان وراءهم ملك السؤال الثانى ما السبب فى وصف يوم القيامة
بانه يوم ثقيل الجواب استعير الثقل لشدته وهوله من الشئ الثقيل الذى يتعب حامله ونحوه ثقلت فى السموات
والارض ثم انه تعالى لما ذكر ان الداعى لهم الى هذا الكفر حب العاجل قال نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا
بدلنا امثالهم تبديلا والمراد ان حبهم للعاجلة يوجب عليهم طاعة الله من حيث الرغبة ومن حيث الرهبة
اما من حيث الترغيب فلانه هو الذى خلقهم واعطاهم الاعضاء السليمة التى بها يمكنهم الانتفاع باللذات العاجلة
وخلق جميع ما يمكن الانتفاع به كل يوم من البيت المعمور الى الكعبة على ما قدروى ذكر فى الاخبار رضا مما يسطيه
قوله والمرسلات عرفا ثم ما فيها من سرعة المسير وقطع المسافات الكثيرة فى المدة اليسيرة لقوله تعالى تعرج الملئكة
والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة ثم فيها من نشر اجنحتهم العظيمة عند الطيران ونشر العلم
والحكمة والنبوة والهداية والارشاد والوحى والتنزيل والقاء الذكر فى القلب والاشتباه بسبحة الوحى
وبالجملة فالملائكة هم الوسائط بين الله تعالى وبين عباده فى الفوز بجميع السعادات العاجلة والاجلة
الخيرات الجسمانية والروحانيات فلذلك اقسم الله تعالى بهم القول الثانى ان المراد من هذه الكلمات الخمس
باسرها الرياح اقسم الله تعالى برياح عذاب ارسلها عرفا اى متتابعة كشعر العرف كما قال تعالى يرسل
الرياح وارسلنا الرياح ثم انها تشتد حتى تصير عواصف ورياح رحمة نشرت السحاب فى الجو كما قال تعالى
وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وقال تعالى الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه
فى السماء ويجوز ايضا ان يقال الرياح تعين الساقى والزرع والشجر على النشر والانبات وذلك لانها تلقح فيبرز
بذلك على ما قال تعالى وارسلنا الرياح لواقح فبهذا الطريق تكون الرياح ناشرة للنبات وفى كون الرياح فارقة
وجوه احدها ان الرياح تفرق بعض اجزاء السحاب من بعض وثانيها ان الله تعالى خرب بعض القرى بتسليط الريح
عليها كما قال تعالى فاما عاد فاهلكوا بريح صرصر وذلك يصير سببا لظهور الفرق بين اولياء الله و
اعدائه وثالثها ان عند حدوث الرياح المختلفة وترتب الاثار العجيبة عليها من تموج البحار وتخريب الديار يصير
الخلق مضطرين الى الرجوع الى الله تعالى والتضرع على باب رحمته فيحصل الفرق بين المقر والمنكر والموحد والملحد وقوله
تعالى ان هؤلاء يحبون العاجلة فاذا احبوا اللذات العاجلة وتلك اللذات لم تحصل الا عند حصول المنتفع وحصول
المنتفع به وهذا لا يحصلان الا بتكوين الله تعالى وايجاده فهذا مما يوجب عليهم الانقياد لله تعالى ولتكاليفه وترك
التمرد والاعراض ومن حيث الترهيب فانه قادر على ان يميتهم وعلى ان يسلب عنهم النعم وعلى ان يلقيهم فى كل محنة وبلية
فلاجل الخوف من فوت هذه الحالات العاجلة يجب عليهم ان ينقادوا لله وان يتركوا هذا التمرد والحاصل كانه قيل لهم
هب ان حبكم لهذه اللذات العاجلة طريقة مستحسنة الا ان ذلك يوجب عليكم الايمان بالله تعالى والانقياد له فلم
توسلتم به الى الكفر بالله والاعراض عن حكمه وهذا ترتيب حسن فى السؤال والجواب وطريقة لطيفة فى
الاية مسائل المسئلة الاولى قال اهل اللغة الاسر الربط والتوثيق ومنه اسر الرجل اذا وثق بالقد وفرس
ماسور الخلق وترس ماسور بالعقب والمعنى شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب
المسئلة الثانية قوله تعالى واذا شئنا بدلنا امثالهم اى اذا شئنا اهلكناهم واتينا باشباههم فجعلناهم
بدلا منهم وهو كقوله تعالى على ان نبدل امثالكم والغرض منه بيان الاستغناء التام عنهم كانه قيل لا حاجة بنا
الى احد من المخلوقات البتة وبتقدير ان تثبت الحاجة فلا حاجة الى هؤلاء الاقوام فانا قادرون على افنائهم
وعلى ايجاد امثالهم ونظيره قوله تعالى ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات باخرين وكان الله على ذلك قديرا
وقال تعالى ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ثم قال تعالى بدلنا امثالهم اى فى الخلقة
وان كانوا اضدادهم فى العمل وقيل امثالهم فى الكفر الثالثة قال صاحب الكشاف فى قوله تعالى واذا شئنا
من حقه ان يجى بان لا باذا كقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشا يذهبكم واعلم ان هذا
الكلام كانه طعن فى لفظ القران وهو ضعيف لان كل واحد من ان واذا حرف شرط الا ان حرف ان لا يستعمل
فيما يكون معلوم الوقوع فلا يقال ان طلعت الشمس اكرمتك اما حرف اذا فانه مستعمل فيما كان معلوم الوقوع
تقول اتيك اذا طلعت الشمس فههنا لما كان الله تعالى عالما بانه سيجئ وقت يبدل الله فيه اولئك
الكفرة بامثالهم فى الخلقة واضدادهم فى الطاعة لا جرم حسن استعمال حرف اذا واعلم انه تعالى لما شرح
احوال السعداء واحوال الاشقياء قال بعده ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه والمعنى ان هذه السورة بما فيها
من الترتيب العجيب والنسق البديع والوعد والوعيد والترغيب والترهيب تذكرة للمتاملين وتبصرة للمستبصرين

فمن شاء



فمن شاء الخير لنفسه فى الدنيا والاخرة اتخذ الى ربه سبيلا واتخاذ السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه
واعلم ان هذه الاية من جملة الايات التى تلاطمت فيها امواج القدر والجبر فالقدرى يتمسك بقوله تعالى
فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ويقول انه صريح مذهبى ونظيره قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
والجبرى يقول متى ضممت هذه الاية الى الاية التى بعدها خرج منه صريح مذهب الجبر وذلك لان قوله تعالى
فمن شاء فليؤمن وقوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا يكون مشية الله تعالى مستلزمة لمشية العبد
ومستلزم المستلزم مستلزم فاذن مشية الله تعالى مستلزمة لفعل العبد وذلك هو الجبر وهكذا الاستدلال على
الجبر فقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لان هذه الاية ايضا تقتضى كون المشية مستلزمة للفعل
ثم التقريب ما تقدم واعلم ان الاستدلال على هذا الذى لخصناه لا يتوجه عليه كلام القاضى الا انا نذكره على ما فيه
من الضعف قال القاضى المذكور فى هذه الاية اتخاذ السبيل الى الله تعالى ونحن نسلم ان الله تعالى قد شاء لانه تعالى
امر به فلا بد وان يكون قد شاءه وهذا لا يقتضى ان يقال العبد لا يشاء الا ما قد شاء الله تعالى على الاطلاق اذ المراد بذلك
الامر المخصوص الذى قد ثبت انه تعالى قد اراده وشاءه واعلم ان هذا الكلام الذى ذكره القاضى لا تعلق له بالاستدلال
على الوجه الذى ذكرناه وايضا فحاصل ما ذكره القاضى تخصيص هذا العام بالصورة التى مر ذكرها فيما قبل هذه الاية ضعيف
وذلك لان خصوص ما قبل الاية لا يقتضى تخصيص هذا العام به لاحتمال ان يكون الحكم فى هذه الاية لا يقتضى تخصيص
العام به لاحتمال ان يكون الحكم فى هذه الاية واردا بحيث يعم تلك الصورة وساير الصور وبقى فى الاية سؤال يتعلق بالاعراب
وهو ان يقال ما محل ان شاء وجوابه النصب على الظرف واصله الا وقت مشية الله تعالى وكذلك قراءة ابن مسعود الا ما شاء
الله لان ما مع الفعل كان معه وقرئ ايضا تشاؤن بالياء ثم قال تعالى ان الله كان عليما حكيما اى عليما باحوالهم وما يكون
منهم حكيما حيث خلقهم مع علمه بهم ثم ختم السورة فقال تعالى يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما
اعلم ان خاتمة هذه السورة عجيبة وذلك لان قوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله يدل على ان جميع ما يصدر
عن العبد بمشية الله تعالى وقوله تعالى يدخل من يشاء فى رحمته الى اخر السورة يدل على ان دخول الجنة والنار ليس الا بمشية
الله تعالى فيخرج من اخر هذه السورة الا الله وما هو من الله وذلك هو التوحيد المطلق الذى هو اخر سير الصديقين
ومنتهى معراجهم فى فلك المعارف الالهية وفى الاية مسايل المسئلة الاولى قوله تعالى يدخل من يشاء فى رحمته ان فسرنا
الرحمة بالايمان فالاية صريحة فى ان الايمان من الله تعالى وان فسرناها بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشية الله تعالى وفضله
واحسانه لا بسبب الاستحقاق وذلك لانه لو ثبت الاستحقاق لكان تركه يفضى الى الجهل والحاجة المحالين على الله تعالى
والمفضى الى المحال محال فتركه محال فوجوده واجب عقلا وعدمه ممتنع عقلا وما كان كذلك لا يكون معلقا على
المشية البتة وايضا فلان من كان مديونا من انسان فادى ذلك الدين الى مستحقه لا يقال بانه اذا دفع ذلك
القدر اليه على سبيل الرحمة والتفضل المسئلة الثانية قوله تعالى والظالمين اعد لهم عذابا اليما يدل على ان
جف القلم بما هو كاين لان معنى اعد انه علم ذلك وقضى به واخبر عنه وكتبه فى اللوح المحفوظ ومعلوم
ان التغير على هذه الاشياء محال فكان الامر على ما بيناه وقلناه الثالثة قال الزجاج نصب الظالمين لان قبله
منصوبا والمعنى يدخل من يشاء فى رحمته ويعذب الظالمين وقوله تعالى اعد لهم عذابا اليما كالتفسير لذلك
المضمر وقرا عبد الله بن الزبير والظالمون وهذا ليس باختيار لانه معطوف على يدخل من يشاء وعطف الجملة الاسمية
على الجملة الفعلية غير حسن واما قوله تعالى فى حم عسق يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون ما لهم من ولى
فانما ارتفع لانه لم يذكر بعده فعل يقع عليه فينصبه فى المعنى فلم يجز ان يعطف على المنصوب قبله
فارتفع بالابتداء وههنا قوله اعد لهم عذابا اليما يدل على ذلك الناصب المضمر فظهر الفرق

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا
عذرا او نذرا انما توعدون لواقع فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت
واذا الجبال نسفت واذا الرسل اقتت لاى يوم اجلت ليوم الفصل وما ادريك ما يوم الفصل
ويل يومئذ للمكذبين اعلم ان فى الاية مسايل المسئلة الاولى اعلم ان هذه الكلمات الخمس اما ان يكون المراد منها
جنسا واحدا او اجناسا مختلفة اما الاحتمال الاول فذكروا فيه وجوها الاول ان المراد منها باسرها الملائكة فالمرسلات
هى الملائكة الذين ارسلهم الله تعالى اما لايصال النعمة الى قوم او لايصال النقمة الى اخرين وقوله عرفا فيه وجوه احدها
متتابعة كعرف الفرس يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تالبوا عليه والثانى ان يكون بمعنى العرف الذى هو نقيض النكر
فان هؤلاء الملائكة ان كانوا بعثوا للرحمة فهذا المعنى فيهم ظاهر وان كانوا بعثوا لاجل العذاب فذلك العذاب وان لم يكن
معروفا للكفار فانه معروف للانبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم والثالث ان يكون مصدرا كانه قيل والمرسلات ارسالا

اي متتابعة وانتصابه عرفا على الوجه الاول على الحال وعلى الثاني لكونه مفعولا له اي ارسلن للاحسان والمعروف وقوله
تعالى فالعاصفات عصفا فيه وجهان الاول المعنى ان الله تعالى لما ارسل اولئك الملائكة فهم عصفوا في طيرانهم
كما تعصف الرياح والثاني ان هؤلاء الملائكة يعصفون بروح الكافر يقال عصف بالشيء اي اباده واهلكه
يقال ناقة عصوف اي تعصف براكبها فتمضي كانها ريح في السرعة وعصفت الحرب بالقوم اي ذهبت بهم قال الشاعر
في فيلق شهباء ملمومة تعصف بالدارع والحاسر وقوله تعالى والناشرات نشرا معناه انهم نشروا
اجنحتهم عند انحطاطهم الى الارض او نشروا الشرائع في الارض او نشروا الرحمة او العذاب والمراد الملائكة الذين
ينشرون الكتب يوم الحساب وهي الكتب التي فيها اعمال بني آدم قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه
منشورا وبالجملة فقد نشروا الشيء الذي امروا بايصاله الى اهل الارض ونشروه فيهم وقوله تعالى فالفارقات
فرقا معناه انهم يفرقون بين الحق والباطل وقوله تعالى فالملقيات ذكرا معناه انهم يلقون الذكر الى الانبياء
عليهم السلام ثم المراد من الذكر يحتمل ان يكون مطلق العلم والحكمة كما قال تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من
يشاء من عباده ويحتمل ان يكون المراد هو القرآن خاصة وهو من قوله تعالى أألقي الذكر عليه من بيننا وقوله تعالى
وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب وهذا الملقي وان كان جبريل عليه السلام وحده الا انه يجوز ان يسمى الواحد
باسم الجماعة على سبيل التعظيم واعلم انك قد عرفت ان المقصود القسم على جلاله المقسم به وشرف الملائكة
وعلو مرتبتهم امر ظاهر من وجوه احدها شدة مواظبتهم على طاعة الله تعالى كما قال تعالى ينزل الملائكة بالروح
من امره على من يشاء من عباده ويحتمل ان يكون المراد هو القرآن خاصة كما قال تعالى ويفعلون ما يؤمرون وقوله
تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وثانيها انهم اقسام منهم من يرسل لانزال الوحي على الانبياء
ومنهم من يرسل للزوم بني آدم لكتابة اعمالهم طائفة منهم بالنهار وطائفة منهم بالليل ومنهم من يرسل لقبض
ارواح بني آدم ومنهم من يرسل الوحي من سماء الى اخرى الى ان ينزل بذلك الوحي من تلك السماء الى الارض ومنهم
الملائكة الذين ينزلون كل يوم من البيت المعمور الى الكعبة على ما قد روي ذلك في الاخبار وهذا ما يحتمله
قوله تعالى والمرسلات عرفا ثم ما فيها من سرعة المسير وقطع المسافات الكبيرة في المدة اليسيرة كقوله تعالى
تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ثم ما فيها من نشر اجنحتهم العظيمة عند
الطيران او نشر العلم والحكمة والنبوة والهداية والارشاد والوحي والتنزيل واظهار الفرق بين الحق والباطل بسبب
انزال ذلك الوحي والتنزيل والقاء الذكر في القلب والالسنة بسبب ذلك الوحي وبالجملة فالملائكة هم الوسائط بين الله
تعالى وبين عباده في الفوز بجميع السعادات العاجلة والآجلة والخيرات الجسمانية والروحانية فلذلك
اقسم الله تعالى بهم القول الثاني ان المراد من هذه الكلمات الخمس باسرها الرياح اقسم الله تعالى برياح عذاب ارسلها
عرفا اي متتابعة كشعر العرف كما قال تعالى يرسل الرياح وارسلنا الرياح ثم انها تشتد حتى تصير عواصف ورياح
رحمة نشرت السحاب في الجو كما قال تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وقال تعالى الله الذي يرسل
الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء ويجوز ايضا ان يقال الرياح تعين النبات والزرع والشجر على النشر
والانبات وذلك لانها تلقح فيسرع بذلك على ما قال تعالى وارسلنا الرياح لواقح فبهذا الطريق تكون الرياح
ناشرة للنبات وفي كون الرياح فارقة وجوه احدها ان الرياح تفرق بعض اجزاء السحاب عن بعض وثانيها
ان الله تعالى خرب بعض القرى بتسليط الرياح عليها كما قال تعالى فاما عاد فاهلكوا بريح صرصر وذلك يصير
سببا لظهور الفرق بين اولياء الله واعداء الله وثالثها انه عند حدوث الرياح المختلفة وترتيب الآثار العجيبة
عليها من تموج البحار وتخريب الديار يصير الخلق مضطرين الى الرجوع الى الله تعالى والتضرع على باب رحمته
فيحصل الفرق بين المقر والمنكر والموحد والملحد وقوله تعالى فالملقيات ذكرا معناه ان العاقل اذا شاهد
هبوب تلك الرياح التي تقلع القلاع وتهدم الصخور والجبال وترفع الامواج تمسك بذكر الله تعالى والتجأ الى اعانة
الله تعالى فصارت تلك الرياح كانها القت الذكر والايمان والعبودية في القلب ولا شك ان هذه الاضافة تكون
على سبيل المجاز من حيث ان الذكر حصل عند حدوث هذا القول الثالث من الناس من حمل بعض هذه الكلمات
الخمسة على القرآن فقوله تعالى والمرسلات عرفا المراد منها الآيات المتتابعة المرسلة على لسان جبريل عليه السلام
الى محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى عرفا اي هذه الآيات نزلت بكل عرف وخير وكيف لا وهي الهادية الى سبيل
النجاة والموصلة الى مجامع الخيرات والعاصفات عصفا فالمراد ان دولة الاسلام والقرآن كانت ضعيفة في الاول
ثم عظمت وقهرت سائر الملل والاديان فكانت دولة القرآن عصفت سائر الدول والملل والاديان وقهرتها
وجعلها باطلة داثرة وقوله تعالى فالناشرات نشرا المراد ان آيات القرآن نشرت آثار الحكم والهداية في قلوب
العالمين شرقا وغربا وقوله تعالى فالفارقات فرقا فذلك ظاهر لان آيات القرآن هي التي تفرق بين الحق والباطل
ولذلك سمى الله تعالى القرآن فرقانا وقوله تعالى فالملقيات ذكرا فالامر فيه ظاهر لان القرآن ذكر كما قال تعالى
ص والقرآن ذي الذكر وقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقوله تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه وتدبره كما قال

تعالى وانه



وانه لتذكرة للمتقين فظهر انه يمكن تفسير هذه الكلمات الخمسة بالقرآن وهذا وان لم يذكره احد فانه محتمل القول
الرابع يمكن حملها ايضا على بعثة الانبياء عليهم السلام فقوله تعالى والمرسلات عرفا هم الاشخاص الذين ارسلوا بالوحي
المشتمل على كل خير ومعروف فلا شك انهم ارسلوا بلا اله الا الله وهو مفتاح كل خير ومعروف والعاصفات
عصفا معناه ان امر كل رسول يكون في اول الامر حقيرا ضعيفا ثم يشتد ويعظم ويصير في القوة كعصف الرياح
فالناشرات نشرا المراد منه انتشار دينهم ومذهبهم ومقالتهم وقوله تعالى فالفارقات فرقا المراد انهم
يفرقون بين الحق والباطل والتوحيد والالحاد وقوله تعالى فالملقيات ذكرا المراد انهم يدعون الخلق الى
ذكر الله تعالى ويامرونهم به ويحثونهم عليه القول الخامس ان تكون المراد ان الرجل قد يكون مستقلا
بمصالح الدنيا في طلب لذاتها وراحاتها ففي اثناء ذلك يرد في قلبه داعية الاعراض عن الدنيا والرغبة في خدمة
المولى فتلك الداعية هي المرسلات عرفا ثم هذه المرسلات لها اثران احدهما ازالة حب ما سوى الله تعالى عن
القلب وهو المراد من قوله تعالى فالعاصفات عصفا والثاني ظهور تلك الداعية في جميع الجوارح والاعضاء حتى
لا يسمع الا الله ولا يبصر الا الله ولا ينظر الا الله فذلك هو قوله تعالى والناشرات نشرا ثم عند ذلك ينكشف نور جلال الله
تعالى فيراه موجودا ويرى كل ما سواه معدوما فذلك قوله تعالى فالفارقات فرقا ثم يصير العبد كالمستهتر
في محبته ولا يبقى في قلبه ولسانه الا ذكره فذلك قوله تعالى فالملقيات ذكرا واعلم ان هذه الوجوه الثلاثة
الاخيرة وان كانت غير مذكورة الا انها محتملة جدا اما الاحتمال الثاني وهو ان لا يكون المراد من الكلمات
الخمس شيئا واحدا ففيه الوجوه الاول ما ذكره الزجاج واختاره القاضي وهو ان الثلاثة الاولى هي الرياح
فقوله تعالى والمرسلات عرفا هي الرياح التي تتصل على العرف المعتاد والعاصفات ما يشتد منها والناشرات ما
ينشر السحاب اما قوله تعالى فالفارقات فرقا فهم الملائكة الذين يفرقون بين الحق والباطل والحرام والحلال بما
يحملونه من القرآن والوحي وكذلك قوله تعالى فالملقيات ذكرا انها الملائكة المتحملة للذكر والملقية ذلك الى الرسل
فان قيل وما المجانسة بين الرياح وبين الملائكة حتى يجمع بينهما في القسم قلنا الملائكة روحانيون فهم
بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم كالرياح القول الثاني ان الاثنين الاولين هما الرياح والثلاثة الباقية الملائكة
لانها تنشر الوحي والدين ثم لذلك الوحي اثران احدهما حصول الفرق بين المحق والمبطل والثاني ظهور ذكر الله
تعالى في القلوب والالسنة وهذا القول ما رايته لاحد ولكنه ظاهر الاحتمال ايضا والذي يؤكده انه قال تعالى
والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا عطف الثاني على الاول بحرف الفاء ثم قال تعالى والناشرات نشرا
وعطف الاسم الثالث عليه بحرف الواو وهذا يقتضي ان يكون الاولان ممتازين عن الثلاثة الاخيرة
القول الثالث يمكن ان يقال المراد بالاولين الملائكة فقوله تعالى والمرسلات عرفا ملائكة الرحمة وقوله
تعالى فالعاصفات عصفا ملائكة العذاب والثلاثة الباقية آيات القرآن لانها تنشر الحق في القلوب والارواح
وتفرق بين الحق والباطل وتلقي الذكر في القلوب والالسنة ايضا وهذا القول ايضا ما رايته لاحد وهو محتمل ومن
وقف على ما ذكرناه امكنه ان يذكر فيه وجها آخر والله اعلم بمراده **المسألة الثانية** قال القفال رحمه الله تعالى الوجه
في دخول الفاء في بعض ما وقع به القسم والواو في بعض انه مبني على الاصل وهو ان عند اهل اللغة الفاء تقتضي الوصل والتعلق
فاذا قيل قام زيد فذهب فمعناه ان كل واحد منهما قائم بنفسه لا يتعلق بالآخر ثم ان القفال رحمه الله تعالى لما مهد هذا الاصل
فرع عليه الكلام في هذه الآية بوجوه لا يميل قلبي اليها وانا افرع على هذا الاصل فاقول من جعل الاولين صفتين لشيء
والثلاثة الاخيرة صفتان لشيء واحد فنقول ان حملناها على الملائكة فالملائكة اذا ارسلت طارت سريعا وذلك
الطيران هو العصف فالعصف مرتب على الارسال فلا جرم ذكر الفاء اما النشر فلا يترتب على الارسال فان الملائكة اول ما يبلغون
الوحي الى الرسل لا يصير في الحال ذلك الدين مشهورا منتشرا بل الخلق يؤذون الانبياء في الامر وينسبونهم الى الكذب والسحر
والجنون فلا جرم لم يذكر الفاء التي تفيد التعقيب بل ذكر الواو بلى اذا حصل النشر ترتب على حصوله الفرق بين الحق
والباطل وظهور ذكر الحق على الالسنة فلا جرم ذكر هذين الامرين بحرف الفاء فكانه والله اعلم قيل يا محمد اني ارسلت
الملائكة اليك بالوحي الذي هو عنوان كل سعادة وفاتحة كل خير ولكن لا تطمع في ان ينتشر ذلك الامر في الحال ولكن
لا بد من الصبر وتحمل المشقة ثم اذا جاء وقت النصرة اجعل ذلك الامر في الحال ولكن لا بد من الصبر وتحمل المشقة ثم اذا جاء
وقت النصرة اجعل دينك ظاهرا منتشرا في شرق العالم وغربه فعند ذلك الانتشار يظهر الفرق فتصير الاديان الباطلة
ضعيفة ساقطة ودينك الذي هو الحق ظاهرا غالبا وهنالك يظهر ذكر الله تعالى على الالسنة وفي المحارب وعلى المنابر
ويصير العالم مملوءا من ذكر الله تعالى فهذا اذا حملنا هذه الكلمات الخمس على الملائكة ومن عرف هذا الوجه امكنه ذكر ما
يشابهه في الرياح وسائر الوجوه اما قوله تعالى عذرا او نذرا ففيه مسائل **المسألة الاولى** فيهما قراءتان
التخفيف وهو قراءة ابي عمرو وعاصم في رواية حفص والباقون قرؤا بالتثقيل اما التخفيف فلا نزاع في كونه مصدرا
والمعنى عذرا او انذارا واما التثقيل فزعم ابو عبيدة انه جمع وليس بمصدر واما الاخفش والزجاج فزعما انه مصدر
والتثقيل والتخفيف لغتان وبدرا نو على قول الاخفش والزجاج وقال العذر والعذير والنذر والنذير مثل النكر والنكير

ثم قال ابو علي ويجوز في قراءة من ثقل ان يكون عذرا جمع عاذر كشرف وشارف وكذلك النذر ويجوز ان يكون جمع نذير قال تعالى هذا نذير من النذر الاولى **المسئلة الثانية** في النصب ثلاثة اوجه اما على تقدير كونه مصدرا فوجهان احدهما مفعول على البدل من قوله تعالى ذكرا والثاني ان يكون مفعولا له والمعنى والملقيات ذكرا للاعذار والانذار اما على تقدير كونه جمعا فنصب على الحال من الالقاء والتقدير والملقيات ذكرا حال كونهم عاذرين ومنذرين اما قوله تعالى انما توعدون لواقع انه جواب القسم والمعنى ان الذي توعدون به من مجيء يوم القيامة لكائن نازل وقال الكلبي المراد ان كل ما توعدون به من الخير والشر لواقع واحتج القائلون بالتفسير الاول بانه تعالى ذكر عقيب هذه الاية علامات يوم القيمة فدل على ان المراد من هذه الاية هو القيمة فقط ثم انه تعالى ذكر علامات وقوع هذا اليوم واولها اما قوله تعالى فاذا النجوم طمست ذكرنا تفسير الطمس عند قوله تعالى ربنا اطمس على اموالهم وبالجملة فيحتمل ان يكون المراد محق ذواتها وهو موافق لقوله تعالى انتثرت وان يكون المراد محق انوارها والاول اولى لانه لا حاجة فيه الى الاضمار ويجوز ان يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور وثانيها قوله تعالى واذا السماء فرجت والفرج الشق يقال فرجه الله فانفرج وكل مشقوق فرج فههنا قوله فرجت اي شقت نظيره قوله تعالى اذا السماء انشقت وقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وقال ابن قتيبة معناه فتحت نظيره وفتحت السماء قال الشاعر الفارجي باب الامير المبهم وثالثها قوله تعالى واذا الجبال نسفت وفيه وجهان احدهما نسفت كالحب المغلق اذا نسفت بالمنسف ومنه قوله تعالى لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا ونظيره قوله تعالى وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا فقل ينسفها ربي نسفا والثاني اقتلعت بسرعة من اماكنها من انتسفت الشيء اذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة ورابعها قوله تعالى واذا الرسل اقتت وفيه مسئلتان **المسئلة الاولى** اقتت اصلها وقتت ويدل عليه وجوه احدها قراءة ابي عمرو وقتت بالواو وثانيها ان اصل الكلمة من الوقت وثالثها ان كل واو ضمت وكانت ضمتها لازمة فانها تبدل على الاطراد همزة اولا وثانيا فمن ذلك ان تقول صلى القوم احدانا وهذه اجوه حسان وادور في جمع دار والسبب فيه ان الضمة من الواو فالجمع بينهما يجري مجرى المثلين فيكون ثقيلا ولهذا كان كسر اليا ثقيلا اما قوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم فلا يجوز فيه البدل لان الضمة غير لازمة الا ترى انه لا يسوغ في نحو قولك هذا غزو ان تبدل الشاسة في التاقيت قولان الاول وهو قول مجاهد والزجاج انه تبيين الوقت الذي فيه يحضرون للشهادة على اممهم وهذا ضعيف وذلك لان هذه الاشياء جعلت لقيام القيامة كانه قيل اذا كان كذا وكذا كانت القيامة ولا يليق بهذا الموضع انقلاب واذا تبين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم قامت القيامة لان ذلك البيان كان حاصلا في الدنيا ولان الثلاثة المتقدمة وهي الطمس والفرج والنسف مختص بوقت قيام القيامة فكذا هذا التوقيت يجب ان يكون مختصا بوقت قيام القيامة القول الثاني ان المراد بهذا التاقيت تحصيل الوقت وتكوينه وهذا اقرب ايضا الى مطابقة اللفظ لان بناء التفعيل على تحصيل تلك الماهيات فالتسويد تحصيل السواد والتحريك تحصيل الحركة فكذا التاقيت تحصيل الوقت ثم انه ليس في اللفظ بيان انه تحصل لوقت اي شيء وانه لم يبين ذلك ولم يعين لاجل ان يذهب الوهم الى كل جانب فيكون التهويل فيه اشد فيحتمل ان يكون المراد تكوين الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم وان يكون هو الوقت الذي يجتمعون فيه للفوز بالثواب وان يكون هو وقت سؤال الرسل عما اجيبوا به وسؤال الامم عما اجابوهم كما قال تعالى فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين وان يكون هو الوقت الذي يشاهدون الجنة والنار والعرض والحساب والوزن وساير احوال القيامة واليه الاشارة بقوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اما قوله تعالى لاي يوم اجلت ليوم الفصل اما حرف كانه تعالى يعجب العباد من تعظيم ذلك اليوم فقال تعالى لاي يوم اخرت الامور المتعلقة بهذا الرسل وهي تعذيب من كذبهم وتعظيم من امن بهم وظهور ما كانوا يدعون الخلق الى الايمان به من الاهوال والعرض والحشر ونشر الدواوين ووضع الموازين ثم انه تعالى بين ذلك فقال ليوم الفصل قال ابن عباس يوم يفصل الرحمن بين الخلايق وهذا كقوله تعالى ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين ثم اتبع ذلك تعظيما ثانيا فقال تعالى وما ادراك ما يوم الفصل اي وما علمك بيوم الفصل وشدته ومهابته ثم اتبعه تهويلا ثالثا فقال تعالى ويل يومئذ للمكذبين اي للمكذبين بالتوحيد والنبوة والمعاد وبكل ما ورد الانبياء عليهم السلام واخبروا عنه بقي ههنا سؤالان السؤال الاول كيف وقع النكرة مبتدا في قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين الجواب هو في اصله مصدر منصوب ساد مساد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم ويجوز ويله بالنصب ولكنه لم يقرا به السؤال الثاني اين جواب قوله تعالى فاذا النجوم طمست الجواب عنه من وجهين الاول التقدير انما توعدون لواقع اذا النجوم طمست وهذا ضعيف لانه يقع القاسم قوله تعالى فاذا النجوم طمست الثاني ان الجواب محذوف والتقدير فاذا النجوم طمست فحينئذ تقع المجازاة على الاعمال وتقوم القيامة اما قوله تعالى الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الاخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين اعلم ان المقصود من هذه السورة تخويف الكفار وتحذيرهم عن الكفر فالنوع الاول من التخويف انه اقسم على ان اليوم الذي يوعدون به وهو يوم الفصل واقع ثم هوله فقال تعالى وما ادراك ما يوم الفصل ثم زاد في التهويل فقال تعالى ويل يومئذ للمكذبين النوع الثاني من التخويف ما ذكره في هذه الاية فقال تعالى ويل يومئذ للمكذبين وهو انه اهلك الكفرة المتقدمين بسبب كفرهم فاذا كان الكفر حاصلا





في هولاء المتاخرين فلابد وان يهلكهم ايضا ثم قال تعالى ويل يومئذ للمكذبين كانه يقول اما الدنيا فحاصلهم الهلاك واما الاخرة فالعذاب الشديد واليه الاشارة بقوله تعالى خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين وفي الاية سؤالات **السؤال الاول** ما المراد من الاولين والاخرين الجواب فيه قولان الاول انه اهلك الاولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم اتبعهم الاخرين من قوم شعيب ولوط وموسى كذلك نفعل بالمجرمين وهم كفار قريش وهذا القول ضعيف لان قوله نتبعهم فعل مضارع فهو يتناول الحال والاستقبال ولا يتناول الماضي البتة القول الثاني ان المراد بالاولين جميع الكفار الذين كانوا قبل محمد عليه السلام وقوله تعالى ثم نتبعهم الاخرين على الاستيناف على معنى سنفعل ذلك ونتبع الاول الاخر ويدل على الاستيناف قراءة عبد الله سنتبعهم فان قيل قرا الاعرج ثم نتبعهم بالجزم وذلك يدل على الاشتراك في الم وحينئذ يكون المراد به الماضي لا المستقبل قلنا القراءة الثابتة بالتواتر نتبعهم بحركة العين وذلك يقتضي المستقبل فلو اقتضت القراءة بالجزم ان يكون المراد هو الماضي لوقع التنافي بين القراءتين وانه غير جائز فعلمنا ان تسكين العين ليس للجزم بل للتخفيف كما روي في بيت امرئ القيس فاليوم اشرب غير مستحقب ثم انه تعالى لما بين انه يفعل بهولاء المتاخرين مثل ما فعل باولئك المتقدمين قال كذلك نفعل بالمجرمين اي هذا الاهلاك انما نفعل بهم لكونهم مجرمين فلا جرم عم في جميع المجرمين لان عموم العلة يقتضي عموم الحكم ثم قال تعالى ويل يومئذ للمكذبين اي هولاء ان اهلكوا وعذبوا في الدنيا فالمصيبة العظمى والطامة الكبرى معدة لهم يوم القيامة السؤال الثاني المراد من الاهلاك في قوله تعالى الم نهلك الاولين هو مطلق الاماتة او الاماتة بالعذاب فان كان ذلك هو الاول لم يكن ذلك تخويفا للكفار لان ذلك امر حاصل للمؤمن والكافر فلا يحصل تحذير الكافرين وان كان المراد هو الثاني وهو الاماتة بالعذاب فقوله تعالى ثم نتبعهم الاخرين كذلك نفعل بالمجرمين يقتضي ان يكون الله تعالى قد فعل بكفار قريش مثل ذلك ومن المعلوم انه لم يوجد ذلك وايضا فلانه تعالى قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الجواب لا يجوز ان يكون المراد منه الاماتة بالتعذيب وقد وقع ذلك في كفار قريش وهو يوم بدر سلمنا ذلك فلم لا يجوز ان يكون المراد من الاهلاك ثالثا مغايرا للامرين ذكرهما وهو الاماتة المستعقبة للذم واللعن فكانه قيل ان اولئك المتقدمين لحرصهم على الدنيا عاندوا الانبياء عليهم السلام وخاصموهم ثم ماتوا ففاتهم الدنيا وبقي اللعن عليهم في الدنيا والعقوبة الاخروية دائما متزايدة فهذا يكون حال هولاء الكفار الموجودين ومعلوم ان مثل هذا الكلام من اعظم وجوه الزجر والله اعلم

**قوله تعالى** الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب انها ترمي بشرر كالقصر كانه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين **اعلم** ان هذا النوع الثالث من تخويف الكفار ووجه التخويف فيه من وجهين الاول انه تعالى ذكرهم عظيم نعمه عليهم وكلما كانت نعمه عليه اكثر كانت جنايته في حقه اقبح وافحش وكلما كان كذلك كان العقاب اعظم ولهذا قال عقيب ذكر الانعام قال تعالى ويل يومئذ للمكذبين الوجه الثاني انه تعالى ذكرهم كونه قادرا على الابتداء وظاهر في العقل ان القادر على الابتداء قادر على الاعادة فلما انكروا هذه الدلالة الظاهرة لا جرم قال في حقهم ويل يومئذ للمكذبين واما التفسير فهو قوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين اي من النطفة وهو كقوله تعالى ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين وهو الرحم لان ما يخلق الولد لابد وان يثبت في الرحم ويتمكن بخلاف ما لا يخلق منه الولد ثم قال تعالى الى قدر معلوم والمراد منه كونه في الرحم الى وقت الولادة وذلك الوقت معلوم لله تعالى لا لغيره لقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الى قوله تعالى ويعلم ما في الارحام اما قوله تعالى فقدرنا قرا نافع وابن عامر بالتشديد وقرا الباقون بالتخفيف اما التشديد فالمعنى انا قدرنا ذلك تقديرا فنعم المقدرون له نحن ويؤكد هذا الوجه بقوله تعالى من نطفة خلقه فقدره ولان ايقاع الخلق على هذا التقدير والتحديد نعمة من المقدر على المخلوق فحسن ذكره في موضع ذكر المنة والنعمة ومن طعن في هذه القراءة لو جاز ذلك لقال فقدرنا فنعم المقدرون واجيب عنه بان العرب قد تجمع بين اللغتين قال تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا واما القراءة بالتخفيف ففيه وجهان الاول انه من القدرة اي فقدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا واردنا فنعم القادرون حيث خلقناه في احسن الصور والهيئة والثاني ان يقال قدرت الشيء بالتخفيف على معنى قدرته بالتشديد قال الفراء العرب تقول قدر عليه الموت وقدر عليه رزقه بالتخفيف على معنى قدرته بالتشديد قال تعالى فقدرنا فنعم القادرون وقال تعالى فقدر عليه رزقه اما قوله تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا **اعلم** ان هذا هو النوع الرابع من تخويف الكفار وذلك انه في الاية التي قبلها اي قبل هذه الاية ذكرهم بالنعم التي له عليهم في الانفس ثم قال تعالى في اخر الاية ويل يومئذ للمكذبين والسبب فيه ما قدمنا ان النعم كلما كانت اكثر كانت الجناية اقبح فكان استحقاق الذم عاجلا والعقاب اجلا اشد وانما قدم تلك الاية على هذه الاية لان النعم التي في الانفس كالاصل للنعم التي في الافاق فانه لولا الحياة والسمع والبصر والاعضاء السليمة لما كان الانتفاع بشيء من المخلوقات **واعلم** انه تعالى ذكر ههنا ثلاثة اشياء اولها الارض واعلم قدمها

لان اقرب الاشيا الينا من الامور الخارجة هو الارض ومعنى الكفت في اللغة الضم والجمع يقال كفت الشيء اذا
ضممته ويقال جراب كفيت اذا كان لا يضيع شيا مما يجعل فيه ويقال للقدر كفت قال صاحب الكشاف وهو اسم
ما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الابواب ويقال سددت الشيء ثم يسمى
الخيط الذي تشد به الشيء سدادا وبه انتصب احيا وامواتا كانه قيل كافته احيا وامواتا او بفعل مضمر يدل
عليه وهو يكفت ويكون المعنى يكفتكم احيا وامواتا ايضا على الحال من الضمير هذا هو اللغة ثم في المعنى وجوه
احدها انها تكفت احيا على ظهرها وامواتا في بطنها والمعنى ان الاحيا يسكنون في منازلهم والاموات
يدفنون في قبورهم ولهذا كانوا يسمون الارض اما لانها في ضمها الناس كالام التي تضم ولدها وتكفله ولما
كانوا يضمون جعلت كانها تضمهم وثانيها انها كفات الاحيا بمعنى انها تكفت ما ينفصل من الاحيا
من الامور المستقذرة فاما انها تكفت الناس حال كونهم على ظهرها فلا وثالثها انها كفات الاحيا بمعنى انها
جامعة لما يحتاج الانسان اليه في حوائجه من ماكل ومشرب لان كل ذلك يخرج من الارض والابنية الجامعة
للمصالح الدافعة للمضار مبنية فيها ورابعها ان قوله تعالى احيا وامواتا معناه راجع الى الارض
فالحي ما انبت والميت ما لم ينبت بقي في الاية سوالان السوال الاول لم قيل احيا وامواتا على التنكير
وهي كفات الاحيا والاموات جميعا الجواب هو من تنكير التفخيم كانه تكفت احيا لا يعدون وامواتا
لا يحصرون السوال الثاني هل يدل الاية على وجوب قطع النباش الجواب نقل القفال رحمه الله تعالى
ان قال دلت الاية على ان الارض كفات الميت فتكون حرزا له والسارق من الحرز يجب عليه القطع النوع
الثاني من النعم المذكورة في هذه الاية قوله تعالى وجعلنا فيها رواسي فقوله رواسي اي ثوابت على ظهر
الارض لا تزول والشامخات اي عاليات وكل عال فهو شامخ ويقال للمتكبر شمخ بانفه ومنافع خلقه
الجبال قد تقدمت في هذا الكتاب النوع الثالث من النعم قوله تعالى واسقيناكم ماء فراتا الفرات هو الغاية
في العذوبة وقد تقدم تفسيره في قوله تعالى هذا عذب فرات اما قوله تعالى انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون
اعلم ان هذا هو النوع الخامس من وجوه تخويف الكفار وهو بيان كيفية عذابهم في الاخرة فاما قوله
تعالى انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون فالمعنى انه يقال لهم انطلقوا الى ما كذبتم به من العذاب والظاهر
ان القائلين هم خزنة النار وانطلقوا الثاني تكرير وقرا يعقوب انطلقوا على لفظ الماضي والمعنى انهم
انقادوا للامر لاجل انهم مضطرون اليه لا يستطيعون امتناعا منه وهذا بعيد لانه كان ينبغي
ان يقال فانطلقوا بالفا ليرتبط اخر الكلام باوله قال المفسرون ان الشمس تقرب يوم القيمة من رووس الخلايق
وليس عليهم يوميذ لباس ولا [illegible] فتلفحهم الشمس وتسفعهم وتاخذ بانفاسهم ويمتد ذلك اليوم
ثم ينجي الله برحمته من يشاء الى ظل فهنالك يقولون فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ويقال للمكذبين
انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله تعالى وعقابه وقوله تعالى الى ظل يعني ظل جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم
ثم انه تعالى وصف هذا الظل بصفات الصفة الاولى قوله تعالى ذي ثلاث شعب وفيه وجوه احدها قال الحسن
ما ادري ما هذا الظل ولا سمعت فيه شيء وثانيها قال قوم المراد بقوله تعالى ظل ذي ثلاث شعب هو كون النار
من فوقهم ومن تحت ارجلهم ومحيطة بهم وتسمية النار بالظل مجاز من حيث انها محيطة بهم من كل جانب كقوله تعالى
لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وثالثها
قال قتادة بل المراد الدخان وهو من قوله تعالى احاط بهم سرادقها وسرادق النار هو الدخان ثم انه يتشعب
من ذلك الدخان شعبة على يمينه وشعبة اخرى على يساره وشعبة ثالثة من فوقه واقول هذا غير مستبعد
لان الغضب عن يمينه والشهوة عن شماله والقوة الشيطانية في دماغه ومنبع جميع الافات الصادرة
عن الانسان في عقايده وفي اعماله ليس الا هذه الثلاثة فتولدت من هذه الينابيع الثلاثة ثلاثة انواع
من الظلمات ويمكن ايضا ان يقال ههنا درجات ثلاثة وهي الحس والخيال والوهم وهي مانعة للروح عن الاستنارة
بانوار عالم القدس والطهارة ولكل واحد من تلك المراتب الثلاث نوع خاص من الظلمة ورابعها قال قوم هذا
كناية عن كون ذلك الدخان عظيما فان الدخان العظيم ينقسم الى شعب كثيرة وخامسها قال ابو مسلم ويحتمل
في ثلاث شعب ما ذكره بعد ذلك وهو انه غير ظليل وانه لا يغني من اللهب وانه ترمي بشرر الصفة الثانية
لذلك الظل قوله لا ظليل هذا تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل المومنين والمعنى ان ذلك الظل لا يمنع حر الشمس
الصفة الثالثة قوله تعالى ولا يغني من اللهب يقال اغن عني وجهك اي ابعده لان الغني عن الشيء يباعده
كما ان المحتاج يقاربه قال صاحب الكشاف انه في محل الجر اي وغير مغن عنهم من حر اللهب شيا قال القفال وهذا
يحتمل وجهين احدهما ان هذا الظل انما يكون في جهنم فلا يظلهم من حرها ولا يسترهم من لهبها وقد ذكر الله
تعالى في سورة الواقعة الظل فقال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم فيحتمل ان يكون قوله تعالى
لا ظليل في معنى لا بارد وقوله تعالى ولا يغني من اللهب في معنى ولا كريم اي لا روح له يلجا من لهب النار والثاني

انيكون



ان يكون ذلك انما يكون قبل ان يدخلوا جهنم بل عندما يحبسون للحساب والعرض فيقال لهم ان هذا الظل لا يظلكم
من حر الشمس ولا يدفع لهب النار وفي الاية وجه ثاني قاله قطرب وهو ان اللهب ههنا هو العطش يقال لهب لهبا ورجل
لهبان وامراة لهبى الصفة الرابعة قوله تعالى انها ترمي بشرر كالقصر كانه جمالات صفر قال الواحدي يقال
شررة وشرارة وشرار وهو ما تطاير من النار متبددا في كل جهة واصله من شررت الثوب اذا اظهرته وبسطته
للشمس والشرار ينبسط متبددا واعلم ان الله تعالى وصف النار التي كان ذلك الظل دخانا لها فانها ترمي
بالشرر العظيمة والمقصود منه بيان عظمته جدا ثم انه تعالى شبه ذلك الشرر بشيين احدهما بالقصر
وفي تفسيره قولان احدهما ان المراد منه البنا المسمى بالقصر قال ابن عباس يريد القصور العظام
الثاني انه ليس المراد ذلك ثم على هذا التقدير في التفسير وجوه احدها انه جمع قصرة ساكنة الصاد
كتمرة وتمر وجمرة وجمر قال المبرد يقال للواحد من الحطب الجزل الغليظ قصرة والجمع قصر قال عبد الرحمن بن
عباس سالت ابن عباس عن القصر فقال هو خشب كنا ندخره للشتا نقطعه كنا نسميه القصر وهذا
قول سعيد بن جبير ومقاتل والضحاك الا انهم قالوا هي اصول النخل والشجر العظام قال صاحب الكشاف
قرى كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل واعناق النخل نحو شجر وشجرة وقرا ابن مسعود كالقصر بمعنى القصور
كرهن ورهن وقرا سعيد بن جبير كالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج التشبيه اما قوله تعالى كانه جمالة
صفر وفيه مسايل المسالة الاولى جمالات جمع جمال كقولهم رجالات ورجال وبيوتات وبيوت
وقرا ابن عباس جمالات بضم الجيم وهو قراة يعقوب وذكروا فيه وجوها احدها قيل الجمالات بضم الجيم
الغلاظ وهي حبال السفن ويقال لها القلوس ومنهم من انكر ذلك وقال المعروف في الحبل انما هو الجمل بضم
الجيم وتشديد الميم وقرى حتى يلج الجمل وثانيها هي قطع النحاس وهو مروي عن علي ابن ابي طالب رضي الله
عنه وابن عباس ومعظم اهل اللغة لا يعرفه وثالثها قال الفرا يجوز ان يكون الجمالات بالضم من
الشيء المجمل يقال اجملت الحساب وجاء القوم جملة اي مجتمعين والمعنى ان هذه الشررة ترتفع كانه شيء
مجموع غليظا اصفر وهذا قول الفرا ورابعها قال الفرا يجوز ان يقال جمالات بضم الجيم جمع جمال بضم
الجيم يكون جمع كما يقال رجل ورجال القراة الثالثة جمالة بكسر الجيم وهي جمع جمل مثل حجر وحجارة
قال ابو علي والتا انما لحقت جمالا لتانيث الجمع كما لحقت في فحل وفحالة القراة الرابعة جمالة بضم الجيم
وهي العكس وقيل صفر لارادة الجنس واما قوله تعالى صفر فالاكثرون على ان المراد منه سود تضرب
الى الصفرة قال الفرا لا ترى اسود من الابل الا وهو مشرب صفرة والشرر اذا تطاير فسقط وفيه
بقية من لون النار كان اشبه بالجمل الاسود الذي يشوبه شيء من الصفرة فزعم بعض العلماء ان المراد
هو الصفرة لا السواد لان الشرر انما يسمى شررا ما دام يكون نارا ومتى كان نارا كان اصفر وانما
يصير اسود اذا انطفى وهناك لا يسمى شررا [illegible] فالقول عندي هو الصواب المسالة الثانية
اعلم انه تعالى شبه الشرر في العظم بالقصر وفي اللون والكثرة والتتابع وسرعة الحركة بالجمالات الصفر
وقيل ايضا ان الشرر اذا انشق يعظم فيكون كالقصر ثم يتفرق فتكون تلك القطعة المتفرقة المتتابعة
كالجمالات الصفر واعلم انه نقل عن ابن عباس انه قال في تفسير قوله تعالى انها ترمي بشرر كالقصر
ان هذا التشبيه انما ورد على عادة العرب وقصورهم قصيرة السمك جارية مجرى الخيمة فبين
تعالى انها ترمي بشرر كالقصر فلما سمع ابو العلاء المعري هذا التشبيه وشبهه بالخيمة من الادم
وهو قوله حمراء ساطعة الذوايب في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف ثم قال صاحب الكشاف فانه
[illegible]
فلا بد من تحقيق الكلام فيه فنقول تشبيه الشرارة بالقصر [illegible] في الشكل والعظم
اما الشكل فمن وجهين الاول ان الشرارة يكون صغيرا [illegible] فاذا انشقت
اتسعت [illegible]
[illegible] الثاني ان الشرارة [illegible]
[illegible]
الاول ان الشرارة مصفرة [illegible] وهذا المعنى حاصل في الجمالات الصفر
وغير حاصل في الخيمة من الادم الثاني ان الجمالات متحركة والخيمة لا يكون متحركة فتشبيه الشرار
المتحركة بالجمالات المتحركة اولى الثالث ان الشرارات متناهية وبعضها خلف البعض وهذا المعنى
حاصل في الجمالات الصفر غير حاصل في الطراف الرابع [illegible]
الشرارة بالقصر [illegible] وكذلك
فانه كان تنوع الخير والسلامة [illegible]

منها الا من اصلى الى امس ان العرب كانوا يعتقدون ان كل الجمال في ملك الجمال وتمام النعم انما يحصل بملك النعم ولهذا قال تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون فلسبه الشرارة بالجمال السود كانه قيل لهم كنتم تتوقعون من دينكم كرامة ونعمة وجمالا الا ان ذلك الجمال هو هذه الشرارات التي هي كالجمالات وهذا المعنى غير حاصل في الطراف الخامس ان الجمال اذا انفرت واختلط بعضها بالبعض فكل من وقع فيما بين ايديها وارجلها في ذلك الوقت نال بلا شديد والما عظيما فتشبيه الشرارات بها حال تتابعها يفيد حصول كمال الضرر والطراف ليس كذلك السابع الظاهر ان القصر يكون اعظم من المفازة في الطراف والجمالات الصفر يكون اكثر في العدد من الطراف فتشبيه هذه الشرارات بالقصر وبالجمالات يقتضي الزيادة في المقدار وفي العدد وتشبيهها بالطراف لا يفيد شيئا من ذلك ولما كان المقصود هو التهويل والتخويف كان التشبيه الاول اولى الثامن ان التشبيه بالشيئين في اثبات وصفين اقوى في ثبوت ذينك الوصفين من التشبيه بالشيء الواحد في اثبات ذينك الوصفين وبيانه ان من سمع قوله تعالى انها ترمي بشرر كالقصر يسارع ذهنه الى ان المراد اثبات عظم تلك الشرارات ثم اذا سمع بعد ذلك قوله تعالى كانه جمالات صفر سارع ذهنه الى ان المراد كثرة تلك الشرارات وتتابعها ولونها اما من سمع ان الشرر كالطراف بقي ذهنه متوقفا في ان المقصود بالتشبيه اثبات العظم او اثبات اللون فالتشبيه بالطراف كالمجمل والتشبيه بالقصر والجمالات الصفر كالبيان المفصل المكرر المؤكد ولما كان المقصود من هذا البيان هو التهويل والتخويف فكلما كان بيان وجوه العذاب اتم وابين كان الخوف اشد فثبت ان هذا التشبيه اتم التاسع انه قال في اول الآية انطلقوا الى ظل والانسان انما يكون طيب العيش وقت الانطلاق والذهاب اذا كان راكبا وانما يجد الظل الطيب اذا كان في قصره فوقع تشبيه الشرارة بالقصر والجمالات كانه قيل له مركوبك هذه الجمالات وظلك في مثل هذا القصر وهذا يجري مجرى التهكم بهم وهذا المعنى غير حاصل في الطراف العاشر من المعلوم ان تطاير القصر في الهوا ادخل في التعجب من تطاير الخيمة لان القصر يكون مركبا من اللبن والحجر والخشب وهذه الاجسام ادخل في الثقل والانكسار من الخيمة المتخذة اما من الكرباس او من الاديم والشي كلما كان اثقل واشد انكسارا كان تطايره في الهوا ابعد فكانت النار التي تطير القصر الى الهوا اقوى من النار التي تطير الطراف في الهوا وتشبيهها بالطراف لا يدل على هذا المعنى ومعلوم ان المقصود تعظيم امر النار في الشدة والقوة فكان التشبيه بالقصر اولى الحادي عشر وهو ان سقوط القصر على الانسان ادخل في الايلام والايجاع من سقوط الطراف عليه فتشبيه تلك الشرارات بالقصر يفيد ان تلك الشرارات اذا ارتفعت في الهوا ثم سقطت على الكافر فانها تولمه ايلاما شديدا وصار ذلك تنبيها على انه لا يزال يسقط عليه من الهوا شرارات كالقصور بخلاف وقوع الطراف على الانسان فانه لا يولم في الغاية الثاني عشر ان الجمال في اكثر الامر تكون موقرة فتشبيه الشرارات بالجمال تنبيه على ان كل واحد من تلك الطرف انواع من البلاء والمحنة لا يحصي عددها الا الله تعالى فكانه قيل تلك الشرارات كالجمالات الموقرة بانواع المحنة والبلاء وهذا المعنى غير حاصل في الطراف فكان التشبيه بالجمالات اتم واعلم ان هذه الوجوه توالت على الخاطر في هذه اللحظة الواحدة ولو تضرعنا الى الله تعالى في طلب المزيد لاعطانا الى قدر ما شئنا بفضله ورحمته ولكن هذه الوجوه كافية في بيان الترجيح والزيادة عليها بعد من الاطناب والله اعلم

**قوله تعالى** هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين

نصبه الاعمش يوم اي هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ **واعلم** ان هذا هو النوع السادس من انواع تخويف الكفار وتشديد الامر عليهم وذلك لانه تعالى بين انه ليس لهم عذر ولا حجة فيما اتوا به من القبائح ولا لهم قدرة على دفع العذاب عن انفسهم فيجتمع في حقه في هذا المقام انواع من احدها عذاب الخجالة فانه يفتضح على رؤس الاشهاد ويظهر لكل احد قصوره وتقصيره وكل من له عقل سليم علم ان عذاب الخجالة اشد من القتل بالسيف والاحراق بالنار وما بها وقوف العبد الآبق على باب المولى ووقوعه في يده مع علمه بانه الصادق الذي يستحيل عليه الكذب على ما قال تعالى ما يبدل القول لدي وثانيها انه يرى في ذلك الموقف خصماءه الذين كان يستخفهم ويستحقرهم فائزين بالثواب والتعظيم ويرى نفسه فايزا بالخزي والنكال وهذه ثلاثة انواع من العذاب الروحاني ورابعها العذاب الجسماني وهو مشاهدة النار واهوالها نعوذ بالله منها فلما اجتمعت في حق هذه الوجوه من العذاب بل ما لا يصف كنهه الا الله تعالى لا جرم قال تعالى في حقهم ويل يومئذ للمكذبين وفي الآية سؤالان الاول كيف يمكن الجمع بين قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقوله تعالى ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون وقوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين وقوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا ويروى ان نافع بن الازرق سال ابن عباس عن هذا السؤال والجواب عنه من وجوه

احدها



احدها قال الحسن فيه اضمار والتقدير هذا يوم لا ينطقون فيه بحجة ولا يؤذن لهم فيعتذرون لانهم ليس لهم فيما عملوه عذر صحيح وجواب مستقيم واذا لم ينطقوا بحجة سليمة وكلام مستقيم فكانهم لم ينطقوا لان من نطق بما لا يفيد فكانه لم ينطق ونظيره ما يقال لمن ذكر كلاما غير مفيد ما قلت شيئا وثانيها قال الفرا اراد بقوله يوم لا ينطقون تلك الساعة وذلك القدر من الوقت الذي لا ينطقون فيه كما تقول آتيك يوم يقدم فلان والمعنى ساعة يقدم وليس باليوم كله لان القدوم انما يحصل في ساعة لطيفة ولا يمتد في كل اليوم وثالثها ان قوله تعالى لا ينطقون لفظ مطلق والمطلق لا يفيد العموم لا في الانواع ولا في الاوقات بدليل انك تقول فلان لا ينطق بالشر ولكنه لا ينطق بالخير وتارة تقول فلان لا ينطق بشي البتة فهذا يدل على ان مفهوم لا ينطق قدر مشترك بين ان لا ينطق ببعض الاشيا وبين ان لا ينطق بكل الاشيا وكذلك تقول فلان لا ينطق في هذه الساعة وتقول فلان لا ينطق البتة وهذا يدل على ان مفهوم لا ينطق مشترك بين الدائم والموقت واذا كان كذلك فمفهوم لا ينطق يكفي في صدقه عدم النطق ببعض الاشيا وفي بعض الاوقات وذلك لا ينافي حصول النطق بشي آخر في وقت آخر فيكفي في صدق قوله لا ينطقون انهم لا ينطقون بعذر وعلة في وقت واحد وهو وقت السؤال وهذا الذي ذكرناه اشارة الى صحة الجواب الاول بحسب نظر العقل فان قيل لو حلف لا ينطق في هذا اليوم فينطق في جزء من اجزاء اليوم يحنث قلنا مبنى الايمان على العرف والذي ذكرناه بحث عن مفهوم اللفظ من حيث انه هو ورابعها ان هذه الآية وردت عقيب قوله حكاية عنهم انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب فيتقادمون ويذهبون فكانه قيل انهم كانوا يؤمرون في الدنيا بالطاعات فما كانوا يطيعون اما في هذه الساعة صاروا منقادين مطيعين في مثل هذا التكليف الذي هو اشق من كل شي تنبيها على انهم لو تركوا الخصومة في الدنيا لما احتاجوا في مثل هذا الوقت الى الانقياد الشاق والى هذا اشار قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون مقيد بهذا الوقت في هذا العمل وتقييد المطلق بسبب مقدمة الكلام مشهور في العرف بدليل ان المراة اذا قالت اخرج هذه الساعة من الدار فقال الزوج لو خرجت فانت طالق فانه يتقيد هذا المطلق بتلك الخرجة فكذا ههنا السوال الثاني قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون يوهم ان لهم عذرا وقد منعوا من ذكره وهذا لا يليق بالحكيم والجواب انه ليس في الحقيقة لهم عذر ولكن ربما تخالجوا خيالا فاسدا ان لهم فيه عذرا فهم لا يؤذنون في ذكر ذلك العذر الفاسد ولعل ذلك العذر الفاسد هو ان يقول لما كان الكل بقضائك وعلمك ومشيئتك وخلقك فلم تعذبني عليه فان هذا عذر فاسد اذ ليس لاحد ان يمنع المالك عن التصرف في ملكه كيف شاء واراد فان قيل انه تعالى قال رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا والمقصود من كل ذلك ان لا يبقى له في قلبه ان له عذرا فان عذره في موقف القيامة فاسد فلم لا يؤذن له في ذكره حتى يذكره ثم يبين له فساده قلنا لما تقدم من الاعذار والانذار في الدنيا بدليل قوله تعالى فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا كانت اعادتها غير مفيدة السوال الثالث لم يقل ولا يؤذن لهم فيعتذروا كما قال ولا يقضى عليهم فيموتوا الجواب الفا ههنا للنسق فقط ولا يفيد كونه جزاء البتة ومثله قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه بالنصب والرفع وانما رفع فيعتذرون بالعطف لانه لو نصب لكان ذلك يوهم انهم ما يعتذروا لانهم لم يؤذن لهم وذلك يوهم ان لهم فيه عذرا منعوا عن ذكره وهو غير جائز اما لما رفع كان المعنى انهم لم يؤذن لهم في العذر وهم ايضا لم يعتذروا لا لاجل عدم الاذن بل لاجل عدم العذر في نفسه ثم ان فيه فائدة اخرى وهي حصول الموافقة في رؤس الآيات لان الآيات بالواو والنون ولو قال فيعتذروا لم يتوافق الآيات الا ترى انه قال في سورة اقتربت الى شي نكر فثقل لان آياتها مثقلة وقال في موضع آخر وعذبناها عذابا نكرا واجمع القراء على تثقيل الاول وتخفيف الثاني ليتوافق كل ما قبله اما قوله تعالى هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين اعلم ان هذا هو النوع السابع من انواع تهديد الكفار وهذا القسم من باب التعذيب بالتحسير والتخجيل اما قوله تعالى هذا يوم الفصل فاعلم ان اليوم يقع فيه نوعان من الحكومة احدهما ما بين الرب والعبد وفي هذا القسم كل ما يتعلق بالرب فلا حاجة فيه الى التفصيل وهو ما يتعلق بالثواب الذي يستحقه المؤمن على عمله وكذا في العقاب انما يحتاج الى التفصيل فيما يتعلق بجانب العبد وهو ان يقرر عليهم اعمالهم التي عملوها حتى يعترفوا والقسم الثاني ما يكون بين العباد بعضهم مع بعض فان هذا يدعي على ذاك انه ظلمني وذاك يدعي على هذا انه ظلمني فههنا لابد فيه من الفصل وقوله تعالى جمعناكم والاولين كلام موضح لقوله تعالى

هذا يوم الفصل لانه لما كان هذا الفصل يوم فصل حكومات جميع المكلفين لا سيما عند من لا يجوز العفو على الغيب ثم قال تعالى فان كان لكم كيد فكيدون يشير به الى انهم كانوا يدفعون الحقوق عن انفسهم بضرب من الحيل والكيد فكانه قال لهم ههنا ان امكنكم ان تفعلوا مثل تلك الافعال المنكرة من الكيد والمكر والخداع والتلبيس فافعلوا وهذا لقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله ثم انهم يعلمون ان الحيل منقطعة والتلبيسات غير ممكنة فخطابه تعالى لهم في هذه الحالة بقوله تعالى فان كان لكم كيد فكيدون نهاية في التخجيل والتقريع وهذا من جنس العذاب الروحاني فلهذا قال عقيبه ويل يومئذ للمكذبين اما قوله تعالى ان المتقين في ظلال وعيون اعلم ان هذا هو النوع الثامن من انواع تهديد الكفار وتعذيبهم وذلك لان الخصومة الشديدة والنفرة العظيمة كانت في الدنيا قائمة بين الكفار والمومنين فصارت تلك النفرة بحيث ان الموت كان اسهل على الكافر من ان يرى للمؤمن دولة وقوة فلما بين الله تعالى في هذه السورة اجتماع انواع العذاب والخزي والنكال على الكافرين بين في هذه الاية اجتماع انواع السعادة والكرامة في حق المومن حتى ان الكافر مع ما يرى نفسه في غاية الذل والهوان والخزي والخسران يرى خصمه في نهاية العز والكرامة والرفعة والمنعة تتضاعف حسرته وتتزايد غمومه وهمومه وهذا ايضا من جنس العذاب الروحاني فلهذا قال في اخر هذه الاية ويل يومئذ للمكذبين وفي الاية مسايل المسئلة الاولى قال مقاتل والكلبي المراد من قوله تعالى ان المتقين الذين يتقون الشرك بالله فاقول هذا القول عندي هو الصحيح الذي لا معدل عنه ويدل عليه وجوه احدها ان المتقي عن الشرك يصدق عليه انه متق لان المتقي عن الشرك ماهيه مركبة من قيدين احدهما انه متق والثاني خصوص كونه عن الشرك ومتى وجد المركب فقد وجد كل واحد من مفرداته لا محالة فثبت ان كل من صدق عليه انه متق عن الشرك فقد صدق عليه انه متق فصح في الباب ان يقال هذه الاية على هذا التقدير يتناول كل من كان متقيا لاي شي كان الا انا نقول كونه كذلك لا يقدح فيما قلناه لانه خص كل من لم يكن متقيا عن جميع انواع الكفر فبقي فيما عداه حجة لان العام الذي دخله التخصيص يبقى حجة فيما عداه وثانيها ان هذه السورة من اولها الى اخرها مرتبة في تقريع الكفار على كفرهم وتخويفهم عليه فهذه الاية يجب ان تكون مذكورة لهذا الغرض والا لتفككت السورة في نظمها وترتيبها والنظم انما يبقى لو كان هذا الوعد حاصلا للمومنين بسبب ايمانهم فانه لما تقدم وعيد الكافر بسبب كفره وجب ان يقرن ذلك بوعد المومن بسبب ايمانه حتى يصير ذلك سببا في الزجر عن الكفر فاما ان يقترن به المومن بسبب طاعاته فذلك غير لايق بهذا النظم والترتيب فثبت بما ذكرنا ان المراد من قوله تعالى ان المتقين كل من كان متقيا عن الشرك والكفر وثالثها ان حمل هذا اللفظ على المسمى الكامل اولى واكمل انواع التقوى هو التقوى عن الشرك فكان حمل اللفظ عليه اولى ورابعها انه تعالى لما نعت الكفار الى ظل ذي ثلاث شعب اعد في مقابلته للمومنين ثلاثة انواع من النعمة اولها قوله تعالى ان المتقين في ظلال وعيون كانه قيل ظلالهم ما كانت ظليلة وما كانت مغنية من اللهب والعطش اما المتقون فظلالهم ظليلة وفيها عيون عذبة مغنية لهم من العطش حائلة بينهم وبين اللهب ومعهم الفواكه التي يشتهونها ويتمنونها وكما قال للكفار انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب قال للمتقين كلوا واشربوا هنيئا فاما ان يكون ذلك الاذن من جهة الله تعالى ولا بواسطة وما اعظمها او من جهة الملايكة على وجه الاكرام ومعنى هنيئا اي خالصا لذة لا يشوبه سقم ولا تنغيص الثالثة اختلف العلماء في ان قوله تعالى كلوا واشربوا امر او لا قال ابو هاشم هو امر واراد الله تعالى منهم الاكل والشرب لان سرورهم يعظم بذلك اذا علموا ان الله تعالى اراد منهم جزاء على عملهم فكما يريد اجلالهم واعظامهم بذلك فكذلك يريد نفس الاكل والشرب منهم وقال ابو علي ذلك ليس بامر وانما نقوله على وجه الاكرام والامر والنهي انما يحصلان في زمان التكليف وليس هذه صفة الاخرة الرابعة تمسك من قال توجب الثواب بالعمل في قوله تعالى بما كنتم تعملون وهذا ضعيف لان البا للالصاق ولما جعل الله تعالى ذكر العمل علامة لهذا الثواب كان الاتيان بذلك العمل كالالة الموصلة الى تحصيل ذلك الثواب وقوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين المقصود منه تذكير الكفار ما فاتهم من النعم العظيمة ليعلموا انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل تلك الخيرات فاذا لم يفعلوا ذلك لا جرم وقعوا فيما وقعوا فيه وقوله تعالى كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون اعلم ان هذا هو النوع التاسع من انواع تخويف الكفار كانه تعالى يقول للكافر حال كونه في الدنيا انك انما عرضت نفسك لهذه الافات التي وصفناها ولهذه المحن التي شرحناها لاجل حبك للدنيا ورغبتك في طيباتها وشهواتها الا ان هذه الطيبات قليلة بالنسبة الى تلك الافات العظيمة فالمشتغل بتحصيلها يجري مجرى لقمة واحدة من الحلوا وفيها السم المهلك فانه يقال لمن يريد اكلها ولا يتركها بسبب نصيحة الناصحين وتذكير المذكرين كل هذا وويل لك منه بعد هذا فانك من الهالكين بسببه وهذا وان كان في اللفظ امرا الا انه في المعنى نهي بليغ وزجر عظيم في غاية المبالغة والله تعالى اعلم بالصواب

قوله تعالى



**قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده يؤمنون**

اعلم ان هذا هو النوع العاشر من انواع تخويف الكفار كانه قيل لهم هب انكم تحبون الدنيا ولذاتها وشهواتها ولكن لا تعرضوا بالكلية عن خدمة خالقكم بل ايتوا بصلوة فانكم ان امنتم ثم ضممتم اليه طلب اللذات وانواع المعاصي حصل لكم الرجاء في الخلاص عن عذاب جهنم والفوز بالثواب كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا ثم ان هولاء الكفار لا يفعلون ذلك ولا ينقادون لطاعة الله تعالى ويبقوا مصرين على جهلهم وكفرهم وتعريضهم انفسهم للعقاب العظيم ولهذا قال تعالى ويل يومئذ للمكذبين اي الويل لمن يكذب هولاء الانبياء الذين يرشدونهم الى هذه المصالح الجامعة من خيرات الدنيا والاخرة وههنا مسايل

**المسئلة الاولى** قال ابن عباس في قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون المراد به الصلوة وهو ظاهر لان الركوع من اركانها فبين تعالى ان هولاء الكفار من صفتهم انهم اذا دعوا الى الصلوة لا يصلون وهذا يدل على ان الكفار يخاطبون بفروع الشرايع وانهم حال كفرهم كما يستحقون الذم والعقاب بترك الايمان فكذلك يستحقون الذم والعقاب بترك الصلاة لان الله تعالى ذمهم حال كفرهم على ترك الصلوة وقال اخرون المراد بالركوع الخضوع والخشوع لله تعالى وان لا يعبد سواه **المسئلة الثانية** القايلون ان الامر للوجوب استدلوا بهذه الاية انه تعالى ذمهم لمجرد تركهم المامور به وهذا يدل على ان مجرد الامر للوجوب فان قيل انهم كفار فلكفرهم ذمهم قلنا انه تعالى ذمهم على كفرهم من وجوه كثيرة الا انه تعالى انما ذمهم في هذه الاية لانهم انما تركوا المامور فعلمنا ان ترك المامور به غير جائزة اما قوله تعالى فباي حديث بعده يومنون اعلم انه تعالى لما بالغ في زجر الكفار من اول هذه السورة الى اخرها بالوجوه العشرة التي شرحناها وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار وبين انهم اذا لم يومنوا بهذه الدلايل اللطيفة مع تجليها ووضوحها فباي حديث بعده يومنون قال القاضي هذه الاية تدل على ان القران محدث لانه تعالى وصفه بانه حديث والحديث ضد القديم والضدان لا يجتمعان فاذا كان حديثا وجب ان لا يكون قديما واجاب اصحابنا بان المراد منه هذه الالفاظ ولا نزاع في انها محدثة والله تعالى اعلم بالصواب

**عم يتساءلون عن النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا فيه مسايل المسئلة الاولى**

عم اصله عما لانه حرف جر دخل على ما الاستفهامية قال حسان بن ثابت على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل وذكروا في سبب الحذف وجوها احدها قال الزجاج لان الميم تشرك الغنة في الالف فصارا كالحرفين المتماثلين وثانيها قال الجرجاني انهم اذا وضعوها في استفهام حذفوا الفها تفرقة بينها وبين ان تكون اسما كقولهم فيم وبم ولم وعلام وحتام وثالثها قالوا حذفت الالف لاتصال ما بحرف الجر حتى صارت كجزء منه لتنبئ عن شدة الاتصال ورابعها السبب في هذا الحذف التخفيف في الكلام فانه لفظ كثير التداول على اللسان **المسئلة الثانية** قوله تعالى عم يتساءلون سوال وقوله عن النبا العظيم انه جواب والسائل والمجيب هو الله تعالى وذلك يدل على علمه بالغيب بل بجميع المعلومات فان قيل ما الفائدة في ان يذكر الجواب معه قلنا لان ايراد الكلام في معرض السوال والجواب اقرب الى التفهيم والايضاح ونظيره لمن الملك اليوم لله الواحد القهار **المسئلة الثالثة** قرا عكرمة وعيسى بن عمر عما وهو الاصل وعن ابن كثير انه قرا عمه بهاء السكت ولا يخلو اما ان يجري الوصل مجرى الوقف واما ان يقف ويبتدي يتساءلون عن النبا العظيم على ان يضمر يتساءلون لان ما بعده يفسره كشي مبهم ثم يفسره **المسئلة الرابعة** ما لفظة وضعت لطلب ماهيات الاشياء وحقائقها تقول ما الملك وما الروح وما الجن والمراد طلب ماهياتها وشرح حقائقها وذلك يقتضي كون ذلك المطلوب مجهولا ثم ان الشي العظيم الذي لا يكون لعظمته ووقعه ورتبته يعجز العقل عن ان يحيط بكنهه يبقى مجهولا فحصل بين الشي المطلوب بما وبين الشي العظيم مشابهة من هذا الوجه والمشابهة احدى اسباب المجاز فبهذا الطريق جعل لفظة ما دليلا على عظمة حال ذلك المطلوب وعلو رتبته ومنه قوله تعالى وما ادراك ما سجين وما ادراك ما عليون وتقول زيد وما زيد **المسئلة الخامسة** التساؤل هو ان يسال بعضهم بعضا كالتقابل وقد يستعمل ايضا في ان يتحدثوا به وان لم يكن من بعضهم لبعض سوال قال تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قايل منهم اني كان لي قرين يقول انك لمن المصدقين وهذا على معنى التحدث فيكون معنى الكلام عم يتحدثون

وهذا قول الفرا **المسئلة السادسة** اولئك الذين كانوا يتساءلون من هم فيه احتمالات احدها انهم هم الكفار والدليل عليه قوله تعالى سيعلمون ثم كلا سيعلمون الضمير في يتساءلون هم فيه مختلفون سيعلمون راجع الى شي واحد وقوله تعالى كلا سيعلمون تهديد والتهديد لا يليق الا بالكفار فثبت ان الضمير في قوله يتساءلون عايد الى الكفار فان قيل فما تصنع بقوله تعالى هم فيه مختلفون مع ان الكفار كانوا متفقين في انكار الحشر قلنا لا نسلم ان منهم من كان يثبت المعاد الروحاني وهم جمهور النصارى واما المعاد الجسماني فمنهم من كان شاكا فيه كقوله تعالى وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي ان لي عنده للحسنى ومنهم من اصر على الانكار ويقول ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين ومنهم من كان مقرا به لكنه كان منكرا لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حصل اختلافهم فيه وايضا هب انهم كانوا منكرين له لكنهم اختلفوا في كيفية انكاره فمنهم من كان ينكره لانه كان ينكر الصانع المختار ومنهم من كان ينكره لاعتقاده ان اعادة المعدوم ممتنعة لذاتها والقادر المختار انما يكون قادرا على ما يكون ممكنا في نفسه وهذا هو المراد بقوله تعالى هم فيه مختلفون والاحتمال الثاني ان الذين كانوا يتساءلون هم الكفار والمومنون كانوا جميعا يتساءلون عنه واما المسلم فليزداد خشية وبصيرة ويقينا في دينه واما الكافر فعلى سبيل السخرية او على سبيل ايراد الشكوك والشبهات والاحتمال الثالث انهم كانوا يسالون الرسول ويقولون ما هذا الذي تعدنا به من امر الاخرة اما قوله تعالى عن النبا العظيم ففيه مسايل **المسئلة الاولى** ذكر المفسرون في تفسير النبا العظيم ثلاثة اوجه احدها انه هو القيامة وهذا هو الاقرب ويدل عليه وجوه احدها قوله تعالى كلا سيعلمون الظاهر ان المراد منه انهم سيعلمون هذا الذي يتساءلون عنه حين لا ينفعهم تلك المعرفة ومعلوم ان ذلك هو القيامة وثانيها انه تعالى بين كونه قادرا على جميع الممكنات بقوله تعالى الم نجعل الارض مهادا الى قوله تعالى يوم ينفخ وذلك يقتضي انه تعالى انما قدم هذه المقدمة لبيان كونه تعالى قادرا على اقامة القيامة ولما كان الذي اثبته الله تعالى بالدليل العقلي في هذه السورة هو هذه المسالة ثبت ان النبا العظيم الذي كانوا يتساءلون عنه هو يوم القيمة وثالثها ان العظيم اسم لهذا اليوم بدليل قوله تعالى الا يظن اوليك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وقوله تعالى قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون ولان هذا اليوم اعظم الاشيا لان ذلك منتهى فزع الخلق وخوفهم منه فكان تخصيص اسم العظيم به لايقا والقول الثاني انه القران واحتج القايلون بهذا الوجه بامرين الاول ان النبا العظيم هو الذي كانوا يختلفون فيه وذلك هو القران لان بعضهم جعله سحرا وبعضهم قالوا انه اساطير الاولين فاما البعث ونبوة محمد عليه السلام فقد كانوا متفقين على انكارهما وهذا ضعيف لانا بينا ان الاختلاف كان حاصلا في البعث الثاني ان النبا اسم الخبر لا اسم المخبر عنه فتفسير النبا بالقران اولى من تفسيره بالبعث او النبوة لان ذلك ليس نبا بل منبا عنه وتقرير ذلك ان القران سمي ذكرا وتذكرة وذكرى وهداية فكان اسم النبا اليق منه بالبعث والنبوة والجواب عنه انه كان اسم النبا اليق بهذه الالفاظ فاسم العظيم اليق بالقيامة والنبوة لانه لا عظمة في الالفاظ انما العظمة في المعاني وان كانوا يقولون انها عظيمة في المعاني ايضا وفي الفصاحة والاحتوا على العلوم الكثيرة ويمكن ان يجاب بان العظيم حقيقة في الاجسام مجاز في غيرها واذا ثبت التعارض بقي ما ذكرناه من الدليل سليما القول الثالث ان النباء العظيم هو نبوة محمد عليه السلم قالوا و ذلك انه لما بعث الرسول عليه السلام جعلوا يتساءلون بينهم ماذا الذي حدث فانزل الله تعالى عم يتساءلون وذلك لانهم عجبوا من ان يرسل الله محمدا عليه السلام اليهم كما قال تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شي عجيب وعجبوا ايضا ان جاءهم بالتوحيد كما قال تعالى اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشي عجاب فحكى الله تعالى عن مسالة بعضهم بعضا على سبيل التعجب بقوله تعالى عما يتساءلون ثم ذكر في كيفية اتصال هذه الاية بما قبلها وجوه احدها هو قول البصريين ان قوله عم يتساءلون كلام تام ثم قال عن النبا العظيم والتقدير يتساءلون عن النبا العظيم الا انهم حذفوا يتساءلون في الاية الثانية لان حصوله في الاولى يدل عليه وثانيها ان يكون قوله عن النبا العظيم استفهاما متصلا بما قبله والتقدير يتساءلون عن النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون الا انه اختصر عن ما قبله من الاستفهام اذ هو متصل به وكان تاكيدا له والبيان له كما تقرا في قوله تعالى ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون بكسر الالف من غير استفهام وهو موضع الاستفهام لان ما كان لهم انما كان للبعث ولكنه لما ظهر الاستفهام في اول الكلام اضمر عليه فكذا ههنا وثالثها وهو اختيار الكوفيين ان الاية الثانية متصلة بالاولى على تقدير لم يتساءلون عن النبا العظيم ثم كانه حذف المعنى عن شي وهذا قول الفرا وثالثها قوله تعالى كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون قال القفال كلا لفظة ردع وقد تقدم هذا ما ظهر منها في الكلام والمعنى ليس الامر كما يقولون من ان النبا العظيم انه باطل او انه لا يكون وقال ابو علي كلا معناه حقا فيكون فيه الردع والتهديد فقال كلا سيعلمون وهو وعيد لهم بانهم سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لا دافع له واقع بهم واما تكرير الردع ففيه وجهان احدهما ان الغرض منه التكرير للتاكيد والتشديد ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني

ابلغ



ابلغ من الوعيد الاول واشد والثاني للمومنين اي سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم وسيعلم المومنون عاقبة تصديقهم وثانيها قال القاضي ويحتمل ان يريد بالاول سيعلمون نفس الحشر والمحاسبة ويريد بالثاني سيعلمون نفس العذاب اذا شاهدوه وثالثها كلا سيعلمون ما الله فاعل بهم يوم القيمة ثم كلا سيعلمون ان الامر ليس كما كانوا يتوهمون من ان الله غير باعث لهم ورابعها كلا سيعلمون ما يصل اليهم من العذاب في الدنيا كما جرى على كفار قريش يوم بدر واما قوله تعالى كلا سيعلمون ما ينالهم في الاخرة الثانية جمهور القرا قرؤا بالياء المنقوطة من تحت في سيعلمون وروي بالتاء المنقوطة من فوق عن ابن عامر قال الواحدي رحمه الله تعالى والاول اولى لان ما تقدم من قوله هم فيه مختلفون على لفظ الغيبة والتاء على قولهم ستعلمون واقول يمكن ان يكون ذلك على سبيل الالتفات وهو ههنا متكون حسن لمن يقول لعبده كلا وكلا ثم يقول بعده انك ستعرف وبال هذا الكلام اما قوله تعالى الم نجعل الارض مهادا اعلم انه تعالى لما حكى عنهم انكار البعث والحشر واراد اقامة الدلالة على صحة الحشر قدم لذلك مقدمة في بيان كونه تعالى قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات وذلك لانه مهما ثبت هذان الاصلان ثبت القول بصحة البعث والحشر وانما اثبت هذين الاصلين بان عدد انواعا من مخلوقاته الواقعة على وجه الاحكام والاتقان فان تلك الاشيا من جهة حدوثها تدل على القدرة ومن جهة احكامها واتقانها تدل على العلم ومتى ثبت هذان الاصلان وثبت ان الاجسام متساوية في قبول الصفات والاعراض ثبت لا محالة كونه تعالى قادرا على تخريب الدنيا سمواتها وارضها وعلى ايجاد عالم الاخرة فهذا هو الاشارة الى كيفية النظم واعلم انه تعالى ذكر ههنا من عجايب مخلوقاته امورا فاولها قوله تعالى الم نجعل الارض مهادا والمهاد مصدر ثم المهاد ههنا احتمالات احدها المراد منه ههنا الممهود اي الم نجعل الارض ممهودة وهذا من باب تسمية المفعول بالمصدر كقولهم هذا ضرب الامير وثانيها ان الارض وصفت بهذا المصدر كما تقول زيد جود وكرم وفضل كانه لكماله في تلك الصفة صار عين تلك الصفة وثالثها ان يكون بمعنى ذات مهاد وقرئ مهدا ومعناه ان الارض للخلق كالمهد للصبي وهو الذي يمهد له فينام عليه واعلم انا ذكرنا في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى وجعل لكم الارض فراشا كل ما يتعلق من الحقائق بهذه الاية مهادا بسبب ذلك وتحقيق ذلك قد تقدم ايضا وثانيها قوله تعالى وخلقناكم ازواجا وفيه قولان الاول المراد الذكر والانثى كما قال تعالى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى والثاني ان المراد منه كل زوجين ومتقابلين من القبيح والحسن والطويل والقصير وجميع المتقابلات والاضداد كما قال تعالى ومن كل شي خلقنا زوجين وهذا دليل ظاهر على كمال القدرة ونهاية الحكمة حتى يصح الابتلا والامتحان فيتعبد الفاضل بالشكر والمفضول بالصبر ويعرف حقيقة كل شي بضده فالانسان انما يعرف قدر الشباب عند المشيب وانما يعرف قدر الامن عند الخوف فيكون ذلك ابلغ في تعريف النعم وثالثها قوله تعالى وجعلنا نومكم سباتا وطعن بعض الملحدة في هذه الاية فقال السبات هو النوم فالمعنى وجعلنا نومكم نوما واعلم ان العلماء ذكروا في تاويله وجوها الاول قال الزجاج سباتا اي موتا فالمسبوت الميت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة ودليله امران احدهما قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل الى قوله تعالى ثم يبعثكم والثاني انه جعل النوم موتا وجعل اليقظة معاشا اي حياة في قوله وجعلنا النهار معاشا وهذا القول عندي ضعيف لان الاشيا المذكورة في هذه الاية جلايل النعم فلا يليق الموت بهذا المكان وايضا ليس المراد بكونه موتا ان الروح انقطع عن البدن بل المراد منه انقطاع اثر الحواس الظاهرة وهذا هو النوم ويصير حاصل الكلام الى انا جعلنا نومكم نوما ورابعها قال الليث السبات النوم شبه الغشي يقال سبت المريض فهو مسبوت وقال ابو عبيدة السبات الغشية التي تغشى الانسان شبه الموت وهذا القول ايضا ضعيف لان الغشي ان كان ههنا هو النوم فيعود الاشكال وان كان المراد بالسبات شدة ذلك الغشي فهو باطل لانه ليس كل نوم كذلك ولانه مرض فلا يمكن ذكره في اثنا تعديد النعم والثاني ان السبت في اصل اللغة هو القطع يقال سبت الرجل راسه يسبته سبتا اذا حلق شعره وقال ابن الاعرابي في قوله سباتا اي قطعا ثم عند هذا يحتمل الاية وجوها الاول ان يكون المعنى وجعلنا نومكم نوما منقطعا لا دايما فان النوم بمقدار الحاجة من انفع الاشيا اما دوامه فمن اضر الاشيا فلما كان انقطاعه نعمة عظيمة لا جرم ذكره الله تعالى في معرض الانعام الثاني ان الانسان اذا تعب ثم نام فذلك النوم يزيل عنه ذلك التعب فسميت تلك الازالة سبتا وقطعا وهذا هو المراد من قول ابن قتيبة اما قوله تعالى وجعلنا نومكم سباتا اي جعلناه نوما خفيفا يمكنكم دفعه وقطعه تقول العرب رجل مسبوت اذا كان النوم يغالبه وهو يدافعه كانه قيل وجعلنا نومكم نوما لطيفا يمكنكم دفعه وما جعلناه غشيا مستوليا عليكم فان ذلك من الامراض الشديدة وهذه الوجوه كلها صحيحة وخامسها قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا قال القفال رحمه الله تعالى اصل اللباس هو الشي الذي يلبسه الانسان ويتغطى به فيكون ذلك مغطيا له فلما كان الليل يغشى الناس بظلمته فيغطيهم جعل لباسا لهم وهذا سمي الليل لباسا على وجه المجاز والمراد كون الليل ساترا لهم واما وجه النعمة في ذلك فهو ان ظلمة الليل تستر الانسان عن العيون اذا اراد هربا من عدو او بياتا له او اخفاء ما لا يحب للانسان اطلاع غيره عليه وقال المتنبي وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر ان المانوية تكذب وايضا فكما ان الانسان بسبب اللباس يزداد جماله ويتكامل قوته ويندفع عنه اذى الحر والبرد فكذا لباس الليل بسبب ما يحصل فيه من النوم يزيد في جمال الانسان وفي طراوة اعضائه وفي تكامل قواه الحسية والحركية ويندفع عنه اذى التعب الجسماني واذى الافكار الموحشة النفسانية وكذلك المريض اذا نام بالليل وجد الخفة العظيمة وسادسها قوله

تعالى وجعلنا النهار معاشا في المعاش وجهان احدهما انه مصدر يقال عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة وعيشة وعلى هذا
التقدير لابد من اضمار والمعنى وجعلنا النهار وقت معاش والثاني ان يكون معاش مفعالا وظرفا للتعيش وعلى هذا لا حاجة الى الاضمار
ومعنى كون النهار معاشا ان الخلق انما يمكنهم التقلب في حوايجهم ومكاسبهم في النهار لا في الليل وسابعها قوله تعالى وبنينا
فوقكم سبعا شدادا اي سبع سموات شدادا جمع شديدة يعني محكمة قوية الخلق لا يوثر فيها مرور الازمان لا فطور
فيها ولا فروج ونظيره قوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا فان قيل لفظ البنا يستعمل في اسافل البيت والسقف
في اعلاه فكيف قال تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا قلنا البنا يكون ابعد من الافة والانحلال من السقف فذكر قوله
تعالى وبنينا اشارة الى انه وان كان سقفا لكنه في البعد عن الانحلال كالبنا فالغرض من هذا اختيار هذا اللفظ لهذه
الدقيقة وثامنها قوله تعالى وجعلنا سراجا وهاجا كلام اهل اللغة مضطرب في تفسير الوهاج فمنهم من قال الوهج مجمع
النور والحرارة فبين الله تعالى ان الشمس بالغة الى اقصى الغايات في هذين الوصفين وهو المراد بكونه وهاجا وروى الكلبي عن
ابن عباس ان الوهاج مبالغة في النور فقط يقال للجوهر اذا تلالا توهج وهذا يدل على ان الوهاج يفيد الكمال في النور ومنه
قول الشاعر يصف النور نورها متوهج ساهج وفي كتاب الخليل الوهج حر النار والشمس وهذا يقتضي ان الوهاج هو المبالغ في الحر
واعلم ان هذه الوجوه ثابتة فالمقصود حاصل وتاسعها قوله تعالى وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ففيها قولان وهما احدى
الروايتين عن ابن عباس وقول مجاهد ومقاتل والكلبي وقتادة انها الرياح التي تثير السحاب ودليله قوله تعالى
الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فان قيل على هذا التاويل كان ينبغي ان يقال وانزلنا بالمعصرات قلنا الجواب من
وجهين الاول ان المطر انما ينزل من السحاب والسحاب انما تثيره الرياح صح ان يقال هذا المطر انما حصل من تلك الرياح كما يقال هذا
من فلان اي من جهته وبسببه الثاني ان من هاهنا بمعنى الباء والتقدير وانزلنا بالمعصرات ماء ثجاجا اي بالرياح المثيرة
للسحاب ويروى عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعكرمة انهم قروا وانزلنا بالمعصرات وطعن الازهري
في هذا القول وقال الاعاصير من الرياح ليست من رياح المطر وقد وصف الله تعالى المعصرات بالماء الثجاج وجوابه ان الاعصار
ليست من رياح المطر فلم لا يجوز ان تكون المعصرات من رياح المطر القول الثاني وهي الرواية الثانية عن ابن عباس واختيار ابي العالية
والربيع والضحاك انها السحاب وذكروا في تسمية السحاب بالمعصرات وجوها احدها قال المورج المعصرات السحاب بلغة
قريش وثانيها قال المازني يجوز ان تكون المعصرات هي السحاب التي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع اذا
حان له ان يجز ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض واما الثجاج فاعلم ان الثج شدة الانصباب يقال مطر ثجاج اي
شديد الانصباب واعلم ان الثج قد يكون لازما وهو بمعنى الانصباب كما ذكرنا وقد يكون متعديا بمعنى الصب وفي
الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دما الهدي وكان ابن عباس مثجا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته
وقد فسروا الثجاج في هذه الاية على وجهين فقال الكلبي ومقاتل وقتادة الثجاج هاهنا المتدفق المنصب وقال الزجاج معناه
الصباب كانه يثج نفسه اي يصب وبالجملة فالمراد تتابع القطر حتى يكثر الما فيعظم النفع به والله تعالى اعلم قوله
تعالى لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا ان يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ في الصور
فتاتون افواجا وفتحت السما فكانت ابوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا ان جهنم كانت
مرصادا للطاغين مابا لابثين فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما
وغساقا جزاء وفاقا انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا باياتنا كذابا وكل شي احصيناه
كتابا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا في الاية مسايل المسلة الاولى كل شي ينبت من الارض فاما
ان لا يكون له ساق واما ان يكون فاما ان يكون له اكمام وهو الحب واما ان لا يكون له اكمام وهو الحشيش وهو المراد هاهنا
بقوله تعالى ونباتا والى هذين القسمين الاشارة بقوله تعالى كلوا وارعوا انعامكم واما الذي له ساق وهو الشجر فاذا اجتمع
منها شي كثير سميت جنة فثبت بالدليل العقلي انحصار ما ينبت من الارض في هذه الاقسام الثلاثة وانما قدم الله تعالى
الحب لانها هي الاصل في الغذا وانما ثنى بالنبات لاحتياج ساير الحيوانات اليه وانما اخر الجنات في الذكر لان الحاجة الى الفواكه
ليست ضرورية المسلة الثانية اختلفوا في الالفاف فذكر صاحب الكشاف انه لا واحد له كالاوزاع
والاخياف والاوزاع الجماعات المتفرقة والاخياف الجماعات المختلطة [illegible] اختلفوا فيه
قال الاخفش والكساي واحدها لف بالكسر زاد الكساي لف بالضم وانكر المبرد الضم وقال بل واحدها لفا وجمع لف
الفاف وقد يحتمل ان يكون جمع لفيف كشريف واشراف نقله القفال اذا عرفت هذا فنقول قوله تعالى وجنات الفافا اي
ملتفة والمعنى ان كل جنة فان ما فيها من الشجر يكون مجتمعة متقاربة الاجرام تقولون امراة لفا اذا كانت غليظة
الساق مجتمعة اللحم يبلغ من تقاربها ان تلاصق الساق ان كان الكعبي من القايلين بالطبايع واحتج بقوله تعالى لنخرج به
حبا ونباتا انه يدل على بطلان قول من قال ان الله تعالى لا يفعل شيا بواسطة شي اخر اما قوله تعالى ان يوم الفصل كان
ميقاتا اعلم ان هذه الاشيا التسعة التي عددها الله تعالى نظرا الى حدوثها في ذواتها وصفاتها ونظرا الى امكانها في ذواتها
وصفاتها تدل على القادر المختار ونظرا الى ما فيها من الاحكام والاتقان يدل على كون فاعلها عالما لكن ذلك الفاعل القديم
يجب ان يكون علمه وقدرته واجبا اذ لو كان جايزا لافتقر الى فاعل اخر ويلزم التسلسل وهو محال واذا كان العلم والقدرة واجبين





وجب تعلقهما بكل ما صح ان يكون مقدورا ومعلوما والا لافتقر الى المخصص وهو محال واذا كان كذلك وجب ان يكون قادرا على
جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات وقد ثبت ان الاجسام متساوية في الجسمية فكل ما صح على واحد منها صح على الاخر فكما صح
على الاجسام العلوية الانشقاق والانفطار والظلمة وجب ان يصح ذلك على جميع الاجسام واذا ثبت الامكان وثبت عموم
القدرة والعلم ثبت انه تعالى قادر على تخريب الدنيا وقادر على ايجاد عالم اخر وعند ذلك ثبت ان القول بقيام القيمة
ممكن عقلا والى هنا يمكن اثباته بالعقل فاما ما وراء ذلك من وقت حدوثها وكيفية حدوثها فلا سبيل اليه الا
بالسمع ثم انه تعالى تكلم في هذه الاشياء بقوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا ثم انه تعالى ذكر بعض احوال يوم القيامة
فاولها قوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا والمعنى ان هذا اليوم كان في تقدير الله تعالى وحكمه حدا يوجب به في
الدنيا والخلايق ينتهون اليه او كان ميقاتا لاجتماع كل الخلايق في فصل الحكومات وقطع الخصومات وثانيها قوله تعالى
يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا اعلم ان يوم ينفخ بدل من يوم الفصل او عطف بيان وهذا النفخ هو النفخة الاخيرة
التي عندها يكون الحشر والنفخ في الصور فيه قولان احدهما ان الصور جمع الصورة فالنفخ في الصور عبارة عن نفخ الارواح
في الاجساد والثاني ان الصور عبارة عن قرن ينفخ فيه وتمام الكلام في الصور ما حل فيه قد تقدم في سورة الزمر
اما قوله تعالى فتاتون افواجا معناه انهم ياتون ذلك المقام فوجا فوجا حتى تتكامل اجتماعهم قال عطا كل نبي ياتي مع
امته ونظيره قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم [illegible] جماعات مختلفة روى صاحب الكشاف عن معاذ انه سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال عليه السلام يا معاذ سالت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال
يحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم
فوق وجوههم يسحبون وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلات على صدورهم يسيل
القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم يصلبون على جذوع من نار وبعضهم
اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة الخنازير
فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربوا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم والبكم فالمعجبون باعمالهم
واما الذين يمضغون السنتهم فالعلما والقصاص الذي يخالف قولهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين
يوذون الجيران واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف
فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر
والخيلا وثالثها قوله تعالى وفتحت السما فكانت ابوابا قرا عاصم وحمزة والكساي فتحت خفيفة والباقون بالتثقيل
والمعنى كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملايكة قال القاضي وهذا الفتح هو معنى قوله تعالى اذا السماء انشقت واذا السماء
انفطرت اذ الفتح والتشقق والتفطر تتقارب واقول ليس هذا بقوي لان المفهوم من فتح الباب غير المفهوم من التشقق
والتفطر [illegible] ابوابا
[illegible]
الابواب بحصول التشقق والتفطر [illegible] فان قيل قوله وفتحت السماء فكانت ابوابا [illegible]
ابوابا فكيف يعقل ذلك قلنا فيه وجوه احدها ان تلك الاجزاء المتكثرة جدا صارت كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى
وفجرنا الارض عيونا [illegible] وثانيها قال الواحدي [illegible] والتقدير
وكانت ذات ابواب وثالثها ان الضمير في قوله فكانت ابوابا عايد الى مضمر والتقدير وكانت تلك المواضع المفتوحة
ابوابا لنزول الملايكة ورابعها قوله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا اعلم ان الله
تعالى ذكر في مواضع من كتابه احوال هذه الجبال على وجوه مختلفة ويمكن الجمع بينها على الوجه الذي نقوله وهو ان احوالها
[illegible] الاندكاك وهو قوله تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة والحالة الثانية ان تصير كالعهن المنفوش
[illegible] يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقوله يوم تكون السماء كالمهل
وتكون الجبال كالعهن والحالة الثالثة ان تكون كالهبا [illegible] والحالة الرابعة [illegible] مع الاحوال المتقدمة قارة في
مواضعها والارض تحتها غير بارزة [illegible] بارسال الرياح وهو المراد من قوله تعالى فقل ينسفها ربي نسفا
والحالة الخامسة ان الرياح ترفعها عن وجه الارض فتطيرها شعاعا في الهواء [illegible]
[illegible] مرور الرياح [illegible] وهو قوله تعالى
تمر مر السحاب [illegible] والحالة السادسة ان تكون
سرابا [illegible]
شيا [illegible] الاحوال المذكورة [illegible]
قوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا وفيه مسايل المسلة الاولى [illegible]
الساعة [illegible] كانت مرصادا [illegible]

وفي المرصاد قولان احدهما ان المرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه كالمضمار اسم للمكان الذي يضمر فيه وهي صارت وهذان القولان نقلهما القفال وفيه وجه ثالث ذكره القاضي فانا اذا فسرنا المرصاد بالمرتقب افاد ذلك ان جهنم كانت كالمستطلعة ممن من مقدم الزمان والمستدعيه والطالبه لهم الثالثة في المرصاد قولان احدهما ان المرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه كالمضمار اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه وعلى هذا الوجه فيه احتمالان احدهما ان خزنة جهنم يرصدون الكفار والثاني ان مجاز المؤمنين وممرهم كان على جهنم لقوله تعالى وان منكم الا واردها فخزنة الجنة يستقبلون المؤمنين عند جهنم ويرصدونهم عندها القول الثاني ان المرصاد مفعال من الترصد وهو الترقب بمعنى ان ذلك منه مفعال من ابنية المبالغة كالمعطار والمعمار والمطعان قيل انها ترصد اعداء الله وتشق عليهم كما قال تعالى تكاد تميز من الغيظ وقيل ترصد كل كافر ومنافق والقائلون بالقول الاول استدلوا على صحة قولهم بقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد ولو كان المرصاد نعتا لوجب ان يقال ان ربك لمرصاد **المسئلة الرابعة** دلت الاية على ان جهنم كانت مخلوقة لله تعالى لقوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا واذا كان كذلك كانت الجنة كذلك لانه لا قايل بالفرق وثانيها قوله تعالى للطاغين مابا وفيه وجهان ان قلنا انه مرصاد للكافرين فقط كان قوله تعالى للطاغين مابا من تمام ما قبله والتقدير ان جهنم كانت مرصادا للطاغين ثم قوله تعالى مابا بدل من قوله مرصادا وان قلنا بانه مرصاد مطلقا للكفار وللمومنين كان قوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا كلاما تاما وقوله للطاغين مابا كلاما مبتدا كانه قيل ان جهنم مرصادا للكل ومابا للطاغين خاصة ومن ذهب الى القول الاول لم يقف على مرصادا اما من ذهب الى القول الثاني وقف عليه ثم يقول المراد بالطاغين من تكبر على ربه وطغى في مخالفته ومعاصيه وقوله مابا اي مصيرا ومقرا وثالثها قوله تعالى لابثين فيها احقابا اعلم انه تعالى لما بين ان جهنم مابا للطاغين بين كيفية استقرارهم هناك فقال لابثين فيها احقابا وهاهنا مسايل **المسئلة الاولى** قرا حمزة لبثين وفيه وجهان قال الفرا هما بمعنى واحد يقال لابث ولبث مثل طامع وطمع وعاره وعره وهو كثير وقال صاحب الكشاف اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال اللبث الا لمن شانه اللبث وهو ان يستقر في المكان ولا يكاد ينفك منه **المسئلة الثانية** قال الفرا اصل الحقب من الترادف والتتابع يقال احقب اذا اردف ومنه الحقيبة ومنه كل من حمل وزرا فقد احتقب فيجوز على هذا المعنى لابثين فيها احقابا اي دهورا مترادفة يتبع بعضها بعضا ويدل عليه قوله تعالى لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا يحتمل سنين متتابعة اي ابلغ او اسير واعلم ان الاحقاب واحدها حقب وهو ثمانون سنة عند اهل اللغة والحقب السنون واحدها حقبة وهي زمان من الدهر لا وقت له ثم نقل عن المفسرين فيه وجوها احدها قال عطا والكلبي ومقاتل عن ابن عباس في قوله تعالى احقابا الحقب الواحد بضع وثمانون سنة والسنة ثلثماية وستون يوما واليوم الف سنة من ايام الدنيا ونحو هذا روى ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا وثانيها سال هلال الهجري عليا رضي الله عنه فقال الحقب مائة سنة والسنة اثنا عشر شهرا والشهر ثلثون يوما واليوم الف سنة وثالثها قال الحسن الاحقاب لا يدري احد ما هي والحقب الواحد سبعون الف سنة اليوم منها كالف سنة مما تعدون فان قيل قوله احقابا وان طالت الا انها متناهية وعذاب اهل النار غير متناه بل لو قال لابثين فيها الاحقاب لم يكن هذا السوال واردا ونظير هذا السوال قوله في اهل القبلة الا ما شاء ربك قلنا الجواب من وجهين الاول ان لفظ الاحقاب لا يدل على نهاية وانما الحقب الواحد متناه والمعنى انهم يلبثون فيها احقابا كلما مضى حقب تبعه حقب اخر وهكذا الى الابد والثاني قال الزجاج المعنى انهم يلبثون فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا فهذه الاحقاب توقيت لنوع من العذاب وهو انهم لا يذوقون بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب عن الحميم والغساق من جنس اخر من العذاب وثالثها هو ان قوله تعالى احقابا يفيد التناهي لكن دلالة هذا على الخروج دلالة المفهوم والمنطوق يدل على انهم لا يخرجون قال تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ولا شك ان المنطوق راجح وذكر صاحب الكشاف في الاية وجها اخر وهو ان يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطاه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا عنهم لابثين فيها حقبين وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له ورابعها قوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا وفيه مسايل **المسئلة الاولى** في قوله بردا وجهان الاول انه البرد المعروف والمراد انهم لا يذوقون مع شدة الحر ما يكون فيه راحة من ريح باردة او ظل يمنع من النار ولا يجدون شرابا يسكن عطشهم ويزيل الحرقة عن بواطنهم والحاصل انهم لا يجدون هواء باردا ولا ماء باردا والثاني ان البرد هاهنا النوم وهو قول الاخفش والكسائي والفرا وقطرب والذي قال الفرا انما سمي النوم بردا لانه يبرد صاحبه فان العطشان لينام فيبرد بالنوم وانشد ابو عبيدة في بيان ان المراد من البرد النوم قول الشاعر بردت مراشفها علي فصدني عنها وعن رشفاتها البرد يعني النوم قال المبرد من امثال العرب منع البرد البرد اي اصابني من البرد ما منعني من النوم واعلم ان القول الاول اولى لانه اذا امكن حمل اللفظ على الحقيقة المشهورة فلا معنى لحمله على المجاز النادر الغريب والقايلون بالقول الثاني تمسكوا في اثباته بوجهين الاول انه لا يقال ذقت البرد ويقال ذقت النوم الثاني انهم يذوقون برد الزمهرير فلا يصح ان يقال انهم ما ذاقوا بردا

وجه



وهب ان ذلك البرد بارد وانه ولكن كيف كان فقد ذاقوا البرد والجواب عن الاول كان ذواق البرد مجاز فكذا ذواق النوم ايضا مجاز لان المراد من قوله تعالى لا يذوقون فيها بردا اي لا يستنشقون فيها نفسا باردا ولا هواء باردا او الهواء المستنشق يسمه الفم والانف مجازا باطلاق لفظ الذوق عليه والجواب عن الثاني انه لم يقل لا يذوقون فيها البرد بل قال لا يذوقون فيها بردا واحدا وهو البرد الذي ينتفعون به ويفزعون اليه الثالثة ذكروا في الحميم انه الصفر المذاب وهو باطل بل الحميم الماء الحار المغلي جدا الرابعة ذكروا في الغساق وجوها احدها قال ابو معاذ كنت اسمع مشايخنا يقولون الغساق فارسية معربة يقولون للشي الذي يتقذرونه خاشاك وثانيها ان الغساق هو الشي البارد الذي لا يطاق وهو الذي يسمى بالزمهرير وثالثها ان الغساق ما يسيل من اعين اهل النار وجلودهم من الصديد والقيح والعرق وساير الرطوبات المستقذرة وفي كتاب الخليل غسقت عينه تغسق غسقا وغسقانا ورابعها الغساق هو المنتن ودليله ما روي انه عليه السلام قال لو ان دلوا من غساق يهراق على الدنيا لانتن اهل الدنيا وما فيها وقيل ان الغساق هو المظلم قال تعالى ومن شر غاسق اذا وقب فيكون الغاسق شرابا اسود مكروها يستوحش منه وهو الشي المظلم اذا عرفت هذا فنقول ان فسرنا الغاسق بالبارد كان التقدير لا يذوقون فيها بردا الا غساقا ولا شرابا الا حميما الا انهما جمعا لاجل انتظام الاي ومثله من الشعر قول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي والمعنى كان قلوب الطير رطبا العناب ويابسا الحشف البالي اما ان فسرنا الغساق بالصديد او المنتن احتمل ان يكون استثناء الحميم والغساق راجعا الى البرد والشراب معا وان يكون مختصا بالشراب فقط اما الاحتمال الاول فلان يكون التقدير لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا فيها على الا الحميم والصديد المنتن فان الاحتمال الثاني وهو ان التقدير لا يذوقون فيها شرابا الا الحميم البالغ في السخونة والصديد المنتن والله اعلم بمراده فان قيل الصديد لا يشرب فكيف يستثنى عن الشراب قلنا انه مايع فامكن ان يشرب في الجملة فان ثبت انه غير ممكن كان ذلك استثناء من غير الجنس ووجهه معلوم الخامسة قرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص عنه غساقا بالتشديد فكانه تعالى معنى غساق وقرا الباقون بالتخفيف مثل شراب والاول نعت والثاني اسم واعلم انه تعالى لما شرح انواع عقوبة الكفار بين فيما فعله انه جزاء وفاقا وفي المعنى وجهان الاول انه تعالى انزل بهم عقوبة شديدة بسبب انهم اتوا بمعصية شديدة فيكون العقاب وفاقا للذنب ونظيره قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها والثاني انه وفاق من حيث انه لا يزيد على قدر الاستحقاق ولا ينقص عنه وذكر النحويون فيه وجوها احدها ان يكون الوفاق والموافق واحدا في اللغة والتقدير جزاء وافق اعمالهم وفاقا وثانيها ان يكون وصفا بالمصدر كما يقال فلان فضل وكرم لكونه كاملا في ذلك المعنى كذلك هاهنا لما كان ذلك الجزاء كاملا في كونه على وفق الاستحقاق وصف الجزاء بكونه وفاقا ورابعها ان يكون بحذف المضاف والتقدير جزاء وفاقا وقرا ابو حياة وفاقا فعال من وفقه فان قيل كيف يكون هذا العذاب البالغ في الشدة والغير المتناهي بحسب المدة وفاقا للاساءة بالكفر لحظة واحدة واجبنا فعلى قول اهل السنة اذا كان الكفر واقعا بخلق الله تعالى وايجاده فكيف يكون هذا وفاقا واما على مذهب المعتزلة فكان علم الله بعدم ايمانهم حاصلا ووجود ايمانهم منافي بالذات لذلك العلم مع قيام احد المتنافيين كان التكليف بادخال المنافي وبالثاني في الوجود ممتنعا لذاته وعينه ويكون تكليفا بالجمع بين المتنافيين فكيف يكون هذا العذاب الشديد الدايم وفاقا لمثل هذا الجرم قلنا يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد اعلم انه لما بين على الاجمال ان ذلك الجزاء كان على وفق جرمهم شرح انواع جرائمهم بعد ذلك وهي نوعان اولهما قوله تعالى انهم كانوا لا يرجون حسابا وفيه سؤالان الاول وهو ان الحساب شي شاق على الانسان والشي الشاق لا يقال فيه انه يرجى بل يجب ان يقال انهم كانوا لا يخشون حسابا والجواب من وجوه احدها قال مقاتل وكثير من المفسرين قوله تعالى لا يرجون معناه لا يخافون ونظيره قولهم في تفسير قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا وثانيها ان المؤمن لا بد وان يرجو رحمة الله لانه قاطع بان ثواب ايمانه زايد على عقاب جميع المعاصي سوى الكفر فقوله تعالى انهم كانوا لا يرجون حسابا اشارة الى انهم ما كانوا مومنين وثالثها ان الرجاء هاهنا بمعنى التوقع لان الراجي للشي متوقع له الا ان اشرف اقسام التوقع هو الرجاء فسمي الجنس باسم اشرف انواعه ورابعها ان في هذه الاية تنبيها على ان الحساب مع الله جانب الرجا فيه اغلب من جانب الخوف وذلك ان الوعيد حق على الله تعالى بحكم الوعد في جانب الثواب ولله حق على العبد في جانب العقاب والكريم قد يسقط حق نفسه فلا يسقط ما كان حقا لغيره عليه فلو جرم كان جانب الرجا اقوى في الحساب فلهذا السبب ذكر الرجا ولم يذكر الخوف السؤال الثاني ان الكفار قد اتوا بانواع من القبايح والكباير فما السبب في ان خص الله تعالى هذا النوع بالذكر في اول الامر الجواب لان رغبة الانسان في فعل الخيرات وفي ترك المحظورات انما تكون بسبب سعيه به في الاخرة ثم تقدم على شي من المستقبحات ولم يحجب عن شي من المنكرات فقوله تعالى انهم كانوا لا يرجون حسابا تنبيه على انهم فعلوا كل شر وتركوا كل خير والنوع الثاني من قبايح افعالهم اما قوله تعالى وكذبوا باياتنا كذابا اعلم ان للنفس الانسانية قوتين نظرية وعملية وكمال الانسانية ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به فانا ابرهيم عليه السلام قال رب هب لي حكما والحقني بالصالحين فهب لي حكما اشارة الى كمال القوة النظرية والحقني بالصالحين

اشارة الى كمال القوة العملية فها هنا بين الله تعالى رداة حالهم في الامرين اما في القوة العملية فنبه على فسادها بقوله تعالى انهم كانوا لا يرجون حسابا اي كانوا مقدمين على جميع القبايح والمنكرات وغير راغبين في شيء من الطاعات والخيرات واما في القوة النظرية فنبه على فسادها بقوله تعالى وكذبوا باياتنا كذابا اي كانوا منكرين بقلوبهم الحق ومصرين على الباطل واذا عرفت ما ذكرناه من التفسير ظهر انه تعالى بين انهم كانوا بلغوا في الرداة والفساد الى حيث يستحيل عقلا وجود ما هو ازيد منه ولما كانت افعالهم كذلك كان اللايق بها هو العقوبة فثبت بهذا صحة ما قدمه في قوله تعالى جزاء وفاقا فما اعظم لطايف القران مع ان الادوات العظيمة قد استمرت ولم يعبه احد لها فالحمد لله بليق بعلو شانه وبرهانه على ما خص الله هذا الضعيف بمعرفة هذه الاسرار واعلم ان قوله تعالى وكذبوا باياتنا يدل على انهم كذبوا بجميع دلايل الله تعالى في التوحيد والنبوة والمعاد والشرايع والقران وذلك يدل على كمال حال القوة النظرية في الرداة والفساد والبعد عن سوا السبيل وقوله تعالى كذابا اي تكذيبا وفعال من مصادر التفعيل انشد الزجاج لقد طال ما ونسي عن صحابتي وعن حوج قضاها من سفاها من قضيت قضا قال الفرا هي لغة صحيحة يمانية ونظيره حرقت القميص حراقا وقال لي اعرابي منهم على المروة يستفتي الحلق احب اليك ام القصار وقال صاحب الكشاف وكنت افسر ايه فقال بعضهم لقد فسرتها فسارا ما سمع به وقرى بالتخفيف وفيه وجوه احدها انه مصدر كذب بدليل قوله فصدقها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وهو مثل قوله تعالى انبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا باياتنا كذابا وثانيها ان ينصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وثالثها ان يجعل الكذاب بمعنى الكاذبة لمعناه وكذبوا باياتنا كذابا فكاذبوا كاذبة او كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب يقال رجل كذاب اي كذبوا باياتنا كاذبين يقال رجل كذاب كقولك حسان وكال فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا لذنبه واعلم انه تعالى لما بين فساد حالهم في القوة العمليه وفي القوة النظرية بلغ الى اقصى الغايات واعظم النهايات من كان سفل تلك الاحوال في كميته وكيفيته معلومة له وتقدير ما يستحق عليه من العقاب معلوم له فقال تعالى وكل شيء احصيناه كتابا وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قال الزجاج كل منصوب بفعل مضمر يفسره احصيناه المعنى واحصينا كل شيء احصيناه وكل بالرفع على الابتدا **المسئلة الثانية** قوله تعالى وكل شيء احصيناه [illegible] لا يزول ولا يتبدل ونظيره قوله تعالى احصاه الله ونسوه واعلم ان هذه الاية تدل على كونه تعالى عالما بالجزئيات **واعلم** ان هذه الاية [illegible] لانه تعالى ذكرها تقريرا لما ادعاه من قوله تعالى جزاء وفاقا كانه تعالى يقول انا عالم بجميع ما فعلوه وعالم بجهات تلك الافعال واعتباراتها التي لاجلها يحصل استحقاق الثواب والعقاب فلا جرم لا اوصل اليهم من العذاب الا قدر ما يكونون مستحقين له [illegible] كونه عالما بالجزئيات واذا ثبت هذا ظهر ان كل من انكره كان كافرا قطعا **المسئلة الثالثة** قوله احصيناه كتابا فيه وجهان احدهما تقديره احصيناه احصا وانما عدل عن تلك اللفظة الى هذه اللفظة لان الكتابة هي النهاية في قوة العلم ولهذا قال عليه السلام قيدوا العلم بالكتابة فكانه تعالى قال وكل شيء احصيناه احصا مساويا في القوة والثبات والتاكيد للمكتوب فالمراد من قوله تعالى كتابا تاكيد ذلك الاحصا والعلم **واعلم** ان هذا التاكيد انما ورد على حسب ما يليق بافهام اهل الظاهر فان المكتوب يقبل الزوال وعلم الله بالاشياء لا يقبل الزوال لانه واجب لذاته القول الثاني ان يكون قوله تعالى كتابا حالا في معنى مكتوبا في اللوح المحفوظ لقوله تعالى وكل شيء احصيناه في امام مبين وفي صحف الحفظة ثم قال تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا **واعلم** انه تعالى لما شرح احوال العقاب اولا ثم ادعى كونه جزاء وفاقا ثم بين تفاصيل افعالهم القبيحة ظهر صحة ما ادعاه اولا من ذلك العقاب كان جزاء وفاقا لا جرم اعاد ذكر العقاب وقال تعالى فذوقوا والفاء للجزاء فنبه على ان الامر بالذوق معلل بما تقدم شرحه من قبايح افعالهم فهذا الفاء افاد غير فايدة قوله تعالى جزاء وفاقا اما قوله هذه الاية دالة على المبالغة في التعذيب من وجوه احدها قوله تعالى لن نزيدكم الا عذابا وكلمة لن للتاكيد وثانيها انه في قوله تعالى كانوا لا يرجون حسابا ذكرهم بالمغايبة وفي قوله تعالى فذوقوا ذكرهم على سبيل المشافهة وهذا يدل على كمال الغضب وثالثها انه عدد وجوه العقاب ثم حكم بانه جزاء موافق لاعمالهم ثم عدد فضايحهم ثم قال تعالى فذوقوا فكانه تعالى افتى واقام الدلالة ثم اعاد تلك الفتيا بعينها وذلك يدل على المبالغة في التقرير قال عليه السلام هذه الاية اشد ما في القران كلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا باشد منه بقي في الاية سوالان **السوال الاول** اليس انه تعالى قال في صفة الكفار ولا ينظر اليهم ولا يكلمهم وها هنا لما قال لهم فذوقوا فقد كلمهم **الجواب** قال اكثر المفسرين تقدير الاية ويقال لهم فذوقوا ولقايل ان يقول على هذا الوجه لا يليق بذلك القايل ان يقول فلن نزيدكم الا عذابا بل هذا الكلام لا يليق الا بالله والاقرب في **الجواب** ان يقال قوله تعالى ولا يكلمهم اي بالكلام الطيب النافع فان تخصيص العموم غير مفيد لا سيما عند حصول القرينة فان قوله تعالى ولا يكلمهم انما ذكره لبيان انه تعالى لا يشفعهم ولا يقيم لهم وزنا وذلك لا يحصل





الا من الكلام الطيب **السوال الثاني** دلت هذه الاية على انه تعالى يزيد في عذاب الكافر ابدا فتلك الزيادة اما ان يقال انها كانت مستحقة لهم او غير مستحقة لهم فان كانت مستحقة لهم كان تركها في اول الامر احسانا والكريم اذا اسقط حق نفسه فانه لا يليق به ان يسترجعه بعد ذلك واما ان كانت تلك الزيادة غير مستحقة كان ايصالها اليهم ظلما وانه لا يجوز على الله **الجواب** كما ان الشي يوثر بحسب خاصة ذاته فكذا اذا دام ازداد تاثيره بحسب ذلك الدوام فلا جرم كلما كان الدوام اكثر كان الايلام اكثر ايضا فتلك الزيادة مستحقة وتركها في بعض الاوقات لا يوجب الابرا والاسقاط والله اعلم بمراده واعلم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بوعد الاخيار وهو ما مر لا وقها والله تعالى اعلم **قوله تعالى** ان للمتقين مفازا حدايق واعنابا وكواعب اترابا وكاسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملايكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مابا اما المتقي فقد تقدم تفسيره في مواضع كثيرة ومفازا يحتمل ان يكون مصدرا بمعنى فوزا وظفرا بالبغية ويحتمل ان يكون المراد منه فوزا بالنجاة من العذاب وان يكون المراد مجموع الامرين وعندي ان تفسيره بالفوز بالمطلوب اولى من تفسيره بالفوز من النجاة من العذاب ومن تفسيره بالفوز بمجموع الامرين اعني النجاة من الهلاك والوصول الى المطلوب وذلك لانه تعالى فسر المفاز بما بعده وهو قوله تعالى حدايق واعنابا فوجب ان يكون المراد من المفاز في هذا الموضع هذا القدر فان قيل الخلاص من الهلاك اهم من حصول اللذة فلم اهمل الاهم وذكر غير الاهم قلنا لان الخلاص عن الهلاك لا يستلزم الفوز باللذة والخير اما الفوز باللذة والخير فيستلزم الخلاص من الهلاك فكان ذكر هذا اولى وثانيها قوله تعالى حدايق واعنابا والحدايق جمع حديقة وهي كل بستان يحوط عليه من قولهم احدقوا به اي احاطوا به والتنكير في قوله واعنابا يدل على تعظيم حال تلك الاعناب وثالثها قوله تعالى وكواعب اترابا جمع كاعب وهي التي تكعبت ثديهن وتفلكت اي يكون الثدي في النتو كالكعب والفلكة ورابعها قوله تعالى وكاسا دهاقا اي ممتلية دعا ابن عباس غلاما فقال اسقنا دهاقا فجا الغلام بها ملى فقال ابن عباس هذا هو الدهاق قال عكرمة وربما سمعت ابن عباس يقول اسقنا وادهق لنا **القول الثاني** دهاقا اي متتابعا وهو قول ابي هريرة وسعيد بن جبير ومجاهد قال الواحدي واصل هذا القول من العرب ادهقت الحجارة ادهاقا وهو شدة تلازمها ودخول بعضها في بعض ذكره الليث والمتتابع كالمداخل **القول الثالث** يروى عن عكرمة انه قال دهاقا اي صافية والدهاق على هذا يجوز ان يكون جمع دهق وهو خشبتان يعصر بهما والمراد بالكاس الخمر قال الضحاك كل كاس في القران فهو الخمر والتقدير وخمرا ذات دهاق اي عصرت وصفيت بالدهاق وخامسها قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا في الاية سوالان **السوال الاول** الضمير في قوله فيها الى ماذا يعود **الجواب** فيه قولان **الاول** انها ترجع الى الكاس اي لا يجري بينهم لغو في الكاس التي يشربونها وذلك ان اهل الشرب في الدنيا يتكلمون بالباطل واهل الجنة اذا شربوا لم تتغير عقولهم ولم يتكلموا باللغو **الثاني** ان الكناية ترجع الى الجنة اي لا يسمعون في الجنة شيا يكرهونه **السوال الثاني** الكذاب بالتشديد يفيد المبالغة فوروده في قوله تعالى وكذبوا باياتنا كذابا مناسب لانه يفيد المبالغة في وصفهم بالكذب اما وروده ها هنا غير لايق لان قوله تعالى لا يسمعون فيها كذابا يفيد انهم لا يسمعون الكذب العظيم وهذا لا ينفي انهم يسمعون الكذب القليل وليس مقصودا لانه دلت بل المقصود المبالغة في انهم لا يسمعون الكذب البتة والحاصل ان هذا اللفظ يفيد نفي المبالغة واللايق بالاية المبالغة في النفي **والجواب** ان الكسائي قرا الاول بالتشديد والثاني بالتخفيف ولعل غرضه ما قررناه في هذا السوال لان قراة التخفيف ههنا تفيد انهم لا يسمعون الكذب اصلا لان الكذاب بالتخفيف والكذب واحد لان ابا علي الفارسي قال كذاب مصدر كذب بكذاب مصدر كتب واذا كان كذلك كانت هذه القراة تفيد المبالغة في النفي وقراة التشديد في الاول تفيد المبالغة في الثبوت فيحصل المقصود من هذه القراة في الموضعين على اكمل الوجوه فان اخذنا بقراة الكسائي فقد زال السوال وان اخذنا بقراة التشديد في الموضعين وهي قراة الباقين فالعذر عنه ان قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا اشارة الى ما تقدم من قوله تعالى وكذبوا باياتنا والمعنى ان النعيم الواصل اليهم يكون خاليا عن رجحه اعدايهم وسماع كلامهم الفاسد واقوالهم الكاذبة الباطلة ثم انه تعالى لما عدد اقسام نعيم اهل الجنة قال تعالى جزاء من ربك عطاء حسابا وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قال الزجاج المعنى جازاهم بذلك جزاء وكذلك عطاء لان معنى جازاهم واعطاهم واحد **المسئلة الثانية** في الاية سوال وهو انه تعالى جعل الشي الواحد جزاء وعطاء وذلك محال لان كونه جزاء يستدعي ثبوت الاستحقاق وكونه عطاء يستدعي عدم الاستحقاق والجمع بينهما متناف **الجواب**

عنه لا يصح الا على قولنا وهو ان ذلك الاستحقاق انما ثبت بحكم الوعد لا من حيث ان العقل يوجب الثواب على الله تعالى
فلذلك السوال يكون نظرا الى الوعد المرتب على ذلك الفعل يكون جزا ونظرا الى انه لا يجب لاحد على الله تعالى شي يكون
عطا **الثالثة** قوله تعالى احسانا فيه وجوه الاول ان يكون بمعنى كافيا ماخوذا من قولهم ما اعطاني ما احسبني
اي ما كفاني ومنه قوله فلما حلت به ضمنى فالا جميلا واعطاني حسابا اي اعطى ما كفى **والوجه الثاني** ان يكون
قوله حسابا ماخوذا من حسبت الشي اذا عددته وقدرته فقوله تعالى عطا حسابا اي بقدر ما وجب له فيما وعده
من الاضعاف لانه تعالى قدر الجزا على ثلاثة اوجه منها على عشرة اضعاف ووجه على سبع مائة ضعف ووجه على ما
لا نهاية له كما قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب **والوجه الثالث** وهو قول ابن عيينة عطا حسابا اي كثيرا
واحسبت فلانا اي كثرت له قال الشاعر ونقفي وليد الحي ان كان جايعا ونحسبه ان كان ليس بجايع **الوجه الرابع**
انه سبحانه وتعالى يوصل الثواب الذي هو الجزا اليهم ويوصل التفضل الذي يكون زايدا على الجزا اليهم ثم قال تعالى
حسابا ثم يميز الجزا على العطا حال الحساب **الوجه الخامس** انه تعالى لما ذكر في وعيد اهل النار جزا وفاقا ذكر في وعد
اهل الجنة عطا حسابا اي راعيت في ثوابكم اعمالكم الحساب لئلا يقع في ثوابكم بخس ونقصان وتقصير والله اعلم بمراده
**المسالة الرابعة** قرا ابن قتيبة حسابا بالتشديد على ان الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك هكذا ذكره صاحب
الكشاف **واعلم** انه تعالى لما بالغ في وعيد الكفار ووعد المتقين ختم الكلام في ذكر بقوله تعالى رب السموات
والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا وفيه مسايل **المسالة الاولى** رب السموات رب الرحمن
فيه ثلاثة اوجه من القراة الرفع فيهما وهي قراة ابن كثير ونافع وابي عمرو والجر فيهما وهي قراة عاصم وعبد الله
ابن عامر والجر في الاول مع الرفع في الثاني وهي قراة حمزة والكسايي وفي الرفع وجوه احدها ان يكون رب السموات
مبتدا والرحمن خبره ثم استونف لا يملكون منه وثانيها رب السموات مبتدا والرحمن صفة ولا يملكون خبره
وثالثها ان يضمر المبتدا والتقدير هو رب السموات هو الرحمن ثم استونف لا يملكون ورابعها ان يكون الرحمن
ولا يملكون خبرين واما وجه الجر فعلى البدل من ربك واما وجه جر الاول ورفع الثاني فجر الاول بدل من
ربك والثاني مرفوع بكونه مبتدا وخبره لا يملكون **المسالة الثانية** الضمير في قوله لا يملكون الى من يرجع
فيه ثلاثة اقوال الاول نقل عطا عن ابن عباس انه راجع الى المشركين يريد لا يخاطب المشركين اما المومنون
فيشفعون ويقبل الله ذلك منهم والثاني قال القاضي انه راجع الى المومنين والمعنى ان المومنين لا يملكون
ان يخاطبوا الله في امر من الامور لانه لما ثبت انه عدل لا يجوز ان يثبت العقاب بالذي اوصله الى الكفار عدل
وان الثواب الذي اوصله الى المومنين عدل وانه ما بخسهم فباي سبب يخاطبونه وهذا القول اقرب من الاول
لان الذي جرى قبل هذه الاية ذكر المومنين لا ذكر الكفار والثالث انه ضمير لاهل السموات والارض وهذا هو
الصواب فان احدا من المخلوقين لا يملكون مخاطبة الله تعالى ومكالمته واما الشفاعات الواقعة باذنه فغير
واردة على هذا الكلام لانه نفى الملك والذي يحصل بفضله واحسانه فهو غير مملوك فثبت ان هذا السوال غير
لازم والذي يدل من جهة العقل على ان احدا من المخلوقين لا يملك خطاب الله وجوه الاول وهو ان كل من
سواه فهو مملوكه والمملوك لا يستحق على مالكه شيا وثانيها ان معنى الاستحقاق عليه وهو انه لو لم يفعل
لا يستحق الذم ولو فعله لا يستحق المدح وكل من كان كذلك كان ناقصا في ذاته ومستكملا بغيره وتعالى الله
عنه وثالثها انه عالم بقبح القبيح عالما بكونه غنيا عنه وكل من كان كذلك لم يفعل القبيح وكل من امتنع
كونه فاعلا للقبيح فليس لاحد ان يطالبه بشي او يقول له لم فعلت فالوجهان الاولان مفرعان على قول
اهل السنة والوجه الثالث مفرع على قول المعتزلة فثبت ان احدا من المخلوقين لا يملك ان يخاطبه **واعلم**
انه تعالى لما ذكر ان احدا من الخلق لا يمكنه ان يخاطب الله في شي او يطالبه بشي قرر هذا المعنى واكده فقال تعالى
يوم يقوم الروح والملايكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وذلك لان الملايكة اعظم المخلوقات
قدرا ورتبة واكثرهم قدرة ومكانة فبين انهم لا يتكلمون في موقف القيامة احد الا بربهم وخوفا منه وخضوعا
له فكيف يكون حال غيرهم وفي الاية مسايل **المسالة الاولى** الذين يقولون بتفضيل الملك على البشر ان يتمسك بهذه
الاية وذلك لان المقصود من الاية ان الملايكة لما لم يقدروا ان يبقوا خاضعين وجلين متحيرين في موقف
جلال الله وظهور عزته وكبريايه فكيف يكون حال غيرهم ومعلوم ان هذا الاستدلال انما يتم اذا كانوا اشرف
المخلوقات **الثانية اختلفوا** في الروح في هذه الاية فعن ابن مسعود انه ملك اعظم من السموات
والجبال وعن ابن عباس انه ملك من اعظم الملايكة خلقا وعن مجاهد خلق على صورة بني ادم يا كلون ويشربون
ويلبسوا اباناس وعن الحسن وقتادة هم بنو ادم وعلى هذا معناه ذوو الروح وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ارواح الناس وعن الضحاك والشعبي هو جبريل عليه السلام وهذا القول هو المختار عند القاضي قال لان القران
يدل على كمال هذا الاسم جبريل وثبت ان القيام صحيح من جبريل عليه السلام والكلام صحيح منه ويصح ان يوذن
له فكيف نصرف هذا الاسم عنه الى خلق لا يعرفه او الى القران الذي لا يصح وصفه بالقيام وعن ابن عباس ارواح الناس

اما قوله



اما قوله تعالى صفا فيحتمل ان يكون المعنى ان الروح على الاختلاف الذي ذكرناه وجميع الملايكة يقومون صفا واحدا
ويجوز ان يكون المعنى يقومون صفين ويجوز صفوفا والصف في الاصل مصدر فيسمى على الواحد والجمع وظاهر قول المفسرين
انهم يقومون صفين فيقوم الروح وحده صفا وقامت الملايكة كلهم صفا واحدا فيكون عظم خلقه مثل صفوفهم
وقال بعضهم بل يقومون صفوفا لقوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا **المسالة الثالثة** الاستثنا الى
من يعود فيه قولان احدهما الى الروح والملايكة وعلى هذا تقدير الاية دلت على ان الروح والملايكة لا يتكلمون
الا عند حصول شرطين احدهما حصول الاذن من الله تعالى ونظيره قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه
والمعنى انهم لا يتكلمون الا باذن الله والشرط الثاني انه يقول صوابا فان قيل اذا اذن له الرحمن في ذلك القول علم ان
ذلك القول صواب لا محالة فما الفايدة في قوله تعالى وقال صوابا والجواب من وجهين الاول ان الرحمن اذن له في مطلق
القول ثم انهم عند حصول ذلك الاذن لا يتكلمون الا بالصواب فكانه قيل انهم لا ينطقون الا بعد ورود الاذن في
الكلام ثم بعد ورود ذلك الاذن يجتهدون ولا يتكلمون الا بالكلام الذي يعلمون انه صدق وصواب وهذا مبالغة
في وصفهم بالطاعة والعبودية الوجه الثاني ان تقدير لا يتكلمون الا في حق من اذن له الرحمن وقال صوابا والمعنى
لا يشفعون الا في حق شخص اذن الرحمن في شفاعته وذلك الشخص ممن كان صوابا واحتج صاحب هذا التاويل
بهذه الاية على انهم يشفعون للمذنبين لانهم قالوا صوابا وهو شهادة ان لا اله الا الله لان قوله تعالى وقال صوابا
يكفي في صدقه ان يكون قد قال صوابا واحدا فكيف الشخص الذي قال القول الذي هو اصوب الاقوال وتكلم بالكلام الذي
هو اشرف الكلمات الوجه الثاني الاستثنا غير عايد الى الملايكة فقط بل الى جميع اهل السموات والارض والعود الاول اولى
لان عود الضمير الى الاقرب اولى **واعلم** انه تعالى لما قرر احوال المكلفين في درجات الثواب والعقاب وقرر عظمة يوم
القيامة قال بعده ذلك اليوم الحق اشارة الى ما تقدم ذكره في وصف اليوم بانه حق وجوه احدها ان يحصل فيه كل حق
ويندمغ كل باطل فلما كان كاملا في هذا المعنى قيل انه حق كما يقال فلان خير كله اذا وصف بان فيه خيرا كثيرا وقوله
تعالى ذلك اليوم الحق وما عداه باطل لان ايام الدنيا باطلها اكثر من حقها وثانيها ان الحق هو الثابت الكاين ولهذا
المعنى يقال الله حق اي هو ثابت لا يجوز عليه الفنا ويوم القيامة يكون كذلك فيكون حقا وثالثها ان ذلك
اليوم هو اليوم الذي لا يستحق ان يقال له يوم لان فيه تبلى السراير وينكشف الضماير واما ايام الدنيا فاحوال الخلق
فيها مكتومة والاحوال فيها غير معلومة اما قوله تعالى فمن شا اتخذ الى ربه مابا اي مرجعا والمعنى انه احتج به
على اختيار المشية واصحابنا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال المراد لمن شا الله به خيرا هداه حتى
يتخذ الى ربه مابا ثم انه تعالى زاد في تخويف الكفار فقال تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا يعني العذاب في الاخرة
وكل ما هو ات قريب وهو قوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وانما سماه انذارا لانه تعالى
بهذا الوصف قد خوف منه نهاية التخويف وهو معنى الانذار ثم قال تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وفيه
مسايل **المسالة الاولى** ما في قوله ما قدمت يداه فيه وجهان الاول انها استفهامية منصوبة بقدمت
اي ينظر اي شي قدمت يداه الثاني ان تكون بمعنى الذي وتكون منصوبة بينظر والتقدير ينظر الى الذي
قدمته يداه الا ان على هذا التقدير حصل فيه حذفان احدهما انه لم يقل قدمته بل قال قدمت بحذف الراجع
والثاني انه لم يقل الى ما قدمت بل قال ينظر ما قدمت يقال نظرته بمعنى نظرت اليه **المسالة الثانية** في المرء ثلاثة
اقوال الاول وهو الاظهر ان المرء عام في كل احد لان المكلف ان كان قد عمل عمل المتقين فليس له الا الثواب
العظيم وان كان قد عمل عمل الكافرين فليس له الا العقاب الذي وصفه الله تعالى فلا رجا لمن ورد من المكلفين
العرصة في امر سوى هذين وهذا هو المراد بقوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فطوبى له ان قدم
عمل الابرار وويل له ان عمل عمل الفجار والقول الثاني وهو قول عطا ان المراد ههنا هو الكافر لان المومن كما
ينظر الى ما قدمت يداه فكذلك ينظر الى عفو الله ورحمته اما الكافر الذي لا يرى الا العذاب فهو لا يرى الا ما قدمت
يداه لان ما وصل اليه من العقاب ليس الا من شوم معاملته والقول الثالث وهو قول الحسن وقتادة
ان المرء ههنا هو المومن واحتجوا عليه بوجهين الاول انه تعالى قال بعد هذه الاية ويقول الكافر يا ليتني
كنت ترابا فلما كان هذا بيانا لحال الكافر وجب ان يكون الاول بيانا لحال المومن والثاني لما قدم الخير والشر
فهو من الله على خوف ورجا فينظر كيف يحدث الحال اما الكافر فانه قاطع بالعقاب فلا يكون له انتظار
انه كيف يحدث الامر فان مع القطع لا يحصل الانتظار والثالثة القايلون بان الخير يوجب الثواب والشر يوجب
العقاب تمسكوا بهذه الاية وقالوا لولا ان الامر كذلك والا لم يكن نظر الرجل الى الثواب والعقاب على عمله
بل على شي اخر والجواب عنه ان العمل يوجب الثواب والعقاب لكن بحكم الوعد لا بحكم الذات اما قوله تعالى
ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فيه وجوه احدها ان يوم القيامة ينظر المرء الى ما قدمت يداه المومن
فانه يجد الايمان والعفو عن ساير المعاصي على ما قال تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشا واما الكافر فلا يتوقع
العفو على ما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا لانهم يكونوا

مكلفا والثاني انه كان قبل البعث ترابا فالمعنى على هذا يا ليتني لم ابعث للحساب وبقيت كما كنت ترابا لقوله تعالى يا ليتها كانت القاضية وقوله تعالى يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض وثالثها ان البهايم تحشر فيقتص للجما من القرنا ثم يقال لها بعد المحاسبة كوني ترابا فيتمنى الكافر عند ذلك ان يكون مثل تلك البهايم وان يصير ترابا ويتخلص من عذاب الله وانكر بعض المعتزلة ذلك وقال انه تعالى اذا اعادها فهي بين معوض وبين متفضل عليه واذا كان كذلك لم يجز ان يقطعها عن المنافع لان ذلك كالاضرار بها ولا يجوز ذلك في الاخرة ثم ان هولاء قالوا ان هذه الحيوانات اذا انتهت مدة اعراضها جعل الله كل من كان منها حسن الصورة ثوابا لاهل الجنة وما كان قبيح الصورة عقابا لاهل النار قال القاضي ولا يمتنع ايضا اذا وفر الله اعراضها وهي غير كاملة العقل ان يزيل الله حياتها على وجه لا يحصل لها شعور بالالم فلا يكون ذلك ضررا ورابعها ما ذكره بعض الصوفية فقال قوله تعالى يا ليتني كنت ترابا معناه يا ليتني كنت متواضعا في طاعة الله تعالى ولم اكن متمردا متكبرا وخامسها الكافر ابليس يرى آدم وولده معه وثوابهم فيتمنى ان يكون الشي الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة يقولون ائنا لمردودون في الحافرة ائذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة

فيه مسايل **المسئلة الاولى** اعلم ان هذه الخمسة يحتمل ان يكون صفات لشي واحد ويحتمل ان لا يكون كذلك اما على الاحتمال الاول فقد ذكروا في الاية وجوها احدها انها باسرها صفات الملايكة فقوله تعالى والنازعات غرقا هي الملايكة الذين ينزعون نفوس بني آدم فاذا نزعوا نفوس الكفار نزعوها بشدة وهو مأخوذ من قولهم نزع في القوس فاغرق يقال اغرق النازع في القوس اذا بلغ غاية المد حتى ينتهي الى النصل فتقدير الاية والنازعات اغراقا والغرق والاغراق في اللغة بمعنى واحد اما قوله تعالى والناشطات نشطا النشط هو الجذب يقال نشطت الدلو انشطها وانتشطها نشطا اي نزعتها برفق والمراد هي الملايكة تنشط روح المومن فتقبضها وانما خصصنا هذا بالمومن والاول بالكافر لما بين النزع والنشط من الفرق فالنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق ولين فالملايكة تنشط ارواح المومنين كما تنشط الدلو من البير فالحاصل ان قوله تعالى والنازعات غرقا والناشطات نشطا قسم بملك الموت واعوانه الا ان الاول اشارة الى كيفية قبض ارواح الكفار والثاني الى كيفية قبض ارواح المومنين اما قوله تعالى والسابحات سبحا فمنهم من خصصه ايضا بملايكة قبض الارواح ومنهم من حمله على ساير طوايف الملايكة اما الوجه الاول فنقل عن علي وابن عباس ومسروق ان الملايكة يسلون ارواح المومنين سلا رفيقا وهذا هو المراد من قوله تعالى والناشطات نشطا ثم يتركونها حتى تستريح رويدا ثم يستخرجونها بعد ذلك برفق ولطافة كالذي يسبح في الما فانه يتحرك برفق ولطافة لئلا يغرق فكذا هاهنا يرفقون في ذلك الاستخراج ليلا يصل اليه الم وشرر فذلك هو المراد من قوله تعالى والسابحات سبحا واما الذين حملوه على ساير طوايف الملايكة قالوا ان الملايكة ينزلون من السما مسرعين فجعل نزولها من السما كالسباحة والعرب تقول للفرس الجواد انه سابح واما قوله تعالى فالسابقات سبقا فمنهم من فسرها بملايكة قبض الارواح تسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المومنين الى الجنة ومنهم من فسرها بساير طوايف الملايكة ثم ذكروا في هذا السبق وجوها احدها قال مجاهد وابو روق ان الملايكة سبقت ابن آدم بالايمان والطاعة ولا شك ان المسابقة في الخيرات درجات عظيمة قال تعالى والسابقون السابقون اوليك المقربون وثانيها قال الزجاج والفرا ان الملايكة تسبق الشياطين بالوحي الى الانبيا لان الشياطين كانت تسترق السمع وثالثها يحتمل ان يكون المراد انه تعالى وصفهم فقال تعالى لا يسبقونه بالقول يعني قبل الاذن لا يتحركون ولا ينطقون تعظيما لجلال الله تعالى وخوفا من هيبته وهاهنا وصفهم بالسبق يعني اذا جاءهم الامر فانهم يسارعون الى امتثاله ويتبادرون الى اظهار طاعته وهذا هو المراد من قوله تعالى فالسابقات سبقا واما قوله تعالى فالمدبرات امرا فاجمعوا على انهم هم الملايكة قال مقاتل يعني جبريل وميكايل واسرافيل وعزرايل عليهم السلام يدبرون امر الله في الارض وهم المقسمات امرا واما جبريل فموكل بالرياح والجنود واما ميكايل فموكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فموكل بقبض الانفس واما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وقوم منهم موكلون بحفظ بني آدم وقوم آخرون بكتبة اعمالهم وقوم آخرون بالخسف والمسخ والرياح والسحاب والامطار وبقي على الاية سؤالان

السؤال الاول



السؤال الاول لم قال فالمدبرات امرا ولم يقل امورا فانهم يدبرون امورا كثيرة لا امرا واحدا فالجواب المراد الجنس واذا كان كذلك قام مقام الجميع السؤال الثاني قال تعالى قل ان الامر كله لله فكيف اثبت هاهنا تدبير الامر والجواب لما كان ذلك الاثبات به كان الامر كله له فهذا تلخيص ما قال المفسرون في هذا الباب وعندي فيه وجه آخر وهو ان الملايكة لها صفات سلبية وصفات اضافية اما الصفات السلبية فهي انها مبراة عن الشهوة والغضب والاخلاق الذميمة والهرم والسقم والتركيب من الاعضا والاخلاط والاركان بل هي جواهر روحانية مبراة عن هذه الاحوال فقوله تعالى والنازعات غرقا اشارة الى كونها منزوعة عن هذه الاحوال نزعا كليا من جميع الوجوه وعلى هذا التفسير النازعات هي ذوات النزع كاللابن والتامر واما قوله تعالى والناشطات نشطا اشارة الى خروجها عن هذه الاحوال ليس على سبيل التكلف والمشقة كما في حق البشر بل هم بمقتضى ماهياتها خرجوا عن هذه الاحوال وتنزهوا عن هذه الصفات فهاتان الكلمتان اشارتان الى تعريف احوالهم السلبية واما صفاتهم الاضافية فهي قسمان احدهما شرح قوتهم العاقلة اي حالهم في معرفة ملك الله وملكوته والاطلاع على نور جلاله فوصفهم في هذا المقام بوصفين احدهما قوله تعالى والسابحات فهم يسبحون من اول فطرتهم في بحار جلال الله تعالى ثم لا منتهى لسباحتهم لانه لا منتهى لعظمة الله تعالى وعلو صمديته ونور جلاله وكبريائه فهم ابدا في تلك السباحة وثانيها قوله تعالى فالسابقات سبقا وهو اشارة الى مراتب الملايكة في تلك السباحة فكانه كما ان مراتب معارف البهايم بالنسبة الى مراتب معارف البشر ناقصة ومراتب معارف البشر بالنسبة الى مراتب معارف الملايكة ناقصة فكذا مراتب تلك الملايكة بالنسبة الى مراتب معارف الباقين متفاوتة وكما ان المخالفة بين نوع النفوس ونوع الانسان بالماهية لا بالعوارض فكذا المخالفة بين شخص كل واحد من الملايكة وبين شخص آخر بالماهية واذا كانت اشخاصها متفاوتة بالماهية كانت لا محالة متفاوتة في درجات المعرفة وفي مراتب التجلي فهذا هو المراد من قوله تعالى فالسابقات سبقا فهاتان الكلمتان المراد منهما شرح احوال قوتهم العاقلة واما قوله تعالى فالمدبرات امرا اشارة الى شرح قوتهم العاقلة وذلك لان كل حال من احوال العالم السفلي مفوض الى تدبير واحد من الملايكة الذين هم عمار العالم العلوي وسكان بقاع السموات كما ان التدبير لا يتم الا بعد العلم لا جرم قدم شرح القوة العاقلة التي لها على شرح القوة العاملة التي لهم فهذا الذي ذكرته احتمال ظاهر والله اعلم بمراده من كلامه واعلم ان مسلم بن بحر الاصفهاني طعن في حمل هذه الكلمات على الملايكة وقال واحد النازعات نازعة وهو في لفظ الاناث وقد نزه الله تعالى الملايكة عن التانيث وعاب قول الكفار حين قالوا وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا واعلم ان هذا الطعن لا يتوجه على تفسيرنا لان المراد والاشيا ذوات النزع وهذا القدر يمنع ما ذكر من التانيث الوجه الثاني من التاويل في هذه الكلمات الخمس انها هي النجوم وهو قول الحسن البصري ووصف النجوم بالنازعات يحتمل وجوها احدها انها تنزع من تحت الارض فتجد الى فوق الارض فاذا كانت منزوعة كانت ذوات نزع فيصح ان يقال انها نازعة على قياس اللابن والتامر وثانيها ان النازعات من قولهم نزع اليه اي ذهب نزوعا هكذا قاله الواحدي رحمه الله تعالى فكانها تطلع وتغرب بالنزول والسوق والثالث ان يكون من قولهم نزعت الخيل اذا جرت فمعنى النازعات اي الجاريات على السير المقدر والحد المعين وقوله غرقا يحتمل وجهين احدهما ان يكون حتى النازعات اي هذه الكواكب كالغرق في ذلك النزوع والارادة وهو اشارة الى كمال حالها في تلك الارادة فان قيل اذا لم يكن الافلاك والكواكب احيا ناطقة فما معنى وصفها بذلك قلنا هذا يكون ومنه نشاط الرجل وهي انشاطه وحقيقته والسابحات في هذا الموضع الخيل وسبحها العدو ويجوز ان يعني به الابل ايضا والمدبرات مثل المعقبات والمراد انه يأتي في ادبار هذا الفعل الذي هو نزع السهام وسبح الخيل وسبقها الامر الذي هو المقصود والظفر الساق انما كان لان هو لا جماعات كما المدبرات ويحتمل ان يكون المراد الالة من القوس والادهاف على معنى النزع فيها المسوطة بها الوجه السادس انه يمكن تفسير هذه الكلمات بالمراتب الواقعة في رجوع القلب عن غير الله الى الله فالنازعات غرقا هي الارواح التي تنزع اعلاق العروق الوثقى او المنزوعة عن محبة غير الله والناشطات نشطا هي انها بعد النزوع عن الجسمانيات تاخذ في المجاهدات والتخلق باخلاق الله تعالى بنشاط تام وقوة قوية فالسابحات سبحا هي انها بعد المجاهدة يتشرح لها من المكتوب فيقع في تلك البحار فتسبح فيها فالسابقات سبقا اشارة الى مراتب الارواح في درجات سيرها الى الله تعالى فالمدبرات امرا اشارة الى آخر مراتب البشرية متصل باول درجات الملايكة فلما انتهت الارواح البشرية الى اقصى غاياتها وهي مرتبة السبق اتصلت بعالم الملايكة وهو المراد من قوله تعالى فالمدبرات امرا فالاربعة الاول هي المراد من قوله تعالى يكاد زيتها يضيء والخامسة هي النار في قوله تعالى ولو لم تمسسه نار واعلم ان الوجوه المنقولة عن المفسرين غير منقولة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا حتى لا يمكن الزيادة عليها بل انما ذكروها لكون اللفظ محتملا لها فاذا كان احتمال اللفظ لما ذكرناه ليس دون احتماله للوجوه التي ذكروها لم يكن ما ذكروه اولى مما ذكرناه الا انه لا بد هاهنا من دقيقة وهو ان

اللفظ محتمل للكل فان وجدنا بين هذه المعانى مفهوما واحدا مشتركا حملنا اللفظ على ذلك المشترك وحينئذ
يندرج تحته جميع هذه الوجوه اما اذا لم يكن بين هذه المفهومات قدر مشترك بعد رحمل اللفظ على الكل لان اللفظ
لا يجوز استعماله لافادة مفهوميه معا فحينئذ لا يكون مراد الله تعالى هذا بل نقول يحتمل ان يكون هذا هو المراد اما الجزم
فلا سبيل لنا اليه ههنا **الاحتمال الثانى** وهو ان يكون الالفاظ الخمسة صفات شيء واحد بل لاشياء
مختلفة ففيه ايضا وجوه الاول النازعات غرقا هى القسى والناشطات الاوهاق والسابحات السفن
والسابقات الخيل والمدبرات الملايكة رواه احمد بن صامت عن عطا الثانى نقل عن مجاهد فى النازعات والناشطات
والسابحات انها الموت وفى السابقات والمدبرات انها الملايكة واضافة النزع والنشط والسبح الى الموت
مجاز بمعنى انها حصلت عند حصوله الثالث قال قتادة الجميع هى النجوم والمدبرات فانها الملايكة الثالثة
ذكر السابحات بالفاء والتى قبلها بالواو وفى علته وجهان الاول قال صاحب النظم ان هذه مسببة عن التى قبلها
كانت قيل واللاتى سبحن فسبقن كما تقول قام فذهب اوجب الفاء وغير ذلك ان القيام كان سببا للذهاب قال
الواحدى قول صاحب النظم غير مطرد فى قوله تعالى فالمدبرات امرا لا يبعد ان يجعل السبق سببا للتدبير واقول
يمكن الجواب عن اعتراض الواحدى من وجهين الاول لا يبعد ان يقال انها لما امرت سبحت فسبقت فدبرت ما امرت
بتدبيرها واصلاحها فيكون هذه افعالا يتصل بعضها ببعض لقولك قام زيد فذهب عمرو والثانى لا يبعد
ان يقال انهم لما كانوا سابقين فى اداء الطاعات متسارعين اليها وظهرت امانتهم فلهذا السبب فوض اليهم تدبير
بعض العالم الوجه الثانى ان الملايكة قسمان الروسا والتلامذة والدليل عليه انه تعالى قال قل يتوفاكم ملك الموت ثم قال
تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا فقلنا فى التوفيق بين الايتين ان ملك الموت هو الراس والرئيس وساير
الملايكة تلاميذه اذا عرفت هذا فنقول النازعات والناشطات والسابحات محمولة على التلامذة الذين يباشرون
العمل بانفسهم ثم قوله تعالى فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا اشارة الى الروسا الذين هم السابقون فى الدرجة
والشرف وهم المدبرون لتلك الاحوال والاعمال اما قوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ففيه مسايل
**المسئلة الاولى** جواب القسم المتقدم محذوف او مذكور فيه وجهان الاول انه محذوف ثم على هذا الوجه فى الاية
احتمالان الاول قال الفرا التقدير لتبعثن والدليل عليه ما حكى الله عنهم انهم قالوا ائذا كنا عظاما نخرة
اى نبعث اذا صرنا عظاما نخرة الثانى قال الاخفش والزجاج لتنفخن فى الصور نفختين ودل على هذا المحذوف
ذكر الراجفة والرادفة وهما النفختان الثالث قال الكسائى الجواب المضمر هو ان القيامة واقعة وذلك ان قوله
تعالى والذاريات ذروا ثم قال تعالى انما توعدون لصادق وقال تعالى والمرسلات عرفا انما توعدون لواقع فكذا
ههنا فان القران كالسورة الواحدة **القول الثانى** ان الجواب مذكور وعلى هذا القول احتمالان الاول هو المقسم
عليه وهو قوله تعالى قلوب يوميذ واجفة ابصارها خاشعة والتقدير والنازعات غرقا ان يوم ترجف الراجفة
تحصل قلوب واجفة ابصارها خاشعة الثانى جواب القسم هو قوله تعالى هل اتاك حديث موسى فان هل ههنا
بمعنى قد كما فى قوله تعالى هل اتاك حديث الغاشية اى قد اتاك حديث الغاشية الثالث جواب القسم قوله تعالى
ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى المسالة الثانية ذكروا فى ناصب يوم وجهين احدهما انه منصوب بالجواب المضمر والتقدير لتبعثن
يوم ترجف الراجفة فان قيل كيف يصح هذا مع انهم لا يبعثون عند النفخة الاولى والراجفة هى النفخة الاولى
قلنا المعنى لتبعثن فى الوقت الواسع الذى يحصل به النفختان ولا شك انهم يبعثون فى بعض ذلك الوقت
الواسع وهو وقت النفخة الاخرى ويدل على ما قلنا ان قوله تعالى تتبعها الرادفة جعل حالا من الراجفة والثانى ان
ينتصب يوم بترجف لما دل عليه قلوب يوميذ واجفة اى ترجف وجف القلب يجف وجفا ووجيفا وذلك سرد
اصواتهم المنكرة وهذه مدته فى السحاب ومنه قوله تعالى فاخذتهم الرجفة فعلى هذا الوجه الراجفة الصيحة العظيمة
التى بها هول وشدة كالرعد واما الرادفة فكل شيء جاء بعد شيء اخر يقال ردفه اى جاء بعده واما القلوب الواجفة
فهى المضطربة الخائفة يقال وجف قلبه يجف وجيفا اذا اضطرب ومنه ايجاف الدابة وهو حملها على السير الشديد
وللمفسرين عبارات كثيرة فى الراجفة ومعناها واحد فالوا جائفة وجلة زائلة عن اماكنها قلقة مستوفزة
مرتكضة شديدة الاضطراب غير ساكنة ابصارها خاشعة اى ابصار اهلها خاشعة وهو قوله تعالى خاشعين
من الذل ينظرون من طرف خفى اذا عرفت هذا فنقول اتفق جمهور المفسرين على ان هذه الامور احوال يوم القيامة
وزعم ابو مسلم الاصفهانى انه ليس كذلك ونحن نذكر تفاصيل المفسرين ثم نشرح قول ابى مسلم الاصفهانى انه ليس كذلك
اما القول الاول وهو المشهور بين الجمهور ان هذه الامور احوال يوم القيمة فهؤلاء ذكروا وجوها احدها ان الراجفة
هى النفخة الاولى وسميت به لان الدنيا تتزلزل وتضطرب عندها واما من قال النفخة هى الراجفة كما بينا العقود فيه
والرادفة رجفة اخرى تتبع الاولى فتضطرب الارض لاحياء الموتى كما اضطربت فى الاولى لموت الاحياء على ما ذكره
تعالى فى سورة الزمر ثم يروى عن الرسول عليه السلام انه بين النفختين اربعين عاما ويروى فى هذه الاربعين
يمطر الله الارض ويصير ذلك الماء عليها كالنطفة وان ذلك كالسبب للاحياء وهذا مما لا حاجة اليه





فى الاعادة ولله ان يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وثانيها الراجفة هى النفخة الاولى والرادفة هى قيام الساعة
من قوله تعالى قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون اى القيامة التى يستعجلها الكفرة استبعادا لها فهى رادفة
لها لاقترابها وثالثها الراجفة الارض والجبال من قوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال والرادفة السما والكواكب
لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثر ذلك ورابعها الراجفة هى الارض تتحرك وتتزلزل والرادفة زلزلة ثانية
تتبع الارض وتفنيها **القول الثانى** وهو قول ابى مسلم ان هذه الاحوال ليست احوال يوم القيامة وذلك لانا نقلنا عنه
انه فسر النازعات بنزع القوس والناشطات بخروج السهم والسابحات بعدو الفرس والسابقات بسبقها والمدبرات
بالامور التى تحصل ادبار ذلك الرمى والعدو ثم بنى على ذلك فقال الراجفة هى خيل المشركين وكذلك الرادفة وهما
طايفتان من المشركين غزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقت احداهما الاخرى والقلوب الواجفة هى
القلقة والابصار الخاشعة هى ابصار المنافقين لقوله الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه
من الموت كانه قيل لما جاء خيل العدو ترجف وردفها اخرها اضطربت قلوب المنافقين خوفا وخشعت
ابصارهم جبنا وضعفا ثم قالوا اينا لمردودون فى الحافرة اى نرجع الى الدنيا حتى نتحمل هذا الخوف لاجلها وقالوا
ايضا تلك اذا كرة خاسرة فاول هذا الكلام حكاية الحال من غزاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين
واوسطه حكاية لحال المنافقين واخره حكاية لحال كلام المنافقين فى انكار الحشر ثم انه تعالى اجاب عن كلامهم
بقوله تعالى فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة هذا كلام ابى مسلم رحمه الله تعالى واللفظ محتمل له وان
كان على خلاف قول الجمهور اما قوله تعالى قلوب يوميذ واجفة ابصارها خاشعة **اعلم** انه تعالى لما نقل القلوب
يوميذ واجفة فانه ثبت بالدليل ان اهل الايمان لا يخافون بل المراد به قلوب الكفار ومما يؤكد ذلك انه تعالى حكى عنهم
انهم يقولون اينا لمردودون فى الحافرة وهذا كلام الكفار لا كلام المومنين وقوله تعالى ابصارها خاشعة لان المعلوم من
حال المضطرب الخائف ان يكون نظره نظر خاشع ذليل خاضع يترقب ما ينزل من الامر العظيم وفى الاية سؤالان الاول كيف جاز
الابتداء بالنكرة الجواب قلوب مرفوعة بالابتدا وواجفة صفتها وابصارها خاشعة خبرها فهو كقوله تعالى ولعبد مومن
خير من مشرك السؤال الثانى كيف صحت اضافة الابصار الى القلوب معناه ابصار اصحابها بدليل قوله تعالى يقولون
ثم اعلم انه تعالى حكى ههنا عن منكرى البعث اقوالا ثلثة اولها قوله تعالى اينا لمردودون فى الحافرة يقال رجع فلان
فى حافرته اى فى طريقه التى جاء فيها فحفرها اى اثر فيها بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا فهى فى الحقيقة محفورة الا انها
سميت حافرة كما قيل عيشة راضية وماء دافق اى منسوبة الى الحفر والرضى والدفق او لقولهم نهاره صايم ثم قيل
لمن كان فى امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اى الى طريقته وفى الحديث ان هذا الامر لا يترك على حاله حتى يرد
على حافرته اى على اول تاسيسه وحالته الاولى وقرا ابو حيوة فى الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه
فحفرت حفرا وهى حفرة وهذه القراة دليل على ان الحافرة فى اصل الكلمة بمعنى المحفورة اذا عرفت هذا ظهر ان معنى
الاية ائنا لراجعون الى اول حالنا وابتداء امرنا فنصير احياء كما كنا وثانيها قوله تعالى ائذا كنا عظاما نخرة وفيه مسايل
**المسالة الاولى** قرا عاصم وحمزة ناخرة بالالف وقرا الباقون نخرة بغير الف واختلفت الرواية عن الكسائى
فقيل انه كان لا يبالى كيف قراها وقيل انه التى فيها ذكر العظام التى قد نخرت فوجدنا هاكلها العظام النخرة
ولم نسمع فى شيء منها الناخرة واما من سواه فقد اتفقوا على ان الناخرة لغة صحيحة ثم اختلفوا هؤلاء
على قولين الاول ان الناخرة والنخرة بمعنى واحد وقال الاخفش هما جميعا لغتان ايهما قرات فحسن قال الفرا
الناخرة والنخرة سواء فى المعنى بمنزلة الطامع والطمع والباخل والبخل وفى كتاب الخليل نخرت الخشبة نخرا اذا
بليت فاسترخت حتى تتفتت اذا مست وكذا العظام النخرة ثم هؤلاء الذين قالوا هما لغتان فى المعنى واحد اختلفوا
فقال الزجاج ولعل الماخر اشبه الوجهين بالاية لانه يشبه اواخر ساير الاى نحو الحافرة والساهرة وقال الاخرون
النخرة كالطمع والطامع واللبث واللابث وفعل ابلغ من فاعل **القول الثانى** النخر غير الناخر اما النخر فهو من نخر العظم
ينخر فهو نخر مثل عفن يعفن فهو عفن وذلك اذا بلى فصار بحيث لو لمسه لتفتت واما الناخرة فهى العظام الفارغة
التى يحصل من هبوب الريح فيها صوت كالنخير على هذا الناخرة من النخير بمعنى الصوت كنخير النائم والمخنوق لا من
النخر الذى هو البلى الثالثة اذا منصوب بمحذوف تقديره ائذا كنا عظاما نرد ونبعث الثالثة اعلم ان حاصل هذه
الشبهة ان الذى يشير اليه كل احد الى نفسه بقوله انا هو هذا الجسم المبنى بهذه البنية المخصوصة فاذا مات الانسان فقد
بطل مزاجه وفسد تركيبه فيمتنع اعادته لوجوه احدها ان لا يكون الانسان الا هو الانسان الاول الا اذا دخل
التركيب الاول فى الوجود مرة اخرى مثل ما جرى وذلك قول باعادة عين ما عدم اولا وهذا محال لان الذى عدم
لم يبق له عين ولا ذات ولا خصوصية فاذا دخل شيء فى الوجود استحال ان يقال هذا العايد هو عين ما فنى اولا وثانيها
ان تلك الاجزا تصير ترابا وتتفرق وتختلط باجزاء الارض وكل المياه وكل الهوا فيتميز تلك الاجزا بعينها من كل هذه
الاشيا محال وثالثها ان الاجزا الترابية باردة يابسة مسفه فتولد الانسان الذى لا بد وان يكون حارا رطبا فى مزاجه
منها محال فهذا تمام تقدير الكلام من هؤلاء الذين احتجوا على انكار البعث بقولهم ائذا كنا عظاما نخرة والجواب عن هذه الشبهة من وجوه

اولها وهو الاقوى لا نسلم ان المشار اليه لكل احد بقوله انا هو هذا الهيكل ثم الدليل عليه ثم الذي يدل على فساده وجوه
الاول ان جزا التبديل والمسدل والذي يشير اليه كل احد الى نفسه بقوله انا ليس في التبديل والمسدل مغاير لما هو غير
متبدل والثاني ان الانسان قد يعرف انه حال كونه غافلا عن اعضائه الظاهرة والباطنة والمشعور به غير ما هو مشعور به
والا لاجتمع النفي والاثبات على الشيء الواحد وهو محال فثبت ان المشار اليه لكل احد بقوله انا ليس هو هذا الهيكل
ثم ههنا ثلاثة احتمالات احدها ان يكون ذلك الشيء موجودا قائما بنفسه ليس بجسم ولا جسماني على ما هو مذهب طائفة
عظيمة من الفلاسفة والمسلمين وثانيها ان يكون جسما مخالفا بالماهية لهذه الاجسام القابلة للانحلال والفساد
سارية فيها سريان النار في الفحم وسريان الدهن في السمسم وسريان ماء الورد في جرم الورد فاذا فسد هذا الهيكل
انفصلت تلك الاجزاء وبقيت حية مدركة عاقلة اما في الشقاوة او السعادة وثالثها ان يقال انه جسم مساو لهذه الاجسام
في الماهية الا ان الله تعالى خصها بالبقاء والاستمرار من اول حال تكون الشخص في الوجود الى اخر عمره واما سائر الاجزاء المتبدلة
تارة بالزيادة واخرى بالنقصان وهو غير داخلة في المشار اليه بقوله انا فعند الموت تنفصل تلك الاجزاء وتبقى حية اما ملتذة
الشقاوة واذا ظهرت هذه الاحتمالات ثبت انه لا يلزم من فساد البدن وتفرق اجزائه فساد ما هو الانسان حقيقة وهذا مقام
حسن متين ينقطع به جميع شبهات منكري البعث وعلى هذا التقدير لا يكون للعظام النخرة البالية المتفرقة تاثير في دفع الحشر
والنشر البتة سلمنا على سبيل المسامحة ان الانسان هو مجموع هذا الهيكل فلم قلتم ان الاعادة ممتنعة قوله المعدوم لا يعاد قلنا السؤال
عدمه لم يمنع عندكم صحة الحكم عليه بانه ممتنع عدمه فلم لا يجوز ان لا يمنع على قولنا ايضا صحة الحكم عليه بالعود ثانيا قوله الاجزاء القليلة
مختلطة باجزاء العناصر الاربعة قلنا لكن ثبت ان خالق العالم عالم بجميع الجزئيات قادر على كل الممكنات فيمكنه جمعها باعيانها واعادة الحياة اليها
قوله ثالثا الاجسام القشفة اليابسة لا تحتمل الحياة قلنا نرى السمندل يعيش في النار والنعامة تبتلع الحديدة المحماة والحيات
الكبار العظام متولدة في الثلوج فسقط الاعتماد على الاستقراء والله الهادي الى الصدق والصواب النوع الثالث
من الكلام التي حكاها الله تعالى عن منكري البعث قالوا تلك اذا كرة خاسرة ومعنى كرة منسوبة الى الحافرة تقول كرة تجارة رابحة
او خاسرة اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا منهم استهزاء واعلم انه تعالى لما حكى عنهم هذه الكلمة
قال فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة وفيه مسائل المسئلة الاولى الفاء في قوله فانما متعلق بمحذوف ومعناه لا تستصعبوها
فانما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله تعالى فانها سهلة هينة في قدرته المسئلة الثانية يقال زجر
البعير اذا صاح عليه والمراد من هذه الصيحة النفخة الثانية وهي صيحة اسرافيل قال المفسرون يحييهم الله تعالى في بطون
الارض فيسمعونها فيقومون ونظير هذه الاية قوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة ما لها من فواق الثالثة الساهرة
ارض بيضاء مستوية سميت بذلك من وجهين الاول ان سالكها لا ينام خوفا منها الثاني ان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة
جارية الماء وعين نائمة وفيه وجه ثالث ان الارض انما سميت ساهرة لشدة الخوف فيها يطير الانسان عن النوم فتلك الارض التي
يجتمع الكفار فيها في موقف القيامة يكونون فيها على اشد الخوف فسميت تلك الارض ساهرة لهذا السبب ثم اختلفوا من وجه
اخر فقال بعضهم ارض الدنيا وقال اخرون انها ارض الاخرة لانهم عند الزجرة والصيحة ينقلون افواجا الى الارض الاخرة ولعل
هذا الوجه اقرب والله تعالى اعلم بالصواب **قوله تعالى** هل اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه
بالواد المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى
فاراه الاية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فيه مسائل **المسئلة الاولى** اعلم ان الوجه في المناسبة
بين هذه القصة وبين ما قبلها من وجهين الاول انه تعالى حكى عن الكفار اصرارهم على انكار البعث حتى انتهوا الى ذكر الكلام
الى الاستهزاء في قولهم تلك اذا كرة خاسرة وكان ذلك يشق على محمد صلى الله عليه وسلم فذكر قصة موسى عليه السلام وبين انه
تحمل المشاق الكثيرة في دعوة فرعون ليكون ذلك كالتسلية للرسول عليه السلام الثاني ان فرعون كان اقوى من كفار قريش واكثر
جمعا واشد شوكة فلما تمرد على موسى عليه السلام اخذه الله تعالى نكال الاخرة والاولى فكذلك هؤلاء المشركون في تمردهم
عليك اذا اصروا اخذهم الله تعالى وجعلهم نكالا المسئلة الثانية قوله تعالى هل اتاك حديث موسى يحتمل ان يكون معناه
اليس قد اتاك حديث موسى هذا ان كان قد اتاه ذلك قبل هذا الكلام اما ان لم يكن قد اتاه فقد يجوز ان يقال هل اتاك كذا اما انا اخبرك به
فان فيه عبرة لمن يخشى **المسئلة الثالثة** الوادي المقدس المبارك المطهر وفي قوله طوى وجوه احدها انه اسم
واد بالشام وهو عند الطور الذي اقسم الله به في قوله تعالى والطور وكتاب مسطور وقوله تعالى وناديناه من جانب
الطور الايمن والثاني انه بمعنى يا رجل بالعبرانية فكانه قيل يا رجل اذهب الى فرعون وهو قول ابن عباس والثالث ان يكون
قوله طوى اذ ناداه طوى من الليل اذهب الى فرعون لانك تقول جئتك بعد طوى اي بعد ساعة من الليل والرابع ان يكون المعنى
بالواد المقدس الذي طوي اي بورك فيه مرتين **الرابعة** قرا نافع وابن كثير وابو عمرو طوى بالضم اي بضم الطاء غير منون
وقرا الباقون بضم الطاء منونا وروي عن ابي عمرو طوى بكسر الطاء قال وطوى مثل ثني وهما اسمان للشيء المثنى والطي بمعنى
النشر اي نثبت فيه البركة والتقديس قال الفراء طوى واد بين المدينة ومصر فمن صرفه قال هو ذكر سمينا به ذكرا ومن لم يصرفه جعله معدولا
عن جهته كعمر وزفر قال والصرف احب الي اذ لم اجد له في المعدول نظيرا اي لم اجد اسما من الواو والياء عدل عن فاعل الى فعل غير طوى
**الخامسة** تقدير الاية اذ ناداه ربه وقال اذهب الى فرعون وفي قراءة عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول واما الكلام في ان النداء باسماع كلام





القديم او باسماع الحرف والصوت وان كان على هذا الوجه فكيف عرف موسى عليه السلام انه كلام الله وكل ذلك قد
تقدم في سورة طه **السادسة** ان سائر الايات تدل على انه تعالى في اول ما نادى موسى عليه السلام ذكر له اشياء
كثيرة كقوله في سورة طه نودي يا موسى اني انا ربك الى قوله تعالى لنريك من اياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى
فدل ذلك على قوله ههنا اذهب الى فرعون انه طغى من جملة ما ناداه ربه لا انه كل ما ناداه به وايضا ليس الغرض
انه عليه السلام كان مبعوثا الى فرعون فقط بل الى كل من كان في ذلك الطرف الا انه خصه بالذكر لان دعوته جارية
مجرى دعوة كل ذلك القوم السابعة الطغيان مجاوزة الحد ثم انه تعالى لم يبين انه تعدى في اي امر فلهذا قال
بعض المفسرين معناه انه تكبر على الله وكفر به وقال اخرون انه طغى على بني اسرائيل والاولى عندي الجمع بين الامرين فالمعنى
انه طغى على الخالق بان كفر به وطغى على الخلق بان تكبر عليهم واستعبدهم وكما ان كمال العبودية ليس الا صدق مع الحق
وخلق مع الخلق فكذا كمال الطغيان ليس الا سوء المعاملة مع الخالق ومع الخلق **واعلم** انه تعالى لما بعثه
الى فرعون لقنه كلامين ليخاطبه بهما فالاول قوله تعالى فقل هل لك الى ان تزكى وفيه مسائل المسئلة الاولى
يقال هل لك في كذا هل لك الى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب اليه قال الواحدي المبتدا محذوف في اللفظ مراد في المعنى و
التقدير هل لك الى ان تزكى حاجة او ارب قال الشاعر فهل لكم فيها الي فانني بصير بما اعيا النطاسي حذيم ويحتمل ان يكون
التقدير هل لك سبيل الى ان تزكى والمراد بالزكي الطاهر من العيوب كلها قال تعالى اقتلت نفسا زكية وقال تعالى قد افلح
من زكاها وهذه الكلمة جامعة لكل ما يدعوه اليه لان المراد هل لك الى ان تفعل ما تصير به زاكيا عن كل ما لا ينبغي
وذلك يجمع كل ما يتصل بالتوحيد والشرائع المسئلة الثانية فيه قراءتان التشديد على ادغام التاء في الزاي لتقاربهما
والتخفيف الرابعة المعتزلة تمسكوا به في ابطال كون الله تعالى خالقا لفعل العبد في هذه الاية فان هذا الاستفهام
على سبيل التقرير اي لك سبيل الى ان تزكى ولو كان ذلك بفعل الله لا نقلب الكلام حجة الى موسى عليه السلام والجواب
عن امثاله ما تقدم الخامسة انه تعالى لما قال لهما فقولا له قولا لينا فكانه تعالى رتب لهما هذا الكلام اللين الرقيق وهذا يدل
على انه لا بد في الدعوة الى الله تعالى من اللين والرفق وترك الغلظة ولهذا قال لمحمد عليه السلام ولو كنت فظا غليظ
القلب لانفضوا من حولك ويدل على جهل الذين يخاطبون الناس ويبالغون في التعصب على ضد ما امر الله تعالى به
انبياءه ورسله ثم قال تعالى واهديك الى ربك فتخشى وفيه مسائل المسئلة الاولى القائلون بان معرفة الله تعالى
لا تستفاد الا من الهادي تمسكوا بهذه الاية وقالوا انها صريحة فانه يهديه الى معرفة الله تعالى ثم قال مما يدل
على ان هذا هو المقصود الاعظم من بعثة الرسول امران الاول قوله تعالى فقل هل لك الى ان تزكى يتناول جميع
الامور التي لا بد للمبعوث اليه منه فدخل في هذه الاية فلما اعاد بعد ذلك علم انه هو المقصود الاعظم من
البعثة والثاني ان موسى عليه السلام ختم كلماته عليه وذلك ينبه ايضا على انه اشرف المقاصد من البعثة
والجواب انا لا نمنع ان يكون التنبيه والارشاد معونة في الكشف عن الحق انما النزاع انكم تقولون يستحيل حصوله
الا من المعلم وكلامنا لا يحتمل ذلك الثانية دلت الاية على ان معرفة الله تعالى مقدمة على الطاعة لانه ذكر
الهداية وجعل الخشية موخرة عنها ومفرعة عليها ونظيره قوله تعالى في النحل ان انذروا انه لا اله الا انا
فاتقون وفي طه انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني الثالثة دلت الاية على ان الخشية لا تكون الا بالمعرفة
قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اي العلماء به ودلت الاية على ان الخشية ملاك الخيرات لان من خشي
الله تعالى اتى منه كل خير ومن امن اجترا على كل شر ومنه قوله عليه السلام من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل
اما قوله تعالى فاراه الاية الكبرى فكذب وعصى فيه مسئلتان المسئلة الاولى الفاء في قوله تعالى فاراه الاية
الكبرى معطوف على محذوف معلوم يعني فذهب فاراه كقوله تعالى فاضرب بعصاك الحجر فانفجرت المسئلة الثانية
اختلفوا في الاية الكبرى على ثلاثة اقوال الاول قال مقاتل والكلبي هي اليد لقوله تعالى في طه وادخل يدك في
جيبك تخرج بيضاء من غير سوء اية اخرى لنريك من اياتنا الكبرى والقول الثاني قال عطاء هي العصا لانه ليس
في اليد الا انقلاب لونه الى لون اخر وهذا المعنى كان حاصلا في العصا لانها لما انقلبت حية فلا بد وان يكون قد تغير
اللون الاول فاذن كل ما في اليد فهو حاصل في العصا ثم حصل في العصا امور اخر ازيد من ذلك منها حصول الحياة
في الجرم الجمادي ومنها تزايد اجزائه واجسامه ومنها حصول القدرة الكثيرة والقوة الشديدة ومنها انها كانت
ابتلعت اشياء كثيرة وكانها تنبلت ومنها زوال الحياة والقدرة عنها وفناء تلك الاجزاء التي بها حصل عظمها
وزال ذلك اللون والشكل اللذين بهما صارت العصا حية وكل واحد من هذه الوجوه كان معجزا مستقلا في نفسه
فعلمنا ان الاية الكبرى هي العصا القول الثالث في هذه المسئلة قول مجاهد وهو ان المروي الاية الكبرى مجموع
اليد والعصا وذلك لان سائر الايات دلت على ان اول ما اظهر موسى عليه السلام لفرعون هو العصا ثم اتبعه
باليد فوجب ان يكون المراد من الاية الكبرى مجموعهما ثم انه تعالى حكى بعد ذلك ان فرعون مع موسى عليه السلام
وهو مجموع امور ثلاثة احدها قوله تعالى فكذب وعصى وفيه مسائل المسئلة الاولى معنى قوله تعالى
فكذب وعصى انه كذب بدلالة ذلك المعجز على صدقه ثم اعلم ان القدح في دلالة المعجز على الصدق اما لانه

يمكن معارضته اولا نه وان امتنعت معارضته لكنه ليس فعلا لله تعالى بل لغيره اما فعل جني او فعل ملك وان كان فعلا لله تعالى لكنه ما فعله لغرض التصديق او ان كان فعله لغرض التصديق لكنه لا يلزم صدق المدعي فانه لا يقبح من الله شيء البتة فهذه مجامع الطعن في دلالة المعجز على الصدق وما بعد الاية يدل على ان فرعون انما منع من دلالته على الصدق لا لاعتقاده انه يمكن معارضته بدليل قوله تعالى فحشر فنادى وهو كقوله تعالى فارسل فرعون في المداين حاشرين التاسعة الاية سؤال لان وهو ان كل احد يعلم ان كل من كذب بالله تعالى فقد عصى فما الفايدة في قوله تعالى فكذب وعصى والجواب كذب بالقول واللسان وعصى بان اظهر التمرد والتجبر **المسئلة الثالثة** هذا الذي وصفه الله تعالى به من التكذيب والمعصية مغاير لما كان حاصلا قبل ذلك لان تكذيبه لموسى عليه السلام وقد دعاه واظهر هذه المعجزة تدل على ما تقدم من التكذيب ومعصيته بترك القبول منه والحال هذه مخالفة لمعصيته من قبل ذلك وثانيها قوله تعالى ثم ادبر يسعى وفيه وجوه احدها انه لما راى الثعبان ادبر مرعوبا يسعى يسرع في مشيه قال الحسن كان رجلا طياشا خفيفا وثانيها تولى عن موسى عليه السلام يسعى ويجتهد في مكايدته وثالثها ان يكون المعنى ثم اقبل يسعى كما يقول فلان اقبل يفعل كذا بمعنى انشا يفعل فوضع ادبر موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال وثالثها قوله تعالى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فحشر جمع السحرة لقوله تعالى فارسل فرعون في المداين حاشرين فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه او امر مناديا فنادى في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك الكلمة وقال ابن عباس كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيري والاخرى انا ربكم الاعلى واعلم انا بينا في سورة طه انه لا يجوز ان يعتقد الانسان في نفسه كونه خالقا للسموات والارض والجبال والنبات والحيوانات فان العلم بفساد ذلك ضروري فمن شك فيه كان مجنونا ولو كان مجنونا لما جاز من الله تعالى بعثة الانبيا والرسل اليه بل الرجل كان دهريا منكرا للصانع والحشر والنشر وكان يقول ليس عليكم لاحد امر ولا نهي الا لي فانا ربكم بمعنى مربيكم والمحسن اليكم وكان يقول ليس عليكم لاحد وليس للعالم اله حتى يكون له عليكم امر ونهي او يبعث اليكم رسولا قال القاضي وقد كان الا يليق به بعد ظهور خزيه عند انقلاب العصا حية ان لا يقول هذا القول لان عند ظهور الدلالة والعجز كيف يليق ان يقول انا ربكم الاعلى فدلت هذه الاية على انه في ذلك الوقت كالمعتوه الذي لا يدري ما يقول واعلم انه تعالى لما حكى عنه افعاله واقواله اتبعه بما عامله به وهو قوله تعالى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى وفيه مسئلتان **المسئلة الاولى** ذكروا في نصب نكال وجهين الاول قال الزجاج انه مصدر موكد لان معنى اخذه الله نكل الله به نكال الاخرة لان نكال واخذ متقاربان وهو كما يقال دعه تركا شديدا لان دعه واتركه سوا ونظيره قوله تعالى ان اخذه اليم شديد الثاني قال الفرا يريد اخذه الله اخذا نكالا للاخرة والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم الثانية ذكر المفسرون في هذه الاية وجوها احدها ان الاخرة والاولى صفة لكلمتي فرعون احداهما قوله تعالى ما علمت لكم من اله غيري والاخرى قوله تعالى انا ربكم الاعلى قالوا وكان بينهما اربعون سنة وهذا قول مجاهد والشعبي وسعيد بن جبير ومقاتل ورواية عطا والكلبي عن ابن عباس والمقصود التنبيه على انه ما اخذه بكلمته الاولى في الحال بل امهله اربعين سنة فلما ذكر الثانية اخذه بهما وهذا تنبيه على انه تعالى يمهل ولا يهمل الثاني وهو قول الحسن وقتادة نكال الاخرة والاولى وعده في الاخرة واغرقه في الدنيا الثالث الاخرة هي قوله تعالى انا ربكم الاعلى والاولى تكذيبه موسى عليه السلام حين اراه الاية قال القفال رحمة الله عليه وهذا كانه هو الاظهر لانه تعالى قال فاراه الاية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فذكر المعصيتين ثم قال تعالى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى فظهر ان المراد عاقبه على هذين الامرين **المسئلة الثالثة** قال الليث النكال اسم لمن جعل نكالا لغيره وهو الذي اذا راه او بلغه خاف ان يعمل عمله واصل الكلمة من الامتناع ومنه النكول عن اليمين وقيل للقيد نكل لانه يمنع فالنكال هو العقوبة وهو اعظم حتى يمتنع من سمع به عن ارتكاب مثل ذلك الذنب الذي وقع التنكيل به وهو في العرف يقع على ما يفتضح به صاحبه ويعتبر به غيره والله اعلم ثم انه تعالى ختم هذه القصة بقوله تعالى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى والمعنى ان فيما اقتصصنا من امر موسى وفرعون وما احله الله تعالى بفرعون من الخزي ورزق موسى من العلو والنصرة عبرة لمن يخشى وذلك ان يدع التمرد على الله تعالى والتكذيب لانبيايه خوفا من ان ينزل به ما نزل بفرعون وعلما بان الله تعالى ينصر انبياه ورسله فاعتبروا معاشر المكذبين لمحمد عليه السلام بما ذكرناه اي اعلموا انكم ان شاركتموهم في المعنى الجالب للعقاب شاركتموهم في حلول العقاب بكم ثم اعلم انه تعالى لما ختم هذه القصة رجع الى مخاطبة منكري البعث فقال تعالى انتم اشد خلقا ام السما بناها فيه مسئلتان **المسئلة الاولى** في المقصود من هذا الاستدلال وجهان الاول انه استدلال على منكري البعث فقال تعالى انتم اشد خلقا ام السما فنبههم على امر يعلم بالمشاهدة وذلك لان خلقة الانسان على صغره وضعفه اذا اضيف الى خلق السما على عظمها وعظم احوالها يسير فبين تعالى ان خلقه السما اعظم واذا كان كذلك فخلقهم على وجه الاعادة اولى ان يكون مقدورا لله تعالى فكيف ينكرون ذلك ونظيره قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس والمعنى اخلقكم بعد الموت اشد ام خلق السما اي عندكم وفي تقديركم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله تعالى واحد والثاني ان المقصود من هذا الاستدلال بيان كونهم مخلوقين وهذا القول ضعيف لوجهين احدهما ان من انكر كون الانسان

بان



فان سكر ذلك في السما كان اولى وثانيها ان اول السورة كان في بيان مسئلة الحشر والنشر فحمل هذا الكلام عليه اولى **الثانية** قال الكسائي والفرا والزجاج هذا الكلام تم عند قوله ام السما ثم قوله تعالى بناها ابتداء كلام اخر وعند ابي حاتم الوقف على قوله بناها قال لانه من صلة السماء والتقدير ام السماء التي بناها فحذف التي ومثل هذا الحذف جايز قال القفال يقال الرجل جاك عاقل اي الرجل الذي جاك عاقل اذا ثبت ان هذا جايز في اللغة فنقول الدليل على ان قوله تعالى بناها صلة لما قبله انه لو لم يكن صلة لكان صفة فكان قوله بناها ثم قوله تعالى رفع سمكها فسواها صفة فقد توالت صفتان لا تعلق لاحدهما بالاخرى فكان يجب ادخال العاطف فيما بينهما كما في قوله تعالى واغطش ليلها واخرج ضحاها فلما لم يكن كذلك علمنا ان قوله بناها صلة للسما فكان التقدير ام السما التي بناها وهذا يقتضي وجود سما ما بناها الله تعالى وذلك باطل **المسئلة الثالثة** الذي يدل على انه تعالى هو الذي بنى السما وجوه احدها ان السما جسم وكل جسم محدث لان الجسم لو كان ازليا لكان في الازل اما ان يكون متحركا او ساكنا والقسمان باطلان فالقول بكون الجسم ازليا باطل اما الحصر فلانه اما ان يكون مستقرا حيث هو فيكون ساكنا او لا يكون مستقرا حيث هو فيكون متحركا وانما قلنا انه يستحيل ان يكون متحركا لان ماهية الحركة يقتضي المسبوقية بالغير وماهية الازلية تنافي المسبوقية بالغير فالجمع بينهما محال وانما قلنا انه يستحيل ان يكون ساكنا لان السكون وصف ثبوتي لانه ممكن الزوال ومفتقر الى الفاعل المختار وكل ما كان كذلك فهو محدث فكل سكون محدث فيمتنع ان يكون ازليا انما قلنا ان السكون وصف لا يتبدل لكون الجسم متحركا بكونه ساكنا مع بقاء ذاته فاحدهما لا بد ان يكون امرا ثبوتيا فان كان الثبوتي هو السكون فقد حصل المقصود وان كان الثبوتي هو الحركة وجب ايضا ان يكون السكون ثبوتيا لان الحركة عبارة عن الحصول في المكان بعد ان كان فيه بعينه فالتفاوت بين الحركة والسكون ليس في الماهية بل في المسبوقية بالغير وعدم المسبوقية بالغير وذلك بوصف عارض خارجي عن الماهية بل في المسبوقية بالغير وعدم المسبوقية بالغير وذلك بوصف عارض خارج عن الماهية واذا كان كذلك فاذا ثبت ان تلك الماهية امر وجودي في احدى الصورتين وجب ان يكون كذلك في الصورة الاخرى وانما قلنا ان السكون جايز الزوال لانه لو كان واجبا لذاته لامتنع زواله فكان يجب ان لا يتحرك السما لكنا نراها الان متحركة فعلمنا انها لو كانت ساكنة في الازل لكان ذلك السكون جايز الزوال وانما قلنا ان ذلك السكون لما كان ممكنا لذاته لا افتقر الى الفاعل المختار لانه لما كان ممكنا لذاته فلا بد له من مدبر وذلك المدبر لا يجوز ان يكون موجبا لان ذلك الموجب ان كان واجبا كان غنيا في ايجابه لذلك المعلول من شرط لزم من دوامه دوام الاثر فكان يجب ان لا يكون ذلك السكون واذا كان واجبا ويفتقر في ايجابه لذلك المعلول الى شرط وجب لذاته لزم من دوام العلة ودوام الشرط دوام المعلول اما ان يكون الموجب غير موجب لذاته او كان شرطا غير واجب لذاته كان الكلام فيه اما في الاول اما التسلسل وهو محال او الانتهاء الى موجب واجب لذاته والى شرط واجب لذاته وحينئذ يعود الالزام الاول فثبت ان ذلك المؤثر لا بد وان يكون فاعلا مختارا فاذا كل سكون فهو فعل فاعل مختار وكل ما كان كذلك فهو محدث لان المختار انما يفعل بواسطة القصد والاختيار والقصد الى تكوين الكاين وتحصيل الحاصل محال فثبت ان كل سكون فهو محدث فثبت انه يمتنع ان يكون الجسم في الازل متحركا ولا ساكنا فهو اذن غير موجود في الازل فهو محدث وانما كان محدثا افتقر في ذاته وفي تركيب اجزايه الى موجد وذلك هو الله تعالى فثبت بالعقل ان باني السماء هو الله تعالى **الحجة الثانية** كل ما سوى الواحد ممكن وكل ممكن محدث فله صانع انما قلنا ان كل ما سوى الواحد ممكن لانا لو فرضنا موجودين واجبين لذاتهما لاشتركا في الوجوب ولتباينا بالتعين فيكون كل واحد منهما مركبا مما به المشاركة ومما به المجاورة وكل مركب مفتقر الى جزءه وجزءه غيره وكل مركب فهو مفتقر الى غيره وكل مفتقر الى غيره ممكن لذاته وكل واحد من الواجبين بالذات ممكن بالذات هذا خلف ثم ينتقل الكلام الى ذينك الجزيين فان كانا واجبين كان كل واحد من تلك الاجزا مركبا ويلزم التسلسل وان لم يكونا واجبين كان المفتقر اليهما اولى بعدم الوجوب فثبت ان ما عدا الواحد ممكن وكل ممكن فله موثر وكل ما افتقر الى المؤثر محدث لان الافتقار الى المؤثر لا يمكن ان يتحقق حالة البقا لاستحالة ايجاد الموجود فلا بد وان يكون اما حال الحدوث او حال العدم وعلى التقديرين لازم فثبت ان ما سوى الواحد محدث وكل محدث فلا بد للسما من باني **الثالثة** صريح العقل يشهد بان جرم السما لا يمتنع ان يكون اكبر مما هو الان بمقدار خردلة ولا يمتنع ان يكون اصغر بمقدار خردلة فاختصاصه بهذا المقدار بالوقوع دون الازيد والانقص لا بد وان يكون لمخصص فثبت انه لا بد للسما من باني **فان قيل** لم لا يجوز ان يقال انه تعالى خلق شيا واعطاه قدرة تمكن ذلك المخلوق بتلك القدرة من خلق الاجسام فيكون خالق السما وبانيها هو ذلك الشي **الجواب** من العلماء من قال المعلوم بالعقل انه لا بد للسماء من محدث وانه لا بد من الانتها

اخرج الامر الى العدم واجب الوجود لذاته واحد وهو الله سبحانه وتعالى فاما نفي الواسطة فانما حكم بالسمع بقوله في
هذه الاية بناها يدل على ان باني السماء هو الله تعالى لا غيره ومنهم من قال بل العقل يدل على بطلانه لما ثبت ان كل ما عداه
محدث ثبت انه قادر لا موجب والذي كان مقدورا له لكونه ممكنا فانه لو رفعنا الامكان بقي الوجوب والامتناع وهما
يحيلان المقدورية واذا كان مما لاجله صح في البعض ان يكون مقدورا لله تعالى هو الامكان والامكان عام في الممكنات
وجب ان يحصل في كل الممكنات صحة ان يكون مقدورة لله تعالى واذا ثبت ذلك ونسبة قدرته الى الكل على السوية وجب ان يكون
قادرا على الكل واذا ثبت ان الله قادر على كل الممكنات فلو فرضنا قادرا اخر قدر على بعض الممكنات لزم قادران على مقدور واحد
من جهة واحدة وذلك محال لانه اما ان يقع باحدهما دون الاخر وهو محال لانهما لما كانا مستقلين بالاقتضاء فليس
وقوعه بهذا اولى من وقوعه بذلك او بهما معا وهو ايضا محال لانه يستغني بكل واحد منهما عن كل واحد منهما فيكون
محتاجا اليهما معا وغنيا عنهما معا وهو محال فثبت بهذا انه لا يمكن وقوع ممكن اخر بسبب اخر سوى قدرة الله تعالى
وهذا الكلام جيد لكن على قول من لا يثبت في الوجود مؤثرا سوى الواحد فهذا جملة ما في هذا الباب **واعلم**
انه تعالى لما بين في السماء انه بناها بين بعد ذلك انه كيف بناها وشرح تلك الكيفية من وجوه اولها ما يتعلق بالمكان
فقال رفع سمكها **واعلم** ان امتداد الشيء اذا اخذ من اعلاه الى اسفله سمي عمقا وان اخذ من اسفله الى
اعلاه سمي سمكا فالمراد برفع سمكها شدة علوها حتى ذكروا ان ما بين الارض وبينها مسيرة خمس مائة
عام وبين اصحاب الهيئة مقادير الاجرام الفلكية وابعاد ما بين كل واحد منها وبين الارض وقال اخرون
رفع سمكها من غير عمد وذلك لا يصح الا من الله تعالى **المسئلة الثانية** قوله تعالى فسواها وفيه
وجهان الاول المراد التسوية بالشقها وقيل المراد نفي الشقوق عنها لقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن
من تفاوت والقايلون بالقول الاول قالوا فسواها عام فلا يجوز تخصيصه بالتسوية في بعض الاشياء
قالوا هذا يدل على كون السماء كرة لانه لو لم يكن كرة لكان بعض جوانبه مسطحا والبعض زاويه والبعض
مسطحا ولكان بعض اجزايه اقرب الينا والبعض ابعد فلا يكون التسوية حاصلة ثم قالوا لما ثبت انها
محدثة مفتقرة الى فاعل مختار فاي ضرر في الدين ينشا من كونها كرة **الثالثة** قوله تعالى واغطش
ليلها واخرج ضحاها فيه مسايل **الاولى** اغطش قد يجي لازما يقال اغطش الليل اذا صار مظلما
ويجي متعديا اغطشه الله تعالى اذا جعله مظلما والغطش الظلمة والاغطش شبه الاعمش
ثم ها هنا سؤال وهو ان الليل اسم لزمان الظلمة الحاصلة بسبب غروب الشمس فقوله تعالى واغطش
ليلها يرجع معناه الى انه جعل المظلم مظلما وهو بعيد والجواب معناه ان الظلمة الحاصلة في ذلك الزمان
انما حصلت بتدبير الله تعالى وتقديره وحينئذ لا يبقى الاشكال **الثانية** قوله تعالى واخرج ضحاها
اي اخرج نهارها وانما عبر عن النهار بالضحى لان الضحى اكمل اجزاء النهار في النور والضوء **الثالثة** انما اضاف
الليل والنهار الى السماء لان الليل والنهار انما يحدثان بسبب غروب الشمس فطلوعها ثم غروبها وطلوعها
انما يحصلان بسبب حركة الفلك فلهذا السبب اضاف الليل والنهار الى السماء ثم انه تعالى لما وصف كيفية
خلق السماء اتبعه بكيفية خلق الارض وذلك من وجوه **قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها
اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت الطامة
الكبرى** اي بسطها قال زيد بن عمرو بن نفيل دحاها فلما راها استوت على الماء ارسى عليها الجبالا وقال
امية ابن الصلت دحوت البلاد فسويتها وانت على طيها قادر قال اهل اللغة في هذه اللفظة لغتان دحوت
ادحو ودحيت ادحى ومثله صغوت وصغيت ولحوت العود ولحيته وشاوت الرجل وشايته وباوت عليه
وبايت وفي حديث علي رضي الله عنه اللهم داحي المدحيات اي باسط الارضين السبع وهي المدحوات ايضا وقيل
اصل الدحو الازالة للشيء من مكان الى مكان ومنه يقال ان الصبي يدحو بالكرة اي يقذفها على وجه الارض وادحي
النعامة موضعه الذي يكون فيه اي بسطه وازالة ما فيه من حصى حتى يمهده وهذا يدل على معنى الدحو
ويرجع الى الازالة والتمهيد **الثانية** ظاهر هذه الاية يقتضي كون الارض بعد السماء وقوله في حم السجدة ثم استوى
الى السماء ولا باس بان يعيد بعض تلك الوجوه احدها انه تعالى خلق الارض اولا ثم خلق السماء ثانيا ثم دحى الارض اي
بسطها ثالثا وذلك لانها اولا كانت كالكرة المجتمعة ثم ان الله تعالى مدها وبسطها فان قيل الدلايل الاعتبارية دلت
على ان الارض الان كرة ايضا واشكال اخر وهو ان الجسم العظيم يكون ظاهره كالسطح المستوي ويستحيل ان يكون هذا الجسم
العظيم مخلوقا ولا يكون ظاهره مدحوا وثانيها ان يكون معنى قوله دحاها مجرد البسط بل يكون المراد انه بسطها مهيا لنبات
الاقوات وهذا هو الذي بينه بقوله اخرج منها ماءها ومرعاها وذلك لان هذا الاستعداد لا يحصل للارض الا بعد وجود
السماء فان الارض كالام والسماء كالاب وما لم يحصلا لم يتولد اولاد المعادن والنبات والحيوان وثالثها ان يكون قوله تعالى
والارض بعد ذلك دحاها اي مع ذلك دحاها **الثالثة** لما ثبت ان الله تعالى خلق الارض اولا ثم خلق السماء ثانيا ثم دحى الارض
بعد ذلك ثالثا ذكروا في تقدير تلك الازمنة وجوها روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خلق الله البيت قبل الارض

بالفي



بالفي سنة ومنه دحيت الارض **واعلم** ان الرجوع في امثال هذه الاشياء الى كتب الحديث اولى **الصفة الثالثة**
قوله تعالى اخرج منها ماءها ومرعاها فيه مسئلتان **المسئلة الاولى** ماءها عيونها المتفجرة بالماء ومرعاها
رعيها وهو في الاصل موضع ونصب الارض والجبال باضمار دحى وارسى على شريطة التفسير وقراهما الحسن مرفوعين
على الابتداء فان قيل هلا ادخل حرف العطف على اخرج قلنا لوجهين الاول ان يكون معنى دحاها بسطها ومهدها
للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تاتي سكناها من تسوية امر المشارب والماكل وامكان القرار عليها باخراج
الماء والمرعى وارساء الجبال واثباتها اوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها والثاني ان يكون اخرج حالا والتقدير
والارض بعد ذلك دحاها حال ما اخرج منها ماءها ومرعاها **المسئلة الثانية** اراد بمرعاها ما ياكل الناس
والانعام ونظيره قوله تعالى في النحل انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون وقال في سورة
اخرى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا الى قوله تعالى متاعا لكم ولانعامكم ذكر في هذه الاية واستعير
الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله تعالى نرتع ونلعب وقرئ يرتع من الرعي ثم قال ابن قتيبة قال تعالى وجعلنا
من الماء كل شيء حي فانظر كيف دل بقوله تعالى ماءها ومرعاها على جميع ما اخرجه من الارض قوتا ومتاعا للانعام
من العشب والشجر والحب والثمر والعصف والحطب واللباس حتى النار والملح اما النار فلا شك انه في القران قال
تعالى افرايتم النار التي تورون ءانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون واما الملح فلا شك انه متولد من الماء
فانت اذا تاملت ذلك علمت ان جميع ما يلي الناس في الدنيا ويتلذذون به فاصله الماء والنبات فلهذا السبب
يتردد في وصف الجنة ذكرهما فقال تعالى جنات تجري من تحتها الانهار ثم الذي يدل على انه تعالى اراد بالمرعى
كل ما ياكله الناس والانعام في قوله في اخر هذه الاية متاعا لكم ولانعامكم **الصفة الرابعة** قوله تعالى والجبال
ارساها والكلام في شرح منافع الجبال قد تقدم ثم انه تعالى لما بين كيفية خلقة الارض وكيفية منافعها قال
تعالى متاعا لكم ولانعامكم **واحتج** من قال ان افعال الله تعالى واحكامه معللة بالاغراض والمصالح
والكلام فيه قد مر غير مرة **واعلم** انا بينا انه تعالى انما بين كيفية خلقة السماء والارض ليستدل بها
على كونه قادرا على الحشر والنشر فلما قرر ذلك وبين امكان الحشر والنشر عقلا اخبر بعد ذلك عن وقوعه فقال تعالى
فاذا جاءت الطامة الكبرى وفيه مسئلتان **المسئلة الاولى** الطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع وفي
اشتقاقها وجوه قال المبرد اخذ فيما احسب من قولهم طم الفرس طميما اذا استفرغ جهده في الجري وطم الماء اذا ملا
النهر كله وقال الليث طم طم البير بالتراب وهو الكبس وطم السيل الركية اذا دفنها حتى يسويها ويقال للشيء الذي يكثر
حتى يعلو قد طم والطامة الحادثة التي تطم على ما سواها ومن ثم قيل فوق كل طامة طامة قال القفال اصل الطم
الدفن والعلو وكل ما غلب شيئا وقهره واخفاه فقد طمه ومنه الماء الطامي وهو الكثير الزائد والطاغي والعالي والعادي
سواء وهو الخارج عن امره المتكبر فالطامة اسم لكل داهية عظيمة ينسى ما قبلها في جنبها **الثانية** قد ظهر
بما ذكرنا ان معنى الطامة الكبرى الداهية الكبرى ثم اختلفوا في انها اي شيء هي قال قوم انها يوم القيمة لانه يشاهد
فيه من النار ومن الموقف الهائل ومن الايات الباهرة الخارجة عن العادة ما ينسى معه كل هائل قال الحسن انها
هي النفخة الثانية التي عندها يحشر الخلايق الى موقف القيامة وقال اخرون انه تعالى فسر الطامة الكبرى بقوله يوم
يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فالطامة تكون اسما لذلك الوقت فيحتمل ان يكون ذلك الوقت وقت قراءة
الكتاب على ما قال تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا ويحتمل ان يكون تلك الساعة هي الساعة التي
يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار ثم انه تعالى وصف ذلك اليوم بوصفين الاول قوله تعالى يوم يتذكر
الانسان ما سعى يعني اذا راى اعماله مدونة في كتابه تذكرها وقد كان نسيها لقوله تعالى احصاه الله ونسوه
الصفة الثانية قوله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى وفيه مسئلتان **المسئلة الاولى** قوله تعالى لمن يرى اي انها
تظهر اظهارا مكشوفا لكل ناظر ذي بصر ثم فيه وجهان احدهما انه استعارة في كونه منكشفا ظاهرا كقولهم قد
تبين الصبح لذي عينين وعلى هذا التاويل لا يجب ان يراه كل احد والمراد انه يكون ذات تدرك ليراها كل من له عين وبصر
وهذا يعني ان كل الناس يرونها من المؤمنين والكفار الا انها مكان الكفار وماواهم والمؤمنون يمرون عليها وهذا
التاويل يتاكد بقوله تعالى وان منكم الا واردها وبقوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فان قيل انه تعالى قال في سورة
الشعراء وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين فخص الغاوين بتبريزها لهم قلنا انها برزت للغاوين والمؤمنون
يرونها ايضا في الممر ولا منافاة بين الامرين **الثانية** قرا ابو نهيك وبرزت وقرا ابن مسعود لمن راى وقرا عكرمة لمن ترى
والضمير للجحيم لقوله تعالى اذا راتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد من الكفار الذين يؤذونك واعلم انه تعالى
لما وصف حال القيامة في الجملة قسم المكلفين قسمين الاشقياء والسعداء فذكر حال الاشقياء فقال فاما من طغى
واثر الحيوة الدنيا قالوا بنا فان الجحيم هي الماوى وفيه مسايل **المسئلة الاولى** في جواب قوله تعالى فاذا جاءت الطامة
الكبرى وجهان قال الواحدي انه محذوف على تقدير اذا جاءت الطامة دخل اهل النار النار واهل الجنة
الجنة ودل على هذا المحذوف ما ذكر في بيان ماوى الفريقين ولهذا كان يقول مالك بن مغول في تفسير الطامة الكبرى

قال ابنها اذا سبق اهل الجنة الى الجنة ودخل اهل النار النار والثاني ان جوابه قوله تعالى وبرزت الجحيم وقوله تعالى فان الجحيم هي الماوى وكانه جزء مركب على شرطين نظيره اذا جاء الغد فمن جاءني سائلا اعطيته كذا هاهنا اي اذا جاءت الطامة الكبرى فمن جاء طاغيا فان الجحيم ماواه السادسة منهم من قال المراد بقوله تعالى طغى واثر الحياة الدنيا النضر وابوه الحرث فان كان المراد ان هذه الاية نزلت عند صدور بعض المنكرات منه فجيد وان كان المراد تخصيصها به فلان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لا سيما اذا عرف بضرورة العقل ان الموجب لذلك الحكم هو الوصف المذكور الثالثة قوله تعالى طغى اشارة الى فساد حال القوة النظرية لان كل من عرف الله تعالى عرف حقارة نفسه وعرف استيلاء قدرة الله تعالى عليه فلا يكون له طغيان وتكبر اما قوله تعالى واثر الحيوة الدنيا اشارة الى فساد حال القوة العملية وانما ذكرنا لما روي عنه عليه السلام انه قال حب الدنيا راس كل خطيئة ومتى كان الانسان والعياذ بالله موصوف بهذين الامرين كان بالغا في الفساد الى اقصى الغايات وهو الكافر الذي يكون عقابه مخلدا وتخصيصه بهذه الحالة يدل على ان الفاسق الذي لا يكون كذلك لا يكون الجحيم له ماوى الرابعة تقدير الاية فان الجحيم هي الماوى له ثم حذف الصلة لوضوح المعنى كقولك للرجل غض الطرف اي غض طرفك وعندي فيه وجه اخر وهو ان يكون التقدير فان الجحيم هي الماوى اللايق بمن كان موصوفا بهذه الصفات والاخلاق ثم ذكر حال السعداء فقال تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى واعلم ان هذين الوصفين مضادان للوصفين اللذين وصف الله اهل النار بهما فقوله تعالى من خاف مقام ربه ضد قوله تعالى واما من طغى وقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى ضد قوله واثر الحياة الدنيا واعلم ان الخوف من الله لا بد وان يكون مسبوقا بعلم الله على ما قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولما كان الخوف من الله هو السبب المعين لدفع الهوى لا جرم قدم العلة على المعلول وكما دخل في ذينك الوصفين جميع القبايح دخل في هذين الوصفين جميع الطاعات والحسنات وقيل الايتان نزلتا في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه واعلم انه تعالى لما بين بالبرهان العقلي امكان القيامة ثم اخبر عن وقوعها ثم ذكر احوالها العامة ثم ذكر احوال الاشقياء والسعداء فيها قوله تعالى

**يسالونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها انما انت منذر من يخشاها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها**

واعلم ان المشركين كانوا يسمعون اثبات القيامة ووصفها بالاوصاف الهائلة مثل انها طامة وصاخة وقارعة فقالوا على سبيل الاستهزاء ايان مرساها ويحتمل ان يكون ذلك على سبيل الايهام لاتباعهم انه لا اصل لذلك ويحتمل انهم كانوا يسالون الرسول عن وقت القيامة استعجالا كقوله تعالى يستعجل بها الذين لا يومنون بها ثم في قوله تعالى مرساها قولان احدهما متى ارساؤها اي اقامتها ارادوا متى يقيمها الله تعالى ويوجدها ويكونها والثاني ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهي اليه ثم ان الله تعالى اجاب عنه بقوله تعالى فيم انت من ذكراها وفيه وجهان الاول معناه في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به وسبق ذلك في الزمان المعين لهم ونظيره قول القايل اذا ساله رجل عن شيء لا يليق به ما انت وهذا واي شيء لك في هذا وعن عايشة رضي الله تعالى عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسال عنها حتى نزلت هذه الاية فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كانه قيل في اي شيء انت من ذكراها والسوال عنها والمعنى انهم يسالونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسال عنها ثم قال تعالى الى ربك منتهاها اي منتهى علمها لم يوت احدا من خلقه

**الوجه الثاني** قال بعضهم فيم انكار لسوالهم اي فيم هذا السوال ثم قيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء واخر الرسل ذكر من انواع علاماتها وواحد من اقسام اشراطها وكفاهم بذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستعداد لها فلا فايدة في سوالهم عنها ثم قال تعالى انما انت منذر من يخشاها وفيه مسايل **المسالة الاولى** معنى الاية انك انما بعثت للانذار وهذا المعنى لا يتوقف على علمك بوقت قيام القيامة بل لو انصفنا لقلنا بان الانذار والتخويف انما يتمان اذا لم يكن العلم بوقت قيام القيامة حاصلا **المسالة الثانية** انه عليه السلام منذر للكل الا انه خص من يخشى لانه هو الذي ينتفع بذلك الانذار **المسالة الثالثة** قرئ منذر بالتنوين وهو الاصل قال الزجاج مثل مفعل وفاعل اذا كان كل واحد منهما لما يستقبل او للحال نونته لانه يكون بدلا من الفعل والفعل لا يكون الا نكرة ويجوز حذف التنوين لاجل التخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي فلا يجوز الا الاضافة كقولك هو منذر زيد امس ثم قال تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وتفسير هذه الاية ما ذكره في قوله تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار فان قيل فان قوله تعالى او ضحاها معناه ضحى العشية وهذا غير معقول لانه ليس للعشية ضحى قلنا الجواب عنه من وجوه احدها قال عطاء عن ابن عباس الهاء والالف صلة للكلام يريد لم يلبثوا الا عشية او ضحى وثانيها قال الفراء والزجاج المراد باضافة الضحى الى العشية اضافتها الى يوم العشية كانه قيل الا عشية او ضحى يومها والعرب تقول اتيتك العشية





اوغداتها على ما ذكرنا وثالثها ان النحويين قالوا يكفي في حسن الاضافة ادنى سبب فالضحى المتقدم على عشية صح ان يقال انه ضحى تلك العشية وزمان المحنة قد يعبر عنه بالعشية وزمان الراحة قد يعبر عنه بالضحى فالذين يحشرون في موقف القيامة يعبرون عن زمان محنتهم بالعشية وعن زمان راحتهم بالضحى فالذين يحشرون بضحى تلك العشية يقولون كان عمرنا في الدنيا ما كان الا هاتين الساعتين والله اعلم بمراده

**عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى**

في الاية مسايل **المسالة الاولى** اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لوي وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم اقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه كلامه وعبس واعرض عنه فنزلت هذه الاية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راه قال مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وفي هذا الموضع سوالات **السوال الاول** ان ابن ام مكتوم كان يستحق التاديب والزجر فكيف عاتب الله رسوله على ان ادب ابن ام مكتوم وزجره وانما قلنا انه كان يستحق التاديب لوجوه احدها انه وان كان لفقد بصره لا يرى القوم لكنه لصحة سمعه كان يسمع مخاطبة الرسول واولئك الكفار وكان يسمع اصواتهم ايضا وكان يعرف بواسطة استماع تلك الكلمات شدة اهتمام النبي عليه السلام بشانهم فكان اقدامه على قطع كلام النبي صلى الله عليه وسلم والقاء غرض نفسه في البين قبل تمام غرض النبي ايذاء للنبي عليه السلام وذلك معصية عظيمة وثانيها ان الاهم يقدم على المهم وهو كان قد اسلم وتعلم ما كان يحتاج اليه من امر الدين اما اولئك الكفار فما كانوا قد اسلموا وكان اسلامهم سببا لاسلام جمع عظيم فالقاء ابن ام مكتوم ذلك الكلام في البين كالسبب في قطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك محرم وثالثها انه تعالى قال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون فنهاهم عن مجرد النداء الا في وقت فهاهنا هذا النداء الذي صار كالصارف للكفار عن قبول الايمان وكالقاطع على الرسول اعظم مهماته اولى ان يكون ذنبا ومعصية فثبت بهذا ان الذي فعله ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية وان الذي فعله الرسول كان هو الواجب وعند هذا يتوجه السوال في انه كيف عاتبه الله تعالى على ذلك الفعل **السوال الثاني** انه تعالى عاتبه على مجرد انه عبس في وجهه وكان ذلك تعظيما من الله سبحانه لابن ام مكتوم واذا كان كذلك فكيف يليق بمثل هذا التعظيم ان يذكره باسم الاعمى مع ان ذكر الانسان بهذا الوصف يقتضي تحقير شانه جدا **السوال الثالث** الظاهر انه عليه السلام كان ماذونا في ان يعامل اصحابه على حسب ما يراه مصلحة وانه عليه السلام كثيرا كان يودب اصحابه ويزجرهم عن اشياء وكيف لا يكون كذلك وهو انه عليه السلام انما بعث ليودبهم وليعلمهم محاسن الاداب واذا كان كذلك كان ذلك التعبيس داخلا في اذن الله اياه في تاديب اصحابه كان ذلك ماذونا فيه فكيف وقعت المعاتبة عليه فهذا جملة ما يتعلق بهذا الموضع من الاشكالات **والجواب** عن السوال الاول من وجهين الاول ان الامر وان كان على ما ذكرتم الا ان ظاهر الواقعة يوهم تقديم الاغنياء على الفقراء وانكسار قلوب الفقراء فلهذا السبب حصلت المعاتبة ونظيره قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الجواب الثاني لعل هذا العتاب لم يقع على ما صدر من الرسول عليه السلام من الفعل الظاهر بل على ما كان منه في قلبه وهو ان قلبه عليه السلام كان قد مال اليهم بسبب قرابتهم وشرفهم وعلو منصبهم وكان ينفر طبعه من الاعمى بسبب عماه وعدم قرابته وقلة شرفه فلما وقع التعبيس والتولي لهذه الداعية وقعت المعاتبة لا على التاديب بل على التاديب لاجل هذه الداعية **والجواب** عن السوال الثاني ان ذكره بلفظ الاعمى ليس لتحقير شانه بل كانه قيل انه بسبب عماه استحق مزيد الرفق والرافة فكيف يليق بك يا محمد ان تخصه بالغلظة **والجواب** عن الثالث انه كان ماذونا في تاديب [اصحابه] لكن هاهنا لما اوهم تقديم الاغنياء على الفقراء وكان ذلك مما يوهم ترجيح الدنيا على الدين فلهذا السبب جاءت هذه المعاتبة **المسالة الثانية** القايلون بصدور الذنب على الانبياء تمسكوا بهذه الاية قالوا لما عاتبه الله في ذلك الفعل دل على ان ذلك الفعل كان معصية وهذا بعيد فانا قد بينا ان ذلك هو الواجب المتعين لا بحسب هذا الاعتبار الواحد وهو انه يوهم تقديم الاغنياء على الفقراء وذلك غير لايق بصلابة الرسول واذا كان كذلك كان جاريا مجرى ترك الاحتياط وترك الافضل فلم يكن ذلك ذنبا البتة **المسالة الثالثة** اجمع المفسرون على ان الذي

عبس وتولى هو الرسول واجمعوا على ان الاعمى هو ابن ام مكتوم وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة ونحوه كلح وقرئ ان جاءه منصوب بتولى او بعبس على اختلاف المذهبين في اعمال الاقرب والابعد ومعناه عبس لان جاءه الاعمى واعرض لذلك وقرئ ءان جاءه بهمزتين وبالف بينهما وقف على عبس وتولى ثم ابتدا على معنى الان جاءه الاعمى والمراد منه الانكار عليه **واعلم** ان في الاخبار عما فرط من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على ان زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجاني اذا حمي في الشكاية مواجها بالتوبيخ والزام الحجة اما قوله تعالى وما يدريك لعله يزكى ففيه قولان احدهما اي شيء يجعلك داريا بحال هذا الاعمى لعله يتطهر بما يتلقن منك من الجهل او الاثم او يتعظ فينفعه ذكراك اي موعظتك ويكون له لطفا في بعض الطاعات وبالجملة فلعل ذلك العلم الذي يتلقفه عنك يطهره عن بعض ما لا ينبغي وهو الجهل والمعصية او يشغله ببعض ما ينبغي وهو الطاعة الثاني ان الضمير في لعله للكافر يعني انك طمعت في ان يزكى الكافر بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على ان يذكر وبالنصب جوابا لعل كقوله تعالى فاطلع الى اله موسى وقد مر ثم قال تعالى اما من استغنى قال عطاء يريد عن الايمان وقال الكلبي استغنى عن الله وقال بعضهم استغنى اثرى وهو فاسد ها هنا لان اقبال النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن لثروتهم ومالهم حتى يقال له اما من اثرى فانت تقبل عليه ولانه قال واما من جاءك يسعى وهو يخشى ولم يقل وهو فقير عديم ومن قال اما من استغنى بماله فهو صحيح لان المعنى انه استغنى عن الايمان والقران بما له من المال وقوله تعالى فانت له تصدى قال الزجاج اي انت تقبل عليه وتتعرض له وتميل اليه وتقبل عليه يقال تصدى فلان لفلان يتصدى اذا تعرض له والاصل فيه تصدد يتصدد من الصدد وهو ما استقبلك وصار قبالتك وقد ذكرنا مثل هذا في قوله تعالى الا مكاء وتصدية وقرئ تصدّى بالتشديد بادغام التاء في الصاد وقرا ابو جعفر تُصدى بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدي له من الحرص والتهالك على اسلامه ثم قال تعالى وما عليك الا يزكى اي لا شيء عليك ان لا يسلم من تدعوه الى الاسلام فانه ليس عليك الا البلاغ اي لا يبلغن بك الحرص على اسلامهم ان تعرض عمن اسلم للاشتغال بدعوتهم ثم قال تعالى واما من جاءك يسعى اي يسرع في طلب الخير كقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله وهو يخشى فيه ثلاثة اوجه يخشى الله ويخافه في ان لا يهتم باداء تكاليفه او يخشى الكفار واذاهم في اتيانك او يخشى الكبوة فانه كان اعمى وما كان له قائد فانت عنه تلهى اي تتشاغل من لهي عن الشيء والتهى وتلهى وقرا طلحة بن مصرف تتلهى وقرا ابو جعفر تُلهى اي يلهيك شان الصناديد فان قيل قوله تعالى فانت له تصدى فانت عنه تلهى كان فيه اختصاصا قلنا نعم ومعناه انكار التصدي والتلهي عليه اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للغني ويتلهى عن الفقير ثم قال تعالى كلا وهو ردع عن المعاتبة عليه وعن معاودة مثله قال الحسن لما تلا جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الايات عاد وجهه كانما سف فيه الرماد ينتظر ماذا يحكم الله عليه فلما قال كلا سري عنه اي لا تفعل مثل ذلك وقد بينا نحن ان ذلك محمول على ترك الاولى ثم قال تعالى انها تذكرة وفيه سؤالات الاول قوله انها ضمير المؤنث وقوله تعالى فمن شاء ذكره ضمير المذكر والضميران عائدان الى شيء واحد فكيف القول فيه الجواب فيه وجهان الاول ان قوله انها ضمير المؤنث قال مقاتل يعني ايات القران وقال الكلبي يعني هذه السورة وهو قول الاخفش والضمير في قوله تعالى فمن شاء ذكره عائد الى التذكرة ايضا لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ الثاني قال صاحب النظم انها تذكرة يعني به القران والقران مذكر الا انه لما جعل القران تذكرة اخرجه على لفظ التذكرة ولو ذكره لجاز ثم قال في موضع اخر كلا انه تذكرة والدليل على ان قوله تعالى انها تذكرة المراد به القران قوله تعالى فمن شاء ذكره السؤال الثاني كيف اتصال هذه الاية بما قبلها الجواب من وجهين الاول كانه قيل هذا التاديب اوحيته وعرفته لك في اجلال الفقراء وعدم الالتفات الى اهل الدنيا مثبت في اللوح المحفوظ الذي وكل بحفظه اكابر الملائكة الثاني كانه قيل هذا القران قد بلغ في العظمة الى هذا الحد العظيم فاي حاجة به الى ان يقبله هؤلاء الكفار فسواء قبلوه او لم يقبلوه فلا تلتفت اليهم ولا يشغلك قلبك بهم واياك وان تعرض عمن امن به تطييبا لقلب ارباب الدنيا اما قوله تعالى فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة **اعلم** انه تعالى وصف تلك التذكرة بامرين الاول قوله تعالى فمن شاء ذكره اي هي تذكرة بينة ظاهرة بحيث لو ارادوا فهمها والاتعاظ بها والعمل بموجبها لقدروا عليها والثاني قوله تعالى في صحف مكرمة اي تلك التذكرة مودعة في هذه الصحف المكرمة والمراد من ذلك تعظيم حال القران والتنويه بذكره والمعنى ان هذه التذكرة مثبتة في صحف ثم في المراد من الصحف قولان الاول انها صحف منتسخة من اللوح فكرمه عند الله مرفوعة في السماء السابعة اي مرفوعة المقدار مطهرة عن ايدي الشياطين او المراد مطهرة بسبب انها لا يمسها الا المطهرون وهم الملائكة ثم قال تعالى بايدي سفرة كرام بررة وفيه مسئلتان

المسئلة الاولى



**المسئلة الاولى** ان الله تعالى وصف الملائكة بثلاثة انواع من الصفات اولها انها سفرة وفيه قولان الاول قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقتادة هم الملائكة من الكتبة قال الزجاج السفرة الكتبة واحدها سافر مثل كتبة وكاتب وانما قيل للكتاب سفر وللكاتب سافر لان معناه انه يبين الشيء ويوضحه يقال سفرت المراة اذا كشفت عن وجهها القول الثاني وهو اختيار الفراء ان السفرة ها هنا هم الملائكة الذين يسفرون بالوحي بين الله تعالى وبين رسله واحدها سافر والعرب تقول سفرت بين القوم اذا اصلحت بينهم فجعلت الملائكة اذا نزلت بوحي الله تعالى وتاديبه كالسفير الذي يصلح بين القوم وانشدوا وما ادع السفارة بين قومي وما امشي بغش ان مشيت **واعلم** ان اصل السفارة من الكشف والكاتب انما سمي سافرا لانه يكشف والسفير انما سمي سفيرا ايضا لانه يكشف وهؤلاء الملائكة لما كانوا وسائط بين الله تعالى وبين البشر في البيان والهداية والعلم لا جرم انهم سموا سفرة الصفة الثانية لهؤلاء الملائكة انهم كرام قال مقاتل كرام على ربهم وقال عطاء يريد انهم يتكرمون ان يكونوا مع ابن ادم اذا خلا مع زوجته للجماع وعند قضاء الحاجة الثالثة انهم بررة قال مقاتل مطيعين وبررة جمع بار قال الفراء لا يقولون فعلة للجمع الا والواحد منه فاعل مثل كافر وكفرة وفاجر وفجرة القول الثاني في تفسير الصحف انها هي صحف الانبياء لقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى معناه ان هذه التذكرة مثبتة في صحف الانبياء المتقدمين والسفرة الكرام البررة هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم القراء الثانية قوله تعالى مطهرة بايدي سفرة يقتضي ان طهارة تلك الصحف انما حصلت بايدي هؤلاء السفرة فقال القفال في تقريره لما كان لا يمسها الا الملائكة المطهرون اضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها اما قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره فيه مسائل **المسئلة الاولى** اعلم انه تعالى لما بدا بذكر القصة المشتملة على ترفع صناديد قريش على فقراء المسلمين عجب عباده المؤمنين من ذلك فكانه قيل واي سبب في هذا العجب والترفع مع ان اوله نطفة مذرة واخره جيفة قذرة وفيما بين الوقتين حمال عذرة فلا جرم ذكر تعالى ما يصلح ان يكون علاجا لعجبهم وما يصلح ان يكون علاجا لكفرهم فان خلقة الانسان تصلح ان يستدل بها على وجود الصانع ولان يستدل بها على القول بالبعث والحشر والنشر الثانية قال المفسرون نزلت الاية في عتبة بن ابي لهب وقال اخرون المراد بالانسان الذين اقبل الرسول عليهم وترك ابن ام مكتوم بسببهم وقال اخرون بل المراد ذم كل غني ترفع على فقير بسبب الغنى والفقر والذي يدل على ذلك وجوه احدها انه تعالى اغاظهم لترفعهم فوجب ان يعم الحكم بسبب عموم العلة وثانيها انه تعالى انطق بعمهم بسبب حقارة حال الانسان في الابتدا والانتها على ما قال من نطفة خلقه ثم اماته فاقبره وعموم هذا الوصف يقتضي عموم الحكم وثالثها وهو ان حمل اللفظ على هذا الوجه اكثر فائدة واللفظ محتمل له فوجب حمله عليه الثالثة قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره دعاء عليه وهو من اشنع دعواتهم لان القتل غاية شدائد الدنيا وما اكفره تعجب من افراطه في كفران نعمة الله بقوله قتل الانسان تنبيه على انهم استحقوا اعظم انواع الصفات اما قوله تعالى ما اكفره تنبيه على انهم اتصفوا باعظم انواع القبائح والمنكرات فان قيل الدعاء على الانسان انما يليق بالعاجز فالقادر على الكل كيف يليق به ذلك والتعجب ايضا انما يليق بالجاهل بسبب الشيء فالعالم بالكل كيف يليق به ذلك الجواب ان ذلك ورد على اسلوب كلام العرب وتحقيقه ما ذكرنا انه تعالى بين انهم استحقوا اعظم انواع العقاب لاجل انهم اتوا باعظم انواع القبائح واعلم ان كل محدث ثلاث مراتب اوله ووسطه واخره وانه تعالى ذكر هذه المراتب الثلاث للانسان اما المرتبة الاولى فهي قوله تعالى من اي شيء خلقه وغرضه زيادة التقرير في التحقير ثم اجاب عن ذلك الاستفهام بقوله تعالى من نطفة خلقه ولا شك ان النطفة شيء حقير مهين والغرض منه ان من كان اصله مثل هذا الشيء الحقير فالتكبر والتجبر لا يكون لائقا به ثم قال تعالى فقدره وفيه وجوه احدها قال الفراء قدره اطوارا نطفة ثم علقة الى اخر خلقه وذكرا وانثى شقيا وسعيدا وثانيها قال الزجاج المعنى فقدره على الاستواء كما قال تعالى اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا وثالثها يحتمل ان يكون المراد وقدر كل عضو في الكمية والكيفية بالقدر اللائق بمصلحته ونظيره قوله تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديرا واما المرتبة الثانية فهي المرتبة المتوسطة وهي قوله تعالى ثم السبيل يسره وفيه مسئلتان الاولى ذكروا في تفسيره اقوالا احدها قال بعضهم المراد تسهيل خروجه من بطن امه قالوا انه كان راس المولود في بطن امه من فوق ورجليه من تحت فاذا جاء وقت الخروج انقلب فمن الذي اعطاه ذلك الالهام ومما يؤكد هذا التاويل ان خروجه حيا من ذلك المنفذ الضيق من اعجب العجائب وثانيها قال ابو مسلم المراد من هذه الاية هو المراد من قوله تعالى وهديناه النجدين فهو بيننا له التمييز بين كل خير وشر يتعلق بالدنيا وبين كل خير وشر يتعلق بالدين اي جعلناه متمكنا من سلوك سبيل الخير والشر والتيسير يدخل فيه الاقدار والتعريف والعقل وبعثة الانبياء وانزال الكتب وثالثها ان هذا مخصوص بامر الدين لان لفظ السبيل مشعر بان المقصود من احوال الدنيا امور تحصل في الاخرة واما المرتبة الثالثة وهي المرتبة الاخيرة فهي قوله تعالى ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره **واعلم** ان هذه المرتبة الثالثة مشتملة ايضا على ثلاث مراتب الاماتة والاقبار والانشار اما الاماتة فقد ذكرنا منافعها في هذا الكتاب ولا شك

انما هي الواسطة في حال التكليف والمجازاة واما الاقبار فقال الفرا جعله الله تعالى مقبورا ولم يجعله ملقى للطير
والسباع وكان القبر مما اكرم به المسلم قال ولم يقل فقبره لان القابر هو الدافن بيده والمقبر هو الله تعالى يقال قبر الميت
اذا دفنه واقبر الميت اذا امر غيره بان يجعله في القبر والعرب تقول بترت ذنب البعير والله ابتره وعضبت قرن
الثور والله اعضبه وطردت فلانا عني والله اطرده اي صيره طريدا وقوله تعالى ثم اذا شاء انشره والمراد منه الاحيا
والبعث وانما قال اذا شاء اشعارا بان وقته غير معلوم فتقديمه وتاخيره الى مشية الله تعالى واما ساير الاحوال المذكورة
قبل ذلك فانه يعلم اوقاتها من بعض الوجوه اذ الموت وان لم يعلم المرء وقته ففي الجملة يعلم انه لا يتجاوز فيه الا الى حد معلوما
اما قوله تعالى كلا لما يقض ما امره واعلم ان قوله تعالى كلا ردع للانسان عن تكبره وترفعه اي عن كفره واصراره على انكار
التوحيد وعلى انكار البعث والحشر والنشر وفي قوله تعالى لما يقض ما امره وجوه احدها قال مجاهد لا يقضي احد جميع ما كان
مفروضا عليه ابدا وهو اشارة الى ان الانسان لا ينفك عن تقصير البتة وهذا التفسير عندي فيه نظر لان قوله تعالى لما
يقض الضمير فيه عايد الى المذكور السابق وهو الانسان في قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره وليس المراد من الانسان هاهنا جميع الانسان
بل الانسان الكافر فكيف يمكن حمل قوله تعالى لما يقض على جميع الانسان وثانيها ان يكون المعنى ان ذلك الانسان المترفع المتكبر
لم يقض ما امره به من ترك التكبر او المعنى ان ذلك الانسان الكافر لم يقض ما امره به من التامل في دلايل الله تعالى والتدبر
في عجايب خلقه وبينات حكمته وثالثها قال الاستاذ ابو بكر ابن فورك كلا لما يقض الله لهذا الكافر ما امره به من الايمان
وترك التكبر بل امره بما لم يقض له به واعلم ان عادة الله تعالى جارية في القران بانه كلما ذكر الدلايل الموجودة في الافاق
فيجري هاهنا على تلك العادة وذكر دلايل الافاق وبدا بما يحتاج الانسان اليه فقال تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الذي
يعيش به كيف دبرنا امره ولا شك انه موضع الاعتبار فان الطعام الذي يتناوله الانسان له حالتان احداهما
متقدمة وهي الامور التي لا بد منها حتى يدخل ذلك الطعام في الوجود والثانية متاخرة وهي الامور التي لا بد منها في بدن
الانسان حتى يحصل الانتفاع بذلك الطعام الماكول ولما كان النوع الاول اظهر للحس وابعد عن الشبهة لا جرم اكتفى الله تعالى
بذكرها لان دلايل القران لا بد وان تكون كاملة وان تكون بحيث ينتفع بها كل الخلق فلا بد وان يكون ابعد عن اللبس والشبهة واعلم ان النبت
انما يحصل من المطر النازل من السما الواقع في الارض والسما كالذكر والارض كالانثى فذكر في بيان نزول المطر قوله انا صببنا
الما صبا وفيه مسلتان **المسئلة الاولى** في قوله تعالى انا صببنا المراد منه الغيث ثم اقرأ فانه كيف حدث الغيث
المشتمل على هذه المياه العظيمة وكيف بقي معلقا في جو السما مع غاية ثقله وتامل في اسبابه البعيدة والقريبة حتى
يلوح لك شي من انوار نور الله في عدله وحكمته وفي تدبير خلق هذا العالم **المسئلة الثانية** قرى انا بالكسر وهو
على الاستيناف وانا بالفتح على البدل من الطعام والتقدير فلينظر الانسان الى انا كيف صببنا الما قال ابو علي من قرا
بالكسر كان ذلك تفسيرا للنظر الى طعامه كما ان قوله تعالى لهم مغفرة تفسير للوعد ومن فتح فعلى معنى البدل بدل الاشتمال
لان هذه الاشيا تشتمل على كون الطعام وحدوثه فهو كقوله تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه وقوله تعالى قتل اصحاب
الاخدود النار وقوله تعالى ثم شققنا الارض شقا والمراد شق الارض بالنبات ثم ذكر تعالى ثمانية انواع من النبات
اولها الحب وهو كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما وانما قدم ذلك لانه كالاصل في الاغذية وثانيها
العنب وانما ذكره بعد الحب لانه غذا من وجه وفاكهة من وجه وثالثها القضب وفيه قولان الاول انها الرطبة وهي التي اذا يبست
سميت بالقت واهل مكة يسمونها بالقضب واصله من القطع وذلك لانه يقضب مرة بعد اخرى كذلك القضيب
لانه يقضب اي يقطع وهذا قول ابن عباس والضحاك ومقاتل واختيار الفرا وابي عبيدة والاصمعي الثاني قال
المبرد القضب هو العلف بعينه واصله من انه يقضب اي يقطع وهذا قول الحسن والرابع والخامس الزيتون
والنخل ومنافعهما قد تقدم في هذا الكتاب وسادسها قوله تعالى وحدايق غلبا الاصل في الوصف بالغلب الرقاب
فالغلب الغلاظ الاعناق الواحد اغلب يقال اسد اغلب ثم هاهنا قولان الاول ان يكون المراد وصف كل حديقة
بان اشجارها متكاثفة متقاربة وهذا قول مجاهد ومقاتل قالا الغلب الملتفة الشجر بعضه في بعض يقال
اغلولب العشب واغلولبت الارض اذا التف عشبها والثاني ان يكون المراد كل واحد من الاشجار بالغلظ والعظم
قال عطا عن ابن عباس يريد الشجر العظام وقال الفرا الغلب ما غلظ من النخل وسابعها قوله تعالى وفاكهة وقد
استدل بعضهم بان الله تعالى لما ذكر الفاكهة معطوفة على العنب والزيتون والنخل وجب ان لا تدخل هذه الاشيا
في الفاكهة وهذا قريب من جهة الظاهر لان المعطوف مغاير للمعطوف عليه وثامنها الاب وهو المرعى قال صاحب
الكشاف لانه يوب اي يوم وينتجع والاب والام اخوان قال حدثنا قيس وقيل الاب الفاكهة اليابسة لانها
توب للشتا اي تعد ولما ذكر الله تعالى ما يتغذى به الناس والحيوان قال متاعا لكم ولانعامكم اي انا خلقناه
منفعة ومتعة لكم ولانعامكم وقال الزجاج هو منصوب لانه مصدر موكد لقوله تعالى فانبتنا لان انباته
هذه الاشيا امتاع لجميع الحيوان واعلم انه تعالى لما ذكر هذه الاشيا وكان المقصود منها امورا ثلاثة اولها الدلالة
على التوحيد وثانيها الدلايل الدالة على القدرة على المعاد وثالثها ان هذا الاله الذي احسن الى عبده بهذه الانواع
العظيمة من الاحسان لا يليق بالعاقل ان يتمرد عن طاعته وان يتكبر على عبيده اتبع هذه الجملة بما يكون توكيدا لهذه





الاعراض وهو شرح احوال يوم القيمة فان الانسان اذا سمعها يخاف فيدعوه ذلك الخوف الى التامل في الدلايل
والايمان بها والاعراض عن الكفر ويدعوه ذلك ايضا الى ترك التكبر على الناس والى اظهار التواضع لكل احد فلا جرم
ذكر القيامة فقال فاذا جاءت الصاخة قال المفسرون يعني صيحة القيامة وهي النفخة الاخيرة قال الزجاج
اصل الصخ في اللغة الطعن والصك يقال صخ راسه بحجر اي شدخه والغراب يصخ بمنقاره في دبر البعير
اي يطعن فمعنى الصاخة الصاكة لشدة صوتها للاذن وذكر صاحب الكشاف وجها اخر فقال يقال صخ لحديثه
مثل اصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها اي يستمعون ثم انه تعالى
وصف ذلك الهول بقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وفيه مسلتان **المسئلة الاولى**
يحتمل ان يكون المراد من الفرار ما يشعر به ظاهره وهو التباعد والاحتراز والسبب في ذلك الفرار الاحتراز
عن المطالبة بالتبعات تقول الاخ ما واسيتني بمالك والابوان يقولان قصرت في برنا والصاحبة
تقول اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون يقولون ما علمتنا وما ارشدتنا وقيل اول من يفر من اخيه
هابيل ومن ابويه ابراهيم عليه السلام ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح ويحتمل ان يكون المراد من الفرار
ليس هو التباعد بل المعنى انه يوم يفر المرء من موالاة اخيه لاهتمامه بشانه وهو كقوله تعالى اذ تبرا الذين
اتبعوا من الذين اتبعوا واما الفرار من نصرته وهو كقوله تعالى يوم لا يغني مولى عن مولى شيا واما ترك
السوال فهو كقوله تعالى ولا يسئل حميم حميما **المسئلة الثانية** المراد ان الذي كان المرء في دار الدنيا يفر اليهم
ويستجير بهم فانه يفر منهم في دار الاخرة ذكروا في فايدة الترتيب كانه قيل يوم يفر المرء من اخيه بل من ابويه
فانهما اقرب من الاخوين بل من الصاحبة والولد لان تعلق القلب بهما اشد من تعلقه بالابوين ثم انه
تعالى لما ذكر هذا الفرار اتبعه بذكر سببه فقال تعالى لكل امرئ منهم يوميذ شان يغنيه وفي قوله تعالى
يغنيه وجهان الاول قال ابن قتيبة يغنيه اي يصرفه ويصده عن قرابته وانشد سيغنيك حرب بني مالك
عن الفحش والجهل في المحفل اي سيشغلك ويقال اغن عني وجهك اي اصرفه قال اهل المعاني يغنيه اي ذلك الهم الثاني
الذي بسبب خاصة نفسه قد ملا صدره فلا يبقى فيه متسع لهم اخر فصار شبيها بالغني جمع عنده من ذلك
المملوك شي كثير **واعلم** انه تعالى لما ذكر حال احوال يوم القيامة في الهول بين ان المكلفين فيه على قسمين منهم
السعدا ومنهم الاشقيا فوصف السعدا بقوله تعالى وجوه يوميذ مسفرة ضاحكة مستبشرة مسفرة
مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضا وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قيام الليل لما روي من كثرة صلاته بالليل
حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من اثار الوضو وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله تعالى وعندي انه بسبب
الخلاص عن علايق الدنيا والاتصال بعالم القدس ومنازل الرضوان والوجوه ضاحكة قال الكلبي يعني بالفراغ من
الحساب مستبشرة فرحة بما نال من كرامة الله تعالى ورضاه **واعلم** ان قوله تعالى مسفرة اشارة الى الخلاص
عن هذا العالم وتبعاته واما الضاحكة والمستبشرة فهما محمولتان على القوة النظرية والعملية او على وجدان المنفعة
ووجدان التعظيم ووجوه يوميذ عليها غبرة قال المبرد الغبرة ما يصيب الانسان من الغبار وقوله تعالى ترهقها
قترة اي يدركها عن قرب كقولك رهقت الجبل اذا لحقته بسرعة والرهق عجلة الهلاك والقترة سواد كالدخان
ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى وجوه الزنوج اذا اغبرت وكان الله جمع في وجوههم
بين السواد والغبرة كما جمعوا بين الكفر والفجور والله اعلم **واعلم** ان المرجية والخوارج تمسكوا بهذه الاية
اما المرجية فقالوا هذه الاية دلت على ان اهل القيامة قسمين اهل الثواب واهل العقاب ودلت على ان
اهل العقاب هم الكفرة وثبت بالدليل ان الفساق من اهل الصلوة ليسوا بكفرة واذا لم يكونوا من الكفرة كانوا
من اهل الثواب وذلك يدل على ان صاحب الكبيرة من اهل الصلاة ليس له عقاب واما الخوارج فانهم قالوا
دلت ساير الدلايل على ان صاحب الكبيرة يعاقب ودلت هذه الاية على ان من يعاقب فانه كافر فثبت
ان كل مذنب فهو كافر والجواب اكثر ما في الباب ان المذكور هاهنا هذان الفريقان
وذلك لا يقتضي نفي الفريق الثالث والله اعلم بمراده

**اذا الشمس كورت** **اعلم** انه تعالى ذكر اثني عشر شيا وقال اذا وقعت هذه الاشيا فهنالك علمت نفس ما احضرت
الاول قوله تعالى اذا الشمس كورت في التكوير وجهان احدهما التلفيف على وجه الاستدارة كتكوير العمامة
وفي الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من التشتت بعد الالفة والطي واللف والكور والتكوير واحد
وسميت كارة القصار كارة لانه يجمع ثيابه في ثوب واحد ثم ان الشي الذي يلف لا شك انه يصير مختفيا
عن الاعين فعبر عن ازالة النور عن جرم الشمس وتصييرها غايبة عن الاعين بالتكوير فلهذا قال بعضهم

كورت اى طمست وقال اخرون انكسفت وقال الحسن محى ضوؤها وقال مفضل بن سلمة كورت اى ذهب ضوؤها كانها
سترت فى كارة **الوجه الثانى** ان التكوير يقال كورت الحايط ودهورته حتى سقط فقوله تعالى
اذا الشمس كورت اى القيت ورميت عن الفلك وفيه قول ثالث يروى عن عمر انها لفظة ماخوذة من
الفارسية فانه يقال للاعمى كور وههنا سؤالان **السؤال الاول** ارتفاع الشمس على الابتداء او الفاعلية
الجواب بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط **السؤال الثانى**
روى ان الحسن جلس بالبصرة الى ابى سلمة بن عبد الرحمن فحدث عن ابى هريرة انه قال ان الشمس والقمر ثوران يكوران فى النار يوم
القيامة فقال الحسن وما ذنبهما فقال انما احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكت الحسن والجواب ان السؤال ساقط
لان الشمس والقمر جمادان فالقاؤهما الله فى النار لا يكون سببا لمضرتهما ولعل ذلك يصير سببا لازدياد الحر فى جهنم
فلا يكون هذا الخبر على خلاف العقل الثانى قوله تعالى واذا النجوم انكدرت اى تناثرت وتساقطت كما قال تعالى
واذا الكواكب انتثرت والاصل فى الانكدار الانصباب قال الخليل انكدر عليهم القوم اذا جاؤوا ارسالا فانصبوا عليهم
قال الكلبى تمطر السماء يومئذ نجوما فلا يبقى نجم فى السماء الا وقع على وجه الارض قال عطاء وذلك انها فى قناديل معلقة
بين السماء والارض بسلاسل من نور وتلك السلاسل فى ايدى الملائكة الثالث قوله تعالى واذا الجبال سيرت عن
وجه الارض لقوله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا اى عن وجه الارض كقوله تعالى وهى تمر مر السحاب الرابع قوله تعالى
واذا العشار عطلت فيه قولان القول المشهور ان العشار جمع عشراء كالنفاس فى جمع نفساء وهى التى اتى عليها عشرة اشهر ثم
هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهى انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليهم قال ابن عباس اهملها اهلها لما جاءهم من
اهوال يوم القيامة وليس شىء احب الى العرب من النوق الحوامل وخوطب العرب بامر العشار لان اكثر مالها وعيشها من
الابل والغرض من ذلك ذهاب الاموال وبطلان الاملاك واشتغال الناس بانفسهم كما قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون
وقال تعالى لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة والقول الثانى ان العشار كناية عن السحاب تعطلت عما فيها من الماء
وهذا وان كان مجازا الا انه اشبه لسائر ما قبله وايضا فالعرب تشبه السحاب بالحامل قال تعالى فالحاملات وقرا
الخامس قوله تعالى واذا الوحوش حشرت كل شىء من ذوات الارض مما لا يستانس فهو وحشى والجمع الوحوش حشرت وجمعت من
كل ناحية قال قتادة يحشر كل شىء حتى الذباب للقصاص قالت المعتزلة ان الله تعالى يحشر الحيوانات كلها فى ذلك اليوم
ليعوضها عن الامها التى وصلت اليها فى الدنيا بالموت والقتل وغير ذلك فاذا عوضت عن تلك الالام فان شاء الله
ان يبقى بعضها فى الجنة اذا كان مستحسنا فعل وان شاء ان يفنيه افناه على ما جاء به الخبر واما اصحابنا فان عندهم
لا يجب على الله شىء بحكم الاستحقاق ولكنه تعالى يحشر الوحوش كلها فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها موتى فتموت والغرض
من ذكر هذه القصة وجوه احدها انه تعالى اذا كان يحشر كل الحيوانات اظهارا للعدل فكيف يجوز مع هذا ان لا يحشر
المكلفين من الانس والجن الثانى انها تجتمع فى موقف القيامة مع شدة نفرتها عن الناس فى الدنيا وتبددها
فى الصحارى فدل هذا على ان اجتماعها الى الناس ليس الا من هول ذلك اليوم والثالث ان هذه الحيوانات بعضها اعداء
لبعض ثم انها فى ذلك اليوم تجتمع ولا يتعرض بعضها لبعض وما ذاك الا لشدة هول ذلك اليوم وفى الاية قول اخر لابن عباس
وهو ان حشر الوحوش عبارة عن موتها يقال اذا اجحفت السنة بالناس واموالهم حشرتهم السنة وقرئ حشرت بالتشديد
السادس قوله تعالى واذا البحار سجرت قرئ بالتشديد والتخفيف وفيه وجوه احدها ان اصل الكلمة من سجرت التنور
اذا اوقدتها والشىء اذا اوقد فيه نشف ما فيه من الرطوبة فحينئذ لا يبقى فى البحار شىء من المياه البتة ثم ان
الجبال قد سيرت على ما قال وسيرت الجبال وحينئذ تصير البحار والارض شيئا واحدا فى غاية الحرارة والاحتراق ويحتمل
ان يكون الارض لما نشفت مياه البحار ربت فارتفعت فاستوت برؤوس الجبال ويحتمل ان الجبال لما اندكت وتفرقت
اجزاؤها وصارت كالتراب وقع ذلك التراب فى اسفل الجبال فصار وجه الارض مستويا مع البحار ويصير
الكل بحرا مسجورا وثانيها ان يكون سجرت بمعنى فجرت وذلك لان بين البحرين حاجزا على ما قال تعالى مرج البحرين يلتقيان
بينهما برزخ لا يبغيان فاذا رفع الله ذلك الحاجز فاض البعض على البعض وصارت البحار بحرا واحدا وهو قول
الكلبى وثالثها سجرت اى مدت قال القفال وهذا التاويل يحتمل وجوها احدها ان تكون جهنم فى قعور البحار فهى الان
غير مسجورة لقوام الدنيا فاذا انتهت مدة الدنيا اوصل الله تاثير تلك النيران الى البحار فصارت بالكلية مسجورة
والثانى ان الله تعالى يلقى الشمس والقمر والكواكب فى البحار فتصير البحار مسجورة بسبب ذلك والثالث يخلق الله تعالى
تحت البحار نيرانا عظيمة حتى تسخن تلك المياه واقول هذه الوجوه متكلفة فلا حاجة الى شىء منها لان القادر
على تخريب الدنيا لا بد وان يكون قادرا على ان يفعل بالبحار ما شاء من تسخين مياهها ومن قلب مياهها نيرانا
من غير حاجة منه الى ان يلقى فيها الشمس والقمر او يكون تحتها نار جهنم **واعلم** ان هذه العلامات الستة
ممكن وقوعها فى اول زمان تخريب الدنيا ويمكن وقوعها ايضا بعد اقامة القيامة وليس فى اللفظ ما يدل على احد الاحتمالين
اما الستة الباقية فانها مختصة بالقيامة السابع قوله تعالى واذا النفوس زوجت وفيه وجوه احدها قرنت
الارواح بالاجساد وثانيها قال الحسن يصيرون فيها ثلاثة ازواج كما قال تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة فاصحاب الميمنة





ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة والسابقون السابقون وثالثها انه يضم الى كل صنف من كان
فى طبقته من الرجال والنساء فيضم المبرز فى الطاعات الى مثله والمتوسط الى مثله واهل المعصية الى مثله فالتزويج
ان يقرن الشىء بمثله والمعنى ان يضم كل واحد الى طبقته من الخير والشر ورابعها يضم كل رجل الى من كان يلزمه من ملك
وسلطان كما قال تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم قيل قرناءهم من الشياطين وخامسها قال ابن عباس زوجت نفوس
المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وسادسها كل امرئ بشيعته اليهود باليهود
والنصارى بالنصارى وقد ورد فيه خبر مرفوع وسابعها قال الزجاج قرنت النفوس باعمالها واعلم انك اذا تاملت
فى الاقوال التى ذكرناها امكنك ان تزيد عليها ما شئت الثامن قوله تعالى واذا الموءودة سئلت باى ذنب قتلت
فيه مسائل **المسئلة الاولى** الواد دفن مقلوب من الاد يؤود اذا اثقل قال تعالى ولا يؤوده حفظهما لانه كان الرجل
اذا ولدت له بنت فاراد بقاءها البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم فى البادية وان اراد قتلها
تركها حتى اذا بلغت قامتها ستة اشبار فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر لها
بئرا فى الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظرى فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى يستوى البئر بالارض
وقيل كانت الحامل اذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على راس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها فى الحفرة وان ولدت ابنا
امسكته وههنا سؤالات السؤال الاول ما الذى حملهم على وأد البنات الجواب الخوف من لحوق العار بهم من اجلهن والخوف
من الاملاق كما قال تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وكانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فالحقوا البنات بالملائكة
وكان صعصعة بن ناجية ممن منع الواد فافتخر الفرزدق به فى قوله ومنا الذى منع الوائدات واحيا الوئيد فلم يوأد
السؤال الثانى ما معنى سؤال الموءودة عن ذنبها الذى قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها الجواب سؤالها
وجوابها تبكيت لقاتلها كتبكيت النصارى فى قوله لعيسى أانت قلت للناس اتخذونى الى قوله سبحانك ما يكون لى ان
اقول ما ليس لى بحق **المسئلة الثانية** قرئ سالت اى خاصمت عن نفسها وسالت الله او قاتلها وقرئ قتلت
بالتشديد فان قيل اللفظ المطابق ان يقال سئلت باى ذنب قتلت ومن قرا سالت فالمطابق ان يقرا باى ذنب
قتلت والوجه فى القراءة المشهورة قلنا الجواب من وجهين الاول تقرير الاية واذا الموءودة سئلت عن [illegible]
باى ذنب قتلت والثانى ان الانسان قد يسال عن حال غيره بلفظ المخاطبة اذا اردت ان تسال زيدا عن
حال من احواله فتقول له ماذا فعل زيد وفى ذلك المعنى يكون زيد هو المسئول والمسئول عنه فكذا ههنا التاسع
قوله تعالى واذا الصحف نشرت وقرئ بالتشديد والتخفيف يريد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان
عند موته ثم تنشر اذا حوسب ويجوز ان يراد نشرت بين اصحابها اى فرقت بينهم العاشر قوله تعالى واذا السماء
كشطت اى نسفت وازيلت عما فوقها وهو الجنة وعرش الله كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء
عن الشىء وقرا ابن مسعود قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور
قال الفراء نزعت وطويت الحادى عشر واذا الجحيم سعرت اى اوقدت ايقادا شديدا وقرئ سعرت بالتشديد للمبالغة
من سعيرها غضب الله وخطايا بنى ادم واحتج بهذه الاية من قال النار غير مخلوقة الان قالوا لانه يدل على
ان تسعيرها معلق بيوم القيامة الثانى عشر واذا الجنة ازلفت اى ادنيت من المتقين كقوله تعالى وازلفت الجنة
للمتقين ولما ذكر الله تعالى هذه الامور الاثنى عشر ذكر الجزاء المرتب على الشرط الذى هو مجموع هذه الاشياء
فقال تعالى علمت نفس ما احضرت ومعلوم ان العمل لا يمكن احضاره فالمراد اذا ما احضرته فى صحائفها وما احضرته
عند المحاسبة وعند الميزان من اثار تلك الاعمال اى المراد ما احضرت من استحقاق الجنة والنار فان قيل كل نفس تعلم ما احضرت
لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا فما معنى قوله علمت نفس الجواب من وجهين الاول ان هذا هو
عكس كلامهم الذى يقصدون به الافراط وان كان اللفظ موضوعا للقليل ومنه قوله تعالى ربما يود الذين
كفروا كمن يسال فاضلا مسئلة ظاهرة ويقول هل عندك فيها شىء فيقول ربما حضر وغرضه الاشارة الى
ان عنده فى تلك المسئلة ما لا يقول به غيره فكذا ههنا الثانى لعل الكفار كانوا يتعبون انفسهم فى الاشياء
التى يعتقدونها طاعات ثم بدا لهم يوم القيمة خلاف ذلك فهذا هو المراد من هذه الاية والله تعالى اعلم

**قوله تعالى** فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون ولقد راه بالافق المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين

الكلام فى قوله لا اقسم قد تقدم فى قوله لا اقسم بيوم القيامة اما
الخنس الجوار الكنس ففيه قولان القول الاول وهو المشهور الظاهر انها النجوم والخنس جمع خانس والخنوس
الانقباض والاستخفاء تقول خنس من بين القوم وانخنس وفى الحديث الشيطان يوسوس الى العبد فاذا ذكر الله
تعالى خنس اى انقبض منه وكذلك سمى الخناس والكنس جمع كانس وكانسة يقال كنس اذا دخل الكناس وهو

نفر الوحش يقال لبيت الظبا في كنسها وكنست المراة اذا دخلت هودجها تشبيها بالظبي اذا دخل الكناس ثم اختلفوا
في خنوس النجوم وكنوسها على ثلاثة اوجه فالقول الاظهر ان ذلك الاشارة الى رجوع الكواكب الخمسة السيارة
واستقامتها ورجوعها هو الخنوس وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس ولا شك ان هذه حالة عجيبة وفيها
اسرار عظيمة باهرة والقول الثاني ما روي عن علي رضي الله عنه وعطا ومقاتل وقتادة انها هي جميع الكواكب
وخنوسها عبارة عن غيبوبتها عن البصر في النهار وكنوسها عبارة عن ظهورها للبصر في الليل اي تظهر في
اماكنها كالوحوش في كنسها والقول الثالث ان السبعة السيارة تختلف مطالعها ومغاربها على ما قال تعالى برب المشارق
والمغارب ولا شك ان لها مطلعا واحدا ومغربا واحدا واحدهما اقرب المطالع الى سمت رووسنا ثم انها تاخذ في التباعد
من ذلك المطلع الى ساير المطالع طول السنة ثم ترجع اليه فخنوسها عبارة عن تباعدها عن ذلك المطلع وكنوسها عبارة
عن عودها اليه فهذا محتمل فعلى القول الاول يكون القسم واقعا بالخمسة المتحيرة وعلى القول الثاني يكون القسم واقعا
بجميع الكواكب وعلى هذا الاحتمال الذي ذكرته يكون القسم واقعا بالسبعة السيارة القول الثاني ان الخنس الجوار الكنس هو قول
ابن مسعود والنخعي البقر الوحش وقال سعيد بن جبير الوحش على هذه الصفة الكنس جمع كانس وهو الذي يدخل الكناس
والقول هو الاول والدليل عليه امران الاول انه قال بعد ذلك والليل اذا عسعس وهذا بالنجوم اليق منه بقر
الوحش والثاني ان محل قسم الله كلما كان اعظم واعلى رتبة كان اولى ولا شك ان الكواكب اعلى رتبة من بقر الوحش
والثالث ان الخنس جمع خانس من الخنوس والخنس من الخنس خنس بالسكون والتخفيف ولا يقال الخنس فيه
بالتشديد الا ان يجعل الخنس في الوحشة ايضا من الخنوس وهو اختفاؤها بالكناس اذا غاب عن الاعين اما
قوله تعالى والليل اذا عسعس ذكر اهل اللغة ان عسعس من الاضداد يقال عسعس الليل اذا اقبل وعسعس اذا
ادبر وانشدوا في ورودها بمعنى ادبر قول العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا
وانشد ابو عبيدة في معنى اقبل مدرعات الليل لما عسعسا ثم منهم من قال المراد هاهنا اقبل الليل لان على
هذا التقدير يكون القسم واقعا باقبال الليل وهو قوله تعالى والليل اذا عسعس وبادباره ايضا وهو قوله
تعالى والصبح اذا تنفس ومنهم من قال بل ادبر وقوله تعالى والصبح اذا تنفس المراد اشارة الى اول طلوع الصبح
فلا يكون فيه تكرار واما قوله تعالى والصبح اذا تنفس اي اذا اسفر اي امتد ضوؤه وتكامل فقوله تعالى والصبح
اذا اسفر ثم في كيفية المجاز قولان انه اذا اقبل الصبح اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز
وقيل تنفس الصبح والثاني انه شبه الليل المظلم بالمكروب والمحزون الذي جلس بحيث لا يتحرك واجتمع الحزن في
قلبه فاذا تنفس وجد راحته فهاهنا لما طلع الشمس فكانه تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس وهو
لطيفة واعلم انه تعالى لما ذكر المقسم به اتبعه بذكر المقسم عليه فقال تعالى انه لقول رسول كريم وفيه قولان الاول
وهو المشهور ان القرآن نزل به جبريل فان قيل هاهنا اشكال قوي وهو انه حلف انه قول جبريل فوجب علينا ان نصدقه
في ذلك فان لم نقطع بوجوب حمل اللفظ على الظاهر فلا اقل من الاحتمال واذا كان الامر كذلك ثبت ان هذا القرآن يحتمل ان يكون
قول جبريل لا كلام الله تعالى وبتقدير ان يكون كلام جبريل يخرج عن كونه معجزا لاحتمال ان جبريل القاه الى محمد صلى الله عليه وسلم
على سبيل الاضلال ولا يمكن ان يجاب عنه بان جبريل عليه السلام معصوم لا يفعل الاضلال لان العلم بعصمة جبريل
يستفاد من صدق النبي صلى الله عليه وسلم وصدق النبي صلى الله عليه وسلم متفرع على كون القرآن معجزا وكون القرآن معجزا
متفرع على عصمة جبريل فيلزم الدور وهو محال والجواب ان الذين قالوا بان القرآن انما كان معجزا للصرفة انما ذهبوا الى
ذلك المذهب فرارا من هذا السوال لان الاعجاز على ذلك القول ليس في الفصاحة بل في سلب تلك العلوم والدواعي عن
القلوب وذلك مما لا يقدر عليه احد الا الله تعالى والقول الثاني ان هذا الذي اخبركم به محمد صلى الله عليه وسلم من امر الساعة
على ما ذكر في هذه السورة ليس بكهانة ولا ظن ولا افتعال انما هو قول جبريل اتاه به وحيا من الله تعالى واعلم انه تعالى
وصف جبريل هاهنا بصفات ستة اولها انه رسول ولا شك انه رسول الله الى الانبياء فهو رسول والرسول الى امته وهو
المراد من قوله تعالى ينزل الملايكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وقال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك
وثانيها انه كريم ومن كرمه انه يعطي افضل العطايا وهو المعرفة والهداية وثالثها قوله تعالى ذي قوة عند منهم
من حمله على القدرة روي انه عليه السلام قال لجبريل ذكر الله قوتك فما بلغت قال رفعت قريات قوم لوط الاربع
على قوادم جناحي حتى اذا سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديوك فقلبتها وذكر مقاتل ان شيطانا
يقال له الابيض صاحب الانبياء قصد ان يفتن النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه جبريل عليه السلام دفعة رفيقة
وقع بها من مكة الى اقصى الهند ومنهم من حمله على القوة في اداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها في اول الخلق الى اخر زمان
التكليف وعلى القوة في معرفة الله تعالى وفي مطالعة جلال الله ورابعها قوله تعالى عند ذي العرش مكين وهذه
العندية ليست عندية المكان مثل قوله تعالى ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته وليست عندية الجهة بدليل
قوله انا عند المنكسرة بل عندية الاكرام والتشريف والتعظيم واما مكين فقال الكسائي يقال قد مكن فلان عند
فلان بضم الكاف مكنا ومكانة فعلى هذا المكين ذو الجاه يعطي ما يسال وخامسها قوله تعالى مطاع ثم اعلم ان قوله تعالى ثم اشارة

الى الطرف



الى الظرف المذكور اعني ذي العرش والمعنى انه عند الله تعالى مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون
الى رايه وقرئ ثم تعظيما للامانة وبيانا لانها افضل صفاته المعدودة وسادسها قوله امين اي هو امين على وحي
الله تعالى ورسالاته قد عصمه الله تعالى من الخيانة والزلل قال تعالى وما صاحبكم بمجنون واحتج بهذه الاية من فضل
جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم انك اذا وازنت بين قوله تعالى انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع
ثم امين وبين قوله تعالى وما صاحبكم بمجنون ظهر التفاوت العظيم ولقد راه بالافق المبين يعني حيث تطلع الشمس في قول الجميع وقد مر
تفسيره في سورة والنجم وما هو على الغيب بظنين اي وما محمد على الغيب بظنين والظنين المتهم يقال ظننت زيدا في معنى اتهمت وليس من
الظن الذي يتعدى الى مفعولين والمعنى ما محمد على القران عندهم اي هو ثقة فيما يودي عن الله ومن قرا بالضاد فهو من البخل يعني
ضننت به اضن اي بخلت والمعنى ليس ببخيل فيما انزل الله يا تيه غيب السما وهو شي نفيس فلا يبخل به عليكم وقال ابو علي الفارسي
المعنى انه يخبر بالغيب فيبينه ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ذلك ويمتنع من اعلامه حتى ياخذ عليه حلوانا واختار ابو عبيدة
القراة الاولى لوجهين احدهما ان الكفار لم يبخلوه وانما اتهموه فنفي التهمة اولى من نفي البخل والاخر قوله على الغيب بظنين
ولو كان المراد البخل لقال بالغيب لانه يقال فلان ضنين بكذا وقلما يقال على كذا ثم قال تعالى وما هو بقول شيطان رجيم
كان اهل مكة يقولون ان هذا القران يجي به شيطان فيلقيه على لسانه فنفى الله ذلك بقوله فان قيل القول بصحة النبوة
موقوف على نفي هذا الاحتمال فبا الدليل السمعي ثم قال تعالى فاين تذهبون وهذا استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا
اين تذهب مثل حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل والمعنى اي طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة
التي بينت لكم قال الفرا العرب تقول الى اين تذهب واين تذهب وتقول ذهبت الشام وانطلقت السوق واحتج
اهل الاعتزال بهذه الاية ووجهه ظاهر ثم بين ان القران ما هو فقال ان هو الا ذكر للعالمين اي هو بيان وهداية
للخلق اجمعين ثم قال تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم وهو بدل من العالمين والتقدير انه هو الا ذكر لمن شاء منكم ان يستقيم
يعني ان مشية الاستقامة موقوفة على ان يشاء الله تعطيه تلك المشية لان تلك المشية صفة محدثة فلا بد
في حدوثها من مشية اخرى فظهر من مجموع هذه الايات ان فعل الاستقامة موقوف على ارادة الاستقامة وهذه
الارادة موقوفة الحصول على ان يريد الله ان يعطيه الارادة والموقوف على الشي موقوف على الشي بافعال العباد
في طرفي ثبوتها وانتفايها موقوفة على مشية الله تعالى وهذا قول اصحابنا وقول بعض المعتزلة ان هذه الاية
مخصوصة بمشية القهر والالجاء ضعيف لانا بينا ان المشية الاختيارية شي حادث فلا بد من محدث فيتوقف حدوثها
على ان يحدثها الله ويحدثها الله وحينئذ يعود الالزام والله تعالى اعلم بالصواب

اذا السما انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس
ما قدمت واخرت يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك
في اي صورة ما شاء ركبك

اعلم ان المراد انه اذا وقعت هذه الاشيا التي هي اشراط الساعة فهناك يحصل
الحشر والنشر وفي تفسير هذه الايات مقامات المقام الاول في تفسير كل واحد من هذه الاشيا التي هي اشراط
الساعة وهي هاهنا اربعة اثنان منها متعلق بالعلويات واثنان متعلقان بالسفليات الاول قوله تعالى اذا السما
انفطرت اي انشقت وهو كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وقوله تعالى اذا السماء انشقت واذا انشقت السماء
فكانت وردة كالدهان وقوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا والسماء منفطر به قال الخليل ولم يات هذا على الفعل
بل هو على قولهم مرضع وحائض ولو كان على الفعل لقال منفطرة كما قال تعالى اذا السماء انفطرت اما الثاني فهو قوله تعالى
واذا الكواكب انتثرت فالمعنى ظاهر لان عند انتقاض تركيب السماء لا بد من انتثار الكواكب على الارض ثم اعلم انا ذكرنا
في بعض السور المتقدمة ان الفلاسفة ينكرون امكان الخرق والالتيام على الافلاك ودللنا على امكان ذلك
ان الاجسام متماثلة لانه يصح تقسيمها الى السماويات والارضيات ومورد التقسيم مشترك بين القسمين فالعلويات
والسفليات مشتركة في انها اجسام وانما قلنا انه متى كان كذلك وجب ان يصح على العلويات ما يصح على السفليات
لان المتماثلات حكمها واحد فلما صح الحكم على واحد منهما وجب ان يصح على الباقي واما الاثنان السفليات فاحدهما
قوله تعالى واذا البحار فجرت وفيه وجوه احدها انه ينفتح بعض البحار في البعض بارتفاع الحاجز الذي جعله الله
برزخا وحينئذ يصير الكل بحرا واحدا وانما يرتفع ذلك الحاجز لتزلزل الارض وتصدعها وثانيها ان مياه البحار
الان راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهب ماوها وثالثها قال الحسن فجرت اي يبست واعلم ان الوجوه
الثلاثة المراد منه تغير البحار عن صورتها الاصلية وصفتها وهو كما ذكر انه تغير الارض عن صفتها في قوله تعالى
يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وتغير الجبال عن صفتها في قوله تعالى فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها
قاعا صفصفا ورابعها قراة بعضهم فجرت بالتخفيف وقرا مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت

لزوال البرزخ نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان لان البغي والمحو اخوان واما الثاني فقوله تعالى واذا القبور بعثرت فاعلم ان بعثر وبحثر بمعنى واحد وهما مركبان من البحث والبعث مع راء مضمومة اليهما والمعنى انبثرت وقلب اسفلها اعلاها وباطنها ظاهرها ثم ههنا وجهان احدهما ان القبور تبعثر بان يخرج ما فيها من الموتى احيا كما قال تعالى واخرجت الارض اثقالها وثانيهما انها تبعثر لاخراج ما في بطنها من الذهب والفضة وذلك ان من اشراط الساعة ان تخرج الارض افلاذ كبدها من ذهبها وفضتها ثم بعد ذلك تخرج الموتى والاول اقرب لان دلالة القبور على الاول اتم

**المقام الثاني** في فايدة هذا الترتيب **اعلم** ان المراد من هذه الايات بيان تخريب العالم وفناء الدنيا وانقطاع التكاليف والسماء كالسقف والارض كالبناء ومن اراد تخريب بناء داره فانه يبدا اولا بتخريب السقف وذلك هو قوله تعالى اذا السماء انفطرت ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب كلها على وجه الارض وهو قوله تعالى واذا البحار فجرت ثم انه تعالى يخرب اجزاء الارض التي هي البناء وذلك هو قوله تعالى واذا القبور بعثرت فالاشارة الى قلب الارض ظهرا لبطن وبطنها لظهر

**المقام الثالث** في تفسير قوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت وفيه احتمالان الاول ان كان المراد بهذه الامور ذكر يوم القيمة ثم فيه وجوه احدها وهو الاصح المقصود منه الزجر عن المعصية والترغيب في الطاعة اي كل نفس علم كل احد في هذا اليوم ما قدم فلم يقصر فيه وما اخر بعض فيه لان قوله تعالى ما قدمت يقتضي فعلا وما اخرت يقتضي تركا فهذا الكلام مفيد فعلا وتركا وتقصيرا وتوفيرا فان كان قد قدم الكبائر واخر العمل الصالح فماواه النار وان كان قد قدم العمل الصالح واخر الكباير فماواه الجنة وثانيها ما قدمت من عمل ادخله في الوجود وما اخرت من سنة يستن بها من بعده من خير او شر وثالثها قال الضحاك ما قدمت من الفرايض وما اخرت اي ما ضيعت ورابعها قال ابو مسلم ما قدمت من الاعمال في اول عمرها وما اخرت في اخر عمرها فان قيل واي موقف من مواقف القيامة يحصل هذا العلم قلنا اما العلم الاجمالي فيحصل في اول زمان الحشر لان المطيع يرى اثار السعادة والعاصي يرى اثار الشقاوة في اول الامر واما العلم التفصيلي فانما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة والاحتمال الثاني ان يكون المراد قبل يوم القيمة بل عند ظهور اشراط الساعة وانقطاع التكاليف وحين لا ينفع العمل به كما قال تعالى لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا فيكون ما عمله الى تلك الغاية هو اول اعماله واخرها لانه لا عمل بعد ذلك وهذا القول ذكره القفال والله اعلم

اما قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اعلم انه سبحانه وتعالى لما اخبر في الاية الاولى عن وقوع الحشر والنشر ذكر في هذه الاية ما يدل عقلا على امكانه وعلى وقوعه وذلك من وجهين الاول ان الاله الكريم الذي لا يجوز من كرمه ان يقطع مواد نعمه عن المذنبين كيف يجوز من كرمه ان لا ينتقم للمظلوم من الظالم الثاني ان القادر على خلق هذه البنية الانسانية ثم سواها وعدلها اما ان يقال انه خلقها لا لحكمة كان ذلك عبثا وهو غير جايز على الحكيم وان خلقها لحكمة فتلك الحكمة اما ان يكون عايدة الى الله تعالى او الى العبد والاول باطل لانه سبحانه وتعالى متعال عن الاستكمال والانتفاع فتعين الثاني وهو انه خلق الخلق لحكمة عايدة الى العبد وتلك الحكمة اما ان تظهر في الدنيا او في دار سوى الدار والاول باطل لان الدنيا دار بلاء وامتحان لا دار الانتفاع والجزاء ولما بطل ذلك ثبت انه لا بد بعد هذه الدار من دار اخرى فثبت ان الاعتراف بوجود الاله الكريم الذي يقدر على الخلق والتسوية والتعديل يوجب على العاقل بانه سبحانه وتعالى يبعث الاموات ويحشرهم وذلك يمنعهم من الاغترار بعدم الحشر والنشر وهذا الاستدلال ذكره بعينه في سورة التين حيث قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم الى ان قال فما يكذبك بعد بالدين وهذه المحاجة تصلح مع العرب الذين كانوا مقرين بالصانع وينكرون الاعادة وتصلح ايضا مع منكري الابتداء والاعادة معا لان الخلق المعدل يدل على الصانع وبواسطته يدل على القول بصحة الحشر والنشر فان قيل بناء هذا الاستدلال على انه تعالى حكيم ولذلك قال في سورة والتين بعد هذا الاستدلال اليس الله باحكم الحاكمين فكان يجب ان يقول في هذه السورة ما غرك بربك الحكيم الجواب ان الكريم يجب ان يكون حكيما لان ايصال النعمة الى الغير لو لم يكن مبنيا على داعية الحكمة لكان ذلك تبذيرا لا كرما واذا كان ذلك مبنيا على داعية الحكمة فحينئذ يسمى كرما اذا ثبت هذا فنقول كونه كريما يدل على وقوع الحشر من هذا الوجه الثاني وكان ذكر الكريم ههنا اولى من ذكر الحكيم هذا هو تمام الكلام في كيفية النظم

ولنرجع الى التفسير اما قوله تعالى يا ايها الانسان ففيه قولان احدهما انه الكافر لقوله تعالى من بعد ذلك كلا بل تكذبون بالدين وقال عطا عن ابن عباس نزلت في الوليد بن المغيرة وقال الكلبي ومقاتل نزلت في ابي الاشد بن كلدة بن اسيد وذلك انه ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله تعالى وانزل هذه الاية والقول الثاني انه يتناول جميع العصاة وهو الاقرب لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ اما قوله تعالى ما غرك بربك الكريم فالمراد ما الذي خدعك وسول لك الباطل حتى تركت الواجبات واتيت المحرمات والمعنى ما الذي امنك من عقابه يقال غره بفلان اذا امنه المحذور من جهة مع انه غير مامون وهذا كقوله تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور وهذا اذا حملنا قوله تعالى يا ايها الانسان على جميع العصاة اما اذا حملناه على الكافر فالمعنى ما الذي دعاك الى الكفر وجحد الرسل وانكار الحشر والنشر وههنا سؤالات الاول

ان كونه



ان كونه كريما يقتضي ان يغتر الانسان بكرمه بدليل المعقول والمنقول اما المعقول فهو ان الجود افادة ما ينبغي لا لعوض فلما كان الحق تعالى جوادا مطلقا لم يكن مستغنيا ومتى كان كذلك استوى عنده طاعة المطيعين وعصيان المذنبين فهو يوجب الاغترار لانه من السودد تقديم الغني على ايلام الضعيف من غير فايدة اصلا واما المنقول فما روي عن علي رضي الله عنه انه دعا غلامه مرات فلم يجبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له لم لا تجيبني فقال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا ايضا من كرم الرجل سوء ادب غلمانه ولما ثبت ان كرمه يقتضي الاغترار به فكيف جعله ههنا مانعا من الاغترار به والجواب من وجوه الاول ان معنى الاية انك لما كنت ترى حلم الله تعالى عن خلقه ظننت انه لا حساب ولا دار الا هذه الدار فما الذي دعاك الى هذا الاغترار وجراك على انكار الحشر والنشر فان ربك كريم فهو لكرمه لا يعاجله بالعقوبة بسطا في مدة التوبة وتاخير الجزاء الى ان يجتمع الناس في الدار التي جعلها للجزاء فالحاصل ان ترك المعاجلة بالعقوبة لاجل الكرم وذلك لا يقتضي الاغترار بانه لا دار بعد هذه الدار والثاني ان كرمه لما بلغ الى حيث لا يمنع من المعاصي مواد لطفه فبان لا ينتقم للمظلوم من الظالم كان اولى فاذا كونه كريما يقتضي الخوف الشديد من هذا الاغترار وترك الجراة والاغترار وثالثها ان كثرة الكرم يوجب الجد والاجتهاد في الخدمة والاستحيا من الاغترار والتواني ورابعها قال بعض الناس انما قال بربك الكريم ليكون ذلك جوابا عن ذلك السؤال حتى يقول غرني كرمك لانك رايت فسترت وقدرت فعفوت وهذا الجواب انما يصح اذا كان المراد من قوله تعالى يا ايها الانسان ليس الكافر

السؤال الثاني ما الذي ذكره المفسرون في سبب هذا الاغترار قلنا وجوه احدها قال قتادة وسبب غرور ابن ادم تسويل الشيطان وثانيها قال الحسن حمقه وجهله وثالثها قال مقاتل غره عفو الله عنه حين لم يعاقبه في اول مرة وقيل للفضيل بن عياض ان اقامك الله تعالى وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال اقول غرتني ستورك المرخاة الثالث ما معنى قراءة سعيد بن جبير ما اغرك قلنا هو اما على التعجب واما على سبيل الاستفهام من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بيتهم العدو وهم غارون واغاره غيره جعله غارا

اما قوله تعالى الذي خلقك فسواك فعدلك اعلم انه تعالى لما وصف نفسه بالكرم ذكر هذه الامور الثلاثة كالدلالة على تحقق ذلك الكرم فاولها الخلق وهو الذي خلقكم ولا شك انه كرم وجود لان الوجود خير من العدم والحياة خير من الموت وهو الذي قال كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وثانيها قوله تعالى فسواك اي جعلك سويا سالم الاعضاء تسمع وتبصر نظيره قوله تعالى اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا قال ذو النون سواك اي سخر لك المكونات اجمع وما جعلك مسخرا لشيء منها ثم انطق لسانك بالذكر وقلبك بالعقل وروحك بالمعرفة وسرك بالايمان وشرفك بالامر والنهي وفضلك على كثير ممن خلق تفضيلا وثالثها قوله تعالى فعدلك وفيه بحثان الاول قال مقاتل يريد عدل خلقك في العينين والاذنين واليدين والرجلين فلم يجعل احدى اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع وهو كقوله تعالى بلى قادرين على ان نسوي بنانه ونقرره ما علم في علم التشريح انه سبحانه وتعالى ركب جانبي هذه الجثة على التساوي حتى انه لا تفاوت بين نصفيه لا في العظام ولا في اشكالها ولا في ثقبها ولا في الاوردة والشرايين والاعصاب النافذة فيها والخارجة منها واستقصاء القول فيه لا يليق بهذا العلم وقال عطا عن ابن عباس جعلك قايما معتدلا حسن الصورة لا كالبهيمة المنحنية وقال ابو علي الفارسي عدل خلقك واخرجك في احسن تقويم وتاديب وبسبب ذلك الاعتدال جعلك مستعدا لقبول العقل والقدرة والفكر وصيرك بسبب ذلك مستوليا على جميع الحيوانات والنبات وواصلا في الكمال الى ما لم يصل اليه شيء من اجسام هذا العالم البحث الثاني قرا الكوفيون فعدلك بالتخفيف وفيه وجوه احدها قال ابو علي الفارسي ان يكون المعنى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني قال الفراء فعدلك اي صرفك الى اي صورة شاء ثم قال والتشديد احسن الوجهين لانك تقول عدلتك الى كذا كما تقول صرفتك الى كذا ولا يحسن عدلتك فيه ولا صرفتك فيه ففي القراءة الاولى جعل في من قوله في اي صورة للتركيب وهو حسن وفي القراءة الثانية جعل صلة لقوله فعدلك وهو ضعيف واعلم ان اعتراض الفراء انما يتوجه على هذا الوجه الثاني واما على الوجه الاول الذي ذكره ابو علي الفارسي فغير متوجه والثالث نقل القفال عن بعضهم انهما لغتان بمعنى واحد

اما قوله تعالى في اي صورة ما شاء ركبك ففيه بحثان البحث الاول ما هل هي مزيدة ام لا فيه قولان الاول انها ليست مزيدة بل هي في معنى الشرط والجزاء فيكون المعنى في اي صورة ما شاء ان يركبك فيها ركبك وبنى على هذا الوجه قال ابو صالح ومقاتل المعنى ان شاء ركبك في غير صورة الانسان من صورة كلب او صورة حمار او صورة خنزير او قرد و القول الثاني انها صلة موكدة والمعنى في اي صورة تقتضيها مشيته وحكمته في الصور المختلفة فانه سبحانه وتعالى ركبك عليها وعلى هذا القول تحتمل الاية وجوها الاول ان المراد من الصورة المختلفة شبه الاب والام او الاقارب او الاعمام والاخوال ويكون المعنى انه سبحانه وتعالى ركبك على مثل صورة هو كل ويدل على صحة هذا ما روي انه عليه السلام قال في الاية ان النطفة اذا استقرت في الرحم احضرها كل نسب

سهاو من ادم والثاني وهو الذي ذكره الفرا والزجاج ان المراد من الصورة المختلفة الاختلاف بحسب الطول والقصر والحسن والقبح والذكورية والانوثية ودلالة هذه الحالة على الصانع القادر في غاية الظهور لان النطفة جسم متشابه الاجزا وتاثير طبع الابوين فيه على السوية والفاعل المؤثر بالطبيعة في القابل المتشابه لا يفعل الا فعلا واحدا فلما اختلفت الصفات والاثار دل ذلك الاختلاف على ان المدبر هو القادر المختار وقال القفال قال القفال ان اختلاف الخلق والالوان كاختلاف الاحوال في الغنى والفقر والصحة والسقم فكما انا نقطع انه سبحانه وتعالى ميز البعض عن البعض في الغنى والفقر وطول العمر وقصره لحكمة بالغة لا يحيط بكنهها الا هو فلذلك نعلم انه انما جعل البعض مخالفا للبعض في الخلق والالوان لحكمة بالغة وذلك لان بسبب هذا الاختلاف يتميز المحسن عن المسيء والقريب عن الاجنبي ثم قال ونحن نشهد شهادة لا شك فيها انه سبحانه وتعالى لم يفرق بين المناظر والهيات الا لما علم من صلاح عباده فيه وان كنا جاهلين بعين الصلاح القول الثالث قال الواسطي المراد صورة المطيعين والعصاة فليس من ركبه على صورة الولاية كمن ركبه على صورة العداوة وقال اخرون انه اشارة الى صفا الارواح وظلمتها وقال الحسن منهم من صوره ليستخلفه لنفسه ومنهم من صوره ليشغله لغيره مثال الاول انه خلق ادم ليجعله بالطاف بره واعلا قدره واظهر وجهه من بين جلاله وجماله وتوجه بتاج الكرامة وزينه ببرد الجلال والهيبة

## قوله تعالى

كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين وما ادراك ما يوم الدين

اعلم انه سبحانه وتعالى لما بين بالدلالة العقلية صحة القول بالبعث والنشور على الجملة فرع عليها شرح تفاصيل الاحوال المتعلقة بذلك وهي انواع النوع الاول انه سبحانه وتعالى زجرهم عن ذلك الاغترار بكلا وبل حرف وضع في اللغة لنفي شيء قد تقدم وتحقيق غيره فلا جرم ذكروا في تفسير كلا وجوها الاول قال القاضي معناه انكم لا تستقيمون على توجيه نعمي عليكم وارشادي لكم بل تكذبون بيوم الدين الثاني كلا اي ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله تعالى ثم كانه قال وانهم لا يرتدعون عن ذلك بل تكذبون بالدين اصلا الثالث قال القفال كلا اي ليس الامر كما تقولون من انه لا بعث ولا نشور لان ذلك يوجب ان الله تعالى خلق الخلق عبثا وسدى وحاشاه من ذلك ثم كانه قال ولا تنتفعون بهذا البيان بل تكذبون بالدين وفي قوله تعالى تكذبون بالدين وجهان احدهما ان يكون المراد بقوله تعالى بالدين اي بالجزاء على الدين والاسلام والثاني ان يكون المراد من الدين الحساب والمعنى انكم تكذبون بيوم الحساب النوع الثاني قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون والمعنى التعجب من حالهم كانه سبحانه قال انكم تكذبون بيوم الدين وهو يوم الحساب والجزاء وملائكة الله موكلون بكم يكتبون اعمالكم حتى تحاسبوا بها يوم القيمة ونظيره قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ثم ههنا مباحث

البحث الاول من الناس من طعن في حضور الكرام الكاتبين من وجوه الاول هو ان الملئكة اما ان يكونوا مركبين من الاجسام اللطيفة كالهواء والنسيم والنار او من الاجسام الغليظة فان كان الاول لزم ان يتمزق بنيتهم بادنى سبب من هبوب الرياح الشديدة وامرار اليد والكم والسوط في الهواء وان كان الثاني وجب ان نراهم اذ لو جاز ان يكونوا حاضرين ولا نراهم لجاز ان يكون بحضرتنا شموس واقمار وجبال وبوقات ونحن لا نراها ولا نسمعها وذلك دخول في الجهالة وكذا القول في انكار صحائفهم ودواتهم واقلامهم وثانيها ان هذه الاستكتاب ان كان خاليا عن الفوائد فهو عبث وذلك غير جائز على الله تعالى وان كان فيه فائدة فتلك الفائدة اما ان يكون عائدة الى الله تعالى او الى العبد والاول محال لانه متعالي عن النفع والضر وهذا يظهر بطلان قول من يقول انه تعالى انما اكتتبها خوفا من النسيان والغلط والثاني ايضا محال لان اقصى ما في الباب ان يقال فايدة هذا الاستكتاب ان يكونوا شهودا على الناس وحجة عليهم يوم القيامة الا ان هذه الفائدة ضعيفة لان الانسان الذي علم ان الله تعالى لا يجور ولا يظلم لا يحتاج في حقه الى اثبات هذه الحجة والذي لا يعلم ذلك لا ينتفع بهذه الحجة لاحتمال انه تعالى امرهم بان يكتبوا عليه ما لا شيا ظلما وثالثها ان افعال القلوب غير مرئية ولا محسوسة فيكون هي من باب المغيبات والغيب لا يعلمه الا الله على ما قال تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو واذا لم يكن هذه الافعال معلومة للملائكة استحال ان يكتبوها فالاية تقتضي ان يكونوا كاتبين علينا كل ما نفعله سواء كان ذلك من افعال القلوب ام لا والجواب عن الاول ان هذه الشبهة لا تتوجه الا على مذهبنا بنا على اصلين احدهما ان البنية ليست شرطا للحياة عندنا والثاني ان عند سلامة الحاسة وحضور المرئي وحصول ساير الشرائط لا يجب الادراك فعلى الاصل الاول يجوز ان يكون الملائكة اجزاء لطيفة لا تتمزق وتفرق ويكون مع ذلك حياتها وعلى الاصل الثاني يجوز

ان يكونوا



ان يكونوا اجساما كثيفة ولكنا لا نراها والجواب عن الثاني ان الله تعالى انما اجرى اموره على عباده على ما يتعاملون به فيما بينهم لان ذلك ابلغ في تقرير المعنى عندهم ولما كان الابلغ عندهم اخراج كتاب بشهود وخطوط مثل هذا فيما يحاسبون به يوم القيمة فيخرج لهم كتب منشورة ويحضر هناك ملائكة يشهدون عليهم كما يشهد عدول السلطان على من يعصيه ويخالف امره فيقولان له اعطاك الملك كذا وكذا وفعل كذا وكذا ثم خالفته وفعلت كذا وكذا فكذا هاهنا والله اعلم بحقيقة ذلك والجواب عن الثالث ان عامة ما في الباب تخصيص هذا العموم بافعال الجوارح وذلك غير ممتنع

البحث الثاني ان قوله تعالى وان عليكم لحافظين وان كان خطاب مشافهة الا ان الامة مجمعة على ان هذا الحكم عام في حق كل المكلفين ثم هاهنا احتمالان احدهما ان يكون هناك جمع من الحافظين وذلك الجمع يكونوا حافظين لجميع بني ادم من غير ان يختص واحد من الملائكة بواحد من بني ادم وثانيهما ان يكون الموكل بكل واحد منهم غير الموكل بالاخر ثم يحتمل ان يكون الموكل بكل واحد من بني ادم من الملائكة لانه تعالى قابل الجمع بالجمع وذلك يقتضي مقابلة الفرد بالفرد ويحتمل ان يكون الموكل بكل واحد منهم جمعا من الملائكة كما قيل اثنان بالليل واثنان بالنهار او كما قيل انهم خمسة

البحث الثالث انه تعالى وصف هؤلاء الملائكة بصفات اولها كونهم حافظين وثانيها كونهم كراما وثالثها كونهم كاتبين ورابعها قوله تعالى يعلمون ما تفعلون وفيه وجهان احدهما انهم يعلمون تلك الافعال حتى يمكنهم ان يكتبوها وهذا يدل على ان الانسان لا يجوز له الشهادة الا بعد العلم والثاني انهم يكتبونها حتى يكونوا عالمين بها عند اداء الشهادة واعلم ان وصف الله تعالى اياهم بهذه الصفات الحسنة يدل على انه تعالى اثنى عليهم وعظم شانهم وفي تعظيمهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله تعالى من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه هؤلاء العظام الاكابر قال ابو عثمان من لم يزجره عن معاصي الله تعالى مراقبة الله اياه كيف يرده عنها الكرام الكاتبون

النوع الثالث من تفاريع مسئلة الحشر قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم الى اخر الاية اعلم انه تعالى بعد ان وصف الكرام الكاتبين لاعمال العباد ذكر احوال العاملين فقال تعالى ان الابرار لفي نعيم وهو نعيم الجنة وان الفجار لفي جحيم وهو النار وفيه مسئلتان

المسئلة الاولى قد استقصينا في سورة البقرة وهاهنا نكت زائدة لا بد من ذكرها قال ابو عبيدة حصلت في هذه الاية وجوه دالة على دوام الوعيد احدها قوله تعالى يصلونها يوم الدين ويوم الدين يوم الجزاء ولا وقت الا ويدخل فيه كما نقول يوم الدنيا ويوم الاخرة الثاني قال الجبائي لو خصصنا قوله تعالى وان الفجار لفي جحيم لكان بعض الفجار يصيرون الى الجنة ولو صاروا اليها لكانوا من الابرار وذلك باطل لان الله تعالى ميز بين الامرين فلا بد من ان لا يدخل الفجار الجنة كما لا يدخل الابرار النار والثاني انه تعالى قال وما هم عنها بغائبين وهو كقوله تعالى وما هم بخارجين منها واذا لم يكن هناك موت ولا غيبة فليس بعدها الا الخلود في النار ابدا الابدين ولما كان اسم الفاجر يتناول الكافر والمسلم صاحب الكبيرة فاجر والدليل عليه قوله تعالى في حق الكفار اولئك هم الكفرة الفجرة فلا يخلو اما ان يكون المراد هم الكفرة الذين يكونون من جنس الفجرة او المراد اولئك هم الكفرة الفجرة وهم الفجرة والاول باطل لان كل كافر فهو فاجر بالاجماع فتقييد الكافر بالكافر الذي يكون من جنس الكفرة عبث واذا بطل هذا القسم بقي الثاني وذلك يفيد الحصر فاذا دلت هذه الاية على ان الكفار هم الفجرة لا غير ثبت ان صاحب الكبيرة ليس بفاجر على الاطلاق سلمنا ان الفجار يدخل تحته الكافر والمسلم لكن قوله تعالى وما هم عنها بغائبين معناه ان مجموع الفجار لا يكونون غائبين ونحن نقول بموجبه فان احد نوعي الفجار وهم الكفار لا يغيبون ويكفي فيه اذ لا يغيب الكفار ولا حاجة في صدقه الى ان لا يغيب المسلمون سلمنا ذلك لكن قوله تعالى وما هم عنها بغائبين يقتضي كونهم في الحال في الجحيم فلا بد من صرفه عن الظاهر فهم يحملونه على انهم بعد الدخول في الجحيم يصدق عليهم قوله تعالى وما هم عنها بغائبين ومن يحمل ذلك على انهم في الحال وليس بغائبين عن استحقاق الكون في الجحيم الا ان ثبوت الاستحقاق لا ينافي العفو سلمنا ذلك لكنه معارض بالدلائل الدالة على العفو وعلى ثبوت الشفاعة لاهل الكبائر والترجيح لهذا الجانب لان دليلهم لا بد وان يتناول جميع الفجار في جميع الاوقات والا لم يحصل مقصودهم ودليلنا يكفي في صحته تناوله لبعض الفجار في بعض الاوقات فدليلهم لا بد وان يكون عاما ودليلنا لا بد وان يكون خاصا والخاص مقدم على العام

المسئلة الثانية فيه تهديد عظيم للعصاة على ان سليمان ابن عبد الملك مر بالمدينة وهو يريد مكة فقال لابي حازم كيف القدوم على الله تعالى غدا قال اما المحسن فكالغايب يقدم على اهله واما المسيء فكالابق يقدم على مولاه قيل فبكى ثم قال ليت شعري ما لنا عند الله تعالى فقال ابو حازم اعرض عملك على كتاب الله قال في اي مكان قال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقال جعفر الصادق النعيم المعرفة والمشاهدة والجحيم ظلمات الشهوات وقال بعضهم النعيم القناعة والجحيم الطمع وقيل النعيم التوكل والجحيم الحرص وقيل النعيم الاشتغال بالله والجحيم الاشتغال بغير الله

النوع الرابع من تفاريع اثبات الحشر تعظيم يوم القيامة وهو قوله تعالى وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر

يومئذ لله وفيه مسايل المسئلة الاولى اختلفوا في الخطاب في قوله تعالى وما ادريك فقال بعضهم هو خطاب للكافر على وجه الزجر له وقال الاكثرون الخطاب للرسول وانما خاطبه بذلك لانه ما كان عالما بذلك قبل الوحي الثانية الجمهور على ان التكرير في قوله تعالى وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين لتعظيم ذلك وقال الجبائي بل هو لفائدة مجددة اذ المراد بالاول اهل النار والمراد بالثاني اهل الجنة قال وما ادريك ما تعامل به الفجار في يوم الدين ثم ما ادريك ما تعامل به الابرار وكرر يوم الدين تعظيما لما يفعله تعالى من الامرين بالفريقين الثالثة في يوم لا تملك نفس لنفس شيا قراتان الرفع والنصب اما الرفع ففيه وجهان احدهما على البدل من يوم الدين والثاني ان يكون باضمار هو ويكون المعنى هو يوم لا تملك واما النصب ففيه وجوه احدها باضمار يدانون لان الدين يدل عليه وثانيها باضمار واذكروا وثالثها ما ذكره الزجاج فقال يجوز ان يكون في موضع رفع الا انه بني على الفتح لاضافته الى قوله تعالى لا تملك وما اضيف الى غير المتمكن فقد يبنى على الفتح وان كان في موضع رفع او جر كما قال لم يمنع الشرب منهم غير ان نطقت قال الواحدي والذي ذكره الزجاج من البنا على الفتح انما يجوز عند الخليل وسيبويه اذا كانت الاضافة الى الفعل الماضي كقوله على حين عاتبت المشيب على الصبى اما مع الفعل المستقبل فلا يجوز البنا عندهم ويجوز ذلك في قول الكوفيين وقد ذكرنا هذه المسئلة عند قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ورابعها ما ذكره ابو علي وهو ان اليوم لما جرى في اكثر الامر ظرفا ترك على حالة الاكثرية والدليل عليه اجماع القراء والعرب في قوله تعالى منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ولا يرفع ذلك احد ومما يقوي النصب قوله تعالى وما ادريك ما القارعة يوم يكون الناس وقوله تعالى يسئلون ايان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون فالنصب في يوم لا تملك مثل هذا الرابعة تمسكوا في نفي الشفاعة للعصاة بقوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيا وهو كقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا والجواب قد تقدم في سورة البقرة الخامسة ان اهل الدنيا قد كانوا يتغلبون على الملك ويعين بعضهم بعضا في امور ويحمي بعضهم فاذا كان يوم القيامة بطلت تلك الدنيا ورياستهم فلا يحمي احد احدا ولا يغني احد عن احد ولا يتسلط احد على احد ونظيره قوله تعالى والامر يومئذ لله قوله تعالى ملك يوم الدين وهو وعيد عظيم من حيث انه عرفهم انه لا يغني عنهم الا البر والطاعات يومئذ دون ساير ما كان قد يغني عنهم في الدنيا من مال وولد واعوان وشفعا قال الواحدي والمعنى ان الله تعالى لم يملك في ذلك اليوم احدا شيا من الامور كما ملكهم في دار الدنيا قال الواسطي في قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيا انه اشارة الى فنا غير الله تعالى وهناك تذهب الرسوم والغايات ممن كانت صفته في الدنيا كذلك كانت دنياه اخرة واما قوله تعالى والامر يومئذ لله فهو اشارة الى البقا والوجود لله والامر كذلك في الازل وفي اليوم وفي الاخرة ولم يتغير من حال الى حال فالتفاوت عايد الى احوال الناظر لا الى احوال المنظور اليه فالكاملون لا يتفاوت احوالهم بحسب تفاوت الاوقات كما قال لو كشف الغطا ما ازددت يقينا وحارثة لما اخبر بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله كاني انظر وكاني والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون الا يظن اوليك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين كلا ان كتاب الفجار لفي سجين

اعلم ان اتصال اول هذه السورة بآخر السورة المتقدمة ظاهر لانه تعالى بين في اخر هذه السورة المتقدمة ان يوم القيامة يوم من صفته انه لا تملك نفس لنفس شيا والامر كله لله وذلك يقتضي تهديدا عظيما للعصاة فلهذا اتبعه بقوله تعالى ويل للمطففين والمراد الزجر عن التطفيف وهو البخس في المكيال والميزان بالشي القليل على سبيل الخفية وذلك لان الكثير يظهر فيمنع منه وذلك القليل ان ظهر ايضا منع فعلمنا ان التطفيف هو البخس في المكيال والميزان بالشي القليل على سبيل الخفية وههنا مسايل المسئلة الاولى الويل كلمة تذكر عند وقوع البلا يقال ويل لك وويل عليك الثانية في اشتقاق لفظ المطفف قولان الاول ان طف الشي هو جانبه وحرفه يقال طف الوادي والانا اذا بلغ الشي الذي فيه حرفه ولم يمتلي فهو طفافه وطفافه وطففه يقال هذا طف المكيال وطفافه اذا قارب ملاه لكنه بعد لم يمتلي ولهذا قيل للذي يبخس الكيل ولا يوفيه مطفف يعني انه انما يبلغ الطفاف الثاني وهو قول الزجاج انما قيل للذي ينقص المكيال والميزان مطفف لانه لا يكون الذي يسرق في المكيال والميزان الا الشي اليسير الطفيف وههنا سؤال السؤال الاول وهو ان الاكتيال الاخذ بالكيل كالاتزان الاخذ بالوزن ثم ان اللغة المعتادة ان يقولوا اكتلت من فلان ولا اكتلت على فلان فما الوجه فيه ههنا الجواب من وجهين الاول لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا فيه اضرارهم وتحامل عليهم اقيم على مقام الدلالة على ذلك الثاني قال الفرا المراد اكتالوا من الناس وعلى ومن في هذا الموضع يعتقبان لانه حق عليه فاذا قال اكلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك





واذا قال اكلت منك فمعناه استوفيت منك السؤال الثاني هو ان اللفظ المعتاد ان يقال كالوا لهم او وزنوا لهم ولا يقال كالوهم او وزنوهم فما وجه قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون الجواب من وجوه الاول ان المراد من قوله تعالى كالوهم او وزنوهم كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل قال الكسائي والفراء وهذا من كلام اهل الحجاز ومن جاورهم يقولون زنّي كذا كلني كذا ويقولون صدتك وصدت لك وكسبتك وكسبت لك فعلى هذا الكناية في كالوهم او وزنوهم في موضع نصب الثاني ان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والتقدير واذا كالوا مكيلهم او وزنوا موزونهم الثالث يروى عن عيسى بن عمر وحمزة انهما كانا يجعلان الضميرين توكيدا لما في كالوا ويقفان عند الواوين وقفة يبينان بها ما اراد وزعم الفرا والزجاج انه غير جائز لانه لو كان بمعنى كالوا هم لكان في المصحف الف مثبتة قبل هم واعترض صاحب الكشاف على هذه الحجة فقال ان خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط والجواب ان اثبات هذه الالف لو لم يكن معتادا من الصحابة لمنع منه … في ذكر فثبت ان هذه الالف كان معتادا في زمان الصحابة فكان يجب اثباته ههنا السؤال الثالث ما السبب في انه قال اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون فجمع … الشرا والبيع … الرابع اللغة المعتادة ان يقال … بلغة قريش الثالثة … عكرمة عن ابن عباس قال لما قدم نبي الله المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله تعالى هذه الاية فاحسنوا الكيل بعد ذلك وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون فكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت هذه الاية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله تعالى عليهم عدوهم وما حكم قوم بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهر فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا المكيال الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر الرابعة الذم انما لحقهم بمجموع انهم يأخذون زايدا ويدفعون ناقصا ثم اختلف العلما فقال بعضهم هذه الاية دالة على الوعيد فلا يتناول الا اذا بلغ التطفيف حد الكثرة وهو نصاب السرقة وقال اخرون بل ما يصغر ويكبر يدخل تحت الوعيد لكن بشرط ان لا يكون معه توبة ولا طاعة اعظم منها وهذا هو الاصح الخامسة احتج اصحاب الوعيد بعموم هذه الاية قالوا وهذه الاية ذكروها في اهل الصلوة لا في الكفار والذي يدل عليه وجهان الاول انه لو كان كافرا لكان ذلك الكفر لحيا تقيا هذا الوعيد من التطفيف فلم يكن حينئذ للتطفيف اثر في هذا الوعيد لكن الاية دالة على ان الموجب لهذا الويل هو التطفيف الثاني انه تعالى قال مخاطبين لهذه الاية الا يظن اوليك انهم مبعوثون ليوم عظيم فكانه تعالى هدد المطففين بعذاب يوم القيمة والتهديد بهذا لا يحصل الا مع المومن فثبت بهذين الوجهين ان هذا الوعيد مختص باهل الصلوة والجواب ما تقدم مرارا ومن لواحق هذه المسئلة ان الوعيد يتناول من يفعل ذلك ومن يعزم عليه اذ العزم عليه ايضا من الكباير واعلم ان امر المكيال والميزان عظيم وذلك لان عامة الخلق يحتاجون الى المعاملات وهي مبنية على امر المكيال والميزان فلهذا السبب عظم الله امره فقال والسما رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وقال تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وعن قتادة اوف يا ابن ادم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه وقال اعرابي لعبد الملك قد سمعت ما قال الله تعالى في المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم في اخذ القليل فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن اما قوله تعالى الا يظن اوليك انهم مبعوثون ليوم عظيم اعلم انه وبخ هولا المطففين فقال تعالى الا يظن اوليك انهم الذين يطففون انهم مبعوثون ليوم عظيم وهو يوم القيمة وفي الظن ههنا قولان الاول المراد منه العلم وعلى هذا التقدير يحتمل ان يكون المخاطبون بهذا الخطاب من جملة المصدقين بالبعث ويحتمل ان لا يكون كذلك اما الاحتمال الاول فهو ما روي ان المسلمين من اهل المدينة وهم الاوس والخزرج كانوا كذلك وحين ورد النبي عليه السلام كان ذلك شايعا فيهم وكانوا مصدقين بالبعث والنشور فلا جرم ذكروا به واما ان قلنا المخاطبين بهذه الاية ما كانوا مومنين بالبعث الا انهم كانوا متمكنين من الاستدلال عليه كما في العقول ان ايصال الجزا الى المحسن والمسي واجب وامكان ذلك الى ان ثبت وجوبه وهذا مما يجوز ان يخاطب به من ينكر البعث والمعنى الا يتفكرون حتى يعلموا انهم مبعوثون ولكنهم قد اعرضوا عن التفكر وارحوا النفس عن متابعته ومشاقته وانما جعل العلم الاستدلالي ظنا لان اكثر العلوم الاستدلالية راجع الى الاغلب في الراي ولم يكن كالشي الذي يعيد الوجه في فيه لا جرم سمي ذلك ظنا القول الثاني ان المراد من الظن ههنا هو الظن نفسه لا العلم ويكون المعنى ان هولا المطففين هب انهم لا يجزمون

بالبعث ولكن لا اقل من الظن فان الاليق بحكمة الله تعالى ورحمته ورعايته مصالح خلقه ان لا يهمل امرهم بعد الموت بالكلية وان يكون لهم نشر وحشر وان هذا الظن كان فى حصول الخوف كانه سبحانه وتعالى يقول هب ان هولاء لا يقطعون به افلا يظنونه ايضا فاما قوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ففيه مسايل المسئلة الاولى قرى يوم بالنصب والجر اما النصب فقال الزجاج يوم منصوب بقوله تعالى مبعوثون المعنى الا يظنون انهم مبعوثون يوم القيمة وقال الفرا وقد يكون فى موضع خفض الا انه اضيف الى فعل فنصب وهذا كما ذكرنا فى قوله تعالى يوم لا تملك واما الجر فلكونه بدلا من يوم [illegible] هذا القيام له صفات الصفة الاولى سببه وفيه وجوه احدها وهو الاصح ان الناس يقومون لمحاسبة رب العالمين فيظهر هناك هذا التطفيف الذى يظن انه حقير ويعرف هناك كثرته واجتماعه ويقرب منه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وثانيها انه سبحانه وتعالى يرد الارواح الى الاجساد فيقوم تلك الاجساد من مراقدها فهذا هو المراد من قوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وثالثها قال ابو مسلم معنى يقوم الناس هو قوله تعالى وقوموا لله قانتين اى لعباداته فقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين اى لخضوعهم بامره وطاعته لا لشى اخر على ما قرره من قوله تعالى والامر يومئذ لله الصفة الثانية فى كيفية القيام روى ابن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قرا هذه السورة فى قوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم احدكم فى رشحه الى انصاف اذنيه وعن ابن عمر انه قرا هذه الاية فلما بلغ يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى وانتحب حتى عجز عن قراة ما بعده الصفة الثالثة كمية ذلك القيام روى عنه عليه السلام انه قال يقوم الناس مقدار ثلثماية سنة لا يؤمر فيهم بامر وعن ابن مسعود يمكثون اربعين عاما ثم يخاطبون قال ابن عباس وهو فى حق المومنين كقدر انصرافهم من الصلوة واعلم انه سبحانه وتعالى جمع فى هذه الاية انواعا من التهديد فقال اولا ويل للمطففين وهذه الكلمة تذكر عند نزول البلاء ثم قال تعالى الا يظن اولئك وهو استفهام بمعنى الانكار ثم قال ثالثا ليوم عظيم والشى الذى يستعظمه الله فلا شك انه فى غاية العظمة ثم قال تعالى رابعا يوم يقوم الناس لرب العالمين وفيه نوعان من التهديد احدهما كونهم قايمين مع غاية الخشوع ونهاية الذلة والانكسار والثانى انه وصف نفسه بكونه ربا للعالمين ثم هاهنا سؤال وهو كانه قال قايل كيف يليق بك مع غاية عظمتك ان تهيئ هذا المحفل العظيم الذى هو محفل يوم القيمة لاجل الشى الحقير الطفيف فكانه سبحانه يجيب فيقول عظمة الالهية لا تتم الا بالعظمة فى القدرة والعظمة فى الحكمة فعظمة القدرة ظهرت بكونى ربا للعالمين لكن عظمة الحكمة لا يظهر الا بان انصف المظلوم من الظالم بسبب ذلك القدر الطفيف قال الاستاد ابو القاسم القشيرى لفظ المطفف يتناول التطفيف فى الوزن والكيل وفى اظهار العيب واخفايه وفى طلب الانصاف والانتصاف ويقال من لم يرض لاخيه المسلم ما يرضاه لنفسه فليس بمنصف والمعاشرة والصحبة من هذه الجملة ومن طلب حق نفسه من الناس ولا يعطيهم حقوقهم كما يطلبه لنفسه فهو من هذه الجملة والمعنى من [illegible] حقوق الناس من احد لنفسه حقا اما قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفى عليين اعلم انه سبحانه وتعالى لما بين عظم هذا الذنب اتبعه بذكر لواحقه واحكامه فاولها قوله كلا والمفسرون ذكروا فيه وجوها الاول انه ردع وتنبيه ليس الامر على ما هم عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب فليرتدعوا وتمام الكلام هاهنا الثانى قال ابو حاتم كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا ان كتاب الفجار لفى سجين وهو قول الحسن النوع الثانى انه تعالى وصف كتاب الفجار بالخسة والحقارة على سبيل الاستخفاف بهم وهاهنا سؤالات الاول السجين اسم علم لشى معين او اسم مشتق عن معنى قلنا فيه قولان الاول وهو قول جمهور المفسرين انه اسم علم لشى معين ثم اختلفوا فيه فالاكثرون على انه الارض السابعة السفلى وهو قول ابن عباس فى رواية عطا وقتادة ومجاهد والضحاك وابن زيد وروى البراء انه عليه السلام قال سجين اسفل سبع ارضين قال عطاء الخراسانى وفيها ابليس وذريته وروى ابو هريرة انه عليه السلام قال سجين جب فى جهنم وقال الكلبى ومجاهد صخرة تحت الارض السابعة القول الثانى انه مشتق وسمى سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق كما يقال فسيق من الفسق وهو قول ابى عبيدة والمبرد والزجاج قال الواحدى وهذا ضعيف والدليل على ان سجين ليس مما كانت العرب تعرفه اما قوله تعالى وما ادريك ما سجين اى ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولا قومك وهذا ضعيف فلعله انما ذكر ذلك تعظيما لامر سجين كما فى قوله تعالى وما ادريك ما يوم الدين قال صاحب الكشاف والصحيح ان السجين فعيل ماخوذ من السجن ثم انه هاهنا اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف اذا عرفت هذا فنقول قد ذكرنا ان الله تعالى اجرى عادته مع عباده على ما تعارفوه من التعامل فيما بينهم وبين عظمائهم فالجنة موصوفة بالعلو والصفا والفسحة وحضور الملايكة المقربين والسجين موصوف بالسفل والظلمة والضيق وحضور الشياطين الملعونين ولا شك ان العلو والصفا والفسحة وحضور الملايكة المقربين كل ذلك من صفات الكمال والعزة واضدادها من صفات النقص والذلة فلما اريد وصف الكفرة وكتابهم بالذلة والحقارة قيل انه فى موضع السفل والظلمة والضيق وحضور الشياطين ولما وصف كتاب الابرار بالعزة قيل انه فى عليين ويشهده الملايكة المقربون السؤال الثانى اخبر الله تعالى عن





كتاب الفجار انه فى سجين ثم فسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم فى كتاب مرقوم فما معناه اجاب القفال فقال قوله كتاب مرقوم ليس تفسير السجين بل التقدير كلا ان كتاب الفجار لفى سجين وان كتاب الفجار كتاب مرقوم فيكون هذا وصفا لكتاب الفجار بوصفين احدهما انه فى سجين والثانى انه مرقوم ووقع فيه قوله تعالى وما ادراك ما سجين فيما بين الوصفين معترضا والاولى ان يقال واى استبعاد فى كون احد الكتابين فى الاخر اما بان يوضع كتاب الفجار فى الكتاب الذى هو الاصل المرجوع اليه فى تفصيل احوال الاشقيا او بان ينقل ما فى كتاب الفجار الى ذلك الكتاب المسمى بالسجين وفيه وجه ثالث وهو ان يكون المراد من الكتاب الكتابة فيكون المعنى كتابة الفجار لفى سجين اى كتابة اعمالهم فى سجين ثم وصف السجين بانه كتاب مرقوم فيه جميع اعمال الفجار الثالث ما معنى قوله تعالى كتاب مرقوم قلنا فيه وجوه احدها مرقوم اى مكتوبة اعمالهم فيه وثانيها قال قتادة رقم لهم بسوء اى كتب لهم بايجاب النار وثالثها يحتمل ان يكون المراد انه جعل ذلك الكتاب مرقوما كما يرقم التاجر ثوبه علامة لقيمته فكذلك كتاب الفاجر جعله مرقوما برقم دال على شقاوته ورابعها المرقوم هاهنا المختوم قال الواحدى وهو صحيح لان الختم علامة فيجوز ان يسمى المرقوم مختوما وخامسها ان المعنى كتاب مثبت عليهم كالرقم فى الثوب لا ينمحى اما قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين ففيه وجهان احدهما انه متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين عن كذب باخبار الله تعالى والثانى ان قوله تعالى مرقوم معناه برقم يدل على الشقاوة يوم القيمة ثم قال تعالى ويل يومئذ للمكذبين فى ذلك اليوم من ذلك الكتاب ثم انه تعالى اخبر عن صفة من يكذب بيوم الدين فقال تعالى وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين ومعناه انه لا يكذب بيوم الدين الا من كان موصوفا بهذه الصفات الثلاث فاولها كونه معتديا والاعتدا هو التجاوز عن منهج الحق وثانيها الاثم وهو مبالغة فى ارتكاب الاثم والمعاصى واقول ان الانسان له قوتان قوة نظرية كمالها فى ان يعرف الحق لذاته وقوة عملية وكمالها فى ان يعرف الخير لاجل العمل به وضد الاول ان يصف الله تعالى بما لا يجوز وصفه به فان كلا من انكر البعث والقيامة انما منع امكانه لانه لم يعلم تعلق علم الله تعالى بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات او لانه لم يعلم تعلق قدرة الله تعالى بجميع الممكنات فهذا هو الاعتدا وضد القوة العملية هو الاستقلال بالشهوة والمعصية وصاحبه هو الاثيم وذلك لان المشتغل بالشهوة والمعصية قلما يتفرغ للعبادة والطاعة وربما صار ذلك مانعا له عن الايمان بالقيمة اما الصفة الثالثة للمكذب بيوم الدين فهو قوله تعالى اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين والمراد منه الذين ينكرون النبوة والمعنى اذا تتلى عليه القران قال اساطير الاولين وفيه وجهان احدهما اكاذيب الاولين والثانى اخبار الاولين وانه عنهم احد اى تقدح فى كون القران من عند الله تعالى بهذا الطريق وهاهنا بحث اخر وهو ان هذه الصفات الثلاث هل المراد منها شخص معين ام لا فيه قولان الاول وهو قول الكلبى ان المراد منه الوليد بن المغيرة وقال اخرون انه النضر بن الحرث واحتج من قال انه الوليد بانه تعالى قال فى سورة ن ولا تطع كل حلاف مهين الى قوله تعالى معتد اثيم الى قوله تعالى اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين فقيل انه الوليد ابن المغيرة وعلى هذا التقدير يكون المعنى وما يكذب بيوم الدين من قريش او من قومك الا كل معتد اثيم وهو هذا الشخص المعين والقول الثانى انه عام فى حق جميع الموصوفين بهذه الصفات اما قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فالمعنى ليس الامر كما يقوله من ان ذلك اساطير الاولين بل افعالهم الماضية صارت سببا لحصول الرين فى قلوبهم ولاهل اللغة فى تفسير لفظ الرين وجوه ولاهل التفسير وجوه اخرى اما اهل اللغة فقال ابو عبيدة ران على قلوبهم غلب عليها والخمر ترين على عقل السكران والموت يرين على الميت فيذهب به قال الليث يقال ران النعاس والخمر فى الراس اذا رسخ فيه وهو يرين رينا وريونا ومن هذا حديث عمر فى اسيفع جهينة لما ركبه الدين اصبح قد رين به قال ابو زيد يقال رين بالرجل يران به رينا اذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه قال ابو معاذ النحوى الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع على القلب وهو اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع وهو ان يقفل على القلب قال الزجاج ران على قلوبهم معنى غطى على قلوبهم يقال ران على قلبه الذنب يرين رينا اى غشيه والرين كالصدا يغشى القلب ومثله الغين اما اهل التفسير فلهم وجوه قال الحسن ومجاهد وهو الذنب حتى يحيط الذنوب بالقلوب ويغشاه فيموت القلب وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال والمحقرات من الذنوب فان الذنب على الذنب يوقد على صاحبه جحيما ضخمة وعن مجاهد القلب كالكف فاذا اذنب الذنب انقبض واذا اذنب ذنبا اخر انقبض ثم يطبع عليه وهو الرين وقال اخرون كلما اذنب الانسان حصلت فى قلبه نكتة سودا حتى يسود القلب كله وروى هذا مرفوعا فى حديث ابى هريرة رضى الله عنه قلت لا شك ان تكرر الافعال سبب لحصول ملكة نفسانية فان من اراد تعلم الكتابة فكلما كان اتيانه بعمل الكتابة اكثر كان اقتداره

على عمل الكتابة ام الى ان يصير بحيث يقدر على الاتيان بالكتابة من غير روية ولا فهذه الهية النفسانية لما تولدت
من تلك الاعمال الكثيرة كان لكل واحد من تلك الاعمال اثر في حصول تلك الهية الانسانية اذا عرفت هذا فنقول
عن هذه الاية فقال لما احتجبت اعداوه فلم يروه فلا بد وان يتجلى لاوليايه حتى يروه وعن الشافعي لما حجب
قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى اما قوله تعالى ثم انهم لصالوا الجحيم فالمعنى انهم لصالوا الجحيم فالمعنى
انهم لما صاروا محجوبين في عرصة القيمة اما عن روية الله تعالى على قولنا او عن رحمة الله تعالى وكرامته على قول المعتزلة
فعند ذلك يوم بهم الى النار ثم اذا دخلوا النار بكتبهم بالبعث والجزا فقيل لهم هذا الذي كنتم به تكذبون في الدنيا
الان قد عاينتموه فذوقوه والله اعلم **قوله تعالى** كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك
ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفي نعيم على الارايك ينظرون **اعلم** انه تعالى
لما ذكر حال الفجار المطففين اتبعه بذكر الابرار الذين لا يطففون فقال تعالى كلا اي ليس الامر كما توهمه اولئك الفجار
من انكار البعث ومن انكار كتاب الله وقولهم انه اساطير الاولين **واعلم** ان لاهل اللغة قال ابو الفتح الموصلي عليين جمع علي
وهو مصدر من العلو وقال الزجاج اعراب هذا الاسم كاعراب الجمع لانه على لفظ الجمع كما تقول هذه قنسرون ورايت قنسرين اما المفسرون
فروي عن ابن عباس انها السماء الرابعة وفي رواية اخرى انها السماء السابعة وقال قتادة ومقاتل هي قايمة العرش اليمنى فوق
السماء السابعة قال الضحاك هي سدرة المنتهى وقال الفرا يعني ارتفاعا بعد ارتفاع لا غاية له وقال الزجاج اعلى الامكنة وقال اخرون
هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة قد عظمها الله تعالى واعلى شانها وقال اخرون عند كتاب اعمال الملايكة فظاهر القول يشهد بهذا القول
الاخير ولانه تعالى قال لرسوله وما ادريك ما عليون تنبيها له على انه معلوم وانه سيعرفه ثم قال تعالى كتاب مرقوم يشهده المقربون
فبين ان كتابهم في هذا الكتاب المرقوم الذي يشهده المقربون من الملايكة فلانه تعالى كما وكلهم باللوح المحفوظ فكذلك يوكلهم
بحفظ كتاب الابرار في جملة ذلك الكتاب الذي هو ام الكتاب على وجه الاعظام له ولا يمتنع ان الحفظة اذا صعدت بكتب الابرار
فانهم يسلمونها الى هولاء المقربين فيحفظونها كما يحفظون كتب انفسهم او ينقلون ما في تلك الصحايف الى ذلك الكتاب
الذي وكلوا بحفظه ويصير علمهم شهادة لهولاء الابرار فلذلك يحاسبون حسابا يسيرا لان هولاء المقربين يشهدون لهم
بما حفظوه من اعمالهم واذا كان هذا الكتاب في السماء صح قول من تاوله ذكر على انه في السما العالية فهي قات الاقوال في ذلك
**واعلم** ان المعتمد في تفسير هذه الاية ان العلو والسعة والصفا والطهارة من علامات
وان كان الذي ذكرناه اولى والسفلة من علامات الشقاوة فلما كان المقصود من وضع كتاب الفجار في اسفل
السافلين في اضيق المواضع اذلال الفجار وتحقير شانهم كذلك المقصود من وضع كتاب الابرار في اعلى
عليين وشهادة الملايكة لهم بذلك اعزاز الابرار وهذا قول الجمهور اما قوله تعالى كتاب مرقوم ففيه
تاويلان احدهما المراد بالكتاب المرقوم كتاب اعمالهم والثاني انه كتاب موضوع في عليين كتب الله فيه ما اعدلهم
من الكرامة والثواب واختلفوا في ذلك الكتاب فقال مقاتل ان تلك الاشيا مكتوبة لهم في ساق العرش وقال
اخرون هو كتاب مرقوم بما يوجب سرورهم وذلك بالضد من رقم كتاب الفجار بما يسوءهم ويدل على هذا المعنى
قوله تعالى يشهده المقربون يعني الملايكة الذين هم في عليين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب ومن قال انه كتاب الاعمال
قال يشهدون ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين المقربون من الملايكة كرامة للمومنين اما قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم
**اعلم** انه سبحانه وتعالى لما عظم كتابهم في الاية المتقدمة عظم في هذه الاية منزلتهم فقال تعالى
ان الابرار لفي نعيم ثم وصف كيفية ذلك النعيم بامور ثلاثة اولها قوله تعالى على الارايك ينظرون قال القفال
الارايك الاسرة في الحجال ولا تسمى اريكة فيما زعموا الا اذا كان كذلك وعن الحسن كنا لا ندري ما الاريكة حتى لقينا
رجلا من اهل اليمن اخبرنا ان الاريكة عندهم ذلك اما قولهم ينظرون ففيه ثلثة اوجه احدها ينظرون الى انواع
نعيمهم في الجنة من الحور العين والولدان وانواع الاطعمة والاشربة والملابس والمراكب وغيرها قال عليه السلام
يلحظ المومن فيحيط بكل ما اتاه الله وان ادناهم يرى له مثل سعة الدنيا والثاني قال مقاتل ينظرون الى عدوهم
حين يعذبون والثالث اذا اشتهوا شيا نظروا اليه فيحضرهم ذلك الشي في الحال **واعلم** ان هذه الاوجه
الثلثة من باب انواع جنس واحد هو المنظور اليه فوجب حمل اللفظ على الكل ويخطر ببالي تفسير رابع
هو اشرف من الكل وهو انهم ينظرون الى ربهم ويتاكد هذا التاويل بما انه قال بعد هذه الاية تعرف في وجوههم
نضرة النعيم والنظر المقرون بالنضرة هو الروية على ما قال وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومما يوكد هذا التاويل
انه يجب الابتدا بذكر اعظم اللذات وما هو الا روية الله تعالى وثانيها قوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم
وفيه مسلتان **المسألة الاولى** المعنى اذا رايتهم عرفت انهم اهل النعمة بسبب ما ترى في وجوههم من القراين
الدالة على ذلكم في تلك القراين قولان احدهما انه ما تشاهد في وجوههم من الضحك والاستبشار على ما
قال تعالى وجوه يومئذ ضاحكة مستبشرة والثاني ان الله تعالى يزيد في وجوههم من النور والحسن والبياض ما يصف
واصف وتفسير النضرة قد سبق عند قوله تعالى ناضرة **الثانية** قرى تعرف على البناء للمفعول ونضرة النعيم بالرفع
وثالثها قوله تعالى يسقون من رحيق وفيه مسلتان **المسألة الاولى** في بيان ان الرحيق ما هو قال الليث الرحيق الخمر
وانشد لحسان بردى يصفق بالرحيق السلسل وقال ابو عبيدة والزجاج الرحيق من الخمر ما لا غش فيه ولا شي

يفسره



يفسده ولعله الخمر الذي وصفه الله بقوله تعالى لا فيها غول **المسألة الثانية** ذكر الله تعالى لهذا
الرحيق صفات **الصفة الاولى** قوله تعالى مختوم وفيه وجوه الاول قال القفال يحتمل ان هولاء يسقون من شراب
مختوم قد ختم عليه تكريما بالصيانة على ما جرت به العادة من ختم ما يكرم ويصان وهناك خمر اخر تجري منها
انهار كما قال تعالى وانهار من خمر لذة للشاربين الا ان هذه المختوم اشرف من الجاري الثاني قال ابو عبيدة والمبرد
والزجاج المختوم الذي له ختام اي عاقبة الثالث عن عبد الله في مختوم انه قال الواحدي وليس بتفسير لان الختم
لا يكون تفسيره المزج ولكن لما كانت له عاقبة هي ريح المسك فسره بالممزوج لانه لو لم يمتزج بالمسك لما حصل
فيه ريح المسك الرابع قال مجاهد مختوم مطين قال الواحدي كان مراده من الختم بالطين انه لا يمسه يد الى ان يفك
ختمه الابرار والاقرب من جميع هذه الوجوه الاول الذي ذكره القفال **الصفة الثانية** لهذا الرحيق قوله ختامه
مسك فيه وجوه الاول قال القفال معناه ان الذي يختم به راس قارورة ذلك الرحيق هو المسك كالطين
الذي يختم به روس القوارير فكان المسك يطبع فيه الخاتم وهذا الوجه يطابق الوجه الاول الذي حكيناه
في تفسير قوله تعالى مختوم الثاني المراد من قوله تعالى ختامه مسك اي عاقبته المسك اي يختم له اخره بريح المسك
وهذا الوجه يطابق الوجه الذي حكيناه عن ابي عبيدة في تفسير قوله تعالى مختوم لانه قال من رحيق له عاقبته
ثم فسر تلك العاقبة فقال تلك العاقبة مسك اي من شربه كان ختم شربه على ريح المسك وهذا قول علقمة والضحاك
وسعيد بن جبير وقتادة قالوا اذا رفع الشارب فاه من اخر شرابه وجد ريحه كريح المسك والمعنى لذاذة
المقطع وذكا الرايحة وارجها مع طيب الطعم والختام اخر كل شي ومنه يقال ختمت القران والاعمال بخواتيمها
ويوكده قراءة علي رضي الله عنه والضحاك والكسائي فانه قرا خاتمه مسك اي اخره كما يقال خاتم النبيين
قال الفرا وهما متقاربان في المعنى الا ان الخاتم اسم والختام مصدر كقولهم هو كريم الطباع والطابع
واقول لعل المراد ان الخمر الممزوج بهذه الافاويه الحارة مما يعين على الهضم وتقوية الشهوة فلعل
المراد منه الاشارة الى قوة شهوتهم وصحة ابدانهم وهذا القول رواه سعيد بن جبير عن الاسود
عن عايشة رضي الله عنها المراد نقدا حدثت خلق طين اي الفداء حدث الحلاط قال ابو الدردا هو
شراب ابيض مثل الفضة يختمون به اخر شربهم لو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل فيه يده ثم اخرجها
لم يبق ذو روح الا وجد ريحها طيبه **الثالثة** قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون قال الواحدي
نفست عليه الشي انفسه نفاسة اذا ضننت به ولم تحب ان يصير اليه والتنافس تفاعل منه
كان كل واحد من الشخصين يريد ان يستاثر به والمعنى وفي ذلك فليرغب الراغبون بالمبادرة
الى طاعة الله تعالى **واعلم** ان مبالغة الله تعالى في الترغيب فيه يدل على علو شانه وفيه اشارة
الى ان التنافس يجب ان يكون في مثل ذلك النعيم العظيم الدايم لا في النعيم الذي هو يكون سريع الفنا
**الصفة الرابعة** قوله تعالى ومزاجه من تسنيم وفيه مسائل **المسألة الاولى** تسنيم اسم لعين
بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها
ياتيهم من فوق على ما روي انها تجري في الهوا متسنمة فتنصب في اوانيهم واما لانها لاجل كثرة ماءها وسرعته
تعلو على كل شي تمر به وهو تسنيمه او لانه عند الجري يرى فيه ارتفاع وانخفاض فهو التسنيم
ايضا وذلك لان اصل هذه الكلمة للعلو والارتفاع ومنه سنام البعير وتسنمت الحايط اذا
علوته واما قول المفسرين فروى ميمون بن مهران ان ابن عباس سيل عن تسنيم فقال هذا مما
يقول الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ويقرب منه ما قال الحسن وهو انه امر
اخفاه الله تعالى لاهل الجنة قال الواحدي وهذا لا يعرف له اشتقاق وهو اسم معرفة وعن عكرمة
من تسنيم من تشريف **المسألة الثانية** انه تعالى ذكر ان تسنيم عين يشرب بها المقربون صرفا ويمزج
لاصحاب اليمين وانه تعالى قال في سورة الواقعة والسابقون السابقون اولئك المقربون وجعلهم قسما
واصحاب اليمين قسما اخر ثم انه تعالى بين كرامة المذكورين في هذه السورة بانه يمزج
شرابهم من عين يشرب بها المقربون علمنا ان المذكورين هاهنا هم اصحاب اليمين وقوله
انه هاهنا على انها متفاوتة في الفضل فتسنيم افضل انواعها والجنة والمقربون منتهى
درجاتها والتسنيم في الجنة هو معرفة الله تعالى ولذة النظر الى وجهه الكريم والرحيق هو الابتهاج
بمطالعة عالم الموجودات فالمقربون لا يشربون الا من التسنيم اي لا يشتغلون الا بمطالعة وجهه
الكريم واصحاب اليمين يكون شرابهم ممزوجا فتارة يكون نظرهم اليه وتارة الى مخلوقاته **المسألة الثالثة**
عينا نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال وقوله تعالى يشرب بها المقربون كقوله تعالى
عينا يشرب بها عباد الله **قوله تعالى** ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا
يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين واذا راوهم

قالوا ان هولاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون
على الارايك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون اعلم انه تعالى لما وصف كرامة الابرار
في الاخرة ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار معهم في الدنيا باستهزائهم وضحكهم ثم بين ان ذلك سينقلب على
الكفار في الاخرة والمقصود منه تسلية المومنين وتقوية قلوبهم وفيه مسايل المسئلة الاولى ذكروا في سبب
النزول وجهين الاول ان المراد من قوله تعالى ان الذين اجرموا اكابر المشركين كابي جهل والوليد بن المغيرة والعاص
ابن وايل السهمي وكانوا يضحكون من عمار وبلال وغيرهم من فقرا المسلمين ويستهزون بهم الثاني
جاء علي في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا راينا اليوم
الاصلع فضحكنا منه فنزلت هذه الاية قبل ان يصل علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة الثانية
انه تعالى حكى عنهم اربعة اشياء من المعاملات القبيحة فاولها قوله تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين
امنوا يضحكون اي يستهزون بهم وبدينهم وثانيها قوله تعالى واذا مروا بهم يتغامزون اي يتفاعلون من الغمز
وهو الاشارة بالجفن والحاجب ويكون الغمز ايضا بمعنى العيب يقال غمزه اذا عابه وما في فلان غمزة اي ما يعاب
والمعنى انهم يشيرون اليهم بالاعين استهزا ويعيبونهم ويقولون انظروا الى هولاء يتعبون انفسهم ويحرمونها
لذاتها ويخاطرون بانفسهم في طلب ثواب لا يتيقنونه وثالثها قوله تعالى واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا
فاكهين معجبين بما هم فيه من الشرك والمعصية والتنعم بالدنيا او يتفكهون بذكر المسلمين بالسوء قرا عاصم في رواية
عنه فكهين بغير الف في هذا الموضع وحده وفي ساير القران فاكهين بالالف وقرا الباقون فاكهين فقيل هما
لغتان وقيل فاكهين اي متنعمين مشغولين بما هم فيه من الكفر والتنعم بالدنيا وفكهين معجبين ورابعها
قوله تعالى واذا راوهم قالوا ان هولاء لضالون اي هم على ضلال في تركهم التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدرى
هل هو موجود ام لا وهذا آخر ما حكاه عن الكفار ثم قال تعالى وما ارسلوا عليهم حافظين يعني ان الله
تعالى لم يبعث هولاء الكفار رقبا على المومنين يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون بما يصنعونه من حق
او باطل فيعيبون عليهم ما يعتقدونه ضلالا بل انما امروا باصلاح انفسهم اما قوله تعالى فاليوم الذين امنوا
من الكفار يضحكون ففيه مسئلتان المسئلة الاولى المعنى ان في هذا اليوم الذي هو يوم الاعمال والمحاسبة
يضحك المومنون من الكفار وفي سبب هذا الضحك وجوه احدها ان الكفار كانوا يضحكون من المومنين
في الدنيا بسبب ما هم فيه من الضر والبوس وفي الاخرة يضحك المومنون على الكفار بسبب ما هم فيه من
انواع العذاب والبلاء ولانهم علموا انهم كانوا في الدنيا على غير شي وانهم قد باعوا باقيا بفان ويرون انفسهم
قد فازوا بالنعيم المقيم ونالوا بالتعب اليسير راحة الابد ودخلوا الجنة فاجلسوا على الارايك ينظرون
اليهم كيف يعذبون في النار وكيف يصطرخون فيها ويدعون بالويل والثبور ويلعن بعضهم بعضا والثاني
قال ابو صالح يقال لاهل النار وهم فيها اخرجوا وتفتح لهم ابوابها فاذا راوها قد فتحت اقبلوا اليها يريدون الخروج
والمومنون ينظرون اليهم على الارايك فاذا انتهوا الى ابوابها غلقت دونهم فذلك هو سبب الضحك الثالث
قوله على الارايك ينظرون حال من يضحكون اي يضحكون ناظرين اليهم والى ما هم فيه من العذاب والصغار
بعد العزة والكبر قال الله تعالى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون يعني اثيب قال اوس سا جزيك او يجزيك
عني مثوب وحسبك ان يثنى عليك وتجزى قال المبرد وهو فعل من الثواب وهو ما يثوب اي يرجع على فاعله
جزا ما عمله من خير او شر والثواب يستعمل في المكافاة بالشر انشد ابو عبيدة الا ابلغ ابا حسن رسولا
فما لك لا تجي الا الثواب والاولى ان يحمل ذلك على سبيل التهكم كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم والمعنى
كانه تعالى يقول للمومنين هل جازينا هولاء الكفار على عملهم الذي كان من جملته ضحكهم بكم واستهزاوهم بطريقكم
كما جازيناكم على اعمالكم الصالحة فيكون هذا القول زايدا في سرورهم لانه يقتضي زيادة في تعظيمهم والاستخفاف
باعدائهم والله اعلم والمقصود منها شرح احوال القيامة

اذا السما انشقت واذنت لربها وحقت واذا الارض مدت والقت ما فيها
وتخلت واذنت لربها وحقت اما انشقاق السما فقد تقدم شرحه في مواضع من القران
وعن علي رضي الله عنه انها تنشق من المجرة اما قوله تعالى واذنت لربها وحقت فالمعنى اذن له
استمع له ومنه قوله تعالى واذنت لربها ومنه قوله عليه السلام ما اذن الله لشي كاذنه لمن يتغنى
بالقران وانشد ابو عبيدة والمبرد والزجاج قول بعضهم صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت
بسوء عندهم اذنوا والمعنى انه لم يوجد في جرم السما ما يمنع من تاثير قدرة الله تعالى في شقها وتفريق

اجزائها



اجزائها فكان في قبول ذلك التاثير كالعبد الطايع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة المالك انصت له
واذعن ولم يمتنع فقوله تعالى اتينا طايعين يدل على نفوذ القدرة في الايجاد والابداع من غير ممانعة
اصلا وقوله تعالى ههنا واذنت لربها يدل على نفوذ القدرة في التفريق والاعدام والافنا من غير
ممانعة اصلا واما قوله تعالى وحقت فهو من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى وهي حقيقة بان
تنقاد ولا تمتنع وذلك لانه جسم وكل جسم فهو ممكن لذاته فان الوجود والعدم بالنسبة اليه على السوية وكل
ما كان كذلك كان ترجيح وجوده على عدمه او ترجيح عدمه على وجوده لا بد وان يكون بتاثير واجب
الوجود وترجيحه فيكون تاثير قدرته في ايجاده واعدامه نافذا ساريا من غير ممانعة اصلا واما الممكن
فليس له الا القبول والاستعداد ومثل هذا الشي حقيق به ان يكون قابلا للوجود تارة والعدم اخرى
من واجب الوجود اما قوله واذا الارض مدت ففيه وجهان الاول انه ماخوذ من مد الشي فامتد وهو
ان تزال جبالها بالنسف كما قال تعالى ويسلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا كما قال
تعالى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس مدت مد الاديم ... اذا مد زال كل ما كان فيه من انثنا
واستوى والثاني انه ماخوذ من مده بمعنى امده اي يزاد في سعتها ... الحساب لوقوف الخلايق عليها
... والارض سوى ما كانت عليه ... ما في الارض
... اما قوله تعالى والقت ما فيها وتخلت ... والقت
... القبور بعثرت ... اما قوله تعالى
وتخلت فالمعنى وخلت غاية الخلو حتى لم يبق في باطنها شي كانها تكلفت اقصى جهدها في الخلو كما يقال
تكرم الكريم وترحم الرحيم اذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما واعلم ان التحقيق
ان الله تعالى هو الذي اخرج تلك الاشيا من باطن الارض الى ظهرها لكن الارض وصفت بذلك على سبيل التوسع
واما قوله تعالى واذنت لربها وحقت فقد تقدم تفسيره الا ان الاول في السما وهذه في الارض واذا
اختلف وجه الكلام لم يكن تكرارا قوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك
كدحا فملاقيه اعلم ان قوله تعالى اذا السما انشقت الى قوله تعالى يا ايها الانسان شرط ولا بد له
من جزا واختلفوا على وجوه احدها قال صاحب الكشاف حذف جواب اذا ليذهب الوهم الى كل شي
فيكون ادخل في التهويل وثانيها قال الفرا انما ترك الجواب لان هذا المعنى معروف قد تردد في القران معناه فعرف
نظيره قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر ترك ذكر القران لان التصريح به قد تقدم في ساير المواضع وثالثها قال
بعض المحققين الجواب هو قوله تعالى فملاقيه وقوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح معترض وهو كقول القايل
اذا كان كذا وكذا يا ايها الانسان ترى عند ذلك ما عملت من خير او شر فكذا ههنا والتقدير اذا كان يوم القيمة
لقي الانسان عمله ورابعها ان المعنى محمول على التقديم والتاخير فكانه قيل يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا
فملاقيه اذا السما انشقت وقامت القيمة وخامسها قال الكسائي ان الجواب في قوله تعالى فاما من اوتي كتابه
واعترض في الكلام قوله يا ايها الانسان انك كادح والمعنى اذا السما انشقت وكان كذا وكذا فاما من اوتي
كتابه بيمينه فهو كذا ومن اوتي كتابه وراء ظهره فهو كذا ونظيره قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع
هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وسادسها قال القاضي ان الجواب ما دل عليه قوله تعالى انك كادح كانه قال
على قال يا ايها الانسان ترى ما عملت فاكدح لذلك اليوم ايها الانسان لتفوز بالنعيم اما قوله تعالى يا ايها
الانسان ففيه قولان الاول ان المراد جنس الانسان كما يقال يا ايها الرجل وكلكم ذلك الرجل فكذا ههنا وكانه خطاب
خص به كل واحد من الناس قال القفال وهو ابلغ من العموم لانه قايم مقام التخصيص على مخاطبة كل واحد منهم
على التعيين بخلاف اللفظ العام فانه لا يكون كذلك والثاني ان المراد منه رجل بعينه وههنا فيه قولان
الاول ان المراد محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انك تكدح في ابلاغ رسالات الله وارشاد عباده وتحمل
الضرر من الكفار والشرفانك تلقى الله تعالى بهذا العمل وهو غير ضايع عنده الثاني قال ابن عباس هو ابي
ابن خلف وكدحه جده واجتهاده في طلب الدنيا وايذا الرسول عليه السلام والاصرار على الكفر والاقرب انه
محمول على الجنس لانه اكثر فايدة ولان قوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه وقوله تعالى واما من اوتي كتابه
وراء ظهره كالنوعين له وذلك لا يتم الا اذا كان جنسا اما قوله تعالى انك كادح فاعلم ان الكدح جهد الانسان
في العمل والكد فيه حتى يوثر فيه من كدح جلده اذا خدشه اما قوله تعالى الى ربك ففيه ثلاثة اوجه احدها
انك كادح الى لقا ربك وهو الموت اي هذا الكدح يستمر ويبقى الى هذا الزمان واقول في التفسير نكتة لطيفة
وذلك لانها تقتضي ان الانسان في هذه الحياة الدنيوية من اولها الى اخرها في الكدح والمشقة ولما كانت
كلمة الى لانتها الغاية فهي تدل على وجوب انتها الكدح والمشقة ثانيها هذه الحياة وان يكون الحاصل بعد

هذه الدنيا محض السعادة والرحمة وذلك معقول فان نسبة الاخرة الى الدنيا كنسبة الدنيا الى رحم الام
فكما صح ان يقال للجنين انك كادح الى ان تنفصل من الرحم فكان ما بعد الانفصال من الرحم بالنسبة اليها
قبله خلاصا عن الكدح والظلمة فنرجوا من فضل الله تعالى ان تكون الحال فيما بعد الموت كذلك وثانيها
قال القفال رحمه الله تعالى التقدير انك كادح في دنياك كدحا تصير الى ربك فبهذا التاويل حسن استعمال
حرف الى هاهنا وثالثها يحتمل ان يكون دخول الى على معنى ان الكدح هو السعي فكانه قال ساع بعملك الى ربك
اما قوله تعالى فملاقيه ففيه قولان قال الزجاج فملاق ربك اي ملاق حكمه لا مفر لك منه وقال اخرون الضمير
عايد الى الكدح الا ان الكدح عمل وهو عرض لا يبقى فملاقاته ممتنعة فوجب ان يكون المراد ملاقاة الكتاب الذي
فيه بيان تلك الاعمال ويتاكد هذا التاويل بقوله تعالى بعد هذه الاية فاما من اوتي كتابه بيمينه اما قوله تعالى
بعد هذه الاية فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا فالمعنى فاما
من اعطي كتاب اعماله بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وسوف من الله واجب هو كقول القايل اتبعني فسوف
تجد خيرا فانه لا يريد به الشك وانما يريد به ترقيق الكلام والحساب اليسير هو ان تعرض عليه اعماله ويعرف
ان الطاعة منها هذه والمعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو جزاء الحساب اليسير
لانه لا شدة على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه وبالحجة عليه فانه متى
طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح ثم انه عند هذا الحساب اليسير يرجع الى اهله مسرورا فايزا بالثواب
امنا من العقاب والمراد من اهله من في الجنة من الحور العين او من زوجاته وذرياته اذا كانوا مومنين فدلت
هذه الاية على انه سبحانه وتعالى اعد له ولاهله الجنة مما يليق به من الثواب عن عايشة رضي الله عنها
قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم حاسبني حسابا يسيرا قلت وما الحساب
اليسير قال ينظر في كتابه ويتجاوز عن سياته فاما من نوقش في الحساب فقد هلك وعن عايشة
رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوقش في الحساب فقد هلك قلت يا رسول
الله ان الله يقول فمن اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلك العرض ولكن
من نوقش الحساب عذب وفي قوله تعالى يحاسب اشكال لان المحاسبة بين اثنين وليس في القيامة
احد يحاسب ربه ويطالبه فيحاسبه وجوابه ان العبد يقول الهي فعلت الطاعة الفلانية والرب يقول
فعلت المعصية الفلانية فكان ذلك العبد والرب يحاسبه والدليل عليه انه تعالى خص الكفار
بانه لا يكلمهم فدل ذلك على انه تعالى يكلم المطيعين والعبد يكلمه فكانت المكالمة محاسبة اما
قوله تعالى واما من اوتي كتابه وراء ظهره فللمفسرين فيه وجوه احدها قال الكلبي السبب فيه لان
يمينه مغلولة الى عنقه ويده اليسرى خلف ظهره وثانيها قال مجاهد يخلع يده فيجعل من وراء ظهره
والثالث قال قوم يحول وجهه في قفاه فيقرا كتابه كذلك ورابعها انه يوتى كتابه بشماله من وراء
ظهره لانه اذا حاول اخذه بيمينه كانوا منع من ذلك واما من اوتي وراء ظهره بشماله فان قيل اليس انه
تعالى قال في سورة الحاقة فاما من اوتي كتابه بشماله ولم يذكر الظهر والجواب من وجهين احدهما
يحتمل ان يوتى بشماله وراء ظهره اما قوله تعالى فسوف يدعو ثبورا فاعلم ان الثبور هو الهلاك
والمعنى انه لما اوتي كتابه لا عن يمينه علم انه من اهل النار فيقول واثبوراه وقال الفراء العرب تقول
فلان يدعو لهفه اذا قال والهفاه وفيه وجه اخر ذكره القفال فقال الثبور مشتق من المثابرة على
الشي وهو المواظبة عليه فسمي هلاك الاخرة ثبورا لانه لازم لا يزول كما قال تعالى ان عذابها كان غراما
واصل الغرام اللزوم والولوع واما قوله تعالى ويصلى سعيرا ففيه مسلتان الاولى يقال صلى الكافر النار
قال تعالى وسيصلون سعيرا وقال تعالى وتصلية جحيم وقال الا من هو صال الجحيم وقال تعالى لا يصلاها
الا الاشقى الذي كذب وتولى والمعنى انه اذا اعطي كتابه بشماله من وراء ظهره فانه يدعو ثبورا ثم يدخل
النار وهو في النار ايضا يدعو ثبورا كما قال تعالى دعوا هنالك ثبورا واحدها لا يسعى الاخر وانما هو على
اجتماعها قبل دخول النار وبعد دخولها نعوذ بالله تعالى منها وما قرب اليها من قول وعمل الثانية قرا عاصم وحمزة
وابو عمرو ويصلى بضم اليا والتخفيف لقوله تعالى نصله جهنم وهذه القراة مطابقة للقراة المشهورة
لانه يصلى فيصلى اي يدخله النار وقراة ابن عامر ونافع والكسائي بضم اليا مثقلة لقوله تعالى
وتصلية جحيم وقوله تعالى ثم الجحيم صلوه اما قوله تعالى كان في اهله مسرورا فقد ذكر القفال فيه وجهين
احدهما انه كان في اهله مسرورا اي منعما مستريحا من التعب باداء العبادات واحتمال مشقة الفرايض
من الصلوات والصوم والجهاد متقدما على المعاصي امنا من الحساب والثواب والعقاب لا يخاف الله
تعالى ولا يرجوه فابدله الله تعالى بذلك السرور الفاني غما باقيا لا ينقطع وكان المومن الذي اوتي كتابه بيمينه
متقيا من المعاصي امنا من العذاب ولم يكن في دنياه مسرورا في اهله فجعله الله تعالى في الاخرة امنا مسرورا





وابدله بالغم الثاني سرورا دايما لا يبعد والثاني ان قوله انه كان في اهله مسرورا لقوله تعالى واذا انقلبوا
الى اهلهم انقلبوا فاكهين اي منعمين في الدنيا معجبين بما هم عليه من الكفر فلذلك يحتمل ان يكون المعنى انه كان
في اهله مسرورا بما هو عليه من الكفر بالله تعالى والتكذيب بالبعث يضحك ممن امن به ويصدق بالحساب
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا سجن المومن وجنة الكافر اما قوله تعالى انه ظن ان لن
يحور بلى **فاعلم** ان الحور هو الرجوع والمحار المرجع والمصير وعن ابن عباس ما كنت ادري ما معنى
يحور حتى سمعت اعرابية تقول لابنتها حوري اي ارجعي ونقل القفال عن بعضهم ان الحور هو الرجوع الى خلاف
ما كان عليه الامر كما قال نعوذ بالله من الحور بعد الكور فعلى الوجه الاول معنى الاية انه ظن ان لن
يرجع الى الاخرة اي لن يبعث وقال مقاتل وابن عباس حسب انه لا يرجع الى الله وعلى الوجه الثاني انه
ظن ان لن يرجع الى خلاف ما هو عليه في الدنيا من السرور والنعيم ثم قال تعالى بلى اي ليبعثن وعلى الوجه الثاني
يكون المعنى ان الله يبدل سروره بغم لا ينقطع وبلا لا ينتهي ولا يزول واما قوله تعالى ان ربه كان به بصيرا
قال الكلبي كان بصيرا به من يوم خلقه الى ان بعثه وقال عطا بصيرا بما سبق عليه في ام الكتاب من
الشقاوة وقال مقاتل بصيرا متى بعثه وقال الزجاج كان عالما بان مرجعه اليه ولا فايدة في هذه الاقوال
انما الفايدة في وجهين ذكره القفال الاول بان ربه كان عالما بانه سيجزيه والثاني ان ربه كان عالما بما يعمله من الكفر
والمعاصي فلم يكن يجوز في حكمته ان يهمله ولا يعاقبه على سوء اعماله وهذا زجر لكل المكلفين عن جميع المعاصي

**قوله تعالى** فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن
طبقا عن طبق فما لهم لا يومنون واذا قرى عليهم القران لا يسجدون بل الذين كفروا
يكذبون والله اعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب اليم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم اجر غير ممنون **اعلم** ان قوله تعالى فلا اقسم بالشفق فيه مسايل **المسلة الاولى**
ان هذا قسم واما حرف لا فقد تكلمنا فيه في قوله تعالى لا اقسم بيوم القيمة ومن جملة الوجوه المذكورة
هناك ان لا نفي ورد الكلام قبل القسم وتوجيه هذا الوجه هاهنا ظاهر لانه تعالى حكى هاهنا عن المشرك انه
ظن ان لن يحور بلى فقوله لا رد لذلك القول وابطال لذلك الظن ثم قال بعده اقسم بالشفق **المسلة الثانية**
قد عرفت اختلاف العلما في ان القسم واقع بهذه الاشيا او بخالقها وعرفت ان المتكلمين ذكروا ان القسم واقع
برب الشفق وان كان محذوفا لان ذكره معلوم من حيث ورد الحظر بان يقسم الانسان بغير ربه **المسلة الثالثة**
تركيب لفظ المشتق في اصل اللغة لرقة الشي ومنه يقال شي شفيق لا تماسك له لرقته ويقال للردي من
الاشيا شفق واشفق عليه اذا رق عليه والشفقة رقة القلب ثم اتفق العلما على انه اسم للاثر الباقي
من الشمس في الافق بعد غروبها الا ما يحكى عن مجاهد انه قال الشفق هو النهار ولعله انما ذهب الى هذا
لانه عطف عليه الليل فيجب ان يكون المذكور اولا هو النهار فالقسم على هذا الوجه واقع بالليل والنهار اللذين احدهما
معاش والثاني سكن وبهما قوام امور العالم ثم اختلفوا بعد ذلك فذهب عامة العلما الى انه هو الحمرة وهو قول ابن
عباس والكلبي ومقاتل ومن اهل اللغة قول الليث والفرا والزجاج قال صاحب الكشاف وهو قول عامة
العلما الا ما يروى عن ابي حنيفه رضي الله عنه في احدى الروايتين انه البياض وروى اسد بن عمرو انه رجع عنه
**واحتجوا** عليه بوجوه احدها قال الفرا سمعت بعض العرب يقول عليه ثوب مصبوغ كانه الشفق
وقت العشا والاخرة فوجب ان يكون المعتبر هو الحمرة لا البياض لان البياض يمتد وقته ويطول لبثه والحمرة
لما كانت بقية ضوء الشمس ثم بعدت الشمس عن الافق ذهبت الحمرة وثالثها ان الشفق لما كانت من الرقة ولا شك
ان الضوء ياخذ في الرقة والضعف من غيبة الشمس فيكون الحمرة شفقا واما قوله تعالى والليل وما وسق
فقال اهل اللغة وسق اي جمع ومنه الوسق وهو الطعام المجتمع الذي يكال ويوزن ثم صار اسما للحمل واستوسقت
الابل اذا اجتمعت والصمت والراعي يسقها اي يجمعها قال صاحب الكشاف يقال وسقته فاتسق واستوسق
ونظيره في وقوع فعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع واما المعنى فقال القفال مجموع اقاويل المفسرين
يدل على انهم فسروا قوله تعالى على جمع ما يجمعه الليل من النجوم ورجوع الحيوان عن الانتشار وتحرك ما يتحرك فيه
من الهوام ثم هذا يحتمل ان يكون اشارة الى الاشياء كلها لاشتمال الليل عليها فكانه تعالى اقسم بجميع المخلوقات
كما قال تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وقال سعيد بن جبير ما عمل فيه قال القفال يحتمل ان
يكون ذلك بالجة العباد فقد مدح الله تعالى المستغفرين بالاسحار فيجوز ان يحلفهم واما قلنا ان الليل
جمع هذه الاشيا كلها لان ظلمته كانها تجلل الجبال والبحار والشجر والحيوانات فلا جرم صح ان يقال
جمع هذه الاشيا واما قوله تعالى والقمر اذا اتسق فاعلم ان اصل الكلمة من الاجتماع يقال وسقته
فاتسق كما يقول وصلته فاتصل اي جمعته فاجتمع ويقال امور فلان متسقة اي مجتمعة على الصلاح
كما يقال منتظمة واما اهل المعاني فقال ابن عباس اذا اتسق اي استوى واجتمع وتكامل وتم واستدار

ذكر بانه اقسم ثم اتبعه بذكر ما عليه اقسم فقال لتركبن طبقا عن طبق وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قرى لتركبن على خطاب الانسان في قوله يا ايها الانسان ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لان النداء في قوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس وليركبن بالياء على ليركبن الانسان اما الطبق فما طابق غيره يقال ما هذا بطبق كذا اى لا يطابقه ومنها قوله تعالى طبقا عن طبق اى حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها في الشدة والهول ويجوز ان يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من اهوال القيامة ولنذكر الان وجوه المفسرين فنقول اما القراءة بالرفع وهو خطاب الجمع فيحتمل وجوها احدها ان يكون المعنى لتركبن ايها الانسان امورا واحوالا امرا بعد امر وحالا بعد حال ومنزلة بعد منزلة الى ان يستقر الامر على ما يقضى به على الانسان وله من جنة او نار فحينئذ يحصل الدوام والخلود اما في الثواب وفي العقاب ويدخل في هذه الجملة احوال الناس من حين يكون نطفة الى ان يصير شيخا ثم عوده وكونه في البرزخ ثم يحشر ثم ينقل اما الى جنة واما الى نار وثانيها ان معنى الاية ان الناس يلقون يوم القيمة احوالا وشدايد حالا بعد حال وشدة بعد شدة كانهم لما انكروا البعث اقسم الله ان البعث كاين وان الناس يلقون فيها الشدايد والاهوال الى ان يفرغ من حسابهم فيصير كل واحد الى ما اعد له من جنة او نار وهو قوله تعالى بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وقوله تعالى يوم يكشف عن ساق وقوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا وثالثها ان يكون المعنى ان الناس تنقل احوالهم يوم القيمة عما كانوا عليه في الدنيا من وضع في الدنيا يصير رفيعا في الاخرة ومن رفيع وضيع ومن سعيد شقي ومن شقي سعيد وهو كقوله خافضة رافعة وهذا التاويل مناسب لما قبل هذه الاية لانه تعالى لما ذكر حال من اوتي كتابه وراء ظهره وانه كان في اهله مسرورا وكان ظن ان لن يحور اخبر الله تعالى انه يحور ثم اقسم على الناس انهم يركبون في الاخرة طبقا عن طبق اى حالا بعد حال في الدنيا ورابعها ان يكون المعنى لتركبن سنة الاولين ممن كان قبلكم من التكذيب بالنبوة والقيامة واما القراءة بنصب الباء ففيها قولان الاول قول من قال انه خطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا التقدير ذكروا وجهين احدهما ان يكون ذلك اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا التقدير ذكروا بالظفر والعلبة على المشركين المكذبين بالبعث كانه يقول اقسم يا محمد لتركبن حالا بعد حال حتى يختم لك بجميل العاقبة ولا يحزنك تكذيبهم وتماديهم في كفرهم وفي الوجه احتمال اخر يقرب مما ذكرنا وهو ان يكون المعنى ان الله تعالى يبدله عن المشركين انصارا مسلمين ويكون ذلك ماخوذا من قولهم طبقات الناس وقد يصح هذا التاويل على قراءة من قرا بضم الباء كانه خطاب للمسلمين بتعريف تنقل الاحوال بهم ومصيرهم الى الظفر بعدوهم بعد الشدة التي يلقونها منهم كما قال تعالى لتبلون في اموالكم وانفسكم الاية وثانيها ان يكون ذلك بشارة لمحمد صلى الله عليه وسلم بصعوده الى السموات لمشاهدة ملكوتها واجلال الملائكة اياه فيها والمعنى لتركبن يا محمد السموات طبقا عن طبق وقد قال تعالى سبع سموات طباقا وقد فعل الله تعالى ذلك ليلة الاسرى وهذا الوجه درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى القول الثاني في هذه القراءة ان هذه الاية في السماء وتغيرها من حال الى حال والمعنى لتركبن السماء يوم القيمة حالة بعد حالة وذلك انها ولا تستوي كما قال تعالى اذا السماء انشقت ثم تنفطر كما قال تعالى اذا السماء انفطرت ثم تصير وردة كالدهان وتارة كالمهل على ما ذكره الله تعالى في هذه الاشياء في ايات من القران فكانه تعالى لما ذكر في اول السورة انها تنشق قسم في اخر السورة انها تنتقل من احوال الى احوال وهذا الوجه مروي عن ابن مسعود رضي الله عنه **المسئلة الثالثة** قوله تعالى طبقا عن طبق اى بعد طبق كقول الشاعر ما زلت اقطع منهلا عن منهل حتى انخت بباب عبد الواحد ووجه هذا ان الانسان اذا صار الى شيء من شيء اخر فقد صار الى الثاني بعد الاول فصلحت بعد وعن معاقبة وايضا فلفظه تفيد البعد والمجاوزة فكانت مشابهة للفظ بعد اما قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون ففيه مسئلتان **المسئلة الاولى** الاقرب ان المراد فما لهم لا يؤمنون بالبعث والقيمة لانه تعالى حكى عن الكافر انه ظن ان لن يحور ثم اثنى سبحانه بانه يحور قلنا قال بعد ذلك فما لهم لا يؤمنون دل ذلك على ان المراد فما لهم لا يؤمنون بالبعث والقيمة ثم اعلم ان قوله تعالى لا يؤمنون استفهام بمعنى الانكار وهذا انما يحسن عند ظهور الحجة وزوال الشبهات والامر هاهنا كذلك وذلك لانه سبحانه وتعالى اقسم بتغيرات واقعة في الافلاك والعناصر فان الشفق حالة مخالفة لما قبلها وهو ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا قوله تعالى والليل وما وسق فانه يدل على حدوث ظلمة بعد نور وعلى تغيرات احوال الحيوانات من اليقظة الى النوم وكذا قوله تعالى والقمر اذا اتسق فانه يدل على حصول كمال القمر بعد ان كان ناقصا ثم انه تعالى اقسم بهذه الاحوال المتغيرة عن تغير احوال الخلق وهذا يدل قطعا على صحة القول بالبعث لان القادر على تغير الاجسام العلوية والسفلية من حال الى حال وصفة الى صفة بحسب المصالح لا بد وان يكون قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات ومن كان كذلك كان قادرا على البعث والقيمة فلما كان ما قبل هذه الاية كالدلالة العقلية الناطقة على صحة البعث والقيمة لا جرم قال على سبيل الاستبعاد فما لهم لا يؤمنون **الرابعة** قال القاضي لا يجوز ان يقال للحكيم فمن

عاجزا



عاجزا عن الايمان فما لهم لا يؤمنون فلما قال ذلك دل على كونهم قادرين وهذا يقتضي ان يكون الاستطاعة قبل الفعل وان يكونوا موجدين لافعالهم وان لا يكون تعالى خالقا للكفر فيهم فهذه الاية من المحكمات التي لا احتمال فيها البتة وجوابه قد مر غير مرة اما قوله تعالى واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون ففيه مسايل **الاولى** انهم ارباب الفصاحة والبلاغة فعند سماعهم القران لا بد وان يعلموا كونه معجزا واذا علموا ذلك صحت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ووجوب طاعته والاوامر والنواهي ثم انه تعالى استبعد منهم عند سماع القران ترك السجود والطاعة **الثانية** قال ابن عباس والحسن وعطا والكلبي ومقاتل المراد من السجود الصلاة وقال ابو مسلم المراد الخشوع والاستكانة وقال اخرون بل المراد نفس السجود وعند ايات مخصوصة هذه الاية منها **الثالثة** روي انه عليه السلام قرا ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المومنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت هذه الاية **واحتج** ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه على وجوب السجدة بهذا من وجهين الاول ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم يقتضي الوجوب لقوله تعالى فاتبعوه والثاني انه تعالى ذم من سمعه فلم يسجد وحصول الذم عند الترك يقتضي الوجوب **الرابعة** مذهب ابن عباس انه ليس في المفصل سجدة وعن ابي هريرة انه سجدها هنا وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها وعن انس صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة اما قوله تعالى بل الذين كفروا يكذبون فالمعنى ان الدلايل الموجبة للايمان وان كانت جلية ظاهرة لكن الكفار يكذبون بها اما لتقليد الاسلاف واما للحسد واما للخوف من انهم لو اظهروا الايمان لفاتهم مناصب الدنيا ومنافعها واما قوله تعالى والله اعلم بما يوعون فاصل الكلمة من الوعاء يقال اوعيت الشيء اى جعلته في وعاء كما قال تعالى وجمع فاوعى والمعنى والله اعلم بما يجمعون في صدورهم من الشرك والتكذيب فهو يجازيهم عليه في الدنيا والاخرة ثم قال تعالى فبشرهم بعذاب اليم استحقوه على تكذيبهم وكفرهم اما قوله تعالى الا الذين امنوا ففيه قولان قال صاحب الكشاف الاستثناء منقطع وقال الاكثرون معناه الا من تاب منهم فانهم وان كانوا في الحال كفارا الا انهم متى تابوا وامنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر وهو الثواب العظيم وفي معنى غير ممنون وجوه احدها ان ذلك الثواب لا يصل اليهم بالمن والاذى وثانيها من غير انقطاع وثالثها من غير تبعيض وتابعها من غير نقصان والاولى ان يحمل اللفظ على الكل لان من شرط الثواب حصول الكل فكانه تعالى وعدهم باجر خالص من الشوائب دائم لا انقطاع فيه ولا نقص ولا بخس وهذا نهاية الوعد فصار ذلك ترغيبا في العبادات كما ان الذي تقدم هو زجر عن المعاصي والله اعلم **اعلم** ان المقصود من هذه السورة تسلية النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عن ايذاء الكفار وكيفية تلك التسلية ان يقال انه تعالى بين ان ساير الامم السابقة كانوا كذلك مثل اصحاب الاخدود كانوا كذلك من اصحاب الاخدود ومثل فرعون ومثل ثمود وختم كل الكفار كانوا في التكذيب ثم عقب هذا الوجه بوجه اخر وهو قوله والله من ورائهم محيط ثم ذكر وجها ثالثا وهو ان شيء مكتتب في اللوح المحفوظ ممتنع التغير وهو قوله تعالى بل هو قران مجيد فهذا ترتيب السورة

والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمومنين شهود **اعلم** ان في البروج ثلاثة اقوال **احدها** انها هي البروج الاثنا عشر وهي مشهورة وانما حسن القسم بها لما فيها من عجيب الحكمة وذلك لان مسير الشمس فيها ولا شك ان مصالح العالم السفلي منوطة بسير الشمس فيدل ذلك على ان لها صانعا حكيما قال الجبائي وهذه الاقسام واقعة على السماء الدنيا لان البروج فيها **واعلم** ان هذا خطاء وتحقيقه ذكرناه في قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب **وثانيها** ان البروج هي منازل القمر وانما حسن القسم بها لما فيها من سير القمر وحركته من الاثار العجيبة **وثالثها** ان البروج هي عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها واما اليوم الموعود فهو يوم القيمة رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القفال يحتمل ان يكون المراد واليوم الموعود لانشقاق السماء وفنائها وبطلان بروجها واما الشاهد والمشهود فقد اضطربت اقاويل المفسرين فيه فقال القفال احسن الناس كلاما فيه قال ان الشاهد يقع على شيئين **احدهما** الشاهد الذي بمعنى الحاضر كقوله تعالى عالم الغيب والشهادة يقال فلان شاهد وفلان غايب وحمل الاية على هذا الاحتمال الثاني اولى اذ لو كان المراد هو الاول لما خلا لفظ المشهود عن حرف الصلة فيقال مشهود عليه او مشهود به هذا هو الظاهر وقد يجوز ان يكون المشهود معناه المشهود عليه فحذفت الصلة كما في قوله تعالى ان العهد كان مسؤلا اى مسؤلا عنه **اذا عرفت** هذه المقدمة فنقول ان حملنا المشهود على الحضور احتملت الاية وجوها من التاويل احدها ان المشهود يوم القيامة والشاهد هو الجمع الذي يحضرون فيه وهو مروي عن ابن عباس والضحاك ويدل على صحة هذا الاحتمال وجوه الاول انه لا حضور اعظم من ذلك الحضور

ان الله تعالى يجمع فيه خلق الاولين والاخرين من الملايكة والانبياء والجن والانس وصرف اللفظ الى المسمى
الاكمل اولى والثاني انه تعالى ذكر اليوم الموعود وهو يوم القيمة ثم ذكر عقيبه وشاهد ومشهود وهذا يناسب
ان تكون المراد بالشاهد من حضر في ذلك اليوم من الخلايق وبالمشهود ما في ذلك اليوم من العجايب الثالث ان الله
تعالى وصف يوم القيمة بكونه مشهودا في قوله تعالى فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم وقال تعالى ذلك يوم مجموع
له الناس وذلك يوم مشهود وقال تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وقال تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة
فاذا هم جميع لدينا محضرون وطريق تنكيرهما اما ما ذكرناه في تفسير قوله تعالى علمت نفس ما احضرت كانه قيل
وما افرطت كثرته من شاهد ومشهود واما الابهام في الوصف كانما قيل وشاهد ومشهود لا يكتريه وصفها
وانما حسن القسم بيوم القيمة للدلالة على القدرة فان كان هو يوم الفصل والجزا ويوم تفرد الله بالملك و
الحكم وهذا الوجه اختيار ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن ابن علي وابن المسيب والضحاك والنخعي والثوري
وثانيها ان تفسير المشهود بيوم الجمعة وهو قول ابن عمر وابن الزبير وذلك لانه تشهده المسلمون للصلاة ولذكر
الله ومما يدل على كون هذا اليوم يسمى بالمشهود خبران الاول ما روى ابو الدردا قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اكثروا على الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملايكة والثاني ما روى ابو هريرة
انه صلى الله عليه وسلم قال تحضر الملايكة ابواب المسجد فيكتبون فاذا خرج الامام طويت الصحف وهذه
الخاصية غير موجودة الا في ذلك اليوم فيجوز ان يسمى مشهودا لهذا المعنى قال تعالى وقران الفجر ان قران الفجر
كان مشهودا روي ان ملايكة الليل والنهار يحضرون وقت صلوة الفجر فسميت هذه الصلاة مشهودة
لشهادة الملايكة فكذا يوم الجمعة وثالثها ان تفسير المشهود يوم عرفه والشاهد من يحضره من الحاج
وحسن القسم به تعظيما لامر الحج روي ان الله تعالى يقول للملايكة يوم عرفة انظروا الى عبادي شعثا غبرا اتوني
من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ورابعها ان يكون المشهود يوم النحر وذلك لانه اعظم المشاهد في الدنيا فانه
يجمع اهل الشرق والغرب ذلك اليوم بمنى ومزدلفة وهو عيد المسلمين ويكون الغرض من القسم به تعظيم امر الحج
وخامسها حمل الاية على يوم الجمعة بيوم عرفة ويوم النحر جميعا لانها ايام عظام فاقسم الله تعالى بها كما اقسم بالليالي
العشر والشفع والوتر ولعل الاية عامة لكل يوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وقال تعالى فويل للذين كفروا
من مشهد يوم عظيم ويدل على صحة هذا التنكير خروج اللفظ في الشاهد والمشهود على النكرة فيحتمل ان يكون ذكر
على معنى ان الغضب يقع فيه الى يوم بعينه فيكون معرفا الوجه الثاني وهو ان نحمل الشاهد على من تثبت الدعوى
بقوله فقد ذكروا على هذا التقدير وجوها كثيرة احدها ان الشاهد هو الله لقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو
وقوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة وقوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد والمشهود هو التوحيد
لقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والنبوة لقوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وثانيها ان الشاهد
محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود عليه ساير الانبيا لقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا وثالثها ان
يكون الشاهد هو الانبياء والمشهود عليه هو الامم لقوله تعالى فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد ورابعها
ان يكون الشاهد هو جميع الممكنات والمحدثات والمشهود عليه واجب الوجود وهذا الاحتمال ذكرته انا واخذته
من قول الاصوليين هذا الاستدلال بالشاهد على الغايب وعلى هذا التقدير يكون القسم واقعا بالخلق و
الخالق والصنع والصانع وخامسها ان يكون الشاهد هو الملك والمشهود عليه هو الانسان الذي يشهد عليه جوارحه
يوم القيامة قال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم وقوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا وهذا قول عطا
الخراساني **اما الوجه الثالث** وهو اقوال مبنية على الروايات لا على الاشتقاق احدها ان الشاهد
يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة روى ابو موسى الاشعري انه عليه السلام قال الموعود يوم القيمة والشاهد
يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة ويوم الجمعة ذخره الله لنا **وعن ابي هريرة** مرفوعا قال المشهود يوم
عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت الشمس ولا غربت على افضل منه فيه ساعة لا يوافقها عبد مومن
يدعو الله بخير الا استجاب له ولا يستعيذ من شيء الا اعاذه الله منه وعن سعيد بن المسيب مرسلا
عن النبي صلى الله عليه وسلم سيد الايام يوم الجمعة وهو الشاهد والمشهود يوم عرفة وهذا قول كثير من
اهل العلم كعلي ابن ابي طالب وابي هريرة وابن المسيب والحسن البصري والربيع بن انس قال قتادة شاهد
ومشهود يومان عظمهما الله تعالى وجعلهما من كل اركان ايام الحج فهذان اليومان يشهدان لمن يحضر فيهما
بالايمان واستحقاق الرحمة وروي انه صلى الله عليه وسلم ذبح كبشين وقال في احدهما هذا عمن يشهد لي
بالبلاغ فيحتمل لهذا المعنى ان يكون يوم النحر شاهدا لمن حضره بمثل ذلك اذا نحر وثالثها ان الشاهد عيسى عليه السلام
لقوله تعالى حكاية عنه وكنت عليهم شهيدا ورابعها الشاهد هو الانسان والمشهود هو التوحيد لقوله تعالى
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى وسادسها ان الشاهد الانسان والمشهود يوم القيمة اما ان الانسان
شاهد فلقوله تعالى قالوا بلى شهدنا اما المشهود فلقوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين



فهذه الوجوه الملخصة والله اعلم بحقايق الامور **قوله تعالى** قتل اصحاب الاخدود
النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمومنين شهود وما نقموا
منهم الا ان يومنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء
شهيد **اعلم** انه لا بد للقسم من جواب واختلفوا فيه على وجوه احدها ما ذكره الاخفش وهو
ان جواب القسم قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود واللام مضمرة فيه كما قال تعالى والشمس وضحاها
وقوله تعالى قد افلح من زكاها يريد لقد افلح وان شيت على التقديم كانه قيل قتل اصحاب الاخدود
والسماء ذات البروج وثانيها ما ذكره الزجاج وهو ان جواب القسم ان بطش ربك لشديد وهو قول
ابن مسعود وقتاده وثالثها ان جواب القسم قوله تعالى ان الذين فتنوا المومنين والمومنات كما تقول
والله ان هذا لقايم الا انه اعترض بين القسم وجوابه اما قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود الى قوله تعالى
ان الذين فتنوا ورابعها ما ذكره جماعة من المتقدمين ان جواب القسم محذوف وهو اختيار صاحب الكشاف
الا ان المتقدمين قالوا ذلك المحذوف هو ان الامر حق في الجزا على الاعمال وقال صاحب الكشاف هذا الذي يدل
عليه قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود كانه قيل اقسم بهذه الاشياء ان كفار قريش لملعونون كما لعن اصحاب
الاخدود وذلك ان السورة وردت في تثبيت المومنين وتصبيرهم على اذى اهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من
تقدمهم من التعذيب على الايمان حتى يقعدوا بهم ويصبروا على اذى قومهم ويعلموا ان كفارهم عند الله
بمنزلة اوليك الذين كانوا في الامم السالفة يحرقون اهل الايمان بالنار واحقاء بان يقال فيهم قتلت
قريش كما قتل اصحاب الاخدود اما قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود النار ففيه مسالتان المسالة الاولى
ذكروا قصة اصحاب الاخدود على طرق متباينة ونحن نذكر منها ثلاثة اوجه احدها انه كان لبعض الملوك
ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فمال قلب الغلام الى ذلك الراهب ثم راى
في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فقوني
على قتلها بواسطة رمي هذا الحجر اليها ثم رماها فقتلها فصار ذلك سببا لاعراض الغلام عن السحر واشتغاله بطريق
الراهب ثم صار الى حيث يبري الاكمه والابرص ويشفي من الادواء واتفق ان عمي جليس الملك فابراه فلما
راه الملك قال من رد عليك بصرك قال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام وعلى الراهب فاحضر الراهب وزجره
عن دينه فلم يقبل الراهب قوله فقد بالمنشار ثم جي بالغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم
فهلكوا ونجا فقال الملك لست تقدر على قتلي فذهبوا به الى سفينة ولججوا بها ليغرقوه فدعا فانكفات بهم السفينة
فغرقوا ونجا فقال الملك لست تقاتل حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتاخذ سهما من كنانتي
وتقول بسم الله رب العالمين ثم ترميني فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس امنا
برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران
فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امراة معها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي يا اماه اصبري فانك
على الحق وصبر على ذلك **الرواية الثانية** روي عن علي انهم حين اختلفوا في احكام المجوس قال هم اهل
كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته فلما
صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب الناس فتقول ان الله احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك
وتقول ان الله حرمه فخطبهم فلم يقبلوا فامرته بالاخاديد واتقاد النيران وطرح من ابى فيها منهم
فهم الذين اراد الله بقوله تعالى قتل اصحاب الاخدود **الروايه الثالثه** انه وقع الى نجران رجل ممن
كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية
فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه
اثنا عشر ذراعا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر اصحاب الاخدود تعوذ بالله من جهد
البلا فان قيل تعارض هذه الروايات يدل على كذبها قلنا لا تعارض فقيل ان هذا كان في ثلاث طوايف
ثلاث كرات مرة باليمن ومرة بالعراق ومرة بالشام ولفظ الاخدود وان كان واحدا الا ان المراد هو الجمع
وهو كثير في القران قال القفال ذكروا في قصة اصحاب الاخدود روايات مختلفة وليس في شيء منها ما يصح
الا انها متفقة وانهم قوم من المومنين خالفوا قومهم وملكا كافرا كان حاكما عليهم فالقاهم في اخدود
حفره لهم ثم قال واظن ان تلك الواقعة كانت مشهورة عند قريش فذكر الله تعالى ذلك لاصحاب رسوله
تنبيها لهم على ما يلزمهم من الصبر على دينهم واحتمال المكاره فيه فقد كان مشركوا قريش يوذون
المومنين على حسب ما اشتهرت به الاخبار من مبالغتهم في ايذا عمار وبلال **المسالة الثانية** الاخدود الشق
في الارض مستطيلا وجمعه الاخاديد ومصدره الاخد وهو الشق يقال خد في الارض خدا وتخدد
لحمه اذا صار فيه طرايق كالشقوق **الثالثة** يمكن ان يكون المراد بهم المقتولين والرواية المشهورة

ان المقتولين هم المؤمنون وروي ايضا ان المقتولين هم الجبابرة لانهم لما القوا المؤمنين في النار عادت النار على الكفرة فاحرقتهم ونجى الله المؤمنين سالمين منها والى هذا القول ذهب الربيع بن انس والواقدي وتاولوا قوله تعالى فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق اي لهم عذاب جهنم في الاخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا **اذا عرفت** هذه المقدمة فنقول ذكروا في تفسير قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود وجوها ثلاثة وذلك لانا اما ان نفسر اصحاب الاخدود بالقاتلين او بالمقتولين اما الوجه الاول ففيه تفسيران احدهما ان يكون هذا دعاء عليهم اي لعن اصحاب الاخدود ونظيره قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره وقوله تعالى قتل الخراصون والثاني ان يكون المراد اولئك القاتلون قتلوا بالنار على ما ذكرنا ان الجبابرة لما ارادوا قتل المؤمنين بالنار عادت النار اليهم فقتلتهم واما اذا فسرنا اصحاب الاخدود بالمقتولين كان المعنى ان اولئك المؤمنين قتلوا بالاحراق بالنار فيكون ذلك خبرا لا دعاء **المسألة الرابعة** قرئ قتل بالتشديد اما قوله تعالى النار ذات الوقود ففيه مسائل **الاولى** النار انما تكون عظيمة اذا كان هناك شيء يحترق بها اما حطب او غيره فالوقود اسم لذلك الشيء لقوله تعالى وقودها الناس والحجارة فوصف ذات الوقود تعظيم امرها كانه قيل ذلك الاخدود من الحطب الكثير **المسألة الثانية** قال ابو علي هذا من باب بدل الاشتمال كقولك سلب زيد ثوبه فان الاخدود يشتمل على النار **المسألة الثالثة** قرئ الوقود بالضم اما قوله تعالى اذ هم عليها قعود ففيه مسألتان **الاولى** العامل في اذ قتل والمعنى لعنوا في ذلك الوقت الذي هم فيه قعود عند الاخدود يعذبون المؤمنين **الثانية** في الاية اشكال وهو ان قوله تعالى هم ضمير عائد الى اصحاب الاخدود لان ذلك اقرب المذكور والضمير في قوله عليها عائد الى النار وهذا يقتضي ان اصحاب الاخدود كانوا قاعدين على النار ومعلوم انه لم يكن كذلك والجواب من وجوه احدها ان الضمير في هم عائد الى اصحاب الاخدود لكن المراد ههنا من اصحاب الاخدود المقتولون لا القاتلون فيكون المعنى اذ المؤمنون قعود على النار يحترقون مطروحون على النار وثانيها ان يجعل الضمير في عليها الى طرف النار وشفيرها والمواضع التي يمكن الجلوس فيها ولفظة على مشعر بذلك تقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان يقرب منه فالقاتلون كانوا جالسين فيها وكانوا يعرضون المؤمنين على النار فمن كان يترك دينه تركوه ومن كان يصر على دينه القوه في النار وثالثها هب انا سلمنا الضمير في هم عائد الى اصحاب الاخدود بمعنى القاتلين والضمير في عليها عائد الى النار فلم لا يجوز ان يقال ان اولئك القاتلين كانوا قاعدين على النار فانا بينا انهم لما القوا المؤمنين في النار ارتفعت النار اليهم فهلكوا بمثل ما فعلوه بايديهم لاجل اهلاك غيرهم فكانت الاية دالة على انهم في تلك الحالة كانوا ملعونين ايضا ويكون المعنى انهم خسروا الدنيا والاخرة ورابعها ان تكون على بمعنى عند كما قيل ولهم علي ذنب اي عندي اما قوله تعالى وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود **واعلم** ان قوله تعالى شهود يحتمل ان يكون المراد منه الشهود الذين تثبت الدعوى بشهادتهم اما على الوجه الاول فالمعنى اولئك الجبابرة القتالين كانوا حاضرين عند ذلك العمل يشاهدون ذلك ويكون الغرض من ذكر ذلك احد امور ثلاثة اما وصفهم بقسوة القلب اذ كانوا عند التعذيب بالنار حاضرين مشاهدين له واما وصفهم بالجد في تقرير كفرهم وباطلهم حيث حضروا في تلك المواطن المنفرة والافعال الموحشة واما وصف اولئك المؤمنين المقتولين بالجد في دينهم والاصرار على حقهم فان الكفار انما حضروا في ذلك الموضع طمعا في ان هؤلاء المؤمنين اذا نظروا اليهم هابوا حضورهم واحتشموا من مخالفتهم ثم ان اولئك المؤمنين لم يلتفتوا اليهم وبقوا مصرين على دينهم الحق فان قيل ان المراد من الشهود وان كان هذا المعنى فكان يجب ان يقال وهم لما يفعلون شهود ولا يقال وهم على ما يفعلون شهود قلنا انما ذكر لفظة على بمعنى انهم على قبح فعلهم اما الاحتمال الثاني وهو ان يكون المراد من الشهود الشهادة التي تثبت الدعوى بها ففيه وجوه احدها انهم جعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به وفوض اليه من التعذيب وثانيها انهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيمة ثم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وثالثها ان هؤلاء الكفار يشهدون عند ما يفعل بالمؤمنين من احراقهم بالنار حتى لو كان ذلك من غيرهم لكانوا شهودا عليه ثم مع هذا لم ياخذهم بهم رافة ولا حصل في قلوبهم ميل ولا شفقة اما قوله تعالى وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد المعنى وما عابوا منهم وما انكروا الا الايمان كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ونظيره قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وانما قال الا ان يؤمنوا لان التعذيب انما كان واقعا على الايمان في المستقبل ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوا على ما مضى فكانه قيل الا ان يدوموا على ايمانهم وقرا ابو حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح ثم انه تعالى ذكر الاوصاف التي بها يستحق الاله ان يكون يؤمن به ويعبد فاولها العزيز وهو القادر الذي لا يغلب والقاهر الذي لا يدفع وبالجملة فهو اشارة الى القدرة التامة وثانيها الحميد وهو الذي يستحق الحمد والثناء على السنة عباده المؤمنين فان كان بعض الاشياء لا يحمده بلسانه فنفسه شاهدة على ان المحمود في الحقيقة هو هو





كما قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وذلك اشارة الى العلم لان من لا يكون عالما بعواقب الامور لا يمكنه ان يفعل الافعال الحميدة فالحميد يدل على العلم التام من هذا الوجه وثالثها الذي له ملك السموات والارض وهو مالكهما والمنعم بهما ولو شاء افناهما وهو اشارة الى الملك التام وانما اخر هذه الصفة عن الاوليين لان الملك التام لا يحصل الا بعد حصول الكمال في القدرة والعلم فثبت ان من كان موصوفا بهذه الصفات كان هو المستحق للايمان به وغيره لا يستحق ذلك البتة فكيف حكم اولئك الكفار الجهال ان يكون مثل هذا الايمان ذنبا **واعلم** انه تعالى اشار بقوله العزيز الى انه لو شاء لمنع اولئك الجبابرة من تعذيب اولئك المؤمنين ولاطفأ نيرانهم ولاماتهم واشار بقوله الحميد الى ان المعتبر عنده سبحانه وتعالى من الافعال عواقبها فهو وان كان قد امهل لكنه ما اهمل فانه تعالى يوصل ثواب اولئك المؤمنين اليهم وعقاب اولئك الكفرة اليهم لكنه تعالى لم يعاجلهم بذلك لانه لا يفعل الا على حسب المشيئة او المصلحة على سبيل التفضيل فلهذا السبب قال الله تعالى والله على كل شيء شهيد فهو وعد عظيم للمطيعين ووعيد للمجرمين اما قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق **اعلم** انه سبحانه وتعالى لما ذكر قصة اصحاب الاخدود اتبعها بما يتفرع عليها من احكام الثواب والعقاب فقال تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين وههنا مسائل **المسألة الاولى** يحتمل ان يكون المراد منه اصحاب الاخدود فقط ويحتمل ان يكون المراد كل من فعل ذلك وهذا اولى لان اللفظ عام والحكم عام فالتخصيص ترك الظاهر من غير دليل **المسألة الثانية** اصل الفتنة الابتلاء والامتحان وذلك ان اولئك الكفار امتحنوا اولئك المؤمنين وعرضوهم على النار واحرقوهم وقال بعض المفسرين الفتنة هي الاحراق بالنار وقال ابن عباس ومقاتل فتنوا المؤمنين حرقوهم بالنار وقال الزجاج يقال فتنت الشيء احرقته والفتين حجارة سود كانها محرقة ومنه قوله تعالى يوم هم على النار يفتنون **المسألة الثالثة** قوله تعالى ثم لم يتوبوا يدل على انهم لو تابوا لخرجوا من هذا الوعيد وذلك يدل على القطع بان الله تعالى يقبل التوبة وذلك يدل على ان توبة القاتل عمدا مقبولة خلاف ما يروى عن ابن عباس **المسألة الرابعة** في قوله تعالى لهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق قولان الاول ان كلا العذابين يحصلان في الاخرة الا ان عذاب جهنم هو العذاب الحاصل بسبب كفرهم انهم احرقوا المؤمنين فيحتمل ان يكون العذاب الاول عذاب برد والثاني عذاب احراق وان يكون الاول عذاب احراق ويزيد على الاحراق ايضا احراقا الا ان العذاب الاول كانه خرج عن ان يسمى احراقا بالنسبة الى الثاني لان الثاني قد اجتمع فيه نوع الاحراق فتكامل جدا فكان الاول ضعيفا بالنسبة اليه فلا جرم لم يسم احراقا والثاني ان قوله عذاب جهنم اشارة الى عذاب الاخرة ولهم عذاب الحريق اشارة الى ما ذكرنا ان اولئك الكفار ارتفعت عليهم نار الاخدود واحترقوا اما قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات **اعلم** انه تعالى لما ذكر وعيد المجرمين ذكر وعد المؤمنين وفيه مسألتان **المسألة الاولى** انما قال ذلك الفوز ولم يقل تلك لدقيقة لطيفة وهي ان قوله ذلك اشارة الى اخبار الله تعالى بحصول هذه الجنات وقوله تعالى تلك اشارة الى الجنات واخبار الله تعالى عن ذلك يدل على كونه راضيا والفوز الكبير هو رضى الله لا حصول الجنة **المسألة الثانية** قصة اصحاب الاخدود لا سيما هذه الاية تدل على ان المكره على الكفر بالاهلاك العظيم الاولى به ان يصبر على ما خوف به وان اظهار الكفر كالرخصة في ذلك روى الحسن ان مسيلمة اخذ رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال لاحدهما تشهد اني رسول الله فقال نعم فتركه وقال للاخر مثله فقال لا بل انت كذاب فقتله فقال صلى الله عليه وسلم اما الذي ترك فاخذ بالرخصة فلا تبعة عليه واما الاخر فاخذ بالفضل فهنيئا له والله اعلم **قوله تعالى** ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب **اعلم** انه تعالى لما ذكر وعيد الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات اولا وذكر وعد الذين امنوا وعملوا الصالحات اردف ذلك الوعيد والوعد تاكيدا فقال تاكيدا للوعيد ان بطش ربك لشديد والبطش هو الاخذ بعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم ونظيره قوله تعالى ان اخذه اليم شديد ثم ان هذا القادر لا يكون امهاله لاجل الاهمال لكن لاجل انه حكيم او بحكم المشيئة او بحكم المصلحة تاخير هذا الامر الى يوم القيمة فلهذا قال انه هو يبدئ ويعيد اي انه يخلق خلقه ثم يفنيهم ثم يعيدهم احياء ليجازيهم في القيمة فذلك الامهال لهذا السبب لا لاجل الاهمال قال ابن عباس ان اهل جهنم تاكلهم النار حتى يصيروا فحما ثم يعيدهم خلقا جديدا فذلك هو المراد من قوله تعالى انه هو يبدئ ويعيد ثم قال تاكيدا للوعد وهو الغفور الودود فذكر من صفات جلاله وكبريائه خمسة اولها الغفور قالت المعتزلة هو الغفور لمن تاب وقال اصحابنا انه غفور مطلقا لمن تاب ولمن لم يتب لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولان غفران التائب واجب فلا يوجب المدح والاية مذكورة في معرض المدح وثانيها الودود وفيه اقوال احدها المحب هذا قول اكثر المفسرين وهو مطابق للدلائل العقلية فان الخير مقتضى بالذات والشر بالعرض ولا بد وان يكون الراقي من الخير فالغالب لا بد وان

يكون خيرا فيكون محبوبا لذات وثانيها قال الكلبي الودود المتودد الى اوليائه بالمغفرة والجزاء والقول هو الاول
وثالثها قال الازهري قال بعض اهل اللغة يجوز ان يكون ودود فعولا بمعنى مفعول كركوب وحلوب ومعناه ان
الصالحين يودونه ويحبونه لما عرفوا من كماله في ذاته وصفاته وافعاله قال وكلتا الصفتين مدح لانه جل ذكره
اذا احب عباده المطيعين فهو فضل منه وان احبه عباده العارفون فلما تقرر عندهم من كريم احسانه
ورابعها قال القفال قيل الودود قد يكون بمعنى الحليم من قولهم دابة ودود وهي المطيعة العنان التي كيف عطفتها
انعطفت وانشد قطرب اعددت للحرب حصانا ذلول القياد وقاحا ودودا ثم قال دو العرش قال القفال
ذو العرش اي ذو الملك والسلطان كما يقال فلان على سرير ملكه وان لم يكن على السرير وكما قيل قد عرش فلان اذا
ذهب سلطانه وهذا معنى متفق على صحته وقد يجوز ان يكون اراد بالعرش السرير ويكون جل جلاله خلق
سريرا في سماية في غاية العظمة والجلالة بحيث لا يعلم عظمه الا هو ومن يطلعه عليه ورابعها المجيد وفيه
قراتان احداهما الرفع فيكون ذلك صفة لله تعالى وهو اختيار اكثر القرا والمفسرين لان المجد من صفات التعالي
والجلال وذلك لا يليق الا بالله سبحانه وتعالى والفصل والاعتراض بين الصفة والموصوف في هذا النحو
غير ممتنع والقراة الثانية بالخفض وهي قراة حمزة والكسائي فيكون ذلك صفة للعرش وهولاء قالوا القران
دل على انه يجوز غير الله بالمجد قال تعالى بل هو قران مجيد وايضا ان الله تعالى وصف العرش بانه كريم ولا يبعد
ايضا ان يصفه بانه مجيد ثم قالوا ان مجد الله عظمته بحسب الوجوب الذاتي وكمال القدرة والحكمة والعلم وعظمة
العرش علوه في الجهة وعظمة مقداره وحسن صورته وتركيبه فانه قيل العرش احسن الاجسام تركيبا وصورة
وخامسها فعال لما يريد وفيه مسايل **المسئلة الاولى** فعال خبر مبتدا محذوف **المسئلة الثانية** من النحويين
من قال وهو الغفور الودود خبران لمبتدا واحد وهذا ضعيف لان المقصود الاسناد الى المبتدا اما ان تكون
بجموعهما او كل واحد منهما فان كان الاول كان الخبر واحدا لا خبرين وان كان الثاني كانت القصة لا واحدة
بل قصتين **الثالثة** احتج اصحابنا بهذه الاية في مسئلة خلق الافعال فقالوا لا شك انه تعالى يريد الايمان
فوجب ان يكون فاعلا للكفر ضرورة انه لا قايل بالفرق قال القاضي ولكن انما يستدل بذلك على انه ما يريد الله تعالى
من طاعة الخلق لا بد من ان يقع لان قوله تعالى لما يريد لا يتناول الا ما اذا وقع كان فعله دون ما اذا وقع
لم يكن فعلا له هذه الفاظ القاضي ولا يخفى ضعفها **المسئلة الرابعة** احتج اصحابنا بهذه الاية على انه
تعالى لا يجب لاحد من المكلفين عليه شي البته وهو ضعيف لان الاية دالة على انه يفعل ما يريد على ما يراه
لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب فهو يدخل اولياه الجنة لا يمنعه منه مانع ويدخل اعداه النار لا ينصرهم
منه ناصر ويمهل العصاة على ما يشا الى ان يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة اذا شاء ويعذب من شاء منهم في
الدنيا وفي الاخرة يفعل من هذه الاشياء ومن غيرها ما يريد اما قوله تعالى هل اتاك حديث الجنود اعلم انه تعالى
لما بين حال اصحاب الاخدود وبادى المومنين بالكفار بين ان الذين كانوا قبلهم كانوا ايضا كذلك واعلم ان
فرعون وثمود بدل من الجنود واراد بفرعون اياه وقومه كما في قوله تعالى من فرعون وملايهم وثمود في بلاد
العرب وقصتهم عندهم مشهورة فذكر تعالى من المتاخرين فرعون ومن المتقدمين ثمود والمقصود بيان ان حال
المومنين مع الكفار في جميع الازمنة مستمرة على هذا النهج وهذا هو المراد من قوله تعالى بل الذين كفروا في تكذيب
ولما طيب قلب الرسول بحكاية احوال المومنين في هذا الباب سلاه بعد ذلك من وجه اخر وهو قوله تعالى
والله من وراهم محيط وفيه وجوه احدها ان المراد وصف اقتداره عليهم وانهم في قبضته وحصره كالمحاط
اذا احيط به من ورائه يتشد عليه مسلكه فلا يجد مهربا يقول الله تعالى فهم كذا في قبضتي وانا قادر على
اهلاكهم ومعاجلتهم بالعذاب على تكذيبهم اياك فلا تجزع من تكذيبهم اياك فليسوا يفوتونني اذا اردت
الانتقام منهم وثانيها ان يكون المراد من هذه الاحاطة قرب اهلاكهم كقوله تعالى واخرى لم تقدروا عليها فهذا كله
عبارة عن مشارفة الهلاك يقول فهولاء في تكذيبك قد شارفوا الهلاك وثالثها ان قوله تعالى والله من وراهم
باعمالهم اي عالم بها فهو مرصد يجازيهم عليها ثم انه تعالى سلى رسوله بعد ذلك بوجه ثالث وهو قوله تعالى بل
هو قران مجيد وفيه مسئلتان **المسئلة الاولى** تعلق هذا بما قبله هو ان هذا قران مجيد مصون عن التغيير
والتبديل فلما حكم به بشقاوة قوم وسعادة قوم وبادى قوم عن قوم امتنع عن تغييره وتبديله فوجب الرضى
به ولا شك ان هذا من اعظم موجبات التسليم **الثانية** قرى قران مجيد بالاضافة اي قران رب مجيد وقرا
يحيى بن يعمر في لوح واللوح الهوا يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح المحفوظ وقرى محفوظ
بالرفع صفة للقران كما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون **الثالثة** انه تعالى قال ههنا في لوح محفوظ
وقال في اية اخرى انه لقران كريم في كتاب مكنون فيحتمل ان يكون الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ واما كونه محفوظا
يحتمل ان يكون المراد كونه محفوظا عن اطلاع الخلق عليه سوى الملايكة المقربين ويحتمل ان يكون المراد انه لا يجري
عليه تغيير وتبديل **الرابعة** قال بعض المتكلمين ان اللوح شي يلوح للملايكة فيقرونه وهما كانت الاخبار





والايات واردة بذلك وجب التصديق به وهي تشتمل على الترغيب في معرفة المبدا والمعاد

والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ فلينظر الانسان مم
خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترايب انه على رجعه لقادر **اعلم** ان الله تعالى
اكثر في كتابه ذكر السما والشمس والقمر لان احوالها في اشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة اما
الطارق فكل ما اتاك ليلا سواء كان كوكبا او غيره ولا يكون الطارق نهارا والدليل عليه قول المسلمين في دعاهم
نعوذ بالله من شر طوارق الليل وروي انه عليه السلام نهى ان ياتي الرجل اهله طروقا والعرب تستعمل الطروق
في صفة الخيال لان تلك الحالة في الاكثر انما تحصل في الليل ثم انه تعالى لما قال والطارق كان هذا مما لا يستغنى
عن معرفة المراد قال تعالى وما ادريك ما الطارق قال سفيان بن عيينة كل شي في القران ما ادراك فقد اخبر الرسول
به وكل شي فيه وما يدريك لم يخبره به كقوله تعالى وما يدريك لعل الساعة قريب ثم قال تعالى النجم الثاقب
اي هذا طارق عظيم الشان رفيع القدر وهو النجم الذي يهتدى به في ظلمات البر والبحر ويوقف به على اوقات
الامطار وهاهنا مسايل **المسئلة الاولى** اما وصف النجم بكونه ثاقبا لوجوه احدها انه يثقب الظلام بضوئه
ويتفذ فيه كما قيل درى لانه اي يدفعه وثانيها انه يطلع في المشرق نافذا في الهوا كالشي الذي يثقب الشي وثالثها
انه الذي يرمي به الشيطان فيثقبه اي ينفذه ويحرقه ورابعها قال الفرا النجم الثاقب هو النجم
المرتفع على النجوم والعرب تقول للطاير اذا لحق بطن السما ارتفاعا قد ثقب **الثانية** انما وصف النجم بكونه
طارقا لانه يبدو بالليل وقد عرفت ان ذلك يسمى طارقا او لانه يطرق الجني اي يصكه **الثالثة** اختلفوا في قوله
النجم الثاقب قال بعضهم اشير به الى جماعة النجوم فعيل الطارق كما قيل ان الانسان لفي خسر وقال اخرون انه نجم
بعينه ثم قال ابن زيد انه الثريا وقال الفرا انه زحل لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات وقال اخرون انه الشهب
التي ترجم بها الشياطين لقوله تعالى فاتبعه شهاب ثاقب **الرابعة** روي ان ابا طالب اتى النبي عليه السلام
فاتحفه بخبز ولبن فبينا هو جالس ياكل اذ انحط نجم ثاقب فامتلا ماء ثم نارا ففزع ابو طالب وقال اي شي
فقال هذا نجم رمي به وانه من ايات الله فتعجب ابو طالب فنزلت السورة **واعلم** انه تعالى لما ذكر المقسم به
اتبعه بذكر المقسم عليه فقال تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ وفيه مسايل **الاولى** في قوله تعالى لما قرايتان احداهما
ابن كثير وابو عمرو ونافع والكسائي وهي تخفيف الميم والثانية قراة عاصم وحمزة وتحصين بتشديد الميم قال ابو علي الفارسي
من خفف كانت ان عنده المخففة من الثقيلة واللام في لما هي التي تدخل مع هذه المخففة فتخلصها من ان النافية
وما صلة كالتي في قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وعما قليل ويكون ان متلقية للقسم كما تتلقاه مثقلة واما
من ثقل فيكون ان عنده النافية كالتي في قوله تعالى ان مكاكم ولما في معنى الا وتستعمل لما بمعنى الا في موضعين
احدهما هذا والاخر في باب القسم تقول سالتك لما فعلت بمعنى الا فعلت وروي عن الاخفش والكسائي وابي عبيدة
انهم قالوا لم نجد لما بمعنى الا في كلام العرب قال ابن دعون قرات عند ابن سيرين لما بالتشديد فانكره وقال سبحان الله
وزعم القسم ان لما بمعنى الا مع ان الخفيفة التي تكون بمعنى ما موجودة في لغة هذيل انشد ليس في الاية بيان ان
هذا الحافظ من هو وليس فيها ايضا بيان ان هذا الحافظ يحفظ الناس عن ماذا اما الاول ففيه قولان الاول
قول بعض المفسرين ان ذلك الحافظ هو الله تعالى اما في التحقيق فلان كل موجود سوى الله ممكن وكل ممكن فانه لا يترجح
وجوده على عدمه الا بمرجح وينتهي ذلك الى الواجب لذاته فهو سبحانه القيوم الذي يحفظه وابقاه سائر الموجودات
ثم انه تعالى بين هذا المعنى في السموات والارض على العموم في قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا وبينه في هذه الاية في حق الانسان على الخصوص وحقيقة الكلام يرجع الى انه تعالى القيم كل ما سواه
فانه ممكن الوجود محدث محتاج مخلوق مربوب هذا اذا حملنا النفس على مطلق الذات اما اذا حملناها على النفس
المنسة وهي النفس الحيوانية امكن ان يكون المراد من قوله تعالى حافظ لها كونه تعالى عالما باحوالها وموصلا اليها
جميع منافعها دافعا عنها جميع مضارها القول الثاني في ان ذلك الحافظ هو الملايكة كما قال تعالى ويرسل عليكم
حفظة وقال تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى وان عليكم
لحافظين كراما كاتبين وقال تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله **البحث**
**الثاني** وهو انه ما الذي يحفظه هذا الحافظ ففيه وجوه احدها ان هولاء الحفظة يكتبون عليه اعمالهم
دقيقها وجليلها حتى تخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وثانيها قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ
يحفظ عملها ورزقها واجلها فاذا استوفى ذلك مات ورزقه الى ربه وحاصله يرجع الى وعيد الكفار
وتسلية النبي عليه السلام لقوله تعالى فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا ثم يصرفون عن قريب الى الاخرة وثالثها

قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ يحفظها من المعاطب والمهالك فلا تصيبها الا ما قدر الله عليها
ورابعها قال الفراء كل نفس لما عليها حافظ يحفظها حتى يسلمها الى المقابر وهذا قول الكلبي واعلم انه تعالى
اقسم على ان لكل نفس حافظا يراقبها ويعد عليها اعمالها تحقيقا لكل احد ان يجتهد ويسعى في تحصيل اهم
المهمات وقد ثبت بالشرايع والعقول على ان اهم المهمات معرفة المبدا ومعرفة المعاد واتفقوا على ان معرفة
المبدا مقدمة على معرفة المعاد فلهذا السبب بدا الله تعالى بعد ذلك بما يدل على المبدا فقال تعالى فلينظر الانسان
مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترايب وفيه مسايل المسالة الاولى الدفق صب الماء
يقال دفقت الماء اي صببته وهو مدفوق اي مصبوب ومتدفق اي منصب ولما كان هذا الماء مدفوقا
اختلفوا في انه وصف بانه دافق على وجوه الاول قال الزجاج معناه ذو اندفاق كما يقال دارع
وفارس ونابل ولابن وتامر اي ذو درع وفرس ونبل ولبن وتمر وذكر الزجاج ان هذا مذهب سيبويه
الثاني انهم يسمون المفعول باسم الفاعل قال الفرا واهل الحجاز افعل لهذا من غيرهم يجعلون الفاعل مفعولا
اذا كان في مذهب النعت كقولهم سر كاتم وهم ناصب وليل نايم وكقوله تعالى في عيشة راضية اي مرضية
ذكر الخليل في الكتاب المنسوب اليه دفق الماء دفقا ودفوقا اذا انصب بمرة واندفق من الكوز اذا انصب
الرابع صاحب الماء لما كان دافقا اطلق ذلك على الماء على سبيل المجاز المسالة الثانية قرى الصلب بفتحتين
والصلب بضمتين وفيه اربع لغات صَلَب وصُلْب وصَلَب وصالب الثالثة ترايب المراة عظام صدرها
حيث يكون القلادة وكل عظم من ذلك تريبة وهذا قول جميع اهل اللغة قال امرو القيس ترايبها
مصقولة كالسجنجل الرابعة في هذه الاية قولان احدهما ان الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل
وترايب المراة وقال اخرون انه مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترايبه واحتج صاحب القول الثاني
على مذهبه بوجهين الاول ان ماء الرجل خارج من الترايب فقط وعلى هذا التقدير لا يحصل هناك
ما خرج من بين الصلب والترايب وذلك على خلاف الاية الثاني انه تعالى بين ان الانسان مخلوق من ماء دافق
والذي يوصف بذلك هو ماء الرجل ثم عطف بانه وصفه بانه يخرج يعني هذا الدافق من بين الصلب
والترايب وذلك يدل على ان الولد مخلوق من ماء الرجل فقط اجاب القايلون بالقول الاول عن الحجة الاولى
انه يجوز ان يقال للشيين المتباينين انه يخرج من بين هذين خير كثير ولان الرجل والمراة عند اجتماعهما يصيران
كالشي الواحد فحسن هذا اللفظ هناك واجابوا عن الحجة الثانية بان هذا من باب اطلاق اسم البعض على الكل
فلما كان احد قسمي المني دافقا اطلق هذا الاسم على المجموع قالوا والذي يدل على ان الولد مخلوق من مجموع المنيين
ان مني الرجل وحده صغير ولا يكفي انه عليه السلام قال اذا غلب ماء الرجل يكون ذكرا ويعود شبهه اليه والى اقاربه
واذا غلب ماء المراة فاليها والى اقاربها يعود الشبه وذلك يقتضي صحة القول الاول واعلم ان الملحدين
طعنوا في هذه الاية فقالوا ان كان المراد من قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترايب ان المني ينفصل
من تلك المواضع فليس الامر كذلك لانه انما يتولد من فضلة الهضم الرابع وينفصل عن جميع اجزاء البدن
حتى ياخذ من كل عضو طبيعة وخاصية فيصير مستعدا لان يتولد منه مثل تلك الاعضا ولذلك كان
المفرط في الجماع يستولي الضعف على جميع اعضايه وان كان المراد ان معظم اجزاء المني يتولد هناك فهو ضعيف
بل معظم اجزايه انما تربى بالدماغ والدليل عليه انه في صورته يشبه الدماغ ولان المكثر منه يظهر
الضعف اولا في عينيه وان كان المراد ان مستقر المني هناك فهو ضعيف لان مستقر المني هو اوعية المني
وهي عروق يلتف بعضها ببعض عند الانثيين وان كان المراد ان مخرج المني هناك فهو ضعيف لان الحس يدل
على انه ليس كذلك والجواب لا شك ان اعظم الاعضا معونة في توليد المني هو الدماغ والدماغ خليفة
وهي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى مقدم البدن وهي التريبة فلهذا السبب خصص
الله تعالى هذين العضوين بالذكر على ان كلام متكلم في كيفية تولد المني وكيفية تولد الاعضاء عن المني
محض الوهم والظن الضعيف وكلام الله تعالى اولى بالقبول المسالة الخامسة قد بينا في مواضع في هذا
الكتاب ان دلالة تولد الانسان عن النطفة على وجود الصانع المختار من اظهر الدلايل لوجوه احدها
ان التركيبات العجيبة في بدن الانسان اكثر فيكون تولده عن المادة البسيطة ادل على القادر المختار
وثانيها ان اطلاع الانسان على احوال نفسه اكثر من اطلاعه على احوال غيره فلا جرم كانت هذه الدلالة
اتم وثالثها ان مشاهدة الانسان لهذه الاحوال في اولاده واولاد سائر الحيوانات والممكنات الاستدلال
به على الصانع المختار اقوى ورابعها وهو ان الاستدلال بهذا الباب كما يدل قطعا على وجود الصانع
المختار الحكيم فكذلك يدل قطعا على صحة البعث والحشر والنشر ولان حدوث الانسان انما يكون
بسبب اجتماع اجزاء كانت متفرقة في بدن الوالدين بل في جميع العالم فلما قدر الصانع على جمع تلك
الاجزاء المتفرقة حتى خلق منها انسانا سويا وجب ان يقال انه بعد موته وتفرق اجزايه لا بد وان





يقدر الصانع على جمع تلك الاجزاء ويجعلها خلقا سويا كما كان اولا ولهذا السر لما بين تعالى دلالته على المبدا فرع
ايضا دلالته على صحة المعاد فقال تعالى انه على رجعه لقادر وفيه مسايل المسالة الاولى الضمير في انه للخالق
مع انه لم يتقدم ذكره والسبب فيه وجهان الاول دلالة خلق عليه والمعنى ان ذلك الذي خلق قادر على
رجعه الثاني انه وان كان لم يتقدم ذكره لفظا ولكن تقدم ذكر ما يدل عليه سبحانه وتعالى وقد تقرر
في بداية العقول ان القادر على هذه التصرفات هو الله سبحانه وتعالى فلما كان ذلك في غاية الظهور
كان كالمذكور الثانية الرجع مصدر رجعته الشي اي رددته والكناية في قوله على رجعه الى اي
شي يرجع فيه وجهان اولهما وهو الاقرب انه راجع الى الانسان والمعنى ان الذي قدر على خلق الانسان
ابتدا وجب ان يقدر بعد الموت على رده حيا وهو كقوله تعالى قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو كقوله تعالى
وهو اهون عليه وثانيهما ان الضمير عايد الى الانسان ثم قال مجاهد قادر على ان يرده ايضا في الاحليل
وقال عكرمة والضحاك على ان يرد الماء في الصلب وروي ايضا عن الضحاك انه قادر على رجع الانسان
كما قال قبل وقال مقاتل ابن حيان ان شيت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبي ومن الصبي
الى النطفة واعلم ان القول الاول اصح ويشهد له قوله تعالى يوم تبلى السراير انه قادر على بعثه يوم القيمة ثم انه
سبحانه وتعالى لما اقام الدلالة على صحة القول بالبعث من القيامة وصف حاله في ذلك اليوم فقال تعالى
يوم تبلى السراير فما له من قوة ولا ناصر وفيه مسايل المسالة الاولى يوم منصوب برجعه ومن جعل الضمير
في رجعه للماء وهو الاقرب برجعه الى مخرجه من الصلب والترايب او الى الحالة الاولى نصب الظرف بقوله تعالى
فما له من قوة ذلك اليوم الثانية تبلى اي تختبر والسراير ما اسر في القلوب من العقايد والنيات وما اخفي
من الاعمال في كيفية الابتلا وفي الاختبار هاهنا اقوال الاول ما ذكره القفال معنى الاختبار هاهنا
ان اعمال الانسان يوم القيمة تعرض عليه وينظر ايضا في الصحيفة التي كتبت الملايكة فيها تفاصيل
اعماله ليعلم ان المذكور هل هو مطابق للمكتوب ولما كانت المحاسبة يوم القيمة واقعة على هذا الوجه الذي
جاز ان يسمى هذا المحاسبة ابتلاء وهذه التسمية تعنيه لعباده ابتلاء وامتحانا وان كان عالما بتفاصيل
ما عملوه وما لم يعملوه والوجه الثاني ان الافعال انما يستحق عليها الثواب والعقاب لوجوهها فرب
فعل يكون ظاهره حسنا وباطنه قبيحا وربما كان بالعكس فاختبارها ما يعتبر من تلك الوجوه المعارضة
من المعارضة والترجيح حتى يظهر ان الوجه الراجح ما هو والمرجوح ما هو الثالث قال ابو مسلم بلوت يقع
على اظهار الشي ويقع على امتحانه كقوله تعالى ونبلوا اخباركم وقوله تعالى ولنبلونكم ثم قال المفسرون
السراير التي تكون بين الله تعالى وبين العبد تختبر يوم القيمة حتى يظهر خيرها من شرها ومؤداها
من مضيعها وهذا تفسير قول ابن عمر يبدي الله يوم القيامة كل سر فيكون زينا في الوجوه وشينا في الوجوه
يعني من اداها كان وجهه مشرقا ومن ضيعها كان وجهه اغبر المسالة الثالثة دلت الاية على انه لا قوة
للعبد ذلك اليوم لان قوة الانسان اما ان تكون له لذاته او مستفادة من غيره فالاول منفي بقوله تعالى
فما له من قوة والثاني منفي بقوله ولا ناصر والمعنى ما له من قوة يدفع بها عن نفسه ما حل به من العذاب ولا ناصر ينصره
ودفعه وهذا يشبه انه زجر وتحذير ومعنى من في قوله من قوة على وجه النفي لقليله وكثيره كانه قيل ما له
شي من القوة ولا احد من الانصار والناصر ومما يتمسك بهذه الاية في نفي الشفاعة كقوله تعالى
واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا الى قوله تعالى ولا هم ينصرون والجواب ما تقدم قوله
تعالى والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع انه لقول فصل وما هو بالهزل انهم
يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا اعلم انه سبحانه وتعالى
لما بين دلالة التوحيد والمعاد اقسم ثانيا فقال تعالى والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع فقد
قال الزجاج الرجع المطر لانه يجي ويتكرر واعلم ان كلام الزجاج وسائر ائمة اللغة صريح في ان الرجع ليس
اسما موضوعا للمطر بل سمي رجعا على سبيل المجاز ولحسن هذا المجاز وجوه احدها قال القفال كانه من ترجيع
الصوت وهو اعادته ووصل الحروف به فكذا المطر لكونه عايدا مرة بعد اخرى سمي رجعا وثانيها ان العرب
كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض وثالثها انهم ارادوا التفاؤل فسموه
رجعا ليرجع ورابعها ان المطر يرجع في كل عام اذا عرفت هذا فنقول للمفسرين اقوال احدها قال ابن عباس
والسماء ذات الرجع اي ذات المطر يرجع بالمطر بعد مطر وثانيها رجع السماء اعطا الخير الذي يكون من جهتها
حالا بعد حال على مرور الازمان ترجعه رجعا اي تعطيه مرة بعد مرة وثالثها قال ابن زيد هو انها ترد
وترجع شمسها وقمرها بعد مغيبها والقول هو الاول واما قوله والارض ذات الصدع فاعلم ان الصدع هو
الشق ومنه قوله تعالى يومئذ يصدعون اي يتفرقون وللمفسرين اقوال قال ابن عباس تتصدع عن النبات
والاشجار وقال مجاهد هو الجبل لان بينهما شق ناقد كما قال تعالى وجعلنا فيها فجاجا سبلا وقال الليث

الصدع نبات الارض لانه يصدع الارض فتنصدع به الارض على هذا سمي النبات صدعا لانه صادع للارض
واعلم انه سبحانه وتعالى لما جعل كيفية خلقة الحيوان دليلا على معرفة المبدا والمعاد ذكر في هذا القسم كيفية
خلقة النبات فالسماء ذات الرجع كالاب والارض ذات الصدع كالام وكلاهما من النعم العظام لان نعم الدنيا
موقوفة على ما ينزل من السماء من المطر متكررا وعلى ما ينبت من الارض كذلك ثم انه تعالى اورد في هذا القسم
بالمقسم عليه فقال تعالى انه لقول فصل وفيه مسايل المسئلة الاولى في هذا الضمير قولان الاول ما قاله
القفال وهو ان المعنى ان ما اخبركم به من قدرتي على احيائكم في اليوم الذي تبلى فيه سرايركم قول فصل وحق والثاني
انه عايد الى القران اي القران فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان والاول اولى لان تعود الضمير الى المذكور
السالف اولى الثانية قول فصل اي حكم ينفصل به الحق عن الباطل ومنه فصل الخصومات وهو قطعها بالحكم
الجزم ويقال هذا قول فصل اي قاطع للمراء والنزاع وقال بعض المفسرين معناه انه حق لقوله تعالى وما هو بالهزل
اي باللعب والمعنى ان القران نزل بالجد ولم ينزل باللعب ثم قال تعالى وما هو بالهزل والمعنى ان البيان الفصل
قد يذكر لا على سبيل الجد والاهتمام لشانه وقد يكون على سبيل الجد وهذا الموضع من ذلك ثم قال تعالى انهم يكيدون
كيدا وذلك الكيد على وجوه منها بالقاء الشبهات كقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وقوله تعالى من يحيي العظام
وهي رميم وقوله تعالى اجعل الالهة الها واحدا وقوله تعالى لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقوله
تعالى فهي تملى عليه بكرة واصيلا ومنها بالطعن في كونه ساحرا وشاعرا ومجنونا ومنها بقصد قتله على ما قال
تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك ثم قال تعالى واكيد كيدا فاعلم ان الكيد في حق الله تعالى
محمول على وجوه احدها دفعه تعالى كيد الكافرين عن محمد ومقابلته ذلك الكيد بنصره واعلاء دينه لاجل
المتقابلين باسم الاخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق
جهل الجاهلينا وكقوله تعالى نسوا الله فنسيهم وقوله تعالى يخادعون الله وهو خادعهم وثانيها ان كيده
تعالى بهم هو امهاله اياهم على كفرهم حتى ياخذهم على غرة ثم قال تعالى فمهل الكافرين اي لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل
ثم انه تعالى لما امره بامهالهم بين ان ذلك الامهال المامور به قليل فقال تعالى امهلهم رويدا فكرر
وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين من الرسول عليه السلام والتصبر وها هنا مسايل المسئلة الاولى
قال ابو عبيدة الكثير رويد رودا وانشد يمشي ولا يكلم البطحا مشيته كانه ثمل يمشي على رود اي يمشي
على مهل ورفق وتؤدة وذكر ابو علي في باب اسماء الافعال رويد زيدا تريد ارود زيدا ومعناه امهله
وارفق به قال النحويون رويد في كلام العرب على ثلاثة اوجه احدها ان يكون اسما للامر كقولك
رويد زيدا تريد ارود زيدا اي خله ودعه وارفق به ولا ينصرف رويد في هذا الوجه لانها غير متمكنة و
الثاني ان يكون بمنزلة ساير المصادر فتقول رويدا قاما مه كما يفعلون بساير النعوت المتمكنة ومن ذلك
قول العرب ضعه رويدا اي وضعا رويدا ويقول للرجل يعالج الشيء رويدا اي علاجا رويدا ويجوز في هذا الوجه
امران احدهما ان يكون رويدا حالا والثاني ان يكون معناه فان اظهرت المنعوت لم يجز ان يكون للحال والذي في الاية
ما ذكرنا في الوجه الثالث لانه يجوز ان يكون نعتا للمصدر كانه قال امهالا رويدا ويجوز ان يكون للحال اي امهلهم
غير مستعجل الثانية منهم من قال امهلهم رويدا الى يوم القيمة وانما صغر ذلك من حيث علم ان كلما هو ات قريب
ومنهم من قال امهلهم رويدا الى يوم بدر والاول اولى لان الذي جرى يوم بدر وفي ساير الغزوات لم يعم الكل
واذا حمل على امر الاخرة عم منهم ولا يمتنع ذلك ان يدخل في جملته امر الدنيا فيما نال بعضهم يوم بدر وغيره وكل ذلك زجر
وتحذير للقوم وكانه تحذير لهم فهو ترغيب في خلاف طريقتهم في الطاعات   والله تعالى اعلم بالصواب

سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء
احوى سنقريك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى اعلم ان قوله تعالى
سبح اسم ربك الاعلى فيه مسايل **المسئلة الاولى** في قوله اسم ربك قولان احدهما ان المراد الامر بتنزيه
اسم الله تعالى وتقديسه والثاني ان الاسم صلة والمراد الامر بتنزيه الله تعالى اما على الوجه الاول ففي
اللفظ احتمالات احدها ان المراد تنزيه اسم ربك عن ان يسمى به غيره فيكون ذلك نهيا عن يدعى غيره باسمه
كما كان المشركون يسمون الصنم باللات والعزى ومسيلمة برحمان اليمامة وثانيها ان لا يفسر اسماؤه بما لا يصح
ثبوته في حقه سبحانه نحو ان يفسر الاعلى بالعلو في المكان والاستواء بالاستقرار بل يفسر العلو بالقهر والاقتدار والاستواء
بالاستيلاء وثالثها ان يصان عن الابتذال والذكر على وجه الخشوع والتعظيم ويدخل فيه ان يذكر تلك الاسماء
عند الغفلة وعدم الوقوف على معانيها وحقايقها ورابعها ان يكون المراد سبح باسم ربك اي مجده باسمائه التي





انزلتها عليك وعرفتك انها اسماؤه كقوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ونظير هذا التاويل قوله تعالى فسبح
باسم ربك العظيم ومقصود الكلام من هذا التاويل امران احدهما سبح ربك الاعلى اي صل باسم ربك لا كما يصلي المشركون
بالمكاء والتصدية والثاني ان لا يذكر العبد ربه الا بالاسماء التي ورد التوقيف بها قال الفراء لا فرق بين سبح اسم
ربك وبين سبح باسم ربك قال الواحدي وبينهما فرق لان معنى سبح باسم ربك نزه الله تعالى بذكر اسمه
المسمى عن تنزهه وعلوه عما يقول المبطلون وسبح اسم ربك اي نزه الاسم من النقص وخاصها قال ابو مسلم
المراد من الاسم ها هنا الصفة وكذلك قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها اما على الوجه الثاني
فهو ان يكون الاسم الصلة ويكون المعنى سبح ربك وهو اختيار جمع من المحققين قالوا لان الاسم في الحقيقة
لفظة مركبة من حروف ولا يجب تنزيهها كما يجب في الله تعالى لكن المذكور اذا كان في غاية العظمة لا يذكر
هو بل يذكر اسمه فيقال سبح اسم ربك ومجده اي مجد ذكره كما يقال سلام على المجلس العالي وقال لبيد الى الحول
ثم اسم السلام عليكما اي السلام وهذه طريقة مشهورة في اللغة ويقول على هذا الوجه لتسبيح الله يحتمل
وجهين الاول ان لا يعامل الكفار معاملة يقدمون بسببها على ذكر الله تعالى بما لا ينبغي على ما قال تعالى ولا تسبوا
الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم الثاني انه عبارة عن تنزيه الله عن كل ما لا يليق في ذاته
وفي صفاته وفي افعاله وفي اسمايه وفي احكامه اما في ذاته بان تعتقد انها ليست من الجواهر والاعراض واما
في صفاته بان تعتقد انها ليست محدثة ولا متناهية ولا ناقصة واما في افعاله فان تعتقد انه مالك
مطلق فلا اعتراض لاحد عليه في امر من الامور وقالت المعتزلة هو ان تعتقد ان كل ما فعله فهو صواب حسن
وانه لا يفعل القبيح ولا يرضى به واما في اسمايه فان لا يذكر سبحانه الا بالاسماء التي لا توهم نقصا بوجه من الوجوه
سواء ورد الاذن فيها او لم يرد فهو ان تعلم انه ما كلفنا لنفع يعود اليه بل لمحض المالكية على ما هو قولنا
او لرعاية مصالح العباد على ما هو قول المعتزلة الثانية من الناس من تمسك بهذه الاية في ان الاسم نفس المسمى
واقول ان الخوض في الاستدلال لا يمكن الا بعد تلخيص محل النزاع فلا بد ها هنا من بيان ان الاسم ما هو والمسمى
ما هو حتى يمكننا ان نخوض في ان الاسم هل هو نفس المسمى ام لا فنقول ان كان المراد من الاسم هو هذا
اللفظ وبالمسمى تلك الذات فالعاقل لا يمكنه ان يقول الاسم هو نفس المسمى وان كان المراد من الاسم تلك الذات
وبالمسمى ايضا تلك الذات كان قولنا الاسم نفس المسمى هو ان تلك الذات نفس تلك الذات وهذا
لا يمكن ان ينازع فيه عاقل فعلمنا ان هذه المسئلة في وضعها ركيكة واذا كان كذلك كان الخوض في ذكر
الاستدلال عليه اولى وما بعد بلى ها هنا دقيقة وهي ان قولنا اسم لفظة جعلناها اسما لكل ما دل على معنى
غير مقترن بزمان والاسم كذلك فيلزم ان يكون اسما لنفسه وها هنا الاسم نفس المسمى فلعل العلماء
الاولين ذكروا ذلك فاشتبه الامر على الاخرين وظنوا ان الاسم في جميع المواضع نفس المسمى هذا حاصل التحقيق
في هذه المسئلة ولنرجع الى الكلام المالوف قالوا الذي يدل على ان الاسم نفس المسمى هو ان احدا لا يقول
سبحان اسم الله وسبحان اسم ربنا فمعنى سبح اسم ربك سبح ربك والرب ايضا اسم فلو كان غير الاسم لم يجز
ان يقع التسبيح عليه واعلم ان هذا الاستدلال ضعيف لما بينا في المسئلة الاولى انه يمكن ان يكون الامر
واردا بتسبيح الاسم ويكون المراد بتسبيح المسمى وذكر الاسم صلة فيه ويمكن ان يكون المراد فسبح باسم ربك
كما قال تعالى فسبح باسم ربك ويكون المعنى سبح ربك بذكر اسمائه المسئلة الثالثة روي عن عقبة بن عامر
انه لما نزل قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم
ولما نزل قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم ثم روي في الاخبار انه عليه السلام
كان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى ثم من العلماء من قال هذا الحديث
يدل على ان المراد من قوله تعالى سبح باسم ربك الاعلى اي صل باسم ربك ومنكر هذا الاحتمال باطباق
المفسرين على ان قوله سبحانه وتعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ورد في بيان اوقات
الصلاة الخامسة قرا علي وابن عمر سبحان ربي الاعلى الذي خلق فسوى ولعل الوجه فيه ان قوله تعالى سبح
امر بالتسبيح فلا بد وان يذكر ذكرا التسبيح وما هو الا قوله سبحان ربي الاعلى السادسة تمسكت المجسمة
في اثبات العلو بالمكان بقوله تعالى ربك الاعلى والحق ان العلو بالجهة على الله تعالى محال لانه تعالى اما
ان يكون متناهيا او لا يكون متناهيا فان كان متناهيا طرفه الفوقاني وكان فوقه جهة فلا بد وان يكون
هو سبحانه وتعالى اعلى من جميع الاشيا واما ان كانت غير متناهية من بعض الجهات كان الى الجانب المتناهي
مغايرا للجانب غير المتناهي فيكون مركبا من حروف وكل مركب ممكن فواجب الوجود لذاته ممكن الوجود
هذا محال فثبت ان العلو ها هنا ليس بمعنى العلو في الجهة ومما يوكد ذلك انما قبل هذه الاية وما بعدها
ينافي ان يكون المراد هو العلو بالجهة اما ما قبل الاية فلان العلو عبارة عن كونه في غاية البعد عن العالم
وهذا لا يناسب استحقاق التسبيح والثنا والتعظيم اما العلو بمعنى كمال القدرة والتفرد بالتخليق

بالتخليق والابداع يناسب ذلك والسورة هاهنا مذكورة لبيان وصفه سبحانه وتعالى بما يستحق الحمد والثنا
والتعظيم واما ما بعد هذه الاية فلانه اردف قوله الاعلى بقوله الذى خلق فسوى والخالقية تناسب العلو بحسب
القدرة لا العلو بحسب الجهة السابعة من الملحدين من قال القران مشعر بان للعالم رب احدهما عظيم والاخر اعلى منه
اما العظيم فقوله فسبح باسم ربك العظيم واما الاعلى منه فقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى وهذا يقتضى وجود رب
اخر يكون هو اعلى بالنسبة اليه واعلم انه لما دلت الدلايل على ان الصانع تعالى واحد سقط هذا السوال ثم
نقول ليس فى هذه الاية انه سبحانه وتعالى اعلى من رب اخر بل ليس فيه الا انه اعلى ثم لنا فيه تاويلات الاول
انه اعلى واجل واعظم من كل ما يصفه به الواصفون ومن كل ذكر يذكره به الذاكرون فجلال كبريايه اعلا من معارفنا
وادراكاتنا واصناف الايه ونعماوه اعلى من حمدنا وشكرنا وانواع حقوقه اعلى من طاعتنا واعمالنا الثانى
ان قوله الاعلى ينبه على استحقاق الله تعالى التنزيه من كل نقص فكانه قال سبحانه فانه الاعلى على كل
شى بملكه وسلطانه وقدرته وهو كما تقول احدث الخمر المزيلة للعقل اى احدثها بسبب كونها مزيلة
للعقل والثالث ان تكون المراد بالاعلى العالى كان المراد بالاكبر الكبير الثامنة روى انه عليه السلام كان يحب
هذه السورة ويقول لو علم الناس علم سبح اسم ربك لرددها احدهم ست عشرة مرة وروى عن عايشة رضى الله عنها
انها مرت باعرابى يصلى باصحابه فقرا سبح اسم ربك الاعلى الذى يسر على الحبلى فاخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق
وحشى اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى الا بلى الا بلى فقالت عايشة لا اب غايبكم ولا زالت نساوكم فى ذريه
اما قوله تعالى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى فاعلم ان الاستدلال بالخلق والهداية هى الطريقة المعتمدة
عند اكابر الانبيا عليهم السلام والدليل عليه ما حكى الله عن ابراهيم عليه السلام انه قال الذى خلقنى فهو
يهدين وحكى عن فرعون انه لما قال لموسى وهرون قال فمن ربكما يا موسى قال موسى عليه السلام ربنا الذى
اعطى كل شى خلقه ثم هدى واما محمد عليه السلام فانه تعالى اول ما انزل عليه هو قوله تعالى اقرا باسم ربك الذى
خلق خلق الانسان من علق وهذا اشارة الى الخلق ثم قال تعالى اقرا وربك الاكرم الذى علم بالقلم وهذا اشارة
الى الهداية ثم انه اعاد ذكر تلك الحجة فى هذه السورة وقال تعالى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى وانما وقع
الاستدلال بهذه الطريقة كثيرا لما ذكرنا ان العجايب والغرايب فى هذه الطريقة اكثر ومشاهدة الانسان لها
واطلاعه عليها اتم فلا جرم كانت اقوى فى الدلالة ثم هاهنا مسايل الاولى قوله تعالى خلق فسوى يحتمل ان يريد
الناس خاصة ويحتمل ان يريد الحيوان ويحتمل ان يريد كل شى خلقه فمن حمله على الانسان ذكر للتسوية وجوها احدها
انه جعل قامته مستوية معتدلة وخلقته حسنة على ما قال تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم واثنى على
نفسه بسبب خلقه اياه فقال فتبارك الله احسن الخالقين وثانيها ان كل حيوان فانه مستعد لنوع واحد من الاعمال
فقط وغيره مستعد لسا ير الاعمال اما الانسان فانه خلق بحيث يمكنه ان ياتى بجميع افعال الحيوانات بواسطة الات
مختلفة فالتسوية اشارة الى هذا وثالثها انه هياه للتكليف والقيام باداء العبادات واما من حمله على جميع الحيوانات
قال المراد انه اعطى كل حيوان ما يحتاج اليه من اعضا والات وحواس وقد استقصينا القول فى هذا الباب
فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب واما من حمله على جميع المخلوقات قال المراد من التسوية هو انه تعالى قادر
على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات خلق ما اراد على وفق ما اراده موصوفا باوصاف الاحكام والاتقان مبرا عن
السهو والاضطراب الثانية قرا الجمهور قدر مشددة وقرا الكسائى على التخفيف اما قراة التشديد فالمعنى انه
قدر كل شى بمقدار معلوم واما التخفيف فقال القفال معناه انه ملك فهدى وتاويله انه خلق فسوى
وملك ما خلق اى تصرف فيه كيف شا واراد وهذا هو الملك فهداه لمنافعه ومصالحه ومنهم من قال
هما لغتان بمعنى واحد وعليه قوله تعالى فقدرنا فنعم القادرون بالتشديد والتخفيف الثالثة
قوله تعالى قدر يتناول المخلوقات فى ذواتها وصفاتها كل واحد فقدر السموات والكواكب والعناصر
والمعادن والنبات والحيوان والانسان بمقدار مخصوص من الجثة والعظم وقدر لكل واحد منها من
البقا مدة معلومة ومن الصفات والالوان والطعوم والروايح والاين والاوضاع والحسن والقبح
والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة مقدارا معلوما على ما قال تعالى وان من شى الا عندنا
خزاينه وما ننزله الا بقدر معلوم وتفصيل هذه الجملة اما قوله تعالى فهدى فالمراد ان كل مزاج فانه
مستعد لقوة خاصة وكل قوة فانها لا تصلح الا لفعل معين والتسوية والتقدير عبارة عن التصرف
فى الاجزاء الجسمانية وتركيبها على وجه خاص لاجله مستعد لقبول تلك القوى وقوله تعالى فهدى عبارة
عن خلق تلك القوى فى تلك الاعضا بحيث تكون كل قوة مصدرا لفعل معين ويحصل من مجموعها تمام المصلحة
وللمفسرين فيه وجوه قال مقاتل هدى الذكر للانثى كيف ياتيها وقال اخرون هداه لمعيشته وقال اخرون
هدى الانسان سبيل الخير والشر والشقاوة والسعادة وذلك لانه جعله حساسا دراكا متمكنا من
الاقدام على ما يسره والاحجام عما يسوه كما قال تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا وقال

تعالى



تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها وقال السدى قدر مدة الجنين فى الرحم ثم هداه للخروج وقال الفرا قدر
فهدى واضل واكتفى بذكر احدهما كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وقال اخرون الهداية بمعنى الدعا الى الايمان
كقوله تعالى وانك لتهدى اى لتدعوا وقد دعا الكل الى الايمان وقال اخرون هدى اى دلهم بافعاله
على توحيده وجلال كبريايه ونعوت صمديته وفردانيته وذلك لان العاقل يرى فى العالم افعالا
محكمة متقنة متسقة منتظمة فهى لا محالة تدل على الصانع القديم وقال قتادة قدر فهدى ان الله
تعالى ما اكره عبدا على معصية ولا على ضلالة ولا رضيها له ولا امره بها ولكن رضى لكم الطاعة
وامركم بها ونهاكم عن المعصية واعلم ان هذه الاقوال على كثرتها لا تخرج عن قسمين فمنهم من حمل
قوله تعالى فهدى على ما يتعلق بالدين كقوله تعالى وهديناه النجدين ومنهم من حمله على ما يرجع الى
مصالح الدنيا والاول اقوى لان قوله تعالى خلق فسوى وقدر يرجع الى احوال الدنيا ويدخل فيه اكمال العقل
والقوى ثم اتبعه بقوله تعالى فهدى اى كلف ودل على الدين اما قوله تعالى والذى اخرج المرعى اعلم
انه سبحانه وتعالى لما بين ما يختص به الناس اتبعه بذكر ما يختص به غير الناس من النعم فقال تعالى والذى
اخرج المرعى اى هو القادر على انبات العشب لا كالاصنام التى عبدتها الكفرة والمرعى ما تخرجه الارض من النبات
والثمار والزروع والحشيش قال ابن عباس المرعى الكلا الاخضر ثم قال تعالى فجعله غثاء احوى وفيه مسالتان
المسالة الاولى الغثا ما يبس من النبت فحملته الاودية والمياه ولعبت به الرياح وقال قطرب واحد
الغثا غثا المسالة الثانية الحوة السواد وقال بعضهم الاحوى هو الذى يضرب الى السواد اذا اصابته
رطوبة وفى احوى قولان احدهما نعت الغثاء اى صار بعد الخضرة يابسا فتغير الى السواد وسبب ذلك
السواد امور احدها ان العشب انما يجف عند استيلاء البرد على الهوا ومن شان البرودة انها تبيض
الرطب وتسود اليابس وثانيها ان تحملها الرياح فيلتصق به الغبار الكثير فتسود القول الثانى وهو
اختيار الفرا وابى عبيدة وهو ان يكون الاحوى هو الاسود لشدة خضرته كما قيل مدهامتان اى سوداوان وان
لشدة خضرتهما والتقدير والذى اخرج المرعى احوى فجعله غثاء كقوله تعالى ولم يجعل له عوجا قيما اما قوله
تعالى سنقريك فلا تنسى الا ما شاء الله اعلم انه تعالى لما امر محمدا عليه السلام بالتسبيح فقال
سبح اسم ربك وعلم محمد عليه السلام ان ذلك التسبيح لا يتم ولا يكمل الا بقراة ما انزله عليه من القران
لما بينا ان التسبيح الذى يليق به هو الذى يرضيه لنفسه فلا جرم كان يتذكر القران فى نفسه مخافة ان
ينسى فازال الله ذلك الخوف عن قلبه بقوله تعالى سنقريك فلا تنسى وفيه مسايل المسالة الاولى قال
الواحدى سنقريك فلا تنسى اى سنجعلك قاريا بان نلهمك القراة فلا تنسى ما تقروه والمعنى نجعلك
قاريا للقران تقروه فلا تنساه قال مجاهد ومقاتل والكلبى كان عليه السلام اذا نزل عليه القران اكثر تحريك لسانه
مخافة ان ينسى وكان جبريل عليه السلام لا يفرغ من اخر الوحى حتى يتكلم هو باوله مخافة النسيان فقال الله تعالى
سنقريك فلا تنسى اى سنعلمك هذا القران حتى تحفظه ونظيره قوله تعالى ولا تعجل بالقران من قبل ان
يقضى اليك وحيه وقوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ثم ذكروا فى كيفية ذلك الاستقراء والتعليم
وجوها احدها ان جبريل عليه السلام سيقرا عليك القران مرات حتى تحفظه حفظا لا تنساه وثانيها
انا نشرح صدرك ونقوى خاطرك حتى تحفظه بالمرة الواحدة حفظا لا تنساه وثالثها انه تعالى
لما امره فى اول السورة بالتسبيح فكانه تعالى قال واصبر على ذلك ودم عليه فانا سنقريك القران
الجامع لعلوم الاولين والاخرين ويكون فيه ذكرك وذكر قومك ونجمعه فى قلبك ونيسرك لليسرى وهو
العمل به الثانية هذه الاية تدل على المعجزة من وجهين الاول انه كان رجلا اميا فحفظه لهذا الكتاب المطول
من غير دراسة ولا تكرار خارق للعادة فيكون معجزا الثانى ان هذه السورة من اوايل ما نزل بمكة فهذا
اخبار عن امر عجيب مخالف للعادة سيقع فى المستقبل وقد وقع فكان هذا اخبارا عن الغيب فيكون
معجزا اما قوله تعالى فلا تنسى فقال بعضهم فلا تنسى معناه النهى والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا
يعنى فلا تغفل قراته وتكريره فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيكه والقول المشهور ان هذا خبر والمعنى سنقريك الى ان
تصير بحيث لا تنسى وتامن النسيان كقولك ساكسوك فلا تعرى اى فتامن العرى واحتج اصحاب هذا القول
على ضعف القول الاول بان ذلك القول لا يتم الا عند التزام مجازات فى هذه الاية منها ان النسيان لا يقدر عليه
الا الله تعالى فلا يصح ورود الامر والنهى به فلا بد وان يحمل ذلك على المواظبة على الاشيا التى تنافى
النسيان مثل الدراسة وكثرة التذكر وكل ذلك عدول عن ظاهر اللفظ ومنها ان يجعل الالف مزيدة للفاصلة
وهذا ايضا خلاف الاصل ومنها انا اذا جعلناه خبرا كان معنى الاية بشارة الله اياه
بانى اجعلك بحيث لا تنساه واذا جعلناه نهيا كان معناه ان الله تعالى امره بان يواظب على الاسباب
المانعة من النسيان وهى الدراسة والقراة وهذا ليس فى البشارة وتعظيم حاله مثل الاول ولانه

على خلاف قوله الا ما شاء الله ففيه احتمالات احدها ان يقال الاستثناء غير حاصل في الحقيقة وانه
عليه السلام لم ينس بعد ذلك شيئا قال الكلبي انه عليه السلام لم ينس بعد نزول هذه الآية شيئا وعلى
هذا التقدير يكون الغرض من قوله تعالى الا ما شاء الله احد امور احدها التبرك بذكر هذه الكلمة على ما قال
تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وكانه تعالى يقول
انا مع اني عالم بجميع المعلومات وعالم بعواقب الامور على التفصيل لا اخبر عن وقوع شيء في المستقبل
الا مع هذه الكلمة فانت وامتك يا محمد اولى بها وثانيها قال الفراء انه تعالى ما شاء ان تنسى محمد عليه السلام
شيئا الا ان المقصود من ذكر هذا الاستثناء بيان انه تعالى لو اراد ان يصير ناسيا لذلك لقدر عليه كما قال
تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم انا نقطع بانه تعالى ما شاء ذلك وقال لمحمد عليه السلام
لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه عليه السلام ما اشرك البتة وبالجملة ففائدة هذا الاستثناء
ان الله تعالى يعرفه قدرة ربه حتى يعلم ان عدم النسيان من فضل الله تعالى لا من قوته وثالثها انه
تعالى لما ذكر هذا الاستثناء جوز رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون ذلك هو المستثنى فلا جرم كان
يبالغ في التثبت والتحفظ من جميع المواضع فكان المقصود من ذكر هذا الاستثناء بقاؤه عليه السلام
على التيقظ في جميع الاحوال ورابعها ان يكون الغرض من قوله تعالى الا ما شاء الله نفي النسيان كما يقول
الرجل لصاحبه انت شريكي فيما املك الا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء القول الثاني ان قوله
تعالى الا ما شاء الله استثناء في الحقيقة وعلى هذا التقدير يحتمل الآية وجوها احدها قال الزجاج
الا ما شاء الله ان ينسى فانه ينسى ثم يذكر بعد ذلك فاذا قد نسي ولكنه يتذكر ولا ينسى نسيانا كليا
دائما روي انه اسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب ابي انها نسخت فساله فقال نسيتها وثانيها
قال مقاتل الا ما شاء الله ان ينسيه ويكون المراد من الاستثناء هاهنا نسخه كما قال تعالى ما ننسخ
من آية او ننسها نات بخير منها فيكون المعنى الا ما شاء الله ان ينساه على الاوقات كلها فيامرك ان لا تقراه
ولا تصلي به فيصير ذلك سببا لنسيانه وزواله عن الصدور وثالثها ان يكون قوله تعالى الا ما شاء الله
القلة والندرة ويشترط ان لا يكون ذلك القليل من واجبات الشرع بل من الآداب والسنن فانه لو نسي
شيئا من الواجبات ولم يتذكره ادى ذلك الى الخلل في الشرع وانه غير جائز اما قوله تعالى انه يعلم الجهر وما يخفى
ففيه وجهان احدهما ان المعنى سبحانه وتعالى عالم بجهرك في القراءة مع قراءة جبريل عليه السلام وعالم بالسر
الذي في قلبك وهو انك تخاف النسيان فلا تخف فانا اكفيك ما تخافه الثاني ان يكون المعنى فلا تنسى
الا ما شاء الله ان ينسخ فانه اعلم بمصالح العبيد ينسخ حيث يعلم ان المصلحة في النسخ اما قوله تعالى ونيسرك
لليسرى ففيه مسائل المسلة الاولى اليسرى هي اعمال الخير التي تؤدي الى اليسر اذا عرفت هذا فنقول للمفسرين
فيه وجوه احدها ان قوله تعالى ونيسرك معطوف على قوله تعالى سنقرئك وقوله تعالى انه يعلم الجهر
وما يخفى اعتراض والتقدير سنقرئك فلا تنسى ونوفقك للطريقة التي هي اسهل وايسر يعني في حفظ القران
وثانيها قال ابن مسعود اليسرى الحسنة والمعنى نيسرك للعمل المؤدي اليها وثالثها نهون عليك الوحي حتى
تحفظه وتعلمه وتعمل به ورابعها نوفقك للشريعة وهي الحنيفية السهلة السمحة والوجه الاول اقرب
الثانية لسائل ان يقول صيغة العبارة المعتادة ان يقال جعل الفعل الفلاني ميسرا لفلان ولا يقال
جعل فلان ميسرا للفعل الفلاني فما الفائدة فيه الجواب ان هذه العبارة كما انها اختيار القران في هذا
الموضع وفي سورة الليل ايضا فكذا في اخبار الرسول في قوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفيه
لطيفة عملية وذلك لان ذلك الفعل في نفسه ماهيته ممكنة قابلة للوجود والعدم على السوية فما
دام القادر يبقى بالنسبة الى فعلها او تركها على السوية امتنع صدور الفعل عنه فاذا ترجحت جانب الفاعلية
على جانب التاركية فحينئذ يحصل الفعل فثبت ان الفعل ما لم يجب لم يوجد وذلك الرجحان هو المسمى
باليسر فثبت ان الامر في التحقيق هو ان الفاعل يصير ميسرا للفعل لا ان الفعل يصير ميسرا للفاعل
فسبحان من له تحت كل كلمة حكمة خفية وسر عجيب يبهر العقول الثالثة انما قال تعالى ونيسرك
لليسرى بنون التعظيم ليكون عظمة المعطي دالة على عظمة العطاء ونظيره قوله تعالى انا انزلناه
وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وقوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فدلت هذه الآية على انه سبحانه
وتعالى فتح من ابواب اليسر والتسهيل ما لم يفتحه على احد غيره وكيف لا وقد كان صبيا لا اب له ولا ام
نشا في قوم جهال ثم انه تعالى قال فذكر ان نفعت الذكرى واعلم انه تعالى لما تكفل بتيسير جميع مصالح
الدنيا والآخرة امره بدعوة الخلق الى الحق لان كمال حال الانسان في ان يتخلق باخلاق الله
سبحانه وتعالى تام وفوق التام فلما صار محمد صلى الله عليه وسلم تاما امره بتكميل الناقصين
وهداية الجاهلين ومن كان كذلك كان فياضا للكمال فكان تاما وفوق التمام وهاهنا سؤالان

السؤال الاول



السؤال الاول انه عليه السلام كان مبعوثا الى الكل فيجب عليه ان يذكرهم سواء نفعتهم الذكرى او لم تنفعهم فما المراد من
تعليقه على الشرط في قوله تعالى ان نفعت الذكرى والجواب ان المعلق على الشيء بكلمة ان لا يلزم ان يكون عدما عند
عدم ذلك ويدل عليه آيات منها هذه الآية ومنها قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا
ومنها قوله تعالى واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون ومنها قوله تعالى فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان
ظنا ان يقيما حدود الله والمراجعة جائزة بدون هذا الظن اذا عرفت هذا فنقول ذكروا لذكر هذا الشرط فوائد
احدها ان من باشر فعلا لغرض فلا شك ان الصورة التي يحصل فيها ذلك الغرض كانت الوسيلة الى ذلك العرض كان ذلك
الفعل اوجب من الصورة التي علم فيها عدم ذلك الافضاء فلذلك قال تعالى ان نفعت الذكرى وثانيها انه
تعالى ذكر اشرف الحالين ونبه على الاخرى كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر والتقدير فذكر ان نفعت الذكرى
او لم تنفع وثالثها ان المراد منه البعث على الانتفاع بالذكرى كما يقول المرء لغيره اذا بين له الحق قد اوضحت لك
ان كنت تعقل فيكون مراده البعث على القبول والانتفاع بها ورابعها ان هذا يجري مجرى تنبيه الرسول
عليه السلام انه لا تنفعهم الذكرى كما يقال ادع فلانا ان اجابك والمعنى وما اراه يجيبك وخامسها انه
عليه السلام دعاهم الى الله كثيرا وكلما كانت دعوته اكثر كان عتوهم اكثر وكان عليه السلام يحترق على ذلك
فقيل له وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد اذ التذكير العام واجب في اول الامر فاما التكرير
فلعله انما يجب عند رجاء حصول المقصود فلهذا المعنى قيده بهذا الشرط السؤال الثاني التعليق بالشرط انما
يحسن في حق من يكون جاهلا بالعواقب اما علام الغيوب فكيف يليق به ذلك الجواب روي في الكتاب انه تعالى
كان يقول لموسى عليه السلام فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وانا اشهد انه لا يتذكر ولا يخشى فاما الدعوة
والبعثة شيء وعلمه تعالى بالمغيبات وعواقب الامور غيره ولا يمكن بناء احدهما على الاخر السؤال الثالث
التذكير المامور به هل هو مضبوط مثل ان يذكرهم عشر مرات او غير مضبوط وحينئذ كيف يكون الخروج
من عهدة التكليف والجواب ان الضابط فيه هو العرف اما قوله تعالى سيذكر من يخشى ففيه مسائل الاولى
اعلم ان الناس في امر المعاد على ثلاثة اقسام منهم من قطع بصحته ومنهم من جوز وجوده لكنه غير قاطع فيه
لا بالنفي ولا بالاثبات ومنهم من اصر على انكاره وقطع بانه لا يكون فالقسمان الاولان يكون الخشية حاصلة
لهما واما القسم الثالث فلا خشية له ولا خوف اذا عرفت ذلك ظهر ان الآية يحتمل تفسيرين احدهما ان يقال
الذي يخشى هو الذي يكون عارفا بالله تعالى وعارفا بكمال قدرته وعلمه وحكمته وذلك يقتضي كونه قاطعا
بصحة المعاد ولذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فكانه تعالى لما قال فذكر ان نفعت الذكرى بين
في هذه الآية ان الذي تنفعه الذكرى من هو ولما كان الانتفاع بالذكرى مبنيا على حصول الخشية في القلب
وصفات القلوب مما لا اطلاع لاحد عليها الا الله سبحانه وتعالى وجب على الرسول تعميم الدعوة لحصول
المقصود فان المقصود تذكير من ينتفع بالتذكر ولا سبيل اليه الا بتعميم التذكير والثاني ان الخشية حاصلة
للعارفين وللمتوقفين وهم غير المعاندين واكثر الخلق متوقفون غير معاندين والمعاندون فهم قليل فاذا ضم
الى المتوقفين الذين هم العارفون كانت الغلبة العظيمة لغير المعاندين وان كثيرا من المعاندين
انما يعاندون باللسان فاما المعاند في قلبه بينه وبين نفسه فذاك مما لا يكون او ان كان فهو في غاية
الندرة والعلم ثم ان من الناس اذا سمع التخويف بانه يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى لم ينكر قلبه
فلا بد وان يسمع وينتفع اغلب الخلق في اغلب الاحوال واما ذلك المعترض فنادر وترك الخير الكثير لاجل
الشر القليل شر كثير فمن هذا الوجه كان قوله تعالى فذكر ان نفعت الذكر وجب تعميم التذكير الثانية انه
السين في قوله تعالى سيذكر يحتمل ان يكون بمعنى سوف يذكر وسوف من الله واجب كقوله تعالى سنقرئك
فلا تنسى ويحتمل ان يكون المعنى من خشي فانه يذكر وان كان بعد حين بما يستعمله من التدبر والنظر
فهو بعد طول المدة يذكر المسلة الثالثة العلم انما سمي تذكرا اذا كان قد حصل العلم اولا ثم نسيه وهذه
الحالة غير حاصلة للكافر فكيف سمى الله تعالى ذلك بالتذكر وجوابه ان لقوة الدلائل وظهورها كان ذلك العلم
حاصلا ثم انه زال بسبب التقليد والعناد فلهذا سماه الله تعالى بالتذكر الرابعة قيل نزلت هذه الآية في
عثمان بن عفان وقيل نزلت في ابن ام مكتوم اما قوله تعالى ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى
فاعلم انا بينا ان اقسام الخلق ثلاثة العارفون والمتوقفون والمعاندون وثبت ان القسمين الاولين
لا بد وان يكون لهما خوف وخشية وصاحب الخشية لا بد وان يستمع الى الدعوة وينتفع بها فيكون الاشقى هو
المعاند الذي لا يستمع الى الدعوة ولا ينتفع بها فلهذا قال تعالى ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى وفيه
مسلتان الاولى ذكروا في تفسير النار الكبرى وجوها احدها قال الحسن النار الكبرى نار جهنم والنار الصغرى
نار الدنيا وثانيها ان في الآخرة نيرانا ودركات متفاضلة كما ان في الدنيا ذنوبا ومعاصي متفاضلة وكما ان الكافر
اشقى العصاة كذلك يصلى اعظم النيران وثالثها ان النار الكبرى هي النار السفلى فهي نصيب الكفار على ما قال

تعالى إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار **الثانية** قالوا نزلت هذه الآية في الوليد وعتبة وأبي
وأنت تعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لا سيما وقد بينا صحة هذا الترتيب بالبرهان العقلي
**الثالثة** لقائل أن يقول إن الله تعالى ذكر قسمين أحدهما الذي يذكر ويخشى والثاني الأشقى الذي يصلى
النار الكبرى لكن وجود الأشقى يستدعي وجود الشقي فكيف حال هذا القسم جوابه أن لفظ الأشقى لا يقتضي
وجود الشقي إذ قد طرى مثل هذا اللفظ من غير مشاركة كقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
وأحسن مقيلا وقيل المعنى ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى كما في قوله تعالى وهو أهون عليه أي هين
عليه ومثله قول القائل إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول هذا ما قيل لكن التحقيق ما ذكرنا
أن الفرق ثلاثة العارف والمتوقف والمعاند والسعيد هو العارف والمتوقف له بعض الشقاء والأشقى
هو المعاند الذي بينا أنه لا يلتفت إلى الدعوة ولا يصغي إليها ويتجنبها أما قوله تعالى ثم لا يموت فيها ولا يحيى
ففيه مسألتان **المسألة الأولى** للمفسرين فيه وجهان أحدهما لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه كما قال تعالى
لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها وهذا جاء على مذهب العرب تقول للمبتلى بالبلاء الشديد لا هو
حي ولا هو ميت وثانيها معناه أن نفس أحدهم في النار تصير في حلقه ولا تخرج فيموت ولا ترجع إلى موضعها من
الجسم فيحيى **الثانية** إنما قيل ثم لأن هذه الحالة أفظع وأعظم من الصلي فهي متراخ عنه في مراتب الشدة أما قوله تعالى
قد أفلح من تزكى ففيه وجوه أحدها أنه تعالى لما ذكر وعيد من أعرض عن النظر والتأمل في دلائل الله تعالى أتبعه بالوعد
لمن تزكى وتطهر من دنس الشرك وتطهر من دنس الشرك وثانيها وهو قول الزجاج تكثر من التقوى ومعنى الزكي النامي
الكثير وهذا الوجه معتضد بقوله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون أثبت الفلاح للمستجمعين
لذلك ولذلك قوله تعالى في أول البقرة وأولئك هم المفلحون وأما الوجه الأول فإنه معتضد بوجهين الأول أنه تعالى
لما لم يذكر في الآية ما يجب التزكي عنه علمنا أن المراد هو التزكي عما ذكره قبل هذه الآية الثاني أن الاسم المطلق ينصرف إلى
المسمى الكامل وأكمل أنواع التزكية هو تزكية القلب عن ظلمة الكفر فوجب صرف هذا المطلق إليه ويتأكد هذا التأويل بما
روي عن ابن عباس أنه قال معنى تزكى قول لا إله إلا الله أما قوله تعالى وذكر اسم ربه فصلى ففيه مسائل **المسألة الأولى**
ذكر المفسرون فيه وجوها أحدها قال ابن عباس ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له وأقول هذا التفسير
متعين وذلك لأن أعمال مراتب المكلف ثلاث أولها إزالة العقائد الفاسدة عن القلب وثانيها استحضار معرفة
الله تعالى بذاته وصفاته وأسمائه وثالثها الاشتغال بخدمته **فالمرتبة الأولى** هي المراد بالتزكية في قوله تعالى
قد أفلح من تزكى وثانيها هي المراد بقوله تعالى وذكر اسم ربه فصلى فإن الذكر بالقلب ليس إلا المعرفة وثالثها هي الخدمة
وهي المراد بقوله تعالى فصلى فإن الصلاة عبارة عن التواضع والخضوع فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله لابد
وأن تظهر جوارحه وأعضاؤه آثار الخضوع والخشوع وثانيها قال قوم من المفسرين قوله تعالى قد أفلح من تزكى معناه
من تصدق قبل مروره إلى العيد وذكر اسم ربه فصلى يعني ثم صلى صلاة العيد بعد ذلك مع الإمام وهذا قول عكرمة
وأبي العالية وابن سيرين وابن عمر وروي ذلك مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهذا التفسير فيه إشكال من
وجهين الأول أن عادة الله تعالى في القرآن تقديم ذكر الصلاة على ذكر الزكاة لا تقديم الزكاة على الصلاة والثاني
قال الثعلبي هذه السورة مكية بالإجماع ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة ولكن أجاب الواحدي عنه أنه لا يمتنع أن يقال
لما كان في معلوم الله تعالى أن ذلك سيكون أثنى على من فعل ذلك وثالثها قال مقاتل قد أفلح من تصدق من ماله وذكر
ربه بالتوحيد في الصلاة فصلى له والفرق بين هذا الوجه وما قبله أن هذا يتناول الزكاة والصلاة المفروضتين
والوجه الأول ليس كذلك ورابعها قوله تعالى قد أفلح من تزكى ليس المراد منه زكاة المال بل زكاة الأعمال أي من تطهر
في أعماله من الرياء والتقصير لأن اللفظ المعتاد أن يقال في المال زكى ولا يقال تزكى قال تعالى ومن تزكى فإنما يتزكى
لنفسه وخامسها قال ابن عباس رضي الله عنهما وذكر اسم ربه أي كبر في خروجه إلى العيد وصلى صلاة العيد وسادسها
المعنى وذكر اسم ربه في صلاته ولا تكون صلاته كصلاة المنافقين حيث يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا
**الثانية** الفقهاء احتجوا بهذه الآية على وجوب تكبير الافتتاح واحتج أبو حنيفة رضي الله عنه بها على أن تكبيرة
الافتتاح ليست من الصلاة قال لأن الصلاة معطوفة عليها والعطف يستدعي المغايرة واحتج أيضا بهذه
الآية على أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه وأجاب أصحابنا بأن تقدير الآية وصلى فذكر اسم ربه ولا فرق
بين أن تقول أكرمتني فزرتني وبين أن تقول زرتني فأكرمتني ولأبي حنيفة رضي الله عنه أن يقول ترك
العمل بفاء التعقيب لا يجوز من غير دليل والأولى في الجواب أن يقال الآية تدل على مدح كل من ذكر اسم ربه فصلى
عقيبه وليس في الآية بيان أن ذلك الذكر هو تكبيرة الافتتاح ولعل المراد به أن من ذكر الله تعالى بقلبه
وذكر ثوابه وعقابه دعاه ذلك إلى فعل الصلاة فحينئذ يأتي بالصلاة التي أحد أجزائها التكبير وحينئذ يندفع
الاستدلال ثم قال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا وفيه وجهان القراءة العامة بالتاء ويؤكده حرف أبي بل
أنتم تؤثرون الحياة الدنيا وفيه عمل الدنيا على عمل الآخرة وقال ابن مسعود رضي الله عنه إن الدنيا أحضرت



وعجلت لنا طعامها وشرابها ونساءها ولذاتها وبهجتها وغيبت عنا الآخرة ثم قال تعالى والآخرة خير وأبقى
وتمامه أن كل ما كان خيرا وأبقى فهو آثر فيلزم أن يكون الآخرة آثر من الدنيا وهم كانوا يؤثرون الدنيا وإنما قلنا إن الآخرة
خير لوجوه أحدها أن الآخرة تشتمل على السعادة الجسمانية والروحانية والدنيا ليست كذلك فالآخرة خير من الدنيا وثانيها
أن الدنيا لذاتها مخلوطة بالآلام والآخرة ليست كذلك وثالثها أن الدنيا فانية والآخرة باقية والباقي خير من الفاني ثم قال تعالى
إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى **واختلفوا** في المشار إليه بلفظ هذا فمنهم من قال جميع السورة وذلك لأن السورة
مشتملة على التوحيد والنبوة والوعيد على الكفر بالله تعالى والوعد على طاعة الله تعالى ومنهم من قال المشار إليه بهذه الإشارة هو
من قوله قد أفلح من تزكى إلى قوله تعالى والآخرة خير وأبقى وذلك لأن قوله تعالى قد أفلح من تزكى إشارة إلى التطهير عن كل ما لا ينبغي
أما في القوة النظرية فعن جميع الأخلاق الذميمة وأما قوله تعالى وذكر اسم ربه فهو إشارة إلى تكميل الروح بمعرفة الله تعالى
وأما قوله تعالى فصلى إشارة إلى تكميل الجوارح وتزيينها بطاعة الله تعالى وأما قوله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا فهو إشارة
إلى الزجر عن الالتفات إلى الدنيا وأما قوله تعالى والآخرة خير وأبقى فهو إشارة إلى الترغيب في الآخرة وفي ثواب الله تعالى وهذا
لا يجوز أن يختلف باختلاف الشرائع فلهذا قال تعالى إن هذا لفي الصحف الأولى وفي هذا الوجه ما تأكد بالفضل والخبر
يدل عليه روي عن أبي ذر أنه قال قلت هل في الدنيا مما في صحف إبراهيم وموسى فقال اقرأ يا أبا ذر قد أفلح من تزكى
وقال آخرون إن قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى والآخرة خير وأبقى وذلك لأن الإشارة راجعة إلى أقرب المذكور
وذلك هو هذه الآية وأما قوله تعالى لفي الصحف الأولى فهو نظير لقوله تعالى وإنه لفي زبر الأولين وقوله تعالى
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا وقوله تعالى صحف إبراهيم وموسى فيه قولان أحدهما أنه عطف بيان
لقوله في الصحف الأولى والثاني أن المراد أنه مذكور في صحف جميع الأنبياء التي منها صحف إبراهيم وموسى روي
عن أبي ذر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم أنزل الله تعالى من كتاب فقال مائة وأربعة كتب
على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى إدريس ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف
والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان وقيل إن في صحف إبراهيم ينبغي للعاقل أن يكون حافظا
للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه والله تعالى أعلم بمراده

**هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى**
**من عين آنية ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع**

**اعلم** أن في قوله تعالى هل
أتاك حديث الغاشية مسئلتين **المسألة الأولى** ذكروا في الغاشية وجوها أحدها أنها القيامة من
قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب وإنما سميت القيامة بهذا الاسم لأن ما أحاط بالشيء من جميع جهاته فهو غاش له
والقيامة كذلك من وجوه الأول أنها ترد على الخلق بغتة وهو كقوله تعالى أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله
والثاني أنها تغشى الناس جميعا من الأولين والآخرين والثالث أنها تغشى الناس بالأهوال والشدائد القول
الثاني أن الغاشية هي النار أي تغشى وجوه الكفرة وأهل النار قال تعالى وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش وهو قول سعيد
ابن جبير ومقاتل القول الثالث الغاشية أهل النار يغشونها ويقعون فيها والأقرب أن على هذا التقدير يصير المعنى
أن يوم القيامة يكون بعض الناس في الشقاوة وبعضهم في السعادة **الثانية** إنما قال تعالى هل أتاك وذلك
لأنه تعالى عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من حالها وحال الناس فيها ما لم يكن هو ولا غيره عارفا به على التفصيل
لأن العقل إن دل فإنه لا يدل إلا على حال العصاة مخالفة لحال المطيعين فأما كيفية التفاصيل فلا سبيل للعقل
إليه فلما عرفه الله تعالى تفصيل تلك الأحوال لا جرم قال تعالى هل أتاك حديث الغاشية أما قوله تعالى
وجوه يومئذ خاشعة عاملة فاعلم أنه وصف لأهل الشقاوة وفيه مسائل **الأولى** المراد بالوجوه
أصحاب الوجوه وهم الكفار بدليل أنه تعالى وصف الوجوه بأنها عاملة ناصبة وذلك من صفات المكلف
لكن الخشوع يظهر في الوجه نعلقه بالوجه لذلك فهو كقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة خاشعة
أي ذليلة قد عراها الخزي والهوان كما قال تعالى ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم وقال تعالى
وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وإنما ظهر الذل في الوجه لأنه ضد
الكبر الذي محله الرأس والدماغ وأما العاملة فهي التي تعمل الأعمال ومعنى النصب الدؤوب في العمل مع التعب
**الثانية** الوجوه المحتملة من هذه الصفات الثلاث لا تزيد على ثلاث لأنه إما أن يقال هذه الصفات
بأسرها حاصلة في الآخرة أو هي بأسرها حاصلة في الدنيا أو بعضها في الآخرة فمراد هؤلاء الكفار يكونون
يوم القيامة خاشعين أي ذليلين وذلك لأنهم في الدنيا يتكبرون عن عبادة الله تعالى وعاملين لأنهم يعملون في النار
عملا يتعبون فيه وهو جرها بالسلاسل والأغلال الثقيلة على ما قال تعالى في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا

وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل بحيث ترتقي عنه تارة وتغوص فيه اخرى والتقحم في حتر جهنم
والوقوف عراة حفاة جياعا عطاشا في العرصات قبل دخول النار في يوم كان مقداره الف سنة وناصبة
لانهم قاعما يكونون في ذلك العمل قال الحسن هذه الصفات كان يجب ان يكون حاصلة في الدنيا لاجل
الله فلما لم يكن كذلك سلطها الله تعالى عليهم يوم القيمة على سبيل العذاب واما الوجه الثاني
وهو انها باسرها حاصلة في الدنيا فقيل هم اصحاب الصوامع من اليهود والنصارى وعبدة الاوثان
والمجوس والمعنى انها خشعت لله تعالى وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم الدايم والتهجد
المواظب وذلك لانهم لما اعتقدوا في الله تعالى ما لا يليق به فكانهم اطاعوا ذاتا بالصفات التي
تخيلوها فهم في الحقيقة ما عبدوا الله تعالى وانما عبدوا ذلك المتخيل الذي لا وجود له فلا جرم لا تنفعهم
تلك العبادات اصلا واما الوجه الثالث وهو ان بعض تلك الصفات حاصلة في الاخرة وبعضها
في الدنيا ففيه وجوه احدها انها خاشعة في الاخرة مع انها كانت في الدنيا عاملة ناصبة والمعنى انها
لم ينفع عملها ونصبها في الدنيا ولا يمتنع وصفهم ببعض اوصاف الاخرة ثم يذكر بعض اوصاف الدنيا
ثم يعود الى ذكر الاخرة اذا كان المعنى في ذلك مفهوما فكانه تعالى قال وجوه يوميذ يوم القيمة خاشعة
لانها كانت في الدنيا عاملة ناصبه في غير طاعة الله فهي اذا تصلى نارا حامية في الاخرة وثانيها انها
خاشعة عاملة في الدنيا ولكنها ناصبة في الاخرة فخشوعها في الدنيا خوف الداعي لها الى الاعراض عن لذات
الدنيا وطيباتها وعملها هو صلاتها وصومها ونصبها في الاخرة مقاساة العذاب على ما قال تعالى
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقرى عاملة ناصبة على الشتم **واعلم** انه تعالى بعد ان وصفهم
هذه الصفات الثلاث شرح بعد ذلك كيفية مكانهم ومشربهم ومطعومهم نعوذ بالله منها اما
مكانهم فقال تصلى نارا حامية يقال صلي بالنار صليا اي لزمها واحترق بها وقرى بنصب التاء وحجة قوله
تعالى الا من هو صال الجحيم وقرا ابو عمرو وعاصم برفع التاء من اصليته النار لقوله تعالى ثم الجحيم صلوه
وقوله تعالى ونصليه جهنم وقرا قوم وتصلى بالتشديد وقيل المصلى عند العرب ان يحفروا حفيرا فيجمعوا
فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدفنوها وسطه فاما ما شوي فوق الجمر او على المقلى وفي التنور
فلا يسمى مصليا وقوله اي قد اوقدت واحميت المدة الطويلة ولا احر يعدل حرها قال ابن عباس قد حميت
فهي تتلظى على اعداء الله واما مشربهم فقوله تعالى تسقى من عين انية الاني الذي قد انتهى حره من الايناء
بمعنى التاخير وفي الحديث ان رجلا اخر حضور الجمعة ثم تخطى رقاب الناس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
انيت واذيت ونظير هذه الاية قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن قال المفسرون ان حرها بلغ
الى حيث لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت واما مطعومهم فقوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع
**واختلفوا** في ان الضريع ما هو على وجوه احدها قال الحسن لا ادري ما الضريع ولم اسمع فيه من
اصحابه شيا وثانيها روى الحسن ايضا انه قال الضريع بمعنى المضرع كالاليم والسميع والبديع بمعنى
المولم والمسمع والمبدع ومعناه الا من طعام يحملهم على ان يتضرعوا ويذلوا عند تناوله لما فيه من الخشونة
والمرارة والحرارة وثالثها ان الضريع ما يبس من الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا
فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال ابو ذويب رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى وعاد ضريعا عاد عنه النحايص
النحايص جمع نحوص وهي الحايل من الابل وهذا قول اكثر المفسرين واكثر اهل اللغة ورابعها قال الخليل في
كتابه ويقال للجلدة التي على العظم تحت اللحم هي الضريع فكانه تعالى وصفه بالقلة فلا جرم لا يسمن ولا
يغني من جوع وخامسها قال ابو الجوزاء وكيف يسمن من كان ياكل الشوك وفي الخبر الضريع شيء يكون في النار يشبه
الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من النار قال القفال والمقصد من ذكر هذا الشراب وهذا
الطعام بيان نهاية ذلهم وذلك ان القوم لما قالوا في تلك السلاسل والاغلال تلك المدة الطويلة
جياعا عطاشا ثم القوا في النار وراوا فيها ماء وشيا من النبات فاحب اولئك القوم تسكين ما بهم
من العطش والجوع فوجدوا الماء حميما لا يروي بل يشوي ووجدوا النبات مما لا يشبع ولا يغني من جوع فايسوا
وانقطعت اطماعهم في ازالة ما بهم من الجوع والعطش كما قال تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل وبين ان
هذه الحالة لا تزول ولا تنقطع نعوذ بالله منها وها هنا سوالات الاول قال تعالى في سورة الحاقة
فليس له اليوم ها هنا حميم ولا طعام الا من غسلين وقال ها هنا ليس لهم طعام الا من ضريع والضريع
غير الغسلين والجواب من وجهين الاول ان النار دركات فمن اهل النار من طعامه الزقوم ومنهم من
طعامه الغسلين ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد لكل باب
منهم جزء مقسوم الثاني ان يكون الغسلين من الضريع ويكون ذلك كقولك ما لي طعام الا من الشاء
ثم تقول ما لي طعام الا من اللبن ولا تناقض لان اللبن من الشاء الثاني كيف يوجد النبت في النار والجواب من

وجهين



وجهين الاول ليس المراد ان الضريع نبت في النار ياكلونه ولكنه ضرب مثل اي انهم يقتاتون بما لا يشبعهم ويعذبون
بالجوع كما يعذب من قوته الضريع الثاني لم لا يجوز ان يقال النبت يوجد في النار فانه لما لم يستبعد بقاء بدن الانسان
مع كونه لحما ودما في النار ابد الاباد فكذا ها هنا وكذا القول في سلاسل النار وعقاربها وحياتها اما قوله
تعالى لا يسمن ولا يغني من جوع فهو مرفوع على المحل او مجرور على وصف طعام او ضريع واما المعنى ففيه
ثلثه اوجه احدها ان طعامهم ليس من جنس مطاعم الانس وذلك لان هذا نوع من انواع الشوك والشوك
مما ترعاه الابل وهذا النوع مما تتنفر عنه الابل فاذا منفعتا الغذا منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع
وافادة القوة والسمن في البدن الثاني ان يكون المعنى لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم
فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما بمعزول كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس
يريد نفي الظل على التوكيد وثالثها روي ان كفار قريش قالت ان الضريع تسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن
ولا يغني من جوع فلا يخلو اما ان يتعنتوا بذلك الكلام كذبا فيرد قولهم بنفي السمن والشبع واما ان يصدقوا
فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من
جوع قال القاضي يجب في كل طعامهم ان لا يغني من جوع لان ذلك نفع وانه وذلك غير جايز في العقاب
اما قوله تعالى وجوه يوميذ ناعمة اعلم انه سبحانه وتعالى لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بشرح احوال
المومنين فذكر وصف اهل الثواب اولا ثم وصف دار الثواب ثانيا اما وصف اهل الثواب فامرين احدهما
في ظاهرهم وهو قوله تعالى ناعمة اي ذات بهجة وحسن لقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي متنعمة والثاني
في باطنهم وهو قوله تعالى لسعيها راضية وفيه تاويلان احدهما انهم حمدوا سعيهم واجتهادهم والعمل لله تعالى
لما فازوا بسببه من العاقبة الحميدة كالرجل يعمل العمل فيجزى عليه بالجميل ويظهر له منه عاقبة محمودة فيقول
ما احسن ما عملت ولقد وفقت للصواب فيما صنعت فيثني على عمل نفسه ويرضاه والثاني المراد لثواب سعيها في الدنيا
راضية اذا شاهدوا ذلك الثواب وهذا اولى اذ المراد ان الذي يشاهدونه من الثواب العظيم يبلغ حد الرضى حتى
لا يريدوا اكثر منه واما وصف دار الثواب فاعلم ان الله تعالى وصفه بامور سبعة احدها قوله تعالى في جنة عالية
يحتمل ان يكون المراد هو العلو في الدرجة والشرف والمنقبة اما العلو في المكان وذلك لان الدرجة درجات بعضها
اعلى من بعض قال عطا والدرجة مثل ما بين السماء والارض وثانيها قوله تعالى لا تسمع فيها لاغية وفيه مسيلتان
**المسيلة الاولى** في قوله تعالى لا تسمع ثلاث قراءات احداها قرا عاصم وحمزة والكساي بالتاء على الخطاب
لاغية بالنصب والمخاطب بهذا الخطاب يحتمل ان يكون هو النبي صلى الله عليه وسلم وان يكون لا تسمع يا
المخاطب فيها لاغية وهذا يفيد الشياع في الخطاب لقوله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وقوله تعالى واذا
رايتهم حسبتهم لولوا منثورا ويحتمل ان يكون هذه التاء عايدة الى الوجوه فيها لاغية ثانيها قرا نافع
بالتا المنقوطة من فوق مرفوعة على التانيث لاغية بالرفع وثالثها قرا ابن كثير وابو عمرو لا يسمع بالتا
المنقوطة من تحت مضمومة على التذكير لاغية بالرفع وذلك جايز لوجهين الاول ان هذا التانيث ليس بحقيقي
اذا تقدم فعله وكان بين الفعل والاسم حايل حسن التذكير قال اذا امراعوه سكن واحده تعدى حيعد
في الدنيا المغرور والثاني ان المراد بلاغية اللغو والتانيث على اللفظ والتذكير على المعنى المسالة الثانية لاهل
اللغة في قوله تعالى لاغية ثلاثة اوجه احدها ان يقال لغا يلغو لغوا فاللاغية واللغو واحد وساكد هذا
الوجه بقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا وثانيها ان يكون صفة والمعنى لا يسمع كلمة لاغية وثالثها
قال الاخفش اي كلمة ذات لغو كما تقول فارس ودارع لصاحب الفرس والدرع واما اهل التفسير فلهم وجوه
احدها ان الجنة منزهة عن اللغو لانها منزل جيران الله وانما نالوها بالجد والحق لا باللغو والباطل وكذا
كل مجلس في الدنيا شريف مكرم فانه يكون مبرا عن اللغو وكل ما كان ابلغ في هذا كان اكثر جلالة هذا ما قرره القفال
الثاني قال الزجاج لا تسمع اهل الجنة الا بالحكمة والثنا على الله تعالى ما رزقهم من النعيم الدايم والثالث عن
ابن عباس رضي الله عنه يريد لا تسمع فيها كذبا ولا بهتانا ولا كفرا بالله تعالى ولا شتما والرابع قال مقاتل لا يسمع
بعضهم من بعض الحلف عند الشراب كما يحلف اهل الدنيا اذا شربوا الخمر واحسن الوجوه ما قرره القفال ان اهل
الجنة لا يتكلمون الا بالحكمة والثنا على الله تعالى الخامس قال القاضي اللغو لا فايدة فيه فالله تعالى لما نفى
عنهم ذلك وسيدخل فيه ما يودي سامعه على طريق الاولى والله اعلم الصفة الثالثة قوله تعالى
فيها عين جارية قال صاحب الكشاف يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله تعالى علمت نفس قال القفال
فيها عين شراب جارية على وجه الارض في غير اخدود ويجري لهم كما ارادوا قال الكلبي لا ادري بما او غيره
الصفة الرابعة قوله تعالى فيها سرر مرفوعة اي عالية في الهوا وذلك لاجل ان يرى المومن اذا جلس
عليها جميع ما اعطاه الله تعالى في الجنة من النعيم والملك وقال خارجة بن مصعب بلغنا انها بعضها
فوق بعض فيرتفع ما شاء الله تعالى فاذا جاء ولي الله ليجلس عليها تطامنت له فاذا استوى عليها

ارتفعت الى حيث شاء الله تعالى والاول اولى وان كان الثاني غير ممتنع لان ذلك ربما كان اعظم في سرور المكلف قال ابن عباس هي سرور الواحها من ذهب مكلله من الزبرجد والدر والياقوت مرتفعة في السما الخامسة قوله تعالى واكواب موضوعة والاكواب الكيزان التي لا عرى لها قال قتادة فهي دون الاباريق وفي قوله تعالى موضوعة وجوه احدها انها معدة لاهلها كالرجل يلتمس من الرجل شيا فيقول هو ههنا موضوع بمعنى معد وثانيها موضوع على حافات العين الجارية كلما اراد الشرب وجدها مملوة من الشراب وثالثها موضوعة بين ايديهم لاستحسانهم اياها بسبب كونها من ذهب او فضة او من جواهر وتلذذهم بالشرب فيها ورابعها ان يكون المراد موضوعة عن حد الكبر اي هي اوساط الصغر والكبر كقوله تعالى قدروها تقديرا الصفة السادسة قوله تعالى ونمارق مصفوفة النمارق هي الوسايد في قول الجميع واحدها نمرقة بضم النون وزاد الفرا سماعا عن العرب نمرقة بكسر النون قال الكلبي وسايد مصفوفة بعضها الى جنب بعض اينما اراد ان يجلس جلس على واحدة واستند الى الاخرى السابعة قوله تعالى وزرابي مبثوثة مبسوطة منشورة او مفرقة في المجالس والله تعالى اعلم **قوله تعالى** افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت اعلم انه تعالى لما حكم بمجي يوم القيمة وقسم اهل القيامة الى قسمين الاشقيا والسعدا ووصف احوال الفريقين وعلم انه لا سبيل الى ذلك الا باثبات واسطة الصانع الحكيم ومتى ثبت ذلك فقد ثبت القول بصحة المعاد اما الاول فلان الاجسام متساوية في الجسمانية فاختصاص كل واحد منها بالوصف الذي لاجله امتاز عن الاخر لابد وان يكون لتخصيص مخصص وايجاد قادر ولما راينا هذه الاجسام مخلوقة على وجه الاتقان والاحكام علمنا ان ذلك الصانع عالم ولو علمنا ان ذلك الصانع لابد وان يكون مخالفا لخلقه في نعت الحاجة والحدوث والامكان علمنا انه غني فهذا يدل على ان للعالم صانعا قادرا عالما غنيا فوجب ان يكون في غاية الحكمة ثم انا نرى بعضهم محتاجا الى البعض فان الانسان الواحد لا يمكنه القيام بمهمات نفسه بل لابد من بلدة يكون كل واحد من اهلها مشغولا بمهم اخر حتى ينتظم من مجموعهم مصلحة كل واحد منهم وذلك الانتظام لا يحصل الا مع التكليف المشتمل على الوعد والوعيد وذلك لا يحصل الا بالبعث والقيامة وخلق الجنة والنار فثبت ان اقامة الدلالة على الصانع الحكيم يوجب القول بصحة البعث والقيامة فلهذا السبب ذكر الله تعالى دلالة التوحيد في اخر هذه السورة فان قيل فاي مجانسة بين الابل والسما والجبال والارض ثم لما ابدا ذكرها غير ممكن لكثرتها الى واحد منها ذكره دون غيره كان هذا السوال عايدا فوجب الحكم بسقوط هذا السوال على جميع المقادير وايضا فلعل الحكمة في ذكر هذه الاشياء التي هي غير متناسبة التنبه على ان هذا الوجه من الاستدلال غير مختص بنوع دون نوع بل هو عام في الكل على ما قال تعالى وان من شي الا يسبح بحمده ولو ذكر ما لم يكن الامر كذلك لا جرم ذكر الله تعالى امورا غير متناسبة بل متباعدة جدا تنبيها على ان جميع الاجرام العلوية والسفلية صغيرها وكبيرها حسنها وقبيحها متساوية في الدلالة على الصانع الحكيم فهذا وجه حسن مقبول وعليه الاعتماد الوجه الثاني وهو ان يبين ان ما في كل واحد من هذه الاشياء من المنافع والخواص على الحاجة الى الصانع المدبر ثم يبين انه كيف يجانس بعضها بعضا اما المقام الاول فنقول الابل الخواص منها انه تعالى جعل الحيوان الذي يقتنى فتارة يقتنى ليوكل لحمه وتارة ليشرب لبنه وتارة ليحمل الانسان في الاسفار وتارة لينقل امتعة الانسان من بلد الى بلد وتارة ليكون له به زينة وجمال وهذه المنافع باسرها حاصلة في الابل فقد ابان الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون وقوله تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس وان شيا من ساير الحيوانات لا يجتمع فيه هذه الخصال فكان اجتماع هذه الخصال فيه من العجايب وثانيها ان في كل واحد من هذه الخصال افضل من الحيوان الذي لا يوجد فيه الا تلك الخصلة لانها ان جعلت حلوبة سقت فاروت الكثير وان جعلت اكولة اطعمت واشبعت الكثير وان جعلت ركوبة امكن ان يقطع بها من المسافات المديدة ما لا يمكن قطعه بحيوان اخر وذلك لما ركب فيها من قوة احتمال المداومة على السير والصبر على العطش والاجتزاء من العلوفات بما لا يجتزي به حيوان اخر وان جعلت حمولة استقلت بحمل الاحمال الثقيلة التي لا يستقل به سواها ومنها ان هذا الحيوان كان اعظم الحيوانات وقعا في قلوب العرب ولذلك فانهم جعلوا دية قتل الانسان ابلا وكان ملوكهم اذا ارادوا المبالغة في اعطا الشاعر الذي جاءه من المكان البعيد اعطاه ماية بعير لان امتلا العين منه اشد من امتلا العين من غيره ولهذا قال تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ومنها اني كنت مع جماعة في مفازة وضللنا الطريق فقدموا جملا فكانت تلك الابل تنعطف من تل الى تل ومن جانب الى جانب والجميع كانوا يتبعونه حتى وصل الى الطريق بعد زمان طويل من قوة تخيل ذلك الحيوان انه بالمرة الواحدة كيف انحفظت في خياله صورة تلك المعاطف حتى ان الذي عجز جمع من العقلا الى الاهتدا اليه فان ذلك الحيوان اهتدى اليه ومنها انها مع كونها في غاية القوة على العمل مباينة لغيرها في الانقياد والطاعة لاضعف الحيوانات كالصبي الصغير ومباينة لغيرها ايضا في انها يحمل عليها وهي باركة ثم تقوم فهذه الصفات الكثيرة الموجودة توجب على العاقل ان ينظر في خلقتها وتركيبها ويستدل بذلك على وجود الصانع الحكيم سبحانه وتعالى ثم ان العرب

من اعرف



من اعرف الناس باحوال الابل وصحتها وسقمها ومنافعها ومضارها فلهذه الاسباب حسن من الحكيم تعالى ان يامر بالتامل في خلقها ثم قال تعالى والى السماء كيف رفعت اي رفعا بعيد المدى بلا امساك وغير عمد والى الجبال كيف نصبت نصبا ثابتا راسخا لا تميل ولا تزول والى الارض كيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطية فهي مهياة للتقلب عليها ومن الناس من استدل بهذا على ان الارض ليس بكرة وهو ضعيف لان الكرة اذا كانت في غاية العظمة يكون كل قطعة منها كالسطح وقرا علي رضي الله عنه كيف خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البنا للفاعل المضمر والتقدير فعلها فحذف المفعول المقام الثاني في بيان ما بين هذه الاشياء من المناسبة اعلم ان من الناس من فسر الابل بالسحاب قال صاحب الكشاف ولعله لم يرد ان الابل من اسماء السحاب لتشبيهها بالابل في كثير من اشعارهم فيجوز ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز وعلى هذا التقدير فالمناسبة ظاهرة اما اذا حملنا الابل على مفهومه المشهور فوجه المناسبة بينها وبين السما والجبال والارض من وجهين الاول ان القران نزل على لسان العرب وكانوا يسافرون كثيرا ما يسيرون في المهامه والقفار مستوحشين منفردين عن الناس ومن شان الانسان اذا انفرد ان يقبل على التفكر في الاشيا لانه ليس معه من يحادثه وليس هناك شي يشتغل به سمعه وبصره واذا كان كذلك لم يكن له بد من ان يجعل بالفكرة فاذا فكر في تلك الحال وقع بصره على الجمل الذي ركبه فيرى منظرا عجيبا واذا نظر الى فوق لم ير غير السماء واذا نظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال واذا نظر الى ما تحت لم ير غير الارض فكانه تعالى امره بالنظر وقت الخلوة والانفراد عن الغير حتى لا تحمله داعية الكبر والحسد على ترك النظر ثم انه في وقت الخلوة في المفازة البعيدة لا يرى شيا سوى هذه الاشيا فلا جرم جمع الله تعالى بينها في هذه الاية الوجه الثاني ان جميع المخلوقات متدالة على الصانع الا انها على قسمين منها ما يكون للحكمة فيها نصيب وليس للشهوة فيها نصيب والقسم الاول كالانسان الحسن الوجه والبساتين النزهة والذهب والفضة وغيرهما فهذه الاشيا يمكن الاستدلال بها على الصانع الحكيم الا انه متعلق الشهوة ومطلوبه فلم يامر بمطالعة النظر فيها لانه لا يومن عند النظر اليها وفيها ان يصير داعيه الشهوة غالبة على داعية الحكمة فيصير ذلك مانعا عن اتمام النظر اليها والفكر وسببا لاستغراق النفس في محبته اما القسم الثاني فهو كالحيوانات التي لا يكون في صورتها حسن ولكن يكون في تركيبها حكم بالغة فهي مثل الابل وغيره الا ان ذكر الابل ههنا اولى لان الف العرب اكثر وكذا السما والجبال والارض فان دلايل الحدوث والحاجة فيها ظاهرة وليس فيها ما يكون نصيبا للشهوة فلما كان هذا القسم بحيث يكمل نصيب الحكمة فيه مع الامن من دعوة الشهوة فلا جرم امر الله تعالى بالتدبر والله تعالى اعلم **قوله تعالى** فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم **اعلم** انه تعالى لما بين الدلايل على صحة التوحيد والمعاد قال لرسوله فذكر انما انت مذكر وتذكير الرسول يكون تذكيرا بالادلة وامثالها والتعب على النظر فيها والتحذير من ترك ذلك وذلك بعث منه تعالى للرسول على التذكير والصبر على كل عارض وبيان انه انما بعث لذلك دون غيره فلهذا قال تعالى انما انت مذكر وقوله تعالى لست عليهم بمصيطر بمتسلط كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار وقوله تعالى افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين وقيل هو في لغة تميم مفتوح الطا على ان سيطر متعد عندهم والمعنى انك ما امرت الا بالتذكير فاما ان تكون مسلطا عليهم حتى تقتلهم او تكرههم على الايمان فلا قالوا ثم نسختها اية القتال هذا قول جميع المفسرين والكلام في تفسير هذا الحرف قد تقدم عند قوله تعالى ام هم المصيطرون اما قوله تعالى الا من تولى وكفر ففيه مسايل المسلة الاولى في الاية قولان احدهما انه استثنا حقيقي وعلى هذا التقدير هذا الاستثنا استثنا اعتمادي فيه احتمالات الاول ان تقدير الاية فذكر الا من تولى وكفر والثاني انه استثنا عن الضمير في عليهم والتقدير لست عليهم بمصيطر الا من تولى واعترض بانه عليه السلام ما كان حينيذ مامورا بالقتال وجوابه لعل المراد انك لا تصير مسلطا الا على من تولى القول الثاني انه استثنا منقطع عما قبله كما تقول في الكلام قعد قصدك العلم الا ان كثيرا من الناس فكذا ههنا التقدير لست عليهم لكن من تولى منهم فان الله تعالى يعذبه العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم والواو علامة كون الاستثنا منقطعا ان ان في المستثنى واذا كان الاستثنا متصلا لم يحسن ذلك فيه الا ترى انك تقول عندي مايتان الا درهما فلا تدخل عليه ان وههنا يحسن ان فانك تقول الا من تولى وكفر فيعذبه الله المسلة الثانية قرى الا من توليا على التنبيه وقرا ابن مسعود فانه يعذبه **المسلة الثالثة** انما سماه العذاب الاكبر لوجوه احدها انه قد بلغ حد عذاب الكفر وهو الاكبر لان ما عداه من عذاب الفسق دونه ولهذا قال تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر وثانيها هو العذاب في الدرك الاسفل من النار وثالثها انه قد يكون في العذاب الاكبر حاصلا في الدنيا وذلك بالقتل وسبي الذرية وغنيمة الاموال والقول الاول اقرب ثم قال تعالى ان الينا ايابهم وهذا كانه كـ صلة قوله تعالى فيعذبه الله العذاب الاكبر وانما ذكر تعالى ذلك ليزيل به عن قلب الرسول عليه السلام حزنه على كفرهم فقال طب نفسا عليهم وانما عاندوا وكذبوا وجحدوا فان مرجعهم الى الموعد الذي وعدنا وان علينا حسابهم

وفيه سوال وهو ان محاسبة الكفار انما يكون لايصال العقاب اليهم وذلك هو الله تعالى ولا يجب
على المالك ان يستوفي حق نفسه والجواب ان ذلك واجب عليه اما بحكم الوعد الذي يمتنع وقوع الخلف فيه
واما في الحكمة فانه لو لم ينتقم للمظلوم من الظالم لكان ذلك شبيها بكونه تعالى راضيا بذلك الظلم وتعالى الله عنه
فلهذا السبب كانت المحاسبة واجبة وهاهنا مسائل المسئلة الاولى قرا ابو جعفر المدني ايابهم بالتشديد
قال صاحب الكشاف وجهه ان يكون فيعالا مصدر ايب فيعل من الاياب او ان يكون اصله اوابا فعالا
من اوب ثم قيل اواما كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل باصل سيد الثانية فايدة تقديم الظرف
التشديد في الوعيد وان الينا ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب
الا عليه وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر الم تر كيف
فعل ربك بعاد اعلم ان هذه الاشياء التي اقسم الله تعالى بها لا بد وان يكون فيها اما فايدة
دينية مثل كونها دلايل باهرة على التوحيد او فايدة دنيوية توجب بعثا على الشكر او مجموعهما و لاجل ما
ذكرناه اختلفوا في تفسير هذه الاشياء اختلافا شديدا فكل واحد فسره بما راه اعظم درجة
في الدين او اكثر منفعة في الدنيا اما قوله تعالى والفجر فذكروا فيه وجوها احدها ما روي عن ابن عباس
ان الفجر هو الصبح المعروف فهو انفجار الصبح الصادق والكاذب اقسم الله تعالى بما يحصل من ذهاب الليل وظهور الضوء
وانتشار الناس وساير الحيوانات من الطيور والوحوش في طلب الارزاق وذلك مشاكل لنشور الموتى وفيه عبرة لمن
تامل وهو قوله تعالى والصبح اذا اسفر وقال في موضع اخر والصبح اذا تنفس وتمدح في اية اخرى بكونه خالقا
فقال تعالى فالق الاصباح ومنهم من قال المراد به جميع النهار الا انه دل بالابتدا على جميع النهار ونظيره
قوله تعالى والضحى وقوله تعالى والنهار اذا تجلى وثانيها ان المراد نفس صلاة الفجر فاقسم بصلاة الفجر لانها صلاة
في مفتتح النهار وتجتمع لها ملايكة النهار وملايكة الليل كما قال تعالى ان قران الفجر كان مشهودا اي تشهده
ملايكة الليل وملايكة النهار للقراءة في الصبح وثالثها انه فجر يوم معين وعلى هذا التقدير يكون فيه
وجوه الاول انه فجر يوم النحر وذلك لان امر المناسك من خصايص ملة ابرهيم وكانت العرب لا تدع الحج وهو يوم
عظيم ياتي الناس فيه بالقربان كان الحاج يريد ان يتقرب بذبح نفسه فلما عجز عن ذلك فدى نفسه بذلك
القربان كما قال تعالى وفديناه بذبح عظيم الثاني اراد فجر ذي الحجة لانه قرن به قوله تعالى وليال عشر ولانه
اول شهر هذه العبادة المعظمة الثالث المراد فجر المحرم ورابعها انه عبر بالفجر عن العيون التي تتفجر منها
المياه وفيها حياة الخلق اما قوله تعالى وليال عشر ففيه مسلتان المسئلة الاولى انما جاءت
منكرة من بين ما اقسم به لانها ليال مخصوصة بفضايل لا تحصل لغيرها والتنكير دال على الفضيلة
العظيمة الثانية ذكروا فيه وجوها احدها انها عشر ذي الحجة لانها ايام الاشتغال بهذا النسك في الجملة
وفي الخبر ما من ايام العمل الصالح فيه افضل من ايام العشر وثانيها انها عشر المحرم من اوله الى اخره وهو
تنبيه على شرف تلك الايام وفيها يوم عاشورا ولصومه من الفضل ما وردت به الاخبار وثالثها انها
العشر الاواخر من شهر رمضان اقسم الله تعالى بها لشرفها وفيها ليلة القدر اذ في الخبر اطلبوها في
العشر الاخير وكان عليه السلام اذا دخل العشر الاخير شد الميزر وايقظ اهله بالتهجد واما الشفع
والوتر ففيه مسلتان المسئلة الاولى الشفع والوتر هو الذي تسميه العرب الخسا والزكا والعامة
الزوج والفرد قال يونس اهل العالية يقولون الوتر بالفتح في العدد والوتر بالكسر في الرجل وتميم يقولون وتر
بالكسر فيهما ويقولون اوترت اي جعلته وترا ومنه قوله ومن استجمر فليوتر الثانية اضطرب المفسرون في
الشفع والوتر واكثروا فيه ونحن نروي ما هو الاقرب احدها ان الذي يدور عليه امر الحج كما في الحديث
الحج عرفة واما يوم النحر فيقع فيه القربان واكثر امور الحج من الطواف المفروض والحلق والرمي ويروى
ان يوم النحر يوم الحج الاكبر فلما اختص هذان اليومان بهذه الفضايل لا جرم اقسم الله بهما وثانيها ان
ايام التشريق ايام بقية اعمال الحج فهي ايام شريفة قال الله تعالى واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل
في يومين فلا اثم عليه فالشفع هو يومان بعد يوم النحر والوتر هو اليوم الثالث ومن ذهب الى هذا القول
قال حمل الشفع والوتر على هذا اولى من حملها على العيد وعرفة من وجهين الاول ان العيد وعرفه دخلا
في العشر فوجب ان يكون المراد بالشفع والوتر غيرها الثاني ان بعض اعمال الحج انما يحصل في هذه الايام
فحمل اللفظ على هذا القسم يفيد مجموع اعمال ايام المناسك وثالثها الوتر ادم شفع بزوجته وفي رواية



اخرى الشفع ادم وحوى والوتر هو الله تعالى ورابعها الوتر ما كان وترا من الصلوات كالمغرب والشفع ما كان
شفعا منها كما روى عمران بن الحصين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي الصلاة منها شفع ومنها
وتر وانما اقسم الله تعالى بهما لان الصلاة تالية للايمان ولا يخفى قدرها ومحلها من
العبادات وخامسها الشفع هو الخلق لقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين وقال
بعض المتكلمين لا يصح ان يقال الوتر هو الله لوجوه احدها انا بينا ان قوله تعالى والفجر
تقديره ورب الشفع والوتر فيجب ان يراد بالوتر المربوب فبطل ذكره حتى يميز من غيره وروي
انه صلى الله عليه وسلم سمع من يقول الله ورسوله فنهاه فقال قل الله ثم رسوله قال وما روي
انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله وتر يحب الوتر ليس بمقطوع به وسادسها ان شيا من المخلوقات
لا ينفك من كونه شفعا ووترا وكانه قال اقسم برب الفرد والزوج من خلقه فدخل كل الخلق
وهي ثمانية والوتر درجات النار وهي سبعة وثامنها الشفع صفات الخلق كالعلم والجهل والقدرة
والعجز والارادة والكراهية والحياة والموت واما الوتر فهو صفات الحق وجود بلا عدم حياة
بلا موت علم بلا جهل قدرة بلا عجز عز بلا ذل وتاسعها المراد بالشفع والوتر نفس العدد فكانه
اقسم بالحساب الذي لا بد للخلق منه وهو بمنزلة الكتاب والبيان الذي من الله به على العباد اذ قال
علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقال تعالى علمه البيان فلذلك بالحساب نعرف مواقيت العبادات
والايام والشهور قال الله تعالى الشمس والقمر حسبانا وقال تعالى ولتعلموا عدد السنين والحساب
ما خلق الله ذلك الا بالحق وعاشرها قال مقاتل الشفع هو الايام والليالي والوتر هو اليوم الذي
لا ليلة بعده وهو يوم القيمة الحادي عشر كل نبي له اسمان مثل محمد واحمد وعيسى والمسيح ويونس
وذو النون والوتر كل نبي له اسم واحد مثل نوح وادم وابرهيم عليهم السلام الثاني عشر الشفع
ادم وحوى والوتر مريم الثالث عشر الشفع العيون الاثنا عشر التي فجرها الله تعالى لموسى عليه السلام
والوتر الايات التسع التي اوتي موسى عليه السلام في قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات
بينات الرابع عشر ايام عاد والوتر لياليهم لقوله سبع ليال وثمانية ايام حسوما الخامس عشر
الشفع البروج الاثنا عشر لقوله تعالى جعل في السما بروجا والوتر الكواكب السبعة السادس عشر
الشفع الشهر الذي يتم ثلثين يوما والوتر الشهر الذي يتم تسعة وعشرين السابع عشر الشفع الاعضا
والوتر القلب قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه الثامن عشر الشفع الشفتان والوتر
اللسان قال الله تعالى ولسانا وشفتين التاسع عشر الشفع السجدتان والوتر الركوع العشرون
الشفع ابواب الجنة لانها ثمانية والوتر ابواب النار لانها سبعة واعلم ان الذي يدل عليه
الظاهر ان الشفع والوتر امران شريفان اقسم الله تعالى بهما وكل هذه الوجوه التي ذكرناها محتملة و
الظاهر انه لا اشعار له بشيء من هذه الاشيا على التعيين فان ثبت في شيء منها خبر من الرسول
او اجماع من اهل التاويل حكم بانه هو المراد وان لم يثبت فيجب ان يكون الكلام على طريق الجواز لا على
وجه القطع ولقايل ان يقول ايضا اني احمل الكلام على الكل لان الالف واللام في الشفع والوتر
تفيد العموم اما قوله تعالى والليل اذا يسر ففيه مسلتان المسئلة الاولى اذا يسر اذا يمضي
كما قال تعالى والليل اذ ادبر وقوله تعالى والليل اذا عسعس وسراها مضيها وانقضاؤها
او يقال سراها هو السرى فيها وقال قتادة اذا يسري اذا جاء الثانية اكثر المفسرين على ان
ليس المراد منه ليلة مخصوصة بل العموم بدليل قوله تعالى والليل اذا عسعس ولان نعمة الله متعاقبة
في الليل والنهار واختلاف مقاديرهما على الخلق عظيم فصح ان يقسم به ولان فيه تنبيها على ان
تعاقبهما بتدبير مدبر حكيم عالم بجميع المعلومات وقال مقاتل هي ليلة المزدلفة فقوله تعالى اذا يسر
اذا يسار فيه كما يقال ليل نايم لوقوع النوم فيه وهي ليلة يقع السرى في اولها عند الدفع
من عرفات الى المزدلفة وفي اخرها كما روي انه عليه السلام كان يقدم ضعفة اهله في هذه الليلة
وانما يجوز ذلك عند الشافعي الثالثة قال الزجاج قرئت اذا يسري باثبات اليا ثم قال وحذفها
احب الي لانها فاصلة والفواصل تحذف منها اليااات ويدل عليها الكسرات قال الفرا والعرب قد تحذف
اليا وتكتفي بكسر ما قبلها كما قال كفاك كف ما تليق درهما جودا واخرى تعط بالسيف الدما واذا جاز هذا
في غير الفاصلة فهو في الفاصلة اولى فان قيل لم كان الاختيار ان تحذف اذا كان في فاصلة او قافية
والحرف من نفس الكلمة فوجب ان يثبت كما ثبتت ساير الحروف ولم تحذف اجاب ابو علي فقال القول في ذلك
ان الفواصل والقوافي مواضع وقف والوقوف موضع تغيير فلما كان الوقف تغير فيه الحروف الصحيحة
بالتضعيف والاسكان وروم الحركة فيها غيرت هذه الحروف المشابهة للزيادة بالحذف واما من اثبت اليا

في يسري في الوصل والوقف فنقول الفعل لا يحذف منه في الوقف اما قوله تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر ففيه مسئلتان
المسئلة الاولى الحجر سمي به لانه يمتنع عن الوقوع فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل ويمنع و
حصاة من الاحصا وهو الضبط قال الفرا والعرب تقول انه لذي حجر اذا كان ماهرا لنفسه ضابطا لها كانه
اخذ من قولهم حجرت على الرجل وعلى هذا سمي العقل حجرا لانه يمنع من القبيح من الحجر وهو المنع من الشي بالتضييق فيه المسئلة الثانية
قوله تعالى هل في ذلك قسم استفهام والمراد منه التاكيد لمن ذكر حجة بالغة ثم قال تعالى هل في ذلك قسم فيما ذكرته
حجة والمعنى ان من كان ذا لب علم ان ما اقسم الله تعالى به من هذه الاشيا فيه عجايب ودلايل على التوحيد
والربوبية فهو حقيق بان يقسم به للدلالة على خالقه قال القاضي وهذه الاية تدل على ما قلنا ان القسم
واقع برب هذه الامور لان الاية دالة على ان هذا مبالغة في القسم ومعلوم ان المبالغة في القسم لا تحصل
الا في القسم بالله تعالى ولان النهي قد ورد بان يحلف العاقل بهذه الامور اما قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك
بعاد ارم ذات العماد اعلم ان في جواب القسم وجهين الاول ان جواب القسم هو قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد
وما بين الموضعين معترض بينهما الثاني قال صاحب الكشاف المقسم عليه محذوف وهو ليعذبن الكافرين
ويدل عليه قوله تعالى الم تر الى قوله تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب وهذا اولى من الوجه الاول لانه
لما لم يتعين المقسم عليه ذهب الوهم الى كل مذهب فكان ادخل في التخويف فلما جاء بعده بيان عذاب الكافرين
دل على ان المقسم عليه اولا هو ذلك اما قوله تعالى الم تر ففيه مسئلتان المسئلة الاولى الم تر الم تعلم
لان ذلك مما لا يصح ان يراه الرسول وانما اطلق لفظ الروية ها هنا على العلم وذلك لان اخبار عاد وثمود وفرعون
كانت منقولة بالتواتر اما عاد وثمود فقد كانا في بلاد العرب واما امر فرعون فقد كانوا يسمعونه من اهل
الكتاب وبلاد فرعون ايضا متصلة بارض العرب وخبر التواتر يفيد العلم الضروري جاري مجرى الروية في القوة
والجلا والبعد عن الشبهة فلذلك قال تعالى الم تر بمعنى الم تعلم الثانية قوله تعالى الم تر وان كان في الظاهر
خطابا للنبي عليه السلام لكنه عام لكل من علم ذلك والمقصود من ذكر الله تعالى حكايتهم ان يكون زجرا
للكفار عن الاقامة على مثل ما ادى الى هلاك عاد وثمود وقوم فرعون وليكون بعثا للمومنين على الثبات
على الايمان اما قوله تعالى بعاد ارم ذات العماد ففيه مسايل المسئلة الاولى انه تعالى ذكر ها هنا قصة
ثلاث فرق من الكفار المتقدمين وهي عاد وثمود وقوم فرعون على سبيل الاجمال حيث قال تعالى فصب
عليهم ربك سوط عذاب ولم يبين كيفية ذلك العذاب وذكر في سورة الحاقة بيان ما في هذه السورة
فقال تعالى فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر الى قوله تعالى وجاء فرعون ومن
قبله والموتفكات بالخاطية المسئلة الثانية عاد هو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
ثم انهم جعلوا لفظ عاد اسما للقبيلة كما يقال لبني هاشم ولبني تميم تميم ثم قالوا للمتقدمين من هذه القبيلة
عاد الاولى قال تعالى وانه اهلك عادا الاولى وللمتأخرين عاد الاخرة واما ارم فهو اسم لجد عاد وفي
المراد منه في هذه الاية اقوال احدها ان المتقدمين من قبيلة عاد كانوا يسمون بعاد الاولى
ولذلك يسمون بارم تسمية لهم باسم جدهم والثاني ان ارم اسم لبلدتهم التي كانوا فيها ثم قيل ان تلك
البلدة هي الاسكندرية وقيل دمشق والثالث ان ارم اعلام قوم عاد كانوا يبنونها على هيئة المنار
وعلى هيئة القبور قال ابو الرقيش الارم قبور عاد وانشد صها اروم كهوادي البخت ومن الناس من
طعن في قول من قال ان ارم هي الاسكندرية او دمشق لان منازل عاد كانت من عمان الى حضرموت
وهي بلاد الرمال والاحقاف كما قال تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف واما الاسكندرية
ودمشق فليسا من بلاد الرمال المسئلة الثالثة ارم لا ينصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث
الرابعة في قوله ارم وجهان وذلك لانا ان جعلناه اسما للقبيلة كان قوله تعالى ارم عطف بيان
لعاد وايذانا بانهم عاد الاولى القديمة وان جعلناه اسم البلدة او الاعلام كان التقدير بعاد اهل
ارم ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالى واسئل القرية ويدل عليه قراة
ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة الخامسة قرا الحسن بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات
العماد وقري بعاد ارم على التخفيف كما قري وللفجر وقري بعاد ارم ذات العماد بدلا من فعل ربك
والتقدير الم تر كيف فعل ربك بعاد جعل ذات العماد رميما اما قوله تعالى ذات العماد ففيه مسايل
المسئلة الاولى في اعرابه وجهان وذلك ان جعلنا ارم اسم القبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين
يسكنون الاخبية والخيام والخبا لا بد فيها من العمود والعماد بمعنى العمود وقد يكون جمع العمد
او يكون المراد بذات العماد انهم طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة فقيل ذات البنا
الرفيع وان جعلنا اسم البلد فالمعنى انها ذات اساطين اي ذات ابنية موضوعة على العمد
كانوا يعالجون الاعمدة فينصبونها ويبنون فوقها القصور قال تعالى في وصفهم اتبنون بكل





ريع اية تعبثون اي علامة وبناء رفيعا المسئلة الثانية روي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد
فملكا وقهرا ثم مات شديد وصار الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر
الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة
وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة اساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها
اصناف الاشجار والانهار فلما تم بناها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة
بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع الى جنة شداد
فحمل ما قدر عليه مما هناك وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فساله فقال
هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج
في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل اما قوله تعالى لم يخلق مثلها في البلاد
فالضمير في مثلها في البلاد فالضمير في مثلها الى ماذا يعود فيه وجوه الاول لم يخلق مثلها اي مثل عاد في البلاد
في عظم الجثة وشدة القوة فان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان يحمل الصخرة العظيمة فيلقيها على الحي
فيهلكهم الثاني لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرا ابن الزبير لم يخلق مثلها اي لم يخلق الله
مثلها في البلاد الثالث ان الكناية عايدة الى العماد اي لم يخلق مثل تلك الاساطين في البلاد وعلى هذا فالعماد
جمع عمد والمقصود من هذه الحكاية زجر الكفار فانه تعالى بين انه اهلكهم بما كفروا وكذبوا الرسل مع الذي
اختصوا به من هذه الوجوه فلان تكونوا من مثل ذلك ايها الكفار اذا اقمتم على كفركم مع ضعفكم كان اولى
اما قوله تعالى وثمود الذين جابوا الصخر بالواد فقال الليث الجوب قطعك الشي كما يجاب الجيب يقال جاب
يجوب جوبا وزاد الفرا يجيب جيبا ويقال جيب البلاد جوبا اي جب فيها وقطعها قال ابن عباس رضي الله عنه
كانوا يجوبون البلاد فيجعلون فيها بيوتا واحواضا وما ارادوا من الابنية كما قال تعالى وتنحتون من الجبال
بيوتا قيل اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا نيفا وسبعة الاف مدينة كلها من الحجارة وقوله
تعالى بالواد قال مقاتل بوادي القرى اما قوله تعالى وفرعون ذي الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي
كانوا يضربونها اذا نزلوا وثانيها انه كان يعذب الناس ويشدهم بها الى ان يموتوا روي عن ابي هريرة
ان فرعون وتد لامراته اربعة اوتاد وجعل على صدرها رحى واستقبل بها عين الشمس فرفعت راسها
الى السماء وقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ففرج الله عن نفسها في الجنة فراته وثالثها ذي الاوتاد اي
ذي الملك والرحا كما قال الشاعر في ظل ملك راسخ الاوتاد ورابعها روى قتادة عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس ان تلك الاوتاد كانت ملاعب يلعبون تحتها لاجله واعلم ان الكلام يحتمل كل ذلك فبين
الله تعالى لرسوله ان كل ذلك مما يعظم به الشدة والقوة والكثرة لم يمنع من ورود هلاك عظيم بهم ولذلك
قال الذين طغوا في البلاد وفيه مسايل المسئلة الاولى يحتمل ان يرجع الضمير الى فرعون
خاصة لانه يليه ويحتمل ان يرجع الى جميع من تقدم ذكرهم وهذا هو الاقرب الثانية احسن الوجوه
في اعرابه وصف المذكورين عاد وفرعون وثمود الثالثة طغوا في البلاد اي عملوا المعاصي وتجبروا على انبياء
الله والمومنين ثم فسر طغيانهم بقوله تعالى فاكثروا فيها الفساد قال الكلبي القتل والمعصية لله قال
القفال وفي الجملة ان الفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر فالفساد يتناول جميع
اقسام الاثم ثم عمل بغير امر الله تعالى وحكم في عباده بالظلم فهو مفسد ثم قال تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب
اعلم انه تعالى صب عليهم السوط وغشاه وقمعه وذكر السوط اشارة الى ان ما احله بهم في الدنيا من
العذاب العظيم بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة كالسوط اذا قيس الى ساير ما يعذب به وسبه حصب
السوط الذي يتواتر على المضروب فيهلكه وكان الحسن رحمه الله تعالى يقول اذا اتى هذه الاية قال ان عند الله
اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها فان قيل اليس انه في قوله تعالى ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك
عليها من دابة يقتضي تاخير العذاب الى الاخرة فكيف الجمع بين هاتين الايتين قلنا هذه الاية تقتضي
تاخير تمام الجزا الى الاخرة والواقع في الدنيا شي من ذلك مقدمة من مقدماته ثم قال تعالى ان ربك لبالمرصاد
ذكرنا تفسير المرصاد عند قوله تعالى كانت مرصادا ونقول المرصاد المكان الذي يترتب فيه الرصد مفعال
من رصده كالميقات من الوقت وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه عن بعض العرب
انه قيل له اين ربك فقال بالمرصاد وللمفسرين فيه وجوه احدها قال الحسن يرصد اعمال بني ادم وثانيها
قال الفرا اليه المصير وهذان الوجهان عامان للمومنين والكافرين ومن المفسرين من يخص هذه الاية اما
بوعيد الكفار او بوعيد العصاة اما الاول فقال الزجاج يترصد من كفر به وعدل عن طاعته بالعذاب واما
الثاني فقال الضحاك مرصد لاهل الظلم والمعصية وهذه الوجوه متقاربة والله تعالى اعلم قوله تعالى
فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن اعلم ان قوله تعالى

فاما الانسان متعلق بقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد كانه قيل انه تعالى لبالمرصاد في الاخرة ولا
يريد الا السعي للاخرة واما الانسان فانه لا يهمه الا الدنيا ولذاتها وشهواتها فان وجد الراحة في الدنيا
يقول ربي اكرمن وان لم يجد هذه الراحة يقول ربي اهانن ونظيره قوله تعالى في صفة الكفار يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة غافلون وقال تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير
اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه وهذا خطا من وجوه احدها ان سعادة الدنيا
وشقاوتها في مقابلة ما في الاخرة من السعادة والشقاوة كالقطرة في البحر فالمنعم في الدنيا
لو كان شقيا في الاخرة فذاك النعيم ليس بسعادة والمتالم في الدنيا لا يجوز ان يحكم على نفسه بالشقاوة
والهوان وثانيها ان حصول النعمة في الدنيا وحصول الالم في الدنيا لا يدل على الاستحقاق بان الله تعالى
فانه تعالى كثيرا ما يوسع على العصاة والكفرة اما لانه يفعل ما يشا ويحكم ما يريد واما بحكم المصلحة
واما على سبيل الاستدراج والمكر وقد يضيق على الصديقين لاضداد ما ذكرنا ولا ينبغي للعبد ان يظن
ان ذلك مجازاة وثالثها ان المنعم لا ينبغي ان يغفل عما الله عليه من النعم التي لا حد لها من سلامة البدن
والعقل والدين ودفع الافات والالام التي لا حد لها ولا حصر فلا ينبغي ان يقضي على نفسه بالاهانة
مطلقا ورابعها ان النفس قد الفت هذه المحسوسات فمتى حصلت هذه المشتهيات واللذات طبعت
عليها الا نقطاع عنها وعدم الاستغراق فيها اما اذا لم يحصل للانسان شي من هذه المحسوسات رجعت نابت
الى الله تعالى واستعملت لعبودية الله تعالى فكان وجدان الدنيا سبب الحرمان عن الله فكيف
يجوز القضا بالشقاوة والاهانة عند عدم الدنيا مع ان ذلك اعظم الوسايل الى اعظم السعادات
وخامسها ان كثرة الممارسة سبب لتاكد المحبة وتاكد المحبة سبب لتاكد الالم عند الفراق وكل من كان
وجدانه للدنيا اكثر واد وم كانت محبته لها اشد فكان تالمه بمفارقتها عند الموت اشد والذي بالضد
فبالضد فما كان حصول لذات الدنيا سبب الالم الشديد بعد الموت وعدم حصولها سبب السعادة
المديدة بعد الموت فكيف يليق ان وجدان الدنيا سعادة وفقدانها شقاوة **واعلم** ان هذه
الوجوه انما يصح مع القول باثبات البعث روحانيا كان او جسمانيا فاما من ينكر البعث من جميع الوجوه
فلا يستقيم على قوله شي من هذه الوجوه بل يلزمه القطع بان وجدان الدنيا هو السعادة وهو انها
في الشقاوة ولكن فيه دقيقة اخرى وهو انه ربما كان الحرمان سببا لبقاء السلامة فعلى هذا
التقدير لا يجوز ايضا لمنكر البعث من جميع الوجوه ان يقضي على صاحب الدنيا بالسعادة وعلى فاقدها
بالهوان فربما يكشف ان الحال بعد ذلك بالضد وفي الاية سوالات **السوال الاول** قوله تعالى
فاما الانسان المراد منه شخص معين او الجنس **الجواب** فيه قولان الاول قوله ان المراد منه
شخص معين فروي عن ابن عباس انه عتبة بن ربيعة وابو حذيفة بن المغيرة وقال الكلبي هو ابي بن
خلف وقال مقاتل نزلت في امية بن خلف والقول الثاني ان المراد كل من كان موصوفا بهذا الوصف
وهو الكافر الجاحد ليوم الجزا الثاني كيف يسمى بسط الرزق وتقديره ابتلا الجواب انه كل واحد
منهما اختبار للعبد فاذا بسطه فقد اختبر حاله ايشكر ام يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله
ايصبر ام يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة الثالث لما قال تعالى
فاكرمه فقد صح انه اكرمه واثبت ذلك ثم انه لما حكى عنه انه قال ربي اكرمن ذمه عليه فكيف الجمع
بينهما والجواب ان كلمة الانكار هي قوله تعالى كلا فلم لا يجوز ان يقال هي مختصة بقوله تعالى ربي اهانن
سلمنا ان الانكار عايد اليهما معا ولكن فيه وجوه ثلاثة احدها انه اعتقد حصول الاستحقاق في ذلك
الاكرام الثاني ان نعم الله تعالى كانت حاصلة قبل وجدان المال وهي نعمة سلامة البدن والعقل والدين
فلما لم يعترف بالنعمة الا عند وجدان المال علمنا انه ليس غرضه من ذلك شكر نعمة الله تعالى بل التسلط
بالدنيا والتكثير بالاموال والاولاد الثالث ان يشتغل بنعمة الدنيا واعراضه عن ذكر نعمة الاخرة يدل على
كونه منكرا للبعث فلا جرم استحق الذم على ما حكى الله تعالى ذلك فقال تعالى ودخل جنته وهو ظالم لنفسه الى قوله
تعالى خلقك من تراب الرابع قال في القسم الاول فاما اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه وفي القسم الثاني واما اذا ما ابتلاه
فقدر عليه رزقه فذكر الاول بالفا والثاني بالواو والجواب لان رحمة الله تعالى سابقة على غضبه وابتلاه بالنعم سابق على
ابتلاه بانزال الالام فالفا يدل على كثرة ذلك القسم الثاني على ما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها الخامس قال في
القسم الاول فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن فيجب ان يقول في القسم الثاني فاهانه فيقول ربي اهانن لكنه لم يقل ذلك والجواب
لانه في قوله تعالى اكرمن صادق وفي قوله تعالى اهانن غير صادق فهو ظن قلة الدنيا وتغيرها اهانة وهذا جهل واعتقاد
فكيف يحكي الله سبحانه وتعالى ذلك الخامس قوله تعالى فقدر عليه رزقه الجواب ضيق عليه بان جعله على مقدار
البلغة وروي فقدر على التخفيف وبالتشديد اي قتر واكرمن واهانن السادس سكون النون في الوقف فيمن ترك

الدك



الث في الدرج مكتفيا عنها بالكسرة والله تعالى اعلم **قوله تعالى** كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا
تحضون على طعام المسكين وتاكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما كلا اذا دكت
الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا **اعلم انه تعالى** لما حكى عنهم تلك الشبهة
قال كلا وهو ردع للانسان عن تلك المقالة قال ابن عباس رضي الله عنه لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر
لهوانه علي بل ذلك اما على مذهب اهل السنة فمن محض القضا والقدر والمشيئة والحكم الذي تنزه عن التعليل بالعلل
واما على مذهب المعتزلة بسبب مصالح خفية لا يطلع عليها الا هو فقد يوسع على الكافر لا لكرامة ويقتر على المومن لا لهوانه
ثم انه تعالى لما حكى عن اقوالهم تلك الشبهة فكانه قال بل لهم فعل شر من هذا القول وهو ان الله تعالى يكرمهم بكثرة المال
فلا يودون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم فقال تعالى بل لا تكرمون اليتيم وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قرا ابو عمرو يكرمون
وما بعده بالياء المنقوطة من تحت وذلك انه لما تقدم ذكر الانسان وكان يراد به الجنس والكثرة وهو على لفظ الغيبة حمل
يكرمون ويحضون عليه ومن قرا بالتا فالتقدير قل لهم يا محمد لهم ذلك **المسئلة الثانية** قال مقاتل كان قدامة بن مظعون
يتيما في حجر امية بن خلف وكان يدفعه عن حقه واعلم ان ترك اكرام اليتيم على وجوه احدها ترك بره واليه الاشارة
بقوله تعالى ولا تحضون على طعام المسكين والثاني دفعه عن حقه الثابت له في الميراث واكل ماله واليه الاشارة
بقوله تعالى وتحبون المال حبا جما اي تاخذون اموال اليتامى وتضمونها الى اموالكم اما قوله تعالى ولا تحضون على طعام
المسكين قال مقاتل ولا تطعمون مسكينا فالمعنى لا يامرون باطعامه لقوله تعالى انه كان لا يومن بالله العظيم ولا يحض
على طعام المسكين ومن قرا ولا تحاضون اراد ولا تتحاضون فحذف التا تتفاعلون والمعنى لا يحض بعضهم بعضا وفي قراة
ابن مسعود ولا تحاضون بضم التا من المحاضة اما قوله تعالى وتاكلون التراث اكلا لما ففيه مسايل **الاولى**
قالوا اصل التراث وراث والتا تبدل من الواو المضمومة نحو تجاه ووجاه من واجهت **الثانية** قال الليث اللم
الجمع الشديد ومنه كتيبة ملمومة وحجر ملموم والاكل يلم الثريد فيجعله لقما ثم ياكله ويقال لممت ما على الخوان
الممه اي اكلته اجمع فمعنى اللم في اللغة الجمع اما التفسير ففيه وجوه احدها قال الواحدي والمفسرون يقولون في قوله
تعالى اكلا لما اي شديدا وهو معنى وليس بتفسير وتفسيره ان اللم مصدر جعل نعتا للاكل والمراد به الفاعل
اي اكلا لاما اي جامعا كانهم يستوعبونه بالاكل قال الزجاج كانوا ياكلون اموال اليتامى اسرافا وبدارا
فقال تعالى وتاكلون التراث اكلا لما اي تراث اليتامى لما اي يلمون جميعه وقال الحسن ياكلون نصيبهم
ونصيب صاحبهم فيجمعون نصيب غيرهم الى نصيبهم وثانيها ان المال الذي يبقى من الميت بعضه حلال
وبعضه شبهة وبعضه حرام فالوارث يلم الكل اي يضم البعض الى البعض وياخذ الكل وياكله وثالثها قال
صاحب الكشاف ويجوز ان يكون الذم متوجها الى الوارث الذي ظفر بالمال سهلا سهلا من غير ان يعرق به جبينه
فيسرف في انفاقه وياكله اكلا لما واسعا جامعا من الوان الشهوات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعل الوارث
البطالون اما قوله تعالى وتحبون المال حبا جما فاعلم ان الجم هو الكثير يقال جم الشي يجم جموما يقال ذلك في المال
وغيره فهو شي جم وجام وقال ابو عمرو جم يجم اي يكثر والمعنى يحبون المال حبا كثيرا شديدا فبين ان حرصهم على
الدنيا فقط وانهم عادلون عن امر الاخرة اما قوله تعالى كلا اذا دكت الارض دكا الى قوله تعالى وانى له الذكرى فاعلم
ان قوله تعالى كلا ردع وانكار لفعلهم اي ما ينبغي ان يكون الامر هكذا في الحرص على الدنيا وقصر الهمة والجهد على تحصيلها
والاتكال عليها وترك المواساة فيها وجمعها من حيث تهيا من حل وحرام ويوهم ان لا حساب ولا جزا فان من كانت
هذه حالته يندم حيث لا تنفعه الندامة ويتمنى ان لو كان افنى عمره في التقرب بالاعمال الصالحة والمواساة من المال
الى الله تعالى ثم بين انه اذا جا يوم القيامة الموصوف بصفات ثلاث فانه يحصل ذلك التمني ويكون الندامة **الصفة الاولى**
من صفات ذلك اليوم قوله تعالى اذا دكت الارض دكا دكا قال الخليل الدك كسر الحايط والجبل والدكداك رمل
متلبد ورجل مدك شديد الدك على الارض وقال المبرد الدك حط المرتفع بالبسط واندك سنام البعير
اذا انفرش في ظهره وناقة دكا اذا كانت كذلك ومنه الدكان لاستوايه في الانفراش فمعنى الدك على قول
الخليل كل شي على وجه الارض من جبل وشجر حين زلزلت فلم يبق على ظهرها شي او على قول المبرد معناه انه
استوت في الانفراش فذهبت دورها وقصورها وسايرابنيتها حتى تصير كالصخرة الملسا وهذا معنى قول ابن
عباس رضي الله عنه تمد الارض يوم القيمة **فاعلم** ان التكرار في قوله تعالى دكا دكا معناه دكا بعد دك كقوله حسبته
بابا بابا وعلمته حرفا حرفا اي كرر عليها الدك حتى عادت هبا منبثا **واعلم** ان هذا الدك كوك لا بد وان يكون
متاخرا عن الزلزلة فاذا زلزلت الارض بعد زلزلة وحركت تحريكا بعد تحريك وانكسرت الجبال التي عليها
وانهدمت البلاد واملاكها تلاعوا روصارت ملسا وذلك عند انقضا الدنيا وقد قال تعالى يوم ترجف
الراجفة تتبعها الرادفة وقال تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وقال تعالى اذا رجت الارض رجا
وبست الجبال بسا **الصفة الثانية** من صفات ذلك اليوم قوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا **واعلم** انه ثبت
بالدليل العقلي ان الحركة على الله تعالى محال لان كل ما كان كذلك كان جسما والجسم يستحيل ان يكون ازليا فلا بد فيه من

التاويل وهو ان هذا من باب حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثم ذلك المضاف ما هو فيه
وجوه احدها وجاء امر ربك بالمحاسبة والمجازاة وثانيها وجاء قهر ربك كما يقال جا اى قهرهم
وثالثها وجاء جلايل آيات ربك فجعل مجيئها مجيئا له تفخيما لشان تلك الآيات ورابعها قوله تعالى وجاء ظهوره و
ذلك لان معرفة الله تعالى تصير في ذلك ضرورية فصار ذلك كظهوره وتجليه للخلق فقيل وجاء ربك
اى زالت الشبهة وارتفعت الشكوك وخامسها ان هذا تمثيل لظهور آيات الله وتبيين آثار قهره وسلطانه
مثلت حاله في ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه فانه يظهر بمجرد حضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر
بحضور عساكره كلها وسادسها ان الرب هو المربي ولعل ملكا هو اعظم الملائكة هو مربي للنبي صلى الله عليه
وسلم جاء فكان هو المراد من قوله تعالى وجاء ربك اما قوله تعالى والملك صفا صفا فالمعنى انه تنزل ملائكة
كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس الصفة الثالثة من صفات ذلك اليوم قوله وجيء يومئذ
بجهنم ونظيره قوله تعالى وبرزت الجحيم للغاوين قال جماعة المفسرين يجاء بها يوم القيمة مزمومة بسبعين
الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجذبونها حتى تنصب عن يسار العرش فتشرد شردة لو تركت لاحرقت
اهل الجمع قال الاصوليون معلوم انها لا تنفك عن مكانها فالمراد فقوله تعالى وبرزت اظهرت حتى راها الخلق
وعلم الكافر انما مصيره اليها ثم قال تعالى يومئذ يتذكر الانسان فاعلم ان تقدير الكلام اذا دكت الارض وحصل
كذا وكذا يومئذ يتذكر الانسان وفي يتذكر وجوه الاول انه يتذكر ان ذلك حلال فكان الواجب عليه ان يكون
همته تحصيل الآخرة الثاني يتذكر اى يتعظ والمعنى انه ما كان يتعظ في الدنيا فيصير في الآخرة يتعظ فيقول
يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا الثالث يتذكر يتوب وهو مروي عن الحسن ثم قال تعالى وانى له الذكرى
وهو كقوله انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين واعلم ان بين قوله يتذكر وبين قوله تعالى وانى له الذكرى
تناقضا فلا بد من اضمار المضاف والمعنى ومن اين له منفعة الذكرى ويتفرع على هذه الآية مسئلة
اصولية وهي ان قبول التوبة عندنا غير واجب على الله تعالى عقلا وقالت المعتزلة هو واجب
فنقول ان الدليل على ان قولنا ان الآية دلت ها هنا على ان الانسان يعلم في الآخرة ان الذي كان يعمله في الدنيا
لم يكن اصلاح وان الذي تركه كان اصلح له ومهما عرف ذلك فلا بد وان يندم عليه واذا حصل الندم
فقد حصلت التوبة ثم انه تعالى كون تلك التوبة نافعة بقوله تعالى وانى له الذكرى فعلمنا ان التوبة
لا يجب عقلا قبولها فان قيل القوم انما ندموا على افعالهم لا لوجه قبحها بل لترتب العقاب عليها
فلا جرم ما كانت التوبة صحيحة قلنا القوم لما علموا ان الندم على القبيح لا بد وان يكون لوجه قبحه
حتى يكون نافعا وجب ان يكون ندمهم واقعا على هذا الوجه فحينئذ يكونون بالتوبة
الصحيحة مع عدم القبول فيصح قولنا ثم شرح تعالى ما يقوله الانسان فقال يقول يا ليتني قدمت
لحياتي فيه مسئلتان **المسئلة الاولى** للآية تاويلان احدهما يا ليتني قدمت في الدنيا التي كانت حياتي فيها
منقطعة لحياتي هذه التي هي دائمة غير منقطعة وانما قال لحياتي ولم يقل لهذه الحياة على معنى ان الحياة كانها
ليست الا الحياة في الدار الآخرة قال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان اى لهي الحياة وثانيها انه تعالى قال في حق الكافر
ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وقال تعالى فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى وقال تعالى ويتجنبها الاشقى الذي يصلى
النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى وهذه الآيات دلت على ان اهل النار في الآخرة انه لا حياة لهم والمعنى يا ليتني
قدمت حياتي في الدنيا كقولك جئته لعشر ليال خلون من رجب **الثانية** استدلت المعتزلة بهذه الآية على ان
الاختيار كان في ايديهم ومعلقا بقصدهم وارادتهم وانهم ما كانوا محجوبين على الطاعات مجبرين على المعاصي
وجوابه ان فعلهم كان معلقا بقصد الله فبطل الاعتزال ثم قال تعالى فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق
وثاقه احد وفيه مسائل **الاولى** قراءة العامة يعذب ويوثق بكسر العين فيهما فالمعنى فيومئذ
لا يعذب عذاب الله احد من الخلق ولا يوثق وثاق الله احد من الخلق والمعنى لا يبلغ احد من الخلق ابلاغ الله
في العذاب والوثاق قال ابو عبيدة هذا التفسير ضعيف لانه ليس يوم القيمة من يعذب سوى الله فكيف يقال
لا يعذب احد في الدنيا عذاب الله للكافر يومئذ ولا يوثق احد في الدنيا وثاق الله للكافر يومئذ والمعنى مثل
عذابه ووثاقه في الشدة والمبالغة الثاني ان المعنى لا يتولى يوم القيامة عذاب الله احد الامر يومئذ
امره ولا امر لغيره الثالث وهو قول ابي علي الفارسي ان يكون التقدير لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه
فالضمير في عذابه عائد الى الانسان وقرأ الكسائي لا يعذب ولا يوثق بفتح العين فيهما واختاره ابو عبيدة وعن
ابي عمرو انه رجع اليها في آخر عمره لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأهما بالفتح والضمير للانسان الموصوف وقيل
هو ابي بن خلف ولهذه القراءة تفسيران احدهما لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل
وثاقه لتناهيه في كفره وفساده والثاني انه لا يعذب احد من الناس عذاب الكافر لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر
اخرى قال الواحدي وهذا اولى الاقوال **المسئلة الثانية** العذاب في القراءتين بمعنى التعذيب والوثاق بمعنى الايثاق





كالعطا بمعنى الاعطا في قوله وبعد عطائك المائة الرتاعا **قوله تعالى يا ايتها النفس
المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي** اعلم
انه تعالى لما وصف حال من اطمان الى الدنيا وصف حال من اطمان الى معرفته وعبوديته فقال تعالى
يا ايتها النفس المطمئنة وفيه مسائل **المسئلة الاولى** تقدير هذا الكلام يقول الله تعالى للمؤمن
يا ايتها النفس فاما ان يكلمه اكراما له كما كلم موسى عليه السلام او على لسان ملك قال القفال هذا وان كان
امرا في الظاهر لكنه خبر في المعنى والتقدير ان النفس اذا كانت مطمئنة رجعت الى الله تعالى وقال الله تعالى
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقال ومجيء الامر بمعنى الخبر كثير في كلامهم كقوله اذا لم تستحي فاصنع ما شئت
**الثانية** الاطمئنان الاستقرار والثبات وفي كيفية هذا الاستقرار وجوه احدها ان تكون موقنة
بالحق فلا يخالجها شك وهو المراد في قوله تعالى ولكن ليطمئن قلبي وثانيها النفس الآمنة لا خوف
ولا حزن ويشهد لهذا التفسير قراءة ابي بن كعب يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة وهذه الخاصة قد تحصل
عند الموت عند سماع قوله تعالى ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة وقد تحصل عند البعث وعند
دخول الجنة لا محالة وثالثها وهو تاويل مطابق للحقائق العقلية فنقول القرآن والبرهان تطابقا
على ان الاطمئنان لا يحصل الا بذكر الله تعالى اما القرآن فقوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما البرهان
فمن وجهين الاول ان القوة العاقلة اذا اخذت تترقى في سلسلة الاسباب والمسببات فكل ما وصل الى
سبب يكون ممكنا لذاته طلب العقل له سببا آخر فلم يثبت العقل عنده بل لا يزال ينتقل من كل شيء الى
ما هو اعلى منه حتى ينتهي في ذلك الترقي الى واجب الوجود لذاته منقطع الحاجات ومنتهى الضرورات فلما
وقفت الحاجة دونه وقف العقل عنده واطمأن اليه ولم ينتقل عنه الى غيره فاذا كلما كانت القوة العاقلة
ناظرة الى شيء من كل الممكنات ملتفتة اليه استحال ان تستقر عنده واذا نظرت الى جلال واجب الوجود عرفت
ان الكل منه استحال ان تنتقل عنه فثبت ان الاطمئنان لا يحصل الا بذكر واجب الوجود الثاني ان حاجات
العبد غير متناهية وكل ما سوى الله تعالى فهو متناهي السلطان والقوة الا بامداد الله وغير المتناهي لا يصير
محصورا بالمتناهي بل لا بد في مقابلة حاجة العبد التي لا نهاية لها من كمال الله الذي لا نهاية له حتى يحصل
الاستقرار فثبت ان كل من آثر معرفة الله تعالى لشيء غير الله فهو غير مطمئن وليست نفسه نفسا مطمئنة
اما من آثر معرفة الله لا لشيء سواه فنفسه هي النفس المطمئنة وكل من كان كذلك كان انسه بالله وشوقه
الى الله وبقاؤه بالله وكلامه مع الله فلا جرم يخاطب عند مفارقة الدنيا بقوله تعالى ارجعي الى ربك راضية
مرضية وهذا كلام لا ينتفع الانسان به الا اذا كان كاملا في القوة الفكرية الالهية او في التجريد والتفريد
الثالثة ان علمه ان الله تعالى ذكر مطلق النفس في القرآن فقال تعالى ونفس وما سواها وقال تعالى تعلم
ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وتارة وصفها بكونها
امارة بالسوء فقال تعالى ان النفس لامارة بالسوء وتارة وصفها بكونها لوامة فقال والنفس اللوامة
وتارة بكونها مطمئنة كما في هذه الآية **واعلم** ان نفسك ذاتك وحقيقتك وهي التي تشير اليها
بقولك انا حين تخبر عن نفسك بقولك فعلت ورأيت وسمعت وعصيت واستهنت وتخيلت وتذكرت
الا ان المشار اليه بهذه الاشارة ليس هو هذه البنية لوجهين الاول ان المشار اليه بقولك انا قد يكون
معلوما حال ما يكون هذه البنية مخصوصة غير معلومة والمعلوم غير ما هو غير معلوم والثاني ان هذه
البنية متبدلة الاجزاء والمشار اليه بقولك انا غير متبدل فاني اعلم بالضرورة اني انا الذي كنت موجودا
قبل هذا اليوم بعشرين سنة والمتبدل غير ما هو غير متبدل فاذا ليست النفس عبارة عن هذه البنية
ونقول قال قوم ان النفس ليست بجسم لانا قد نعقل المشار اليه بقولي انا حال ما اكون غافلا عن الجسم
الذي حقيقته المختص بالحيز الذاهب في الطول والعرض والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم وجواب المعارضة
بالنفس مذكور في كتابنا المسمى بلباب الاشارات وقال آخرون بل هو جوهر جسماني لطيف صاف بعيد عن
مشابهة الاجرام العنصرية نوراني سماوي مخالف بالماهية لهذه الاجسام السفلية فاذا صارت
مشابكة لهذا البدن الكثيف صار البدن حيا وعلى التقدير الاول يكون وصفها بالمجيء والرجوع بمعنى
التدبير وتركه وعلى هذا التقدير الثاني يكون ذلك الوصف حقيقيا الرابعة من القدماء من زعم ان النفوس
ازلية واحتج بهذه الآية وهي قوله تعالى ارجعي الى ربك فان هذا انما يقال لما كان موجودا قبل هذا البدن
**واعلم** ان هذا الكلام يتفرع على ان هذا الخطاب متى يوجد وفيه وجهان الاول انه انما يوجد
عند الموت وها هنا يقوى حجة القائلين بتقدم الارواح على الاجساد الا انه لا يلزم من تقدمها عليها
قدمها الثاني انه انما يوجد عند البعث والقيامة والمعنى ارجعي الى ثواب ربك فادخلي في عبادي وادخلي
في الجسد الذي خرجت منه الخامسة المجسمة تمسكوا بقوله تعالى الى ربك وكلمة الى لانتهاء الغاية وجوابه

الى حكم ربك او الى ثواب ربك او الى احسان ربك والجواب الحقيقي المفرع على القاعدة العقلية
التي قررناها ان القوة العقلية يسيرها العقل يترقى من موجود الى موجود ومن سبب الى سبب حتى ينتهي
الى حضرة واجب الوجود فهناك انتهاء الغايات وانقطاع الحركات اما قوله تعالى راضية مرضية فالمعنى راضية
بالثواب مرضية عنك في الاعمال التي عملتها في الدنيا ويدل على صحة هذا التفسير ما روي ان رجلا قرا عند النبي صلى
الله عليه وسلم هذه الاية فقال ابو بكر رضي الله عنه ما احسن هذا فقال عليه السلام اما ان الملك سيقولها لك
ثم قال فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وفيه مسئلتان **المسئلة الاولى** قيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب
وقيل في عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي
نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يحوله وانت قد عرفت ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب **المسئلة الثانية** قوله تعالى ادخلي في عبادي اي انضمي الى عبادي المقربين وهذه حالة شريفة وذلك
لان الارواح الشريفة يكون كالمراة المصقولة فاذا انضم بعضها الى البعض حصلت حالة شبيهة بالحالة
الحاصلة عند تقابل المرايا المصقولة من انعكاس الاشعة من بعضها على بعض فيظهر في كل واحد منها كل ما ظهر
في كلها وبالجملة فيكون ذلك الانضمام سببا لتكامل تلك السعادات وتعاظم تلك الدرجات الروحانية وهذا
هو المراد من قوله تعالى فاما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وذلك هو السعادة الروحانية
ثم قال تعالى وادخلي جنتي وهذا اشارة الى السعادة الجسمانية ولما كانت الجنة الروحانية غير متراخية
عن الموت في حق السعداء لا جرم قال تعالى فادخلي في عبادي فذكره بفاء التعقيب ولما كانت الجنة
الجسمانية لا يحصل الفوز بها الا بعد القيامة الكبرى لا جرم قال تعالى وادخلي جنتي فذكره بالواو لا بالفاء والله اعلم

**لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان في كبد
ايحسب ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا ايحسب ان لم يره احد**

اجمع المفسرون على ان ذلك البلد هو مكة وفضل مكة معروف فانه تعالى جعله حرما امنا وقال في المسجد
الذي باركنا حوله ومن دخله كان امنا وجعل ذلك المسجد قبلة لاهل المشرق والمغرب فقال تعالى
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وشرف مقام ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى وامر الناس بحج ذلك البيت فقال تعالى ولله على الناس حج البيت وقال تعالى في البيت واذ
جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقال تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وقال
تعالى وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق وحرمت الصيد فيه وجعل البيت المعمور بازايه ودحيت الدنيا
من تحته فهذه الفضائل واكثر منها لما اجتمعت الا في مكة لا جرم اقسم الله تعالى بها فاما قوله تعالى وانت
حل بهذا البلد فالمراد منه امور احدها وانت مقيم بهذا البلد نازل فيه حال به كانه تعالى عظم مكة
من جهة انه عليه السلام مقيم به وثانيها الحل بمعنى الحلال اي ان الكفار يحترمون هذا البلد ويتهكون فيه
الحرمات ثم انهم مع ذلك ومع اكرام الله اياك بالنبوة يستحلون اذاك ولو تمكنوا منك لقتلوك فانت حل لهم
في اعتقادهم لا يرون لك من الحرمة ما يرونه لغيرك يحترمون ان يقتلوا بها صيدا او يعضدوا بها شجرة
ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله وبعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة على
وتعجيب من حالهم في عداوتهم وثالثها قال قتادة انت حل اي لست باثم وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت
وذلك ان الله تعالى فتح عليه مكة واحلها له وما فتحت على احد قبله فاحل ما شاء وحرم ما شاء وقتل
ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال تعالى
ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد
بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل
لقطتها الا لمنشد فقال ابن عباس الا الاذخر يا رسول الله فانه لبيوتنا وقبورنا فقال الا الاذخر
معرفه فان قيل هذه السورة مكية وقوله وانت حل اخبار عن الحال والواقعة التي ذكرتم انما حدثت
في اخر هجرته الى المدينة فكيف الجمع بين الامرين قلنا قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبلا كقوله تعالى
انك ميت وكما اذا قلت لمن تعده الاكرام والحباء انت مكرم محبو وهذا من الله تعالى احسن لان المستقبل
عنده كالحاضر بسبب انه لا يمنعه عن عزمه مانع ورابعها وانت حل بهذا البلد اي وانت غير مرتكب في هذا البلد
ما يحرم عليك ارتكابه تعظيما منك لهذا البيت لا كالمشركين يرتكبون فيه الكفر بالله وتكذيب الرسول
وخامسها انه تعالى لما اقسم بهذا البلد وانت من مثل هذه البلدة العظيمة المكرمة واهل هذه البلدة





يعرفون اصلك ونسبك وطهارتك وبراءتك طول عمرك عن الافعال القبيحة وهذا هو المراد بقوله تعالى
هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم وقوله تعالى فقد لبثت فيكم
عمرا من قبله فيكون الغرض شرح منصب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكونه من هذا البلد اما قوله تعالى
ووالد وما ولد فقد علم ان هذا معطوف على قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد وقوله تعالى وانت حل بهذا
البلد معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وللمفسرين فيه وجوه احدها الوالد ادم وما ولد ذريته اقسم
بهم انهم اعجب من خلق الله تعالى على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق والتدبير واستخراج العلوم
وفيهم الانبيا والدعاة الى الله تعالى والانصار لدينه وكل ما في الارض مخلوق لهم وامر الملائكة بالسجود لادم
وعلمه الاسماء كلها وقد قال الله تعالى ولقد كرمنا بني ادم فيكون القسم بجميع الادميين صالحهم
وطالحهم لما ذكرنا من اظهار العجائب في هذه البنية والتركيب وقيل هو قسم بادم والصالحين من
اولاده اما الطالحون فكانهم ليسوا من اولاده وكانهم بهائم كما قال تعالى ان هم الا كالانعام بل هم اضل
سبيلا صم بكم عمي فهم لا يرجعون وثانيها الوالد ابراهيم واسماعيل وما ولد محمد وذلك لانه اقسم بمكة
وابراهيم بانيها واسماعيل ومحمد عليهما وعليه الصلوة والسلام اجمعين سكانها وفائدة التنكير الابهام
المستقل بالمدح والتعجب وانما قال تعالى وما ولد ولم يقل ومن ولد للفائدة الموجودة في قوله تعالى والله اعلم
بما وضعت اي باي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشان وثالثها الوالد ابراهيم عليه السلام وما ولد جميع
ولد ابراهيم عليه السلام بحيث يحتمل العرب والعجم فان جملة ولد ابراهيم عليه السلام سكان البقاع الفاضلة
من ارض الشام ومصر وبيت المقدس وارض العرب ومنهم الروم لانهم ولد عيص بن اسحاق ومنهم من
خصص ذلك بولد ابراهيم عليه السلام من العرب ومنهم من خصص ذلك بالعرب المسلمين وانما
قلنا ان هذا القسم واقع بولد ابراهيم عليه السلام لانه قد شرع في التشهد ان يقال كما صليت على
ابراهيم وعلى ال ابراهيم ومنهم المومنون ورابعها روي عن ابن عباس انه قال الوالد الذي يلد وما ولد
اي الذي لا يلد فما هاهنا يكون للنفي وعلى هذا لا بد من اضمار الموصول اي ووالد والذي ما ولد وذلك
لا يجوز عند البصريين وخامسها يعني كل والد ومولود وهذا مناسب لان حرمة الخلق كلهم داخل
في هذا الكلام واما قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد ففيه مسائل **المسئلة الاولى** في الكبد
وجهان احدهما قال صاحب الكشاف اصله من قولك كبد الرجل فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت
واتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة واصله كبده اذا اصاب
كبده وقال اخرون الكبد شدة الامر ومنه قوله تكبد اللبن اذا غلظ واشتد ومنه الكبد كانه دم
تغلظ واشتد والفرق بين القولين ان الاول جعل اسم الكبد موضوعا للكبد ثم اشتقت منه الشدة
وفي الثاني اللفظ موضوع للشدة والغلظ ثم اشتق منه اسم العضو والوجه الثاني ان الكبد هو
الاستوا والاستقامة الثالث ان الكبد شدة الخلق والقوة فقط وان يكون المراد شدائد التكاليف
فقط وان يكون المراد شدائد الاخرة فقط وان يكون المراد كل ذلك اما الاول فقوله تعالى لقد خلقنا
الانسان في كبد اي خلقناه اطوارا كلها شدة ومشقة تارة في بطن الام ثم زمان الارضاع
ثم اذا بلغ ففي الكد في تحصيل المعاش ثم بعد ذلك الموت واما الثاني وهو الكبد في الدين فقال الحسن
يكابد الشكر على السراء والصبر على الضراء ويكابد المحن في اداء العبادات واما الثالث وهو الاخرة بالموت ومسائلة
الملك وظلمة القبر ثم البعث والعرض على الله تعالى الى ان يستقر به القرار اما في الجنة واما في النار
واما الرابع وهو ان يكون اللفظ محمولا على الكل فهو الحق وعندي فيه وجه اخر وهو انه ليس في لذة
الدنيا لذة البتة بل الذي يظن انه لذة فهو خلاص عن الالم فان ما يتخيل من اللذة عند الاكل فهو خلاص
عن الم الجوع وما يتخيل من اللذة عند اللبس فهو خلاص عن الم الحر والبرد فليس للانسان الا الم او خلاص
عن الم وانتقال الى اخر وهذا معنى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد ويظهر منه انه لا بد للانسان
من البعث والقيامة لان الحكيم الذي دبر خلقة الانسان ان كان مطلوبه منه ان يتالم فهذا لا يليق بالرحمة
وان كان مطلوبه ان لا يتالم ولا يلتذ فقد بطل ذلك لعدم كفاية في هذا الموضع المطلوب وان كان مطلوبه
ان يلتذ فقد بينا انه ليس في هذه الحياة لذة وانه خلق الانسان في هذه الدنيا في كبد ومشقة ومحنة
فانه لا بد بعد هذه الدار من دار اخرى ليكون تلك الدار دار السعادات واللذات والكرامات واما على الوجه
الثاني وهو ان تفسير الكبد بالاستوا فقال ابن عباس في كبد اي قائما منتصبا والحيوانات الاخر تمشي
منكسة فهذا امتنان عليه بهذه الخلقة واما على الوجه الثالث وهو ان تفسير الكبد بشدة الخلقة قال
الكلبي نزلت هذه الاية في رجل من بني جمح يكنى ابا الاشدين كان يجعل تحت قدميه الاديم العكاظي فيجرونه
من تحت قدميه فيتمزق الاديم ولم تزل قدمه **واعلم** ان اللائق بالاية هو الوجه الاول **الثانية**

حرف في واللام متقاربان تقول انما انت للعنا والنصب وفيه وجه اخر وهو ان قوله تعالى في كبد يدل
على ان الكبد قد احاطه احاطة الظرف بالمظروف وفيه اشارة الى ما ذكرنا انه ليس في الدنيا الا الكد والمحنة الثالثة
منهم من قال المراد بالانسان انسان معين وهو الذي وصفناه بالقوة والاكثرون على انه عام يدخل فيه كل
احد وان كان لا يمتنع من ان يكون ورد عند فعل فعله ذلك الرجل اما قوله تعالى ايحسب ان لن يقدر عليه
احد اعلم انا فسرنا الكبد بالشدة والقوة فالمعنى ايحسب ذلك الانسان الشديد انه لشدته لا يقدر
عليه احد وان فسرناه بالمحنة والبلاء كان المعنى تسهيل ذلك على القلب كانه يقول وهب ان الانسان
كان في النعمة والقدرة افيظن انه في تلك الحالة لا يقدر عليه احد ثم اختلفوا فقال بعضهم
لن يقدر على بعثه ومجازاته وكانه خطاب مع من ينكر البعث وقال اخرون المراد لن يقدر على تغيير احواله
ظنا منه انه قوي على الامور لا يدافع عن مراده وقوله تعالى ايحسب استفهام على سبيل الانكار اما قوله
تعالى يقول اهلكت مالا لبدا قال ابو عبيدة لبد فعل من التلبيد وهو المال الكثير بعضه على بعض
قال الزجاج فعل للكثرة يقال رجل حطم اذا كان كثير الحطم قال الفرا واحده لبدة ولبد جمع وجعله بعضهم
واحدا كقثم وحطم وهو في الوجهين جميعا الكثير بعضه على بعض قال الليث مال لبد لا يخاف فناؤه من كثرته
وذكرنا تفسير هذا الحرف عند قوله تعالى يكونون عليه لبدا والمعنى ان هذا الكافر يقول اهلكت
في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم مالا كثيرا والمراد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونه
مكارم ويدعونه معالي ومفاخر قال تعالى ايحسب ان لم يره احد فيه وجهان الاول قال قتادة ايظن ان الله
تعالى لم يره ولا يسأله عن ماله من اين اكتسبه واين انفقه الثاني قال الكلبي كان كاذبا لم ينفق شيئا
فقال الله تعالى ايظن ان الله تعالى ما رأى ذلك منه فعل او لم يفعل انفق او لم ينفق بل رآه وعلم منه خلاف ما قال
واعلم انه تعالى لما حكى عن ذلك الكافر ايحسب ان لن يقدر عليه احد اقام الدلالة على كمال قدرته الم نجعل له عينين
ولسانا وشفتين وهديناه النجدين وعجايب هذه الاعضا مذكورة في كتب التشريح قال اهل العربية النجد
الطريق في ارتفاع مكانه كانها لما وضحت دلايل جعلت كالطريق المرتفعة العالية بسبب انها واضحة للعقول
كوضوح الطريق العالي للابصار والى هذا التاويل ذهب عامة المفسرين في النجدين وهو انهما سبيلا الخير والشر وعن ابي
هريرة انه عليه السلام قال انما هما النجدان نجد الخير ونجد الشر ولا يكون نجد الشر احب الى احدكم من نجد الخير
وهذه الاية كالاية في هل اتى على الانسان الى قوله تعالى فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا
وقال الحسن اهلكت مالا لبدا فمن ذا الذي يحاسبني عليه فقيل الذي قدر على ان خلق لك هذه الاعضا
قادر على محاسبتك وروي عن ابن عباس وسعيد بن المسيب انهما الثديان ومن قال ذلك ذهب الى انهما
كالطريقين لحياة الولد ورزقه الله تعالى ان هذا الطفل الصغير حتى ارتضعها قال القفال والتاويل هو الاول
ثم قرر وجه الاستدلال به فقال ان من قدر على ان يخلق من الماء المهين قلبا عقولا ولسانا قوولا فهو على اعادة
ما خلق قادر وما يخفيه المخلوق عالم به فما العذر في الذهاب عن موضع وضوحه وما الحجة في الكفر بالله
من تظاهر نعمه وما العلة في العذر على الله وعلى اهل دينه بالمال وهو المعطي له وهو الممكن من الانتفاع
به ثم انه سبحانه وتعالى دل عباده على الوجوه الفاضلة التي ينفق فيها الاموال وعرف هذا الكافر ان
انفاقه كان فاسدا وغير مفيد فقال تعالى فلا اقتحم العقبة وفيه مسايل المسألة الاولى الاقتحام الدخول
في الامر الشديد يقال قحم يقحم قحوما واقتحم اقتحاما وتقحم تقحما اذا ركب المقحم وهو المهالك والامور
العظام والعقبة طريق في الجبل وعر والجمع العقب والعقاب ثم ذكر المفسرون في العقبة ها هنا وجهين الاول
انها في الاخرة قال عطا يريد عقبة جهنم وقال الكلبي هي عقبة بين الجنة والنار وقال ابن عمر هو جبل زلال في جهنم
وقال مجاهد والضحاك هي الصراط يضرب على جهنم وهو معنى قول الكلبي انها عقبة بين الجنة والنار قال الواحدي
وهذا التفسير فيه نظر لان من المعلوم ان هذا الانسان وغيره لم يقتحموا عقبة جهنم ولا جاوزوها فحمل
الاية عليه يكون ايضاحا للواضحات ويدل عليه انه لما قال تعالى وما ادراك ما العقبة فسره بفك الرقبة
وبالاطعام الوجه الثاني في تفسير العقبة هو انه ذكر العقبة ها هنا مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والشيطان
في اعمال البر وهذا قول الحسن ومقاتل قال الحسن عقبة الله شديدة وهي مجاهدة الانسان نفسه وهواه
وعدوه من شياطين الانس والجن واقول هذا التفسير هو الحق لان الانسان يريد ان يترقى من عالم الحس
والخيال الى يفاع عالم الانوار الالهية ولا شك ان بينه وبينها عقبات دونها صواعق حامية ومحاربها
صعبة والترقي اليها شديد المسألة الثانية ان في الاية اشكالا وهو انه قلما توجد لا الداخلة على الماضي
الا مكررة تقول قال تعالى فلا صدق ولا صلى وفي هذه الاية ما جا التكرير فما السبب فيه اجيب
عنه من وجوه الاول قال الزجاج انها متكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم
مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك وهو قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا يدل على معنى

فلا اقتحم



فلا اقتحم العقبة فلا امن الثاني قال ابو علي الفارسي فلا اقتحم العقبة لم يقتحمها واذا كانت لا بمعنى لم كان التكرير
غير واجب كما لا يجب التكرير مع لم فان تكررت في موضع نحو فلا صدق ولا صلى فهو كتكرير لم نحو لم يسرفوا ولم يقتروا
الثالثة قال القفال رحمه الله تعالى فلا اقتحم العقبة اي هلا انفق ماله فيما فيه اقتحام العقبة واما الباقون
فانهم اجروا اللفظ على ظاهره وهو الاختيار فانه قال تعالى فلا اقتحم العقبة ثم قال تعالى وما ادراك ما العقبة فلا بد
من تقدير محذوف لان العقبة لا تكون فك رقبة فالمراد وما ادراك ما اقتحام العقبة وهذا التعظيم هو [illegible] للاعلام
وفيه مسايل المسألة الاولى الفك فرق يزيل المنع كفك القيد والغل وفك الرقبة بينها وبين صفة
الرق بايجاب الحرية وابطال العبودية ومنه فك الرهن وهو ازالة ما على الرهن وكل شي اطلقته فقد
فككته ومنه فك الكتاب قال الفرا في المصادر فكها فكا بفتح الفاء في المصادر ولا يقال بكسرها وقال كانت
عادة العرب في الاسارى شد رقابهم وايديهم فجرى ذلك منهم وان لم يشدوا ثم سمي اطلاق الاسير فكا كما قال
الاخطل ابني كليب ان عمي اللذا قتلا الملوك وفككا الاغلالا الثانية فك رقبة قد يكون بان يعتق الرجل
رقبته من الرق وقد يكون بان يعطي مكاتبا ما يصرفه الى جهة فكاك نفسه روى البراء بن عازب قال جاء اعرابي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال عتق النسمة وفك الرقبة
قال يا رسول الله اليسا واحدا قال لا عتق النسمة ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين في ثمنها وفيه
وجه اخر وهو ان يكون المراد ان يفك المرء رقبة نفسه بما يتكلفه من العبادة التي يصير بها الى الجنة فهي الحرية
الكبرى ويتخلص بها من النار الثالثة قرئ فك رقبة او اطعام بالمصدر وهي فك رقبة او اطعام وقرئ فك رقبة
او اطعم على الابدال من اقتحم العقبة وقوله تعالى وما ادراك ما العقبة اعتراض قال الفرا وهو اشبه الوجهين
بصحيح العربية لقوله تعالى ثم كان لان فك واطعم فعل وقوله كان فعل وينبغي ان يكون الذي يعطف عليه الفعل
فعلا اما لو قيل ثم ان كان ذلك مناسبا لقوله تعالى فك رقبة بالرفع يكون عطفا للاسم على الاسم الثانية عند
ابي حنيفة رضي الله عنه العتق افضل انواع القربات وعند صاحبيه الصدقة افضل والاية تدل على قول ابي
حنيفة رضي الله عنه لتقديم العتق على الصدقة اما قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما فيه مسايل
المسألة الاولى سغب سغبا اذا جاع فهو ساغب وسغبان وقال صاحب الكشاف المسغبة والمقربة و
المتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر وقرب
في النسب بفلان ومعناه التصق بالتراب واما اترب فاستغنى اي صار ذا مال كالتراب في الكثرة قال الواحدي
المتربة مصدر قولهم ترب يترب تربا ومتربة مثل مسغبة اذا افتقر حتى لصق بالتراب الثانية
حاصل القول في تفسير يوم ذي مسغبة ما قاله الحسن وهو انه يوم يحرص فيه على الطعام قال ابو علي
ومعناه ما يقول النحويون في قولهم ليل قايم ونهار صايم اي ذو قوم وصوم واعلم ان اخراج المال
في وقت القحط والضرورة اثقل على النفس واوجب للاجر وهو كقوله تعالى وآتى المال على حبه ذوي القربى
واليتامى وقال تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وقرا الحسن ذا مسغبة نصبه باطعام
ومعناه او اطعام في يوم من الايام ذا مسغبة اما قوله تعالى ذا مقربة قال الزجاج ذا مقربة فتقول زيد ذو قرابتي
وذو مقربتي وزيد قرابتي قبيح لان القرابة مصدر قال مقاتل يعني بينهما وبينه قرابة فقد اجتمع فيه حقان يتم وقرابة
فاطعامه افضل وقيل يدخل فيه القرب بالنسب اما قوله تعالى او مسكينا ذا متربة اي مسكينا قد لصق بالتراب
من فقره وضره فليس فوقه ما يستره ولا تحته ما يوطيه روي ان ابن عباس مر بمسكين لاصق بالتراب فقال
هذا الذي قال الله تعالى او مسكينا ذا متربة واحتج الشافعي رضي الله تعالى عنه بهذه الاية على ان المسكين
قد يكون بحيث يملك شيا لانه لو كان لفظ المسكين دليلا على انه لا يملك شيا البتة لكان تقييده بقوله تعالى
ذا متربة تكريرا وهو غير جايز اما قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا ايكاد مقتحم العقبة من الذين امنوا فانه
ان لم يكن منهم لم ينتفع بشي من هذه الطاعات ولا مقتحما للعقبة فان قيل لما كان الايمان شرطا للانتفاع
بهذه الطاعات وجب كونه متقدما عليها فما السبب في ان الله تعالى اخره عنها بقوله تعالى ثم كان من
الذين امنوا والجواب من وجوه احدها ان التراخي في الذكر لا في الوجود كقوله ان من ساد ثم ساد ابوه ثم قد ساد
قبل ذلك جده لم يرد بقوله ثم ساد ابوه التاخير في الوجود وانما المعنى ثم اذكر انه ساد ابوه كذلك في الاية
وثانيها ان يكون المراد ثم كان في عاقبة امره من الذين امنوا وهو ان يموت على الايمان فان الموافاة شرط الانتفاع
بالطاعات وثالثها ان من اتى بهذه القرب تقربا الى الله تعالى قبل ايمانه بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم امن بعد ذلك بمحمد
عليه السلام فعند بعضهم انه يثاب على تلك الطاعات قالوا يدل عليه ما روي ان حكيم بن حزام بعدما اسلم قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا كنا نأتي باعمال الخير في الجاهلية فهل لنا منها شي فقال عليه السلام
اسلمت على ما قدمت من الخير ورابعها ان المراد من قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا تراخي الايمان وتباعده
في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لان درجة ثواب الايمان اعظم بكثير من درجة ثواب ساير الاعمال

اما قوله تعالى وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة وهو ان يحثهم بعضهم بعضا على ان يرحموا المظلوم والفقير
او يرحم المقدم على منكر فيمنعه منه لان كل ذلك داخل في الرحمة وهذا يدل على انه يجب على المرء ان يدل غيره على طريق الحق
ويمنعه من سلوك طريق الباطل ما امكنه واعلم ان قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر
وتواصوا بالمرحمة يعني مقتحم العقبة من هذه الزمرة والطايفة وهذه الطايفة هم اكابر الصحابة كالخلفاء
الاربعة وغيرهم فانهم كانوا مبالغين في الصبر على شدائد الدين والرحمة وعلى الخلق وبالجملة فقوله وتواصوا بالصبر
اشارة الى التعظيم لامر الله وقوله تعالى وتواصوا بالمرحمة اشارة الى الشفقة على خلق الله ومدار امر الطاعات
ليس الا على هذين الاصلين وهو الذي قاله بعض المحققين ان الاصل في التصوف امران صدق مع الحق وخلق مع
الخلق ثم انه سبحانه وتعالى لما وصف هولاء المومنين بين انهم من هم في القيامة فقال تعالى اولئك اصحاب الميمنة وانما
ذكر ذلك لانه بين حالهم في سورة الواقعة بانهم في سدر مخضود وطلح منضود وقال صاحب الكشاف الميمنة
والمشامة اليمين والشمال واليمين والشوم اي الميامين على انفسهم والمشاييم عليها فقيل المراد من يوت كتابه
بشماله وراء ظهره وقد تقدم وصف الله لهم بانهم في سموم وحميم وظل من يحموم الى غير ذلك ثم قال تعالى
عليهم نار موصدة وفيه مسايل **المسلة الاولى** قال الفرا والزجاج والمبرد يقال اصدت الباب واوصدته
اذا اغلقته فمن قرا موصدة بالهمز اخذه من اصدت فهمز اسم المفعول ويجوز ان يكون من اوصدت
ولكنه همز على لغة من يهمز الواو اذا كانت قبلها ضمة نحو موسى ومن لم يهمز احتمل ايضا امرين احدهما
ان يكون لغة من قال اوصدت فلم يهمز اسم المفعول كما يقال من اوعدت موعد والاخر ان يكون من
اصد مثل امن ولكنه خفف كما في تخفيف جونة وبوس فعلهما في المصحف واوا قال الفرا ويقال
من هذا الاصد والوصيد وهو الباب المطبق اذا عرفت هذا فنقول قال مقاتل عليهم نار موصدة
يعني ابوابها مطبقة فلا يفتح لهم باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح ابد الاباد وقيل المراد
احاطة النيران بهم كقوله تعالى احاط بهم سرادقها **المسلة الثانية** الموصدة هي الابواب
وقد جرت صفة النار على تقدير عليهم نار موصدة الابواب فلما تركت الاضافة عاد التنوين لانهما يتعاقبان والله اعلم

## والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها

**المسلة الاولى** المقصود من هذه السورة الترغيب قبل الخوض في التفسير لابد من مسايل
في الطاعات والتحذير من المعاصي واعلم انه تعالى يسبه عباده دايما بان يذكر في القسم انواع
مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة حتى يتامل المكلف فيها ويشكر عليها لان الذي يقسم الله به
يحصل له وقع في القلب فتكون الدواعي الى تامله اقوى **المسلة الثانية** قد عرفت ان جماعة من اهل
الاصول قالوا التقدير ورب الشمس ورب ساير ما ذكره الى تمام القسم واحتج قوم على بطلان هذا
المذهب فقالوا ان في جملة هذا القسم قوله تعالى والسماء وما بناها وذلك هو الله تعالى فيلزم ان يكون
المراد ورب السماء وربها وذلك كالمتنا قض اجاب القاضي عنه بان قوله تعالى وما بناها لا يجوز ان يكون
المراد منه هو الله تعالى لان ما لا يستعمل في خالق السماء الا على ضرب من المجاز ولانه لا يجوز منه ان يقدم
قسم غيره على قسم نفسه ولانه تعالى لا يكاد يذكر مع غيره على هذا الوجه ولان كل لابد من التاويل
وهو ان ما بعده في حكم المصدر فيكون التقدير والسماء وبنائها اعترض صاحب الكشاف عنه فقالوا لو كان
الامر على هذا الوجه لزم من عطف قوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها عليه فساد نظم القران **المسلة الثالثة**
القرا مختلفون في فواصل هذه السورة وما اشبهها نحو والليل اذا يغشى والليل اذا سجى فيقرونها تارة بالامالة
وتارة بالتفخيم وتارة بعضها بالامالة وبعضها بالتفخيم قال الفرا يكسر ضحاها والايات التي بعدها وان كان اصل بعضها
الواو نحو تلاها وطحاها ودحاها فكذلك فانه لما ابتدئت السورة بحرف الياء اتبعها ما هو من الواو ولي
الالف المنقلبة عن الواو قد توافق المنقلبة عن الياء الا ترى ان تلوت وطحوت ونحوهما قد يكون في فعلها
ان ينقلب الى الياء نحو بلي ودحي فلما حصلت هذه الموافقة استجاز والامالة كما استجاز واامالة ما كان عن الياء
وان ما وجد من ترك الامالة مطلقا فلان كثيرا من العرب لا يميلون هذه الالفات نحو الهدى وهوى ترك الامالة
للالفات الواو في موتر منقلبة عن الياء والياء في ميقات وميزان منقلبة عن الواو ولم يلزم من ذلك ان يحصل
فيه ما يدل على ذلك الانقلاب فكذا هاهنا ينبغي ان تترك الالف غير ممالة ولا ينحى بها نحو الياء واما امالة البعض
وترك امالة البعض كما فعله حمزة فحسن ايضا وذلك ان الالف انما قال نحو الياء ليدل على انها اذا كان انقلابها





عن الياء ولم يكن في تلاها وطحاها ودحاها الف منقلبة عن الياء انما هي منقلبة عن الواو بدلالة تلوت و
دحوت **المسلة الرابعة** ان الله تعالى اقسم بسبعة اشيا الى قوله تعالى قد افلح وهو جواب القسم قال الزجاج المعنى لقد
افلح ولكن اللام حذفت لان الكلام طال فصار طوله عوضا منها اما قوله تعالى والشمس وضحاها ذكر المفسرون في ضحاها ثلاثة
اقوال قال مجاهد والكلبي ضوءها وقال قتادة هو النهار كله وهو اختيار الفرا وابن قتيبة وقال مقاتل هو حر الشمس و
تقديره ذلك بحسب اللغة ان نقول قال الليث الضحى ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك ممدود وداليا امتداد النهار قرب ان ينتصف
النهار وقال ابو الهيثم نقيض الظل وهو نور الشمس على وجه الارض قال واصله الضحى فاستثقلوا حركة الياء مع سكون
الحاء فسكنوها وقالوا ضحى فالضحى هو نور الشمس وضوءها ثم سمي به الوقت الذي تشرق به الشمس على ما في قوله
تعالى الا عشية او ضحاها فمن قال من المفسرين ضحيها ضوءها فهو فيه على الاصل وكذا من قال هو النهار كله لان جميع
النهار هو من نور الشمس ومن قال في الضحى انه حر الشمس فلان حرها متلازم لضوئها استدرجها فقد اشتد ضوءها
وبالعكس فهذا اضعف الاقوال واعلم انه تعالى انما اقسم بالشمس وضحاها لكثرة ما يتعلق بها من المصالح فان العالم
كانوا كالاموات في الليل فلما ظهر اثر الصبح في المشرق صار ذلك الضوء كالذي نفخ قوة الحياة فصارت الاموات
احياء ولا تزال تلك الحياة في الازدياد والقوة الكاملة ويكون غاية كمالها وقت الضحوة فهذه الحالة تشبه
احوال القيامة ووقت الضحوة شبه استقرار اهل الجنة فيها قوله تعالى والقمر اذا تلاها قال الليث
تلا يتلو اذا تبع شيئا وفي كون القمر تاليا وجوه احدها بقاء القمر طالعا عند غروب الشمس وذلك انما يكون
في النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس فان القمر يتبعها في الاضاءة وهو قول عطاء عن ابن عباس وثانيها
ان الشمس اذا غربت فالقمر يتبعها ليلة الهلال في الغروب وهو قول قتادة والكلبي وثالثها قال الفرا المراد من هذا
التلو هو ان القمر ياخذ الضوء من الشمس يقال فلان يتبع فلانا في كذا اي ياخذ منه ورابعها قال الزجاج
تلاها حين استدار وكمل فكانه يتلو الشمس في الضياء والنور يعني اذا كمل ضوءه فصار كالقايم مقام
الشمس في الانارة وذلك في الليالي البيض وخامسها انه يتلوها في كبر الجرم بحسب الحس وفي ارتباط مصالح
هذا العالم بحركته ولقد ظهر في علم النجوم ان بينهما من المناسبة ما ليس بين الشمس وغيرها اما قوله تعالى
والنهار اذا جلاها يعني بالتجلية الاظهار والكشف والضمير في جلاها الى ماذا يعود فيه وجهان احدهما
وهو قول الزجاج انه عايد الى الشمس وذلك لان النهار عبارة عن نور الشمس فكلما كان النهار اجلى ظهورا
كانت الشمس اجلى ظهورا لان قوة الاثر وكماله يدل على قوة المؤثر فكان النهار يبرز الشمس ويظهرها ونظيره قوله
تعالى لا يجليها لوقتها الا هو وان لم يجر لها ذكر يقولون اصبحت باردة يريدون الغداة وارسلت يريدون
السماء قوله تعالى والليل اذا يغشاها يعني يغشى الليل فيزيل ضوءها وهذه الاية تقوي القول
الاول في الاية التي قبلها من وجهين الاول انه لما جعل الليل يغشى الشمس ويزيل ضوءها حسن ان يقال
النهار يجليها على ضد ما ذكر في الليل والثاني ان الضمير في يغشاها للشمس بلا خلاف فكذا في يجليها
يجب ان يكون للشمس حتى يكون الضمير في الفواصل من اول السورة الى هاهنا للشمس قال القفال
وهذه الاقسام الاربعة ليست الا بالشمس في الحقيقة لكن بحسب اوصاف اربعة اولها الضوء الحاصل
منه عند ارتفاع النهار وذلك هو الوقت الذي يكمل فيه انتشار الحيوان واضطراب الناس للمعاش
ومنها تلو القمر لها واخذه الضوء عنها ومنها تكامل طلوعها وبروزها بمجي النهار ومنها وجود
خلاف ذلك بمجي الليل ومن تامل قليلا في عظمة الشمس ثم شاهد بعين عقله اثار ضوءها والتجلي
فيه من المقدار المتناهي والتركيب من الاجزاء سهل منه الى عظمة خالقها فسبحانه ما اعظم شانه
اما قوله تعالى والسماء وما بناها فيه سوالات الاول ان الذي ذكره صاحب الكشاف ان ما هاهنا
لو كانت مصدرية لكان عطف فالهمها عليه يوجب فساد النظم حق والذي ذكره القاضي من انه
لو كان هذا قسما بخالق السماء لما كان يجوز تاخيره عن ذكر الشمس فهو اشكال جديد والذي يخطر
بالبال في الجواب عنه ان اعظم المحسوسات هو الشمس فذكره سبحانه وتعالى مع اوصافها
الاربعة الدالة على عظمها ثم ذكر ذاته المقدسة بعد ذلك ووصفها بصفات ثلاث وهي
تدبيره سبحانه للسماء والارض وللمركبات ونبه على المركبات بذكر اشرفها وهي النفس والغرض
من هذا الترتيب هو ان يتوافق العقل والحس على عظمة جرم الشمس ثم يحكم العقل بان الشمس
بل يجمع السماويات والارضيات والمركبات على اثبات مبداها محدث لها فيخطى العقل هاهنا بادراك
جلال الله وعظمته على ما يليق به والحس لا يبقى له فيه فكان ذلك كالطريق الجاذب للعقل من حضيض
عالم المحسوسات الى يفاع عالم الربوبية ومبدا كبريا الصمدية فسبحان من عظمت حكمته
وكملت كلمته الثاني ما الفايدة في قوله تعالى والسماء وما بناها الجواب انه سبحانه وتعالى
لما وصف الشمس بالصفات الاربع الدالة على عظمتها اتبعه ببيان ما يدل على حدوثها وحدوث

جميع الاجرام السماوية فنبه بهذه الاية على تلك الدلالة وذلك ان الشمس والسما متناهية وكل متناه فانه
مختص بمقدار معين ثم انه كان في العقل وجود ما هو اعظم منه وما هو اصغر منه فاختصاص الشمس وسائر السماويات
بالمقدار المعين لابد وان يكون بتقدير مقدر وتدبير مدبر وكما ان البيت بانيه بحسب مشيته فكذا مدبر
الشمس وسائر السماويات مدبرها بحسب مشيته فقوله تعالى وما بناها تنبيه على هذه الدقيقة الدالة
على حدوث الشمس وسائر السماويات السؤال الثاني لم قال وما بناها ولم يقل ومن بناها الجواب من وجهين احدها
ان المراد هو الاشارة الى الوصفية كانه قيل والسما وذلك الشي العظيم القادر الذي بناها والحكيم القاهر الحكمة
الذي سواها والثاني ان ما يستعمل في موضع من كقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم والاعتماد على الاول الرابع
ما ذكر في تعريف ذات الله تعالى هذه الاشارات الثلاث وهي السما والارض والنفس والسما والجواب ان الاستدلال
على الغايب لا يمكن الا بالشاهد والشاهد ليس الا العالم الجسماني وهو قسمان بسيط ومركب والبسيط
قسمان العلوية واليه الاشارة بقوله تعالى والسما والسفلية واليه الاشارة بقوله تعالى
والمركب وهو اقسام اشرفها ذوات الانفس واليه الاشارة بقوله تعالى ونفس وما سواها اما
قوله تعالى والارض وما طحاها ففيه مسئلتان المسئلة الاولى انما اخر هذا عن قوله تعالى
والسما وما بناها لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها الثانيه قال الليث الطحو كالدحو وهو
البسيط وابدال الطا من الدال جايز والمعنى وسعها قال عطا والكلبي بسطها على الماء اما قوله
تعالى ونفس وما سواها اذا حملنا النفس على الجسد فتسويتها اعطاؤها القوى الكثيرة كالقوة السامعة
والباصرة والمخيلة والمفكرة والمذكرة على ما يشهد به علم النفس فان قيل لم نكر النفس قلنا فيه وجهان
احدهما ان يريد به نفسا خاصة من بين النفوس وهي النفس القدسية النبوية وذلك لان كل
كثرة فلابد فيها من واحد يكون هو الرئيس فالمركبات جنس تحته انواع ورئيسها الحيوان والحيوان
جنس تحته انواع ورئيسها الانسان والانسان انواع واصناف ورئيسها النبي والانبياء كانوا كثيرين
فلابد وان يكون هناك واحد يكون هو الرئيس المطلق فقوله تعالى ونفس اشارة الى تلك النفس التي هي
رئيسة لعالم المركبات رياسة بالذات والثاني ان يريد كل نفس ويكون المراد من التنكير على الوجه
المذكور في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وذلك لان الحيوان انواع لا يحصي عددها الا الله تعالى
على ما قال في بعض ذكر الحيوانات ويخلق ما لا تعلمون ولكل نوع نفس مخصوصة متميزة عن سائرها بالفصل
المقوم لماهيته والخواص اللازمة لذلك الفصل فمن الذي يحيط عقله من خواص نفس البق والبعوض فضلا
عن التوغل في بحار اسرار الله تعالى اما قوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها فالمعنى المحصل منه وجهان
الهامها واعقالها وان احدهما حسن والاخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما وهو كقوله تعالى
وهديناه النجدين وهذا التاويل يطابق لمذهب المعتزلة قالوا ويدل عليه قوله تعالى بعد ذلك
قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها وهذا الوجه مروي عن ابن عباس وعن جمع من اكابر المفسرين
والوجه الثاني انه تعالى الهم المومن المتقي تقواه والهم الكافر فجوره قال سعيد بن جبير
الزمها فجورها وتقواها وقال ابن زيد جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها
للفجور واختيار الزجاج والواحدي ذلك قال الواحدي التعليم والتعريف والتبيين غير الالهام فان
الالهام هو ان يوقع الله تعالى في قلب العبد شيا واذا اوقع في قلبه شيا فقد الزمه اياه واصل
معنى الالهام من قولهم الهمه الشي والتهمه اذا ابتلعه والهمته ذلك الشي اي ابلعته هذا هو الاصل
ثم استعمل ذلك فيما يقذفه الله تعالى في قلب العبد لانه كالابلاع فالتفسير الموافق لهذا الاصل
قول ابن زيد وهو صريح في ان الله تعالى خلق في المومن تقواه وفي الكافر فجوره واما التمسك
بقوله تعالى قد افلح من زكاها فضعيف لان المروي عن سعيد بن جبير وعطا وعكرمة ومقاتل
والكلبي ان المعنى قد افلحت وسعدت نفس زكاها الله تعالى واصلحها وطهرها والمعنى وفقها
للطاعة هذا اخر كلام الواحدي وهو تام واقول قد ذكرنا ان الايات الثلاث ذكرت للدلالة
على كونه سبحانه وتعالى مدبرا للاجسام العلوية والسفلية البسيطة والمركبة فههنا
لم يبق شي مما في عالم المحسوسات الا وقد ثبت مقتضى ذلك التنبيه انه واقع بتخليقه وتدبيره
بقي شي يختلج في القلب انه هل هو بقضائه وقدره وهو الافعال الحيوانية الاختيارية فنبه سبحانه وتعالى
بقوله فالهمها فجورها وتقواها على ان ذلك ايضا منه وبه وبقضائه وقدره وحينئذ يثبت
ان كل ما سوى الله تعالى فهو واقع بقضائه وقدره وداخل تحت ايجاده وقدرته وحينئذ الذي يدل
عقلا على ان المراد من قوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها هو الخذلان والتوفيق ما ذكرنا مرارا
ان الافعال الاختيارية موقوفة على حصول الاختيارات فحصولها ان كان لا عن فاعل فقد استغنى المحدث





عن الفاعل وفيه نفي الصانع وان كان عن فاعل هو العبد لزم التسلسل وان كان عن الله تعالى فهو المقصود وايضا
فليجرب العاقل نفسه فان كان الانسان غافلا عن شي فيقع صورته في قلبه رغبة ويترتب على وقوع تلك
الصورة في القلب ميل اليه ويترتب على ذلك الميل حركة الاعضاء وصدور الفعل وذلك يفيد القطع فان
المراد من قوله تعالى فالهمها ما ذكرناه لا ما ذكره المعتزلة اما قوله تعالى قد افلح من زكيها فاعلم ان
التزكية عبارة عن التطهير او عن الانماء وفي الاية قولان احدهما انه قد ادرك مطلوبه من زكى
نفسه بان طهرها من الذنوب بفعل الطاعة ومجانبة المعصية والثاني قد افلح من زكاها الله قال
القاضي هذا التاويل وقال المراد منه ان الله تعالى قد حكم بتزكيتها وسماها بذلك كما يقال في العرف
ان فلانا يزكي فلانا ثم قال والاول اقرب لان ذكر النفس قد تقدم ظاهرا فرد الضمير عليه اولى من رده
على ما هو في حكم الذكر انه مذكور واعلم انا قد بينا بالبرهان القاطع ان المراد فالهمها ما ذكرناه
فوجب حمل اللفظ عليه واما قوله بان هذا محمول على الحكم والتسمية فهو ضعيف لان بناء التفعيلات
على التكوين ثم ان سلمنا ذلك لكن ما حكم به ممتنع تغيره لان تغير المحكوم به يستلزم تغير الحكم من الصدق
الى الكذب وتغير العلم الى الجهل وذلك محال والمفضي الى المحال محال اما قوله ذكر النفس قد تقدم قلنا هذا
بالعكس اولى فان اهل اللغة اتفقوا على عود الضمير الى الاقرب اولى من عوده الى الابعد وقوله تعالى فالهمها
اقرب الى قوله تعالى ونفس كان الترجيح بما ذكرناه ومما يؤكد هذا التاويل ما رواه الواحدي في البسيط عن
سعيد بن ابي هلال انه عليه السلام كان اذا قرا قد افلح من زكاها وقف ثم قال اللهم ات نفسي
تقواها انت وليها ومولاها وزكها انت خير من زكاها اما قوله تعالى وقد خاب من دساها فقالوا
دساها اصله دسسها من التدسيس وهو اخفاء الشي في الشي فابدلت احدى السينات يا فاصل
دسى دسس كما ان اصل تقضى البازي تقضض البازي وكما قالوا لبيت والاصل لببت وملى وملت
والاصل مللت ثم نقول اما المعتزلة فذكروا وجوها يوافق قولهم احدها ان اهل الصلاح يظهرون
انفسهم واهل الفسق يخفون انفسهم ويدسونها في المواضع الخفية كما ان اجواد العرب ينزلون الربى
حتى تشتهر اماكنهم ويقصدهم المحتاجون ويوقدون النار بالليل للطارق واما اللئام فانهم يخفون
اماكنهم عن الطالبين وثانيها خاب من دساها اي من دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم
وثالثها من دساها في المعاصي حتى انغمس فيها ورابعها من دساها دس في نفسه الفجور وذلك
بسبب مواظبته عليها ومجالسته مع اهلها وخامسها ان من اعرض عن الطاعات واشتغل بالمعاصي
صار خاملا متروكا منسيا وصار كالشي المدسوس في الاختفاء والخمول واما اصحابنا فقالوا المعنى
خابت وخسرت نفس اضلها الله تعالى واغواها واخزاها وابطلها واهلكها هذه الفاظهم
في تفسير دساها قال الواحدي فكانه سبحانه وتعالى اقسم باشرف مخلوقاته على فلاح من طهره
وخسارة من خذله حتى لا يظن احد انه هو الذي يتولى تطهير نفسه واهلاكها بالمعصية
من غير قدر متقدم وقضاء سابق اما قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها قال الفراء الطغيان
والطغوى مصدران الا ان الطغوى اشبه برؤوس الايات فاختير لذلك وهو كالدعوى من الدعاء
وفي التفسير وجهان احدهما انها فعلت التكذيب كما تقول ظلمني بجراته والمعنى ان طغيانهم
حملهم على التكذيب به هذا هو القول المشهور والثاني ان الطغوى اسم لعذابهم الذي اهلكوا به
والمعنى كذبت بعذابها اي لم يصدقوا رسولهم فيما انذرهم من العذاب وهذا لا يبعد لان معنى
الطغيان في اللغة مجاوزة القدر فيجوز ان يسمى العذاب الذي جاءهم طغوى لانها كانت صيحة مجاوزة
بالقدر المعتاد او يكون التقدير كذبت بما اوعدت به من العذاب ذي الطغوى ويدل على هذا التاويل
قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة اي بالعذاب الذي حل بها ثم قال تعالى فاما ثمود فاهلكوا
بالطاغية فسمى ما اهلكوا به من العذاب بالطاغية اما قوله تعالى اذ انبعث اشقاها وهو عاقر
الناقة وفيه قولان الاول انه شخص معين واسمه قدار بن سالف ويضرب به المثل فيقال
اشام من قدار وهو اشقى الاولين بفتوى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني يجوز
ان يكونوا جماعة وانما جا على لفظ الواحد لتسوية افعل التفضيل في اضافته بين الواحد
والجمع والمذكر والمونث تقول هذا افضل الناس وهؤلاء افضلهم وهذا يتاكد بقوله
تعالى فكذبوه فعقروها وكان يجوز ان تقول اشقوها كما تقول افاضلهم اما قوله تعالى
فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها وفيه مسايل المسئلة الاولى المراد من الرسول
صالح عليه السلام ناقة الله اي انه اشار اليها لما هموا بعقرها وبلغه ما عزموا عليه فقال لهم
هي ناقة الله وايته الدالة على التوحيد وعلى نبوتي فاحذروا ان تقدموا عليها بسوء واحذروا

ايضا ان يمنعوها من سقيها وقد بينا في مواضع من هذا الكتاب انه كان لها شرب يوم معلوم ولهم
ولمواشيهم شرب يوم كله وكانوا يستضرون بذلك في امر مواشيهم فهموا بعقرها فكان صالح عليه السلام
يحذرهم حالا بعد حال من حال ينزل بهم ان اقدموا على ذلك فكانت هذه الحالة مصورة في نفوسهم
فاقتصروا على ان قال لهم ناقة الله وسقياها لان هذه الاشارة كافية مع الامور المتقدمة
التي ذكرناها الثانية ناقة الله نصب على التحذير كقوله الاسد الاسد والصبر الصبر باضمار ذروا
عقرها واحذروا سقيها فلا تمنعوها عنه ولا تستاثروا عليها به ثم بين تعالى ان القوم لم يمتنعوا
عن تكذيب صالح وعن عقر الناقة بسبب العذاب الذي لا يحذرهم الله منه وهو المراد بقوله تعالى
فكذبوه فعقروها فاضاف الفعل الى الجماعة لرضاهم بما فعل ذلك الواحد قال قتادة ذكر لنا انه ابى
ان يعقرها حتى بايعه صغيرهم وكبيرهم وهو قول اكثر المفسرين ذكرهم وانثاهم وقال الفرا قيل انهما كانا
اثنين اما قوله تعالى فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها فاعلم ان في الدمدمة وجوها احدها
قال الزجاج معنى دمدم اطبق عليهم العذاب ويقال ناقة الله مدمدمة اي قد البسها الشحم فاذا كررت
الاطباق قلت دمدمت عليه قال الواحدي الدم في اللغة اللطخ ويقال للشيء السمين كانه دم بالشحم
دما فجعل الزجاج دمدم من هذا الحرف على التضعيف نحو كبكبوا وبابه فعلى هذا معنى دمدم عليهم اطبق
عليهم العذاب وعم كالشيء الذي يلطخ به من جميع الجوانب الوجه الثاني تقول للشيء يدفن دمدمت عليه
اي سويت عليه فيجوز ان يكون بمعنى دمدم عليهم سوى الارض بان هلكهم فجعلهم تحت التراب الوجه الثالث
قال الانباري دمدم غضب والدمدمة الكلام الذي يزعج الرجل ورابعها دمدم عليهم ارجف الارض
بهم رواه ثعلب عن ابن الاعرابي وهو قول الفرا اما قوله تعالى فسواها يحتمل وجهين احدهما وذلك
لانا ان فسرنا الدمدمة بالمعنى فسوى الدمدمة عليهم وعمهم بذلك وذلك لان اهلاكهم
كان بصيحة جبريل عليه السلام وتلك الصيحة اهلكتهم جميعا فاستوت على صغيرهم وكبيرهم
وان فسرناها بالتسوية كان المراد فسوى عليهم الارض اما قوله تعالى ولا يخاف عقباها ففيه وجوه اولها
انه كناية عن الرب تعالى ثم هو اقرب المذكورات ثم اختلفوا فقال بعضهم لا يخاف تبعة في العاقبة
اي العقبى والعاقبة سوا ثم كانه تعالى بين انه تعالى يفعل ذلك بحق وكل من فعل من يكون حكمة
وحقا فانه لا يخاف عاقبة فعله وقال بعضهم ذكر ذلك لا على وجه التحقيق بل على وجه التحقير لهذا
الفعل اي هو اهون من ان يخشى فيه عاقبة والله تعالى يجل ان يوصف بذلك ومنهم من قال المراد منه
التنبيه على انه بالغ في التعذيب فانه كل ملك يخشى عاقبته فانه يبقي بعض الابقا والله تعالى
لما لم يخش شيئا من العواقب لا جرم ما ابقى شيئا وثانيها انه كناية عن صالح الذي هو الرسول عليه
السلام اي ولا يخاف صالح عقبى هذا العذاب الذي نزل بهم وذلك كالوعد لنصرته ودفع المكاره عنه
لو حاول محاول ان يؤذيه لاجل ذلك وثالثها ان المراد ان ذلك الاشقى الذي هو فيما اقدم
من عقر الناقة لا يخاف عقباها وهذا العذاب الذي نزل بهم وهذه الاية وان كانت متاخرة
لكنها على هذا التفسير في حكم المتقدم كانه قال اذ انبعث اشقاها ولا يخاف عقباها والمراد بذلك انه اقدم
على عقرها وهو كالامن من نزول الهلاك به وبقومه ففعل هذا مع الخوف الشديد فعل من لا يخاف البتة في ذلك الى الجهل
والحمق وفي قراة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يخف وفي مصاحف اهل المدينة والشام ولا يخاف والله اعلم روي ان صالحا
لما وعدهم العذاب بعد ثلاث قال التسعة الذين عقروا الناقة هلموا فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا
وان كان كاذبا الحقناه بناقته فاتوه ليلا ليبيتوه فدمغتهم الملائكة بالحجارة فقالوا لصالح انت قتلتهم ثم هموا فقامت
عشيرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا والله قد وعدكم ان العذاب نازل بكم في ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم
غضبا عليكم وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنه تلك الليلة فاصبحت وجوههم مصفرة
فايقنوا بالعذاب وطلبوا صالحا ليقتلوه فهرب صالح فالتجا الى سيد بعض بطون ثمود وكان مشركا فغيبه عنهم
فلم يقدروا عليه ثم شغلهم عنه فانزل الله تعالى بهم العذاب فهذا معنى قوله تعالى ولا يخاف عقباها قال القفال
رحمه الله تعالى هذه السورة نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وانفاقه على المسلمين وفي امية بن خلف وبخله وكفره
بالله الا انها وان كانت لذلك لكن معانيها عامة للناس الا ترى ان الله تعالى قال ان سعيكم لشتى وقال تعالى
فانذرتكم نارا تلظى ويروى عن علي انه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدنا حوله فقال ما منكم نفس
منفوسة الا وقد علم مكانها من الجنة والنار فقلنا يا رسول الله افلا نتكل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له
اما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى فبان بهذا الحديث عموم هذه السورة والله تعالى اعلم بالصواب





**والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى ان سعيكم لشتى فاما من
اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى** واعلم انه اقسم بالليل الذي ياوي فيه
كل حيوان الى ماواه ويسكن الخلق عن الاضطراب ويغشاهم النوم الذي جعله الله تعالى
راحة لابدانهم وغذاء لارواحهم ثم اقسم بالنهار اذا تجلى لان النهار اذا جاء انكشف
بضوئه ما كان من الدنيا من الظلمة وجاء الوقت الذي يتحرك فيه الناس لمعاشهم وتتحرك الطير من
اوكارها والهوام من مكامنها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لبطلت
الراحة لكن المصلحة كانت في تعاقبهما على ما قال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة وقوله تعالى
وسخر لكم الليل والنهار اما قوله تعالى والليل اذا يغشى فاعلم انه تعالى لم يذكر مفعول يغشى فهو اما الشمس
من قوله تعالى والليل اذا يغشاها واما النهار من قوله تعالى يغشي الليل النهار واما كل شيء يواريه بظلامه
من قوله تعالى اذا وقب واما قوله تعالى والنهار اذا تجلى اي ظهر بزوال ظلمة الليل او ظهر وانكشف بطلوع
الشمس وهو قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى ففيه مسائل **المسئلة الاولى** في تفسيرهما وجوه احدها
اي القادر العظيم الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وثانيها آدم وحوا وثالثها اي وخلقه
الذكر والانثى وثالثها ما بمعنى من اي ومن خلق الذكر والانثى **الثانية** قرا النبي صلى الله عليه وسلم
والذكر والانثى وقرا ابن مسعود والذي خلق الذكر والانثى وعن الكسائي وما خلق الذكر والانثى بالجر
ووجهه ان يكون معنى وما خلق اي وما خلقه الله اي ومخلوق الله تعالى ثم يجعل الذكر والانثى بدلا منه
اي ومخلوق الله الذكر والانثى وجاز اضمار اسم الله لانه معلوم لانه لا خالق الا هو
**الثالثة** القسم بالذكر والانثى يتناول القسم بجميع ذوي الارواح الذين هم اشرف المخلوقات لان كل حيوان
فهو اما ذكر او انثى والخنثى في نفسه لابد وان يكون اما ذكرا او انثى بدليل انه لو حلف بالطلاق انه لم يلق
في هذا اليوم ذكرا ولا انثى وكان قد لقي خنثى فانه يحنث في يمينه وقوله تعالى ان سعيكم لشتى هذا جواب
القسم فاقسم تعالى بهذه الاشياء ان اعمال عباده لشتى اي مختلفة في الجزاء وشتى جمع شتيت مثل مرضى ومريض
وانما قيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه وبعضه ضلال وبعضه هدى فبعضه يوجب الجنان وبعضه
يوجب النيران وشتان ما بينهما ويقرب من هذه الاية قوله تعالى لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة
وقوله تعالى افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون وقال تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات
ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال تعالى ولا الظل ولا الحرور
قال المفسرون نزلت هذه الاية في ابي بكر وابي سفيان ثم انه سبحانه وتعالى بين معنى اختلاف الاعمال
فيما قلناه من العاقبة المحمودة والمذمومة والثواب والعقاب فقال تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى وفي قوله تعالى اعطى وجهان احدهما ان يكون المراد انفاق المال في جميع وجوه الخير من عتق الرقاب
وفك الاسارى وتقوية المسلمين على عدوهم كما كان يفعله ابو بكر سواء كان ذلك واجبا او نفلا واطلاق
هذا كالاطلاق في قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون فان المراد منه كل ما كان انفاقا في سبيل الله تعالى
سواء كان واجبا او نفلا وقد مدح الله تعالى قوما فقال تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما
واسيرا وقال في اخر هذه السورة وسيجنبها الاتقى الذي يوتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى
الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى وثانيها ان قوله تعالى اعطى يتناول اعطاء حقوق المال واعطاء
حقوق النفس وطاعة الله تعالى يقال فلان اعطى الطاعة واعطى البيعة وقوله تعالى واتقى فهو اشارة
الى الاحتراز عن كل ما لا ينبغي وقد ذكرنا انه هدى بشرطه كونه متقيا ان يكون محترزا عن الصغاير
ام لا ذكرنا في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقوله تعالى وصدق بالحسنى فيها وجوه احدها انه
قول لا اله الا الله والمعنى فاما من اعطى واتقى وصدق بالتوحيد والنبوة حصلت له الحسنى وذلك
انه لا ينفع مع الكفر اعطاء مال ولا اتقاء محارم وهو كقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما الى قوله
تعالى ثم كان من الذين امنوا وثانيها الحسنى عبارة عما يرضي الله تعالى من العبادات على الابدان
وفي الاموال كانه قيل اعطى في سبيل الله واتقى المحارم وصدق بالشرايع فعلم انه تعالى لم يشرعها الا لما فيها
من وجوه الصلاح والحسن وثالثها هو الخلف الذي وعده الله تعالى في قوله تعالى وما انفقتم من شيء
فهو يخلفه وهو خير الرازقين والمعنى اعطى من ماله في طاعة الله تعالى مصدقا بما وعد من الخلف
بالحسنى وذلك انه قال تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله وكان الخلف لما كان زايدا صح اطلاق
لفظ الحسنى فيه وعلى هذا المعنى وكذب بالحسنى اي لم يصدق بالخلف فبخل بماله لسوء ظنه بالمعبود
كما قال بعضهم منع الموجود سوء الظن بالمعبود وروي عن ابي الدرداء انه قال ما من يوم غربت فيه شمس
الا وملكان يناديان يسمعه خلق كلهم الا الثقلين اللهم اعط كل منفق خلفا واعط ممسكا تلفا

ورابعها ان الحسنى هي الثواب وقيل انه الجنة والمعنى واحد قال قتادة صدق بموعود الله فعمل لذلك الموعود قال
القفال وفي الجملة ان الحسنى لفظة تسع كل خصلة حسنة قال الله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين يعني النصر
والشهادة وقال تعالى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا فسمى مضاعفة الاجر حسنى وقال تعالى ان لي عنده للحسنى
واما قوله تعالى فسنيسره لليسرى ففيه مسايل **المسألة الاولى** في تفسير هذه اللفظة وجوه احدها انها الجنة
وثانيها انها الخير وقالوا في العسرى انها الشر وثالثها المراد منه ان يسهل عليه كل ما كلف به من الافعال
والتروك والمراد من العسرى تعسير كل ذلك عليه ورابعها العسرى هي العود الى الطاعة التي اتى بها اولا
فكانه قال فسنيسره لانه يعود الى الاعطا في سبيل الله تعالى وقالوا في اليسرى ضد ذلك اي نيسره لان
يعود الى البخل والامتناع من اداء الحقوق المالية قال القفال ولكل هذه الوجوه مجاز من اللغة وذلك
ان الاعمال بالعواقب فكلما ادت عاقبته الى خير وراحة وامور محمودة فان ذلك من اليسرى وذلك
وصف كل الطاعات وكلما ادت عاقبته الى عسر وتعب وذلك وصف كل المعاصي **المسألة الثانية**
في لفظ اليسرى ولفظ العسرى ان كان جماعة الاعمال فوجه التانيث ظاهر وان كان المراد عملا واحدا
رجع التانيث الى الخلة او الى الفعلة وعلى هذا من جعل اليسرى هو تيسير العودة الى ما فعله الانسان
من الطاعة رجع التانيث الى العودة فكانه قال فسنيسره العودة التي هي كذا وثانيها ان يرجع
التانيث الى الطريقة فكانه قال للطريقة اليسرى والعسرى وثالثها ان العبادات امور شاقة
على البدن فاذا علم المكلف انها تفضي الى الجنة سهلت تلك الافعال الشاقة عليه بسبب توقعه
للجنة فسمى الله تعالى الجنة يسرى ثم علل حصول اليسر في اداء الطاعات بهذه اليسرى وقوله تعالى
فسنيسره للعسرى بالضد من ذلك **المسألة الثالثة** في معنى التيسير للعسرى ولليسرى وجوه وذلك
لان من يسر للعسرى الجنة فيسر لليسرى بهذه اليسرى وقوله تعالى فسنيسره للعسرى بالضد من ذلك وادخال
الله اياهم في الجنة بسهولة اكرام على ما اخبر الله تعالى عنه بقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل
باب سلام عليكم وقوله تعالى طبتم فادخلوها خالدين وقوله تعالى سلام عليكم بما صبرتم فنعم
عقبى الدار فاما من يسر لليسرى باعمال الخير فالتيسير ظاهر سهلها على من اراد حتى لا تعتريه من
الثقل ما يعتري المرائين والمنافقين من الكسل قال الله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال
تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وقال تعالى ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم
الى الارض فكان اليسر هو البسط **المسألة الرابعة** استدل الاصحاب بهذه الاية على صحة قولهم
في التوفيق والخذلان فقالوا ان قوله تعالى فسنيسره لليسرى يدل على انه خص المؤمن بهذا التوفيق
وهو انه يجعل الطاعة بالنسبة اليه ارجح اليه من المعصية وقوله تعالى فسنيسره للعسرى يدل على
انه تعالى خص الكافر بهذا الخذلان وهو انه تعالى جعل المعصية بالنسبة اليه ارجح من الطاعة
واذا دلت الاية على حصول الرجحان لزم القول بالوجوب لانه لا واسطة بين الفعل والترك
ومعلوم ان حال الاستوا يمنع الرجحان فحال المرجوحية اولى بالامتناع واذا امتنع احد الطرفين
وجب حصول الطرف الاخر ضرورة انه لا خروج عن طرفي النقيض اجاب القفال عن وجه التمسك
بالاية من وجوه احدها ان تسمية احد الضدين باسم الاخر مجاز مشهور قال تعالى وجزاء سيئة سيئة
مثلها وقال تعالى فبشرهم بعذاب اليم فلما سمى تعالى فعل الالطاف الداعية الى الطاعة تيسيرا
لليسرى سمى ترك هذه الالطاف تيسيرا للعسرى وثانيها ان يكون ذلك على جهة اضافة الفعل
الى المسبب له دون الفاعل كما قيل في الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس وثالثها ان يكون ذلك
على سبيل الحكم به والاخبار عنه والجواب عن الكل انه عدول عن الظاهر وذلك غير جايز لا سيما اذا
بينا ان الظاهر من جانبنا متاكد بالعقلي القاطع ثم ان اصحابنا اكدوا ظاهر هذه الاية بما روي عن علي
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من نفس منفوسة الا وقد علم مكانها من الجنة
والنار قلنا افلا نتكل قال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له اجاب القفال عنه بان الناس كلهم خلقوا
ليعبدوا الله تعالى كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون **واعلم** ان هذا ضعيف
لانه صلى الله عليه وسلم انما ذكر هذا جوابا عن سؤالهم بمعنى اعملوا فكل ميسر لما وافق معلوم
الله تعالى وهذا يدل على قولنا ان ما قدره الله تعالى على العبد وعلمه منه فانه ممتنع التغيير
**المسألة الخامسة** في دخول السين في قوله تعالى فسنيسره وجوه احدها انه على سبيل الترفيق
والتلطيف وهو انه من الله تعالى قطع ويقين كما في قوله تعالى اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين
من قبلكم لعلكم تتقون وثانيها ان يحمل ذلك على ان المطيع قد يصير عاصيا والعاصي قد يصير
بالتوبة مطيعا فلهذا السبب كان التغيير فيه محال وثالثها ان الثواب لما كان اكثره واقعا في الاخرة

وكان



وكان ذلك مما ياتي وقته ولا يقف على وقته احدا الا الله تعالى لا جرم دخله تراخي فادخلت السين
لانها حرف التراخي ليدل بذلك على ان الوعد آجل غير حاضر اما قوله تعالى وما يغني عنه ماله اذا تردى
فاعلم ان ما ههنا يحتمل ان تكون استفهاما بمعنى الانكار ويحتمل ان تكون نفيا واما تردى ففيه وجهان
الاول ان يكون ذلك ماخوذا من قولك تردى من الجبل قال تعالى والمتردية والنطيحة فيكون المعنى
تردى في الحفرة اذا قبر وتردى في قعر جهنم وتقدير الاية اما اذا يسرناه للعسرى وهي النار تردى في
جهنم فماذا يغني عنه ماله اذا تخلى به وتركه لوارثه ولم تصحبه معه الى اخرته التي هي موضع فقره
وحاجته لشيء كما قال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وقال
تعالى ونرثه ما يقول ويأتينا فردا اخبر ان الذي ينتفع الانسان به ما هو قاله الذي يقدمه الانسان من اعمال البر
واعطاء الاموال في حقوقها دون المال الذي يخلفه لورثته الثاني ان تردى تفعل من التردي وهو الهلاك يريد الموت
اما قوله تعالى ان علينا للهدى فاعلم انه تعالى لما عرفهم ان سعيهم لشتى في العواقب وبين ما للمحسنين من اليسرى
وللمسيئين من العسرى اخبرهم انه قد قضى ما عليه من البيان والدلالة والترغيب والترهيب والارشاد والهداية فقال
تعالى ان علينا للهدى اي ان الذي يجب علينا في الحكمة اذا خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم وجوه التعبد وشرح
ما يكون المتعبد به مطيعا مما يكون به عاصيا اذ كنا انما خلقناهم لينفعهم ونرحمهم ونعوضهم النعيم المقيم
فقد فعلنا ما كان فعله واجبا علينا في الحكمة والمعتزلة احتجوا بهذه الاية على صحة مذهبهم في مسايل
احدها انه تعالى ازاح الاعذار وما كلف المكلف الا ما في وسعه وطاقته فثبت انه تعالى لا يكلف بما لا يطاق
وثانيها ان كلمة على للوجوب فدل على انه يجب للعبد على الله تعالى شيء وثالثها انه لو لم يكن العبد مستقلا
بالايجاد لما كان في وضع الدلايل فايدة واجوبة اصحابنا على امثال الوجوه مشهورة وذكر الواحدي
وجها اخر ونقله عن الفرا قال المعنى ان علينا للهدى والاضلال فترك الاضلال كما قال تعالى سرابيل
تقيكم الحر وهي تقي الحر والبرد وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطا قال يريد ارشد اوليائي الى العمل بطاعتي
واحول بين اعدائي ان يعملوا بطاعتي فذكر معنى الاضلال قالت المعتزلة هذا التاويل ساقط لقوله تعالى
وعلى الله قصد السبيل ومنها جاير فبين ان قصد السبيل على الله تعالى وما جور السبيل فبين انه ليس
على الله تعالى ولا منه واعلم ان الاستقصاء قد سبق في تلك الاية واما قوله تعالى وان لنا للاخرة والاولى
ففيه وجهان الاول كل ما في الدنيا والاخرة فليس يعتريها تحكم الاهتدا بهدانا ولا يزيد في ملكنا اهتداؤكم
بل نفع ذلك وضره عايدان عليكم ولو شينا لمنعناكم من المعاصي قهرا اذ لنا الدنيا والاخرة ولكنا لا نمنعكم
من هذا الوجه لان هذا الوجه يخل بالتكليف بل نمنعكم بالبيان والتعريف والوعد والوعيد الثاني
ان لنا ملك الدارين نعطي ما نشاء من نشاء فليطلب سعادة الدارين منا والاول وفق لقول المعتزلة
والثاني اوفق لقولنا اما قوله تعالى فانذرتكم نارا تلظى اي تتوقد وتلتهب وتتوهج يقال تلظت النار
تلظيا ومنه سميت جهنم لظى ثم بين انها لمن هي بقوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى قال ابن عباس
رضي الله عنه نزلت في امية بن خلف وامثاله الذين كذبوا محمدا والانبياء قبله وقيل ان الاشقى بمعنى
الشقي كما يقال لست فيها باوحد اي بواحد والمعنى لا يدخلها الا الكافر **واعلم** ان المرجئة يتمسكون
بهذه الاية في انه لا وعيد الا للكافر قال القاضي ولا يمكن اجراء هذه الاية على ظاهرها ويدل على ذلك
ثلاثة اوجه احدها انه يقتضي ان لا يدخل النار الا الاشقى الذي كذب وتولى فوجب في الكافر الذي لم يكذب
ولم يتول ان لا يدخل النار وثانيها ان هذا اغراء بالمعاصي لانه بمنزلة ان يقول الله تعالى لمن صدق بالله
ورسوله ولم يكذب ولم يتول اي معصية اتى بها فلن تضرك وهذا يتجاوز حد الاغراء الى ان يصير
كالاباحة وتعالى الله عن ذلك وثالثها ان قوله تعالى من بعد وسيجنبها الاتقى يدل على ترك هذا الظاهر
لانه معلوم من حال الفاسق انه ليس بالتقي الذي ذكر مبالغة في التقوى ومن يرتكب عظايم الكباير لا يوصف
بانه اتقى فان كان الاول يدل على ان الفاسق لا يدخل النار فهذا الثاني يدل على ان الفاسق لا يجنب النار
وكل مكلف لا يجنب النار فلا بد وان يكون من اهلها ولما ثبت انه لا بد من التاويل فنقول فيه وجهان الاول
ان يكون المراد بقوله تعالى نارا تلظى نارا مخصوصة من النيران لانها دركات لقوله تعالى ان المنافقين في
الدرك الاسفل من النار فالاية تدل على ان تلك النار المخصوصة لا يصلاها الا هذا الاشقى ولا يدل على ان
الفساق وغير من هذه صفته من الكفار لا يدخل ساير النيران الثاني ان المراد بقوله تعالى نارا تلظى
النيران اجمع ويكون المراد بقوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى اي هذا الاشقى به احق ويكون هذه الزيادة
في الاستحقاق غير حاصلة الا لهذا الاشقى **واعلم** ان وجوه القاضي ضعيفة اما قوله اولا يلزم في غير هذا
الكافر ان لا يدخل النار فجوابه ان كل كافر لا بد وان يكون مكذبا للنبي في دعواه ويكون متوليا عن النظر
في دلالة صدق ذلك النبي فيصدق عليه انه اشقى من ساير العصاة وانه كذب وتولى واذا كان كل فرد

والاية الاية سقط ما قاله القاضي وأما قوله ثانيا ان هذا اغرا بالمعصية فضعيف ايضا لانه يكفي في الزجر عن المعصية
حصول الذم في العاجل وحصول غضب الله تعالى بمعنى انه لا يكرمه ولا يعطيه الثواب ولعله يعذبه بطريق اخر فلم يدل
دليل على انحصار طريق التعذيب في ادخال النار وأما قوله ثالثا وسيجنبها الاتقى وهذا لا يدل على حال غير الاتقى الا على
سبيل المفهوم والتمسك بدليل الخطاب وهو ينكر ذلك فكيف تمسك به والذي يؤكد هذا ان هذا يقتضي في من ليس بتقي دخول
النار فيلزم في الصبيان والمجانين ان يدخلوا النار وذلك باطل وأما قوله رابعا المراد منه نارا مخصوصة وهي النار التي تتلظى فيجوز
ايضا اما قوله تعالى نارا تلظى ان يكون ذلك صفة لكل النيران وان يكون صفة النار مخصوصة لكنه تعالى وصف كل نار جهنم بهذا
الوصف في اية اخرى فقال تعالى انها لظى نزاعة للشوى وأما قوله المراد هذا الاشقى احق به فضعيف لانه ترك الظاهر
من غير دليل فثبت ضعف الوجوه التي ذكرها القاضي فان قيل فما الجواب عنه على قولكم بانكم لا تقطعون بعدم وعيد الفساق
الجواب من وجهين الاول ما ذكره الواحدي وهو ان معنى لا يصلاها لا يلزمها في حقيقة اللغة يقال صلي
الكافر النار اذا لزمها ببردها وحرها وعندنا ان هذه الملازمة لا تثبت الا للكافر اما الفاسق فاما ان
لا يدخلها او ان يدخلها تخلص منها والثاني ان نخص عموم هذا الظاهر بالايات الدالة على وعيد الفساق
اما قوله تعالى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى يعني سيجنبها اي سيبعدها ويجعل منها على جانب
فيقال جنبته الشيء اي بعدته وجنبته عنه وفيه مسائل **المسألة الاولى** اجمع المفسرون منا على ان
المراد منه ابو بكر رضي الله عنه واعلم ان الشيعة باسرهم ينكرون هذه الرواية ويقولون انها نزلت
في حق علي بن ابي طالب رضي الله عنه والدليل عليه قوله تعالى ويؤتون الزكاة وهم راكعون فقوله
تعالى الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى اشارة الى ما في تلك الاية من قوله تعالى ويؤتون الزكاة وهم
راكعون ولما ذكر ذلك في محضري قلت اقيم الدلالة العقلية على ان المراد من هذه الاية ابو بكر رضي الله عنه
فهاتان المقدمتان متى صحتا صح المقصود انما قلنا ان المراد من هذا الاتقى افضل الخلق لقوله تعالى ان
اكرمكم عند الله اتقاكم والاكرم هو الافضل فدل على ان كل من كان اتقى وجب ان يكون افضل الخلق فان قيل الاية
دلت على ان كل من كان اتقى كان اكرم قلنا كون وصف الانسان اتقى معلوم مشاهد ووصف كونه افضل
غير معلوم ولا مشاهد والاخبار عن كون الاتقى عن المعلوم بغير المعلوم هو الطريق الحسن اما عكسه
فغير مفيد فتقديره كانه وقعت الشبهة في ان الاكرم عند الله تعالى من هو فقيل هو الاتقى واذا كان كذلك
كان التقدير اتقاكم اكرمكم عند الله فثبت ان الاتقى المذكور هاهنا لا بد وان يكون افضل الخلق عند الله تعالى
فنقول لا بد ان يكون المراد به ابو بكر رضي الله عنه لان الامة مجمعة على ان افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم اما ابو بكر واما علي ولا يمكن حمل الاية على علي بن ابي طالب رضي الله عنه فتعين حملها على ابي بكر
وانما قلنا انه لا يمكن حملها على علي بن ابي طالب رضي الله عنه لانه قال في صفة هذا الاتقى وما لاحد عنده
من نعمة تجزى فهذا الوصف لا يصدق على علي بن ابي طالب لانه كان في تربية النبي صلى الله عليه وسلم
لانه اخذه من ابيه فكان يطعمه ويسقيه ويربيه فكان الرسول عليه السلام منعما عليه نعمة يجب جزاؤها
اما ابو بكر رضي الله عنه فلم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم عليه نعمة دنيوية بل ابو بكر رضي الله عنه كان ينفق
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان للرسول عليه السلام عليه نعمة الهداية والارشاد الى الدين الا
ان هذه لا تجزى لقوله تعالى قل ما اسألكم عليه من اجر والمذكور هاهنا ليس مطلق النعمة بل نعمة تجزى
فعلمنا ان هذه الاية لا تصلح لعلي بن ابي طالب واذا ثبت ان المراد بهذه الاية من كان افضل الخلق وثبت
ان ذلك الافضل من الامة اما ابو بكر او علي وثبت ان الاية غير صالحة لعلي رضي الله عنه فتعين حملها
على ابي بكر رضي الله عنه وثبت دلالة الاية ايضا على ان ابا بكر رضي الله عنه افضل الامة واما الرواية فهو
انه كان بلال لعبد الله بن جدعان فسلخ على الاصنام فشكى اليه المشركون فعله فوهبه لهم ومائة من الابل
ينحرونها لالهتهم فاخذوه وجعلوا يعذبونه في الرمضاء وهو يقول احد احد فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ينجيك احد احد ثم اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان بلالا يعذب في الله فحمل ابو بكر رضي الله عنه
رطلا من ذهب فابتاعه به فقال المشركون ما فعل ذلك ابو بكر الا ليد كانت لبلال عنده فنزل قوله تعالى وما
لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى وقال ابن الزبير وهو على المنبر كان ابو بكر رضي الله عنه
يشتري الضعيف من العبيد فيعتقهم فقال له ابوه يا بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك فقال منع ظهري
اريد فنزلت هذه الاية **الثانية** قال صاحب الكشاف في محل يتزكى وجهان ان جعلته بدلا من يؤتي
فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلة لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير في يؤتي فمحله النصب
اما قوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى فيه مسائل **الاولى** ابتغاء وجه ربه مستثنى من غير
جنسه وهو النعمة اي ما لاحد عنده نعمة الا ابتغاء وجه ربه الاعلى كقوله ما في الدار احد الا حمارا وذكر الفراء فيه وجها اخر وهو
ان تضمر الانفاق على تقدير ما ينفق الا ابتغاء وجه ربه الاعلى والتقدير وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله **الثانية** انه تعالى بين

ان هذا



ان هذا الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى لا يؤتيه مكافاة على هدية او نعمة سابقة لان ذلك يجري مجرى
الدين فلا يكون له مدخل في استحقاق مزيد الثواب بل انما يستحق الثواب اذا فعله لاجل ان الله تعالى
امره به واوجبه الثالثة المجسمة تمسكوا بلفظ الوجه والملحدة بلفظ ربه الاعلى وان ذلك يقتضي
وجود رب اخر وقد تقدم الكلام على ذلك الرابعة ذكر القاضي ابو بكر الباقلاني في كتاب الامامة فقال
الاية الواردة في حق علي انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا
قمطريرا في حق ابي بكر رضي الله عنه الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى فدلت الايتان على ان كل واحد
منهما اكثر الخوف من يوم القيمة على ما قال تعالى انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا واما اية ابي بكر
فانها دلت على انه فعل لمحض وجه الله تعالى من غير ان يشوبه طمع فيما يرجع الى رغبة في ثواب او رهبة من عقاب
فكان مقام ابي بكر رضي الله عنه اعلى واجل الخامسة من الناس من قال ابتغاء وجه ربه الاعلى بمعنى ابتغاء
ذاته قال فلا بد وان يكون المراد ابتغاء ثوابه وكرامته ومن الناس من قال لا حاجة الى هذا الاضمار وحقيقة
هذه المسألة راجعة الى انه هل يمكن ان يحب العبد ذات الله والمراد من هذه المحبة محبة الثواب وكرامته وقد
تقدم الكلام في هذه المسألة في تفسير قوله تعالى والذين امنوا اشد حبا لله السادسة قرأ يحيى بن وثاب
الا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما في الدار احد الا حمار وانشد في اللغتين وبلدة ليس بها انيس
الا اليعافير والا العيس وقوله تعالى ولسوف يرضى فالمعنى انه وعد ابا بكر ان يرضيه في الاخرة بثوابه
وهو كقوله تعالى لرسوله ولسوف يرضى وقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وفيه عندي وجه اخر وهو ان المراد
ما اتقى الا لطلب رضوان الله ولسوف يرضى الله عنه وهذا عندي اعظم من الاول لان عليا رضي الله عنه
وبالجملة فلا بد من حصول الامرين على ما قال تعالى راضية مرضية
وانا على عزم ان اضم الى هذه السورة ما فيها من اللطايف الذكريه

ما يفعل م

والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك
فترضى الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى فاما اليتيم
فلا تقهر واما السائل فلا تنهر واما بنعمة ربك فحدث لاهل التفسير في قوله والضحى
وجهان احدهما ان المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها
وثانيها الضحى هو النهار كله بدليل انه جعل في مقابلة الليل كله واما قوله تعالى والليل اذا سجى فذكر
اهل اللغة في سجى ثلاثة اوجه متقاربة سكن واظلم وغطى اما الاول فقال ابو عبيدة والمبرد
والزجاج سجى اي سكن يقال ليلة ساجية اي ساكنة الريح وعين ساجية اي فاترة الطرف
وسجى البحر اذا سكنت امواجه ويقال في الدعا يا مالك البحر اذا البحر سجى واما الثاني وهو
تفسير سجى باظلم يقال سجى الليل تغطيه النهار مثل ما يسجى الرجل بالثوب واعلم ان اقوال
المفسرين غير خارجة من هذه الوجوه الثلاثة قال ابن عباس رضي الله عنه غطى الدنيا بالظلمة
وقال الحسن البس الناس ظلمة وقال ابن عباس رضي الله عنه في رواية سعيد بن جبير اذا اقبل
الليل غطى كل شيء وقال مجاهد وقتادة والسدي وابن زيد سكن بالناس وسكونه معنيان احدهما
سكون الناس فنسب اليه كما يقال ليل نايم ونهار صايم والثاني وهو ان سكونه عبارة عن
استقرار ظلامه واستوائه فلا يزداد بعد ذلك وهاهنا سؤالان **السؤال الاول**
ما الحكمة في انه تعالى في السورة الماضية قدم ذكر الليل وفي هذه السورة اخره قلنا فيه وجوه
احدها ان بالليل والنهار ينتظم مصالح المكلفين فالليل له فضيلة السبق لقوله تعالى وجعل الظلمات
والنور وللنهار فضيلة النور بل الليل كالدنيا والنهار كالاخرة فلما كان لكل واحد فضيلة ليست
للاخر لا جرم قدم هذا على ذاك تارة وذاك على هذا اخرى ونظيره انه تعالى قدم السجود على الركوع
في قوله تعالى اسجدي واركعي ثم قدم الركوع على السجود في قوله تعالى اركعوا واسجدوا وثانيها
انه تعالى قدم الليل على النهار في سورة ابي بكر رضي الله عنه لان ابا بكر رضي الله عنه سبقه كفر وهاهنا
قدم الضحى لان الرسول عليه السلام ما سبقه ذنب وثالثها سورة والليل سورة ابي بكر رضي الله عنه
وسورة والضحى سورة محمد صلى الله عليه وسلم ثم ما جعل بينهما واسطة ليعلم انه لا واسطة بين
محمد صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله عنه فاذا ذكرت الليل اولا وهو ابو بكر رضي الله عنه ثم صعدت وجدت
بعده النهار وهو محمد صلى الله عليه وسلم وان ذكرت الضحى اولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم ثم نزلت

وجدت بعده والليل وهو ابو بكر رضي الله عنه ليعلم انه لا واسطة بينهما الثاني ما الحكمة هاهنا بالحلف
بالليل والضحى فقط الجواب لوجوه احدها كانه تعالى يقول الزمان ساعة فساعة ليل وساعة نهار ثم تارة
تزداد ساعات الليل وتنقص ساعات النهار وبالعكس فلا تكون الزيادة لهوى ولا النقصان لقلى
بل للحكمة كذا الرسالة وانزال الوحي بحسب المصالح فمرة انزال ومرة حبس فلا كان الانزال عن هوى ولا كان
الحبس عن قلى وثانيها ان العالم لا يؤثر كلامه حتى يعمل به فلما امره الله تعالى بان البينة على المدعي واليمين
على من انكر لم يكن بد من ان يعمل به فالكفار لما ادعوا ان ربه ودعه وقلاه قال هاتوا الحجة فعجزوا فلزمه اليمين
بانه ما ودعه ربه وما قلاه وثالثها كانه تعالى يقول انظر الى جوار الليل مع النهار لا يسلم احدهما عن الاخر
بل الليل تارة يغلب وتارة يغلب فكيف تطمع ان تسلم عن الخلق الثالث لم خص وقت الضحى بالذكر الجواب فيه
وجوه احدها انه وقت اجتماع الناس وكمال الانس بعد الاستيحاش في زمان الليل فبشروه ان بعد استيحاشك
بسبب احتباس الوحي يظهر ضحى نزول الوحي وثانيها انها الساعة التي كلم فيها موسى ربه والقي فيها السحرة
سجدا فاكتسى الزمان صفة الفضيلة لكونها طرفا فكيف فاعل الطاعة وافاد ايضا ان الذي كرم موسى
عليه السلام لا يدع اكرامك والذي قلب قلوب السحرة فسجدوا يقلب قلوب اعدائك الرابع في انه ذكر الضحى
وهو ساعة من النهار وذكر الليل بكليته الجواب فيه وجوه احدها انه اشارة الى ان الساعة من النهار
توازي جميع الليل كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم اذا وزن يوازي جميع الانبياء عليهم السلام والثاني
ان النهار وقت السرور والراحة والليل وقت الوحشة والغم فهو اشارة الى ان هموم الدنيا ادوم
من سرورها فان الضحى ساعة والليل كذا ساعات يروى ان الله تعالى لما خلق العرش اظلت غمامة
سوداء عن يساره ونادت ماذا امطر فاجيبت ان امطري الهموم والاحزان مائة سنة ثم انكشفت
فامرت مرة اخرى بذلك وهكذا الى تمام ثلثمائة سنة ثم بعد ذلك اظلت عن يمين العرش غمامة بيضاء
ونادت ماذا امطر فاجيبت ان امطري السرور ساعة فلهذا السبب كانت الغموم والاحزان دائمة
والسرور قليلا ونادرا وثالثها ان وقت الضحى وقت حركة الناس وتعارفهم فصارت نظير وقت الحشر
والليل اذا سكن نظير سكون الناس في ظلمة القبور وكلاهما حكمة ونعمة لكن الفضيلة للحياة على الموت
ولما بعد الموت على ما قبله فلهذا السبب قدم ذكر الضحى على الليل ورابعها ذكر الضحى حتى لا يحصل اليأس
من روحه ثم عقبه بالليل حتى لا يحصل الامن من مكره الخامس هل احد من المفسرين فسر الضحى بوجه محمد صلى الله عليه وسلم
والليل بشعره والجواب نعم ولا استبعاد فيه ومنهم من زاد عليه وقال الضحى ذكور اهل بيته والليل
اناثهم ويحتمل ايضا الضحى رسالته والليل زمان احتباس الوحي لان في حال النزول حصل الاستئناس
وفي زمان الاحتباس حصل الاستيحاش ويحتمل والضحى نور علمه يعرف به المستور من الغيوب
والليل عفوه الذي يستر به جميع العيوب ويحتمل ان الضحى اقبال الاسلام بعد ان كان غريبا والليل
اشارة الى انه سيعود غريبا ويحتمل والضحى كمال العقل والليل حال الموت ويحتمل انه اقسم بعلانيتك
التي لا يرى الخلق عليها عيبا وبسرك الذي لا يعلم به الا عالم الغيب اما قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى
ففيه مسائل المسألة الاولى قال ابو عبيدة والمبرد ودعك من التوديع كما يودع المفارق وقرئ
بالتخفيف اي ما تركك والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك والقلى البغض
يقال قلاه يقليه قلى وقلاء اذا ابغضه قال الزجاج وما قلاك وفي حذف الكاف وجوه احدها حذفت
الكاف اكتفاء بالكاف الاولى في ودعك وكان رؤوس الايات بالياء فاوجب اتفاق الفواصل حذف الكاف
وثانيها فائدة الاطلاق انه ما قلاك ولا احدا من اصحابك ولا احدا ممن احبك الى قيام القيامة تقريرا
لقوله المرء مع من احب الثانية قال المفسرون ابطأ جبريل عليه السلام عن النبي صلى الله عليه فقال المشركون
قد قلاه الله وودعه فانزل الله تعالى عليه هذه الاية وقال السدي ابطأ عليه اربعين ليلة فشكى ذلك
الى خديجة رضي الله عنها فقالت لعل ربك ودعك وقلاك وقيل ان ام جميل امرأة ابي لهب قالت له يا محمد
ما ارى شيطانك الا قد تركك وروي عن الحسن انه قال ابطأ على الرسول الوحي فقال لخديجة ان ربي
ودعني وقلاني يشكو اليها فقالت كلا والذي بعثك بالحق ما ابتداك الله بهذه الكرامة الا وهو يريد
ان يتمها لك فنزل ما ودعك ربك وما قلى وطعن الاصوليون في هذه الرواية وقالوا انه لا يليق بالرسول
ان يظن ان الله تعالى ودعه وقلاه بل يعلم ان عزل النبي عن النبوة غير جائز في حكمة الله تعالى ويعلم ان نزول
الوحي بحسب المصلحة وربما كان الصلاح تأخيره وربما كان خلافه فثبت ان هذا الكلام غير لائق بالرسول
عليه السلام ثم ان صح ذلك يمكن ان يكون مقصوده عليه السلام التجربة ان يعرف قدر علمها او ليعرف الناس
قدر علمها ثم اختلفوا في قدر مدة انقطاع الوحي فقال ابن جريج اثنا عشر يوما وقال الكلبي خمسة عشر
يوما وقال ابن عباس رضي الله عنه خمسة وعشرون يوما وقال السدي ومقاتل اربعون يوما واختلفوا

في سبب



في سبب احتباس جبريل عليه السلام فذكر اكثر المفسرين ان اليهود سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما حبس عنه عن الوحي وقال ابن زيد السبب فيه كون جرو كلب في بيت الحسن والحسين رضي الله عنهما فلما
نزل جبريل عليه السلام عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا فيه كلب
ولا صورة وقال جندب بن سفيان رمي النبي صلى الله عليه وسلم بحجر في اصبعه فقال هل انت الا اصبع
دميت وفي سبيل الله ما لقيت فابطأ عنه الوحي وروي انه كان فيهم من لا يقلم الاظفار وهاهنا
سؤالان الاول الروايات التي ذكرتم تدل على ان احتباس الوحي كان عن قلى قلنا اقصى ما في الباب ان ذلك
كان تركا للافضل والاولى ان صاحبه لا يكون ممقوتا ولا مبغوضا وروي انه عليه السلام قال لجبريل عليه السلام
يا حبيبي قد اشتقت اليك فقال جبريل كنت اليك اشوق ولكني عبد مأمور وتلا قوله تعالى وما نتنزل
الا بامر ربك السؤال الثاني كيف يحسن من السلطان ان يقول لاعظم الخلق قربة عنده اني ما ابغضتك
تشريفا له الجواب ان ذلك لا يحسن ابتداء لكن الاعداء اذا القوا في الالسنة ان السلطان يبغضه ثم تأسف
القائل فلا لفظ اقرب الى تشريفه من ان يقول له اني لا ابغضك ولا ادعك وسوف ترى منزلتك
عندي الثالث هذه الواقعة تدل على ان القران من عند الله اذ لو كان من عنده لامتنع قوله وللاخرة خير
لك من الاولى واعلم ان في اتصاله بما تقدم وجوها احدها ان يكون المعنى ان انقطاع الوحي لا يجوز
ان يكون عزلا عن النبوة بل اقصى ما في الباب ان يكون ذلك لحصول الاستغناء وذلك امارة الموت فكانه
تعالى قال انقطاع الوحي ومتى حصل ذلك دل على الموت لكن الموت خير لك فان ما لك عند الله في الاخرة
ما هو افضل مما لك في الدنيا وثانيها لما نزل ما ودعك ربك حصل له بهذا تشريف عظيم فكانه تعالى
استعظم هذا التشريف فقيل له وللاخرة خير لك من الاولى اي هذا التشريف وان كان عظيما الا ان
ما لك عند الله في الاخرة خير واعظم وثالثها ما يخطر ببالي وهو ان يكون المعنى والاحوال الاتية خير لك
من الماضية كانه تعالى وعده بانه سيزيده كل يوم عزا الى عز ومنصبا الى منصب فيقول لا تظن اني قليتك
بل تكون كل يوم يأتي فاني ازيدك منصبا وجلالا وهاهنا سؤالان الاول باي طريق يعرف ان الاخرة
خير له وذلك لوجوه احدها كانه تعالى يقول له انك في الدنيا على خير لانك تفعل فيها ما تريد
ولكن الاخرة خير لك لانا نفعل فيها ما نريد وثانيها الاخرة يجتمع عندك امتك اذ الامة له كالاولاد
قال تعالى وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وامته في الجنة فيكون كانه في الجنة ثم سمى
الولد قرة عين لقوله تعالى هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين وثالثها الاخرة خير لك لانك
اشتريتها اما هذه فليست لك فعلى هذا التقدير لو كانت الاخرة اقل من الدنيا لكانت الاخرة
خيرا لك لان مملوكك خير لك مما لا يكون مملوكا لك فكيف ولا نسبة للاخرة الى الدنيا في الفضل ورابعها
قوله تعالى للاخرة خير لك من الاولى كان في الدنيا الكفار يطعنون فيك اما في الاخرة فاجعل امتك
شهداء على الامم واجعلك شهيدا على الانبياء ثم اجعل ذاتك شهيدا لك كما قال تعالى وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله
وخامسها ان خيرات الدنيا قليلة وخيرات الاخرة كثيرة خالصة دائمة السؤال الثاني لم قال وللاخرة
خير لك من الاولى ولم يقل خير لكم الجواب انه كان في جماعته من كانت الاخرة شرا له فلو انه سبحانه وتعالى
عممهم لكان كذبا ولو خص المطيعين بالذكر لافتضح المذنبون والمنافقون ولهذا السبب قال موسى
عليه السلام كلا ان معي ربي سيهدين واما محمد عليه السلام فالذي كان معه لما كان من اهل السعادة
قطعا لا جرم قال تعالى ان الله معنا اذ لم يكن ثمة الا نبي وصديق وروي ان موسى عليه السلام خرج الى
الاستسقاء ومعه الالوف ثلاثة ايام فلم يجدوا الاجابة فسأل موسى عليه السلام عن السبب الموجب
لعدم الاجابة فقال لا اجيبك ما دام معك ساع بالنميمة فقال موسى عليه السلام من هو فقال انا ابغضه فكيف
اعمل عمله فما مضت مدة قليلة حتى نزل الوحي بان ذلك النمام قد مات وهذه جنازته في مصلى كذا فذهب
موسى عليه السلام الى ذلك المصلى فاذا فيها سبعون من الجنائز فهذا ستره على اعدائه فكيف
على اوليائه ثم تأمل بيان ما فيه دقيقة لطيفة فانه عليه السلام قال لولا شيوخ ركع وفيه اشارة
الى فضيلة هذه الامة فانه تعالى كان يرد الالوف لذنب واحد ثم هاهنا يرحم المطيعين لمطيع واحد
اما قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى اعلم ان اتصاله بما تقدم من وجهين الاول هو انه تعالى
لما بين ان الاخرة خير له من الاولى ولكنه لم يبين ان ذلك التفاوت الى اي حد يكون فبين في هذه
الاية مقدار ذلك التفاوت وهو انه ينتهي الى الغاية ما يتمناه الرسول عليه السلام ويرتضيه
الوجه الثاني كانه تعالى لما قال وللاخرة خير لك من الاولى فقيل ولم قلت ان الامر كذلك فقال لانه
يعطيه كل ما يريده وذلك مما لا تتسع الدنيا له فثبت ان الاخرة خير له من الاولى واعلم
انا ان حملنا هذا الوعد على الاخرة فقد يمكن حمله على المنافع وقد يمكن حمله على التعظيم اما المنافع

فقال ابن عباس رضي الله عنه الف قصر من لولو ابيض ترابه المسك وفيها ما يليق بها واما التعظيم فالمروي عن علي بن ابي طالب
وابن عباس ان هذا هو الشفاعة في الامة يروى انه عليه السلام لما نزلت هذه الاية قال اذن لا ارضى وواحد من امتي
في النار واعلم ان الحمل على الشفاعة متعين ويدل عليه وجوه احدها انه تعالى امره في الدنيا فقال تعالى واستغفر لذنبك
وللمومنين والمومنات فامره بالاستغفار والاستغفار عبارة عن طلب المغفرة ومن طلب شيا فلا شك انه لا يريد الرد ولا يرضى
به وانما يرضى بالاجابة واذا ثبت ان الذي يرضاه الرسول هو الاجابة لا الرد نزلت هذه الاية على انه تعالى يعطيه
كل ما يرتضيه علمنا ان هذه الاية دالة على الشفاعة في حق المذنبين والثاني وهو ان تعديد الاية مناسب لذلك
كانه تعالى يقول لا اودعك ولا ابغضك على احد من اصحابك واتباعك واشياعك طلبا لمرضاتك وتطييبا لقلبك
فهذا التفسير اوفق لمقدمة الاية والثالث الاحاديث الكثيرة الواردة في الشفاعة دالة على ان رضى الرسول عليه السلام
من العفو عن المذنبين وهذه الاية دلت على انه تعالى يفعل كل ما يرتضيه الرسول عليه السلام فتحصل من مجموع الاية
والخبر حصول الشفاعة وعن جعفر الصادق ان لا يدخل النار موحد وعن الباقر اهل القران يقولون ارجى اية في القران
ولسوف يعطيك ربك فترضى والله انها الشفاعة ليعطيها في اهل لا اله الا الله حتى يقول رضيت هذا كله اذا
حملنا الاية على احوال الاخرة اما لو حملنا هذا الوعد على احوال الدنيا فكان اشارة لما اعطاه الله تعالى من الظفر باعدايه
يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين افواجا والغلبة على قريظة والنضير واجلايهم وبث عساكره
وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفايه الراشدين في اقطار الارض من المداين وتقدم ما يرد بهم من ممالك
الجبابرة والهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف في اهل الشرق والغرب من الرعب وهيبة الاسلام وفشو الدعوة واعلم
ان الاولى حمل الاية على خيرات الدنيا والاخرة وههنا سؤالات السؤال الاول لم لم يقل يعطيكم مع ان هذه السعادات
حصلت للمومنين ايضا الجواب لوجوه احدها انه المقصود وهم اتباع وثانيها اني اذا اكرمت اصحابك فذاك
في الحقيقة اكرام لك لاني اعلم انك بلغت في الشفقة عليهم الى حيث تفرح باكرامهم فوق ما تفرح باكرام
نفسك ومن ذلك حيث تقول الانبياء نفسي نفسي اي ابدا بالجزاء وتقول امتي امتي لان طاعتي كانت قبل
طاعة امتي فالرسول عليه السلام يقول امتي امتي ابدا بهم فان سروري ان اراهم فايزين بثوابهم وثالثها
انك عاملتني معاملة حسنة فانهم حين شجوا وجهك قلت اللهم اهد قومي وحين شغلوك يوم الخندق
عن الصلوة قلت اللهم املا بطونهم نارا فتحملت الشجة الحاصلة في وجه جسدك وما تحملت الشجة الحاصلة
في وجه دينك فان وجه الدين هو الصلوة فرجحت حقي على حقك لا جرم فضلتك فقلت من ترك الصلاة
سنين او حبس عبده عن الصلوة سنين لا اكفره ومن اذى شعرة من شعراتك او جزا من نعلك اكفره
الثاني ما الفايدة في قوله تعالى ولسوف ولم يقل وسيعطيك الجواب فيه فوايد احدها انه يدل على انه
ما قرب اجله بل يعيش بعد ذلك زمانا وثانيها ان المشركين لما قالوا ودعه وقلاه فالله تعالى رد عليهم بعين
تلك اللفظة فقال تعالى ما ودعك ربك وما قلى ثم قال المشركون سوف يموت محمد فرد الله عليهم ذلك بهذه
اللفظة فقال تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى الجواب هذه السورة من اولها الى اخرها كلام جبريل عليه السلام
معه لانه كان شديد الاشتياق اليه والى كلامه كما ذكرناه فاراد الله تعالى ان يكون هو المخاطب له بهذه
البشارة الرابع ما هذه اللام الداخلة على سوف الجواب قال صاحب الكشاف هي لام الابتدا الموكدة لمضمون
الجملة والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك ربك والدليل على ما قلناه انها اما ان تكون لام قسم
او ابتدا ولام الابتدا لا يدخل الا على الجملة من المبتدا والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر وان يكون اصله ولانت
سوف يعطيك فان قيل ما معنى الجمع بين حرفي التاكيد والتاخير قلنا معناه ان العطا كاين لا محالة وان تاخر
لما في التاخير من المصلحة اما قوله تعالى الم يجدك يتيما فاوى فيه مسايل الاولى ان اتصاله بما تقدم هو انه تعالى
يقول الم يجدك يتيما فقال الرسول صلى الله عليه وسلم بلى يا رب فيقول انظر اكانت طاعتك في ذلك الوقت
اكثر ام الساعة فلا بد وان يقول الساعة فيقول الله حين كنت صبيا ضعيفا ما تركناك بل ربيناك
ورقيناك الى حيث صرت مشرفا على شرفات العرش وقلنا لك لولاك ما خلقت الافلاك افتظن انا بعد
هذه الحالة نهجرك ونتركك الثانية قوله تعالى الم يجدك وهو من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان
مفعولا وجد والوجود من الله والمعنى الم يعلمك الله يتيما فاوى وذكروا في تفسير اليتيم امرين الاول
ان عبد الله بن عبد المطلب فيما ذكره اهل الاخبار توفي وام رسول الله حامل به ثم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان مع جده عبد المطلب ومع امه امنة فهلكت امه امنة وهو ابن ست سنين فكان مع جده ثم
هلك جده بعد امه بسنتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثماني سنين وكان عبد المطلب
يوصي ابا طالب به لان عبد الله وابا طالب كانا من ام واحدة وكان ابو طالب هو الذي يكفل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد جده الى ان بعثه الله تعالى للنبوة فقام بنصرته مدة مديدة ثم توفي ابو طالب
بعد ذلك فلم يظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم البتة فاذكره الله تعالى هذه النعمة روي





انه قال ابو طالب يوما لاخيه العباس الا اخبرك عن محمد بما رايت منه فقال بلى فقال اني ضممته الي فكنت لا افارقه
ساعة فرايت الكراهية في وجهه وكره ان يخالفني فقال يا عماه اصرف بوجهك عني حتى اخلع ثيابي اذ لا احب
ان ينظر الى جسدي فتعجبت من قوله وصرفت بصري حتى دخل الفراش فلما دخلت معه الفراش اذا بيني وبينه
ثوب والله ما ادخلته فراشي فاذا هو في غاية اللين وطيب الرايحة كانه غمس في المسك فجهدت لانظر
الى جسده فما كنت ارى شيا وكثيرا ما اسمع منه كلاما يعجبني وذلك عند ما مضى بعض الليل وكنا لا نسمي
عند الطعام والشراب ولا نحمد وكان يقول في اول الطعام بسم الله الاحد واذا فرغ من طعامه قال
الحمد لله فتعجبت منه ثم لم ار منه كذبة ولا هجرا ولا جاهلية ولا وقف مع الصبيان وهم يلعبون
واعلم ان العجايب المروية في حقه من حديث بحيرا الراهب وغيره مشهورة التفسير الثاني اليتيم
احد من قولهم درة يتيمة والمعنى الم يجدك يتيما واحدا في قريش عديم النظير فاواك اي جعلك
من تاويه اليه وهو ابو طالب وقرى فاوى وهو على معنيين اما من اواه او من رق له اذا رحمه وههنا
سؤالات الاول كيف يحسن من الجواد ان يمن بنعمه فيقول الم يجدك يتيما والذي يؤكد هذا السؤال ان الله
تعالى حكى عن فرعون انه قال الم نربك فينا وليدا في معرض الذم لفرعون فما كان مذموما من فرعون
كيف يحسن من الله تعالى الجواب ان ذلك يحسن اذا قصد بذلك ان يقوي قلبه ويعده بدوام النعمة
وبهذا ظهر الفرق بين هذا الامتنان وبين امتنان فرعون لان امتنان فرعون محبط لان الغرض فما بالك
لا تخدمني وامتنان الله بزيادة نعمه كانه يقول ما لك تقطع عني رجاك الست شرعتك في تربيتك
اتظنني تاركا لما صنعت بك بل لا بد ان اتم النعمة كما قال تعالى ولاتم نعمتي عليكم اما علمت ان الحامل
يسقط الولد قبل الولد بعينه يرد ولو اسقطت او الرجل استقطعها بعلاج يجب الغرة ويستحق
الذم فكيف يحسن ذلك من الحي القيوم فما اعظم الفرق بين مولى هو الله وبين مولى هو فرعون ونظيره ما قال
سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم الاية وفي امة محمد ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم فشتان بين
امة رابعهم ربهم الثاني انه تعالى من عليه بثلاثة اشيا ثم امره بان يذكر نعمة ربه فما وجه المناسبة بين هذه
الاشيا الجواب وجه المناسبة بان نقول قضاء الدين واجب ثم الدين نوعان مالي وانعامي والثاني
اقوى وجوبا لان المالي قد يسقط بالابراء ويتاكد بالابرا والمالي يقضى مرة فيبرا الانسان منه والثاني
يجب عليك قضاؤه طول عمرك ثم اذا تعذر قضاء النعمة القليلة من منعم هو مملوك فكيف حال النعمة
العظيمة من المنعم العظيم فكان العبد يقول الهي اخرجتني من العدم الى الوجود بشرا سويا طاهر الظاهر
حسن الباطن بشارة منك انك سترت علي ذنوبي بستر عفوك كما سترت مقابحي بالجلد الظاهر
فكيف يمكنني قضاء نعمتك التي لا حد لها ولا حصر فيقول تعالى الطريق الى ذلك ان تفعل في حق عبيدي
ما فعلته في حقك كنت يتيما فاويتك فافعل في حق الايتام ذلك وكنت ضالا فهديتك
فافعل في حق عبيدي ذلك وكنت عايلا فاغنيتك فافعل في حق عبيدي ذلك ثم اذا فعلت كل ذلك
فاعلم انك انما فعلتها بتوفيقي ولطفي وارشادي فكن ابدا ذاكرا لهذه النعم والالطاف فاما قوله
تعالى ووجدك ضالا فهدى فاعلم ان بعض الناس ذهب الى انه كان كافرا في اول الامر ثم هداه الله
تعالى وجعله نبيا قال الكلبي ووجدك ضالا يعني كافرا في قوم ضلال فهداك للتوحيد وقال السدي
كان على دين قومه اربعين سنة وقال مجاهد ووجدك ضالا عن الهدى فهداك بدينه واحتجوا
على ذلك بايات اخر منها قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقوله تعالى وان كنت من قبله
لمن الضالين وقوله تعالى لين اشركت ليحبطن عملك فيقتضي صحة ذلك منه واذا دلت هذه الاية
على الصحة وجب حمل قوله تعالى ووجدك ضالا عليه واما الجمهور من العلماء فقد اتفقوا على انه
عليه السلام ما كفر بالله تعالى لحظة واحدة ثم قالت المعتزلة هذا غير جايز عقلا لما فيه من التنفير
وعند اصحابنا هذا غير ممتنع عقلا لانه جايز في العقول ان يكون الشخص كافرا فيرزقه الله تعالى
الايمان ويكرمه بالنبوة الا ان الدليل السمعي قام على ان هذا الجايز لم يقع وهو قوله تعالى ما ضل
صاحبكم وما غوى ثم ذكروا في تفسير هذه الاية وجوها كثيرة احدها ما روي عن ابن عباس والحسن
والضحاك وشهر بن حوشب ووجدك ضالا عن معالم النبوة واحكام الشريعة غافلا عنها فهداك
اليها وهو المراد من قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقوله تعالى وان كنت من قبله
لمن الضالين وثانيها ضل عن مرضعته حليمة حين ارادت ان ترده الى جده حتى دخلت على هبل
وشكت ذلك اليه فتساقطت الاصنام سمعت صوتا يقول انما هلاكنا بيد هذا الصبي وفيه
حكاية طويلة وثالثها ما روي مرفوعا انه قال ضللت عن جدي عبد المطلب وانا صبي ضايع
كاد الجوع يقتلني فهداني الله تعالى ذكره الضحاك وذكر تعلق باستار الكعبة وقال يا رب

زدني محمدا اردده ربي واصطنع عندي يدا فما زال يردد هذا البيت حتى اتاه ابو جهل على ناقة ومحمد بين يديه
وهو يقول فقال لا ندري ماذا نرى من ابنك فقال عبد المطلب ولم قال لاني انخت الناقة واركبته من خلفي
فابت الناقة ان تقوم فلما اركبته امامي قامت الناقة كان الناقة تقول يا احمق هو الامام فكيف تقوم خلف
خلف المقتدي قال ابن عباس رضي الله عنه رده الله الى جده بيد عدوه كما فعل بموسى عليه السلام حين حفظه
على يد عدوه ورابعها انه عليه السلام لما خرج مع غلام خديجة ميسرة اخذ كافر بزمام بعيره حتى ضل فانزل الله
تعالى جبريل عليه السلام في صورة آدمي الى القافلة وقيل ان ابا طالب خرج به الى الشام فضل في الطريق فهداه الله
تعالى وخامسها يقال ضل الماء في اللبن اذا صار مغمورا فمعنى الاية كنت مغمورا بين الكفار بمكة فقواك الله حتى
اظهرت دينه وسادسها العرب تسمي الشجرة المنفردة في الفلاة ضالة كانه تعالى يقول كانت تلك البلاد كالمفازة
ليس فيها شجرة تحمل ثمر الايمان بالله تعالى ومعرفته الا انت فانت شجرة فريدة في مفازة الجهل فوجدتك ضالا
فهديت بك الخلق ونظيره قوله عليه السلام الحكمة ضالة المؤمن وسابعها ووجدك ضالا عن معرفة الله
الله حين كنت طفلا صبيا كما قال الله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا فخلق فيك
العقل والهداية والمعرفة والمراد من الضال الخالي عن العلم لا الموصوف بالاعتقاد الخطا وثامنها كنت ضالا
عن النبوة وما كنت تطمع في ذلك ولا خطر شيء من ذلك في قلبك فان اليهود والنصارى كانوا يزعمون ان النبوة
في بني اسرائيل وهديتك الى النبوة التي ما كنت فيها البتة وتاسعها انه قد يخاطب السيد ويكون المراد قومه
فقوله تعالى ووجدك ضالا اي وجد قومك ضلالا فهداهم بك وبشرعك وعاشرها وجدك ضالا
عن الضالين منفردا عنهم مجانبا لدينهم فكلما كان بعدك عنهم اشد كان ضلالهم اشد فهداك الى ان
اختلطت بهم ودعوتهم الى الدين المتين الحادي عشر وجدك ضالا عن الهجرة متحيرا في قريش متمنيا فراقهم
وكان لا يمكنك الخروج بدون اذنه تعالى فلما اذن له ووافقه بالصديق الصديق عليه وهداه الى
خيمة ام معبد وكان ما كان من حديث سراقة وظهور القوة في الدين كان المراد ذلك بقوله فهدى الثاني
عشر ضالا عن القبلة فانه كان يتمنى ان تجعل الكعبة قبلة له وما كان يعرف ان ذلك هل يحصل له ام لا
فهداه بقوله تعالى فلنولينك قبلة ترضاها فكانه سمي ذلك التحير بالضلال الثالث عشر انه حين
ظهر له جبريل عليه السلام في اول امره ما كان يعرف انه جبريل او امره وكان يخافه خوفا شديدا وربما اراد
ان يلقي نفسه من الجبل فهداه حتى عرف انه جبريل عليه السلام الرابع عشر الضلال بمعنى المحبة كما
في قوله تعالى انك لفي ضلالك القديم الخامس عشر ضالا عن امور الدنيا اي لا تعرف التجارة ونحوها ثم
هديتك حتى ربحت تجارتك وعظم ربحك حتى رغبت خديجة فيك والمعنى انه ما كان لك وقوف
على الدنيا ما كنت تعرف سوى الدين فهديتك الى مصالح الدنيا بعد ذلك السادس عشر ووجدك ضالا اي
ضايعا في قومك كانوا يؤذونك ولا يرضون بك رعية فقوى امرك وهداك الى ان صرت واليا عليهم
السابع عشر كنت ضالا ما كنت تهتدي الى طريق السموات فهديتك اذ عرجت بك ليلة المعراج الثامن عشر و
وجدك ضالا اي ناسيا كقوله تعالى ان تضل احداهما فهديتك اي ذكرتك وذلك انه ليلة المعراج نسي
ما يجب ان يقال بسبب الهيبة فهديتك اي ذكرتك وذلك انه ليلة المعراج هداه الله الى كيفية الثنا
حتى قال لا احصي ثناء عليك التاسع عشر انه وان كان عارفا بالله بقلبه الا انه كان في الظاهر
لا يظهر لهم خلافا فعبر عن ذلك بالضلال العشرون روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما هممت
لشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم
ما هممت بعدها بسوء حتى اكرمني الله تعالى برسالته فاني قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى
باعلا مكة لو حفظت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت اريد ذلك حتى
اتيت اول دار من دور مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير فقالوا فلان بن فلان يتزوج الليلة
بفلانة فجلست انظر اليهم وضرب الله تعالى على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس قال فجئت
صاحبي فقال ما فعلت فقلت ما صنعت شيئا ثم اخبرته الخبر قال ثم قلت له ليلة اخرى مثل ذلك
فضرب الله على اذني فما ايقظني الا مس الشمس ثم ما هممت بعدها بسوء حتى اكرمني الله تعالى
برسالته اما قوله تعالى ووجدك عايلا فاغنى ففيه مسايل الاولى العايل هو ذو العيلة وذكرنا
ذلك عند قوله تعالى الا تعولوا ويدل عليه قوله تعالى وان خفتم عيلة ثم اطلق العايل على الفقير
وان لم يكن له عيال وههنا في تفسير العايل قولان الاول وهو المشهور ان المراد هو الفقير ويدل عليه
ما روي عن مصحف عبد الله بن مسعود ووجدك ضالا عديما وقرئ عيلا كما قال سيحات ثم
في كيفية الاغنا وجوه الاول وهو المشهور ان الله تعالى اغناه بتربية ابي طالب ولما احتلت
احوال ابي طالب اغناه بمال خديجة ولما اختل ذلك اغناه بمال ابي بكر ولما احوجه ذلك امره بالهجرة

واغناه



واغناه باعانة الانصار ثم امره بالجهاد واغناه بالغنايم وان كان انما حصل عند نزول هذه
السورة لكن لما كان ذلك معلوم الوقوع كان كالواقع روي انه عليه السلام دخل على خديجة وهو
مغموم فقالت له ما لك فقال الزمان زمان قحط فان انا بذلت المال نفد مالك فاستحيي منك وان
انا لم ابذل اخاف فدعت قريشا وفيهم الصديق قال الصديق فاخرجت دنانير وفضة حتى بلغت
مبلغا لم يقع بصري على من كان جالسا قدامي من كثرة المال ثم قالت اشهدوا ان هذا المال ماله ان شاء
فرقها وان شاء امسكها الثاني اغناه باصحابه كانوا يعبدون الله سرا حتى قال عمر حين اسلم ابرز
لعبد الله جهرا ونعبد الله سرا ومن اتبعك من المومنين فاغناه بمال ابي بكر رضي الله عنه وبهيبة عمر رضي الله عنه
والثالث اغناك الله بالقناعة فصرت بحال يستوي عندك الحجر والذهب لا تجد في قلبك سوى ربك فربك غني عن
الاشياء وانت بقناعتك استغنيت عن الاشيا وان الغني الاعلى الغني عن الاشياء ومن ذلك انه عليه السلام خير
بين الغنى والفقر فاختار الفقر الرابع كنت عايلا عن البراهين والحجج فانزل عليك القران وعلمك ما لم تكن تعلم
فاغناك الخامس الثاني في تفسير العايل اي انك كنت كثير العيال وهم الامة فكفاك وقيل فاغناهم بك لانهم فقرا
بسبب جهلهم وانت صاحب العلم فهداهم في يدك وههنا سؤالات الاول ما الحكمة في ان الله تعالى اختاره
يتيما قلنا فيه وجوه احدها ان يعرف قدر اليتيم فيقوم بامره ومن ذلك قيل ليوسف عليه السلام الا
تشبع فقال اخاف ان اشبع فانسى الجياع وثانيها ليكون اليتيم مشاركا له في الاسم فيلزم لاجل ذلك ومن
ذلك قال عليه السلام اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه ووسعوا له في المجلس وثالثها من كان له اب وام كان
اعتماده عليهما فسلب عنه الابوان حتى لا يعتمد من اول عمره الى اخر عمره على احد سوى الله تعالى فيصير في
طفوليته شبيها بابراهيم عليه السلام في قوله حسبي من سوالي علمه بحالي وكجواب مريم اني لك هذا قالت
هو من عند الله ورابعها ان العادة جارية ان اليتيم لا يخفى عيوبه بل تظهر وربما زادوا على الموجود فاختار الله
تعالى له اليتم ليتامل كل احد في احواله ثم لا يجدوا عليه عيبا فيتفقون على نزاهته فاذا اختاره الله تعالى
للرسالة لم يجدوا عليه مطعنا وخامسها جعله يتيما ليعلم كل احد ان فضيلته فضل من الله تعالى ابتدا
لان الذي له اب فان اباه يسعى في تعليمه وتاديبه وسادسها ان اليتم والفقير نقص في حق الخلق فلما صار
محمد عليه السلام في هذين الوصفين اكرم الخلق كان ذلك قلبا للعادة فكان ذلك من جنس المعجزات الثاني
ما الحكمة في ان الله تعالى ذكره لك الاشيا الجواب الحكمة ان لا ينسى نفسه فيقع في العجب الثالث روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال سالت ربي مسالة لوددت اني لم اسالها قلت اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت
موسى تكليما وسخرت مع داود الجبال واعطيت سليمان كذا وكذا واعطيت فلانا كذا وكذا فقال الم اجدك يتيما
فاويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عايلا فاغنيتك قلت بلى الم اشرح لك صدرك قلت بلى الم ارفع
لك ذكرك قلت بلى الم اصرف عنك وزرك قلت بلى الم اوتك ما لم اوت نبيا قبلك وهي خواتيم سورة
البقرة الم اتخذك خليلا كما اتخذت ابراهيم خليلا فهل يصح هذا الحديث قلت طعن القاضي في هذا الخبر
فقال الانبيا لا يسالون مثل ذلك الا عن اذن فكيف يصح ان يقع من الرسول عليه السلام هذا السوال
ويكون منه تعالى ما يجري مجرى المعاتبة اما قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر قرئ لا تكهر اي لا تعبس وجهك
اليه فالمعنى عامله بما عاملك به ونظيره من وجه واحسن كما احسن الله اليك ومنه قوله عليه السلام
الله الله فيمن ليس له الا الله وروي نزلت حين صاح النبي عليه السلام بولد خديجة ومنه حديث
موسى عليه السلام حين هربت منه السخلة فلما قدرت عليها قلت اتعبت نفسك ثم حملتها فلهذا السبب
جعلتك واليا على الخلق فاذا كان موسى استوجب الولاية بالاحسان الى الشاة فكيف بالاحسان الى اليتيم واذا كان هذا
العتاب بمجرد الصياح او العبوسة في الوجه فكيف اذا اذله او اكل ماله وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا بكى اليتيم وقعت دموعه في كف الرحمن فيقول تعالى من ابكى هذا اليتيم الذي واريت والده في التراب
من اسكته فله الجنة ثم قال تعالى واما السايل فلا تنهر يقال نهره وانتهره اذا استقبله بكلام يزجره
فالمراد من السايل قولان احدهما وهو اختيار الحسن ان المراد منه من يسال العلم ونظيره من وجه عبس
وتولى وحينئذ يحصل الترتيب لانه تعالى قال له اولا الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك
عايلا فاغنى ثم اعتبر هذا الترتيب فاوصاه برعاية حق اليتيم ثم برعاية حق من ساله عن العلم والهداية
ثم اوصاه بشكر نعمة الله تعالى عليه والقول الثاني ان المراد مطلق السايل ولقد عاتب رسوله في القران
في شان الفقرا في ثلاثة مواضع احدها انه كان جالسا وحوله صناديد قريش اذ جاء ابن ام مكتوم
الضرير فتخطى رقاب الناس حتى جلس بين يديه وقال علمني مما علمك الله فشق ذلك عليه فعبس وجهه
فنزلت عبس وتولى والثاني حين قالت له قريش لو جعلت لنا مجلسا وللفقرا مجلسا اخر ففعل
ذلك فنزل قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي والثالث كان جالسا

فجاء عثمان بعذق من تمر فوضعه بين يديه فاراد ان ياكل فوقف سايل بالباب فقال رحم الله عبدا يرحمنا
فامر بدفعه الى السايل فكره عثمان رضي الله عنه ذلك واراد ان ياكل منه النبي عليه السلام فقال له النبي
عليه السلام اسايل انت ام بايع فنزلت واما السايل فلا تنهر ثم قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث احدها قال
مجاهد تلك النعمة هي القران فان القران اعظم ما انعم الله تعالى به على محمد صلى الله عليه وسلم والتحدث به ان يقراه
ويقري غيره ويبين حقايقه لهم وثانيها روي ايضا عن مجاهد ان تلك النعمة هي النبوة اي بلغ ما انزل اليك
من ربك وثالثها اذا وفقك الله فراعيت حق اليتيم والسايل وذلك التوفيق نعمة من الله عليك
فحدث بها ليقتدي بك غيرك ومنه ما روي عن الحسن ابن علي رضي الله عنهما انه قال اذا عملت خيرا فحدث
اخوانك ليقتدوا بك الا ان هذا انما يحسن اذا لم يتضمن رياء وظن ان غيره يقتدي به ومن ذلك لما سئل
امير المومنين علي رضي الله عنه عن الصحابة فاثنى عليهم وذكر خصالهم فقالوا له فحدثنا عن نفسك فقال
مهلا فقد نهى الله عن التزكية فقيل له اليس الله تعالى يقول واما بنعمة ربك فحدث قال فاني احدث
كنت اذا سئلت اعطيت واذا سكت ابتديت وبين الجوانح علم جم فاسالوني فان قيل ما الحكمة في ان
اخر الله تعالى حق نفسه عن حق اليتيم والسايل قلنا فيه وجوه احدها كانه يقول انا غني وهما محتاجان
وتقديم حق المحتاج اولى وثانيها انه وضع في حظهما الفعل ورضي لنفسه بالقول وثالثها ان المقصود من
جميع الطاعات استغراق القلب في ذكر الله تعالى فجعل خاتمة هذه الطاعات على ذكر الله تعالى حتى يكون
ختم الطاعات على ذكر الله تعالى حتى يكون ختم الطاعات على ذكر الله تعالى واختار قوله فحدث على قوله
فخبر ليكون ذلك حديثا عنده لا ينساه ويعيده مرة بعد اخرى    والله تعالى اعلم بالصواب

يروى عن طاوس وعمر بن عبد العزيز انهما كانا يقولان هذه السورة وسورة والضحى واحدة وكانا يقرانهما
في الركعة الواحدة وما كانا يفصلان بينهما والذي دعاهما الى ذلك هو ان قوله تعالى الم نشرح لك
صدرك كالعطف على قوله تعالى الم يجدك يتيما وليس كذلك لان الاول كان نزوله حال اغتمام الرسول
عليه السلام من ايذاء الكفرة وكانت حال محنة وضيق صدر والثاني يقتضي ان يكون حال النزول
منشرح الصدر طيب القلب فانى يجتمعان **قوله تعالى** الم نشرح لك صدرك استفهم عن انتفاء
الشرح على وجه الانكار فافاد اثبات الشرح وايجابه فكانه قيل شرحنا لك صدرك وفي شرح الصدر قولان
الاول ما روي ان جبريل عليه السلام اتاه وشق صدره واخرج قلبه وغسله وانقاه من المعاصي ثم ملاه
علما وايمانا ووضعه في صدره **واعلم** ان القاضي طعن في هذه الرواية من وجوه احدها ان هذه
الواقعة انما وقعت في حال صغره عليه السلام وذلك من المعجزات فلا يجوز ان يتقدم نبوته وثانيها
ان تاثير الغسل في ازالة الاجسام والمعاصي ليست باجسام فلا يكون للغسل فيها اثر وثالثها انه لا يصح
ان يملا القلب علما بل الله يخلق فيه العلوم والجواب عن الاول ان تقدم المعجز على زمان البعث جايز عندنا
وذلك هو المسمى بالارهاص ومثله في حق الرسول عليه السلام كثير واما الثاني والثالث فلا يبعد ان يكون حصول
ذلك الدم الاسود الذي غسلوه من قلب الرسول عليه السلام علامة للقلب الذي يميل الى المعاصي ويحجم
عن الطاعات فاذا ازالوه عنه كان ذلك علامة لكون صاحبه مواظبا على الطاعات محترزا عن السيئات
فكان ذلك علامة للملايكة على كون صاحبه معصوما وايضا فلان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد والقول
الثاني ان المراد من شرح الصدر ما يرجع الى المعرفة والطاعة ثم ذكروا فيه وجوها احدها انه عليه السلام
لما بعث الى الجن والانس فكان يضيق صدره عن منازعة الجن والانس والبراءة من كل عابد ومعبود سوى الله
فاتاه الله تعالى من اياته ما اتسع لكل ما حمله وصغر عنده كل شيء احتمله من المشاق وذلك بان اخرج عن قلبه
جميع الهموم وما ترك فيه الا هما واحدا فما كان يخطر بباله هم النفقة والعيال ولا يبالي بما يتوجه اليه
من ايذايهم حتى صاروا في عينه دون الذباب لم يجبن خوفا من وعيدهم ولم يمل الى مالهم وبالجملة فشرح الصدر
عبارة عن علمه بحقارة الدنيا وكمال الاخرة ونظيره قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وروي انهم قالوا يا رسول الله اينشرح الصدر قال نعم
قالوا وما علامته قال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله
وتحقيق القول فيه ان صدق الايمان بالله ووعده ووعيده يوجب للانسان الزهد في الدنيا والرغبة
في الاخرة والاستعداد للموت وثالثها انه انفتح صدره حتى كانه يتسع لجميع المهمات لا يقلق ولا يضجر
ولا يتحير بل هو في حالتي البوس والفرح منشرح الصدر مستغل باداء ما كلف والشرح التوسعة ومعناه

الاراحه



الاراحة من الهموم والكرب يسمى الهم والغم ضيق صدر لقوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
وهاهنا سؤالات الاول لم ذكر الصدر ولم يذكر القلب الجواب لان محل الوسوسة هو الصدر على ما قال
تعالى يوسوس في صدور الناس فازالة تلك الوسوسة وابدالها بدواعي الخير هي الشرح فلا جرم خص
ذلك الشرح بالصدر دون القلب وقال محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه القلب محل العقل والمعرفة
وهو الذي يقصده الشيطان فالشيطان يجي الى الصدر الذي هو حصن القلب فاذا وجد فيه مسلكا
اغار فيه وانزل جنده فيه وبث فيه الغموم والهموم والحرص فتضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة
لذة ولا للاسلام حلاوة واذا طرد العدو في الابتداء منع حصول الامن ويزول الضيق وينشرح
الصدر ويتيسر له القيام باداء العبودية الثاني لم قال تعالى الم نشرح لك صدرك ولم يقل الم نشرح صدرك
والجواب من وجهين احدهما كانه تعالى يقول لام بلام فانت انما تفعل جميع الطاعات لاجلي كما قال تعالى
الا ليعبدون وقوله تعالى اقم الصلاة لذكري فانا ايضا جميع ما فعلته لاجلك وثانيها ان فيه تنبيها
على ان منافع الرسالة عايدة اليه عليه السلام كانه تعالى قال انما شرحنا لك صدرك لاجلك لا لاجلي
السؤال الثالث لم قال الم نشرح ولم يقل الم اشرح والجواب ان حملنا نون على التعظيم فالمعنى ان عظمة المنعم تدل
على عظمة النعمة فدل ذلك على ان ذلك الشرح نعمة لا تصل العقول الى كنه جلالتها وان حملناه على نون الجمع
فالمعنى كانه تعالى يقول لم اشرحه وحدي بل اعملت فيه ملايكتي فكنت ترى الملايكة حواليك وبين يديك
حتى يقوى قلبك فاديت الرسالة وانت قوي القلب ولحقهم هيبة فلا يجدوا لك جوابا فلو كنت ضيق
القلب لضحكوا منك فسبحان من جعل قوة قلبك جبنا فيهم وانشراح صدرك ضيقا فيهم ثم قال تعالى
ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وفيه مسايل المسالة الاولى قال المبرد هذا محمول على
معنى الم نشرح لا على لفظه لانك لا تقول الم وضعنا ولكن معنى الم نشرح قد شرحنا فحمل الثاني
على المعنى الاول لا على الظاهر اي لا على ظاهر اللفظ لانه لو كان معطوفا على ظاهره لوجب ان يقال
ونضع عنك وزرك الثاني معنى الوزر ثقل الذنب وقد مر تفسيره عند قوله تعالى وهم يحملون اوزارهم
وهو كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واما قوله تعالى انقض ظهرك فقال
علماء اللغة الاصل فيه انه الظهر اذا اثقله الحمل سمع له صوتا اي صوتا خفيا وهو صوت المحامل والرحال والاضلاع
او البعير اذا اثقله الحمل فهو مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من اوزاره الثالثة
احتج بهذه الاية من اثبت المعصية للانبياء عليهم السلام والجواب عنه من وجهين الاول ان الذين
يجوزون الصغاير على الانبياء حملوا هذه الاية عليها لا يقال ان قوله تعالى الذي انقض ظهرك يدل
على كونه عظيما فكيف يليق ذلك بالصغاير لانا نقول انما وصف ذلك بانقاض الظهر مع كونه لسره
اغتمام النبي عليه السلام او انما وصفه بذلك لان تاثيره فيما يزول به الثواب العظيم فيجوز لذلك ما ذكره
الله تعالى هذا تقرير الكلام على قول المعتزلة وفيه اشكال وهو ان العفو عن الصغيرة واجب على الله
تعالى عند القاضي والله تعالى ذكر هذه الاية في معرض الامتنان ومن المعلوم ان الامتنان بفعل الواجب
غير جايز الوجه الثاني ان يحمل ذلك على غير الذنب وفيه وجوه وليس هناك معهود سابق فينصرف الى الحقيقة
فيكون المراد بالعسر في اللفظين شيئا واحدا واما اليسر فانه مذكور على سبيل التنكير وكان احدهما غير الاخر
وزيف الجرجاني هذا وقال اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا يلزم ان يكون هناك فارس واحد معه
سيفان ومعلوم ان ذلك غير لازم في وضع العربية الوجه الثالث ان يكون الجملة الثانية تكريرا
للاولى كما كرر قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين ويكون الغرض تقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب
كما تكرر المفرد في قولك جاءني زيد زيد والمراد من اليسرين يسر الدنيا وهو ما تيسر من استفتاح البلاد
ويسر الاخرة وهو ثواب الجنة لقوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب
فالمراد من قوله لن يغلب عسر يسرين هذا وذلك لان عسر الدنيا بالنسبة الى يسر الدنيا ويسر الاخرة كالمعدوم
القليل وهاهنا سؤالات الاول ما معنى التنكير في اليسر جوابه التفخيم كانه قيل ان مع اليسر يسرا عظيما واي يسر
الثاني اليسر لا يكون مع العسر لانهما ضدان فلا يجتمعان الجواب لما كان وقوع اليسر بعد العسر بزمان قليل كان
مقطوعا حصل كالمقارن له ثم قال تعالى فاذا فرغت فانصب وجه تعلق هذا بما قبله انه تعالى لما عدد عليه
نعمه السابقة ووعده بالنعم الاتية لا جرم حثه على الشكر والاجتهاد في العبادة فقال تعالى فاذا فرغت
فانصب اي فاتعب يقال نصب ينصب قال قتادة والضحاك ومقاتل اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب
الى ربك في الدعاء وارغب اليه في المسالة يعطك وقال الشعبي اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك
واخرتك وقال مجاهد اذا فرغت من امر دنياك فانصب اي فصل وقال عبد الله اذا فرغت من الفرايض
فانصب في قيام الليل وقال الحسن اذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وقال علي بن ابي طلحة المعنى

اذا كنت صحيحا فانصب يعني اجعل فراغك نصبا في العبادة يدل عليه ما روي ان شريحا مر برجلين يصطرعان فقال
الصارع ما امرنا بهذا انما قال الله تعالى فاذا فرغت فانصب وبالجملة فالمعنى ان تواصل بين بعض العبادات وبين ان لا تخلي
وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة اتبعها باخرى واما قوله تعالى والى ربك فارغب ففيه وجوه احدها اجعل
رغبتك اليه خصوصا فلا تسال الا فضله متوكلا عليه وثانيها ارغب في سائر ما تلتمسه دينا ودنيا ونصرة
على الاعداء الى ربك وقرئ فرغب اي رغب الناس الى طلب ما عنده والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فما يكذبك بعد
بالدين اليس الله باحكم الحاكمين اعلم ان الاشكال هو ان التين والزيتون ليسا من الامور الشريفة فكيف
يليق ان يقسم الله تعالى بهما فلاجل هذا الاشكال حصل فيه قولان القول الاول ان المراد من التين والزيتون
هذان الشيئان المشهوران قال ابن عباس رضي الله عنهما هو تينكم وزيتونكم هذا ثم ذكروا من خواص التين والزيتون
اشياء اما التين فقالوا انه غذاء وفاكهة ودواء اما كونه غذاء فالاطباء زعموا انه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث
في المعدة يلين الطبع ويخرج بطريق الرشح ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن
ويفتح مسام الكبد والطحال وهو خير الفواكه واحمدها وروي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق
من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا التين
يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج واما كونه دواء فانه يتداوى به في اخراج فضول البدن واعلم
انها بعد ما ذكرنا خواص احدها ان ظاهرها كباطنها ليست كالجوز ظاهره قشر ولا كالتمر باطنه حب وتقول
ان من الثمار ما يحسن ظاهره ويطيب باطنه كالجوز والبطيخ ومنها ما يطيب ظاهره دون باطنه كالاجاص والتمر واما
التين فانه طيب الظاهر والباطن وثانيها ان الاشجار ثلاثة شجرة تعدم ويخلف وهي شجر الخلاف وشجرة تعدم
وتسعى وهي التي بالنوار ولا وبعده بالثمرة كالتفاح وغيره وشجرة تبدو قبل الرعد وهي التين لانها تخرج الثمرة قبل ان
بالورد بل لو عبرت العبارة لقلت هي شجرة تظهر المعنى قبل الدعوى لذلك تقول انها شجرة تخرج
الثمرة قبل ان تلبس نفسها بورد او ورق كالتفاح والمشمش وغيرهما تبدا بنفسها ثم بغيرها اما شجرة التين فانها
تهتم لغيرها قبل اهتمامها لنفسها فسائر الاشجار كارباب المعاملة في قوله عليه السلام ابدا بنفسك ثم بمن تعول
وشجرة التين كالمصطفى عليه السلام كان يبدا بغيره فان فضل صرفه الى نفسه بل من الذين اثنى الله عليهم في قوله
تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وثالثها من خواص هذه الشجرة ان سائر الاشجار اذا اسقطت
الثمرة عن موضعها لم تعد في تلك السنة الا التين فانه يعد السدود ربما اسقطت ثم تعود مرة اخرى ورابعها ان التين
في النوم رجل خير غني فمن نالها في المنام نال مالا وسعة ومن اكلها رزقه الله تعالى اولادا وخامسها
ان آدم عليه السلام لما عصى وفارقته ثيابه تستر بورق التين وروي انه لما نزل وكان متزرا بورق التين
استوحش فطاف الظباء حوله فاستانس بها فاطعمها بعض ورق التين فرزقها الله تعالى الجمال صورة والملاحة
معنى وغير دمها مسكا فلما تفرقت الظباء الى مساكنها راى غيرها عليها من الجمال ما اعجبها فلما كان من الغد
جاءت الظباء على اثر الاولى الى آدم فاطعمها من الورق فغير الله حالها الى الجمال دون المسك وذلك لان الاولى
جاءت الى آدم لا لاجل الطمع والطائفة الاخرى جاءت للطمع سرا والى آدم ظاهرا فلا جرم غير الظاهر
دون الباطن اما الزيتون فشجرته هي الشجرة المباركة فاكهة من وجه وادام من وجه ودواء من وجه وهي
في اغلب البلاد لا تحتاج الى تربية الناس ثم لا تقتصر منفعتها على غذاء بدنك بل هي غذاء السراج ايضا وتولدها
في الجبال التي لا توجد فيها شيء من الدهنية البتة وقيل من اخذ ورق الزيتون في المنام استمسك
بالعروة الوثقى وقال مريض لابن سيرين رايت في المنام كانه قيل لي كل اللاءين تشف فقال كل الزيتون
تشف فانه قال لا شرقية ولا غربية ثم قال المفسرون اسم الزيتون اسم لهذه الماكول ولو ففيهما هذه المنافع
الجليلة فوجب اجراء اللفظ على الظاهر لا جرم بان الله تعالى اقسم بهما لما فيهما من المصالح والمنافع
القول الثاني انه ليس المراد هاتان الثمرتان ثم ذكروا وجوها احدها قال ابن عباس رضي الله عنهما وهما جبلان
من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منشا التين والزيتون فكانه تعالى اقسم
بمنابت الانبياء فالجبل المختص بالتين لعيسى عليه السلام والزيتون الشام مبعث اكثر الانبياء من بني اسرائيل
والطور مبعث موسى عليه السلام والبلد الامين مبعث محمد عليه السلام فيكون المراد من القسم في الحقيقة
معظم الانبياء واعلى درجاتهم وثانيها ان المراد من التين والزيتون مسجدان ثم قال ابن زيد التين مسجد دمشق

والزيتون



والزيتون مسجد المقدس وقال آخرون التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد نبينا وعن ابن عباس رضي الله عنهما التين
مسجد نوح المبني على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس والقائلون بهذا القول انما ذهبوا اليه لان القسم بالمسجد
حسن لانه موضع العبادة والطاعة فلما كانت هذه المساجد في هذه المواضع التي يكثر فيها التين والزيتون لا جرم
اكتفى بذكر التين والزيتون وثالثها المراد من التين والزيتون بلدان قال كعب التين دمشق والزيتون القدس
وقال شهر بن حوشب التين الكوفة والزيتون الشام وعن الربيع هما جبلان بين حلوان وهمذان والقائلون
بهذا القول انما ذهبوا اليه لان اليهود والنصارى والمسلمين ومشركي قريش وكل واحد منهم يعظم بلدة
من هذه البلاد فالله تعالى اقسم بهذه البلاد باسرها او يقال ان دمشق وبيت المقدس فيهما نعم الدنيا
والطور ومكة فيهما نعم الدين اما قوله تعالى وطور سينين فالمراد من الطور الجبل الذي كلم الله تعالى
موسى عليه السلام واختلفوا في سينين والاولى عند النحويين ان يكون السينين والسيناء اسما للمكان
الذي حصل فيه الجبل اضيف الى ذلك المكان واما المفسرون فقال ابن عباس في رواية عكرمة الطور الجبل وسينين
الحسن بلغة الحبشة وقال مجاهد سينين المبارك وقال الكلبي هو الجبل المشجر ذو الشجر وقال مقاتل كل جبل فيه
شجر مثمر فهو سينين وسينا بلغة النبط قال الواحدي والاولى ان يكون سينين اسما للمكان الذي فيه
الجبل ثم ذلك المكان سمي سينين او سيناء لحسنه ولكونه مباركا ولا يجوز ان يكون سينين نعتا للطور
لاضافته اليه اما قوله تعالى وهذا البلد الامين فالمراد مكة والامين الآمن قال صاحب الكشاف من امن الرجل
امانة فهو امين وامانته ان يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى
مفعول من امنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما آمنا يعني ذا امن وذكروا في كونه
امنا وجوها احدها ان الله تعالى حفظه عن الفيل على ما يأتي شرحه وثانيها انها تحفظ لك جميع
الاشياء فمباح الدم عند الالتجاء اليه آمن من السباع والصيود تستفيد منه الحفظ عند الالتجاء اليه وثالثها
ما روي ان عمر كان يقبل الحجر ويقول انك حجر لا تضر ولا تنفع ان الله تعالى لما اخذ على ذرية آدم
الميثاق كتبه في رق ابيض وكان لهذا الركن يومئذ لسان وشفتان وعينان فقال افتح فاك فالقمه
ذلك الرق وقال تشهد لمن وافاك بالموافاة الى يوم القيامة فقال عمر رضي الله عنه لا تعيش في قوم لست
منهم ثم قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم والمراد من الانسان هذه الماهية والتقويم
تصيير الشيء على ما ينبغي ان يكون في التاليف والتعديل يقال قومه تقويما فاستقام وتقوم
وذكروا في شرح ذلك الحسن وجوها احدها انه تعالى خلق كل ذي روح مكبا على وجهه الا الانسان فانه
تعالى خلقه مديد القامة يتناول ماكوله بيده وقال الاصم في اكمل عقل وفهم وادب وعلم وبيان والحاصل
ان القول الاول راجع الى الصورة الظاهرة والثاني الى السيرة الباطنة وعن يحيى بن اكثم القاضي انه فسر
التقويم بحسن الصورة فانه حكى ان ملك زمانه خلا بزوجته في ليلة مقمرة فقال ان لم تكوني احسن من
القمر فانت كذا فافتى كل بالحنث الا يحيى بن اكثم فانه قال لا يحنث فقيل له خالفت شيوخك فقال الفتوى
بالعلم ولقد افتى من هو اعلم منا وهو الله تعالى يقول لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وكان بعض
الصالحين يقول الهنا اعطيتنا في الاولى احسن الاشكال فاعطنا في الآخرة احسن الفعال وهو
العفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب اما قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين ففيه وجهان
الاول قال ابن عباس يريد ارذل العمر وهو مثل قوله تعالى ثم يرد الى ارذل العمر قال ابن قتيبة السافلون هم
الضعفاء والزمنى ومن لا يستطيع حيلة ولا يجد سبيلا يقال سفل يسفل فهو سافل وهم سافلون كما
يقال علا يعلو فهو عال وهم عالون اراد ان الهرم يخرف ويضعف سمعه وبصره وعقله وتقل حيلته ويعجز
عن عمل الصالحات فيكون اسفل الجميع قال الفراء ولو كانت اسفل سافل لكان صوابا لان لفظ الانسان
واحد وانت تقول هذا افضل قائم ولا تقول افضل قائمين الا انه قيل سافلين على الجمع لان الانسان
في معنى جمع فهو كقوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون وقال تعالى وانا اذا اذقنا
الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم والقول الثاني ما ذكره مجاهد والحسن وقتادة ثم رددناه
الى النار قال علي ابواب جهنم بعضها اسفل من بعض فيبدا بالاسفل فيملا وهو اسفل السافلين وعلى
وعلى التقدير ثم رددناه الى اسفل او في اسفل السافلين اما قوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
فاعلم ان هذا الاستثناء على القول الاول منقطع والمعنى ولكن الذين كانوا صالحين في الهرم فلهم ثواب
دائم على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى اياهم بالشيخوخة والهرم واما على القول الثاني فالاستثناء
متصل ظاهر الاتصال اما قوله تعالى فلهم اجر غير ممنون ففيه قولان احدهما غير منقوص ولا مقطوع والآخر
غير ممنون اي لا يمن به عليهم واعلم ان كل ذلك من صفات الثواب لانه يجب ان يكون غير منقطع وان
لا يكون منغصا بالمنة ثم قال تعالى فما يكذبك بعد بالدين وفيه سؤالات الاول من المخاطب بقوله تعالى فما يكذبك

فما يكذبك بعد بالدين ما الجواب فيه قولان احدهما انه خطاب للانسان على طريقة الالتفات والمراد من قوله تعالى فما
يكذبك بعد بالدين ما الجواب فيه قولان احدهما انه خطاب للانسان على طريقة الالتفات والمعنى فما الذى يلجئك الى هذا الكذب والثانى
وهو اختيار الفراء انه خطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى فما يكذبك ايها الرسول بعد ظهور هذه الدلايل
بالدين السؤال الثانى ما وجه التعجب الجواب ان خلق الانسان من النطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه
فى مراتب الزيادة الى ان يكمل ثم نكسه الى ان يبلغ ارذل العمر دليل واضح على قدرة الخالق على الحشر والنشر فمن شاهد
هذه الحالة ثم بقى مصرا على انكار الحشر فلا شى اعجب منه ثم قال تعالى اليس الله باحكم الحاكمين فيه مسلتان الاولى
ذكروا فى تفسيره وجهين احدهما انه تحقيق لما ذكره من خلق الانسان ثم رده الى ارذل العمر يقول الله تعالى
اليس الذى باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا واذا ثبتت القدرة والحكمة بهذه الدلايل صح القول بامكان الحشر
ووقوعه اما الامكان فبالنظر الى الحكمة لان عدم ذلك يقدح فى الحكمة كما قال تعالى وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما باطلا وقوله تعالى ذلك ظن الذين كفروا والثانى ان هذا تسلية لمحمد عليه السلام بانه
يحكم بينه وبين خصومه يوم القيمة بالعدل السابعة قال القاضى هذه الاية من اقوى الدلايل على انه تعالى
لا يفعل القبيح ولا يخلق افعال العباد بما فيها من السفه والظلم هو غير الله تعالى لكان كل سفه وكل سفه
كان من عبث فى سفه فهو من الله تعالى ومن كان كذلك فهو اسفه السفهاء كما انه لا حكمة ولا امر بالحكمة ولا ترغيب
فى الحكمة الا من الله تعالى ومن كان كذلك فهو احكم الحكماء ولما ثبت فى حقه تعالى الامران لم يكن وصفه بانه احكم
الحكماء اولى من وصفه بانه اسفه السفهاء ولما امتنع هذا الوصف فى حقه علمنا انه ليس خالقا لافعال العباد
والجواب المعارضة بالعلم والدواعى ثم نقول السفيه من قامت السفاهة به لا من خلق السفاهة
كما ان المتحرك والساكن من قامت الحركة والسكون به لا من خلقها والله اعلم بالصواب

زعم المفسرون ان هذه السورة اول ما نزل من القران وقال اخرون الفاتحة اول ما نزل من القران ثم سورة القلم

**قوله تعالى** اقرا باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذى
علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى ان الى ربك الرجعى
ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى **اعلم** ان فى الباء من قوله باسم ربك قولان احدهما قال ابو عبيدة الباء زايدة
والمعنى اقرا باسم ربك كما قال الاخطل ومعنى اقرا اسم ربك اى اذكر اسمه وهذا القول ضعيف لوجوه احدها
انه لو كان معناه اذكر اسم ربك ما حسن منه ان يقول ما انا بقارى اى لا اذكر اسم ربى وثانيها ان هذا الامر
لا يليق بالرسول لانه ما كان له شغل سوى ذكر الله فكيف يامره ان يشتغل بما هو مشغول ابدا وثالثها ان فيه
الباء من غير فايدة القول الثانى المراد من قوله تعالى اى اقرا القران او القراة لا تستعمل فيه قال تعالى
فاذا قراناه فاتبع قرانه وقال تعالى وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث وقوله تعالى باسم ربك يحتمل وجوها
احدها ان يكون محل باسم ربك النصب على الحال فيكون التقدير اقرا القران مفتتحا باسم ربك اى قل
باسم الله ثم اقرا وفى هذه الاية رد على من لا يرى ذلك واجبا ولا يبدى بها وثانيها ان يكون المعنى
اقرا القران مستعينا باسم ربك كانه يجعل الاسم الة فيما يحاوله من امر الدين والدنيا نظيره كتبت
بالقلم وتخصيصه انه لما قال له اقرا القران فقال لست بقارى فقال اقرا باسم ربك اى اجعل هذا
الفعل لله واجعله لاجله كما تقول هذه الدار باسم الامير وصنعت هذا الكتاب باسم الوزير
ولاجله فان العبادة اذا صارت لله تعالى فكيف يجترى الشيطان ان يتصرف فيما هو لله تعالى
فان قيل كيف يستمر هذا التاويل فى قولك قبل الاكل باسم الله وكذلك قبل كل فعل مباح قلنا فيه وجهان
احدهما ان ذلك اضافة مجازية كما تضيف ضيعتك الى بعض الكبار ليندفع بذلك ظلم الظلمة
كذا تضيف فعلك الى الله تعالى ليقطع الشيطان عن ذلك الطعام والثانى اى طمع عن مشاركتك
فقد روى ان من لم يذكر اسم الله على الطعام يشاركه الشيطان فى ذلك الطعام والثانى انه ربما استعان
بذلك المباح على التقوى على طاعة الله تعالى فيصير المباح طاعة فيصح ذلك التاويل فيه اما قوله
تعالى ربك ففيه سؤالان احدهما وهو ان الرب من صفات الفعل والله تعالى من اسماء الذات
واسماء الذات اشرف من اسماء الفعل ولانا قد دللنا بالوجوه الكثيرة على ان اسم الله تعالى
اشرف من اسم الرب ثم انه تعالى قال هاهنا باسم ربك ولم يقل اقرا بسم الله كما قال فى التسمية
المعروفة بسم الله الرحمن الرحيم وجوابه انه امر بالعبادة وصفات الذات لا يستوجب
شيا وانما يستوجب العبادة بصفات الفعل فكان ذلك ابلغ واحث على الطاعة لان

السورة



كانت فى اوايل ما نزل وكان الرسول عليه السلام قد فزع فاستماله ليزول الفزع فقال هو الذى
رباك فكيف يفزعك فافاد هذا الحرف معنيين احدهما ربيتك فلزمك القضاء فلا تكاسل والثانى
ان الشروع ملزم للاتمام وقد ربيتك منذ كذا وكذا فكيف اضيعك وحيث كنت علقا لم ادع تربيتك
فبعد ان صرت علقا نفسا موحدا عارفا بى كيف اضيعك السؤال الثانى ما الحكمة فى انه اضاف
ذاته اليه فقال تعالى باسم ربك الجواب تارة يضيف ذاته اليه بالربوبية كما هاهنا وتارة يضيفه
الى نفسه بالعبودية اسرى بعبده قوله عليه السلام على منى وانا منه كانه يقول هو لى وانا له نظيره
قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله او نقول اضافة ذاته الى عبده احسن من اضافة العبد اليه
اذ قد علم فى الشاهد ان من له ابنان يشفعه اكبرهما دون الاصغر يقول هو ابنى كما انه سال منه
المنفعة فيقول الرب تعالى المنفعة فضل منى اليك ولم يصل منك الى خدمة ولا طاعة الى الان
فاقول انا لك ولا اقول انت لى ثم اذا اتيت بما طلبته منك من طاعة او توبة اضفتك الى نفسى فعلت اقول
عنه يا عبادى الذين اسرفوا الثالث لم ذكر عقيب قوله تعالى ربك قوله الذى خلق الجواب كان العبد يقول
ما الدليل على انك ربى فيقول لانك كنت بذاتك وصفاتك معدوما ثم صرت موجودا فلا بد فى ذاتك
وصفاتك من خالق وهذا الخلق والايجاد تربية فدل على انك انت مربوبى اما قوله تعالى الذى خلق فيه مسايل
الاولى فى تفسير هذه الاية ثلاثة اوجه احدها ان يكون قوله تعالى الذى خلق لا يقدر له مفعول
ويكون المعنى الذى حصل منه الخلق واستاثر به لا خالق سواه والثانى ان يقدر له مفعول ويكون المعنى
انه الذى خلق كل شى فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس حمله على البعض اولى من حمله على الباقى كقولنا الله اكبر
اى من كل شى ثم قوله بعد ذلك خلق الانسان من علق تخصيصا للانسان بالذكر من بين جملة المخلوقات اما لان
التنزيل اليه تعجيبا او لانه اشرف ما على وجه الارض والثالث ان يكون قوله خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق
الانسان من علق تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته الثانية قالوا لانه سبحانه وتعالى جعل الخالقية
صفة مميزة لذات الله تعالى عن ساير الذوات وكل صفة هذا شانها فانه يستحيل وقوع الشركة فيه
قالوا ولهذا الطريق عرفنا ان خاصية الالهية هى القدرة على الاختراع ومما يوكد ذلك ان فرعون لما طلب
حقيقة الاله فقال تعالى وما رب العالمين قال موسى ربكم ورب ابايكم الاولين والربوبية اشارة الى
الخالقية التى ذكرها هنا وكل ذلك يدل على قولنا الثالثة اتفق المسلمون على ان اول الواجبات معرفة الله
تعالى او النظر فى معرفة الله تعالى او القصد الى ذلك النظر على الاختلاف المشهور فيما بينهم ثم ان الحكيم
سبحانه وتعالى لما اراد ان يبعثه رسولا الى المشركين لو قال اقرا باسم ربك الذى لا شريك له لابوا ان
يقبلوا ذلك منه لكنه تعالى قدم فى ذلك معرفة يلجيهم الى الاعتراف به كما يحكى ان زفر لما بعثه ابو
حنيفة رضى الله عنه الى البصرة ليقرروه فلما ذكر ابو حنيفة واخبره بذلك قال انك لم تعرف
طريق التبليغ لكن ارجع اليهم واذكر فى المسلة اقاويل ايمتهم ثم بين ضعفها ثم قل بعد ذلك
هاهنا قول اخر فاذكر قولى وحجتى فاذا تمكن ذلك من قلبهم فقل هذا قول ابى حنيفة لانه حينئذ
يستحيون فلا يردون فكذا هاهنا ان الحق سبحانه وتعالى يقول ان هولاء عباد الاوثان فلو اثنيت
على واعرضت عن الاوثان لابوا ذلك لكن اذكر لهم انهم هم الذين خلقوا من العلقة فلا يمكنهم انكاره
ثم قل ولا بد للفعل من فاعل فلا يمكنهم ان يضيفوا ذلك الى الوثن لعلمهم بانهم ينحتونه فبهذا التدريج
يقرون بانى انا المستحق للثنا دون الاوثان كما قال تعالى ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله ثم
صارت الالهية موقوفة على الخالقية حصل القطع بان من لم يخلق لم يكن الها فلهذا قال تعالى
افمن يخلق كمن لا يخلق ثم دلت الاية ان القول بالطبع باطل لان المؤثر فيه ان كان حادثا افتقر
الى مؤثر اخر وان كان قديما فاما ان يكون موجبا او قادرا فان كان موجبا لم يزد بقارنه الاثر
فلم يبق الا انه مختار وهو عالم لان التغير حصل على الترتيب الموافق للمصلحة الرابعة انما قال من علق
على الجمع لان الانسان فى معنى الجمع كقوله تعالى ان الانسان لفى خسر اما قوله تعالى اقرا وربك الاكرم الذى
علم بالقلم فيه مسايل الاولى قال بعضهم اقرا اولا لنفسك والثانى للتبليغ او الاول للتعلم من
جبريل والثانى للتعليم او اقرا فى صلاتك والثانى خارج صلاتك الثانية الكرم افادة ما ينبغى
لا لعوض فمن وهب السكين لمن يقتل به نفسه فهو ليس بكريم ومن اعطى ثم طلب عوضا فهو ليس بكريم
وليس يجب ان يكون العوض عينا بل المدح والثواب والتخلص عن المذمة كله عوض ولهذا قال اصحابنا انه سبحانه
وتعالى يستحيل ان يفعل فعلا لغرض لان حصول ذلك الغرض اولى من حصوله فحينئذ يستفيد بفعل
ذلك الشى حصول تلك الاولوية ولو لم يفعل ذلك الفعل لما كان يحصل له تلك الاولوية فيكون ناقصا
لذاته مستكملا لغيره وذلك محال ثم ذكروا فى بيان اكرميته تعالى وجوها احدها انه كم من كريم يحكم

وقت الجناية ولكن لا ينقطع احسانه على الوجه الذي كان وقيل الحنانة وهو تعالى الاكرم لانه يزيد في احسانه
بعد الجناية ومنه قول القايل متى ازددت تقصيرا تزدني تفضلا كاني بالتقصير استوجب الفضلا
وثانيها كريم لكن ربك الاكرم وكيف لا وكل كريم ينال بكرمه نفعا اما مدحا او ثوابا او يدفع ضررا اما
انا فالكريم لا افعله الا لمحض الكرم وثالثها الاكرم لانه الابتداء كل كريم واحسان وكرمه غير مشوب
بالتقصير ورابعها يحتمل ان يكون هذا حثا على القراءة اي هو الاكرم لا يجازيك بكل حرف عشرا او حث
على الاخلاص اي لا تقرأ للطمع ولكن لاجلي ودع علي امرك ان لا اعطيك ما لا يخطر ببالك ويحتمل تجرده لكن
الخلق ولا تخف فانا اكرم من ان امرك بهذا التكليف الشاق ثم لا انصرك الثالثة انه سبحانه وتعالى وصف
نفسه اولا بانه خلق الانسان من علق وثانيها انه الذي علم بالقلم ولا مناسبة في الظاهر بين الامرين لكن
التحقيق ان الاول احوال الانسان كونه علقة وهي اخس الاشيا واخر امره هو صيرورته عالما بحقايق الاشياء
وهو اشرف مراتب المخلوقات فكانه تعالى يقول انتقلت من اخس المراتب الى اعلا المراتب فلا بد لك من مدبر مقلب
ينقلك من تلك الحالة الى هذه الحالة الشريفة ثم فيه تنبيه على ان العلم اشرف الصفات كانه يقول الايجاد
والاحيا والاقدار والرزق كرم وربوبية اما الاكرم هو الذي اعطاك العلم لان العلم هو النهاية في الشرف الرابعة
قوله تعالى باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اشارة الى الدلالة العقلية الدالة على كمال القدرة والحكمة
والعلم والرحمة وقوله تعالى الذي علم بالقلم اشارة الى الاحكام المكتوبة التي لا سبيل الى معرفتها الا بالسمع
والاول كانه اشارة الى معرفة الربوبية انها غنية عن النبوة واما النبوة فانها محتاجة الى معرفة الربوبية الخامسة
في قوله تعالى علم بالقلم وجهان احدهما ان المراد من القلم الكتابة التي بها تعرف الامور الغايبة وجعل القلم
كناية عنها والثاني المراد علم الانسان الكتابة بالقلم وكلا القولين متقارب اذ المراد التنبيه على فضيلة الكتابة
يروى ان سليمان عليه السلام سال عفريتا عن الكلام فقال ريح لا يبقى قال فما قيده قال الكتابة بالقلم صار
بعد المعلوم يبكي وينعي برفعه فيجد الامام وحركته يبقى العلوم على ممر الليالي والايام نظيره قوله تعالى
وذكريا اذ نادى ربه وقوله تعالى زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا اخفى واسمع فكذا القلم لا ينطق ثم يسمع الشرق
والغرب فسبحانه من قادر سوى سوادها جعل الدين منورا كما انه جعله بالسواد مبصرا فالقلم قوام الانسان
والانسان قوام العين ولا تقل القلم نايب اللسان فان القلم ينوب عن اللسان واللسان لا ينوب عن القلم
التراب طهور ولو الى عشر حجج والقلم ولو الى المشرق والمغرب اما قوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم فيحتمل ان يكون
المراد علمه بالقلم وعلمه صناعة ذلك ولم يذكر النسق وقد يجري مثل هذا في الكلام تقول اكرمتك احسنت اليك
ملكتك الاموال ووليتك الولايات ويحتمل ان يكون المراد من اللفظين واحدا ويكون المعنى علم الانسان
ما لم يعلم فيكون قوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم بيانا لقوله تعالى علم بالقلم ثم قال تعالى كلا ان الانسان
ليطغى وفيه مسايل الاولى اكثر المفسرين على ان المراد من الانسان هاهنا انسان واحد وهو ابو جهل ثم منهم
من قال نزلت السورة من هاهنا الى اخرها في ابي جهل وقيل نزلت من قوله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى
الى اخر السورة في ابي جهل قال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء ابو جهل فقال الم انهك عن هذا
فزبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل انك لتعلم ما بها ناد اكبر مني فانزل الله تعالى فليدع ناديه سندع
الزبانية فقال ابن عباس والله لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله فكانه قال لما عرفوا انه مخلوق من علق
فلا يليق به التكبر فهو عند ذلك ازداد طغيانه وتعززه بماله ورياسته في مكة ويروى انه قال ليس بمكة
اكرم مني ولعله لعنه الله قال ذلك ردا لقوله وربك الاكرم ثم القايلون بهذا القول منهم من زعم انه
ليست هذه السورة من اول ما نزل ومنهم من قال يحتمل ان يكون خمس ايات من اولها نزلا ولا ثم نزل بقيه
بعد ذلك في شان ابي جهل ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم بضم ذلك الى اول السورة لان تاليف الايات انما كان بامر الله
تعالى الا ترى ان قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله اخر ما نزل عند المفسرين ثم هو مضموم الى ما نزل
قبله بزمان طويل القول الثاني ان المراد من الانسان المذكور في هذه الاية جملة الانسان والقول الاول
وان كان اظهر بحسب الروايات الا ان هذا القول اقرب بحسب الظاهر لانه سبحانه وتعالى بين انه خلقه من علقة
وابوه من علقة وانعم عليه بالنعم التي قدمنا ذكرها اذا اغنيناه وزدنا في النعم عليه فانه يطغى ويتجاوز
الحد في المعاصي واتباع هوى النفس وذلك وعيد وزجر عن هذه الطريقة ثم انه تعالى اكد هذا الزجر بقوله
تعالى ان الى ربك الرجعى اي الى حيث لا مالك سواه فتقع المحاسبة على ما كان منه من العمل والمؤاخذة بحسب
ذلك السادسة قوله تعالى كلا فيه وجوه احدها انه ردع وزجر لمن كفر بنعمة الله بطغيانه وان لم يذكر
لدلالة الكلام عليه وثانيها قال مقاتل كلا لا يعلم الانسان ان الله تعالى هو الذي خلقه من العلقة وعلمه
بعد الجهل وذلك لانه عند صيرورته غنيا يطغى ويتكبر ويصير مستغرق القلب في حب الدنيا فلا يتفكر في هذه
الاحوال ولا يتامل فيها وثالثها ذكر الجرجاني صاحب النظم ان كلا هاهنا بمعنى حقا لانه ليس قبله ولا بعده شي





يكون ردا له وهذا كما قالوه كلا والقمر فانهم زعموا انه بمعنى اي والقمر الثالثة الطغيان هو التكبر
والتمرد وتحقيق الكلام في هذه الاية ان الله تعالى لما ذكر في مقدمة السورة من الدلايل الظاهرة
على التوحيد بحيث يبعد من العاقل ان لا يطلع عليها ولا يقف على حقايقها اتبعها بما هو السبب
الاصلي في الغفلة عنها وهو حب الدنيا والاشتغال بالمال والجاه والثروة والقدرة فانه لا سبب لعمى
القلب في الحقيقة الا ذلك فان قيل ان فرعون ادعى الربوبية فقال في حقه الى فرعون انه طغى وذكر في ابي جهل
ليطغى فاكده بهذا اللام فما السبب في هذه الزيادة قلنا فيه وجوه احدها انه قال لموسى اذهب الى فرعون
انه طغى وذلك قبل ان تلقاه موسى عليه السلام وقبل ان تعرض عليه الادلة وقبل ان يدعي الربوبية واما
هاهنا فانه تعالى ذكر بعد هذه الاية تسلية لرسوله حين رد عليه اقبح الرد وثانيها ان فرعون مع كمال
سلطنته ما كان يزيد كفره على القول وما كان يتعرض لقتل موسى عليه السلام ولا لايذائه اما ابو جهل
فهو مع قلة جاهه كان يقصد قتل النبي عليه الصلاة والسلام وايذاه وثالثها ان فرعون احسن الى موسى
عليه السلام اولا وقال اخرا امنت واما ابو جهل فكان يحسد النبي عليه السلام في حياته وقال في اخر
زمنه بلغوا عني محمدا اني اموت ولا احدا ابغض الي منه ورابعها انهما وان كانا رسولين لكن الحبيب
في مقابلة الكليم كاليد في مقابلة العين والعاقل يصون عينه فوق ما يصون يده ولا يحتمل عينه
باليد فلهذا السبب كانت المبالغة هنا اكثر اما قوله تعالى ان راه استغنى ففيه مسايل الاولى
قال الاخفش اصله لان راه فحذف اللام كما قال انكم لتطغون ان رايتم عنكم الثانية قال الفراء
انما قال ان راه ولم يقل راى نفسه كما يقال قتل نفسه لان راه من الافعال التي تستدعي اسما وخبرا
نحو الظن والحسبان والعرب تطرح النفس من هذا الجنس فتقول رايتني وظننتني وحسبتني فقوله
تعالى ان راه استغنى من هذا الباب الثالثة في قوله تعالى استغنى وجهان احدهما بماله عن ربه
والمراد من الاية ليس هو الاول لان الانسان قد يبتلى الى الثروة فلا يزداد الا تواضعا كسليمان عليه السلام
فانه كان يجالس المساكين ويقول مسكين جالس مسكينا وعبد الرحمن بن عوف ما طغى مع كثرة امواله
بل العاقل يعلم انه عند الغنى يكون اكثر حاجة الى الله منه حال فقره لانه حال فقره لا يتمنى الا سلامة
نفسه واما في حال الغنى فانه يتمنى سلامة نفسه وماله ومماليكه وفي الاية وجه ثالث وهو ان
والمعنى ان الانسان راى ان نفسه انما نالت الغنى لانها طلبته وبذلت الجهد
في الطلب فنالت الثروة والغنى بسبب ذلك الجهد لا لانه نالها باعطاء الله تعالى وتوفيقه وهذا جهل
وحمق فكم من باذل وسعه في الحرص والطلب وهو يموت جوعا ثم ترى اكثر الاغنيا في الاخرة يصيرون مدبرين
جاهلين بسر هدا الله ان ذلك الغنى ما كان بفعلهم وقوتهم الرابعة اول السورة يدل على مدح العلم واخرها
على مذمة المال وكفى بذلك مرغبا في الدين والعلم ومنفرا عن الدنيا والمال ثم قال تعالى ان الى ربك الرجعى وفيه
مسايل الاولى هذا الكلام واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان
الثانية الرجعى المرجع والرجوع وهو باجمعها مصادر يقال رجع اليه رجوعا ومرجعا ورجعى على وزن
فعلى وفي معنى الاية وجهان احدهما انه يرى ثواب طاعته وعقاب تمرده وتكبره وطغيانه ونظيره قوله
تعالى ولا تحسبن الله غافلا الى قوله تعالى انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وهذه الموعظة لا تؤثر
الا في قلب من له قدم صدق اما الجاهل فيغضب ولا يعتقد الا في الفرح العاجل والقول الثاني انه تعالى
يرده ويرجعه الى النقصان والفقر والموت كما رده من النقصان الى الكمال حيث نقله من الجمادية
الى الحياة ومن الفقر الى الغنى ومن الذل الى العز فما هذا النفور والدمه الثالثة روي ان ابا جهل قال
للرسول عليه السلام اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا ناخذ
منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام وقال ان شيت فعلنا ذلك ثم ان لم
يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المايدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعا ابقاء عليهم
اما قوله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى ففيه مسايل الاولى عن ابي جهل انه قال هل يعفر محمد
وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لين رايته لاطان عنقه فجاءه ثم راى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الصلاة فنكص على عقبيه فقالوا له ما لك يا ابا الحكم فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار
وهولا شديدا وعن الحسن ان امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة واعلم ان ظاهر الاية ان المراد
من هذه الاية هو الانسان المتقدم ذكره فلذلك قالوا انه ورد في ابي جهل وذكروا ما كان منه من
التوعد لمحمد عليه الصلاة والسلام حين راه يصلي ولا يمتنع ان يكون نزوله في ابي جهل ثم يعم في الكل
لكن ما بعده يقتضي انه في رجل بعينه الثانية قوله تعالى ارايت خطاب مع الرسول عليه السلام
على سبيل التعجب ووجه التعجب فيه امور احدها انه عليه السلام قال اللهم اعز الاسلام بابي جهل

ابن هشام او بعمرو فكانه تعالى قال فان كنت تظن انه لعز الاسلام ومثله قوله ينهى عبدا اذا صلى وثانيها
انه كان يلقب بابي الحكم فكانه تعالى يقول فكيف يليق به هذا اللقب وهو ينهى العبد عن خدمته اي
عن خدمة ربه أيوصف بالحكمة من يمنع عن طاعة الرحمن ويسجد للاوثان وثالثها ان ذلك الاحمق يامر وينهى
ويعتقد انه يجب على الغير طاعته انه ليس بخالق ولا رب ثم انه ينهى عن طاعة الرب ولم يقل ينهاك وفيه
فوايد احدها ان التنكير في عبد يدل على كونه كاملا في العبودية لقول ابي حنيفه واما عبد الله فعبد الله
كانه يقول انه عبد لا يفي العالم بشرح بيانه وصفة اخلاصه في عبوديته وروي في هذا المعنى ان يهوديا
من فصحاء اليهود جاء الى عمر رضي الله عنه في ايام خلافته وقال اخبرني عن اخلاق رسولكم فقال
عمر رضي الله عنه اطلبه من بلال فهو اعلم به مني ثم ان بلالا دله على فاطمة رضي الله عنها ثم ان فاطمة
رضي الله عنها دلته على علي رضي الله تعالى عنه فلما سال عليا عنه قال صف لي متاع الدنيا حتى اصف
لك اخلاقه فقال الرجل هذا لا يتيسر لي فقال علي رضي الله تعالى عنه عجزت عن وصف الدنيا وقد
شهد الله تعالى على قلته حيث قال قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير فكيف اخلاق النبي صلى الله
عليه وسلم وقد شهد الله تعالى بانه عظيم حيث قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم فكانه قال ينهى
اشد الخلق عبودية عن العبودية وذلك عين الجهل والحمق وثانيها ان هذا ابلغ في الذم لان المعنى
ان هذا دابه وعادته فينهى كل من يرى وثالثها ان هذا التكليف كل من نهى عن الصلوة وروي
عن علي رضي الله تعالى عنه انه راى اقواما يصلون في المصلى قبل صلوة العيد فقال ما رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقيل له الا تنهاهم فقال اخشى ان ادخل في قوله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا
اذا صلى فلم يصرح بالنهي عن الصلوة واخذ ابو حنيفه رحمه الله منه هذا الادب الجميل حين قال له ابو يوسف
ايقول المصلي حين يرفع راسه من الركوع ربنا لك الحمد ويسجد ولم يصرح بالنهي ورابعها الظن ابو جهل
انه لو سجد محمد لي الا سجد ساجدا عمره ان محمدا عبد واحد ولي من الملائكة المقربين ملا لا يحصيهم
الا انا وهم دايما في الصلوة والتسبيح وخامسها انه تفخيم لشان النبي عليه السلام يقول انه مع
المسلمين نحو في نظيره الكتابه في سورة العقد حملت على القران ولم يسبق له ذكر اسرى بعبده انزل
على عبده وانه لما قام عبد الله ثم قال تعالى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى فيه مسايل الاولى
قوله تعالى ارايت خطاب لمن فيه وجهان الاول انه خطاب للنبي عليه السلام والدليل عليه ان الاول
وهو قوله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا للنبي عليه السلام والثاني وهو قوله تعالى ارايت ان كذب
وتولى للنبي عليه السلام فلو جعلنا الاوسط لغير النبي عليه السلام لخرج الكلام عن النظم الحسن
يقول تعالى يا محمد ارايت ان كان هذا الكافر ولم يقل لو كان اشارة الى المستقبل كانه يقول ارايت
ان صار على الهدى واستقبل بامر نفسه اما كان يليق به ذلك خيرا له من الكفر بالله تعالى والنهي عن خدمته
وطاعته كانه تعالى يقول تلهف عليه كيف فوت على نفسه المراتب العالية وقنع بالمراتب الردية القول
الثاني انه خطاب للكافر لان الله تعالى كالشاهد للظالم والمظلوم وكالمولى الذي قام بين يديه عبدان
وكالحكم الذي عنده المدعي والمدعى عليه فخاطب هذا مرة وهذا مرة فلما قال للنبي صلى الله عليه وسلم
ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى التفت بعد ذلك الى الكافر فقال ارايت يا كافر ان كانت صلاته هدى
ودعاوه الى الله تعالى امرا بالتقوى اتنهاه مع ذلك الثانية ها هنا سوال وهو ان المذكور في اول
الاية هو الصلاة وهو قوله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى والمذكور ههنا امران وهو قوله تعالى
ارايت ان كان على الهدى في فعل الصلوة فلم ضم اليه شيا ثانيا وهو قوله تعالى او امر بالتقوى الجواب
من وجوه احدها ان الذي كان يشق على ابي جهل من افعال الرسول عليه السلام هو هذان الامران
الصلوة والدعا الى الله تعالى فلا جرم ذكرهما ههنا وثانيها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يوجد
الا في احد امرين اما في اصلاح نفسه وذلك بفعل الصلوة او في اصلاح غيره وذلك بالامر بالتقوى وثالثها
انه عليه الصلوة والسلام كان في صلاته على الهدى والامر بالتقوى لان كان كل من راه وهو في الصلوة
يرى قبلة فيميل الى الايمان فكان فعل الصلوة دعوة بلسان الفعل وهو اقوى من الدعوة بلسان
القول ثم قال تعالى ارايت ان كذب وتولى وفيه قولان الاول انه خطاب مع الرسول عليه السلام
لان الدلايل التي ذكرها في اول هذه السورة جلية ظاهرة وكل احد يعلم ببديهة عقله ان منع
العبد من خدمة مولاه فعل باطل وسفه ظاهر فاذا كل من كذب بتلك الدلايل وتولى عن خدمة
مولاه يعلم بعقله السليم انه على الباطل وانه لا يفعل ذلك الا عنادا فلهذا قال تعالى لرسوله عليه السلام
ارايت يا محمد كذب هذا الكافر عن تلك الدلايل الواضحة وتولى عن خدمة خالقه ان يعلم بعقله
ان الله يرى منه هذه الاعمال القبيحه ويعلمها فلا يزجره ذلك عن هذه الافعال والثاني انه خطاب

للكافر



للكافر والمعنى ان كان محمد كاذبا او متوليا افلا يعلم بان الله يرى حتى ينتهي بل يحتاج الى الهلاك اما قوله تعالى
الم يعلم بان الله يرى ففيه مسئلتان الاولى المقصود من الاية التهديد بالحشر والنشر والمعنى انه تعالى عالم بجميع
المعلومات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء فلا بد وان يوصل جزا كل احد اليه بتمامه فيكون
هذا تخويفا شديدا للعصاة وترغيبا عظيما لاهل الطاعة الثانيه هذه الاية وان نزلت في حق ابي جهل
فكل من تولى عن طاعته لهو شريك ابي جهل في هذا الوعيد ولا يلزم عليه المنع في الصلوة في الدار المغصوبة
والاوقات المكروهة لان النهي عنه غير الصلاة وهو المعصية ولا يلزم المولى يمنع عبده عن قيام الليل وصوم
التطوع ووجه عن الاعتكاف لان ذلك لاستيفاء مصلحته باذن ربه لا لنهيه عن عبادة ربه
ثم قال تعالى كلا وفيه وجوه احدها انه ردع لابي جهل ومنع له عن نهيه عن عبادة الله تعالى وامره
بعبادة اللات وثانيها كلا لن يصل ابو جهل الى ما يقول انه يقتل محمدا او يطا عنقه بل تلميذ محمد هو
الذي يقتله ويطا صدره وثالثها قال مقاتل كلا لا يعلم ان الله يرى وان كان يعلم لكن اذا كان لا ينتفع
بما يعلم فكانه لا يعلم ثم قال تعالى لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا فيه وجوه احدها لناخذن بناصيته
ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة وهذا كقوله تعالى فيوخذ بالنواصي والاقدام
وثانيها السفع الضرب اي لنلطمن وجهه بالنار ولنسودن وجهه قال الخليل يقال للشيء اذا لفحته النار
لفحا فغيرت لون البشرة قد سفعته النار قال والسفع ثلاثة احجار يوضع عليها القدر وسميت بذلك لسوادها
والسفعه سواد في الخدين وبالجملة تسويد الوجه علامة الاذلال والاهانة وربما السمه كما قال ابن عباس رضي الله
في قوله تعالى سنسمه على الخرطوم انه ابو جهل وربما يسعد بها الثالثه قرئ لنسفعن بالنون المشددة
الى الفاعل لهذا الفعل هو الله والملائكة على ما قال تعالى فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين وقرا ابن
مسعود لاسفعا اي يقول الله يا محمد انا الذي اتولى اهانته هو نظيره قوله تعالى هو الذي ايدك بنصره وقوله
تعالى هو الذي انزل السكينه المسئلة الرابعة هذا السفع يحتمل ان يكون المراد به في الاخرة وان يكون المراد
منه في الدنيا وهذا ايضا على وجوه احدها ما روي ان ابا جهل قال ان رايته يصلي لاطان على عنقه فانزل الله
عليه هذه السورة وامره جبريل ان يقراها على ابي جهل ويخر لله ساجدا في اخرها ففعل فعدا اليه ابو جهل
ليطا عنقه فلما دنا منه نكص راجعا فقيل له ما لك فقال ان بيني وبينه فحلا فاتحا فاه لو مشيت اليه
لالتقمني وقيل كان جبريل وميكايل عليهما السلام على كيفية صورة الاسد والمراد ان يكون المراد يوم بدر
فيكون ذلك بشارة بانه تعالى يمكن المسلمين من ناصيته حتى يجرونه الى القتل اذا عاد الى النهي فلما
عاد لا جرم مكنهم الله تعالى من ناصيته يوم بدر روي انه لما نزلت سورة الرحمن قال عليه السلام
يسبق عليه لما يعلمه من ضعفه وصغر جثته ثم انه وصل اليهم فراهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح بقراءة
السورة فقام ابو جهل فلطمه فشق اذنه فانصرف وعينه تدمع فلما راه النبي عليه السلام رق عليه قلبه
واطرق راسه مغموما واذا بجبريل قد هبط ضاحكا مستبشرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل
تضحك وابن مسعود يبكي فقال سيعلم فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود ان يكون له حظ في الجهاد
فقال عليه السلام خذ رمحك والتمس في الجرحى من كان به رمق فاقتله فانك تنال ثواب المجاهدين فاخذ
يطالع القتلى فاذا ابو جهل مصروع يخور في دمه فخاف ان يكون به قوة فيوذيه فوضع الرمح على منحره من
بعيد فطعنه ولعل هذا معنى قوله تعالى سنسمه على الخرطوم ثم لما عرف عجزه لم يقدر ان يصعد على صدره
لضعفه فارتقى اليه بحيلة فلما راه ابو جهل قال يا رويعي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال ابن مسعود
الاسلام يعلو ولا يعلى عليه ثم قال ابو جهل بلغ صاحبك عني انه لم يكن احد ابغض الي منه في حياتي
ولا احد ابغض الي منه في حال مماتي فروي انه عليه السلام لما سمع ذلك قال فرعوني اشد من فرعون موسى فانه قال
امنت وقد زاد عتوا ثم قال لابن مسعود اقطع راسي بسيفي هذا لانه احد فلما قطع راسه لم يقدر
على حمله ولعل الحكيم سبحانه وتعالى انما خلقه ضعيفا لاجل ان لا يقوى على الحمل لوجوه احدها انه
كلب والكلب نجس والثاني لشق اذنه فيقتص الاذن بالاذن والثالث لتحقق الوعيد المذكور بقوله
تعالى لنسفعا بالناصية ناصية فجر راسه على ما قال ثم ان ابن مسعود لما لم يطقه شق اذنه وجعل
الخيط فيه وجعل يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام بين يديه يضحك ويقول
يا محمد اذن باذن لكن ها هنا الراس مع الاذن فهذا ما روي في مقتل ابي جهل نقلته معنى لا لفظا
وهو معنى قوله تعالى لنسفعا بالناصية الخامسة الناصية شعر الجبهة فقد يسمى مكان الشعر ناصية
ثم انه تعالى كنى ها هنا عن الوجه والراس بالناصية ولعل السبب فيه ان ابا جهل كان شديد الاهتمام بترجيل
تلك الناصية وتطييبها وربما كان يهتم ايضا بتسويدها فاخبره الله تعالى انه يسودها مع الوجه السادسة
انه تعالى عرف الناصية بحرف التعريف كانه يقول الناصية المعروفة عندكم ذاتها لكونها مجهولة عندكم صفاتها

ناصية اى ناصية كاذبة قولا خاطئة فعلا وانما وصف بالكذب لانه كان كذبا على الله تعالى في انه لم يرسل
محمدا وكاذبا على الله تعالى في انه ساحرا وكذاب وليس بنبي وقيل كذبه انه قال انا اكثر اهل الوادي ناديا ووصف
الناصية بانها خاطيه لان صاحبها متمرد على الله تعالى قال الله تعالى لا ياكله الا الخاطئون والفرق
بين الخاطئ والمخطئ ان الخاطئ معاقب ماجور والمخطئ غير ماجور ووصف الناصيه بالخاطئة الكاذبة
كما وصف الوجوه بانها ناظرة في قوله تعالى الى ربها ناظرة السابعة ناصية بدل من الناصية وجاز بدلها
عن المعرفة وهي نكرة لانها وصفت فاستقلت بفايدة الثامنة قوله تعالى ناصية بالرفع على التقدير
هي الناصية وبالنصب وكلاهما على الشتم واعلم ان الرسول عليه السلام لما اغلظ القول لابي
جهل وتلا عليه هذه الاية قال يا محمد بمن تهددني وانا اكثر هذا الوادي ناديا فافتخر بجماعته الذين
كانوا ياكلون حطامه فنزل قوله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية وفيه مسايل الاولى
قد مر تفسير النادي عند قوله تعالى وتاتون في ناديكم المنكر قال ابو عبيده ناديه اهل مجلسه
وبالجملة فالمراد من النادي اي النادي ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه اهله وسمي ناديا
لان القوم يندون اليه ندوا وندوة ومنه دار الندوة بمكة وكانوا يجتمعون فيها للتشاور
قيل سميت ناديا لا مجلس الندى والجود ذكر ذلك على سبيل التهكم اي اجمع اهل الكرم والجود في زعمك
فينصروك الثانية قال ابو عبيده والمبرد واحد الزبانية واصله من زبنه اذا دفعته وهو كل
متمرد من انس او جن ومثله في المعنى والتقدير عفريت يقال زبنية اي عفرية وقال الاخفش قال
بعضهم واحدها الزبانية وقال اخرون الزابن وقال اخرون هذا من الجمع الذي لا واحد له في لغة
العرب مثل ابابيل وعباديد وبالجملة فالمراد ملايكة العذاب ولا شك انهم مخصوصون بقوة شديدة
قال قوم هم خزنة جهنم ارجلهم في الارض ورووسهم في السما وقال قتادة الزبانية هم الشرطه في كلام
العرب وهم الملايكة الغلاظ الشداد وملايكة النار سموا زبانية لانهم يزبنون الكفار اي يدفعونهم
في جهنم الثالثه في الاية قولان الاول ان تفعل ما ذكره من انه يدعوا انصاره ويستعين بهم في مناصبه
محمد فانه لو فعل ذلك فنحن ندعوا الزبانية الذين لا طاقة لناديه وقومه بهم قال بن عباس رضي الله عنه
لو دعا ناديه لاخذته الزبانية من ساعته معاينه وقيل هذا اخبار من الله تعالى بانه يجر في النار كالكلب
وقد فعل به ذلك يوم بدر وقيل اخبار بان الزبانية يجرونه في الاخرة الى النار والقول الثاني في الاية
تقديم وتاخير اي لنسفعا بالناصية وسندع الزبانية في الاخرة فليدع ناديه هو حينئذ فليمنعوه
الرابعة الفايدة في قوله تعالى فليدع ناديه يدل على العجز لان هذا يكون تحريضا للكافر على دعوة ناديه
وقومه ومتى فعل ذلك ترتب عليه دعوة الزبانية فلما لم يجسر الكافر على ذلك دل على ظهور معجزة الرسول
الخامسة قرى سندع الزبانية على المجهول وهذه السين للشك فان عسى من الله تعالى واجب
وخصوصا عند بشارة الرسول عليه السلام فانه يسقي له من عدوه ولعل فايدة السين هو المراد من
قوله عليه السلام لانصرنك ولو بعد حين ثم قال تعالى كلا وهو ردع لابي جهل وقيل معناه لن تصل
الى ما تتكلفه من ان يدعوا ناديه ولئن دعاهم لن ينفعوه ولن ينصروه وهو اذل واحقر من ان يقاومك
ويحتمل لن ينال ما يعني من طاعتك حين نهاك عن الصلاة وقيل معناه الا تطعه وهو كقوله تعالى فلا تطع
المكذبين واسجد وعند اكثر اهل التاويل به صل وتوفر على عبادة الله تعالى فعلا وابلاغا وقيل فكرك
في هذا العدو فان الله تعالى مقويك وناصرك وقال بعضهم المراد واسجد يا محمد واقترب يا ابا جهل
منه حتى تبصر ما ينالك من اخذ الزبانية اياك وكانه تعالى امره بالسجود ليزداد غيظ الكافر كقوله
تعالى ليغيظ بهم الكفار والسبب الموجب لازدياد الغيظ هو ان الكافر كان يمنعه من القيام
فيكون غيظه وغضبه عند مشاهدة السجود اتم ثم قال تعالى عند ذلك واقترب منه
يا ابا جهل وضع قدمك عليه فان الرجل ساجد مشغول بنفسه وهذا تهكم به واحتقار لشانه

انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر تنزل
الملايكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر فيه مسايل المسلة
الاولى اجمع المفسرون على ان المراد انا انزلنا القران في ليلة القدر ولكنه تعالى ترك التصريح بالذكر لان هذا
التركيب يدل على عظم القران من ثلاثه اوجه احدها انه اسند انزاله اليه وجعله مختصا به
دون غيره والثاني انه جا بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغنا عن التصريح

الاترى



الاترى انه في اول السورة المتقدمة لم يذكر اسم ابي جهل ولم يخف على احد لاشتهاره وقوله تعالى
فلولا اذا بلغت الحلقوم لم يذكر الموت لشهرته فكذا هاهنا والثالث تعظيم الوقت الذي نزل فيه الثانية
انه تعالى قال في بعض المواضع اني جاعل في الارض خليفه وفي بعض المواضع انا كقوله انا انزلناه في ليلة
القدر انا نحن نزلنا الذكر انا ارسلنا نوحا انا اعطيناك الكوثر واعلم ان قوله انا تارة يراد به
الجمع وتارة يراد التعظيم وحمله على الجمع محال لان الدلايل دلت على وحدانية الصانع ولانه لو كان
في الالهية كثرة لانحطت رتبة كل واحد منهم عن الاخر وكونه مستغنيا عنه فهو نقص في حقه
فيكون الكل ناقصا وان لم يكن كل واحد منهم قادرا على الكمال ناقصا فعلمنا ان قوله انا محمول على
التعظيم لا على الجمع الثالثة ان قيل ما معنى انه انزل ليلة القدر مع العلم بانه انزل نجوما فيه وجوه
احدها قال الشعبي ابتدا بانزاله ليلة القدر لان المبعث كان في رمضان والثاني قال بن عباس
رضي الله عنهما انزل الى سما الدنيا جملة ليلة القدر ثم الى الارض نجوما كما قال تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم
وقد ذكرنا هذه المسلة في قوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران لا يقال فعلى هذا القول لم
لم يقل انا انزلناه الى السما لان اطلاقه يوهم الانزال لانا نقول لان انزاله الى السما كانزاله الى الارض
لانه لم يكن ليشرع في امر ثم لا يتمه وهو كغايب جاء الى نواحي البلد يقال جاء فلان او يقال الغرض
من تقريبه الى سما الدنيا او لتشويقهم الى نزوله كمن يسمع الخبر بمجي منشور لوالده او امامه فانه يزداد
شوقه الى مطالعته كما قال واعظم ما يكون الشوق يوما اذا دنت الخيام من الخيام وهذا لان السما
كالمشترك بيننا وبين الملايكة فهي لهم مسكن ولنا سقف وزينة كما قال تعالى وجعلنا السماء
سقفا محفوظا فانزاله القران هناك كانزاله هاهنا والوجه الثالث في الجواب ان التقدير انزلنا هذا
الذكر في ليلة القدر وبيان شرفه المرابعة القدر مصدر قدرت اقدر قدرا والمراد به ما يمضيه
الله تعالى من الامور وقال تعالى انا كل شي خلقناه بقدر والقدر والقدر واحد الا انه بالتسكين مصدر
وبالفتح اسم قال الواحدي القدر في اللغة بمعنى التقدير وهو جعل الشي على مساواة غيره من غير
زيادة ولا نقصان واختلفوا في انه لم سميت الليلة بليلة القدر على وجوه احدها انها ليلة التقدير
والاحكام قال عطا عن بن عباس ان الله تعالى قدر ما يكون في كل تلك السنة من مطر ورزق واحيا
واماتة الى مثل هذه الليلة من السنة الاتية ونظيره قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم واعلم
ان تقدير الله تعالى لا يحدث في تلك الليلة فانه تعالى قدر المقادير قبل ان يخلق السموات والارض
في الازل بل المراد اظهار تلك المقادير للملايكة في تلك الليلة بان يكتبوها في اللوح المحفوظ وهذا
القول اختيار عامة العلما الثاني نقل عن الزهري انه قال ليلة القدر ليلة العظمة والشرف من قولهم
لفلان قدر عند فلان اي منزلة وشرف ويدل عليه قوله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر ثم هذا
يحتمل وجهين احدهما ان يرجع ذلك الى الفاعل اي من اتى فيها بالطاعات صار ذا قدر في تلك الليلة
قدر زايد وشرف زايد وعن ابي بكر سميت ليلة القدر لانه نزل فيها كتاب ذو قدر على لسان
ملك ذي قدر على امة لها قدر ولعل الله تعالى انما ذكر لفظ القدر في هذه السورة ثلاث مرات
لهذا السبب القول الثالث سميت ليلة القدر اي الضيق فان الارض تضيق عن الملايكة الخامسة
انه تعالى اخفى هذه الليلة لوجوه احدها انه تعالى اخفاها كما اخفى ساير الاشيا فانه اخفى رضاه
في الطاعات حتى يرغبوا في الكل واخفى غضبه في المعاصي ليحترزوا عن الكل واخفى وليه فيما بين الناس
حتى يعظموا الكل واخفى الاجابة في الدعا ليبالغوا في الدعوات واخفى الاسم الاعظم ليعظموا كل الاسما
واخفى الصلوة ليحافظوا على الكل واخفى قبول التوبة ليواظب المكلف على جميع اقسام التوبة واخفى
وقت الموت ليخاف المكلف فكذا اخفى هذه الليلة ليعظموا جميع ليالي رمضان وثانيها كانه تعالى
يقول لو عينت ليلة القدر وانا عالم بتجاسرك على المعصية فربما دعتك الشهوة في تلك الليلة الى
المعصية فوقعت في الذنب فكانت معصيتك مع علمك اشد من معصيتك لا مع علمك فلهذا السبب اخفيت
عليك روي انه عليه السلام دخل المسجد فراى نايما فقال يا علي نبهه ليتوضا فايقظه علي
ثم قال يا رسول الله انك سابق الى الخيرات فلم لم تنبهه قال لان رده عليك كفر ورده عليك
ليس بكفر ففعلت ذلك ليخف جنايته لو ابى فاذا كان هذا رحمة الرسول عليه السلام فقس عليه
رحمة الرب تعالى فكانه تعالى يقول اذا علمت ليلة القدر فان اطعت فيها اكتسبت ثواب الف شهر
وان عصيت فيها اكتسبت عقاب الف شهر ودفع العقاب اولى من جلب الثواب وثالثها اني اخفيت هذه الليلة ليجتهد المكلف في طلبها فيكتسب
ثواب الاجتهاد ورابعها ان العبد اذا لم يتيقن ليلة القدر فانه يجتهد في الطاعة في جميع ليالي
رمضان على رجا وربما كانت هذه الليلة هي ليلة القدر فيباهي الله تعالى ملايكته ويقول يقولون

فيهم يفسدون ويسفكون الدما وهذا جده واجتهاده في الليلة المظنونة فكيف لو جعلتها معلومة له فحينئذ
يظهر اني اعلم ما لا تعلمون السادسة اختلفوا في ان هذه الليلة هل تستتبع اليوم قال الشعبي يومها
كليلتها ولعل الوجه فيه ان ذكر الليالي تستتبع الايام ومنه اذا نذر اعتكاف ليلتين لزمناه بيومهما
وقال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي اليوم يخلف ليلته وبالضد السابع هذه الليلة هل
هي باقية قال الخليل من قال ان فضلها لنزول القران يقول انقطعت وكانت مرة والجمهور على انها باقية وعلى هذا
هل هي مختصة برمضان ام لا روي عن ابن مسعود انه قال من يقم الحول يصبها وفسرها عكرمة بليلة البراة في قوله تعالى
انا انزلناه في ليلة القدر انا انزلناه في ليلة مباركة والجمهور على انها مختصة برمضان واحتجوا عليه
بقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران وقال انا انزلناه في ليلة القدر فوجب ان يكون ليلة
القدر في رمضان لئلا يلزم التناقض وعلى هذا القول اختلفوا في تعيينه على ثمانية اقوال قال ابن
رزين ليلة القدر هي الليلة الاولى من رمضان وقال الحسن البصري السابعة عشر وعن انس مرفوعا
التاسعة عشر وقال محمد بن اسحاق هي الحادية والعشرون وعن ابن عباس الثالثة والعشرون وقال
ابن مسعود الرابعة والعشرون وقال ابو ذر الغفاري الخامسة والعشرون وقال ابي بن كعب وجماعة
من الصحابة السابعة والعشرون وقال بعضهم التاسعة والعشرون اما الذين قالوا انها الليلة الاولى
قال روى ابو هريرة ان صحف ابرهيم عليه السلام انزلت في الليلة الاولى من رمضان والتورية لست ليال
مضين من رمضان بعد صحف ابرهيم عليه السلام بسبع مائة سنة وانزل الزبور على داود عليه السلام
لست عشرة ليلة خلت من رمضان بعد الزبور بست مائة عام وعشرين عاما وانزل الانجيل على عيسى عليه السلام
لثماني عشرة ليلة وكان القران ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم في كل ليلة قدر من السنة الى السنة
كان جبريل عليه السلام ينزل به من بيت العزة من السما السابعة الى سماء الدنيا فانزل الله تعالى
القران في عشرين شهرا في عشرين سنة فلما كان هذا الشهر هو الشهر الذي حصلت فيه الخيرات العظيمة
لا جرم كان في غاية الشرف والقدر والرتبة فكانت الليلة الاولى منه ليلة القدر واما الحسن البصري فانه
قال هي ليلة سبع عشرة لانها ليلة كانت صبيحتها وقعة بدر واما التاسعة عشرة فقد روى انس
فيها خبرا واما ليلة الحادي والعشرون فمال الشافعي اليه لحديث الما والطين والذي عليه المعظم
انها ليلة السابع والعشرين وذكروا فيه امارات ضعيفة احدها حديث ابن عباس ان السورة ثلاثون
كلمة وقوله هي ليلة السابع والعشرين منه وثانيها روي ان عمر رضي الله عنه سال الصحابة ثم قال لابن عباس غص
يا غواص فقال زيد بن ثابت احضرت اولاد المهاجرين وما احضرت اولادنا فقال عمر لعلك تقول ان هذا
غلام ولكن عنده ما ليس عندكم فقال ابن عباس احب الاعداد الى الله تعالى الوتر والله السبعة فذكر
السموات السبع والارضين السبع والاسبوع ودركات النار وعدد الطواف والاعضا سبعة فدل انها
السابعة والعشرون وثالثها ايضا نقل عن ابن عباس انه قال ليلة القدر تسعة احرف وهو مذكور
ثلاث مرات فتكون السابعة والعشرون ورابعها انه كان لعثمان بن ابي العاص غلام فقال يا مولاي
ان البحر يعذب ليلة من الشهر قال اذا كانت تلك الليلة فاعلمني فاذا هي السابعة والعشرون من رمضان
واما من قال انها الليلة الاخيرة قال لانها هي التي تتم فيها طاعات هذا الشهر فاول رمضان كآدم
واخره كمحمد ولذلك روي في الحديث يعتق في اخر رمضان بعدد ما اعتق من اول الشهر الى اخره بل
الليلة الاولى كمن ولد له ذكر فهي ليلة شكر والاخيرة ليلة الفراق كمن مات له ولد فهي ليلة صبر
وقد علمت فرق ما بين الصبر والشكر ثم قال تعالى وما ادراك ما ليلة القدر يعني ولم تبلغ
درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم انه تعالى بين فضيلتها من ثلاثة اوجه الاول قوله
تعالى ليلة القدر خير من الف شهر وفيه مسايل الاولى في تفسير الاية وجوه احدها ان العبادة
فيها خير من الف شهر ليس فيها هذه الليلة وانما كان كذلك لما يريد الله تعالى فيها من المنافع والارزاق
وانواع الخير وثانيها قال مجاهد كان في بني اسرايل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد حتى يمسي
فعل ذلك الف شهر فتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فانزل الله تعالى هذه الاية اي ليلة
القدر خير من الف شهر كذلك الاسرايلي الذي حمل السلاح الف شهر وثالثها قال مالك بن انس اري
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمار الناس فاستقصر اعمار امته وخاف ان لا يبلغوا من الاعمار مثل
ما بلغ ساير الامم ورابعها روى القسم بن فضل عن عيسى بن مازن قال قلت للحسن ابن علي يا مسود
وجوه المومنين عمدت الى هذا الرجل فبايعت له يعني معاوية فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اري في منامه بني امية يطوون منبره واحدا بعد واحد وفي رواية ينزون على منبره نزو القردة
فشق ذلك عليه فانزل الله تعالى هذه الاية انا انزلناه في ليلة القدر الى قوله تعالى خير من الف شهر





يعني بني امية قال القسم فحسبنا ملك بني امية كانت مذمومة واعلم ان هذا الطعن ضعيف وذلك
ان ايام بني امية كانت اياما عظيمة بحسب السعادات الدنيوية فلا يمتنع ان يقول الله اني اعطيتك ليلة
هي في السعادات الدينية اعظم من تلك السعادات الدنيوية الثانية هذه الاية فيها بشارة عظيمة وفيها
تهديد عظيم اما البشارة فهي انه تعالى ذكر ان هذه الليلة خير ثم ما بين قدر الخيرية وهذا كقوله عليه السلام
لمبارزة علي مع عمرو بن عبد ود افضل من عمل امتي الى يوم القيمة فلم يقل مثل عمله بل قال افضل كانه يقول حسبك
هذا من الوزن والباقي جزاف واعلم انه من احياها فكانه احيا عند الله نيفا وثمانين سنة ومن احياها كل سنة
فكانه رزق اعمارا كثيرة ومن احيا الشهر لينالها بيقين فكانه احيا ثلاثين قدرا يروى انه يجاء يوم القيمة بالاسرايلي
الذي عبد الله تعالى اربع مائة سنة ويجاء برجل من هذه الامة وقد عبد الله تعالى اربعين سنة فيكون
ثوابه اكثر فيقول لانكم كنتم تخافون العقوبة المعجلة فتعبدون وامة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا امنين
لقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ثم انهم كانوا يعبدون فلهذا السبب كانت عبادتهم افضل واما
التهديد فهو انه تعالى توعد صاحب الكبيرة بالدخول في النار وان احيا مائة ليلة من القدر لا يخلصه عن ذلك
العذاب بشطر حبة واحدة ففيها اشارة الى تعظيم حال الذنب والمعصية الثالثة لقايل ان يقول
صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اجرك على قدر نصبك ومن المعلوم ان الطاعة في الف
شهر اشق من الطاعة في ليلة واحدة فكيف يعقل استواوهما والجواب من وجوه احدها ان الفعل الواحد يختلف
حاله في الحسن والقبح بسبب اختلاف الوجوه المنضمة اليه الا ترى ان صلوة الجماعة تفضل على صلوة الفذ بكذا
درجة مع ان الصورة قد تنقص فان المسبوق عنه سقطت ركعة واحدة وايضا فانت تقول لمن يرجم
انه انما يرجم لانه زان فهو قول حسن ولو قلته للنصراني فهو قذف يوجب التعزير ولو قلته لمحصن فهو يوجب
الحد فقد اختلف الاحكام في هذه المواضع مع ان الصورة واحدة في الكل بل لو قلته في حق عايشة رضي الله عنها كان
قوله ولذلك قال تعالى وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وذلك لان هذا طعن في حق عايشة رضي الله عنها
التي كانت رحلة في العلم لقوله عليه السلام خذوا ثلثي دينكم من هذه الحميرا وطعن في صفوان مع انه كان
رجلا بدريا وطعن في كافة المومنين لانها ام المومنين والمطالبة بقذف الام وان كان كافرا بل طعن في
النبي الذي كان اشد خلق الله غيرة بل طعن في حكمة الله تعالى اذ لا يجوز ان يتركه حتى يتزوج بامراة زانية
ثم القايل بهذا القول هذا زان فقد ظن ان هذه اللفظة سهلة مع انها اثقل من الجبال فقد ثبت بهذا
ان الافعال تختلف اثارها في الثواب والعقاب لاختلاف وجوهها فلا يبعد ان تكون الطاعة القليلة
في الصورة مساوية في الثواب للطاعات الكثيرة والوجه الثاني في الجواب ان مقصود الحكيم سبحانه
وتعالى ان يجر الخلق الى الطاعات فتارة يجعل ثمن الطاعة ضعفين فقال تعالى ان مع العسر يسرا ومرة بسبع
مائة وتارة بحسب الازمنة وتارة بحسب الامكنة والمقصود الاصلي من الكل جر المكلف الى الطاعة وصرفه
عن الاشتغال بالدنيا فتارة يرجح البيت وزمزم على ساير البلاد وتارة يفضل الجمعة على ساير الايام
وتارة يفضل ليلة القدر على ساير الليالي والمقصود ما ذكرناه الوجه الثالث من فضايل هذه الليلة
قوله تعالى تنزل الملايكة والروح فيها فيه مسايل الاولى اعلم ان نظر الملايكة على الارواح ونظر البشر
على الاشباح ثم ان الملايكة لما راوا روحك محلا للصفات الذميمة من الشهوة والغضب ما قبلوك فقالوا
اتجعل فيها من يفسد فيها وابواك لما راوا اقبح صورتك في اول الامر حين كنت منيا ما قبلوك ايضا
بل اظهروا النفرة واستقذروا ذلك المني والعلقة وغسلوا ثيابهم عنه ثم كم احتالوا للاسقاط والابطال
ثم انه تعالى لما اعطاه الصورة الحسنة فالابوان لما راوا تلك الصورة الحسنة قبلوك ومالوا اليك فكذا
الملايكة لما راوا في روحك الصورة الحسنة وهي معرفة الله تعالى وطاعته احبوك فنزلوا اليك معتذرين
عما قالوا اولا فهذا هو المراد من قوله تعالى تنزل الملايكة فاذا نزلوا اليك راوا روحك في ظلمة القوى
الجسمانية فحينئذ يعتذرون عما تقدم ويستغفرون للذين امنوا الثانية ان قوله تعالى تنزل الملايكة
يقتضي ظاهره نزول كل الملايكة ثم ان الملايكة لهم كثرة عظيمة لا يحتمل كلهم الارض فلهذا السبب اختلفوا
فقال بعضهم انها تنزل باسرهم الى سماء الدنيا فان قيل الاشكال بعد باق لان سماء الدنيا مملوة بحيث
لا يوجد فيه موضع اهاب الا وفيه ملك فكيف يسع الجميع سما واحدة قلنا يقضي بعموم الكتاب
على خبر الواحد كيف والمروي انهم ينزلون فوجا فوجا فمن نازل وصاعد كاهل الحج فانهم على كثرتهم يدخلون
الكعبة بالكلية لكن الناس بين داخل وخارج ولهذا السبب الى غاية طلوع الفجر ولذلك ذكره بلفظ تنزل
الذي يفيد المرة بعد المرة والقول الثاني وهو اختيار الاكثرين انهم ينزلون الى الارض وهو الاوجه لان الغرض
هو الترغيب في احيا هذه الليلة ولدلالة الاحاديث على ان الملايكة ينزلون في ساير الايام الى مجالس الذكر
والدين فلان يحصل في هذه الليلة مع علو شانها اولى ولان النزول المطلق لا يفيد الا النزول من السماء

الى الارض ثم اختلف من قال ينزلون الى الارض على وجوه احدها قال بعضهم ينزلون ليروا عبادة البشر وجدهم واجتهادهم
في الطاعة وثانيها ان الملائكة قالوا وما نتنزل الا بامر ربك فهذا يدل على انهم كانوا مامورين بذلك
النزول فلا يدل على غاية المحبة اما هذه الاية وهي قوله تعالى باذن ربهم فانها تدل على انهم استاذنوا
اولا فاذنوا وذلك يدل على غاية المحبة لانهم كانوا يرغبون الينا ويتمنون لقانا لكن كانوا ينتظرون
الاذن فان قيل قوله تعالى وانا لنحن الصافون ينافي قوله تعالى تنزل الملائكة قلنا نصرف الحالتان
الى زمانين مختلفين وثالثها انه وعد تعالى في الاخرة ان الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
فها هنا في الدنيا قال ان اشتغلت بعبادتي نزلت الملائكة عليك حتى يدخلوا عليكم للتسليم والزيادة
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم ينزلون ليسلموا علينا وليشفعوا فان اصابته التسليمة
غفر له ذنبه ورابعها ان الله تعالى فضل هذه الليلة والاشتغال بطاعته في الارض فهم ينزلون
الى الارض لتصير طاعاتهم اكثر ثوابا كما ان الرجل يذهب الى مكة لتصير طاعاته هناك اكثر ثوابا وذلك
كله ترغيب للانسان في الطاعة وخامسها ان الانسان ياتي بالطاعات والخيرات عند حضور الاكابر
من العلماء والزهاد احسن مما يكون في الخلوة فالله تعالى ينزل الملائكة المقربين حتى ان المكلف
يعلم انه انما ياتي بالطاعات في حضور اولئك العلماء العباد الزهاد فيكون اتم وعن النقصان
ابعد وسادسها من الناس من خص لفظ الملائكة ببعض فرق الملائكة عن كعب ان سدرة المنتهى
على حد السماء السابعة مما يلي الجنة فهي على حد هواء الدنيا وهواء الاخرة وساقها في الجنة واغصانها
تحت الكرسي فيها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله ومقام جبريل في وسطها ليس فيها ملك الا وقد
اعطي الرافة والرحمة للمومنين ينزلون مع جبريل ليلة القدر فلا يبقى بقعة من الارض الا
وعليها ملك ساجدا وقايم يدعو للمومنين والمومنات وجبريل لا يدع احدا من الناس الا صافحه
وعلامة ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه فان ذلك من مصافحة جبريل عليه السلام
من قال فيها ثلث مرات لا اله الا الله غفر له بواحدة ونجا من النار بواحدة وادخله الجنة بواحدة
واول من يصعد جبريل عليه السلام حتى يصير امام الشمس فيبسط جناحين اخضرين لا ينشرهما
الا تلك الساعة في يوم تلك الليلة ثم يدعو ملكا ملكا فيصعد الكل ويجتمع نور تلك
الملائكة ونور جناح جبريل عليه السلام فيقيم جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة بين الشمس
وسماء الدنيا يومهم ذلك مشتغلين بالدعاء والرحمة والاستغفار للمومنين ولمن صام رمضان احتسابا
فاذا امسوا دخلوا السماء فيجلسون حلقا حلقا فيجتمع اليهم الملائكة فيسالونهم عن رجل رجل
وعن امراة امراة حتى يقولوا ما فعل فلان وكيف وجدتموه فيقولون وجدناه عام اول متعبدا
ملهوفون عن الدعاء الاول ويشغلون بالدعاء الثاني ووجدنا فلانا تائبا وفلانا راكعا وفلانا
ساجدا فهم كذلك يومهم وليلتهم حتى يصعدوا الى السماء الثانية وهكذا يفعلون في كل سماء حتى ينتهوا
الى السدرة فيقول لهم السدرة يا سكاني حدثوني عن الناس فان لي عليكم حقا واني احب من احب الله تعالى
فذكر كعب انهم يعدون لها الرجل والمراة باسمائهم واسماء ابائهم ثم يصل الخبر الى الجنة فيقول الجنة
اللهم عجلهم الي والملائكة واهل السدرة يقولون امين امين واذا عرفت ذلك فنقول كلما كان الجمع اعظم
كان نزول الرحمة اكثر ولذلك فان اعظم الجموع في موقف الحج لا جرم كان الرحمة اكثر اما قوله والروح
ففيه اقوال احدها انه ملك عظيم لو التقم السموات والارضين كانت ذلك لقمة واحدة وثانيها طايفة
من الملائكة لا تراهم الملائكة الا ليلة القدر كالزهاد الذين لا تراهم الا يوم العيد وثالثها خلق من خلق الله
ياكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الانس ولعلهم خدم اهل الجنة ورابعها يحتمل انه عيسى بن
مريم عليه السلام لانه اسمه ثم انه ينزل في موافقة الملائكة وخامسها الروح اشرف الملائكة وسادسها
عن ابي نجيح الروح هم الحفظة الكرام الكاتبون فصاحب اليمين يكتب اتيانه بالواجب وصاحب الشمال
يكتب تركه القبيح والاصح ان الروح ها هنا جبريل عليه السلام وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه كانه تعالى
يقول الملائكة في كفة والروح في كفة اما قوله تعالى باذن ربهم فقد ذكرنا ان هذا يدل على انهم كانوا مشتاقين الينا
فان قيل كيف يرغبون الينا مع علمهم بكثرة معاصينا قلنا لا يقفون على تفصيل المعاصي روي انهم يطالعون
اللوح فيرون فيها طاعة المكلف مفصلة فاذا وصلوا الى معاصيه ارخي الستر فلا يرون فيها فحينئذ يقولون
سبحان من اظهر الجميل وستر القبيح ثم قد ذكرنا فوايد في نزولهم ونذكر الان فوايد اخرى وحاصلها انهم يرون
في الارض من انواع الطاعات اشياء ما راوها في عالم السموات احدها ان الاغنياء يجيئون بالطعام من بيوتهم
فيجعلونها ضيافة للفقراء ياكلون طعام الاغنياء ويعبدون الله تعالى وهذا نوع من الطاعة لا يوجد في السموات
وثانيها انهم يسمعون انين العصاة وهذا لا يوجد في السموات وثالثها انه تعالى قال لانين المذنبين احب





الي من زجل المسبحين فقالوا تعالوا نذهب الى الارض فنسمع صوتا هو احب الى ربنا من صوت تسبيحنا وكيف لا يكون
وزجل المسبحين اظهار الحال كمال المطيعين وانين العصاة اظهار الغفران رب السموات والارض الثالثة هذه الاية دالة
على عصمة الله الملائكة ونظيرها قوله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك وقوله تعالى لا يسبقونه بالقول وفيها دقيقة وهو
انه تعالى لم يقل ماذونين بل قال تعالى باذن ربهم وهو اشارة الى انهم لا يتصرفون تصرفا الا باذنه ومن ذلك قول الرجل
لامراته ان خرجت الا باذني فانه يعتبر الاذن في كل خرجة الرابعة قوله ربهم يفيد تعظيما للملائكة وتحقيرا
للعصاة كانه تعالى قال كانوا لي فكنت لهم ونظيره في حقنا ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وقال لمحمد عليه السلام
واذ قال ربك ونظيره ما روي ان داود عليه السلام لما مرض مرض الموت قال الهي كن لسليمان كما كنت لي فنزل الوحي
وقال قل لسليمان فليكن لي كما كنت لي وروي عن ابراهيم الخليل عليه السلام انه فقد الضيف اياما فخرج بالسفرة
يلتمس ضيفا فاذا بخيمة ينادي فقال اتريدون الضيف فقيل نعم فقال للمضيف ايوجد عندك ادم لبن او عسل
فرفع الرجل صخرتين وضرب احداهما على الاخرى فانشقتا فخرج من احداهما اللبن ومن الاخرى العسل فتعجب
ابرهيم عليه السلام وقال انا خليلك ولم اجد مثل هذا الاكرام فما له فنزل الوحي يا خليلي كان لنا فكنا له اما قوله
تعالى من كل امر فمعناه تنزل الملائكة والروح فيها من اجل كل امر والمعنى ان كل واحد منهم نزل لمهم اخر ثم ذكروا فيه
وجوها احدها انهم كانوا في اشتغال كثير فبعضهم بالركوع وبعضهم بالسجود وبعضهم بالدعاء وكذا القول في التفكر
والتعليم وابلاغ الوحي وبعضهم لادراك فضيلة الليلة او ليسلموا على المومنين وثانيها وهو قول الاكثرين من اجل
كل امر قدر في تلك السنة من خير او شر وفيه اشارة الى ان نزولهم انما كانت عبادة وكانهم قالوا ما نزلنا الى الارض
لهواء نفوسنا لكن لاجل كل امر فيه مصلحة للمكلفين وعم لفظ الامر ليعم خير الدنيا والاخرة بيانا منه انهم ينزلون بما هو
صلاح المكلف في دينه ودنياه كان السايل يقول من اين جيت فيقول ما لك وهذا الفضول ولكن قل لاي امر جيت
لانه حظك وثالثها قرا بعضهم من كل امرئ اي من اجل كل انسان روي انهم لا يلقون مومنا ولا مومنة الا سلموا عليه
ان قيل اليس قد روي انه تقسم الاجال والارزاق ليلة النصف من شعبان والان تقولون انه ذلك يكون ليلة القدر
قلنا الى اربابها وقيل تقدر ليلة البراة الاجال والارزاق وليلة القدر تقدر الامور التي فيها الخير والبركة
والسلامة وقيل تقدر في ليلة القدر ما يتعلق به اعزاز الدين وما فيه النفع العظيم للمسلمين واما ليلة
البراة فتكتب فيها اسماء من يموت ويسلم الى ملك الموت الوجه الثالث من فضايل هذه الليلة قوله تعالى
سلام هي حتى مطلع الفجر وفيه مسايل الاولى قوله سلام فيه وجوه احدها ان ليلة القدر الى طلوع الفجر
سلام اي تسلم الملائكة على المطيعين وذلك لان الملائكة ينزلون فوجا فوجا من ابتداء الليل الى طلوع الشمس
فترادف النزول وكثرة السلام وثانيها وصفت الليلة بانها سلام ثم يجب ان لا تستحق لان سبعة من الملائكة
سلموا على الخليل في قصة العجل الحنيذ فاراد داود فرحا بذلك على فرحه بملك الدنيا بل الخليل لما سلم الملائكة
عليه صارت نار نمرود بردا وسلاما افلا تصير فانه ببركة تسليم الملائكة عادت عليه بردا وسلاما لكن ضيافة
الخليل لهم كانت عجلا مشويا وهم يريدون ما قلنا مشويا بل فيه دقيقة وهي اظهار فضل هذه الامة فان هناك نزلوا
الملائكة على الخليل وها هنا نزلوا على امة محمد وثانيها انها سلام من الشرور والافات اي سلامة وهذه كما يقال
فلان حج وغزا اي هو ابدا مشغول بهما ومثله فانما هي اقبال وادبار وقالوا تنزل الملائكة والروح في ليلة القدر بالخيرات
والسعادات ولا ينزل فيها من تقدير المضار شيء فما ينزل في هذه الليلة فهو سلام اي سلامة ونفع وخير
وثالثها قال ابو مسلم سلام اي الليلة سالمة عن الرياح والاذى والصواعق الى ما شابه ذلك ورابعها
سلامة لا يستطيع الشيطان فيها سوءا وخامسها ان الوقف عند قوله تعالى من كل امر سلام فيتصل السلام
بما قبله ومعناه ان تقدير الخير والبركة والسلامة تدوم الى طلوع الفجر وهذا الوجه ضعيف وسادسها
انها من اولها الى مطلع الفجر سالمة في ان العبادة كل واحد من اجزايها خير من الف شهر ليست كساير الليالي
في انه يستحب للفرض الثلث الاول ويستحب العبادة النصف وللدعاء السحر بل هي متساوية الاوقات والاجزاء وسابعها
سلام هي الجنة لان السلام من اسماء الجنة دار السلام اي دار الجنة الموضوعة من السلام الثانية المطلع
الطلوع يقال طلع الفجر طلوعا ومطلعا والمعنى انه يدوم ذلك السلام الى طلوع الفجر ومن قرا بكسر اللام فهو اسم
لوقت الطلوع وكذلك مكان الطلوع مطلع قاله الزجاج اما ابو عبيدة والفراء وغيرهما فانهم اختاروا فتح
اللام لانه بمعنى المصدر وما قالوا الكسر اسم نحو المشرق ولا معنى لاسم موضع الطلوع ها هنا الا ان حمل
ما ذكره الزجاج من انه اسم لوقت الطلوع صح قال ابو علي ويمكن حمله على المصدر ايضا لان من المصادر
التي ينبغي ان يكون على المفعل ما قد كسر كقولهم علاه المكبر والمعجز وقوله تعالى ويسئلونك عن المحيض
ولذلك كسر المطلع جاء شاذا عما عليه بابه

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة رسول
من الله يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءتهم البينة وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له حنفاء ويقيموا
الصلوة ويوتوا الزكاة وذلك دين القيمة اعلم ان في الاية الاولى مسايل الاولى

قال الواحدي رحمه الله تعالى في كتاب البسيط هذه الاية من اصعب ما في القران نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلما قوله رحمه الله تعالى لم يلخص كيفية الاشكال فيها وانا اقول وجه الاشكال ان تقدير الاية لم يكن الذين كفروا الاان تاتيهم البينة التي هي الرسول ثم انه تعالى لم يذكر انهم منفكين عماذا لكنه معلوم ان المراد هو الكفر الذي كانوا عليه فصار التقدير لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة التي هي الرسول ثم ان كلمة حتى لانتها الغاية وهذه الاية تقتضي انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول ثم قال تعالى بعد ذلك وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وهذا يقتضي ان كفرهم قد ازداد عند مجي الرسول فحينئذ يحصل بين الاية الاولى والاية الثانية مناقضة في الظاهر هذا منتهى الاشكال فيما اظن والجواب عنه من وجوه اولها واحسنها الوجه الذي لخصه صاحب الكشاف وهو ان الكفار من الفريقين اهل الكتاب وعبدة الاوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التورية والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى عما كانوا يقولونه ثم قال تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يعني انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجي الرسول ونظيره في الكلام ان يقول الفاسق لمن يعظه لست بممتنع مما انا فيه من الافعال القبيحة حتى يرزقني الله الغنى فلما رزقه الله الغنى ازداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست راسك في الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما وحاصل هذا الجواب يرجع الى حرف واحد وهو ان قوله تعالى لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة مذكورة حكاية عنهم وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب هو اخبار عن الواقع والمعنى ان الذي وقع كان خلاف ما ادعوا وثانيها ان تقدير الاية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة وعلى هذا التقدير يزول الاشكال هكذا ذكره القاضي الا ان تفسير لفظة حتى وهذا ليس من اللغة في شي وثالثها ان نحمل قوله تعالى منفكين عن الكفر بل على كونهم منفكين عن ذكر مناقبه ثم لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم تفرقوا فيه وقال كل احد فيه قولا اخر وردا ونظيره قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به والقول المختار في هذه الاية هو الاول وفي الاية وجه رابع وهو انه تعالى حكى عن الكفار انهم ما كانوا منفكين عن كفرهم الى وقت مجي الرسول وكلمة حتى تقتضي ان تكون الحال بعد ذلك بخلاف ما كان قبل ذلك والامر هكذا كان لان ذلك المجموع ما بقوا على الكفر بل تفرقوا فمنهم من قال صار مومنا ومنهم من صار كافرا ولما لم يبق حال اولئك الجمع بعد مجي الرسول كما كان قبل مجيه كفى ذلك في العمل بمدلول لفظة حتى وفيها وجه خامس وهو ان الكفار كانوا قبل مبعث الرسول منفكين عن التردد في كفرهم بل كانوا جازمين به معتقدين في حقيقته وان ذلك الجزم بعد الرسول بل بقوا شاكين متحيرين في ذلك الدين وفي ساير الاديان ونظيره قوله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين والمعنى ان الدين كانوا عليه صار كانه اختلط بلحمهم ودمهم فاليهودي كان جازما في يهوديته وكذا النصراني وعابد الوثن فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اضطربت الخواطر والافكار وتشكك كل احد في دينه ومذهبه ومقالته وقوله تعالى منفكين مشعر بهذا لان انفكاك الشي عن الشي هو انفصاله عنه معناه ان قلوبهم ما خلت عن تلك العقايد وما انفصلت عن الجزم بصحتها ثم ان بعد المبعث لم يبق الامر على تلك الحالة السابقة الكفار كانوا جنسين احدهما اهل الكتاب كفرق اليهود والنصارى وكانوا كفارا باحداثهم في دينهم ما كفروا به كقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله وتحريفهم كتاب الله تعالى ودينه والثاني المشركون الذين كانوا لا ينسبون الى اهل كتاب فذكر الله تعالى الجنسين بقوله الذين كفروا على الاجمال ثم اردف ذلك الاجمال بالتفصيل وهو قوله تعالى من اهل الكتاب والمشركين ههنا سوالات السوال الاول تقدير الاية لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب ومن المشركين وهذا يقتضي ان اهل الكتاب منهم كافر ومنهم ليس بكافر وهذا حق وان المشركين منهم كافر ومنهم ليس بكافر ومعلوم ان هذا ليس بحق والجواب عنه من وجوه احدها كلمة من ههنا ليست للتبعيض بل للتبيين كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وثانيها ان الذين كفروا بمحمد بعضهم من اهل الكتاب وصفا لاهل الكتاب وذلك لان النصارى مثلثة واليهود عامتهم مشبهة وهذا كله شرك وقد يقول القايل جاءني العقلاء والظرفاء يريد بذلك قوما باعيانهم يصفهم بالامرين وقال تعالى الراكعون الساجدون





الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وهذا وصف الطايفة الواحدة وفي القران من هذا الباب كثير وهو ان يبعث قوم بعوت شتى ثم يعطف بعضها على بعض بواو العطف ويكون الكل وصفا لموصوف واحد السوال الثاني في المجوس هل يدخلون في اهل الكتاب لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب وانكره الاخرون قالوا لانه تعالى انما ذكر من الكفار من كان في بلاد العرب وهم اليهود والنصارى قال تعالى حكاية عنهم ان تقولوا انما انزل الكتاب على طايفتين من قبلنا والطايفتان هم اليهود والنصارى الثالث ما الفايدة في تقديم اهل الكتاب في الكفر على المشركين حيث قال تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب الجواب ان الواو لا تفيد الترتيب ومع هذا ففيه فوايد احدها ان السورة مدنية وكان اهل الكتاب هم المقصودين بالذكر وثانيها انهم كانوا علما بالكتب وكانت قد دلتهم على معرفة صدق محمد عليه السلام ثم فكان حال اصرارهم على الكفر اقبح وثالثها انهم لكونهم علما يقتدى غيرهم بهم وكان كفرهم اصلا لكفر غيرهم فلهذا قدموا في الذكر ورابعها انهم كلهم علما فكانوا اشرف من غيرهم فقدموا في الذكر الرابع لم قال من اهل الكتاب ولم يقل من اليهود والنصارى الجواب لان قوله تعالى من اهل الكتاب يدل على كونهم علما وذلك يقتضي اما مزيد تعظيم فلاجرم ذكروا بهذا اللقب دون اليهود والنصارى ولانه كونه عالما يقتضي مزيد قبح في كفره فذكروا بهذا الوصف تنبيها على تلك الزيادة من العقاب الثالثة هذه الاية فيها احكام تتعلق بالشرع احدها انه تعالى فسر قوله تعالى الذين كفروا من اهل الكتاب وبالمشركين فهذا يقتضي كون كل واحد في الكفر ومن ذلك قال العلماء الكفر كله ملة واحدة فالمسلم لا يرث اليهودي وبالعكس والثاني ان العطف اوجب المغايرة فمن ذلك تقول كان ابي يعني ليس بمشرك وقال عليه السلام انا غير ناكح نساهم ولا اكل ذبايحهم فاثبت التفرقة بين الكتابي والمشرك والثالث تنبيهه بذكر اهل الكتاب بانه لا يجوز الاغترار باهل العلم اذ قد حدث في اهل القران ما حدث في الامم الماضية الرابعة قال القفال رحمه الله تعالى الانفكاك هو انفراج الشي عن الشي واصله من الفك وهو الفتح والزوال ومنه فككت الكتاب اذا ازلت ختمه ففتحته ومنه فكاك الرهن وهو زوال الانغلاق الذي كان عليه الا ترى ان ضد قوله انفك الرهن انغلق الرهن ومنه فكاك الاسير وفكه فثبت ان انفكاك الشي من الشي هو ان يزايله بعد التحامه به كالعظم اذا انفك من مفصله والمعنى انهم متشبثون بدينهم تشبثا قويا لا يزايلونه الا عند مجي البينة فهي الحجة الظاهرة التي بها يتميز الحق من الباطل وهي من البيان او البينونة لانها تبين الحق من الباطل والمراد من البينة هذه الاقوال والقول الاول انها هي الرسول ثم ذكروا انه لم سمي الرسول بالبينة وجوه الاول ان ذاته كانت بينة على نبوته وذلك لانه عليه السلام كان في نهاية الجد في تقرير النبوة والرسالة ومن كان كذابا متصنعا فانه لا يتاتى منه ذلك الجد المتناهي فلم يبق فيه الا ان يكون صادقا ومحقوها والثاني معلوم البطلان لانه كان في غاية كمال العقل فلم يبق الا انه كان صادقا والثالث ان مجموع الاخلاق الحاصلة فيه كان بالغا الى حد الاعجاز والجاحظ قرر هذا المعنى والغزالي نصره في كتاب المستصفى فاذن لهذين الوجهين سمي هو في نفسه بانه بينة الرابع ان معجزاته كانت في غاية الظهور وكانت ايضا في غاية الكثرة فلا اجتماع بهذين الوصفين جعل كانه عليه السلام في نفسه بينة وحجة ولذلك سماه الله تعالى سراجا منيرا واحتج القايلون بان المراد من البينة هو الرسول بما قوله تعالى بعد هذه الاية رسول من الله وهو رفع على البدل من البينة وقرا عبد الله رسولا حالا من البينة قالوا واللام في قوله تعالى البينة للتعريف اي هو الذي سبق ذكره في التورية والانجيل على لسان موسى وعيسى عليهما السلام او يقال انها للتفخيم اي هو البينة التي لا مزيد عليها او البينة كل البينة والتعريف قد يكون للتفخيم وكذا التنكير وقد جمعهما الله تعالى ههنا في حق الرسول فبدا بالتعريف وهو لفظ البينة ثم ثنى بالتنكير فقال رسول اي هو رسول واي رسول ونظيره ما ذكره الله تعالى في الثنا على نفسه فقال تعالى ذو العرش المجيد ثم قال تعالى فعال لما يريد فنكر بعد المعرفة القول الثاني ان المراد من البينة مطلق الرسل وهو قول ابي مسلم قال المراد من قوله تعالى حتى تاتيهم البينة اي تاتيهم رسل من ملايكة الله تعالى يتلوا عليهم صحفا مطهرة وهو كقوله تعالى يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما وكقوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة الثالث وهو قول قتادة وابن زيد البينة هي القران ونظيره قوله تعالى اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى ثم قوله بعد ذلك رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة اما قوله تعالى يتلوا صحفا مطهرة فيها فلا بد من مضاف محذوف والتقدير وتلك البينة وحي رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة اما قوله تعالى يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة اعلم ان الصحف جمع صحيفة وهي ظرف للمكتوب وفي المطهرة وجوه احدها انها مطهرة وهو كقوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقوله تعالى مرفوعة مطهرة وثانيها تطهيرها عن الذكر القبيح فان القران يذكر باحسن الذكر ويثنى عليه باحسن الثنا وثالثها انه تعالى مطهرة اي ينبغي ان لا يمسها الا المطهرون كقوله تعالى في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون واعلم ان المطهرة

وان جرت نعتا للمصحف في الظاهر فهي نعت لما في الصحف وهو القرآن وهو قوله تعالى كتب فيها قولان احدهما ان المراد من الكتب الايات المكتوبة في الصحف والثاني قال صاحب النظم الكتب قد يكون بمعنى الحكم كقوله تعالى كتب الله لاغلبن ومنه حديث العسيف لاقضين بينكما بكتاب الله اي بحكم الله تعالى فيحتمل ان يكون المراد من قوله تعالى فيها كتب قيمة اي احكام قيمة اما القيمة ففيها قولان الاول قال الزجاج مستقيمة لا عوج فيها تبين الحق والباطل من قام يقوم كالسيد والميت وهو كقولهم قام الدليل على كذا اذا ظهر واستقام فان قيل كيف ينسب تلاوة الصحف المطهرة الى الرسول مع انه كان اميا قلنا اذا تلا مثل المسطور في تلك الصحف كان تاليا ما فيها وقد جاء في كتاب منسوب الى جعفر الصادق وكان يقرا من الكتاب وان كان لا يكتب ولعل هذا كان في معجزاته اما قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ففيه مسائل

**المسئلة الاولى** في هذه الاية سؤال وهو انه تعالى ذكر في اول السورة اهل الكتاب والمشركين وهاهنا ذكر اهل الكتاب فما السبب جوابه من وجوه احدها ان المشركين لم يقروا على دينهم فمن امن فهو المراد ومن لم يؤمن قتل بخلاف اهل الكتاب الذين يقرون على كفرهم ببذل الجزية وثانيها ان اهل الكتاب كانوا عالمين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب انهم وجدوها في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق مع العلم كان من لا كتاب له ادخل في هذا الوصف وههنا مسائل **الاولى** قال الجبائي هذه الاية تبطل قول القدرية الذين قالوا ان الناس تفرقوا في الشقاوة والسعادة في اصلاب الاباء وقبل ان تاتيهم البينة والجواب ان هذا ركيك لان المراد منه علم الله بذلك وارادته له حاصل في الاول انما ظهوره من المكلف فانما وقع بعد الحالة المخصوصة **الثانية** قالوا هذه الاية دالة على ان الكفر والتفرق فعلهم لا انه مقدر عليهم لانه قال الا من بعد ما جاءتهم البينة ثم قال اوتوا الكتاب ان الله وملائكته اتاهم ذلك فالخير والتوفيق مضاف الى الله تعالى والشر والتفرق والكفر مضاف اليهم **الثالثة** المقصود من هذه الاية تسلية الرسول عليه السلام اي لا يغمنك تفرقهم فليس ذلك لقصور في الحجة بل لعنادهم فسلفهم هكذا كانوا لم يتفرقوا في السبت وعبادة العجل الا من بعد ما جاءتهم البينة فهي عادة قديمة لهم ثم قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وفيه مسائل **الاولى** في قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله وجهان احدهما ان يكون المراد وما امروا في التوراة والانجيل الا بالدين الحنيفي فيكون المراد انهم كانوا مامورين بذلك الا انه تعالى لما اتبعه بقوله تعالى وذلك دين القيمة علمنا ان ذلك الحكم كما انه كان مشروعا في حقهم فهو مشروع في حقنا وثانيها ان يكون المراد وما امروا اهل الكتاب على لسان محمد صلى الله عليه وسلم الا بهذه الاشيا فهذا اولى لثلاثة اوجه احدها ان الاية دينا قيما فوجب ان يكون شرعا في حقنا سواء قلنا بانه شرع من قبلنا او هو شرع جديد يكون هذا بيانا لشرع محمد صلى الله عليه وسلم وهذا قول مقاتل **الثانية** في قوله تعالى الا ليعبدوا الله دقيقة وهي ان هذه اللام لام الغرض فلو فعل الله فعلا لغرض لكان ناقصا لذاته مستكملا بغيره وهو محال ولان ذلك الغرض لو فعل ان كان قديما لزم من قدمه قدم الفعل وان كان محدثا افتقر الى الواسطة فهو عاجز وان كان قادرا عليه كان توسط تلك الواسطة عبثا فثبت انه لا يمكن حمله على ظاهره فلا بد فيه من التاويل ثم قال الفراء العرب تجعل اللام في موضع ان في الامر والارادة كثيرا من ذلك قوله تعالى يريد الله ليبين لكم ويريدون ليطفئوا نور الله وقال في الامر وامرنا لنسلم وهي في قراءة عبد الله وما امروا الا ان يعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص عبارة عن النية الخالصة والنية الخالصة لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة فقد دلت الاية على ان كل مامور فلا بد وان يكون منويا ثم قالت الشافعية الوضوء مامور به في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم ودلت هذه الاية على ان كل مامور به يجب ان يكون منويا فيلزم من مجموع الايتين وجوب كون الوضوء منويا واما المعتزلة فانهم يوجبون تعليل افعال الله تعالى واحكامه بالاغراض لا جرم اجروا الاية على ظاهرها فقالوا معنى الاية وما امروا بشيء الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين في ذلك الشيء فهذا يقتضي ايضا اعتبار النية في جميع المامورات الا ان النية لا يمكن اعتبارها الا بعد المعرفة فما كان قبل المعرفة لا يمكن اعتبار النية فيه قلنا هب انه خص عموم الاية في هذه الصورة بحكم الدليل العقلي الذي ذكرتم فيبقى في الباقي حجة الرابعة قوله تعالى امروا مذكور بلفظ ما لم يسم فاعله وهو كقوله تعالى كتب عليكم القصاص فالواجب وجوه احدها كانه تعالى يقول العبادة شاقة ولا اريد مشقتك بارادة اصلية بل ارادتي لعبادي كارادة الوالدة للحاضنات ولهذا المال الامر الى الرحمة قال تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة وقال تعالى كتب في قلوبهم الايمان وذكر في الواقعات اذا اراد الاب من ابنه شيئا ينبغي ان يفعل هذا ولا يامره صريحا لانه ربما يرد عليه فيعظم جنايته فههنا المقام لم يصرح بالامر ليخف جناية الرد وثانيها اما على القول بالحسن والقبح العقلي كانه تعالى يقول لست انا الامر للعبادة فقط بل عقلك يامرك لان النهاية في التعظيم لمن اوصل اليك نهاية الانعام واجب في العقول الخامسة في قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله يدل على مذهب اهل السنة حيث قالوا العبادة ما وجبت لكونها مفضية الى ثواب الجنة او الى البعد عن عقاب النار بل لاجل انك عبد وهو رب فلو لم يحصل في الدين ثواب ولا عقاب البتة ثم امرك بالعبادة وجبت لمحض العبودية وفيها ايضا اشارة الى ان من عبد الله تعالى للثواب والعقاب فالمعبود في الحقيقة هو الثواب والعقاب والحق واسطة ونعم ما قيل من اثر العرفان للعرفان فقد قال بالثاني ومن اثر العرفان لا للعرفان بل للمعروف فقد خاض لجة الوصول السادسة العبادة هي التذلل ومنه طريق معبد اي مذلل ومن زعم انها الطاعة فقد اخطا لان جماعة عبدوا الملائكة والمسيح والاصنام وما اطاعوهم لكن في الشرع صارت اسما لكل طاعة اديت له على وجه التذلل والاهانة واعلم ان العبادة بهذا المعنى لا يستحقها الا من يكون واحدا في صفاته الذاتية والفعلية فان كان له مثل لم يجز ان يصرف اليه النهاية في التعظيم ثم نقول لا بد في كون الفعل عبادة من شيئين احدهما غاية التعظيم لانه صغير مامور به والنكتة





الوعظية فيه هو ان فعل الصبي ليس بعبادة وان تضمن نهاية التعظيم ليس بعبادة لفقد التعظيم وفعل اليهودي ليس بعبادة لفقد الامر فكيف يجوز ذكر على الناقص عبادة ولا امر ولا تعظيم السابعة الاخلاص هو ان ياتي بالفعل خالصا لداعية واحدة ولا يكون لغيرها من الدواعي تاثير في دعائه الى ذلك الفعل والنكت الوعظية فيه من وجوه احدها كانه تعالى يقول عبدي لا تسع في اكثار الطاعة بل في اخلاصها لاني ما بذلت كل مقدوري لك حتى اطلب منك كل مقدورك بل بذلت البعض فاطلب البعض نصفا من العشرين وشاة من الاربعين لكن القدر الذي فعلته لم ارد بفعله سوال الغير فلا ترد بطاعتك سواي فلا تستثن من طاعتك لنفسك فضلا من ان تستثنيه لغيري من ذلك المباح الذي يوجد منك في الصلاة كالحكة والتنحنح فهو حظ استردته لنفسك فاتبع الاخلاص واما الالتفات المكروه فهو حظ الشيطان وثانيها كانه تعالى يقول يا عبدي انت حكيم لا تميل الى الجهل والسفه وانا حكيم لا افعل ذلك البتة فاذا لا تريد الا ما اريد ولا اريد الا ما تريد ثم انه سبحانه وتعالى ملك العالمين والعقل ملك لهذا البدن فكانه تعالى بفضله قال الملك لا يخدم الملك لكن نصطلح اجعل جميع ما افعله لاجلك هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فاجعل انت ايضا جميع ما تفعله لاجلي وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين واعلم ان قوله تعالى مخلصين له الدين نصب على الحال فهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الاخلاص من ابتداء الفعل الى انتهائه والمخلص هو الذي ياتي بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه فياتي بالفعل لوجهه مخلصا لربه لا يريد رياء ولا سمعة ولا غرضا اخر بل قالوا لا يجعل طلب الجنة مقصودا ولا النجاة عن النار مطلوبا وان كان لا بد من ذلك وفي التوراة ما اريد به وجهي فقليله كثير وما اريد به غيره فكثيره قليل وقالوا من الاخلاص ان لا يزيد في العبادات عبادة اخرى لاجل الغير مثل الواجب من الاضحية شاة فاذا ذبحت اثنين واحدة لله وواحدة للامير لم يجز لانه اشرك وان زدت في الخشوع لان الناس يرونه لم يجز فهذا اذا خلطت بالعبادة عبادة اخرى فكيف ولو خلطت بها حظ النفس مثل ان يقدم على ما ملك لكن لا يجوز دفع الزكاة الى الوالدين والمولودين ولا العبيد ولا الاماء لانه لم يخلص فاذا طلبت سرور والدك وولدك يزول الاخلاص فكيف اذا طلبت مسرة شهوتك كيف يبقى الاخلاص وقد اختلفت الفاظ السلف في معنى قوله تعالى مخلصين قال بعضهم مقرين له بالعبادة وقال الزجاج اي يعبدونه موحدين له لا يعبدون معه غيره ويدل على هذا قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا اما قوله تعالى حنفا ففيه اقوال الاول قال مجاهد متبعين دين ابراهيم عليه السلام ولذلك قال تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين وفي هذا التفسير لطيفة كانه لما علم ان التقليد مستول على الطباع لم يبح منعه عن التقليد بالكلية على تركهم وهو ابراهيم ومن معه فقال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه فكانه تعالى قال ان كنت تقلد احدا في دينك فكن مقلدا ابراهيم حيث تبرا من الاصنام وهذا غير عجيب فانه تبرا من نفسه حين سلمها الى النيران وعن ماله حين بذله للضيفان وعن ولده حين بذله للقربان بل روي بانه سمع سبوح قدوس فاستطابه وطلب شخصا فاستعاده فقال اما بغير اجر فلا فبذل كل ما ملكه فظهر له جبريل عليه السلام وقال اما بغير اجر فلا وقال حقا حيث سماك خليلا فخذ مالك فان القائل كنت انا بل تقطع الى الله تعالى حتى عن جبريل حين قال له اما اليك فلا فالحق سبحانه وتعالى كانه يقول ان كنت عابدا فاعبد كعبادته واذا لم تترك الحلال وابواب السلاطين فاترك الحرام وموافقة السلاطين فان لم تقدر على متابعة ابراهيم فاجتهد في متابعة ولده الصبي حيث انقاد الحكم به مع صغره فمد عنقه لحكم الرويا وان كنت دون الرجل فاتبع الموسوم بنقصان العقل وهو ام الذبيح كيف تجرعت تلك الغصة ثم ان المراة الحرة نصف الرجل فان اثنين يقومان مقام الرجل في الشهادة والارث والرقيقة نصف الحرة بدليل ان للحرة ليلتين من القسم فهاجر كانت ربع الرجل ثم انظر انها كيف اطاعت ربها فتحملت المحنة في ولدها ثم صبرت حين تركها الخليل وحدها فريدة في جبال مكة بلا زاد ولا ماء ولا حرف لا يكلمها ولا يعطف عليها قالت الله امرك بهذا فاومى براسه نعم فرضيت بذلك وصبرت على تلك المشاق والقول الثاني المراد من قوله تعالى حنفاء اي مستقيمين والحنف هو الاستقامة وانما سمي مائل القدم احنف على سبيل التفاؤل كقولنا للاعمى بصير وللمهلكة مفازة ونظيره قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اهدنا الصراط المستقيم الثالث قال ابن عباس حجاجا وذلك لانه ذكر العبادة اولا ثم قال تعالى حنفا وانما قدم الحج على الصلاة لان في الحج صلاة وانفاقا الرابع قال ابو قلابة الحنيف الذي امن بجميع الرسل ولم يستثن احدا منهم فمن لم يؤمن بافضل الانبياء كيف يكون حنيفا اي مائلين لكل الدين اذ الحسد بعد كل الدين قال عليه السلام بعثت بالحنيفية السمحة السادس قال قتادة هي الختان وتحريم نكاح المحارم اي مختتنين محرمين لنكاح الام والمحارم فقوله تعالى حنفا اشارة الى النفي ثم اراد فيه بالاثبات وهو قوله تعالى ويقيموا الصلاة السابع قال ابو مسلم اصله من الحنف وهو ادبار ابهامها عن اخواتها حتى يقبل على ابهام الاخرى فيكون الحنيف هو الذي يعدل عن الاديان كلها الى الاسلام الثامن قال الربيع بن انس الحنيف الذي يستقبل القبلة بصلاته وانما قال ذلك لانه عند التكبير يقول وجهت وجهي الى قوله تعالى حنيفا واما الكلام في اقامة الصلاة وايتاء الزكاة فقد مر مرارا كثيرة ثم قال تعالى وذلك دين القيمة وفيه مسائل الاولى قال المبرد والزجاج ذلك دين الملة القيمة نعت لموصوف محذوف والمراد من القيمة اما المستقيمة او القائمة وقد ذكرنا هذين القولين في قوله تعالى كتب قيمة وقال الفراء هذا من اضافة

النعت الى المنعوت لقوله تعالى ان هذا لهو حق اليقين والهاء للمبالغة كما في قوله تعالى كتب قيمة الثانية في هذه
الاية لطايف احداها ان الكمال في كل شيء انما يحصل اذا حصل الاصل والفرع معا فقوم اطنبوا في الاعمال من غير
احكام الاصول وهم اليهود والنصارى والمجوس فانهم ربما اتعبوا انفسهم في الطاعات ولكنهم ما حصلوا الدين الحق
وقوم حصلوا الاصول واهملوا الفروع وهم المرجية الذين قالوا لا يضر الذنب مع الايمان والله تعالى خطا بين
الفريقين في هذه الاية وانه لابد من العلم والاخلاص قوله تعالى ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ثم قال
تعالى وذلك المجموع كله هو دين القيمة اي البينة المستقيمة المعتدلة كما ان مجموع الاعضاء بدن واحد
كذا هذا المجموع دين واحد فقلت دين الاعتقاد ووجهه الصلاة ولسانه الوصف لحقيقته الزكاة
الزكاة لان باللسان يظهر قدركم القيم من يقوم بمصالح من يعجز عن اقامة مصالح نفسه فكانه
سبحانه وتعالى يقول القايم بتحصيل مصالحك عاجلا واجلا هو هذا المجموع ونظيره قوله تعالى دينا قيما
وقوله في القران قيما لينذر باسا شديدا لان القران هو القيم بالارشاد الى الحق ويؤيده قوله عليه السلام
من كان في عمل الله كان الله في عمله واوحى الله تعالى الى الدنيا يا دنيا من خدمك فاستخدميه ومن خدمني
فاخدميه وثانيها ان المحسن في افعاله هو الحق سبحانه وتعالى وذلك بالاحسان الى عبده والملايكة
وذلك بان اشتغلوا بالتسبيح لخالقهم فالاحسان من الله تعالى لا من الملايكة والتعظيم والعبودية
من الملايكة لا من الله ثم ان الانسان اذا احضر في عرصة القيمة فيقول الله تعالى مباهيا لهم يا ملايكتي هولاء
امثالكم سبحوا وهللوا بل فيهم بعض الافعال امثال احسنوا وتصدقوا ثم اني اكرمكم يا ملايكتي بمجرد ما اتيتم
به من العبودية وانتم تعظموني بمجرد ما فعلت من الاحسان هولاء جمعوا بين الامرين يقيمون الصلاة اتيانا بالعبودية
ويؤتون الزكاة بالاحسان فانتم صبرتم على احد الامرين وهم صبروا على الامرين فسعى الملايكة منهم ويقصدون اليهم النظر
فلهذا قال تعالى والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم افلا يكون هذا الدين قيما وثالثها ان الدين كالنفس
فحياة الدين بالمعرفة ثم ان النفس العالمة بلا قدرة كالزمن العاجز والقادرة بلا علم مجنونة فاذا اجتمع العلم والقدرة كانت
النفس كاملة فكذا الصلاة للدين كالعلم والزكاة كالقدرة فاذا اجتمعتا سمي الدين قيمة ورابعها وهو فايدة الترتيب
ان الحكيم تعالى امر رسوله ان تدعوهم الى اسهل شيء وهو القول والاعتقاد فقال تعالى مخلصين له الدين ثم لما اجابوا زاد
منهم ما اراد فسالهم الصلوة التي بدوامها سلامة النفس ثم لما اجابوا واراد منهم ما اراد من الصدقة وعلم انها
تشق عليهم قال لا زكاة في مال حتى يحول عليها الحول ثم لما ذكر الكل قال تعالى وذلك دين القيمة المسلة الثالثة
احتج من قال الايمان عبارة عن مجموع القول والاعتقاد والعمل بهذه فقال مجموع القول والعقد والعمل هو الدين والدين
هو الاسلام والاسلام هو الايمان فاذن مجموع القول والعقد والعمل هو الايمان لانه تعالى ذكر في هذه الاية مجموع
هذه الثلاثة قال تعالى وذلك دين القيمة اي وذلك المذكور هو دين القيمة وانما قلنا ان الدين هو الاسلام لقوله تعالى ان الدين
عند الله الاسلام وانما قلنا ان الاسلام هو الايمان لوجهين الاول ان الايمان لو كان غير الاسلام لما كان مقبولا عند الله لقوله
تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه لكن الايمان بالاجماع مقبول عند الله تعالى فهو اذن غير الاسلام والثاني
قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فاستثنا المسلم من المومن
يدل على ان الاسلام يصدق عليه اذا ثبت هذه المقدمات ظهر ان مجموع هذه الثلاثة اعني القول والعقد
والعمل هو الايمان وحينئذ يبطل قول من قال الايمان اسم لمجرد المعرفة او لمجرد الاقرار او لهما معا الجواب لم لا يجوز ان تكون
الاشارة بقوله تعالى وذلك الى الاخلاص فقط والدليل عليه اما على التقدير لا يحتاج الى الاضمار فنقول المراد
وذلك المذكور ولا شك ان عدم الاضمار اولى سلمنا ان قوله تعالى وذلك اشارة الى مجموع ما تقدم لكنه يدل على ان ذلك
المجموع هو الدين القيم فلم قلتم ان ذلك المجموع هو الدين وذلك لان الدين غير والدين القيم غير فالدين القيم هو الدين
الكامل المستقل بنفسه وذلك انما يكون اذا كان الدين حاصلا وكانت اثاره ونتايجه ايضا حاصلة معه وهي الصلاة
والزكاة واذا لم يوجد هذا المجموع لم يكن الدين القيم حاصلا لكن لم قلتم اذا اصل الدين لا يكون حاصلا والنزاع ما وقع
الا فيه والله اعلم **قوله تعالى** ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها
اولئك هم شر البرية ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات
عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه
**اعلم** انه تعالى لما ذكر حال الكفار اولا في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ثم ذكر ثانيا حال
المومنين في قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له اعاد في اخر هذه السورة ذكر هاتين الفرقتين فبدا
اولا بحال الكفار فقال تعالى ان الذين كفروا **فاعلم** انه تعالى ذكر من احوالهم امرين احدهما الخلود في نار جهنم والثاني
انهم شر الخلق وهاهنا سؤالات الاول لم قدم اهل الكتاب على المشركين في الذكر الجواب من وجوه احدها انه عليه السلام
كان يقدم حق الله تعالى على حق نفسه الا ترى ان القوم لما كسروا رباعيته قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ولما
فاتته صلوة العصر يوم الخندق قال اللهم املا بطونهم وقبورهم نارا فكانه عليه السلام قال كانت الضربة

كما م

فضلك وما الصدقة تطهر قدره

كانت





على وجه الصورة وفي يوم الخندق على وجوه السيرة التي هي الصلوة ثم انه سبحانه وتعالى قضاه ذلك فقال
كما مت على حقك فانا ايضا اقدم حقك على حق نفسي فمن ترك الصلاة طول عمره لا يكفر ومن طعن في شعرة من
شعرات نبيك يكفر اذا عرفت ذلك فنقول اهل الكتاب ما كانوا يطعنون في الله تعالى بل في الرسول واما المشركون
فانهم كانوا يطعنون في الله تعالى فلما اراد الله تعالى في هذه الاية ان يذكر سوء حالهم بدا اولا في الشكاية بذكر
من طعن في محمد صلى الله عليه وسلم وهم اهل الكتاب ثم ذكر ثانيا من طعن فيه تعالى وهم المشركون وثانيها ان جناية
اهل الكتاب في حق الرسول كانت اعظم لان المشركين راوه صغيرا ونشا فيما بينهم ثم سفه احلامهم وابطل اديانهم
وهذا امر شاق واما اهل الكتاب فانهم كانوا يستفتحون برسالته ويقرون بمبعثه فلما جاءهم انكروه مع العلم
به فكانت جنايتهم اشد الثاني انه ذكر كفروا بلفظ الفعل والمشركين باسم الفاعل الجواب تنبيها على ان اهل
الكتاب ما كانوا كافرين من اول الامر لانهم كانوا مصدقين بالتوراة والانجيل ومقرين بمبعث محمد عليه السلام
ثم انهم كفروا بعد ذلك بمبعثه بخلاف المشركين فانهم ولدوا مع عبادة الاوثان وانكار الحشر والقيمة الثالث
ان المشركين كانوا ينكرون الصانع وينكرون النبوة وينكرون القيامة اما اهل الكتاب فكانوا مقرين بكل هذه
الاشياء الا انهم كانوا منكرين لنبوة محمد عليه السلام فكان كفر اهل الكتاب اخف من كفر المشركين واذا كان كذلك
فكيف يجوز التسوية بين الفريقين في العذاب والجواب يقال جهنام اذا كان بعيد القعر وكانه تعالى يقول تكبروا
طلبا للرفعة فصاروا الى اسفل السافلين ثم ان الفريقين وان اشتركا في ذلك لكنه لا ينافي اشتراكهم في هذا القدر
تفاوتهم في مراتب العذاب **واعلم** ان الوجه في حسن هذا العذاب ان الاساءة على قسمين اساءة الى من اساء
اليك واساءة لمن احسن اليك وهذا القسم هو اقبح القسمين والاحسان ايضا على قسمين احسان
الى من احسن اليك واحسان لمن اساء اليك وهذا احسن القسمين فكان احسان الله تعالى الى هولاء الكفار اعظم
انواع الاحسان واساءتهم وكفرهم اقبح انواع الاساءة ومعلوم ان العقوبة بحسب انواع الجناية بالشتم تعزير وبالقذف
حد وبالسرقة قطع وبالزنا رجم وبالقتل قصاص بل شتم المماثل يوجب التعزير وبالنظر الى الرسول يوجب القتل فلما
كانت جنايات هولاء الكفار اعظم الجنايات لا جرم استحقوا اعظم العقوبات وهو نار جهنم فانها في موضع عميق مظلم
هايل لا مفزع عنه البتة ثم كانه قال قايل هب انه ليس هناك رجاء الفرار فهل هناك رجاء الاخراج فقال لا بل يبقون خالدين
فيها فكانه قيل هل هناك احد يرق قلبه عليهم فقال لا بل يذمونهم ويلعنونهم لانهم شر البرية السوال الثاني ما السبب في انه
لم يقل هاهنا خالدين فيها ابدا وقال في صفة اهل الثواب خالدين فيها ابدا الجواب من وجوه احدها التنبيه على ان رحمته
ازيد من غضبه وثانيها ان العقوبات والحدود والكفارات يتداخل اما الثواب فاقسامها لا تتداخل وثالثها روي
حكاية عن الله انه قال يا داود حببني الى خلقي قال كيف افعل قال ذكرهم سعة رحمتي فكان هذا من هذا الباب
الرابع كيف القراءة في لفظ البرية الجواب قرا نافع البريئة بالهمز الا انه ترك همزه كالنبي والذرية والخابية والهمز فيه
كالرد الى الاصل المتروك في الاستعمال كما ان من همز النبي كان كذلك وترك الهمز فيه اجود وان كان الهمز هو الاصل لان ذلك
صار كالشيء المرفوض المتروك وهمز من همز البرية يدل على فساد قول من يقول انه من البرا الذي هو التراب الخامس
ما الفايدة في قوله تعالى هم شر البرية الجواب انه يفيد النفي والاثبات اي هم دون غيرهم **واعلم** ان شر البرية جملة
يطول تفصيلها شر من السراق لانهم سرقوا من كتاب الله صفة محمد صلى الله عليه وسلم وشر من قطاع الطريق لانهم
قطعوا طريق الدين الحق على الخلق وشر من الجهال الاجلاف لان الكفر مع العلم يكون كفر عناد فيكون اقبح
**واعلم** ان هذا تنبيه على ان وعيد علماء السوء اعظم من وعيد كل احد السادس هذه الاية هل هي مجراة
على عمومها الجواب لا بل هو مخصوص في صورتين احداهما ان من تاب منهما واسلم خرج عن الوعيد والثاني قال
بعضهم لا يجوز ان يدخل في الاية من مضى من الكفار لان فرعون كان شرا منهم اما الاية الثانية فهي الاية الدالة
على ثواب المومنين وعامة فيمن تقدم وتاخر لانهم افضل الامم اما قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك
هم خير البرية وفيه مسايل **المسلة الاولى** الوجه في حسن تقديم الوعيد على الوعد وجوه احدها ان الوعيد كالدواء
والوعد كالغذاء ويجب تقديم الدواء على الغذاء حتى اذا صار البدن نقيا انتفع بالغذاء فان البدن الغير النقي
كلما غذوته زدته شرا هكذا قاله بقراط في كتاب الفصول وثانيها ان الجلد بعد الدبغ يصير صالحا للدراس
والخف اما قبله فلا وكذلك ان الانسان متى وقع في محنة او شدة رجع الى الله تعالى فاذا مال الى الدنيا اعرض
علينا قال فلما نجاكم الى البر توليتم وثالثها فيه بشارة كانه تعالى يقول لما لم يكن بد من الامرين ختمت بالوعد
الذي هو بشارة مني فاني اختم امرك بالخير الست كنت نطفة او في مكان نجس ثم اخرجتك الى الدنيا طاهرا فاذا ادخلتك
الى الجنة طاهرا **المسلة الثانية** احتج من قال ان الطاعات ليست داخلة في مسمى الايمان فان الاعمال الصالحة
معطوفة في هذه الاية على الايمان والمعطوف غير المعطوف عليه الثالثة قال الذين امنوا ولم يقل ان المومنين
اشارة الى انهم اقاموا سوق الاسلام حال كساده وبذلوا المهج والاموال لاجله ولهذا السبب استحقوا الفضيلة
العظمى كما قال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح ولفظة امنوا اي فعلوا الايمان مرة **واعلم** ان الذين

الرابع

وقراءة الباقين بغير همز وهو من برا الله الخلق والنبيا فيها الهمز

يعبرون الموافا فيحتجون بهذه الاية وذلك لانها تدل على من اتى بالايمان مرة واحدة فله هذا الثواب فالذي
لايموت على الكفر لايكون له هذا الثواب فعلمنا انه ما صدر الايمان عنه في الحقيقة فلذلك **المسئلة الرابعة**
قوله تعالى وعملوا الصالحات مقابلة الجمع بالجمع فلا يكلف الواحد بجميع الصالحات بل لكل مكلف حظ
فحظ الغني الاعطا وحظ الفقير الاخذ **الخامسة** احتج بعضهم بهذه الاية في تفضيل البشر
على الملك قال روى ابو هريرة انه عليه السلام قال اتعجبون من منزلة الملائكة من الله
تعالى والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المومن عند الله تعالى يوم القيمة اعظم من ذلك
واقرؤا ان شئتم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية **واعلم** ان هذا
الاستدلال ضعيف لوجوه احدها ما روى عن يزيد النحوي ان البرية بنو ادم من البرا وهو التراب
فلا يدخل الملك فيه البتة وثانيها ان قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات غير مختص بالبشر
لكن يدخل فيه الملك وثالثها ان الملك خرج بالنص كسائر الدلايل قالوا وذلك لان التفضيل اما
مكتسبة او موهوبة فان نظرت الى الموهوبة فاصلهم من نور واصلك من حماء مسنون ومسكنهم
دار لم ينزل فيها ابوك من الزلة ومسكنكم ارض هي مسكن الشياطين وايضا فحما لحنا منتظمة بهم
ورزقنا في يد البعض وروحنا في يد البعض ثم هم العلماء ونحن المتعلمون ثم انظر الى عظيم همتهم
لا يميلون الى هفوات الذنوب ومن ذلك فان الله تعالى لم يحك عنهم سوى دعوى الالهية
حين قال تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه اي لو اقدموا على ذنب فهمتهم بلغت غاية لا تليق
بتلك المنزلة لانه تعالى مدح النبي باحيا ثلث الليل وقال عنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون
ومرة لا يسامون وتمام القول في هذه المسئلة قد تقدم في سورة البقرة اما قوله تعالى جزاؤهم عند ربهم
جنات عدن تجري من تحتها الانهار **اعلم** ان التفسير ظاهر ونحن نذكر ما فيها من اللطايف وفي الاية
مسايل **المسئلة الاولى** اعلم ان المكلف لما تامل وجد نفسه مع المحن والافات فصاحة من الحسن بشي من
اضيق مكان كما عرفت الى ان خرج باكيا لا للفرق لكن مستكيا من وحشة الحبس لرحم كالذي يطلق من الحبس
لعله البكا ليرحم ثم لم يمض قليل مدة حتى القوه في المهد وشدوه بالقماط ثم لم يمض قليل حتى يسلموه
الى استاذه يحبسه في المكتب ويضربه على التعليم وهكذا الى ان بلغ الحلم ثم عند ذلك شد بمسامير
العقل والتكليف ثم ان المكلف يصير كالمتحير يقول من ذا الذي يفعل في هذه الافعال مع انه
ما صدرت عني جناية فلم يزل يتفكر حتى ظفر بالفاعل فوجده عالما لا يشبه العالمين وقادرا
لا يشبه القادرين وعرف ان كل ذلك وان كان صورته صورة المحنة لكن حقيقته محض الكرم
والرحمة فترك الكآبة واقبل على الشكر ثم وقع في قلب العبد ان يقابل احسانه بالخدمة والطاعة
فجعل قلبه كالمسكن لسلطان عرفانه فكان الحق قال عبدي لم تنزل معرفتي في قلبك حتى تخرجها
منك ذلك وسبقها هناك فيقول العبد يا ديا نزلت حب التلذذ في بطني ثم اخرجته وكذا
حب الام والاب وحب الدنيا وشهواتها واخرجت الكل اما حبك وعرفانك فلا اخرجها من قلبي
ثم انه لما القيت المعرفة والمحبة في ارض القلب تفجر في هذا الينبوع انهار وجداول فالجدول
الذي وصل الى العين جعل فيه الاعتبار وهكذا في جميع الاعضاء والجوارح فيقول الله عبدي
جعلت قلبك كالجنة لي واجريت فيه تلك الانهار دائمة مخلدة فانت مع عجزك وقصورك فعلت
هذا فانا اولى بالجود والكرم والرحمة محمه تحته فلهذا قال تعالى جزاؤهم عند ربهم جنات عدن
تجري من تحتها الانهار بل كان الكريم الرحيم يقول عبدي اعطاني كل ما ملكه وانا اعطيته بعض ما في ملكي
وانا اولى منه بالكرم والجود فلا جرم جعلت هذا البعض منه موهوبا دائما مخلدا حتى يكون
دوامه وخلوده جابرا لما منه النقصان الحاصل بسبب البعضية **المسئلة الثانية**
الجزا اسم لما يقع به الكفاية ومنه اجزات الماشية بالحشيش الرطب عن الما فهذا يفيد معنيين احدهما
انه يعطيه الجزا الوافر من غير نقص والثاني انه تعالى يعطيه ما يقع به الكفاية فلا يبقى في نفسه الا وهو
المطلوب والمطلوب يكون حاصلا على ما قال تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم **المسئلة الثالثة**
قال جزاؤهم فاضاف الجزا اليهم والاضافة المطلقة تدل على الملك فكيف الجمع بينه وبين قوله
تعالى الذي احلنا دار المقامة من فضله والجواب اما اهل السنة فيقولون انه لو قال الملك الكريم
من حرك اصبعه اعطيته الف دينار وهذا شرك وجزا بحسب اللغة وبحسب الوضع لا بحسب
الاستحقاق الذاتي فقوله تعالى جزاؤهم يكفي في صدقه هذا المعنى واما المعتزلة فانهم قالوا في قوله تعالى
الذي احلنا دار المقامة من فضله ان كلمة من لابتداء الغاية والمعنى ان استحقاق هذه الجنات انما
حصل بسبب فضلك السابق فانك لولا انك خلقتنا واعطيتنا القدرة والعقل وازلت الاعذار

واعطيت



واعطيت الالطاف والا لما وصلنا الى هذه الدرجة فان قيل فاذا كان لا حق لاحد عليه في مذهبكم في الانعام قلنا السال
عن انعامه الامس حال اعدامنا او عن انعامه اليوم حال التكليف او عن انعامه في غد القيامة ان سالت عن الامس
فنقول انا منزه عن الانتفاع والمائدة مملوة من المنافع فضاعت هذه المنافع فكان من له مال ولا عيال فانه
يشتري العبيد والجواري لينتفعوا بماله فهو سبحانه وتعالى اشترى من دار العدم هذا الخلق لينتفعوا بملكه كما روى
الخلق عيال الله واما اليوم فالسبب انه يوجب الاتمام بعد الشروع فالرحمن اولى واما الغد فلانا مديونهم بحكم الوعد والانجاز
فكيف لا في ذلك **المسئلة الرابعة** في قوله عند ربهم لطايف احدها قال بعض الفقها لو قال لا شي لي على
فلان فهذا يختص بالديون وله ان يدعي الوديعة ولو قال لا شي لي عند فلان انصرف الى الوديعة دون
الدين ولو قال لا شي لي قبل فلان انصرف الى الدين والوديعة معا اذا عرفت هذا فقوله عند ربهم يفيد انه
وديعة والوديعة عين ولو قال لفلان علي كذا فهو اقرار بالدين والعين اشرف من الدين فقوله عند ربهم يفيد
انه كالمال المعين الحاضر المعد له فان قيل الوديعة امانة غير مضمونة والدين مضمون والمضمون خير مما كان
غير مضمون قلنا المضمون خير اذا تصور الهلاك وهذا في حق الله تعالى محال فلا جرم قلنا الوديعة هناك خير
من المضمون وثانيها اذا وقعت الفتنة في البلد فوضعت مالك عند امام المحلة على سبيل الوديعة صرت فارغ القلب
فهاهنا سيقع الفتنة في بلدة بدنك وحينئذ تخاف الشياطين من ان يغيروا عليها فضع وديعة امانتك عندي
فاني اكتب لك بها كتابا يتلى في المحاريب الى يوم القيمة وهو قوله تعالى جزاؤهم عند ربهم حتى اسلمه اليك احوج ما يكون
اليه وهو في عرصة القيمة وثالثها انه قال عند ربهم وفيه بشارة عظيمة كانه تعالى يقول انا الذي ربيتك اولا حين
كنت معدوما صرفا فاعطيتك من الوجود والحياة والعقل والقدرة فخلقتك واعطيتك كل هذه الاشياء فحين كنت
فقيرا مطلقا اعطيتك هذه الاشيا وما ضيعتك افترى انك اذا اكتسبت شيئا وجعلته وديعة عندي فانا
اضيعها كلا هذا مما لا يكون الخامسة اما قوله تعالى جزاؤهم جنات فيه قولان احدهما انه قابل الجمع بالجمع وهو
يقتضي مقابلة الفرد بالفرد كما لو قال لامراتيه او عبديه ان دخلتما هاتين الدارين فانتما كذا فهذا على ان يدخل
كل واحدة منهما دارا على حدة وعن ابي يوسف حتى يدخل الدارين وعلى هذا ان ملكهما هذين العبدين ودليل
القول الاول قوله تعالى يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق وقوله تعالى واستغشوا ثيابهم فعلى القول الاول
يكون الجزا لكل مكلف جنة واحدة لكن ادنى تلك الجنان مثل الدنيا وما فيها عشر مرات كذا روي مرفوعا ويدل
عليه قوله تعالى وملكا كبيرا ويحتمل ان يراد لكل مكلف جنات كما روي عن ابي يوسف وعليه يدل القران لانه
قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال تعالى ومن دونهما جنتان فذكر اربعا للواحد والسبب فيه
انه بكى من خوف الله تعالى وذلك البكا انما نزل من اربعة اجفان اثنان دون الاسنان فاستحق جنتين دون
الجنتين فحصلت له اربع جنان مسقية بالبكا من اربعة اجفان ثم انه تعالى قدم الخوف في قوله تعالى
ولمن خاف مقام ربه جنتان واخر الخوف في هذه الاية لانه ختم السورة بقوله تعالى ذلك لمن خشي ربه
وفيه اشارة انه لا بد من دوام الخوف اما قبل العمل فالحاصل خوف الاضلال واما بعد العمل فالحاصل خوف الجلال
اذ هذه العبادة لا تليق بتلك الحضرة السابعة قوله تعالى عدن يفيد الاقامة لا يخرجون ولا يبغون عنها
حولا يقال عدن بالمكان اذا اقام وروي جنات عدن اي وسط الجنة وقيل عدن من المعدن اي هي معدن
النعيم والامن والسلامة قال بعضهم انها سميت جنة اما من الجن او الجنون او الجنة او الحسن فان كانت من الجن
فهم مخصوصون بسرعة الحركة يطوفون العالم في ساعة واحدة فكانه تعالى قال انها في ايصال المكلف الى مشتهياته
في غاية الاسراع مثل حركة الجن مع انها دار اقامة وعدن واما من الجنون فهو ان الجنة بحيث لو راها العاقل
يصير كالمجنون لولا ان الله تعالى بفضله يثبته واما الجنة فلانها جنة واقية نفسك من النار ولكن الحسن
فان المكلف يكون في الجنة في غاية التنعم ويكون كالجنين لا يمسه برد ولا حر لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا السابعة
قوله تعالى تجري اشارة الى ان الماء الجاري الطف من الماء الراكد ومن ذلك النظر الى الماء الجاري يزيد نورا
بل كانه تعالى قال طاعتك كانت جارية ما كنت حيا على ما قال تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين فوجب
ان يكون انهارها جارية الى الابد ثم قال تعالى من تحتها وذلك لان التسعين في البساتين اما بسبب عدم الما فذكر الجري
الدائم واما متصرفه الى الانهار المذكورة في القران نهر الما واللبن والعسل والخمر واعلم ان النهر والانهار
من السعة والضيا فلا يسمى الساقية نهرا بل العظيم هو الذي يسمى نهرا بدليل قوله تعالى وسخر لكم الفلك لتجري في
البحر بامره وسخر لكم الانهار فعطف ذلك على البحر الثامنة اعلم انه تعالى لما وصف الجنة اتبعه بما هو افضل من الجنة
وهو الخلود اولا والرضى ثانيا روي انه عليه السلام قال الخلود في الجنة خير من الجنة ورضى الله في الجنة خير من الجنة
اما قوله الصفة الاولى وهي الخلود فاعلم ان الله تعالى وصف الجنة مرة بجنات عدن ومرة بجنات النعيم ومرة بدار
السلام وهذه الاوصاف الثلاثة انما حصلت لانك ركبت ايمانك من امور ثلاثة اعتقاد وقول وعمل واما الصفة
الثانية فهي الرضى فاعلم ان العبد مخلوق من جسد وروح فجنة الجسد هي الجنة الموصوفة وجنة الروح هي رضى الرب

والانسان مبداامره من عالم الحس ومنتهى امره من عالم العقل والروح فلا جرم ابتدا بالجنة وجعل المنتهى هو رضى الله ثم انه قدم رضى الله عنهم على قوله تعالى ورضوا عنه لان الازلي هو المؤثر في المحدث والمحدث لا يؤثر في الازلي

**المسئلة التاسعة** انما قال رضى الله عنهم ولم يقل رضى الرب عنهم ولا بسائر الاسماء اذ اشد الاسما هيبة وجلالة لفظة الله لانه هو الاسم الدال على الذات والصفات باسرها اعني صفات الجلال وصفات الاكرام فلو قال رضى الرب عنهم اشعر ذلك بكمال طاعة العبد لان المربي قد يكتفي بالقليل اما لفظ الله فيفيد عامة الجلال والهيبة في هذه الحضرة لا يحصل الرضى الا بالفعل الكامل والحرمة التامة فقوله تعالى رضى الله عنهم يفيد نهاية مدح العبد من هذه الجهة

**العاشرة** اختلفوا في قوله تعالى رضى الله عنهم قال بعضهم معناه رضى اعمالهم وقال بعضهم بل المراد رضى بان يمدحهم ويعظمهم قالوا لان الرضى عن الفاعل غير الرضى بفعله وهذا هو الاقرب اما قوله تعالى ورضوا عنه فالمراد انهم رضوا بما جازاهم من النعيم والثواب اما قوله تعالى ذلك لمن خشى ربه ففيه مسايل الاولى الخوف في الطاعة حال حسنة قال تعالى والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة ولعل الخشية اشد من الخوف لانه تعالى ذكره في صفات الملئكة مقرونا بالاشفاق الذي هو اشد من الخوف فقال تعالى وهم من خشية ربهم مشفقون والكلام في الخوف والخشية مشهور الثانية هذه الاية اذا ضم اليها اية اخرى صار المجموع دليلا على فضل العلم والعلماء وذلك لانه تعالى قال انما يخشى الله من عباده العلماء فدلت هذه الاية على ان العالم يكون صاحب الخشية وقوله تعالى ذلك لمن خشى ربه يدل على ان صاحب الخشية ويتولد من مجموع الايتين ان الجنة حق العلماء الثالثة قالوا ان هذه الاية تدل على ان المرء لا ينتهي الى حد يصير معه امنا بان يعلم انه من اهل الجنة وجعلوا هذه الاية دلالة عليه وهذا المذهب غير قوي لان الانبياء عليهم السلام قد علموا انهم من اهل الجنة ثم مع ذلك اشد العباد خشية لله تعالى والله تعالى اعلم بمراده

اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها وقال الانسان ما لها يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها هاهنا مسايل **الاولى** ذكروا في المناسبة بين اول هذه السورة واخر السورة المتقدمة وجوها احدها انه تعالى لما قال جزاؤهم عند ربهم فكان المكلف قال ومتى يكون ذلك يا رب فقال اذا زلزلت الارض زلزالها فالعاملون كلهم يكونون في الخوف وانت في ذلك الوقت تنال جزاءك وتكون امنا فيه كما قال تعالى وهم من فزع يومئذ امنون وثانيها انه تعالى لما ذكر في السورة المتقدمة وعيد الكافر ووعد المؤمن اراد ان يزيد في وعيد الكافر فقال اجازيه حين يقول الكافر السابق ذكره ما للارض تزلزل نظيره قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ثم ذكر الطايفتين فقال تعالى فاما الذين اسودت وجوههم واما الذين ابيضت وجوههم ثم جمع بينهما في اخر السورة بذكر الذرة من الخير والشر الثانية في قوله اذا بحثان احدهما ان لقايل ان يقول اذا للوقت فكيف وجه البداية بها ههنا وجوابه من وجوه الاول ان المراد تحت هذه الساعة جاد فكانه قيل متى يكون ذلك فقال اذا زلزلت الارض البحث الثاني قالوا كلمة ان في المجوز واذا في المقطوع به تقول ان دخلت الدار فانت طالق لان الدخول يجوز اما اذا اردت التعليق بما يوجد قطعا لا تقول ان بل تقول اذا جا غد فانت طالق لانه يوجد لا محالة هذا هو الاصل فان استعمل على خلافه فمجاز فلما كان الزلزال مقطوعا به قال تعالى اذا زلزلت الثالثة قال الفرا الزلزال بالكسر مصدر والزلزال بالفتح الاسم وقد قرئ بهما وكذلك الوسواس هو الاسم اي اسم الشيطان الذي يوسوس اليك والوسواس بالكسر المصدر والمعنى حركت حركة شديدة كما قال تعالى اذا رجت الارض رجا وقال قوم ليس المراد من زلزلت حركت بل المراد تحركت واضطربت والدليل عليه انه تعالى يخبر عنها في جميع السورة كالخبر عن المختار القادر ولان هذا ادخل في التهويل كانه تعالى يقول ان الجماد يضطرب لاوايل القيامة اما انت لا تضطرب وتسهو عن عملك ويقرب منه الراية خاشعا متصدعا من خشية الله تعالى واعلم ان زل للحركة المعتادة وزلزل للحركة الشديدة العظيمة كما قال تعالى فيه ان زلزلة الساعة شيء عظيم الرابعة قال مجاهد المراد من الزلزلة المذكورة في هذه الاية النفخة الاولى كقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة اي تزلزل في النفخة الاولى ثم تزلزل ثانية فتخرج موتاها وهي الاثقال وقال اخرون هذه الزلزلة هي الثانية بدليل انه تعالى جعل من لوازمها انها تخرج الارض اثقالها وذلك انما يكون في الزلزلة الثانية الخامسة في قوله تعالى زلزالها بالاضافة وجوه احدها القدر اللايق بها في الحكمة كقولك اكرم التقي اكرامه واهن الفاسق اهانته تريد ما تستوجبانه من الاكرام والاهانة والثاني ان يكون المعنى زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه والمعنى انه وجد من الزلزلة ما تحتمله المحل والثالث زلزالها الموعود او المكتوب عليها اذا قدرت تقديرا يحي تقديره ما روى انها تزلزل من شدة صوت اسرافيل عليه السلام كما انها قدرت تقديرا يحي اما قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها فيه مسئلتان الاولى في الاثقال قولان احدهما انه جمع

ثقل



ثقل وهو متاع البيت لقوله تعالى وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه جعل ما في جوفها من الدفاين اثقالا لها قال ابو عبيدة والاخفش اذا كان الميت في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها وقيل سمي الجن والانس بالثقلين لان الارض تثقل بهم اذا كانوا في بطنها ويثقلون عليها اذا كانوا فوقها ثم قال المراد من هذه الزلزلة الزلزلة الاولى تقول اخرجت الارض اثقالها يعني الكنوز فيمتلي ظهر الارض ذهبا ولا احد يلتفت اليه كان الذهب يصيح ويقول اما كنت تخرب دينك ودنياك لاجلي او تكون الفايدة في اخراجها كما قال تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم ومن قال المراد منها الزلزلة الثانية فهي بعد القيامة قال تخرج الاثقال يعني الموتى احياء كالام تلد حيا وقيل يلفظه الارض ميتا كما دفن ثم يحييه الله تعالى والقول الثاني اثقالها اسرارها فيومئذ تكشف الاسرار ولذلك قال تعالى يومئذ تحدث اخبارها وتشهد لك او عليك الثانية اعلم انه تعالى قال في صفة الارض الم نجعل الارض كفاتا ثم صارت بحال ترمي وهو تقرير لقوله تعالى تذهل كل مرضعة عما ارضعت وقوله تعالى يوم يفر المرء اما قوله تعالى وقال الانسان ما لها ففيه مسايل الاولى ما لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك اما عند النفخة الاولى حين تلفظ ما فيها من الكنوز والدفاين او عند النفخة الثانية حين تلفظ ما فيها من الاموات الثانية قيل هذا قول الكافر وهو كما يقولون من بعثنا من مرقدنا فاما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وقيل بل عام في المؤمن والكافر اي الانسان الذي هو كفور جزوع ظلوم الذي من شانه الغفلة والجهالة يقول ما لها وليس بسؤال بل للتعجب لما يرى من العجايب التي لم تسمع بها الاذان ولا تنطق بها لسان ولهذا قال الحسن انه الكافر والفاجر معا الثالثة انما قال ما لها على غير المواجهة لانه يعاتب بهذا الكلام نفسه كانه يقول يا نفس ما للارض تفعل ذلك يعني يا نفس انت السبب فانه لولا معاصيك لما صارت الارض كذلك ما للكفار يقولون هذا الكلام والمؤمنون يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن اما قوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها فاعلم ان ابن مسعود قرا تنبي اخبارها وسعيد بن جبير تنبي فيه سؤالان الاول اين مفعولا تحدث والجواب قد حذف اولهما والثاني اخبارها واصله تحدث الخلق اخبارها الا ان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق تعظيما السؤال الثاني ما معنى تحديث الارض قلنا فيه وجوه احدها وهو قول ابي مسلم يومئذ يتبين لكل احد جزا عمله فكانها حدثت بذلك كقولك الدار تحدثنا بانها كانت مسكونة فكذا انتقاض الارض بسبب الزلزلة تحدث ان الدنيا قد انقضت وان الاخرة قد اقبلت والثاني وهو قول الجمهور ان الله تعالى يجعل الارض حيوانا عاقلا ناطقا ويعرفها جميع ما عمل عليها فحينئذ تشهد لمن اطاع وعلى من عصى قال عليه السلام ان الارض لتخبر يوم القيامة بكل عمل عمل على ظهرها ثم تلا هذه الاية وهذا على مذهبنا غير بعيد لان البنية عندنا ليست شرطا لقبول الحياة فالارض مع بقائها على شكلها ويبسها وقشفها يخلق الله فيها الحياة والنطق والمقصود كان الارض تشكو من العصاة وتشكر من اطاع فتقول ان فلانا صلى وزكى وحج وان فلانا كفر وزنا وسرق وجار حتى يود الكافر ان يساق الى النار وكان علي رضي الله عنه اذا فرغ بيت المال صلى ركعتين ويقول لتشهدان لي مالا تك حق وفرغتك بحق والقول الثالث وهو قول المعتزلة ان الكلام يجوز خلقه في الجماد فلا يبعد ان يخلق الله تعالى في الارض حال كونها جمادا اصواتا مقطعة مخصوصة فيكون المتكلم والشاهد على هذا التقدير هو الله تعالى الرابعة اذا وبعد ما ناصبهما الجواب يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث الرابع لفظ التحديث يفيد الاستيناس فما وجه هذا اللفظ الجواب ان الارض كانها تبث شكواها مع اولياء الله تعالى وملائكته اما قوله تعالى بان ربك اوحى لها ففيه سؤالان الاول بم تعلقت الباء في قوله تعالى بان ربك اوحى لها وجوابه بتحدث ومعناه تحدث اخبارها بسبب انه اوحى اليها السؤال الثاني في لم قيل اوحى لها الجواب فيه وجهان الاول قال ابو عبيدة اوحى لها اي اوحى اليها وانشد العجاج اوحى لها القرار فاستقرت الثاني لعله انما قال لها اي فعلنا ذلك لاجلها حتى تتوسل الارض بذلك الى التشفي من العصاة اما قوله تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يصدر ضد الورود قالوا الوارد الجاي والصادر المنصرف واشتاتا متفرقين فيحتمل ان يريد يصدرون عن الارض الى عرصة القيامة ويحتمل ان يردوا عرصة القيامة للمحاسبة ثم يصدرون عنها الى موضع الثواب والعقاب وان كان قوله تعالى اشتاتا اقرب الى الوجه الاول ولفظة الصدر اقرب الى الوجه الثاني وقوله تعالى ليروا اعمالهم اقرب الى الوجه الاول لان روية عملهم مكتوبا من الصحايف هو اقرب الى الحقيقة من روية جزا الاعمال وان صح ان يحمل على روية جزا الاعمال وقوله تعالى اشتاتا فيه وجوه احدها ان بعضهم يذهب الى الموقف راكبا مع الثياب الحسنة وبياض الوجه والمنادي ينادي بين يديه هذا ولي الله واخرون يذهب بهم سود الوجوه حفاة عراة مع السلاسل والاغلال والمنادي بين يديه هذا عدو الله تعالى وثانيها اشتاتا اي كل فريق مع شكله اليهودي مع اليهودي والنصراني مع النصراني وثالثها اشتاتا من اقطار الارض من كل ناحية ثم انه سبحانه وتعالى ذكر المقصود فقال تعالى ليروا اعمالهم قال بعضهم ليروا صحايف اعمالهم لان الكتاب يوضع بين يدي الرجل فيقال هذا املاك وسعيك فهل تراه والمرئي هو الكتاب وقال اخرون ليروا جزا اعمالهم وهو الجنة والنار وانما اوقع اسم العمل على الجزا لانه وفاق فكانه نفس العمل بل المجاز في ذلك ادخل في الحقيقة وفي قراة النبي عليه السلام ليروا بالفتح ثم قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة

خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وفيه مسايل الاولى ذرة اى ذنة ذرة قال الكلبي الذرة اصغر النمل
وقال ابن عباس اذا وضعت راحتك على الارض ثم رفعتها فكل احد مما لزق بها من التراب مثقال ذرة
فليس من عبد عمل خيرا او شرا قليلا كان او كثيرا الا اراه الله تعالى اياه الثانية في رواية عن عاصم
يره برفع اليا وقرا الباقون يره وقرا بعضهم يره بالجزم وسيا في المومن لهفوه اما ابتداوا ما بسبب
اجتنابه الكباير فما معنى الجزا المثنا قبل الذر من الخير والشر واعلم ان المفسرين اجابوا عنه بوجوه
احدها قال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة من خير وهو كافر فانه يرى ثوابه ذلك في الدنيا
حتى يلقى الاخرة وليس له فيها خيرا ومن يعمل مثقال ذرة من شر وهو مومن يرى عقوبة ذلك
في الدنيا في الدنيا واهله وماله حتى يبلغ الاخرة وليس له فيها شر وهذا مروى عن ابن عباس ايضا
ويدل على صحة هذا التاويل ما روى انه عليه السلام قال لابي بكر رضى الله عنه يا ابا بكر
ما رايت في الدنيا مما تكره فمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل الخير حتى توفاها
يوم القيامة وثانيها قال ابن عباس ليس من مومن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله اياه فاما
المومن فيغفر له سياته ويثيبه بحسناته واما الكافر فترد حسناته ويعذب بسيئاته
وثالثها ان حسنات الكافر وان كانت محبطة بكفره لكن الموازنة معتبرة فيقدر تلك
الحسنات احبطت من عقاب كفره وكذا القول في الجانب الاخر فلا يكون ذلك قادحا في عموم الاية
ورابعها ان تخصيص عموم قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ونقول المراد فمن يعمل من السعدا
مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل من الاشقيا مثقال ذرة شرا يره السابعة لقايل ان يقول اذا كان
الامر الى هذا الحد فاين الكرم والجواب هذا هو الكرم لان المعصية وان قلت فالكريم لا يضيعه
فكانه سبحانه وتعالى يقول لا تحسب مثقال الذرة من الخير صغيرا فانك مع لومك وضعفك
لم تضيع من الذرة بل اعتبرتها وتعرفت فيها واستدللت بها على ذاتي وصفاتي واتخذتها مركبا به
وصلت الى فاذا لم تضيع ذرتك فاضيع ذرتي ثم التحقيق ان المقصود هو النية والقصد فان كان
العمل قليلا لكن النية خالصة فقد حصل المطلوب وان كان العمل كثيرا والنية فاترة فالمقصود فايت
ومن ذلك ما روى عن كعب لا تحقروا من المعروف شيئا فان رجلا دخل الجنة باعارة ابرة في سبيل الله
وان امراة اعانت بحبة في بنا بيت المقدس فدخلت الجنة وعن عايشة رضى الله عنها كان بين
يديها عنب قدمته الى نسوة بحضرتها فجا سايل فامرت له بحبة من ذلك العنب فضحك من كان عندها
فقالت ان ما ترون ههنا مثاقيل ذر كثيرة وتلت هذه الاية ولعلها كان غرضها التعليم والا فهي قد كانت في غاية
السخاوة وروى ان ابن الزبير بعث اليها بمائة الف وثمانين الف درهم في غرارتين فدعت بطبق
وجعلت تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جارية هلمي فطوري فجات بخبز وزيت فقيل لها ما امسكت
لنا درهما نشتري به لحما نفطر عليه فقالت لو ذكرتني لفعلت ذلك وقال مقاتل نزلت هذه الاية
كان احدهما ياتيه السايل فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ويقول ما هذا شي وانما يوجر
ما نعطي وكان الاخر يتهاون بالذنب اليسير ويقول لا شي علي من هذا انما الوعيد بالنار على الكباير فنزلت
هذه الاية ترغيبا في القليل من الخير فانه يوشك ان يكثر وتحذيرا من اليسير من الذنب فانه يوشك ان
يكثر ولهذا قال عليه السلام اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة والله تعالى اعلم بالصواب

**والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا**
**ان الانسان لربه لكنود** اعلم ان الضبح انفاس الخيل اذا عدون وهو صوت ليس بصهيل ولا حمحمة
ولكنه صوت نفس ثم اختلفوا في المراد بالعاديات على قولين الاول ما روى عن علي وابن مسعود انها الابل
وهو قول ابرهيم والقرظي روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بينا انا جالس في الحجر اذا اتاني رجل فسالني عن
العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب الى علي وهو تحت سقاية زمزم فساله وذكر له ما قلت فقال
ادعه لي فلما وقفت على راسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة في الاسلام
ببدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد والعاديات ضبحا والله ان كانت الا الابل
من عرفة الى مزدلفة الى منى يعني الى الحجاج قال ابن عباس فرجعت عن قولي الى قول علي ويتاكد هذا القول
بما روى ابي في فضل هذه السورة مرفوعا ان من قراها اعطي من الاجر بعدد من بات بالمزدلفة وشهد
جمعا وعلى هذا القول فالموريات قدحا ان الحوافر ترمي بالحجر من شدة العدو فيضرب به حجرا اخر فتوري النار

اويكون



اويكون المعنى الذين يركبون الابل وهم الحجيج اذا اوقدوا نيرانهم بالمزدلفة فالمغيرات صبحا والاغارة سرعة السير
وهم يدفعون صبيحة يوم النحر مسرعين الى منى فاثرن به نقعا يعني غبارا بالعدو وعن محمد بن كعب النقع بما
بين المزدلفة الى منى فوسطن به جمعا يعني مزدلفة لانها تسمى جمعا لاجتماع الحاج بها وعلى هذا التقدير
لوجه القسم من وجوه احدها ما ذكرنا من المنافع الكثيرة فيه في قوله تعالى افلا ينظرون الى الابل وثانيها كانه
تعريض بالادمي الكنود وكانه تعالى يقول اني سخرت مثل هذا لك وانت متمرد عن طاعتي وثالثها الغرض
بذكر ابل الحج الترغيب في الحج كانه تعالى يقول جعلت ذلك الابل مقسما به فكيف اضيع عملك وفيه تعريض لمن
يرغب عن الحج فان الكنود هو الكفور والذي لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك كما في قوله تعالى ولله على الناس
حج البيت الى قوله تعالى ومن كفر القول الثاني وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعطا واكثر المفسرين
انه الخيل وروى ذلك مرفوعا قال الكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى اناس من كنانة فمكث
ما شاء الله ان يمكث لا ياتيه منهم خبر فتخوف عليها فنزل جبريل عليه السلام بخبر مسيرها وان جعلنا الالف
واللام في والعاديات للمعهود السابق كان محل القسم خيل تلك السرية وان كان جعلناها للجنس كان ذلك
قسما بكل خيل عدت في سبيل الله **واعلم** ان الفاظ هذه الايات تؤذن ان المراد هو الخيل وذلك لان
الضبح لا يكون الا للفرس واستعمال هذا اللفظ في الابل يكون على سبيل الاستعارة كما استعير المشافر للانسان والشفاه
للمهر والعدول عن الحقيقة الى المجاز بغير ضرورة لا يجوز وايضا فالقدح يظهر بالحافر ما لا يظهر بخف الابل وكذا قوله تعالى
فالمغيرات صبحا لانه بالخيل اسهل منه بغيره وقد روينا انه ورد في بعض السرايا واذا كان كذلك فالاقرب ان السورة
مدنية لان الاذن بالقتال كان بالمدينة وهو الذي قاله الكلبي اذا عرفت ذلك فههنا مسايل الاولى انه تعالى انما اقسم
بالخيل لان لها في العدو من الخصال الحميدة ما ليست لساير الدواب فانها تصلح للطلب والهرب والكر والفر فاذا ظننت
ان النفع في الطلب عدوت الى الخصم لتفوز بالغنيمة وان ظننت ان المصلحة في الهرب قدرت على اشد العدو
ولا شك ان السلامة احدى الغنيمتين فاقسم تعالى بفرس الغازي بما فيه من منافع الدنيا والدين وفيه تنبيه على
ان الانسان يجب ان يمسكه لا للزينة والتفاخر بل لهذه المنفعة وقد نبه تعالى على هذا المعنى في قوله تعالى والخيل
والبغال والحمير لتركبوها وزينة فادخل لام التعليل على الركوب وما ادخله على الزينة وانما قال ضبحا لانه امارة
يظهر بها التعب وانه يبذل كل الوسع ولا يقف عند التعب كانه تعالى يقول انه مع ضعفه لا يترك طاعتك فليكن
العبد ايضا في طاعة مولاه كذلك الثانية ذكروا في انتصاب ضبحا وجوه احدها قال الزجاج والعاديات يضبح
ضبحا وثانيها ان يكون والعاديات في معنى والضابحات لان الضبح يكون مع العدو وهو قول الفرا وثالثها قال
البصريون التقدير والعاديات ضابحة نصب على الحال اما قوله تعالى فالموريات قدحا **فاعلم** ان الايرا
اخراج النار والقدح الصك تقول قدح فاورى وقدح فاصلد ثم في تفسير الاية وجوه احدها قال ابن عباس
يريد ضربت الخيل بحوافرها الحجر فاورت منه النار مثل الزناد اذا قدح وقال مقاتل يعني الخيل تقدح بحوافرها
الحجارة نارا كنار الحباحب والحباحب اسم رجل كان بخيلا لا يوقد النار الا اذا نام الناس فاذا انتبه احد اطفاه
لئلا ينتفع بها فشبهت هذه النار التي تقدح من حوافر الخيل بتلك النار التي لم يكن فيها نفع ومن الناس من
يقول انها نعل الحديد يصك الحجر فيخرج النار والاول ابلغ لان على ذلك التقدير تكون السنابك نفسها كالحديد
كما انتصب ضبحا وثانيها قال قوم هذه الايات في الخيل ولكن ايراؤها ان تهيج الحرب بين اصحابها وبين عدوهم
كما قال تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ومنه يقال للحرب اذا التحمت حمي الوطيس وثالثها هم الذين
يغزون فيورون بالليل نيرانهم لحاجتهم وطعامهم فالموريات هم الجماعة من الغزاة ورابعها انها هي الالسنة
توري نار العداوة لعظم ما تتكلم به وخامسها هي افكار الرجال توري نار المكر والخديعة روى ذلك عن ابن عباس
ويقال لاقدحن لك ثم لاورين لك اي لاهيجن عليك شرا وحربا ومكرا وقيل هو المكر الا انه مكر يقاد النار
ليراهم العدو كثيرا ومن عادة العرب عند العدو اذا قربوا من العدوان يوقدوا نيرانا كثيرة لكي اذا نظر العدو اليهم ظنهم
كثيرا وسادسها قال عكرمة الموريات قدحا الالسنة وسابعها الموريات قدحا اي فالمنجحات امرا يعني الذين وجدوا
مقصودهم وفازوا بمطلوبهم من الغزو والحج يقال للمنجح في حاجته وري زنده ثم يرجع هذا الى الجماعة المنجحة ويجوز
ان يرجع الى الخيل تنجح ركبانها قال جرير وجدنا الازد اكرمهم جوارا واوراهم اذا قدحوا زنادا ويقال فلان اذا قدح
اورى واذا منح اورى **واعلم** ان الوجه الاول اقرب لان لفظ الايرا حقيقة في ايرا النار وفي غيره مجاز
ولا يجوز ترك الحقيقة بغير دليل اما قوله تعالى فالمغيرات صبحا يعني الخيل تغير على العدو وقت الصبح وكانوا
يغيرون صباحا لانهم في الليل يكونون في الظلمة فلا يبصرون شيا واما النهار فالناس يكونون كالمستعدين للمدافعة
والمحاربة واما هذا الوقت فالناس يكونون فيه في الغفلة وعدم الاستعداد فاما الذين حملوا هذه الايات على
الابل قالوا المراد هو الابل ترفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى والسنة ان لا تغير حتى تصبح ومعنى الاغارة في اللغة
الاسراع يقال اغار اذا اسرع وكانت العرب في الجاهلية تقول اشرق ثبير كيما نغير اي نسرع في الاغارة اما قوله تعالى

فاثرن به نقعا ففيه مسايل الاولى فى النقع قولان احدهما انه هو الغبار وقيل انه ماخوذ من نقع الصوت اذا ارتفع فالغبار
سمى نقعا لارتفاعه وقيل هو من النقع فى الماء فكان صاحب الغبار غاص فيه كما يغوص الرجل فى الماء والثانى النقع الصياح
من قوله عليه السلام ما لم يكن نقع ولا لقلقة اى الصحن فى المغار عليهم صياح النوايح وارتفعت اصواتهن ويقال ثار الغبار والدخان
اى ارتفع وثار القطا عن مفحصه واثرت الغبار اى هيجته والمعنى ان الخيل اثرت الغبار لشدة العدو فى الموضع الذى غير
فيه الثانية الضمير فى قوله به الى ماذا يعود فيه وجوه احدها وهو قول الفرا انه عايد الى المكان الذى انتهى اليه والموضع
الذى يقع فيه الاغارة لان فى قوله تعالى فالمغيرات صبحا دليلا على ان الاغارة لا بد لها من موضع واذا علم المعنى جاز عما
علم بجر ذكره بالتصريح كما فى قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر وثانيها انه عايد الى ذلك المكان الذى وقعت
فيه الاغارة اى فاثرن فى ذلك الوقت نقعا وثالثها وهو قول الكسائى انه عايد الى العدو اى اثرن بالعدو نقعا
وقد تقدم ذكر العدو فى قوله تعالى والعاديات الثالثة فان قيل على اى شى عطف قوله تعالى فاثرن به قلنا
على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه والتقدير واللاتى عدون فاورين فاغرن فاثرن الرابعة
قرا ابو حياة فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار او قلبت واو وحمزة
اذا صله ورن فقلب الواو همزة اما قوله تعالى فوسطن به جمعا ففيه مسئلتان الاولى قال الليث وسطت
البر والمفازة اسطها وسطة اى صرت فى وسطها وكذلك وسطتها وتوسطتها ونحو هذا قال الفرا
والضمير فى قوله به الى ماذا يرجع فيه وجوه احدها قال مقاتل الى العدو وذلك ان العاديات تدل على العدو
فجازت الكناية عنه وقوله جميعا يعنى جمع العدو والمعنى صرن بعدوهن وسط جمع العدو ومن حمل
الايات على الابل قال يعنى جمع منى وثانيها ان الضمير عايد الى النقع اى وسطن بالنقع الجمع وثالثها المراد
ان العاديات وسطن ملتبسات بالنقع جمعا من جموع الاعدا الثانية قرى فوسطن بالتشديد للتعدية والباء
مزيدة للتوكيد لقوله واتوا به وهى مبالغة فى وسطن **واعلم** ان الناس اكثروا فى صفة الفرس وهذا
التعليل الذى ذكره الله احسن وقال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير وقال ايضا ظهرها
حرز وبطنها كنز **واعلم** انه تعالى لما ذكر المقسم به ذكر المقسم عليه وهو امور ثلاثة احدها وهو قوله
تعالى ان الانسان لربه لكنود قال الواحدى رحمه الله تعالى اصل الكنود منع الحق والخير والكنود الذى يمنع ما عليه
والارض الكنود هى التى لا ينبت شيا ثم للمفسرين عبارات فقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك
وقتادة الكنود هو الكفور قالوا ومنه سمى الرجل المشهور كنده لانه كند اباه ففارقه وعن الكلبى الكنود
بلسان كنده القاضى وبلسان بنى مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور وروى ابو امامة عن النبى
صلى الله عليه وسلم ان الكنود الكفور الذى يمنع رفده وياكل وحده ويضرب عبده وقال الحسن الى لكنود اى للوام
لربه بعد المحن والمصايب وينسى النعم والراحات وهو كقوله تعالى واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول
ربى اهانن **واعلم** ان معنى الكنود لا يخرج عن ان يكون كفرانا وفسقا وكيف ما كان فلا يمكن حمله على كل الناس
فلا بد من صرفه الى كافر معين وان حملنا على الكل لكن المعنى ان طبع الانسان يحمله على ذلك الا اذا عصمه الله تعالى
بلطفه وتوفيقه من ذلك والاول قول الاكثرين قالوا لان ابن عباس قال انها نزلت فى قرط بن عبد الله بن عمرو بن
نوفل القرشى وايضا فقوله تعالى افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور لا يليق الا بالكافر لان ذلك كالدلالة على انه
منكر لذلك الامر الثانى من الامور التى اقسم الله تعالى عليه قوله وانه على ذلك لشهيد لشهيد على نفسه بذلك
اما لانه امر ظاهر لا يمكنه ان يجحده او انه يشهد على نفسه بذلك فى الاخرة ويعترف بذنوبه والقول الثانى فى
المراد وان الله على ذلك لشهيد قالوا وهذا اولى لان الضمير عايد الى اقرب المذكورين والاقرب هو لفظ الرب تعالى
ويكون ذلك كالوعيد والزجر له عن المعاصى من حيث انه يحصى عليه اعماله واما الناصرون للقول الاول
فقالوا ان قوله بعد ذلك وانه لحب الخير لشديد الضمير فيه عايد الى الانسان فيكون النظم احسن الامر
الثالث مما اقسم الله تعالى به قوله تعالى وانه لحب الخير لشديد الخير المال من قوله تعالى ان ترك خيرا وقوله
تعالى اذا مسه الخير منوعا وهذا لان الناس يعدون المال فيما بينهم خيرا كما انه تعالى سمى
ما ينال المجاهد من الخراج وادى الحرب سوا فى قوله لم يمسسهم ارى الموت يعتام الكرام ويصطفى
عقيلة مال الفاحش المتشدد ثم فى التفسير وجوه احدها انه لاجل المال لبخيل ممسك وثانيها ان يكون
اذ يكون المراد من الشديد القوى ويكون المعنى وانه لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوى مطيق وهو لحب
عبادة الله تعالى وشكر نعمه ضعيف يقول هو شديد لهذا الامر وقوى له اذا كان مطيقا له ضابطا وثالثها اراد
انه لحب الخير غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض وثانيها قال الفرا يجوز ان يكون المعنى وانه لحب الخير لشديد
الحب يعنى انه لحب المال ولحب كونه مجالا له انه اكتفى بالحب الاول من الثانى كما قال تعالى اشتدت به الريح فى يوم
عاصف اى فى يوم عاصف الريح فاكتفى بالاول من الثانية وخامسها قال قطرب اى انه شديد لحب الخير
كقولك انه زيد ضروب اى انه ضروب زيد **اعلم** انه تعالى لما عد عليه قبايح افعاله خوفه فقال تعالى





افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور وفيه مسايل الاولى القول فى بعثر مضى فى قوله تعالى واذا القبور بعثرت وَ
ذكرنا ان معنى بعثر ما فى القبور ولم يقل بعثر من فى القبور ثم انه تعالى لما قال ما فى القبور ثم قال تعالى ان ربهم
بهم ولم يقل ان ربها بها يوميذ لخبير والجواب عن السوال الاول هو ان ما فى الارض غير المكلفين اكثر فاخرج
الكلام على الاغلب او قال انهم حال ما يبعثرون لا يكونون احيا عقلا بل بعد البعث يصيرون كذلك فلا جرم
كان الضمير الاول ضمير غير العقلا والضمير الثانى ضمير العقلا ثم قال تعالى وحصل ما فى الصدور قال ابو عبيدة
اى ميز ما فى الصدور قال الليث الحاصل من كل شى ما بقى وثبت وذهب ما سواه فالتحصيل تمييز ما يحصل
والاسم الحصيلة قال لبيد وكل امرء يوما سيعلم سعيه اذا حصلت عند الاله الحصايل وفى التفسير
وجوه احدها معنى حصل جمع فى الصحف اى اظهر محصلا مجموعا الثانى انه لا بد من التمييز بين الواجب والمندوب
والمباح والمكروه والمحظور فان لكل واحد حكما على حده فتمييز البعض عن البعض وتخصيص كل واحد منهما
بحكمة اللايق به هو التحصيل ومنه قيل للمنخل المحصل وثالثها انه كثيرا ما يكون باطن الانسان بخلاف ظاهره
اما فى يوم القيمة فانه ينكشف الاسرار وينهتك الاستار ويظهر ما فى البواطن كما قال تعالى يوم تبلى السراير
**واعلم** ان حظ الوعظ منه ان يقال انك تسعد فما لا فايدة لك فيه من المقبرة وتنبش عن الكتابوت
وتغسل الكفن وتعزل العجوز الكفن فيقال هذا كله للديدان فاين حظ الرحمن بل المراة اذا كانت حاملة
فانها تعد للطفل ثيابا فاذا قلت لها لا طفل لك فما هذا الاستعداد فيقول اليس سعتر ما فى بطنى فيقول الرب
الا سعتر ما فى بطن الارض فاين الاستعداد وقرى وحصل بالفتح والتخفيف بمعنى ظهر ثم قال تعالى ان ربهم بهم
يوميذ لخبير وفيه سوالات الاول انه يوهم ان علمه لهم فى ذلك اليوم انما حصل بسبب الخبرة وذلك يقتضى
سبق الجهل وهو على الله تعالى محال والجواب من وجوه احدها كانه تعالى يقول من لم يكن عالما فانه يصير بسبب الاختبار
عالما فمن كان لم يزل عالما الا يكون خبيرا باحوالك وثانيها ان فايدة تخصيص ذلك الوقت فى قوله يوميذ مع كونه
عالما ابدا انه وقت الجزاء وتقريره لمن الملك كانه يقول لا حاكم الا يروج حكمه ولا عالم يروج فتواه يوميذ الا هو
وكم من عالم لا يعرف الجواب وقت الواقعة ثم يتذكره بعد ذلك فكانه تعالى يقول لست كذلك السوال الثانى لم خص
اعمال القلوب بالذكر فى قوله تعالى وحصل ما فى الصدور واهمل ذكر اعمال الجوارح الجواب لان اعمال الجوارح تابعة
لاعمال القلب فانه لولا الترغيب والارادات فى القلوب لما حصلت افعال الجوارح ولذلك انه تعالى جعلها الاصل
فى الذم فقال اثم قلبه والاصل فى المدح قوله تعالى وجلت قلوبهم الثالث لم قال تعالى وحصل ما فى الصدور ولم يقل
وحصل ما فى القلوب الجواب لان القلب مطية الروح وهو بالطبع يحب معرفة الله تعالى وخدمته انما المنازع فى
هذا الباب هو النفس ومحلها ما يقرب من الصدور ولذلك قال تعالى يوسوس فى صدور الناس وقال تعالى افمن شرح الله
صدره للاسلام فجعل الصدر موضعا للاستسلام الرابع الضمير فى قوله تعالى ان ربهم بهم عايد الى الانسان وهو
واحد والجواب ان الانسان فى معنى الجمع لقوله تعالى ان الانسان لفى خسر ثم قال تعالى الا الذين امنوا ولولا انه للجمع
لما صح ذلك واعلم انه بقى فى مباحث هذه الاية مسئلتان الاولى هذه الاية يدل على كونه تعالى عالما بالجزئيات الزمانية
الا انه تعالى نص على كونه تعالى عالما بكيفية احوالهم فى ذلك اليوم فيكون منكره كافرا السوال الثانى نقل ان الحجاج
سبق على لسانه بالنصب فاسقط الكلام فى قوله تعالى لخبير حتى لا يكون الكلام لحنا وهذا يذكر فى تقرير فصاحته
فزعم بعض المشايخ ان هذا كفر لانه قصد لتغيير المنزل ونقل عن ابى السماك انه قرا على هذا الوجه الثانيه اعلم
انه سبحانه وتعالى لما ختم السورة المتقدمة بقوله ان ربهم بهم يوميذ لخبير فكانه
قيل وما ذلك فقيل هى القارعة والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال
كالعهن المنفوش اعلم ان فيه مسايل الاولى القرع هو الضرب بشدة واعتماد ثم سميت الحادثة
العظيمة من حوادث الدهر قارعة قال الله تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة ومنه قولهم العبد
يقرع بالعصا ومنه المقرعة وقوارع القران وقرع الباب وتقارعوا تضاربوا بالسيوف واتفقوا على ان القارعة
اسم من اسماء القيامة واختلفوا فى كيفية هذه التسمية على وجوه احدها ان سبب ذلك هو الصيحة التى
تموت فيها الخلايق لان فى الصيحة الاولى يذهب العقول قال الله تعالى فصعق من فى السموات ومن فى الارض
وفى الثانية تموت الخلق سوا اسرافيل ثم يميته الله تعالى ثم يحييه فينفخ الثانية فيقومون وروى ان الصور
له ثقب على عدد الاموات لكل واحد ثقبة معلومة فيحيى الله تعالى كل جسد بتلك النفخة الواصلة اليه
من تلك الثقبة المعينة والذى يوكد هذا الوجه قوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة فانما هى زجرة واحدة

وثانيها ان الاجرام العلوية والسفلية يصطكان اصطكاكات شديدة عند تخريب العالم فسميت
تلك القرعة اسم يوم القيامة بالقارعة وثالثها ان القارعة هي التي يقرع الناس بالاهوال والافزاع
وذلك في السموات بالانشقاق والانفطار وفي الشمس والقمر بالتكوير وفي الكواكب بالانتثار وفي
الجبال بالدك والنسف وفي الارض بالطي والتبديل وهو قول الكلبي ورابعها انها يقرع اعداء الله
بالعذاب والخزي والنكال وهو قول مقاتل قال بعض المحققين وهو اولى من قول الكلبي لقوله
تعالى وهم من فزع يومئذ امنون الثالثة في اعراب قوله تعالى القارعة ما القارعة وجوه احدها
انه تحذير وقد جاء التحذير بالرفع والنصب تقول الاسد الاسد فيجوز الرفع والنصب وثانيها
في اضمار اي سياتيكم القارعة على ما اخبرت عنه في قوله اذا بعثر ما في القبور وثالثها رفع بالابتداء
وخبره ما القارعة وعلى قول قطرب الخبر وما ادراك ما القارعة فان قيل اذا اخبرت عن
شيء بشيء فلا بد وان يستفيد منه علما زايدا وقوله تعالى وما ادراك ما القارعة يفيد
كونك جاهلا به فكيف يعقل به ان يكون هذا خبرا قلنا حصل لنا هذا الخبر علما زايدا لانا كنا
نظن انها قارعة كساير القوارع فبهذا التجهيل علمنا انها هاهنا قارعة فاقت القوارع
في الهول والشدة الثالثة قوله تعالى وما ادراك ما القارعة فيه وجوه احدها معناه لا علم لك
بكنهها لانها في الشدة بحيث لا يبلغها وهم احد ولا فهمه وكيف ما قدرته فهو اعظم من تقديرك
كانه تعالى قال قوارع الدنيا في جنب تلك القارعة كانها ليست بقوارع ونار الدنيا في جنب نار الاخرة
كانها ليست كامية ولما اخر السورة مطابقا لاولها من هذا الوجه فان قيل هاهنا قال
وما ادراك ما القارعة وقال في اخر السورة فامه هاويه وما ادراك ماهيه ولم يقل وما ادراك
ما الهاوية فما الفرق قلنا الفرق ان كونها قارعة امر محسوس اما كونها هاوية فليس كذلك فظهر
الفرق بين الموضعين وثانيها ان ذلك التفصيل لا سبيل لاحد الى العلم به الا باخبار الله تعالى وبيانه
لا بحث عن وقوع الواقعات ولا عن وجوب الواجبات فلا يكون الى معرفته دليل الا بالسمع الرابعة
نظير هذه الاية قوله تعالى الحاقة ما الحاقة ثم قال المحققون قوله القارعة ما القارعة اشد
من قوله تعالى الحاقة ما الحاقة لان النازل اخرا لا بد وان يكون ابلغ لان المقصود منه زيادة
التنبيه وهذه الزيادة لا تحصل الا اذا كانت اقوى واما النظر الى المعنى فالحاقة اشد لكونه راجعا
الى معنى العدل والقارعة اشد لما انها تهجم على القلوب بالامر الهايل قال تعالى يوم يكون الناس
كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش قال صاحب الكشاف الظرف نصب بمضمر
دلت عليه القارعة اي تقرع يوم يكون الناس كذا واعلم انه تعالى وصف ذلك اليوم
بامرين الاول كون الناس فيه كالفراش المبثوث قال الزجاج الفراش هو الحيوان الذي
يتهافت في النار وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره ثم انه تعالى شبه الخلق وقت البعث
هاهنا بالفراش وفي اية اخرى بالجراد المنتشر اما وجه التشبيه بالفراش فلان الفراش اذا ثار لم يتجه
لجهة واحدة بل كل واحد منهم يذهب الى غير جهة الاخرى فدل هذا على انهم اذا بعثوا فزعوا واختلفوا
في المقاصد على جهات مختلفة غير معلومة والمبثوث المفرق يقال بثه اذا فرقه واما وجه التشبيه
بالجراد فهو في غاية الكثرة قال الفرا الغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا وبالجملة فالله سبحانه وتعالى
شبه الناس في وقت البعث بالجراد المنتشر وبالفراش لانهم لما بعثوا ماج بعضهم في بعض كالجراد
وكالفراش ويتاكد بما ذكرنا قوله تعالى فتاتون افواجا وقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين
وقوله في قصة ياجوج وماجوج وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض فان قيل الجراد بالنسبة
الى الفراش كبار فكيف يشبه الشيء الواحد بالصغير والكبير معا قلنا شبه الواحد بالصغير والكبير لكن
في وصفين اما التشبيه بالفراش فبذهاب كل واحد الى غير جهة الاخر واما بالجراد فبالكثرة والتتابع
ويحتمل ان يقال انها تكون كبارا اولا كالجراد ثم يصير صغارا كالفراش بسبب احراقهم بحر الشمس وذكروا
في التشبيه بالفراش وجوها احدها ما روي انه عليه السلام قال الناس عالم ومتعلم وساير الناس
همج رعاع فجعلهم الله تعالى في الاخرة كذلك جزاء وفاقا وثانيها انه تعالى لما ادخل حرف التشبيه
فقال كالفراش لانهم يكونون في ذلك اليوم اذل من الفراش لا يعذب وهؤلاء يعذبون ونظيره
كالانعام بل هم اضل سبيلا الصفة الثانية من صفات ذلك اليوم قوله تعالى وتكون
الجبال كالعهن المنفوش العهن الصوف ذو الالوان وقد مر تحقيقه عند قوله تعالى وتكون
الجبال كالعهن المنفوش والنفش فك الصوف حتى ينتفش بعضه عن بعض وفي قراة ابن مسعود كالصوف
المنفوش واعلم ان الله تعالى اخبر ان الجبال مختلفة الالوان على ما قال ومن الجبال جدد بيض

وحمر



وحمر مختلف الوانه وغرابيب سود ثم انه سبحانه وتعالى يفرق اجزاها ويزيل التاليف والتركيب عنها فيصير
ذلك مشابها للصوف الملون بالالوان المختلفة اذا جعل منفوشا وهاهنا مسايل المسئلة الاولى
انما ضم بين حال الناس وبين حال الجبال كانه تعالى نبه على ان تاثير تلك القرعة في الجبال هي انها
صارت كالعهن المنفوش فكيف يكون حال الانسان عند سماعها فالويل كل الويل لابن ادم ان لم تتداركه
رحمة ربه ويحتمل ان يكون المراد ان حال الناس تصير كالعهن لشدة حمرتها الثانية قد وصف الله
تعالى تغير الاحوال على الجبال من وجوه اولها ان تصير قطعا كما قال تعالى ودكت الجبال دكا وثانيها ان تصير
كثيبا مهيلا كما قال تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ثم تصير كالعهن المنفوش
وهي اجزاء كالذرية تدخل من كوة البيت لا تمسها الايدي ثم قال في الرابع تصير سرابا كما قال تعالى و
سيرت الجبال فكانت سرابا الثالثة لم تقل يوم يكون الناس كالفراش المبثوث والجبال كالعهن المنفوش
بل قال تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش التكرير في مثل هذا المقام ابلغ في التحذير واعلم انه تعالى
لما وصف يوم القيامة قسم الناس فيه الى قسمين فقال فاما من ثقلت موازينه واعلم ان في الموازين
قولين احدهما انه جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله تعالى وهو قول الفرا ونظيره يقال لك
عندي بميزان درهم درهم ووزن ذلك اي حذاها والثاني انه جمع ميزان قال ابن عباس الميزان له لسان
وكفتان يوزن فيها الاعمال فيوتى بحسنات المطيع في احسن صورة فاذا رجح فالجنة له ويوتى بسيات الكافر
في اقبح صورة فيخف وزنه فيدخل النار وقال الحسن في الميزان له كفتان ولا يوصف قال المتكلمون ان نفس
الحسنات والسيات لا يصح وزنها وخصوصا وقد نقصا بل المراد ان الصحف المكتوبة فيها الحسنات والسيات
يوزن او يجعل النور علامة الحسنات والظلمة علامة السيات او تصور صحيفة الحسنات بالصورة الحسنة
والصحيفة السيات بالصورة القبيحة فيظهر بذلك الثقل والخفة وتكون الفايدة في ذلك ظهور حال
صاحب الحسنات في الجمع العظيم ليزداد سروره وظهور حال صاحب السيات فيكون ذلك كالفضيحة له عند
الخلايق اما قوله تعالى فهو في عيشة راضية فالعيشة مصدر بمعنى العيش كالخيفة بمعنى الخوف واما الراضية
فقال الزجاج معناه اي عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها وهي تقولهم لابن وتامر بمعنى ذو لبن وذو تمر
ولهذا قال المفسرون تفسيرها مرضية على معنى يرضاها صاحبها ثم قال تعالى واما من خفت موازينه اي قلت
حسناته فرجحت السيات على الحسنات قال ابو بكر انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه باتباعهم الحق وثقله
عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم
الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان ان يوضع فيه الباطل اي يكون خفيفا وقال مقاتل انما كان كذلك
لان الحق ثقيل والباطل خفيف اما قوله تعالى فامه هاوية ففيه وجوه احدها ان الهاوية من اسماء النار
وكانها النار العميقة يهوي اهل النار فيها مهوى بعيدا والمعنى فماواه النار وقيل للماوى ام على سبيل
التشبيه بالام التي لا يقع الفزع على الولد الا منها وثانيها فام راسه هاوية في النار ذكره الاخفش والكلبي
وقتادة وقال لانهم يهوون في النار على روسهم وثالثها اذا دعوا على الرجل بالهلاك قالوا هوت امه لانه
اذا هوى سقط وهلك فقد هوت امه لانه اذا هوى وهلك فقد هوت امه حزنا وثكلا فكانه قيل
واما من خفت موازينه فقد هلك ثم قال تعالى وما ادراك ماهيه قال صاحب الكشاف ماهيه ضمير
لداهية التي دل عليها قوله تعالى فامه هاويه وفي التفسير الثالث ضمير الهاوية والها للسكت فاذا وصل
جاز حذفها والاختيار الوقف بالها لاتباع المصحف والها ثابتة فيه وذكرنا الكلام في هذه الها عند قوله
تعالى لم يتسنه فبهداهم اقتده ما اغنى عني ماليه ثم قال تعالى نار حامية والمعنى ان ساير النيران
بالنسبة اليها كانها ليست حامية وهذا القدر كاف في التنبيه على قوة سخونتها نعوذ بالله تعالى
منها ومن جميع انواع العذاب ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد

الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون
علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم فيه مسايل الاولى الالهاء
الصرف الى اللهو واللهو الانصراف الى ما يدعو اليه الهوى ومعلوم ان الانصراف الى الشيء يقتضي الاعراض
عن غيره فلهذا قال اهل اللغة الهاني فلان عن كذا اي انساني وشغلني ومنه الحديث ان الزبير كان اذا سمع
صوت الرعد لها من حديثه اي تركه واعرض عنه وكل شيء تركته فقد لهيت عنه والتكاثر التباهي بكثرة
المال والجاه والمناقب يقال تكاثر القوم تكاثرا اذا تعادوا ما لهم من كثرة المناقب وقال ابو مسلم التكاثر
تفاعل من الكثرة والتفاعل يقع على احد وجوه ثلاثة يحتمل ان يكون بين الاثنين فيكون مفاعلة ويحتمل

يكلف العمل يقول تكارهت على كذا اذا فعلته وانت كاره ثم يقول تعاميت عن الامر اذا تكلفت العمى عنه و
يقول تغافلت ويحتمل ايضا الفعل بنفسه كما يقول باعدت عن الامر اي بعدت عنه ولفظ التكاثر في هذه
الاية يحتمل الوجهين الاولين فيحتمل التكاثر بمعنى المفاعلة لانه يكون بين اثنين يقول كل واحد منهما لصاحبه
انا اكثر منك مالا واعز نفرا ويحتمل تكلف الكثرة فان الحريص يتكلف جميع عمره بكثرة ماله واعلم ان التفاخر والتكاثر
شيء واحد ونظير هذه الاية قوله تعالى وتفاخر بينكم وتكاثر والله اعلم الثانية ان التفاخر انما يكون باثبات
الانسان نوعا من انواع السعادة لنفسه واجناس السعادة ثلاثة فاحدها في النفس والثانية في البدن والثالثة
فيما يطيف من البدن من خارج اما التي في النفس فهي العلوم والاخلاق الفاضلة وهما المرادان بقوله تعالى حكاية
عن ابرهيم عليه السلام رب هب لي حكما والحقني بالصالحين وبهما ينال البقاء والسعادة السرمدية واما التي في
البدن فهو الصحة والجمال وهي في المرتبة الثانية واما التي تطيف بالبدن من خارج فقسمان احدهما ضروري
وهو المال والجاه والاخر غير ضروري وهو الاقربا والاصدقا وهذا الذي عددناه في المرتبة الثالثة انما تراد
كلها للبدن بدليل انه اذا تالم عضو من اعضائه فانه يجعل المال والجاه فداء له واما السعادة البدنية فالعقلاء
من الناس انما يريدونها للسعادة النفسانية فانه ما لم يكن صحيح البدن لم يتفرغ للاكتساب بالسعادات النفسانية
الباقية اذا عرفت هذا فنقول العاقل ينبغي ان يكون سعيه في تقديم الاهم على المهم فالتفاخر بالمال والجاه والاعوان
والاقربا تفاخر باخس المراتب من اسباب السعادة والاشتغال به يمنع الانسان من تحصيل السعادة النفسانية
بالعلم والعمل فيكون ذلك ترجيحا لاخس المراتب فيها وذلك يكون عكس الواجب ونقيض الحق فلهذا السبب ذمهم
الله تعالى فقال تعالى الهاكم التكاثر ويدخل فيه التكاثر بالعدد والمال والجاه والاقربا والانصار والجيش وبالجملة
فيدخل فيه التكاثر بكل ما يكون في الدنيا ولذاتها وشهواتها الثالثة قوله تعالى الهاكم كما قرئ االهاكم يحتمل ان يكون
اخبارا عنهم ويحتمل ان يكون استفهاما بمعنى التوبيخ والتقريع اي االهاكم كما قرئ اانذرتهم وانذرتهم واذا كنا عرفنا
الرابعة الاية دلت على ان التكاثر والتفاخر مذموم والعقل دل على ان التكاثر والتفاخر في السعادات الحقيقية
غير مذمومة ومن ذلك ما روي من تفاخر العباس بان السقاية بيده وتفاخر شيبة بان المفتاح بيده الى ان
قال علي وانا قطعت خرطوم الكفر بسيفي فصار الكفر مثلة فاسلمتم فشق ذلك عليهم فنزل قوله تعالى اجعلتم
سقاية الحاج وذكرنا في تفسير قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث انه يجوز للانسان ان يفتخر بطاعاته ومحاسن اخلاقه
اذا كان يظن ان غيره يقتدي به فثبت ان مطلق التكاثر ليس بمذموم بل التكاثر في العلم والطاعة والاخلاق الحميدة
هو المحمود وهو اصل الخيرات فالالف واللام في التكاثر ليس للاستغراق بل للمعهود السابق وهو التكاثر في الدنيا
ولذاتها وعلائقها فانه هو الذي يمنع عن طاعة الله تعالى وعبوديته ولما كان ذلك مقررا في العقول ومتفقا
عليه في الاديان لا جرم حسن ادخال حرف التعريف عليه الخامسة في تفسير الاية وجوه احدها الهاكم التكاثر
بالعدد روي انها نزلت في بني عبد سهم وبني عبد مناف تفاخروا ايهم اكثر وكان بنو عبد مناف اكثر فقال بنو سهم
بعد مجموع احيائنا وامواتنا بمجموع احيائكم وامواتكم ففعلوا فزاد بنو سهم فنزلت الاية وهذه الرواية مطابقة لظاهر
القران لان قوله تعالى حتى زرتم المقابر يدل على انه مضى فانه تعالى يعجبهم من انفسهم ويقول هب انكم اكثر منهم
عددا فماذا ينفع والزيارة اتيان المواضع وذلك يكون بالاعراض الكثيرة واهمها واولاها بالرعاية ترقيق
القلب وازالة حب الدنيا فان مشاهدة القبور تورث ذلك على ما قال عليه السلام كنت نهيتكم عن زيارة
القبور الا فزوروها فان في زيارتها تذكرة ثم انكم زرتم القبور بسبب قساوة القلب والاستغراق في حب
الدنيا فلما انعكست هذه القضية لا جرم ان الله تعالى ذكر ذلك في معرض التعجب القول الثاني ان المراد هو التكاثر
كان بالمال لكم وقال ابن ادم يقول مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت
والمراد من قوله تعالى حتى زرتم المقابر اي حتى متم وزيارة القبر عبارة عن الموت يقال لمن مات زار رمسه وزار قبره قال
جرير للاخطل زار القبور ابو مالك فاصبح الأم زوارها اي مات فيكون معنى الاية الهاكم حرصكم على تكثير
اموالكم عن طاعة ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك لا يقال حمله على هذا الوجه مشكل من وجهين الاول ان
الزاير هو الذي يزور ساعة ثم ينصرف والميت يبقى في قبره فكيف يقال انه زار القبر والثاني قوله تعالى حتى زرتم
المقابر اخبار عن الماضي فكيف يحمل على المستقبل والجواب عن السؤال الاول انه قد يمكث الزاير لكن لا بد له من الرحيل
وكذا اهل القبور يرحلون عنها الى مكان الحساب والجواب عن السؤال الثاني من وجوه احدها يحتمل ان يكون المراد
من كان مشرفا على الموت بسبب الكبر ولذلك يقال انه على شفير القبر وثانيها ان الخبر عمن تقدمهم وعظ لهم
هو كالخبر عنهم لانهم كانوا على طريقتهم ومنه قوله تعالى ويقتلون النبيين وثالثها قال ابو مسلم ان الله تعالى
يتكلم بهذه السورة يوم القيامة تعييرا للكفار وهم في ذلك قد تقدمت منهم زيارة القبور القول الثالث الهاكم
الحرص على المال لتطلب تكثيره حتى منعتم الحقوق المالية الى حين الموت ثم تقول في تلك الحالة اوصيت لاجل الزكاة
بكذا ولاجل الحج بكذا القول الرابع الهاكم التكاثر فلا يلتفتون الى الدين بل قلوبكم كانها احجار لا تنكسر البتة الا
اذا زرتم المقابر هكذا ينبغي حالكم وهو ان يكون حظكم من دينكم ذلك القدر القليل من الانكسار ونظيره قوله تعالى قليلا ما تشكرون

اى لا انتفع



اى لا انتفع منكم بهذا القدر القليل من الشكر السادسة انه تعالى لم يقل الهاكم التكاثر عن كذا وانما ذكره مطلقا لان
المطلق ابلغ في الذم لانه يذهب الوهم فيه كل مذهب فيدخل فيه جميع ما يحتمله الموضع اي الهاكم عن ذكر الله تعالى وعن
الواجبات والمندوبات في المعرفة والطاعات والتفكر والتدبر او نقول ان نظرنا الى ما قبل هذه الاية فالمعنى الهاكم
التكاثر فنسيتم القبر حتى زرتموه اما قوله تعالى كلا فهو متصل بما قبله وبما بعده اما الاول فعلى وجه الرد والتكذيب
اي ليس الامر كما يتوهمه هؤلاء من ان السعادة الحقيقية بكثرة العدد والاموال والاولاد واما اتصاله بما بعده فعلى
معنى هذا القسم اي حقا سوف تعلمون لكن حين يصير الفاسق تائبا والكافر مسلما والحريص زاهدا ومنه قول الحسن
لا يغرنك كثرة من ترى حولك فانك تموت وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك وتقديره يوم يفر وقوله
تعالى ويأتينا فردا وقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى وتركتم ما خولناكم وهذا يمنعك عن التكاثر وذكروا في التكرير
وجوها احدها انه للتاكيد وانه وعيد بعد وعيد كما تقول للمنصوح اقول لك لا تفعل وثانيها ان الاول عند الموت
حين يقال له لا بشرى والثاني في سؤال القبر من ربك والثالث عند النشور حين ينادي المنادي فلان شقي شقاوة
لا سعادة بعدها ابدا او حين يقال وامتازوا اليوم وثالثها عن الضحاك سوف تعلمون ايها المومنون فكان يقروها
كذلك والاول وعيد والثاني وعد ورابعها ان كل احد يعلم قبح الظلم والكذب وحسن العدل والصدق لكن لا يعرف
قدر اثارها ونتائجها ثم انه تعالى يقول سوف تعلم العلم المفصل لكن التفصيل يحتمل التزايد فها هنا حصلت زيادة
لذة ثم عند السؤال ثم عند البعث ثم عند الحساب ثم عند دخول الجنة والنار فلذلك وقع التكرير وخامسها ان احدى
الحالتين عذاب القبر والاخرى عذاب القيامة كما روي عن زر انه قال كنت اشك في عذاب القبر ولما قال علم ان سوف
العالمين والحور بين موتاتم قال تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم وفيه مسايل **المسئلة الاولى**
اتفقوا على ان جواب لو محذوف وليس قوله تعالى لترون الجحيم جواب لو ويدل عليه وجهان احدهما ان ما كان جواب لو
فنفيه اثبات واثباته نفي فلو كان قوله تعالى لترون الجحيم جوابا لوجب ان لا تحصل هذه الرؤية وذلك باطل فان هذه
الروية واقعة قطعا فان قيل المراد من هذه الرؤية رؤيتها بالقلب في الدنيا ثم ان هذه الروية غير واقعة قلنا ترك الظاهر
خلاف الاصل والثاني ان قوله تعالى ولتسالن يومئذ عن النعيم اخبار عن امر سيقع قطعا فعطفه على ما لا يوجد ولا يقع
قبيح في النظم **واعلم** ان ترك الجواب في مثل هذا الكلام احسن تقول للرجل لو فعلت هذا اي لكان كذا قال الله تعالى
لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون ولم يجي له جواب وقال تعالى ولو ترى اذ وقفوا
على ربهم اذا عرفت هذا فنقول ذكروا في جواب لو وجوها احدها قال الاخفش تقديره لو تعلمون علم اليقين ما الهاكم التكاثر وثانيها
قال ابو مسلم لو علمتم ماذا يجب عليكم لتمسكتم به او لو علمتم لاي امر خلقتم لاشتغلتم به وثالثها انه حذف الجواب ليذهب الوهم
كل مذهب فيكون التهويل اعظم فكانه تعالى قال لو علمتم علم اليقين لفعلتم ما لا يوصف ولا يكيف ولكنكم ضلال وجهلة واما
قوله تعالى لترون الجحيم فاللام يدل على انه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا به لا يدخل فيه تكذيب وكرره
معطوفا بثم تغليظا للتهديد وزيادة في التهويل **الثانية** انه تعالى اعاد لفظ كلا وهو للزجر وانما حسنت الاعادة
لانه عقبه في كل موضع بغير ما عقب به الموضع الاخر كانه تعالى قال لا تفعلوا هذا فانكم تستوجبون من العذاب كذا
ولا تفعلوا هذا فانكم تستوجبون به ضررا اخر وهذا التكرير تبشير بالمكروه بل هو مرضي عندهم فكان الحسن رحمه الله
يجعل معنى كلا في هذا الموضع معنى حقا كانه قيل حقا لو تعلمون علم اليقين **الثالثة** في قوله تعالى علم اليقين وجهان
احدهما ان معناه علما يقينا فاضيف الموصوف الى الصفة كقوله تعالى ولدار الاخرة وكما قال مسجد الجامع وعام الاول
والثاني ان اليقين هاهنا هو الموت والبعث وقد سمي الموت يقينا في قوله تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين لانهما
اذا وقعا جاء اليقين وزال الشك فالمعنى لو تعلمون علم الموت وما يلقى معه وبعده في القبور وفي الاخرة لم يلهكم التكاثر
والتفاخر عن ذكر الله تعالى وقد يقول الانسان انا اعلم كذا اي الحقيقة وفلان يعلم علم الطب وعلم الحساب لان العلوم
انواع فيصلح لذلك ان يقال علمت كذا **الرابعة** العلم من اشد البواعث على العمل فاذا كان وقت العمل امانة
كان رغدا وعظة وان كان بعد فوات العمل فحينئذ يكون حسرة وندامة كما ذكر ان ذا القرنين لما دخل الظلمات
بالذين كانوا معه اخذوا من تلك الحجر فلما خرجوا من الظلمات وجدوها جواهر ثم الاخذون كانوا في الغم
انهم لم ياخذوا اكثر مما اخذوا والذين لم ياخذوا كانوا ايضا في الغم فهكذا يكون احوال القيامة **الخامسة** في الاية
تهديد عظيم للعلماء فانها دلت على انه لو حصل اليقين بما في التكاثر من الافة لتركوا التكاثر والتفاخر وهذا يقتضي
ان من لا يترك التكاثر والتفاخر لا يكون اليقين حاصلا له فالويل للعالم الذي لا يكون اليقين حاصلا له والويل
للعالم الذي لا يكون عاملا ثم الويل له **السادسة** في تكرير الروية وجوه احدها انه لتاكيد الوعيد وايضا
لعل القوم كانوا يكرهون سماع الوعيد فكرر لذلك وكون التاكيد يقتضي كون تلك الروية اضطرارية يعني لو خليتم
ورايكم ما رايتموها لكنكم تحملون على رويتها شئتم ام ابيتم وثانيها ان اولهما الروية من البعيد اذا راتهم من مكان
بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقوله [illegible] وبرزت الجحيم للغاوين وقوله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى والروية
الثانية عند الدخول وثالثها الروية الاولى الموعودة عند الورود والثانية عند الدخول فيها وقيل هذا التفسير

ليس بحسن لانه قال تعالى ثم لتسالن والسؤال يكون قبل الدخول وذا بعدها الرؤية الموعود والثانية المشاهدة وخامسها
ان يكون المراد لترون الجحيم غير مرة فيكون ذكر الرؤية مرتين عبارة عن تتابع الرؤية واتصالها انهم مخلدون بها فهو كقول
عنكم الشكوك وهو كقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن الى قوله تعالى فارجع البصر كرتين بمعنى لو اعدت النظر فيها ما عيبت
لم تجد فطورا ولم ترد مرتين فقط فكذا هاهنا ان قيل ما فائدة تخصيص الرؤية الثانية باليقين قلنا لانهم في المرة
الاولى راوها لا غير وفي المرة الثانية راوا نفس الحفر وكيفية السقوط فيها وما فيها من الحيوانات المؤذية ولا شك ان هذه
الرؤية اجلى والحكمة في النقل من العلم الاخفى الى العلم الجلي التقريع على ترك النظر لانهم كانوا يعرفون ولا يطلبون الزيادة السابعة قراءة
العامة لترون بفتح التاء وقرئ بضمها من اريته الشيء والمعنى انهم يحشرون اليها فيرونها في حشرهم اليها فترونها وهذه القراءة
تروى عن ابن عامر والكسائي كانهما ارادا لترونها فترونها وكذلك قرأ الثانية ثم لترونها بالفتح وفي هذه القراءة دليل على انهم
اخاروها واروها وفي قراءة العامة الثانية تكرير للتاكيد ولسائر الفوائد التي عددناها واعلم ان قراءة العامة اولى لوجهين
الاول قال الفراء قراءة العامة اشبه بكلام العرب لانه تغليظ فلا ينبغي ان يختلف لفظا الثاني قال ابو علي المعنى في لترون الجحيم
لترون عذاب الجحيم الا ترى ان الجحيم يراها المؤمنون ايضا بدلالة قوله تعالى وان منكم الا واردها واذا كان كذلك كان الوعيد
في رؤية نفسها يدل على هذا قوله تعالى اذ يرون العذاب وقوله تعالى واذا راى الذين ظلموا العذاب وهذا يدل على ان لترون
ابلغ من لترون اما قوله تعالى ثم لتسالن يومئذ عن النعيم ففيه مسائل الاولى ان الذي يسال عن النعيم من هو قولان احدهما
وهو الاظهر انهم الكفار قال الحسن لا يسال عن النعيم الا اهل النار ويرد عليه وجهان الاول ما روي ان ابا بكر رضي الله عنه
لما نزلت هذه الاية قال يا رسول الله ارايت اكلة اكلتها معك في بيت ابي الهيثم بن التيهان من خبز الشعير ولحم
وبسر وماء عذب ايكون من النعيم الذي يسال عنه فقال عليه السلام انما ذلك للكفار ثم قرأ وهل نجازي
الا الكفور الثاني وهو ان ظاهر الاية يدل على ما ذكرناه وذلك لان الكفار الهاكم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها
عن طاعة الله تعالى والاشتغال بشكره فالله تعالى يسالهم عنها يوم القيمة حتى يظهر لهم ان الذي ظنوه سببا
لسعادتهم هو كان من اعظم اسباب الشقاء لهم في الاخرة والقول الثاني انه عام في حق المؤمن والكافر واحتجوا
باحاديث روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما يسال عنه العبد يوم القيمة عن النعيم فيقال له
الم نصحح لك جسمك ونروك من الماء البارد وقال محمود بن لبيد لما نزلت هذه السورة قالوا يا رسول الله
عن اي نعيم يسال انما هو الماء والتمر وسيوفنا على عواتقنا والعدو حاضر فعن اي نعيم يسال قال ان ذلك
سيكون وروي ان عمر رضي الله عنه قال عن اي نعيم نسال عنه يا رسول الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
واموالنا فقال عليه السلام ظلال المساكن والاشجار والاخبية التي تقيكم من الحر والبرد والماء البارد في
اليوم الحار وقريب منه من اصبح امنا في سربه معافا في بدنه وعنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا
بحذافيرها وروي ان شابا اسلم في عهد الرسول عليه السلام فعلمه سورة الهاكم ثم زوجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم امراة فلما دخل عليها وراى الجهاز العظيم والنعيم الكثير خرج وقال لا ادري ذلك فساله
النبي صلى الله عليه وسلم عنه فقال الست علمتني ولتسالن يومئذ عن النعيم وانا لا اطيق الجواب وعن انس
لما نزلت الاية قام محتاج فقال هل علي من النعيم شيء قال الظل والنعلان والماء البارد واشهر الاخبار في هذا
ما روي انه عليه السلام خرج ذات ليلة الى المسجد فلم يلبث ان جاء ابو بكر رضي الله عنه فقال ما اخرجك
يا ابا بكر قال الجوع قال والله ما اخرجني الا الذي اخرجك ثم دخل عمر رضي الله عنه فقال مثل ذلك فقال قوموا
بنا الى منزل ابي الهيثم فدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الباب ثلاث مرات فلم يجدا احدا فانصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخرجت امراته تصيح كنا نسمع صوتك لكنا اردنا ان نزيد من سلامك فقال لها خيرا
ثم قالت بابي انت وامي ان ابا الهيثم خرج يستعذب لنا الماء ثم عمدت الى صاع من شعير وطحنت وخبزت وجاء
ابو الهيثم فذبح عناقا واتاهم بالرطب فاكلوا وشربوا فقال عليه السلام هذا من النعيم الذي يسالون
عنه وروي ايضا لا تزول قدما عبد حتى يسال عن اربع عن عمره وماله وشبابه وعمله وعن معاذ عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليسال يوم القيمة حتى عن كحل عينيه وعن لمس الثياب الطيبة باصبعه
وعن لمسه ثوب اخيه واعلم ان الاولى ان يقال السؤال يعم المؤمن والكافر لكن سؤال الكافر سؤال توبيخ لانه
ترك وسؤال المؤمن سؤال تشريف لانه شكر واطاع الثانية ذكروا في النعيم المسؤول عنه وجوها احدها
ما روي عنه خمسة شبع البطون وبارد الشراب ولذة النوم وظلال المساكن واعتدال الخلق وثانيها
قال ابن مسعود انه الامن والصحة والفراغ وثالثها قال ابن عباس وجابر ملاذ الماكول والمشروب ورابعها
قال بعضهم الانتفاع بادراك السمع والبصر وخامسها قال الحسين بن الفضل تخفيف الشرائع وتيسير القران
وسادسها قال ابن عمر رضي الله عنهما انه الماء البارد وسابعها قال الباقر انه العافية ويروى ايضا عن جعفر الجعفي
قال دخلت على الباقر فقال ما تقول ارباب التاويل في قوله تعالى ولتسالن يومئذ عن النعيم فقلت يقولون الظل
والماء البارد فقال لو انك ادخلت بيتك احدا واقعدته في ظل وسقيته اتمن عليه قلت لا قال فالله اكرم من ان يطعم

عبده



عبده ويسقيه ثم يساله عنه قلت ما تاويله قال النعيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي انعم الله تعالى به على هذا العالم
فاستنقذهم به من الضلالة اما سمعت قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا القول الثامن انهم يسالون عن
الزايد عما لا بد منه من مطعم وملبس ومسكن والتاسع وهو الاولى انه يجب حمله على جميع النعم ويدل عليه وجوه احدها ان الالف
واللام تفيدان الاستغراق وثانيها انه ليس صرف اللفظ الى البعض اولى من صرفه الى الثاني لا سيما وقد دل الدليل على ان المطلوب من
منافع هذه الدنيا اشتغال العبد بعبودية الله تعالى وثالثها انه قال يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم والمراد منه جميع
النعم من فلق البحر والانجاء من فرعون وانزال المن والسلوى فكذا هاهنا ورابعها ان النعيم اسم للشيء الواحد الذي له
انواع واعضاء فاذا اسند الى النعيم فقد دخل فيه الكل كما ان الترياق اسم للمعجون المركب من الادوية الكثيرة فاذا ذكر الترياق
فقد دخل الكل فيه واعلم ان النعم اقسام فمنها ظاهرة وباطنة ومنها متصلة ومنفصلة ومنها دينية ودنيوية وقد ذكرت
اقسام السعادات بحسب الجنس في تفسير اول هذه السورة واما تعديدها بحسب النوع والشخص فغير ممكن على ما قال تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واستعن في معرفة نعم الله عليك في صحة بدنك بالاطباء ثم هم اشد الخلق غفلة وفي معرفة
الله عليك بخلق السموات والكواكب بالمنجمين وهم اشد الناس جهلا بالصانع وفي معرفة سلطان الله بالملوك ثم هم
اجهل الخلق واما الذي روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه الماء البارد فمعناه هذا من جملته ولعله خصه بالذكر لانه اهون
موجود واعز مفقود ومنه قول ابن السماك للرشيد ارايت لو احتجت الى شربة ماء في فلاة اكنت تبذل فيه نصف الملك
واذا شربت اكنت تبذل نصف الملك وان احتبس بولك اكنت تبذل كل الملك فلا تغتر بملك كانت الشربة الواحدة
من الماء قيمته مرتين او لان اهل النار يطلبون الماء اشد من طلبهم لغيره قال الله تعالى ان افيضوا علينا من الماء
او لان السورة في المترفين وهم المخصوصون بالماء البارد والظل والحق ان السؤال يعم المؤمن والكافر عن جميع النعم سواء
كان مما لا بد منه او ليس كذلك لان كل ذلك يجب ان يكون مصروفا الى طاعة الله تعالى لا الى المعصية فيكون السؤال واقعا
عن الكل ويؤكده ما روي انه عليه السلام قال لا تزول قدما العبد يوم القيمة حتى يسال عن اربع عن عمره فيما افناه
وعن شبابه فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن عمله ماذا عمل به فكل النعم من الله تعالى داخل
فيما ذكره عليه السلام الثالثة اختلفوا في ان هذا السؤال اين يكون فالقول الاول ان هذا السؤال انما يكون في
موقف الحساب فان قيل هذا لا يستقيم لانه يقال لهم اجيبوا فدل ان السؤال يكون متاخرا عن مشاهدة جهنم لقوله تعالى
ثم لتسالن واهواله وموقف السؤال متقدم على مشاهدة جهنم قلنا المراد من قوله تعالى ثم اي ثم اخبركم انكم تسالون
يوم القيمة كقوله تعالى فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة الى قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا القول الثاني انهم
اذا دخلوا النار سئلوا عن النعيم توبيخا لهم كما قال تعالى كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها وقالوا ما سلككم في سقر ولان
مجيء الرسول من الله نعمة فهم يسالوا عنه بعد دخولهم النار ويقال لهم اذا صاروا في الجحيم وشاهدوها يقال
لهم انما عذبناكم بهذا العذاب لانكم في دار الدنيا اشتغلتم بالنعيم عن العمل الذي ينجيكم من هذه النار ولو صرفتم عمركم الى الطاعة لكنتم
اليوم من اهل النجاة والفائزين بالدرجات فيكون ذكر من الملائكة سؤالا عن نعيمهم في الدنيا والله اعلم بالصواب

**والعصر ان الانسان لفي خسر** اعلم انهم ذكروا في تفسير العصر اقوالا الاول انه الدهر واحتج هذا القائل بوجوه
احدها ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اقسم بالدهر وكان عليه السلام يقرأ والعصر ونوائب الدهر
الا انا نقول هذا مفسد للصلاة فلا يكون قرانا بل تفسيرا ولعله تعالى لم يذكر الدهر تنبيها بان المحمود لا يذكر
ونعظمه ومن ذلك ذكره في هل اتى زاد على فساد قولهم بالدهر والطبع وثانيها ان الدهر مشتمل على الاعاجيب لانه
يحصل فيه السراء والضراء والسقم والصحة والغنى والفقر بل فيه ما هو اعجب من كل عجيب وهو ان العقل لا يقوى على ان
يحكم عليه بالعدم فانه مجزأ مقسم بالسنة والشهر واليوم والساعة ومحكوم عليه بالزيادة والنقصان
والمطابقة وكونه ماضيا ومستقبلا فكيف يكون معدوما ولا يمكنه ان يحكم عليه بالوجود وثالثها ان
بقية عمر المرء لا قيمة لها فلو ضيعت الف سنة ثم تبت في اللمحة الاخيرة من العمر بقيت في الجنة ابد الاباد فعلمت
حينئذ ان اشرف الاشياء حياتك في تلك اللمحة فكان الدهر والزمان من جملة اصول النعم فلذلك اقسم بهما
ونبه على ان الليل والنهار فرصة يضيعها المكلف واليه الاشارة بقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار
خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ورابعها وهو ان قوله تعالى في سورة الانعام قل لمن ما في السموات
والارض قل لله اشارة الى المكان والمكانيات ثم قال تعالى وله ما سكن في الليل والنهار وهو اشارة الى الزمان
والزمانيات وقد بينا هناك ان الزمان اعلى واشرف من المكان فلما كان كذلك كان القسم بالعصر قسما باشرف
الوصفين من ملك الله تعالى وملكوته وخامسها انهم كانوا يضيفون الخسران الى نوائب الدهر فكانه تعالى
اقسم على ان الدهر والعصر نعمة خالصة لا عيب فيها انما الخاسر هو الانسان وسادسها انه تعالى ذكر العصر

الذي عصيته ينقص عمرك فاذا لم يكن في مقابلته كسب صار ذلك النقصان عين الخسران ولذلك قال في خسر
ومنه قول القايل انا لنفرح بالايام نقطعها وكل يوم مضى نقص من الاجل فكان المعنى والعصر العجيب امره حيث
يفرح الانسان بمضيه لظنه انه وجد الربح مع انه هدم لعمره وانه لفي خسر القول الثاني وهو قول ابي مسلم المراد بالعصر
احد طرفي النهار والسبب فيه وجوه احدها انه اقسم تعالى بالعشي كما اقسم بالضحى لما فيهما من دلايل القدرة
كان كل بكرة كانها القيامة يخرجون من القبور وتصير الاموات احيا وتقام الموازين وكل عشية تشبه تخريب الدنيا
بصعقة والموت وكل واحد من هاتين الحالتين شاهد عدل ثم اذا لم يحكم الحاكم عقيب الشاهدين عد خاسرا
فكذا الانسان الغافل عنهما في خسر وثانيها قال الحسن انما اقسم بهذا الوقت تنبيها على ان الاسواق قد دنا
انقطاعها وانتهاء التجارة والكسب فيها اذا لم تكتسب ودخلت الدار وطاف العيال يسالك كل واحد ما هو
حقه فحينئذ تخجل فتكون من الخاسرين فكذا نقول في والعصر اي وعصر الدنيا فقد دنت القيامة وبعد لم تستعد
وتعلم انك غدا تسأل عن النعيم الذي كنت فيه في دنياك وتسأل عن معاملتك مع الخلق وكل واحد من المظلومين يدعي ما عليك
فاذا انت خاسر ونظيره قوله تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون وثالثها ان هذا الوقت معظم والدليل عليه
قوله عليه السلام من حلف بعد العصر كاذبا لا يكلمه الله تعالى ولا ينظر اليه يوم القيمة فكما اقسم في حق الرابح بالضحى فكذا
في حق الخاسر بالعصر وذلك كانه اقسم بالضحى في حق الرابح ومبشر بالرسول ان امهاتي للاقبال وها هنا في حق الخاسر توعده
انا امره الى الادبار كانه نقول النهار ثم بحثه على المدارك في البقية بالتوبة وعن بعض السلف كان يقول تعلمت معنى السورة
من بايع الثلج كان يصيح ويقول ارحموا من يذوب راس ماله ارحموا من يذوب راس ماله فقلت هذا معنى ان الانسان لفي خسر
يمر به العصر فيمضي عمره ولا يكتسب فاذا هو خاسر القول الثالث وهو قول مقاتل اراد صلوة العصر وذكروا فيه وجوها احدها
انه تعالى اقسم بصلوة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلاة الوسطى صلاة العصر في مصحف حفصة وقيل في قوله تعالى
تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله انها صلاة العصر وثانيها قوله عليه السلام من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله
وماله وثالثها ان التكليف في ادايها اشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم اخر النهار واشتغالهم بمعايشهم
ورابعها روي ان امرأة كانت تصيح في سكك المدينة وتقول دلوني على النبي عليه السلام فرآها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسألها ماذا حدث قالت يا رسول الله ان زوجي غاب عني فزنيت فجاءني ولد من الزنا فالقيت الولد في دن من الخل
حتى مات ثم بعنا ذلك الخل فهل لي من توبة فقال عليه السلام اما الزنا فعليك الرجم واما قتل الولد فجزاؤه جهنم
واما بيع الخل فقد ارتكبت كبيرة لكن ظننت انك تركت صلوة العصر ففي هذا الحديث اشارة الى تفخيم امر هذه الصلوة
وخامسها ان صلوة العصر بها يحصل ختم طاعات النهار فهي كالتوبة بها يختم الاعمال فكما تجب الوصية بالتوبة
كذا بصلوة العصر لان الامور بخواتيمها فاقسم بهذه الصلوة تفخيما لشانها وزيادة وصية للمكلف على ادايها
واشارة منه انك اذا اديتها على وجهها عاد خسرانك ربحا كما قال تعالى الا الذين امنوا وسادسها قال النبي عليه
السلام لا ينظر الله اليهم يوم القيمة ولا يكلمهم ولا يزكيهم منهم رجل حلف بعد العصر كاذبا فان قيل صلاة العصر
فعلنا فكيف يجوز ان تقسم الله تعالى بها والجواب انه ليس قسما من حيث انها فعلنا بل من حيث انها امر شريف
تعبدنا الله بها القول الرابع انه اقسم بزمان الرسول واحتجوا بقوله عليه السلام انما مثلكم ومثل من كان قبلكم
مثل رجل استاجر اجيرا فقال من يعمل من الفجر الى الظهر بقيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل الى العصر بقيراط فعملت
النصارى ثم قال من يعمل من العصر الى المغرب بقيراطين فعملتم انتم فغضب اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا
فقال الله وهل نقصت من اجركم شيا قالوا لا قال فهذا فضلي اوتيه من اشاء فكنتم اقل عملا واكثر اجرا فهذا الخبر دل على
ان العصر هو العصر الذي انت فيه فهو تعالى اقسم بزمانه في هذه الاية وبمكانه في قوله تعالى وانت حل بهذا البلد
وفي قوله تعالى لعمرك فكانه قال وعصرك وبلدك وعمرك وذلك كله كالظرف له فاذا وجب تعظيم الظرف فقس
حال المظروف ثم وجه القسم كانه تعالى يقول انت يا محمد حضرتهم وهم اعرضوا عنك وما التفتوا اليك فما
اعظم خسرانهم وما اجل خذلانهم اما قوله تعالى ان الانسان لفي خسر ففيه مسايل الاولى الالف واللام في الانسان
يحتمل ان تكون للجنس وان تكون للمعهود السابق فلهذا ذكر المفسرون فيه قولين الاول المراد منه الجنس وهو
كقولهم كثر الدرهم في ايدي الناس ويدل على هذا القول استثنا الذين امنوا من الانسان والقول الثاني ان المراد منه
شخص معين قال ابن عباس يريد جماعة من المشركين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وايل والاسود بن عبد المطلب
يقولون ان محمدا لفي خسر فاقسم تعالى ان الامر بالضد مما يتوهمون الثانية الخسر الخسران كما قيل الكفر في الكفران
ومعناه النقصان وذهاب راس المال ثم فيه تفسيران وذلك لانا اذا حملنا الانسان على الجنس المعين كان
معنى الخسر هلاك نفسه وعمره الا المؤمن العاقل فانه ما هلك عمره وماله لانه اكتسب بهما سعادة ابدية وان حملنا
لفظ الانسان على الكافر كان المراد كونه في الضلالة والكفر الا من هو الان حينئذ يتخلص من ذلك الخسار الى الربح الثالثة
انما قال تعالى لفي خسر ولم يقل لفي الخسر لان التنكير يفيد التهويل تارة والتحقير اخرى فان حملناه على الاول كان المعنى
ان الانسان لفي خسر عظيم لا يعلم كنهه الا الله تعالى وتقريره ان الذنب يعظم بما لعظم من في حقه الذنب او لانه

وقع



وقع في مقابلة النعم العظيمة وكلا الوجهين حاصلان في ذنب العبد في حق ربه فلا جرم كان ذنبه الذنب في غاية
العظم وان حملناه على الثاني كان المعنى ان خسران الانسان دون خسران الشيطان وفيه بشارة ان في خلقي
من هو اعصى منك والتاويل الصحيح هو الاول الرابعة للقايل ان يقول قوله تعالى لفي خسر يفيد التوحيد مع انه
في انواع من الخسر والجواب ان الخسر الحقيقي هو حرمانه عن خدمة ربه واما البواقي وهو الحرمان عن الجنة والوقوع
في النار بالنسبة الى الاول كالعدم وهذا كما ان للانسان في وجوده فوايد ثم قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
اي لما كان هذا المقصود اجل المقاصد كان ساير المقاصد بالنسبة كالعدم واعلم ان الله تعالى قرن بهذه الاية
قراين تدل على مبالغته تعالى في بيان كون الانسان في خسر احدها ان قوله تعالى لفي خسر يفيد انه كالمغمور في الخسران
وانه احاط به من كل جانب وثانيها كلمة ان فانها للتاكيد وثالثها حرف اللام في لفي خسر وها هنا احتمالان الاول قوله
تعالى لفي خسر اي لفي طريق الخسر وهذا كقوله تعالى في اكل اموال اليتامى انما ياكلون في بطونهم نارا لما كانت عاقبته النار الاحتمال
الثاني ان الانسان لا ينفك عن خسر لان الخسر هو تضييع راس المال وراس ماله هو عمره وهو قل ما ينفك عن تضييع عمره وذلك لان كل ساعة
تمر بالانسان فان كانت مصروفة الى المعصية فلا شك في الخسران وان كانت مشغولة بالمباحات فالخسران ايضا حاصل لانه كما
ذهب لم يبق منه اثر مع انه كان متمكنا من ان يعمل فيه عملا يبقى اثره دايما وان كانت مشغولة بالطاعات فلا طاعة الا ويمكن
الاتيان بها او بغيرها على وجه احسن من ذلك لان مراتب الخضوع والخشوع لله غير متناهية فان مراتب جلال الله تعالى وقهره
غير متناهية وكلما كان علم الانسان بها اكثر كان خوفه منه تعالى اكثر فكان تعظيمه عند الاتيان بالطاعة اتم واكمل
وترك الاعلى والاقتصار بالادنى نوع خسران فثبت ان الانسان لا ينفك البتة من نوع خسران واعلم ان هذه الاية كالتنبيه على
ان الاصل في الانسان ان يكون في الخسار والخيبة وتقريره ان سعادة الانسان في حب الاخرة والاعراض عن الدنيا ثم ان الاسباب الداعية
الى الاخرة خفية والاسباب الى حب الدنيا ظاهرة وهي الحواس الخمس والشهوة والغضب فلهذا السبب صار اكثر الخلق مشتغلين بحب
الدنيا مستغرقين في طلبها فكانوا في الخسار والبوار فان قيل انه تعالى قال في سورة التين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
ثم رددناه اسفل سافلين فهناك يدل على ان الابتداء من الكمال والانتها الى النقصان وها هنا يدل على ان الابتداء من النقصان
والانتهاء الى الكمال فكيف الجمع قلنا المذكور في سورة التين احوال البدن وها هنا احوال النفس فلا تناقض بين القولين اما
قوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات اعلم ان الايمان والاعمال الصالحة قد تقدم تفسيرهما مرارا ثم ها هنا مسايل
الاولى احتج من قال العمل داخل في مسمى الايمان فان الله تعالى عطف عمل الصالحات على الايمان ولو كان عمل الصالحات داخلا في
مسمى الايمان لكان ذلك تكريرا ولا يمكن ان يقال هذا التكرير واقع في القران لقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح وقوله تعالى من كان عدوا لله وملايكته ورسله وجبريل وميكال لانا نقول هناك انما حسن لان الاعادة
تدل على كونه اشرف انواع ذلك الكلي وعمل الصالحات ليس اشرف انواع الامور المسماة بالايمان فبطل بهذا التاويل قال الحليمي
هذا التكرير واقع لا محالة لان الايمان لا يشتمل على عمل الصالحات لكن قوله تعالى وعملوا الصالحات يشتمل على الايمان
فيكون قوله تعالى وعملوا الصالحات مكتفيا عن ذكر قوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وايضا فقوله تعالى وعملوا
الصالحات يشتمل على قوله تعالى وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فوجب ان يكون ذلك تكريرا اجاب الاولون وقالوا لا نمنع
ورود التكرير لاجل التاكيد لكن الاصل عدمه وهذا القدر يكفي في الاستدلال احتج القاطعون بوعيد الفساق بهذه
الاية قالوا لانه دلت على ان الانسان في الخسار مطلقا ثم استثنى الذين امنوا وعملوا الصالحات والمعلق على الشرطين
مفقود عند فقدان احدهما فعلمنا ان من لم يحصل له الايمان والاعمال الصالحة لا بد وان يكون في الخسار في الدنيا والاخرة
ولما كان المستجمع لهاتين الخصلتين في غاية القلة كان الخسار لازما لمن لم يكن مستجمعا لهما كان الناجي اقل من الهالك
ثم لو كان الناجي اكثر كان الخوف عظيما حتى لا تكون انت من القليل كيف والناجي اقل افلا ينبغي ان يكون الخوف اشد
الثانية ان هذا الاستثنا فيه امور ثلاثة احدها انه تسلية للمومن من فوت عمره وشبابه لان العمل قد اوصله
الى ما هو خير من عمره وشبابه وثانيها انه تنبيه على ان كل ما دعاك الى طاعة الله تعالى فهو الصلاح وكل ما شغلك
عن الله بغيره فهو الفساد وثالثها قالت المعتزلة تسمية الاعمال الصالحة تنبيه على ان وجه حسنها
ليس هو الامر على ما يقوله الاشعرية بان الله تعالى وصف بكونها صالحة ولم يبين انها صالحة بسبب وجوه عايدة
اليها بسبب الامر الثالثة لسايل ان يسال فيقول انه في جانب الخسر ذكر الحكم ولم يذكر السبب وفي جانب الربح ذكر السبب
وهو الايمان والعمل الصالح ولم يذكر الحكم فما الفرق قلنا انما لم يذكر سبب الخسر لان الخسر كما يحصل بسبب الفعل وهو الاقدام
على المعصية يحصل بالترك وهو عدم الاقدام على الطاعة اما الربح فلا يحصل الا بالفعل فلهذا ذكر سبب الربح وهو
العمل وفيه وجه اخر وهو انه تعالى في جانب الخسر ابهم ولم يفصل وفي جانب الربح فصل وبين وهذا هو اللايق
بالكرم اما قوله تعالى وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فاعلم انه تعالى لما بين في اهل الاستثنا انهم بايمانهم و
عملهم الصالح خرجوا ان يكونوا في خسر وصاروا ارباب السعادة من حيث انهم تمسكوا بما يؤديهم الى الفوز بالثواب
والنجاة من العقاب وصفهم بعد ذلك بانهم قد صاروا لشدة محبتهم للطاعة لا يقتصرون على ما يخصهم
بل يوصون غيرهم بمثل طريقتهم ليكونوا سببا لطاعات الغير كما ينبغي ان يكون عليه اهل الدين وعلى هذا الوجه

قال تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا فالتواصي بالحق يدخل فيه ساير الدين من علم وعمل والتواصي بالصبر
يدخل فيه حمل النفس على مشقة التكليف في القيام بما يجب وفي اجتنابهم ما يحرم اذ الاقدام على المكروه والاحجام عن المراد كلاهما
شاق شديد وهاهنا مسايل الاولى هذه الاية فيها وعيد شديد وذلك لانه تعالى حكم بالخسار على جميع الناس الا من كان
آتيا بهذه الاشيا الاربعة وهي الايمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر فدل ذلك على ان النجاة معلقة بمجموع
هذه الامور وانه كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه فكذلك يلزمه في غيره امور منها الدعا الى الدين والنصيحة والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وان يحب له ما يحب لنفسه ثم كرر التواصي ليتضمن الاول الدعا الى الدين والثاني الثبات
عليه فالاول الامر بالمعروف والثاني النهي عن المنكر ومنه قوله تعالى وانه عن المنكر واصبر وقال عمر رحم الله من اهدى
الى عيوبي الثانية دلت الاية على ان الحق ثقيل وان المحن تلازمه الثالثة انما قال تعالى وتواصوا بالماضي
ولم يقل ويتواصون لئلا يقع امرا بل الغرض مدحهم بما صدر عنهم في الماضي وذلك يفيد ترغيبهم الى الثبات عليه
في المستقبل الرابعة قرا ابو عمرو بالصبر بسم الباء سيا من الجر ولا يشبع قال ابو علي وهذا انما يكون في الوقف ويكون
في الوقف الا على اجرا الوصل مجرى الوقف وهذا لا يكاد يكون في القراة وعلى هذا ما يروى عن سلام بن المنذر
انه قرا والعصر بكسر الصاد ولعله وقف لانقطاع نفس او لعارض منعه من ادراج القراة وعلى هذا
يحمل الا على اجرا الوصل مجرى الوقف والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده كلا لينبذن في الحطمة
وما ادراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافيدة انها عليهم موصدة في عمد
ممددة الويل لفظة الذم والسخط وهي كلمة كل مكروب يتولول فيدعوا بالويل واصله وي لفلان ثم كثرت
في كلامهم فوصلت باللام يروى انه جبل في جهنم ان قيل ان هاهنا ويل وفي موضع اخر ولكم الويل قلنا لان ثمه
قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فقال تعالى ولكم الويل وهاهنا نكر لانه لا يعلم كنهه الا الله تعالى وقيل في ويل
انها كلمة تقبيح وويس استصغار وويح ترحم فنبه بهذا على قبح هذا الفعل واختلفوا في الوعيد الذي
في هذه السورة فانه يتناول كل من يتمسك بهذه الطريقة في الافعال الردية او هو مخصوص باقوام معينين
اما المحققون فقالوا انه عام لكل من يفعل هذا الفعل كاينا من كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح
في عموم اللفظ وقال آخرون انه مختص باناس معينين ثم قال عطا والكلبي نزلت في الاخنس بن شريق كان
يلمز الناس ويغتابهم وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة كان
يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورايه ويطعن عليه في وجهه وقال محمد بن اسحاق ما زلنا نسمع ان هذه
الاية نزلت في امية بن خلف قال الفرا وكون اللفظ عاما لا ينافي ان يكون المراد منه شخصا معينا كما ان انسانا
لو قال لك لا ازورك ابدا فتقول انت كل من لم يزرني لا ازوره وانت انما تريده بهذا الغاية وبالجملة هذا هو
المسمى في اصول الفقه بتخصيص العام بقرينة العرف والهمز الكسر قال تعالى هماز مشا واللمز الطعن والمراد
الكسر من اعراض الناس والغض منهم والطعن فيهم قال تعالى هماز مشا ولا تلمزوا انفسكم وبنا فعلة يدل على ان ذلك
عادة منه وقد عرفها ونحوها اللعبه والضحكه وقرى ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي
ياتي بالاقاويل والاضاحيك فيضحك منه ويشتم وللمفسرين الفاظ احدها قال ابن عباس الهمز المغتاب
الاحاجي واللمزة العياب وثانيها قال ابن زيد الهمز باليد واللمز باللسان وثالثها قال ابو العالية الهمز بالمواجهة
واللمز بظهر الغيب ورابعها الهمز جهرا واللمز سرا بالحاجب والعين وخامسها الهمزة اللمزة الذي يلقب الناس
بما يكرهون وكان الوليد ممن يفعل ذلك لكنه لا يليق بمنصب الرياسة انما ذلك من عادة الاسقاط ويدخل فيه
من يحاكي الناس باقوالهم وافعالهم واصواتهم ليضحكوا وقد حكى الحكم بن العاص مشية النبي صلى الله عليه وسلم
فنفاه عن المدينة وسادسها قال الحسن الهمزة الذي يهمز جليسه ويكسر عليه عينه واللمزة الذي يذكر اخاه
بالسوء ويعيبه وسابعها عن ابي الجوزا قال قلت لابن عباس ويل لكل همزة لمزة من هولاء الذين يذمهم الله
تعالى بالويل فقال هم المشاوون بالنميمة والمفرقون بين الاحبة والناعتون للناس بالعيب واعلم ان جميع
هذه الوجوه متقاربة راجعة الى اصل واحد وهو الطعن واظهار العيب ثم هذا على قسمين فانه اما ان يكون
بالجد كما يكون عند الحسد والحقد واما ان يكون بالهزل كما يكون عند السخرية والاضحاك وكل واحد من القسمين
فاما ان يكون في امر يتعلق بالدين وهو ما يتعلق بالدين والطاعات واما ان يتعلق بالدنيا وهو ما يتعلق
بالصورة والمشي والجلوس وانواعه كثيرة وهو غير مضبوط ثم اظهار العيب في هذه الاقسام الاربعة قد يكون
لحاضر وقد يكون لغايب وعلى التقديرين فقد يكون باللفظ وقد يكون باشارة الراس والعين وغيرهما وكل ذلك





داخل تحت النهي والزجر فان اللفظ بحسب اللغة موضوع لما ذا فما كان اللفظ موضوعا له كان منهيا بحسب اللفظ وما لم يكن
اللفظ موضوعا له كان داخلا تحت النهي بحسب القياس الجلي ولما كان الرسول عليه السلام اعظم الناس منصبا
في الدين كان الطعن فيه عظيما عند الله فلا جرم قال تعالى ويل لكل همزة لمزة ثم قال تعالى الذي جمع مالا وعدده
وفيه مسايل الاولى الذي بدل من لكل او نصب على الذم وانما وصفه تعالى بهذا اللفظ لانه يجري مجرى السبب
والعلة في الهمز واللمز وهو اعجابه بما جمع من المال وظنه ان الفضل فيه لاجل ذلك فيستنقص غيره الثانية
قرا حمزة والكسائي وابن عامر جمع بالتشديد والباقون بالتخفيف والمعنى في جمع وجمع واحد متقارب والفرق
ان التشديد يفيد انه جمعه من هاهنا وهاهنا لم يجمعه في يوم واحد ولا في يومين ولا شهر ولا شهرين يقال فلان يجمع
الاموال اي يجمعها من هاهنا وهاهنا واما بالتخفيف فلا يفيد ذلك واما قوله تعالى مالا فالتنكير فيه يحتمل وجهين
احدهما ان يقال اسم لكل ما في الدنيا كما قال تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا ثم مال الانسان الواحد بالنسبة
الى كل الدنيا حقير فكيف يليق به ان يفتخر بذلك القليل والثاني ان يكون المراد منه التعظيم اي مالا بلغ في الخبث
والفساد اقصى النهايات فكيف يليق بالعاقل ان يفتخر به اما قوله تعالى وعدده ففيه وجوه احدها انه ماخوذ
من العدة وهي الذخيرة ويقال اعددت الشي لكذا واعددته اذا امسكته له وجعلته عدة وذخيرة لحوادث
الدهر وثانيها عدده اي احصاه وجا التشديد لكثرة المعدود كما يقال فلان يعدد فضايل فلان ولهذا
قال السدي عدده اي احصاه يقول هذا لي وهذا لي يلهيه ماله فاذا جاء الليل كان خفيه وثالثها عدده اي
كثره يقال في بني فلان عدد اي كثرة ويقال هذان القولان الاخيران راجعان الى معنى العدد والقول الثالث
في معنى العدة وقرا بعضهم وعدده بالتخفيف وفيه وجهان احدهما ان يكون المعنى جمع المال وضبط عدده
واحصاه وثانيها جمع ماله وعدده الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار
والرجل متى كان كذلك كان ادخل في التفاخر ثم وصفه تعالى بضرب اخر من الجهل فقال يحسب ان ماله اخلده وفيه
ان اخلده وخلده بمعنى واحد ثم في التفسير وجوه احدها ان يكون المعنى طول المال امله حتى اصبح لفرط غفلته وطول
امله يحسب ان ماله تركه خالدا في الدنيا لا يموت وانما قال اخلده ولم يقل يخلده لان المراد يحسب هذا الانسان ان المال
ضمن له الخلود واعطاه الامان من الموت وكانه حكم قد فرغ منه ولذلك ذكره على الماضي وقال الحسن ما رايت يقينا
لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه كالموت وثانيها يعمل الاعمال المحكمة كتشييد البنيان بالاجر والجص عمل من يظن انه
يبقى حيا او لاجل ان يذكر بسببه بعد الموت وثالثها احب المال حبا شديدا حتى اعتقد انه ان انتقص مالي اموت ولذلك
يحفظه عن النقصان ليبقى حيا وهذا غير بعيد من اعتقاد البخيل ورابعها ان هذا تعريض بالعمل الصالح وانه هو
الذي يخلد صاحبه في الدنيا بالذكر الجميل وفي الاخرة بالنعيم المقيم اما قوله تعالى كلا ففيه وجهان احدهما انه
ردع له عن حسبانه اي ليس كما يظن ان المال يخلده بل العلم والصلاح ومنه قول علي رضي الله تعالى عنه مات خزان المال
وهم احيا والعلما باقون ما بقي الدهر والقول الثاني معناه حقا لينبذن واللام في لينبذن جواب القسم فدل ذلك
على حصول معنى القسم اما قوله تعالى لينبذن انما ذكره بلفظ النبذ الدال على الاهانة لان الكافر كان يعتقد انه
من اهل الكرامة وقرى لينبذان اي هو وماله وبضم الذال اي هو وانصاره واما الحطمة فقال المبرد انها النار التي
تحطم كل من وقع فيها ورجل حطمة اي شديد الاكل ياتي على زاد القوم واصل الحطم في اللغة الكسر ويقال شر الرعا الحطمة
يقال راعي حطمة وحطم بغير ها كانه يحطم الماشية اي يكسرها عند سوقها لعنفه قال المفسرون الحطمة اسم من اسما
النار وهي الدركة الثانية من دركات النار وقال مقاتل هي تحطم العظام وتاكل اللحوم حتى تهجم على القلوب وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الملك لياخذ الكافر فيكسره على صلبه كما توضع الخشبة على الركبة فيكسر ثم
يرمي بها الى النار واعلم ان الفايدة في ذكر جهنم بهذا الاسم هاهنا وجوه احدها الاتحاد في الصورة كانه تعالى
يقول ان كنت همزة لمزة فوراك الحطمة والثاني ان الهامز بكسر عين غيره ليضع قدره فيلقيه في الحضيض فيقول تعالى
فوراك الحطمة وفي الحطم كسر فالحطمة تكسرك وتلقيك في حضيض جهنم لكن الهمز ليس يكسر الا الجاه اما الحطمة
فانها تكسر بل لا تبقي ولا تذر الثالث ان الهماز اللماز ياكل لحوم الناس والحطمة ايضا اسم النار من حيث انها تاكل
الجلد واللحم ويمكن ان يقال ذكر وصفين الهمز واللمز ثم قابلهما باسم واحد وقال خذ واحدا مني بالاثنين فانه يفي
ويبقى فكان السايل يقول كيف يفي الواحد بالاثنين فقال انما تقول هذا لانك لا تعرف هذا الواحد فلذلك
قال تعالى وما ادراك ما الحطمة اما قوله تعالى نار الله فالاضافة للتفخيم اي هي نار لا كساير النيران
الموصدة التي لا تخمد ابدا والموقدة بامره او بقدرته ومنه قول علي رضي الله تعالى عنه عجبا ممن يعصي الله
على ظهر الارض والنار تسعر من تحته وفي الحديث اوقد عليها الف سنة حتى احمرت والف سنة حتى ابيضت
ثم الف سنة حتى اسودت فهي سودا مظلمة اما قوله تعالى تطلع على الافيدة فاعلم انه يقال طلع الجبل
واطلع عليه اذا علاه ثم في تفسير الاية وجهان الاول ان النار تدخل في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على
افيدتهم ولا شي في بدن الانسان الطف من الفواد ولا اشد تالما منه بادنى ذي مماسة فكيف اذا طلعت

بارجهنم واستولت عليه ثم ان الفواد مع استيلا النار عليه لا يحترق اذ لو احترق لمات وهذا هو المراد من قوله تعالى لا يموت فيها ولا يحيى ومعنى الاطلاع هو ان النار تنزل من اللحم الى الفواد الثاني ان سبب تخصيص الفايدة بذلك هو انها مواطن الكفر والعقايد الخبيثة والنيات الفاسدة واعلم انه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان النار تاكل اهلها حتى اذا طلعت على افيدتهم انتهت ثم ان الله تعالى يعيد لحومهم وعظامهم مرة اخرى اما قوله تعالى انها عليهم موصدة قال الحسن موصدة اى مطبقة اصدت الباب واوصدته لغتان ولم يقل مطبقة لان الموصدة هي الابواب المعلقة والاطباق لا تفيد معنى الباب فاعلم ان الاية تفيد المبالغة في العذاب من وجوه احدها ان قوله تعالى لينبذن يقتضى انه موضع له قعر عميق جدا وثانيها انه لو شاء ان يجعل ذلك الموضع بحيث لا يكون له باب لجعل لكنه بالباب يذكرهم الخروج فيزيد في حسرتهم وثالثها انه تعالى قال عليهم موصدة ولم يقل موصدة عليهم لان قوله تعالى عليهم موصدة يفيد ان المقصود اولا كونهم بهذه الحالة وقوله موصدة عليهم لا يفيد هذا المعنى بالقصد الاول اما قوله تعالى في عمد ممددة ففيه مسايل الاولى قرى عمد بضمتين وعمد بسكون الميم وعمد بفتحتين قال الفرا عمد وعمد مثل الاديم والادم والاهاب والاهب والهضيم والهضم وقال المبرد وابو علي العمد جمع عمود على غير واحده اما الجمع على واحده فهو العمد مثل زبور وزبر ورسول ورسل الثانية العمود كل مستطيل من خشب وحديد وهو اصل البنا يقال عمود البيت الذي يقوم به البيت الثالثة في تفسير هذه الاية وجهان الاول انها عمد اغلقت بها تلك الابواب كنحو ما تغلق به الدروب في معنى الباب انها عليهم موصدة بعمد مدت عليها ولم يقل بعمد لانها لكثرتها صارت كان الباب فيها والقول الثاني ان تكون المعنى انها عليهم موصدة حال كونهم موثقين في عمد ممددة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص اللهم اجرنا من النار يا اكرم الاكرمين بحق محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وازواجه امهات المومنين آمين يا رب العالمين وحسبنا الله ونعم ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول روى ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعا وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج من بني كنانة رجل فتغوط فيها ليلا فاغضبه ذلك وقال اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما وثمانية آخر وقيل اثنا عشر وقيل الف فلما بلغ قريبا من مكة خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبى جيشه وقدم الفيلة والفيل المذكور فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى ساير الجهات هرول ثم ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مايتي بعير فخرج اليه ليسترجعها فعظم في عيني ابرهة وكان رجلا جسيما وسيما فقيل له هذا سيد قريش وصاحب عير مكة فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني قال لم فيما جيت قال جيت لاهدم البيت الذي هو علم دينك ودين ابايك وقد الهاك عنه دود من الابل فقال انا رب الابل وللبيت رب سيمنعه منك ثم رجع واتى البيت فاخذ بحلقته وهو يقول اللهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم ابدا محالك ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك يا رب لا ارجو لهم سواكا يا رب فامنع عنهم حماكا فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية وكان مع كل طير حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس انه روى منها عند ام هاني نحو قفيز وهي مخططة بحمرة كالجزع الظفاري وكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فهلكوا في كل طريق ومنهل ورمي ابرهة فتساقطت انامله وما مات حتى انصدع راسه عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطاير يحلق فوق راسه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وعن عايشة قالت رايت قايد الفيل وسايسه اعميين مقعدين يستطعمان ثم في الاية سوالات الاول لم قال تعالى الم تر مع ان هذه الواقعة وقعت قبل البعث بزمان طويل الجواب المراد من الروية العلم والتذكر وهو اشارة الى ان الخبر فيه متواتر فكان العلم الحاصل به ضروريا مساويا في القوة والجلا للروية لهذا السبب قال لغيره على سبيل الذم الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون لا يقال فلم قال تعالى الم تعلم ان الله على كل شي قدير لانا نقول الفرق ان ما لا يتصور ادراكه لا يستعمل فيه الا العلم لكونه قادرا واما الذي يتصور ادراكه كفرار الفيل فانه يجوز ان يستعمل فيه الروية السوال الثاني لم قال تعالى الم تر كيف فعل ربك

ولم يقل





ولم يقل الم تر الى ما فعل ربك الجواب لان الاشيا لها ذوات ولها كيفيات باعتبارها تدل على مداومتها وهذه الكيفية تسميتها المتكلمون وجه الدليل واستحقاق المدح انما يحصل برؤية هذه الكيفيات لا برؤية الذوات ولهذا قال تعالى افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها ولا شك ان هذه الواقعة كانت دالة على قدرة الصانع وعلمه وحكمته وكانت دالة على شرف محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لان مذهبنا يجوز تقديم المعجزات على زمان البعثة تاسيسا لنبوته وارغاما لهم ولذلك كانت الغمامة تظله وعند المعتزلة ان ذلك لا يجوز فلا جرم زعموا انه لا بد وان يقال كان في ذلك الزمان نبي كخالد بن سنان وقس بن ساعدة ثم قالوا ولا يجب ان تشتهر حد التواتر لاحتمال انه كان مبعوثا الى جمع قليلين فلا جرم لم يشتهر خبره واعلم ان قصة هولاء على الاقدام كانوا اقل حالا وادون منزلة من الفيل وهو المراد من قوله بل هم اضل ومما يؤكد ذلك انهم لما وجهوا الفيل الى جانب الكعبة كان يتحول عنه ويفر عنه كانه يقول لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فتوى محمد فلا اتركه وهم كانوا يتركون تلك العزيمة الردية فدل ذلك على ان الفيل كان احسن حالا منهم السوال الثالث اليس ان كفار قريش كانوا قد ملؤا الكعبة من الاوثان في قديم الدهر ولا شك ان ذلك كان اقبح من تخريب جدران الكعبة فلما سلط الله العذاب على من قصد التخريب ولم يسلط العذاب على من ملاها من الاوثان والجواب ان وضع الاوثان فيها تعد على حق الله وتخريبها تعد على حق الخلق فنظيره قاطع الطريق والباغي والعامل يقتلون مع انهم مسلمون ولا يقتل الشيخ الكبير والاعمى وصاحب الصومعة والمراة وان كانوا كفارا لانه لا يتعدى ضررهم الى الخلق الرابع كيف القول في اعراب هذه الاية الاول قال الزجاج كيف في موضع نصب بفعل لا بقوله تعالى الم تر لان كيف من حروف الاستفهام واعلم انه تعالى ذكر ما فعل بهم فقال تعالى الم يجعل كيدهم في تضليل وفيه مسايل المسلة الاولى اعلم ان الكيد على الحقيقة هو ارادة مضرة الغير على الخفية فان قيل فلم سماه كيدا وامره كان ظاهرا لانه كان يصرح بهدم البيت وكان يريد صرف الشر الحاصل لهم بسبب الكعبة منهم ومن بلدهم الى نفسه والى بلدته المسلة الثانية قالت المعتزلة اضافة الكيد اليهم دليل على انه تعالى لا يرضى بالقبيح اذ لو رضي لاضافه الى ذاته كقوله تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وهي واقعة على الملحدين جدا لانهم ذكروا في الزلازل والرياح والصواعق وساير الاشياء القبيحة التي عذب الله تعالى بها الامم اعذارا ضعيفة اما هذه الواقعة فلا تجري فيها تلك الاعذار لانه ليس في شي من الطبايع والحيل ان تقبل طير معها حجارة فيقصد قوما دون قوم فيقتلهم ولا يمكن ان يقال انه كساير الاحاديث الضعيفة لانه لم يكن بين عام الفيل ومبعث الرسول شي الا نيفا واربعين سنة ويوم تلا الرسول عليه السلام هذه السورة كان قد بقي بمكة جمع شاهدوا تلك الواقعة فلا يجري فيها الا تلك الاعذار ولو كان النقل ضعيفا لشافهوه بالتكذيب فلما لم يكن كذلك علمنا انه لا سبيل للطعن فيه وفي الاية ايضا سوالات الثالث لم قال فعل ولم يقل جعل ولا خلق ولا عمل الجواب ان الخلق يستعمل لابتدا الفعل والجعل للكيفيات قال تعالى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور وعمل بعد الطلب والفعل عام في الكل فكان اولى لانه تعالى خلق الطيور وجعل طبع الفيل خلاف ما كانت عليه وسلوه ان يحفظ البيت ولعله كان فيهم من يستحق الاجابة فلو ذكر الالفاظ الثلاثة لطال الكلام فذكر لفظا يشمل الكل الرابع لم قال ربك ولم يقل الرب الجواب فيه من وجوه احدها كانه تعالى قال انما شاهدوا هذا الانعام ثم لم يتركوا عبادة الاوثان وانت يا محمد ما شاهدته ثم اعترفت بالشكر والطاعة وكانك انت الذي رايت ذلك الانعام فلا جرم تبرات عنهم واخترتك من الكل فاقول ربك اي انا لك ولست لهم بل عليهم وثانيها كانه تعالى قال انما فعلت باصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا لمقدمك فانا كنت مربيا لك قبل قدومك فكيف اترك تربيتك بعد ظهورك ففيه بشارته عليه السلام بانه سيظفر الثالث قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك مذكور في معرض التعجب وهذه الاشياء بالنسبة الى قدرة الله تعالى ليست عجيبة فما السبب لهذا التعجب الجواب من وجوه احدها ان الكعبة تبع لمحمد عليه السلام وذلك لان العالم يوجد بدون المسجد اما لا مسجد بدون العالم هو كذب والمسجد هو الصدق ثم الرسول الذي هو الذي عجز الوليد ولمزه حتى ضاق عليه فكانه تعالى يقول انا الملك العظيم لما طعن في المسجد وقصده واصحبته فمن طعن فيك وانت المقصود من الكل الا افنيه واعدمه ان هذا العجيب وثانيها الكعبة قبلة صلاتك وقلبك قبلة معرفتك ثم انا حفظت قبلة عملك عن الاعدا افلا اسعى في حفظه في صلته دينك عن الاثام والمعاصي الرابع لم قال تعالى اصحاب الفيل ولم يقل ارباب الفيل او ملاك الفيل الجواب لان الصاحب يكون من الجنس فقوله تعالى اصحاب الفيل يدل على ان اولئك الاقوام كانوا من جنس الفيل في البهيمية وعدم الفهم والفعل بل فيه دقيقة وهو انه يقال اذا كانت المصاحبة بين شخصين فيقال للادون انه صاحب الاعلى ولا يقال للاعلى انه صاحب الادون ولذلك يقال لمن صحب الرسول انهم الصحابة فقوله تعالى اصحاب الفيل يدل عليه يرجع من هاهنا الى قوله على ان اولئك

الاقوام في تضليل الهوملى والجواب انه ثبت في علم النحو انه يكفي في حسن الاضافة ادنى سبب فلم لا يكفي في جنس هذه
الاضافة وقوعه مطابقا لارادتهم واختيارهم العادة في تضليل اي في تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا
جعله ضالا ضايعا ونظيره قوله تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال وقيل لامرئ القيس الملك الضليل
لانه ضلل ملك ابيه اي ضيعه يعني انهم كادوا اولا حيث ارادوا ان يسجوا امره بصرف
وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه ثم كادوا ثانيا بارادة هدمه فضلل بارسال الطير
عليهم ومعنى حرف الظرف كما يقال سعى فلان في ضلال اي سعيهم كان في امر ظاهر لكل عاقل انه كان ضلالا
وخطا ثم قال تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل وفيه سؤالات الاول لم قال طيرا على التنكير الجواب اما للتحقير فانه
مهما كان احقر كان صنع الله اعجب واكبر او التفخيم كانه يقول طيرا واي طير ترمي بحجارة صغار ولا تخطي المقتل الثاني ما الابابيل
الجواب اما اهل اللغة فقال ابو عبيدة ابابيل جماعات في تفرقة يقال جاءت الخيل ابابيل من هاهنا وهاهنا وهل لهذه
اللفظة واحد فيه قولان الاول وهو قول الاخفش والفراء انه لا واحد لها وهو مثل الشماطيط والعباديد
لا واحد لها والثاني ان له واحدا ثم على هذا القول ذكروا فيه ثلاثة اوجه احدها زعم ابو جعفر الرؤاسي
ان له واحدا وكان ثقة مامونا انه سمع لها ابالة وهي الحزمة الكبيرة سميت الجماعة من الطير في نظامها
بالابالة وفي امثالهم ضغث على ابالة وثانيها قال الكسائي كنت اسمع النحويين يقولون ابول وابابيل كعجول و
عجاجيل وثالثها قال الفراء ولو قال قايل واحد الابابيل ابالة كان صوابا كما يقال دينار ودنانير الثالث ما صفة
تلك الطير الجواب روى ابن سيرين عن ابن عباس قال كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الفيل واكف كاكف الكلاب وروى
عطا عنه قال طيرا سودا جاءت من قبل البحر فوجا فوجا ولعل السبب انها ارسلت الى قوم كان في صورهم سواد اللون
وفي سيرتهم سواد الكفر والمعصية وعن سعيد بن جبير انها بيض صغار ولعل السبب ان ظلمة الكفر اثرت بها والبياض
السواد وقيل كانت خضرا ولها رءوس مثل رءوس السباع واقول انها لما كانت افواجا فلعل كل فوج منها كان على شكل
غير الاخر وكل احد وصف ما راى وقيل كانت بلقا كالخطاطيف ثم قال تعالى ترميهم بحجارة من سجيل وفيه مسايل
الاولى قرا ابو حنيفة رحمة الله تعالى عليه يرميهم الله او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى الثانية ذكروا
في كيفية الرمي وجوها احدها قال مقاتل كان كل طاير يحمل ثلاثة احجار واحد في منقاره واثنان في رجليه فقيل مكتوب
على كل حجر اسم صاحبه وما وقع منها حجر على موضع الا خرج من الجانب الاخر وان وقع على راسه خرج من دبره وثانيها
روى عكرمة عن ابن عباس قال لما ارسل الله الحجارة على اصحاب الفيل لم يقع حجر على احد منهم الا نفط جلده وثار به الجدري
وهو قول سعيد بن جبير وكانت تلك الاحجار اصغرها مثل العدسة واكبرها مثل الحمصة واعلم ان من الناس من انكر
ذلك فقال لو جوزنا ان تكون الحجارة الصغيرة التي تكون مثل العدسة من الثقل ما تقوى به على ان تنفذ من راس الانسان
وتخرج من اسفله تجوزنا ان يكون الجبل العظيم خاليا عن الثقل وان يكون في وزن التبنة وذلك يرفع الامان
عن المشاهدات فانه متى جاز ذلك فليجز ان يكون بحضرتنا شموس واقمار ولا نراها وان يحصل الادراك
في عين الضرير حتى يكون هو بالمشرق ويرى بقعة في الاندلس وكل ذلك محال واعلم ان كل ذلك على مذهبنا
جايز الا ان العادة جارية بانها لا تقع الثالثة ذكروا في سجيل وجوها احدها ان السجيل كانه علم
للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم لديوان اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب
المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال ومنه السجل للدلو المملو ماء وانما سمي ذلك الكتاب بهذا
الاسم لانه كتب فيه العذاب والعذاب موصوف بالارسال لقوله تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل وقوله
تعالى فارسلنا عليهم الطوفان والجراد فقوله تعالى من سجيل اي مما كتبه الله تعالى في ذلك الكتاب وثانيها
قال ابن عباس سجيل معناه سنك وكل يعني بعضه حجر وبعضه طين وثالثها قال ابو عبيدة السجيل الشديد
ورابعها السجيل اسم لسماء الدنيا وخامسها السجيل حجارة من جهنم فان سجين اسم من اسماء جهنم فابدلت
النون باللام اما قوله تعالى كعصف ماكول ففيه مسايل الاولى ذكروا في تفسير العصف وجوها ذكرناها في
قوله تعالى والحب ذو العصف والريحان وذكروا هاهنا ايضا وجوها احدها انه ورق الزرع الذي يبقى في الارض
بعد الحصاد وتعصفه الرياح فتاكله المواشي وثانيها قال ابو مسلم العصف التبن لقوله تعالى ذو العصف
والريحان لانه تعصف به الريح عند ذره فتفرقه عن الحب وهو اذا كان ماكولا فقد بطل ولا رجعة
ولا منفعة فيه وثالثها قال الفراء هو اطراف الزرع قبل ان يدرك السنبل ورابعها هو الحب الذي اكل لبه وبقي
قشره الثانية ذكروا في تفسير الماكول وجوها احدها انه الذي اكل وعلى هذا الوجه ففيه احتمالان احدهما
ان يكون المعنى كزرع وتبن قد اكلته الدواب ثم القته روثا ثم يجف وتتفرق اجزاؤه فيكون المعنى كزرع تفرقت
اجزاؤه شبه تقطع اوصالهم بتفرق اجزاء الروث الا ان العبارة عنه جاءت على ما عليه اداب القران لقوله تعالى
كانا ياكلان الطعام وهو قول مقاتل وقتادة وعطا عن ابن عباس والاحتمال الثاني على هذا الوجه ان يكون
التشبيه واقعا بورق الزرع اذا وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود والوجه الثاني في تفسير قوله تعالى





ماكول هو انه جعلهم كزرع قد اكل حبه وبقي تبنه وعلى هذا التقدير يكون المعنى كعصف ماكول الحب كما يقال فلان حسن
اي حسن الوجه فاجرى ماكول على العصف من اجل انه اكل حبه لان هذا المعنى معلوم وعلى هذا قول الحسن الوجه الثالث
من التفسير ان يكون معنى ماكول انه مما يوكل يعني تاكله الدواب كما يقال لكل شي يصلح للاكل هو ماكول والمعنى
جعلهم كتبن تاكله الدواب وهو قول عكرمة والضحاك الثالثة قال بعضهم ان الحجاج اخرب الكعبة ولم يحدث
شي من ذلك فدل ذلك على ان قصة الفيل ما كانت على هذا الوجه وان كانت هكذا الا ان السبب لتلك
الواقعة امر اخر سوى تعظيم الكعبة الجواب انا بينا ان ذلك وقع ارهاصا لامر محمد صلى الله عليه وسلم والارهاص
انما يحتاج اليه قبل قدومه اما بعد قدومه وتاكيد نبوته بالدلايل القاطعة فلا حاجة الى شي من ذلك والله اعلم

## لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف

اعلم ان هاهنا مسايل الاولى في قوله تعالى لايلاف يحتمل
وجوها ثلاثة فانها اما ان تكون متعلقة بالسورة التي قبلها او بالاية التي بعدها او لا تكون متعلقة لا بما قبلها
ولا بما بعدها اما الوجه الاول وهو ان تكون متعلقة بما قبلها ففيه احتمالان الاول وهو قول الزجاج وابي عبيدة
ان التقدير فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش اي اهلك الله تعالى اصحاب الفيل لتبقى قريش وما قد الفوا من رحلة
الشتاء والصيف فان قيل هذا ضعيف لانهم انما جعلوا كعصف ماكول لكفرهم ولم يجعلوا كذلك لتاليف
قريش قلنا هذا السؤال ضعيف لوجوه احدها انا لا نسلم ان الله تعالى انما فعل ذلك لكفرهم فان الجزاء على الكفر
مؤخر الى القيمة قال تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وقال تعالى ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك
عليها من دابة ولانه تعالى لو فعل ذلك بهم لكفرهم لكان قد فعل ذلك بجميع الكفار بل انما فعل ذلك بهم لايلاف
قريش لتعظيم منصبهم واظهار قدرهم وثانيها هب ان زجرهم عن الكفر مقصود لكن لا ينافي كون شي اخر
مقصودا حتى يكون الحكم واقعا بمجموع الامرين وثالثها هب انهم اهلكوا لكفرهم فقط الا ان ذلك الاهلاك
لما ال الى الايلاف جاز ان يقال اهلكوا لايلاف قريش كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه لذلك
لكن لما ال الامر اليه حسن ان يعلل عليه الالتقاط الاحتمال الثاني ان يكون التقدير الم تر كيف فعل ربك
باصحاب الفيل لايلاف كانه تعالى قال كل ما فعلنا بهم فقد فعلناه لايلاف قريش فانه تعالى جعل كيدهم في
تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل حتى صاروا كعصف ماكول فكل ذلك انما كان لاجل ايلاف قريش الاحتمال
الثالث ان تكون اللام في قوله تعالى لايلاف قريش بمعنى الى كانه قال فعلنا كل ما فعلناه في السورة المتقدمة
الى نعمة اخرى عليهم وهي ايلافهم رحلة الشتاء والصيف تقول نعمة الى نعمة ونعمة لنعمة سواء في المعنى هذا
قول الفراء فهذه احتمالات ثلاثة توجهت على تقدير تعلق اللام بالسورة المتقدمة قولان احدهما
ان جعلوا السورتين لا بد وان يكون كل واحدة مشتغلة بنفسها ومطلع هذه السورة لما كان متعلقا
بالسورة المتقدمة وجب ان لا تكون هذه السورة مستقلة وثانيها ان ابي بن كعب جعلهما في مصحفه
سورة واحدة وثالثها ما روي ان عمر رضي الله عنه قرا في صلاة المغرب في الركعة الاولى والتين وفي الركعة الثانية
الم تر ولايلاف قريش معا ولم يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم والقول الثاني وهو المشهور المستفيض ان هذه السورة
منفصلة عن سورة الفيل واما تعلق اول هذه السورة بما قبلها فليس بحجة على ما قالوا لان القران كله كالسورة الواحدة
وكالاية الواحدة يصدق بعضها بعضا ويبين بعضها معنى بعض الا ترى ان الايات الدالة على الوعيد مطلقة
ثم انها متعلقة بايات التوبة وايات العفو عند من يقول به وقوله تعالى انا انزلناه متعلق بما قبله من ذكر القران
واما قوله ان ابيا رضي الله عنه لم يفصل بينهما فهو معارض باطباق الكل على الفصل بينهما واما قراءة عمر رضي الله
عنه فانها لا تدل على انهما سورة واحدة لان الامام قد يقرا السورتين البحث الثاني مما يتعلق بهذا القول بيان
انه لما صار ما فعله الله تعالى باصحابه اي باصحاب الفيل سببا لايلاف قريش فنقول لا شك ان مكة كانت خالية
من الزرع والضرع على ما قال تعالى بواد غير ذي زرع الى قوله تعالى فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم
من الثمرات وكان اشراف اهل مكة يرحلون للتجارة هاتين الرحلتين وياتون لانفسهم ولاهل بلدهم ما يحتاجون
اليه من الاطعمة والثياب وهم انما كانوا يربحون في اسفارهم لان ملوك النواحي كانوا يعظمون اهل مكة
ويقولون هولاء جيران بيت الله وسكان حرمه وولاة الكعبة حتى كانهم يسمون اهل مكة اهل الله
فلو تم للحبشة ما عزموا عليه من هدم هذه الكعبة لزال عنهم هذا العز ولبطلت تلك المزايا في التعظيم
والاحترام ولصار سكان مكة كسكان ساير النواحي يتخطفون من كل جانب ويتعرض لهم في نفوسهم واموالهم
فلما اهلك الله اصحاب الفيل ورد كيدهم في نحرهم ازداد وقع اهل مكة في القلوب وازداد تعظيم ملوك الاطراف

هم فازدادت تلك المنافع والمفاخر فلهذا قال تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل لايلاف قريش رحلتي الشتاء
والصيف والوجه الثاني فيما يدل على صحة هذا القول قوله تعالى في اخر هذه السورة فليعبدوا رب هذا البيت الذي قصد
اصحاب الفيل ثم ان رب البيت دفعهم عن مقصودهم لاجل ايلافهم ونفعهم لان الامر بالعبادة انما يحسن مرتبا على ايصال المنفعة
فهذا يدل على تعلق اول هذه السورة بالسورة المتقدمة القول الثاني وهو ان اللام في لايلاف متعلقة بقوله تعالى فليعبدوا
وهو قول الخليل وسيبويه والتقدير فليعبدوا رب هذا البيت لايلاف قريش اي ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة واعترافا
بها فان قيل فلم دخلت الفاء في قوله تعالى فليعبدوا قلنا لما في الكلام من معنى الشرط وذلك لان نعم الله تعالى عليهم لا تحصى
فكانه قيل ان لم يعبدوا لسائر نعمه فليعبدوا لهذه الواقعة التي هي نعمة ظاهرة القول الثالث ان تكون هذه اللام
غير متعلقة بما قبلها ولا بما بعدها قال الزجاج قال قوم هذه لام التعجب كان المعنى اعجبوا لايلاف قريش وذلك لانهم كل يوم
يزدادون غيا وجهلا وانغماسا في عبادة الاوثان والله تعالى يؤلف شملهم ويدفع الافات عنهم وينظم اسباب
معاشهم وذلك لا شك انه في غاية التعجب من عظم حلم الله تعالى وكرمه ونظيره في اللغة قولك لزيد وما صنعنا
به ولزيد وكرامتنا اياه وهذا اختيار الكسائي والاخفش والفراء المسالة الثانية ذكروا في الايلاف ثلاثة اوجه احدها
ان الايلاف هو الالف قال علماء اللغة الفت الشيء الفا والفته الفا والافا وايلافا بمعنى واحد اي لزمته فيكون المعنى
لالف قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعا وقرا ابو جعفر لالف قريش وقرا الاخرون لايلاف قريش وقرا
ابو جعفر لالف قريش وقرا الاخرون لايلاف قريش وقرا عكرمة ليلاف قريش وثانيها ان يكون هذا من قولك لزمت
موضع كذا والزمته كذا ويقال الفت كذا والفنيه الله ويكون المعنى اثبات الالهية بالتدبير الذي فيه لطف
الف بنفسه الفا والفه غيره ايلافا والمعنى ان هذه الايات انما حصلت في قريش بتدبير الله وهو
كقوله تعالى ولكن الله الف بينهم وقال الف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وقد تكون المسرة سببا
للمؤانسة والاتفاق كما وقعت عند انهزام اصحاب الفيل لقريش فيكون المصدر هاهنا مضافا الى المفعول
ويكون المعنى لاجل ان جعل الله تعالى قريشا ملازمين لرحلتيهم وثالثها ان يكون الايلاف هو التهيئة والتجهيز
وهو قول الفراء وابن الاعرابي فيكون المصدر على هذا القول مضافا الى الفاعل والمعنى لتجهيز قريش رحلتيها
حتى تتصلا ولا تنقطعا وقرا ابو جعفر ليلاف بغير همز فحذف همزة الافعال حذفا كليا وهو كمذهبه في يستهزون
وقد مر تقريره المسالة الثالثة التكرير في قوله تعالى لايلاف قريش ايلافهم هو انه اطلق الايلاف اولا ثم جعل المقيد
بدلا لذلك المطلق تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لتعظيم المنة فيه والاقرب ان يكون قوله تعالى لايلاف قريش
عاما يجمع كل مؤانسة وموافقة كانت فيهم فيدخل فيه مقامهم وسيرهم وجميع احوالهم ثم خص ايلاف
الرحلتين بالذكر لسبب انها قوام معاشهم كما في قوله تعالى وجبريل وميكال وفائدة ترك واو العطف التنبيه
على انه كل النعمة وتقول العرب الفت كذا اي لزمته والالزام ضربان الزام بالتكليف والامر والالزام بالمودة
والمؤانسة فانه اذا احب المرء شيئا لزمه ومنه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى كما ان الالجاء ضربان احدهما لدفع
الضرر كالهرب من السبع والثاني لطلب النفع العظيم كمن يجد مالا عظيما ولا مانع من اخذه لا عقلا ولا شرعا
ولا حسا فانه يكون كالملجا الى الاخذ وكذا الدواعي التي تكون دون الالجاء مرة تكون لدفع الضرر واخرى لجلب النفع
وهو المراد في قوله تعالى ايلافهم الرابعة اتفقوا على ان قريشا ولد النضر بن كنانة قال عليه السلام انا بنو النضر بن كنانة
لا نقفو امنا ولا ننتفي من ابينا وذكروا في سبب هذه التسمية وجوها احدها انه تصغير القرش وهو دابة عظيمة
في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار وعن معاوية انه سال ابن عباس لم سميت قريش قريشا قال لدابة في البحر
تاكل ولا تؤكل تعلو ولا تعلى وانشد وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا والتصغير للتعظيم ومعلوم
ان قريشا موصوف بهذه الصفات لانها تلي امر الائمة فان الائمة من قريش وثانيها انها ماخوذة من القرش وهو الكسب
لانهم كانوا كاسبين بتجاراتهم وضربهم في البلاد وثالثها قال الليث كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب
في الحرم حتى اتخذوها مسكنا فسموا قريشا لان التقرش التجمع تقرش القوم اي اجتمعوا ولذلك سمي قصي مجمعا قال الشاعر
ابوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر ورابعها انهم كانوا يسدون خلة محاويج الحجاج فسموا بذلك قريشا
لان القرش التفتيش قال ابن حلزة ايها الشامت المقرش عنا عند عمرو وهل لذاك بقاء اما قوله تعالى رحلة الشتاء
والصيف ففيه مسائل الاولى قال الليث الرحلة اسم لارتحال القوم للمسير والمراد من هذه الرحلة قولان الاول وهو
المشهور قال المفسرون كانت لقريش رحلتان رحلة الشتاء الى اليمن لاجل الدفء وفي الصيف الى الشام وذكر عطاء عن ابن عباس
ان السبب في ذلك هو ان قريشا اذا اصاب واحدا منهم مخمصة خرج هو وعياله الى موضع فضربوا على انفسهم خباء حتى
يموتوا الى ان جاءهم هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه وكان له ابن يقال له اسد وكان له ترب من بني مخزوم
يحبه ويلعب معه فشكا اليه الضر والمجاعة فدخل اسد على امه يبكي فارسلت الى اولئك بدقيق وشحم فعاشوا فيه اياما
ثم اتى ترب اسد اليه مرة اخرى وشكا من الجوع فقام هاشم خطيبا في قريش فقال انكم احدثتم حدثا تقلون فيه
وتذلون وانتم اهل حرم الله تعالى واشراف ولد آدم والناس لكم تبع قالوا نحن تبع لك فليس لك عنا خلاف فجمع كل

بني اب



بني اب على الرحلتين في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام للتجارات فما ربح الغني قسمه بينه وبين الفقير حتى كان
غنيهم كفقيرهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فلم يكن في العرب بنو اب اكثر مالا ولا اعز من قريش وقال الشاعر الخالطون فقيرهم
بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكافي واعلم ان وجه النعمة والمنة فيه انه لو تم لاصحاب الفيل ما ارادوا لترك اهل الاقطار
تعظيمهم وايضا لتفرقوا وصار حالهم كحال اليهود المذكورين في قوله تعالى وقطعناهم في الارض امما واجتماع
القبيلة الواحدة في مكان واحد ادخل في النعمة من ان يكون الاجتماع من قبايل شتى ومنه يقال ان من شرط السفر
المؤانسة والالفة ومنه قوله تعالى ولا جدال في الحج والسفر احوج الى مكارم الاخلاق من الاقامة والقول الثاني
ان المراد رحلة الناس الى اهل مكة فرحلة الشتاء والصيف عمرة رجب وحج ذي الحجة لانه كان احدهما شتاء والاخر صيفا
وموسم منافع مكة يكون بينهما ولو كان تم لاصحاب الفيل ما ارادوا لتعطلت هذه المنفعة الثانية نصب الرحلة
بايلافهم مفعولا به واراد رحلتي الشتاء والصيف فافرد لامن الالتباس كقولك كلوا في بعض بطنكم وقيل
معناه رحلة الشتاء ورحلة الصيف وقرى رحلة بضم الراء وهي الجهة اما قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت
اعلم ان الانعام على قسمين احدهما دفع الضرر في سورة الفيل والثاني جلب النفع والاول اهم واقدم ولذلك قالوا
دفع الضرر عن النفس واجب اما جلب النفع غير واجب فلهذا السبب بين تعالى نعمة دفع الضرر في سورة الفيل ونعمة
جلب النفع في هذه السورة ولما تقرر ان الانعام لا بد وان يقابل بالشكر والعبودية لا جرم اتبع تعالى النعمة ذكر العبودية
فقال تعالى فليعبدوا وهاهنا مسايل الاولى ذكرنا ان العبادة هي التذلل والخضوع للمعبود على غاية ما يكون وقال
بعضهم اراد وليتوحدوا لانه هو الذي حفظ البيت دون الاوثان ولان التوحيد مفتاح العبادات ومنهم من
قال المراد العبادات المتعلقة باعمال الجوارح ثم ذكر كل واحد قسمان من اقسام العبادة والاولى حمله على الكل
لان اللفظ يتناول الكل الا ما اخرجه الدليل وفي الاية وجه اخر وهو ان يكون معنى فليعبدوا اي فليتركوا رحلة
الشتاء والصيف وليشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فانه يطعمهم من جوع ويؤمنهم من خوف ولعل تخصيص
لفظ الرب تقرير لما قالوه لابرهة ان للبيت ربا سيحفظه ولم يتوكلوا في ذلك على الاصنام فلزمهم بالزامهم
ان لا يعبدوا سواه وكانه يقول لما عولتم في الحفظ علي فاصبروا على العبادة والخدمة الثانية الاشارة
الى البيت في هذا النظم يفيد التعظيم فانه سبحانه وتعالى تارة اضاف العبد الى نفسه فيقول يا عبادي
وتارة يضيف نفسه الى العبد فيقول والهكم كذا في البيت يضيف نفسه الى البيت وهو قوله تعالى فليعبدوا
رب هذا البيت وتارة يضيف البيت الى نفسه فيقول طهر بيتي ثم قال تعالى الذي اطعمهم من جوع وفي الاطعام
وجوه احدها انه تعالى عالم بانهم بالحرم حتى لم يتعرض لهم في رحلتهم كان ذلك سبب طعامهم بعدما كانوا
فيه من الجوع وثانيها قال مقاتل شق عليهم الذهاب الى اليمن والشام في الشتاء والصيف لطلب الرزق
فقذف الله تعالى في قلوب الحبشة ان يحملوا الطعام في السفن الى مكة فحملوه وجعل اهل مكة يخرجون اليهم
بالابل والحمر فيشترون طعامهم من جدة على مسيرة ليلتين وتتابع ذلك فكفاهم الله تعالى مؤنة الرحلتين
وثالثها قال الكلبي هذه الاية معناها انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها
عليهم سنين كسني يوسف فاشتد عليهم القحط فاصابهم الجهد فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون
فذلك قوله تعالى اطعمهم من جوع ثم في الاية سؤالات الاول العبادة انما وجبت لانه تعالى اعطى اصول النعم
فلم علق ذا وجوب العبادة بالاطعام والجواب من وجوه احدها انه تعالى لما ذكر انعامه عليهم بحبس الفيل
وارسال الطير واهلاك الحبشة وبين الله تعالى انه فعل ذلك لايلافهم ثم امرهم بالعبادة وكان السايل يقول
لكن نحن محتاجون الى الكسب من الطعام والذب عن النفس فلما اشتغلنا بالعبادة فمن ذا الذي يطعمنا فقال الذي
اطعمهم قبل ان يعبدوه الا يطعمهم اذا عبدوه وثانيها انه تعالى بعد ان اعطى العبد اصول النعم اساء العبد اليه ثم انه
تعالى يطعمهم بعد ذلك فكانه تعالى يقول اذا لم تستحي مني احسانا لك اليك بعد اساءتك وثالثها
انه ذكر الانعام لان البهيمة تطيع من يعلفها فكانه تعالى يقول لست دون البهيمة السؤال الثاني اليس تعالى جعل
الدنيا ملكا لنا بقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فكيف يحسن المنة علينا بان اعطانا ملكنا الجواب ان الاشياء التي
لا بد منها قبل الاكل حتى يتم الطعام وتهيا وفي الاشياء التي لا بد منها بعد الاكل حتى يتم الانتفاع بالطعام الماكول
فانك تعلم انه لا بد من الافلاك والكواكب ولا بد من العناصر الاربعة حتى يتم ذلك الطعام ولا بد من جملة الاعضاء
على اختلاف اشكالها وصورها حتى يتم الانتفاع بالطعام وحينئذ تعلم ان الطعام يناسب الامر بالطاعة والعبادة
السؤال الثالث المنة بالاطعام لا تليق باحد فكيف باكرم الاكرمين ليس الغرض منه المنة بل الارشاد الى الاصلح لانه ليس
المقصود من الاكل تقوية الشهوة المانعة على الطاعة بل تقوية البنية على اداء الطاعات وكان المقصود من الامر
بالعبادة ذلك الرابع ما الفايدة في قوله تعالى من جوع الجواب فيه فوايد احدها التنبيه على ان امر الجوع شديد
ومنه قوله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعدما قنطوا وقوله عليه السلام من اصبح امنا في سربه الحديث وثانيها
تذكيرهم الحالة الاولى الردية وهي الجوع حتى يعرفوا قدر النعمة الحاضرة وثالثها التنبيه على ان خير الطعام ما سد

الجوع لانه لم يقل واشبعهم لان الطعام يزيل الجوع اما الاشباع فانه يورث البطنة واما قوله تعالى وامنهم من خوف ففي تفسيره وجوه احدها انهم كانوا يسافرون امنين لا يتعرض لهم احد ولا يغير عليهم احد لا في سفرهم ولا في حضرهم وكان غيرهم لا يامنون من الغارة في السفر والحضر وهذا هو معنى قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا وثانيها انه امنهم من زحمة اصحاب الفيل وثالثها قال الضحاك والربيع امنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام ورابعها امنهم من ان تكون الخلافة في غيرهم وخامسها امنهم بالاسلام فقد كانوا في الكفر يتفكرون فيعلمون ان الدين الذي هم عليه ليس الا انهم ما كانوا يعرفون الدين الذي يجب على العاقل ان يتمسك به وسادسها اطعمهم من جوع الجهل بطعام الوحي وامنهم من خوف الضلال ببيان الهدى كانه تعالى يقول يا اهل مكة كنتم قبل بعث محمد تسمون جهال العرب ومن كان يناظركم كانوا يسمون اهل الكتاب ثم انزل الوحي عليكم وعلمتم الكتاب حتى صرتم الان تسمون اهل العلم والقران واولئك يسمون جهال اليهود والنصارى ثم الطعام الذي يكون غذاء الجسد يوجب الشكر فاطعام الطعام الذي هو غذاء الروح الا يكون موجبا للشكر وفي الاية سؤالات الاول لم يقل عن جوع عن خوف قلنا لان معنى عن ان جعل الجوع بعيدا عنهم وهذا يقتضي ان يكون ذلك البعيد مسبوقا بمقاساة الجوع زمانا ثم يصرفه عنه ومن لا يقتضي ذلك بل معناه انهم عندما يجوعون يطعمون وحين يخافون يؤمنون السؤال الثاني لم قال من جوع من خوف على سبيل التنكير الجواب من التنكير التعظيم اما الجوع فلما روينا انهم اصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة واما الخوف فهو الخوف الشديد الحاصل من اصحاب الفيل ويحتمل ان يكون المراد من التنكير التحقير ويحتمل ان يكون المعنى انه تعالى لما لم يجعل غاية كرامتهم في ذلك الجوع القليل والخوف القليل فكيف يجوز في كرمه لو عبدوه ان لا يطعمهم ويحتمل ان يكون المراد اطعمهم من جوع دون جوع وامنهم من خوف دون خوف ليكون الجوع الباقي والخوف الباقي مذكرا ما كانوا فيه انواعا من انواع الجوع والخوف حتى يكونوا شاكرين من وجه وصابرين من وجه اخر فيستحقوا ثواب الخصلتين السؤال الثالث انه تعالى لما اطعمهم وامنهم اجابة لدعوة ابرهيم عليه السلام اما في الاطعام فهو قوله تعالى وارزق اهله واما الامن فهو قوله تعالى اجعل هذا البلد امنا واذا كان كذلك كان ذلك منه على ابرهيم عليه السلام فكيف جعله منه ومن ذريتي على اولئك الحاضرين الجواب ان الله تعالى لما قال اني جاعلك للناس اماما قال ابرهيم ومن ذريتي فقال لا ينال عهدي الظالمين فتادب ابرهيم بهذا الادب حين قال اجعل هذا البلد امنا وارزق اهله من الثمرات من امن فقال الله لا حاجة الى هذا التقييد بل ومن كفر فامتعه قليلا فكانه تعالى قال اما نعمة الامامة فهي لمن فلا تحصل الا لمن كان تقيا واما نعمة الدنيا فهي تصل الى البر والفاجر والصالح والطالح واذا كان كذلك كان اطعام الكافر من الجوع وامانه من الخوف انعاما من الله ابتداء عليه لا لدعوة ابرهيم بذلك

**ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون** فيه مسايل الاولى

قال بعضهم ارايت بحذف الهمزة قال الزجاج وهذا ليس بالاختيار لان الهمزة انما طرحت من المستقبل نحو يرى واري وترى واما رايت فليس يصح عن العرب فيها ريت ولكن حرف الاستفهام لما كان في اول الكلام سهل القاء الهمزة ونظيره صاح هل ريت او سمعت براع رد في الضرع ما قرى في العلاب وقرا ابن مسعود ارايتك بزيادة حرف الخطاب كقوله تعالى ارايتك هذا الذي كرمت علي الثانية قوله تعالى ارايت معناه هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو فان لم تعرفه فهو الذي يدع اليتيم واعلم ان هذا اللفظ وان كان في صورة الاستفهام لكن الغرض مثله المبالغة في التعجب كقولك ارايت فلانا ماذا ارتكب ولماذا عرض نفسه ثم قيل انه خطاب للرسول عليه السلام وقيل بل خطاب لكل عاقل ارايت يا عاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلايله من غير غرض ولا لاجل الدنيا فكيف يليق بالعاقل ان يبيع الكثير بالقليل الثالث في الاية قولان احدهما انه مختص بشخص معين وعلى هذا القول ذكروا اشخاصا فقال ابن جريج نزلت في ابي سفيان كان ينحر جزورين في كل اسبوع فاتاه يتيم فساله لحما فقرعه بعصا وقال مقاتل نزلت في العاص بن وايل السهمي وكان من صفته الجمع بين التكذيب بيوم القيمة والاتيان بالافعال القبيحة وقال السدي نزلت في الوليد بن المغيرة وحكى الماوردي انها نزلت في ابي جهل وروي انه كان وصيا ليتيم فجاءه وهو عريان يساله شيا من مال نفسه فدفعه ولم يعبا به فايس الصبي فقالت له اكابر قريش قل لمحمد عليه السلام يشفع لك وكان مرادهم الاستهزاء ولم يعرف الصبي ذلك فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم والتمس منه ذلك وهو عليه السلام ما كان يرد محتاجا فذهب معه الى ابي جهل فقام ابو جهل ورحب به وبذل المال لليتيم فعيره قريش فقالوا صبوت فقال لا والله ما صبوت لكن رايت عن يمينه وعن يساره حربة خفت ان لم اجبه يطعنها في وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في منافق جمع بين البخل والمراياة والقول الثاني انه





لكل من كان مكذبا بيوم الدين وذلك لان الاقدام على الطاعات والاحجام عن المحظورات انما يكون للرغبة في الثواب والرهبة عن العقاب فاذا كان منكرا للقيامة لم يترك شيا من المشتهيات واللذات فثبت ان انكار القيامة الاصل لجميع انواع الكفر والمعاصي الرابعة في تفسير الدين وجوه احدها ان يكون المراد من يكذب بنفس الدين والاسلام اما لانه كان منكرا للصانع او لانه كان منكرا لاحد دين والجواب من وجوه احدها ان الدين عند الله الاسلام والدين المطلق في اصطلاح اهل الاسلام والقران هو الاسلام قال الله تعالى ان الدين عند الله الاسلام اما ساير المذاهب فلا تسمى دينا الا بضرب من التقييد كدين النصارى واليهود وثانيها ان يقال هذه المقالات الباطلة ليست بدين لان الدين هو الخضوع لله تعالى وهذه المذاهب انما هي خضوع للشهوة والشبهة وثالثها وهو قول اكثر المفسرين ان المراد ارايت بالحسنات ذا الجزاء وحمله على هذا الوجه اولى وثالثها وهو قول اكثر المفسرين لان من ينكر الاسلام قد ياتي بالافعال الحميدة ويحترز من قبايحها اذا كان مكذبا بالقيامة والبعث اما المقدم على كل قبيح من غير مبالاة فليس هو الا المنكر للبعث والقيامة فذلك يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين واعلم انه تعالى ذكر في تعريف من يكذب بالدين وصفين احدهما من باب الافعال وهو قوله تعالى فذلك الذي يدع اليتيم والثاني من باب التروك وهو قوله تعالى ولا يحض على طعام المسكين والفاء في قوله تعالى فذلك للتنبيه اي لما كان كافرا مكذبا كان كفره سببا لدع اليتيم وانما اقتصر عليهما لا على معنى ان الصادر عن مكذب بالدين ليس الا ذلك لانا نعلم ان المكذب بالدين لا يقتصر على هذين بل على سبيل التمثيل كانه تعالى ذكر من كل واحد من القسمين مثالا واحدا تنبيها بذكره على ساير القبايح او لاجل ان هاتين الخصلتين كانهما قبيحتان منكران بحسب المروة والانسانية اما قوله تعالى يدع اليتيم فالمعنى انه لا يدفعه بعنف وجفوة كقوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا وحاصل الامر في يدع اليتيم امور احدها دفعه عن حقه وماله بالظلم والثاني ترك المواساة معه وان لم تكن المواساة واجبة وقد يلزم المرء بترك النوافل لا سيما اذا استند الى التهاون وفي عدم الدين والثالث يزجره ويضربه ويستخف به وقرئ يدع اي يتركه ولا يدعوه مع الاجانب ويترك اليتيم مع انه عليه السلام قال ما من مايدة اعظم من مايدة عليها يتيم وقرئ يدعو اليتيم اي يدعوه رياء لا يطعمه ولا يعظمه وانما يدعوه استخداما او قهرا او استطالة واعلم ان في قوله يدع بالتشديد فايدة وهي ان يدع بالتشديد معناه انه معتاد ذلك فلا يتناول الوعيد من وجد منه ذلك وندم عليه ومنه قوله تعالى الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الا اللمم ذنب المومن لما لانه كالطيف والخيال يطرى ولا يستقر لان المومن كما يفرغ من الذنب يندم انما المكذب هو الذي يصر على الذنب اما قوله تعالى ولا يحض على طعام المسكين ففيه وجهان احدهما انه لا يحض نفسه على طعام المسكين واضافة الطعام الى المسكين يدل على ان ذلك حقه فكان ذلك دليلا على انه يمنع المسكين مما هو حقه وذلك يدل على نهاية بخله وقساوة قلبه وخساسة طبعه والثاني لا يحض غيره على طعام ذلك المسكين بسبب انه لا يعتقد في ذلك الفعل ثوابا والحاصل انه تعالى جعل علم التكذيب بالقيامة الاقدام على ايذا الضعيف ومنع المعروف يعني لو امن بالجزا وايقن بالوعيد لما صدر عنه ذلك فموضع الذنب هو التكذيب بالقيامة وههنا سؤالات الاول اليس قد لا يحض المرء في كثير من الاحوال ولا يكون اثما الجواب لان غيره ينوب منابه او لانه لا يقبل قوله او لمفسدة اخرى يتوقعها اما ههنا فذكر انه لا يفعل ذلك الا لانه مكذب بالدين الثاني لم يقل ولا يطعم المسكين الجواب اذا منع اليتيم عن حقه فكيف يطعم المسكين من مال نفسه بل هو بخيل من مال غيره وهذا هو النهاية في الخسة فلان يكون بخيلا بمال نفسه اولى وضده وتواصوا بالمرحمة في مدح المومنين وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ثم قال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون وفيه مسايل الاولى في كيفية اتصال هذه الاية بما قبلها وجوه احدها انه لما دل ايذاء اليتيم والمنع من الاطعام كان دليلا على النفاق فالصلاة مع الخشوع والخضوع اولى ان يدل على النفاق لان الايذاء والمنع من النفع هو معاملة مع المخلوق اما الصلاة فانها خدمة للخالق وثانيها كانه لما ذكر ايذاء اليتيم وقوله لنحب والساير قال اليس ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فقال ويل له من هذه الصلاة كيف ما نهاه صلاته عن هذا الفعل وهي موضوعة من غير الرياء والسهو وثالثها كانه يقول اقدامه على ايذاء اليتيم وتركه للحث تقصير فيما يرجع الى الشفقة على خلق الله تعالى وسهوه في الصلاة تقصير فيما يرجع الى التعظيم لامر الله تعالى فلما وقع النقص في الامرين فقد كانت متفاوتة فلهذا قال تعالى فويل واعلم ان هذا اللفظ انما يستعمل عند الجريمة الشديدة كقوله تعالى ويل للمطففين وقوله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم وقوله تعالى ويل لكل همزة لمزة ويروى وكان كل احد ينوح في الدنيا بحسب جريمته فقايل يقول ويلي من حب الجاه واخر يقول ويلي من صلاتي فهذا يستحب عند سماع مثل هذه الاية ان يقول المرء ويلي ان لم يغفر لي الثانية الاية دالة على حصول التهديد العظيم بفعل امور ثلاثة احدها السهو عن الصلاة والثاني فعل المراياة وثالثها منع الماعون وكل ذلك من باب الذنوب ولا يصير المرء به منافقا فلم حكم الله تعالى بمثل هذا الوعيد على فاعل هذه الافعال ولاجل هذا الاشكال ذكر المفسرون فيه وجوها احدها ان قوله تعالى فويل للمصلين من المنافقين الذين ياتون بهذه الافعال وعلى هذا التقدير تدل الاية على ان الكفار لهم مزيد عقوبة بسبب اقدامهم على محظورات الشرع وتركهم واجبات الشرع وهو يدل على صحة قول الشافعي رحمة الله تعالى ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع وهذا هو المعتمد وثانيها ما رواه عطاء عن ابن

عباس رضي الله عنهما انه لو قال الله في صلاتهم ساهون لكان هذا الوعيد في المؤمنين لكنه قال عن صلاتهم ساهون
والساهي عن الصلاة هو الذي لا يتذكرها ويكون فارغا عنها وهذا القول ضعيف لان السهو عن الصلاة لا يجوز
ان يكون مفسرا لانه تعالى اثبت لهم الصلوة بقوله تعالى فويل للمصلين وايضا فالسهو عن الصلاة بمعنى الترك لا يكون
نفاقا ولا كفرا فيعود الاشكال ويمكن ان يجاب عن الاعتراض بانه تعالى حكم عليهم بكونهم مصلين نظرا الى الصورة وبانهم
نسوا الصلاة بالكلية نظرا الى المعنى كما قال تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله
الا قليلا ويجاب عن الاعتراض الثاني بان النسيان عن الصلاة هو ان يبقى ناسيا لذكر الله تعالى في جميع اجزاء
الصلاة وهذا لا يصدر الا عن المنافق الذي يعتقد انه لا فايدة في الصلاة اما المسلم الذي يعتقد فيها فايدة
دينية يمتنع ان لا يتذكر امر الله تعالى والثواب والعقاب في شيء من اجزاء الصلاة وهذا لا يصدر بل قد يحصل له
السهو في الصلاة بمعنى انه يصير ساهيا في بعض اجزاء الصلاة فثبت ان السهو في الصلاة من افعال المؤمن والسهو
عن الصلاة من افعال الكافر وثالثها ان يكون معنى ساهون اي لا يتعهدون اوقات صلاتهم ولا شرايطها
ومعناه انه لا يبالي سواء صلى او لم يصل وهو قول سعد بن ابي وقاص ومسروق والحسن الثالثة اختلفوا في سهو الرسول
عليه الصلاة والسلام في صلاته فقال كثير من العلماء انه عليه السلام ما سها لكن الله تعالى اذن له في ذلك الفعل
حتى يفعل ما يفعله الساهي فيصير ذلك بيانا لذلك الشرع بالفعل والبيان بالفعل اقوى ثم نقول على تقدير وقوع
السهو منه فالسهو على اقسام احدها سهو الرسول والصحابة وذلك يجبر تارة بسجود السهو وتارة بالسنن والنوافل
والاخر ما يكثر في الصلاة من الغفلة وعدم استحضار المعارف والنيات والاخر الترك كالى قضا والاخراج عن الوقت
ومن ذلك صلاة المنافق وهي شر من ترك الصلاة لانه يستهزئ بالدين بتلك الصلاة اما قوله تعالى الذين هم
يراؤون فاعلم ان الفرق بين المنافق والمرائي ان المنافق هو المظهر للايمان المبطن للكفر والمرائي المظهر في قلبه زيادة
خشوع ليعتقد فيه من يراه انه متدين ويقول المنافق لا يصلي سرا والمرائي تكون صلاته عند الناس احسن واعلم
انه يجب اظهار الفرايض من الصلاة والزكاة لانه شعاير الاسلام وتاركها مستحق اللعن فيجب نفي التهمة انما الاخفاء
في النوافل لمعتد به وعن بعضهم انه راى رجلا في المسجد سجد للشكر سجدة واطالها فقال ما احسن هذا لو كان في
بيتك لكن مع هذا قالوا لا يترك النوافل حيا ولا ياتي بها رياء وقلما يتيسر اجتناب الرياء ولهذا قال عليه السلام
الرياء اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على المسح الاسود فان قيل ما معنى المراياة قلنا هي مفاعلة من
الاراءة لان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه بالثناء والاعجاب به واعلم ان قوله تعالى عن صلاتهم ساهون
يفيد امرين اخراجها عن الوقت وكون الانسان غافلا فيها فقوله تعالى الذين يراؤون يفيد المراياة فظهر ان الصلاة
يجب ان تكون خالية عن هذه الاحوال الثلاثة ثم لما شرح امر الصلاة اعقبه بذكر الزكاة فقال ويمنعون الماعون
وفيه اقوال وهو قول ابي بكر وعلي وابن عباس وابن الحنفية وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة
والضحاك هو الزكاة وفي الحديث من قرا سورة ارايت غفر الله له ان كان للزكاة موديا وذلك يوهم ان الماعون هو الزكاة ولان
الله تعالى ذكر عقيب الصلاة فالظاهر ان يكون ذلك هو الزكاة والقول الثاني وهو قول اكثر المفسرين ان الماعون اسم لما يمنع في العادة ويساله
الفقير والغني وينسب مانعه الى سوء الخلق ولؤم الطبيعة كالفاس والقدر والدلو والمقدحة والغربال والقدوم ويدخل فيه الملح والماء
والنار فانه روي ثلاثة لا يحل منعها الماء والنار والملح ومن ذلك ان يلتمس ان يخبز في تنوره او يضع متاعه عنده يوما او نصف يوم
واصحاب هذا القول قالوا الماعون فاعول من المعن وهو الشيء القليل ومنه ماله سعنة ولا معنة اي كثير وقليل وسميت الزكاة ماعونا لانه يوخذ
من المال ربع العشر وهو قليل من كثير وسمي ما يستعار في العرف كالفاس والشفرة ماعونا وعلى هذا التقدير يكون معنى الاية الزجر
عن البخل بهذه الاشياء القليلة فان البخل بها يكون في نهاية الدناءة والركالة والمنافقون كانوا كذلك كقوله تعالى الذين يبخلون ويامرون
الناس بالبخل وقال تعالى مناع للخير معتد اثيم وقال العلماء ومن الفضايل ان يستكثر الرجل في منزله ما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم
ذلك ولا يقتصر على الواجب القول الثالث قال الفراء سمعت بعض العرب يقول الماعون هو الماء وانشد فيه يمج صبيره الماعون مجا
ولعله خصه بذلك لانه اعز مفقود وارخص موجود واول شيء يساله اهل النار الماء كما قال تعالى ان افيضوا علينا من الماء واول
لذة يجدها اهل الجنة هي الماء لقوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا القول الرابع الماعون حسن الانقياد يقال رض بعيرك حتى
يعطيك الماعون اي حتى يعطيك الطاعة واعلم ان الاولى ان يحمل على كل طاعة يخف فعلها لانه اكثر فايدة ثم قال المحققون في [illegible]
بين قوله تعالى يراؤون وبين قوله تعالى ويمنعون الماعون كانه تعالى قال تصلي الصلاة لي والماعون للخلق فما يجب جعله
لي يعرضونه على الخلق وما هو حق الخلق يسترونه عنهم وكانه لا يعامل الخلق والرب الا على العكس فان قيل لم يذكر الله
تعالى اسم الكافر بعينه فان قلت للستر عليه قلت فلم لم يستر على ادم بل قال وعصى ادم ربه فغوى والجواب انه تعالى ذكر ذلك
لكن بعد موته مقرونا بالتوبة ليكون لطفا بالولد وانه اخرج من الجنة بسبب الصغيرة فكيف يطمعون في الدخول
مع الكبيرة وايضا فان وصف تلك الزلة الواحدة دفعة له فانه رجل لم يصدر عنه سوى تلك الزلة الواحدة ثم تاب
عنها مثل هذه التوبة ولنختم تفسير هذه السورة بالدعاء صفة محمد صلى الله عليه وسلم فنحن وان لم نصل في الطاعة الى محمد
صلى الله عليه وسلم والى اصحابه لم نصل في الافعال القبيحة الى هؤلاء المنافقين فاعف عنا بفضلك يا ارحم الراحمين

اللهم



اللهم صل على محمد في الاولين وصل على محمد في الاخرين وصل على محمد في الملا الاعلى
الى يوم الدين امين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

**انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر** اعلم ان هذه السورة على اختصارها
فيها لطايف احدها ان هذه السورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وذلك لان في السورة المتقدمة وصف
الله تعالى المنافقين باموراربعة اولها البخل وهو المراد بقوله تعالى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين
والثاني وهو ترك الصلاة وهو المراد من قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون والثالث الرياء في الصلوة
وهو المراد من قوله تعالى الذين هم يراؤون والرابع المنع من الزكاة وهو المراد من قوله تعالى ويمنعون الماعون فذكر
في هذه السورة في مقابلة تلك الصفات الاربعة صفات اربعة فذكر في مقابلة البخل انا اعطيناك الكوثر اي
اعطيناك الكثير فاعط الكثير وذكر في مقابلة الذين هم عن صلاتهم ساهون قوله تعالى فصل اي دم على الصلاة
وذكر في مقابلة الذين هم يراؤون قوله تعالى فصل لربك اي ائت بالصلاة لرضاء ربك لا لمراياة الناس وذكر في مقابلة
ويمنعون الماعون اما قوله تعالى وانحر اراد به التصدق بلحم الاضاحي فاعتبر هذه المناسبة العجيبة ثم ختم السورة
بقوله تعالى ان شانئك هو الابتر اي المنافق الذي ياتي بتلك الافعال القبيحة المذكورة في تلك السورة سيموت
ولا يبقى من دنياه اثر ولا خبر واما انت فيبقى لك في الدنيا الذكر الجميل وفي الاخرة الثواب الجزيل والوجه الثاني
في لطايف هذه السورة ان السالكين الى الله تعالى لهم ثلاث درجات اعلاها ان يكونوا مستغرقين بقلوبهم وارواحهم
في نور جلال الله تعالى وثانيها ان يكونوا مستغلين بالطاعات والعبادات البدنية وثالثها ان يكونوا في
مقام منع النفس عن الانصباب الى اللذات المحسوسة والشهوات العاجلة فقوله تعالى انا اعطيناك الكوثر
اشارة الى المقام الاول وهو كون روحه القدسية متميزة عن ساير الارواح البشرية بالكم والكيف اما بالكم
فلانها اكثر مقدمات واما بالكيف فلانها اسرع انتقالا من تلك المقدمات الى النتايج من ساير الارواح واما
قوله تعالى فصل لربك فهو اشارة الى المرتبة الثانية وهو الاشتغال بالعبادات البدنية واما قوله تعالى
وانحر فهو اشارة الى المرتبة الثالثة فان منع النفس عن اللذات العاجلة يجري مجرى النحر والذبح ثم قال تعالى
ان شانئك هو الابتر ومعناه ان النفس التي تدعوك الى طلب هذه المحسوسات العاجلة انها دابرة فانية
وانما الباقيات الصالحات خير عند ربك وهي السعادات الروحانية والمعارف الربانية التي هي باقية ابدية
ولنشرع الان في التفسير ان شاء الله تعالى اما قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر اعلم ان فيه فوايد الاولى
انها كالمتمم لما قبله من السورة فلان الله تعالى جعل سورة والضحى في مدح محمد صلى الله عليه وسلم وتفصيل
احواله فذكر في اول السورة ثلاثة اشياء تتعلق بنبوته اولها قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى وثانيها
قوله تعالى وللاخرة خير لك من الاولى وثالثها قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم ختم هذه السورة بذكر
ثلاثة احوال من احواله فيما يتعلق بالدنيا وهي قوله تعالى الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا فهدى
ووجدك عايلا فاغنى ثم ذكر في سورة الم نشرح انه شرفه بثلاثة اشيا اولها قوله تعالى الم نشرح لك
صدرك وثانيها ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وثالثها قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك
ثم انه تعالى شرفه في سورة والتين بثلاثة انواع من التشريف اولها انه اقسم ببلده في قوله تعالى وهذا
البلد الامين وثانيها انه اخبر عن خلاص امته من النار وهو قوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وثالثها وصولهم الى الثواب وهو قوله تعالى فلهم اجر غير ممنون ثم شرفه في سورة اقرا بثلاثة انواع
من التشريفات اولها قوله تعالى اقرا باسم ربك اي اقرا القران على الخلق مستفتحا باسم ربك وثانيها
انه قهر خصمه بقوله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية وثالثها انه تعالى خصه بالقربة التامة
بقوله تعالى واسجد واقترب ثم شرفه في سورة القدر بليلة القدر التي لها ثلاثة انواع من الفضيلة
اولها كونها خير من الف شهر وثانيها نزول الملايكة والروح فيها وثالثها كونها سلاما حتى مطلع
الفجر ثم شرفه في سورة لم يكن بان شرف امته بثلاث تشريفات اولها انهم خير البرية وثانيها
جزاوهم عند ربهم وثالثها رضي الله عنهم ورضوا عنه ثم شرف في سورة اذا زلزلت بثلاث تشريفات
اولها قوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها وذلك يقتضي ان الارض تشهد لامته في القيامة
بالطاعة والعبودية وثانيها قوله تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم وذلك يدل على انه
تعرض عليهم طاعاتهم فيحصل فيهم الفرح والسرور وثالثها قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومونة
الله تعالى لاشك انها اعظم من كل عظيم فلا بد وان يصلوا الى ثوابها ثم شرفه في سورة والعاديات

والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا ثم شرف امته في سورة القارعة بامور ثلاثة اولها
قوله تعالى فمن ثقلت موازينه وثانيها قوله تعالى فهو في عيشة راضية وثالثها انهم يرون اعداهم في نار
حامية ثم شرفه في سورة الهاكم بان بين المعرضين عن دينه وشرعه يصيرون معذبين من ثلاثة اوجه اولها
انهم يرون الجحيم وثانيها انهم يرونها عين اليقين وثالثها انهم يسئلون عن النعيم ثم شرف امته في سورة العصر
بامور ثلاثة اولها الايمان قوله تعالى الا الذين امنوا وثانيها وعملوا الصالحات وثالثها ارشاد الخلق
الى الاعمال الصالحات وهي التواصي بالحق والتواصي بالصبر ثم شرفه في سورة الهمزة بان ذكران من همزه
ولمزه فله ثلاثة انواع من العذاب اولها بان لا ينتفع من دنياه البته وهو قوله تعالى يحسب ان ماله
اخلده كلا وثانيها انه ينبذ في الحطمة وثالثها انه تغلق عليه تلك الابواب حتى لا يطمع في الخروج
وهو قوله تعالى عليهم نار موصدة ثم شرفه في سورة الفيل بان رد كيد اعدايه في نحرهم من ثلاثة اوجه اولها
جعل كيدهم في تضليل وثانيها ارسل عليهم طيرا ابابيل وثالثها قوله تعالى فجعلهم كعصف ماكول ثم شرفه في سورة
قريش بان راعى مصلحة اسلافه من ثلاثة اوجه اولها جعلهم مؤتلفين متوافقين لايلاف قريش وثانيها اطعمهم من
جوع وثالثها امنهم من خوف وشرفه في سورة الماعون بان وصف المكذبين بدينه بثلاثة انواع من الصفات المذمومة اولها
الدناءة واللوم وهو قوله تعالى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين وثانيها ترك تعظيم الخالق بقوله تعالى عن صلاتهم
ساهون الذين هم يراؤن وثالثها ترك انتفاع الخلق ويمنعون الماعون ثم انه سبحانه وتعالى لما شرفه في هذه السورة
من هذه الوجوه العظيمة قال بعدها انا اعطيناك الكوثر اعطيناك هذه المناقب المتكاثرة المذكورة في هذه السور المتقدمة
التي كل واحدة منها اعظم من الدنيا بحذافيرها فاشتغل انت بعبادة هذا الرب وبارشاد عباده الى ما هو الاصلح لهم اما بعبادة
البدن واما بالنفس وهو قوله تعالى فصل لربك واما بالمال وهو قوله تعالى وانحر واما بارشاد عباده الى ما هو الاصلح
لهم في دينهم ودنياهم وهو قوله تعالى يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون فثبت ان هذه السورة كالتتمة
لما قبلها من السور واما انها كالاصل لما بعدها فهو انه تعالى يامره بعد هذه بان يكفر جميع اهل الدنيا
بقوله تعالى قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ومعلوم ان عشق الناس على مذاهبهم واديانهم اشد من عشقهم
على ازواجهم واموالهم وذلك انهم يبذلون ازواجهم واموالهم في نصرة اديانهم فلا جرم كان الطعن في مذاهب
اهل الناس يثير من العداوة والغضب ما لا يثير ساير المطاعن فلما امره بان يكفر جميع اهل الدنيا ويبطل اديانهم
لزم ان يصير جميع اهل الدنيا في غاية العداوة وذلك مما يحترز عنه كل احد من الخلق ولا يكاد يقدم عليه وانظر
الى موسى عليه السلام كيف كان يخاف من فرعون وعسكره واما هاهنا فان محمدا لما كان مبعوثا الى جميع اهل الدنيا
كان كل واحد من الخلق كفرعون بالنسبة اليه فدبر تعالى بازالة هذا الخوف الشديد بتدبير لطيف وهو انه
قدم هذه السورة على هذه السورة فان قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر يزيل عنه ذلك الخوف من وجوه احدها
ان قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر اي الخير الكثير في الدين والدنيا فيكون ذلك وعدا من الله اياه بالنصرة
والحفظ وهو كقوله تعالى حسبك الله والله يعصمك من الناس وقوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله
وكان الله ضامنا لحفظه فلا ينبغي له ان يخشى احدا وثانيها انه تعالى لما قال انا اعطيناك الكوثر وهذا اللفظ
يتناول خيرات الدنيا وخيرات الاخرة وان خيرات الدنيا ما كانت واصلة اليه حين كان بمكة والخلف
في كلام الله تعالى محال فوجب في حكمة الله ابقاؤه [illegible] الدنيا الى حيث تصل اليه تلك الخيرات فكان ذلك
كالبشارة له والوعد بانهم لا يقتلونه ولا يقهرونه [illegible] تصل اليه مكرهم بل يصير امره كل يوم في ازدياد وقوة
وثالثها انه عليه السلام لما كفر وزيف اديانهم ودعاهم الى الايمان اجتمعوا عنده وقالوا ان كنت تفعل هذا طلبا
للمال فنعطيك من المال ما تصير به اغنى الناس وان كان مطلوبك الزوجة فنزوجك اكرم نسائنا وان كان مطلوبك
الرياسة فنحن نجعلك رئيسا على انفسنا فقال الله تعالى انا اعطيناك الكوثر اي لما اعطاك خالق السموات
والارض خير الدنيا والاخرة فلا تغتر بمالهم ومراعاتهم ورابعها ان قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر يقتضي
ان الله تعالى تكلم معه بلا واسطة فهذا يقوم مقام قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما بل هذا اشرف لان المولى
اذا شافه عبده بالتزام التربية والاحسان كان ذلك اعلى مما شافهه في غيره وفي هذا المعنى ما يفيد
قوة القلب ويزيل الجبن عن نفسه فثبت ان مخاطبة الله تعالى اياه بقوله تعالى انا اعطيناك الكوثر مما يزيل
الخوف عن قلبك والجبن عن نفسك فقدم هذه السورة على سورة قوله تعالى قل يا ايها الكافرون حتى يمكنه
الاشتغال بذلك التكليف الشاق والاقدام على تكفير جميع العالم واظهار البراءة عن معبودهم ودينهم ثم انه
تعالى ذكر بعد سورة قل يا ايها الكافرون سورة اذا جاء نصر الله كانه تعالى يقول وعدتك بالكوثر ولا تم
امرك بابطال اديانهم والبراءة عن معبودهم فلما امتثلت امري انظر كيف انجزت ذلك الوعد فاعطيتك كثرة الاتباع
والاشياع بان اهل الدنيا يدخلون في دين الله افواجا ثم انه لما تم امر الدعوة واظهار الشريعة شرع في بيان ما يتعلق
باحوال القلب والباطن وذلك لان الطالب اما ان يكون طلبه مقصورا على الدنيا او يكون طالب الاخرة اما طالب

الدنيا



الدنيا فليس له الا الخسار والذل والهوان ثم يكون مصيره الى النار وهو المراد من سورة تبت واما طالب الاخرة فاعظم
احواله ان تصير نفسه كالمراة التي ينتقش فيها صور الموجودات وقد ثبت في العلوم العقلية ان طريق الخلق في معرفة الصانع
على وصفين منهم من قال نعرف الصانع ثم يتوسل بمعرفته الى معرفة مخلوقاته وهذا هو الطريق الاشرف الاعلى ومنهم من
عكس وهو طريق الجمهور ثم انه تعالى ختم كتابه الكريم بتلك الطريقة التي هي اشرف الطريقتين فبدا بذكر صفات الله تعالى
وشرح جلال الله تعالى وهو سورة قل هو الله احد ثم اتبعه بذكر مراتب مخلوقاته في سورة قل اعوذ برب الفلق
النفس الانسانية وعند ذلك ختم الكتاب وهذه الجملة انما يتضح تفصيلها عند تفسير هذه السورة على التفصيل
فسبحان من ارشد العقول الى معرفة هذه الاسرار الشريفة المودعة في كتابه الكريم الفايدة الثانية في قوله تعالى
انا اعطيناك هي ان كلمة انا تارة يراد بها الجمع وتارة يراد بها التعظيم اما الاول فقد دل الدليل على ان الاله واحد فلا يمكن
حمله على الجمع الا اذا اريد ان هذه العطية ليس مما يسعى في تحصيلها الملايكة وجبريل وميكايل والانبياء المتقدمين
فانظر حين سال ابراهيم عليه السلام ان سالك فقال تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال موسى رب اجعلني
من امة محمد وهو المراد بقوله تعالى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا اذ قضينا الى موسى الامر وبشر بك المسيح
في قوله تعالى ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد واما الثاني وهو ان يكون ذلك محمولا على التعظيم ففيه تنبيه
على عظمة العطية لان الواهب هو جبار السموات والارض والموهوب منه هو المشار اليه فكان الخطاب في قوله تعالى
انا اعطيناك الكوثر والهبة هي الشيء المسمى بالكوثر وهو ما يفيد المبالغة في الكثرة ولما اشعر اللفظ بعظم الواهب والموهوب منه
فيا لها من نعمة ما اعظمها وما اجلها ويا له من تشريف ما اعلاه الفايدة الثالثة ان الهدية وان كانت قليلة لكنها
بسبب كونها واصلة من المهدي العظيم تصير عظيمة ولذلك فان الملك العظيم اذا رمى تفاحة الى بعض عبيده على سبيل
الاكرام يعد ذلك اكراما لان تلك الهدية في نفسها عظيمة لان صدورها من المهدي العظيم يوجب كونها عظيمة
فها هنا الكوثر وان كان في نفسه في غاية الكثرة لكنها بسبب صدورها من ملك الخلايق تزداد عظمة
وكمالا الفايدة الرابعة انه لما قال اعطيناك قرن به قرينة دالة على انه لا يسترجعها وذلك لان من مذهب
ابي حنيفة رضي الله عنه انه لا يجوز للاجنبي ان يسترجع ما وهبه فان اخذ عوضا عنه وان قل لم يجز له في ذلك الرجوع
لان من وهب شيئا يساوي الف دينار انسانا ثم طلب منه مشطا يساوي فلسا فاعطاه اياه سقط حق الرجوع
فها هنا لما قال انا اعطيناك الكوثر طلب منه الصلوة والنحر وفايدته اسقاط حق الرجوع الفايدة الخامسة
انه بنى الفعل على المبتدا وذلك يفيد التاكيد والدليل على ذلك انك لما ذكرت الاسم المحدث عنه عرف العقل بانه
يخبر عنه بامر فيصير مشتاقا الى معرفة ما يخبر عنه فاذا ذكر ذلك الخبر قبله قبول العاشق لمعشوقه فيكون ابلغ في التحقيق
ونفي الشبهة ومن ها هنا تعرف الفخامة في قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار فانه اكثر فخامة مما لو قال فان الابصار لا تعمى
ومما يحقق قولنا ان الملك العظيم لمن بعده ويضمن له انا اعطيك انا اكفيك انا اقوم بامرك وذلك اذا كان الموعود به
امرا عظيما فلا يقع المسامحة به لعظمه تورث الشك في الوفاء به فاذا اسند الى المتكفل العظيم فحينئذ يزول
ذلك الشك وهذه الاية من هذا الباب لان الكوثر شيء عظيم فلما وقعت المسامحة قدم المبتدا وهو قوله انا فصار
ذلك الاسناد مزيلا لذلك الشك ودافعا لتلك التهمة السادسة انه تعالى صدر الجملة بحرف التوكيد الجاري مجرى
القسم وكلام الصادق مصون عن الحلف فكيف اذا بالغ في التوكيد السابعة قال اعطيناك ولم يقل سنعطيك لان
قوله تعالى اعطيناك يدل على هذا الاعطاء انه كان حاصلا في الماضي وهذا فيه انواع من الفوايد احدها ان
كان في الزمن الماضي ابدا عزيزا مرعي الجانب مقضي الحاجة اشرف ممن سيصير كذلك ولهذا قال عليه السلام
كنت نبيا وادم بين الماء والطين وثانيها انه اشارة الى ان حكم الله بالاسعاد والاشقاء والاغناء والافقار
ليس امرا يحدث الان بل كان حاصلا في الازل وثالثها كانه انا قد هيانا اسباب سعادتك قبل دخولك في الوجود
فكيف نهمل امرك بعد وجودك واشتغالك بالعبودية ورابعها كانه يقول نحن ما اخترناك وما فضلناك
لاجل طاعتك والا كان يجب ان نعطيك الا بعد اقدامك على الطاعة بل انما اخترناك لمجرد الفضل
والاحسان منا اليك من غير موجب وهو اشارة الى قوله عليه السلام قبل من قبل لا لعلة ورد من رد
لا لعلة الثامنة قال اعطيناك ولم يقل اعطينا الرسول او النبي او العالم او المطيع لانه لو قال ذلك
لاشعر ان تلك العطية وقعت معللة بذلك الوصف فلما قال اعطيناك علم ان تلك العطية غير معللة
بعلة اصلا بل هي محض الاختيار والمشية كما قال تعالى نحن قسمنا وقوله تعالى الله يصطفي من الملايكة رسلا
ومن الناس التاسعة قال اولا انا اعطيناك ثم قال تعالى ثانيا فصل لربك وانحر فهذا يدل على ان اعطاءه التوفيق
والاشارة سابقة على طاعتنا وكيف لا يكون ذلك واعطاؤه ايانا صفته وطاعتنا له صفتنا وصفة الخلق
لا تكون موثرة في صفات الخالق انما المؤثر هو صفة الخالق في صفة الخلق ولهذا نقل عن الواسطي انه قال لا اعبد
ربا يرضيه طاعتي ويسخطه معصيتي ومعناه ان رضاه وسخطه قديمان وطاعتي ومعصيتي محدثان والمحدث
لا اثر له في القديم بل رضاه عن العبد هو الذي حمله على طاعته والاسراف وكذا القول في السخط والمعصية

العاشرة قال اعطيناك الكوثر والسبب فيه امران الاول ان الايتان يحتمل ان يكون واجبا وان يكون تفضلا واما الاعطاء
فانه بالتفضل اشبه بقوله تعالى انا اعطيناك الكوثر اى هذه الخيرات الكثيرة وهى الاسلام والقران والنبوة والذكر الجميل
فى الدنيا والاخرة محض التفضل منا اليك وليس فيه شى على سبيل الاستحقاق والوجوب وفيه بشارة من وجهين
احدهما ان الكريم اذا شرع فى التربيه على سبيل التفضل فالظاهر انه لا يبطلها بل كل يوم يزيد فيها الثانى ان ما يكون بسبب
الاستحقاق فانه يتقدر بقدر الاستحقاق وفعل العبد متناه فيكون الاستحقاق الحاصل بسببه متناهيه اما
التفضل فانه نتيجة كرم الله تعالى وكرم الله تعالى غير متناهية فيكون بالدوام والتزايد فان اليس قال اتيناك سبعا
من المثانى قلنا الجواب من وجهين الاول ان الاعطاء يوجب التمليك والملك بسبب الاختصاص والدليل عليه انه لما
قال سليمان عليه السلام هب لى ملكا فقال هذا عطاونا فامنن او امسك ولهذا السبب حمل الكوثر على الحوض قال
الايتية ايضا يكون اصنا فاله اما الايتاء فانه لا يفيد الملك فلهذا قال فى القران اتيناك فانه لا يجوز للنبى ان يملك
شيا منه الثانى ان الشركة فى القران شركة فى العلوم ولا عيب فيها اما الشركة فى النهر فهى شركة فى الاعيان وهى عيب
الوجه الثانى بيانه ان الاعطاء البق بهذا المقام من الايتاء وهو ان الاعطاء يستعمل فى القليل والكثير قال الله تعالى
اعطى قليلا واكدى اما الايتاء فلا يستعمل الا فى الشى العظيم قال الله تعالى واتاه الله الملك وقال تعالى ولقد اتينا
داود منا فضلا والايتى السبيل المنتصب اذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر يفيد تعظيم حاله محمد
صلى الله عليه وسلم من وجوه احدها يعنى هذا الحوض كالشى القليل الحقير بالنسبة الى ما هو مدخر لك من الدرجات العالية
والمراتب الشريفة فهو يسمى البشارة باشيا هى اعظم من هذا المذكور وثانيها ان الكوثر اشارة الى الماء كانه تعالى
يقول الماء فى الدنيا دون الطعام فان كان نعيم الدنيا كوثرا فكيف ساير النعم وثالثها ان نعيم الماء اعطاء ونعيم الجنة
ايتاء ورابعها انه تعالى كانه يقول هذا الذى اعطيتك وان كان كوثرا لكنه فى حقك اعطا لا ايتاء لانه دون ذلك
وفى العادة ان المهدى له اذا كان عظيما فالهدية وان كانت عظيمة الا انه يقال انها حقيرة اى هى حقيرة بالنسبة
الى عظمة المهدى له فكذا هاهنا وخامسها ان يقول تعالى فيما اعطاه من الكوثر اعطيناك لانه دنيا والقران
اتيناك لانه دين وسادسها كانه يقول اجمع ما نلت منى عطية وان كانت كوثرا الا ان الاعظم من ذلك الكوثر ان تبقى
مظفرا وبيعنها بترا فلنا اعطيناك بالتقدمة هذا الكوثر اما الذكر الباقى والظفر على العدو فغدا بجد اعطاؤه الا بعد تقديم
الطاعة منك فصل وانحر اى اعبد لى وسل الظفر بعد العبادة فانى اوجبت على كرمى ان بعد كل فريضة دعوة مستجابة
كذا روى فى الحديث المسند استجيب فيصير خصمك ابتر وهو الابتر فهذا ما يخطر بالبال فى تفسير قوله تعالى انا اعطيناك
الكوثر اما الكوثر فهو فى اللغة فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة ويقال للرجل الكثير العطا كوثر قال الكميت
وانت كثير يا ابن مروان طيب وكان ابوك ابن العقايل كوثرا ويقال للغبار اذا سطع وكثر كوثرا هذا معنى الكوثر فى اللغة
واختلف المفسرون على وجوه الاول وهو المشهور والمستفيض عند السلف والخلف انه نهر فى الجنة روى انس عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال رايت نهرا فى الجنة حافتاه قباب اللولو المجوف فضربت بيدى الى مجرى الماء فاذا انا بمسك اذفر فقلت
ما هو فقيل هو الكوثر الذى اعطاك الله تعالى وفى رواية انس ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
فيه طيور خضر لها اعناق كاعناق البخت من اكل من ذلك الطير وشرب من ذلك الماء فاز برضوان الله تعالى
وتسميته بذلك النهر كوثرا اما لانه اكثر انهار الجنة ماء وخيرا ولانه تنفجر منه انهار الجنة كما روى انه ما فى الجنة
بستان الا وفيه من الكوثر نهر جارى او لكثرة الذين يشربون منها او لكثرة ما فيها من المنافع على ما قال عليه السلام
انه نهر وعدنيه ربى فيه خير كثير القول الثانى انه حوض والاخبار فيه مشهورة ووجه التوفيق بين هذا القول والقول
الاول انه يعنى لعل ينصب فى الحوض النهر او الانهار انما تسيل من ذلك الحوض فيكون ذلك الحوض كالينبوع القول الثالث
الكوثر اولاده قالوا لان هذه السورة انما نزلت ردا على من عابه عليه السلام بعدم الاولاد فالمعنى انه يعطيه
نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت ثم العالم ممتلى منهم ولم يبق من بنى امية فى الدنيا احد يعبا به
ثم انظر كم كان منهم من الاكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضى والنفس الزكية وامثالهم القول الرابع
الكوثر علماء امته وهو لعمرى الخير الكثير لانهم كانبياء بنى اسرايل يحيون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وينشرون اثار دينه واعلام شرعه ووجه التشبيه ان الانبياء كانوا متفقين فى اصول معرفة الله تعالى
مختلفين فى الشريعة رحمة على الخلق ليصل كل احد الى ما هو صلاحه كذا علماء امته متفقون باسرهم على اصول
شرعه لكنهم مختلفون فى فروع الشريعة رحمة على الخلق ثم الفضيلة من وجهين احدهما انه يروى انه يجاء
يوم القيمة بكل نبى ويتبعه امته ثم يجى الرسول ومعه الرجل والرجلان ويجاء بكل عالم من علماء امته ومعه
الالوف الكثيرة فيجتمعون عند الرسول فربما يزيد عدد متبعى بعض العلماء على عدد متبعى بعض العلماء من الوف
الانبياء الوجه الثانى انهم كانوا مصيبين لاتباعهم النصوص الماخوذة من الوحى وعلماء هذه الامة يكونون
مصيبين مع كثرة الاستنباط والاجتهاد او على قول البعض ان كان بعضهم مخطيا لكن المخطى يكون ايضا
ماجورا القول الخامس الكوثر هو النبوة ولا شك انها الخير الكثير لانها هى المنزلة التى هى ثانية الربوبية ولهذا



قال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وهى شطر الايمان بل هى كالبعض فى معرفة الله تعالى لان معرفة النبوة
لا بد وان يتقدمها معرفة ذات الله تعالى وعلمه وقدرته وارادته وحكمته ثم اذا حصلت النبوة فحينئذ
نستفاد منها معرفة بقية الصفات كالسمع والبصر والصفات الخبرية والوحدانية على قول بعضهم ثم لرسولنا
الحظ الاوفر من هذه المنقبة لانه المذكور قبل ساير الانبيا والمبعوث بعدهم ثم هو مبعوث الى الثقلين
وهو الذى عبر علب كل الانبيا ولا يجوز ورود الشرع على شخصه وفضايله اكثر من ان يعد ويحصى ولنذكر
هاهنا منها فنقول ان كتاب ادم عليه السلام كان كلمات على ما قال تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات وكتاب
موسى كان صحيفة لقوله تعالى صحف ابرهيم وموسى اما كتاب محمد عليه السلام فانه كتاب مهيمن على الكل
قال تعالى ومهيمنا عليه وايضا فان ادم عليه السلام انما تحدى بالاسماء المشهودة انبئونى باسماء هولاء
ومحمد عليه الصلاة والسلام انما تحدى بالمنظوم قال لئن اجتمعت الانس والجن واما نوح عليه السلام
فان الله تعالى اكرمه بان امسك سفينته على الماء وفعل محمدا عليه الصلاة والسلام اعظم منه
روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان على شط ماء فوافقه عكرمة بن ابى جهل فقال له ان كنت صادقا
فادع ذلك الحجر الذى هو بالجانب الاخر فليسبح ولا يغرق فاشار الرسول عليه السلام اليه فانقلع الحجر
من مكانه وسبح حتى صار بين يدى الرسول عليه السلام وسلم عليه وشهد له بالرسالة فقال له النبى
صلى الله عليه وسلم يكفيك هذا قال مره فليرجع الى مكانه فامره النبى صلى الله عليه وسلم فرجع الى مكانه
واكرم ابرهيم عليه السلام فجعل النار عليه بردا وسلاما وفعل فى حق محمد صلى الله عليه وسلم اعظم من ذلك
عن محمد بن حاطب قال كنت طفلا فانصب القدر على من على النار فاحترق جلدى فحملتنى امى الى الرسول صلى الله
عليه وسلم وقالت هذا ابن حاطب احترق كما ترى فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم على جلدى ومسح بيده
على المحترق وقال اذهب الباس رب الناس فصرت صحيحا لا باس بى واكرم موسى عليه السلام بفلق البحر فى الارض واكرم
محمدا صلى الله عليه وسلم فقلق له القمر فوق السماء ثم انظر الى تفاوت ما بين السماء والارض وفجر له الماء
من الحجر وفجر لمحمد صلى الله عليه وسلم من اصابعه عيونا واكرم موسى عليه السلام بان ظلل بالغمام واكرم محمدا صلى الله
عليه وسلم بذلك وكان الغمام يظله واكرم موسى عليه السلام باليد البيضاء واكرم محمدا صلى الله عليه وسلم
باعظم من ذلك وهو القران العظيم الذى وصل نوره الى المشرق والمغرب وقلب موسى عليه السلام عصاه ثعبانا
ولما اراد ابو جهل ان يرمى النبى صلى الله عليه وسلم بالحجر راى على كتفيه ثعبانا فانصرف مرعوبا وسبحت الجبال
مع داود وسبحت الاحجار فى يده ويد اصحابه وكان داود عليه السلام اذا مسح الحديد لان وكان هو عليه السلام
لما مسح على الشاة الجرباء درت وكان داود عليه السلام مكرما بالطير المحشورة ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالبراق
واكرم عيسى عليه السلام باحياء الموتى واكرمه بجنس ذلك حين اضافته اليهود بالشاة المسمومة فلما وضع
اللقمة فى فمه اخبرته وابرا الاكمه والابرص وروى ان امراة معاذ بن عفرا اتته وكانت برصاء وشكت ذلك الى
الرسول صلى الله عليه وسلم فمسح عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فاذهب الله البرص حتى سقطت
حدوه الرجل يوما احد فرفعها وجاء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها الى مكانها وكان عيسى عليه السلام
يعرف ما يخفيه الناس فى بيوتهم والنبى عليه السلام عرف ما اخفاه عمه مع ام الفضل فاخبره فاسلم العباس
لذلك واما يوشع عليه السلام فان الله تعالى رد له الشمس مرة وفعل ذلك ايضا لعلى عليه السلام حين نام
وراسه فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم فانتبه وقد غربت الشمس فردها حين صلى وردها مرة اخرى لعلى فى يوم الخندق
وعلم سليمان عليه السلام منطق الطير وفعل ذلك فى حق محمد صلى الله عليه وسلم روى ان طيرا جعل يرفرف على
راسه ويكلمه ويقول انها تقول اخذ فرخها بولده فقال ردها انا فقال اردد ولدها وكلام الذئب معه مشهور واكرم سليمان
عليه السلام بمسيرة شهر واكرمه بالمسير الى بيت المقدس فى ساعة وكان حماره يعفور يرسله الى من يريد فيجى
ويحكوا اليه من عملها وانهم لا يقدرون عليها فذهب اليها فلما راته خضعت له وارسل معاذا
الى بعض النواحى فلما وصل الى المغيضة فاذا اسد جاثم فتح فاه له ولم يجسر ان يرجع فتقدم وقال انى رسول الله
فبصبص بذنبه وكما انقاد الجن لسليمان عليه السلام فكذا انقادوا لمحمد صلى الله عليه وسلم حين جاء الاعرابى
بالضب وقال لا اومن حتى يومن بك هذا الضب فتكلم الضب معترفا برسالته وحين كفل الظبية حتى ارسلها الاعرابى
رجعت بعد حتى اخرجته من الكفالة وحن الجذع لمفارقته وحين لسعت الحية عقب الصديق فى الغار قال كنت مشتاقا
منذ كذا سنين فلما حجبنى عنه واطعم الخلق الكثير من الطعام القليل ومعجزاته اكثر من ان تحصى فلما قدمه الله تعالى
على الذين اصطفاهم فقال تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فلما كانت رسالته كذلك
جاز ان يسميها الله تعالى كوثرا فقال تعالى انا اعطيناك الكوثر القول السادس الكوثر هو القران
وفضايله لا تحصى لقوله تعالى ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام وقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربى القول السابع الكوثر الاسلام وهو الخير الكثير وبه يحصل خير الدنيا والاخرة وبفواته يفوت

خير الدنيا والاخرة وكيف والاسلام عبارة عن المعرفة او الطاعة لابد فيه من المعرفة وقال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واذا
كان الاسلام خيرا كثيرا فهو الكوثر فان قيل لم خصه بالاسلام مع ان نعمة عمت الكل قلنا لان الاسلام وصل منه الى غيره فكان عليه
السلام هو الاصل فيه القول الثامن فيه الكوثر كثرة الاشياع والاتباع ولا شك ان له من الاتباع ما لا يحصيهم الا الله تعالى
روى انه عليه السلام قال انا دعوة خليل الله ابراهيم وانا بشرى عيسى وانا المقبول الشفاعة يوم القيمة فبينا انا
مع الانبيا اذ ظهر لنا امة من الناس فنبتدرهم بابصارنا ما منا من نبي الا وهو يرجو ان يكون امته فاذا هم غر
محجلون من اثار الوضوء فاقول امتي ورب الكعبة فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يظهر لنا مثل ما ظهر اولا فنبتدرهم
بابصارنا فما من نبي الا ويرجو ان يكون امته فاذا هم غر محجلون من اثار الوضوء فاقول امتي ورب الكعبة فيدخلون
الجنة بغير حساب ثم يرفع لنا ثلاثة امثال ما قد رفع فنبتدرهم بابصارنا وذكر كما ذكر في المرة الاولى والثانية ثم قال
ليدخلن ثلثماية فرقة من امتي قبل ان يدخلها احد من الناس ولهذا قال عليه السلام تناكحوا تناسلوا فاني
اباهي بكم الامم يوم القيمة ولو بالسقط فاذا كان يباهي بمن لم يبلغ حد التكليف فكيف بمثل هذا الجم الغفير فلا جرم
حسن منه تعالى ان يذكر هذه النعمة الجسيمة فقال تعالى انا اعطيناك الكوثر القول التاسع من الكوثر الفضايل
الكثيرة التي فيه فانه باتفاق الامة افضل من جميع الانبيا قال المفضل بن سلمة يقال رجل كوثر اذا كان سخيا كثير الخير
وفي الصحاح الكوثر السيد الكثير الخير فلما رزق محمد صلى الله عليه وسلم هذه الفضايل العظيمة حسن منه تعالى
ان يذكره تلك النعمة الجسيمة فقال تعالى انا اعطيناك الكوثر القول العاشر رفعة الذكر وقد مر في تفسير قوله تعالى
ورفعنا لك ذكرك القول الحادي عشر انه العلم قالوا وحمل الكوثر على هذا اولى لوجوه احدها ان العلم هو الخير الكثير
قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وامره بطلب العلم فقال تعالى وقل رب زدني علما وسمى
الحكمة كثيرا فقال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وثانيها اما ان نحمل الكوثر على نعم الاخرة او على نعم الدنيا
والاول غير جائز لانه قال اعطيناك الجنة سيعطيها الا انه اعطاها فوجب حمل الكوثر على ما وصل اليه في الدنيا واشرف
الامور الواصلة اليه في الدنيا العلم والنبوة داخلة في العلم فوجب حمل اللفظ على العلم وثالثها انه لما قال اعطيناك
الكوثر قال عقيبه فصل لربك وانحر والشيء الذي يكون متقدما على العبادة هو المعرفة ولذلك قال تعالى في سورة
النحل ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وقال في طه انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني فقدم في السورتين المعرفة
على العبادة ولان الفاء للتعقيب في قوله تعالى فصل تدل على ان اعطاء الكوثر كالموجب لهذه العبادة ومعلوم ان
الموجب للعبادة ليس الا العلم القول الثاني عشر ان الكوثر هو الخلق الحسن قالوا الانتفاع بالخلق الحسن عام ينتفع
به العالم والجاهل والبهيمة والعاقل فاما الانتفاع بالعلم فهو مختص بالعقلاء فكان نفع الخلق الحسن
اعم فوجب حمل الكوثر عليه ولقد كان عليه السلام لذلك كان للاجانب كالوالد يحل عقدهم ويكفي مهمهم
وبلغ حسن خلقه الى انهم لما كسروا سنه قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون الثالث عشر الكوثر هو
المقام المحمود الذي هو الشفاعة فقال تعالى في الدنيا وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال في الاخرة
شفاعتي لاهل الكباير من امتي وقال عليه السلام ان لكل نبي دعوة مستجابة واني اختبات دعوتي
شفاعة لامتي يوم القيمة الرابع عشر المراد من الكوثر هو هذه السورة قال وذلك لانها مع قصرها
وافية بجميع منافع الدنيا والاخرة وذلك لانها مشتملة على المعجز من وجوه اولها انا حملنا الكوثر على كثرة
الاتباع وعلى كثرة الاولاد وعدم انقطاع النسل كان هذا اخبارا عن الغيب وثالثها قوله تعالى ان شانئك
هو الابتر وكان الامر على ما اخبر فكان معجزا ورابعها انهم عجزوا عن معارضته مع صورة صغيرة
فتظهر وجوه الاعجاز بل وجه الاعجاز في كل القران انما تقرر به لانهم انما عجزوا عن معارضتها مع صغرها
فبان يعجزوا عن معارضة كل القران اولى ولما ظهر وجه الاعجاز فيها من هذه الوجوه فقد تقررت النبوة
واذا تقررت النبوة تقرر التوحيد ومعرفة الصانع وتقرير الدين والاسلام وتقرير ان القران كلام
الله تعالى واذا تقررت هذه الاشياء تقررت خيرات الدنيا والاخرة فهذه السورة جارية مجرى
النكتة المختصرة القوية الوافية باثبات جميع المقاصد وكانت صغيرة في الصورة كثيرة في المعنى ثم ان لها
خاصية ليست لغيرها وهي انها ثلاث ايات وقد بينا ان كل واحدة منها معجزا فهي بكل واحد من
اياتها معجز وبمجموعها معجز ولها خاصية لا توجد في سائر السور فيحتمل ان يكون المراد من الكوثر
هو هذه السورة القول الخامس عشر ان المراد من الكوثر جميع نعم الله تعالى على محمد صلى الله عليه السلام
وهو المنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما لان لفظ الكوثر يتناول الكثير فليس حمل هذه
الاية على بعض هذه النعم اولى من حملها على الباقي فوجب حملها على الكل روي ان ابن سعيد لما روى هذا
القول عن ابن عباس رضي الله عنهما قال له بعضهم ان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر
الذي في الجنة الخير الكثير اعطاه الله تعالى اياه قال بعض العلماء ظاهر قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر
يقتضي انه تعالى قد اعطاه ذلك الكوثر فيجب ان يكون الاقرب حمله على ما اتاه الله تعالى من النبوة والقران

والذكر



الذكر العظيم والنصر على الاعداء واما الحوض وسائر ما اعد له من الثواب فهو وان جاز ان يقال انه داخل فيه
لانه ما ثبت بحكم وعد الله فهو كالواقع الا ان الحقيقة ما قدمناه لان ذلك وان اعد له فلا يصح ان يقال على الحقيقة
انه اعطاه في حال نزول هذه السورة بمكة ويمكن ان يجاب عنه بان من اقر لولده الصغير بضيعة له يصح ان يقال
انه اعطاه تلك الضيعة مع ان الصبي في تلك الحال لا يكون اهلا للتصرف فما قوله تعالى فصل لربك وانحر في الاية مسائل
الاولى في قوله فصل وجوه الاول ان المراد بالامر هو الصلاة فان قيل الذي يليق عند النعمة الشكر فلم قال فصل ولم يقل فاشكر
الجواب من وجوه الاول ان الشكر عبارة عن التعظيم وله ثلاثة اركان احدها يتعلق بالقلب وهو ان يعلم ان تلك النعمة منه لا من
غيره والثاني باللسان وهو ان يمدحه والثالث بالعمل وهو ان يخدمه ويتواضع له والصلاة مشتملة على هذه المعاني
وعلى ما هو ازيد منها فالامر بالصلاة امر بالشكر وزيادة فكان الامر بالصلاة احسن وثانيها انه لو قال فاشكر
لكان ذلك يوهم انه ما كان شاكرا لكنه كان من اول امره عارفا بربه مطيعا له شاكرا لنعمه اما الصلاة فانه انما
عرفها بالوحي قال تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان الثالث في اول ما امره بالصلاة قال محمد عليه السلام كيف اصلي
ولست على الوضوء فقال الله تعالى انا اعطيناك الكوثر ثم ضرب بجناحه على الارض فنبع ماء الكوثر فتوضا فقيل له
عند ذلك فصل فاما اذا حملنا الكوثر على الرسالة فكانه قال اعطيناك الكوثر لتامر نفسك وسائر الخلق بالطاعة
واشرفها الصلوة فقال تعالى فصل لربك القول الثاني فصل لربك اي فاشكر لربك وهو قول مجاهد وعكرمة وعلى هذا
القول ذكر في فايدة قوله تعالى فصل وجهان احدهما ان الشكر على النعمة يجب على الفور لا على التراخي وثانيهما
ان المراد من فاء التعقيب ها هنا الاشارة الى ما قرره بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم انه خص
محمدا صلى الله عليه وسلم في هذا الباب بمزيد مبالغة بقوله تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ولانه قال تعالى
فاذا فرغت فانصب اي فعليك باخرى عقيب الاولى فكيف بعد وصول نعمتي اليك لا يجب عليك ان تشرع في الشكر
عقيب ذلك القول الثالث فصل اي فادع الله لان الصلاة هي الدعاء وفايدة الفاء على هذا التقدير كانه تعالى
يقول قبل سؤالك ودعائك ما بخلنا عليك بالكوثر فكيف بعد سؤالك لكن اسال تعطه واشفع تشفع وذلك
لانه ابدا كان في هم امته واعلم ان القول الاول اولى لانه اقرب الى عرف الشرع الثانية في قوله تعالى وانحر قولان
الاول وهو قول عامة المفسرين ان المراد هو نحر البدن والقول الثاني ان المراد بقوله تعالى وانحر فعل يتعلق
بالصلاة اما قبلها او فيها او بعدها ثم ذكروا فيه وجوها احدها قال الفرا معناها استقبل القبلة وروى الاصبغ
ابن نباتة عن علي رضي الله تعالى عنه قال لما نزلت هذه السورة قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام
ما هذه النحيرة التي امرني بها ربي قال ليس بنحيرة ولكن يامرك اذا تحرمت بالصلاة ان ترفع يديك اذا كبرت
واذا ركعت واذا رفعت راسك من الركوع واذا سجدت فانه صلاتنا وصلاة الملايكة الذين في السموات
السبع وان لكل شيء زينة وزينة الصلوة رفع الايدي عند كل تكبيرة وثالثها روى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
انه فسر هذا النحر بوضع اليدين على النحر في الصلوة وقال رفع اليدين قبل الصلوة عادة المستجير العايذ
ووضعها على النحر عادة الخاضع الخاشع ورابعها قال عطا معناه اقعد بين السجدتين حتى يبدو نحرك
وخامسها روى عن الضحاك وسليمان التيمي انه قال وانحر معناه ارفع يديك عقيب الى نحرك حال [illegible]
رحمه الله تعالى واصل هذه الاقوال كلها من النحر الذي هو في الصدر يقال ذبح البعير في النحر لانه منحره في صدره
حيث يبدو الحلقوم من اعلى الصدر فمعنى النحر في هذه المواضع هو اصابة النحر كما يقال راسه وبطنه
اذا اصاب ذلك منه واما قول الفرا انه عبارة عن استقبال القبلة فقال ابن الاعرابي النحر انتصاب الرجل
في الصلوة باذاء المحراب وهو ان ينصب نحره بازاء القبلة ولا يلتفت يمينا ولا شمالا قال الفرا منازلهم تتناحر اي تتقابل
مقابل وانشد ابا حكم هل انت عم مجالد وسيد اهل الابطح المتناحر والحكمة المعقولة فيه
كانه تعالى يقول الكعبة بيتي وهي قبلة صلاتك وقلبك قبلة رحمتي ونظر عنايتي فليكن القبلتان
للمناجي بين قال الاكثرون حمله على نحر البدن اولى لوجوه احدها وهو ان الله تعالى انه كلما ذكر الصلوة في كتابه
ذكر الزكاة بعدها وثانيها ان القوم كانوا يصلون وينحرون للاوثان فقيل له فصل وانحر لربك وثالثها
ان هذه الاشياء اداب الصلوة وابعاضها وكانت داخلة تحت قوله تعالى فصل لربك وانحر فوجب ان يكون
المراد من النحر غيرها لانه يبعد ان يعطف بعض الشيء على جميعه ورابعها ان قوله تعالى فصل اشارة الى التعظيم
لامر الله تعالى وقوله تعالى وانحر اشارة الى الشفقة على خلق الله تعالى وجملة العبودية لا تخرج عن هذين
الاصلين وخامسها ان استعمال لفظ النحر على نحر البدن اشهر من استعماله في ساير الوجوه المذكورة فيجب
حمل كلام الله عليه واذا ثبت هذا فنقول استدلت الحنفية على وجوب الاضحية بان الله تعالى امره بالنحر
ولا بد وان يكون قد فعله لان ترك الواجب عليه غير جائز واذا فعله النبي عليه السلام وجب علينا
فعله لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله تعالى فاتبعوني يحببكم الله واصحابنا قالوا الامر بالمتابعة مخصوص
لقوله ثلاث كتبت علي ولم يكتب عليكم الضحى والاضحى والوتر الثالثة اختلفوا في تفسير قوله تعالى فصل لربك

بالصلاة على الوجه الاول اراد اخلص لله الصلاة لانهم كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله تعالى فامره ان لا يصلي ولا ينحر
الا لله تعالى واحتج من جوز تاخير بيان المجمل بهذه الاية وذلك لانه تعالى امره بالصلاة مع انه ما بين كيفية الصلاة اجاب ابو مسلم
فقال اراد به الصلوة المفروضة اعني الخمس وانما لم يذكر الكيفية لان الكيفية كانت معلومة من قبل القول الثاني
اراد صلوة العيد والاضحية لانهم كانوا يقدمون الاضحية على الصلاة فنزلت هذه الاية قال المحققون هذا القول
ضعيف لان عطف الشيء على غيره بالواو لا يوجب الترتيب القول الثالث عن سعيد بن جبير صل الفجر بمزدلفة وانحر
بمنى والاقرب القول الاول لانه لا يجب اذا قرن ذكر النحر بالصلاة ان يحمل الصلاة على ما يقع يوم النحر الرابعة اللام
في قوله تعالى لربك فيها فوايد الاولى هذه اللام للصلاة كالروح للبدن فكما ان البدن من الفرق الى القدم انما
يكون حسنا ممدوحا اذا كان فيه روح اما اذا كان ميتا فيكون مرميا كذا الصلوة والركوع والسجود وان حسنت
في الصورة وطالت لكن لو لم يكن فيها لام لربك كانت ميتة مرمية وهو المراد من قوله لموسى عليه السلام اقم الصلوة
لذكري وقيل انه كانت صلاتهم ونحرهم للصنم فقيل لهم لتكن صلاتك ونحرك لله تعالى الفايدة الثانية كانه تعالى
يقول ذكرت في السورة المتقدمة انهم كانوا يصلون للمراياة فصل انت لا للرياء لكن على سبيل الاخلاص الخامسة
الفاء في قوله تعالى فصل تفيد سببية احدهما سببية العبادة كانه قيل بعد الانعام عليك يوجب عليك
الاشتغال بالعبودية الثاني سببية ترك المبالاة كانهم لما قالوا انك ابتر فقيل له انما انعمنا عليك بهذه النعم
الكثيرة فاشتغل انت بطاعتك ولا تبال بقولهم وهذيانهم واعلم انه لما كانت النعم الكثيرة محبوبة والفاء
في قوله تعالى فصل اقتضت كون الصلاة من لوازم تلك النعم لا جرم صارت الصلوة احب الاشيا الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال وجعلت قرة عيني في الصلوة ولقد صلى حتى تورمت قدماه فقيل له اليس قد غفر لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا اشارة الى انه يجب عليه الاشتغال بطاعته
بمقتضى الفاء في قوله تعالى فصل السادسة كان الاليق في الظاهر ان يقول انا اعطيناك الكوثر فصل لنا وانحر
لكنه ترك ذلك الى قوله تعالى فصل لربك لفوايد احدها ان وروده على طريق الالتفات من امهات ابواب الفصاحة
وثانيها ان صرف الكلام من المضمر الى المظهر يوجب نوع عظمة ومهابة ومنه قول الخلفاء لمن يخاطبونهم يامرك
امير المومنين وينهاك وثالثها ان قوله تعالى انا اعطيناك ليس في صريح لفظه ان هذا القايل هو الله
تعالى او غيره وايضا كلمة انا تحتمل الجمع كما تحتمل الواحد المعظم فلو قال صل لنا لبقي ذلك الاحتمال وهو انه لما
كان يعرف ان الصلاة انما هي لله تعالى فعطف امره ونهيه على سبيل التعريض فلهذا ترك ذلك اللفظ
وقال تعالى فصل لربك ليكون ذلك ازالة لذلك الاحتمال وتصريحا بالتوحيد في الطاعة والعمل لله تعالى
الرابعة قوله تعالى فصل لربك ابلغ من قوله صل لله لان لفظ الرب يفيد التربية المتقدمة المشار اليها
بقوله تعالى انا اعطيناك الكوثر ويفيد الوعد الجميل في المستقبل انه يربيه ولا يتركه الثامنة في الاية
سوالان احدهما النحر والثاني لم يقل ضح حتى يشتمل جميع انواع الضحايا والجواب عن الاول اما على قول من قال
المراد من الصلوة صلوة العيد فلا اشكال فيه واما على قول من حمله على مطلق الصلاة فلوجوه احدها
ان المشركين كانت صلاتهم وقرابينهم للاوثان فقيل له اجعلهما لله تعالى وثانيها ان من الناس من قال انه
عليه السلام ما كان يدخل في ملكه شيا من الدنيا بل كان يملك بقدر الحاجة فلا جرم لم تجب عليه الزكاة اما
النحر فقد كان واجبا عليه لقوله ثلاث كتبت علي ولم يكتب على امتي الضحى والاضحى والوتر وثالثها ان اعز
الاموال عند العرب الابل فامره بنحرها وصرفها الى طاعة الله تعالى تنبيها على قطع العلايق النفسانية
عن لذات الدنيا وطيباتها المروي انه عليه السلام اهدى مائة بدنة منها جمل لابي جهل في انفه برة
من ذهب فنحر وعليه السلام حتى اعيى ثم امر عليا بذلك وكانت النوق يزدحمن على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما اخذ علي السكين تباعدن منه والجواب عن الثاني ان الصلوة اعظم العبادات البدنية
فقرن بها اعظم انواع الضحايا وايضا فيه اشارة بانك بعد فقرك تصير بحيث تنحر مائة من الابل
العاشرة السورة مكية في اصح القولين وكان الامر بالنحر جاريا مجرى البشارة بحصول الدولة وزوال
الفقر والخوف اما قوله تعالى ان شانئك هو الابتر ففي الاية ذكروا في سبب النزول وجوها احدها
انه عليه السلام كان يخرج من المسجد والعاص بن وايل يدخل فالتقيا فتحدثا وصناديد قريش في المسجد
فلما دخل قالوا له من الذي كنت تتحدث معه فقال ذلك الابتر واقول ان ذلك من اسرار بعضهم مع بعض
مع ان الله تعالى اظهره فحينئذ يكون ذلك معجزا وروي ايضا ان العاص بن وايل كان يقول ان محمدا ابتر
لا ابن له يقوم مقامه بعده فاذا مات انقطع ذكره واسترحتم منه وكان قد مات ابنه عبد الله
من خديجة وهذا قول ابن عباس ومقاتل والكلبي وعامة اهل التفسير القول الثاني روي عن ابن عباس
قال لما قدم كعب بن الاشرف مكة اتاه جماعة من قريش فقالوا نحن اهل السقاية والسدانة وانت سيد
المدينة نحن خير ام هذا الابتر فنزل قوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت





والطاغوت القول الثالث قال عكرمة وشهر بن حوشب لما اوحى الله تعالى الى رسوله عليه السلام دعا
قريشا الى الاسلام قالوا بتر محمد اي خالفنا وانقطع عنا فاخبر تعالى انهم هم المبتورون الرابع
نزلت في ابي جهل فانه لما مات ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو جهل اني ابغضه لانه ابتر
وهذا منه حماقة حيث ابغضه لامر لم يكن باختياره فان موت الابن لم يكن من مراده القول
الخامس نزلت في عمه ابي لهب فانه لما شافهه بقوله تبا لك كان في غيبته انه ابتر القول
السادس انها نزلت في عقبة بن معيط وانه هو الذي كان يقول ذلك واعلم انه لا يبعد في كل
اولئك الكفرة ان يقولوا مثل ذلك فانهم كانوا يقولون ما هو اسوا من ذلك ولعل العاص بن وايل كان
اكثرهم مواظبة على هذا القول فلذلك اشتهر في الروايات ان الاية نزلت فيه الثانية الشاني هو المبغض
واما البتر في اللغة فهو استيصال القطع يقال بترته ابتره بترا اي صارت ابتر وهو مقطوع
الذنب ويقال للذي لا عقب له ابتر ومنه الحمار الابتر الذي لا ذنب له وكذلك لمن انقطع منه
الخير ثم ان الكفار لما وصفوه بذلك بين تعالى ان الموصوف بهذه الصفة هو ذلك المبغض على
سبيل الحصر فيه فانك اذا قلت زيد هو العالم انه يفيد لا عالم غيره اذا عرفت هذا فنقول قول الكفار
فيه عليه السلام انه ابتر لا شك انهم لعنهم الله تعالى ارادوا به انه انقطع الخير عنه ثم ذلك اما ان
يحمل على خير معين او على جميع الخيرات اما الاول فيحتمل وجوها احدها قال السدي كانت قريش
يقولون لمن مات الذكور من اولاده بتر فلما مات ابنه القاسم وعبد الله بمكة وابراهيم بالمدينة
قالوا بتر فليس له من يقوم مقامه ثم بين تعالى ان عدوه هو الموصوف بهذا الوصف فانا نرى ان نسل اولئك
الكفرة قد انقطع ونسله عليه السلام كل يوم يزداد وينمو هكذا الى قيام القيمة وثانيها قال الحسن
عنوا بكونه ابتر انه ينقطع عن المقصود قبل بلوغه والله تعالى بين ان خصمه هو الذي يكون كذلك
فانهم صاروا مدبرين مغلوبين مقهورين وصارت ايام الاسلام غالبة واهل الشرق والغرب لها متواضعة
وثالثها زعموا انه ابتر لانه ليس له ناصر ومعين وقد كذبوا لان الله تعالى هو مولاه وجبريل وصالح
المومنين واما الكفرة فلم يبق لهم ناصر ولا حبيب ورابعها هو الحقير الذليل روي ان ابا جهل اتخذ ضيافة
لقوم ثم انه وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الوصف ثم قال قوموا حتى نذهب الى محمد واصارعه
واجعله ذليلا حقيرا فلما وصلوا الى دار خديجة وتوافقوا على ذلك اخرجت خديجة بساطا
فلما تصارعا جعل ابو جهل يجتهد في ان يصرعه وبقي النبي صلى الله عليه وسلم واقفا
كالجبل ثم بعد ذلك رماه الرسول عليه السلام على اقبح الوجوه فلما رجع اخذه باليد اليسرى لان اليسرى
للاستنجاء فكان نجسا فصرعه على الارض مرة اخرى ووضع قدمه على صدره فذكر بعض القصاص ان المراد
من قوله تعالى ان شانئك هو الابتر هذه الواقعة وخامسها ان الكفرة وصفوه بهذا الوصف على ان شانئك
هو الابتر اي القواطع فيه كلام فاسد مضمحل واه وانما المدح الذي ذكرناه قيل فانه [illegible]
ان رجلا قام الى الحسن بن علي وقال سودت وجوه المومنين بان تركت الامامة لمعوية فقال لا تواذني
رحمك الله فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اري بني امية في المنام يصعدون منبره رجلا فرجلا
فساه ذلك فانزل الله تعالى انا اعطيناك الكوثر وانا انزلناه في ليلة القدر فكان ملك بني امية
كذلك ثم انقطعوا وصاروا مبتورين الثالثة الكفار لما شتموه فالله تعالى اجاب عنه من غير واسطة فقال
تعالى ان شانئك هو الابتر وهكذا سنة الاحباب فان الحبيب اذا سمع من يشتم حبيبه تولى بنفسه جوابه فههنا
تولى الحق سبحانه وتعالى جوابهم وذكر مثل ذلك في مواضع حتى قالوا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم
لفي خلق جديد افترى على الله كذبا ام به جنة فقال سبحانه وتعالى بل الذين لا يومنون بالاخرة في العذاب
والضلال البعيد قالوا هو مجنون اقسم ثلاثا ثم قال تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون ولما قالوا لست مرسلا
اجاب فقال تعالى يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين وحين قالوا اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون
رد عليهم وقال بل جاء بالحق وصدق المرسلين فصدقه ثم وعيد خصمايه فقال تعالى انكم لذائقوا العذاب
الاليم وحين قال حاكيا ام يقولون شاعر قال تعالى وما علمناه الشعر ولما حكى عنهم قولهم ان هذا الا افك
افتراه واعانه عليه قوم اخرون سماهم كاذبين بقوله تعالى فقد جاءوا ظلما وزورا ولما قالوا ما لهذا الرسول
ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فما اجل هذه الكرامة الرابعة اعلم انه تعالى لما بشره بالنعم العظيمة
وعلم تعالى ان النعمة لا تهنا الا اذا صار العدو مقهورا لا جرم وعده بقهر العدو فقال تعالى ان شانئك هو الابتر
وفيه لطايف احدها كانه تعالى يقول لا اقبله كي يسري بعض اسباب دولتك وبعض اسباب محنة نفسه
مضمحل العظم وثانيها وصفه بكونه شانيا كانه تعالى يقول هذا الذي يبغضك لا يقدر على شيء اخر
سوى انه يبغضك والمبغض اذا عجز عن الايذاء فحينئذ يحترق قلبه غيظا وحسدا فيصير تلك العداوة من اعظم

لا يصيبا بالمحنة لذلك الصبي وثالثها ان هذا الترتيب يدل على انه انما صار محنة له لانه كان يشانيا له نوع
تبعيضا والامر بالحقيقة كذ فان من عادى محمدا عليه السلام فقد عادا الله تعالى لا سيما من يجعل الله
تعالى باعلى شانه في تعظيم مرتبته ورابعها ان العدو وصف محمدا عليه السلام بالقلة والذلة
ونفسه بالكثرة والحمولة فقلب الامر عليه وقال العزيز من اعزه الله تعالى والذليل من اذله
الله تعالى والكوثر لمحمد صلى الله عليه وسلم والابترية والذلة للعدو فحصل بين اول السورة
واخرها نوع من المطابقة اللطيفة اعلم ان من تامل في مطالع هذه السورة ومقاطعها
عرف ان الفوايد التي ذكرناها بالنسبة الى ما اشتملت الله تعالى بعلمه من فوايد هذه السورة
كالقطرة في البحر ويروى عن مسيلمة انه عارضها فقال انا اعطيناك الجماهر فصل لربك
وجاهر ان مبغضك رجل كافر ولم يعرف المخذول انه محروم عن المطلوب لوجوه احدها ان
الالفاظ والترتيب ماخوذ عن هذه السورة وهذه لا تكون معارضة وثانيها انا ذكرنا ان
هذه كالمتممة لما قبلها وكالاصل لما بعدها فذكر هذه الكلمات وحدها تكون اخلالا لاكثر
لطايف هذه السورة وثالثها التفاوت العظيم الذي يعرفه من له ذوق سليم بين قوله تعالى
ان شانيك هو الابتر وبين قوله ان مبغضك رجل كافر ومن لطايف هذه السورة ان كل واحد
من الكفار وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصف فوصفه واخذلانه الا والذلة واخزاه الا بين
ولا ناصر له واخزاه انه لا يبقى منه ذكر والله سبحانه وتعالى مدحه مدحا ادخل كل الفضايل
وهو قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر لانه لم يقيد ذلك الكوثر بشيء دون شيء لا جرم تناول جميع خيرات
الدنيا والاخرة ثم امره حال حياته بمجموع الطاعات لان الطاعة اما ان تكون طاعة البدن او
القلب اما طاعة البدن فاصله لسانان لان طاعة البدن هي الصلاة وطاعة المال هي الزكاة اما
طاعة القلب فهو ان لا ياتي الا بالعمل لاجل الله تعالى واللام في قوله تعالى لربك يدل على هذه الحالة
ثم كانه نبه على ان طاعة القلب لا تعد لحصول من طاعة البدن فقدم طاعة البدن في الذكر وهو
قوله تعالى فصل فاخر الكلام الدال على طاعة القلب تنبيها على فساد مذهب اهل الاباحة ان العبد
يستغني بطاعة قلبه عن طاعة جوارحه وهذا الكلام لا يدل على بطلان مذهب اهل الاباحة
وعلى انه لا بد من الاخلاص ثم نبه بلفظ الرب على علو حاله في المعاد كانه تقول كنت ربيتك
قبل هذا فاتربيك بعد مواظبتك على هذه الطاعات ثم كما تكفل اولا بافاضة النعم عليه
تكفل في اخر السورة بالذب وابطال قول اعدائه وفيه اشارة الى انه سبحانه وتعالى هو الاول
بافاضة النعم والاخر بتكميل النعم في الدنيا والاخرة والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

هذه السورة تسمى سورة المنابذة والاخلاص والمقشقشة وروي من قراها فكانما قرا ربع القرآن والوجه
فيه ان القرآن مشتمل على الامر بالمامورات والنهي عن المحرمات وكل واحد منها ينقسم الى ما يتعلق بالقلوب
والى ما يتعلق بالجوارح وهذه السورة مشتملة على النهي عن المحرمات المتعلقة بافعال القلوب فيكون ربعا
للقرآن والله تعالى اعلم **قوله تعالى قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم
عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين**
اعلم ان قوله تعالى قل فيه فوايد احدها انه عليه السلام كان مامورا بالرفق واللين في جميع الامور
كما قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وقوله
تعالى بالمؤمنين رؤوف رحيم وقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ثم كان مامورا بدعوة
الى الله تعالى بالوجه الاحسن وقوله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن ولما كان الامر كذلك ثم انه خاطبهم بيا ايها
الكافرون فكانوا يقولون كيف يليق هذا التغليظ بذلك الرفق فاجاب باني مامور بهذا الكلام
لا اني ذكرته من عند نفسي فكان المراد من قوله تعالى قل تقرير هذا المعنى وثانيها انه لما قال له تعالى
وانذر عشيرتك الاقربين وهو كان يحب اقرباءه لقوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في
القربى وكانت القرابة ووحدة النسب كالمانع من اظهار الخشونة فامر بالتصريح بتلك الخشونة
والتغليظ فقيل له قل وثالثها انه لما قيل له يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل
فما بلغت رسالته من تبليغ كل ما انزل عليه فلما قال الله تعالى قل يا ايها الكافرون فقال هو عليه السلام
هذا الكلام بجملته كانه تعالى قال امرني بتبليغ كل ما انزل علي والذي انزل عليه هو مجموع قوله تعالى

قل



قل يا ايها الكافرون فانا ايضا ابلغه الى الخلق هكذا ورابعها ان الكفار كانوا مقرين بوجود الصانع
وانه هو الذي خلقهم ورزقهم على ما قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
والعبد يتحمل من مولاه ما لا يتحمله من غيره فلو انه عليه السلام قال ابتداء يا ايها الكافرون لجاز ان
يكون هذا كلام محمد عليه السلام فما كانوا يتحملونه منه وكانوا يؤذونه فلما سمعوا قوله تعالى قل علموا
انه ينقل هذا التغليظ عن خالق السموات والارض فكانوا يتحملونه فلا يعظم ايذاؤهم وخامسها
ان قوله قل يوجب كونه رسولا من عند الله فكما قيل له قل كان ذلك كالمنشور الجديد في ثبوت
رسالته وذلك يقتضي المبالغة في تعظيم الرسول فان الملك اذا فوض مملكته الى بعض عبيده فاذا
كان يكتب له كل شهر او كل سنة منشورا جديدا دل ذلك على غاية اعتنائه بشانه وانه على عزم ان
يزيده كل يوم تعظيما وتشريفا وسادسها ان الكفار لما قالوا نعبد الهك سنة وتعبد الهتنا سنة
فكانه قال عليه السلام استامرت الهي فيه فقال تعالى قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وسابعها ان الكفار
قالوا فيه السوء فهو تعالى زجرهم عن ذلك واجابهم وقال تعالى ان شانئك هو الابتر فكانه تعالى قال
حين ذكروك بسوء فانا كنت المجيب بنفسي فحين ذكروني بالسوء اثبتوا لي الشركاء فكن انت المجيب فقل يا ايها
الكافرون لا اعبد ما تعبدون وثامنها انهم سموك ابتر فان سيت ان تسميهم بما فيهم من اسمائهم فاذكرهم بوصف ذم
بحيث يكون صادقا فيه قل يا ايها الكافرون ولكن الفرق انهم عابوك بما ليس من فعلك وانت تعيبهم بما هو
فعلهم وتاسعها ان التقدير انك تقول يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون فالكفار يقولون هذا كلام ربك ام
كلامك فان كان كلام ربك فربك يقول لا اعبد هذه الاصنام ونحن لا نطلب هذه العبادة
من ربك انما نطلبها منك وان كان هذا كلامك فانت قلت من عند نفسك اني لا اعبد هذه الاصنام
فلم قلت ان ربك هو الذي امرك بذلك اما لما قال سقط هذا الاعتراض لان قوله تعالى قل يدل على انه
مامور من عند الله تعالى بان لا تعبدها وتتبرا عنها واعلم انه لو انزل قوله تعالى يا ايها الكافرون
فقراها عليهم لا محالة فانه لا يجوز في الوحي الا انه تعالى قال قل كان ذلك كالتاكيد في ايجاب تبليغ هذا الوحي
اليهم والتاكيد يدل على ان ذلك الامر عظيم فبهذا الطريق يدل على هذه الكلمة على ان الذي قالوه وطلبوه
من الرسول امر منكر في غاية القبح ونهاية الخش الحادي عشر كانه تعالى يقول كانت التقية جايزة عند الخوف اما
الان لما قوينا قلبك بقولنا انا اعطيناك الكوثر وبقولنا ان شانئك هو الابتر فلا تبال بهم ولا تلتفت
اليهم وقل يا ايها الكافرون الثاني عشر ان خطاب الله تعالى مع العبد من غير واسطة يوجب التعظيم الا
ترى انه تعالى ذكر من اقسام الكفار انه تعالى لا يكلمهم فلو قال يا ايها الكافرون لكان ذلك من حيث هو خطاب
مشافهة يوجب التعظيم ومن حيث انه وصفهم بالكفر يوجب الاهانة فلم يحصل الاهانة بالاكرام اما لما قال تعالى قل يا ايها
الكافرون فحينئذ يرجع تشريف المخاطبة الى محمد صلى الله عليه وسلم ويرجع الاهانة الحاصلة لهم بسبب كونهم الى
الكفار فيحصل فيه تعظيم الاولياء واهانة الاعداء وذلك هو النهاية في الحسن الثالث عشر ان محمدا عليه السلام
كان منهم وكان في غاية الشفقة عليهم والرافة بهم وكانوا يعلمون منه انه شديد الاحتراز عن الكذب ثم انه يصف
وليه سعت عظيم والولد اذا كان يعقل يعلم انه ماوصفه بذلك مع غاية شفقته عليهم الا لصدقه في ذلك لانه بلغ
مبلغا لا تعد رضاية لانه تعالى اجابه فقال تعالى قل يا محمد يا ايها الكافرون ليعلموا انك لما وصفهم بذلك مع نهاية شفقتك
عليهم وغاية احترازك عن الكذب فهم موصوفون بهذه الصفة القبيحة فربما يصير ذلك داعيا لهم الى البراءة من هذه
الصفة والاحتراز عنها الرابع عشر ان الانزال الا كان من ذوي القربى اشد فاصغر من تجبر فانت من نسلهم
ونشات فيما بين اظهرهم فقل لهم يا ايها الكافرون فلعله يصعب هذا الكلام عليهم فيصير ذلك داعيا الى البحث
والنظر والبراءة عن الكفر الخامس عشر كانه تعالى يقول السنا بينا في سورة والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وفي سورة الكوثر انا اعطيناك الكوثر بينت الايمان والاعمال
الصالحة بمقتضى قولنا فصل لربك وانحر بقي عليك التواصي بالحق والتواصي بالصبر وذلك هو ان تمنعهم بلسانك
وبرهانك عن عبادة غير الله تعالى فقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون السادس عشر كانه تعالى يقول
يا محمد الست ابني لما احرت الوحي مدة قليلة قال الكافرون انه ودعه ربه وقلاه فشق ذلك غاية المشقة
حتى انزلت عليك السورة واقسمت بالضحى والليل اذا سجى انه ما ودعك ربك وما قلى افلا تستحي ان سرني
سهوا ولم يطب قلبك حتى بادرت في العالم انه ما ودعك ربك وما قلى فسبحان سرني بيهن وستغني بعبادة
الهتهم فكما ادبت سعي تلك التهمة فبادات ايضا في العالم بنفي هذه التهمة وقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون
السابع عشر لما سالوا منه ان تعبد الهتهم سنة ويعبدوا الهه سنة فهو عليهم سكت ولم يقل شيئا الا انه جوز
في قلبه ان يكون الذي قالوه حقا فان كان قاطعا بفساد ما قالوه لكنه عليه السلام توقف في انه هل يجوز ان يقيم
الدلايل العقلية على امتناع ذلك او بان يزجرهم بالسيف او بان ينزل الله عليهم عذابا فاعم الكفار ذلك

المسكوت وقالوا ان محمدا مال الى ديننا فكانه تعالى قال يا محمد ان لو سكت عن الجواب فى نفس الامر حق ولكنه اوهم باطلا فتدارك
ازالة ذلك الباطل وصرح بما هو الحق وقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الخامس عشر انه عليه السلام لما قال ربه ليلة المعراج
استولى عليه هيبة الحضرة الالهية فقال لا احصى ثناء عليك فوقع ذلك السكوت منه فى غاية الحسن وكانه قيل له ان سكت عن الثناء رعاية
لهيبة الحضرة فاطلق لسانك فى مذمة الاعداء وقل يا ايها الكافرون حتى يكون سكوتك لله وكلامك لله تعالى وفيه تقريب اخر وهو
ان هيبة الحضرة سلبت عنك قدرة القول فقل هاهنا حتى ان هيبة قولك تسلب قدرة القول عن هؤلاء الكفار السابع عشر
لو قال له لا تعبد ما يعبدون لم يلزم منه ان يقول بلسانه لا اعبد ما تعبدون اما لما امره ان يقول بلسانه لا اعبد ما تعبدون
اذ لو فعل ذلك لصار بكلامه كذبا فثبت انه لما قال له قل لا اعبد ما تعبدون يلزمه ان يكون منكرا بقلبه ولسانه وجوارحه
ولو قال له لا تعبد ما يعبدون لزمه تركه اما لا يلزمه اظهار انكاره بلسانه ومن المعلوم ان غاية الانكار انما يحصل
اذا تركه بنفسه وانكره بلسانه فقوله قل يقتضى المبالغة فى الانكار فلهذا قال تعالى قل لا اعبد ما تعبدون الثامن عشر
ذكر التوحيد ونفى الانداد جنة العارفين ونار المشركين فاجعل لفظك جنة الموحدين ونارا على المشركين وقل يا ايها
الكافرون لا اعبد ما تعبدون التاسع عشر ان الكفار لما قالوا له نعبد الهك سنة وتعبد الهنا سنة سكت فقال لو شافهتهم
بالرد لبادروا وحملوا النفرة عن الاسلام فى قلوبهم فكانه تعالى قال له يا محمد لم سكت عن الرد اما الطمع فيما يعدونك
من قبول دينك فلا حاجة بك فى هذا المعنى لانه انا اعطيناك الكوثر واما الخوف منهم فقد ازلنا عنك هذا الخوف بقولنا
ان شانئك هو الابتر فلا تلتفت اليهم ولا تبال بكلامهم وقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون العشرون الست
يا محمد انى قدمت حقك على حق نفسى فقلت لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فقدمت اهل الكتاب فى الكفر
على المشركين لان طعن اهل الكتاب فيك وطعن المشركين فى فقدمت حقك على حق نفسى وقدمت اهل الكتاب فى الذم
على المشركين وانت ايضا هكذا كنت تفعل فانهم لما كسروا سنك قلت اللهم اهد قومى ولما شغلوك يوم الخندق عن
الصلاة قلت اللهم املا قلوبهم نارا فهاهنا ايضا قدمت حقى على حق نفسك وسواء كنت خائفا منهم او لست خائفا
منهم فاظهر انكار قولهم وقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الحادى والعشرون كانه تعالى يقول قصة امراة زيد
واقعة حقيرة بالنسبة الى هذه الواقعة ثم انى هناك ما رضيت منك ان تضمر فى قلبك شيئا ولا تظهره بلسانك بل
قلت لك على سبيل العتاب وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فاذا كنت لا ارضى منك
فى تلك الواقعة الحقيرة الا بالاظهار وترك المبالاة باقوال الناس فكيف ارضى منك فى هذه المسالة التى هى اعظم المسائل
بـ[illegible] السكوت قلت تصرح لهم بانك يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الرابع والعشرون يا محمد الست قلت لك ولو شئنا
لبعثنا فى كل قرية نذيرا ثم انى مع هذه القدرة راعيت جانبك وطيبت قلبك وناديت فى العالمين بانى لا اجعل الرسالة
مشتركة بينك وبين غيرك بل الرسالة لك لا لغيرك حيث قلت ولكن رسول الله وخاتم النبيين فانت مع علمك بانه يستحيل
عقلا ان يشاركنى غيرى فى المعبودية اولى ان تنادى فى العالمين بنفى هذه الشركة فقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون
الخامس والعشرون كانه تعالى يقول [illegible] اولئك اطمعوك فى متابعتهم ومتابعتك لدينهم فسكت عن الانكار والرد الست
انا جعلتك عن الانكار والرد الست انا جعلت السبعة معك تبعة معى حيث قلت ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وجعلت
مبايعتك مبايعتى حيث قلت ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ثم انى ناديت فى العالم وقلت ان الله برىء
من المشركين ورسوله فصرح انت بذلك وقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون السادس والعشرون كانه تعالى يقول
الست [illegible] والجوع مع الوالد احسن من الشبع مع الاجانب كيف والجوع لهم لان اصنامهم
جائعة عن الحياة عارية عن الصفات وهم جائعون عن العلم عارون عن التقوى فقد حصل شئ الم اجدك يتيما عائلا
ضالا الم نشرح لك صدرك الم اعطك بالصديق حرمته وبالفاروق هيبته وبعثمان معونته وبعلى علمه الم اكف
اصحاب الفيل حين قصدوا التخريب الم ادبر لك الم اكف اسلافك رحلة الشتاء والصيف الم اعطك الكوثر الم اضمن ان خصمك
ابتر الم تقل جدك فى هذه الاصنام بعد تخريبها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا فصرح بالبراءة عنها
وقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون السابع والعشرون كانه تعالى يقول يا محمد الست قد انزلت عليك فاذكروا الله
كذكركم اباءكم او اشد ذكرا ثم ان واحدا لو نسبك الى والد لغضبت ولاظهرت الانكار ولبالغت فيه حتى قلت ولدت من نكاح
ولم اولد من سفاح فاذا لم تسكت عن التشريك فى الاب فلم تسكت عند التشريك فى العبادة بل اظهر الانكار وبالغ فى التصريح
به بقوله تعالى قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الثامن والعشرون كانه تعالى يقول يا محمد الست قد انزلت
عليك قوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون فحكمت بان من سوى بين الاله الخالق وبين الجماد فى العبودية لا يكون
عاقلا بل يكون مجنونا ثم انى اقسمت وقلت ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون والكفار يقولون انك
مجنون فصرح برد مقالتهم فانها تفيد براءتى عن عيب الشرك وبراءتك عن عيب الجنون فقل يا ايها الكافرون لا اعبد
ما تعبدون التاسع والعشرون ان هؤلاء الكفار سموا هذه الاوثان الهة والمشاركة فى الاسم لا توجب المشاركة فى المعنى
الا ترى ان الرجل والمراة يشتركان فى الانسانية حقيقة ثم القيامة كلها حق الزوج لانه اعلم واقدر ثم من كان اعلم
واقدر كان له كل الحق فى القيمة فمن لا قدرة له على شئ البتة كيف يكون له فى القيمومية حق بل هاهنا شئ اخر وهو

ان امراة



ان امراة لو ادعاها رجلان فاصطلحا عليها لا يجوز ولو اقام كل واحد منهما البينة على انها زوجته لم يقض لواحد منهما لانه اذا
لم يجز حصول زوجة لزوجين ولا امة بين مولسين فى حل الوطى فكيف يعقل عابد واحد بين معبودين بل من
جوز ان يصطلح الزوجان على ان يجعل الزوجة لاحدهما سهرا ام للثانى سهرا اخر كان كافرا فمن جوز الصلح
بين الاله والصنم الا يكون كافرا فانه تعالى قال لرسوله ان هذه المقالة فى غاية القبح فصرح بالانكار وقل يا ايها
الكافرون لا اعبد ما تعبدون الثلاثون كانه تعالى يقول الست انك لما خيرت نسوتك حين انزلت عليك قل
لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الى قوله تعالى اجرا عظيما ثم خشيت من عائشة ان لا تختار الدنيا فقلت
لها لا تقولى شيئا حتى تستامرى ابا بكر فقالت افى هذا استامر ابوى بل اختار الله ورسوله والدار الاخرة فناقصة
العقل ما توقفت فيما يخالف رضاك به افتتوقف فيما يخالف رضاى وامرى مع انى جبار السموات والارض قل يا ايها
الكافرون لا اعبد ما تعبدون الحادى والثلاثون كانه تعالى يقول يا محمد الست انت الذى قلت من كان يؤمن بالله واليوم
الاخر فلا يقفن مواقف التهم وحتى ان بعض المشايخ قال لمريده الذى يريد ان يفارقه لا تخالط السلطان قال ولم
قال لانه يوقع الناس فى احد الخطائين اما ان يعتقدوا ان السلطان متدين لانه يخالطه العالم الزاهد او يعتقدوا
انك فاسق مثله وكلاهما خطا فاذا ثبت انه يجب البراءة عن مواقف التهم فسكوتك يا محمد عند هذا الكلام يجر
اليك تهمة الرضى لا سيما وقد سبق ان الشيطان القى فيما بين قراءتك تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة
ترتجى فازل عن نفسك هذه التهمة وقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الثانى والثلاثون الحقوق فى
الشاهد نوعان حق من انت تحت يده وهو مولاك وحق من هو تحت يدك وهو الولد ثم اجمعنا على ان حق [illegible] الاب
حق على تربيه الولد الام فاذا كان حق المولى المجازى مقاما فبان يكون حق المولى الحقيقى مقدما كان اولى روى ان عليا
رضى الله عنه استاذن النبى صلى الله عليه وسلم فى التزوج بابنة ابى جهل فضجر وقال لا اذن لا اذن ان فاطمة
بضعة منى يؤذينى ما يؤذيها ويسرنى ما يسرها والله لا يجمع الله بين بنت عدو الله وبنت حبيب الله فكانه تعالى
يقول صرحت هناك بالرد وكررته على سبيل المبالغة رعاية لحق الولد فهاهنا اولى ان تصرح بالرد وتكرره رعاية
لحق المولى فقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا اجمع فى القلب بين طاعة الحبيب وطاعة العدو الثالث
والثلاثون يا محمد الست قلت لعمر رايت قصرا فى الجنة فقلت لمن هو فقالوا لعمر فخشيت غيرتك لم ادخلها حتى قال
عمر ااغار عليك فكانه تعالى قال خشيت غيرة عمر فما دخلت قصره اما تخشى غيرتى فى ان يدخل قلبك طاعة غيرى فحيث
هناك اظهرت الامتناع فقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الرابع والثلاثون [illegible]
نعمة الوالدة اما انا ربك الم اخلقك ارزقك الم اعطك الحياة والقدرة والعقل والتوفيق والهداية ثم حين كنت
طفلا عديم العقل وعرفت تربية الام فلو احد بك امراة اجمل واحسن واكرم من امك لاظهرت النفرة وانكرت
ولو اعطتك شهدا تمك تقول لا اريد غير الام لانها اول منعم على فقال تعالى قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون
السادس والثلاثون مذهب الشافعى رضى الله عنه انه يثبت للزوجة حق الفرقة بواسطة الاعسار بالنفقة
فاذا لم يجد من الانصار تربية حصلت لك حق الفرقة لو كنت متصلا بها كان يجب ان تعرض عنها وتتركها كيف
وما كنت متصلا بها البتة فكيف ان تعرض الا تتصل بها قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون السابع والثلاثون
هؤلاء الكفار لفرط حمقهم ظنوا ان الكثرة فى الالهية كالكثرة فى المال يزيد به الغنى وليس الامر كذلك بل هو
كالكثرة فى العيال تزداد به الحاجة فقل يا محمد اله واحد اقوم له فى الليل واصوم له فى النهار ثم تبدلك نعم من
قضاء حق ذرة من ذرات نعمه فكيف التزم عبادة الهة كثيرة قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الثامن
والثلاثون مذهب ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه انه لا يثبت للزوجة حق الفرقة بالعجز عن النفقة ولا بالعنة
الطارية يقول كان قيما فلا يحسن الاعراض عنه مع انه لعنت فالحق سبحانه وتعالى يقول كنت قيوما ولم ازل
فكيف يحسن الاعراض عنى قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون التاسع والثلاثون هؤلاء الكفار كانوا معترفين بان
الله تعالى خالقهم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال فى موضع اخر ارونى ماذا خلقوا
فكانه تعالى قال هذه الشركة اما ان تكون شركة مزارعة وذلك باطل لان البذر منى والتربية والسقى منى
والحفظ منى فاى شئ للصنم او شركة الابدان وذلك ايضا باطل لان ذلك يستدعى الجنسية او شركة العنان
وذلك ايضا باطل لانه لا بد منه من نصاب فانصاب الاصنام او تقول ليس هذا من باب الشركة لكن الصنم
ياخذ بالتغليب نصيبا من الملك وكان الرب يقول ما اشد جهلكم ان هذا الصنم اكثر عجزا من الذباب
ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا فانا الا خالق للبذر ثم القيه فى الارض فالتربية والسقى
والحفظ منى ثم من هو اعجز من الذبابة ياخذ بالقهر والتغلب نصيبا منى ما هذا قول يليق بالعقلاء قل يا ايها
الكافرون لا اعبد ما تعبدون الاربعون انه لا ذرة فى عالم المحدثات الا وهى تدعو العقول الى معرفة الذات
والصفات واما الدعاة الى معرفة احكام الله تعالى فهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولما كان كل نملة وبعوضة
داعيا الى معرفة الذات والصفات قال تعالى ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وذلك لان هذه

الربوبية بحسب حدوث ذاتها وصفاتها مدعوا الى الله تعالى وبحسب ترتيبها العجيب تشوق الى علم الله تعالى
وبحسب تخصيص ذاتها وصفاتها بقدر معين يدعوا الى ارادة الله تعالى فكانه تعالى يقول مثل
هذا الشي كيف يستحي منه روي ان عمر رضي الله عنه كان في ايام خلافته دخل السوق واشترى كرشا
وحمله بنفسه فرآه علي من بعيد فتنكب عن الطريق فاستقبله عمر رضي الله عنه وقال له لم تنكبت عن الطريق قال
حتى لا تستحي فقال كيف استحي من حمل ما هو غذائي فكانه تعالى يقول اذا كان عمر لا يستحي من حمل الكرش الذي
هو غذاؤه في الدنيا فكيف استحي عن ذكر البعوض الذي يعطيك غذاء دينك ثم كانه تعالى يقول يا محمد
ان نمرود لما ادعى الربوبية صاح عليه البعوض بالانكار فهؤلاء الكفار لما دعوك الى الشرك افلا يصيح
عليهم افلا تصرح بالرد عليهم قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وان فرعون لما ادعى الالهية
جبريل ملا فاه من الطين فان كنت ضعيفا فلست اضعف من بعوضة نمرود وان كنت قويا فلست
اقوى من جبريل فاظهر الانكار عليهم وقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الحادي والاربعون
كانه تعالى يقول يا محمد قل بلسانك لا اعبد ما تعبدون واتركه فرضا علي فاني امضيك هذا الفرض
على احسن الوجوه الا ترى ان نصرانيا اذا قال اشهد ان محمدا رسول الله فاقول انا لا اكتفي بهذا ما لم يصرح
بالبراة عن النصرانية فلما وجب على كل مكلف ان يبين التصريح بقوله وبلسانه عن كل دين يخالف دينك
فانت ايضا الواجب على نفسك ان تصرح برد كل معبود غيري فقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون
الثاني والاربعون ان موسى عليه السلام كان في طبعه الخشونة فلما ارسل الى فرعون قيل له فقولا له
قولا لينا واما محمد صلى الله عليه وسلم فلما ارسل الى امر باظهار الخشونة تنبيها على انه في غاية الرحمة فقيل له
قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون **اما قوله تعالى** قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون
ففيه مسايل الاولى ان يا تقدم القول فيها في مواضع والذي نزيده ها هنا انه روي عن علي رضي الله عنه
انه قال يا نداء النفس واي نداء القلب وها نداء الروح وقيل يا نداء الغايب واي للحاضر وها للتنبيه كانه يقول
ادعوك مدتي ولا تجيبني مرة مع ما هذا الا لجهلك الحق ومنهم من قال انه انما يجعل يا للذي هو البعيد واي للذي
هو القريب كانه تعالى يقول قلبي دمعي وورا دك عني يوجب البعد البعيد لكن احساني اليك نعمي اليك يوجب القرب
القريب ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وانما قدم يا الذي يوجب البعد على اي الذي يوجب القرب القريب كانه يقول التقصير
منك والتوفيق مني ثم ذكرها بعد ذلك لان ما يوجب البعد الذي هو كالموت واي يوجب القرب الذي
هو كالحياة حصلا حالة متوسطة بين الحياة والموت وتلك الحالة هي النوم والنايم لا بد وان ينبه وها
كلمة تنبيه فلهذا السبب جمعت حروف النداء بهذه الحروف **الثانية** روي ان سبب نزول هذه السورة ان الوليد
بن المغيرة والعاص بن وايل والاسود بن عبد المطلب وامية بن خلف قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
تعال حتى نعبد الهك مدة وتعبد الهنا مدة فيحصل الصلح بيننا وبينك وتزول العداوة من بيننا فان كان
امرك رشيدا اخذنا منه حظنا وان كان امرنا رشيدا اخذت منه حظا فنزلت هذه السورة ونزل ايضا
قوله تعالى افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون فتارة وصفهم بالجهل وتارة بالكفر **واعلم**
ان الجهل كالشجرة والكفر كالثمرة فلما نزلت السورة وقراها على رؤوسهم شتموه وايسوا وها هنا سؤالات
الاول لم ذكروا في هذه السورة بالكافرين وفي الاخرى بالجاهلين **الجواب** لان هذه السورة بتمامها
نازلة فيهم فلا بد وان تكون المبالغة ها هنا اشد وليس في الدنيا لفظا اشنع ولا ابشع من لفظ الكافر
وذلك لانه صفة ذم عند جميع الخلق سوا كان مطلقا او مقيدا اما لفظ الجهل فانه عند التقييد قد لا يذم
لقوله في علم الانساب علم لا ينفع وجهل لا يضر **السؤال الثاني** قال تعالى في سورة يا ايها الذين كفروا
لم يذكر قل وها هنا ذكر قل وذكره باسم الفاعل والجواب الاية المذكورة في سورة لم تحرم انما تقال لهم يوم القيمة
ثم لا يكون الرسول رسولا اليهم فازال الواسطة وفي ذلك الوقت يكونون مطيعين لا كافرين فلذلك ذكره
بلفظ الماضي اما ها هنا فهم كانوا موصوفين بالكفر فكان الرسول رسولا اليهم فلا جرم قال تعالى يا ايها الكافرون
**السؤال الثالث** قوله تعالى ها هنا قل يا ايها الكافرون خطاب مع الكل او البعض الجواب لا يجوز ان يكون قوله
تعالى لا اعبد ما تعبدون خطابا مع الكل لان في الكفار من يعبد الله تعالى كاليهود والنصارى فلا يجوز
ان يقول لهم لا اعبد ما تعبدون ولا يجوز ايضا ان يكون قوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد خطابا مع الكل
لان في الكفار من آمن فصار بحسب من يعبد الله تعالى فاذن وجب ان يقال ان قوله تعالى يا ايها الكافرون
خطاب مشافهة مع اقوام مخصوصين وهم الذين قالوا نعبد الهك سنة وتعبد الهنا سنة والحاصل
انا لو حملنا الخطاب على العموم دخل التخصيص ولو حملناه على انه خطاب مشافهة لم يلزمنا ذلك فكان
حمل الاية على هذا المحمل اولى **اما قوله تعالى** لا اعبد ما تعبدون ففيه مسايل الاولى في هذه الاية
قولان احدهما انه لا تكرار فيها والثاني ان الاول للمستقبل والدليل على ان الاول للمستقبل ان لا لا يدخل





الا على مضارع في معنى الاستقبال الا ترى ان لن تاكيد فيما لا ينفيه لا وقال الخليل في لن اصله لا ان
فقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون اي لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا انتم فاعلون في المستقبل
ما اطلبه منكم من عبادة الهي ثم قال تعالى ولا انا عابد ما عبدتم اي ولست في الحال بعابد معبودكم ولا انتم في الحال بعابدين
لمعبودي الوجه الثاني ان تقلب الامر فتجعل الاول للحال والثاني للاستقبال والدليل على ان قوله تعالى ولا انا عابد
ما عبدتم للاستقبال انه رفع لمفهوم قولنا انا عابد ما عبدتم ولا شك ان هذا للاستقبال بدليل انه لو قال انا قاتل
زيدا فهم منه الاستقبال الوجه الثالث قال بعضهم كل واحد منهما يصلح للحال والاستقبال ولكنا نخص احدهما بالحال
والثاني بالاستقبال دفعا للتكرار فان قلنا انه اخبر عن الحال ثم عن الاستقبال فهو الترتيب وان قلنا اخبر اولا عن
الاستقبال فلانه هو الذي دعوه اليه فهو الاهم فبدا به فان قيل ما فايدة الاخبار عن الحال وكان معلوما انه ما كان يعبد
الاصنام واما الكفار فكانوا يعبدون الله تعالى في بعض الاحوال قلنا اما الحكاية عن نفسه فلئلا يتوهم الجاهل انه يعبدها
سرا خوفا منها او طمعا واما نفيه عبادتهم فلان فعل الكافر ليس بعبادة اصلا الوجه الرابع وهو اختيار ابي مسلم ان
المقصود من الاولين المعبود وما بمعنى الذي فكانه قال لا اعبد الاصنام ولا تعبدون الله واما في الاخيرين فما مع
الفعل في تاويل المصدر اي لا اعبد عبادتكم المبنية على الشرك وترك النظر ولا انتم تعبدون مثل عبادتي المبنية
على اليقين فان زعمتم انكم تعبدون الهي كان ذلك باطلا لان العبادة فعل ما مور به وما تفعلونه انتم فهو
منهي عنه وغير مامور الوجه الخامس ان تحمل الاول على نفي الاعتبار الذي ذكروه والثاني على النفي العام بجميع الجهات فكانه
اولا قال لا اعبد ما تعبدون رجاء ان تعبدوا الله ولا انتم عابدون الله رجاء ولا انا عابد صنمكم لغرض من الاغراض
ومقصود من المقاصد البتة بوجه من الوجوه ولا انتم عابدون ما اعبد بوجه من الوجوه واعتبار من الاعتبارات ومثاله
من يدعو غيره الى الظلم لغرض السعة فيقول لا اظلم لغرض السعة بل لا اظلم اصلا سوا لهذا الغرض ولا لسائر الاغراض القول
الثاني وهو ان تسلم حصول التكرار وعلى هذا القول الاول والعذر عنه من وجهين الاول ان التكرار يفيد التوكيد وكلما
كانت الحاجة الى التاكيد اشد كان التكرار احسن ولا موضع احوج الى التاكيد من هذا الموضع لان اولئك الكفار رجعوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى مرارا وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجواب فوقع في قلوبهم انه عليه السلام
قد مال الى دينهم بعض الميل فلا جرم دعت الحاجة الى التاكيد والتكرار في هذا النفي والابطال الوجه الثاني انه كان القرآن ينزل
شيئا بعد شيء وآية بعد آية جوابا عما يسالون فالمشركون قالوا استلم بعض آلهتنا حتى نؤمن بالهك فانزل الله تعالى ولا انا
عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد ولما كان هذا الذي ذكرناه محتملا لم يكن التكرار على هذا الوجه مضرا البتة الوجه
الثالث ان الكفار ذكروا تلك الكلمة مرتين تعبد الهنا شهرا ونعبد الهك شهرا وتعبد الهنا سنة ونعبد الهك سنة
فاتى بالجواب على التكرير على وفق قولهم وهو ضرب من التهكم فان من كرر الكلمة الواحدة لغرض فاسد يجازى بدفع تلك الكلمة على سبيل
التكرار استخفافا به الثالثة في الاية سؤال وهو ان كلمة ما لا يتناول من يعلم فهب ان معبودهم كان كذلك فصح التعبير عنه
بلفظ لكن معبود محمد عليه السلام هو اعلم العالمين فكيف قال ولا انتم عابدون ما اعبد والجواب من وجوه احدها ان
المراد من الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وثانيها ان ما مصدرية في الجملتين كانه قال لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون
عبادتي في المستقبل ثم قال ثانيا لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي وثالثها ان يكون ما بمعنى الذي وحينئذ يصح الكلام ورابعها
انه لما قال اولا لا اعبد ما تعبدون حمل الثاني عليه ليتسق الكلام كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها
احتج اهل الجبر انه تعالى اخبر عنهم مرتين بقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد والخبر الصدق عن عدم الشيء يضاد
وجود ذلك الشيء فالتكليف بتحصيل العبادة مع وجود الخبر الصدق بعدم العبادة تكليف بالجمع بين الضدين واعلم ان بقي
في الاية سؤالات الاول ان ذكر الوجه الذي لاجله تقبح عبادة غير الله تعالى كان اولى من هذا التكرار الجواب بل قد يكون
التاكيد والتكرير اولى من ذكر الحجة اما لان المخاطب بليد ينتفع بالمبالغة والتكرير ولا ينتفع بذكر الحجة او لاجل ان محل النزاع يكون في غاية الظهور
والمناظرة في مسئلة الجبر والقدر تجنه اما القايل بالصنم فهو اما مجنون يجب شده او عالم معاند فيجب قتله فان لم تقدر عليه فيجب
شتمه والمبالغة في الانكار عليه كما في هذه الاية الثاني اول السورة اشتمل على التشديد وهو النداء بالكفر والتكرير واخرها على
اللطف وهو قوله تعالى لكم دينكم ولي دين فكيف وجه الجمع بين الامرين الجواب كانه يقول اني قد بالغت في تحذيركم عن هذا الامر
القبيح وما قصرت فيه فان لم تقبلوا قولي فاتركوني سواء بسواء الثالث لما كان التكرير لاجل التاكيد والمبالغة فكان ينبغي ان يقول
لن اعبد ما تعبدون لان هذا ابلغ الا ترى ان اصحاب الكهف لما بالغوا قالوا لن ندعوا من دونه الها والجواب المبالغة انما يحتاج اليها
في موضع التهمة وقد علم كل احد من محمد صلى الله عليه وسلم انه ما كان يعبد الصنم قبل الشرع فكيف يعبده بعد ظهور الشرع بخلاف اصحاب
الكهف فانه وجد ذلك منهم فيما قبل اما قوله تعالى لكم دينكم ولي دين ففيه مسايل الاولى قال ابن عباس رضي الله عنهما لكم كفركم
بالله تعالى ولي التوحيد والاخلاص له فان قيل فهل يقال انه اذن لهم في الكفر قلنا كلا فانه عليه السلام ما بعث الا للمنع من الكفر فكيف ياذن
فيه ولكن المقصود منه احد امور احدها ان المقصود منه التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شيتم وثانيها كانه يقول اني نبي مبعوث
اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فاتركوني ولا تدعوني الى الشرك وثالثها لكم دينكم ولي دين فتكونوا عليها
ان كان الهلاك خيرا لكم ولي ديني لاني لا ارفضه القول الثاني في تفسير الاية ان الدين هو الحساب اي لكم حسابكم ولي حسابي ولا يرجع

الى ... احد منا من عمل صاحبه البتة القول الثالث ان يكون على تقدير حذف المضاف اي لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني
وحسبهم جزاء دينهم وبالا وعقابا كما حسبك جزاء دينك تعظيما وثوابا القول الرابع الدين العقوبة ولا نا بحدكم
[illegible] في دين الله يعني لكم العقوبة من ربي ولي العقوبة من اصنامكم لكن اصنامكم جمادات فانا
لا اخشى عقوبة الاصنام واما انتم فيحق لكم ان تخافوا عقوبة جبار السموات والارض القول الخامس
الدين الدعاء ادعوا الله مخلصين له الدين اي لكم دعاؤكم وما دعاء الكافرين الا في ضلال وان تدعوهم لا يسمعوا
دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ثم انها تبقى على هذه الحالة فلا تنصركم بل يوم القيامة تجحد ولسانا
يكفرون بشرككم واما ربي فيقول ويستجيب الذين آمنوا ادعوني استجب لكم اجيب دعوة الداع القول السادس
الدين العبادة قال الشاعر يقول لها وقد دارت وضيني أهذا دينه ابدا وديني يقول لكم عادتكم الماخوذة من اسلافكم
ومن الشياطين ولي [illegible] من الملائكة والجن الثالثة قوله لكم دينكم يفيد الحصر ومعناه لكم دينكم لا لغيركم ولي ديني
لا لغيري وهو اشارة الى قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ولا تزر وازرة وزر اخرى انا مأمور
بالوحي والتبليغ وانتم مأمورون بالامتثال والقبول فانا لما فعلت ما كلفت به خرجت عن عهدة التكليف واما
اصراركم على كفركم فذلك مما لا يرجع الي منه ضرر البتة جرت العادة بان الناس يتمسكون بهذه الآية عند
المتاركة وذلك غير جائز لانه تعالى ما انزل القرآن ليتمثل به بل ليتدبر فيه ثم يعمل بموجبه والله تعالى اعلم بالصواب

[illegible]

اذا جاء نصر الله والفتح في الآية لطائف احدها انه تعالى لما وصف محمدا بالتربية العظيمة بقوله ولسوف يعطيك ربك
فترضى وقوله تعالى انا اعطيناك الكوثر لا جرم كل يوم يزداد امره كانه تعالى قال يا محمد لم تضيق قلبك الست حين
لم يكن معك تمام [illegible] اصنعك بل نصرتك بالطير الابابيل وفي اول السورة [illegible] الطير ملائكة الن يكفيكم ان يمدكم
ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ثم الآن ازيد فاقول اني اكون ناصرا لك بذاتي اذا جاء نصر الله فقال الهي ان تم النعمة
اذا بعث الى مسكني ومولدي فقال والفتح فقال الهي لكن القوم اذا خرجوا فاي لذة في ذلك فقال ورأيت الناس يدخلون في
دين الله افواجا ثم كانه قال هل تعلم يا محمد باي سبب وجدت هذه التشريفات الثلاثة انما وجدتها لانك قلت في السورة
المتقدمة يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وهذا يشتمل على امور ثلاثة اولها نصرتني بلسانك وكان جزاؤه اذا جاء
نصر الله وثانيها [illegible] تعسكر التوحيد فاعطيتك الفتح [illegible] وهو المراد من قوله تعالى والفتح والثالث رغبة
جوارحك واعضائك في طاعتي [illegible] فانا ادخلت ايضا عبادي في طاعتك وهو المراد من قوله تعالى يدخلون
في دين الله افواجا ثم انك بعد ان وجدت هذه الخلع الثلاث فابعث الي هدايا ثلاثة انواع من العبودية تهادوا تحابوا
ان نصرتك فسبح وان فتحت مكة فاحمد وان [illegible] فاستغفر وانما وضع في مقابلة نصر الله التسبيح لان التسبيح هو تنزيه الله
تعالى عن مشابهة المحدثات [illegible] انه نصرك فاياك ان تظن انه انما نصرك لانك تستحق منه ذلك النصر بل اعتقد
كونه منزها عن ان يستحق عليه احد من الخلق شيئا ثم جعل في مقابلة فتح مكة الحمد لان النعمة لا يمكن ان تقابل الا بالحمد
ثم جعل في مقابلة دخول الناس في الدين الاستغفار وهو المراد من قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
[illegible] القلب بلذة الجاه والقبول فاستغفر لهذا القدر من ذنبك واستغفر لذنبهم فانهم كلما كانوا اكثر كانت
ذنوبهم اكثر وكانت حاجتهم الى استغفارك اكثر [illegible] عليه السلام لما [illegible] عن الكفر [illegible]
في قوله يا ايها الكافرون [illegible] بعض القول [illegible] فقال لكم دينكم ولي دين [illegible] يا محمد [illegible]
[illegible] اذا جاء نصر الله [illegible] لا تذهب الى الارض بل تجيء بالارض [illegible]
[illegible] المقام [illegible] الرحلة [illegible] سبحان الذي اسرى بعبده [illegible]
[illegible]
الوجه الثالث كانه سبحانه قال يا محمد [illegible] الدنيا [illegible] فرحت بالكوثر [illegible]
[illegible]



بين هذه السورة وبين ان هذه السورة من اواخر ما نزل بالمدينة وتلك السورة من اوائل ما نزل بمكة ليعلم ان ترتيب هذه
السور من الله وبامره الوجه الخامس ان في السورة المتقدمة لم يذكر شيئا من اسماء الله تعالى بل قال لا اعبد
بلفظ ما كانه قال لا اذكر اسم الله تعالى حتى لا يستحقوا فيزداد عقوبتهم وفي هذه السورة ذكر اعظم اسمائه
لانها منزلة على الاحباب ليكون ثوابهم بقراءته اعظم فكانه سبحانه قال لا اذكر اسمي مع الكافرين حتى
لا يهينوه واذكره مع الاولياء الوجه السادس قال النحويون اذا منصوب بسبح فالتقدير فسبح بحمد ربك
اذا جاء نصر الله كانه سبحانه يقول جعلت الوقت ظرفا لما تريده وهو النصر والفتح والظفر وملأت ذلك
الظرف من هذه الاشياء وبعثته اليك فلا ترده علي فارغا املأه من العبودية ليحقق معنى تهادوا
تحابوا وكان محمدا صلى الله عليه وسلم قال باي شيء املأ ظرف هديتك وانا فقير فقال الله تعالى
في المعنى ان لم تجد شيئا آخر فلا اقل من تحريك اللسان بالتسبيح والحمد والاستغفار فلما جعل محمد صلى الله
عليه وسلم ذلك حصل معنى تهادوا لا جرم حصلت المحبة فلهذا كان محمد صلى الله عليه وسلم حبيب الله تعالى
الوجه السابع كانه تعالى يقول اذا جاء النصر والفتح ودخلت الناس في دينك فاشتغل انت ايضا بالحمد
والتسبيح والاستغفار فاني قلت لئن شكرتم لازيدنكم فيصير اشتغالك بهذه الطاعات سببا
لمزيد درجاتك في الدنيا والآخرة ولا يكون في الترقي حد يصير الوعد بقوله انا اعطيناك الكوثر
الوجه الثامن ان الايمان انما يتم بامرين بالتبري والولاية اما قوله تعالى اذا جاء نصر الله اعلم
ان في الآية سؤالات تتعلق بهذه الوجوه الكلية المتعلقة بهذه السورة قوله تعالى اذا جاء نصر الله واعلم
ان في الآية اسرارا وانما يمكن بيانها في معرض السؤال والجواب السؤال الاول ما الفرق بين النصر والفتح
حتى عطف الفتح على النصر الجواب من وجوه احدها النصر هو الاعانة على تحصيل المطلوب الذي كان متعلقا بهما
فالظاهر ان النصر كالسبب للفتح فلهذا بدا بذكر النصر وعطف الفتح عليه وثانيها يحتمل ان يقال النصر كمال الدين
والفتح الاقبال الدنيوي الذي هو تمام النعمة ونظير هذه الآية قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
وثالثها النصر هو الظفر والفتح الجنة كما قال تعالى وفتحت ابوابها واظهر الاقوال ان النصر انه الغلبة على قريش
او على جميع العرب السؤال الثاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ابدا منصورا بالدلائل والمعجزات
فما المعنى في تخصيص لفظ النصر بفتح مكة والجواب من وجهين احدها المراد من هذا النصر هو النصر الموافق
للطبع وانما جعل لفظ المطلق دالا على هذا النصر المخصوص لان هذا النصر لعظم موقعه من نفوس اهل الدنيا
جعل ما قبله كالمعدوم كما ان الثواب عند دخول الجنة يصير كانه لم يذق نعمة قط والى هذا المعنى الاشارة
بقوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله وثانيها لعل المراد نصر الله في امور
الدنيا الذي حكم به لانبيائه بقوله تعالى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر السؤال الثالث النصر لا يكون
الا من الله تعالى قال تعالى وما النصر الا من عند الله فما الفائدة في هذا التقييد وهو قوله تعالى نصر الله
والجواب معناه نصر لا يليق الا بالله ولا يليق ان يفعله الا الله او لا يليق الا بحكمته ويقال هذا صنعة زيد
اذا كان زيد مشهورا باحكام الصنعة والمراد منه تعظيم حال تلك الصنعة فكذا ههنا [illegible] نصر الله لانه
اجابة لدعائهم متى نصر الله فيقول ههنا هو الذي سألتموه السؤال الرابع وصف النصر بالمجيء مجاز وحقيقته
اذا وقع نصر الله فما الفائدة في ترك الحقيقة وذكر المجاز الجواب فيه اشارات احدها ان الامور مرتبطة
باوقاتها وانه سبحانه وتعالى قدر لحدوث كل حادث اسبابا معينة واوقاتا مقدرة يستحيل فيها
التقدم والتاخر والتغير والتبدل فاذا حضر ذلك الوقت وجاء ذلك الزمان حضر معه ذلك الاثر واليه الاشارة
بقوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وثانيها ان اللفظ دل على ان النصر
كان كالمشتاق الى محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لان ذلك النصر كان مستحقا له بحكم الوعد فما لم يقتضي
موجودا الآن يحتمل الاثر فكان لفقدان الشرط كان كالفعل المعلق فان بقاء يوجب الهوى الا ان العلائق
مانعة فالنصر يكون كالمشتاق الى الهادي فكذا ههنا النصر كالمشتاق الى محمد صلى الله عليه وسلم وثالثها
ان عالم العدم ينبوع الموجودات والرحمة وهو بحر لا نهاية له وهو عالم الظلمات الا ان في قعرها ينبوع وجود الله
وايجاده ثم انبعث بحار الوجود والانوار واخرجت الى السيلان وسيلانها يقتضي في كل حين وصولها اليك
فاذا جاءتك امواج هذا البحر فاشتغل بالتسبيح والتحميد والاستغفار فهذه الثلاثة هي السفينة التي لا يمكن الخلاص
من بحار الربوبية الا بها ولهذا السبب لما ركب نوح بحر التقدير والكمال استعان بقوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها
السؤال الخامس لا شك ان الذين اعانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة هم الصحابة من المهاجرين والانصار
ثم انه سمى نصرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم نصر الله فما السبب في ان صار الصادر منهم مضافا الى الله الجواب هذا حرف
يتفرع منه حرف سر القضاء والقدر وذلك لان فعلهم فعل الله وتقريره ان افعالهم مستندة الى ما في قلوبهم من الدواعي
والصوارف وامور حادثة فلا بد لها من محدث وليس هو العبد [illegible] من هذا الاعتبار صارت النصرة المضافة الى الصحابة

بعينها مضافة الى الله تعالى فان قيل فعلى هذا التقرير الذي ذكرتم يكون فعل العبد مقدما على فعل الله وهذا خلاف النص
لانه قال ان ينصركم والله يجعل نصر مكة مقدما على نصرة لنا والجواب انه لا امتناع في ان تصدر عن الحق فعل فيتبعه ذو سببا
لصدور فعل عنا ثم الفعل عنا ينساق الى فعل اخر يصدر عن الرب فان اسباب الحوادث ومسبباتها متسلسلة على ترتيب
عجيب تعجز عن ادراك كيفيته اكثر العقول البشرية السؤال السادس كلمة اذا للمستقبل فههنا لما ذكر وعدا متصلا بالنصر
قال اذا جاء نصر الله فذكره بلفظ المستقبل حين قال تعالى ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا ... فذكره بلفظ
الرب والجواب انه تعالى بعد وجود الفعل صار ... ما كان ربا لكن كان الها السؤال السابع انه تعالى قال ان تنصروا
الله ينصركم وان محمدا عليه السلام نصر الله حين قال قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون فكان واجبا بحكم هذا الوعد
... فلا جرم قال اذا جاء نصر الله فهل تقول بان هذا النصر كان واجبا عليه الجواب انما ليس بواجب فقد يصير واجبا بالوعد
وقيل الكريم الزم من دين الغريم كيف ويجب على الوالد نصرة ولده وعلى المولى نصرة عبده ويجب النصر على الاجنبي اذا ... بان كان
واحد ... نفسه ثم اجتمعت هذه الا ... في حقه تعالى فوعد مع الكرم وهو ارفق
... وهو ... الملك ومولى بحسب السلطنة وقيوم للتدبير وواحد
... الكريم نصرة ... قال تعالى اذا جاء نصر الله ... ما قوله تعالى والفتح ففيه مسائل
المسألة الاولى نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الفتح هو فتح مكة وهو الفتح الذي يقال له فتح الفتوح روي انه لما كان
صلح الحديبية ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ... كان في عهد قريش على خزاعة وكانوا في عهد النبي صلى الله
عليه وسلم ... رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك عليه ثم قال ... هذا العارض
... فان ابا سفيان يجيء يلتمس ان يجدد العهد فلم يمض ساعة ان جاء الرجل
... ولا ... الصحابة والتجا الى ... ذلك ورجع الى مكة ... وتجهز
رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الى مكة ثم ... ان سارة ... المدينة فقال لها عليه السلام
... قالت كنتم الموالي ... رسول الله ... بني عبد المطلب ...
... اعلموا ان رسول الله يريدكم
[illegible]





ولان المحقق يخلي سبيله فيذهب حيث شاء والمطلقة تحبس في البيت للعدة وتم الفوز ... كالمنسوخ ثم ان القوم
بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فصاروا يدخلون في دين الله افواجا روي انه عليه الصلاة والسلام صلى
ثماني ركعات اربعا صلاة الضحى واربعا اخرا شكرا لله نافلة له فهذا هو قصة فتح مكة والمشهور عند المفسرين ان المراد من الفتح
في هذه السورة هو فتح مكة ومما يدل على ان المراد بالفتح فتح مكة انه تعالى ذكره مقرونا بالنصر وقد كان يجد النصر دون الفتح كبدر
والفتح دون النصر كاجلاء بني النضير فانه فتح البلد لكن لم ياخذ القوم اما يوم فتح اجتمع الامران الفتح والنصر ... الخلق له كالارقا
حتى اعتقهم القول الثاني ان المراد فتح خيبر وقد كان ذلك على يد علي بن ابي طالب والقصة مشهورة وروي انه استعصى ... الوليد
وقد كان ... في الشجاعة فلما انصب السلم قال لخالد القدم قال لا قال فلما تقدم علي ساله كم صعدت فقال ... كثرة الخوف
وروي انه قال ... فقال الست صرعتك فقال نعم لكن ذلك قبل اسلامي ولعل عليا امتنع من مصارعته ليقع صيت
في الاسلام انه رجل يمتنع عنه علي وكان علي يقول صرعتك حين كنت كافرا اما الان وانت مسلم فلا ... القول الثالث انه
فتح الطائف وقصته طويلة والقول الرابع ... وقيل هو ... الحس
الا ... ما فتح الله عليه من العلوم ومنه قوله تعالى وقل رب زدني علما ...
وصفا القلب وذلك هو المراد من قوله تعالى اذا جاء نصر الله ويمكن ان يكون المراد بنصر الله اعانته ...
وهو انفتاح عالم المعقولات والروحانيات الثانية على فتح مكة ... هذه السورة قولان احدهما ان فتح
مكة كان سنة ثمان وانزلت هذه السورة سنة عشر وروي انه عاش بعد نزول هذه السورة سبعين يوما ولذلك
سميت سورة التوديع والقول الثاني نزلت قبل فتح مكة وهو وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ... اهل مكة
وان يفتحها عليه ونظيره قوله تعالى ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد ...
اذ لا يقال فيما وقع اذا جاء نصر الله واذا وقع صح هذا القول صارت هذه الاية من جملة ... 
حين ... والاخبار عن الغيوب فان قيل ... ذكر النصر مضافا الى الله ... 
الى فتح مكة اما قوله تعالى ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا ... 
معناه علمت فان كان معناه ابصرت كان يدخلون ... 
في دين الله افواجا وان كان معناه علمت كان يدخلون ...
[illegible]

ذلك ان ... [illegible] ... ذلك بمكاثرة او ما كانوا كذلك [illegible]
انهم كانوا [illegible] وروى عن الحسن انه قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
[illegible] وقالوا اذا ظفر باهل الحرم فليس لنا به يدان وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل
[illegible] في دين الاسلام افواجا من غير قتال [illegible] فقال هذا ما رواه
الحسن [illegible] بانه لما ظفر باهل مكة وجب [illegible] على الحق ليس بحجر فعلمنا انهم
ما كانوا [illegible] هو الاسلام لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام
ولقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه [illegible] اسماء اخر منها الايمان قال تعالى
فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ومنها الصراط قوله تعالى
صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض [illegible] ومنها النور لقوله تعالى ليطفئوا
نور الله ومنها هدى لقوله تعالى [illegible] ومنها العروة فمن استمسك بالعروة الوثقى
ومنها الحبل واعتصموا بحبل الله ومنها صبغة الله [illegible] في دين الله [illegible] في دين الرب
[illegible] هذا الاسم [illegible] على الذات والصفات فكانه يقول
[illegible] الثاني لو قال الرب لكان يشعر
ذلك [illegible] طاعتك معللة بطلب
النفع فلا يكون الاخلاص حاصلا فكانه يقول [illegible]
كانت [illegible] وعن جابر بن
عبد الله [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس
[illegible]



وتقريره [illegible] فلا ينبغي ان ترى [illegible] بالطاعة اللائقة بل يجب ان ترى نفسك في هذه
[illegible] او استغفار [illegible] في طاعة الله تعالى [illegible]
اما [illegible] ان كنت معصوما [illegible] بالتسبيح والتحميد [illegible]
بالاستغفار فيكون الاية [illegible] على انه لا فراغ عن التكاليف في العبودية كما قال تعالى [illegible] حتى
يأتيك اليقين الثالثة في المراد من التسبيح وجهان الاول انه [illegible]
عليه وسلم عنه فقال [illegible]
نفسه من ان [illegible] فيه او [illegible]
وانما حسن استعماله في تنزيه الله تعالى عما لا يجوز عليه في صفاته [illegible]
النجاسة فكذا الحق سبحانه وتعالى [illegible] الثاني
ان المراد بالتسبيح الصلاة لان هذا اللفظ وارد في القرآن بمعنى الصلاة قال تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقال
تعالى فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس [illegible]
اخر مرضه تقول الصلاة وما ملكت ايمانكم [illegible]
يوم الفتح ثمان ركعات وقال اخرون [illegible]
بالتسبيح [illegible]
القول [illegible] الكثيرة الواردة [illegible] حديث عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول
هذه الاية يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك [illegible]
يقول كثيرا في ركوعه سبحانك اللهم وبحمدك [illegible]
[illegible]

فيها الا يكون في وسع البشر [illegible] اشارة الى
التسبيح والحمد المراد لا يجوز تأخير احدهما عن الثاني [illegible]
بالغيب [illegible]
معا [illegible] فقد ظهرت
[illegible] تعالى بحمد ربك اشارة الى [illegible]
كل الاشياء من الله تعالى [illegible] في قوله تعالى واستغفره [illegible]
تعالى [illegible] البشارة فذكر لفظ
الناس [illegible] في دين الله [illegible] النبي
صلى الله عليه وسلم [illegible] ان تشتغل
بالاستغفار [illegible] كان السباع
[illegible] المشتري عدوا او وليا فكذا
الرب سبحانه وتعالى [illegible] استغفر لكم
[illegible] فان كان المراد
هو الاول [illegible] الاستغفار وجوها
احدها انه [illegible]
[illegible]
[illegible] انه غفار وثانيها
[illegible]



[illegible]
فانت تواب [illegible] التوابة [illegible]
اتيانه بالتوبة كثيرا [illegible] الاستغفار [illegible]
بلسانه المصر بقلبه كالمستهزئ [illegible] التوبة اسم للرجوع
والندم [illegible] الاستغفار [illegible] وفيه تنبيه على ان خواتيم
الاعمال يجب ان يكون بالتوبة [illegible] بالاستغفار
عن السؤال الثالث انه تعالى [illegible] والثاني التواب
ولما كانت التوبة تحصل [illegible] اخرة
الصحابة اتفقوا على ان هذه [illegible]
فقال النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
هو الذي قال ذلك فقال [illegible] الناس
ويأذن له مع اهل بدر فقال [illegible] قال ابن عباس
فاذن لهم ذات يوم واذن لي [illegible] فقال بعضهم
تنبيه اذا فتح علينا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الاقربون انى لا املك لكم من الله شيئا وانى لا املك لكم من الدنيا حظا ولا من الاخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله فاشهد لكم بها عند ربكم فقال ابو لهب عند ذلك تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت السورة وثانيها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد الصفا ذات يوم وقال يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقالوا ما لك قال ارايتكم ان اخبرتكم ان العدو مصبحكم او ممسيكم اما كنتم تصدقونني قالوا بلى قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال عند ذلك ابو لهب ما قال فنزلت السورة وثالثها جمع اعمامه وقدم اليهم طعاما فى صحفة فاستحقروه وقالوا ان احدنا ليأكل كل الشاة فقال كلوا فاكلوا حتى شبعوا ولم ينقص من الطعام الا اليسير ثم قال ابو لهب فما لى ان اسلمت فقال ما للمسلمين فقال افلا افضل عليهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم وبماذا تفضل فقال تبا لهذا الدين الذى يستوى فيه انا وغيرى ورابعها كان اذا وفد على النبى صلى الله عليه وسلم وفد سالوا عنه وقالوا انت اعلم به فيقول لهم انه ساحر فيرجعون عنه ولا يلقونه فاتاه وفد ففعل لهم مثل ذلك فقالوا لا ننصرف حتى نراه فقالوا انا لم نزل نعالجه من الجنون فتبا له وتعسا فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ونزلت السورة قوله تعالى تبت يدا ابى لهب اعلم ان قوله تعالى تبت فيه اقاويل احدها التباب الهلاك ومنه قولهم شابة اى هالكة من الهرم ونظيره قوله تعالى وما كيد فرعون الا فى تباب اى فى هلاك والذى يقرر ذلك ان الاعرابى لما واقع اهله نهارا فى رمضان قال له هلكت واهلكت ثم ان النبى عليه السلام ما انكر ذلك فدل على انه كان صادقا فى ذلك ولا شك ان العمل اما ان لا يكون داخلا فى الايمان او كان داخلا لكنه اضعف اجزائه فاذا كان بترك العمل حصل الهلاك ففى حق ابى لهب حصل ترك الاعتقاد والقول والعمل وحصل وجود الاعتقاد الباطل والقول الباطل والعمل الباطل فكيف يعقل ان لا يحصل معنى الهلاك فلهذا قال تعالى تبت وثانيها تبت خسرت والتباب هو الخسران المفضى الى الهلاك ومنه قوله تعالى وما زادوهم غير تتبيب اى تخسير بدليل انه قال فى موضع اخر غير تخسير وثالثها تبت خابت قال ابن عباس رضى الله عنهما لانه كان يدفع القوم عنه بقوله انه ساحر فينصرفون عنه قبل لقائه لانه كان شيخ القبيلة وكان له كالاب فكان لا يتهم فلما نزلت السورة وسمع بها غضب واظهر العداوة الشديدة فصار متهما فلم يقبل قوله فى الرسول بعد ذلك فكانه خاب سعيه وبطل غرضه ولعله انما ذكر اليد لانه كان يضرب بيده على كتف الوافد عليه فيقول له انصرف راشدا فانه مجنون فان المعتاد ان من يصرف انسانا عن موضع وضع يده على كتفه ودفعه عن ذلك الموضع ورابعها عن عطا تبت اى غلبت لانه كان يعتقد ان يده العليا وانه يخرجه من مكة ويذله ويغلب عليه وخامسها عن ابن عباس رضى الله عنهما تبت صفرت يده عن كل خير فان قيل ما فائدة ذكر اليدين قلنا فيه وجوه احدها ما روى انه اخذ حجرا ليرمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن طارق المحاربى انه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السوق يقول للناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ورجل خلفه يرميه بالحجارة وقد ادمى عقبه ويقول لا تطيعوه فانه كذاب فقلت من هذا فقالوا محمد وذاك عمه ابو لهب وثانيها المراد من اليدين الجملة كقوله تعالى ذلك بما قدمت يداك وقوله تعالى مما عملت ايدينا انعاما وهذا المجاز مستمر كقوله تعالى وتب وثالثها تبت يداه اى دينه ودنياه اولاه وعقباه او لانه باحدى اليدين يجر المنفعة وبالاخرى يدفع المضرة او لان اليمنى سلاح والاخرى جنة ورابعها روى انه عليه السلام لما دعاه نهارا فابى فلما جن عليه الليل ذهب الى داره مستنا بسنة نوح ليدعوه ليلا كما دعاه نهارا فلما دخل عليه قال له جئتنى معتذرا فجلس النبى صلى الله عليه وسلم كالمحتاج وجعل يدعوه الى الاسلام وقال ان كان يمنعك العار فاجبنى فى هذا الوقت واسكت فقال لا او من بك حتى يؤمن بك هذا الجدى فقال عليه السلام للجدى من انا فقال رسول الله واطلق الله لسانه يثنى عليه فاستولى الحسد على ابى لهب واخذ بيدى الجدى ومزقه وقال تبا لك اثر فيك السحر فقال الجدى بل تبا لك فنزلت السورة على وفق ذلك تبت يدا ابى لهب لتمزيقه يدى الجدى وخامسها قال محمد بن اسحاق روى ان ابا لهب كان يقول يعدنى محمد اشياء لا ارى انها كائنة يزعم انها بعد الموت فلم يضع فى يدى من ذلك شيئا فنزلت السورة اما قوله تعالى وتب فيه وجوه احدها انه اخرج الاول مخرج الدعاء عليه كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره والثانى فى مخرج الخبر اى كان ذلك وحصل ويؤيده قراءة ابن مسعود وقد تب وثانيها كل واحد منهما اخبار ولكنه اراد بالاول هلاك عمله وبالثانى هلاك نفسه ووجهه ان المرء انما يسعى لمصلحة نفسه وعمله فاخبر الله تعالى انه محروم من الامرين وثالثها تبت يدا ابى لهب يعنى ماله ومنه يقال ذات يده وتب هو بنفسه كما يقال جزاه الله واهلكه وهو قول ابى مسلم ورابعها تبت يدا ابى لهب يعنى نفسه وتب ولده عتبة على ما روى ان عتبة بن ابى لهب خرج الى الشام مع اناس من قريش فلما هموا ان يرجعوا قال لهم عتبة بلغوا محمدا انى كفرت بالنجم اذا هوى وروى انه قال ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفل فى وجهه وكان مبالغا فى عداوته فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فوقع الرعب فى قلب عتبة وكان يحترز فسار ليلة من الليالى فلما كان قريبا من الصبح قال له اصحابه هلكت الركاب فنزلوا به حتى يقد وهم حوله واناخوا الابل حوله كالسرادق فسلط الله تعالى عليه الاسد والقى السكينة على الابل فجعل الاسد يتخلل حتى افترسه فان قيل ان نزول هذه السورة كان قبل هذه الواقعة وقوله تعالى وتب اخبار عن الماضى



فكيف يحمل عليه قلنا لانه كان فى معلوم الله تعالى انه يحصل ذلك وخامسها تبت يدا ابى لهب حيث لم يعلم حق ربه وتب حين لم يعرف حق رسوله وفى الاية سؤالات الاول لماذا كناه مع انه كالكذب اذ لم يكن له ولد اسمه لهب وايضا فالكنية من باب التعظيم والجواب عن الاول ان الكنية قد تكون اسما ويؤيده قراءة من قرا تبت يدا ابو لهب كما يقال على بن ابو طالب رضى الله عنه ومعاوية بن ابو سفيان فان هؤلاء اسماؤهم كناهم واما معنى التعظيم فاجيب عنه من وجوه احدها انه لما كان اسما خرج عن افادة التعظيم والثانى ان اسمه كان عبد العزى فعدل عنه الى كنيته والثالث انه لما كان من اهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بان يذكر بها ويقال ابو لهب كما يقال ابو الشر للشرير وابو الخير للخير الرابع كنى بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما ويجوز ان يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك السؤال الثانى ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان من الرحمة والخلق العظيم بمنزلة عظيمة فكيف يليق به ان يخاطب عمه بهذا التغليظ الشديد وكان نوح عليه السلام فى نهاية التغليظ على الكفار وقال فى ابنه الكافر ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق وكان نوح عليه السلام يخاطب اباه فى الشفقة فى قوله يا ابت وابوه كان يخاطبه [illegible] الشديد ولما قال له لارجمنك واهجرنى مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربى واما موسى عليه السلام لما بعثه الله تعالى الى فرعون قال له ولهرون فقولا له قولا لينا مع ان جرم فرعون كان اغلظ من جرم ابى لهب كيف ومن شرع محمد صلى الله عليه وسلم ان الاب لا يقتل بابنه قصاصا ولا يقيم الرجم عليه وان خاصمه ابوه وهو كافر فى الحرب فلا يقتله بل يدفعه عن نفسه حتى يقتله غيره والجواب من وجوه احدها انه كان يصرف الناس عن محمد صلى الله عليه وسلم بقوله انه مجنون والناس ما كانوا يتهمونه لانه كان كالاب لهم فصار ذلك مانعا من اداء الرسالة الى الخلق فشافهه الرسول عليه السلام بذلك حتى عظم غضبه واظهر العداوة الشديدة فصار بسبب تلك العداوة بينهما كالقدح فى محمد صلى الله عليه وسلم فلم يقبل قوله فيه بعد ذلك وثانيها ان الحكمة فى ذلك ان محمدا صلى الله عليه وسلم لو كان يداهن احدا فى الدين ويسامحه لكانت تلك المداهنة والمسامحة مع عمه الذى هو قائم مقام ابيه فلما لم يحصل هذه المداهنة معه انقطعت الاطماع وعلم كل احد انه لا يسامح احدا فى شئ يتعلق بالدين اصلا وثالثها ان الوجه الذى ذكرتم كالمتعارض فان كونه عما يوجب ان يكون له الشفقة العظيمة عليه فلما انقلب الامر وحصلت العداوة العظيمة لاجرم استحق التغليظ العظيم السؤال الثالث ما السبب فى انه لم يقل قل تبت يدا ابى لهب وقال فى سورة الكافرين قل يا ايها الكافرون الجواب من وجوه الاول ان قرابة العمومة تقتضى رعاية الحرمة فلهذا السبب لم يقل ذلك لئلا يكون مشافهة له بالشتم بخلاف السورة الاخرى فان اولئك الكفار ما كانوا اعماما له الثانى ان الكفار فى تلك السورة طعنوا فى الله تعالى فقال الله تعالى يا محمد اجب عنهم قل يا ايها الكافرون وفى هذه السورة طعنوا فى محمد صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى اسكت انت فانى اشتمهم تبت يدا ابى لهب الثالث لما شتموك فاسكت حتى يندرج تحت هذه الاية واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما واذا سكت انت فانا اكون المجيب عنك روى ان ابا بكر كان يؤذيه واحد فبقى ساكتا فجعل الرسول عليه السلام يدفع ذلك الشاتم ويزجره فلما شرع ابو بكر رضى الله عنه فى الجواب سكت الرسول عليه السلام فقال ابو بكر رضى الله عنه ما السبب فى ذلك قال لانك حين كنت ساكتا كان الملك يجيب عنك فلما شرعت فى الجواب انصرف الملك وجاء الشيطان واعلم ان هذا تنبيه من الله تعالى على ان من لا يشافه السفيه كان الله تعالى دافعا عنه وناصرا له ومعينا السؤال الرابع ما الوجه فى قراءة عبد الله بن كثير المكى حيث كان يقرا ابى لهب ساكنة الهاء الجواب قال ابو على يشبه ان يكون لهب ولهب لغتين كالسمع والسمع والنهر والنهر واجمعوا فى قوله تعالى سيصلى نارا ذات لهب على فتح الهاء وكذا قوله تعالى ولا يغنى من اللهب وذلك يدل على ان الفتح اوجه من الاسكان وقال غيره انما اتفقوا على الفتح فى الثانية مراعاة لوفاق الفواصل كقوله تعالى ما اغنى عنى ماليه وقوله تعالى ما اغنى عنه ماله وما كسب وفى الاية مسائل ما فى قوله تعالى ما اغنى يحتمل ان يكون استفهاما بمعنى الانكار ويحتمل ان يكون نفيا على التقدير الاول يكون المعنى اى تاثير كان لماله وكسبه فى دفع البلاء عنه فانه لا احد اكثر مالا من قارون فهل دفع الموت عنه وعلى التقدير الثانى يكون ذلك اخبارا بان المال والكسب لا ينفعان فى ما كسب مرفوع وما موصولة او مصدرية بمعنى ومكسوبه اى وكسبه يروى انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخى حقا فانا افدى فيه نفسى بمالى واولادى فانزل الله تعالى هذه الاية ثم ذكروا فى المعنى وجوها احدها لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعنى راس المال والارباح وثانيها المال هو الماشية وما كسب من نسلها ومنافعها فانه كان صاحب النعم والنتاج وثالثها ماله الذى ورثه من ابيه والذى كسبه بنفسه ورابعها قال ابن عباس رضى الله عنهما ما كسب ولده والدليل عليه قوله عليه السلام ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وقال عليه السلام انت ومالك لابيك وروى ان بنى ابى لهب احتكموا اليه فاختصموا واقتتلوا فقام يحجز بينهم فوقع بعضهم فغضب فقال اخرجوا عنى الكسب الخبيث وخامسها

قال الضحاك ماينفعه ماله وعمله الخبيث يعني كيده في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسادسها قال قتادة
وماكسب اي عمله الذي ظن انه على شي كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل وفي الاية سؤالات السؤال الاول
قال ها هنا ما اغنى عنه ماله وماكسب وقال في سورة والليل اذا يغشى وما يغني عنه ماله اذا تردى فما الفرق
الجواب التعبير بلفظ الماضي يكون اكد لقوله تعالى ما اغنى عني ماليه وقوله تعالى اتى امر الله السؤال الثاني
ما اغنى عنه ماله وماكسبه فيما ذا الجواب قال بعضهم في عداوة الرسول فلم تغلب عليه وقال بعضهم بل لم يغن
عنهم في دفع النار ولذلك قال سيصلى نارا ذات لهب وفيه مسايل لما اخبر تعالى عن حال ابي لهب بالماضي
بالتباب وبانه ما اغنى عنه ماله اخبر عن حاله في المستقبل بانه سيصلى نارا سيصلى قرى بالفتح
في اليا وبضمها مخففا ومشددا هذه الايات تتضمن الاخبار عن الغيب من ثلاثة
اوجه احدها الاخبار عنهم بالتباب والخسارة وقد كان ذلك وثانيها الاخبار عنه بعدم الانتفاع بماله
والولد وقد كان ذلك روى ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب
وكان الاسلام دخلنا فاسلم العباس واسلمت ام الفضل واسلمت انا وكان العباس يهاب القوم ويكتم اسلامه
وكان ابو لهب تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام ولم يتخلف رجل منهم الا بعث مكانه رجلا اخر
فلما جاء الخبر عن واقعة اهل بدر وجدنا في انفسنا قوة وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح [illegible]
في حجرة زمزم فكنت جالسا على طنب الحجرة هناك وعندي ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر
اذ اقبل ابو لهب يجر رجليه فجلس على طنب الحجرة وكان ظهري الى ظهره فبينا هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان
ابن الحرث بن عبد المطلب فقال ابو لهب كيف الخبر يا ابن اخي فقال لقينا القوم ومنحناهم اكتافنا فقتلونا
كيف شاوا وايم الله ومع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض
قال ابو رافع فرفعت طنب الحجرة ثم قلت اولئك والله الملائكة فاخذني وضربني على الارض ثم نزل
على وضربني وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل وضربته على راسه بحجر فشجته وقالت يستضعفه
ان غاب سيده والله نحن مومنون وقد صدق فيما قال فانصرف ذليلا فوالله ما عاش بعدها الا سبع ليال حتى رماه الله تعالى
بالعدسة فقتلته ولقد تركه ابناه ليلتين او ثلاثا ما يدفنانه حتى انتن في بيته وكانت قريش تسمي العدسة وعدوها
كما تسمي الناس الطاعون وقالوا نخشى هذه القرحة ثم دفنوه وتركوه فهذا معنى قوله تعالى ما اغنى عنه ماله وماكسب وثالثها
الاخبار بانه من اهل النار وقد كان كذلك لانه مات على الكفر احتج اهل السنة على وقوع تكليف
ما لا يطاق بان الله تعالى كلف ابا لهب بالايمان ومن جملة الايمان تصديق الله تعالى في كل ما اخبر به عنه انه لا يومن وانه
من اهل النار فقد صار مكلفا بان لا يومن وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين وهو محال واجاب الكعبي وابو الحسن البصري بانه
لو امن ابو لهب لكان هذا الخبر خبرا بانه امن لا بانه ما امن واجاب القاضي عنه فقال متى سئل لو فعل الله تعالى ما اخبر انه
لا نفعله فكيف كان يكون فجوابنا انه لا يصح الجواب عن ذلك بلا او نعم واعلم ان هذين الجوابين في غاية السقوط اما الاول
فلان هذه الاية دالة على ان خبر الله عن عدم ايمانه واقع والخبر الصدق عن عدم الايمان ينافي وجود الايمان منافاة
ذاتيه ممتنعة الزوال فاذا كلفه ان ياتي بالايمان مع وجود هذا الخبر فقد كلفه بالجمع بين المتنافيين واما الجواب الثاني
فانك من الاول لانا لسنا في طلب ان يذكروا بلسانهم لا او نعم بل صريح العقل شاهد بان بين كون الخبر عن عدم الايمان
صدقا وبين وجود الايمان منافاة ذاتيه كان التكليف بتحصيل احد المتنافيين حال حصول الاخر تكليفا بالجمع
بين الضدين وهذا الاشكال قائم سواء ذكر الخصم بلسانه شيا او بقي ساكتا اما قوله تعالى وامراته حمالة الحطب ففيه مسايل
قرى ومريئته بالتصغير وقرى حمالة الحطب بالنصب على الشتم قال صاحب الكشاف وانا احب هذه القراءة وقد توسل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من احب شتم جميل وقرى حمالة الحطب بالتنوين والرفع والنصب
ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان بن حرب عمة معاوية وكانت في غاية
العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا في تفسير كونها حمالة الحطب وجوها احدها انها كانت
تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنثره بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قيل انها كانت من بيت
العز فكيف نقول انها كانت حمالة الحطب قلنا لعلها كانت مع كثرة مالها خسيسة وكانت لشدة عداوتها
تحمل بنفسها الشوك والحطب لاجل ان تلقيه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وثانيها كانت تمشي بالنميمة
يقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة ويقال للمكثار هو حاطب
الليل وثالثها قول قتادة انها تعير رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر فعيرت بانها كانت تحتطب والرابع
قول ابي مسلم وسعيد بن جبير ان المراد ما حملت من الاثام في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم لانه كالحطب في مصيرها
الى النار ونظيره انه تعالى شبه فاعل الاثم بمن يمشي وعلى ظهره حمل فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وقال تعالى
يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال تعالى وحملها الانسان امراته ان رفعت ففيه وجهان
احدهما العطف على الضمير في سيصلى هو وامراته في جيدها الحبل والثاني الرفع على الابتداء وفي جيدها

الخبر



الخبر عن اسما لما نزلت تبت جاءت ام جميل ولها ولولة وبيدها حجر فدخلت المسجد ورسول
الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه ابو بكر وهي تقول مذمما قلينا ودينه ابينا وحكمه عصينا
فقال ابو بكر يا رسول الله قد اقبلت اليك وانا اخاف ان تراك فقال عليه السلام انها لا تراني وقرا واذا
قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة حجابا مستورا وقالت لابي بكر ذكر لي ان
صاحبك هجاني فقال ابو بكر لا ورب هذا البيت ما هجاك فولت وهي تقول قد علمت قريش اني بنت
سيدها وفي هذه الحكاية ابحاث الاول كيف جاز في ام جميل ان لا ترى الرسول وترى ابا بكر والمكان واحد
الجواب اما على قول اصحابنا فالسؤال زايل لان عند حصول الشرايط يكون الادراك جايزا لا واجبا فان خلق
الله الادراك راي والا فلا اما المعتزلة فذكروا فيه وجوها احدها لعله عليه السلام اعرض بوجهه عنها
وولاها ظهره ثم انها كانت لغاية غضبها لم تفتش او لان الله تعالى القى في قلبها خوفا فصار ذلك
صارفا لها عن النظر وثانيها لعل الله تعالى حول شعاع بصرها عن ذلك السمت حتى انها ما راته
[illegible] الاشكال على الوجوه الثلاثة لانا لما جوزنا هذه الوجوه عرفنا انه يمكن ان يكون الشيء حاضرا
ولا نراه واذا جوزنا ذلك فلم لا يجوز ان يكون عندنا فيلات وبوقات ولا نراها ولا نسمعها البحث الثاني
[illegible] وهذا من باب المعاريض لان القران لا يسمى هجوا لانه كلام الله تعالى لا كلام الرسول فنزلت هذه
الاية في جواز المعاريض للقولين بقي من مباحث هذه الاية سؤالات الاول لم لم يكتف بقوله تعالى وامراته بل
وصفها بانها حمالة الحطب الجواب من كان له امراتان سواها فاراد الله تعالى ان لا يظن ظان كل من كانت
امراته بل ليس كامراة الا هذه الواحدة السؤال الثاني ان ذكر النساء لا يليق باهل الكرم والمروة فكيف يليق ذكرها
بكلام الله تعالى ولا سيما امراة العم الجواب لما لم يستبعد ذلك في امراة نوح وامراة لوط بسبب كفرهن المزاجين
فلان لا يستبعد في امراة كافرة زوجها كافر اولى اما قوله تعالى في جيدها حبل من مسد مسده مسدا اذا احكم فتله
ورجل ممسود اذا كان مجدول الخلق والمسد ما مسد اي فتل من اي شي كان فيقال لما فتل من جلود الابل ومن الليف
والخوص مسد اذا عرفت هذا فنقول ذكر المفسرون وجوها احدها في جيدها حبل مسد من الحبال كانها كانت
تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون والمقصود بيان خستها تشبيها لها
بالحطابات ايذاء لها ولزوجها وثانيها ان يكون المعنى ان حالها يكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليه حين كانت
تحمل الحزمة من الشوك على ظهرها حزمة من حطب النار من شجر الزقوم وفي جيدها حبل من مسد ومن سلاسل
النار فان قيل الحبل المتخذ من المسد كيف يبقى ابدا في النار قلنا كما يبقى الجلد واللحم والعظم ابدا في النار
ومنهم من قال المسد يكون من الحديد وظن من ظن ان المسد لا يكون من الحديد خطا لان المسد هو المفتول
سواء كان من الحديد او من غيره والله تعالى اعلم بالصواب

قبل الخوض في التفسير لا بد من تقديم فصول الفصل
الاول روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة قل هو الله احد فكانما قرا ثلث القران
واعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اشرك بالله وامن بالله وقال عليه السلام من قرا قل هو الله
احد مرة واحدة اعطي من الاجر كمن امن بالله وملايكته وكتبه ورسله واعطي من الاجر مائة شهيد وروي انه
كان جبريل عليه السلام مع رسول الله اذ اقبل ابو ذر فقال جبريل هذا ابو ذر قد اقبل فقال عليه السلام او تعرفونه قال
هو اشهر عندنا منه عندكم فقال عليه السلام بما ذا نال هذه الفضيلة قال لصغره في نفسه وكثرة قراءته قل هو الله
احد وروى انس قال كنا في تبوك فطلعت الشمس ولها شعاع وضيا وما راينا ها على تلك الحالة قط قبل ذلك فعجبنا
كلنا فنزل جبريل وقال ان الله امر ان ينزل من الملايكة سبعون الف ملك فيصلون على معاوية بن معاوية فهل لك
ان تصلي عليه ثم ضرب بجناحه الارض فازال الجبال وصار الرسول عليه السلام كانه مشرف عليه فصلى عليه فقال
عليه السلام ثم بلغ ما بلغ فقال جبريل علم كان يحب سورة الاخلاص وروي ان النبي عليه السلام ثم انه
دخل المسجد فسمع رجلا يدعو ويقول اسالك يا الله يا احد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
فقال غفر لك غفر لك ثلاث مرات وعن سهل بن سعد جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الفقر
فقال اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم على نفسك واقرا قل الله احد
مرة واحدة ففعل الرجل فادر الله عليه رزقا حتى افاض على جيرانه وعن انس ان رجلا كان يقرا في جميع صلاته
قل هو الله احد فساله الرسول عليه الصلاة والسلام عن ذلك فقال يا رسول الله اني احبها فقال حبك
اياها يدخلك الجنة وقيل من قراها في المنام اعطي التوحيد وقلة العيال وكثرة الذكر لله تعالى وكان مستجاب الدعوة

الفصل الثاني في سبب نزولها وفيه وجوه الاول انها نزلت لسبب المشركين قال الضحاك ان المشركين ارسلوا عامر بن الطفيل
الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا شققت عصانا وسببت الهتنا وخالفت دين ابائك فان كنت فقيرا اغنيناك
وان كنت مجنونا داويناك وان هويت امراة زوجناكها فقال عليه السلام لست بفقير ولا مجنون ولا هويت
امراة انا رسول الله ادعوكم من عبادة الاصنام الى عبادته فارسلوه ثانية وقالوا قل له بين لنا جنس
معبودك امن ذهب او من فضة فانزل الله تعالى هذه السورة فقالوا له ثلثمائة وستون صنما لا تقوم بحوائجنا
فكيف يقوم الواحد بحوائج الخلق فنزلت والصافات الى قوله تعالى ان الهكم لواحد فارسلوه اخرى وقالوا بين
لنا افعاله فنزل ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض الثاني انها نزلت بسبب سؤال اليهود روى
عكرمة عن ابن عباس ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم كعب بن الاشرف فقالوا
يا محمد هذا الله الذي خلق الخلق فمن خلق الله فغضب نبي الله فنزل جبريل فسكنه وقال اخفض
جناحك يا محمد فنزل قل هو الله احد فلما تلا عليهم قالوا له صف لنا ربك كيف عضده وكيف ذراعه فغضب
اشد من غضبه الاول فاتاه جبريل عليه السلام فقرا عليه وما قدروا الله حق قدره الثالث انها نزلت بسبب سؤال
النصارى روى عطا عن ابن عباس قال قدم وفد نجران فقالوا صف لنا ربك امن زبرجد او ياقوت او ذهب فقال
ان ربي ليس من شي لانه خالق الاشيا فنزل قل هو الله احد فقالوا هو واحد وانت واحد فقال ليس كمثله شي
قالوا زدنا من الصفة فقال الله الصمد فقالوا وما الصمد فقال الذي يصمد اليه الخلق في الحوايج فقالوا زد فنزل
لم يلد كما ولدت مريم ولم يولد كما ولد عيسى ولم يكن له كفوا احد يريد النظير من خلقه الفصل الثالث في اسمائها
اعلم ان كثرة الالقاب تدل على مزيد الفضيلة والعرف يشهد لما ذكرنا فاحدها سورة التفريد وثانيها سورة
التجريد وثالثها سورة التوحيد ورابعها سورة الاخلاص لانه لم يذكر في هذه السورة صفاته السلبية
التي هي صفات الجلال ولان من اعتقده كان مخلصا في دين الله تعالى ولان من مات عليه كان خلاصه من النار
ولان ما قبله خالصه في ذم ابي لهب فكان جزا من قرا ان لا يجمع بينه وبين ابي لهب وخامسها سورة النجاة لانها
ينجيك عن التشبيه والكفر في الدنيا وعن النار في الاخرة وسادسها سورة الولاية لان من قراها صار من اوليا الله
تعالى ولان من عرف الله تعالى على هذا الوجه فقد والاه فبعد محنة رحمة كما بعد محنة نعمه وسابعها سورة
النسبة لما روينا انه ورد جوابا لسؤال من قال انسب لنا ربك ولانه عليه السلام قال ان الرجل من بني سليم
يا اخي بني سليم استوص بنسبة الله تعالى خيرا وهو من لطيف المعاني لانهم لما قالوا انسب لنا ربك فقال
نسبة الله هذا والمحافظة على الانساب من شان العرب وكانوا يتشددون على من يزيد في بعض الانساب
او ينقص فنسبة الله تعالى في هذه السورة اولى بالمحافظة عليها وثامنها سورة المعرفة لان معرفة الله تعالى
لا تتم الا بمعرفة هذه السورة روي ان رجلا صلى فقرا قل هو الله احد فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا عبد
عرف ربه فسميت سورة المعرفة لذلك وتاسعها سورة الجمال قال عليه السلام ان الله جميل يحب الجمال فسالوه
عن ذلك فقال احد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ولانه اذا لم يكن واحدا عدم النظير جاز ان يرى
ذلك المثل منا به وعاشرها سورة المقشقشة يقال تقشقش المريض مما به فمن عرف هذا حصل له البرء من الشرك
والنفاق لان النفاق مرض كما قال تعالى في قلوبهم مرض الحادي عشر المعوذة روي انه عليه السلام دخل على عثمان
ابن مظعون فعوذه بها وبالتين بعدها ثم قال تعوذ بهن فما تعوذ بخير منها والثاني عشر سورة الصمد
لانه مختص بذكره والثالث عشر سورة الاساس قال عليه السلام اسست السموات السبع والارضون
السبع على قل هو الله احد ومما يدل عليه ان القول بالثلاثة سبب لخراب السموات السبع والارض بدليل
قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا فوجب ان يكون التوحيد سببا لعمارة هذه
الاشيا وقيل السبب فيه معنى قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الرابع عشر المانعة روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه تعالى قال لنبيه حين عرج به اعطيتك سورة الاخلاص وهي من ذخاير كنوز عرشي
وهي المانعة تمنع فتاني القبر ونفحات النيران الخامس عشر سورة المحضرة لان الملائكة تحضر لاستماعها
اذا قريت السادس عشر المنفرة لان الشياطين تنفر عند قراتها السابع عشر سورة البراة لانه روي انه عليه
السلام راى رجلا يقرا هذه السورة فقال اما هذا فقد بري من الشرك وقال عليه السلام من قرا سورة الاخلاص
كتب الله له براءة من النار الثامن عشر سورة المذكرة لانها تذكر العبد خالص التوحيد فقراة السورة
كما لو نسيه تذكرها سفا لعنه مما انت محتاج اليه التاسع عشر سورة النور قال الله تعالى الله نور
السموات والارض والسورة نور قلبك وقال عليه السلام ان لكل شي نورا ونور القران قل هو الله احد
ونظيره ان نور الانسان في اصغر اعضائه وهو الحدقة فصارت السورة للقران كالحدقة للانسان العشرون
سورة الامان قال عليه السلام اذا قال العبد لا اله الا الله دخل حصني ومن دخل حصني امن من عذابي الفصل
الرابع في فضايل هذه السورة وهي من وجوه الاول الاشهر في الاحاديث ان قراة هذه السورة تعدل قراة

ثلث



ثلث القران ولعل الغرض منه ان المقصود الاشرف من جميع الشرايع والعبادات معرفة ذات الله تعالى ومعرفة صفاته
ومعرفة افعاله وهذه السورة مشتملة على معرفة الذات فكانت هذه السورة معادلة لثلث القران واما سورة
قل يا ايها الكافرون فهي معادلة لربع القران لان المقصود من القران اما الفعل او الترك وكل واحد منهما فهو اما في
افعال القلوب او في افعال الجوارح فالاقسام اربعة وسورة قل يا ايها الكافرون بيان ما ينبغي تركه من افعال القلوب
وكانت في الحقيقة مشتملة على ربع القران ومن هذا السبب اشتركت السورتان اعني قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد
في بعض الاسامي فهما المقشقشتان والبراتان من حيث ان كل واحد منهما يفيد براة القلب عما سوى الله الا ان قل يا ايها
الكافرون يفيد بلفظه البراة عما سوى الله الجليل وملازمة الاشتغال بالله تعالى وقل هو الله احد يفيد بلفظه
الاشتغال بالله وملازمة الاعراض عن غير الله تعالى او من حيث ان قل يا ايها الكافرون يفيد براة القلب عن
ساير المعبودين وقل هو الله احد يفيد براة المعبود عن كل ما لا يليق به الوجه الثاني وهو ان ليلة القدر
لكونها صدقا بالقران كانت خيرا من الف شهر والقران كله صدق والقدر هو قوله قل هو الله احد فلا جرم حصلت
له هذه الفضيلة الوجه الثالث هو ان الدليل العقلي دل على انه اعظم درجات العبد ان يكون قلبه مستنيرا
بنور جلال الله تعالى وكبريايه وذلك لا يحصل الا من هذه السورة وكانت هذه السورة اعظم السور
فان قيل صفات الله تعالى ايضا مذكورة في ساير السور قلنا لكن هذه السورة لها خاصية وهي انها لقصرها
في هذه السورة تبقى محفوظة في القلوب معقولة معلومة للعقول فيكون ذكر الله جلاله حاضرا ابدا لهذا
السبب فلا جرم امتازت عن ساير السور لهذه الفضايل ولنرجع الان الى التفسير اما قوله تعالى قل هو الله احد
فيه مسايل المسالة الاولى اعلم ان معرفة الله تعالى جنة حاضرة اذ الجنة ان ينال ما يوافق عقلك وشهوتك ولذلك لم يكن
الجنة جنة لادم لما تنغص عليه هواه ولا كان القبر سجنا على المومن لانه حصل له هنا ما يلايم عقله وهواه ثم ان
معرفة الله تعالى ما يريدها الهوى والعقل فصارت جنة مطلقة وبيان ما قلناه ان العقل يريد امينا تودع
عنه الحساب والشهوة يريد غنيا تطلب عنه المستلذات بل العقل كالانسان الذي له همة عالية فلا يستفاد
الا الملوك والهوى كالمسحج الذي اذا اسمع حضور غني فانه ينبسط لان يجي منه بل العقل يطلب معرفة المولى
للشكر له النعم الماضية والهوى يطلبها ليطمع منه النعم المرضية فلما عرفناه كما اراده علما وعينا تعلقنا بذيله فقال
العقل لا اشكر احدا سواك وقالت الشهوة لا اسال احدا الا اياك ثم جاءت الشهوة فقالت يا عقل كيف افردته بالشكر
ولعله مثله ويا شهوة كيف اقتصرت عليه ولعل هاهنا بابا اخر فبقي العقل متحيرا وسعت عليه تلك الراحة
وارادت ببيان في علم الاستدلال تعصمه جوهر اليقين فكان الحق سبحانه وتعالى قال كيف ابعث على عبدي لذة الاشتغال
بخدمتي وشكري فبعث اليه رسوله وقال لا تقل له من عند نفسك بل قل هذا الذي عرفته صادقا بقولك قل هو الله احد
عرفت الوحدانية بالسمع وكفاك مونة النظر والاستدلال بالعقل وبالحقيقة ان المطالب على ثلاثة اقسام قسم منها
لا يمكن الوصول اليها بالسمع وهو كل ما يتوقف السمع على صحته كالعلم بذات الله تعالى وعلمه وقدرته وصحة المعجزات
وقسم منها لا يمكن الوصول اليه الا بالسمع وهو وقوع كل ما يعلم بالعقل جوازه ووقوعه وقسم ثالث يمكن الوصول اليه
بالعقل والسمع معا وهو كالعلم بانه واحد وبانه قادر الى غيرهما وقد استقصينا في تقرير دلايل الوحدانية في تفسير قوله
تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الثانية اعلم انهم اجمعوا على انه لا بد في سورة قل يا ايها الكافرون من قل
واجمعوا على انه لا يجوز لفظ قل في سورة تبت واما في هذه السورة فقد اختلفوا فالقراة المشهورة قل هو الله احد
وقرا ابي وابن مسعود بغير قل هكذا الله احد وقرا النبي صلى الله عليه وسلم بدون قل هو هكذا انا الله احد الله
الصمد فمن اثبت قل قال السبب فيه بيان ان النظم ليس في مقدوره بل انما يحكي كل ما يقال له ومن حذفه قال ذلك
لئلا يتوهم ان ذلك ما كان معلوما للنبي عليه السلام الثالثة اعلم ان في اعراب هذه الاية وجوها احدها ان هو كناية
عن اسم الله تعالى فيكون قوله الله مرتفعا بانه خبر مبتدا محذوف ويجوز في قوله احد ما يجوز في قولك زيد اخوك قايم
الثاني ان هو كناية عن الشان وعلى هذا التقدير يكون الله مرتفعا بالابتدا واحد خبره والجملة تكون خبرا عن
هو والتقدير الشان والحديث هو ان الله احد ونظيره قوله تعالى فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا الا ان هي جاءت
على التانيث لان في التفسير اسما مونثا وعلى هذا جا فانها لا تعمى الابصار واما اذا لم يكن في التفسير مونث لم يونث ضمير
القصة لقوله تعالى انه من يات ربه مجرما والثالث قال الزجاج تقدير هذه الاية ان هذا الذي سالتم عنه هو الله
الرابعة في احد وجهان احدهما انه بمعنى واحد قال الخليل يجوز ان يقال احد اثنان واصل احد واحد وحد الا انه
قلبت الواو همزة للتخفيف واكثر ما يفعلون هذا في الواو المضمومة والمكسورة كقولهم وجوه واجوه ووسادة واسادة
والقول الثاني ان الواحد والاحد ليسا اسمين مترادفين قال الازهري لا يوصف شي بالاحدية غير الله تعالى لا يقال
رجل احد ولا درهم احد كما يقال رجل واحد اي فرد بل احد صفة من صفات الله تعالى استاثر بها فلا يشركه فيها شي ثم ذكروا
في الفرق بين الواحد والاحد وجوها احدها ان الواحد يدخل في الاحد والاحد لا يدخل فيه وثانيها انك اذا قلت فلان
لا يقاومه احد جاز ان يقال لكنه تقاومه اثنان وثالثها ان الواحد يستعمل في الاثبات والاحد في النفي تقول في الاثبات

رايت رجلا واحدا وتقول في النفي ما رايت احدا فيفيد العموم الخامسة اختلف القرا في قوله احد الله الصمد فقراة العامة
بالتنوين وتحريكه بالكسر هكذا احد الله وهو القياس الذي لا اشكال فيه وذلك لان التنوين من احد ساكن ولام المعرفة
من الله ساكن فلما التقى ساكنان حرك الاول منهما بالكسر وعن ابي عمرو احد الله بغير تنوين وذلك لان التنوين شابهت
حروف اللين في انها تزاد كما تزدن فلما شابهتها اجريت مجراها في ان حذفت ساكنة لالتقاء الساكنين كما حذفت
الالف والواو والياء من نحو يرمي القوم ويغزو القوم ويرى القوم ولهذا لما حذفت النون الساكنة في نحو لم يك وذلك
في مرية فكذا ههنا حذفت في احد الله لالتقا الساكنين كما حذفت هذه الحروف وقال اذ ركبت الليل تعلوا وبها كذلك على
السكون قال ابو علي تجري الفواصل في الادراج مجراها في الوقف وعلى هذا من قرا فامه هاوية وما ادراك ماهيه
نار حامية وكذلك احد الله لما كان اكثر القراءة فيها حكاه ابو عمرو على الوقف اجراه في الوصل مجراه في الوقف لاستمرار الوقف
عليه وكثرته في السنتهم وقرا الاعمش قل هو الله احد فان قيل لماذا قال احد بالتنكير قلنا المبرد فيه وجهان احدها
حذف لام التعريف على نية اضمارها والتقدير قل هو الله الاحد والثاني ان المراد هو التنكير تفخيما وتعظيما السادسة اعلم
ان قوله تعالى هو الله احد الفاظ ثلاثة وكل واحد منها اشارة الى مقام من مقامات الطالبين فالمقام الاول مقام المقربين
وهو على مقامات السايرين الى الله وهولاء الذين نظروا الى ماهيات الاشيا وحقايقها من حيث هي فلا جرم ما رأوا موجودا
سوى الله تعالى لان الحق هو الذي لذاته يجب وجوده واما ما عداه ممكن لذاته والممكن لذاته اذا نظر اليه من حيث هو كان معدوما
فهولاء لم يروا موجودا سوى الحق سبحانه وقوله هو اشارة مطلقه والاشارة وان كانت مطلقة الا ان المشار اليه لما كان
معينا انصرف ذلك المطلق الى ذلك المعين فلا جرم كان قولنا هو اشارة من هولاء المقربين الى الحق سبحانه وتعالى ولم يفتقروا
في تلك الاشارة الى مميز لانه لا افتقار الى التمييز انما يحصل حيث حصل هناك موجودان وقد بينا ان هولاء ما شهدوا بعيون
عقولهم الا الواحد فقط فلهذا السبب كانت لفظة هو كافية في حصول العرفان التام لهولاء المقام الثاني وهم اصحاب
اليمين وهو دون المقام الاول وذلك لان هولاء شاهدوا الحق موجودا وشاهدوا الخلق ايضا موجودا فحصلت كثرة
في الموجودات فلا جرم لم يكن هو كافيا في الاشارة الى الحق بل هناك من عينه تمييز الحق عن الخلق فهولاء احتاجوا الى ان
يقرنوا لفظه الله بلفظة هو فقيل لاجلهم هو الله لان الله تعالى هو الموجود الذي يفتقر اليه ما عداه ويستغني هو
عن كل ما عداه والمقام الثالث وهو مقام اصحاب الشمال وهو اخس المقامات وادونها وهم الذين يجوزون ان يكون واجب
الوجود اكثر من واحد وان يكون الاله اكثر من واحد فقرن لفظه الاحد بما تقدم ردا على هولاء وابطالا لمقالهم فقيل قل هو الله
احد وها هنا بحث اخر اشرف وهو على ما ذكرناه وهو ان صفات الله تعالى اما ان يكون اضافية واما ان يكون سلبية اما الاضافية
فكقولنا عالم قادر مريد خالق واما السلبية فكقوله ليس بجسم ولا بجوهر ولا بعرض والمخلوقات يدل اولا على النوع
الاول من الصفات وثانيا على النوع الثاني منها وقولنا الله يدل على مجامع الصفات الاضافية وقولنا احد يدل على
مجامع الصفات السلبية وكان قولنا الله احد تاما في افادة العرفان الذي يليق بالعقول البشرية وانما قلنا ان لفظه
الله يدل على مجامع الصفات الاضافية وذلك لان الله تعالى هو الذي يستحق العبادة واستحقاق العبادة ليس الا لمن
يكون مستبدا بالايجاد والابداع والاستبداد بالايجاد لا يحصل الا لمن كان موصوفا بالقدرة التامة والارادة النافذة
والعلم المتعلق بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات وهذه مجامع الصفات الاضافية واما مجامع الصفات السلبية
فهي الاحدية وذلك لان المراد من الاحدية كون تلك الحقيقة في نفسها منزهة عن انحا التراكيب وذلك لان كل ماهية
مركبة فهي مفتقرة الى كل واحد من اجزايه واجزاوه غيره وكل مركب فهو مفتقر الى غيره وكل مفتقر الى غيره فهو ممكن لذاته
وكل مركب فهو ممكن لذاته فالاله الذي هو مبدا لجميع الممكنات يمتنع ان يكون ممكنا فهو في نفسه فرد احد واذا ثبتت
الاحدية وجب ان لا يكون متحيزا واذا لم يكن متحيزا فان يمنه مغاير ليساره وكل من كان كذلك فهو منقسم والاحدية
يستحيل ان يكون متحيزا واذا لم يكن متحيزا لم يكن في شي من الاحياز والجهات ويجب ان لا يكون حالا في شي لانه مع محله
لا يكون احدا ولا يكون محلا لشي لانه مع حاله لا يكون احدا واذا لم يكن حالا ولا محلا لم يكن متغيرا البته لان التغير
لا بد وان يكون من صفة الى صفة وايضا اذا كان احدا وجب ان لا يكون واحدا فان قيل كيف يعقل كون الشي احدا فان كل حقيقة
توصف بالاحدية فهناك تلك الحقيقة وتلك الاحدية ومجموعهما فذاك ثالث ثلاثه لا احد الجواب ان الاحدية لازمة
لتلك الحقيقة فالمحكوم عليه بالاحدية هو تلك الحقيقة لا المجموع الحاصل منها ومن تلك الاحدية فقد لاح بما
ذكرنا ان قولنا الله احد كلام متضمن بجميع صفات الله تعالى من الاضافيات والسلوب وتمام الكلام في هذا الباب
مذكور في تفسير قوله تعالى والهكم اله واحد اما قوله تعالى الله الصمد ففيه مسايل الاولى ذكروا في الصمد وجهين الاول
انه فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوايج قال الشاعر الا بكر الناعي بخير
بني اسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد وقال ايضا علوته بحسام ثم قلت له خذها حذيف فانت
السيد الصمد والدليل على صحة هذا التفسير ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما نزلت هذه الاية قالوا ما الصمد
فقال عليه السلام هو السيد الذي يصمد اليه في الحوايج وقال الليث صمدت صمد هذا الامر اي قصدت قصده والقول
الثاني ان الصمد هو الذي لا جوف له ومنه يقال لسداد القارورة الصماد وشي مصمد اي صلب ليس فيه رخاوة

وقال ابن



وقال ابن قتيبة فعلى هذا التفسير الدال فيه مبدلة من التاء وهو المصمت وقال بعض المتاخرين من اهل اللغة الصمد
هو الاملس من الحجر الذي لا يقبل الغبار ولا يداخله شي ولا يخرج منه شي واعلم انه قد استدل قوم من جهال المشبهة
بهذه الاية في انه تعالى جسم وهذا باطل لانا بينا ان كونه احدا ينافي كونه جسما فمقدمة هذه الاية داله على انه لا يمكن
ان يكون المراد من الصمد هذا المعنى ولان الصمد بهذا التفسير صفة الاجسام المتضاغطة وتعالى الله عن ذلك فاذن
يجب ان يحمل ذلك على مجازه وذلك لان الجسم الذي يكون كذلك يكون عديم الانفعال والتاثر عن الغير وذلك اشارة
الى كونه سبحانه وتعالى واجبا لذاته ممتنع التغير في وجوده وبقايه وجميع صفاته فهذا ما يتعلق بالبحث اللغوي
في هذه الاية اما المفسرون فقد نقل عنهم وجوه يتعلق بالوجه الاول وهو كونه تعالى سيدا مرجوعا اليه في دفع
الحاجات وهو اشارة الى الصفات الاضافية وبعضها بالوجه الثاني وهو كونه تعالى واجب الوجود في ذاته
وفي صفاته ممتنع التغير فيها وهو اشارة الى الاضافة السلبية وتارة يفسرون الصمد بما يكون
جامعا للوجهين اما النوع الاول فذكروا فيه وجوها الاول الصمد هو العالم بجميع المعلومات لان كونه
سيدا مرجوعا اليه في قضا الحاجات لا يتم الا بذلك الثاني الصمد هو الحكيم لانه لكونه سيدا يقتضي الحكم
والحكم والثالث وهو قول ابن مسعود والضحاك الصمد هو السيد الذي قد انتهى سودده الرابع قال الاصم
الصمد هو الخالق للاشيا وذلك لان كونه سيدا يقتضي ذلك الخامس قال السدي الصمد هو المقصود في الرغايب
المستغاث به عند المصايب السادس قال الحسين بن الفضل البجلي الصمد هو الذي يفعل ما يشا ويحكم ما يريد
لا معقب لحكمه ولا راد لقضايه السابع هو السيد المعظم الثامن انه الفرد الماجد لا يقضى في امر دونه واما
النوع الثاني وهو الاشارة الى السلبية فذكروا فيه وجوها الاول الصمد هو الغني على ما قال وهو الغني الحميد الثاني
الصمد الذي ليس فوقه احد والقاهر فوق عباده وعنه لا يخاف من فوقه ولا يرجو من دونه ترفع الحوايج
اليه القول الثالث قال قتادة لا ياكل ولا يشرب وهو يطعم ولا يطعم الرابع قال قتادة الباقي بعد فنا خلقه كل من
عليها فان الخامس قال الحسن البصري الذي لم يزل ولا يزال ولا يجوز عليه الزوال كان ولا مكان ولا اين ولا اوان
ولا عرش ولا كرسي ولا جني ولا انسي وهو الان كما كان السادس قال ابي بن كعب الذي لا يموت ولا يورث وله ميراث
السموات والارض السابع قال يمان وابو مالك الذي لا ينام ولا يسهو الثامن قال ابن كيسان هو الذي لا يوصف
بصفة احد التاسع قال مقاتل بن حيان هو الذي لا عيب فيه العاشر قال الربيع بن انس هو الذي لا تعتريه الافات
الحادي عشر قال جعفر الصادق الذي يغلب ولا يغلب الثاني عشر قال سعيد بن جبير انه الكامل في جميع صفاته وفي
جميع افعاله الثالث عشر قال ابو هريرة انه المستغني عن كل احد الرابع عشر قال ابو بكر الوراق انه الذي ايس الخلق
من الاطلاع على كيفيته الخامس عشر هو الذي لا يدرك الابصار السادس عشر قال ابو العالية ومحمد القرظي هو الذي
لم يلد ولم يولد لانه ليس شي يلد الا سيورث ولا شي يولد الا سيموت السابع عشر قال ابن عباس انه
الكبير الذي ليس فوقه احد الثامن عشر انه المنزه عن قبول النقصانات والزيادات وعن ان يكون موردا للتغيرات
والتبديلات وعن احاطة الازمنة والامكنة والايات والجهات واما الوجه الثالث فان نحمل لفظ الصمد
على الكل وهو ايضا محتمل لانه بحسب دلالته على الوجوب الذاتي يدل على جميع السلوب وبحسب دلالته على كونه مبدا للكل
يدل على جميع النعوت الالهية الثانية قوله الله الصمد يقتضي ان لا يكون في الوجود صمد سوى الله تعالى واذا كان
الصمد مفسرا بالمقصود اليه في الحوايج او بما لا يقبل التغير في ذاته لزم ان لا يكون في الوجود موجود هكذا سوى الله
تعالى فهذه الاية تدل على انه لا اله سوى الاحد فقوله الله الصمد اشارة الى كونه واحدا بمعنى انه ليس في ذاته
تركيب ولا تاليف بوجه من الوجوه وقوله الله الصمد اشارة الى كونه تعالى واحدا بمعنى نفي الشركاء والاضداد
بقي في الاية سوالات الاول لما جاء احد منكرا وجاء الصمد معرفا والجواب الغالب على اوهام اكثر الخلق ان كل موجود
محسوس وثبت ان كل محسوس منقسم فاذا ما لا يكون منقسما لا يكون خاطرا ببال اكثر الخلق واما الصمد فهو الذي يكون
مصمودا اليه في الحوايج وهذا كان معلوما للعرب بل لاكثر الخلق على ما كان قال تعالى ولين سالتهم من خلقهم
ليقولن الله واذا كانت الاحدية مجهولة مستنكرة عند اكثر الخلق وكانت الصمدية معلومة الثبوت عند جمهور
الخلايق لا جرم جاء لفظ احد على سبيل التنكير ولفظ الصمد على سبيل التعريف السوال الثاني ما الفايده
في تكرير لفظ الله في قوله تعالى الله احد الله الصمد الجواب لو لم تكرر هذه اللفظة لوجب في لفظ احد وصمد ان
يردا اما نكرتين او معرفتين وقد بينا ان ذلك غير جايز فلا جرم ذكر هذه اللفظة حتى ذكر لفظ احد منكرا ولفظ
الصمد معرفا اما قوله تعالى لم يلد ولم يولد ففيه سوالات الاول لم قدم قوله تعالى لم يلد على لم يولد مع ان في الشاهد
يكون اولا مولودا ثم يكون والدا الجواب انما وقعت البداية بانه لم يلد لانهم ادعوا ان له ولدا وذلك لان مشركي
العرب قالوا الملايكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ولم يدع احد ان له
والدا فلهذا السبب بدا بالاهم فقال تعالى لم يلد ثم اشار الى الحجة فقال لم يولد كانه قيل الدليل على امتناع
الولد اتفاقنا على انه ما كان ولدا لغيره السوال الثاني لماذا اقتصر على ذكر الماضي فقال لم يلد ولم يولد

ولم نقل لم يلد ولم يولد الجواب انما اقتصر على ذلك لانه ورد جوابا عن قولهم ولد الله والدليل عليه قوله تعالى الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله فلما كان المقصود من هذه الاية تكذيب قولهم وهو انما قالوا ذلك في الماضي لا جرم وردت الاية على وفق قولهم السؤال الثالث لم قال هاهنا لم يلد وقال في سورة بني اسرائيل لم يتخذ ولدا الجواب ان الولد يكون على وجهين احدهما ان يتولد منه وهذا هو الولد الحقيقي والثاني ان لا يكون متولدا منه ولكنه يتخذه ولدا ويسميه بهذا الاسم وان لم يكن ولدا له في الحقيقة والنصارى فريقان منهم من قال عيسى عليه السلام ولد الله حقيقة ومنهم من قال ان الله تعالى اتخذه ولدا تشريفا كما اتخذ ابراهيم خليلا تشريفا فقال تعالى لم يلد اشارة الى نفي الولد في الحقيقة وقوله تعالى لم يتخذ ولدا اشارة الى نفي القسم الثاني ولهذا قال لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك لان الانسان قد يتخذ ولدا ليكون ناصرا له ومعينا على الامر المطلوب ولذلك قال في سورة اخرى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه هو الغني وهو اشارة الى ما ذكرنا ان اتخاذ الولد انما يكون عند الحاجة السؤال الرابع نفي كونه تعالى والدا او مولودا وهل يمكن ان يعلم بالسمع [illegible] ما الفايدة في ذكره هاهنا الجواب نفي كونه تعالى والدا مستفاد من العلم فانه تعالى [illegible] ولا منقسم ونفي كونه تعالى مولودا مستفاد من العلم بانه تعالى قديم وا[illegible] متقدم على العلم بصحة النبوة والقران فلا يمكن ان يكون مستفادا من الدلايل السمعية [illegible] فلما لم يكن استفادتهما من السمع فما الفايدة في ذكرهما في هذه السورة قلنا قد بينا ان المراد من قوله احد سبحانه وتعالى في ذاته وماهيته منزهة عن جميع انحاء التراكيب وكونه تعالى صمدا معناه كونه واجبا لذاته ممتنع التغير في ذاته وجميع صفاته واذا كان كذلك فالاحدية والصمدية يوجبان نفي الوالدية والمولودية فلما ذكر السبب الواجب لانتفاء الوالدية والمولودية لا جرم ذكر هذين الحكمين فالمقصود من ذكرهما تنبيه الله تعالى عن الدلايل العقلية القاطعة على انتفايهما السؤال الخامس هل في قوله تعالى لم يلد ولم يولد فايدة ازيد من نفي الوالدية ونفي المولودية قلنا فيه فوايد كثيرة وذلك لان قوله تعالى الله احد اشارة الى كونه تعالى في ذاته وماهيته منزها عن التركيب وقوله تعالى الله الصمد اشارة الى نفي الاضداد والانداد والشركاء والامثال وهذا ان المقامان الشريفان مما حصل الاتفاق فيهما بين ارباب الملل والاديان وبين الفلاسفة الا ان من بعد هذا الموضع حصل الاختلاف بين ارباب الملل والاديان وبين الفلاسفة قالوا انه يتولد عن واجب الوجود عقل وعن العقل عقل اخر ونفس وفلك وهكذا على الترتيب حتى ينتهي الى العقل الذي هو مدبر ما تحت كرة القمر فعلى هذا القول يكون واجب الوجود قد ولد العقل الاول الذي هو تحته ويكون العقل الذي هو مدبر لعالمنا هذا كالمولود من العقل الذي فوقه والحق سبحانه وتعالى نفى الوالدية اولا لانه قبل ان لم يلد العقول والنفوس ثم قال والشيء الذي هو مدبر احسادكم وارواحكم وعالمكم هذا ليس مولودا من شيء فلا والد ولا مولود ولا مؤثر الا هو الحق سبحانه وتعالى اما قوله ولم يكن له كفوا احد ففيه سؤالات الاول الكلام العربي الفصيح ان يوخر الظرف الذي هو الكفو غير مستقر وكلا بعدم وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه فما باله ورد مقدما في افصح الكلام الجواب ان هذا الكلام انما سيق لنفي المكافاة عن ذات الله تعالى واللفظ الدال على هذا المعنى هو هذا الظرف وتقديم الاهم اولى فلهذا السبب كان الظرف مستحقا للتقدم السؤال الثاني كيف القراة في هذه الاية قرى بضم الكاف والفاء وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء والاصل هو الضم ثم خفف مثل طنب وطنب وعنق وعنق وقال ابو عبيدة يقال كفو وكفى كله بمعنى واحد وهو المثل وللمفسرين فيه اقاويل احدها قال كعب وعطا لم يكن له مثل ولا عديل ومنه المكافاة في الجزا كانه يعطيه ما يساوي ما اعطاه وثانيها قال مجاهد لم يكن له صاحبة كانه سبحانه وتعالى قال لم يكن احد كفوا له فيصاهره ردا على من حكى الله تعالى عنه جعلوا بينه وبين الجنة نسبا وثالثها وهو التحقيق انه تعالى لما بين انه هو المصمود اليه في قضاء الحوايج ونفي الوسايط من البين بقوله تعالى لم يلد ولم يولد على ما بيناه ختم السورة بان شيئا من الموجودات يمتنع ان يكون مساويا له في شيء من صفات الجلال والعظمة اما الموجود فلا مساواة لانه وجوده من مقتضيات حقيقته غير قابلة للعدم من حيث هي هي واما سائر الحقايق فانها قابلة للعدم واما العلم فلا مساواة فيه لان علمه ليس بضروري ولا باستدلالي ولا مستفاد من الحس ولا من الروية ولا يكون في موضع الغلط والزلل وعلوم المحدثات كذلك واما القدرة فلا مساواة وكذلك الرحمة والجودة والفضل والاحسان واعلم ان هذه السورة اربع ايات في تريدها انواع من الفوايد الفايدة الاولى ان اول السورة يدل على انه سبحانه وتعالى واحد والصمد على كونه كريما رحيما لانه لا يصمد اليه حتى يكون محسنا ولم يلد ولم يولد على انه غني على الاطلاق منزه عن التغيرات فلا يبخل بشيء اصلا ولا يكون جوده لاجل نفع الله تعالى او دفع بل لمحض الاحسان اما قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد فاشارة الى نفي ما لا يجوز عليه من الصفات الفايدة الثانية نفى الله تعالى عن ذاته انواع الكثرة بقوله احد ونفي النقص والمغلوبية بلفظ الصمد ونفي المعلولية والعلية بلم يلد ولم يولد ونفي الاضداد والانداد بقوله تعالى ولم يكن له كفوا احد الفايدة الثالثة قوله احد يبطل مذهب الثنوية القايلين بالنور والظلمة والنصارى في التثليث والصابئين في الافلاك والنجوم والاية الثانية





تبطل مذهب من اثبت خالقا سوى الله تعالى لانه لو وجد خالق اخر ما كان الحق مصمودا اليه في طلب جميع الحاجات والثالثة تبطل مذهب اليهود في عزير والنصارى في المسيح والمشركين في ان الملايكة بنات الله والاية الرابعة تبطل مذهب المشركين حين جعلوا الاصنام اكفاء له وشركاء الرابعة ان هذه السورة في حق الله تعالى مثل سورة الكوثر في حق الرسول لكن الطعن في حق الرسول كان بسبب انهم قالوا ابتر لا ولد له وهاهنا كان الطعن بسبب انهم اثبتوا لله ولدا وذلك لان [illegible] في حق الانسان عيب لان وجود الولد عيب في حق الله تعالى فلهذا السبب قال هاهنا قل حتى تكون ذابا عني وفي [illegible] انا اعطيناك انا اقول ذلك الكلام حتى اكون انا ذابا عنك

[illegible]

قبل الخوض في التفسير [illegible] تقديم فصلين الفصل الاول سمعت بعض العارفين فسر هاتين السورتين على وجه عجيب فقال انه سبحانه وتعالى لما شرح امر الالهية في سورة الاخلاص ذكر هذه السورة عقيبها في شرح مراتب مخلوقات الله تعالى فقال اولا قل اعوذ برب الفلق وذلك ان ظلمات العدم غير متناهية والحق سبحانه وتعالى هو الذي فلق تلك الظلمات بنور التكوين والايجاد والابداع فلهذا قال تعالى قل اعوذ برب الفلق ثم قال تعالى من شر ما خلق والوجه فيه ان عالم الممكنات على قسمين عالم الامر وعالم الخلق على ما قال تعالى الا له الخلق والامر وعالم الامر كله خيرات محضة بريئة عن الشرور والافات اما عالم الخلق وهو عالم الاجسام والجسمانيات فالشر لا يحصل الا منه وانما سمي عالم الاجسام والجسمانيات بعالم الخلق لان الخلق هو التقدير والمقدار من لواحق الجسم فلما كان الامر كذلك لا جرم قال تعالى قل اعوذ برب الفلق فلق ظلمات بحر العدم بنور الايجاد والابداع من الشرور الواقعة في عالم الخلق فهو عالم الاجسام والجسمانيات ثم من الظاهر ان الاجسام اما اثيرية واما عنصرية والاجسام الاثيرية خيرات لانها بريئة عن الاختلال والفطور على ما قال تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور واما العنصريات فهي اما جمادات واما نبات او حيوان اما الجمادات فهي خالية عن جميع القوى النفسانية والظلمة فيها حاصلة والانوار عنها بالكلية زايلة وهي المراد من قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب واما النبات فالقوة الغاذية النامية هي التي تزيد في الطول والعرض والعمق معا فهذه القوة النباتية كانها تنفث في العقد الثلاثة واما الحيوان فالقوى الحيوانية هي الحواس الظاهرة والحواس الباطنة والشهوة والغضب وكلها تمنع الروح الانسانية عن الانصباب الى عالم الغيب والاشتغال بقدس جلال الله تعالى وهو المراد من قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد ثم انه لم يبق من السفليات بعد هذه المرتبة سوى النفس الانسانية وهي المستعيذة فلا يكون مستعاذا منها فلا جرم قطع هذه السورة وذكر بعدها في سورة الناس مراتب درجات النفس الانسانية في الترقي وذلك لان باصل فطرتها مستعدة لان تعرف الله تعالى ومحبته الا انها تكون في اول الامر خالية عن هذه المعارف بالكلية ثم انه في المرتبة الثانية تحصل فيها علوم اولية بديهية يمكن التوصل بها الى الاستعلام بالمجهولات الفكرية ثم اجرى في الامر ستخرج تلك المجهولات الفكرية من القوة الى الفعل فقوله تعالى قل اعوذ برب الناس اشارة الى المرتبة الاولى من مراتب النفس في تلك المرتبة تحتاج الى مربي يربيها ويزينها بتلك المعارف البديهية والكسبية ثم في المرتبة الثانية وهي عند حصول هذه العلوم البديهية تحصل لها ملكة الانتقال منها الى استعلام الفكرية وهو المراد من قوله تعالى ملك الناس ثم في المرتبة الثالثة وهي عند خروج تلك العلوم الفكرية من القوة الى الفعل يحصل الكمال التام وهو المراد من قوله تعالى اله الناس وكان الحق سبحانه وتعالى سمى نفسه بحسب كل مرتبة من مراتب النفس الانسانية بما يليق بتلك المرتبة ثم قال تعالى من شر الوسواس الخناس والمراد منه القوة [illegible] في اطلاق اسم الخناس على الوهم ان العقل والوهم قد يتساعدان على بعض المقدمات ثم اذا ال الامر الى النتيجة فالعقل ساعد على النتيجة والوهم يخنس ويرجع ويمتنع عن تسليم النتيجة فلهذا السبب سمي الوهم بالخناس ثم بين سبحانه وتعالى ان ضرر هذا الخناس عظيم على العقل وانه قلما ينفك عنه احد فكانه سبحانه وتعالى بين في هذه السورة مراتب الارواح البشرية على عددها ونبه على ما به تقع الامتيازات بين العقل والوهم وهناك اخر درجات مراتب الانسانية فلا جرم وقع ختم الكتاب الكريم والفرقان العظيم عليه الفصل الثاني ذكروا في نزول هذه السورة وجوها احدها روي ان جبريل عليه السلام اتاه وقال ان عفريتا من الجن يكيدك فقال اذا اويت الى فراشك فقل اعوذ برب السورتين وثانيها ان الله تعالى انزلهما عليه ليكون له رقية من العين وعن سعيد بن المسيب ان قريشا قالوا تعالوا نتجوع فتعين محمدا ففعلوا ثم اتوه وقالوا ما اشد عضدك واقوى ظهرك وانضر وجهك فانزل الله تعالى المعوذتين وثالثها وهو قول جمهور المفسرين ان لبيد بن اعصم اليهودي سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة في وتر ودسه في بير يقال له ذروان فمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان لذلك واخبره جبريل عليه السلام بموضع السحر فارسل عليا فطلبه وجاء به فقال جبريل عليه السلام حل عقدة واقرا اية ففعل فكان كلما قرا اية انحلت عقدة وكان يجد بعض الخفة والراحة واعلم ان المعتزلة انكروا ذلك باسرهم قال القاضي هذه الرواية باطلة فكيف يمكن القول بصحتها والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس وقال تعالى ولا يفلح الساحر حيث اتى ولان تجويزه يفضي الى القدح في النبوة ولانه لو صح ذلك لكان من الواجب

ان يوصلوا الضرر الى جميع الانبيا والصالحين ولقدروا على تحصيل الملك العظيم لانفسهم وكل ذلك باطل ولان الكفار كانوا
يعيرونه بانه مسحور فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوى ولحصل فيه عليه السلام ذلك
العيب ومعلوم ان ذلك غير جايز قال الاصحاب هذه القصة قد صحت عند جمهور اهل النقل والوجوه المذكورة و
قد سبق الكلام عليها في سورة البقرة اما قوله الكفار كانوا يريدون بكونه مسحورا انه مجنون ازيل عقله بواسطة
السحر فلذلك ترك دينهم فاما ان يكون مسحورا بالم يجده في بدنه فذلك مما لا ينكره احد وبالجملة فالله تعالى ما كان
يسلط عليه لا شيطانا ولا انسانا ولا جنيا يوذيه في دينه وشرعه ونبوته فاما في الاضرار في بدنه فلا يبعد وتمام
الكلام في هذه المسئلة تقدم مرارا في سورة البقرة ولنرجع الى التفسير اما قوله تعالى قل اعوذ برب الفلق ففيه مسايل
الاولى في قوله قل فوايد احدها انه سبحانه وتعالى لما امر بقراءة سورة الاخلاص تنزيها له عما لا يليق به في ذاته
وصفاته وكان ذلك من اعظم الطاعات فكان العبد قال الهنا هذه الطاعة عظيمة جدا لا اثق بنفسي في الوفاء
بها فاجابه بان قال قل اعوذ برب الفلق اي استعذ بالله تعالى والتجئ اليه حتى يوفقك لهذه الطاعة على اكمل الوجوه
وثانيها ان الكفار لما سالوا الرسول عن نسب الله تعالى وصفته فكان الرسول صلى الله عليه وسلم كيف يجيب جهلا و
الجهال الذين تجاسروا وقالوا فيك ما لا يليق بك فقال الله تعالى قل اعوذ برب الفلق اي استعذ بي حتى اصونك
عن شرهم وثالثها كانه تعالى قال اني شرفتك وجعلت نفسك امنا فقلت ومن دخله كان امنا فالتجئ الي
حتى اجعلك امنا فقل اعوذ برب الفلق الثانية اختلفوا في انه هل يجوز الاستعانة بالرقى والعوذ ام لا فمنهم من قال
انه يجوز واحتج بوجوه احدها ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فرقاه جبريل عليه السلام بسم الله
ارقيك من كل شر يوذيك والله يشفيك وثانيها قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا من الاوجاع
كلها والحمى هذا الدعا بسم الله الكريم اعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ومن شر حر النار وثالثها
قال بن عباس من دخل على مريض لم يحضر اجله فقال اسال الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك سبع مرات يشفى
ورابعها ما روي عن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل على مريض قال اذهب الباس رب الناس
اشف انت الشافي لا شفاء الا شفاؤك وخامسها عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين
يقول اعيذكما بكلمات الله التامات من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول هكذا كان ابرهيم يعوذ ابنيه اسمعيل
واسحاق وسادسها قال عثمان بن ابي العاص الثقفي قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبي وجع قد كاد يبطلني فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل يدك اليمنى عليه وقل بسم الله اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد سبع
مرات ففعلت ذلك فشفاني الله تعالى وسابعها روي انه عليه السلام كان اذا سافر فنزل منزلا يقول يا ارض ربي
وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما يخرج منك وشر ما يدب عليك واعوذ بالله من اسد واسود ومن الحية
والعقرب ومن ساكني البلد ومن والد وما ولد وثامنها قالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى
شيا من جسده قرا قل هو الله احد والمعوذتين ونفث في كفه اليمنى ومسح بها المكان الذي يشتكي ومن الناس من منع الرقى لما روي
عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى وقال عليه السلام ان لله عبادا لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون
وقال عليه السلام لم يتوكل على الله من اكتوى واسترقى واجيب عنه بانه يحتمل ان يكون النهي عن الرقى المجهولة التي لا تعرف
حقايقها فاما ما كان له اصل موثوق فلا نهي عنه واختلفوا في التعليق فروي انه عليه السلام قال من علق شيا وكل اليه
وعن ابن مسعود انه راى على ام ولده تميمة مربوطة بعضدها فجذبها جذبا عنيفا فقطعها ومنهم من جوزه سيل الباقر
رضي الله عنه عن التعويذ يعلق على الصبيان فرخص فيه واختلفوا في النفث ايضا فروي عن عايشة رضي الله عنها
انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفث على نفسه اذا اشتكى بالمعوذات ويمسح بيده فلما اشتكى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي توفي فيه طفقت انفث عليه بالمعوذات التي كان ينفث بها على نفسه
وعنه عليه السلام انه كان اذا اخذ مضجعه نفث في يديه وقرا فيهما بالمعوذات ثم مسح بهما جسده ومنهم من انكر
النفث قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وعن ابراهيم قال كانوا يكرهون النفث في الرقى وقال
بعضهم دخلت على الضحاك وهو وجع فقلت الا اعوذك يا ابا محمد قال بلى ولكن لا تنفث فعوذته بالمعوذتين
فقال الحليمي رحمه الله تعالى الذي روي عن عكرمة انه لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد فكانه ذهب
فيه الى ان الله تعالى جعل النفث في العقد مما يستعاذ منه فوجب ان يكون منهيا عنه الا ان هذا ضعيف لان النفث
في العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان فاذا كان هذا النفث لاصلاح الارواح والابدان
وجب ان لا يكون حراما الثالثة انه تعالى قال في مفتاح القراءة فاستعذ بالله وقال هاهنا قل اعوذ برب الفلق وفي موضع
اخر وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وجا في الاحاديث اعوذ بكلمات الله التامات فلا شك ان افضل اسماء الله
تعالى هو الله واما الرب فانه قد يطلق على غيره قال الله تعالى ارباب متفرقون خير فما السبب انه تعالى عند الامر
بالتعوذ لم يقل اعوذ بالله بل قال برب الفلق واجابوا عنه من وجوه احدها انه في قوله تعالى فاذا قرات القران
فاستعذ بالله انما امره بالاستعاذة هاهنا في هذه لاجل حفظ النفس والبدن عن السحر والمهم الاول اعظم فلا جرم





ذكر هناك الاسم الاعظم وثانيها ان الشيطان يبالغ حال منعك من العبادة اشد من مبالغته في ايصال الضر الى بدنك
وروحك فلا جرم ذكر الاسم الاعظم هناك دون هاهنا وثالثها ان اسم الرب يشير الى التربية فكانه جعل تربية
الله تعالى له فيما تقدم وسيلة الى تربيته له في الزمان الاتي او كان العبد يقول التربية والاحسان حرفتك
فلا تهملني ولا تخيب رجائي ورابعها ان بالتربية صار شارعا في الاحسان والشروع ملزم وخامسها ان هذه السورة
اخر سورة القران فذكر لفظ الرب تنبيها على انه سبحانه وتعالى لا تنقطع عنك تربيته وتختم عما قبلك على تربيته
واحسانه فان قيل انه ختم القران على اسم الاله حيث قال ملك الناس اله الناس قلنا فيه لطيفة وهي كونه تعالى
قال قل اعوذ بمن هو ربي ولكنه اله قادر لوسوسة الخناس فهو كالاب المشفق الذي يقول ارجع عند مهماتك الى امك
المشفقة الجليلة التي هي كالسيف القاطع والنار المحرقة لاعدائك فيكون هذا من اعظم انواع الوعد بالاحسان بالتربية وسادسها
كان الحق قال يا محمد عليه السلام قد تبت لي ملامة حلها فيه حب غيري ولسانا يكلمني فلا يذكر به احدا غيري وبدنك لي فلا يشغله بخدمة
غيري وان اردت شيا فلا تطلبه الا مني فان اردت العلم فقل رب زدني علما وان اردت الدنيا فاسالوا الله تعالى من فضله وان خفت
ضررا فقل اعوذ برب الفلق فاني انا الذي وصفت نفسي باني فالق الاصباح وباني فالق الحب والنوى وما فعلت هذه الاشيا الا لاجلك
فاذا كنت افعل كل هذه الامور لاجلك اولا اصونك عن الافات والمخوفات الرابعة ذكروا في الفلق وجوها احدها انه الصبح
وهو قول الاكثرين قال الزجاج لان الليل ينفلق عنه الصبح ويكون فعل بمعنى مفعول يقال هو ابين من فلق الصبح ومن فرق الصبح
وتخصيصه في التعوذ لوجوه الاول ان القادر على ازالة هذه الظلمات الشديدة عن كل هذا العالم يقدر ايضا ان يدفع عن
العايذ كل ما يخافه ويخشاه والثاني ان طلوع الصبح كالمثال لمجي الفرج وكما ان الانسان في الليل يكون منتظرا لطلوع الصباح
كذلك الخايف يكون مترقبا لطلوع صباح النجاح الثالث ان الصبح كالمستور فان الانسان في الظلام يكون كالمرتضع فاذا ظهر
الصبح فكانه صاح بالانس وبشر بالفرج ولهذا السبب يجد كل مريض ومهموم خفة في وقت السحر والحق سبحانه وتعالى يقول قل اعوذ
برب الفلق يعطي انعام فلق الصبح قبل السوال الرابع قال بعضهم ان يوسف عليه السلام لما القي في الجب وجعت
ركبته وجعا عظيما فبات ليلته ساهرا فلما قرب طلوع الصبح نزل جبريل عليه السلام باذن الله تعالى تسلية ويامره
ان يدعو ربه فقال يا جبريل ادع انت فدعا جبريل عليه السلام وامن يوسف عليه السلام فكشف الله تعالى
ما كان به من الضر فلما طاب وقت يوسف عليه السلام قال يا جبريل وانا ادعو ايضا وانت تومن فسال
يوسف عليه السلام ربه ان يكشف الضر عن جميع اهل البلا في ذلك الوقت فلا جرم ما من مريض الا ويجد خفة في اخر الليل
وروي ان دعاه في الجب يا عدتي في شدتي ويا مونسي في وحدتي ويا راحم غربتي ويا كاشف كربتي ويا مجيب دعوتي
ويا الهي واله ابائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ارحم صغر سني وضعف ركني وقلة حيلتي يا ارحم الراحمين يا حي
يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام الخامس لعل تخصيص الصبح بالذكر في هذا الموضع لانه وقت دعا المضطرين واجابة
الملهوفين فكانه يقول قل اعوذ برب الوقت الذي يفرج فيه عن كل مهموم ومغموم السادس يحتمل انه خص الصبح بالذكر
لانه انموذج يوم القيامة لان الخلق كالاموات والدور كالقبور ثم منهم من يخرج عن داره مفلسا عريانا لا يلتفت
اليه ومنهم من يكون مديونا فيجر الى الحبس ومنهم من يكون ملكا مطاعا فتقدم اليه المراكب ويقوم الناس بين يديه
كذا في القيامة بعضهم مفلس عن الثواب عار عن لباس التقوى يجر الى الملك الجبار وكم من عبد كان مطيعا لربه
في الدنيا فصار ملكا مطاعا في العقبى تقدم اليه البراق السابع يحتمل انه تعالى خص الصبح بالذكر لانه وقت الصلاة
الجامعة لاحوال القيامة فالقيام في الصلاة يذكر بالقيام يوم القيامة كما قال تعالى في يوم القيمة يوم يقوم
الناس لرب العالمين والقراءة في الصلاة تذكر قراءة الكتب والركوع في الصلاة يذكر قيام القيامة في قوله ناكسوا
رؤسهم والسجود في الصلاة يذكر قوله تعالى يدعون الى السجود فلا يستطيعون والقعود يذكر قوله تعالى وترى
كل امة جاثية فكان العبد يقول الهي كما خلصتني من ظلمة الليل خلصني من هذه الاهوال وانما خص وقت
صلاة الصبح لان لها مزيد شرف على ما قال تعالى ان قران الفجر كان مشهودا اي يحضرها ملايكة الليل والنهار الثامن
انه وقت الاستغفار والتضرع على ما قال تعالى والمستغفرين بالاسحار القول الثاني في الفلق انه عبارة عن كل
ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات ان الله فالق الحب والنوى والجبال عن العيون وان منها لما يتفجر منه
الانهار والسحاب عن الامطار والارحام عن الاولاد والبيض عن الفرخ والقلوب عن المعارف واذا تاملت الخلق
تبين لك ان اكثره عن انفلاق بل العدم كله كانه ظلمة والنور كانه وجود وثبت ان الله تعالى كان في الازل ولم
يكن معه شي البتة فكانه سبحانه وتعالى هو الذي فلق بحار ظلمات العدم بانوار الايجاد والتكوين والابداع فهذا
هو المراد من الفلق وهذا التاويل اقرب لوجوه احدها وهو ان الموجود اما الخالق واما الخلق فاذا فسرنا الفلق بهذا
التفسير صار كانه قال قل اعوذ برب جميع الممكنات ومكون كل المحدثات والمبدعات فكان التعظيم فيه اعظم ويكون
الصبح احد الامور الداخلة في هذا المعنى وثانيها ان كل موجود اما واجب لذاته او ممكن لذاته ويكون موجودا بغيره معدوما
في حد نفسه فاذن كل ممكن لا بد له من مؤثر يوثر فيه حال حدوثه بنفسه حال بقائه يفتقر الى المؤثر والتربية اشارة
الى حال الحدوث فقط في حال الحدوث وحال البقا معا في الذات وفي جميع الصفات فقوله برب الفلق يحتاج كل ما عداه

اليه حال الحدوث والبقا في الماهية والوجود بحسب الذات والصفات وسر التوحيد لا يصفوا عن شوايب الشرك الا عند مشاهدة
المعاني وثالثها ان التصوير والتكوين في الظلمة اصعب منه في النور فكانه يقول انا الذي فعل ما فعله قبل طلوع الانوار وظهور
الاضوا ومثل ذلك مما لا ياتي الا بالعلم التام والحكمة البالغة واليه الاشارة بقوله تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشا
لا اله الا هو العزيز الحكيم القول الثالث انه واد في جهنم او جب فيها من قولهم لما اطمان من الارض الفلق والجمع فلقان وعن بعض
الصحابة انه قدم الشام فراى دور اهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش فقال لا ابالي اليس من ورايهم الفلق فقيل
وما الفلق فقال بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره وانما خصه بالذكر ههنا لانه هو القادر
على مثل هذا التعذيب العظيم الخارج عن حد اوهام الخلق ثم قد ثبت ان رحمته اعظم والمؤمن بين الرجا والخوف وكانه يقول يا صاحب
العذاب الشديد اعوذ برحمتك التي هي اعظم واكمل واتم واسبق واقدم من عذابك اما قوله تعالى من شر ما خلق ففيه مسايل
الاولى في تفسير هذه الاية وجوه احدها قال عطا عن ابن عباس يريد ابليس خاصة لان الله تعالى لم يخلق خلقا هو شر منه
ولان السورة انما نزلت في الاستعاذة من السحر وذلك انما يتم بابليس وباعوانه وجنوده وثانيها يريد جهنم فكانه
تعالى يقول قل اعوذ برب جهنم ومن شداير ما خلق فيها وثالثها من شر ما خلق يريد من شر اصناف الحيوانات المؤذيات
كالسباع والهوام ويجوز ان يدخل فيه من يوذي من الجن والانس ايضا ووصف افعالها بانها شر وانما جاز ادخال
الجن والانس تحت لفظة ما لان الغلبة لما حصلت في جانب غير العقلا حسن لفظه ما فيه لان العبرة بالاغلب
وايضا يدخل فيه شرور الاطعمة الممرضة وشرور الما والنار فان قيل الالام الحاصلة عقيب الما والنار ولدغ
العقرب والحية حاصلة بخلق الله تعالى ابتدا على ما هو قول اكثر المتكلمين او متولدة من قوى خلقها الله
تعالى في هذه الاجرام على ما هو قول جمهور الحكما وبعض المتكلمين وعلى التقديرين فيصير حاصل الاية انه
تعالى امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان يستعيذ بالله من الله فما معناه قلنا وانى بذلك ولقد صرح عليه
السلام بذلك فقال واعوذ بك منك ورابعها اراد به ما خلق من الامراض والانتقام والقحط وانواع
المحن والافات وزعم الجبائي والقاضي ان هذا التفسير باطل لان فعل الله تعالى لا يجوز ان يوصف بانه شر
قالوا ويدل عليه وجوه احدها انه يلزم على هذا التقدير ان الذي امرنا لنتعوذ منه هو الذي نعوذ به
وذلك متناقض الثاني ان افعال الله تعالى كلها حكمة وصواب وذلك لا يجوز ان يقال انها شر والثالث
ان فعل الله تعالى لو كان شرا لوصف فاعله بانه شرير وتعالى الله عن ذلك والجواب عن الاول انا بينا
انه لا امتناع في قوله اعوذ بك منك وعن الثاني لانسلم ما تاول به فانه شر غير ورود اللفظ على وفق قوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها وقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن الثالث
اسما الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية ثم الذي يدل على جواز تسمية الامراض والانتقام بانها شرور قوله
تعالى واذا مسه الشر كان جزوعا وقوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وكان عليه السلام يقول اعوذ بك
من شر طوارق الليل والنهار الثانية طعن بعض الملحدة في قوله تعالى قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق من وجوه احدها
ان المستعاذ منه اما هو واقع بقضا الله تعالى وقدره او لا فان كان الاول فكيف امر ان يستعيذ بالله منه وذلك
لانه ما قضى الله به وقدره فهو واقع فكانه تعالى يقول الشي الذي تصيب بوقوعه فهو لابد واقع فاستعيذ
بي منه حتى لا اوقعه فان لم يكن بقضايه وقدره فذلك يقدح في ملك الله تعالى وملكوته وثانيها ان المستعاذ منه
ان كان معلوم الوقوع فلا دافع له فلا فايدة في الاستعاذة وان كان معلوم اللاوقوع فلا حاجة في الاستعاذة
وثالثها ان المستعاذ منه ان كان فيه مصلحة فكيف رغب المكلف في طلب دفعه ومنعه وان كان مفسدة
فكيف خلقه وقدره واعلم ان الجواب عن امثال هذه الشبهات انه لا يسئل عما يفعل وقد تقدر
هذا الكلام في هذا الكتاب والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

## قوله تعالى عز وجل

**ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد**

ذكروا في الغاسق وجوها قالوا الغاسق هو الليل اذا عظم ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل ومنه
غسقت العين اذا امتلات دمعا وغسقت الجراحة اذا امتلات دما وهذا قول الفرا وابي عبيده و
انشد لابن الرصاد ان هذا الليل قد غسقا واشتكيت الهم والارقا وقال الزجاج الغاسق في اللغة
هو البارد وسمي الليل غاسقا لانه ابرد من النهار ومنه قوله الا حميما وغساقا وثالثها قال قوم
الغاسق هو السايل من قولهم غسقت العين تغسق غسقا اذا سالت بالما وسمي الليل غاسقا لانصباب
ظلامه على الارض اما الوقوب فهو الدخول في شي اخر بحيث يغيب عن العين يقال وقب يقب وقوبا
اذا دخل والوقب النقرة لانه يدخل فيها والايقاب ادخال الشي في الوقبة هذا ما يتعلق باللغة وللمفسرين في الاية







اقوال احدها ان الغاسق اذا وقب هو الليل اذا دخل وانما امر ان يتعوذ من شر الليل لان في الليل تخرج السباع
من اجامها والهوام من اماكنها ويهجم السارق والمكابر ويقع فيه الحريق ويقل فيه الغوث ولذلك لو شهر سلاحا على انسان ليلا فقتله
المشهور عليه لا يلزمه قصاص ولو كان نهارا يلزمه لانه يوجد فيه الغوث وقال قوم ان في الليل تنتشر الارواح المؤذية
المسماة بالجن والشياطين وذلك لان قوة شعاع الشمس كانها تدهشهم اما في الليل فيحصل لهم نوع استيلا وثانيها
ان الغاسق اذا وقب هو القمر قال ابن قتيبة الغاسق القمر سمي به لانه يكسف فيغسق اي يذهب ضوءه ويسود ووقوبه
دخوله في ذلك الاسوداد روى ابو سلمة عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بيدها واشار الى
القمر وقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب قال قتيبة ومعنى قوله تعوذي بالله من شره اذا وقب
اي اذا دخل في الكسوف اقول وفيه عندي وجه اخر وهو انه صح ان القمر في جرمه غير مستنير بل هو مظلم فهذا هو المراد
من كونه غاسقا واما وقوبه فهو المحاق في اخر الشهر والمنجمون يقولون انه يكون في اخر الشهر منحوسا قليل القوة لانه
لا يزال ينتقص نوره فبسبب ذلك يزداد نحوسا ولذلك فان السحرة انما يشتغلون بالسحر المورث للتمريض في هذا
الوقت وهذا مناسب لسبب نزول السورة فانها انما نزلت لاجل انهم سحروا النبي صلى الله عليه وسلم لاجل التمريض
وثالثها قال ابن يزيد الغاسق اذا وقب هي الثريا اذا سقطت قال وكانت الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند
طلوعها وعلى هذا سمي الثريا غاسقا لاختنائه عند وقوعه في المغرب ووقوبه دخوله تحت الارض وغيبوبته عن الاعين
ورابعها قال صاحب الكشاف يجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونهشه والوقب والنقب واحد
واعلم ان هذا التاويل اضعف الوجوه المذكورة وخامسها اذا وقب هو الشمس اذا غابت وانما سميت غاسقا
لانها في الفلك كانها تسبح فسمي حركاتها وجريانها بالغسق ووقوبها غيبتها ودخولها تحت الارض اما قوله تعالى ومن شر
النفاثات في العقد ففيه مسايل المسلة الاولى في الاية قولان الاول النفث النفخ مع ريق هكذا قاله صاحب الكشاف
ومنهم من قال انه النفخ فقط ومنه قوله عليه السلام ان جبريل نفث في روعي والعقد جمع عقدة والسبب فيه ان الساحر
اذا اخذ في قراة الرقية اخذ خيطا ولا يزال يعقد عليه عقدة بعد عقدة وينفث في تلك العقدة وانما انث النفاثات
لوجوه احدها ان هذه الصناعة انما تعرف في النسا لانهن يعقدن وينفثن وذلك لان الاصل الاعظم فيه ربط القلب
بذلك الامر واحكام الهمة والوهم فيه وذلك انما ياتي من النسا لقلة علمهن وشدة شهوتهن فلا جرم كان هذا العمل
منهن اقوى قال ابو عبيدة النفاثات هن بنات لبيد بن اعصم اليهودي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم وثانيها ان المراد من
النفاثات النفوس وثالثها المراد منها الجماعات وذلك لانه كلما كان اجتماع السحرة على العمل الواحد اكثر كان التاثير
اكثر القول الثاني وهو اختيار ابي مسلم من شر النفاثات اي النسا في العقداي في عزايم الرجال وارايهم وهو مستعار
من عقد الحبال وهو نفث العقد من الحبل بريق يقذفه عليه ليصير حله سهلا فمعنى الاية ان النسا لاجل كثرة حبهن
في قلوب الرجال يحولهن من راي الى راي ومن عزيمة الى عزيمة فامر الله رسوله بالتعوذ من شرهن لقوله تعالى ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم فاحذروهم فلذلك عظم الله تعالى كيدهن فقال ان كيدكن عظيم ان هذا القول قول حسن لولا انه على
خلاف قول اكثر المفسرين المسلة الثانية انكرت المعتزلة تاثير السحر وقد تقدمت هذه المسلة ثم قالوا سبب الاستعاذة
من شرهن لثلاثة اوجه احدها ان يستعاذ من اثم عملهن في السحر الثاني ان يستعاذ من صمتهن الناس بسحرهن الثالث ان يستعاذ من اطعامهن الاطعمة
الردية المورثة للجنون والموت اما قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد من المعلوم ان الحاسد هو الذي تشتد محبته لازالة نعمة الغير الله
ولا يكاد يكون كذلك ولو امكنه ذلك بالحيل لفعل فلذلك امر الله تعالى بالتعوذ منه ولو دخل في هذه السورة كل شر
يتوقى ويتحرز منه دينا ودنيا فلذلك لما نزل فرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بكونها مع ما يليها جامعة في التعوذ
كل امر ويجوز ان يراد بشر الحاسد وسماحة حاله في وقت حسده واظهاره اثره بقي ههنا سوالات الاول قوله من شر
ما خلق عام في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذه بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد الجواب تنبيها على ان هذه
الشرور اعظم الشر الثاني لم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه الجواب عرف النفاثات لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق
لانه ليس كل غاسق شريرا وايضا ليس كل حاسد شريرا بل رب حسد يكون محمودا وهو الحسد في الخيرات والله تعالى اعلم

**قل اعوذ برب الناس** فيه مسايل المسلة الاولى قرى قل اعوذ برب الناس بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونظيره
فخذ اربعة وايضا اجمع القرا على ترك الامالة في الناس وروي عن الكسائي الامالة في الناس اذا كان في موضع الخفض الثانية انه تعالى
رب جميع المحدثات ولكنه ههنا ذكر انه رب الناس على التخصيص وذلك لوجوه احدها ان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس
في صدور الناس فكانه قال قل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك عليهم امورهم وهو الههم ومعبودهم كما تستغيث بعض

الموالي اذا اعتراهم خطب سيدهم ومخدومهم وولي امرهم وثانيها ان اشرف المخلوقات في هذا العالم هو الناس وثالثها ان المامور
بالاستعاذة هو الانسان فاذا قرا الانسان هذه السورة كانه يقول يا ربي ويا مالكي ويا الهي الثالثة قوله تعالى ملك الناس
اله الناس هما عطف بيان كقولك سيرة ابي حفص عمر الفاروق فوصفا ولا بانه رب الناس ثم الرب قد يكون ملكا وقد لا يكون
كما تقال رب الدار ورب المتاع قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فلا جرم بينه بقوله تعالى ملك
الناس ثم الملك قد يكون الها وقد لا يكون فلا جرم بينه بقوله تعالى اله الناس لان اسم الاله خاص به وهو سبحانه لا يشاركه
فيه احد وايضا بدا بذكر الرب وهو اسم لمن قام بتدبيره واصلاحه وهو من اوئل نعمه الى ان رباه واعطاه العقل فحينئذ
عرف بالدليل انه عبد مملوك وهو يملكه فثنى بذكر الملك ثم لما علم ان العبادة لازمة له واجبة عليه وعرف ان معبوده مستحق
لتلك العبادة عرف انه اله فلهذا ختم به وايضا اول ما يعرف العبد من ربه كونه معطيا لما عنده من النعم الظاهرة والباطنة وهذا
هو الرب ثم لا يسقل من معرفة هذه الصفات الى معرفة جلاله واستغنائه عن الخلق فحينئذ يحصل العلم بكونه ملكا لان الملك
هو الذي يفتقر اليه غيره ويكون هو غنيا عن غيره ثم اذا عرف العبد ذلك عرفانه في الجلالة والكبرياء فوق وصف الواصفين
وانه هو الذي ولهت العقول في عزته وعظمته فحينئذ يعرفه الها الرابعة السبب في تكرير اللفظ بالناس انما تكررت
هذه الصفات لان عطف البيان يحتاج الى مزية الاظهار ولان التكرير يقتضي مزية شرف الناس لانه اشرف مخلوقاته
والاهما ختم كانه بتعريف ذاته بكونه رب الناس ملك الناس اله الناس الخامسة لا يجوز ههنا مالك ويجوز مالك يوم
يوم الدين في سورة الفاتحة والفرقان قوله تعالى برب الناس افاد كونه ملكا لهم فلا بد وان يكون المذكور عقيبه هذا
الملك لغيرانه مالك ومع كونه مالكا فهو ملك فان قيل اليس قال في سورة الفاتحة رب العالمين ثم قال مالك يوم الدين
فيلزم وقوع التكرار هناك قلنا اللفظ دل على انه رب العالمين وهي الاشياء الموجودة في الحال وعلى انه مالك ليوم الدين
اي قادر عليه وهناك الرب مضاف الى شيء والمالك الى شيء اخر فلم يلزم التكرار واما ههنا لو ذكر المالك لكان الرب والمالك
مضافين الى شيء واحد فيلزم فيه التكرار فظهر الفرق وايضا فجواز القران يتبع النزول لا القياس فقد قرئ ايضا مالك يكون
في الشواذ اما قوله تعالى من شر الوسواس الخناس الوسواس بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر
وبالفتح لذلك والمراد به الشيطان سمي بالمصدر لانه وسوسة في نفسه لانها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه
نظيره قوله تعالى عمل غير صالح وايد ذو الوسواس وتحقيق الكلام في الوسوسة قدم في تفسير قوله تعالى فوسوس لهما
الشيطان واما الخناس فهو الذي عادته ان يخنس منسوب الى الخنوس وهو التاخر كالعواج والبتات عن سعيد بن جبير
اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل وسوس اليه

قوله تعالى الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس

اعلم ان قوله تعالى الذي يوسوس في صدور الناس يجوز في محله الحركات الثلاث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن ان
يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذي يوسوس على احد هذين الوجهين اما قوله من الجنة والناس ففيه وجوه احدها كانه
يقول الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وقد يكون من الناس كما قال تعالى شياطين الجن والانس وكما ان شياطين الجن
قد يوسوس تارة ويخنس اخرى فشيطان الانس قد يكون كذلك تارة وذلك لانه يرى نفسه كالناصح المشفق فان زجره
السامع ترك الوسوسة وان قبل السامع كلامه بالغ فيه وثانيها قال قوم قوله تعالى من الجنة والناس قسمان مندرجان تحت
قوله تعالى في صدور الناس كان القدر المشترك بين الجن والانس يسمى انسانا والانسان ايضا يسمى انسانا فيكون لفظ الانسان واقعا
على الجنس والنوع في الاشتراك والدليل على ان لفظ الانسان يندرج فيه لفظ الجن والانس ما روي انه جاء نفر من الجن فقيل لهم من انتم قالوا ناس
من الجن وايضا قد سماهم الله تعالى رجالا في قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فجاز ان يسميهم ايضا ههنا
ناسا فمعنى الاية على هذا التقدير ان هذا الوسواس الخناس شديد الخبث لا يقتصر على اضلال الناس بل يضل جنسه وهم الجن فجدير
ان يحذر العاقل شره وهذا القول ضعيف لان جعل الانسان اسما للجنس الذي يندرج فيه الجن والانس بعيد من اللغة لان الجن سموا
جنا لاجتنانهم والانسان انسانا لظهوره من الايناس وهو الابصار قال صاحب الكشاف من اراد تقرير هذا الوجه الاولى ان يقول
المراد من قوله تعالى يوسوس في صدور الناس اي في صدور الناسي كقوله تعالى يوم يدعو الداعي واذا كان المراد من الناس هو
الناسي فحينئذ يمكن تقسيمه الى الجن والانس لانهما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله تعالى وثالثها ان يكون المراد اعوذ برب
الناس من الوسواس الخناس ومن الجنة والناس كانه استعاذ بربه من ذلك الشيطان الواحد ثم استعاذ بربه من جميع الناس واعلم
ان في هذه السورة لطيفة اخرى وهي ان المستعاذ به في السورة الاولى مذكور بصفة واحدة وهي انه رب الفلق والمستعاذ منه ثلاثة انواع
من الافات وهي الغاسق والنفاثات والحاسد واما في هذه السورة فالمستعاذ منه مذكور بصفات ثلاثة وهي الرب والملك والاله والمستعاذ منه
افة واحدة وهي الوسوسة والفرق بين الموضعين ان الثناء يجب ان يتقدر بقدر المطلوب فالمطلوب في السورة الاولى سلامة النفس
والبدن والمطلوب في السورة الثانية سلامة الدين وهذا تنبيه على ان مضرة الدين وان قلت اعظم من مضار الدنيا وان عظمت
وهذا اخر الكلام في الكتاب والحمد لله العزيز الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد نبي الرحمة
وشفيع الامة وعلى اله الطاهرين واصحابه وازواجه
اجمعين صلاة وسلاما دائمين الى يوم الدين

يكون كاغد عدد
٤٢٥